

الطليعة

طريق المناضلين إلى الفكر الثوري المعاصر

١

يناير ١٩٦٧
السنة الثالثة



موقع "١٩٦٧" من القرن العشرين



العدد الاول — السنة الثالثة — يناير ١٩٦٧



طريق المناضلين الى

الفكر الثورى المعاصر

مجلة شهرية

تصدر أول كل شهر

رئيس التحرير :

لطفى الخولى

مستشارو التحرير :

د. ابراهيم سعد الدين

أمين عز الدين

د. جمال العطيفى

د. رشدى سعيد

د. عبد الرازق حسن

د. لطيفة الزيات

د. محمد الخفيف

سكرتارية التحرير :

ميشيل كامل

عبد المنعم القصاص

ان « الطليعة » ميدان مفتوح لكل رأى حر ، وفى اعتقادها ان تفاعل الآراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع ان يبلور ويستخلص وحدة فكرية أصيلة .

من هذا المفهوم تفتح « الطليعة » صفحاتها لكل من لديه كلمة يقولها — مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى أطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر « قد اختلف معك فى الرأى ولكنى على استعداد لان ادفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رأيك » .

عنوان المراسلات :

« الطليعة »

مبنى مؤسسة الاهرام ١٤ شارع مظلوم

القاهرة تليفون ٤٦٦٤ — ٤٤١٤٤

الاشتراكات :

لسنة بالبريد العادى . ج.ع.م ودول اتحاد البريد العربى ودول الدار البيضاء ١٢٠ قرشا .



موقع "١٩٦٧" من القرن العشرين

بهذا العدد تستقبل ((**الطليعة**)) عامها الثالث .. **عام ١٩٦٧** .
والطليعة ـ تاريخا وجوهرا ـ ابنة الستينات من هذا القرن الدسم العريض العميق ، المشحون بأحداث واكتشافات وصراعات لم يحدث لقرن آخر من القرون التسعة عشر الماضية ان جبل بمثلها ـ كما ونوعا ـ سواء على مستوى العالم او مستوى الوطن معا .

وتتميز هذه الستينيات التى نعيشها ونصنعها اليوم بكل آلامنا وآمالنا وتناقضاتنا مع كل ما ورثناه من تراث عريق وما نستحدثه من جديد ، بأنها اخصب السنوات التى طواها الزمن من هذا القرن . وما برح امام قرننا العشرين ، نيفا واربعين عاما يحوس [illegible] العمل الانسانى ـ انتاجا وابداعا وتغييرا وتطويرا ـ قبل أن يسلم شعلة الحياة الى القرن الواحد والعشرين .

((**والطليعة**)) ، كعمل انسانى ، لا تملك الا ان تتأثر وتؤثر كغيرها ـ بدرجات متفاوتة ـ بحركة هذا القرن واتجاهاته . وهى بالتالى مطالبة بأن تعايش بأقصى ما تستطيعه من عمق ابعاد هذا القرن قوميا وعالميا على السواء . وبدون هذا تنفصل عن حركة الحياة الانسانية ومكتسباتها المادية والمعنوية المستمرة . ومعايشتها تصبح ايجابية بقدر ما يتوافر لديها من الوعى النابع عن هضم حصيلة المعرفة الانسانية والوقوف على القوانين العلمية للحركة والتطور الاجتماعية واساليب وتجارب

تطبيقاتها في الواقع الحي، والتجاوب العلمي والواقعي لكل ما تطرحه الحياة من جديد في الفكر والعمل على السواء.

ولهذا ((فالطليعة)) حريصة كل الحرص على أن تكون ابنة شرعية لعصرها وتاريخها الانساني وواقعها القومي والعالمي . وفي نفس الوقت مشاركة في عمليات النقد والتغيير لهذا العصر والتاريخ والواقع . وذلك في اتجاه التقدم الذي يمكن للانسان على الدوام مزيدا من السيطرة على الطبيعة، ومزيدا من القدرة على اغناء الانسانية ماديا وفكريا وروحيا، ومزيدا من العمل على تصفية كل أسباب وظواهر وآثار استغلال الانسان للانسان على صعيد العالم وصعيد الوطن معا . وبالتالي امتلاك مصيره بنفسه امتلاكا حرا وبناء وجماعيا .

وهكذا فأن معايشة ((الطليعة)) ورؤيتها لعصرها وتاريخها وواقعها، هي معايشة ورؤية ثوريتين . بمعنى أنها تنتمي الى حركة التغيير لما هو أرقى وأوفر انسانية في جميع المجالات . وهذا التغيير لا يمكن ان يقع في عصرنا بصورة ثورية الا اذا ارتبط ارتباطا عضويا بالمبادىء الاشتراكية وتجسيداتها باعتبار انها أرقى ما وصل اليه الفكر والعمل الانساني حتى اليوم . وذلك كله دون جمود مذهبي ضيق الافق يخنق الابداع الانساني وتجدده على الدوام.

ولكي يتم التغيير على هذا النحو في جميع المستويات بأقصى عمق ممكن وبأسرع وقت وبأقل تكلفة من التضحيات والاخطاء، فان المنطق والواجب يتطلبان العمل على بناء وحدة كل القوى الثورية المعادية للامبريالية والاستعمار القديم والجديد وللاقطاع وللاستغلال الرأسمالي — فكريا وعمليا — وذلك على مستوى الوطن بمعناه الصغير والوطن بمعناه القومي العربي الكبير وافريقيا والعالم ككل.

ومن هنا كان اهتمام ((الطليعة)) الدائب في المساهمة في خلق المناخ والظروف الملائمة لبناء وحدة القوى الثورية في مصر والوطن العربي وافريقيا، والتطلع الى وحدة شاملة تضم كل الثوريين في العالم بغض النظر عن الجنس واللون والعقيدة . وأساليب ((الطليعة)) في ذلك متعددة . فهي تبدأ بالأرضية القومية والاجتماعية التي تنبع منها وهي أرضية الثورة المصرية العربية بأهدافها التحررية والاشتراكية، ملتحمة مع أرضية الثورة العربية الشاملة المعاصرة وأرضية الثورة الافريقية . وتنفتح في نفس الوقت مع أرضيات الثورات الاشتراكية والتقدمية في العالم الفسيح الرحب . وهي تعرض وتناقش وتحلل التجارب بوجوهها الايجابية والسلبية معا . وتبلور — على قدر طاقاتها — دروس النجاحات ودروس الاخفاقات . وتتبادل الحوار في صراحة موضوعية مع كل القوى الثورية، وتعقد من اجل ذلك الندوات المغلقة والمفتوحة مع كل القوى الثورية . وذلك كله من اجل تجميع وتقنين الخبرات، وكشف مواضع الاتفاق ومواضع الاختلاف بين القوى الثورية وأسبابها، والعمل المشترك للوصول الى حلول علمية وواقعية للمشاكل التي لا مفر من الاصطدام بها خلال مراحل التطور المتعاقبة.

ولعل نظرة فاحصة الى أعداد الطليعة في عاميها الاولين (١٩٦٥ — ١٩٦٦) تؤكد التزامها بهذا المنهج محليا وقوميا وافريقيا وعالميا . فمن دراسات معمقة للتجربة المصرية الثورية وغيرها من التجارب العربية والافريقية والعالمية الى حوار مفتوح داخلي بين قوى تحالف قوى الشعب العاملة في مصر، جنبا الى جنب مع القوى الثورية العربية والافريقية والعالمية.

وبهذا المفهوم دعت ((الطليعة)) بالاشتراك مع مجلة ((السلم والاشتراكية ((الدولية الى

عقد أول ندوة فكرية سياسية للاحزاب والتنظيمات الثورية الافريقية فى تاريخ القارة . (ندوة القاهرة ٢٤ ــ ٢٩ اكتوبر ١٩٦٦) . وهى تخطط لندوات أخرى فى المستقبل بين القوى والاحزاب والتنظيمات الثورية فى الوطن العربى وآسيا الخ ..

بهذا المنهج ورصيد تطبيقاته خلال العامين السابقين تواجه الطليعة مسئولية عامها الثالث ، وفى وعيها طبيعة وظروف ومهام القرن العشرين عامة والستينيات منه على وجه الخصوص .

وليس مجالنا اليوم هو التأريخ التفصيلى الدقيق للقرن العشرين الذى نتحرك من خلاله ، وانما لعله يكفينا فى هذا المقام ان نقف على الخطوط الرئيسية لحركة القرن وبالتالى حركتنا كشعب حقق استقلاله السياسى والاقتصادى وانتهج طريق التطور الاشتراكى ويناضل من أجل وحدته العربية الشاملة بمضمونها التقدمى .

والحق ان الوقوف على هذه الخطوط الرئيسية مجتمعة يبلور أمامنا صورة شاملة تفيدنا فى وضع خطتنا للعمل خلال عام ١٩٦٧ الذى نفتتحه اليوم . واذا كنا لا نستطيع فى هذه العجالة ان نلم بكل هذه الخطوط فانه يكفينا منها فى هذا المقام ٧ خطوط جوهرية :

● ففى هذا القرن بلغ الاستعمار العالمى أعلى مراحله وتمكن بنظامه الرأسمالى الامبريالى من ان يسيطر على العالم سيطرة تامة لخدمة مصالح أصحاب الاحتكارات والسلطة فى مجموعة بلاد أوربا الغربية . ولكن هذا القرن أيضا شهد « رد الفعل الساحق » من الشعوب المستعمرة ضد النظام الامبريالى الاستعمارى تجسد فى موجات متعاقبة ومتلاحمة من ثورات التحرر الوطنى التقليدية المساومة (كثورة ١٩١٩ فى مصر وثورة سوريا عام ١٩٤٦ وثورة الهند عام ١٩٤٥) وثورات التحرر الوطنى التقدمية الجديدة حيث تلتحم أهداف التحرر الوطنى بأهداف التطور الاجتماعى نحو الاشتراكية لاول مرة فى التاريخ (كثورة يوليو ١٩٥٢ فى مصر وثورة الجزائر فى ١٩٥٤ وثورة غينيا عام ١٩٥٨) . وبلغت حركة التحرر الوطنى التقدمية الجديدة قمة نضالها وانتصارها ضد الامبريالية والاستعمار القديم خلال حرب السويس الاستعمارية العدوانية التى شنتها بريطانيا وفرنسا واسرائيل عام ١٩٥٦ ضد مصر بسبب تأميمها لقناة السويس وانتهت بهزيمة القوى العدوانية الامبريالية السافرة لاول مرة فى التاريخ الانسانى .

وهكذا فان هذا القرن الذى شهد السيطرة الامبريالية والاستعمارية الغربية الشاملة للعالم يشهد اليوم أفولها وانحسارها عن مناطق عديدة ومتعاظمة باستمرار وانكماشها الى مراكز محددة محصورة على خريطة العالم .

بيد ان هذا الانحسار والانكماش قد انتج نوعين من الحركة الاستعمارية المضادة :
أولهما : نوع من المغامرات العدوانية المحدودة النطاق ضد شعوب معينة مثل العدو الامريكى على فيتنام والدومينيكان وكوبا ومثل تصدير الثورات المضادة الى بعض الدول المتحررة والتقدمية كما حدث بالنسبة لغانا فى فبراير ١٩٦٦ .

وثانيهما : هو تحول الاستعمار القديم الى استعمار جديد فى أسلوبه وخططه بعمد الى التسليم الشكلى بالاستقلال السياسى للبلد الذى كان مستعمرا ومحتلا ، مع تأكيد

تبعيته الفعلية للامبريالية وبصفة خاصة التبعية الاقتصادية ، محققا ذلك بمجموعة ضخمة من الوسائل الاقتصادية والعسكرية والايدلوجية .

● وفى هذا القرن تفجر شعبنا فى مصر عن ثورتين أساسيتين ضد الاستعمار اولهما ثورة ١٩١٩ ذات الطبيعة البرجوازية التى انتهت بمشاركة الطبقة البرجوازية المصرية الوليدة للاستعمار وبقايا الاقطاع فى السلطة والسوق الاستغلالى فى صورة استقلال شكلى . وثانيهما ثورة يوليو ١٩٥٢ ذات الطبيعة الشعبية التقدمية التى انتهت الى تصفية الوجود الاستعمارى — سياسيا وعسكريا واقتصاديا — تصفية نهائية واسقاط الاقطاع والبرجوازية وانتهاج طريق التطور الاشتراكى . وفيما بين الثورتين وقع عدد من الانتفاضات والفورات الشعبية المتفاوتة فى ثوريتها مثل حركة ١٩٣٥ وحركة ١٩٤٦ . وتوالت ايضا الثورات فى الوطن العربى بفلسطين وسوريا ولبنان والعراق والسودان وتونس والمغرب والجزائر واليمن وجنوب اليمن المحتل . .

● وفى هذا القرن قاست الانسانية من ويلات حربين عالميتين عام ١٩١٤ ، وعام ١٩٣٩ على التوالى . انتهت الاولى بانتصار جبهة الحلفاء على جبهة المحور الاستعماريين حول اقتسام مناطق النفوذ والاسواق فى العالم . وانتهت الثانية بهزيمة النازية والفاشية . ودفعت الانسانية خلال ذلك كله ملايين الارواح من أبنائها بحيث تكونت لديها حساسية شديدة ووعى جماعى شامل ضد الحرب خاصة وان الحرب الثالثة العالمية اذا ما اشتعلت سوف تكون ذات دمار شامل وساحق للحضارة والانسانية ككل دون تمييز او تفريق بسبب الاسلحة النووية الجديدة .

ومن هنا شهد القرن لاول مرة فى التاريخ الانسانى حركات تنظيمية واسعة النطاق من أجل تلافى اخطار الحرب سواء على مستوى الشعوب تجسدت فى حركات السلام او فى تنظيمات دولية عامة تضم الدول المختلفة ، تمثلت اولا فى عصبة الامم التى قامت عقب الحرب العالمية الاولى ثم أنهارت على اعتاب الحرب العالمية الثانية لتخلفها بعد ذلك « الامم المتحدة » التى لا تزال قائمة وتجاهد خلال الصراعات الدولية المعقدة لتقوم بدورها فى خدمة السلام والتعاون الدولى على الرغم من الشوائب والنواقص التى تهددها .

● وفى هـذا القرن خرجت الولايات المتحدة الامريكية من عزلتها داخل قارتها كما كان يقضى مبدا مونرو لتقوم بدور متزايد فى دعم حركه الامبريالية العالمية بعد ان اهتزت قلاعها التقليدية ببريطانيا وفرنسا والمانيا وايطاليا وهولندا الخ . . تساعدها فى ذلك مواردها وطاقاتها الانتاجية والفنيه والحربية الضخمة التى لم يسبق لدولة فى التاريخ أن تملكت مثل هذه القوة وقد اهلها ذلك لزعامة العالم الراسمالى . وفى نفس الوقت تفجرت فى روسيا القيصرية اول ثورة اشتراكية — بالمفهوم الماركسى — عام ١٩١٧ التى صمدت للحرب الاهلية وحروب التدخل الاستعمارية ضدها وللعدوان النازى فى الحرب العالمية الثانية لتكون الاتحاد السوفيتى الذى اصبح قوة مادية ومعنوية : اقتصاديا وحربيا وفنيا وسياسيا تنافس الولايات المتحدة الامريكية وتوالت بعد ذلك عقب الحرب العالمية الثورات الاشتراكية بالمفهوم الماركسى فى الصين ودول شرق اوربا وبعض دول آسيا وتخلقت بالتالى نتيجة لذلك — ولاول مرة فى التاريخ ايضا — كتلتين كبيرتين متصارعتين ايدلوجيا وعسكريا واقتصاديا وسياسيا فى العالم ، كتلة الغرب الراسمالى بزعامة امريكا وكتلة الشرق الماركسى بزعامة الاتحاد السوفيتى ، وقام نتيجة لذلك حلف الإطلنطى العسكرى يقابله حلف وارسو العسكرى ، وعرف العالم نتيجة الصراع بين الكتلتين وحلفيهما ، اطلق عليه اسم الحرب الباردة .

وفى مناخ الحرب الباردة وسياستها التى نظرهـا « فوستردالس » وزير خارجية امريكا الراحل على انها « دفع العالم الى حافة الكارثة باستمرار » قام المعسكر الراسمالى بزعامة امريكا الى اقامة سلسلة ضخمة من القواعد العسكرية والاحلاف العدوانية فى جميع انحاء العالم ،واستخدم فى ذلك عديدا من الاساليب من بينها اقامة قواعد عنصرية مسلحة فى شكل دول على نمط دولة اتحاد جنوب افريقيا التى اغتصبتها العنصرية الاستعمارية البيضاء عام ١٩١٠ وذلك فى كل من اسرائيل فى المنطقة العربية بآسيا عام ١٩٤٨ ،وروديسيا بافريقيا عام ١٩٦٥ .

● وفى هذا القرن شقت بشجاعة مجموعة من البلاد والدول المستقلة حديثا — وخاصة تلك التى اخذت تنهج اسلوب التطور الاشتراكى منطلقة اساسا من مواقعها الوطنية ووضعيتها الاقتصادية والاجتماعية المتخلفة — طريق الحياد الايجابى وعدم الانحياز فى الحقل الدولى . واستطاعت لاول مرة فى التاريخ الانسانى — ومعظمها دول صغيرة — ان تتجمع فى مؤتمر عالمى « بباندونج » عام ١٩٥٥ وتتبنى سياسة التعايش السلمى فى ضوء النضال المستمر لتصفية الاستعمار فى جميع انحاء العالم . ومن هنا لم يكن حيادها الايجابى او عدم انحيازها موقفا شكليا كموقف كل من سويسرا والسويد التقليدى . وانما هو عدم انضواء فى داخل كتلة من الكتلتين المتصارعين وانتهاج سياسة مستقلة تستهدف التحرر الحقيقى لجميع الشعوب سياسيا واقتصاديا والتعاون مع جميع الدول على قدم المساواة ودون تدخل فى الشئون الداخلية بغض النظر عن نظمها السياسية والاجتماعية ودرء خطر الحرب وتوالت بعد ذلك باتساع متزايد مؤتمرات عدم الانحياز بصور مختلفة وعلى مستويات متعددة .

● وفى هذا القرن ، ونتيجة لهذه التغييرات الجذرية فى علاقات القوى العالمية اتجهت الحركة الدولية الى اقامة تكتلات اقتصادية كبيرة وتدعيمها على نحو لم يسبق له مثيل فى تاريخ الانسانية . ففضلا عن منظمة التجارة الحرة التى تتزعمها بريطانيا وكتلة السوق الامريكية الشاملة للولايات المتحدة واستثماراتها فى جميع انحاء العالم وخاصة امريكا اللاتينية ، تكونت السوق الاوربية المشتركة من كل فرنسا وايطاليا وبلجيكا والمانيا الغربية وهولندا ولوكسمبرج،كما تكونت منظمة الكوميكون لدول الاتحاد السوفيتى واوربا الشرقية . واخذت الدول الحديثة النامية بالتالى امام مواجهتها لهذه الكتل الاقتصادية الكبيرة من ناحية ومشاكلها فى التنمية بمعدلات سريعة تعقد المؤتمرات وتبحث فى امكانية قيام اسواق خاصة بها سواء فى النطاق العربى او فى النطاق الافريقى .

وادراكا للضروريات الاقتصادية والاجتماعية والتاريخية انطلقت — بدرجات متفاوتة — حركات نحو الوحدات الاقليمية الكبيرة فى اكثر من مكان من عالمنا المعاصر ولعل اشمل واعمق هذه الحركات تمثلت فى القومية العربية ذات المضمون التقدمى التى تسعى الى وحدة عربية شاملة من المحيط الى الخليج ، وقعت فى نطاقها اول تجربة عام ١٩٥٨ بالوحدة بين مصر وسوريا التى ضربت بعد ذلك فى عام ١٩٦١ بانقلاب عسكرى رجعى استعمارى ولكنها افادت فى كشف اسلم الطرق الى بناء الوحدة العربية ذات المضمون الديمقراطى والبنيان الديمقراطى فى مستقبل التطور . كذلك نما فى افريقيا تيار الوحدة وتمت بعض تجارب مثل وحدة الاتحاد السودانى بين مالى والسنغال عقب الاستقلال عام ١٩٥٩ ولكنها سرعان ايضا ما ضربت عام ١٩٦٠ من القوى الرجعية والاستعمارية . ومثل وحدة تانزانيا عام ١٩٦٤ بين كل من

تانجانيقا وزنزبار فى اطار تقدمى ثورى . وانبثق ايضا تيار الوحدة فى اوربا الغربية وخاصة بين دول السوق الاوربية المشتركة. وهناك اتجاهات ليشمل تيار الوحدة اوربا كلها بما فيها اوربا الشرقية وذلك لمواجهة تحـديات السيطرة الامريـكية والتغلغل الامريكى السياسى والاقتصادى والعسكرى فى اوربا .

● وفى هذا القرن استطاعت العبقرية الانسـانية ان تكتشف اسرارا جـديدة فى ميدان العلم وان تستخدمها لمزيد من التقدم المذهل الذى احدث ثورة جذرية فى العلوم والتكنولوجيا . ولعل اهم اكتشاف حدث فى هذا القرن هو انقسـام الذرة وما تفجر عنه من طاقة حرارية مهولة انتجت الاسلحة النووية الجبارة ، كما فتحت عالمـا جديدا مشرقا امام الانسان لاحكام سيطرته على الطبيعة والحياة .

والواقع ان هذه الظاهرة ، ظاهرة الثورة العلمية ذات الافاق المشرقة جنبا الى جنب مع ظاهرتى شمول حركة التحرر الوطنى فى العالم والتحول الانسانى العام نحو الاشتراكية قد غدت تمثل الطابع العام للقرن العشرين منذ نهاية الحرب العالمية الاولى ، واصبحت بالتالى اوضح بصمات النضال الانسـانى والقرن يودع نصف حياته الاولى ليبدا مع السـتينيات النصف الثانى .

والملاحظـة الهامة الجـديرة بالتسجيل ان جميع الجبهات ، المعسـكر الشيوعى والمعسكر الراسمالى ودول عدم الانحياز التقدمية — على الرغم من اختلاف مصالحها ومواقعها ومواقفها قد توصلت — بطريق مباشر او غير مباشر — الى هـذا التشخيص الموضـوعى المكون للسمات الثلاث الرئيسية للطابع العام للقرن العشرين وهو يودع الخمسينيات ويستقبل الستينيات .

ففى المعسكر الشيوعى نلتقى بوضوح على هذا التشخيص فى وثيقتين من اهم وثائق الحركة الشيوعية المعاصرة وهما البيانان الصادران عن اجماع الاحزاب الشيوعية فى العالم بما فى ذلك الحزب الشيوعى الصينى التى اجتمعت بموسكو خلال عامى ١٩٥٧ ، ١٩٦٠ . وعرفا اسم « بيان ١٩٥٧ » « وتصريح ١٩٦٠ » ، وحددا بذلك الخط العام للحركة الشيوعية .

وفى المعسكر الراسمالى نلمس هذا التشخيص اساسا فى نظرية وخطة « الافاق الجديدة » التى اعلنها الرئيس الامريكى الراحل جون كيندى محددا سياسة امريكا كزعيمة للمعسكر فى مواجهة ظواهر القرن الاساسية . الثورة العلمية وشمول حركة التحرر الوطنى والتحول العام نحو الاشتراكية . كما نلمسه بطريق غير مباشر فى الخطط والسياسيات المختلفة لمواجهة هذه الظواهر ، مثل الخطة العسكرية « لرد الفعل المرن » التى تتبنى استراتيجية « الحروب المحلية » لمواجهة انتشار حركة التحرر الوطنى والتقدم الاجتماعى وهى الخطة التى « نظرها » الجنرال الامريكى المعروف « تيلور » وعمدت امريكا لتطبيقها فى كل من الفيتنام والدومينكان . العدوان على كوبا عام ١٩٦٢ كما نلمسها فى نظرية « الراسمالية الشعبية » التى تصـدر عن الطبقـات الراسمالية الحاكمة والمسيطرة فى امريكا وبريطانيا وغيرها لمواجهة التحول الانسانى العام نحو الاشتراكية .

وبالنسبة لدول عدم الانحياز التقدمية نستطيع ان نقف ايضا على هذا التشخيص الموضوعى لطابع القرن العشرين المتبلور عند اعتاب الستينيات فى وثيقة هامة هي « الميثاق الوطنى » دليل العمل الثورى لشعب وقيادة الجمهورية العربية المتحدة (١٩٦٢) . فهذا الميثاق قد سجل « الاشتراكية كطريق حتمى تاريخى للتطور » ولخص فى دقة اهم التغيرات التى طرات منذ نهاية الحرب العالمية الثانية فيما يلى :

اولا ــ تعاظم قوة الحركات الوطنية فى آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية .

ثانيا ــ ظهور المعسكر الشيوعى كقوة كبيرة يتزايد وزنها المادى والمعنوى يوما بعد يوم فى مواجهة المعسكر الراسمالى .

ثالثا ــ التقدم العلمى الهائل الذى حقق طفرة فى وسائل الانتاج فتحت آفاقا غير محدودة امام محاولات التطور .

رابعا ــ زيادة تأثير القوى المعنوية فى العالم كالامم المتحدة والدول غير المنحازة وقوى الراى العام العالمى » .

بهذا الطابع المميز بدا القرن حياة الستينيات . ونلحظ **اولا** بشكل عام منذ الستينيات «ردودفعل» متباينة لهذا الطابع من ناحية بجانب « افعال جديدة » ايجابية وسلبية على السواء فى اتجاه التطور المستمر دون توقف لصالح الانسان واحتياجاته الماديه والمعنويه المتزايدة على الدوام . كما نلحظ **ثانيا** ان معدل سرعة التطور قد بلغ درجة قياسية لم يسبق ان حققها لا بالنسبة للتاريخ الانسانى عامه بل ايضا بالنسبة للسنوات الخمسين التى نطعها القرن العشرين نفسه من حياته . كما نلحظ **ثالثا** حركة ذات اتجاهين متناقضين فى الحقل الدولى احدهما الى تجميع واستقطاب قوى معينة ضد قوى اخرى وخاصة فى المناطق الملتهبة بالصراع من اجل حق الحياة الانسانية العصرية كالوطن العربى وافريقيا . اما الاتجاه الثانى فيذهب الى تفكيك الوحدات التقليدية والكتل الدولية على اختلاف طبيعتها السياسية والاجتماعية سواء اكانت الكتلة الشرقية او الكتلة الغربية .

ونستطيع على ضوء هذه الملاحظات العامة ، وفى حدود ماكشفت عنه الستينيات التى لم تكتمل دورتها بعد ان نتبين عدة ظواهر اساسية لحركة الطابع العام للقرن العشرين :

● بلوغ حركة التحرر الوطنى آفاقا عظيمة فلم يعد هناك اليوم غير ١ر٣٪ من سكان العالم فحسب (اكثر من ٣٠٪ قبيل الحرب العالمية الثانية) وانكمشت المساحة المستعمرة من الكرة الارضية الى ٥ر٤٪ من المساحة الكلية (اكثر من ٣١٪ عام ١٩٣٨) . وبالنسبة لافريقيا مثلا بالذات اعتبر عام ١٩٦٠ عام افريقيا ففيه حصلت ١٧ بلدا جديدا تمثل ٤٢٪ من مساحة القارة على استقلالها . بينما عام ١٩٥٠ لم يكن هناك بلد افريقى مستقل ــ عدا جنوب افريقيا بوضعها العنصرى الماضى ــ غير مصر واثيوبيا وليبيريا وكان الاستقلال فى الواقع شكليا . أما اليوم فى ختام عام ١٩٦٦ وبعد استقلال كل من باسوتولاندوبتشوانالاند فقدارتفع عدد البلاد المستقلة ــ بدرجات متفاوتة الى ٣٨ بلدا ، وانحصر الوجود الاستعمارى المباشر الى ١١ وحدة

لا تزيد مساحتها عن ١٤٪ من القارة جملة سكانها ٤٥ مليون نسمة يمثلون ٦٪ من أهل القارة الذين يزيد عددهم اليوم على ٢٥٠ مليون نسمة .

وفى الوطن العـــربى تفجـــرت الثورة فى اليمن اكثر المناطق اظلاما وقيودا وكذلك فى عدن وجنوب اليمن المحتل .

وفى امريكا اللاتينية وعلى بعد ٩٠ ميلا من الولايات المتحـــدة استطاع الشـــعب الكوبى عام ١٩٥٩ من أن يحقق استقلاله كاملا ويختار النظام الاجتماعى الذى يريده بحـــرية وصمد ولا يزال امـــام العـــدوان الامريكى المتعدد الصور والاشكال والذى بلغ اوجه فى صيف عام ١٩٦٢ وعـــرض الانسانية الى خطر حرب نووية فيما عرف باسم « ازمة البحر الكاريبى » .

ولكن فى نفس الوقت سجلت الستينيات ايضـــــا تحـــركا عـــدوانيا مضـــــادا من القـــــوى الاستعمـــــارية ــ وان كان محدودا بمناطق معينه وليس شـــاملا كما كان الحال فى الماضى ــ الا انه اكثر سرعة ودقه وعنفا تجســـد فى تصـــدير الثورات المضادة فى الكونجو وغانا وروديسيا وفى العـــدوان المسلح على كوبـــا والفيتنام والدومينكان . ولم يقف الامر فى التحـــرك عند استخدام القوة بل عمد الاستعمار الى استخدام الاسلحة الاقتصادية فى الحصار وشن حرب الجـــوع وتخـــريب عمليات التنمية فى البلاد النامية نتيجة السيطرة على السوق العالمى والتسلط على حركة التجارة الدولية،حتى ليمكن القول ان جوهر المعركة يتبلور اليوم بين القوى الاستعمارية العالمية والقوى الجديدة النامية فى ميدان التنمية الوطنية للاقتصـــاديات القـــومية وخاصة القطاع الصناعى ، لانها فى النهاية تمثل المسمار الاخـــير فى نعش الســـيادة والنفوذ الاستعماريين عالميا . وفضلا عن ذلك فان القوى الاستعمارية تتجـــه الى الزيادة من استخدام « بر افانتها الدولية » فى الحركة العدوانية المضادة سواء اكانت القواعد العنصرية العسكرية التى اقيمت على شكل دول كجنوب افريقيا وروديسيا او اسرائيل ، أم قوى رجعية حاكمة كما فى عدد من البلاد الافريقية والاسيوية وامريكا اللاتينية عموما ونظم الحكم فى السعودية والاردن وتونس وغيرها بصفة خاصة فى الوطن العربى .

● وفى الستينيات تأكدت بشكل واضح واقعيا ظاهرة جديدة عالمية فى تاريخ التطور وهى ظاهرة التحام ثورة التحـــرر الوطنى بالثورة الاجتماعية ذات الافاق الاشتراكية متخطية مراحل من التطور الاجتماعى طبقا للنظرية الثورية وذلك فى عديد من البلاد النامية . بدأت بالجمهورية العربية المتحدة عندما اختـــارت بحسم وخلال استمـــرار معركتها الضارية مع القوى الاستعمارية وقواعدها ، الاشتراكية طريقـــا للتطـــور واعقبتها تاريخيا بلاد عـــديدة كالجـــزائر وسوريا وغينيا ومالى وتنزانيا وغانا قبل الانقلاب الاخير . وهى ظاهرة تنبثق عن تجمع مقومات عديدة على مستوى متماثل من الاهمية فى واقع ثورى متخلف اقتصاديا ومضاد للامبريالية والاستعمـــار وبالتالى للراسمالية ويتمتع بقيادة ثورية .

ولكن فى نفس الوقت شهدت الستينيات ايضا بشكل واضح واقعيا ظاهرة جديدة عالميا فى تاريخ التطـــــور وهى ظاهـــرة الاستعمار الجديدة . هذه الظاهرة التى جاءت تكيفا من جانب القوى الامبريالية للاوضاع وعلاقات القوى العالمية الجديدة التى اكدها القرن العشرين وخاصة بعـــد الحـــرب العـــالمية الثانية . حيث تعترف القوى الاستعمارية بالاستقلال الشـــكلى والراية الوطنية للدولة ولكنها تظل تابعة

ومستمرة في المجال الاقتصادي اساسا وبالتالي السياسي والعسكري . وهي ظاهرة يقع في اذرع اخطبوطها اليوم العدد الاكبر من البلاد المستقلة اسميا في آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية .

● وفي الستينيات ايضا اتجهت الحركة السياسية والاجتماعية في مناطق الصراع اليومية الاشد تأججا والتهابا الى استقطاب يتركز ويتبلور يوما بعد يوم بين القوى الوطنية التقدمية الساعية الى التحرر الكامل سياسيا واقتصاديا والتقدم الاجتماعي في طريق الاشتراكية وبين القوى الاقطاعية والراسمالية المعادية بطبيعتها ومصالحها للاشتراكية حتى ليصل بها الموقف الواقعي موضوعيا الى معاداة التحرر الوطني والخروج من القيود الاستعمارية بعد ان اصبح التحرر الوطني للشعوب هو مفتاحها نحو التحرر الاقتصادي والاجتماعي في ظروف القرن العشرين . وهذا الاستقطاب ((**لمحاور تقدمية**)) في مواجهة ((**محاور رجعية**)) تلمسه اليوم كطابع عام للحركة في الوطن العربي وفي كل من افريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية على وجه العموم .

ولكن في نفس الوقت نلمس داخل الكتلتين المتصارعتين ايدلوجيا وسياسيا واقتصاديا منذ تبلورهما بعد الحرب العالمية الثانية ، اتجاها نحو التفكك الداخلي وتعدد المراكز في كل منهما . ويتركز ذلك بوضوح في ((**النزاع الصيني السوفيتي**)) الذي بدا يتفجر عام ١٩٦٠ ، ((**والنزاع الفرنسي الامريكي**)) الذي اخذ يختمر منذ ولي الجنرال ديجول السلطة في فرنسا عام ١٩٥٨ ويحدث تشققات متزايدة داخل كتلة العالم الراسمالي في جميع الميادين وصلت الى حد اعلان انسحاب فرنسا عام ١٩٦٦ من المنظمة العسكرية لحلف شمال الاطلنطي اساس الوحدة في الكتلة .

واذا كان هناك اختلافات جوهرية في طبيعة واسباب والنتائج الايجابية والسلبية لهذا التفكك في كل من الكتلتين الا انه في النهاية اصبح — موضوعيا — حقيقة لها وزنها وحسابها في الحقل الدولي وحركة الحياة والتطور فيه حالا ومستقبلا على السواء .

● وفي الستينيات اختمر الوعي بعمق — عالميا — حول الهوة الغير انسانية التي تفصل بين البلاد النامية والبلاد المتقدمة . ويكفي هنا ان نشير الى الفرق الشاسع بين متوسط دخل الفرد السنوي في افريقيا مثلا وهو ٨٩ دولارا فقط وبين متوسط الدخل السنوي للفرد في البلاد المتقدمة والذي بلغ ١٥٤١ دولارا وانكشف بصورة اعمق مدى مسئولية البلاد المتقدمة في العالم الراسمالي بالذات عن قيام هذه الهوة واتساعها تاريخيا ، نتيجة عمليات النهب والسلب والغزو والاستعمار والاستغلال الاحتكاري المتتابعة . ذلك ان استعمارها للبلاد النامية اليوم قد صادر كل الامكانيات والظروف اللازمة لعملية التنمية والتقدم او على الاقل عمل بقصد مخطط على وقف كل محاولة للتطور واللحاق بركب الحضارة الصناعية واساليب التكنولوجيا الحديثة . وانتهت هذه البلاد خلال العهد الاستعماري القديم والجديد معا الى ان تكون مجرد مصدر للمواد الخام بأرخص الاسعار للبد العاملة أرخص الاجور وسوقا يصدر اليها راس المال الاحتكاري لابشع انواع الاستغلال فضلا عن منتجات صناعاته . وقصة الاحتكارات العالمية مع القطن المصري والبترول في المنطقة العربية وامريكا اللاتينية والماس والذهب والنحاس والكاكاو والشاي والمطاط والحديد في افريقيا وآسيا الخ .. شهيرة ودامية .

واليوم بعد الاستقلال تواجه الدول النامية وخاصة التقدمية منها التي راحت

تشق طريقها نحو الاشتراكية من خلال خطط جذرية لبناء الاقتصاد القومي وتطويره وخاصة في مجالات الصناعة بحرب اقتصادية شاملة ومتعددة الاساليب تشنها الدول المتقدمة الراسمالية من مواقع القوة والتسلط في السوق العالمي والتجارة الدولية (*) حتى ليصبح نوعا من المعجزة نجاح دولة نامية في بناء اقتصادها الوطني المستقل عامة وصناعتها الثقيلة بوجه خاص واستردادها لثرواتها الطبيعية وموارد دخلها القومي الرئيسية من براثن الاحتكارات العالمية . ولعلنا لم ننس بعد مأساة الشعب الايراني ومصدق حينما حاول استرداد البترول عام ١٩٤٦ ، ومأساة شعب الكونجو ولومومبا مع الاحتكارات البلجيكية والامريكية لمناجم كاتنجا عام ١٩٦١ . ولم يستطع الشعب المصري بقيادة جمال عبد الناصر من ان يسترد قناة السويس ويبنيا السد العالي الا من خلال حرب السويس الضارية عام ١٩٥٦ (*)

وتتنوع اساليب الدول الراسمالية في محاربة خطط التنمية في البلاد النامية من احتكار لاسرار التكنولوجيا الحديثة الى الحصار الاقتصادي وحرب التجويع الى المعونات والقروض المثقلة بالقيود والشروط والفوائد المرتفعة والتي تصل الى اكثر من ٧٪ سنويا (*) وهي اليوم من خلال تحكمها التاريخي والمادي بالسوق العالمي والتجارة الدولية تعمد الى عملية افقار مستمرة ومخططة للدول النامية ومواردها لتضاعف من اعباء التنمية وذلك عن طريق الخفض الدائم لمستوى اسعار المواد الخام (فيما عدا البترول الذي تسيطر عليه احتكاراتها وبالتالي فلا مصلحة لها في خفض اسعاره) وهي المصدر الاساسي لصادرات الدول النامية مقابل الرفع الدائم لاسعار المواد المصنعة والالات والمعدات التي تورد للبلاد النامية . ولقد سجلت الاحصائيات العالمية في الفترة من ١٩٥١ — ١٩٦١ انخفاض اسعار المواد الخام بنسبة ٦ر٣٣٪ مقابل ارتفاع اسعار المواد المصنعة بنسبة ٥ر٣٪ والالات والمعدات بنسبة ١ر٣١٪ (*)

ومعنى ذلك أن تكاليف انشاء مصنع جديد في البلاد النامية اليوم مثلا تستورد آلاته ومعداته من الخارج قد ارتفعت بمقدار ٦ر٢٣+٥ر٣+١ر٣١=٩ر٦٤٪ من تكاليفه قبل عام ١٩٥١ (*)

ومعنى ذلك أيضا أن المعونات والقروض التي تقدمها الدول الرأسمالية بفوائد عالية الى البلاد النامية هي في الحقيقة جزء لايتجزأ من فائض قيمة عمل وعرق العمال والفلاحين في البلاد النامية التي تستولى عليها الاحتكارات العالمية .

وليس من شك في أن الدول المتقدمة الاشتراكية وفي مقدمتها الاتحاد السوفيتي تمد يد العون الصادق والمخلص دون شروط وبفوائد زهيدة الى البلاد النامية (*) ولكن الواقع يقدم ملاحظتين هامتين في هذا الصدد (*)

أولهما : ان الدول الاشتراكية مايزال انتاجها الصناعي يدور حول ٣٠٪ من الانتاج العالمي وبالتالي لا تملك بعد الطاقة الكاملة لتغطية احتياجات الدول النامية بالقدر اللازم

وثانيهما : ان علاقات الدول الاشتراكية بالدول النامية ماتزال محكومة بمقاييس وأسعار السوق العالمي التي تحددها الاحتكارات المالية للدول الرأسمالية نتيجة استمرار احتلالها لمراكز القوة فيه (*)

● وفى الستينات واجه الانسان فى اطار كل النظم الاجتماعية بلا استثناء قضية الحرية والديمقراطية كأزمة لها طابع عالمى حاد وان اختلفت طبيعتها وأسبابها والشكل التى تظهر به فى كل بلد وكل نظام .

واذا كان هناك اجماع — حتى بين الليبراليين — على موت الديمقراطية كأسلوب حياة وعلاقات بين الانسان ومؤسسات وأجهزة المجتمع فى النظم الرأسمالية ، فان قضية الديمقراطية ما برحت سؤالا يبحث عن اجابات واقعية وسليمة حول علاقة الانسان بالمؤسسات والاجهزة فى المجتمعات الجديدة سواء منها المجتمعات الاشتراكية بالمفهوم الماركسى اللينينى أو مجتمعات التلاحم بين ثورة التحرر الوطنى والثورة الاجتماعية بآفاقها الاشتراكية .

ومنذ دورة الستينات أخذ نبض التعبير المختلف الاشكال عن هذه الازمة يزداد حدة بشكل لم يسبق له مثيل . ففى العالم الرأسمالى مثلا نصطدم بمصرع « جون كيندى » رئيس الولايات المتحدة الامريكية فى وضح النهار من عام ١٩٦٣ فى حين تقف عناصر غامضة وقوية تحول دون كشف الحقيقة عن هذه الجريمة . كما نصطدم باستمرار بعمليات الاضطهاد العنصرى الواسعة النطاق للمواطنين السود ومصادرة حقوق التعبير السلمية بل وحق الحياة كمواطنين لكل ما ينتقد جذريا ما يسمى بأسلوب الحياة الامريكية التى تفرضه الاحتكارات الامريكية وأجهزة دعاياتها المهولة . وفى جميع أنحاء العالم الرأسمالى نتلمس الازمة فى الاضرابات الواسعة النطاق للعمال بسبب تحميلهم وحدهم من الطبقات الرأسمالية الحاكمة أعباء أزمة النظام الرأسمالى وفى الغربة التى يشعر بها الفنان فى مجتمعه وبمحاولات « الاشتراكية الوسط » فى ايطاليا والمانيا أخيرا وفى شحوب وضمور الدور التقليدى الذى كانت تلعبه البرلمانات «زينة الحياة الديمقراطية» فى العالم الرأسمالى !

وفى العالم الاشتراكى ماتزال صيحة الزعيم الايطالى الراحل **توليساتى** سكرتير الحزب الشيوعى الايطالى عن « أزمة الديمقراطية » فى المجتمعات الاشتراكية التى ضمنها بيانه الاخير أو ما عرف باسم **« وصية توليساتى »** قبيل وفاته فى موسكو تتردد بقوة . ولاتقف فحسب عند حدود الديمقراطية كنظام سياسى بل تتعداها الى حرية التعبير والخلق والفنى ازاء القيود الجامدة للواقعية الاشتراكية التقليدية . كما تتجسد الازمة فى ذيول وآثار « عبادة الفرد » التى كشفت عنها الستالينية فى الاتحاد السوفيتى ثم ما وصف باسم « الفردية الخروتشوفية » بعد ذلك وصولا الى القيادة الجماعية من جديد ، ثم موجات التمرد من الكتاب والفنانين على الواقعية الاشتراكية . كما نلمسه فى نتائج عمليات التطهير وعمليات اعادة اعتبار بعض من طهروا بعد وفاتهم أو مصرعهم بتهمة الخيانة العظمى لقضية الاشتراكية بعد الحرب العالمية الثانية ثم فى الاحداث التى صاحبت حركة الحرس الاحمر فى الصين الخ ...

ونحن نلمس الازمة أيضا فى محاولات النظم النامية التقدمية الجديدة لصياغة نظمها الديمقراطية بأساليب جديدة وسط واقع مايزال متخلفا من ناحية وتتغير علاقات القوى الاجتماعية فيه باستمرار نتيجة الانتقال من المواقع الوطنية للالتحام بالمواقع الاشتراكية من ناحية أخرى . وذلك كله فى ضوء عملية تطور تسير بمعدل سرعة غير عادى . ومن هنا تثور عدة قضايا هامة مابرحت فى دور التجربة على طول جبهة هذه الدول .. قضية بناء الحزب أو التنظيم الثورى الجديد من مواقع السلطة التى وليتها القيادة الثورية جنبا الى جنب مع المحافظة على الوحدة الوطنية الثورية ؟ قضية المؤسسات والاجهزة الديمقراطية كالبرلمان ودورها الجديد بالنسبة للحزب أو التنظيم من ناحية والدولة من

ناحية أخرى ؟ قضية بناء الدولة الثورية الجديدة على انقاض الدولة الرجعية القديمة كما في مصر وسوريا أو اللادولة كما هو الحال في الجزائر وغينيا ومالي ؟ قضية حرية التعبير بشكل عام والتعبير الفني بشكل خاص . وكل هذا في ضوء الظروف المعقدة الناتجة عن مواجهة التخلف ومتطلبات التنمية والثورة الاجتماعية وافتقاد العدد الكافي من الكادر اللازم ومواجهة الجيوب الرجعية المتخلفة في المجتمع للثورة المضادة والقوى الاستعمارية المحيطة والمتربصة ... معا وفي وقت واحد .

بهذا الميراث الناضج والمعقد معا للنصف الاول من القرن العشرين ولمؤشرات الستينات المعاصرة منه ، نقف ــ محليا وقوميا وعالميا ــ على أعتاب عام ١٩٦٧ .

ومن خلال العرض والتحليل السابقين يتقدم عام ١٩٦٧ ليحتل موقعه من القرن ، كعام مثير يمسك بأيامه ومصيره ثلاثة حلقات رئيسية في سلسلة التطور الانساني ، ونعني بها حلقات : التنمية ، والديمقراطية ، ووحدة القوى الثورية . وذلك بكل ماتزخر به هذه الحلقات من معان وأبعاد قومية وعالمية سياسية واقتصادية واجتماعية . بمعنى أن عام ١٩٦٧ هو عام التحدى للمشاكل التي تثيرها هذه الحلقات ويتوقف على مواجهتها من نقطة واقعية وعلمية وسليمة من ناحية والجرأة والمرونة في اكتشاف حلول لها من ناحية أخرى مصير هذا العام والقرن والانسانية في تطورها ككل .

ان عام ١٩٦٧ يواجه **عالميا** وبحدة ذلك البون الشاسع الذى تزداد شقته يوما بعد يوم بين الدول الغنية والدول الفقيرة . وهى قضية تقف فيها الدول الرأسمالية الكبيرة داخل قفص الاتهام . ان مسئولية المجاعة الرهيبة التي تجتاح الهند اليوم تقع بالدرجة الاولى على الدور التخريبي والاستغلالي البشع الذى قام به الاستعمار البريطاني طويلا في الهند . وعمليات الافقار الواسعة النطاق في أمريكا اللاتينية تمسك مسئوليتها بخناق الاحتكارات في أمريكا الشمالية ، واختناق الاقتصاديات الوطنية في افريقيا يرجع الى تحكم الاحتكارات الاجنبية في ثرواتها والى تقييد حركة النمو الاقتصادى وجعلها تابعة للاقتصاد الرأسمالي العالمي وذلك في اطار سياسة الاستعمار الجديد .

وهناك بعد ذلك عمليات المقاومة الخفية والصريحة لجهود البلاد النامية في بناء اقتصادياتها الوطنية المستقلة وخاصة فيمجالات الصناعة. وذلك نتيجة تحكمالاحتكارية العالمية في مركز القوة والتوجيه في السوق العالمي أساسا .

ان عام ١٩٦٧ مسئول تاريخيا أن يواجه هذه القضية بادراك أعمق وجهد اكثر فاعلية . أن عليه أن يضع حدا لهذه السيطرة الاحتكارية على السوق العالمي والتجارة الدولية والحد من ذلك الانخفاض المستمر لاسعار المواد الخام التي تشكل اغلبية صادرات وموارد البلاد النامية وذلك بوسائل وتنظيمات قادرة على الحركة المضادة الفعالة . وان الشعوب جميعا مسئولة عن أن تضع حدا لهذا الانفاق المتزايد على سباق التسلح وتحويل ذلك لتعويض البلاد النامية عن عمليات النهب الاستعماري والاستغلال الاحتكاري التي سادت زمنا طويلا وماتزال . وأن الدول النامية وخاصة التقدمية منها عليها أن تبذل مجهودات أوفر في سبيل قيام ((**تنسيق خاص**)) بينها في المجالات الاقتصادية والتجارية والفنية ينبع من مصالحها المشتركة ووضعية الصعاب التي تواجهها . ولعل المبادرة التي قامت بها كل من الجمهورية العربية المتحدة والهند ويوغوسلافيا خلال عام ١٩٦٦ في هذا المجال تكون بداية الطريق الذى يجب أن يوسع ويعمق خلال عام ١٩٦٧ ليشمل أكبر عدد من الدول النامية . كذلك فان دول الكتلة

الاشتراكية مطالبة بمزيد من التعاون مع الدول النامية التقدمية في « اطار خاص اكثر تقدما » من شأنه أن يحرر علاقاتهما الاقتصادية والتجارية من مقاييس ومعايير وأسعار السوق الرأسمالي ».

وعام ١٩٦٧ يواجه **قوميا** وبحدة هذا التخلف الذى يأخذ بخناق الوطن العربى ككل ويحيل هذه المنطقة الغنية بالموارد الطبيعية والبشرية الى مجرد مزرعة ومصدرا للمواد الخام تحيط بها من هنا وهناك صحراء جرداء من الحياة . ومن عجب أن مواردها الطبيعية كالبترول بصفةعامة أصبحت منبع الشرور السياسية والاقتصادية والاجتماعية بالنسبة للشعوب بسبب وقوعها في أيدى الاحتكارات والرجعية بدلا من أن تكون مصدر الخير والتقدم .

وازاء خطة التجزئة الاستعمارية للوطن العربي وتعميقها عمدت القوى الى بناء الاقتصاديات المحلية التابعة في كل جزء على أساس تنافسي مع باقي الاجزاء .

ان عام ١٩٦٧ يطرق أبواب الوطن العربي اليوم بقوة في عصر التكتلات الاقتصادية العالمية الكبيرة ليؤكد من جديد أن الوحدة العربية بمضمونها التقدمي والعصري ليست مجرد أحلام قومية بل هي ضرورة من ضرورات الحياة والموت لجميع الاجزاء دون استثناء . وأنه أصبح واجبا ملحا أن نمهد منذ الان الاساس الجوهري والسليم لمثل هذه الوحدة في عمليات تنسيق اقتصادية في اتجاهات التنمية بين جميع البلاد العربية . واذا كان هذا متعذرا اليوم بالنسبة للبلاد ذات النظم الرجعية فانه ممكن وضروري على الاقل بالنسبة للبلاد ذات النظم الثورية سواء في مواجهتها لقضية البناء الداخلي أو في تصديها للتحديات والضغوط الاستعمارية .

وعام ١٩٦٧ **محليا** يقرع أجراس التنبيه والخطر لمعوقات عملية التنمية التي اكتشفت خلال تنفيذنا لخطة التنمية الاولى (١٩٦٠ ــ ١٩٦٥) والتي تتركز في الزيادات غير المحتملة اقتصاديا في النسل والاستهلاك والخدمات وفي عدم رفع انتاجية العمل الى الحد المطلوب اقتصاديا كل عام وفي نقص الادخار القومي وفي ظواهر عدم اللامبالاة والاسراف والهروب من المسئولية التي تبدت من بعض عناصر ومؤسسات الانتاج على جميع المستويات . واذا كانت الخطة الاولى قد كشفت أمامنا بجانب الايجابيات التي تحققت هذه السلبيات المحددة فقد أصبح واجبا ملحا على الجميع أفرادا وجماعات ومؤسسات أن يبذلوا الجهد بمقاييس تضبط علميا وواقعيا في هذا المجال .

ان الحديث البراق عن زيادة الادخار والانتاج والحد من الاستهلاك والاسراف والنسل قد أصبح نغمة سائدة في كل مكان ، ولكنه لم يترجم بعد ترجمة واقعية وشاملة . ولقد شاع زمنا ــ بطرق مباشرة وغير مباشرة ــ أننا غير مطالبين ــ كفيرنا ــ بالتضحية والتقشف في مراحل عمليات التنمية الاساسية لاقتصادياتنا بدعوى أن ظروف عصرنا وامكانياته أفضل من ظروف العصر الماضي وامكانياته . وصحيح ما يقال عن اختلاف الظروف بين العصرين ولكن ليس معنى هذا هو التنصل غير المسئول عن كل تضحية أو تقشف بل العمل على قياس الدرجة المطلوبة والتي لا مفر منها من التضحية والتقشف بالظروف الجديدة . والحق أنه قد آن الاوان في عام ١٩٦٧ أن نضبط واقعيا وبدقة حجم الاستهلاك والانتاج والادخار والنسل بالنسبة لكل محافظة من محافظاتنا ، وأن نحاسب دوريا كل سنة ــ وفي خلال عملية تنافس شعبية صحية ــ أجهزة التنظيم السياسي والحكم المحلي ونقابات العمال وتعاونيات الفلاحين وغيرها في كل محافظة على ماتوفره من تقدم في زيادة الانتاج والادخار والحد من الاستهلاك والنسل . وبذلك نضبط في وحدات محددة خطوات التقدم وخطوات التراجع بدقة وفي ضوء من المحاسبة الشعبية المسئولة ».

وعام ١٩٦٧ مطالب **عالميا** بأن يضع حدا لعزلة انسان القرن العشرين — المادية والمعنوية — عن المجتمع العالمي للقرن رغم التطور الهائل في وسائل المواصلات والاتصالات عبر القارات . ان حقوق الانسان التي صكت في نداءات متعددة منذ أجيال ما برحت مجرد « وثائق تاريخية ومناسبات للاحتفال » . فما يزال في مكنة المغامرين أصحاب السلطة والسيادة في مجتمع ما أن يثيروا الحروب هنا وهناك من المعمورة ويسوقوا اليها شعوبهم وشعوب غيرهم من أجل الارض الى الموت والانتحار . ومازال سياسة التفرقة العنصرية البشعة تمضي في أنحاء كثيرة من العالم تزرع الحقد والكراهية بين الناس. ومابرح الانسان في كل مكان يسعى الى حرية الانسانية في تنظيم فعال وقادر

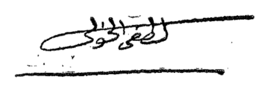
وعام ١٩٦٧ **مطالب** قوميا بأن يحقق للانسان العربي سواء في البلاد التي مازالت تخضع للاستعمار القديم أو تلك المقيدة في أغلال الاستعمار الجديد حريته . وكذلك فان الانسان العربي في البلاد التقدمية مطالب بأن يبني نظمه الديمقراطية الجديدة بأصالة تضمن له الحرية الفردية في اطار متناسق مع الحرية الاجتماعية للمجموع الساعي نحو الاشتراكية . وأن يتجسد ذلك في تنظيم سياسي ثوري يكون بمثابة الرأس الكبير المفكر والمخطط وفي دولة ثورية تكون أداة فعالة للتنفيذ المسئول وفي مناخ صحي للابداع والخلق الانسانيين بما يخدم تطور الحياة والتقدم على الطريق الاشتراكي .

وعام ١٩٦٧ **مطالب** محليا بأن يولي قضية البناء للتنظيم السياسي بشقيه الجماهيري والطليعة مزيدا من الجهد كي يحتل لا حجما فحسب وانما تأثيرا وحركة مكان القلب والعقل من مجتمعنا وأن يصبح الالتزام به وبخطه السياسي لا التزام التابع الشكلي وانما التزام المشارك الديناميكي الواعي . ومن حسن الحظ أن خطواتنا في هذا المجال تتقدم باستمرار . ونحن مطالبين أيضا بأن ننسج بأحكام وبعقل مفتوح مسلح بخبرات التجربة المحلية والتجربة العالمية علاقات التعاون والعمل المشترك بين التنظيم السياسي والاجهزة الحكومية والنقابات وأجهزة الانتاج والخدمات المادية والمعنوية .

وعام ١٩٦٧ يلح الحاحا عميقا ازاء هذه المرحلة الانتقالية الخطرة من حياة القرن على ضرورة وحدة الثوريين .. بمعنى وحدة كل أصحاب المصلحة والمؤمنين بأن طريق انسان القرن نحو غد أفضل هو السلام والحرية والاشتراكية . وهذه الوحدة مطلوب انضاجها وتنظيمها في جميع المجالات ديمقراطيا على المستوى المحلي لبلادنا وعلى المستوى القومي لشعوبنا العربية وعلى المستوى العالمي معا ودون انفصال . ان هذه الوحدة هي « الفعل اللازم » و « رد الفعل الضروري » لتحرك الشعوب من أجل مزيد من الانتصارات والمكاسب وفي نفس الوقت خط الدفاع الجوهري ضد تحركات القوى الاستعمارية والرجعية المضادة بجميع أساليبها وأشكالها .

وهكذا تبرز « التنمية » و « الديمقراطية » و « وحدة القوى الثورية » ، كقضايا رئيسية لعام ١٩٦٧ وموقعه من تاريخ القرن العشرين .

ومن هنا سوف تحرص «الطليعة» خلال اعدادها هذا العام على أن تركز دراساتها وأبحاثها على هذه القضايا الثلاث بجميع أبعادها ومستوياتها وتجاربها ، وذلك انطلاقا من رؤيتها وتحليلها لموقع عام ١٩٦٧ من القرن العشرين .



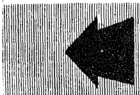


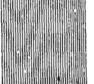
مسار التجربة الثورية في الجزائر

• حوار مفتوح مع بومدين
• وثائق جديدة للثورة

(الاصلاح الزراعي والثورة الزراعية والبلديات)

افسح « الرئيس هوارى بومدين » رئيس مجلس الثورة الجزائرى خلال زيارته للقاهرة فى نوفمبر ــ ديسمبر ١٩٦٦ ، اكثر من ثلاث ساعات من وقته ليلتقى فيها كمناضل ثورى مسئول مع اسرة تحرير « الطليعة » فى حوار مفتوح وصريح حول قضايا ومشاكل التنمية والديمقراطية فى التجربة الجزائرية وموقف الثورة الجزائرية ــ شعبا وقيادة ــ من قضية وحدة القوى الثورية العربية على نطاق الوطن العربى ككل فى مواجهة الامبريالية والاستعمار القديم والجديد والرجعية العربية والصهيونية .





اتسمت المناقشات بالصراحة الموضوعية ، متطهرة من كل الرسميات والقيود البروتوكولية التى حرص بومدين نفسه على تحطيمها منذ أول لحظة فى الحوار حينما طلب بالحاح مناقشته « كمناضل جزائرى لا كرئيس دولة ».

ومن هنا فان حصيلة هـذا الحـوار تلقى اضواء كاشفة على التجـربة الجزائرية الثورية وخطتها فى بناء مجتمعها المتحرر الاشتراكى واسلوبها فى مواجهة وعلاج ما تصطدم به من مشاكل ومصاعب سواء ما تخلف منها عن فترة الاستعمار الفرنسى والحرب التحريرية ، او مايبرز خلال عملية البناء الجديد وتطوراتها .

وكان ضروريا لكى نضع تحت تصرف « المناضلين العرب » ، صورة شاملة للموقف الثورى الراهن فى الجزائر ، ان ننشر مع هذا « الحـوار المفتوح » مجموعة من الوثائق السياسية والاقتصادية والاجتماعية الحديثة الهامة للتجربة الجزائرية . وهى الوثائق المتعلقة بمشروعى الاصلاح الزراعى والثـورة الزراعية ، والاصلاح البلدى الذى يدور حولهما الان فى الجـزائر اوسـع المناقشات التنظيمية والجماهيرية قبل الاقدام على تطبيقهما كقانونين اساسيين للمجتمع الجديد يحددان الى درجة كبيرة نوعية واسلوب البنـاء واسسـه الاجتماعية والسياسية .

وقد حضر حوار « الطليعة » مع الرئيس الجـزائرى ، السـيد الاخضر الابراهيمى سفير الجزائر فى القاهرة ، واشترك فيه عن « الطليعة » كل من الزملاء : لطفى الخولى ، د.عبد الرازق حسن ، د.محمد عجلان ، ميشـيل كامل ، د.محمد الخفيف ، عادل غنيم ، امين عز الدين ، ابو سيف يوسف ، د.لطيفة الزيات ، انجى رشدى ، سعد زهران ، مكرم محمد احمد ، صلاح جلال ، مصطفى طيبه ، محمد سيد احمد ، عبد المنعم الغزالى ، فتحى خليل ، خيرى عزيز .

القسـم الاول

حوار مفتـوح مع بومديـن

حول قضايا التنمية والديمقراطية ووحدة القوى الثورية العربيـة

لطفى الخولى : يود الزملاء ان يطرحوا معـكم للنقاش ثلاثة قضايا محـددة ، وهى قضـية الديمقراطية بوجـوهها المختلفة وتطبيقاتها ، وقضية مشاكل التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، وقضية وحدة القوى الثورية العربية ، وهـو شعار مطروح قوميـا الان بقوة وشمول وكيف يمكن ان يطبق ويجسد ويصبح له وزن فعال ، وذلك فى ضوء التجربة الجزائرية ومفاهيمها ونظرتها للامور وتطورها ، وما تواجهه من مشـاكل وقضايا .

ونرجو ان تسمحوا لنا بنشر هذه المناقشة فى العدد القادم من الطليعة (يناير ١٩٦٧) ولتنظيم المناقشة ، حددنا لكل موضوع واحدا من الزملاء ، يبدأ فى طرح القضـية ثم يقـدم الزملاء اسئلتهم التوضيحية وتعليقاتهم ، فاذا انتهينا من قضية ، انتقلنا الى الاخـرى اذا وافقتم سيادتكم على هذا المنهج المقترح ، نبدأ المناقشة .

الرئيس هوارى بومدين : حـرية التصرف لـكم على كل حال .

لطفى الخولى : لنبدأ بقضية التنمية .. الدكتور عبد الرازق حسن .. تفضل .

د.عبـد الرازق حسن : فى الواقع ان الموضوع الذى يهمنى ان اثيره هو الظروف التى مرت بها الجزائر والتى انطبعت فى ذهنى منذ عام ١٩٦٢ ،

والخاصة بالظروف الاقتصادية التى كانت فيها الجزائر . وكيف تخرج منها ، كانت الجزائر جزءا من فرنسا او بتعبير ادق عمدت فرنسا باستمرار لتجعل الجزائرجزءاربطت اقتصادياته بالاقتصاديات الفرنسية ، الامر الذى خلق الكثير من المشاكل الداخلية ، ليس فى الاقتصاد فحسب ولكن كذلك فى التركيب الاجتماعى ،وفى شكل الصناعة والزراعة الخ ..

وهذه المشكلة ظهرت بشكل واضح وكبير، حينما قام نظام الحكم الجديد .. هل سيأخذ بالنظام الاشتراكى ، وهذا هو الاتجاه الغالب . وهنا المشكلة التى تثار حول النظام، كيف يستطيع بلورة الوضع كله حتى يصل الى حل المشكلة العامة من ناحية الاشتراكية، ومحاولة احداث التوازن الاقتصادى والاجتماعى والقضاء على الاستغلال . ذلك يقتضى وضع خطة عامة .. وضعها فى مجتمع كان اكثر من مستعمر وفى مجتمع جهاز الحكم فيه لم يكن موجودا بسبب الفرنسيين . وحيث كانت الوظائف الكبيرة فى ايدى الفرنسيين ، والارتباطات الاقتصادية بفرنسا وبالذات التجارة . هذه المشاكل تستطيع ان تبلور لنا كثيرا من الحلول سواء داخليا او فى ارتباطها بالبلاد العربية ، او بالدول الافريقية، او داخل السوق المشتركة . هى محاولة لاستيضاح شكل التخطيط المفروض ان يتم . لان لما نقدر نبدأ مع وجود المصاعب بشكل سليم ، ممكن نتجنب الانحرافات . كيف تصهر كل القوى المادية الموجودة،اجتماعية واقتصادية ،بطريقة تحقق الكثير من الاهداف ، وخاصة الجزائر فى المجتمع الافريقى لها أهميتها ، وفى المجتمع العربى من الدول التقدمية واحد اقطاب الرحى ، لاتقل فى هذا كله عن الجمهورية العربية المتحدة .

الرئيس هوارى بومدين : فى الواقع ان المواضيع مثل التى طرحت ، ربما اناقشها من زاوية التجربة الخاصة بكل اخلاص وبكل تواضع . اطلعنا على مشاكل التنمية فى العالم الثالث . وقلة المعلومات فى بعض الاحيان ،قد تودى بنا الى اصدار احكام قد تكون فى بعض الاحيان غير صحيحة . ونظرا لعدم تكامل كل المصادر لاصدار حكم واضح تدعمه الحجة والارقام والحسابات الاخيرة ، فانه من زاوية ضيقة ، من زاوية تجربتنا الخاصة ، نستطيع ان نقول بعض كلمات.وقبل الكلام عن مشاكل التنمية فى الجزائر،لازم نقول كلمة عن اقتصاد الجزائر فى مدة وجود فرنسا .وبكلمة مختصرة كان اقتصاد الجزائر ، اقتصادا مكملا لاقتصاد ماكان يسمى « بالوطن الام » وهى فرنسا ، هذا الاقتصاد المكمل فى الواقع ، اساسه الفلاحة من جهة ، ومن جهة اخرى التجارة ، ومن جهة ثالثة وبسيطة جدا ، الصناعات الخفيفة .

المشكلة الاولى وهى الفلاحة ، نجد انها بنيت على اساس المبدأ الذى ذكرته وهو الاقتصاد التكميلى ، ونجد ان الفلاحة كلها موجهة نحو الاستهلاك الفرنسى وليس الاستهلاك المحلى ، فى حين ان الاساس فى كل اقتصاد، هو السوق الداخلى وبدرجة اخرى وثانية التصدير للخارج . فى بلد كالجزائر برغم كونها بلدا زراعيا نجد أنها كانت تستورد بعض أنواع الحبوب ، بينما هى تقدر تماما ان تستغنى عن استيراد الحبوب من فرنسا . وكانت الزراعة توجه لخدمة صناعة الخمور والنبيذ اساسا . بينما المجتمع الداخلى ، لايستهلك بالطبع كمية كبيرة من النبيذ ، كان هذا من اجل الاقتصاد الفرنسى .

— اذ انتقلنا من الفلاحة ، للقطاع الثانى وهو القطاع التجارى ، نجد كذلك ان عمليات التصدير ، وعمليات الاستيراد ، كانت كلها مع فرنسا من جهة والجزائر من جهة اخرى . والجزائر لم يكن عندها اسواق خارجية غير فرنسا .

فقد كانت اكثر من ٧٥٪ من الصادرات الجزائرية تتجه الى الاسواق الفرنسية ، وأكثر من ثمانين بالمائة من الواردات الجزائرية تأتى من فرنسا .

— والقطاع الثالث وهو القطاع الصناعى ، لم يكن موجودا تقريبا . فالصناعة الثقيلة ووحدات انتاج السلع الانتاجية كانت منعدمة. والمؤسسات الصناعية الموجودة بالاضافة الى ضآلتها لم تكن تتجاوز ثلاث قطاعات :

— انتاج أدوات البناء والاشغال العامة .

— تحويل بعض المنتوجات الزراعية بنسبة ١٥٪ . أى أن ١٥٪ فقط من الانتاج الزراعى كان يستهلك فى التصنيع .

— انتاج بعض المواد الاستهلاكية كالادوات المنزلية والاثاث المنزلى . والملاحظ ان مشروع قسنطينة المشهور الذى اقيم بدعوى « تصنيع الجزائر » لم يغير من أساس هذه الوضعية ، وكى نأخذ صورة عن التصنيع فى ظل الاستعمار يكفى أن نشير الى أن انتاج الصلب كان يتراوح من ٢ الى ٣ « كلغ » للشخص الواحد مقابل ٤٠٠ الى ٥٠٠ للشخص فى البلاد الغربية .

هذه لمحة خاطفة عن الاقتصاد الجزائري الذي كان اقتصادا تكميليا لما يسمى « بالوطن الام » . والمشكلة التي طرحت بعد الاستقلال، هي عملية الفصل . عملية تحويل هذا الاقتصاد وجعله اقتصادا قائما بذاته ، اقتصادا وطنيا .
والواقع لقينا صعوبات ، ولا زلنا حتى الان نواجه صعوبات أخرى . فاذا كانت الجزائر استطاعت ربما بدون صعوبة كبيرة أن تستولي على كل الاراضي التي كانت بالامس القريب بأيدي المعمرين ، واذا كانت استطاعت أن تستولي على عدد كبير من المصانع التي كان يديرها الاجانب لحسابهم الخاص ، اذا كانت استطاعت استعادة المناجم ، والقيام بتأميم قطاعات أخرى ، وقسم من التجارة الخارجية ربما يتجاوز ٦٠٪ من تجارتنا ، فهناك مشاكل لا زالت قائمة ، مثل تحويل التعامل ، وايجاد أسواق جديدة لبضائعنا . صحيح ربما السوق الفرنسي يستهلك بضائع جزائرية . لكن من الناحية السياسية ، لا ينبغي أن تبقى دوأما تحت رحمة الفرنسيين وهناك مشاكل أخرى موروثة من عهد الاستعمار . مثلا .. النبيذ الفرنسيون يستهلكون تقريبا كل كميات الجزائر، ١٤ مليون«هيكتولتر»في السنة العادية والانتاج يصل حتى ١٦ مليونا هيكتولتر في السنة جيدة المحصول . بل لقد بلغت في بعض السنوات الماضية قبل الثورة عشرين مليون هيكتولتر .

اليوم الفرنسيون قالوا مالناش دعوة . والسوق الداخلي غير قادر على استهلاك هذه الكميات . من هنا يبرز المشكل الاول الذي واجهناه ولا زلنا نواجهه وأعني به تحويل الاقتصاد ، والعمل على خلق اقتصاد وطني ، قائم بذاته له قواعده الوطنية ، ومن الناحية الخارجية ، ايجاد أسواق جديدة لتصدير موادنا ومنتجاتنا .

المشكلة الثانية ، أستطيع أن أعبر عنها على النحو التالي : انه من السهل الاستيلاء على مساحات شاسعة من الاراضي ، ومن السهل كذلك الاستيلاء على عدد كبير من المصانع . ومن السهل كذلك حيث فيه تيار ثوري جارف ، تأميم المناجم . لكن من الصعب ايجاد « الاطار » القادر ، وبالعدد الكافي لتسيير هذا كله بكيفية منظمة وبكيفية تضمن — لا أقول هنا — زيادة الانتاج ، وانما على الاقل ، عدم انخفاضه في السنوات الاولى . فهناك اذن مشكلة وجود الاطارات (كوادر) الفنية والادارية الوطنية .. وهي كما تعلمون مشكلة أساسية .

هذا مشكل من المشاكل تحرير الاقتصاد في بلادنا . ان بناء اقتصاد وطني لازم أن يتم بأيدي وطنيين ، والا العملية تبقى فيها حلقة ناقصة .
كذلك نحن نواجه مشكل آخر وهو رؤوس الاموال . بالخصوص فيما يتعلق بتجربة الجزائر ، نجد أن الفلاحة الجزائرية في حاجة الى أموال . في حاجة الى حقن حتى تحافظ على صحتها الحالية وحتى تتطور كذلك . وخلق اقتصاد وطني متكامل الاجزاء يقوم على فلاحة وبناء الصناعات وغيرها ، يحتاج الى رؤوس أموال . اننا نواجه مشكلة خطيرة ، ففي الوقت الذي نتحرر فيه من سيطرة اجنبية ، ونقوم بالاستيلاء على خيرات البلاد ووضعها تحت أيدي العمال والفلاحين ، يمكن من غير قصد نقع في مشكل آخر . ما هو؟ انه صعوبة ايجاد رؤوس أموال بدون شروط وبدون قيود . وحتى اذا كنا وجدنا رؤوس أموال فان هذه الاموال قد تؤثر في التيار التحرري نفسه ، والخطوات التي نقوم بها من أجل بناء اقتصاد وطني قائم بذاته . هذه هي بعض المشاكل التي واجهتها وما زالت تواجهها الجزائر حتى اليوم .

كما تواجه الجزائر — في هذا المجال — ضعف الادخار المحلي نتيجة لضعف الدخل الفردي في المتوسط . ولهذا قامت الحكومة في ربيع هذا العام (عام ١٩٦٦) بانشاء الصندوق الوطني للادخار وانشاء البنك الوطني الجزائري الذي قام على انقاض بنك الجزائر وتونس الذي يعتبر أكبر بنك في الجزائر بفروعه التي تبلغ حوالي ٦٤ فرعا . كما قمنا بتأميم شركات التأمين، واعادة التأمين ، اذ كانت تتسبب في تسرب ٢ر٤ مليار فرنك قديم الى الخارج .

وقد كانت هذه العمليات خطوة أولى في طريق اعادة التنظيم الجذري للهيكل المالي في البلاد .
وهناك مشكلة أخرى نصطدم بها في ميدان بناء الاقتصاد الوطني ، وهي مشكلة معروفة تعترض كل البلاد النامية، وهي مشكلة الاولويات والاسبقيات .. هل نعطي الاولوية للفلاحة أم للصناعة ، وهل نعطي للصناعة الخفيفة أو الثقيلة ، أي للصناعات الاساسية .. هل نستطيع أن ننتج مواد نقدر نبيعها في السوق بنفس الاسعار والاثمان التي تبيع بها أمريكا واليابان مثلا .

من الصعب أن نتخذ قرارات سريعة في هذا الشأن ، ومن هنا تبرز مشكلة خطة التنمية ، فخطة التنمية هي التي تحدد الاولويات والامتيازات بالنسبة للقطاعات العامة . والقطاع الفلاحي والقطاع الصناعي، ومعروف أن الخطة لا بد أن يسبقها مشروع الخطة .

ومشروع الخطة لا بد أن يبنى على أساس دراسة تحليلية للوضع الاقتصادي الراهن وهو ما نجرى عليه الى الان . فقد قمنا فى ربيع عام ١٩٦٦ بعملية احصاء السكان بقصد الحصول على بيانات ومعلومات احصائية دقيقة عن التركيب الهرمى للسكان وعن توزيعهم وعن نسبة ما تملكه الجزائر من المثقفين .

وقد اعتمدنا بالدرجة الاولى على انفسنا فى دراسة هذه الوضعية كما استدعينا أخصائيين من البنك الدولى وصندوق النقد الدولى ومن الاتحاد السوفياتى ومن تشيكوسلوفاكيا .

وهناك مؤثرات أخرى فى وضعنا الخاص ولها تأثير كبير فى عملنا فهل نعطى الاولوية للتعليم أو التصنيع أو الفلاحة . فى ميزانيتنا الفلاحة قلنا لها دور أساسى هو تغذية الشعب فى السنوات الحالية ومواجهة الزيادة السكانية . هذا هو الهدف الذى حددناه للفلاحة . بالنسبة للصناعة كذلك هدفنا الوصول للاكتفاء الذاتى . وفى بعض الميادين نقدر نبنى صناعة قادرة على التصدير للخارج . فالان نبنى مصنع سماد سينتج ٣٠٠٠ طن يومى ، وربما نستطيع بيع الاسمدة بأسعار منخفضة ، لتضاهى أى أسعار فى العالم .

عندنا مشكل آخر يتصل بالقضايا والاوضاع الاجتماعية ، الحرب المدمرة خلفت عددا ضخما من الارامل وعددا كبيرا من الايتام ومشوهى الحرب ، وعددا يقدر بـ ٨٠٠٠ قرية مدمرة ومخربة ، ونحن ننفق على هذا الميدان ، وننفق عشرات المليارات من الفرنكات فى الميادين الاجتماعية . واذا نظرنا من الناحية الثورية ، نقول أنها مبالغ غير منتجة ، والاقتصاد والمنطق الثورى يقتضى أن نوجه كل انفاقنا ومجهوداتنا للقطاعات المنتجة ، ولكن فى نفس الوقت مستقبل الثورة مرهون بحل هذه المشاكل الاجتماعية وخاصة هذا العنصر الذى كان اساس الاستقلال والتحرر ، حتى يعطى دفعا جديدا للثورة . هذا ثقل خاص بالنسبة للجزائر ، وله ثقل على الميادين الاخرى كالصناعة وغيرها .

د . عبد الرازق حسن : هل افهم من هذا ان الجزائر تمر حاليا بمرحلة تحرير اقتصادها الوطنى قبل أن تقوم بوضع اى خطة . علينا ان نلاحظ ونتنبه ، انه يخشى فى بعض مراحل التنمية ، ان بعض نواحى التنمية قد تتجه بالمجتمع الى طريق ، هو غير الهدف الاساسى ، بعض انواع التنمية قد تتجه الى الناحية الراسمالية حتى اذا كان من الصعب وضع خطة ، فمسئولية الثورة هو تحديد الهدف الوقت الذى بموجبه تبتدى تتعمل خطة تضمن اقامة النظام الاشتراكى .

الرئيس هوارى بومدين : الوضعية فى الجزائر تختلف ، فالتحرر الاقتصادى فى الحقيقة عملية مزدوجة ، احنا حررنا الارض من الناحية العملية ، احنا استرجعنا الارض ، وهذا يعتبر تحريرا للارض ، ولكن فى نفس الوقت الارض سلمت للفلاح هذا على كل حال تطبيق اشتراكى . اذن فالتحرر من السيطرة الاجنبية ، هو متبوع فى نفس الوقت بتطبيق اشتراكى . أخذنا معامل ، العملية الاولى هنا هى تحرير . اما العملية الثانية المرتبطة بالعملية الاولى فهى تسليمها للعمال ليسيروها ويشغلوها . . هذا عمل اشتراكى . أخذنا المناجم وهى مسيرة الان . عملية التحرير ليست عملية منفصلة يمكن ان تؤدى بنا الى انحرافات ونوع من الراسمالية ، لسبب بسيط وهو ان عملية التحرر مزدوجة وممزوجة بعملية تطبيق الاشتراكى فى نفس الوقت ، لذلك لا يخشى من ان تتكون لدينا مثلا طبقة راسمالية جديدة .

اما خطر الانحراف فى الاتجاه الاقتصادى فهو غير موجود : لان الدولة تعمل الان بمبدأ اساسى وهو ان الاستثمارات فى القطاعات الاساسية الوطنية لا يكن الا من طرف الدولة مثل الصناعات الاستخراجية والصناعات التحويلية الثقيلة . وذلك بالاضافة الى وجود مؤسسات عامة تشرف اشرافا مباشرا على عمليات الانتاج فى مختلف القطاعات الاقتصادية مثل الهيئة الوطنية للسياحة فى الميدان السياسى ومثل الديوان القومى للتجارة ومثل مكتب البحوث الاستثمارات المنجمية ومثل سوناتراك فى البترول .

د . عبد الرازق حسن : المشكلة تتوقف على وضعية العمال والفلاحين . لما اخذت الارض من المستعمرين واصبحت فى ايدى الفلاحين ، وكذلك المصانع ، هنا ما هو موقف الفلاحين والعمال هل هم نائبون عن المجتمع فى ادارة المشروع أو المصنع ، ام اصحاب المشروع ، وبالتالى فائض العملية الانتاجية يحصلوا عليه ، ام لهم نصيب فيه فحسب ؟ هل العمال الموجودون وأولادهم يعتبروا اصحاب حق على هذه الامكنة ؟ اذا كان الامر كذلك ، فما ذنب هؤلاء الافراد الذين كانوا يكافحون فى الميدان ، ولم يكونوا فى الارض والمصانع ؟ هل واضح لسيادتكم ما اقصده ؟ .

الرئيس هوارى بومدين : واضح تماما . . افهم ما تعنى . اولا : الارض ملك الدولة وملك المجتمع وليست ملكا للافراد . ثانيا : الفلاحون يستغلون الارض التى تبقى تحت تصرفهم بصفة جماعية دائما . ثالثا : كنا قمنا بتصحيح ، وقلنا الارض لمن حررها ولمن يخدمها . مع العلم بأن النظرية القائلة بأن العامل والفلاح هما ثوريان من

اساسهما ربما هى عملية نظرية غير صحيحة ١٠٠٪ ، فالعناصر غير الثورية والخائنة ممكن وجودها فى كل الطبقات ، هذا الحكم بتجربة وبحكم الواقع الجزائرى . ولذلك فالارض هى ملك الجميع ، والفلاحون يستغلونها للابد لكن كيفية الاستغلال هى كيفية منظمة، ومن مدخولات الارض ما يذهب للفلاحين لاعطائهم الاجرة اليومية . والفائض يقسم . . قسم الى صندوق التضامن ، لان فيه مناطق فقيرة وجبلية وغير غنية ومناطق غنية جدا ، بين سهول متيجة او سهول وهران او عنابة او جبال الاوراس وقلاع اخرى من قلاع الكفاح والثورة بوجد فرق شاسع . فيه قسم ثانى يذهب لعملية التنمية نفسها . فالضيعة نفسها لازم تنمى باستمرار ، والجرارة والمحراث لازم تجدد، وقسم ثالث من الارباح يقسم على الفلاحين انفسهم كحافز مشجع للفلاح حتى ينتج اكثر فأكثر .

اذن بهذه العملية نستطيع تنظيم نوع من العدالة بين مختلف النواحى ، وفى نفس الوقت كنا قمنا بتطبيق مبدا الارض لمن حررها ومن يخدمها ، اى يفلحها . وفى السنة الاخيرة ، كونا عددا لا بأس به من التعاونيات ، وسميناها ، تعاونيات قدماء المجاهدين . لانه حصل عملية اهمال او نسيان لهذا القطاع الاجتماعى سبب مشاكل خطيرة فى البلاد ، ومشاكل سياسية . اذن مافيش خطر من هذه الناحية .

لطفى الخولى : يعنى كما قلتم سيادتكم ، هو تحرر اقتصادى فى اتجاه بناء المجتمع نفسه على اساس التحويل الاشتراكى . هذا خط اساسى مقرر . . اليس كذلك ؟

الرئيس هوارى بومدين : تماما .

د . عبد الرازق حسن : لكن الاستغلال هنا الى الابد او طول العمر ؟ اقصد استغلال الفلاحين للارض المسيرة ذاتيا .

الرئيس هوارى بومدين : هذا السؤال يرد عندما يكون هناك تمليك للفرد العامل . فى حين اننا قلنا بأن الارض ملك للدولة والمجتمع . وهنا قد يتساءل البعض : الا يوجد فرق بين ملكية الدولة وملكية المجتمع . والجواب ان الفرق نظريا موجود . لكن عندما تكون الدولة اشتراكية فان الفرق لا يوجد عمليا .

بقيت مسألة الاستغلال . نظامنا هو وضع الارض تحت تصرف العامل الزراعى يستغلها دائما . ووضع الارض تحت تصرف العامل لا يعنى التمليك . وحيث لا يوجد تمليك لا يوجد ارث . خصوصا اذا كان الاستغلال جماعيا كما هو الشأن فى قطاعات التسيير الذاتى الزراعى وخصوصا اذا كان التنظيم المعمول به يهدف الى منع قيام طبقة متميزة من العمال .

د . عبد الرازق حسن : هل نفس المبدا يطبق فى الصناعة ؟

الرئيس هوارى بومدين : بالنسبة للارض نستطيع ان نتكلم بالتفصيل ، لاننا ناقشنا هذه المشكلة بدقة وخرجنا بمشروع حول ثورة زراعية ولازال المشروع يناقش فى اطار الحزب وسيصبح نهائيا خلال شهر او شهرين (١) . بالنسبة للقطاعات الاخرى ــ القطاع الصناعى ــ توجد فى جدول أعمالنا دراسات ومقترحات جذرية بشأنها . وقرارات مارس ١٩٦٣ قرارات ناقصة لذلك سنناقشها من جديد ونكملها، فبالنسبة للمصانع لم نقرر قرارا نهائيا فى هذا الموضوع ، والقرار سيكون بعد المناقشة العامة حول هذا الموضوع . ونحن الان بصدد تحضير خطة عامة للتنمية ، وتقديم كل العناصر الموضوعية اللازمة لذلك ، ومن الممكن جدا اننا سنشرع فى تطبيقها ابتداء من السنة القادمة . لان حالة الاقتصاد الجزائرى اليوم ، تفرض علينا الشروع فى تطبيق خطة التنمية ، وتفرض ايضا اختيارات عامة بالنسبة للاولويات ، بين مختلف القطاعات زراعة . صناعة . تعليم . شئون اجتماعية . . الخ . وذلك طبقا لواقع الجزائر وظروفه المميزة .

د . محمد عجلان : الرئيس اشار لنقطتين فى عملية التسيير الذاتى وقسمة العائد ، ولكنى أود ان أستوضح ما اذا كان هناك جزء يعود للدولة ليمثل تجميع للرأسمال فى يدها للتنمية . نقطة أخرى ، الرئيس اشار للنقص الكبير فى الكادر الفنى الذى يستطيع تسيير أوجه النشاط ، ما هو اذن الاسلوب الذى اتخذ لحله، وما العلاقة الموجودة بين الاطار الثورى داخل حركة التحرير، والاطار الفنى المطلوب لتسيير الاقتصاد .

الرئيس هوارى بومدين : فى الواقع لما كنت قد تكلمت عن التسيير الذاتى وذكرت أن الفائض والارباح يوجه الى ثلاث وجهات الاولى للتنمية، الثانية تقسم على الفلاحين كحافز ، الثالثة تذهب الى صندوق التضامن ، فان الشيء الذى يهم الدولة فى هذا الموضوع ، هو صندوق التضامن ، فهذا فى الواقع يعتبر تجميعا للرأسمال القومى . والشيء الذى يهمنا هو تنمية الفلاحة بصفة عامة ، لنضمن به تغذية الشعب فى السنوات الحالية وفى المستقبل . هذا الصندوق كذلك يضمن للدولة مساعدة

---

(١) راجع وثيقة الاصلاح الزراعى والثورة الزراعية المنشورة بهذا العدد

القطاع التقليدى فى الجزائر — فهناك قطاعان : القطاع المتقدم أو العصرى ، والقطاع المتخلف والتقليدى . ونحن الان نعمل لتطوير القطاع التقليدى ، وهـذا يكلفنا مبالغ كبيرة . والان باستعمال صندوق التضامن فى القطاع التقليدى ، نزيد فى تطوير اقتصـاد البلاد عامة . اما عن السؤال الثانى ، بالنسبة لمشكلة الاطار (الكادر) هو مشكل عام للجزائر فى جميع الميادين ، ليس فى الفلاحة فقط ولكن فى باقى الميادين والقطاعات الأخرى أيضا ، وهذا هو الدافع للسلطة الثورية فى الجزائر لتعطى أهميـة كبيرة جـدا للتعليم وتخصص مبالغ ضخمة بالنسبة للمجموع العام لميزانية الدولة فى هذا القطاع .

فمثلا لدينا ٣٢ مليار فرنك كميزانية للخدمات ، منها ٦٣ مليارا لوزارة التربية الوطنية ، ويصرف ٤ مليارا من ميزانية التجهيز على نفس القطاع . وهذه — كما ترون — مبالغ ضخمة نقصد بهـا تكوين الاطار الفنى فى كل القطاعات . ففى الصناعة فقط نحتاج لضمان انجاح خطة التنمية لـ ٣٠٠٠٠ مهندس . واحنا عندنا الان ٧٠٠٠ طالب جامعى فقط . فى الخارج هناك بعثـات كثيرة ضمن المجهـودات العامة لخلق الاطار اللازم . أما التوفيق بين الاطار الثورى والفنى فهو عملية متكاملة ، وبعض القطاعات محتاجة الى اطار فنى كقطاعات البتـرول والغــاز والتصفية والبتروكيماوية والكيماوية . والمراكز التى تحتاج الى اطارات فنية فقط توضع اطارات فنية ، والمناطق التى تحتاج الى الاطارين يوضع واحد مسئول سياسى ثورى ومعه واحد فنى .

لطفى الخولى : هناك قضيتان تثـاران على نطاق العالم الثالث ككل وبالتالى تهم الجزائر أيضا فيما أعتقد ، أولها أن هذه البلاد — منفردة — بسوقها المحلى القـومى ، لن تستطيع أن تقيم صناعة فنية متقدمة وقادرة فى داخل السوق الضيق لا تستطيع الصنـاعة نفسهـا أن تنمو اقتصاديا بسبب التكلفة الغالية من ناحية وضآلة المستهلكين من ناحية أخرى . ولذلك يثار الان على نطاق الوطن العربى ، امكانية خلق سوق اقتصادية عربية مشتركة لحل هذا الاشكال . وهذا يبرز قضية أخرى ، هى ظاهرة الاقتصاد المتنافس للدول العربية الاخـرى البعيـد عن التنسيق والتكامل . فمثلا يمكن أن نتوسع فى صنـاعة كصنـاعة النسيـج فى مصر لنغطى احتياجات العـالم العربى ، فى حين تتوسـع الجزائر وتونس والمغرب فى صناعات أخرى بدلا من التوسع فى نفس الصناعة . الا يمكن — فى رأيكم — محاولة ايجاد نوع الاتفاقات لخلق ظروف للتكامل الاقتصادى بين البلاد العربية ، وهذا يقودنا الى قضيـة أخـرى وهى نظرية وعملية عن امكانيات قيام نظام اشتراكى يقوم على التطوير الصناعى أساسا ، وهل يمكن قيام نظام اشـتراكى فى كل بلد عربى على حـدة بامكانياته المحلية المحدودة . أم أن قضية بناء الاشتراكية فى الوطن العربى لا تتجزأ موضوعيا . طبعا هذا لا يمنع انتهاج الطريق الاشتراكى فى كل بلد عربى تنضج ظروفه مثل مصر والجزائر وسوريا .

واحب أيضـا أن أشير الى القضيـة التى تواجهها الدول النامية ككل واعنى بها الانخفاض المستمر فى سعر المواد الخام وازدياد اسعـار المواد المصنعة وبالذات الالات اللى زادت بمقدار ٣٠٪ أو ٣٥٪ فى السنوات الاخيرة على ما أذكر . والان من الواضح أن على البلاد النامية ، أن تواجه هذه القضية الخطيرة . . هل فيه امكانية تراها الجزائر فى سبيل مواجهة هذه القضية الحيوية لمستقبل التطور والاشتراكية فى بلادنا .

الرئيس هوارى بومدين : فى الواقع الجواب المنطقى لمواجهة هـذا الخطر المتزايد بازاء التـكتلات والتجمعات الضخمـة على المستوى الاوروبى مثلا ، نرى أنه لا بد من أن تنضم الوحـدات الصغيرة معا فى وحـدات ضخمـة لتستطيع المنافسة فى الاسواق العالمية . بمعنى أنه يجب التفكير الجدى فى ايجاد حل داخلى فى المستوى العربى أو داخل العالم العربى أو داخل افريقيا أو فى مستوى العالم الثالث . هذا اذا نظرنا للقضية من ناحية مصلحة هذه الشعوب نفسها ، ومن ناحية المنطق المجرد . لكن هناك مشاكل وعوائق هى التى تحول فى كثير من الاحيان دون اتخاذ خطوات جدية فى هذا المجال . كثير مثلا من الدول العربية والافريقية ودول العالم الثالث ، لا تتصرف فى اقتصادها بكل حرية . فهل من الممكن خلق شىء مفيد ، مع دول لا تملك حرية التصرف فى اقتصادها الوطنى . وهذا أكبر عائق يمكن أن يواجهنا نحن الدول النامية . فلخلق سوق عربى أفريقى ، يجب تحرير الاقتصاد من قبضة الاجانب ، لانه لا يسمح بخلق مثل هـذا السوق ، لان الصراع الموجود فى الوطن العربى أو فى أفريقيا أو فى العالم الثالث لا بد أن يتناول الميدان السيـاسى وفى نفس الوقت الميـدان الاقتصـادى .

اى ان المعركة مزدوجة . اما عن مسالة تطوير الاتجاه القومى فى التطوير الصناعى ومدى تأثير ذلك على قيام النظام الاشتراكى ، فالبلاد العربية والافريقية لم تصـل بعـد فى مجموعهـا الى المستوى الذى يطرح فيه هذا السؤال . اى أنه ما تزال أمامنا مسافة طويلة قبل أن نواجه هذا السؤال فى الميدان العملى . لكن ذلك لا يمنع من

طرحه على المستوى النظرى . ويبـدو لى أن الاحزاب الثورية والتقدمية من واجبها أن تدرس القضية سواء فى الدائرة العربية أو الافريقية أو العربية الافريقية أو على مستوى العالم الثالث . وهذه الدراسة لكى تكون ايجابية ومثمرة يجب أن تنطلق من الواقع وأن تستفيد من تجارب البلاد الاشتراكية ، حتى لا يحدث انتكاس . خصوصا وقد اثبتت التجربة فى أكثر من بلد اشتراكى ، أن الاتجاه القومى فى المجال الاقتصادى لا يمكن تذويبه وتجاوزه بسهولة .

ومن الواضح أن ايجاد حل نظرى لهذه القضية يعنى الاجابة على الشطر الثانى من السؤال السابق .

د . عبد الرازق حسن : لنفرض جدلا أن الدول العربية أو الافريقية فى وضع ما ، ليس بينهما وحدة ، وانما هناك حكومات ثورية فى بعض الاجزاء الموجودة . من الممكن وهى تخطط للمستقبل ويكون من الافضل الا تحصر نفسها داخل الحاجات المحلية وانما تنظر لاحتمالات السنوات القادمة ، لكى يصبح حجم التناقضات أقل ما يمكن .

سعد زهران : عن العلاقات الاقتصادية الخارجية للجزائر ، العلاقات مع فرنسا وأمريكا والجمهورية العربية المتحدة .. كل علاقة لها دلالتها ، فلو أمكن يقول لنا الرئيس ، الطبيعة الحالية لعلاقات الجزائر الخارجية — والموقف فيما يتعلق بحاجة الجزائر للمواد الغذائية ، وحاجتها لرؤوس الاموال ، وحاجتها للمساعدة الفنية ، والى اى حد تخدم العلاقات مع الجمهورية العربية المتحدة قضية الوحدة الاقتصادية للعالم العربى ؟

الرئيس هوارى بومدين : بالنسبة للتنمية الاقتصادية فى الجزائر ، لنا علاقات بروسيا من جهة وبالعربية المتحدة ، من جهة ، وبأمريكا من جهة ثالثة ، وفرنسا من جهة رابعة . بالنسبة لفرنسا أعطيت نبذة عن ارتباط الاقتصاد الجزائرى بالاقتصاد الفرنسى ، والنظرة الحالية لتخليص الاقتصاد الجزائرى من اقتصاد فرنسا . نعم ربما يكون هذا الاقتصاد الان متعاونا مع فرنسا ولكنه قائم بذاته ولا يخضع ولا يكمل الاقتصاد الفرنسى . اذ أن هناك مشكل سيادة وهو مشكل سياسى . هذا هو الاتجاه العام ، نحن لا نرفض فكرة التعاون مع فرنسا على أساس المصلحة المشتركة التى لا يكون فيها اى مساس بسيادة البلاد . كذلك عندما ننظر الى التعاون الموجود بين اقتصاد الجزائر وبين فرنسا ، الطرفان يجدان مصلحتهما . الجزائر لها مصلحة فى هذا التعاون مع فرنسا . كذلك فرنسا لها مصلحتها . وبفضل هذا التعاون على سبيل المثال ، ضمنت فرنسا مادة استراتيجية تجعلها تتصرف بحرية على المستوى العالمى ، أقصد البترول ، فهو فى سياسة الرئيس ديجول مادة استراتيجية ، جعلته يتخلص من الكارتيل والاحتكار العالمى . اذن هى منافع متبادلة ، وما دامت العملية على هذا الاساس ، فاننا نعتبرها عملية مفيدة .

بالنسبة الى روسيا والبلدان الاشتراكية بصفة عامة . نحن كبلد متجه الى الاتجاه الاشتراكى فى سياسته الداخلية ، ومعروف بسياسته الخارجية ضد الامبريالية والاستعمار والاستعمار الجديد ومساعدة حركات التحرير ، بحكم هذا الاتجاه ، اقمنا تعاونا وعلاقات متينة مع روسيا وباقى البلاد الاشتراكية . واليوم فيه علاقات مع روسيا والمعسكر الاشتراكى ، تشيكوسلوفاكيا ويوغوسلافيا فمثلا مصنع الحديد والصلب الذى نبنيه اليوم يتم بفضل قرض قدمه الاتحاد السوفيتى للجزائر وهناك قروض اخرى لها قيمتها لمساعدة الجزائر فى بناء اقتصادها ومساعدتها فى التحرر من السيطرة الاقتصادية .

من جهة ثالثة امريكا ، نحن نقول اننا نتعاون مع اى ناس ، على أساس مبدا واضح فى سياستنا هو المصلحة المشتركة وعدم محاولة التأثير لا على السياسة الداخلية ولا على السياسة الخارجية بصفة عامة لبلادنا . وهناك ميادين يمكن التعاون فيها ، على هذا الاساس نحن مستعدون للتعاون وطلبنا بالفعل بعض المساعدات من امريكا ، ولكن مافيش لحد دلوقت مساعدات . فيه شركات امريكية للنفط ، وامريكا مترددة ومترددة كثيرا على أساس مايرددونه قائلين « ان دولتكم ماعندهاش كلمة ، لا تحترم كلمتها وتعهداتها » وبالتالى لاتستطيع امريكا من وجهة نظرها ان تحافظ على رأس المال . اصل احنا بنأمم كثير . امريكا مالهاش اى تأثير على مصالح البلاد . والمصالح الامريكية محصورة فى بعض الشركات البترولية فقط . والشركات البترولية فى الجزائر تقع فى دائرة السيادة والقانون الجزائرى .

اما من الناحية الرابعة ، علاقاتنا بالعربية المتحدة وهى حديثة العهد لانها لم تقم الا بعد الاستقلال .. علاقاتنا بفرنسا موجودة منذ اكثر من قرن وربع . امريكا كانت موجودة قبل الاستقلال . روسيا والمعسكر الاشتراكى بينها وبيننا علاقات حديثة ، مثل الجمهورية العربية المتحدة . من ناحية العربية المتحدة نحن نقوم ببناء علاقات فى مختلف الميادين ، فى

التجارة ، فى الصناعة، وفى ميادين اخرى كالثقافة التى تلعب دورا حيويا ومهما بالنسبة لبلادنا ، وهذه العلاقات ماهى الا خطوة اولى فقط ، ولازم نعمل لتوسع آفاق هذا التعاون ولتنويعه . فى نفس الوقت ، المدة من سنة الاستقلال ١٩٦٢ الى اليوم ١٩٦٦، ٤ سنوات هى فى حياة الشعوب تعد دقائق او لحظات، اذا قيمنا علاقاتنا بانها هذه اللحظات ، نقول ان فيه اليوم علاقات هامة وهى موجودة فى كثير من الميادين ، اما من الناحية الفنية نقدر نتكلم على تأثير فرنسا ، تأثير الاتحاد السوفيتى والعربية المتحدة ولا نستطيع نتكلم عن تأثير امريكا . لان دورها ضعيف لايكاد يذكر . من ناحية فرنسا ، بحكم وجودها بالامس وبحكم العادات والتقاليد ، وكذلك من ناحية الاتحاد السوفيتى يساعدونا فى تكوين اطارات وفى كثير من الميادين ، ميدان الصناعة والبترول، وعملنا معهم اتفاق لمساعدة الشركات الوطنية فى تكوين اطارات .وفيه معهد الان فى بومرداس فيه ١٠٠ طالب وسنوسعه . وهناك معهد ثان فى عنابة للصناعات الثقيلة ، للحديد والصلب تحت اشراف الاتحاد السوفيتى. من ناحية الجمهورية العربية المتحدة . هناك تأثير ولها دور فى هذا الميدان . فهناك مصنع نسيج من اكبر مصانع النسيج فى الجزائر ، يبنيه اخوان مصريين ، وهم انفسهم يكونون كل الاطارات ويشرفون عليه .

محمد الخفيف : مشكلات التنمية اخذت وقتا غير قصير ، لاهميتها فى رفع مستوى الشعوب وفى الواقع حجر الزاوية فى التنمية ، هى قضية الديموقراطية . احب اعرضها من وجهتين، الاولى انه لايكفى ان نتفق على ان مضمون الديموقراطية فيما يتعلق بتحرر الشعب ، هو وضع السلطة كلها ، ووضع الحقوق كلها فى ايدى القوى العاملة، لايكفى هذا . لو قارنا هذا بموضوع الديموقراطية فى الدول الرأسمالية سنجد ان الموضوع اسهل على اساس انها وضع السلطة فى يد طبقة واحدة، حيث يمكن خلع هذه الطبقة الرأسمالية ،وهنا دور جهاز الدولة واضح ، وكذلك دور المجلس التشريعى واضح من حيث قضية الديموقراطية فى الدول الرأسمالية . ولكن عندما تبدأ عملية التحول باستيلاء القوى الثورية على السلطة، تتعرض المسألة لظروف وضعية كثيرة ، اول سؤال نواجهه عندئذ هو : ما دور مختلف المنظمات والتنظيمات فى ارساء مضمون — الديموقراطية الجديدة . نبدأ بالمنظمات كالجيش . ثم الحزب، ثم النقابات والتنظيمات العمالية والحكومة.. الخ . لان الديموقراطية تتضمن دور كل هذه المنظمات معا ، من هذه المنظمات — يكون له الهيمنة ؟ هنا تثور حتى فى مرحلة الانتقال، قضية الشرعية الاشتراكية، هل تؤجل هذه القضية ؟ ثم شرعية من ؟

الرئيس هوارى بومدين : فى الواقع، الديموقراطية لها مفاهيم متعددة . مايهمنا هو الديموقراطية فى مجتمع اشتراكى. الديموقراطية فى مجتمعات اخرى عبارة عن حرية التنظيمات السياسية المختلفة المعبرة عن مصالح الطبقات المستغلة اساسا الخ . مفهومها فى المجتمع الاشتراكى، يختلف تماما عن المفهوم الآخر ، فلهذا نعتقد ان الديموقراطية فى مجتمع اشتراكى ، لازم نربطها بالتحول الاشتراكى اى بعملية بناء المجتمع الاشتراكى . كذلك لما نتكلم على مجتمع اشتراكى ، لازم نتكلم عن الاطار المحدد للديموقراطية ، فهى ليست كلمة مجردة ، لازم نحدد نوع المجتمع ، ونوع التنظيم الذى يرتبط بظروف تاريخية معينة .

فلا نقول ما دور المنظمات والحزب والدولة والجيش الخ ، انما نقول الديموقراطية داخل الحزب الواحد . لان فى المجتمعات النامية لايمكن القيام بتحويل جذرى فى مجتمع فيه تعدد الاحزاب . فلابد ان نلغى هذا التعدد . الحزب الواحد لما نتكلم عنه ، نتكلم عن تركيبه الاجتماعى والديموقراطية داخله ، لما نقول تحقيق الاشتراكية ، لازم يكون تركيب الحزب اساسا من ناس اشتراكيين ، ولما يكون كذلك، فلا حق اذن لاعداء الاشتراكية او نسمح لهم بالكلام عن الديموقراطية . لانسمح لهم . لان ذلك يعتبر اعادة استغلال للطبقات الشعبية الصاعدة .

بالنسبة للحزب الواحد، المبدأ العام معروف، وهو المركزية الديمقراطية ، حرية المناقشة داخل اطار الحزب ، تحدد افكار كل المناضلين داخل التنظيم الحزبى وليس خارجه . عندنا لانستطيع ان نقول هناك دور للجيش ودور للحزب ، لان دور الجيش داخل فى دور الحزب وليس خارجه . فليس هناك دور خاص للجيش ودور خاص للعمال ودور خاص للفلاحين خارج اطار الحزب ، بل الكل يوجد داخل الحزب . طبعا هناك لكل منظمة دور معين . وقضية تحقيق الانسجام بين المنظمات بعضها وبعضها ثم بينها وبين الحزب قضية تنظيم فقط . فلا توجد هناك هيمنة لقطاع على آخر. ولضمان ذلك يتعين على الحزب الذى يتكون من الاشتراكيين ان يكون هو الموجه للنقابات والشبيبة والعمال وكل اجهزة الدولة . هذا رأيى فيما يتعلق بالديموقراطية داخل الحزب نفسه .

ونحن لم نكتف بهذا التحليل النظرى بل،

عملنا على تأكيد الديموقراطية في القاعدة وتهيئة الظروف لممارستها ممارسة سليمة في مختلف المستويات ، في مستوى خلايا الحزب والهيآت الحكومية وفي مستوى الوحدات الانتاجية ».

وفي هذا النطاق سعينا الى ربط الديموقراطية بالانتاج ، وجعلنا الافراد يشاركون في مناقشة المشروعات الاقتصادية الانتاجية وذلك في انتظار تطبيق التنظيم البلدي الجديد (٢) الذي سيمكن القاعدة من ممارسة حقها في ادارة المشروعات الاقتصادية وتقديم اقتراحاتها بشأن الخطة ».

وفي الوحدة الانتاجية فان العمال ايضا يباشرون حقهم لا في مناقشة مشروعات المؤسسة التي يعملون بها فقط ولكن ايضا بمناقشة المشروعات الاقتصادية العامة .

اما قضية الشرعية الثورية ، فاننا نعتقد ان الثورة عندما تنحرف انحرافا واضحا فان كل الوسائل اللازمة لتصحيح الانحراف تصبح مشروعة . وبالعكس من الاجرام — في رأينا — عندما يكون فيه انحراف واضح ، ان نختفي وراء الشرعية الكلاسيكية ونترك الثورة تخمد تدريجيا حتى تموت ».

محمد سيد احمد : ليس من المألوف الحديث عن دور الجيش الى هذا الحد في تجارب ثورية عديدة ، ولكن في حالة الجزائر ، الملاحظ ان الجيش كيان حقيقي ذو فعالية اكثر من الحزب، الذي لم يكتسب تقاليد راسخة بعد . وبالتالي فان الجيش يلعب دورا أكبر من الحزب بكثير في تحديد مسار الاحداث .

لطفي الخولي : الاخوان قرأوا الكلام على قضية الجيش التي اثرتموها سيادتكم معي خلال الحديث المنشور في الاهرام (٣) ، وهي مشكلة الفراغ الذي يعقب الاستقلال دون أن تكون الثورة قد استكملت بناء الاجهزة الثورية الاخرى كالحزب والدولة لملء هذا الفراغ . ولقد قلتم سيادتكم في الحديث ان الجيش الوطني عند ذاك يمكن أن يقوم فورا بملء الفراغ في البداية لانه ينمو بمعدل سرعة اكبر من التنظيم السياسي مثلا او بناء اجهزة الدولة الجديدة .

الرئيس هواري بومدين : جيشنا بتركيبه الاجتماعي جيش ثوري . تكون خلال حرب التحرير الضارية لمدة سنوات طويلة من عمال وفلاحين وابناء فلاحين وبعض المثقفين الثوريين وهم نسبة قليلة . وقد احتفظ الجيش بثوريته بعد الاستقلال وهذا طبيعي بحكم تكوينه الفكري والنضالي والاجتماعي معا . بالتجربة الخاصة استطعنا ان ننظم الجيش في مدة وجيزة وبكيفية سريعة جدا خارج التيارات السياسية القديمة . فالموجودون في الجيش تخرجوا من مدرسة الثورة . اذن نستطيع ان نعتمد عليه في هذه المرحلة ، دون اي خوف .

وقد تكلمت كذلك في الحديث مع الاخ لطفي عن حكاية كوبا واعتمادها الكلي على الجيش من اجل احداث تحويل في الاجهزة القديمة للدولة ، ومن اجل بناء الحزب وبناء الدولة على اساس تقاليد جديدة .

د. لطيفة الزيات : سيادتك فرقت ايضا في الحديث بين الموقف الوطني والموقف الاشتراكي . هل فيه وحدة فكرية اشتراكية في ظل الجيش الجزائري الحالي . وما هي الضمانات التي تتخذونها ، الى ان يتم تكوين الحزب بشكل قادر وفعال ، بحيث يلعب هذا الجيش دورا سياسيا وثوريا لحماية الثورة وضمان استمرارها .

الرئيس هواري بومدين : الضمانات كثيرة ومتعددة وأهمها :

أولا : التربية السياسية من وقت الثورة . فيوجد فرع في الجيش يسمى المحافظة السياسية وهي تعمل بنشاط وحيوية على اساس الخطوط الفكرية والسياسية الاشتراكية لبلادنا وتدرسها باستمرار في جميع قطاعات الجيش .

ثانيا : يشترك الجيش في عمليات البناء ومساعدة الفلاحين الفقراء والعمال أي مساعدة الطبقات الكادحة ، وبذلك يرتبط دائما بالشعب ولا ينفصل عنه .

ثالثا : التجنيد يأتينا في غالب الاحيان من افقر الطبقات وهذا ضمان . الناس الاغنياء في العادة لا يأتون للجيش . وكذلك غالبية المثقفين يروحوا للوظائف التي تكسب الجاه . طبعا هذا لا ينفي وجود مثقفين ثوريين في الجيش وفي خارج الجيش في جميع اجهزة الحزب والدولة والخدمة المدنية بصفة عامة .

رابعا : كذلك الاطارات من الشبان الصغار وهم من أصل بسيط ، من أصل بسيط جدا . (هذه كلها ضمانات كافية لاتجاه البلاد العام ، في

(٢) راجع وثيقة الادارة البلدية في الجزائر المنشور بهذا العدد .
(٣) حوار لطفي الخولي مع الرئيس بومدين المنشور بالاهرام في ١٩٦٦/١١/٢ على التوالي .

المرحلة الحالية ولبقاء الجيش في الاطار المحدد له .

ثم هناك مشكل اصلاح التعليم نفسه برامج التعليم الحالية هي برامج قديمة وفي مقدمة جدول اعمالنا اصلاح التعليم في البلاد . ننوي ادخال مواد جديدة حتى تدرس مواضيع اشتراكية وقومية . وزيادة على هذا هناك الدور اللي لازم يلعبه الحزب والنقابة في العمل وفي المزرعة لان من اهم مهمات الحزب التنشيط والتوعية في وسط المعامل وجميع الوحدات الانتاجية .

مصطفى طيبة : سيادة الرئيس ، هل يمكن ان توضحوا لنا الى اي حد تمت خطوات لبناء جهاز الدولة والحزب ، لانها في ظروف الجزائر تشكل سمة خاصة وفريدة ، لان بناء الدولة والحزب يحد الاخطار اللي ممكن تكون موجودة .

الرئيس هواري بومدين : الخطوات اللي اخذناها في بناء الدولة كانت نظرية الى مدة قريبة وحتى ١٩ يونيو ١٩٦٥ ، كانت نظريات انحرافية يروجها بعض الفوضويين الذين يتكلمون عن اضمحلال الدولة . احنا قلنا لا ، الدولة شيء ضروري لتطبيق سياسة البلاد ، ولتطبيق الاشتراكية ، اذن لا بد من بناء الدولة كأداة تطبيق وكأداة تنفيذ تحت توجيه وتحت اشراف الحزب . كذلك اتخذنا اجراءات اخرى وهي زرع الثقة .. جعل الموظف يثق في موضوعية الدولة بدلا من توجيه الشتائم والانتقادات اللي متخليهوش هو نفسه يشتغل باخلاص ، وينحو نحو التخريب تخريبا فنيا ، فحفظ ملف مثلا في درج مغلق لبضعة ايام ، قد يكلف الدولة ملايين . ولقد اصدرنا هذه السنة قانون « الوظيف العمومي » الذي يضمن حقوق الموظفين ويوضح كذلك واجباتهم نحو الدولة بصفة عامة ، وتوصلنا الى خلق نوع من الاطمئنان ونوع من الاستقرار ، لان كثرة تغيير الموظفين من شأنها احداث البلبلة وعدم الفعالية المطلقة وعدم تشجيع الاجهزة على الانتاج . كذلك عملنا على تحديد المسئوليات بين مختلف فروع دولتنا الناشئة ، وذلك لمنع الخلط والالتباس والتضارب ، فلازم نعمل لسن قوانين جديدة ، لان هناك قوانين عتيقة لا تتناسب مع التحول الاشتراكي ومع المجتمع الجديد .

كذلك اخذنا خطوة حاسمة وهي ان الدولة نفسها ، لازم تكون متشبعة بالروح الاشتراكية وتكون ثورية ، ولا تكون آلة جامدة ازاء قرارات السلطة الثورية . فبدأنا في بناء دولة المستقبل بتنظيم البلديات وفي ٥ فبراير القادم تجري انتخابات لتكوين مجالس بلدية مكونة من ٢/٣ من الفلاحين والعمال ولها سلطات واسعة وصلاحيات واسعة في كل الميادين .

لطفي الخولي : هل يمكن ان نتفق على تعريف الفلاح في التجربة الجزائرية ؟

الرئيس هواري بومدين : في القانون الاخير ، لما تكلمنا عن الملكية المتوسطة حددناها على اساس دخل موظف متوسط . والفلاح هو اللي يشتغل في الارض . هناك اذن فلاحون صغار . وفلاحون متوسطون ذوو دخل متوسط . والدخل حسب جودة الارض . ومعيار التحديد هو الدخل لا المساحة .

بعد تنظيم البلديات ، نفكر كذلك في تنظيم المحافظات على اساس اعطائها صلاحيات اوسع في الميدان الاقتصادي والثقافي والاجتماعي ، ليسيروا اشياء كثيرة وفي نفس الوقت ينتجوا .

لطفي الخولي : هل هذا قريب من الكوميون في التجربة الصينية ؟

الرئيس هواري بومدين : ليس تماما .

انجي رشدي : مجلس شعبي .

الرئيس هواري بومدين : تقريبا .

عبد المنعم الغزالي : ما زال في الريف الجزائري ملاك كبار ، هل يدخلوا في نسبة الـ ٢/٣ ؟

الرئيس هواري بومدين : لا . لازم يكونوا فلاحين مناضلين ، والثلث الباقي ناس وطنيين ، وضعيتهم الاجتماعية لا تتنافى مع مصالح الثورة .

والخطوة الثالثة هي التنظيم النهائي للاجهزة المركزية ، هي بناء الدولة الجزائرية الحديثة .

لطفي الخولي : ما هي الخطوات التي اتخذت حتى الان في سبيل تكوين حزب جبهة التحرير ؟

الرئيس هواري بومدين : الخطوات الاولى هي جمع شمل الثوار . الازمات غداة الاستقلال ، كان لها عواقب وتأثيرات كثيرة جدا ، اهم قرار اتخذناه هو شعار الوحدة الثورية . وحدة الثوار المناضلين ، الذين يؤمنون بالوضعية الجديدة للجزائر الاشتراكية ، للبناء الاشتراكي . في نظري هذه اهم خطوة قمنا بعملها . وفي نظري الخاص اننا نجحنا الى حد بعيد ، النجاح عمره ما يكون ١٠٠ ٪ ، لكن نقدر نقول ان هذه الخطوة الاولى انتهينا منها ، وما بقاش فيه ناس كثير يؤمنون بمصير ثورتنا ، باقيين خارج الصفوف .

مسألة التنظيم لا زلنا نواجه فيها الصعوبات ولكن اتخذنا اجراءات في استكمال بناء التنظيم

وآخر عملية اتخذناها ، هي تدرس الخلايا على مستوى القاعدة . بعدها وجهنا اهتمامنا الى المنظمات الجماهيرية مثل الطلبة والنساء وغيرهم الان ماشيين في العملية ، لا نقول انتهينا منها — بناء الحزب يحتاج الى وقت طويل وعناية بالغة وكل سنة تأتي تختلف عن السابقة ، هناك عملية مستمرة لتربية سياسية بهدف تطوير المجتمع نفسه ، وهناك نوع من التصفية للعناصر التي لا تتقدم أو تنحرف . والعملية مستمرة ولكننا قمنا بخطوات نستطيع أن نقول انها مهمة جدا بالنسبة لمستقبل الحزب ».

لطفي الخولي : النقطـة التي أوضحتمـوها هي الديمقراطية داخل الحزب ولا ديمقراطية لاعداء الحزب . ولكن بالنسبة للجماهير خارج الحزب والتي لا تتمتع بعضويته ، ما هي العلاقة بينها وبين الحزب . بالنسبة لتكوين الحزب الواحد ، هناك باستمرار خطر البيروقراطية الحزبية ، والانعزال عن الجمـاهير الشعبية . والنقطة الثانية التي أود أن أثيرها هي المشاكل الصعبة فيما يتعلق ببلاد كبلادنا التي تدور حـول أن الحزب الثوري الاشتراكي يتم بناؤه من مواقع السلطة . هذا عكس التجارب التقدمية التقليدية وهو أن الحزب يبنى في قلب المجتمع القديم من مواقع المعارضة . ثم يسعى للحصـول على السلطة ، ومن هنـا يمتلك معـايير محـددة وموضوعية لاختيار العضو على أساس ومدى نضالية ، لانه بناء على درجة صـمود العضو ضد السلطة الرجعية القائمة نعرف أنه مناضل اشتراكي يستحق عضوية الحزب أو غير مناضل فلا يستحقها . بالنسبة لتكوين الحزب في تجربة كتجاربنا كثير من الناس يدعون الاشـتراكية ويختلـط بذلك المناضـلون بغير المناضـلين والاشتراكيـون الحقيقيـون بالاشـتراكيين بالمناسبات . وفي اعتقادي أن تجاربنا لم تتوصل بعد الى تحديد معيار موضوعي لمن هو العضو المناضل . لانه عندما يقوم القادة الثوريون من مواقع السلطة بالدعوة للاشـتراكية ويدعون الناس الى تكوين حزب ثوري ، كل الناس بلا استثناء يسارعون الى الدخول فيه .

الرئيس هواري بومدين : العملية كلها — في رأيي — متوقفة على سلامة التنظيم . خطر البيروقراطية طبعا موجود . وهناك خطر خلق طبقة داخل الحزب تبتعد شيئا فشيئا عن القاعدة في الحزب نفسه وبالتالي عن الجماهير . الحزب الطليعي له فروع ، هي نقابات العمال من جهة واتحادات الفلاحين من جهة أخرى ، والشباب من جهة ثالثة . اذا كانت كل هذه المنظمات منظمات سليمة التنظيم ، وفيها نوع من الحرية الداخلية والمركزية الديمقراطية ، فهذه ضمانة أولى . وكل الخلايا مكونة من أعضاء الحزب الطلائعي فحسب . لكن النقابة تستطيع تجميع كل العمال بالنسبة للفـلاحين المعدمين أو صـغـار الفـلاحين أو المتوسطين أيضا وتستطيع تنظيمهم . وتنظيمهم لابد ان يكون له تأثير مباشر على القيادات نفسها كذلك فيه طرف ثان ، وهو ضمان الديموقراطية المركزية داخل الحزب ومنع ما تستطيـع أن تسميه « بديكتاتورية الجهاز » داخل الحزب . فاذا ضمنا سلامة التنظيم للمنظمات الجماهيرية تحت اشراف الحزب . واذا ضمنا الديمقراطية المركزية داخل الحزب ، فيكون الخطر ضئيلا ومن السهل كشفه . لان المناضل يستطيع أن يعبر عن رأيه وينتقد النقائص وأنواع الضعف . الخ ».

في الجزائر هناك تقـاليد وأسس في جبهة التحرير منذ سنة ١٩٥٤ . والان اذا كان حدث انكسار في جبهة التحرير فلا ننسى أنها تكونت على أنقاض الاحزاب القديمة وتكونت بالكفاح ضد قوة حاكمة — ومستعمرة في نفس الوقت . فجبهة التحرير تكونت خارج السلطة . حقا المفهوم العقائدي لجبهة التحرير تغير ، برنامج ما بعد الاستقلال فيه فرق طبعـا عن برنامج الكفاح من أجل التحرر الوطني . نسبة من نوعية الاعضاء تغيرت . فيه نسبة حقا كافحت باستمرار ونسبة صغيرة كافحت من اجل استقلال البلاد فقط . وانتهت عند الاستقـلال ولكن الاغلبية الساحقة فلاحين وعمـالا كانوا يكافحـون في الحقيقة من اجل ما هو اكثر من الاستقلال . من اجل الارض والمعامل . هؤلاء موجودون وكانوا يكافحون بالامس تحت راية جبهة التحـرير . احنا حاربنا الفكرة اللي حاولت تعتبر الماضي كأن لم يكن على اساس ان جبهة التحرير قبل سنة ١٩٦٢ خلاص انتهى امرها .

جبهة التحرير لها أصل ، وثورتنا لها اصل وليس فقط من سنة ١٩٦٢ . بناء الحزب بدأ قبل سنة ١٩٦٢ ، وهناك الحقيقة الاخرى وهي أنه لم تكن كل عناصر جبهة التحرير قبل سنة ١٩٦٢ اشتراكية وانما كانت كلها وطنية . ثم حدثت خلافات سنة ١٩٦٢ وتخلف البعض عن الركب فقلنا لازم نجمع هذه العناصر من جديد ، اللي تطلع من صفوف الشبان الرائدين ».

لطفي الخولي : اذا كان هذا الاستمرار في الحزب موجودا كما أوضحتم فكيف تفسرون ما قيـل باستمرار عن افتقاد الحزب وافتقاد فعاليته ودوره في الجزائر بعد الاستقلال ؟

الرئيس هوارى بومدين : من زوايا كثيرة . بعض الاحزاب عرفت مشاكل أحزاب وطنية كافحت من أجل الاستقلال فلما تصل للاستقلال تتكسر تظهر على كل حال مصالح جديدة وحالات جديدة وظواهر جديدة فى نفس الوقت. المشكل الاول يتمثل أنه أثناء الثورة تعمق الثورة نفسها، فتحدث تناقضات تتغير طبيعتها وأطرافها باستمرار . كانت هناك تناقضات داخل جبهة التحرير، ولكن كان موجودا فى نفس الوقت عامل أساسى يمنع الانفجار وهو العدو المستعمر، لم يكن ممكنا الاختلاف أثناء الكفاح والا تحدث كارثة. كنا متفقين على الوحدة الوطنية حتى الاستقلال. لكن مفهوم الاستقلال يختلف بالنسبة للبعض منا. هناك اتجاه ليبرالى .. وهناك قيادات أخرى تشكل أغلبية ساحقة من المناضلين والشعب ، قررت السير بالثورة الى الامام والسير بالتجربة الاشتراكية . وهناك مشاكل أخرى ، مشاكل الزعامات الفردية وهى حقيقة مؤلمة عشناها فى الوقت الذى كان فيه العمال والفلاحون والشباب يبنون فى جهد وعرق وتضحيات الحرية والمجتمع الجديد، كان هناك ناس فى الظل يبنون قصور المستقبل . وطبعا كان لهذا كله تأثيره السلبى فى الحزب .

نقطة ثالثة ، ان تعمق الثورة وتطورها خلق عناصر جديدة من الذين شاركوا فى الثورة مباشرة ، عناصر واعية تسلمت المسئولية على مستويات مختلفة، ونظرا لتكوين هذه العناصر فى غمرة الكفاح ، فقد كان هناك فرق كبير بينها وبين المدرسة السياسية القديمة. ولا شك أن ذلك كان له أيضا تأثير على استمرارية الحزب.

عامل رابع : وهو أن القيادة فى القمة لم تكن قيادة منسجمة . فعناصر القيادة عملت لتقسيم جبهة التحرير نفسها، لكن الانقسام كان بطبيعته انقساما مؤقتا ولا يمكن أن يدوم لانه ضد الواقع وحركة التاريخ . فى القمة كان الانقسام نهائيا لانه كان لاغراض شخصية . فى حين نجد أن مناضلى القاعدة التقوا من جديد بحكم تربيتهم ووضعيتهم على صعيد العمل . هذه بعض ظواهر، وهناك ظواهر أخرى ولدها الاستقلال، فالمسئولية لها تأثيرات على الانسان نفسه . والكفاح هو كفاح مر. وهناك ناس كافحت ١٠ سنوات فى ظروف قاسية ، فالانسان من غير تربية سياسية عميقة وواعية يضعف أمام الاغراءات المادية ، ولا يثبت أمام الاغراءات الا الانسان ذى الجوهر النضالى .

وينبغى أن نلاحظ هنا بأن الاغراء الذى تعرضت له بعض العناصر النضالية بعد الاستقلال ، كان اغراء غذته بعض العناصر الادارية المتعاونة مع الاستعمار بهدف توريط المناضلين فى شباكها حتى تتمكن من ضمان مصالحها فى مرحلة أولى ، ومن املاء شروطها على العناصر النضالية فى مرحلة ثانية. وينبغى أن نعترف بأن جبهة التحرير الوطنى لم تكن مسلحة لمواجهة هذا الخطر نظرا لظروف المعركة الخاصة بالجزائر والتى أشرنا الى جانب منها .

سعد زهران : فى كل عملية ثورية ، فى هذا البلد أو ذاك ، هناك مؤسسة معينة تنهض بالدور الرئيسى. فمثلا فى الثورات البرجوازية فى أوروبا، مثل الثورة الانجليزية ، قام البرلمان بالدور الرئيسى فى تفجير الثورة وقيادتها ، وفى روسيا قام الحزب بالدور الرئيسى ، بينما قام الجيش بالدور الرئيسى فى الثورة فى الجزائر ، وفى عدد من البلاد النامية . ومن المعروف أن المسار الخاص لكل ثورة، والمؤسسة التى تفجر الثورة وتقودها تطبع الحياة السياسية بطابعها الخاص بعد وصول الطبقات الثورية الى السلطة .

وقد أفضت سيادتك فى الحديث عن جانب معين من موضوع الديموقراطية، هو مقرطة كل مؤسسة على حدة ، أى اشاعة الحياة الديموقراطية السليمة فى الجيش وفى الحزب وفى الادارة المحلية وغيرها. غير أن هناك جانب آخر من موضوع الديموقراطية ، هو علاقة المؤسسات بعضها بالبعض الآخر . فمثلا فى روسيا، نجد أن الحزب، وهو المؤسسة المهيمنة هو الذى يرشح للسوفيتيات ، والسوفيتيات تختار الحكومة ، كذلك يختار الحزب مسئولين سياسيين فى الجيش .. الخ . وهكذا نلمس كيفية هيمنة الحزب على غيره من المؤسسات الرسمية والشعبية .

والسؤال هو : كيف يتم التنسيق بين مختلف المؤسسات فى الجزائر، وكيف يمارس الجيش بوصفه المؤسسة التى قادت العملية الثورية ، كيف يمارس هيمنته على المؤسسات الاخرى ؟ لان هذا هو الجانب الآخر الهام فى موضوع الديموقراطية .

الرئيس هوارى بومدين : لا مجال للمقارنة بين الثورة فى روسيا ومصر والجزائر . فالجيش فى الجزائر يعتبر قوة ثورية ، ولذلك كان ضمانا لمنع أى انحراف خطير فى الثورة ، لكن قوة الجيش لا تهيمن رغم ذلك على الحزب وعلى مؤسسات الدولة الأخرى ، لماذا ؟ لان الجيش الوطنى الشعبى فى الجزائر منبثق عن جبهة التحرير الوطنى أى فى ظل تنظيم سياسى ، فهناك تفاعل حقيقى بين قطاع الجيش والقطاعات

السياسية الاخرى ، ولا وجود للهيمنـــة ، لان أصل الحزب والجيش كان واحدا،وكان تنظيما سياسيا بالدرجة الاولى .

عدم فهم هذه الحقيقةالخاصة بالجزائر جعل بعض الناس يقولون : وقع انقلاب عسكرى فى ١٩ يونيو على راسه ضباط عساكر فاشيون الخ .. وهو تحليل لا علاقة له بالوجه الحقيقى للتطور الذى حدث فى الجزائر .

لطفي الخولي : ان الفكرة التقليدية كانت تعتبر ان أى تحرك للجيش يعتبر انقلابا رجعيا وعسكريا وفاشيستيا الخ . .ولكن الاحداث اثبتت ى مصر والجزائر مثلا ان الجيش قوة ثورية ، ولعبت دورا اساسيا فى الثورة الوطنية والاجتماعية ، أريد انأقول أنالجيش فيبلادنا لن يكونكاالجيش الغربيالمحصور فىالثكنات والمعسكرات كأداة ضاربة لسلطة الطبقة الراسمالية الحاكمة . وسعد زهران ــ كما فهمت ــ يريد ان يقول أن الجيش فى واقع البلاد الجديدة يقـــوم فى رايه بعمليةالقيادة الاساسيةسواء مندداخله كتنظيم أو من خارجه بالالتحام بالاجهـــزة والمنظمات الثورية الاخرى .

الرئيس هوارى بومدين : الجيش فى مجتمع ثورى اما متشبع بالافكار الثورية ، ويحمى الثورة،أو غير متشبع بالافكار الثورية ، فهو اذن رجعى فاشستى،ويأتى اليوم الذى يضرب فيهالثورة. اذن واجب القيـــادة الثـــورية فى كل مجتمـــع اشتراكى ، جعل الجيش قوة ثورية محافظة ومدافعة عن الثورة ، تســـاعد فى دفع الثورة نفسها . اذن فالرجوع الى سؤالك هناك دولة تتكون على راسها حكومة وفىاعلىالهرم مجلس ثورة . وتحته فيه حكومة ، لكن فى نفس الوقت فيه جيش وهو اكثر المنظمات تنظيما واكثرها انسجاما واكثر المنظماتثورية.بالنسبة للدولة عـــدنا كوادر من المدارس الفرنسيـــة وناس عايشين بعقليات موظفين.فى الجيش لا نعانى من هـــذا المرض . بسبب ان جيشنـــا لم يكن موجودا قبل ١٩٥٤ وليست له بالتالى تقاليد وأما اض الجيوش الكلاسيكية.واذا كانت بعض البلاد النامية فىالعالم الثالث تعانى منالتناقض الموجود بين العقلية العسكرية وبين التـــكوين السياسى الحزبى الثورى فان هـــذا التناقض منعدم فى الجزائر لسبب بسيط هو ان العقلية الرجعية لم تكن لها يد فى تكوين هذا الجيش .

هذه الحقيقة ادركتها الادارة الاستعمارية ، ولذلك ارادت ان تعمل على نسف هذا الجيش عن طريق اتفاقية ايفيان بخلق «القوة المحلية» التى وقع الشروع فى تكوينها فور ايقاف القتال من العناصر التى تكونت داخل الجيش الفرنسى . اذن فقد حاول الاستعمار الحديث خلق تناقض سلمت منه الثورة الجزائرية وذلك حتى يشلها ويفتح له باب المناورات والنفوذ .

لطفي الخولي : حسب ما افهم من كلام سيادتكم ان الجيش ولو انه يملأ الفـــراغ حاليا بأكبر حجم بحكم وضعه الا انه لا يعمـــل على ان يـــكون الوحيد ، وانما يلتحم مع المنظمات والاجهـــزة الحزبية والحـــكومية والثورية فى عملية بنـــاء المجتمع الاشتراكى . وهذا هو ما حدث عندنا فى تجربتنا المصرية .

الرئيس هوارى بومدين : الجيش طبعـــا لا يدخل مباشرة فى شئون الحزب او الدولة . وفيمـــا يتعلق بى ، لم اكن عسكريا قبل سنـــة ١٩٥٤ وربما اصبحت عسكريا بالصدفة . نحن ثوار اكثر منا عسكريين .

الخلاف بيننا وبين الحكومة الجزائرية المؤقتة عندما ارادت ان تضرب الجيش رفعت شعار العسكرية ، الناس اللى كانوا وقت الثـــورة مقيمين فى امريكا وبرلين وموســـكو اصبحوا الثوار الحقيقيين ، والناس اللى حملوا السلاح اصبحوا ناس عسكريين انتهى دورهم . وهذه طبعا كانت مؤامرة للقضاء على العناصر الثورية الحقيقية التى رفعت السلاح . واللى حررت البلاد . وقد كانت المعركة فى الواقع بيننا وبين الاستعمـــار الجـــديد عن طريق تلك القـــوى المساعدة له فى ظروفنا . اتفاقية ايفيان ، لم تكن ســـوى « خنـــاقة » للثورة ولفرض نظام الاستعمار الجديد . ورفعوا شعار العسكرية الفاشيـــة للتأثير على المناضلين وكسب عطف الراى العام العالمى المعجب بالثورة . ارادوا سرقة مـــكاسب الثـــورة وتحـــويلها لحساب الاستعمار الجديد ، تلك هى حقيقة الخلاف . واذا نظرنا الان لمدرسةالثورة فسنجد انه لاول مرة فىتاريخ الثورة توجد فيه قيادة منسجمة لانها ــ اولا واخيرا ــ متخرجة من مدرسة الثورة .

أبو سيف يوسف : فى خطاب الرئيس فى مجلس الامة لما عرض لمسألة الهجـــوم الاستعمـــارى على الحركات الثورية ، اكد على القضية المعروفة ، بأن معركة الحرية والتقدم لا تتجزأ ، ودعا الى التلاحم بين قوى الثورة العمالية . الجزء الاول من السؤال يتعلق بتوضيح اكثر للجزء المقصود بقوى الثورة على النطاق العالمى والجزء الثانى من السؤال،هو أنه فى خطاب الرئيس فىمجلس الامةاشارةالى وجود تعاون بينالبلاد المستقلة التقدمية والاشتراكية واذا كان سيادة الرئيس

يقول لنا عن الاشكال العملية التي يطرحها الوضع الحالي لهذا التعاون بين البلاد المستقلة والاشتراكية . والجزء الثالث هو ما اذا كان من الممكن ان نصل الى صياغة نظرية للتوحيد بين قوى الثورة العربية ، وقوة الثورة في العالم كله ؟ ».

الرئيس هوارى بومدين : الكلام الذى اشرت له في هذا الموضوع، مستمد من تحليل بسيط وواضح في نفس الوقت . ان المعركة الدائرة الان ، معركة ليست محدودة ، واذا اخذنا في تحليلنا للوضعية اعتبارات الطرف المضاد وتساءلنا عن خطة الامبريالية ، هل هي خطة عامة أو خطة محدودة، فالجواب واضح وبسيط ، وهي ان خطة الامبريالية والاستعمار الجديد خطة عامة تشمل المعمورة كلها ، تشمل العالم الثالث والعالم الاشتراكى، تشمل كل النواحي، ونحن بالخصوص. اذن يكون من الخطأ أن ننظر الى المعركة على أساس أنها معركة محدودة في النطاق العربى . ولمواجهة الهجوم المعتاد لازم نعمل على قدر المستطاع عمل واسع ومتصل بالقوات التقدمية الثورية في العالم . وكحلقة أولى، العالم العربى والوطن العربى فيه قوات تقدمية ورجعية . وبجانب العالم العربى هناك افريقيا التى تخضع لنفس التحليل . لازم يكون فيه نوع من اتصال بين هذه القوى الثورية العربية ، وفي افريقيا ، لازم نوسع الدائرة حتى تشمل آفاق أوسع في معركتنا هذه ، لازم على كل حال نبحث عن أصدقائنا الطبيعيين . وهم الموجودين في المعسكر الاشتراكى. لانه اذا كان لنا دور في محاربة الامبريالية والاستعمار والاستعمار الجديد ، فأصدقاؤنا الاشتراكيون لهم دور وواجب في تدعيم موقفنا . احنا وفق هذا التحليل ، نستطيع أن نقول اننا نواجه الضغط العالمي والمعركة بخطة على مستوى المعركة نفسها هذا هو تحليلنا ونظرتنا للقضية.

اما كيفية الاتصال مع الدول الاشتراكية فلها طرق كثيرة ، وليست الطرق هي التى تنقص . المهم أن نعتقد في هذا التحليل ، وأن نعمل لتحويله الى حقيقة واقعية لا نظرية فقط . فالوسائل موجودة ومن السهل أن نفكر فيها . ان الموضوعات التى اثيرت تحتاج لساعات من المناقشة وهذه بداية أولى ونحن تعرفنا ببعض، والتقينا بعض الاخوة على بعض مواضيع ومشاكل هي عويصة تحتاج من القوى العربية المثقفة التقدمية الى تمعن كبير جدا ، ودراسة تحليلية كاملة ، والمسألة لا تتوقف على دراسة من طرف واحد ولكن على دراسة جماعية مقارنة، حتى تخرج بخلاصة عامة ومفيدة تتقارب مع واقعنا. هناك واقع يسمى الواقع المصرى، وواقع يسمى الواقع الجزائرى . والواقع العربى بصفة عامة الذى قد يختلف من بلد الى بلد . وقد تكلمت مع اخوة آخرين ، وهناك ندوة لكل الاشتراكيين العرب ، ندعو لها في الجزائر ، قد تفيد مصر والجزائر وسوريا وكل القوى الثورية العربية .

انجى رشدى : معلوماتنا عن المرأة الجزائرية، انها ساهمت بطوليا في معركة التحرير، فالى اى مدى استطاعت المراة أن تحقق نفسها على مستوى المسئولية بعد الاستقلال ؟

الرئيس هوارى بومدين : المراة الجزائرية حصلت بالفعل على كل حقوقها، والسلطة الثورية تنظر للمراة نظرة موضوعية . في مؤتمر النساء الجزائريات الذى عقد اخيرا قلت لافضل للرجال على تحرر المراة . المراة انتزعت حقها بحد السلاح والفضل يرجع للمراة نفسها . واذا كانت قد قامت بدورها الكامل والمطلق في معركة التحرير ، فانها لم تقم بعد بدورها في معركة البناء ، اذن قصرت في واجبها ، وهذه مسئولية المراة اكثر من الرجال. من أجل ذلك عقدنا هذا المؤتمر الاخير للنساء الجزائريات ، واتحاد النساء الجزائريات تكون من ٥٠ عضوا مسئولا وسكرتارية عامة من ٨ أعضاء ، وهذه نقطة تحول وانطلاق نحو المستقبل ونبذل من أجلها كل جهد ممكن ».

لطفى الخولى : هل نستطيع أن نتعرف أكثر على طبيعة هذه الندوة واهدافها ؟

الرئيس هوارى بومدين : فكرة هذه الندوة نبتت لدى من خلال تتبعى وقراءاتى لكل ما يكتبه الاخوان الثوريون في البلاد العربية ومنها الجزائر حول قضايا البناء الاشتراكى سواء من الناحية النظرية أو من الناحية العملية ولاحظت مدى الاختلاف والتباين بينها . فكرت .. ان لدينا تجارب اشتراكية عربية هى واقعنا .. لماذا لا نبدأ بدراسة وتحليل هذا الواقع وتجاربه وما

فيه من ايجابيات وسلبيات وتربط افكارنا بالواقع العملي . ان هذا سوف يحل كثيرا من المشكلات النظرية والعملية التى تبدو فى مناقشاتنا وتزيد من خبراتنا المشتركة . لذلك قررت ان ادعو الى ندوة مفتوحة لجميع الثوريين الاشتراكيين فى العالم العربى فى الجزائر يأتون اليها بصفاتهم الشخصية دون ما التزام سوى الالتزام العام بالاشتراكية وذلك حتى تكون مناقشاتهم صريحة وحرة دون قيود . وسوف نكون فى القريب لجنة تحضيرية تقوم باعداد جدول الاعمال والاتصالات وغير ذلك من الامور . ونأمل ان تنعقد الندوة فى ابريل او مايو القادم .

القسم الثانى

وثائق جديدة للثورة

١ الثورة الزراعية والاصلاح الزراعى

ــ مدخل ــ

ان القضية الزراعية فى الجزائر تكتسى اهمية أساسية .

وفى بلاد مثل بلادنا ، حيث يعيش اربعة اخماس من سكانها من الارض وحدها ، وحيث كان الفلاحون الضحايا الاولى للاحتلال الاستعمارى وحيث شاركوا بدون تحفظ فى حرب التحرير الوطنى ، وحيث يشكلون اليوم العملة الاساسية لعملنا من اجل اقامة عهد الاشتراكية ــ فى هذه البلاد كان عمال الارض يخوضون المعركة بالامس ولا يزالون مصممين على تحقيق ثورة زراعية حقيقية .

ان هذه الثورة الزراعية تحتل الصدارة من ثورتنا فى سبيل تشييد جزائر اشتراكية .

فهى تنطلق من المبادىء الاساسية التى نستمد منها مجموعة اعمالنا الرئيسية ونسير على ضوئها ، ومن ثمة فهى تقضى بتأميم وتحديد الملكية واسناد مهمة التسيير الاقتصادى والاجتماعى فى البلاد للمنتجين الحقيقيين ، اى الفلاحين والعمال .

ولكن هذا الامر يقضى كذلك بادراج الثورة الزراعية نفسها فى اطار الثورة العام ، وبتناسق الاجراءات التى ينبغى اتخاذها فى الشؤون الزراعية مع القرارات التى تم اتخاذها فى ميدان الاقتصاد بمجموعه .

ان الثورة تحمل فى طياتها ثلاث مراحل ، منها المرحلتان الاوليتان اللتان تمثلتا فى حصول العمال بانفسهم على الاملاك الشاغرة للاستعمار اولا ، ثم فى حصولهم على مجموع الاملاك الاخرى التى كانت فى قبضة المعمرين ثانيا ، وقد مكنت هاتان المرحلتان فى آن واحد من ارضاء رغبتين : رغبة وطنية من جهة ، اذ انه لا يمكن على الاطلاق ان تترك أجود الاراضى بين ايدى الاجانب الذين امتلكوها ، بوصفهم محتلين ، بكيفية غير شرعية ، ورغبة اجتماعية من جهة اخرى اذ ان عامل الارض قد انتقل بفضل التسيير الذاتى ، الى صف المنتج المستقل المسؤول ، واصبح يقطف ثمار عمله ومبادرته الشخصية كاملا .

اما المرحلة الثالثة للثورة الزراعية فانها تهدف الى ازالة اللامساواة التى لا تزال قائمة ــ بعد ذهاب المعمرين ــ فى نظام ملكيات المواطنين ، وذلك ليتسنى الغاء استغلال العمال وخلق الظروف الملائمة لتعميم الاستغلال الجماعى للاراضى بصفة تدريجية .

ان القضية الزراعية هى قضية ملكية الاراضى وكيفية استغلالها . وماهى الا مظهر من مظاهر مشكل الفلاحة الواسع فى ميدان اقتصاد البلاد ، اى مشكل الانتاج والتمويل والتسويق الخ .. فى القطاع الافلاحى .

اجل ، اننا لا نستطيع ان نعالج القضية الزراعية معالجة صالحة اذا لم ناخذ بعين الاعتبار المظاهر الاخرى للمشكل

الفلاحي ، ولكن ينبغي أن تحدد بوضوح وبقدر الامكان على الاقل الاطار الذي يجري ضمنه البحث . ان القانون الزراعي الذي سيصدر في المستقبل ، سيهدف الى اعطاء جواب على الاسئلة التالية :

— في اي نطاق وكيف ينبغي أن نلغي النظام الراهن للملكية العقارية ؟

— ماذا ستكون كيفيات استغلال الاراضي ؟

ان التقرير الحالي يشتمل على اربعة فصول :

(١) الفصل الاول يتعلق بعرض الوضعية الراهنة بخصوص الزراعة ، مع اعتبار المهمة التي تم انجازها منذ الاستقلال .

(٢) الفصل الثاني ، ندرس فيه الترتيبات التي يجب انجازها في شأن الانظمة الراهنة للملكية العقارية .

(٣) الفصل الثالث ، يخصص لقضية توزيع أراضي الاصلاح الزراعي وكيفية استغلالها .

(٤) الفصل الرابع ، والاخير ، تحدد الاجهزة التي ستسخر لتجسيم المبادىء المستخلصة من الفصلين السابقين .

الفصل الاول
انهيار الاستعمار ونظام الاصلاح الزراعي الراهن

ينحدر نظام الاصلاح الزراعي الحالي من نظام الملكية مثلما كانت قبل الاستقلال .

١ — توزيع الاراضي قبل الاستقلال

باستثناء المناطق الصحراوية ، كانت بلادنا — في الفترة الاخيرة من العهد الاستعماري — تشتمل على :

— ٠٠٠ر٠٠٠ر١٠ هكتار ، ملكية خاصة .

— ٠٠٠ر٥٠٠ر٢ هكتار ، اراضي « عروشية » .

— ٠٠٠ر٥٠٠ر٩ هكتار أراضي تابعة لاشخاص معنويين من أشخاص القانون العام .

واللوحة التالية التي سطرتها الادارة الاستعمارية تبين ماهي الصفة التي كان عليها نظام الملكية الخاصة :

نوعية المستثمرات	عدد المستغلين			المساحة الكاملة بآلاف الهكتارات		
	جزائريون	اجانب	مجموع	جزائريون	اجانب	مجموع
اقل من هكتار	١٠٥٩٥٤	٢٣٩٣	١٠٨٣٤٧	٢ر٣٧	٨ر٠	٣٢
من ١ الى ١٠ هـ	٣٣٩٥٢٩	٠٣٩ر٥	٥٦٨ر٣٣٧	٢ر٣٤١ر١	٨ر٢١	٣٦٢ر١
من ١٠ الى ٥٠ هـ	١٦٧١٧٠	٥٨٥ر٥	٧٥٥ر١٧٢	٨ر١٨٥ر٣	٣ر١٢٥	١ر٣٢١ر٣
من ٥٠ الى ١٠٠ هـ	٥٨٠ر١٢	٦٣٥ر٢	٢١٥ر١٩	١ر٠٩٦ر١	٩ر١٨٦	١٢٨٣
اكثر من ١٠٠ هـ	٤٩٩ر٨	٣٨٥ر٦	٨٨٤ر١٤	٨ر٦٨٨ر١	٩ر٣٨١ر٢	٧ر٠٧٠ر٤
المجمـــوع	٧٣٢ر٦٣٠	٢٢٠٣٧	٧٦٩ر٦٥٢	١ر٩٤٣ر٧	٧ر٧٢٦ر٢	٨ر٠٧٥ر١٠

هذه اللوحة تبين لنا بقسوة ، ماهي الصفة التي كانت عليها علاقات المستعمر بالمستعمر بخصوص ملكية الارض نفسها . فبينما كان الجزائريون لايملكون الا حوالي ١١ هكتارا متوسط للملكية الواحدة كان المعمرون يملكون ١٢٤ هكتارا اي أكثر من عشر اضعاف .

وزيادة على ذلك ، فان هذه اللوحة لم تذكر نوعية الاراضي التي كان يملكها هذا وذاك . الا أن أجود الاراضي كانت بين ايدي المعمرين ، بحيث أن القياس بين القيم النسبية لمستثمرات هذا وذاك كان اكثر اهمية بكثير منها بين المساحات المتوسطة . ان النظام الزراعي كان ولازال يكتسي صبغة ذات أهمية كبرى حيث أن الاعمال الفلاحية كانت ولازالت تستوعب اليوم قسما معتبرا من سكان البلاد العاملين .

وفي الحقيقة ، يتبين لنا من خلال الدليل الاحصائي الديموغرافي لمنظمة الامم المتحدة لسنة ١٩٥٦ أن النسبة المئوية للسكان العاملين الذين يشتغلون في الفلاحة كانت مرتفعة بصفة خاصة في الجزائر كما تبين لنا ذلك اللوحة الاتية :

بلدان	مجموع السكان العاملين	الفلاحة زراعة الغابات وصيد الاسماك	اشغال أخرى	النسبة المئوية المشتغلة في الفلاحة
الجزائر	٠٧١ر٤٨٨ر٣	٥٧٧ر٨١٩ر٢	٤٩٤ر٦٦٨	٨ر٨٠ ٪
الباكستان	٦٨٤ر٣٩٢ر٢٢	٦٩٤ر١٢٤ر١٧	٩٩٠ر٢٦٧ر٥	٤ر٧٦ ٪
مصر	٣٧٩ر١٥٦ر١٤	٩٠٨ر١١٤ر٥	٤٧١ر٥٧١ر٦	٥ر٥٣ ٪
المانيا الغربية	٠٠٠ر٠٧٤ر٢٢	٠٠٠ر١١٤ر٥	٦٢٨ر٧٨٦ر١٣	١ر٢٣ ٪
الولايات المتحدة	٤٤٧ر٠٣٦ر٦٠	٣٥٣ر٣٣١ر٧	٠٧٤ر٧٠٦ر٥٢	٢ر١٢ ٪

٢ — الاجراءات التي اتخذت منذ الاستقلال

١ — ان وضعية الاملاك الشاغرة قد تم ضبطها باصدار مرسوم اكتوبر ١٩٦٢ ثم نظمت كيفية استغلالها باصدار قرارات مارس ١٩٦٣ التي تم بمقتضاها انشاء اقتصاد مسير ذاتيا في حدود آفاق اجتماعية ، واحلاله محل النظام الرأسمالي السابق .

واخيرا تم ، بمقتضى المرسوم الصادر في اول اكتوبر ١٩٦٣ تأميم جميع المستثمرات التابعة للمعمرين وادراجها في نظام التسيير الذاتي : كما كان الحال بالقياس للمستثمرات الشاغرة .

(ب) لم يكن من اللائق ، في الواقع ان ترتاح امتنا الفتية لوجود احسن قسم من تراثنا بين ايدي المعمرين .

وهكذا مكنت هذه الاجراءات شعبنا من استرجاع اراضيه كاملة ، هذه الاراضي التي حرمه منها مؤقتا الدخيل المحتل .

ومن ثمة ، فان المشكل الزراعي الجزائري قد وجد حلا كاملا وجذريا فيما يخص ملكية الارض من طرف الاجانب : لم يوجد اليوم اصحاب املاك اجانب في الجزائر .

(ج) تم اذن ، اجتياز المرحلتين الاوليتين من المراحل الثلاث لثورتنا الزراعية .

أولا . بتسليم العمال مايقرب من مليون هكتار من الاراضي الشاغرة وادخالها في نظام التسيير الذاتي .

— ثم بوضع مليونين من الهكتارات

التى كانَ يستغلها المعمرونَ بين ايدى العمال وادخالها فى نطاق التسيير الذاتى أيضــــا .

ان الاجراءات التى اتخذت اثنــاءها المرحلتين ، اجراءات اساسية بالنسـبة لتدعيم استقلالنا وتحقيق اهــدافنا الاشتراكية فى آن واحد .

ــ فهى بمثابة انفصـــــال كامل عن وضعية خلت ، اذ انها تهدف ، لا للتعديل والتحسين ، ولكن .

للالغاء للطمس

ــ وزيادة عن ذلك ــ ونتيجـــة للملاحظة السابقة ــ فانه لم يكن من الممكن ان تبقى ، حين اتخاذ هــذه الاجراءات اية صلة بين دولتنا والملاك غير الشرعيين للاراضى المؤممة ، اذ ان هذه الاجراءات لا تهدف الى التحديد من الملكية ولكن لاسترجاع املاك استولى عليهـــا المستعمر بدون حق . وهذا ما ينفى فى آن واحد كل تعويض ، لانه لو وقع شىء من ذلك لكان يعتبر عندئذ اعترافا بشرعية الملكية السالفة ، كما ينفى كل تعـــديل يدخل على كيفية التأميم اذ انه لو حصل ذلك لكان يعتبر أيضا تساهلا من اللاشرعية بقدر مايعتبر غموضا يطرأ على الاجراء بان ينحصر مثلا فى الاملاك الكبيرة ، فى حين ان ملكية المعمر كانت بوصـــــفها ملكية معمر ملوثة بمفهوم هذا المبدأ مهما كانت مساحتها فى جميع الحالات .

(د) منذ صيف ١٩٦٢ حتى خـــريف ١٩٦٣ ، استرجع الشـــعب مايقرب من ٧٠٠٫٠٠٠ هكتار كان يستغلها المستعمر (وبعض المواطنين المتهمين بالخيانة أو بالمضاربة) وقد وضعت هذه الاراضى تحت تصرف العمال انفسهم فى نطـــاق التسيير الذاتى .

اذن ، يتبين لنا اليوم التوزيع الاجمالى للاراضى بالكيفية التالية :

ــ ٧٣٠٠٫٠٠٠ هكتار ، ملكية خاصة .

ــ ٢٧٠٠٫٠٠٠ هكتار ، اراضى مؤممة ومستغلة فى اطار التسيير الذاتى .

ــ ٢٥٠٠٫٠٠٠ هـــكتار ، اراضى (عروشية) .

ــ ٩٥٠٠٫٠٠٠ هكتار ، اراضى تابعة للدولة .

(هـ) يتبين من هـــذا الجدول توزيع الاراضى التى لازالت محل ملك خساص حتى اليوم كما يلى .

نوعية المستثمرات	العـــــدد	المساحة الكلية
هكتار واحد	١٠٦٫٠٠٠	٣٧٫٠٠٠
١ هـ و ١٠ هـ	٢٤٠٫٠٠٠	١٫٣٤٠٫٠٠٠
١٠ هـ و ٥٠ هـ	١٦٧٫٠٠٠	٣٫١٨٦٫٠٠٠
٥٠ هـ و ١٠٠ هـ	١٦٫٥٠٠	١٫١٠٠٫٠٠٠
١٠٠ هـ	٨٫٥٠٠	١٫٧٠٠٫٠٠٠
المجمـــــوع	٦٣٨٫٠٠٠	٧٫٣٦٣٫٠٠٠

الفصل الثانى

الاجراءات التى يجب اتخـــاذها فى نظر الاصـــلاح الزراعى

ان المشكل الزراعى ــ كما كان مطروحا بعد الاستقلال وقد وجد اليوم حـــله بخصوص القسم الاهم منه ، وذلـــك بتنحية كل استعمار زراعى تنحية كاملة .

ولكنه مع ذلك لازال لم يجد الحل الــكامل ، لان النظـام الراهن للملكية العقارية التابعة لمواطنينا لا يمـــكن ان يعتبر نظاما مرضيا ، نظرا لخياراتنـــا السياسية الاساسية .

١ ــ ضرورة تخفيض عـــدم التوازن الموجود بين الانظمـــة الزراعيـــة بتحـــديد مســـاحة الملكيات

يوجد اليوم ٢٥٠٠٠ مالك يســـتغلون ٢٫٨٠٠٫٠٠٠ هـــكتار ، اى كل واحد يملك ١١٢ هكتاراً بالمتوسط ، بينما يوجد أكثر من ٦٠٠٫٠٠٠ فلاح لا يملكون اكثر من ٧ هكتارات لكل واحد ، وبعبـــارة اخرى ١٥ مرة اقل على وجه التقريب .

لقد كان المعمرون يملكون فى عهـــد الاستعمار ٢٧٠٠٫٠٠٠ هكتار . فكان كل واحد يملك بالتوسط ١٢٤ هكتارا ، غير ان الملاك الجزائريين لم يـــكونوا يملكون من جهتهم الا ١١ هكتارا بالمتوسط لكل واحد .

اذن ، من ناحية نظام الملكية الخاصة (ومن هذه الناحية فقط ، كما سنرى ذلك فيما بعد) فان هناك ٢٥٠٠٠ من الجزائريين اصحاب الاملاك يحتـــلون اليوم ازاء جمهور الفلاحين الصغار ، المكانة النسبية التى كان يحتلها سالفا ٢٢٫٠٠٠ معمر ازاء اخواننا فى مجموعهم .

اننا لم نحصل على استقلالنا لنلقى بنير المحتل السابق فقط ، وانمـــا نقصد ، باختيارنا للاشتراكية ، ســد باب كل امكانية امام اقلية من المواطنين ذوى الامتيـــازات الـــذين يحاولون ان يحافظوا على المكانة النسبية التى كان يحتلها الدخيل فى بلادنا .

اذن ، من مهامنا الرئيسية ، ان لا مجال للشك فى ذلك ، ان نكافح عـــدم التوازن الذى لا يزال قائما فى نظـــام البلاد الزراعى وان نعمل عـــلى ازالة الملكية الكبيرة .

ولكن اذا كانت ضرورة تعديل هـــذا النظام تبدو ضرورية حتمية ، فـــان تحديد كيفية هذا التعديل تبد اصعب .

وقبل ان نصل الى الكيفيات ذاتها ، يتعين علينا ان نحدد المبادىء التى تدخل بمقتضاها العملية التى نقصدها حيـــز التنفيذ .

٢ ــ جـــذرية الثـــورة او الاصلاح الزراعى ؟

ان الاجراءات التى اتخذت فى سنة ١٩٦٢ ــ ٦٣ نحو المعمرين قد اكتست ــ وكان ينبغى ان تكتسى ــ صبغة ثورة زراعيـــة .

فهل يجب ان يكون الامر كـــذلك اليـــوم ازاء المـــلاك الجزائريين ذوى الامتيازات ؟

وبعبارة اخرى ، هل يجب ان يجد المشكل الذى يطرحه اليوم نظـــــام الاراضى التى يملكها المواطنون حله :

ــ بالغاء جذرى لشرعية هذا النظـــام نفسه بأن تؤمم الاملاك دون تعويض ؟

ــ او على العكس باصلاح زراعى لا يمس شرعية الاملاك وبالتالى ينص على تعويض اصـــحاب الملاك الذين يجردون من ارزاقهم بالخصوص ؟

ا ــ فى صــــالح الثورة الزراعية ، يمكن ان نقدم البراهين التالية :

ا ــ ان نـــوع الاجـــراءات التى تم اتخاذها بشأن املاك المعمرين كانت تفرض اتخاذ اجـــراءات مماثلة نحـــو المـــلاك الجزائريين حتى لايحدث اى انشقاق او نقص فى الطريقة الثورية المتبعة بعـــد الاستقلال فيما يخص القضــــــية الزراعيـــة .

ب ــ ان كل تمييز بين كبار المـــلاك المواطنين والمعمرين غير صحيح ، اذ ان الاولين لم يكتسبوا املاكهم اويحافظوا عليها ــ فى احسن الاحوال ــ الابمقلبات النظـــام الاســـتعمارى بل بمســـاعدته الســـــــافرة .

والملكية الجزائرية الكبيرة ليســـت الا امتدادا لملكية المعمرين ســـابقا فى كثير من الاحيان ، اذ انها كانت فى عهد الاحتلال احسن برهان . ولا يـــزال ابناء « العائلات الكبيرة » اقطاعى العهد الاستعمارى ، مثل القياد والمـــرابطين الذين خلقهم او على الاقل ســـاعدهم الاستعمار ، لا يزالون يتمتعون اليـــوم بارزاق اقل مايقال عنها ان ملكيتهـــا غير شرعية وانها موجودة غالبا فى الجهات الغنية تماما مثل املاك المعمرين .

ج ــ وحتى اذا فرضنا ان البعض من مواطنينا قد اكتسبوا وحافظوا عـــلى املاك دون مساعدة الاستعمار المباشرة ومن غير تواطؤ منه ، فهم مع ذلك قد استفادوا بطريق غير مباشر من النظام الاســـتعمارى .

وفى الواقع ان صاحب الملك مهماكانت اهميته ، لم يستغل اخوانهفى استثمار ملكه باستعمال نظام (الخماسة) بالخصوص ، هذا النظام الذى كان يستعمله المعمرون ايضا ؟

د ـ مع ذلك يبدو من الغلط ان نلتجىء الى اتخاذ اجراءات مماثلة لتلك التى اتخذتنحو المعمرين لتحقيقالمرحلة الجديدة ، بل من الصالح ، علىالعكس من ذلك ، ان نشرع فى اصلاح زراعى وذلك للاسباب التالية :

١) اذا اردنا ان نقاون بين ملكية مواطنينا وملكية المعمرين فسنكون غير منطقيين ، وذلك لسبب واضح الا وهو ان المحتل لم يتمكن ، بوصفه محتلا ، من الحصول على حق ملكية التراب الجزائرى فى حين انه كان من الشرعى ان يرجع هذا الحق الى الفلاحين الذين عاشوا فى هذه الارض منذ العصور الغابرة .

ب ـ لقد سويت بعد حالة مواطنينا الذين اكتسبوا املاكا بصفة غير شرعية فى مرحلة الثورة الزراعية لعام ٦٢ ـ ١٩٦٣ حيث صدرت قرارات المصادرة التى كان من المحتوم ان تتخذ ضد الخونة والمضاربين الذين عملوا بكيفية تماثل تلك التى عمل بها المعمرون .

الا ان اتخاذ قرارات جذرية مماثلة لتلك التى صدرت سالفا لا يمكن ان يبرر بالنسبة للمرحلة الاخيرة منمراحل الثورة الزراعية اى بالنسبة للاصلاح الزراعى الذى يتحتم انجازه اليوم .

ج) المحافظة على حق ملكية الاراضى تتحتم علينا كمبدأ اساسى ، وذلك لامرين اثنين :

ـ اولا لانه حق تعترف به الحقوق الاسلامية وتحميه .

ـ ثانيا لانه يوجد عندنا اكثر من ستة آلاف رب عائلة يملكونمستثمراتهم .

اذن ، ليس من الممكن على الاطلاق ان يسمح لنا هذا الواقع ذوالوجهين بأن نلغى حق الملكية .

وضرورة المحافظة على حق الملكية هذا واحترامه تقضى ان تكون المرحلة الاخيرة للثورة فى ميدان الانظمة ، تتمثل فى اصلاح زراعى .

فلا يمكننا ان نجهل هذه المعطيات الاساسية خشية ان نزج بانفسنا فى مغامرة مثالها الفشل لانها قد تتعرض لعداوة غريزية وربما عنيفة تصدر عن قسم كبير من جمهور الفلاحين المتعلقين بحقوقهم .

وفوق ذلك ليس من المسموح لنا ان ننسى انه من واجبنا ان نحقق ثورتنا باتباع طريقنا الخاص حتى نبلغ الاهداف وفقا لمطامحنا .

ان الاشتراكية التى نرمى اليها ليست ضربا من الخيال قابلا للتطبيق على كل شعب وفى اى بلاد ، ان المعركة التى خضناها تهدف الى تحقيق اشتراكية جزائرية حقيقية اى الى انسانية تجسم التمنيات العميقة والجنسية والسوسيولوجية فى الجزائر.

هـ ـ كل تغيير جذرى فى الانظمة الزراعية يعتبر ـ لفترة معينة من الزمن على الاقل ـ عاملا يخفض الانتاج .

وعلى العكس من ذلك ، فان الاصلاح الذى يطبق تدريجيا يمكن بل يجب ان يمكن من البلوغ الى نتيجة مضادة اى الى زيادة الانتاج .

وهذه نقطة هامة لان التصنيع ، فى الفترة الراهنة لبعث اقتصادنا ، لازال لم يستطع ان يلعب دورا ملحوظا ، اذ ان انشاء صناعات جديدة يتطلب وقتا طويلا . وفى هذه المرحلة الابتدائية تستطيع الفلاحة ، والفلاحة وحدها ، ان تساعد على تخفيض قلة الشغل فى الارياف فى الظروف الراهنة . ولقد آلت التغييرات الزراعية عبر العالم بصفة عامة ، الى الفشل فى الصعيد الاقتصادى . وهكذا كان الامر بخصوص « الاحوال الريفية » ففى الصين، وكذلك بالنسبة للثورة الزراعية السوفياتية التى كانت ، رغم جوانبها الايجابية ، بمثابة فشل نسبى من ناحية الانتاج .

وقد حدث نفس الشىء لتجربة الثورة الزراعية اليوغسلافية التى جاءت قبل عام ١٩٥٢ بالامر الذى حتم على اصحابها ان يسلكوا طريقا اكثر مرونة واكثر « اصلاحية » واكثر احتراما للحقوق التقليدية للفلاح وتنمية مبادرته الشخصية وعندئذ اصبح الانتاج متزايدا فى ميدان الفلاحة .

(و) لم ينص برنامج طرابلس حلولا جذرية فيما يخص اراضى المعمرين اذ يقول : كان يجب ان تسفر الثورة الاشتراكية « عن تصفية الاستعمار الزراعى » اما فيما يتعلق بالملكية العقارية بصفة عامة ، فليس هناك اى اشارة الى الغاء حق الملكية ، ولكنه اشار الى تحديد المساحة حسب الزراعات والمداخيل فقط .

وقد جاء فى ميثاق الجزائر ، الفقرة ٢٢ الفصل الثالث من القسم الاول .

ان سياسة السلطة الثورية نحو الفئات البورجوازية الصغيرة فى قطاع الارض والفلاحين المتوسطين ، ينبغى ان تكون سياسة تحد من مفعول هذا القطاع وذلك باتخاذ مجموعة من القرارات تحتوى على التنمية البورجوازية التى هى طاقة هذه الفئات ، ولا تمس فى الحال ، وضعيتها ولا تتسبب فى تدهورها .

فلنذكر دائما فى ميثاق الجزائر ـ ما جاء فى الفقرة ، الفصل ٢ من القسم الثانى :

« ان الاصلاح الزراعى يجب ان ينظر بعين الاعتبار الى طموح الفلاحين الى ملكية الاراضى التى حرموا منها زمنا طويلا » .

ولنذكر اخيرا ما جاء فى لائحة اللجنة المركزية للحزب فى شهر جوان ١٩٦٤ :

« .... وبناء على ذلك فان القانون الذى ينص على الاصلاح الزراعى يجب ان يتضمن الخاصيات التالية :

« ١ ـ الا يتعلق الا بالملكية العقارية الكبيرة وينص على التعويض ... »

« ٢ ـ ينبغى ان يحترم الملكية الصغيرة والمتوسطة وكذلك المواشى واراضى المرعى .. »

الخلاصة .

يجب المحافظة على حق الملكية واحترامه

اذن لا يمكن ان تنجز المرحلة الاخيرة للثورة الزراعية بالغاء حق الملكية ملكية المستثمرات الزراعية ، بل تحقيق **اصلاح زراعى** يرمى فى البداية الى سحق اللامساواة التى لا تزال قائمة فى نظام توزيع الملكية .

ثم نشرع فى الغاء الملكية الكبيرة : بوصفها كبيرة ، **عن طريق تحديد مساحة الملكية العقارية .**

٣ ـ الشروع فى الاصلاح الزراعى

١ ـ من المستحسن اذن ان نقوم باصلاح زراعى عن طريق الخصم من الملكيات الاكثر اهمية ، ومن الواجب شرعيا ان يعوض اصحاب الاملاك الفائضة الذين يجردون هكذا من ارزاقهم .

ينبغى ان يحقق هذا الاصلاح الزراعى فى اقرب اجل ، لاننا اذا لم نفعل اى شىء فى الوقت القريب ، فاننا نثبت نقصا حقيقيا فى الطريق الثورية المتبعة بعد الاستقلال ، او ما جرت به العادة ان نسميه على العموم **وقفة** . ومعلوم ان مثل هذه الوقفة خطيرة جدا ، لانه يخشى ان تؤدى الى فشل شعبنا فى الارياف . وحتى اذا كانت القرارات التى يجب اتخاذها اليوم ذات طابع اصلاحى لا جذرى ، فمن الضرورى :

ـ ان يسجل هذا الاصلاح فى آفاق ثورتنا .

ـ ان يكون معلما من المعالم التى تقودنا فى الطريق المؤدى الى الاشتراكية، لا عامل انحراف عن هذا الطريق .

ـ ان يتم . بكيفية تدريجية ، لامحالة، ولكن بدون تضييع اى لحة من الوقت .

ـ وباختصار ، يجب ان يتم الاصلاح بكيفية ثورية .

(ب) ينبغى ان يطبق الاصلاح الزراعى بكيفية تدريجية ، وهذا معناه تحقيق هذا الاصلاح على مراحل متتابعة ، ومن ثم يتعين ان نتبنى [illegible] لانجاز هذه العمليات نظاما فى امكاننا ان نحافظ عليه طوال المدة التى يجرى فيها الاصلاح الزراعى ، دون تقاعس باستعمال الوسائل التى نملكها .

لقد رأينا ان حل الملكية محفوظا وجوبا ، وعليه فهو لا يمس فى ميدان الملكية الصغيرة .

وخلافا لذلك ، ستحدد مساحة الملكيات الفائضة عن الحد الاقصى الذى سيبين فى قانون الاصلاح الزراعى .

ان ضرورة الاجراءات التدريجية [illegible]

بنا الى البداية بالملكيات الواسعة ومن بينها تلك التى لا يستغلها اصحابها بانفسهم .

٤ ــ اجراءات استرجاع الاراضى

(ا) اما فيما يخص تقنية اصلاح نظام الملكية العقارية فهناك حيلان يمكن اقتراحهما :

ــ تحديد مساحة الملكية تحديدا موحدا ومشددا فى كامل التراب ».

ــ او على العكس من ذلك ، تحديد المساحات تحديدا يختلف حسب طبيعة الاراضى ونظام الامطار وامكانيات الرى والزراعات التى يمكن استغلالها » ؟ الخ ... ؟

وما دمنا قد اعترفنا بضرورة اصلاح زراعى تراعى فيه مقاييس اقتصادية واجتماعية مضبوطة فمن البديهى ان نتبنى الحل الثانى ».

لن نستطيع فى الواقع ، ان نقوم بعمل محكم اذا وضعنا فى كفة واحدة هكتارا من المرتفعات وهكتارا من المنطقة التالية وهكتارا من الاراضى اليابسة وهكتارا من الاراضى المسقية وهكتارا من الحبوب وهكتارا من الخضر والفواكه ».

من الصحيح جدا ان واقع الفلاح الذى يملك ثلاثين هكتارا فى منطقة شبه صحراوية حيث لا تثمر الغلة بصفة طبيعية الا مرة فى كل ثلاث سنوات بل مرة كل خمس سنوات فى بعض الاحيان ــ صحيح ان هذا الواقع لا يمكن ان يجرنا الا ان نشبه الوضعية الاقتصادية والاجتماعية لهذا الفلاح بوضعية صاحب الملك الذى يشتغل ثلاثين هكتارا من الموالح المسقية بانتظام ، التى تدر دخلا مرتفعا ».

اذن من اللازم ان نحدد مساحات معينة تختلف باختلاف جودة الارض ونوع الزراعات التى يمكن ان تستغل فيها.

واما المقياس الذى يجب وضعه هو مقياس **الدخل السنوى الاقصى الذى** تطمح اليه عن حق ، العائلة الفلاحة ».

وعلى اساس هذا الدخل تحدد المساحات المعينة للملكيات حسب طبيعة التراب ونظام الامطار والرى والزراعات المستغلة ».

اذن لا يستطيع اصحاب الاملاك ان يحتفظوا باراضيهم الا اذا كانت المساحات المعينة للملكيات لا تتجاوز الحدود المضبوطة ،وسيؤخذ الفائض من هذه الحدود ».

(ب) ان المشكل الذى يطرحه اختيار الدخل كاساس لتحديد المساحات المعينة للملكيات هو مشكل اساسى .

على اى مستوى ينبغى اثبات هذا الدخل او حسب المنطق الزراعى .

ماذا يجب ان تكون الاحجام القصوى للملكيات ؟ ».

ليس هناك جواب واضح لهذا السؤال ، لان العناصر التى ينبغى الاعتماد عليها تبدو معقدة بل ان البعض منها متناقض مع البعض الاخر ».

ومع ذلك فان البحث عن جواب صحيح ضرورى ؛ اذ على صحة هذا الجواب يتوقف مصير الاصلاح الزراعى فاما ان يكون ناجحا واما ان يكون فاشلا، اذ حصل العكس ، ذلك ان عملية الخصم واسترجاع الاراضى التى تفوق مساحتها مقدار المساحة الذى سيحدد من بعد، تعتبر بمثابة المرحلة الاولى من تلك العملية المزدوجة التى يتمثل فيها الاصلاح نفسه ونعنى بذلك الخصم ثم التوزيع من جديد .

وهناك عناصر مختلفة يمكن اعتبارها حينما نبادر باجراء هذا التحليل ، وسندرسها على التوالى فيما بعد ،

(ج) من الممكن ان نشرع بتحديد المساحات القصوى للملكيات على مستوى منخفض للغاية ــ وذلك لتوسيع اكثر ما يمكن توسيعها ــ رقعة الاراضى المقصود استرجاعها حتى يتساوى كل الفلاحين فيما لهم من حق فى حيازة الارض».

وعلى هذه الصورة ، فان كل الاراضى التى تتجاوز مساحتها المقدار الاعلى المعين، تنتزع وتوزع من جديد على مجموع الفلاحين الذين لا ارض لهم .

لكن حلا كهذا بما يقتضيه من المساواة الشاملة المطلقة حل غير معقول اذ انه بقطع النظر عن المعارضات التى سيثيرها ، يكون غير مرض حتى من الناحية الفنية ، لان اعتناق حل من هذا القبيل معناه عدم الاكتراث بالمتطلبات التى يستوجبها احياء الارض على احسن وجه ، وبالتالى يؤول الامر من الناحية الاقتصادية ، الى اختلال نظام الانتاج الذى هو اساس بالنسبة الينا فى القطاع الزراعى ومن ثم يصبح اقتصادنا كله مهددا فى مصيره ».

لكن الاصلاح الزراعى لا يمكن فى اى حال من الاحوال ، ان يؤدى الى افقار القطاع الفلاحى بصفة شاملة ،بالعكس، ينبغى ان يكون هذا الاصلاح احدى الوسائل التى تسهل ما عندنا من طاقة من حيث راسمال والعمل فى هذا الميدان حتى يتضاعف الانتاج فى مجموعه وتتحسن انتاجية كل عنصر من العناصر المشار اليها .

(د) من الوجهة السياسية ينبغى كذلك الا تحدد المساحات القصوى للملكيات على مستوى منخفض للغاية ».

اذ من المحقق ، ان عدد الفلاحين الذين ستتناولهم تدابير التحديد سيكون اهم بقدر ما ينخفض المستوى الذى تحدد المساحات باعتباره وبقدر ما يشتمل التحديد الملكيات الكبيرة وكذلك الملكيات المتوسطة المساحة فاننا نكون قد عملنا على اثارة مشكل سياسى حيث نكون قد ضاعفنا عدد معارضى الاصلاح باتخاذنا مثل هذه التدابير . ؟

مما لا شك فيه ان كل عمل ثورى يحمل فى طياته ما يثير المعارضة لان ذلك معناه النيل من وضيعة ما ، باحدى ضفة من الصفات ». وعليه فاذا كان الواقع يقتضى ان يكون كل اجراء ثورى حقيقى يثير حتميا من يعارضه فان الواقعية تفرض علينا ان نحدد من اخطار المعارضة بقدر ما يمكن تحديده مع مراعاة متطلبات البرنامج الثورى .

وقد لا يكون من الواقع ان نشرع فى اصلاح زراعى يمكن ان يثير معارضة جزء لا بأس به من الفلاحين ، فتتضاءل بالتالى ، امكانيات نجاحه بصفة خطيرة منذ البداية .

(ه) يظهر اذن انه غير ممكن ان نركز جيدا عملية تغيير الانظمة الزراعية على تخفيض شامل لمداخيل اولئك الذين هم اليوم احسن حالا بالنسبة لغيرهم .

لكن ماذا يكون القياس الايجابى الذى سيحدد المساحات القصوى ؟ .

ان قواعد الاستراتيجية الثورية هى التى ستعطينا هذا المقياس ».

اذ ، فى الحقيقة ، ينبغى ان لا ننسى انه يجب ان يندرج النشاط الزراعى فى مجموع النشاط الثورى بحيث لا ينفصل عن الاعمال التى تحقق فى ميادين اخرى : وبتعبير آخر ينبغى ان يتماشى النشاط الزراعى مع سياق النشاط الثورى فلا يسبقه ولا يختلف عنه »عناصر غريبة عن المشكل الذى نحن بصدده اجل ، ان الوضع ، بالنسبة لصاحب الملك المستغل الذى فى كفالته اولاد ، يطرح له مشكلا، ولكن من الغلط ان نعتبر ان هذا المشكل ينبغى ان يجد حله فى اطار الاصلاح الزراعى ».

اذ اننا لا نقوم كل عام باصلاح زراعى، ولا كل خمس سنوات او عشر ولا باصلاح كلى كل جيل ، والمقصود من عمل مثل هذا هو تركيز انظمة صالحة لفترة طويلة . وفى حدود هذه الافاق ، يتبين ان وضعية صاحب الملك المستغل الذى فى كفالته اولاد لا تقتضى ابدا ،يوم الاعلان عن القانون الزراعى ، ان يبقى هؤلاء الاولاد مستقرين فى المستقبل فى ملك صاحب الكفالة ،ويعيشون من رزقه ، واذا عينا حدا لمساحة الملكيات ، فان هذا الحد لا يمكن ان يعدل بالتالى كلما ازداد ولد فى العائلة . وعندئذ ينبغى ان نعترف حالا بضرورة وضع حدود قارة وضبط مساحات بقطع النظر عن الكلفة العائلية لكل صاحب ملك يعنيه الامر ، وذلك بمجرد صدور هذا القانون الزراعى ».

واذا ما حاولنا ان نشرع فى هذا العمل بطريقة اخرى فاننا نضع انفسنا فى مكان حرج للغاية . لاننا سنعترف ضمنيا بضرورة التراجع الكلى والمستمر عن الانظمة الزراعية ، وهذا ما سيؤدى بشكل من الاشكال الى سن قاعدة اصلاح زراعى تتغير بصفة دائمة وحل مثل هذا لا يستحق الا ان يرفض طبعا ».

واخيرا هناك سبب تكميلى يمكن ان يضاف الى ما سبق تأييدا للحل القاضى بالمساحات المحدودة بقطع النظر عن

الكلفة العائلية لاصحاب الاملاك لقصد تبنينا فى الواقع ، مدخول الصنف الاعلى من وكلاء الدولة ، كمقياس لتعريف هذه المساحات المحدودة ، او الدخل السنوي الذى يبلغ ٢٤٠٠٠ دينار . لكن هناك مدخول اضافى يتمثل فى (المنحة العائلية) التى من حق كل وكيل من هذا الصنف ان يتقاضاها اذا كان له اولاد والتى تبلغ ٤٨٠ دينار سنويا لكل ولد فى كفالته ، وبعبارة اخرى ٢٪ من المدخول . اذن يمكن ان نقول ان هذا المدخول الاضافى لا يكاد يذكر بالقياس الى معدل الاجرة .

وبناء على ذلك ، فانه ينبغى الا نقيم حسابا لعدد الاولاد الذين هم فى كفالة اصحاب الاملاك ، حتى ولو كان ذلك باعتبار القياس الى الحل المقرر لتحديد المدخول الاقصى .

لكن اذا كان من اللازم العدول عن الزيادة فى المساحات فى حالة ما اذا كان لاصحاب الاملاك اولاد فى كفالتهم ، فمن اللائق ان تمنح لصاحب الملك المستغل مساحة اضافية عن كل واحد من ابنائه المتزوجين المقيمين بملكه العاملين به .

وفى الحقيقة للابن الذى لا يزال فى الكفالة ، فان الابن المتزوج المقيم بالمزرعة العائلية والذى يكرس كل وقته للعمل فيها ، ان هذا الابن له صفتان :

ـ صفة المنتج .

ـ وصفة المساعد الدائم لابيه .

ان اخذ هذه العناصر بعين الاعتبار يتحتم فى تطبيق تدابير التحديد ، اذ انه من الواجب ان نعمل على تسهيل بقاء منتج فى ارض يعمل بها والا نقوم بشىء من شأنه ان يمس بانسجام العائلة .

وهذا اللزوم الحتمى لا يقودنا على كل حال ان نعتبر كل ابن من الابناء المستقلين بمثابة صاحب ملك بحكم المساحات الاضافية التى منحت لابيه .

لان مثل هذا الحل سيكون متناقضا مع مبدأ الغاء الملكية الكبيرة ، اذ انه من البديهى جدا ان تصبح المساحات القصوى نفسها ، المقررة فى الانظمة الزراعية عرضة للتغيير اذا وافقنا ان يضاف الى هذه المساحات ضعفها او ضعفاها او ثلاثة اضعافها الخ . لصالح اصحاب الاملاك الذين لهم ولد واحد او اثنان او ثلاث اولاد مستغلون .

وبناء على ذلك ، فان المساحات الاضافية التى تمنح فى هذه الحالات يجب ان تحدد بقدر ما فى الامكان من المرونة ، حتى يشعر الابن .

فهل يمكن والحالة هذه بان نفسر التدابير التى تتخذ فى ميدان الزراعة لتحقيق التساوى فى حين اننا سنعترف بان عدم التساوى لا مفر منه وينبغى حمايته فى ميادين اخرى ؟

هل تكون اعمالنا منسجمة مع الخط الثورى اذا نحن وقفنا موقف الشدة من صاحب الملك المنتج فى القطاع الزراعى بخلاف موقفنا من الرجل الصناعى والتاجر والموظف ؟

لا ، بما فى ذلك شك .

ان جميع الاسباب التى من شأنها ان تبرر اتخاذ تدابير انتقالية حتمية بين الفترة الحالية وبين عهد تطبيق الاشتراكية ، كل هذه الاسباب تعتبر صالحة بالنسبة للزراعة مثلما هى صالحة بالنسبة للصناعة والتجارة والمهن الحرة او الشبيهة بالحرة .

وقد يكون من التناقض ان يحدث التغيير فى الميدان الفلاحى بطريقة اسرع واشمل منها فى ميادين الانتاج الوطنى الاخرى .

ان وحدة نشاطنا تتطلب بمزيد من الحكمة ، ان نسير بخطوات متساوية فى كامل ميادين الجبهة الثورية ، وان نبذل قصارى جهدنا حتى نعطى التطور الفلاحى نفس التناسق الذى ستتسم به مسيرتنا نحو الاشتراكية ونتفادى الطرق السريعة .

اما الدليل المضبوط للدخل فتقدمه لنا الدولة نفسها ، اذ ان موظفى الدولة يتقاضون مداخيل سنوية تبلغ ٢٤٠٠٠ دينار فى العام ، من بين الاصناف التى هى احسن زادا نسبيا .

ومن ثمة يبدو من الواضح ان نأخذ بعين الاعتبار ـ فى نطاق تعميم الاشتراكية فى مختلف فروع النشاط بصفة تدريجية (كما هى الحال مثلا بالنسبة للمهن الطبية) ـ بحيث يجد اصحاب المهن التى تم ادخالها فى اطار الاشتراكية على هذا الغرار باحرازهم على صفة اعضاء الوظيف العمومى ـ يجدون انفسهم متساوين فى الوضعية المادية مع الموظف .

اذن يمكن ان نعتبر درجة ارتفاع المداخيل القصوى للوظيف العمومى كمقياس فى جميع الاجراءات الرامية الى تحديد المداخيل فى هذا الفرع من النشاط او ذاك .

وباعتبار هذا المقياس ـ فى الميدان الفلاحى بالخصوص ـ يمكن ان تحدد المساحات القصوى للملكيات .

اذا اردنا ان نفرض قاعدة معاكسة فان ذلك معناه من حيث المبدأ فرض المستحيل على الفلاح الذى يطمح الى مداخيل شبيهة بتلك التى يتقاضاها اصحاب المهن الاخرى ، ومعالجة مجموع المهنة الزراعية وكأنها مورد فقير .

الخلاصة

ان المساحات القصوى او المساحات المحددة ستضبط على اساس دخل مبلغ ٢٤٠٠٠ دينار فى السنة .

(و) ومن ثم فان المقياس المتعلق بتحديد مساحات الملكيات اصبح مضبوطا ويبقى لنا ان نحل المشكل الذى تطرحه وضعية صاحب الملك .

فهل يجب ـ وعلى اى اساس ـ ان نزيد من سعة المساحات المحدودة حسب عدد الابناء الذين هم فى كفالة صاحب الملك ؟

وبعبارة اخرى ، اذا كانت المساحة المستثمرة التابعة لصنف من اصناف الاراضى المستعملة لزراعة معينة ـ محدودة بصفة ما ، هل يجب ان نوسع هذا الحد ، ب ١٥٪ او ٢٠ ٪ مثلا على كل ولد فى كفالة صاحب الملك ؟

يبدو انه من الضرورى ان نجيب بالنفى على هذه الاسئلة بسبب طبيعة الاصلاح الزراعى نفسه ، اذ ان هذا الاصلاح يتمثل فى الواقع ، فى تغيير انظمة الملكية . ومن اللامنطقى ان ندخل على القواعد التى ستكون اساس هذا التغيير المستغل وعائلته ان وسائل عيشهم بقيت محفوظة .

الا انه لا ينبغى ، فى اى حال من الاحوال . ان تؤدى هذه الاملاك الاضافية بالمساحة التى تترك الى اصحاب الملك ، الى مستوى مفرط لا تحترم معه حدود المساحات القصوى المقررة لضبط الملكية المتوسطة ، لان المبدأ الاساسى لالغاء الملكية الكبيرة مبدأ ثابت .

الخلاصة

لا تمنح اى مساحة تكميلية للمساحة المأذون بها ، لاصحاب الاملاك المستغلين لكونهم يتحملون نفقة ابنائهم .

وخلافا لذلك ، ستمنح لصاحب الملك المستغل مساحة تكميلية عن كل ابن من ابنائه المتزوجين المقيمين فى ملكه والعاملين به . ولكن لا يمكن ان تؤدى هذه الاملاك الاضافية بالمساحة الاجمالية للملكية الى اكثر من ١٥٠٪ من المساحة المأذون بها .

ز ـ تطبيق المبدأ « الارض لمن يفلحها »

ان اجراءات التحديد ضرورية ولكنها مع ذلك غير كافية .

فهى تقتضى التطبيق الاتى للمبدأ الاشتراكى الكبير الذى ينص على ان لا تترك الارض لمن لا يزرعها بنفسه .

من الواجب اذن ان تسترجع الاراضى التابعة لملاك غير مستغلين ، لا القسم الفائض على الحدود المذكورة آنفا فحسب لكن فى مجموعها . ونقصد « بالمستغل » لكن تطبق هذه القاعدة . صاحب الملك المقيم فى ارضه والذى يستغلها بنفسه ، اى وحده او باستعانة اعضاء عائلته او ـ فى حالة استثنائية بمساعدة اليد العاملة ، اذا كانت هذه لا تشتمل على اى عامل يشتغل بصفة دائمة فى المؤسسة ، ولكن على عمال مؤقتين فقط .

وعلى كل حال فان هذه القاعدة تتضمن استثنائين ، الا وهما :

ـ الاول يتعلق بالملكيات الصغيرة التى لا يرجى من استرجاعها ، فى اطار الاصلاح الزراعى ، اية فائدة .

ـ والثانى فى صالح بعض الاصناف من الناس مثل الاشخاص العاجزين جسميا على استغلال الارض بانفسهم ، وعاجزى الحرب والارامل ، وغير

الراشدين وهذا الاستثناء المقبول على هذا النحو لا يعنى ، طبعا اصحاب الاملاك من اجراءات التجريد التى ستتناول مساحة الارض التى يحتفظون بها بصفة استثنائية .

ووفقا للقاعدة المذكورة آنفا ، فان المشتاعين غير المستغلين سيجردون من حقوقهم فى استغلال المستثمرة الزراعية (الذين يملكون على الشياع اراضى عروشية) .

كما سيجرد كذلك الاشخاص الادبية (ولا نقصد بطبيعة الحال المؤسسات الجماعية ذات النمط الاشتراكى والمسيرة ذاتيا بالخصوص . التى سنتكلم عنهما فى القسم الثالث من هذا التقرير) ستجرد من كل حقوقها فى استغلال الاراضى التابعة لها .

(ح) بما ان الاصلاح الزراعى يسجل فى المجرى الثورى الذى سيؤدى بنا الى الاشتراكية ، فمن البديهى جدا ان تعتبر كل عملية نقل بخصوص ملكية الاراضى — باستثناء الملكيات المتأتية من الوراثات (نقل متعلق بالتركة ، تقسيم ومزاد لعدم امكان القسمة) بعد فاتح نوفمبر ١٩٥٤ — تعتبر ملغاة فى نظر تدابير تحديد المساحات .

(ط) من واجبنا ان نحترم **الاملاك الموقوفة** ، لان ثورتنا يجب ان تحقق دون ان تمس المؤسسات السامية التى اورثتنا الايمان والتقوى .

وبما انه لا يوجد اى مواطن يستطيع ان ينال اية فائدة شخصية من هذه المؤسسات ، فان اراضى الحبس الخاصة ستلحق باملاك الحبس العمومية دون ان تدخل هذه الاخيرة بالطبع فى نطاق اى اجراء من اجراءات التجريد من الملكية وسيراعى الاختصاص الدينى فى هذا الميدان بكل دقة .

(اما التوضيحات والتطورات فستقدمها مصالح الاوقاف بالاتصال مع مصالح « الدومان ») .

(ى) سيعوض اصحاب الاملاك الذين تنتزع منهم ارزاقهم ، لان التعويض هو النتيجة الضرورية لمبدأ احترام الحق فى ملكية الاراضى .

اجل قد لا يكون فى الامكان بالنسبة لاقتصاد البلاد ، ان يتحمل فى الاونة الراهنة كل ثقل هذه التعويضات . ومن ثمة يبدو من الضرورى ان يمتد هذا الحمل على فترة معينة من الزمن (١٥ سنة) ويتم الاداء عن طريق سندات مالية ، اسمية وغير قابلة للتجميد قبل انتهاء هذه الفترة .

(المعلومات تقدمها مصالح المالية والتخطيط) .

تتكفل الدولة بضمان التعويض الذى سيكون موافقا للقيمة الحقيقية للاملاك المنتزعة .

الخلاصة .

ان العدول عن الانظمة الزراعية الراهنة يستوجب اذن ، احترام الفترات الانتقالية الضرورية .

ولكى يستخلف التوزيع الجديد لوسائل الانتاج احسن الامكانيات الاقتصادية الممكنة ، ينبغى ان نقوم باعمالنا فى كامل القطاعات ، مع مراعاة المعطيات الموجودة . وهذا صالح بالنسبة للاصلاح الزراعى مثلما هو صالح بالنسبة لكل اعمالنا الثورية الاخرى ، سواء فى ميدان الصناعة او التجارة او المهن الحرة .

ولا يمكن ان نلغى المرحلة الانتقالية ، لان ذلك يستوجب وجود جهاز سياسى منظم تنظيما كاملا ، وعددا من المنظمات الوطنية مؤطرة على اكمل وجه فى الميادين المختلفة من ميادين نشاطنا الاقتصادى والاجتماعى . وزيادة على ذلك ، فان هذا يقتضى ان تكون البلاد مجهزة بالاطارات الفنية الوطنية الضرورية لاداء المهام المتعددة التى يتطلبها الاقتصاد الحديث .

ولكن نحن لازلنا لم نصل بعد الى هنا ، لاننا لو وصلنا هذه الدرجة لكنا قد حققنا الاهم من اهدافنا لقد قلنا اننا لازلنا لم نصل الى الاشتراكية .

المشكل ، بالنسبة الينا يشتمل بالضبط فى الوصول الى هذه الاشتراكية .

ان الطريق الذى يقودنا اليها طريق صعب ومحفوف بالعراقيل واهون هذه العراقيل ليس ذلك السراب الذى من شأنه ان يوهمنا باننا قد اجتزنا مرحلة معينة فى حين اننا لا نزال فى بدايتها .

اذ ان المرور من غير مرحلة انتقالية ، من النظام الرأسمالى الى الاشتراكية ليس سوى نوع من هذا السراب .

وسوف لا نصل الى الاشتراكية الا بعد هذه الانتقالية الضرورية التى ينبغى ان نبذل اثناءها قصارى جهودنا لتدعيم وجودنا الوطنى ولتوفير الظروف اللائقة — انطلاقا من الوضعية الراهنة ودون انقطاع عن المعطيات التى تتضمنها فى جميع الميادين — لاقامة عهد الاشتراكية .

الفصل الثالث

مشكل التوزيع وكيفية استغلال الاراضى

ان اصلاح الانظمة الزراعية يتضمن عمليتين : عملية الخصم او استرجاع الاراضى من جهة ، وعملية التوزيع او تخصيص الاراضى المسترجعة بهذا الشكل ، من جهة اخرى .

لقد رأينا اقتصاد العملية الاولى . فلنر الان ظروف وكيفيات العملية الثانية ، ولكن ينبغى ان نقيم مسبقا وجودا « للمادة الاولى » التى سنعالجها اى لمجموع الاملاك المخصصة لعملية اعادة التوزيع .

١ — رقعة الاصلاح الزراعى

(ا) ان الاراضى التى تم استرجاعها خلال سنتى ٦٢ — ١٩٦٣ ([illegible] ٢٧٠٠ هكتار تقريبا) تشكل قسما هاما من القطاع الاشتراكى المسير ذاتيا .

ولا ينبغى ان يرد اسم هذه الاراضى ، من ناحية التوزيع ، الا للتذكير فقط اذ ان وحدات الانتاج فى هذا القطاع قد خصصت بعد ، وهى اليوم مسيرة من طرف العمال انفسهم حسب قواعد التسيير الذاتى .

الا انه لا ينبغى ان يغيب عن اذهاننا الحاق هذه الاراضى بما سنسميه عقارات الاصلاح الزراعى لانها ، كما هى الحال بالنسبة للاراضى التى سيقع استرجاعها بعد تطبيق التدابير ، مخصصة لعمال الارض ، ولها نفس المصير ، او بعبارة اخرى موقوفة على نفس الاختصاص ، بحيث ان هذه وتلك تشكل (او ستشكل) قسما من مجموع واحد خاضع لقواعد مشتركة .

واللوحة التالية تبين لنا توزيع الاراضى التى يشملها القطاع المسير ذاتيا فى الوقت الراهن بحسب الجهات :

(البيانات تقدمها مصالح الفلاحة والاصلاح الزراعى) .

(ب) تبين اللوحة ادناه من جهة اخرى ، مساحة الاراضى التابعة للدولة والتى من شأنهما ان يكون محل استغلال زراعى ومن ثمة محل تخصيص ايضا الى عقارات الاصلاح الزراعى :

(البيانات تقدمها مصالح الفلاحة والاصلاح الزراعى) .

(ج) اما الاراضى التى ستتوفر بعد تطبيق تدابير تحديد المساحات او ابعاد اصحاب الاملاك غير المستغلين ، فيمكن ان تقدر ، على وجه التقريب وباعتبار المساحات القصوى المبينة فى الفصل الثانى سابقا يمكن ان تقدر بالمساحات التالية فى كل عمالة (وطبيعى اننا نقصد ايراد بيانات تقريبية ، الغرض منهما اعطاء نظرة حول توزيع الاراضى الكائنة تحت التصرف) :

د — الاصلاح الزراعى لا يطبق على اراضى المرعى لان هذه الاراضى التى تقدر بنحو ٢٥٠٠٠٠٠ هكتار تستغل بصفة جماعية من طرف الاعراش التى تعتنى بتربية المواشى ، وفى هذه الظروف وباعتبار درجة سرعة المشاكل .

« البيانات تقدمها مصالح الفلاحة والاصلاح التى يتعين حلها لا يمكن ان يخطر ببالنا ان نمس بالنظام القانونى للاراضى التى لا يناقض استعمالهما الجماعى بالمرة مع اهداف الاصلاح .

(ه) زيادة عن الاراضى نفسها ، فان وسائل الاستغلال المادية التابعة لهما والتى ستنتزع هى الاخرى مع الاراضى ، ستخصص للاصلاح الزراعى .

لكن اذا كان من الواجب ان يدخل العتاد والبنايات فى ممتلكات الاصلاح ، فان المواشى خلافا لذلك يجب الا تدخل فى حسابه على الاطلاق ، وقل حبل

معاكس سيكون خطيرا للغاية ، وسيؤدى الى خيبة امل يخشى ان يعوق نجاح الاصلاح نفسه . فالاقتصاد وعلم الاجتماع والسيكولوجيا تقتضى الا تدخل المواشى على وجه الاطلاق فى مجال تطبيق التدابير التى ستسترجع الاراضى بمقتضاها .

(و) كل الاملاك المذكورة فى الفقرات ا،ب،ج، اعلاه تشكل اذن او ستشكل عقارات الاصلاح الزراعى .

من اللازم ان نبعد كل خطر من شأنه ان يتسبب فى التباس الوضعية القانونية لبعض هذه الاملاك .

فهل يمكن ان تعتبر ممتلكات القطاع الاشتراكى الفلاحى كممتلكات تدخل فى مجال الدولة ليس الا ؟

لا ، ما فى ذلك شك ، لاننا اذا وافقنا على مثل هذا التأويل ، فان ذلك يعد اعترافا للدولة بان تفعل ما تشاء بهذه الممتلكات ، لا تراعى فى ذلك الا مصلحة التسيير التى ترجع لها . كما ان ذلك يعد اعترافا للدولة بحق تحويل مصير هذه الممتلكات ، فى نطاق آفاق وراثية ضيقة .

غير ان الامر لا يمكن ان يكون على هذا الشكل لانه ليس فى الامكان ان نتراجع على مكتسبات الثورة . كما لا يمكن ان ننكر ان الارض التابعة سابقا للمعمرين ، والتى هى بعيدة عن ان تكون قطعة ما من املاك الدولة ، تشكل الملك المشترك — خلافا لما يعتقد — لمجموع عمال الاراضى ، والملكية الاجتماعية للعمال ، وعليه فان هذه الاراضى يجب ان تحتفظ بمصيرها طبقا لما اعدت له ، وليس هناك اى شخص ، وحتى الدولة نفسها — يستطيع ان يتصرف فيها باية صفة من الصفات ولا ان يغير اختصاصها .

وحتى لا يبقى اى شك يعترى هذا الموضوع البالغ الاهمية ، ينبغى ان نبين فى القانون الزراعى بان مجموع الاراضى كانت او ستكون محل اعادة توزيع ، ستخصص للاصلاح الزراعى اى :

— ممتلكات القطاع الاشتراكى الحالى .

— الممتلكات التابعة للدولة حاليا والتى سيعترف بصلاحيتها لاستغلال فلاحى محكم .

— واخيرا الممتلكات التى تتوفر بعد تطبيق تدابير تحديد المساحات او ابعاد اصحاب الاملاك غير المستغلين .

الخلاصة .

وعليه فان كل هذه الاراضى ستخصص لعقارات الاستغلال الزراعى ، وهكذا ستكون خارجة عن ملك الدولة الاعتيادى غير خاضعة لقواعد التصرف المعمول بها فيما يخص املاك الدولة ، بل ينطبق عليها القانون الزراعى وما يتبعه من الانظمة وكذلك التشريع الخاص بقطاع التسيير الذاتى الاشتراكى فيما يتعلق بتخصيص الوحدات الانتاجية بصفة جماعية .

٢ — الاطار البلدى للاصلاح الزراعى

(ا) ان قضية الاصلاح الزراعى الهامة لا يمكن تسويتها بكيفية مرضية فى اطار المركزية .

وفى الحقيقة اذا كان من الواجب ان تستخلص المبادىء الكبرى لهذا الاصلاح على المستوى المركزى فان تطبيقها يجب ان يتم ، بالعكس ، على المستوى المحلى .

(ب) يتعين اذن ان نعين البلدية كاطار لهذا الاصلاح ، لانها خلية تنظيمنا الاقليمى ، لاسيما ان اساس هذا التنظيم هو الارض نفسها .

اما فيما يخص الاصلاح الزراعى بذاته ، فان تبنى الاطار البلدى ومعناه قبل كل شيء ان « المادة الاولى » للاصلاح ، اى مجموع الاراضى المسترجعة وكذلك اراضى الدولة التى يمكن استغلالها ، تشكل فى كل بلدية عقار الاصلاح الزراعى .

(ج) ان الاراضى التى تشكل العقار البلدى للاصلاح الزراعى — لكى يصبح هذا الاصلاح ممكنا فعلا — يجب ان تكون متخلصة من كل رهن عقارى او تبعية او كراء او اى عقد آخر من شأنه ان ينقص او يحد من حرية التصرف فى اطار الاصلاح لذا ينبغى ان يصفى القانون الزراعى كل هذه الوضعيات .

(د) ان الاطار البلدى بالنسبة للاصلاح الزراعى ضرورة ملحة ، بحيث انه .

اى الاطار البلدى سيكيف بصفة مضبوطة مع المهام الراجعة الى الخلية الاجتماعية — الاقتصادية — الادارية فى القاعدة ، هذه الخلية التى ستصبح بلدية فى نطاق الاصلاح البلدى الذى يجرى تحضيره فى الوقت الراهن .

لانه ، اذا كان هذا الاطار المحلى هو احسن اطار مكيف مع عمليات الاسترجاع والتوزيع ، فهو كذلك ضرورى بالنسبة لاداء كل المهام الاخرى التكميلية للعملية الزراعية البحتة .

ومن غير شك ، سيجد تعديل الانظمة الزراعية تعديلا آخر فى احتلال الارض اثر اعادة توزيع المستثمرات .

وهذا سيقتضى على القيام باعمال تجهيزية هامة فى جميع الميادين ، مثل :

— تعبيد الطرق للاتصال بالمستثمرات الجديدة ،

— التنقيب عن مياه جديدة وتعبئتها لارضاء حاجات الموزع عليهم والمواشى وكذلك الزراعات الموجودة فى المناطق المسقية .

— تشييد بنايات وضيعات ومحلات للاسكان .

وفى الواقع ، سيكون لنا — فى بعض البلديات التى تتسع فيها رقعة الاصلاح الزراعى — ان تشرع فى انشاء قرى جديدة ، وفى البعض الاخر ان نحقق مساكن جديدة على الاقل .

ان مهاما عديدة بقدر ما هى معقدة مثل هذه لا يمكن القيام بها على وجه اكمل الا اذا كانت مدرجة فى اطار مجموعة من المهام المدروسة عن ادراك وتفكير وباعتبار الحاجيات والتنمية المنسجمة لكل منطقة يمسها الاصلاح .

والاندفاعات المفيدة واعمال التنسيق الضرورية ينبغى ان تتم ممارستها تحت رقابة ادارات الدولة المسؤولة عن اصلاح الاقليم . وفى آن واحد — حتى تلبى على احسن وجه ممكن وباقل التكاليف ، الضروريات الجغرافية والاقتصادية والسوسيولوجية والتقنية — يجب ان تكون هذه القرى الجديدة او هذه المساكن الجديدة مطابقة لتصميمات اصلاح الاقليم التى تضعها السلطات .

ولكن الاطار الذى سيتم فيه اعداد هذه التصميمات وانجازها ، سيكون حتميا اطار الخلية الترابية للقاعدة ، اى الاطار البلدى .

لان العناية الاحتياطية بالحاجيات وتحقيق الانجازات التى ترضيها فى ميدان التجهيز ، ترجع الى البلدية سواء كانت هذه العناية تتمثل فى القيام بتنظيم المواصلات والمياه او فى العمل على انجاز بنايات ذات طابع صناعى او سكنى .

اما ادارات الدولة المكلفة سواء بالاشراف على مختلف هذه الاصناف من العمليات فى ميدان تحضير تصميمات الاصلاح الاقليمى او الفنى الخاص بكل صنف من اصناف الانجازات — فانها ستقدم التقنية كما ستقدم الدولة مساعدتها المالية ، ولكن يجب ان تقدم هذه المساعدات فى اطار الخلية البلدية ولفائدتها وحسابها .

اذن ، يقتضى الاصلاح الزراعى — لكى ينال النجاح — اقامة عهد البلدية الريفية بوصفها الشخص الادبى ، الراشد والمسؤول .

وعليه فان مصير الاصلاح الزراعى مرتبط بمصير الاصلاح البلدى ، بحيث يتوقف انجاز كل منهما على الاخر ، من الامور الحتمية اذن ان يسير هذان الاصلاحان فى جبهة واحدة وبنجاح .

٣ — مشكل توزيع الاراضى والعقارات البلدية للاصلاح الزراعى

(ا) ان قاعدة احترام الملكية الخاصة الموجودة لا تفرض علينا ضرورة خلق ملاك جدد فى المستقبل بان توزع الاراضى العقارية البلدية على الفلاحين توزيعا يخولهم حق الملكية .

(ب) بل ، على العكس ، يجب ان يكون مجموع هذه الاراضى التى تشكل العقارات البلدية للاصلاح الزراعى ، كيفما كان اصلها ، ملكا مشتركا غير قابل لان يصبح ملكية خاصة ، كما هو الشأن بالنسبة لـ ٢٧٠٠٠٠٠ هكتار التى انتزعت من المعمرين وكل الاملاك التابعة للقطاع الاشتراكى .

لقد اخترنا التسيير الذاتي كأحسن وسيلة لبلوغ اهدافنا .

وكلما تبين لنا ان الاستغلال الجماعي لوحدة من وحدات الانتاج اصبح ممكنا فان القاعدة التي ينبغي ان نسير عليها هي ان نسند هذه **المرحلة الى الاستغلال الجماعي في نطاق التسيير الذاتي .**

(ج) قد يحدث على كل حال ان يكون الاستغلال في اطار التسيير الذاتي غير ممكن وذلك اما ان تكون هذه الاراضي، بحكم طبيعتها ، لا تتضمن امكانيات كافية لتكون صالحة لاستغلال جماعي محكم . واما انها تشكل قطعا صغيرة لا تصلح لهذا النوع من الاستغلال او ان بعض الفلاحين الموزع عليهم بسبب — عقليتهم الفردية او نقص كفاءاتهم — لا يستطيعون المشاركة في مثل هذا الاستغلال .

لذا يتعين ان يخول المسؤولون عن الاصلاح الزراعي — اذا ثبت الاستغلال الجماعي في اطار التسيير الذاتي غير ممكن — ان يخولوا القدرة على تخصيص الاراضي بصفة فردية ، اى توزيعها على الافراد .

وعندها يتعين ان نذكر ان التخصيص معناه انتفاع الفلاح بما تنتجه الارض. بصفة خاصة لا ملكية الارض . وهكذا يستطيع الفلاح ان يستغل الارض بصفة فردية ، ولكن لا يستطيع ان يتصرف فيها كما يشاء كما لا يستطيع بالخصوص ان يبيعها .

غير ان تخصيص حق الانتفاع هذا سيكون ذا صفة ابدية ، وهكذا يشجع الفلاح في هذه الاراضي على تركيز المصروفات الضرورية لصيانة وتحسين العقارات .

٤ — مشكل مساحات المستثمرات المخصصة للمستفيدين من التوزيع

(ا) هذا المشكل اثناء مرحلة توزيع الاراضي هو مشكل مماثل لمشكل تحديد مساحات الملكيات الحالية او بقية منه .

الا انه لا يطرح بنفس العبارات كالمشكل السابق ، وذلك لسبب جلي الا وهو ان اجراءات الاسترجاع تعتمد في انطلاقتها على الانظمة الموجودة الموروثة عن العهد الماضي ، في حين ان اجراءات توزيع الاراضي موجهة باعتبار المستقبل لا غير ، من اجل اقامة الاشتراكية .

(ب) ليس هناك من الناحية الزراعية البحتة مشكل يتعلق بالمساحات المستثمرة المخصصة لجماعة العمال في اطار التسيير الذاتي ، وعلى الاجهزة المكلفة بتطبيق الاصلاح الزراعي في المستوى البلدي (انظر الفصل الرابع ادناه) ان تبادر — في كل حالة من الحالات وحسب الضروريات التقنية للمستثمرة — بتحديد مساحات الوحدة الانتاجية الزراعية المسيرة ذاتيا .

اذن ، لا نستطيع ، في القانون الزراعي ، ان نفكر في تحديد المساحات الدنيا او القصوى لوحدات الانتاج التي تستغل في اطار التسيير الذاتي .

(ج) خلافا لذلك ، فان مشكل المساحات المستثمرة سيطرح بالنسبة لقطاعات الاراضي المخصصة بصفة فردية ،

ينبغي ان تكون المستثمرة الفردية :

— منحصرة المساحة من جهة ، حتى يكون الفلاح قادرا على استغلالها وحده او بمساعدة عائلته ، ولا يمكن في اى حال من الاحوال ان يستفيد من المدخول الذي تدره عليه الارض اذا كانت هذه القطعة هامة جدا واذا التجأ الفلاح الى اليد العاملة الخارجية لاستغلالها . لذا يجب ان تقلع كل بذور الكسب من المستثمرات الجديدة ، والوسيلة الوحيدة المقبولة التي ينبغي التشجيع عليها لمعالجة الصعوبات العالقة بالمساحات الصغيرة لهذه المستثمرات تتمثل في التعاون .

— ومتسعة بعض الشيء من جهة اخرى ، حتى يستطيع الفلاح ، بفضل جهده الشخصي ومبادرته بوصفه منتجا مسؤولا ، وبفضل مصروفاته على هذا العقار ان يحصل على مستوى معيشة مماثلة لمستوى عمال القطاعات الاقتصادية الاخرى .

اذ انه في الواقع من المطابق لضروريات الوحدة الثورية ، ان يملك عامل — في نطاق التطور المتوازن لاقتصادنا — الامكانيات اللازمة لبلوغ مستوى معيشة مماثل لمستوى عمال القطاعات الاقتصادية الاكثر حظا اليوم ، وذلك في اقرب وقت ممكن .

(د) كذلك ينبغي ، عند تخصيص الاراضي بصفة جماعية ، ان يكون عدد العمال الذين تخصص لهم وحدة انتاجية ، محل اعتبار بحيث يستطيع هؤلاء المنتجون الذين هم مسؤولون جميعا ، ان يحرزوا — بفضل مجهوداتهم المشتركة وفي نطاق التطور المذكور اعلاه — على مستوى معيشة مماثل لمستوى منتج القطاعات الاقتصادية الاخرى .

الخلاصة

ان توزيع الاراضي ينبغي ان يتم بصورة معينة بحيث لا تكون الوسائل الموضوعية تحت تصرف الموزع عليهم :

— ذات اهمية كبرى ، حتى نتحاشى كل خطر من شأنه ان يؤدي الى تشكيل صنف يتمتع بامتياز ويستفيد من «الدخل» في المستقبل .

— او ضئيلة جدا ، لانه ينبغي ان يكون عامل الارض قادرا على بلوغ مستوى معيشة مماثل لمستوى العمال الاخرين .

٥ — مشكل اختيار المستفيدين من التوزيع

(ا) من الواضح ، عند تطبيق مبدأ الاستغلال في اطار التسيير الذاتي ، ان يكون العمال الموجودون قبل ذلك في الاراضي المعنية بالامر هم المستفيدون — بطبيعة الحال — من الاصلاح على وجه الاولوية .

(ب) الا انه يمكن ، حتى في هذه الحالة العامة المذكورة اعلاه ، ان نوجه الى مستفيدين آخرين لاستغلال المؤسسة المسيرة ذاتيا ، وذلك علاوة على العمال الموجودين بها من قبل .

في هذه الحالة ، وكذلك في حالات التخصيص للمستغلين الفرادى ، ينبغي ان نحدد اختيارنا ودرجة الاولوية بين المرشحين المستفيدين . لان كل الفلاحين الذين **لا يملكون اراضي او يملكون شيئا غير كاف ، لا يستطيعون ان يستفيدوا من التوزيع مع الاسف .** اذ انه يظهر من اول وهلة ان الاملاك الموجودة تحت التصرف لا تسد حاجياتنا . ونحن لم نضمر ابدا ان الاصلاح الزراعي لوحده، لا يمكن ان يأتي بالحل الكامل لمشكل قلة الشغل في اريافنا : فهو ليس الا عنصرا من هذا الحل ، وبما ان تصنيع البلاد هو التتمة اللازمة للاصلاح الزراعي فينبغي ان ينوب عن هذا الاصلاح ، او على الاصح ، يسير معه جنبا لجنب .

(ج) ان الاولوية التي يتعين اثباتها بين المرشحين يجب ان تخص بالدرجة الاولى اولئك الذين لا يملكون ارضا وشاركوا في كفاح التحرير الوطني ، اولئك الذين بفضلهم اصبح الاصلاح الزراعي اليوم ممكنا ، ونعني قدماء المجاهدين .

ثم يأتي ارامل الشهداء ويتامى الحرب (باعتبار ما سنقوله فيما بعد في الفقرة — د —) ثم العمال والفلاحون بدون ارض .

وفي كل صنف من هذه الاصناف تعطى الافضلية بطبيعة الحال الى ارباب العائلات الكبيرة .

(د) بالقياس الى المبدأ الذي يقول: ان الارض ستنتزع من الذين لا يستغلونها بانفسهم ، فان المستفيدين في المستقبل سيجبرون على ان يستغلوا الاراضي التي تخصص لهم بانفسهم (بصفة جماعية في حالة التسيير الذاتي العامة او بصفة فردية في الحالات الاخرى) .

اذن ، ليس هناك اية امكانية للموزع عليه في اثبات اى عقد ، مهما يكن نوعه، يتعلق باراضي الاصلاح الزراعي : اجارة عقد مزارعة (الخمسة) او غيره .

وبما ان الاستغلال الشخصي اجباري ومفروض على المستفيد فانه يجب ان يكون هذا الاخير يتمتع بالصلاحية الجسمية وبالغا سن الرشد .

من المناسب ان نذكر ان الاولوية المنصوص عليها لصالح قدماء المجاهدين ثم لصالح ارامل ويتامى الحرب تفترض ان شروط الصلاحية الجسمية المذكورة اعلاه متوفرة في المعنيين بالامر ، نظرا لان ارملة الشهيد وابنه غير الراشد يعتبران كافراد تتوفر فيهم هذه الشروط اذا كانا يستغلان هذه الارض

بالفعل وقادرين على القيام بتحسينها .

لقد وافقنا ، عندما درسنا اجراءات استرجاع الاراضي ، ان تتضمن قاعدة التجريد من حقوق الملكية التي ستجرى على كل اصحاب الاملاك الذين لايستغلون عقاراتهم بانفسهم ، استثناء الاشخاص العاجزين جسميا على ممارسة النشاط الزراعي وبالخصوص عاجزي الحرب والارامل والابناء غير الراشدين .

وعلى العكس من ذلك ينبغي ، الا نسمح باي استثناء يطرأ على قاعدة الاستغلال الشخصي فيما يخص عملية توزيع الاراضي .

اذ ان عملية الاسترجاع ستطبق على وضعية كانت موجودة قبل اليوم فتعدلها ، ومن ثمة فهي تستوجب الاستثناءات اللازمة اي التصحيحات التي لا مفر منها في كل عمل صادر من مرحلة انتقالية ، حتى لا يؤدي بنا ذلك الى اقتراف اثم خطير في حق اولئك الذين ضحوا بارواحهم في سبيل قضية الاستقلال الوطني . اما عملية التوزيع فهي على العكس ، ستنجز باعتبار المستقبل لا غير ، اي عملية التوزيع ، ستخلق اوضاعا جديدة تماما ، وفي هذه الحالة لا يمكن ان نوافق على ان يطرأ اي استثناء على قاعدة اساسية من قواعد تشييد الاشتراكية في الميدان الزراعي . لان الاستثناء في مثل هذه الحالة لا تبرره المرحلة الانتقالية وبالتالي سيكون بمثابة انتهاك للمبدأ ولهذا لا يمكن السماح به .

(هـ) واخيرا يطرح اختيار المستفيدين مشكلا اجتماعيا هاما .

اذ ان الغرض الاساسي من الاصلاح الزراعي يتمثل في الحقيقة — في المدى القريب بالخصوص وفي انتظار تصنيع البلاد يتمثل في العمل على تخفيض قلة الشغل في اريافنا .

اما التوزيع الجغرافي للاراضي التي تتكون منها العقارات البلدية للاصلاح الزراعي فهو بالاجمال كما يلي : حسب تقديرات المصالح الفنية في كل عمالة على حدة (سنقدم في نفس الوقت وفي كل عمالة على حدة ، الارقام الاجمالية لسكان الريف) .

البيانات تقدمها مصالح الفلاحة

يتبين من خلال هذه اللوحة ان مساحات الاراضي التي ستتكون منها العقارات البلدية للاصلاح الزراعي ستكون اكثر اهمية نسبيا منها في الجهات حيث يكون سكان الارياف اقل اهمية نسبيا .

وهذا معناه ان الاراضي الموجودة تحت التصرف موزعة بصفة متناقضة مع الحاجيات في مختلف الجهات فحيث تزداد هذه الحاجيات تنقص الارض والعكس بالعكس .

وملاحظة مثل هذه ليست غريبة ، لان ضغط الفئات الفلاحية الفقيرة في الجهات التي تندر فيها الارض ، اشد منه في الجهات التي هي اكثر رخاء نسبيا .

وهذا الضغط من شأنه ان يخفض مساحة المستثمرات الفردية ، كما من شأنه ان يخفض اليوم رقعة الاصلاح الزراعي نفسها .

ومهما يكن من شيء فاننا امام الواقع : ستكون الارض الموجودة تحت التصرف قليلة كلما وجدنا انفسنا في جهة تشتد فيها حاجتنا الى هذه الارض .

هل ينبغي ان يعتبر هذا التوزيع بمثابة معطيات لا تتغير فيما يخص اراضي الاصلاح الزراعي في جهة من الجهات او على الاصح في بلدية ما لان البلدية هي الاطار الذي سنحقق فيه الاصلاح ، هل ينبغي اذن ان نعتبر ان فلاحي هذه البلدية هم الذين لهم الحق وحدهم في الاستفادة من تخصيص الاراضي في اطار التسيير الذاتي ؟

او انه ، على العكس ، لا ينبغي ان نعتبر ان تبني البلدية كخلية محركة في تطبيق الاصلاح معناه . اقامة حواجز بين مختلف البلديات اذ ان الفرق بين بلدية واخرى هو الفرق بين العمالات او الجهات الجغرافية لا اكثر ولا اقل أليس هناك اي تقسيم في الحقيقة يمكن ان يفرض وجود حواجز بين العمالات او الجهات اذ ان البلاد واحدة والوحدة الوطنية حقيقية .

واذا احتفظنا لفلاحي البلديات او الجهات المختلفة باراضي الاصلاح الزراعي الموجودة تحت التصرف بينما تحتفظ البلديات او الجهات الفقيرة او الشبيهة بالفقيرة من الارض ، بجمهور فلاحين بدون ارض — فاننا لا نزيد على ان نأتي بحل سيزيد من حد الفروق القائمة اليوم بين جهاتنا الغنية والجهات التي يشتد فيها ضغط الفلاحين الفقراء .

ان حلا مثل هذا غير ممكن ، ولا نستطيع ان نشرع في اصلاح زراعي يقتضي ذلك .

ان عملا عظيما مثل الاصلاح الزراعي لا يمكن ان ينجز على وجه اكمل الا اذا حظي بمساعدة الشعب كله . ولا يمكننا ان نتقدم على هذه المساعدة الا اذا كانت الحلول التي نقدمها لمشكل الاصلاح الزراعي حلولا وطنية حقا ، يعبر فيها تعبيرا كاملا عن التضامن الضروري بين البلديات والجهات .

اذ انه ينبغي ان تكون كل اعمالنا الكبيرة ، اليوم وغدا ايضا ، مركزة باعتبار ضرورة توطيد وحدتنا الوطنية .

وفي الخلاصة ، في استطاعة الفلاحين القاطنين في الجهات الفقيرة ان يكونوا من بين المستفيدين من الاراضي الكائنة في الجهات التي ترتفع فيها قلة الشغل والضغط الفلاحي ارتفاعا نسبيا .

يجب ان يكون الاصلاح الزراعي فرصة لابراز وحدة وطنية حقيقية فعالة ومثمرة .

كما يجب ان يكون الاصلاح الزراعي فرصة لبذل مجهود في سبيل تساوي وضعية عمال الارض في مجموع البلاد .

ويكفي على كل حال ان نتفادى في هذا الميدان على ازدراء : ان الاجراءات المحددة هكذا لا ينبغي على الاطلاق ان تسفر عن تحويل السكان بصفة تزيد او تقل عنفا . فالاشتراكية التي نرمي اليها لا ترتضي هذه الطرق التي ندينها ونرفضها على وجه الاطلاق . بل بالعكس ، ينبغي ان يكون الفلاحون المعنيون بالامر احرارا في حكمهم ، احرارا في ان يقبلوا او يرفضوا اراضي الاصلاح الزراعي التي يمكن ان تخصص لهم في بلدية غير البلدية التي يقيمون بها ، والاشياء الوحيدة التي يتعين على مسؤولي الاصلاح الزراعي ان يضمنوها ، بكيفية فعلية ، للفلاحين الذين يهمهم الامر هي :

امكانية الاستقرار في جهة اخرى ، من جهة ،

— وحرية الاختيار المطلقة بين البقاء في مكان الاقامة الاول او الرحيل ، الى جهة اخرى .

وبطبيعة الحال سيجبرنا الحل الذي يتبناه من يهمه الامر ، على ايجاد حلول للمشاكل التي يطرحها استقرار هؤلاء المهاجرين .

وعلى وجه الخصوص ، يجب ان تحل مشاكل السكن التي ستطرحها تنقلات العمال .

اجل ، ان مشاكل السكن ومشاكل الاصلاح الاقليمي بصفة عامة ، ستطرح في مجموع البلديات حيث ستجرى تخصيصات عامة (الفقرة الثانية اعلاه)

غير ان هذه المشاكل سيصعب حلها سيما وان الذين تخصص لهم الاراضي سيكونون مقيمين جددا وان ظروف استقرارهم ستكون لها اهمية اساسية في نظرهم لنجاح هذه التجربة . ولذا فانه ينبغي الاعتناء بصفة خاصة بتسوية الصعوبات التي ستبرز في هذا الميدان .

٦ — مشكل التعاون في الفلاحة

ا — ان التنظيم الاجتماعي للقطاع الفلاحي يعتبر قضية لا تطرح في الاراضي التابعة للاصلاح الزراعي فحسب ، ولكنها تطرح بالخصوص في المستثمرات الصغيرة في القطاع التقليدي .

وسيكون الاصلاح الزراعي غير كامل اذا لم يتضمن نشاطا يرمي الى تنظيم الجمعيات والتعاونيات بين الفلاحين .

ومن ثم يتحتم القيام بهذا النشاط في القطاع التقليدي بالخصوص ، لان المستثمرات المنخفضة المساحة التي تعتبر الجمعية التعاونية ضرورة حيوية بالنسبة اليها — موجودة في الحقيقة بهذا القطاع وبالخصوص في الجهات التي يشتد فيها الضغط الفلاحي المشار اليه آنفا .

ب — واذا ما وجدت جنبا الى جنب في بلدية معينة مستثمرات من القطاع التقليدي واخرى من الاراضي التابعة للاصلاح الزراعي فمن المناسب طبعا ، ان نعمل على تنمية تعاونيات مكونة في

ان واحد من فلاحي القطاع الاول والفلاحين الذين تخصص لهم اراضي الاصلاح الزراعي بصفة فردية وليس المقصود من هذا العمل هو توليد مستثمرات مسيرة ذاتيا عن هذه التعاونيات ولاينبغي ان يوجد اى تفريق بين هذين القطاعين

لانه اذا جمعنا من تخصص لهم اراضي الاصلاح الزراعي بصفة فردية في تعاونيات ذات صبغة امتيازية موقوفة عليهم لاغير

ـ فقد ينتج عن ذلك تناقض مزدوج :

تناقض من جهة مع مبدأ اصلاح التعاونية نفسه ، الذى معناه جمع المنتجين المتميزين عن بعضهم لبلوغ هدف مشترك ؛ لا لاقامة حواجز وفروق بين هذا وذاك .

ـ ومن جهة اخرى تتناقض مع الضرورة المعترف بها اعلاه في ان يتضمن الاصلاح الزراعي نفسه نشاطا يرمي الى ترقية التعاون بالخصوص في القطاع التقليدى .

ج ـ هل تتكون التعاونيات بحرية ؟

لا يمكن ان نجيب عن هذا السؤال الا بنعم لسبب انه قد يوجد هنا ايضا تناقض مطلق بين الدور المحتم على المتعاونين والمعنى العميق للتعاون او جوهره اذا فضلنا .

ان التعاون يقتضي قبل كل شيء تكرم من يتقبله ، مادامت خطوات المتعاون تعتبر مساهمة يقدمها الى المجموعة : مساهمة مالية : حتى ولو كانت متواضعة، ويوجدا بتقديم اعمال يدوية بالخصوص. اذن فالمتعاون ينضم الى التعاونية معطيا قبل كل شيء لا طالبا .

وهناك عدم تلاؤم كامل بين مفهوم التعاون ومفهوم الارغام : اما ان يكون التعاون حرا او لا يكون تماما .

وبناء على ذلك ، فان تنمية التنظيم الاجتماعي للانتاج سيكون من عمل الفلاحين انفسهم : لا يتم الانخراط في التعاون الا بصفة تطويعية . والطريقة الوحيدة التى يمكن لمسؤولي الاصلاح الزراعي والانتاج الفلاحي بصفة عامة ، ان يستعملوها في هذا الميدان تتمثل في تسهيل التعاون مع الفلاح بكيفية غير مباشرة على الانخراط فيه ، عن سبيل الفوائد الخاصة التى ستقدم للمتعاونين في شكل فوائد جبائية ومساعدة تقدمها المصالح والاجهزة العمومية بالخصوص.

د ـ في امكان المسؤولين البلديين عن الاصلاح الزراعي ان يعملوا على انشاء تعاونيات لا في القطاع التقليدى طبعا ، ولكن بين المستفيدين من اراضي الاصلاح ويعتبر هذا العمل كطريقة خاصة في التطبيق لا خروجا عن القاعدة المذكورة سابقا .

وحتى لا نمس مبدأ حرية الانخراط على كل حال ، ينبغي ان نحتاط لهذه الانخراطات الاوتوماتيكية في هذه او تلك التعاونية ، في عقود تخصيص الاراضي التى تستغل بصفة فردية ، ومن ثمة نحتاط لها مسبقا في التخصيصات . م فالمرشح المخصص له الذى يقبل التخصص سيقبل في نفس الوقت وعن علم بالقضية، الانخراط في تعاونية ما .

ستبرر هذه القاعدة اذ انه ينبغي ان يكون الاصلاح الزراعي لقطاع الاراضي ـ بالنسبة لتركيز التعاونيات وتنميتها وبالنسبة لكل نشاط اخر من نشاط المؤتمرات ـ ان يكون قطاعا نموذجيا ديناميكيا يبين الطريق . اذن ، من اللائق ان تنصب فيه التعاونيات اللازمة لبعث هذه المؤسسة بعثا فعليا ؛ من اول نشأته .

هـ) يجب ان تجهز التعاونيات بالمؤسسات التى تعوزها اليوم او التى ليست مكيفة مع حاجياتنا الوطنية فضلا عن ضرورياتنا الاساسية

فالعقود اذن ، هو اعداد قانون اساسي للمتعاون بمجرد اصدار القانون الزراعي .

ودون ان نتعرض هنا لمعالجة مشكل التعاون ، فاننا مع ذلك نشير الى انه ينبغي ان تحدد في هذا القانون الاساسي المبادىء التعاونية الكبرى والظروف العامة لتطبيقها :

ـ حرية الانخراط والانسحاب .

ـ راس المال الاجتماعي المتكون من حصص الاعضاء .

ـ التسيير الديمقراطي المباشر من طرف مجموع المتعاونين في حالة ما اذا كانت التعاونيات صغيرة ، او بواسطة اجهزة منتخبة من طرف الجميع في حالة ما اذا حصل العكس ، ولكل متعاون صوت واحد مهما تكن حصته ونوع مشاركته .

ـ الاجرة المتناسبة مع العمل .

زيادة عن هذا الزاد التأسيسي ، فانه ينبغي ان يتلقى التعاون كل المساعدة اللازمة لانطلاقه من طرف الحزب والدولة والمنظمات الوطنية .

يتلقى مساعدة مالية قبل كل شيء ، بانشاء نظام للقرض مكيف مع القطاع التعاوني .

ثم مساعدة فنية ، بوضع اطارات القاعدة بالخصوص تحت تصرف التعاونيات ، اذ ان تكوين المدربين في عين المكان (تكوينا عمليا سريعا جدا) للقيام بدور الاطارات الفنية لفلاحي القطاع التقليدى ، يعتبر نقطة انطلاق ضرورى لتوجيه سكان الريف نحو الاشتراكية. ذلك ان الاصلاح الزراعي ينبغي ان يكون بالضبط بمثابة دليل يقودنا في الطريق الى الاشتراكية .

اما موضوع التعاونيات التى ستنشأ في هذا الاطار فيمكن ان يكون متنوعا لان التعاون الفلاحي سيتطور بصفة آتية في اشكاله الثلاثة الكبرى التالية :

ـ تعاونيات خدمات ، لضمان تموين المستثمرات ، او تحويل المنتوجات او تسويقها ، القيام ببعض الاعمال ، او بخدمتين او اكثر من هذه الخدمات المشتركة .

ـ تعاونيات عمل مشترك او تعاونيات متساعدة تستعمل فيها وسائل الانتاج بصفة مشتركة من طرف الاعضاء لكن هذه الوسائل تبقى ملكا خاصا لكل واحد من هؤلاء .

ـ تعاونيات انتاج ، حيث تكون وسائل الانتاج ، جماعية وحيث يؤدي كل واحد عمله مقابل اجرة .

الا انه يتعين ان تتحاشى كل غموض هنا يمكن ان يطرأ من جراء استعمال عبارات غير صحيحة في بعض الاحيان، لوصف هذه الكيفية او تلك من كيفيات الاستغلال .

لكن في الواقع ، كل وحدة انتاجية تكون محل تخصيص جماعي في نطاق الاصلاح الزراعي لا يمكن ان تسير الا بمقتضى الشروط المنصوص عليها بخصوص التسيير الذاتي . اذن فالمقصود هنا ليس انشاء تعاونيات انتاجية ، ولا اعطاء العمال المستفيدين من هذه التخصيصات الجماعية صفة المتعاونين بل هم اعضاء من مجموعة عمال يستغلون في مستثمرة مسيرة ذاتيا بقانونها الاساسي المحدد طبقا لتشريع التسيير الذاتي .

الخلاصة

يجب ان تمكن الخلاصة المتعلقة بتوزيع اراضي الاصلاح الزراعي من تحديد هياكل محاطة بها اى بهذه العمليات ، بحيث يكون كل مستفيد من التوزيع مالكا للوسائل التى من شأنها ان تمكنه من بلوغ مستوى معيشة مجموع العمال المستغلين في وحدة من وحدات الانتاج . وذلك في نطاق التنمية المتوازنة لمختلف فروع اقتصادنا .

سيتم التوزيع ، كلما اصبح ذلك ممكنا اما في شكل تخصيصات ارضية يقدم بصفة جماعية لكل عمال الوحدة الانتاجية ، في اطار قواعد التسيير الذاتي واما عن طريق تخصيص قطع ارضية تعطى بصفة فردية في صورة امتياز ابدى بالانتفاع الاستغلالي .

سيتبع عمليات التوزيع هذه عمل تكميلي شامل ينبغي القيام به في الاطار العام للاصلاح الزراعي ، لدى الفلاحين المستغلين قطعهم الارضية بصفة فردية وبالخصوص في القطاع التقليدى الفلاحي، وذلك لكي نؤسس ونطور التعاون بين المعنيين بالامر .

ان تنمية التعاون ستكون ، من دون شك ، احدى المهام التى يصعب تحقيقها، لانها تقتضي ان يكون سكان الارياف يتمتعون بمستوى معين من التربية بحيث تتمكن المنظمات الوطنية من حل مشاكل رفع الامية والتكوين وتأطير جمهور الفلاحين بصفة آنية ، اذا اردنا ان يصبح النظام الاجتماعي للقطاع التقليدى عن طريق التعاون حقيقة ملموسة ، لذا يتعين علينا ان نعمل بدون انقطاع على نجاح هذا المشروع الذى هو من اهم مشاريع الاصلاح الزراعي .

اذ ان هذا العمل ، في الحقيقة ، شرط متمم لاصلاح انظمة الملكية العقارية ، ومن ثم ينبغي ان يكتسي كل معنـاه العميق النابع من الانسانية والتضامن بين جميع عمال الارض ، وباختصار ، ينبغي ان يكون توطئة لاقامة عهـد الاشتراكية في مجموع القطاع الفلاحي.

الفصل الرابع

المبادىء المتعلقة بتشكيل واختصاصات أجهزة الاصـلاح الزراعي

ان الشروع في الاصلاح الزراعي يتمثل في تطبيق المبادىء المستخلصة في الفصلين السابقين من هذا التقرير في عين المكان وتسجيلها في القانون الزراعي واذا كانت هذه المبادىء بسيطة نسبيا فان تطبيقها على صعيد الواقع وفي « عين المكان » سيكون صعبا .

وعندما تكون الغاية هو القيام بعمل واسع ومعقد مثل الاصلاح الزراعي ، فلا يمكن ان نسنـد مهمة تحقيقه الى وسائل التنفيذ العادية الموجـودة تحت تصرف السلطات العمومية .

ما هي هذه الوسائل الاستثنائيـة التي ينبغي تعيينها لهذا الغرض ؟ او بعبارة اخرى ماذا سـتكون الاجهـزة الخاصة للاصلاح الزراعي التي ينبغي انشاؤها لتحقيق هذا الاصلاح في اطار القواعد التي يحققها القانون الزراعي ؟

ا ـ ان نقطـة الانطـلاق والـدليل الاساسي هي كما يلي :

ان الاصلاح الزراعي جاء من اجـل عمال الارض ويجب ان يتم على ايـدي هؤلاء العمال انفسهم .

وهذه قاعدة بسيطة ومعقولة لا تثير المناقشة على ما يبدو لا سـيما انهـا مطابقة :

ا ـ القاعدة الديمقراطية التي تقتضي ان يسوى المعنيـون بالامـر بانفسـهم الشؤون التي تهمهم من جهة .

ـ للضرورة التي تتطلب منا ان نقوم بتعبئـة كل طاقات الفلاحين من اجـل ضمان نجاح العملية من جهة اخرى .

ب ـ ولـكي يستطيع المعنيون بالامر ان يحققوا بانفسهم وبصفة مباشرة هذا الاصلاح ينبغي ان يكون الاطار الـذي سيجرى فيه الاصلاح محصـورا حتى يمكن ان تدرس فيه المشاكل التي تتطلب الحل بكيفية مضبوطة وواقعية .

اذن يبدو ان الاطار البلدي هو الاطار الصالح في مرحلة تنفيذ اجراءات الاصلاح الـزراعي .

اذن انه يجب ان تصبح البلدية بمثابة خلية القاعدة للبلاد ، والنواة الحية لكل نشاط جماعي فالاصلاح البلدي ومبدأ اللامركزية المستمد منه يتطلب ان يعتمد كل عمل وطني واسع على هذه الخلية المحلية وبهذه الكيفية يساهم في تقويه الديناميكيـة وسـنجعل من البلدية بتزويدنا اياها بمواضيع العمل ، لنشاط وحيوية محلية ولكن اي موضوع واي مبحث يمكن ان نقدمه الى بلدياتنا الريفية احسن من موضوع الاصـلاح الزراعي ؟

وهكذا يتبين لنـا ان النتيجة التي قادتنا اليها الملاحظات المسـجلة اعلاه نتيجة اكيدة ، يبدو من المناسب ان نربط ، في المناطق الريفية ، الاصـلاح البلدي بالاصلاح الزراعي حتى يتمم احدهما الاخر .

ونختم قولنا اذن بانه من الضروري ان ننصب الجهاز البلدي المكلف مباشرة بتنفيذ الاصلاح الزراعي على المسـتوى البلدي نفسه .

ج ـ بمـا ان الهياكل الفلاحية غير موجودة ، فان الامر يرجع للحـزب في القيام بمهام الشرح والتأطير مبـاشرة وكذلك بدفع الحماس الضروري لنجاح العملية .

اذن سيلعب الحزب دور المحرك للاصلاح الزراعي

اذ ان دور اخبار الفلاحين الراجع اليه دور اساسي ، لان الاصلاح سيكون اكثر نجاحا واكبر فائدة للبلاد والثورة بقدر ما يفسر احسن تفسير من حيث طبيعته واسسـه واهدافه ولمن جاء من اجلهم ولمن يجب ان يتم على ايـديهم مباشرة ومن ثمة ينبغي ان تسخر جميع وسائل الاعلام الممكنة ، مثل الصـحافة والاذاعة والتلفزيون وكذلك وسـائل المنصب الوطنية التي يقوم الحـزب بتعبئتها حتى تؤدي ، على احسـن وجه ممكن ، مهمة الاخبار الرئيسية هذه .

كما ان مهمة دفع الحماس وتعبئـة جمهور الفلاحين الراجعة هي الاخرى الى الحزب ، مهمة عظيمة ، وينبغي القيام بها على الوجه الافضل طوال المدة التي تستغرقها عمليـات الاصـلاح بل حتى تتشكل الاجهزة الفلاحية بصفة فعليـة وتصبح قادرة على ان تتولى بنفسها زمام الامور .

ومن جهة اخرى قد يحدث ـ بخصوص المعارضة التي سيصطدم بها الاصـلاح الزراعي بصفة عامة ولو قدرنا انهـا ستكون ضئيلة ـ قد يحدث ان يتمكن اصحاب الاملاك من معارضة الاصلاح او من عرقلة تطبيقه عـلى الاقل في بعض الجهات ، عند اجراء عمليات الخصم ، وذلك لسبب نفوذهم الشخصي الذي يمكن ان يسلط على السكان المحليين او على البعض منهم .

ان الحل في مثل هذه الحالة يتمثل طبعا في تدعيم نشاط الحزب في هـذه الجهات بخصوص التأثير والشرح ، وسيكون الاصلاح الزراعي حينئذ فرصة لتنظيم الحزب في هذه الجهات بتوطيد فكـرة الصلاح نفسه ، ومن ثم يمكن ان نقول ان تطبيق الاصلاح الزراعي وتـدعيم اجهزة الحزب المحلية سيسيران في ركب واحد يدفع الاول الثاني والعـكس العكس .

د ـ ان الجهـاز المكلف بتطبيق اجراءات الاصلاح الزراعي في المستوى البلدي (الذي سنسميه المجلس البلدي للاصلاح الزراعي) سيوضع تحت اشراف ممثل الحزب في البلدية . وتشـتمل اعضاؤه على

ـ رئيس المجلس البلدي الذي يمثل مجموع البلدية .

ـ ممثلون محليون عن ادارة الدولة التي يهمها الامر (الفلاحة ـ الدومان) .

ممثلون عن مزارعي البلدية يعينهم الحزب ومن بينهم ، وجوبا ممثلون عن المستثمرات الفلاحية المسيرة ذاتيا (اذا كانت هذه المستثمرات طبعا موجودة في البلدية) وممثلـون عن التعاونيـات واصحاب الاملاك المستغلين في القطـاع التقليدي ، وعمال المزارع او المستغلين غير الملاك .

على الوزارة المكلفة بالاصلاح الزراعي ان تضمن القيام بكتابة المجلس البلدي عن طريق مصالحها المحلية .

هـ ـ اذن ستكون المجالس البلـدية للاصلاح الزراعي العامل الاهم في تحقيق هذا الاصلاح .

الا انه يبقى ، كما لاحظنا ذلك آنفا عملا من الاعمال الوطنية ، اي عملا تقرر على مستوى وطني من طرف مسؤولي البلاد في مجموعهم وفي اعلى مسـتوى وهذا امر لاجدال فيه ، ولكن يجب ان يكون هذا الاصلاح كذلك عملا وطنيا في ميدان التنفيذ . اذ اننا ذكرنا ان الاصلاح يجب ان يطبق بكيفية تخفض اكثر ما يمكن تخفيضه من الفرق بين الجهات الريفية الغنية والاخرى .

ان هذه النقطة الاخيرة ، وكـذلك ضرورة المراقبة التي هي من اختصاص السـلطات العمـومية ، حتى تجيء الاجراءات المحددة في مختلف البلديات متلاحمة بين بعضها لا تنحرف عن المبادىء والقواعد المحددة في القانون الزراعي كل هذا يفرض علينا ان ننصب ، فوق المستوى البلدي ، اجهزة مكلفة بمراقبة تطبيق الاصلاح الزراعي .

ولكي نستعمل الاصلاح الذي تبنيناه بالنسبة للبلدية ـ ينبغي علاوة عـلى المستوى البلدي انشاء مجالس للاصلاح الزراعي في مستوى التقسيمات الادارية الكبرى للبلاد اي مجالس عمالية مـن جهة ، ومجلس وطني للاصلاح الزراعي في القمة من جهة اخرى .

و ـ ان المجلس الوطني والمجـالس العمالية للاصلاح الزراعي سـتكون تكونه بطبيعة الحال حسب نفس المبادىء

التي يعتمد عليها تكوين المجالس البلدية، كما اشرنا اليها اعلاه (في الفقرة ج) اي التكوين الثلاثي :

ممثل عن الحزب .

ممثل عن ادارة الدولة .

ممثل عن عمال الارض ».

(كان من الطبيعي ان نضيف ، في المستوى البلدي ، ممثل البلدية نفسها رئيس المجلس البلدي) .

ـ تسند الرئاسة الى ممثل الحزب ، محرك العملية في كل المستويات ، لانه من الغلط الخطير في المبدأ نفسه الا تسند الرئاسة الى ممثل الحزب في مستوى من المستويات المذكورة ، اذ انه ينبغي ان تشكل جميع اجهزة الاصلاح الزراعي بدون استثناء مجموعة واحدة ، كما ينبغي ان تكون الظروف الضرورية لسير هذه المجموعة منسجمة كل الانسجام في جميع المستويات قائمة في اطار التنظيم المحرك لعملية الاصلاح وبما ان الحزب هو هذا النظام المحرك فانه يجب ان تسند رئاسة اجهزة الاصلاح الزراعي في كل مستوى الي الحزب واليه وحده .

ز ـ تسند رئاسة المجلس للاصلاح الزراعي الى رئيس المجلس الوطني للثورة ونيابة الرئاسة الي عضو من المجلس المذكور مكلف بالمسائل الزراعية اما اعضاؤه فهم :

ـ اعضاء المجلس الوطني للثورة والامانة التنفيذية للحزب المكلفون بالمسائل الزراعية والفلاحة بالخصوص
ـ اعضاء الحكومة .

ـ ممثلون عن عمال الارض من الاتحاد العام للعمال الجزائريين (ممثلون عن عمال القطاع المسير ذاتيا ، والعمال الزراعيين وصغار الملاك المستغلين وممثلون عن القطاع التعاوني) ».

وهكذا يتشكل المجلس الوطني من مسئولين سياسيين او نقابيين لا غير ولا يشتمل على اعضاء خبراء ، لان دوره دور سياسي بحت اذ انه يتمثل في دفع عمليات الاصلاح الزراعي، وفي السهر على ان ينجز هذا الاصلاح طبقا للقواعد العامة المحددة في القانون الزراعي وحسب مبادىء الثورة .

في استطاعة المجلس على كل حال أن يستشير هذا الموظف السامي أو تلك الشخصية ذات الاختصاص اذا رأى ذلك مفيدا ، لكن هؤلاء الاشخاص لايستطيعون في أي حال من الاحوال أن يشاركوا في مداولاته .

على الامانة التنفيذية للحزب ان تضمن القيام بكتابة المجلس الوطني .

ح ـ تسند رئاسة مجلس الاصلاح الزراعي في مستوى العمالة الى ممثل الحزب في هذا المستوى ».

ويشتمل المجلس على :

ـ ممثلو الوزارات الاتية في مستوى العمالة : وزارة الفلاحة والاصلاح الزراعي ، ووزارة الدفاع الوطني ، الوزارة المكلفة بأراضي الدولة (الدومان) وزارة الاشغال العمومية، وزارة الاوقاف

ـ ممثلون عن عمال الارض من الاتحاد العام للعمال الجزائريين (ممثلين عن عمال القطاع المسير ذاتيا ، والعمال الزراعيين ، وصغار الملاك المستغلين وممثلين عن القطاع التعاوني)

على الوزارة المكلفة بالاصلاح الزراعي ان تضمن القيام بكتابة المجلس بواسطة مصالحها في مستوى العمالة .

ـ لقد أكدنا أن العامل الاهم في تحقيق الاصلاح الزراعي هو المجلس البلدي .

حيث انه سيكون مكلفا في الاطار الترابي للبلدية بتنفيذ كل الاجراءات المتعلقة بالاصلاح ، وسيتمتع ، في النطاق العام الذي سيرسمه القانون الزراعي باوسع مايمكن من امكانيات المبادرة .

كما سيكلف بمهمة اخبار الفلاحين حتى يتم هذا التنفيذ في أحسن الظروف .

اما القرارات التي تتخذها المجالس البلدية سواء فيما يخص التجريد من الملكية أو التعويض او التخصيص فانها لاتنفذ الا بعد المصادقة عليها بقرار من نائب العمالة وباقتراح في هذا المعنى من طرف المجلس العمالي للاصلاح الزراعي .

لانه ينبغي القيام بالمراقبة الضرورية قبل ان يصبح القرار ممكن التنفيذ وذلك تطبيقا للمبدأ القائل بالمراقبة المزدوجة . لكن المجالس البلدية ـ بالاعانة الفنية التي تقدمها مصالح الدولة والاجهزة الوطنية مثل (الديوان الوطني للاصلاح الزراعي) .

ـ هي التي ستقوم بانجاز القسم الاساسي والاهم من هذه الاعمال .

واخيرا لكي يتمكن المجلس الوطني للاصلاح الزراعي من مراقبة تطبيق المبادىء والتعليمات التي ستعطى الى مختلف المسؤولين لتمكين سكان الجهات المفقيرة من الاستفادة من تخصيصات مستثمرات الجهات الفنية بأراضي الاصلاح الزراعي (انظر الفصل الثالث) ـ يتعين على عمال العمالات ان يقدموا حسابا من تنفيذ هذه التعليمات اثناء الاعلان عن التخصيصات .

في امكان المجلس الوطني ان يلغي القرارات المتعلقة بالتخصيصات التي يمكن أن تكون غير مطابقة لهذه التعليمات

ي ـ اما فيما يخص النزاعات فانها ترفع بطبيعة الحال امام محاكم الحق العام اذ انه لاداعي لتنصيب محاكم استثنائية يمكن ان تعاكس مبادىء اعادة التنظيم القضائي الذي تم حديثا .

ك ـ يجب الا يتم تنفيذ اجراءات الاصلاح بكيفية مستعجلة .

وهكذا ينبغي في الاشهر الاولى من تطبيق القانون الزراعي ، أن نلتزم ببرنامج يتناول بعض الملكيات الكبيرة التي لاتثير صعوبات خاصة ، فنختار اولا اراضي بعض الملاك المشهورين بغيابهم عن الاراضي والذين يتحملون عملية التجريد من الملكية بسهولة نسبية .

في أمكان مجالس الاصلاح الزراعي اثناء فترة «المصقل»(روداج)، أن يقوموا بتسوية الحالات البسيطة التي ترفع امامهم ، الامر الذي يمكنهم من تهذيب معارفهم لكي يصبحوا قادرين في المستقبل على القيام بعمليات التجريد من الملكية بصفة مرضية ومتممة بالنسبة لمجموع الحالات التي ينص عليها القانون الزراعي

لاينبغي ان يكون القانون الزراعي ـ ماعدا في مبادئه ـ يتسم بالصلابة ، كما لاحظنا ذلك في عدة مناسبات ، بحيث تجد الاجهزة المكلفة بتطبيقه هامشا واسعا على صعيد التنفيذ . ومن ثمة ينبغي ـ مع ترك حرية الحركة للمجالس البلدية في اداء المهمة الراجعة اليها ـ ان تكون المجالس العليا (في مستوى العمالة اولا ثم في المستوى الوطني) على اتصال دائم بالاجهزة المحلية حتى تتمكن من ممارسة الرقابة اللازمية .

اذ انه من الواجب الا تتسم أبدا اجراءات التطبيق بالعسف ، بل ينبغي ان تكون اجراءات عدل وحكمة .

وباختصار يتعين ان تمارس الرقابة لغاية واحدة ، الا وهي ان يكون القانون الزراعي محل تطبيق واضح ونزيه ، والا يقع التنازل أبدا عن الاشياء الرئيسية أي عن المبادىء التي تحدد نشاطنا السياسي .

لكن ينبغي على العكس من ذلك ان تتسم كيفيات التطبيق في تفاصيله باكبر مايمكن من المرونة ».

٢ نظام البلديات

لانزال الجماعات المحلية ، عقب نيل الاستقلال تسير وفقا للقواعد التى ورثتها من نظام الاستعمار .

واذ أن التاسيس البلدى الموضوع لجماعات محلية تخدم طبقة ممتازة ، قد أصبح الان فى وضع لايتوافق مع تطلبات اختيارنا الاشتراكى ولاسيما مع مهام التنمية الاقتصادية التى يفرضها ذلك الاختيار .

واذ ان البلدية وهى مسيرة على كيفيات صعبة مجردةمن كل مبادرة بناءة سواء كان فى التخطيط الخامس بمساهمتها فى انجاز اهداف التنميه الوطنية او فى مخطط توفير الحاجات المحلية ،وهى بالتالى محرومة من الموارد الضرورية للنفقات الناجمة من الاعباء الثقيلة المتزايدة اكثر فاكثر فانه لا يسودها اى اساس ادارى واقتصادى ومالى وانسانى مما لابد منه لانطلاقها لتنويره .

ولمعالجة هذا الوضع ،فقد رؤى انه لا بد من اعادة تقييم الاساس البلدى والقيام بوضع انظمة اساسية جديدة وتجهيز البلدية الجزائرية الجديدة بالاطارات المتوافقة مع مهمتهــا الجديدة .

١ ــ الاصول والمساعب المتعلقة بالادارة البلدية الحالية

لا تزال البلديات فى الجزائر، الى الان، خاضعة لسلسلة من النصوص المتشابكة التى كانت وضعتها السلطة المحتله السابقه بسائق همها الرامى لتوسيع وتنظيم الاستعمار .

وهذا هو الحال الذى كانت عليه قبلا ((المكاتب العربية)) (بيرو عرب) المؤسسة منذ العام ١٨٤٤ والذى كانت طريقته أن تسير الدائرة المحليه مباشره من قبل ضباط جيش الاحتلال الذين كان همهم القيام بالاشراف السياسى على السكان وقبــض الضرائب والفرض على السكان لانتاج المواد الضرورية لتغذية الجيش .

وهكذا كان حال البلديات المختلطه ابتداء من العام ١٨٦٨ . فكان لهذه البلديات صبغة اصطناعية من حيث انها كانت تشكل من دواوير بلديات ومراكز استعمارية التى اصبحت فيما بعد مراكز بلديات، فكانت والحال هذا بدون تجانس .

فكان يديرها موظف من الاداره الاستعمارية ،متصرف المصالح المدنية يساعده القواد وهم موظفون جزائريون خاضعــون للادارة نفسها، وتساعده ايضا لجنة بلدية اعضاؤها اوربيون كانوا ينتخبون وحدهم واعضاء جزائريون معينون، وبصورةجزئية اصبح هؤلاء الاخيرون ينتخبون ابتداء من العام ١٩١٩ .

فلم تكن الديمقراطية تسلك ظاهريا الا فى نطاق جماعات الدواوير ،بيد ان سلطتها كانت محدودة على اعتبار الدواوير ــ البلديات كانت ملحقة فى تنظيم البلدية المختلطة .

وبالمقابلة للبلديات المختلطة كانت توجد البلديات ذات التصرف التام فى المناطق التى يسكنها العدد الهام من الاوروبيون . وكانت هذه البلديات خاضعة لقانون ٥ ابريل عام ١٨٨٤ بيد ان القواعد السارية ،لم تكن لتطبق الا لصالح الاقلية الاوربية، وكانت نسبة المستشارين الجزائريين فيها بمعدل ٣ ــ ٤ وعلاوة على ذلك كان تمثيل هؤلاء المنتخبين فى أكثر الاحيان منــازعا فيه .

وان امتداد التشريع المنبثق من قــانون عام ١٨٨٤ عــلى مجموع البلاد لم يطبق فعلياء فلم يكن فى الحقيقة القضاء البلديات المختلطة الذى صدر بالمرسوم المؤرخ فى ٢٨ يونيو سنة ١٩٥٦ الا تدبيرا حتمته ظروف استهدفت به عرقلة عمل كفاح التحرير الوطنى فكان ضباط القسم الادارى الخاص يدير البلدية فى الواقع وقتئذ ويحوز الى حد ما اختصاصات سلفه الاول والبعيد :ضابط ((المكاتب العربية)) .

وتتميز الفترة السابقة للاستقلال بأن المؤسسات البلدية لم تستعمل كأداة لخــدمة الادارة فقط ســواء اكانت مدنية او عسكرية ولا سيما فى المناطق الجنوبية وبقصد تلبية مصالح الاقلية الاوروبية .

ونتيجة هذا التطبيق فان المؤسسة البلدية لم يكن يعتبرها الشعب الجزائرى بنانا كقضيته الخاصة وفى خدمة مصالحه.

واذا كان التطبيق الخاص بالمؤسسات البلدية فى بعض الحالات ذا فاعلية ومنفعة لوجهة نظر الاقلية الاوربية التى ساهمت على أوسع مدى فى المحافظة عليها ، فانها كانت على النقيض من ذلك، ثقيلة العواقب لشعبنا الذى لم يكن يملك اية امكانية للاهتمام بالشئون المحلية .

وتتضح جليا هذه العواقب فى تحليل الصعوبات التى تواجهها بلدياتنا منذ الاستقلال .

ان المغادرة الجماعية والفجائية لموظفى البلديات الاداريين التى واكبها فقدان الاطارات الجزائرية البعيدة المتضلعة فى مهام الادارة البلدية، قد اوقعت البلديات فى حالة خطيرة جدا.

ان عدم خبرة المسيرين والمستخدمين للبلديات الجدد المعينين بصورة سريعة للقيام بتسيير المصالح الادارية البلدية قد أدى الى توتر التدبير الذى تضاعف به الاختلال الادارى .

ان الميزانيات الاولى الموضــوعة ببطء كبير كانت تتضمــن تقديرات من المدخولات والنفقات التى لا تراعى اية شروط جديدة مصطبغة على وجه الخصوص ببطء النشاط الاقتصادى.

وان الماليات البلدية قد نجم عنها فى الواقع تناقض خطير فى الموارد رافقته زيادة محسوسة فى النفقات .

وهكذا كان مردود الانتاج الخاص بالرسوم عن النشاط المهنى قد خفض الى النصف بسبب الاختفاء شبه التام للمواد الجبائية الخاصة بالتكليف بالضريبة، المتولد بنفسه من الحالة الحاصلة فى بلادنا فى مدى سبع سنوات حرب قاسية بالنسبة لطاقتنا البشرية ومضنية بالنسبة لثروتنا .

ومن جهة اخرى فان تشعب الطرق الخاصة بالتكليفــات الجبائية المحلية قد ادى ،بالرغم عن تفانى المصالح الجبائية خلال سنى الاستقلال الاولى، الى عدم استقرار الموارد البلدية بصورة خطيرة .

واخيرا فان دخل الثروات غير المستقلة او المسيرة بصورة سيئة قد اثر ايضا وتسبب فى التخفيض المتزايد المحسوس.

وتجاه هذه الحالة فان النفقات لا تزال تتزايد من جــراء الواجبات الاجتماعية الموضوعة على عاتق البلديات .

ان نفقات الموظفين الناجمة من وفرة عددهم وكذلــك المشاركات فى اعباء المساعدة وبصورة اعم المساعدة الممنوحة للمحتاجين المعوزين المتزايدى العدد قد رفعت مبلغ هذه النفقات الى حدود بالغة .

وفى هذه الاحوال فان توازن الميزانيات البلدية المصطبغة

بنقص غير مطابق للنفقات وبزيادة اصطناعية للموارد ، لم يمكن في الواقع تحقيقه الا بمساعدة الدولة بواسطة الاعانات .

ويتجلى مجموع هذه الصعوبات المالية بعدم امكانية البلديات من القيام بتحقيق التجهيزات الاجتماعية الاولية مع اسبقية الضروريات لصالح الجماعات الفلاحية التي تعرضت للضيم الشديد خلال حرب التحرير .

فان الدولة قد اضطرت في مرحلة اولى ، لتنظيم التمرين الخاص بالتكوين المهني والتدريسي لصالح موظفي البلدية الجدد الذين كانت لجهودهم وحسن نيتهم الدور المشكور في مكافحة التخلف الاداري .

وفي مرحلة ثانية كانت الدولة مدفوعة ايضا بصورة تدريجية لتحل محل البلديات قصد تزويد الجماعات المحلية بتجهيزات اجتماعية اولية وتحقيق تجهيزات الاساس التي تستهدف تحسين المستويات والدخل المتوسط للفلاحين على وجه الخصوص .

وهذا الوضع جعل الدولة تنقاد لفرض قيود في الميزانية ولإصلاح حالة الديون والقروض المتراكمة من البلديات منذ مغادرة الأوربيين .

فاذا نجم عن تدابير هذا الظرف رفع الماليات البلدية فانها على النقيض من ذلك قد وضعت البلديات في حالة من الارتباط المالي لا ينطبق مع التنمية الاقتصادية المحلية التي تفرضها اللامركزية في الموارد المالية كما في المبادرات الادارية والاقتصادية والاجتماعية .

وقد عمدت الدولة على نفس الطريقة ولنفس الاسباب، في العام ١٩٦٣ الى ضرورة التجزئة الاقليمية التي خففت بصورة محسوسة اعباء تسيير البلديات واقسامت لهذه الاخيرة اساسا ماليا وانسانيا اكثر نفعا .

وفي الواقع ، أن الـ ١٥٣٥ بلدية التي اصطنعت السلطة المحتلة سابقا تحديدها لم يكن لها، لذلك الحين، اى تجانس يحتمه حسن تسييرها .

لكن المجموعة هذه من التدابير التي فرضتها اعتبارات النظام ومشاغل حسن التسيير الاداري والمالي لايمكن أن يكون لهـا سوى آثار محدودة .

فوجب بحكم الضرورة ان تسبق هذه المسكنات وتحضر الاساس الجديد الكامل للنظم الاساسية البلدية، على مرام جديدة ومطابقة للامركزية وسائل الموارد والمبادرات التي لا تزال مفقودة في بلدياتنا .

وهذه الضرورة من اللامركزية المعلن عنها والتي اهملت خلال الثلاث سنوات المنصرمة منذ الاستقلال كانت مع القانـون الاساسي العام للوظيفة العمومية ، احدى المهام الاساسية التي التزم بها مجلس الثورة والحكومة منذ ١٩ يونيو سنة ١٩٦٥ .

٢ — التأسيس البلدي الجديد

فمن خلال الواقع السياسي ، المرتبط في الاشتراكة الجديدة لثورتنا ، مع طموح شعبنا وحتمية التنمية الوطنية ، قد حضرت نصوص هذا الامر ، فيعطى للبلدية الجديدة تعريف واسع لدورها ومهامها

وفي الواقع، أن البلدية وهي الخلية القائمة في تنظيم البلد قريبة بما فيه الكفاية من حياة الناس في اطاراتهم الاجتماعية ونشاطاتهم كي تؤسس سلم القاعدة النموذجية لادارة البلد، وبصورة خاصة تكون اهلا على حدة لتسيير جميع الانجازات التي يجب ان تكون متوافقة لتوفير الحاجات الجوهرية للسكان.

وهكذا يوضح تعريف البلدية وتعادلها وثبتها في اطارها الحقيقي الذي يكون نقطة انطلاق تنمية اقتصادنا وتحسين تنظيمنا الاداري .

فالبلدية هي في نفس الوقت خلية الامة، وتكون الوحدة الداخلة بالدولة ، لتقوم بواجب خدمتها فتكون وحدة لامركزية تتكلف بالتطبيق المباشر لاعمال التنمية المناطة بها ولخاصيتها .

وعندما لا يمكن للبلدية ان تقوم بمفردها بهذه الاعمال كما ينبغي فقد تقرر النص على انشاء مجموعات من البلديـات ونقابات اختصاصية او ذات توجيهات متعددة .

لقد تيسير اللجوء لمثل هذه المجموعات كلما اقتضت الحاجة اليها فتسهل امكانية انطباق اختصاصاتها الاقليمية في نطـاق الدوائر الادارية، كما انه روعي الاحتياط بالنسبة للمقاطعة في المستقبل، وهذا المرمى ينطبق على الهدف الرامي الى توافق عمل البلديات لانجازات واسعة المدى تقتضي تضامنا فعليا بين البلديات .

غير انه يجب في الدرجة الاولى كي يكون اختصاص البلدية المطلق في جميع الميادين منتجا على صورة أوفر ، أن تحوز البلديات كامل السلطة الضرورية وتلبي المتطلبات الديمقراطية للجماعية والانتخاب .

وان احكام هذا الامر تؤكد بصورة قاطعة هذا المبدا الاساسي وتنص :

١ — على مجلس تفويض منتخب الا وهو المجلس الشعبي البلدي من أعضـاء منتخبين في اقتراع عـام من قـائمة اعدها الحزب . وتلك القائمة تشمل عددا من المرشحين مساويا لضعف عدد المقاعد المقررة لتلبية مقتضى روح الديمقـراطية المتأصلة في شعبنا .

ب - على جهاز التنفيذ ، الا وهو الهيئة التنفيذيـة البلدية المكونة من أعضاء ينتخبون من بين افراده من قبـل المجلس .

كما يجب في الدرجة الثانية أن تتمكن الاجهزة البلدية من تحمل مسئوليات واسعة وممارسة اختصاصاتها في نطاق مؤسسات الدولة .

ان هذا القانون يخص البلديات بدور رئيسي في المجتمـع الجزائري المقبل ، فتضاف الى المهام التقليـدية للبلدية ، اختصاصات جديدة في المسائل الاقتصادية لاسيما التي تشتمل منها على العنصر الاساسي لنظامنا الاشتراكي فيكون بنفس الوقت احد العناصر المحركة لتنميتنا .

وتكون الوظائف الادارية للبلدية امتدادا وتكميلا لعمـل الدولة وذلك بسبب ممارستها بعض الاختصاصات في مـادة التسيير الاداري العام وبعض السلطات الشرطية .

وفي ميدان التجهيز والانعاش البلدي ، تتولى البلدية المبادرة لحصر الحاجات محليا وتوضيح الترتيبات ذات الافضلية بين النشاطات الواجب الشروع بها وفقا لاهداف التنمية البلدية وتعرض من ثم على سلطات الدولة عمليات التجهيز العمومي الواجب انجازها في نطاق البلدية .

وان البلدية ، في مهامها الاقتصادية الجـديدة ، تجـد مساهمتها في التنمية العامة للاقتصاد ناميا بفضل دور التنسيق والتوجيه ومراقبة النشاطات الاقتصادية المؤسسة في ارضها.

فتكون المبادرة والدفع والاحداث والحث على الشروع ضمن شروط حسنة الوضوح من عمل البلدية في جميع القطاعات .

وان هذا القانون يحدد ايضا للبلدية المسؤوليات الدقيقـة في الميدان الاشتراكي والثقافي كي تضمن الحاجات الرئيسية لاعضاء الجماعة .

واذا كانت هذه المهام ضخمة فمما يكون مستبعدا ، ان تتمكن البلدية من القيام بها بمفردها وبحجة اولى اذا كانت تتعارض مع المستلزمات الوطنية .

فهذا هو السبب الذي من اجله كان دور واختصاصات كل

جهاز في البلدية قد توضحت وحددت لممارسة هذه المهام، وان الاجهزة البلدية تتدخل كل منها في نطاق ميدانها تبعا للقواعد وطرق التسيير المطابقة لنوع اختصاصها .

وعلاوة على ذلك ، لكي يؤمن للمبادرات الخاصة بالبلدية فان الاسس الضرورية واللجان الاختصاصية التي تمتزج في علاقات المجلس التفاوضي وهيئة التنفيذ ، تحقق وتحضر المقررات الهامة للجماعة .

وتتم على نفس الصورة ممارسة هذه المهام الجديدةفي نطاق قانوني حسن الوضوح سواء كان بالنسبة للمصالح العمومية او للنشاطات ذات الصبغة الاقتصادية .

ولهذا الغرض جرى تحديد الطرق الخاصة بتسيير مصالح البلدية ومؤسساتها .

وتضاف الى هذه النصوص التنظيمية والادارية المراقبة الموافقة لسلطة الوصاية المنصوص عليها في القانون وذلك لابعاد البلديات الجديدة للحؤول من اتخاذ مقررات غير متوافقة مع المتطلبات الوطنية .

تمارس هذه الرقابة على الاخص بوساطة الوصاية العمالية الاقرب بالوقت نفسه من السلطة المركزية والحقائق المحلية والتي تكون بوسعها التوفيق الحتمي المستقل للبلديات ومشاركاتها الوثيقة في المتطلبات الوطنية . ولكن تتمكن الاجهزة البلدية في الدرجة الثالثة من انجاز المهام الجديدة المناطة بالبلدية ، فلابد من ان تكون المالية البلدية التي يكون قد شرع في اصلاحها ، مهيأة ايضا وفقا للقواعد الجديدة .

وان شروط اعداد الميزانية والمحاسبة البلدية قد وضحت كما ان نوع الموارد والنفقات قد حددت مع مراعاة النشاطات الجديدة للبلدية .

وان الشاغل الخاص بتخفيف اعباء التسيير لصالح قطاعات التجهيز والاستثمار قد لوحظ جيدا في النظام الاساسي الجديد للميزانية البلدية .

وقد تضاعف هذا الشاغل في القانون من جراء الزام البلدية بانجاز النشاطات الخاصة بالانتاج في حدود مواردها ومع مراعاة مقتضى التوازن المالي في حدود الوسط على الاقل من هذه النشاطات .

وفيما يتعلق بالموارد البلدية ، التي تغذي تقليديا من ناتج الجباية والاموال فقد خصص مجال واسع في القانون لفائض وارباح نشاطات الانتاج التي تقوم بها البلدية سواء كان للتسيير او سواء كان للانعاش أو للرقابة والتنسيق .

واخيرا فان القانون قد نص ، للحؤول دون تعرض البلدية لاخطار عدم الاستقرار الخاص بالموارد الجبائية على تأسيس صندوق بلدي الضمان تسيره هيئة مالية عمومية .

وبنفس الوقت لكي يمكن البلديات المحرومة من القيام بتحقيق الاستثمار فقد كلف صندوق بلدي للتضامن بان يؤدي لها التخصيصات والاعانات الخاصة بالتجهيز .

ويقتضى لهذا الصندوق للقيام بتوسيع الجهود المالية التي سيقدمها لبلديات الجنوب على وجه الخصوص ولامد طويل ايضا ، بان يقدم مساعدة واسعة من الدولة يؤيدها متنوع استغلال ثروات باطن الارض الصحراوية .

فهذا هو الاقتصاد الملخص بموجز نصوص هذا الامر .

والتطبيق يجب ان يتمم ويكمل على قواعد جديدة مخصصة لضمان تركيزها التدرجي وحسن سير جميع الانظمة الادارية والاقتصادية والمالية للاسس البلدية الجديدة .

ويبقى ايضا ، لمراعاة خاصيات جميع الاصناف المتصلة بحالة المراكز العمرانية والصناعية الكبرى ، موضحا بموجب التعريف المتعلق بقوانينها الاساسية الخاصة .

ويجب ان تحمل هذه القواعد الجديدة العامة والخاصة بالتأسيس البلدي ، جميع الاصلاحات المخصصة لتثبيت الاطار الاساسي للدولة ولا سيما ما يتعلق منها بالنظام الجبائي والتنظيم الاداري المعمم .

فيقتضيها جهد متواصل ووقت للتكييف مرهون هو ذاته بتجربة الرجال المكلفين بمسئوليات الحياة المحلية .

الكتاب الاول ـــ تنظيم البلدية

الباب الاول ـــ التنظيم الاقليمي

الفصل الاول

تعريف البلدية واسمها وحدودها الاقليمية

القسم الاول : تعريف البلدية

المادة ١ : البلدية هي الجماعة الاقليمية الادارية والاقتصادية الاجتماعية الاساسية .

وتحدث البلدية بموجب قانون .

المادة ٢ : للبلدية اسم ومركز يديرها مجلس منتخب هو المجلس الشعبي البلدي الذي يتالف من مستشارين بلديين .

القسم الثاني : الحدود الاقليمية

المادة ٣ : ان تعديل الحدود الاقليمية للبلديات تم على أساس فصل جزء من أراضي بلدية ما لضمه الى بلدية أخرى، فيجري ذلك بعد استطلاع راى المجالس الشعبية البلدية المعنية بموجب مرسوم يصدر بناء على تقرير وزير الداخلية .

يجرى كل ادماج أو ضم لعدة بلديات في بلدية واحدة أوتأسيس بلدية جديدة، بعد استطلاع رأى المجالس الشعبية البلدية المعنية ، بموجب مرسوم يصدر بناء على تقرير وزير الداخلية .

المادة ٤ : يصدر المرسوم المنصوص عليه في المادة ٣ بعد التحقيق في المشروع الذي يأمر عامل العمالة باجرائه في البلديات المعنية .

ويأمر عامل العمالة باجراء هذا التحقيق عندما يرفع اليه طلب بهذا الشأن من قبل المجلس الشعبي البلدي لأحدى البلديات المعنية .

ويسوغ له أن يأمر باجرائه من تلقاء نفسه .

المادة ٥ : عندما يجرى ضم بلدية او جزء من اراضي بلدية ما الى بلدية أخرى ، فان مجموع حقوقها والتزاماتها تنتقل الى البلدية التي يتم الارتباط بها.

تحدد كيفيات تطبيق هذه المادة بموجب قرار وزير الداخلية .

المادة ٦ : عندما ينهى اتحاد بلدية او جزء من أراضي بلدية مامع بلدية أخرى ، فتستعيد كل واحدة حيازة حقوقها وتقوم بالواجبات المناطة بها .

المادة ٧ : اذا نجم عن جميع حالات ضم بلديات او تجزئتها تحويل سكانها تنحل بحكم القانون المجالس الشعبية البلدية .

وتجرى انتخابات جديدة في مهلة اقصاها شهران .

وتتولى من ثم تسيير شئون البلدية مفوضية مؤقتة مؤلفة من أعضاء يعينهم عامل العمالة لحين تنصيب المجلس الشعبي البلدي الجديد .

تتألف المفوضية المؤقتة المنصوص عليها في الفقرة السابقة من خمسة اعضاء في البلديات التي تضم أقل من ٢٠ر٠٠٠ ساكن ويسوغ رفع عدد المندوبين الى أحد عشر في البلديات التي تضم أكثر من ٢٠ر٠٠٠ ساكن .

المادة ٨ : تحسم النزاعات الناشئة حول تحديد البلديات من قبل عامل العمالة عندما تتعلق ببلديات تابعة لنفس العمالة ومن قبل وزير الداخلية عندما تتعلق ببلديات تابعة لعمالتين فأكثر .

القسم الثالث : اسم البلدية ومركزها

المادة ٩ : يجرى تغيير اسم البلدية بموجب قرار يصدره وزير الداخلية بناء على تقرير عامل العمالة بعد استطلاع رأى المجلس الشعبي البلدي أو بناء على اقتراح هذا المجلس .

المادة ١٠ : ان تغيير الاسم نتيجة لتعديل الحدود الاقليمية لبلدية ما يتم بموجب القرار الذى ينص على هـذا التعديل .

المادة ١١ : ان تحديد أو نقل مركز البلدية يجرى بموجب قرار يصدره وزير الداخلية بناء على تقرير عامل العمالة .

الفصل الثانى
مجموعات البلديات

المادة ١٢ : يجوز ان يقوم تعاون بين البلديات وأن تضع مواردها بصورة مشتركة بينها للقيام بأعمال ذات نفع مشترك .

ويمكنها لهذا الغرض أن تحدث هيئات ومصالح مشتركة تتولى بعض المهام التابعة لاختصاصها .

القسم الاول : النقابات البلدية

المادة ١٣ : يجوز لمجلسين أو عدة مجالس شعبية بلدية أن تقرر اشتراك البلديات التى تتصرف فيها من أجل تحقيق خدمات أو مصالح ذات المنفعة المشتركة بين البلديات فتقترح بذلك احداث نقابة للبلديات .

المادة ١٤ : تحدث نقابة البلديات بموجب قرار :

١ — من عامل العمالة بالنسبة للبلديات التابعة لعمالة واحدة .

٢ — من وزير الداخلية بالنسبة للبلديات التابعة لعمالتين فأكثر .

المادة ١٥ : ان احداث نقابة البلديات يجب ان يتوافق مع الاطار الاقليمى الاكثر ملاءمة لتحقيق أهدافه .

المادة ١٦ : ان البلديات ، غير البلديات المتشاركة من قبل ، يمكن قبول انضمامها للنقابة بموافقة اغلبية أعضاء لجنة البلديات الخاصة بتلك النقابة .

يصادق على قرار قبول الانضمام ، عامل العمالة أو وزير الداخلية حسبما يكون مجموع البلديات تابعا لعمالة واحدة أو اثنين أو أكثر .

المادة ١٧ : ان النقابات البلدية هى مؤسسات عمومية ذات شخصية مدنية .

تطبق القواعد الخاصة بالوصاية والمحاسبة وبصورة عامة بادارة البلديات على نقابة البلديات والمصالح التى تتولى ادارتها .

ان الشروط الخاصة بمشروعية الالغاء ، والابطال القانونى لمداولات لجنة البلديات وكذلك شروط الطعن فيها هى الشروط المحددة لمداولات المجالس الشعبية البلدية .

المادة ١٨ : يعين مركز نقابة البلديات عند احداثه بموجب المقرر التأسيسى لهذه النقابة .

المادة ١٩ : توضع النقابة تحت وصاية عامل العمالة الذى تتبع لعمالته البلدية التى عين فيها مركز النقابة .

المادة ٢٠ : تتولى تسيير وادارة نقابة البلديات لجنة البلديات .

وينتخب أعضاء لجنة البلديات من قبل المجالس الشعبية البلدية للبلديات المعنية .

ويمثل كل بلدية ، فيما عدا وجود نصوص مخالفة بموجب مقرر تأسيسى ، مندوبان يمكن اختيارهما من عداد أعضاء المجلس الشعبى البلدى أو من بين المواطنين الاخرين الذين تتوفر فيهم الشروط المطلوبة لعضوية المجلس الشعبى البلدى .

ويتبعان بالنسبة لمدة مهماتهما مصير المجلس الشعبى البلدى الذى اختارهما .

يناط بالمجلس الشعبى البلدى تبديل مندوبيه الذين يمتنعون عن حضور أكثر من دورتين للجنة البلديات .

تنتخب لجنة البلديات رئيسها وأعضاء مكتبها . وينفذ هذا الاخير مقررات لجنة البلديات وتنقضى نيابة أعضاء هذا المكتب فى الوقت نفسه الذى تنقضى فيه نيابة اللجنة .

المادة ٢١ : تجتمع لجنة البلديات مرة واحدة على الاقل فى كل ربع سنة .

ويجوز للرئيس أن يدعوها للاجتماع كلما تطلبت ذلك شئون النقابة .

وتجتمع لزوما بناء على طلب عامل العمالة أو بناء على طلب النصف على الاقل من أعضائها .

المادة ٢٢ : ان نفقات الانشاء والتسيير والصيانة والتجهيز الخاصة بالمصالح التى أسست لها النقابة يجرى النص عليها فى ميزانية نقابة البلديات .

المادة ٢٣ : تشمل ميزانية نقابة البلديات قسما من التسيير وقسما من التجهيز والاستثمار .

ان الاعانات والمساهمات الخاصة بالتجهيز وناتج القروض والهبات والوصايا لا يمكن تخصيصها الا لنفقات التجهيز والاستثمار .

ترسل نسخة الميزانية وحسابات نقابة البلديات فى كل عام الى البلديات النقابية .

المادة ٢٤ : يمارس وظائف القابض فى نقابة البلديات قابض البلدية المعين فيها مركز النقابة .

المادة ٢٥ : تؤسس النقابة لمدة غير محدودة الا اذا نص على خلاف ذلك فى مقررها التأسيسى .

وتحل بحكم القانون بمجرد اكمال الاعمال أو الخدمات التى أسست لاجلها أو بموافقة اغلبية المجالس الشعبية البلدية المعنية .

وفى جميع الاحوال ، فان الشروط التى يجرى على مقتضاها حل أو تصفية النقابة تحدد بموجب قرار .

القسم الثانى : ملتقيات المجالس البلدية

المادة ٢٦ : يجوز لمجلسين أو عدة مجالس شعبية بلدية أن تقرر عقد اجتماعات مشتركة فيما بينها لمناقشة مسائل ذات المصالح البلدى المشترك والتى تتبع اختصاصاتها وتهم بلدياتها .

القسم الثالث : الاموال والحقوق المشاعة بين عدة بلديات

المادة ٢٧ : اذا كانت تملك عدة بلديات أموالا وحقوقا مشاعة فيسوغ ، بطلب احداها ، تأسيس لجنة مؤلفة من مندوبى المجالس الشعبية البلدية للبلديات المعنية .

المادة ٢٨ : يعين كل مجلس شعبى بلدى معنى مندوبا من بين أعضائه .

ويجرى انتخاب رئيس اللجنة من قبل المندوبين ويختار من بينهم .

وتجدد اللجنة بعد كل تجديد للمجالس الشعبية البلدية .

تجرى المصادقة على احداث هذه اللجنة من قبل عامل العمالة اذا كانت البلديات تابعة للعمالة نفسها ومن قبل وزير الداخلية اذا كانت البلديات تابعة لعمالات مختلفة .

المادة ٢٩ : تتولى اللجنة المنصوص عليها فى المادة ٢٧ ادارة وتسيير الاموال والحقوق المشاعة وتنفيذ الاشغال المتعلقة بها .

غير أن البيوع والمبادلات والقسمات والشراءات والتسويات يحتفظ بها للمجالس الشعبية البلدية التى تأذن لرئيس اللجنة بابرام العقود المتعلقة بها .

ويكفى اتفاق أغلبية المجالس الشعبية البلدية لاجراء هذه العمليات .

المادة ٣٠ : تخضع مداولات اللجنة المنصوص عليها فى المادة ٢٧ للقواعد المقررة لمداولات المجالس الشعبية البلدية .

المادة ٣١ : توزع النفقات التى يجرى تحديدها من قبل اللجنة ، بين البلديات المعنية ، بواسطة المجالس الشعبية البلدية ، وفى حالة عدم الاتفاق ، فبواسطة عامل العمالة اذا كانت البلديات تابعة لعمالة واحدة واذا كانت البلديات تابعة لعمالات مختلفة فبواسطة وزير الداخلية .

المادة ٣٢ : ان الحصة الخاصة بالنفقات النهائية المترتبة على كل بلدية تحمل تلقائيا على ميزانيتها .

الباب الثاني
النظام الانتخابي
الفصل الاول
طريقة انتخاب مستشاري البلديات
القسم الاول : الاقتراع

المادة ٣٣ : ينتخب مستشارو البلديات لمدة أربع سنوات .

المادة ٣٤ : ينتخب مستشارو البلديات من القائمة الوحيدة للمرشحين التي يقدمها الحزب .

ويكون عدد المرشحين مساويا لضعف عدد المقاعد المطلوب شغلها .

وتحظر الترشيحات الفردية .

ولا يمكن للناخبين ان يصوتوا الا على المرشحين المقيدين في القائمة المذكورة في الفقرة أ من هذه المادة .

المادة ٣٥ : يحرر في كل بلدية جدول بنتائج الاقتراع، بحسب التدرج التناقصي، وبدلالة عدد الاصوات التي حصل عليها كل مرشح ، وفي حالة تساوي الاصوات، تؤخذ أصوات الاكبر سنا .

يصرح بانتخاب مستشاري البلديات الذين يحصلون على أكبر عدد من الاصوات .

المادة ٣٦ : اذا كان ـ بعد الحصول على نتائج الاقتراع ـ عدد المصوتين في بلدية ما أقل من نصف عدد الناخبين المقيدين في قائمة انتخاب تلك البلدية ، فتجرى انتخابات جديدة .

المادة ٣٧ : يكون الانتخاب مباشرا وعاما وسريا .

المادة ٣٨ : تكون كل بلدية دائرة انتخابية .

المادة ٣٩ : يتغير عدد مستشاري البلديات تبعا لعدد سكان البلديات في نطاق الشروط التالية :

ـ ٩ أعضاء في البلديات التي تضم ٥ر٠٠٠ ساكن فأقل .

ـ ١١ عضوا في البلديات التي تضم ٥٠٠١ الى ١٠ر٠٠٠ ساكن

ـ ١٥ عضوا في البلديات التي تضم من ١٠ر٠٠٠ الى ٢٠ر٠٠٠ ساكن .

ـ ٢١ عضوا في البلديات التي تضم من ٢٠ر٠٠١ الى ٤٠ر٠٠٠ ساكن .

ـ ٢٩ عضوا في البلديات التي تضم من ٤٠ر٠٠١ الى ٢٠٠ر٠٠٠ ساكن .

ـ ٣٩ عضوا في البلديات التي تضم من ١٠٠ر٠٠٠ الى ٢٠٠ر٠٠٠ ساكن .

وفيما يخص البلديات التي يبلغ عدد سكانها ٢٠٠ر٠٠١ فأكثر ، يزاد عدد المستشارين البلديين بنسبة اثنين لكل جزء اضافي من ٥٠ر٠٠٠ ساكن .

وفيما يخص بلدية الجزائر يزاد عدد المستشارين البلديين ابتداء من ٢٠ر٠٠١ ساكن بنسبة ٤ مستشارين لكل مقاطعة

القسم الثاني : الشروط المطلوب توافرها في الناخب

المادة ٤٠ : الناخبون هم الجزائريون والجزائريات الذين يكملون التاسعة عشرة ، ويتمتعون بحقوقهم المدنية والسياسية ولا تنطبق عليهم اية حالة من حالات عدم الاهلية المنصوص عليها في المادة ٤٢ .

المادة ٤١ : لايجوز لمن لم يقيد اسمه في القائمة الانتخابية للبلدية التي يوجد فيها موطنه أن يشترك في التصويت مع مراعاة الاحكام المنصوص عليها في المادتين ٤٢ و٤٤ .

ولا يجوز له أن يقيد اسمه على عدة قوائم انتخابية .

المادة ٤٢ : لايجوز أن يقيد في القائمة الانتخابية :

ـ الاشخاص المحكوم عليهم لجنايات وجنح .

ـ الاشخاص المحكوم عليهم غيابيا لجناية .

ـ الاشخاص الذين أشهر افلاسهم ولم يحصلوا على اعادة الاعتبار .

ـ المعتقلون والمحجورون .

لاتحول دون التسجيل في القائمة الانتخابية ، الادانات الصادرة مع وقف التنفيذ والادانات الصادرة عن جنح مرتكبة خطأ وذلك باستثناء حالة القرار المستمر.

المادة ٤٣ : يجوز أن تشمل القائمة الانتخابية :

١ ـ الناخبون الذين لهم موطن في البلدية او الذين يقيمون فيها منذ ستة أشهر على الاقل .

٢ ـ الناخبون الذين يرد اسمهم في جدول الضرائب المباشرة في السنة الجاري فيها الانتخاب والذين يصرحون عن رغبتهم في ممارسة حقوقهم الانتخابية بدون السكنى في البلدية . ويجوز كذلك أن يقيد في القائمة الانتخابية أعضاء عائلة هؤلاء الناخبين .

٣ ـ الموظفون والاعوان العموميين البعيدين عن موطنهم بسبب وظائفهم .

٤ ـ المواطنون الذين تتوفر فيهم شروط السن والسكن المذكورة أعلاه يوم القفل النهائي للتسجيل .

المادة ٤٤ : يجوز أن يقيد المواطنون المستقرون في البلاد الاجنبية والمسجلون في القنصليات الجزائرية في القائمة الانتخابية للبلدية التي حصلت فيها ولادتهم أو لبلدية آخر موطن لهم والا فلبلدية أصولهم المباشرين .

المادة ٤٥ : للقوائم الانتخابية صبغة مستمرة ويعاد النظر فيها سنويا .

ويجوز أيضا مراجعتها بصفة استثنائية في الفترة التي تسبق الانتخاب .

وتحدد قواعد وأوضاع المراجعة بموجب قرار وزير الداخلية .

المادة ٤٦ : تجمع القوائم الانتخابية في سجل وتحفظ في محفوظات البلدية .

المادة ٤٧ : يجوز لكل ناخب الاطلاع على القائمة الانتخابية .

المادة ٤٨ : تتولى اعداد القوائم الانتخابية في كل بلدية لجنة ادارية مؤلفة من رئيس المجلس الشعبي البلدي كرئيس لها ومن شخصين من البلدية يعينهما عامل العمالة .

المادة ٤٩ : كل مواطن سها عن تسجيل اسمه في قائمة ما يمكنه تقديم مطالبة في ذلك الى رئيس اللجنة الادارية.

المادة ٥٠ : يمكن لكل ناخب مقيد في احدى قوائم الدائرة الانتخابية أن يطلب شطب كل شخص مقيد بصورة غير قانونية وتسجيل كل شخص سها عن تسجيل اسمه .

ولعامل العمالة نفس هذا الحق في عمالته .

المادة ٥١ : يعد لهذا الغرض في كل بلدية سجل تقيد فيه جميع المطالبات بحسب ترتيب ورودها . ويجب على رئيس المجلس الشعبي البلدي تسليم ايصال عن كل مطالبة .

المادة ٥٢ : يجب تقديم طلبات التسجيل أو الشطب في مهلة شهر واحد ابتداء من وضع القوائم الانتخابية، ويمكن تقصير هذه المهلة في حالة المراجعة الاستثنائية .

وتعرض هذه الطلبات على اللجنة الادارية المؤسسة بالمادة ٤٨ .

ويجب أن يبلغ مقرر اللجنة الادارية كتابيا وفي الموطن ضمن خمسة أيام الى الاطراف المعنيين وذلك بواسطة الادارة البلدية .

المادة ٥٣ : يجوز للاطراف المعنيين تقديم الطعن في مهلة ثمانية أيام من التبليغ .

ان هذا الطعن الذي يقدم بمجرد تصريح أمام كتاب ضبط المحكمة ، يرفع لدى المحكمة المختصة لتفصل فيه ضمن مهلة أقصاها عشرة أيام دون نفقات

ولا أجراء وبنجرد أعلام يرسل قبل ثلاثة أيام لجميع الاطراف المعنيين .
ويصدر مقرر المحكمةبالدرجة النهائية .

القسم الثالث : قابلية الانتخاب وعدم قابليته وتعارضه

المادة ٥٤ : ان كل ناخب في البلدية يكمل ٢٣ من عمره يقبل انتخابه .

المادة ٥٥ : ان المحافظين الوطنيين للحزب ومساعديهم ومنسقي الاتحاديات والقسمات وقضاة المجلس الاعلى واعضاء سلك العمالة وقضاة المجالس القضائية والمحاكم والضباط وضباط الصف أصحاب القيادةالاقليمية ومحافظي الشرطة وأعوانهم ومهندسي السلك التقني للدولة المدعوين للعمل لحساب البلدية ومحاسبي أموال البلدية ومقاولي المصالح البلدية والاعوان الذين تدفع أجورهم البلدية . لايجوز انتخابهم فيدائرة الاختصاص التي يمارسون فيها وظائفهم .

المادة ٥٦ : كلمستشار بلدي يصبح لسبب طاريء بعدانتخابه فيحالة منحالات عدم قابلية الانتخاب المنصوص عليها في المواد السابقة يصرح فورا باستقالته من نيابته من قبل عامل العمالة .

المادة ٥٧ : ان مهام المستشار البلدي تتعارض مع مهام :

— المحافظ الوطني ، ومساعده ، ومنسق اتحادية الحزب ومنسق قسمة الحزب .

— العضو في سلك العمالة .

— الضابط ، وضابط صف والجندي في الجيش الوطني الشعبي .

— العضو في اسلاك الأمن .

المادة ٥٨ : ان الاشخاص المعينين في المادة السابقة الذينقد يتخذون أعضاء لمجلس شعبي عمالي يجب عليهم التخلي عن وظائفهم في مهلة خمسة عشر يوما من اعلان نتيجة الاقتراع .

المادة ٥٩ : لاتجوز العضوية في عدة مجالس شعبية بلدية .

المادة ٦٠ : بالنسبة للبلديات التي يبلغ عدد سكانها أقل من ٥٠٠٠ ، لا يجوز للاصول والفروع والاخوة والاخوات معا أن يكونوا أعضاء فينفس المجلس الشعبي البلدي .

القسم الرابع : عمليات التصويت

المادة ٦١ : يجري الانتخاب في كل بلدية .

يحدد بقرار من عامل العمالة عدد ومكان مكاتب التصويت في كل بلدية .

واذا تضمنت البلدية عدة مكاتب للتصويت ، فيجب تبليغ القرار المتعلق بأمكنة هذه المكاتب الى رئيس المجلس الشعبي البلدي قبل عشرة أيام كاملة من افتتاح الاقتراع .

المادة ٦٢ : تحدد مدة الاقتراع بيوم واحد الا اذا نص على مقتضيات خاصة تتعلق ببعض البلديات بسبب عدم تمكن الناخبين فيهما من التصويت في الاجل المحدد لبعدهم عن مكاتب التصويت .

المادة ٦٣ : الاقتراع سري .

ويجري بواسطةظروف تسلمهاالادارة.

وتكون هذه الظروف تامة غيرمصمغة وعلى نموذج موحد .

وتوضع تحت تصرف الناخبين يوم الاقتراع في قاعة التصويت .

المادة ٦٤ : يرأس مكتب التصويت عضو المجلس الشعبي البلدي الذييعينه رئيسه والاغناخب يعين فينفس الاوضاع.

المادة٦٥ : يتولى وظيفتي المساعدين، الاكبر سنا والاصغر سنا من الناخبين الحاضرين ، وممن يعرفون القراءة والكتابة .

المادة ٦٦ : للرئيس وحده سلطة الامن داخل مكتب التصويت .

ولا يجوز لاي كان الدخول الى قاعة التصويت وهو يحمل سلاحا ظاهرا أو مخفيا باستثناء أعضاء القوة العمومية المطلوب حضورهم بصورة قانونية .

المادة ٦٧ : يزود كل مكتب للتصويت بمعزل واحد أو عدة معازل .

ويجب أن تؤمن في هذه المعازلسرية التصويت لكل ناخب كما يجب أن لاتخفى فيها العمليات الانتخابية عن الجمهور .

المادة ٦٨ : يجب على رئيس المكتب ان يتحقق قبل فتح الاقتراع عن : عدد الظروف ومطابقته لعدد الناخبين المقيدين .

وفي حالة عدم وجود ظروف نظامية لسبب ما ، فيعوض بها رئيس مكتب التصويت ظروفا أخرى من نموذج موحد يجري دمغها بخاتم البلدية ويجريتحرير محضر بهذا الاستبدال ترفق به خمسة ظروف .

المادة ٦٩ : ان صندوق الاقتراع الذي لايكون له الا فتحة واحدة مخصصةلامرار الظرف المحتوى على ورقة أو أوراق التصويت يجب ان يكون مقفلا بقفلينغير متشابهين قبل بدء الاقتراع ، ويبقى أحد المفتاحين بين يدي الرئيس والاخر بين يدي المساعد الاكبر سنا .

وان الناخب حين دخوله القاعة وبعد أن تثبت بطاقة تعريفه ، يأخذ بنفسه ظرفا واحدا ويتوجه مباشرة الى المعزل ويضع بطاقته في الظرف ودون أنيتخلل ذلك خروج من القاعة .

ثم يثبت لرئيس المكتب بأنه لايحمل الا ظرفا واحدا ، فيأذن هذا الاخير للناخب برمي الظرف في الصندوق .

المادة ٧٠ : يسوغ الاذن لكل ناخب مصاب بعجز جسماني ، لايمكنه منوضع الورقة في الظرف ورميه في الصندوق ، بالاستعانة بشخص يختاره .

المادة ٧١ : يجرى الفرز العلني للاصوات فور انقضاء الساعة التياقفل فيها الاقتراع .

يفتح الصندوق ويجرى التحقيق في عدد الظروف . فاذا كان هذا العددأكثر أو أقل من العدد المقيد ، يؤشر عنذلك في المحضر .

المادة ٧٢ : يجري اختيار مفرزي الاصوات من قبل رئيسمكتب التصويت.

المادة ٧٣ : لاتدخل في حساب الفرز، الاوراق البيضاء والاوراق التي تتضمن اشارات داخلية أو خارجية للتعريف أو عبارات مختلفة .

المادة ٧٤ : يسوغ للناخبين المقيدين في قائمة انتخابية بالجزائر ولا يقيمون فيها ، أن يصوتوا بالوكالة وتوضع المستندات الضرورية للتصويت تحت تصرفهم بواسطة السفارات والقنصليات الجزائرية .

ويجوز التصويت بالمراسلة للضباط وضباط الصف وجنود الجيش الوطني الشعبي وأعضاء الدركالوطني والسلك الوطني للامن والعاجزين والمعطوبين الكبار والمرضى في المستشفيات أو الذين يجرى علاجهم في منازلهم والذين لايمكنهم بتاتا الانتقال وللمسافرين والممثلين التجاريين والعمال الموسميين والصحافيين .

الفصل الثاني
النزاعات

المادة ٧٥ : ان النزاع الذي ينشأ بمناسبة الانتخابات البلدية ، تقضي فيه في كل عمالة ، لجنة انتخابية عمالية تجتمع في مركز المجالس القضائي لمقر العمالة .

وتتألف هذه اللجنةالانتخابية العمالية من عضو مجلسالقضاء رئيسا وقاضيين من قضاة المحاكم ، يعينهم وزير العدل حامل الاختام .

المادة ٧٦ : ان النتائج المسجلة في كل مكتب انتخاب يجرى جمعها واعدادها لكل عمالة بواسطة لجنة انتخابية بلدية يجرى تشكيلها فيمابعد بطريقة نظامية.

وتكلف هذه اللجنة الانتخابية البلدية بنقل نتائج الاقتراع الى اللجنة العمالية المنصوص عليها في المادة ٧٥ أعلاه .

المادة ٧٧ : ان اللجنة الانتخابية العمالية تجمع النتائج النهائية لجميع بلديات العمالة .

ويجب أن تكمل اشغالها في غضون ثمانية واربعين ساعة على أقصى تقدير ابتداء من ساعة قفل الاقتراع .

وتعلن للعموم مجموع النتائج الخاصة ببلديات العمالة .

المادة ٧٨ : يحق لكل ناخب أن ينازع في مشروعية عمليات التصويت بتقديمه المطالبة .

وتثبت هذه المطالبة في محضر وتحول الى اللجنة الانتخابية العمالية .

تبت اللجنة الانتخابية العمالية بالدرجة الاخيرة في جميع المطالبات المرفوعة لها.

وتصدر مقرراتها في مهلة أقصاها عشرة أيام ابتداء من يوم ورود المطالبة للجنة.

وتفصل اللجنة الانتخابية العمالية بدون نفقات ولا اجراءات وبمجرد اعلام يرسل الى الاطراف المعنيين .

المادة ٧٩ : ان جميع الاجراءات القضائية هي من الدعاوى الانتخابية المعفاة من الطابع ويجرى تسجيلها مجانا.

الباب الثالث
أجهزة البلدية
الفصل الاول
المجلس الشعبي البلدي
القسم الاول : التسيير

المادة ٨٠ : يجتمع المجلس الشعبي البلدي لزوما مرة واحدة في كل ربع سنة وفي كل مرة وكل حين تتطلب ذلك قضايا البلدية .

المادة ٨١ : يمكن للرئيس أن يجمع المجلس الشعبي البلدي كلما ارتأت ذلك ضروريا الهيئة التنفيذية البلدية .

ويتعين عليه دعوة المجلس للاجتماع عندما يطلب منه ذلك ثلث أعضاء المجلس الشعبي البلدي أو عامل العمالة .

المادة ٨٢ : توجه كل دعوة للمجلس الشعبي البلدي من الرئيس ، ويجرى قيدها في سجل مداولات البلدية .

وتوجه من ثم كتابيا الى المستشارين البلديين في موطنهم قبل خمسة أيام على الاقل من الاجتماع . وفي حالة الاستعجال يمكن للرئيس أن ينقص من هذه المهلة بدون أن تقل على كل حال عن يوم كامل.

المادة ٨٣ : لاتكون مداولات المجلس الشعبي البلدي صحيحة الا اذا حضر الجلسة أغلبية الاعضاء القائمين بنيابتهم.

بيد انه ، اذا لم يجتمع المجلس الشعبي البلدي لعدم الاغلبية بعد أول دعوة له ، فان المداولة التي تجرى بعد الدعوة الثانية خلال ثلاثة أيام على الاقل، تكون صحيحة مهما كان عدد الاعضاء الحاضرين .

المادة ٨٤ : تؤخذ المداولات بالاغلبية المطلقة من المصوتين .

وفي حالة تساوي الاصوات ، يرجح صوت الرئيس .

المادة ٨٥ : يسوغ للمستشار البلدي الذي يتعذر عليه الحضور في احدى الجلسات ، أن يفوض كتابيا حق التصويت باسمه لاحد زملائه باختياره .

لايجوز لنفس المستشار البلدي أن يحمل أكثر من وكالة واحدة . ولا تصح الوكالة لاكثر من ثلاث جلسات متتالية .

المادة ٨٦ : يرأس المجلس الشعبي البلدي رئيسه أو من يمثله في حالة غيبته.

المادة ٨٧ : يعين المجلس الشعبي البلدي واحدا من أعضائه أو أكثر لشغل مهام الكتابة . ويجوز أن يضم اليهم معاونين من بين مستخدمي البلدية ، فيحضرون الجلسات دون الاشتراك في المداولات .

المادة ٨٨ : تكون جلسات المجلس الشعبي البلدي علنية غير أنه يجوز للمجلس الشعبي البلدي أن يقرر اجراء المداولة سريا بناء على طلب أغلبية المستشارين البلديين أو الرئيس .

المادة ٨٩ : للرئيس المحافظة على الامن في المجلس ، فيجوز له أن يطرد من الجلسة من يخل بالنظام العمومي .

المادة ٩٠ : يحق لكل ساكن الاطلاع في عين المكان على مداولات المجلس الشعبي البلدي والحصول على نسخة منها ومن قرارات الرئيس على نفقته .

المادة ٩١ : كل من تخلف من أعضاء المجلس الشعبي البلدي عن تلبية ثلاث دعوات حضور متتالية بدون سبب مشروع وصحيح يأخذ به المجلس ، فانه يجوز بعد تكليفه بتقديم ايضاحاته ، التصريح باستقالته من قبل عامل العمالة ، وذلك باستثناء حالة الطعن ، في عشرة أيام من التبليغ ، أمام المحكمة المختصة .

المادة ٩٢ : يجب توجيه كل استقالة يقدمها مستشار بلدي برسالة مضمونة الى الرئيس الذي يحيلها في الحال الى عامل العمالة بعد اخبار السلطة التنفيذية البلدية . فتصبح هذه الاستقالة نهائية ابتداء من تاريخ علم الوصول بها الصادر من عامل العمالة والا فبعد شهر واحد من تاريخ احالتها .

المادة ٩٣ : كل مستشار بلدي ، يصبح في وضع لايسمح له بتاتا في متابعة نيابته على الوجه المشروع بسبب افعال طارئة بعد انتخابه، فانه يجوز استبعاده من المجلس الشعبي البلدي بموجب مرسوم يتخذ في مجلس الوزراء .

المادة ٩٤ : يلزم أرباب العمل بأن يأذنوا لمستخدميهم الاعضاء في المجلس الشعبي البلدي بالوقت الضروري للمشاركة في جلسات هذا المجلس .

القسم الثاني : اللجان

المادة ٩٥ : يجوز للمجلس الشعبي البلدي ان يشكل من اعضائه لجانا دائمة او وقتية لدراسة المسائل التي تهم البلدية من كافة الوجوه .

فيمكن على هذا الشكل تأسيس اللجان المكلفة على وجه الخصوص بدراسة المشاكل المتعلقة بالادارة والشؤون المالية والتخطيط والاقتصاد والتجهيز والاشغال العمومية والشؤون الاجتماعية والثقافية .

ويجوز للمستشار ان يتولى عضوية عدة لجان .

المادة ٩٦ : يرأس كل لجنة عضو من اعضاء الهيئة التنفيذية البلدية الذي يعينه المجلس الشعبي البلدي والا فمستشار بلدي يجرى تعيينه بنفس الاوضاع .

المادة ٩٧ : تبلغ اللجان للحضور بهمة رئيسها في غضون ثمانية ايام تلي احداثها .

وتحدد بالتالي التقويم الخاص باشغالها .

المادة ٩٨ : تعين كل لجنة ، مقررا من هيئتها ، لكل مسألة جرى درسها.

ويعرض المقرر على اللجنة ، القضية في اجتماع المجلس .

المادة ٩٩ : يجوز استدعاء الاشخاص الواردة اسماؤهم فيها بعد للاشتراك في اشغال اللجان بصورة استشارية :

١ — الموظفون واعوان الدولة او المؤسسات العمومية الذين يمارسون نشاطهم في دائرة اختصاص البلدية والذين يمكن ان تتطلب آراؤهم نظيرا لاختصاصهم .

٢ ـ سكان البلدية الذين يمكن ان يسهموا في عناصر المعلومات اللازمة نظرا لمهنتهم ونشاطاتهم او لاي ظرف آخر ».

المادة ١٠٠ : تؤمن كتابة اللجنة في نفس الاوضاع التي تؤمن بموجبها كتابة جلسات المجلس الشعبي البلدي.

القسم الثالث : المداولات

المادة ١٠١ : يبت المجلس الشعبي البلدي في قضايا البلدية اثناء مداولاته.

المادة ١٠٢ : تقيد المداولات حسب ترتيب ورودها ، في سجل مرقم ومؤشر عليه من قبل عامل العمالة . ويوقع عليها قبل رفع الجلسة جميع الاعضاء الحاضرين .

المادة ١٠٣ : تعتبر باطلة بحكم القانون :

ـ مداولات المجلس الشعبي البلدي التي تتناول موضوعا خارجا عن اختصاصاته ،

ـ المداولات التي يقررها المجلس الشعبي البلدي خلافا للقانون او امر او مرسوم .

المادة ١٠٤ : يصرح عامل العمالة بالبطلان بحكم القانون بموجب قرار معلل ».

ويجوز لعامل العمالة في كل وقت ان يقرر البطلان ، وان يقترحه او يعارض فيه الاطراف المعنيون .

المادة ١٠٥ : تقبل الابطال المداولات التي يكون قد شارك فيها اعضاء المجلس الشعبي البلدي الذين لهم فيها مصلحة اما شخصيا واما بصفتهم وكلاء الغير في القضية المتعلقة بالموضوع .

المادة ١٠٦ : يقرر عامل العمالة الابطال بموجب قرار مسبب . ويمكنه التحريض على الابطال في مهلة خمسة عشر يوما ابتداء من يوم ايداع محضر المداولة في العمالة .

ويسوغ طلب الابطال من كل شخص يعنيه الامر ومن كل مكلف بالضريبة وساكن في البلدية وذلك في مهلة خمسة عشر يوما من تاريخ المداولة . فيبت عامل العمالة في الطلب في مهلة ثلاثين يوما ».

المادة ١٠٧ : يجوز للمجلس الشعبي البلدي ولكل شخص يعنيه الامر لايكون من هذا المجلس ان يطعن في قرار عامل العمالة وفقا للتنظيم الجاري به العمل.

المادة ١٠٨ : تنفذ مداولات المجلس الشعبي البلدي بعد عشرين يوما من ايداعها لدى العمالة . غير ان المداولات التي لاتنفذ الا بعد المصادقة عليها من السلطة العليا ، هي المداولات التي تجرى على المواضيع التالية :

١ ـ الميزانيات والحسابات وكل تأسيس والغاء وتعديل فرض الضرائب والرسوم والحقوق ،

٢ ـ الانتقالات والبيوع والمبادلات العقارية ،

٣ ـ القروض »،

٤ ـ عدد الموظفين واجورهم »،

٥ ـ قبول الهبات والوصايا المرهونة بالتزامات او شروط او تخصيصات لفائدة البلدية او المؤسسات او المصالح البلدية »،

٦ ـ محاضر المزايدات والمناقصات، وبصورة اعم جميع المداولات ، التي تخضع لمصادقة السلطة العليا بمقتضى التشريع الجاري به العمل ».

المادة ١٠٩ : ان لم يصدر عامل العمالة المرفوعة اليه المداولة لاجل المصادقة عليها مقررا في مهلة ثلاثين يوما من تاريخها ، فتعتبر المداولة كأنها مصدقة .

واذا فرض عامل العمالة المصادقة على مداولة ما ، جاز للمجلس الشعبي البلدي طلب المصادقة من وزير الداخلية.
البلدي طلب المصادقة من وزير الداخلية.

المادة ١١٠ : ان المداولات التي تقتضي مصادقة الوزير المختص او المصادقة بمرسوم بموجب التشريع الجاري به العمل ، تصبح كذلك قابلة للتنفيذ بحكم القانون ، اذا لم يصدر مقرر المصادقة لجهتها في مهلة ثلاثة اشهر من تاريخ ايداعها لدى العمالة ».

القسم الرابع : ابدال المستشارين البادين وتجديد المجلس الشعبي البلدي

المادة ١١١ : ان المستشار البلدي المتوفى او المستقيل او المستبعد يخلف في مهامه بالمرشح الوارد اسمه في القائمة المؤسسة بالمادة ٣٥ بحسب ترتيب درجته الذي يلي مباشرة آخر مرشح منتخب .

ويجرى هذا الابدال بموجب قرار عامل العمالة ».

المادة ١١٢ : الا انه يحدد المجلس الشعبي البلدي بكامله على اثر العطل المتتابعة والاستقالة او اي داع آخر تقضي فيه احكام المادة ١١١ الى ابدال اكثر من ثلث المستشارين المعلن انتخابهم من قبل اللجنة الانتخابية .

ويقرر التجديد وزير الداخلية .

المادة ١١٣ : لايجوز حل المجلس الشعبي البلدي الا بموجب مرسوم يتخذ في مجلس الوزراء ».

ويجرى تعطيله في حالة الاستعجال لمدة لايمكن ان تجاوز شهرا واحدا بموجب قرار مسبب يصدره عامل العمالة الذي يعلم فورا وزير الداخلية به ».

المادة ١١٤ : في حالة الحل او صدور قرار التجديد الكامل للمجلس الشعبي البلدي او استقالة جميع اعضائه العاملين ، يعين عامل العمالة مفوضية مؤقتة تكلف بتسيير شؤون البلدية في الايام العشرة التالية للحل او لقرار التجديد او قبول الاستقالة ».

المادة ١١٥ : يحدد عدد الاعضاء الذين يؤلفون المفوضية المؤقتة بخمسة في البلديات التي لايجاوز عدد سكانها ٢٠٫٠٠٠ نسمة .

ويجوز رفع هذا الحد الى احد عشر في البلديات التي يجاوز عدد سكانها ٢٠٫٠٠٠ نسمة .

ان سلطات هذه المفوضية المؤقتة مقتصرة على الاعمال ذات الصبغة الادارية الصرف والاحتياطية والمستعجلة.

المادة ١١٦ : تجرى انتخابات جديدة في مهلة اقصاها شهران ، من اجل ابدال المجلس الشعبي البلدي المنحل او المستقيل او المقرر تجديده بكامله ، ولا يمكن ان تجرى هذه الانتخابات في اقل من اربعة اشهر من التجديد العادي للمجلس الشعبي البلدي ».

ان مهام المندوبية المؤقتة تنقضي بحكم القانون بمجرد تنصيب المجلس الشعبي البلدي الجديد .

الفصل الثاني
الهيئة التنفيذية البلدية
القسم الاول : التعيين والنظام الاساسي

المادة ١١٧ : ينتخب المجلس الشعبي البلدي من بين اعضائه رئيسا ونائبي رئيس او اكثر فتكون منهم الهيئة التنفيذية البلدية .

وينتخب هؤلاء الاعضاء بالاقتراع السري والاغلبية المطلقة .

المادة ١١٨ : اذا لم يحصل اي مرشح ، في نهاية اول دورة من الاقتراع ، على الاغلبية المطلقة يجرى اقتراع ثان مع اعتبار الاغلبية النسبية .

وفي حالة تساوي الاصوات يصرح بانتخاب المرشح الاكبر سنا .

المادة ١١٩ : يحدد عدد نواب الرئيس كما يلي :

اثنان ـ في البلديات البالغ عدد سكانها ٢٠٫٠٠٠ فاقل ،

اربعة ـ في البلديات البالغ عدد سكانها من ٢٠٫٠٠١ الى ٥٠٫٠٠٠ »

تسعة — فى البلديات البالغ عددها سكانها من ٥٠٫٠٠١ الى ١٠٠٫٠٠٠ ،
ثمانية — فى البلديات البالغ عدد سكانها من ١٠٠٫٠٠١ الى ٢٠٠٫٠٠٠ .

ويزاد عدد نواب الرئيس بمعدل اثنان لكل جزء اضافى فوق الـ ٢٠٠٫٠٠٠ ساكن .

ويزاد فى بلدية الجزائر ، عدد نواب الرئيس بعد الـ ٢٠٠٫٠٠١ ساكن بمعدل ١ فى كل مقاطعة .

المادة ١٢٠ : يرأس الجلسة التى يجرى فيها انتخاب رئيس المجلس الشعبى البلدى ونوابه ، العضو الاكبر سنا من اعضائه .

المادة ١٢١ : يستدعى رئيس المجلس الشعبى البلدى المنتهية نيابته اعضاء هذا المجلس للحضور لكل انتخاب يجرى للرئيس او نوابه وذلك فى غضون الثمانية ايام التى تلى اعلان نتائج الاقتراع ويشفع تبليغ الحضور بعبارة خاصة بالانتخاب الذى يتعين عليه اجراؤه .

المادة ١٢٢ : يجرى اشهار انتخاب الرئيس ونوابه فى مهلة ٢٤ ساعة بطريق الاعلانات التى تلصق على باب مركز البلدية وتبليغه فورا لعامل العمالة .
ويتولى من ثم هذا الاخير تنصيب المجلس الشعبى البلدى الجديد بصفة رسمية .

المادة ١٢٣ : ينتخب اعضاء الهيئة التنفيذية البلدية لمدة نيابة المجلس الشعبى البلدى .

يستبدل كل عضو فى الهيئة التنفيذية البلدية متوفى او مستقيل او مفصول بعضو لممارسة مهامه لغاية انتخاب خلفه من قبل المجلس الشعبى البلدى .

ويجب ان يجرى هذا الانتخاب فى مهلة شهر واحد .

المادة ١٢٤ : تجتمع الهيئة التنفيذية البلدية كل مرة تتطلب ذلك شؤون البلدية بناء على مبادرة الرئيس .

المادة ١٢٥ : فى حالة غيبة او معذرة رئيس المجلس الشعبى البلدى ينوب عنه فى مهامه عضو الهيئة التنفيذية الذى يعينه لهذا الغرض . ويجوز له ايضا ان ينيب عنه فى بعض مهامه وعلى مسؤوليته عضوا من الهيئة التنفيذية منتدبا خصيصا من قبله .

المادة ١٢٦ : عندما يحصل ، من جراء بعد المسافة او لنشوء عقبة ما ، صعوبة وقتية تجعل المواصلات مستحيلة بين مقر البلدية وجزء منها ، تعين الهيئة التنفيذية البلدية مندوبا بلديا ، فيصادق على هذا التعيين عامل العمالة .

ويعين المندوب البلدى بين المستشارين البلديين وبقدر الامكان من بين المستشارين الذى تكون اقامته فى جيزه من الجهة البلدية المعنية .

المادة ١٢٧ : يتولى المندوب البلدى مهام ضابط الحالة المدنية ويمكن تكليفه بتنفيذ القوانين التنظيمية الشرطية فى ذلك الجزء من البلدية .

المادة ١٢٨ : يتقاضى الرئيس ونواب الرئيس والمندوبون البلديون ، عن مزاولتهم العملية للمهام التى يقومون بها تعويضا يجرى تحديده ، وتحديد كيفيات تخصيصه بمرسوم يتخذ بناء على تقرير مشترك يصدره الوزير المكلف بالمالية ووزير الداخلية .

القسم الثانى
القرارات البلدية

المادة ١٢٩ : يتخذ رئيس المجلس الشعبى البلدى قرارات بلدية قصد تنفيذ مداولات او مقررات الهيئة التنفيذية البلدية .
ويتخذ كذلك بموجب قرار بلدى جميع التدابير المتعلقة باختصاصاته النوعية .

المادة ١٣٠ : ترسل القرارات الصادرة فورا الى عامل العمالة من قبل رئيس المجلس الشعبى البلدى .

المادة ١٣١ : لا تنفذ القرارات البلدية التى تتضمن انظمة دائمة الا بعد شهر من ارسالها . يبطل عامل العمالة كل قرار صادر مخالفة لقانون او لامر او لمرسوم .
ويسوغ له لاسباب تمس النظام العمومى الايقاف المؤقت لتنفيذ القرارات البلدية .

المادة ١٣٢ : يجوز له فى حالة الاستعجال ، الاذن بالتنفيذ الفورى لقرارات البلدية .

المادة ١٣٣ : ان قرارات البلدية لا تكون قابلة للاعتراض الا بعد تبليغها للمعنيين بطريق الاعلان او التعليق كلما تضمنت احكام عامة وبطريق التبليغ الفردى فى الحالات الاخرى .

المادة ١٣٤ : تقيد قرارات البلدية بتاريخها فى سجل البلدية .

الكتاب الثانى
اختصاصات البلدية
الباب الاول
الانعكاس الاقتصادى والاجتماعى
الفصل الاول
التجهيز والانعاش الاقتصادى

المادة ١٣٥ : يضع المجلس الشعبى البلدى برنامجه الخاص بالتجهيز المحلى وذلك فى حدود موارده والوسائل الموجودة تحت تصرفه .

ويحدد وفقا للمخطط الوطنى للتنمية النشاطات الاقتصادية التى من شأنها ان تحقق التنمية البلدية ويقرر الوسائل الخاصة بانجازها .

المادة ١٣٦ : يسهم المجلس الشعبى البلدى فى وضع وتنفيذ المخطط الوطنى للتنمية .

وتجرى استشارته مسبقا فى كل مشروع يكون تحقيقه من واجبات الدولة او كل جماعة عمومية اخرى فى دائرة البلدية .

المادة ١٣٧ : تضمن الدولة للمجلس الشعبى البلدى المعونة التقنية والمالية فى وضع وتحقيق برنامج التجهيز المحلى .

المادة ١٣٨ : يتولى المجلس الشعبى البلدى توجيه وتنسيق مجموع نشاطات القطاع الاشتراكى فى دائرة البلدية ومراقبته .

وهو يسدى المعونة لتكوين وتنصيب اجهزة تسيير المؤسسات او الاستغلالات المحدثة فى دائرة البلدية .

ويطلع السلطات العليا المختصة من كل سوء تسيير ، ويقدم لها عند اللزوم كل اقتراح من شأنه تحسين الانتاج والمحصول الخاصين بمختلف القطاعات .

ويمكنه فى حالة الاستعجال ان يتخذ كل تدبير احتفاظى من شأنه ان يحافظ على ثروة مؤسسات القطاع الاشتراكى .

وتحدد فيما بعد النصوص الخاصة بكيفيات تطبيق احكام هذه المادة .

المادة ١٣٩ : يحدد المجلس الشعبى البلدى وفقا للنصوص الجارى بها العمل الموارد الجبائية والاصناف الاخرى من المدخولات الضرورية لحاجات البلدية ويقرر استعمالها .

ويصوت على الميزانية ويسهر على تنفيذها وتنفيذ عمليات التجهيز .

الفصل الثانى
التنمية الفلاحية

المادة ١٤٠ : يحث المجلس الشعبى البلدى على احداث التعاونيات الخاصة بالانتاج والتسويق ويقوم بتشجيعها وتركيزها لاجل الاستثمار الفلاحى فى البلدية .

وتسهل انشاء هيئات الاحتياط والقروض .

ويقدم المعونة الخاصة بتنظيم المواسم الفلاحية الرامية الى تحسين الانتاج العام .

المادة ١٤١ : يشارك المجلس الشعبى البلدى فى جميع العمليات المتعلقة بتعديل النظام الزراعى للاراضى الواقعة فى دائرة البلدية .

ويسهم ايضا فى تنفيذ جميع النصوص المتخذة لهذا الغرض .

الفصل الثالث
التنمية الصناعية والتنمية الصناعية التقليدية

المادة ١٤٢ : يجوز للمجلس الشعبي البلدي ، قصد تحقيق مخططه المحلي للتنمية الصناعية ، ان يحدث في دائرة البلدية مؤسسة او اكثر للتوسع الصناعي والصناعي التقليدي »

ويمكنه المساهمة في رأسمال كل مقاولة او مؤسسة صناعية ذات صالح عمومي ، من حساب البلدية .

المادة ١٤٣ : ان المجلس الشعبي البلدي يسهل وينشط كل مبادرة تهدف لتحسين التنشيط الصناعي في دائرة البلدية .»

الفصل الرابع
التوزيع والنقل

المادة ١٤٤ : ان المجلس الشعبي البلدي يسهل تنظيم شبكات التوزيع والتموين المتعلقة بصورة خاصة بالمنتوجات الضرورية ويسهر على تطبيق نظام الاسعار . ولهذا الغرض يمكنها :

— ان تنشط احداث تعاونيات الاستهلاك لتموين سكان البلدية على مستوى التجارة بالتجزئة .

— ان تقترح تسويق وتوزيع المنتوجات المحتكرة من قبل الدولة في دائرة البلدية »

— ان تقترح توظيف بعض الاعوان في البلدية لتأهيلهم لمراقبة الاسعار وان تسهر على امانة تصريف المواد التي تباع بالوزن او الكيل »

المادة ١٤٥ : يستغل المجلس الشعبي البلدي لحساب البلدية ، كل مصلحة عمومية لنقل المسافرين في شبكة الطرق الممتدة على مجموع اراضي البلدية .

المادة ١٤٦ : ان المجلس الشعبي البلدي يمكنه ان يشارك ، من حساب البلدية ، في رأسمال كل مقاولة للنقل العمومي .

ويسهر على تطبيق التنظيمات الخاصة بالنقل .

الفصل الخامس
التنمية السياحية

المادة ١٤٧ : يجب على المجلس الشعبي البلدي ان يسهر على تطبيق القوانين والانظمة الرامية لتيسير الانطلاق السياحي في ارض الوطن .

المادة ١٤٨ : يمكن للمجلس الشعبي البلدي في دائرة البلدية ان يحدث كل هيئة او مقاولة ذات الصالح المحلي وذات الصبغة السياحية »

المادة ١٤٩ : يسهر المجلس الشعبي البلدي على المحافظة على المعالم التذكارية والمواقع الطبيعية التاريخية وعلى استثمارها .»

المادة ١٥٠ : يستغل المجلس الشعبي البلدي جميع المؤسسات والمقاولات ذات الصبغة السياحية التي تعهد الدولة الى البلدية امر تسييرها .

المادة ١٥١ : ان البلديات او المجموعات البلدية التي تشتمل على التحف الطبيعية والتصويرية والثقافية والفنية او المنافع الناجمة عن موقعها الجغرافي والمناخي او المياه المعدنية كينابيع المياه الساخنة والحمامات العلاجية يمكن تحويلها الى محطات مصنفة »

المادة ١٥٢ : يستهدف تصنيف المحطات :

— تسهيل التردد الى المحطة .

— التمكين من تنميتها بواسطة اشغال التجهيز والصيانة المتعلقة بصورة خاصة بالمحافظة على المعالم التذكارية والمواقع وتزيينها وتحسين وسائل الدخول اليها والسكن والاقامة فيها .

— تسهيل علاج المرضى في محطات المياه المعدنية والساخنة والمحطات المناخية .»

المادة ١٥٣ : ان البلديات او المجموعات البلدية التي تملك في ارضها عينا او عدة عيون من الماء المعدني او مؤسسة تستغل عينا واحدة اوعدة عيون من الماء المعدني ، يمكن تحويلها الى محطات للمياه المعدنية .

ان البلديات او المجموعات البلدية التي تشتمل على منافع مناخية للمرضى يمكن تحويلها الى محطات مناخية .

ان البلديات او المجموعات البلدية التي تشتمل على مجموعة تحف طبيعية وتاريخية وثقافية او سياحية تهم الزائرين يمكن تحويلها الى محطات سياحية .

المادة ١٥٤ : يمكن تصنيف بلدية واحدة او مجموعة بلديات في عناوين مختلفة .

ويجرى التصنيف بموجب مرسوم يصدر بناء على تقرير وزير الداخلية والوزير المكلف بالمالية والوزير المعني .

المادة ١٥٥ : توضح بموجب نصوص الالتزامات الخاصة بكل صنف من اصناف المحطات المرتبة فيها والاختصاصات المتعلقة بالمجالس الشعبية البلدية للبلديات المصنفة .

الفصل السادس
الاسكان والمنازل

المادة ١٥٦ : يضع المجلس الشعبي البلدي ، في نطاق المخطط الوطني لتهيئة البلاد ، مخططا اضافيا خاصا بعمران البلدية .

ويخضع هذا المخطط لمصادقة الوزير المكلف بالبناء .

المادة ١٥٧ : يشجع المجلس الشعبي البلدي تشييد العقارات المعدة للسكن وذلك بصورة منظمة بالموازرة المالية والتقنية المقدمة من الدولة ولهذا الغرض، فانه :

— يحث على احداث مؤسسات البناء العقاري وانتاج مواد البناء .

— ييسر احداث التعاونيات العقارية بين سكان البلدية .

— يسهل تحقيق برامج الاسكان وبكل البناءات التي من شأنها ان تؤمن وسائل السكن للجماعة في نطاق المخطط .

المادة ١٥٨ : يقوم المجلس الشعبي البلدي بتسيير الثروة العقارية الموضوعة من قبل الدولة تحت تصرفه والموجودة في نطاق البلدية والسهر عليها وذلك حسب الاحكام المحددة بموجب مرسوم »

قانون الادارة البلدية
الفصل السابع
الانعاش الثقافي والاشتراكي

المادة ١٥٩ : يمكن للمجلس الشعبي البلدي ان يحدث كل مشروع من شأنه الاسهام في توفير الحاجيات الثقافية والصحية والاجتماعية لسكان البلدية وذلك وفقا للقوانين والانظمة الجاري بها العمل .

المادة ١٦٠ : يمكن للمجلس الشعبي البلدي ان يحدث في دائرة البلدية كل مشروع او مركز او هيئة من شأنها ان تسهم في التنمية والنمو الروحي والبدني للشبيبة .

المادة ١٦١ : يسهم المجلس الشعبي البلدي في انجاز برامج الابنية المدرسية وتكاليف الصيانة الخاصة بالمؤسسات المدرسية وانذية الشبيبة المحدثة في دائرة البلدية وذلك ضمن الشروط التي يجرى تحديدها بموجب مرسوم .

المادة ١٦٢ : للمجلس الشعبي البلدي الحق في احداث وتسيير كل نشاط او منشآت الرياضة في دائرة البلدية ومن حسابها .

المادة ١٦٣ : يستغل المجلس الشعبي البلدي لحساب البلدية كل قاعات التسلية الموجودة في اراضي البلدية .

وهو يسهر على حسن معيانتها ويتخذ جميع المقتضيات الرامية الى تحسينها.

المادة ١٦٤ : يسهم المجلس الشعبي البلدي في التنوير الثقافي لسكان البلدية وذلك للتشجيع على احداث وسائل التكوين الفني والمسرحي والموسيقي وبتنمية الفولكلور »

المادة ١٦٥ : يمكن للمجلس الشعبي البلدي ان يقوم بانجاز التجهيز الاجتماعي للبلدية بقصد التوصل ، بصورة وقائية وعلاجية الى احسن الشروط الصحية لسكان الجماعة وذلك مع المعونة التقنية والمالية التى تقدمها الدولة .

المادة ١٦٦ : يسهر المجلس الشعبي البلدي ، ضمن دائرة البلدية على تحقيق التوفيق بين المصالح الفردية والجماعية والمصالح العامة .

ويسهر على ان تكون مجموع النشاطات التى تقسوم على ارض البلدية شاملة على اوسع مايمكن لمصالح جميع السكان .

الفصل الثامن
الحماية المدنية

المادة ١٦٧ : ينعش المجلس الشعبي البلدي الحماية المدنية في البلدية .
ولهذا الغرض يجب عليه :

١ ـ تنمية روح التضامن وتكوين سكان البلدية لكي يساهموا مساهمة فعالة في انجاز البرامج الخاصة بمكافحة النكبات والكوارث .

٢ ـ تنشيط احداث وتنمية كل جمعية او هيئة تسهم في الحماية المدنية وتكوين المسعفين .

المادة ١٦٨ : في حالة حصول كارثة او نكبة أو حريق فان مسئولية البلدية لا تترتب تجاه الدولة والمواطنين الا عندما تكون الاحتياطات المفروضة على عاتقها بموجب نصوص جار بها العمل غير متخذة .

المادة ١٦٩ : يسوغ للبلدية ، في حدود مسؤولياتها المالية ان تضع تحت تصرفها هيئة للاطفاء لتأمين الحماية على الاشخاص والاموال من النكبات والكوارث .

يؤذن باحداث هذه الهيئة بموجب قرار يصدره عامل العمالة بناء على اقتراح المجلس الشعبي البلدي .

ويمكن ان يأمر به وزير الداخلية عندما يكون هذا الاحداث من المستلزمات التى لابد منها .

ان التنظيم العام لمصالح الحماية المدنية ونهيئات رجال المطافىء يجري تحديده بالطريقة القانونية .

المادة ١٧٠ : يعد المجلس الشعبي البلدي الاحتياطات الضرورية للوقوف في وجه الاخطار والحد من عواقبها كي يضمن المحافظة على الاشخاص والاموال .

فيضع في كل سنة ، بمعونة المصالح المحلية للحماية المدنية ، مخططا بلديا للاحتياط والنجدة يعرض على عامل العمالة للمصادقة عليه .

الباب الثاني
الفصل الاول
مسئولية البلديات

المادة ١٧١ : ان البلديات مسؤولة مدنيا عن الاتلاف والاضرار الناجمة عن الجنايات والجنح المرتكبة بالقوة المسلحة او بالعنف في ارضها بواسطة التجمعات والتجمهرات على الاشخاص او الاموال .
على ان البلديات ليست مسؤولة عن الاتلاف والاضرار الناجمة عن جراء الحرب .

المادة ١٧٢ : ان التعويضات والتعويضات عن الاضرار والنفقات التى تكون البلدية مسؤولة عنها توزع ـ بالاستناد الى جدول خاص ـ بين جميع الاشخاص المقيدين في جدول الضرائب المباشرة باستثناء ضحايا الشغب الذين قد تمنح التعويضات لهم ، وذلك بنسبة مئوية للمبلغ الاصلي المتعلق بجميع الضرائب المباشرة .

المادة ١٧٣ : عندما تكون التجمعات والتجمهرات مكونة من سكان عدة بلديات تصبح كل منها مسؤولة عن الاتلاف والاضرار المسببة وذلك بالنسبة المئوية التى تحددها المحكمة المختصة .

المادة ١٧٤ : تسهم الدولة في دفع النصف من الاتلاف والاضرار المسببة مقابل الخطر الاجتماعي .

المادة ١٧٥ : يجوز للدولة او البلدية او البلديات المعتبرة مسؤولة ان تمارس الطعن تجاه الفاعلين والمشتركين في الاخلال بالنظام .

المادة ١٧٦ : ان الدعاوى التى يمكن ان تنجم من تطبيق المواد المذكورة اعلاه ترفع امام المجالس القضائية .

المادة ١٧٧ : ان البلديات مسؤولة مدنيا عن الحوادث الطارئة لرئيس المجلس الشعبي البلدي ونوابه ولرئيس المفوضيات المؤقتة القائمين بوظائفهم او بمناسبتها .

يستفيد المستشارون البلديون واعضاء المفوضيات المؤقتة من نفس الضمان عندما يكونون مكلفين بتنفيذ نيابة خاصة لحساب البلدية .

المادة ١٧٨ : ان البلديات ملزمة لحماية موظفيها من التهديدات والتعديات التى يمكن ان يتعرضوا لها خلال ممارستهم وظائفهم او بمناسبتها .

وهي ملزمة بالتعويض عن الضرر الحاصل لموظفيها في جميع الحالات غير المنصوص عليها في النظام الخاص بالضمانات الاجتماعية والمعاشات .

المادة ١٧٩ : ان البلديات مسؤولة مدنيا عن الاخطاء التى يرتكبها رئيس المجلس الشعبي البلدي ونوابه ورؤساء المفوضيات المؤقتة والمستشارون البلديون المكلفون بنيابة خاصة واعضاء المفوضيات المؤقتة وموظفو البلدية حين قيامهم بوظائفهم او بمناسبتها .

المادة ١٨٠ : يمكن للبلديات على كل حال ان تقيم الدعوى امام الجهات القضائية المدنية على مرتكبي هذه الاخطاء .

الفصل الثاني
الاحكام العامة المطبقة على الادارة البلدية
القسم الاول : الاموال البلدية

المادة ١٨١ : يتداول المجلس الشعبي البلدي وفقا للشروط المحددة في هذا الامر في الشؤون الخاصة بتسيير الاموال والعمليات العقارية التى تجريها البلدية .

المادة ١٨٢ : ان قيمة المشتريات العقارية التى تجريها البلدية والمؤسسات العمومية البلدية يجري دفعها وفقا للشروط المحددة بالقوانين والانظمة الجاري بها العمل .

المادة ١٨٣ : لايترتب اي استيفاء للخزينة على الشراءات التى تعقدها ـ بالتراضي وبعوض ـ البلديات او النقابات البلدية لفائدة التعليم العمومي والمساعدة والصحة وانشغال العمران والبناء .

المادة ١٨٤ : ان العقارات والحقوق غير المنقولة التى تملكها البلديات والمؤسسات العمومية البلدية يجري بيعها ـ ماعدا الاستثناءات المنصوص عليها في القانون ـ بواسطة المزايدات العلنية والمنافسة ضمن الشروط المحددة في هذا الامر .

المادة ١٨٥ : لايجوز التصرف في الاراضي البلدية المخصصة لدفن الموتى .
وستحدد بموجب مرسوم كيفيات تخصيص هذه الاراضي تحويلها وازالتها .

المادة ١٨٦ : ان القرارات التى تغير فيها ، السلطة المكلفة بتسيير المصالح البلدية ذات الصبغة الاقتصادية تخصيص العقارات والتجهيزات التى تملكها ، لاتصبح نافذة الا بعد الموافقة عليها من المجلس الشعبي البلدي .

القسم الثاني
الهبات والوصايا

المادة ١٨٧ : يبت المجلس الشعبي البلدي في قبول الهبات والوصايا الممنوحة للبلدية .

ويسوغ للمجلس الشعبي البلدي ان يقرر المصالحة مع ورثة المتبرع .

المادة ١٨٨ : للمؤسسات العمومية البلدية ان تقبل او ترفض الهبات والوصايا الممنوحة لها بدون قيد او شرط او تخصيص عقاري .

وعندما تكون الهبات مثقلة بقيود او شروط او تخصيص عقاري فللمجلس

الشعبي البلدي ان يأذن بالقبول او بالرفض بعد اخذ رأى عامل العمالة.

المادة ١٨٩ : تعفى البلديات والمؤسسات العمومية البلدية والنقابات البلدية من رسوم النقل المجانى الجارى على العقارات التى تؤول لها من الهبات او التركات.

المادة ١٩٠ : عندما تكون المدخولات الناجمة من تبرع ما غير كافية لتأمين التنفيذ الكامل للاعباء المفروضة يجوز ان يؤذن للمجلس الشعبى البلدى ، بعد المداولة بتنقيص تلك الاعباء بموجب قرار من عامل العمالة.

الفصل الثالث
المناقصات والصفقات

المادة ١٩١ : ان صفقات الاشغال والنقل او تموينات البلديات ونقابات البلديات والمؤسسات البلدية يجب ان تجرى عليها المناقصة مع مراعاة الاستثناءات المنصوص عليها فى القوانين والانظمة المرعية.

المادة ١٩٢ : بالرغم من جميع الاستثناءات المخالفة للاحكام الجارى بها العمل يجوز عقد الصفقات بدون مناقصة فى الحالات التالية :

– عن الاشياء التى يكون صنفها خاصا بمصنع ما.

– عن الاشياء التى لا يملكها غير حائز فريد.

– المصنوعات والاشياء الفنية والدقيقة التى لا يعهد بتنفيذها الا لاهل الفن والصناعيين الخبراء.

– الاستغلالات والمصنوعات واللوازم التى لا تعد للتجربة

– المواد والمواد الغذائية التى تكون بالنظر لطبيعتها الخصوصية وخاصية استعمالها للوجهة المعدة لها ، واجبة الشراء والاختيار من اماكن الانتاج او مما يتم تسليمه بدون وساطة.

– اللوازم والنقل او الاشغال التى لا يمكن فى حالة العجلة القصوى اخضاعها لمهل المناقصات.

– اللوازم والنقل او الاشغال التى يتحتم على الادارة تنفيذها مكان المناقصين المتخلفين وعلى مسئوليتهم.

المادة ١٩٣ : عندما يجرى رئيس المجلس الشعبى البلدى مناقصة عمومية لحساب البلدية يكون مؤازرا من قبل مستشارين بلديين يعينهما المجلس.

ويدعى القابض البلدى الى جميع المناقصات والمزايدات.

المادة ١٩٤ : عندما تجرى السلطة المكلفة بتسيير مؤسسة عمومية بلدية مناقصة او مزايدة عمومية فتكون مؤازرة من قبل مستشارى البلدية التابعة لتلك المؤسسة.

ويدعى قابض المؤسسة للمناقصة .

المادة ١٩٥ : يحرر محضر لكل مناقصة او مزايدة وتجرى احالته مع الصفقة الى عامل العمالة للمصادقة.

المادة ١٩٦ : عندما لا تسفر المناقصة او المزايدة الاولى عن اى غرض او لم ينجم عنهما الا عروض غير مقبولة ، فيجوز لادارة البلدية الخاصة بالمؤسسة البلدية او نقابة البلديات عقد الصفقة بالتراضى. ويسوغ لها ان تجرى فى محاولة ثانية مناقصة او مزايدة تتضمن مراجعة الاسعار وبنود دفتر الشروط وفى هذه الاحوال لا يسوغ للادارة ان تتعدى الحد الاقصى من السعر المحدد للمناقصة او المزايدة الثانية الا اذا اجاز لها ذلك عامل العمالة او اذا بررت الظروف الاستثنائية ذلك.

المادة ١٩٧ : تقسم المناقصات والمزايدات والصفقات بقدر الامكان الى عدة اجزاء تبعا لاهمية الاشغال او التزويدات مع مراعاة نوع المهن المعنية وعددها.

المادة ١٩٨ : ان الصفقات البلدية والصفقات الخاصة بالمؤسسات العمومية البلدية معفاة من رسوم الطابع.

وهى معفاة ايضا من اجراء التسجيل وحقوقه.

المادة ١٩٩ : ان الشروط الواجب توفرها فى المقاولين والمزودين ليمكن قبولهم فى المناقصة محددة فى التنظيم الجارى به العمل.

الباب الثالث
المصالح ومقاولات البلدية
الفصل الاول
الميزات العامة
القسم الاول : المصالح العمومية البلدية

المادة ٢٠٠ : تؤسس المصالح العمومية ذات الصبغة الادارية بموجب مداولة المجلس الشعبى البلدى التى تصادق عليها شرعيا السلطة العليا.

المادة ٢٠١ : تقيد نفقات ومدخولات المصالح العمومية ذات الصبغة الادارية فى ميزانية البلدية ، ولا تلزم هذه المصالح بموازنة نفقاتها بمدخولاتها.

المادة ٢٠٢ : ان المصالح العمومية التى تستغلها البلديات او نقابات البلديات تعد مصالح ذات صبغة اقتصادية اذا كان هدفها صناعيا وتجاريا وثقافيا وصحيا واجتماعيا.

المادة ٢٠٣ : ان النظام الجنائى للمصالح العمومية ذات الصبغة الاقتصادية مهما كانت طريقة استغلالها محدد بالقوانين والانظمة بها

المادة ٢٠٤ : يجب على المجلس الشعبى البلدى ان يصوت على التعريفات التى تضمن التوازن الخاص بالمصالح العمومية ذات الصبغة الاقتصادية ضمن الحدود المعينة فى القوانين والانظمة.

بيد ان عامل العمالة يمكنه ان يرخص استثناءات لهذا المقتضى اذا تعذر على المصلحة ادراك التوازن بالنظر لمجهود التجهيز الذى يقام به.

ان الفائض المستحصل عليه فى تسيير هذه المصالح تخصص لتمويل التوسع الاقتصادى والتجهيز البلدى.

المادة ٢٠٥ : يجوز لعامل العمالة ان يسحب اذن استغلال مصلحة عمومية ذات صبغة اقتصادية اذا اسفر عن عجز من شأنه ان يعرض توازن المالية البلدية للخطر وذلك بعد مراعاة استهلاك التركيبات.

المادة ٢٠٦ : يضع المجلس الشعبى البلدى نظاما لكل مصلحة عمومية ذات صبغة اقتصادية ، تجرى مصادقته من قبل عامل العمالة.

فلا تحمل على الميزانية الا النفقات المنطبقة على هذا النظام.

القسم الثاني : المقاولات البلدية

المادة ٢٠٧ : ان المقاولات البلدية هى وحدات اقتصادية يحدثها المجلس الشعبى البلدى لتحقيق مخططه الخاص بالتنمية.

تتمتع البلديات بالشخصية المعنوية والاستقلال المالى.

المادة ٢٠٨ : ان احداث اية مقاولة بلدية وتكوين طريقة تسييرها يجب ان يصادق عليهما من قبل عامل العمالة بعد اخذ رأى الوزير المختص. وان الميزانيات والحسابات السنوية الخاصة بهذه المقاولات يجرى ابلاغها الى عامل العمالة بعد المصادقة عليها من المجلس الشعبى البلدى.

المادة ٢٠٩ : يسوغ لعامل العمالة حل مقاولة بلدية اذا اسفر استغلالها من ظهور عجز من شأنه ان يعرض مستقبل المقاولة للخطر وذلك بعد اخذه بعين الاعتبار استهلاك التركيبات.

ويخول قرار الحل للبلدية ما للمقاولة وما عليها من الاموال.

المادة ٢١٠ : تخضع المقاولات البلدية للنظام الجبائى الخاص بالقانون العام.

المادة ٢١١ : ان ارباح المقاولات البلدية تدفع الى ميزانية البلدية بعد خصم الاحتياطات الخاصة بالتمويل الذاتى الذى يحدد مبلغه المجلس الشعبى البلدى ، يصادق عليه عامل العمالة.

الفصل الثانى
طرائق التسيير
القسم الاول : التصرفات المالية والبلدية

المادة ٢١٢ : يمكن البلديات والنفقات

البلدية ان تستغل مباشرة مصالح عمومية في شكل الاستغلال المباشر .

المادة ٢١٣ : يقرر المجلس الشعبي البلدي تعيين المصالح التي تؤمن الاستغلال المالي المباشر وفقا للمقتضيات الجاري بها العمل .

المادة ٢١٤ : تقيد المدخولات والنفقات الخاصة بالاستغلال المالي المباشر في الميزانية البلدية . ويتولى انجازها قابض البلدية طبقا للقواعد المقررة لمحاسبة البلديات .

المادة ٢١٥ : يسوغ للمجلس الشعبي البلدي ان يقرر افادة بعض المصالح العمومية التي تستغل بصفة مباشرة ، بأن تتمتع بميزانية مستقلة .

وتستفيد لزوما من هذه الميزة ، المصالح العمومية ذات الصبغة الاقتصادية .

المادة ٢١٦ : يسوغ لعامل العمالة ان يسحب اذن الاستغلال المالي المباشر من يد مصلحة عمومية ذات صبغة اقتصادية ، اذا ظهر له بعد الاخذ بعين الاعتبار استهلاك التركيبات ، بأن استغلالها اسفر عن عجز من شأنه ان يعرض موازنة المالية البلدية للخطر .

المادة ٢١٧ : ان المصالح ذات الصالح القائم على مستوى البلديات يمكن استغلالها بصفة مباشرة بواسطة نقابة تشكل من البلديات المعنية .

المادة ٢١٨ : ان التنظيم الاداري والنظام المالي وادارة الاستغلالات المباشرة محددة في النظام الجاري به العمل .

القسم الثاني : أنواع أخرى من التسيير

المادة ٢١٩ : يمكن البلديات ، من اجل تسيير مصالحها العمومية ، ان تحدث المؤسسات العمومية ذات الشخصية المعنوية والاستقلال المالي .

ويجب ان يصادق عامل العمالة على احداث المؤسسات العمومية البلدية المشار اليها اعلاه . ان القواعد المتعلقة بالنظام الاداري والمالي لهذه المؤسسات يجرى تحديدها بمرسوم .

المادة ٢٢٠ : اذا امكن استغلال المصالح العمومية البلدية استغلالا مباشرا ، بدون ان ينجم من ذلك ضرر فيؤذن للبلديات منح هذا الامتياز .

ويصادق على الاتفاقات التي تجرى لهذا الغرض بموجب قرار عمالي اذا كانت مطابقة لنماذج الاتفاقات المقررة بمرسوم ، ويصادق عليها بقرار من وزير الداخلية في حالة العكس .

ويجوز لوزير الداخلية ان يفوض هذا الحق الى عامل العمالة .

الباب الرابع
اختصاصات الهيئة التنفيذية البلدية

الفصل الأول
العلاقات التي تقوم مع المجلس الشعبي البلدي

المادة ٢٢١ : يعمل رئيس المجلس الشعبي البلدي على انعاش هيئة المجلس . ولهذا الغرض فانه يتحمل المسئولية التالية :

– استدعاء المجلس الشعبي البلدي للاجتماع لمعالجة المسائل الداخلة في اختصاصه .

– تعيين جدول الاعمال الخاص بالجلسات بعد مشاورة الهيئة التنفيذية البلدية .

– رئاسة الجلسات وادارة المناقشات .

المادة ٢٢٢ : يسهر رئيس المجلس الشعبي البلدي ونوابه ، كل فيما يخصه على تنصيب اللجان وعلى حسن سيرها .

المادة ٢٢٣ : يحضر رئيس المجلس الشعبي البلدي ميزانية البلدية بمساعدة الاعضاء الآخرين للهيئة التنفيذية البلدية وموظفي المصالح البلدية .

المادة ٢٢٤ : يتولى رئيس المجلس الشعبي البلدي تنفيذ مقررات المجلس المذكور .

الفصل الثاني
تمثيل البلدية

المادة ٢٢٥ : يمثل البلدية في جميع اعمالها المدنية والادارية رئيس المجلس الشعبي البلدي وذلك ضمن الاوضاع والشروط المنصوص عليها في القوانين والانظمة .

المادة ٢٢٦ : يقوم على وجه الخصوص رئيس المجلس الشعبي البلدي او عضو الهيئة التنفيذية البلدية الذي ينوب عنه ، باسم البلدية ولحسابها ، بجميع الاعمال الخاصة بالمحافظة وادارة الاموال والحقوق التي تتكون منها ثروة البلدية .

وهو مكلف بصورة خاصة ، وضمن الاوضاع المنصوص عليها في القوانين والانظمة بما يلي :

– تسيير موارد البلدية والامر بصرف النفقات والاشراف على المحاسبة البلدية .

– ابرام عقود الشراء والمصالحة وقبول الهبات والوصايا والصفقات او الايجارات .

– ابرام المناقصات الخاصة بالاشغال البلدية والاشراف على حسن تنفيذها .

– رفع الدعاوى لدى القضاء باسم البلدية وعلى حسابها .

– القيام بجميع الاجراءات القاطعة للتقادم وبسقوط الحق .

المادة ٢٢٧ : ينسق رئيس المجلس الشعبي البلدي المتعلقة بمجموع نشاطات جميع المصالح البلدية .

ولهذا الغرض ، فهو مكلف :

– بتسيير شئون موظفي البلدية ، ضمن الشروط المنصوص عليها في القوانين والانظمة .

– اتخاذ التدابير المتعلقة بصيانة الطرق البلدية .

– السهر على المحافظة على المحفوظات .

– ادارة خزانات الكتب والمتاحف العائدة للبلدية .

– السهر على تنفيذ مقررات المجلس الشعبي البلدي المتعلقة بمجموع نشاطات القطاع الاشتراكي في نطاق البلدية .

المادة ٢٢٨ : عندما تتعارض مصالح رئيس المجلس الشعبي البلدي مع مصالح البلدية ، يعين المجلس الشعبي البلدي عضوا من الهيئة التنفيذية البلدية بتمثيل البلدية سواء امام القضاء او في ابرام العقود .

الفصل الثالث
تمثيل الدولة

المادة ٢٢٩ : يمثل رئيس المجلس الشعبي البلدي الدولة ، في البلدية ، ضمن الشروط المحددة في القوانين والانظمة .

ويكون بهذه الصفة مكلفا تحت سلطة عامل العمالة :

– بنشر وتنفيذ القوانين والانظمة في دائرة البلدية .

– بجميع الوظائف الخصوصية المنوطة به بموجب القانون .

المادة ٢٣٠ : ان رئيس المجلس الشعبي البلدي ونوابه هم ضباط الحالة المدنية .

المادة ٢٣١ : يسوغ لرئيس المجلس الشعبي البلدي ، ان يفوض تحت مسئوليته ، لموظف واحد او اكثر من الموظفين الممارسين لوظائف دائمة والمكلفين على الاقل الاحد وعشرين عاما ، المهام التي يمارسها كضابط للحالة المدنية لتلقي التصريحات الخاصة بالولادات والوفيات والقيود المطلوب ادراجها في سجلات الحالة المدنية والبيانات الخاصة بجميع الاجراءات او الاحكام التي تقيد في تلك السجلات ، وكذلك لاعطاء جميع الشهادات المتعلقة بالتصريحات اعلاه .

ويوجه القرار المتضمن ذلك التفويض لعامل العمالة ووكيل الدولة لدى المجلس القضائي لدائرة الاختصاص الموجودة فيه البلدية المعنية .

ويسوغ لكل موظف مفوض تسليم كل نسخة او موجز او ورقة خاصة بالحالة

المدنية مهما كان نوع العقد .

المادة ٢٣٢ : يتعين على رئيس المجلس الشعبى البلدى او عضو الهيئة التنفيذية البلدية الذى ينوب عنه التعريف بجميع الامضاءات التى يخطها بحضوره كل ساكن فى البلدية معروف لديه او مصحوب بشاهدين .

المادة ٢٣٣ : اذا رفض رئيس المجلس الشعبى البلدى او اهمل اجراء احد العقود المفروضة عليه بمقتضى القوانين والانظمة جاز لعامل العمالة اجراء ذلك بحكم القانون اذا طلب منه ذلك .

المادة ٢٣٤ : عندما يكون نظام سلامة الاشخاص والاموال والصحة العمومية مهددا بوجه خطير فى بلدية او عدة بلديات مجاورة فيجوز لعامل العمالة ان يحل محل رئيس المجلس الشعبى البلدى للاخذ بيده السلطات الضرورية .

الفصل الرابع
الاختصاصات المتعلقة بالشرطة

المادة ٢٣٥ : ان رئيس المجلس الشعبى البلدى مكلف ، تحت رقابة هذا المجلس واشراف السلطة العليا ، بممارسة سلطات الشرطة التى يخولها له القانون

ولهذا الغرض يتصرف فى الشرطة البلدية ، وبمعونة شرطة الدولة ان لزم ذلك .

المادة ٢٣٦ : ان كيفيات تسيير شئون موظفى الشرطة يقررها وزير الداخلية .

المادة ٢٣٧ : ان رئيس المجلس الشعبى البلدى ، مكلف على وجه الخصوص ، لتحقيق حسن النظام والامن والسلامة الصحية العمومية ، بما يلى :

- المحافظة على حسن النظام فى جميع الانحاء العمومية التى يجرى فيها تجمع الاشخاص .
- قمع التعديات على السكينة العمومية وكل الاعمال المخلة بها .
- صيانة الاخلاق العمومية وسلامة الاشخاص والاموال .
- السهر على نظافة الابنية وتأمين سهولة السير فى الشوارع والساحات والطرق العمومية .
- اتخاذ الاحتياطات والاحترازات الضرورية لمكافحة الامراض الناجمة عن الاوبئة او الامراض المعدية .
- تحظير ضلال الحيوانات المؤذية والمضرة .
- السهر على نظافة المأكولات المعروضة للبيع .
- تأمين نظام المآتم والمقابر وفقا للعادات المرعية فى مختلف الشعائر الدينية والعمل فورا على ان يكفن ويدفن بصفة مرضية كل شخص متوفى بدون تمييز من حيث الدين والاعتقادات .

المادة ٢٣٨ : يمسك رئيس المجلس الشعبى البلدى على ضبط نظام الطرق الواقعة فى دائرة البلدية مع مراعاة الاحكام الخصوصية المتعلقة بطرق المرور العامة .

المادة ٢٣٩ : يسوغ لرئيس المجلس الشعبى البلدى فى حالة الاستعجال ، ان يأمر بهدم الحيطان والعمارات او الابنية المشرفة على السقوط .

الفصل الخامس
الاختصاصات المتعلقة بالحماية المدنية

المادة ٢٤٠ : ان رئيس المجلس الشعبى البلدى يسهر على تنفيذ التدابير الوقائية والاحتياطية والتدخل المنصوص عليها فى المخطط البلدى للنجدة وفى النظام الجارى به العمل .

المادة ٢٤١ : فى حالة الخطر الجسيم والداهم ، يأمر رئيس المجلس الشعبى البلدى بتنفيذ تدابير الامن التى تقتضيها الظروف ويعلم فورا عامل العمالة بها .

المادة ٢٤٢ : عندما تكون الوسائل الموضوعة فى حوزة رئيس المجلس الشعبى البلدى لا تكفى لمكافحة الكوارث والنكبات فيجب عليه اخطار عامل العمالة ودعوة هيئة الاطفاء من مركز النجدة التابعة له بالبلدية .

ويمكنه ان يتخذ التدابير المستعجلة بطريق المصادرة لضمان معونة سكان البلدية الاصحاء مع ادواتهم .

المادة ٢٤٣ : يجب على رئيس المجلس الشعبى ان يتخذ جميع الاحتياطات الضرورية وجميع التدابير الوقائية لضمان سلامة الاشخاص والاموال فى الاماكن العمومية التى يمكن ان يحصل فيها اى حادث او نكبة او حريق .

الكتاب الثالث
الاموال البلدية
الباب الاول
الميزانية البلدية
الفصل الاول
أحكام عامة

المادة ٢٤٤ : ان ميزانية البلدية هى حالة التقديرات الخاصة بمواردها ونفقاتها السنوية .

وهى تشكل كذلك امرا بالاذن والادارة يمكن من حسن سير المصالح العمومية البلدية .

ويحدد شكل وموضوع الميزانية البلدية بموجب مرسوم يتخذ بناء على تقرير وزير الداخلية والوزير المكلف بالمالية .

المادة ٢٤٥ : توضع الميزانية الاولية قبل بدء الدورة .

يجرى بواسطة ميزانية اضافية تعادل النفقات والمدخولات خلال الدورة نظيرا لنتائج الدورة السابقة .

ان الاعتمادات المصوت عليها على حدة ، فى حالة الضرورية وبصفة استثنائية تسمى : « الاعتمادات المفتوحة مسبقا » قبل التصويت على الميزانية وميزانية « الاذونات الخصوصية » المقترع عليها بعد تلك .

المادة ٢٤٦ : تشمل الميزانية البلدية قسمين :

- قسم التسيير .
- قسم التجهيز والاستثمار .

وكل قسم موزع على نفقات ومقبوضات .

فيجرى اقتطاع مقبوضات الادارة ويخصص لتغطية نفقات التجهيز والاستثمار . وتحدد شروط وكيفيات تطبيق هذا المقتضى بموجب مرسوم يصدر بناء على تقرير وزير الداخلية والوزير المكلف بالمالية .

ويجرى لزوما لكل قسم ، توازن خاص بالمقبوضات والنفقات .

الفصل الثانى
التصويت والانظمة

المادة ٢٤٧ : يقترح الرئيس ميزانية البلدية ويجرى التصويت عليها من قبل المجلس الشعبى البلدى وتضبط وفقا للشروط المنصوص عليها فى هذا الامر .

يصوت على الميزانية الاولية لزوما قبل ٣١ اكتوبر من السنة السابقة للسنة التى ستطبق فيها . ويجب التصويت على الميزانية الاضافية قبل ١٥ يونيو من الدورة المطبقة فيها .

المادة ٢٤٨ : يصوت على الاعتمادات فى كل باب ومادة .

ويسوغ للمجلس الشعبى البلدى اجراء تحويلات من فصل الى فصل داخل نفس القسم .

ويسوغ لرئيس المجلس الشعبى البلدى اجراء تحويلات من مادة الى مادة داخل نفس الفصل .

غير انه لا يجوز القيام بأى تحويل اعتمادات مقيدة بتخصيصات معينة .

المادة ٢٤٩ : ان السلطة التى تضبط ميزانية بلدية ما يمكنها ان ترفض او تعدل النفقات والمقبوضات المقيدة فيها .

غير انه لا يجوز لها ان تضيف نفقات جديدة الا اذا كانت الزامية .

المادة ٢٥٠ : اذا صوت المجلس الشعبى البلدى على ميزانية غير متوازنة ، فان السلطة التى تضبطها تحيلها فى غضون الخمسة عشر يوما من استلامها الى الرئيس الذى يطرحها للمداولة فيها ثانية على المجلس الشعبى البلدى وذلك فى العشرة الايام التالية لاستلامها .

واذا صوت عليها مجددا بدون توازن

فتتولى السلطة المختصة تسويتها »

ويسرى نفس الاجراء ، اذا لم تعد الميزانية المحالة للمداولة الثانية ، لهذه السلطة في مهلة شهر واحد ابتداء من تاريخ احالتها .»

المادة ٢٥١ : اذا تبين حسين تنفيذ الميزانية ظهور عجز ما ، تعين على المجلس الشعبى البلدى اتخاذ جميع التدابير اللازمة لازالة هذا العجز وتأمين التوازن الدقيق للميزانية الاضافية الخاصة بالدورة التالية .

واذا لم يتخذ المجلس الشعبى البلدى اجراءات الضبط الضرورية ، جاز للسلطة التى تضبط الميزانية اتخاذها وتقريرها .

ويسوغ لهذه السلطة ان تأذن بتغطية العجز في مدى دورتين او اكثر .

المادة ٢٥٢ : تطبق الاحكام المنصوص عليها في المادتين ٢٤٧ و ٢٤٨ اعلاه على التصويت والانظمة الخاصة بفتح الاعتمادات المسبقة للميزانية الاضافية والاذونات الخصوصية .

المادة ٢٥٣ : اذا لم تسو ميزانية البلدية نهائيا ، لداع ما ، قبل بدء الدورة يستمر في انجاز المقبوضات والنفقات العادية المقيدة على آخر دورة لحين المصادقة على الميزانية الجديدة .

بيد انه لا يجوز الشروع في النفقات وصرفها الا في حدود الاثنى عشرية الشهرية من مبلغ اعتمادات الدورة السابقة .

المادة ٢٥٤ : تبقى ميزانية البلدية مودعة في مركز البلدية .

المادة ٢٥٥ : تعد الميزانية البلدية للسنة الميلادية . فيمد اجل تنفيذها :

ـ لغاية ١٥ مارس من السنة التالية وذلك لاجل عمليات التصفية وصرف النفقات .

ـ لغاية ٣١ مارس لاجل عمليات التصفية وتحصيل المنتجات وتأدية النفقات .

الفصل الثالث
النفقات

المادة ٢٥٦ : ان قسم التسيير يشمل على وجه الخصوص :

١ ـ نفقات اجور موظفى البلدية .

٢ ـ المساهمات المقررة في القوانين الخاصة بأموال ومدخول البلديات .

٣ ـ نفقات صيانة الاموال المنقولة والعقارية الخاصة بالبلدية .

٤ ـ نفقات صيانة الطرق البلدية .

٥ ـ الحصص والاقساط المترتبة على البلديات .

٦ ـ نفقات تسيير المصالح البلدية .

٧ ـ فوائد الدين .

٨ ـ الاقتطاع المنصوص عليه في المادة ٢٤٦ »

وان قسم التجهيز والاستثمار يشمل على وجه الخصوص :

١ ـ الاعباء الخاصة باستهلاك الدين .

٢ ـ نفقات التجهيز العمومى »

٣ ـ نفقات التجهيز والاستثمار »

٤ ـ نفقات المساهمة في الرأسمال في مهام التنمية الاقتصادية والاجتماعية .

فلا تلزم البلديات الا بالنفقات الملقاة على عاتقها بموجب القوانين والمراسيم .

المادة ٢٥٧ : يسوغ للمجلس الشعبى البلدى ان يقيد في الميزانية اعتمادا للنفقات غير المتوقعة .

فيجوز تنقيص هذا الاعتماد او رفضه اذا كانت الموارد العادية لا تمكن من مقابلة تلك النفقات وذلك بعد استنفاد جميع النفقات الاخرى المقيدة .

ويقرر المجلس الشعبى البلدى استعمال هذا الاعتماد ، او في حالة الاستعجال ، تقرره الهيئة التنفيذية البلدية ، التى تخبر في هذه الحالة عن هذا الاستعمال المجلس الشعبى البلدى .

المادة ٢٥٨ : تتقادم وتنقضى الديون واوامر الصرف واوامر الدفع التى لم يمكن تصفيتها في مهلة اربع سنوات من تاريخ فتح الاعتماد المتعلقة به وذلك لصالح البلديات والمؤسسات العمومية البلدية الا اذا كان التأخير حاصلا من عمل الادارة ، او من جراء طعن ما ، امام الجهة القضائية .

الفصل الرابع
المقبوضات

القسم الاول : أحكام عامة

المادة ٢٥٩ : تتكون مقبوضات قسم التسيير مما يلى :

١ ـ منتوج الموارد الجبائية التى يؤذن قبضها لصالح البلديات بموجب القوانين والانظمة الجارى بها العمل .

٢ ـ المساهمات ومبالغ التسيير الممنوحة من قبل الدولة والجماعات والمؤسسات العمومية .

٣ ـ رسوم وحقوق واجور الخدمات المقدمة والمقررة بموجب القوانين والانظمة الجارى بها العمل .

٤ ـ منتوج وموارد الاملاك البلدية .

٥ ـ منتوج الاستغلالات المباشرة غير المزودة بميزانية مستقلة .

وتخصص لتغطية نفقات القسم المتعلق بالتجهيز والاستثمار ، الاموال المبينة فيما يلى :

١ ـ الاقتطاع الحاصل من مقبوضات التسيير المنصوص عليه في المادة ٢٤٦ .

٢ ـ منتوج الامتيازات المتعلقة بالمصالح البلدية .

٣ ـ فائض المصالح العمومية ذات الصبغة الاقتصادية التى تستغل بصفة مباشرة والارباح التى تدفعها المقاولات والمؤسسات العمومية البلدية .

٤ ـ منتوج المساهمات البلدية في المقاولات .

٥ ـ الحصة البلدية المترتبة على ارباح الوحدات الخاصة بالقطاع الاشتراكى .

٦ ـ منتوج الفائض الحاصل عن استغلال الاموال التى تعهد الدولة بتسييرها الى البلدية .

٧ ـ منتوج القروض المأذون بها والاعاناتومبالغ المساعدات والمساهمات في التجهيز والبيوع ومنتوجات الاموال غير الاعتيادية والهبات والوصاياالمقبولة وجميع المقبوضات المؤقتة والعرضية .»

القسم الثانى : الضرائب

المادة ٢٦٠ : لايسمح للبلديات بالاستيفاءالا للضرائب والاداءاتوالرسوم المنصوص عليها في القوانين الجارى بها العمل .

المادة ٢٦١ : يمكن للبلديات ان تؤسس رسما لمصاريف الزيادة ودمغ اللحوم التى تتولى مراقبتها الصحية .

المادة ٢٦٢ : يسوغ للبلديات المصنفة ان تؤسس رسما خصوصيا يدعى رسم الاقامة .

ويفرض الرسم على الاشخاص الغير مقيمين في البلدية وغير المتوفرين على مسكن فيها .

وتحدد تعريفة رسم الاقامة من قبل المجلس الشعبى البلدى وفقا للقوانين والانظمة الجارى بها العمل .

المادة ٢٦٣ : يجوز للبلديات ان تفرض على ملاكى العقارات المجاورة للطرق العمومية رسوما مخصصة للانشاء او لاحداث ارصفة .

بيد ان النفقات الموضوعة علىعاتق الملاكين لايمكن ان تجاوز نصف النفقة الكاملة .

ان رسم الرصيف، الذى يقرربموجب مداولة مصدقة قانونيا للمجلس الشعبى البلدى ، يجرى تحصيله بموجب جدول توزيع يصدره رئيس المجلس الشعبى البلدى .

المادة ٢٦٤ : ان تعريفات الضرائب الواجب اداؤها للبلدياتمن اجل اشغال الاملاك العمومية البلدية بالمصنوعات او الاموال المنقولة العائدة لكل شخص طبيعى او معنوىبموجب رخصة الطريق، يجرى تحديدها من قبل المجلس الشعبى البلدى طبقا للقوانين والانظمة الجارى بها العمل .

يمكن للبلديات ان تمنح بعوض رخص الوقوف وكراء مرافق الاملاك العمومية الوطنية سواء كانت ارضية ام نهرية ماعدا الطرق الحديدية والاملاكالعسكرية وشريطة ان لا يؤدى هذه الحيازة الى الاستيلاء على املاك الدولة او الى تسيير حالتها الاساسية ان تعريفات هذه الضرائب تحدد بالقوانين والانظمة الجارى بها العمل .

المادة ٢٦٥ : ان الناتج المتوقع عن التكليفات المباشرة المحلية يؤدى الى البلديات من قبل الخزينة على شكل دفعات شهرية على الحساب يجرى حسابها بمعدل اثنىعشرى من احتياطات الميزانية .»

وفى حالة ما اذا لم تجر فى الآجال المحددة المصادقة على الميزانية لعدم توازنها فلا تستوفى البلدية ريثما تجرى هذه المصادقة الا تسبيقات شهرية تحسب بناء على تسعة فى اثنى عشر من التقديرات الخاصة بالميزانية السابقة.

القسم الثالث : الصناديق البلدية للضمان والتضامن

المادة ٢٦٦ : تتوفر البلديات على صندوق بلدى للضمان وصندوق بلدى للتضامن .

وتدير هذين الصندوقين مؤسسة عمومية تعين بالقانون .

المادة ٢٦٧ : ان الصندوق البلدى للضمان مختص بما يلى :

١ - النقصان الحاصل فى مبلغ الضرائب المباشرة المحلية المقيدة فى الجداول ، بالنسبة لمبلغ التقديرات الخاصة بهذه الضرائب .

٢ - التخفيضات والرسوم الغير ممكن تحصيلها ، التى تقرر خلال الدورة . ويمول هذا الصندوق بطريق الاقتطاع من الضرائب تحدد نسبته بموجب قرار وزارى مشترك قبل اعداد البلدية .

ويقيد هذا الاقتطاع الزاميا فى النفقات الخاصة بقسم التسيير لميزانية البلدية .»

المادة ٢٦٨ : يكلف صندوق التضامن بالدفع للبلديات :

أ - تخصيصا نسبيا سنويا من الضرائب المعينة بالقانون والمتعلقة بقسم التسيير فى الميزانية البلدية .

٢ - اعانات التجهيز المأخوذة من الموارد التى يخولها القانون لهذا الصندوق والمخصصة لقسم التجهيز والاستثمار الخاص بالميزانية البلدية .

٣ - الاعانات الاستثنائية للبلديات التى تكتنف وضعها المالى صعوبة خاصة او التى يكون لزاما عليها ان تواجه الكوارث والاحداث غير المتوقعة .

وتحدد بمرسوم كيفيات تطبيق هذه المادة .

المادة ٢٦٩ : لاتقترض البلديات الاموال الا من مؤسسات عمومية معينة فى القانون .

الباب الثانى
المحاسبة البلدية

المادة ٢٧٠ : تقدم حسابات الرئيس الخاصة بالدورة المختومة الى المجلس الشعبى البلدى لتسجل المسداولة على الميزانية الاضافية للسنة الجارية .»

وتجرى المصادقة عليها ضمن الشروط المنصوص عليها فى المادة ١٠٨ .»

المادة ٢٧١ : يجوز لرئيس المجلس الشعبى البلدى وحده اصدار حوالات الصرف .»

على انه ، اذا رفض صرف نفقة اجبارية بعد انذاره ، جاز لعامل العمالة ان يتخذ قرارا يقوم مقام الحوالة .

المادة ٢٧٢ : يمارس مهام قابض البلدية محاسب عمومى يعين حسب المقتضيات الجارى بها العمل .»

المادة ٢٧٣ : يتولى المقبوضات والنفقات البلدية قابض البلدية المكلف وحده وتحت مسؤوليته بمتابعة استخلاص جميع مدخولات البلدية وجميع المبالغ المترتبة لها وكذا بوفاء النفقات التى يصدر الرئيس الامر بصرفها وذلك فى حدود الاعتمادات المفتوحة قانونا .

المادة ٢٧٤ : يصدر رئيس المجلس الشعبى البلدى الجداول الخاصة بتحصيل الواردات البلدية الا مانص خلاف ذلك فى القوانين والانظمة فتكون هذه الجداول قابلة للتنفيذ .»

المادة ٢٧٥ : تودع حسابات البلدية فى مقر مركز البلدية .»

الباب الثالث
صدور الحكم الاستئنافى والابتدائى فيما يخص الحسابات البلدية

المادة ٢٧٦ : يكلف مدير الضرائب المختلفة ، بانتظار تأسيس محكمة خصوصية ، بمراقبة وتصفية حسابات التسيير الخاصة بالبلديات والمؤسسات العمومية البلدية .

المادة ٢٧٧ : يمكن لمدير الضرائب المختلفة ان يأمر قابض البلدية بأن يقدم له الوثائق الثبوتية الناقصة وذلك فى مهلة شهر واحد من تاريخ توجيه الطلب.

المادة ٢٧٨ : يصدر مدير الضرائب المباشرة ، على ضوء الحسابات المقدمة له مقررات ادارية تبين هل كان القابض برىء الذمة او عامرها وفى الحالة الاولى ومع الاحتفاظ بالطعن المحتمل فان مقرر مدير الضرائب المختلفة يضمن تبرئة ذمة القابض البلدى ، واما فى الحالة الثانية فانه يحدد بصورة احتياطية المبلغ المتبقى فى ذمته .»

المادة ٢٧٩ : يضع مدير الضرائب المباشرة تقريرا سنويا شاملا يحتوى على بيان ملاحظاته المتعلقة بالتسيير المالى للبلديات والمؤسسات العمومية البلدية التى يراقب حساباتها فيما يتعلق بالتعليمات الخاصة بالقابض البلدى وآمرى الصرف .»

ويوجه ذلك التقرير الذى ترفق به خلاصات القرارات التى اصدرها بشأن الحسابات المعروضة على نظره ، الى الوزير المكلف بالمالية ووزير الداخلية بواسطة عامل العمالة .

الباب الرابع
التسيير الواقعى

المادة ٢٨٠ : كل شخص غير القابض البلدى يتدخل بدون اذن قانونى فى التصرف فى نقود البلدية يعتبر بهذا فعليا وحده محاسبا .

ويجوز علاوة على ذلك ملاحقته بموجب القوانين والانظمة الجارى بها العمل كمتدخل بدون صفة فى المهمات العمومية.

المادة ٢٨١ : ان التسيير الواقع فى غير حدود الوظيفة والمتعلق بالحسابات البلدية والمؤسسات العمومية البلدية يرفع مباشرة امام الجهات القضائية المختصة من قبل رئيس المجلس الشعبى البلدى او من قبل عامل العمالة .»

الكتاب الرابع
احكام ملحقة

المادة ٢٨٢ : تحدد بمرسوم القوانين الاساسية الخاصة المطبقة على بلدية الجزائر وبلديات بعض المدن الكبرى .

المادة ٢٨٣ : بقطع النظر عن احكام هذا الامر تصدر فيما بعد النصوص التى يحدد بموجبها النظام الادارى والمالى الذى يطبق على المراكز الصناعية الكبرى المؤسسة فى بعض البلديات .

المادة ٢٨٤ : عندما يكون جزء من سكان بعض البلديات الصحراوية بعيدا عن مركز البلدية ويجعل من الصعب تسيير وادارة مصالحه ، فيجوز لعامل العمالة ان يعين فى ذلك الجزء متصرفا مندوبا .

فيكلف هذا الاخير بممارسة المهام الادارية الجارية وحفظ النظام العام التى تؤول الى رئيس المجلس الشعبى البلدى بموجب هذا الامر ولا سيما المهام المنصوص عليها فى المادة ٢٤٥ .

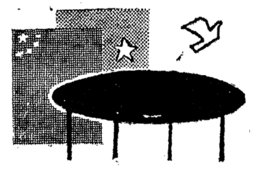
المادة ٢٨٥ : تبقى الاحكام التشريعية والتنظيمية المطبقة على هؤلاء الموظفين سارية المفعول ريثما يصدر القانون الاساسى لموظفى البلدية .

المادة ٢٨٦ : تلغى جميع الاحكام المخالفة لهذا الامر .»

المادة ٢٨٧ : ينشر هذا الامر فى الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية . وحرر بالجزائر فى



.. والصين وفيتنام



حسين ذو الفقار صبري

يكتب هذا المقال « للطليعة » السيد حسين ذو الفقار صبرى أمين شئون الملاقات الخارجية للاتحاد الاشتراكى العربى . وفيه يعرض لانطباعاته التى خرج بها من خلال حضوره لمؤتمر الحزب الشيوعى البلغارى الاخير وخاصة بالنسبة لقضية فيتنام والنزاع الصينى السوفيتى وتاثيره على الحركة الشيوعية العالمية . وكان حسين ذو الفقار صبرى قد رأس وفد الاتحاد الاشتراكى المراقب الى هذا المؤتمر .

في منتصف شهر نوفمبر الماضي انعقد في صوفيا المؤتمر التاسع للحزب الشيوعى البلغارى ، وكانت مناسبة، درجت الاحزاب الشيوعية مؤخرا على انتهازها ، فتضيف الى قائمة الدعوات التقليدية الموجهة الى الاحزاب الماركسية اللينينية دعوات اخرى الى عديد من ممثلى الاحزاب الثورية غير الشيوعية وممثلي حركات التحرير التي تناضل في سبيل انتزاع استقلالها من براثن الاستعمار المتمركز في بعض جيوب هنا أو هناك ، وفى القارة الافريقية بوجه خاص .

وفي هذه المؤتمرات يتولى القائمون على الحزب الداعي عرض الانجازات التي حققوها في المجال الداخلى ، ويتناولون بالتحليل والتمحيص الظروف التى احاطت بها والوسائل التى ادت اليها ، سعيا الى خلق ظروف اكثر مواتاة ، وابتداع وسائل اشد فعالية فيرتقوا بجهودهم الى مزيد من تقدم ورخاء .

انها انجازات تطرح ، على ان يكون فى التجارب التى ادت اليها فائدة للغير ، وعلى ان تتفتح امامهم آفاق جديدة لم تطرا لهم على بال اذا ماتجاوب معهم هذا الغير فعرض من لدنه تجاربه الخاصة، بل أن ماتسديه تلك الوفود العديدة من تحيات تقدير لهو فى حد ذاته حافز تشجيع ودافع الى مواصلة الطريق ، ثم ان التعارف والاتصال يمهدان لعلاقات مستقبلة ، مجزية من حيث ماسوف يترتب

عليها من تجاوب وتعاون وتبادل في الخبرات .

ولذا فان تلك المؤتمرات محورها الاصيل هو خطة التنمية التي في سبيلها الى اعداد أو تطبيق ، في ضوء من مراجعة وتقييم لما سبق وتحقق ، او لما تمخضت عنه سابقتها من تجارب فهي ذخيرةتتسلح بها ، أو لما تولد عنها من مشاكل، فهي تحديات تستوجب المجابهة بما سوف يبتدع من حلول .

ذلك هو محورها ولكنها أيضا منبر تطل منه الوفود على المجال الدولي ، وما يعتمل فيه من تيارات وتصادمات،فيقدم ممثلو الاحزاب الشيوعية في ضوء من مفاهيم أساسية عن وحدة النضال التي تجمع بين الماركسيين اللينينيين في كل مكان ، صورة لواقع الحال ، كيف أصبح ولماذا ، انطلاقا الى ما يجب أن يكون ، فهي صورة لتطورات الماضي مرتبطة عبر الحاضر باحتمالات المستقبل، ثم بالطريق الذي يتحتم عليهم أو يسلكوه اليه .

ولكنهم لم يتفقوا على الطريق ، أم هل نقول ان كانت هناك شكوك وتحفظات أحاطت بالاقتراح الذي أريد له أن يكون هدفا مشتركا لهم جميعا ، فمنهم من وافق بل دفع بذاك الاقتراح دفعا،ومنهم من تجاهله او راوغ أو حام من حولة ، ومنهم من رفضه صراحة أو ضمنا .

فان الذي استحوذ على الاهتمامات الدولية للمؤتمر كان موقف الصين وتقييم الاوضاع في الصين ، ثم الطريق الواجب سلوكه تجاه الصين .

وانها لقصة عميقة الجذور،بدات بتفجر الخلاف علنا بين موسكو وبكين بعد سنين طويلة من تستر على رواسب الشك وهي تتراكم ووجهات النظر تتزاحم فتتهايل من تحتها جسور التفاهم .

ولست بصدد ابراز دور **((خروشوف))** في تعميق هوة الخلاف ، فقد سبق وفعلت في مقال سابق ، وانما أبدأ من حيث بدأ زعماء الاتحاد السوفييتي الحاليون فاحتووا الخلاف ضمن السياسة العامة التي واجهوا بها المشاكل التي خلفها لهم **((خروشوف))** تلك السياسة التي غلبت على المؤتمر الثالث والعشرين للحزب ، فسمحت لنفسي بأن أسميه ، في مقالي السابق الذي اشرت اليه ، بمؤتمر **((تصفية الخروشوفية))** .

لم يحاول زعماء الاتحاد السوفييتي تجاهل الواقع ، فالخلاف موجود ،ولكنهم حاولوا أن يتمالكوا انفسهم على عكس ما كان يفعل خروشوف فلايدفعوا بالخلاف دفعا الى الحافة حيث لامكان الا ((لنعم أو لا)) ، لارتباط كامل أو انفصام قاطع .

بدأ زعماء السوفييت من حيث كان عليهم أن يبدأوا ، وهو الاخذ بمبدأ الحفاظ أولا وقبل كل شيء على واجهة عريضة تعلن على اللاوحدة الحركة الشيوعية والعمالية ، وليجر وراءها ماقد يجرى من خلاف ، على ان تتوصل الاتصالات الثنائية المباشرة او الوساطات ، وياحبذا لو حصرت في أضيق الحدود ، الى تنقية الجو ،فتنتقل الاهتمامات الى ما يجمع ،ولايفرق وتعزل أوجه الخلاف تدريجيا داخل جيوب محددة، فلاتستشرى طولا وعرضا الى ان تتهيا الظروف المواتية لمعالجتها موضوعيا .

واذا كان الزعماء السوفييت قد رفعوا راية الوحدة الدولية ، فانهم لم يفعلوا ذلك عفوا فهي مضمون الشعار الذي اطلقه ((**ماركس**)) يحث عمال العالم « أن أتحدوا » شعار كان المنطلق الى الثورة البلشفية فيمابعد،وان تحول مضمونه ذاك حين رفع **((ستالين))** علم «الاشتراكية في بلد واحد» الى واقع من التفاف شامل حول «قاعدة الاشتراكية» في ذلك البلد الواحد ، اجراء ملح أملته الظروف ، فأصبح لزاما على الاحزاب الشيوعية والعمالية الا تبخل بجهد أو تمسك عن تضحيته حفاظا على سلامة «القاعدة» ودفعا بها الى مزيد من قوة ، فتتحول الوحدة الدولية عن مفهومها الماركسي الاصلي ، الذي هو أتحاد بين اقران ، الى سيطرة مركزية تقوم فيها موسكو بدور الامر الناهي دون مساءلة او مرد .

ولكنه حال ما كان يمكن له أن يدوم ، فقد زال عهد ستالين ، كما استقرت النظم الشيوعية في عديد من دول العالم وخاصة في أوروبا الشرقية على أسس راسخة من تطور صناعي وتكنولوجي متقدم ، وارتفعت اصوات لها وزنها تنادي باعادة النظر ، عودا الى المنابع البكر للماركسية فيلاحمون بين مبادىء العقيدة والاوضاع المتطورة الجديدة، وكان أبرز ما قدم في هذا الصدد نظرية «المركزية المتعددة» **((لتولياتي))** زعيم الحزب الشيوعي الايطالي .

ثم أنه هو نفسه ، صاحب الخطاب المشهور ، الذي حاول فيه مواجهة العنف والرعونة اللتين تميز بهما اصرار خروشوف على الدعوة الى مؤتمر عالمي للاحزاب الشيوعية ، هدفه الوحيد طرد الصين من المعسكر الشيوعي فتنصدع الوحدة الدولية صدعا لارأب له .

واذا كانت آراء **((تولياتي))** قد استمدت قوة من مكانته الفكرية العليا في صفوف الشيوعية الدولية فان وفاته شحنت ذلك الخطاب والاراء التي فصلت فيه ، بطاقات هائلة ، اذ بدأ وكأنما قد أودعه وهو يجود بأنفاسه الاخيرة خلاصة فكره وحسه وعميق أيمانه وديناميه مشاعره **((وصية تولياتي))** ، كما اصبح يعرف هذا الخطا ، ، كان لها ولاشك اثر كبير فيما قرره أول مؤتمر من نوعه ، يعقد في موسكو بعد تنحية ((**خروشوف**)) في مارس من عام

١٩٦٥ فيجمع بين تسعة عشر من كبار الاحزاب الشيوعية تتفق على استبعاد الدعوة الى مؤتمر عالمى للأحزاب الشيوعية والدولية مالم يسبقها الاتصال بالاحزاب جميعا دون استثناء والحصول على موافقتها .

وفى المؤتمر الثالث والعشرين من الحزب الشيوعى السوفييتى فى العام التالى التزم السوفييت بنفس هذا الخط ، وأبرزوا بوضوح حرصهم على وحدة الحركة الشيوعية وأعربوا عن أيمانهم بامكان التوصل الى معالجة نقاط الخلاف بين موسكو وبكين او تضييق شقته عن طريق لقاءات ثنائية بين الحزبين الكبيرين .

أم هل كان الزعماء السوفييت يقدرون بالامكانية التقاء ؟ .

فان خطاب **بريجنيف** فى ذاك المؤتمر لم يخل من تنديد بما أسماه بالانحرافات « نحو اليسار » المرتبطة كما قال بمظاهر النعرة القومية أومحاولات السيطرة ، كما ان خطاب «كدار» سكرتير اول الحزب الشيوعى المجرى عرض بالمسئولين الصينيين تعريضا عنيفا ، وأنه لمن المشكوك فيه أن يتطرف كدار فى رأيه هذا فينفرد به أويكاد ، دون احساس بأن ذلك سوف يقابل بركيزة من تجاوب ، اعلنت ام اخفيت فى الصدور ، فاذا كان ذاك هو تقدير الزعماء السوفييت ، واذا كان صوت **كدار** ترديدا لما كان يختلج فى قلوب بعض من زعماء دول اوروبا الشرقية من شكوك ، فانها ولاشك مواقف ارتكنت الى واقع ملموس من هوة فكرية تفصل بين موسكو وبكين ، سوف يزيد من اتساعها تضارب وجهات النظر بين الجانبين فيما يتعلق بالمشاكل الدولية بما يمس مصالحهما الحيوية ، هوة لا سبيل معها الى التقاء .

فالاتحاد السوفييتى قد أصبح نصيرا «للاوضاع الراهنة» النابعة من اعتناقه لسياسة التعايش السلمى ، هى بدورها وليدة الرادع النووى الرهيب فهو يعلن أحترامه للحدود السياسية القائمة ، وان كان يؤكد عدم تراجعه عن استعداده لمناصرة حركات التحرير وكفاح الشعوب بل ومحاولات التغيير الاجتماعى ولكن مع الحرص التام دوما على تأكيد أحترامه للقوالب الجغرافية التى أحتوت شتى البلاد .

اصبحت الحدود الجغرافية لها قدسيتها فى نظر الاتحاد السوفييتى ، وهو موقف لم تحاول موسكو أن تخفيه ، فاثار مرة هنا فى القاهرة تساؤلا عما اذا كانت تعنى به أيضا حدود المنطقة المحتلة من فلسطين ، فاكدت أن الامر ليس كذلك ، فهى خطوط هدنة وليس حدودا ، انما النظرية السوفييتية تهدف أساسا الى تثبيت خط «اودر نيسى» ، هذا طبيعيا بين الشعوب السلافية وبين احتمالات انبعاث جديد لاخطار «توتونية» ، طالما عانت منها روسيا فى تاريخها الطويل .

انها نظرية متوائمة مع التعايش السلمى الذى فرض نفسه نتيجة للتطور المذهل فى الاسلحة النووية ، فيجرى الصراع بين الشيوعية والراسمالية على أرض التنافس الاقتصادى والصناعى والاجتماعى بدلا من ميادين التصادم العسكرية . ولكنها تعنى أيضا بصورة او اخرى فى ضوء من ظروف المستقبل القريب على الاقل ، تثبيت تقسيم المانيا .

اما الصين فهى من هذه الناحية على طرف نقيض ، ليس المسئولين فى بكين وحسب ، ولكن كل من تشبع فكره بالتراث الصينى الاصيل ، حتى **«كاى تشيك»** القابع فى «تايبيه» فى حماية الاسطول الامريكى السابع ، دمية تحركها خيوط السياسة الامريكية فى «مسرح العرائس» الذى تسميه واشنطن «بالعالم الحر» ، دمية بالية طيعة تلبى الاوامر فى حدود طاقاتها المتواضعة ، ولكنها تنتفض فجأة فتتنمر اذا ما أحست بالاتجاه الى اقرار تقسيم الصين الى دولتين منفصلتين .

الصين هى الصين ، وحدة لاتقبل انفصاما او اقتطاعا لاى جزء من اجزائها ، واذا كان السعى الى اعادة توحيدها ربما عرض العالم لحرب ذرية مدمرة شاملة ، فلتكن الحرب ! انهم يمثلون ربع سكان العالم ، فاذا قضت الحرب على ملايين البشر فماذا فى ذلك ؟ سوف يبقى على قيد الحياة بضع من سكان الصين قادرون بعد كل على التكاثر والتناسل ، وهذا الذى اقوله ليس افتراضا أو استنتاجا فقد أعلنها الوفد الصينى صراحة فى المؤتمر الحادى والعشرين للحزب الشيوعى السوفييتى فى نوفمبر عام ١٩٦٠ ، متباهين بأن بلادهم تضم ٦٥٠ مليونا فاذا قضت الحرب الذرية على نصفهم أو يزيد ، فالنصر للنظام الشيوعى آخر الامر ، بفضل ماسوف يتبقى من صينيين على قيد الحياة ، وجهة نظر اثارت الفزع فى صفوف الاحزاب الشيوعية الاوروبية حيث كثافة السكان وتزاحمها مع المنشآت الصناعية على ساحات ارضية تضيق بها تعرض الشعوب لفناء كامل شامل ذريع .

نقطة خلاف جوهرية ليس من سبيل الى تجاهلها ، تضاف اليها المنازعات الاقليمية التى استعرت بين البلدين فى السنوات الاخيرة لدرجة يصعب على أى من الجانبين التراجع عنها ، فالموقف برمته كان ينذر بحتمية التفجر ، لولا أن الحرب تصاعدت فى فيتنام .

كانت الصين تنظر الى الاتحاد السوفييتى نظرة

ريبة وشك ، بلغت ذروتها خلال حكم خروشوف فقد أصاب أقتصادياتها بضربة أريد لها أن تكون قاصمة ، حين سحب جملة الفنيين الروس عام ١٩٦٠ ، وقدروا أن هدفه الاساسي عرقلة التقدم التكنولوجي في الصين فلا تتوصل الى أنتاج قنابل نووية خوفا من أن تفجر بها حربا عالمية في مواجهة التحرشات الامريكية الهوجاء .»

خطوة أعقبها خروشوف ، بعد مفاوضات سرية طويلة ، بالاقدام على توقيع أتفاقية الحظر الجزئي للتجارب الذرية في منتصف عام ١٩٦٣ ، وشعرت الصين أنها أمام مؤامرة سوفييتية أمريكية ، ترمى الى الاحتفاظ للدولتين الكبيرتين باحتكار لتلك القوى الرهيبة يهييء للجانبين اذا مازادت بينها اسباب التفاهم تقسيم العالم الى مناطق نفوذ استنادا الى جوهر الاوضاع الدولية السائدة حينذاك ، في ضوء من تعديلات هامشية طفيفة هنا أو هناك، وأقول الدولتين الكبيرتين لان بريطانيا وأن كانت هي الاخرى قوة نووية فهي من حيث السياسة الدولية ذيل لامريكا ولاتزيد .

وماذا اذن عن فيتنام الجنوبية ؟ فقد القت حكومة جونسون بثقلها العسكري هناك نذيــرا بتصميم عنيد على أحكام حلقة الحصار حـــول الصين ، بينما الاتحاد السوفييتي ، في تقديرزعماء الصين ، قد اثبت حين فرض عليه كشف أوراقه بعد مغامرته الفاشلة في كوبا ، أنه عازف عن التورط الى درجة المجابهة ، وأن مايدعيه اذن من حرص على تقديم المساعدة الى الشعوب المكافحة في سبيل الاستقلال والتحرر ، انما أقوال في فراغ ، لاتوائم بينها وبين سياسة التعايش السلمي التي اعتنقها فاعلنها ، فاذا كان هذا حاله تجاه محاولات التغيير او الدفاع عن النفس التي تلجأ اليهـــا الشعوب داخل حدودها المرسومة ، فالاتحاد السوفيتي اذن حرص من ان يتعرض للامر الواقع الذي فرضته تخطيطات حدود مهما كانت في الاصل جائرة منافية لمصالح الشعوب ، ليس الموضوع هو خط «اودرنيسي» فحسب — هكذا في تقدير زعماء الصين — وانما الحدود القائمة فعلا في أنحاء العالم جميعا ، بين شطري المانيا ، فهو خط احتكاك شديد الحساسية ، وبين شطري كوريا ليس لان القوات الامريكية في الجنوب تحمل علم الامم المتحدة فحسب ولكن ربما أيضا نكاية في الصين ، وأطلاقا ليدأمريكا في أحكام الحصار من حولها ، ثم فيتنام ، أليست هي كوريا أخرى ، والطرف الجنوبي للكماشة الامريكية التي يمكن أن تأخذ بخناق الصين ؟ .

وفي تلك المرحلة بالذات ، التي خاضت خلالها جبهة التحرير في فيتنام الجنوبية غمار الحرب معتمدة اعتمادا اساسيا على جهود الشـــعب وتصميمهم العنيد ، دون معونة مادية من الخارج ذات بال ، اهتزت مكانة الاتحاد السوفييتي في اوساط حركات التحرير في بقاع العالم اجمع ، بينما ارتفعت اسهم الصين ، فالصين كانت تتكلم وتهدد وتتوعد امريكا بالويل والثبور ، في حين يعلن ((خروشوف)) بانتقال المعـــركة بين الشـــيوعية والراسمالية الى ميادين الاقتصـــاد والتصنيـــع ومحاولات غزو الفضاء ، ثم هو اذا غامر مرة تراجع مرات كما حدث في كوبا ، بل ان ازمة كوبا — في راى الصينيين — ثلمت روح الكفاح التي يجب ان يتميز بها كل من آمن بحتمية الانتصار المصيري للشيوعية الدوليـــة ، فيتحول الشـــعار السوفييتي الى ((عش ودع غيرنا يعيش)) .

الا ان تطورات هامة طرات على الموقف بعد اغتيال ((كيندى)) في نوفمبر من عام ١٩٦٣ ، كان شخصا تنبض كل خلية في جسده بحواس من غريزة سياسية مرهفة، عرف كيف يسخر امكانيات امريكا الهائلة فتصبح طوع انامله ، تنساب منها في الحان مترابطة كأنها مقطوعة موسيقية ساحرة تهدر بالنغم الصاخب حينا لتخفت فجاة فاذا بها نداء رخيم ينساب متسللا الى شغاف القلوب ، ثم ترتفع في ايقاع متتابع فيه تاكيد وعزم وتصميم ربما اوحى بان سوف يتصاعدمرة اخرى الى نـــذير ، ولكنه لايفعل فيشعر السامع براحـــة نفسية تجعله فريسة سهلة لما قد يتبعه من هديل او حنين ، فاذا ما دفع ((بجونسون)) فجـــاة الى كرسي الرئاسة اختلط عليه الامر، فاســـلوبه جد مختلف ، البون بين الاثنين واسع شاسع كما هو بين اروقة الفكر في بوسطن ومراعي البقر فيتكساس ، ولست ازعم انذاك افضل من هذا او العكس ، فكلاهما خادم امين للمصالح الامريكية ، بل ربما كانت جلافة الجنوب اكسب للشعوب فلاتخدع عن حقيقة الاخطار المحدقة بها

في تقديري ان ((جونسون)) لم يفطن الىحقيقة اللعبة التي كان يمارسها ((كيندى)) في فيتنام ، بل قليل حتى من اقرب اقرباء معاوني ((كينـــدى)) نفسه كان يعلم بها ، فكيف ((بجونسون)) والجفوة بين الاثنين معروفة غـــير خافيـــة على احـــد ، انما ضرورة حزبية ملحة هي التي جمعت بينهما على تذكرة انتخابية واحدة، ثم ان خبرة ((جونسون)) كادت ان تكون محصورة في مجالات السياسة الامريكية الداخلية ، فوقع فريسة لمراكز قـــوى الضغط وعلى راسها وكالة المخابرات المركزية — تلك الدولة التي فـــوق الدولة — والبنتـــاجون المتحالف مع الراسمالية الاحتكارية، تغذيها العنجهية العسكرية بارباحها الخيالية .

لم يحاول ((كيندى)) قط ان ينظر الى فيتنام منعزلة عن الظروف العالمية ، فهي نغمة صاخبة يضغط بها احيانا ، ولكنه في اعتقادي كان على

استعداد لان يهبط بها الى غير نشاز اذا ماتجاويت معه اصداء احرى يبرفيها، اما الشركات الاحتكارية فلم تكن ترى فيها الا مزيدا ومزيدا من ارباح ، كما ان المقاومة الباسلة للشعب الفيتنامي كانت قد اصابت العسكرية الامريكية في صميم عنجهيتها

كيف يمكن للعسكريه الامريكيه ان تفسر هزائمها المتتاليه في فيتنام وهي التي حلقت لنفسها هالة من جبروت و «عظموت» ؟ ليس لان الشعب الفيتنامي جميعا قد هب يزود عن حريته فهو اعتراف بالعدوان ، يناقض نظريه خادعه تقول بانها نصيرة الحرية والديموقراطية اصطفتها العناية الالهية للدفاع عنها في كل زمان ومكان ، ثم انه ايضا اعتراف ضمني بقصور جوهري في فعالية جحافلها العسكريه امام القوى المعنوية اذا ماقدر ان يتسلح بها شعب من الشعوب . التفسير الوحيد اذن هو انها تواجه ، اذ تقف الى جانب حكومه سايجون «الشرعية» ، تدخلات تخريبية من الخارج ، مساعدات هائلة من عتاد ورجال اتخذت لها من فيتنام الشمالية قاعدة اساسية وانها قد حرصت حتى الساعة الا توسع رقعة القتال ، وان الضروره العسكرية اصبحت تحتم عليها الا تتوانى فيما كان عليها ان تقوم به من قبل ، ولكنها بعد كل سوف تمسك عن ان تذهب بالامر الى مداه ، حرصا على ارواح الملايين من غمار حرب طاحنة ، فهي تصاعد بعملياتها ، عل ان يصيب قلوب المتربصين بحكومة سايجون قبس من نور فيامنوا بان الولايات المتحده الامريكية هي رسول السلام ومؤول الحرية ونصير الديموقراطية .

لم تمض على وفاة «**كيندى**» اشهر قليلة حتى قامت البحرية في فبراير من عام ١٩٦٤ باول هجوم امريكي على فيتنام الشمالية ، وتبعتها غارات جوية ابتداء من اغسطس ، كل منها رد ، فيما قيل ، على هجمه كبرى تقوم بها قوات جبهة التحرير في الجنوب .

ولكن الولايات المتحدة تخلت فجاة عن اسلوب النقرة مقابل النقره الى حرب تصاعدية فعلية **ومتى كان هذا** ؟ خلال زيارة «**كوسيجين**» لهانوى في فبراير من عام ١٩٦٥ .

فاذا صح كلام المسئولين الصينيين عن موقف الاتحاد السوفييتي تجاه حركات التحرير ، فقد اصبح الموضوع الان جد مختلف ، انما هو تعد على دولة عضو في المعسكر الاشتراكي ، ليس الى التغاضي عنه من سبيل ، وهو امر تلقفته الدعاية الصينية بقوة وعنف في صراعها مع موسكو

هذا التهديد الخطير لجمهورية فيتنام الديموقراطية الشعبية كان كفيلا براب الصدع لو ان النيات كانت خالصة ، الا ان الخلاف بين موسكو وبكين كان اعمق من ان يلتئم نتيجة لذلك التهديد ، فقد راى الاتحاد السوفييتي ان تضع الصين تحت تصرفه داخل اراضيها سلسلة من قواعد جويه كمحطات لارسال الامدادات العسكرية — في صوره اسلحة وفنيين — الى هانوى ، او كمستودعات يتم منها الشحن على ماتيسر من سكك حديديه ، ولكن الصين رفضت الشكل وان لم ترفض المضمون فهي توافق على التعاون مع الاتحاد السوفييتي في هذا الشان بشرط ابرام تحالف عسكرى بين موسكو وبكين ، في ظل قياده موحدة ، والا فلا مناص من اخضاع قوافل الامداد السوفييتي للتفتيش الدقيق . والذي نعرفه ان موسكو احجمت عن عقد التحالف المطلوب فهي لاتضمن الى اى مدى قد تحاول الصين استخدامه في توريطهم ، وهم الذين لم يتورعوا عن الترحيب باندلاع حرب عالمية سوف تخرج منها الشيوعية الدولية ولاشك منتصره ، اما الذى لانعلمه عن يقين وان كان في وسعنا ان نتصوره هوتعرض الامدادات السوفييتية للتعطيل اذا مااخترقت المجال الصيني ، مما ادى الى تحويل جلته الى خطوط النقل البحرى فيستغرق وصولها امادا من وقت طويل ، كما ان مجابهة تطورات الحرب تتعرض لفجوات خطيره بين الطلب والمسارعة الى تلبيته .

ولكن يمكنا ان نقول ، رغما من استمرار الخلاف بين موسكو وبكين، ان الحرب التصاعديه الامريكية ضد فيتنام الشماليه خلقت نوعا من وحده في الهدف ، وان ترتب عنها ، ليس وحده في العمل وانما توازيا في خطوطه العامه ، في صوره تنافس كل من موسكو وبكين على اسداء المعونه الى هانوى وفي ظل ماتقدم ساد في مؤتمرات الاحزاب الشيوعية السابقة على مؤتمر صوفيا والتي قاطعتها الصين جميعا جو من الهدوء النسبي ، حرصت فيه الاحزاب الشيوعيه وعلى راسها الحزب السوفييتي . كما سبق وذكرت على ان ترفع واجهه عريضه من وحده للحركة الشيوعيه والعماليه مع نعلات توحى بان الخلافات مع الصين انما هي جانبية يمكن معالجتها والتغلب عليها عن طريق اجراء الاتصالات ومزيد من اتصالات ثنائية كانت ام وساطات مثلثة الاطراف .

ام هل كان الشعور الحقيقي ، كما سبق وذكرت ، الا امكانية لالتقاء بعد ان اتسعت الهوة الفكرية بين الجانبين وتضاربت مصالحهما بحدة في اكثر من مجال ؟

في اعتقادى ان التقدير هو ماذكرت ، ليس فقط استنادا الى اصوات اخرى ارتفعت تهاجم الصين في تلك المؤتمرات ، فانها لم تكن في حقيقتها ناشزة بقدر ماكانت تجسيما لاشارات عابرة او

مجاهرة لهمسات مكتومة ، بل ان الصين كانت تتهم في الاتصالات الخاصة بانها بلد القول الزاعق والفعل الناكص ، قصارها ان تهدد وتنذر ثم لاشيء ، تنادى بالحرب الذرية لان ليس بها اهداف من تلك التي سوف تتعرض للضرب الذرى تقوم بمساعدة حركات التحرير ثم اذا بها محاولات لكسب افراد ، فتتفتت قيادات تلك الحركات من الداخل نتيجة التصارع على الزعامة .

ثم ماهو حقيقة موقف الصين من الحرب الدائرة في فيتنام ؟ يقول الجانب الاخر ان الصين انما يهمها توريط امريكا الى اقصى حد ولاطول مدة ، لايعنيها الا ان تستنزف من طاقة امريكا العسكرية ريثما يصبح لها هي الاخرى الرادع النووى ، فاذا كانت تقول بانها تقف مع شعب فيتنام فانها في الحقيقة لاتقدم معونات الا بذلك القدر الذى يساعدها على الاستمرار في المقاومة فلا يتعداه الى ماقد ترى فيه امريكا استفزازا لها فتنقل المعركة الى الصين نفسها .

وليس الموقف فيما اعتقد على تلك الصورة التي يقدمها لنا الجانبان ، زاعقة ناكصة من جانب الصين او هادرة محبوسة داخل اطار من تعايش من جانب الاتحاد السوفييتى ، بل كان واضحا ان كلاهما يحاول ان يسدى الى فيتنام المعونة المادية والمعنوية في حدود مايتيسر له من طاقات وسط ظروف دولية قاسية ، فقد اصبح موقفهما من فيتنام هو المحك الحاسم ، معيارا لصلابة اى منهما في مواجهة المد الامبريالى ، فهى اذن بشكل او اخر ميدان تنافس ، ليس سعيا الى اقرار زعامة هذه او تلك بين دول المعسكر الشيوعى وحسب وانما ايضا من حيث اقرار خط عقائدى قادر على اجتذاب جمهرة الشيوعيين . فالاتحاد السوفييتى يرى ان مسئوليته العقائدية تتخطى الحكومة الصينية الى سبعمائة المليون الذين تمثلهم ، ثم انهم ذخيرة عددية لايستهان بها ، وكذلك الصين او على الاقل فيما يتعلق بشعوب الجمهوريات السوفييتية الاسيوية ، علاوة على شعورها بان الامكانيات العسكرية السوفييتية تمثل بصورة او اخرى رادعا تدخله المعسكرية الامريكية في حسابها اذا ماساورها ان تتحرش بالصين .

هكذا كان الحال فيمايبدو قبل انعقاد مؤتمر صوفيا ، ولكن التطورات الداخلية في الصين كانت قد قلبت الموازين فان ثورتها الثقافية لم تكن تعنى الا ان الصين قد ادارت ظهرها للعالم الشيوعى الاوروبى وخاصة حين ارتفع شعار « الماوتسيوية » قطعى على الشعار التقليدى الذى ينادى « بالماركسية اللينينية » ، ولكن الامر الخطير هو ان تلك النقلة استدعت اجراء تطهيرات واسعة في صفوف الحزب الشيوعى الصينى ، لم يقدر عليها اصحاب الفكر « الماوتسيوى » الجديد الا بالالتجاء الى العنف ممثلا في الجيش من ناحية ، وكتائب الحرس الاحمر الذى كونت على عجل ، وقوامها شباب يسهل استثارة حماسه الى حوافز جارفة ، بينما تنقصه روادع اورثته اياها التقاليد او زواجر اكسبته اياها الممارسة « الماركسية اللينينية » .

تطورات جد خطيرة لايمكن السكوت عليها ، فقد خرجت الخلافات عن محيط التضارب العقائدى بين الاحزاب ، الى مجالات اخرى ، فالطرف الصينى في نظر المعسكر السوفييتى لم يعد حزبا وانما شرذمة من افراد يسعون الى السلطة على انقاض الحزب ، وانها لجريمة الجرائم بالنسبة للماركسية التي لاتعترف الا بالحزب موئلا وقاعدة ومنطلقا .

تطورات كان لها ردود فعل في مختلف انحاء العالم الشيوعى ، فالحزب الشيوعى اليابانى يجتمع ليطهر صفوفه من الجناح « الصينى » القوى ، ويقبل الدعوة الى مؤتمر صوفيا وهو الذى قاطع مؤتمرات موسكو وبراج ، حتى البانيا حليفة الصين اللصيقة ولاتزال ، وبالرغم من انها التزمت بمقاطعة المؤتمر ، فالملاحظ انها اصبحت تتجاهل في صحفها الاخبار التي تترى من الصين عن تفاصيل «ثورتها الثقافية الكبرى» ، وفي هذا الجو المشحون المعبأ ضد زعماء الصين انعقد مؤتمر صوفيا .

ولاول مرة منذ تنحية ((**خروشوف**)) يرتفع النداء بضرورة عقد مؤتمر عام للاحزاب الشيوعية والعمالية، نداء يتبناه ((**جيفكوف**)) سكرتير اول الحزب الشيوعى البلغارى في خطابه الافتتاحى اريد به ان يكون «النغمة الدالة» للمؤتمر في المجال الدولى ، او اشارة تحرك ، خاصة وقد تلقفه في الخطاب التالى (**بريجنيف**) السكرتير العام للحزب الشيوعى السوفييتى ورئيس وفده الى المؤتمر ، فتهرع الاحزاب الشيوعية جميعا من خلفه تساند النداء بكل ماأوتيت من قوة ، فالنداء معناه اجتماع الاحزاب الشيوعية لمواجهة التطورات في الصين التي اقلقت الجميع ، ومؤداه هو طرد الصين اخر الامر من حظيرة المعسكر الشيوعى .

فاذا كانت الاحزاب لم تفعل ، فربما يعود الامر الى روح الاستقلال النسبى التي اصبحت تتمتع بها فلا تريد ان تبدو وكانها لاتزال رهن اشارة موسكو، علاوة على انها قد غذت نفسها طوال الاعوام الاخيرة بنظرية تدعو الى استنفاد الجهود في سبيل الحفاظ على الوحدة الاشتراكية والعمالية مهما وهيت خيوطها فهى مشاعر وآمال قد ارتفعت الى مرتبة من ايمان ، عسير ان يتخلى عنها المرء بين يوم وليلة ، ثم ان بعضا منها لم ينس انه قد تسامى الى مكانة دولية خاصة بان تحدى موسكو، عقائديا بالنسبة للحزب الشيوعى الايطالى

حين كان «تولياتى» ،واقتصاديا ثمسياسيا بالنسبة للحزبالشيوعى الرومانى، فقداحرز تقدما صناعيا حين خرج على تعاليم الكوميكون ، وتبوأ اهمية خاصة حين اصبح نقطة الاتصال الحيادية بين موسكووبكين، ثم انه يداهن وتسعى اليه الوفود شيوعية كانت ام غير شيوعية ، حين اصبح ينادى بتصفية حلفى وارسو والاطلنطى .

ام هل تعتقد تلك الاحزاب الشيوعية الكبرى التى لم تؤيد النداء او تحفظت بصدده ، الرومانى والايطالى كما ذكرنا ، ثم الالمانى الشرقى والبولندى والياباني بل والمنغولى (موقف غريب من حزب عرف بعدائه لتقليدى لزعما الصين) انه ربما كان من الاسلم ــ بدلا من العمل على طرد الصين ــ السعى الى تهيئة الظروف المواتية للعناصر الصينية القادرة على التصدى اخر الامر للموجة العارمة التى اطلقها طغيان الجيش والحرس الاحمر على كوادر الحزب فى الصين ، فهناك بوادر مقاومه شعبية ، كما ان هناك ايضا بوادر قلق تنتاب الثالوث الحاكم ، **((ماو)) و ((لن باو)) و ((شو ان لاى))** ،كلما تجاوزت كتائب الحرس حدود المعقول؟

وفى هذا الجو المشحون يقف رئيس وفد فيتنام الشمالية فيزجى خالص الشكر والتقدير باسم الزعيم ((**هوشى منه**)) ، ((للاتحاد السوفيتى والصين والاحزاب الاشتراكية الشقيقة لما تقدمه من مساعدات فعالة)) ثم يعرب عن تمنياته فى ان تتوصل الاحزاب الاشتراكية الى تنسيق جهودها بطريقة افضل فى عملها المؤازر لكفاح الشعب الفيتنامى .

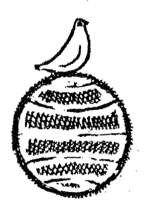
فلاشك ان الخلاف الصينى السوفييتى كان الثغرة التى استغلتها الامبريالية الامريكية فتلقى بثقلها العسكرى على فيتنام بشطريها .

واذا كان واضحا ان الاتحاد السوفييتى من جهة والصين من جهة اخرى لن يقبلا قط بان يصل العدوان الامريكى على فيتنام الشمالية الى مداه ، فهى عضو فى المعسكر الشيوعى . الا ان نداءات الاتحاد السوفييتى السابقة على مؤتمر صوفيا والتى كانت تدعو الى تصفية الخلافات مع الصين وصولا الى وحدةعمل متآزرة فى فيتنام قد تحولت ، مثلها فى الصين ، الى اتهامات متبادلة بان الانحراف العقائدى لدى الطرف الاخر انما هو مساعدة مباشرة للعدوان الامبريالى .

كان الخلاف بين الجانبين مدعاه الى تنافس فى تقديم المعونة ، فاذا به يتحول الى حجة يتدرع بها كلاهما فيلقى مسبقابتبعه الفشل ، اذا ماوقع على الجانب الاخر والفارق بين الموقفين اذا صح تقديرى ملىء بشتى الاحتمالات الخطيرة .

اعود فاقول ان الجانبين لن يسمحا قط بانهيار الحكم الشيوعى فى فيتنام الشمالية ، **ولكن ماذا عن فيتنام الجنوبيه** ؟ هذا هو السؤال .

وقد قدر لى فى مناسبات عدة ، خلال مؤتمر صــــوفيا ، ان اتبادل الحديث مع اعضاء وفـــد فيتنام الجنوبية ، فنطقت عيونهم ، او هكذا خيل لى ، بمالم تنبس به شفاهم ، سمعت منها ماسبق ان وعته قلوبنا ايام حرب السويس ، «نحن الشعوب الصغيره قد تاتينا المساعدات ممن يقدر عليها ، ولكن الدول الكبرى لها ظروفها ولها اهتماماتها التى ربما املت عليها ان تتخذ بعضا من خطوات ، ولذا فان نجاحنا فى الدفاع عن حريتنا ومقدراتنا رهن اولا واخيرا بماتقدمه شعوبنا من جهد وعرق ودماء » .



تنشر الطليعة في هذا العدد بحثين من اهم الابحاث التي قدمت لندوة افريقيا التي عقدت بالقاهرة في ٢٤ ـ ٢٩ اكتوبر ١٩٦٦ بدعوة من مجلتي «الطليعة» و «السلم والاشتراكية».

والبحث الاول بعنوان «الحزب الجماهيري وحزب الطليعة في البلاد المتحررة» للمفكر والمناضل الافريقي «ادريسا ديرا» السكرتير السياسي لحزب الاتحاد السوداني الحاكم بمالي.

والبحث الثاني بعنوان «حماية وتدعيم النظم التقدمية في افريقيا» لميشيل كامل سكرتير تحرير الطليعة.

الحزب الجماهيري وحزب الطليعة في البلاد المتحررة

أدريسا ديرا

تواجه الهيئات العديدة التي تهتم بالمسائل النظرية الناجمة عن بناء الاشتراكية في النصف الثاني من القرن العشرين مشكلة تحظى باهتمام متزايد: أعني قضية مدى امكانية قيادة حزب جماهيري واحد للثورة الاشتراكية على بناء مجتمع اشتراكي.

وهذه المشكلة لم يكن من الممكن أن تنشأ قبل أعوام ١٩٥٥ ـ ١٩٦٠. والسبب في ذلك واضح فقبل هذه الفترة لم يوجد في تاريخ البشرية حزب جماهيري تولى اقامة الاشتراكية. ويمكن أن نذهب الى أبعد من ذلك حين نؤكد أنه قبل هذه الفترة لم يوجد على الاطلاق حزب يتألف من الكتل الجماهيرية.

والمسألة الثانية تتلخص في أن هذه المشكلة لم يكن من الممكن الا أن توجد وتطرح على بساط البحث.

وعلى الرغم من أن المشكلة ربما لم تصل بعد الى نضوجها الكامل الا أن طرحها على بساط البحث أمر لا محيص عنه.





والمسألة الثالثة تشمل المعاني التي نعنيها من التعبير الخاص « ببناء الاشتراكية » ومضمون هذا التعبير .

والمسألة الرابعة تشمل معنى الحزب الواحد وتحدد بشكل واضح الفروق القائمة بين مختلف الاحزاب الواحدة .

أما فيما يتعلق بالمسألة الاولى فيمكن القول بيقين أن مولد الاحزاب الجماهيرية واتجاه البعض منها الى بناء الاشتراكية ، نتائج مباشرة لتحرر الشعوب المستعمرة . وان الحدث الجديد الذي نشأ في النصف الثاني من القرن العشرين بالنسبة للاشتراكية هو ان هذه البلاد وهي تبني نفسها بعد خروجها من نير الاستعمار اختارت بناء الاشتراكية بقيادة حزب جماهيري .وهي في سعيها هذا تبدو انها في الظاهر تدحض النظرية العامة للمادية التاريخية في اعتبارين :

● في انها تتخطى ، في حالة نجاحها ، المرحلة التاريخية للرأسمالية في الحدود التي استطاعت المرحلة الاستعمارية في هذه البلاد أن تعبر بها عقبات المرحلة الرأسمالية .

● باستخدامها كسبيل للعمل حزب جماهيري متجانس مؤسس على قواعد ودعائم قومية ووطنية .

والى هنا في الواقع اعني انه حتى السنوات من ١٩٥٠ـــ١٩٦٠ كانت أحزاب الطليعة فقط صاحبة الايدلوجية الماركسية اللينينية هي وحدها التي تولت وأفلحت في بناء الاشتراكية .

وبالنسبة للمشكلة التي تهمنا يبدو من المستحيل أن نشير الى مثل واحد في الماضي من أجل محاولة استخلاص نتائج لها طابع العمومية .فاذا كان ثمة حزب جماهيري قبل الفترة التي نشير اليها لم يقم وبالتالي لم ينجح في بناء الاشتراكية فان السبب في ذلك أن الظروف العامة التي تميز الفترة السابقة لم تسمح على الاطلاق بتأليف حزب جماهيري .

ويمكن أن نقول انه قبل عام ١٩١٧ لم يوجد على الاطلاق حزب من الطليعة نجح في تولي السلطة . وفشل كوميون باريس وثورة ١٩٠٥ تؤيد هذه النظرة . ومع ذلك فان التجربة قد برهنت على انه رغم هذا الفشل في البداية فان حزب الطليعة قد أفلح في تولي السلطة وفي القيام بعمل فعال في تحريك الجماهير كما أفلح في بناء الاشتراكية . وان النقاش حول هذه المشكلة ينبغي أن يتخذ طابعا نظريا في أساسه . ولئن كانت المشكلة تعرض منذ عدة سنوات فان الظروف الجديدة الناشئة عن تحرير الشعوب المستعمرة وعن قيام الاشتراكية في العالم جعلت أحزابا جماهيرية معينة تتولى بالفعل بناء الاشتراكية . ومن اجل ذلك فمن الممكن عمليا دراسة هذه المشكلة النظرية في جوهرها من زاوية الاحداث وفي ضوء التجارب المعاصرة تلك التجارب الحيوية والحقيقية التي تتأكد في واقع بلدان عديدة من بلاد العالم .

وتتركز المسألة الثانية في ان هذه المسألة التي ما زالت في دور التكوين تأخذ أهمية كبرى يوما بعد يوم في أفريقيا .فبالنسبة للاحزاب الجماهيرية التي تولت بناء الاشتراكية تصبح مسألة غاية في الاهمية . وعلى حسب الاجابات التي تعطى لهذه المسألة فيمكن أن تحدث بلبلة في داخل الاحزاب نفسها فتقسمها بطريقة غير طبيعية وفي رأينا على نحو غير مفيد . واليكم السبب الذي من أجله نعتقد أن هذه المسألة على الرغم من انها لم تصل بعد الى نضوجها الكامل فانها تستحق انتباها خاصا وتستلزم دراسات متعمقة كما تقتضي احكاما لها قيمة . ومن خلال توضيحها ومناقشتها عن طريق الندوات المفتوحة يمكن أن نتجنب التفسيرات الخاطئة وسوء الفهم وبذلك تحظى مشكلة بناء الاشتراكية في جيلنا تحظى بوضوح وثراء فكري .

والمسألة الثالثة تتضمن المفهومات الواضحة حول المعاني التي نعطيها للتعبير الخاص ببناء الاشتراكية . فمن غير الممكن هنا وفي النطاق الذي حددناه لانفسنا أن نناقش هذا الموضوع مناقشة مستفيضة ونعتقد مع ذلك انه من الضروري أن ندلي بوجهة نظرنا . ونعتقد من جانبنا أن معايير معينة ضرورية وكافية لتمييز العمل الذي يستهدف الاشتراكية وهذه المعايير هي الاتية :

● عملة وطنية .

● احتكار الاستيراد والتصدير لصالح الدولة التي تتولى اعادة التوزيع .

● مؤسسات للتوزيع تقدمها الدولة أساسا أو القطاعات المسيرة ذاتيا .

● وسائل انتاج مملوكة للدولة في أساسها وملك للمنتجين .

● عدم وجود وحدات زراعية كبيرة مملوكة للافراد .

ونحن نعتقد ان هذه المعايير تسمح دون لبس بتعريف السياسة التي تهدف الى تحقيق الاشتراكية وخاصة اذا كانت هذه السياسة يرسمها حزب جماهيري منظم على أساس من الديمقراطية المركزية .

ويمكن أن نناقش مضمون كل من هذه الشروط ومدى تطبيقها .ولكن ينبغي حينئذ «تعريف مرحلة الاشتراكية وليس ، في رأينا ، مناقشة التوجيه في حد ذاته . ونحن نعتقد من جانبنا أن الدولة التي

توجه محور عملها نحو الاهداف التيذكرناها دولة تبنى الاشتراكية. ونحن نعتقد ايضا انه ينبغى هنا تحديد المسألة الخاصة بما اذا كان يوجد فرق أساسى، فرق فى الطبيعة، بين طريق التنمية الاشتراكية وطريق اللارأسمالية. فهذا التعبير الجديد ولد منذ عدة سنوات، وان النجاح الذى حققه فى بعض الاوساط يجدونا الى التعمق فى مضمونه وفى الظروف والاسباب التى ادت الى مولده. فمن الناحية التاريخية ولد هذا التغيير من الظروف الجديدة الناشئة عن تحرير الشعوب المستعمرة. فبعض هذه الشعوب بحافز من احزابها الجماهيرية قامت باصلاحات فى نظمها لها طابع يعطيها دون شكأبعادا اشتراكية اذا قورنت بالاصلاحات التى جرت او التى تجرى على نظم البلاد التى تبنى الاشتراكية.

وحينئذ، نقول لماذا نستخدم التعبير « طريق التنمية اللارأسمالية » ولماذا لا نستخدم تعبير طريق الاشتراكية ؟

حقيقة الامر تتلخص فيما يلى :

البلاد التى بنت او التى تبنى الاشتراكية قامت او تقوم بذلك طبقا لخطة حزب طليعى مؤسس على الماركسية اللينينية. وحاليا توجد بلاد جديدة سلكت طريقا طابعه العام موسوم بالاشتراكية، ولكن بوسيلة لم تتبع حتى الان، تلك هى طريق الحزب الجماهيرى وليس طريق حزب الطليعة. ولئن كانت الاهداف متطابقة والانجازات متشابهة الى حد بعيد فان طريقة العمل مختلفة. وهذا يثير مشكلة نظرية مهمة حيث أن حزب الطليعة كان يعتبر السبيل الذى لا محيص عنه لبناءالاشتراكية. فاذا لم تكن الحال كذلك فان البعض يخشى أن يؤدى ذلك الى ضرب من المراجعة للنظرية العامة فى المادية التاريخية. ومن الناحية الموضوعية لا يوجد ما يثبت أن حزب الجماهير يمكن أن يقود الثورة الاشتراكية الى نهايتها. وقد اثبتت التجربة أن حزب الجماهير يمكنه أن يسير فى طرق سماتها العامة هى سماتالاشتراكية، ولكن هذهالتجربة لم تثبت ان مثل هذا الحزب ممكن أن يقود الثورة الى نهاية أهدافها وهنا نصل بطبيعة الحال الى نتيجة مثلثة الجوانب :

● لا يمكنأن ننكر علىبعضالاحزابالجماهيرية وجود قوة طليعية.

● الحزبالجماهيرى يمكنأن يتولى عملا يحقق أهدافا تتسم بطابع الاشتراكية. وهذا الطريق هو طريق التنمية غير الرأسمالية.

● هذا الطريق يمهد السبيل الى طريق جديد أعلى وهو طريق الاشتراكية. وهذا لا يمكن أن يشقه الا حزب طليعى.

وأولئك الذين يشكلونه مخلصون فى عملهم. والتجربة تؤيد وجهة نظرهم حيال نقطة معينة، أنه حتى الان احزاب الطليعة وحدها هى التى اقامت صرح الاشتراكية.

وعلى العكس من ذلك فان التجربة لم تثبت أن حزب الجماهير غير قادر على بناء الاشتراكية. ومن أجل ذلك يمكن أن نقول فقط أن التجربة لم تثبت ذلك الى الان.

والموقف بالنسبة لنا هو كما يلى :

● لا يوجد فارق كيفى بين طريق التنمية غير الرأسمالى وطريق التنمية الاشتراكى. وعلى العكس توجد درجات أو مراحل فى طريق التنمية الاشتراكى : التمويل الاشتراكى لوسائل الانتاج والتبادل، البناء الاشتراكى فى المجتمع الاشتراكى، بناء الشيوعية، الى آخره.

● الحزب الجماهيرى يمكن أن يقود الثورة الاشتراكية الى غايتها بشروط محددة، وبصفة أخص عند التحرر من السيطرة الاستعمارية. وهذا ما سوف نحاول توضيحه علما بأننا لا ندعى اننا نصيب كبد الحقيقة. ففى هذا المجال كما فى كل المجالات الاخرى تصدر التجربة حكمها. ومع ذلك فعند فشل حزب جماهيرى فى محاولته لبناء الاشتراكية فليس من الممكن أن نستخلص على الفور نتائج قاطعة. والا لكان من الممكن على نفس المستوى من التفكير أن نستخلص بعد فشل كوميون باريس وثورة ١٩٠٥ فىالاتحاد السوفيتىان حزب الطليعة غير قادر علىتولىالسلطةوبناءالاشتراكية وعلى هذا فمن السهل علينا أن نتوقع مصير مثل هذه الآراء لو ظهرت.

والنقطة الرابعة التى ينبغى فى رأينا تحديدها هى التى تتضمن الفرقالكيفىالذى ينبغى توضيحه بين الاحزاب الجماهيرية التى تتولى السلطة فى أفريقيا.

والامر الذى لا يمكن انكاره انه توجد فروق جوهرية بين الاحزاب الواحدة التى تبعث الحياة فى البلاد الافريقية. هذه الفروق توجد فى المجالات الاتية :

● طريقة عمل هذه الاحزاب.
● أهدافها.
● منجزاتها.

ليس من أهدافنا أن نحلل هنا هذه الفروق ولكن ينبغى أن نوضح أنه فى مجال المشكلة التى نعالجها لا ندخل فى اعتبارنا من الاحزاب الواحدة الا ما ينطبق عليه منها المعايير الاتية :



● الاحزاب التى تحققت الوحدة فيهما على أساس من الرغبة الحرة .

● الاحزاب التى تعمل طبقا لمبدأ المركزية الديمقراطية .

● الاحزاب التى ترنو بوضوح الى طريق اشتراكى فى التنمية على اساس من الاشتراكية العلمية كقاعدة فى عملها .

● الاحزاب التى يكون نشاطها العملى ومنجزاتها عملا اشتراكيا أصيلا .

تلك باختصار النقاط التى كان ينبغى توضيحها قبل تناول المشكلة الاساسية .

فى محاولة الاجابة على السؤال الذى يقول بما اذا كان حزب الجماهير الذى تتحقق فيه المعايير السابق ذكرها قادرا فى الظروف المحددة ان يقود الثورة الاشتراكيةالى غايتها،يبدو انه من الضرورى فى المحل الاول المقارنة بين الظروف التى مارست الاحزاب التى اقامت الاشتراكية العمل من خلالها والظروف التى تمارس العمل من خلالها الاحزاب الجماهيرية التى تسعى الى بناء الاشتراكية .

تولدت الافكار الاشتراكية التى ترعرعت فى أوروبا حوالى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، من وعى الضمير التقدمى بالظلم الاجتماعى وبأساسه غير العادل.وقد صاحب حركةالتصنيع المتزايد فىأوروبا تفاقم التناقضاتالقائمة فى مجتمع القرن التاسع عشر ، فكانت النتيجة الانقسام الواضح باستمرار للجماهير الى طبقات اجتماعية متناحرة.أما على الصعيد الايديولوجى ، فقد قدمت أعمال ماركس وانجلز اساسا نظريا للافكار الاشتراكية التى ظلت حتى ذلك الحين مختلطة وسمحت بتأليف أول حركة شيوعية وكانت نتيجة مباشرة لازدياد حدةالتناقضات بين مختلف المصالح التى كانت قد تحولت بالفعل الى صراعات طبقية.

وجاءت البورجوازية الرأسمالية ، بورجوازية المال والاعمال التى لا وطن لها ، والمتعطشة للكسب ، فأحلت جفافها محل العلاقات الابوية المتفاوتة الشدة فى مختلف العهود الاقطاعية فى القرون الماضية ، ذلك الاقطاع الذى حافظ — رغم التجائه تارة الى استعمال الهراوات وتارة الى الضرب والركل — حافظ على نوع من المفاهيم الانسانية ، جاءت هذه البورجوازية التى لم يكن لها ما كان لطبقة النبلاء من احساس بالكرامة وأخذت تستولى على السلطة شيئا فشيئا.فجاءت أعمال لينين ودراساته وأعماله وكان مولد الاحزاب الشيوعية والعمالية نتائج مباشرة للمظاهر غير الانسانية فى العلاقات الاجتماعية — والواقع أن الظروف الخاصة التى وجدت فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين فى أوروبا وكذلك تزايد مظاهر الانسانية فى طبيعة العلاقات الاجتماعية وانقسام المجتمع الى طبقات متضادة ، وهذه الظروف قد انجبت حزب الطليعة الثورية المنادى علنا بالاستيلاء على السلطة بالعنف واقامة دكتاتورية البروليتاريا التى عملت على شق الطريق نحو اقامة مجتمع بلا طبقات .

تلك هى الظروف التى وجدت فيها احزاب الطليعة والتى شقت من خلالها طريقها الى السلطة . وكلها دون استثناء نتاج لمجتمعات كانت تكشف عن تناقضات بلغت ذروتها وانقسمت من أجلها الى طبقات متصارعة .

وهنا ينبغى أن نتبين الظروف التى تولدت من خلالها بعض الاحزاب الجماهيرية بناء الاشتراكية فى أفريقيا .

كان التسلل الاستعمارى قد وجد افريقيا فى مرحلة يمكن وصفها بأنها مرحلةالاقطاع.أما سمات المجتمع الافريقى بصفة عامة فى نهاية السيطرة الاستعمارية فكانت على النحو التالى :

● فقد الاقطاع الذى أصبح تابعا للسلطة الاستعمارية،كل ما كان له من هيبة وأصبح وجوده مرهونا قبل كل شيء بقوة النظام الاستعمارى .

● نمت البروليتاريا من حيث هى فئة اجتماعية أثناء الحكم الاستعمارى .

وعلى الرغم من أنها قليلة العدد بالنسبة لجملة السكان الا أنها تؤلف مع الفئات الاجتماعية الاخرى قوة سياسية منظمة ذات وزن.وتشمل البروليتاريا كل الاجراء الافريقيين مهما كانت رتبهم الاجتماعية. فليس ثمة — ان شئنا الوضوح — طبقة عمالية بالمعنى المعروف لهذا التعبير فى أوروبا ، ولكن عناصر هذه الطبقة كانت ذائبة فى البروليتاريا .

● فئة من التجار تتألف فى معظمها من المشترين والبائعين الملتزمين برأس المال الاجنبى الخاص الذى كان يحتكر تقريبا كل تجارة التصدير والاستيراد ، كما كان يحتكر القليل الموجود من وسائل الانتاج .

● فلاحون فقراء يمثلون ٩٢٪ من السكان ، يمتلكون الارض فى أغلب الاحيان ولكنهم ملزمون بدفع عوائد للسلطات .

ولا يختلف فى كثير شكل المجتمع الافريقى فى أعقاب الاحتلال الاستعمارى من شكل المجتمع الاوروبى فى نهاية القرن الثامن عشر . فلم يخل ، مثل مجتمعات أوروبا فى نهاية القرن الثامن عشر من تناقضات بين المصالح ومن وجود جرثومة مستقبل ملىء بالضرورة بتمايز بين الطبقات

الاجتماعية المتصارعة . ولئن كانت المجتمعات الافريقية على الرغم من ذلك تتشابه والمجتمعات الاوروبية من حيث الشكل فينبغي ان نلاحظ وجهين من اوجه الخلاف الاساسية بين هذه وتلك :

● من جهة — لم يبلغ التمايز بين الفئات الاجتماعية ما وصل اليه في أوروبا في أواخر القرن التاسع عشر وذلك تبعا للنمو الضعيف لوسائل الانتاج. ومع ان العلاقات الاجتماعية كانت بالطبيعة علاقة بين المستغل وموضوع الاستغلال . الا ان هذه الروابط الاجتماعية اكتسبت شكلا سريا وابويا يستر حقيقة أمرها .

● ومن جهة أخرى — فان وجود الاستعمار وهو وجود أجنبي خفف حدة تناقض المصالح في قلب المجتمع الافريقي. وبات التناقض الاساسي في أفريقيا خلال حقبة الاستعمار قائما بين التناقض العام بين مصالح الدول الاستعمارية والمصالح العامة للشعوب المستعمرة وأزاح هذا النوع من التناقض كل التناقضات الاخرى في المحل الثاني .

هاتان الحقيقتان تكفيان لتوضيح الاسباب التي من اجلها لم توجد في افريقيا احزاب للطليعة بمعنى الكلمة أعني ما يسمى بالحزب الطبقي . وفي نهاية السيطرة الاستعمارية نشأت في المجتمع الافريقي الشروط الاساسية المواتية لظهور التمايز بين الطبقات المتعارضة ، ولكن من الخطأ ان نقول ان المجتمع كان في هذه اللحظات قد انقسم فعلا الى طبقات متصارعة. ولئن كانت العلاقات الانسانية في افريقيا قد احتفظت الى وقت الحصول على الاستقلال بشكل خاص في رعاية المجاملات والآداب الاجتماعية فمرجع ذلك بالتحديد الى ان التناقضات والتمايزات الطبقية لم تكن من الحدة بحيث تطمس الشعور العام بالتضامن الذى ظل يربط بين اعضاء المجتمع الافريقي .

والواقع انه اذا لم يكن قد تحقق وجود حزب الطليعة فمرد ذلك بكل بساطة الى أن الظروف الاقتصادية والاجتماعية لم تسمح بوجوده .

وفي الامكان الادلاء بمثلين على ذلك :

ان تاريخ التجمع الديمقراطي الافريقي R.D.A الذى كان يؤلف في أساسه حركة طليعية في مجال مناهضة الاستعمار وليس حزبا للطليعة يبرهن بطريقة واضحة لما سبق أن ذكرناه . ففي داخله ، كانت العناصر ذات النضج السياسي التي تربت في G.E.C تعبر بوضوح عن العلاقة المباشرة بين الاستعمار والرأسمالية ، ولكن ظروفا استراتيجية جعلتها تضع الصراع ضد الرأسمالية في الدرجة الثانية . وكانت ضرورة حل التناقض الاساسي للعصر أعني معارضة السلطة الاستعمارية قد قادت حزب R.D.A الى استهداف الاهداف القومية قبل الاهداف الاقتصادية والاجتماعية . ولو أن الجماهير كانت في الحقيقة ناضجة في تلك الحقبة لمعارضة السلطة ، الا انها لم تكن قد بلغت درجة من النضوج لمتابعة عمل توجهه اعتبارات طبقية، وربما كان ممكنا ان يعلق المرء تعليقا مسهبا على ما كان التجمع الديمقراطي الافريقي سيلاقيه لو أنه واصل اتباع تكتيكه الذى استخدمه من عام ١٩٤٧ حتى عام ١٩٥٠ . الا أن من المعروف أن « أقسام » التجمع الديمقراطي الافريقي R.D.A التي واصلت السير في ذلك الطريق لم تبلغ الدرجة المرجوة من النمو والاتساع. ولا شك أنه كان على هذه الاقسام ان تخوض الكفاح بشجاعة ضد خصوم كثيرين ، فاذا كانت لم تنجح في كفاحها ، فانما يرجع ذلك الى ان الظروف وقتئذ لم تكن قد بلغت درجة من النضوج تكفي لكي يؤثر عملها تأثيرا عميقا في الجماهير .

والمثال الثاني : هو مختلف قطاعات حزب الاستقلال الافريقي P.A.I فعلى الرغم من أن الغالبية العظمى من اعضاء P.A.I كانوا من الماركسيين أو على الاقل من الاشتراكيين المقنعين، وعلى الرغم من أن ظروف الحقبة التي وجد خلالها حزب P.A.I كانت مناسبة جدا والى حد أبعد بكثير مما كانت عليه سنة ١٩٥٠ لتأليف حزب طليعي ، فان كلمة «الاستقلال» كانت هي الشعار الذى وقع عليه الاختيار لبلورة الفكرة ولم تكن كلمة « الشيوعية » ، « العمال والفلاحين » . والسبب في ذلك واضح وبسيط . فالمسئولون في حزب P.A.I في محاولتهم اتباع سياسة ترتكز على الصراع الطبقي بقيادة حزب طليعي ، كانوا على وعى بفعالية القاعدة الوطنية في الاستيلاء على السيادة القومية .

ولكن الظروف الملائمة لميلاد حزب طليعي لم توجد على الاطلاق أو لم توجد في صورة جنينية في الوقت الذى حصلت فيه الدول الافريقية على الاستقلال . وينبغي ان نلاحظ أن هذه الظروف في كثير من الدول في الوقت الحاضر ، في سبيلها الى التدعيم والقوة وفي طريقها لان تصبح أكثر ملاءمة. والواقع أن السياسة المتبعة في كثير من الدول التي تحبذ رأس المال الخاص الاجنبي والقومي تزيد من حدة التناقضات القائمة ؛ وليس من شك في أن هذه الظروف الجديدة ستؤدى بالضرورة مستقبلا الى افراز أحزاب طليعية .

ماذا يجرى من جهة أخرى في البلاد التي تسعى فيها الاحزاب الجماهيرية الحاكمة الى حل التناقضات الاساسية في المجتمع ؟

على النقيض مما رأيناه فيما سبق حيث تزيد حدة التناقضات على السطح وفي الاعماق ، تقل هنا



مثل هذه التناقضات . فتحويل وسائل الانتاج والتبادل الى الاشتراكية يجعل من اجراء الدولة الجدد مدافعين بالطبيعة عن السياسة الاشتراكية التي يتبعها الحزب . ولئن كان العمل الاشتراكي للحزب في البداية في جوهره اختياريا فان التعديلات الهيكلية التي تتم في المجال الاقتصادي توسع على الدوام من الاساس الموضوعي للدعامات التي يقوم عليها العمل الاشتراكي للحزب .

وفي الخط الموازي تنحصر المعارضة للعمل الاشتراكي للحزب وان كانت في الوقت نفسه تزداد حدة وعنفا .

وفي مثل هذه الظروف،حيث تزيد أسس وقواعد العمل الاشتراكي في العدد والقوة وحيث تتضاءل أسس وقواعد المعارضة في العدد،يبدو من الغريب حقا السعي الى احداث تغيير كيفي في طبيعة الجهاز الذي يسمح بهذا التطور . فلئن كانت الاصلاحات الاساسية في الهياكل التي تعتبر في جملتها واتجاهها ثورة حقيقية ، قد انجزت بفضل قيادة حزب جماهيري متجانس بطبيعة الحال ، يسير بحزم في الخط المرسوم ، فلماذا نرى هذا الجهاز نفسه وقد اثبت قدرة على حل التناقضات الجوهرية على غير انتظار عاجزا عن حل تناقضات أقل أهمية .

ولا نظن احدا يختلف معنا في تلك المناقشة النظرية للموضوع وان كنا نرى أن في الامكان اثارة اعتراض هام هو الاتي :

ليس من شك في أن القاعدة والاسس الاشتراكية ستتدعم كلما زادت الاصلاحات التي تتخذ اتجاها اشتراكيا . وليس من شك ايضا ، في الاتجاه الموازي،ان القاعدة والاسس المناهضة للاشتراكية سوف تنحصر.ولكن النواة المتبقية من هذه القوى، المهددة في وجودها ، ستتشدد من حدة نضالها وستجد أشكالا جديدة للصراع وتسعى مرة أكثر مداهنة ومرة اشد فتكا ، وستبذل كل ما في طاقتها لتأخير أو تعطيل موضوع بناء الاشتراكية ، وسوف تقوم عندما تفقد الامل في قضيتها بمحاولة بائسة لقلب نظام الحكم .

وهذا الاعتراض له مايؤيده لان أمام هذه العملية فرصا قوية للوقوع او على الاقل امامها الفرصة الى حد ما . فان كان هذا الامر لا محيص عنه ، ولدينا فيما حدث في غانا البرهان على امكان بلوغها أهدافها ، فلا يبدو ان تحول حزب الجماهير الى حزب طليعي هو الحل المناسب ، بل العكس هو الصحيح .

وسوف نرى فيما بعد ما هو الحل ، في رأينا ، ولكن ينبغي قبل ذلك عرض النتائج المترتبة على تحويل حزب الجماهير الى حزب طليعي .

وبصرف النظر عن المشاكل العملية التي قد يثيرها هذا التحويل(وفق أي معايير سيتم الاختيار؟ ومن الذي سيقوم به ؟) (فمن الممكن أن نتوقع أن هذا التحويل ستنشأ عنه العملية التالية):ستضاف الى التناقضات الموضوعية والى تعارض المصالح التي يتعين حلها ، التناقضات الذاتية الناشئة عن تنحية جانب كبير من مناضلي الحزب.ومن المحتمل أن هؤلاء الاعضاء القدامى المبعدين يظلون محتفظين على أي مستوى كان بدرجة من التأثير يستخدمونها في تضخيم نواة القوة المعارضة ، ومن الممكن ان يؤلفوا كتلة متأرجحة من الجماهير قادرة موضوعيا على أن تصبح حليفا حقيقيا للمعارضة . ومن المحتمل في المجتمعات الافريقية أن يجد تعميق حدة التناقض السياسي صدى بين صفوف الجيش حيث يمكن ان تنشأ مغامرة انقلابية .

ومن الجهة الاخرى وفي أحسن الظروف أعني في حالة ما اذا تحول الباقون من أعضاء الحزب وأصبحوا من الاشتراكيين الحقيقيين ، فان الحزب سوف يفقد طابعه غير المتجانس وتنشأ عن ذلك من غير شك وحدة أفضل في وجهات النظر وفي العمل . ولكن الكسر في داخل الحزب سيؤدي حينئذ الى وجود عنصر جديد في الحياة السياسية في البلاد وفي الحزب كذلك ، لانه حتى ذلك الوقت كان للتناقضات داخل المجتمع صدى يختلف حدة وضعفا في داخل الحزب ، وحينئذ كان هذا الاخير يدرك الصعوبات التي ستصطدم بها قراراته ، ولكن الامر لن يكون كذلك بالنسبة للتكوين الجديد. والواقع أن تحقيق وحدة سياسية أكثر حزما ، وان كانت لم تصل الى الحد المطلوب ، مع أخذنا في الاعتبار أن المعايير الشخصية قد تحكمت في تحقيقها ، قد يصاحبه تدعيم حقيقي للقوى المناهضة للاشتراكية .

في هذه الظروف تبدو المسألة كما لو كانت مغامرة أكثر منها انعكاسا لاستراتيجية ناضجة .

ومن أجل هذه الاسباب كلها لا نرى من المناسب في المرحلة الحاضرة العمل على زيادة حدة وعدد القوى الناهضة الموجودة في البلاد التي تشيد الاشتراكية بقيادة حزب جماهيري بتحويل الحال الى معركة سياسية مفتوحة بدلا من تركها على حالها معركة صامتة من الضغط ، ما دمنا نعرف أن الزمن في صالح القوى التقدمية .

اننا لم نشهد قط ، في اى مكان من العالم ،حزبا واعيا بمسئولياته يقوم بتشويه نفسه بارادته،عن طريق بتر جانب من مناضليه بحجة أنهم يميلون لتدعيم معسكر المعارضة — وان كانت معارضة غير معلنة ، طالما أن العناصر المترددة أو المتخاذلة في داخله لا تقوم بأى عمل من شأنه تغيير الخط الذي وضعه المؤتمر ، وطالما ثبت أنها عناصر تلتزم بالنظام ، وتؤيد قرارات المؤتمر بلا قيد ولا شرط .

وفي رأينا أن افضل استراتيجية تتلخص فيما يلي :

اذا سلمنا بأن قاعدة الاشتراكية تتسع كلما زادت الاصلاحات في سبيل تحقيق الشكل

الاشتراكي ، فلا بد — عاجلا أو آجلا — من تحول الحزب بجميع مستوياته وبالتدريج ليصبح سدى لقوى الطليعة. وفي هذه الحال سوف يحقق في يوم ما تغييرا كيفيا متمشيا تماما مع نظرية المادية الجدلية.

هنا فان ما يكفل السلامة أن تنبعث التحولات الكيفية التقدمية للحزب من القاعدة طبقا لمعايير منتقاة موضوعية . وهنا ايضا ، بدلا من صراع الضغط والمصالح الذى يظل باقيا حتى حدوث هذا التحول ، يمكن أن يقوم تعزيز للصراع السياسى ، يكون بمثابة مرحلة أعلى من الناحية الكيفية تتسم بالتضاؤل المنهجى للقوى الموضوعية المعارضة للاشتراكية .

تلك هى ، فى رأينا ، الاستراتيجية الوحيدة المنطقية لحزب يريد قيادة الثورة الاشتراكية الى غايتها مع احاطتها بكل ضمانات النجاح .

النتيجـــة

وختاما فانا نعتقد أن مشكلة معرفة أفضل السبل التى يسلكها الحزب صاحب التطلعات الاشتراكية فى قيادة الثورة الاشتراكية الى أهدافها مشكلة ذات شقين :

الشق الاول خاص بالاحزاب التى فى المعارضة أو فى المرحلة الجنينية والتى تبحث عن أساليب للعمل من أجل تحقيق الثورة الاشتراكية بنجاح .

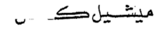
والشق الثانى خاص بالاحزاب الجماهيرية أن تتولى زمام السلطة والتى بدأت فعلا الثورة الاشتراكية .

أما فيما يتعلق بأصحاب الشق الاول فان حالتهم لا تدخل فى نطاق هذه الدراسة .

أما فيما يختص بأصحاب الشق الثانى فقد فصلنا القول بوجوب التمييز بينهم . وفيما يختص ببعضهم حيث ندرج حزبنا أعنى الحزب السودانى، فنعتقد أن محاولتهم اقامة الاشتراكية يجب أن تسير الى نهايتها على النحو الذى تتخذه حاليا . صحيح أن موقفا جديدا بالضرورة يوجد حلا جديدا الا أن من المؤكد أنه لا بد أن يوجد حل ذاتى لاقامة الاشتراكية فى البلاد التى تخلصت مباشرة من نير الاستعمار . وتجربة اقامة الاشتراكية حتى وقتنا هــذا تدل على أنه لا يوجد طريق أو وسيلة أو استراتيجية موحدة للوصول الى هذا الهدف . وما حدث فى كوبا أحدث دليل على ذلك. والى وقتنا هذا لم يوجد حزب جماهيرى تولى اقامة الاشتراكية على أثر التخلص من الاحتلال الاستعمارى وبلغ أهدافه دون اراقة الدماء . وهنا ينبغى أن نزيد الايضاح . فنحن لا نحبذ ولا نعارض العنف. فنحن نحبذ العنف اذا ثبت أنه أمر لا بد منه، ونحن نعارض العنف اذا ثبت أنه غير مفيد ويمكن تجنبه . وأنه يبدو لاوساط عديدة أن الثورة التى تتم دون اراقة دماء لا تتمتع الا باعتبار فيه تفضل عليها أو مطبوع بطابع الرحمة ، كما لو كانت الثورة المسلحة هى المعيار الوحيد للحكم على الحركات السياسية ودمغها بطابع الثورية . نحن ننحنى امام الاحزاب التى كتب عليها الالتجاء للعنف فى سبيل تحقيق أهدافها ، لان عددا من أعضاء هذه الاحزاب قد ودع الحياة . ولكن اذا كانت هذه الاحزاب قد التجأت لذلك ، فلانه لم يكن ثمة حل آخر من الممكن سلوكه، وانه فى نطاق السلام كانت علاقات القوى تميل فى غير صالحهم فى حين أن هذه العلاقات تميل فى حالة الالتجاء الى العنف فى صالح هذه القوى الثورية . هذا وأن الحنين فى الالتجاء الى القوة المسلحة يوجد فى داخل بعض الاحزاب الجماهيرية التى تبنى الاشتراكية ، بل وأن بعض أعضاء هذه الاحزاب يجعلون من عدم استخدام القوة المسلحة أمرا يشبه مركب النقص عندهم .

ونحن غير الفوضويين الثوريين وغير النهليين ، نرى أن الالتجاء الى العنف كآخر ملاذ لا يجوز الا بعد استنفاد كل الوسائل الاخرى وبعد ثبوت عدم فعاليتها ، ونعتقد أننا على صواب فى محاولتنا تحويل مجتمعنا الى مجتمع اشتراكى بالطرق السلمية . ونحن على وعى تام بالصعوبات التى تنتظرنا ولا نقلل على الاطلاق من شأن هذه الصعوبات. ونعتقد فى هذا المجال أن كل اشتراكى حقيقى من حقه بل من واجبه تقييم تجربتنا وتجارب الدول الشقيقة ، والحكم على هذه التجارب بشكل موضوعى . ومع ذلك فنحن لا نعتقد أن من الممكن اصدار حكم قاطع على تجربتنا او على تجربة الدول الشقيقة فى مرحلتها الحالية ، خاصة وأن الحلول النظرية المغايرة يمكن اقتراحها أثناء نمو هذه التجارب . ومثل هذا الموقف أعنى الحكم القاطع على تجربتنا فى الوقت الحاضر وعلى التجارب الشبيهة فى الدول الشقيقة ، يكشف فى رأينا عن نوع من الوصاية اللاواعية أو المقنعة ، ومن شأنه أن يحدث الاضطراب داخل الاحزاب الجماهيرية التى تجاهد وسط العديد من الصعوبات لشق طريق جديد نحو الاشتراكية خلال الظروف الجديدة فى النصف الثانى من القرن العشرين ، ومن شأنه أيضا أن يبث الالغام تحت أقدام المسئولين فى هذه الاحزاب ومن ثم يؤدى الى تدعيم القوى المناهضة لاعمالهم. ومن اجل ذلك نرى من الضرورى التمييز بوضوح فى كل دراسة نظرية بين استراتيجية الاحزاب الجماهيرية التى تتولى السلطة والتى تسعى فى انجازاتها الى اقامة مجتمع اشتراكى ، وبين استراتيجية أحزاب المعارضة أو قوى الطليعة التى يمكن أن تتحول فى الوقت المناسب الى أحزاب طليعية فى البلاد التى تتولى الحكم فيها أحزاب لا تندرج من حيث عملها تحت لواء الراية الاشتراكية.

حمـــاية وتـدعيـم النظـــم التقـــدمية فى افـــريقيـــا



ندوة
افريقيا - ثورة التحرر الوطنى والاشتراكية
القاهرة ٢٤-٢٩ اكتوبر ١٩٦٦
الطليعة

تعرضت الجمهورية العربية المتحدة والجزائر وغينيا ومالى والكونجو برازافيل وتانزانيا لحملات عنيفة من الضغوط السياسية والاقتصادية والعسكرية ، وواجهت سلسلة من المؤامرات الانقلابية الرجعية والاستعمارية ، نشلت فى الاطاحة بالنظم التقدمية وانتزاع السلطة من القوى الثورية ، بل ونجحت مصر فى صد العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ الذى هدف الى اسقاط حكومة عبد الناصر الوطنية التقدمية .

هذا ، بينما امكن الاطاحة بحكومة غانا التقدمية ، ونجحت ثلة من الضباط والجنود قليلة العدد فى قلب النظام التقدمى والاستيلاء على السلطة . وتم ذلك بسرعة ويسر دون ان تتمكن القوى الشعبية والمنظمات السياسية والديمقراطية من تنظيم مقاومة فعالة حتى الان .

ولا نشهد هذا التفاوت فى صلابة الانظمة التقدمية فى افريقيا وحدها ، فهناك نموذج فيتنام ، الشعب الصغير العملاق الذى يمزق اكبر جهاز حربى عرفه التاريخ ويكيل له ضربات ساحقة

قاطبه ، بينما تسقط سيلان ثم اندونيسيا فريسة القوى الرجعية والسيطرة الاستعمارية .

والمسألة ليست عشوائية ، تخضع لاعتبارات غامضة ، وقوى خفية ، فهى ترجع الى عوامل مميزة وقواعد محددة . فاذا حدث ان نجح انقلاب رجعى فى الاطاحة بنظام متحرر فلابد ان يكون لنجاحه اسباب موضوعية . كما ان فشل المؤامرات والضغوط والعدوان على شعوب تصمد بصلابة للتحركات المعادية ، وتشق طريقها بثبات وعزم نحو ... يدمن التقدم ، يرجع ايضا الى عوامل موضوعية . واستخلاص العبرة من واقع تجربة الشعوب فى نضالها الوطنى التحررى ، يمدنا بحصيلة خبراتها ، ويكشف لنا عن المنهج الذى يجب اتباعه لحماية وتدعيم النظم التقدمية فى مواجهة جميع التحديات ، وخاصة فى المرحلة الراهنة التى يشن فيها الاستعمار هجومه على جميع الجبهات .

ومن ايسر الامور ان نعزو فشل او نجاح اى نظام فى الدفاع عن كيانه ، الى موقف الشعب منه ... شعب وقف موقفا ايجابيا ، صمم على الانتصار ، كل قواه موحدة معبأة ، حوافزه مستثارة منطلقة ، ومبادراته موجهة ... وشعب رغم نضاله العريق من اجل حريته قد التزم موقفا سلبيا ، قواه مبعثرة وطاقاته مضيعة ... نعنى حقيقة موقف الجماهير الشعبية من النظام القائم ، ومدى استعدادها للذود عنه ... نجاح القوى الثورية الحاكمة فى كسب وتعبئة القوى العاملة ، عن طريق توعيتها بمشاكل مرحلة مابعد الاستقلال السياسى ، ومقتضيات تحرير الاقتصاد الوطنى والتنمية الاقتصادية ومصارحتها بالصعاب ، وتعريفها على الاخطاء والسلبيات جنبا الى جنب مع الانجازات والايجابيات ، وتنظيمها على اسس ديمقراطية تسمح باشراكها الفعلى فى توجيه سياسة البلاد والمساهمة فى التخطيط لمستقبلها ، وتحديد التزاماتها بناء على الاقتناع الواعى .

ان النظم التقدمية تواجه مشاكل متعددة ومتشعبة ، الا ان هناك مهمتان رئيسيتان يتوقف على انجازهما ، نجاح القيادة الثورية فى حماية النظام وتدعيمه وتحصينه ضد القوى المعادية :

- تتويج استقلالها السياسى بالتحرر الاقتصادى من السيطرة الامبريالية ثم تنمية مواردها الاقتصادية ، لمصلحة قوى الشعب العاملة .

- الديمقراطية الشعبية السليمة بجناحيها الاجتماعى والسياسى .

١ ــ التنمية الاقتصادية

والشعوب لا تناضل فى سبيل اهداف مجردة ... التحرر الوطنى لا يعنى بالنسبة لها اعلام ترفرف فى الهواء ، وممثلين موفدين لهيئة الامم وسفارات تفتتح فى عواصم العالم المختلفة ، وسلطات تنتقل من ايدى بيضاء الى ايدى سمراء ، فالكفاح الوطنى مرتبط بالارض وظروف العمل والمعيشة ، بالقضاء على التخلف والبطالة والجوع والحرمان .. بالتعليم والتقدم ورفع مستوى المعيشة الى مستوى يليق بالانسان ، بالضمانات ضد الشيخوخة والاضطهاد .. مساواة فى الحقوق وحرية فى التعبير عن الرأى وحق الشعب فى تقرير مصيره من خلال المساهمه فى وضع وتسيير سياسة البلاد . واذا لم تحقق له الحكومة المستقلة تلك الاحتياجات المادية فسوف يناضل ضدها ، واذا تسلمت مقاليد الحكم حكومة متحررة وطنية ولم ترتفع الى مستوى مسئولياتها ، فسوف تدفعه الى السلبية وفقدان الثقة ، وبذلك تصبح معزولة عن الجماهير التى تستمد منها الحياة ، فيسهل الاطاحة بها ، لان المعركة فى هذه الحالة لن تكون بين حفنة من الرجعيين او عملاء الاستعمار ، بل تصبح نزاعا على السلطة بين جماعات فى حلبات مغلقة ، بعيدا عن الحماية الشعبية .

وهكذا فان قضية افريقيا الاولى هى ، كيفية مجابهة مشكلات التخلف ، وقضية الانظمة المتحررة التقدمية هى اختيار الطريق الذى يكفل تحقيق هذا الهدف بالنسبة للجماهير الشعبية . ولن ندخل فى جدل عقيم حول .. اى الطريقين نختار ، الطريق الرأسمالى ام الطريق الغير رأسمالى تمهيدا للتحول الاشتراكى ، فالظروف الافريقية والدولية والتجارب الثورية قد حسمت الاتجاه ، فالعلاقات الدولية للقوى الطبقية والمرحلة الراهنة التى يمر بها عالمنا ، واثر قرون من الاستبعاد والنهب الاستعمارى والسيطرة والاستغلال الامبريالى على الهياكل الاقتصادية للبلدان الافريقية وضعف وتخلف الراسمالية المحلية والتركيب الطبقى عامة ، ووضع افريقيا كجزء من العملية التاريخية فى تحول العالم من الراسمالية الى الاشتراكية ، كل ذه العوامل تسد الطريق تماما امام التطور الراسمالى ، بل ان الراسمالية الافريقية نفسها تدرك هذا الواقع ، ولذلك فهى تخشى استثمار اموالها فى الصناعات المحلية او تطوير الانتاج الصناعى الوطنى ، فهى غير قادرة على المنافسة ، وحتى فى حالة فرضها للقيود الجمركية حماية للانتاج الوطنى ، فان السوق المحلى محدود وضيق ، غير قادر على امتصاص الانتاج بسبب سيادة اقتصاد الاكتفاء الذاتى فى



معظم بقاع القارة . وهى اذا حاولت الخروج من اطار السوق المحلى الى الخارج لتصدر منتجاتها فسوف تواجه منافسة قاتلة . ثم انها تفتقر الى رؤوس الاموال الكبيرة التى تتطلبها المشروعات الحديثة، تحس بعدم الاستقرار وتخشى الاتجاهات الاشتراكية وتخاف الشعب ، لذلك تلجأ الى الاساليب الطفيلية للاثراء من التجارة والسمسرة والمضاربة بالاضافة الى الاعمال غير المشروعة بالابتزاز والاختلاس والرشوة والمتاجرة فى السوق السوداء .

وهكذا فان الرأسمالية لا تقوم بأى دور ايجابى فى تطوير الانتاج الوطنى ، ولا تقوم بنشاط انتاجى الا فى حدود القطاع الزراعى ، فطبيعتها الطفيلية هى الغالبة ، والجانب الطفيلى يمكن اغتفاره مقابل الجوانب الايجابية كالاسهام فى عملية تطوير الانتاج وتقدمه . اما اذا تضخم الجانب الطفيلى — السلبى — وانكمش الجانب الايجابى ، فلا يجوز التسامح معه او السماح بتواجده .

ورغم النمو النسبى للراسمالية فى مصر مثلا ومشاركتها فى تطوير الانتاج الصناعى ، فقد حبست البورجوازية المصرية رؤوس اموالها عن الاستثمار فى الصناعة بعد ثورة يوليو ١٩٥٢ وانخفض رأس مال الشركات المساهمة واتجهت الاستثمارات الى المشروعات غير الانتاجية ، وذلك رغم ان الدولة قدمت الكثير لتشجيع القطاع الخاص وجذب المدخرات الوطنية للاستثمار فى الصناعة عن طريق سلسلة من التشريعات والقوانين باعفاءات من ضريبة الارباح والغاء الرسوم الجمركية على وارداتها .. الخ . وعندما وضعت الثورة مشروعها لمضاعفة الدخل القومى فى عشر سنوات معتمدة على مشاركة القطاع الخاص ، تهرب من المساهمة فى خطة التنمية بل وراح يتآمر ويخرب ، مما حسم الطريق ، فان هذه الثورة الاصيلة هى التى مكنت الشعب المصرى ، وهو يتجه بكل جهوده الى الانتاج ان يتأكد اولا من « سيطرته الكاملة على كل ادوات الانتاج » كما جاء فى الميثاق الوطنى ، دليل العمل الثورى للشعب المصرى .

التنمية هى طريق القضاء على التخلف والرأسمالية المحلية غير قادرة على تحقيقها او المساهمة فيها بقدر محسوس .

والتنمية بمعدلات كبيرة تسمح بتعدى الهوة السحيقة التى تفصلنا عن الدول المتقدمة صناعيا ، يقتضى تعبئة كل الموارد المادية والبشرية ، والتخطيط الشامل لاستخدامها على اكمل وجه فى تطوير الاقتصاد القومى . ولا يمكن التوصل الى هذه الاهداف الا بعد السيطرة الكاملة على جميع وسائل وادوات الانتاج والتحكم فى التجارة الخارجية والداخلية والتوزيع ، وزيادة مقدار الفائض الاجتماعى الذى يستطيع المجتمع ان يقتطعه من دخله القومى ليخصص للتنمية ، بالاضافة الى القروض الخارجية غير المشروطة بقيود سياسية او التزامات متناقضة مع الاستقلال السياسى .

ومن هنا تبرز اهمية تكوين قطاع عام للدولة يقود عمليات التنمية ، بجانب اقامة المشروعات المختلطة (رأس مال عام وخاص) مع ضمان سيطرة الدولة على توجيهه هذه المشروعات وتطوير الصناعات الوطنية الصغيرة والمساعدة على رفع انتاجية العمل بميكنة الزراعة وتدعيم نظم التعاون الانتاجى .

ورغم الامكانيات الضخمة للتوسع الزراعى فى افريقيا ، فلا يمكن بناء القاعدة الاقتصادية للاقتصاد القومى المتحرر من النفوذ الاستعمارى والقادر على الصمود امام المؤامرات والضغوط الامبريالية دون تصنيع البلاد ، فالتصنيع هو وحده القادر على تحطيم القيود الاستعمارية الاقتصادية وتنمية انتاجية العمل الوطنى ، وتهيئة فرص التراكم للثروة الوطنية ، وزيادة الدخل القومى بمعدلات لا تتاح للقطاع الزراعى بالاضافة الى رفع المستوى الثقافى للمنتجين وخاصة فى القطاع الصناعى واثره على الثقافة والتطور الفكرى وتقدم الوعى القومى ، وخلق طبقة عاملة منظمة قادرة على قيادة عمليات التحول الاشتراكى .

وافريقيا اكثر القارات تخلفا فى مجال الانتاج الصناعى اذ انها تنتج ١/٧ انتاج العالم من المواد الخام ، ١/٥٠ من قيمة الانتاج الصناعى فى العالم ، وتقدم الصناعة نحو ١٤ ٪ فقط من الدخل القومى فى افريقيا . ولذلك نجد ان متوسط الدخل القومى بالنسبة للفرد من سكان افريقيا يبلغ ٨٩ دولارا مقابل ١٥٤١ دولارا فى الولايات المتحدة الامريكية (١) .

والاستعمار الجديد لم يعد يعمل على تعطيل التصنيع فى البلاد النامية بجميع اشكاله ومستوياته ، فهو يحارب اساسا الصناعات الثقيلة ، ويسمح بتصدير الصناعات التحويلية ، التى تهيىء له فرصا جديدة للاستغلال ، اذ ينمى الاسواق الافريقية الوطنية وطاقاتها على شراء

(١) النمو الصناعى فى افريقيا (تقرير هيئة الامم ١٩٦٢) .

المنتجات الغربية ، ويفتح اسواقا واسعة لمنتجات الصناعات الثقيلة الاوروبية والامريكية . وهو يهدف من وراء سياسته هذه خلق نوع من التخصص يكشف عنه « ايرهارد » مستشار المانيا الغربية (السابق) اذ ينادى بضرورة تقبل تصدير ابسط انواع ادوات الانتاج الصناعى وان توجه الجهودنحوحقولمن الصناعاتتتطلب اكتمال الكفاية الفنية وارتفاع المستوى التكنيكى . ويمكن الاستفادة من هذا الاتجاه دون اهمال الصناعة الثقيلة ، عماد التقدم ، وقاعدة الاستقلال الاقتصادى .

تلك هى الدعامات الرئيسية لتحرير الاقتصاد الوطنى ومن ثم تطويره ، وهى القاعدة المادية لحماية النظام التقدمى ، وصموده للاعاصير التى تطلقها القوى الاستعمارية والرجعية المحلية بهدف اقتلاع هذه النظم .

والحديث عن التخطيط الشامل والتنمية الفعالة سابق لاوانه فى عديد من الدول المتحررة ، التى ما زالت تربطها بالاستعمار قيود تشل حركتها وتحرمها من حرية التحكم فى اقتصادها وتنظيم وتوجيه النقد الاجنبى المتوفر لديها ، وتحديد اولويات التنمية والمواقع التى توجه اليها جهود الاستثمار ، مثل حبسها فى منطقة نقدية (فرنك استرلينى) استعمارية وسيطرة البنوك الاجنبية على عمليات الائتمان والاقراض المختلفة ، وهيمنة الاحتكارات الغربية على التجارة الخارجية .

وليست هذه القيود مجرد ادوات يستخدمها الاستعمار لاخضاع البلاد النامية اقتصاديا (ومن ثم سياسيا) فهى ايضا اسلحته فى القضاء على النظم التقدمية وتحطيم اى اتجاهات وتيارات ثورية . ومهام حركة التحرر الوطنى — فى ظروف عالمنا المعاصر والشكل الجديد للاستعمار — لا تنحصر فى الحصول على الاستقلال السياسى بل تمتد وتستمر لتتضمن الشق الثانى ، الا وهو تحرير الاقتصاد الوطنى .

وعندما تجرات غينيا على التصويت ضد الدستور الفرنسى عام ١٩٥٨ ووجهت بقطع المعونات والقروض والحصار الاقتصادى وسحب الخبراء والاداريين ، ولذلك كان على الحكومة الثورية احد امرين : اما ان تخضع للنفوذ الاستعمارى ، أو تواصل العمل على تحرير اقتصادها ، وتقدم على مزيد من الاجراءات الثورية رغم كل الصعاب التى كان عليها ان تتحملها لتحطم قيود العبودية ، فانفصلت عن منطقةالفرنك عام ١٩٦٠ وانشأت البنك المركزى ، وادخلت نقدها الوطنى ثم أممت البنوكالفرنسية ، وبذلك تحكمت فى النظام المصرفى والائتمان وتحررت نسبيا من قيود التجارة الخارجية وشروطها المجحفة .

وبطبيعة الحال فان البدء فى التخطيط الشامل والتنمية الاقتصادية الفعالة كان نوعا من الخيال الثورى لا سند له ، قبل اتخاذ هذه الخطوات الحاسمة ، والتى هيأت امكانيات الانتقال لمرحلة التخطيط ، واتاحت للنظام تثبيت قواعده وتدعيم بنيانه ، الذى تحطمت عليه جميع محاولات القضاء عليه .

وتجربتنا فى مصر ايضا تزخر بالامثلة الصارخة على ضرورة تحطيم القيود الاستعمارية قبل البدء فى عمليات التنمية والتخطيط الشامل ، فعندماشعر الاستعمار بحاجتنا الى رؤوس اموال ندخل بها معركتنا ضد التخلف ، اذاع مكتب الاستعلامات بالسفارة الامريكية بالقاهرة فى ٣٠ يوليو ١٩٥٣ نص الشروط التى يلزم توفرها لتوظيف رؤوس الاموال الامريكية فى مصر وهذا نصها :

١ — ضمان ضد المصادرة ونزع الملكية .

٢ — ضمان بامكان تصفية المشروع الذى يستغل فيه رأس المال اذا اراد صاحب المال ذلك .

٣ — كفالة ارباح معقولة .

٤ — ان تكون الضرائب معتدلة وغير قائمة على اساس التفرقة .

٥ — ان تكون التشريعات العمالية والاجتماعية عملية .

٦ — حكومة مستقرة .

والنص لا يحتاج الى تعليق !

وسلط علينا الاستعمار جميع اشكال الضغوط الاقتصادية من امتناع عن تمويل محصول القطن (وهو المحصول الزراعى الرئيسى) عندما كانت له الهيمنة على البنوك فى مصر ، حتى تجميد ارصدتنا فى الخارج وتحريم بيعنا القمح والدواء والالات والسلاح للدفاع عن حدودنا ضد الاعتداءات الاسرائيلية (التى كانيحركها) وسحب عرضتمويل السد العالى . ولذلك فقد كانت الخطوات الثورية لتأميم البنوك وشركات التأمين والصناعات الرئيسية شرطا لابد من توفره قبل البدء فى عمليات التنمية الاقتصادية والدفع بعجلة الانتاج بمعدلات تسمح بالقضاء على التخلف . كما كانت هذه الخطوات تمثل ضرورة لا مفر منها لحماية الاقتصاد القومى وتأمين نظام الحكم الثورى فى مواجهة العدوان الاستعمارى .

وحتى بعد نجاح الانظمة التقدمية فى تمزيق



القيود الرئيسية للعلاقات الاقتصادية مع الاستعمار ، تبقى بدرجات متفاوتة التأثيرات الهدامة لسيطرة الامبريالية على السوق العالمي.

والتركيز على رفع انتاجية المحاصيل النقدية التقليدية وحده ، اثبت عدم جدواه ، اذا لم يصحبه تنويع هذه المحاصيل وتوسيع نطاق النشاط التجارى ، لكسر احتكار البلد الاستعمارى والسوق الاوروبى ، بالتعامل والتبادل المباشر مع الدول المتحررة والبلاد الاشتراكية ، وزيادة انتاج السلع الغذائية والاستهلاكية وتصنيع بعض المنتجات محليا لتخفيض المستورد منها ، ثم احتكار الدولة لتجارة الاستيراد والتصدير والتضامن بين الدول المنتجة لنفس السلع النقدية لرفع اسعار منتجاتها .

لكن ما علاقة التجارة الخارجية وتنظيمها بحماية الانظمة التقدمية ؟

ان مثل غانا كفيل بالرد على هذا التساؤل ، ويوضح مدى خطورة سيطرة رأس المال الدولى على الاسواق العالمية والتحكم فى الاسعار .

الكاكاو يكون اكثر من ٥٠ ٪ من صادرات غانا . وقد نجح الاستعمار فى تخفيض اسعاره عن طريق تحكمه فى السوق العالمى من ٥٨ سنت للرطل عام ١٩٥٤ الى ٣٧ سنت عام ١٩٥٥ و ٢٠ سنت عام ١٩٦٢ و ١٦٫٣ سنت عام ١٩٦٤ . وهذه الارقام تعنى ببساطة ان شعب غانا اذا اراد زيادة حصيلته من العملة الاجنبية اعتمادا على محصول الكاكاو ، لما تمكن من ذلك حتى لو رفع انتاجيته اكثر من ٣٥٠ ٪ ولو استمر انتاجه على ما كان عليه عام ١٩٥٤ ، لحصل عام ١٩٦٤ على ٣٠ ٪ من الدخل الذى حققه من عشر سنوات .

وقد جاء فى كتاب « الاستعمار الجديد » لكوامى نيكروما ان « مكاسب غانا من محصول الكاكاو عام ١٩٥٤ عندما كانت تنتج ٢١٠ الف طن مبلغ خمسة وثمانين مليونا ونصف المليون من الجنيهات ، وارتفع رقم الانتاج فى عام ١٩٦٤ — ١٩٦٥ الى ٥٩٠ الف طن (٢٨٠ ٪) بينما هبطت المكاسب فى هذا العام الى سبعة وسبعين مليونا (٩٠ ٪) . لقد ظل ٨٥ ٪ من حجم التبادل التجارى لغانا قائما مع الغرب الاستعمارى . »

وهكذا فان استمرار السيطرة الاستعمارية على السوق العالمى يتيح له **استنزاف الجهود الجبارة التى تبذلها الشعوب من اجل مضاعفة انتاجها ، يخرب هذه الجهود ويزيد من الافقار ويخفض عائد العمل.** ويستغل الاستعمار وأعوانه هذه الصعاب التى يخلقها ، لتعبئة السخط ضد نظم الحكم المتحررة والهجوم على القطاع العام والاتجاهات الاشتراكية .

ان هذا الخفض المصطنع لاسعار المواد والمحاصيل النقدية يعتبر قاعدة مادية يستند اليها الاستعمار فى رفع رصيد التذمر بين بعض الفئات الشعبية واثارة الشك والبلبلة فى كفاءة نظام الحكم ومنهجه السياسى عندما لا تحس الجماهير بتغير حاسم وعاجل فى ظروفها المعيشية ، اذا لم يتوفر الوعى الكافى بمصدر هذه الصعاب والتعبئة الدائمة اليقظة للقوى العاملة ، واتخاذ الاجراءات الكفيلة بالتصدى لتلك العقبات والتى اشرنا اليها فيما سبق .

ان الارقام الرسمية تشير الى انه فى المدة مابين ١٩٥١ — ١٩٦١ انخفض مستوى اسعار المواد الخام والاولية (فيما عدا البترول) بنسبة ٣٣٫١ ٪ بينما ارتفعت اسعار البضائع المصنعة ٣٫٥ ٪ والالات والمعدات بنسبة ٣١٫٣ ٪ .

توزيع المكاسب واعباء التقشف

وهناك عناصر عديدة لابد من توفرها ، **لضمان** التفاف القوى الشعبية حول النظام القائم ، وتأييدها له واستعدادها للدفاع عنه وحمايته فى مواجهة القوى المضادة .. اهم هذه العناصر تتمثل فى الاتى :

- تحقيق مكاسب مادية ملموسة للجماهير الشعبية ، خاصة فى المرحلة التالية على الاستقلال السياسى والتى يضطر فيها الاستعمار الى التنازل عن بعض امتيازاته ، مع مراعاة عدالة توزيع هذه المكاسب ، فلا يسمح لفئة مميزة او طبقة معينة بالاستحواذ عليها والانفراد بها . يجب ان يجد الارتفاع النسبى فى الدخل القومى ترديدا بين الجماهير العاملة وينعكس على حياتهم .

- لايكفى تحقيق مكاسب شعبية ، فمن الضرورى ان يرتبط بها الاحساس بهذه المكاسب والوعى بالتقدم الذى ترتب على الاستقلال السياسى . خاصة بين الشباب الذين لا يلمسون عادة مدى التغيير الذى جرى ببلادهم ، اذ يبلغ عدد كبير منهم سن الادراك الرشيد للامور بعد ازاحة العبء المباشر للسلطة الاستعمارية . وهنا يبرز دور الحزب ومهمة الكادر القيادى فى توعية الجماهير الشابة ، بآثار التحرر الوطنى على الواقع المعيشى ، والافاق التى فتحها امام التقدم بصورة مطردة وبمعدلات مرتفعة .

وهناك اتجاه آخر يؤدى الى اضعاف اثر هذه المكاسب ، وافقادها الكثير من فعاليتها وهو التيار الدعائى الذى يتسم بقصر النظر ، فيروج لفكرة التغيير المفاجىء ، والحل السحرى لجميع مشاكل البلد النامى ، بمجرد الحصول على الاستقلال السياسى ، ويقدم وعودا خيالية بالرخاء والثراء .. الخ . ويرسم صورة مشرقة لما سيترتب على التحرر الوطنى .. وهكذا تتضخم التوقعات والاحلام . وعندما يعجز النظام عن تحقيقها ، يستصغر الناس شأن اية مكاسب تحققت ، اذ انهم لا يقارنون وضعهم بما كان عليه من قبل ، بل يقيسونه بالصورة البراقة التى زينت لهم ، مما يؤدى الى افتقاد الثقة فى النظام القائم ، واعتباره فاشلا ، عاجزا عن انجاز مهامه وبرنامجه . ويسود احساس بين الجماهير بأنها قد خدعت وضللت . وتستند القوى المعادية على هذا التناقض لادانة سياسة الحكومة والتنديد بمنهجها فى الحكم الذى يجدِاستجابةبين قطاعات متباينةمن الجماهير .

وليس اقل خطرا من هذا الاتجاه ، وقوع بعض المسئولين فى الحكومات التقدمية فى خطأ المبالغة فى ارقام الانتاج وتقدير المنجزات ، واختلاق مكاسب ومميزات يدرك الناس زيفها . فهو يؤدى بالضرورة الى اثر عكسى ، ويفقد الجماهير الثقة فى الحكم القائم . لقد حدث مثلا بعد صدور قانون الاصلاح الزراعى الاول ان انتجت الاستعلامات فيلما « تسجيليا » يظهر فيه الفلاح الجديد مقيما فى « فيللا » من عدة حجرات ويأكل اصناف اللحوم والفاكهة ومنها التفاح — فاكهة علية القوم فى مصر — ويلبس ثيابا فاخرة .. الخ ولا شك انه كان موضع استهجان .. ليس الفيلم فى حد ذاته، بل تحول الى سخرية بالقانون . واستغل اسوأ استغلال من جانب القوى المعادية للثورة .

ومن هنا تبدو ضرورة ان ترتبط المكاسب فى اذهان الجماهير بالنظام القائم والنهج السياسى الذى يلتزمه ، فى مواجهة النظرة القائمة على تجريدها عن شكل الحكم واعتبارها مجرد تطور طبيعى مع الزمن . وهذا الترابط يدعم الصلة المادية والمعنوية بين الجماهير العاملة وبين نظام الحكم القائم ، ويعبئها للدفاع عن النظام وحمايته .

وهناك عدة عوامل تزيد من الانفصام بين الجماهير والقيادة السياسية ، ومنها ان الاخيرة اذا اتجهت حقا الى التنمية الشاملة للاقتصاد القومى ، اضطرت الى اتخاذ اجراءات للتقشف لتحقيق تراكم مالى يسمح بالتوسع فى الانتاج وخاصة الصناعى منه ، مما يؤجل على المدى القريب كثيرا من المكاسب ، بينما يقوم الاستعمار الجديد بخلق نماذج « للانتعاش » فى بعض المناطق بشرق وغرب وشمال افريقيا ، لتتحول الى نقاط جذب للاتجاهات الراسمالية والابقاء على العلاقات الاقتصادية مع الاستعمار ، وبذلك يسود رخاء مفتعل ليس له القدرة على الاستمرار ، اذ يقوم على اسس طفيلية (معونات ومنح وقروض وفائض الانتاج الزراعى الامريكى .. الخ) وباغراق الاسواق بالسلع الاستهلاكية . وبذلك يحاول دعاة الراسمالية ان يهيئوا للناس ان توفر الروائح العطرية الفرنسية والاصواف الانجليزية والسيارات الامريكية ، دليل على الرخاء ، وظواهر نجاح الانظمة التى تتعاون مع الغرب وتبقى على الاستثمارات الاجنبية وتنتهج السبيل الراسمالى للتطور وتتجنب مشاكل التنمية و « مخاطر التصنيع » .

يجب ان تكشف اجهزة الدعاية الثورية عن زيف هذه الصورة ، والرخاء المفتعل الذىتستفيد منه اقليات مرفهة معادية لشعوبها ، والاسس الواهية التى يستند اليها اقتصادها ، حتى ان بعض هذه الدول لا تستطيع دفع مرتبات موظفيها ، الا اعتمادا على المعونة الغربية .

وهكذا فانه فى نفس الوقت الذى يقع فيه على الحزب السياسى والحكومة الثورية مهمة التعبئة السياسة للجماهير واظهارها على المكاسب التى حصلت عليها بفضل التحرر السياسى وفى ظل الحكم الوطنى ، عليهما الا يبالغا فى رسم صورة يصعب تحقيقها ، ويكفى ان تقتنع الجماهير بأن هناك طريقا واحدا للتقدم .. طريق التنمية والتخطيط ، وان ترتبط بالقيادة السياسية على اساس منهجها وسياستها فى الحكم واقتناعها بأنها خير ممثل لمصالحها ومعبر عن آمالها وتطلعاتها .

ان صورة الاستغلال الاستعمارى مرتبطة فى اذهان الجماهير الافريقية « بالامتيازات » فالشركات الراسمالية تحصل على امتيازات الاستغلال والمؤسسات التجارية تحتكر التعامل مع البلدان النامية فى صادراتها ووارداتها ، والرجل الابيض يتمتع بالامتيازات وبجميع الحقوق التى يحرم منها الوطنيون فهناك التفرقة فى المعاملة والاجور والاسكان .. وفى كل اوجه الحياة . وابناء الشعوب الافريقية اذا وجهوا بالسلطة الافريقية الجديدة وقد احتلت المراكز المميزة وحصلت على كل مايرتبط بها من مميزات فى الاجور ، واسلوب المعيشة .. الخ يصبح من الطبيعى انتنفصم اواصر العلاقات الاجتماعية التى كانت تربطها بالقيادة الوطنية — مهما كانت وطنيتها — بعد ان تتحول فى نظرها الى نموذج مصغر للسلطة القديمة . ولا يحق لنا بعد ذلك ان



نعجب من سلبية الجماهير وانعزالها وتخاذلها عن حماية السلطة القائمة اذا ما تصدت لها قوى تهدد كيانها .

والقدوة فى البلاد النامية بالذات هى حجر الاساس فى مناعة وقوة نظم الحكم ، فان بروز امتيازات طبقية ، واكتساب فئة قليلة من المثقفين وكبار الموظفين لمكاسب صارخة ، ومظاهر التبذير والرخاء بصورها المختلفة (القصور والسيارات الفارهة .. الخ) ، يؤدى بالضرورة الى سيادة التذمر والاستياء العام ، بسبب التناقض بين هذه الاوضاع ، ومستوى المعيشة المنخفض للغاية فى البلاد النامية . كما ان هذا التفاوت المرضى يؤدى الى تحول التناقض مباشرة الى صراع كامن او صريح بين اصحاب الامتيازات والمحرومين منها ، ويفتت الجبهة الداخلية ويؤدى الى انفضاض الشعب من حول النظام القائم .

والدعوة الى التقشف لن تثير غير السخرية والاشمئزاز من جانب الجماهير ، اذا صحبتها زيادة فى الامتيازات لفئة من السياسيين ورجال الدولة والرأسماليين ، فالاصل فى الدعوة الى التقشف هى ان توجه الى هؤلاء ، وليس لجمهرة الفلاحين والكادحين الذين يعيشون فى شظف وحرمان دائم .

خلط بين الحوافز والميزات الطبقية

ومن مصلحة القوى الاستعمارية العمل على خلق طبقة مميزة مرتبطة بها اقتصاديا ومصيريا لتضمن السيطرة والتحكم فى البلاد النامية . ومن الامثلة الصارخة على ذلك انه فى الجابون ، وعدد سكانها لا يتجاوز نصف مليون يوجد برلمان من ٦٥ عضوا يتقاضون مكافآت ضخمة (١٦٥٫٠٠٠ فرنك لعضو مجلس النواب) بينما يحيا العمال فى ظروف قاسية (٧٠٠ فرنك فى العام) وفى داهومى نجد ان ٦٠ ٪ من الدخل القومى يذهب الى فئة الموظفين . وان كانت هذه السياسة تؤدى الى ثورة الشعوب فى البلدان التى تحكمها حكومات رجعية . كما حدث فى الكونجو برازافيل فى ثورة شعبها على الرئيس السابق يولو الذى كان يشيد قصرا — على نمط قصر فرساى استورد رخامه من الخارج فى الطائرات على حساب الشعب الصغير الفقير ، فان الاتجاهات المماثلة والمشابهة فى البلدان التى تقودها حكومات تقدمية تؤدى الى انفضاض الشعب عن الحكومة التى تفقد التأييد والمساندة والحماس الجماهيرى ، مما يسهل على القوى المعادية الاستيلاء على الحكم .

ولا شك ان هناك تفاوت فى درجة الاسراف والقدر من الميزات التى تحتكرها الفئات المميزة فى النظم التقدمية ، الا ان هناك من الاتجاهات التى تنظر تبرر للامتيازات بمختلف الوسائل والحجج . ان نقطة البدء فى هذه المبررات يؤيدها الواقع والضرورة ، فحاجة الدول النامية الى كادرات فنية وادارية لقيادة جهاز الدولة وعمليات التنمية والافتقار الشديد الى هذه العناصر ، يجعل من الضرورى تشجيعها بمنحها بعض الامتيازات . الا ان قوى الرأسمالية والانتهازية تستغل هذه الظاهرة للمبالغة فى هذه الدعوة وتحويلها من مجرد حافز ايجابى الى امتياز طبقى ، والى تبذير مستهجن وتميز صارخ ، اذ لا بد من وجود مستويات معقوله للحد الاعلى للدخول يتناسب مع الظروف الخاصة للدخل القومى ومستوى معيشة الشعب .. وضع يقبله العقل ويقره الرأى العام .

وهناك ايضا التميز الواضح بين الريف والمدينة ، والتى يجب على الحكومات التقدمية ان تعمل على تذويبه وتخفيفه تدريجيا . فمن المشاهد ان ما يحدث هو النقيض ، فتزداد المدينة غنى وسكانها حقوقا ويبقى الريف متخلفا واهله على فقرهم ، وهو وضع يمثل خطورة حقيقية على الانظمة التقدمية لان الريف هو القلعة الرئيسية والحصن المنيع ضد القوى المعادية .

٢ — الديمقراطية والصراع الطبقى

والضمان الرئيسى لحماية الانظمة الثورية ، يكمن فى القدرة على التحديد الواضح القاطع — والديناميكى المتغير فى الوقت نفسه — لقوى الثورة والقوى المعادية للثورة ، واضعين فى الاعتبار الطبيعة المزدوجة الوطنية الاجتماعية للثورات فى البلاد النامية ، وكذلك الخصائص المميزة للطبقات المختلفة فى الظروف العالمية الجديدة وفى الواقع المحلى المميز .

وفى تحديد قوى الثورة تواجهنا قضية التعرف على القوى الرئيسية والثانوية ، لعدم الخلط بينهما ، خاصة مع القوى المعادية فى المراحل المختلفة للثورة ، حتى لا تسمح للاخيرة بالتسرب الى الاجهزة والمؤسسات الرئيسية والمواقع الحساسة ، او تنحى القوى الاساسية جانبا ، وتهيىء للاحتياطى احتلال مراكز قيادية بما هو لصيق بطبيعتهم من تردد وتذبذب واتجاهات توفيقية ، خاصة وان الملاحظ ان معظم الانقلابات الرجعية والتحركات المعادية تأتى من داخل الاجهزة الحزبية والتنفيذية الاساسية بل من بين قادتها .

وأولى النقاط الجديرة بالاهتمام هى الرد على نظرية تســود بين عــدد كبير من قادة ومفكرى افريقيا ، وتقول بتجانس المجتمعات الافريقيــة ، وتنفى انقسامها على اسس طبقيه، بما يترتب على هذه النظرية من انكار ضمنى للصراع الطبقى او التهوين من امره . وهذه النظرة تستند الى واقع ان المجتمعات الافريقية لم تتشكل طبقيا بصــورة واضحة تطابق النماذج الغربية المتقدمة .

ان الخلافات الحادة التى نشبت بعد الاستقلال السياسى حول اختيار طريق التطور ومنهج الحكم، وحول السلطة ، واحتدام المعارك الســـياسية والفكرية والصراعات بين الاتجاهات الاشتراكية والمعادية لها ، وبين الاحزاب المختلفة او التيارات المتباينة داخل الحزب الواحد ببرامجها ومفاهيمها المعبرة عن مضامين اجتماعية متعددة والعاكسة لمصالح طبقة معينة ، دليل قاطع على الاســس الطبقية للصراعات الدائرة فى حيــاة المجتمعات الجديدة ، بل ان الدوافع الطبقية كثيرا ما تكمن وراء الصراعات القبلية .

هذه الصراعات دليل على نضــج المجتمعات الافريقية الى مستوى يجعل الصراع الطبقى هو العنصر الرئيسى والحاسم فى تحديد مسار المجتمع واختيار طريق التقدم . هذا بالاضافة الى الطابع الدولى للامبريالية ، واستقطاب الصراع الطبقى على نطاق عالمى .

هذه النظرة الطبقية اذن ضرورية لحماية النظم الثورية . وفى مصر كادت نظرية « الامة ككل » وفتح ابواب «الاتحاد القومى» للجميع دون تفرقة، كادت ان تودى بالنظام ، ومكنت الرجعية السورية التى احتلت المواقع القيادية بالاتحاد القومى من ضرب الوحدة الثورية والانفصـــال عن مصر فى ســبتمبر ١٩٦١ . الا ان قيــادة الثورة المصرية سارعت بتحديد الاعداء «تحالف الاقطاع ورأس المال» من الانصار « قوى الشعب العاملة » .. الفلاحون والعمال والجنود والمثقفون والرأسمالية الوطنية غير المستغلة » ، وعزلت معظم القوى المعادية عن المواقع الرئيسيةفى الاجهزة السياسية والمنظمــات الجماهــيرية (قضــت بوجوب أن يكون ٨ من بين العشرة اعضاء فى مجلس ادارة الجمعية التعاونية الزراعية ممن يملكون اقل من خمسة افدنة) وخصــصت نصف مقــاعد جميع المجالس الشعبية للعمال والفلاحين .. الخ من اجراءات تحطمت عليها جميع المؤامرات الخارجية والداخلية ضد شعب الجمهورية العربية المتحدة .

الخصائص المميزة للرأسمالية الجديدة

وهناك اتجاه متأثر بالدور التقليدى الذى قامت به الطبقة الرأسمالية فى قيادة كثير من الثورات الوطنية ونجاحها فى تطوير الاقتصاد الوطنى ، وتصنيع بلادها ،ولايرى الوجــه الاخــر والمميز للرأسمالية الافريقية ،التى فقدت القدرة موضوعيا على القيام بدور حاسم فى الكفاح ضد الاستعمار، خاصة فى مرحلة ما بعد الاستقلال السياسى .. وفقدت قدرتها على تصنيع البلادو تنمية مواردها بالقيادة او الاسهام الفعال فى معركة الانتاج ، فهى تفضل الالتقاء مع الاســتعمار الجديد وتوطيــد علاقاتها به ، وتكتفى بدور الشريك الصغير ، فى مواجهة الاتجــاهات الاشتراكيــة التى أصبحت لصيقة بالحركات الوطنية ، وبسبب عدم قدرتها على المنافسة مع عمالقة الاحتكارات الدولية ، واكتسابها الطبيعة الطفيلية والمغامرة .

والاستعمار الجديد يدرك هذا الواقع ويستغله لمصلحته ، فيركز بكل قــواه على كسب هــذه الفئة وافسادها واتاحة فرص الاثراء امامها عن طريق امدادها ببعض فتات اربــاح استثماراتها (الوكالات التجارية والعمولات عن الصفقات ، وفروع بعض الشركات .. الخ) . والاحتكارات الاجنبية من جانبها تنتقى اعوانها عادة من بعض العناصر التى شاركت فى الحركة الوطنية بشكل أو بآخر ، من بين الموظفين والتجار والبورجوازية البيروقراطية الجديدة وفئة من المثقفين ، وهم بحكم تاريخهم لا يعتبرون من الفئــات المعــادية للثورة ، وبذلك يحول الاستعمار هذه العنــاصر تدريجيا الى معاداة النظام الذى يكون قد قطع مرحلة فى طريق التحول غير الرأسمالى وتدعيم القطاع العام ، واتخاذ اجراءات مضطردة الثورية، مما يزيد التناقضات بينها حدة واحتداما . الا أنهم يبرعون فى اخفاء عواطفهم ويدعون تأييدا للنــظام التقدمى ويظهرون غير ما يبطنون حتى تتهيأ لهم فرصة الانقضاض والغدر .

والرأسمالية الوطنية بسبب نفورها من النشاط الانتاجى وخشية حبس اموالها فى مشروعات ثابتة، وصعوبة تحقيقها للتراكم الرأسمالى من خــلال التصنيع ، تلجأ الى الاساليب الطفيلية والعمليات التى تحقق دورة سريعة لرأس المال ، والمرتبطة بميزات (اذونات استيراد ــ احتكار سلع معينة ــ سمسرة فى صفقات حكومية ... الخ) عن طريق جهاز الدولة ، ولذلك تتميز بطابع المغامرة والقسوة .

وان كان تطور قــوى الانتــاج الرأسمالى ، بالاضافة الى استجابة الجماهير للفكر الرأسمالى فى صراعه ضد الاقطاع ، هما عمــاد الطبقــات



البورجوازية التقليدية فى الاستيلاء على السلطة ومضاعفة التراكم الرأسمالى على أساس المشروع الفردى فيما مضى ، فان **السلطة فى حد ذاتها** أصبحت بالنسبة للرأسمالية الجديدة النامية هى الطريق الى تحقيق تراكم رأسمالى ، لا يتوفر لها بالمشاركة فى العمليات الانتاجية وتطوير الاقتصاد القومى ، بل باستغلال السلطة للاثراء بأساليب طفيلية ، بتقنين النهب وتشريع السرقة ، بالصفقات والسرقات المشروعة ، بالمضاربة والتجارة فى السوق السوداء ونهب المعونات الاجنبية .

ولذلك فان العناصر الرأسمالية الطفيلية المغامرة هى مكمن الخطر على الانظمة المتحررة، اذ تقامر بكل شيء وتتآمر بكافة السبل لافتراس هذه الانظمة . ان السماح للبورجوازية الوطنية بالنمو واحتلال مراكز قيادية ومواقع أساسية فى الاجهزة والمؤسسات السياسية والاقتصادية ، ويؤدي الى توسيع الهوة بين أبناء الشعب والفئة المميزة ، فتسود روح السلبية والاستياء ، وهو المناخ المناسب للانقضاض الرجعى .

وخطر الرأسمالية لايقاس بحجمها او امكانياتها الظاهرة ، بل بطبيعتها الطبقية . وهذا لا يعني بالضرورة وفى كافة الظروف انالرأسمالية الوطنية معادية للثورة ،وليس اقتراحا بان تصنفمع القوى المعادية . ولكنها دعوة للحذر واليقظة من طبيعتها المغامرة وضراوتها فى صراعها من أجل السلطة.. دعوة لئلا تتولى مركز القيادة بين قوى الشعب العامل بل تدخل فى التحالف الوطنى تحت قيادة اشتراكية وبضمان ان يكون للعمال والفلاحين الكلمة العليا والنفوذ الاكبر فى هذا التحالف ، وأن تخضع اقتصاديا للقطاع العام واحتياجات الخطة القومية .وفى هذا المجال يجب التفرقة بين فريقين من الرأسماليين الوطنيين .

● الرأسمالية المنتجة المرتبطة برأسمال ثابت مجسد فىآلات انتاج قائمةوالتى تشترك فىالنشاط الانتاجى ، وهذه يجب تشجيعها فى اطار هيمنة القطاع العام ، وفى حدود لاتسمح باستشرائها .

● الرأسمالية الطفيلية المغامرة التى تستخدم أموالها فى مشروعات هلامية مشبوهة وغير انتاجية، وهنا يجب على الدولة التقدمية ان تسارع الى القضاء على هذه الفئة وان تحيل نشاطها الى القطاع العام .

المثقفون

فى الصراع الوطني لم تنجح طبقة بعينها ان تكون صاحبة السطوة الكاملة او الكلمة الاخيرة بعد رحيل الاستعمار فى معظم البلدان الافريقية . والتعرية التى حققها النضال ضد الاستعمار للعناصر الاقطاعية مع ضعف الرأسمالية وافتقار الحركة الشعبية الى التنظيم وارتفاع نسبة الامية والحاجة الماسة الى الفنيين والاداريين يجعل للمثقفين دورا بارزا فى قيادة النشاط السياسى والاقتصادى والثقافى . وخاصة لزيادة حجم المهام التى تتطلب تطبيقا خلاقا للعمل الذهنى بالتقدم فى استخدام احدث الاساليب العلمية فى العمليات الانتاجية ، لذلك يحتل المثقفون مراكز عصبية حساسة فى الاجهزة السياسية والتنفيذية . ان « حكومة الطلبة » التى تكونت فى اولى مراحل الاستقلال بالكونجو تكشف عن مدى الحاجة الى المتعلمين — او من يطلق عليهم النخبة — وتظهرنا على مدى الوزن السياسى لهذه الفئة .

● لانهم عن طريق الاجهزة التى يديرونها يملكون التأثير على جماهير الشعب ، فيشكلون القوالبالتى تصبفيها الافكارالمتداولة اجتماعيا .

● لان معظم المثقفين بحكم تربيتهمفىظل الحكم الاستعمارى وفى اطار الفكر الرأسمالى وفىبعثاتهم الى الغرب اصبحت ارضيتهم الذهنية والمناخ الفكرى الذى يشيعونه متأثر بهذا الفكر مروج له

● ان عددا منهم له ارتباطات تاريخية بالفئات المميزة اجتماعيا .

● وراثتهم للمراكز التى كان يشغلها ممثلو السلطات الاستعمارية بما هو مرتبط بها من امتيازات تذكى لديهم التطلعات الرأسمالية والانعزالعن الحركةالشعبية ويشجع الاتجاهالى الاستحواذ على مزيد من المكاسب والسلطات الفردية والتنصل من الرقابة الشعبية والهرب منها كرد فعل للاستياء الطبيعى ضد هذه الفئة .

وهناك دون شك وجه للمقارنة بين تمسك الرأسمالى بمصالحه ورأسماله ، وتمسك البيروقراطية بمراكزها ومواقعها ، فكلاهما يتيح امتيازات واضحة خاصة فى مواجهة الواقعالمتخلف للبلاد الافريقية .

وادراكا منالاستعمار للامكانياتالضخمة التى تتوفر له بكسب هذهالفئة منالمتعلمينتحتل الحرب النفسية والايديولوجية الاهتمام الأول من جانب الاستعمار الجديد . ولذلك نجد « مايرز » احد اقطاب الاستراتيجية المتطورة وخبراء الحرب الباردة يدعوالى رسماستراتيجية شاملة «لمواجهة التحدى الشيوعى والوطنى» ، «فالافكار تنتشر بسرعة اللهب فى الحشائش الجافة عبر العالم ، الافكار الشيوعية والافكار الوطنية ونحن هنا

تطالب بزيادة حدة الحرب الايديولوجية ونقلها الى ارض العدو »(الشيوعية والوطنية) ».

اما دوانت ب .. فاسل رئيس لجنة المنظمات والحركات الدولية بمجلس الشيوخ الامريكى فيزيد الامر وضوحا ، فيقول « ان الكلمات والافكار فى نفس مستوى اهمية الخبز والبنادق » وهو فمان شوك خبير المانيا الغربية فى الحرب النفسية يعلن « ان التنظيم الاسمى لا ينتصر بالضرورة ، اذ يمكن للقضية الاقوى الاكثر تنظيما ان تنتصر ايضا ».

وهكذا يقدم الاستعمار الجديد التسهيلات لبعثات تعليمية ، يوفر ويسخاو ويشجع التبادل الثقافى ويغرق الاسواق المحلية بفيض من الصحف والمجلات والبحوث والدراسات والنشرات الهادفة ، ويفتتح المدارس التى يديرها المبشرون ويركز دعايته على المثقفين والبورجوازية الصغيرة والمتوسطة هذا بالاضافة الى شبكات الاذاعة الغربية — (صوت امريكا ٧٦١ ساعة فى الاسبوع والاذاعة البريطانية ٦٠٠ ساعة .. الخ) ووكالات الانباء الاجنبية التى تمد الافريقيين بالانباء والتعليقات من وجهة النظر الاجنبية ، وهناك وكالات الاستعلامات الاستعمارية بفروعها (٢٣٩ فرعا فى ١٠٥ بلد) ومخصصاتها الضخمة ، ثم الافلام السينمائية والتليفزيونية وهناك ايضا « جماعة التسلح الخلقى » و « جيش السلام » الامريكى وجماعة « المتطوعين الفرنسيين فى خدمة التقدم » وجيوش المبشرين (بلغ عددهم فى الكونجو وحدها بعد الاستقلال ١٢٨٩ مبشرا) ».

وجميع هذه الاجهزة وكل تلك الحملات تحاصر المثقفين الافريقيين من كل جانب ، ابتداء من اولى مراحل التعليم على ايدى المبشرين .. وفى انتقالهم للدراسة فى بعض الجامعات الافريقية (جامعة فريتاون بسيراليون ٨٠ ٪ من هيئة تدريسها من بريطانيا والمانيا الغربية وامريكا) والى جامعات وبعثات اوربا الغربية .. فى الصحافة والاذاعة بالافلام السينمائية والتليفزيونية مع وكالات الاستعلامات الاستعمارية ... الخ ».

وكما انه من السذاجة ان نتوقع ان يقدم الاستعمار هذه الخدمات لمصلحة الشعوب ، كذلك فانه من السخف الا نرى مدى التأثير الهدام للافكار الغربية على مثقفى افريقيا فى مواقعهم الاستراتيجية الهامة .

هذا لايعنى ادانة للمثقفين الافريقيين ، فالظروف الموضوعية لعالمنا المعاصر وواقع البلاد الافريقية يهيىء كل الفرص لكسب المثقفين ويزجى ثوريتهم ، الا انه يجب على الانظمة التقدمية ان تدرك خطورة الفكر ومن ثم تعمل بدأب على محاصرة كتائب التخريب وتتخذ خطوات حاسمة فى اتجاه تحطيم فاعليتها وطرد سمومها واثرها الهدام على الوعى الاجتماعى فتقوم بانشاء وكالات الانباء الوطنية وتقوية وتدعيم اجهزة الاعلام القومية وتعديل المناهج التعليمية والرقابة على حركة النشر والتخطيط الثقافى .. الخ ، وتعمل فى الوقت نفسه على تنسيق الجهود المشتركة بين البلاد المتحررة لحماية شعوبها من الغزو الفكرى والاستعمارى .

فالوعى الاجتماعى رغم انه يتحدد كانعكاس للحالة الاجتماعية والواقع المعيشى والنشاط الانتاجى والاجتماعى ، الا انه يتضمن نوعا من الاستقلال النسبى ، فالوعى الاجماعى ليس سلبيا فى علاقته بالحياة الاجتماعية بل انه عنصر ايجابى فعال ، خاصة فى ظروف البلدان المتخلفة اقتصاديا واجتماعيا ، كمحرك ودافع لتطوير الواقع ».

الفلاحون والعمال

والفلاحون هم القوة الرئيسية وراء الحركة الوطنية ، والعمال هم نواة التحول الاشتراكى بحلفهم مع الفلاحين . فالريف هو القاعدة التى يمكن ان ترتكز عليها الثورة ، فيتعذر اقتلاعها ويستحيل الاطاحة بها .

ان اى انقلاب رجعى او حركة مضادة للنظم التقدمية تعتمد اساسا على حفنة صغيرة لجماعة مسلحة تسارع باحتلال بعض المؤسسات الحكومية الهامة كمحطة الاذاعة ورئاسة الجمهورية والمطار والوزارات ومقر الحزب الحاكم المركزة فى العاصمة . فاذا كان النظام القائم قد انكمش من الريف ومن ارجاء البلد الواسعة وعزل المدينة عن القرية وسكان الحضر عن الفلاحين ، فأصبحت البلد كلها هى « العاصمة » والعاصمة فقط ، حينئذ يصبح القضاء على النظم المتحررة من ايسر الامور وأسهلها على اى قوة مغامرة ، لان الحكومة القائمة تكون قد مهدت لها الارض بعد ان قامت ببتر الشرايين التى تصلها بالريف . أما اذا امتدت ارض الثورة لتشمل البلاد بأسرها ونظمت وعبأت الفلاحين ، لما امكن لاى قوة ان تثبت اقدامها فى العاصمة التى تتحول حينئذ الى جزيرة معزولة محاصرة .

والميراث الذى تسلمته القوى الوطنية الجديدة بعد استقلالها والذى يتمثل فى انعاش المناطق الساحلية وتركيز النشاط الاقتصادى فى المدن ، يغذى الاتجاهات الملحوظة التى تنحو الى اهمال الريف والتهافت على المدينة . ويدعم هذا الاتجاه تخلف الزراعة والتفاوت الكبير فى مستوى الاجور ، ونقص الايدى العاملة فى الريف ، الذى يزيد من حدته تدفق سكان الريف الى المدن . كما ان فكرة



التصنيع — باعتبارها الحل الذي يجد رواجا بين جميع القوى التقدمية ، ويدفع الى الاهتمام بحركة التصنيع على حساب القطاع الزراعي وباهماله وعدم مراعاة ايجاد توازن بين القطاعين .

هذه الاتجاهات تؤدي الى :

● تركيز معظم المؤسسات التنفيذية للدولة في العاصمة .

● تجمع النشاط التجاري والمالي والصناعي في المدينة .

● انكماش دور الحزب في الريف وانعزاله عن الفلاحين وخموده وتفككه .

● زيادة مشاكل البطالة لاندفاع عدد كبير من الفلاحين الى المدينة سعيا وراء الميزات الحضرية واهمها الاجور المرتفعة .

● تفاقم المشكلة الزراعية وزيادة افتقار جماهير الفلاحين، واستمرار الطابع الغالب على الاقتصاد الزراعي القائم على اشباع الاحتياجات المباشرة لاستهلاك العاملين به ، دون أن ينوخى الانتاج للسوق .

● بروز التناقض بين حياة المدينة وحياة القرية وارتفاع مستوى الدخول في الحضر بصورة تؤكد الوضع المميز لسكان المدينة وحصولهم على مكاسب الثورة التي حرمت منها الجماهير الريفية .

● فقد التوازن في عمليات التبادل بين المدينة والقرية مما يؤثر على الانتاج الصناعي نفسه لافتقاره الى القدرة الشرائية الشعبية ، كما يؤدي الى تضخم مطالب المدينة في الاستهلاك الغذائي وعلى المواد الاولية ، مع تناقص امكانيات الريف لامدادها باحتياجاتها ، ويترتب على ذلك زيادة الاستيراد من الخارج ، مما يضعف امكانيات التراكم المالي للاستثمار في الانتاج .

وهذه الاوضاع تشيع روح الاستياء والتذمر ومن ثم السلبية واللامبالاة بين الفلاحين وبذلك تفقد الثورة اهم حليف لها ، وتهييء الارض للقوى المعادية .

العمال

ولا شك ان طبيعة العمال في افريقيا بحكم الظروف الخاصة التي نشأوا فيها وبسبب ان معظم تنظيماتهم تضم العاملين في الحكومة أو المؤسسات العامة والخدمات ، غير مرتبطين بالانتاج بصورة مباشرة ، والطابع المؤقت في العمل لفترات محدودة للمشتغلين في الاعمال المنجمية يترددون بعدها الى قراهم والميزات النسبية التي يحصلون عليها بالمقارنة مع سكان الريف وهيمنة الاحزاب السياسية ذات الطابع البورجوازي على تنظيماتهم ، والسياسة المخططة للاستعمار بخلق فئة مميزة بينهم لحرف الحركة النقابية عن الاسهام في النشاط الوطني العام .. كل هذه الاسباب مجتمعة جعلت طابع النضال النقابي والمساومة والمعارك المحصورة في آفاقها الاقتصادية هي السمة التي سادت الحركة العمالية في كثير من البلاد الافريقية اثناء النضال ، فالحلول الوسط والتسويات المؤقتة ترضيهم في ظل المناخ السياسي المعبأ بالفكر الرأسمالي .

أما فيما يتعلق بالفلاحين المستغلين فالنضال والقتال والعنف الثوري هو سبيلهم للتصدي للقوى المعادية تشهد على هذا أعظم معارك افريقيا في الجزائر (مليون شهيد) وكينيا (٣٠٠٠٠٠) ومدغشقر (٩٠٠٠٠) تلك المعارك التي استشهد فيها مئات الالاف من الفلاحين الذين حملوا السلاح ودافعوا عن استقلالهم وحريتهم . والفلاح الافريقي هو الذي ارغم الاستعمار القديم على تغيير اساليبه الى الاستعمار الجديد وتسليمه بالاستقلال السياسي لمعظم انحاء القارة وبلادها ، حتى تلك التي لم تنصح بها الحركة الوطنية الى الحد الذي يمثل خطرا مباشرا على الاستعمار ، ولذلك فان ثمار هذا النضال العظيم في الجزائر والجمهورية العربية المتحدة وتونس وغانا ومالي وغينيا وكينيا ومدغشقر ، اقتطفتها شعوب افريقيا التي حصلت على استقلالها السياسي .

وما دامت السمة الرئيسية للنضال الافريقي هي الطابع الوطني ، فان الفلاحين هم الجيش الاساسي للثورة ، والريف هو ارض المعركة .

ويجب النظر الى هذه المسالة بطريقة جدية ومنهج علمي ، حتى لانقع في جهود تطبيق ساذج وحرفي لتجربة العمل الثوري في ظروف تختلف عن الواقع الافريقي، استنادا الى نصوص جامدة، مثل التشدق بدور الطبقة العاملة وضرورة قيادتها للعمليات الثورية الوطنية في افريقيا ،ونحن نشهد هذا الشعار يتردد في بلاد لايكاد يوجد بها عمال — الا اننا في الوقت نفسه يجب الا نقع في النقيض ، باعتبار « طبقة الفلاحين في البلاد المستعمرة هي الطبقة الثورية الوحيدة » طبقا لرأى المناضل فانون .

لاشك ان المسالة متطورة ، متوقفة على الظروف الخاصة بكل بلد والمرحلة التي تقطعها، فالفلاحون **هم الجيش الرئيسي للثورة الوطنية والعمال هم القوة الرئيسية في عملية التحول الاشتراكي** هم القيادة الطبيعية بحكم ارتباطهم الوثيق بالانتاج

الحديث ، بطابعه الاجتماعي والاشتراكي . وهذا الاتصال العضوى بأعظم وسائل الانتاج تقدما يجعل الطبقة العاملة هي القادرة على هضم وتمثل الفكر الاشتراكي العلمي وترجمته الى الواقع لانجاز عملية البناء الاشتراكي .

وقد يكون الطابع المزدوج للثورة الحديثة بجانبيها الوطني والاجتماعي ، وتداخل المهام الوطنية مع المهام الاشتراكية هو المسئول عن اللبس في تحديد دور العمال والفلاحين ، فهما القوتان الرئيسيتان للثورة ، الا ان الوقائع التي لايمكن اغفالها تثبت ان المعارك الناصلة في تاريخ القارة والتي تمثل انعطافة ضخمة في حركة التحرر جاءت نتيجة مباشرة للنضال الفلاحي ، ومن ثم فان حماية الانظمة التقدمية والدفاع عنها مازال يعتمد على الفلاحين ، رغم الدور المتزايد الأهمية للطبقة العاملة الصناعية . وهكذا فان تركيز السلطات كلها في المدينة وانكماش وضمور القواعد الفلاحية واحتكار سكان الحضر لمعظم مكاسب الثورة واتساع الهوة بين مستويات المعيشة في المدينة والقرية وتقوقع النظام في العاصمة ، يسهل مهمة القضاء على النظام التقدمي الذي ينزلق في هذه الاخطاء .

ومن هنا يصبح من الضروري على النظام الثوري ان يراعي هذه الاعتبارات بدقة وحزم . بالتعرف على قوى الثورة واشكال التحالف ونوع الارتباط بالقوى المختلفة في المراحل المتتالية من العمل الثوري ، وان يكون يقظا للقوى المعادية وأساليبها في العمل ، متابعا للتغييرات التي تنتابها والمواقع الجديدة التي تحتلها كلما تقدمت الثورة خطوات في طريق البناء الاشتراكي .

الديمقراطية

ان الديمقراطية بالمفهوم الاجتماعي والسياسي الذي توصلت اليه الثورة — اوبجناحيها الاجتماعي والسياسي — هي الحل لمشكلات العمل الوطني من اجل التقدم الذي يمد الثورة بأوسع قوى واضخم طاقات ، ويكشف عن الافاق التي تتطلع اليها الجماهير العاملة ويتحسس احتياجاتها وآرائها ، ويعبىء امكانياتها ومبادراتها ، فهي وسيلة النضال من اجل التقدم وهي ايضا غاية الكفاح الوطني التقدمي .

والجانب الاجتماعي يلقى الاهتمام الاكبر من جانب القوى الثورية الديمقراطية وهو المقدم على الجانب السياسي ، فليس من المتصور ان نعط الفلاحين بالتصويت ومباشرة النشاط السياسي بحرية وهم اسرى العلاقات الاقطاعيه ، وسجناء الاوضاع التي تفرض عليهم الخضوع لتعسف من يملكون تشغيلهم او تجويعهم . ومن هنا كان بروز العامل الاقتصادى والاجتماعي في مفهوم الديمقراطية الافريقية .

وقد يكون هذا المفهوم من البدهيات الا انه مثار جدل طويل متواصل . ولا يهمنا في هذا المجال الدفاع عن وجهة نظر البلاد النامية والافريقية بالذات حول المفهوم الغربي للديمقراطية السياسية التي ترتبط في اذهانهم وفي اذهان المتأثرين بالمنطق الغربي الغريب على ارضنا ، فقد دلت التجربة العلمية والممارسة الثورية طوال السنين الماضية على ان ظروفنا مغايرة والاشكال التنظيمية المنبثقة عن هذا الواقع تتطور لتطابقه ، مع الاحتفاظ بالمضمون الديمقراطي الاكثر اصالة من الاشكال الغربية وانهيار النموذج الاخير الذي حاول الغرب تقديمه في نيجيريا دليل على فساد ثمار الفكر الغربي في المناخ الافريقي .

لقد بلور الميثاق الوطني في مصر معالم ديمقراطية الشعب فوضع في مقدمتها :

أن الديمقراطية السياسية لا يمكن ان تنفصل عن الديمقراطية الاجتماعية .

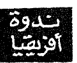
ان المواطن لاتكون له حرية التصويت في الانتخابات الا اذا توافرت له ضمانات ثلاثة :

- ان يتحرر من الاستغلال في جميع صوره .
- ان تكون له الفرصة المتكافئة في نصيب عادل من الثروة الوطنية .
- ان يتخلص من كل قلق يبدد امن المستقبل في حياته .

وكما ان توفر السلع الكمالية الغربية — كالروائح العطرية — لايعني الرخاء ، بل قد يكون دلالة التبعية الاقتصادية الكاملة ، كذلك فان وجود عدة احزاب لايعني توفر الديمقراطية ، لان الديمقراطية هي اولا واخيرا مسالة السلطة ، وهي ذات مضمون طبقي .

واذا كانت السلطة حقا بين ايدي العمال والفلاحين ... الجماهير العريضة من الكادحين عماد الحركة الوطنية والتحول الاشتراكي ، فان هذه القوى الثورية كفيلة بالدفاع عنها وحمايتها .

وبطبيعة الحال لايكفي ان تعلن القيادة انها تمثل الجماهير الشعبية العاملة بل يجب ان يقتنع العمال والفلاحون من واقع خبرتهم ان النظام القائم يمثلهم ويدافع عن مصالحهم ويعمل من اجل بناء مستقبلهم وتحقيق تطلعاتهم الى حياة افضل .



ورغم « النيات الحسنة » لبعض القيادات الثورية ، فانها تنزلق الى الشراك التى ينصبها لها الاستعمار والقوى الرأسمالية والانتهازية ، فتغدق المكاسب والامتيازات على فئات بعينها ، وتغفل الطبقات الشعبية ، وهي تنساق الى هذا الموقف تحت وطأة الضغوط التى تزاول ضدها من جماعات تسيطر على المواقع الرئيسية في المؤسسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ضغوط متواصلة مترابطة ، يقابلها ضغط شعبى ضعيف نسبيا بسبب بعثرته اساسا في الريف البعيد عن مركز النشاط السياسي في المدينة ، وبسبب رداءة توصيل الاجهزة الحزبية والتنفيذية التى تعمل كطبقة عازلة تفصل القيادة عن القاعدة الشعبية، مما يغلق القيادة في حصار بيروقراطي رأسمالي يمسك بأعنة الحياة السياسية والاقتصادية .

وهنا يزداد التذمر والضغط الشعبى ، الا ان تحوصل القيادة ينحو بها الى تبرير مواقفها والدفاع عنها ، واذا لم تبادر القيادة بضرب الحصار المفروض عليها واختراقه، يصبح وضعها مهددا. وفى تجربتنا المصرية عملت القوى الرجعية جميعها — وبدأب ومثابرة — على محاصرة القيادة الثورية، الا ان الاخيرة بطبيعتها الثورية الاصيلة كانت تنجح دائما في فك هذا الحصار واختراقه للوصول الثورى الى الجماهير ، ولكن القوى المعادية لايصيبها اليأس فتبدأ مرة اخرى في فرض حصار جديد .. وهكذا .

القيادة الحزبية للاجهزة التنفيذية

كثيرا مايؤدى امساك القيادة الجديدة بالجهاز السحرى .. جهاز الدولة ، بكل مايهيئه من قوة وسلطة الى اغرائها على سلوك الطريق القصير .. طريق فرض الحلول من اعلى والاساليب الادارية في العمل . وهناك بين العناصر القيادية من يروج — او يعمل دون وعى — لمنطق فرض ارادة « الاقلية المتنورة الخلاقة » على الجماهير « الخاملة المتخلفة » ويلقى هذا الاتجاه رواجا بين بعض المثقفين المتأثرين بالفكر الغربى ، المعزلين عن شعوبهم ، ويتمادون في هذا الاتجاه كلما ووجهوا بالنقد من جانب الكادرات الثورية بالحزب أو التنظيم السياسى او تعرضوا للتذمر والسخط من جانب الجماهير العاملة .

والتسليم بالاستقلال الرسمى لعدد كبير من الدول النامية، لايصاحبه سحب الموظفين الاجانب، بسبب النقص الشديد الذى تعانى منه البلاد حديثة التحرر في مجال الخبرات الفنية والادارية، فيحتفظ عدد من هؤلاء بمراكزهم في اجهزة الدولة، ويعملون على تربية عناصر محلية مؤمنة بهم وبأساليبهم في العمل ومنهجهم الفكرى . ثم هناك الخبراء الاجانب الذين يفدون من انحاء العالم الرأسمالى ، والوطنيون الذين يتلقون العلم في البلدان الغربية .

ان المنهج الفكرى المكتسب من مخالطة الموظفين والخبراء الاجانب ومدارس التعليم الغربية، يجعل كبار الموظفين العاملين في الجهاز الحكومى ينظرون لكل مشكلة اجتماعية بمنظار ، مجال الرؤية فيه محصور في اطار المنطق الاستعمارى والعقلية الرأسمالية ، خاصة وان معظمهم ممن كانوا ينتمون الى فئة صغار الموظفين ابان الحكم الاستعمارى، وكانت تطلعاتهم ودوافعهم الوطنية تحركها الرغبة في احتلال مراكز رؤسائهم والاستحواذ على امتيازاتهم ، فلم يكن من اهدافهم تغيير النظام الاجتماعى بقدر وراثته .

هكذا يتم تجمع تلقائى بين فئة من المثقفين الرجعيين والرأسمالية المحلية وقطاع من النفعيين والمغامرين الذين نجحوا في شق طريقهم الى مراكز التأثير في الجهاز الحكومى .

وحول هذا المعنى يدور حديث للرئيس كوامى نكروما جاء فيه « وفيما يتعلق بالخدمات الادارية، فان الحكومة اذا رسمت سياسة لاتتفق مع رأى الموظفين ، يتخذ هؤلاء من التدابير ويستعينون بالحيلة والخديعة لتحطيم هذه السياسة . وفى احيان اخرى كنت اجد ان بعض المسائل التى تقتضى السرعة والحزم في معالجتها تؤجل وتؤخر الى مالانهاية (لان بعض الموظفين لايقرونها) حتى اضطر الى التدخل وانجاز العمل .. وقد تكرر هذا التصرف بصورة تنفى احتمال ان يكون مجرد صدفة ..

ويستطرد قائلا « وفى مرحلة معينة كنت واثقا من انه اذا ما حدثت اى حركة ضد الحكومة فسوف تبذل كل المحاولات من جانب اعضاء الخدمة المدنية .. في مساندة المعارضة ضد الحكومة » .

ثم ينصح بأنه « يجب على الحكومة الجديدة — بعد اى ثورة سواء كانت عنيفة أم سلمية — ان تخلص الخدمة المدنية من جميع قادتها القدامى بمجرد حصولها على السلطة . أن خبرتى الذاتية علمتنى ان عدم القيام بهذه المهمة، يجعل الحكومة تخاطر بكيانها ومصيرها » .

وهكذا اذا رسمت الحكومة سياسة تتناقض مع رأى الموظفين وتتعارض مع مصالحهم او معتقداتهم وعلى اقل تقدير لاتثير حماسهم ، يتخذ هؤلاء من التدابير مايحطم هذه السياسة او يؤدى بها الى

الفشل ، ويستخدمون في ذلك اسلحة متباينة كالتسويف والتأجيل والاستناد الى نصوص ومواد في اللوائح والقوانين الرجعية للتستر ورائها .. الخ .

وقد تنبهت ثورتنا في مصر الى هذا الواقع فلجأت الى تنفيذ القوانين والاجراءات والسياسات الثورية الحاسمة، لا عن طريق الاجهزة التقليدية ، بل أجهزة تلحق برئاسة الجمهورية يختار العاملين بها من عناصر كفؤة متحمسة تمتاز بالولاء والاخلاص والقدرة على التصدى للمهام الثورية ، وذلك قبل أن تحيلها الى الاجهزة التنفيذية .

ومن ثم يجب على الحكومة الفتية الثورية بعد ان تتسلم مقاليد الحكم الا تسلم قيادها للاجهزة القائمة ، بل ان تقودها وتوجهها لخدمة الثورة، ويمكن تحقيق ذلك بأساليب تناسب الظروف الخاصة بكل بلد ، ومن اهمها :

● ضرورة تخليص الجهاز التنفيذى والخدمة المدنية من قادتها القدامى .

● اشراف ورقابة حزبية دقيقة ومحكمة على نشاط الاجهزة دون ان تسقط في خطأ تحويل الحزب الى جهاز للدولة ، بضم جميع كادراته وهيئاته القيادية الى هذا الجهاز .

● الاستعانة بالاجهزة الفرعية الملحقة بالقيادة السياسية العليا للقيام بمهام الثورة الرئيسية ، حتى تكون تحت الاشراف المباشر للقيادة ، مع مراعاة انتقال هذه المسئوليات الى الاجهزة المختصة بعد تطويرها وامدادها بالكادر المناسب لتصبح في مستوى اداء مسئولياتها .

● مشاركة العاملين في ادارة المشروعات العامة وتشجيع الادارة والتسيير الذاتى وتحميل الجماهير مسئوليات متزايدة الاهمية والفاعلية في مجالات الانتاج والخدمات .

● عزل العناصر الرجعية والمعادية والطبقات والفئات التى لايؤمن جانبها .

● نبذ نظرية الفصل بين السلطات بمفهومه الغربي الراسمالى ، اذ يجب ان تقوم سلطة واحدة متماسكة هى سلطة قوى الشعب العامل، في نفس الوقت الذى نتجنب فيه تركيز السلطات كلها في فرد واحد .

● تدعيم نظام المسئولية الجماعية في مواجهة الاخطار التى تترتب على « عبادة الفرد » والتى هى في واقع الامر « عبادة للسلطة » ، بما تشيعه من روح الرياء والخداع والوصولية التى كشفت عنها احداث غانا ، بالتحول المفاجئ المخزى في الولاء من جانب وزراء وقادة بالجيش وزعماء للحزب .

● **يجب** ان يعتبر العمل في المستويات القيادية بجهاز الدولة من قبيل النشاط النضالي ، بما يستلزمه من تضحيات وما يقدمه من قدوة، من ناحية القناعة في المرتبات والتضحية بالامتيازات والمكاسب الشخصية، وعلى الحزب ان يغذى الجهاز الحكومى بهذه العناصر مع مراقبة نشاطها ومتابعة اعمالها ومحاسبتها في اللجان الحزبيه التى ينتمون اليها .

القوات المسلحة

ولا شك ان اهم المواقع في جهاز الدولة هى تنظيم القوات المسلحة وقوات البوليس ، ولذلك يركز الاستعمار بكل ثقله على ان يكون له التأثير والصلات المناسبة بهذه القوى التى تملك الفاعلية المادية ، بحكم امتلاكها للسلاح ، في ظروف تخلف الاوضاع الاجتماعية والسياسية وضعف عناصر الوحدة الوطنية .

وللجيوش في افريقيا وضع خاص مميز ، اذ ان معظمها لم يكن له وجود قبل الاحتلال الاستعمارى فقد نشأت في ظل الاحتلال على اساس استخدامها كأداة للكبت وباعتبارها اداة بوليسية .

وتوجد في افريقيا (جنوب الصحراء) ثلاث جيوش فقط يزيد عدد قواتها عن ١٠,٠٠٠ جندى (السودان واثيوبيا والكونجو ليوبولدفيل) بينما هناك ١٤ دولة تقل قواتها المسلحة عن ٢٠٠٠ جندى . ورغم ذلك فهذه القوات تقوم بدور متزايد الاهمية في الصراعات السياسية .

ومعظم الجيوش الافريقية لم تسهم في الحركة الوطنية بل وجهت ضدها واستخدمت لضربها، كما ان الكثير منها مازال محتفظا بقيادات اجنبية، اما القيادات الجديدة فتدرب في البلاد الاستعمارية او على ايدى خبراء غربيين ، ويسود بين هذه القوات الشعور بالغبن بالنسبة للمدنيين ، كما انها لاتحس بالاحترام او بالهيبة تجاه المؤسسات المدنية القائمة بسبب حداثتها . وهكذا فان هذه الجيوش تفتقد مقومات القوات المسلحة في البلاد النامية في شمال افريقيا ، المقومات التى تسمح للجيش ان يكون عامل تقدم ومصدر استقرار وقوة تنظيمية يستند اليها المجتمع في تقدمه .

وتستخدم الدوائر الاستعمارية المعونة الحربية والبعثات والخبراء العسكريين لخلق علاقات وثيقة ببعض قادة القوات المسلحة ، خاصة اولئك الذين



عملوا تحت امرتها وخدموا السلطات الاستعمارية، حتى ان بعضهم خاض حروبا استعمارية واكتسب صفات العسكرية الغربية (مثل اوفقير والكتفانى فى المغرب) ، ولذلك يهيئون لهم فرص احتلال مراكزهم والسيطرة على المواقع القيادية بعد انسحابهم .

والاهتمام البالغ من جانب القوى الاستعمارية لتوثيق علاقتها بالجيوش الافريقية تكشف عنه الارقام التالية : ففى عام ١٩٦٤ كان عدد الخبراء والمدربين العسكريين الفرنسيين فى افريقيا ٣٠٠٠ ضابط وصف ضابط ، وبلغ اعضاء البعثات من المستعمرات الفرنسية السابقة الى فرنسا لتلقى العلوم العسكرية ١٥٠٠ افريقى . اما الخبراء العسكريون البريطانيون فى القارة فبلغ عددهم ٦٠٠ ضابط ، فى نفس الوقت الذى يتلقى فيه ٣٠٠ عسكرى افريقى تدريبهم فى بريطانيا، ونحو ٢٠٪ من هيئة الضباط فى غانا تلقت تعليمها فى كلية ساند هرست . وقد استمر الضباط البريطانيون فى توليهم مراكز رئيسية فى جيش غانا حتى مابعد عام ١٩٦١ ، وتلقى انكراه وكوتوكا قائدا الانقلاب الرجعى تدريبهم على ايدى هؤلاء الضباط ، اما الجنرال ايرونس فقد تلقى تعليمه فى كلية ساند هرست .

وهناك اربع عشرة دولة افريقية قامت بعقد اتفاقات مع اسرائيل — قاعدة الاستعمار الجديد — لتدريب جيوشها وبناء قواعد عسكرية باراضيها وامدادها بالسلاح ، ومعظم هذه البلاد حدثت بها انقلابات عسكرية او محاولات للاطاحة بالحكومات القائمة عن طريق الجيش مثل الكونجو ليوبولدفيل وداهومى ونيجيريا واوغندا وجمهورية افريقيا الوسطى .

ويلعب الاستعمار الالمانى الغربى دورا متزايد الاهمية فى مجال الاتصال بالجيوش الافريقية تكشف عنه صحيفة «ازانكفرت الجماينى» التى تصدر فى بون اذ تقول « كلما زادت المسئولية والسلطة التى تنتقل الى ايدى الضباط الافريقيين، ظهرت الحاجة الى زيادة الاهتمام من جانب العالم الغربى لتنشئة هؤلاء الضباط وطبعهم بطابعها» وهى تسهم فى ذلك بنشاط كبير فقد «عقدت جمهورية المانيا الغربية الفيدرالية اتفاقيات مع سبع دول افريقية فى كل المواقع الاستراتيجية الاساسية بالقارة الافريقية لمدها بالخبراء العسكريين والمدربين والمعونات الحربية الاخرى» كما جاء فى جريدة «الديلى ميل» ٥ يونيو ١٩٦٤ .

ان جوتريدج فى كتابه عن « المؤسسات العسكرية والسلطة فى الدول الحديثة » يشير الى واقع خطير يجدر بالنظم التقدمية والمتحررة ان تتنبه اليه وتتسلح باليقظة تجاهه ، اذ يقول « تنحو جيوش الدول الحديثة الى الابقاء على نكوتها الاستعمارية وخبرائها الاجانب ،وتعاطفها مع اوروبا بدرجة اكثر ولفترات اطول . مماهو قائم بالنسبة للعاملين فى الخدمة المدنية » .

ويسارع البعض بتقديم الحلول لهذه المشكلة بالدعوة الى تنحية الجيش عن السياسة وهى فكرة غريبة .. غريبة على واقعنا والدور الموكول الى القوات المسلحة بعد الحصول على الاستقلال السياسى . ومن الطبيعى ان يدعو الاستعمار الى فكرة ابعاد الجيش عن السياسة لانه يستخدم قواته المسلحة فى مهام استعمارية ، ولو حصل جنوده على الوعى والفهم السياسى لما حاربوا فى الجزائر وفيتنام او ساهموا فى العدوان الثلاثى على مصر ، وقبلوا ان يكونوا وقودا لمصلحة الاحتكارات الاستعمارية . اما جيوش البلاد النامية والمتحررة فان وعيها السياسى هو ضمان اسهامها فى معركة التحرر والبناء الاقتصادى . ومن مصلحة الاستعمار ان يجعل من قواته المسلحة آلات بشرية تحمل وتستخدم احدث الاسلحة ، اما الشعوب فان مصلحتها تتمثل فى جندى مطلع على سياسة بلاده مدرك لابعادها مسلح بالوعى .

وهناك اعتقاد بأن الجيش اذا دخل معترك السياسة، استخدم اسلحته فى فرض وجهة نظره، وهذه النظرة تغفل الطبيعة المميزة للجيوش الوطنية ، فان غالبيتها العظمى من الجماهير الكادحة ، وهى قطعة من قلب الشعب . وان كانت قد استخدمت فى ضرب الجماهير وكبت التحركات الجماهيرية فان ذلك لا يرجع الى اشراكها فى النشاط السياسى ، بل نتيجة عزلها عن السياسة واخضاعها لفكرية آلية مجردة وقواعد الضبط والربط والانقياد لهما دون منطق او تحكيم للعقل . ولا شك أن السياسة التى اتبعت فى غانا وكانت تهدف الى ابعاد الجيش عن السياسة قد ادت الى نتائج عكسية .

وقد قامت القوات المسلحة فى عديد من البلدان الافريقية بدور ايجابى فى التمكين للثورة ، فالى جانب الدور الذى قام به الجيش المصرى ، هناك الدور الذى لعبته القوات المسلحة فى زنزبار والذى فتح الطريق امام تكوين جمهورية تنزانيا التقدمية .. والقوات المسلحة فى الكونجو برازافيل التى رفضت الامتثال لاوامر رئيس الجمهورية السابق يولو باطلاق النار على الجماهير المحتشدة أمام القصر الجمهورى مما اجبره على التسليم للشعب وتقديم استقالته .

ولا شك أن سياسة قيادتنا الثورية فى مصر تعتبر رائدة فى هذا المجال ، وتصلح كأساس يوضع فى الاعتبار ، ويجدر بالحكومات التقدمية أن تراعى بعض النقاط الاساسية فى تنظيم العمل بالقوات المسلحة ومنها :

● التوعية السياسية والمشاركة في النشاط السياسي ، وهو ما تقوم به في الجمهورية العربية المتحدة ، فلاول مرة تعتبر العلوم السياسية والتربية الفكرية والتوعية من المواد الرئيسية التي تلقن للضباط والجنود ، بجانب اعطائهم حق الانتخاب ، وتضمينهم بين قوى التحالف الثوري للعاملين وذلك بعد الثورة وعلى اثر قوانين يوليو الاشتراكية .

● المشاركة في العمليات والانشطة الانتاجية جنبا الى جنب مع العامل والفلاح وهو ما نطبقه عندنا في السد العالي والمصانع الحربية ومشروعات استصلاح الاراضي مما يربط الجنود بقوى الشعب العامل .

● الاعتماد على الميليشيا الوطنية وخاصة في البلدان التي لم تملك جيوشا لها تقاليد قديمة . على ان توضع الميليشيا تحت قيادة من الجيش حتى لا يحدث تناقض وتنازع بين القوتين .

● تجنب الاعتماد على الغرب في تدريب وتسليح الجيوش ، وبالذات في تدريب القيادات العسكرية ، وقدثبت بالتجربة خطورة هذه العناصر على أمن البلاد حديثة الاستقلال .

المنظمة السياسية والتعبئة الجماهيرية

وجميع المهام التي اشرنا اليها فيما سبق ، تقع مسئوليتها على الحزب الثوري .. القائد الحقيقي لمعركة التحرر السياسي والاقتصادي والبناء الاشتراكي . والمبدأ القائل بأنه اذا كان الخط السياسي صحيحا ، فان التنظيم يصبح «كل شيء» يوضح الاهمية البالغة للتنظيم السياسي . وفي هذا المجال نذكر قول شهيد افريقيا فيليكس مومى « كل افريقي يريد ان يكون حرا ، الا ان الشعب لا يمكن أن تظهر قوته الا اذا كان منظما » . فلئن كان التنظيم شرطا ضروريا لنجاح النضال الوطني فان مرحلة ما بعد الاستقلال الاشد ضراوة وعنفا، وبتحدياتها العديدة يقتضي مستوى أفضل من التنظيم وتعبئة شاملة للقوى الوطنية ، ويقظة من جانب القيادة الثورية ، التي تلقى مقاومة متزايدة من جانب الاستعمار الجديد والفئات والجماعات التي يمثل الاستقلال السياسي بالنسبة لها نهاية الطريق ، فتنفصل عن ركب الثورة وتعادي الاجراءات الثورية الهادفة الى تغيير الهيكل الاقتصادي للبلاد تغييرا جذريا .

ولكن من المشاهد انه كثيرا ما يتفكك الحزب او التنظيم الوطني بمجرد الحصول على الاستقلال ، ويرجع هذا الى عدة عوامل :

(١) الاحساس العام بأن مرحلة النضال الوطني قد حققت اهدافها وأن الحاجة الى التنظيم قد استنفدت ، خاصة بعد الاستيلاء على السلطة ، التي تمثل بديلا عن الحزب ، هذا عن التفكك الذي يحدث من القاعدة .

(٢) بروز الصراعات الداخلية ، بعد اختفاء وازاحة الشكل الرسمي والمباشر للنفوذ الاستعماري والذي كان يفرض على كل القوى الوطنية التلاحم دفاعا عن كيانها ، وبداية الاختلاف حول اختيار طريق التطور بعد الاستقلال ونمو التناقضات بين القوى الاجتماعية المختلفة ، والصراع بينها من اجل السلطة أو توزيع المراكز التي خلت بخروج المستعمر . وهو التفكك الذي يحدث من أعلى ويساعد على التحلل في القاعدة أيضا .

وكما أن صعوبات التنمية هي الاساس الذي تستند اليه القوى المضادة للثورة اقتصاديا ، فان هذا «الاسترخاء» التنظيمي هو المناخ المناسب سياسيا للاعداد لضربتها القاضية .

والقيادة الثورية التي تعجز عن رؤية هذه الحقائق تكون كمن يضع الانشوطة في عنقه ويسلم طرف الحبل لعدوه . فالتنظيم الجماهيري الواسع والتوعية والتعبئة الدعوية هو الضمان الوحيد لحماية المكاسب الشعبية وتوسيعها وتعميقها . ان ادراك القيادة السياسية لارتباطها المصيري بتأثيرها وفاعليتها بين الجماهير وقدرتها على كسب تأييدهم ومبادراتهم ، هو الصخرة التي تتحطم عليها كل محاولات الاطاحة بها . فالحاجة الى تعميق جذور التنظيم السياسي جماهيريا تزيد ، وتصبح هي الحلقة الرئيسية في حماية الانظمة التقدمية وتطورها وتقدمها .

والواقع أننا نشهد عدة اتجاهات في هذا المجال :

● البعض يؤمن نظريا بهذه الحقيقة الا انه لا يهتم بوضعها موضع التطبيق العملي وقد يكتفي بالشكل .. ضم عدد كبير من الناس داخل الحزب بالاساليب الادارية دون فاعلية أو نشاط . وكثيرا من يغرق هؤلاء في مشاكل السلطة والمهام العديدة التي يواجهونها فيهملون نشاطهم الحزبي .

● استبدال الحزب بالدولة، بنقل جميع كادرات الحزب الرئيسية الى الجهاز التنفيذي والاعتماد على هذا الجهاز في الاتصال بالجماهير . ومما يؤدي تلقائيا الى ضمور وانكماش الحزب ، ان ما تتيحه السلطة التنفيذية من امكانيات تطبيق سياسة الحزب واتجاهاته يترتب عليه في كثير من الاحيان نقل مركز الثقل في النشاط الى جهاز الدولة والى اهمال النشاط الحزبي .



● ما قد تتعرض له القيادات من نقد داخل صفوف الحزب وفي لجانه ، ينحو بها الى الهرب منه الى جهاز الدولة حيث الانضباط وطاعة الاوامر والقرارات الادارية خاصة وان استعداد القيادات لتقبل النقد والمعارضة يقتضي توفر تقاليد حزبية راسخة ومتينة ، تفتقر اليها معظم المنظمات الحزبية بنشأتها الحديثة وتكوينها الواسع .

ومن اهم الصفات واكثرها حيوية للقيادة الحزبية ، القدرة على التعرف على الاعداء والانصار والتمييز بين القوى الاساسية والحليفة والمعادية في المراحل الاستراتيجية المختلفة ، والمبادرة والحسم في عزل الاعداء وتجميد نشاطهم ، وتعبئة القوى العاملة وتنظيم صفوفها واستثارة حوافزها ومبادراتها في خدمة التحول الاجتماعي ، والحذر من الفئات البينية المتقلبة .

والاساس الطبقي هو محك موقف الفئات الاجتماعية المتباينة . وطبقا للتحليل السابق لمواقف الطبقات المختلفة من الثورة الاجتماعية في الظروف الدولية المعاصرة يمكن تحديد موقع كل منها .

والاهمية البالغة للموقف الطبقي الواعي من جانب الحزب يمكن استخلاصها من تجربة قريبة الى الاذهان .

في استفتاء ٢٨ سبتمبر عام ١٩٥٨ على الدستور الفرنسي ، طالبت حكومتا غينيا والنيجر (وكان حزباهما الثوريان في الحكم) شعبيهما بالتصويت ضد الدستور ، وكانت النتيجة أن ٩٥٫٤٪ من أهالي غينيا صوتوا ضد الدستور ، بينما أقرت النيجر الدستور لتدخل الجماعة الفرنسية .

لماذا ؟

لان حكومة النيجر لم تتخذ أي خطوات عملية ضد الزعماء الاقطاعيين الذين ظلوا محتفظين بامتيازاتهم وسيطرتهم على « المصوتين » ، أما حكومة غينيا فلم تسكت على هؤلاء ، بل الغت نظام رؤساء القبائل عام ١٩٥٧ وكالت لهم ضربات قاصمة . ليس هذا فحسب بل عملت على مقرطة الادارة ،(فاستمر اطلاق اسم الرؤساء على ممثلي الحكومة في القرى الا انهم لم ينصبوا بالتعيين ، بل بالانتخاب المباشر الجماهيري ، فأحلت السلطة الجماهيرية مكان النفوذ الاقطاعي للزعماء القبليين) . وقد اعلن سيكوتوري على اثر هذه الاجراءات الثورية الطبقية بأن « مراكز القوة للاقطاع المحلي قد انهارت وسوف تختفي الان جميع المساوىء التي لحقت بسكان الريف » . هذا بالاضافة الى النشاط السياسي الواسع للحزب مما كان له اثره في استفتاء عام ١٩٥٨ .

وهكذا فان الموقف الحاسم من القوى الطبقية المعادية ضروري لتأمين الثورة وحمايتها في جميع مراحلها . وقد كان من اخطاء العمل الثوري في مصر سيادة منطق المصالحة الطبقية بين قوى اجتماعية بينها تناقضات عدائية « ومن خطأ جمع المصالح المتصادمة في وحدة وطنية موهومة ضاع عنصر الالتزام في التنظيمات الشعبية » (١) . وقد ساعد على الوقوع في هذا الخطأ ــ الى جانب « غياب دليل للعمل الثوري » ، طبيعة المرحلة الاولى من التحرر الوطني . وامكانية اجتذاب قطاعات كبيرة من الراسمالية الوطنية داخل التحالف الوطني ، ولم يبرز التناقض العدائي داخل التنظيم ــ «الاتحاد القومي» خاصة ــ الا بعد ان وضح وتأكد ارتباط الاهداف الوطنية بالثورة الاجتماعية ، حتى انه بعد اعلان قرارات يوليو ١٩٦١ التي وضعت الاساس المادي للتقدم في اتجاه اشتراكي ، لم يمض شهران واذا بالرجعية تتآمر لقلب نظام الحكم وتنجح في فصل سوريا عن الجمهورية العربية المتحدة ، ليتولى قيادة الانقلاب الرجعي نفس قادة الاتحاد القومي في سوريا . وقد أوضح المناضل عبد الناصر خلال المؤتمر الوطني للقوى الشعبية « أنا اعتقد أن الاتحاد القومي كان به عيب واحد ، هو أننا تركنا الفرصة للرجعية لتتسلل اليه وتسيطر على المناصب الرئيسية ، ونحن في هذا كنا حسني النية ، لاننا عندما كنا نريد أن نحل الصراع الطبقي بالوسائل السلمية ، ونقيم نوعا من التعايش السلمي بين الطبقات في اطار الوحدة الوطنية لكل الناس حتى الرجعية بالدخول في الاتحاد القومي » .

وكل اجراء حاسم تتخذه الحكومة الثورية يتبعه تحرك مضاد من العناصر المعادية واستقطابها لجماعات تنفصل عن الثورة وتنضم الى القوى المضادة . هذا ما اثبتته تجارب الشعوب ومنها التجربة المصرية . وفي غانا انتقل الصراع الخفي والعلني الى داخل صفوف حزب الميثاق الشعبي بعد حل الحزب المتحد عام ١٩٦٤ ، وفي مالي ترتب على الاجراءات الثورية محاولة القوى الرجعية قلب الحكومة الشرعية في باماكو في يوليو ١٩٦٢ ، فسارع الحزب بتطهير صفوفه من العناصر المعادية . وهكذا فان كل تحرك جديد للقوى الثورية على طريق التقدم الاجتماعي ، يصحبه تغير في مواقف بعض القوى ، ومن ثم يجب اتخاذ الخطوات التطبيقية الكفيلة بتخليص الحزب منها وتنحيتها عن المواقع ذات الاهمية الاستراتيجية .

(١) . الميثاق الوطني

ومعظم الاحزاب الافريقية التقدمية ، لم يكن لها برامج متكاملة محددة المعالم ، خاصة فى النواحى الاجتماعية. والكثير منها كان يعانى من غيبة دليل للعمل الثورى ومنهج علمى يسترشد به فى رسم مستقبل تطوره ، بعد الحصول على الاستقلال . وهو وضع يتميز تماما عن الاحزاب التقدمية فى أنحاء أخرى من العالم حيث ترسم برنامجها بكل أبعاده السياسية والاجتماعية ، القريب منهما والبعيد ، ولذلك فان تنظيماتهما تتسم بالثبات والاستقرار ، فكل من ينتمى اليها يدرك مسالك الطريق الذى يجب أن يقطعه . أما فيما يتعلق ببرامج وأهداف الاحزاب والتنظيمات الثورية الافريقية فهى متطورة دائما ، كلما قطعت مرحلة ، وظهرت احتياجات جديدة لقطع خطوات جديدة أكثر ثورية ، تابعت طريقها ، لتعلن عن تعديلات تدخلها فى برامجها . فتنفض من حولها الجماعات التى تتخلف فى الطريق أو تناور وتدعى اقرار هذه التعديلات ، بينما تدبر فى الخفاء للانقضاض على السلطة .

وهذا التطور الثورى فى برامج وأهداف النظم التقدمية وحركتها الثورية الدائمة الى الامام،يؤدى بالتبعية الى تقلبات مفاجئة وسريعة فى مواقع القوى السياسية ويستلزم صفات ديناميكية من جانب القيادة السياسية التقدمية ، وقدرة على التحرك السريع واليقظة الدائمة .

والواقع أن مكمن الخطر الرئيسى يتمثل فى حقيقة أن الفواصل والحدود الطبقية لم تتحدد بصورة واضحة فى معظم البلاد الافريقية ، خاصة بين المثقفين (الثوريين منهم والرجعيين) والراسمالية (الوطنية والعميلة المعادية) وفى داخل اجهزة الدولة والقطاع العام . وهذا يؤدى الى صعوبة تمييز العدو من الحليف وتسرب عدد كبير من العناصر المعادية الى المراكز الهامة فى المؤسسات الاقتصادية والمنظمات الجماهيرية ، والكثير منهما يظهر الولاء ويبطن الغدر ، ويتستر وراء أى شعارات ترفعها الدولة وأى مبادىء ينادى بها الحزب ، يعلن تأييده للسياسة المتبعة وولاءه للزعيم ، بينما هو يتآمر على النظام ليغتاله .

هذه الظروف الخاصة بواقع البلاد النامية تقتضى مزيدا من الحرص واليقظة والاعتماد على الرقابة الشعبية والحزبية الدقيقة . فهنا لا توجد طبقات متكاملة التكوين محددة الابعاد مكشوفة بحكم تاريخها وملكياتها ومواقفها الماضية ولكنها طبقات فى دور التشكيل تنبت براعم جديدة كل يوم وتفرخ عناصر مضادة مغامرة هى خميرة الانقلابات والتحركات المعادية. ومن هنا تبدو اهمية تقييم العناصر القيادية ، ومراقبة نشاطها وعلاقاتها ، وتصرفاتها الشخصية والعامة ، كما تبرز أهمية النقد والنقد الذاتى كتقليد حزبى ، «لفرملة» الاتجاهات النفعية والانتهازية وكشفها، وزرع الضمير الاشتراكى فى الارض التى تخلو بانهيار القيم والمثل القديمة .. على أن تتم الرقابة والمتابعة على أسس حزبية وجماعية ديمقراطية ، مع تجنب الاساليب البوليسية والادارية .

ان صلابة وتماسك النظام التقدمى مرتبط أولا وقبل كل شىء ، بمدى وعى وشعبية ويقظة الحزب السياسى . ولذلك فان الاحزاب الثورية مطالبة بمراعاة عدة اعتبارات أساسية :

● أن تكون معبرة بحق عن مصالح الجماهير الشعبية وعلى رأسها العمال والفلاحين ، ولن يتأتى لها ذلك الا بأوثق اتصال بها . فالتعرف على رغبات ومطالب ومشاعر الجماهير ، لا يستخلص من المناقشات المكتبية ، بل من واقع الجماهير .. بمعايشة الناس فى حياتهم اليومية لامتصاص الافكار الشعبية المبعثرة وتمثلها وبلورتها فى أهداف معينة، تحدد أساليب العمل لانجازها .

● اليقظة ضد التمركز الشديد والانكماش داخل حدود المدينة ، والتقوقع فى النشاط العلوى وبأساليب ادارية. وضرورة الانتشار والتوسع فى تكوين خلايا الحزب فى المدينة والريف بين العمال والفلاحين .

● أن تكون قيادة الحزب للقوى الاشتراكية الملتزمة بالمنهج العلمى ، المدركة لابعاد المعركة ، الواعية بقوانين الحركة الاجتماعية ، الناضجة سياسيا وفكريا ، ضمانا للثبات والاستقرار . وأن تكون طليعة الحزب نواة صلبة متماسكة موحدة فكريا ، وهو وضع تمليه احتياجات المعركة الضارية وطبيعة الاحزاب الافريقية التى تضم جماهير واسعة من أصول طبقية متباينة بايديولوجياتها المتناقضة .

● تطبيق دقيق لمبدأ المركزية الديمقراطية داخل صفوف الحزب .

● أن يصل الى التأييد الجماهيرى عن طريق الاقناع والمناقشات الواسعة المفتوحة والجدل الديمقراطى . فلا يقتصر دوره على ابلاغ الناس بخط الحزب وبرنامجه ويطالبها بتحقيق الاهداف التى تصاغ فى المستويات العليا . فان كسب مناصرة الجماهير الشعبية يفترض فهمهم للمهمة التى يجب النهوض بها ، كما يتطلب حدا أدنى من ادراك الامور ادراكا عقليا .

● يجب الا يمتص جهاز الدولة الحزب أو كادراته الرئيسية حتى لا يتحول الى جزء من



السلطة التنفيذية أو مجرد موصل للأوامر والتوجيهات والقرارات ».

● أن يكون أعضاء الحزب قدوة صالحة ، تقنع الجماهير بأنهم أخلص العناصر للثورة وأقربهم اليهم ، لا أكثر الناس انتفاعا بالثورة وأبعدهم عنهم،فلا يحصلوا على امتيازات تضعهم في مصاف « الحكام » وبذلك وحده يستطيعون الحصول على احترام الناس وكسب ثقتهم ».

● اليقظة ضد التيارات المعادية داخل الحزب في صورها وأشكالها المختلفة في تنكرها وتخفيها بادعاء الولاء ، وتصفية هذه الاتجاهات فكريا قبل أن تصفى تنظيميا ، والحذر من المصالحة والتوفيق والحلول الوسط ».

نواة ثورية للتضامن الافريقي

وتدعيم التضامن الافريقي من أهم عوامل تأمين النظم الثورية واستقرار الحكومات التقدمية الا اننا لا نعني به مجرد الوقوف عند الشكل القائم حاليا، والممثل في منظمة الوحدة الافريقية،بل نقصد أيضا تكوين منظمة ثورية بين الدول المتحررة والتي سلكت طريق الاستقلال السياسي والاقتصادي وآمنت بحتمية الحل الاشتراكي مثل الجمهورية العربية المتحدة وغينيا ومالي وتنزانيا والجزائر والكونجو برازافيل ، تخطط لسياستها المشتركة ، وتعمل كوحدة على نطاق القارة وفي المنظمات الاكثر اتساعا ، لتدعيم الخط الثوري ، وتنضم بعد تكوينها الاحزاب الثورية الافريقية جميعها ».

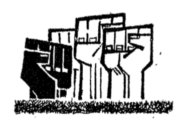
وقد أكد سيكوتوري حقيقة قصور منظمة الوحدة الأفريقية ، عندما صرح في ١٠ مارس الماضي « اننا نخشى أن تصبح منظمة الوحدة الافريقية مجرد نقابة لرؤساء الدول ، ان بعض مجموعات الدول الافريقية لم تنفذ أي قرار ثوري اتخذته المنظمة في أديس أبابا ، لقد قررنا مثلا انشاء سوق مشتركة افريقية ، فبادرت مجموعة من الدول على الفور الى الانضمام للسوق الاوربية . وقررنا التنديد بمسلك اسرائيل الاستعماري ، فسارعت احدى هذه المجموعات الى تدعيم علاقاتها باسرائيل » . هذا فضلا عن موقف المنظمة من روديسيا وقطع العلاقات مع بريطانيا ... الخ ».

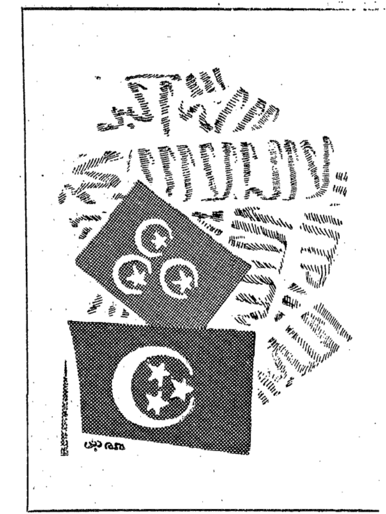
ان حماية النظم التقدمية تقتضي منها — لا الانسحاب من هذه المنظمة بل — تجنب الذوبان في «تنظيمات التجمع» التي تراعي الكم ، وان نركز جهودنا على النواة الثورية منظمات النوع . والواقع يفرض علينا المبادرة بتكوين هذه النواة وليكن ذلك على أسس حزبية ، لتوسيع اطار التضامن وزيادة فعاليته ».

لقد اضطرت الدول التي تمثل هذه النواة الثورية الى الخروج على مجموع دول المنظمة،عندما ثارت الخلافات حول عديد من القضايا وآخرها مشكلات قطع العلاقات الدبلوماسية مع بريطانيا بسبب مما لانها للاقلية العنصرية البيضاء في روديسيا ثم الموقف من الانقلاب الرجعي في غانا ، فقد انسحبت الدول التي تمثل بحق الخط التحرري الافريقي من مؤتمر وزراء خارجية المنظمة ».

وسوف تتابع الحركات الانقلابية نشاطها ، وترتع قوى الاستعمار والمخابرات الاجنبية واليمين الرجعي في قارتنا ، وتتوالى زحفها على الدول النامية لحصارها ، واستعادة السيطرة عليها ، ما لم تأخذ القوى الثورية المبادرة منها ، وتشرع في توحيد وتدعيم صفوفها ضد العدوان،وحماية النظم التقدمية ، والتحرك للخروج من مواقعها الحالية لمساندة حركات التحرر الوطني والاجتماعي ».

ان تكوين نواة ثورية من الدول التقدمية تمهيدا لتنظيم جبهة على نطاق القارة بأجمعها من الاحزاب والتنظيمات التقدمية ، يعتبر من المهام العاجلة للحركة الثورية الافريقية لحماية وتدعيم مواقعها الحالية ، والسير قدما في تحرير شعوب قارتنا من الاستعمار القديم والجديد ».















حركة الفكر القومى فى مصر



من حكم محمد على إلى الحرب العالمية الثانية

حسن عبد العزيز

هذه دراسة لتيارات الفكر القومى فى مصر ، فهى لا تتناول تاريخ الحركة الوطنية والقومية. وهى ان عرضت لبعض جوانب التطور الاجتماعى ، وبعض الاحداث السياسية، فانها تتعرض لها بمقدار مايلقى الضوء على هذه التيارات الفكرية . فالتيارات الفكرية لا تعيش فى فراغ وانما هى فى تحليلها الاخير ليست سوى تعبير عن القوى الاجتماعية والسياسية الموجودة فى المجتمع والمعارك الفكرية ماهى الاتعبير عن صراع هذه القوى، مهما اختفت هذه التيارات وراء منطق نظرى مجرد. ولكن ليست النظريات والتيارات الفكرية ، مجرد تعبير سلبى عما يدور فى المجتمع من صراع اجتماعى وسياسى فحسب، وانما تقوم بدور فعال وايجابى فى هذا الصراع .

وهذه الدراسة لاتتناول ايضا الفكر السياسى لزعماء الحركة الوطنية ، احمد عرابى ومصطفى كامل وسعد زغلول ، وانما تقتصر على عرض وتحليل لاراء كبار المفكرين المصريين فى مسألة القومية امثال رفاعة رافع الطهطاوى واحمد لطفى السيد.

يمكن التمييز بين ثلاث مراحل مر بهـا الفكر القومى فى الفترة التى تبدأ من تولى **محمد على** السلطة وبناء الدولة المصرية الحديثـة وتنتهى بالحرب العالمية الثانية . فقد بدت بوادر الوعى القومى اثناء حكم محمد على وبداية تكوين هيكل المجتمع المصرى الحديث ،ويعتبر **رفاعةالطهطاوى** بحق رائد الفكر القومى فى مصر ، فهو الذىوضع البذور الاولى لتيار القومية المصرية ، التيار الذى تطور حتى توج بالثورة العرابية . وبعد انكسار الثورةالعرابيةواحتلال الانجليز لمصر سنة ١٨٨٢، دخل الفكر القومى مرحلة اخرى تتميز باشـتداد ساعد تيـار القومية المصرية ونضوجه ،علىيدى اكبر ممثل لفكرة القومية المصرية فى هذه المرحلة وهو **احمد لطفى السيد** . وتوجت هـذه المرحلة بنشوب ثورة سنة ١٩١٩ . وقد دارت معـركة فكرية كبيرة فى هذه المرحلة بين تيار القوميـة المصرية وتيار آخر معارض له يدعو الى الجامعة الاسلامية كانعلى راسهالسيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار .

وبعـد حصـول مصر على « الاسـتقلال » السياسى (الشكلى) سنة ١٩٢٢ وانتصار تيار القومية المصرية ، انقسم الفكر القومى الىتيارين متعارضين تيار يدعو الى الانتماء الى الغـرب والاخر يدعو الىالانتماء الىالشرق،ودارت بينهما معركة فكريةعرفت فىذاك الوقت بمعركة (الشرق والغرب) شغلت الفكر المصرى طوال العشرينات والثلاثينات من هذا القرن واستمرت حتى الحرب العالمية الثانية .

فقدان الشعور بالرابطة القومية

عندما نزلت الحملة الفرنسية مصر ، كان قد مضى على مصر ثلاثة قرون تحت الحكم العثمانى، عاشتها فى ظلام دامس . وقـد ادى احتـلال الفرنسيين لمصر ، والمقاومة التى بعثهـا هـذا الاحتلال الى احيـاء ما يمكن تسـميته بالوعى السياسى لمصر الحديثـة . كما ادت سـياسة « **نابليون بونابرت** » فى سعيه الى جذب المصريين للتعاون معه ، واعطائهم مقابل ذلك نصيبا من السلطة السياسية ، وايضا ما قام به **المماليك** من طلب العون منالمصريين فىاوقاتهم العصيبة ،أدى ذلك الى تزويد مصر بزعمائها الاوائل .

ولم تفلحسياسة **بونابرت** فىكسبود المصريين، اذ ثاروا عليه وحاولوا القضاء على الفرنسيين . « ولكن ثورة المصريين ضد الفرنسـيين لم يكن يحركها الشعور القومىوحده ،والا لثار المصريون على العثمانيين ، كما ثاروا على الفرنسـيين ، وثمة منيقول كالجبرتى ان الفرنسيينكانوا ارفق بالمصريين من العثمانيين والمماليك واعدل ، وانما كان يحركها شعور دينى لعله من بقايا الحروب الصليبية ، وهو شعور غلب فيـه الولاء لدولة الاسلام علىاى ولاء آخر للوطنوالجنس ،فالوطن هو دار الاسلام يتنقل فيها المسلم فلا تقف دونه حدود او قيود ، والجنس قد امحت فروقه فىاطار الاخاء الاسلامى ، غير انهذا الشعور مهما بلغت اصالته لا يقوم مبررا لتخلى المصريين عن الحكم لغيرهم وان كان تبريرا لثورتهم على الفرنسيين دون العثمانيين » (١) .

فلم يكن المصريون يحسون باى رابطة تميزهم عن بقية الشعوب الاسلامية ، اما الرابطة التى كانوا يحسون بها فهى رابطة الاخوة الدينيـة ، رابطة التضامن بين المسلمين جميعا . وقد كان الجبرتى يسمى المصريين آنذاك بـ **«الرعايا»** و **«الاهالى»** و **« الناس »** و **« الخلق »** . وكان أهل البلاد يدعون بعضهم البعض بـ **«العباد»** و **« الناس »** و **« أولاد العرب »** كما كان الحال ايام الامبراطورية الاسلامية .

رشيد رضا

ولد فى قرية القلمون بالقرب من طرابلس الشام فى سنة ١٨٦٥ ، وتوفى بالقاهرة سنة ١٩٣٥ . هاجر الى مصر سنة ١٨٩٧ واقام بها واتصل بالشيخ محمد عبده وتتلمذ عليه . أصدر مجلة المنـار فى ١٧ مارس سنة ١٨٩٨ للدعوة الى الاصلاحالدينى والوحدةالاسلامية. اشتغل بالسياسة فى سنة ١٩٠٥ بعد وفاة الشيخ محمد عبده وتولى رئاسة « جمعيـة الشورى العثمانية » التىتكونت ضدالعثمانيين فى مصر . رفض التعاون مع « جمعية الاتحاد والترقى » وهى جمعيةسرية تكونت منالشباب التركى للعمل على اسـقاط السلطان عبـد الحميد وبناء الدولة التركية على اسسحديثة وقد تزعمت الثورة التى ادت الى عزله سنة ١٩٠٩ . هاجم « الحركة الطورانية » وهى حركة قومية كانت تدعو لوحدة العناصرالتركية وتنقية اللغة التركية من الالفاظ العربيـة ، ونادى بوحدة الاتراك والعرب داخل الجامعة الاسلامية . انشـأ مدرسـة « دار الدعوة والارشاد سنة ١٩١٢ » من مؤلفاته « تاريخ الشيخ محمد عبده » و « الوحدة الاسلامية » و « الخلافة أو الامامة العظمى » .

---

(١) الدكتور حسين فوزى النجار : احمد لطفى السيد ـ استاذ الجيل

« وقد اخفقت الحملة الفرنسية كحملة عسكرية، ولكنها افلحت فى توجيه اضواء العلم الحديث الى ماضى مصر البعيد ، ولفت نظر الدول لفتا عنيفا الى اهمية مركزها السياسى ، ثم فتح نفوس بعض ابنائها للتيارات الغربية الحديثة . فقد كان المصريون ، وقتئذ ، مسلمين ومسيحيين ، لا يذكرون من ماضيهم القديم شيئا ، وكانت فكرة الاستقلال الحقيقى عن السلطنة العثمانية لاتخطر لهم على بال ، ولم تكن انتفاضات الامراء المماليك، فيما عدا حركة ((**على بك الكبير**)) تذهب الى اكثر من محاولة ايثار اصحابها بالحكم دون الولاة . ونحن لا نحس خلجة استقلالية واحدة فى سرد ((**الجبرتى**)) لسيرة ((**على الكبير**)) او ((**الالفى**)) فهو لا يعدو سرد كاتب أمين لسيرة رجلين نابهين ، بل ان **الجبرتى** لا يذكر انقطاع الباب العالى عن ارسال الولاة الى مصر على ايام **على الكبير** الا عابرا ولا ينفك يثنى على حسن بلاء العثمانيين لزودهم عن الاسلام والمسلمين » (٢) .

وكان ((**محمد على**)) لا يفرق بين الناس الا بمقياس الدين ، وقد صرح لقناصل الدول الاوروبية — عندما كان الروس يهددون بالزحف على الاستانة — انه اذا زحف الروس الى الاستانة فسيبادر الى مساعدة اخوته ويأمر ابنه بالسير الى الاناضول ويجند من لديه من عمال لا يقلون عن ٧٠ الف ويقاتل بهم اعداء المسلمين (٣) . وكان وزراء السلطان العثمانى بدورهم يقولون حينئذ ان المصريين مسلمون مثلهم ومن الافضل ان يحكموا هم الاستانة من ان يحكمها الروس (٤) . وكان «محمد على» لا يفهم لم تقف اوربا فى وجهه على طريق الاستانة وهو وسلطانه من دين واحد . ولا يدرك لماذا تخشى اوربا انفصاله مادام باقيا على اسلامه كما كان . ويعجب من استنكار القناصل التجاء الاسطول العثمانى الى الاسكندرية مادامت ميناء اسلامية كالاستانة . ويخطب قواد هذا الاسطول فيدعوهم الا ينسوا انهم ورجاله من دين واحد . كل ذلك وهو لايدرك انه يناقض سياسته فى الانفصال بمصر عن بقية الامبراطورية العثمانية (٥) .

اسماعيل المفتش

هو اسماعيل باشا صديق لقب بالمفتش لتقلده منصب مفتش عموم الاقاليم . كان وزيرا للمالية نحو ثمانى سنوات أيام حكم الخديو اسماعيل من سنة ١٨٦٨ الى ان لقى مصرعه فى سنة ١٨٧٦ . كان مصريا نشأ فقيرا ولكنه اثرى ثراء فاحشا برضاء الخديو عليه لمقدرته فى جمع المال بالقروض والضرائب الباهظة حتى قيل انه السبب فى استدانة الحكومة نحو ثمانين مليون جنيه ضاع معظمها سدى ، واليه يرجع السبب فى اصدار قانون المقابلة . كان اقوى رجال الدولة نفوذا ، وقد عمل على تعيين كثير من المصريين فى مناصب الدولة الهامة التى كانت مقصورة على الاتراك ، وان كان ذلك مقابل الرشاوى التى كان يتقاضاها منهم . فى آخر أيامه . فقد حظوته لدى الخديو وفى خلال المفاوضة بصدد الرقابة الثنائية على المالية المصرية ، عزله الخديو من منصبه تحت ضغط المندوب الانجليزى . واغتاله اتباع الخديو وألقوا بجثته فى النيل فى نوفمبر سنة ١٨٧٦ .

تكون مجتمع مصرى جديد

قضت الحملة الفرنسية بقيادة ((**بونابرت**)) على الارستقراطية المملوكية ، الطبقة الحاكمة آنذاك التى كانت تتكون من عناصر اقطاعية عسكرية . ثم جاء ((**محمد على**)) فصفاها نهائيا فى مذبحة القلعة الشهيرة ، وبقضائه على النظم المملوكية ، وبما استحدثه من نظام ملكية الدولة لوسائل الانتاج وسياسة احتكار النشاط الاقتصادى جميعه . هذه السياسة لم تصف الارستقراطية المملوكية وحدها ، ولكنها ادت ايضا الى اختفاء طبقتى الملتزمين والتجار واهل الحرف التى كانت تشغل مركز الطبقتين الثرية والمتوسطة ، وكانت التربة الطبيعية لنمو البرجوازية المصرية ، مما ادى الى تأخر تكوين هذه الطبقة فى مصر . ولكنه وان قضى على الطبقة التى كان من الممكن ان تنمو منها البرجوازية ، الا انه فى سعيه لانشاء جيش حديث وادارة جديدة ، وما استتبع ذلك من تعبئة اهل البلاد فى هذا الجيش وفتح المدارس الحديثة لتزويده وتزويد الدواوين الحكومية بالرجال الفنيين ، وسياسته فى ارسال البعوث الى اوربا ، وما سار عليه خلفاؤه من الاحتفاظ بهذا الجيش ، ومن تكملة لهذه الادارة ، وما صاحب ذلك من تطور فى نظام الملكية الزراعية . اذ تبلور حق الانتفاع الذى انشأه ((**محمد على**)) ، وثبتت معالمه أيام ((**سعيد**)) ، وتحول الى ملكية تكاد تكون تامة بمقتضى قانون

(٢) صبحى وحيده : فى اصول المسالة المصرية
(٣) المصدر السابق
(٤) مجلة القاهرة — مارس سنة ١٩٤١
(٥) صبحى وحيده : فى اصول المسالة المصرية

المقابلة في عهد ((**اسماعيل**)) ثم اخيرا الى ملكية تامة بقانون سنة ١٨٨٠ . كل ذلك ادى الى ان قام على انقاض النظام المملوكي الذى كان يتنفس في جو الامة الاسلامية العالمي، والى جانب الاسرة الحاكمة الجديدة التى كانت تتعاقب على عرش البلاد ، وتكون بجانبهما ارستوقراطية تركية جديدة بما كانت تهديه اليها من الاراضي الشاسعة . ادى ذلك الى تكوين جيش اهلي وطائفة من الموظفين الوطنيين ،كانت بداية البيروقراطية المصرية ،وطبقة ملاك زراعيين محليين ،اى ظهرت مصالح اهلية تنفرد بأوضاعها الخاصة،وتصدر في حركاتها عن نفسها ومصالحها، وتقيم هيكل مجتمع جديد .

هذا المجتمع المصرى الوليد ، والطبقات المصرية الجديدة التى نشأت على انقاض النظام المملوكي كانت هي الاساس الاجتماعي الذى قامت عليه دعوة القومية المصرية والفكر القومى المصرى .

ظهور الوعي القومي

ونحن نحس بظهور هذا المجتمع ، منذ الصدر الاول من القرن التاسع عشر فيما يذكره **الجبرتي** عن الكبرياء التى كان يثيرها الثوب العسكرى فيمن كان يجندهم **محمد على** من اهل الريف وفقراء المدن ، وما نلحظه من تردد معانى الوطنية فى كتابات ((**رفاعة الطهطاوى**)) و ((**على مبارك**)) وغيرهما من كتاب ذلك العصر ، ووصف **عرابى** لاثر احاديث **سعيد** معه فى امور مصر فى نفسه ونفس من تصل اليهم من اهل البلاد ، ثم نلمسه لمسا يسيرا تحت حكم اسماعيل فى ظهور طائفة ذكية من رجال الحكم لا نجد لها نظيرا الى جانب محمد على او عباس او سعيد ، تصدر فى اعمالها عن تقدير مستقل لمصالح البلاد ،وتحجب الجالس على العرش تارة وتقف فى وجهه طورا ، ((**فصديق المفتش**)) يتزعم التيار الوطنى الذى أدى الى وضع قانون المقابلة ، ويجالد التدخل الانجليزى الفرنسى فى مالية البلاد ، وينتهى الى السقوط صريعا فى سبيل مجالدته هذه . و ((**شريف**)) يرفض ان يصدر فى الحكم عن غير تقديره للامور ويذهب بالتفكير فى اصلاح نظمه الى حد المعارضة السافرة للخديوى .كذلك نلمسه فى الاتجاه الذى اتخذته الحياة النيابية المصرية فى الصدر الاخير من القرن التاسع عشر . فقد انشأ ((**اسماعيل**)) سنة ١٨٦٦ مجلسا استشاريا يقوم الى جانب دواوين الحكومة ويعينها على تأدية وظيفتها . وقد جعل هذا المجلس يظهر ويستخفى دون ان يكون له أثر فى حياة البلاد حتى كانت الازمة المالية وتناوش اسماعيل ومدينيه ، واتجاه فرنسا وانجلترا الى التدخل فى الادارة المالية . اذ اخذ اسماعيل يشعر بالحاجة الى سند يعتمد عليه، وجعلت قيمة المحكومين ترتفع فى جلبة العراك السياسى . وانتهى الامر الى تعاون اسماعيل وهؤلاء المحكومين ، فكان قانون المقابلة ، واقالة الوزارة المختلطة ،ثم اقامة الحكم النيابى الحقيقى، اذ اجمع اسماعيل على المضى فى معارضة دائنيه، وطمح اهل البلاد الى الاستيثاق من ثمرة تعاونهم هذا وكان ما اعقب ذلك من وقوف النواب الجدد فى وجه التدخل الاجنبى والفساد الداخلى وما أدت اليه وقفتهم من انفجار الثورة العرابية (٦) .

وهذا المجتمع الجديد يتجه قليلا قليلا الى الشعور بنفسه كشىء يختلف عن المجتمعات الاخرى ، اسلامية كانت او غير اسلامية : اى يتجه الى تكوين ما ندعوه بالوعى القومى ((**فالطهطاوى**)) يكتب فى الوطنية والتاريخ المصرى القديم وواجب العمل لرفاهية مصر ، وهو امر لانجده فى الجبرتى مع قرب العهد بينهما . و ((**على مبارك**)) يضع لفظ (مواطن) للتفريق بين اهل البلاد وغيرهم .

حزب الامة

تكونت شركة من مائة وثلاثة عشر عضوا يمثلون اغلبية اعيان مصر لاصدار ((الجريدة))، كان على رأسهم محمود سليمان باشا رئيس الشركة وحسن عبد الرازق باشا وكيلها ومن اعضائها سعد زغلول . وقد صدر العدد الاول منها فى ٩ مارس سنة ١٩٠٧ . وفى اجتماع الجمعية العمومية لشركة ((الجريدة)) سبتمبر عام ١٩٠٧ أعلن فيه قيام ((حزب الامة)) . وكان كرومر يسمى رجال هذا الحزب ((اتباع المرحوم المفتى السابق الشيخ محمد عبده)) .

وكان الحزب يتكون من كبار ملاك الاراضى وطائفة من المثقفين . وبرنامجه يتضمن العمل على الاستقلال الذاتى فى حدود الاحتلال البريطانى . وقد نشب خلاف بين اعضاء دول السياسة التى يتبعها مما ادى فى نهاية الحزب ولطفى السيد رئيس تحرير ((الجريدة)) الامر الى ان يتولى لطفى السيد الجريدة فى سبتمبر سنة ١٩١٤ ، وقد انضم معظم أعضاء الحزب بعد الحرب العالمية الثانية الى الوفد المصرى وكانوا يمثلون فيه الجناح اليمينى ثم انفصل غالبيتهم مكونين حزب الاحرار الدستوريين عام ١٩٢٢ .

(٦) المصدر السابق

و « عرابى » يستعمل لفظ (المصريين) و (الامة المصرية) بمعناه الحديث . ويعد من ليسوا من اهل البلاد ، سواء كانوا من الارمن او الاتراك ، اى سواء كانوا مسلمين ام غير مسلمين ، اجانب لا يحق لهم ان يحكموها (٧) . وهو امر جديد ايضا لا نجد له اثرا فى التفكير المصرى منذ ان احتضنته الموجة المسيحية . فكتاب العصر الاخرون يشعرون بهذه الحقيقة ، وان كان فى اضطراب ، ويشعرون من يقراهم بها أيضا بطريق او آخر (٨) .

رفاعة الطهطاوى رائد القومية المصرية

ذكرنا فيما سبق انه بعد مجىء الحملة الفرنسية الى مصر ، وتولى محمد على الحكم ، وما استحدث من نظم بنيت على انقاض النظام المملوكى السابق ، ان بدا مجتمع مصرى جديد يتشكل ، وظهرت طبقات مصرية جديدة لها مصالح مادية تتعارض مع بقاء مصر داخل اطار الامبراطورية العثمانية .

وكانت السلطنة العثمانية قائمة على اساس ايديولوجى كامن فى وجدان الشعوب التى تتكون منها ، هذا الاساس الايديولوجى هو فكرة رابطة الاخوة الاسلامية التى تربط بين جميع الشعوب الاسلامية تحت حكم الخليفة العثمانى . هذه الفكرة كانت تستند عليها السلطنة العثمانية لاحكام قبضتها على مختلف الاقطار الاسلامية . فلما ظهرت فكرة القومية المصرية كان هذا تحديا سافرا لفكرة الرابطة الاسلامية او الجامعة الاسلامية .

وتكمن اهمية **رفاعة الطهطاوى** فى انه اول مفكر مصرى دعا الى القومية المصرية ، فكان بذلك الرائد الاول للفكر القومى فى مصر والبناء الاول لتيار القومية المصرية .

ويرتكز الفكر السياسى لرفاعة الطهطاوى على ثلاث دعائم ، هى القومية المصرية ، والديموقراطية الليبرالية ، والدعوة الى الاخذ بأسباب ومقومات الحضارة الاوربية فى عصره .

هذه الدعائم او خصائص فكر الطهطاوى ، سوف نجدها تميز تيار القومية المصرية عبر مراحله المختلفة ، كما تميز الفكر السياسى لممثلى هذا التيار امثال **احمد لطفى السيد** .

ان افكار الوطنية ، وحب الوطن والتغنى بأمجاده بدأت تتردد لاول مرة فى كتابات رفاعة الطهطاوى . يقول الدكتور جمال الدين الشيال : « وهناك صفة هامة من صفات رفاعة تستحق الالتفات والتسجيل ، فقد كان فيها الرائد الاول للمصريين جميعا ، تلك هى عاطفته الوطنية القوية . كان رفاعة يحب مصر حبا قويا ملك عليه نفسه ، وكان الدافع له الى الاخلاص فى عمله والتفانى فى اداء واجبه . وقد تغنى بهذا الحب كثيرا فى شعره ، بل نحن لا نعدو الحقيقة اذا قلنا ان معظم شعره قصائد ومقطوعات واناشيد وطنية لم يسبق اليها او الى مثلها أحد من المصريين . وفى كتبه المختلفة كان يعقد الفصول الطوال للتحدث عن الوطن والوطنية وتحليل هذا المعنى وضرب الامثلة بمن عاشوا وضحوا فى سبيل أوطانهم . اثارت هذه العاطفة فى نفسه طبيعته الخيرة وقواها ثقافته الواسعة فى باريس ودراسته للعلوم الفلسفية والاجتماعية والسياسية هناك ، وازكاها ايضا انه شاهد ثورة الشعب الفرنسى فى سنة ١٨٣٠ فقد رأى بعينيه كيف يبذل الفرنسيون ارواحهم فى سبيل وطنهم وحريتهم » (٩).

وأهم كتابات الطهطاوى هى كتاب « **تخليص**

قانون المقابلة

صدر هذا القانون المعروف بلائحة المقابلة فى عهد الخديو اسماعيل فى ٣٠ اغسطس سنة ١٨٧١ بهدف جمع المزيد من الضرائب من الفلاحين، وذلك لمواجهة الازمة المالية وافلاس الخزانة العامة . وقد نص على ان من يدفع خراج ست سنوات مقدما على اطيانه تثبت له ملكيتها ويكون له حق التصرف فيها ، مع تخفيض الضريبة عنها فى المستقبل الى النصف. ولهذا يعد قانون المقابلة علامة بارزة فى تاريخ نشأة وتطور الملكية الفردية فى الارض فى مصر.

---

(٧) تقرير عرابى
(٨) صبحى وحيده : فى اصول المسالة المصرية
(٩) الدكتور جمال الدين الشيال : رفاعه رافع الطهطاوى

الابريز فى تلخيص باريز» الصادر فى سنة ١٨٣٤، وكتاب **« مناهج الالباب المصرية فى مناهج الاداب العصرية »** الصادر فى سنة ١٨٦٩ .

والكتاب الاول «تخليص الابريز» يصور المجتمع الفرنسى كما رآه الطهطاوى فى الصدر الاول من القرن التاسع عشر، ويشرح فيه الاسس التى قام عليها هذا المجتمع، وهو فى تصويره لما شاهده كان يعقد المقارنات بين ما هو قائم فى فرنسا وما هو قائم فى مصر . والقارىء لهذا الكتاب يتبين له بوضوح من تعليقات الطهطاوى وشروحه، اعجابه الشديد بمقومات المجتمع الفرنسى والحضارة الفرنسية، ودعوته الى الاخذ باسباب رقى الفرنسيين . وقد كان المجتمع الفرنسى الذى رآه الطهطاوى ووصفه فى كتاب « تخليص الابريز » هو المجتمع الذى ارست قواعده الثورة الفرنسية الكبرى فى نهاية القرن الثامن عشر . وقد شهد الطهطاوى ثورة الشعب الفرنسى على شارل العاشر آخر ملوك اسرة البربون، هذه الثورة التى قادتها البرجوازية الفرنسية الكبيرة وجنت ثمارها، وادت الى اعتلاء لوى فيليب ــ ملك الفرنسيين او (الملك البرجوازى) كما كان يسمى ــ عرش فرنسا .

اما كتابه الاخر **« مناهج الالباب المصرية فى مناهج الاداب العصرية »** فقد كتبه لطالعة المدارس، وهو اول كتاب ينزع الى الوطنية، يشرح معنى الوطن، ومصر ومزاياها، ويعرض فيه لاهم الاسس الاقتصادية والسياسية التى يجب ان يقوم عليها المجتمع، داعيا الى الاخذ بمبادىء الليبرالية . فالطهطاوى وان لم يضع نظرية كاملة عن القومية المصرية، الا انه فى تذكيره المصريين بأمجاد مصر الغابرة، وما كان فيها من عمران وحضارة، والقائه مسئولية خراب مصر وتأخرها على المماليك وظلمهم، ودعوته الى حب الوطن واعتباره ركنا من اركان الدين وحثه المصريين على عمرانه ورفاهيته، كل ذلك يجعله اول من وضع اساس تيار القومية المصرية .

يقول الطهطاوى عن استيلاء المماليك على مصر وتخريبهم لها : **« فكان المماليك المستولون عليها لا ينظرون الى عمارتها وانما يأخذون ما بدا لهم وراج فى كل عام حتى صارت يبابا وازدادت خرابا . فقد كان أهملها المماليك نحو خمسين سنة بدون عملية نيلية فكانت الاراضى تفسد فى كل عام فى كثير من الاقاليم حتى هجمت جيوش رمال البرارى على وادى النيل الصالح للزراعة فتكون من الرمال على شواطىء النيل تلال واكوام ولو بقى حكم ابراهيم بك عشرين من الاعوام لفسدت جميع اراضى مصر الزراعية »** (١٠) .

ويشرح الطهطاوى نظام الاقطاع المملوكى فيقول : **« فقد كانت حكومة المماليك من عدة سناجق تتوزع بينهم اقاليم مصر وكل سنجق يقطع لكشافة القرى والنواحى وكان كل سنجق منفصلا عن غيره بادارته وسياسته لا يتبع الا هوى نفسه ولا يطيع الا ما يسوله له عقله من وسائل التخريب وان كان مستقيما بالصدفة والاتفاق فالغالب عليه التكاسل وعدم النشاط فكان فى ايامهم لكل قسم وكل قرية ترع وجسور خصوصية لا ينتفع من السقى منها الا اهاليها ولم يكن بينهم روابط عمومية فكان أصحاب الاراضى والمزارعون لها المجاورون شطوط الماء يحتكرون الرى والسقى ويختلسون من المياه ما هو قريب منهم ويمنعون الاراضى البعيدة من ذلك مع كونها لها حق فى مشاركتهم فى المياه عند الفيضان فكان ينشأ من هذا ما لا مزيد عليه من عداوة قرية لاخرى ربما ترتب على ذلك القتال وسفك الدماء فلهذه الحوادث الجارية فى ايام حكمهم تقهقرت العمليات الهندسية الموروثة عن الفراعنة والرومانيين ومن بعدهم من الخلفاء والسلاطين »** (١١) .

فالطهطاوى قد فهم جيدا ان النظام الاقطاعى المملوكى قسم مصر الى اقطاعيات منفصلة ليس للحكومة المركزية من سيطرة عليها، مما ادى الى تدهور الانتاج الزراعى فى بلد تعتمد الزراعة فيها على نظام الرى .

ثم يذكر الطهطاوى المصريين بأمجادهم الغابرة وتاريخهم العريق فيقول : **« فقد اجمع المؤرخون على ان مصر دون غيرها من الممالك عظم تمدنها وبلغ اهلها درجة عليا فى الفنون والمنافع العمومية فكيف لها وان آثار التمدن واماراته وعلاماته مكثت بمصر نحو ثلاثة واربعين قرنا يشاهدها الوارد والمتردد ويعجب من حسنها الوافد والمتفرج مع تنوعها كل التنوع .. » (١٢) . ويقول عن مصر انها « ام الدنيا » و « روضة الدنيا » ، وانه « لم يكن فى الارض ملك اعظم من ملك مصر وكان جميع الارضين يحتاجون الى مصر .. وهذا عين التمدن اذ لا يكون ذلك الا بتقدم الصنائع والفنون ويؤيده بقايا الاثار المشاهدة التى لا كان مثلها فى غير مصر ولا يكون مع ما انمحى منها بشهادة**

(١٠) مناهج الالباب المصرية فى مناهج الاداب العصريه ــ رفاعه الطهطاوى
(١١) المصدر السابق
(١٢) المصدر السابق

قوله تعالى (ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون) ... » (١٣) .

رفاعة الطهطاوى مؤسس الفكر الليبرالى فى مصر

وان كانت **القومية المصرية** احدى دعامات الفكر السياسى للطهطاوى فان الدعامة الثانية كانت **الديموقراطية الليبرالية** . ففى كل كتاباته نجده يقوم بشرح مبادىء الديموقراطية الليبرالية ، محبذا اياها وداعيا الى الاخذ بها . هذه المبادىء تتلخص فى الديموقراطية النيابية ، وحرية الفكر والتعبير ، وعلمانية النظام السياسى والقوانين . ففى كتاب **(تخليص الابريز)** نجده يترجم نصوص الدستور الفرنسى ويشرحها ويعلق عليها . فمثلا يعلق على المادة الاولى بقوله : **« ثم ان هذه الشرطة (١٤) قد حصل فيها تغيير وتبديل منذ الفتنة الاخيرة الحاصلة فى سنة احدى وثلاثين وثمانمائة والف ، بتاريخ الميلاد ، فراجعها فى باب قيامة الفرنساوية وطلبهم الحرية والمساواة انتهى . فاذا تاملت رايت اغلب ما فى هذه الشرطة نفيسا ، وعلى كل حال فامره نافذ عند الفرنساوية ، ولنذكر هنا بعض ملاحظات فنقول : قوله فى المادة الاولى : سائر الفرنسيس مستوون قدام الشريعة ، معناه سائر من يوجد فى بلاد فرنسا من رفيع ووضيع لا يختلفون فى اجراء الاحكام المذكورة فى القانون حتى ان الدعوى الشرعية تقام على الملك وينفذ عليه الحكم كغيره . فانظر الى هذه المادة الاولى فان لها تسلط عظيم على اقامة العدل واسعاف المظلوم وارضاء خاطر الفقير بانه كالعظيم نظرا الى اجراء الاحكام . ولقد كادت هذه القضية ان تكون من جوامع الكلم عند الفرنساوية ، وهى من الادلة الواضحة على وصول العدل عندهم الى درجة عالية وتقدمهم فى الاداب الحضرية . ومايسمونه الحرية ويرغبون فيه هو عين ما يطلق عليه عندنا العدل والانصاف ، وذلك لان معنى الحكم بالحرية هو اقامة التساوى فى الاحكام والقوانين ، بحيث لا يجور الحاكم على انسان ، بل القوانين هى المحكمة والمعتبرة .. »** . ويشرح بقية مواد الدستور فيقول : **« واما المادة التاسعة فانها عين العدل والانصاف ، وهى واجبة لضبط جور الاقوياء على الضعاف ، وتعقيبها بما فى العاشرة من باب اللياقة الظاهرة ، وفى المادة الخامسة عشر نكتة لطيفة وهى ان تدبير أمر المعاملات لثلاثة مراتب ، المرتبة الاولى : الملك ومعوزرائه ، والثانية : مرتبة البيريه (١٥) المحامية للملك ، والثالثة : مرتبة رسل العمالات (١٦) الذين هم وكلاء الرعية والمحامون عنهم حتى لا تظلم من احد ، وحيثما كانت رسل العمالات قائمة مقام الرعية ، ومتكلمة على لسانها ، كانت الرعية كأنها حاكمة نفسها . وعلى كل حال فهى مانعة للظلم عن نفسها بنفسها ، وهى آمنة منه بالكلية ولا يخفى عليك حكمة باقى المواد »** . ثم يبين الطهطاوى ان القوانين الفرنسية مبنية على أسس وضعية فيقول : **« ثم انه يطول علينا ذكر الاحكام الشرعية او القانونية المنصوبة عند الفرنساوية ، فلنقل : ان أحكامهم القانونية ليست مستنبطة من الكتب السماوية ، وانما هى مأخوذة من قوانين اخر غالبها سياسى ، وهى مخالفة بالكلية للشرائع وليست قارة الفروع ، ويقال لها : « الحقوق الفرنساوية » اى حقوق الفرنساوية بعضهم على بعض ، وذلك ان الحقوق عند الافرنج مختلفة »** . ويقول ايضا عن وضعية الدستور : **« والكتاب المذكور الذى فيه هذا القانون يسمى الشرطة ومعناها فى اللغة اللاطينية ورقة ثم تسومح فيها ، فاطلقت على السجل المكتوب فيه الاحكام المقيدة ، فلنذكره لك ، وان كان غالب ما فيه ليس من كتاب الله تعالى ، ولا فى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، لتعرف كيف قد حكمت عقولهم بان العدل والانصاف من اسباب تعمير الممالك وراحة العباد ، وكيف انقادت الحكام والرعايا لذلك ، حتى عمرت بلادهم ، وكثرت معارفهم ، وتراكم غناهم ، وارتاحت قلوبهم ، فلا تسمع فيهم من يشكو ظلما ابدا ، والعدل اساس العمران »** .

ثم يذكر الطهطاوى التعديلات التى ادخلت على الدستور « الشرطة » نتيجة لثورة ١٨٣٠ . ويشرح اسباب هذه الثورة فيقول : **« قد سبق لنا من القوانين السالفة فى الكلام على حقوق الفرنساوية فى المادة الثامنة انه لا يمنع انسان فى فرنسا من ان يظهر رأيه ويكتبه ويطبعه ، بشرط ان لا يضر ما فى القوانين ، فان اضر به أزيل . فلما كانت سنة ١٨٣٠ ، واذا بالملك قد أظهر عدة أوامر ، منها : النهى عن أن يظهر الانسان رأيه ، وان يكتبه او يطبعه بشروط معينة ، خصوصا للكازيطات اليومية ، فانه لابد فى طبعها ان يطلع عليها احدا من طرف الدولة ، فلا يظهر منها الا ما يريد اظهاره ، ومع ان ذلك ليس حق الملك وحده فكان لايمكن عمله الا بقانون ، والقانون لا يصنع الا باجتماع آراء ثلاثة : رأى الملك ورأى**

(١٣) المصدر السابق
(١٤) الشرطة ترجمة لكلمة la Charte ومعناها الميثاق او الدستور
(١٥) البيريه ترجمة لكلمة les Paires وهم الاعيان فى مجلس الاعيان او الشيوخ
(١٦) رسل العمالات يقصد بهم الطهطاوى النواب .

اهلُ ديوانى المشورة ، يعنى ديوانَ البير وديوانَ رسل العمالات ، فصنع وحده ما لا ينفذ الا اذا كان صنعه مع غيره ، وغير ايضا فى هذه الاوامر شيئا فى مجمع اختيار رسل العمالات ، يعنى فى الذين يختارون رسل العمالات ليبعثوها فى باريس ، وفتح ديوان العمالات قبل ان يجتمع مع انه كان حقه الا يفتحه الا بعد اجتماعهم كما فعله فى المرة السابقة ، وهذا كله على خلاف القوانين . ثم ان الملك لما اظهر هذه الاوامر كانه احس فى نفسه بحصول مخالفة ، فأعطى المناصب العسكرية لعدة رؤساء مشهورين بانهم اعداء للحرية ، التى هى مقصد رعية الفرنساوية ، وقد ظهرت هذه الاوامر بغتة حتى ظهر ان الفرنساوية كانوا غير مستعدين لها ، وبمجرد حصول هذه الاوامر قال غالب العارفين بالسياسات : انه يحصل فى المدينة محنة عظيمة يترتب عليها ما يترتب ..

وقامت انفس الناس على ملكهم ، لاعتقادهم انه امر بالقتال فما مررت بهذا الوقت بحارة الا وسمعت فيها : السلاح ! السلاح ! ادام الله الشرطة « يقصد الطهطاوى الدستور » ، وقطع دابر الملك ! فمن هذا الوقت كثر سفك الدماء وأخذت الرعية الاسلحة من السيوفيه بشراء او غصب .. » فالطهطاوى هنا يبين ان السبب المباشر للثورة على الملك كان محاولته القضاء على الحريات السياسية المنصوص عليها فى الدستور ، واعتداءه على السلطة التشريعية وتآمره مع العناصر العسكرية الرجعية لارجاع الحكم المطلق . ثم يشرح الطهطاوى كيف اعتلى لوى فيليب دوق اورليان العرش فيقول : « **وان يقبل الملكة ويرضى بالشروط ، وبصيغة المبايعة التى يعينها له أهل المشورة ، وان يلقب بملك الفرنساوية ، لا بملك فرنسا ، والفرق بينهما ان ملك الفرنساوية معناه كبير على نفس الاشخاص بجعلهم له ملكا بخلاف ملك فرنسا فان معناه ان ارض فرنسا مادامت باقية فهو سيدها وملكها ، ولا منازع له من اهل البلاد فيها . وسبب ذلك ان الملوك السالفين كانوا يلقبون ملك فرنسا ، وكان اذا كتب الواحد منهم يقول ما صورته : « انا فلان بفضل الله تعالى ملك فرنسا ونوار (١٧) ، على كلِّ من يرى هذه الاوامر الحاضرة سلام ، قد أمرنا بما سيأتى هنا » .**

واما ملكُ الفرنساوية فانه يقولُ فى كتابته :

« **انا فلان ملك الفرنساوية منى السلام على من حضر فى الحال والاستقبال ، قد امرنا ونامر» ففرق بين عبارة الاول والثانى ، فان الاول جعل نفسه ملك مجموع فرنسا ونوار بانعام الله سبحانه وتعالى عليه ، والثانى جعل نفسه ملك الفرنسيس ، ولم يقل بفضل الله ، ولقد تحاشى عن ان يقول ذلك لارضاء الفرنساوية ، فانهم يقولون ان ملك الفرنسيس بارادة ملته ، وتمليكهم له ، لا ان هذه خصوصية خص الله سبحانه وتعالى بها عائلته ، من غير ان يكون لرعيته مدخلية . فظهر من هذا قوله بفضل الله» معناه عندهم باستحقاقه لذلك بولادته ونسبه ، كما ان قوله ملك فرنسا معناه صاحب الارض والسلطنة عليها ؟ .**

هذا هو شرح الطهطاوى لنظرية الحق الالهى للملوك ونظرية الامة مصدر السلطات .

كما يشرح الديموقراطية البرلمانية فيقول : « **فمنهم الملكية يجلسون من الجهة اليمنى والحريون فى الجهة اليسرى والتابعون لاراء الوزراء فى الجهة الوسطى وكل منهم يقول رأيه من غير معارض له ، لان العبرة بكثرة الاصوات ولا زال هذا الامر معمولا به الى الان » .**

ثم يشرح التيارات السياسية فى فرنسا فى ذاكَ الوقت فيقول : « **اعلم ان هذه الطائفة متفرقة فى الرأى فرقتين أصليتين ، وهما : الملكية والحرية، والمراد بالملكية اتباع الملك القائلون بانه ينبغى تسليم الامر لولى الامر ، من غير ان يعارض فيه من طرف الرعية بشىء . والأخرى تميل الى الحرية ، بمعنى انهم يقولون : لا ينبغى النظر الا الى القوانين فقط ، والملك انما هو منفذ للاحكام على طبق ما فى القوانين ، فكأنه عبارة عن آله . ولا شك ان الرأيين متباينان ، فلذلك كان لا اتحاد**

(١٧) نوار هى اقليم نافار

بين أهل فرنسا ، لفقد الاتفاق في الرأي . والملكية أكثرهم من القسوس واتباعهم ، واكثر الحريين من الفلاسفة والعلماء والحكماء واغلب الرعية . فالفرقة الاولى تحاول اعانة الملك ، والاخــرى ضعفه واعانة الرعية . ومن الفرقة الثانية طائفة عظيمة تريد ان يكون الحكم بالكلية للرعيـــة ولا حاجة للملك اصلا . ولكن لما كانت الرعيـــة لا تصلح ان تكون حاكمة ومحكومة ، وجب ان توكل عنها من تختاره منها للحكم ، وهذا هو حكم الجمهورية ... فعلم من هذا أن بعض الفرنساوية يريد الملكة المطلقة ، وبعضهم يريد الملكة المقيدة بالعمـل بمـا في القـــوانين ، وبعضهم يريد الجمهورية ... »

هذا هو الفكر السياسي لرفاعة الطهطاوي ، وهو في محتواه الطبقي ودلالاته الاجتماعية يمثل فكر البرجوازية الليبراليـة الثـورية في مرحلة صعودها ونضالها ضد الاقطاع .

وكان هــذا الفكر — وان كان تعبيـرا عـــن البورجوازية المصرية الوليدة — الا انه كان في ذاك الوقت فكرا «وافدا» اكثر منه تعبيرا عـــن الاوضاع الداخلية الخاصة بالمجتمع المصري آنذاك ، ومن هذه الزاوية يعتبر الطهطاوي سابقا على عصره .

فقــد كان من العــوامل التي اثرت في تفكير الطهطاوي ، التجربة التي عاشها في المجتمـع البرجوازي الفرنسي وما رآه من احــداث ثورة سنة ١٨٣٠ ، وقيام الحركات القومية الاوروبيـة في القرن التاسع عشر ، تلك الحركات التي غيرت الخريطة السياسية للقارة الاوروبية وكونت الامم والقوميات الاوربية كما نعرفها اليوم . كمـــا اثر في تفكيره دراسته لكتابات فلاسفة عصر التنوير امثال **«فولتير»** و **«روسو»** و **«منتسكيو»** الذين مهدوا للثورة الفرنسية البورجوازية الكبرى سنة ١٧٨٩ . ويعتبر الطهطاوي مؤسس التيار الغربي في الفكر المصري ، وهو التيار الذي يدعو الى الاخذ بأسباب ومقومات الحضارة الاوربية ، ومن اعلامه الكبار **« احمــد لطفي السيد »** و **« طه حسين »** وآخرون . كما انه مؤسس تيار القومية المصرية الذي يمثله اوضح تمثيل لطفي السيد . هذا التيار كان في بدايته ايام الطهطاوي ، مظهرا للتناقض بين المجتمع المصري الذي تكون في بداية القرن التاسع عشر واخذ يتشكل بخصائص تميزه عن بقية اقطار الامبراطورية العثمانيـــة ، وبين روابط السلطنة العثمانية وما تولد عنها من فكرة الرابطة الاسلامية . وكان تيار القومية المصرية تيارا تقدميا في ذاك الوقت ، اذ انه كان يهدف الى استقلال مصر وفصلها عن السلطنة العثمانية ، كما كان يهدف الى تصفية العلاقات الاقطاعيـــة وبقايا النظام المملوكي . وقد تطور هذا التيـــار القومي بعد الطهطاوي واشتد حتى تبلور في شعار **« مصر للمصريين »** الذي رفعته الثورة العرابية .

البورجوازية تقود الحركة الوطنية

بدأت الثورة العرابية في اول الامــر حــركة عسكرية قام بها بعض الضباط المصريين ، غرضها مساواة المصريين بالاتراك والشركس في المناصب العليا بالجيش ، ثم تحولت الى ثورة قومية تشمل المصريين جميعا شعارها « مصر للمصريين » . وكانت البورجوازية المصرية الناشئة تقف خلف الثورة العرابية تساندها وتؤيدها ، اذ انها بعد ان استكملت اسباب نموها بحصولها على حق الملكية الفردية في آخر عصر اسماعيل اخــذت تسعى الى المشاركة في حكم البلاد . وبعد فشل الثورة العرابية واحتلال الانجليز لمصر سـنة ١٨٨٢ ازدادت البورجوازية قوة وبخاصة القطاع الزراعي منها فقد عمل **« كرومر »** على العنـــاية بالزراعة عناية كبيرة وذلك لتحـويل مصر الى مزرعة تتخصص في انتاج القطن لخدمة صناعة النسيج البريطانية . وقد ادت هذه السياســـة الى ازدياد قوة البورجوازية الزراعية وتطلعهـــا الى تولي مقاليد الامور بالمشــاركة مع السلطة المحتلة .

وفي هذه الفترة من سنة ١٨٨٢ الى ســـنة ١٩١٩ كانت البورجـــوازية المصرية تنقسم الى جناحين ، البورجوازية الزراعية وهي الجنـــاح المعتدل من البورجوازية ، والبرجوازية الصغيرة في المدن التي تتكون من الطلبة والموظفين والتجار ، وكانت الجناح الاكثر ثورية .

وكان يمثل جنـــاح البورجوازية الزراعيـــة المعتدلة **« حزب الامة »** وكان يســـميهم كرومـــر **« الجيروند »** في الحركة الوطنية نسبة للجنـــاح المعتدل في الثورة الفرنسية ، ويمثـــل جنــــاح البورجوازية الصغيرة الثورية في المدن الحـــزب الوطني . وقد قام **« الحزب الوطني »** مستندا اول امره الى العرش ، كما نشأ حزب الامـــة على صلة بوجود الانجليز . وقد ورث حزب الامة من الحركة الوطنية التي سبقت الاحتلال مجافاتها

الخديو ونزعتها الاصلاحية . وكان يتكون فعلا من ابناء الملاك الزراعيين الذين اشتركوا في الحركة العرابية ، وبعض المفكرين المجددين ، ويتجه الى معالجة مشاكل البلاد الاجتماعية بحكم صلة رجاله بمصالح البلاد المادية وهي مصالح كان تنظيمها لا يتعارض وقتئذ وسياسة الانجليز. بينما كان نشاط الحزب الوطني يتجه في الغالب الى الدعاية الوطنية واستمالة الرأى العام الدولي بحكم صلته بسياسة الخديو وفرنسا وقرب عهد البلاد بالاحتلال . وقد أدى انقلاب السياسة الانجليزية بعد عزل كرومر ، من مناوأة السلطة الشرعيــة الى مصافاتها الى حرمان الحزب الوطني وحزب الامة من امكانيات الدعاية الخارجية التي كانا يعتمدان عليها وتركهما لقواهما الخاصة ، فمـال الحزب الوطني الى انتقاد الخديو ، واتجه حزب الامة الى مهاجمة السلطة المحتلة واشترك الاثنان في المطالبة بالحياة النيابية حتى خفت صوت الحزب الوطني بعد وفاة الرجلين اللذين قام على اكتافهما (**مصطفى كامل — محمد فريد**) ، وتحول حزب الامة الى حزب الوفد ، عقب الحـرب العالميــة الاولى ، وسلم قيـاده **لسعد زغلول** . وبسعد زغلول اصبحت الحركة الوطنية حركة مستقلة تستمد قواها من ذات نفسها ، وتتقعـــد مكان الصدارة من الحياة السياسية المصرية ».

القومية المصرية ضد الجامعة الاسلامية

هذه الفترة كانت تتميز بصراع حاد بين تيارين فكريين ، تيار القوميـة المصرية ويمثله اصـدق تمثيل **احمد لطفي السيد** ، وتيار الامة الاسلامية ويمثله الشيخ **رشيد رضا** ، وقـد وقع حـادثان سياسيان بينا بوضوح موقف كلا التيــارين من العلاقــة بين مصر والدولة العثمانيــة ودلالاته السياسية .

الحادث الاول وقع في عام ١٩٠٦ ، عنـدما احتلت تركيا قرية « طابا » الواقعة على خليج العقبة بالقرب من بلدة العقبة نفسها . وادعت تركيا ان طابا من املاكها ، وقال الانجليز انهـا في ارض مصر ، وان مـركزهم في مصر يجعلهم يدافعون عن حقوقها ، حتى قبل الدولة العثمانية ، صاحبة السيادة الاسمية عليها . وأدى هــذا الحادث الى ازمة سياسية بين تركيا وانجلترا ، انتهت بتراجع تركيا وانسحاب قواتها من طابا . وقد وقفت جريدتا **المؤيد واللواء** بجانب تركيا ، وقررتا ان مصر لا تمانع في ان تكون طابا تركية .

اما **لطفي السيد** فقد فكر على اثر هذا الحادث — كما يقول — في انشاء جـريدة مصرية حـرة تنطق بلسان مصر وحدها دون ان يكون لهـــا ميل خاص الى تركيا او احدى السلطتين الشرعية والفعلية في البلاد (١٨) .

اما الحادث الثاني فقد وقع عام ١٩١١ عندما غزت ايطاليا برقة وطرابلس الغرب ، وكانتـــا يومئذ ولايتين عثمانيتين ، ونشبت الحـرب بين ايطاليا وتركيا . وقامت في مصر حركة لجمـــع التبرعات لتركيا ، اعانة لها على نفقات الحرب ، تشجع لورد كتشنر هذه الحركة وشارك بالتبرع . كما قام الامراء بالتنقل على رأس الوفود بالاقاليم لهذا الغرض . ولقيت الدعوة لمعـــاونة دولة الخلافة يومئذ اذانا صاغية من الجميع . والناس ينظرون الى موقف انجلترا دهشين كيف تشـجع دولة اسلامية على دولة مسيحية ! وبينما كان الناس في الفترة الاولى من هذا الاندفاع القوى لمعاونة دولة الخلافة ، اذا بلطفي السيد يطالعهم في الجريدة بثلاث مقالات في ثلاثة ايام متعاقبــة عنوانها جميعا : « **سياسة المنافع لا سياسـة العواطف** » ، يدعو فيهــا المصريين الى التزام الحياد المطلق في هذه الحرب الايطالية التركية ، والى الضن بأموالهم ان تبعثر في سبيل قل ماتفيد بلادهم منه ، ويذكرهم بأن من الخير ان يبذلوا هذه الاموال لخير مصر ولانشاء المرافق المصرية النافعة لابناء الوطن . وقد اثارت هذه المقــالات الثلاث على لطفي السيد عاصفة هوجاء ، اتهمه بعضهم بمناوأة دولة الخلافة الاسلامية ، واتهمه آخرون بالالحاد ، وحملت عليــه الصحف على اختلاف الوانها حملة شعواء ، مما اضطر لطفي السيد الى الانسحاب ، وترك الجريدة يتـولى امرها غيره من محرريها .

لطفي السيد مفكر البرجوازية الليبرالية المصرية

واذا كان رفاعة الطهطاوى يعتبر الرائد الاول لتيار القومية المصرية ، فان لطفي السيد هــو المفكر الذى وضع نظرية متـكاملة عن الامـــة المصرية ، وقام بالدعوة الى القومية المصرية مبينا مضمونها وعوامل تكوينها والقاعدة المبنية عليها . فعلى يديه نضجت فكرة القومية المصرية بعـــد ان كانت عند الطهطاوى مجرد عاطفة وطنيـــة نحو مصر وتاريخها وشعبها .

وقد كان لطفي السيد يمثل البورجــوازية

(١٨) احمد لطفي السيد : قصة حياتي .

الليبرالية المصرية واهدافها ومصالحها وسعيها الى الحلول مكان الطبقة الحاكمة وقتئذ المكونة من عناصر اقطاعية تركية وشركسية ، وكانت مقالاته فى ((الجريدة)) تعبر عن ذلك اصدق تعبير ، ويعتبر الفكر السياسى للطفى السيد امتدادا لفكر الطهطاوى فهو يتميز بالخصائص ذاتها التى ميزت فكر الطهطاوى :

((**الايمان بالقومية المصرية ، والديموقراطية الليبرالية ، والدعوة الى نقل مقومات الحضارة الاوروبية**)) غير ان التيار القومى الليبرالى فى زمن لطفى السيد لم يعد تيارا فكريا فحسب ، بل اصبح علاوة على ذلك تيارا سياسيا يسيطر على الحركة الوطنية . وكانت ((**الجريدة**)) لسان حال حزب الامة منبرا لاراء لطفى السيد الذى كان مديرها ورئيس تحريرها لمدة سبع سنوات من مارس سنة ١٩٠٧ الى سبتمبر سنة ١٩١٤ .

أمة متميزة بمشخصاتها

يقول لطفى السيد فى معرض تعريفه للامة المصرية وعوامل تكوينها : ((**لا شبه عند احد منا فى معنى كوننا امة متميزة عما عداها بمشخصات خاصة بنا ، قد لا يشركنا فيها غيرنا من جميع الامم . لنا لون خاص وميول خاصة ولغة واحدة شاملة . ودين للاكثرية واحد وكيفيات فى تادية اعمالنا ودم يكاد يكون واحدا يجرى فى عروقنا ، ووطننا محدود الجهات بحدود طبيعية تكاد تجعلنا فى معزل عمن عدانا . لنا تاريخ قديم طويل ذو مراتب واقدار اتصلت سلاسله بحلقات متينة ، فاصبحت سلسلة واحدة اولها قبل التاريخ وآخرها هذه الحلقة التى نقطعها ، دائرتها فى عصرنا هذا وفى سنتنا هذه ، فنحن بذلك فراعنة مصر ونحن عرب مصر ونحن مماليك مصر واتراكها ، ونحن المصريون . فما نحن تحت حكم العائلة الخديوية ، الا نحن بانفسنا تحت حكم العائلة الاولى الفرعونية او تحت حكم من قبلها ايضا بشىء من التطور الزمنى قضى به التغيير العالمى المستمر ، حافظين لكثير مما ورثناه من آبائنا الاقربين والابعدين . كل هذه المشخصات القومية المادية والمعنوية الوراثية والكسبية من شأنها ان تجعل بيننا رابطة الجنسية اقوى منها فى اكثر الامم . وانها لكذلك لولا ما يراه النذر اليسير من حب الانتساب الى العرب دون الفراعنة او الفراعنة دون العرب او الترك دون الشركس او الشركس دون العرب من غير ان يعرفوا ان العوامل الموضعية ، عوامل الاقليم والقرابة والنسب والاشتراك فى المنافع ، قد اخرجت من اهل مصر عجينة واحدة هى ام هؤلاء المصريين على السواء الابيض منهم والقمحى والاشقر والاسمر . كل اولئك ابناء مصر سعادتها لهم وشقاؤها على رؤوسهم . منافعها الى جيوبهم ، وهمومها على مناكبهم لانهم جميعا هم المصريون**)) (١٩) . ويحدد العناصر التى تتكون منها الامة المصرية ، مبينا ان الرابطة التى تربط بين هذه العناصر هى رابطة المصلحة المشتركة ، فيقول : ((**تتألف الجمعية المصرية من المصريين الاصليين ومن عناصر اخرى جديدة من الاجانب حلوا مصر على سبيل القرار ، وجعلوها موضع سعيهم . فصارت بعد قليل محل ثروتهم وموطن حياتهم فى الحال والاستقبال . فاصبحوا بذلك مصريين ، يرون من الواجب عليهم الا يكونوا اقل غيرة على مصر من بنيها الاصليين . فيها املاكهم ومنابع ثروتهم ، ومقابر آبائهم او ابنائهم ومتعلق رجائهم فى المستقبل ، لا يسهل على احدهم ان يتركها نهائيا من يوم الى آخر ، بل لا يسهل عليه ان يفهم له وطنا حقيقيا غيرها ... ليس الوطن مقولا على ارض محدودة مجردة فى الذهن عن كتلة من السكان متجانسة متشابهة افرادها فى كثير من الشخصيات . ولكن الوطن مقول على الارض المحدودة مقترنة فى الذهن وفى الخارج ، بكتلة السكان القائمين عليها على سبيل القرار ، المشتركين فى المنافع المتضامنين فى السراء والضراء ، الشاعرين بهذا التضامن**)) (٢٠) .

ثم يهاجم لطفى السيد فكرة الجامعة الاسلامية مبينا انها ذريعة لسيطرة امة على بقية الامم تحت ستار الدين ، وهو بهذا يشير الى ان فكرة الجامعة الاسلامية تخدم السيطرة العثمانية على البلاد الخاضعة لها ، ويضع مقابل لهما فكرة القوميات المستقلة ، فيقول :

((**كان من السلف من يقول بان ارض الاسلام وطن لكل المسلمين . وتلك قاعدة استعمارية ينفع التحدى بها كل أمة مستعمرة تطمع فى توسيع املاكها ونشر نفوذها كل يوم فيما حواليها من البلاد . تلك قاعدة تتمشى بغاية السهولة مع العنصر القوى الذى يفتح البلاد باسم الدين ، ويحب ان يكون افراده كاسبين جميع الحقوق الوطنية فى اى قطر من الاقطار المفتوحة ليصل بذلك الى توحيد العناصر المختلفة فى البلاد المختلفة حتى لا تنقض امة من الامم المفتوحة عهدها ولا تتبرم بالسلطة العليا ولا تتطلع الى الاستقلال**

---

(١٩) الجريدة فى ٢ يناير سنة ١٩١٢

(٢٠) الجريدة فى ٥ اكتوبر سنة ١٩٠٩

بسيادتها على نفسها . اما الان وقد اصبحت اقطار الشرق غرضا لاستعمار الغرب . وانقطع امل هذه الامم الشرقية فى الاستعمار ووقفت أطماعهم عند حد المدافعة لا المهاجمة ، والاحتفاظ بسلامة كل امة فى بلادها من ان تمحى جنسيتها ويفنى وجودها . فان اكبر مطمع لكل أمة شرقية هو الاستقلال . أما الان والحال كذلك فقد اصبحت هذه القاعدة لا حق لها فى البقاء لانها لا تتمشى مع الحالة الراهنة للامم الاسلامية وأطماعها . فلم يبق الا ان يحل محل هذه القاعدة المذهب الوحيد المتفق مع اطماع كل أمة شرقية لها وطن محدود .وذلك المذهب هو مذهب الوطنية » (٢١) .

المنفعة وانماء الجنسية المصرية

ويعتبر لطفى السيد المحاولات التى ترمى الى اقامة الجامعة الاسلامية محاولات مصيرها الفشل ، لان الدين لا يصلح اساسا لاقامة الدول ، ويضع مقابل ذلك المبدأ العلمانى وهو ان المصالح او على حد تعبيره « المنافع » هى التى تصلح لذلك فيقول : « .. اما كون الجامعة الاسلامية موجودة وجودا حقيقيا او انها مقصد من المقاصد التى يسعى المسلمون لتحقيقها فهذا لا دليل عليه مطلقا ، كما انه لو حوول ايجادها لاستحال ذلك بالمرة على طلابها . علمنا التاريخ وطبائع البشر انه لا شىء يجمع بين الناس الا المنافع فاذا تناقضت المنافع بين قلبين استحال عليهما ان يجتمعا لمجرد قرابة فى الجنسية او وحدة فى الدين . وان ابلغ مثال لذلك هو انشقاق المسلمين على انفسهم فى خلافة امير المؤمنين على بن ابى طالب مما هو مشهور ومأثور » (٢٢) .

ويقول ايضا فى معرض الهجوم على الجامعة الاسلامية والاتحاد العربى حيث كان يشيع الخلط بينهما وقتذاك : «لدينا كل وسائل العمل لمصلحتنا ، فلا يعوزنا الذكاء ولا الوطنية ولا الاستعداد ولكن يعوزنا شيوع الاعتقاد بان مصر لا يمكنها ان تتقدم اذ كانت تجبن عن الاخذ بمنفعتها وتتواكل فى ذلك على أوهام وخيالات يسميها بعضهم الاتحاد العربى ويسميها آخرون الجامعة الاسلامية . فقد اعذرنا العقل وابان لنا ان مصر لا تنجو من خطر التأخر والفوضى الا بقواها الذاتية واعذرتنا الحوادث اذ انذرتنا بأن الاتكال على غير المصريين فى تحقيق آمال المصريين ضرب من اللعب بالمصالح وحال من احوال العجز والقنوط » (٢٣) .

ويدعو لطفى السيد المصريين الى التمسك بقوميتهم ، ويتبين بوضوح مدى تأثره بفكرة روسو عن العقد الاجتماعى اذ يقول : « كذلك نحن المصريين نحب بلادنا ولا نقبل مطلقا ان ننتسب الى وطن غير مصر ، مهما كانت أصولنا حجازية او بربرية او تركية او شركسية او سورية أو رومية . أقمنا فى مصر وطنا لنا وعقدنا معها عقد صدق ترزقنا من خيرها ونقوم على مصالحها ونفدى شرفها بأرواحنا . فما النذر اليسير الذى لا يزال يحب الانتساب الى قوم غير المصريين او الى وطن غير مصر الا ناكث عهده ومتاجر بشرفه . اذ من القواعد الاولية للعيشة الانسانية ان (الغرم بالغنم) فالذى يعيش فى مصر يجب ان يدفع ثمن هذه العيشة الراضية محبة لها وضنا عليها ، وأقل أقدار المحبة عدم عقوقها والانتساب الى غيرها ... اليس اقرار المصرى بانتسابه الى العربية او التركية ، لا يدل الا على انه يحتقر وطنه وقومه وما الذى يحتقر قومه الا محتقر لنفسه ... قوميتنا اولها ان نكرم انفسنا ونكرم وطننا فلا ننتسب الى وطن غيره ونخصه وحده بكل خيرنا وكل منافعنا ونحيطه وحده بكل غيرتنا ، فما هو اصغر من يصبح من أعلى الممالك ولا اجدب من ان يصير من أغنى البقاع ، فالذى يفرط فى شرف مصر ويقول فى المجالس انه منتسب الى غيرها يؤخر بمقدار مركزه فى الجمعية المصرية سير التقدم المصرى المطلوب ويكون بذلك جانيا على بلاده جانيا على نفسه . وانه ليسرنا ان هذا الفهم قد اصبح عاما فى الامة بعد ان اعتقد الناس ان رقى مصر لا يجيئها من الخارج بل هو نتيجة عمل ابنائها وان الاتكال على غير المصريين فى حل المسألة المصرية لمصلحة مصر ضرب من العبث .. واخذ الجيل الحاضر يفضل البضاعة المصرية على غيرها بقدر الامكان ويرغب فى تمصير المدنية الاوروبية على قدر الامكان . ويؤثر منفعة المصريين جهد المستطاع . كل ذلك يبشر بان القومية المصرية ستتأثر فى عهد قريب بقلوب المصريين ، ولايكون منهم الا من يرى من الشرف العظيم الانتساب الى هذا الوطن المحبوب » (٢٤) .

ويقول فى ذلك ايضا : « فلو رجع كثير منا الى انفسهم ونظروا فى اعماق ضمائرهم وراجعوا ما يقولون فى مجالسهم وتدبروا اعمالهم ،

---

(٢١) الجريدة فى ١٦ يناير سنة ١٩١٣
(٢٢) الجريدة فى ٧ مايو سنة ١٩٠٧
(٢٣) الجريدة فى ٢ مارس سنة ١٩١٢
(٢٤) الجريدة فى ٦ يناير سنة ١٩١٣

لراوا ان بعضنا لا يزال يحب الانتساب الى بلاد العرب او الى سوريا او الى تركيا دون مصر وهذا الميل يبين فى القول ويتجسم فى العمل . فمنذا الذى يستطيع من غير تسامح ان يسمى من يحبون غير مصر مصريين ؟ مصريتنا تقضى علينا ان يكون وطننا هو قبلتنا لا نوجه وجهنا شطر غيره . ويسرنا ان هذه الحقيقة شائعة فى الاكثرية المصرية . لان هذا الشيوع سيوشك ان يعم جميع المصريين من غير استثناء » (٢٥) .

ولطفى السيد يرى ان الامة تقوم على قاعدة المنفعة . وان المنفعة اساس جميع الظواهر الاجتماعية والسياسية ، وهى الباعث الذى يكمن خلف جميع التصرفات والاعمال . وهو فى هذا يعتنق النظرية السياسية الليبيرالية التى تقوم عند « بنتام » و « جون ستيوارت مل » على مبدأ المنفعة . يقول : « ولكن البحث فى الجامعة المصرية لا يكون مفيدا الا اذا كان قاصرا على تقدير المنافع التى ينالها مجموع الامة من امتزاج عناصر الاقلية بعناصر الاكثرية . الا ان المنفعة هى قاعدة كل عمل من الاعمال الهامة ، ولا يجوز لنا ان نقدر الاعتبارات التى تناقض المنفعة او تؤجل تحقيقها الى حين ، الا صغائر لا يقام لها وزن بجانب ما تصبو اليه كل امة من الوحدة القومية ، والتضامن بين الافراد والمجاميع»(٢٦).

ويبين المنافع التى تعود بالتمسك بالجنسية المصرية فيقول : « لذلك نقرر بان الذى يريد ان يطمئن فى داره فليعمل لنماء روابط الجنسية المصرية . والذى يريد ان ينجح فى الاعمال الحرة فليعمل لنماء الجنسية المصرية . والذى يريد ان يكون من الموظفين مسموعى الكلمة فليعمل لنماء الجنسية المصرية . والذى يريد استقلال مصر فليعمل لنماء الجنسية المصرية » (٢٧) .

مذهب « الحريين »

الخاصية الثانية لفكر لطفى السيد السياسى هى الليبيرالية التى تقوم على مبدأ الحرية الفردية . يقول فى معرض شرحه للنظرية الليبيرالية ويسميها مذهب الحريين : « اما مذهب (الحريين) او (الفرديين) فانه يعتبر الحكومة ضرورة من الضرورات . يعتبرها كذلك ايا كان شكلها ارستوقراطية (حكومة الاشراف) او ديموقراطية (حكومة الشعب) او حكومة فرد . ولهذا الاعتبار ينبغى ان يكون عمل الحكومة داخل دائرة محدودة بحدود الضرورة .

فلا يكون على الحكومة الا واجبات ثلاث : البوليس واقامة العدل وحماية البلاد . وكل مايخرج عن هذه الدائرة لايحل المداخلة فيه . ويعجبنا قول احد كتاب الانجليز فى هذا الصدد ان الحكومة لم تدخل فى عمل خارج عن هذه الدائرة الا اثبتت عدم كفاءتها له . مذهب معقول لان الانسان خلق حرا حرية غير محدودة ، فلا يكون حدها بضرر الغير الا ضرورة من ضرورات الجمعية » . ثم يضيف محبذا الاخذ بهذا المذهب « يبين مما نقول اننا نفضل مذهب (الحريين) او (الفرديين) على مذهب (الجماعيين) الذين يضحون الفرد ومصلحته للمجموع من غير قيد ولا شرط ويعتبرون الفرد ليس له وجود ولا راحة وسعادة،الا بوصفه كونه جزءا من المجموع،يغفلون ذلك وينكرون المحسوس » .

ثم يستطرد قائلا : « والواقع ان لكلا المذهبين منافع ومضارا ولكن مذهب الفرديين انفع فى بلادنا فى الظروف الحاضرة من كل ماعداه . ولكننا مع ذلك لانرى تطبيق هذا المذهب على اطلاقه . فانه لايزل فى حال الامة مايدعو الى ان تهتم الحكومة بالمداخلة فى بعض الامور غير الداخلية فى واجباتها الثلاث المتقدمة مداخلة حث وارشاد لامداخلة حكم واكراه . فان المداخلة من هذا النوع قد تبررها ايضا ضرورة علاج الامة من الخمول الماضى العميق » .

ويقارن لطفى السيد بين الليبيرالية والاشتراكية ويسميها مذهب (الجماعيين) ويذكر انها لاتصلح لمصر فى ذلك الوقت . يقول : « فاذا كان هذا المذهب مفيدا عند بعض الكتاب الاشتراكيين لبعض الامم ، فانه غير مفيد لنا . لان من البلاد ماتمتع الفرد بحرية العمل فى حدود واسعة ، فقويت ملكاته الى حد اخل الموازنة بينه وبين من دونه فى الصفات حتى خيف على حياة الجماهير وسعادتهم من تسلط الافراد القادرين ، فاراد الاشتراكيون ان يسووا بين الناس فيما يمكن التسوية فيه وهى الثروة ، وقسمة الثروة بينهم على مذهب (القسميين) او ان يعيشوا متساوين على الشيوع كما هو مذهب (الركيين) .. الخ . ولا طريق لتنفيذ هذه المذاهب الا ان تكون الحكومة (حكومة الشعب) هى كل شىء وارادة الفرد وحريته لا شىء ... أما نحن فانى لا ازال اكرر اننا أحوج ما نكون الى تربية الفرد وازالة العقبات من طريقه حتى تنقه نفسه من الضعف الذى اورثه

(٢٥) الجريدة فى ١٦ يناير سنة ١٩١٢
(٢٦) الجريدة فى ٩ اكتوبر سنة ١٩٠٩
(٢٧) الجريدة فى ٢ يناير سنة ١٩١٢

اياه الحكم الماضي وليستكمل قسطه من القوة حتى يستطيع المزاحمة مع افراد الامم الاخرى، وعلى زرارينا في الاجيال المقبلة ان ينظروا بعد ذلك فيما اذا كانت المبادىء الاشتراكية هي اللازمة لجمعيتهم وقتئذ ، فان خطة الحكم يجب ان تتغير بتغير الزمان والمكان وطبائع السكان » (٢٨) .

لقد كان لطفي السيد يأخذ بالنظرية الليبرالية كما وضعها **«آدم سميث» و« جون ستيوارت مل»** وغيرهم من الكتاب الليبراليين . وهي تقوم على مبدأ الفردية ، وترى ان الدولة ليس لها دور في المجتمع الا المحافظة على الامن في الداخل والخارج ، وليس لها ان تقوم بأي نشاط اجتماعي سواء في الاقتصاد أو الخدمات كالتعليم وغيره بل تترك هذا النشاط لجهود الافراد الخاص . وهي نظرية البورجوازية في مرحلة المنافسة الحرة وكان شعارها: **(دعه يعمل ، دعه يمر) .**

النقل والاقتباس

والخاصية **الثالثة** لفكر لطفي السيد ، هي الدعوة الى نقل **مقومات الحضارة الاوروبية ،** هذه الخاصية كانت جزءا لايتجزأ من التيار القومي الليبرالي في مصر، وهذا شيء طبيعي . فالحضارة الأوربية وان كانت في جوهرها حضارة بورجوازية، الا انها في ذلك الوقت كانت اكثر الحضارات في العالم تقدما . فالدعوة الى الاخذ بمقوماتها واسبابها دعوة تقدمية خصوصا بالنسبة للمجتمع الاقطاعي المتأخر في مصر وقتئذاك ، فهذه الدعوة كان معناها نشر التعليم والاهتمام بالعلوم والفنون واقامة الصناعات وتطوير الاقتصاد وتطبيق مبادىء الديمقراطية وتحرير المرأة الخ . يقول لطفي السيد : **«نحن في حالتنا الحاضرة وحاجتنا في الاخذ عن التمدن الاوروبي حتى نجمع بين اسباب القوة اللازمة للمزاحمة في الحياة ، يجب علينا ان لانقلل فينا خاصة التقليد المفيد بجعله سبة . بل على الضد من ذلك ، نرانا في حاجة الى ترويجه حتى نقلد الامثلة الصالحة من كل نوع فيكثر فينا عددها . دعونا نقلد فعسى ان تبلغ الصورة مابلغه مثلها الاول، ولا حق لنا في الخوف من ان تقليد غيرنا يقضي على ذاتيتنا ، لان التقليد الكامل غير موجود ولان كل واردات اوربا متى دخلت مصر اكتسبت طابعنا وتصير ملكا تاما لنا ، كما ان المدنية التي نقلها العرب عن الفرس واليونان قد أخذت طابعهم وصارت مدنية اسلامية ، وما نقله اليونان عن المصريين صار اصلا للمدنية اليونانية مملوكا لها.**

التقليد من اصول التطور والتطور طبيعي لانستطيع نحن ان نقف في طريقه فهو سيحصل بالفعل، مهما كان استقبالنا اياه استقبال حفاوة او استقبال امتعاض ومغاضبة . فخير للذين يقفون في طريق تطورنا الاجتماعي ان يريحوا انفسهم من عناء مصادمة الطبيعة ومن شر الخذلان ، بل يجب عليهم ان يساعدوه على ان يأتي بنتيجته السعيدة في اقرب ما يمكن من الزمان(٢٩). ويفند ما يدعيه البعض من ان الاخذ بمقومات الحضارة الاوروبية يقضي على ذاتيتنا ، فيدعو الى : **« ان تأخذ اسباب القوة عن التمدن الجديد ، طائعين لا كارهين ، والزمان وحده كفيل بأن يصبغ الواردات الأوروبية بصبغتنا المصرية . لا شيء من ذلك يأتي بالنتيجة التي يخاف عقلاؤنا منها ، نتيجة أن نفنى في غيرنا .** نحن لانفنى في غيرنا ابدا . ولكن قديمنا يفنى في **حاضرنا وحاضرنا يفنى في مستقبلنا كما هي سنة التطور في الوجود » (٣٠) .**

الجامعة الاسلامية

كان **جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده** واقرانهما من مفكري ذلك العصر يتجهون بعكس ذلك اتجاها اسلاميا قبل كل شيء . فكان **«الافغاني»** يجوب البلاد الاسلامية وكأنه يجوب المقاطعات المتجاورة في البلد الواحد ، داعيا اهلها جميعا الى الوحدة الاسلامية والوقوف ضد السيطرة الاوروبية، وكان الشيخ **« محمد عبده »** في الطور الاول من حياته يرى الدفاع عن بقاء الدولة العثمانية واصلاحها من الداخل لان وجودها سياج يحمي البلاد الاسلامية من الخطر الاوروبي . فيقول في مقدمة لائحة الاصلاح التي كتبها في منفاه ببيروت وارسلها الى شيخ الاسلام بالاستانة : **« ان من له قلب من اهل الدين الاسلامي يرى ان المحافظة على الدولة العلية العثمانية ثالثة العقائد بعد الايمان بالله ورسوله ، فانها وحدها الحافظة لسلطان الدين، الكافلة لبقاء حوذته، وليس للدين سلطان في سواها ، وانا والحمد لله على هذه العقيدة ، عليها نحيا وعليها نموت » (٣١)** . وكان صديقه وزميله الشيخ **رشيد رضا** يرى ان الفكرة القومية فكرة مؤذية بثها الافرنج لتفريق المسلمين .

ولقد كتب الشيخ محمد عبده في العدد الثاني من مجلة العروة الوثقى تحت عنوان **« الجنسية والديانة الاسلامية »** يقول : **« هذا هو السر في اعراض المسلمين على اختلاف اقطارهم عن اعتبار الجنسيات ورفضهم اي نوع من انواع العصبيات ماعدا عصبتهم الاسلامية فان المتدين بالدين**

---

(٢٨) الجريدة في ٢٨ سبتمبر سنة ١٩١٢
(٢٩) الجريدة في ٤ مارس سنة ١٩١٢
(٣٠) الجريدة في ٢ مارس سنة ١٩١٣
(٣١) رشيد رضا : تاريخ الشيخ محمد عبده ص ٥٠٦ جزء ٢

الاسلامى متى رسخ فيه اعتقاده يلهو عن جنسه وشعبه ويلتف عن الروابط الخاصة الى العلاقة العامة وهى علاقة المعتقد » ويحبذ اقامة حكومة اسلامية عامة مبينا ان العصبية الدينية تعلو العصبية الجنسية ، فيقول : « هذا ما ارشدنا اليه سير المسلمين من يوم نشأة دينهم الى الان لايعتدون برابطة الشعوب وعصبيات الاجنـاس، وانما ينظرون الى جامعة الدين لهذا ترى العربى لاينفر من سلطة التركى ، والفارسي يقبل سيادة العربى ، والهندى يزعن لـرياسة الافغانى ولا اشمئزاز عند احد منهم ولا انقباض ، وان المسلم فى تبدل حكوماته لايأنف ولايستنكر مايعرض عليه من اشكالها وانتقالها من قبيل الى قبيل مـادام صاحب الحكم حافظا لشأن الشريعة ذاهبا مذاهبها، نعم اذا نبا فى سيره عنها وجار فى حكمه عما نصت عليه وطلب الاثرة بما ليس من حقه انصـدعت منه القلوب، وانحرفت عن محبته الانفس واصبح وان كان وطنيا فيهم اشنع حالا من الاجنبى عنهم)) .

ولئن كان الافغانى ومحمد عبده يدعوان الى الوحدة الاسلامية ، الا ان مركز الثقل فى فكرهما كانت دعوة الى اصلاح امور المسلمين وتجديد الاسلام بالاخذ بأسباب المدنية للوقوف فى وجه الموجة الاوروبية الاستعمارية الزاحفة واستنفار الشعوب الاسلامية ضد استبداد امرائها ، اما الشيخ رشيد رضا فقد تزعم تيـار الدعوة الى الجامعة الاسلامية فى مواجهة تيـار القـومية الزاحف حتى آخـر ايامه ، داعيـا الى تجديد الخلافة الاسلامية وجعلها سلطة حقيقية تخضع لها كافة البلاد الاسلامية .

رشيد رضا والخلافة الاسلامية

وقد وضع « رشيد رضـا » كتابا بعنـوان « الخـلافة أو الامامة العظمى » نشرت فصـوله فى مجلة المنار التى كان يصدرها وكانت تعبر عن هذا التيار اصدق تعبير . يدعو رشيد رضا الى وحدة الامة الاسلامية ووحدة الامامة او الخلافة ويرى ان العصبية الجنسية مزقت وحدة الامـة فيقول : « وحدة الامامة تتبـع وحدة الامة ، وقد مزقت العصبية المذهبية ثم الجنسية الشـعوب الاسلامية بعد توحيد الاسلام اياها » . ويهاجم الحـكومة التركيـة لانهـا جعلت بعـد الثـورة الـكمالية منصب الخـلافة منصبا صوريا فحسب ليس لصاحبه سوى نفوذ معنوى لدى الاقطار الاسلامية ، ويطالب الشعب التركى بتجديد حكومة الخلافة الاسلامية وجعلها حكومة فعلية ، ويقول : « والا فلا معنى لـكون الرجل خليفة المسلمين الا انه امام دينهم ورئيس حكومتهم الذى تجب طاعته عليهم، وتباح مناوأتهم فى الخروج عليه والاستقلال بالحكم دونه بشروطه المعروفة فى كتب الفقه... وان من العبث بالاسلام ان تجعل امامته الكبرى مجرد لقب من القاب المدح والشرف » .

وهو يرى ان العمل من اجل الوحدة الاسلامية ينحصر فى العرب والترك فيقول : « قد علم مما تقدم ان العمل لوحدة الامة الاسلامية بقدر الامكان ينحصر اليوم فى الشعبين الكبيرين ـــ العـربى جرثومة الاسلام، والتركى سيفه الصمصام ، وان امر البلاد العربية المستقلة بيد ائمتها وامرائها فالتـأليف بينهم مقـدم على كل شىء فيهـا » . ثم يقول : « الفوز فى هذا يتوقف على التـأليف والتوحيد بين العرب والترك واتفاقهما عليه ولو بالجملة ومراعاة ما قوى فى هذا العصر من العصبية الجنسية مع اتقاء ضررها بقدر الاستطاعة » .

ويبحث عن افضل قطر من الاقطار الاسلاميـة يصلح لاقامة الخلافة الصحيحة فيه فلا يجد خيرا من اقامتها فى تركيا اذا قبل الاتراك ذلك او فى منطقة وسطى بين بلاد العرب والترك كأن تكون منطقة الموصل مثلا . ويأخذ على المصريين عدم رغبتهم فى الخضوع للخليفة التركى فيقـول : « باحثت كثيرا من خواص المصريين المعممين وغير المعممين فى هذه المسألة فألفيتهم متفقين على ان القصد من تأييد الخلافة الجديدة التى ابتدعتها حكومة أنقرة الجمهورية فى الاستانة تخذيل الدولة البريطانية فى دسائسها التى ترمى بها الى جعـل هذا المنصب الاسلامى الرفيع آلة فى يدها فيمـا كانت تسعى اليه من اصطناع الملك حسين فى مكة والسلطان وحيد الدين فى الاستانة وما آل اليـه سعيها من الجمع بينهما بعد تهريبها الثانى الى مالطة ، ولم يقصد احد من المصريين بتأييد الخليفة الجديد بالتهنئة ولا المبايعة ان يكون له على بلادهم حـق أمام المسلمين الاعظم على الامة من كون حكومتهم تابعة له وخاضعة لسلطانه فيما يرى فيه المصلحة من نصب امرائها وحكامها وعزلهم وجباية المال واخذ الجند للجهاد ولا غير ذلك من وظائف الخلافة التى ذكرها علماء الاسلام ـــ وهذا كما ترى غرض سياسى فائدته السلبية والباعث عليه الشعور الاسلامى العام الذى ولده الضغط الاجنبى ، ومحاولة هذه الدولة لاستعباد الشعوب الاسلامية التى بقى لها بقية من الاستقلال ولاسيما الترك والعرب ، وهو لا يتـوقف على وجـود الخلافة الصحيحة ولا الامام الحق والجماعة ، بل هو من قبيل المظاهرة السياسية للزعيم السياسى (سعد باشا زغلول) بل دونها قوة ، لاجل هـذا لا يبالون ما كانت شروط هذه الخلافة وأعمالها ، ومثلهم فى ذلك سائر مسلمى افريقية وامثالهم من المستذلين للاجانب ، على ان هؤلاء يتمنـون لو يكونوا تابعين للدولة التركية ويعلمون ان ذلك

متعذر ولكن ساسة المصريين لا يتمنى احد منهم ذلك » (٣٢) .

ويهاجم دعاة التيار القومى الليبرالى ويدعوهم بحزب المتفرنجين ويقول : « **وحزبهم قوى ومنظم فى الترك ، وغير منظم فى مصر ، وضعيف فى مثل سوريا والعراق والهند ، ورأيه انه يجب الغاء منصب الخلافة الاسلامية من الدولة ، واضعاف الدين الاسلامى فى الامة ، واتخاذ جميع الوسائل لاستبدال الرابطة الجنسية او الوطنية ،بالرابطة الدينية الاسلامية ، والترك من هؤلاء اشد خصوم اقامة الامامة الصحيحة فى الدولة التركية ، وقد بثت جمعياتهم الدعوة فى الاناضول مهد النعـــرة الاسلامية ، الى العصبة العمية ، بالاساليب التى لا يشعر الجمهور بالفرض منها ، وقد اشرنا من قبل الى بعضها ، فكان لها التأثير المطلوب : كان التركى هنالك اذا سئل عن جنسه قال : مسلم الحمد لله . وبذلك يمتاز عن الرومى والارمنى . واما الان فصار يجيب بانه تركى ، وكان لا يفهم من وجوب الخدمة العسكرية الا طاعة خليفتـــه وسلطانه فى الجهاد فى سبيل الله ، فبثت فيه فكرة القتـــال فى ســـبيل الترك ووطن الترك لمجـــد الترك » (٣٣) .**

وهو يعتبر الاسلام رابطة دينية وسياســـــية فيقـــول : « **الاسلام دين وجنســـية اجتماعيـــة وسياسية للمسلمين ، هذا هو الواقع — وان كرهه أقوام يودون ان يكون دينا فقط لا رابطةبين اهله فى الامور السياسية والاجتماعية لما لاولئك الاقوام من المصلحة فى ذلك » .**

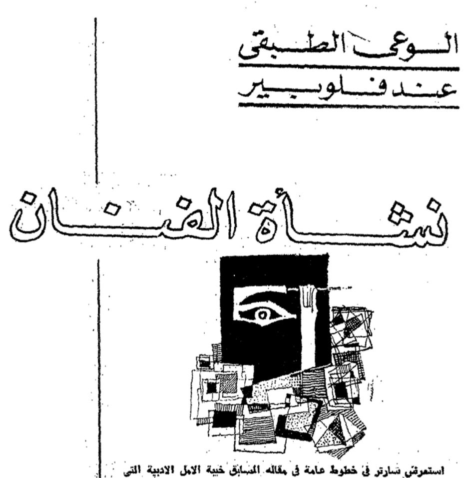
ويعتبر دعوة الوطنية تقليد للافرنج فيقول : « من آية استقلال الامة فيما تأخذه عن غيرها ، **وما تدعه من عاداته التى هى عرضة لها ، ان يكون ذلك رأى زعمائها وعمل جمعياتها ، باسم الامة ولمصلحتها العامة ، ولسنا معاشر المسلمين على شىء من هذا الاســــتقلال بل نحن مقلدون للافرنج حتىفيما نحسب اننا نهرب بهمنسيطرتهم كدعوة الوطنيةالتى كانالخسار فيها علينا والربح لغيرنا » (٣٤)** . ويقول فى ذلك ايضا : «**بينا فيما سبق ان الافرنج يعنون بفرنجة غيرهم ليجذبوهم اليهم ، وان الضعيف يقلد القوى فيما يســـهل التقليد فيه اولا ثم فى غيره ، وان نغمة الوطنية فى مصر هى من هذا الباب » (٣٥) .**

كما يقولّ ايضا : « **وقد بث دعاة الوطنية رأى الجنسية المصرية فى طلاب جميع المدارس المصرية من اميرية وأهلية واجنبية . وهم الذين سيتولون جميع الاعمال العامة والوظائف . فكان منالمنتظر ان تمحو نابتة المسلمين بايديها ما بقى فى ذلك من صبغـــة الاســـلام حتى لا يبقى الا اسم مصرى ومصرية : الشارع المصرى ، القانون المصرى ، المصلحة المصرية الخ » (٣٦) .**

هذا هو تيار الجامعة الاسلامية المعارض لتيار القومية . ويلاحظ على هذا التيار انه لم يدرك قوانين تطور المجتمعات ، واسبابوعوامل نشوء الامم والقوميات .فالقومية ليست كما يرىالشيخ رشيد رضا — فكرة اوروبية ضارة استوردهـــا المسلمون من أوربا ، ولكنهـــا مـــرحلة ضرورية وتقدمية من مراحل التطور الاجتماعى . **فقـد** ظهرت مع نشوء البورجوازية فى أوربا فى عصر النهضة وأخذت فى التطور حتى انتصرت نهائيا فى القرن التاسع عشر مع انتصار البورجوازية على الاقطاع . وقد كانت الشعوب الاوروبية قبل ذلك لا تعرف الرابطة القومية ، بل كانت تقوم على اساس الروابط الدينية فى العصور الوسطى . هذا التطور تجاه القومية حـــدث ايضا فى البلاد الاسلامية والبلاد الشرقية عموما ، وان كان قد جاء متأخرا فيها عن البلاد الاوروبية بسبب تأخر التطور الاقتصادى فيها .فظاهرة القوميةظاهرة طبيعية وضرورية فى مجرى تطور المجتمعات . وهذا ماحدث فعلا فان الاقطار الاسلامية تطورت فى الاتجاهات القومية فعلا ، وانتهى هذا التيار بالهزيمة . كما لم يدرك هذا التيار التمايز الواقع بين الوحدات القومية ومصالحها المتعارضة التى تمنع من اقامة الجامعة الاسلامية بل استحالة ايجادها ، وظن انه يكفى وضع الخطط لاقامـــة الوحدة الاسلامية ، واختيار افضل الاماكن لاقامة الخلافة والدعوة لذلك حتى تتحد هذه البلاد تحت حكم أقواها . هذا التيار وان كان عند الافغانى تيارا ثوريا تقدميا يحارب الاستعمار والسيطرة الاوروبية والاستبداد التركى ، وكان عند محمد عبده تيارا ليبيراليا متحررا يسعى الىالتوفيق بين العلم والدين واقتباس المدنيـــة واصـــلاح أمور المسلمين ، فانه على يدى رشيد رضا فقد هذا الطابع الثورى والاصلاحى ، واخذ يقوم بدور رجعى بدعوتهللخضوع للسيطرة التركية،متناسيا ما جرته هذه السيطرة من استعباد وتأخر على الاقطار الاسلامية عموما وعلى مصر خاصـــة ، وبمحاربته للتيار القومى الساعى الى تحقيـــق استقلال مصر .

---

(٣٢) رشيد رضا : الخلافة او الامامة العظمى
(٣٣) المصدر السابق
(٣٤) المسلمونوالقبط والمؤتمرالاسلامى:رشيد رضا
(٣٥) المصدر السابق
(٣٦) المصدر السابق



الــوعــى الطــبقى عــنــد فــلــوبــيــر

نشــأة الفــنــان

استعرض سارتر فى خطوط عامة فى مقاله السابق خيبة الامل الادبية التى عاناها فلوبير فى الفترة من ٣٧ الى ٤٢ مستندا الى نفس اقوال فلوبير والى التحول الذى طرا على كتاباته واخيرا الى تاثير الماضى عليه . ويستمر سارتر فى هذا المقال فى معالجة تلك الفترة بالفحص والتحليل عن نشأة الفنان موضحا التناقض الذى كان يواجهه فلوبير فى موجوده البورجوازى مما يجعله كما يقول سارتر يسلك على التوالى طرقا ثلاث : التلفيقية ثم التجميع الجوانى واخيرا الرفض العابث ».

جان بــول ســارتــر

ليس من قبيل الصدفة ان يفقد فلوبير « خياله » فى الوقت الذى يكتشف فيه طبقته،فبعد اطلاعه على كتاب (شاترتون) (١) يتسلط (موجوده البرجوازى) عليه ». لا اعنى بهذا التعبير مجرد التركيب البنيانى الشامل الذى استقر فى فلوبير نتيجة التربية والتعليم ، ونتيجة التجربة التى اكتسبها فى المحيط الذى يعيش فيه ، ولا مما انطبع فيه من عادات المستهلك ، بل ولا أعنى ايضا ما انطوى عليه فلوبير باستمرار من التواطؤ مع اطفال ورجال وان كان يتقزز منهم هاربا بعيدا عنهم اذا ماأستطاع الى ذلك سبيلا ، كما لو كانت تفوح منهم «رائحة كريهة» ». على أن ماأقصده فى الحقيقة بتلك العبارة ادراكه بأنه كان مترقبا وأنه قد أنجب كما تربى من أجل هدف محدد يتربص به فى المستقبل ، **بل ويتربصه لتحقيق هذا الهدف** قبل أن تحمله أمه فى بطنها وقبل أن يرى نور الشمس .

وملخص القول ، لقد صيغ فلوبير ليصنع من نفسه بورجوازيا وذلك باتخاذه حالا ووضعا له .

ولكن ماذا تعنى كلمة حال الشخص . ان حال الشخص فى اعتقادى هو واقع ذو وجهين ، فالحكومة او الادارة او الصناعة الخاصة بهم بانشاء الوظائف والغائها تبعا للحاجة الاجتماعية (من زاوية معينة لاشك) . ولا ريب ان تحديد عدد الوظائف ليس سوى قرار ممارسة ، وتنحصر لحظة اتخاذ القرار على اضيق الحدود طالما لايتعرض الاستقرار الاجتماعى لاى نزاع مبعثه ازدياد السكان أو أى حدث من الاحداث التاريخية الاخرى ، واذ تعبر الارقام عن نفسها ، فان اقرار متطلباتها يتم فى الغالب الاعم بطريقة روتينية . انه من العسير

(١) الطليعة : دراما من تاليف الفريد دي فنيي (١٨٣٥) تحكى قصة الشاعر المرفوض الذى يموت منتحرا للتخلص من البؤس واللامبالاة .

ان تميز في هذا المجال الواقع عن الحق ، والدليل على ذلك اننا نستطيع أن نقول بأنه يجب قبول اثنى عشر شخصا يتقدم الى شهادة الاجرجاسيون في السنة الحالية ، أو أن نقول على السواء بأن عدد المقبولين في تلك الشهادة سوف يكون اثنى عشرة (٢) . ولا يختلف الوضع في شيء اذا كانت الحاجة الاجتماعية متنوعة وجاءت على اثر تطور ما تمخضت عنه مجموعة من الظروف المحيطة الراهنة لان مجموعات من الناس مكونة على درجة أو أخرى من التركيب النظامي تتأهب منطلقة من مسلمات ضمنية بتفسير تلك الحاجة وبتحديد حجمها وبتعريفها . لقد أتاحت جملة من العناصر خلال القرن التاسع عشر ، وأتاحت على الاخص قدرة الطبقات الحاكمة على الامتناع عن اعادة استثمار فائض القيمة في المشروع الا بنسبة اقل الى بزوغ حاجة اجتماعية كانت لاتزال مختبئة اذ ذاك ، فلقد ازداد الطلب على العلاج الطبي ازديادا كبيرا ، الا أن السياسة التي ترسمها كل من نقابة الاطباء والقائمين على ادارة البلديات ومجالس المحافظات واعضاء البرلمان .... هي التي تحدد الامكانية في اقامة العيادات الطبية في هذه المدينة أو تلك .

اما عن قرارات الامر الواقع التي تتخذها بعض الاجهزة بعيدا عن الشاب اليافع الذي يقع اختياره على احدى المهن، فان تلك القرارات تبدو عملى أنها تصميم وتعيين اطار تلك الامكانيات سواء كان ذلك بتوسيع نطاقها او تضييقه ، او بادخال تغييرات كيفية عليه ... ولان هذا الشاب اليافع بورجوازى ، فان طبائع (موجودة البرجوازى) والعناصر التي تكون هذا الموجود يتم تحديدها وتعيينها من خلال مجموعة المهن التي تمثل لهذا الشاب ما كتب له من نصيب بأن يكون البرجوازى الذي هو عليه ، كما تمثل له في ذات الوقت الواجب المفروض عليه . ويتسم هذا الكيان الشامل بالتركيب المعقد لما يحتوى عليه من المعادلات والدرجات ، كما وأنه يتشكل تبعا للمركز الذى تتبواه في الطبقة البرجوازية كل عائلة من عائلاتها، فبينمايتيسر الوصول الى بعض المهن ، نرى الاخرى منها محظورة تماما (حتى وان انتمى المرء الى الطبقات المتوسطة ، فمما لا ريب فيه ان عائلة ما «على قدر حالها» لاتستطيع أن تفكر يوما من الايام في أن يصبح ولدها طبيبا) . ويرجع السبب في ذلك الى أن تحديد الامكانيات يتولد من الافكار المسبقة التي نشأت في البيئة وذلك بالقدر الذى تعمل فيه العزيمة العنيدة في الارتقاء والصعود على توسيع تلك الامكانيات . فالطفل يخصص قبل أن يولد نتيجة تلك الاسباب ونتيجة اسباب أخرى لا تعنينا هنا ، بنطاق معين من الامكانيات محدد الى حد كبير ومحكم التنظيم ، يعكس في هذا الطفل الحاجات الاجتماعية التي حددتها طبقته على ان يتم ذلك من خلال القرارات الصادرة من مجموعات مزودة بتلك السلطة ويتم ذلك في نهاية المطاف من خلال ارادة ابيه . ونستطيع أن نقول عن هذا الاب أنه قد تعينت شخصيته وتحددت كفرد في طبقة وكفرد طارىء بفعل تلك المجموعة من المهن التي يراها صالحة لابنه ، بينما يدرك هذا الابن ــ وقد راى شمس النهار في لحظة معينة من التطور الاجتماعي ــ ذلك الكيان المتنوع البنيان على انه **واقعه القادم** من خلال اختيارات والده .

ويبدو هذا الواقع للابن على أنه حد لآفاقه ، كما يبدو له في ذات الوقت كل مايترقبه ، فيظهر هذا الواقع له على انه من المستلزمات الجامدة التي تنادى عليه من اعماق المستقبل ، وعلى انه آخر الامر من المقتضيات الصارمة . فالطفل ، والحال هذه ، قد زود دفعة واحدة بموجود يرى انه حقيقته الواقعة وقيمته في ذات الوقت . وهذا الطفل بورجوازى لانه جيء به الى تلك الحياة الدنيا ليمنح نفسه بورجوازيا وذلك بحصوله على المعارف اللازمة التي تتيح له ممارسة احدى المهن .

وتسير الامور في مفهوم هذا الطفل وكأن غاية من الغايات في نشاطها من أعماق السنوات القادمة قد خلقته خصيصا في بطن امراة لينجز تلك الغاية ، هنا تلتقى كل من نقطة البداية ونقطة النهاية ، على ان هذا الامر يتضح في عائلة فلوبير وضوحا ليس بعده وضوح ، حيث كان من شأن وظيفة كبير الاطباء بمستشفى مدينة (روان) ــ وكانت موجودة منذ طفولة (اشيل ــ كليوفاس) أن خلقت بالفعل شخصا باسم (اشيل) ليشغل في الخمسينات تلك الوظيفة (أدى وفاة الوالد مبكرا الى تطور الامور سريعا) . فان تلك الوظيفة التى تشكلها مجموعة من الالتزامات الجامدة طالما لايقوم احد بتاديتها قد سبقت قدوم (اشيل) وسوف تظل باقيةحتى بعدمماته، ممايعنى أن تلك الوظيفة ــ بالمقارنة الى هذا الشخص الفانى ــ تمثل في الواقع تحديدا للازلية وتعيينا لها ، كما تعنى أن (الموجود البرجوازى) لاشيل قد اجتره بنفسه في جنباته على أنه (واجبه الموجود الطبيب) . فهذا التوحد الذاتي بشأن أكبر أبناء آل فلوبير ــ وقدنشأ قبل أن يولدهذا الاخير ــ فيما بين موجوده

(٢) لا يوجد اى انفصام بين الحق والواقع في اى مجال من مجالات النشاط البشرى ، واذا كان البنيان الاساسى لهذا النشاط يستند الى المقتضيات المفترضة الا ان الماضي يؤثر بشكل او بآخر على هذا البنيان فينحسران قليلا او كثيرا الى مجرد تحديد منطقي .

ومصيره ، وفيما بين وجوده كأمر واقع وقيمته ، يظل خافيا على هذا الابن . أما سبب عجزه عن رؤية هذا التوحد الذاتى ، فانما يرجع لتوحده ذاتيا بوالده . ولا نعنى بذلك ان الابن كان يجهل مصيره ، بل كل ما نعنيه انه ادرك هدا المصير باعتزاز على أنه نصيبه فى الحياة ، وعلى أنه فى ذات الوقت حقه منها ، كما يعنى ادراكه لهـذا المصير على انه الدليل الحى على ماأولاه أبوه من حب وهو يهيم بهدأ الاب . ويعتقد هذا الابن أنه يصنع مستقبله بينما لايبقى على الحاضر فى الواقع الا بقدر صياغته من المستقبل . تلك هى حـالة ابناء العائلات الشهيرة الذين يمارسون الفنـون المختلفة ولا ترضى عائلاتهم عن ممارسة تلك الفنون بديلا .

ولكن ماالوضع بالنسبة للابن الاصغير الذى سلب من حقه فاستطاع أن يدرك على التو الهدف الجامد الذى يتربص به على ناحيةالطريق اذ عليه اختيار احدى المهن . فاما أن يكون طبيبا أو مـن أعضاء النيابة أو محام أومدع عام أو موثق عقود أو وكيل مديرية أو قاض (٣) ، فتلك المجموعة من المهن تعرفه وتحدده وتكون مجاله الذى تتحرك امكانياته فى اطاره ، وفى ذات الوقت الغاية المعقدة التركيب التى تحدد وتعرف (واجبه كموجود) كما تحدد مصيره وتعرفه ، وبعبارة أخرى هى التى تحدد وتعرف موجوده . ومما لاشك فيه أننا ازاء مجموعة من الاختيارات المتفاوتة التى تبـدو من بعض فقرات الذكريات أن جوستاف قد لاحـظ فيها نوعا من التدرج ، فان كلا من مهنة الطب ومهنة المحاماة تحتل قمة السلم ، بينما تقع مهنة التوثيق فى أسفل درجاته . أما وأن يصبح فلوبير قاضيا، فهذا أمر يدعو فى رأيه الى السخرية ، اذ يقول فى تهكم «سأكون ... قاضيا كما أنا ، الا أنه يمكن استبدال تلكالاحوال والاوضـاع على الرغم من هذا التصور الغامض والمتغير للاشياء. على أنه يجب قبلا أن يكون الانسان «جزءا من هذا الكل وليس هناك من حل وسط » (٤) . وأيا كان الامر ، فتلك الاحوال تمثل ذات (الواجب الموجود) وذات المصير ، الأن فى تعادل تلك الاحوال مايثير انتباهه على وجه خاص اذ يصبح فلوبير بورجوازيا حتما أيا كان الحال الذى يقع اختياره عليه ، بل ويصبح بورجوازيا من المرتبة الثانية لان المرتبة الاولى من البرجوازية تـظل باقية فى أيدى الاثرياء والاقوياء (سوف يكون اشيل واحدا منهم باستحواذه على ماكان لوالده من مجد شرعى فتهيأ له بذلك السيادة على مدينة روان) .

وملخص القول، يتكشف لفلوبير ـ أكثر من اى تجربة اخرى ـ منذ اللحظة التى يكتشـف البرجوازية فيها من خلال نظرة (فينيى) اليها ـ القدر المحتوم (لموجوده البرجوازى) ، يكتشف من الوقت الذى اصدر فيه حكمه على تلك البرجوازية من خلال الالتزام المفروض عليه لاختيار مهنـة المهن، وبعبارة اخرى من خلال هذا البنيان الكامل للاشياء التى تفرض نفسها على اختياره ،فليس الفرد الطارىء فى فلوبير سوى وسيلة لتحقيق فرد الطبقة. ولا يشكل هذا «التفاوت» الذى ينزل كالطامة عليه ويلصق العار به مكونا كبرياءه أحيانا وناظرا اليه على أنه واقعه اللصيق به ، لا يشكل سوى حقيقة مظهرية لا تفتأ ان تزول عندما يصبح فلوبير ما يجب **ان يـكون عليه** فى **الاعماق** . وتتشكل لعنة الاب بقالب السحر اذ يعلم فلوبير انهم سوف يحولونه بمحض اختياره الى محار قبان او الى عنكبوت، كما يعلم ان كل ما يكون حياته اليوم سوف يخمدوستحطمه الوظيفة الجامدة التى تترقبه والتى سيكون اداتها. سيكون جوستاف الـ.... موثق لانه هو حاليا هكذا ومن واجبه ان يكون ما هو عليه . ومن هذه الزاوية يستبعد واقعه القادم والحاضر أخص انطباعاته ومواطن اليأس فيه ، بل يستبعد اباءه ورفضه ، على أن كل هذا لا يتعدى على أحسن حال ضرب من التباكى لا طائل تحته، وليس على اسوأ حال سوى الوسيلة التى وقع اختيار الغاية عليها لتتحقق على اكبر قدر من الضمان . وعلى النقيض، تمثل استجاباته الطبقية مركزا مفضلا، فهو يكتشـف البرجوازى المختبىء فى جنباته من شفافية الضوء الساطع المصوب على ما يجب عليه ان يكون واضعا يده على نسيج المواطن المترابط من التواطؤ التى يرفضها عبثا فتصوغه معلنة انتصارها فيما بعد، وهى التى تتيح له ان يلتصق التصاقا وثيقا بمهنته. تلك هى مرحلة الارتياب والشك التى مر بها فلوبير فنـراه يترقب فوز البرجزة على «شفاليه» بل وعلى (الفريد) (٥) ، واذا كان جوستاف يتحاشى الحديث عن برجزته ، فهذا انما يرجع الى خوفه منها، وان كان من المفروض أن يصير «رجلا متزوجا رزينا واخلاقى» و «لن تكون افكار طفل فى السادسة عشرة» سوى ظاهرة من الشعور من الظواهر العرضية. ولكن ما العمل للتخلص من تلك الغاية المجردة والبعيدة التى تصيغه ، بل وتصنع واقعه الحاضر حتى وان كانت الافكار التى تنفيها تحتوى فى احشائها على (الموجود الطبقى) التى ترغب فى تخطيه ؟ ليس هناك من سبيل بلا شك سوى ان يغير فلوبير (موجوده) .

---

(٣) عدد فلوبير تلك المهن المختلفة فى خطاب الى ارنست فى ١٩٣٩/٧/٢ ـ مراسلات الجزء الاول ـ صفحة ٥٤ .
(٤) نفس المرجع .
(٥) قارن هذا الكلام بكلمة الاهداء فى « الاحتضارات » .

ليس من سبب للازمة المرعبة التى اهتز فلوبير تحت وطأتها بين ٣٧و٤٢ سوى المحاولة التى اجراها لتغيير **موجوده**، تلك المحاولة المذهلة الصارمة التى باءت فى النهاية بالفشل والتى تعنى استبدال غاية بأخرى. على انه طالما كانت الغاية التى فرضت ،اى الغاية الاخرى تركب بنيانه فى (موجوده الطبقى) ،وطالما انه لاسبيل لاجراء «التجريد من الطبقة» من اعلى، بمعنى انه لا سبيل من اللحاق بالارستقراطية ،فالقضية تطرح عندئذ على الوجه التالى : كيف يمكن تغيير الغاية بغير مجرد العودة الى ابدال نزوات الفرد الطارىء بالاهداف الصارمة لفرد الطبقة (او للطبقة فى الفرد) . وبعبارة اخرى، ليس الامر لفلوبير ان يتخذ بوعى لنفسه هدفا آخر، بل ينبغى عليه ان يكتشف فى المستقبل المقتضيات **الحقيقية** الجامدة التى تمخض الهدف عنها. ولا يلحظ فلوبير اطلاقا الفردية باعتبارها نتاج الليبرالية الاقتصادية نظريا وسلوكيا وهى تلك الليبرالية التى كانت تحتويها الايدولوجية البرجوازية فى هذا النصف الاول من القرن التاسع عشر، حيث عثر آنذاك عدد من الشباب البرجوازى على وسيلة لطعن الاهداف الطبقية فى « الموجود الطبقى » ذاته .فليكن الانسان موثقا للعقود. الا انه سيظل من ارقى البشر بفضل حياته الباطنة. اما جوستاف فيعوزه الترياق للسموم، وقد سبق ان عددت الاسباب التى جعلت من بنيان بيئته العائلية ، وجعلت من بواكر علاقاته بأمه، الحاجز الذى سد عليه الطريق ليكون مدعيا مثل ستندال (٦) . أو ليكون نرجسيا مثل اميل (٧) . فلا يشعر فلوبير بحب نفسه وتمنعه سلبيته من تقييم حركات حياته كما تمنعه من ان يحجب عن نفسه غايته الاخرى باكتشاف اهدافه الخاصة اى انها تمنعه من اضفاء قيمة مطلقة لاندفاعاته لمجرد انها تخصه شخصيا بمعنى ان تلك الاندفاعية تلقائية ولا تحمل فى بدايتها على الاقل قدرا ما من المبايعة . وعلى النقيض ، يكفى أن رغبة ما تعنى فلوبير شخصيا ليكشف بها معترفا بعدم تماسكه وتلقائيته ولتخفى من قيمته، فلا تمثل عملاقيته من هذه الناحية سوى اسلوب لمحاربة التفاهة التى يشتد ميله لالتقاطها فى كل مكان طالما تعلق الامر بحياته «الشخصية» . ان هذا التنزيل المستمر فى قيمته **من الاخر لذاته** انما تيسر له تفادى ما للحياة الداخلية من احابيل مثالية .لقد عرفنا كيف ان (الشوق العارم) لم ينقذه من قدره **كانسان عادى** ،فهو يعلم انه يخدع نفسه بعدم الرضاء الجوهرى فى غير جدوى، ويعجز عن انقاذه ايضا مجرد رفضه الداخلى لموجوده البرجوازى. وليرفض موجوده البرجوازى كيفما شاء، فهو يدرك بوعى فى نفس الوقت قوى جامحة متواطئة مع نشاطه السلبى تشده الى تحقيق هذا الموجود. ولكن هذا الصحو الذى يتحلى به يزيد من عملية البيع فيه، فهو يعجز عن تعويض تلك الغاية الشبه غريبة التى تكيفه فى موجوده الا اذا وضع يده على **أمل جامد آخر** يعين جوستاف وسيلة له . ولا يستطيع جوستاف الفكاك من وضعه كونه ترس من أتراس الدولاب الاجتماعى ، وكونه رجل من المرتبة الثانية ضحى به باعتباره انسانا لحسن سير الكيان الكلى الا اذا باع نفسه وضحى بها من اجل غاية اخرى لها نفس الطبيعة،اى اذا باع نفسه من اجل غاية شبه غريبة تبدووكانها شىء خارجى ينبغى اجترارہ فى الجنبات. . . غاية اوجدته فى نفس بطن امه ليكون **وسيلة جوهرية** لتحقيق تلك الغاية. وبمقولة اخرى، يعتقد الطفل انه سوف يفلت من طبقته (اى انه سيفلت من خلفه نتيجة اثر رد فعل الغاية القادمة على الماضى) اذا ما اكتشف فى نفسه انه الوسيلة الوحيدة التى وقع عليها اختيار غاية من الغايات تكون قد سلمت من تكييف طبقى ما ، بل يكون من شأنها الارتقاء بالنوع كله. فاذا ما تأكد وجود تلك الغاية، واذا ما تأكد ايضا انها تخاطبه شخصيا مطالبة بآلامه وبذله العملى وتضحيته ، فلا بد وان ينجو فلوبير حتما من البيع البرجوازى بأن يقبل فى سعادة موجعة بيعا آخر اقوى فى جوهره من البيع السابق يضفى قيمة على فلوبير بافنائه .

ويبدو (شاترتون) (٨) نموذج هذا الوضع وهو الشاعر الذى وان ولد بورجوازيا ،فهو مع ذلك لا ينتمى الى اية طبقة من الطبقات. لاشك أن لكل انسان مكانيولد فيه، الا أن المهم البعث والتجدد ،وليست البرجوازية (كما سيأتى البيان على ذلك) سوى مكان الولادة، والدليل ان المسيح وهو يتكلم باسم الجميع كان ابنا ليهودية .على ان الامر يقتضينا وضع الاشياء فى نصابها. كان فلوبير يعتقد انه شاعر، واستمر على الدوام فى هذا الاعتقاد على الرغم من تفضيله النثر للتعبير عن رأيه، غير انه ليس هناك اى وجه من التقارب بين فلوبير على ما كان عليه سنة ١٨٣٨ وبين ادبائنا المحدثين الذين يرون فى الشعر انه نشاط لفظى مبنى على رابطة فطرية باللغة. ولا يخرج الشعر عند هذا المؤلف الشاب عن كونه موقف ذهنى، وهو لا يعدو ان يكون كما رأينا

(٦) الطليعة : كاتب فرنسى (١٧٨٣ — ١٨٤٢) : رومانسى لميوله الى العواطف الجارفة وتتسم مؤلفاته بتناوله تحليليا طباع شخصيات مؤلفاته بالوضوح والسخرية
(٧) الطليعة : كاتب سويسرى (١٨٢١ — ١٨٨١) تعكس «مذكراته اليومية الخاصة» ماكانت عليه روحه من قلق كما تعكس انه كان سيكلوجيا عميقا .
(٨) الطليعة : انظر هامش رقم (١) .

عملية التجريد عن الواقع وانه في الغالب الاغلب رد فعل دفاعي،فالطفل والواقع يلاحقه أخذ يرتمي في عالم الخيال. وتشبه تلك العملية التأملات الصوفية والحقيقة ان فلوبير لم يقع في خطأ ما حين وصف الصوفية قائلا: «كم اريد لو اكون صوفيا. لا شك ان شعورا ينتاب الانسان باللذات الجميلة اذا آمن بوجود الفردوس وإذا ما استغرق في عالم من البخور، واذا ما **تفانى** على قدمى الصليب **واحتمى** بأجنحة اليمامة .. كم اريد لو اموت شهيدا » (٩) . فالكلمات «استغرق .. تفانى .. احتمى» التى شملتها تلك العبارة لها من الدلالة ما ينبىء عن معانيها. ان الشعر هروب يرجع الى بلادة الطفل التي قد تصل الى حد الذهول. حقا كان فلوبير مزهوا بتلك «الحالات النفسية» التى ترتفع به عن المستوى المبتذل ،وهى حالات كانت تتسم **بطابع** جامد من نوع خاص ايا كان مصدرها،وايا كانت مسبباتها والدافع من قيامها. ولا يجهل فلوبير على الرغم من ذلك ان تلك الحالات النفسية لا تخرج عن كونها مرحلة التحديد والتعيين الذاتى فيقول «كنت اعرف معنى ان يكون الانسان شاعرا. فقد كنت شاعرا في جنباتي على الاقل، شاعرا في روحي كتلك النفوس العالية على اننى لم اكتب يوما كلمة واحدة من تلك القصيدة التي اشعر باللذة منها » (١٠) .ويصاب الشعر بقدر من التقليل في قيمته ، تماما كالوضع بالنسبة لمجموع تأثير الماضى طالما ان هذا الشعر رد فعل تلقائي وقدر من تغيير المعنى الداخلى وطالما يخصه بمفرده ، ولا يستطيع الشعر وحده لكونه عند فلوبير هروبا من الواقع . ان يعطي هذا الشاب وضعا جديدا **للوجود** ،بمعنى انه ليس بمقدور الشعر ان يجري في فلوبير تغييرا في مكوناته، فلا يحس الاختطاف الروحي سوى لنفسه كالموت ، ولا يعلن هذا الاختطاف عن الغاية المثلى للارتقاء التى قد تكون وسيلته» ويعى فلوبير ان هذا الاختطاف ما هو الا شكل من اشكال معاناته لفشله .»

وحين يستعيد فلوبير قراءة مؤلفاته التىكتبها في سن اليفاعة ،فلا تبدو له تلك المؤلفات التي كانت ثمرة «وحى» طارىء وثمرة انفعال عاطفي ونتيجةالحنق والمرارة، سوى امتداد شبه موضوعي لانفعالاته الذاتية. ولقد كان جوستاف حتى السادسة عشرة يفضل الارتجال على أى شيء آخر (١١). غير أن التردد يتسلط فجأة عليه اذ من المفروض أن يدفع«الوحي»بنا الى الامام.وحسنا تكون الامور اذا ما نزل علينا الوحى من الرب فقد اصبحنا من الاخيار لان الرب الدائم الخالد يحرسنا من الخلف كما يفتح الطريق امامنا. ولكن جوستاف لا يعتقد في الله مستبعدا بالتالي على التو هذا الوحي الذي يمثل فيضا من الحيوية الراهنة اكثر مما يمثل مقتضيات المستقبل، يتم التغيير انتقالا من جوهر الي جوهر باختيار ذو رد فعل على الماضي ، اذ ينبغي تغيير المستقبل ، وعندئذ يظهر مفهوم جديد في هذا الشاب اليافع وهو مفهوم الفنان. ويكتفى فلوبير في بادىء الامر بمواجهة هذا المولود الجديد بالشاعر صديقه العتيد . يختلف الفنان اختلافا كبيرا عن الشاعر، فاحدهما يحس والاخر يتكلم، احدهما الشعور والاخر الفكر » (١٢) .على ان كلمة الفن تحل في (مراسلاته) باستمرار محل كلمة الشعر «يعلو الفن في فائدته عن الصناعة» (١٣) واذا كان فلوبير في سنة ١٨٣٧ «معاد للنثر ومعاد للعقل ومعاد للحقيقة» لا يساوى «المعرفة الحمقاء التي يتزود بها الطهاة والجزارون والفلاسفة والقصصيون الخ » الا بيتين من شعر (لامارتين)، فهو يحول اهتمامه الرئيسي منذ اواخر ٣٨ نحو (الفن) «الفن، الفن. انه لخيبة امل مريرة وشبح لامع لا اسم له. انه يفتقدنا جميعا» ثم يقول في ١٥ ابريل ٣٩ «فلنوالي الفن بالحزن طالمنا اننا نحس بمزيد من الشعور من هذه الزاوية الخ» ومما لا ريب فيه ان تلك الفكرة الاخيرة كانت قد اخذت تحلق في ذلك العصر ، فسوف يبتدع بعدئذ (الاخوة جونكور) **اسلوب الشعور بالفن والجمال**، ولا يرجع السبب في استعمال هذا الاصطلاح الجديد الذى ينبىء عن نهاية الرومانسية عن الاسباب التي كانت تجول في كافة المجالات التي كانت تقتضي الافلات من الموجود البرجوازى، فالشعر لا يخرج عن كونه اثبات حالة الفشل، ولا احد غير الفنان ينشأ ويخلق .

ويدل هذا الكلام اول مايدل على ان الفنان على خلاف الشاعر الخالص كما يعرفه فلوبير هو من العاملين الذين ترمى جهودهم الى انتاج شيء من الاشياء اى أن الفنان يعمل على تحويل المادة في هذا المجال وهى اللغة ، او بمقولة أخرى هو الذى يضفي تغييرا على شكلها بحيث تصبح مختلفة عما كانت عليه . ولكن الناتج الخالص من تلك العملية لا يمت بأية صلة شبه بباقى المنتجات ؛ ونرى فلوبير عندئذ يتردد هنيهة متسائلا اذا ما كان هذا

---

(٩) الذكريات : صفحات ٦٠ — ٦١ . قارن هذه العبارة بما جاء في خطابه الى لويزكوليه (٥٢/١٢/٢٧) حين يقول فيه « لو كنت لم اتمسك بالشكل والقالب لاصبحت من اشد الصوفيين » .
(١٠) الذكريات : صفحات ٥٦ — ٥٧ .
(١١) الذكريات : صفحة ٥٤ .
(١٢) الذكريات : صفحة ٥٢ .
(١٣) الذكريات : صفحة ٤٨ .

الناتج أكبر فائدة من المنتجات التى تصنعها أيدينا أو انه يخرج جذريا من نطاق الاشياء المفيدة ؟ .

ويعبر فلوبير عن هاتين الفكرتين على التوالى، فيكتب فى ٣٨ بعد طرحه هذا السؤال ببضعة أيام «أفضل كثيرا الجمال عن المفيد»(١٤) . ثم يردد نفس الفكره فيقول «الفن اكثر فائده من الصناعة، فالشىء الجميل يحتوى على فائدة أكبر من الشىء الجيد»(١٥) . ثم يعود ليؤكد بما جاء من تدليل عجيب على فكرته الثانية . أن الحكومات الاولى . . كانت حكومات فنية وشاعرة تبنى الاشياء العديمة الفائدة كالاهرامات والكنائس . . . على انه يقيم تارة أخرى ضرب من المقارنة بين العمل الفنى وبين الادوات المنزلية فيجعلنا نشعر انها تنتمى جميعها الى فصيلة واحـدة . . الفن يفـوق كل شىء فان ديوانا من الشعر يحتوى على قيمه تفوق ماللسكك الحديدية من قيمة . على أن فكر فلوبير يأخذ فى الاستقرار والثبات خطوة بعد الاخرى ، فيكتب فى يناير ٣٩ « الفنون والتجارة » وندرك عندئذ ما يطوى عليه تأرجحه بين فكرة وأخرى من معان دفينة . أليست النفس فى حاجة الى الامتلاء والتطلع . . الا تشعر بتلك الغريزة فى جنباتك تلح عليك . . لتشبع النفس الشديدة التعطش الى اللانهائى والتى هى فى حاجة الى الاحلام والشعر والالحان والافتتان الخ » . أن العمل الفنى يستجيب لحاجة من حاجات الروح وبوسعك القول بأنه يفيد تلك الروح المتعطشة ، كما يمكنك أيضا أن تقول أنه ليس من ورائه فائدة ما فى أشباع الحاجات المادية ، على أن الامر الغريب ان فلوبير كان منكبا وقتذاك على كتابة «سمارة»، تلك القصة التى لايمكن أن توصف أيا كان الامر بأنها تخرج عن كونها قصة مليئة بالمرارة والضغينة والتخريب . ، فلا وجه بأى حال للشبه بينها وبين « الاحلام والشعر والالحان والافتتان » التى من شأنها فرضا الاستجابة لحاجتنا المتعطشة الى اللانهائى .

حقا يقدم فلوبير الينا اللانهائى فى تلك القصة ، غير أن هذا اللانهائى لايختلف عن العدم وعن الفراغ حيث يدور فيه سمارة على الدوام وبلا توقف . من شأن تلك الملاحظات أن تفتح الافاق لتدرك أن فلوبير لم يكن صادقا كل الصدق عندما أدعى أن الغاية من العمل الفنى هى اشباع حاجة الروح بل تجعلنا بالاحرى نفهم انه لم يسلم بشكل نهائى من حماسته « **المعادية للنثر** » لقد فات عليه فى الواقع عندما زعم جعل الشاعر فى خدمة الانسانية انه كان لايولى تقديره قبل اربعة اشهر مضت سوى « رجلان وهما (رابلييه) (١٦) و (بايرون) (١٧) اللذان كانا يرميان بمؤلفاتهما دون غيرهما الاضرار بالجنس البشرى . على ان راى فلوبير لم يتغير خلال ذلك فهو الذى ينوى فى ٢٤ فبراير ٣٩ « المشاركة ايجابيا فى العالم . . . بوصفه عاملا على عدم اتباع الاخلاق » والفن بقدر ما يتعمق يفقد فى نظر فلوبير كل اسباب الفائدة ، بما فى ذلك الفائدة الروحية ولايعدو الفعل الفنى أن يكون وسيلة بأية حال ، حتى وأن فاق الوسائل جميعها ، وليس الانسان سوى غاية تلك الوسيلة . اما الذى يهتم به جوستاف الان فهو التأكيد على ان نتاج الفنان ليس وسيلة لغايه ما ، مما يعنى انه قد استخلص من كراهية البشر ذروة نتاجها ، كما يعنى انقاذ الجمـال من ارتباطاته الانسية . فليس للفن غاية فى نظر فلوبير سوى الفن نفسه ولايبقى على البشر سوى خدمة هذا الفن . أن المنتجات التامة الصنع تفرض نفسها على البشر ، فهى مصدر التزامات لاحد لها ، وطالما أن الاعجاب بالجمال **مطلوب** ازاء الفن فالفنان يخلق بهذا المعنى أولا تحفة فنية «تفتح آفاق المستقبل»(١٨) ، والفنان مشرع لان مؤلفاته أن كانت جميلة تبدو لنا وكأنها مجموعة مركبة من القوانين الطريفة التى تفرض نفسها ، بقوة الشىء القائم . لا شـك اننا قد فهمنا ما انطوى عليـه هذا المفهوم الجديد من أهمية ، فلقد رفض جوستاف منذ زمن بعيد مشاركة الغايات الانسانية فظل فترة طويلة يخلط فيما بينها وبين غايات البرجوازية الا أن الرفض لايكفى اذا ما أراد جوستاف التخلص من بيئته اذ عليه أن يكتشف أن غايته اللصيقة به غير انسانية ومطلوب منه أن يبيع البشر لمخلوقات تتعداهم وقد تصيبهم بالضرر أحيانا ، على ان هذا المطلوب منه يسلمه على التو من الطبقات المتوسطة . حقـا يظل انسـانا عاديا غير انه يفلت من تلك الدوامة الجهنمية المتمثلة فى (الوسائل الغايات) وفى (الغايات الوسائل) وسـوف تختاره غاية مطلقة كوسيلتها الوحيدة والجوهرية .

ولكن يهمنا ان نعرف ما هو المطلوب منه ان يفعله اى ما الذى يبنغى عليه أن يقيمه وكيف يقيمه ، ولا يبـدى فلوبير ترددا ما فى هـذا الحين ، فالموقف **الشاعرى** لم يكن وقتذاك سوى الهروب من الواقع للاحتماء فى عالم الخيال، فالنشاط الفنى ـــ بتحقيقه الخيال ـــ يتزل من الواقع . وبينما كان الهروب فى الشعر باعتباره حالة نفسية يترك الواقع كما هو وذلك باحتمائه فى (اللاواقع) حيث كان النفى

(١٤) الذكريات : صفحة ٤٦ .
(١٥) الذكريات : صفحة ٤٨ ـ ٤٩ .
(١٦) الطليعة : كاتب فرنسى « ١٤٩٤ ـ ١٥٥٣ » كان من رجال الدين وطبيبا واستاذا فى علم التشريح .
(١٧) الطليعة : شاعر انجليزى (١٧٨٨ ـ ١٨٢٤) وتتسم مؤلفاته بالحماس الشديد وبالعنف وايضا بالسخرية الغزيرة .
(١٨) مارلو ـ بونتى ـ الطليعة : فيلسوف فرنسى واستاذ فى كوليج دى فرانس ولد سنة ١٩٠٨ ولا يزال على قيد الحياة ومن مؤلفاته «التركيب السلوكى فى السلوك» ١٩٤١ و « علم ظواهر الادراك الحسى » ١٩٤٥ و « مغامرات الجدلية » ١٩٥٥ .

يلحق (الوجود في العالم) لجوستاف ولايلحق العالم نفسه أن نرى الحركة عندئذ تنعكس تماما على نفسها حيث يعود فلوبير على العالم ليقضي عليه ، الامر الذى لايمكن تحقيقه بغير تجميع هذا العالم .

أخذ فلوبير وهو في الخامسة عشرة يستعيد قراءة بواكير مؤلفاته وقد كتبها بغير قصد خاص، فيكتشف ماتكتنفه تلك المؤلفات من معان لا تكف عن سرد قصة فشله وقصة انتصار الجموع على الشيء الطريف . وملخص القول ، تعكس تلك المؤلفات — ان قليلا او كثيرا — ما كان عليه من حالة شاذة لاعلى انها قيمة ايجابية ، بل باعتبارها لعنة من اللعنات . ولكن جوستاف يشمئز عندما يبصر في وضح النهار هذا الموضوع الدائم والمستتر معا لانه بذلك يكشف عن «تباينه» وهو لا يفتأ على كل حال في التستر عليه لان هذا التباين يحدده منذ البداية كضحية ، الامر الذى يجرح كبرياءه . أما التحويل من حالة لاخرى الواجب اجراؤه فيتلخص في العمل على تعميم «حالة» فلوبير بجعلها حقيقة النوع البشري . فماذا كان يقصد في الواقع من تلك القصص القصيرة . كان المقصود ابراز الضحية التي تفارق الحياة وهي تواجه جلاديها عبثا بالرفض على أن هذا الرفض يعبر — اياكان الوهم الذى يتم به — عن تفوق «عبير» مارجريت الهفاف . ويجعل فلوبير من **الرفض العابث** بتعميمه الامور النور الذى يضيء العالم ويضيء قدر الانسان.. سوف يقيم فلوبير هذا الرفض مستعينا بالكلمات ويسجله في المادية مع الابقاء على عجزه على انه من المقتضيات الصارمة ، فالانسان محطما من العالم يرى من كرامته رفض العسير الذى فرضه الكون عليه . لقد وجد الادب ليظل احتجاج البشر حيا على الدوام متعديا انهيارات الافراد .

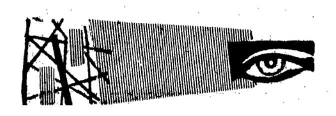
ولكن ماهي الطريقة التي يمكن بها استخدام الانهيار والرفض كمبادىء للتجميع ، أو كيف يمكننا أن نشاهد العالم على انه الجحيم .

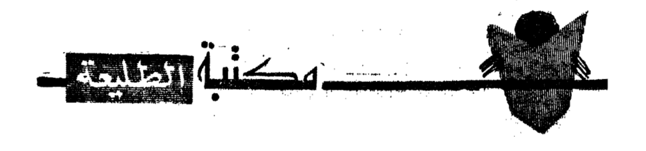
يستخلص فلوبير في الفترة بين ٣٨ و ٤٣ طرقا ثلاثة يقوم باستخدامها الواحدة بعد الاخرى . نستطيع أولا تجميع الكون في جنبات النفس مما يعني انهيار ال انا العام وموته الذى يركز تجربة الانسانية في ذاته ويقتله التجميع بغير أن يكف عن ترديد كلمة **لا** .

الا أن هذا ال أنا العام المحلق فوق العالم وفوق **أنيته** التجريبية يستطيع أن يشاهد في غير اكتراث وهو مايمثل الرفض الشجاع هلاك هذا الكون ، وهلاك نفس شخصه مما يعني التجميع خارجيا بالتحليق الواضح الجلي . ويوسع المؤلف أخيرا أن يقوم من داخله بعمل القارض الدءوب مكتشفا زيف أوهامنا وتناقضات الوجود المتفجرة ، طارحا بعملية منظمة من التجريد من الاخلاق قضية الايمان **بالعدم** على أنه من المقتضيات الجمالية ، أي العمل على أن يستوضح القراء بلا غموض ولا ابهام **الرفض العابث** وهم يعيشون فيه ضمنيا على وجه عام .

تلتقي **تلك** الطرق الثلاثة **بمواقف ذهنية** ثلاثة لمسناها من قبل وهي : النشاط السلبي ، الكبر والحفيظة .

سوف نعالج تلك الطرق في ارتباطها بهذه المواقف التي سيتضح لنا فيما بعد أنها تتمخض جميعها عن تلفيقية أصيلة ثم تأخذ كل من تلك الطرق في تأكيد وجودها بمواجهة كل منها للاخرى . سنسعى عندئذ لنكتشف في كل منها الاسباب الجوهرية التي تدفعها الى الفشل وسوف نستطيع تحديد المسائل الاساسية التي يطرحها « فن الكتابة » على الشاب فلوبير .





- الحرب النفسية
معركة الكلمة والمعتقد
- تأليف : صلاح نصر

- من المجلات الفكرية العالمية
كتائب الخدمة المدنية وفرق
ميليشيا شعبية فى غينيا

الحرب النفسية
معركة الكلمة والمعتقد
- تأليف صلاح نصر
- دار القاهرة للطباعة والنشر

ان من اهم السمات التى يتميز بها كتاب « الحرب النفسية » : معركة الكلمة والمعتقد » والذى قام السيد صلاح نصر بتأليفه وتقديمه الى المكتبة العربية ، هى جدة موضوعه بالنسبة لهذه المكتبة . كما ان توقيت تقديمه فى هذه الفترة بالذات ، للتعريف بأصول وقواعد واساليب الحرب النفسية ، انما يخدم المعركة النضالية الصارمة التى تخوضها وستخوضها الجماهير العربية وقياداتها الثورية ضد اعدائها فى جميع المجالات . والكتاب فى الحقيقة ، ليس من نوع الكتب التى يمكن ان يثور حولها جدل انتقادى يجتهد فيه كل مجتهد ما شاء ، بقدر ماهو كتاب معلم ومثقف فى موضوعه .

يرى السيد صلاح نصر فى مقدمة كتابه أن الحرب النفسية قديمة قدم التاريخ ولا تختلف فى شكلها الحالى عما كانت عليه من قبل الا فى الوسيلة والتطبيق ، وان هدفها قد ظل هو التأثير فى نفسية العدو والقضاء على معنوياته ، وانه برغم آلام الحرب العالمية الثانية ومآسيها التى لا تزال ماثلة للعيان ، الا أن الصراع المذهبى — بين معسكرى الشرق والغرب ، يتناسى ذلك ويثير حربا نفسية شاملة مسخرا كل امكانيات العلم ، ومقدراته الفنية والسياسية والاقتصادية وغيرها .

والحرب النفسية حسبما راى ، ليست حربا بالمعنى التقليدى ، فهى مجرد عامل مساعد لتحقيق الاستراتيجية القومية للدولة ، وهى تشن فى وقت السلم والحرب على السواء ، كما تستخدم فيها كل امكانيات الدولة . كما ان تعريفها يتسم بصعوبة ما بسبب المجموعة الكبيرة من المصطلحات التى شاعت عند الحديث عن الصراع الايديولوجى الذى يسود العالم اليوم ، غير ان هناك ما يمكن ان يسميه المؤلف بـ « معركة الكلمة » و « معركة المعتقد » ، ويتعرض فى هذا الجزء الاول من كتابه ، لـ « معركة الكلمة » التى يعتقد انها سواء كانت هامسة أو علنية وسواء كانت شفهية أو مكتوبة تعتبر من الاسلحة التى توجه الى نفس الانسان وعقله ، وتستطيع ان تصل الى اعماقه اذا تمكنت من مخاطبة عاطفته . فالدعاية ، والشائعات ، وحتى اعمال التآمر والتخريب المعنوى والمادى وغير ذلك من اسلحة الحرب النفسية تعتمد كلها على الكلمة . أما « معركة المعتقد » وهى الجزء الثانى الذى لم يصدر بعد من هذا الكتاب ، فسيتعرض فيها الكاتب — كما اوضح فى مقدمة هذا الجزء — الى الصراعات العقلية التى تعرض لها الانسان وشملت معتقداته الدينية ، وتحولاته المذهبية ، وعلاقاته الاجتماعية . وقدحدد بأن للحرب النفسية ، نظريتها وتطبيقاتها ، وقد استقى النظرية من آراء الثقات وذوى الخبرة فى الموضوع ، اما فى التطبيق فقد قام باعطاء امثلة من مجتمعات تختلف فى تكوينها وعقائدها ومذاهبها ، وانهى الجزء الاول بتطبيق عملى على مجتمعنا .

مفهوم الحرب النفسية وتطورها

يرى المؤلف ان هدف الحرب النفسية هو عقل الانسان ونفسيته لا جسده ، ولذا كان لدراسة السلوك الاجتماعي اهمية كبيرة في دراسة الحرب النفسية . وقد قدم في الفصل الاول من هذا الباب دراسة اكاديمية مستفيضة عن تكوين السلوك الاجتماعي ، واسباب اختلاف الناس في سلوكهم ، والعوامل التي تتحكم في هذا السلوك ، وتلك التي تتأثر بها الجماعات طبقا لتكويناتها المختلفة . ثم عرض لبعض الحوادث التاريخية التي توضح تطبيقات الحرب النفسية ، مثل احتلال تحتمس الثالث ليافا عن طريق ارهاب حاكمها نفسيا بقوة فرعون مصر الفائقة ثم استخدام خدعة عسكرية ناجحة لادخال الجنود المصرية الى المدينة داخل غرائر . وقدم كذلك مثل معركة قادش التي استخدم الحيثيون فيها اثنين من عملائهم لايهام **رمسيس الثاني** بتقهقر الجيش الحيثي شمالا الى حلب ، واثر تلك الخدعة في تقدم فيلقين مصريين للامام بغير حذر ، وانقضاض العدو عليهم ، مما زاد من الصعوبة التي واجهت المصريين في الحصول على النصر . ومن الطرائف التاريخية التي ذكرها في هذا الموضوع ، وتتصل بالخداع والمفاجأة في نطاق الحرب النفسية ، ان العدو الذي واجه ((**القائد امنحتب**)) وهو احد قواد تحتمس الثالث ، عمد الى حيلة حاول بها نشر الفوضى والارتباك في العجلات الحربية المصرية التي كانت تجرها في العادة خيول ذكور ، وذلك بأن انفذ الى الموقع المصري ليلا ، انثى فرس عمدا وذلك ليربك صفوف القوات المصرية ،ولكن امنحتب فطن لتلك الحيلة وقتل تلك الفرس فورا واحبط خطة العدو . وعدد امثلة اخرى من التاريخ الاسلامي كقيام **طارق بن زياد** بحرق الاسطول الذي نقل جنوده الـ ١٢٫٠٠٠ الذين كان عليهم ان يهاجموا العدو وعدد مقاتليه ١٠٠٫٠٠٠ ، مما كان له اثر معنوي في دفعهم للاستماتة في قتال العدو والانتصار عليه بالفعل . ثم استخدام **جنكيز خان** المغولي ، لجواسيس العدو كوسيلة لارهاب جنود العدو انفسهم ، ولجوئه الى الشائعات ليرهب بها قلوب اعدائه .

وقد اشار الى ان الدراسات الجديدة قد كشفت عن ان امبراطورية الخان قد قامت على مستحدثات عسكرية مليئة بالجرأة من استخدام قوات خفيفة الحركة بدرجة كبيرة ، الى الانتفاع الكامل باعمال المخابرات وجمع المعلومات ،وفي تنسيق استراتيجية تغطي نصف العالم ، مع تطبيق اساليب الدعاية بكافة صورها ، خاصة وقد استفاد المغول ايما استفادة مما تحت ايديهم من معرفة متسقة بعالمهم المعاصر ، اذ كانوا يقاتلون في وقت واحد اسرة **سونج** في الصين ، ويحاربون الامبراطورية الرومانية المقدسة في بروسيا ، اللتين تفصلهما الاف الاميال ، دون ان تعرف اسرة سونج بوجود الامبراطورية الرومانية ودون ان تعرف الامبراطورية الرومانية بوجود اسرة سونج اللهم الا من بعض الشائعات ، ثم استعرض تكتيك القراصنة في الحرب النفسية البحرية ، واستخدام **كورتز** الاسباني للتقاليد والاساطير المكسيكية بغية نشر الارهاب النفسي بين اعدائه ، كما ان تاريخ شركة الهند الشرقية الذي استمر حتى سنة ١٨٥٨ يحمل في طياته عاملا هاما هو الوسائل الدعائية التي استخدمتها في غزو الهند ضد الضخامة العددية الكبيرة للهنود . وقد استخدمت الشركة منذ ايامها الاولى ما يعتبر اليوم بـ ((الحرب النفسية السوداء)) وذلك باستخدامهم ((الطابور الخامس)) حتى تولدت لدى الشعب عقدة الخوف من الجواسيس (Spy Phobia) ، واثارتهم النزاعات والاستفزازات بين المسلمين والهندوس والسيخ . كذلك في غزو ((المانشو)) للصين صورة فعالة من اساليب الحرب النفسية ، اذ لما كانت الافضلية العددية للصينيين بالنسبة للمانشو المحتلين وصلت لنسبة ٤٠٠ : ١ ، لهذا استخدم المانشو الارهاب كوسيلة لكبح هذه الافضلية العديدة وكانوا يبيدون السكان جميعا في مدن بأكملها مثلما حدث في **كيانجين وشيانتج** في القرن السابع عشر

وقد خلع **بونابرت** على نفسه لقب حامي الاسلام وادعى انه مسلم ، ولم يمض وقت طويل حتى كانت خيوله تقتحم الجوامع وتضرب الثوار بكل عنف . وهكذا فان الوسائل الفعالة التي استعملت في مضمار الحرب النفسية بعد هذا السرد التاريخي هي : الخداع عن طريق الحيل والايهام ، اثارة القلق باستخدام وسائل غير مألوفة، السباب ، الافتراءات والدعاية المركزة لقضيته التي يحارب من أجلها ، خلق قوة خاصة جبارة لا تقهر ، التهديد بواسطة التسليح ، بث الذعر واطلاق الشائعات ، التحقير من قوة العدو ،الاغراء والتضليل والوعد ، استغلال الخلافات الدينية والعقائدية ، الارهاب ،اما الحرب النفسية الحديثة فتضيف الى كل ذلك استعمال الوسائل المخططة على نطاق دولي واسع ، واستعمال الوسائل الفنية الحديثة .

دروس الحربين العالميتين

ويرى المؤلف ان الحرب النفسية في خطوطها العريضة ، كانت سلاحا من الاسلحة القاطعة في حرب ١٩١٤ — ١٩١٨ . فقد لعبت سياسة الحلفاء الملطفة ،ونقاط **ويلسون** الاربعة عشر ،وطابع الاهمال الذي اتصف به القيصر **غليوم** ، ثم انبعاث

القوميات البولندية والفنلندية والتشيكية والسلافية دورا حقيقيا فى استسلام المانيا سنة ١٩١٨ . فى حين لم ينجح الالمان فى دعايتهم فى هذه الحرب ولاسيما فى الجبهة الداخلية ، اذ اهملت الحكومة الامبراطورية التى كانت واثقة من قوتها ، مسألة استمالة الرجل العادي الى جانبها . وهو مـا تجنبته الهتلرية بعد ذلك ، اذ وصلت الى السلطة عن طريق استمالة الرجل العادى ، وطبق هتلر التكتيك فى الميدان الدولي بادئا بتملق الجماهير فى كل مكان ثم انتهى الى الوحشية الباردة التى لا يهمها كل ما يحدث فى سبيل تحقيق هدفها .

وقد كان لانجلترا فى الحرب الاولى وكالتان منفصلتان : الاولى هى وزارة الاستعلامات ومعها ادارة المخابرات تحت رياسة الكولونيل **بوكان** للدعاية خارج بريطانيا، ثم اللجنة القومية لاغراض الحرب للدعاية داخل بريطانيا .

وكان لامريكا أيضا هيئتان ، الوكالة المدنيـة للمعلومات التى عرفت دوليا باسم لجنة **كريل** ثم الوكالة العسكرية .

ثم جاءت الثورة البلشفية فى السنة الرابعة من الحرب واعتمدت على الدعاية مستخدمة تنظيمات الحزب الشيوعى ، واتحادات العمال والبعثات التجارية والقنصلية والنشرات التى ترسل بالبريد والملصقات والكتب والصحف والافلام والراديو الخ ...

ويرى المؤلف ان ما حققته الشيوعية فى ميدان الحرب النفسية ، كان يعتبر دائما جزءا خاصا من تطبيقات الماركسية ، ولم ينظر اليه على انه فن يمكن ان تتعلمه او تستخدمه اية شعوب اخرى لا تدين بالشيوعية ، وقد اشار الى حقيقة اعتبرها هامة وهى « ان النازيين من البداية لم يؤمنوا بالعقيدة التى يبشرون بها ، بالقـدر الذى آمن الشيوعيون بعقيدتهم » وانه وان كان « جهاز النازية قد جاء الى حـد بعيد تطبيقـا للمثـال الشيوعى » من ناحية الاعتماد على الحزب الواحد الذى يعتبر نفسـه محققا لاهداف الشـعب فى الحالتين ، فان التطبيق كان فى الحالتين « لغاية مختلفة » .

وقـد نمت الدعـاية فى كلتا الدولتين لتـكون « ايديولوجية » ، ومما جعل « الحرب النفسية » ذات طابع خاص فى الحرب العالمية الثانية ، حقيقة ان النازية والفاشية قاتلتا على اساس حرب تدار باسلوب نفسي اى « الحرب الشاملة » .

الحرب النفسية خلال الحرب العالمية الثانية

تمهيدا لهذه الحرب ، استطاعت دول المحور « روما ــ برلين ــ طوكيو » ان تجعل شعوبها اولا راضية عن القيام بحرب عدوانية ، ثم قامت بتفتيت خصومها للحصول على النصر ، وكان عليها ان تخيف اعـدائها المبـاشرين ، وان تهـدىء خصومها المنتظرين . وقد حقق الالمان فى ميدان الدعاية ٣ انتصارات :

١ ــ فى المجال السياسى ، بجعل كتلة كبيرة من الرأى العام الدولي ترى ان مستقبل العالم يتوقف على الاختيار بين الشيوعية والفاشية .

٢ ــ فى المجال الاستراتيجى ، بان تبدو كل ضحية على انها هى الضحية الاخيرة .

٣ ــ فى الميدان السـيكولوجى : باسـتخدام « الذعر الكامل » بجعل الشعب الالمانى نفسـه يخشى من تصفية الشيوعية له ، واستخدام افلام عمليات الحرب الخاطفة لاخافة الجماعات الحاكمة فى دول اخرى ولتحطيم المعنويات ، وتسبب من ذلك ما يسمى « بالانهيار العصبى » للامم ، اى ابقائها دائما فى حالة شك وعدم تيقن مما يمكن ان يحدث لها غدا . وقد استخدمت كل من المانيا وبريطانيا الاذاعة كوسيلة فعالة يمكن توجيهها الى كل دول اوربا ، واستخدمت فى هذه العملية من الجانبين « اعمال الشوشرة » اما الولايات المتحدة فلم يكن لديها بعد بداية الحرب فى الشرق الاقصى حتى بعد اشتراكها فى العمليات الحربية بأوروبا، اى اقسام مدنية او عسكرية تتوافر لها وسائل الدعاية ، ولكن كان لها فى الواقع صلات غير مباشرة فى كل انحاء العالم اقامتها مجموعة صحف **التايم ، لايف ، فورتشـن** ، فضـلا عن **الريدرز دايجست** . والظاهرة الهامة ان كل المتاعب التى واجهها الامريكيون فى الحرب النفسية التى تولوها كانت تكمن فى الناحية الادارية . الا ان الرئيس روزفلت فى يونيو سنة ١٩٤٢ انشأ «ادارة معلومات الحرب » لتتولى السيطرة المباشرة على الدعاية المحلية والخارجية فى نصف الكرة الغربى ثم اتسعت فيما بعد لتصبح «ادارة الخدمات الاستراتيجية» ، وتحددت اغراضها : فى القيام بجمع المعلومات والدعاية السوداء ، والقيام باعمـال المؤامرات والتقويض بالتعاون مع السلطات العسكرية .

اما اليابانيون فلم يبتكروا الا القليل فى الحرب النفسية ، ولكنهم احسنوا استخدام « الانباء » كوسـيلة لاجتذاب المسـتمعين الامريكيين . أما الروس فقد طوروا من انفسهم فى معركة الحـرب النفسية ، ونجحوا فى تجميع مواطنيهم وتكتيلهم ضد العدو ، اذ طالبوا الشعب باداء الصلوات فى الكنائس من اجل النصر ، وسـموا الحـرب « بالحرب الوطنية الكبرى » ، وبعثوا للالمان مرة ثانية نصيحة **بسمارك** بعدم القاء جنودهم فى اى مغامرة نحو الشرق من بلادهم ، واسـتخدموا

الأسرى الالمان فى الدعاية ، وجعلوا الجنرالات النازيين يتحولوا الى حركة المانيا الحرة .

الشكل الحديث للحرب النفسية

هذا الشكل ارتبط بالصراع المذهبى الكبير بين المنتصرين فى الحرب العالمية الثانية ، اذ دخلت الحرب النفسية فى مرحلة لا هى حرب فعلية ، ولا هى سلام حقيقى . وتسابق الطرفان فى ميدان الحرب النفسية بشكل لم يظهر فى التاريخ الحديث، مما أدى الى ما سماه **والترليبمان** « بالحرب **الباردة** » بأشكالها المختلفة . وان معركة خليج الخنازير وأزمة صواريخ كوبا التى وصل فيها الارهاق النفسى لكل من المعسكرين ، الى درجة تهدد باندلاع عاصفة عاتية قد تودى بالمدنية والحضارة الانسانية ، تعطيان صورة واضحة عما قام به الطرفان من استغلال الحرب النفسية فى مفهومها الجديد على اوسع نطاق . كما أوضح الكاتب ان الاحداث الجارية الان فى فيتنام ، تعطينا مظهرا ساخنا لحلقة من حلقات الحرب الباردة الدائرة بين المعسكرين ، ولاسيما بين كل من الصين الشعبية والولايات المتحدة فى جنوب شرقى آسيا . ومن المشاهد ان كلا من الولايات المتحدة وبريطانيا ، تعملان بصفة خاصة لزيادة احكام الحصار على الصين الشعبية بمحاولتهما اقامة سلسلة جديدة من الاحلاف ، تكمل الحصار الذى يمثله حلف جنوب شرقى آسيا وذلك بمحاولة ادخال اليابان والفلبين ونيوزيلنده وفيتنام الجنوبية وكوريا الجنوبية وغيرها فى نطاق هذه الاحلاف .

وان المظاهر الاساسية للحرب النفسية فى الفترة التى اعقبت الحرب العالمية الثانية ، أخذت اشكالا عديدة من كلا الطرفين ، واحد هذه المظاهر، التسابق العنيف فى التسلح النووى ، وكذا الحروب المحلية العديدة، والاذاعات ،واكتشافات الفضاء.

تعريف الحرب النفسية

يرى المؤلف انه ليس من السهل بحال ، وضع تعريف محدد للحرب النفسية ، وانه حتى اولئك الذين تخصصوا فى هذا الموضوع لم يتمكنوا من وضع هذا الاصطلاح فى اطار واضح المعالم . وقد عرض فى هذا الفصل عددا من المفاهيم المتباينة عن الحرب النفسية وتاريخ دخول هذه العبارة الى القواميس اللغوية الحديثة. ولقد جاء الاختلاف فى تحديد تعريف واضح للحرب النفسية ، فى رأيه ، نتيجة ان مجال نشاطها غير متفق على حدوده حتى بين الهيئات المختلفة داخل دولة واحدة .

ومن بين اول التعاريف التى وضعت للحرب النفسية وكانت تجمع عليها القوات العسكرية الامريكية : « ان الحرب النفسية هى استخدام اى وسيلة بقصد التأثير على الروح المعنوية وعلى سلوك أى جماعة لغرض عسكرى معين » ، وقبل مرور عام على اصدار هذا التعريف ، اصدرت مدرسة الجيش البرى الامريكى كتابا يعرف مفهوم الحرب النفسية كما يلى : « تتضمن الحرب النفسية استخدام الدعاية ضد عدو مع استخدام عمليات عسكرية أو اجراءات أخرى تدعو الحاجة اليها لتكملة مثل هذه الدعاية » ، وبعد ثلاث سنوات اصدرت وزارة الحرب تعريفا جديدا على أساس: « ان الحرب النفسية هى استخدام مخطط من جانب دولة او مجموعة من الدول للدعاية وغيرها من الاجراءات الاعلامية الموجهة الى جماعات عدائية ، أو محايدة ، أو صديقة للتأثير على آرائها وعواطفها ومواقفها وسلوكها بطريقة تعين على تحقيق سياسة واهداف الدولة المستخدمة أو الدول المستخدمة . » ، واحدث الاراء الرسمية عن الحرب النفسية ، هو ما اصدرته وزارة الحرب الامريكية فى سنة ١٩٥٥ ، يرى ان « الحرب النفسية هى الاستخدام المخطط للدعاية وغيرها من الاعمال التى تستهدف قبل كل شىء التأثير على اراء وعواطف ومواقف وسلوك جماعات عدائية أو محايدة أو صديقة بطريقة تعين على تحقيق اهدافها القومية » .

ويصف البريطانيون النشاط الذى يطلق عليه الامريكيون اسم الحرب النفسية ، باسم آخر هو الحرب السياسية . والمجموعة الكبيرة من المصطلحات التى شاعت عند الحديث عن الصراع الايديولوجى الذى يسود العالم اليوم ، هى التى تجعلنا ندرك الصعوبة التى تواجه الباحث عند تعريف الحرب النفسية، وبعض هذه المصطلحات هى : الحرب الباردة ، حرب الافكار ، الحرب الايديولوجية او العقائدية ، الاثارة ، حرب الاعصاب ، الاستعلامات الدولية ، الدعاية الدولية، حرب الدعاية ، حرب الكلمات ، الاعلام الدولى الخ .. وهى عدد قليل مما هو شائع .

وربما كان افضل التعاريف للحرب النفسية والعسكرية هو الذى كتبه **بول لينبارجر** فى كتابه « الحرب النفسية » سنة ١٩٥٤ ، اذ عرف الحرب النفسية بالمعنى الضيق على اساس انها استخدام الدعاية ضد العدو مع اجراءات عملية اخرى ذات طبيعة عسكرية او اقتصادية او سياسية مما تتطلبه الدعاية» . اما بالمعنى الواسع فقد عرفها بأنها « تطبيق لبعض اجزاء علم النفس ، لمعاونة المجهودات التى تبذل فى المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية » . وقد اسبغ المؤلف على الحرب النفسية وصفين يعكسان عليهما

مستويات الاطار الزمني والمكاني، فهناك في رأيه: الحرب النفسية الاستراتيجية، والحرب النفسية التكتيكية. الاولى توجه الى جمهور كبير وعلى مساحة شاسعة وغير محدودة بزمان او مكان وهدفها العمل لتحقيق الاهداف الاستراتيجية البعيدة للدولة طبقا للاهداف القومية. اما الثانية فتوجه ضد جيوش العدو في ميدان القتال او في قواعده، او ضد رعايا الدولة المعادية بصفة عامة والموجودين منهم في منطقة القتال بصفة خاصة — والحرب النفسية التكتيكية تهدف الى تحقيق هدف قريب ومحدود مثل استسلام القوات المقاتلة. ولذا فان العمليات النفسية كما يفهمها افراد القوات المسلحة اضيق بكثير واكثر تخصصا مما يعنيه الصحفيون او السياسيون عند حديثهم عن الحرب النفسية.

والحرب النفسية جزء من الحرب الشاملة تشن قبل الحرب وفي اثنائها وفي اعقابها. وان ما يسمى بالاستعمار الجديد ضد الدول المتحررة في افريقيا وآسيا في النطاق الاقتصادي، صورة جديدة من صور الحرب النفسية الحديثة. وقد اشار المؤلف الى حقيقة انه لم يكن علم النفس هو العنصر الفعال في ادارة الحرب النفسية الحديثة، الا انه اكد ان العالم النفسي يساهم بمجهود فعال في هذه الحرب، فهو الذي يشير الى ما يحتاج اليه رجال الدعاية، وهو اقرب العلوم كلها الى هذا الرجل. كما اشار الى عدم نسيان الدور الكبير الذي ساهم، علم النفس حديثا فيما يسمى بعملية « غسل المخ » التي تستخدم لتوجيه الفكر الانساني ضد رغبة الفرد الحر.

التنظيم للحرب النفسية

ويرى المؤلف ان مشكلات التنظيم الخاصة بالحرب النفسية قد واجهت معظم الدول الكبيرة في نضالها وصراعها. فعقب دخول الولايات المتحدة الحرب الاولى، اصدر رئيسها امرا بتأليف لجنة للاستعلامات العامة. وكانت تتألف من وزراء البحرية والحرب والخارجية ومستر جورج كريل، الذي كان مسئولا عن كل مظهر للدعاية في الداخل والخارج، وكان من نتائج هذه الطريقة ان منح كل ممثل من ممثلي اللجنة في الخارج هيبة ٣ وزارات حكومية. غير انه بينما نشأ النظام الامريكي بجرة قلم واحدة، وظل دون تغير اثناء الحرب، فان النظام البريطاني تعرض للتغييرات وبسبب آثار السياسة الحزبية، انشئت « لجنة اهداف الحرب البرلمانية » من ممثلي كل الاحزاب، وذلك نتيجة خوف الاحزاب من ان تنفق الحكومة اموال الدعاية لمصلحتها اكثر مما تصرفها على مصلحة البلاد. ثم تكونت بعد ذلك لجنة للافلام واللاسلكي ثم مكتب للصحافة، وفي يناير سنة ١٩١٧ تكونت ادارة الاستعلامات، ثم عين لورد **بيفربروك** في سنة ١٩١٨ وزيرا للاستعلامات، وعين لورد **نورثكليف** مديرا للدعاية في بلاد الاعداء، وعين مديرون للمخابرات في البلاد المحايدة وللدعاية السينمائية. وكان نورثكليف مسئولا امام لورد بيفربروك في الشئون المالية، لكن كان له حق الاتصال المباشر برئيس الوزراء ووزارة الحرب.

واهم فرق بين الخطة الامريكية والخطة البريطانية، هي ان الاخيرة وضعت الدعاية المحلية والخارجية في يد موظفين منسقين. وكان البريطانيون يؤكدون ضرورة وجود استقلال ذاتي للادارات، بسبب المصالح المتنوعة التي كانت تجابههم، دون الامريكيين. اما الالمان فقد كان لديهم الحد الادنى من المجهود المنسق لشئون الدعاية في الحرب الاولى، لكنهم سرعان ما كونوا هيئة ضخمة للصحافة لهذا الشأن، ونجحت هذه الهيئة وبتوجيه من الجنرال **لود ندورف** رسمت خطة مفصلة لاثارة وطنية المدنيين والمقاتلين في يوليو سنة ١٩١٧. اما الفرنسيون فقد عهدوا بدعايتهم الى الهيئات الدبلوماسية والهيئات العسكرية والبحرية، وارسال مندوبين ساميين.

التنظيم خلال الحرب العالمية الثانية

التنظيم النازي: بعد اسبوع من استيلاء النازي على الحكم، حصل **هتلر** على مرسوم بتوقيع **هندنبرج** بانشاء وزارة الدعاية، وكان ملخص خطة التنظيم النازي للدعاية هو: « يجب ان تتركز السيطرة على انشطة الدعاية، وسوف تتساوى مهنة الدعاية من حيث الاهمية مع اية مهمة حكومية اخرى. ويجب ان تتاح للقائمين على شئون الدعاية، فرصة الحصول على كل المعلومات وكل الخطط الخاصة بالهيئات الاخرى، وسوف تستغل هيئة الدعاية كل فرص الدعاية. ويجب الا يسمح لهيئة اخرى بالعمل المستقل في هذا الميدان. وسوف يشغل وظائف الدعاية ذات المسئولية، اكثر الناس اخلاصا للحركة واكفؤهم من الناحية الفنية. ويجب ان يتم احتكار السيطرة على كل اجهزة الاعلام الجماهيرية ويشمل ذلك الموسيقى والفن والمسرح والمعمار والكتب والتجارة السياحية والاسواق والمعارض والمدارس وغيرها. وعلى قدر الامكان يجب ان تتم السيطرة على هذه الاجهزة بشكل لا تبدو فيه الرقابة، على انها مباشرة ».

ونتيجة لذلك اصبح رجل واحد — هو **جوزيف جوبلز** — مديرا للدعاية. وكان منصب جوبلز الشخصية الثالثة في النازي، يعني ان وزارته

كانت قوة كبيرة فى الحكومة . وكانت وزارة الدعاية تدير كلية سياسية لتدريب رجال الدعاية . وكان منهج الدراسة يشمل دراسة كتب مثل «كفاحى» « والطبيعة » تأليف **روزنبرج** ، « ومبادىء واهداف الاشتراكية الوطنية » و «كفاح فى برلين» لجوبلز ، وكتاب فى نظرية الاجناس تأليف جنتر .

ولقد نفذت الرقابة تحت ستار تهديد لايكاد يكون مستترا ، فلقد كان شبح معسكرات الاعتقال والمصادرة ، تجعل أى محرر صحفى او منتج فيلم يسير فى الصف مع القافلة .

المنظمات الامريكية

فى يوليو ١٩٤٠ انشأ الرئيس **روزفلت** ، مكتب تنسيق الاستعلامات ، واسندت إليه مهمتان : الاولى تنسيق جمع المعلومات من جميع المصادر وتحليلها ، والاخيرة اذاعة المعلومات فى الخارج . ثم انشأ هيئة للاستعلامات الخارجية Fis كجزء مكمل لمكتب تنسيق الاستعلامات وكانت هذه الهيئة تقوم بترويج مبادىء الديمقراطية ونشر قضية الامم المتحدة ، وشرح اهداف الولايات المتحدة فى جميع انحاء العالم عدا امريكا اللاتينية .

والامر الذى لاحظه المؤلف إن الامريكيين لم يستفيدوا من دروس الحرب النفسية فى الحرب العالمية الاولى ، كما كان قادة القمة من الرئيس الى من هم اقل منه ، مشغولين فى المشكلات الاستراتيجية العامة ، العسكرية والسياسية من جهة ، ومن جهة اخرى لم يتفهموا امكانيات الحرب النفسية فى النضال العالمى ضد النازى ، وضد اليابانيين . ولذا سادت الفوضى فى هذا المجال فى اثناء الشهور الستة التى اعقبت الهجوم على بيرل هاربور . وجرت اعادة تنسيق للنشاط وانشىء مكتب معلومات الحرب واصبح الهيئة المسئولة عن عمليات المعلومات والدعاية السافرة فى الخارج سنة ١٩٤٣ كما كانت هناك تنظيمات للحرب النفسية داخل مكتب المخابرات البحرية ووزارة الحرب . ثم انشئت بعد ذلك لجنة الحرب النفسية المشتركة ومما هو جدير بالذكر ان المنطقة التى بدأت فيها الولايات المتحدة القيام بمجهود عسكرى فى الحرب النفسية ، فى الحرب العالمية الثانية كانت هى شمال افريقيا ، ولما كانت طبيعة العملية انجليزية ـ امريكية ، لذا كان مفهوم التنظيم طبقا لقيادة الجنرال ايزنهاور أن يحقق التضامن بين المواهب الامريكية والبريطانية . هذا وقد اسندت مهمة تخطيط واستخدام الحرب النفسية والتنفيذ الفعلى للعمليات فى منطقة قارة اوربا الى قسم الحرب النفسية التابع للقيادة العليا لقوات الحلفاء .

التنظيم السوفيتى للحرب النفسية

دحض المؤلف الاسطورة المنتشرة فى المحافل الغربية عن « ان الشيوعيين قد اكتشفوا قوة غامضة للكلمات» واوضح انه «اذا كان السوفييت قد اكتشفوا أى شىء جديد ، فليس هو « قوة الكلمة » بل قوة الحزب المنظم والمكرس للقتال» ولهذا فان الطريق الى تفهم الحرب النفسية عند السوفييت ، انما يجىء بواسطة تفهم هذا الحزب المقاتل . والخطوة الاولى فى الطابع الشيوعى ، هى بناء نواة تنظيم مقاتل منظم عنيف صلب . ولقد ادت التوجيهات الماركسية بالبولشفيك الى ان يركزوا جهدهم على الطبقة العاملة . ولكن عندما نشأت المنظمات الشيوعية فى آسيا والبلاد الاقل اتجاها للصناعة ، بدأ الجهد يتحول نحو جماعات اخرى كالعمال الزراعيين مثلما حدث فى الصين . وقد طالب لينين « بان تكون كل خلية او كل لجنة من أفراد الحزب بمثابة قاعدة تعضد اعمال الاثارة والدعاية والتنظيم بين الجماهير ، اى يجب ان يذهب افراد الخلايا واللجان الى حيث تكون الجماهير ، ويجب ان يوجهوا وعيهم فى كل خطوة نحو الشيوعية ، ويجب ان يربطوا بين كل مسألة خاصة ، وبين واجبات البروليتاريا ، ويجب ان يستخدموا كل محاولة لزيادة تدعيم قضية الطبقة ، وان يستطيعوا بنشاطهم وبتأثيرهم المعنوى ان يحصلوا على الزعامة والقيادة فى كل منظمة قانونية للبروليتاريا » ولقد كان **بليخانوف** هو الذى وضع التوضيح الشهير الذى يفرق بين « الدعاية » وبين « الاثارة » فقال : « ان رجل الدعاية يقدم اراء كثيرة لفرد واحد او لعدد قليل من الافراد ، ولكن المثير الذى يقوم بأشعال الفتن يعرض رأيا واحدا او اراء قليلة لجمع خفير من الناس » .

وأبرز النقاط التى يرى المؤلف وجوب توضيحها ، هى ان السيطرة على نشاط الدعاية والاثارة ، انما يتم فى أعلى مراتب ودرجات رياسة الحزب ، وادارة الدعاية واحدة من الادارات السبع فى اللجنة المركزية للحزب ، ولكنها لا ترسم السياسات الاساسية للدعاية ، فان هذا حق اللجنة المركزية نفسها . كما يرى « ان روسيا السوفيتية هى اول دولة فى العالم استطاعت ان تخلق تنظيما شاملا لدعاة واداريين ومنظمين يعملون كل الوقت لخدمة الحزب . كما ان المدارس ابتداء من المرحلة الابتدائية تكرر على آذان الطفل سياسة الحزب وتعاليمه ومخططه ، وقد اعد الحزب البرامج بحيث تمس المواطن فى كل مرحلة من مراحل حياته ، ولذا فان السوفييت « لا يواجهون الا اقل المتاعب فى تكييف عمليات الحرب النفسية » .

مؤهلات الافراد

وقد اشار المؤلف الى ضرورة توافر صلاحيات معينة فى القائمين بشئون الحرب النفسية ، مثل رجال الفكر والاداريين ، ورجال الاتصال ، والمبتكرين ،والباحثين ، والفنيين وموظفى الخدمات، بحيث تؤهلهم للقيام بالمهام ذات الطابع الخاص المكلفين بها . والامر المهم الذى يراه من ناحية التجنيد ، هو اختيار الافراد الذين ينسجم كل منهم بيسر ضمن الوحدة التى يعمل فيها .

الحرب النفسية الدفاعية

هناك مشاكل للتخطيط تواجه من يقومون بالحرب النفسية ، ومن المشكلات الرئيسية التى تواجههم عند وضع خطة الحرب النفسية : ١ — الاستراتيجية الكبرى للدولة والى اى مدى تتمشى خطة الحرب النفسيةلتحقيق اهداف الخطة الكبرى ٢ — قيود الاسلحةالمختلفةالتى ستتعاون فى تنفيذ الخطة ،ونعنى بها فىهذا المجالالمواد والاحتياجات المطلوبة . ٣ — المشاكل المختصة بالعامل البشرى ٤ — الدعاية المضادة . ٥ — التوجيهات المكتوبة . كما أوضح ان هناك أهدافا سياسية محدودة وقصيرة الاجل ، مثل اعمال الدعاية الامريكية فى ايطاليا سنة ١٩٤٨ لابعاد الشيوعيين عن الحكم ، وأهدافا سياسية محدودة وطويلة الاجل مثل اسقاط الاف وملايين البالونات علىتشيكوسلوفاكيا سنة ١٩٥٤ لحث الشعب على بداية العمل لتغيير النظام هناك . وهناك ايضا الاهداف العسكرية أى عمليات الحرب النفسية ضد الجنود ، وعمليات الخداع الاستراتيجى والتكتيكى . وقدم امثلة لهذا النوع من الاهداف بعملية « اللحمة المفرومة » التى استهدف بها تحويل انظار النازى عن هجوم الحلفاء المقبل على صقلية . واستخدام **جوبلز** لمقال صحفى كاذب فى سبيل تحويل انظار السوفيت عن هجوم النازى المنتظر فى الجنوب . وعملية « الدولار » الامريكى فى كوريا ، لحض الطيارين الشيوعيين على الهرب بطائرات الميج ، وعملية « **ايتاليا كومباتا** » لتأييد عمليات حركة المقاومة فى ايطاليا وعملية « **برادوك** » التى استهدفت قيام العمال الاجانب بتخريب المصانع الالمانية .

وفيما يتعلق بالحرب النفسية الدفاعية ، فقد وجه الحلفاء فى عام ١٩٤٤ — ١٩٤٥ حربهم النفسية ضد المانيا الى القادة ومجموع الجنود الالمان . وبشكل من الاشكال نجح الدفاع الالمانى ضد الحرب النفسية ، لانه قام على اساس عاملين اثنين : ١ — جودة الاغذية والتموين والمواصلات والاسلحة بالنسبة للجنود الالمان . ٢ — تنسيق الخدمات المعنوية لمقاومة الحرب النفسية . وقد اعتمدت الحرب النفسية الدفاعية على تلقين الوحدات عمليات الاستخفاف بالعدو والاستهزاء به ، وعدم تصديق الانباء التى يذيعها . ولم تكن اغلب دعاية الالمان المضادة ، مضادة حقا بالمعنى الفنى الصحيح ، فهى لم توجه ضد دعاية الحلفاء، بل كانت معدة للمعنويات الالمانية . وقد وجه الانتباه الى ان الحرب النفسية الدفاعية ، لابد أن تجعل من اهدافها اعمال « مقاومة التخريب المعنوى » و « مقاومة الجاسوسية » .

وقد اكد على اهميةدور وحدات التوجيهالمعنوى التى تعتبر عناصر الدفاع الاساسية ضد الحرب النفسية التى يمارسها العدو ، كما اكد على ان التوعية المستمرة للجنود فى زمن السلم والحرب تعتبر سلاحا دفاعيا فعالا ضد العدو .

أهمية التوجيه المعنوى

ولقد اثار المؤلف فيما يتعلق بهذه النقطة سؤالا هاما هو : ما واجب كل فرد من افراد قواتنا المسلحة فى ميدان الدفاع النفسى ؟

١ — « يجب ان يكون لدى كل ضابط الوعى السياسى الكامل نحو مفهوم اشتراكيتنا واهدافها »

٢ — يجب عليه ان يتفاعل مع القوى الشاملة التى تعمل للدفاع ضد الهجمات النفسية التى يشنها العدو . وان يتذكر مسئوليته عنتسليح جنوده نفسيا وفكريا وان يتذكر ان الوعى بالمسئولية والتسليح النفسى والايمان بالعقيدة الوطنية هى الاسلحة التى يستطيع بها الضابط ان يخوض حرب العدو النفسية التى تدور معاركها يوميا .

٣ — يجب على الضابط ان يكون ملما بالمعلومات الاساسية الكافية التى تمكنه من ان يخوض المعركة النفسية بنجاح .

أما الجنود فيجب عليهم : أ — الوعى بمحاولات العدو ضد وطنه والمام عام بمفهوم نظامنا السياسى ب — يجب ان يكون ملما بطرق واشكال وامكانيات الحرب النفسية وكذا اتجاهاتها ونشاطها . ٣ — الجلد والنظام اللذان يجب ان يواجه بهما اية تأثير للحرب النفسية .

مجالات التوصيل

ثم قدم المؤلف فى الفصل الرابع دراسة مركزة عن مجالات التوصيل ووسائله ، التى يمكن

الاستفادة منها في مجهودات الحرب النفسية ، وركز دراسته في هذا الفصل على الوسائل الرئيسية التي استخدمتها الدول المختلفة في توجيه مجهوداتها النفسية نحو الاهداف المحددة ، كالاذاعة بنوعيها — العلني والسري ، ونشرات الاستسلام ، والنشرات الصحفية ، واسقاط الكتيبات ، ومكبرات الصوت ، والدبابة ، والطائرة كوسيلتي دعاية ».

الشائعات أفعى المجتمع

وفي الفصل الخامس قدم دراسة مستفيضة عن الشائعات كسلاح رهيب من اسلحة الحرب النفسية التي تفتك بمعنويات الشعوب ، وتهدف غالبا الى شل فكر الانسان . وافرد عدة فصول عن الشائعات والمجتمع ، وتصنيف هذه الشائعات وسيكولوجية الدوافع ورائها ، مع تحليل الشائعة ، ومقاومة الشائعات . ويرى المؤلف ان انشغال الفرد الزائد عن الحد المعقول ، يجعل الفرد يهمس لنفسه برغبات ، وتدور من ثم بخاطره بعض عوامل القلق ممايجعله يبدأ بالحدس والتخمين ، فيصبح نهبا للشائعات . وان سمة الخداع التي تتسم بها الشائعة هي نتيجة كون الشائعة — وان تكن مثيرة تلبس لباسا زائفا — كانها الاداة التي توفر الانباء الموضوعية . والحقيقة ان وظيفتها الخفية اهم بكثير من وظيفتها الاخبارية المزعومة . كما ان معنى الشائعة الوظيفي يمكن التعرف عليه بالتغلغل في اعماق شخصية الفرد وفي حياته العقلية . ويلفت المؤلف النظر الى اننا لا يمكننا ان نتوقع ان نقلل من اهمية الشائعة في المجتمع ، الا اذا تحققت عدة اشياء . يجب ان تكون الانباء اكثر دقة ، وان تنجح في التغلغل في عقول كل من يستمعون اليها . ويجب ان يجد الناس الذين يريدون ان يعرفوا تفسيرا لما يجرى حولهم ، التوضيح الكافي لما يريدون . كما يجب ان يكون الفرد ملما على قدر الامكان بمظاهر الشائعة السيكلوجية والاجتماعية لانه عن طريق التدرب المستمر تزيد قدرته على التعرف على الشائعات اليومية التي تصل الى اسماعه وتحليلها .

الدعاية والرأى العام

واكد المؤلف في هذا الباب اهمية الرأى العام ، واطراد اهمية الجماهير الغفيرة نتيجة اتساع نطاق الاتصالات الانسانية . كذلك تعرض بالدراسة لطبيعة الرأى العام والقوى المحركة له وعمليات قياس هذا الرأى ، والاخطار التي تتضمنها عمليات مسحه كذلك درس وسائل استخدام الدعاية وانواعها ». فالدعاية البيضاء هي التي تصدر من مصدر معروف ، وهي نوع من الدعاية يشترك مع العمليات النفسية العلنية المكشوفة . والدعاية الرمادية هي التي لا توضح أي مصدر . اما الدعاية السوداء فهي التي تدل على انها تنبعث من اى مصدر غير المصدر الحقيقي ، ويشترك هذا النوع من الدعاية مع عمليات الحرب النفسية السرية المغطاة . وتعرض بالدرس ايضا لمسألة التخطيط الاستراتيجي والتكتيكي للدعاية ودور بحوث الرأى في تقييم الحرب النفسية ».

دور المخابرات في الحرب النفسية

ويرى المؤلف ايضا انه توجد وظيفتان رئيسيتان للمخابرات في الحرب النفسية تقوم بها كل من المخابرات الايجابية والوقائية . الاولى هي ماتسمى بتحليل الدعاية ونعني دعاية الدولة وكذا دعاية العدو . والاخرى تتلخص في الحصول على المعلومات لمن يقومون بادارة الحرب النفسية . وقد لفت النظر الى الصراع الطبيعي الذي يجرى بين موظفي المخابرات الذين يحاولون دائما الاحتفاظ بسرية المعلومات المتجمعة لديهم ، وبين موظفي الحرب النفسية الذين يبحثون دائما عن الجزء الواقعي من المعلومات لتقوية الرسائل التي يوجهونها . وهناك واجب ثالث يتفرع عن الوظيفتين الرئيسيتين وهو مسئولية اجراءات الامن في الحرب النفسية . وقد استكمل هذا الفصل بدراسة عن قيود الامن التي كثيرا ماتؤثر على اعمال الحرب النفسية ، كما تعرض بالدرس لمسألة تقييم المواد المجمعة تبعا لدرجة سريتها ، وتحديد الافراد الذين يتعاملون مع المعلومات السرية والتفرقة بين اجراءات الامن والرقابة على النشر ، والرقابة على الاذاعة ، ومهمة جمع المعلومات ، ومقاومة التخريب ، ومقاومة التآمر والتمرد ومقاومة النشاط الهدام ، والعمل للامن الداخلي ومقاومة التجسس ، وقد اشار في هذا الفصل الى « ان مسئولية حماية نظام الدولة الاشتراكي في الجمهورية العربية المتحدة من واجب كل مواطن ، وعليه ان يتفهم العقيدة الاشتراكية والعقائد الاخرى المتباينة ، ويتحتم على كل فرد مداومة الاطلاع ومتابعة الانتاج الفكرى في العالم ، والتعمق في دراسة الايديولوجيات والنظريات المختلفة » ».

واوضح انه من الضروري توافر خيال خصب وعمل جاد لنجاح عملية المعلومات ، وعرف

معلومات الحرب النفسية بأنها المجموعـة من المعرفة الناتجة من الجمـع والتقييم والمقارنات والتفسير ، وذلك فيما يتعلق بالآراء والاتجاهات والمعتقدات والاحساسات وانماط السلوك المنطقى وغير المنطقى التى قد تميز جماعة ما يأمل المرء فى التأثير فيها .

واكد ايضا الحاجة لهذه المعلومات من اجل التخطيط ، كما اكد على ضرورة تحليـل الهـدف الذى تستهدفه جيدا ، وامكانية استخدام الانباء كمعلومات ، وضرورة تواؤم المعلومات والدعاية المقدمة مع الموقف الواقعى ، ودلل على ذلك بأن خطأ الالمان انهم وجهوا دعايتهم للامريكيين سنة ١٩٤٢ بنفس منهج سنة ١٩٤١ متناسين الاثر الذى احدثه هجوم اليابانيين فى « بيرل هاربور » كما اشار الى وجوب الاستفادة من تقدير موقف دعاية العدو، وتحليل الدعاية كمصدر للمخابرات، وتحليل الرأى العام للعدو ما امكن، وكذا استخدام أسلوب الاستفتاء ، والاستجواب وبخـاصة مع الاسرى، وعرض العناصر المكونة لتحليل موضوع من موضوعات الدعاية .

ثورة يوليـــو فى مواجهـة

أساليب الاستعمار والرجعية

وفى هذا الباب عرض المؤلف تطبيقا لعمليات الحرب النفسية التى تعرضت لها الثورة المصرية منذ عقد صفقة السلاح التشيكى سنة ١٩٥٥حتى الان، واوضح الوسائل والاساليب التى استخدمت ضدها من الاذاعات السرية التى بدأت فى اوائل عام ١٩٥٥ باذاعة « صوت مصر الحرة » الى اذاعة الملكيين التى تعمل لحساب الامام المخلوع البدر وضد ثورة اليمن،وقد بلغ عدد هذه المحطات سنة ١٩٥٨ ١١ محطة .

وكذلك النشرات السرية ، وتقليد الاصـوات الاذاعية المعروفة ، والصور المزيفة والشائعات، والاتحادات السياسية الرجعية ، وشراء بعض الجرائد والافلام الغربيةواجهزةالتشويش وتقوية الاذاعات الاستعمارية، كذلك تأسيس البريطانيين لدار الصحافة فى بيروت سنة ١٩٦٠ التى يرأسها روبير ابيللا الذى يحمل الجنسـية البريطانية ، كذلك تخريب دور الصحف القومية مثلما حدث فى بيروت فى اكتوبر سنة ١٩٦٠ بوضع قنابل فى جريدة الحوادث ، ووقوع انفجار فى نفس الشهر فى مبنى دار مجلةالصياد ، كذلك قيامرأس المال الانجليزى بتوسيع نشاط صحيفة الحياة البيروتية وشراء آلات جديدة لها ، وتمويل الحكومةالاردنية لجريدة الجهاد ، واعتماد الكونجرس الامريكى لمبلغ ٤٠ مليون دولار لتقوية اذاعة صوت امريكا عام ١٩٥٩ فى الشرق الاوسط وافريقيا واوربا ، وهى اذاعة تقوم بمحاربة اجهزة الاعلام العربية، كذلك اقامة الاحلاف الرجعية ، وتزييف المجلات العربية القومية مثلما حدث لروزاليـوسـف فى بيروت ، خدمة لاغراض الدعاية الاستعمارية . والملاحظة العامة التى خرج بها المؤلف انه كلما احرزت الجمهورية العربية المتحدة انتصـارا تزايد نشاط أساليب الدعاية المعادية وادواتها . وتعرض المؤلف بالذكر ايضا « لفترةالتوتر مـع السوفييت»عندما واجهتدولةالوحدةليس فحسب ضغطامن الغرب بسببمعاداة الاستعمار ، وانما ايضـا عدة مشكـلات مـع الكتلة الشرقية بسبب الحملات ضـد الشيوعيين المحليين وفى العالم العربى ، الا انه اكد فى النهاية فيما يتعلق بهذه النقطة : « أن العلاقات بين البلدين ، اخذت تتجه الى النمو فى جميـع المجـالات بعد ذلك ، واصبحت العلاقة بينهما مبنية على أسـاس من التفاهم والاحترام المتبادل والحرية السـياسية والعقائدية » واستعرض ايضا الدعايات المضادة لقوانين يوليو الاشتراكية ، والمـدعمة للضغط الغربى الاقتصادى ضـدنا ، والمعـادية للوحدة المصرية السورية ، ثم الهجوم على الاشتراكية كعقيدة وتطبيق فى الجمهورية العربية المتحدة وقد دافع المؤلف فى هذا الجزء دفاعا موضوعيا قويا عن نظامنا الاشتراكى،وفند الاراجيف التى ترددها الدوائر الاستعمارية عنه . وبالنسـبة لصدور الميثاق الوطنى اوضح المؤلف كيف كانت الصحف الايطالية وبخاصة الاشتراكية من افضل صحف العالم استقبالا للميثاق وترحيبا به ، كذلك اوضح تركز المناقشات عالميا وتسليط الاضـواء على الابواب : الثالث والخامس والسابع والتاسـع بصفة خاصة . كما تتبع الموقف بالنسبة لثورة اليمن سـواء فى الجزيرة العربية او فى المشرق العربى والمغرب العربى وفى اسرائيل، وبين الدول الغربية ، كما تعرض بالدراسة لفكـرة الحلف الاسلامى الرجعى .

وقد خلص المؤلف فى نهاية كتـابه الى « ان المعركة التى ستخوضها دعـايات الجمهـورية العربية فى المنطقة العربية ، ستكون سـاخنة وسيكون خصومنا على اكثر من جبهة . وعملية خداع الجماهير قد تبدو سـهلة ، ودعايات الجمهـورية العربيـة المتحدة مطالبة بحماية الجماهير العربية التى تمثل قاعدة التقدم الثورى للجهود الرائدة التى تبذلها القاهرة من أجل الامة العربية » .

وبعد ...

فان الإطلاع على الجزء الأول من هذا الكتاب وعنصر التشويق الذي يتميز به بجانب اهميته للقارىء العادى ، والفائدة المتمثلة فيما يزخر به من معلومات فهو الزم للعاملين في حقل الدعاية والتوجيه المعنوى بصفة خاصة ، اولئك الذين يؤدي الكتاب بالنسبة اليهم — دون شك — خدمة ثقافية جليلة،كما يمكنهم — بشكل من الاشكال — من ان يضعوا ايديهم على موقع وطابع نشاطهم بالنسبة للخطة الاستراتيجيةالعامة للبلاد ،ويعمق بالتالى من فهمهم لمهماتهم ، كل في مجاله .



كتائب الخدمة المدنية وفرق ميليشيا شعبية في غينيا

• مجلة الثورة الديمقراطية الافريقية

تصدر هذه المجلة الشهرية باللغة الفرنسية وهى لسان حال الحزب الديمقراطي الغيني الحزب الحاكم في البلاد بزعامة سكرتيره العام الرئيس احمد سيكوتورى . وتقتصر دائرة نشاط هذه المجلة على نشر الخطب الرسمية والتقارير المقدمة في مؤتمرات الحزب أو حلقاته الدراسية أو اجتماعات هيئاته القيادية المختلفة .

وقد ظهر أخيرا العدد الثامن من هذه المجلة وهو يقع في نحو ٢٣٠ صفحة ويضم مجموعة التقارير التى قدمها مسئول من اعضاء الحزب في مختلف القطاعات في اجتماع المجلس الوطني للثورة ، الى جانب القرارات التى صدرت على اثر دراسة التقارير ، ونص اللائحة الداخلية للحزب التى تحدد اهدافه ومبادئه التنظيمية وشروط العضوية وتركيبه العضوى والمنظمات التابعة له .. الخ .

وجدير بالذكر هنا أن المجلس الوطنى للثورة ليس جهازا حاكما كما قد توحى بذلك تسميته ولكنه أحد الهيئات القيادية للحزب الديمقراطي الغيني ويشبه في تكوينه اللجان المركزية للاحزاب . وتقرر اللائحة ان قرارات هذا المجلس تصدر في الفترة الممتدة بين انعقاد مؤتمرين للحزب . وهو يجتمع على الاقل مرة واحدة في السنة ويضم أعضاء المكتب السياسي وعضوين من قيادة الحزب في كل اقليم على أن يكون احدهما سكرتير الحزب في الاقليم . ومن حق المكتب السياسي ان يدعو أى مسئولين في المنظمات السياسية او الادارية او العسكرية او النقابية لحضور اجتماع المجلس كلما راى ان ذلك في صالح نشاطه . ويناقش هذا المجلس جميع القضايا التى تهم الحزب ويتخذ قراراته التي تسرى في الفترة اللاحقة لاجتماعه .

ومن الدراسات الهامة المقدمة لهذا المجلس ، تقرير اسماعيل تورى ، وزير التنمية الاقتصادية وعضو المكتب السياسي بخصوص تكوين كتائب الخدمة المدنية وفرق الميليشيا الشعبية لحراسة الثورة والحفاظ على منجزاتها . واستهل هذا التقرير بعرض عام للتناقضات الاساسية في حركة الكفاح من اجل التحرر الوطني في افريقيا بوجه عام وفي غينيا على وجه الخصوص ، ويقول التقرير ان التناقض الاساسى بين شعب غينيا ومستغليه يظهر من خلال محاولات تفتيت الحزب بوصفه اداة الكفاح الاساسية في يد الشعب .

ولا تقتصر هذه الظاهرة (ظاهرة محاولة تفتيت الحزب) على غينيا وجدها بل تشمل القبارة الافريقية بأسرها . ولما كان من المحال ايجاد حالة وسط بين العبودية والحبرية فان التغييرات السطحية التي تحافظ على علاقات التبعية والاستغلال الجوهرية لا يمكن أن تكون خطوات تاريخية ذات شأن كبير في تطور الشعوب المستعمرة . وهكذا نجد ان العلاقات بين فرنسا والدول الافريقية في غرب افريقيا ، لم تتغير ، باستثناء جمهوريتى غينيا ومالى ، بالرغم من اعلان استقلال هذه البلاد وبالرغم من التغيرات الشكلية التى طرأت على تسمية هذه العلاقة من « إتحاد فرنسى» أى «اتحاد فرنسى افريقى» الى «الاتحاد الافريقى الملجاشى » أو « اوكام » .

ويجب الا تنسى ابدا التناقض الاساسي المحرك للصراع بين الشعوب الافريقية من جانب والاستعمار الجديد من جانب آخر ، وكذلك ايضا الحقائق الملموسة في كل من المعسكرين المتناقضين

فلى المعسكر الافريقى ، لا تزال هنــاك دول ومناطق تكافح حتى الان من اجل الحصول على استقلالها السياسى . غير انه لا توجد فى الواقع حركة سياسية لتحرير الجماهير على نطاق القارة.

لقد ادى التجمع الديمقراطى الافريقى R.D.A. دورا بارزا فى تطور شعوب المستعمرات الفرنسية فى غرب افريقيا منذ قيامه فى عام ١٩٤٦ . غير انه فقد صفته وتفتت امام مؤامرة الخداع الواسعة التى انطوى عليها استفتاء ديجول فى عام ١٩٥٨.

ويجب ان نلاحظ ان المحاولات الباطلة والمشكوك فى نواياها ، لاحياء التجمع الديمقراطى الافريقى من جديد مآلها الفشل لان التضامن الافريقى الجديد نجح فى تفجير الاطار الضيق والمحدود الذى فرضه استعمار واحد .

وتعتمد غالبية الدول الافريقية على احـزاب وطنية تختلف درجة قوتها وفعاليتها ويتفاوت مدى وعى قادتهــا بالاسس العلميــة لتطور القارة . ولازال بعض هؤلاء القادة يفكرون صراحة بعقلية الاستعمار ويتبعون سياسة تسير فى عكس تيــار التاريخ وتتنافى مع المصالح الحقيقيــة للشعوب الافريقية . ولذا فمن العسيـــر اعتبـــار الدول الافريقية مجموعة متجانســة لانهـا تختلف عن بعضهـا :

١ ــ فى درجة وعى والتزام قادتها .

٢ ــ فى درجة متانة بناء تنظيمهــا السياسى ومدى خبرتها الثورية .

٣ ــ فى اوضاعها وطاقاتها الاقتصادية .

٤ ــ فى عاداتهــا الاجتماعية وفى مدى تغلغل الايديولوجيات الاجنبية فيها .

٥ ــ فى طبيعة نظامهــا (اقطاع ، ديمقراطية الاستعمـار الجديد ، نظام ديمقراطى شعبى ، نظام عسكرى ناجم عن انقلاب) .

٦ ــ فى وجود ارتباط مع الاستعمار فى العلاقات الخارجية (مساعدة فنية حربية او مدنية ، قواعد عسكرية .. الخ) .

٧ ــ فى انتمائها الى كتل ذات اهداف اقتصادية او استراتيجية غير افريقية .

ولا شك ان كل هذه الحقائق تشكل عقبات فى طريق تحقيق الوحـــدة الافريقية فى القمــة التى تستدعى قيام جبهة متماسكة وعملا متناسقا على مستوى الدول .

ويستغل الاستعمار هذه الحقائق ويشجع على تفاقمها لكى يفرض ارادته على الدول الافريقية . وهو يحرص على ابراز وجود كتلة من البلدان الافريقية تقدمية فى مواجهة دول «معتدلة» أو «واقعية» .

وتعرض التقرير بعد ذلك لسلسلة الانقــلابات العسكرى التى لجأ اليها الاستعمار بعد النجاحات التى حققها مؤتمر القمة الافريقى فى اديس ابابا وقدم قائمة بهــذه الانقــلابات وتواريخ حدوثها واوضح ان الخطر لا زال يتهدد لا البلدان التى لم تحدث فيها انقــلابات بعــد ، بل والبلدان التى تعرضت لها ايضا ، ذلك ان الانقلابات تتكرر عادة فى نفس البلد وفقا للقاعدة العامة السارية على دول امريكا اللاتينية والتى حدث فيها ٤٧ انقلابا فى السنوات الاربعة عشرة الماضية اى بمعدل ثلاث او اربع انقلابات سنويا .

وبعد دراسة احداث غانا وخبرة دول امريــكا اللاتينية فى الانقلابات دعا التقــرير الى ضرورة الاعداد لقيام حركة فورية شعبية فعالة قادرة على ايقاف اى انقلاب عسكرى فى حالة حدوثه .

ويقول اسماعيل تورى ان النظام القائم فى غينيا نظــام شعبى ولذا فان عبء الدفاع عنــه وعن مستقبله من اختصاص الشعب نفسه . ولا يمكن ان يكون وقفا على جزء متخصص منه ، اى الجيش وحده . يجب ان يطلع على جهاز من اجهزة الحزب الديمقراطى الغينى فى مستوى القرية او الحى او المدينة او المركز او الاقليم بمهمة الدفاع عن الوطن والثورة . ولا بد ان يكون دفاع الشعب عن نفسه تحت قيادة الحزب . ولذا فقد طالب التقرير باتخاذ الاجراءات التالية :

١ ــ تنظيم الشعب للدفاع عن نفسه .

٢ ــ اعطاؤه الوسائل اللازمة للقيام بهذا الدفاع .

٣ ــ تدريبه عسكريا لضمان حدوث رد فعــل دفاعى مباشر عندما يستدعى الامر ذلك .

اما الاجراءات العملية فى هذا الاتجاه فتتلخص فى :

ــ انشاء كتائب الخدمة المدنية وفرق الميليشيا الشعبية وتدريب المسئولين فى الحزب والحكومة عسكريا ، على ان يتكرر هذا التدريب على فترات .

وتهدف الخدمة المدنية الى تكوين كتائب من الشباب (شبان وشابات يتراوح ســنهم ما بين ١٧ و ٣٠ سنة) يقومون بعمل انتاجى اقتصادى فى احد المشاريع الكبرى او فى الزراعة لمدة سنتين مع حصولهم على تدريب عسكرى مناسب فى نفس الوقت .

ويتم اختيار هذا الشباب في مستوى المراكز ، اى ان قيادة الحزب فى المركز مسئولة سياسيا عن اختيار هذا الشباب وعن تربيتـــه الايديولوجية . وتتكون كتيبة كل مركز من ١٠٠ الى ١٥٠ فردا . وستتخذ الاجراءات اللازمة لمد هـــذه الـــكتائب بالملابس وبأسلحة التدريب التى لن توضع فى ايدى الشباب هى وذخيرتها الا اثناء التدريبات . وستتخذ فى نفس الوقت اجـــراءات خاصـة بالاتفـــاق مع المسئولين السياسيين فى قيادة الاقاليم للاشراف على هذه الاسلحة والذخائر وحراستها . وستكون هذه الكتائب اساسا لاختيار افراد قوات الجيش الشعبى .

اما تكوين وتعميم فرق الميليشيا الشعبية على نطاق الاقاليـــم فيحقق الحـــاجة الى خلق رابطة عضوية بين الجيش الشعبى والشعب نفسه .

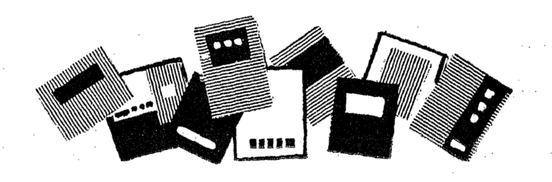
ويتم اختيار افراد الميليشيا الشعبية بعنـــاية شديدة من بين الكادر الطليعى لشبيبة الحزب الذى اثبت تعلقه التـــام بالحـــزب ، بصرف النظر عن مستوى التعليم . ويقدر التقرير عدد افراد الميليشيا بحوالى ٧٥٠٠٠ شخص (يتراوح ســنهم بين ٢٠ و ٣٠ سنة) . وتقوم قيـــادات الاقاليم بتـــوزيع المسئوليات فى مستوى المراكز وفقا لاحتيـــاجات الدفاع عن الثورة مثل حراسة الحدود والمنجزات الاقتصادية الوطنية الـــكبرى والبنوك والاذاعة وخزانات الوقود ومحطات توليد الكهرباء وغيرها من المناطق والمنشآت ذات القيمة الاستراتيجية . . الى جانب دوريات الحفاظ على الاخلاق العامة فى المدن والـــكفاح ضد المتاجـــرين بأقوات الشعب والدعارة والغش الاقتصادى .

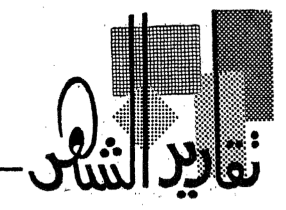
وستكون هذه الميليشيا مصدرا لاختيار ضباط الجيش الشعبى والشرطة والحرس الجمهـــورى واجهزة الامن فى الدولة ، ويجب ان يتلقى افرادها تدريبا عســـكريا كاملا ومســـتمرا وان يتحلـــو بالانضباط والسلوك الحميد والشـــجاعة البدنية والمعنوية والقدرة على كتمان الاسرار .

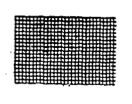
وجاء فى نهاية التقرير انه يتعين على الحـــزب الديمقراطى الغينى ان يتحدى مرحلة النوايا ليتجه بكل عزمه نحو خلق اسلحة جـــديدة فى مستوى الصراع الهائل الذى تخـــوضه افريقيـــا من اجل تحـــررها النهائى . « ومن الطبيعى ان تحتـــل شبيبة الحـــزب المراكز الامامية فى هـــذه المرحلة الجديدة من الصراع وان تكون راس حربة الحزب المتصدية لهجمات العدو . وتلبى كتائب الخدمة المدنية وفرق الميليشيا الشعبية هذا الاحتياج حتى يتحقق الانتصار فى المعركة الاقتصادية ويتم الحفاظ على مكاسب الثورة .

« ولا شك ان تدريب المسئولين فى الحزب على استخدام السلاح سيؤكد ثقة الشعب المتزايدة فى الانتصـــار النهائى للثورة . ان ثورتنا سلمية لا تلجأ الى العدوان ولكن ليعلم الجميع ، اصدقاء واعداء اننا سنجود بآخر انفاسنا لكى تظل راية الحرية والكرامة خافقة من اجل الاجيال القادمة » .

وقد اتخـــذ المجلس الوطنى للثورة الغينية فى نهاية جلساته عدة قرارات من بينها الموافقة على هذا التقرير واتخـــاذ الاجـــراءات العملية فورا لتـــكوين فرق الخـــدمة المدنية وكتائب الميليشيا الشعبية .







- مجلس الامة والحكومة فى المعركة على الجبهات الثورية الثلاث
- الاردن تمتنع عن تنفيذ القرارات التى صدرت بموافقتها
- منع ذبح البقر ... والمجاعة ... والانتخابات
- مات والت ديزنى .. وستبقى شخصياته حية

■ **الجمهورية العربية المتحدة**

معيار الالتزام الثورى اليوم :
زيادة الانتاج

امام جماهير بورسعيد ، فى الاحتفال بذكرى مرور عشر سنوات على انتصار شعب مصر على قوى العدوان الثلاثى الاستعمارى ، القى الرئيس جمال عبد الناصر خطابا شعبيا حظى باهتمام المراقبين السياسيين .

وقد بدأ الرئيس حديثه بذكريات انتصار شعب مصر على العدوان البريطانى الفرنسى الاسرائيلى. وبعد أن عرض بالتفصيل لمؤامرة التواطؤ الثلاثى وخباياها،القى الرئيس الضوء على الموقف الحقيقى للولايات المتحدة الامريكية من العدوان فى ذلك الوقت . فوضح أن خلاف **فوستر دالاس** وزير خارجية أمريكا عام ١٩٥٦ ،مع **انطونى ايدن** رئيس وزراء بريطانيا وقتها ، لم يكن خلافا على الهدف وانما كان خلافا على الاسلوب .. « كان دالاس يريد تحقيق نفس الهدف بطريقة أخرى ، بوسيلة سلمية تقتل بغير انفجار » وذكر الرئيس الشعب العربى ، بالحصار الاقتصادى الذى فرضه الغرب على مصر عام ١٩٥٧ . هذا الحصار الذى وصل الى حد ان أمريكا رفضت أن تبيع لمصر الدواء من حساب دولارات مصر المجمدة فى أمريكا .. وقد ربط الرئيس بين الحصار الاقتصادى عام ١٩٥٧، وبين ماتتعرض له مصر اليوم من ضغوط اقتصادية مماثلة كضغوط القمح ، حيث تصورت أمريكا أنه بعد أن أصبحت مبيعات القمح بالعملة المحلية بندا هاما فى أوضاع التنمية المصرية ، تصورت أن الفرصة واتتها فأرادت أن تتدخل فى عدد من الموضوعات الهامة كسياسة الابحاث الذرية وسلاح الجيش المصرى وسياسة الجمهورية العربية المتحدة الخارجية ، وقد رفضت مصر هذا

التدخل. فأوقفت امريكا بيع القمح فى وقت بلغ فيه احتياطى القمح فى مصر حدا يكفى ١٥ يوما فقط . وفى ذلك الوقت أبرق الرئيس الى **اليكسى كوسيجين** رئيس وزراء **الاتحاد السوفيتى** الذى أمر البواخر التى كانت تحمل القمح من **أستراليا وكندا** الى الاتحاد السوفيتى ، أن تتجه الى الموانى المصرية لتفرغ حمولتها . وقد خلص الرئيس من ذلك الى أنه من بين أهم التحديات التى يواجهها الشعب المصرى الان هى أن يوفر ٦٠ مليون جنيه لشراء القمح بالنقد الاجنبى .

وفى مجال العمل الوطنى الداخلى ، أكد الرئيس أن التحدى الحقيقى الذى يواجه الشعب ، هو بناء قوته الذاتية الشاملة فى جميع الاتجاهات ، وأهمها مجال الصناعة وبشكل خاص الصناعات الثقيلة . ذلك جنبا الى جنب تطوير الزراعة بأساليب علمية وبالاضافة الى هذا ، تحقيق ديمقراطية الخدمات وقيام المجالس الشعبية وتمكينها من صلاحياتها الديمقراطية كضمان لرقابة شعبية فعالة فى المحافظات .

وعن الحياة الفكرية والثقافية دعا الرئيس الى ضرورة « تحررنا الثقافى والفكرى » وذلك بأن «نطلق ملكاتنا وقوى انتاجنا لنبنى ونخلق ونبدع» ، والهدف من هذا هو «أن نصنع المجتمع القادر على مواجهة الضغوط .. القادر على الاعتماد على النفس » . بالاضافة الى تدعيم تنظيم بنائنا السياسى .

وعندما تناول الرئيس عبد الناصر ـ بالتفصيل ـ قضية التنمية وعرض للخطة الخمسية الاولى ، شرح أهداف الخطة الثانية التى تتطلب ٣٢٠٠ مليون جنيه لانجاز مهامها . ولهذا دعا الى ضرورة ضغط الاستهلاك وزيادة المدخرات ، وهنا ركز الرئيس بشكل خاص وملحوظ على ضرورة زيادة الانتاج ، قائلا بحسم ووضوح «ان معيار الاخلاص الثورى والالتزام الاشتراكى فى هذه المرحلة ، هو القدرة على خدمة الانتاج . وبالتالى التمكين من تحقيق الاهداف التى يريد بلوغها سواء بالنسبة للاستهلاك المحلى المتزايد أو بالنسبة للتصدير» . وحدد الرئيس متطلبات ذلك بعد أن حققت الثورة مكاسب وانجازات ثورية هامة للشعب العامل ، فقال « مواردنا المحدودة لازم نتحكم فيها . واحنا بنحفر فعلا بضوافرنا فى الرمل وفى الصحراء وبنصلح وفيه عندنا شعب عامل وقادر انه يصلح .. لكن المهم ان احنا نستمر فى عملنا . عايزين كفاءة للادارة وسلطة للادارة . عايزين قيادات فى مواقع الانتاج مخلصة . عايزين عمال كل واحد يلتزم ويعرف واجبه . عايزين قيادات سياسية وعمل فى الاتحاد الاشتراكى من أجل الانتاج» واضاف الرئيس «اذا ما أنتجناش مافيش فايدة فى الفلسفة اللى بيقولوها دى كلها لا نقابات العمال ولا الاتحاد الاشتراكى ولا أى حد . أول بند من بنود الفلسفة هو الانتاج . واذا انتجنا بعد كده نبقى نتفلسف زى ما احنا عايزين نتفلسف » .

والقضية القومية الهامة التى وقف عندها الرئيس جمال عبد الناصر بالتفصيل ، هى المعركة ضد الرجعية العربية المتواطئة مع الاستعمار . تلك المعركة المستمرة التى تدفع كل مرحلة منها ينتصر فيها الشعب العربى ، الى مرحلة اخرى جديدة ، يدفع فيها الاستعمار بصف جديد بدلا من كل صف يسقط من صفوفه فى المعركة . ولقد ظن أعوانه الجدد فى السعودية وتونس والاردن أن شعاراتهم الجديدة الخاصة بالحلف الاسلامى ، قادرة على أن تحقق ما سعوا اليه دائما جنبا الى جنب الاستعمار من ضرب الثورة العربية . ولكنهم يفشلون باستمرار . فبعد أن سقط حلف البحر الابيض وحلف بغداد ومشروع أيزنهاور ، تجرى الان تجربة الحلف الاسلامى . وقال الرئيس ولكن كل ذلك لا يجدى فان الرجعية مهما تحالفت مع الاستعمار ومهما تلونت وغيرت جلدها كالحرباء . مهما فعلت ومهما طعنت من الخلف ومن الظلام ، فهى تمشى فى اتجاه معاكس لاتجاه التاريخ . لانها تمشى فى اتجاه معادى للتقدم الذى هو جوهر حركة التاريخ . والهزيمة أيها الاخوة دائما لاعداء التاريخ وأعداء التقدم والنصر دائما للسائرين مع تيار التاريخ مع تيار التقدم . وذلك ما يفسر سقوط تلك الاحلاف الاستعمارية وسقوط حكم الانفصال فى سوريا ، وهزيمة الاستعمار البريطانى فى الجنوب العربى . أما السعودية التى ارادت مع الاستعمار أن تنقض على ثورة اليمن ، فان الاوضاع بدأت تهتز فى السعودية .

كما اوضح الرئيس بالتفصيل سياسة مؤتمرات القمة وكيف استغلت وكيف قضت الرجعية مع القمة ثلاث سنوات انكشف فيها غدرها . وعندما تبين انه لم تعد هناك فائدة أو رجاء من سياسة مؤتمرات القمة ، طلبت الجمهورية العربية المتحدة تأجيل مؤتمرات القمة . أما الشعوب العربية التى تعيش فى قلاع الرجعية فقد تحركت .. « اتحاد شعب الجزيرة العربية » فى السعودية ، جماهير الضفة الغربية من الاردن ، « شباب الجامعات فى تونس » . اذ تناضل هذه القوى جميعها ضد الرجعية والانهزامية والخيانة .

وفى ختام خطابه الذى أبرزته اذاعات كل من **دمشق وبغداد** ، تناول الرئيس قضية ضرورة وحدة القوى الثورية العربية . وأعلن تأييد الجمهورية العربية لحكومة **سوريا** فى نزاعها مع **شركة بترول العراق** . كما أعلن تأييد مطالب حكومة **العراق** من الشركة .

وقد أكد الرئيس أهميـة التضامن بين القوى الثورية العربية ووحدتها كطريق الى تحقيق الامانى العربية . ثم أكد أهمية تضامن قوى السـلام فى العالم كطريق لحماية التقـدم الانسانى ، وأدان الغارات الامريكية على شعب فيتنام .

●

مجلس الامة والحكومة فى المعركة على الجبهـــات الثورية الثلاث

بدأ مجلس الامة فى ممارسة نشـاطه فى الشهر الماضى بعد افتتاح دورته الثالثة فى أواخر نوفمبر الماضى . وكان المهندس **صدقى سليمان** رئيس الوزراء قد ألقى بيانا فى أوائل الشهر الماضى، حلل فيه بدقة الظروف الاقتصـادية لمجتمعنـا ، حددها فى : ١ ــ انه فى خلال سنوات الثورة حققت الجمهورية العربية المتحدة معدلا فى النمو لايفوقه اى معدل فى ايه دولة أخرى من الدول النـامية (٩٦٠ دولة يمثل سكانها ٦٥٪ من سكان العالم) . فقد بلغ معدل التنمية فى الجمهورية العربية المتحدة ٤ر٧٪ مقابل ٤٪ فى الدول الاخرى . ٢ ــ انه فى نهاية الخطة الخمسية الاولى زاد الدخل القومى بالمقارنة للسنة الاولى من الثورة مرتين وربع مرة . وتضاعف الاستثمار ٣ مرات . وتضاعفت الاجور مرتين ونصف مرة . ٣ ــ ان مشكلات التنمية فى الجمهورية المتحدة هى نفسها التى تواجه الـ ٩٦ دولة أخرى تحاول اللحاق بموكب الانسانيـة . ٤ ــ ان مشكلة بلادنا هى أن آمالنا أكبر من امكانياتنا فميزانية الخدمات وحدها بلغت هذا العام ٧٢١ مليون جنيه بينما كانت ميزانية الدولة كلها عام ١٩٥٢ ــ خدمات وانتاج واستثمار ــ ٢٠٦ مليون جنيه ــ ٥ انه نتيجة للخطة الخمسية الاولى زاد الدخل القومى ٦ر٤٦٪ بينما زادت الاجور ٩ر٥٩٪ أى أن الاجور زادت بمعدل اكبر من زيادة الدخل القومى . ذلك بجانب هبوط معدلات الادخار، والتوسع فى الاستثمار دون اعطاء عناية كافيـة لحسن استغلال الامكانيات المتاحة .

وقال رئيس الوزراء انه فى ظل هذه الظروف فان العمل فى المرحلة القادمة سوف يمتد الى ٣ جبهات : ١ ــ جبهة يتم فيها خفض الانفاق . ٢ ــ جبهة يتم فيها التركيز على المشروعات الاكثر اقتصادا . ٣ ــ جبهة يتجه فيها العمل الى زيادة الانتاج الى ماغير حد باطلاق الحوافز . ومن ذلك قال رئيس الوزراء ان الحوافز يجب أن تكون ركيزة أساسية فى خطة زيادة الانتاج . وفى ضوء ما أشار اليه رئيس الوزراء فقد حدد خطتين للعمل احداهما عاجلة تعتمد على زيادة ساعات التشغيل اليومية ومنع توقف المعـدات الا للصيـانة والاصلاح ، والثانية آجلة تعتـمد على الارتفـاع بالطاقـة الانتـاجيـة عن طريق زيادة المهـارة وادخال التطورات التكنولوجية الحديثة . ثم تحدث صدقى سليمان عن مقتضيات العمل فى المرحلة الجديدة . بالعمل على خلق جيل جديد من القادة فى جميـع المجالات ، وعرض اطار الخطة الثـانية على مجلس الامة قبل عرض ميزانية العام الحالى ، واعادة النظر فى شكل الميزانية وتبويبها للتعبير بصورة حقيقية عما تحويه من ارقام ومشروعـات كذلك الاتجاه فى مجال الصناعة فى المرحلة القادمة الى الصناعات الثقيلة . وفى مجال التجارة والتموين ، وضعت مواد التموين فى مقدمة السلع التى لامناص من استيرادها وتشمل مواد التموين ومستلزمات الانتاج الزراعى وقطع غيـار المعـدات والالات ومستلزمات انتـاج السلع التموينية والتصديرية والمعدات التكميلية . وفى مجـال التعليم تدرس الحكومة تغيير نظمها حيث ستعرضها قريبا على مجلس الامة .

وفى بيان المجلس للرد على بيان الحكومة أكـد المجلس تأييده لسياسة الحكومة على أسـاس المشاركة الايجابية بين الحكومة والمجلس فى تحمل مسئوليات العمل الوطنى . وقدم اقتراحات عديدة منها اعادة النظر فى موضوع الاستهلاك الجماعى ووضع منهج لاطلاق فاعلية نظام الحوافز . مع الردع الشديد ضد المقصرين وتحرير قطاع الخدمات من النظم البيروقراطية .

وفى مناقشات المجلس لبيـان الحـكومة اثار الاعضاء عديدا من القضايا الحيوية التى تتعلق بقطاعات العمل المختلفة .

ففى **القطاع العام** طالب اكثر من عضو ضغط عدد المؤسسات العامة والشركات لتخفيض النفقات .. بينما اثار عضو آخر (د. محمد القاسمى) قضية العناصر القيادية للقطاع العام فقال انه « لا يجب ان يكون هناك مكان لغـير الثـوريين والاشتراكيين فى رئاسة المؤسسـات ومجـالس الادارة فى هذا البلد» وطالب ان يكون موقع الادارة فى قلب موقع العمل . وطالب عضو آخر (محمد عبد الشافى) بطرح الحقائق على الشعب وتعريفه حقيقة ما انجز من خطة التنمية الاولى وما لم ينجز لان الصـورة الحقيقية غـير معـروفة . وانتقد المسئولين الذين يوهمون الشعب بأشياء غـير حقيقية مخفين عنه الحقائق مثل الزعم بأن سبب ازمة الصابون هو جشع التجار الصغار بينمـا سببها الرئيسى راجع الى أزمة الزيوت والشحوم لسوء التخطيط .

وانتقد نائب آخر ثغرات فى التسويق التعاونى وقال ان المصاريف على كاهل الفلاح قد ازدادت

وطالب عـــدد من النواب بسرعة اصـــدار قانون التعاون الزراعى كما طالب احد النواب (فكرى الجزار) بأن تحول الاراضى المستصلحة الجديدة الى مزارع حكوميةكبيرة لانتاج محاصيل للتصدير

وكان الحديث عن الاسكان محورا من محـــاور مناقشات الاعضاء فدعا بعض الاعضاء الى الغاء نظام تمليك الشقق لان « التمليك لا يتفق » مع **النظم الرأسمالية**)) على حدتعبير النائب **عبدالجابر** علام . فالمشروع يقوم على اساس تسخير الدولة للبناء من اجل القادرين فقط . كما أن عمـــارات المشروع سيئة للغاية على الرغم من التـــكاليف الباهظة التى انفقت عليها .

وتحدث بعض النواب عن المتاجرة فيمواد البناء فى السوق السوداء ودعوا الى احكام مراقبـــة توزيعها كما طالبوا بخفض ايجارات المســـاكن الاقتصادية .

ونالت الاجهزة الادارية والتنفيذية نصيبها من مناقشة النواب اذ طالب عدد منهم باعادة صياغة القوانين واللوائح للقضاء على الروتين وقـــالوا ان القانون المدنى ينظر الى الملكية نظرة غـــير اشتراكية وطالب آخرون بالتقريب بين فئـــات الموظفين .

والحقيقة أ نمسألة القوانين اخذت وجهةأخرى اذ تحدث النواب عن ضرورة ســـيادة القوانين وتطويرها تطويرا ثوريا مـــا دفع **عصـــام الدين حسونة** وزير العدل الى اطلاق كلمته التى ترددت بعد ذلك كثيرا وهى أنه « بغير القانون لا يحيـــا الانسان » .

وكان المجال الاخر لنشاط المجلس فى الشهر الماضى هومناقشة **اللائحةالجديدة التىتنظم عمله** ومشروع اللائحة اعده **أنورالسادات** رئيسالمجلس ويستهدف تطوير مهمة المجلس وتحديد مسئوليته فى المجتمع الاشتراكى . وبموجب هذه اللائحـــة تكون وظيفة مجلس الامة العمل باستمرار والحاح لتحقيق الثورة القانونية .

ولم يفت المجلس وهو يناقش مشاكل التطوير الداخلى واللائحة الداخلية ان يتعرض للوضع فى الشرق العربى حيث تحاك المؤامرات الاستعمارية ضد سوريا بعد تعنت شركة البترول الاحتـــكارية فى موقفها ازاء مطالب الحكومة السورية العادلة .. فأجـــرى المجلس مناقشة مفتوحة حول تلك المؤامرات مبرزامساندة الجمهورية العربيةالمتحدة لكفاح شعب سوريا الشقيق . واعلن المجلس عن تأييده لحق سوريا فى عائد البترول ومساندتها فى نضالها للحصول على حقوقها كاملة .

ومن أخبار مجلس الامة هذا الشهر هو اجراء الانتخابات فى دوائر ثلاث فى قصر النيل وكفـــر الشيخ والصعيد خلتبتعيين مجدى حسنين سفيرا **فى براغ ووفاة نائبين آخرين** .

أول اجتماع أقليمى لحركة السلام والاتجاه لتكوين رئاســـات قارية

فى الفـــترة ما بين ٣ ، ٥ ديسمبر ، عقدت فى القاهرة سلسلة جلسات اجتمع فيها الاعضـــاء الافريقيين والعرب فى رئاسة مجلس السلام العالمى .

وصدر فى بروكسل اثناء هـــذا الاجتمـــاع ، بيان باسم مجلس السلام العالمى بتوقيع السيدة **ايزابيل بلوم**رئيسته والسيد**روبيش شاندرا** امينه العام ، يدين العدوان الاسرائيلى على منطقةالخليل وتحركات الاسطول السادس الامريكى فى البحر الابيض المتوسط ، ومحاولات أقامة الحلف الاسلامى المزعوم من جانب السعودية والاردن بايحاء من الولايات المتحدة وانجلترا . وجاء فى ختام هذا البيان :

«أن مجلس السلام العالمى يدين بقوة اعمال اسرائيل العدوانية التى برهنت على انها راس حربة له فى هذه المنطقة . وهو يدعو قوى السلام فى العالم الى أن تتابع بيقظة هذا الوضع الخطير وتقوم بتبصير الراى العام به وتعلن تضامنها مع الشعوب العربية » .

وتدارس المشتركون فى أجتماع القاهرة التقارير المقدمة من ممثلى مستعمرات البرتغال وزيمباوى وجنوب غرب افريقيا والصومال «الفرنسى» ومن مندوبى جبهة التحرير الفلسطينية وحركات التحرر الوطنى فى الجنوب اليمنى المحتل والبحرين وظفار والسعودية وأتحاد العمال العرب وأتحاد المحامين العرب .

والتقى المجتمعون أيضا بمندوبى جبهة تحرير فيتنام الجنوبية الذين احاطوا اعضاء رئاسةمجلس السلام العالمى بآخر تطورات الموقف . وقد اسفر الاجتماع عن قرارات هامة على راسها تشديد الحملة العالمية من أجل التضامن المادى مع شعب فيتنام . وأتفق المجتمعون على عقد مؤتمر فىالجزائر خلال عام ١٩٦٧ تدعى اليه كل البلاد التىيتهددها « الحلف الاسلامى » واتخذوا قرارا بشن حملة توعية على النطاق العالمى لتوضيح المخاطر التى يتعرض لها السلام من جراء سياسة اسرائيل العدوانية والكشف عن الاوضاع الحقيقيةللاجئين الفلسطينيين وسياسة التفرقة العنصرية التـــى تنتهجها اسرائيل ضد العرب . ودعا الاجتماع سكرتارية مجلس السلام العالمى الى مساندة «مؤتمر التضامن مع كفاح شعب عدن من أجل التحرر» المتوقع عقده فى دمشق خلال يناير ١٩٦٧، كما تقدم اعضاء المؤتمر باقتراح تنظيم جولات لمندوبى حركات التحرر الوطنى فى الجنوب العربى المحتل والبحرين وظفار الى مختلف انحاء العالم من أجل تجنيد الرأى العام العالمى للوقوف مع

هذه الحركات ضد مشاريع الاستعمار فى المنطقة

ولقاء الاعضاء العرب والافريقيين فى رئاسة مجلس السلام العالمى فى القاهرة هو اول اجتماع من نوعه يدعو اليه هذا المجلس تنفيذا لمقررات مؤتمر جنييف للسلام المنعقد فى يونيو من العام الماضى . ولم يكن اختيار القاهرة مركزا لهذااللقاء الاول لدراسة مشاكل الدول العربية والافريقية مجرد مصادفة ولكنه فى الواقع نتاج مواقف متعددة لمجلس السلام العالمى فى مجال تأييد حركات التحرر الوطنى وثمرة تطورات فى تكوينه خلال نشاطه المتزايد من اجل السلام فى العالم واعترافــا للقاهرة بدورها كقلعة للتحرر والسلام .

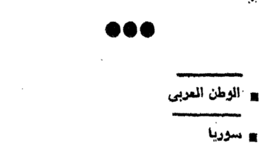
ومجلس السلام العالمى يضم ممثلين لحركات السلام فى اكثرمن مائةدوله فىالعالم بصرف النظر عن معتقدات وآراء هذه الحركات أو اعضائها مادام الهدف المنشود هو تحقيق السلام . وكان لانضمام عدد كبير من حركات السلام فى دول افريقيا واسيا وامريكا اللاتينية لهذه الحركةالعالمية اثره الفعال فىتغيير هيكلهاونظرتها للقضاياالخاصة بكل دولةاو مجموعةدولصغيرةتعانى منالاستعمار لم تعد رئاسة المجلس تضم اغلبية منتمية للدول الاوروبية والبلدان المتقدمةاقتصاديا ، تقررماتراه مناسبا للدول المكافحة من اجل استقلالها ، بل اتسعتلتحتضن أصلبالمناضلين مناجل السلام فى كافة بقاع العالم وخاصة من بين الشعوبالنامية وحديثة التحرر

وقد قالت السيدة ايزابيل بلوم فى الجلســة الافتتاحية لاجتماع القاهره انه لاتوجد فى الواقع مشاكل صغيرة واخرى كبيرة عندما يتعلق الامر بقضية السلام،وانه لو كان اسلوب عقداجتماعات محلية ودراسة ومناقشة قضايا المنطقة قد طبق مبكرا لما ظلت قضية اللاجئين العرب متعثرةنتيجة لعدم الالتفات اليها فى خضم المشاكل العامة .

ويتولى الامانة العامة لمجلس السلام العالمى السيد **روبيش شاندرا** وهــو هندى الجنسيـه كما تتجه النيه نحو تكوين رئاسات لحركة السلام العالمية فى كل قارة يجمع بينها رئيس منسق .

ولاشك ان هذا الاتجاه سيكون خطوة اخرى فى سبيل ازدهار اعمال الحركة وارتباط نشاطها اكثر فاكثر بقضية التحرر الوطنى للشعوب الواقعة تحت السيطرة الاستعمارية المباشره وغيرالمباشرة

وقد اشاد اعضاء المؤتمر بنشاط المجلس القومى للسلام فى الجمهورية العربية المتحدة برئاسةالسيد **خالد محيى الدين** ، عضو رئاسة مجلس السلام العالمى ، ومثابرتهم على نقل صورة واقعية لقضايا الشعوب العربية وبالاخص قضية الشعـب الفلسطينى والشعوب العربية فى الجنوبالعربى المحتل وعدن وظفار والبحرين لتلقى كل مساندة وتأييد من جانب هذه الحركة العالمية المنتشرة فى اغلب دول العالم والتى استطاعتخلالالعشرين سنة الماضية ان تجند لقضية السلم والتحرراكبر عدد من محبى السلام فى العالم والعاملين من اجله .



●●●

■ الوطن العربى

■ سوريا

خرجت المشكلة من طابعها الاقتصادى الى طابع سياسى يشمل كل المنطقة

لا يستطيع احد ان يتنبأ بما يمكن ان تكون عليه تطورات الازمة بين **الجمهورية العربية السورية** وبين **شركة بترول العراق** ، التى بلغت ــ حتى كتابة هذا التقرير ــ مرحلة حرجة اشبه بعنق الزجاجة .ولكن المراقبون فىالدوائر الوطنية والتقدمية العربية والعالمية ، يجمعون على ان استمرار الشركة واصرارها على دخول « تجربة قوة مع الدول العربية » ــ كما جاء فى بعض بيانات الشركة ــ مغامرة من الشركة لايمكــن ان تكون نتائجها فى مصلحتها . فالدول العربية هى التى تملك البترول وتملكايضا الممرات الخاصة بتصديره . وبالتالى فان الازمة متعددة الاطراف والاحتمالات الى الحد الذى جذب معه اهتمــام الراى العام العالمى بصورة واضحة . ومما يصعب على الشركة واصحابها الاقدام على أية مخاطرة جديدة ، ذلك التأييد الواسع النطاق الذى لقيته حكومة سوريا فى موقفها ، سواء من جمــاهير الشعب السورى فى الداخل ، أو من **الجمهورية العربية المتحدة** ــ حكومة وشعبا ــ بشكل خاص وحكومة **العراق** وحكومة **لبنان** وســائر الهيئات والمنظمات السياسية الوطنية والتقدمية والنقابات العمالية العربية واتحادات الطلبة والفــلاحين ومجالس السلام .

ويعتقد المراقبون السياسيون ان شركة بترول العراق فى مأزق لا تحسد عليه . فهى تدرك نتائج « التحدى » ان أقدمت عليه ، حيثستضار المصالح الغربية البترولية فى الوطن العربى ككل ــ بشكل او بآخر ، وهى تدرك ايضا ان موافقتها علــى شروط ومطالب الحكومة السورية المصرة علــى تنفيذها ، سيؤدى الى نتائج هامة ستفتح الباب

واسعا امام الدول العربية المنتجة للبترول لتحسين اتفاقاتها ، وخاصة بعد أن ظهرت شركات كثيرة ــ وبخاصة فى فرنسا ــ تعقد اتفاقات تصل حقوق الشعوب فيها الى ٧٠ ٪ او اكثر .

ويربط المراقبون بين هذه المعركة، وبين ظاهرة استرداد حركة التحرير العربية لزمام المبادرة وانتفاضتها الواسعة التى يشهدها الوطن العربى فى انحاء كثيرة من اراضيه .

ففى ١٢ ديسمبر الماضى اوقفت شركة بترول العراق ضخ انتاج حقول آبار **كركوك** العراقية (تنتج سنويا ٤٦ الف طن من ٦٢ مليون طن هو مجموع انتاج العراق) الى موانى **بانياس**(سوريا) **وطرابلس** (لبنان) . وبذلك توقف تدفق بترول كركوك الى الموانى السورية واللبنانية على البحر المتوسط لاول مرة منذ عام ١٩٥٦ وتوقف عن العمل عشرات الالوف من العمال .

وقد اتخذت الشركة هذا الموقف ، بعد ان اتخذت الحكومة السورية فى ١٨ ديسمبر عددا من الاجراءات الهامة على اثر فشل المفاوضات بينها وبين الشركة . وتقضى هذه الاجراءات : ١ ــ زيادة الرسوم عن كل طن ينقل بالانابيب الى ٥ شلنات وعشرة بنسات (كانت من قبل ٤ شلنات) ٢. ــ زيادة الرسم عن كل طن محمل من المصب (يشحن من بانياس) الى ٢ شلن (كانت من قبل شلن واحد وبنسين) . ٣ ــ فرض رسوم اضافية قدرها ٣ شلنات عن كل طن ينقل بالانابيب تسديدا عن المبالغ المستحقة عن السنوات العشر الماضية، تبدا جبايتها من فبراير ١٩٦٧ (تقدر بحوالى ٣٩ مليون جنيه) « وذلك الا اذا تم التوصل الى اتفاق كامل بالنسبة للمستقبل وقبلت الشركة اجراء حساب عن الماضى . وفى هذه الحالة تسقط جباية الرسوم الاضافية تلقائيا » . ٤ ــ توقيع الحجز على ممتلكات الشركة فى سوريا وفاء للمستحق من فرق الرسوم (تبلغ حصيلتها عن التسعة شهور الاولى من هذا العام ٠٠٠ر٧٠٠ر٣ جنيه استرلينى) ، وذلك طبقا للاتفاق القديم وبناء على مراجعة الحسابات بعد أن ثبتت مغالطات الشركة

وكانت المفاوضات قد بدأت بين الحكومة السورية وشركة نفط العراق فى ١٠ سبتمبر الماضى بدعوة من الحكومة السورية . وذلك على اثر الدراسات التى قامت بها الدوائر السورية المعنية واشرف عليها **زهير الخانى** وزير الدولة لشئون رياسة الوزراء . وقد سارت المفاوضات منذ البداية متعثرة بين وفد الشركة برئاسة **كريستوفر دالى** المدير العام لها وبين وفد حكومة سوريا برئاسة موفق الشوربجى وزير المالية وكان الجانبان قد اتفقا فى بداية المفاوضات على تقسيمها الى قسمين رئيسيين : **الاول** : يتعلق بتحديد عائدات الحكومة فى المستقبل اعتبارا من عام ١٩٦٦ . **والثانى** : يتعلق باجراء الحسابات عن السنوات العشر الماضية طبقا للمبادىء الاساسية لاتفاق عام ١٩٥٥ .

حدد عائدات لسوريا تكون محققة لمبدا مناصفة الارباح . وهى تتكون من رسم مرور الانابيب ــ رسم المصب (الشحن) ــ رسم حماية ــ ومجموعة أخرى من الرسوم تسمى بالرسوم الموحدة . وكانت تبلغ عام ١٩٥٥ ٦ر٦ مليون جنيه استرلينى ثم ارتفعت فى الاعوام الاخيرة نتيجة لزيادة الانتاج الى ١٠ مليون جنيه استرلينى تقريبا) . ورغم موافقة كريستوفر دالى على هذا التقسيم مسجلا موافقته على اجراء المحاسبة عن السنوات العشر الماضية ، الا انه عاد فى نوفمبر (موافقته عقدت يوم ٦ اكتوبر) وسحب هذه الموافقة رافضا اجراء أية محاسبة عن الماضى . ومن المعروف ان وفد الشركة كان قد وافق على رفع رسم المصب ثم عاد ورفض الموافقة . وكان الجانبان قد حققا تقاربا فى الاتفاق على زيادة العائدات بالنسبة للمستقبل واعتبارا من عام ١٩٦٦ . فقد قدرت الشركة المبلغ بـ ٥ر٢ مليون جنيه استرلينى بينما قدرته سوريا بـ ٧ر٣ مليون استرلينى . ولكن الشركة راحت تقحم مشاكل اخرى قالت بأنها ستنجم عن تسويتها زيادة جديدة فى حصة الجانب السورى ومنها مشكلة العمال مثلا . ولما لم تجد الحكومة السورية جدوى من المفاوضات وجهت انذارا للشركة بقطعها للمفاوضات « اذا استمرت فى المماطلات العديدة التى تقوم بها » . ولما لم تقدم الشركة مايفيد تحقيق مصالح سوريا ، قطعت المفاوضات .

وتتلخص نتائج الدراسة التى قامت بها الحكومة السورية لاتفاق عام ١٩٥٥ ، فى الحقائق الهامة التالية : ١ ــ ان المبدا الاساسى فى اتفاق ١٩٥٥ « غير مطبق تطبيقا صحيحا » . (مبدا مناصفة الارباح) ٢ ــ أن الشركة اتبعت « اساليب خاطئة » فى حساباتها عن السنوات ١٩٥٦ وحتى ١٩٦٦ « مما الحق غبنا كبيرا بالخزانة السورية » . ٣ ــ ان الظروف قد تغيرت كثيرا عن وقت توقيع الاتفاق مما يتعين معه الدخول فى مفاوضات « لتصحيح الاوضاع » . ومن المعروف ان طول خطوط الانابيب المارة بالاراضى السورية يبلغ ٣٠٠ ميل من الحدود العراقية حتى ميناء بانياس حيث يتدفق البترول فى ٢٤ مستودعا كبيرا سعة كل منها ٢٨ الف طن (تستوعب جميعها ٦٧٢ الف طن) . وفى هذا الميناء ٦ مراس و٦ خطوط بحرية كافية لتزويد ٦ ناقلات فى وقت واحد بالبترول . ويصدر من بانياس ٢٦ مليون طن الى الاسواق الاوربية .

وجدير بالذكر ان توقف انتاج وضخ بترول كركوك ، يعنى توقف حصول حكومة العراق على ١٣٢ **مليون دينار** (حوالى اكثر من ٧٠ ٪ ميزانية العراق العامة) ، أى حوالى ٤٠٠ الف جنيه

استرليني يوميا . وبرغم ذلك تصر حكومة العراق على ان تدفع الشركة حصته وعائداته فى مواعيدها « وحسب المعدل السنوى لها » . وقد اعلنت حكومة **ناجى طالب** رئيس وزراء العراق تأييدها لسوريا فى الازمة . . ولا يستطيع أحد أن يتكهن بالخطوات التى يمكن ان تقدم عليها حكومة العراق . ويرى بعض المراقبين ان الشركة فيما يبدو كانت تظن فى البداية ان العراق لن يقف الى جانب سوريا . . بل ان الدكتور **ابراهيم ماخوس** وزير خارجية سوريا اتهم الشركة بانها « تدس بين سوريا والعراق » . ولكن النتائج المبدئية جاءت عكس ماتريد الشركة . ويضيف المراقبون ان النتائج النهائية المترتبة على استمرار الشركة فى موقفها ستكون على غير توقعاتها . اذ لامناص امام العراق ـــ وهو لم يتخذ اى اجراء ضد الشركة حتى الان ـــ سوى أن يحدد موقفا يرغم الشركة على تعديل مسلكها .

وفى **لبنان** ، اعلن **رشيد كرامى** رئيس الوزراء ان لبنان « يؤيد موقف سوريا » ويتفهم الاسباب التى أدت اليه وضع الحجز على ممتلكات الشركة» واضاف أن لبنان « لا يكتفى بتأييد سوريا ودعمها فى موقفها ، بل انه فوق ذلك له نفس الحقوق وهو يطالب بها الشركة » . (يمر بأراضى لبنان خطوط انابيب تبلغ ٣٠ ميلا تصب فى طرابلس حيث يوجد معمل لتكرير البترول تابع لشركة بترول العراق . ويصدر من طرابلس ١٥ مليون طن من انتاج بترول كركوك) .

وفى **الجمهورية العربية المتحدة** ، ناقش **مجلس الامة** الازمة بين الحكومة السورية وبين شركة بترول العراق . وقد اتخذ قرارا بالاجماع جاء فيه « ان مجلس الامة ليستنكر الموقف المتعنت لشركة نفط العراق . . ويؤيد المجلس حق سوريا فى عائد البترول تأييدا كاملا بكل وسائل الدعم والدفاع . وان مجلس الامة ليؤيد تأييدا كاملا مطالب الحكومة العراقية فى اصرارها على ضرورة الحصول على حصتها من عائدات البترول فى موعدها بغض النظر عن مماطلات شركة النفط العراقية » . وقد اعلن **صدقى سليمان** رئيس الوزراء فى بيانه فى نفس الجلسة بمجلس الامة : ان الجمهورية العربية المتحدة تؤيد الحقوق المشروعة والعادلة لحكومتى سوريا والعراق ، وانها « لا تدخر جهدا او سعيا من أجل دعم الحقوق العربية والسيادة العربية » .

■ جامعة الدول العربية

الاردن تمتنع عن تنفيذ القرارات التى صدرت بموافقتها

مازالت حكومة **الاردن** تصر على منع القوات العراقية من دخول الاردن تنفيذا لقرار **مجلس الدفاع العربى الاعلى** وخطة **القيادة العربية الموحدة** . ويقول المراقبون انه برغم موجة المظاهرات الوطنية الواسعة التى قامت فى مختلف مدن الاردن تدين مواقف حكومة الملك حسين من القضايا العربية وبخاصة قضية فلسطين ، فان حكومة الاردن مصرة على التنصل من الالتزامات التى قضت بها مختلف المؤسسات والهيئات المنبثقة عن مؤتمرات القمة العربية او **جامعة الدول العربية** .

وكان مجلس الدفاع الاعلى قد أنهى دورة اجتماعاته الطارئة فى ١١ من الشهر الماضى ، بعد الموافقة على عدة قرارات هامة تقضى : **اولا** : بدخول القوات السعودية والعراقية الى الاراضى الاردنية طبقا لخطة القيادة العامة الموحدة ، فى مدة اقصاها شهران ـــ (اجماع) . **ثانيا** : تعديل الخطط العسكرية فى حدود التوصيات الصادرة عن مجلس الدفاع المشترك الى القيادة العامة لجيوش الدول العربية الموحدة ـــ (اجماع) . **ثالثا** : تقديم الالتزامات المالية واقامة التشكيلات العسكرية المقررة فى مؤتمر القمة العربى الثالث ، وطبقا للتوقيت المحدد فى المؤتمر ـــ (تحفظت السعودية) . **رابعا** : الا تشمل الاتفاقات العسكرية التى تعقدها الدول العربية ما يتعارض مع كيان القيادة العامة الموحدة ، والا يجرى أى تحرك للقوات العربية التى تحت امرتها الا بعلم من هذه القيادة ـــ (اجماع) . كما اتخذ المجلس قرارين آخرين هما : ١ ـــ تقديم ٥٠٪ من الاحتياطى العام من ميزانية القيادة الموحدة الى سوريا . ٢ ـــ عقد اجتماع آخر لمجلس الدفاع حتى منتصف يناير لمراجعة التنظيمات والاجراءات التى وضعت لدخول القوات العربية الى الاردن .

وجدير بالذكر ان مجلس الدفاع قد اصدر قرارا يعطى الفريق اول **على على عامر** قائد الجيوش العربية الموحدة جميع الصلاحيات لادخال قوات الدعم العراقية والسعودية الى مواقعها العسكرية فى الاردن دون الرجوع الى أية جهة ، فيما عدا ابلاغ الحكومة الاردنية بموعد دخول هذه القوات .

وكان مجلس الدفاع العربى الاعلى قد بدأ اجتماعاته فى ٧ ديسمبر الماضى . فقد تقرر دعوته لعقد دورة طارئة ، بعد ان استمرت القيادة العامة الموحدة فى اجتماعات متصلة وبعد اتصالات مع

لحكومة الاردن استمرت ثلاثة ايام واتصالات مع الامانة العامة العسكرية فى جامعة الدول العربية حيث ناقشت القيادة العامة التقارير العسكرية المقدمة اليها عن الوضع العسكرى فى المواقع العربية على الحدود بعد العدوان الاسرائيلى الاخير على القرى الامامية للاردن . ومعروف ان تلك هى المرة الاولى التى يمارس فيها القائد العام للقيادة الموحدة ، حقه فى توجيه مثل هذه الدعوة للانعقاد .

وتقول الانباء ، أن أهم العناصر التى استدعت ضرورة دعوة مجلس الدفاع للاجتماع الطارىء ، هو التقرير الذى أعده العقيد **عاطف المجالى** مبعوث القيادة العامة الى الحكومة الاردنية حيث طلب منها باسم القيادة الموحدة ، الموافقة على دخول قوات من الجيوش العربية الى الاردن بعد الهجوم الاسرائيلى . وكان رد الحكومة الاردنية على طلب القيادة يتسم بالغموض .

وكان جدول اعمال الدورة الطارئة لمجلس الدفاع ، يتضمن نقاطا ثلاثا هى : **اولا** : التقرير العسكرى للقائد العام عن الاوضاع العسكرية فى المواقع العربية على خطوط الهدنة . **ثانيا** : الاوضاع التى تشكل عقبات أمام ممارسة القيادة العامة لمسئولياتها تجاه تحريك القوات العربية طبقا للخطة العسكرية للقيادة العامة . **ثالثا** : مطالبة مجلس الدفاع المشترك باتخاذ ما يراه من قرارات وحسم الموقف بصورة نهائية لتتمكن القيادة من تحمل مسئولياتها الكاملة التى الزمتها بها مؤتمرات القمة العربية .

وقد بدأ المجلس اجتماعاته بأن قدم الفريق أول على على عامر تقريرا شرح فيه مراحل عمل القيادة العربية الموحدة منذ انشائها بالتواريخ والارقام ، والمعوقات التي وقفت فى طريقها والازمة بين القيادة الموحدة وحكومة الاردن بالتفصيل منذ بدايتها الى ماقبيل دعوته الى الاجتماع الطارىء . كما عرض بالتفصيل لقوات الدول العربية من ناحية وقوات اسرائيل من ناحية أخرى ثم انتقل الى متطلبات العمل العربي الموحد . وكان من بين مقترحاته ، انشاء « جهاز سياسى » الى جانب القيادة الموحدة يصدر لها الاوامر العاجلة عملا على سرعة الحركة . وقد أوضح قائد الجيوش العربية الموحدة فى تقريره ان حكومة الاردن رفضت دخول قوات عربية الى أراضيها تنفيذا للخطة المشتركة التى وضعتها القيادة ، رغم ان القيادة العامة أثبتت لحكومة الاردن ضعف فعالية المواقع الامامية والحماية الجوية وقدرة الجيش العربى فى الاردن .

لقد حاولت بعض الدول العربية ـــ الاردن والسعودية ـــ تعويق عقد اجتماعات مجلس الدفاع ، فى بداية الامر بطلبهما تأجيله وعدم عقده فى القاهرة . ولكنها عادت ـــ بعد أن اصبح واضحا ان الرأى العام العربى يؤيد انعقاد المجلس نظرا لاهمية الظروف المحيطة به ـــ واعلنت انها ستحضر الاجتماع وذلك ـــ على حد تعبير المعلقين السياسيين ـــ « استحياء من شعوبها وخشية أن تتقلب عليها هذه الشعوب » . وقد دأب كل من وفد السعودية والاردن ، منضما لهما وفد المغرب ، على العمل من أجل تخريب اجتماعات واعمال المجلس ، وذلك بحرف المناقشات الى قضايا جانبية لاتخص مجلس الدفاع وليست مدرجة فى جدول الاعمال . ومن امثلة ذلك مطالبتهم ببحث « العلاقات العربية » والتعلل بالحديث عن « ضرورة تهيئة الجو المناسب لتصفية المشاكل » .. الخ ..



● على على عامر

وكان **احمد الشقيرى** رئيس منظمة تحرير فلسطين قد ألقى بيانا هاما فى المجلس ، قال فيه « ان مسئولية القضية الفلسطينية اعظم من قدرة الحكومة الاردنية » . ثم قال « ان وصفى التل كان يعلم بالحشد الاسرائيلى قبل وقوع الغارة على قرى الخليل بيومين » . وانه « قد افشى اسرارا عسكرية كان يجب ان تظل مصونة » ويتبين من تقرير الشقيرى ان حكومة الاردن لم تنشىء المطارات التى طلبتها القيادة العامة « بالرغم من ان معظم نفقات الانشاء قد أرسلت فورا » وان الاردن « اشترط حق تفتيش القوات العربية قبل ان تدخل الاردن بما يدل على عدم الثقة فيها » . وقد طالب الشقيرى ـــ باسم المنظمة ـــ حكومة الاردن : ١ ـــ بدخول جيش تحرير فلسطين . ٢ ـــ بتمكين المنظمة من القيام بمسئولياتها القومية فى الاراضى الاردنية . ٣ ـــ اعلان التجنيد الاجبارى بين ابناء فلسطين المقيمين فى الاردن . ٤ ـــ تسليم المدن

والقرى الامامية . . . انشاء فرق المقاومة الشعبية والدفاع المدنى . وقد رفضت حكومة الاردن هذه المطالب . وشنت حملات هجوم ضخمة على منظمة تحرير فلسطين .

ويرى المراقبون ان اجتماعات مجلس الدفاع الاعلى قد كشفت ان الحكومات الرجعية مصرة على التنكر لمصالح واهداف الشعب العربى ، برغم التحركات الوطنية البارزة التى عمت السعودية والاردن وتونس . هذه التحركات التى يجمع المعلقون على أنها تنبىء عن بوادر مرحلة مد ثورى جديدة تمسك فيها القوى الوطنية والتقدمية العربية بزمام المبادرة والهجوم .

●

■ السودان

اجراءات غير دستورية في الجمعية التأسيسية

اصدرت محكمة الخرطوم العليا فى ٢١ ديسمبر حكمها بعدم دستورية التعديلات الدستورية التى كانت الجمعية التأسيسية قد اتخذتها واستندت اليها فى حل الحزب الشيوعى السودانى وطرد نوابه من الجمعية التأسيسية .

وهذه المشكلة ليست الا حلقة فى سلسلة من الصراعات تدور منذ حصول السودان على استقلاله بعد اتفاقية ١٩٥٣ . فبعد الاستقلال استولت القوى الرجعية على السلطة واصبحت سياستها الوقوف ضد القوى والطبقات الاجتماعية الشعبية فى السودان ومنع اى تطوير اجتماعى للثورة ، تحت شعار « تحرير لا تعمير » ولما لم تتمكن الرجعية من منع تحدى هذه القوى دبرت انقلاب نوفمبر ١٩٥٨ بالاتفاق مع الدوائر الامبريالية الغربية .

وخلال فترة الحكم العسكرى الرجعى لم تنجح اساليب الكبت فى تحطيم المقاومة الشعبية ، اذ اتحدت القوى الوطنية وتمكنت فى اكتوبر ١٩٦٤ من الاطاحة بحكومة عبود . وكان قوام الثورة العمال والمزارعون والمثقفون والضباط الوطنيون . وتكونت حكومة انتقالية شاركت فيها لاول مرة هذه القوى الاجتماعية الجديدة وتكونت جبهة ديمقراطية تقدمية واسعة واعلنت فى برنامج يهدف الى احداث تغيير اجتماعى ــ تبنته الحكومة المؤقتة ــ وتركز هذا البرنامج حول ضرورة احداث اصلاحات ديمقراطية واصلاح زراعى والعمل على تصنيع البلاد وتخليص الادارة من القوى المضادة للثورة والغاء حكم مشايخ القبائل من الريف وانتهاج سياسة تقدمية خارجية معادية للاستعمار والامبريالية وتدعيم العلاقات مع الجمهورية العربية المتحدة والقوى العربية المتحررة والمعسكر الاشتراكى .

الا ان بعض القوى الرجعية اخذت تعمل لوقف مد الثورة ومنع تطورها السلمى وتكون حلف مضاد لثورة اكتوبر . واعلن هذا الحلف الحرب على الحكومة المؤقتة بدعوى انها حكومة شيوعية .

وسقطت الحكومة المؤقتة وجاءت حكومة تمثل التحالف الرجعى واجريت انتخابات سيطر عليها هذا التحالف ، لم يشترك فيها غير ١٥٪ من الناخبين ولم يراع فيها العدالة فى توزيع الدوائر الانتخابية فالمدن وهى مراكز الحضارة أعطيت دوائر اقل من المناطق المتخلفة والخاضعة لنفوذ حزب الامة وحرم العمال والمزارعون من اى دوائر انتخابية وقاطع حزب الشعب الديمقراطى الانتخابات . ولكن الحزب الشيوعى اشترك فى الانتخابات ورغم كل الظروف غير المواتية فان الحزب شارك فى المعركة فى ٥٤ دائرة رشح فيها اعضاءه او أيد مرشحين ديمقراطيين واشتراكيين حصل على ٧٣ر١٠٣ صوتا اى ١٧٪ من مجموع الاصوات وفى ١٤ دائرة فى المدن حصل الحزب على ٤٠ر١٪ من مجموع اصوات الناخبين .

وكان قد حصل فى انتخابات ١٩٥٨ على ١٦ر١٪ من اصوات الناخبين . هذا فى نفس الوقت الذى تناقص فيه نفوذ الوطنى الاتحادى فى العاصمة فحصل على ٥ر٤٢٪ بينما كان قد حصل على ٦ر٦٤٪ فى ١٩٥٨ . وهكذا لم تعد المعارضة للحكم الجديد من خارج المجلس بل أصبحت من داخله .

فبدأت الحكومة الجديدة حملتها المعادية للتجمع الديمقراطى الاشتراكى تحت راية مكافحة الشيوعية وقد قام السيد على عبد الرحمن رئيس حزب الشعب الديمقراطى بفضح أهداف وابعاد هذه السياسة عندما أعلن فى مارس ١٩٦٥ وقبل اجراء الانتخابات وقبل صدور القرار بحل الحزب الشيوعى وطرد نوابه من المجلس بشهور . « اننا نعرف السر وراء الحملة المنظمة ضد الشيوعية فالذين يهاجمون الشيوعيين يستجدون الامريكان لانهم يعلمون انه كلما كثرت « لعلعتهم » ضد الشيوعية كلما دفع الامريكان اكثر » . وقال « اننا نتحالف مع الشيوعيين لاننا نتفق معهم حول الاهداف الوطنية فنحن نعمل سويا من أجل حماية ثورة ٢١ اكتوبر وعلى هذا الاساس قام التجمع الديمقراطى الاشتراكى وقال : « ان الهجوم على الشيوعيين هو محاولة لفركشة القوى الوطنية »

وفى نوفمبر ١٩٦٥ فقدت الرجعية صوابها خاصة وان مؤسساتها لم تعد قادرة على مواجهة المد الثورى ــ فعدلت الدستور وحلت الحزب الشيوعى

السوداني واعقبت ذلك بتعديل آخر استبعدت به النواب الشيوعيين من الجمعية التأسيسية . ولجأ النواب الشيوعيون الى القضاء وطلبوا من المحكمة العليا بالخرطوم الغاءهذا الاجراء باعتباره اجراءغيردستوري يخالف المبادىءالدستورية التي تشكل المجلس النيابي (الجمعية التأسيسية) على أساسها .

● ولكن هذا الاجراء رغم انه ادى الى اغلاق مراكز الحزب الشيوعي ودوره وصحافته ومؤسساته فانه لم يتمكن من وقف تيار الحركة الثورية الصاعد والذي تمكن من صد التيار الرجعي ومنع كل محاولة لربط البلاد بالحلف الاسلامي والذي كسب الاعتراف بالاتحاد العام للنقابات والذي افسد كل خطط الرجعية لتقسيم وحدة الصف الوطني والتقدمي — مما ألجأ القوى الحاكمة الى طرح شعار المصالحة الوطنية لتخرج من ازمتها وخاصة انها لم تتمكن من حل مشاكل الجماهير التي تفاقمت ولامواجهة الازمة الاقتصادية التي ازدادت حدة في البلاد .

والى جانب قضية عدم دستورية طرد النواب الممثلين للحزب الشيوعي وقف حزب الشعب الديمقراطي وعشرات من الهيئات والمنظمات الشعبية الديمقراطية. واخيرا وفي ٢١/١٢/١٩٦٦ أصدرت المحكمة العليا حكمها بعدم دستورية هذا الاجراء — فكانت صدمة للرجعية افقدتها وعيها فهاجمت القضاء واعلنت انها لن تنفذ حكمه .

وفي اليوم التالي لصدور الحكم سارت المظاهرات في السودان تحمل النواب الثمانية للمجلس . ولكن الجمعية التأسيسية رفضت دخولهم وفي نفس اليوم نظم اليمين مظاهرات ارهابية ضد حكم القضاء .

ومنذ شهور كان **الصادق المهدي** قد صرح انه لو صدر حكم القضاء بعدم دستورية حل الحزب الشيوعي وطرد نوابه فانه سيحترم حكم القضاء — ويعزو المراقبون تحديه لحكم القضاء الى احتدام الصراع الطبقي والوطني في البلاد وازدياد تلاحم قوى الجبهة التقدمية وفشل مشروع الوحدة بين الوطني الاتحادي والشعب الديمقراطي (اذ أصر الاخير على ضرورة وجود جبهة يشترك فيها الشيوعيون) .

● وفي يوم ٢٧/١٢/١٩٦٦ قادت نقابة المحامين مسيرة كبرى للاحتجاج على موقف الحكومة من القضاء وحكمه واشترك في المسيرة اتحاد النقابات والشباب والطلبة وكافة النقابات والهيئات المهنية — واعتقل على اثرها نقيب المحامين بالسودان — **أمين شبلي** — واعتدت مجموعات مسلحة من جماعة الاخوان المسلمين على المسيرة . وفي اليوم التالي احتج رئيس حزب الشعب الديمقراطي **الشيخ علي عبد الرحمن** على موقف الحكومة وطالبها بالاستقالة — وأعلن رجال القضاء انهم سيبدأون اضرابا عاما ان لم تتراجع الحكومة عن موقفها غير الدستوري .

وفي صباح يوم ٢٨/١٢/١٩٦٦ أعلنت الحكومة عن محاولة لانقلاب عسكري قام بها ملازم ثان وبسرعة فشل هذا الانقلاب واحتلت قوات مسلحة الاماكن الرئيسية وبدأت حملة اعتقالات واسعة فاعتقل **الشفيع احمد الشيخ** سكرتير اتحاد النقابات والوزير السابق والنواب الثمانية وعشرات من العناصر التقدمية .

●

■ لبنان

الى أين ؟..

استقالات

حكومة **عبد الله اليافي** ولم تمض في الحكم سوى ثمانية شهور — وهذه الشهور الثمانية على قلتها تزيد نحو ثلاثة شهور على توقعات كل المراقبين الذين قدروا يوم تشكيل اليافي لحكومته في ابريل الماضي — انها لن تعمر لاكثر من شهر سبتمبر .

واذا كان سقوط وزارات لبناء في فترات دورية قصيرة ومجيء وزارات جديدة محلها — قد أصبح يدخل تحت ما يسميه المراقبون «باللعبة البرلمانية» او لعبة « الكراسي الوزارية » لكثرة ما يصاحبه من مشاورات ومناورات ومزايدات واشتراطات للكتل النيابية والشخصيات السياسية من أعضاء المجلس النيابي وصعوبة تلمس الاسباب الحقيقية السياسية او الاقتصادية وراء كل هذا الطوفان . الا أن المراقبين يرون في احداث الفترة التي عاشتها وزارة ((اليافي)) ثم الاحداث التي صاحبت تشكيل **رشيد كرامي** للوزارة الجديدة — يرون فيها أبعادا جديدة لحقيقة الصراع الدائر في لبنان وحقيقة الوضع السياسي فيه .

ويرى المراقبون انه مهما قيل في وزارة اليافي المستقيلة فان شيئين هامين برزا في الفترة القصيرة التي عاشتها — شيئان هما في واقع الامر ليسا سوى انعكاسا لمايدور في العالم العربي وتأثرا به .

أولا — موقف الحكومة من الحلف الاسلامي ودعاته وحرصها على عدم توريط لبنان في موقف التأييد الايجابي للحلف .

ثانيا : الدور التقدمي الفعال الذي لعبه بعض الوزراء في الوزارة المستقيلة وفي مقدمتهم **كمال جنبلاط** وزير الاشغال واللواء **جميل لحود** وزير العمل والشئون الاجتماعية — سواء في الوقوف في وجه زحف الرأسمال الاجنبي .. أو في وجه مطالب جماعة أصحاب المصارف اللبنانية —

واصرار الوزيرين على حل مشكلة بنك انترا لمصلحة الاقتصاد اللبناني ودور اللواء لحود في تحقيق الكثير من الاصلاحات الاجتماعية والاقتصادية للعمال والمشتغلين .

ومن اجل هذا تعرضت حكومة اليافي ولبنان كله لضغوط خارجيه وداخليه — تستهدف لوى عنق لبنان نحو الحلف الاسلامي وايقاف تيار التقدم الاجتماعي . ولجأت القوى المعادية متحالفة مع بعضها ، ومدعمة من الرأسمال الاجنبي الى الضغط الاقتصادي وتوقيت انفجار ازمة ماليـة اقتصادية في ظروف تلائمها لاتمام سيطرتها على الاقتصـاد الوطني اللبناني وتمكينها من فرض تراجعات سياسية في الداخل والخارج . ونظمت هذه القوى سلسلة من الاضرابات ضد وزير العمل والشئون الاجتماعية اللواء لحود . كان ابرزها محاولة اصحاب الافران خلال فترة معينة تجويع سكان بيروت — وكذلك الاضراب الذى دعا اليـه الاتحاد العمالي العام الذي يقوده ويحركه ارباب العمل وجماعة الرأسماليين الذين قاوموا الضمان الاجتماعي ورفع الحد الادنى للاجور .

وقد ادت الضغوط الخارجية والداخليـة الى تعقيـد الوضع بالنسبة لحكومة اليـافي والى شل حركتها وحذف المجلس النيابي من المشروع المقـدم له لحل مشـكلة انترا فقـرات تمكن الحكومة من المساهمة الفعلية في انقاذ «انترا» وانقاذ الشركات ذات النفع العام وانقاذ الـ ٥٠ مليون ليرة التي يدفعها البنك المركزي .

ولقد حاول اليافي اطالة عمر وزارته حتى تقوم باجراء الانتخابات في العام القادم — وحاول توسيع الحكومة او تحويلها لحكومة اتحاد وطني ، ولكن جهوده باءت بالفشل بسبب اصرار الكتل اليمينية على اخراج ((**جنبلاط**)) ((**ولحود**)) من الوزارة كثمن لقبول استمرار اليافي .

وعندما قدم اليافي استقالة حكومته وضمنها بالتفصيل كل الاسباب التي دفعته للاستقالة بذلت جهود قويه لتغيير كتاب الاستقالة حتى « لايتعرض لبنان لهزة سياسية على الصعيدين السـياسى والنيابى » .

ويرى المراقبـون انه للمرة الاولى لم تنجـح صراعات الكتل النيابية حول مقاعد الوزارة في اخفاء حقيقة الاوضاع التي يواجهها لبنان — وطبقا لمانشرته الصحافة اللبنانية على اختلاف اتجاهاتها كان هناك موقفان محددان خلال ازمة التغيـير الوزارى :

● موقف جماعة اصحاب المصارف والصناعيين والهيئات الاقتصادية ويتلخص في محاولة تحميل القوى التقدمية واليسـارية مسئوليـة الازمـة الاقتصادية التي تجتازها البلاد والسعى من وراء ذلك لضرب النضال الشعبي والجماهيرى — وقد عقدت هذه الجماعة اجتماعا واتخـذت قرارين ابلغتهما لرئيس الجمهورية : **الاول** هو المطالبـة بتولي وزارتي المالية والاقتصاد — اى أن يتولاهما احد المليونيرات من بينهم .

والثاني عـدم اشراك ((**لحـود**)) في الوزارة الجديدة وطالبوا بان يتولى وزارة الشئون ماأسموه « بشخص محايد » — وذهبوا خلال الازمة الى حد التهديد « بالنزول للشارع » لمنع دخول «لحود» للوزارة .

● موقف جبهة النضال الوطني والحزب التقدمي الاشتراكي الذى يترأسه ((**كمال جنبلاط**)) والذين اشترطوا « ضرورة تشكيل الحكومة الجـديدة من عناصر وطنيـة وتقدميـة تستطيـع تحمل المسئولية بشكل يضمن مصالح الشعب » وبشكل خاص اشتراط تسليم وزارة العمـل والشئون الاجتماعية الى شخص تقدمي ليحافظ على المكاسب العمالية التي تحققت في ايام لحود — واشترط لحود في حالة عـودته للوزارة ان يتـولى وزارة الشئون ليمكنه مواصلة سياسته في خدمة الطبقات الشعبية .

واعلن اللواء لحود في مواجهة اتهامات الحملات اليمينية المحمومة لاخراجه اذا كان الذى يعمل من اجل تأمين الخبز والدواء والمدرسة والمسكن وكل متطلبات المعيشة يساريا فانا يسارى وأفخر بانني يسارى . وقد صار من الواجب على كل من يعمل في الحقل الاجتماعي والوطني ان يطالب بالعدالة الاجتماعية الفعلية دون أن يلقى بالا الى ما يقوله المحتكرون الرأسماليون بصدده .

وقد طالب عدد كبير من النقابات اللبنانية — طالبوا رئيس الجمهورية بعودة اللواء لحود الى وزارة الشئون الاجتماعية .



● **عبد الله اليافى**

وبعد أن اتم السيد ((**رشيد كرامي**)) المكلف برئاسة الوزارة استشاراته لكل الكتل والهيئات فيما سماه سعيا لتشكيل حكومة تضم ١٨ وزيرا من بين اعضاء المجلس النيابي وتشترك فيها غالبية الكتل ــ اعلن السيد رشيد كرامي انه لم يتمكن من تأليف الوزارة على هذا النحو لتعارض اشتراكات الكتل وصعوبتها وبادر الى اعلان تشكيل وزارة من الخبراء من خارج المجلس .

ويكاد يكون هناك اجماع بين المراقبين على أن تشكيل الوزارة بهذا الشكل كان متفقا عليه من قبل استقالة حكومة اليافي بشهر ونصف وان الاستشارات التي قام بها كرامي مع الكتل النيابية انما كانت استكمالا للشكل وتغطية للخطة الحقيقية ــ كما يؤكد المراقبون ان قبول رشيد كرامي تشكيل وزارة من خارج المجلس النيابي كان التمنى الذى قبله القصر الجمهوري لتصفية الجو بين الطرفين .

ويجمع المراقبون على ان الخلاف الحقيقي الجدير بالانتباه والذى ظهر خلال المشاورات هو الخلاف بين ((**كرامي**)) و ((**جنبلاط**)) حول المسائل السياسية والاقتصادية التي يواجهها لبنان . فجنبلاط يرى بالنسبة لازمة بنك انترا ضرورة تدخل الدولة لحماية البنك ومنعه من الوقوع في قبضة الرأسمال الاجنبي وخاصة الامريكي ــ وحماية الدولة لصغار المدخرين ويطالب جنبلاط بضرورة تنظيم القطاع المصرفي في البلاد ومواجهة الازمة المالية الراهنة ــ كما يطالب جنبلاط باعادة النظر في اتفاقية « المدريكو » التي عقدها كرامي في عهد وزارته السابقة وخسرت البلاد بسببها ٨٣ مليونا وثمانمائة الف ليرة ــ ويطالب بمواصلة السياسة التقدمية التي انتهجها اللواء لحود بالنسبة لمطالب العمال والجماهير الشعبية .

اما من ناحية كرامي الذى وصفته وكالات الانباء الامريكية بانه « اشتراكي معتدل » .. فان الصحافة اللبنانية والمراقبون يرون انه بالرغم من الوعود الكثيرة التي قطعها كرامي خلال محادثاته مع جنبلاط في محاولة لكسبه ــ فان اتجاه الاحداث يشير الى محاولة الوصول الى تفاهم مع الرأسمال الاجنبي على تسليم بنك انترا وعلى عدم مس قانون سرية المصارف وعلى دفن مذكرة وزير الاقتصاد السابق الدكتور صبحي الحمصاني الذى يقترح تعديل اتفاقيات البترول المجحفة بحقوق لبنان ــ وكذلك عدم اتخاذ اى خطوة لسد ضريبة الدخل التصاعدية .

ومن الملاحظات الهامة التي سجلها المراقبون على الوزارة الجديدة ان جماعة اصحاب المصارف والهيئات الاقتصادية التي طالبت بوزارتي المالية والاقتصاد ــ لم تعارض في تسلم الرئيس كرامي وزارة المالية وان وزارتي الاقتصاد والزراعة تولاهما الدكتور سعيد حمادة استاذ الاقتصاد السياسي في الجامعة الامريكية ببيروت ــ ويرى المراقبون ايضا انه اذا كان اليميني قد فشل في فرض مطالبه كلها فقد نجح في فرض حكومة لاترضي خصومه وهي حكومة تصلح واجهة له وسوف تحكم مستندة لقوته ــ وان الاتفاق بين جميع اصحاب المصارف والجبهة البرلمانية الديمقراطية التي يتزعمها كرامي قد نجحت في ابعاد جنبلاط ولحود من الوزارة .

وتردد في اعقاب التغيير الوزاري ان جهودا تبذل لتشكيل جبهة وطنية بزعامة صائب سلام وكمال جنبلاط وينضم اليها عدد من النواب الذين قرروا الانسحاب من الجبهة الديمقراطية البرلمانية وخاصة نواب بيروت .

ان خير تلخيص لما حدث في لبنان هو السؤال الذي وضعه احد المراقبين سائلا .
ــ لبنان ــ الى أين ؟ ...

●

■ تونس

((المجاهد الاكبر)) والطلبة

آثار

قرار حكومة تونس تقديم عدد من الطلاب الى المحاكمة ، واجتماع **بورقيبة** برجال القضاء لتوصيتهم بأخذهم بالشدة ، عاصفة من الاحتجاج والاستنكار في الوطن العربي والرأى العام العالمي ، فقد اصدر الطلاب التونسيون الاحرار في القاهرة ، وفي دمشق وفي بغداد ، احتجاجهم على اعتقال الطلاب التونسيين ومحاكمتهم وعقد اجتماع في العاصمة الفرنسية نظمته الهيئات الطلابية في فرنسا وحضرته وفود ممثلي الطلبة الافريقيين والطلبة العرب والطلبة الاشتراكيين التونسيين ، للاحتجاج على القمع البوليسي لمظاهرات الطلبة واعتقال ما يزيد عن ٢٠٠ منهم ، واصابة ١٢ منهم بجراح خطيرة . وصدرت بيانات مماثلة من اتحادات الطلاب في المانيا وايطاليا وسويسرا وبلجيكا وغيرها .

وقد بدأت هذه الحوادث ، عندما دعا زعماء الطلاب الذين يعارضون سيطرة الحزب الاشتراكي

الدستورى على الاتحاد العام للطلاب التونسيين ، لاجتماع بقصد الاحتجاج على معاملة البوليس لاثنين من الطلبة ، وحاول « قسم الطلبة » التابع لحزب بورقيبة ، وقادة الاتحاد العام للطلاب الموالون له ، عرقلة الاجتماع ووزعوا نشرات بعدم « الاستجابة لمثيرى الشغب » . وعقد الاجتماع ، وحاول احد مندوبى الحكومة الكلام فقاطعه الطلبة . وتعالت هتافاتهم مطالبة بالديمقراطية وسقوط الحكم الفاشى ، فهجم عليهم ثلاثمائة من رجال البوليس ، ودارت معركة استمرت ثلاثة ارباع ساعة . انتهت باعتقال عدد كبير من الطلبة ومحاصرة كل المنطقة . ومع ذلك لم يستسلم الباقون ودعوا للاضراب ثلاثة أيام احتجاجا على اعتقال اخوانهم .

وقد وزعت منشورات كشفت الاسباب الجوهرية لغضبة الطلاب ، فهم يطالبون بحريتهم فى التعبير ، ورفض اخضاع اتحادهم لسيطرة حزب بورقيبة ، وينادون بالديمقراطية الداخلية فى الاتحاد ، والتمثيل السليم لكافة القوى الطلابية فى اجهزة الاتحاد وهيئاته . والواقع ان الخلافات قديمة بين الحزب والاتحاد العام لطلاب تونس . فقد استهدف الاتحاد منذ انشائه قبل ١٥ عاما « تجميع كل الطلاب التونسيين » دون اعتبار لانتماءاتهم السياسية او العقائدية » . و « الحفاظ على هذه الوحدة قوية ، اثناء النضال » وكان غرض الاتحاد فى بداية تكوينه المساهمة فى حركة التحرر ، وبعث الوطن التونسى وتقدمه . وشارك بمجهودات رائدة فى هذا المجال . وحتى المؤتمر الخامس للاتحاد (أغسطس ١٩٥٧) ، لم تكن محاولات التدخل فى شئون الاتحاد قد بدأت بصورة مكشوفة ، حتى عندما ثارت مشكلة استقلال النقابات عن الحزب ، والازمة اليوسفية وغيرها . ولكن عندما حدث انقسام فى الاتحاد العام للعمال ، وفرض مسئول حكومى على قيادته ، بدأ الطلاب يدركون مصيرهم ، فأصدروا « ميثاق الطلاب » الذى يؤكد استقلال الاتحاد ، ورغبة فى الارتفاع عن كل الخلافات ، حتى يسهم الشباب فى عملية البعث الوطنى ومقاومة التخلف . ومنذ المؤتمر الخامس حتى المؤتمر الثامن عمل قادة الاتحاد على الحفاظ على وحدة حركتهم . ولكن سرعان ما بدأ التهديد والاغراء بالمناصب الادارية ، وتمكن بورقيبة من التأثير على مجموعة من القيادة وفصلهم عن القاعدة . وفى المؤتمر التاسع تمكن حزب بورقيبة من ارسال مندوبيه الى المؤتمر وشكل هؤلاء أغلبية ، رفضت ان تسمع للاقلية المعارضة ، أو أن تعير مطالبها أى انتباه او تنتخب أحدا من اعضائها فى اللجان القيادية .

وفى هذا المؤتمر انتهى استقلال الاتحاد ، واصبح جهازا تابعا للحزب تبعية كاملة . وقضى على الديمقراطية الداخلية . ومع ذلك لم يستسلم الطلاب التقدميون . وقاموا بعملية تعبئة شاملة للمطالبة بالديمقراطية الداخلية . وتمثيل مختلف القوى الطلابية تمثيلا صحيحا فى الهيئات القيادية . وقام قسم باريس للطلاب التونسيين بدور رائد فى هذا المجال . مما دفع قيادة الاتحاد الموالية للحكومة الى حل هذا القسم ، مع ان اعضاءه من اكثر العناصر حماسا وعملا ..

ومع سيطرة العناصر الموالية لبورقيبة على الاتحاد العام للطلاب التونسيين ، الا ان الاتجاه المعارض تمكن من القيام بتعبئة شاملة . مستفيدا من انعزال القيادة عن القاعدة ، وازدياد السخط بين هذه الاخيرة . وطالب بالقضاء على البيروقراطية فى الاتحاد ، وتحقيق استقلاله الذاتى ، مع التعاون مع كافة المنظمات والهيئات الوطنية بما فيها الحزب الدستورى على قدم المساواة . ومساندة الجماهير العاملة فى مطالبها . والدفاع عن المصالح المادية والروحية للطلاب ، والديمقراطية . بل وتمكنوا من اثارة قضية الاشتراكية وجعلها قضية عامة فى المؤتمر الحادى عشر (اغسطس ١٩٦٣) ونادوا بمنع بيع الاراضى الى الافراد ، وتدعيم الحركة التعاونية ، ومنح القروض لصغار المزارعين ، وطالبوا بتأميم الشركات الاجنبية ، وتجارة الجملة ونصف الجملة والتجارة الخارجية والمصارف وشركات التأمين . وتشجيع الحرفيين والجمعيات التعاونية الاستهلاكية ، وتحديد الاسعار . ومع أن « الصادق المقدم عضو المكتب السياسى للحزب الدستورى » رأس جلسات المؤتمر الرابع عشر الذى عقد فى أغسطس ١٩٦٦ ، ومع ان الاتجاه البورقيبى كان سائدا بين الاعضاء ، الا أنه حدث استقطاب للمعارضة (تقول جريدة لوموند الفرنسية ان المعارضة بلغت ٣٠ عضوا من ١٥٠ عضوا) ووزعت منشورات تداولها الاعضاء تندد بالتدخل الحكومى ، والعداء للديمقراطية ، ونادى البعض بادانة العدوان الامريكى فى فيتنام ، مما يتناقض مع حكومة بورقيبة ، التى كانت البلد العربى الوحيد الذى أيد هذا العدوان .

ويعتقد المراقبون ان انفجارات الطلبة الاخيرة تعبر عن مشاعر جماهير الشعب فى تونس . فقد قال ممثل طلبة افريقيا فى الاجتماع الطلابى الذى عقد فى باريس للاحتجاج على القمع البوليسى لمظاهرات الطلبة فى تونس . « ان جامعة تونس لا تستطيع ان تكون حرة قبل أن تتحرر تونس نفسها ، وان بورقيبة يعتبر الكوبرى الذى يمر عليه الاستعمار الجديد ومصالحه » . ففى مستهل رئاسة بورقيبة سعى مع الفرنسيين والامريكيين الى فرض المشروع الذى اقترحه ايزنهاور لوقف الحرب الثورية فى الجزائر . ولما رفض الجزائريون

أخذ يثير لهم المتاعب ، ويمنع عنهم الاسلحة ، بل وقفل الحدود عليهم . وبعد الاستقلال تولى اثارة المنازعات حول الحدود خاصة في الاوقات التي تدخل الجزائر فيها في معارك مع الاستعمار . كما حاول بورقيبة اقامة وحدة المغرب على اسس تخدم السيطرة الاستعمارية ، وربطه باحلاف عسكرية . وفي افريقيا ساند بورقيبة الاعمال الاستعمارية ضد شعب الكونغو ، واشترك في محاولات تحطيم منظمة الوحدة الافريقية، وعارض قرار قطع العلاقات مع بريطانيا لموقفها من روديسيا . واقترح أخيراً انشاء كومنولث فرنسي من الدول الناطقة بالفرنسية، ولكن ديجول عارض ذلك . ومع المانيا خرج على الاجماع العربي بمقاطعتها مقابل وعود من كروب بانشاء مشاريع له في تونس . وتعد الولايات المتحدة اليوم صاحبة اليد الطولى في تونس ، فقد انشأت عدة مشاريع كمصنع الالياف الصناعية ، وقروضها الى البنوك التونسية ولخطة الانشاءات (٥٠٪ منها تمويل أجنبي معظمه من الولايات المتحدة) بل ويتسلل الامريكيون الى الاقتصاد الافريقي تحت أسماء تونسية ، كما حدث في بنك نيجيريا . واخيرا حصلت الولايات المتحدة على قواعد في عين دراهم وقفصه وبنزرت . ووقعت اتفاقية سرية مع بورقيبة في ٢٨ فبراير ١٩٦٦ يقضي باحتلال الاسطول السادس لتونس في حالة قيام أي تهديد لبورقيبة (*)

وفي المجال العربي ، دأب بورقيبة على التهجم على الدول المتحررة ، ففي أول جلسة لتونس في الجامعة العربية، هاجم مندوبها الجمهورية العربية مما اضطر المجلس الى شطب كل هذا الكلام . وكانت ذروة مواقفه هو مطالبته بالصلح مع اسرائيل (*)

وفي الداخل يمالىء الحكم الحالي كبار الملاك العقاريين ، الذين استولوا على ملكيات الفرنسيين الذين غادروا البلاد، ووضع نظام التسليف الزراعي في خدمتهم ، واقيمت مشروعات الري لخدمتهم ، ونفس السياسة بالنسبة للرأسمالية التونسية ، التي حلت محل الفرنسيين أو شاركتهم فيما بقي لهم . أما الفلاح التونسي فينوء تحت عبء تكنيكه المتخلف وقبضة المرابي (*) والعمال ليسوا احسن حالا ، فتجميد الاجور ، وتضخم الاستقطاعات ، وتضييق الحريات النقابية (*) وفي الحياة السياسية تطبق نفس الاساليب فقد اقيم نظام حزبي على أساس من عبادة الفرد « المجاهد الاكبر » اما المستويات الحزبية فتمزقها الخلافات ، بل وتحول بعضهم الى جماعات للتجسس وارهاب المعارضة التي قتل بورقيبة (*) منها على رأسهم الشهيد صالح بن يوسف (*) ورفع شعار الاشتراكية كان القصد منه ، كما يعتقد المراقبون، امتصاص السخط الشعبي الناجم عن تدهور الاحوال الاقتصادية ، وصد اشعاع التجارب التقدمية العربية ، وسحب الارض من تحت أقدام الاشتراكيين في تونس كما صرح بورقيبة لحلفائه .

واللجوء للعنف والقمع في مقاومة الطلاب ، دليل على الازمة التي يعانيها النظام ، رغم ادعاء وجود حزب جماهيري . فالواقع ان هذا الحزب ، بل وجهاز الدولة تمزقه الخلافات حول من يخلف بورقيبة ، الذي طرح مسألة خلافته في ديسمبر ١٩٦٥ . واقطاب الصراع هم الحبيب بورقيبة الابن ، والباهي الادغم ، واحمد بن صالح ، والمنجي سليم . ويبدو ان الشعب التونسي له رأى آخر غير كل هؤلاء ، كما تدل على ذلك الاحداث الاخيرة .

●

■ روديسيا

ويلسون يبحث عن طريقة للاعتراف باستقلال سميث

أصدر مجلس الامن في منتصف الشهر الماضي ، قرارا بدعوة الدول الاعضاء في الامم المتحدة الى وقف شحن عدد محدود من السلع — من بينها البترول — من والى روديسيا — ولم يوافق المجلس على ان يتضمن القرار النص على استخدام كافة الوسائل بما فيها القوة لتنفيذ هذا القرار . وقد أثار ذلك استياء الدوائر الافريقية التي وصفت قرار المجلس بأنه مؤسف ومخيب للآمال . وقد صرح وزير خارجية زامبيا أن عدم النص في قرار مجلس الامن على وقف تصدير الفحم ايضا الى روديسيا ، يقلل من فعالية وقف تصدير البترول . اذ يرى وزير خارجية زامبيا ان وقف تصدير الفحم والبترول معا يمكن ان يؤدي الى إسقاط حكومة سميث في وقت قريب .

وكانت الدول الافريقية قد بذلت عدة محاولات لاعطاء القرار صفة الجدية والفعالية . ولكن دول الغرب استخدمت نفوذها على بعض الوفود التابعة لها مما ادى الى عدم فوز أي مشروع او تعديل افريقي بأغلبية الـ ٩ أصوات اللازمة .

وقد أثيرت مشكلة روديسيا مرة جديدة في مجلس الامن ، بناء على طلب بريطانيا للمجلس بتوقيع عدد من العقوبات الاقتصادية (غير الشاملة

ولا تتضمن البترول) بروديسيا . وذلك على اثر اعلان حكومة **ايان سميث** برفض ((**وثيقة العمل**)) التى نتجت عن المحادثات التى دارت بينه وبين **هارولد ويلسون** رئيس وزراء بريطانيا فى أوائل الشهر الماضى .

وكان ويلسون قد دعا سميث لاجراء محادثات فوق الطراد تايجر البريطانى . ورغم ان ويلسون قد طلب الى سميث ان يحضر المحادثات حاملا تفويضا من حكومته بالبت فى نتائج المحادثات ، الا أن سميث صرح لويلسون منذ لحظة بدء المفاوضات بأنه لم يحمل مثل هذه الصلاحيات . وقد نشرت صحيفة **الاوبزرفر** البريطانية عدة تفصيلات عن محادثات ويلسون وسميث ، استقتها من «الكتاب الابيض» الذى نشرته حكومة روديسيا غير الشرعية بعد انتهاء المفاوضات .

ويقول المراقبون السياسيون ان المعلومات التى نشرت عن المحادثات ، توضح أن ويلسون يبحث الان عن طريقة شكلية ليعترف بالاستقلال غير الشرعى الذى اعلنته حكومة الاقلية العنصرية فى روديسيا فى ١١ نوفمبر من العام الماضى . ويفسرون ذلك بأن كل مانشر عن المحادثات يوضح ان بريطانيا غير راغبة فى تحقيق ادعاءاتها امام الراى العام العالمى بأنها تسعى لتحقيق حكم الاغلبية الافريقية . فقد نصت «وثيقة العمل» على أن يتم تنفيذها على مرحلتين : ١ ــ فترة انتقالية حتى تعترف بريطانيا باستقلال روديسيا اعترافا رسميا . ٢ ــ الخطوات التى تتم بعد ذلك .

وتنص «وثيقة العمل» على أن مدة فترة الانتقال هى أربعة شهور يوضع خلالها دستورا « لشعب روديسيا ككل » . وتقضى « وثيقة العمل » بتوسيع حكومة سميث لتضم ٥ وزراء آخرين منهم اثنان افريقيان وثلاثة من المستوطنين البيض من خارج حزب الجبهة الذى يتزعمه سميث . ويقوم كل من ويلسون وسميث باختيار هؤلاء الوزراء الخمسة . كما تقضى الوثيقة برفع الاحكام العرفية واعادة الحياة السياسية العادية والافراج عن الافريقيين المسجونين والمعتقلين « الا اذا قضت محكمة عادلة بعدم الافراج عن احد منهم» . وتؤلف هذه المحكمة من قبل حكومة روديسيا على أن تضم ممثل لبريطانيا . وتقضى الوثيقة كذلك بأن يتعهد « حاكم روديسيا» بحفظ النظام والقانون يساعده فى ذلك « مجلس للدفاع والامن » وتنص ايضا على تشكيل « لجنة ملكية » تقوم بقياس الراى العام فى روديسيا حول موافقته او عدم موافقته على الدستور والاتفاقية ، وترفع بذلك تقريرا للحكومة البريطانية تمنح بريطانيا على اساسه الاستقلال لروديسيا . وفى حالة عدم موافقة الرأى العام « تشرع الحكومتان فورا فى التفاوض من جديد » ذلك كله على أساس ان ترفع كافة العقوبات الاقتصادية عن روديسيا خلال فترة الانتقال . وبعد هذا تجرى انتخابات عامة فى روديسيا يحكم بعدها من يفوز بالاغلبية .

وجدير بالذكر ان سميث قد وافق قبل عودته الى سالزبورى على « وثيقة العمل » ولكن وزرائه لم يوافقوا عليها ، فأعلن سميث بالتالى رفض حكومته للاتفاقية . وعلى اثر ذلك راحت بريطانيا تناور من جديد ــ على حد تعبير المراقبين ــ فى الامم المتحدة .

وتؤكد الصحافة البريطانية نفسها ــ **الصنداى تايمز والايكونوميست والاوبزرفر** ــ ان بريطانيا لا يمكن ان تأخذ موضوع المقاطعة ضد روديسيا مأخذ الجد ، لأن ذلك يعنى خسائر للاقتصاد البريطانى تقدر قيمتها السنوية بـ ٤١٠ مليون جنيه استرلينى هى قيمة صادرات بريطانيا سنويا لكل من روديسيا وجنوب افريقيا ، اذ يعنى التسليم بأخذ موقف مقاطعة جاد من حكومة سميث ، الاعتراف مقدما بضرورة مقاطعة جنوب افريقيا كذلك حيث انها تمثل عاملا اساسيا من عوامل مساندة حكم سميث وتدعيمه بكل الامكانيات المادية والعسكرية والفنية . كما تعنى هذه المقاطعة بالنسبة لبريطانيا، ارتفاع اسعار المواد الخام التى تنتجها روديسيا وجنوب افريقيا ، مما يؤدى بالتالى لاهتزاز وضع الاسترلينى . وحكومة ويلسون ليست على استعداد لمواجهة هذا الوضع .

وتقول الاوبزرفر البريطانية ، ان ويلسون يعتمد كثيرا على عدم مبالاة الرأى العام البريطانى بمشكلة روديسيا ، بل وتعاطف كثير منه على حكومة



● ويلسون

سميث . فقد كشفت الاستفتاء الذي قام به مركز قياس الرأى العام في بريطانيا ان ٥٤٪ من البريطانيين يعارضون استخدام القوة ضد سميث وان ٦٪ فقط هم المقتنعون باستخدامها وان ٤٠٪ يقولون بجواز استخدامها « اذا كانت ضرورية لحفظ النظام واقرار القانون » .

ومن المعروف ان القرار الاخير لمجلس الامن لا يحمل جديدا . فقد سبق اتخاذ مثل هذا القرار في ديسمبر من العام الماضي واكده المجلس اكثر من مرة في أوائل العام الحالى . ولكن دولة واحدة من دول الغرب وخاصة ـ بريطانيا والبرتغال ـ بالاضافة الى جنوب افريقيا ، لم تلتزم بقرار مجلس الامن وقامت بخرقه . ويتوقع المراقبون تكرار هذا الموقف .

●

■ الهند

منع ذبح البقر والمجاعة ... والانتخابات

في ٢ نوفمبر ١٩٦٦ ، اتخذت اللجنة التنفيذية لحزب المؤتمر الهندى قرارا يوصى بمنع ذبح الابقار ، وذلك تحت الضغط المتزايد للجماعات الدينية (الهندوكية) المتطرفة ، ولبعض الاحزاب الصغيرة (وبخاصة حزب جان سنج) اليمينية ، التي تتخذ الدين ستارا لنشاطها . وانما اتخذت قيادة حزب المؤتمر هذا القرار لتفوت على هذه الاحزاب والجماعات فرصة استغلال المشاعر الدينية للجماهير الهندوكية لعمل المظاهرة الكبيرة التي كانت قد دعت اليها في ٨ نوفمبر . غير ان الجماعات والاحزاب اليمينية ما كانت لتتراجع عن خطتها المرسومة ، فعلى الرغم من القرار المشار اليه ، ظل أحد النواب يقاطع المتكلمين ويعطل أعمال البرلمان بشكل استفزازى ، وهو يصر على ان يوقف المجلس اعماله للنظر في مشروع قانون عاجل لتحريم ذبح البقر في جميع الولايات ، وعدم ترك هذا الامر بأيدى السلطات المحلية لكل ولاية ، (ففي بعض الولايات اغلبية من المسلمين) ، الى أن طلب غالبية النواب طرده من الجلسة . عندئذ اندفع الرجل الى الجماهير المتجمعة خارج البرلمان يولول ويصرخ ، ويستعديها على الحكومة والبرلمان .

وكانت هذه المسرحية الاستفزازية المدبرة هي اشارة البدء لاعمال عنف وشغب ، اشترك فيها أكثر من ٧٠٠٠ ألف ، وحرقت أكثر من ١٠٠٠ سيارة ، وهوجم عدد من منازل قادة حزب المؤتمر ، من بينهم **كامراج** رئيس الحزب ، واستدعت الحكومة قوات البوليس والجيش ، وفتحت النيران على المتظاهرين فسقط ٨ قتلى واكثر من ٢٠٠ جريح ، وفرض حظر تجول في دلهى لمدة ٤٨ ساعة :

حدث ذلك يوم الاثنين ٧ نوفمبر .

وكان اليمين داخل حزب المؤتمر سريع التجاوب مع اليمين في خارجه ، اذ سرعان ما اجبر **جولزاريلال ناندا** ، وزير الداخلية على الاستقالة (٩ نوفمبر) وهو من الجناح التقدمى في الحزب ، والرجل الثانى في الحكومة . واجرى تعديل وزارى ، كسب فيه اليمين مواقع جديدة .

ويكاد يجمع المراقبون على ان ارتفاع حمى الدفاع عن البقر ، تحت شعار حماية التراث الروحى للهندوكية ، وما صاحب هذه الحمى من حوادث مؤسفة ، ليس الا جزءا من الحركة العامة لليمين الهندى استعدادا للانتخابات العامة في فبراير ١٩٦٧ . ففي جو من اشاعة الاضطراب ، واحياء التعصبات الطائفية والدينية ، ونشر روح اليأس والتمرد في مثل هذا الجو يستطيع اليمين الهندى ، داخل حزب المؤتمر وخارجه ، أن ينتزع المزيد من مراكز السلطة والنفوذ .

ومما يثير الالم في نفوس المراقبين الذين يعطفون على قضية الشعب الهندى ، أن تحقق هذه الاتجاهات غير المسئولة شيئا من النجاح مستفيدة من المحنة التي يجتازها الشعب ، حيث انخفض محصول الحبوب هذا العام نتيجة للجفاف الى ٧٢ مليون طن (وكانت الخطة تهدف الى ١٠٠ مليون طن) ، مما ادى الى تعرض مناطق عديدة للمجاعة ، وبخاصة في ولاية **بيهار** .

وليست الزراعة هي المشكلة الكبيرة الوحيدة التي تواجه البناء الاقتصادى في الهند ، وانما تطرح مشكلات عديدة للبحث بمناسبة البدء في مشروع السنوات الخمس الرابع ، (١٩٦٦ ـ ١٩٧١)

وبعض هذه المشكلات يرجع الى عوامل طارئة ، مثل الحرب التي استعرت في العام الماضي بين الهند والباكستان ، والجفاف الذي سبب الانهيار في المحاصيل الزراعية في العامين الاخيرين . والبعض الاخر يرجع الى عناصر دائمة ، اهمها التركيب الهيكلى للاقتصاد الهندى ، الذي ماتزال الزراعة فيه هي الغالبة على الصناعة (٥٠ ٪ من الدخل القومى ، ٧٥ ٪ من الايدى العاملة) . وتخلف الزراعة ، مع البطء الشديد في اجراء اصلاح زراعى ، وعدم الجدية في القضاء على الملكيات الكبيرة الاقطاعية ، من شأنه تعطيل التنمية الصناعية ، والحد من السوق المحلى ، وتعبئة الموارد المالية ، واعاقة زيادة العمالة

وعلى الرغم من وجود قطاع عام كبير نسبيا ، يعتبر هو الركيزة الاساسية للتنمية الاقتصادية، وبخاصة فى المجال الصناعى ، الا ان الخط العام الذى يسير عليه الاقتصاد الهندى مايزال هو خط التطور الرأسمالى . فما تزال البنوك وشركات التأمين والصناعات الاساسية والنقل ، بيد رأس المال الكبير ، بالاشتراك مع رأس المال الاجنبى الذى يحتل مراكز أساسية فى الاقتصاد الهندى . ونظرا لان الدولة الهندية ماتزال محجمة عن السيطرة على موارد التمويل الاساسية ، فانها تعتمد اعتمادا كبيرا على التمويل الخارجى فى التنمية . غير ان لهذا مضاره ومخاطره . فمن المفارقات المؤلمة ان تبلغ مجموع استثمارات رأس المال الاجنبى الخاص (بريطانى ، أمريكى ، المانى غربى) ـــ تبلغ ١٥٠٠ مليون روبية فى الفترة من ١٩٦١ الى ١٩٦٥ ، بينما يبلغ ماتزحه الرأسماليون الاجانب من الهند فى نفس الفترة فى صورة ارباح وحصص ٢٠٠٠ مليون روبية (!) .

والى جانب رأس المال الاجنبى الخاص ، هناك القروض الكثيرة التى تتراكم على الحكومة ، والتى وصلت فى اكتوبر ١٩٦٦ الى ٣٨الف مليون روبيه وقد تضاعفت اعباء خدمة هذه الديون ، من اقساط وفوائد ، الى ثلاثة امثال ماكانت عليه منذ خمس سنوات . وطبيعى أن يضغط هذا العبء ، بالاضافة الى مايدفع ثمنا للقمح الامريكى ، ضغطا شديدا على موارد الهند المحدودة من مصادر التمويل والعملات الاجنبية .

لكل ذلك تعثر تنفيذ الاهداف التى كانت موضوعة للخطة الخمسية الثالثة، وبعد ان كان معدل نمو الصناعة فى السنوات السابقة ٧ر٥ ٪ انخفض عام ٦٥ ـــ ١٩٦٦ الى ٦ ٪ . أما عن الدخل القومى فى مجموعه ، فقد كان ينمو بمعدل لا يلاحق الزيادة السنوية فى عدد السكان (١١ ـــ ١٢ مليون نسمة) .

غير ان الدخل القومى ، نتيجة لتدهور المحاصيل الزراعية ، لم يحقق اى زيادة ، بل انخفض فى العام الاخير .

وقد طرحت حكومة انديرا غاندى الخطة الخمسية الرابعة للمناقشة امام بعض الهيئات المسئولة . وهى خطة طموحة تهدف الى تعويض التخلف الذى حدث فى الخطة الثالثة . اذ تستهدف الخطة استثمار ٥ر٢٣٧ مليار روبية ، فى القطاعين الخاص والعام ، اى أكثر من مجموع ما استثمر فى الخطتين الثانية والثالثة معا .

غير ان المعارضة اليمينية ، التى يتصدرها حزب **سوانتانترا** ، تشكك فى امكانية تنفيذ هذه الخطة ، بل تطلب (اجازة من التخطيط) ، وتنادى بالحد من اشراف القطاع العام والتقليل من نصيبه ، وفتح الباب على مصراعيه أمام رأس المال الخاص والاجنبى .

وهذا يفضى بنا الى الصراع الحزبى فى الهند : الذى احتدم فى الاشهر الاخيرة بمناسبة قرب موعد الانتخابات العامة . ومعروف ان جبهة اليمين التى تؤيد اتجاهات حزب سوانتانترا فى السياستين الداخلية والخارجية بما فى ذلك تأييد العدوان الامريكى على فيتنام تضم حزب **سوانتانترا** (١٨ مقعدا فى البرلمان الحالى من مجموع مقاعد البرلمان التى يصل عددها الى ٥٠٠) ، وحزب **جان سنج** (١٤ مقعدا) ، وهو حزب دينى متطرف ، يعتبر ان أيامه الذهبية هى اثناء الحرب ضد الباكستان، حيث وصلت دعاياته الطائفية العنصرية الى قمتها . وهو الذى يقود حملات الدفاع عن البقر بالاستناد الى التأييد المادى والادبى لبعض الجهات المشبوهة (نشرت بعض صحف اليسار الهندى ان السفارة الامريكية انفقت ٣٠ مليون روبية اسهاما فى حوادث التخريب والحريق التى صاحبت مظاهرة البقر الكبيرة فى أوائل نوفمبر) . ومما يذكر ان **مادهوك،** أحد قادة هذا الحزب صرح منذ حوالى اربعة أشهر بانه ان لم يمكن تغيير الحكومة بالطريق الانتخابى فانها ستتغير بالقوة . هـــذا ويعتبر هذا الحزب أن مهمته الاساسية فى الهنـــد هى مكافحة الشيوعية .

وثالث الاحزاب اليمينية التى تفكر فى عمل جبهة مع الحزبين السابقين هو حزب **براجا** «الاشتراكى» اليمينى .

ويعتبر بعض المراقبين أن أكبر مصادر الخطر اليمينى تاتى من داخل حزب المؤتمر الهندى الحاكم نفسه (٣٦٠ مقعدا فى البرلمان الحالى) ، حيث يتزعم **موراجى ديساى** الذى قويت شوكته بصفة خاصة بعد وفاة نهرو . ومن ورائه يقف الثالوث **باتل ـــ انتولياجوش ـــ سانجيفا ريدى** . وكان هذا الثالوث خلف عمليات الضغط الداخلية لاقالة ناندا من منصب وزير الداخلية ، كما يقف بشدة ضد رغبة كل من انديرا غاندى وكاماراج (رئيس الحزب) لترشيح **كريشنا مينون** عن دائرة بومباى .

ومنذ وفاة نهرو والحزب يفتقر الى القيادة المركزية المهابة التى تستطيع الموازنة الدقيقة القادرة بين التيارات المتباينة والزعماء المتنافسين عند القمة .

ومن مظاهر الضعف التى أصابت الحزب نتيجة لذلك الانشقاقات التى حدثت فيه فى كل من ولايات **كيرالا وميسور واوريسا والبنغال الغربية** وغيرها، وقد عقد مندوبون عن هذه الاحزاب المنشقة وغيرها التى تحت التكوين ، مؤتمرا فى نيودلهى حضره ممثلو ١٠ ولايات (العدد الكلى للولايات الهندية ١٧) ، وقرروا الشروع فى تكوين حزب جديد يعلن عنه بعد الانتخابات القادمة .

هكذا يصر اليمين على استنزاف كل مابقى من

الرصيد الشعبي لحزب المؤتمر ، في نفس الوقت الذي يعد العدة للانقضاض عليه وتفتيته .

ولا يقتصر الامر على هذا ، بل يشمل ايضاً التكتيك العكسي . فان حزب سوانتانترا ، الذى له تنظيم قوى فى ولاية بيهار ، قرر ان ينضم أعضاؤه فى هذه الولاية الى حزب المؤتمر ككتلة واحدة ، بهدف الاستيلاء على تنظيم حزب المؤتمر بمجموعه فى تلك الولاية .

وفى مواجهة هذا النشاط اليمينى المتفاقم ، تبدو قوى اليسار مبعثرة ، ففى حزب المؤتمر ، تلاحظ **مجلة لينك** المستقلة الواسعة الاطلاع ، ان نفوذ العناصر والاتجاهات التقدمية تتضاءل داخل الهيئة البرلمانية للحزب باطراد ، عاما بعد عام .

كذلك فان الحزب الشيوعى (وهو أقوى احزاب المعارضة اليسارية فى انتخابات ١٩٦٢ ، ٢٩ مقعد) ، حدث به انقسام الى يساره فى ١٩٦٤ . غير ان الحزب الشيوعى اختط سياسة توحيد القوى اليسارية منذ فترة . وكان لذلك بعض النتائج الايجابية تمثلت فى نشاط جماهيرى واسع تم فى انحاء متفرقة من البلاد . وقد اتفقت سبعة احزاب يسارية (الحزب الشيوعى ، والحزب الشيوعى الموازى ، وحزب ساميوكتا الاشتراكى ، وحزب العمال والفلاحين ، والحزب الاشتراكى الثورى — واثنان آخران) — اتفقت على تنسيق جهودها فى المعركة الانتخابية ، وان يكن تنسيقا فى حدود متواضعة . اى الا تتزاحم هذه الاحزاب على دائرة واحدة ، وان تؤيد قواعدها مرشح أى منها . وان كانت إحزاب اليسار لم تتفق على برنامج مشترك ، الا أن خطها العام هو تأييد الاتجاه الى دعم القطاع العام . والدعوة الى تأميم البنوك وشركات التأمين والسعى الى تجميع المدخرات القومية من الطبقات المالكة التى تزداد ثروة وتزداد الهوة بينها وبين الجماهير المعدمة ، والملايين التى تضربها المجاعة . وتقليل الاعتماد على موارد التمويل الاجنبية ، والاعتماد على النفس فى معركة التنمية الاقتصادية . كما يتفق اليسار على دعم سياسة الحياد وعدم الانحياز والتنديد بالعدوان الامريكى على فيتنام وتأييد شعب فيتنام .. الخ .

■ **المانيا الغربية**

الائتلاف الكبير ... بلا أوهام

> **ليس** هناك ذنب جماعى تتحمل مسئوليته كل المانيا ، وانما الذنب يقع على كاهل مجرمى الحرب من أقطاب النازى ... »

« ... ان هناك كثيرين من الالمان قاسوا من الموت والسجن والتعذيب على ايدى مواطنيهم مثلما قاست الشعوب الاخرى التى ابتليت بسيطرة النازى . وهؤلاء الالمان هم الذين يمثلون (المانيا الاخرى) ، ولا يمكن تحميل (المانيا الاخرى) مسئولية جرائم الحرب التى ارتكبتها النازية » .

كلمات كتبها **ويلى برانت** ، زعيم الحزب الاشتراكى الديمقراطى الالمانى منذ سنوات ، فى كتابه « المانيا الاخرى ومجرمو الحرب » .

وتشاء الظروف ان يقود ويلى برانت حزبه للاشتراك فى حكم المانيا الغربية لاول مرة ، فى حكومة يرأسها **كورت كيسنجر** ، وهو احد اولئك الذين يثار الكثير حول ماضيهم كعضو فى الحزب النازى ، لم يقتصر على عضوية الحزب فحسب ، ولكنه تولى منصبا هاما فى وزارة خارجية هتلر ، تحت رئاسة فون **ريبنتروب** . وفى معرض الدفاع عن ماضيه يذكر كيسنجر انه اعتقل فى اعقاب الحرب فى احد المعتقلات الامريكية ، ولكن افرج عنه دون توجيه اتهام معين له . ويرد اليسار الالمانى ، سواء فى المانيا الغربية ، او على لسان المسئولين فى المانيا الشرقية ، بأن هذا ليس دفاعا ، لان الامريكيين تستروا على كثير من النازيين السابقين ، لتبييض صفحتهم امام الشعب الالمانى ، ثم استخدامهم فى تنفيذ السياسة الامريكية فى المانيا . كذلك عنى كيسنجر عناية خاصة ، فى معرض تنصله من ماضيه ، عنى باسترضاء الصهيونية العالمية ، التى سارعت الى استغلال ماضى المستشار الجديد ، للضغط على بون وابتزازها ، وجر الحكومة الجديدة لمواصلة سياسة **ايرهارد** الموالية للصهيونية ، الشديدة السخاء مع اسرائيل . ومن بعض ما بادر به المستشار الجديد — الاجتماع مع رئيس المؤتمر الصهيونى العالمى وطمأنته على سياسة الحكومة .

هذا ، ولم يفت المستشار الجديد ان يذكر ، فى اول خطاب عن سياسة الحكومة امام البوندستاج ، ان « علاقات التعاون التقليدية

بين المانيا الاتحادية والدول العربية ستعود فى القريب ، وسيتحقق المزيد من التطور لصالح الجانبين » . ولكن ، حتى فى مجال ابداء حسن النية بالكلام ، لم يأت كيسنجر بجديد ، فان مساعى بون لاعادة العلاقات مع البلاد العربية العشر ، لم تتوقف خلال الشهور الاخيرة .

واذا عدنا الى الرأى العام الالمانى ، نقول ان انهاء الازمة الوزارية التى استمرت حوالى شهرا ونصف شهر بتكوين حكومة «ائتلاف الكبير» ، بين الحزب الديمقراطى المسيحى (٢٤٥ مقعدا فى البرلمان) ، والحزب الاشتراكى الديمقراطى (٢٠٢ مقعد) — نقول ان اعلان هذا الائتلاف لم يقابل بالحماس والتفاؤل على الرغم من انه ائتلاف نموذجى من وجهة نظر دعاة « الديمقراطية الغربية » . فحكومة الائتلاف لها اغلبية برلمانية ساحقة ، ٤٤٧٠ مقعدا من مجموع عدد اعضاء البوندستاج البالغ ٤٩٦ . ولا يمثل المعارضة الا الاعضاء المنتمين الى الحزب الديمقراطى الحر (٤٩) . كما لاتوجد خلافات جوهرية بين سياستى الحزبين الكبيرين المؤتلفين . ومع ذلك ، فان ٨٣ من نواب الاغلبية صوتوا بعدم الموافقة على اعلان هذا الائتلاف .. واغلبية هؤلاء من نواب الحزب الاشتراكى الديمقراطى ، الذين يقدر عددهم بأكثر من ربع الهيئة البرلمانية للحزب . وفى خارج البرلمان ، طافت مظاهرات شباب الحزب الاشتراكى الديمقراطى بشوارع برلين الغربية تندد بالائتلاف ، وتدين قيادة الحزب بخيانة المبادىء الاشتراكية والتسليم لخصومها . ونشرت الصحف صورا للمظاهرات يتصدرها الابن الاكبر للهر ويلى برانت نفسه ، فى نفس اليوم الذى اعلن فيه تشكيل الحكومة الائتلافية .

وجدير بالذكر ان قادة الحزبين لم ينشرا شيئا عن برنامج مشترك تم الاتفاق عليه ليكون اساسا للحكومة الجديدة ، مما يوحى بما يضمره الائتلاف من سياسة تصدم الرأى العام الالمانى الذى زاد سخطه وحيرته بسبب عجز حكام بون عن مواجهة كثير من المشكلات التى فجرت ازمة حكومة ايرهارد . وفى هذا مصداق لما ذهب اليه بعض المعلقين الذين قالوا انه لا توجد تناقضات حقيقية بين قادة الاشتراكيين الديمقراطيين وغيرهم من قادة احزاب الرأسمالية الالمانية ، وانما التناقض الحقيقى الذى يبرز اليوم هو التناقض بين الشعب الالمانى فى مجموعه وبين الحزبين الحاكمين .

وبينما يعبر تصويت عدد من نواب الحزب الاشتراكى الديمقراطى ، ومظاهرات شبابه ، وحملات عدد من كتابه المرموقين ، عن خيبة املهم فى موقف قادة الحزب ، وعن شكهم فى ان تنجح حكومة الائتلاف فى الوصول الى حلول مقبولة للمشكلات التى تواجهها المانيا على ضوء ما سبق ان اعلنه الحزب من مواقف — نجد المنابر الاستعمارية فى الغرب تعبر عن تشككها ايضا ، ولكن لاسباب مختلفة ، ومن زوايا اخرى . فالايكونومست البريطانية ، مثلا ، ترى ان كيسنجر كان أضعف المرشحين لمنصب المستشارية ، وان القوة الحقيقية التى جاءت به وتحركه هو الجناح البافارى للحزب الديمقراطى المسيحى الذى يتزعمه الوزير المقتدر ، **فرانزجوزيف ستراوس** . وكان ستراوس يتولى منصب وزير الدفاع فى حكومة اديناور ، ولكنه أجبر على الاستقالة عام ١٩٦٣ ، على اثر فضيحة مجلة **((دير شبيجل))** . ذلك ان ستراوس دبر مؤامرة لاغلاق المجلة والقبض على مديرها وعدد من محرريها بتهمة نشر اسرار دفاعية عليا . ودفع ستراوس ثمنا لذلك بتقديم استقالته ، وتعريض حكومة اديناور لهزة كبيرة ، لم تنته آثارها الا بخروج اديناور نفسه من الحكم فى نهاية نفس العام . وظل **ستراوس** يتحين الفرصة الى ان حانت بازمة حكومة ايرهارد ، التى يجمع المراقبون على ان ستراوس كان من محركيها الاساسيين . وكان **((بارزيل))** ، زعيم الكتلة البرلمانية للحزب الديمقراطى المسيحى ، أقوى المرشحين لرئاسة الحكومة ، يليه **((جير ستنماير))** ، رئيس البوند ستاج (البرلمان) ثم **((شرويدر))** وزير الدفاع . غير ان ستراوس رأى ان يستخدم جناحه البافارى (٤٧ نائب) فى مساندة كورت كيسنجر ، وهو الاضعف . ويرى خبراء التكتيكات البرلمانية فى الغرب ان ذلك خطوة اولى فى سبيل مشروع ستراوس الكبير ، للوصول بنفسه الى كرسى المستشارية عام ١٩٦٩ ، اى بعد الانتخابات القادمة ، وان هذه الخطوة ضرورية لرد اعتباره فى بون ، وتوطيد مراكز نفوذه التى كانت قد أضيرت بعد فضيحة دير شبيجل .

ولما كان **((كيسنجر))** هو الاضعف ، فان الايكونومست تبدى تشككها فى أن يستطيع الرجل ادارة هذا الفريق الكبير من عتاة السياسيين الذين تضمهم وزارته ، أو يتمكن — ليس فقط من المحافظة على التوازن بين الحزبين فى اطار الائتلاف ، ولكن من المحافظة على التوازن بين رجال من وزن كبير ، يعتقد كل منهم انه أحق منه بالرئاسة . فالى جانب **((ستراوس))** (الذى تولى وزارة المالية) هناك **((شرويدر))** ، الذى انتقل من وزارة الخارجية الى وزارة الدفاع ، **((وفون هازل))** الذى انتقل الى وزارة شئون اللاجئين بعد ان كثرت ازماته وفضائحه فى وزارة الدفاع (انظر

العدد الماضي من الطليعة) . والى جانب **(برانت)** الذي تولى منصب نائب المستشار ووزير الخارجية، يوجد **((هربرت فينر))** ، الرجل الثاني في الحـــزب الاشـــتراكي الديمقـــراطي ، والذي تولى وزارة الشئون الالمانية .

ووراء هذه المنافسات الشخصية توجد أشكال من الخلافات السياسية . من ذلك ان **((ستراوس))** يعد من أكبر الدعاة لتدعيم محور بون ـــ باريس ، الذي تضعضع كثيرا على أيدي ايرهارد . وعند اختيار **((كيسنجر))** رئيسا للحكومـة ، ومعـــرفة النفوذ الكبير الذي مارسه **((ستراوس))** في هـــذا الصدد ، توقع كثير من المراقبين ان يتجه المستشار الجديد اتجاها ديجوليا في سياسته الخـــارجية . غير ان اعلان تكوين الحكومة الائتلافية ، معما هو معروف من موالاة «برانت» ومعاونيه للولايات المتحدة ، خففت حدة الادعاءات الديجولية ، وجاء بيان الحكومة في البوندســـتاج في هـــذا الصـــدد بعبارات توفيقية مائعـــة من نوع : « ان حقـــائق جغرافية اوروبا وميزان التاريخ يبينان ان هنـــاك قدرا كبيرا من الاتفاق بين المانيا الغربية وفرنسا ... ولكن الحكومة لن تنسى المســـاعدة الكبيرة التي قدمتها الولايات المتحـــدة الى المانيا خـــلال الاعوام العشرين الماضية ، والتحالف مع الولايات المتحـــدة ودول الاطلنطي سيظل أمـــرا ذا اهمية حيوية »

وفي نفس الوقت الذي تحدث فيه المستشار عن دعم التحالف الاطلنطي نراه يقول ان المانيا تريد « اقامة علاقات مع الدول الشرقية، حيثما تسمح الظروف بذلك . » ويضيف : « إن المانيـــا كانت ـــ لقـــرون عـــديدة ـــ جسرا بين شرق أوروبا وغربها ، ونحن نريد أن نقوم بهذه المهمة في زماننا الحاضر » .

هذا ، دون ذكر شيء عن **((مبـــدأ هالشتين))** الذي التزمت به الدبلوماسية الالمانية الغربية ، والذي ينص على عدم تبادل التمثيل الدبلوماسي مع الحكومات التي تعترف بحكومة المانيا الشرقية .

والحـــديث عن مبـــدأ هالشتين يفضي بنا الى موقف الائتلاف الوزاري الجـــديد من المشـــكلة الالمانية . وقد وضعت وزارة الشئون الالمـــانية بيدي **((هربرت فينر))** ، الاشتراكي الديموقراطي الذي صرح لجريدة فورفارتز الاشتراكية ، في ١٧ ديسمبر ، بأنه « ينبغي على حكومة بون ان تعيد النظر في سياستهـــا التي تقضي بالامتنـــاع عن الاعتراف بألمانيا الشرقية » (ولم ينس ان يضيف التحفظ المتوقع في مثل ظروفه ـــ وهو) ـــ « اذا اتبعت حكومتها الاساليب الديموقراطية » .

وقال **فينـــر** « ان الفـــوارق بين النظـــامين الاجتماعيين الالماني الغربي والالماني الشرقي أقل اهمية بمراحل من الحاجة الى كفالة التعاون بين شطري البلاد » غير أن الوزير لم يتقدم بأي برنامج عملي ، واكتفى بنصيحة عامة موجهة الى المانيا الشرقية بأن « تخفض القيود التي تفرضها على السفر ، وان تقبل توسيع نطاق التعاون الثقافي والتبادل التجاري مع المانيا الغربية » .

وفي هذا أيضا لم يأت فينر بجـــديد ، ففي عام ١٩٦٦ ، زادت المانيا الشرقية تجارتها مع المانيا الغربية بما قيمته ١٠٠ مليون دولار ، حيث وصل حجم التبادل التجاري بين شطري المانيا الى ٧٠٠ مليون دولار ، واحتلت المانيا الغربية المركز الثاني في تجارة المانيا الشرقية الخارجية (١١٪) بعد تجارتها مع الاتحاد السوفيتي (٥٠٪) .

والامر الذي يهم قادة المانيا الشرقية ، والذي يعتبرونه مقياسا على جدية مخططي سياسة بون ، هو موقف هؤلاء من القضايا الاساسية ـــ مثل : الاعتراف بخط نيس ـــ أودر كالحدود الشرقيـــة لالمانيا ، والتخلي عن المطالبة باعادة حدود المانيا الى ما كانت عليه عام ١٩٣٧ ، وتحييـــد شطري المانيا وجعلها كلها جـــزءا من منطقـــة منزوعة السلاح النووي في وسط أوروبا ... ثم بعد ذلك بحث العلاقة بين الدولتين الالمانيتين على أساس الاعتراف بالنظام الاجتماعي ـــ السياسي لكل منهما .

واذا كانت حكومة الائتـــلاف الكبير تهدف في الميدان الخارجي الى تدعيم العلاقة بباريس مع الابقاء على ود وشـــنطن ، واعادة علاقتهـــا مع العواصم العربية مع تحسين علاقتها بتل ابيب ، واقامة علاقات طيبة مع الشرق مع تدعيم حلف الاطلنطي ، وغير ذلك من التوفيق بين المتناقضات ، مما يدفع غالبية المراقبين الى الشك في قدرتهـــا على عمل شيء اللهم الا الاستمرار في سياسة بون التقليدية مع محاولات تهدئة الرأي العام الالماني والعالمي بمزيد من التصريحات والمحاولات المائعة لقادة الاشتراكيين الديموقراطيين ـــ فان موقفها من المشكلات الداخلية لا تحســـد عليه أيضا . فالائتلاف يأتي الى الحكم بعد أن انتهت سنوات « المعجزة الاقتصادية الالمانية » التي طالما تباهى بها حـــكام بون ، وحماتهم في وشنطون . واليوم يتحدث الخبراء الاقتصـــــاديون عن الازمة التي تتجمع في سماء الاقتصاد الالماني . فبعد ان كانت المانيا تعاني من نقص الايدي العاملة وصل عدد العاطلين الى ٢٠٠١٠ الف ، يتـــوقع ان يرتفع الى نصف مليون في بحر شهور ، (وكان ٨٠ الف فقط منذ عام) . وبدلا من مواجهة المشكلات المـــالية

بخفض النفقات العسكرية ، وصرف النظر عن التسلح الذرى ، وعدم دفع آلاف ملايين الماركات على شراء الاسلحة من بريطانيا وامريكا وتحمل جزء كبير من نفقات بقـاء قواتهمـا على الاراضى الالمانية ـ بدلا من كل ذلك يتحدث «ستراوس»، كما سبق ان تحدث ايرهارد ، عن زيادة جديدة من الضرائب، وخفض ميزانيات الخدمات والرعاية الاجتماعية .»

وللصعوبات الاقتصادية أثرها فى تقوية الاتجاهات اليمينية المتطرفة . ويدعو الحزب الديموقراطى الوطنى (ويسمونه الحزب النازى الجديد) الى طرد العمال الاجانب ، وعددهم حوالى مليون ، كما يرفع عقيرته بشعارات قومية ضيقة متطرفة . وقد سبق اعلان تكوين الحكومة الائتلافيةنصر كبيرنسبيا حققه الحزب فى الانتخابات الاخيرة لولاية هيس . وقد درج كثير من المراقبين والمؤرخين الى المقارنة بين حال المانيا الغربية اليوم وحال « جمهورية وايمر » وهى تتعثر قبيل قفز الحزب الاشتراكى الوطنى (الحزب النازى) الى الحكم عام ١٩٣٣ . واذ يعبر ساسة بون وحكامها عن خوفهم من ارتفاع الموجة الفاشية فى قسم من الرأى العام فى بلادهمفانهم يتناسون أن حكومة بون ، تحت الرعاية الامريكية ، هى التى صنعت كل شىء لانعاش الروح النـازية ، حيث دأبت على اضطهـاد المعارضة الديموقراطية ، وحلت الحزب الشيوعى ، وأصدرت قوانين تعسفية ضد النقابات ، وعملت على اصدار قوانين الطوارىء ، واتبعت سياسة عدوانية متطرفة تجاه المانيا الشرقية ، ودأبت على بعث الروح العسكرية والدعوة الانتقامية، وبذلت كل ما تستطيع للحصول على حق التسلح النووى .

ومهما كانت حكومة الائتلاف الكبير مخيبةلآمال الكثيرين (ومنهم أديناور ـ الذى وصف الائتلاف بأنه العلاج الوحيد لما تجابهه المانيا الغربية من مشكلات) ـ الا ان ارادة الحرب والسلام ، والوحدة الالمانية، وغير ذلك من المشكلات الكبرى، ليست رهنا بارادة حكام بون . وان قوى السلام على أرض القارة الاوروبية أقوى مما كانت فى أى وقت مضى .

كذلك ، ان الحث حكومة بون على اعادة العلاقات مع البلاد العربية منتهزة فرصة اقصاء ايرهارد كظرف موات لنجاح مسعـاها ، وعملت بعض التنازلات فى هذا الصدد ، ثم ان عادت هذه العلاقات فعلا ـ فان ذلك سيتم والعرب مسلحون بفهم لحقيقة السياسة الالمانية ، دون أوهام أو آمال زائفة .»

مات مؤرخ الثورات السابع

فى أوائل ديسمبر ١٩٦٦ ، مات **عبد الرحمن الرافعى** ، الرجل الذى أرخ لسبع ثورات مصرية ، تشكل فى امتدادها وتعاقبها النضال المصرى الطويل من أجل الاستقلال الوطنى والتقدم الاجتماعى ، فقد كتب الرافعى عن ثورتى ١٧٩٨ ، ١٨٠٠ أيام الفرنسيين ، وعن ثورات ١٨٠٤ ، ١٨٠٥ ، ١٨٨١ ، ١٩١٩ ، وعن ثورة ١٩٥٢ . وبذا استحق لقب مؤرخ التـاريخ القومى المصرى ، وواضع سجلات الثورات المصرية . وأهم مـا امتازت به كتاباته ، انها غطت فترة تاريخية طويلة كما لم يفعل احد غيره ، فقد كتب عن انبعاث الحركة الوطنية فى مصر الحديثة من ايام الفرنسيين، وسجل أحداث ثورة ١٩٥٢ ووقائعها ويمكن ـ بشكل عام ـ ان يقال ان المـادة الضخمة التى جمعها تجعل من كتابته احدى المراجع التاريخية الهامة .

يقول الرافعى فى كتابه عن « الثورة العرابية » وقد اجتهدت من هذه الناحية فى استخلاص الحقائق عن الثورة وحوادثها واشخاصها من غير تحيز او محاباة ثم بنيت عليها ما عن لى من الرأى . ومن المعروف ان الرافعى جمع وثائق وبيانـات وتصريحات رسمية لا يحصيها العد ، وذهب الى المستشفيات والسجون ، وزار الاهالى للاطلاع على تفاصيل احداث الدور ة،وفى كتابه عن ثورة ١٩١٩ كتب عن النشاط الثورى فى كل اقليم من اقاليم مصر، وعدد اشخاصه واحداثه بدقة وامانة

ويمتاز الرافعى بأنه استطاع فى حدود وضعه الاجتماعى والفكرى ، وفى حدود كونه عضـوا فى الحزب الوطنى ،وكونه ملكيا دستوريا ،ان يمس مسا رفيقا الاسباب الاقتصادية والاجتماعية للثورة العرابية ، وثورة ١٩١٩ ، فقد كتب ان الديون والغاء قانون المقابلة ، وتغلغل الشركات الاوربية فى الكيان الاقتصادى المصرى ، كالبنك العقارى (فبراير ١٨٨٠) وشركة تكرير السكر ، والشركة العمومية لاجراء الاشغال بالديار المصرية ، شركة المقاولات ، كانت من بين الاسباب التى أدت الى الثورة . واكد ان الثـورة « كانت من الوجهة السياسية ثورة على الاستبداد والمظالم ، ومن الوجهة الاقتصادية ثورة على التدخل الاوربى فى شئون مصر المالية وعلى النظم الاقتصادية التى كانت تعانيها البلاد قبل الثورة » . وفى تأريخه لثورة ١٩١٩ ، استـعرض أوضـاع ما أسـماه « طبقات الشعب » كالعلماء ، والملاك والتجار ، والمزارعين ، والصناع واثر الـكساد فى تجـارة

القطن ، وادان « زعامة الثورة التى اهملت الناحية الاقتصادية » . كما انه أصدر فى ١٩١٤ أول كتاب عن التعاون الزراعى فى مصر .

وفضلا عن ذلك فالرافعى يعدمن أوائل المؤرخين العرب الذين كشفوا عن دور الشعب فى صنع تاريخه ، فقد استعرض الرجل صور المقاومة الشعبية بتفصيل واورد ـ فى ذلك ـ وقائع كثيرة .. كما أن اعماله تنبىء عن ادراك لحقيقة أن التاريخ متصل الحلقات ، ففى البدء كان الرافعى ينوى الكتابة عن مصطفى كامل ، ولكنه أدرك انه جزء من حركة عامة تشمل كل نواحى الحياة وتمتد على امتدادها فهو يقول « ان التاريخ الكامل يشمل النواحى السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، فالسياسة ترتبط بالاقتصاد والاقتصاد يرتبط بالمجتمع وهى لذلك حلقات متكاملة لا يجوز لمؤرخ أن يغفل احداها » وكان هذا منهجه فى كتبه التى زادت عن العشرين .

ومع أن الرافعى كان يؤكد « ان ابطال التاريخ دائما هم الشعب والاشخاص والاحداث » الا أن نظرته التاريخية كانت تولى اهتماما خاصا بالبطولات الافراد واعمالهم ، فهو يرى مثلا انه لو كان شريف باشا على رأس الحركة العرابية لما انتكست ، وبالطبع لو كان مصطفى كامل محل سعد لما انتهت ثورة ١٩١٩ بهذه النتائج القليلة . وهو بالطبع لا يعطى العوامل الاقتصادية والاجتماعية نفس مستوى الاهمية الذى يلقاه من معظم المؤرخين المعاصرين والاجتماعيين وهو يقول بانه يراعى الموضوعيه فى كتابته ، الا ان بعض النقاد احمد عليه تحيزه للحزب الوطنى وهجومه على الوفد والحقيقة ان الرافعى كان يتخذ مواقف شخصية تتعارض حتى مع موقفه الحزبى ، فعندما دعاه حسين سرى للاشتراك فى الوزارة فى ١٩٤٠ رفض ملتزما بموقف حزبه ، ولكنه عندما كرر الدعوة له فى ١٩٤٩ استجاب لدعوته دون ما اعتبار لموقف الحزب . ورغم شعار الحزب الوطنى الذى كان ينادى بأنه «لا مفاوضة الا بعد الجلاء» فقد اشترك الرافعى فى الانتخابات التى تمت فى أعقاب ثورة ١٩١٩ كما دافع عن اشتراكه فى الحكم بحجج تكاد تكون مناقضة للحجج التى رفض من اجلها فى بعض الاحيان الاشتراك فيه .

وكان نقد الرافعى للملكية عمل جرىء وشريف الا انه لم يخف تعاطفه معها ودعا الى عدم المساس باصولها ، بل لقد كال الرافعى المديح لمحمد على ولبعض من نسله ، ووصل به الامر انه قال ان مسئولية احداث الثورة العرابية التى (يعتبرها مأساة) متعادلة بين العرابيين والخديوى قبل انحيازه للانجليز .

والمتتبعون لتاريخه ، يرون ان الرافعى نتاج ذلك الجيل الذى كان يتمزق بين رؤيته لبلاده تئن تحت قيود الاجنبى ، واقتصاد حدود رؤيته ومنهجه الفكرى على اصلاح الاوضاع القائمة دون ادخال تعديلات جذرية عليها . انه كما يقول عن نفسه « انا لست رجلا عمليا ولا واقعيا ، انا اقرب ان اكون نظريا وخياليا ، انا لا اريد ان افهم الحياة على حقيقتها » . وهذا حق بالنسبة لذلك الجيل « الذى كان يلهو كثيرا ويبكى كثيرا » على حد تعبيره هو نفسه . ذلك الجيل التى تعقدت الرؤيا امامه ، تحت ضغط المد والتراجع ، والنصر والهزيمة . يؤكد ذلك قوله « وعيت ثلاثة أرباع قرن من حياتى اكتشفت فيها أن وطنيتنا فى فترات كثيرة كانت محل شك وجدل ... وان مجتمعنا كان مفتتا كقطع الة مفككة » . ويدل على ذلك ايضا اجابته عندما سئل عن انشاء احزاب فى مصر بعد قيام الثورة فى ١٩٥٢ ، والغاء الاحزاب ، فقال انه لا يمانع فى قيام ثلاثة أحزاب ، حزب اشتراكى وآخر محافظ وثالث وسط . وفى بداية الثورة استجاب للثورة وكتب عنها ورأى فيها تجسيدا لاماله واحلامه ، ولكنه سرعان ماكر راجعا الى تاريخ مصر القديم وكتب عن مصر الفرعونية .

وللرافعى مواقف عملية تكشف عن مدى نزاهته واخلاصه فقد دخل فى صراع مع شركات الغزل والسكر أثناء توليه الوزارة أيام حسين سرى وندد بأن ارباح شركات الغزل بلغت ٣٧٪ ، مما ادى الى ابعاده عن الوزارة، كما انه فى كتابته عن اسرة محمد على ، رفض عروض الملك فؤاد لمده بالاموال كمقابل للسكوت على أخطائها .



● عبد الرحمن الرافعى

مصطفى مصطفى مشرفة

أن خسارة البلاد بفقد المؤرخ الوطني **عبد الرحمن الرافعي** قد تضاعفت عندما فقدت في نفس الشهر (ديسمبر)أستاذا ومثقفا من خيرة مثقفيها هو الدكتور **مصطفى مصطفى مشرفة** ..

ولد م.م.مشرفة في دمياط عام ١٩٠٢ في الاسرة التي انجبت شقيقه العالم المصري الكبير مصطفى مشرفة . ودرس اللغة الانجليزية في كمبريدج ثم قام بتدريسها في كلية جنوبي غرب انجلترا . وعندما عاد الى الوطن تولى التدريس لمدة ستة أعوام في معهد الصحافة بكلية آداب جامعة القاهرة .

وقد لا يتسع المجال هنا لاثبات جميع آثار مشرفة من كتب ومقالات . لهذا نكتفي بالاشارة الى كتاب من أهم كتبه ونعني به : (A cultural survey of Modern Eygpt)

لان هذا الكتاب هو الذي يقدم لنا م.م.مشرفة كمفكر مصري ورائد من الرواد التقدميين في فهم **وكتابة التاريخ** المصري ، وفي النظر الى **المشكلات** الاجتماعية .

ويتكون الكتاب من جزئين : نشر الجزء الاول في لندن عام ١٩٤٦ وقدم له **(جون مري)**مدير جامعة اكستر . أما الجزء الثاني فقد كتب مقدمته البروفيسور **هولدين** الذي كان أحد أعلام اليسار في الاوساط العلمية البريطانية . وقد ترجم هذا الكتاب أخيرا الى اللغة الروسية .

في الجزء الاول عرض مشرفة لجغرافية مصر وللخصائص القومية والتطور الاجتماعي ثم أفرد معظم صفحات الجزء لتحليل تراث مصر القديمةفي مختلف مجالات العلم وفنون العمارة والنحت والكتابة .. الخ . ثم تحدث عن انهيار الحضارة القديمة وتحدث عن التجارب الحديثة في النحت والعمارة وصناعة الاثاث .. الخ . ثم ختم كتابه بالحديث عن المؤتمرات الاوربية .

وفي الجزء الثاني شرع يحلل الفترات المختلفة للتاريخ المصري بادئا بمصر الفرعونية ليصل الى مصر الحديثة . ويركز في هذا الجزء على تحليل عناصر الحياة الثقافية في مصر متحدثا عن اللغة ، والادب والموسيقى والسينما والاذاعة والعادات الاجتماعية .

ولكن من أي زاوية يعالج م.م. مشرفة هذه الموضوعات ومن اي منطلق يبدأ ؟ انه يفعل هذا من زاوية الحب الكبير للشعب،وبفهم واع لمشكلاته الاجتماعية الحادة ، وهكذا فنحن نقرأ في نهاية الجزء الاول تحت عنوان « تأملات » ما يلي :

« ان ما سيحدث بل ان ما هو حادث بالفعل — وان تم هذا ببطءوتردد — هو ان أدوات الانتاج تتغير من النظام اليدوي الذي تستخدم فيه العدد الى الانتاج الالي الحشدي . ومن المحتم ان تمتد هذه العملية الى الزراعة.واننا لنتقبل هذا وعلينا أن نواليه بالتشجيع.ان كل ما يساعد الانتاج أمر طيب ، وكل ما يعوقه أمر رديء . فاذا تقبلنا هذه القضية فانه يتعين علينا ان ندرب الشبان المصريين في كل فرع من فروع التكنولوجيا ... ولكن ينبغي أن نتفادى نفس الخطأ الذي وقعت فيه أوربا وان نتجنب هذه التجارب التي ثبت فشلها ؛ فنحن نعلم ان الانتاج في أمة من الامم يمكن ان ينظم ليشبع حاجات كل مواطن.ونحن نعلم أن الفقر والامراض ليست حتمية من الامور الحتمية، وان ما يدخل في باب الترف اليوم سيصبح من الضرورات في الغد .وان المجتمع يمكن ان ينظم نفسه ليوفر الخدمات العامة، تدريب المواهب والملكات ، والتعليم للجميع . ان التنظيم ،والعلم ،والتصنيع ،هذا هو ما تحتاجه مصر اليوم . وعندما يتوفر الطعام والمسكن — بكيفية كريمة — لكل فلاح،وعندما ينظر الى تعليمه كجزء من النظام الاجتماعي،فان الفلاح لن يقبع في انتظار أن يبشره الساسة ونظار المدارس(بأهمية) الثقافة . ذلك أن الثقافة بالنسبة للانسان هي — كالعمل وكاللعب — مطلب طبيعي تماما » .

لقد كتب مشرفة هذا في عام ١٩٤٦ .

وان هذا الفهم الواعي هو الذي دفع بمشرفة الى أن ينأى بنفسه عن البرج العاجي . ويكفي أن نذكر أنه في الاربعينات ، وفي غمار المعركة الوطنية المشبوبة ضد مشروع صدقي — بيفين كانت الصحافة الوطنية تطالع القراء برسائل وبرقيات من مراسل يدعى ((**هوتيكر**)) ولقد توهم الكثيرون انه أحد المراسلين الانجليز التقدميين ؛ لكن هوتيكر لم يكن غير م.م. مشرفة الذي رفض أن يتخلف في ذلك الوقت عن ركب النضال الوطني التحريري .

●

مات والت ديزني وستبقى شخصياته حية

مات **والت ديزني** .. الفنان التشكيلي الذي درس الفن في شيكاجو ، وحول الرسوم الصامتة على الصفحة البيضاء الى شخصيات حية تموج بالحركة والحياة .

مات والت ديزني .. بعد أن خلق مئات الشخصيات الضاحكة التي تعجب الكبار والصغار على حد سواء ! في أكثر من ٣٠ عاما عاش يعمل ويرسم ويؤلف ويخرج رواياته ومن ورائه مجموعة هائلة من الرسامين والمصورين والمؤلفين والملحنين.

وكان من الممكن أن يتوقف والت ديزني عند أول نجاح في حياته .. فالافلام القصيرة التي أنتجها في أول سنوات الرسوم المتحركة حققت نجاحا منقطع النظير .. واصبح **«ميكي ماوس»** بطل هذه الافلام في يوم وليلة « البطل » المحبب للصغار يتتبعون في

تعليـــق

نجيب محفوظ بين «القاهرة ٣٠» و «خان الخليلي»

القارىء لنجيب محفوظ لابد وان يحس بالدنيا الواسعة التي تفتح مصراعيها خلال كتبه لتتدفق خلالها عشرات الشخصيات الفريدة التي تتحرك وسط الاحداث تحمل فلسفاتها الخاصة او تترجم وجهات نظر المؤلف في الحياة والبشر .. ان نجيب محفوظ في مهارة الفنان يرسم احيانا ملامح شخصياته فيجسدها في براعة في خيال القارىء واحيانا يجعل تشكيله لسلوك ابطاله، وتصرفاتهم امام الاحداث وفي مواجهة بعضهم البعض ، يعطي للقارىء الصورة النفسية الدقيقة التي تجعله يكاد يلمس الشخصية ويتعرف عليها في صدق وبلا معاناة ..

ولان نجيب محفوظ ليس رساما للشخصيات فقط ، وانما براعته تمتد الى الجو «والخلفية» الاجتماعية . تصبح قصصه اكثر عمقا واشد صعوبة عند تحويلها الى لوحة تعبر عنها او قصة سينمائية .. فقصصه مملوءة بالتفاصيل الدقيقة ، تتحرك في نفس الوقت مع تصرفات ابطاله قد تبدو على الهامش لمن يمر عليها بسرعة . ولكنها تشكل اللمسات التي لاغنى لها لمن يتوقف عندها ، ويدرسها في امعان..

الحوار الذي يبدو عابرا غالبا مايحمل مدلولاته البعيدة .. خلفيات الاحداث التي يتحرك امامها الابطال . ليست جوا وانما جزءا من الحدث نفسه لا يمكن فصلها عنه .. ولا يصبح «ديكورا» وانما بطلا جديدا في القصة.. وهذا ما يظهر في وضوح في قصة «خان الخليلي» .. وهذا ايضا ما شكل اصعب مايواجه المخرج الذي عليه ان «يوظف» المكان داخل احداث روايته .. فلا تصبح جزءا ثانويا وفي نفس الوقت لا تطغى على الابطال وتشد الكاميرا الى الناحية التسجيلية ..وقد استطاع عاطف سالم وعبد العزيز فهمي ان يتعاونا معا في حساسية وفهم الى تحريك خان الخليلي وابراز جوه ، وتجسيد شخصياته ...

نفس المشكلة فرضت نفسها في القاهرة الجديدة .. او القاهرة ٣٠ عندما تحولت الى فيلم سينمائي .. وهنا عمق صلاح ابو سيف سينمائيا خلفية الموضوع .. ليصبح لها قيمة درامية في عين المتفرج .. حفلات القصور بما فيها من بهرجة ولون .. جو الطلبة بما فيه من فاقة وحماس .. اعلانات الجدران .. والاغاني الشائعة .. كل هذه العناصر تداخلت معا في مهارة لتقدم اطارا عميقا تتحرك فيه القصة .

واستعانة صلاح ابو سيف بالوجوه الجديدة يجعل تصديق ما نقوله اكثر اقناعا للمتفرج الذي يجد صعوبة في اقتناعه بممثل شاهده عشرات المرات من قبل .. وان كان الوجه الجديد يشكل صعوباته الخاصة للمخرج .. تغلب عليها صلاح ابو سيف في مقدرة وحب .. لان هوايته الكبرى دائما كانت اكتشاف الوجوه الجديدة .. وصلاح لا يترك شيئا للظروف وبلا دراسة .. لقد درب ممثليه ورسم لكل منهم شخصيته في وضوح وجعلهم يتحدثون في حوار لطفي الخولي لتكتمل في النهاية شخصياتهم امام الكاميرا بنفس العمق الذي رسمه في الكتاب نجيب محفوظ..

في «خان الخليلي» لم يغامر عاطف سالم في اختيار وجوه جديدة للشخصيات الرئيسية .. وكان موفقا في اختياره لعماد حمدي وسميحة احمد وحسن يوسف .. واستطاع ان يقدم الثلاثة باشكال «نفسية» جديدة .. ولكن شخصية عماد حمدي في الرواية السينمائية غيرها السيناريو عن الرواية الاصلية .. فعاكف في قصة نجيب محفوظ رجل معقد .. عاني الفشل .. في الحياة والحب .. مارس السحر والشعوذة والخوف والقلق .. فينطوي على نفسه او يتحدث منتحلا لنفسه الاعذار ..وهي حيثيات كلها موضوعية ومكتوبة في اسهاب ..ولعل السيناريو اراد ضغطها او تجاهلها توفيرا للوقت وان كانت جوهرية في ابراز تصرفات الاخرين معا.. ان عماد حمدي في الفيلم يبدو اكثر طيبة واكثر حبا .. ولا نعلم من ظروف حياته السابقة الا النذر اليسير .. ولعل ذلك هو ميل المخرج والسيناريست محمد مصطفى سامي الى التخفيف من سواد الرواية .. ونلمس الجهد الواضح في تخفيف سواد الاحداث في ادخال بعض المواقف الضاحكة .. في النصف الاول من الفيلم حتى – على حد قول المخرج – يستطيع الجمهور استقبال الجزء الثاني .. وهو اشد قتامة من الجزء الاول ..

و «القاهرة ٣٠» و «خان الخليلي» قدما بشكل مشرف جدا روايتين من احسن روايات نجيب محفوظ .. وقد بذل في اخراجهما جهدا كبيرا ..ويكفي الجهد والاصرار الذي بذله صلاح ابو سيف في عرضها على الرقابة خمس مرات .. في كل مرة كانت ترفض .. حتى استطاع اخيرا ان يخرجها الى الشاشة !

ويكفي محاولات عاطف سالم في ادخال اللمسات الذكية لتحريك عواطف المتفرج واراحته نفسيا خلال الفيلم .. ومن الصعب ان نطلب منهما جهدا مضاعفا ونتيجة احسن .. فالعمل الادبي – خاصة عند نجيب محفوظ – يفرضه نجاحه في اكثر من صورة .. فيه ميزة الشمول ..

وحرية التحركات عبر الشخصيات وعبر [illegible] قلب شخصياته وفي اعماقهم وينفذ الى مشاعرهم الخاصة بلا عناء .. وفيه تتحرك الاحداث والشخصيات والبيئة والظروف والاماكن في تداخلات بارعة من الصعب ان تتابعها الكاميرا ...والاهم من كل ذلك .. ان القارىء للقصة يشترك مع الاديب في اخراج القصة.. وهنا يتحول القارىء لمشاهدته للفيلم الى منافس للمخرج .. يناقشه ويحاسبه .. وغالبا ما يكون هذا الحساب عسيرا .. !

يوسف فرنسيس

شغف مغامراته الذكية ، ومحاوراته البارعة ، وأساليبه المختلفة فى الهروب من المآزق والهروب من قبضة القط القوى الشرير .. وأصبح لميكى ماوس اكثر من ٦٠ مجلة فى انحاء العالم .. وتحول شكله المميز الى لعب أطفال فى كل الحجوم ..

ولم يكتف ديزنى بهذا النجاح .. اراد ان ينافس نفسه .. وأخذ يحلم بالقصة السينمائية الطويلة التى تنفذ بأسلوب الصور المتحركة ! .. ورغم أن الدقائق الخمس كانت تكلفه جهد ٦ أشهر من العمل الدائب يشترك فيه أكثر من ٤٠٠ رسام .. الا انه تحدى المستحيل وفى عام ١٩٣٨ أخرج أول رواياته الطويلة .. ((**الأميرة والأقزام السبعة**)) .. ونجحت الرواية متخطية كل العقبات .. وانطلق ديزنى وراءها فى تحقيق حلمه فظهر ((**بينوكو**)) .. ((**الأميرة النائمة**)) .. وعشرات الروايات التى يستغرق عرضها من ساعة ونصف الى ساعتين ! وكان الاوسكار فى انتظاره ! .. ولكن هل توقف ديزنى ؟ ! ..

استمر فى منافسة نفسه .. واتجه الى الروايات العلمية .. جند عشرات المصورين .. لتسجيل الحياة فى الصحراء .. وفى باطن الارض .. وأعماق المحيط .. واستطاع ان يحكى بصدق أدق أسرار الطبيعة .

ونجحت أفلامه الجديدة .. وتخاطفتها دور العرض والجامعات .. واكسبته جوائز أوسكار جديدة .. و .. لم يتوقف جهد الفنان العبقرى .. ولم تسكره خمر النجاح .. انطلق لتحقيق خيال جديد .. لقد اراد ان يخلق مدينة أحلام صغيرة .. وتحولت الخرافة الى واقع فى ((**ديزنى لاند**)) جسد فيها الفنان أغرب الحكايات والاساطير .. وأقام فيها مدن صغيرة .. تجرى فيها انهار وتنطلق قطارات ويعيش فيها الهنود الحمر الى جوار « أليس » لقد حول ديزنى لاند الى ارض للاحلام والعجائب .. وتابع فيها رحلات الفضاء .. ان تذكرة تحمل المتفرج الى صاروخ يشاهد خلاله كل ما يمكن أن يشاهده الانسان فى رحلة حقيقية الى القمر ! ..

ولم يتوقف .. ديزنى .. فى مزيد من النشاط ..



● **والت ديزنى**

مزيد من الاحلام .. ومزيد من الدراسة كان يفكر فى مشاريع جديدة يسعد بها البشرية .. ولكن الموت سبقه هذه المرة ..

مات ديزنى .. بعد أن نال أكثر من ٣٢ جائزة أوسكار ومنحته جامعة كاليفورنيا درجة الدكتوراه الفخرية فى الفنون .

وفى برشلونة طالب الاطفال الاسبان عمدة المدينة اطلاق اسم والت ديزنى على الميدان الذى تطل عليه حديقة حيوانات برشلونة .

والعالم كله بكى الفنان العبقرى .. والعالم كله سارع الى تكريمه .. حتى جمعية الرفق بالحيوان الامريكية لم يفتها ان تعطيه الجائزة الاولى لانه أستطاع ان يجعل البشر يحسون بمشاكل الحيوان وأحزانه ..

ولكن أعظم تكريم سيناله والت ديزنى .. أن شخصياته ستظل حية تذكر الناس به دائما .. وستظل شخصياته عندها المقدرة على جمع الاسرة كلها فى ابتسامة واسعة مشرقة ! ..



السياسة الاقتصادية لوزارة الإنجاز

لم يعد للدوائر الاستعمارية والرجعية من حديث عن بلادنا ــ بعد ضرب مؤامراتها الداخلية وفضح مؤامراتها الخارجية ــ الا حديث الصعوبات الاقتصادية التى نواجهها . وبوعى عميق لما يمثله نجاح التجربة المصرية فى حل مشكلة التخلف من خطر ماحق على النظم الرجعية والموالية للاستعمار الجديد فى الوطن العربى وفى العالم الثالث كله ، تعمد تلك الدوائر الى التهويل والتشنيع المحموم ولا تتردد فى أن تجعل من « الحبة قبة » وتشيع فى غير حياء أسوأ الشائعات . وفى الوقت الذى يفرض الاستعمار علينا تحديات جديدة ــ مثل وقف بيع القمح الامريكى بالعملة المصرية ــ تستخدمه الشائعات بغية ان تفل من عزيمتنا وتبث التخاذل فى نفوسنا لعل اصواتا ترتفع من بيننا طالبة للاستسلام للضغوط . تماما كما كانوا يظنون ــ قبل عشر سنوات .. ان غزو بورسعيد وقذف مطارات مصر بالقنابل وحشد الاساطيل والجيوش تكفى لان يركع شعب مصر .ولكن القائد المناضل جمال عبد الناصر ــ بايمانه العميق بجماهير شعبنا العامل ــ يدرك انه ليس يشحذ همتها مثل التحدى وخطر الاستعمار ، ولهذا فقد أعلن ان معركة التنمية اليوم لها فى تاريخ بلادنا الدور المصرى الذى لعبته حرب السويس وانها تقتضى من الشعب كله تعبئة وطنية شاملة . وقد قامت القيادة الثورية بواجبها الاول فأجرت البحوث والدراسات وادارت المناقشات فى أعلى المستويات السياسية ، مناقشات ادارها عبد الناصر بنفسه وغذاها بتوجيهاته الثورية . وكانت حصيلة ذلك كله البيان الوزارى الذى تقدم به السيد صدقى سليمان الى مجلس الامة . وقد جاء بيانه تقريرا اقتصاديا وسياسيا صريحا وشجاعا، وجيز العبارة دقيق التعبير ، عماده أسلوب الوقائع الجاف وان اضاءته بين الفينة والفينة مقاطع تهز المشاعر بما تنبض به من ايمان راسخ بقدرات شعبنا العامل وطاقاته وقيمه الروحية وتاريخه الحضارى البناء .

وعلى ضوء هذه الرؤية الواضحة يتعين علينا ان نفهم الملامح الاساسية للسياسة الاقتصادية للوزارة الجديدة حتى يأخذ كل فرد من قوى الشعب العامل موقعه من المعركة عن وعى كامل بمتطلبات المرحلة ودور كل منا فيها .

الاطار العام للسياسة الاقتصادية

ولقد بدأ رئيس الوزراء بيانه برسم الاطار السياسى والاجتماعى والاقتصادى الذى تعيش فيه بلادنا الان ، والذى يتعين ان نأخذه فى الاعتبار قبل التعرض بالتفصيل لقضايا تنمية الاقتصاد القومى . وقد أوجز الملامح الاساسية لهذا الاطار العام على النحو التالى :

اولا: لقد حققت الثورة فى مجال التقدم الاقتصادى والاجتماعى منجزات ترقى الى مستوى المعجزات . وهذه المنجزات تتجسد فى حقائق واقعة فى مجتمعنا نستطيع بحق ان نفاخر بها ونجعل من جمهوريتنا مثلا يحتذى لدول العالم الثالث . ولعل خلاصة تلك المنجزات : هى تلك الحقيقة التى اثبتتها الدراسة الموضوعية التى قام بها الاقتصادى السويدى المعروف بنث هانسن ، الا وهى ان متوسط دخل الفرد خلال الفترة من ١٩١٣ الى ١٩٥٦ ظل على حاله عبر عدد من التغييرات العارضة ، وان الفترة من ١٩٥٦ ــ ١٩٦٥ شهدت لاول مرة فى تاريخ مصر الحديث زيادة منتظمة فى متوسط دخل الفرد . وهو ما عبر عنه رئيس الوزراء بقوله انه لاول مرة فى تاريخنا الحديث يكون معدل زيادة الدخل القومى أكبر من معدل زيادة السكان رغم ارتفاع هذا الاخير فى السنوات العشر الاخيرة بالذات بشكل استثنائى .

ثانيا : ان هذه المنجزات التى تبلغ حد المعجزات كانت مستحيلة بدون اختيار الطريق الاشتراكى الذى رسمه الرئيس جمال عبد الناصر ، وفى هذا المعنى يقول رئيس الوزراء « ان الحل الاشتراكى ... هو امثل الحلول لمشكلة التخلف الذى عشناه طويلا .. وهو لم يكن وليد رغبة فى انتقاء اختيارى لمبدأ ، تقديما له ــ عاطفيا ــ على سواه ، وانما [illegible] ... ة حتمية، تاريخية واقتصادية واجتماعية

من أجل السير بالسرعة الواجبة والمأمولة الى عائد قومي يكفل الكفاية والعدل » .

ثالثا : بالرغم من كل هذه المنجزات ، واحيانا بسببها ، **ظهرت ثغرات ومعوقات وصعوبات** تهدد استمرارنا في طريق المزيد من المنجزات ، يتعين الكشف عنها وعلاجها على وجه السرعة . وهذا على حد قول رئيس الوزراء « **ننقد انفسنا نقدا عادلا** في كل عمل اتيناه » .

تشخيص الصعوبات الاقتصادية :

ولكن ماهي بالدقة الاسباب التي ادت الى ظهور تلك الثغرات والمعوقات والصعوبات ؟ . لا شك ان ثمة **أسبابا لا سلطان لنا عليها** تنبع من الاوضاع التي تحكم الاقتصاد الدولي . وعلينا ان نحسب حسابها ونعمل على مقاومة آثارها . ولعل ابرز هذه الاسباب **تدهور نسب المبادلة بين الدول النامية والدول الصناعية المتقدمة ،** أو بعبارة اخرى عجز الدول النامية عن ان تبيع من منتجاتها في السوق العالمية بالكميات وبالاسعار التي تكفل لها دفع ثمن ما تحتاج الى استيراده من مستلزمات التنمية . وهذا يعني ان علينا ان نولي عناية فائقة لرفع الكفاية الانتاجية وتخفيض تكاليف الانتاج وضمان جودة المنتجات حتى ننجح في تنمية صادراتنا . ومن تلك الاسباب **ايضا ضآلة المعونات الدولية غير المشروطة وتفاقم مديونية الدول النامية** حتى اصبح عبء سداد القروض في بعضها يفوق قدرتها على الاقتراض من جديد . وهذا يعني بالنسبة لنا — كما أوضح الرئيس عبد الناصر في بورسعيد — ان يكون اعتمادنا على التمويل الخارجي عن طريق القروض في خطة التنمية المقبلة اقل منه في الخطة الاولى حتى لانواجه في بلادنا الوضع السيء المشار اليه .

بيد ان هذه الاسباب الخارجة عن ارادتنا لا ينبغي ان نخفي عن أعيننا النواقص التي يتعين علينا أن نخلص العمل الوطني منها في مجال التنمية وقد اوضح رئيس الوزراء في بيانه اهم تلك النواقص على النحو التالي :

أولا : التوسع في الانفاق العام والخاص وبصفة خاصة الانفاق الاستهلاكي . ولابد من أن نبرز من كلام السيد صدقي سليمان في هذا المقام ما يعد تصحيحا لخطأ شائع يؤدي الى الخلط بين الانتاج والخدمات واحتسابها جميعا كمصادر لزيادة الدخل القومي . فهو يتحدث عن **الاستهلاك الجماعي** ويعني به الخدمات التي تقوم بها الدولة والتي لاترتبط بالانتاج ارتباطا مباشرا ، وهو يذكر أن هذا الاستهلاك قد زاد خلال الخطة الاولى بحوالي ٨٩٪ اى بمعدل ١٧٫٨٪ سنويا .. وفي نفس الفترة زاد الاستهلاك الخاص كذلك . وقد اورد رئيس الوزراء في هذا الصدد الارقام المتعلقة بالعمالة والاجور باعتبار العاملين طبقات منفقة بطبيعتها . وأول هذه الارقام هو أن الدخل القومي قد زاد خلال الخطة الخمسية الاولى بنسبة ٤٦٫٦٪ في حين زاد مجمل الاجور بنسبة ٥٩٫٩٪ **ولكن يلاحظ هنا انه اذا اخذنا في الاعتبار الادخار الاجباري الذي يتم عن طريق التامينات الاجتماعية يكون رقم الزيادة في مجمل الاجور الموزعة بالفعل أقل من النسبة المذكورة .** كما يلاحظ من جهة اخرى ان الزيادة في متوسط الاجور في نفس الفترة لم يزد عن ٢٫٣١٪ **بالاسعار الجارية .** فاذا اخذنا في الاعتبار متوسط ارتفاع الاسعار في نفس الفترة وجدنا الزيادة في متوسط الاجور الحقيقية (أي المقدرة بالاسعار الثابتة) بسيطة نسبيا . وهكذا يتضح أن السبب الاساسي لزيادة الاستهلاك الشعبي هو زيادة العمالة بنسبة ٢٢٫١٪ . وهذه الزيادة في ذاتها ليست خطرا . فلو كانت تصطحب بزيادة مماثلة في الانتاج لما وجدت لها اية آثار تضخمية . **وهكذا يضع رئيس الوزراء أمام مجلس الامة الحلقة الرئيسية في هذا الموضوع الذي طال حوله الجدل الا وهي ان متوسط انتاج العامل لم يزد خلال نفس الفترة ٣٫٨٪ رغم الاستخدام المتزايد للالات . فليست زيادة العمالة في ذاتها ، ولا حتى زيادة الاجور في حدود معقولة ، هي الخطر الذي يهدد التنمية ، وانما الخطر الحقيقي هو في تخلف متوسط انتاجية العامل، مما يؤدي الى توزيع أجور لا يقابلها زيادة في الانتاج .**

ثانيا : هبوط معدلات الادخار عن مقتضيات الاستثمار . وبعبارة اخرى قصور التراكم القومي عن مواجهة الجزء الاساسي من الاستثمارات اللازمة للتنمية . فالزيادة في الدخل القومي المتولدة عن استثمارات الخطة الخمسية الاولى بلغت في مجموعها ٥٩٨ مليون جنيه ولكن الاستهلاك العام الخاص ابتلع منها ٥٦٢ مليونا ، اى ان ما اعيد استثماره منها لم يزد على ٣٦ مليونا فقط وهي نسبة ضئيلة للغاية (*)

ثالثا : التوسع الافقي في الاستثمار بالبدء في تنفيذ مشروعات جديدة تعمل في وقت متعاصر دون مراعاة الاستخدام الكامل للامكانيات القائمة بالفعل ودون بذل الجهد اللازم للارتفاع بالكفاية الانتاجية . وكانت محصلة ذلك كله وجود عدد كبير من المشروعات تحت التنفيذ ما زالت بحاجة الى استيراد آلات ومواد وسيطة وهي في نفس الوقت توزع أجورا ولم تقدم بعد انتاجا مقابلا .

وهكذا يلخص صدقي سليمان رئيس الوزراء الموقف في عبارة واضحة لا تحتاج الى تعقيب حين يقول ان : **اقتران زيادة الانفاق فوق حده المناسب بانخفاض الانتاج تحت مستوى حده المناسب ، يشكلان اكبر الخطر على اقتصادنا وعلى قدرتنا على التنمية في مجاليها الاقتصادي والاجتماعي لانهما يلتهمان كل فائض منتظر نستطيع الافادة منه**

ويزيدان ثمة من حلقات دورتنا في تيه من الغلاء لا نعرف مداه » .

عناصر العلاج .

ان لمثل هذه الحالات التضخمية علاجا تقليديا في البلاد الرأسمالية يتمثل أساسا في تجميد الاجور وتسريح ثلث من العمال ورفع سعر الفائدة مع العمل على حماية مستوى الأسعار من الهبوط . وهذا ما لجأت اليه حكومة ويلسون « العمالية » في بريطانيا .وكان طبيعيا انترفض القيادة الثورية في بلادنا هذا المنحى فهي تدرك ان عبء الحياة على شعبنا لا يحتمل اضافة جرعات « مرة أشد المرارة » كما يقول رئيس الوزراء . **ولهذا فقد اتجهت سياسة الوزارة الاقتصادية نحو معالجة الظاهرة التضخمية عند مصادر التضخم عملا على ايجاد التوازن المطلوب للتنمية بين الاستهلاك والانتاج والدخول النقدية الموزعة ، بحيث يستمر مجهود التنمية ويوضع حد لموجه ارتفاع الاسعار.** ويمكن ان نلخص الاجراءات التي استقر عليها رأي الحكومة على النحو التالي :

أولا : مقاومة الثغرات التضخمية ، وفي هذا الصدد أعلن رئيس الوزراء :

١ ــ ضغط الانفاق الداخلي **وتقليل الاعتماد على على الجهاز المصرفي في تمويل العجز في ميزانية الخدمات .** فتمويل الخدمات عن طريق الجهاز المصرفي معناه توزيع دخول دون ان ننزل في مقابلها منتجات جديدة في الأسواق ، وهذا ما يخلق ضغطا تضخميا . ويلاحظ في هذا الصدد ان الحد من التوسع في الخدمات يخفف من وطأته أمران : الاول ان الخطة الاولى أقامت القدر الاساسي من مؤسسات الخدمات وخصوصا في الصحة والتعليم . والثاني ، ان تحسين مستوى أداء الخدمة ورفع الكفاية الانتاجية لوحدات الخدمات يمكن ان يزيد كثيرا من عدد المستفيدين منها .

٢ ــ **تحصيل مستحقات الدولة من ضرائب وديون .** وهذا يعني امتصاص قدر كبير من الاموال المتداولة في السوق والتي يذهب جزء أساسي منها الى سوق السلع الاستهلاكية ويلعب دوره في رفع الاسعار . وهو من ناحية اخرى يوفر للدولة موارد لتمويل الخدمات والاستثمارات تغنيها ــ ولو جزئيا ــ عن الاعتماد على الجهاز المصرفي .

٣ ــ **ربط العمالة والاجور بالانتاج** بحيث تقترن زيادة كل منهما بزيادة مقابلة ــ على أقل تقدير ــ في الانتاج . وهذا الربط يقتضي تحويل جزء من العمالة الفائضة في قطاع الخدمات الى قطاع الانتاج كما يقتضي التشغيل الكامل لمعدات الانتاج لاستيعاب العمالة الزائدة داخل وحدات الانتاج . اما الاجور الفردية فتقترن الزيادة فيها بانتاج العامل تحقيقا لمبدأ الحوافز . .

٤ ــ **الدعوة للادخار الفردي** والواقع ان انماط الاستهلاك واسلوب المعيشة عندنا مازالت متخلفة عن مقتضيات ظروف التنمية وتتسم بالكثير من التبديد والاسراف . والمعركة ضد الاسراف يجب ان تتم على نطاق المجتمع بأكمله لانه من الصعب على من يبدد ماله الخاص أن يكون شديد الحرص على المال العام . وفي تقديرنا ان الفئات التي تحصل على دخول مرتفعة يجب أن تسهم في التراكم القومي عن طريق الادخار الفردي الاختياري ، والا فانه يصبح من المحتم ان تلجأ الدولة لبعض اشكال الادخار الاجباري .

ثانيا : زيادة الانتاج : على ان المعركة الاساسية تبقى بعد ذلك معركة زيادة الانتاج . وفي هذا الصدد تعمل الحكومة على :

١ ــ **التشغيل الكامل للمعدات.** وفائض العمالة الحالي يجعل من الممكن ان يتم هذا التشغيل دون عمالة جديدة . على ان ما يستحق التسجيل هنا **هو حرص الدولة على عدم المساس بالحقوق التي حصل عليها العمال في ظل الثورة.** فرئيس الوزراء يرى أن يكون **أي تشغيل اضافي تطوعا ومقابل زيادة في الاجر تقابل زيادة الانتاج .** ومن ثم فان « حق العامل في راحته الاسبوعية واجازته السنوية يظل مكفولا له ، ولكن لا حق مطلقا للمعدات في التوقف الا للصيانة والاصلاح » .

٢ ــ **استخدام الطاقات المعطلة** بمعالجة مراكز الاختناق وتوفير قطع الغيار واستغلال امكانيات ما لدينا من مصانع وورش في تصنيع بعض قطع الغيار محليا .

٣ ــ **رفع الكفاية الانتاجية ،** وهذا أمر توليه الحكومة عناية بالغة . فهي من ناحية تقوم بانشاء **جهاز مركزي للتدريب** يتولى الاشراف على كافة مراكز التدريب ويعني بمساعدة العاملين في كافة المستويات على اكتساب مهارات جديدة ، ويهتم بنوع خاص بتوفير **الكادر المتوسط** الذي يشكل النقص فيه أحد الاختناقات الاساسية في عمليات التنمية وهي من ناحية اخرى **تريد ربط التعليم بالمجتمع .** فما دام التعليم كله مجانيا ، وما دامت الدولة تلتزم عمليا بتوفير العمل لكل الخريجين فانه من الطبيعي ان يقتضي المجتمع ان يكون تعلم هؤلاء الخريجين بالشكل الذي يفي باحتياجاته . **وفي تقديرنا في هذا المجال انه يتعين علينا أن نولي اهتماما ثوريا بمشكلة محو الامية . فالفرق بين العامل الامي والعامل الذي يجيد القراءة والكتابة فارق كيفي . ومراحل التدريب المختلفة تفترض معرفة القراءة والكتابة . ولكننا نرى ان يتصدى لهذه المهمة التنظيم الشعبي بحيث تتم عملية تعليم الكبار بطريقة ثورية يتطوع لها كل متعلم لفترة من وقته وتتم في مقار الاتحاد الاشتراكي وتكون في نفس الوقت عملية تعبئة سياسية ولا تكلف الدولة مزيدا في النفقات في ميزانية الخدمات .**

٤ ــ **ترتيب أسبقية تنفيذ المشروعات** بحيث يبدأ

بأكثرها اقتصادا .وليس المقصود هنا اكثرها عائدا او اسرعها انتاجا .. والا لاهملنا الصناعة الثقيلة ــ وانما المقصود هو المشروعات التى تفرضها ضرورة تحقيق التنمية المتناسقة والمتسقة لاقتصادنا القومى لانها مشروعات اساسية لتلك التنمية او لانها تربط بين وحدات الانتاج القائمة او تزيل مراكز الاختناق .

٥ ــ **اهمية الصناعة الثقيلة** تجعل من الواجب ان يفرد لها مكان ممتاز فى التوسع فى الانتاج وفى هذا يقول رئيس الوزراء « ان كل جهد يبذل وكل عمل ينفق فى اقامة صرح الصناعات الثقيلة لا يذهب سدى وان طال انتظار ثمرته . فالصناعة الثقيلة فى حقيقتها تخدم المجتمع كله .. بينما الصناعات الاستهلاكية لا تحقق الا رغبات طبقية » وقد نص البيان الوزارى بالذات على التوسع فى صناعة الحديد والصلب والصناعات الكيماوية الاساسية .

٦ ــ **الكمية والجودة** ، على ان رئيس الوزراء حذر من أن تكون زيادة الانتاج، على حساب جودته ودعا الى وضع معايير لتقييم الاداء فى وحدات الانتاج المختلفة تأخذ فى الاعتبار عند تطبيق الحوافز الكمية والجودة معا ».

ثالثا : التخطيط :

وما كان لهذا كله أن يتم الا فى اطار تخطيط محكم . ولهذا فان رئيس الوزراء يدعو الى تدعيم جهاز التخطيط . يخلص من بيانه الاتجاهات الاتية:

١ ــ **مركزية التخطيط** : فقد جاء بالبيان « ان ترتيب اسبقية انجاز المشروعات مهمة فلابد للحكومة ــ فى أعلى مستوى ــ من تحديد ابعادها ضمانا لاتساق سير الامور الى الغاية المرجوة وبعدا عن وقوع تناقضات او حدوث فجوات لو ترك التحديد لما هو دون هذا المستوى من أجهزة التنفيذ » .

٢ ــ **ارتباط التخطيط بمجالات العمل** بحيث يستلهم جهاز التخطيط المركزى « مادته من تلك المجالات ويستند على امكانياتها الفعلية ، ويقوم على أساس من الواقع، لا على اساس من تقديرات قد ترسم الرغبة ولكنها لا ترسم الحقيقة » .

٣ ــ **خطة قصيرة** ويبدو من تصريحات اخرى لرئيس الوزراء انه يرى اعداد خطة لثلاث سنوات يتم خلالها تدعيم المنجزات وازالة المعوقات وتحقيق التشغيل الكامل والتوازن بين زيادة الانتاج وزيادة الاستهلاك ، كما يتم خلالها ايضا الاعداد العلمى لخطة اخرى اطول مدى اعدادا يستفيد من كل اوجه التصور التى شابت اعداد وتنفيذ الخطة الاولى

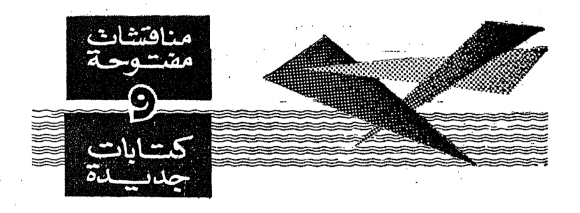
٤ ــ **الخطة والميزانية** : وقد أوضح رئيس الوزراء ان الخطة اطار مرن يجب أن يكون دائما قابلا للتعديل والتطوير . ولكنه من ناحية اخرى اطار ضرورى لابد من أن يحتوى بالفعل الميزانية السنوية، **ولهذا فقد وعد بتقديم اطار الخطة الى مجلس الامة لاقراره قبل عرض الميزانية السنوية بوقت كاف .**

الفلسفة العامة

وخلف هذه السياسة الاقتصادية التى عرضنا لملامحها الاساسية تكمن افكار اساسية لخصها الرئيس جمال عبد الناصر حين قال : « **اننا نراجع ولا نتراجع** » . ففى مواجهة الدعوة الى الهبوط بمعدلات التنمية باسم «الواقعية» ترفع الحكومة شعار زيادة معدلات التنمية . وفى مواجهة الدعوة الى الاهتمام بالصناعات ذات العائد السريع (أى الصناعات الاستهلاكية) تركز الحكومة على الصناعات الثقيلة . وفى مواجهة حملة التشكيك فى التخطيط تعلن الحكومة عزمها على دعم جهاز التخطيط وزيادة فعاليته . وفى مواجهة الدعوة الى الاقتطاع من حقوق العمال والحد من العمالة تدعو الحكومة لرفع متوسط انتاجية العامل لتكون زيادة العمالة خيرا خالصا . وتستند هذه الاختيارات التقدمية جميعا الى ايمان عميق بالشعب وبالانسان المصرى وقدراته التى جعلت منه معلما للبشرية، وجعلت البناء صناعته عبر آلاف السنين،

وقد اكد رئيس الوزراء فى كل موضع اهمية العنصر البشرى فى الانتاج باعتباره العنصر الفعال وهذه الثقة بالشعب العامل تشمل ابناءه الذين يدعون الى مراكز قيادية فى وحدات الانتاج ما دام اختيارهم يتم على اساس الكفاءة والارتباط بأهداف المجتمع . دون تقيد بأى اعتبار آخر .

وربما كان خير ما يلخص الفلسفة التى تقوم عليها السياسة الاقتصادية هو تلك الفقرة من خطاب السيد صدقى سليمان فى التعقيب على مناقشات مجلس الامة : « **حين تحدثت فى بيان الحكومة عن تعبئة القوى العاملة واشرت الى الطاقات الروحية الكامنة فى شعبنا والقادرة على تحقيق المعجزات لم اكن اترجم عن آمال . فقد كانت عيناى تتخيلان تجربة مشهودة عشتها فى موقع السد العالى .. فى بدء الامر ، ايها الاخوة، كنت اتلقى يوميا مايزيد عن مائة شكوى من بناة السد ، معظمها محق صادق . ولكننى حين اشتدت معركة البناء وعلا وطيسها دهشت لاختفاء الشكاوى . فقد نسى كل عامل أسباب شكواه . نسى حاجته الى مسكن الى تموين والى مواصلات . نسى شئونه الخاصة ومتاعبه الخاصة ولم يعد يذكر الا شيئا واحدا هو حق العمل عليه . انكر ذاته من اجل العمل ... ومضى يفاخر بجهده فيه وبما حققه فى يومه زيادة عن منجزات أمسه ، وبما قطعه من اشواطه بفكره وساعده ، ليستكمل المرسوم للفترة ويسبق الزمن الى الانجاز .. ان ابناء وطننا شبابا وشيبا رجالا ونساء ، كلهم فى اعتقادى هذا العامل الذى راض نفسه على أن يتفوق على نفسه ، واستعاد ذخيرته الروحية لتدفعه الى تحقيق أعلى مستوى للاداء . انهم كلهم هذا العامل كلهم أبطال** » .



قضية الانتاج ، هدف اساسى من اهداف العمل الوطنى اليوم .وارتباط الحركة النقابية ، بهذه القضية ،عامل هام . وفى هذا المقال يعالج المواطن عطية الصيرفى « ناظر » بشركة اتوبيس وسط الدلتا — قضية الارستقراطية العمالية فى الحركة النقابية ويعرض بعض الاقتراحات — من وجهة نظره — لدرء هذا الخطر ، والتقدم بالحركة النقابية — وبالتالى قضية الانتاج — خطوات نحو تحقيق الهدف .

كتابات جديدة

الارستقراطية العمالية
الواقع.. الأخطار.. الحل

عطية الصيرفى

كان قيام ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ عاملا هاما فى الحركة النقابية المصرية . فقد ادرك قادة الثورة ان العمال هم اكثر الفئات الوطنية تأييدا للثورة ودعما لها. ونشأت بذلك علاقة جديدة بين العمال ونقاباتهم وبين ثوار يوليو الذين تولوا السلطة فى بلادنا باسم الشعب — وتعتبر هذه العلاقة الاولى من نوعها فى مصر بعد ان كان العمال ينظرون الى الحكومات المتعاقبة قبل ثورة يوليو بعين ساخطة وغير راضية لدفاعها الدائم والمستمر عن مصالح المستغلين من اصحاب الأعمال والشركات فى الوقت الذى تضرب فيه بعنف وضراوة الحركة العمالية والنقابية .

نشأة الاورستقراطية العمالية

ومع نمو التعاطف على الحركة النقابية تواجد مناخ عاش فى رحابه بعض الشخصيات النقابية مستريحين ومطمئنين بعد ان ودعوا الايام الصعبة التى عاشها النضالى النقابى فى مصر . وظهرت لاول مرة بداية الحصانة القانونية بالنسبة للعمال النقابيين ممثلة فى اصدار المادة رقم ٣٩ مكرر التى وردت ضمن مواد القانون رقم ٣١٩ لسنة ١٩٥٢ بشأن نقابات العمال . كما برزت حصانة اخرى اكثر قوة وفعالية من الحصانة القانونية لانها ذات

طابع سياسي ». وقد تواجدت هذه الحصانة من خلال العلاقة الجديدة التي كانت تتدعم وتتطور باستمرار بين الحركة النقابية وثورة يوليو — وازاء هذا الوضع الديمقراطي الجديد الذي غطى الحياة الاجتماعية المصرية، برز العديد من العمال النقابيين كشخصيات اجتماعية وسياسية لها وزنها في مجتمع ما بعد ثورة يوليو . وبدأ اصحاب الاعمال والشركات الرأسماليين في اعداد الخطط المناسبة لمواجهة الوضع الجديد ».

وتضمنت هذه الخطط العمل على ضرورة تهدئة الصدام مع الشخصيات النقابية التي اصبحت مزودة بحصانة مزدوجة، والعمل ايضا على ضرورة فتح سوق جديدة يتم بواسطتها بيع وشراء الذمة والضمير والشرف لدى بعض الشخصيات النقابية التي قد احسوا انها مشدودة الى الرغبة في اشباع تطلعاتها النفعية. وكان هذا يعني ان الرأسمالية المصرية قد اكتشفت بذكائها ، المكانة الجديدة للمراكز النقابية (عمديات) جديدة يجب الاستفادة منها في حراسة المصالح الرأسمالية كما استفاد الاقطاعيون من عمد البلاد ومشايخها في حراسة وساياهم وعزبهم في الريف بثمن بخس . ومن خلال عمليات شراء الذمة والشرف والضمير ظهرت الارستقراطية العمالية كظاهرة مرضية في الحركة النقابية المصرية . وعناصر هذه الارستقراطية رغم انتسابهم المظهري الى الطبقة العاملة فانهم قد انفصلوا عنها طبقيا وفكريا بعد ان تغيرت احوالهم المعيشية والاجتماعية وبالتالي تغيرت افكارهم التي اصبحت مشحونة بأحلام تطلعاتهم وطموحهم غير المشروع ».

كبار المستخدمين والنقابات

وبعد التغيير الديمقراطي الذي مس التنظيمات النقابية ، شهد النشاط النقابي توافدا مستمرا من كبار المستخدمين — مهنيين وغير مهنيين — للمشاركة في هذا النشاط الذي كان فيما مضى موضع احتقار البعض منهم ومصدرا للخوف والرعب للبعض الاخر . وبفضل المراكز الوظيفية التي يشغلها هؤلاء المستخدمين فقد وصل بعض منهم الى قمم الحركة النقابية وصولا غير نضالي . وقد كان وصولهم على هذا النحو يعني ان غالبيتهم غير جادين في تحمل اعباء النضال النقابي ، مما يوضح ان توافدهم على النشاط النقابي بعد ثورة ٢٣ يوليو كان بهدف ايجاد البديل الذي يعوضهم عما فقدوه من علاقة بالاحزاب الرأسمالية المنحلة التي كانت تعود عليهم بالمزايا المادية والادبية مما غذى نمو ظاهرة الارستقراطية العمالية .

مدرسة « مشي حالك »

المنبع الثاني الذي يغذي ظاهرة الارستقراطية العمالية يتمثل في اتباع المدرسة النقابية المؤمنة بفلسفة « مشي حالك » التي تضم العديد من النقابيين التقليديين والمحترفين الذين استطاعوا التعايش في المجال النقابي فترات زمنية طويلة والذين يملكون كفاءات عالية في التشبث بخناق المراكز النقابية لادراكهم انهم يستطيعون من خلال هذه المراكز الحصول على مكاسب شخصية ، وذلك بفضل تطبيق شعار « مشي حالك » وقد اكتسبوا خبرة كبيرة في مجال الاعتماد على تجميع الشلل واستغلال العصبيات الاقليمية والطائفية والمهنية هذا بخلاف الوسائل المختلفة الاخرى التي يلجأون اليها ، واغلبية اتباع هذه المدرسة من العناصر النقابية المتوسطة والصغيرة ولذلك فهم يمثلون خطورة على الحركة النقابية لقربهم واتصالهم المباشر بالقواعد العمالية . هذه القواعد التي رأت بعض قادتها وقد اصبحت نماذج نقابية رديئة وسيئة ، حيث شاهدت عن قرب تغييرا مفاجئا وفاحشا في الاجر والوظيفة للبعض منهم ».

بطون وأفكار

وتختلف ظاهرة الارستقراطية العمالية في بلادنا عن مثيلاتها في البلدان الاخرى وخاصة انجلترا (اول بلد عرفت هذه الظاهرة) حيث ترعرعت الارستقراطية هناك على ارض اقتصادية لم تعرفها مصر . فقد كانت انجلترا اول بلد صناعي في العالم . ولذلك كانت تسمى بورشة العالم . ومن خلال هذه النهضة الصناعية ظهرت اول واكبر حركة نقابية حديثة — ولقد خاضت هذه الحركة النقابية العديد من المعارك حتى اضطرت الرأسمالية الانجليزية التي نهبت ثروات المستعمرات ان تلقي بالفتات الى العمال الانجليز وقد اختصت القادة العماليين بجزء كبير من هذه الفتات كرشوة . وهذه الظروف الاقتصادية لم تتوفر ايضا لدينا حيث لايوجد رأسمالية استعمارية ولا مستعمرات . كما ان الارستقراطية العمالية في انجلترا يساندها حزب عمالي ونقابي له نفوذه الكبير على غالبية العمال الانجليز وهذه السمة لم تتوفر للارستقراطية العمالية المصرية — كما ان الارستقراطية العمالية الانجليزية تتسلح بفكرية نقابية ونظرية سياسية هي اشتراكية حزب العمال البريطاني التي تنشط على اساسها في صفوف العمال حيث تلعب دورا هاما في ابعادهم عن الطريق الشوري والحقيقي الى الاشتراكية وذلك باعتبارهم اهم كوادر حزب العمال البريطاني — اما الارستقراطية العمالية في مصر فان رءوسها فارغة من اى فكرية او نظرية بحيث لاتعرف الافكار ولا تهتم بها وكل ماهناك هو انها اكتسبت الخبرة في مجال المناورات النقابية ، وهو مايفتقرون اليه في المجال السياسي ، ففي الانتخابات

الماضية للاتحاد الاشتراكي - مثلا - حصل احد اشخاص هذه الارستقراطية الذى يحتل عددا من المراكز النقابية الكبيرة على ستة اصوات فقط من قرابة الف صوت .

أخطار الارستقراطية العمالية

ان هذه الارستقراطية مصدر عدد من الاخطار الضارة بالانتاج وبجمهرة الحركة النقابية، ولكن أهم خطر تسببت في وجوده هو ظهور وباء التطلعات الانتهازية في صفوف بعض العمال في وقت تحتاج فيه بلادنا الى المزيد من العمل والجهد والمزيد من التضحية وانكار الذات من اجل اتمام تحولنا الاشتراكي . وقد انتقل هذا الوباء الاجتماعي تلقائيا من عناصر الارستقراطية العمالية ، وقد تغيرت احوالهم المعيشية والاجتماعية خلال ممارستهم العمل النقابي وعن طريقه ، الى صفوف قواعدهم العمالية حيث بدأ هذا الوباء يستثير فيهم غرائز التملك حتى سقط البعض منهم في مهاوى الانحراف ، كما ان افتقاد الثقة في القيادات النقابية يؤدى بالضرورة الى تفشى السلبية واللامبالاة .

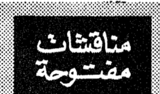
طريق الخلاص

لقد اكد الميثاق الوطني دور النقابات في هذه المرحلة فقال «ان الوضع الجديد لاينهى دور التنظيمات العمالية وانما هويزيد من اهمية دورها . انه يحدد هذا الدور ويوسعه من مجرد كونها طرفا مقابلا لطرف الادارة في الانتاج الى الحد الذي يجعل منها قاعدة طليعية في عملية التحرر» ثم حدد مهامها الثورية فقال «ان النقابات العمالية تستطيع ممارسة مسئولياتها القيادية عن طريق الاسهام الجدى في رفع الكفاية الفكرية والفنية ومن ثم رفع الكفاية الانتاجية للعمال - كذلك تستطيع ممارسة مسئولياتها عن طريق صيانة حقوق العمال ومصالحهم ورفع مستواهم المادي والثقافي ، ويدخل في ذلك اهتمامها بمشروعات الاسكان التعاوني والاستهلاك التعاوني وينظم الاستفادة الجدية صحيا ونفسيا وفكريا من اوقات الفراغ والاجازات بما يساعدهم في تحقيق الرفاهية للجموع العاملة» وما جاء بالميثاق بشأن الحركة النقابية ودورها لابد وان يدفع الجماهير العاملة والمناضلين النقابيين لتطهير الحياة النقابية من ظاهرة الارستقراطية العمالية

ولذلك فان هذه الجماهير مدعوة اليوم للعمل العاجل السريع لابعاد هذا الخطر من النقابات العمالية وذلك بقيادة الاتحاد الاشتراكي وتوجيهه . وهذا يعنى ان العمل السياسي مطالب ايضا بوقف زحف الفئات غير العمالية وابعاد خطرها وفكرها عن المجال النقابي حتى تتواجد قيادات عمالية ونقابية تتمثل الدور الجديد للحركة النقابية فكرا وعملا ولا يتم هذا الا بتحقيق :

- اعادة النظر في تعريف العامل بحيث يتم التعريف على اساس واقعى ، حتى لايتسرب الكثير من الفئات الاخرى الى المراكز العمالية حيث يروجون لافكارهم ومصالحهم .

- القيام بعملية مسح شاملة للعناصر العمالية التى اشتركت في العمل النقابي منذسنة ١٩٥٠ على اساس بحث تطور اجورهم ووظائفهم ومقارنتها بزملائهم في العمل قبل ممارسة النشاط النقابي ، وكذلك تطور ملكياتهم وملكيات زوجاتهم واولادهم على ان يتم هذا المسح الشامل بشكل جماهيري وسياسى ...



- الادارة والقطاع العام
- راى في التعليم الهندسي
- نشرة السينما العربية

توفيق محمد على زكى
ابراهيم فؤاد المحتسب
«المركز الفنى للتعاون السينمائى العربى»

الادارة .. والقطاع العام

عن مشاكل القطاع العام الادارية ، يقول المواطن **توفيق محمد على زكى** أمين وحدة شركة النصر للهندسة والتبريد (كولدير) وعضو منظمة الشباب :

أحدث المناضل **جمال عبد الناصر** ثورة في مفهوم العمل السياسي في مجتمعنا بعد أن كان احترافا وتهريجا . فقد ألقى على التنظيم السياسي قبل غيره مسئولية تغيير المجتمع تغييرا جذريا شاملا باقامة المجتمع الاشتراكي ، والانطلاق بكل طاقات شعبنا في العمل الوطني لدفع عجلة الانتاج الى

أقصى حد ممكن . ومن ثم أصبح الانتاج مهمة أساسية اولى من مهام العمل السياسى .

لقد جردت قوانين يوليو العظيمة ، الرجعية من أخطر أسلحتها . بعد أن كانت قد جردت من قبل من سلطة الدولة . وقد أعلن الرئيس اننا نصفى رأس المال ونترك الرأسماليين ، نصفى الاقطاع ونترك الاقطاعيين . ولكن المناضل عبد الناصر لم يقصد بذلك أن نتركهم بكل عقدهم ، وبكل حقدهم وانانيتهم يقودون معركة الانتاج فى مرحلة التحول الاشتراكى . والدليل على ذلك انه قد تم عزل معظم الاقطاعيين وكبار الملاك الرأسماليين من مباشرة النشاط السياسى والانتاجى . فليس منطقيا ان نترك افرادا مستهم القوانين الاشتراكية فى الصميم فأفقدتهم مصالحهم ومراكزهم وامتيازاتهم . ليس منطقيا على الاطلاق أن نترك هؤلاء على رأس وحدات الانتاج فى مجتمع يموج بالثورة والنضال .

أبدا . ليس هذا منطقيا فهذا حديث للملائكة فقط ، ولكنهم أولا واخيرا بشر .

ولكن هذا ماحدث بالفعل .

لقد مست الثورة فى الصميم بعض فئات فى الشركات ، كانت اصلا ذات طابع وطنى . ولكنها وصلت فى ظل تحكم راس المال الى مراكز ممتازة، فأصبحت بالتالى خطرا داهما يعوق ويهدد الانتاج بسلبيتها وفقدانها كل حماس . ثم وهو الاهم ، بذر اشاعاتها المخربة .

تلك هى — فى رأيى — اساس مشكلة القطاع العام . انها مشكلة الافتقار الى القيادات الثورية الاشتراكية المؤمنة والمناضلة . فالواقع يقول من خلال التجارب أن اى مشروع أو قطاع أسندت ادارة العمل فيه الى قيادة ثورية ، حقق العامل المصرى فى ظله المعجزات ولم تقابل الادارة فيه مشكلات خطيرة .

ولكننا سنظل فى حديث عن الادارة وتطويرها ، وعن اللوائح ، والحوافز والانتاج ومشاكله ». ويدنا للاسف بعيدة كل البعد عن مس الحقيقة .»

لقد صفينا من قبل الاقطاع فى الريف وتركنا الاقطاعيين ، تركناهم فى مراكزهم وحصونهم . فماذا فعلوا ؟ لقد كانت الحقائق التى توصلت اليها لجنة تصفية الاقطاع فوق كل مايتصور العقل ، حتى لقد لجأت الى أبعادهم عن مجالات نفوذهم. ومايحدث فى بعض شركات القطاع العام ومصانعه قد يصل فى بعض صوره الى حد ماحدث فى الريف.

الطليعة نحن نتفق معك فى ضرورة عزل العناصر المعادية للثورة والتى تشغل مواقع رئيسية فى مجالات الانتاج . الان الثورة لا تدين ايا منهم لمجرد انتمائه الى طبقة بعينها بل تسمح لهم بمواصلة العمل فى اطار السياسة العامة للتنمية الاشتراكية ، وتمنح كل فرص النشاط والعمل لمن يثبت انه جاد فى اعادة صياغة موقفه والالتزام بسياسة الدولة ، ومقياس الحكم على صلاحية الواحد منهم هو مدى استجابته وتعاونه وسلوكه العملى وموقفه الايجابى من اهداف مجتمعنا الجديد ، والرقابة الشعبية فى مواقع الانتاج هى الكفيلة باكتشاف اى نشاط تخريبى او معادى للخطة العامة للتنمية ، وهى الطريق الى منع تساقط بعض المديرين او استغلالهم او انحرافهم .

●

رأى .. فى التعليم الهندسى

وكتب المهندس الكيماوى **ابراهيم فؤاد المحتسب مساعد مدير انتاج شركة كيما ،** عن التعليم الهندسى يقول :

لا تأخذ المطالبة بتطوير التعليم الجامعى ، فى الاعتبار حقيقة احتياجات البلاد من الخريجين ليس فقط كعدد ولكن كأعداد، فضعف مستوى الخريجين منذ سنوات عدة أصبح حقيقة شائعة يلمسها من يعمل بالمصانع وذلك راجع — فى رأيى — الى ضعف من يقومون بالتدريس لهم خاصة فى المجال التطبيقى .

لا يمكن بأى حال من الاحوال قبول مبدأ خريجين غير متخصصين ، ولكن يجب ان تكون هناك دراسة لعدد الخريجين المطلوبين فى كل مجال ، أو بمعنى اصح تخطيط اعداد الخريجين حسب احتياجات البلاد فى كافة المجالات والذهاب الى الرأى بجعل دراسات عليا مقياسا للقدرة على العمل فى مجال الابحاث أو التصميم أمر لا سند له من الحقيقة ، فلم تكن رسالة الماجستير أو الدكتوراه يوما دليلا على حسن استعداد شخص لعمل بحث أو تصميم بقدر ماهى دلالة على درجة علمية معينة. وانا مستعد أن أشير الى آلاف من الناس وخاصة بالخارج ممن لا يحملون مؤهلات علمية أعلى من البكالوريوس ورغم ذلك فهم اساتذة فى مجالاتهم.

ونحن نقصد بتخطيط اعداد الخريجين حسب احتياجات البلاد بدلا من الامثلة التالية :

أولا : فى مجال التدريس ، مامعنى ان نأخذ خريج كلية العلوم الذى يدرس مستويات عالية من الكيمياء والطبيعة بما فيها الطبيعة النووية ليعمل مدرسا بالمدارس الثانوية مع الاصرار على أن يمضى سنتين فى معهد التربية قبل ذلك — علما بأن البرامج التى سيقوم بتدريسها لن تخرج عن مستوى السنة الاولى او نصف الثانية بكلية العلوم وكان الاولى هو تعميم مدارس المعلمين العليا التى تخرج طوائف من المدرسين متخصصين فى التدريس بمؤهل تربوى مع الاعداد الكافى للغرض المطلوب منهم . وفى الوقت نفسه تطوير البرامج داخل كلية العلوم بحيث تفى باحتياجات البلاد من كيماويين او فيزيائيين او رياضيين .. الخ متخصصين .

ثانيا : الاقتصاد فى تخريج هذا العدد الكبير من خريجى الكليات النظرية طالما ان السوق لا يستطيع استيعاب هذه الاعداد الكبيرة التى يمكن ان نطلق عليها بشىء من المبالغة اسم البطالة المتعلمة ، لان عملية خلق وظائف لهم ثم امتصاصهم

لا تعنى أبدا أن تشغيلهم يعتبر ضرورة لتسيير الانتاج والخدمات .

ثالثا : فتح المجال امام المهن والحرف فى الحصول على مرتبات عالية نتيجة للمهارة فى المهنة نفسها بدلا من ربط المهنة بكادر معين كما هو حاصل الان . فالذى حدث بعد صدور التقييم واللائحة الجديدةهو ان اصبح مرتباصحاب المهن مرهونا بالدرجة والكادر وهذا اتجاه خاطىء لان صاحب المهنة الذى سيصل بعد عمر طويل الى الدرجة الخامسة أو السادسة ، لن يهمه المرتب فقط ولكن الجلوس الى مكتب وبذا يفقده المصنع كرجل ذو خبرة . وارى ان يرقى الشخص فى نفس مجاله وان يسمح لمرتبه بالارتفاع حسب كفاءته اولا واقدميته ثانيا ففي ذلك حفاظ على اصحاب المهارات والمهن القدامى الذين يشكلون مدرسة كاملة داخل مجالات اعمالهم .

رابعا : اعادة فتح المعاهد المتوسطة أو مادون الجامعة والتى سبق وجودها ثم اغلقت مثل مدرسة الهندسة التطبيقية فهذه المعاهد والمدارس التى كانت تستوعب اعدادا من الناس وتؤهلهم التأهيل المطلوب فى المصانع اذ يلمون بالناحية النظرية والناحية العلمية حسب ماهو مرجو منهم بدرجة تسمح لهم بالاشراف على العمل فى المجالات التى يمكن ان يعفى منها المهندس ليتفرغ لما هو أهل له تبعا لدراسته وحصيلته من العلم . ولا يفوتنى فى هذا المجال ان اشير الى الازمة القائمة بخصوص خريجى المعاهد العليا الصناعية وكلية الهندسة وموضوع محاولة اعتراف نقابة المهن الهندسية بالفئة الاولى وفى هذا الصدد اعتقد :

● أنه معلوم أن لجميع الشهادات العليا نوع من التقييم والمعادلة ، ومن ثم فرفض نقابة المهندسين اعتبار خريجى المعاهد العليا الصناعية مهندسين ليس بسابقة ولا علاقة له اطلاقا بالكلام عن المجتمع الاشتراكى وتكافؤ الفرص أو فرض اى عقد نفسية على ابناء الشعب . والثابتبذلك حتى الان ان خريجى المعاهد العليا ليسوا فى مستوى كفاءة خريجى كلية الهندسة وانا ازعم بذلك . فنظرة واحدة الى كمية العلم التى تعطى بالكلية بالمقارنة بما يدرس بالمعهد تبين الفرق . والذهاب بالراى الى ان الاثنين متساويين بقصد ارضاء البعض أمر لا يسر ولا اريد ان أطيل فى هذا المجال حتى لا يظن بي التعصب والطائفية .

خامسا : نتيجة للادارة العقيمة بالكثير من المصانع تفقد مواهب بكر كثيرة ، وذلك لان الذى يسيطر اليوم على الأذهان هو التشغيل وليس صناعة أدوات التشغيل وهو ماذهب اليه الرئيس جمال عبد الناصر فى معرض حديثه عن الخطة الخمسية الثانية وعليه فالمصانع الان وادارتها تحمل وزر انحطاط العاملين بها على مختلف المستويات الجامعى منها ومادون ذلك . بل واود ان أقرر هنا حقيقة اخرى وهى انه كان جديرا بهذه المصانع ان تكون مدارس لعمال اكثر كفاية يتم اعدادهم بحيث تمتصهم المصانع التى سوف تنشأ بدلا من ان يقوم كل مصنع جديد بتدريب عماله ، والذين عملوا فى مصانع من قبل يدركون مدى صعوبة العمل مع عمال جدد قادمين من المدارس ويعرف الفترة التى يحتاجونها ليألفوا جو المصنع واعتقد ان أزمة المهندسين المفتعلة يكمن سرها فى المهندسين أنفسهم . وما تحتاجه اليوم مصانعنا انما هو طبقة الملاحظ (الاسطى) الجيد والعامل الجيد وهى خامات غير متوفرة بكثرة حتى الان .

أما الكلام عن تأهيل الناس لتصميم المصانع وغير ذلك من المهام أمر ممكن فى رأيى ، فمستوى المهندس المصرى ليس أقل من مستوى أى مهندس آخر وليس أدل على ذلك من مهندس العمارة والمهندسين المدنيين الذين تظهر كفاءاتهم العالية وذلك لانهم يطبقون مايعرفون ومايتعلمون وبذلك تتكون لديهم الخبرات العالية .

أما مهندسو الطوائف الاخرى فامكانياتتطبيق علمهم محدودة ومحصورة . كما أن الحال داخل المصانع لا يتيح اى مجال للتقدم العلمى وذلك لضيق الافاق وبعد المصانع عن موارد العلم . ولن يكون هناك تقدم فى المجال الهندسى مالم يكفل وصول النشرات الدورية من المصانع خارجالبلاد وداخلها ، كذا المجالات العلمية والكتب الى المصانع مع وجود من يحاول التقدم بالصناعة بمحاولات الانفاق على التجارب والابحاث » .

●

السينما العربية

اصدر **المركز الفنى للتعاون السينمائىالعربى،** العدد الخامس (ديسمبر) من نشرة « **السينما العربية** » التى يقوم بالاشراف على تحريرها : **عمر عبد اللطيف ، يوسف كامل ، فاروق سعيد .**

وتستهل النشرة صفحاتها بموضوع تحتعنوان « **ماذا بعد مؤتمر السينمائيين ؟** » تتناول فيه بالتعليق مادار من مناقشات فى مؤتمر السينمائيين الذى عقده الدكتور **ثروت عكاشه** نائب رئيس الوزراء ووزير الثقافة . وبعد أن يعرض المقال للمشاكل الحقيقية التى عانت منها السينما العربية خلال السنوات الاخيرة ، يركز على مشكلة « ضمان استمرار دورية رأس المال العامل فى السينما » ونعنى بذلك دورية تسويق الفيلم وعائد هذا التسويق مدفوعا به الى حلقة جديدة من الانتاج » . ويرى المقال المعبر عن راى المركز الفنى للتعاون السينمائى العربى ، ان هذهالقضية هى المشكلة الاساسية فى السينما . ثم يضيف المقال « .. ولكن يبقى فى الصورة شىء يجب ان يقال وهو أن اى تنظيم قادر يجب أن يحمل مسئوليته اناس قادرون » فاذا قررنا ان الدكتور

ثروت عكاشة قادر على حل مشكلة التمويل فكيف يمكن حل المشكلة الاخرى . وهى ايجاد الرجال القادرين على تحمل المسئولية فى المرحلة الجديدة ؟ ان ذلك هو السؤال الذى ستجيب عليه القرارات التى ينتظرها جميع السينمائيين » .

وبعد أن تفرد « السينما العربية » صفحتها الثالثة لاخبار « شهريات .. المركز الفنى للتعاون السينمائى العربى » ومظاهر نشاطه ، تنشر تحقيقا عن **مهرجان ليبزج الدولى** (١٢ — ٢٠ نوفمبر) الذى حققت الجمهورية العربية المتحدة فيه — كما تقول النشرة — « احد انتصاراتها فى مجال السينما » . ويوضح **سعد نديم** مخرج فيلم « طريق السلام » الذى فاز بجائزة تقديرية فى المهرجان « ان الافلام كانت تتمشى مع شعار المهرجان هذا العام وهو (أفلام العالم لسلام العالم) » . ويقول التحقيق ان أهم فيلم عرض فى المهرجان وحصل على جائزة لجنة التحكيم هو فيلم المانيا الشرقية « الرجل الضاحك » الذى يسخر من الاستعمار ويدمغ نشاطه فى افريقيا بوصمة عار . ويقول **احمد كامل مرسى** فى التحقيق « لقد كان المهرجان هذا العام بحق مهرجانا سياسيا .. اتضح فيه الدور الذى يمكن ان يلعبه الفن عامة والسينما خاصة فى مجال السياسة وتوجيه الجماهير » .

وتحت عنوان « **قضايا سينمائية** » — يتحدث كل من **صلاح أبو سيف** و**على الزرقانى** ، عن « **كيف نخلق جيلا من كتاب القصة السينمائية ؟** » فيقول صلاح أبو سيف انه « ليس لدينا فى الواقع كتاب سينمائيين » وان كان لدينا كثير من الكتاب يتضح من كتاباتهم أن لديهم الموهبة للكتابة للسينما . ثم يقول « ان كتابة القصة السينمائية تقتضى الالمام مسبقا بالدراما » . ويقترح ان نمنح الشبان الذين يتضح أن لديهم موهبة الكتابة للسينما « مايشبه منحة التفرغ يقضونها حيث الاماكن والظروف التى لابد أن نكتب عنها وان نعالجها سينمائيا » . ذلك لان « المرحلة الراهنة تتطلب ذلك . تتطلب الكتابة سينمائيا عن التجارب التى نعيشها ونتفاعل معها .. فى الريف ، فى المصنع ، فى الطريق .. فى كل مجال » . ويرى على الزرقانى « انه لكى يمكن ان تخلق كاتب القصة السينمائية ، يجب أن نتحرى فى الطالب لها أولا مانسميه بالخيال الذى هو شرط أساسى كاستعداد لخلق قصة جديدة أو حتى اعدادها من مصدر أدبى » . وذلك « بوضع الطالب تحت الاختبار بأن يخوض تجربة فنية او اكثر » . فاذا توافر لدينا فنانون لهم خيال خلاق « فلابد ان نوفر لهم بدورنا مايثير ذلك الخيال فنضع أمامهم مشكلات يلمسونها ويعايشونها » .

وعن أسبوع **الفيلم الالمانى** الذى أقيم أخيرا فى القاهرة ، تلخص النشرة الافلام السبعة — فى عرض سريع — وتتحدث عن صناعة السينما فى المانيا الشرقية وأهمية التعاون المشترك بينها وبين صناعة الافلام العربية .

وفى الصفحة التاسعة من النشرة ، تعريف بالمخرج الاسكتلندى **نورمان ماك لارن** (٥٢ سنة) الذى زار القاهرة فى نوفمبر الماضى . وقد بدأ لارن يمارس عمله فى السينما وهو طالب فى معهد الفنون الجميلة . وبدأ بالافلام المرسومة باليد على الفيلم ذاته مباشرة فلا يحتاج الى آلة تصوير أو استوديو ، واستطاع بعد ذلك أن يدرس طريقة عمل الصوت الصناعى بطريقة الرسم بالريشة على الفيلم بدلا من تسجيله بآلات الصوت ، وتنقل لارن بين لندن ثم امريكا ثم كندا وفى ١٩٤٨ سافر للصين لاعداد الفنيين والفنانين للرسوم المتحركة . وتوضح النشرة أن لارن سبق **والت ديزنى** فى مجال الرسوم المتحركة حيث قام بعملها منذ ١٩٣٤ . وقام كذلك بتحريك العرائس عام ١٩٤٥ فى فيلم «أتقل فمك» وبناء على دراسة تجاربه تقدم هذا الفن فى تشيكوسلوفاكيا . ويوضح المقال ان كثيرا من المدارس السينمائية (كشارلى شابلن) اعتمدت كثيرا على تجارب لارن فى مجال السينما المتحركة .

ومن مكتبة السينما ، يعرض **أسعد نديم** لكتاب « **الفيلم فى معركة الافكار** » من تأليف **جون هوارد لوسن** الامريكى الذى ناضل ضد « لجنة النشاط غير الامريكى » . وقد صدر الكتاب فى نوفمبر ١٩٥٣ . وهو يحلل فيه مأساة الهجوم الرجعى على هوليود ويفسر كيف أن القاعدة السائدة فى الانتاج السينمائى الامريكى هى دعم السياسة الامريكية فى الداخل والخارج ، على أساس المبدأ القائل بان « للثقافة طبيعة طبقية فى المجتمعات الطبقية » . فانتاج هوليود يخدم الاحتكارات لا كمصدر للربح الخيالى فحسب ، بل كأحد أسلحتها الايديولوجية للسيطرة على عقول الملايين . وكانت الخطوة الاولى لاعادة تنظيم السينما الامريكية — بعد الحرب الثانية — لتخدم متطلبات الاحتكارات ، هى هجوم الاحتكارات الامريكية على نقابات هوليود ومحاولة القضاء على معظم القوى التقدمية فيها . ويدلل لوسن بالامثلة كيف أن تاريخ السينما الامريكية تميز « بالدعاية للحروب وسيادة البيض وكبت شعوب المستعمرات » . كما أن موضوعات افلام الحرب تتجرد من أى مضمون اجتماعى ، بل وتزييف التاريخ . ويمضى لوسن فى تحليله للنمط الاجتماعى لافلام هوليود ، فيقول ان هوليود تعمد الى تحقير المرأة وتحصر شخصيتها فى أنها سلعة للفتنة الجنسية . ويضيف ان افلام هوليود تمجد عملاء المخابرات الامريكية وتضفى على أعمالهم صفات البطولة الوطنية وتشجع الوشاية وأعمال التجسس . وأخيرا ينبه لوسن الى أن « الفنان الذى يتجاهل الصراع الطبقى فى مجال الفن ، انما يترك الجبهة مفتوحة للعدو » .



تنهج الطليعة اعتبارا من هذا العدد نهجا لا نقول جديدا ولكنه تطبيق لاحد المبـــادىء الـــتى نص عليها ميثـــاق العمل الوطنى : مبـــدأ النقد والنقد الذاتى . وعلى هذا فسوف يصدر كل عدد فى عامنا الجديد مشتملا على نقد وتقييم للعدد السابق يكتبه عدد من كتاب الطليعة ومحرروها . ان هذا العمل هو فى الواقع استمرار للاجتماعات الدورية التى تعقدها هيئة تحرير الطليعة وتخصصها لنقد وتقييم كل عدد . واذا كانت الطليعة قد آثرت ان تنشر هذا النقد فانها بهذا لا تقفل الباب امام كتابات القراء ومناقشاتهم — بل على العكس من ذلك — لانه اذا كانت زاوية الرؤيا من « الخارج » تكشف عن عدد من النواحى الايجابية والسلبية فى الطليعة .. فان زاوية الرؤيا « من الداخل » سوف تكشف عن نقاط جديدة تساعد على توسيع نطاق النقد والنقد الذاتى ، وتوسع آفاق الحوار الجاد بين الاشتراكيين .

وقد عهدت هيئة التحرير بنقد عدد ديسمبر ١٩٦٦ الى بعض الزملاء الذين يكتبون فيها وهم : د . محمد عجلان وفؤاد الدهان وابو سيف يوسف .

وفيما يلى تقريرهم عن الطليعة .

الطليعة عدد ديسمبر ١٩٦٦

نحن نفهم ان النقد والنقد الذاتى عمـــل بنـــاء يبين ماهو ايجابى وصحيح ويؤكد عليه ، ويكشف ماهو سلبى وخـــاطىء ليحلل اسباب الخطـــأ والطريق الى تلافيه .

بهذا المعنى رأينا أن نقسم النقد الى قسمين : مجمل وتفصيلى : المجمل يتنـــاول الملاحظـــات السريعة على العدد — امـــا التفصيلى فيركز على مقالات ثلاثة رأينا ان لها أهمية خاصة .

فى النظرة الاجمالية الى العدد نستطيع ان نقرر أن الطليعة لا تزال تواصل معـــالجة الفـــكر الاشتراكى وتطبيقـــاته . ففى **المقـــال الافتتاحى** الذى كتبه رئيس التحرير ، وفى مقال « **تيـــارات الفكر المسيحى فى الواقع المصرى** » تؤكد الطليعة فى هذه المرحلة التى تجتازها بلادنا على الاهمية الحيوية للوضوح الفكرى — لوضوح الرؤيا امام المناضلين الثوريين ، ومن هنا احتفالها بقضـــايا الصراع الفكرى ، ومن هنا تبنيها لمنهج الحـــوار الفكرى الجاد .

ولقد اشتمل العـــدد ايضـــا على التقريرين الرئيسيين اللذين قدمـــا فى ندوة افريقيا ، وان القراء ولاشك يضعون ايديهم على أهمية هـــذين التقريرين . واذا كنا قد فضلنا الا نتعـــرض لهما — الان — بنقد فالسبب راجع الى ان مجمـــوع الابحاث التى القيت فى ندوة افريقيا سيضمها فى القريب كتاب مطبوع . وعندئذ يمكن ان يقيم العمل الفكرى فى ندوة افريقيا بكيفية متكاملة .

ولقد اشتمل العدد ايضا على بعض المقالات القيمة ، فمقـــال **(نظرية ابن خلدون عن الدولة)** من المســـاهمات الهامة فى التعرف على تراثنـــا العربى التقدمى . ونحن ندعو هيئة تحرير الطليعة الى ان تواصل الاهتمام بالكشف عن العناصر الحية والمتقدمة فى هذا التراث .

ونرى لزاما علينا ان نشير الى أن المستوى العام الذى بلغته مقالات ((**كتابات جديدة**)) — فى هذا العدد يستحق التنويه فعلا . فالكتابات فيها جهد ودراسة ، وتثير قضايا حالية مثل مشكلات تطوير التعليم والمجتمع ، ونحو حياة ثقافية وفنية جديدة . كما ان باب المناقشات المفتوحة يضم كتابات حية ومتنوعة . ولعل الطليعة ان تبادر فتوحد بين هذين البابين فى باب واحد .

أما ملاحظاتنا عن النواقص فتتلخص فيما يلى :

١ — **بالنسبة لوثائق الثورة العرابية** ، هذه الوثائق تتطلب بالضرورة ان تقوم الطليعة بعمل دراسة تحليلية لها ، لان مجرد نشر هذه الوثائق لا يحقق الفائدة المرجوة من التعريف بمادة تاريخنا القومى . وعلى سبيل المثال تتوالى امام المحكمة الانجليزية مواقف العرابيين ، وفيها المواقف الضعيفة وفيها المواقف القوية ، وهذا كله يحتاج الى دراسة وتحليل حتى نضع أيدينا بصدق على معالم الحركة الوطنية فى بلادنا ، وحتى لا تسوقنا القراءات العابرة للوثائق الى استنتاجات خاطئة اوسطحية .

٢ — **وبالنسبة لباب الكتب** ، نرى انه على الرغم من اهمية ((تلخيص الكتاب الاول)) الاعلام والتحول الاشتراكى ، فقد كنا نفضل ان يلخص كتاب آخر غير الكتاب الثانى ((مذكرات الامير عبد الله)) .

٣ — وفيما يتعلق بتقارير الشهر فان مجموعها يغطى بكيفية مرضية اهم احداث الشهر ولكن بعض التقارير ليس فى المستوى الذى عودتنا عليه الطليعة . فمثلا هناك التقرير الذى كتب تحت عنوان ((**الدلتا تعوم فوق بحيرة بترول**)) — فالعنوان اثارنى لانه حتى الان لم يثبت بالدليل العلمى ان الدلتا تعوم فوق بحر من البترول .

وليس من الجائز أن نغذى القراء بآمال ليس لها سند معقول من الواقع . اما التقرير الذى نشر تحت عنوان ((**هل حققت رحلة الاربعين الف كيلو شيئا**)) فأحرى به ان يدخل فى باب التعليقات ولا يمكن بمادته وطريقة كتابته ان يعد من تقارير الشهر .

حول الصراع الفكرى فى مجتمعنا

فاذا انتقلنا من النظرة العامة الى العدد الى النظرة الخاصة لبعض المقالات التى نشرت فيه فان ((**فؤاد الدهان**)) قد علق على مقال ((**لطفى الخولى**)) عن **الصراع الفكرى فى مجتمعنا** فقال :

تعرضت افتتاحية ((لطفى الخولى)) بعدد ديسمبر لقضية الصراع الفكرى فى مجتمعنا على ضوء المناقشات التى دارت فى بعض المجلات تعليقا على مجموعة مقالات عدد اكتوبر حول التيارات الفكرية فى الواقع المصرى . وان ما اسماه ((لطفى الخولى)) بمجرد ملاحظات تميزت من حيث الواقع بشمول يجعل منها بحثا متكاملا حلل فيه دور الصراع الفكرى على ضوء واقع مجتمعنا وحركته .

وقد تركزت دراسته حول النقاط الرئيسية الاتية :

● فى خلال مرحلة الانتقال الى الاشتراكية يجابه المناضل بثلاثة انواع رئيسية من الصراع احدهما عدائى يترتب على الصدام بين فكريات وقيم الرجعية وبين الفكريات والقيم الاشتراكية ، وهذا الصراع يتميز عن الصراعين غير العدائيين داخل اطار التحالف الثورى وداخل اطار التنظيم السياسى بقصد الوصول الى اسلم المواقف الفكرية واكثرها تفاعلا مع الواقع وللاستفادة من الاخطاء والتجارب .

● ان الصراع الفكرى هوطريق تحقيق الوحدة فى صفوف التحالف الثورى وتطهيره من القوى المعادية . فالوحدة من خلال الصراع او الصراع من اجل الوحدة ، وهذا الصراع هو من خلق الحياة ويولد طاقة الاندفاع الى الامام . ونوعية الوحدة المطلوبة ليست شيئا مجردا ولكنها وحدة تستبعد طبقات رجعية محددة وتقوم تحت قيادة ثورية اشتراكية فى مجتمع اختار الطريق الاشتراكى وبالتزام بالخطوط الاستراتيجية البعيدة المدى والقريبة المدى للميثاق .

● ان تقاليد وادبيات الصراع الفكرى (غير العدائى بطبيعة الحال) تستلزم الترفع عن استخدام الحيل والاسلحة غير المشروعة فى الحوار ، مثل التعالى والتحصن وراء درجات ، الاتهام بالالحاد وبالشيوعية وكلها لا تهدف الا الى تجميد الحوار وتمييعه وجرفه الى متاهات بعيدة عن الموضوعية .

ولا شك ان ملاحظات لطفى الخولى حول هذا الموضوع الحيوى جديرة كلها بأكبرقدر من الاهتمام والدراسة . فالصراع الفكرى ((ليس شيئا مجردا او لعبة رياضية يستعرض فيها كل طرف مهارته وقدراته)) ولكنه ((يتصل اتصال الوجود والعدم بالحياة وصراعات القوى الاجتماعية فيها)) .

ولعل من أهم المسائل التى تثير البحث الى اطالة التفكير فيها أنه اذا ميزنا بين الصراع الفكرى العدائى وغير العدائى فكيف نقبل ان تصبح وسيلة الصراع فى الحالتين دون تفرقة هو ((الحوار الحر المتكافىء الفرص)) ؟ لا شك ان الفارق كبير بين الصراع الذى يستهدف الكشف والفضح والادانة وبين الصراع الذى يرمى الى الكشف عن الاخطاء

واعادة النظر في المواقف على ضوء الواقع خدمة للاهداف المشتركة التى يلتزم بها جميع اطراف الحوار .

ان التفرقة بين الصراع الفكرى العدائي وغير العدائي مرتبطة بالتفرقة بين المصالح الطبقية العدائية والمصالح الطبقية غير العدائية . فالصراع ضد الطبقات الرجعية يستهدف تصفية مصالحها تماما ، في حين ان التناقض بين مصالح الطبقات الداخلة في التحالف الثورى تحل سلميا . وقد اوضح لطفى الخولى الارتباط العميق بين المصالح الاجتماعية والتيارات الفكرية ، لذلك فمن غير المفهوم كيف نعطي للتيارات الفكرية المعادية المعبرة عن المصالح الطبقية الرجعية حق الحوار الحر المتكافىء الفرص ، طالما ان هذه المصالح الرجعية نفسها لم يعد لها حق الدفاع الحر المتكافىء الفرص عن وجودها . واذا كانت الطليعة ستجند طاقاتها لرصد الاتجاهات الفكرية الرجعية التى تستخدمها القوى المعادية فمن غير المعقول ان تعطى هذه القوى المعادية فرصة للحوار المتكافىء

لا شك ان التحالف الثورى يتكون من قوى اجتماعية متعددة وكل منها ينظر الى القضايا من زاويتها الخاصة وفي حدود مواقفها الفكرية ، الا ان هذه المواقف الفكرية لا تنبع دائما من مصالحها الطبقية المحددة . فكثيرا ما تتضمن هذه المواقف رواسب من تكريات وقيم الرجعية . وقد اوضح لطفى الخولى ان « اكثر واخطر المواقع المضادة للثورة تكمن في النسيج الفكرى العام للمجتمع فى مرحلة الانتقال ، هذا المجتمع الذى انفردت القوى المعادية ومفكريها زمنا طويلا بتشكيل وصياغة نفوس وعقول ووجدان الناس بمختلف الطرق والوسائل من تعليم وكتب وفنون ودعاية واعلام ... الخ ... بحيث اصبحت الجماهير تعتاد على مناهج هذه القوى في التفكير رغم تناقض المصالح » . وهذا النسيج الفكرى العام للمجتمع الذى تختلط فيه خيوط القيم الوليدة مع رواسب الفكريات الرجعية يزيد من اهمية الصراع الفكرى غير العدائى ويوسع من نطاقه ، اذ قد تبرز فكريات ومواقف تعبر صراحة او ضمنا عن مصالح رجعية ، في داخل صفوف التحالف الثورى ، خاصة وان مراكز المصالح الرجعية لم تتم تصفيتها تماما في المجتمع .

وفيما يتعلق برد لطفى الخولى على الدكتور زكى نجيب محمود فقى اعتقادنا ان رئيس التحرير كان متحفظا في الرد عليه . وكنا نفضل ان يضيف الى ما قاله عن التقاليد التى ينبغى ان تراعى في الصراع الفكرى ، فقرة تمس الموضوع ولو مسا سريعا . وهذه الفقرة ـ فيما يتضح تتضمن الافكار التالية :

نحن لا نستبعد ان يوجد بين صفوف الشعب العامل مواطنون يؤمنون بالوضعية المنطقية طالما انهم يلتزمون في سلوكهم العملى بأهداف التحول الاشتراكى . نعم فليس بمستبعد أن يعتنق الانسان مذهبا فلسفيا معينا ثم يتخذ فى الحياة مواقف تناقض النتائج المنطقية التى يفرضها ـ بالضرورة ـ هذا المذهب . فالقضية اذن ليست هى التشكيك فى نية الدكتور زكى نجيب محمود واخلاصه نحو الاشتراكية ، لان حديث المقاصد والنيات ليس موضوع بحثنا . لكن القضية هى : هل تصلح الوضعية المنطقية كأساس فلسفى وكمنهج يدفع بقضية التحول الاشتراكى الى الامام ، ام ان تصورها للعالم الخارجى وللمجتمع ولحركة التاريخ وللسلوك الانسانى (نظريتها فى القيم) تتعارض مع مفهومات اساسية فى نظرية الاشتراكية ومع المنهج العلمى الذى يطبقه الاشتراكيون ؟

اننا ونحن ابعد ما يكون عن توزيع الاتهامات ضد هذا المفكر او ذاك لا نملك الا ان نقرر ان الدلالات السياسية الاجتماعية التى تكمن فى الوضعية المنطقية والتى تتخفى فى ازياء فلسفية و « علمية » مزعومة ، لا يمكن ان تخدم فى التطبيق وفى المدى الطويل قضايا التحول الاشتراكى . وهذا ما يدعونا الى ان نقول انها فلسفة رجعية ، وعلى هذا الاساس يجب ان يدور الصراع او الحوار الفكرى .

الانتخابات النقابية ودورها في دعم الإنتاج والديمقراطية

وكتب الدكتور محمد عجلان :

المقال حسن التوقيت فهو يصدر ونحن على أبواب عملية الانتخابات النقابية ليحاول ان يضع لتلك العملية بضع علامات على الطريق . وهو فى استطراده يعبر فى لمحة سريعة كيف يجب ان تتغير الفلسفة النقابية حين يتحول المجتمع من الرأسمالية الى الاشتراكية ، ويرى انه ليرسم خطا سليما لهذه المعركة النقابية يجب ان يبدأ بتعداد عيوب الاوضاع الحالية ويركزها فى اخطاء القيادات القديمة والقائمة ويحددها أساسا فى عدم المساهمة الجدية فى الانتاج ، وتطلعات القيادات بما يصمها فى النهاية بوصمة الارستقراطية العمالية ، وفى سلبيتها ، وفى قبولها الوصاية الادارية حتى تكاد ادارات وزارة العمل تبتلع عملها .

ويعرج المقال بعد ذلك الى مايمكن ان يمثل شبه برنامج أو نقاط نقاش يدخل المرشحون معركة الانتخابات على أساسها ويحددها هنا فى ان تكون الخطة والمساهمة فيها ونجاحها اساس الاختيار ، وفى ضرورة احتضان توصيات المؤتمرات السابقة وفى اشاعة الديمقراطية فى التنظيم النقابى بضرورة تمثيل كل المجالات فى اللجنة النقابية .

ثم يطرح المقال نقاطا أخرى جديدة هي واجبات على المرشحين وعلى الاتحاد العام العمل في اتجاهها ويعددها في التنظيم النقابي والدور الايجابي الذي يجب أن يأخذه في معركة الانتاج ، وواجباته ازاء تطوير المهنة ، وضرورة مراجعة التصنيف النقابي ، وأهمية ان توجد الحدود التي لا تسمح بأن يستولي المديرون على قيادة الحركة النقابية بأساليب مختلفة ، وضرورة ان تتحقق نسب التمثيل الملائمة واخيرا ضرورة ان يمثل الاتحاد العام كل النقابات لا عددا منها فحسب، والا ينفرد بالتصرف بل أن يأخذ دورا اقرب لكونه هيئة تنفيذية يساندها مجلس عام من عدد واسع من الاعضاء ».

والمقال بصورته هذه قد لمس عديدا من المشاكل ، واثار نقاطا كثيرة للمناقشة ، ويفتح الافق على عيوب بالقيادات القائمة وعلى اتجاهات يجب أن تتدعم حتى تترسب الديمقراطية الى أعماق أكثر في كيان الحركة النقابية .

ويصدق المقال حين يقول ان « عملية التكوين التاريخي التي تمت في عشرات السنين لا تنتهي بين يوم وليلة ، ولا تختفي باختفاء الطبقة صاحبة هذا الفكر ، فالافكار السائدة في مجتمعنا ليست وليدة الاشتراكية فحسب ، وانما أيضا وليدة التعبئة التاريخية الطويلة التي مارستها الراسمالية والاقطاع ، اذ لم يكن الارهاب وحده سلاحها في الحكم ، وانما كانت الثقافة ايضا قاعدتها لترسب قيمها ومقاييسها في المجتمع » . وتلك النظرة الفعلية هي مايمكن ان ننفذ منها الى اوجه القصور — ولا نقول النقص — في الموضوع . فالتحليل المعروض والاهداف المفروضة للحركة النقابية ، والمستوى الذي يرجو الكاتب ان ترتفع اليه المعركة الانتخابية مما لا يمكن ان يتوفر وحده ومن تلقاء نفسه أو بناء على النوايا الحسنة في ارضية تئن من « التعبئة التاريخية الطويلة التي مارستها الرأسمالية والاقطاع » . وارتفاع العمل الى هذا المستوى عملية سياسية في الجوهر والاساس . عملية يجب ان تتصدى لها اجهزة مسئولة لتحقق بالتوعية من جانب ، والمثل العملي من جانب آخر ، والممارسة الدؤوبة من ناحية ثالثة حتى تصبح الارض صالحة لان تبذر فيها بذور هذا الفكر المتقدم . وهذا مالا يحدده المقال ولا يرسم طريقه .. نعني الصلة العضوية التي يجب ان تتوفر بين العمل السياسي ومعركة الانتخابات النقابية حتى تأتي الاخيرة ثمارها .

وهي كذلك نفس « التعبئة التاريخية الطويلة التي مارسها الاقطاع والرأسمالية » التي اوجدت من الظروف داخل واقعنا مالم يسمح حتى الان بأن تحصل الطبقة العاملة على اطلاقها وفي جميع جيوب المجتمع على كل الحقوق التي حققتها الثورة لها. ان الواقع يقول ان هناك عملا نقابيا — بالصورة التقليدية — امام كل تنظيم نقابي يجب ان يمارسه، هو العمل المستمر على ان ينتشر ويصل الى جميع الثنايا والانحناءات شعار العدل الذي هو اساس كبير من أسس الاشتراكية . مازالت رواسب الادارة الرأسمالية قائمة ، ومازالت هناك مظاهر من الافتئات على الحقوق النقابية التي اقرتها الدولة . ولا يجوز ان نهمل هذا الجانب من العمل النقابي . وان يقتصر كما يصور المقال على الاهداف العامة من نجاح الخطة وتركيز القوى في اتجاهها دون ان يبذل من الجهد مايشيع العدل بين الجماهير العاملة والا فقد يبدو هذا خطأ لانه عندئذ ينعزل عن الواقع الذي مازلنا نعيشه .

تيارات الفكر المسيحي في الواقع المصري

وكتب ابو سيف يوسف :

هذه احدى الدراسات القيمة التي عنيت الطليعة بنشرها في اعدادها الاخيرة تحت عنوان « التيارات الفكرية في الواقع المصري المعاصر »

وان اهميتها الخاصة لاترجع — فحسب الى الجهد البناء الذي بذله الدكتور وليم سليمان في التفتيش والاطلاع على هذا العدد الضخم من المراجع ، وانما ترجع في الاساس الى منهجه المستنير في الكشف عن المنابع الاصيلة للفكر التقدمي الذي تبناه المسيحيون المصريون باعتبارهم جزءا لايتجزأ من شعب مصر الذي ناضل — على مر العصور — ودافع باستماتة من أجل تأكيد وحدته القومية » .

أما الدعامات الاساسية لهذه الدراسة فتمثلها النقاط التالية :

الاولى : اهمية فكرة « الكنيسة الوطنية » في مصر باعتبارها محصلة النضال الذي خاضه المصريون ضد الغزو الاجنبي الروماني .

الثانية : هي انه في غمار المقاومة العنيدة للحكم الروماني اعتمد رؤساء الكنيسة القبطية على مساندة وتأييد الناس البسطاء من شعب مصر ، ومن هنا — وعلى مر العصور — اغتنت الكنيسة القبطية بتراث شعبي وارسيت في داخلها نظما ديموقراطية حكمت — في كثير من الاوقات — علاقة جمهرة المسيحيين برؤساء الكنيسة .

الثالثة : هي ان استقلال الكنيسة القبطية عن كل نفوذ اجنبي كان احد العوامل الرئيسية التي دعمت الوحدة الداخلية للشعب بين المسلمين والمسيحيين .

الرابعة : هي ان الغزاة الاجانب والامبرياليون بوجه خاص — ركزوا جهودهم على الدوام ، اما من أجل القضاء على الكنيسة الوطنية (الارساليات الامريكية) واما من أجل غزوها والاستيلاء عليها

من الداخل (الارسـاليات الانجليزية) ». وعلى الرغم من ان الامبرياليين لم يحققوا أهدافهم الا انهم لم يلقوا السـلاح واستمروا يغيرون من خططهم واساليب دعايتهم طوال قرن كامل من الزمان .

الخامسة : ان الخطر الداهم الذى يتهـدد «الكنيسـة الوطنيـة» فى مصر تمثله فى المرحلة الراهنة المحاولات المحمومة التى يبذلها الاستعمار العالمى لتحويل الكنائس الوطنية الى قواعد امامية لفكرية الاستعمار الجديد : هذه الفكرية المعادية للاستقلال والتقدم الاجتماعى والاشتراكية .

انطلاقا من هذه النقاط الرئيسية قدم الدكتور وليم سليمان دراسة لها قيمتها الايجابية : وهى قيمة تثقيفية ونضالية فى آن واحد . لان هـذه الدراسة اذ تكشف عن العناصر الصحية فى تاريخ الشعب المصرى تقدم هذه المادة التـاريخية لتكون سلاحا فى المعركة ضد خطط المستعمرين الجدد ، هؤلاء الذين يركزون آمالهم على الاقليات العربية والقومية فى البلاد المستقلة حديثا بهدف تصديع وحدتها الوطنية .

بعد هذا نلاحظ على الدراسة مايلى :

١ ــ تضمنت الدراسة بعض الاحكام المطلقة ــ وان كانت هذه الاحكام قليلة جدا . وعـلى سبيل المثال جاء فى (ص) ٩٢ العبارة التالية :

« ولقد اتحدت العقيدة الدينية لدى الاقبـاط بالوطنية فكان شرط دخول واحد منهم تحت حماية دولة أجنبية أن يغير عقيدته وايمانه وحينئذ يكف عن أن يكون قبطيا . التنكر للوطنية كان يتضمن فى نفس الخطة التنكر للكنيسة فلا يعود يعتبر من ابنائها قط » ».

نعتقد ان هذا الحكم غير دقيق على اطلاقه ». لانه اذا اخذنا بمنهج تحليل الطبقات الاجتماعية وعلاقتها بالاستعمار من ناحية وبالشعب العامل من ناحية أخرى ، فلسوف نرى انه كان فى صفوف طبقتى كبار الملاك الاقطاعيين وشبه الاقطاعيين والرأسمالية الكبير اقسام من المسيحيين المصريين فضلت فى فترات محددة أن تستظل بظل الحماية الاجنبية . وللاسف فان مواقفها هذه لم يستتبعها طردهم من الكنيسة القبطية .

٢ ــ من المسلم به ان الغزاة الاجـانب والامبرياليين كانوا بوجه عام ، مصـدر كل النشاطات والاراء المخربة للوحدة الوطنيـة . واذا كانت المسئولية الاولى تقع على المستعمرين فان بعض الطبقات الاجتماعية فى بلادنا كانت تفرز من داخلها فكريات رجعية أيضا . وعلى سبيل المثال فنحن نعلم انه توجد فى صـفوف المسيحيين المصريين ــ خصوصا ــ من ابنـاء الطبقة الوسطى فكريات رجعية تعكس قدرا غير قليل من ضيق الافق حين تبشر بنظرية مزعومة عن وجود « أمة قبطية » متميزة لها خصائصها وعاداتها وتقاليدها التى تنحـدر مباشرة من اجدادنا الفراعنة » . مثل هذه الادعاءات التى لا تستند الى اساس علمى كنا نأمل ان يعرج عليها ــ ولو بسرعة ــ الدكتور وليم سـليمان خصوصا وان «الفكر المسيحى فى الواقع المصرى» فيه ــ بالضرورة ــ الفكر المتقدم ولكن فيه ايضا الافـكار المتخلفة والرجعيـة . التمسك بمنهج الاشتراكية العلمية سوف يساعدنا ــ هنا ــ على أن نواجه ــ بدون حساسية ــ كل الافكار الضارة ، وذلك بالكيفية التى تحفظ الوحدة الوطنية وتعززها (١) ».

٣ ــ اهتمت الدراسة بشكل رئيسى بتحليل موفق لدور الارساليات الامريكية فى نشر المذهب الانجيلى . لكن الدراسة لم تشر عن قريب أو بعيد الى نشاط الارساليات الكاثوليكية ولم تقيمه . وهذا نقص فى المقال ، فيما نظن . كما ان نشاط وحركة مؤسسات « الادفنتست » فى بلادنا كانت تتطلب اهتماما خاصا ويقظة مرهفة ».

٤ ــ والملاحظة الاخيرة تدخل فى باب التساؤل اكثر مما تدخل فى باب النقد وهى :

ان جهود الارساليات الامريكية التى باشرت نشاطها فى النصف الثانى من القرن التاسـع عشر قد نجحت فى كسب اقسام من الاقباط الى الكنيسة الانجليزية ،لكن هذا النجاح لايعنى اختلافا ان جمهرة الانجيليين غير وطنية . ولا نعتقد ان مقال الدكتور وليم سليمان يشير الى شىء من هذا من قريب أو بعيد . لكن يبقى ــ مع ذلك ــ سؤال: لقد لوحظ ان البروتستانتية نشأت مصـاحبة لازدهار الرأسمالية فى اوربا . فهل هناك فى مصر أساس اجتماعى ساعد على ان تتحول اقسام من الاقباط من المذهب الارثوذكسى الى المذهب الانجيلى؟ فى اعتقادنا ان الدراسة قد تؤدى الى اثبات ان هذا التحول ارتبط ايضا بتحول المجتمع المصرى من مجتمع اقطاعى وشبه اقطاعى ، الى مجتمع رأسمالى خاضع لسيطرة اشتراكية ولكن حين لا نقع فى خطأ التعميم ــ فان هذه الفكرة تحتاج الى دراسة وتمحيص ».

واخيرا فان تقييمنا لدراسة الدكتور وليم سليمان تتلخص فى دعوته الى ان يواصل العمل الذى بدأه .

---

(١) من المفيد التنويه بالمقال الذى نشره الاستاذ محمد فؤاد شبل فى العدد ٢١ من مجلة الكاتب العربى نقدا لكتاب زكى شنوده « تاريخ الاقباط فى مصر » ».

وثائق



وثائق تاريخية عن:

الثورة العرابية

٧

النصوص الكاملة لمحاضر التحقيقات مع أحمد فرج، وخضر خضر، ومحمد نسيم، وعبد الرحمن حسن، وعبد الرحمن رشدى، ومحمد خلوصى.

وأحمد ((بك)) فرج القائمقام، هو من ضباط آلاى على فهمى، الذين تخلفوا ــ حسبما اعترف هو فى التحقيق ــ عن نصرته وتخليصه، حين قبض عليه فى تكنات قصر النيل، أما خضر ((بك)) خضر القائمقام، فكان حكمدار احدى الاورطتين اللتين كان يتكون منهما آلاى السودان المعسكر

فى طره ، وهما اللذين وصلنا الى سراى عابدين فى سبتمبر عام ١٨٨١ عندما كان قد تم عزل عثمان رفقى وزير الحربية ، وكان العرابيون يطالبون بعزله . ومحمد ((بك)) نسيم هو قائمقام آلاى الطوبجية الذى توجه به عرابى الى عابدين ، ذكر فى التحقيق واقعة انسحابه منحصار قصرعابدين، هو واليوزباشى حسن رمزى . وعبد الرحمن ((بك)) حسن القائمقام ، وجه اليه الاتهام بالاشتراك فى حلف يمين الاخلاص مع العرابيين فى قشلاق عابدين ، ولكنه نفى ذلك على أساس وجوده بالمنيا فى أعمال تشهيل العساكر . وكان عبد الرحمن ((بك)) رشدى ، احد وزراء وزارة راغب باشا التى كان عرابى يشغل نظارة الجهادية بها وقد قدم اجابات مضادة للعرابيين وضد احمد عرابى خاصة ، اثناء التحقيق معه . أما محمد ((بك)) خلوصى فقد كان يعمل اميرالاى ا جى سوارى ، وكان احد الالايات التىتوجهت لعابدين فى٩ سبتمبر عام ١٨٨١ ، وان لم يكن هو ـ حسب اقواله ـ على رأس الالاى .

محضر أستجواب أحمد بك فرج (ألقائمقام) فى ١٧ ألقعدة سنة ١٢٩٩

(بنـاء على ما تقرر بمحضر جلسةقومسيون التحقيق بتاريخ يوم السبت ١٧ القعدة سنة ٩٩ و ٣٠ سبتمبر سنة ١٨٨٢ ،صار احضار احمد بك فرج القائمقام من سجن الضبطية ، وعملت معه المكالمة المبينةأدناه بشأن واقعة ٤ فبراير سنة ١٨٨١) .

س : ما اسمك وما هى رتبتك ، وما الذى تعلمه فى واقعة ٤ فبراير سنة ١٨٨١ التىتوجه فيها برنجى الاى الى قصر النيل ، وهجم بقوة واخرج من كانوا مسجونين به ،وهم **على باشا الديب ، وعرابى ، وعبد العال باشا** الذين كانوا أميرالايات فى ذلك الوقت ؟ .

ج : ان رتبتى الان قائمقام،واسمى **احمد فرج** ، وفى واقعة قصر النيل كنت قاعدا قبلها بيوم فى قشلاق عابدين مع الميرالاى الذى هو **على باشا فهمى ، وعلى افندى عفيفى ومحمد افندى عبيد البكباشى** ، ووقتها قال لنا الميرالاى بأنه مظنون سجنه ، وانه اذا حصل ذلك وامكننا تخليصه من السجن فنجرى ما ذكر ، وفى ثانى يوم الذى هو يوم الواقعة ، سمعت البورى يضرب نوبة (طابور) فطلعت والضباط ، ونحن بالجملة ، وفى الاثناء **خورشيد بك** القائمقام ضرب بالبورى نوبة (يرينه) بمعنى رجوع كل أحد الى محله فلم يصغ أحد اليه .

س : القائمقام المذكور سجن فى ذاك اليوم ، فمن الذى سجنه؟

ج : الذى سجنه هو **محمد افندى عبيد** وضباط وعساكر لا أتذكرهم ، حتى ان **راشد باشا حسنى** حضر واراد منع سير العساكر فعملوا عليه (قلعة) وما سمعوا كلامه وتوجهت الاورطتان بضباطهما أما أنا فلم أتوجه معهم .

س : هل لم يتوجه احد من اورطتك قط ؟ .

ج : ان اورطتى كانت تشتغل فى بناء القشلاق والذى توجهفيها هو بلوكان احدهما ٧ جى ويوزباشى **حسن افندى حلمى** وثانيهما ٨ جى ويوزباشى غالبا انه **رضوان شكرى** لانى غير متذكر الان .

س : ما الذى تم بعد ذلك ؟ .

ج : بعد برهة رجعت العساكر ومعهم الضباط ، **وعلى باشا فهمى** حضر أولهم ثم **عرابى وعبد العال** ودخلوا القشلاق، وبعد أنحضروا، أتى القشلاق سعادة **خيرى باشا ومحمود سامى باشا** وتكلموا مع الميرالايات فى محل مخصوص ثم انصرفوا ، وقرب العصر سمعنا عن صدور أوامر الحضرة الخديويةبعزل **عثمان باشا رفقى ، ويوسف باشا شهدى** ، ورجوع الميرالايات الى آلاياتهم .

س : قد حضر يومها الاى السودان من طرة ، فما كيفية حضوره ؟ .

ج : نعم حضر الاى السودان من طرة حقيقة ، وكان مركبا من أورطتين برفقة **خضر بك**خضر البكباشى وقتهاويات بالقشلاق ولا اعلم كيفية حضوره ولا سببه .

س : ما الذى تعلمه غير ذلك ؟.

ج : لا أعلم شيئاغير ماأوضحته.

(بعد اخذ اجوبة المذكور المسطرة بمينه واعلاه قد صار اعادته الى السجن فى ١٧ القعدة سنة ١٢٩٩) .

اعضاء	اعضاء
محمد مختار	مصطفى خلوصى
سليمان يسرى	مصطفى راغب
محمد حمدى	سعد الدين
محمد زكى	يوسف شهدى
على غالب	

رئيس القومسيون
اسماعيل ايوب

محضر استجواب خضر بك خضر (القائمقام)

(بناء على ما تقرر بمحضر جلسة قومسيون التحقيق يوم السبت ١٨ القعدة سنة ٩٩ و ٣٠ سبتمبر سنة ٨٢ صار احضار خضر بك خضر القائمقام من سجن الضبطية ، وعملت معه المكالمة المبينة ادناه بشأن واقعة ٤ فبراير سنة ٨١) .

س : ما اسمك وما رتبتك ؟ .

ج : اسمى **خضر خضر** ورتبتى قائمقام .

س : ما الذى تعلمه فى واقعة ٤ فبراير سنة ٨١ وتوجه برنجى الاى الى قصر النيل وهجومه بقوة واخراج من كانوا مسجونين فيه وهم **على باشا الديب ، واحمد عرابى ، وعبد العال باشا** الذين كانوا ميرالايات فى ذلك الوقت ؟ .

ج : فى يوم سجن الثلاثة ميرالايات فى قصر النيل ، وردت الينا بوصلة بمركز الاى السودان (بطرة) من طرف الميرالاى وقتها عن قيامى بالالاى المركب من اورطتين احداهما كانت حكمداريتى ، وثانيتهما كانت حكمدارية **عبد الله افندى الكردى** يفيد حضوره الى عابدين ، وتوضح لنا فى تلك البوصلة ان نتحفظ على الاشخاص الموجودين عندنا لوقايتهم من ضرر السودانيين ، وقد قمت بالاورطتين وحضرت الى مصر ، وتركت يوزباشى يسمى **احمد افندى يوسف** مع البلوك ادارته لاجل المحافظة على الاشخاص المحكى عنهم ، وهم **خورشيد باشا طاهر** ، والمرحوم **خورشيد بك نعمان** ، **وفرج بك القائمقام** ، **وعبد الله بك الكردى** ، البكباشى واشخاص غيرهم كانوا مقيمين جميعهم بأوضه هناك .

س : كان توجه ياور من المعية بقصد عدم حضوركم ، الم تنظره ؟ .

ج : كان حضر بعد خورشيد باشا طاهر ضابطان اكباغرية ودخل معهم الى الاوضة .

س : ماذا صار عند توجهكم الى مصر ؟ .

ج : لما وصلنا الى مصر وقت الغروب ومررنا أمام سراى عابدين فناديت على الالاى وعملت (حاضر دور) وناديت وجميع الالاى (افندمزجوق يشا) ثلاث مرات وبعدها تقابلت مع الميرالاى وسألته عن سبب طلبه ، فأخبرنى ان المسألة انتهت وعثمان باشا ناظر الجهادية صار عزله .

س : اين البوصلة التى ذكرت عنها ؟ .

ج : فقدت منى .

س : من الذى أحضر البوصلة اليك ؟ .

ج : لست متذكرا الان من احضرها الى .

س : ما الذى تعلمه غير ما أوضحته ؟ .

ج : لا اعلم شيئا غير ما ذكرته ، ومع ذلك فاننا تحت أوامر الرؤوس الذين هم فوقنا ومكلفين باطاعة أوامرهم .

(بعد اخذ اجوبته المذكورة الموضحة بعاليه قد صار اعادته الى السجن فى ١٧ القعدة سنة ١٢٩٩) .

(بناء على ما تقرر بجلسة يوم ٢٨ ذا سنة ١٢٩٩ طلب خضر بك خضر وسئل فاجاب كالموضح ادناه) .

س : كيف تسجن اللواء والميرالاى وياور الحضرة الخديوية (بطرة) قبل حضورك لعابدين فى واقعة قصر النيل فى يوم ٤ فبراير سنة ٨١ ، مع علمك انهم متوجهون اليك بأمر الحضرة الخديوية ؟ .

ج : ما كنت اعلم انهم حاضرون من طرف الحضرة الخديوية ولا سجنتهم ، وانما تحفظت عليهم حسب امر **عبد العال** الميرالاى .

س : اذا حضر الميرالاى وقال انه لم يأمرك ، فتكون انت الذى سجنتهم من نفسك ؟ .

ج : انا كنت غير عالم بشىء لانى كنت فى (طرة) والميرالاى هو هو الذى امرنى

(طلب عبد العال لمواجهته مع خضر خضر فحضر وسأله سعادة الرئيس كالاتى) .

س : (الى عبد العال) لما سجنتم فى قصر النيل واخرجكم أ جى الاى ، ثم حضر الالاى حكمداريتك مع خضر خضر هل بامرك ؟ .

(جرت المحاورة الاتية ادناه)

(عبد العال الى خضر خضر) انا أمرتك ؟ . (خضر خضر) انا كنت فى طرة ومن اين كنت اعلم .

س : (من سعادة الرئيس الى عبد العال) هل انت الذى أمرته ايضا بسجن اللواء والميرالاى والياور المحضر به من طرف الحضرة الخديوية ؟

ج : انا كنت مسجونا ولم آمره بشىء . وكيف كان يمكننى أن آمره حال وجودى بالسجن .

س : (من سعادة الرئيس الى خضر خضر) ها هو عبد العال انكر كونه أمرك بشىء فماذا تقول ؟ .

ج : الذى اقوله انى كنت بطرة ولا أعلم شيئا .

س : بعد ضرب الطوابى على الاسكندرية وانتهائه فى يومها وعدم امتثال العرابى لاوامر الحضرة الخديوية ، صدر أمر عال بعزله ، فكيف تتبع عرابى وتمتثل لاوامره وتبقى مع العصاة ؟ .

ج : لااعلم بامر الحضرة الخديوية ولا سمعت به حيث انى كنت فى دمياط .

س : لما حلفوا الضباط فى قشلاق عابدين بحضور الشيخ محمد **عبده ومحمود سامى** ، هل كنت معهم ؟ .

ج : لا . ماكنت معهم لانى توجهت الى دمياط مع الالاى .

س : بقيت فى دمياط الى آخر مدة العصيان ؟ .

ج : كنت توجهت الى التل الكبير وخرجت فى الواقعة الاخيرة .

(أعيد بعد ذلك الى السجن)

اعضاء	اعضاء
محمد مختار	مصطفى خلوصى
سليمان يسرى	مصطفى راغب
محمد حمدى	سعد الدين
محمد زكى	يوسف شهدى
على غالب	

رئيس القومسيون
اسماعيل ايوب

محضر استجواب محمد بك نسيم (قائمقام الطوبجية سابقا)

(بناء على ما تقرر بجلسة يوم الاحد ١٨ القعدة سنة ٩٩ ، أول اكتوبر سنة ٨٢ ، حضر محمد بك نسيم قائمقام الطوبجية البرية سابقا ، ووجه اليه سعادة الرئيس الاسئلة الاتية فاجاب بما هو موضح ادناه) .

س : كيف تمكن عرابى من أخذ الاى الطوبجية وتوجه به الى عابدين معكونه ميرالاى وانت كنت قائمقام ؟ .

ج : فى ذلك الوقت كنت معينا بقومسيون مجلس عسكرية ، فورد لى خبر من طرف **اسماعيل بك الميرالاى** ، بالتوجه الى عابدين ، فتوجهت ووجدته هناك مع عساكر الطوبجية الايه ومعهم ثلاث بطاريات مدافع ، فسألته عن الكيفية ، فاخبرنى ان فى اثناء اقامته فى العباسية حضر لطرفه **محمد الزمر** (بكباشى بياده) واخبره باخراج الالاى فتوقفت ، وقال بعدم امكانه ذلك الا بأمر ، فحضر ضابط يسمى **السيد افندى منير** ملازم طوبجية وقال له أن الجبهخانات والمدافع حاضرة وتوجهه وعدمه على حد سواء ، وكان السيد منير المذكور وباقى الضباط قبلها قد اخرجوا الجبهخانة من الباليجون ووزعوها على المدافع .

س : اين يوجد الان السيد افندى منير المذكور ؟ .

ج : موجود بمصر ولا أعلم محله .

س : ماذا جرى بعد ذلك ؟ .

ج : بعد ذلك قال اسماعيل بك ان هذه الاجراءات لا تصح بما اننا تحت قانون . فاجتمع يوزباشية الالاى مع السيد افندى منير المذكور وقالوا لمحمد افندى الزمر خذوا اسماعيل بك الى قشلاق البيادة . ولما توجه هناك وجد جمعية حافلة ومن ضمنها عرابى ، فقال له يا اسماعيل بك لازم حالا تتوجه بالطوبجية الى عابدين ، فاجابه انه لايصح انما ان كان ولابد فيلتقى بالعسكر دون المدافع والسلاح فلم يقبل ذلك . والزمه الزمر بحبس اسماعيل بك بالقشلاق وبعد ذلك كان موجود **رضا باشا** فترجاه اسماعيل بك بخلاصه من هذه المسالة اذ انه لم يحضر للالاى الا منذ يومين ، ولا يعلم حالة الضباط والعساكر فتركه رضا باشا واجابه انه مستجير به ايضا ، ثم فى أثناء خروج العساكر البيادة خرج اسماعيل بك من القشلاق وتوجه للالاى فوجد البيادة بالاسطبلات تحضر الخيول وبورجية البيادة يضربون (شدة) اى (نوبة للتحضير) واخذوا العساكر بمدافعها وتوجهوا لعابدين ، وكان هو معهم فى مرورهم ، ووضع اورطة بيادة خلف المدافع .

ولماكانت العساكر فى عابدين اخرجوا الكلل واظهروها علينا ومن ضمنهم شخص يسمى **امين افندى** اخذ الترانات فى يده واظهرها للاهالى ، ولما نظر ذلك **حسن افندى رمزى** يوزباشى بالمدرسة العلياء ونهاه فما قبل منه ، ولما اخبرنى بما ذكر قلت له انه ما دام ذلك مضادا للحكومة فلماذا أقف هناك فنزل عن حصانه وترك المدافع والعساكر ، وتوجهنا لحلاتنا .

(بعد أن جاوب اذن له بالانصراف فى ١٩ القعدة سنة ٩٩) .

اعضاء	اعضاء
محمد مختار	مصطفى خلوصى
سليمان يسرى	مصطفى راغب
محمد حمدى	سعد الدين
محمد زكى	يوسف شهدى
على غالب	

رئيس القومسيون
اسماعيل ايوب

محضر أستجواب سعادة عبد الرحمن بك حسن القائمقام (فى ٢٨ذا سنة ١٢٩٩)

(بناء على ما تقرر بجلسة أمس ، كان تحرر للضبطية بالتنبيه على عبد الرحمن بك حسن القائمقام بحضوره يوم تاريخه للقومسيون ، فحضر واجاب بما يأتى) .

س : علم للقومسيون وجودك فى ليلة حلف اليمين الذى حصل فى قشلاق عابدين مع الضباط، فأفد عن ذلك ؟ .

ج : انا كنت فى المنيا فى تشهيل العساكر وما حضرت الا فى ٢٩ شعبان سنة ٩٩ وما حضرت المحالفة ولا حلفت .

س : المحالفة حصلت فى قشلاق عابدين فى أى وقت حتى تصادف وقتها وجودك فى المنيا؟

ج : لم أعلم تاريخ حصولها .

س : تعينت فى المنيا بمأمورية فى أى تاريخ ؟ .

ج : تقريبا فى أول رجب سنة ١٢٩٩ .

س : فى مدة وجودك فى المنيا الم تحضر للمحروسة ؟ .

ج : حضرت مرة واحدة .

س : هل لم تحلف فى محل آخر ؟

ج : ما حلفت قط .

س : اذا شهد عليك اناس انك حلفت فما قولك ؟ .

ج : اذا شهدوا وثبت غيابى عن مصر فى التاريخ الذى يقولون عنه حين ذاك ، يكونون غير صادقين .

(اذن له بالانصراف فانصرف فى ٢٨ ذا سنة ١٢٩٩) .

اعضاء	اعضاء
محمد مختار	مصطفى خلوصى
سليمان يسرى	مصطفى راغب
محمد حمدى	سعد الدين
محمد زكى	يوسف شهدى
على غالب	

رئيس قومسيون التحقيق
اسماعيل غالب

محضر أستجواب سعادة عبد الرحمن بك رشدى (فى يوم الاحد ٨ سنة ١٣٠٠)

(بناء على ما تقرر بجلسة قبل تاريخه ، طلب عبد الرحمن بك رشدى للقومسيون ، فحضر فى هذا اليوم ووجه اليه سعادة الرئيس الاسئلة المحررة ادناه فاجاب عنها كما يأتى) .

س : حيث ان سعادتكم كنتم ضمن الوزارة التى تشكلت تحت رئاسة راغب باشا ، وكان فيها احمد عرابى بصفة ناظر جهادية وكنتم فى اسكندرية فى وقت حصول الحوادث الاخيرة، وعلم من التحقيق انكم مررتم من المنشية فى يوم ١٢ يوليو، ولابد ان يكون لكم علم بما وقع فى يوم ١٢ المذكور ،فبينوا للقومسيون ما رأيتموه فى وقت مروركم من المنشية ؟ .

ج : فى يوم الاحد ١٢ يوليو نحو الساعة ٢ بعد الظهر بعثنا الخديوى مع **تجران بك** وكيل الخارجية ، **وطلبة باشا** قومندان الثغر الى الترسانة لاجل المكالمة مع الضابط المعين من طرف الاميرال **سيمور** بخصوص ما كان طالبه الاميرال من نزول بعض العساكر فى جهة المكس والدخيلة وباب العرب ،فركبنا من الرمل أنا وتجران بك فى عربة ، وطلبه باشا فى عربة اخرى ، ولما وصلنا لشارع شريف باشا وجدناه مزدحما بعساكر لابسين كساوى بيضاء ، وقليل من الاهالى والبرابرة وغيرهم ، وكانوا العساكر المذكورين اخذين فى كسر ابواب الدكاكين بواسطة الاحجار وقطع الحديد ويدخلون اليها وينهبون ما فيها ، ورأينا هؤلاء العساكر والاهالى يأخذون ما ينهبون ويتوجهون لجهة باب شرقى، ثم لما وصلنا الى ما يبعد من المنشية بمسافة اربعين مترا ، اندهشنا وخشينا على أنفسنا ، سيما وأن العربة التى كنت فيها مع تجران متقدمه وعربة طلبة باشا متأخرة بمسافة أربعين مترا ،فأوقفنا العربة لانتظار الباشا المذكور والسير معه ، وزيادة على ذلك نزلت من العربة التى كنت فيها وركبت مع طلبة باشا ، وقال تجران بك انه لا يمكنه البقاء بعربته بمفرده فاما يعطى اليه ضابطا لمرافقته والمحافظة على حياته من هؤلاء العساكر الاخذين فى النهب ، واما يركب معنا ولما لم يتيسر وجود ضابط لارفاقه به ، دعيناه للركوب معنا ، وفى الواقع ركب معنا أمامنا فقلت لطلبة باشا أبهذه الصفة تبرز عساكركم الشجاعة وهل تليق هذه الافعال المخلة بشرف العسكرية فلم يجاوبنى بشىء ما . انما رفع اكتافه ويديه اشارة الى (أنا مالى) ولما

وصلنا الى المنشية ، وجـدنا عسـاكر الالايات مصطفين بغير انتظام على الترتوار من الابتداء للانتهاء ، ولما قربنـا لنصف المنشية كان حكمدار الالاى هناك ، فسـألت عن اسمه من طلبة باشا ، فقال انه يسمى **سليمان بك داوود**.

س : لما سألتم طلبة باشا عن اسم الحكمدار فاجابكم انه يسمى سليمان بك داوود، الم ينبه عليه بشيء مثل الكف عما كان يفعله او غير ذلك ام لا ؟

ج : لم يامره هو ولا غيره بشيء ، واستمرينا مستعجلين بالنظر الى الميعاد الذى صـدر من الضـابط المعين من طـرف الاميرال ، اعنى بعد انقضاء الساعة ٣ لا ينظر فاستغربت أنا وتجران بك حصول هـذا الهيجان والكسر والنهب على مـرأى من ضـبـاط الالاى وحكمداره وعـدم منعه ، واستغربنا ايضـا ازدحـام العساكر المذكورين الواردين من جهة البحر وراس التين بغير انتظام ولم يوقفوا حركة السير الا لاشتراكهم فى كسر الدكاكين ونهبها،وعند وصولنا الى ديوان المحافظة والشارع بهذه الحالة من الازدحام ،برز منها ضابط لم ادر ان كان من مستخدمى المحافظة اوغيرها، وقال لطلبة باشا ان العساكر عـازمون على نهب خزينـة المحافظة ، فما كان من طلبة باشا سوى تكرار رفع اكتافه ويديه ولم يجـاوب بشيء ، فاستمرينـا فى طريقنـا حتى وصلنا الى الترسانة، ووجدنا هناك **محمد كامل** وكيل البحرية وبعض ضباط البحرية لااعرف أسماءهم فى حالة اندهاش ، والعساكر البحـرية خارجين من المراكب ومارين من جهة البلد ، وعند دخولنا من باب الترسانة رأينا نحو ثلاثين او أربعين شخصا بملابس رثة وبعضهم مكشـوف الـراس يركضـون ويزعقون بهيئـة تقشعر منها الابدان فقلت انا وتجران لابد أن يكونوا هؤلاء الاشخـاص من مسجـونى الليمان ، فـكيف انطلقوا ؟.

وقلت لوكيل البحـرية حتى مجرمى الليمان اطلقوهم على البلد . أما كفى الجارى فيها من العساكر . قال ماذا نعمل فى هـؤلاء المجـرمين كسروا اغلالهم وعبروا البحر وطلعوا الى البر ، وها أنتم تـرون البحـرية هـاربين بسبب ما سـمعوا من أن الانـكليز سيعيدون الضرب على البلد وسيبيدونه بالترسـانة ، وبالسـؤال عن الضـابط الإنكليزى المندوب من طرف الاميرال للمكالمـة الذى كان تركه طلبة باشا عند حضوره للرمـل للاستحصـال على الاوامر ، قيل لنـا انه نزل للرفاص لقلقه لتمضية نحـو العشر دقـائق بعـد الميعاد الذى تحدد فقصدنا النزول فى وابور للخروج والتوجه للجهة التى فيـها الدونانمة خـارج المنشـية ، واظن ان الرفاص الذى كان معه يختص بطلبة باشـا واغلب انفـاره فروا واستقر راينا على عدم الذهاب للمراكب الانكليزية ، فعـدنا ثانية ، ومررنا من المنشـية كالاول فراينا الكسر والنهب زادا اضعافا ، بحيث عز رؤية دكان لم يكن حاصلا فيها كسر او نهب ورأينا الذين ينهبون يركضون فى الطـريق افواجا افواجا هـذا ما شاهدناه . وكان معى تجران بك فقط فى العودة . وأما طلبة باشـا فحضر خلفنا فى عربة اخرى ولما توجهنا للاعتاب السنية ، عرضنا للحضرة الخديوية ما رأيناه .

س : بلغ القومسيون انه فى يوم من الأيام كنتم بطرف الجناب الخديوى باسـكندرية وكان **احمد عرابى** هناك ايضـا ، ووقع الحديث على مسـألة خروج العساكر الانكليزية من المراكب ، ولـما استشاركم جنابه الرفيع فى هذا الشـأن واستشار احمد عرابى فـسأل المذكور بعض اقوال ، فما هى هذه الاقوال وهل كان حاضرا احدا غيركم ام لا ؟.

ج : ان ما تسألوننا سعادتكم عنه حصل فى يوم ١٢ يوليو وكان مثولنـا بين يدى الحضرة الخـديوية لتـلقى اوامر للاستشارة منا . وذلك انه لما حضر طلبة باشا من الاسكندرية عقب رفع العلم الابيض لابطال الضرب الذى كانت قد شرعت فيه المراكب الانكليزية واخيرا احمد عرابى ورئيس النظار الاميرال وما حصل فى أثنـاء والجناب الخديوى بتطلبـات مقابلة المندوب المعين للمكالمة، كان درويش باشا منـدوب الدولة العلية جالسا على يمين الحضرة الخديوية ، وعرابى كان على يساره وكلفنى سموه بالتوجه بصحبـة تجران بك واخبار مندوب الاميرال المذكور بان نزول العساكر من الطوابى كما يرغب لا يمكن واذا نزلوا فتلزم الحكومة بالممانعة ،هذا ما صـدر به نطق الخديوى الشريف، فاضاف احمد عرابى قائلا ، قل لهم ايضا انهم اذا ضايقونا ولا يمكننا دفعهم ، نلتزم باتخاذ اجراءات خارجة عن الأصول ، فالتفت اليـه سمو الخديوى وقال له : هل ترى ان مندوبى يتفوه بكلام مثل هذا ، فقال احمد عرابى نعم لا يصح . فان مثل ذلك يفعل ولا يقال .

س : علم القومسيون ان احمـد عرابى قال مرارا عديدة انه يحرق اسكندرية ويجعلها كوم تراب ولا يسلمها للانـكليز وحيث ان سعادتـكم كنتم تحضرون فى المجـالس التى يكون فيها تسبب منكم فى ذلك الوقت ، فهل سمعتم منـه شيئا من هذا القبيل ؟ .

ج : سمعت منه مرارا عـديدة اقوالا من هذا القبيل فى اثناء المكالمة التى كانت جارية مع الامـيرال بخصـوص تنزيل

المدافع من الطوابى ، فانه كان يسكثر من الانذار والوعيد وتخريب الاسكندرية وحرقها قبل تسليمها ، بل وباقى القطر ايضا ، حتى اذا تملكوا الانكليز البلد فيما بعد لا يجدون الا صحراء خاوية وخالية .

س : هل تتذكرون امورا واقوالا أخرى حصلت فى ذلك الوقت ويمكنكم ابدائها للقومسيون لاجل معرفة افعال احمد عرابى ومن معه ؟ .

ج : انه فى يوم من الايام حضر احمد عرابى وكان النظار مجتمعين قبل ميعاد انعقاد المجلس ، فقال اخبركم بأمر مهم وهو الاجراءات الواقعة من **الياس بك** مدير بنى سويف وتوقيفه عن اعطاء عساكر النمرة المطلوبة . واحتقاره للمندوب المعين من طرف نظارة الجهادية ، فلذلك اتلو عليكم المكاتبة الواردة منه بابداء اعذار لا صحة لها ، وانه يرغب لذلك ان يصير محاكمة البك المذكور ، فسعادة **احمد باشا راشد** ناظر الداخلية قال انه لا يفهم من هذه المكاتبة توقفا ، بل يظهر انه سبق اعطاء الانفار المطلوبة منه على حسب طاقة المديرية وابدى محذورات لا تقبل أو ترفض ، وهذا امر منوط بالمجلس الذى تصدر منه الاوامر القطعية فى هذا الشأن ولا وجه للمرافعة أو للمحاكمة فانه منتظر الاوامر التى تصدر اليه ، فقال احمد عرابى ان احتقاره للمندوب العسكرى وارتكانه على أوامر سبق صدورها بتوقيف اعطاء عساكر النمرة ، استدل منهما اصراره على عدم انجاز مطاليب الجهادية . وصفتى والمسئولية التى اتخذتها على نفسى ، يجبراننى على عدم اغضاء النظر عن مثل هذه الحركات من مأمورى الحكومة ، واقول انه لا يجوز ان احد المأمورين المذكورين يأخذ ماهية من الحكومة المصرية ويكون مساعدا للعدو الانكليزى ، فان كان يؤمل ان يكون الانكليز هم المحامين عن عرضه وماله وروحه وانما يوجد امثاله فى القطر افكارهم غير صافية للوطن ، فما علينا الا ضرب اعناقهم بعد انقذاف اول كلة من المراكب الانكليزية . فجاوبه **محمود باشا الفلكى** قائلا ، انه اذا حصل اطلاق كلل من المراكب الانكليزية ، هل يكون مشتغلا بالمدافعة أم بضرب أعناق من يقول عنهم ، فقال ان ضرب اعناق المذكورين لا يشغله عن المدافعة فان عددهم لا يتجاوز اربعين او خمسين ، وهم الذين توجهوا لاوربا ثم عادوا الان ، هذا واتذكر أيضا انه فى يوم ١١ يوليو سنة ٨٢ بينما كنت فى طابية الديماس التى كان فيها **أحمد عرابى ، وشريعى باشا ، ومرعشلى باشا ، واحمد باشا رشيد ، وراغب باشا ،** اذ حضر عساكر كثيرون بالتوالى الواحد بعد الاخر وأخبروا احمد عرابى انه يوجد اناس فى بعض المنازل يعملون اشارات للمراكب الانكليزية ، فنبه عليهم بمنعهم من ذلك خلافا لما كانوا ينظرون منه ، فانه يظهر من هيئتهم وحالتهم ، انهم كانوا منتظرين التصريح لهم بالفتك بهؤلاء الناس وذبحهم ، واخيرا حضر عسكرى من البوليس متعبا وقال لاحمد عرابى انى فى هذه الساعة قتلت اوروباويا ، فسأله عن سبب ذلك ، فأجابه انى شاهدت فى بيت هنا عمل اشارات من السطح فتوجهت للبيت المذكور وقرعت على بابه ، ولما لم يفتح لى تحصلت من خادم جنينة على فأس وأردت كسر الباب بواسطتها ، ولكن فتح الباب ونظرت خلفه الاوروباوى المحكى عنه فسألته ما صنعتك فأجابنى انه تلغرافجى فضربته بالفأس فى رأسه فسقط على الارض وكررت الضرب حتى تهشم رأسه ومات ، فجاوب احمد عرابى هذا العسكرى انه ما كان يلزم قتل هذا الاوروباوى بل كان يجب فقط ضبطه ومع ذلك صرفه قائلا له لا تفعل مثل هذا الامر مرة أخرى .

س : هل رأيت حرق اسكندرية أو سمعت شيئا بشأنه ؟ .

ج : فى يوم ١٢ يوليو فى وقت الغروب اخبرنى راغب باشا ان العسكر اخذوا بأمر احمد عرابى الخزنة التى فيها نقود مصلحة البوستة المصرية وحيث ان فيها مبلغ سبعة عشر الف جنيه ، فتوجه واخذها وارسلها الى نظارة المالية ، وبناء على ذلك ركبت عربتى وتوجهت ، ولما وصلت بالقرب من باب شرقى ، اوقفنى الخفير عند القنطرة وسألنى عما ارغبه ، فقلت له انى اريد مقابلة احمد عرابى ، وفى الحال حضر ضابط وكرر الاستفهام منى عما اريد ، ولما علم أنى اريد مقابلة احمد عرابى ، قال لى ان احمد عرابى توجه لحجر النواتية ولا يلزم دخولك الى البلد ، فانها امست خالية ولم يكن فيها احد واشتعلت فيها النيران حتى اقتربت من محطة السكة الحديدية .

س : الم تسأل الضابط عن أسباب الحرق ومن أجراه ؟ .

ج : لم أسأله ، فانى كنت متحققا ما سمعته من احمد عرابى ومن طلبة باشا من قبل ، ومما شاهدته من احوالهما ومما نظرته من النهب عند مرورى من المنشية فى وقت العصر أن الحرق فى وقت الغروب لم يكن الا نتيجة لافعالهم .

س : نعلم اذن ان الآمر بالحرق على حساب ماترونه هو احمد عرابى وطلبة باشا ؟ .

ج : اقول ان الآمر بالحرق ، هو الذى اذن بالنهب ولم يمنعه .

(اذن له بالانصراف)

اعضاء	اعضاء
محمد مختار	مصطفى خلوصى
سليمان يسرى	مصطفى راغب
محمد حمدى	سعد الدين
محمد زكى	يوسف شهدى
على غالب	

رئيس القومسيون
اسماعيل ايوب

محضر استجواب محمد بك خلوصى أمير الاى أجى سوارى سابقا

(حسب ما تقرر بجلسة يوم الاحد ١٨ذا سنــة ٩٩ ، الموافق أول أكتوبر سنــة ٨٢ ، طلب محمد بك خلوصى ووجه اليــه سعادة الرئيس الاسئلة المبينة ادناه ،فأجاب عنها بما يأتى) :

س : حيث انك كنت ميرالاى أجى سوارى والالاى المذكور توجه لعـــابدين فى واقعــة يوم ٩ سبتمبر سنة ٨١ ، فافــدنا عن كيفية ذلك ؟ ».

ج : ان تلك الواقعة كانت فى يوم جمعـــة والالاى كان مقيمـــا بالجزيرة العــــامرة ولم اكن موجودا مـــع الالاى فى ذلك اليـــوم ، اذ أننى حضرت فى الامس لمنزلى واقمت ثانى يوم لحضور صلاة الجمعة ،وبلغنى بعد الصلاة عن حصول هياج عسكرى فى عابدين ، فبادرت بالتوجه الى الجهة المقيم فيها الالاى ، فعلمت بالقـــرب من الكوبرى ان الالاى الســوارى قيادتى توجه ايضـــا لعابدين برفقة القائمقام فانصرفت ».

س : حيث انك علمت بوجـــــود الالاى قيـــادتك فى عــابدين ، فلماذا لم تتوجه اليه ؟ ».

ج : علمت ان هذه الحركة مخالفة للقـــــوانين ، ولم يخـــبرنى القائمقام بعزمهم على القيام من قبل فالتزمت بالانصراف ».

س : هل عدت بعــد ذلك الى الالاى ».

ج : نعم عدت الى الالاى فى ثانى يوم وعلمت ان القائمقام هو الذى أخذ العساكر وتوجـــه بهم لعابدين ، انما قبل قيامه نبه على القرة قولات بضبطى اذا حضرت ، وبلغنى ايضا ان سعادة **رضـــا باشـــا** حضر للالاى قبل توجهه لعـــابدين ببرهة مستعدا للقيام ».

س : ماذا تعلمــه من احــــوال القائمقام واجراءاته فى اثنـــاء وجوده معك ؟ ».

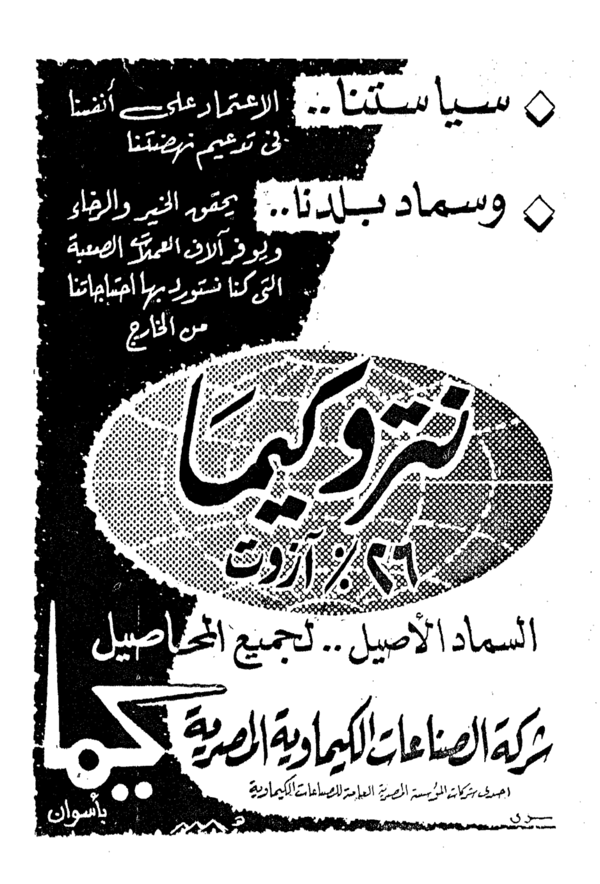
ج : كان مهيجـــا للالاى ، وكان يوجد دائما فى جميعات الضباط وكـــان متفقـــا معهم وبحثت مرارا عن اجراءاتهم فى هذه الجمعيات ولم يخبرنى بها احد بل كانوا يجتهدون فى اخفائها عنى ولتلك الاسباب صرفته من الالاى ، وتعين بدلا عنــه **محمد بك شاكر** من مستودعى الجهادية ،ولكن لما عزل **عثمان باشا رفقى** وتعـــين **محمود باشا سامى** ناظرا للجهادية أعيد لوظيفته وزاد فى التهييج

(بعد أخذ اجوبته المسطرة اعلاه امر بالانصراف فى ١٩ ذا سنة ٩٩)

اعضاء	اعضاء
محمـــد مختـــار	مصطفى خلوصى
ســليمان يسرى	مصــطفى راغب
محمــد حمـــدى	ســـــعد الدين
محمــــد زكى	يوســف شــهدى
على غالب	

رئيس القومسيون
اسماعيل ايوب

تواصـــل « الطليعـــة » نشـــر محــــاضر جلســـات محـــاكمة رجال الثــــورة العرابيـــــة فى العــــــدد القــــادم


سياستنا..
الاعتماد على أنفسنا
في تدعيم نهضتنا
وسماد بلدنا..
يحقق الخير والرخاء
ويوفر آلاف العملات الصعبة
التي كنا نستورد بها احتياجاتنا
من الخارج
نتروكيما
٢٦٪ آزوت
السماد الأصيل.. لجميع المحاصيل
كيما
بأسوان
شركة الصناعات الكيماوية المصرية
احدى شركات المؤسسة المصرية العامة للصناعات الكيماوية



الدراسات الرئيسية والوثائق خلال ١٩٦٥ — ١٩٦٦

دراسات ١٩٦٥

يناير : قضية الارض والفلاح فى مصر .
فبراير : الديمقراطية والتنظيم السياسى .
مارس : الصراعات التى تحرك عالم ١٩٦٥ وسياسة القاهرة الخارجية .
ابريل : الوجه الابيض .. والوجه الاسود للبيروقراطية فى مصر
مايو : الطبقة العاملة .. التاريخ الحركة النقابية .. الحركة السياسية .. البناء الاشتراكى .
يونيو : التخطيط..النظرية والتطبيق .
يوليو : ثورة يوليو والطريق المصرى الى الاشتراكية .
اغسطس: القطاع العام .
سبتمبر : التعاون.. النظرية..والتطبيق
أكتوبر : القانون والتحول الاشتراكى
نوفمبر : المدرسة والانسان والاشتراكية
ديسمبر : الكادر السياسى ..

دراسات ١٩٦٦

يناير : حسابات ١٩٦٥ .. وآفاق ١٩٦٦
فبراير : الشباب .
مارس : التوعية .
أبريل : نظرة اشتراكية لعالم الطفل

مايو : الصراع العربى الاسرائيلى.
يونيو : ٤ سنوات للميثاق فى التطبيق
يوليو : ثورة يوليو .. وابعادها العربية والافريقية والدولية
اغسطس: قضايا التنمية والتخطيط فى مصر .
سبتمبر : شهادات وتقارير واقعية عن الريف المصرى .
اكتوبر : التيارات الفكرية فى الواقع المصرى .
نوفمبر : أفريقية — ثورة التحرر الوطنى والاشتراكية .
ديسمبر : الحركة السياسية والاجتماعية للثورة الافريقية

●

وثائق ١٩٦٥

يناير : وثائق تاريخية عن الارض والفلاح من اعلان مينو عام ١٨٠٠ الى قانون الغاء التعويضات عام ١٩٦٤
فبراير : وثائق تاريخية عن الاحزاب والتنظيمات السياسية فى مصر — المجموعة الاولى من الحزب الوطنى (١٨٧٩) حتى الحزب الاشتراكى المصرى (١٩٢١)
مارس : المجموعة الثانية من وثائق الاحزاب والتنظيمات السياسية فى مصر .

من حزب الاحرار الدستوريين عام ١٩٢٢ حتى حزب مصر الفتاة عام ١٩٣٧ .
ابريل : المجموعة الثالثة من وثائق الاحزاب والتنظيمات السياسية فى مصر .
مايو ويونيو : وثائق تاريخية عن العمل والعمال فى مصر .
يوليو : يوميات ووثائق الثورة فى ١٣ عاما .
اغسطس وسبتمبر واكتوبر : وثائق عن تاريخ القطاع العام .
نوفمبر وديسمبر : وثائق تاريخية عن التعليم فى مصر من ١٨٨٠ حتى عام ١٩٦٤ .

وثائق ١٩٦٦

يناير : المجموعة الثالثة من وثائق التعليم فى مصر من قانون تنظيم التعليم الثانوى ١٩٥٢ الى الدستور المؤقت للجمهورية العربية المتحدة (١٩٦٤) .
فبراير ومارس وابريل : النصوص الكاملة لمحاضر التحقيقات مع احمد عرابى (من الجلسة الاولى الى الجلسة السابعة) .
من مايو الى ديسمبر : النصوص الكاملة لمحاضر التحقيقات مع رجال الثورة العرابية .

الثمن ١٠ قروش

مطابع مؤسسة الاهرام

الطليعة

طريق المناضلين إلى الفكر الثوري المعاصر

٢

فبراير ١٩٦٧
السنة الثالثة



ملف خاص عن سارتر وسيمون دي بوفوار

شهادات وتقارير واقعية عن السوق السوداء

ندوة الجزائر.. و"قضية الاشتراكية في الوطن العربي"



طريق المناضلين الى
الفكر الثورى المعاصر

مجلة شهرية
تصدر أول كل شهر

رئيس التحرير :
لطفى الخولى

مستشارو التحرير :
د. ابراهيم سعد الدين
أمين عز الدين
د. جمال العطيفى
د. رشدى سعيد
د. عبد الرازق حسن
د. لطيفة الزيات
د. محمد الخفيف

سكرتارية التحرير :
ميشيل كامل
عبد المنعم القصاص

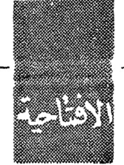
الفهرس

العدد الثانى ـ السنة الثالثة ـ فبراير ١٩٦٧

عنوان المراسلات .
« الطليعة »
مبنى مؤسسة الاهرام ١٤ شارع مظلوم
القاهرة تليفون : ٤٦٤٦٤ ـ ٤٤١٤٤
الاشتراكات :
لسنة بالبريد العادى : ج٠ع٠م ودول اتحـاد البـريد العربى ودول الدار البيضاء ١٢٠ قرشا .

ان « الطليعة » ميدان مفتوح لكل رأى حر ، وفى اعتقادها أن تفاعل الآراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع أن يبلور ويستخلص وحدة فكرية أصيلة .

من هذا المفهوم تفتح « الطليعة » صفحاتها لكل رأى لديه كلمة يقولها ـ مؤمنة بشعار الحـرية المجيد الذى أطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر « قد أختلف معـك فى الرأى ولـكنى على استعداد لان أدفع حيـاتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رأيك » .



ندوة الجزائر .. و"قضية الاشتراكية فى الوطن العربى"

دعوة الرئيس هوارى بومدين الى لقاء مفتوح بين الاشتراكيين العرب على اختلاف اتجاهاتهم ، على ارض المليون شهيد فى الربيع القادم (ابريل ــ مايو ١٩٦٧) تجاوبا عميقا وواسع المدى فى الوطن العربى ، مشرقه ومغربه على السواء .

ولقد نبعت فكرة الدعوة الى هذا اللقاء ، الذى يعتبر الاول من نوعه ، لدى الرئيس الجزائرى ــ على حد تعبيره فى حواره مع اسرة تحرير الطليعة (عدد يناير ١٩٦٧) ــ ((**من خلال تتبعى وقراءاتى لكل ما يكتبه الاخوان الثوريون فى البلاد العربية ومنها الجزائر حول قضايا البناء الاشتراكى سواء من الناحية النظرية أو من الناحية العملية ، ولاحظت مدى الاختلاف والتباين بينها .. فكرت .. ان لدينا تجارب اشتراكية عربية هى واقعنا . لماذا لا نبدأ بدراسة وتحليل هذا الواقع وتجاربه وما فيه من ايجابيات وسلبيات ونربط أفكارنا بالواقع العملى . ان هذا سوف يحل كثيرا من المشكلات النظرية والعملية التى تبدو فى مناقشاتنا وتزيد من خبراتنا المشتركة . لذلك قررت أن أدعو الى ندوة مفتوحة لجميع الثوريين الاشتراكيين فى العالم العربى فى الجزائر ، يأتون اليها بصفاتهم الشخصية دون ما التزام سوى الالتزام العام بالاشتراكية . وذلك حتى تكون مناقشاتهم صريحة وحرة دون قيود ...**))

ونستطيع ان نستخلص من هذا الحديث عن اللقاء ، اربعة خطوط رئيسية :

أولها : ان « بومدين » يدعو الى هذا اللقاء لا بصفته الحكومية او الحزبية وانما كمناضل عربى اشتراكى . وبالتالى فليس للقاء اية صبغة رسمية أو طابع تنظيمى .

ثانيها : ان هذا اللقاء يستهدف عرض وتحليل ومناقشة أوجه الاتفاق وأوجه التباين النظرى والعملى ، بين الاشتراكيين العرب وتجارب التطبيق العربى للاشتراكية الجارية بايجابياتها وسلبياتها . وذلك بغرض الوصول الى تحديد طبيعة وأبعاد الارضية المشتركة من ناحية ، والاسهام فى وضع حلول لكثير من المشكلات من ناحية اخرى ، الامر الذى يغنى حصيلة الخبرة المشتركة للجميع . وهذا الهدف يستلزم بالضرورة دعوة جميع الاتجاهات الاشتراكية فى الوطن العربى دون استثناء ، لانه بدون هذا مثلا لا نتبين أوجه التباين والخلاف وزوايا الرؤية المتعددة للمشاكل المطروحة.

ثالثها : ان الدعوة لهذا اللقاء تقتصر على الاشتراكيين من المناضلين فحسب . اى أولئك الذين يؤمنون بالاشتراكية طريقا لابديل له للحياة والتطور فى جميع انحاء الوطن العربى وذلك على اختلاف أوضاعه ومراحل النضال هنا وهناك .

رابعها : ان هؤلاء الاشتراكيين يشاركون فى هذا اللقاء بصفاتهم الشخصية اى بصفة كونهم مناضلين عرب واشتراكيين فحسب لا كممثلين أو مندوبين عن الاحزاب والتنظيمات التى قد يكونون منتمين اليها . وبالتالى فان الدعوة تتسع أيضا لتشمل الاشتراكيين المستقلين من المفكرين والكتاب وغيرهم . والغرض من ذلك هو الرغبة فى اتاحة أرحب الفرص للنقاش الموضوعى الحر دون قيود مسبقة .

والواقع ان هذه الخطوط التى يقدمها حديث بومدين تتيح لنا محاولة رسم طبيعة وابعاد هذا اللقاء . فهو والحال هذه أقرب مايكون الى « **ندوة فكرية سياسية عن قضية بناء الاشتراكية ومشاكلها فى الوطن العربى** » يدور خلالها الحوار ، بصراحة وحرية متحررة من المواقف والخطوط التكتيكية لكل حزب أو تنظيم ، بين جميع القوى الاشتراكية المعاصرة فى الوطن العربى على اختلاف منابعها الاجتماعية والايدلوجية .

والسؤال الرئيسى الذى يطرح نفسه أمامنا اليوم : هل مثل هذه الندوة بوضعها واهدافها المقترحة ممكنة أولا ، وضرورية ثانيا . . أم لا ؟ . ويمسك بذيل هذا السؤال سؤال اخر ـ اذا كانت الاجابة بالامكان والضرورة ـ وهو كيف يمكن أن تتحقق موضوعيا أو بتعبير اخر ما هى الضمانات اللازمة لنجاحها وبلوغ الاهداف المقترحة لها ؟

ونحن نعتقد بامكانية قيام مثل هذه الندوة موضوعيا . وذلك لانها تنبثق فى مناخ فكرى وسياسى ملائم تماما . ونعنى به ذلك المناخ الصحى الذى شاع فى وطننا العربى واصبح شعاره الرئيسى « **وحدة كل القوى العربية الثورية** » فى هذه المرحلة الهامة من تاريخ الثورة العربية . بحيث لم يعد هناك « اشتراكى عربى » مهما كانت اتجاهاته وارتباطاته الحزبية الا ويقف موقفا ايجابيا من هذا الشعار ويعمل على تجسيده كحقيقة واقعة وملموسة فى جميع ميادين النضال . وهذه الندوة هى وجه من وجوه الترجمة العملية لهذا الشعار العظيم الذى يسود الموقف الراهن .

والندوة أيضا ممكنة ، لان « الاشتراكية » لم تعد مجرد افكار حالمة يدعو اليها نفر من الطليعيين تطاردهم هروات وسجون ورصاص السلطة المعادية ، وانما أصبح لها أرض وجماهير ، تتزايد مساحتها ووزنها واشعاعتها المادية والمعنوية يوما بعد يوم . وتتجسد فى تطبيقات متنوعة ، قادرة وصامدة منذ عام ١٩٦١ ، فى الوطن العربى . وبالتالى فالندوة لن تكون دردشة حالمين فى الهواء ، وانما ستكون مواجهة مسئولة لواقع حى ، لانها تقف على أرضية مكتسبة بالفعل وتناقش تجارب معاشه وفى حالة نمو وصعود مستمرين .

والندوة ـ اخيرا ـ ممكنة لانها تنعقد على جزء من هذه الارض الاشتراكية المكتسبة فى

الوطن العربى ،ولان الداعي والمشاركين فيها يجمعهم رباط المصير المشترك وهو انتصار الاشتراكية على طول وعرض وعمق الوطن العربى ككل شامل . وبالتالي يتوفر لهـا ماديا ومعنويا جميع العناصر التى تمكنها من أن تنبض بالحياة .

واذا كانت الندوة ((ممكنة)) فهل هي ((ضرورة)) ؟

الجواب هنا ايضا بالايجاب .. لماذا ؟

من الملاحظ أن الثورة العربية منذ الخمسينيات قد شرعت تتخذ مسارا جديدا ، وتأكد ذلك بوضوح فى الستينيات . ونعنى بهذا المسار الجديد ،التزواج العضوى الذى وقع بين اهداف التحـرر الوطنى واهداف الثورة الاجتماعية ذات الافاق الاشتراكية ، مع النزوع الى وحدة عربية شـاملة ذات مضمون تقدمى وكيان ديمقراطى شـعبى . وهو مسـار حددت طريقه ، تفجر الثورات الوطنية التقدمية الجديدة فى مصر والجزائر وسوريا والعراق ، وسط عالم جديد أصبح التحول فيه نحو الاشتراكية يمثل ظاهرة عامة من ناحية ، وصار تحول الاسـتعمار القديم الى استعمار جديد يشـكل ظاهرة عامة أخرى من ناحية ثانية .

وهكذا لم يعد الموقف العربى اليوم ، الذى يواجه الثـورة العربيـة المعاصرة ذات الطابع المزدوج ، ببسـاطة موقف الامس حينمـا كانت الثـورة تقليدية تقتصر على تحقيق التحرر الوطنى من ناحية ، وسجينة الحدود الاقليمية لكل بلد عربى تقريبا من ناحية اخرى . ومن هنا اصبح يستلزم الامر وضع استراتيجية وتكتيك جديدين .

ان القوى الاجتماعية للثورة اليوم تختلف اختلافا جوهريا عن القوى الاجتماعية للثورة التقليدية ذات البعد الوطنى الواحد بالامس. فمثلا لم يعد ممكنا اعتبار الطبقة الرأسمالية بجميع فئاتها ككل ، احدى القوى الاجتماعية للثورة الجديدة ذات الابعاد الثـلاثة ، كمـا كانت فى الماضى . بل اصبح الواقع يكشف عن عداء هذه الطبقة ــ وخاصـة فئاتها الكبيرة ــ للثورة حتى بمفهوم البعد الواحد التقليـدى ، وذلك لان الاحـداث التاريخية قد اكدت انه لم يعد ممكنا للشعوب المستعمرات أن تملك مصيرها بحرية حقيقية فى العالم المعاصر ما لم تصـوغ مجتمعاتها الجديدة صياغة اشتراكية .

ولكن هذا الموقف الجديد للثـورة ذات الابعاد الثلاثة قد كشف ايضا عن ظاهرة جديدة ، وهى أن الاشـتراكية قد غـدت ــ بصفة عامة ــ موضع جذب شديد لفئات متوسطة وصغيرة من الطبقـة البرجوازية بالاضـافة الى الطبقة العامة . ومن هنـا اصبحت مثل هذه الفئات جزءا موضوعيا من قوى الثورة فى التحول نحو الاشتراكية ، ومن الخطورة بالتالى اهماله أو عزله والا كسبته القوى الرجعيـة المعادية للثـورة وأصبح رصيدا لها .

بيد انه من ناحية اخرى ونتيجة دخول هذه الفئات بأعداد كبيرة فى حقل الاشتراكية وثورتها ، يحدث بالضرورة ، نوع من الخلط والارتباك والتسطح فى الافكار والاتجاهات الاشتراكية . وينبثق بالتالى داخل الاطار العام للثورة تيار يميل ــ بحكم مصالحه ــ الى تجميد التطور عند حد معين لا يتعداه وهو ما يعرف ــ علميا ــ باتجاه الاشتراكية اليمينيـة ، وهنـا يواجهـه كرد فعـل مضـاد نابع من بعض القوى بتيـار آخر يميل الى السرعة فى اتخاذ اجراءات التحول فرضـا على الواقع بالقوة دون أن تـكون الظروف الموضوعية ناضجة ومهياة ، حتى يصل الامر الى حد المغامرة وهو ما يعرف باتجاه الاشتراكية اليسارية المغامرة .

والحق انه لا توجد تجربة اشتراكية فى الوطن العربى اليوم تخلو من هذين التيارين

الغربيين عن الاشتراكية وقوانينها العلمية. ويصبح من الضرورى اذن مواجهة هذه « الحالة المرضية » فكريا وواقعيا من خلال لقاء مفتوح بين جميع القوى الاشتراكية لمحاولة تشخيص الحالة وتمييز كل من تيارات الاشتراكية اليمينية والمغامرة وعزلها عن تيار التطبيق الواقعى والخلاق للاشتراكية العلمية فى مجتمعاتنا العربية .

والندوة أيضا ضرورة ، من زاوية ان القوى الاشتراكية فى الوطن العربى اليوم ـ كظاهرة موضوعية ـ ذات منابع اجتماعية وايدلوجية مختلفة . وكل قوة منها تكاد تتقوقع داخل ذواتها ولا تنفتح على غيرها الا فى النادر . ومن هنا افتقدت كل منها معرفة الاخريات ووجهات نظرها واتجاهاتها بدقة علمية لعدم قيام جسور اللقاء والتفاعل الدائمة والحية بينها، وهكذا لا يبين بوضوح كاف أمام كل قوة من القوى الاشتراكية المختلفة المنابع حقيقة أبعاد « الارضية المشتركة » لها جميعا مما يمكنها من وضع خطط موحدة وواقعية للعمل وتلاشى الصراعات والمنازعات المفتعلة من ناحية ، وبذل الجهد الجماعى لتوسيع حجم وعمق « الارضية المشتركة » على الدوام من ناحية أخرى .

وندوة الجزائر بتنظيمها للحوار المفتوح بين جميع القوى الاشتراكية فى الوطن العربى على اختلاف منابعها الاجتماعية والايدلوجية ، سوف تتيح الفرصة لكل قوى أن تتعرف عن قرب بالقوى الاخرى . وتتكشف لكل منها فى الاخريات جوانب لم تكن واضحة لها ، الامر الذى من شأنه أن يزيل كثيرا من العقد والحساسيات التى تكونت لدى كل منها نتيجة الرؤية من بعد ، والحكم بالسماع ، والمعرفة بطريق غير مباشر ، وبذلك يمكن بناء صلات وجسور التوحد ـ من خلال معالجة المشاكل الواقعية واحتمالات التطور ـ حول الاهداف المشتركة وأساليب الوصول اليها بالطاقة الجماعية .

ويساعد على ذلك كثيرا ان هذه الندوة ، التى تجمع لاول مرة كل القوى الاشتراكية فى الوطن العربى على صعيد واحد ومستوى واحد ، سوف تكون متحررة فى مناقشاتها من اى التزام سوى الالتزام العام بقضية انتصار الاشتراكية عربيا . ومن هنا ينبع اختلافها عن اللقاءات الهامة والضرورية التى تمت وما تزال على مستوى القيادات المسئولة فى البلدان العربية الثورية من جانب .. وكذلك عن اللقاءات الثنائية التى تقع ـ وما تزال ـ بين الاحزاب والتنظيمات الثورية فى البلاد العربية مثل اللقاء بين الاتحاد الاشتراكى العربى وحزب جبهة التحرير من جانب ، وبين حزب جبهة التحرير الجزائرية وحزب البعث الحاكم فى سوريا اليوم من جانب آخر . بل لعل هذه الندوة سوف تمهد البيئة للقاء الجماعى الكبير بين جميع الاحزاب والتنظيمات الثورية فى وطننا العربى تجسيدا للقاعدة الاساسية لشعار وحدة القوى الثورية .

والندوة كذلك ضرورية ، لانها تأتى بعد قيام تطبيقات اشتراكية بالفعل فى أكثر من مجتمع اقليمى فى الوطن العربى . وكل تطبيق يمثل تجربة معينة قطعت شوطا خاصا فى التحول الاشتراكى ولها رصيدها من الايجابيات والسلبيات والخبرات والمشاكل . ومن المفيد بدرجة قصوى اليوم أن يلقى الاشتراكيون العرب ضوء جماعى ونظرة موضوعية على هذه التجارب بهدف تقييمها وبلورة الخبرات المكتسبة وتبادلها وتحديد ما هو عام منها وما هو خاص بكل وضع اقليمى . وذلك اغناء لحصيلة الخبرة والمعرفة المشتركة . وبذلك نتلافى تكرار الوقوع فى أخطاء كشفت عنها التجارب ، ونربط بين النظم والتجارب الثورية فى اطار حركى موحد ، بحيث لا تظل كل منها وكأنها جزيرة منعزلة قائمة بذاتها .

والواقع ان هناك ضباب كثير يلف قضية « العام » و « الخاص » والعلاقة بينهما فى الثورة العربية التقدمية المعاصرة . فمن جانب نرى تركيزا مبالغا فيه الى درجة خطيرة على « الخاص » بالنسبة لواقع كل بلد عربى على حدة ، وفى نفس الوقت نجد تركيزا مماثلا مبالغا فيه وغير علمى أيضا على « العام » بالنسبة للبلاد العربية ككل ، حتى

لتبدو المسألة من جانب كأن الخاص مقابل للعام ، او العام مضـاد للخاص من جانب آخر بصفة مطلقة . وهذا فى تقديرنا وضع خاطىء ومدمر للمسألة . فاذا كنا نتحدث عن وطن عربى واحـد ومجتمع اشـتراكى عربى شامل فلا مفر ـ علميا وواقعيا ـ من أن يحكم التطور والحركة فى هـذا المجـال قانون عام يتصـل بالاهداف الاستراتيجية المشتركة . وهذا لا ينفى ـ ولا يمكن ان ينفى ـ وجود قوانين خاصة للحركة الثورية داخل كل بلد عربى وفقا لدرجة نموه وتطوره وعلاقات القوى الاجتماعيـة والسياسـية فيه . والمهم باستمرار هو رؤية « الخاص » فى ضوء « العام » وممارسة العام فى تفاعل خصب وخلاق مع « الخاص » .

وندوة الجزائر ، على الوضع المقترح لهافى دعوة بومدين ، تستطيع ـ برحابة صدر ومنهج علمى ونظرة موضوعية ـ أن تتصدى لهذه المسألة الحيوية فى حركة ومصير الثورة العربية التقدمية .

واذا كنا قد وصلنا الى « امكانية » و «ضرورة » ندوة الجزائر المقترحة فقد بقى ان نناقش الضمانات الموضوعية اللازم ـ فى راينـا ـ توافرها لانجاحهـا وتحقيق أهدافهـا .

ولعل **اول** هذه الضمانات أن تنفتح ابواب الندوة أمام جميع الاشتراكيين العاملين فى الوطن العربى على اختلاف منابعهم الفكرية والاجتماعية دون قيود . فهذا هو الذى يكسـبها طابعها الديمقراطى الاصـيل من ناحية ، ويتيح الفرصة من ناحيـة اخرى لحوار جماعى جاد وعميق ، نحن احوج مانكون اليه فى هذه المرحلة التى نعمد فيها الى بناء وحدة عمل كل القوى الثورية فى وطننا . ونسهم بذلك فى تصفية عقد وحساسـيات تقليدية متكلسة منذ زمن كانت الرؤيا فيه محدودة أو غير واضـحة بالنسـبة لجميع الاطراف نتيجة اوضاع لم تكن قد نضجت أو اخطاء موضوعية وذاتية متعددة .

أما **ثانى** هذه الضمانات فتتعلق بقـدرة الندوة ومناقشاتها على التفاعل العميق مع الواقع ، والبعد عن متاهات التجريد واللف والدوران حول العموميات والشعارات .

ان معرفتنا بالقوانين العلمية لحركة التطور الاجتماعى ، أمر اساسى وهام . ولكنه فى حد ذاته لا يغنى شيئا ويصبح مجرد « ترف ثقافى » ما لم نضع هذه المعرفة فى خدمة قضـايا التطبيق ، ونواجه ببصـيرة واعية الواقع ومشاكله وما تطرحه الحياة علينـا دائما من جديد .

ومن هنا فحياة الندوة مرتبطة بمعايشة واقع خريطة الوضع الراهن فى الوطن العربى . هذه الخريطـة التى تبرز ثلاث نوعيـات أساسية من البلدان بصفة عامة : البلدان الثورية التى تشق طريقها نحو الاشتراكية بدرجات متفاوتة وطبقـا لظروفها مثـل الجمهورية العربية المتحدة والجزائر وسوريا . ثم البلـدان التى خرجت من اطـار الاستعمار القديم المباشر لتقع فى قبضة نفوذ الاسـتعمار الجديد مثـل تونس والمغرب والسـعودية والاردن وغيرها . ثم اخيـرا البلدان التى ما تزال ترزح فى قيود الاحتلال الاستعمارى والعنصرى مثل فلسطين وعدن وجنوب اليمن المحتل والمحميات .

والندوة مطالبة بأن تدرس هذه الخريطة دراسة معمقة وتحدد بحسـابات ومعايير واقعية القوى الثورية والقوى المضادة للثورة على طول وعرض الخريطـة وتتـكشف عناصر التكتيك الثورى اللازم اتباعه بالنسبة لكل نوع من هذه البلدان ، وكيفية تفاعله مع الاستراتيجية العامة للنضـال الشعبى العربى المشترك وهو انتصار الاشتراكية .

والندوة مطالبة بأن تبحث افضل الوسائل والاساليب من اجل حماية وتدعيم البلدان الثورية كقلاع للتحرر والتقدم الاجتماعي في طريق الاشتراكية سواء خارجيا أو داخليا . وهي لكي تمارس هذه المسئولية عليها أن تواجه بصراحة الايجابيات والسلبيات وتناقش مشاكل التنمية وبناء الاحزاب او التنظيمات الثورية في اطار من الديمقراطية الشعبية وامكانية قيام تنسيق اقتصادي وسياسي وثقافي بين هذه القلاع الثورية ، واخيرا بناء وحدة عملها الثوري مع النضال العربي الشعبي العام من ناحية والنضال التقدمي العالمي من ناحية اخرى .

ان الالتحام بالواقع والعصر هو مفتاح الندوة الى النجاح المنشود . وبدونه تتحول الندوة الى ثرثرة مثقفين غير مسئولين .

وثالث الضمانات هو الالتزام بعلمية النظرة الاشتراكية الى جميع القضايا بمعنى أن تصدر كل الابحاث والمناقشات على اساس الرؤية الاشتراكية للواقع ومشاكله .. هذه الرؤية التي تستهدف في النهاية بناء وطني عربي شامل متحرر وتام من خلال اسس وعلاقات اشتراكية ينمحي من خلالها أسباب ومظاهر استغلال الانسان للانسان .

وأما رابع هذه الضمانات فهو تركيز الجهود في الندوة حول عدد محدود من القضايا الجوهرية والحرص على عدم الغرق في بحور واسعة من التفاصيل والقضايا الفرعية التي قد تحجب القضايا والمشاكل الاساسية والتي يقدمها الواقع في مستوى الاولوية .

ومن هنا فنحن نقترح من جانبنا على الندوة أن تتعرض لخمس قضايا اساسية :

اولها : عرض وتحليل للموقف العربي الراهن والقوى المتصارعة فيه ، وذلك بهدف تحديد واقعي لقوى الثورة من جانب ، وقوى الثورة المضادة من جانب آخر .

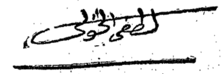
ثانيها : عرض وتحليل للتجارب الثورية ذات الطريق الاشتراكي في الوطن العربي وما يواجهها من مشاكل .

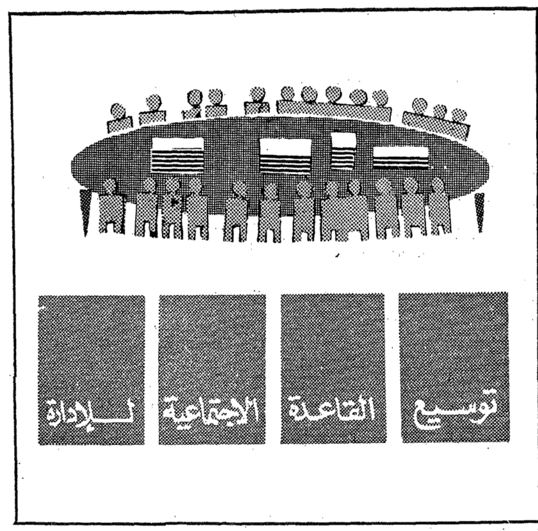
ثالثها : قضايا ومشاكل التنمية .

رابعها : قضايا ومشاكل الديمقراطية وبناء الاحزاب والتنظيمات الثورية .

خامسها : كيفية تجسيد شعار وحدة عمل القوى الثورية العربية تنظيميا ، ومن حول برنامج يضم الاختيارات السياسية والاقتصادية والاجتماعية المشتركة .

وبعد .. فهذه مجرد وجهة نظر مختصرة حول ندوة الجزائر المقترحة نعرضها للمناقشة ، واثقين من أن الاسهام الجماعي من كل القوى الاشتراكية سوف يغذي الندوة بدماء الحياة والنضج . ولا يسعنا الآن الا أن نحيي مبادرة المناضل هواري بومدين بالدعوة لهذه الندوة التي يحتضنها بحرارته وحيويته شعب المليون شهيد .





د. محمد الخفيف

منذ اليوم الاول لاستيلاء القيادة الثورية لقوى الشعب على قمة السلطة وقضية الادارة تشتد اهتمامها ، وبنمو العمل الثوري واتساع قاعدته وتطوره عبر المراحل المختلفة لبناء المجتمع الذي تصبو اليه جماهير الشعب وما واجه هذا العمل من مشكلات وقضايا ازداد الاهتمام بقضية الادارة باطراد وازداد عدد المهتمين بها ، حتى اذا كانت قوانين يوليو ١٩٦١ وماتلاها من اجراءات مكنت قوى الشعب من السيطرة على وسائل الانتاج بدأت القضية تزداد اهمية وخطورة ، وبدأ يتضح بشكل أقوى الدور الخطير الذي تلعبه في القضايا الاخرى المتصلة بالانتاج والخدمات وتمكين قوى الشعب العاملة من الاستيلاء استيلاء كاملا على بنيان السلطة لتعيد بناء المجتمع بما يحقق لها الرفاهة والسيادة .

واليوم وقد انتهينا من الخطة الخمسية الاولى وأتممنا تقييمها واستخلاص الدروس منها تبرز قضية الادارة كقضية شعبية ، بمعنى انها لم تعد تشغل فحسب بال القادة السياسيين أو بال المتخصصين وأساتذة العلوم الادارية بل أصبحت محل اهتمام الملايين من جماهير قوى الشعب على اختلاف اهتماماتهم والمجالات التي يعملون بها اذ بدأوا يحسون أن ميدان الادارة هو من الميادين الاساسية التي ينعكس من خلالها ذلك الصراع الذي تفرضه مختلف القوى المضادة لثورتنا الاشتراكية على قوى الشعب ، وان انتصارها في هذا الميدان شرط رئيسي لانتصارها في معركة البناء الاشتراكي ، ومن هنا لم يكن صدفة ذلك الاهتمام البالغ المنظم بالادارة من جانب كل من الوزارتين السابقة والحالية والذي بلغ ذروته بما نشر أخيرا عن اعتزام قائدنا المناضل عبدالناصر ،

الذى تجسد قيادته دائما امانى الشعب رئاسة المؤتمر القادم للادارة .

الدرس الاساسى للخطة الاولى

لاجدال فيما أعتقد فى أن أهم درس خرجنا به من تقييم المرحلة السابقة هو حتمية العمل على أن يزداد الانتاج بمعدل يفوق كثيرا وباطراد معدل نمو الاستهلاك ، فالفرق بين ماننتجه ومانستهلكه فى عام هو السبيل الوحيد — عن طريق تصديره — الى تحقيق النتائج الهامة التالية فى العام الذى يليه :

١ — استمرار عملية الانتاج فى مراكز الانتاج القائمة بالفعل وذلك بتوفير مايلزمها من الاسواق الاجنبية من مواد اولية ووسيطة وقطع غيار .

٢ — اقامة مراكز انتاج جديدة تتيح من ناحية فرصا جديدة للعمل ، فرصا حقيقية ، لعدد ممن لم تتح له فرص العمل بعد وممن بلغوا سن العمل لاول مرة ، كما تنتج محليا من ناحية أخرى جانبا مما نعتمد فى توفيره على الاستيراد .

٣ — ازدياد الدخل القومى بوجه عام وارتفاع متوسط دخل الفرد فى نفس الوقت بشكل حقيقى اساسه ازدياد انتاج السلع بدرجة تسمح بأزدياد الدخول ، وازدياد الاستهلاك .

٤ — تسديد التزاماتنا المالية الناجمة من اضطرارنا اضطرارا حتميا بحكم الظروف المتخلفة التى ورثناها من الماضى ان نبدأ عملية التنمية عن طريق الاقتراض من الخارج .

وبقدر حجم الفرق بين الانتاج والاستهلاك بقدر ما نحقق من تلك النتائج ، وبقدر ما نحقق منها بقدر مانبنى مجتمعنا الاشتراكى . هى اذن قضية سياسية بالدرجة الاولى لانها أساس تحقيق ماقامت من أجله الثورة وما تطالب به الملايين الذين ناضلوا ولايزالون يناضلون من أجل مجتمع متقدم متطور لااستغلال فيه ، ولكنها قضية ادارية فى نفس الوقت ، فالادارة هى وضع الاهداف التى تحددها القيادة السياسية تجسيدا لمطالب الشعب وأمانيه موضع التنفيذ ، ولست أريد هنا أن أغرق فى التفاصيل فأفرق بين الادارة فى الانتاج والادارة فى الخدمات ، أو بين الادارة فى القطاع العام والادارة العامة فى الاجهزة الحكومية ، فالواقع انها مرتبط بعضها ببعض وأنها جميعا تحكمها أسس عامة واحدة وتواجهها ظروف عامة واحدة ، وانما تختلف الواحدة عن الاخرى فى دقائق نوع المهام الذى يجب عليها ان تقوم به لتسهم بدورها فى وضع أهداف القيادة السياسية موضع التنفيذ ، وسيكون اهتمامنا أساسا بالاسس والظروف العامة لا بالتفاصيل .

هذا الفرق بين الانتاج والاستهلاك لا يمكن ان يتحقق الا بزيادة الانتاج على الاستهلاك وحين نتكلم عن زيادة الانتاج فاننا نعنى زيادته فى كل مشروع على حدة ، وبنفس امكانياته وموارده التى خصصت له عند اقامته أى دون توسع أو اضافات اللهم الا اذا كان العمل فيه قد كشف عن نقطة اختناق حقيقية يجب ازالتها عن طريق اضافة أو تعديل فى أضيق الحدود . وينبغى الانتباه فى هذا الصدد الى حقيقة هامة هى ان زيادة الانتاج ليست مطلقة بل لابد لتكون زيادة حقيقية من أن تنسب الى تكلفتها لان العامل الحاسم فى تقديرها هو مايحققه الاستثمار فى المشروع من عائد والوقت الذى يتحقق فيه هذا العائد . **ومن هنا يمكن تصور ثلاثة أشكال لزيادة الانتاج فى أى مشروع : ان يظل الانتاج على ماهو عليه ولكن تقل تكلفته، أو ان تظل التكلفة على ماهى عليه ولكن يزيد الانتاج، أو أن تقل التكلفة عما هى عليه ويزداد الانتاج فى نفس الوقت** ، وهذا بطبيعة الحال هو الشكل الامثل الذى يجب أن نعمل على تحقيقه . ولكن الحقيقة الهامة الثانية ، بل هى أهم من الاولى ، وهى اننا لا نستهدف زيادة فى الكم مهملين الكيف فالهدف الوحيد من تكوين فرق بين ماننتج ومانستهلك هو تصدير هذا الفرق ، ولا يمكن لنا هذا الا اذا استطاعت سلعنا من حيث الثمن والجودة أن تنافس سلع البلاد الاخرى .

فى ضوء هذا يصبح الهدف أمام كل مشروع بشكل عام هو أن ينتج بنفس امكانياته القائمة وفى أقصر وقت ممكن أكبر قدر ممكن من السلع التى تستطيع منافسة سلع البلاد الاخرى جودة وثمنا وهو أمر يتطلب اتخاذ خطوات واجراءات محددة من أجل :

- ضمان استمرار استغلال الطاقات الالية استغلالا كاملا .
- ضمان استمرار صيانتها بحيث تطول أعمارها أطول فترة ممكنة .
- سلامة تخزين المواد الاولية والوسيطة وقطع الغيار بحيث يمتنع تلفها نهائيا .
- حسن استخدام هذه المواد فى عملية الانتاج بحيث تصل نسبة الفاقد منها أثناء التشغيل الى أقل نسبة ممكنة .
- القضاء قضاء تاما على كل نواحى الاسراف أى عدم انفاق أى مال أو جهد لايتصل بالانتاج .
- ترابط مهام الاجهزة المختلفة فى المشروع بحيث تصبح أجزاء من عمل كلى واحد لاعناصر متنافرة يعرقل كل منها الاخر .

واتخاذ الخطوات والاجراءات اللازمة لتحقيق هذه الاوضاع هو صميم عملية الادارة ، فالادارة مهما اختلفت التعاريف والاراء ومهما تعددت مجالاتها وتنوعت، ليست فى النهاية سوى مجموعة

من المهام تقوم بها أجهزة منظمة مستخدمة وسائل ونظما معينة من أجل تحقيق أهداف محددة .

ولا يختلف الامر من حيث الجوهر بالنسبة الى مجال الخدمات فاذا ماحاولنا تطبيق شعار زيادة الانتاج علـى الاستهلاك فى هذا المجـال نجد ان القضية الاساسية هى تحسين مستوى الخدمة وسهولة وصولها الى من جعلت من اجله مع تخفيض تكلفتها بقدر الامكان، فاذا ادخلنا فى اعتبارنا ان الحد من الاستهلاك او نموه بمعدل يقل كثيرا عن معدل زيادة الانتاج يستلزم بالضرورة الحد من الانفاق على الخدمات او الاستثمار فيها ، اتضحت أهمية توفير اكبر قدر ممكن من الخدمات بأقل انفاق ممكن واتضحت أهمية تحسين مستوى الخدمة وطريقة أدائها الى المنتفعين بها وعدالة توزيعها بينهم بحيث لا يتكلف المنتفع بها مالا اكثر مما ينبغى أن يتكلفه ولا يتحمل فى سبيل الحصول عليها جهدا أو مشقة وتحقيق هذا كله رهـن أيضا بماتتخذه الادارة فى مجال الخدمات من خطوات واجـراءات لاتختلف عن الخطوات والاجـراءات فى مجال انتاج السلع الا فى التفاصيل التى تفرضها نوعية العمل فى كل من المجالين .

ونفس الوضـع بالنسبة الى الاجهزة التنفيذية للحكومة على مختلف مستوياتها فهى اما تقـوم بأداء خدمات مباشرة الى الجماهير او بأداء خدمات لمجالى الانتاج والخدمات اللذين يقوم بهما القطاع العام والادارة فى هذه الاجهزة مطالبة أيضـا بتحقيق نفس الهدف ، تحسين الخـدمة وسهولة وصولها والاقلال من تكلفتها ، بل ان دور بعض هذه الاجهزة التنفيذية فيما يتصل بالانتاج دور خطير مثل اجهزة الاستيراد والتصـدير ومعامل التحليل والجمارك ومراكز التدريب .. ان هذه الاجهزة تستطيع ان تكون قوة دافعة للانتاج ومن الممكن أيضا أن تكون قوة معطلة أو معرقلة .

لماذا طال عمر المشكلة ؟

ما من شك ان سنـوات الثورة وبوجه خاص السنوات الاخيرة منها شهدت اهتماما متزايـدا بموضوع الادارة فكم من لجنة عقدت وكم من خبير استقدم وكم من لوائح عدلت ثم أعيد تعديلها وكم من أبحاث ومقالات أعدت وكلها تتبارى بل وتتفنن فى ابراز قصور الادارة عن القيام بالمهام التى يجب ان تقوم بها وفى ضرورة تطويرها ولكن كل ما انفق من جهد ووقت ومال لم يغير فيما نعتقـد من الامر شيئا كثيرا وان كان قد أفاد من حيث اتسـاع قاعدة الاهتمام بالموضـوع واحساس الجميـع احساسا قويا به واتفاقهم على انه لا بد من نظرة جديدة وعميقة تنفذ الى جذر القضية ، نظرة تجيب على سؤال هام ، لان الوصول الى اجابة سليمة عليه هو الخطوة الاولى الى الوصول الى حل المشكلة:

هذا السؤال هو : **هل قضية الادارة قضية ادارية ام قضية سياسية ؟** ان ما بذل من جهد حتى وقت قريب يشير الى اننا كنا ننظر الى القضية نظرة ادارية بحتة ، نظرة تنصرف اساسا الى تحديد ما يكتنف اللوائح والنظم من تعقيدات وما يحيط بها من غموض ثم تشكيل لجان لازالة التعقيد وتوضيـح الغامض ، لجان غالبية اعضائهـا ممن سبق ان وضعوا هذه اللوائح والنظم بالذات ، وهذا امر طبيعى فما دامت المشكلة مشكلة ادارية فليس اقدر على حلها من المتخصصين فى الادارة ! ، فاذا بنا فى اغلب الحالات امام تعقيد جديد حل محـل القديم واذا بالتوضيح يحتـاج الى توضيـح فتتـوالى المنشورات المفسرة ، ثم يفسر المنشور بمنشـور آخر وتتعدد التفسيرات بتعدد جهات الافتاء .

والقول بأن القضيه قضية سياسية لايعنـى بأية حال من الاحوال أنها غير ادارية فهى قضية الادارة ومادتها الادارة ومن ثم فان العلاج سيتناول حتما بحكم طبيعة الموضوع نفسه النواحى الادارية المختلفة وسيتناول حتما اللوائح والنظم والصلات الادارية والقانونية بين مختلف الاجهزة والمستويات، وسيتناول الصلاحيات والمسئولية والسلطة الادارية، ولكننا نعنى بكونها قضية سياسية فى الاساس اننا فى تناولها لا بد وان نضع نصب اعيننا الاعتبارات التالية :

- انها أداة الدولة فى تحقيق أهداف من قامت الدولة لتحقيق أهدافهم وفى حالة مجتمعنا الذى ينتقل الى الاشتراكية فانها تكون أداة قوى تحالف الشعب التى تبنى الاشتراكية والتى تحـدد عن طريق قيادتها الثورية وتنظيمها السياسى أهدافها الاستراتيجية والتكتيكية فى كل مرحلة من مراحل البناء .

- انها ليست مسألة ثابتة نضع لها الحلول مرة فينصلح امرها الى الابد بل هى مسألة متطورة ومستمرة بتطور عملية البناء واستمرارها .

- اننا بحكم طبيعة مرحلة الانتقال التى نمر بها لم نقض بعد قضاء تاما على نفوذ القوى المعادية للشعب وأن ميدان الادارة من الميادين التى تركز عليه هذه القوى بل أكثر من هذا أن عملية التطور الاشتراكى نفسها تبنت قوى جديدة تريد ان توقف التطور عند الحد الذى تتوهم أن تخطيه مهـدد لمصالحها الخاصة والادارة ميدان هام يمكن أن تستخدمه هذه القوى الجديدة فى هذا الصدد ، لابهدف العودة بالمجتمع الى الوراء كما تحلم القوى المعادية التقليدية بل بهدف حلم آخر هو تجميـد الموقف .

- ان فى دراستنا للمشاكل التى تعترض طريق الادارة لتصبح اداة قوى التحالف لتحقيق اهدافه لا بد ان ننتقل من الرصد الى التحليل، وان لاتنسينا

ذاتية الموضوع وحدته ترابطه بما يعتمل في المجتمع ككل من قوى وافكار وقيم ومؤثرات مختلفة ، وان لا يصرفنا حاضر الموضوع عن ماضيه ولا يشغلنا عن مستقبله .

ظواهر مشتركة بين الدول النامية

في كتاب ((**الدول الاسيوية الافريقية ومشاكلها**)) حدد مؤلفه **ك . م . بانيكار** ثلاث نقط ضعف تواجه الجهاز الادارى في هذه الدول غداة حصولها على الاستقلال السياسى : الاولى هى ان المناصب القيادية العليا كان يشغلها الاجانب من رعايا الدولة المحتلة او غيرها من الدول الاوربية ، وقد احدث انهاء خدماتهم فراغا ليس من السهل ملؤه ، ففى الهندمثلا كان الانجليز يشغلون وقت الحصول على الاستقلال كل المناصب القيادية في وزارات المالية والداخلية والدفاع والمواصلات والنقل .. وفى بورما كان الوضع اشد سوءا اذ لم يقتصر الامر على شغل المناصب العليا بل تعداه الى شغل المناصب القيادية المتوسطة ايضا ، وفى اندونيسيا كان الوضع بحيث اضطرت الدولة الجديدة ان تعيد تشغيل عدد كبير من الهولنديين .. اما في السودان حيث كانت سودنة الوظائف امرا ضروريا لتحقيق الاستقلال بسبب ان كل المناصب الادارية والتشريعية كانت في ايادى البريطانيين ، فلم يكن هناك من حل سوى التعاقد مع موظفين من الهند والباكستان وغيرهما من الدول الصديقة ، وساعد على هذا الحل ان الانجليزية كانت اللغة الرسمية للادارة العليا ، اما كمبوديا ولاوس وتونس ومراكش فكان من الطبيعى أن تتجه الى الفرنسيين لسبب ان الفرنسية كانت اللغة الرسمية .

ومن الواضح انه بالنسبة الى بلادنا كان الوضع عند قيام ثورة يوليو مختلفا عن اوضاع البلاد التى اشار اليها بانيكار ، كان منطبقا في ناحية ومختلفا في ناحية أخرى ، ففى مجالات النشاط الاقتصادى والتجارى والمالى (شركات الصناعة والتجارة والتأمين والبنوك .. الخ) كانت الادارة في معظمها سواء في ذلك مناصبها العليا والمتوسطة وحتى عدد غير قليل من المناصب الدنيا في أيادى الاجانب من شتى الجنسيات ، وكان جانب منها ايضا لا يستهان به في أيادى المتمصرين الذين لا تربطهم بمصر أية صلة من صلات الولاء ، وكانت الانجليزية أو الفرنسية هى لغة التعامل في هذه المجالات وذلك على الرغم من كل القوانين التى صدرت قبل الثورة والخاصة بتحديد نسب من الوظائف للمتمصرين ، وباستخدام العربية كلغة الاتصال بين الشركات والحكومة . وما من شك ان لهذا الوضع اثره من ناحيتين : الاولى عدم توفر الخبرة الادارية (بمعناها التكنيكى) لدى عدد كاف من المصريين ليحل محل الاجانب في ادارة المشروعات التى كانت قائمة ، على قلة عددها ادارة سليمة من الناحية التكنيكية البحتة والناحية الثانية ان عقلية المصريين القلائل الذين اتيحت لهم فرص الخبرة الادارية تشكلت بالاتجاهات والتقاليد والنظم التى تخدم اساسا راس المال الاجنبى لا حتى راس المال المصرى الخالص وما يتضمنه هذا من تبعية للفكر الاجنبى والاعجاب بكل ما هو اجنبى اعجابا يصل في بعض الحالات الى حد التقديس ، والانعزال عن الواقع المصرى والانغمس عن كل مافيه من جوانب مضيئة ، بل والتقليل من شأنه ولا اقول احتقاره في بعض الاحيان .

اما الادارة الحكومية فأمرها مختلف ، فعند قيام الثورة كانت مناصبها القيادية بمختلف مستوياتها في ايادى المصريين ، اى ان المشكلة لم تكن مشكلة تمصير الادارة الحكومية ، او مشكلة نقص الخبرة التكنيكية في الادارة الحكومية ، غير ان هذا لا يعنى أنه لم تكن هناك على الاطلاق مشكلة ، بل لقد كانت المشكلة في الواقع هى توفر هذه الخبرة بالذات وقوتها وامتداد جذورها الى ابعد الاعماق في مختلف مجالات النشاط الحكومى ، ذلك أن النقطة الهامة في هذا الصدد هى لصالح من جندت هذه الخبرة عبر السنين الطوال ، وأية عقلية كانت توجهها ، واية تقاليد ارستها ، واية افكار زرعتها في عقول الجهاز الوظيفى بجميع افراده ومستوياته . لا أعتقد أن هناك بعد من يجادل في أن الادارة الحكومية كانت بكل طاقاتها ووسائلها مجندة في خدمة المصالح المشتركة للاستعمار ورأس المال الاجنبى والاسرة الملكية وكبار ملاك الارض والراسماليين المصريين ، وضد مصالح الجماهير وبوجه خاص مصالح الفلاحين والعمال ، وان التقاليد التى ارستها والافكار التى زرعتها تقاليد وأفكار تدعم انقسام المجتمع الى قلة من السادة المستغلين وغالبية من الكادحين المستغلين لحساب السادة ، تقاليد وافكار تمجد المال لا العمل وتقيس أهمية الفرد بما يستطيع أن ينشئه من صلات نسب او قربى او زلفى مع القلة الحاكمة ، تقاليد وافكار هى في جوهرها نفس التقاليد والافكار التى أرستها الادارة الاجنبية في مجالات الاقتصاد .

ويزداد الامر خطورة بانتقالنا الى نقطة الضعف الثانية كما حددها بانيكار وهى القدرة المحدودة للجهاز الادارى في الدول حديثة العهد بالاستقلال ، ذلك ان الحكومات في ظل الاستعمار لم تكن تهتم الا بتثبيت الامن والنظام ، وخلق الظروف الملائمة للتجارة والاستثمار اللذين يخدمان مصالح الرأسمال الاجنبى ومايدور في فلكه من توابع محلية ، ومن هنا كانت قدرة الجهاز الحكومى محدودة بحكم ضيق مجال نشاطه وعدم تنوعه ولكن ما أن تستقل البلاد الا وتواجه بمهام عديدة ومتنوعة ومختلف بعضها عن بعض ، مهام لم تخطر من قبل ببال الجهاز الادارى ، مهام تتطلب خبرات متعددة ومتنوعة فالدولة مطالبة باقامة سياسة

اقتصادية مستقلة ولا طريق سوى التصنيع الامر الذى يدفع بها الى خضم العلاقات التجارية العالمية والى استخدام احدث وسائل التكنيك والى انشاء اكفأ وسائل النقل والمواصلات وانشاء مراكز للتدريب وغير ذلك من مهام عديدة يتطلبها التصنيع، هذا فضلا عما يتطلبه البناء داخليا من خدمات مختلفة وكل هذه مهام لم يتدرب الجهاز الادارى عليها ولم يلم بتفاصيلها ولا حتى بعمومياتها الماما كافيا لا من حيث الحجم ولا من حيث النوع .

فاذا اضفنا الى هذا العجز التكنيكى للادارة بعدا آخر اهم واخطر ، فى حالة الشعوب التى اختارت مثلنا طريق التنمية الاشتراكية كالحل الوحيد لمشاكلها ، وهو أن هذا كله يجب ان يسير وينمو ويزداد تحقيقا لصالح العاملين ووصولا الى القضاء على استغلال الانسان للانسان وليس تحقيقا لمصالح قلة كان الاستعمار لايترك لها سوى الفتات فأرادت أن تستقل بوطنها لتنفرد بنهب خيراته، ولتمارس وحدها دون وصى او شريك استغلال الجماهير ، اتضح لنا ضخامة المهمة الملقاة على عاتق الادارة وتعقدها وتعدد وتنوع الخبرات التى لابد أن تكتسبها ، والعقلية الجديدة التى يجب أن تتسم بها والتقاليد والافكار التى يجب ان تغرسها فى العقول والصدور . وان نظرة عابرة الى ابعاد الآفاق التى بلغها النشاط الانسانى فى مجتمعنا ، كما وكيفا وتنوعا ، فى الريف او المدينة على الحدود او فى قلب الوادى ، فى الزراعة أو الصناعة ، فى المال أو التجارة ، فى الخدمات أو انتاج السلع ، لكفيلة بأن يحس كل انسان بهذه الحقيقة .

اما نقطة الضعف الثالثة فهى ما سماه بانيكار بالاستقلال البيروقراطى للادارة وهو يرجعها الى غياب الرقابة البرلمانية لان النظام البرلمانى فى الدول النامية لم يقم الا بعد الحصول على الاستقلال ، بينما الجهاز الادارى نشأ ونما وقوى نفوذه قبل ذلك بوقت طويل ، ومن ثم فقد احس بكيانه المستقل واصبح من المتعذر بعد قيام النظام البرلمانى ان يقبل الخضوع للرقابة البرلمانية الامر الذى يمثل من وجهة نظر بانيكار مشكلة من مشاكل الدول النامية ، ويزيدها تعقيدا حداثة عهد هذه الدول بالديموقراطية الغربية . وسواء اتفقنا مع المؤلف او اختلفنا معه فى تحليله لسبب استقلال الجهاز الادارى — فالنظام البرلمانى قائم عندنا منذ عام ١٩٢٣ ولم يمنع قيامه استقلال الادارة — الا اننا متفقون على ان من الاسباب التاريخية لمشكلة الادارة فى بلادنا هو شعور الجهاز الادارى الذى ورثناه بحريته غير المحدودة فى التصرف وبكيانه المستقل الذى لا سلطان لاحد من الشعب عليه ، ولقد كان ذلك امرا طبيعيا فى مجتمع قبل الثورة ، فلقد كان جهاز الطبقات الحاكمة وكانت قياداته الحساسة كلها من ابناء تلك الطبقات . ونحن نقصد بالحرية والكيان المستقل الانفصال تمام الانفصال عن جماهير الشعب وعن رقابتها، انفصالا جعل الجهاز الادارى لسنوات طويلة فى مركز السيادة بالنسبة الى هذه الجماهير ، حتى اصبح مؤسسة ضخمة قائمة بذاتها لها تقاليدها وقيمها التى تربى العاملين بها على احتقار الجماهير وقدراتها وحتى أصبحت كلمة «جمهور» فى نظر الجهاز الادارى تعنى حقارة الشأن واصبحت كلمة « الحكومة » او « الميرى » مقترنة بالسلطة والغطرسة والوضع المتميز يلصقها بنفسه كل عامل بالجهاز الادارى حتى ولو كان لا يقوم الا بأتفه الاعمال .

الابعاد الحالية

مما سبق يتضح أن المهمتين الاساسيتين اللتين واجهتنا بهما الادارة منذ اليوم الاول للثورة كانتا العمل على سد النقص فى الخبرة حجما وتنوعا وكفاءة وبشكل مطرد ومنتظم لايتخلف عن النمو المطرد فى مجالات النشاط ثم العمل على أن ينتقل جهاز الادارة من مركز السيادة الى مركز خدمة الجماهير وليكون اداتها الثورية فى نضالها من اجل تحقيق أهدافها ، والمهمتان مرتبطتان بحيث لايمكن تأجيل احداهما الى ان ننتهى من اداء الاخرى،وبحيث لايمكن النجاح فى واحده الا اذا نجحنا فى الثانية فى نفس الوقت ، وهما ايضا مستمرتان ما استمر تطورنا ، فالى اى حد نجحنا فى اداء المهمتين . وما هى أهم المشاكل الحديثة التى واجهتنا به ظروف التطور وماذا كان أثرها على قضية الادارة ؟ ان النجاح فى المهمتين يعنى زيادة الإنتاج وارتفاع مستواه وازدياد العائد منه عن طريق التصدير مع عدم استغلال العاملين أو العدوان على حقوقهم كمنتجين ومستهلكين فى نفس الوقت وكملاك لموارد المجتمع . ان تحقيق الربح فى ظل الاشتراكية لا يختلف عنه فى ظل الراسمالية من حيث انه يعود على المجتمع ككل فحسب، ولكن أيضا من حيث انه يتحقق دون استغلال العاملين . ان ادارة تضع نفسها فى خدمة الشعب حقيقة لايمكن أن تحقق ربحا عن طريق زيادة فى الثمن او انقاص فى الجودة أو كليهما معا .. لايمكن أن تحقق ربحا عن طريق ارهاق العاملين او الانتقاص من حقوقهم .. وهذا لايعنى بطبيعة الحال رفض بذل التضحيات بل ان الادارة الرشيدة حقا هى التى فى ظلها يقبل العاملون التضحية بل يعرضونها ، غير أن كفاءة الادارة تساعد على الاقلال من التضحيات أو تزيد من المكاسب التى تحققها .

وما من شك فى أن الدولة قد بذلت جهدا كبيرا واتخذت خطوات عديدة فى سبيل سد النقص فى الخبرة حجما وتنوعا وكفاءة عن طريق التوسع فى التعليم العالى والبعثات ، وعن طريق معاهد

الادارة ومراكز التدريب وبرامج الكفاية الانتاجية ثم الاستعانة بالخبرة الاجنبية . غير أن مانشكو منه الى الان من انعزال معاهد العلم وكلياته عن واقع مشاكلنا يشكل عقبة رئيسية فى سبيل اعداد هذه الخبرة ، فاذا أخذنا الكليات والمعاهد العلمية التى يتخرج فيها من سيكونون بعد سنوات قليلة من تخرجهم فنيين اداريين (المهندس والكيماوى والزراعى والصيدلى والطبيب الخ) لم نجد فى برامجها ما يؤهل الخريج لاية مهمة ادارية .. كم من خريجى الزراعة مثلا تعلم كيف يدير مزرعة او جمعية تعاونية أو كيف يتعامل مع القوى الاجتماعية المختلفة فى الريف ؟ كم من خريجى الهندسة أو العلوم درس المشاكل الادارية التى تعترض طريق الانتاج الذى سيكونون مسئولين عن تطويره وزيادته مسئولية فنية ادارية لا فنية فحسب ؟ ماذا يعلمون مثلا عن الميزانية أو عن العمالة أو عن التمويل؟ فاذا أخذنا المعاهد والكليات النظرية التى تخرج الاداريين البحت لا نجد الامر أفضل بكثير .. يدرس الطالب فيها مثلا الحجم الامثل للمشروع ثم يجد بعد تخرجه أن المرحلة تقتضى سياسيا تشغيل عدد يزيد على حاجة المشروع ، او ان بعض المشروعات لا يمكن ان يقام بالحجم الامثل ولكن لابد فى نفس الوقت من اقامته لارتباطه بأهداف استراتيجية او بتطوير القاعدة الانتاجية أو بتكوين الخبرات التى تنقصنا ، فكيف يتصرف ؟ لم يعلمه أحد ، فاما أن يلقى اللوم على السياسة واما أن يختلط عليه الامر فلايعرف له طريقا .. والامثلة كثيرة ..

ليس هناك من طريق سوى أن يتعلموا داخل مجالات العمل نفسها .. ولكن ممن يتعلمون ؟ من الموجودين بالعمل ، اى المستويات الادارية العليا ثم مجموع العاملين .

المستويات الادارية العليا

اذا بحثنا فى تشكيل هذه المستويات نجد أن شاغلى مناصبها ينتمون فى الغالبية العظمى من الحالات ان لم يكن فى جميعها الى قوتين فحسب من قوى تحالف الشعب وهما المثقفون والجنود ولم يعدل انتخاب نصف اعضاء مجلس الادارة من الوضع لسببين الاول ان عددا غير قليل من المنتخبين من المثقفين والثانى أن عضوية مجلس الادارة لا تتضمن الادارة الفعلية المباشرة اذا لم يكن العضو شاغلا لمنصب من المناصب القيادية . ولكن ما الضرر فى هذا ؟ الضرر هو ضيق القاعدة الاجتماعية للادارة،وهو الامر الذى يتصل اتصالا وثيقا بقضية خدمة الشعب .. لقد كان للادارة بالماضى كما ذكرنا استقلالها وتميزها وسيادتها بحكم انتمائها الى الطبقات الحاكمة والاحتمال اليوم قائم أيضا لان تشعر الادارة بأن لها كيانها المستقل المتميز رغم أن الشعب هو الذى يحكم وذلك بسبب ضيق قاعدتها الاجتماعية وبسبب الدور الهام الذى عليها أن تلعبه وبسبب حاجة المجتمع اليها .. وقد يكون الرد أنه لا خوف من ذلك فمادامت عناصر الادارة تنتمى الى قوتين من قوى التحالف فهى اذن تمثل هذا التحالف .. ولكن هناك فرقا بين تمثيل الشعب وخدمته وليس شرطا ان يكون كل ممثل للشعب نظريا متوحدا مع مطالبه وآلامه تمام التوحد أو مقتنعا بها تمام الاقتناع أو حتى شاعرا بها بالدرجة الكافية ، أما خادم الشعب فلايمكن الا أن يكون متوحدا معه تماما يعانى مما يعانيه ويحلم بما يحلم به .. ثم ان القضية فى الاساس ليست قضية تمثيل بل قضية أن تكون السلطة كل السلطة وأن تكون الصدارة والسيادة كما ذكر الميثاق وكما أكد قائد الثورة فى أكثر من حديث لجماهير الفلاحين والعمال فهذا وحده هو الضمان لاستمرار الثورة والتطور واستكمال البناء الاشتراكى وليس أقدر على خدمة الفلاحين والعمال والوصول بهم الى مراكز القيادة الا العناصر الواعية منهم أنفسهم وهنا تبرز الرسالة التاريخية للمثقفين الثوريين وتبرز أهمية التنظيم السياسى الطليعى الجماهيرى.

ان زياده الانتاج والارتفاع بمستوى جودته وخفض تكلفته وحسن استخدام الموارد وحل مشاكل التسويق والتخزين والصيانة وكل مايتصل بالادارة من مهام لايمكن تحقيقها الا باطلاق القوى البشرية العاملة بغير حدود .. اللوائح لازمة والنظم ضرورية والخبرات لابد منها ولكنها لاتستطيع أن تفعل شيئا اذا لم تنطلق قوى البشر فهى القوى الاساسية الحية والباقى قوى خرساء . ان أهم رصيد لدينا هو قوانا العاملة .. الذكاء المصرى اللماح .. الخبرة المكتنزة الكامنة التى تراكمت رغم سنوات العذاب بل بسبب سنوات العذاب .. الشهامة التى تبذل عن طيب خاطر أغلى التضحيات .. ولن تنطلق قوانا العاملة ، التى لو انطلقت لحققت المعجزات ، مادام هناك حاجز بينها وبين الادارة. مادام لايزال هناك فى الواقع كلمة ادارة وكلمة عمال وان كانتا قد اختفيتا من الاوراق .. ولن ينهار الحاجز بأوامر أو لوائح فالسبيل الوحيد هو توسيع القاعدة الاجتماعية للادارة فضيقها هو السبب الاصيل فى وجوده وما ينشأ عنه من ظواهر .. ولا سبيل لتوسيع القاعدة الاجتماعية سوى العمل الديموقراطى .. وهو أيضا السبيل الى تعلم الفنيين الاداريين الجدد الذين خرجتهم معاهدهم ناقصى المام بالمشاكل التى سيواجهونها والتى لم تتح لهم الظروف فى غياب تنظيم سياسى أن يشبوا على خدمة الشعب ..

بل الواقع أن توسيع القاعدة الاجتماعية للادارة يحل مشكلة ثانية من مشكلات تكوينها ذلك أننا اذا تقصينا أصولها التاريخية وجدنا أنها لاتتعدى أربعة ، الجهاز الحكومى والجامعات والقوات المسلحة والشركات التى أممت ، وما من شركة الا وتضم ادارتها العليا خليطا من هذه الاصول ..

نماذج متباينة من السلوك ولا ذنب لهم في هذا التباين ولكن العمل يدفع الثمن ، وتتنافر الاتجاهات وتتعدد الاختصاصات وتتشابك السلطات وتتكون الشلل وتتقوقع كل ادارة على نفسها تريد أن تصيد لغيرها الاخطاء وأن تنفى عن نفسها أى تقصير فتنعدم روح الفريق .

مجموع العاملين

هذا عن المستويات الادارية العليا فماذا عن مجموع العاملين ؟ هم اصحاب المصلحه الحقيقيه في الثورة الاشتراكية واستمرارها .. هم اغلبية الشعب .. هم المنابع الحقه للعناصر القيادية الثورية .. كل هذه حقائق لا تقبل الجدل ، ولكن اذا كان الامر كذلك فلماذا تتكرر شكوى الاداره من سلبية العاملين وعدم قيامهم بدورهم كما يجب؟ لماذا تتكرر الشكوى من التمارض والتكاسل والسعى وراء المصالح الخاصة واهمال الصالح العام ؟ ويتساءل الناس : اذا كانت الملكية العامة لوسائل الانتاج اهم حافز على العمل فلماذا يتعثر العمل، ويترحم البعض على ((أسلوب الكرباج)) وعن العجائب التي كان يحققها .. الواقع هو ان الشكوى من نواحي القصور من جانب العاملين لايمكن أن تكون بلا أساس .. قد تكون مبالغا فيها وقد تكون سبيل الاداره الفاشلة في تبرير فشلها ، ولكنهاحقيقة واقعةلابد لها منعلاج سريعوفعال .. ولن نصل الي مثل هذا العلاج الا اذا وضعنا يدنا بقوة وشجاعة على السبب الاصيل للداء .. هنا فقط يمكن للحوافز ، الايجابى منها والسلبى ، ان تلعب دورها ، فليس يمكن للحوافز وحدها ان يكون لها الاثر الفعال .. ان اهم حافز على العمل في ظل الاشتراكيه هو فعلا الملكيه العامة لوسائل الانتاج ففي ظلها يشعر العامل انه صاحب الالة وسيدها لا خادمها وتابعها ، ولايمكن لمالك الشيء ان يستخدمه في استغلال نفسه ، فلماذا ياترى لا يلعب هذا الحافز دوره كما يجب ان يلعبه ؟ السبب بصراحة هو انه بالرغم من التأميم فان العامل لا يشعر انه مالك لوسائل الانتاج حقيقة .. نحن نقول ان العاملين في كل مصنع على اختلاف مستوياتهم ومسئولياتهم واعمالهم مالكون للمصنع او وكلاء عن جماهير الشعب في ادارة هذا المصنع بما يسهم في تحقيق الاهداف التي حددتها الجماهير من خلال تنظيمهم السياسى وقيادتهم السياسية ، ونحن نطالبهم بأداء ما تفرضه الملكيه من واجبات ولكن هل ضمنا لهم ما تمنحه الملكية من حقوق ؟ نعم لقد ضمنا لهم عدم الفصل التعسفى والتامين ضد البطالة والشيخوخة والمرض ، وضمنا لهم نسبة في الارباح التي يحققها عملهم ، وضمنا لهم اشتراكهم في مجالس الادارة .. وكلها حقوق هامة ومتصلة بالملكية .. ولكن هناك ثلاث نواح اكثر أهمية وتحتاج الي نقاش :

الاولى هى المساواة فى المعاملة فمادمنا مشتركين فى الملكية فلابد وأن نتساوى من حيث المعاملة وأن نخضع لنفس النظام العام فلايجوز لفرد او فئة منا الانفراد بميزه او ميزات الا ان يكون نوع ما يقوم به من عمل يفرضها فرضا .. ولابد من الاعتراف أن هناك فى حالات غير قليلة انحرافا عن هذا المبدا .. ونضرب بعض الامثلة .. تخصيص باب لدخول العمال وآخر لدخول الموظفين (فلايزال هناك عمال وموظفون) دون ما مبرر يفرضه تنظيم العمل .. التفرقة فى العلاج بالمستشفيات من حيث درجة الحجره .. التفرقة فى توزيع وسائل الراحة كأجهزه التدفئه شتاء والتهوية صيفا . ودع جانبا أجهزه التكييف .. التفرقة فى استخدام وسائل النقل .. الميل نحو تصديق الموظف وتكذيب العامل .. التفتيش عند الباب ساعة الانصراف .. والمهم فى هذا الصدد ان معظم هذه الامور تنظمها لوائح داخليه او قرارات من مجلس الادارة الذي يضم اربعة من العاملين بالانتخاب !.ومن الواضح طبعا انها لم تعرض على العاملين قبل اقرارها . وقد يتصور البعض انها امور تافهة ولكن ليس من سمع كمن راى ..

الناحيه الثانية هى حق ابداء الراى والنقد والمساواه فى التمتع بهذا الحق دون خوف من اضطهاد او اتهام بالشغب .. ولاشك أن من الحقوق الاصيلة للمالك ان يكون له رايه فى ادارة ما يملك واستغلاله بما يحقق له النفع،فاذا اشترك اكثر من واحد فى الملكية بانصبه متساوية فلابد وان يتساوى الجميع فى التمتع بهذا الحق .. وهذا ما يجب ان يكون عليه الحال فى ظل الملكية العامة لوسائل الانتاج .. ان تمتع كل عامل من العاملين بحق ابداء الراى والنقد بحرية امر على اكبر قدر من الاهمية ليس فقط من حيث شعور العامل بأنه مالك حقا ولكن ايضا من حيث حسن استخدام موارد المشروع والقضاء على الاسراف وزيادة الانتاج وخفض التكلفة .. ان فردا يزعم انه قادر وحده على البت فى كل هذه الامور لابد وان يكون مختل القوى العقلية او مخربا ممعنا فى التخريب..بل ولاحتى بضعة أفراد بمستطيعين أن يحسموا كل هذه الامور ، فلابد من اشتراك الجميع دون استثناء كل فيما يخصه أولا ثم فى الامور العامة ثانيا . وقديما قالوا ليس من يده فى النار كمن يده فى الماء .. ولاينهض ردا على هذا الكلام بأن الامر سينقلب اذن الى فوضى ولا ان الخبرة والراى السديد قاصرين على النخبة .. ذلك ان حق ابداء الراى والنقد لايمكن ان يمارس الا بالتنظيم .. وخلال اشكال تنظيمية يقرها الجميع ووفقا لتقاليد يشترك فى ارسائها الجميع .. لا خوف اذن من الفوضى .. اما مسألة «النخبة» فترد عليها الرد المفحم ما نقراه كل يوم من اخبار الاعجاز الذى يحققه العديد من العاملين الذين يحلو للبعض وصفهم « بالعاديين » ...

أما الناحية الثالثة فتتصل بأعمال المبدأ الذى يقضى بأن يكون الاجر على قدر العمل كما ونوعا والذى لايمكن اعماله الا بعد الملكية العامة لاننا اذا كنا جميعا قد أصبحنا ملاكا متساوى الانصبة فانه لايكون ممكنا توزيع الدخل وفقا لنصيب كل منا لانه لايمكن توزيع الدخل بالتساوى .. هنا يصبح العمل هو الفيصل ويصبح هذا المبدأ حافزا على أكبر قدر من الاهمية لزيادة العمل والارتفاع بمستوى أدائه وخفض نفقته .. فاذا ما رأى العاملون اهدارا مباشرا أو غير مباشر لهذا المبدأ حق لهم أن لا يشعروا بالملكية العامة .. ولكن رب سائل يسأل : اذا كانت الملكية الخاصة لم تعد أساسا لتوزيع الدخل واذا أهدر العمل كأساس لتحديد الاجر فعلى أى أساس اذن يتحدد ؟ واليه البيان .. الترقية من أهم السبل لزيادة الاجر وهى بالاختيار فى اغلب الدرجات لكى نأمن ضرر الترقية بالاقدمية المطلقة ولكن من يختار ؟ الرئيس .. كيف ؟ بكتابة تقرير سرى فى آخر كل عام عن كل واحد من مرؤوسيه .. فاذا ضمنا العدالة الكاملة وهو الامر المستحيل فهل نضمن عدم الوقوع فى خطأ بل هل نضمن عدم النسيان فلست أدرى كيف يمكن لرئيس أن يجلس ساعة أو جزءا من ساعة آخر كل عام ليوزع الارزاق على مرؤوسيه مهما قل عددهم ونتصور أنه سيتذكر كل النواحى الإيجابية والسلبية فيهم .. صحيح أن حق التظلم كفلته اللوائح ولكن قبوله لم يتكفل به شىء .. ما الطريق ؟ الطريق أن يكون للعاملين بكل قسم رأى فى ترقية من يستحق الترقية منهم ، ألم يعملوا مع بعضهم البعض طول العام ؟ وأكاد أسمع من يصيح فى استخفاف : هذا انسان حالم . أوصلت نفوسنا الى هذه الدرجة من الكمال ؟ وجوابى : لماذا اذن تفترضون وصول نفوس الرؤساء الى الكمال ؟ .. واذا كنا لم نصل فمتى نصل وكيف نصل الا اذا بدأنا .. وانا طبعا لا أقدم الاقتراح ليعمل به وحده ولكن كحلقة فى سلسلة طويلة من العمل الديموقراطى نبدأها فى مختلف النواحى .. فى ارساء المساواة فى المعاملة .. فى تمكين العاملين من ممارسة حقهم فى ابداء الرأى والنقد .. فى توسيع القاعدة الاجتماعية للادارة .. طريق آخر لزيادة الدخل هو ساعات العمل الاضافية وكم فى هذه الساعات من مجاملات .. طريق ثالث المكافآت التشجيعية .. طريق رابع غير مباشر لانه يزيد دخل الواحد بالنسبة الى زميله هو توقيع جزاءات الخصم .. طريق خامس هو بدل السفر .. وطريق سادس وسابع .. الى آخر الطرق التى يعلمها حق العلم جميع العاملين .

ولقد أثبت الكثير من تجاربنا الناجحة أن النجاح كان حليف الادارة التى استطاعت أن ترسى أسس العمل الديموقراطى ، عن طريقه شلت الروتين وطوعت اللوائح حتى قبل أن تعدل ، ولم تفزعها الرقابة ، وأمكنها أن تتخلص يوما بعد يوم من أثر القيم القديمة والرواسب الفكرية المتخلفة ، ولم يفتت جهودها تنازع على السلطات أو تشابك فى الاختصاصات ، ولم يعرقلها تعدد التنظيمات الشعبية داخل المنشأة بل لعله ساعدها ، ولم يشغلها النقاش المتفلسف حول الحوافز او البحث عنها ، بل لقد كان العمل الديمقراطى هو نفسه الحافز الاول ، وكم من مثل ضربه العاملون فى أكثر من شركة من العمل ساعات اضافية دون أجر ودون اجبار الى تنازل عن المكافآت الى حل لنقط الاختناق الى تصنيع لبعض قطع الغيار وغير ذلك من الامور التى نتمنى أن تصبح فى القريب ظواهر عامة .

وبعد فانى اذا كنت لم أتعرض لمسألة اللوائح وسلطات الادارة ومشاكل الرقابة وانعدام التنسيق بين الاجهزة المختلفة وغير ذلك من امور عديدة تتصل بالادارة فليس ذلك اهمالا لشأنها ، ولكن ايمانا منى بأن دراستها بمعزل عن القضية الاساسية لن تصل بنا الى أية حلول يشهد على ذلك ما قيل من كلام كثير سواء فى الصحف والمجلات أو فى تقارير العديد من اللجان أو فى مناقشات الندوات وتوصياتها ومعظمه كلام صحيح ولكن الحال ظل على ما هو عليه .

القضية الاساسية هى البدء فورا فى توسيع القاعدة الاجتماعية للادارة عن طريق العمل الديموقراطى الذى يضمن اشراك أكبر عدد ممكن من العاملين ، وصولا الى اشراكهم كلهم فى وضع خبراتهم الفنية وطاقاتهم المذهلة ومشاعرهم النبيلة الاصيلة فى خدمة أهداف جماهير الشعب وفى القضاء على ما بينهم من تناقضات ثانوية واشعال روح الفرقة فيهم ، وذلك كله من خلال أشكال تنظيمية وأساليب للعمل اليومى يشترك فى وضعها الجميع فيحترمها الجميع وتضمن التفاعل الحى المستمر والمساواة بين العاملين وممارستهم ابداء الرأى والنقد وهو حق وواجب فى نفس الوقت ، كما تضمن احترام قيمة العمل احتراما دقيقا ، وعلاقات عمل انسانية تشعر الانسان حقا بكرامته وعلو شأنه وبأنه فعلا سيد نفسه ..

بهذا وبهذا فقط يبدأ حل كل العقد .. يبدأ ذوبان كل القيم البالية ... وتنفك عقدة الخوف من الوقوع فى الخطأ التى تدفع الى عدم العمل .. وتتضح الحدود بين مختلف المستويات .. وهنا تصبح اللوائح والنظم معبرة تعبيرا صحيحا عن الواقع وادوات فعالة فى ايادى العاملين لا ادوات تعرقلهم أو أدوات يستخفون بها من كثرة مايصيبها من تعديل وتعدد بل وتضارب ما تلقى من تفسير .

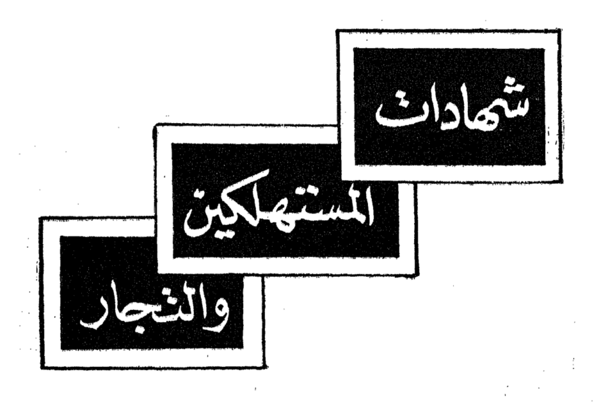


تشغل السوق السـوداء حيزا كبيرا من اهتمامات جميع فئـات الشعب ، اذ يمتد اثرها ليشمل كل قطاعات المجتمع ومجالات النشاط القومى ، فهى بالنسبة للمستهلك عـامل انكماش لدخله الحقيقى ، وعائدها من أرباح غير مشروعة يعود فى النهاية الى فئة من العناصر الطفيلية ، تستنزف القدرات الادخارية وتعرقل التنمية وتسىء الى العلاقات الاجتماعية ، وتفرغ الديمقراطية من محتواها القائم عـلى عدالة التوزيع واجتثاث جذور الاستغلال .

واليوم تتصدى «الطليعة» للاسهام فى بحث وتحليل هذه القضية، محـاولة الوصـول الى حلول عملية فى اطـار الظروف الواقعيـة والامكانيات المتاحة . وقد عمدت « الطليعة » فى دراستها هذه الى استخدام ثلاث وسائل رئيسية :

- شـهادات واقعية عن الميدان موضـع البحث ، من مجموعة ـ متفاوتة الدخول ـ من المستهلكين ، وعدد من الموزعين والتجار بتخصصاتهم المتباينة فى القطاع التعاونى والخاص .
- تقارير عدد من المسئولين يكتبونها من واقع خبرتهم العملية فى الجهاز التنفيذى والقطاع العام والغرفة التجارية والنيابة العـامة ومباحث التموين ، بالاضافة الى تقرير صحفى يتابع يوميا مشـاكل التمـوين .
- بحوث نظرية واقتصادية سياسية واجتماعية حـول أسباب السوق السوداء ، والحلول المقترحة للتغلب عليها .





١ ـ شهادات المستهلكين

■ ■ الدكتور وليم ناشد
مدير وحدة مسرة العلاجية سابقا ـ رئيس اللجنة الثقافية الصحية بروض الفرج ـ مقيم بحي شبرا ـ الاسرة ٤ افراد ـ الدخل الشهرى فى حدود ١٠٠ جنيه .

ترجع اسباب السوق السوداء الى زيادة عدد السكان وارتفاع مستوى المعيشة مما ادي الى زيادة الاستهلاك ، بصورة لا تتفق مع الانتاج . وكذلك جشع بعض المواطنين بالحصول على أكثر من حاجياتهم مما يؤدى الى نقص فى بعض السلع وحرمان مواطنين آخرين من الحصول عليها مما يضطرهم لشرائها من السوق السوداء ، وكذلك تخزين التجار الجشعين للسلع وتلاعبهم بأسعارها . وقصور الجمهور وربات البيوت فى محاربة السوق السوداء بمقاطعة هؤلاء التجار والابلاغ عنهم .. وقد شاهدت سيدة تقف على باب احدى الجمعيات التعاونية وتبيع الصابون الذى حصلت عليه من نفس الجمعية علنا بأعلى من سعره . ولو وجدت هذه السيدة مقاطعة لها فلن تكرر عملها ولكن الذى يحدث العكس ، وهذا ما يشجع امثالها على التردد على الجمعيات والحصول على السلع بأية وسيلة ثم بيعها وهى بلا شك عملية تدر ربحا ليس فيه مشقة .

والسلع التموينية هى اكثر السلع تداولا فى السوق السوداء ، ولعلاج هذه الحالات ينبغى زيادة الانتاج واقترح ان يتبرع كل عامل بساعة اضافية من عمله كل اسبوع وهذه الساعة بلاشك ستزيد من حصيلة الانتاج على ان تقوم التوعية فى كل مكان لتنظيم الاسرة وتحديد النسل والحد من الاستهلاك ، كما يتعين ادخال المواد التموينية الاساسية الضرورية كالارز والصابون فى البطاقة التموينية ، كما يتعين على ربات البيوت مقاطعة السلعة اذا زاد سعرها وان يكونوا فى كل حى

وحدات منهن لمحاربة الانحراف والسوق السوداء .

■■ حرم العميد محمد بكير خلوصي

زوجة ـ شارع الشيخ ريحان ـ الاسرة ٤ افراد ـ الدخل الشهرى فى حدود ١٠٠ جنيه .

ترجع اسباب السوق السوداء الى تهافت الاسر على شراء انواع معينة من المواد التموينية بكميات كبيرة تزيد عن حاجتهم وذلك لشعورهم بقلة هذه المواد ، فيلجأ تجار السوق السوداء الى شراء كميات كبيرة من هذه السلع واخفائها ثم يعيدون اظهارها مرة اخرى بأسعار باهظة ، مما يضطر المستهلكين الذين لم يحصلوا على حاجتهم من هذه البضاعة الى شرائها بتلك الاسعار التى حددها التاجر المستغل .

كما ان بعض التجار يلجأون الى شراء كميات كبيرة من السلع فور علمهم بتصدير كميات منها الى الخارج كما كان يحدث بالنسبة للارز ، ثم يقومون بتخزينها لديهم مع ترديد الاشاعات بنفادها لبيعها فى السوق السوداء .

ولعلاج هذه المشكلة ان تدخل كل اسرة فى حسابها انه يمكنها الاستغناء عن بعض السلع التى قد لا تتوافر فترة من الزمن حتى ولو كانت ضرورية ، والامتناع عن شراء السلع من السوق السوداء ومقاطعة التجار المستغلين ، وبذلك يلجأ هؤلاء الى اظهار السلع مرة اخرى بأثمانها العادية .

■■ سميرة محمد رشاد ..

موظفة بشركة اسكو ـ الاسرة ٥ افراد ـ الدخل الشهرى فى حدود ٦٠ جنيها .

ترجع اسباب السوق السوداء الى عدم توافر السلع احيانا كالسلع التموينية . والى جشع بعض المستهلكين الذين يحصلون على اكثر من حاجتهم ويقومون بتخزين السلع فى الوقت الذى يحرمون فيه غيرهم من الحصول عليها ، وكذلك عدم انتظام نزول السلع الى السوق ، كان تنزل اصناف الصيف فى وسط الشتاء وتختفى الاصناف الشتوية .

والسلع التى لا تتوافر فى السوق وتباع بأكثر من اسعارها ، مبشور الصابون اللازم للغسالات وخيوط التريكو الصوفية وبعض اصناف الكستور وكذلك الخضروات .

وانا اعتدت ان اشترى حاجتى من المجمعات ولا اشترى من خارجها الا القليل كالخضروات .. مثلا الطماطم تباع فى المجمع بـ ٤ قروش فى الوقت الذى تباع فيه فى السوق بـ ٨ قروش ، وكذلك الحال بالنسبة للبسلة التى تبيعها المجمعات بـ ٦ قروش ونصف بينما تباع فى السوق بـ ٩ قروش .. لذا يلزم ان تتوافر الخضروات لدى المجمعات بكميات كبيرة لسد حاجات ربات البيوت وخاصة الموظفات اللائى يشترين حاجياتهن بعد انصرافهن من عملهن كما يلزم كعلاج لمحاربة انحرافات البقالين اعطائهم السلع بسعر الجملة الذى تباع به للمجمعات ليحصلوا على ربح كاف فلا محل لاعطائهم المعلبات بسعر اغلى من السعر الذى تباع به للمجمعات ، كما يلزم وضع السلع التى تتعرض لازمات مفاجئة فى بطاقة التموين لحين توافرها .

■■ سيد حنفى عوض ..

موظف بالمصانع الحربية ـ الاسرة ٥ افراد ـ الدخل الشهرى فى حدود ٦٠ جنيها .

من اسباب السوق السوداء عدم التخطيط الدقيق لاحتياجات الاستهلاك ، وقصور اجهزة الاعلام ولجان الوحدات الاشتراكية فى توعية جمهور المستهلكين

لتنظيم استهلاكهم للمواد التى ستتعرض لعجز فى كمياتها ، وكذلك جشع بعض التجار الذين يحاولون الاثراء بأى طريق وعدم متابعة قرارات وزارة التموين لمنع الاستغلال .

ولعلاج هذه الحالات يجب ادخال المواد التى تتعرض للتلاعب فى اسعارها البطاقة التموينية وتعديل قوانين التموين الى حد اعتبار خلق السوق السوداء خيانة فى حق الشعب لا تقل عن الخيانة فى الحرب وكذلك غلق محلات المتلاعبين فى الحال، واعداد حوافز مادية لمفتشى التموين ومراقبى الاسعار لزيادة نشاطهم .. والتحام الاتحاد الاشتراكى بالجماهير لتوعيتهم بكافة الوسائل لمحاربة السوق السوداء .

■■ كوكب محمود اسماعيل ..

زوجة — الاسرة ٦ أفراد — الدخل فى حدود ٥٠ جنيها .

ترجع اسباب السوق السوداء فى عملية العرض والطلب فالسلع القليلة سرعان ما تختفى ، « اما بالتجاء التجار الى تخزينها لبيعها بثمن مرتفع » ، واما بسبب تهافت الناس عليها خشية نفادها الى الابد كما يتصورون .

والرأى فى القضاء على السوق السوداء ، هو تشديد الرقابة على التجار ، والتهديد بغلق متاجرهم وسحب السجلات التجارية منهم ، بالاضافة الى قيام المستهلكين بالاقلاع عن شراء سلعة بأكثر من سعرها المحدد ، او عدم التهافت عليها .

وهذه الطريقة ستضعف من قيمة السلعة ، بل وتفقدها الحاجة اليها كما حدث فى انجلترا ، عندما ارتفعت اثمان الاسماك ، فامتنع المستهلك عن الشراء ، واضطر التاجر الى النزول على رغبات المستهلكين بعد ان فسدت الاسماك ..

■■ عبد الغنى احمد ابراهيم ..

محام بشركة المحاريث والهندسة — مقيم بشبرا — الاسرة ٥ افراد — الدخل ٤٠ جنيها .

أسباب السوق السوداء : ● عدم الدقة فى وضع سياسة تخطيطية للسلع التموينية للامد البعيد وكان نتيجة ذلك ان يحدث قصور فى طرح تلك السلع فى بعض الاوقات يحس بها الانتهازيون ويحبسونها عن السوق فيتهافت المستهلكون عليها فتنشأ الازمة ويتسارع الناس فى تخزين الموجود منها فتظهر الازمة فتقوم السلطات التموينية بعلاجها بطرح السلعة المختفية وسرعان ما يخلق الانتهازيون ازمة اخرى بنفس الطريقة لسلعة تموينية اخرى .

● الاشاعات التى يثيرها تجار القطاع الخاص عن بعض السلع التموينية بعد ان يقوموا بشراء كميات وفيرة منها من الجمعيات التعاونية بواسطة اتباعهم فينشأ عن ذلك نقص فى هذه السلع من الجمعيات التعاونية . فينفرد هؤلاء ببيعها للمستهلكين بالسعر الذى يشبع جشعهم .

● عدم كفاية أجهزة الرقابة فى التفتيش على تجار القطاع الخاص والاطلاع بصفة دورية ومستمرة على فواتير شراء السلع مما يسمح للمتلاعبين من التجار باستغلال جمهور المستهلكين ورفع الاسعار حسب اهوائهم . واكثر السلع التى تتعرض للاستغلال فى السوق السوداء هى السلع الغذائية التى لا يستغنى عنها المستهلكون على مختلف طبقاتهم ويليها السلع الاستهلاكية .

ومن الافضل ان يكون توزيع السلع على تجار القطاع الخاص توزيعا نوعيا بمعنى ان ينفرد البقال ببيع اصناف البقالة فقط حتى تكون الرقابة عليه سهلة بالنسبة للتفتيش الذى يقوم به رجال التموين لانه ان كان يتجر فى مواد غير مخصصة له يسهل عليه رفع اسعارها حسب هواه ويتسع امامه بيعها فى السوق السوداء .

ومن رأيى ان تقوم الجمعيات التعاونية ،

وحدها دون غيرها ببيع السلع التموينية حتى لا يتعرض جمهور الشعب لجشع تجار التجزئة ورفع اسعار تلك السلع الضرورية التى لا يستغنى عنها اى مواطن .

على ان يقصر التعامل والاتجار فى المواد الكمالية على القطاع الخاص .

وعلى وزارة التموين الاكثار بدرجة كبيرة من الجمعيات التعاونية ، لتكون فى متناول المستهلكين وقريبة من مساكنهم . وان تقوم تلك الجمعيات بفتح ابوابها للجمهور فى الصباح الباكر وغلقها الساعة ١١ مساء حتى لا يضطر الجمهور الى الالتجاء الى تجار التجزئة والشراء منهم حسب ما يفرضونه عليه من اسعار مرتفعة اكثر من التسعيرة الجبرية .

كما يجب ان تقوم وحدات الاتحاد الاشتراكى فى كل مكان بتوعية المواطنين بمقاطعة الشراء من التجار الجشعين والحد من الاستهلاك وعدم الجرى وراء اشاعات المغرضين من تجار السوق السوداء وعدم تخزين السلع .

■ محمد ابراهيم الدجوى ..

موظف تجارى — الاسرة ٥ افراد — الدخل فى حدود ١٥ جنيها .

شحية الصنف فى السوق بتخلق السوق السوده ، والاصناف دى زى البفتة والدمور والزفير بالنسبة للقماش وزى الزيت والصابون والفلفل بالنسبة لبعض المواد التموينية .. وده راجع الى ان تجار الجملة بياخدوا الصنف ويوزعوه فى الارياف للتجار علشان مفيش رقابة هناك .. البفتة اللى سعر المتر فيها ١٢٨ مليما يباع هناك بـ ٢٠ قرشا والدمور اللى سعره ١٢٠ مليما يباع بأزيد ٦ قروش فى المتر وكذلك الحال فى باقى الاصناف .. ونفس العملية بتحصل فى اصناف البقالة وبعض البقالين يحصلون على كميات من السلع من الجمعيات الاستهلاكية ويعيدون بيعها فى محلاتهم بأكثر من سعرها ..

ولازم تكون هناك رقابة على تجار الجملة ، وعلى موظفى محلات القطاع العام والجمعيات التعاونية منعا لتلاعبهم وصرفبعض انواع البضائع على معارفهم فقط ، واكبر مثل لذلك صوف امبريال الخاص بالعباءات الذى يختفى فور نزوله مباشرة دون سبب معروف والذى يباع بزيادة جنيه للمتر الواحد . ولابد من توزيع عادل للاصناف الشعبية على جميع تجار التجزئة .

ب — الجمعيات التعاونية والتجار

■ عبد الله التلبانى

مدير مجمع التلبانى بشارع نوبار — السيدة زينب .

المستهلك هو السبب الاول فى حدوث بعض الازمات وذلك لتهافته على بعض انواع السلع داخل الجمعيات كنتيجة لاحساسه احيانا بعدم توافرها الذى قد لا يكون ناتجا عن عجز فى السلعة ، ولكن لاسباب اخرى كتأخر وصولها الى الجمعيات لاسباب تتعلق بالنقل مثلا . فبمجرد تأخر وصول طلبية واحدة يعطى هذا الاحساس . كما تعطى الطوابير فى الجمعيات نفس الاحساس ، فنجد كثيرا من المواطنين يقفون فى الطوابير لمجرد رؤيتهم للطوابير دون سابق معرفة بالسلعة التى يتزاحم الناس لشرائها بالرغم من ان هذه السلعة قد تكون متوفرة لديه ، ولكن مجرد رؤيته للطابور يشعره بوجود ازمة فيها .. هذا علاوة على احتراف بعض النسوة والرجال من المستهلكين عملية الاتجار بالسلع التى يحصلون عليها من الجمعيات ، فيحصلون على السلعة الواحدة اكثر من مرة واحدة فى وقت واحد ،

وهؤلاء يعطلون الطوابير لكثرة مشاغباتهم وعدم احترام النظام ».

والازمات تبدو دائما فى الاصناف الشعبية التى ترتبط بالسواد الاعظم من المستهلكين ، كالزيت والصابون والسمن الصناعى مثلا بينما لا تظهر فى بعض السلع الاخرى بالرغم من وجود عجز فى انتاجها ، فالمعلبات مثلا رغم ان هناك نقص فى كمياتها ، الا ان احدا لا يشعر بهذا النقص لان الطلب عليها محدود ولطبقة معينة .

ومما لا شك فيه ان السلع وخاصة التموينية منها متوفرة هذا العام بل ومكدسة بالمخازن ولم تحدث اية ازمة وذلك لطرح كميات كبيرة وبصفة مستمرة من هذه السلع وهو انجح علاج للقضاء سوق السوداء ، والسمن الصناعى هو ابرز مثال لذلك ففى العام الماضى تسلم المجمع خلال شهر رمضان ٣ اطنان فقط مما جعل الناس يتهافتون عليه .. بينما فى رمضان من هذا العام تسلم المجمع ٤٥ طنا وباعها كلها دون ان يحدث تهافت او طوابير وذلك لمجرد رؤيتهم لهذه السلعة متوافرة امام اعينهم .. وعندما نظمت عملية توزيع الصابون بالبطاقات قل التهافت عليه لان كل شخص حصل على حاجته واصبح لا مجال لمحترفى السوق السوداء فيه الامر الذى يتعين ادخال الصابون فى بطاقات التموين وتعميم هذه التجربة بالنسبة لبعض السلع الاخرى اذا مرت بظروف مشابهة .. وكوسيلة للقضاء على محترفى السوق السوداء من صغار المستهلكين والبلطجية ، فاننا نقوم باخراج الصبية الصغار الذين يستأجرونهم من الطوابير ولا نعطيهم اية سلع رغم ما نتعرض له من اهانات نتيجة لذلك ».

■ **عبد الحليم محمد عبد الله**

عامل بائع بقسم البقالة بمجمع التلبانى .

السوق السودة بتكون نتيجة عدم توافر البضاعة احيانا ، وبعض النسوة والبلطجية اللى مالهمش عمل بيأجروا اولاد علشان يقفوا فى الطوابير ويحصلوا على البضاعة كالفلفل والصابون والزيت وحجارة البطاريات علشان يتاجروا بها بره . ودول بيرابطوا دايما امام المجمعات وعندهم علم سابق بموعد وصول البضاعة .. وفيه بعض بقالين التموين بياخدوا حصتهم من الصابون نمرة واحد ويبيعوها جملة فى السوق السوداء ويصرفوا للمستهلكين صابون نمرة ٢ وهو اقل جودة وبأسعار اغلى ودول لازم التموين يراقبهم ».

■ **فيكتور عزيز متى**

تاجر قطع غيار سيارات بشارع رمسيس — عضو اللجنة القيادية بالاتحاد الاشتراكى بالازبكية — رأس المال ١٦٥ ألف جنيه — يستخدم ١٠ عمال .

من بين اسباب السوق السوداء ، التداخل فى عمليات الاستيراد وعدم كفاية السلع المستوردة للاستهلاك المحلى .. مثلا فى قطاع ، قطاع غيار السيارات تقوم ٨ من شركات القطاع العام باستيرادها فيحدث تكرار لبعض الاصناف بما يزيد عن حاجة الاستهلاك الفعلية ونقص بعض الاصناف الاخرى مما يسبب عجزا فى السوق .. مع ان قطع الغيار يكمل بعضها البعض ولابد ان تكون التشكيلة الخاصة بجميع الموديلات والماركات كاملة والتى تصل فى بلادنا الى نحو ٧٠٠ موديل ..

كما ان عدد تجار قطع الغيار زاد زيادة غير طبيعية . فقد كان عددهم قبل ٣ سنوات ٥٠ تاجرا واصبح الان اكثر من ٦٠٠ معظمهم دخيل على المهنة وليس لديهم رءوس اموال وقد ساعدهم وشجعهم على ذلك ، نظام الحصص الذى تتبعه الشركات ، وفتح السجل التجارى الذى اتاح للكثيرين من هؤلاء الدخول فى هذه المهنة والحصول على حصص لانفسهم مقابل قروش زهيدة يدفعونها لقيدهم فى السجل دون ان يعرفوا عن هذه التجارة شيئا . ونتيجة لذلك يخص كل تاجر حصة ضئيلة جدا لا تكفى بأى حال الاستهلاك المحلى ، كما ان نسبة الربح فيها لا تتناسب مع اعباء التاجر .. وفى بعض الاحيان يستلم التاجر مقابل

حصته قطع غيار من اصناف لا يتعامل فيها مما يضطره الى بيعها لتاجر آخر ويدفعه الى شراء قطع الغيار تخصصه من تاجر ثالث بأى اسعار كانت وذلك لتكملة الصنف الذى يتعامل فيه .. كما ان البعض من الدخلاء على المهنة يبيعون حصصهم دفعةواحدة دون توزيعها على المستهلكين الحقيقيين . وهذه الحصص يجرى تخزينها وبيعها فى السوق السوداء . هذا مع العلم بأن مهنة تجارة قطع الغيار مهنة فنية تستلزم من كل تاجر خبرة كافية بأسرارها .

كما ان شركات القطاع العام لا تهتم باستيراد قطع الغيار الخاصة بالموديلات القديمة ، فى حين ان السيارات المتداولة معظمها قديم ، وهؤلاء يلجأون الى شراء قطع الغيار عن طريق عمليات التهريب بأسعار خيالية .

ومعظم قطع الغيار غير متوفرة فى السوق ، وتمثل نسبة تصل الى ٩٠ ٪ .

وبالنسبة لتخصص التجار ، اقترح ان يتخصص كل تاجر اما فى ماركة من ماركات السيارات التى تخصص فيها والتى يرغب فى الاتجار فى قطع غيارها . او ان يتخصص فى نوع من انواع السلع الخاصة بالسيارات اى ان يكون تاجر الادوات الكهربائية للسيارات يتخصص فيها وتاجر الرولمان بلى يتخصص فى تجارتها وكذلك تاجر الادوات الزراعية بالنسبة للجرارات . وليس من المعقول ان يصبح تاجر بقالة او صاحب صالون او مكوجى او نجار ان يصبح فى غمضة عين تاجرا لقطع غيار السيارات بمجرد ان يكتب يافطة كبيرة على محله بأنه تاجر قطع غيار لجميع انواع السيارات .. كما انه ليس من المعقول ان يصبح تاجرا لهذه الاصناف برأسمال ٥٠٠ جنيه فقط فى حين ان قيمة القطع اللازمة لاصلاح سيارة نقل واحدة تصل فى بعض الاحيان الى ٥٠٠ جنيه . او ان يضيف تاجرا للراديو الى سجله « تاجر لوازم السيارات والثلاجات والادوات الصحية » ليحصل على حصص من الشركات التى تتجر فى هذه الاصناف .

ولعلاج هذه الحالة ، ارى الاستعانة بذوى الخبرة والسمعة الحسنة من التجار عند عمل طلبات الاستيراد من الخارج بأن تشكل لجنة منهم لاخذ رأيهم فى النقص الموجود من البضائع وفى الاصناف التى يجب طلبها وفى الجهات التى تستورد منها هذه البضائع بأقل الاسعار .

على ان تقوم شركة واحدة من شركات القطاع العام بعملية الاستيراد توحيدا للعمل ومنعا لتضارب الطلبات بين شركة واخرى ، كما يجب ان يتم التوزيع عن طريق شركة واحدة ومصدر واحد احكاما للرقابة عليها على ان تكون حصة كل تاجر تبعا لاحتياجاته الفعلية بالنسبة للمحافظة التى يعمل فيها وانواع السيارات المستعملة داخلها ، وتبعا لرأسماله ومقدار ما يدفعه للضرائب عن الخمس سنوات السابقة .. وحرمان اصحاب المحلات الصورية واصحاب المكاتب الذين ليس لهم محلات بيع من حصصهم . وكذلك المحلات التى تبيع حصصها دفعة واحدة ..

والعمل على الاكثار من محلات البيع والورش التابعة للقطاع العام فى جميع المحافظات مع توفير قطع الغيار اللازمة لها . وتحديد نسبة ربح معقولة تتناسب مع سرعة دوران كل صنف ، ويلتزم التاجر باحترامها والاعلان عن سعر البيع على السلعة نفسها على ان يتم البيع رأسا للمستهلك اى لصاحب السيارة نفسه عند تقديمه رخصتها . وفى النهاية يجب الحد من فتح محلات جديدة .

■ **خالد عبد الدايم**

تاجر اقمشة بشارع الموسكى ــ رأس المال المتداول ١٥ الف جنيه ــ يستخدم ١٢ عاملا .

مما لا شك فيه أن تجارة الجملة وانتقالها الى القطاع العام خلال السنوات الثلاث المقبلة قد حد كثيرا من السوق السوداء وخاصة فى تجارة الاقمشة فقد كان تجار الجملة أحد العناصر الرئيسية فيها ، بما يحصلون عليه من حصص ضخمة يبيعونها كلها فى السوق السوداء .. غير أن نظام توزيع الحصص الذى بدأ هذا العام بواسطة محلات القطاع به بعض الثغرات التى تنفذ من خلالها السوق السوداء .. وأنا تاجر مربوطة حصتي على محلات عمر أفندى .. والحصة تصرف فى غير المواعيد المحددة لتوزيعها كأن يتم صرف الاقمشة الشتوية كالكستور فى غير أوانها وكذلك الحال فى الاقمشة الاخرى . كما أن حصة الاقمشة تصرف اجبارية وبأصناف مركبة على اخرى تفرض على التاجر ويلزم باستلامها ولا تتناسب وحالة التوزيع فى السوق واذا أمتنع عن استلامها شطب اسمه وحرم من حصته .. فمثلا

فى حصة قيمتها ٥٤٦ جنيها .. وفى غير موسم الشتاء لم تتضمن الحصة سوى ١٢ ثوبا من كستور المحلة قيمتها ٣٨ جنيها ، مع أن هذا الصنف من الكستور هو الذى يشتد عليه الطلب نظرا لرخص سعره وجودته فى الوقت التى تضمنت الحصة أصنافا أخرى من الكستور بكميات أكبر ، وبسعر أكبر ولكن أقل جودة وهذه تعتبر فى العرف التجارى بضاعة خمال لانها ستظل مركونة بلا بيع .. وهذا يدفع بعض التجار اما الى بيع حصصهم دفعة واحدة دون توزيع على المستهلكين واما بيع بعض الاصناف المطلوبة فى السوق السوداء لتعويض ما قد يخسره فى باقى البضاعة التى فرضت عليه .. وعمليات البيع فى السوق السوداء تتم عادة للمصانع الجاهزة التى لا تستطيع استيفاء حاجتها من مصانع القطاع العام .. وكذلك الحال بالنسبة للاقمشة الشعبية .. هذا فى الوقت الذى كان فيه التاجر فى الاعوام الماضية يستطيع الحصول على أى كمية يريد من كستور المحلة أو غيره دون أن يلزم بشراء شىء آخر معه ما دام سيؤدى ثمنه كما أن الارياف سوق رابحة للسوق السوداء حيث تتم عملية بيع الاقمشة بأزيد من أسعارها نظرا لانعدام الرقابة هناك

ومن السلع الغير متوافرة والتى يجرى تداولها فى السوق السوداء لتجارة الاقمشة ، عدا كستور المحلة وكستور البيضا والدبلان والدمور وزفير النهضة والفولار وتروكولين البيضا .. ومعظم أصناف شركتى المحلة والبيضا ..

ويجب أن يكون هناك تخصص فى التجارة ، كأن يتخصص تاجر الاقمشة فى الاقمشة فقط لا أن يكون هناك تاجر واحد لتجارة الاقمشة والخردوات والادوات المنزلية وغير ذلك كما هو متبع الان .

ومن ناحية العلاج ، يجب أن يكون توزيع الحصص فى وقت مناسب وبكميات كبيرة تتناسب مع استهلاك كل تاجر وبدون تركيب أصناف خمال على الاصناف المطلوبة بل يجب وقف انتاج الاصناف الغير مطلوبة ، وزيادة انتاج الاصناف المطلوبة طالما أن الزبون قد تعلق بها ولا يرغب الا فيها .

■■ أحمد كشك

تاجر بقالة بشارع القصر العينى — جاردن سيتى — رأس المال ٦٠٠ جنيه — يستخدم عاملان .

عــدم عدالة توزيع بعض السلع بالنسبة لظروف كل حى يؤدى الى نقصها أحيانا ويوجد سوقا سوداء لها ، فمثلا متجرى بخدم منطقة جاردن سيتى ، وكل أصناف المعلبات هى اللى ماشية فى ذلك الحى ، ومع ذلك نجدهم بساوونى فى كمية المعلبات وخاصة المستوردة منها بواحد قاعد فى الدرب الاحمر أو الدراسة اللى يقل فيها الطلب على المعلبات وده بيجعل هذه السلعة تتداول الى أكثر من تاجر ، وفى النهاية تباع بأكثر من سعرها .. وفيه سبب تانى وهو أن مفيش ربح كاف لبعض السلع ، فضلا عن أن التاجر الصغير يغلق محله ويعطل وقته للانتقال الى فروع الجملة التابعة للجمعية الاستهلاكية لصرف حصته ، ودا بدفع البعض منهم لبيع السلع اما دفعة واحدة أو بأغلى من سعرها لتعويضه عن اليوم الذى تعطله . وده فى الوقت اللى كانت البضاعة زمان بتوصل الينا بواسطة سيارات الشركة وبكميات غير محدودة حسب طلب كل تاجر

ولعلاج هذه الحالات ، يلزم أن يعطوا لكل تاجر الحرية فى الحصول على ما يريد من السلع الذى تناسب منطقته ولا يلزموا الاخرين فى الاحياء الاخرى باستلام سلع لا تروج عندهم

وأن تنقل السلع الى التاجر . كما كان يحدث سابقا وهذه العملية توفر مصاريف النقل للتاجر وتجعله يقنع بالربح القليل ، وخاصة وأن سيارات نفس الشركات المنتجة للسلع مركونة ، وسائقيها مركونين وموزعيها مركونين ايضا . فلابد من استغلالهم فى ذلك . وأن تطرح السلع الناقصة بكميات كبيرة للقضاء على أى أزمة مفتعلة وأن تكون هناك توعية للتجار ، ومتابعة لتوزيع السلع لمعرفة العجز فى كل منطقة . وبعد ذلك تشدد العقوبة حتى ولو أدى الامر الى مصادرة التاجر المنحرف

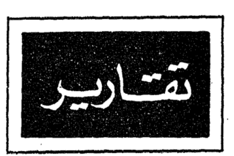
■■ عبد الحميد مطر

صاحب مكتبة بشارع شريف — رئيس شعبة الادوات الكتابية بالغرفة التجارية — يستخدم ثلاثة عمال .

ترجع اسباب السوق السوداء الى سوء توزيع السلع .. ففى مجال الادوات الكتابية ، فرغم توافرها فى مخازن الشركات المستوردة لها الا أن سوء توزيعها يجعل هناك عجزا دائما فيها مما يعطى الاحساس بوجود سوق سوداء لها . فالتوزيع لا يتم فى وقت واحد بالنسبة لمحلات القطاع العام ، وباقى المكتبات ، كما يتخلله تعقيدات كثيرة قبل أن تصل حصة كل مكتبة وهى قليلة لا تفى بحاجة المكتبات وما عليها

من أعباء فضلا عن عدم انتظامها فى مواعيد دورية على مدى السنة بالرغم من وجود مخزون كبير من الاصناف التى تتعرض للتلف السريع كورق الاستنسل وبالنسبة للادوات غير المتوافرة فى السوق الان ، الورق الابيض الفولسكاب بأنواعه وورق الرسم الشفاف وورق الاستنسل وحبر الكتابة والحبر الشينى وأنابيب الالوان

ولعلاج هذه الحالات ينبغى أن يتم توزيع حصص المكتبات فى الوقت الذى توزع فيه هذه الحصص على ستاندرد ستيشنرى والشركة العربية لتوزيع وتصنيع الورق حتى يجد المستهلك حاجته دون أن يحس بنفادها اذا لم يجدها فى هاتين الشركتين . كما يتعين تبسيط اجراءات توزيع هذه الحصص بحيث تصل بصفة دورية .



نظام توزيع الحصص واستغلال قانون العرض والطلب

المهندس حسنين محمد حسنين
وكيل وزارة التموين والتجارة الداخلية

تجتاح السوق فى الوقت الحالى نوبة مصطنعة من غلاء الاسعار يشعر بها المواطنون على جميع المستويات دون مبرر معقول الا جشع بعض التجار وانحرافهم وانتهازهم للفرص .

والملم بمبادىء الاقتصاد يدرك ان السلعة عرض وطلب فان قل العرض عن الطلب زادت الاسعار وان زاد العرض انخفضت الاسعار . وقد استغل كثير من التجار هذه القاعدة اقصى استغلال للصالح الشخصى متجاهلين المنطق الشريف للتجارة ومبادىء الميثاق فعمدوا الى اخفاء السلع والاقلال منها فى السوق بغرض رفع الاسعار فعمت السوق موجة من الغلاء المفتعل ونشطت التجارة السوداء .

أسباب السوق السوداء

أولا : انحراف التجار

وترجع أسباب ارتفاع الاسعار الى انحراف كثير من التجار خصوصا الدخيل منهم على مهنة التجارة ويتخذ انحراف التجار الاشكال الاتية :

ان يقوم التجار باستلام الحصص المقررة لهم من بعض السلع واخفائها عن التداول والعرض منها بكميات قليلة لاحساس السوق بقلتها .

كذا قيام التجار لاسباب مختلفة ببيع تراخيص

الحصص المخصصة لهم — دون اداء الخدمات للمستهلكين — الى تجار آخرين فيزيد تداول السلعة بين الايادى المختلفة وترتفع اسعارها .

وقد تبين من الدراسات التى تمت ان هناك عددا كبيرا من التجار ممن لديهم امكانيات مادية كبيرة يحتكرون السوق ويتحكمون فى الكثير من السلع عن طريق شراء حصص التجار الصغار وتجميعها وتخزينها حتى بلغت قيمة هذه السلع الملايين من الجنيهات . والكثير من هؤلاء قد تعرضت الصحف لاسمائهم فى الاونة الاخيرة .

وقد يلجأ التجار المنحرفين عند بيع السلع المسعرة التى يتمكنون من رفع اسعارها الى عرض سلع بديلة او شبيهة ويبيعونها باعلى الاسعار على اعتبار انها خارج التسعيرة ، كما هو ملاحظ فى هذا الموسم فى البلوفرات الصوفية المطروحة فى السوق — فالبلوفرات المسعرة تصل فى اقصاها الى حوالى ستة جنيهات للانواع الجيدة فى حين تصل البلوفرات الحرة الى اكثر من خمسة عشر جنيها وكلا النوعين من البلوفرات التى تصل فيها نسبة الصوف الى ١٠٠٪ .

وقد يلجأ التجار لرفع اسعار بعض السلع المسعرة عن طريق رفع اجور الخدمات اللازمة لها كتركيب الزجاج بالمنازل فان تاجر الزجاج يرفع سعر التقطيع ، او الشطف نظرا لان الزجاج خاضع للتسعيرة وكذلك الحال فى اصلاح الساعات وغيرها .

ثانيا : الاسلوب الضار الذى يتبعه المستهلكون

قد يكون لزيادة دخل الفرد وبالتالى امكانيات الاسر وارتفاع مستوى المعيشة سببا فى الاقبال على السلع وقبول الاسعار التى يفرضها التجار .

وقد لوحظ اندفاع المستهلكين للحصول على السلع التى ليسوا فى حاجة عاجلة اليها ، بشكل يجعل هذا الاقبال خطرا مباشرا وسريعا على السوق المحلى . فقد اندفع المستهلكون فى منتصف العام الماضى على شراء الارز حتى وصل المخزون منه لدى بعضهم ما يغطى احتياجهم لمدة سنتين . كما ان هذا الاسلوب يسبب اضطراب السوق فقد اضطرت الوزارة الى طرح كميات اضافية تمثل احتياج ثلاثة شهور لملح الطعام بعد ان سرت اشاعة بنقص الملح مما دفع المستهلكين للشراء . ومن الامثلة الواضحة الغريبة انه عقب تخفيض اسعار الاحذية اندفع عدد كبير من المستهلكين للحصول على كميات كبيرة ليسوا فى حاجة اليها فى الوقت الحالى .

وهناك ملاحظة جديرة بالذكر فقد تحول كثير من صغار المستهلكين كبوابى العمارات وصغار الحرفيين الى تجار يعملون فى السوق السوداء فيحصلوا على حصص من السلع لاعادة بيعها بأسعار عالية .

ثالثا : اسباب اخرى

وهناك اسباب اخرى ساعدت على نشاط السوق السوداء كالثغرات الموجودة فى القوانين المعمول بها فى الوقت الحالى والتى سنت فى ظروف اقتصادية واجتماعية مختلفة مثل قانون السجل التجارى وقانون الغرف التجارية وقانون التموين وخلافه .

وقد سمحت هذه الثغرات لبعض الدخلاء والمستغلين والانتهازيين من قيد اسمائهم بسجلات التجار لا بغرض الحصول على حصص من السلع تعود عليهم بمكاسب عاجلة . فقد لوحظ مثلا ان الزيادة فى تجارة قطع غيار السيارات بلغت ١٢ ضعفا فى الخمس سنوات الماضية . كما بلغت الزيادة فى تجارة الزجاج ٢٠٠٪ فى الثلاث سنوات الماضية . وهذه الزيادة تفتت السلع بالسوق وتساعد على اخفائها .

أنواع السلع التى تتأثر بالسوق السوداء

والمشاهد ان السلع التى تتأثر ويحتمل زيادة اسعارها هى قطع غيار السيارات والادوات الكهربائية والعدد اليدوية والادوات الكتابية والاحذية وبعض الاقمشة الشعبية وبعض الصناعات المحلية والساعات والزجاج وغيرها كثير .

طرق العلاج .. وتوصيات

ويمكن من دراسة اسباب المشكلة الدراســة الدقيقة الواعية استنتاج طرق العــلاج التى تتلخص فى الاتى :

ضرورة توفير السلع بالقدر الكافى مع تنظيم توزيعها وهذا ما تسهر الوزارة على تحقيقه .مع تكوين احتياطى مناسب من السلع الهامة لطرحها فى السوق لاحداث التوازن فى السلع والاسعار .

ومما يساعد على استقرار الاوضاع التجارية بالسوق تعديل القوانين بما يتمشى مع ظروفنــا الاشتراكية وما نص عليه الميثاق على أسس علمية وعملية وبحيث يمكن من سيطرة الدولة سـيطرة كاملة على هذا القطاع وابعاد المنحرفين والمستغلين والدخلاء .

كما ان توحيد الاسعار لجميع السلع على مستوى الجمهورية امر ضرورى يمكن أن يتم تدريجيا على السلع الهامة اولا كذا تسعير الخدمات التى تتصل بتجارة هذه السلع حتى لا يطغى سعر الخدمــة على سعر السلعة .

ولا يخفى ما للرقابة من اثر فى الحد من نشاط السوق السوداء وتقوم وزارة التموين لذلك بحملات فجائية ودورية مستمرة على الاسواق بالاجهزة المخصصــة لذلك ومن المسئولين بالوزارة وعلى رأســهم الســيد وزير التمــوين لمتابعة الاســواق والرقابة عليها ، فقــد بلغت عدد المرات التى زار فيها الوزير الاسواق مالايقل عن عشرة مرات خلال شهر رمضــان ،وما من شك ان الوزارة جادة فى الاخذ بالمنحرفين والاستغلاليين بالشدة وابعادهم عن هذا النشاط ودعم التجار الذين يراعون شرف المهنة .

وهناك توصيات للمستهلكين تتلخص فى ضرورة الاستجابة الى النداءات المتكررة للوزارة من عدم شراء السلع الا فى حدود الحاجة اليها والاطمئنان الى ان الدولة ســاهرة على توفيرها لهم فى جميــع الاوقات . كذا ننصح بعدم تخزين السلع بالمنازل فهى بالاضافة الى أنها تحدث عجزا بالســـوق فهناك احتمال لفسادها .

كذا ننصح بعدم شراء السلعة باكثر من السعر المحدد لها او السعر المعقول اذا لم تكن مســعرة وباتباع ذلك وبتكرار هذا الاسلوب سيرغم التاجر على النزول بالاسعار الى المستوى المعقول .

كما نسترعى النظر الى عدم شراء السلع من العابرين وسماسرة السوق السوداء لاحتمال دس بعض السلع الفاسدة والمعيبة ،كذا الابلاغ عن التجار المنحرفين وتجار السوق الســوداء . والوزارة ساهرة ليل نهار على مصالح المستهلكين وعلى استعداد تام لبحث الشكاوى الجادة .

تخطيط سياسة الأســعار مفتــاح المعـــركـــة ضـــد الســوق الســـوداء

جمـــال البـــرلسى
رئيس مجلس ادارة المؤسسة الاستهـــلاكية التعـــاونية

السوق السوداء هى احدى المشاكل التى تواجهها الجمهورية العربية المتحدة من حين لاخر خلال فترات التنمية والتصنيع ـ كما انها احدى مخلفات الرأسمالية حيث كانت التطورات الاقتصادية تجرى خلالها بطريقة تلقائية ، واحد الامراض الاقتصادية والاجتماعية الكامنة منذ الحرب العالمية الثانية .

فمنذ بدات الجمهورية العربية المتحدة فى تنفيذ مخططها للتنمية الاقتصادية وهى تمر بمراحــل

سريعة متلاحقة من التطور الاقتصادى والتطور الاجتماعى — وقد ادى ذلك الى نمو سريع فى معدل الاستهلاك حيث سجلت ارقام الاستهلاك زيادة ضخمة وخاصة بعد التحول الاشتراكى فى يوليو ١٩٦١ — وبعد تنفيذ خطة التنمية الاقتصادية الاولى وما صاحب ذلك من اعادة توزيع الدخل القومى ومن زيادة كبيرة فى العمالة ورفع اجور العمال وتوزيع الارباح عليهم ورفع دخل المزارعين وما صاحب ذلك من ارتفاع كبير فى ارقام الانفاق العام بالاضافة الى ماعمدت اليه الدولة من توفير السلع الاساسية للغذاء والعلاج بأسعار مخفضة بالنسبة الى اسعار استيرادها وتحمل الدولة لفروق الاسعار .

مظاهر المشكلة

وبروز هذه المشكلة يحتاج الى تحديد للاطار العام للمشكلة ومظاهرها :

ومظهر المشكلة يبدو فى تعمد اخفاء بعض السلع الضرورية مما ينشا عنه نقصها ، الامر الذى يدفع بالمستهلكين الى الميل الى التخزين واشتداد الضغط على هذه السلع ولجوء بعض التجار الى بيعها بأسعار تزيد كثيرا عن السعر الرسمى كما يستغل تجار السوق السوداء اى اختلال متعمد فى موازين التوزيع لمصلحتهم ويستأثرون بسلع وفيرة بينما يحرم منها المستهلكون الحقيقيون .

الاسباب الرئيسية لظهور السوق السوداء

- الالتزام بحصص سلعية للتصدير للخارج من بعض السلع الرئيسية الضرورية بالاضافة الى الالتزام بأهداف محددة للتصدير ضمن نطاق الخطة مما يترتب عليه نقص المعروض فى الداخل من هذه السلع .

- ارتباط الاستيراد فى حدود حصص محددة على أساس سلعى وفى حدود حصص سنوية من النقد الاجنبى طبقا للموارد المتاحة من النقد الاجنبى وفى نطاق — الميزانية العامة للدولة — مع تعرض كل ذلك الى اعادة النظر فيه كل ثلاثة أشهر بما يكفل الموازنة بين الموارد من النقد الاجنبى والاستخدامات — ويدخل فى ذلك الاتجاه العام الى الحد من وارداتنا من بعض السلع للتوفير فى استخدام النقد الاجنبى لاستعماله فى اغراض التنمية .

- ارتفاع مستوى المعيشة وزيادة دخول الافراد ادى الى زيادة على طلب السلع الاستهلاكية .

- التوسع فى الزراعات المخصصة لبعض المحاصيل التصديرية على حساب بعض الاصناف الاخرى .

- كثرة عدد الوسطاء التى تمر بها السلعة منذ مرحلة الانتاج حتى تصل الى المستهلك النهائى وما يختص به كل منهم من عمولة .

- الاتجاه الى تصنيع المنتجات الزراعية نتيجة الاهتمام بالصادرات الصناعية .

- الازمات المفتعلة نتيجة قيام بعض التجار الجشعين والوسطاء من حبس البضائع عن الاستهلاك للاثراء غير المشروع .

- صعوبة الفصل بين ماهو ضرورى وما هو كمالى من السلع قد يؤدى الى ارتباك فى توفير هذه السلع فى الوقت المناسب بالنسبة للفئات التى تعتبرها لازمة لها .

- ان التوسع فى انتاج المواد التموينية محليا محدود النطاق .

- الضغط على استيراد المواد التموينية والضرورية بالعملات الحرة بعد ان عمدت الولايات المتحدة الامريكية الى محاربتنا اقتصاديا عن طريق منع مدنا باحتياجاتنا من السلع الضرورية طبقا لقانون فائض الحاصلات الزراعية .

- زيادة السكان وزيادة طلبهم على السلع .

- الاستمرار فى استيراد المواد التموينية والضرورية خارج نطاق الخطة سوف يؤدى الى

زيادة العجـز فى ميزان المدفوعات ــ فلا يمكن الخضوع الى ما لا نهاية الى رغبات المستهلكين .

● الزيادة الوقتية على السلع الاستهلاكية خلال المواسم والاعياد وعندمنح العلاوات والمكافآت وتوزيع الارباح على العمال يشجع بعض التجار على بيعها فى السوق السوداء وبأسعار مرتفعة نتيجة الزيادة فى القوة الشرائية والحاح الطلب .

● نقص او تأخير ورود بعض الخامات والمواد الاولية اللازمة لصناعة بعض السلع الغذائية مثل المسلى الصناعى والصابون .

● تهرب بعض الشركات من انتاج بعض السلع المسعرة وانتاج ماركات أخرى غير مسعرة .

● ان مواردنا ليست من الوفرة بحيث يمكنها تحقيق جميع رغبات المستهلكين .

● تأخير الافراج عن بعض السلع المستوردة وتكدس البضائع على الارصفة .

● عدم قدرة وسائل النقل احيانا على توصيل السلع الى أماكن التوزيع فى الوقت المناسب واستغلال هذا النقص للتلاعب .

● تحمل الدولة لفرق اسعار بعض السلع مثل القمح والذرة والعدس يصعب احيانا الاخذ بهذه الاسعار وخاصة فى الريف .

● ظهور بعض الافات أو الامراض .

● عدم التنسيق والتنظيم الواجب بين عدد من الوزارات والقطاعات والمؤسسات العامة التابعة لهذه الوزارات التى تشرف على استيراد الانتاج وتوزيع السلع الاستهلاكية .

● الارتفاع المستمر فى اسعار السلع العالمية .

● عدم التحكم فى الاسواق الخارجية من ناحية توريد السلع والشحن .

● يعمد بعض التجار الى التلاعب فى استلام كميات البضائع المخصصة لكل محافظة ليتمكنوا من بيعها فى السوق السوداء كما يحدث بالنسبة للاقمشة اليفتة .

السلع المتداولة عادة فى السوق السوداء

لا شك انه كلما كانت السلعة ضرورية وزادت قدرتها الاشباعية فى نظر المستهلكين كلما قلت استجابة الطلب على هذه السلعة للتغيرات التى تطرا على اسعار التجزئة .

كما ان لكل سلعة وظائف اشباعية مختلفة ولكل منها درجة معينة من الاهمية وتتفاوت اهميتها من مجموعة الى أخرى ومن طبقة الى أخرى ومن بيئة جغرافية الى اخرى ــ كما يختلف الامر بالنسبة لكل مجموعة من السلع من حيث موسمية الطلب عليها .

كما انه من الصعوبة تحديد سلع معينة باعتبار انها سلع تتداول فى السوق السوداء وذلك لتغير الظروف المحيطة بكل سلعة سواء من ناحية انتاجها او استيرادها ــ وفيما يلى نستعرض بعض هذه السلع :

المواد الغذائية : اذ يوجه القدر الاكبر من جانب الطلب للقوى الشرائية الى المواد الغذائية من الانتاج الزرعى نتيجة اتجاه الطبقات العاملة ذات الميل للاستهلاك المرتفع الى شراء المواد الغذائية كما ان بنود الانفاق فى ميزانية الاسرة على هذه السلع ذات اهمية نسبية كبيرة ومن هذه السلع القمح والذرة والعدس والدقيق والفول .

السلع المستوردة والوسيطة: ويستغل المضاربون والمستغلون نقص بعض السلع المستوردة والوسيطة ويعمدون الى اخفاء الكميات الموجودة منها فى الاسواق ليبيعونها بأسعار مرتفعة ومن هذه السلع مادة الغراء ــ المواد اللازمة لانتاج الصابون والمسلى ــ السمسم ــ قطع غيار السيارات ــ الاخشاب ــ قطع غيار الجرارات ــ البطاريات الجافة .

السلع المنتجة محليا : تتعرض بعض السلع مما ينتج محليا الى نقص طارىء نتيجة نقص أو تأخر بعض السلع الوسيطة والمواد الخام الداخلة فى انتاج بعض السلع الاستهلاكية مما يترتب عليه اختفاؤها وظهورها فى السوق السوداء .

ومن هذه السلع بعض اصناف الاقمشة الشعبية ــ الصابون ــ الكبريت ــ المسلى

الصناعى ـ المنسوجات وخيوط الغزل ـ البلمونت الاومو ـ مواد البناء .

السلع الهندسية (المعمرة) : بالرغم من اختلاف الراى حول ماذا كانت السلع المعمرة (الثلاجات الغسالات السيارات) من السلع الكمالية أم الضرورية ـ الا ان الراى يتجه حاليا الى اعتبارها من السلع الغير ضرورية ـ وليس من المفيد أن تتحمل الدولة من اجلها أية اعباء باعتبار انه يدخل فيها مستلزمات انتاج مستوردة من الخارج بعملات حرة .

السلع الكمالية وأدوات الزينة المستوردة : والتى اعتادت عليها بقايا الطبقات الغنية مثل الروائح العطرية وادوات الزينة والتجميل .. الخ والملابس المستوردة والاصواف والجوارب والادوات الكهربائية والراديوهات .

هل هناك تجارة منتظمة للسوق السوداء ؟

بلغ عدد المتاجر حدا ملحوظا من التضخم وعم النشاط التجارى الفردى فوضى سلعية فيمكن للتاجر ان يختار اى مكان وان يعمل فى اكثر من مجموعة سلعية دون النظر الى مدى حاجة المنطقة الى هذا المتجر اوالى النشاط الذى يزاوله ـ هذا فى الوقت الذى اتسع فيه القطاع العام وانتشرت الجمعيات التعاونية ومراكز التوزيع .

وقد كان من نتيجة ذلك أن قل عنصر الرقابة عليهم فى الوقت الذى قل نصيبهم من الارباح نتيجة منافسة القطاع العام والتعاونى لهم .

وقد انتهزت فئة من الانتهازيين والمستغلين هذه الظروف وأى ظروف طارئة قد تسنح لاقامة سوق سوداء عادت الى اخفاء اى سلع تصل اليهم ليبيعونها بأسعار أغلى من الاسعار المحددة لها .

ويمكن لاجهزة الرقابة حصر هؤلاء التجار المستغلين فى انحاء الجمهورية ، كما يمكن لهذه الاجهزة الكشف على بعض التجار الوهميين وابعادهم عن مجال التوزيع السلعى .

كما يمكن مراقبة الباعة الجائلين وتنظيم أسواق خاصة بهم ومراقبة السلع التى يتجرون فيها ، وكذلك العمل على القضاء على تجارةالسلع المهربة التى تعرض بكميات كبيرة على ارصفة شوارع القاهرة الرئيسية ، فهذه السلع محرم استيرادها اصلا كما أنها تباع بأسعار تبلغ أضعاف اسعارها الحقيقية .

وسائل معالجة السوق السوداء

التنمية فى ظل الاشتراكية لايمكن أن تكون على حساب طبقة لصالح طبقة اخرى ولذلك فالتنمية الاشتراكية تنمية يتحمل عبئها الجميع ويشارك الجميع فى جنى ثمارها .

عدالة التوزيع : ولذلك فان من اهم واجبات وزارة التموين ازاء هذه المشكلة ان تركز جهودها من اجل عدالة فى توزيع السلع لصالح الفئات التىكانت محرومة من قبل، لصالح الفئات المحدودة الدخل بأن تسهل لها الحصول على حاجتها من السلع الضرورية وعلى رأسها الغذاء .

التوزيع للمستهلكين الحقيقيين : ويختلف الامر بالنسبة لأى سلعة حسب الاهمية الاشباعية لها والطبقات المستهلكة للسلعة وما اذا كانت السلعة المباعة مصنعة تصنيعا كاملا فى الداخل او كانت مستوردة من الخارج أو يدخل فى تصنيعها مواد مستوردة من الخارج أو بتسهيلات ممنوحة .

فضلا عن أن الامر يختلف فيما اذا كانت السلعة المباعة سيتم توزيعها فى المدن ام فى الريف المصرى، فمن الملاحظ أن النمط الاستهلاكى فى المدن يختلف عنه كثيرا فى الريف المصرى ولذلك فان مشاكل السوق السوداء فى المدن اكثر تعقيدا عنها فى الريف .

سياسة تحديد الاسعار : تحديد أسعار السلع الضرورية من الاهمية بمكان . الا ان هذهالسياسة لاتنجح على الاطلاق الا اذا أمكن تحديد أوصاف

السلعة تحديدا دقيقا حتى يمكن تحديد سعرها وحتى لايجد التجار لهم منفذا عن طريق عرض سلع أقل جودة أو مخالفة للمواصفات المطلوبة .

وتحديد اوصاف السلعة عملية صعبة للغاية خاصة بالنسبة للمواد الغذائية وتجارة القطاعى وخاصة عندما تكون السلعة متعددة الانواع — وفى هذه الحالة نجد ان تحديد الاسعار يتطلب تحديد مستوى معين للسلعة،وارغام التجار على عرض هذه الانواع فقط — وهذه الطريقة ايضا تواجه صعوبة اذ لابد من تحديد مستويات مناسبة لكل سلعة .

اتباع نظام البطاقات : ليس هناك من شك فى أن تحديد الاسعار بالنسبة للسلع الضروريه يجب ان يصاحبه نوع من التنظيم عن طريق البطاقات ، وعن طريقها يمكن لكل شخص الحصول على كمية متساوية من السلع التى يوجد بها نقص — على انه يمكن الاستغناء عن البطاقات اذا امكن تخفيض الطلب الى مستوى العرض .

اما اذا كانت السلعه غير ضرورية فانه يمكن فرض ضريبة على السلعة وهذه هى افضل طريقة لتنظيم توزيع السلع الغير ضرورية .

وبالنسبه للسلع التى ترى الدولة بيعها بسعر اقل بكثير من تكاليف انتاجها فانه من الضرورى اتخاذ اجراءات زيادة المعروض منها والاشراف الدقيق على السوق .

الا انه من المهم جدا ان يحدد مقدما فى نطاق الخطة الموضوعة الحجم الكلى للمفردات وكذلك المكونات التفصيلية لها أى انه يحدد حجم المستورد من السلع الاستهلاكية كلها ، وحجم المستورد من كل سلعة من السلع الاستهلاكية على حدة . مع العمل على تحديد اسعار كل سلعة مقدما بما يحقق تساوى الطلب عليها مع الحجم الذى قررت عرضه منها .

على أن يضمن تحقيق عدالة التوزيع نجاح السياسات السعرية المحددة مقدما للسلع فى تحقيق التوازن بين العرض والطلب عن طريق :

● أن تكون — كما سبق ان ذكرنا — أسعار السلع الضرورية مخفضة بما يجعلها فى متناول الجميع مهما قلت دخولهم .

● أن تكون اسعار السلع الكمالية عالية نسبيا بما يحد من الطلب عليها لكى يتساوى مع العرض المحدود منها وتحقيق دخل للخزانة العامة يمكن استعماله لاعانة سلع ضرورية اخرى .

دراســــات للقضـــــاء على أى مظهر من مظاهر السوق السوداء فى الاجل الطويل

للقضاء على السوق السوداء لايعنى اتباع بعض الاجراءات للقضاء على مظاهرها الحالية بل لابد من متابعة اعداد الدراسات التى تقضى على اى اثر لها فى الاجل الطويل وفى هذا المجال يمكن اعداد الدراسات التالية :

● اتجاهات الطلب فى المدى الطويل مع دراسة تلك الاتجاهات وتحليل اسبابها وكيفية مواجهتها .

● الدراسة المتواصلة لمجموعات سلعية معينة .

● القيام بمسح داخلى مبنى على اساس سليم ومدروس لاحتياجات الجمهورية العربية المتحدة من السلع ومصادر الحصول عليها داخليا وخارجيا ضمن اطار الخطة العامة للدولة .

● القيام بدراسة اقليمية على مستوى المحافظات لاحتياجات كل سلعة والتوقيت الزمنى لهذه الاحتياجات .

● دراسة رغبات المستهلكين وتغير أنماط الاستهلاك .

● اعادة النظر فى كافة القوانين والتشريعات التى تنظم تداول السلع وسياسة تسعيرها والرقابة عليها .

● الاهتمام بدراسة مشاكل التوزيع والانتاج

والاستيراد والتخزين والجمارك والنقل والمواصلات .

عوامل أخرى للقضاء على السوق السوداء

● القضاء على الطاقات الانتاجية العاطلة والتعبئة الكاملة للموارد البشرية والمادية واستخدامها افضل استخدام ممكن .

● الغاء بعض الوسطاء فى العمليات التجارية المتعلقةبالسلع التموينيةالضرورية وتجنب العمولات التى يحصلون عليها .

● تكوين احتياطى كاف من المواد التموينية والسلع الاستهلاكية لمقابلة اى زيادة طارئة فى الطلب على السلع الاستهلاكية .

● التوسع فى اقامة الثلاجات الكافية وتدعيم طرق النقل .

● دور اجهزة الرقابة الشعبية فى المحافظات والاقاليم فى الكشف على التجار الجشعين والمستغلين والتجار الوهميين بما يقضى عليهم وعلى نشاطهم .

● تنظيم تجارة الجملة لضمان عدالة التوزيع والقضاء على الوسطاء وكبار التجار الجشعين وحماية صغار التجار بما يمنع تحكم كبار التجار فيهم واحتكارهم للسلع فى كثير من المناطق .

● الاهتمام بانشاء جهاز دقيق للاحصاء بما يمكن من تنظيم التجارة الداخلية والتعرف على احتياجات السوق والانتاج والاستهلاك والمستورد من كل سلعة والارصدة الموجودة بالمخازن والبضائع المتعاقد عليها وبالطريق والتعرف على الاذواق والرغبات المتغيرة للمستهلكين .

● تشديد العقوبة على المتلاعبين بأقوات الشعب .

● الاهتمام باختيار الافراد المشرفين على توزيع السلع بالمحافظات وتدعيمهم بالخبرات والكفايات من ذوى الامانة والوعى .

● ضرورة توفير السلع الاستهلاكية الضرورية للاغلبية الجماهيرية وليس لفئة معينة او طبقة معينة .

● الاتجاه الى خلق سلع بديلة وتحويل أذواق المستهلكين اليها عن طريق عمل حملات اعلانية مدروسة . ومحاولة تغيير النمط الاستهلاكى وأمامنا مثل ناجح لذلك فيما حدث بالنسبة الى اللحوم فقد تم توفير اللحوم المستوردة والدجاج والسمك المجمد .

هل يعتبر تخصيص سلعة أو مجموعة سلعية لكل تاجر من عوامل القضاء على السوق السوداء ؟

ان اقتراح تخصيص مجموعة سلعية متجانسة لكل تاجر ليقوم بتوزيعها فى نطاق منطقته يمكن أن تؤدى الى حد كبير الى تضيق الخناق على السوق السوداء ويمنع من تفشيها او انتشارها وذلك للاسباب الاتية :

١ — أن عدد المتاجر الخاصة قد بلغ حدا ملحوظا من التضخم ، بلغ ما يزيد عن نصف مليون متجر — وهذامما يصعب مراقبتهم ممايسهل اخفائهم لهذه السلع وبيعها فى السوق السوداء — بعكس الحال فيما اذا تم تحديد عدد مختار من المتاجر تتوافر فيهم صفات الامانة والوعى الكامل والقناعة بالربح الذى تحدده لهم السلطات — فى الوقت الذى يسهل معه مراقبتهم مراقبة دقيقة ومحاسبتهم وتوجيه التعليمات لهم — حتى اذا ماانحرف أحدهم أبعد فى الحال وحرم من توزيع السلع .

٢ — أن النشاط التجارى الفردى يعكس فوضى سلعية ملحوظة مثل تجارة الاحذية اذ يعمل التاجر

فى الاغلب فى اكثر من مجموعة سلعية ليس بينها أى وحدة أو تجانس .

٣ ــ لايراعى التجار عند فتح محالهم الاحتياجات الجغرافية للمناطق دون اى اعتبار للوضـــع الاقتصادى والتجارى فى المنطقة .

وعلى هذا الاساس يمكن كما سبق أن ذكرنا :

● إن نحدد عدد التجار فى كل منطقـة من المناطق .

● قصر نشـاط التاجر على سلعه واحـدة أو مجموعة من السلع المتجانسة .

● عدم السماح بمزاولة نشاط تجارى جديد فى منطقة من المناطق الا بعد الحصول على اذن بذلك من السلطات المختصة .

● يتم اختيار التجار الذين سوف يسمح لهم بتوزيع السلع المتجانسة عن طريق لجان خاصة فى كل محافظة بالاشتراك مع الغرف التجارية .

عيوب هذا النظام

هذا وقد يحمل هـذا النظام بين طياته اخطار قيام السوق السـوداء بسبب تركيز التوزيع فى أماكن معينة ولدى فئة مختارة من التجار حيث أن ظهور الطوابير سوف يخلق حالة نفسية للمستهلك يكون من نتيجتها ان من يحتاج الى وحدة من السلع يحاول الحصول على اكثر من وحدة ــ ومن لايجد حاجة فى اقتناء السلعة يفكر جديا فى اقتنائها .. هذا اذا لم يراع فى تنفيذه .

● اختيار العدد الكافى من التجار الموزعين على المناطق المختلفة فى أنحاء الجمهورية توزيعا عادلا بما يمنع اى اختناق فى التوزيع وذلك حسب كثافة السكان وميلهم للاستهلاك ومستوى دخولهم والسلع التى تتناسب واحتياجاتهم .

● الدقة فى اختيارهم وتوافر شروط الامانة والثقة والخبرة والماضى الحسن .

● توفر الرقابة والاشراف الكامل عليهـم والتفتيش المتواصل والتوجيه .

وقد قامت المؤسسة الاستهلاكية بدور كبير فى محاولة القضاء على السوق السوداء فى كثير من السلع التى تعرضت لنقص مؤقت فى الاســواق وذلك بعرض كميات كبيرة منها بالاسعار الرسمية . هذا وتقوم المؤسسة بهذا الواجب بصـفة مستمرة سواء فى اوقات الازمات أو الاوقات العادية وذلك بالتزامها بعرض السلع بأسعارها المحددة وهى تهدف من وراء ذلك الى أن تجعل هذا السعر هو السعر السائد فى السوق وهى بهذا تعتبر كصمام امان للمحافظة على مستويات الاسعـار فى السوق . على ان الامر يقتضى فى بعض الأحيان تنظيم عملية عرض السلع وتوزيعها بالطريقة التى تضمن وصولها مباشرة الى المستهلك، وعدم اعادة تسربها للسوق كما حصل فى الصابون أخيرا حيث تطلب الامر توزيعه بالبطاقــات الشخصيـة أو البطاقات التموينية .

توفير السلع فى الأســواق وإلغاء نظام التوزيع الجبرى

عبد الحميد جودة السحار
رئيس مجلس ادارة المؤسسة
العامة لمؤسسة البناء والحراريات

السوق السوداء لها اسباب كثيرة : اما قلة العرض عن الطلب أو اشاعة بنقص سلعة من السلع وتصديق الجمهور للاشاعة واقباله على الاختزان خشية نفاد السلع من السوق مما يؤدى الى اضطراب التوزيع .

● بعض ضعاف النفوس يستغلون نقص العرض

عن الطلب او الاشاعة التى تشيع نقص سلعة ما لتحقيق منافع شخصية .

للقضاء على السوق السوداء لابد من توفير السلع فى الاسواق وقد لمسنا ذلك فى توفير السلع التموينية فى شهر رمضان فلم ترتفع أصوات الشكوى كما اعتدنا ذلك من سنين .

ومن العسير القضاء على الاشاعات لان ذلك يحتاج الى وعى كبير بالموقف الحقيقى والى وطنية عالية من المواطنين .

وأرى فى حالة انتشار اشاعة عن وجود نقص فى سلعة ما اغراق السوق فورا بتلك السلعة مع اعلان توافرها فى الاسواق .

وأرى عدم اتباع نظام التوزيع الجبرى عن طريق الجمعيات أو الشركات العامة فان بعض ضعاف النفوس يستغلون هذا النظام ويستبدون بالشعب ويعملون على بيع السلع التى توزع جبريا لتحقيق ارباح لانفسهم على حساب مصلحة الشعب .

كما انخروج اللحوم من التسعيرة الجبرية شجع المربون على تربية الماشية فزاد العرض عن الطلب وانخفضت الاسعار وتوفرت اللحوم فى الاسواق .

وفى اعتقادى أن خروج بعض الاصناف من التسعير الجبرى سيزيد فى توافر السلع وسيقلل من اسعارها . فطبيعة السوق انها تعادل نفسها بنفسها وان اى تدخل غير طبيعى فيها يسبب أرتباكها ويخلق طبقة المستغلين للسوق السوداء.

وتعمل الدولة فى الوقت الحاضر على توافر السلع الاساسية فى الاسواق للقضاء على السوق السوداء واضرب بذلك مثلا للاسمنت . ففى مايو القادم ستظهر فى السوق منتجات فوسفات الاسمنت وسيزيد على حاجة السوق المحلية ويومها لن يباع الاسمنت فى السوق السوداء . وفى حالة توافر جميع السلع الرئيسية لن يجد تجار السوق السوداء لهم مجالا فى الاسواق .

دور أجهزة التوعية إزاء التاجر

كمال كبيرة
مدير بالغرفة التجارية بالقاهرة

من الأسباب الرئيسية لانتشار السوق السوداء :

● وجود تنظيم علمى يحكم التجارة الداخلية لتمكين الجهات المختصة من مراقبة انتقال السلعة من المنتج الى المستهلك الاخير .

● وجود تجارة الجملة فى القطاع الخاص ، الامر

الذى يمكن بعض المستغلين من هؤلاء التجار من حبس السلع عن السوق وتوجيهها توجيها استغلاليا لصالحهم معتمدين على عملية الائتمان ، سلاحهم الفعال فى السيطرة على تاجر التجزئة وفرض اية شروط عليه .

● كثرة المشتغلين بالتجارة الى حد ان التاجر فى محافظة القاهرة يخدم فى المتوسط ٢٧ فردا فقط وهذا لا مثيل له فى مجتمع آخر ، كما ان مهنــة التجارة لا تحددها قواعد وشروط كالمهن الاخرى مثل الطب والهندسة ، مما اتاح الفرصة لاى انسان ان يشتغل فى التجارة فى اى وقت ،وباى امكانية وبدون سجل تجارى ايضا .

● التحول الاشتراكى وما اتاحــه فى زيادة الدخول وارتفاع فى مستوى المعيشة اذ تحول كثير من المحرومين الى مجموعة المستهلكين دون ان تتمكن القدرة الانتاجية — مع متطلبات التصدير وبرامج التنمية — ان تساير هذا الاستهلاك مما ادى الى نقص المعروض من السلع واعطى الفرصة لبعض المستغلين للاثراء على حســـاب هــذا التحول .»

● سوء توزيع بعض السلع وذلك لانها تتم بدون دراسة علمية لقياس احتياجات الجماهير لسلعة ما فى منطقة ما وعدم احتياجهم لسلعة اخرى،فنجد ان سلعا توزع فى الاقاليم قد لا تكون فى حاجــة اليها لمجرد انه لابد ان تأخذ كل محافظة حصــة منها ، وهذا يؤدى الى انتقال هذه السلع الى المكان المطلوبة فيه مرة اخرى بواسطة وسطاء يقومون بجمعها مما يرفع سعرها ، كما يشجع على ذلك عدم قدرة الرقابة فى الاقاليم على متابعة الاستغلال والسوق السوداء .

● نسبة الربح فى بعض السلع ليست بالقدر الكافى الذى يكفل للتاجر مواجهة اعبائه وهــذا يدفع التاجر الى الانحراف ليغطى مصاريفه .

وكل سلعة يمكن ان تخضع للسوق السوداء حسب ظروف عرضها وطلبها ،طلمبات الفلورسنت وبعض الادوات الكهربائية والصابون وبعـض انواع الاقمشة .. على انه عندما وضع تنظيم لتوزيع الاقمشة القطنية وخاصة تيل المرايل فى هذا الموسم لم يحدث بشأنها سوق سوداء ، اذ تولى القطاع العام دور تاجر الجملة . وهذا هو الاسلوب التنظيمى الذى يتبعه حاليا السيد وزير التموين.

وبالنسبة للحلول ارى :

● سرعة تنظيم التجارة الداخلية علميا ، على ان يحدد هذا التنظيم شكل تجارة الجملة بعــد انتقالها للقطاع العام مع تنظيمها تنظيما دقيقــا بحيث تؤدى وظائفها فى مجال التوزيع والائتمان وقياس انطبـاعات الرأى العام ورغبــاتهم واتجــاهاتهم بما يكفل توفير السلعة فى الوقت المناسب وتوصيل السلعة الى تاجر التجــزئة ومراقبته وحبس السلعة عنه عند الانحــراف ووضع سعر البيع على كل سلعة .

● ان يتحدد بصفة قاطعــة دور التعاون الاستهلاكى فى مجال تجارة التجزئة بحيث يدخل فى اطاره الطبيعى كتعاون ، على ان يعمـــل معه فى نفس المجال محلات تابعة للقطاع العام وفى كافة مجالات التجارة ، وكذلك القطاع الخاص منظما تنظيما علميا وذلك بدراسة المحلات الصغيرة والعمل على تجميعها لتكوين وحدات اقتصادية قادرة على القيام بوظيفة تاجر التجزئة .

● ان تنشط اجهزة التوعية لتغيير مفهــوم التجارة لدى تجار القطاع الخاص وتأكيد انهــا اصبحت وظيفة اجتماعية فى المجتمع الاشتراكى لا تخضع لمغريات ومؤثرات العرض والطلب ، وانما هى وسيلة لتوصيل السلع للمستهلك مقابل عمولة محددة نظير تلك الخدمة الاجتماعية .. وان تهيأ الاجهزة المختلفة كالغرف التجـــارية وغيرها من المنظمات الاقليمية المرتبطة بشــئون التجارة الداخلية للقيام بدورهـــا على الوجــــه

المطلوب من دراسة للسوق واتجاه الاسعار واحتياجات الجماهير ومواجهة الانحراف والبحث عن السلع البديلة .

● اعادة النظر فى اسلوب التوزيع المتبع حاليا وفى القواعد التى تتحدد على اساسها حصة كل تاجر من السلع ،على ان يكون الاساس الاول للتوزيع هو عدد العمال المؤمن عليهم لدى التاجر وحجم تعامله من واقع اقرارات الضرائب مع اسقاط رأس المال كأساس للتوزيع وذلك لخضوعه للتغيير المستمر حسب مصلحة التاجر الشخصية . وتركيز التسويق فى اجهزة التسويق التابعة لوزارة التجارة الداخلية كى تتمكن من رسم سياسة الاستهلاك والتوزيع طبقا لاحتياجات السوق . وتنظيم مهنة التجارة للسماح للقادرين فعلا على مزاولة التجارة .

● الاسراع بتنظيم قطاع الراسمالية الوطنية فى مجال التجارة وفى مجال الحرفيين تنظيما سياسيا فى اطار الاتحاد الاشتراكى حتى يمكن توعيتهم اشتراكيا وادخالهم فى مجال العمل القومى الوطنى لنقيم جدارا قويا يمنع من تسلل الراسمالية المستغلة الى صفوفهم ، على ان يكون هناك قيادة موجهة ورائدة لهم من الاتحاد الاشتراكى نظرا لعدم فهم التجار لمعنى الراسمالية الوطنية او واجباتهم فى المجتمع الاشتراكى او مفهوم التجارة ذاتها ، وخاصة وان الراسمالية الوطنية — فى تصورى — لا تعتبر بالمعنى الحرفى للاشتراكية قطاعا اشتراكيا ولكنها احدى تسامحات التطبيق الاشتراكى العربى .

سوء تخطيط الاستيراد .. وضرورة إلغاء مصلحة الرقابة الصناعية

مصطفى رضوان
رئيس نيابة بمكتب
النائب العام بالقاهرة

يأتى فى مقدمة اسباب السوق السوداء ، سوق الاستيراد ، اذ أن القائمين على عملية استيراد السلع من الخارج يغالون فى استيراد بعض اصناف لا يحتاجها السوق ، ثم تفرض على السوق فى الوقت الذى يحرم فيه السوق من سلع هو فى اشد الحاجة اليها .. كما ان القائمين على عملية الاستيراد لا يقومون بمراعاة مدة التوريد من الخارج ، اذ أن العمل

جار على تأخر وصول البضائع عن المواعيد التى يتعين دخولها الاسواق المحلية .

ومن بين الاسباب ايضا ، اغفال احتياجات اصحاب المصانع والورش الصغيرة ، اذ ان القطاع العام يقوم بالتفاهم مع اصحاب المصانع الكبيرة الذين يطلبون استيراد اصناف معينة بغية احتكارها فى السوق ، ثم خلق السوق السوداء نتيجة لذلك .

وكذلك نظام الحصص الذى سلكته شركات القطاع العام اخيرا ، وسوء توزيع هذه الحصص ، وقصر توزيعها على أشخاص ومصانع ومتاجر ، دون دراسة او معاينة لهذه الجهات الطالبة علاوة على المحاباة — احيانا — فى هذا التوزيع ، فبعض الجهات التى لا تحتاج لهذه الحصص تستطيع الحصول عليها فى نفس الوقت الذى يحرم فيه صاحب الحصة الحقيقية منها ، او من حصوله على ما يكفيه ويغطى انتاجه ، الامر الذى يدفعه الى الالتجاء الى اصحاب الحصص الكبيرة التى لا يحتاجون اليها ، علاوة على قيام بعض محترفى الاتجار فى السوق السوداء بشراء حصص من بعض اصحابها ذوى رءوس المال الصغير الضعيف .. ويتبع ذلك انعدام الاشراف على كيفية تحديد هذه الحصص من مصلحة الرقابة الصناعية .

ولعل من اكثر السلع التى تباع فى السوق السوداء ، هى الخامات التى تخضع لنظام الحصص التى تقوم بتوزيعها مصلحة الرقابة الصناعية وشركات التجارة مثل البلاستيك والبوليسترين الخاص بصناعة البلاستيك اللين والصلب الغير قابل للصدأ وحديد التسليح والاسمنت وقطع غيار السيارات ومعدات الورش ، والمسمار الشامى الخاص بصناعة الاحذية ومسمار المنجد والكولا الداخلة فى صناعة الاحذية وأدوات الكهرباء .

ولعلاج هذه الحالات يتعين تنظيم عملية استيراد السلع وذلك بدراسة احتياجات السوق المحلية للسلع التى تطلبها الشركات المختلفة وعلى كل شركة ان تفى حاجاتها من هذه السلع على ضوء المخزون لديها ، وكما يتعين على شركات القطاع العام تخصيص ادارة فى كل شركة تكون مهمتها النزول الى الاسواق للوقوف على احتياجات المصانع والورش الصغيرة مثل القومسيونجى الذى كان يعمل بشركات القطاع الخاص ، وذلك بدلا من سياسة المكاتب والابواب المغلقة .

كما يتعين على الاجهزة الحكومية للدولة ان تحصل على احتياجاتها من السلع عن طريق استيرادها لحساب الدولة لا خصما من قطاع الجمهور .

يتعين ايضا الغاء نظام الحصص ، ويتبع ذلك ، الغاء مصلحة الرقابة الصناعية التى ثبت — من التحقيقات التى باشرتها فى قضايا السوق السوداء وما جاء على لسان مديرها الدكتور شارل استينو — عدم جدوى هذه المصلحة التى لا تسير تحت اى نظام او روتين او تعليمات .. بل يجرى فيها العمل حسب الاهواء والاغراض الشخصية .

كما يتعين ربط كل تاجر مع شركة واحدة او اثنتين فى السلع التى يتجر فيها ، لا ان يتوجه التاجر الى اكثر من شركة يتحصل فيها على ما يرغبه من سلع ثم يختزنها بعد ذلك للتحكم بها فى السوق ..

ويتعين تحديد التاجر النوعى ، اذ ان بهذا التحديد يختص كل تاجر بالاتجار فى السلع حسب نوع تجارته ، لا ان يتجر فى اصناف كثيرة متعددة لا تتفق ونشاطه الاصلى مع تحديد الربح عن كل سلعة بالنسبة لبيعها للمستهلك الاخير من افراد الشعب ، حماية لمصالح هؤلاء ، وذلك عن طريق تشريع تصدره وزارة التموين .

ويلزم اعداد تشريع خاص للجرائم الاقتصادية ينص فيه على معاقبة كل تاجر يتنازل او يبيع حصته وذلك اذا ما ظل نظام الحصص ساريا ، ويراعى فيه تشديد عقوبة الجرائم الاقتصادية الى الاعدام ، وسرعة اجراء المحاكمات وذلك عن طريق تعيين العدد الكافى لتولى محاكم الجرائم الاقتصادية ، بحيث تفى بالاعداد الضخمة من القضايا المحتفة .

عمل تسعيرة واقعية.. وتشديد العقوبة

عقيد محمد صالح بدر الدين
مراقب عام مباحث التموين

ترجع اسباب السوق السوداءالى :

● عدم كفاية بعض السلع للاحتياجات الفعلية للاسواق وهذا يؤدى الى التهافت على هذه السلع وانتهاز بعض التجار الفرصة لجمعها من الاسواق لبيعها فى السوق السوداء .

● الصعوبات فى النقل والخلل فى عمليات التوزيع يؤدى أحيانا الى عدم وصول السلع بكميات كافية للمحافظات تتناسب مع تعداد سكانها وحالتهم مما يضطر هؤلاء السكان الى شراء هذه السلع من السوق السوداء .

● عدم واقعية التسعيرة فى بعض الاحيان ولبعض السلع بالنسبة للتكاليف الفعلية للانتاج وبقائها دون تعديل لفترة طويلة ،كما ان هناك بعض السلع يجرى تسعيرها على اساس تسليم المصنع المنتج لها دون وضع تسعيرة لها بالنسبة للمستهلك كمواد البناء وبعض السلع الغذائية كالمسلى الصناعى والصابون ، وهذا الامر يتيح للتجار فرصة التلاعب فى الاسعار مما يخلق سوقا سوداء .

● عدم تخصص شركات القطاع العام فى استيراد السلع المختلفة مما ينتج عنه قيام عدة شركات مختلفة باستيراد صنف واحد من بلد واحد وتبيعه كل شركة بسعر يختلف عن الشركة الاخرى كما يحدث بالنسبة للادوات الكهربائية والمنزلية .

● عدم وجود وعى كاف لدى بعض التجار مما ينتج عنه عدم تجاوبهم مع النظم الاشتراكية فيلجأون الى تحقيق أرباح غير مشروعة باستغلال المواطنين ، وكذلك الحال بالنسبة لكثير من المستهلكين الذين يتكالبون على شراء السلع وتخزينها نتيجة الاستماع الى الاشاعات المغرضة بنقصها او احتمال رفع سعرها . واصرارهم على شراء اصناف معينة دون محاولة شراء البديل لها فى حالة نقص السلع الاصلية .

● زيادة الاستهلاك نتيجة زيادة السكان والعمالة والاجور وذلك بصورة لا تتناسب اطلاقا مع زيادة الانتاج مما ينشأ عنه نفاد السلع اولا بأول .

واكثر السلع رواجا فى السوق السوداء هى مواد البناء وقطع غيار السيارات وبعض الادوات الكهربائية .

وعدم تخصص بعض التجار فى الاتجار فى سلع معينة محددة لا يتيح للتجار الحقيقيين ان يحصلوا على كفايتهم من السلع مما يضطرهم الى شرائها بأزيد من سعرها كما لا يتيح رقابة فعالة على هؤلاء التجار .. على ان وزارة التموين قد انتهت هذه الايام من دراسة هذه المسالة وقامت بوضع قانون لتنظيم التجارة وتخصص كل تاجر فى سلع معينة .

وبالنسبة للحلول ارى :

● تخصيص حصص مناسبة للمحافظات وضمان وصولها للمستهلكين بالكميات الكافية للاستهلاك وخاصة بالنسبة للسلع الاساسية .

● عمل تسعيرة واقعية لجميع السلع الاساسية تتغير باستمرار وفقا لظروف كل سلعة وتكاليفها

الفعلية وايضاح سعر البيع للمستهلك على كل سلعة .

● تخصيص مراكز توزيع كافية بجميع المحافظات لتوزيع السلع الاساسية بنظام محدود بدلا من توزيعها عن طريق تجار الجملة منعا للتلاعب .

● قيام القواعد الشعبية بالمساهمة في ملاحظة حالة السلع التي ترد لمناطقهم ومباشرة وصولها للمستهلكين بالاسعار المناسبة ومراقبة كافة التجار في كل مكان .

● اعطاء الربح المناسب لتاجر التجزئة علاوة على وصول السلع له بالكميات اللازمة ..

● نشر الوعي الكافي بين التجار للالتزام ببيع السلعة باسعارها المحددة وكذلك توعية المستهلكين بالشراء بالاسعار المقررة وعدم زيادة الاستهلاك .

● استبعاد التجار الجشعين ، وسرعة الفصل في القضايا التموينية مع تشديد العقوبة على ان يتضمن الحكم غلق محل التاجر في حالة ثبوت المخالفة .

هذا وقد انتهت وزارة التموين فعلا من اعداد مشروع قانون التموين الموحد لتعديل القرارات السابقة والعقوبات بما يتمشى مع تحولنا الاشتراكي .

الحلقة المفقودة بين الاستيراد والتوزيع

ابراهيم قمص
صحفي بالاهرام ومندوب
في وزارة التموين

من المبادىء المسلم بها ان اي سلعة تخضع لقانون العرض والطلب ، فاذا ما قل العرض بالنسبة لسلعة معينة ، اشتد الطلب عليها فتختفي لتظهر من جديد في السوق السوداء ، اما اذا زاد المعروض من هذه السلعة فان اسعارها تظل مستقرة ، بل تميل احيانا الى الانخفاض .

ولعل في مقدمة اسباب السوق السوداء ، هو نظام الاستيراد الحالي ، فاستيراد السلع لا يتم وفق احصاءات دقيقة وتخطيط سليم ودراسات على الطبيعة لاحتياجات السوق وتذبذب الاستهلاك والمواعيد المناسبة كوصول السلعة في الوقت المناسب وفي المكان المناسب ، وانما يشوب الاستيراد الارتجال في بعض الاحيان ، وهذا يؤدي بالضرورة ، الى استيراد سلع قد لا تكون السوق في حاجة اليها او قد تفيض عن حاجتها ، في الوقت الذي تشتد فيه الحاجة الى سلع اخرى ومنع ذلك لا يتم استيرادها او تستورد بكميات لا تغطي حاجة الاستهلاك ، مما يؤدي الى ظهور الازمات فجاة وبلا مقدمات ويعطي احساسا لمحترفي السوق السوداء بحبسها عن السوق ، طمعا في الربح الكبير ، وللجمهور ، بالتهافت عليها .. هذا فضلا عن ان استيراد بعض السلع لا يتم في مواعيد دورية منتظمة بحيث يجعل هذه السلع موجودة على الدوام ويقطع على محترفي السوق السوداء فرصة تخزينها .

يضاف الى ذلك تداخل شركات التجارة بالقطاع العام في عمليات الاستيراد ، وعدم تخصص كل شركة باستيراد نوع معين من السلع وفقدان التناسق بينها وهذا يؤدي بدوره الى ان

تستورد مجموعة من الشركات نفس السلعة وفى وقت واحد مما يحدث تكرارا لهذه السلعة فتفيض عن حاجة السوق بينما كان يمكن استيراد سلع اخرى بدلا منها تسد عجزا بالسوق ، ويؤدى عدم التناسق ايضا الى ان السلعة الواحدة والتى قد يكون مصدرها بلد واحد ، يتفاوت أسعارها بين شركة واخرى ، اذ تحدد كل شركة سعرا خاصا بها مما يتيح للتجار التلاعب بالاسعار والبيع بالسعر الاعلى ، كما يمنحهم التداخل بين الشركات الحصول على حصص من كل منها مما يؤدى الى نفاد السلع وعدم احكام الرقابة عليها .

ويأتى نظام الحصص الذى تتبعه الشركات فى توزيع سلعها المستوردة ، بعد نظام الاستيراد فى الاهمية ، ذلك ان هذا النظام يوجد به بعض الثغرات التى ينفذ من خلالها المستغلون لخلق السوق السوداء ،وتعطى الفرصة لبعض القائمين على عمليات البيع وتوزيع الحصص فى الشركات للانحراف . وهذه الثغرات تتمثل فى انعدام الرقابة فى داخل الشركات على توزيع الحصص وعدم وجود النظم الكفيلة بمتابعة هذه العملية ابتداء من حصول التاجر عليها الى ان تصل الى المستهلك الحقيقى ، مما يتيح التلاعب فى صرفها ، ويؤدى الى عدم التزام موظفى الشركات باللوائح التى تنظم عملية التوزيع ،وبقرارات لجان توزيع السلع التى تضع شروطا لصرف هذه السلع .. والذى يحدث نتيجة لكل هذا ، ان كشوف توزيع الحصص فى بعض الشركات تتضمن اسماء سيدات ليس لهن نشاط تجارى لمجرد أنهن يرتبطن بصلة القربى ببعض الموظفين القائمين على صرف هذه الحصص ، كما تتضمن اسماء وهمية لتجار ، وتكون حصصهم فى الحقيقة قد صرفت لتاجر واحد ، يقوم باحتكارها وبيعها بالسعر الذى يريده ، بينما صاحب الحصة الحقيقى يحرم منها . كما حدث فى قضايا السوق السوداء بالنسبة **لرفلة غرباوى** الذى وصل به الامر الى الحصول على كل ما استوردته بعض الشركات من سلع قام بتخزينها فى مخازن سرية لبيعها فى السوق السوداء ، وبدا الامر كما لو كانت هذه الشركات مجرد وسيط يستورد السلع لحسابه ، لا لتوزيعها على المستهلكين الحقيقيين . وكما حدث بالنسبة لبعض تجار الادوات الكهربائية الذين استطاعوا الحصول — ليس فقط على معظم حصص ادوات الكهرباء من احدى الشركات — بل حصلوا على الحصة المخصصة لانشاءات القطاع العام نفسه من هذه الادوات وباعوها لذات القطاع العام باعلى من سعرها الحقيقى .

ومن الثغرات ايضا فى نظام الحصص ، انه لايتم وفقا لمقياس معين ثابت ، كراسمال التاجر الحقيقى من واقع اقراراته فى الضرائب ، أو مقدار ما يؤديه للدولة من ضرائب او حجم نشاطه الفعلى ومجموع عماله ، وقد اتاح ذلك لعدد كبير من الدخلاء على التجارة كبعض من صغار المستهلكين ان يتحولوا الى تجار ساعدهم على ذلك فتح باب السجل التجارى على مصراعيه وتسجيل اى نشاط تجارى به مقابل مبلغ زهيد، وطمعا فى الحصول على ربح سهل سريع ليس فيه عناء ولا يحتاج الى رأسمال كبير . وهؤلاء يترددون على الشركات المستوردة ويحصلون على تراخيص بحصص منها يقومون ببيعها قبل استلام البضاعة للتجار المستغلين الذين يحبسونها عن التداول ووصولها الى المستهلك لتظهر فى السوق السوداء .

وتأتى ، الانحرافات داخل قطاع التجارة كسبب هام ايضا فى خلق السوق السوداء ، وابرز مثل للانحرافات هم بعض تجار الجملة الذين لايزالون يعيشون بعقلية الماضى تسيطر على افكارهم تطلعات الرأسمالية المستغلة ، غير متجاوبين بعد مع التحول الاشتراكى للبلاد ، وهؤلاء يهدفون من وراء جمع السلع من السوق واحتكارها وخلق سوق سوداء لها الى افتعال الازمات للتشكيك فى قدرة القطاع العام على قيامه بدوره فى عمليات الاستيراد وتوفير السلع .

كما ان ارتفاع مستوى المعيشة نتيجة التحول الاشتراكى وزيادة العمالة ادى الى ظهور اتجاهات ضخمة فى استهلاك السلع دون ان يقابلها نفس الزيادة فى الانتاج ، مما أدى الى وجود نقص فى بعض السلع واتاح الفرصة للمستغلين من التجار الى اخفائها والتلاعب باسعارها .

كذلك يقوم الربح كسبب هام ايضا للسوق السوداء ، فتحديد نسبة ربح ضئيلة للسلعة يدفع التاجر الى الانحراف لمواجهة اعبائه . كما ان تسعيرة بعض السلع ليست واقعية او متطورة حسب الظروف مما يضطر التاجر الى مخالفتها .

وبين الاسباب الهامة قصور القوانين الحالية واجهزة الرقابة والتوعية .. ذلك ان القوانين التى تحكم التجارة الداخلية حاليا وضعت من زمن

بعيد في ظل النظام الرأسمالي ولم يطرأ عليها تطور بعد يتمشى مع تحولنا الاشتراكي وقصور أجهزة الرقابة وخاصة داخل الاقاليم جعلها ميـــدانا رائجا للسوق السوداء ، كما ان قصور التوعيـــة يدفع المستهلكين الى مسايرة الاشاعات عن ازمات مفتعلة والتهافت على الحصول على سلع أكثر من احتياجاتهم مما يؤدى الى خلق السوق السوداء .

ومما لاشك فيه ان السوق السوداء تجـــد اكبر مجالاتها في معظم السلع المستوردة وفي تلك التي تخضع لنظام الحصص ، وكذلك المرتبطـــة باداء خدمات .

ولعلاج هذه الحالات ، ينبغي اولا تنظيم عمليات الاستيراد بمـــا يكفل التنـــاسق بين الشركات المستوردة ، بان تتخصص كل شركة باستيراد نوع معين من السلع لا تقوم باستيراده شركة اخرى ، على ان تسبق عملية الاستيراد دراســـة واقعية للسوق بواسطة مندوبين فنيين ، واعداد احصاءات دقيقة باحتياجات السوق من السلع الضرورية على ان يتم الاستيراد في المواعيد المناسبة وفي فترات دورية على مدى العام .

يتعين كذلك تنظيم التجارة الداخلية ، فيعـــاد النظر في تجارة الجملة وخاصة بعد انتقالها للقطاع العام خلال سنوات كخطوة اولى للقضـــاء على الاستغلال وتنظيم هذه التجارة تنظيما دقيقـــا يكفل توفير السلعة ووصولهـــا الى المستهلك الحقيقي دون ادنى استغلال . ويعاد النظـــر في تنظيم التجارة نفسها فيستبعد الدخلاء ومحترفو السوق السوداء والمستغلون منها وبوضع شروط محددة لمن يزاول هذه المهنة .. وان يعاد النظر ايضا في نظام الحصص وخاصة بالنسبة للسلع المستوردة ، بسد ما به من ثغرات ، بان تكون هناك رقابة دقيقة وحازمة من داخل الشركات على صرف الحصص منعا للتلاعب والحد من المجاملات وان يتم التوزيع وفقا لشروط محددة يلتزم بهـــا الموظفون ، وان تكون هناك اجهزة لمتابعة عمليات التوزيع للتأكد من ان الحصـــة قد صرفت لمن يستحقها فعلا لا لشخص وهمي ومن ان السلعة قد وصلت في النهاية الى يد المستهلك الحقيقي وبالسعر المحدد لها . وان تصرف هذه الحصص بناء على دراسة دقيقة لمركز كل تاجر وحجم عملياته ومدى ما يؤديه للدولة من ضرائب .. على ان يربط كل تاجر على شركة او اثنتين على الاكثر يحصل منها على السلع المخصصة له والمتصلة بنشاطه لا ان يترك له حرية المرور على الشركات والحصول منها على سلعها بمجرد تقديمه سجله التجاري .. وينبغي في النهاية على الشركات الا تنظر الى عملية توزيع السلع على انها عمليـــة تجارية يكفيها ان تحقق ربحا فيها ايا كان توزيعها ، فهذا ليس واجبها الحقيقي الذى يهدف أولا الى وصول السلعة الى المستهلك .

واذا كان نظام الحصص ضروريا بالنسبة لبعض السلع المستوردة نتيجة لعدم توافرها بالقـــدر الكافي للاستهلاك نظرا للظروف المحيطة بالاستيراد ومتطلبات التنمية ومايحيط بها من توفير العملات الصعبة الا انه ينبغي الا تكون كذلك بالنســـبة لبعض السلع المحلية التى يمكن توفرها بزيادة انتاجها وعدم فرض القيود عليها وتركها حـــرة للتداول ، وهذا يمنع من التهـــافت عليها او تخزينها ويتصل بهذا ان تنشأ مراكز توزيع في كل الاقاليم تصلها الحصة الكافية لكل اقليم من هذه السلع وخاصة التموينية وفي الوقت المناسب مع مراعاة السلع المناســـبة لكل اقليم ، وكل حي في المدن . فالمعلبات مثلا تجد اقبالا في حي كالزمالك وجاردن سيتى ، بينما لا تجد نفس الاقبـــال في الاحياء الشعبية . كما ينبغي تحديد نسبة ربح مجزية لتاجر التجزئة ، حتى نمنعه من الانحراف ، فلا يعقل ان نعطيه مليمين كربح في صفيحة الزيت ليدفعهما في عملية النقل ثم نلزمه ببيعه بثمنه .

كما لا يعقل ان نلزمه ايضا ببيع الصابون بالتسعيرة في الوقت الذى يتحدد ربحه في صندوق الصابون ٤ قروش فقط يدفعه ايضـــا في مصـــاريف النقل علاوة على تعطيل عمله للحصول عليه ، بينما كان الصابون يصل في الماضي الى متجره بســـيارات الشركة وبربح ١٠ قروش في الصندوق . كمـــا يتعين زيادة انتاج السلع التى يقبل الجمهـــور عليها دون غيرها .

كذلك يجب ان يتحدد دور التعاون المتمثل في الجمعيات التعاونية المختلفة سواء كانت مجمعات استهلاكية او جمعيات صناعيـــة في محـــاربة الاستغلال والقضاء على السوق السوداء ، لا في الوقوف كصمام أمن لاستقرار الاسعار .

ويأتي بعد ذلك دور القوانين واجهزة الرقابة والتوعية وبالنسبة للقوانين فانه ينبغي تعديلها بما يلائم تحولنا الاشتراكي ووضـــع تسعيرة واقعية مسايرة لظـــرف كل سلعة وعلى فترات دورية وتشديد العقوبة بجعل جرائم الســـوق السوداء جرائم اقتصادية لا تقل خطـــورة عـــن

الجرائم السياسية وشبطب كل تاجر يثبت تلاعبه، ذلك لان السوق السوداء تهدف الى تدمير اقتصاد البلاد .

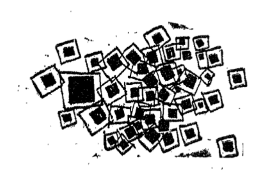
وقد أعدت وزارة التموين فعلا «قانون التموين الموحد » الذى يشمل هذه التعديلات وذلك تمهيدا لعرضه على مجلس الامة لاقراره فى دورته الحالية .

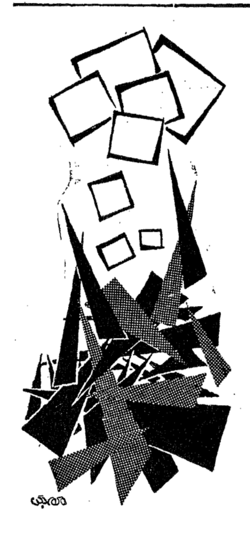
كما ينبغي الاستفادة ببعض التجارب الناجحة التى اتخذت فيها وزارة التموين قرارات حازمة للحد من الاستغلال ، كتجربة تخفيض الاحذية والملابس الجاهزة .

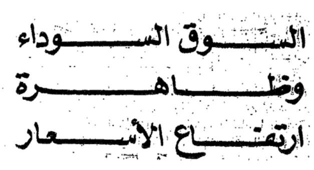
وبالنسبة للرقابة ،يتعين ان تقوم على الصعيدين الرسمي والشعبى بان تقوم حملات تفتيشية مستمرة من رجال وزارة التموين لمراقبة الاسواق وتوافر السلع فيها .. وان تقوم القواعد الشعبية المتمثلة فى لجان الاتحاد الاشتراكى بدورها ، وخاصة داخل الاقاليم ، فى مراقبة توزيع السلع الاساسية ومباشرة وصولها الى يد المستهلكين بالاسعار المناسبة والارشاد عن السلع المخزونة، مثلما قامت به لجنة الاتحاد الاشتراكى بسباب الشعرية عندما ارشدت عن احد المخازن السرية المملوكة لزفلة غرباوى والمملوء بالسلع المستوردة .

ومثلما قامت به لجنة الزيتون من اقامة رقابة من ربات البيوت على المجمعات الاستهلاكية ، وما قامت به لجنة عابدين من تنظيم للباعة الجائلين، وما قامت به لجنة الدرب الاحمر من تنظيم الحرفيين ، واخيرا ما قامت به لجنة روض الفرج من الاستغلال ،وتوعية المستهلكين بالحد من الفرج .. كل هذا يهدف القضاء على الاستغلال .

ويبقى دور التوعية ، وهو بلاشك سلاح فعال فى محاربة الاستغلال والقضاء على اى انحراف، وهنا يأتى دور القاعدة الشعبية أيضا باعتبارها منتشرة فى كل مكان على مستوى الجمهورية ، وذلك بتوعية تجار التجزئة اشتراكيا وافهامهم لوظيفتهم فى مجتمعنا الجديد الذى يحارب اى نوع من الاستغلال ، وتوعية المستهلكين بالحد من الاستهلاك والحصول على احتياجاتهم الفعلية وعدم مسايرة الاشاعات وتخزين السلع ،وتوعية ربات البيوت بمقاطعة السلعة اذا ارتفع ثمنها ووضع كل فرد من افراد الشعب موضع المسئولية لتحمل الاعباء الجديدة ولو ادى ذلك الى الحرمان من بعض السلع ، كنتيجة حتمية لتطورنا الاشتراكي وما يرتبط به من برامج للتنمية .







السوق السوداء وظاهرة ارتفاع الأسعار

د. حازم الببلاوى

تقوم الأثمان بدور هام فى الحياة الاقتصادية . فهى تقوم فى ظل النظام الرأسمالى بتوزيع الموارد الاقتصادية المختلفة على وجوه الاستعمال المتعددة . واذا كان التخطيط يقوم فى ظل النظام الاشتراكى بتحديد اسس توزيع هذه الموارد بين الاستعمالات المختلفة فان ذلك لايعنى تناقص اهمية الاثمان ، بل ان وسيلة المخطط فى توزيع هذه الموارد هو استخدام جهاز الاثمان بما يحقق التوزيع المنشود .

والاصل ان الثمن يتكون من تلاقى العرض والطلب بما يحقق المساواة بينهما . ويقصد بالطلب الكمية التى يرغب المشترون شراءها عند ثمن معين ويكونون قادرين على ذلك بان يكونوا مزودين بالقدرة الشرائية الكافية لذلك . ويقصد بالعرض الكمية التى يمكن للمنتجين عرضها عند ثمن معين . واذا اختلفت الكمية المطلوبة عن الكمية المعروضة فالاصل ان تتغير الاثمان بما يعيد التوازن بينهما من جديد .

وقبل نهاية التحول الاشتراكى فان تكوين الاثمان لا يتحدد دائما فى صورة سياسة عامة للاثمان تتفق مع اهداف الخطة وانما تخضع لقوى السوق

التى تحدد العرض والطلب لكل سلعة . على ان ذلك لا يمنع من ان تتكون بعض الاثمان بعيـــدا عن السوق ونتيجة لتدخل الدولة باجراءات ادارية . وهذه صورة كثيرا ما نصادفها فى اوقات الحروب حتى فى اشد الدول الراسمالية . وفى مثل هذه الظروف تحدد لبعض السلع او الخدمات اثمان قد تختلف عن الاثمان التى يمكن ان تسود دون تدخل من السلطات العامة . وغالبا ما تكون الاثمان المحددة اداريا اقل من الاثمان التى كان يمكن ان تسود بدون تدخل . والغرض من التدخل فى هذه الحالة منع ارتفاع الاسعار ، كما يحدث فى فترات الحروب والازمات حيث تحدد اثمـــان لا يمكن مجاوزتها لبعض السلع والخدمات الضرورية . على انه من المتصور ان يكون التدخـــل الادارى بقصد رفع الاثمان عما كان يمكن ان يسود بدون تدخـــل ويكون الغـــرض مـــن رفـــع الاثمان فى هذه الحالة هو توفير حد ادنى من الدخول لفئة معينة كما يحدث احيانا من تحديد حد ادنى لاسعار بعض الحاصلات الزراعية لضمان توفير دخول معينة للزراع .»

وينبغى لنجاح التدخل المتقدم ان يصاحب تحديد الاثمان اداريا ، اتخاذ قرارات اخرى من شـــانها ان تعمل على التاثير على قوى الطلب والعرض بحيث تحقق التوازن بينهما عن غير طريق التغيير فى الاثمان . فتعمل على انقاص الطلب او زيادة العرض فى حالة فرض اثمان اقل من الاثمان الحرة او تعمل على زيادة الطلب او انقـــاص العـــرض فى حالة فـــرض اثمـــان تزيد على الاثمـــان « الحرة » . فاذا لم تنجح هذه الاجراءات الاخرى فى تحقيق التوازن بين الطلب والعرض فان الاثمان المحددة لا يمكن ان تسود ولابد ان تظهر بصـــورة او باخرى اثمان جديدة للسلعة المسعرة تحقق التوازن المنشود . هذه الاثمان الجديدة والمختلفة عن الاثمان « المحددة » هى التى ادت الى ظهور ما يسمى بالسوق السوداء .»

ويقتضى التحـــول الاشتراكى الاعتمـــاد على التخطيط فى توزيع الموارد الاقتصادية بين مختلف الاستعمالات وعدم ترك الامور لقوى الســـوق « التلقائية » . على انه ينبغى ان يكون مفهوما ان الاخذ بنظام التخطيط لا يعنى مطلقا انتفـــاء وظيفة الاثمان فى النظام الاشتراكى . فالمخطط عندما يقـــوم بتـــوزيع الموارد الاقتصـــادية على الاستخدامات المختلفة لا يقوم بذلك بشكل كمى دائما وانما يلجأ الى التوزيع القيمى بان يحدد قيما مختلفة للموارد والسلع . ولذلك يلجـــأ المخطط الى اقامة موازين قيمية الى جانب الموازين السلعية . وتزداد الحاجة الى استخدام هـــذه الاثمـــان المخططة كلما زادت المشروعات وتنوع الانتـــاج بحيث يصعب اتخاذ قرارات كمية للتوزيع . ولذلك فان توزيع الموارد عن طـــريق التخطيط يفترض تخطيطا عاما لسياسة الاثمان واستخدام هذه الاثمان المخططة لتوزيع الموارد . وتتحقق سلامة هذه الاثمان المخططة بقدر استطاعتها تحقيق التوازن بين العرض والطلب لكافة السلع والموارد اى بقدر تحقيقها لاتساق الموازين السلعية . وتكون هذه الاثمان المخططـــة غير سليمة اذا لم تحقق التوازن بين العرض والطلب لكل سلعة بحيث يترتب على اتباعها وجود فائض فى سلعة معينة او قيام عجز فى سلعة اخرى . وغنى عن البيان ان تحديد الطلب او الحاجات التى ينبغى اشباعها لا يترك كلية لقوى السوق كما فى المجتمعات الراسمالية وانما يتحدد وفقا لرغبات المجتمع كما تعبر عنها الخطة العامة .

وهنا ايضا نجد ان الخطأ فى رسم سياســـة الاثمان المخططة يترتب عليه قيام ازمات فى بعض السلع مما يؤدى الى قيام اثمان اخرى تحقق التوازن المطلوب وتؤدى الى قيام السوق السوداء .

واذا نظرنا الى هيكل الاثمان السائدة فى مصر نجد انه يحمل بذورا من كافة الصور المتقدمة . فالتحول الاشتراكى الذى بدا فى مصر منذ ســـنة ١٩٦١ لم يترتب عليه اقامة سياسة عامة مخططة للاثمان لكافة السلع بل استمر كثير منهـــا خاضع لنفس القوى التى تحدد الاثمـــان فى الاســـواق « الحرة » . وفى نفس الوقت توجد مجالات كثيرة تدخلت فيها الدولة بتحديد اثمان بعـــض السلع اداريا لمنع ارتفاع الاثمان ، وفى بعض هذه الاحوال لم يصاحب ذلك التدخل الكافى للتاثير فى قـــوى العرض والطلب لتحقيق التوازن بينهما مع مستوى الاثمان المحددة اداريا .»

التضـــخم

ينبغى التنبيه الى ان قيام الســـوق السوداء ووجود سوقين لنفس السلعة احدهما رســـمى والاخر فعلى ارتبط فى الغالب من الاحوال بوجود

ارتفاع عام في الاسعار وليس فقط بوجود اختلال في التوازن الخاص بعرض وطلب سلعة معينة . ولذلك فان قيام السوق السوداء انما هو تعبير فى الغالب من الاحيان عن عدم كفاية وسائل علاج التضخم وارتفاع الاسعار . فالسلطات العامة فى محاولتها ايقاف الارتفاع المستمر فى الاسعار تقوم بتحديد اثمان الكثير من السلع والخدمات ولكن لا يقترن ذلك باتخاذ سياسات كفيلة بتحقيق التوازن بين العرض والطلب عند هذا المستوى من الاثمـــان المحددة ولذلك لا تلبث ان تقوم السوق السوداء الى جانب هذه الاثمان المحددة .

وارتفاع الاسعار او التضخم ظاهرة اقتصادية عامة تلحق الاقتصاديات المختلفة . وسوف نقتصر فيما يلى على بيان اهم الاسباب التى تؤدى الى الاختلال فى التوازن العام فى الدول النامية وبذلك يستبعد من البحث الاسباب التى تقوم فى الدول المتقدمة . على انه قد يكون من المفيد ان نبدأ ببيان المقصود بالدول النامية .

التخلف والنمـــو الاقتصـــادى

كثر الحديث فى الادب الاقتصادى لما بعد الحرب العالمية عن التفرقة بين الدول المتقدمة اقتصاديا وبين الدول المتخلفة او النامية ، واتخذ متوسط الدخل الفردى اساسا للتمييز بين المجموعتين من الدول . فالدول التى يزيد فيها الدخل الفردى عن حد معين (٤٠٠ دولار) تدخل فى عداد الدول المتقدمة فى حين ان الدول التى لا يبلغ متوسط الدخل الفردى فيها هذا القدر ، تعتبر من الدول النامية . ولا يثور اى شك حول مدى قصـــور هذا المعيار ووضوح التحكم فيه .

وقد تعددت التعـــاريف التى اعطيت لكلّ من النوعين من الاقتصاديات وهى لاتخرج فى مجموعها عن تعداد بعض الاوصاف لهذه الدول .

ويبدو لنا انه من الناحية التحليلية يرجع الفارق بين المجموعتين من الدول الى مدى مرونة الجهاز الانتاجى . فالدول المتقدمة تتمتع بجهاز انتاجى على درجة عالية من المرونة بمعنى انه يمـــكن زيادة الانتاج فيه بسرعة وبسهولة نسبيا فى حين ان الدول النامية تتمتع بجهاز انتاجى غير مرن بمعنى انه يصعب عليها زيادة الانتـــاج بسرعـــة وبسهولة . ويفسر هذا الفارق فى مرونة الجهـــاز الانتاجى لدول المجموعتين بمدى توافر رأس المال المادى والبشرى فى كل منهما ، فالدول المتقدمة يقوم جهازها الانتاجى على رأس مال كبير ســـواء من الناحية المادية او من الناحية الانسانية فى حين لا يعتمد الجهاز الانتاجى للدول النامية الا على رأس مال محدود من الناحيتين المادية والانسانية معـــــا .

ولهذا السبب نجد انه كلما زاد رأس المـــال المتاح كلما زادت مرونة الجهاز الانتاجى ومـــن ثم درجة التقدم الاقتصادى ولذلك فلا عجب ان يكون سبيل التنمية هو زيادة الاستثمارات المادية والبشرية .

بعد هذا الاستعراض السريع لفكرة التنميـــة نتبين اسباب ارتفاع الاسعار فى الدول الناميـــة وعلى وجه الخصوص فى ظروف الجمهـــورية العربية المتحدة . وهذه الاسباب متنوعة المصادر ، فبعضها يرجع الى الهيكل الاقتصادى وتطوره وبعضها يرجع الى مدى كفاءة التنظيم الاقتصادى والبعض الثالث يرجع الى بعـــض الظـــروف الخاصة والتى تعرض بصدد التحول الاشتراكى .

أولا ــ اسباب هيكلية

وهذه الاسباب متعلقة بتطور هيكل الانتـــاج وهيكل العلاقات الدولية وما يترتب عليها مـــن نقص فى عرض السلع المتاحة للاستهلاك وزيادة فى الدخول النقدية الموزعة مـــا يترتب عليـــه اختلال التوازن بين العرض والطلب ويؤدى الى ارتفاع الاسعار .

١ ــ زيادة معدل الاستثمار

راينا عند الكلام من النمو الاقتصـــادى انه يقتضى زيادة معدل الاستثمار القومى . والناتج القومى يقسم من حيث استخدامه الى استهلاك واستثمار . ونظرا لعدم مرونة الجهاز الانتاجى فى الدول النامية فانه لايمكن زيادة معدل الاستثمار مع الاستمرار فى زيادة الاستهلاك فى نفس الوقت وانما ينبغى تخفيض معدل الزيادة فى الاستهلاك . وعلى ذلك ففى الدول الناميـــة لا يمكن زيادة الاستثمار القومى الا على حساب الاستهلاك بدرجة او باخرى . وهذا الوضع يقترب من النموذج

النظرى الذى قام فى ذهن الاقتصاديين التقليديين حول الاستهلاك والاستثمار بعكس النموذج النظرى الذى يقوم عليه تحليل الاقتصاد ((الكينزى)) مثلا حيث يفترض امكان زيادة الاستهلاك والاستثمار معا فى نفس الوقت نظرا لمرونة الجهاز الانتاجى فى الدول المتقدمة .

ولذلك نجد ان فترة التنمية الاقتصادية تتميز بان عرض السلع الاستهلاكية لا يزيد الا بمعدل طفيف . وينبغى ان نشير هنا الى امرين :

● يرجع الى ان الدول النامية نظرا لانخفاض متوسط الدخل الفردى فيها ، تعتمد فى جزء كبير من استهلاكها على القطاع الزراعى (الغذاء والملبس) . ولذلك فان زيادة الاستهلاك المتاح مرتبطة الى حد بعيد بالقدرة على زيادة الانتاج الزراعى . وفى هذا الصدد نجد ان اغلب الدول النامية تعانى من ركود شديد فى نمو انتاجها الزراعى بحيث يمكن القول بان هذا القطاع يمثل الى حد بعيد عنق الزجاجة للنمو المتوازن فى هذه الدول ، وان تخلف هذا القطاع عن زيادة انتاجه يشكل احد الاسباب الرئيسية لارتفاع الاسعار .

● الزيادة الخطيرة فى السكان فى الدول النامية مما يجعل العبء الاجتماعى لزيادة معدل الاستثمار شديد الوطأة .

٢ — تدهور معدل التبادل الدولى : تعتمد الدول النامية بصورة او باخرى على صادراتها من المواد الاولية وبشكل خاص صادراتها من الحاصلات الزراعية . وفى اطار هيكل العلاقات الدولية القائمة يتجه معدل التبادل الدولى لهذه السلع الى التدهور لصالح الدول المتقدمة . ومعنى ذلك ان هناك اتجاه عام لاثمان الصادرات الزراعية الى الانخفاض بالنسبة لاثمان السلع المصنوعة ويترتب على ذلك ان على الدول النامية ان تقوم بتصدير احجام متزايدة دائما من حاصلاتها الزراعية للاحتفاظ بقدرتها الاستيرادية دون انخفاض . وقد سبق ان اشرنا الى ان الدول النامية تعانى من عدم قدرة قطاعها الزراعى على زيادة الانتاج فاذا اضفنا الى ذلك ضرورة اقتطاع جزء متزايد للصادرات والحيلولة دون هبوط المقدرة الاستيرادية ، امكن نرى اثر انخفاض معدل التبادل الدولى على عرض السلع الاستهلاكية (الزراعية) للسوق المحلى . وليس يعنينا هنا التعرض لاسباب تدهور معدلات التبادل الدولى للسلع الاولية فان ذلك يخرج بنا عن نطاق البحث . ويكفى ان نشير الى اختلاف ظروف انتاج وتسويق السلع الزراعية عن مثيلتها للسلع المصنوعة . فالطلب على الاولى لا يتزايد الا بمعدل طفيف نظرا لانخفاض مرونته الدخلية ولمنافسة السلع الصناعية لها (الالياف الصناعية فى حالة القطن) . وبالنسبة لهيكل المرض نجد ان خصائص المنافسة تسود بالنسبة للسلع الزراعية فى حين تغلب خصائص الاحتكار على اسواق السلع المصنوعة .

٣ — زيادة الانفاق : تؤدى العوامل المتقدمة الى نقص السلع الاستهلاكية المتاحة وذلك فى الوقت الذى يزيد فيه الانفاق بما يترتب عليه من زيادة فى الطلب .

وتعرف الدول النامية نوعا خاصا من البطالة هى البطالة المقنعة وتتمثل فى وجود طوائف كبيرة تقوم بالعمل فى اوجه ضعيفة الانتاجية ، وتظهر هذه البطالة المقنعة بشكل خاص فى القطاع الزراعى ، كما تظهر فى المدن فى كثير من الحرف قليلة الانتاجية كبعض الباعة المتجولين . وفى جميع الاحوال لا يحصل هؤلاء على اجور بالمعنى الاقتصادى تتناسب مع انتاجيتهم وانما يعيشون على نوع من التحويلات Transfer تظهر فى صور المعيشة المشتركة فى العائلات فى الريف . ويترتب على زيادة الاستثمارات وزيادة فرص العمل ضرورة دفع اجور لهؤلاء العمال الجدد تتحدد وفقا لانتاجيتهم ، وفى نفس الوقت لا يمكن تخفيض اجور من كان يعولهم سابقا نظرا لجمود الاجور الاسمية من ناحية الانخفاض . ولذلك يترتب على التوسع الاستثمارى ضرورة زيادة الانفاق النقدى . ولايقابل هذه الدخول الجديدة بالضرورة سلع معروضة فى السوق لان العملية الانتاجية تتطلب وقتا قد يطول او يقصر بين بدء العملية الانتاجية وبين نزول السلعة النهائية فى السوق، وذلك فى حين ان اداء الاجور النقدية يتم فورا ودون انتظار لظهور السلع النهائية فى السوق . وبذلك تسبق الدخول النقدية عرض السلع المقابلة، وتقاس هذه الاسبقية بما يسمى بمدة التفريخ gestation period . وفى كثير من الاحوال لا تتضمن الاستثمارات ظهور سلعة مباشرة فى السوق ، فبعض الاستثمارات انما يلزم للتمكن من اقامة استثمارات اخرى وهكذا مما يؤدى الى اطالة مدة التفريخ المشار اليها .

مما تقدم نجد ان الدول النامية تعانى فى فترات التنمية من قصور فى عرض السلع الاستهلاكية

فى نفس الوقت الذى يزيد فيه انفاقهــا ومن ثم الدخول النقدية . ويؤدى ذلك الى اختلال التوازن بين العرض الاجمالى للسلع الاستهلاكية والطلب الاجمالى عليها . والاسباب المتقدمة انما هى اسباب هيكلية تتعلق بهيكل الانتاج فى الدول النامية وهيكل العلاقات الاقتصادية الدولية . ولذلك يمكن القول بان ثمة اتجاه عام لارتفاع الاسعار يصاحب عملية التنمية لا يمكن تجنبه . على ان هناك بعض العوامل التى تزيد من حدة هذا الاتجاه والتى ينبغى العمل على ازالتها بكل الطرق وهى ما سنشير اليه فيما يلى :

ثانيا : النقص فى كفاءة التنظيم الاقتصادى

بالاضافة الى الاسباب الهيكلية المتقدمة يؤدى النقص فى كفاءة التنظيم الاقتصــادى الى زيادة الاختلال فى التوازن بين عرض وطلب بعض السلع مما يؤدى الى ظهور اختناقات لا تلبث ان تزيد من حدة ارتفاع الاسعار ، وتتبع الدول النامية بدرجات متفاوتة التخطيط الاقتصــادى لزيادة معـــدل التنمية بها ، ويؤدى نقص كفاءة اجهزة التخطيط وعدم توافر الخبرة الكافية لها الى ظهور اخطاء فى التوقعات التى تبنى عليها الخطة تؤدى الى ارتفاع اسعار بعض السلع .

وبالاضافة الى نقص الخبرة فهناك سبب اولى يؤدى الى ضرورة قصور الخطة الاقتصادية فى المراحل الاولى . وهذا السبب يرجع الى عدم توافر البيانات الكافية او الدقيقة مما يضطـــر معه واضعو الخطة الى الالتجاء الى الاســـاليب غير المباشرة للاستنتاج ومن ثم تزيد احتمـــالات الخطأ والاختلالات الجزئية .

هذه الاخطاء فى التناسق بين مختلف اجـــزاء الخطة او الاخطاء فى تقدير بعض التوقعات المتعلقة بسلوك الطلب او النفقــات تؤدى الى ظهـــور اختناقات فى اجزاء متعددة من الاقتصاد تؤدى الى رفع الاســعار . وبعض هذه الاخطـــاء يتعلق بالطلب الاجمالى الذى يزيد عما كان متوقعـــا demand pull وبعضها يتعلق بتقـــدير النفقـــات Cost Push. فيقدرها باقل من حقيقتها وفى الحالتين يؤدى الخطأ الى ضرورة ارتفـــاع الاسعار .

ومن الاخطاء المتعلقة بالنوع الاول عدم تقدير اهميـــة زيادة الطلب على السلع الاساســـية للاستهلاك مثل الغذاء والمسكن ، فعدم تقدير الخطة لاهمية هذه السلع والخدمات وبالتالى العمل على زيادة عرضها يؤدى الى ارتفاع كبير فى اثمانها . ونظرا لاهمية هذه السلع والخدمات فى ميزانيـــة انفاق الفرد ، فان ارتفاع اثمان هذه السلع يؤدى الى ارتفاع عام فى اثمان كافة السلع وان لم تعانى من نقص فى عرضها الخاص . فهـــذه السلع والخدمات تكون الجزء الاساسى من انفاق الاجور Wage fund مما يجعل ارتفـــاع اثمانهـــا ينتقـــل الى كافة السلع عن طريق ضرورة زيادة الاجور ، وقد اهتم الاقتصاديون الكلاسيكيون بهذا الامـــر ووجهوا اهمية خاصة الى سلعة الغلال لاثرها العام على الاسعار .

ومن امثلة الاخطاء المتعلقة بالنفقة الخطـــأ فى تقدير اهمية بعض عناصر النفقة التى تلعب دورا اساسيا فى كافة السلع مما يؤدى الى ارتفـــاع الاسعار . ومن الامثلة الواضحة لذلك نفقـــات النقل ، فعدم التوسع فى خدمات النقل يؤدى الى ارتفاع عام فى اسعار السلع لارتفاع نفقة نقلها .

ويمكن الاضافة الى ما تقدم ، العديد من الامثلة التى تبين اثر الخطأ فى تقدير بعض التوقعـــات المستقبلة لسلوك الطلب او لنفقات الانتاج ممـــا يظهر اثره فى ارتفاع الاسعار .

كذلك تجب الاشـارة الى عدم التنـــاسق بين الانتاج المادى والخدمات فى الخطـــة . فينبغى زيادة الخـــدمات مـــع زيادة الانتـــــاج ، ولكن مـــع مراعـــاة تحقيـــق التنــــاسق دائما بين نمو الانتاج المادى وانتاج الخدمات . وقد لوحظ فى الخطة الخمسية الاولى زيادة كبيرة فى نمو الخدمات بالنسبة الى الزيادة فى الانتاج المادى . وهذا النمو الزائد للخدمات يؤدى فى الواقع الى ضغط تضخمى نظرا لان الجزء الغالب من دخول مقدمى الخدمات يتحول الى الطلب على الانتـــاج المادى . فاذا لم ينم هذا الانتـــاج المادى بالقدر الكافى فان الزيادة الكبيرة فى الخدمات سيترتب عليها ارتفاع فى الاسعار . وتدل نتـــائج تقييم الخطة الخمسية الاولى انه على حين جاوز انتاج الخدمات تقديرات الخطة حـــوالى ١٢٠٪ فان الانتاج المادى لم يحقق فى كثير من القطـــاعات تقديرات الخطة .

ولكن يمكن القول بان هذا النوع من الاخطاء

لا يثير خطورة كبيرة لان المفروض ان تتناقص هذه الاخطاء مـــع مرور الزمن وتوافر الخبرة والكفاءة لاجهزة التخطيط وتقدم الفن الاحصائى وتوافر الاحصاءات الكافية والصحيحة من مختلف اوجه النشاط . ولذلك يمكن القـــول بان هذه الاسباب المتعلقة بكفاءة التنظيم الاقتصادى ترجع الى حداثة عهد هذه الدول بهذا النوع من التنظيم الجديد ، والمفروض ان تزداد هذه الكفاءة مع مرور الزمن .

واخيرا نشير الى بعض الظروف الخاصة التى نمر بها والتى تزيد من حدة ارتفاع الاسعار .

ثالثا : ارتفاع الاسعار فى المرحلة الانتقالية

رأينا فيما سبق ان مرحلة التنمية وحداثة العهد بنظام التخطيط يؤدى بالضرورة الى ظهـــور عدة اختلالات بما يجعل ارتفاع الاسعار امـــرا لازما .وقد صاحب التطورات المتقدمة تغييرا آخر فى علاقات الانتاج من اجـــل انشــــاء المجتمع الاشتراكى .وهذا التحول الاشتراكى يؤدى بدوره الى انهيار الكثير من انماط السلوك القديمة دون ظهور انماط جديدة للسلوك المتفقـــة من التنظيم الاشتراكى الجديد . ولذلك فان انماطا جديدة من السلوك الانتهازى قد ظهـــرت وأدت الى زيادة حدة الاختلالات مما ترتب عليه ارتفاع الاسعار فى كثير من الاسواق . ونشير الى بعض هـــذه المظاهر بايجاز فيما يلى :

١ — تغيير نمط الانفاق لاصحـــاب الدخـــول المرتفعة والثروات الكبيـــرة : ترتب على مرحلة التحول الاشتراكى وتقلص دور الفرد فى اتخاذ قرارات الاستثمارات واتساع نطاق القطاع العام، ان زادت اهمية وظيفة الفرد باعتباره وحـــدة استهلاكية وذلك بالمقارنة بوظيفته باعتباره وحدة تتخذ قرارات الادخار والاستثمار . ففى ظل النظام الرأسمالى يقوم القطـــاع الخاص بأغلب العمليات الاســــتثمارية ويترتب على ذلك ان الادخارات اللازمة لتمويل هـــذه الاستثمارات يحققها الافراد . ونتيجة لما تقدم نجـــد ان نمط السلوك الاستهلاكى السائد فى ظل هذا النظـــام يقضى بتوزيع الدخل بين الاســـتهلاك والادخار طبقا لعدد معين من الدوافع او البواعث .فالفرد

يحتفظ بجزء من دخله للادخار لمواجهة الطوارئ والحوادث غير المتوقعة وللاحتياط للمستقبل وهذه البواعث تظل قائمة حتى بعد التحول الاشتراكى . اما رغبة الافراد فى الادخار لتمـــويل المشروعات واقامة الاستثمارات فالاصل انها تقل بعد التحول الاشتراكى حيث تقوم الدولة بهذه الاستثمارات . وهذا العامل الاخير يسمى بالادخار لعامل المشروع . وبتقلص اهمية عامل المشروع فى الادخار عنـــد الافراد يزيد ميلهم للاستهلاك . ونظرا لعـــدم اتخاذ قرارات كافية لامتصاص جزء من قدرتهم الشرائية فان قدرا كبيرا منها يتحـــول لاغراض الاستهلاك . ومن الممكن امتصاص هذا القـــدر عن طريق شهادات الاستثمار التى تعرضهـــا الدولة . ولكن ينبغى لذلك تنظيم هذه العمليـــة بشكل اوضح وتشجيع الافراد على قبول هـــذا النوع من الاصول المالية . ونلاحظ فى هذا الصدد ان توزيع الدخول النقدية لا يرتبط دائما بحجم السلع الاستهلاكية المتاحة ،ويرجع ذلك الى اسباب عديدة منها بقاء بعض المصادر القديمة للدخـــل ومنها ان بعض الدخول العالية تمنح من اجـــل تشجيع بعض العناصر الفنية على العمل .ويترتب على ذلك ضرورة اقامة وسائل جديدة لامتصاص جزء من هذه الدخول المرتفعة دون ان تشـــكل ضغطا تضخميا على الاسعار ،ومن هذه الوسائل شهادات الاستثمار . فشهادات الاستثمار تمكن من امتصاص قدر من الدخول المرتفعة والتى كانت تدخر فيما سبق لعامل المشروع على ما ذكرنا .

وساعد على زيادة الطلب النقـــدى ، عـــدم تقدم العرف المصرفى فى مصر بدرجة تجعل مـــن النقود الكتابية (الودائع فى البنـــوك) العنصر الاساسى للتداول النقدى . فلازالت النقود الورقية (البنكنوت) هى أساس التداول النقدى فى مصر . وترتب على ذلك امرين ، فمن ناحية ان جـــزءا هاما من ادخار الافراد كان يكتنز فى شكل اكداس من اوراق البنكنوت لدى الافراد ولا يودع بالبنوك (حادثة قيس خير مثال لذلك) . وقد ادى ذلك الى صعوبة امتصاص القدرة الشرائية لدى هؤلاء بعد تقلص وظيفة الادخار لعامل المشروع لدى الافراد . ومن ناحية ثانية فانه نظرا لقلة اهميـــة النقود الكتابية فى التداول النقـــدى ان ضعفت الصلة بين حجم هذا التداول وحاجة التعامل ، اذ يترتب على زيادة اهميـــة النقود الكتابية فى

التداول النقدى ان تقوم صلة كبيرة بين هــــذا الحجم وحاجة التعامل وتستطيع البنوك ان تؤثر مباشرة فى حجم التداول النقدى . أما حيث تسود النقود الورقية فان السيطرة على هذا الحجم تقل نسبيا .

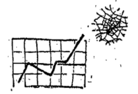
وقد ترتب على العامل المتقدم ان زاد الطلب النقدى على السلع الاستهلاكية بشكل كبير نتيجة للتحول الاشتراكى .

٢ ـ ظهور انماط جديدة للاستهلاك التفاخرى: ان التحول الاشتراكى وان ادى الى زعزعة القيم القديمة فانه لم ينجح دائما فى ارساء قواعدوقيم جديدة للسلوك . وقد ترتب على ذلك ان مظاهر جديدة للاستهلاك التفاخرى التى ساعدت على انتشار استهلاك بعض السلع الترفية فى الوقت الذى يعانى فيه الجزء الغالب من السكان من نقص فى السلع الضرورية . وقد ادى هــذا السلوك الى التأثير على سياسة الانتاج والاستثمار فقامت صناعات سيارات نصر الخاصة فى الوقت الذى تعانى فيه الدولة من نقص شديد فى وسائل المواصلات العامة . وقامت صناعة التليفزيون بل لقد قامت صيحة تدعو لادخال التليفزيون الملون عندنا . وقد ادى هذا النوع من الاســتهلاك التفاخرى الى قيام تطلعات شديدة نحو هــذا الاستهلاك . وهذه التطلعات ادت بدورها الى ظهور الحاجة الى دخول نقدية مرتفعة مما ادى الى قيام اساليب جديدة للحصول على الدخول غير المشروعة عن طريق الاختلاسات . وبصرف النظر عن الناحية الاخلاقية فى الموضـــوع فان الاختلاسات تختلف عن الرشوة مثلا لانها لاتقتصر على مجرد تحويل قدرة شرائية من فرد الى آخر، وانما تؤدى الى مضاعفة تكاليف الانتاج ومن ثم تؤدى الى رفع الاثمان فى بعض السلع التى لايمكن التحقق من نفقة انتاجها على وجه الدقة .

٣ ـ سياســة الاجــور والعمالة : ترتب على التحول الاشتراكى وضرورة توفير فرص العمل لكافة القادرين عليه ان زادت العمالة بدرجة اكبر من زيادة الانتاج ورغم ان مستوى الاجور لم يزد على زيادة الانتاجية فان الزيادة الكبيرة فى العمالة أدت الى زيادة حجم الاجور الموزعة على الزيادة فى الانتاج . والاجور تعتبر دخولا استهلاكيـــة بالدرجة الاولى فالميل للاستهلاك لدى اصحـاب الاجور مرتفع جدا ويكاد يبلغ ١٠٠٪ ولذلك تنفق كل دخول هذه الفئة على الاستهلاك . ونتيجة لما تقدم ترتب على الزيادة الكبيرة فى العمال وما ارتبط بها زيادة حجم الاجور ان زاد الاستهلاك .

٤ ـ المضاربة والحلقة الجهنميــة لارتفــاع الاسعار : أدت الاسباب المتقدمة جميعا الى قيام جو عام من الحـالة النفســية مؤداه استمرار ارتفاع الاسعار . وهذا الجو العام يساعد على قيام المضاربات سواء بالمزاحمة على شراء السلع حاليا ممــــا يؤدى الى زيادة الطلب عليها زيادة مصطنعة ومن ثم يرفع اسعارها ، وانما باخفاء وتخزين جزء منها انتظارا لبيعها باثمان مرتفعــة فى المستقبل مما يؤدى الى انقاص عرضها بشكل مصطنع ومن ثم يؤدى فعلا الى رفع الاسعار . وتؤدى هذه المضاربة الى الانتقال من حلقة الى حلقة اخرى اعلا منها فى سلسلة طويلة لارتفــاع الاسعار وهذا ما ادى بكثير من الاقتصاديين الى تسميتها بالحلقة الجهنمية لارتفاع الاسعار . وقد ساعد على تفاقم هذه الحالة النفسية بالاضافة الى العوامل التى سبق ان اشرنا اليهــا زيادة الضغط الدولى علينا مما ادى الى ظهور حالات للتهريب .

هذه بايجاز اسباب ارتفاع الاسعار ومن ثم الاسباب المسئولة عن قيام السوق السوداء . وبعض هذه الاسباب يرجع الى اسباب هيكلية لا يمكن تجنبها بشكل عام ، فى حين ان البعض الاخر يرجع الى نقص فى كفاءة الاجهزة الاقتصادية مما ينبغى تداركه ، واخيرا فان بعض هــذه الاسباب ترجع الى ظروف استثنائية خاصــــة بمرحلة التطور وتستدعى اتخاذ اجراءات عاجلة للحيلولة دون تفاقمها .●





لا يمكن لانسان ان يقبل قيام السوق السوداء فى مجتمعه أو أن يسلم بشرعيتها، فمدلولها الوحيدبالنسبة له انها سرقة للمال من أمواله وحرمان له من جانب من دخله دون مقابل .

والحقيقة ان السوق السوداء أخطر بكثير من السرقة لانها لاتؤدى الى مجرد حرمان فرد ولكنها تمتص جانبا هاما من المكاسب التى تحققت للشعب فى مجموعه . فاختفاء سلعة من السلع بالرغم من ثبوت توفرها احصائيا أو رفع ثمنها الى أكثر من سعرها الرسمى ، لما يسير فى اتجاه مضاد لما ترمى اليه الاشتراكية من رفع مستويات المعيشة وكلما انتشرت السوق السوداء وزاد نفوذها بالنسبة لعدد أكبر من السلع كلما نقصت القيمة الحقيقية للدخول .

والزيادة التى يدفعها الشعب فى السوق السوداء لا تعود الى الدولة بحيث يمكن الاستفادة منها فى برامج الاستثمار والتنمية ولكنها تنتهى الى جيوب تجار السوق السوداء . **فما هى الفئات التى تستفيد من السوق السوداء وتعمل على قيامها ونشر نفوذها لتمتد الى أكبر قدر من السلع ؟**

من البديهى أن السوق السوداء تظهر فى مجال التجارة الداخلية والمكاسب المنهوبة بواسطتها تختفى فى جيوب بعض العاملين فى هذا المجال . لذلك فان تحديد الظروف التى تسمح بقيام السوق السوداء والعمل على القضاء عليها لهو صراع ضد طبقة مستغلة لاحق لها فى البقاء فى مجتمعنا الذى انطلق فى طريق البناء الاشتراكى مستندا الى التخطيط العلمى . ومركز الثقل فى الصراع

ضد السوق السوداء هو تنظيم التجارة الداخلية بمايكفل أداءها للخدمة المفروضة عليها دونتمكينها من استغلال حاجة الجماهير والتلاعب بالسلع وأسعارها ».

التجارة خدمة .. وليست فرصة

تقوم التجارة الداخلية بدور حيوى فى اقتصادنا الوطنى ، اذ عن طريقها تصل ثمرات العمل والانتاج الى حيث يمكن الاستفادة من قيمتها الاستعمالية ، وتصريف المنتجات فى السوق هو الذى يسمح لعجلة الانتاج بأن تظل دائرة ويؤدى الى تحقيق الفائض المدخر الذى يمكن استثماره فى مشروعات جديدة ، وبهذا ترتبط التجارة بقضية استمرار الانتاج وتنميته وترجمته الى ارتفاع حقيقى فى مستويات المعيشة ».

وقد يبدو للبعض أن التجارة تقوم بنفس الخدمة والدور حتى فى المجتمع الراسمالى . ولكن الذى يحدث لها فى ظل الراسمالية هو نفس ما يحدث بالنسبة لجميع مجالات النشاط الاقتصادى الاخرى . فالملكية الاستغلالية تخفى الطابع الاجتماعى للنشاط الانسانى، وفىالانتاج الراسمالى يتركز الهدف فى تحقيق الربح وتتحول الطيبات التى ينتجها العمل الانسانى الجماعى الى امتيازات للاقلية المالكة على حساب الاغلبية التى لاتملك والى صراع بين الطبقات ذات المصالح المتنافرة أى أن الملكية الفردية المتحكمةفى وسائل الانتاج تحوله الى وسيلة للاستغلال وميدان للصراع ».

والتجارة أيضا تكتسب فى ظل الراسمالية طابعا يتناقض تماما مع الخدمة التى تؤديها ، فلا يبدو منها الا الرغبة الجشعة فى انتهاز الفرص عن أى طريق . وسيادة الحرية الاستغلالية لرأس المال معناها ترك العمل نهبا للاستغلال وترك السوق نهبا للصراعات التى تقوم بين الرأسماليين أنفسهم فى ظل منافسة صورية تنتهى الى تحكم الاحتكار فى السوق وتحديد الاسعار التى تناسبه وفرض القيود والانظمة التى تحمى مصالحه دون النظر الى أى مصالح أخرى . فالافلاس والحجز وبيع المحل التجارى أنظمة مخصصة لحماية الدائن ضد المدين ، وليس من الصعب معرفة الطبقةالتى سينتمى اليها كل من المدين العاجز عن السداد والدائن غير المتهاون فى اقتضاء ماله . والشركة المساهمة ذات رأس المال الكبير لا يكون المساهم فيها مسئولا الا فى حدود قيمة أسهمه ، أما شركات التضامن وهى الشكل الغالب الذى يأخذه رأس المال الصغير فذمة التاجر فيها تختلط بذمة الشركة وتصبح أمواله الخاصة كلها ضامنة لديون الشركة حتى تقفل جميع المنافذ فى وجهه ويتجرد من جميع أملاكه عند وقوعه فى براثن كبار الرأسماليين .

والمقصود بالسوق السوداء هو التبادل السلعى الذى يتم بالمخالفة للقيود المنظمة لاثمان السلعوطريقةتداولها .. هذه القيود التى تفرض بصفة خاصة فى البلاد النامية والمتحررة بهدف حماية الجماهير الشعبية منجشع التجار وتنظيم الاستهلاك بما يكفل تحقيق تراكم مالى يوجه الى مشروعات التنمية . هذا بينما نجد ان المجتمع الرأسمالىكله بجميع مجالات نشاطه ينتهى الى الخضوع للسيطرة الاحتكارية وتحكمها، فتتشعب مصالح كبارالماليينولايقتصرونعلى مجالمعين من مجالات المال أو الصناعة أو التجارة ولكنهم يتدخلون بثقلهم المالى فى أىمجال يشتمون منه امكانيات الاستغلال أو حماية مصالحهم حتى تخضع لهم أيضا الدولة بجميع أجهزتها ، وتصبح القيود المفروضة فى المجتمع مخصصة لحماية مصالحهم وتكاد تختفى من أمامهم العقبات والقيود التى يمكن أن تضطرهم الى مخالفتها والتهرب منها ، وبهذا تكون الحرية فى المجتمع الراسمالى خرافة ومرادفة فى واقع الامر لشريعة الغاب ولقانون البقاء للاقوى . فرأس المال الكبير فى مجال التجارة يشرف على السوق من مركز يمكنه من اخضاعه واستخدامه كأداة لتحقيق مصالحه ويمكنه منخلال احتكاره للسلعة أنيفرض أسعاره على المستهلكين وشروطه واتاواته على تجار التجزئة ، فى حين ينظر رأس المال الصغير الى السوق كقوة خارقة مجهولة غير مأمونة العواقب.

فى مصر قبل الثورة كان **((عبود وعائلته))** يحتكر صناعة السكر ويسيطر فى نفس الوقت على تجارة الجملة فيه ، ونجح فى أن يخضع الحكومة لرغباته ويستخدمها فى خدمة مصالحه ويحملها على اتخاذ القرارات المناسبة له ، فكانت الحكومة تحدد الكميات التى توزع بالبطاقات فى حدود تضطر المستهلك الى الشراء بالسعر الحر ، وتترك لعبود كميات كبيرة يبيعها خارج التسعيرة ، وكانت تتهاون معه فى اقتضاء الضرائب المستحقة على الارباح الضخمة التى كان يحققها بفضل حماية الدولة . واذا احس اناحدى الحكومات ستطالبه بضرائب متأخرة افتعل أزمة فى الكميات المعروضة حتى يجبرها على السكوت عنه . وبالنسبة للاسمدة كانت تتحكم فى استيرادها شركتان ذات ارتباطات بالشركات المنتجة فى الخارج وتحددان

الاسعار بما يكفل مصالح الاحتكارات الاجنبية ، وكانتا تعمدان فى نفس الوقت الى اخفاء جانب هام من ارباحهما الخيالية عن طريق التواطؤ مع الشركات المنتجة وايداعها لحسابهما فى الخارج. والى جانب احتكارهما للاستيراد كانتا تحتكران أيضا السوق الداخلى فتحددان الكميات التى يحصل عليها كل تاجر وفقا لاهواء مصالحهما واهواء مديريها . وبالنسبة للقطن كان يسيطر على بيوت تصديره حفنة من الرأسماليين ذوى الارتباطات الوثيقة بالمراكز المالية الاجنبية وكانوا يستخدمون المضاربات غير المشروعة فى البورصات من أجل اغتصاب مغانم ضخمة على حساب الخسائر التى تصيب الالاف من صغار التجار الذين كانوا ينتهون فى كل موسم الى تضخم جديد فى أرصدتهم المدينة لدى البنوك التجارية .

ونفس الصورة كانت تتكرر تقريبا بالنسبة لكل سلعة من السلع سواء اكانت منتجة محليا أو مستوردة ، حتى انتهت التجارة الداخلية قبل الثورة الى الوضع الذى أصبح يسيطر عليها فيه رأسمال احتكارى طفيلى لا يرعى اى مصلحة اجتماعية ، وكان ارتباط تجارة الجملة فى الداخل بتجارة الاستيراد والتصدير يسمح للرأسماليين بتهريب جانب هام من الارباح التى يغتصبونها الى الخارج . فى حين كانت الأغلبية من صغار التجار ومتوسطيهم يعانون من السيطرة الاستغلالية للاحتكار ويتعرضون لخطر الافلاس وتراكم الديون المستحقة عليهم ، وكان سبيلهم الى السلعة التى يتاجرون فيها هو الخضوع للشروط التى يفرضها كبار الرأسماليين المسيطرين على تجارة الجملة وعلى مختلف مجالات الاقتصاد الوطنى .

المعالم الجديدة فى مجتمعنا

ليس الغرض من عرض الصورة الفعلية لنوع الحرية التى تسود التجارة فى المجتمع الرأسمالى هو مجرد ابراز زيفها وخضوعها فى الحقيقة لمصالح مالية عليا تسعى الى اغتنام كل فرصة للنهب على حساب افقار صغار المنتجين وصغار التجار . فالمسألة أهم من ذلك ، ولا بد عند التعرض لظاهرة خطيرة مثل ظاهرة السوق السوداء من تحديد كيفية ارتباطها بالواقع الاجتماعى . هل هى نتاج للمعالم الجديدة التى برزت فى مجتمعنا بعد الثورة أم هى من رواسب المجتمع الرأسمالى لا زالت تطفو على سطح مجتمعنا كتعبير عن بعض صور العلاقات الرأسمالية الاستغلالية التى لا زالت تلعب دورها فيه .

لقد أدت الانتصارات المتتالية للثورة الى أن يحتل القطاع العام المراكز الرئيسية التى كان يمارس منها الاحتكار سيطرته بعد تحريرها من ملكية رأس المال ونقلها الى ملكية الشعب وبالتالى أخذ يختفى منها الطابع الانتهازى القائم على استغلال الانسان للانسان وبرز الجوهر الاجتماعى الهادف الى تحقيق الرفاهية ورفع مستوى معيشة العاملين ، واصبح من الواضح — بعد أن تقلص التناقض بين الطبيعة الاجتماعية للانتاج وبين الملكية الفردية لوسائله — أن الذى يحول دون رفع مستويات المعيشة لم يعد يتمثل اساسا فى امتيازات طبقية ولكن تحولت المعركة ضد التخلف الى معركة من نوع آخر هى معركة البناء والتنمية ، وفرض الانظمة والاساليب التى تسمح بترجمة كل تطور لوسائل الانتاج الى فائدة مباشرة للقوى العاملة .

وفى ظل القضاء على المصالح الاحتكارية والرأسمالية الكبيرة وخضوع النشاط الاقتصادى للتخطيط العلمى كان لابد وأن تتغير طبيعة السوق تدريجيا . فقطعا لم يعد السوق هو ذلك السوق الذى كان ميدانا لحرية اقتصادية زائفة وأداة لتحقيق المصالح الرأسمالية بالوسائل المشروعة وغير المشروعة . أصبحت النظرة المسلم بها للسوق انه قناة تمر من خلالها السلعة لتصل الى أيدى مستهلكيها فى كل مكان وبأنسب الظروف فى اطار تنفيذ مخططات التنمية . ولا يمكن للسوق أن تقوم بهذا الدور اذا تلاعبت فيها مصالح معادية ، لذلك خضعت لرقابة فعالة تسعى الى الوقوف ضد اى فراصنة يحاولون التلاعب بها خدمة لاهوائهم الانانية ، وحددت أسعار معظم السلع ونسب الارباح فيها وطريقة توزيعها بما يتفق مع مقتضيات التنمية ومصالح المستهلكين وشددت الجزاءات على كل من يسعى الى مخالفة هذه القرارات والتلاعب بالسلع والاسعار .

ومع هذا ظهرت بالفعل بالرغم من هذه الظروف الجديدة سوق سوداء اخذ نفوذها يميل الى الاتساع . لا يمكن التسليم بان اجراءات التسعير والتنظيم هى المسئولة عنها لاننا رأينا كيف تتحول حرية التعامل فى المجتمعات الرأسمالية الى حرية استغلالية للقلة على حساب المجموع . واذا كانت ارادتنا الثورية قد صممت على بلوغ اعلى مراحل التطور عن طريق بناء الاشتراكية بما تستلزمه من الالتزام بخطة للتنمية تراعى مختلف

الاولويات فى كل مرحلة فانه لابد من تحديد الفئات التى تنجح فى استغلال هذه الظروف بالتلاعب بكميات السلع المعروضة وبيعها باكثر من أسعارها المحددة ، وإذا كان الشعب بكافة قواه العاملة على استعداد لتقبل كل تضحية تفرضها أعباء هذه المرحلة فانه لايوجد فرد واحد فيه مستعد لان يضحى من أجل اثراء مثل هذه الفئات المستغلة

لابد أن نتساءل قبل اتهام السلطات الادارية بالاهمال او التجاوز ، من هم الذين تمكنهم ظروفهم الاقتصادية من السيطرة على منافذ السلعة الى حد اخفائها والتحكم فى أسعارها ؟ **اذا نجحنا فى تحديدهم فهل يكون الحل الاصوب هو الاكتفاء بالقائهم فى السجون كافراد كلما أمكن ضبط أحدهم أو القضاء تماما على الظروف الاجتماعية التى تسمح لهم بمباشرة نشاطهم الاقتصادى الهــدام فى المجتمع ؟**

ليس من المقبول بعد أن ساد الطابع الاجتماعى لعجلة الانتاج أن تظل التجارة خاضعة لنفس المقاييس التى كانت تحكمها من قبل والتى كانت تضفى عليها طابعا طفيليا يسعى الى ابتزاز الخير من أصحابه ، ولا يمكن فى ظل التطورات الهائلة التى مر بها مجتمعنا أن تظل التجارة بعيدة عن التأثر بها والتمشى معها ، بل يتعين ان تتطور ايضا تطورا يسير بها نحو التخلص من جميع مظاهر الاستغلال الطفيلى ونحو تأكيد طابعها الاجتماعى المستمد من الخدمة التى تؤديها لعجلة الانتاج ، وهى تبادل السلع بيسر وكفاءة . فلا شك انه عند التعرض لتنظيم التجارة فى ظل مجتمع يسير نحو الاشتراكية يجب أن يكون العنصر الاساسى الموجه للبحث هو الخدمة التى تؤديها التجارة للمجتمع ، وعلى هدى هذا الضوء وحده يمكن ان تتضح الاسس التى تربط التجارة بالعلاقات الاجتماعية الجديدة والتى تضمن أن يصبح العائد الذى يعود الى التاجر مقابلا عادلا لعمله ، أى انه يتعين أن يختفى من هذا التنظيم اى اعتبار للمصالح الاستغلالية التى كانت تحرك رؤوس الاموال فى مجال التجارة .

وفى هذا الاتجاه تعرض الميثاق للتجارة فكان منطلقة هو النظر الى الخدمة التىتؤديها التجارة وتحديد الخطوط العامة التى تكفل تحقيق هذه الخدمة . فحدد المبادىء الاساسية التى يجب أن تقوم عليها التجارة الداخلية على الوجه الاتى :

● أن يتدخل القطاع العام فى التجارة الداخلية منعا للاحتكار وفى حدود الربح .

● افساح المجال أمام النشاط الخاص والتعاونى .

● أن التجارة الداخلية خدمة مقابل ربح معقول لايصل الى الاستغلال .

● أن من المهام الرئيسية للقطاع العام أن يضمن توجيه النشاط الخاص فى المجالات التى يقوم بها فى اطار الخطة الشاملة لصالح الشعب وأن القطاع الخاص مطالب بأن يجدد نفسه ويشق لعمله طريقا لايعتمد كما كان فى الماضى على الاستغلال الطفيلى .

● أن رقابة الشعب يجب أن تكون شاملة للقطاعين مسيطرة عليهما معا .

وهذه الاسس تحدد معالم الطريق أمام التجارة الداخلية لكى تقوم بدورها مع باقى مجالات النشاط الاقتصادى فى تحقيق الهدف العام للمجتمع وهو بناء الاشتراكية .

والتجارة الداخلية تنقسم الى تجارة جملة ونصف جملة وتجزئة . وهذه الاقسام متدرجة فى تحقيق الصلة بين مصدر السلعة (انتاجا أو استيرادا) وبين المستهلك لها . وهذا التقسيم يطبع كل فئة بطابع خاص ، فتجار الجملة عددهم قليل وحجم أعمالهم كبير ويتعاملون فى نسبة كبيرة من السلع التى يتخصصون فيها . وعلى الطرف الاخر تجار التجزئة فينتشرون انتشارا واسعا فى كل مكان ورقم أعمال كل منهم صغير نسبيا ، وبين الفئتين يتوسط تجار نصف الجملة سواء من حيث العدد أو حجم الاعمال .

ونظرا لان التجارة الداخلية فى مجتمعنا من اهم مجالات نشاط القطاع الخاص فانهيقوم فيها تقسيم آخر يقسمها الى رأسمالية كبيرة ومتوسطة وصغيرة . وهذا التقسيم وان لم يطابق التقسيم الاول الا انه يرتبط به ارتباطا وثيقا . بمعنى أن الصفة الغالبةفى تجارة التجزئة هى تكوينها من الرأسمالية الصغيرة وأن لم يمنع هذا من وجود رأسمالية متوسطة بل وكبيرة فيها . والصفة الغالبة فى تجارة نصف الجملة أنها رأسمالية متوسطة .وان تفاوتت أيضا فى كلا الاتجاهين . فى حين أن تجارة الجملة تتكون من الرأسمالية الكبيرة وذلك أيضا بدرجات متفاوتة .

فهل تتفق التجارة الداخلية فى وضعها الحالى مع أحكام الميثاقوهل يمكننا أن نقرر أن الاستغلال

الطفيلي قد اختفى منها وأصبح القطاع الخاص فيها يسير تحت توجيه القطاع العام فى اطار الخطة الشاملة ؟ ان الاجابة على هذا السؤال بالنفى . وبالتالى لازالت المهمة العاجلة هى ايجاد التنظيم الذى تعمل منخلاله التجارة الداخلية فى اطار يتفق مع العلاقات الجديدة فى المجتمع .

الاستغلال الرأسمالى فى تجارة الجملة

ان وضع تاجر الجملة والدور الذى يؤديه يختلف بلا شك عن وضع تاجر التجزئة ودوره . فتاجر الجملة يشغل مركزا يمكنه من السيطرة على كميات السلع المعروضة فى وقت محدد والسيطرة بالتالى على اسعارها وافتعال الازمات فيها . تاجر الخضار أو الفاكهة فى سوق الجملة يمكنه تحديد الكميات التى تصل الى تجار التجزئة وكل افتعال لازمة فى مادة من مواد التموين يكون مصدرها عادة هو اتفاق تجار الجملة فيما بينهم على خطة واحدة ومن السهل عليهم الوصول الى مثل هذا الاتفاق الاجرامى نظرا لأن عددهم محدود وصلاتهم التجارية وثيقة . وقد حدث خلال شهر يوليه من عام ١٩٦٥ أن اختفى **((الكبريت))** من السوق واصبحت الكميات الصغيرة المتوفرة تباع بضعف ثمنها المحدد ثم ترتب على الحملات التفتيشية اكتشاف كميات كبيرة منه مخبأة لدى تجار الجملة . وعندما أعلن الرئيس عبد الناصر استعداد الشعب للتضحية بجانب من استهلاكه للارز سارع تجار الارز فى اليوم التالى مباشرة باخفاء الكميات المتوفرة لبيعه فى السوق السوداء بثمن مرتفع . وهذه الصورة تتكرر بالنسبة لكثير من المواد التموينية الاخرى حيث يتمكن تجار الجملة خلال فترة ولو قصيرة من التحكم فى الكميات المعروضة وتحقيق أرباح خيالية على حساب احتياجات الشعب .

ويسعى تجار الجملة الى فرض نفوذهم على تجار التجزئة ليضمنوا سيرهم فى اتجاه مصالحهم الجشعة . فالمصلحة الاصلية لتاجر التجزئة هى فى الحصول على السلعة بالسعر المحدد وبالكمية الكافية ارضاء للجمهور المتعامل معه ، الا ان السيطرة الاحتكارية لتاجر الجملة تقف حائلا أساسيا دون تحقيق مصالحه . ومن الامثلة الصارخة على مثل هذا التحكم الشكاوى المتعددة التى تقدم بها تجار التجزئة فى الاقمشة الشعبية الى الغرفة التجارية بالقاهرة ضد تجار الجملة فى الحمزاوى لما يعمدون اليه من التلاعب فى الكميات الموزعة وفقا لاهوائهم وطالبين تحديد حصص محددة لكل منهم يستلمونها دون تدخل أو تحكم من تاجر الجملة .

وتجار الجملة بنفوذهم المالى يجيدون التهرب من الاحكام الإدارية مثل التسعيرة الجبرية والاخطار عن الكميات الموجودة لديهم من السلع ويسعون الى افساد بعض رجال الادارة للتستر عليهم فى عملياتهم الاجرامية ، وأساليبهم فى هذا الشأن لاتختلف عن أساليب بقايا الاقطاع التى تكشفت بعد حادث كمشيش (١٩٦٦) . وقد قضت **محكمة جنايات الاسكندرية** بالسجن على تاجر الفاكهة الكبير «عبد القادر المكباتى» لاتهامه فى محاولة تقديم رشوة كبيرة الى أحد رجال الادارة لمساعدته فى تهريب بعض الاراضى الزراعية الزائدة عن الحد المقرر . وهذه الحادثة تكشف نوع الاسلوب الذى يلجأ اليه هؤلاء التجار سواء فى الدفاع عن مصالحهم او فى كيفية استغلال أرباحهم الجشعة .

وسيادة الاستغلال الراسمالى فى تجارة الجملة يؤدى الى فرض اشكال من الاستغلال يأباها مجتمعنا . فتجار الجملة فى السلع التى يسود انتاجها الطابع الحرفى الصغير يخضعون صغار المنتجين لسيطرتهم المباشرة من خلال انظمة استغلالية بشعة . فبالنسبة لصناعة الاحذية مثلا جاء فى بحث نشره **((البنك الصناعى))** عام ١٩٦٥ عن المصنوعات الجلدية فى الجمهورية العربية المتحدة ان صناعة الاحذية تقوم على اكثر من مائة الف عامل يعملون فى محال صغيرة وحجرات منتشرة فى الاحياء الشعبية وهم يعملون لحساب تجار الاحذية دون عقود عمل تربطهم بهم . فلا يتمتعون بتنظيم ساعات العمل او باية تأمينات اجتماعية ، والتقاليد الموروثة بلورت العلاقة فى شكل عقد مقاولة . يحصل الاسطى من صاحب العمل ـ وهو صاحب المتجر الكبير ـ على مصروف يومى ضئيل ينفق منه العامل على حياته وعلى مستلزمات صناعته والذى يحدث عادة ان يكون اجر الانتاج فى نهاية الاسبوع محسوبا على اساس يكفل عدم كفايته لتغطية المصروف اليومى ، ويعتبر الفرق سلفة على العامل عليه سدادها بانتاجه فى المستقبل ، ويقرر البحث انه نتيجة لهذا الواقع يقع المنتج الصغير والمتوسط تحت سيطرة واستغلال التاجر الذى يتمكن من الحصول على نسبة ربح ترتفع كثيرا عن النسبة المحددة بموجب القرارات الوزارية ، ويضطر الصانع نتيجة لخضوعه لنفوذ التاجر الكبير الى الموافقة على اصدار فواتير بقيمة اعلى من سعر التكلفة الحقيقى بحيث ان المستهلك يقوم فى النهاية بشراء الحذاء بسعر

يزيد كثيرا عن السعر المقرر قانونا . وتتكرر نفس الصورة بالنسبة لكثير من السلع الحرفية الاخرى مثل دبغ الجلود وصناعة الشنط وصيد الاسماك الذي يعمل فيه مئات الصيادين لحساب تاجر كبير يتمتع بمفرده بامتياز الصيد في بحيرة من البحيرات او منطقة من الشواطيء . ويترتب على هذا النوع من العلاقة ان المنتج يستغل استغلالا بشعا والمستهلك يدفع ثمنا غاليا والتاجر يستغل سيطرته المزدوجة على مراكز الانتاج وعلى السوق لتحقيق ارباح هائلة .

ان السوق السوداء ليست الا مظهرا من مظاهر النفوذ الراسمالي الذي يتخذ من تجارة الجملة مركزا لمقاومة سير المجتمع نحو الاشتراكية ، وهذا المركز الحيوي يسمح للطبقة الراسمالية في ان تحقق نموا جديدا من عملياتها المشروعة او غير المشروعة في السوق السوداء . وحتى ارباحها التي تسميها مشروعة لم تعد تتفق مع اختفاء عنصر المخاطرة الذي كان يبرر به الاقتصاديون الراسماليون الربح التجاري في ظل الراسمالية واصبح العائد في الحقيقة مجرد عمولة يحصل عليها تاجر الجملة كاتاوة ناتجة عن المركز الذي يشغله لا عن الخدمة التي يؤديها وهي عمولة طائلة تكون جانبا هاما من الدخل القومي بالنظر الى رقم مبيعاتهم . وهذا التوسع الذي تحققه الراسمالية له طابع طفيلي لانه لا يساهم في عملية الانتاج ويحرم الاقتصاد الوطني من قوة استثمارية كبيرة ، كما ان هذا النمو يتم على حساب كل تقدم يحققه القطاع العام ، فهي تتعامل معه سواء كموردة او كموزعة لانتاجه وفي معظم الاحيان تورد الى القطاع العام ما تكون قد اشترته من القطاع العام . وهي تجيد استغلال علاقاتها الاقتصادية مع اجهزة القطاع العام وعلاقاتها الفكرية والشخصية مع بعض المشرفين عليها للتوصل الى اتفاقيات مشبوهة . ووجود هذه الطبقة يساعد على جعل العلاقة بين القطاع العام والقطاع الخاص علاقة عدائية تقوم على المصالح المتنافرة تماما وبحيث يستحيل ان يضمن القطاع العام — كما قرر الميثاق — توجيه النشاط الخاص في المجالات التي يقوم بها في اطار الخطة الشاملة لصالح الشعب .

ان الاستغلال الراسمالي في تجارة الجملة يقوم على مصالح معادية للمجتمع تتناقض جذريا مع مصالح كل من القطاع العام وصغار المنتجين وصغار التجار والمستهلكين اي انها تعادي عداءا صارخا جميع القوى الداخلة في اطار التحالف الثوري لقوى الشعب العامل ، ويتعين بالتالي القضاء على هذا المظهر من مظاهر الاستغلال وتنظيم تجارة الجملة بما يكفل تحقيق الخدمة المطلوبة دون معاداة لصالح المجتمع وللتطور الاشتراكي .

تصفية الاستغلال في تجارة الجملة

اوضح المناضل عبد الناصر في خطابه في دمنهور يوم ١٥ يونية ١٩٦٦ ان قطاع الراسمالية ينمو وانه اذا اردنا السير في طريق الاشتراكية فلابد من ان تنتقل تجارة الجملة باكملها للقطاع العام خلال الثلاث سنوات القادمة . وقد جاء هذا القرار الثوري بعد ان ثبت عمليا ان تجارة الجملة تعمل في السوق السوداء وتخفي السلع من الاسواق وترفع الاسعار مما يؤدي الى تخريب الاقتصاد القومي ، ولايمكن ان تتفق هذه النشاطات التخريبية مع مبادىء الميثاق . واذا كان الميثاق قد حدد نسبة تدخل القطاع العام في التجارة الداخلية في حدود الربع فان هذا التحديد مقترن في نفس الوقت بان التجارة الداخلية التي يقصدها هي خدمة مقابل ربح معقول لايصل الى الاستغلال اما اذا تحولت الى استغلال طفيلي وانتهاز للفرص دون مراعاة للخدمة المطلوبة وامتصاص لمنجزات القطاع العام ولمكاسب الشعب فانها لابد وان تخرج عن نطاق الحماية التي نص عليها الميثاق ولابد من تصفيتها تماما كجيوب للرجعية تتحفز للانقضاض منها على الثورة وانجازاتها .

وان قيام الاجهزة التابعة للقطاع العام بتجارة الجملة قد اثبت نجاحه بالفعل بالنسبة لبعض السلع الضرورية التي طبق بشانها . فبالنسبة للادوية كان الغاء مخازن الادوية من اولى القرارات الاشتراكية وتولت مؤسسة الادوية توزيع جميع الادوية المنتجة محليا او المستوردة على الصيدليات وترتب على الغاء الاستغلال الراسمالي من هذه التجارة ان امكن تخفيض اثمان الادوية وتوفير الاصناف المطلوبة او بديلاتها في كل وقت . ومثل ناجح آخر هو تجارة الشاي الذي تشرف عليه المؤسسة الاستهلاكية العامة بما يضمن استمرار توافره في الاسواق في عبوات لائقة تناسب مختلف فئات المستهلكين . وقد قررت وزارة التموين في شهر اغسطس الماضي ان يتم توزيع الصابون والسمن الصناعي بمعرفة المؤسسة الاستهلاكية بحيث يمتنع على المصانع المنتجة ان تبيعه لتجار الجملة . كما بدات محافظة الاسكندرية في شهر سبتمبر الماضي في تطبيق نظام التسويق التعاوني للاسماك ، وقد ترتب عليه فورا ان اصبحت الاسماك متوفرة في جميع اسواق الاسكندرية

باسعار اقل من تلك التى كان يباع بها من قبل .

ولاشك ان تجربة تسويق الاسماك تعاونيا هى تجربة رائدة لانها تتعلق لاول مرة بسلعة استهلاكية يقوم انتاجها على العمل الحرفى الصغير ، هذا العمل يخضع نتيجة لضعف امكانياته لاستغلال كبار التجار . الا ان حلول الجمعية التعاونية لصغار المنتجين محل التاجر الكبير يمكنها من توفير جميع المساعدات المطلوبة دون قهر او استغلال كما يكفل للمنتج الحصول على عائد اكبر من عمله ويفتح المجال امام المشاركة الديمقراطية لصغار المنتجين فى تسيير امور الجمعية والاشراف عليها ، ويحصل المستهلك فى النهاية على السلعة بسعر ارخص نتيجة لالغاء فئة تجار الجملة والقضاء على تلاعبهم بالكميات وبالاسعار . ولقد قامت تجربة رائدة شبيهة فى مجال صناعة الاحذية اذ كون اسطوات الدرب الاحمر بالقاهرة جمعية تعاونية انتاجية لهم تتولى تسويق منتجاتهم ، وافتتحت بالفعل متجرا للبيع بالتجزئة للجمهور . وسواء اقامت مثل هذه الجمعيات على اساس البيع لاجهزة القطاع العام المتخصصة فى التسويق او على اساس البيع مباشرة للجمهور بالتجزئة فانها مسالة تختلف باختلاف ظروف انتاج كل سلعة ومدى اعتمادها على التسويق المحلى الضيق او التسويق على النطاق الواسع . وفى الحالتين يترتب على انشاء الجمعيات التعاونية لمنتجى السلع الحرفية اختفاء السيطرة الاستغلالية لتجارة الجملة وتحقيق ربح اكبر للمنتج الصغير وبسعر اقل للمستهلك .

ولاشك ان من اكبر ماحققه القطاع العام من نجاح فى مجال توجيه النشاط الخاص هو نظام التسويق التعاونى للقطن . والقطن يمر من اجل اعداده للتصدير او للتصنيع الداخلى بعمليات متعددة هى الحلج والفرفرة والكبس . وقبل تطبيق هذا النظام كان القطن ينتقل من الحقول الى البواخر عن طريق تجارة الداخل ثم عن طريق بيوت التصدير التى كثيرا ماكانت تمتلك ايضا محالج ومكاتب متعددة فى الداخل ، وكان نظام التسويق السابق يضر بكل من المنتج والتاجر الصغير والاقتصاد الوطنى نظرا لانه كان يسمح بالتاثير فى البورصات والتلاعب بالاسعار لصالح الاوساط المالية الاجنبية وبعد ان تم تأميم كل منشآت تصدير وكبس وحلج القطن امكن تطبيق تجربة جديدة تكفل تسويق القطن على اساس يخرج تماما عن نطاق المفهوم التجارى التقليدى . وبنيت التجربة الجديدة على اساسين : الاول ملكية الدولة لمنشآت التصدير والحلج والكبس . والثانى وجود بنيان تعاونى واسع النطاق فى الريف يغطى بالفعل جميع المساحات المزروعة . وفى نظام التسويق يسلم كل مزارع قطنه للجمعية التعاونية التابع لها فى مراكز تجميع حيث يتم وزنه ونقله الى المحالج التابعة للقطاع العام ويستلم المزارع فورا من الجمعية ثمن القطن ، وتدفع شركات التصدير التابعة للقطاع العام ثمن القطن الذى تستلمه من المحالج الى الجمعيات التعاونية جملة ، وتقوم الجمعية من ناحيتها بمحاسبة كل عضو وتصفية حسابه . وبهذه التجربة حلت الجمعية التعاونية تماما محل فئات متعددة من الوسطاء هم السمسار وتاجر الريف وتاجر المدينة ، واصبح القطن ينتقل الان مباشرة من ملكية الفلاح الذى تتصرف الجمعية التعاونية لحسابه الى ملكية الدولة ممثلة فى شركات التصدير مما وفر نفقات وعمولات وارباح كانت تضيع على الفلاح وادى الى تحقيق مكاسب جديدة للفلاح . وفى نفس الوقت عمدت اجهزة التسويق الى تعيين تجار القطن وسماسرته والاستفادة من خبراتهم وبهذا توفر لدى هؤلاء عنصر جديد فى حياتهم هو عنصر الامان والاستقرار بعد ان كان اغلبهم من قبل يخرج من كل موسم وقد تزايدت الديون المستحقة عليه اى ان هذا النظام قد حقق فى نفس الوقت صالح الاقتصاد الوطنى وصالح الفلاح المنتج وصالح التاجر الصغير واختفى ماكان يبدو فى هذه المصالح من تناقض . ونتيجة لهذا النجاح الهائل تقرر تطبيق التسويق التعاونى على حاصلات زراعية اخرى مثل البصل والارز والقمح . وهذا النجاح يبرز الدور الذى يمكن ان يلعبه التعاون . فالجهود المتضافرة يمكن ان تحقق مكاسب لكل فرد من افراد المجموعة كان من المستحيل تحقيقها لو اقتصر كل فرد على نشاطه الفردى فى نطاقه الخاص دون اهتمام بمصالح المجموع .

ان تحرير تجارة الجملة يقتضى اسنادها الى الاجهزة المتخصصة التابعة للقطاع العام والزام الهيئات المستوردة والمصانع المنتجة بالبيع لهذه الاجهزة ، مع العمل على نشر التعاون بين صغار المنتجين لتحاشى الصعوبات والارتباكات التى قد تنتج عن التعامل مع عدد ضخم من صغار الموردين ولتحقيق احدى المهام الرئيسية التى القاها الميثاق على القطاع العام وهى ضمان توجيه النشاط الخاص فى المجالات التى يقوم بها فى اطار الخطة ، الشاملة وهذا التنظيم يؤدى الى تحقيق مصالح تجار التجزئة من حيث ضمان توفر السلعة وتحديد حصة كل منهم بدلا من خضوعهم لتحكم تجار الجملة كما يحقق مصالح المستهلكين لما يترتب عليه من تخفيض ملموس فى اثمان السلع والقضاء على الازمات المفتعلة فيها ، وهو يؤدى فى المقام الاول الى خدمة اقتصادنا الوطنى

لانه يقوم بالخدمات التى كان يقوم بها تجار الجملة بفاعلية اكبر ، وبما يكفل تحقيق المدخرات لاستثمارها فى المشروعات الجديدة .

القطاع الخاص وتجارة التجزئة

التقسيم الطبقى الذى كان يخضع له قطاع التجارة الداخلية كان يجعل التاجر الصغير خاضعا لجرية اقتصادية زائفة تنتهى به الى الخضوع لتحكم راس المال الكبير وتخضعه لاخطار خارجة عن حدود ارادته . وفى احسن الظروف كان التاجر الصغير لايحقق لنفسه بعمله الشاق الا المستوى الذى يغطى احتياجاته الضرورية . لذلك فان القضاء على الاستغلال الراسمالى فى تجارة الجملة يعتبر قضاء على العدو الرئيسى لصاحب راس المال الصغير يخلصه من شبح الخوف من المستقبل . فاستقرار اسعار السلع يضمن له الحصول على الربح المعقول وهو مالم يكن يتيسر له من قبل .

والقطاع الخاص فى التجارة الداخلية يمكنه بعد القضاء على الاستغلال الراسمالى فى تجارة الجملة ان يقوم بدوره فى خدمة الاقتصاد الوطنى ، وهو دور يؤديه بكفاءة تتناسب مع حجم مشروعه . فالاغلبية الساحقة من التجار فى هذا القطاع هم اصحاب الدكاكين المنتشرين فى المدن والقرى ، والتاجر يعمل عادة فى دكانه من الصباح الباكر الى مايقرب من منتصف الليل حتى يتمكن من تحقيق الربح الذى يسمح له بالعيش فى مستوى يتفاوت مع حجم مشروعه ولكنه لايصل الى المستويات البالغ فيها التى كان يتمتع بها افراد الطبقات الرجعية . وتاجر التجزئة بامكانياته المحدودة يعجز بمفرده عن خلق اى سوق سوداء ولايستطيع التلاعب بالاسعار بسهولة ، بل ان اخفاءه للسلعة لن يفيده لانه لاينفرد فى السوق .

لذلك فان هذا القطاع من التجارة يعتبر من القوى الداخلة فى التحالف الثورى للقوى العاملة . وهى تستحق حمايتها بما يكفل لها اداء دورها فى خدمة الاقتصاد باطمئنان ، بل ومن الضرورى تحقيق الظروف التى تكفل كسب هذه الفئات الواسعة الانتشار الى جانب قضية الاشتراكية . فالتاجر الصغير لاتفصله عن بقية القوى العاملة تناقضات عدائية .

والمهم هو ايجاد الشكل المناسب الذى يؤدى فى نفس الوقت الى توفير الحماية للراسمالية الوطنية العاملة فى قطاع تجارة التجزئة والى تنظيمهم بما يكفل عدم بروز اى تناقض بين مصالحهم الذاتية ومصلحة بناء الاشتراكية .

ولقد قرر **الميثاق** ان يكون للقطاع العام دور فى التجارة الداخلية فيتحمل مسئولية الربع فيها . ويقوم القطاع العام فى هذه الحدود بادارة متاجر كبيرة تباشر البيع لجمهور المستهلكين . والميثاق ربط تدخل القطاع العام فى هذا المجال بافساح المجال للنشاط الخاص والتعاونى مما يوضح ان الغرض من انشاء متاجر الدولة ليس هو الدخول فى منافسة بين القطاع العام والقطاع الخاص ، لان التزام النسبة المحددة معناه ان القطاع الخاص يغطى ثلاثة ارباع احتياجات المستهلكين دون اى منافسة له فى هذا المجال . كل ما فى الامر ان وجود متاجر الدولة يؤدى الى منع الاحتكار وقفل المنافذ امام استغلال رؤوس الاموال الكبيرة التى قد تؤدى الى ظهور السوق السوداء وضمان احترام احكام التسعير الجبرى فهى بالتالى ستكون بمثابة الحاجز الذى يمنع القطاع الخاص من تعدى الحدود المفروضة خدمة للمستهلكين

دور التعاون فى تجارة التجزئة

لقد حقق التعاون فى مجال الزراعة ايجاد الشكل المناسب الذى يسمح باضطراد ربط المنتجين الزراعيين بعجلة التطور الاشتراكى . وقد كانت نقطة البدء فى هذا التعاون هو تغطية الاحتياجات الضرورية للمنتجين الفرديين وتحقيق مصالحهم بكيفية لايقدر عليها المنتج الفردى المستقل . ومن المؤكد بالمثل ان التعاون التجارى هو الشكل الذى يمكن ان يلعب نفس الدور فى نطاق تجارة التجزئة وهو الذى يمكنه ان يضع الصيغة الملائمة لشكل العلاقة بين القطاع العام والقطاع الخاص بما يكفل قيام القطاع العام بدور الموجه دون احساس لدى القطاع الخاص بوجود تناقض بينه وبين القطاع العام .

وفى الاجتماع الذى عقدته امانة الراسمالية الوطنية بالاتحاد الاشتراكى العربى فى ٢١-٤-٦٥ تناول **السيد على صبرى** رئيس الوزراء وقتذاك هذه المسألة فقال ان الراسمالية الوطنية ليست عبارة عن قطاع التجارة فقط ولكنها تشمل ايضا اصحاب الارض ، وان الراسمالية الوطنية فى قطاع الزراعة نظمت وسائل توفير احتياجاتها وتسويق منتجاتها عن طريق تنظيم جمعيات تعاونية منحتها الدولة مساعداتها ، وان تنظيم التجار لقطاعهم على الاساس التعاونى سيؤدى الى ايجاد الحلول السليمة لمشاكلهم .

ولا شك ان التعاون التجارى يجب ان يبدأ من المصالح المشروعة التى يسعى التجار الى تحقيقها والتى يكون اقدر على توفيرها ، مما

يدفع التجار اختيارا الى السير فى الاتجاه التعاونى فالمشاكل الواقعية التى يعانى منها تجار التجزئة هى التى ستحدد المجالات التى يؤدى التعاون فيها خدماته بطريقة أكفأ مما لو احتفظ كل تاجر باستقلاله الفردى عندئذ يمكن ان يقوم تنظيم لجمعيات تعاونية تجارية على اساس أن تكون كل فئة من فئات التجار تنظيما تعاونيا حسب النشاط النوعى الذى تقوم به . فالتعاون النابع عن الارادة الحرة لجماهير التجار هو الذى يمكن أن يقود التجارة الى آفاق جديدة تتفق مع ملكية الشعب لوسائل الانتاج الرئيسية . والتعاون فى ظل العلاقات الاجتماعية الاشتراكية النامية يكتسب جوهرا يختلف عن التعاون فى ظل مجتمع تسوده الرأسمالية ، اذ لن يصبح أداة لخدمة الرأسماليين الكبار ولكن سيكون اداة لخدمة المشروع الصغير وتطوير الخدمات التى يؤديها .

ما هى الخدمات التى يمكن ان يؤديها التعاون فى مجال تجارة التجزئة ؟

● توفير احتياجات تجار التجزئة من السلع بتحديد حصص لكل منهم تتحدد على أسس عادلة بدلا من أن تتحدد بالطرق الادارية البحتة ، وحصول كل تاجر على الحصة المخصصة له عن طريق التعاون يقضى بين التجار على روح المنافسة المدمرة ويخفف من حدة التناقضات بينهم وينظم العلاقة بين اجهزة القطاع العام المتخصصة فى تسويق الجملة والالاف من تجار التجزئة .

● المساهمة فى الاشراف على مدى احترام كل تاجر لواجباته من حيث عرض السلعة بالكيفية المناسبة وبالسعر المحدد ، وان اضافة الجزاءات التاديبية الى العقوبات الجنائية يسهم فى القضاء على احتمال قيام سوق سوداء فى أى سلعة .

● توفير التسهيلات الائتمانية لصغار التجار وهو مالايتوفر حاليا لعدم تمتعهم بالضمانات الكافية التى تمكنهم من الحصول على الائتمان الكافى من البنوك التجارية وبهذا يتمكنون من تطوير خدماتهم وكفاءة عملهم ومما يؤمنهم الى حد كبير ضد الافلاس .

● توفير جزء من النفقات والاعباء التى تنشأ عن تعدد المراحل بين تجارة التجزئة ونصف الجملة والتى تضاف الى أثمان السلع مما يساهم فى تخفيضها لصالح المستهلك وفى استفادة تاجر التجزئة فى نفس الوقت من العائد الذى سيعود اليه نتيجة لاشتراكه فى الجمعيات التعاونية .

● تسهيل التعرف على رغبات السوق واحتياجاته بصورة أكثر فاعلية وهو مايعجز عنه تاجر التجزئة المنفرد . ولا شك أن تحديد احتياجات السوق بطريقة منظمة يساهم مساهمة كبيرة فى التخطيط الانتاجى والاستهلاكى .

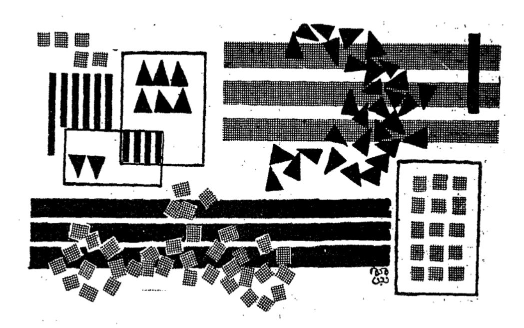
● تنظيم استفادة التجار من التامينات الاجتماعية ضد العجز والشيخوخة ومن التامين الصحى والتأمين ضد البطالة عن طريق خصم الأقساط المستحقة على كل تاجر من عائده فى الجمعية مما يؤمن التاجر ويطور الادخار .

● الاستفادة من الغرف التجارية القائمة وامكانياتها الادارية والاحصائية والمالية فى خدمة التعاون التجارى . ولقد أنشئت هذه الغرف فى ظل سيادة الاحتكار والرجعية لكى تساهم فى حل مشاكل التجارة فى الاتجاه الذى يخدم كبار الرأسماليين . ومن الممكن اعادة تنظيم الغرف التجارية على اساس قطاعات تجارة التجزئة المختلفة وتحويلها الى اجهزة تعاونية ديمقراطية مخصصة لتقديم كل الخدمات المطلوبة للتجارة فى ظل تنظيمها الجديد .

● التعاون التجارى سينظم فئات ظلت حتى الان بعيدة عن اى عمل منظم لاعتمادها على النشاط الفردى المستقل . فبواسطة الممارسة الديمقراطية سيساهم جميع التجار فى الاشراف على الجمعية وفى مناقشة المشاكل التى تعترضها وايجاد الحلول المناسبة لها . وبهذا يخرجون عن نطاق المصالح الفردية الضيقة ويرتبطون بالمشاكل العامة وينظرون الى مشاكلهم من الزاوية التى تتفق مع مصلحة المجتمع . وباضعاف روح السلبية والانعزال منهم سيرتبطون أكثر بقضية بناء الاشتراكية ، وستظهر من خلال هذه الممارسة الديمقراطية العناصر القيادية المتميزة بالاخلاص وبنكران الذات التى يمكنها أن تساهم فى العمل السياسى من خلال التنظيم السياسى .

وحتى يكتسب التعاون التجارى الفاعلية الكافية لتحقيق اغراضه يجب ان تنتفى منه مظاهر التكوين الادارى البيروقراطى المتمثل خصوصا فى تركيز الاختصاصات فى يد المشرفين المعينين بمعرفة الادارة . فسيؤدى هذا الى انعزال التجار عن الجمعية وعدم اهتمامهم بمشاكلها والنظر اليها كجهاز رسمى مستقل وبعيد عنهم ، والنظر الى نواحى القصور فيها نظرة اللامبالاة .

ولا شك ان الوصاية الادارية ستعجز عن تحقيق الاهداف التى يسعى اليها التعاون لما يترتب عليها من فقد تأييد التجار ووقوفهم منها موقف العداء . وبالعكس فانه بالانضمام الاختيارى وبالمشاركة الايجابية سيتحمل التجار عبء ما يحققونه من نجاح أو فشل مما يدفعهم الى مضاعفة الجهد لانجاح التجربة تحقيقا لمصالحهم .



دور التنظيمات الشعبية في توجيه الاستهلاك

ظريف عبد الله

ان السوق السوداء من اخطر الاسلحة التى تشرعها الرجعية فى وجه الثورة والتقدم . وسواء أكانت نشأتها بسبب ندرة طبيعية لبعض السلع التى يكثر عليها الطلب ، أم بسبب ندرة مفتعلة وإخفاء وتخزين تلك السلع ، أم بسبب الامرين معا، فانها فى نهاية الامر شبح اسود تتخفى وراءه العناصر الطفيلية والمستغلة المعادية للشعب ولثورته وتقدمه .

ولسنا بصدد التعريف بالسوق السوداء وتتبع اسباب نشوئها ، واهدافها ، واخطارها . لكن سنتعرض لبعض هذه النقاط بالقدر الذى يقتضيه تناول الموضوع الذى يشغلنا .

خطورة السوق السوداء

اننا نقصد بالسوق السوداء تلك السوق الخفية الموازية للسوق العلنية المشروعة ، والتى يتم التعامل فيها بيعا وشراء بطريق سرى ، سترا لمخالفة القوانين ، سواء بالبيع بسعر يزيد عن المقرر او مع تحقيق ربح يزيد عن المسموح به او ببيع سلع محظور بيعها او تداولها الا باذن خاص .

وتكمن اهمية السوق السوداء لمن يخلقها او يستفيد منها او يشترك فى عملياتها بقدر او اخر، فى انها تجلب له أرباحا طائلة لايصل اليها لو التزم

القوانين . وفى سبيل تحقيق هذا الربح الطائل غير المشروع يعمد التاجر او الراسمالى الجشع ومعاونوه ، الى خلق الاختناقات ليستفيد . فيخفى السلعة ليكثر الطلب عليها ويتهافت عليها المشترون . ويتم التعامل فى الخفاء بعيدا عن اعين الرقابة الادارية والشعبية، فيفلت المجرم من طائلة العقاب ويتهرب من الضرائب المستحقة على ارباحه الباهظة من عمليات البيع والشراء . وسرعان ما نرى مظاهر الثراء الفاحش وتبديد الثروات فى لحظات بمثل السرعة التى اتت بها او زيادة .

وتنجم عن عمليات السوق السوداء اثار اقتصادية خطيرة ، نذكر منها استغلال المستهلك ، والاستيلاء على اجزاء كبيرة من الدخول المخصصة للاستهلاك والتى خططت على اساس مستوى معين للاسعار . ويترتب على ذلك انهيار المستوى المعيشى لجمهور العاملين ، وابتلاع جزء كبير من القوة الشرائية كان ماله أن يدخر او ان يوجه للاستثمار . كما يترتب عليه رفع التكلفة اذا ما انصب التعامل فى السوق السوداء على مستلزمات الانتاج (الالات واجزاؤها ، وقطع الغيار الخ) وقد يصل الامر الى حد تعطيل الانتاج او احتراق الالات عند اختفاء قطع الغيار او شراء الصنف بسعر قد يصل الى سبعة امثاله (١) .

وقد اثبتت التحقيقات التى اجريت فى قضايا السوق السوداء ان لهذه السوق **«ملوكا»** يسيطرون على التعامل فيها ويجنون الجزء الاكبر من الارباح(٢)، ولهم اتباع يسهلون لهم العمليات ويتقاضون نسبة ضئيلة من الربح ويتحملون عنهم — أو معهم — قدرا يقل او يزيد من المخاطرة . ولكن الضحايا هم دائما سواد الشعب من المستهلكين وخاصة صغارهم ، والمجنى عليه دائما ابدا هو الاقتصاد القومى فى مجموعه .

فالسوق السوداء اذن هى احد المجالات التى يقف فيها افراد الشعب وجها لوجه مع اعداء الشعب . انها ميدان من ميادين الصراع الاجتماعى بين قوى الشعب العاملة ، وبين القوى المعادية للشعب من الراسماليين المستغلين والتجار الجشعين وغيرهم . ونحن كما يقول المناضل جمال عبد الناصر «لا نستطيع ان نقول اننا اليوم دولة اشتراكية، ونحن فى مرحلة انتقال من الراسمالية الى الاشتراكية .. ورغم التحويل الاشتراكى ورغم العمل الاشتراكى ما زالت صورة الراسمالى القديم موجودة لم تتحرك . ان علاقاتنا الاجتماعية لم تتغير ..» (٣) . وما زال بيننا عديد من الافراد والفئات لا يرضون بالربح الذى تسمح به القوانين فيسعون الى الربح غير المشروع ، ولا يقنعون بمعاداة الاشتراكية بالوقوف موقفا سلبيا ازاءها انهم ينشطون ايجابيا فى محاربتها ببث الاضطراب فى السوق ومنعها من اداء وظيفتها الهامة فى تنظيم انسياب السلع بين الانتاج (والاستيراد) وبين الاستهلاك بنوعيه المباشر وغير المباشر (استخدام السلع الوسيطة فى انتاج السلع الاستهلاكية) .

واذا كان هذا هو مستوى المعركة ، فان من العبث ان نتصور ان فى الامكان محاربة اعداء الشعب بالاجراءات الادارية والبوليسية وحدها . ان هذا التصور خاطىء حتى عندما يكون الجهاز الادارى والبوليسى قد تطهر من كل العناصر التى لا تتبنى تماما قضية الثورة والاشتراكية ، والتى لا تشعر بقدر او آخر باتحاد مصالحها تماما مع مصالح الشعب وقواه العاملة . فكم بالاحرى ينطبق هذا حيث يكون الجهاز الادارى فى حاجة الى التطوير والتطهير كما هو الحال عندنا باعتراف الجميع !

مكافحة السوق السوداء هى اذن معركة شعبية بكل معنى الكلمة ، ومعركة سياسية ايضا . وعلينا ان نخوضها فى كل المستويات .

توفير السلع الضرورية

وهذا هو المستوى الاول للمعركة .

وتوفير السلع الناقصة مهمة قد يبدو انها من اختصاص اجهزة الانتاج والاستيراد والتوزيع . وقد يتصور البعض ان لا شان للتنظيمات الشعبية

(١) تكشف التحقيق فى القضية المتهم فيها رفلة غرباوى واخرون عن نقص انتاج شركة اسكو واحتراق احدى ماكيناتها لنقص السيور الكاوتش واضطرار المصنع لشرائها باسعار تزيد ٣٠٠ ٪ عن سعرها الرسمى . وكان ذلك بسبب تواطؤ غرباوى مع امين مخزن بشركة المحاريث والهندسة (ق.ع.) على تسليم الاول صفقة سيور الموتورات برمتها . انظر الاهرام عدد ١٩٦٦/٨/٥ .
(٢) «الارقام تقول ان ١٨ تاجرا فى شارع الازهر يحتكرون توزيع جميع انتاج مصانعنا من الاقمشة ، ويتلاعبون بالاسعار .. ويكسب الواحد منهم حوالى ثلاثة آلاف جنيه كل يوم » — روز اليوسف العدد ١٩٨٦ .
(٣) على طريق الاشتراكية (خطاب الرئيس فى افتتاح دورة مجلس الامة ، نوفمبر ١٩٦٤) .

بها . والحق ان كل اجهزة الانتاج والاستيراد والتوزيع تقوم على اكتاف العاملين . وحيث يوجد العاملون توجد تنظيماتهم الشعبية، من لجنة الاتحاد الاشتراكي والجماعة القيادية ، الى اللجنة النقابية الى المؤتمرات المحدودة والموسعة التي تعقد بدعوة من هذه التنظيمات في اماكن العمل وغيرها .

وواجب هذه التنظيمات ان تعمل — ماوسعها الجهد — على تعبئة العاملين في مجالاتها لتحقيق وتخطي اهداف الانتاج والاستيراد والتخزين والنقل والتوزيع ، من اجل توفير السلعة حيث تطلب . وعليها ايضا ان تبذل جهودها في توعية اولئك العاملين بحيث تتربى عندهم ملكة الاحساس بما يحتاجه افراد الشعب وبما اذا كانت اصناف معينة اوشكت ان تنفد او يتلف المخزون منها . وعليها ايصـــال كل ذلك للاجهزة التخطيطية والتنفيذية حتى تتخذ مايجب لتوفير السلع وتجنب نقصها او اختفائها وتراقب الاجهزة الشعبية استجابة اجهزة التخطيط والتنفيذ لملحوظاتها (في اطار الخطة والسياسة العامة للدولة) . فقد تتباطأ او ترفض الاستجابة لتلك الملاحظات والمطالب لاسباب غير مقنعة . وعلى التنظيم الشعبي —حينئذ— مواصلة الجهد والسعي حتى تجاب مطالب الشعب التي يعبر عنها (٤) . ومن خير الامثلة على المبادرات الموفقة للقيادات الشعبية قيام الجماعة القيادية في «**الشركة الترانزستور والكهرباء المصرية**» بمناقشة موضـــوع تخزين كميات ضخمة من احدى سلع الاستهلاك الشعبي (البطاريات الجافة للترانزستور) لكثرة المستورد في فترات متباعدة مع قلة المطروح للبيع طبقـــا لاوامر وزارة التموين ، مما عرض بعض الكمية للتلف والباقي ضاقت به المخازن . وقد اقترح المجتمعون على الوزارة السماح ببيع كميات اكبر واوفدوا احد الموظفين لاقناع المسئولين واخيرا استجابت الوزارة للاقتراح فيما يبـــدو ، وكانت البطاريات المستوردة تباع باسعار مبالغ فيها .

كذلك من الوان الكفاح الايجابي ضد السوق السوداء تصدي العاملين في قطاعات الانتاج لصنع قطع الغيار واجزاء الالات محليا تجنبا للاختناقات التي تعطل الانتاج ، وتوفيرا للعملة الصعبة حيث تشتد الحاجة اليها . وبهذا يسد الطريق نهائيا في وجه الاتجار غير المشروع في تلك الاصناف . وقد نجحت هذه الصناعة ، بالنسبة لبعض الاجزاء السهلة من قطع غيار السيارات مثلا . وفي استطاعة التنظيمات الشعبية للعاملين حثهم على المبادرات الجريئة في هذا المجال وستجد قطعا استجابة طيبة لدى المسئولين (٥) .

ويقابل التزام العاملين في ميدان الانتاج والنقل والتخزين والتوزيع ، واجب التنظيمات الشعبية للمستهلكين . ان المكاتب التنفيذية للاقسام والوحدات الاساسية التابعة لها في الاحياء والمؤسســـات والشركات ، مطالبة بان تكون يقظة لاي نقص فعلي او مرتقب في سلع الاستهلاك الشعبي ، ولاية بادرة تخزين لها وتحويلها للسوق السوداء . واذا نشطت تلك الوحدات ونمت ثقة افراد الشعب فيها وتجاوبوا معها ، استطاعت ان تبلغ فورا بفضل تعاونهم وتجاوبهم عن اي نقص او اختفاء في سلع التموين والاستهلاك الشعبي ، لتقوم الاجهزة المختصة باتخاذ اللازم سواء بجلب كميات جديدة من السلعة او باكتشاف المخزون واصطياد المجرمين او القضاء على الروتين المتسبب في الازمة .

ضبط الانحرافات والتخزين

ذلك ان البضائع المختزنة والمهربة يجب ان تعاد الى التداول في السوق لســـد احتياج المستهلك ويجب ان ينال المجرم جزاءه الحق .

ولاشك ان مباحث التموين والمباحث الجنائية العسكرية ومختلف اجهزة الرقابة والضبط الرسمية تبلي بلاء حسنا في ضبط التجار المتربحين والمنحرفين واعوانهم من الموظفين . لكن لاننس ان هذه الاجهزة كثيرا ماتضع يدها على اول الخيط عن طريق شكاوى او بلاغات واردة لها من افراد الشعب . ومهما يبلغ اخلاص العاملين بها فان قدرتها على العمل لاتسمح لها بالاهتمام بكل واقعة كبيرة او صغيرة ، وليس من السهل ان يصل اليها اي فرد في اي وقت . بينما تستطيع ذلك التنظيمات الشعبية القريبة من المستهلك اذا ماكتسبت ثقته بنشاطها في خدمته .

(٤) اوضح التحقيق في بعض قضايا السوق السوداء ان ثمة شبكات يتزعمها مجموعة من التجار وتضم عددا من كبار وصغار موظفي الحكومة والقطاع العام ، حاولت الاستيلاء على كل مايستورده القطاع العام من بضائع وادوات وقطع غيار . وانها استطاعت عن طريق التاثير على بعض الموظفين ان تسخر بعض عمليـــات الاستيراد لحسابها حتى بدت بعض شركات القطاع العام — احيانا — وكانها مجرد وسيط في استيراد هـــذه الســلع لهؤلاء التجـــار (الاهرام في ٣ ، ١٩٦٦/٨/٤) .

(٥) اصدر وزير الصناعة تعليمات بهذا المعنى اشارت اليها جريدة الاخبار في عدد ١٩٦٦/٩/٣٠ .

ومهمة هذه التنظيمات هو ان تكون دائما على اهبة الاستعداد لتلقى شكاوى المواطنين من اختفاء السلع ومن اعمال السوق السوداء . وان تستغل الرصيد المتجمع لديها من البيانات عن تجار الحى ومنشآته لتنظيم العناصر النشيطة والواعية من المواطنين التابعين لها فى مراقبة المنحرفين او من اشتهر عنهم ذلك ، وتتبع البضائع المهربة لارشاد الاجهزة التنفيذية والعمل على اخراجها من مكامنها.

وقد اثبتت اعمال لجنة تصفية الاقطاع ان اكثر الناس الماما بمخازى الاقطاعيين واعمال تهريب الاراضى هم الفلاحون ضحايا الاقطاع والتهريب . كذلك فان اكثر الناس دراية بتجار السوق السوداء واساليبهم ومخابئهم هم العاملون معهم وضحاياهم. وهؤلاء واولئك هم قاعدة التنظيمات الشعبية بانواعها ، واقدر الناس على الارشاد عنهم وعن بضاعتهم .

لكن كيف يبلغ العامل عن رب العمل الذى يعطيه اجره، وكيف يبلغ المستهلك عن التاجر الجشع وهو فى حاجة ماسة الى السلعة المختزنة او النادرة ؟ وكيف يأمن هـذا وذاك على استمرار مورد رزقه او تعامل التاجر معه ؟ يتوقف كل هذا على مدى ثقته بتنظيمه ومستوى وعيه .

فثقة المواطن فى التنظيم الشعبى هى ثقته فى قدرته على العمل وفى النتيجة — اى ضبط المجرم والبضاعة وتوفير السلع الضرورية ، وهى ايضا ثقته فى تغطية ظهره وحمايته من رد فعل التاجر ، وتوفير الضروريات بانتظام بحيث لايقع من جديد تحت رحمة سوق الظلام وشياطينها .

والتنظيمات الشعبية لاتكتسب ثقة المواطن الا **بالعمل** — العمل الدؤوب ، المخلص ، الناجح يجب ان يشعر المواطن ان التنظيم سلاح فى يده ضد الجشع والاستغلال ، وسياج يحميه من بطش ومكائد الاعداء الذين مازالوا يسيطرون على قطاعات من التجارة والصناعة . ولن تتوفر الثقة مابقيت التنظيمات الشعبية على سلبيتها . ومما يبشر بالخير بدء تكوين الجماعات القيادية فى الاحياء ، وضم بعض العناصر المخلصة النشيطة لعضويتها . يقول المثل الصينى ان رحلة الالف ميل تبدأ بخطوة . ورحلة الالف ميل فى كسب ثقة القاعدة الشعبية يجب ان تبدأ بخطوة واحدة من العمل المثمر . وقد احرزت المكاتب التنفيذية قدرا من النجاح لتفرغ اعضائها واتصالهم بالقواعد ومناقشة مشاكلهم واخذ قضية العمل من اجل معالجتها مأخذ الجد . وهذه التجربة تجعلنا نقول بكل ثقة ان النجاح فى العمل — المولد للثقة — مرهون بتبنى قضايا الناس واشراكهم فى حلها . وهذه هى القيادة كما عرفها القائد المناضل جمال عبد الناصر حين قال : « ... ماهى القيادة ؟ القيادة هى معرفة مشاكل الجماهير وحلها ... واذا عرفنا المشاكل ولم نحلها فان القيادة تكون قيادة فاشلة » .

دور التوعيـــة

واذا كانت الثقة لاتكتسب الا بالعمل ، فان التوعية تساعد افراد الشعب على الاقدام على العمل من اجل حل مشاكلهم بانفسهم والتعاون مع القيادات الشعبية فى المجال الذى نتحدث عنه .

وتستطيع القيادات الشعبية والعناصر الواعية والنشيطة ان تنظم لقاءات دورية مع السكان ومع العاملين فى اماكن السكن والعمل ، وادارة الحديث معهم والاستماع لهم ، وتوعيتهم — من خلال ذلك — بواجباتهم فى المعركة ، معركة محاربة السوق السوداء وزبانيتها والقضاء عليهم قضاء مبرما ليكون مكانهم السجن وليس شاطىء المعمورة واماكن اللهو لانفاق الكسب الحرام فى الوان البذخ.

ويجب ان تكون التوعية فى اعلى مستوى من الفهم السياسى لخطورة السوق السوداء ورجالها. يجب ان يوضح للمواطن العادى ان تاجر السوق السوداء ومن يعاونه انما هو عدو لدود لقضية الشعب والثورة ، عدو لنهضتنا الاقتصادية ، عدو لخطة التنمية ومخرب لها، عدو لخطة تنمية المدخرات لانه يستلبها ، عدو لخطة الحد من الاستهلاك ، وهو فى النهـاية عدو لاستقلالنا بالعمل على تقويض دعامته الاساسية وهى اقتصادنا . ويجب ان يوضح ايضا للمواطن العادى ان قعوده عن محاربة السوق السوداء ومسايرته التاجر او الوسيط فيها باى قدر انما يعود بالضرر عليه فى النهاية وعلى سائر الناس، لانه يمكن لهؤلاء الاعداء من البقاء والاستمرار وتحقيق ارباحهم غير المشروعة، ويساعد على رفع الاسعار بطريقة مصطنعة الخ . ويجب ان تعى القيادات الشعبية والجمهور سواء بسواء ، ان مقاومة السوق السوداء انما هى حرب بكل معنى الكلمة. حرب تشنها قوى الشعب العاملة بما فى ذلك العاملون لدى رجال السوق السوداء ضد اعداء تحالف قوى الشعب العاملة . وان الراسمالى **الوطنى** هو الذى يلتزم القوانين والتعليمات . اما التاجر والصانع الذى يتردى فى مهاوى السوق السوداء فانه يفقد صفة «الوطنى» ويتحول الى عدو تقضى الوطنية بتسليمه للسلطات والابلاغ عنه لوضع حد لجشعه وضحاياه .

وكما تطارد القيادات والتنظيمات الشعبية التجار والراسماليين الجشعين واعوانهم، ففى وسعها ايضا بل من واجبها — من اجل نجاح هذا العمل الاول — ان تشيـد بالتاجـر النظيف الذى يلتزم القوانين ويحترم الانظمة والتعليمات ويبيع بالتسعيرة ولايختزن

عليها ان تشجعه على الاستمرار فى هذا النهج وان تسعى لاسناد المزيد من اعمال التوزيع اليه على حساب التاجر الجشع ، ليكون فى ذلك حافز ادبى ومادى لغيره الى سلوك السبيل القويم واخذ مكانه فى صفوف تحالف القوى العاملة .

لكن التوعية يجب ان تمتد الى ميادين اخرى .

الحد من الاستهلاك

اذا كان نقص المعروض من السلع ــ بطريق طبيعى او مصطنع ــ من اهم عناصر خلق السوق السوداء ، واذا كان توفير السلع الضرورية هو العلاج الاول فى المدى الطويل والقصير على السواء (وقد خصته الوزارة بالاولوية فى استخدام العملات الحرة) ، **فان هــذه الجهــود فى جانب العرض يجب ان تقابلها جهود مماثلة فى جانب الطلب .** يجب السعى ــ ما امكن ــ للحد من الاستهلاك وتوعية الناس بذلك ، كى يخف الطلب فتقل فرص المتلاعبين . ذلك ان من اهم العوامل المساعدة على تكوين السوق السوداء تكالب الناس على سلعة مع وجود كميات محدودة منها معروضة فى السوق .

كذلك يكثر استهلاك الناس من بعض السلع التى تحرص الدولة دائما على توفيرها حرصا على راحة الجمهور ، كالشاى والسكر ، فهى لاتختفى ولكنها تستنزف مبالغ كبيرة بالعملات الحرة اى ان استيرادها يكلفنا كثيرا من الجهد والعرق لتصدير مايقابلها من انتاجنا . وكان الاولى ان يخصص جزء من ثمنها لجلب مستلزمات الانتاج وقطع الغيار . وتستطيع التنظيمات الشعبية والجمعيات المختلفة ان تحث اعضاءها على الحد من استهلاك هذه الاصناف وان تكون قدوة فتمتنع عن تقديمها وتقدم البديل عنها ، خاصة واننا نقبل عليها بحكم العادة ونستطيع بالقليل من الوعى وضبط النفس التحول عنها او التقليل من تناولها .

ولنضرب مثلا بسيطا : تستطيع اللجان النقابية ولجان الاتحاد الاشتراكى ان تبادر الى طلب تخصيص «بوفيه» فى مكان العمل يتردد عليها العاملون فى ساعة معينة لزمن محدود ويحظر تناول اى طعام او شراب خارجها (على المكاتب مثلا) . فيتيح هذا افساح الوقت للعمل وتوفير كميات غير قليلة من السلع التموينية المستوردة او الصالحة للتصدير .

ان «بضاعة غزة» التى يتهافت عليها بعض الناس ، وقطع الصوف الانجليزى المهربة ومايماثلها الان من السلع الكمالية فى مجال القطاع العام كل هذا كلفنا مبالغ جسيمة بالعملات الصعبة . وليس يكفى تبريرا لعرضها انها تمتص قوة شرائية زائدة وتحقق ربحا ، قد يكون هذا علاجا او بالاحرى ممكنا مؤقتا حتى يشتد عود التنظيمات الشعبية وتفرض رقابتها للحيلولة دون انسياب الدخول الى مسالك الاستهلاك الظاهرة المشروعة والخفية المحظورة على السواء . ولكن التنظيمات الشعبية تستطيع ــ على الاقل ــ ان تناى بذوى الدخول المتوسطة والصغيرة عن الاقتداء بالاغنياء والسعى وراء السلع الغالية . انها تستطيع بسهولة اقناع المواطن العادى ان كل قرش يذهب لشراء بضاعة مهربة يشجع التهريب ولاتؤدى عنه ضريبة ويضعف القوة الشرائية للمشترى ، بينما يمكن الاستغناء تماما عن هذا المصروف .

وللتنظيمات الشعبية دورها ايضا فى حث الناس على الحد من الانجاب ، تخفيفا عن الخدمات والاستهلاك ، ومساهمة فى اجتياز عنق الزجاجة الذى يفصلنا عن مجتمع الكفاية والوفرة .

لقــد قال الرئيس عبــد النــاصر (٦) بحق : «اذا اردنا ان احنا نتقدم واردنا فعلا ان احنا نبنى بلدنا ونزيد فى بناء المصانع ونزيد فى التنمية يبقى لازم نوفر وندخر اكثر من كده ــ ندخر ونقلل من الاستهلاك . التقليل من الاستهلاك حايساعدنا فى ان احنا ندخر وفى نفس الوقت حايساعدنا ان احنا نصدر ، دى الوسيلة الوحيــدة اللى قدامنا اللى نبنى بها بلدنا .. »

وعلى التنظيمات الشعبية وقياداتها ان تستعين فى مهمة التوعية بخطب قائد الثورة وتصريحاته ومناقشاته . فهى معين لاينضب من الخبرات الثمينة للعمل الثورى ومرشد ذو قيمة لاتقدر فى مجال الفكر الثورى والممارسة الثورية .

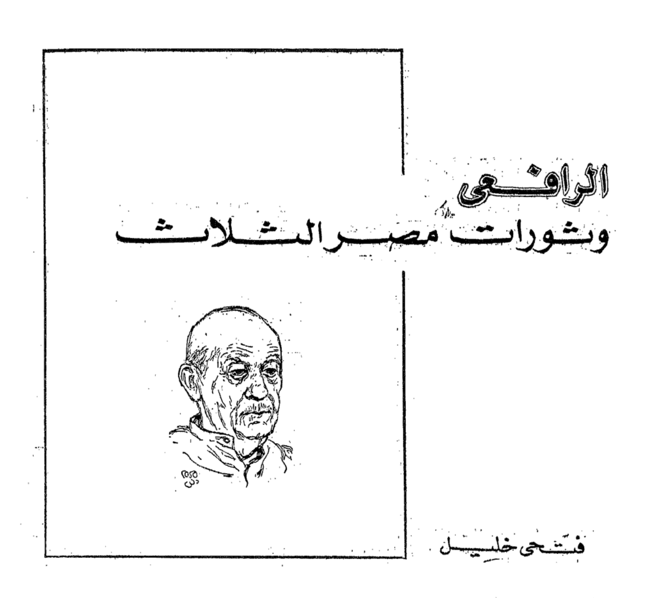
اما التجار الراسماليون الذين تراودهم الامانى والاحلام لتحقيق الثروات بسرعة من دماء الشعب وبتحدى القانون فاننا نذكرهم بقول الميثاق :

«ان راس المال الفردى فى دوره الجديد يجب ان يعرف انه خاضع لتوجيه السلطة الشعبية ، شانه فى ذلك شان راس المال العام . وان هذه السلطة هى التى تشرع له وهى التى توجهه على ضوء احتياجات الشعب ، وانها قادرة على مصادرة نشاطه اذا ماحاول ان يستغل اوينحرف» .

«انها على استعداد لان تحميه

«ولكن حماية الشعب واجبها الاول» .

(٦) فى خطابه يوم ١٩٦٦/٦/١٥ فى محافظة البحيرة



الرافعي وثورات مصر الثلاث

فتحي خليل

فهم مؤرخ تاريخنا القومي ، المرحوم عبد الرحمن الرافعي ، كلمة الثورة بأوسع معانيها ، أي بمضمونها العام . دون أن يقف طويلا عند تحديد الفرق بينها وبين التمرد او الهبة او الانتفاضة .

وهذا التجاوز في فهم معنى الثورة هو الذي جعله يرى أن تاريخنا القومي مركب من سبع ثورات تخللتها فترات من اليأس او التربص أو التطور الهادىء والتمهيد للانقضاض .

الثورات السبع تمتد عبر قرن ونصف وتبدأ بثورة القاهرة عام ١٧٩٨ ضد المظالم المالية لحملة نابليون . وهي غليان قمعه الفرنسيون بوحشية وأخمدوه بقوة المدفعية الغشوم في يومين تجاوز شهداؤهما شهداء ثورة ١٩١٩ .

الثورة الثانية وقعت بالقاهرة أيضا بعد عامين من ثورتها الاولى وكان قوامها خليطا من المماليك والانكشارية العثمانيين وأهل القاهرة وقمعها الفرنسيون في شهر وايام وافلت العثمانيون والمماليك من نتائجها باتفاق مع كليبر انسحبوا به آمنين واحتمل أهل القاهرة وحدهم نتائج الانكسار .. عددا لا احصاء له من الشهداء ، واحياء احرقت عن آخرها وجزية انتقامية باهظة . وهما موجتان من حركة المقاومة الاهلية ضد الاحتلال الاجنبي ولكن عبد الرحمن الرافعي رصدهما ثورتين مجازا ..

والثورة الثالثة وقعت في مارس ١٨٠٤ وهي في حقيقتها اعتصاب واضراب عن دفع الضرائب الباهظة التي فرضها البرديسي ، « وشعارها كان « ايش تاخد من تفليسي يا بردیسی » .. وقد امتدت الى بعض عواصم الاقاليم من القاهرة وفي كفتها القى محمد على بموازينه « ٣٠٠٠ جندي ! » وعلى اكتافها اقترب خطوة من الحكم .

والثورة الرابعة كانت امتناعا آخر عن دفع

ضريبة فرضها الوالى التركى بعد عام من الامتناع السابق . وقد انتهى بزعزعة مركزه ووصول محمد على الى الحكم بناء على اقتراح أعيان القاهرة ومشايخها وقبول السلطان هذا الترشيح .

والثورتان هما نوع من العصيان والاضراب ولكن عبد الرحمن الرافعى أدخلهما فى باب الثورات تساهلا ومرونة وتجاوزا .. والحق انه لو اراد ان يستقصى مثل هذا النوع من التمرد الشعبى على مظالم الحاكمين لما وقف — فى عودته لاصل حركتنا القومية — عند حدود الحملة الفرنسية ولوجد مثيلا لهذه الهبات الشعبية فى غضون القرن الثامن عشر . نفس المظاهر .. اجتماعات الازهر والصمود خلف المتاريس والاذان بالعصيان من مآذن الجوامع العتيقة .

تعبير الثورة عند عبد الرحمن الرافعى اذن تعبير فضفاض . والسبب الاصيل لهذا أن الثورة عنده ليست انقلابا طبقيا فى طبيعة السلطة أو محاولة لاحداث هذا الانقلاب الطبقى ، وانما هى كل ما من شأنه أن يثير القلاقل فى وجه السلطة القائمة ان كانت أجنبية أو رجعية، وسواء أكانت القلاقل عميقة الجذور أو وقتية ، من ترتيب قيادة محددة أو من وحى محرضين عابرين .. ذات أهداف قومية أو جزئية .. على نطاق الوطن أو محصورة بالعاصمة ..

هى الاطوار الحادة للحركة القومية .. والحركة القومية عنده «كائن حى تعاقبت عليه الادوار حينا يقوى وآونة يضعف ، وطورا يشتد وينشط وتارة يخمد ويفتر .. على أنه طوال قرن ونصف قرن سائر فى الجملة الى الامام » .. وهذا تعريف حسن لحركتنا القومية وفى أطاره أرخ لثوراتنا الثلاث الكبرى : ثورة العرابيين وثورة ١٩١٩ وثورة ٢٣ يوليو التى عدها — بحق — تتويجا للثورات السابقة .

الثورة العرابية

تحكم رواية عبد الرحمن الرافعى فى كتابه عن الثورة العرابية عدة عوامل .. اهمها : انه ولد فى عصر الجليد ، عصر الاحتلال بكل سفوره وبطشه . وتلقى انطباعاته الوطنية من أبناء مرحلة النكسة التى أعقبت هزيمة العرابيين . وكانت جمهرتهم تلوم عرابى على ثورته وتراها السبب المباشر للاحتلال . بل كان بعضهم يغالى ويتهم عرابى بأنه كان ينسق خطواته مع الانجليز . ورغم أن عبد الرحمن الرافعى قد كتب مؤلفه عن الثورة العرابية فى منتصف الثلاثينات الا انه لم يستطع التخلص من ذلك المفهوم الشائع عن الثورة العرابية . ذلك المفهوم الذى زرعه بالبلاغة والمرارة ، الامام محمد عبده ، أحد الرواة المعتمدين لاحداث الثورة بعد نكستها . وأحد الذين نسجوا الارضية التاريخية القاتمة التى تحركت عليها أحزاب أول القرن فى تحليلها لثورة العرابيين .

العامل الثانى الذى ساعد على رسم هذه الصورة القاتمة لثورة العرابيين ، أن السراى كانت — على عهد عباس الثانى — تمد قرون استشعارها الى دهاليز الحركة الوطنية المنبثقة من عصر الجليد — عصر الاحتلال السافر — وبالتالى فقد كانت القيادة الوطنية الوليدة تميل الى استمالتها .. وكان عبد الرحمن الرافعى ثمرة من ثمرات تلك القيادة الوليدة . فلم يستطع أن يمحو اثرها عليه فى تقييم الثورة العرابية .

ولقد كانت الثورة العرابية ثورة هزمت هزيمة كاملة .. وبدت الفترة السابقة عليها ، من خلال انقاضها ، جنة ديمقراطية اذا قورنت بجبروت الاحتلال .

وعبد الرحمن الرافعى حين بدأ يؤرخ للثورة العرابية كان قد شهد ثورة أخرى عنيفة .. لم تقو رغم كل ما بذل فيها من تضحيات على اقتلاع الاحتلال .. فأضاف حسابها الى حساب العرابيين وازداد اقتناعا بعدم جدوى العنف وازداد توترا فى أحكامه على ثورة ١٨٨٢ باعتبارها ثورة مسلحة .

ولكن ... حين بدأ يتأمل الثورة عن كثب ليكتب عنها .. واقترب من انفاس رجالها وقع فيما يشبه الصراع والتردد بين أفكاره المسبقة واكتشافاته الجديدة .. وهو يصارحنا بهذا التحول العاطفى ويصور هذا الصراع فى كلمات بسيطة حارة فيقول : حين اخذت فى دراسة الثورة اختلج فى نفسى شعور ملازم من العطف عليها ، لانها على ماكان من نهايتها ، فانما قامت فى الاصل لغرض نبيل هو انقاذ الامة من مظالم الاستبداد واقامة قواعد الحكم الدستورى وتحرير البلاد من التدخل الاجنبى .. لكن هذا الشعور لم يصرفنى عن تعرف أخطائها وزلاتها ، وبخاصة أخطاء زعمائها وأقطابها .. لان هذه الاخطاء كان لها دخل أيما دخل فيما صارت اليه من الحبوط والاخفاق »

والثورة — كما تبدو لنا من خلال دراسته

لثورة العرابيين ، هى سلسلة من القـرارات يصدرها القائد ، ان كانت حكيمة سلمت الثورة وانتصرت وان كانت طائشة .. فشلت الثورة .

وليس معنى ذلك أن عبد الرحمن الرافـعى يلغى تماما ، العوامل والظروف الموضوعيـة ، الداخلية والخارجية فى تأثيرها على مجرى الثورة هو يقر أثرها بحكم صدقه واخلاصه لمسئوليته كمؤرخ .. ولكنه يعول كثيرا واصـلا على قرار القائد وموقفه ويجعله فى حكم العامل الحاسم .

وهذا المنهج وان كان يسرى عبر روايتـه لحركتنا القومية ، فانه يتضخم فى روايته للثورة العرابية .. تحت تأثير المفهوم الذى كان سائدا عن أسباب اخفاقها فى العصر الذى تلقى المؤرخ فيه انطباعاته السياسية الاولى ..

من هنا فان تاريخ عبد الرحمن الرافعى للثورة العرابية هو فى حقيقته تاريخان :

- **تاريخ ماحدث فعلا ..**

- **وتاريخ ماكان يمكن أن يحـدث .. لـو تغيرت صيغة أو سلوك أو حل رجل مكان رجل فى قمة الاحداث ..**

وتاريخ ماحدث يقسمه عبد الرحمن الرافعى قسمين : قسم يرويه سعيدا متحمسا منصفا غاية الانصاف . ويبداه بحادثة اعتقال حـكومة رياض لضباط الثورة فى فبراير ١٨٨١ والافـراج عنهم عنوة وسقوط عثمان رفقى وتعيين البارودى وزيرا للحربية .. ثم انقلاب ٩ سبتمبر الذى فرض على توفيق حكومة وطنية وبرلمانا منتخبا .

الى هنا ــ كما يقول الرافعى ــ سـارت الامور سيرا حسنا ..

بعدها تبدأ الرواية المريرة لاحداث الثـورة ويبدأ التـاريخ المزدوج لوقائعهـا .. اى رواية الواقعة كما وقعت ثم روايتها كما كان ينبغى أن تكون .. رواية الحظ العاثر والقرار الطائش ، ثم رواية الحظ السعيد والقرار السديد ..

وأول اخطاء العرابيين فى نظر الرافـعى هو أنهم اقتحموا ميـدان السياسة وهم جنـود ليس لهم بالسياسة شأن . لهذا فان ثورتهم «باعتبارها ثورة عسكرية قد أخرجت الجيش من مهمته الاصلية وهى حفظ النظام،وجعلته أداة سياسية للسيطرة والحكم..وهنا موضع الخطر.اذ بذلك يختل النظام العسكرى وتقع الحكومة فريسة الفوضى » ..

وهنا يبرز الرافعى أسـيرا للمفهوم القـديم لدور الجيش على خـريطة الدولة والمجتمع ..

وهـذا هو السبب الذى خلق بينه وبين شريف باشا تعاطفا طوال روايته للثورة العرابية .. فقد كان لشريف باشا نفس الرأى..كان يرى أن «يعود الجيش الى ثكناته» كشرط لقبوله الوزارة.

بحكم موقعهم من المجتمـع كان العرابيـون مخطئون فى نظر الرافعى ، وهو بذلك يختلف مع حركتهم فى جوهرها .. وهو يرى أن الثـورة كان بامكانها أن تتخطى كل العقبات الداخليـة والخارجية وتنتصر على ظروفها ــ وهو يعترف بأنهـا كانت ظروفا صعبة ومبيتـة ــ لو تغيرت القيادة عقب ٩ سبتمبر ١٨٨١ .. والقائد الذى كان يرشحه للسير بحركة مصر القومية منذ عصر اسماعيل ، هو شريف باشا ، ولهذا فهو يـلقى عليه ضوءا ساطعا قبل أن تنفجر ثورة العرابيين وخلال ثورتهم . هو رجل بلا نقيصة يملك القدرة على اتخاذ القرار الحكيم . كان موقفه سليما حين أراد تفويت الفرصة على انجلترا وفرنسا وهما تحاولان التدخل فى صياغة الدستور . وكان موقف العرابيين طائشا حين تصدوا للتدخل . وكان هو الرجل المناسب الذى كان قادرا على رأب « الصدع الداخلى » بين القصر والجيش ، والرافعى يعد القصر حينذاك من أركان الجبهـة الداخلية التى كان يمكن تلافى تناقضها .

باختصار .. كان من الممـكن للثورة العرابية فى رأى الرافعى ــ أن تنتصر أو تخفف من عنف التصادم وآثاره لوتوفر لها عنصر من عنصريـن «قوة الجبابرة أو عقول العباقرة» ..

ولقد خانها العنصر الاخير ..

ينبهنـا الرافعى وهو يختـم كتابه عن عصر اسماعيل الى أنه «**لوخلت شخصية اسماعيل من عيوبها لجعل من مصر يابانا اخرى ولصارت على يده دولة من أقوى الدول المستقلة** »

هذا المنهج القدرى هو الذى حجب ــ غالبا ــ رؤيته للقوى الطبقية وصراعها الذى كان يصوغ مجرى الاحداث العام .. هو الذى منعه من أن يتأمل مبلغ قوة رأس المال الاوربى والتطور الذى انتهى اليه فى نفس الفترة التى حاولت فيهاالوطنية المصرية أن تثبت أقدامها على أرضها الوطنية .. لتجد نفسها فى خضم معركة غير متكافئة لا تشفع فيها عبقرية ولا حكمة .. كذلك كان هذا المنهج القدرى هو الذى حال بين الرافعى ورؤية جذور الصدام الداخلى فى الصراع الطبقى ..

ولكن .. رغم كل هذا ينبغى أن نعترف بأن الرافعى قد قدم لنا عام ١٩٣٧ صورة كانت المادة الخام لوقائع الثورة عامة .. وكانت صورتـه تصيح فى وجه البيراى بالخيانة .. وكانت وقتئذ

فى أوج سلطتها .. كذلك نقلت الينا صورته ما انتقل اليه هو من عطف على ثورتنا الاولى .. تلك الثوره التى قدمت — لاول مره فى التاريخ — نموذج انقلاب جهاز الدولة على الدولة .. على قاعدة من الصراع الطبقى وانحيازا للشعب .

ثورة ١٩١٩ وطريق الترفع عن الدنايا

قلب الرافعى على ثوره ١٩١٩ قلب رحيم .. هو يعدها ثوره ناجحه حققت مكاسب لايستهان بها .. وحين ارخ لها ونشر رواياتها عام ١٩٤٦ ، لم يكن يتوقع ولا يطلب ثورة بعدها .

كان يعتقد أن ماحققته الثورة يصلح ان يكون قاعدة تبنى عليها الاجيال — عن طريق التراكم الكمى والتطوير الهادىء الحكيم — كل ما تصبو اليه الامة من آمال .. وهى آمال متواضعة : الجلاء ووحده وادى النيل وعطف الغنى على الفقير دون مساس بمبادىء الملكيه . وكل ذلك رهن بتنمية الاخلاص الوطنى فى قلوب الافراد والارتفاع باخلاق الناخبين لتصلح الحياة النيابية ولا يتسلل الى البرلمان من لايستحق .

واول حسنه لثوره ١٩١٩ هى براءتها من صراع الطبقات ومطالب الطبقات المادية . هى ثورة سياسية وليست ثورة اجتماعية وما كان ينبغى ان تكون كذلك .. ولو داخلها الصراع الطبقى ومطامح الطبقات لفقدت براءتها وسموها الوطنى وترفعها عن الدنايا — اى المطالب المادية — لان الثورة الاجتماعية تفرق بين ابناء الوطن الواحد وتلقى العداوة والبغضاء بين طبقات الامة .

ان سلبيات ثورة ١٩١٩ كما نراها نحن الان فى جو التحول الاشتراكى كانت حسنتها عند الرافعى .. اذ انها كانت مفرغة من المضمون الاجتماعى . او بالدقة افرغتها قيادتها من مضمونها الاجتماعى وذلك وجه من وجوه عظمتها الوطنية .

ورغم ان الرافعى وهو يبحث عن الاسباب الاقتصادية والاجتماعية للثورة قد التفت الى الضغط والمظالم المادية التى كانت تئن منها الطبقات الفقيرة والمتوسطة . واعتبرها من اسباب الانفجار .. الا انه فصل بين الاسباب والنتائج فى هذه المسألة بالذات .. ولم يحسب على قيادة الثورة خذلانها لمطامح هذه الطبقات . كانت ثورة ١٩١٩ بتعبيره «ثورة سياسية خالصة لم تنتقض أى طبقة فيها على الاخرى وكان رائدها الوحدة القومية » .

وهكذا تجردت الثورة أمامه من مضمونها الطبقى وتاه عن فطنته فى احداثها صراع الطبقات . ولم يكتشف — تحت تأثير منهجه المثالى — أسباب الانشقاقات المتوالية من قيادة الثورة .. وتصورها ارادات رجال يتصارعون لاسباب شخصية أو فكرية على احسن تقدير .

وتحت تأثير هذا المنهج غابت عن روايته احداث كثيرة كانت تشير الى المطامح الاجتماعية للفقراء ، وكانت احيانا تشير بحدة . بينما رصد آخرون ممن تناولوا احداث الثورة مثل هذه الوقائع ولو من باب ذمها .. كما فعل فكرى أباظة — على سبيل المثال — وهو يذكر المطامح الطبقية لفلاحى أسيوط ، الذين تصوروا أن الثورة تعنى الحصول على الارض وأن ذلك هو ترجمة « الاستقلال » .

بل ان الرافعى نفسه يذكر قصة جميلة وقعت له ابان الثورة . فقد كان فى طريقه الى المنصورة عن طريق النيل .. وسمع الفلاحات يهتفن : يحيا الوطن ويحيا العدل .. فتصور اول الامر ان الفلاحات يطلبن انتصارا على ظلم وانهن يعتقدن ركاب المركب من رجال القضاء .. ولكنه فهم أنهن يطلبن العدل لمصر لا العدل لانفسهن .. كأن هناك فاصلا بين هذا وذاك .

ولغياب صورة الصراع الطبقى فى تناوله للاحداث، فقد تصور ايضا — كما تصور فى روايته لثورة العرابيين — أن ائتلاف القوى الرجعية والوطنية كان ممكنا ومفيدا .. واعتبر ائتلافها بعد افول الثورة فاتحة خير .. وتفاءل دائما ببيانات الامراء وهم يباركون الثورة — والحقيقة انهم كانوا يباركونها مرتعدين — وكان يتتبع بيانات الامير عمر طوسون بعطف شديد بل رأى لحظة انه صاحب الفكرة التى وضعت الثورة على طريق التنفيذ وأن سعد زغلول تلقفها ونفذها بل يكاد يقول انه خطفها .

كان بريق الوحدة الوطنية، حتى ولو كان زائفا، يخطف بصره ويشفع لكل ما عداه .. ويحجب صورة الصراع الطبقى الذى رسم كل حادثة من حوادث الثورتين .

وهو يقف حزينا مذهولا أمام عدوان احزاب الاقلية على الدستور وكان اقطابها يدبجون عن حمايته الخطب والمقالات .. ويرد ذلك الى التكالب على الحكم وسوء الخلق وعدم احترام العهود والمواثيق .. ولا بأس أن توصف كل هذه الرذائل بكلمة واحدة هى «الرجعية» ولكنها رجعية لا تعود الى العلاقة بالربح والريع .. بل الى ضيق الافق وفقر الخلق وضمور الوطنية !

قضية العدل الاجتماعى وخذلانها لاتدخل فى حسابه وهو يقوم بتقييم الثورة وقيادتها، لانها تعكس

على الفكرة الوطنية مرآتها الناصعة المثالية. فكرة الاستشهاد بلا ثمن وبلا طموح الا الى الفداء لذاته ومن أجل الوطن في أنقى صوره تجريدا وروحانية.

ولهذا .. فان الرافعي يبذل الجهد الخارق بحثا عن أسماء شهداء الفقراء ليسجلها على صفحات كاملة .. ولكنه لايفرد صفحة يحاسب فيها قادة الثورة على خذلانهم قضية هؤلاء الشهداء الاساسية .. قضية العدل الاجتماعي

لقد رصد الرافعي دخول الطبقات الشعبية على أوسع نطاق في دائرة العمل السياسي .. وتعجب من دخول الفلاح المعدم على مسرح الاحداث باندفاع اكسب الثورة طابعها العنيف المؤثر. وعزا ذلك الى تطور الافكار .

ولقد لام قيادة الثورة انها لم تبادر بانها من رأس المال الوطني ولم تكن على علاقة مباشرة بتأسيس بنك مصر .. ولكنه لم يلمها على خذلانها قضية الفقراء ..

وحين يتحدث الرافعي عن «العنصر الاقتصادي» فهو يقصد المؤسسات .. البنك والمصنع والنقابة والجمعية التعاونية .. ولكنه على حذر شديد من داء الصراع الطبقي وهو يفضل عليه العطف الطبقي وتهذيب التفاوت الطبقي مع الاحترام الشديد لقداسة الملكية وخاصة ملكية رأس المال.

وقطعا .. لم يكن ذلك عن انحياز للاغنياء. بل ان عواطف الرافعي نحو طبقات الشعب الفقيرة مرهفة .. ولكن الوحدة الوطنية والحفاظ عليها أجدر بكل اعتبار واهتمام وحرص .

تلك كانت مفاهيمه وهو يؤرخ لثورة ١٩١٩ وهي مفاهيم يدخل عليها التطور وتستقبل بالتجربة عناصر جديدة فيما بعد .. .

في تقييمه لثورة ١٩١٩ يعقد مقارنة قاسية بينها وبين الثورة العرابية .

الثورة العرابية قامت لتقرير النظام الدستوري وتحرير البلاد من الحكم المطلق والتدخل الاجنبي وانتهت بالغاء الدستور وضياع الاستقلال . وحل محلها الاحتلال والحكم المطلق . وصار الاحتلال مقرونا بالحماية في ١٩١٤ .

أما ثورة ١٩١٩ ، فقد قامت ضد الحماية وضد الاحتلال . وقد نجحت في الغاء الحماية واخفقت في اجلاء الاحتلال . كذلك نجحت الثورة في الغاء الامتيازات الاجنبية ، وذلك مكسب قومي كبير .

وكان للثورة نجاح في نظام الحكم بتقرير النظام الدستوري وقد توجت بذلك جهادا طويلا شاقا منذ عهد اسماعيل .

كل هذا يرصده الرافعي نجاحا لثورة ١٩١٩ وهو يرصده بحرارة . وهو يعتبر ثورة ١٩١٩ حدا فاصلا بين عهد وعهد ، بين نظام قديم قوامه الغاء سلطة الامة حكما وفعلا وحصر السلطة في يد المستشارين والموظفين البريطانيين . ونظام جديد قوامه استقلال ناقص ، يشوبه احتلال أجنبي ودستور يقرر سلطة الامة ويحد من سلطة الفرد ومن التدخل الاجنبي . وهو يرى أن الدستور ولو أنه غير كامل وسلطة الامة ولو أنها غير مستقرة بحكم قيام الاحتلال الاجنبي .. الا ان الدستور . بالدفاع المستميت عنه يكون أداة نضال تساعد على الاستقلال .

كان عبد الرحمن الرافعي يرى أن ما وصلت اليه ثورة ١٩١٩ قاعدة علينا ان نتطور بها لا ان نثور عليها . ولقد عاصر ثورة ١٩١٩ مؤيدا لعنفها ولكنه بعدها ناشد الشباب الا يكونوا ثوريين مثل اسلافهم الذين صنعوها بل مخلصين مثلهم بغير ثورة .. لان ماأسسته ثورة ١٩١٩ لا يحتاج لتطويره الا الى الجهاد السلمي في ميادين السياسة والاقتصاد وخدمة المجتمع .

ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢

بعد ثورة ١٩١٩ كان عبد الرحمن الرافعي يعتقد أن مسرح الاحداث قد أصبح واضحا .. النضال الدستوري. العمل لحماية الدستور «ذلك القسط الضئيل الذي نالته البلاد من حقوقها منذ الثورة» والعمل من خلال البرلمان لكي تنمو مؤسسات « النهضة المصرية » في جميع الاتجاهات .

وقد كان يعلم بتجربته ان هذا الطريق طويل وشاق ، ولكنه لم يكن يرى بديلا له . كان ناقما على الرجعيين عدوانهم على الدستور ، وعلى الوفديين تحويل الحياة النيابية الى تجارة واستبداد بالمعارضة وذلك ايضا عدوان على الدستور كما يتصوره في صورته المثلى .. وكان قلقا من اليسار المتطرف الذي نما نشاطه بعد الحرب لان نشاطه يعكر هذا الطريق السلمي

الدقيق الذى يبدأ من هذا القسط الضئيل من الاستقلال وهو الدستور .. ويبنى عليه .

كان يرى ان الاستعمار قد خلف خرابا فى جميع الميادين . وأن على الامة ، فقرائها وأغنيائها أن ترمم وأن تبنى ، ولان الترميم والبناء يحتاج الى الاستقرار ، فان الدستور ينبغى أن يستقر . ومن خلاله يمكن استكمال الاستقلال السياسى لانه ركن النمو السلمى فى سائر الميادين .

لقد لاحظ ان «ثروة البلاد تقصر عن حاجة السكان» وأنها تحتاج الى زيادة الرقعة الزراعية وتدعيم الصناعة وخاصة الصناعة الثقيلة والتنقيب عن ثروة الارض .

ولاحظ اختلال الملكية الزراعية وتمنى أن يوضع حد لزيادتها ، دون المساس بما سبق لكبار الملاك أن امتلكوه . وذلك ليتسع عدد صغار المالكين . ورأى أن الانتاج القومى يزداد كلما كثرت الملكيات المتوسطة والصغيرة فى الارض أما فى الصناعة فانها تجود فى الانتاج الكبير والرأسماليون الكبار علاجهم فى الضريبة التصاعدية وبفرض البر عليهم اذا لم يقبلوا عليه مختارين .

كان الرافعى يرى ان « نستكثر » ان نراكم على مر الزمن من مؤسسات النهضة سواء أكان ذلك فى التعليم أو فى الصناعة أو فى المنظمات النقابية والتعاونية والخيرية .

وكان يرى بالتجربة ان التطور السلمى تعطله هذه الحلقة المفرغة التى عاشتها البلاد منذ انتهت ثوره ١٩١٩ والتى تتلخص فى النضال لاقرار الحقوق الدستورية وعدوان الرجعية عليها .. ورأى ان هذه الدوامة من النضال العقيم هى : «اقتطاع من جهود البلاد وتعطيل لنهضتها ، لان هذه الجهود كان يجب لو احترمت حقوق الامة الدستورية أن تنصرف الى الدفاع عن حقوق البلاد الاستقلالية، ثم النهوض بمشروعات الاصلاح التى تحتاج اليها » .

ولكنه لم يكن يلمح فى الافق طريقا آخر . وكان يرفض طريق قلب هذا النظام بحلقته الدستورية المفرغة ، لانه كان يخشى الصدام الطبقى . ويتصور ان البديل الوحيد للتطور السلمى على قاعدة ماأسفرت عنه ثورة ١٩١٩ هو الشيوعية ..

لقد فاجأت ثورة ١٩١٩ عبد الرحمن الرافعى كما يحدثنا فى ذكرياته . كذلك فاجأته ثورة ١٩٥٢ .

وقد كانت ثورة ١٩٥٢ خروجا على مفاهيمه التقليدية باعتبارها ثورة قام بها ضباط من غير أهل السياسة . ولقد سارت الثورة على غير خطته فى النمو ابتداء من ندرة الدستور .. هذه البذرة التى اعترف آسفا فى الاربعينات انها قسط ضئيل تمخضت عنه ثورة هائلة . بل يمكن القول بأن ثورة ١٩٥٢ كانت ثورة على ثورة ١٩١٩ !! بكل ما حملته من قشور ومؤسسات ركيكة .

ولكن ..

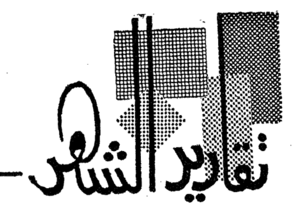
لقد تأمل الرافعى الاحداث منذ يوليو ١٩٥٢ !! وعاد الى بعض افكاره المستقرة بالتعديل .. ورأى فى سنوات ما بعد الحرب الثانية مقدمات لثورة كان وقوعها حتما . ثم رصد أعمال هذه الثورة الجديدة المفاجئة رصد الذى يقبل كل ماتأتى به الاحداث بعد أن تهاوت نظريته الاساسية فى تطور الحركة القومية المعاصرة .. فقد كانت الاهداف تتحقق امام بصره تباعا . الملكية التى طالما عبثت بدستوره تسقط .. والجلاء يتم . وهمومه التى كان يحملها دون حل واضح عن الارض الزراعية تنفرج .

ولكنه منذ أن دخلت الثورة مرحلة التحول الاجتماعى بكل ثقلها .. كانت خطاها أسرع مما يتحمله بالرصد والتحليل .. لقد تجاوزت الثورة آماله التى كان يحلم بتحقيقها عن طريق القوانين .. من بين براثن المناوزات البرلمانية فى لحظات الانعقاد الخاطف ، العقيم والزائف لبرلمان كان أهم ما أسفرت عنه ثورة ١٩١٩ فى اعتقاده .

فى أول الستينات .. عكف الرافعى على تاريخ الفراعنة .. هناك يأمن على ذهنه الشيخ من جلبة الاحداث .

لقد شبت الحركة القومية عن الطوق وطالت قامتها وكان قد اعتاد على رؤيتها ونصحها وليدة وئيدة الخطى ومتعثرة .

عاد الى ورقة البردى .. وبحث قبل أربعة آلاف سنة عن جذور القومية المصرية . وترك لجيل آخر مهمة تأريخ ثورة لم تكن له فى الحسبان وكان تأريخه الطويل لحركتنا القومية .. احدى مقدماتها بلا جدال ..



- تقرير مجلس ادارة البنك المركزى عن عام ١٩٦٥/١٩٦٦
- الآفاق الجديدة لمعركة البترول فى سوريا
- العداء لبلجيكا .. الصمت فى أمريكا .. والتأييد ضرورة
- الثورة الثقافية و « جيش العمال الجديد » فى الصين

■ الجمهورية العربية المتحدة

اللجنة العليا لتصفية الاقطاع تنتقل نشاطها الى القطاع العام

قبل ان تنتهى اللجنة العليا لتصفية الاقطاع من البت فى جميع حالات الاقطاع والاستغلال والارهاب فى الريف ــ المعروضة عليها ــ وتحقيقا لوعد الرئيس **جمال عبد الناصر** ــ عندما أعلن للشعب « أن اللجنة العليا لتصفية الاقطاع سوف تستمر فى عملها وتنتقل الى القطاع العام للقضاء على كل انحراف أو استغلال » ــ كرست اللجنة العليا لتصفية الاقطاع برئاسة المشير **عبد الحكيم عامر** معظم نشاطها خلال الاسابيع الماضية لمواجهة مشكلات القطاع العام .

وفى مستهل عمل اللجنة اتفق المشير عبدالحكيم عامر النائب الاول لرئيس الجمهورية والمهندس صدقى سليمان رئيس الوزراء على مجموعة من المبادىء الاساسية لكى يجرى عليها عمل اللجنة وتحكم أعمالها. وتنقسم هذه المبادىء الى قسمين . **القسم الاول** منها خاص بتنظيم العمل والعلاقات داخل القطاع العام . **والقسم الثانى** منهما خاص بالقادة الاداريين الذين توكل اليهم قيادة مؤسسات وشركات القطاع العام . وكلا القسمين مكملان لبعضهما البعض . والغرض منهما تحقيق ارفع مستوى للانتاج عن طريق توفير الاستقرار للاجهزة وخلق الظروف المواتية لدفع القطاع العام نحو تحقيق أهدافه .

لقد تم الاتفاق على أن يصبح كل رئيس مؤسسة أو شركة أو أية وحدة انتاجية مسئول مسئولية تامة عن تحقيق أهداف الانتاج فى نطاق اختصاصه وله كافة القدرات وكافة السلطات فى سبيل

تحقيق هذه الاهداف وله السلطة فى فصل أو ايقاف كل من يثبت انحرافه وتعويقه للانتاج . وطالما كان الاجراء مستهدفا الصالح العام فليست هناك حصانة لأى فرد بدواعى المحاباة او المجاملة .

ثم اتفق على ضرورة تحقيق التعاون بين الاجهزة الادارية او الجماعة القيادية والاجهزة الشعبية والنقابية فى وحدات الانتاج وتبادل وجهات النظر ومناقشتها . ولكن المسئول عن الانتاج هو صاحب الرأى النهائى فى كل ما يتصل بالعمل فى الوحدة ــ وعلى الجماعة القيادية او التنظيم الشعبى أو النقابى فى حالة الاقتناع برأى مخالف أن يرفعوا الامر الى قيادات الاتحاد الاشتراكى العربية المختصة .

كما اتفق على ضرورة توجيه دراسات وبحوث جادة وان يتحقق اعلام مشترك بين مختلف الشركات عن نشاط كل منها وامكانيات العمل لديها وضرورة تلافى حالة الازدواج فى النشاط او حالات القصور فى الانتاج ــ بادماج بعض الشركات التى تعمل فى ميدان واحد وضم وحدات المصانع التى تعمل فى أكثر من مجال كل منها الى الوحدات المشابهة له وان يعاد النظر فى أمر الشركات الصغيرة ذات الاعمال المحددة التى لا تستدعى وجود شركات مستقلة .

وتقرر أن تتحرر العلاقات بين المسئولين من التعقيدات المكتبية وليس ثمة ما يمنع من ان تقوم صلات مباشرة بين الوزير المختص ورؤساء مجالس ادارة المؤسسات أو الشركات أو بينها وبين الامانة العامة للاتحاد الاشتراكى من اجل الكشف عن العناصر المنحرفة أو الانتهازية من المتصدين للقيادات الشعبية والنقابية أو تزكية العناصر الصالحة للتصدى للخدمة العامة والنشاط السياسى .

وتقرر أيضا اعتبار مقياس نجاح اى مشروع انتاجى يرجع الى ما تحققه من ربح أو خسارة ولا محل للتردد فى الاخذ بالاساليب الرأسمالية فى الادارة فى وحدات الانتاج طالما كانت محققة للصالح العام ولا تخل بالمبادىء الواردة فى الميثاق فى مجال التطبيق الاشتراكى .

وقد تم الاتفاق بين المشير عبد الحكيم عامر ورئيس الوزراء على أنه فى سبيل تحقيق الاهداف المرجوة من القطاع العام وعلى ضوء المبادىء العامة التى تقررت للعمل فانه « يتعين اعادة النظر فى مدى صلاحية المسئولين من مختلف فروع الانتاج بحيث يعهد بهذه المسئولية الى قيادات ذات مستوى فكرى وسياسى عال ــ وذلك بما يتوافر لها من قدرات فنية وكفاءة ادارية ونزاهة واخلاص ــ وانه بالنسبة للمناصب التى قد لا تتوافر فى المرشحين لها كافة العناصر والقدرات المطلوبة ــ فالافضل هو ارجاء شغلها ، كما انه اتفق على ان يعتبر رؤساء مجالس ادارة المؤسسات العامة والشركات انفسهم بمثابة القادة السياسيين على مستوى وحدات الانتاج التابعة لهم عن طريق التقائهم بالتنظيم السياسى والتحامهم مع جماهير العاملين وانهم مسئولون عن تثقيف أنفسهم سياسيا وتدريب معاونيهم ممن يشغلون الوظائف الرئيسية ، وأن يعقد الاتحاد الاشتراكى العربى دورات خاصة لرؤساء ادارة المؤسسات والشركات .

وقد اكد المشير عبد الحكيم عامر « انه يجب ان يتم بحث حالات القادة فى القطاع العام بمنتهى الدقة والحزم وان يكون الاعتبار الأول فى التعيين تحقيق مصلحة القطاع العام وخلق الظروف الذاتية لدفع هذا القطاع ثوريا نحو تحقيق الاهداف »

وعلى ضوء هذه القواعد بحثت اللجنة العليا حالات القائمين على المؤسسات والشركات ومدى صلاحيتهم للعمل وقررت اعفاء البعض وتثبيت البعض الاخر ونقل البعض لمراكز جديدة وتعيين قادة جدد لمراكز القيادة فى المؤسسات والشركات ..

ويرى المراقبون أن هذا الجانب من عمل اللجنة هو اشق واصعب اعمالها بسبب الاوضاع والعلاقات المعقدة التى واجهتها اللجنة وكذلك بسبب صعوبة الوصول فى بعض الاحيان الى صورة واضحة بسبب تضارب الهيئات والتنظيمات المختلفة داخل المؤسسات او الوحدة الانتاجية ، وتفشى نظام الشلل والجماعات وبسبب سيطرة بعض العناصر الانتهازية التى تحيط نفسها بالضجيج والدعاية وتسيطر بواسطة أعوانها على بعض التنظيمات السياسية أو النقابية ــ على أن رئيس الوزراء قد أكد « ان الكشف عن العناصر الادارية الصالحة ليس بالمهمة العسيرة ــ لان الادارة المصرية غنية بالمخلصين القادرين الاكفاء ولكن اجتذابهم الى دائرة العمل القيادى هو العسير فى ظل ظروف الترقى الحالية

هذا وقد تقرر ان يتم حصر جميع العاملين الزائدين عن حاجة العمل فى كل وحدة واجورهم ومهنتهم الاصلية والعمل الذين يقومون به حاليا للتصرف فى شأنهم ــ كما يجرى حصر للموظفين السابقين سواء من الحكومة أو من القوات المسلحة من ارباب المعاشات الذين لا يؤدون الاعمال المناسبة لما يتقاضونه من مرتبات .

وتقرر تشكيل لجنة برئاسة **أمين هويدى** وزير الدولة وعضو اللجنة العليا لبحث حالات الانحراف وتقديمها للجنة العليا مع توصياتها ــ وتقرر أن يقدم لهذه اللجنة كل القضايا والمخالفات والتحقيقات الجسيمة التى ضبطتها الرقابة الادارية او المباحث الجنائية العسكرية منذ عام ١٩٦١ حتى الآن اى منذ صدور القوانين الاشتراكية ــ وقد نشرت الصحف تفاصيل كثيرة عن قضايا كبيرة تضم نحو سبعة عشر مسئولا من القطاع العام ، وتقوم لجان فرعية رباعية تضم عضوا قضائيا وعضوا يمثل المؤسسات وعضوا يمثل

الجهاز المركزى للمحاسبات بدراسة الحالات واعداد التقارير عنها ـ وقد أكد رئيس الوزراء « ان المبادرة الى التحقيق العاجل فى تهم الانحراف يتم فى اطار من الفهم الواعي لطبيعة الدور القيادى للادارة والتقدير العام لمقتضياته ومسئوليتها مع الاحاطة الكاملة بملابسات الظروف » ـ ويعلق المراقبون اهمية خاصة على عمل هذه اللجنة الفرعية التى يراسها السيد امين هويدى ويتوقعون منها نتائج كبيرة فى تطهير القطاع العام من العناصر المتسلطة والمتسللة والانتهازية ـ ومن العناصر الفاسدة التى تستبيح الاموال العامة ـ او تعطل الانتاج تحت مختلف المعاذير .

هذا وقد أعطيت توجيهات لرؤساء مجالس الادارة بأن يكون من أول واجباتهم بعد صدور القرارات الجمهورية بتعينهم، واستلام العمل هو بحث أوضاع المؤسسات أو الشركات فى الفترة السابقة على توليهم مسئوليات العمل وعليهم أن يرفعوا الى اللجنة العليا تقارير وافية عن حالات الانحراف التى يكتشفونها ـ كما تأكدت مسئولياتهم الكاملة عن اختيارهم للقيادات الادارية فى الوحدات التى يتولون رئاستها .

هذا ويقدر المراقبون ان كافة الاجراءات الخاصة بالقطاع العام سواء اعادة التنظيم أو التعيينات سوف تتم فى منتصف شهر فبراير وسوف يعقب ذلك صدور توجيه سياسى عام من الرئيس جمال عبد الناصر وصدور قرار جمهورى بكل ضمانات اطلاق قوى الانتاج سواء فيما يتعلق بالاختصاصات أو الحوافز أو الرقابة .

وسوف تصل حملة التعبئة للنهوض بالقطاع العام الى ذروتها بحضور الرئيس عبد الناصر مؤتمرا للقادة فى المؤسسات والشركات ووحدات الانتاج .

●

من ثمار السد العالى ثروة قومية من الخبرات الفنية

اثناء زيارة الرئيس **جمال عبد الناصر**، وضيفه الكبير اليكسى كوسيجين ، رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى ، لموقع العمل فى السد العالى فى مايو من العام الماضى، وقف السيد صدقى سليمان، وزير السد وقتذاك ، امام خريطة ضخمة للجمهورية العربية يشرح للرئيسين المشروعات الصناعية والزراعية التى تم تنفيذها ، واشار الرئيس جمال عبد الناصر الى موقع منخفض القطارة على الخريطة وقال لضيفه السوفيتى «هنا مكان مشروع ضخم للكهربا ندرسه الان بدقة تمهيدا لتنفيذه بعد السد العالى » .

وفى احتفالات العيد السابع للسد العالى، ظهرت حقيقتان مؤكدتان ، اولا ان العمل فى السد العالى قد تم انجاز الجزء الاساسى منه ، وثانيا ان الخبرات التى توفرت للعاملين فى السد ، تسمح لهم ان يساهموا فى المشروعات الانتاجية الاخرى .

وكان كشف الحساب الذى قدمه العاملون فى السد للسيد صدقى سليمان ، الذى حضر الاحتفال نائبا عن الرئيس جمال عبد الناصر ، بعد ان كان يقدم هو كشف الحساب فى الاحتفالات السابقة، كان كشف هذا العام مشرفا وثمرة للعمل المجيد الذى يدل على تفانى العاملين ، وعن التعاون البناء بين مختلف القطاعات ، على حد تعبير السيد رئيس الوزراء . فقد تم انجاز ٨٠٪ من العمل، وتجاوزت الاعمال المحققة الاهداف الموضوعة بنسب تتراوح بين ١٠٪ ، ٢٠٪ . وبناء على هذا تقرر ان ينتهى العمل فى السد نفسه فى بداية ١٩٦٨ ، فالسد العالى تبلغ جملة انشاءاته ما يعادل ١٧ هرما او ٤٠ مليون متر مكعب ، تم بناء ١٤ هرما منها . اما تركيب التوربينات كلها وتشغيلها فسيتم فى ١٩٦٩ . وقد ركب بالفعل التوربين رقم واحد ، وقطر مروحته ٦ متر ونصف، وعدد لفاته ١٠٠ لفة فى الدقيقة الواحدة ، اما المولد الكهربائى الخاص به فيبلغ وزنه ١٦٠٠ طن . وفى يوليو القادم ستكون ثلاثة توربينات مستعدة للعمل ، وتنطلق اول شرارة كهربائية فى الربع الاخير من هذا العام ، وينتقل التيار الى القاهرة عبر مسافة ٩٠٠ كيلومتر ، يمتد عليها خط قوته ٥٠٠ الف فولت . وسيصل تخزين المياه هذا العام الى ٣٥ مليار متر مكعب بعد ان كان ١٨ مليارا فى العام الماضى .

واحتفالات السد فى هذا العام كانت فرصة للعمل والدراسة ، فقد عقد رئيس الوزراء اجتماعا بالمسئولين فى السد ناقش فيه تفاصيل خطة العمل فى ١٩٦٧ . واستمع لتقرير تضمن :

● ان ٣٦ الف فدان من الاراضى الزراعية جاهزة عند **كوم امبو** لغمرها لاول مرة بالمياه بعد الفيضان، وسيصبح فى الامكان استغلالها زراعيا عقب ذلك .

● خلال الستة شهور القادمة يبدأ استغلال ١٧ الف فدان فى **وادى عبادى** عند كوم امبو لانشاء مزرعة نموذجية لانتاج الفاكهة للتصدير .

وكذلك وضع مشروع لاستغلال الجزر الصغيرة المتناثرة فى النيل لزراعتها بالموز وتقدر مساحتها بحوالى ٧ آلاف فدان .

● نجحت تجارب خبراء الزراعة فى انتاج ١٠٠ نوع جديد من الذرة يمكن زراعتها فى غير مواعيدها .

● يمكن زراعة الخضروات حول بحيرة ناصر قبل المناطق الاخرى .

● وضعت خطة لزيادة ثروتنا من النخيل في اسوان بعد فقد ٣٠٠ الف نخلة في النوبة .

● زراعة انواع جديدة من العلف تسمى ((النايير)) ، يعطي الفدان منها ١٥ ضعف محصول البرسيم العادي .

● اثبت المسح الجيولوجي لاسوان ان الحديد لا ينتهي عند وادي ابو عجاج ولكنه يمتد شمالا ، كما اثبت وجود مناطق جديدة بها خام النحاس والنيكل والزنك والرصاص .

وفيما يتعلق بالاستفادة بخبرات العاملين في السد ، الذي كان بحق جامعة لتخريج اعداد كبيرة من الفنيين والاخصائيين ، فقد تقرر تحويل هيئة بناء السد العالي الى هيئة عالمية لتنفيذ المشروعات الكبرى ، وتقدمت بالفعل في ٤ عطاءات لتوسيع قناة السويس في المشروع الذي يتكلف ٢٠ مليون جنيه ، وفي مشروع كهربة خط سكة حديد الواحات البحرية ، وتطوير عمل بوابات خزان اسوان ، الذي طالبت احدى الشركات السويسرية بمليون جنيه لتنفيذه ، بينما قررت الهيئة بنائه بمبلغ ٣٦٠ الف جنيه فقط . والارقام التي حققتها هيئة بناء السد دليل على انها تقف في نفس المستوى العالمي للشركات الاجنبية . فقد بلغ معدل المواد المستخدمة في اعمال الحقن خلال عام واحد ٤٠ الف متر مكعب ، بينما لم تتعد ٣٧ الف متر مكعب في سد ((فيسنهام)) في فرنسا . واصبح مركز التدريب المهني في السد العالي اكبر مركز في الجمهورية العربية ، اذ يتخرج منه ١٩٠٠ عامل في كل ٤ شهور . وقد بدأ بالفعل حصر العاملين في السد ، وهم ثروة قومية بما توفر لهم من خبرات ، للافادة بهم في المشروعات الانتاجية الجديدة وفي تنفيذ مشروعات الخطة الثانية ، والمشروعات العاجلة ، فالعاملين في السد حاليا ٢٥٣٠٣ فني ، لن يحتاج العمل بعد ٣ سنوات الا لحوالي ٤٠٠ منهم ، ومن هنا يجب الاعداد للافادة اولا باول فور استغناء العمل في السد عن كل واحد منهم .

والواقع ان تجربة العمل في السد العالي ، كما قال رئيس الوزراء ، قد اصبحت تجربة رائدة ومثلا يحتذى في جميع انحاء جمهوريتنا الناهضة . بل وفي الدول النامية . وهي مليئة بالدلالات السياسية والاجتماعية التي يجب ان يوضع التقييم السليم لها ، للاستفادة بها في مشاريعنا الاخرى ، ولتأكيد حقيقة ان عصر التحكم والسيطرة الاستعمارية قد مضى اوانه ، وان التغيير الاجتماعي ووضع مقدرات الشعب بين يديه ، يفتح الطريق لتحقيق المعجزات .

تقرير مجلس ادارة البنك المركزي عن عام ١٩٦٥ / ١٩٦٦

أصدر مجلس ادارة البنك المركزي المصري تقريره السنوي عن عام ١٩٦٥/١٩٦٦ في الشهر الماضي .

ولقد استعرض التقرير باستفاضة وضع الاقتصاد العالمي في قسمه الاول ثم استعرض بعد ذلك اهم التطورات في مجال الاقتصاد القومي . فأوضح انه في مجال الاقتصاد العالمي ، اطرد التوسع الاقتصادي في الدول الصناعية وان تثاقل معدله تبعا للسياسات الانكماشية التي لجأت عدة دول الى انتهاجها لمكافحة التضخم بها ، كما أن حجم التجارة الدولية قد ازداد وان تباطأ معدل نمو صادرات الدول النامية . هذا بينما استمرت دول شرق اوروبا في بذل الجهود لتطوير نظمها الاقتصادية بغية رفع انتاجية صناعاتها وكفاية استغلال مواردها وذلك بالتخفيف من المركزية والعناية بطلبات المستهلكين والربط بين أهداف الخطة وما يتم تصريفه من انتاج والعمل على تقوية الحوافز الاقتصادية . وفي الدول النامية في امريكا اللاتينية وآسيا وافريقيا فان المشكلة لا زالت هي رفع مستوى المعيشة حيث يحد معدل تزايد السكان من أثر التنمية الاقتصادية في زيادة الدخل الفردي .

هذا في الوقت الذي تثقل كاهلها اعباء الديون الخارجية فضلا عن عدم كفاية المساعدات الخارجية وكذلك فقدان التوازن بين اسعار المواد الاولية واسعار المواد الصناعية .

وبعد أن استعرض التقرير الوضع الاقتصادي الدولي في البلدان الصناعية الكبيرة (الغربية) وفي بلدان شرق أوروبا وفي البلدان النامية قدم عرضا لاهم التطورات في شتى مجالات الاقتصاد القومي خلال عام ١٩٦٥/١٩٦٦ في الجمهورية العربية المتحدة ، وقد صدر هذا العرض ببيان عن ميزانية الدولة وخطة التنمية . وبعد استعراضه لميزانية الدولة عن ١٩٦٦/١٩٦٧ ابدى رأيا حول ضرورة الاهتمام بموضوع تزايد الانفاق الجاري في ميزانية الخدمات بمعدلات اكبر من الزيادة في الايرادات العامة الامر الذي يتطلب العمل بكل الوسائل على تنمية هذه الايرادات حتى يكون الانفاق الجاري في حدود ايرادات السيادة وذلك دون الاعتماد في تمويل العجز الجاري على فائض قطاع الاعمال الذي ينبغي ان يوجه الى تمويل الاستثمارات .

ثم استعرض التقرير الارقام النهائية للمرحلة الاولى لخطة التنمية واستخلص منها بعض النتائج الرئيسية — وقد بلغت قيمة الاستثمارات التي نفذت خلال السنوات الخمس ١٥١٣ مليون جنيه أي حوالي ٩٦٪ من المستهدف — بلغ نصيب

القطاعات السلعية الانتاجية منهـا حوالى ٨٨٥ مليون جنيه بنسبة تنفيذ قدرها ٩٤٪ منها ٤٠٤ مليون جنيه (٢٦٫٧٪) لقطاع الصناعة و ٣٥٥ مليون جنيه (٢٣٪) لقطاعات الزراعـة والرى والصرف والسـد العالى و ٦٢٨ مليـون جنيه بنسبة تنفيذ قدرها ٩٨٫٩٪ .

وارتفعت القيمة الاجمالية للانتاج خلال السنوات الخمس من ٢٥٤٨ مليون جنيه الى ٣٤٧٤ مليون جنيه بنسبة ٨١٫٥٪ من الزيادة المستهدفة . كما ارتفع الدخل القومى من ١٢٨٥ مليون جنيه الى ١٧٦٢ بزيادة قدرها ٨٦٪ من المستهدف . لقد بلغ معدل النمو السنوى للدخل خلال سنوات الخطة الاولى ٦٫٥٪ على ان نصيب الفـرد فى اجمـالى الدخل لم يرتفع بنسبة مماثلة نظرا لزيادة السكان اذ ارتفع من ٥٠٫٢ جنيها الى ٥٩٫٨ جنيهـا . وارتفعت الاجور بنسبة ٦٠٪ وهى نسبة تفـوق كثيرا نسبة الزيادة فى الدخل . هذا بينما اتاحت الخطة فرص العمل لنحو ١٫٣٢٧٫٠٠٠ عامل جديد ليرتفع عدد العمـال الى ٧٫٣٣٠٫٠٠٠ عـامل . واستخلص التقرير من تحليله لهذه الارقام بعض النتائج :

● ارتفاع متوسط اجر المشتغل خلال سنوات الخطة بنسبة ٣١٫١٪ وهى نسبة تزيد كثيرا على نسبة الزيادة فى متوسط الانتاجية .

● الزيادة الكبيرة فى الاستهلاك النهائى والذى ارتفع من ١١٩٩٫٧ مليون جنيـه الى ١٧٦٢٫٣ مليون جنيه .

● اطراد عجز ميزان المدفوعات تبعا لزيـادة الاستهلاك وعدم توافر فائض للتصدير من جهـة والحـاجة الى استيـراد السـلع الوسـيطة والاستثمارية اللازمة لانجاز عملية التنمية من جهة أخرى .

واستعرض التقرير بعد ذلك «الانتاج والاسعار» خلال عام ١٩٦٥/١٩٦٦ ولكنه قصر استعراضه على مجال الصناعة نظرا لعـدم توافر البيانات الخاصة بالنتائج التى حققتها خطة التنمية فى مجال الزراعة عن عام ١٩٦٥/١٩٦٦ .

ففى مجال الصناعة ـــ فتحت ميـادين جديدة للنشاط الصناعى بتوسيع وتجديد اكثر الصناعات القائمة ، مما زاد من الانتاج والعمالة ، وادى ذلك الى استبدال بعض المنتجات المحلية بالواردات وايجاد فائض للتصدير من بعض المنتجات المصنعة وان لم يبلغ ذلك الفائض الاهداف المرسومة بسبب الزيادة الكبيرة فى الاستهلاك . وقد بلغت القيمة الاجمالية للانتاج الصناعى (باستثناء حلج وكبس القطن والطحن والمخابز وتعبئة الشاى والطبع والنشر وانتاج الورش الحكومية والمصانع الحربية للمجهود العربى) ١١٧٣٫٤ مليون جنيه فى عـام ١٩٦٥ بزيادة قدرها ٨٨ مليون جنيه عن العـام السابق واسهم قطاعا الغزل والنسيج والصناعات الغذائية وحدهما بحوالى ثلثيها وبلغ نصيب قطاع الغزل والنسيج من القيمة الاجمالية للانتاج الصناعى ٣٠٫٨٪ يليه قطاع الصناعات الغذائية بنسبـة قدرها ٢٤٫٢٪ ثم قطاعات الصناعات الهندسية والـكيماوية والاستخراجيـة بنسبـة ١٤٫٩٪ و ١١٫٤٪ و ١١٫٤٪ على الترتيب .

واما عن الاسعار فان عام ١٩٦٥ شهد ارتفاعا ملحوظا فى الاسعار وفى نفقـات المعيشـة وذلك بالمقارنة بالعام السابق ، فقد ارتفع الرقم القياسى لاسعار الجملة من ٤٥٣٫٢ فى ديسمبر ١٩٦٤ الى ٤٨٦٫٧ فى ديسمبر ١٩٦٥ (يونية / اغسطس ١٩٣٩ = ١٠٠٪) بزيادة قـدرها ٣٦٫٥ نقطة مقابل ٢٨٫٦ نقطة فى العام السابق . كما ارتفع الرقم القياسى لنفقات المعيشـة من ٣٣٨٫٦ فى ديسمبر ١٩٦٤ الى ٣٧٧٫١ فى ديسمبر ١٩٦٥ بزيادة قدرها ٣٨٫٠ نقطة مقـابل ٣٦٫٢ نقطة فى عام ١٩٦٤ .

ومن الاجـزاء الهامة فى التقـرير ذلك الجـزء الخاص بالتجارة الخارجية . ففى مجال التجارة الخارجية كان اهم ما تميز به عام ١٩٦٥ النشـاط الكبير فى الصـادرات بفضل الزيادة الـكبيرة فى صادرات القطن وصـادرات السلع المصنوعـة ونصف المصنوعة ـــ فقد ارتفعت قيمة الصادرات من ٢٣٤٫٤ مليون جنيه فى عام ١٩٦٤ الى ٢٦٣٫١ مليون جنيه فى عام ١٩٦٥ بزيادة قدرها ٢٨٫٧ مليون جنيه ، اما الواردات فقد بلغت قيمتها ٤٠٥٫٩ مليون جنيه بهبوط قدره ٥٫٨ مليون جنيه عن العام السابق ، الامر الذى ترتب عليه تراجع عجز الميزان التجارى من ١٨٠ مليون جنيه فى عام ١٩٦٤ الى ١٤٢٫٨ مليون جنيه فى العام التالى .

ويوضح التوزيع الجغرافى للتجارة الخارجية فى هذه الفترة تطورات هامة بالمقارنة بالعام السابق ١٩٦٤ . فالتبادل التجارى مع اوروبا الشرقية سجل تقدما ملحوظا ـــ فارتفعت قيمة الواردات منها من ٧٥٫٦ مليون جنيه الى ٩٠٫١ مليون جنيه كمـا ارتفعت حصتها فى اجمالى الواردات من ١٨٫٣٪ الى ٢٢٫٢٪ بينما بلغت قيمة الصادرات اليـها ١٢٧٫٧ مليون جنيه بزيادة قدرها ٢٢٫٦ مليـون جنيه عن العـام السـابق وارتفعت نسبتها الى اجمالى الصادرات من ٤٤٫٨٪ الى ٤٨٫٥٪ وهكذا سجل الميزان التجارى فائضا قدره ٣٧٫٥ مليون جنيه مقابل ٢٩٫٤ مليون جنيه فى ١٩٦٤ . وظلت الواردات من دول اوربا الغـربية التى تشـكل

ثلث اجمالى الواردات دون تغيير تقريبا اذ بلغت قيمتها ٨ر١٣٤ مليون جنيه ، أما الصادرات فقد بلغت ٨ر٥٤ مليون جنيه بنقص قدره مليونى جنيه وبذلك ارتفع عجز الميزان التجارى مع هـذه الدول من ٤ر٧٨ مليون جنيه الى ٨٠ مليون جنيه. وهبطت الواردات من الولايات المتحدة الامريكية من ٥ر١٢٣ مليون جنيه الى ٨٢ مليون جنيه أما الصادرات فلم يطرا عليها تغيير يذكر وبذلك اقتصر عجز الميزان التجارى معها على ٧ر٧٣ مليون جنيه مقابل ٨ر١١٥ مليون جنيه فى العام السابق . هذا وقد ظل حجم التبادل التجارى مع الدول العربية فى مستوى العام السابق وبلغت نسبته حـوالى ٨٪ بالنسبة لكل من الصادرات والواردات . أما التبادل مع دول الشرق الاقصى فقد سجل زيادة ملحوظة عام ١٩٦٥ بسبب نشاط التجارة مـع الصين والتوسع فى الاستيراد من الهند وبذلك ارتفعت نسبتـه من ٦ر٧٪ الى ٥ر١١٪ من اجمالى الواردات ومن ٨ر١٣٪ الى ٧ر١٥٪ من اجمالى الصادرات .

●

■ **الوطن العربى**

جبهة واحدة ضد عدو واحد

يجمع فى كل من **السعودية والاردن** وكفاح شعب **فلسطين** المسلح بقيادة **منظمة التحرير**، قد دخلت مرحلة جديدة من مراحل نضالها من اجل تطهير أراضيها من حـكم الرجعية والاغتصاب .

ويرى هؤلاء المراقبون ان حركة الثورة العربية تجتاز فى هذه الفترة مرحلة مد ثورى استردت فيها زمام المبادرة والهجوم واجتازت المرحلة التى بدت فيها القوى الرجعية الحاكمة فى بعض الدول العربية والدوائر الصهيونية فى اسرائيل ، فى وضع المهاجم النشط .

وتقول اخر الانباء الواردة عن **المملكة العربية السعودية** ــ حتى كتابة هذا التقرير ، انه قد جرت فى المملكة فى الايام الاخيرة « اوسع حملة تفتيش واعتقالات» بعـد ان وقعت سلسلة من عمليات المقاومة الوطنية ضد نظام الحكم فيها كان اخرها وقوع انفجارات فى مكتب كبير المستشارين العسكريين الامريكيين وفى وزارتى الدفاع والداخلية فى **الرياض** وادارة الامن العام **بالدمام** . وتفيـد الانباء ان **الامير فهد** وزير الداخلية قد اصدر قرارا باغلاق كل الحدود مع **اليمن** ، بزعم ان العناصر الوطنية التى تقوم بعمليات المقاومة « تتسلل من الجمهورية العربية اليمنية» . وتدبلغ عدد المعتقلين فى كافة مناطق السعودية مايزيد عن اربعمائة معتقل بينهم عدد من ابناء **اليمن والسودان والبحرين وعمان**.

وعلى اثر عمليات الانفجارات والاعتقالات ، اصدر ((**اتحاد شعب الجزيرة العربية**)) ــ وهو اهم التنظيمات الوطنية السرية التى تعمل ضـد الحكم القائم فى السعودية ــ سلسلة من المنشورات جاء فيها «ان من قبض عليهم ابرياء مما نسب اليهم . اما ابطال المتفجرات فما زالوا طلقاء يواصلون كفاحهم من اجل القضاء على حكم الرجعية والخيانة» وجاء فى هذه المنشورات ايضا «ان اتحاد شعب الجزيرة العربية يتحدى فيصل ان يشكل محكمة لمحاكمة من القى القبض عليهم ليثبت للشعب نزاهة قصده » . واضافت المنشورات ان اتحاد شعب الجزيرة «يتحمل مسئولية عمليات المقاومة هذه» .

لقد تبددت مزاعم حكومة فيصل عن عمليات التسلل من الجمهورية اليمنية، اذ استمرت عمليات المقاومة الوطنية بعد اغلاق الحدود مع اليمن . ومن اهم عمليات المقاومة هذه ، الانفجار الذى وقع فى النصف الاول من يناير الماضى فى حظيرة الطيران المخصصة لطائرات البعثة الامريـكية فى مطار الرياض العسـكرى ، ثم فى مقر قيـادة الجيش السعودى . واعقب ذلك انفجـار فى خط انابيب البترول الذى تملكه شركة **التابلاين** الامريكية . كما وقعت عدد من عمليات المقاومة حاولت اغتيال بعض المسئولين السعوديين الذين نجوا منها «بأعجوبة» بحد تعبير وكالات الانباء . وقد اثارت عملية ضبط قنابل زمنية فى مقر رئاسة الوزارة السعودية فى الرياض ، الشعور بالذعر والتوتر فى صفوف الامراء الى حد باتت معه احتمالات تفجر الخلافات فيما بينهم ، احتمالات قائمة بالفعل خاصة بعد تردد الانباء عن تسريح عدد من الضباط واحالتهم للتقاعد مما يفيد بأن العناصر الحاكمة فى السعودية باتت لاتأمن جانب ضباط الجيش وجنوده .

وفى **الاردن** ، تجددت الاضـطرابات واشتدت عمليات المقاومة الوطنية فى يناير الماضى ، احتجاجا على تجديد رياسة **وصفى التل** للوزارة . وينظر المراقبون الى اعادة التل لتشكيل الوزارة باعتبارها «مسرحية» تهدف الى التنكر والارتداد عن القرارات التى التزم بها وزير الخارجية الاردنى **اكرم زعيتر** فى **مجلس الدفاع الاعلى العربى** . وتشير الدوائر

المطلعة الى انزعيتر بعد عودته من اجتماع مجلس الدفاع اوضح للملك حسين خطورة التمادى فى سياسته وان تلك «غيرمفيد» وقدجمع زعيترحوله حوالى ٣٠ نائباووزير الداخلية لمعارضة اتجاة حسين لاغلاق معسكرات اللاجئين واتجاهه الى سحب الاعتراف بحكومة الثورة فى اليمن. ولمارفض حسين ، استقبال وزير الخارجية والداخلية ثم حل الملك البرلمان وكلف التل بتشكيل حكومة جديدة.

ومما زاد من دقة الازمة التى يعانيها الحكم القائم فى الأردن ، ان حكومة التل ابلغت **الامانة العامة للجامعة العربية** انها « قررت عدم الاشتراك فى مجلس الدفاع العربى الاعلى» ، واكدت نقضها لجميع القرارات التى التزمت بتنفيذها فيما يتعلق بالعمل العربى الموحد من اجل **فلسطين** . وتعللت بانها ترغب فى عقد مؤتمر القمة الرابع ويرصد المعلقون للشئون العربية الملاحظات التالية :

اولا : ان حكومة الأردن ترددت فى حضور مجلس الدفاع الاعلى الطارىء فى ديسمبر الماضى «تهربا من ادانتها بنقض جميع القرارات السابقة» .

ثانيا : عندما شعرت حكومة الاردن باجماع الدول

تعليق

مشروع الدستور الدائم

ينص الاعلان الدستورى الصادر فى ٢٦ مارس ١٩٦٤ على ان يقوم مجلس الامة بوضع الدستور الدائم للجمهورية العربية المتحدة ، وان يطرح مشروع هذا الدستور على الشعب للاستفتاء .

ولقد اشار السيد رئيس الجمهورية الى هذه المهمة فى مختلف خطبه . وشرع مجلس الامة فعلا فى اتخاذ الخطوات الكفيلة بانجاز ما نص عليه الاعلان الدستورى . وستبدأ لجنة الدستور بالمجلس فى عقد جلسات تسمع فيها آراء ممثلى القاعدة الشعبية بمختلف فئاتها .

والواقع ان مهمة وضع الدستور ليست عملية قانونية فقهية ، بل هى فى المحل الاول عمل سياسى . فالدستور ليس صياغة لنظريات مجردة ، ولكنه التعبير القانونى عن النظام السياسى فى صورته الحاضرة ، والمطلوب تحقيقها فى المستقبل . وكما ذكر السيد محمد ابو نصير رئيس اللجنة التحضيرية للدستور الدائم فى مؤتمره الصحفى الذى عقده فى يوليو الماضى : « ان فكرة الدستور ليست منفصلة عن فكرة الجماعة السياسية . وعملية وضع الدستور ليست دائما عملا استنباطيا ومنطقيا يقوم على التصور التجريدى للامور ، ولكنها فى الحقيقة عملية سياسية تعيش فى الواقع وتنبع منه . وعن طريق هذه العملية تؤكد القوة السياسية مكاسب انتصاراتها فتفرض عن طريق الدستور فلسفتها السياسية والاجتماعية والقانونية »

والنظام السياسى ـ كما يقول الميثاق ـ هو الانعكاس المباشر للاوضاع الاقتصادية السائدة ، والتعبير المباشر عن المصالح المتحكمة فى هذه الاوضاع الاقتصادية .

ولقد كان تحالف الاقطاع ورأس المال هو الذى فرض التخلف الاقتصادى على جماهير شعبنا ـ وحدد بالتالى نظام الحكم فى بلادنا ، اذ كانت القوة الاقتصادية فى مصر قبل الثورة فى يد هذا التحالف الرجعى وكان محتما ان تكون الاشكال السياسية بما فيها الاحزاب تعبيرا عن هذه القوة وواجهة ظاهرة لهذا التحالف .

ومن هنا كان وضع النظام السياسى الذى يتضمنه الدستور مرتبطا باسقاط هذا التحالف ، وتجريد الرجعية من اسلحتها . ولقد اثبتت التجربة ـ وهى مازالت تؤكد كل يوم ـ ان الثورة هى الطريق الوحيد الذى يستطيع النضال الوطنى ان يعبر عليه من الماضى الى المستقبل . انها الطريق الوحيد للتحرر من التخلف بهدف تغيير المجتمع .

والثورة ليست مهمة محددة لها بداية ونهاية ، بحيث يأتى وقت يقول فيه الشعب لقد انتهت الثورة . على العكس ، ان الثورة ـ كما يقول المناضل جمال عبد الناصر ـ مستمرة . والدستور هو الصياغة القانونية لاستمرار الثورة. لان « دولة الثورة يجب ان تقوم على اسلم الاسس واصلب القواعد »

والهدف الرئيسى من عمل الدستور هو ضمان استمرار اسقاط تحالف الرجعية ورأس المال المستغل ، وافساح المجال للتفاعل الديمقراطى بين قوى الشعب العاملة ـ ذلك التفاعل الذى يتم من اجل تحقيق مبدأ تذويب الفوارق بين الطبقات . فكما يقول الميثاق : ان الطريق الاشتراكى بما يتيحه من فرص لحل الصراع الطبقى سلميا ، وبما يتيحه من امكانية تذويب الفوارق بين الطبقات يوزع عائد العمل على كل الشعب طبقا لمبادىء تكافؤ الفرص .

هذا هو المضمون العملى الواقعى لاستمرار الثورة ولتقنينها . ومن اجل هذا الهدف تقوم دولة الثورة وتبنى مؤسساتها وتحدد اعمالها وتنظم العلاقات بين هذه المؤسسات وبعضها البعض

وقد يكون من المفيد ان نورد هنا ـ وبالقدر الذى يسمح به هذا التعليق الموجز ـ مثلين لمبادىء دستورية جرت العادة على اعتبارها من الحقائق الثابتة المجردة ، فى حين انها ليست اكثر من تعبير قانونى عن مصالح اقتصادية سائدة ـ صاغ فلاسفتها ومفكروها وفقهاؤها الدستوريون النظريات التى تعبر عن هذه المصالح وتدعم مواقعها فى المجتمع.

١ ـ نظرية النيابة عن الامة كوسيلة لممارسة الديمقراطية . نشأت هذه النظرية فى كتابات القرن الثامن عشر وعند وضع دستور الثورة الفرنسية ، وعرضت على انها البديل للديمقراطية المباشرة التى اصبح من المستحيل ممارستها عمليا . والواقع كما يثبت ذلك علماء القانون الدستورى ان فلاسفة القرن

العربية على حضور المؤتمر (من ٧ الى ١٠ ديسمبر) قررت الاشتراك فيه على امل تعاونها مع بعض الحكومات الرجعية لمنع اتخاذ اى قرار . **ثالثا** : ثم عادت حكومة الاردن مرة اخرى لكى تتهرب حتى من موافقة وزير خارجيتها على بعض قرارات المجلس فعزلت وزير الخارجية وشكلت وزارة جديدة . **رابعا** : لقد بات تواطؤها مع السعودية واضحا عندما اعلنت انها لن تسمح بدخول القوات العربية الا اذا دفعت الدول العربية ــ مسبقا ــ التزاماتها المالية حتى قبل بحث المسألة، وعلى الفور وقف مندوب السعودية ليقول ان حكومته لن تدفع التزاماتها المالية «الا اذا عقد مؤتمر القمة العربى الرابع » .

ومن المعروف ان عمليات المقاومة الوطنية قد اشتدت فى الشهر الماضى ضد نظام الحكم القائم وقد توالت الانفجارات بالقرب من مكتب وصفى التل ومنزل وزير البلاط وفى دار الاذاعة . وقد بلغت اعمال المقاومة الوطنية هذه حدا فكر معه الملك حسين فى فرض الاحكام العرفية خاصة بعد قيام كثير من مظاهرات الفلسطينيين التى طالبت بالسلاح وتدعيم الخطوط الامامية والموافقة

الثامن عشر ومشرعى عام ١٧٨٩ كانوا ينفرون من الجماهير ــ من الدهماء . ولقد وجدوا فى نظرية النيابة عن الامة وسيلة سياسية لتكوين مجالس منفصلة عن الشعب . وصحب ذلك تقييد حق التصويت ــ اذ اشترط فى الناخب شروط مالية معينة لا تبقى داخل جماعة الناخبين سوى الطبقة البرجوازية . وقال فقهاء القانون الدستورى وقتئذ ان السيادة ليست للافراد ولكن للامة ككل ــ وهذه تملك ان تحدد الشروط التى لا بد من توافرها ليكون الفرد قادرا على ان يعين النواب الذين يمارسون السيادة عمليا وهكذا استطاعت الطبقة البرجوازية ان تثبت مراكزها دستوريا ، وان تحتكر العمل السياسى وتفرض مصالحها دستورا يخضع له الشعب بجميع طبقاته.

ولهذا فان مهمة وضع الدستور لاى بلد تتطلب اجراء تحليل عام وموضوعى للواقع الاقتصادى والاجتماعى والسياسى كى تتضح الرؤية امام الشعب وهو يبدى رأيه فى الدستور المعروض عليه . فلا يمكن الاقتصار على نص الدستور وحده للحكم على الجماعة السياسية بانها تطبق مبدأ سيادة الامة او الشعب. فمما لاشك فيه ان السلطة الشعبية فى نظام اجتماعى يملك فيه السلطة عدد محدود من اصحاب الاملاك الخاصة او طائفة حاكمة من البيروقراطية الادارية لا تكون الا وهما ــ حتى لو اعلنها الدستور نفسه .

ومن هنا تتضح ضرورة ربط الديمقراطية بالاشتراكية بالثورة على النحو الذى جاء فى الميثاق . فتكون الديمقراطية هى الترجمة الصحيحة لكون الثورة عملا شعبيا ، وبهذا تتضح طبيعتها ــ فهى ليست فقط حكم الشعب ، ولكنها ايضا نضال الشعب من اجل تحقيق مكاسب جديدة لقواه العاملة ولن يتم هذا الا بالاشتراكية التى هى الترجمة الصحيحة لكون الثورة عملا تقدميا. وتصبح الديمقراطية والاشتراكية امتدادا واحدا للعمل الثورى .. بمعنى النضال الشعبى لتحقيق تنظيم اقتصادى معين يستهدف خير المجموع ورفع مستوى معيشة الفرد

ب ــ وثمة مثل آخر هو نظرية الحريات العامة . فلقد نشأت هذه النظرية ايضا فى القرن الثامن عشر وتضمنها اعلان حقوق الانسان الذى اصدرته الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ . وتكشف دراسة هذا الاعلان عن انه لم يكن ترديدا لمبادىء نظرية وضعها مسبقا رجال الفكر والعقيدة والمبدأ . الحقيقة ان كل فقرة فيه تتصدى لنوع معين من المظالم كانت تحدث واقعيا فى ظل النظام الملكى المطلق السابق على الثورة واستطاعت الطبقة البرجوازية ان تسخر الثورة للدفاع عن حقوقها واسباغ الصفة المطلقة شبه الدينية على هذه الحقوق . ويكفى لاثبات الانحياز الطبقى لهذا الاعلان انه من بين مختلف الحقوق التى تضمنها ــ فان الحق الوحيد الذى وصف بانه « مقدس ولا يمس » هو حق الملكية الفردية .

ولكن حقوق الانسان والحريات العامة اذا نظرنا اليها من زاوية الذين لا يملكون، اى جماهير العمال والفلاحين الذين طال استغلالهم وكانوا وقود الثورة البرجوازية وضحاياها فى نفس الوقت ــ فان المشكلة لن تكون مقصورة على تقرير الحريات واعلانها ــ بل ان المطلب الاساسى والعاجل لهذه الطبقات هو « التحرر » من التسلط الاقتصادى والاجتماعى والسياسى، ليمكنها بعد ذلك من ان تمارس الحريات العامة وتتمتع بحقوق الانسان .

لهذا حرص الميثاق على ان يعلن انه لابد ان يستقر فى ادراكنا انه لا حرية للفرد بغير تحريره اولا من براثن الاستغلال . ان ذلك هو الاساس الذى يجعل الحرية الاجتماعية مدخلا الى الحرية السياسية ــ بل هى مدخلها الوحيد. ونص الميثاق على ضرورة تحقيق ضمانات ثلاثة يملك معها المواطن حريته السياسية ، ويستطيع بها ان يشارك بصوته فى تشكيل سلطة الدولة التى يرتضى حكمها : ان يتحرر من الاستغلال فى جميع صوره ــ وان تكون له الفرصة المتكافئة فى نصيب عادل من الثروة الوطنية ــ وان يتخلص من كل قلق يبدد امن المستقبل فى حياته .

ان تحقيق هذه الضمانات وحمايتها هو المهمة الدائمة لدولة الثورة المستمرة. والقصد من وضع الدستور هو تنظيم المؤسسات التى تمارس الدولة الثورية عن طريقها مهمتها . وبهذا يصبح الدستور وثيقة ثورية يسجل فيها الشعب ارادته لتغيير المجتمع والقضاء على استغلال الانسان للانسان .

د. وليم سليمان

على دخـول القوات العـربية . وتقول وكالات الانباء ان حركة تسليح سكان الضفة الغربية «على اشدها» وان الحكومة الاردنية تتخذ التدابير العنيفة لمواجهة حركة التسلح هذه .

وفى **اسرائيل،** تزايدت اعمال الفدائيين الفلسطنيين المسلحة ، الى الحد الذى اضطر معه وزير خارجية اسرائيل الى القول « ان هجمات التخريب ـ كما اسماها ـ داخل اسرائيل هى مشكلة اسرائيل الاولى الان» . وتقول الانباء ان المنظمات الفدائية الفلسطينية السرية التى تعمل داخل اراضى اسرائيل ، وهى **((العاصفة)) و ((ابطال العودة)) و ((فرقة عبد القادر الحسينى)) و ((فرقة عبد اللطيف شرورو))** ،

وتعتقد الدوائر العربية ان اشتداد حملات المقاومة فى كل من السعودية والاردن واسرائيل ، ليست فقط تعبير عن ظاهرة المد الثورى التى تجتازها الحركة الوطنية العربية ، فقط ، وانما هى ايضا ردا من العناصر الوطنية المناضلة على عمليات التواطؤ والتنسيق التى تجلت بوضوح خلال الفترة الاخيرة بين السلطات السعودية والاردنية والاسرائيلية بمساندة الدول الاستعمارية فى الغرب.

●

■ **سوريا**

الافاق الجديدة لمعركة البترول

يرى المراقبون التقدميون ان الاسابيع التى انقضت منذ انفجار الازمة ـ قد ساعدت بشكل كبير على تبديد الكثير من السحب المضللة التى اطلقتها الشركة ومن خلفها ابواق الدعاية الاستعمارية وعملاؤها من الرجعيين العرب لتشويه حقيقة المعركة وصرف الانظار عن حقيقة النهب المنظم الذى تقوم به احتكارات النفط فى المنطقة العربية . وان سوريا صامدة على الجبهتين اللتين تعملان معا وفى تنسيق تام ـ ضدها ـ فمن ناحية هناك حالة التوتر الذى تفرضه اسرائيل بعدوانها المستمر والمتكرر على الحدود السورية والتهديدات الاسرائيلية بشن هجمات واسعة ضد سوريا ـ ومن الناحية الاخرى فان سوريا صامدة فى وجه محاولات شركة نفط العراق للضغط المباشر عليها . هذا الضغط الذى يتمثل فى وقف ضخ النفط فى الانابيب ومحاولة الشركة ضرب بلد ـ عربى ببلد عربى آخر ـ حينما أوعزت الى بعض الصحف بان تذيع ان الشركة يمكنها تعويض بترول كركوك من الكويت وايران وليبيا والجزائر والخليج العربى وان الشركة سوف تنتهز الفرصة لتحقيق مطالب الكويت القديمة التى سبقت الازمة والتى تتمثل فى طلبها زيادة الانتاج وكذلك ما اشاعته الشركة وابواقها من انها تدرس مشروع انشاء خط انابيب لتستغنى البصرة به عن الخط المار فى الاراضى السورية .

وقد تشكلت اللجنة العليا للبترول برياسة **السيد يوسف زعين** رئيس الوزراء واعلنت اللجنة ان مهمتها « لن تقتصر على التوعية الشعبية والندوات التوجيهية بل ستتعدى ذلك الى اتاحة الاتصال الدائم مع جميع ابناء الشعب العربى المؤمنين بان ثروات وطنهم يجب ان تكون فى ايدى الشعب العربى » كما ان اللجنة العليا ستقيم الصلات مع جميع المنظمات الشعبية العاملة فى مضمار قضية البترول فى الوطن العربى » .

وقد لقيت الحكومة السورية تأييدا واسعا ودعما لموقفها من القوى الثورية والتقدمية العربية فقد اعلن المناضل **جمال عبد الناصر** «اننا نؤيد سوريا فى نزاعها على انابيب البترول ـ فهذه القضية قضية عادلة وانابيب البترول هى نفسها التى نسفها الشعب السورى البطل اثناء العدوان علينا » .

ومن لبنان توجهت الوفود العمالية والشعبية وفود من جبهة الهيئات التقدمية الى دمشق لتعلن تأييدها ومساندتها وأكد البيان السورى الجزائرى المشترك موقف الجزائر الى جانب سوريا . ومن قلب الجزيرة العربية ارتفع صوت « اتحاد شعب الجزيرة » . فى منشوراته يعلن تضامن الشعب العربى فى الجزيرة العربية مع الشعب السورى فى نضاله وقد شهدت دمشق فى ١٥ يناير اكبر مظاهرة عمالية لتأييد كفاح شعب الحزب العربى عندما انعقد فيها المؤتمر الثالث لنصرة عدن .

وقد سعت الحكومة السورية لتنبيه الرأى العام العالمى لحقيقة موقفها وكسب تأييدها وعونها وقد سافر السيد ابراهيم ماخوس الى موسكو . وقد اعلن الاتحاد السوفيتى وبعض البلدان الاشتراكية استعدادهم لشراء البترول . كما سافر ابراهيم ماخوس الى باريس وعقد سلسلة من المباحثات مع الجنرال ديجول والحكومة الفرنسية ـ وقد صرح انه اتجه الى فرنسا على اساس ما اظهرته الحوادث من قبول فرنسا عقد اتفاقية مع الجزائر حصلت الجزائر بموجبه على ٧٥ ٪ من ارباح البترول وكذلك عدم التزام فرنسا الكامل بسياسة الغرب فى مواقفه الدولية وموقفها من حلف الاطلنطى والحرب العدوانية فى فيتنام .

ويرى المراقبون ان اصرار الشركة على تحديها

للحكومة السورية ـ وقبولها ان تتحمل في سبيل ذلك خسارة يومية اكثر من ١/٤ مليون جنيه ولا تقبل ان تدفع خمسة ملايين جنيه لتسوية النزاع ـ انما يضع علامة استفهام كبيرة على حقيقة موقف الشركة والاهداف البعيدة لها . هذه الاهداف التى بدأت تنكشف امام الراى العام العربى ـ ويرى المراقبون ان الاحداث التى توالت مع العراق بشكل خاص خلال الاسابيع الماضية جعلت مركز الثقل فى معركة البترول ينتقل من دمشق الى بغداد وجعل الامر يبدو كما قال السيد **اديب الجادر** وزير الصناعة العراقى السابق واحد خبراء النفط المعروفين « ان المقصود هو بترول العراق وليس انابيب سوريا » .

فبعد ان اعلنت حكومة العراق تأييدها لموقف سوريا ورفض العراق محاولات الشركة ظهر ان الخلاف هو بين سوريا والعراق وليس بين الشركة من ناحية وبين سوريا والعراق من ناحية اخرى ـ واصرار العراق على نيل حقوقه كاملة ورفض الحكومة لفرية حجة «**الظرف القاهر**» التى حاولت الشركة تصوير النزاع بها ـ بعد هذا كله هبت القوى الوطنية والتقدمية العراقية تدعو الى انتهاج سياسة وطنية تهدف فى المدى الطويل الى السيطرة المباشرة للدولة على هذا المورد الاساسى فى جميع مراحله وحتى يتحقق هذا الهدف البعيد فانه يتعين اولا تخفيض مساحات ومدة الامتيازات الحالية مع شركات النفط العاملة فى العراق وتعديل الشروط باستمرار على ضوء التطورات المتلاحقة فى اساليب الاستثمار النفطى فى العالم وثانيا انشاء صناعة نفطية مستقلة عن طريق قيام شركة النفط الوطنية باستخراج النفط وتسويقه .

وفى الوقت الذى يواصل **كريستوفردالى** مدير شركة نفط العراق ضغطه ومساوماته مع حكومة العراق نيابة عن شركات النفط العاملة فى العراق مستغلاان ٨٢ ٪ من ميزانية العراق من عائدات البترول وان دخل الحكومة العراقية من هذه العائدات بلغ فى عام ٦٥ حوالى ١٤٠ مليون دينار كما تبلغ عائدات حكومة العراق من حقول شركة نفط العراق وحدها نحو ٨٥ مليون دينار . فى نفس الوقت تهب الرجعية العراقية مدافعة عن مصالح الاحتكارات البترولية وتتسع حملتها المحمومة لارهاب الحكومة العراقية واخضاعها لمطالب شركات النفط .

فقد تقدم فائق السمرائى نقيب المحامين وحسين جميل وزير العدل السابق ومحمود الدره وهو ضابط متقاعد وكاتب سياسى ـ تقدموا بمذكرة لرئيس الجمهورية العراقية نشرتها جريدة صوت العرب العراقية وقد جاء فى المذكرة انه كان على الحكومة العراقية ان تتفق مع سوريا مسبقا على الاجراءات التى تتخذ لتحقيق مطالب سوريا وعدم اللجوء الى اتخاذ اجراء يؤدى لتوقف ضخ النفط عبر الاراضى السورية ، واشاد الثلاثة الى ان وقف ضخ النفط من شأنه ان يلحق بالعراق اضرارا تزيد على مصالح شركات النفط واكثر كثيرا مما يفوت على سوريا من منافع ، وحث فائق السمرائى المسئولين العراقيين على دراسة مشروع مد خط للنفط من كركوك فى الشمال والبصرة فى جنوب العراق للاستغناء عن خط الانابيب المار بسوريا وقال ان انشاء مثل هذا الخط سيجعل العراق هو الذى يملى ارادته لا ان يكون خاضعا لارادة ومشيئة الاخرين .

ووسط هذه الصيحات انبرى احد وزراء نورى السعيد ونشر مقالا فى الصحف يطالب بتحويل الانابيب الى البصرة ويتهم سوريا بمحاولة خنق مصالح العراق ، وصيحة اخرى تنادى باستخدام العراق لحقه المشروع فى حماية انتاجه ودخله اى استخدام القوة ضد سوريا لتحرير البترول وشحنه من ميناء بانياس .

ويرى المراقبون ان الهدف البعيد من وراء هذه الحملة الرجعية هى مساندة الشركة الاحتكارية وغيرها من شركات النفط العاملة فى العراق فى مساعيها وضغطها على الحكومة العراقية واجبارها على توقيع الاتفاقية السرية التى كانت قد اعدتها حكومة عبد الرحمن البزاز فى شهر مايو الماضى ولم تستطع الاعلان عنها او توقيعها فى مواجهة الرأى العام العراقى ، وترى شركات النفط ان توقيع هذه الاتفاقية يحل المشاكل المعلقة لفترة طويلة من الجانبين والهدف الرئيسى منها هو الغاء او نسف القانون رقم ٨٠ الذى صدر فى ديسمبر ٦١ هذا القانون الذى حدد مناطق الاستثمار لشركات النفط بما يعادل اقل من نصف فى المائة من مساحة العراق والقانون رقم ٨٧٠ الذى اعاد للحكومة حقولا مكتشفه اهمها شمال الرميله الذى يقدر النفط الكافى فيه ١٤٠٠ مليون طن منها حوالى ١٠٠٠ مليون طن من الترسبات المنتجة الرئيسية وحوالى ٤٠٠ مليون طن موزعة بين ترسبات ثانوية اخرى .

ولقد تم الاتفاق فى الاتفاقية السرية على اعادة المناطق البترولية التى تعتبر اجزاء من حقول ومناطق بترولية يجرى استثمارها حاليا من قبل الشركات او تعتبر امتدادا طبيعيا للحقول البترولية التى تنتج فيها حاليا ، كما وافقت الحكومة السابقة على تخصيص المناطق الاضافية كاحتياطى للشركات مقابل زيادة الحد الادنى للانتاج ولعل اخطر ما فى الاتفاقية السرية اتفاق جديد بين شركة نفط العراق والشركة الوطنية لتأسيس شركة جديدة برأسمال مشترك أى عودة الرأسمال الاجنبى ليسيطر من جديد . وهو ما يعتبر تراجعا عن

محاولات قيام صناعة بترولية عراقية والتي تمثلت في انشاء الشركة الوطنية ».

ويتطلع المراقبون نحو **مؤتمر البترول العربي** يوم ٦ مارس في بغداد لان الموضوعات التي ستعرض في هذا المؤتمر عن استغلال البترول العربي بواسطة الدول المنتجة نفسها وتسويق البترول العربي وتقييم الانتاج لابد وان ينعكس عليها بشكل يحدد الدروس المستفادة من الازمة الحالية . كما ان المختصين بشئون البترول يرون ان الوقت قد حان لمواجهة اجماعية لقضية البترول وضرورة وضع المشروعات البترولية العربية التي لم تخرج حتى الان عن حيز الدراسة أو النقاش أو القرارات الشكلية دون أي عمل ايجابي حازم ــ موضع التنفيذ فورا وبدون ابطاء ، ومن امثلة هذه المشروعات تنفيذ اتفاقية تنسيق السياسة البترولية بين البلاد العربية ومشروع القانون الموحد للبترول العربي ومشروع معهد البحوث البترولية العربية ــ ومشروع ناقلات البترول العربية واخيرا مشروع اقامة منظمة عربية للبترول باعتباره السبيل الوحيد لتنفيذ اتفاقية تنسيق السياسة البترولية في كافة مجالات هذه الصناعة ودعم القدرات الفنية ».

●

الكونجو ــ كينشاسا

العداء لبلجيكا ... الصمت في أمريكا ... والتأييد ضرورة

يعتقد المراقبون أن **الكونجو ــ كينشاسا** مقبل على مرحلة دقيقة من حياته ، وذلك بعد قرار الجنرال **جوزيف موبوتو** رئيس جمهورية الكونجو ، بتحويل شركة **اتحاد مناجم كاتنجا العليا** ، الى شركة كونجولية وطنية ، بعد ان انقضت فترة الانذار الذي وجهه في اواخر العام الماضي لاتحاد المناجم ، والذي أمهله فيه حتى ١٥ يناير لدفع ١٥٠ مليون دولار « قيمة النحاس الذي صدره الاتحاد خارج البلاد دون اذن من حكومة الكونجو » ومن المعروف ان ممتلكات الاتحاد في الكونجو تقدر بـ ٨٠٠ مليون دولار . وتملك **بلجيكا** غالبية اسهمه بالاضافة الى **شركة امتيازات تنجانيقا (بريطانية)** التي تملك ١٤٫٥ ٪ من اسهمه . وكان الاتحاد قد بدأ امتيازه في التنقيب عن معادن **الكونجو** عام ١٩٠٦ . وكان يمول نصف ميزانية الكونجو من الضرائب التي يدفعها بالاضافة لحصة الكونجو فيه (١٧٪) وعائداته منه . كما انه كان يحقق ٧٠ ٪ من دخل الكونجو من العملات الصعبة . وكان يضم كذلك ٣٠ شركة ومصرفا في الكونجو . وفي احصائية للاتحاد عام ١٩٦٠ انه استخرج من مناجم الكونجو في ذلك العام وحده ٣٠٠ الف طن نحاس و ٨٢٤٠ طن كوبالت و ١٨٤ الف كيلو جرام فضة . وقد حقق الاتحاد في عام ١٩٦٥ وحده ١٦٫٤ مليون دولار .

ورغم ان احدا لا يستطيع ان يتكهن بما يمكن ان تقدم عليه حكومة موبوتو من خطوات اخرى خاصة اذا ووجه قرارها الاخير برد فعل عدائي عنيف من بلجيكا ، الا ان الدوائر الرسمية في **بروكسل** أبدت « ارتياحا مؤقتا » لان قرار موبوتو « لم يشر الى الاستيلاء على ممتلكات الشركة **العامة** » البلجيكية وهي اضخم احتكار اجنبي في الكونجو وتشارك في ملكية كثير من الشركات الاجنبية العاملة فيه بما في ذلك اتحاد المناجم ». وكان رجال الاعمال البلجيك يصرحون دائما بأنه « اذا مسست الشركة العامة فانك توقع نفسك في متاعب لاحد لها » ويصف المراقبون ارتياح الدوائر البلجيكية بانه « ارتياح سابق لاوانه » ».

ومن الملاحظ ان الدوائر الوطنية والتقدمية خارج الكونجو ، قابلت قرار حكومة موبوتو بدهشة غير خافية ابدت معها عديدا من مظاهر التحفظ وتعتقد هذه الدوائر ان موقف موبوتو ينبيء عن احتمال تطورات هامة يصعب الان تحديدها بدقة . ورغم اجماع المعلقين التقدميين على ضرورة مساندة القوى الوطنية والثورية في افريقيا وخارجها لموقف موبوتو من الاحتكارات البلجيكية الذي اتسم بالجرأة والعداء لها ، الا ان البعض منهم احجم عن الخوض في أي حديث عن طبيعة القوى الاجتماعية التي يمثلها موبوتو . وكان واضحا ان احدا منهم لم يستخدم لفظ « وطني » أو « ثوري » بالنسبة لموبوتو ، وان قالها بعضهم بين السطور ، اما البعض الاخر فقد ابدى تحفظه لاطلاق هذه الصفة لاعتبارات تاريخية ، والبعض الاخر اتهمه صراحة بأنه يعمل لمصلحة الاحتكارات الامريكية او الفرنسية .

أما السؤال الذي يمكن استنتاجه ويثير تحفظ كثير من الدوائر الوطنية والتقدمية فهو : ما سر الصمت الواضح الذي تلتزمه **الولايات المتحدة الامريكية** ازاء سياسة حكومة موبوتو ؟ والحقيقة ان اجابة واحدة واضحة على ذلك لم تشر اليها هذه الدوائر حتى كتابة هذا التقرير . أما **الايكونوميست البريطانية** فتعبر في عددها (٧ ــ ١٣ يناير) عن رأيها في ذلك فتقول « ان الجنرال موبوتو لا يقف وحده كخصم لشركة اتحاد مناجم كاتنجا . اذ تختفي وراءه الشركات **الامريكية والايطالية واليابانية** التي تساند موقفه » وتلمح **النيوزويك**

الامريكيــة الى ذلك وان اكتفت بالاشــارة الى الشركات اليابانية بشكل خــاص . وتضــيف الايكونوميست ــ فى عطف غير خاف على اتحاد المناجم ــ ان نجاح موبوتو فى موقفه ، متوقف الى حد كبير على ما اذا كان فى وســع امريكا وايطاليا واليابان ان تمده بالخبراء ورءوس الاموال اللازمين بدلا من الخبراء البلجيك ورءوس الاموال البلجيكية والبريطانية ، أم لا .

وتعود قصة المعركة بين موبوتو وبلجيكا ، الى ذلك الوقت من نجاح الانقلاب العسكرى الذى قام به موبوتو فى نوفمبر من عام ١٩٦٥ والذى اطاح بحكومة **ايفارست كيمبا** التى اعقبت حكم **مويس تشومبى** الذى امتد من منتصف عام ١٩٦٤ حتى اكتوبر ١٩٦٥ . وكان تشومبى قد منح بلجيكا اثناء حكمه عددا من الامتيازات اثارت عليه سخط الاحتكارات الامريكية . وبعد ان تولى موبوتو الحكم ، اتخذ عددا من الاجراءات التى ابدت حكومة بلجيكا ازاءها الشعور بالقلق وعدم الرضا . وكان أهم هذه الاجراءات ما عرف بقانون ((**باكاجيكا**)) الذى صدر فى يونيو ١٩٦٦ ويقضى بضرورة تجديد التراخيص القديمة الممنوحة للشركات الاجنبية فى الكونجو (منظمها بلجيكية) واحاط القانون تجديد التراخيص بشروط عديدة اهمها ان تستولى حكومة الكونجو على نسبة معينة من الاسهم تحددها تبعا لظروف كل حالة على حــدة . وقد ادى تطبيق القانون الى سحب تراخيص ٥٠ امتياز بلجيكى وبريطانى لاستغلال المناجم . وما لبث موبوتو ان اصدر قرارا يقضى بأن تكون كينشاسا (العاصمة) مقرا للشركة العــامة البلجيكية واتحــاد مناجم كاتنجا . وطالب بضرورة متابعة حكومة الكونجو لاعمال ادارات هذه الشركات التى كانت قد نقلت مقر اداراتها الى بروكسل فور استقلال الكونجو ، ثم طالب موبوتو بعد ذلك بعائدات اكبر للكونجو من ارباح الشركة العامة واتحاد المناجم . ووصل صراع موبوتو مع بلجيكا منعطفا جادا عندما رفض دفع ٤٠ مليون دولار زعمت بلجيكا انهم «تعويضــا» عما اسمته «بديون الكونجو لدى بلجيكا» ، وقالت انها بلغت ٩٠٠ مليون دولار منها ٥٠٠ مليون ديون خارجية ضمنتها بلجيكا ومنها كذلك ٢٥٠ مليون على شكل سندات كونجولية . ولكن موبوتو لم يعترف بهذا الدين الذى سحبه الحكام البلجيك خلاله فترة حكمهم له وبددوه لمصلحتهم .

ولم تمض فترة على رفض موبوتو ، الا واعلن على العالم نبأ اكتشافه واحباطه لمؤامرة للاحاطة بحكمه اتهم بلجيكا بوجه خاص بالوقوف وراءها ، وان وجه التهمة كذلك الى ((الامبريالية العالمية)) بنص تعبيره . ثم اعلنت وكالات الانباء بعد ذلك عن اكتشاف معسكر سرى للتدريب العسكرى فى جنوب **فرنسا** يدار لحساب تشومبى ((رجل بلجيكا المفضل)) . وتناقلت الانباء ايضا وقتها عن تمرد قوات المرتزقة التى احضرها تشومبى ومساعديه السابقين ، واشتباكها بقوات موبوتو . وتوالى هجوم موبوتو بعد ذلك على بلجيكا ، واتخذ من استحضار عدد من المرتزقة الى حدود **انجولا** تحت سمع وبصر **البرتغال** ، وتنقلات تشومبى ما بين بلجيكا والبرتغال **واسبانيا** ، دليل جديد على اصرار بلجيكا على اسقاطه بالتعــاون مع البرتغــال واســبانيا . ومن ثم اصــدر موبوتو اوامره فى نوفمبر الماضى باغلاق بعض القنصليات الاجنبية فى كينشاسا ، كما هدد بقطع العلاقات الدبلوماسية مع البرتغال واسبانيا .

والذى يبعث على الدهشة ان **جورج جودلى** سفير امريكا فى الكونجو ، كان قــد ســافر فى اكتوبر الماضى الى **واشنطون** معلنا انه سيجرى مع حكومته ((مشاورات لاجل غير مسمى)) . وقالت وكالات الانباء يومها انه من المتوقع الا يعود الى مقر عمله . ولم يقال وقتها ان ذلك قد تم بناء على اوامر حكومة كينشاسا . ولكن اوساط الخارجية الامريكية صرحت فى ذلك الوقت بأن سفر جودلى ((ليس دليلا على توتر العلاقات بين امريكا والكونجو)) . وجدير بالذكر ان امريكا قدمت الى الكونجو خلال الشهور القليلة الماضية قرضا قيمته ١٥٤٢ مليون فرنك كونجولى لتشترى منه حكومة الكونجو مواد غذائية امريكية . وبمقتضى هذا القرض قــدمت امريكا للكونجو قطنا وارزا ودقيقا بما قيمته ٥ر٣ مليون دولار . ومن المعروف ان امريكا تبدى اهتماما واضحا بالــكونجو منــذ عام ١٩٥٥ بشكل خاص ، بعد زيارة **جورج آلن** وكيل خارجيتها فى ذلك الوقت ، للكونجو . وقد وقعت فى ١٥ يونيو ١٩٥٥ اتفاقية مع بلجيكا يحرم بمقتضاها ان تصدر بلجيكا يورانيوم الكونجــو لدولة اخرى غير الولايات المتحدة . (ينتج منجم **شنكولوبوى** فى الكونجو وحده ٦٠ ٪ من يورانيوم العالم) . ومعروف ان لاحتكارات **روكفلر ومورجان ورينولدز** نسبة كبيرة من رءوس الاموال فى شركات الــكوبالت والماس واستخــراج البترول الخام والمطاط فى الكونجو . كما يرجح بعض المراقبين ان تشترى الشركات الامريكية نسبة الــ ٤٠ ٪ (او معظمهــا على الاقل) مــن اســهم الشركة الكونجولية الجديدة التى انشأها موبوتو والتى حدد نسبة ما تملكه الحــكومة الكونجــولية من اسهمها بـــ ٦٠ ٪ . وجدير بالذكر ان امريكا كانت قد قدمت للكونجو خــلال عام واحــد من السنوات الاخيرة معونات عسكرية تقدر بـــ ٣ر٣ مليون جنيه استرلينى . مما دفع ببعض المعلقين الى القول بأن امريكا تعتقد ــ فيما يبدو ــ انها قدمت من الاموال للكونجو القدر الكافى لان تنفرد وحدها بالكونجو وان تبدأ عمليات النهب بلا حدود

ومن الاجراءات التى اتخذتها بلجيكا ردا على حكومة موبوتو ، بالاضافة الى احتضان تشومبى

وتمويل عمليات انتقاله لتجنيد المرتزقة ، انها صفت اعمال شركة **سابينا** البلجيكية للطيران فى الكونجو كمحاولة لعرقلة اتصالاته بالعالم الخارجي وتضييق الخناق على تجارته الخارجية . مما دفع موبوتو الى الاستيلاء على ٢٠ مليون فرنك بلجيكي للشركة فى كينشاسا ، وانشاء شركة **ابر كونجو** كبديل لها. كما وجه مجلس ادارة اتحاد مناجم كاتنجا فى بروكسل تهديدا باتخاذ اجراءات قانونية ضد من يشترى نحاس الكونجو من الشركات العالمية . وجاء فى تهديد المجلس ان اى كمية تطرح منه للاسواق هى ملك للشركة ومن ثم لا يجوز بيعها او التصرف فيها دون معرفتها . ومن المعروف ان نصوص القانون الدولى لا تستطيع غالبا التدخل ضد ممارسة اية دولة لسيادتها وحقوقها فى ثروة اراضيها او فى تحويل الشركات الاجنبيـــة الى شركات وطنية او حتى تأميمها . وتقول **التايم** الامريكية انه من المتوقع ان تسبب شركة امتيازات تنجانيقا البريطانية المتاعب لموبوتو حيث انها تملك ٩٠ ٪ من السكك الحديدية التى يتم عن طريقها تصدير بعض معادن الكونجو وخاصة الذهب . ومعروف ان بلجيكا هددت بسحب خبرائها (٢٤٠٠ خبير) فى نهاية يناير كما انها حرضتهم على رفض

تعليـــق

فولـــتير فى غـــير زمـــانه ..

● تعليق على كتاب ((المحاورات الجديدة)) للدكتور لويس عوض

((المحاورات الجديدة)) كتاب ولا كل الكتب ، كما يقول المثل ، واعنى بذلك كل الكتب التى تخرجها المطابع فى مصر ، على كثرة ما تخرج من كتب . ذلك ان صناعة التأليف فى مصر تمر بأزمة ما فى ذلك شك . ولعل الانتاج الادبى اقل من غيره نصيبا فى تلك الازمة . اما الكتاب السياسى او الاجتماعى الجاد ، فان الازمة تصل فيـــه الى ابعد الحدود . وفى هذا الظرف الخاص ما يكسب ((المحاورات الجديدة)) اهمية فوق اهميته ، وما يجعل قراءة الكتاب ، والتعليق عليه ، والاختلاف حوله ، موضة المنتديات الفكرية لفترة تطول او تقصر بحسب ما تجود به الحياة الثقافية مـــن احداث جديدة .

والبداية السليمة لمناقشة الكتاب لاتكون بمحاولة نزع الاقنعة الشديدة الشفافية التى وضعها المؤلف على وجوه ابطاله ، لمعرفة من يكون هذا او ذاك بالتحديد . فأبطال المحاورات ليسوا الا انماطا لممثلى تيارات فكرية ومواقف سياسية واجتماعية تبين عن نفسها . وحتى اذا كان فى مجموع الاوصاف والملابسات التى تحيط ببعض الشخصيات ما يكاد يشير بدرجة تقـــرب من اليقين الى هذا او ذاك من الوجوه المعروفة ، فان حل فوازير المحاورات، وتعقب عللها ودوافعها ، ربما يدفـــع المناقشة الى مزالق شخصية وخصوصية، وهى ــ على اية حال ــ لا تعنى الا حفنة ممن يحتلون دائرة الضوء على المسرح الفكرى والثقافى ، تحتدم بينهم بعض الاختلافات الاصيلة حينا ، وكثير من المنافســـات الصغيرة احيانا . اما غالبية الاحـــد عشر الف قارىء الذين تلقفوا الكتاب فى عشرة ايام ، وقرأوه بشغف هو جدير به، فان اهم ما يعنيهم هو تبين الاتجاهات لا الاشخاص .

ينقسم الكتاب الى قسمين متميزين :

قسم اول يمـــكن ان نســـميه قسم المساجلات ، وهو غالب فى حوار الصفحات الاولى ، يعرض الملامح الفـــكرية لممثلى الاتجاهات والمواقف الفكرية والسياسية الراهنة فى مصر .

وقسم ثان ، هو ما يمكن ان نســـميه القسم الموسوعى ، وهو غالب فى المطولات الواردة على لسان علماء متخصصين فى دراسة الانثروبولوجيا ، والاثار ، والتاريخ، والادب ، يعرض مكانة المرأة الاجتماعيـــة فى المجتمعات البدائية والحضارات القديمة، فى بلاد الفراعنة والاغريق ، واشور وبابل، وعند الرومان والعرب .

وفى القسم الاول ،او قسم المساجلات، يعنى المؤلف بابراز شىء اساسى واحد، هو عدم تماسك البناء الفكرى او اتساق السلوك الاجتماعى للاخرين جميعا . وهو فى ذلك لا يتحرج عن اســـتخدام حجة النقيض ضد نقيضه ، مع الطعن على الاثنين معا. ولنضرب بعض الامثلة :

يقول المؤلف على لسان ابن ماركوف فى معرض الدفاع عن روستوفتسيف ان اى اوف او ايف او اوفســـكى او انســـكى هـــو موضـــع ثقـــة فى اى علم من العلوم ، بينما يسارع ابن سركوف الى تنبيه زميله ابن ماركوف الى ان روستوفتسيف ليس شيوعيا .

وفى تلك السطور القليلة (ص ٧٦ ، ٧٧) يريد الدكتور لويس عوض ان فى صفوف القيادة الثقافية والفكرية فى مصر اليوم شيوعيين متعصبين ، يستوردون افكارهم بجهل وحرفية ، ويدينون بالولاء ــ الفكرى على الاقل ــ لاجانب تنتهى اسماؤهم بالاوف والايف والاوفسكى .. الخ . فهل يطمع الرجعيون فى اكثر من احياء نغمة الافكار المستوردة ودعاوى التبعية ؟ وهل فى جعبتهم اشد مـــن هذا السلاح خبثا وخطرا ؟ وهل يوجد ــ اصلا ــ شيوعيون فى مراكز القيادة الفكرية فى مصر ، او هو مجرد افتراض مفتعل ، حشرا حشرا ، بقصـــد دس بهارات المعاداة للشيوعية فى ((المحاورات))؟ وهل باكثر من هذا يستطيع المؤلف ان يسهم فى المحاولات التى تبذل لاحيـــاء اخطر سلاح فكرى يلجأ اليه اعـــداء التقدم ؟

وقرب خاتمة المحاورات ،يطالب المؤلف، على لسان ابن سركوف وابن ماركوف ، بتلاوة تقرير الدكتور عبد الحافظ خطة عن وضع المرأة فى المجتمع . وفى هذا الجزء يقدم المؤلف دعاة الاقتصاد المخطط باعتبارهم اناس لايقيمون وزنا الا للارقام والحسابات الجامدة المجردة عن كل قيمة ثقافية او حضـــارية او انســـانية ، والعلاقات بين البشر فى نظرهم كالعلاقات بين الاشياء ، او هى ادنى .

ومن البديهيات التى لا يمكن ان تغيب عن ذهن الدكتور لويس عوض ، ان دعاة التخطيط الاقتصادى الاشـــتراكى يولون العنصر الانسانى فى الاقتصـــاد المخطط اعظم الاهتمام . وعلى ذلك ، فاما ان يكون الدكتور خطة ممثـــلا حقيقيا واصيلا لفكرة الاقتصاد والمخطط ، وفى هذه الحالة لا يمكن ان يجهل او يتجاهل المدلول الحضارى والانســـانى الشامل لمكانة المرأة فى المجتمع ، ولايمكن

العمل في شركة الكونجو الجديدة وبقطع رواتبهم وارباحهم التى يحصلون عليها اذا تعاونوا مع هذه الشركة .

وقد رد موبوتو على كل هذه الاجراءات بقوله : « ان كونجو بابا — يقصد الكونجو الذى ورثه البلجيك — قد انتهى » . واعـرب عن اصرار حكومته على المضى فى طريقهـا « فاذا ما اجبرنا على ان نجوع من اجل ان نظفر بحريتنا واستقلالنا فاننا نفضل ان نظل فقراء واحرارا على ان نصبح اغنياء وعبيدا » . ولكسب مزيد من الجماهير فى داخل الكونجو ، اقام موبوتو فى منتصف الشهر الماضى احتفالا كبيرا لاقامة ضريح **لباتريس لومومبا** زعيم الكونجو الراحل . كما اعلنت حكومته بأنها ترحب بأرملة لومومبا (تقيم فى القاهرة منذ اغتيال زوجها فى ١٩٦١) فى العودة لبلادها ، وان الحكومة ستستقبلها باعتبارها «ارملة لزعيم وطنى كبير» .

وعلى النطاق الافريقى سعى موبوتو عن طريق **مارسيل لينجيما** مبعوثه الشخصى ، الى تحسين علاقات حكومة الكونجو **بالجمهورية العربية المتحدة** اثناء زيارته لها فى اوائل الشهر الماضى حيث طلب اعادة العلاقات الدبلوماسية بين البلدين . وقد عاد سفير الجمهورية العربية المتحدة الى مقر عمله

ان يتغافل عن دور الثقافة او يقلل من دور القيادة الثقافية فى معركة تحرير المرأة ، ويحصر نفسه فى بحث كاريكاتيرى حول الارقام والخطوط البيانية ، واما ان يكون الدكتور خطة شخصية مشوهة غير متكاملة ، تأخذ من الفكر المتقدم جانبه المادى وتبتسره ، فتعجز عن استيعاب مغزاه الحضارى والانسانى الشامل ، او انه شخصية مفتعلة اصلا ، مثل ابن سركوف وابن ماركوف ، وفى الحالتين فهو مادة للنيل من التكامل الفكرى لدعاة الاقتصاد الموجه ، الدعامة الاولى لعملية البناء الاشتراكى .

واذا انتقلنا الى على الزيبق الجوكى الشهير بالزنبرك ، والايديولوجى الفهلوى ، وهما فى صف الدعوة المثابرة لفكرة تحرير المرأة وللتقدم عموما ، فان القناعين اللذين اختارهما المؤلف لهما ينطبقان بما يخلعه المؤلف عليهما من وصولية ، ومضاربة سياسية ، وتهافت فكرى ، وغيرها من صفات سلبية منفرة . والجواب يقرأ من عنوانه كما يقول المثل . وكل اجتهادهما الفكرى يتلخص فى اقتناص جزء من جملة ، او طرف من فكرة يرمى بها غيرهما ، ثم تحويرها وتحويلها وتأويلها لصالح اغراضهما الخاصة . اى ان كلا منهما لا يعدو ان يكون ، فى نظر المؤلف ، متطفلا فكريا ، كل شغله هو الاقتناص السهل ، والتلفيق السطحى ، والتهريب الضعيف ، ثم التسلق على ظهور الاخرين .

هذه هى الانماط الثلاثة الاساسية فى صفوف القيادة الفكرية بين ادباء مصر التى تنادى بالتقدم فى المحاورات ، تبدأ بزنبرك ، وتنتهى بابن سركوف مارة بالدكتور خطة .

فهل بعد ذلك تجن ؟

وهل للرجعية العلمانية بعد ذلك من مطمع ؟

هكذا نرى ان المؤلف ، وان كان يعتبر نفسه ارفع من ان يقف فى صف واحد مع السماخ والصباح وطبوزادة وخولة ، وغيرهم ممن يضعهم هو فى معسكر الرجعية الصريحة ، وله الحق فى ذلك — الا انه لم يترفع عن استخدام بعض حججهم التى لها قيمة فى نظره ضد من يضعهم فى المعسكر المقابل ، بينما يترك لهم الحجج الاخرى التى لا تروق له ، هزءا منهم وسخرية ، وكشفا عن تهافت موقفهم وركاكة بنائهم الفكرى ، وتخلفهم الثقافى .

المؤلف يربأ بنفسه ان يكون فى معسكر الرجعية . وهذا شىء طبيعى . ولكنه حرص فى نفس الوقت على الا يضع نفسه فى معسكر يصفه بانتهازية اليسار ، ويضم متسلقين متطفلين ، واشخاصا يستوردون الافكار ، ويغلبون الجانب المادى ، ويتغافلون عن الجانب .. الى آخر ما يشمله القاموس المحفوظ منذ عشرات السنين . غير ان المؤلف لايتردد فى استعارة بعض ما يجود به المنهج الجدلى ، والنتائج التى اوردتها المادية التاريخية فى مواجهة الشماخ والصباح وخولة واشباههم ، وان كان العبء الاكبر فى مواجهتهم يقوم به المؤلف على لسان مالينوفسكى ، وروستوفتسيف ، وشمبوليون ، وجيبون ، والمعلم العاشر (فى الجزء الذى تحدث فيه عن الادب الجاهلى والادب العربى فى صدر الاسلام) . والبيانات التى وردت على لسان هؤلاء هو ما يمكن ان نسميه القسم الموسوعى فى المحاورات . وانما نسميه موسوعيا ، ليس لمجرد انه يحتوى معلومات كثيرة ومتنوعة عن مكانة المرأة الاجتماعية فى المجتمعات البدائية والحضارات القديمة ، وانما لانه يحتوى ايضا على منهج الموسوعيين الذين مهدوا للثورة البرجوازية فى الغرب ، حيث كان العرض العلمانى المستفيض لحقائق التاريخ ، واسرار الطبيعة والكون ، وتنوع الحياة الاجتماعية وشرائعها .. سلاحا فعالا لهز الافكار والقيم التى يسعى الاقطاع الى تثبيتها ، ويخلع عليها صفات القدسية والثبات . وهذا القسم فى « المحاورات » قسم تعليمى ومفيد ما فى ذلك شك . وفيه اجتهاد وطرافة ، وبخاصة فى استنباط بعض حقائق الحياة الاجتماعية عند العرب من الاثار الادبية للعصر الجاهلى وصدر الاسلام .

كذلك ، فان فى الكتاب عموما خفة روح ، وحلاوة اسلوب ، تذكرنا بكتابات فولتير . وانما اقول فولتير ، وليس برنارد شو) كما يعلن المؤلف فى مقدمة كتابه (، لان شو ادرك ان ثمة منهجا اكثر تقدما من منهج الموسوعيين ، هو منهج الاشتراكية لقوانينها العلمية ، والتزم به فى كتاباته ، بينما حرص لويس عوض فى طول المحاورات وعرضها ان ينأى بنفسه عن هذا الالتزام ، او عن اى التزام ، اللهم الا البحث الدءوب عن عدم اتساق الاخرين ، وعدم تماسكهم الفكرى .

غير ان تشبيه الدكتور لويس بفولتير ، هو ايضا تشبيه مع الفارق . فان فولتير حين كان يسخر من كل من حوله وما حوله ، ويقيم الدليل على عدم اتساقه ، انما كان يفعل ذلك فى بيئة اقطاعية تكاد القيم الرجعية فيها ان تكون طاغية طغيانا شاملا . ومن ثم ، كان يتعين على الثائر الساخر فى ذلك الزمان ان تكون سخريته شاملة لكل شىء ، لكى يشهد الناس على عدم اتساق الجزئيات والكليات جميعا .

اما فولتير فى غير زمانه فهو — مع الاسف الشديد — لايفترق كثيرا عن دون كيشوت .

سعد زهران

فى كينشاسا .. كما طلب موبوتو من رؤساء الدول الافريقية عقد **مؤتمر القمة الافريقى** القادم (سبتمبر) فى كينشاسا بدلا من **اديس ابابا** كما كان مقررا من قبل . وجدير بالذكر ان ١٤ دولة — حتى كتابة هذا التقرير منهم الجمهورية العربية **وغينيا والجزائر** وافقت على طلب حكومة موبوتو . ويعتقد المراقبون ان عقد المؤتمر فى كينشاسا سيدعم من مركز موبوتو فى الداخل وعلى النطاق الدولى .

■ **الهند**

الاضطرابات تسبق الانتخابات

فى **امريتسار** ، المدينة الهندية القديمة التى تبعد ٢٧٨ ميلا شمال غربى **نيودلهى** ، وقف مئات من السيخ المسلحين بالحراب يحرسون بوابات المعبد الذهبى ، أكبر معابد الطائفة . وعلى سطح المعبد ، وضع خدام الهيكل خشب الصندل المعطر المعد لاحراق القربان البشرى . وعلى بعد قريب جلس ثمانية من زعماء السيخ فى **الصافرون** (عباءات الموت) يرتلون صلواتهم الاخيرة .

وفى أحد أبهاء المعبد كان يرقد سانت (القديس) **فاتح سنج** ، زعيم طائفة السيخ التى يبلغ تعدادها ٧٫٨٠٠٫٠٠٠ ، فى يومه العاشر للاضراب عن الطعام . وكان على القديس وأتباعه الثمانية أن يحرقوا أنفسهم ان لم تستجب الحكومة المركزية الى مطالبهم .

ومطالب السيخ بتخصيص ولاية لهم قديمة . وأدت ضغوطهم الى الاستجابة الى ذلك فى مارس الماضى ، حيث قسمت ولاية البنجاب الى ولايتين : الاولى احتفظت باسم **البنجاب** وخصصت للسيخ والثانية باسم **هاريانا** وهى للهندوس . غير أن العاصمة **شانديجار** ظلت عاصمة للولايتين معا . والمطلب الذى من أجله أضرب فاتح سنج وهدد بحرق نفسه هو والثمانية الاخرون كان هو تخصيص العاصمة تشانديجار للسيخ دون الهندوس ، بحيث تصبح البنجاب خالصة لهم .

وفى اليوم السابق على موعد الحرق ، فرض بوليس نيودلهى حراسة مشددة على جميع الطرق المؤدية الى منزل السيدة **انديرا غاندى** ، لمنع المظاهرات التى ينوى أتباع فاتح سنج القيام بها أمام منزل رئيسة الوزراء احتجاجا على الموقف الذى أدى بزعيمهم الى الاضراب عن الطعام والتهديد باحراق نفسه . غير أن المتظاهرين فى العاصمة تحدوا الأجراءات واقتحموا المتاريس أمام منزل انديرا غاندى ، واعتقل البوليس ١٤ شخصا . وأسرعت الحكومة المركزية باعلان حظر التجول فى أمريتسار لمدة ٤٨ ساعة ، خشية حدوث اضطرابات فى المدينة ، وقامت قوات من الجيش بدوريات فى شوارع المدينة ، وفى المنطقة المحيطة بالمعبد الذهبى . أعلن فاتح سنج ، ردا على هذه الاجراءات ، أن الحكومة الهندية تريد أن تسبح فى دماء زعماء السيخ ، وانها تتصرف كحكومة المغول التى حكمت منذ قرنين من الزمان .

وحين دنا موعد الحريق اشتد بكاء الفين من الاتباع المخلصين المحتشدين فى أرجاء المعبد الذهبى ، وتعالت ابتهالاتهم .

ولكن شيئا حدث فى اللحظات الاخيرة .

حين لم يبق على موعد الحريق سوى ٣٠ دقيقة ، عبر السردار هوكام سنج عتبة البوابة الخارجية للمعبد ، ليعلن أنه يحمل مقترحات جديدة من السيدة انديرا غاندى . والسردار **هوكام** هو احد ابناء طائفة السيخ والمتحدث الرسمى باسم مجلس النواب الهندى . وبعد ساعتين ونصف من المداولات بين السردار هوكام والسانت فاتح ، انهى السانت اضرابه بتناول كوب من شراب البرتقال من يد السردار : قبل فاتح سنج تحكيم السيدة انديرا فى الموضوع ، على أن تتم التسوية بعد الانتخابات العامة التى ستجرى فى الشهر القادم ، مع وعد باقامة نظام قضائى وادارى خاص بكل من الطائفتين فى الولاية .

ورقص الالاف من أتباع فاتح سنج فى الشوارع فرحا بنجاة زعيمهم .

هذا من جانب السيخ .

امامن جانب الهندوس ، فان يوجيراج سوريا ديف زعيم الهندوس فى البنجاب ، الذى بدأ اضرابا عن الطعام فى نفس اليوم الذى بدأ فيه زعيم السيخ اضرابه ، فانه لم ينه اضرابه الا فى اليوم التالى ، اى فى ٢٧ ديسمبر ، بعد أن طمأنه كل من **جورموخ سنج** ، وهو رئيس الوزراء المحلى للبنجاب ، وهو من السيخ ، **وشانداارام** ، وزير الدخل وهو من الهندوس ، الى أن مسألة عاصمة البنجاب التى تتنازعها الطائفتان ، هى الان فى يد السيدة انديرا غاندى رئيسة الوزراء للتحكيم . وأنهى الزعيم الهندوسى اضرابه بشرب كوب من الماء المقدس من انهار البنجاب الخمسة ، قدمها له جورموخ سنج بنفسه .

وهكذا أسدل الستار مؤقتا على هذا الفاصل من النزاع الطائفى فى البنجاب ، بين السيخ والهندوس .

فى اليوم التالى لهذا الاتفاق المؤقت مع زعماء السيخ والهندوس ، طارت السيدة انديرا غاندى الى شيلدنج ، عاصمة ولاية أسام ، لبحث مسألة قبائل **الميزو** الثائرة (٢٦٠ الف) ، وهى قبائل

جبلية متمردة ترفض تحكم سكان السهل فيهم ، ويصر تنظيمهم السياسى (الجبهة الوطنية) على المطالبة بالاستقلال والانفصال عن الهند . ومن المعروف أن جواهر لال نهرو كان قد وعدهم بنوع من الحكم الذاتى المحلى . وقد دعت أنديرا زعماء القبائل الثائرة لاستئناف المحادثات معهما فى نيودلهى على أساس تنفيذ فكرة الحكم الذاتى

واستقبلت العاصمة العام الجديد باضطرابات عنيفة ، هى أشد اضطرابات من نوعها بعد أعمال العنف التى قام بها المطالبون بمنع ذبح البقر فى ٧ نوفمبر الماضى (أنظر الطليعة عدد ديسمبر ١٩٦٦) . ففى يوم السبت ١٩٦٦/١٢/٣١ ، بدأت المباريات السنوية للكريكيت . واتحاد الكريكيت ، الذى يشرف على تنظيم المباراة ، يسيطر عليه غالبية من حزب المؤتمر الحاكم .

حدثت اصطدامات طفيفة فى اليوم الاول للمباراة حين فاضت المدرجات بحملها ، وزحف الجمهور منها الى الارض الخضراء المحيطة بحواف الملعب . وفى اليوم التالى ، أى فى أول أيام العام الجديد ، بكر البوليس باتخاذ احتياطات مشددة لمنع زحف الجمهور . غير أن بعض أفراد الجمهور كان قد أعد للامر عدته ، اذ كانوا مزودين بالعصى الملفوف حول أطرافها خرق معدة لاعمال الحريق ، كما كان البعض يحمل صفائح صغيرة مليئة بالكيروسين أو غيره من المواد القابلة للاشتعال .

وحين بدأ الجمهور زحفه المترقب على الارض الخضراء وتصدى له البوليس ،بدأ يرشق الجنود بالطوب والزجاجات الفارغة ، فرد البوليس بالغازات المسيلة للدموع . وما هى الا عشرون دقيقة الا وكان البوليس قد طرد تماما من أرض الملعب ،واشتعلت الحرائق فى أماكن عديدة ،وتحول المكان الى جحيم . وبعد حوالى ساعة كانت قوات

تعليق

القيادات النقابية .. التى يدعوها الموقف لتحمل المسئولية

فى مارس القادم تعقد النقابات جمعياتها العمومية لانتخاب قيادات نقابية جديدة ، وذلك بعد مرور أكثر من عامين ونصف عام على انتخاب القيادات الحالية

وفق قانون التنظيم النقابى الجديد الصادر فى ١٩٦٤ .. وعندما تشكل التنظيم النقابى الجديد طرح امامه ميثاق العمل الوطنى قضيتين رئيسيتين ..

القضية الاولى هى قضية الدور الطليعى للتنظيمات العمالية فى تطوير البناء الاقتصادى وتدعيم القطاع العام وسيطرة الشعب على وسائل الانتاج .

والقضية الثانية هى المحافظة على حقوق العمال سواء الحقوق التى اكتسبوها بنضالهم السابق أو التى اكتسبوها بانتصار ثورة الشعب ــ يوليو ١٩٥٢ ــ أو بعد صدور قوانين التأميم .

واذا ماأردنا تقييم دور التنظيم النقابى وقياداته فى الفترة من ١٩٦٤ حتى اليوم على ضوء القضيتين السابقتين فاننا سنجد التنظيم النقابى باغلب قياداته الحالية لم يعالج هاتين القضيتين باعتبارهما محور نشاطه الرئيسى ــ ان غالبية القيادات الحالية لم تنجح فى تعبئة الجماهير العمالية فى معركة الانتاج والتنمية ، لانهـا لم تبذل جهـدا جادا وحقيقيا فى هذا المجال رغم كل الامكانيات التى أتاحتها لها الثورة قيادة وتنظيما . كما انها لم تنجح فى رفع مستوى وعى العاملين بحقوقهم المكتسبة والمحتوى الثورى لهذه الحقوق كما انها لم تقم بدور له قيمة فى مجال تقديم الخدمات الى العاملين .. وعلى هذا الاساس فان دراسة واقعية وموضوعية لتوعية القيادات النقابية يجب أن تتحقق اليوم ، وأن توضع نتائج هذه الدراسة أمام جماهير العاملين بوضوح وصراحة وهم مقبلون على انتخابات قيادات جديدة للتنظيم النقابى .. وهـذه الدراسة يجب أن يقوم بها التنظيم السياسى وقيادته ــ فقيادة هذه المعركة الجماهيرية القـادمة يجب أن تتفاعل فى اطار وحـدة التنظيم السياسى الذى سيتقدم بمرشحيه الى جماهير العمال مذكيا لهم ، ونعنى بذلك أن قيادة هـذه المعركة يجب ألا تترك للقيادات التى تاكد أنها غير مرتبطـة واقعا ومصيرا بالقاعدة العمالية بل ان قطـاعا كبيرا منهـا غرق فى انحرافات وتطلعات طبقية ... والبـديل لهـذه القيادات التى سيقدمها التنظيم السياسى لجماهير العاملين موجود وطبقتنا العاملة غنيـة به موجود فى العـاملين الذين قدموا الامثلة البطولية والطليعيـة فى بناء السد العالى .. موجود فى العاملين الذين ابتكروا وجـددوا فى وحـداتهم الانتاجية .. موجود فى مئات من العاملين الذين دربوا سياسيا ومهنيا ./.

امر آخر يجب أن يضعه التنظيم السياسى أمام جماهير العـاملين وهم مدعوون لانتخاب قيادات جـديدة يكون دورها الاصيل العمل من أجل المجتمع الاشتراكى ومن أجل الجماهير .. هذا الامر هو ضرورة محاسبة القيـادات السابقة عن تصرفاتها المالية والتى تشير عشرات من تقارير التفتيش النقابى اليها باصابع الاتهام ــ ان القائد النقـابى الذى أثرى أو أشبع تطلعاته الطبقيـة من مال الجماهير التى انتخبته يجب أن يكون حسابه عسيرا .

وأخيرا فان قيادات جديدة شابة وفنية ومعها عناصر من القيـادات النقـابية القديمة التى لم تلوثها تطلعات طبقية او انتهازية نقابية مدعوة باسم كل القيم الثورية للحركة العمالية أن تخوض المعركة القادمة لانتخـابات النقـابات ملتحمة بجماهير العاملين على أساس الالتزام بأهداف خطة التنمية وبحل مشـاكل الجماهير وتطوير حياتها .. على أساس الالتزام بتحويل مبادىء ميثـاق العمل الوطنى وخطط التنظيم السـياسى الى برامج عملية ومهام وواجبات تحاسب على انجازها أمام الجماهير العمالية العريضة

عبد المنعم الغزالى

الجيش قد وصلت الى مكان الاضطرابات

ويذهب المراقبون الى ان اضطرابات الكريكيت شأنها شأن مظاهرات البقر من قبل ، لم تكن وليدة حركة تلقائية من جماهير ساخطة فحسب ، وانما كان من تدبير أحزاب المعارضة ،كجزء من الحملات التي لا تهدأ لاضعاف مركز حزب المؤتمر في الانتخابات العامة التي ستجرى في شهر فبراير .

غير أن أعنف الاضطرابات حتى الان هي التي حدثت بمدينة **باتنا** عاصمة ولاية **بيهار** ، في ٦ يناير فقد حدث فيها اصطدامات بين الطلبة والبوليس أدت الى وفاة ١٥ طالبا واصابة ١٥٤ من الجانبين . وقد اغلقت جميع المدارس والكليات على أثر ذلك، وفرض حظر التجول ، وسارت قوات الجيش في دوريات مستمرة بشوارع المدينة التي تحولت الى ما يشبه المعسكر الحربي . وكانت قد بدات الاصطدامات عندما تظاهر بضع مئات من الطلبة أمام منزل حاكم الولاية احتجاجا على وحشية البوليس التي أدت الى مصرع استاذ وطالب

وبعد ذلك امتدت الاضطرابات الى بعض المدن الاخرى في الولاية، مثل **مظيفر يور وبالى جانج**، حيث أشعل المتظاهرون النار في محطة للكهرباء واقتحموا أحد مراكز البوليس والحقوا به خسائر فادحة .

وفي ١١ يناير ، في مدينة كلكتا ، استخدم البوليس قنابل الغاز لتفريق الطلبة المتظاهرين امام جامعة كلكتا احتجاجا على اغلاقها اثر اضطرابات نشبت فيها على أثر اشتباكات حدثت بين مجموعتين من الطلبة . وكانت كلكتا قبل ذلك بحوالي اسبوعين قد شهدت اضطرابات شديدة احتجاجا على نقص المواد الغذائية ، وتقليل مخصصات الارز للفرد من ٢ كيلو ،الى ١/٢ ٤ كيلو في الاسبوع .

ويخشى كثير من المراقبين أن تؤدى هذه الاضطرابات التي تستشرى يوما بعد يوم الى أن يؤدى ذلك الى سيادة حالة من الفوضى واليأس ، تمهد السبيل أمام تمكن اليمين المتطرف داخل حزب المؤتمر ، بزعامة **باتل** ، وبالائتلاف مع الجماعات الدينية المتطرفة ذات الاتجاهات الفاشية ، من القبض على ناصية السلطة في البلاد، والانتكاس بها انتكاسة كاملة في صالح رأس المال الكبير والدوائر الاستعمارية في الغرب . والمؤكد حتى الان ، أن جميع المراقبين يجمعون تقريبا على أن حزب المؤتمر سيمنى بخسائر كبيرة محققة في الانتخابات المقبلة ،وان هذه الانتخابات ستتمخض، اما عن أن يحكم حزب المؤتمر بأغلبية هزيلة ، أو بالائتلاف مع بعض أحزاب اليمين . وهذا كله يؤذن بمزيد من استقطاب القوى السياسية ، وتزايد الصراعات السياسية بين اليمين واليسار

■ الصين الشعبية

الثــورة الثقــافية و «جيش العمال الجديد»

مازال الموقف في الصين يتسم بالغموض، خاصة وان معظم الانباء والتعليقات والتحليلات عن الاحداث الجارية بها تستقى من وكالات الانباء والصحف الغربية ، كما ان الاخبار التي تصل عن طريق المصادر الصينية لاتعكس صورة واضحة عن تطور الاوضاع هناك .

ويبدو ان حركة الثورة الثقافية قد شهدت في الفترة الاخيرة ، تطورا جديدا ظهر في امتدادها للمجال العمالي ، وعدم اقتصارها على الطلبة والشباب . وبدات الثورة الثقافية في الدخول الى المصانع وذلك مع تأسيس جيش عمالي سمته ملصقات الحرس الاحمر ببكين « جيش العمال الجديد » ، و « قائده الاعلى » **ماوتسي تونج** . ومهمته تقوية الحرس الاحمر والدفاع عما يسمى « بخط ماو البروليتاري ». وفي رأى «الموند» الفرنسية (في ١٨ يناير الماضي) ان «العمال الصينيين يتجهون للظهور في مقدمة الصورة التي كان يحتلها فقط الحرس الطلابي الاحمر . كذلك اعلنت وكالة انباء الصين الجديدة منذ ١٧ يناير الماضي ان « المتمردين الثوريين » وهو التعبير الذي يطلق على العمال المناصرين لماو : » قد قرروا ان يتولوا بقوة، وبأيديهم،القيادة في الحقول السياسية والاقتصادية والثقافية » ، كذلك انضم الموظفون الى اجتماع للعمال والطلبة في مصنع آلات الماكينات رقم ١ ببكين ، وجرت عمليات توحيد لقواهم المشتركة في اماكن عديدة اخرى .

اما فيما يتعلق بخصوم الثورة الثقافية، فتتوالى الانباء عن فقدهم المراكز التي كانوا قد حصلوا عليها مؤقتا ، في شنغهاى ، ونانكين ، وكانتون في اوائل يناير الماضي . والحرس الطلابي الاحمر ، والمنظمات العمالية الثورية الجديدة المناصرة لماو ، هي التي تسيطر الان في هذه المدن الثلاث.

اما معسكر الثورة الثقافية نفسه ، معسكر **ماو ــ لين بياو** الذي تشير الانباء الى ان **شواين لاى** يناصره باعتدال ، فقد حدث انسلاخ عنه قام به **تاو تشو** نائب رئيس الوزراء ووزير الاعلام والذي كان يعتبر حينذاك ، الرجل الرابع في الصين، ومسئول مكتب وسط ــ جنوب الصين ، والذي كان قومسيرا سياسيا « للجيش الرابع الجديد » الذي قاده لين بياو خلال « المسيرة الكبرى » . ومالاحظه المراقبون السياسيون ، هو ان تاوشو قد غير مواقفه بسرعة ، بعد أن كان القائد الوحيد من القادة الستة الكبار لمناطق الصين ،

الذى انضم رسميا الى الثورة الثقافية، والمسئول الكبير الوحيد الذى ادان **ليوشاو شى** بالاسم فى ديسمبر الماضى . بل ان بعض وكالات الانباء ، كانت تعتبره احد العقول المفكرة وراء حملة التطهير الحالية فى الصين . وقد اوضحت الاكسبريس الفرنسية فى اواخر يناير الماضى ان تاو شو قد انقلب ضد اتجاه الثورة الثقافية ، فور ان تقررفى بكين فى اول يناير الماضى ، مد هذه الثورة الى المصانع والمقاطعات، ومنذ ان بدأ الحرس الاحمر يتدفق على المنطقة المسئول هو عنها . وقد اوضحت الانباء التى وردت الى طوكيو من بكين فى الاسبوع الثانى من يناير الماضى ، ان انصار تاو شو ، هم الذين تولوا مقاومة الحرس الاحمر فى نانكين . وقد انتهى موقف تاو شو بهزيمة انصاره، والقبض عليه من جانب انصار الثور الثقافية .

ونقطة اخرى فى تحالف ماو ــ لين ــ شواين لاى ، يستخلص منها المراقبون الخط النهائى او شبه النهائى للاستقطابات الاساسية فى صراع الاتجاهات الصينية الحالية ، وهى موقف **شواين لاى** المتميز داخل مجموعة ماو ــ لين بياو . ففى حين اعلن شواين لاى تأييده لاتجاه ماو ــ لين وادانته لاتجاه **ليوشاوشى ــ وتنج هسيا وينج** ، الا انه طالب بعدم شن اى هجمات شخصية عليهما ، لانهما لايزالا عضوين فى المكتب السياسى للحزب ، كما بسط حمايته على ٥ آخرين من اعضاء وزارته تعرضوا لبعض الهجوم فى الملصقات .

وعلى مايبدو فى ذلك الموقف من موضوعية فريدة ، اثارت تقديرا فى العالم الخارجى ، لما انطوت عليه من قدرة استثنائية على ضبط النفس ــ سياسيا ــ وسط ظروف بالغة التعقيد والاضطراب ، الا ان ملصقات الحرس الاحمر ، اتهمت شواين لاى بأنه يريد عمدا تخفيف حدة

تعليق

رمسيس يونان .. والفن والحرية

عندما يتوقف قلب الفنان عن ان يخفق تكف النبضات الحية التى يبعثها الى العالم باعماله المتجددة . وهكذا احس الفنانون فى مصر فجاة بان فراغا قد تركه «رمسيس يونان» برحيله .. كان وجود رمسيس نفسه وما خلفه من اعمال (فكرية) او (فنية) باعثا على التفكير ودافعا الى الرؤية الجديدة .

فرمسيس كان علامة من علامات تطور الحركة الفنية فى بلادنا . اكد ذلك بانكبابه على عناصر الثقافة الانسانية ليمزج بينها وبين دور الفن . وبذلك حطم رمسيس من جانبه كفنان تشكيلى العزلة الرهيبة التى يحاول البعض ان يفرضها على الفن التشكيلى بالنظر اليه على اساس انه حرفة . وهو كذلك قد ادهش بسعة ثقافته دوائر المثقفين والمتادبين الذين يرتدون لباس التخصص والذين يخفون فى حقيقة الامر جهلهم الفاضح بدور الفن التشكيلى وعلاقته الوثيقة بغيره من الفنون والثقافات والحضارات .

كان رمسيس بفنه وفكره يمثل ذلك الاتجاه القلق الذى يدفعه عذاب النفس الى الانطلاق للبحث بغية العثور على مخرج . ولم يكن كغيره من العديدين الذين يلقون بانفسهم فى احضان الرغبة فى التجديد دون الارتكاز على تطور منطقى او الاعتماد على فكر ما . فالفكرة عنده تصاحب الرؤية وتتشبع بها ومن هنا كان تطور فكره وفنه مفهوما له منطقه ودلالته .

ففى خلال الحرب العالمية الثانية تطاحنت القوى المتعددة فى صراع رهيب حاول الشباب المثقف البحث عن ارض يقف عليها تظللها عناصر الامل والاستقرار والحب . وتعلقت اعين مجموعات الشباب المثقفة فى مصر بالقيم الجديدة والمحاولات العديدة لحل مشكلات العالم . وكان رمسيس بين مجموعة من الفنانين والمفكرين الذين يدعون الى ان يكون للفن دوره الفعال فى دنيا الصراع الاجتماعى والنفسى . كان يدعو الى النظريات الفلسفية التى تؤكد دور الحلم والرؤية الباطنة فى تحطيم قيود الواقع وترد الى الانسان قوته الذاتية وتدعم تطلعه الى التحرر .

وكانت جماعة «الفن والحرية» ومعارضها فى الاربعينات وكان رمسيس من اعلامها وفى اواخر الحرب العالمية الثانية تولى رمسيس يونان رئاسة تحرير المجلة الجديدة وهى المجلة التى انشاها سلامة موسى عام ١٩٢٨ داعية الى فكر جديد متحرر فى شتى ميادين المعرفة .

وفى هذه الفترة ذاتها كانت تتشكل جماعات متعددة تدعو الى نظريات الفكر الاشتراكى وتعالج قضايا الثقافة والفن والادب الى جانب معالجة قضايا الحرب والسلام والتحرر الوطنى والتقدم الاجتماعى ولكن صيحات «رمسيس» بين هذه الصيحات كان لها لونها الخاص . استند فى اعماله وافكاره الفنية الى النظريات الفردية ، فى التحليل النفسى . وكانت اعماله الفنية فى ذلك الحين صورة للمزج بين عاملى الجنس والجوع ومصاغه فى جو خيالى تدعمه عناصر القوة والعنف .

كانت السيريالية ارضية واضحة لفكرة غير ان فكرة الحرية عند رمسيس قد اصطبغت فى ذلك الحين بالمفهوم الفردى المعن فى فرديته . ويرجع ذلك فى الاساس الى تعلق رمسيس بحركات التجديد فى اوربا والنظر اليها بطريقة ذاتية ودون التعمق فى تحليل دورها فى المجتمعات الاوربية ذاتها . وبالتالى فانه لم ينجح فى ايجاد الارض الصالحة لهذه الافكار فى بلادنا . فظروفنا الخاصة تقول بان بلادنا لم تكن تعانى من مشكلات الحضارة الاوربية المعاصرة بقدر ماكانت تعانى من استبداد اقطاعى متخلف ونير استعمارى رهيب . لم تكن مشكلة الحرية الفردية هى التى تؤرق ضمير المثقف الوطنى والاشتراكى بقدر ماكانت تؤرق عقله ونفسه مشكلة «حرية المواطنين جميعا» . كان ضمير المثقف يابى ان يحصر المشكلة فى ذاته نفسها . كان يابى ان يصوغ احلامه من احلام المثقف الاوربى الرافض فحسب . وكانت على العكس من ذلك تبهره احلام اهل بلده ويجد فى احلامه شيئا من هذه الاحلام ومن نقطة الضعف هذه تفجرت عند رمسيس فيما بعد كل مواقفه فى الفن كما فى الفكر .

مضى الى فرنسا يحاول ان يجد له طريقا بين الفنانين وبين المفكرين هناك . واكتشف ان السيريالية نفسها كحركة

النضال ضد ليو وتينج ، كما اتهمته بأنه «خائف من الثورة الثقافية » .

وقد زاد ذلك في الواقع من صعوبة الحكم على موقف شواين لاى ، لان هجوم الملصقات على شخص ما ، امر له في العادة دلالته الخاصة في صين اليوم . الا ان الذى ضاعف الغموض فيما يتعلق بوضع شو ، هو ان الملصقات المضادة له سرعان ما استبدلت بأخرى تعلن « ان اى شخص يقف ضد شواين لاى يجب ان تحطم رأسه » ، فهل يشكل ذلك آخر تطور لموقف الحرس الاحمر من شواين لاى ؟ — ذلك مالم يستطع احد ان يقطع به تماما حتى كتابة هذا التقرير .

الا ان الوكالة التشيكية للانباء، قد اخذت موقف شواين لاى المتميز دليلا : « على ان تصدعا يحدث فى المجموعة التى تلتف حول ما يسمى بخط ماو — لين » . «وان النتائج المترتبة على موقف شواين لاى، تعنى بشكل مؤكد ، انه ينفصل عن مجموعة لين بياو» ، الا ان الوكالة التشيكية ، لفتت النظر ايضا الى حقيقة هامة ، وتبدو فى نظر المراقبين المحايدين وحتى كتابة هذا التقرير ، اقرب الحقائق الى الصواب وهى انه « يمكن النظر الى موقف شواين لاى بأعتباره محاولة لاقرار النظام ، ولضمان حد ادنى من اداء الاجهزة الاقتصادية ، والسياسية لوظائفها» . خاصة ومما له دلالة فى هذا الاتجاه ان آخر التصريحات التى نقلت عن شواين لاى تبين مساندته الواضحة لاتجاه ماو — لين ، وتأكيده لمركز لين بياو» كنائب لقائدنا الاعلى»

ويرى عدد من المراقبين السياسيين ، انه اذا كانت سمة التطرف تلصق بالثورة الثقافية ، فأن شواين لاى يمثل التطرف المعتدل ،

هذا وبرغم التكهنات التى مازالت تقوم ، حول طبيعة وضع شواين لاى ، فأن معظم المرقبين فى

قد تمزقت اوصالها . فبعض اقطابها امثال اراجون وايلوار قد تحولا من حالة السخط الفردى الى حالة من السخط الواعى المنظم ، لم يتخليا عن اشعارهما وفنهما ولكنهما صاغاه فى تناسق مع مشاعر وحاجات الجماهير العاملة هناك واكتفى البعض الاخر بالانشغال بالتصريحات عن الحركة السيريالية مثل برينون سلفادور والى.واكتشف الفنان المصرى ان الاتجاهات التجريدية فى الفن تحظى بالانتشار الكبير وان الوجودية باتجاهاتها تاخذ طريقها لتنال اهتمام الشباب المثقف .

واذا كانت هذه الاتجاهات رغم بعدها من اثارة روح النضال قد جذبت اليها الفنان المصرى الا ان الاحداث الواقعة والعدوان على بلادنا قد اضطراه الى مواجهة القوى الغاشمة العدوانية . وبرزت من جديد رغبة الفنان القديمة فى ان يربط حياته وفنه بحياة الناس فى بلاده . وعاد من جديد الى ارض مصر المستقلة .

واستقر فى فنه على التجريد ونما فى فكره نحو نفى كل ماتصوره قيدا على حرية الفكر .واتخذ لذلك منهجا نقديا طابعه ذاتى الى حد كبير. واذان ماسماه بالمذاهب الشمولية . ومن ثم اخذ يعزف لحنا لايتسق مع مسار التقدم فى بلادنا . لقد خلط بين الاخطاء فى التطبيق وبين المنهج . وفى سبيل ذلك كان يقع فى تناقضات فكرية لاسبيل الى حلها .

فهو وان ارتضى المذهب التجريدى فى الفن مع مايتطلبه من انكار تام لقيمة الوجود والاشياء والاعتماد فحسب على القيم الجمالية النابعة من ذهنية مجردة فان اعمال الفنان الاخيرة قد افتقرت الى العناية بالبحث فى القيمة الشكلية البحتة وظلت لوحاته تحمل طابع اللونية وهو شكل محدود كان كافيا لوضع افكاره واحلامه الاولى فى طابع بارز . فقد كانت الالوان البنية والدكناء التى يستخدمها ناجحة الى حد كبير فى لوحاته القديمة للتعبير عن الغرائز الكامنة والطاغية .

ولاريب ان اسلوب رمسيس فى صياغة اشكاله القديمة كان يتفق مع غرضه كان مجيد استخدام الخطوط العنيفة القوية ويحدث بها مع الظلال وتدرجاتها تاثيرا شكليا واضحا . ولكنه لم يبذل الجهد فى اكتشاف مخاطرات واكتشافات المدارس الشكلية الجديدة فى مهمة العلاقات اللونية وتاثيرات «التونات» المتباينة والمتكاملة فى تحقيق العلاقة بين الاشياء . لم يدرك حقيقة البحث الضرورى لادراك مظاهر المادية ووجود الاشياء وعلاقاتها بعضها ببعض. وانتقل من جو المدرسة السيريالية التى تحتمى بالبراعة فى الاداء دون الاهتمام بالصياغات الشكلية الى جو المدرسة التجريدية التى تهتم بالمغامرة الذهنية ومشكلات التكنيك وهى عناصر لم يبرز فيها الفنان الراحل باعماله الاخيرة شان البارزين من اقطاب هذه المدرسة .

وكان انتقال الفنان من مرحلته الاولى الى الثانية بمثابة عملية هروبية ومحاولة لمسايرة فكرة الانتشار التى لمسها الفنان فى اوربا ولم يدرك حقيقة ان هذه المدرسة نفسها فى طريقها الى الافول فى اوربا ذاتها .

ومن الغريب ان الفنان الراحل كان يعيش بقلبه مع بيكاسو الذى طالما افتتن به . ومع ذلك فهو لم يكن معه حقا على الطريق سواء فى ميدان الفكر او الفن .

وكان انتماء بيكاسو الى عضوية الحرب الشيوعى يثير لدى الفنان الراحل تناقضا فكريا لم يصل الى حله حتى واتته المنية . فكيف يمكن لهذا المجدد فى دنيا التشكيل ان ينحاز الى انصار الواقعية الاشتراكية فى دنيا الفكر الاجتماعى . وبيكاسو منطقى مع نفسه ومع انحيازه الى قضايا البشرية المعاصرة فهو عملاق فى فهمه لقضايا التشكيل والتكنيك على السواء وهو يعتبر الممثل الاقرب الى فكرة الواقعية ممن يسمون انفسهم بالواقعيين الاشتراكيين وتجربتهم القاصرة فى الاتحاد السوفيتى . فبيكاسو هو الاستمرار الطبيعى لرؤية سيزان المادية واكتشافاته فى عالم الاشياء وجوهر الوجود ذلك ان التكعيبية وبيكاسو احد روادها تعتمد على نظرة تحليلية تعتبر امتدادا لسيزان ونظرته المادية للكون . وهى التى مكنته فى مراحل تالية من المزج القوى بين الانشاء التشكيلى المبدع الجديد من ناحية والابداع الدامى المثير المعبر عن قضايا الحياة والمجتمع .

ان الفنان المصرى الراحل لم يدرك هذه الحقيقة وظل محبا لفن بيكاسو بقلبه فحسب . اما فنه فقد حاصره التجريد وجعله فى عزلة . اما فكره فقد احاطه عدم الانتماء ببروده . ولكن للاسف توقف قلبه قبل ان يحل بعقله اللغز الكبير الذى طالما عذبه وهو : كيف استطاع بيكاسو ان يوفق بين دوره التجديدى العظيم فى عالم الشكل والفن وبين دوره الاجتماعى فى الدفاع عن اشرف قضايا الانسان المعاصر .

داود عزيزا

اليابان والغرب يرون ، ان الصراع على السلطة قد حسم فعلا أو كاد لصالح اتجاه ماو ــ لين بياو . كذلك فقد أشارت «الموند» الفرنسية منذ ١٣ يناير ، «ان النظام بدأ يعود فى الصين ، بعد جو الاضطراب الذى لوحظ فى الايام العشرة الاولى من ينـاير» «وان أجهزة الدعاية ، فى ايدى قادة الثورة الثقافية تماما» . و «ان العمال المخلصين لماو فى شنغهاى هم سادة الموقف هناك» . كذلك فانه بالرغم من عدم صدور أية تصريحات سوفيتية رسمية تؤيد هذا الجـانب او ذاك فى الصراع او حتى تتنبـأ بمستقبله ، فقد أشارت التايم الامريكية اخيرا الى ان « موسكو لا تدع العواطف تتدخل فى الحكم ، وحكمها هو ان ماو يكسب» كذلك اعلن شواين لاى اخيرا : « ان معارضة ماوتسى تونج ، بدأت تنهـار فى جميع الجبهـات وان الصراع الطبقى الجارى سينتهى بانتصار اتجاه ماوتسى تونج الذى سيمكن الصين من المساهمة بصـورة اوسع فى حركة الشيوعية الدولية » .

غير ان عددا من المراقبين السياسيين يتساءلون عن السبب فى تمكن اتجاه ماو ــ لين ــ شـو ، من التحقيق السريع لكل تلك النتائج ، فى حين ان خمسة من حكام مناطق الصين الكبرى الست ، يقال انهم من رجال ليو شاو شى ، وكذلك الالف الموظفين الاقل شأنا

والرد الاساسى الذى يقدم على هذا التساؤل ، هو ان العامل الحاسم فى رجحان كفة الموقف لصالح اتجاه ماو ــ لين ــ شو ليس هو فى نجاح نشاط الحرس الاحمر ، وانما هو من الناحية الاولية والاساسية ، ضمان ولاء الجيش او اغلبيته الساحقة حول هذا الاتجاه . ذلك ان ماو فى اعداده لحركة الثورة الثقافية ، قد اختار جيش التحـرير الشعبى كمحور ارتكاز لنشر الثورة ، وجعل لين بياو وزير الدفاع يعمل للاعـداد لها ، والمعروف عن الاخير انه هو الذى قام بتشكيل حلقات دراسية واسعة فى الجيش ــ قبل قيام الثورة الثقـافية بمدة ــ لدراسة اعمال ماو ــ كما انه منذ سنة ١٩٦٠ وتحت تأثير لين بياو حدث تداخل متبادل ومتزايد بين الحزب والجيش على كل المستويات ، لدرجة ان الجيش وضــع رجاله كقومسيرين سياسيين فى كثير من التنظيمات المدنية .

كذلك فان جيش التحرير هو الذى سـاعد فى تنظيم طلبة المدارس فى فرق الحرس الاحمر المتحمة ومونهـم « باليونيفورمات » ، والرتب الـخ . كذلك بذل الجيش نشـاطا ملموسا فى التعليـم الاشتراكى للجماهير ، وفى توجيه الصـحـافة الصينية وخاصـة فى المراحل الاوليـة للثـورة الثقافية ، وراء قيادة صحيفة الجيش . كما ان صحيفة الجيش هى التى اخذت منذ مايو سنة ١٩٦٦ توجه نيرانها لكشف العناصر المضادة لماو ، وهى التى بدأت بكشف **تنج تو** احد سـكرتيرى الحـزب فى بكين ، **ولى شى** رئيس الـدعاية فى العاصمة فى مايو سنة ١٩٦٦ . ومنذ يونية الماضى ، بعد اغلاق المدارس ، هى التى اوضحت ان وقت نزع القناع عن اعداء ماو قد حان وتلى ذلك اقصاء **ينج شى** عمدة بكين . ومما له دلالة فى هذا الشأن ان صحيفة «كوانجمينج» الناطقة باسم المثقفين من انصار ماو ، قد دعت جميع المنظمات الموالية لماو فى ١٨ الماضى الى ان «توحد صفوفها وتلتف حول الجيش » الذى وصفته « بأنه الجهاز المسلح لتنفيذ الاغراض السياسية للثورة» ــ كما اذاع راديو بكين فى نفس اليوم ، «ان قادة الجيش اعربوا عن تصميمهم على الاستيلاء على كل السـلطة التى ما زالت العناصر الرجعية تستولى على بعضها وعزمهم على تنفيذ الثورة الثقافية حتى النهاية» .

●

■ **فيتنام**

تيار من السم سرعته ٥٦٥ كم !

أصدرت القيـادة العسكرية الامريـكية فى فيتنام الجنوبية بيانا أعلنت فيه ان القوات الامريكية هناك بلغت ٤٠٠ الف جندى .

وبرغـم ذلك اعلن الرئيس الامريـكى **ليندون جونسون** فى رسالة الاتحاد التى القاها فى الكونجرس انه سيطلب فرض ضريبة جديدة على دخول الافـراد والشركات مقـدارها ٦٪ لمدة عـامين او اكثر للمساهمة فى تمويل حرب فيتنام . واعلن ايضا « ان ضغطنا فى فيتنام سيستمر حتى يدرك الخصم ان الحرب التى بداها تكلفه اكثر مما يامل فى الحصول عليه » .

وقد ازدادت الاتجاهات العسكرية الامريـكية عنفا مع بدء اضخم عملية عسكرية قامت بها القوات الامريكية فى تاريخ الحرب الفيتنامية فى محاولة للاستيلاء على اهم معقل للثوار فى دلتا نهر ميكونج حيث يعيش ٥ مليون فيتنامى يشكلون حوالى ثلث سكان فيتنام الجنوبية . وبالرغم من ان الجنرال الامريكى **وليم وستمورلاند** قائد القوات الامريكية هناك قد اعلن بثقة «ان الجيش الامريكى سيحتل دلتا ميكونج ويمكن ان يسبب حوادث مؤسفة للسكان المدنيين هناك» . الا ان عديدا من الخبراء العسكريين يرون ان الوضع العسكرى فى دلتا ميكونج ليس بالموقف السهل فى مواجهة الامريكيين . ذلك ان هذه الدلتا عبارة عن كتلة من الماء والطين ،

وهكذا يزداد تصاعد العمل العدوانى الامريكى فى فيتنام . وقد نشرت اللجنة الفيتنامية «لكشف جرائم حرب المعتدين الامريكيين واتباعهم فى جنوب فيتنام» ، «الكتاب الاسود» عن الجرائم الامريكية هناك . اوضحوا فيه كيف ان الاعمال الامريكية

الاجرامية فى فيتنام فاقت فى مستواها اعمال الهتلريين المتوحشين . اذ مسحت قوات المشاة والقوات الجوية والمدفعية الامريكية قرى وعزبا باكملها ، وقاموا فيها بذبح السكان بلاتمييز ، وفى كثير من الاحيان جمعوا السكان كلهم وحصدوهم بالمدافع الرشاشة واستخدمت الوحدات الامريكية تكتيكات الارض المحروقة ، التى يحرقون فيها كل شىء ويقتلون كل مايصادفهم . وبالاضافة الى قتل وتعذيب المدنيين والمناضلين فى جيش التحرير الوطنى ، فهم يبترون الاطراف ، واجزاء اخرى من الجسم حتى الموت ويدفنون الناس احياء ، ويغتصبون النساء حتى يمتن ، ويحشدون المدنيين فى مخابىء ويطلقون عليهم الغاز الخ . ويستخدم الامريكيون هناك نوعين من القنابل احدهما ينفجر على ارتفاع ٤ أمتار ، والثانى على عمق ٥ امتار تحت الارض حتى يدمر المخابىء ويقتل الناجين من القنابل الاولى — كذلك يستخدمون الطيران لنشر الكيماويات السامة ولافساد الارز والملح ، وقتل الجاموس الذى لايمكن اخذه معهم الخ . كما يجرى الاستخدام الواسع للكيماويات السامة لابادة الاهالى كانه سلاح تقليدى . وقد استخدم خلال العام الماضى جهاز غازات جديد يسمى «**ماتيمايت**» مزود بهواء مضغوط يمكنه ان يرسل تيارا من السم الغازى اى المسحوق بسرعة ٢٦٥كم . هذا بينما كان الفاشيون الهتلريون فيمامضى يتجراون على استخدام الغاز فى مخابىء معسكرات الاعتقال فقط . كذلك اقام الامريكيون معسكرات اعتقال لشعب فيتنام تحت اسم «**العزب الاستراتيجية**» او «**عزب الحياة الجديدة**» ولم تنج من قنابل الطيران الامريكى لا الكنائس ولا المعابد الدينية فقد دمر اكثر من ١٠٠ مبنى دينى تابع للكاثوليك او البوذيين

وبرغم ماسبق ان اعلنه **روبرت مكنمارا** وزير «الدفاع» الامريكى من ان وسائل الولايات المتحدة الفنية للاستطلاع ، استطاعت ان تصور كل بوصة فى اراضى ومنشآت فيتنام الشمالية ، الا ان الامريكيين قاموا بالقاء كافة انواع المتفجرات على المدارس الفيتنامية فى اوقات الدراسة بالذات ، مما ادى الى مذابح واسعة للطلبة الفيتناميين العزل ، وبلغ عدد المدارس التى دمرت ٢٩٤ مدرسة . وعدد المستشفيات ٩٦ مستشفى . كذلك يرتكب المرتزقة من الاستراليين والنيوزيلنديين والفيلبيين ، وخاصة الكوريين الجنوبيين بقيادة **باك شونج هوى** مذابح وحشية ضد الشعب الفيتنامى . وكمثل بسيط على نشاط الاخيرين انهم فى غارة على احدى القرى حاصروا ٤٢ شخصا وقتلوهم بالمدافع الرشاشة وقبل قتل احدى السيدات نزعوا ابنتها الصغيرة من بين ذراعيها وامسكوها من اقدامها ومزقوها نصفين امام عينى امها .

ويفسر عدد من المراقبين ذلك بان جونسون اراد ان يجعل هذه التكاليف تبدو ضئيلة فى العام الذى يخوض فيه الانتخابات وهو موقف اوقعه فى تناقضات مربكة حين اعلن مطالبته بفرض ضريبة جديدة وقد اوضحت **الاوبزرفر** البريطانية انه عندما اجتمع حكام الولايات الديموقراطيون اخيرا لتحليل الخسائر التى نتجت عن انتخابات نوفمبر الماضى ، اتفقوا على ان تضاؤل شعبية جونسون التى وصلت الى ٤٥٪ بعد ان كانت ٧٠٪ هى العامل الرئيسى فى النكسة التى اصابت الحزب الديموقراطى وقد ازدادت ازمة جونسون فى العلاقات العامة سوءا بفقده **بيل مويرز** سكرتيره الصحفى حر .

●●●



مناقشات جديدة حول الواقعية الاشتراكية

ينعقد فى القريب بموسكو المؤتمر الرابع للكتاب والادباء السوفيت . ويدور اليوم فى الاوساط الاوربية والفنية فى الاتحاد السوفيتى مناقشات واسعة النطاق ومن زوايا جديدة حول الواقعية الاشتراكية ودورها فى الانتاج والخلق الفنى . وفى هذه الرسالة تقوم الدكتورة سعاد محمد خضر مدرسة اللغة والادب العربى بجامعة موسكو بعرض شامل لاهم هذه المناقشات واتجاهاتها .

د . سعاد محمد خضر

يتطلب واقع الفن الاشتراكى فى السنوات الاخيرة دراسة وتحليلا نظريا عميقا . كما أن الظواهر الفنية والمفاهيم (الجمالية) التى ظهرت مؤخرا كانت ومازال موضع مناقشات ايديولوجية حادة .

ولهذا خصصت مجلة «**قضايا الادب**» السوفييتية احدى ندواتها التقليدية « حول المائدة المستديرة » لقضية الواقعية الاشتراكية ، ونشرت اخيرا مناقشات تلك الندوة والتى ساهم فيها لفيف من الكتاب والنقاد السوفييت .

وتعتبر ادارة تحرير المجلة أن هذه المناقشات التي تعرض فيها كل من المشتركين لقضايا تتعلق باختصاصه بالطبع ، تعتبرها حلقات هامة في مشاكل تطور الادب الحديث اذ أنها تعرض القضايا التي تتطلب عرضا وتحليلا ودراسة نظرية عميقة . وقد تعرضت هذه المناقشات لقضايا تحتمل الجدل ومازال باب النقاش مفتوحا . وسأقدم عرضا تحليليا لما جاء في تلك الندوة . وافتتح الندوة ((ديمشيتس)) متعرضا لمشكلة من أهم مشاكل فن الواقعية الاشتراكية وهي قضية «الادب المنحاز» أو «تحيز الادب» وقضية «تحيز» الادب والفن على ما أعتقد هي روح الواقعية الاشتراكية

يقول **ديمشيتس** : نحن على اعتاب مؤتمرنا الرابع . وقبل ان ننظر الى الامام فاننا نلقي دائما نظره على الطريق الطويل الذي قطعناه وذلك لكي نفهم جيدا ابعاد الطريق الممتد أمامنا . ولنعد بذاكرتنا الى أول مؤتمر لكتابنا حين تعرضنا لاول مرة لقضية «الواقعية الاشتراكية» ، وحيث تكون المفهوم الاول لهذه القضية عندما كان لايزال بعد تعبيرا وليدا .

وهانحن ولعشرات السنين نعبر عن فننا بأنه فن الواقعية الاشتراكية ، كما أتضح منذ وقت طويل المغزى العالي لهذا التعبير . ولاتنحصر المشكلة في المغزى العالمي للادب السوفييتي والفن السوفييتي وانما في التطور الحقيقي الذي أصبح للواقعية الاشتراكية في كثير من الاداب والفنون العالمية في فترة الاستعمار وعصر الثورة البروليتارية . ومازال النقاد يتعرضون منذ عشرات السنين لدراسة مشاكل الواقعية الاشتراكية . وممن لعب دورا كبيرا في توضيح وتطوير مشاكل علم الجمال الاشتراكي أساطين الكلمة «كجورجي» و «فادييف» و « برتولد برخت » و « انا زجرس » و « مارتن اندرسن رنكس » و « جك ليندس » وغيرهم .

ونظرة على الطريق الطويل الذي قطعه علم الجمال الواقعي الاشتراكي تدلل على صعوبة وطول هذا الطريق . فقد كان ينظر الى الواقعية الاشتراكية على انها ظاهرة في الاسلوب ، بينما نرى جوركي في الثلاثينات قد دلل على أن الواقعية الاشتراكية ليست أسلوبا بقدر ماهي منهج ، بقدر ماهي موضوع . كما أنه مازال هناك بعض الخطأ في تحديد ظهورها عندما يحاول النقاد ان يربطوا ظهور الواقعية الاشتراكية عندما بدأ الكتاب والشعراء فقط يعبرون عن ثورة البروليتاريا (اي جيورج بيرت والشعراء الاشتراكيون الالمان في القرن الماضي وبوتييه وشعراء كوميونة باريس وممثلو الادب البروليتاري الجماهيري في روسيا وبولندا في نهاية القرن الماضي وبداية العشرين) . ولكن اولئك النقاد ينسون دائما أن جذور الفن الجديد توجد قبل كل شيء في الحياة نفسها ، في الواقع التاريخي . وأن تقاليده تمتد جذورها الى كل الثقافة التقدمية العالمية للانسانية . وقد ورث مؤسسو الفن البروليتاري وفنانو الواقعية الاشتراكية كل ما خلقته وابدعته شعوب العالم في طريق تطورها الطويل عبر القرون وورثوا كل ما أصبح من كنوز الثقافة العالمية .

أن تقاليد الواقعية الاشتراكية ليست فقط شعر أول من تغنى بحياة وكفاح البروليتاريا ممن لعب دورا كبيرا في أولى معارك الطبقة العاملة . انما هي « شكسبير » و « سرفانتس » و « بوشكين » و « جوته » و « بلزاك » و « دستوفسكي » و «ميرميه» و «تولستوي» و «زولا» و «تشيخوف» و «توماس مان» و «همنجواي» . هذا مع الاسف مالم يفهمه ولا يفهمه من لا يتابع النقد اللينيني ــ الماركسي ولايستوعب دراساته الغزيرة .

فالدراسات التي تعرضت لنظرية الواقعية الاشتراكية قد تعرضت كثيرا لمشكلة العلاقات بين الاساس الواقعي والرومنتيكي للطريقة الجديدة ومع الاسف مازال بعض النظريين في بعض الدول يعتقد أن الرومنتيكية تعتبر تكملة واضافة للواقعية بينما توضح لنا منذ زمن ليس بالقريب خطأ ذلك الاعتقاد . وذلك لان نظريتنا للمشكلة تعتبر الرومنتيكية من الصفات العضوية للواقعية الجديدة .

ومن أهم قضايا الواقعية الاشتراكية قضية البطل ، نوع وصفات ومواقف بطل الادب الجديد . ولم تتوقف مطلقا المناقشات حول هذا الموضوع بل مازالت تزداد حدة وتعصبا من وقت لاخر . وكثيرا ما كان الجدل يدور حول ((**البطل المثالي**)) على أساس متيافيزيقي عن طريق معارضته ((**للانسان العادي**)) ، ((**للانسان الفاني**)) . ان فن الواقعية الاشتراكية لايريد أن يجعل من بطله شيئا مثاليا . مرسوما كما لايريد أن يجعل منه نبيا مفتعلا بقصد الاثارة لاغير . أن بطل آدابنا هو شخص حي وواقعي عادي . وهذا وحده يحتم على الفنان ان يرى فيه صعوبة وتعقد وغنى عالمه الروحي كما يحتم عليه متابعة تطور مفاهيمه ومتابعة نشاطاته المحببة وأن يغور في أعماقه ليكشف حقيقة ذاته . والواقعية الاشتراكية ترى الانسان في العالم الكبير ، في علاقاته باحداث العصر الكبيرة التي تؤثر بهذا الشكل او ذاك مباشرة أو بشكل غير مباشر على حياة الناس . ان ادب الواقعية الاشتراكية يراه كذلك في علاقاته بكل ما يحيطه في صراعه مع نفسه ذاتها في علاقاته بكل ما يحيطه في مراحل تطور ذاته ومفاهيمه . وذلك الادب لايتغاضى ابدا عن تلك الصعوبات التي تكتنف مصائر الانسان أو فشله ولكنه يراه أكثر في تغنيه لانتصاراته على تلك الصعوبات وعلى « قدره » فان مايعنى فنان الواقعية الاشتراكية هو تطور ذلك الانسان وتغيراته وتكون وتعزيز الاسس

البطولية لديه، وسمات ذلك البطل قد توضحت مع بواكير انتاج ادباء الواقعية الاشتراكية . كما نلاحظ في قصة ((الام)) لجوركي .

آفــاق الواقعية الاشتراكية

أن عصرنا الذي نعيش فيه يتطلب من الفنانين والادباء توسيع الافق الفكري الذاتي الى جانب التعمق في العوالم الفكرية للانسان المعاصر والتي تزداد تعقيدا وعمقا وغنى . واننى اذ أتعرض لبعض صفات البطل فانني لأاود أن يتطرق الى الاذهان الى أننى أود أن أرسم معالم خاصة وحدودا خاصة لصفات البطل لايتعداها ، فالحياة غنية ومتنوعة وهي تلد مختلف أنواع الابطال . بل أن الحياة كثيرا ماتكشف للكاتب مختلف الامكانيات لظهور طريقته الفردية مثلا لخلق بطل جديد . وتقرير نوع البطل يتوقف قبل كل شيء على الكتاب انفسهم فقرارهم في كل مرة فردى وذاتي وجديد وخاص بهم . اذ أن فن الواقعية الاشتراكية هو فن يخلقــه العباقرة والفنـــانون الطيبـــون والمختلفون كذلك .

أن أهم انجـــازات تطور جماليات واقعيتنـــا الاشتراكية هي ثمرات الصراع ضد جميع الاتجاهات الجامدة لتضييق أفق الواقعية الاشتراكية ، تلك الاتجاهات التى كثيرا ما فضلت نتاج المدرسة الطبيعية على نتاج الواقعية الاشتراكية المظفر لقد ظل الفن الواقعي محور نقاشات متعددة . وهذه النقاشات أحيانا ماتكون مفيدة تغنى الادب وكثيرا ما تؤدى كذلك الى مواقف نظرية خاطئة .

وكثيرا مايهاجمنا فنانو ونقاد الغرب متحدثين عن ((ازمة الواقعية الاشتراكية)) وما توجد ازمة الا في عدم تفهمهم لواقعنا .

أن الواقعية الاشتراكية تزداد قوة وازدهارا بمثل هذه الانتقادات وقد مرت بتجارب كثيرة خرجت منها اكثر قوة . فمناقشات **لوكاتش** مثلا مسحت تماما الحدود بين الواقعية الاشتراكية والواقعية النقدية واستنتجت أن بعض محاولات المجددين قد تعدت حدود الواقعية الاشتراكية ضاربا المثل ((ببرتولد برخت)) .

اننى احمل بعض نقادنا النظريين بعض المسئولية في عدم محـــاولاتهم المتواصلة الجدية لتوضيح الفروق بين النتاج الواقعي الاشتراكي وبعض النتاج الذى كان يحمل في السنوات الاخيرة ((سمات الطبيعية)) والذى قدم كامثلة للفن الاشتراكي . كما أننى أدينهم قليلا بعدم محاولاتهم توضيح ذلك الانقلاب الرائع في الفن وطرائقه بظهور وتطور الواقعية الاشتراكية . بل أننا لم نكشف على جميع المستويات عن تلك الثروة الكامنة التى تفتح آفاقا واسعـــة لتطور الواقعية الاشـــتراكية بل هى

جوهرها الا وهى ((التحيز)) أو ((الانحياز)) في الفن والادب . أن الوعي العميق يفتح أمام الفنانين الاشتراكيين آفاقا رحبة . بل أن ذلك الوعي العميق يدلل على أن الانحياز يغنى الفنان ويوسع أمكانياته الذاتية والابداعية . فمن الواجب أن نفهم جيدا أن المستوى الفكرى هو من طبيعة الفن الجديد وأن العاطفية ، وعطاء القلب وعمق وحدة العواطف ليست من صفات الشعر الغنائى مثلا بقدر ماهي من الخصائص الحقيقية لفن الواقعية الاشتراكية ، ذلك الفن الانسانى الكفاحى والذى يعارض جميع الاتجاهات التجديدية الحديثة غير الواعية بخيالاتها وبرودتها القاتلة .

أما الحديث عن حدود الواقعية فهى قضية درست وتوضحت تماما عبر المناقشات المختلفة . فلا توجد حدود للوعى ، ولاتوجد حدود لتغلغل فنان الواقعية الاشتراكية في عالم الواقع بل ولا توجد وسائل فنية يستطيع أن يتخلى عنها في محاولاته لحل مشاكله وتحقيق واجباته اذا ما كانت تلك الوسيلة الفنية وذلك الشكل التعبيـــــرى يساعده ويستجيب لاهتمـــاماته الايديولوجيـــة الابداعية .

ولــكن اذا ما كان عالمه الفــكرى يبعــــده ويعارضــــه مع الفن التجديدى فالواقعية وذلك التجديد لايتفقان . ففنان الواقعية الاشـــتراكيه لايمكنه أن يتخلى عن فلسفته ومفاهيمه وجمالياته بل وثمرات عبقريته الابداعية . أنه دائما نشيط متحفز للرد على جميع الاتجاهات التجديديـــة التجريبية وللنضال من اجل الواقعية ضد الاتجاهات الشكلية والتجريدية في الفن . كما إنه يعتبران من أهم مسئولياته وواجباته مكافحة الاتجاه الشبيه بالواقعية اى ((الطبيعية)) التى تعتبر أعدى اعداء الواقعية الاشتراكية .

اما قضية التقاليد فهى مشكلة قد درست دراسة عميقة في السنوات الاخيرة . ففنان الواقعية الاشتراكية يرث كل ماهو حسن وجميل ورائع في تقاليد الــكلاسيكية والرومنتيكية والطبيعية (في عصرها الاول كزولامثلا) . وفي تقريرنا لمشكلة التقاليد فاننا دائما ديالكتيكيون ونحاول دائما أن نكون مالكين ومتفهمين لكل ماهو حى وحيوى في النتاج الماضى ككل . بل اننا ناخذ كل ماهو حسن ورائع حتي في تلك المدارس والاتجاهات التى تبدو غريبة عنا وتعتبر عدوة لمذاهبنا . اننا نأخذ منها كل مايمكننا به أن نناضل ضد هذه المدارس والاتجاهات نفسها .

ومن أهم المشاكل التى يهتم بها علم الجمال وتاريخ الادب عندنا هى مشكلة العلاقات المتبادلة بين الواقعية الاشتراكية والواقعية النقدية . وأحيانا مايحاول البعض تحديد أو دراسة هذه العلاقات كمظهر لعـــلاقة الفن الجـــديد بالتراث

وذلك فى الواقع تضييق لافق المشكلة . فالواقعية النقدية ليست فقط من كنوز تراثنا بل انها مازالت قائمة وواضحة المعالم فى كثير من الاداب الاجنبية المعاصرة، فهى من التقاليد التى مازالت تؤثر تأثيرا كبيرا بل انها مشكلة قائمة امام الواقعية الاشتراكية. ففى ظروف الواقع الراسمالى تقف الواقعية النقدية حليفة للواقعية الاشتراكية مؤيدة الاتجاهات الاجتماعية الاصلاحية والامانى التقدمية . اما فى ظروفنا اى فى ظل النظام الاشتراكى فان تحول الفنان من الواقعية الاشتراكية الى الواقعية النقدية يعتبر خطوة الى الوراء . ففى الواقع توجد أمام فنان الواقعية الاشتراكية واجبات نقدية تجاه المجتمع ولكنها تختلف تماما عن الواجبات النقدية لفنان الواقعية النقدية . انها متصلة اتصالا وثيقا بواجبات تطوير المجتمع ، فمن أهم واجبات وصفات الواقعية الاشتراكية هى تطوير التقاليد والاشكال القومية والسيطرة عليها . وفن الواقعية الاشتراكية متعدد القوميات ولذلك تختلف الخصائص الجمالية لمختلف الشعوب . وفن الواقعية الاشتراكية يخلقه فنانون أمميون فنانون يحترمون احتراما عميقا الاشكال القومية والتراث القومى . ولان هذا الفن يخلقه فنانون أمميون فتطوره يتصل اتصالا وثيقا بالتعزيز والاغناء المتبادل للثقافات والاداب القومية . وانا لا اتحدث عن مجرد أحترام ذلك التراث وانما فهمه بعمق بل وتفهم استخدام الشعوب لاشكال تعبيرية مختلفة وعليه تفهم خبرات تلك الشعوب الفنية .

ان فن الواقعية الاشتراكية فن يتجه نحو المستقبل، ومن الطبيعى ان نود ان يكون لفننا اقوى تأثير على الجماهير . ولكن ذلك لايعنى عدم وجود نتاج فنى تزداد جدته ويتزايد الاعجاب به يوما بعد يوم وعلى مر السنين . فالقراء والمعجبون **بماياكوفسكى** مثلا هم اضعاف أضعاف ماكانوا عليه فى العشرينات — وفن **ايزنشتين** الثورى لاتخف جدته بل انه يجذب ملايين وملايين النظارة كل يوم .

ان الحديث عن طرق الواقعية الاشتراكية يحتم التطرق الى المبدأ الاشتراكى لتحيز الفن والادب وعن قوة الابداع والخلق والثروة الروحية والفكرية والجمال النفسى بل وعن التجديد فى الفن الذى يحاول دائما بوعى ان يفتح جميع ميادين الابداع والوعى والخلق فى جميع ميادين النتاج الفنى .

ثم تناول **ميسنيكوف** حبل النقاش مركزا كلامه حول بعض مواقف علم جمال الواقعية الاشتراكية ثم مناقشا بعض آراء روجيه جارودى فى كتابه « واقعية بلا شطئان » .

يقول **ميسنيكوف** : أن علم جمال الواقعية الاشتراكية يقف فى مواقف متعارضة . فهو يعترف بوجود القوانين الموضوعية للفن وامكانية التوصل الى هذه القوانين . ويبدو لى أنها فى مواقعها ونتائجها ترتكز الواقعية الاشتراكية على المبادىء الاربعة التالية :

المبدأ الاول : الفن يعبر عن الواقع بل ويعيد خلق الواقع الحقيقى ويستمع باهتمام وانتباه الى صوت الموضوع المعبر عنه والذى تطرق اليه ماركس فى حينه .

والمبدأ الثانى : هو أن الفنان ذى الموهبة والذى يتمتع بوجهة نظر خاصة لايجب ان يبدو كمجرد وسيط سلبى ينقل فى صورة طبق الاصل ماتقدمه له الحياة وانما عليه ان يبدع فى اعادة خلق مايراه موافقا مثله التى يدين بها .

أما المبدأ الثالث : فهو النتاج الفنى نفسه الذى لايجب أن يكون صورة مكررة لما فى الحياة ، وانما يجب أن يكون ذلك النتاج شيئا فريدا ، أى حقيقة استاتيكية(جمالية)كما عبر عنها آنذاك«جرتسن». كما يجب أن يكون ذلك النتاج اداة للتوعية ومدرسة لتحسين وتطوير واقع الحياة . بل ان ذلك النتاج الذى يقدمه الفنان يجب ان يكون له تأثيره مرة اخرى على الحياة الاجتماعية نفسها .

والمبدأ الرابع : هو ان النتاج الفنى يعتبر حقيقيا وناجحا اذا ما فتح أمام الناس شيئا جديدا يثرى أحاسيسهم ويغنيها ويفتح عقولهم ويقوى ارادتهم وأن يوقظ فيهم روح الفنان المتأصلة فى الانسان .

الحقيقة بين الفن والواقع

فابداع التعبير والعرض لايواكب مجرد بساطة العرض والاثارة . والنتاج الذى لايتعدى حد اثارة الحواس ويتقبله الجمهور دون جهد ولايترك اثرا باقيا فى النفس انما هو نتاج بعيد عن صفة الابداع . وكذلك الفنان الذى يقف عند حد عرض المواقف البدائية فانه لايحقق واجباته كفنان أى لايعمل على رفع مستوى قارئه أو حتى لايدفعه الى أن يكون الى حد ما اقوى واكثر تفهما . فالقضية تتلخص فى أن العالم الذى يجب أن نعترف به وان نعيد بناءه هو عالم فى حد ذاته صعب ومعقد . ولفهم هذا العالم لا يستوجب فقط وجود جهود الفنان وانما جهود القارىء كذلك . ففى الغرب لم تخف النقاشات حول واجبات الفن وتمثيله لنفسه فقط وحول طريقة اعادة خلق الواقع .

وهكذا تطور الفن العالمى فى السنوات المائة الاخيرة عبر مناقشات حادة مازالت دائرة . واود أن اشير هنا الى كتاب المانى فى النقد **لروبرت وأيمان** ظهر فى المانيا عام ١٩٦٢ «النقد الحديث وتطور النقد البورجوازى » . ويحوى هذا الكتاب مواد كثيرة تعرض التطور الذى خاضته الشكلية والذى يمتد لاكثر من مائة عام .

وقد حصل كتاب **روجيه جارودى** على شهرة

خاصة فى الغرب وعندنا كذلك أخذناه بالدراسة والنقد ، وما زال النقد دائرا حــوله بين مؤيديه المتحمسين له ومعارضيه . وفى راينا أن هذا الكتاب يشتمل على كثير من الحقيقة فهو يخوض معركة حاسمة ضد «الايجابية» و « الشــكلية » و «التبسيط» و « الجمود العقائدى » ومع ذلك يوجد به الكثير مما لايواكب الحق . ونتيجة لهذا الكثير البعيد عن الحقيقة يوافق الكاتب على مبادىء النقد الحديث الغربى، متضامنا معجموده . بل وظن،

فوتوغرافى تلجأ الى تصوير «مشوه» للحياة . وهذا لايتفق تماما وواقع تاريخ الفن . اما الفكرة التى يمكن تقبلها فى ذلك الكتاب فهى القائلة بأن علم الجمال البورجوازى قد أكتشف فقط فى القرن العشرين قانون أعادة خلق الفن للحياة . وبالمناسبة الم يتحدثعن ذلك الموضوعبالذات.. **ارسطو** ؟ بل **وجوته** حين قال : **أن نتاج الفن يختلف تماما عن نتاج الطبيعة ولايكررها صورة طبق الاصل . أن النتاج الفنى هو طبيعة ثانية .**

ولنتطرق الى المقدمة التىقدم بها **«فكتورهوجو»** مسرحية كروموبل والتى تعتــبر ميثــاق الادب الرومنطيقى ، والتى اقترب فيها من نفس تلك الفكرة : «ان المسرحية يجب ان تكون مرآة مركزة. مرآة لا تخفف من حدة الاشعة الملونة بل على العكس تجمعها وتركزها محولة الاشعة الى نور والنور الى شعلة وهاجة » .

وساضرب مثلا آخر من عصرنا الحاضر . ففى سنة ١٩٢٧ نشر الكاتب **«ليونيد ليونوف»** مقالا بعنوان **«هواية التصوير»** . ومن يقرأ هذا المقال يجد الاجابة علىمايحاوله مؤرخو الادب الغربيون اليوم عندما يحاولون أن يضعوا الواقع والصورة على قدم المســـاواة . يقول «ليونيد ليونوف» : «أن احسن لقطة تصويرية ليست شيئا كاملاتماما أنه صورة للواقع الذى انقضى عهده . أن هذه اللقطةتعرض مرحلة زمنية قصيرة، لقطة من الحياة أصبحت حتى قبل أن تحمض الصورة شيئا غير حقيقى » .

وقوة الفن تتركز فى أنه فى نتاجه يشبه البذرة التى تحوى بغزارة جوهرا أكبر بكثير من البذرة ذاتها، أكثر بكثيرمما تستطيع ايةعدسة مكبرة لاكبر آلة تصويرية أن تستوعبه . فآلة التصويرتشرح مثلا وضع السكين فى قلب «ديدمونة» ولكن هذه الالة لايمكنها مطلقا أن توضح أو ان تعبر عن هذه الوحدة .. عن هذه الصلة المتينة بين الوحشية والقدر وبين الغيرة والنقاء . أنها لايمكنها مطلقا أن تقرر أعماق وأبعاد تلك المأساة التى تمت فى مكان الجريمة .

ويمكن الادلاء بالكثير من الادلة والشواهد التى تؤكد على أن أكبر فنانى القـــرنين التاســـع عشر والعشرين والاصــــلاحيين والرمنطيقيين وفنـــانى الواقعية النقـــدية وكتاب الواقعية الاشـــتراكية لم يضعوا مطلقا علامة المساواة بين الفنوتصوير الحياة صورة طبق الاصل ، وانه لم تحدث مطلقا أية ثورة سنة ١٩٠٧ .

ان النتاج الفنى ، اى عالم الواقع الجمالى ، يولد نتيجة لقاء الفنان بالحياة ، نتيجـــة لتعرف الذات الملهمة بموضوع الواقع . وكيف يتم هذا اللقاء ؟ وماهى علاقة الموضوع والذات فى النتاج الفنى ؟ هذا الجواب يعطيه ممثلو مختلف المدارس الاستاتيكية (الجمالية) وهى اجابات مختلفة متباينة ومتعارضة .

وتحدث بعد ذلك **«كاراجانوف»** متعرضا لنقطة هامةتطرق اليها **«ديمشيتس»** وهى أنه قدتوضحت كثير من المفاهيم الخاطئة التى تعمل على تضييق افق الواقعية الاشتراكية . يقول « كاراجانوف»: فالواقع هو أن الســـنوات والدروس التى مرت علينا لم تنطبع فقط فى ذهن أبطالنا بل فى نفوس الناس كذلك . فتاريخ الحرب وســـنوات مابعد الحرب يبقى دائما مدرسة التفكير الواقعى .

واذا ما كان طريق ابداعنا يحتاج الى أوصاف تكميلية حتم وجودها عصرنا الراهن فاننا يمكننا أن نضيف كلمة **«التحليلية»** . فتحليل الحياة فى عملية تحقيقها الفنى أصبح الان من أهم صفات الانتاج المعاصر .

اننا في حاجة الى تحليل يومي دائمي لسير الحياة تحليل يدلل على ديمومة المجتمع كمثل واضح للتفكير والسلوك . من الضروري جدا لنا ولغيرنا وجود دراسة يومية في روح التقاليد الاشتراكية لكل خطوة جديدة ولكل اثر من آثارها الحقيقية على الشعب ففي غمرة النقاش بجميع اشكاله كنقد أخطاء الامس أو دراسة الجديد مثلا ، في غمرة ذلك تتولد الحقيقة الاجتماعية القيمة . ولكنني أوكد على ان نقد أخطاء الامس لايجب أن يكون فقط لمجرد النقد . فتحليل تناقضات الحياة فقط في شكل نقد للمرحلة السابقة أنما هو تطرف ويتخذ طابع المشكلة ذات الجانب الواحد . فالنقد لمجرد النقد غير كاف لاظهار الحقيقة الديالكتيكية (الجدلية) والتي تعتبر الشرط الحاسم لاعماق النتاج الواقعي ، بل وغير كاف لكي تظهر ديالكتيكيا عظمة وصعوبة ذلك الطريق الطويل الذي قطعناه ، بل عظمة وصعوبة حركة المجتمع السوفييتي المعاصرة .

أن التعبير التاريخي الملموس للواقع ليس من خصائص الواقعية الاشتراكية وحدها . وحتى تطوره الثوري متتابعا كان أم متناقضا انما ينعكس في كثير من نتاج الكلاسيكيين بل وفي نتاج فناني الغرب المعاصرين الذين يتتبعون حياة المجتمع في روح تقاليد ومبادىء الواقعية النقدية . أن مجرد تكرار « الكليشيهات » المعتادة في معرض النقد لايمكنه مطلقا أن يحل محل التحليل العلمي لعملية النتاج الفني فذلك يعيق توضيح تلك الخصائص والميزات الجديدة الخاصة بالادب والفن السوفييتيين والتي تساعد على وجود التطور الفني للانسان .

أن مجرد تكرار الاحكام بشكل مطلق ليعيق كذلك عالمية طريقتنا الابداعية التي تظهر في كثير من الاشكال الفنية والاسلوب والانواع الادبية المختلفة بل والتي تظهر كذلك في استيعابنا لجميع الظواهر الحيوية التي تشغل بال الانسان . واذا ماتوقف الناقد عند حد تبيان التعارض بشكل ساذج فانه يضع بذلك العقبات أمام نفسه ولا يستطيع بسهولة أن يرى أن الادب السوفييتي والفن السوفييتي الى جانب الخصائص والميزات التي لاتتكرر انما يستوعبان ويهتمان بجميع المشاكل التي تشغل بال الفنانين في العالم كله ، مع الاخذ بنظر الاعتبار بانهما يجابهان حلول المشاكل القائمة هذه بطريقة أخرى تتوضح فيها آثار الخبرة التاريخية المعنية بل ووجهة نظر الفنان الخاصة وكذلك أنفعال وعاطفية الجمهور الذي يخاطبه .

أن من أهم المشاكل التي يهتم بها الفنان السوفييتي والاديب السوفييتي هي مشكلة التفاهم المتبادل بين الفنان والجمهور ويحاول الفنان السوفييتي أن يدلل على تناسق ووضوح العلاقات الانسانية كما أنه يوجه أهتمامه الفني الى توضيح العملية الاجتماعية التي يعيشها محاولا شرح جميع الظواهر الاجتماعية والتدليل عليها . فحياة المجتمع السوفييتي نفسه تعلم الفنان الا يثق في خيالات الاوهام والاساطير . ففي ذلك المجتمع يزداد ويتوطد يوما بعد يوم التفاهم المتبادل بين الناس وتتكون وتتطور باستمرار العلاقات الاشتراكية وعمومية المنافع الحيوية وعليه عمومية الانفعال الاشتراكي . ان عملية تكوين تلك العلاقات الاشتراكية وحدوث التغيرات في نفسية الانسان وطباعه في ظل الوجود الاشتراكي تتحقق وتتبلور في النتاج الادبي والفني السوفييتي .

الواقعية .. وروح العصر

وتناول الكلام بعد ذلك « كوجينوف » فتعرض لقضية معايشة الفن لمشاكل العصر وكيف انه يستوعب جميع تلك المشاكل العصرية بل ولا يتخلف مطلقا في المجتمع السوفييتي عن مشاكل العصر . وايد وجهة نظر «كاراجانوف» من ان الفن لايمكنه بل ولا يجب أن يقصر نفسه على تعداد أخطاء الامس . فالفن يجب أن يعبر عن الحقيقة الحية المعاصرة وان يستوعبها بل وان يكون في سباق مع الزمن حتى ولو كان الموضوع الذي يتطرق اليه موضوعا قديما . فالفن الذي يقف عند حد نقد مشكلة من مشاكل الماضي هو فن لايكشف جديدا ولايقدم جديدا بل يتناول ماهو معروف مسبقا ؟ أنه فن يعيش على حساب الماضي ومن المؤسف حقا ان نقد الماضي مازال يحتل مكانا كبيرا في نقدنا الحديث ولكن ذلك لايعني اننا يجب أن نتوقف عند حد ذلك . ان أهداف الفن هي استخراج طريق المستقبل والكشف عنه عبر دروس الماضي . والفنان عندما يكتشف العصر واعماق الحقيقة المعاصرة يستطيع أن يتمتع بالشهرة والديمومة والخلود . فحياة الفن وبقاؤه كانت وستكون في أكتشاف اغوار الحقيقة المعاصرة واحب بالمناسبة أن أذكر قصة تعرضت لقضايا الماضي ولكن لايمكن أعتبارها مجرد نقد لهذا الماضي وانما توضح لنا جوهر وابعاد أحداث الماضي . انها رواية الكاتب المعروف « كوروشكين » ((**الحرب هي الحرب**)) . وأنا أعتبرها واحدة من أخلد قصص الحرب الماضية انها تكشف كيف أنتصرنا في الحرب الماضية ولماذا أنتصرنا . أنها توضح لنا كيف حارب اولئك الذين لم يخلقوا للحرب وكيف أن النصر لم يكن فقط من عمل الجيش بل أنه من عمل الشعب السوفييتي كله . وقصة كوروشكين هي اعادة كشف لتلك المرحلة من حياة الشعب السوفييتي ينظر اليها ويعبر عنها كاتب معاصر . ان ابطال القصة يحملون تلك الصفات التي تراها وتحس بها عند من استطاع أن يعيش تلك الحرب ويصبح من معاصرينا الان . بل أنك ترى فيهم كذلك الكاتب نفسه أنسان الاعوام الستين من القرن العشرين .

ثم تحدث بعد ذلك ((**يوريكوف**)) متحدثا عن

الطليعة الحقيقية للفن العالمي . وبدأ حديثه بقوله: « انني كثيرا ما أتصفح المجلات القديمة واهتم خاصة بالمناقشات الادبية التي أثيرت في الماضي. فاذا ماأردت التحدث عن تلك المشاكل المثارةفانما اتحدث في الوقت نفسه عن تلك القضايا الملحة التي تشغل بالنا كذلك في الوقت الحاضر . فهناك نقاش حول فن بناء الحياة الجديدة ، وعن نشاطات ووعى دور الفن في المجتمع ، ولكننا لم نتطرق ولامرة واحدة لقضية تتحدث عن الاساس النقدى والتأكيدى للفن . ومع ذلك فاذا كنا نعود في بعض الاحيان لمناقشة مانتصوره الان «قديما» فلايجب أن يغيب عن أذهاننا أننا نعود لتكرار مشكلة قد وجدت لها حلا مثلا منذ زمن . ونحن أنما نعود في كثير من الاحيان الى المشاكل القديمة مسلحين بخبرة أجتماعية جديدة غنية ، مسلحين بخبرة التطور الادبي ونظريته وبفهم أعمق لطبيعة الفن وتنوعه وخصائصه . وكثيرا ما نتعرض لكثير من مشاكل الامس على أساس جديد . فمثلا توجد وجهة نظر ذات انتشار كبير تقول : ان الفنان يخلق العالم ولايعبر عنه في نتاجه . ونظريون آخرون في الغرب يعلنون ان الفن الذى يعيد خلق الحياة في شكل الحياة نفسها اصبح فنا قديما وأن فن العصر هو فن ذاتي واكثر نشاطا وتنوعا . بل ويستنتجون لانفسهم أستنتاجات خاطئة عن ذلك الموضوع الذى يتحدث عنه ، ويعرض تعاظم دور الفرد في عصرنا ومغزى نشاطاته. والردعلى ذلك يستوجب وجود دراسة تتناول أكبر المشاكل : مثل الواقعية والواقعية الاشتراكية ثم اشكالها الحديثة . وأحب أن اتطرق الى مناقشة طريفة جرت في الاسبوع الماضي مع أحد رفاقنا من مفكرى أحدى البلدان الشقيقة اذ قال : « أنتم تتحدثون عن الواقعية الاشتراكية . ووددنا لو لم نستعمل هذا التعبير ، فهو يتصل بالكثير من الجمود . اليس من المستحسن أن نقول : الفن الاشتراكي ، فن الانسانية الاشتراكية ودون أن نقيده بمرحلة خاصة هى الواقعية ؟ »

وأجبنا رفيقنا بقولنا : مما لاشك فيه ان ادبنا وفننا هو فن الانسانية الاشتراكية ، ذو الافكار والمبادىء الثورية . ولكنقصرنا الكلام بهذا الشكل أنما يعبر عن جانب واحد فقط من جوانب الادب وهو الموضوع والاتجاه الايديولوجي ، ولكنه لايقترب من مفهوم كيفية تطور الادب والتقاليد التي يستند عليها وطريقة التعبير الفنى لدى الكاتب . أننا بتوقفنا عند حد التعبير المقترح من جانب الرفيق لن نستطيع أن نتعرف أنذاك على الخصائص الفنية للادب المعاصر . فالحديث يدور حول عملية تطوير الشكل الفنى في صلاته العميقة بالموضوع وبالتطور الكامل للواقع . فما لم نعط أجابات عن الطريقة الفنية فاننا سنظل عند حد معرفة الظواهر السطحية وندفع أنفسنا اذ ذاك بالبدائية

فالفن المعاصر يملك خبرة جمالية تجمعت عبر السنين لايمكن أن تبعدنا عن تحليلها ومعرفة ابعادها كل تلك المناقشات الفنية عن مبادىء الانسانية . فلا يمكن التحدث بجد عن قوانين التطور الفنى دون الرجوع الى خصائص الادب ومكانه الخاص في الحياة الروحية للمجتمع، ودون الرجوع الى مشاكل الطرق الفنية التعبيريةللادب ان مناقشاتناالادبية المعاصرة تتمتعبأهمية قصوى فى هذاالسبيلبالذات. فمشاكلالواقعية والتجديدية ومشاكل التجديد بل والتقاليد المتصلة بمشاكل أخرى اوسع بل وبمفهوم طريق تطور العالم المعاصر ودور الانسان في المجتمع وبمفهومنا للثقافة في ضوء الصراع العقائدى. وتبرز أسئلة أمامي: هل يعمل التطور العلمي والتكنيكي وبروز ظاهرة « الثقافة الجماهيرية » ، هل يعمل ذلك على الاقلال من دور الذخائر الفنية ومستواها ؟ هل يتاثر هذا الدور بالتطور التكنيكي ؟ وكيفيؤثر صراع القوى الاجتماعية على النتاج الفنى ؟

تطورات علم الجمال الواقعي

انحياة الانسان الروحيةتعكس جميع التناقضات الاجتماعية والتكنيكية وغيرها . ومن الضروري الانواكثر من أىوقت مضىدراسة وتحليلالمشاكل الفلسفية العميقة للثقافة . فذلك يساعد على شرح وتوضيح بعض المشاكل . ودون شك تتطلب المشاكل الجمالية دراسة خاصة منالاعماق فاحيانا مايقولون أن الواقعية قد قدم عهدها فلا جوركي ولاغيره من كتاب الواقعية يمكنهم أنينتمو الى الثقافة الحديثة . واجبنا للتدليل على خطأ هذا الاعتقاد ، وواجب نظريتنا يتلخص في تبيان حدة واصالة التقاليد الواقعية والتدليل على أهمية الفنالواقعى الكبيرللمجتمعبل وأيجادالاستنتاجات العميقة الواعية على أن الفن يعتبر استجابة ضرورية لا محيص عنها لمتطلباتالانسان المعاصر الاتية. وتبقى مشكلة ذات الفرد وعلاقتها بالفن. يتوطد باستمرار مفهومنا القائل بأن الانسان هو سيد الحياة ، بأنه عضو نشيط يستوعب الواقع ويتحكم باستمرار فيتطويره ، وذلك يعنى ان الفن والادب يتمتعان بمغزى عميق وأهمية كبرى فيحياة المجتمع الروحية .

فالواقعية وخاصة الواقعية الاشتراكية تعتبر في عالمنا الحاضر وسيلة قوية تدلل على تناسق التطور في جميع مناص النشاط الهادف للذات الانسانية بل وعلى زيادة وعي واغناء العالم الروحى لانساننا المعاصر . ولان أفكار الاشتراكية ترتكز على المعرفة العلمية التقدمية نفسها بل ولانها فلسفة العمل الثورى ، فعلينا أن نعرف دائما وابدا أعماق وابعاد المجتمع والانسان معا . فان ذلك ضرورى جدا لاعادة بناء العالم ولاغناء

العالم الروحى للانسان ولرفع دوره الابداعى . فوحدة الوعى والنشاط ، وحدة الفكر والعمل هى من اهم صفات أنسان مجتمعنا .

ان على الجماليين ان يقدموا تدليلا على مغزى الواقعية الحيوى ، على مغزى الواقعية الاشتراكية فى المجتمع المعاصر بجميع اشكال علاقاته بالواقع المعقد .

وتتطلب حيـــاة المجتمع السوفييتى الروحيـــة وخاصة حياة الجيل الجديد ، تتطلب تطوير الواقعية الاشتراكية وغربلة الفن السوفييتى من كل ماهو غريب وغير حقيقى بل وتخليصه من كل مايعادى جوهره الحقيقى .

ان فن الواقعية الاشتراكية عليهأن يعمل على توجيه الحياة الروحية للشعب السوفييتى بروح الفهم الحقيقى للحياة ، فهم آفاق التطورالاجتماعى وحقيقة بل وطبيعة العلاقات الاجتماعية فى المجتمع السوفييتى .

ثم تطرق الكاتب الى مناقشة نقطة وردت فى حديث كاراجانوف حول نقد اخطاء الماضى فقال : لقد تحدث كاراجانوف عن ان ادبنا قد تحدد بنقد المرحلة السابقة واننا ننقد اخطاء الماضى منطلقين من قرارات اليوم . ان ذلك شىء غير صحيح تماما ففى معرض نقد الاخطاء السابقة يهتم الكتاب بذلك الجانب من الحياه الذى يهمنا اليوم واننى أستطيع أن اعدد بعض نتاجا ونتاج إشقائنا فى الدول الاشـــتراكية تعـــرض فيهـــا كتابها ينقـــد لمشاكل الامس وبالتحليل العميق الجاد لمشاكل اليوم . فمثلا قصة « قاعة الاحتفالات » للكاتب الالمانى « جرمان كانت » الا تعتبر وثيقة اجتماعية هامة بالنسبة لحياة جمهورية المانيا الديمقراطية الحاضرة ؟

فنحن اذن فى سبيل تأكيد ونقد اسس الفن نتطرق الى هاتين المشكلتين فى صـــلة ديالكتيكية متينة .

أننا نتحدث دائما عن مبادىء التوجيه والنشاط الهادف، ولكن الافكار اللينينية تحمل وجها آخر : فتحيز الادب يعنى كذلك موضوعية عميقة ترتكز على تغلغل وتفهم عميقين لقوانين المجتمع .

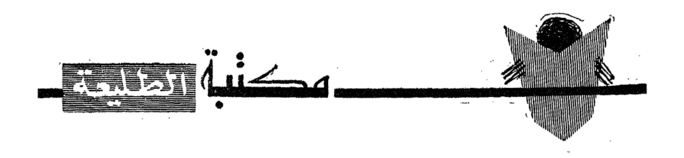
لقد كتب الناقد الايطالى «ستر ادا» مؤخـــرا مقالا قال فيه «ماهى هذه الواقعية الاشتراكية التى تستوعب فى حدودها كتاب مختلفون تماما كجوركى وماياكوفسكى ؟ »

وارد عليه بقولى ان وجهة نظر الناقد الايطالى ضيقة جدا بل وتدلك على مفهوم غريب للواقعية الاشتراكية . الم يكن يسعى جوركى اوماياكوفسكى الى كشف آفاق المستقبل ؟ أن فن الواقعية الاشتراكية . الم يكن يسعى جوركى اوماياكوفسكى الطريق الجديد أمام الابداع الفنى . ويقف فقط فى الطليعة أولئك الذين يقدمون الجديد الحقيقى ، يقدمون الجديد الثورى والاشتراكى فىحياة المجتمع فى ثقافته وفنه . أن المرحلة الجديدة فى تطور نظريتنا الجمالية تبدا من الرفض التـــام للجمـــود العقائدى . فأية ثمرات ستقدم للناس هذه النظرية؟ هذا ما سيكشفه ويتحدث عنه المستقبل .

وتناول بعده الحديث **كوزمينكو** قائلا : وددت أن ابدا الحديثمننقاط الخلافلقد استخدمديمشيتس كلمة «انقلاب» بينما لم يتقبل تماما كاراجانوف هذا التعبير . واقول أنا : أنقلاب هو أم ماذا ؟ يبدو لى ان الجواب على هذا السؤال لايتوقف علىالتعبير الملموسلفننا بقدرمايتوقف علىالمستوى الذى ينطلق منه من يدرس الظاهرة الفنية . ففى السنوات الاخيرة ظهرت لدينا محاولات هامة لدراسه تطور الوعى الفنى فى مجموعه ومحاولة اعطاء وتقديم تاريخ علمى لانواع وصفات ومثل البطل مثلا . وعبر عدة قرون تفصلنا عن عصر النهضة حدثت تغيرات بطيئه ومتعارضة ومستمرة فى الوضع التاريخى للانسان . فالانسان فى العالم الراسمالىيبدو اكثرواكثر متعلقا بالظروفالخارجية المعاديةله ، بل انه مرتبطبها ، كما ان ميدانالنتاج الاجتماعى يضيق امامه باستمرار . وفى ظنى أن تلك هى نقطة الانطلاق بل الاساس الموضوعى ، التاريخى الحاسم لاعادة البناء الشامل للصفات وللمثل الفنية فى مجموعها . فالفن يرسم خطالتطور الروحى ويوضح الكبوات والانتفاضات فى الوضع الموضوعى بل وفى عواطف الفرد كاحسن خط بيانى وبتوسيع ميادين النشاط الاجتماعى للطبقة العاملة ومواقفهـــا الثورية ، ثم حدوث الثـــورة فى بلادنا وانتصارها . كل ذلك أدى الى تحطيم تلكالقوانين التى عملتومازالت تعملالان فى المجتمع الراسمالى على تحطيم و « اتمتة » الذات الانســـانية .

واختتم الندوة بعد ذلك **ديمشيتس** مؤكدا على ان هذه الندوة لم تستوعب مناقشة جميع جوانب المشكلة ــ كما أن بعض الاراء تحمل صفة الذاتية . كما ان الجوانب التى نوقشت مازالت تحتاج للمزيد من النقاش للوصـــول بها الى حـــد الـــكمال . ولاستيعاب جميع جوانب المشكلة واشباعهادرسا وتمحيصا يتطلب ذلك اياما طويلة حول المائدة المستديرة ، مما سنحاول القيام به فى الندوات المقبلة .

هذا ومازال باب النقاش مفتوحا على صفحات المجلات والصحف الادبية فى الاتحاد السوفييتى خاصة، وانها مشكلة من اهممشاكل جدولالاعمال التى سيدور حولها الكثير من النقاش فى المؤتمر الرابع للكتاب السوفييت .



■ طريق الثورة اليمنية
● تأليف د. محمد على الشهارى

■ من المجلات الفكرية العالمية
● مجلة الاقتصاد والسياسة الفرنسية

طريق الثورة اليمنية

● تأليف : د. محمد على الشهارى

في تقديمه لدراسته الجادة من «طريق الثورة اليمنية»، يستعرض الدكتور الشهارى الاعتبارات التى دفعته الى كتابة هذا البحث فيما يلى :

● الفراغ السياسى الذى نشأ من انهيار مذهب الامامة ونظامها . وضرورة وجود بديل فكرى ومذهب سياسى علمى وتقدمى .

● انه لايوجد عمل ثورى بدون نظرية ثورية يسترشد بها .

وبعد المقدمة يتناول الدكتور محمدعلى الشهارى تاريخ اليمن منذ أقدم العصور ، بأسلوب جديد على الكتابة عن تلك البلاد ، ويبين أن ماتتعرض له اليمن اليوم من حشد رجعى استعمارى ليس من باب الصدفة ، فموقعها الجغرافى والاستراتيجى والتجارى الفريد ، وخصوبة ارضها ووفرة ثرواتها الطبيعية قد جعلها مطمحا للطامعين ، ومحلا للصراع والغزو الخارجى ، ابتداء من الاسكندر المقدونى والبطالسة الذين ارادو كسر احتكار مملكة سبا اليمنية للتجارة ، الى الرومان والاثيوبيين والفرس والاتراك والانجليز والايطاليين والفرنسيين والهولنديين واخيرا الامريكيين

ومع ان الاسلام دينا للتوحيد وتراص الصفوف الا أن آل زياد الذين حكموا اليمن بعد استقلالهم عن الخلافة العباسية عام ٨١٩ م ، قد غذوا التمزق الاقطاعى ، والصراع الطائفى ، والنزاع المذهبى ، الامر الذى استمر حتى القرن العشرين مما اصاب البلاد بحالة من الضعف والتأخر ، اغرت الطامعين ، وجعل الصراع البريطانى التركى يحتدم حول هذه البلاد ، وفى هذا الصراع انهزمت تركيا لابفضل القوة البريطانية ، وانما بفعل التناقضات الداخلية التى كانت تهز المملكة

العثمانية حتى النخاع والنفوذ المتصاعد للقوى الرأسمالية داخل القسطنطينية . وبالخديعة والضغط ، سيطرت بريطانيا على الجنوب اليمنى ولكن الشعب اليمنى احال وجود الانجليز ، كما فعل مع الاتراك وغيرهم ، الى جحيم لايمكن احتماله .

وعلى امتداد التاريخ اليمنى ، يتضح ان كفاح الشعب كان منصبا من الناحية الموضوعية على غاية رئيسية وهى : القضاء على الحكم التركى ، الدفاع ضد الاستعمار البريطانى وضد حلفائه من سلاطين وامراء الجزيرة العربية، التغلب على التمزق الاقطاعى وعلى بقايا المجتمع العشائرى وخلق دولة يمنية موحدة مستقلة . وكما يؤكد المؤلف فقد كانت هذه العملية منسجمة مع تيار التطور العام داخل الوطن العربى وخارجه ، وذات دلالة تاريخية وتقدمية كبرى .

وموقف السعودية من اليمن ، له جذوره التاريخية التى تمتد الى اطماع الوهابيين الاولى فى اليمن ، وتعاونهم مع الاستعمار البريطانى لاخضاع اليمن ،فضلا عن ان السعودية تعتبر ان الثورة اليمنية تهديدا لها بقضائها على نظام اجتماعى شبيه لنظامها ، واقامة قاعدة متحررة فى وسط منطقة ، تعاون الاستعمار القديم والجديد والرجعية العربية بكل تناقضاتها — تعمل على الاحتفاظ بها فى حالة من العزلة والتخلف . وكان امراء اليمن وحكامه، ونظامهم الاجتماعى المتخلف هو السبب الاول الذى مكن لهؤلاء من تحقيق اغراضهم . ومع ذلك فقد ظل الشمال اليمنى يلتهب بنار الثورة والمقاومة ، يصد السعوديين ويحطم اطماعهم وعدوانهم . ورغم هذا ، فنتيجة للتركيب الاقتصادى والاجتماعى المتخلف الذى قامت عليه دولة الائمة لم يكن فى امكان الشعب اليمنى ان يصل بكفاحه الى نهاية النصر ، والى خلق وحدة وطنه .

كما ان سنوات الكفاح المضنى المرير ، اثبتت أن مهمة تحرير الارض اليمنية من الحكم الاجنبى تتطلب أولا التحرر من الحكم الرجعى الداخلى وان رفع الظلم الداخلى والاضطهاد الطبقى ، والطائفى ، والعنصرى مقدمة لازمة لرفع الظلم الخارجى ، والاضطهاد الاجنبى ، وان تحرير الانسان اليمنى هو الخطوة الاولى لاطلاق قواه وطاقاته من أجل تحرير وطنه ، وهذا مافعلته ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ .

وبعد المدخل التاريخى ، يقدم المؤلف «لمحة عامة» عن الاوضاع فى اليمن ، فيتحدث عن برنامج الاحرار اليمنيين على امتداد نضالهم الذى يتمثل فى مقاومة الاستبداد ، والبحث عن الشخصية القيادية ، (وهنا لايبرز المؤلف مامعنى هذا البحث عن الشخصية القيادية) ، والاندماج بالامة العربية وسعادة الشعب .

ويؤكد المؤلف ان احد هذه الاهداف الرئيسية كان غامضا ، فلم ينادى الاحرار بالغاء نظام الامامة الملكية ، مما افشل انتفاضة ١٩٤٨ ، ١٩٥٥ . ولكن ثورة ٢٦ سبتمبر من ١٩٦٢ استهدفت اقامة النظام الجمهورى وايجاد جيش وطنى ، اقامة تنظيم شعبى وتحقيق الوحدة الوطنية والعربية وتحقيق العدالة الاجتماعية . وبذا كتب لها النصر والتوفيق .

وفى عرضه لفساد نظام الامامة ، يبين المؤلف انه تحول من الناحية العملية الى نظام وراثى ، رغم انه ليس كذلك من الناحية النظرية . وقد كرس هذا النظام السلطة التشريعية والتنفيذية والقضائية فى شخص واحد هو الامام ووضع فى يده السلطة الدينية والدنيوية . والامام يحيى ومن بعده احمد لم يهتما بانشاء جهاز سياسى وادارى للدولة . ويقول المؤلف ان هذا النظام عزل اليمن عن كل تيارات التقدم فى العالم وكتب عليها التخلف والجمود . ويؤكد فى جراة ، فيها شيء من المغالاة ان اليمن كان فى امكانها ان تسير فى نفس الطريق الذى سارت فيه اليابان ، ويقول «ان الامر لم يكن اصعب مما كان عليه فى اليابان ولو أن حكومة اليمن سارت بالبلاد فى هذا الطريق لاصبحت ذات وزن سياسى عالمى» . الا انه لم ينشأ فى اليمن جهاز ادارى حديث للدولة ، وحلت سلطة الامام المطلقة محل سلطة الشعب ولم يكن فى البلاد نظام صحى او تعليمى، ولم توجد مؤسسات صناعية او زراعية او منشآت للرى ، ولم تتكون مؤسسات صناعية او زراعية او منشآت للرى وبقيت اليمن فى ثقافتها وزراعتها ومستواها الاجتماعى وفى جميع مرافق حياتها تعيش فى اكثر مراحل القرون الوسطى تخلفا . وفى ظل هذه الاوضاع اصبحت البلاد مرتعا للاستعمار بنوعيه القديم والجديد . وفى عهد الامام احمد اخذ البلاط الملكى يتحول بالتدريج الى مسرح للنفوذ الاستعمارى واخذ النفوذ الامريكى يكتسح النفوذ البريطانى ، واصبح له عملاؤه فى جهاز الدولة ، وحصل على امتيازات التنقيب عن البترول وغيره .

ويرجع المؤلف نشوء المجتمع الاقطاعى فى اليمن الى الفترة التى انهارت فيها الحضارة اليمنية القديمة الزاهرة ذات التطور العالى ، والى الفترة التى قضى فيها على الدولة الحميرية نتيجة للاحتلال الحبشى فى ٥٢٥ م ، وساهم حكم الائمة فى توسيع وتدعيم الاوضاع الاقطاعية ، بمصادرة الاملاك واعطائها لاعوانهم ، مما جعل مملكة الائمة تتكون من طبقتين ، طبقة الاقطاعيين وطبقة الفلاحين ، ومع ذلك فلم يكن هناك نظام القنانة الاقطاعى الذى

عرفه الشعوب الاخرى فالاقطاعى لا يستطيع بيع او ضرب الفلاحين اليمنيين شبه الاقنان،وكان هذا الاخير يحصل على ملء بطنه ويسمى «الشارح». وهناك حالة خاصة فى تهامة ، حيث كان الشيخ الاقطاعي الاكبر « هادىء هيج » لا يزرع الارض بواسطة فلاحيه شبه الاقنان فقط بل بواسطة العبيد الذين يستطيع ضربهم او قتلهم،وكان الشكل الغالب هو تقسيم الاقطاعى لارضه وتأجيرها للفلاحين ، وطبقة الاقطاعيين كما يقول المؤلف لم تكن كلا واحدا ، بل ينقسمون الى كبار ومتوسطين وصغار ، وينقسم الفلاحون بدورهم الى اغنياء ومتوسطين وصغار . ومع ان الامام كان حاميا وممثلا للنظام الاقطاعى ، فانه لم يكن يعتمد فى حكمه الا على قلة من الاقطاعيين ، هم نوابه فى حكم الاقاليم ،والذين تتشكل منهم الحكومة والجهاز البيروقراطى وقواد الجيش ، وتلك هى الفئة الكهنوتية الاقطاعية من الزيود.وبهذه الطريقة عمق الامام يحيى(واحمد من بعده) التفرقة الطائفية والعنصرية . فاليمن ينقسم طائفيا الى زيود ويبلغ عددهم ٥٥٪ من السكان ، وشوافعه ٤٥٪ ، واسماعيليين ويبلغ عددهم ١٥٠ الف نسمة.وهذا التقسيم الطائفى مرتبط بوجود علاقات اقطاعية متخلفة ، ولن ينتهى الا بالقضاء عليها .

ويبين المؤلف ان فئة الحرفيين محتقرة فى اليمن ويرجع ذلك فى رأيه الى انهم يمثلون لحظة جديدةفى علاقات الانتاج وبداية لنشوء نظام اجتماعى جديد. اما فئة الخدام الذين يتميزون بلونهم الاسود ، فلا يجوز لهم تملك الارض أو العمل كاجراء فى اراضى الملاك ، وهم من أصول حبشية وفارسية وهم مكروهون ومحتقرون ومضطهدون من الجميع ولن يتغير هذا الوضع المحزن الا بتصنيع البلاد ومشاركة هؤلاء فى الانتاج .

وحتى التجارة (بعد خروج اليهود من اليمن اثر نكبة فلسطين) كانت حكرا على العائلة المالكة ووكيلها المليونير **على محمد الجبلى** ، مما عاق نشوء برجوازية تجارية متطورة فى البلاد كما يقول المؤلف . ومن هنا لعبت البرجوازية التجارية الصغيرة ولاسيما العناصر الواعية منها لمصلحتها والطموحة سياسيا والساعية الى كسر احتكار الامام للتجارة ، والى تطوير رأسمالها فى حرية ودن خوف لعبت دورا مرموقا فى التحضير للثورة وكانت العنصر المساعد للضباط فى تفجيرها .

وعن هذه الثورة يقول المؤلف ، ان الغالبية الساحقة من الشعب اليمنى قد ايدتها، ولم يعارضها سوى قلة من المرتزقة التى تدافع عن الامامة ليس لتعلق بها،ولكن لحصولها منها على الغنائم، فقد اوصى الامام المخلوع الى بعض القبائل بأنه فى امكانها أن تشن الغارات على المدن وتستبيحها كما كان يفعل ابوه من قبل .

وتطورت حرب المرتزقة الى حرب استعمارية واجتمع عليها خصوم اقوياء من اقصى شمال الجزيره الى اقصى جنوبها ، وتدفقت اسلحة حلف الاطلنطى وحلف جنوب شرق آسيا والحلف المركزى وحتى اسلحة الصهيونية . وكان لابد من سند عربى للثورة يقابل السند الاستعمارى والرجعى الخارجى للثورة المضادة . وجاءت النجدة من القاهرة ، وهى ليست صدا لعدوان خارجى على بلد شقيق فقط ،بل كانت اول صدام فعلى وفى اعنف صورة بين قوى الثورة العربية من جهة وبين قوى الاستعمار من جهة اخرى ، واشارة لاتقتصر على دعم ثورة اليمن ، وانما تمتد لتشمل حركة التحرير فى الجنوب العربى كله .

وهذا الصدام له دلالة عالمية ، انه صدام بين قوى التحرر والتقدم وبين قوى الرجعية والتأخر ، وللثورة اليمنية ايضا دلالتها التاريخية فهى تشكل ساعة ميلاد جديدة تاريخية لليمن وحضارته ، ولها دلالتها الوطنية فى توحيد البلاد اليمنية، الامر الذى لم يتمكن منه الائمة لانهم مساومون بطبيعتهم ، ومكروهون من قبل الشعب كما ان اسقاط نظام الامامة الفردى ، واطلاق قوى الشعب ومبادراته ، له دلالات ديمقراطية غاية فى الاهمية .

وعلى الصعيد العربى ، فان للثورة دلالتها الوحدوية . ومن الناحية العالمية ، فالثورة اليمنية جزء من الثوره العالمية للتحرر الوطنى والاجتماعى تؤثر فيها وتتاثر بها ، والى جانب السمة العامة التى تجمعها بثورات التحرر الوطنية والديمقراطية . فان للثوره اليمنية ملامح خاصة ، فالثورة اليمنية مثلا فجرها الضباط الثوريون بالتعاون مع ممثلى البرجوازية الصغيرة الطامحة وساندها الشباب المثقف ، وكان الفلاحون عدا المضللين منهم من القبائل يشكلون جيش الثورة المحارب والاحتياطى وسندها الجماهيرى ، ومع ذلك فان ضعف البرجوازية الصغيرة وعدم وجود جيش حديث قوى ، وعدم تهيئة الفلاحين والجماهير الشعبية تهيئة ثورية ، يشكل سمة اخرى من سمات الثورة اليمنية،فضلا عن ان الثورة نشبت فى مجتمع قبلى مسلح ، جزء منه مخدوع بالامامة ومستعد للوقوف ضد الثورة دفاعا عن معتقدات بالية ، وللحصول على الغنيمة والسلاح، كما انها انفجرت فى الجزيرة العربية حيث تلتقى وتتصادم مصالح الاستعمار القديم والجديد ، ويسود حكم الاقطاع والاستعمار المزدوج ، مما الب كل القوى الرجعية والاستعمارية عليها .

ويشكل تدخل الجمهورية العربية بجيشها المسلح لصد هجمات الاستعمار والرجعية سمة اخرى خاصة بالثورة اليمنية ، التى تستطيع كما يقول الكاتب،بسبب من طابعها البرجوازى الصغير،

واحتضان جماهير الشعب لها من فلاحين وعمال ومثقفين ثوريين ، وبحكم التقائها الثورى مع الجمهورية العربية ، تستطيع أن تنتقل مباشرة من المجتمع القبلى الاقطاعى الى المجتمع غير الرأسمالى وان هذا لن يكون عن طريق التأميم لعدم وجود ملكية رأسمالية احتكارية خاصة وانما عن طريق خلق القطاع العام من الاساس فى الصناعة والزراعة .

وفى فصل عنوانه «ماذا بعد الحرب الثورية ؟» يقول المؤلف انه خلال السنوات الثلاث الماضية كان «كل شيء من أجل الجبهة» . اما اليوم فيجب أن يكون «كل شيء من أجل البناء» ،وينادى بضرورة حسم الصراع بين الجناح الثورى واليمينى ، فان التخريب الداخلى كان من أهم عوامل اضعاف الثورة. ويرجع الكاتب الاسباب والملامح التى شكلت الاتجاه اليمينى الى :

١ — عقدة المعارضة التقليدية التى قامت الثورة دون اسهامها

٢ — ان هذه المعارضة كانت اصلاحية ، وكان قيام الثورة واعلان الجمهورية امرا فاق احلامها ومطامحها ولم يترك لها الا مكانة متواضعة .

٣ — ان المعارضة كانت تهتم بانهاء حكم العدنانيين على القحطانيين وحكم الزيود على الشوافع ، غير مدركة الاسباب الحقيقية لهذا التحكم الطائفى والعنصرى .

٤ — انحدار زعماء المعارضة التقليدية من اسر اقطاعية، أو عناصر اقطاعية تطورت واصبحت ذات مصالح برجوازية مرتبطة بمصالح وافكار البرجوازية الغربية

٥ — وهم كعناصر اصلاحية ، لم يرتاحوا لتصفية اقطاب العهد البائد والمواجهة السياسية العنيفة والمواجهة العسكرية

٦ — اعتمادهم على مشايخ الاقطاع ، ورؤساء القبائل

وقد عمل هؤلاء على خلق جناح كامل موال لهم ، ودأبوا على تهييج رؤساء القبائل وقاموا باتصالات سياسية مع كل القوى الاستعمارية ، وسعوا الى تمزيق وحدة الضباط . وفى نفس الوقت قبعت العناصر الثورية فى بروجها معتمدة على دعم الجمهورية العربية للثورة ، وبدلا من ان تنزل الى الجماهير تشرح لها اهدافها واهداف الثورة ، وتكون لها قاعدة شعبية تحميها وتحمى الثورة ، قنعت بدورها فى تفجير الثورة وركنت اليه وعزلت نفسها عن الشعب

وينادى الكاتب بضرورة خلق جهاز سياسى وادارى ثورى ، يتناسب مع مرحلة القضاء على الخطر الخارجى وبداية التحويل الاجتماعى فى الداخل ، مما يدفع جزءا من القوات الوطنية الى اتخاذ موقف معادى ، ويطالب الكاتب بتصفية الجهاز السياسى والادارى ليس من العناصر البيروقراطية المشبوهة بولائها للحكم الملكى فقط بل ومن العناصر الرجعية الاقطاعية وممثليها السياسيين والايديولوجيين ، والقضاء على سلطة المشايخ الاوتوقراطية على القبائل. فالمجتمع اليمنى الذى طال تخلفه عن الحضارة لايمكن الارتفاع به من وضعه المخجل هذا عن طريق الاصلاح والترميم والترقيع ومداراة ذوى المصالح ومساومتهم خوفا من تركهم الصف وانضمامهم الى صف الرجعية والاستعمار .فالوضع الاقطاعى الحالى فى اليمن قديم وعتيق ، وجامد غير متحرك ، وبدون تغييره لن يكون فى الامكان احداث ثورة زراعية وصناعية فى البلاد . ومالم تحدث ثورة زراعية فان الدولة تخضع لتوجيه الاقوياء فى البلد وهم الاقطاعيون .»

ويقول المؤلف انه فى الامكان تخطى مرحلة الرأسمالية وان البروجوازية اليمنية الناشئة ضعيفة ولا خطر منها ، ومع ذلك يعود الى التأكيد على خطورتها .وينادى المؤلف باعطاء الفرصة للبرجوازية التجارية الصغيرة وتشجيعها على استثمار اموالها فى المشاريع الانتاجية والصناعية ويؤكد أن ضعف رأس المال اليمنى الخاص وعدم قدرته على انشاء مشاريع انتاجية كبرى يمنع نشوء نظام اقتصادى فى البلاد . ويطالب الكاتب بانشاء القطاع العام ووضع خطة اقتصادية ، وتحرير السوق اليمنية من التبعية الاقتصادية للاحتكارات الاجنبية . وفى وعى كامل بالمسئولية ينادى المؤلف بضرورة اعتماد الديمقراطية السياسية ، على الديمقراطية الاجتماعية ، وان عملية اصلاح اجتماعية واقتصادية ينبغى انتخاب اى مجلس للثورة حتى لايصبح هذا المجلس فى حالة انتخابه فى ظروف القوى الاجتماعية القائمة حجر عثرة فى طريق اى اجراء او تغيير ثورى يمس العلاقات الاجتماعية والاقتصادية الحالية .» ويعتبر أن اقامة مجلس للشورى مسألة لم ينضج اوانها بعد . ويطالب بانشاء تنظيم شعبى فالثورة انفجرت بقوة الضغط دون ماتنظيم سياسى قادر على مواجهة تبعات الثورة ومشكلاتها ، ويقول ان اليمن لاتتحمل تعدد الاحزاب، وانما الحل الوحيد هو انشاء حزب واحد ، ينهض بمهام الثورة ويقضى على مخلفات الماضى العنصرية والطائفية والقبلية .

وفى ختام بحثه يؤكد الدكتور الشهارى ان الوحدة بين القوى الثورية العربية ،قد بدت ملامحها

فى الافق ، وان امكانياتها قد دعمت بعد التغييرات الاخيرة فى سوريا والعراق ، وبمبادرات الجمهورية العربية المتحدة ».

والكتاب، يمثل محاولة علمية جادة لتناول الاوضاع فى اليمن بمنهاج اشتراكى وعلمى ، عربى ووحدوى وهو يثير رغبة فى البحث والمناقشة ، ويحفز الهمم لتناول هذا الموضوع الذى ظل بعيدا عن دائرة البحث والتنقيب والدراسة . والكتاب بهذه الصفة وحدها ، اضاف للمكتبة العربية شيئا جديدا نافعا وجريئا ».



الاتجاه لتأميم صناعة السيارات الفرنسية تحت وطأة المنافسة الدولية

● مجلة « الاقتصاد والسياسة » الفرنسية

تركزت مقالات العدد الاخير،حول الاقتصاد الفرنسى عامة ، وتعرضت أولى هذه المقالات لتحليل قضية « الديموقراطية والبرنامج السياسى المشترك» لتجميع القوى الديموقراطية الفرنسية .

وقدمت المجلة بعد ذلك ملاحظات على التأميمات كمطلب جاء فى البرنامج المشترك للقوى الديمقراطية ، ثم عرضت برنامج الحزب الشيوعى الفرنسى الذى تقدمت به لهذا التجمع ليصبح برنامجا للانتخابات التشريعية القادمة ، والموقف الاقتصادى فى فرنسا حتى اول اغسطس سنة ١٩٦٦ ، ومقال عن صناعة السيارات بين ستروين واتفاق رينو ـ بيجو ،ومن أهم المقالات التى جاءت بالمجلة بعد ذلك ، مقال عن تأميم صناعة السيارات فى فرنسا ، وآخر عن الافاق المالية للنظام العام للضمان الاجتماعى من سنة ١٩٦٥ الى سنة ١٩٧٠ .

وبالاضافة الى الاهمية التى يتميز بها مقال تأميم صناعة السيارات فى فرنسا . فأن برنامج الحزب الشيوعى فى الانتخابات التشريعية يحظى بأهمية مماثلة نظرا للدور البارز الذى يقوم به هذا الحزب حاليا فى تجميع مايسمى «بالمعارضة الديموقراطية» أو «تجميع اليسار» فى مواجهة الجنرال **شارل ديجول** ومن أجل اقامة الاشتراكية فى فرنسا ».

وهذا البرنامج يقدمه واضعوه باعتباره أساسا جادا للمناقشة بين الاحزاب الديموقراطية يستهدف الخروج ببرنامج مشترك تجتمع عليه سائر هذه الاحزاب ، ويكون وثيقتها من اجل الحصول على الاغلبية ، وتكوين حكومة لليسار الفرنسى ، تعتمد على ائتلاف الاشتراكيين ، والشيوعيين، والراديكاليين ، وعدد من المجموعات السياسية الصغيرة الاخرى . وهو الائتلاف الذى تتجمع صفوفه تحت زعامة **فرانسوا ميتران** منافس ديجول فى انتخابات رئاسة الجمهورية .

والبرنامج يقوم على ثمانية نقاط اولاها :

ـ **ارساء سيادة الشعب :** ووضع حد لما سماه « بنظام السلطة الشخصية » ، على أساس الغاء الأسانيد الدستورية التى يستند اليها ، وتكوين جمعية وطنية بالاقتراع العام ، وقيام حكومة مسئولة امام هذه الجمعية تحكم عن طريق تطبيق البرنامج الذى اقرته الاغلبية الشعبية .

ـ **التوسع الاقتصادى والتقدم العلمى والفنى :** عن طريق الحيلولة بين الاقطاعيات الاقتصادية والمالية ، وبين الاستمرار فى السيطرة على البلاد ، وعمل خطة للتطور الاقتصادى والاجتماعى وتأميم القطاعات الحيوية فى الاقتصاد الوطنى الذى يسيطر عليه الرأسمال الكبير ، وعمل سياسة معقولة للاستثمارات واجراء اصلاح ديمقراطى فى النظام الضرائبى يؤدى الى ضرب الشركات الكبرى ، وتقليل النفقات الحربية ، وعلى وجه التحديد الغاء القوة الذرية الضاربة .

ـ **فى الصناعة :** تأميم احتكارات الصلب ، ومناجم الحديد ، والكيمياء ، والبترول ، والسيارات والصناعة الالكترونية ، وصناعة الطائرات والنقل

الجوى ، والبنوك الكبرى وشركات التأمين »، وانشاء صناعة ذرية ضخمة ومؤممة تخدم اغراض السلام .

— **فى الزراعة** : تطوير الزراعة بالاساليب الحديثة والدفاع عن الاستثمارات الاسرية ومساندة التعاون الزراعى ، والغاء القوانين التى تسمح للرأسماليين الكبار بالاستحواذ على أراضى صغار الفلاحين ، وضمان حقوق ومزايا للعمال الزراعيين كتلك التى يتمتع بها زملاؤهم فى المهن الاخرى .

— **زيادة الانتاج والتقدم الاجتماعى** : حيث ثبت ان التقدم العلمى والتكنيكى الذى سمح بزيادة كبيرة فى الانتاج ، قد استفاد منه فى الحقيقة الرأسماليون وحسب، وذلك دون ان تتحسن ظروف حياة الشغيلة ومجموع السكان العاملين فمنذ سنة ١٩٥٧ زاد الانتاج باكثر من نسبة ٥٠٪ وتزايدت الانتاجية باكثر من نسبة ٤٠٪ ، بينما ظلت القوة الشرائية للطبقة العاملة كما هى تقريبا . وطالب البرنامج بزيادة عامة فى الاجور . وتقليل ساعات العمل بدون انقاص الاجور والرجوع الى مبدأ ٤٠ ساعة .

— **تحسين ظروف حياة وعمل المرأة** : ومن مطالب هذا البند ، يومان راحة فى الاسبوع للنساء دون تقليل للاجور ، والاجر المتساوى للعمل المتساوى ، وتخفيض سن الاحالة الى المعاش ، والحق فى اجازة وضع تبلغ ١٦ اسبوعا بأجر كامل واجازات للعناية بالاطفال المرضى الخ .

— **التعليم والثقافة ومستقبل الشباب** : عن طريق تخصيص ربع ميزانية الدولة للتعليم الوطنى ومد فترة الدراسة الاجبارية حتى ١٨ سنة وبناء عدد كاف من المؤسسات المدرسية المجهزة تجهيزا حديثا . الخ .

— **التعايش السلمى والاستقلال الوطنى والضمان الجماعى** : وذلك ببذل كل الجهود لعقد معاهدة للامن الجماعى بين كل بلاد اوربا بلاتمييز، والتخلى عن فكرة القوة النووية القوية ، ومنع سيطرة العسكريين الانتقاميين الالمان الغربيين على السلاح النووى ، وضمان حدود المانيا الحالية ، والاعتراف بالمانيا الديموقراطية . الخ .

وقد أوضح واضعو البرنامج انهم يناصرون بكل عزم مبدأ التعاون مع الاحزاب الديموقراطية الاخرى وفى مقدمتها الحزب الاشتراكى الفرنسى ، ليس فحسب من اجل ارساء ديموقراطية حقيقية ، وانما ايضا من اجل اقامة الاشتراكية فى فرنسا ».

أما مقال تأميم صناعة السيارات الفرنسية والذى قام بكتابته أ . **جورلان** وهو فى هيئة تحرير المجلة . فقد رأى فيه الكاتب ، ان صناعة السيارات التى وصل التركيز فيها ، منذ مدة طويلة الى درجة عالية ، هذه الصناعة ، تميل اليوم تحت التأثير المتسق للتطور التكنيكى ، والحاجات الاجتماعية ، والمنافسة العالمية ، الى اتخاذ خطوات اكثر تقدما فى اتجاه التكامل بحيث لاتصبح هناك سوى عدة احتكارات تشرف على انتاج ملايين السيارات — وذلك هو الوضع فى الولايات المتحدة حيث يصل الانتاج السنوى لثلاث مؤسسات لصناعة السيارات الى حوالى ١٠ ملايين سيارة ، دون احتساب انتاج فروعها الاوربية . أما المؤسسات الاوربية فانتاجها اقل قوة من ذلك بكثير (ولا توجد مؤسسة واحدة منها تنتج ٢ مليون سيارة) ، والمؤسسات الفرنسية هى اضعف المؤسسات الاوربية اى بالمقارنة مع **فولكس فاجن ، وفيات** ، أو **بى أم سى** . ولتقليل هذا الفارق ، تميزت الخطة الخامسة فى فرنسا بتجميعها لعديد من المؤسسات الفرنسية . وأوضح الكاتب ان مجموع انتاج مؤسسات **رينو** — **ستروين** — **وبيجو** اقل من انتاج فولكس فاجن تلك المؤسسة الالمانية التى تضع نصب عينيها تحقيق زيادة انتاجية تقربها من انتاج شركة مرسيدس ، بالرغم من ان المرسيدس كموديل ، لايدخل فى منافسة مباشرة مع الفولكس فاجن ».

أما صناعة السيارات الفرنسية ، فتقوم على وحدات انتاجية ذات ابعاد متواضعة نسبيا ، واجهت وستواجه بشكل متزايد ظروف منافسة حادة سواء على السوق الداخلى او فيما يتعلق بالتصدير . وقد عمدت المؤسسات الامريكية بشكل خاص ، نتيجة الصعوبات التى تواجهها فى توزيع انتاجها السنوى البالغ ١٦٫٦٧٠٫٠٠٠ سيارة جديدة ، الى الدخول فى نزاع اشد مع منافسيها فى الاسواق الخارجية ، وذلك بزيادة كمية من السيارات المنتجة فى فروعها الاوربية ». وقد استطاع **هنرى فورد** بعد زيارته لفرنسا فى الصيف الماضى واستقبال **جورج بومبيدو** رئيس الوزراء له ، استطاع ان يعلن للصحافة ان السلطات الفرنسية لاتعترض على انشاءاته فى فرنسا ، مادام اختيار اماكن المصانع يأتى متطابقا مع الخطط الاقليمية (سواء فى الشمال او فى اللورين) . كما ان **كريزلر** يسعى لتنسيق نشاط فروعه الاوربية ، **سيمكا و روت** . بالاضافة الى أن الالغاء التام للحواجز الجمركية داخل السوق الاوربية المشتركة فى سنة ١٩٦٧ سيجر وراءه تسللا كبيرا للسيارات الاجنبية الى داخل فرنسا ، دون أن يكون للماركات الفرنسية اى ضمان بتوسيع توزيعها فى الخارج ، بسبب سعرها ونوعها وعدم كفاية الوسائط التجارية التى تستخدم فى تسويقها ». كذلك ستواجه

الصناعة الفرنسية ، بعد تنفيذ « حلقة كيندى » هجوما جديدا عليها ، يهدد بتقليل الجانب الذى توزعه فى السوق العالمية ، وذلك لان هذه « الحلقة » سيترتب عليها تخفيض الرسوم الجمركية تخفيضا جديدا .

وأوضح الكاتب ، ان الحكومة الفرنسية اتجهت عند اعلان الخطة الخامسة نحو خلق احتكار موحد لصانعى السيارات الفرنسيين تديره مجموعات **ميشلان — ستروين ، وبرلييه وبيجو** الحرة . وذلك تحت ضغط تلك المنافسة المتزايدة .

وإذا كان اتفاق بيجو — رينو قد استطاع مؤقتا ان يعارض مشروعات التجمع الاكبر ، فانه لم يفعل شيئا من ناحية أخرى اكثر من تقريب الوقت الذى تطرح فيه مسألة تأميم القطاعات المحورية فى صناعة السيارات . ذلك ان تجميع كل صانعى السيارات فى فرنسا ، بما فيهم سيمكا ، انما هو إجراء لابد منه من اجل رفع الانتاج الفرنسى ، الى مستوى الماركات الاجنبية الكبرى . وهذا التركيز غير مرغوب فيه ولا حتى هو بممكن الا فىإطار قانونبتأميم صناعةالسيارات ذلك الاقتراح الذى تبرزه بشكل من الاشكال مكانة هذه الصناعة ودورها فى الاقتصاد الوطنى والعلاقات التى يزداد توثقها بين هذه الصناعة من ناحية والدولة من ناحية أخرى .

وبالاضافة الى الاهمية التى تتمتع بها صناعة السيارات فى الاقتصاد الوطنى ، فانه يعيش على التكسب منهابشكل مباشر وغير مباشرحوالى مليون عامل . وتوسعها ضرورى لتحقيق توازن عام فى الاقتصاد ، كما انه يلعب دورا اكبر فيما يتعلق بتحقيق التوازن فى اقاليم معينة . واذا كان حقل انتاج السيارات لم يكف عن التزايد ، يرى الكاتب أن سبب ذلك هو أن السيارة أصبحت مطلبا اجتماعيا يرغب فيه جميع السكان فى فرنسا ، بما فيهم عمال المدن والريف . ودرجة اشباع هذه الحاجة مشروطة بقرارات صانعى السيارات واتجاهاتهم فيما يتعلق (بتوجيه الاستثمارات ، ودراسة النماذج التى تتفق وحاجة المستهلكين ، وتحديد اسعار السيارات والتوزيع ، والخدمات بعد البيع الخ) . ومن المؤكد انه فى نظام ديموقراطى يعتبر الوفاء بحاجة الجماهير الشعبية هدفا أوليا للخطة ، ينبغى القيام بأعادة النظر فى عدد من التحديدات التى تخص تطور سوق السيارات . (مثلا فيما يتعلق بموديلات رخيصة الثمن ، والتوزيع فى نظام التأجير الخ) .

ويرى المؤلف انه بالرغم من دخول صناعة السيارات الفرنسية ميدان التصدير للخارج من قبل ، الا ان مواقعها فى الاسواق الخارجية يمكن أن تتقدم أكثر من ذلك . ومما لا شك فيه انه لو حكمنا على أساس النتائج التى حققتها ادارة رينو وحدها ، وهى المصدر الاول بين صانعى السيارات الفرنسيه ، لوجدنا ان تأميم كل فروع صناعة السيارات لن يشكل عقبة فى تطور التصدير بل على العكس ، فأن وجود قطاع عام كبير ، يعطىمميزات افضلللبلاد السائرةفى طريق التطور ومع البلاد الاشتراكية .

كما ان صناعة السيارات من ناحية أخرى ، ميدان واسع لتطبيق الاكتشافات العلمية والتكنيكية فى ميادين الانتاج المتعددة التى تتبعها . وستسمح بتطور عمليات التشغيل الذاتى فى فروع اخرى من الانتاج . كذلك فان السيارة هى الاساس الضرورى لكل صناعة ميكانيكية متطورة ، وهى تساعد على زيادة درجة الانتاجية فى الاقتصاد عامة . وان خلق وحدات انتاج ذات ابعاد واسعة يتطابق فى الحقيقة مع الضرورة التكنيكية والاقتصادية الموضوعية . خاصة وانه فى الشركات الكبرى ، يبدأ حد الانتاج الذى يدر ربحا وفيرا ، بالنسبة للموديل الواحد ، بعد السيارة الالف (١٠٠٠) يوميا . كذلك فأن تركيز وسائل الانتاج انما يسمح بتحقيقوفورات متعددة، بفضل تخصص الورش ، وادخال المناهج المخططة ، واستخدام وسائل الانتاج الذاتية على نطاق واسع . ولذا فأن تقسيم العمل الانتاجى على هذا النحو ، لن يؤدى الا الى تحقيق تقدم سريع فى الداخل لمجموعة صناعية مؤممة يمكن ان تتجاوز الابعاد التى وصلت اليها الفولكس فاجن فى المانيا .

ومن الممكن ان يترتب ، حسبما يرى المؤلف عن الاستخدام المشترك للمخترعات وتطور الابحاث ، والتقسيم المعقول للصناعة ، وخلق وسائل انتاج اكثر عصرية ، كل ذلك ممكن انيترتب عنه تقدم اسرع مما يجرى حاليا حيث تؤدى المنافسة الفوضوية بين المجموعات الفرنسية الى اهدار للتكنيك ، واضعاف للمراكز الفرنسية فى العالم .

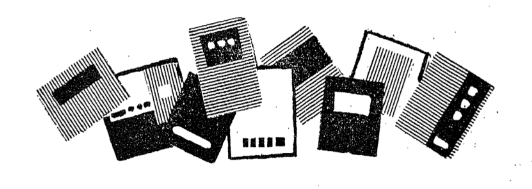
كذلك فأن تأميم صناعة منظمة تنظيما ضخما ، وتستخدم مئات الالاف من العمال ، انما سيقوى من ناحية اخرى مركز الطبقة العاملة فى كل البلاد

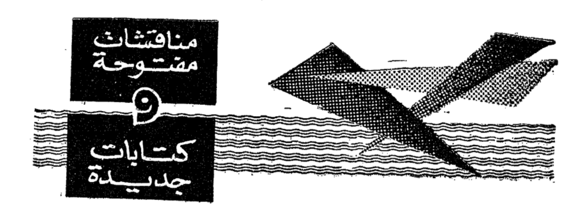
بفضل تأثير الجذب الذى يمكن أن ينتج عن ذلك بالنسبة للقطاعات غير المؤممة . وهذا القسم من الطبقة العاملة الفرنسية العامل فى صناعة السيارات والذى كان دوما من اكثر اقسامها نضالية ، سيكون من أفضل الدعائم للنظام الديمقراطى الجديد الذى ترنو فرنسا اليه . والتأميم بفضل النجاحات الفنية والتجارية التى ستترتب عنه ، سيكون الوسيلة الوحيدة لخلق اتساق بين التقدم الاجتماعى للعمال ، وبين تطور التقدم التكنيكى ، وتزايد الانتاج ، وارتفاع الانتاجية . على ان يتم فى عملية الدمج ايضا توحيد المزايا المتوافرة فى كل المصانع للعمال ، على اساس أفضل النتائج التى تحققت فعلا ، ويمكن القول بشكل من الاشكال ان صناعة السيارات فى فرنسا ، قد أخذت أخيرا طابع كونها احدى الخدمات العامة للشعب التى ينبغى تأميمها. وللذين يخافون أن تفقد المؤسسات ديناميكيتها نتيجة التأميم ، يضرب المؤلف مثلا بادارة شركة رينو المؤممة التى حققت اكبر درجات التقدم التكنيكى كما لم تهبط ديناميكيتها الى مستوى أى شركة رأسمالية . وأوضح أيضا أن القانون المطلوب انما يتضمن تأميم صناعة السيارات فحسب ولا يشمل نشاط الموزعين والوكلاء .

أما فيما يتعلق باشكال المجموعة المؤممة ، يرى الكاتب أنه من الافضل خلق شركتين او ثلاث شركات وطنية ، أو واحدة فقط ، وذلك لتسهيل المحافظة على الماركات المعروفة فى السوق وبخاصة فى الاسواق الاجنبية . كذلك فان وجود شركتين أو ثلاث يمكن أن يسهل بعض التخصصات ، واضعين فى اعتبارنا الخبرة المكتسبة لتلك المؤسسة او الاخرى فى فرع معين من الصناعة . كذلك فانه يخلق نوعا من التنشيط فى المنافسة بين مجموعات الباحثين والفنيين فى هذه الشركات .

ويقترح المؤلف فيما يتعلق بالانتاج الثقيل فى هذه الصناعة ، تكوين شركة موحدة تجمع برلييه وسافييم ، وستروين،وسيمكا - أويتك ، باعتبار ذلك حلا أمثل لهذا القطاع . وفيما يخص سيارات الركوب يرى ان شركة رينو تعتبر السند الرئيسى للتأميم فى هذا القطاع وذلك بفضل مركزها فى انتاج ذلك النوع ، وبفضل ارتباط هيئتها ، بما فيها كادراتها بالطابع الوطنى للمؤسسة .

ويرى الكاتب ان قانون التأميم يجب ان يعنى بايجاد رقابة ديموقراطية على الادارة ، كما يطالب بضرورة اشتراك النقابات فى لجان الادارة الداخلية للمشروعات وان تتمتع تلك النقابات بسلطات أخرى ليس فحسب فيما يتعلق بالاعمال الاجتماعية، وانما أيضا فيما يختص بتوجيه نشاط المؤسسة ذاته . ووفق هذا الوضع ، لايعتبر تأميم صناعة السيارات اجراء اقتصاديا متقدما فحسب ، وانما أيضا مكسبا اجتماعيا هاما للعاملين، يهمهم المحافظة عليه وتطويره فى اتجاه تحويل تقدمى للاقتصاد الفرنسى يخلق الاسس لقيام اشتراكية حقيقية فى فرنسا .●





معركة زيادة الإنتاج .. قضية سياسية

السيد شعراوى

من بين القضايا التى تثار فى مجتمعنا اليوم ، قضية فى غاية الاهمية تتعلق بمستقبل بلادنا الا وهى قضية العمل السياسى . فهناك وجهة نظر تقول : اننا نريد ان نركز فى الدرجة الاولى على العمل بالوحدات الانتاجية بعيدا عن الانشغال بالسياسة وامورها .

وتستطرد وجهة النظر هذه والتى نسمعها فى الوحدات الانتاجية وفى غيرها من مجالات العمل المختلفة ، تقول : من الافضل بعد ذلك — بعد معركة زيادة الانتاج — ان نتفرغ للعمل السياسى ونشارك فيه .

وفى الحقيقة ان وجهة النظر هذه تعبر عن رأى متخلف مازال منتشرا فى بلادنا ، ويعيش اصحابه بعقلية غير سياسية . هذه العقلية تعتبر — اليوم — معرقلة ومعوقة لزيادة الانتاج اكثر منها حافزا وتقدما .

ومن المناسب ان نقول هنا ان معركة زيادة الانتاج ليست فى

جوهرها الا معركة سياسية ، وليست ايضا بالمعركة القصيرة الهينة ، ولا يتم انجازها بين يوم وليلة . انها معركة طويلة يجب ان تحشد لها امكانيات وطاقات جميع القوى التى لها مصلحة حقيقية فى زيادة الانتاج . ومن المستحيل الفصل بين زيادة الانتاج والعمل السياسى . فزيادة الانتاج يعنى العمل السياسى الواعى . فالعقلية السياسية تكون فى اغلب الاحيان قادرة على هضم واستيعاب متطلبات المرحلة واقفة على ادق الامور قادرة على قيادة الوحدة الانتاجية الى مفهوم علمى يجنب الاقتصاد الوطنى اخطاء كبيرة . وفى كلمة ، هذه العقلية السياسية تستطيع ان تشارك مشاركة ايجابية خلاقة فى بناء صرح البناء الاشتراكى لبلادنا

ولقد سارعت القيادة تعلن ان العمل السياسى يجب ان يكون فى الدرجة الاولى لحياتنا العامة ، وان الوعى السياسى شرط اساسى لن يتصدى لاحتلال مراكز الاقتصاد والثقافة والاجتماع يجب ان يدخل فى الاعتبار عند الاختيار . وليست هذه قضية سهلة . كما لا يمكن تحقيقها الا بمواصلة التربية السياسية لتغيير مفهومات ورثناها عن عهود الاستعمار والتخلف ، حتى نخلق الكوادر الجديدة التى تستطيع ان تقود فى جميع المجالات . قيادات مخلصة واعية ترتبط بالجماهير ولا تنعزل عنها ، ترفض كل ما هو متخلف فى الواقع وتملك ارادة التغيير .

وعندما نستمع الى المناضل جمال عبد الناصر فى خطابه ببورسعيد فى عيد النصر ، يكشف فيه عن محاربة القوى الاستعمارية لبلادنا . . تعرض لازمة الصابون . . ولم يقل الرئيس انها مشكلة سوق سوداء فقط او زيادة فى الاسعار ، بل ربط هذه الازمة بالتحديات الكبرى التى نواجهها ضد اعداء ثورتنا الاشتراكية .

وكم كان جمال عبد الناصر صادقا فى تأكيده لاحرار شعبنا العظيم على المضى فى طريق بناء الاشتراكية والوقوف ضد مؤامرات الاستعمار

لقد كان الاستعمار والرجعية فى الماضى ، يمنع الشعب المصرى من الاهتمام — مجرد الاهتمام — بالسياسة او العمل السياسى .

هذا الاهتمام الذى كان يعنى الكشف عن مؤامرات الاستعمار والرجعية ضد حياته ومستقبله . وكانوا يقولون ان الاهتمام بالسياسة من شأن الناس العظماء فقط .. اما الشعب فلاحاجة له للاهتمام (!) .

وبلادنا اليوم ، فى حاجة للعمل السياسى . ولاسيما ونحن نجتاز مرحلة دقيقة من تاريخ وطننا . ومعركة زيادة الانتاج من المعارك التى تحتاج اكثر من غيرها الى العمل السياسى . والا فكيف نقنع العامل بزيادة الانتاج الا اذا حولنا تفكيره الى تفكير سياسى يشارك ويساهم ويناقش فى امور تمس مباشرة حياته ومستقبله . وبعد ذلك تأتى الحوافز الاخرى مادية او معنوية . ان الطريق الى العمل السياسى فى المصنع وفى الحقل وفى المدرسة ، طريق بناء الاشتراكية . . طريق المستقبل . . طريق زيادة الانتاج



الطليعة .. والقضايا العربية

فى خطاب وصل الطليعة ، بتوقيع « قارىء عربى » لم يكتب اسمه ، نقدا يوجهه « القارىء العربى » . وهذا هو نص خطابه :

تصفحت العدد الاخير من الطليعة — عدد يناير ٦٧ — وقد هزتنى موضوعاته الشيقة المليئة ، وقد هزتنى ايضا عبارة فولتير عن الرأى الحر الحق ، وهذا ما دفعنى الى كتابة هذه السطور اليكم علها تجد منكم صدرا رحبا من احد القراء العرب الذين يتابعون مجلتكم باستمرار . واذا اخذنا العدد الاخير هذا كمثال لذلك — أى بالنسبة للموضوع الذى اريد ان اتكلم فيه — فانه يمكن ان اضع

بعض النقاط الذى تتراءى لى بأنها بناءة ! آملا ان أجد الجواب الذى ينتظره الكثيرون فى العدد القادم ان شاء الله .

١ — لماذا لا تتطرقون الى أى موضوع عربى قومى ؟ ؟ الا يوجد احداث فى العالم العربى تتطلب تحليلا وبيانا للطريق الصحيح ليظهر مضيئا امام اولئك الذين يسعون الى — الفكر الثورى المعاصر — لماذا لا تتكلمون فى موضوع يحمل اسم « حماية وتدعيم النظم التقدمية فى العالم العربى » . والعالم العربى والثوار المؤمنون فى تحرر ووحدة العالم العربى ، والذين يعملون جاهدين فى سبيل ذلك ، فى حاجة الى تشجيع . سيما وان للطليعة رأى خاص مسموع ، وان للطليعة مكان عالى او صبغة عالمية . وفى رأى الجميع فان الطليعة هى المجلة المرموقة التى تبرز الاراء الاشتراكية السليمة أليس العالم العربى — دون سواه — بحاجة الى توضيح وتحليل وتبيان للاشتراكية العربية .

٢ — هناك مقال مسهب عن القومية المصرية وابطالها . افلا تعلمون ياسيدى ان مثل هذه الفكرة لا توحى باكثر من — الفرعونية — سيما وانكم لم تحاولوا ان تشيروا ولو بكلمة نقد واحدة الى مثل هذه الاراء الهدامة والغير مستساغة الان . بل ان هناك كثير من الاشارات التى تشير الى حث المصريين على التمسك بقوميتهم . ففى المقال عن لطفى السيد ، يقول لطفى السيد : « . . . . . . وتتواكل فى ذلك على اوهام وخيالات يسميها بعضهم الاتحاد العربى » . فلا شك ان لطفي السيد قد اخطأ فى تحديد ما اسماه مذهب الوطنية .. وذهب الى حد الكره والانكار للعروبة، ووضع بديلا لذلك الكلمة المجردة — القومية المصرية — ويقول فى كلام اخر ص ١٠٦ من الطليعة : « . . . . . فما نحن تحت الحكم الخديوى الا نحن تحت حكم الفراعنة . . الخ الخ »

الم يكن من الاحرى ونحن ننادى بالقومية العربية ان نقرأ مقالا عن القومية العربية لساطع الحصرى مثلا ؟ ؟ او مقالا عن صدى القومية العربية فى العالم الغربى — مكانة القومية العربية بين القوميات الاخرى — الى آخر مثل تلك الموضوعات المتنوعة .

هذا مع اشد احترامى لاراء المرحوم لطفى السيد الاخرى .

٣ — هناك اخطاء لغوية شائعة فى اللفظ فقط أى فى الكلام اليومى — ولكن ليست شائعة فى الطباعة . واعتقد انها اخطاء مطبعية وهى :

مرت اكثر من مرة كلمة (النذر اليسير) وتصحيحها النزر اليسير اما كلمة النذر فهى من الفعل نذر ، ينذر نذرا . أما النزر فهى كلمة غير مشتقة . ثم فى موضع آخر (وفى ص ١٠٩ العمود الاول سطر ٣) : على « زرارينا » يقصد ذرياتنا . والتصحيح ذرارينا من الذرية . وفى نفس الصفحة (العمود الثانى) يقول « الكافلة لبقاء حوذته وتصحيحها حوزته » .

هذا تعد — بسيط — على حدود اللغة .

دامت مجلتكم نبراسا للشباب الثائر فى العالم العربى وفى كل مكان .

ملاحظة : وأرجو ان تتفضلوا بالرد فى العدد القادم .

الطليعة : بغض النظر عن ان خطابك جاء خاليا من توقيع اسمك الا « بقارىء عربى » ، فاننا لا نعتقد بدقة ملاحظتك الاولى .. فالطليعة تعى جيدا ان اغفال اية مجلة عربية تصدر فى اى بلد عربى ، للكتابة فى القضايا العربية — حتى لو ارادت — فان ذلك صعب فضلا عن انه يعنى افتقادها لدعامة اساسية من مبررات وجودها .

ونظرة واحدة الى غلاف الطليعة الاخير لهذا العدد، توضح انها تناولت عديدا من القضايا العربية الهامة (٣٧ موضوعا) . هذا بالاضافة الى تقارير الشهر (٨١ تقريرا) تناولت احداثا عربية هامة . كما فتحت — وتفتح — الطليعة صفحاتها للكتاب والمناضلين العرب . ولا يفوتك ايضا ان العدد الاول (١٩٦٧) قد ضم — كجزء رئيسى فيه — حوارا مفتوحا مع الرئيس الجزائرى هوارى بومدين . تناول فيه عدة قضايا هامة بالنسبة للثورة الجزائرية فضلا عن الوثائق الجزائرية التى ضمها العدد . كما ان الطليعة ساهمت ومازال فى مناقشة احدى القضايا العربية الاساسية اليوم : قضية وحدة القوى الثورية العربية .

أما ملاحظتك الثانية ، فلا تعتقد الطليعة ايضا بدقتها . ذلك لان المقال — كما يفهم من عنوانه «حركة الفكر القومى فى مصر من حكم محمد على الى الحرب العالمية الثانية » . كما وضحت الطليعة فى مقدمتها للمقال — دراسة لتيارات الفكر القومى فى مصر فى تلك الفترة من تاريخها . وكاتب المقال يعرض — بالتحليل — لهذه التيارات الفكرية فى تلك الفترة موضحا كيف برزت فكرة « القومية المصرية » فى مواجهة فكرة « الجامعة الاسلامية » التى كانت تعنى محاولة لقهر الشعوب العربية تحت السيطرة العثمانية الاقطاعية .

اما دعوتك « بدشت » او « محو » كتابات تلك الفترة التاريخية — أيا كانت علاتها — فهى لا تستجيب، فى رأى الطليعة ، لدواعى الامانة التاريخية والمنهج العلمى بأى حال . والا لكان من الاحرى « دشت » أى وقائع خاصة بهزائم او انتكاسات او حتى خيانات. وذلك غير مقبول طبعا . فما بالك وان افكار رفاعة الطهطاوى ولطفى السيد وغيرهما من رواد الفكر القومى فى مصر ، كانت بحق ايقاظا للوعى الوطنى المصرى ، وزادا ثوريا هائلا للحركة الوطنية المصرية التى هى فى نفس الوقت جزء من الحركة العربية . ان اية تيارات فكرية وان كانت لا تتفق اليوم مع تطور عالمنا المعاصر ، لا يعنى اهمالها فى مجال التحليل والتاريخ . فمقياس كل فكرة من الثورية ، هو فى مدى

ملاءمتها للمرحلة المحددة التى وجدت فيها والمجتمع المحدد الذى عاشت فيه والظروف الموضوعية المحيطة بها . والا ما فائدة المحافظة على تاريخنا الفكرى ، ومعظمه — بحسابات ومقاييس عالم اليوم — قد لا يتمشى معه .

اما ملاحظتك الثالثة ولا يفوتك ان ما استشهدت به من اخطاء لغوية هى نصوص وردت فى كتابات بعض المفكرين الذين استشهد بهم كاتب المقال فى سطوره . على اية حال ، فان الطليعة ترحب بكل نقد بناء وجاد وأيا كان مصدره كما انها تنشره .



رأى فى الطليعة : واقتراحات

وارسل المواطن **زكريا عيسى ، عامل بشركة النصر للغزل والنسج بالاسكندرية** ، خطابا للطليعة يهنىء بمرور عامين على صدور اول عدد لها ، ويبدى رأيه فى « ايجابيات .. وسلبيات » الطليعة، وضمنه بعض الاقتراحات . يقول زكريا عيسى فى خطابه :

١ — ايجابيات :

— اقامة ندوة افريقيا (ثورة التحرر الوطنى والاشتراكية) بالاشتراك مع مجلة السلم والحرية والاشتراكية مما فتح آفاقا حرة للفكر الأفريقى الثائر .. وفى سبيل دعم وحدة القوى التحررية المناضلة .

— عقد لقاءات مع بعض الشخصيات العالمية وأبرزها (ندوة الطليعة مع شارل بتلهيم) . ونشر لقاءات الاحزاب التقدمية مع الاتحاد الاشتراكى العربى .

— نشر تقارير حية عن الريف المصرى (العدد التاسع) .

— نشر بحث الاستاذ عبد المنعم الغزالى عن مسيرة العمال الزراعيين من ١٨٨٢ — ١٩٦٦ مما يعتبر مرجعا نفتقد لمثله بعض الاحيان .

— نشر سلسلة من كتابات السيد / محمد عبد الفتاح ابو الفضل (امانة شئون الاعضاء وخاصة عن (اشكال الاستغلال) وتقرير امانة شئون الاعضاء عن ١٩٦٥ — والرقابة الشعبية وغيرها .

— اضافة المزيد من الاضواء حول بعض الاحزاب الافريقية (وابرزها مقال السيد عبد المجيد فريد عن حزب تانو) .

— لمحات الايضاح التى نشرتها الطليعة عن البلدان التى تبنى الاشتراكية (تجربة بورما فى العدد السابع مثلا . .) وغيرها .

— نشر المقال الرائع عن تيارات الفكر المسيحى فى الواقع المصرى .. تهانى للطليعة وللدكتور وليم سليمان .

— ابراز يوم ٢١ فبراير .وموقعه من التاريخ .. بأسلوب علمى وسرد تاريخى صادق . .

— باب « كتابات جديدة » رائع . ومطلوب الاستمرار فى تقديمه .

— تقارير الشهر والتعليقات موضوعية وهادفة

— استمرار ظهور كتابات الرعيل المناضل من المفكرين المناضلين المصريين وعلى الاخص رواد الحركة النقابية والعمالية فى مصر . (د . عبد الرؤوف ابو علم — الغزالى الجبيلى وغيرهما) .

— متابعة احداث العالم العربى والحركة العمالية العربية .

— كانت الطليعة رائعة فى ابراز اهم الاحداث فى مجال السياسة الدولية .

وبعد .. فليست هذه كل الايجابيات انما يضاف لها ايضا ابواب مكتبة الطليعة ومن المجلات العالمية .. وتقارير الطليعة المستمرة لوضوح الرؤية لدى كتابها . كذلك الجهد المستمر الذى تبذله أسرة التحرير مما يستحق معه كل تقدير واحترام ، واستمرار صدور « الطليعة » بمستواها المتطور اكبر لمحة طيبة يمكن ان نذكرها لدار الاهرام . . ولمحررى الطليعة المخلصين .

٢ — سلبيات :

— عدم الاهتمام الكافى بقضايا أمريكا اللاتينية (كان الحديث عن سان دومينجو فقط فى العددين ٢ ، ٧) .

— نشر محاضر التحقيقات مع رجال الثورة العربية دون ايضاح موضوعى والاكتفاء بنصوص المحاضر مما قد يجعل بعضها غير مشوق لبعض القراء .

— امتناع الطليعة عن نشر بعض الايضاحات للمفاهيم اللفظية كالسنة الاولى .

— عدم نشر اكثر من موضوعين فقط فى كتابات جديدة .

— عدم عمل اشتراكات مخفضة للعاملين بالوحدات الانتاجية ، فى (الطليعة) .

— السماح بنشر مقال الدكتور (فؤاد مرسى) (التيارات الفكرية فى الواقع المصرى) باسلوب فيه

هجوم على عدد كبير من الكتاب .. وفى تصورى انه — فى بعض جوانبه — غير موضوعى .

٣ — مقترحات :

— تخصيص باب دائم فى نهاية الطليعة باسم (قاموس الطليعة) يتضمن الايضاحات الموضوعية للمفاهيم النظرية للمصطلحات السياسية .

— الاستمرار فى نشر تاريخ الشباب المصرى وتحركاته النضالية .. ١٩٣٥ — ١٩٤٦ — ١٩٤٨ — ١٩٥١ . وكذا نضال الفلاحين المصريين والمراة المصرية .

— ابراز السمات الغير واضحة فى كفاح الشعب الفلسطينى قبل النكبة (وخاصة الصفحات المطوية المجهولة لشبابنا المعاصر) ..

— عقد ندوات مفتوحة فى المحافظات بالاشتراك مع الامانات المختصة فى الاتحاد الاشتراكى (الدعوة والفكر — الشباب — العمال — الفلاحين — شئون الاعضاء .. الخ) ... لمتابعة حل مشكلات الجماهير على الطبيعة .

— ان يستمر نشر ردود القراء والكتاب على ما نشر من مقالات فتحت واثارت قضايا هامة .

— تخصيص باب للرد على استفسارات القراء فى المشكلات الدولية والشائعات .

ثم اعود فاقترح عمل اشتراكات مخفضة للعمال فى الطليعة ...

الطليعة : تشكر لك نقدك واقتراحاتك التى ستوضع موضع الدراسة . اما عن مقال الدكتور فؤاد مرسى ، فقد نشرته الطليعة تطبيقا لايمانها بنشر كل وجهة نظر تدور فى اطار الالتزام بالميثاق . ونحن لا نتفق معك فيما اسميته « باسلوب فيه هجوم على عدد من الكتاب » اذ ان ما جاء فى مقال الدكتور فؤاد مرسى ليس أكثر من حوار ومناقشة او نقد لاراء هؤلاء الكتاب. فقد كان من الصعب على الدكتور فؤاد — وهو يتعرض بالنقد لهذه المفاهيم الا يذكر اسم اصحابها لتكون مناقشته محددة وواضحة . وهو جزء من دراسات تفصيلية للطليعة عن الاتجاهات الفكرية المختلفة فى مجتمعنا ووطننا العربى مطروحة للنقاش الحر المفتوح.وبدون هذا التفصيل تظل تدور حول العموميات المكررة والتى لم تعد تفيد شيئا ازاء ما وصلنا اليه من نضوج موضوعى .

●●●

اقتراحات لزيادة الانتاج الزراعى

كتب المواطن **جابر عوارة ، صاحب محل شنط بطنطا** ، يقول :

فى مواجهة تحديات قوى الاستعمار الجديد ، واساليبه التى لا تقف عند حد فى الضغط على البلاد النامية وحصاره الاقتصادى لها حتى يشل اقتصادياتها ويرغمها على ان تبارك تدخلاته السافرة فيها وتمشى فى الفلك الذى يرسمه لها . نجد ان السلاح الرادع لهذه المواجهة الغير متكافئة بين القوى المنهوبة والقوى الناهبة التى بنت اقتصادها فى العصور السابقة على الاستغلال الفاحش لهذه الشعوب ، هو الانتاج .

وعند الكلام عن معركة زيادة الانتاج يجب ان نركز على الانتاج القومى ككل متصل لا انفصال فيه . فالى جانب التصنيع الثقيل الذى يعتبر العمود الفقرى فى بناء الاقتصاد الوطنى المتين يجب الا ننسى الانتاج الزراعى ايضا لما له من اهمية قصوى فى اكتفاء الدول النامية ذاتيا وتوجيه امكانياتها الى استيراد السلع الانتاجية بدلا من استنفاذ امكانياتها فى استيراد سلع استهلاكية تأكل اقتصادها القومى ، وكذا توجيه فائض الانتاج الزراعى هذا الى التصدير والاستفادة بما يدره عليها من عملات صعبة لكسر تحدى القوى الامبريالية لها .

وتمشيا مع السياسة العربية الرائدة فى النضال ضد الاستعمار بكافة اساليبه اضع هذه النقط من اجل زيادة الانتاج الزراعى فى الجمهورية العربية المتحدة :

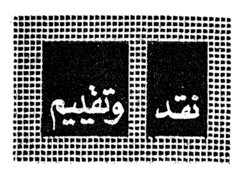
١ — محاولة ضغط الحدود الفاصلة بين الملكيات الزراعية فى اضيق نطاق . وكذا القنوات والمراوى الداخلية . ويمكن ان تقوم الجمعية التعاونية الزراعية فى كل قرية ، بهذه العملية .

٢ — تشجير بطون الجسور والطرق الزراعية والترع والمصارف الداخلية وفروع النيل بانواع من الموالح تناسب كل تربة .

٣ — تمليك هذه الاشجار للفلاحين بالمناصفة نظير الرعاية والاشراف عليها .

٤ — تحميل الفلاح المالك مسئولية الاهمال فى الرعاية والاشراف عليها أسوة بما يتبع فى مصلحة الطرق والكبارى .

٥ — الاستفادة من اراضى طرح النهر وتشجيرها تحت اشراف الجمعيات التعاونية او وزارة الزراعة التى ثبت للجنة تصفية الاقطاع ان عددا من الاقطاعيين فى القرى كانوا يستغلونها ،



عدد يناير ١٩٦٧ من الطليعة

حول مسار التجربة الثورية في الجزائر

عن هذا الموضوع الرئيسي الذي احتوته الطليعة في عددها الماضي ، كتب سعد زهران :

بعد ان سار القادة الجزائريون شوطا بعيدا في سبيل تنظيم « البيت الداخلي » ، رايناهم في النصف الثاني من العام الماضي بصفة خاصة ، يتجهون نحو دعم العلاقات مع القوى الثورية في الوطن العربي. حقيقة ان هذا الهدف لم يغب عن ذهن قادة حركة ١٩ يونيو (١٩٦٥) منذ اللحظة الاولى ، ولكن دواعي تنظيم البيت الداخلي كانت تستنفد الجانب الاكبر من اهتمامهم حتى وقت قريب وهذا شيء طبيعي تماما . وحين القى الرئيس **هوارى بومدين** ورفاقه بثقلهم في ميدان دعم العلاقات بين الدول العربية المتحررة ، كان لذلك اثره المباشر الملموس في دفع قضية وحدة القوى الثورية خطوات كبيرة الى الامام ، وبخاصة ان هذا الجهد من جانب الجزائر واكب الانتعاش الذي دب في العلاقات بين عواصم المشرق المتحرر عامة ، وبين القاهرة ودمشق بصفة خاصة .

وكانت زيارة الرئيس هوارى بومدين وصحبه للقاهرة (نوفمبر — ديسمبر ١٩٦٦) تتويجا لهذا الجهد الجزائرى المثمر . حيث عنى بومدين بألا تكون لقاءاته على المستوى الرسمى فحسب ، بل كان لممثلى الراى العام ، والاتجاهات المتقدمة بصفة خاصة ، حظا كبيرا من اهتمام الرئيس الجزائرى ، بالقدر الذى سمح به ضغط الوقت والعمل ، ولا نبالغ اذا قلنا ان الحوار الذى نشر فى العدد الماضى بين اسرة الطليعة والرئيس بومدين ، مع مشروعات الاصلاح الزراعى والثورة الزراعية ونظام البلديات ، التى انفردت الطليعة بنشرهما ، هى اهم الوثائق التى طرحت امام الراى العام لتعريفه بآخر تطورات الثورة الجزائرية ، ومن ثم اسهمت فى دعم جو الفهم المتبادل بين الثوريين فى البلدين ، وفى زيادة ثقة المناضلين فى ان الدور الطليعى الذى تقوم به ثورة المليون شهيد فى المغرب العربى وفى افريقيا عموما ، يزداد رسوخا وتدعيما .

ولا شك ان الحوار مع الرئيس الجزائرى كان اهم هذه الوثائق من الناحية السياسية ، حيث يلمس القارىء كيف افسح بومدين صدره لكل انواع الاسئلة والاستفسارات التى تمس اخص خصائص التجربة الجزائرية ، وناقشها بصبر وتواضع ، واعطى من التقى بهم احساسا بأنهم امام مناضل ثورى تكشف عيناه اللامعتان — على الرغم من هدوء ملامح الوجه — عن ذهن لماح يفيض حيوية ويقظة ولا تحول اية حواجز بينه

وبين تفهم الآخرين والتجاوب معهم ، وهوتجاوب يكاد يصل الى حد الألفة والثقة السريعة التى يعرفها الثوريون المتمرسون ممن وهبوا حياتهم للآخرين دون شروط،والذين تتلاشى بينهم الحواجز بمجرد اللقاء .

دخل الحوار فورا فى صلب المشكلات الحية الحساسة،وعلى رأسها مشكلةالتنمية الاقتصادية، حيث طرحت حقائق الصعوبات التى تواجهها الجزائر دون تهوين او تهويل،وبغير خفة او تهيب. لقد ورثت الثورة « اقتصادا مكملا لاقتصاد ماكان يسمى بالوطن الام وهى فرنسا ، وهذا الاقتصاد فى الواقع اساسه الفلاحة ، ومن جهة اخرى التجارة، ومن جهة ثالثة،وبسيطة جدا، الصناعات الخفيفة » . كانت الفلاحة موجهة لخدمة الاستهلاك الفرنسى ، لا الجزائرى ، فبينما النبيذ يصدر الى فرنسا ، اذا بالجزائر تستورد جزءا من حاجتها الى الحبوب ! كذلك كان « اكثر من ٧٥٪ من الصادرات الجزائرية تتجه الى الاسواق الفرنسية، واكثر من ٨٠٪ من الواردات الجزائرية تأتى من فرنسا . » اما القطاع الصناعى فلم يكن موجودا تقريبا » .

والمشكلة التى طرحت بعد الاستقلال هى « عملية الفصل ، عملية تحوير هذا الاقتصاد وجعله اقتصادا قائما بذاته ، اقتصادا وطنيا . »

« واذا كانت الجزائر قد استطاعت ، ربما بدون صعوبة كبيرة ان تستولى على كل الاراضى التى كانت بالامس القريب بأيدى المعمرين ، وان تستولى على عدد كبير من المصانع التى كان يديرها الاجانب لحسابهم الخاص ، واذا كانت استطاعت استعادة المناجم والقيام بتأميم قطاعات اخرى ، وقسم من التجارة الخارجية ربما تجاوز ٦٠٪ من تجارتنا الخارجية ، الا ان هناك مشاكل لازالت قائمة » .

وبعد ايجاز منجزات الثورة فى المجال الاقتصادى فى هذه السطور القليلة يستفيض الرئيس الجزائرى بعد ذلك فى شرح المشكلات والمهمات ، والتى يمكن ايجازها فى الآتى :

● ايجاد اسواق خارجية بحيث لاتظل تعتمد اعتمادا يكاد يكون كليا فى تجارتها الخارجية على تعاملها مع فرنسا .

● توفير الاطارات ، اى الكفاءات ، الفنية القادرة ، وبالعدد الكافى لادارة الاقتصاد بفروعه المختلفة .

● ايجاد رؤوس الاموال بدون شروط وبدون قيود ، سواء من مصادر اجنبية او من مصادر داخلية ، علما بأن الجزائر تشكو من ضعف الادخار المحلى .

● تحديد الاولويات والاسبقيات ، وتلك هى مشكلة التخطيط الاقتصادى الشامل .

وعلاوة على هذه المشكلات التى تشترك فيها الجزائر مع بقية البلاد النامية ، اشار الرئيس بومدين الى مشكلة خاصة بالجزائر هى «الحرب المدمرة التى خلفت عددا ضخما من الارامل وعددا كبيرا من الايتام ومشوهى الحرب ، وعددا يقدر بـ ٨٠٠٠ قرية مدمرة ومخربة ... اننا ننفق عشرات المليارات على هذه الميادين غير المنتجة لان مستقبل الثورة مرهون بحل هذه المشاكل الاجتماعية ... هذا ثقل خاص بالنسبة للجزائر، وله ثقل على الميادين الاخرى كالصناعة وغيرها» .

كذلك تحدث الرئيس الجزائرى عن ارتباط الاهداف الوطنية لتحرير الاقتصاد الجزائرى ، بالاهداف الاجتماعية ذات المضمون الاشتراكى ، التى ترمى الى وضع ثروة البلاد فى خدمة الشعب العامل . « احنا استرجعنا الارض من المعمرين الفرنسيين ، ولكن فى نفس الوقت سلمت الارض الى الفلاحين الجزائريين،وهذا — على كل حال — تطبيق اشتراكى . اذن فالتحرر من السيطرة الاجنبية متبوع فى نفس الوقت بتطبيق اشتراكى. » كذلك بالنسبة للمناجم التى تركها اصحابها الفرنسيون استلمها العمال ويديرونها وفقا لنظام التسيير الذاتى . » عملية التحرير ليست عملية منفصلة يمكن ان تؤدى بنا الى انحرافات ونوع من الرأسمالية ، لسبب بسيط ، وهو ان عملية التحرر مزدوجة وممزوجة بعملية تطبيق اشتراكى فى نفس الوقت . لذلك نحن لانخشى من ان تتكون لدينا مثلا طبقة رأسمالية جديدة » . واذا كانت الثورة الجزائرية قد استولت على اراضى المعمرين الفرنسيين واعطتها للفلاحين ، الا ان الملاك الجزائريين الكبار لم يمسوا بعد ، وهذا ما ستقدم عليه الثورة بناء على مشروع الاصلاح الزراعى الذى يعد حاليا .

كذلك افاض الرئيس الجزائرى فى شرح بعض الاوجه الخاصة بالتطبيق الاشتراكى فى الجزائر، وبخاصة تجربة التسيير الذاتى . وشرح العلاقة بين الخدمات والانتاج ، وبين ان بعض وجوه الانفاق فى الخدمات — كالتعليم مثلا — له علاقة مباشرة بمعركة الانتاج والتنمية الاقتصادية .

وفى مجال العلاقات الاقتصادية الخارجية تعرض الحوار لموضوعات هامة مثل : التعامل والتنافس بين اقتصاديات البلاد العربية ،وفكرة السوق المشتركة ، وعلاقة ذلك بالتكتلات

الاقتصادية الدولية الكبرى التى تشكل عنصر ضغط خطير على اقتصاديات البلاد النامية ، والتدهور المستمر فى اسعار المواد الخام مع الارتفاع المستمر فى اسعار المواد المصنعة ، وامكانية ان تتخذ الدول العربية المتحررة اجراءات مشتركة لمواجهة هذه المشكلات .

ولوضع النقط فوق الحروف ، تحدث بومدين عن علاقة الجزائر الاقتصادية بكل من فرنسا والولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى والجمهورية العربية المتحدة . وذلك على ضوء مشكلات الجزائر الاقتصادية ، وهى الحاجة الى رؤوس الاموال غير المشروطة وبعض حاجتها الى الحبوب ، وحاجتها الى الخبرة الفنية ، وسعيها الى التكامل الاقتصادى مع الدول العربية .

وكان طبيعيا ان تحتل المشكلات الاقتصادية الجانب الاكبر من الحوار . ثم انتقل بعد ذلك الى كبرى المشكلات السياسية التى تجابه الدول النامية ، وهى مشكلة الديموقراطية . وتشعب الحديث فى ذلك الموضوع فى اتجاهين اساسيين : الاول : كيفية اشاعة الديموقراطية فى داخل كل مؤسسة سياسيةوجماهيرية علىحدة ، والثانى : العلاقات بين المؤسسات المختلفة

فى المشكلة الاولى تحدث بومدين عن الديموقراطية داخل الحزب (**جبهة التحرير**) ، عن المركزية الديموقراطية كضمان ضد « خطر البيروقراطية ، خطر خلق طبقة داخل الحزب ، تبتعد شيئا فشيئا عن القاعدة فى الحزب نفسه ، وبالتالى عن الجماهير . »

وعن الصعوبات التى تلاقيها عملية تكوين التنظيم السياسى الحاكم فىالبلاد التى وصل فيها الحزب الى السلطة ، بين الرئيس الجزائرى ان جبهة التحرير « تكونت بالكفاح ضد قوة حاكمة ومستعمرة فى نفس الوقت » ، واكد ضرورة المحافظة على التقاليد الثورية التى تميزت بها الجبهة منذ اندلاع حرب التحرير فى ١٩٥٤ . ولم يفته « الانكسار الذى حدث فى جبهة التحرير » بعد تحقيق الاستقلال . فتحدث عن « التناقضات التى كانت موجودة داخل جبهة التحرير » : « كنا متفقين على الوحدة الوطنية حتى الاستقلال. لكن مفهوم الاستقلال يختلف بالنسبة للبعض منا . هناك اتجاه ليبرالى ، وهناك قيادات اخرى تشكل اغلبية ساحقة بين المناضلين والشعب قررت السير بالثورة الى الامام والسير بالتجربة الاشتراكية . .وهناك مشاكل الزعامات الفردية، وهى حقيقة مؤلمة عشناها فى الوقت الذى كان فيه العمال والفلاحون والشباب يبنون بالجهد والعرق والتضحياتالحرية والمجتمع الجديد ... وهناك عامل آخر ، هو ان القيادة فى القمة لم تكن قيادة منسجمة . فعناصر القيادة عملت لتقسيم جبهة التحرير نفسها .ولكن الانقسام كان بطبيعته انقساما مؤقتا ... فىالقمة كانالانقسام نهائيا لانه كان لاغراض شخصية . فى حين نجد ان مناضلى القاعدة التقوا من جديد بحكم تربيتهم ووضعيتهم على صعيد العمل ... وهناك ناس كافحت ١٠ سنوات فى ظروف قاسية ، فالانسان من غير تربية سياسية عميقة وواعية يضعف امام الاغراءات المادية ، ولا يثبت امام الاغراءات المادية ، ولا يثبت امام الاغراءات الا الانسان اى الجوهر النضالى » .

وعن ضمان الديموقراطية التى تتخذ بحيث يستمر الجيش يلعبدورا سياسيا وثوريا لحماية الثورة وضمان استمرارها :

« **اولا** : التربية السياسية من وقت الثورة. يوجد فرع فى الجيش يسمى المحافظة السياسية، وهى تعمل بنشاط وحيوية على اساس الخطوط الفكرية والسياسية الاشتراكية لبلادنا وتدرسها باستمرار فى جميع قطاعات الجيش .

ثانيا : يشترك الجيش فى عمليات البناء لمساعدة الفلاحين الفقراء والعمال ، اى مساعدة الطبقات الكادحة ، وبذلك يرتبط دائما بالشعب ولا يفصل عنه . ثالثا : التجنيد يأتينا فى غالب الاحيان من افقر الطبقات ، وهذا ضمان فى حد ذاته . الناس الاغنياء فى العادة لايأتون للجيش، وكذلك غالبية المثقفين يذهبون الى الوظائفالتى تكسب الحياة . طبعا هذا لاينفى وجود مثقفين ثوريين فى الجيش وفى خارج الجيش ، وفى جميع أجهزة الحزب والدولة وفى الخدمة المدنية بصفة عامة ... »

وعن مشكلة بناء الدولة وجهاز الخدمة المدنية على اسس من الكفاءة والديموقراطية ، بعد ان تركت الادارة الاستعمارية البلاد فى حالة تقرب من الفوضى الشاملة ، تحدث الرئيس الجزائرى عن قانون البلديات وقانون الموظف العمومى ، وتصدى بومدين ، من الناحية النظرية ، لدعاوى الفوضويين الذين كانوا يروجون لفكرة اضمحلال الدولة، ويقللون من دور الدولة فىبناء الاشتراكية ويحاولون صرف الثورة عن تحقيق هذه المهمة البالغة الاهمية ، وتأليب الجماهير ضد السلطة الثورية .

وعن العلاقة بينالمؤسساتالسياسية المختلفة، وهى الركن الآخر فى مشكلة الديموقراطية وبناء الدولة الثورية ، قال بومدين : « الجيش فى الجزائر يعتبر قوة ثورية ، لذلك كان ضمانا لمنع اى انحراف خطير فى الثورة . لكن قوة الجيش لا تهيمن رغم ذلك على الحزب وعلى مؤسسات

الدولة الاخرى ». لماذا ؟ لان الجيش الوطنى الشعبى فى الجزائر منبثق عن جبهة التحرير الوطنى اى انه تكون فى ظل تنظيم سياسى ، فهناك تفاعل حقيقى بين قطاع الجيش والقطاعات السياسية الاخرى ، ولا وجود للهيمنة ، لان اصل الحزب والجيش كان واحدا ، وكان تنظيما سياسيا بالدرجة الاولى . »

واكيد على معنى هام حتى قال بوضوح وصراحة : « عدم فهم هذه الحقيقة الخاصة بالجزائر جعل بعض الناس يقولون : وقع انقلاب عسكرى فى ١٩ يونيو على رأسه ضباط وعساكر فاشيون ... الخ وهو تحليل لا علاقة له بالوجه الحقيقى الذى حدث فى الجزائر . »

والجزء الاخير من الحديث كان حول وحدة القوى الثورية . يقول هوارى بومدين فى عبارة جامعة : « خطة الامبريالية والاستعمار الجديد خطة عامة تشمل المعمورة كلها . تشمل العالم الثالث والعالم الاشتراكى ، تشمل كل النواحى . اذن يكون من الخطا ان ننظر الى المعركة على انها معركة محدودة فى النطاق العربى . ولمواجهة الهجوم المضاد لازم نعمل على قدر المستطاع عمل واسع ومتصل بالقوات الثورية التقدمية فى العالم . والحلقة الاولى هى العالم العربى ، ويجب ان نميز فيه القوات التقدمية عن القوات الرجعية . وبجانب العالم العربى هناك افريقيا التى تخضع لنفس التحليل . لازم يكون فيه نوع من الاتصال بين القوات الثورية فى العالم العربى ونظيرتها فى أفريقيا ، لازم نوسع الدائرة حتى تشمل آفاقا اوسع فى معركتنا هذه ، لازم على كل حال ان نبحث عن اصدقائنا الطبيعيين وهم الموجودون فى المعسكر الاشتراكى . لانه اذا كان لنا دور فى محاربة الامبريالية والاستعمار والاستعمار الجديد فأصدقاؤنا الاشتراكيون لهم دور واجب فى تدعيم موقفنا . احنا وفق هذا التحليل نستطيع ان نقول اننا نواجه الضغط العالمى والمعركة بخطة على مستوى المعركة نفسها ، هذا هو تحليلنا ونظرتنا للقضية » .

وعن الاسهام المباشر الذى ستقوم به القيادة الجزائرية فى قضية توحيد القوى الاشتراكية فى الوطن العربى على المستوى الفكرى والشعبى تحدث الرئيس بومدين عن الندوة المزمع عقدها فى الجزائر فى الربيع القادم .

« لدينا تجارب اشتراكية عربية هى واقعنا ... لماذا لا نبدأ بدراسة وتحليل هذا الواقع وتجاربه وما فيه من ايجابيات وسلبيات ، ونربط افكارنا بالواقع العملى . ان هذا سوف يحل كثيرا من المشكلات النظرية والعملية التى تبدو فى مناقشاتنا وتزيد من خبراتنا المشتركة . لذلك قررت ان ادعو الى ندوة مفتوحة لجميع الثوريين الاشتراكيين فى العالم العربى فى الجزائر يأتون اليها بصفتهم الشخصية دون ما التزام سوى الالتزام العام بالاشتراكية ، حتى تكون مناقشاتهم صريحة وحرة دون قيود ... ونأمل ان تنعقد الندوة فى ابريل او مايو القادم » .

●

حركة الفكر القومى فى مصر
من محمد على الى
الحرب العالمية الثانية

وكتب د . وليم سليمان عن « الافتتاحية » ، والبحث الخاص بحركة الفكر القومى فى مصر من محمد على الى الحرب العالمية الثانية فيقول :

مع بدء عام ١٩٦٧ تستقبل الطليعة عامها الثالث . ولقد كانت هذه مناسبة ربط فيها لطفى الخولى بين العام الجديد والقرن العشرين ، وتحدث عن دور الطليعة وسط احداث « هذا القرن الدسم العريض العميق » كمنبر يحمل رسالة التقدم على مستوى الوطن بمعناه الصغير ، والوطن بمعناه القومى الكبير وافريقيا والعالم كله . أن عام ١٩٦٧ هو عام التحدى — تمسك بايامه ومصيره ثلاث حلقات رئيسية فى سلسلة التطور الانسانى ، هذه الحلقات هى التنمية ، والديمقراطية ، ووحدة القوى الثورية . ويتوقف على مواجهتها من نقطة واقعية وعلمية وسليمة من ناحية ، والجرأة والمرونة فى اكتشاف حلول لها من ناحية اخرى مصير هذا العام والقرن والانسانية فى تطورها ككل . ومن هنا تتضح القضايا الثلاثة التى سوف تحرص الطليعة خلال اعدادها هذا العام على ان تركز دراساتها وابحاثها حولها — بجميع ابعادها ومستوياتها وتجاربها .

هذا تركيز مبالغ فيه للافتتاحية الخصبة التى بدأت بها الطليعة عامها الثالث . تعرض فيها رسالتها ومنهجها . انها — تاريخا وجوهرا — ابنة الستينات من هذا القرن . تعايش عصرها ثوريا ، فتنتمى الى حركة التغيير لما هو ارقى واوفر انسانية فى جميع المجالات . وهذا التغيير لا يمكن ان يقع فى عصرنا الا اذا ارتبط بالمبادىء الاشتراكية باعتبارها ارقى ما وصل اليه الفكر والعمل الانسانى حتى اليوم دون جمود مذهبى ضيق الافق . والمنطق والواجب يتطلبان العمل على وحدة كل القوى الثورية على جميع المستويات : الوطنية والقومية والعالمية » . وهذا ما حرصت

الطليعة على خلق المناخ والظروف الملائمة لبنائه خلال اعدادها الماضية ، وبهذا المفهوم دعت الطليعة بالاشتراك مع مجلة السلم والاشتراكية الدولية الى عقد اول ندوة فكرية سياسية للاحزاب والتنظيمات الثورية الافريقية فى تاريخ القارة (٢٤ — ٢٩ اكتوبر ١٩٦٦) وهى تخطط لندوات اخرى فى المستقبل بين القوى والاحزاب والتنظيمات الثورية فى الوطن العربى وآسيا الخ ..

وقد حدد لطفى الخولى فى الظواهر الثلاثة التى تمثل الطابع العام للقرن العشرين منذ نهاية الحرب العالمية الاولى : الثورة العلمية ذات الافاق المشرقة ، وشمول حركة التحرر الوطنى فى العالم ، والتحول الانسانى العام نحو الاشتراكية . ولم تكن هذه الظواهر الا ثمرة للحركة العنيفة التى اضطرب فيها هذا القرن — الذى شهد اكبر مد للحركة الاستعمارية ، واشمل رد فعل ضد الاستعمار . ثم الحركة الاستعمارية المضادة التى اتخذت المغامرات العدوانية المحدودة والتحول الى الاستعمار الجديد . كما جرت فيه احداث ثورتين مصريتين ، وقاسى العالم خلاله ويلات حربين . وخرجت فيه الولايات المتحدة من عزلتها وتفجرت الثورة الاشتراكية الماركسية فى روسيا — لتقف الدولتان امريكا والاتحاد السوفيتى فى منافسة عالمية وتتجمع حول كل منهما كتلة دولية يبدأ بينهما صراع الحرب الباردة — تشق بينهما مجموعة من البلاد والدول الحديثة الاستقلال خصوصا التى انتهجت اسلوب التطور الاشتراكى طريق الحياد الايجابى وعدم الانحياز الدولى . وتنطلق حركات نمو الوحدة الاقليمية بين عديد من مجموعات الدول .لعل اشملها واعمقها حركة القومية العربية ذات المضمون التقدمى .

ويواصل لطفى الخولى شرح الظواهر الثلاثة المشار اليها ، ويسجل ما يدور فى كل منها من اتجاهات .وركز الحديث حول الهوة غير الانسانية التى تفصل بين البلاد النامية والبلاد المتقدمة ، وما تواجهه الاولى من حرب اقتصادية شاملة تشنها عليها الدول المتقدمة الرأسمالية من مواقع القوة والتسلط فى السوق العالمى . واشار الى ما تقدمه الدول الاشتراكية وفى مقدمتها الاتحاد السوفيتى من عون صادق مخلص . واورد فى هذا المجال ملاحظتين هامتين : ان الدول الاشتراكية لاتملك بعد الطاقة الكاملة لتغطية احتياجات الدول النامية — كما ان علاقات الدول الاشتراكية بالدول النامية ما تزال محكومة بمقاييس السوق العالمى واسعاره التى تحددها الاحتكارات العالمية للدول الرأسمالية نتيجة استمرار احتلالها مراكز القوة فيه .

ومن هنا مسئولية عام ١٩٦٧ تاريخيا عن مواجهة قضية البناء الاقتصادى الوطنى المستقل وخاصة فى مجالات الصناعة داخل البلاد النامية: فلابد من وضع حد للسيطرة الاحتكارية على السوق العالمى ، وللانفاق المتزايد على سباق التسلح وتحويل ذلك لتعويض البلاد النامية عن عمليات النهب الاستعمارى . وعلى الدول النامية خصوصا التقدمية منها ان تبذل مجهودات اوفر فى سبيل قيام تنسيق خاص بينها فى المجالات الاقتصادية والتجارية والفنية ، قد تكون بدايته المبادرة التى قامت بها الجمهورية العربية المتحدة والهند ويوغوسلافيا خلال عام ١٩٦٦ .كذلك فان دول الكتلة الاشتراكية مطالبة بمزيد من التعاون مع الدول النامية التقدمية فى اطار خاص اكثر تقدما من شأنه ان يحرر علاقاتهما الاقتصادية والتجارية من مقاييس ومعايير واسعار السوق الرأسمالى .

فاذا انتقلنا الى المجال القومى وجدنا عام ١٩٦٧ يواجه التخلف الاخذ بخناق الوطن العربى ليؤكد فى عصر التكتلات الاقتصادية ضرورة الوحدة العربية بمضمونها التقدمى والعصرى .

وعام ١٩٦٧ محليا يقرع اجراس التنبيه والخطر لمعوقات عملية التنمية التى اكتشفت خلال تنفيذ الخطة الاولى للتنمية . وقد آن الاوان فى هذا العام ان تضبط واقعيا وبدقة حجم الاستهلاك والانتاج والادخار والنسل . وفى نفس الوقت فان هذا العام مطالب محليا بان يولى قضية البناء التنظيمى السياسى بشقيه الجماهيرى والطليعى مزيدا من الجهد كى يحتل حجما وتأثيرا وحركة مكان القلب والعقل من مجتمعنا .

هذه هى الخطوط الرئيسية التى تضمنتها الافتتاحية الشاملة العريضة التى بدأ بها لطفى الخولى صفحات الطليعة فى عامها الثالث .

وثمة اضافة لابد من ذكرها الى ما حواه هذا الاستقصاء المتأنى — فعلى الصعيد المحلى ومع بدء عام ١٩٦٧ يكون قد مضى على صدور ميثاق العمل الوطنى اكثر من اربع سنوات ، ويقترب عام ١٩٧٠ الذى حدد لمناقشة العمل الوطنى خلال هذه السنوات وتدور حوله المناقشة الفكرية والاجتماعية على أوسع نطاق حول تعريف العامل والفلاح ، وحول انجع الوسائل الاشتراكية التى اذ تتيح الفرص لحل الصراع الطبقى سلميا تفتح الطريق لامكانية تذويب الفوارق بين الطبقات وتوزيع عائد العمل على كل الشعب طبقا لمبدأ تكافؤ الفرص .

وتواصل الطليعة دراسة التيارات الفكرية فى الواقع المصرى ، وقد تضمن العدد الماضى الجزء

الأول من الدراسة التى يقوم بها **حسين عبد العزيز** لحركة الفكر القومى فى مصر من حكم محمد على الى الحرب العالمية الثانية . بدأت بالتمييز بين ثلاث مراحل مر بها الفكر القومى طوال هذه الفترة — المرحلة الاولى بدأت بعهد محمد على ويمثلها رفاعة الطهطاوى وكانت ثمرتها الثورة العرابية . والمرحلة الثانية نضجت فيها القومية المصرية على يدى احمد لطفى السيد وتوجت بثورة سنة ١٩١٩ . اما المرحلة الثالثة فهى مرحلة مابعد الاستقلال الشكلى وفيها انقسم الفكر القومى الى تيارين متعارضين ينادى واحد منهما بالانتماء للشرق ويدعو الاخر للانتماء للغرب . وقد شغلت هذه المعركة الفكر المصرى طوال العشرينات والثلاثينات من هذا القرن حتى قيام الحرب العالمية الثانية .

وقد خصص الكاتب الجزء الذى نشرته الطليعة فى العدد الماضى للكلام عن رفاعة الطهطاوى ، واحمد لطفى السيد والشيخ رشيد رضا . وهو يبدأ دراسته معتمدا فى ذلك على مؤلف صبحى وحيده « فى اصول المسألة المصرية » — بالاشارة الى ظروف احياء الوعى السياسى لمصر الحديثة من خلال حركات المقاومة التى قام بها المصريون ضد الحملة الفرنسية . وذكر ان الرابطة التى كان المصريون يحسون بها فى تلك الايام كانت فى الاساس دينية ، هى رابطة التضامن بين المسلمين جميعا . ولقد كان احد الاثار البارزة للصراع الدائر وقتئذ القضاء على الارستقراطية المملوكية . وهذا ما اتمه نهائيا محمد على — الذى ادت اجراءاته الى اختفاء الملتزمين والتجار واهل الحرف وهى الطبقات التى كانت التربة الطبيعية لنمو البرجوازية المصرية . الا ان سعى محمد على فى انشاء جيش حديث وادارة جديدة وما استتبع ذلك من فتح المدارس وايفاد البعثات وماصاحبه من تطور نظام الملكية فى ظل حكمه وحكم ابنائه سعيد واسماعيل .. هذا كله ادى الى ان قامت على انقاضه النظام المملوكى ارستقراطية تركية جديدة وطبقة ملاك زراعيين محليين لهم مصالحهم واوضاعهم الخاصة . وترددت فى كتابات رفاعة الطهطاوى وعلى مبارك وعرابى تيارا وطنيا يتجه الى الشعور بنفسه كشىء مختلف عن المجتمعات الاخرى اسلامية كانت او غير اسلامية .

واوضح حسين عبد العزيز ان اهمية رفاعة الطهطاوى تكمن فى انه اول مفكر مصرى دعا الى القومية المصرية . ويرتكز الفكر السياسى لهذا الرائد على دعائم ثلاثة : هى القومية المصرية والديمقراطية الليبرالية والدعوة الى الاخذ باسباب ومقومات الحضارة الاوربية فى عصره . وهذه الدعائم سوف تكون ايضا مميزات تيار القومية المصرية عبر مراحله المختلفة .

وعرض الكاتب بعد ذلك نصوصا من كتابات رفاعة فى « تخليص الابريز فى تلخيص باريز » الصادر فى سنة ١٨٣٤ وفى «مباهج الالباب المصرية فى مناهج الاداب العصرية » الصادر فى سنة ١٨٦٩ . ومن خلال هذه النصوص نتابع فكر الطهطاوى وهو يصور المجتمع الفرنسى كما رآه فى العصور الاولى من القرن التاسع عشر ، ويذكر المصريين بامجاد مصر الغابرة ويلقى مسئولية خرابها على المماليك ونظمهم التى قسمت البلاد الى اقطاعيات منفصلة تدهور فيها الانتاج الزراعى .

ويخلص الكاتب من عرضه للفكر السياسى لرفاعة الطهطاوى الى ان المحتوى الطبقى لهذا الفكر يمثل البرجوازية الليبرالية الثورية فى مرحلة صعودها ونضالها ضد الاقطاع . ويقول ان هذا الفكر يعتبر فى ذلك الوقت فكرا « وافدا » اكثر منه تعبيرا عن الاوضاع الداخلية الخاصة بالمجتمع المصرى آنذاك ، فالطهطاوى عاش فى المجتمع البرجوازى الفرنسى وعاصر احداث ثورة سنة ١٨٣٠ واثر فى تفكيره دراسته لكتابات فلاسفة عصر التنوير .

وهكذا ينتقل حسين عبد العزيز الى الثورة العرابية التى بدأت حركة عسكرية ثم تحولت الى ثورة قومية شعارها مصر للمصريين . وكانت البرجوازية المصرية الناشئة تقف خلف الثورة . ولقد ازدادت هذه الطبقة قوة بعد فشل الثورة واحتلال الانجليز لمصر ، واهتمامهم بالزراعة لتحويل البلاد الى مزرعة تتخصص فى انتاج القطن لخدمة صناعة النسيج البريطانية . هذا هو الجناح المعتدل من البرجوازية الذين مثلهم حزب الامة ، ولم تكن مصالحهم تتعارض وقتئذ مع مصالح الانجليز ، فى مقابل الجناح الاخر الاكثر ثورية والمكون من الطلبة والموظفين والتجار وكان يمثلهم الحزب الوطنى .

ثم عرض الكاتب بعد ذلك للصراع الحاد بين تيار القومية المصرية ويمثله احمد لطفى السيد وتيار الامة الاسلامية ويمثله الشيخ رشيد رضا .

ولقد كان لطفى السيد هو المفكر الذى وضع نظرية متكاملة عن الامة المصرية ، وكان يمثل الليبرالية المصرية واهدافها ومصالحها ويعتبر فكره امتدادا لفكر الطهطاوى . ويورد الكتاب بعد ذلك نصوصا من كتابات لطفى السيد التى يبرز فيها شخصيات الامة المصرية ويهاجم فكرة الجامعة الاسلامية ويضع المبدأ العلمانى الذى يقول بأن المصالح هى التى تصلح اساسا لاقامة الدول . ويرى مذهب « الحريين » ويفضله على مذهب الجماعيين الذى يرى انه لا يصلح لمصر فى ذلك الوقت .

بعد هذا تقدم الدراسة التيار الفكرى المقابل — وهو الذى كان يدافع عن الجامعة الاسلامية . وفى هذا المجال نرى رافدين : الاول يمثله الافغانى ومحمد عبده اللذين كانا يدعوان الى الوحدة الاسلامية الا ان دعوتهما كانت تجديدية تهدف الى استنفار الشعوب الاسلامية ضد استبداد امرائها . والثانى يمثله هو فكر الشيخ رشيد رضا الذى تزعم تيار الدعوة الى الجامعة الاسلامية ضد تيار القومية الزاحف ، داعيا الى جعل الخلافة الاسلامية سلطة حقيقية تخضع لها كافة البلاد الاسلامية ، مهاجما الثورة الكمالية التى قام بها اتاتورك فى تركيا ، ومعتبرا ان الدعوة الوطنية تقليد للافرنج . ويورد حسين عبد العزيز فى هذا المجال نصوصا مما كتبه رشيد رضا .

والواقع ان احد مميزات هذه الدراسة هو النصوص الاصلية التى اوردها الكاتب لتفصح عن فكر كل من الطهطاوى ولطفى السيد ورشيد رضا .

ان دراسة هذا التراث ، وربطه بالظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التى صاحبته — يكشف صفحة خصبة من تاريخ الفكر المصرى الحديث ، ويساهم فى تكوين الوعى الاجتماعى والسياسى — ليس بالماضى وحسب ولكن بالواقع الحاضر ايضا .

ولكننا نلاحظ ان الجزء الذى نشر من هذه الدراسة الكبيرة الهامة وضع المميزات الثلاثة للفكر القومى السياسى منذ البداية واعتبر ان فكر لطفى السيد هو امتداد لفكر الطهطاوى . الا ان هناك فارقا لا يمكن اغفاله بين هذين المفكرين . فبينما كان الطهطاوى يقدم للمجتمع المصرى ما رآه وقرأه اثناء بعثته — كان لطفى السيد يمثل طبقة لها مصالح محددة وترسم خططها السياسية العملية لخدمة هذه المصالح وتقدم التبرير النظرى المناسب . ومن هنا — فان الطهطاوى لا يمثل مصالح وفكر الطبقة البرجوازية بالقدر الذى كان يمثلها لطفى السيد . خصوصا وان الكاتب يثبت ان هذه الطبقة فى عصر الطهطاوى كانت وليدة ولم تستكمل القوة التى كانت لها فى ايام لطفى السيد ، واننا لنقرأ فى كتابات الطهطاوى نقدا للملكية الفردية لا يمكن ان يصدر ممن تمثل فى اخلاص مصالح «سراة البلاد واعيانها» و«اصحاب المصالح الحقيقية فيها » يقول الطهطاوى فى مناهج الالباب ان مصادر الثروة او « اكتساب المال» ثلاثة هى الزراعة والصناعة والتجارة . فاذا تحققت هذه المنافع نمت الثروة وعم الرخاء .

ولا يتأتى ذلك ما لم يكن « العمل والكد ومزاولة الخدمة » داب الناس . « فلو زرعنا ارضا خصبة وميزنا ما يمكن ان ينسب من ايرادها للعمل ، وما ينسب للخصوبة منها وفرزنا كلا على حدة ، وجدنا محصول العمل اقوى من محصول الخصوبة . ودليل ذلك ان الامة المتقدمة فى ممارسة الاعمال والحركات الكدية ... قد ارتقت الى اعلى درجات السعادة والغنى بحركات اعمالها بخلاف غيرها من الامم ذات الاراضى الخصبة الواسعة الفاترة الحركة .. » ويقابل فى هذا الصدد اوربا وافريقيا . وفى مقاله الذى خصصه فى نفس الكتاب لموضوع «تقسيم محصول الارض بين مالكها وزارعها يقول « ان المقتطف لثمار هذه التحسينات الزراعية . . الناتجة فى الغالب عن العمل واستعمال القوى الالية ، والمحتكر لمحصولاتها الايرادية ، انما هم طائفة الملاك . فهم من دون اهل الحرفة الزراعية متمتعون باعظم مزية . فأرباب الاراضى والمزارع هم المغتنمون لنتائجها العمومية ، والمتحصلون على فوائدها ، حتى لا يكاد يكون لغيرهم شيء من محصولاتها له وقع ، فلا يعطون للاهالى الا بقدر الخدمة والعمل ، وعلى مقدار ما تسمح به نفوسهم فى مقابلة المشقة ، يعنى ان الملاك فى العادة تتمتع بالمتحصل من العمل ولا تدفع نظير العمل الجسيم الا المقدار اليسير الذى لا يكافىء العمل . فما يصل الى العمال فى نظير عملهم فى المزارع ، او الى اصحاب الالات فى نظير اصطناعهم لها هو شيء قليل بالنسبة للمقدار الجسيم العائد الى الملاك ، فان المالك يستوفى لنفسه اكثر محصول الارض » (١) .

ومن ناحية اخرى فلقد كنا نرجو ان نجد فى الدراسة عرضا اوفى لفكر جمال الدين الافغانى ومحمد عبده ونقرأ بعضا من النصوص التى تمثل فكر هذين المجددين — فى مقابل الدعوة المتطرفة التى كان ينادى بها الشيخ رشيد رضا . والواقع اننا لا نجد فى الدراسة ايضاحا للظروف الاجتماعية والمصالح الاقتصادية والظروف الدولية التى كان يصدر عنها تيار الجامعة الاسلامية بمختلف روافده .

وبعد فاننا ننتظر من حسين عبد العزيز ان يواصل دراسته القيمة عن المراحل التالية التى وعد باستكمالها فى صدر مقاله . انه بهذا يخدم تاريخ الفكر المصرى ، اذ يقدم الاسس الفكرية لمختلف المدارس التى ظهرت فى ميادين الادب والفن والاقتصاد والفلسفة والقانون فى الواقع المصرى .

---

(١) اورد هذه النصوص الدكتور حسين فوزى النجار فى كتابه عن رفاعه الطهطاوى — اعلام العرب رقم ٥٣ ، ص ١٤٥ ، ١٦٢

الطليعة

سارتر

ملف شهري

- سارتر .. فيلسوفا
- سارتر .. ناقدا وروائيا ومسرحيا
- سارتر .. سياسيا



في اليوم الرابع من هذا الشهر يصل الى القاهرة بدعوة من « الاهرام » الفيلسوف جان بول سارتر تزامله رفيقه العمر سيمون دى بوفوار ، وكلود لانسمان عضو هيئة تحرير مجلة « العصور الحديثة » الشهرية التى يصدرها سارتر فى باريس .

وسارتر ليس مجرد فيلسوف يشتغل بصناعة اللفظ وصياغة المعنى ، وانما هو مناضل سياسى من طراز فريد ، يتابع احداث العصر ويتخذ بازائها موقفا محددا ، ثم هو بعد ذلك يصب هذه المواقف فى قوالب ادبية قد تتخذ شكل الرواية او المسرحية أو النقد الادبى . ومن سمات هذه المواقف انهاتواجه الاحداث على الصعيد المحلى والعالمى — وقد نتفق وقدنختلف مع سارتر ولكنه دائمايكسب احترامنا وتقديرنا واهتمامنا كمفكر واديب وانسان .

وفى هذا الملف نحاول تقديم هذا المفكر المناضل وذلك بتتبع تطور فكره حتى نحصل فى النهاية على أساس موضوعى للحكم عليه وبالتالى للحكم على العصر الذى نعيش فيه ، فسارتر علامة من علامات هذا العصر .

أشترك فى أعداد هذا الملف:

- د. مراد وهبه
- أمير اسكندر
- حسين عبد العزيز

القسم الأول

سارتر .. فيلسوفا

الحديث عن سارتر يلازمه بالضرورة الحديث عن الوجودية . والسبب في هذا التلازم هو قدرة سارتر على الترويج لهذه الحركة الفلسفية .

ونسأل : **ماالوجودية ؟**

نجيب بانها فلسفة تدور على ((**الوجود**)) ، ومن ثمة فاهتمامها ينصب على تحديد معنى الوجود .

والفهم الشائع لمعنى الوجود انه ما يجعل الكائن يتصف بالواقعية بحيث ان من يقول **((انا موجود))** يعنى انه كائن واقعى .

غير ان لكل موجود ((**ماهية**)) بمعنى ان لكل موجود مجموعة صفات اساسية جوهرية تتيح له فرصة الانتماء الى **((صنف))** معين من الكائنات . وقد اصطلح الفلاسفة العرب على تسمية هذه المجموعة من الصفات الاساسية **((ماهية))** . الماهية اذن هى التى تجعل الشىء هو هو وليس شيئا اخر، وانها هى التى تحدد الموجود تحديدا مسبقا . فيقال مثلا ان ماهية الانسان انه حيوان عاقل . معنى ذلك ان الانسان لا يمكن تصوره انسانا الا على انه حيوان يفكر .

والماهية لا تصبح واقعية الا اذا انضاف اليها الوجود . وجرى العرف فى تاريخ الفلسفة على ان الماهية تسبق الوجود . فمثلا كان **((افلاطون))** يتصور ان وجود الاشياء المحسوسة ليس ممكنا الا بفضل الماهية . وذهب **((ديكارت))** الملقب بابى الفلسفة الحديثة الى ان الفكر هو الحقيقة الاولى التى نستخلص منها وجودنا . وعبارته المشهورة **((انا افكر اذن فانا موجود))** إعتراف ضمنى بأسبقية الماهية . وتاثر الفلاسفة المحدثون بهذا المسار الديكارتى واصبحت الفلسفة بحثا عن «الماهية» دون «الوجود» . وعلى قمة هذا البناء الفلسفى وقف **هيجل** (١٧٧٠ — ١٨٣١) يعلن فى صراحة ووضوح ان الفكر المطلق هو الاداة الوحيدة لحل مشاكل الوجود .

وكان لا بد من رد فعل يتجه بالبحث الفلسفى الى **((الوجود))** . وقد قام به فيلسوف دنمركى اسمه **((سيرن كيركجور))** (١٨١٣ — ١٨٥٥) ويدعى الاب الروحى للحركة الوجودية . يقول ردا على هيجل **يستطيع ان تقول كل ما تريد ، ولكننى لست مرحلة منطقية فى مذهبك . انا موجود وانا حر ، وانا فرد ولست تصورا . لاتستطيع اية فكرة مجردة ان تعبر عن شخصيتى ، وان تعرف ماضى وحاضرى ، وعلى الاخص مستقبلى وان تستنفد امكانياتى .. ولايستطيع اى قياس ان يفسرنى ، انا او حياتى او الاختيارات التى اقوم بها ، او ان تعلل مولدى ومماتى ، ومن ثم فان افضل ماتفعله الفلسفة ان تدع ادعاءاتها المجنونة لتفسير العالم تفسيرا معقولا ، وان تركز اهتمامها على الانسان ، فتصف الوجود الانسانى كما هو .. هذا وحده هو المهم اما الباقى فعبث .**

ومعنى هذه العبارات ان الفلسفة ينبغى ان تدور على الوجود الانسانى من حيث هو ذات لا من حيث هو موضوع ، اي من حيث انه كائن يحيا تجارب حية وخبرات وجودية .

غير ان سؤالا يثار هنا : **هل من علاقة بين الذات او الانا وبين الاخر** ؟ والاخر قد يكون نسبيا اى انسان ، وقد يكون مطلقا اى اله .

وقد انقسم الفلاسفة الوجوديون ازاء هذا الاخر المطلق . فريق اقره وحاول ان يكشف عن حقيقته نذكر منه **كارل يسبرز** (١٨٨٧ —) **وجبرييل مارسل** (١٨٨٩ —) وفريق آخر استبعد هذا الاخر المطلق واكتفى بالاخر من حيث هو موجود انسانى نذكر منه **مارتن هيدجر** (١٨٨٩ —) وضيفنا **جان بول سارتر** (١٩٠٥ —) .

ومبدا سارتر فى الفلسفة ان **الوجود يسبق الماهية** اى ان الوجود لايتحدد مسبقا او مقدما ، والوجود المقصود هنا هو الوجود الانسانى . ومادام الانسان فى بدء وجوده ليس محددا فهو لا بد حر . يلزم من هذا المبدا اذن مواجهة مسالة الحرية . وقد واجهها سارتر فى اول رواية له صدرت عام ١٩٣٨ بعنوان **((الغثيان))** . البطل فيها اسمه روكنتان وهو فردى من الطراز الاول ، وقليل الاهتمام

باحداث العالم ، وبالتالى فهو خال من المسئولية ثم هو مكلف بان يعى هذا الانعدام الكامل لتبرير مايقوم به من افعال .

ولكن ماذا يعنى هذا الوعي بانعدام تبرير مانفعله؟
انه يعنى ان وجودنا غير محتمل ، ومن ثم ينتابنا احساس الفزع والخوف المريع ، اى القلق ، القلق من وجودنا فى العالم . ولهذا يقرر سارتر فى مؤلفه الضخم الذى اصدره عام ١٩٤٣ بعنوان «الوجود والعــدم» ـــ محاولة لتأسيس علم الوجـود الفينومنولوجى ضرورة الربط بين « الوعى » و «الوجود ــ فى ــ العالم» . وهو فى هذا الربط متأثر «بهوسرل» و «هيدجر» .

فالوعى عند **سارتر** كما هو عند **هوسرل** مؤسس الفينومينولوجيا انما هو وعى بشىء ما . ويقول هوسرل **ان وعيى لايوجد ابدا فى حالة صافية ، وانما هو يوجد لانه يفـكر فى شجرة او فى وجه بطرس .. ان الوعى يولد موجها الى كائن ليس اياه** . الا ان مايؤخذ على **هوسرل** ان ابحـاثه الفلسفية دارت على الوعى منفصلا عن الموضوع، اذ انه جعل موضوع الفكر متعلقا بفعل الفكر فظل فى نطاق الوعى وما به من ظواهر . وقد فطن الى هذه المؤاخذة هيدجر ، ولهذا اضاف مبدأ الوجود ــ فى العالم ــ لان لفظة الوجود تعنى « خروج ex sistere » الموجود من الحالة التى هو فيها ليضع نفسه فى المستوى الذى لم يكن عليه .

وهذا « الخروج عن .. » هو الذى أحقق فيه امكانيات وجودى ، أى أن الوجود الانسانى ينبغى أن ندركه من خلال الوجود ــ فى العالم . بيد أن **هيدجر** ركز فى ابحاثه الفلسفية على الوجود العام وليس على الوجود الانسانى .

وحاول **سارتر** ان يتفادى هـذا النقص عنـد كل من هوسرل وهيدجر فهو يفصل بين الوعى والاشياء دون ان يقف عند الوعى كما فعل هوسرل ودون ان يترك الوعى لينظر فى الوجود العالمى كما فعل هيدجر .

سارتر اذن يبدا من وجود الوعى ليكشف لنا عن معنى ذلك الوجود . واتخاذ الوعى نقطة بداية يفيد اولية الوعى من حيث انه وجود ،وان هذا الوجود ليس الا شكلا من الوجود يتضمن شكلا اخر من الوجود غير وجوده هو الخاص . ولهذا يقول سارتر **ان الوعى موجود يثار بصدد وجوده اشكال وجوده من حيث ان هذا الوجـود يتضمن وجودا آخر سواه** » (الوجود والعدم ، ٢٩) .
ومعنى هذا النص ان الوعى يشير الى وجودين : **الوجود لاجل ذاته** être pour soi **والوجود فى ذاته** êtr en soi . واحيانا يشير سارتر الى هذين المصطلحين باغفال كلمة الوجود فيقول **«لاجل ذاته»** pour soi و « فى ذاته » en soi .

الوجود فى ذاته ملىء كثيف صلب ثابت ليس فيه فجوات او ثغرات مثل وجود العالم الذى يحيط بنا او وجود اى موضوع مادى . **اما الموجود لاجل ذاته** فهو وجود متحرك متغير ، ووجوده وجود زمانى قوامه النزوع المستمر نحو المستقبل ، والتنصل الدائب من الماضى ، والمجاوزة المتواصلة لذاته . ومن ثم فانه من المستحيل ان نحدد ماهيته كما نحدد ماهية الموجود فى ذاته . والنتيجة ان الوجود لاجل ذاته ناقص بالضرورة .

وماذا يعنى هذا النقص ؟ انه يعنى ـــ فى نظر سارتر ـــ ان الوعى لا ينفصل عن الاشياء فحسب، وانما هو ينفصل كذلك عن ذاته . وهذا الانفصال يتيح للوعى ان يعرف ذاته ، اذ ان المعرفة تتطلب مسافة او بعدا بين العارف والمعروف . وهـذا النقص يسميه سارتر عدما ويمثله ((**بالدودة فى الثمرة**)) او ((**بالسوس فى الخشب**)) .

والعدم ، من هذه الزاوية ، له طابع انسانى اذ هو يصدر عن الوعى ويقوم فى صلب الوجود الانسانى .

ومسألة العدم ترتبط بمسألة الحرية . فالعدم يشير الى امكانية انفصال الموجود لاجل ذاته عن الاشياء وعن ذاته . وهذا الانفصال هو ما يتيح الحرية الانسانية . وهذا معنى عبارة سارتر **((ان الوعى هو ما هو ، وهو ما ليس هو))**. فالوعى هو ماضيه وفى نفس الوقت ليس هو ماضيه اذ هو يرفض الماضى لكى يتجاوزه الى المستقبل . ومن ثم يمكن القول بان الوعى ماهو لايكون وما هو سيكون ، وان الحرية هى فى مجاوزة الوعى لذاته . وهذه المجاوزة هى التى تتيح للانسان ان يكون هو نفسه اساسا خالصا لذاته ، اى انه صانع القيم ومؤسسها . والقيم عند سارتر ذات طابع ديناميكى اى انها متغيرة وليست متحجرة فليس ثمة **حكمة** قائمة ينبغى الحرص عليها وليس ثمة **قيم عالمية** يجب التمسك بها . ان الانسان السارترى انسان متحلل من اى الزام قبلى ، ومن كل نموذج مسبق **((ان الانسان ليس هو ابدا مجموع ما يملك، بل هو مجموع ما لايملك،وما يمكنه ان يملك**(مواقف ، ج ١ ، ٨٠) وما لا يملكه هو مجموع مشروعاته المستقبلية

وفكرة المشروع هى التى يمتنع معها ان يتحول الموجود لاجل ذاته الى موجود فى ذاته ، الى شىء جامد صلب متحجر ، غير ان بعض الناس يميل الى ان يحقق هذا التحول حتى يتخلص من مسئولية الحرية . وهذا الميل يسميه سارتر **سوء نية** . ويذكر سارتر عدة امثلة فى كتابه **الوجود والعدم** تنطوى على سوء النية وترمى كلها الى الفرار من الحرية ومن المسئولية المترتبة على الحرية . مثال ذلك حالة خادم المقهى . يقول سارتر :

((لنراقب خادم المقهى هذا . انه ذو نشاط حى دافق،دقيق اكثر مما ينبغى،سريع اكثر مما ينبغى، وهو يقبل على الشاربين بخطوة حية اكثر مما ينبغى،

وينحني بقدر من الحرارة يتجاوز حده ، وان صوته وعينيه يعبران عن اهتمام يطفح أكثر مما ينبغي بالاقبال على تلبية طلب الزبون ، وها هو ذا اخيرا يعود محاولا ان يقلد بمشيته الدقة المفروضة في رجل آلي لا يخطيء مع انه يحمل طبقه بجسارة بهلوان ، ويقيمه بتوازن متذبذب ابدا ومقطوع ابدا . وسرعان ما يعيده بحركة خفيفة من ذراعه ويده » (الوجود والعدم ، ٩٨ — ٩٩) ثم هو يضرب مثالا آخر بالرجل الذي يلقى تبعة افعاله على الآخرين ، او يطيع قرارات الاخرين كما لو كانت قوانين طبيعية ، وهو يقول عنه انه رجل الجمهور مهما يكن قصيرا فانه مع ذلك يتخذ الحيطة بان يخفض نفسه خوفا من ان يبرز من بين القطيع وان يجد نفسه امام ذاته وعدو السامية هو هذا الرجل . انه يرد مايحدث في المجتمعات من حروب وانقلابات وثورات الى اليهود . ومثل هذا الرجل . في راى سارتر — هو سيء النية . اذ ان هذا الرجل يتصور عندئذ ان لليهود طبيعة خاصة او ماهية ، تلزمهم بمسلك شرير باستمرار . غير ان مثال « عداوة السامية » انما ينطوى على تعميم يجريه سارتر بلامبرر . اذ ان اليهود هم انفسهم الذين اوحوا الى الشعوب بان لهم طبيعة خاصة يختصون بها دون سائر البشر . وعداوة الناس لليهود اذن هي رد فعل وليست فعلا اصيلا . ورد الفعل هذا يدور على محاولة تجريد اليهود من هذا الاحساس المزيف ، اى من الماهية المزيفة . ومن ثم ينبغي ان يؤازر سارتر رد الفعل هذا ويسانده والا وقع في المحذور وناقض نفسه ، اذ ان فلسفته تقوم على ان الوجود الانساني ليس محددا مسبقا بماهية او طبيعة .

ومسألة الانصياع للاخرين تثير مسألة العلاقة بين « الانا » و « الاخر » ، وعلى اى وجه ينبغي ان تكون . وهنا يلاحظ سارتر ان في تركيب الوجود لذاته تركيبا اخر هو الوجود للغير . وظاهرة الخجل دليله على مايقول . فانا عندما اخجل انما اخجل من نفسى امام الغير . فعندما ارتكب عملا شائنا دون ان يرانى احد فقد لا اخجل ، ولكنني عندما اتخيل ان احدا كان من الممكن ان يرى مافعلت احس بالخجل . الخجل اذن يرتبط دائما بشعور المرء انه منظور من الاخرين . غير ان نظرة الاخر الى انما تحيلني الى شيء من الاشياء ، الى موجود في ذاته لانى ادخل في عالمه كموضوع وكاداة من بين الادوات . وما دامت العلاقة بين « الانا » و « الاخر » تتمثل في نزوع كل منهما الى اعتبار غيره مجرد « موضوع » فان من الخطأ ان نقول ان جوهر هذه العلاقة هو الحب . فالواقع ان يكون جوهر هذه العلاقة هو **الصراع** . ومن هنا قال سارتر في مسرحية **جلسة سرية « ان الجحيم هو الاخرون »** . غير انه ينبغي فهم هذه العبارة على انها تعنى اتصال الانا بالاخر وليس الانفصال ، بل انها تعنى التزام متبادل بين الانا والاخر فان اكتشافى لذاتى يكشف لى في الوقت نفسه عن الاخر بوصفه حرية موضوعة في مواجهتى ، ولا يفكر ولا يريد الا من اجلي او ضدى . وهكذا نكتشف عالما يسميه سارتر **« ما بين الذوات »** .

وفي هذا العالم يقرر الانسان ماذا يكون هو وماذا يكون الآخرون (الوجودية نزعة انسانية ، ٦٧) .

ومن شان اقرار هذا العالم الجديد ، عالم مابين الذوات ان تثار المسالة الاجتماعية في مختلف مجالاتها السياسية والثقافية والاقتصادية . وبالفعل اثار سارتر هذه المسألة في كتاب ضخم يقع في ٧٥٠ صفحة من القطع الكبير ، وصدر عام ١٩٦٠ بعنوان **« نقد العقل الديالكتيكى »** .

يرى سارتر في هذا المؤلف ان الاندماج او الذوبان يمكن ان يتم بين **الوجودية والماركسية** . والذى يدفع سارتر الى هذا القول هو اعتقاده ان الماركسية هي فلسفة القرن العشرين . لان الفلسفة التي تصلح للدفاع عن الطبقة الصاعدة في اى عصر تكون فلسفة هذا العصر . والطبقة الصاعدة في القرن العشرين هي الطبقة العمالية والماركسية هي الفلسفة المعبرة عن مصالح هذه الطبقة . ومن ثم فليس امام الوجودية — في رايه — الا أحد امرين : اما ان تحكم على نفسها بالانقراض واما ان تذوب في الماركسية .

والوجودية ليس من الممكن ان تنقرض لانها تلتزم بالواقع وبما هو عينى . اذن ليس امامها الا الذوبان في الماركسية ولكن اية ماركسية ؟

والذى يدفع سارتر الى هذا التساؤل هو التفرقة التي يقيمها بين ماركسية ماركس والماركسية المعاصرة . الثانية تخالف الاولى في انها (اى المعاصرة) متحجرة وليست مرنة ، مغلقة وليست مفتوحة . والتحجر له علامتان : **العلامة الاولى** تفيد الحكم على الواقع من خلال مجموعة من الافكار والمبادىء المسبقة . **والعلامة الثانية** تشير الى فقدان الانسان لمعنى وجوده . فالانسان ينبغي ان يعرف وجوده . ومعرفة الانسان لوجوده هي في ذات الوقت معرفة بالتاريخ الانساني . والدليل على ذلك ، في راى سارتر ، ان التاريخ ظل يتحرك دون ان يكون على دراية بانه يتحرك حتى ظهر ماركس في منتصف القرن الماضى وكان كل همه ان يجعل التاريخ يشعر بحركته ويشعر باتجاه هذه الحركة . فماركس يرى ان التاريخ ليس جملة احداث متفرقة وانما هو « كل » يشملها ويؤثر فيها ويتأثر بها . وهذا الكل ليس محددا ومع ذلك فهو في طريقه دائما الى التحديد دون ان يتحدد . واللاتحديد يفيد التطور . الكل اذن متطور . **والكل المتطور** يتمايز من **الكل غير المتطور** . اذ ان الثانى يساوى مجموع اجزائه بينما الاول لايساوى مجموع اجزائه

وانما يساوى مجموع كلياته. ومع ذلك فهذه الكليات جزئية، وفى صراع مع بعضها البعض . ومن ثم فان الكل المتطور ينطوى على صراع . وهذا الصراع اذن هو السمة المميزة للحركة التاريخية، اى للحركة الديالكتيكية، وهو الذى يمنع هذه الحركة من التحجر.

اما الماركسية المعاصرة، فى راى سارتر، فقد انتهى بها الامر الى تجميد هذه الحركة بفضل ما اكتفت به من عامل واحد، هو العامل الاقتصادى، فى تفسير الظواهر الاجتماعية . ويرى سارتر ان الماركسية المعاصرة، فى هذا التجميد، تخالف الماركسية الاصيلة . ودليله على ذلك خطاب **انجلز** الى **بليخانوف** جاء فيه :

« **ان الموقف الاقتصادى وحـــده ليس يكفى، فالناس هم صناع التاريخ . وهم فى صـــناعتهم هذه انما يتاثرون بمواقف متباينة . والموقف الاقتصادى ليس الا واحدا منها** ». وفى نفس هذا الاتجاه يسير ماركس اذ هو يقرر ان منهجه يذهب من **المجـــرد الى العينى** . والعينى عنده، يفيد وضع الوقائع والظروف والشروط فى ترتيب مسلسل بحيث تبدو الوحدة بين هذه المجموعات او الكليات .

ويحاول (**سارتر**) ان يطبق هذا المنهج على بعض الافكار مثل **فكرة الشعب** فيقرر ان هذه الفكرة تصبح مجردة اذا عزلناها عن فكرة الطبقة، **وفكرة الطبقة** تكون جوفاء اذا تجاهلنا العناصر التى تتكون منها الطبقة مثل الاجر وراس المال . وهذه العناصر بدورها تستند على وقائع معينة ترتبط بمكان معين ويحدها زمان معين . ومن ثم نستطيع ان نستكشف الخلافات الجوهرية بين شعب واخر وبالتالى نستكشف اصالة كل شعب على حدة . وهذه الاصالة تختفى عندما نفرط فى التعميم .

وكما ان التعميم يعجز عن كشف اصالة المجتمعات البشرية كذلك هو عاجز عن بيان اصالة الفرد . ويضرب سارتر مثالا لذلك بوضع **العامل فى المصنع** فهذا العامل يقوم بعمل معين وسط مجموعة منتجة ثم هو يقيم فى حى تتجمع فيه كتل بشرية متلاصقة . وكل كتلة لها تاثير يميزها عن غيرها . وهذه العلاقات الانسانية ليس فى الامكان تجاهلها . وسارتر ياخذ على الماركسية المعاصرة هذا التجاهل . اذ هى تتعامل مع هذه العلاقات وكانها تقع على مستوى افقى بينما هى فى الحقيقة تقع على مستوى راسى. فالعامل عندما يبيع قوة عمله فى المصنع، لا يتحول الى شىء . الى موجود فى ذاته . ان له وجوده الخاص، ووجوده فى المصنع يؤثر فيه بالقدر الذى يؤثر هو فيه. وبالتالى تظل الافعال وردود الافعال رمزا على استحالة النظرة الاحادية الى مشاكل العمال. والالتزام بالنظرة الاحادية يفضى بنا الى تكوين وحدة استاتيكية، بينما المفروض ان الوحدة فى طريقها الى التوحيد دون ان تتوحد . ومعنى ذلك ان الوحدة ينبغى ان تكون فى حالة تمزق متواصل . والسبب فى هذا التمزق مردود الى تداخل الذاتية مع الموضـــوعية . الذاتية مردودة الى الانســـان، والموضوعية مردودة الى الوسط .

ونسال : ما الانسان ؟ وما الوسط ؟

يجيب سارتر : **الوسط** هو جملة الظـــروف المادية والاقتصادية والحضـــارية . **والانســـان** هو الكائن الذى يتجاوز الوسط . وامكانية المجاوزة تنطوى على امكانية الاختيار . وبذلك يكون مجال الاختيار هو المجال الذى ينطلق منه الانسان لكى يتجاوز الوسط، اى الوضع الراهن

ونسال : وما الذى يدفع الانسان الى الاختيار ؟

هل هو الوسط ؟

يجيب سارتر بالسلب لان الوسط وضع راهن.

هل هو المشروع ؟

يجيب سارتر بالايجاب . فالمشروع **بالتعريف السلبى**، هو رفض للوسط . والرفض هنا لا يفيد معنى التدمير وانما يفيد معنى التغيير . **وبالتعريف الايجابى** يقول سارتر عن المشروع انه هو ما يحتاج اليه الانسان . والانسان عندما يحتاج فانه يتجه بالضرورة الى .. وهذا **الاتجاه الى** هو فعل، **والفعل** قيمته فيما يحدثه من **تغيير** .

والتغيير ينصب على **الانتاج**، لان الانتاج هو الطريق الى اشباع الحاجة عند الانسان . ولابد ان يكون الانتاج فى مستوى اقل من مستوى الحاجة والا ينتفى المشروع، وبالتالى ينتفى وجود الانسان ومن هنا تنشا فكرة **الندرة** عند سارتر . ومن فكرة الندرة تنبثق فكرة **الصراع** . فالاشياء المنتجة عندما تكون نادرة ينشب الصراع بين بنى الانسان.

الصراع اذن هو محصلة الوسط والمشروع . الوسط موضوعية والمشروع ذاتية. والتداخل بينهما يمنع كل من الموضوعية والذاتية من ان تكون مطلقة.

ويتبع ذلك سؤال بالضرورة : **اين مكانة الذاتية من الموضوعية ؟**

يجيب سارتر بان **الذاتية** هى حد وسط بين لحظتين من لحظات **الموضوعية** . ولهـــذا تكون وظيفة الذات تغيير موضوعية قائمة من اجل تاسيس موضوعية جديدة . وهذا التاسيس **ابداع** . ومن ثم يمكن القول بان التاريخ هو الابداع البشرى .

والابداع على الضد من الحتمية . والماركسية

تنادى بالحتمية التاريخية . وسارتر يرفض هذا النداء لانه يتعارض مع الطبيعة الديالكتيكية للتاريخ .

ولكن ما الذى يدفع الماركسية الى الاعتقاد بالحتمية ؟

جواب سارتر: انكار الماركسية لديالكتيكية العقل .. فالعقل قانونه الديالكتيك بالضرورة، لانه ان لم يكن كذلك فكيف يمكن لعقل ليس ديالكتيكيا ان يدرك حركة ديالكتيكية .

وانكار ديالكتيكية العقل يترتب عليه احالة الفكر الى وجود فى ذاته وبذلك تنتهى المادية الديالكتيكية وتتحول الى مادية آلية، مع ان الماركسية على الضد من الالية .

والفكرة المحورية للمادية الالية ان الانسان موضوع مع انه فى حقيقة الامر « ذات ». وبالتالى فان التاريخ فى نظر اصحاب المادية الالية ، لايمكن ان يكون «انسانيا» بل هو «طبيعى» بالضرورة .

والسؤال بعد ذلك : **كيف يمكن للانسان وقد امتصته الطبيعة ان يكون على وعى بذاته وبالطبيعة؟**

وكيف تمكن للعقل البشرى ان تمارس عملية «التوحيد» وهو فى حالة سلبية ، بينما عملية الفهم عملية ايجابية ؟

وفى راى سارتر أن الجواب عن هذين السؤالين ليس ممكنا الا بتقرير ان الانسان «ذات» وان العقل البشرى ديالكتيكى .

والاساس العقلى للعقل الديالكتيكى هو التوحيد، والتوحيد عملية لاتكتمل ابدا والا توقفت الحركة الديالكتيكية . ومع ذلك فان عملية التوحيد تفضى الى تكوين تصورات كلية . غير ان هذه التصورات الكلية هى جزئية فى ذات الوقت . ولهذا فان كليات العقل الديالكتيكى فريدة فى نوعها . ويترتب على ذلك ان اية عملية تجريدية او تعميمية ينبغى ان تقف عند حد معين .

ومن خلال هذا العرض يبدو ان سارتر فيلسوف العصر ، يتبنى الوجودية فى انقى صورة لها . وهذا النقاء يتمثل — فى رايه — بقدرة الوجودية على الانفتاح على الفلسفة الماركسية . ثم هو يحاول ان يفتح ثغرات فى هذه الفلسفة حتى يمكنها ان تستوعب الوجودية .

القسم الثانى

سارتر .. ناقدًا وروائيًا ومسرحيًا

١ الناقد

أن تفهم شيئا عن سارتر ، معناه ان تفهم شيئا هاما عن عصرنا الراهن . هذه هى العبارة التى بدأت بها « ايريس موردوخ » كتابها عن جان بول سارتر . والحق ان هذه الكلمات تعبر اصدق تعبير عن وجهة نظر المثقفين اليوم فى سارتر بصرف النظر عن مواقفهم منه . فالكل يجمع على ان سارتر يمثل « ظاهرة » فكرية وثقافية فى عالم اليوم . فهو يضم فى اهابه اكثر من جانب واحد من جوانب الفكر : **الفيلسوف ، والناقد ، والروائى ، والمسرحى ، والسياسى ..** وهو فى كل هذه الجوانب فذ واصيل وصادق ومؤثر فى العصر .

وليس ثمة شك فى انه لا يمكن الفصل بين هذه الجوانب المختلفة فى الشخصية السارترية . بمعنى انه لكى نفهم جانبا منها لابد لنا من ان نلم بالجوانب الاخرى ، فهى تمثل كلا واحدا متكاملا لا انفصام فيه . ومع ذلك فلعل سارتر ، من هذه الزاوية ، واحد من ابرز الادباء العالميين الذين

يصدرون فى ادبهم عن فلسفة محددة عبر عنها فى كتاباته الفلسفية العديدة ، مما دعا بعض نقاده الى القول بأن ادبه ليس فى نهاية الامر سوى تطبيق وتجسيد فنى لفلسفته . واذا كان هذا القول صحيحا ، فليس فيه ما يضير سارتر فى شيء طالما ان فلسفته تبقى — شأن كل فلسفة فكرا مجردا ، وادبه يظل شأن كل ادب عظيم خاضعا لشروط الفن الخالص .

على انه من المفيد ان نبدأ رحلتنا فى ادب سارتر ، بمفهوماته التى تتعلق **بالنقد** . ذلك لانه فضلا عن ان هذه البداية الضرورية سوف تتيح لنا فهما اعمق لجوانبه الابداعية فى القصة القصيرة والرواية والمسرح ، فهى تمثل فى حد ذاتها قيمة خاصة . لان سارتر الناقد له نظرات اصيلة فى ميدان النظرية النقدية ، او ان شئت ، فى ميدان فلسفة الادب بشكل عام . ونظريته النقدية ، او نظريته فى فلسفة الادب ، تمثل حجر الزاوية فى الدعوى التى اشتهر بها فى العالم كله وهى دعوى **الادب الملتزم** ، **والنقد الملتزم** . ولعلنا نستطيع ان نضع ايدينا على العناصر الاساسية لنظريته النقدية فى المصادر التالية : كتاب « **الخيال** » الذى صدر فى عام ١٩٣٥ ، وكتاب « **الخيالى** » او « **المتخيل** » الذى صدر فى عام ١٩٤٠ ، وكتاب « **ما الادب ؟** » وهو الجزء الثانى من كتابه « **مواقف** » وصدر عام ١٩٤٨ ، اما تطبيقاته النقدية فلعل خير ما يمثلها كتابه عن « **بودلير** » الذى صدر عام ١٩٤٨ ، وكتابه عن « **جان جينيه ... قديسا وشهيدا** » الذى اصدره عام ١٩٥٢ ، بالاضافة الى بعض المقالات الاخرى التى تناول فيها بالدراسة اعمالا لكتاب فرنسيين وغير فرنسيين ، والمقدمات التى وضعها لبعض الكتب والاعمال الادبية وضمها كتابه « **مواقف** » الذى صدرت منه سبع مجلدات حتى الان .

نظرية الخيال

كان اول كتاب وضعه سارتر يحمل عنوان « **الخيال** » . وهو كتاب فلسفى فى عنوانه ومحتواه . وفيه يدرس : طبيعة الخيال والصورة الخيالية ، ويتعرض بشكل نقدى للنظريات الفلسفية السابقة عليه والتى تناولت فعل الخيال والصورة الخيالية . ولا شك ان هذه البداية الفلسفية كانت تنبيء عن المسار الذى سوف يسلكه سارتر الفيلسوف فى فلسفته او فى ادبه جميعا .

ولقد لاحظ سارتر ان الفلاسفة المحدثين السابقين عليه ، عندما درسوا طبيعة الخيال ، التفتوا الى **الصورة الخيالية** ، ولم يوجهوا عنايتهم الى **فعل الخيال فى ذاته** . وذهبوا الى القول بأن الصورة الخيالية لشيء ما لا تختلف عن الاحساس به . فصورة هذا المثلث ، او تلك الدائرة ، او هذه الاشجار ، لا تختلف عن الاحساس بها جميعا . وما دام الاحساس والادراك الحسى ابعد الاشياء عن العقل والادراك العقلى عند هؤلاء الفلاسفة ، فهكذا الامر ايضا بالنسبة للصورة الخيالية . واذا كان الاحساس والادراك الحسى يعوقان النفس عن الادراك العقلى الصحيح فكذلك تفعل صور الخيال بالنسبة لافعال التفكير . ان « **ديكارت** » يوشك ان يقرر ان الخيال «جسمى» ، وان الصورة الخيالية تقوم فى المخ او ركن من اركانه . وعنده ان الانسان عندما يتخيل فهو يوجه انتباهه الى جسمه ، ولانه متحد بجسمه . و « **سبينوزا** » ايضا يقول ان الخيال يقابل تأثر جسمنا بما يجاوره من اجسام ، ويجعل النفس لا تفكر فى الاشياء الا عن طريق هذا التأثر . والنفس وهى تحت تأثير الخيال لا تفكر فى الاشياء كما هى فى ذاتها ، ولا فى علاقاتها الموضوعية ، بل تفكر فيها من جهة الجسم المتحد بها ، ومن جهة العلاقات القائمة بين هذا الجسم والاجسام الاخرى . واذا ما كانت النفس تحت سلطة الخيال وتأثيره ، فهى تكون عاجزة عن معرفة الاشياء فى ذاتها وفى علاقاتها .

ولكن كيف تحمل النفس فى ذاتها ما يناقض الفعل وطبيعتها هى الفعل ؟ كيف تحمل النفس شيئا مثل الصورة الخيالية ، التى هى جسم او شبه جسم ؟ اليس هذا تناقضا صريحا . هكذا يتساءل « **سارتر** » فى مناقشته لنظريات «**ديكارت**» و «**سبينوزا**» . ولكن «**البرجسون**» رأى آخر . فهو قد حاول فى اخريات القرن الماضى ان يخفف من هذه الصعوبات عندما اعتبر الاجسام كلها صورا او مركبات صور . وعندما قرر ان المادة المطلقة ، تلك التى تعارض الروح المطلقة ، لا وجود لها الا فى عقول الفلاسفة وحدهم . وان طبيعة الاشياء ليست روحا ، وليست جسما جامدا لا حراك فيه ، بل هى عبارة عن مجموعة صور ، ان تركزت واتحدت فيما بينها اقتربت مما نسميه روحا وفكرا ، وان تشعبت وافترقت وتبددت اقتربت مما نسميه مادة وجسما . ومن ثم ليس هناك فارق جوهرى بين الصورة الخيالية والروح من جانب ، وبين الصورة الخيالية والاجسام من جانب آخر . ومعنى ذلك انه ليس هناك اية اشكال فى قبول التصور الخيالى فى النفس ما دامت النفس فى جوهرها مجموعة من الصور وكانت هذه الصور فى ماهيتها شيئا مختلفا عما يسمى بالمادة المطلقة .

ولكن موقف ((**برجسون**)) تنبع منه نتائج هامة وخطيرة : أولها : أنه ليس هناك اختلاف طبقا لتصوره بين الادراك الحسى والتصور الخيالى ما دام الادراك الحسى هو حضور صورة او صور لمجموعة صور اخرى (النفس) ، وما دام التصور الخيالى هو ايضا حضور صورة اخرى لنفس هذه المجموعة من الصور . وثانيا : اذا كان التقريب بين الاحساس والصورة الخيالية مشروعا ، فما الحاجة اذن الى التمييز بين الموضوعات الخارجية وصور الخيال . او بين اليقظة والاحلام . بين ادراكى لهذه الاشجار القائمة امامى الان وبين صورتها فى الذهن حينما اكون مستغرقا فى اعماق الحلم ؟

ويعترض ((**سارتر**)) على هاتين النتيجتين : **أولا** : لان موقف ((**برجسون**)) ينتهى به الى انكار نفس الحقيقة التى يعتمد عليها فى نقده وفى حكمه على الاشياء وفى تقديره لها ، حقيقة الفكر الخالص او الذهن الفعال . ذلك لاننا سواء قربنا النفس من الجسم كما يفعل الماديون او الجسم من النفس كما يفعل ((**برجسون**)) فاننا نهمل بلا شك تميز النفس عن الجسم واستقلالها عنه . وفى كلتا الحالتين فاننا نعترف بأن الخيال لن يتميز عن الاحساس ولن يخرج عن حدود الادراك الحسى . **ثانيا** : لاننا نخطىء حتى فى استعمال كلمة « صورة » . لاننا نعرض انفسنا بهذا الاستعمال للوقوع فى الخلط بين ادراكنا للموضوع الخارجى وتصورنا الخيالى له ، اى بين ادراكنا للجسم الحاضر امامنا ، وحضور هذا الجسم عندما نحلم به . فضلا عن ان الذى يتحدث عن « صورة » فهو يعنى «نسخة» من شىء خارجى ، كما تنقل لنا العدسة الفوتوغرافية صور الاشخاص والاشياء والاجسام . ولكن اذا كان الفكر فكرا خالصا ، والشعور شعورا خالصا ، فلا مجال فيهما لا للصور ولا للنسخ المنقولة عنها . ذلك لأن الفكر فعال ، واحواله دائما افعال مهما تباينت شروطها وموضوعاتها .

فما الادراك الحسى اذن ؟ وما الخيال ؟

> **سبينوزا**
>
> **بندكت دو سبينوزا (١٦٣٢ — ١٦٧٧) ولد فى امستردام ودرس مبكرا مؤلفات كوبرنيق وجاليليو وكبلر وهارفى وهوجنز وديكارت . وقد الف عام ١٦٦١ «رسالة موجزة فى الله والانسان وسعادته» ثم كتب «الرسالة فى اصلاح العقل» وكتابه الكبير « الاخلاق » حيث عرف الجوهر بأنه «ما هو فى ذاته ومتصور بذاته» وان الصفة هى «ما يدركه العقل عن الجوهر كما لو كان يؤلف ماهيته » .**

اتجه سارتر الى الفلسفة الالمانية المعاصرة . وعند ((**هوسرل**)) الفيلسوف الذى عرف بمذهبه « الفينومينولوجى » وجد سارتر اجابة لهذه الاسئلة . **الادراك الحسى هو تمثل للاشياء فى حضورها الحى فى ((لحمها وعظمها))** كما يقول **((هوسرل)) . والخيال تمثل لنفس الاشياء ، ولكن فى غيبتها** . واذا لم يكن ثمة فارق بين الادراك والخيال فان هذا يعنى ان ليس ثمة فارق بين الاجسام الحاضرة والاجسام الغائبة . بين « وجود » الاجسام ، و « عدمها » . على ان الفلسفة تبدأ بتحديد أساس بين منزعين للنفس : اولهما يرمى الى تقرير « وجود » الاجسام او الاشياء ، بمعنى حضورها الفعلى الذى لا شك فيه . **وثانيهما** يذهب الى التفكير فى هذه الاجسام والاشياء فى حالة « غيابها » غيابا حقيقيا لا شك فيه ايضا .

ومع ذلك ، وعلى الرغم من ان ((**سارتر**)) قد اكد اكثر من مرة دينه للفلسفة الالمانية التى قامت بهذه التحديدات الهامة فهو قد اعترف فى نفس الوقت بأن هذه الفلسفة الفينومينولوجية ، وعلى الاخص رائدها ((**هوسرل**)) ، لم يقدم حلا حقيقيا لمشكلة الخيال . ذلك لان لب المشكلة هو كيف يمكن للموضوع الحسى ان يتمثل للانسان وهو غائب عنه تماما ؟ وبمعنى آخر كيف يمكن للانسان ان يتصور هذه الموضوعات الحسية وهى معزولة عن ظروفها وشروطها الحسية على الاخص ؟ كيف يمكن للموضوع الحسى ان يكون حاضرا فى الذهن دون ان يكون حاضرا للذهن ؟ ان معنى هذا اننا سوف نقرر ان الذهن الانسانى يقوم بفعل يتصل بالادراك الحسى اعمق الاتصال ولكنه يتميز عنه تماما . وتقرير هذه الحقيقة هام بالنسبة لموضوعات الفن . لان قوة الفنان تكمن فى خياله . فالفنان يتصور موضوعات غير موجودة فى مجال ادراكاته الحسية او بتعبير آخر هو يتصور عدما ، او هو يعطى العدم نفسه وجودا . لابد اذن من وصف جديد لفعل الخيال وموضوعاته ، كما صنع ((**هوسرل**)) بالنسبة لفعل الادراك الحسى .

ولقد حمل سارتر على عاتقه القيام بهذه المهمة . وقد قام بها بالفعل فى كتابه ((**الخيالى**)) L'imaginaire (١٩٤٠) .

وعلى الرغم من ان سارتر لم يكن قد نشر بعد كتابه ((**الوجود والعدم**)) الذى تضمن العناصر الاساسية لفلسفته ، الا اننا ونحن نطالع وصفه لفعل الخيال ووصفه للصورة المتخيلة نشعر انه كان يطبق فى وصفه ذلك مفاهيمه الميتافيزيقية التى وردت فيما بعد فى كتابه الوجود والعدم . ومع ذلك فلنتابع خطواته من البداية .

لقد رأينا كيف وضع سارتر فعل الخيال في مقابل فعل الادراك الحسي . بمعنى ان الخيال هو تمثل لما ليس موجودا في مجال الادراك الحسي. ولكنه مع ذلك يربط بين الفعلين بشكل آخر . فنحن لانستطيع ان نتخيل شيئا نجهله جهلا كليا . اذ لابد ان يكون لدينا معرفة ما بموضوع معين قبل ان يصبح هذا الموضوع المعين محورا لخيالنا . ان الوعي الانساني لا يمارس وظيفة التخيل بطريقة تعسفية . ان « **المدرك الحسي** » وهو ما يطلق عليه سارتر اسم « **المعادل الحسي** » وهو ذلك الشيء الواقعي الذي نعرفه بفعل الادراك الحسي هو الذي يبدأ منه تخيل « **اللاواقعي** » . ان هذه المعرفة السابقة والكامنة هي التي تدفع بنا الى « **حافة الخيال** » ، ولكن ثمة وسيط آخر يؤدي بنا الى التصور الخيالي الخالص . وهذا الوسيط هو **الانفعال او العاطفة** . ويذهب « سارتر » الى القول بأن العاطفة هي في حد ذاتها شكل من اشكال التصور الذهني ، وهو يمضي في هذا القول على نهج الفلاسفة الفينومينولوجيين الذين قالوا ان العاطفة من حيث هي مظهر من مظاهر الشعور فهي تحمل ما للشعور من خصائص جوهرية ، على رأسها ان كل شعور متعلق بالضرورة بموضوع ما وان هذا التعلق يتغير حسب افعال الشعور المختلفة . وبتعبير آخر ، اذا كان الادراك الحسي ادراك لموضوع محسوس ، والحكم متعلق بموضوع محكوم عليه ، والرغبة بمرغوب فيه ، فالحب دائما موجه الى موضوع محبوب . ولا ينبغي ان يوقف الفيلسوف جهده على التمييز بين افعال الشعور المختلفة ووصف ما تحمله من الخصائص الجوهرية ، بل عليه ان يصف مع فعل الشعور ، كيفية اتجاهه نحو موضوعاته وخصائص هذه الموضوعات من حيث تعلقها بالشعور . فالعاطفة اذن تتميز عن مجرد المعرفة او الادراك الحسي للموضوعات ، من حيث انها تفترض مثول الموضوع ، لا بوصفه هذا الموضوع او ذاك ، بل بوصفه مؤثر في الشعور على نحو خاص يجعل الشعور يحمل الموضوع اشكالا من العاطفة يعبر عنها بألفاظ مثل الجميل والقبيح ، الرشيق والثقيل .. الخ . انك على سبيل المثال قد تحس في اعماقك حاجة الى شخص ما . وبينما انت تشعر ان هذا الشخص ليس امامك ولا يمكنك رؤيته بالفعل ، تجد انك تعمل بطريقة اخرى للحصول عليه . طريقة تماثل – وتنافى في الوقت ذاته – طريقة الحصول على موضوعات الحس الخارجية . هذه الرغبة اذن تتضمن مجهودا يقوى ويشتد كلما ضعف الامل في ادراكه ادراكا حسيا . ولكن هذا المجهود لاستحضار « الموضوع » (الذي هو الشخص المرغوب فيه) يتضمن في ذات الوقت غياب الموضوع . واذا تذكرنا ان الخيال هو « حضور موضوع وتمثله في غيابه وعلى الرغم من غيابه » ، تبين لنا ان العاطفة ، بهذه القوة الداخلية التي تحملها وتجسمها وهي الرغبة ، عامل اساسي في قيام الخيال في الوعي الانساني .

وكثير ما ترتبط موضوعات الادراك الحسي الحاضرة امامنا بالفعل ، ببعض الاشكال العاطفية التي تبقى مترسبة في اذهاننا بعد غياب الموضوعات الحسية عن مجال ادراكنا . حتى ان شعورنا بهذه العواطف وحدها مرة اخرى يعيد الى اذهاننا موضوعاتها الغائبة عن ادراكنا ويدخلنا في مرحلة الخيال .

الخيال اذن يبدو كأنه يتضمن بداخله نقيضين ، فموضوعاته حسية في خصائصها الجوهرية ، ولكننا مع ذلك عندما نقوم بفعل « التخيل » لاندرك موضوعاته بحواسنا . فالموضوع الخيالي لاتنطبق عليه قاعدة « اما .. او » : اما حاضر واما غائب .. لانه حاضر غائب في نفس الوقت . يتمثل امام اذهاننا في غيابه وعلى الرغم من غيابه . وسبب هذا التناقض يعود الى العنصرين السابقين : عنصر المعرفة وعنصر العاطفة والى المسافة بينهما .

وهكذا ينتهي « سارتر » الى القول بأن الخيال هو « **الوعي بكليته من حيث هو قادر على تحقيق حريته** » ، اى انه قادر على تجاوز الواقع ، وفرض دعائمه الخاصة على بناء العالم الخارجي في نفس الوقت .

وما علاقة هذا كله بالفن ؟ ان « سارتر » يقول ان الموضوع الجمالي موضوع « متخيل » ، فهو لا يوجد ولا يدرك الا بفعل ذلك الوعي المتخيل والذي يضعه باعتباره « لاواقعيا » . ولا يعني هذا بالطبع ان كل ماهو غير واقعي يمثل موضوعا

هوسرل

ادموند هوسرل (١٨٥٩ – ١٩٣٨) فيلسوف الماني ومؤسس الحركة المعروفة باسم علم الظواهر . وكان التاثير الرئيسي الذي خضع له تفكير هوسرل هو علم النفس القصدي الذي وضعه برنتانو وهو الفيلسوف الذي درس عليه هوسرل في فيينا من ١٨٨٤ الى ١٨٨٦ ثم اشتغل بتدريس الفلسفة في الجامعات ومؤلفاته الرئيسية هي « فلسفة الحساب » (١٨٩١) و «أبحث منطقية» (١٩٠١) وكتابه الرئيسي « أساس علم الظواهر » (١٩١٣) والجزء المكمل له «أفكار لعلم ظواهر خالص» وقد ظهر بعد وفاته ١٩٥٢ . و «علم ظواهر الوعي الباطن بالزمان» (١٩٠٥) و «المنطق الصوري التحليلي » (١٩٢٩) و « تأملات ديكارتية » (١٩٣١) و « الخبرة والحكم » (١٩٤٨) .

جماليا . فلقد الح « سارتر » على ان الموضـوع الجمـالى لا يتبدى امامنا الا حـين نكون امام « العمل الفنى » . والموضوع الجمالى الذى هو ضميم العمل الفنى يتضمن بداخله عنصران : فهو ((شىء)) اى حقيقة عينية حاضرة امامنـا ، هى الاصباغ فى اللوحة ، او الانغام فى السيمفونية ، او الاحجار فى الكاتدرائية ، وعنصر آخر **لاواقعى** هو ((**المعنى**)) وهو عنصر مفارق متعال يفلت من ايدينـا بالضرورة ويعز على كل ادراك حسى . هناك اذن فى كل عمل فنى ((شىء)) يكون موضوعا من موضوعات الادراك الحسى ، و ((**معنى**)) يفد من ادراكنا ويعلو عليه .

كل فن يتضمن اذن ((**موضوعا**)) ما دام كل فن ينطـوى على ((**تعبير**)) . وهذا الموضـوع هو ((**الموضوع الجمالى**)) وهو يختلف عن ((**مادة**)) العمل الفنى التى يمكن ان تكون الاصـباغ او القماش فى اللوحة او الحجارة التى تبنى منهـا الكاتدرائية او الاقوال والحركات التى يقوم بهـا الممثل . فهذه المادة هى الوسائل التى يتوسـل بها المصور مثلا لتحقيق صورته الذهنية . انه يقدم بواسطتها « المعادل الحسى » لصورته المتخيلة ، ذلك المعادل الحسى الذى يتيح لكل فرد ان يكون لنفسه صورته المتخيلة الخاصة به . فاللوحة التى امامنا اذن مجرد شىء مادى يسرى فيه من حين لاخر ، كلما وقف منه واحد منا موقف المتخيل ، عنصر « لاواقعى » هـو على التحـديد ذلك « الموضوع الجمالى » الذى اراد الفنان تصويره . الشىء الذى صنعه الفنان هو فى النهاية اذن مجرد

وسيلة تتيح للخيال فرصة للظهور ، وكان الادراك الحسى نفسه ـــ على حد تعبير « م . دوفرن » البـاحث الفرنسى المعـاصر ـــ صـاحب كتاب « فينومينولوجيـا التجربة الجماليـة » ـــ مجرد مناسبة للتخيل .

ويقرر « سارتر » بهذا الصدد ان « الموضوع الجمالى » يتضمن نوعا من « النداء » يثير فى متأمل اللوحة او قارىء الكتاب الرغبة فى اعمال الخيال حتى يتذوق العمل الفنى . ان العمل الفنى بهذا المعنى يبدو بمثابة « دعوة » حرة الى القـارىء الحر او المتأمل الحر كى يقوم بفهم العمل وتذوقه . وهو عندما يقوم بهـذه المهمـة انما يقوم بوظيفة « تركيبية » تعيد تكوين الموضوع الجمالى من جديد بادئة من هذا الاثر الفنى الذى تركه الفنـان . ومخيلة المتذوق بهذا المعنى شـأن كل الوظائف العقلية الاخرى لا تمارس نشاطها داخل ذاتها بل هى فى حاجة دائما الى ((**الاتجاه نحو الخارج**)) .. حتى تجعل من الموضـوعات الخـارجية « مشروعات » خاصة بها .

ولا تعنى كل هذه الاقوال استبدال لفظتى الشكل والمضمون فى القاموس الجمالى التقليدى بلفظتين جديدتين هما «المدرك» و « المتخيل » اى ما يدرك بالحس وما يتخيل بالمخيلة . كما انه لا مجـال للقول بأن عنصر التخيل هو الذى يتضمن سر « الظاهرة الجمالية » . فالحق ان الموضـوع الجمالى، بصرف النظر عن ثنائيته او «التباسه»، هو الظاهرة الجمالية نفسها بما فيها من مدرك ومتخيل ، وليس العنصر المتخيل وحده مع شجب العناصر الاخرى .

ولقد تعرضت نظرية سارتر هذه فى « الموضوع الجمالى » لانتقادات شـديدة من عدد كبير من الباحثين . وبعضهم رأى ان « سارتر » نفسه قد كان اول من قوضها فى كتابه « ما الادب ؟ » ! ذلك لانه لو كان صحيحا ان الموضوع الجمالى هو مجرد « متخيل » ولا « واقعى » فكيف يمكن ان ينطبق عليه مبدأ « الالتزام» الذى يلح عليه سارتر الحاحا شديدا . ولكن « سارتر » قد قام بنوع من التفرقة بين الفنون او على الاصح قام بنوع من التفرقة بين « النثر » بالذات وبقية الفنون .

النثر وسائر الفنون الاخرى

والمبررات التى يقدمها سارتر لهـذه التفرقة تقوم على اساس ان الفنان الذى يمارس نشاطه بواسطة الانغام او الالوان او الاشـكال ، يختلف اختلافا كبيرا عن ذلك الذى يمارس نشاطه بواسطة الالفاظ والكلمات . السبب هو ان الانغام والالوان والاشكال لا تقوم بمثابة العلامات والاشارات التى تحيلنا الى شىء خارجها . وانما هى فى جوهرها

كروتشـــه

بندتو كروتشه (١٨٦٦ ـــ ١٩٥٢) ولد فى نابولى وكان اول اعمـاله ان مسح تاريخ هذه المنطقة وآثارها مسحا علميا دقيقا ، ثم تحول الى الفلسفة الخالصة بعد فترة طويلة قضاها مؤرخا وناقدا . وقد عمل وزيرا للتربية فى الحكومة الايطالية منذ عام ١٩٢٠ الى عام ١٩٢١ ثم لفترة ثانية بعد الحرب العالمية الثانية . ولما كان من انصار المذهب الليبرالى فقد اعتزل النشاط السياسى مع قدوم الفاشية التى لم يهادنها قط.وترجع شهرته اساسا الى انجازاته فى علم الجمال وان كانت نظريته الجمالية فى جوهرها جزء من مذهبه العام ، وهو صورة من صور المثالية يدين بها لهيجل وان لم يكن قد اقامها بناء على فلسفة هيجل . وقد سمى كروتشه مذهبه العام الحقيقى الوحيد ، وليس الوجود الطبيعى الا تركيبة من تاليف العقل ، لكن الروح ليست شيئا ما مفارقا للخبرة لان كروتشه لا يرتضى لنفسه ان يتأمل متفلسفا فيما يجاوز الخبرة ، واذن فالروح هى العالم، وتاريخ الروح هو تاريخ الخبرة البشرية .

« أشياء » و « موضوعات » لا تشير الى شيء مفارق لها .

ولكن الشاعر يمارس نشاطه من خلال الالفاظ والكلمات ، فلماذا يفرق « سارتر » بينه وبين الناثر ؟ . ان الشاعر — كما يراه — يستغرق في تجربته ويراها من خلال وجدانه ويستعمل لغة موسيقية ايحائية ليصور هذه التجربة تصويرا تصبح به شيئا من الاشياء ،تماما مثل لوحة الرسام أو أنغام الموسيقى . ولا يقصد الشاعر من ذلك الا تصويرها على طريقته ، وهو حر في اختيارها ، حريته في طريقة تصويرها . وهي بطبيعتها تمر من خلال احساسه الفردي . ولغتها « كثيفة » قصدت لذاتها ، لا تشف كما وراءها كما يشف النثر . الشاعر لا يستعمل اللغة كأداة ، انه لا يستخدم الكلمات ، ولكنه يخدمها . **« وحيث أن البحث عن الحقيقة لا يتم الا بواسطة اللغة واستخدامها كأداة ، فليس لنا ، اذن ، أن نتصور أن هدف الشعراء هو استطلاع الحقائق أوعرضها، ولكن الناثر دائما وراء كلماته ،متجاوز لها ،ليقرب دائما من غايته في حديثه ، أما الشاعر فهو دون هذه الكلمات ، لانها غايته . والكلمات للمتحدث خادمة طيعة وهي لدى الشاعر عصية ، لا تزال على حالتها الوحشية ، لم تستأنس بعد .... الشاعر لا يفصل فيما اذا كانت الكلمات قد خلقت من أجل دلالتها ، أو الدلالات من أجل الكلمات ، وبهذا تنشأ بين اللفظ والمعنى علاقة مزدوجة من تشابه سحري ، ومن دلالة متبادلة .. فالكلمة الشعرية ، اذن ، عالم صغير ،وبجمع الشاعر كثيرا من هذه العوالم الصغيرة ، شأنه في ذلك شأن الرسامين الذين يجمعون في لوحاتهم الالوان ...»** (ما هو الادب — الفصل الاول)

ولقد لاحظ « **جويدو موربوجو** » في الفصل الذي عقده تحت عنوان «سارتر والادب والشعر» في الكتاب الذي ضم فصولا متعددة عن جان بول سارتر وصدر باشراف «**اديث كرن**» ، أن التفرقة التي يقوم بها سارتر بين الشعر والنثر جاءته من « **مالارمة** » ، وهي تفرقة يأخذ بها — كما يقول جويدو — عدد كبير من المنظرين ابتداء من «**كروتشة**» حتى بعض النقاد الجدد . فاللغة الشعرية « تقدم » الاشياء ولا تمثلها ،انها تكشف عن « حس » الاشياء كما يفعل الرسام والموسيقي وتأثيرها ايحائي وانفعالي ، بينما نجد أن اللغة النثرية مرتبطة بارادة الانسان الواعية ، انها لغة « سيمنطيقية » تهتم باعطاء معنى الاشياء ، وهي وسيلة للعقل وتتألف من رموز ودلالات ، وهي مرتبطة بمسئولية الكاتب ، وهدفها أن تكشف للقارىء موقفه حتى يأخذ على عاتقه مسئوليةهذا الموقف . اللغة الشعرية مرتبطة « بالتخيل» بينما اللغة النثرية ترتبط « بالواقع » .

قضية الالتزام وأبعادها

ولقد قيل ان « **الوجودية** » ولدت على انقاض « **السيريالية** » ، وخلال توجيه سهام النقد اليها لعجزها وغموضها . و «سارتر» نفسه طالما وجه اللوم للسيريالية واعتبرها فاشلة وخالية من الجدية الاخلاقية . ولعل هذا كله كان مقدمة ضرورية لتقديم مفهوماته الخاصة عن الادب ووظيفته ورسالة الكاتب في العالم المعاصر . ولقد حدد هذا كله في كتابه « **ما هو الادب ؟** » تحديدا واضحا . ومن الخير أن نلم بهذه المفهومات لانها تمثل جوهر نظريته النقدية أو بتعبير أدق جوهر فلسفته الادبية .

« تأسيسا على نظريته في الحرية بنى سارتر نظريته في الادب . ولسنا بحاجة لان نعيد مرة أخرى القول بأن الادب الذي يعنيه في هذا الصدد هو « النثر » أي القصة والرواية والمسرحية وسائر فنون القول النثري .

الكلمة فعل . والكاتب « الملتزم » يعرف أن كل كلمة يقولها هي لحظة من لحظات العمل الذي يقصد به « الكشف » . والكشف هو التغيير . الكاتب يعلم انه لا يستطيع أن يكشف الا وقصد بكشفه تغييرا في الوضع الذي يكشفه . « ان الانسان هو الكائن الذي لا يستطيع أي كائن تجاهه أن يحتفظ بالتجرد ، حتى الله ، لان الله ، لو وجد، لكان كما تبين ذلك بعض المتصوفة في « موقف » بالنسبة للانسان . وهو أيضا الكائن الذي لا يستطيع أن يرى موقفا دون أن يغيره لان نظرته تجمد ، تهدم ، أو تنحت ، أو تغير الموضوع في ذاته كما تفعل الابدية . ان الانسان والعالم انما يتكشفان « على حقيقتهما » بالحب والحقد والغضب والخوف والفرح والسخط والاعجاب والامل واليأس ... انه يعلم أن الكلمات ، كما يقول « بريس بارات » (كاتب فرنسي معاصر) هي غدارات محشوة . فاذا

بودلير

شارل بودلير (١٨٢١—١٨٦٧) شاعر وناقد فرنسي. اغرق نفسه في الديون والفقر. اتصفت حياته بالجموح في كل شيء . اعتبر ديوانه الاشهر « زهور الشر » (١٨٥٧) من اخطر ما قدمه « الادب الاسود » على حد تعبير كثير من النقاد. وقد حذف بعض قصائده عند الطبع. وقد تأثر بالهجوم عليه تأثرا حزينا بالغا . ظل دقيقا مجودا للشعر في صبر وأناة. يطلق شعره بأثر الشاعر الامريكي « آلان بو » الذي ترجم شعره الى الفرنسية وترسم اثره حتى في الحياة . بعد ان قضى عامان في بلجيكا في فقر مدقع وشدة مؤلمة ، عاد الى باريس حيث مات.

ما تكلم أطلق . انه يستطيع أن يصمت ، ولكنه ما دام قد اختار أن يطلق ، فعليه أن يتصرف كرجل مصوبا الى الاهداف ، ولا يسلك كطفل يطلق بلا تبصر ، وهو مغمض العينين ولذته الوحيدة هي أن يسمع دوى الطلقات . »

ماذا يريد الكاتب ان يفعل ؟ أو بمعنى آخر ما هدفه من فعل الكتابة ؟

ان الكاتب قد اختار أن يكشف العالم ، وعلى الاخص الانسان ، للآخرين ، حتى يستطيع هؤلاء أن يأخذوا مسئوليتهم كاملة تجاه الموضوع الذى وضع عاريا امامهم هكذا . ان مهمة الكاتب هى ان يعمل بحيث لا يستطيع احد ان يجهل العالم . ولا يستطيع احد أن يقول أنه برىء منه . والكاتب لا يستطيع أن يصمت . لان الصمت نفسه لحظة من لحظات القول . السكوت لا يعنى أن تكون أخرس . بل يعنى انك ترفض الكلام . اى انك تتكلم بالفعل ! « وعلى هذا فان الكاتب اذا اختار أن يصمت حول مظهر ما من العالم ، فمن حقنا ان نطرح عليه هذا السؤال : لماذا تحدثت عن هذابدلا من ذاك ؟ وما دامت تتكلم كى تغير ، فلماذا تريد أن تغير هذا بدلا من ذاك ؟

ولعلنا نذكر فى هذا المجال المقدمة الرائعة التى كتبها سارتر لمجلته « العصور الحديثة » فى أول عدد من اعدادها حين قال : **« اننا نأسف على لا مبالاة « بلزاك » تجاه أيام عام ١٨٤٨ ،وعلى عدم الفهم المشوب بالخوف والذعر الذىأبداه «فلوبير» تجاه حكومة الكوميونة .... ان الكاتب هو « فى موقف » فى عصره ،اذ ان لكل صداها ،ولكل صمت أيضا . اننى أعتبر « فلوبير » «والاخوين جونكور» مسئولين عن القمع الذى تلا حكومة الكوميونة لانهما لم يكتبا حرفا واحدا لمنعه » .**

وما دام القول كشفا . فليس صحيحا اذن ان الانسان يكتب لذاته . ذلك لان الفعل الابداعى ليس الا لحظة ناقصة ومجردة من انتاج عمل ما . واذا كان المؤلف موجودا بمفرده ، لكان بوسعه أن يكتب ما يشاء ، ولكن العمل آنذاك لن يظهر ابدا الى النور كموضوع . ان عملية الكتابة تتطلب عملية قراءة كمعادل دياليكتيكى لها . وهذين الفعلين المترابطين يقتضيان عنصرين متميزين . « **ذلك لان جهد المؤلف وجهد القارىء المرافق له هما اللذان يبرزان للوجود ذلك الموضوع الحسى والتخيلى الذى هو عمل الفكر . اذن لا وجود للفن الا من اجل الغير وعن طريق الغير» .**

ولقد ربط سارتر بين فن النثر وقضية الديموقراطية . ذلك لانحرية الكتابة تقتضىحرية المواطن . « **ان فن النثر متضامنمع النظامالوحيد الذى يظل فيه للنثر معنى : الديموقراطية .**

وعندماتهددهذه الديموقراطية ،يهددهو أيضا.ولا يكفى القلم للدفاع عنهما . اذ سيأتى يوم يضطر فيه القلم الى التوقف ، ولابد للكاتب آنذاك أن يحمل السلاح » . ان الادب كما يراه اذن طريق يؤدى بالضرورة الى قلب المعركة . والكتابة كما يقول طريق معين لارادة الحرية ، « **واذا ما بدأت ، فأنت ملتزم شئت أم أبيت »** .

ومن كل هذه الاقوال يتضح لنا ان العمل الادبى عند سارتر هو فى صميمهواقعة اجتماعية . وهو من ثم يقف على الضفة المقابلةلنظرية «**كانت**» التى وضعت الاساس الاول لنظرية « الفن للفن » حينما قالت ان الفن هو « غائية بدون غاية » . ان الكاتب كما يراه سارتر مسئول تجاه عمله وهو لابد ان يكون على اقتناع عميق برسالته . « **انه مسئول عن الحروب الخاسرة أو المنتصرة . عن ضروب التمرد وألوان القمع . وهو اذا لم يكن حليفا طبيعيا للمظلومين فانه لن يكون الا شريكا للظالمين . ولكن لا لانه كاتب فحسب ، بل لانه انسان ايضا ولابد له كذلك من أن يعيش تلك المسئولية ويريدها »** .

بودلير وجان جينيه وآخرون

ولقد كتب « سارتر » فى مطلع حياته الادبية مجموعة من الدراسات لبعض أعمال « **مورياك** » و « **فوكنر** » و « **دون باسوس** » و « **البير كامى** » وعلى الرغم من ان مقاله عن مورياك قد حظى بشهرة كبيرة نظرا لشدتها وحدتها فأن كثيرا من نقاد سارتر تعسفا من جانب سارتر فى الهجوم على مورياك منبعه اختلاف سارتر اساسا مع الميتافيزيقا المسيحية الذى يعد مورياك خير ممثل لها ،بينما راىآخرون أنسارتر حينما كانيتحدث عن أعمال اولئك الكتاب — ومن بينهم مورياك — انما كان يتحدث بنبرة ذاتية خالصةوكان فىالواقع يتحدثعن أعمالههو أكثر مما يتحدثعن أعمالهم!

ومهما يكن الامر ، فأن الجميع يجمعون على ان هذه المقالات الادبية المبكرة لسارتر كان لهاتأثير قوى على العصر الذى صدرت فيه وعلى كتابه . ويذهب « فيليب تودى » صاحب كتاب « **سارتر — دراسة أدبية وسياسية** » الى ان مقاله الذى وضعه عن العلاقتين « **القريب** » رواية البيركامى **وأسطورة سيتريف** يعدخير تقديملاعمال البيركامى المبكرة . وسر ذلك أنه كان يتناول عملا يتفق مع آرائه . وكان يتجاوز فى دراسته الحدود المعروفة للادب ويستخدم العمل لابراز الافكار الفلسفية والميتافيزيقية الطموحة . وليس هذا تزيدا من « فيليب تودى » فلقد ذكر سارترنفسه فى كتابه « الوجود والعدم » كيف يريد النقدالادبى انيتوسع حتى يستخدمالتحليل النفسىالوجودى

بمعنى دراسة ((**الاختيار الاساسي الذي يقرر شخص ما على أساسه بحريته ما هو**)) .

ولقد فعل سارتر هكذا في كتابيه المعروفين ((**بودلير**)) ، و ((**جان جينيه**)) .

لقد نشر سارتر كتابه عن بودلير عام ١٩٤٦ ، ولم يكن هدفه محاولة تحليل القيمة الشعرية لصاحب « أزهار الشر » ، بل كان يطبق على حياة بودلير منهجه التحليلي الوجودي ليبين كيف قام بودلير باختيار ما هو عليه . ويختلف التحليل **النفسي الوجودي عند سارتر عن التحليل النفسي عند فرويد . فسارتر يرفض فكرة ((اللاشعور)) الفرويدية ويذهب الى حد القول بأن كل ((العصابيات)) انما تنشأ عن اختيار واع . والي جانب ذلك فان التحليل النفسي الفرويدي هو في أساسه طريقة لعلاج الاضطرابات النفسية ، أما عند** سارتر فالتحليل النفسي هو نظرية كاشفة .. وسيلة لقراءة تاريخ حالة عصابية .

ولا شك أن كتاب ((**بودلير**)) هو واحد من أهم كتبه لا لقيمته الكبيرة الخاصة ، بل لان ثمة أوجها كبيرة للتشابه بين حياة «بودلير» وحياة «سارتر» نفسه . فكلاهما مات أبوه وهو في سن مبكرة . وكلاهما نشأت بينه وبين أمه علاقة « من العبادة المتبادلة » . وكلاهما أيضا تزوجت أمه بعد موت أبيه ولم يشتد عوده بعد . وكلاهما عانى من كل هذه الظروف معاناة قاسية ... وان تفرقت طرقهما ـ أو بتعبير آخر ـ وان اختلفت اختياراتهما بعد ذلك .

وأهم اعتراض يوجهه « سارتر » الى «بودلير» هو أنه قاوم أي نوع من أنواع الالتزام ، والالتزام الاشتراكي بوجه خاص . لقد اقتنع بودلير بالقيم البورجوازية ، ثم اقتنع أيضا بالسياسة الرجعية للإمبراطورية الثانية . كل ما كان يهم بودلير هو أن يكون ((**مختلفا**)) ولعل المقصود من كتاب بودلير كان ينبغي أن يكون نقدا أدبيا . ولكن « فكرة أن بودلير شاعرا كبيرا لم ترد في الكتاب » كما لاحظ موريس كرانستون . بل ان القارىء ليتولد لديه شعور ـ على حد تعبير « تودي » ـ بأن سارتر « كان يفضل أن يكون بودلير كاتبا اشتراكيا منكرا من الدرجة الثالثة من أن يكون شاعرا غنائيا من الدرجة الاولى » .

ولعل الكتاب الثاني الذي خصص بكامله لدراسة شخصية أدبية واحدة هو ((**جان جينيه ـ كوميديا وشهيدا**)) الذي أصدره سارتر في عام ١٩٥٢ . وهو يطبق فيه نفس منهجه في التحليل النفسي الوجودي . ولقد كان جان جينيه معروفا من قبل لدى الجماهير الفرنسية بوصفه «مجرم» و«لص» ، و «لوطي» ، و «كاتب داعر» ، وانه «ابن حرام» ، و «لقيط» ، وقد أرسل من أحد الملاجىء الى أبوين ريفيين كي يرعياه في بلدة « مورفان » . ولما كان جينيه محروما من كل شيء الحب والاحترام والحقوق . فقد بدأ يسرق . واكتشف الناس أمره ذات يوم وصاحوا في وجهه بأنه لص . وعندما استمع جينيه الى تلك الكلمة التي تثير الدوار قرر أن يكون ما قالوه . وعاش حياة الجريمة ، ودخل السجون والاصلاحيات وخرج منها عدة مرات . ثم جعل من كل هذه التجارب في النهاية مادة لاعماله الادبية . والشيء المهم في رأي سارتر ان « جينيه » لا يكتب « عن » لص ولوطي بل هو يكتب كلص ولوطي . لقد وجد جينيه في النهاية خلاصه في الفن ، وفي الابداع يستطيع أن يحرر نفسه نهائيا . وان سارتر ليصفه بأنه « عبقري عبقرية مذهلة » . وكتاباته الصريحة المباشرة والرائعة في نفس الوقت لتثير ثائرة الجمهور الفرنسي البورجوازي اليميني التفكير وتقض مضجعه . ان كتاباته تكشف لهذه البورجوازية اليمينية حقائق تحاول جاهدة أن تطمسها وتخفيها . لقد اضطهدت البورجوازية ذات يوم ابن الحرام اللقيط الصغير وجعلوا منه ضحية . ولكن الضحية تعود مرة أخرى وتعذبهم . تلسعهم بسياط حداد متخذة شكل الكلمات .

ولقد تعجب كثير من النقاد من أن سارتر قد أعطى طاقة كبيرة من وقته وجهده لدراسة «جان جينيه » . قال ((**تودي**)) مثلا : لماذا كرس سارتر طاقته الذهنية التي كان يمكن ان تتجه الى اكمال « دروب الحرية » لانتاج هذا المؤلف غير المقنع ؟ وقال ((**كرانستون**)) : « ان لدى سارتر أفكارا مختلفة عما هو صواب وعما هو خطأ ، وهو شيء مختلف عن افكار فلاحي « مورفان » ، لكن الانسان الذي يحكم على غلام ، كما يحكم على بودلير (أو جان جينيه) ليس بناقد مثالي من اولئك النقاد الذين يحكمون على الاخرين » .. ولكن بصرف النظر عن هذين الاعتراضين ، فأن الاعتراض الحقيقي الذي يمكن أن يوجه الى « سارتر » بحق هو انه طبق منهجه الواحد على بودلير وجان جينيه واستنتج منهما نتيجتين مختلفتين : فكلاهما في طفولته وصباه «اراد يكون ما اعتقد انه مقدر له ان يكونه» فبودلير أراد ان يكون ((**وحيدا للابد**)) ، وجينيه اراد ان يكون ما أطلق عليه وما سموه به «لص» . فكيف اذن في حدود المنهج التحليلي الوجودي يمكن .. الاعجاب بواحد وادانة الاخر؟. لقد استنتج «كرانستون» من ذلك ان المعيار الذي يقيس به سارتر في النهاية ليس معيارا ادبيا او سيكولوجيا ولكنه **معيار سياسي** . ان ما اعجب سارتر في «جينيه» ليس هو «شجاعته المحضة» او « ثقته الجنونية» او قراره المحال بأن «يكون» بل ما اعجبه هو انه الرجل الذي استدار ليقوض المجتمع الذي رفضه .

ومع ذلك فمن الخير أن نقول أن جينيه لم يكن اشتراكيا فى يوم من الايام .بل ولم يكن ايجابيا بالمعنى المعروف لهـذه الكلمة ، فى هجومه علـى المجتمع البورجوازى ليضع مكانه صورة اخرى متقدمة . كل ما هو عليه انه **((ضد))** هذا المجتمع.

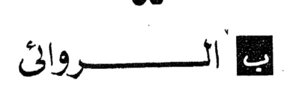
ضد قيمه وتقاليده واخلاقياته ــ ربما بنفس المعنى الذى كانت تتضمنه تصرفات **((أندريه جيد))** حينمـا جاهر بأنه لوطى ودافع عن تصرفاته الجنسية ــ وهو قد استحق رغم انعدام الرؤية الايجـابية لديه ان يطلق عليه سـارتر لقب « بوخـارين البورجوازية » ...

وفى عام ١٩٤٥ ، كتب سـارتر يقول ــ خلال المقدمة التى كتبهـا لمجلة « العصور الحديثة » وهو يشرح مفهومه عن الالتزام فى الادب : «اننا نأسف على لامبالاة بلزاك تجاه ايام ١٨٤٨ ، وعلى عدم التفهم المشوب بالخوف الذى ابداه **((فلوبير))** تجاه حكومة الكوميون » . وفى موضع آخر من نفس المقدمة كتب يقول : اننى اعتبر « فلوبير » والاخوين جونكور مسئولين عن اعمال القمع التى تلت حـكومة الكوميونة لانهم لم يكتبوا حرفـا واحد لمنعها » .

والحق ان **((فلوبير))** بالذات، قد اختصه سارتر بأكثر من مقال، واشار اليه فى اكثر من موضوع من كتبه . ولقد تحدث عنه بوصفه اديبـا رفض ان يلتزم بقضايا عصره ، او بتعبير آخر ، اختار الا يلتزم بقضـايا عصره . ولعل اهم دراسة قدمها سـارتر بعد دراسـتيه عن « بودلير » ، و « جان جينيه » كوميديا وشهيدا ، هى الدراسة التى يكتبها عن «جوستاف فلوبير» والتى سمح للطليعة بنشرها فى اعدادهـا المتتالية ابتداء من ٦٦/٧ حتى الآن وذلك فى نفس الـوقت الـذى تنشر فيه بمجلة العصور الحديثة .

ومن الخير ان نقول كلمة حـول المنهج الذى اختاره سـارتر فى دراسـته عن فلوبير . ان الدراسة التى يقوم بها بعض النقاد للعمل الادبى من خلال النص الذى يقدمه للقارىء ، هى دراسة ناقصة . بل ربما لم تكن دراسـة للعمل الادبى نفسه ، لان هـذا « العمل » اكبر من حـدود النص وحده . اننا كى نفهم عملا ادبيا ينبغى ان ندرس النص وندرس معه مؤلفه:حياته ، وظروفه الاجتماعية والنفسية بل وتركيباته العضوية ، وندرس ايضا عصره ونسيجه التاريخى ، ثم نعود الى النص ، ومن النص نأخذ طريقنا مرة اخرى الى الظروف الخارجية . اى ان ثمة «ديالكتيكا» متبادلا بين النص الادبى والاطار الخارجى له . ولا يعنى هذا ان سارتر يأخذ بفكرة الحتمية ، اى ان العمل الادبى او الفنى او انكاس ضرورى عن عصر معين . ان فكرة الحرية لم تزل هنـا هى الاساس . فكلما اختار بودلير ان يكون «وحيدا الى الابد» وكما اختار «جان جينيه» ان يكون لصا ثم ان يكون فنانا ، فقد اختار «فلوبير» ايضـا « ان يكون فنانا منعزلا » ، وسارتر يطبق منهجه السـابق الذى يسميه فى كتابه الفلسفى الاخير «نقد العقل الجدلى» : «المنهج التقدمى التراجعى» اى التقدم فى دراسـة النص الادبى من خـلال التراجع لدراسة حياة مؤلفه وعصره ، فى دراسته لفلوبير . فيحلل ظروف فلوبير الاجتماعية ، من حيث هـو واحد من ابناء البورجوازية ، ويحلل العصر نفسه الذى انجبه ، ويحلل علاقاته العائلية والغرامية ، ثم يدرس « مدام بوفارى » ، وهى اهم اعماله ، ويدرس معها اعماله الاخرى ، كذلك فى اطار انها « افعال » اختارها فلوبير بمحض حريته . ويجيب على السؤال الذى طرحه وهو لماذا اختار فلوبير ان يكون فنانا منعزلا ؛ ولماذا لم يشارك فى قضايا عصره.ولعل هذا المنهج الذى درس سارتر من خلاله فلوبير لايختلف فى جوهره عن منهجه فى دراستيه السابقتين ، « بودلير » ، و « جـان جينيه » .

●●



ب الـــــروائى

بدأ سارتر رحلته فى عالم الادب كاتبا روائيا. ولكنه لميداوم علىممارسة هذا الشكل الادبى طويلا مما دعا بعض نقاده الى القول بأن الكتابة الروائية لم تكن الا مرحلة فى طريقه فحسب .

وذهب احـدهم وهو **جون ويتمان** الى حـد الاعتقاد بأن الكتابة الروائية كانت ضرورة فكرية بالنسبة له لانه من خلالها كان يتكشف العالـم الفلسفى الذى كان يقصد اليه بالذات ، وانه كان محتاجا الى كتابة **الغثيـان** على سبيل المثالكى يجعل فلسفته تتضح له وتتبلور بين يديه .ومهما كان المدى الذى تبلغ اليه تلك الاقوال، فالحقيقة الواضحة انه كف بعـد ثلاثية **دروب الحـرية** عن كتابة الرواية، فضلا عن ان القيمة الحقيقية لسارتر الاديب تكمن فى ميدان المسرح وليس فى عالم الرواية (ربما باستثناء الغثيان التىيضعها النقاد فى منزلة خاصة) . ولقد أصـدر سارتر مجموعة قصص قصـيرة تحمل عنوان **الجـدار** فى ١٩٣٩ ، و**الغثيـان** ١٩٣٨ ، ثم ثلاثيـة **دروب الحرية** التى صدر الجزءان الاولان منها عام ١٩٤٥، وصدر الجزء الثالث فى عام ١٩٤٩.●

تضم مجموعة **الجـدار** خمس قصص هي : **الجدار، والغرفة، وأيروستريتوس ، وصميمية ، وطفولة زعيم** .ولقد وصفت هذه المجموعة ابان صدورها بأنها تفوق رواية د.هـ. لورانس عشيق الليدى تشاترلي وتخلفها وراءها. وقال سارتر نفسه عن هذه المجموعة لاحد محررى دار جاليمار جان بولان : هـــذه القصص اباحية فأنا اتناول موضوعات جنسية الى حـــد ما ..ومع ذلك فقد نجحت هذه المجموعة نجاحا مدويا واستأثرت احدى هذه القصص وهى الجـــدار بالنقاش الطـــويل بين الكتاب والنقاد، وكانت السبب ــ الى جانب رواية **الغثيـان** فى القاء الضـــوء القـــوى على وجود ســـارتر الاديب فى عـــام ١٩٣٨ عام نشر هذه القصة فى مجلة لانوفيل ريفوفرانسيس .

وتدور احداث قصة **الجـــدار** فى اسـبانيا ، ابان الحرب الاهلية، حيث نلتقى بثلاثة معتقلين جمهوريين فى زنزانة ضيقة رطبة، ينتظرون بين جدرانها حتى الصباح حيث ينفذ فيهم حكم الاعدام والجدار يبدو انه ــ فى معناه المادى ــ الحائط الذى سيعدمون عليه او امامه ،وهو ــ فى معنـــاه الفلسفي ــ يمثل حتمية الموت التى لا مهرب منها. والقصة فى مضمونها العام تمثل قدرة الانسان فى مواجهة الموت. وهى دراسة لسيكولوجية الخوف وتأثيره النفسي والجسماني ،حتى ان بعض المعلقين على هذه القصة اشاروا الى ان سارتر اخـــذ فكرتها من مقال نشر عن تأثيرات الخـــوف فى احدى الصحف، ولم يروا سببا معقولا لشهرة هذه القصة بالذات لانها فى رأيهم اقل قصص المجموعة اقناعا .

فـــلوبير

جوستاف فلوبير (١٨٢١ــ١٨٨٠) روائى فرنسى درس الحقوق ولكنه عكف على التاليف الادبى اصيب بمرض عصبى جعله يمكث طويلا فى كرواسيه . كان اول مؤلف مشهور له هو « التربية العاطفية » (١٨٤٣ ــ ١٨٤٥) ، ثم « مدام بوفارى » ١٨٥٧ التى تمتاز بواقعيتها وروعة اسلوبها.وهى التى اثارت قضيةالادب المكشوف وحوكم المؤلف بسببها وبراه القضاء الفرنسى بعد سلسلة من الاتهام والدفاع . ثم تابع تاليف رواياته «سالمبو» ١٨٦٢ و « تجربة القديس انطونيوس » ١٨٧٤ ويعتبر فلوبير عند معظم النقاد مثلا اعلى للكاتب الموضوعى الذى يكتب بأسلوب دقيق ويختـــار اللفظ المناسب والعبارة الملائمة .

ولقد نفذ حكم الاعدام بالفعل فى اثنين مـــن الثلاثة المعتقلين، وبقى ثالثهم وهو اشـجعـــهــم واكثرهم جراة على مواجهة الموت. ولكن اقتراب الموت يمحو فى نفس « ابيبتا » الاحساس بالقيم ، ويجعله يشعر بعبثية موقفه، ويدفعه هذا كله الى السخرية من جلاديه، فعندما كانوا يغرونه بوقف تنفيذ الاعدام واطلاق سراحه اذا دلهم على مكان رامون جريس صديقه وزعيمه ،بدى له ان يخدعهم لمجرد ان يضحك منهم، فقال لهم ان جريس يختبىء فى مقابر البلدة فى الوقت الذىكان يعتقد فيه تماما ان جريس قد فر وانه آمن فى مكان آخر . ومع ذلك تحدث مصادفة عجيبة .. يذهب الفاشســت الى المقـــابر حيث يجـــدون جريس بالفعل، وكان قد ذهب الى هناك قبل هذه اللحظة ! ويطلقون سراح«ابيبتا»..الذى يخرج من زنزانته وهو يضحك فى حالة هستيرية بالغة العنف .

والاعتراضات على هذه القصة تقوم على ثلاثة اسس :**اولهما:** انه من غير المحتمل ان يفقد رجل جمهورى من جيش المقاومة ضد الفاشية شعوره بالقيم عند اقتراب الموت، لانه من الطبيعى انالموت كانواحدا منالاحتمالات الواضحة امامه عندما قرر ان ينخرط فى سلك المقاومة .**والثانى:** ان تكنيك القصة فى عقدتها وتحولها التهكمى النهائى ،ينتمى الى ذلك النـــوع من التـــراث الادبى الذى دعاه سارتر بأدب الاستهلاك البورجـــوازى **والثالث** ان فلسفة القصة تقوم فى جوهرها على اساس جبرى خـــالص ، لان صـــدفة وجـــود جريس فى مقابر البلدة فى الوقت الذى كان يسخر فيه ابيبتا من جلاديه، وكان يحرص بحق على انقاذ زعيمه هى فلسفة قدرية تدور فى اطار القضاء الذى لا مرد له، وهىفلسفة تشاؤمية تتنافىتماما معفلسفة سارتر التى ترفع لواء الحرية الانسانية !

والقصة الثانية **الغرفة** ،فهى تصور اصرار « ايف » الزوجة على مواصلة الحياة مع زوجهـــا بيير الذى يخطو خطوات حثيثة نحو الجنون . ويذهب ابوها ليقنعها بضرورة وضع زوجها فى مصحة خاصة .ولكنه لا يجد منها اذنا صاغيةله. يخبرها بأن زوجها سيصبح مجنونا تماما فى خلال سنوات ثلاث ، ويدهش اذ يجدها على علم بذلك ، وتزداد دهشته ولا يفهم طموح ابنته الذى لا معنى له فى هجرة العالم الطبيعى العادى الذى يعيش فيه العقلاء، واصرارها على اقتحام عالم الجنون الذى يعيش فيه زوجها.وتمثل بقية القصة المروية على لسان ايف رغبتها فى مقاسمة « بيير » شعور الاغتراب ازاء ما يحيطه من اشياء ، بل وتحاول الاقتناع بحقيقة التمثال الطائر الذى يثير فيهالرعب .. ومع ذلك فهى لا تتمكن من الوصول الى هذه الدرجة ، لان العقل الانسانى لا يستطيع أن يهرب من انسانيته الى الجنون..وفى النهاية تقرر ايف

ان تقتله عندما يبدو على وشك الانحدار النهائى فى هوة اللاعقل .

والقصة الثالثة **ايروستريتوس** ، بطلها بول هلبرت يقرر ان يقوم بعمل اجرامى ضد الانسانية يضمن له الخلود فى سجل المجرمين العظام ! انه يبعث بمائتى خطاب الى مائتى كاتب انسانى من المشهورين يعلن فيه عزمه على اطلاق النار على ستة اشخاص — او خمسة اشخاص — وسيحتفظ بالرصاصة السادسة لنفسه — كيفما اتفق نظرا لان قلبه لا ينطوى على حسب للانسانية. ولكنه عندما يخرج الى الطريق يطلق ثلاث رصاصات على الضحية الاولى ثم يفر فى اتجاه خاطىء، فبدلا من ان يذهب كما اعتزم الى غرفته لينتظر مطارديه فيطلق فى لحظة وصولهم النار على نفسه، يذهب الى احدى المقاهى ويختبىء فى دورة المياه حيث يبلغه مطاردوه ويخرج ويستسلم ولا يقتل نفسه. ونحن نراه فى الجزء الاول يجلس فى كامل ملابسه وفى يده مسدسه (وهو رمز جنسى معروف) وامامه عاهرة عارية تدور حوله تحت تهديد مسدسه وهو يستمتع بممارسة الشعور بالسادية ازاءها. وكأن سارتر يريد ان يضع هنا صورة للسادى الذى وصفه فى الوجود والعدم بأن الشخص الذى يحاول ان يجعل الاخر يحس ان وجوده عرضى وعابث. انه يريد ان يسجن الاخر فى الجسد بينما يظل هو حرا ! على ان القصة تتضمن بلا شك — كما راى فيليب تودى — وجهة نظر تقول ان النظرة المعادية للانسانية لا معنى لها شأنها شأن النظرة الانسانية سواء بسواء!

والقصة الرابعة **صميميه** تصور فكرة سوء الطوية (Mauvaise Foi) وهى احدى الافكار الاساسية فى فلسفة سارتر الاخلاقية .والقصة تتضمن اربعة اقسام .تبدا القصة فى سرير لولو وهى عارية تفكر فى زوجها هنرى وعشيقها « بيير » . وهى تفضل البقاء مع الزوج العنيد على الذهاب الى بيير الذى يحنقها بمحاولاته السيطرة عليها حتى يثير فيها الرغبة الجنسية. والجزء الثانى يصف افكار ريريت صديقتها التى تحثها على الفرار، والجزء الثالث ينقلنا الى داخل ذهن لولو وهى راقدة فى احدى الفنادق بعد ان ظل بيير يمارس معها الحب ساعتين كاملتين، وشعور باليأس يهيمن عليها من فكرة الاستمرار فى الهرب مع بيير، والجزء الرابع يعود بنا الى ريريت صديقتها بعد ان علمت ان لولو قد عادت الى زوجها وانها سوف تستمر رغم ذلك فى ممارسة الحب مع بيير كما كانت تفعل فى الماضى .وسارتر يصف فى هذه القصة الحجج التى تخفى بها لولو عن نفسها مسئوليتها فى ان تتخذ وحدها وبمحض حريتها قرارها فى ان تبقى — او لا تبقى — مع زوجها. وهى من هذه الزاوية تجسيد لفكرة سوء الطوية كما تقدم .ومؤداها ان الانسان يملك قدرة عقلية يحاول بها ان يخفى حريته ويتهرب من مسئوليته لانه يخشى ان يتحمل هذه المسئولية.

وآخر قصص هذه المجموعة هى «**طفولة زعيم**» والقصة تتسابع المراحل الاولى لتطور بطلها لوسين منذ كان طفلا يطيلون شعره كما هى عادة الاسر البورجوازية الفرنسية فلا يعرف ان كان ولدا او بنتا .حتى يبدأ العالم فى التغير امام ناظريه عندما يرى اباه فى المصنع يمارس سلطانه على العمال. ثم يصاحب شابا فوضويا شاذا له ميول جنسية مثلية يقدم له نفسه على انه فنان سيريالى ، ثم يصاحب شابا آخر معاد للسامية فيعاديها هو ايضا لان هذا العداء يكسبه احترام البيئة التى تحيط به، ثم يتخذ عشيقة من الطبقات الشعبية ،وينتمى بعد ذلك الى احدى المنظمات الفاشية ! وسارتر يصور فى هذه القصة بعض افكاره الخاصة بطبيعة العقل البشرى والنفس الانسانية، على الاخص فكرة التطابق مع الذات، والفكرة التى تقول بأن المرء ينتابه فى مرحلة معينة الشعور بأنه « زائد عن الوجود » على ان الفكرة الاشد وضوحا من هذا كله فى هذه القصة، وربما فى قصص المجموعة كلها هى الكراهية العنيفة التى يكنها سارتر للطبقة البورجوازية !

الغثيان (١٩٣٨)

ولقد كان سارتر فى الثانية والثلاثين من عمره (١٩٣٧) ، عندما دفع الى دار نشر جاليمار بمخطوطته الروائية الاولى وكانت تحمل عنوان **كآبة** ، ولكن جاستون جاليمار الذى وافق عليها اقترح عليه ان يغير اسمها الى **الغثيان** . وقد وافق سارتر على الفور .

ورواية الغثيان تتخذ لها قالب المذكرات او اليوميات شكلا لها. وبطلها هذا الذى يسجل يومياته هو انطوان روكانتان ،مثقف قضى ردحا من حياته فى الرحلات والمغامرات، فى اوروبا الوسطى وافريقيا الشمالية، والشرق الاقصى، حتى استقر به المقام منذ ثلاثة أعوام فى **بوفيل** وهى ميناء فى شمال فرنسا (الغالب انها اسم روائى لميناء الهافر الذى كان يعيش فيه سارتر ابان تأليفه لهذه الرواية) لينجز تحقيقا تاريخيا عن المركيز دى رولبون وهو مغامر من القرن الثامن عشر .

و«**روكانتان**» بطلنا هذا شخص منبت الجذور ، ليس له اصدقاء، ولا احد يكتب اليه، ولا يكتب هو لاحد. ومحادثاته تدور فى الاغلب مع اناس يلتقاهم بالصدفة فى المكتبة او المطعم او المقهى، وهو ضجر بحياته، كئيب، مهموم ، يتعرض لنوبات من الغثيان والدوار والتشنج وكل اشكال **التوتر**

العصبى، وهو وحيد وحدة مطلقة : **اننى وحيد، ولقد عاد معظم الناس الى بيوتهم فأخذوا يقرأون صحيفة المساء وهم يستمعون الى الراديو .ولقد خلف لهم يوم الاحد الذى انتهى طعم الرماد وبدأ فكرهم يتجه الى الاثنين .ولكن ليس لى اثنين ولا احد .وانما هناك ايام تنبت فى غير ما نظام..**

وذات لحظةيقف روكانتان علىشاطىء البحر ، ويلتقط حصاة ويتولاه شعور بالغثيان ، ويرمى الحصاة من يده، ويداخله احساس قوى بأن الاشياء من حوله غريبة عنه، اشبه بالوحوش . وتبلغ حالته اقصى عذابها ويدرك ان العالم الخارجى لم يعد يحتمل ويصيح من فرط شعوره بالغثيان **انه يستحوذ على، ليس الغثيان داخلى ..اننى انا الشخص الذى يقبع داخل الغثيان ....** وتتضح امامه افكاره ،او بتعبير آخر تنشب فى اعماقه تأملاته ..ان الاشياء جميعا من حوله تبدو **زائدة عن الوجود .. عرضية** ،وهو نفسه لا يخرج عن هذه الاوصاف : **وانا نائم، ضعيف، قذر ، مقرف، اتلاعب بالافكار المتشائمة ..انا ، ايضا ، عرضى ..**

ويتبلور فى نفس روكانتان معنى واحـد : هو انعدام المعنى فى كل ما يحيط به ! وهو يحس هذا المعنى عندما يزور معرض تصوير اقيم فى المدينة، ويتأمل اوجه البورجوازيين الراضية الناعمـة ، الرافلة فى سوء الطوية انهم لا يشعرون مثله بأن وجودهم لا معنى له، وغير مبرر، .ان تجربة الغثيان تكشف له ان الكون عبث، وانه ما من شىء له دور خاص يؤديه .وليس للانسان وضع خاص يمتاز به على سائر الاشياء الاخرى المخلوقة التى يصطدم بها. وتجربة الغثيان عنده ليست فكرة تجريدية ولكنها تجربة مادية حية .

ولقد ظل روكانتان فى بوفيل بلا خليلة ، وكل حياته الجنسية كانت تتلخص فى مداعبة صاحبة المقهى الذى يتردد عليه دون ان تبلغ هذه المداعبات هدفها. ولقد كانت له فى الماضى عشيقة اسمها آنى ، ولكنها هجرته وهى تعيش الان فى باريس مع مصرى ثرى .وعندما ذهب الى باريس ليراها بعد ان دعته لزيارتها، تحدثا عن حياتهما الماضية . قالت له : **انت تشكو لان الاشياء لا تنتظم حولك كباقة الزهر دون ان تكلف نفسك ببذل اى جهد فى اى شىء، لكننى لم اطلب مطلقا شيئا من هذا، اننى أريد العمل** . أما هو، فقد عصفت به الحيرة. ماذا يقول لها؟ ايدرى هو سببا للحياة؟ انروكنتان يرى الخواء والجدب فى كل شىء .انه يقول لنفسه فى النهاية : **ليس بوسعى ان افعل لها شيئا.. انها مثلى وحيدة ..**

ولكن اليس هناك اى طريق للخلاص؟ قـرب الخاتمة عندما يستمع الى شريط مسجل لاغنيـة جاز امريـكية **بعض هـذه الايام** . تتتـابع على مخيلته الصور. ان هذا الموسيقى صاحب هذه الاغنية قد وجد سببا لحياته عن طريق ابداعه لمثل هذه الاغنية ، فلماذا لا يستطيع هو ان يجـد سببـا للحيـاة . **واذا كان هو فلم لا أكون أنا ؟** سيعطى اذن معنى لحياته عن طريق تأليف كتاب، وليـكن رواية بدلا من ذلك الـكتاب الذى ازمع فى البدء انيكتبه عنتاريخ حياةالمركيز دىرولبون. ان جميع كتب التاريخ تحكى عما وجد، ولكـن الموجود لا يستطيـع اطلاقا أن يبـرر وجـود موجود آخر . سيكتب رواية اذن . وينبغى ان تكون جميلة وقاسية كالفولاذ وان تجعل الناس يخجلون من وجـودهم . **ولن يـكون ذلك اول الامر الا عملا مضجرا ومتعبا، ولن يمنعنى من ان اكون ، ولا ان احس انى كائن . ولكن لابد ان تأتىلحظة يصبحفيها الكتاب مكتوبا،ويصبح ورائى، واظن ان شيئا من نوره سيسقط على ماضى . ولعلنىاستطيع آنذاك ان اتذكر، من خلاله ،حياتى من غير اشمئزاز .ولعلنى ذات يوم، اذ افكر بهذه الساعة بالذات .. لعلنى سأشعر بقلبى يزداد سرعة فى خفقانه وسأقول لنفسى : فى ذلك اليوم ، وفى تلك الساعة ،انما بدأ كل شىء ..**

وهكذا تنتهى رواية الغثيان .والحـق ان الغثيان نفسه كما يرى البيريس هو الحـادثة الرئيسية فى هذه الرواية التى لا عقدة لهـا. والغثيان هنا لون من الوان الزهد ، وشعور بانعدام التبرير فى كل ما نفعله .

ولقد اجمع نقاد سارتر على ان هذه الرواية هى من اعظم اعمال سارتر على الاطلاق .ومن

هيـدجر

مارتن هيدجر (١٨٨٩ —) فيلسوف المانى ، يعد الممثل الرئيسى للوجودية وان يكن هو نفسه قد رفض هذه التسمية . درس الفلسفة على أستاذه هوسرل . وفى كتاب هوسرل السنوى ظهر عمل هيدجر الكبير لاول مرة عام ١٩٢٧ وهو «الوجود والزمان» وعندما تولى هتلر زمام السلطة عام ١٩٣٣ قبل هيدجر منصب مدير جامعة فرايبورج ورحب بتولى هتلر السلطة باعتبار ان ذلك فجر عهد جديد وبتر كل علاقة له بهوسرل لانه يهودى . وقد اتهمه بعض النقاد فيما بعد بانه المنظر الفلسفى للنازية . وفى كتابه «الوجود والزمان» يدرس الوجود الانسانى باعتباره شكل الوجود الذى يعرفه الانسان معرفة افضل من معرفته بالاشكال الاخرى ، ولكنه يصر دائما على ان اهتمامه ليس انتروبولوجيا او نفسيا ، وانما هو قد حاول ان يتخـذ من الوجـود الانسانى نافذة يطل منها على الوجود ككل .

افضل الروايات الفلسفية التي كتبت في هذا القرن . قال موريس كرانستون ان رواية سارتر الاولى الغثيان ستظل احدى الشوامخ التي حققها. وهي تمتلك مزايا معينة في الشكل والصيغة والايجاز والتعميم مما تفتقر اليه رواية دروب الحرية وبعض المؤلفات الاخرى المتأخرة. كما تعد هذه الرواية ايضا اشد اعماله الروائية الفلسفية احكاما، فكل ما فيها يرتد او يجسد او يصور افكاره النظرية، انها الدم النقي للرواية الوجودية ، وقال جون ويتمان : ان النثر في الغثيان يبدو احيانا شعرا ولا يوجد اروع من وصف سارتر ليوم الاحد في ميناء بوفيل او مناظر المقهي او التأمل في جذر شجرة المتنزه. ان القاريء يدرك عدم معقولية العالم بنفس الصيغة الشعرية التي قدمها اليوت في قصيدته اغنية العاشق بروفروك ، وليس ادراج اليوت في هذا المقام من قبيل التشبيه فحسب، فان الغثيان يمكن تسميتها بحق ارض سارتر الخراب . بينما قالت ايريس موردوخ : ليست مشكلة روكانتان هي المشكلة الانسانية العادية، فهو ميتافيزيقي بالمزاج ويعيش كلية بدون علاقات انسانية، ومع هذا فأنا اعتقد ان سارتر يقصد ان يقدم لنا هنا صورة للموقف الانساني بصفة عامة .والشيء الذي نجح فيه بلا شك هو انه اظهر لنا تكوين فكره الخاص ونسيجه .

وليس ثمة شك في ان هذا العمل الروائي الفذ، هو احد العلاقات الاساسية على طريق الرواية الفلسفية، رواية المواقف الانسانية ، في عصرنا. وربما كان شموخه يعود الى انه جمع في نسيج حي بين افكاره الفلسفية والقدرة الفنية البارعة على صياغتها . انك تستطيع ان تتبين بين صفحاتها كثيرا من آراء سارتر الفلسفية في فكرة الاغتراب، وسوء الطوية، واستحالة الامتلاك الحقيقي للزمن، وعرضية الظواهر التي تحيطنا، وطبيعة الادراك الحسي،وضعف العلاقة بين اللغة والواقع .ولكن هذا كله منسوج في قالب اقرب الى القصيدة الميتافيزيقية منه الى الشكل التقليدي للرواية . ولعل اهم ما نخرج به بالنسبة لمنهج سارتر الفكري نفسه ان هذه الرواية كانت تمثل الخطوة الاولى — او التباشير الاولى — لحل ازمة البحث عن الخلاص، فان بدى هنا ان الاجابة هي: فلنتخلص بالفن . .فلسوف تكون الاجابة — بعد ذلك في أعماله المتأخرة مختلفة . . ولكن المهم . .ان فكرة الالتزام بزغت هنا. . عند الخاتمة . .وربما كان في هذه الفكرة وحدها البداية الحقيقية للخلاص .

دروب الحرية

ولقد صدرت رواية دروب الحرية بعد الغثيان بسبع سنوات . صدر الجزآن الاولان منها سن الرشد ، ووقف التنفيذ في عام ١٩٤٥ ،اما الجزء الثالث فصدر في عام ١٩٤٩. وكان سارتر قد وعد باصدار جزء رابع من هذه الرواية بعنوان الفرصة الاخيرة ولكنه لم ينشر منه سوى فصلين فقط في مجلة الازمنة الحديثة في نوفمبر وديسمبر من السنة نفسها ، ثم كف عن اتمامه حتى الان .

ونحن نلتقي في دروب الحرية بثلاثة اشخاص اساسيين : ماتيو ، ودانيال ، وبرونيه . اما ماتيو فهو صورة جديدة — مختلفة بعض الشيء — من روكانتان ، وهو مدرس فلسفة،وكثير من النقاد يعتبرونه صورة من سارتر نفسه، وعندما يتحدثون عنه يقولون ماتيو — سارتر . بينما يختلف البعض في هذا الحكم ويقولون ان ما في ماتيو من سارتر اقل بكثير مما في روكانتان من سارتر ايضا ! ، واما دانيال فهو شخص شاذ مصاب بالجنسية المثلية ، ويبدو ان في دانيال هذا كثيرا من جان جينيه الكاتب الذى افرد له سارتر احد مؤلفاته الضخمة . وبرونيه ثالثهم شخصية محددة قاطعة ،فهو من البداية شيوعي ملتزم ربط مصيره تماما بالحزب الشيوعي .

وتعتبر هذه النماذج الثلاث صورا للطرق المتعددة التي يحاول بها الناس ان يحققوا حريتهم. وسارتر يحاول ان يقول في ثلاثيته هذه ان هناك اكثر من طريق لتحقيق الحرية . فبين دانيال — الفاسد — الذى اختار ان يكون كذلك — طبقا لمفهوم سارتر الذى طبقه في دراساته عن جان جينيه وبودلير ، وبرونيه القاطع الجازم، عضو الحزب واداة الحزب، الذى لا يسأل ولا يبحث عن الدوافع والبواعث والاسباب بل يعمل، ويعمل فقط ،يقف ماتيو : حرية فارغة تبحث عن التزامها .

في الجزء الاول من الثلاثية الذي يحمل عنوان سن الرشد ، نجد ان كل ما يشغل بال ماتيو هو البحث عن نقود يعطيها للطبيب الذي سوف يقوم بعملية اجهاض عشيقته مارسيل . فماتيو لا يريد ان يتزوجها بعد ان دامت علاقته بها سبع سنوات .لقد غاض حبه لها .فضلا عن ان امثاله من المثقفين لا ينبغي ان يتزوجوا ! . وهو يطرق كل الابواب، امه، واصدقاءه، ومكاتب القروض ولكن محاولاته باءت بالفشل . وهو يتوجه الي اخيه جاك البورجوازى الذى يختلف معه كل الاختلاف فيلقي عليه درسا ولا يعطيه نقودا، لانه لا يوافق علي نمط الحياة التى يحياها ماتيو، ولا على مفهوماته عن الحرية: كنت اظن ان الحرية قائمة في المواجهة الصريحة للمواقف التي ينفذ اليها المرء ويتقبل مسئولياته، وانت على اية حال، قد بلغت سن الرشد يا عزيزى ماتيو المسكين ».

اما دانيال صديقه فانه يتظاهر هو ايضا بأنه لا يملك نقودا . وهو على اتصال بعشيقة صديقه دون علم منه . ويقرر عندما يراها فى ذلك المساء أن يجد حلا لهذا الموقف .

وتتطور الاحداث فى الرواية. ماتيو يقع فى حب فتاة روسية بيضاء اسمهـا ايفيتش اخت تلميذه السابق بوريس الذى يعشق بدوره مغنية فى احدى النوادى الليلية اسـمها لولا . وبوريس هذا شخص شاذ كذلك . ولكن شـذوذه ليس جنسيا مثل دانيال ، بل من نوع آخر .انه يهوى السرقة من الحوانيت ، لا لانه لص بطبعه اولانه يريد المال، بل لان فعل السرقة يتيح له ان يعيش فى حالة توتر ! . وعندما يلتقى به دانيال فى ذلك المساء يدعوه الى تناول كأس معه. ولكن بوريس يرفض لانه كان قد قرر سرقة كتاب من احـدى المكتبات فى تلك الليلة. فيقع فى وعى دانيال ان ماتيوحذر تلاميذه واصدقاءه منه.فيذهب الىمارسيل وقد عقد عزمه على الانتقام من صديقه .وعندما يلتقى بمارسيل يعرف انها تريد الاحتفاظ بالطفل. فيقرر دانيال ان يرغم ماتيو على الزواج منها .

ولكن ماتيو كان حينئذ مع بوريس وايفتش فى النادى الليلى الذى تعمل فيه لولا .ويطلب ماتيو من بوريس المبلغ الذى يحتاجه. ويذهب بوريس الى لولا ليطلبه منها. ولكنهما يتشاجران .ويغمى عليها ويظن بوريس انها ماتت. ويهرع بوريس الى ماتيو حتى يذهب الى الفندق الذى تقيم فيه لولا حتى يستحضر له الخطابات التى كان يبعثها اليها. ويوافق ماتيو. ولكن هناك لا يجد الخطابات فحسب بل يجد اوراقا مالية كثيرة ويبدأ الصراع فى نفسه: هل يسرق المال؟ ويجهد عقله فى مجادلات حـول الشرف والامانة .. وفى تلك الاثنـاء تفيق لولا من اغمائها .. ولكنه يعود مرة اخرى الى الفندق يسرق المال. وعندما يدخل غرفة مارسيل ومعه النقود يفاجأ بأن مارسيل ترفضه وتقـذف فى وجهه بآلاف الفرنكات التى احضرها . لقد فوجئت به يحضر لها أجر العمليةالطبية بعد أن كان دانيال قد قال لها ان ماتيو قد قرر الزواج منها ويتركها ماتيو لاخر مرة ويعود الى شقته التىتوجد بها ايفيتش الروسية عشيقته الجديدة .

ولولا تظن ان بوريس هو الذى سرق المال. ولكن ماتيو يخبرها انه هو الذى سرقه ولكنه لا يستطيع ان يعيده لانه أعطاه لواحد من اصدقائه. وفى تلك كالاثناء كان دانيال ينصت من خلف الباب ويعرف كل شيء. وعندما يدخل شقة ماتيو يعيد المبلغ الى لولا. ويعلن عزمه على الزواج مـن مارسيل، وسيعترف ببنوة طفل ماتيو على انـه طفله .انه حقا مصاب بهذا المرض الذى لافكاك منه .. الجنسية المثلية ولكنه رغم ذلك سوف يقوم بواجباته الزوجية كاملة !

ويعود ماتيو من جديد الى وحدته .لقد هجرته ايفيتش وعادت الى الريف بعد ان فشلت فىامتحانها ولقد كانت تحتقره على كل حال كما احتقرتـه مارسيل . **واغلق النافذة وارتد الى الحجرة . ولا يزال عبق ايفيتش يحوم فى الهواء. استنشق الهواء وتذكرهذا اليومالعاصف .جعجعة ولاطحن. هكذا فكر. لاشيء : لقد منحت له الحياة من اجل لاشيء .انه لا شيء ومع ذلك لن يتغير : انـه كما خلق .. تثاءب ثانية وهو يكرر لنفسه : حقا حقا تماما: لقد بلغت سن الرشد .**

اما الجزء الثانى **وقف التنفيـذ** فهـو صـورة عريضة لاوروبا ابان ازمة ميونيخ .ونرى ان السياسة قد دخلت من اوسع الابواب لتمارس تأثيراتها القوية على كل شخص .. ولكن ماتيو الذى لم ينج هو أيضا من تاثيرات أزمة ميونيخ ، لا يزال يخدع نفسه، ولا يزال يبحث عن الحرية التى لا تلتزم، وهو هنا يتصور انه كما خلق . انه النظام والناموس والقانون .ومع ذلك فهو يحس بالحيرة او نحس نحن بالحيرة تعصف به. فهو يقرر أن يذهب الى القتال بجانب الجمهوريين فى اسبانيا ولكنه يعدل عن ذلك ولا يذهب الى اسبانيا مطلقا. وكان فى طريقه الى مضاجعـة زوجة اخيه اوديت التى تحبه، لكن اوراق تجنيده ترسل اليه ويستدعى فى التو للخدمة العسكرية. وعنـدما كان يعبر مركز نيف يتخـذ قراره بأن ينتحر.. ولكنه يعدل عن قراره ايضا ويقـول لنفسه ربما فى المرة القادمة !

فما الذى حدث لسائر الشخصيات الاخرى ؟ اما دانيال فقد صار شخصا مؤمنا متدينا .لان عين

جبرييل مارسيل

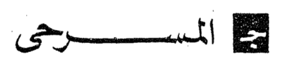
جبرييـل مارسيـل (١٨٨٩ ــ) فيلسوف فرنسى وكاتب مسرحى . وقد قدم مارسيل عمله الفلسفى الى العالم اساسا عن طريق يومياته التى ظهرت فى أجزاء ثلاثة هى « يوميات ميتافيزيقية » (١٩٢٧) و « الكينونة والملك » (١٩٣٥) و « الحضور والخلود » (١٩٥٩) وتمثل محاضرات جيفورد التى القاها فى عامى ١٩٤٩ و ١٩٥٠ ، وتمثل محاضرات «الكينونة»اقرب عرض منظم وصل اليه لارائه. ويوصف مارسيلفى معظم الاحيان بانهوجودى مسيحى فيقف بهذه الصفة فى الطرف المقابل لسارتر . وتنطوى تفكير مارسيل على صفة نقدية تحليلية تتبـدى فى مناقشتـه لفـكرة «الاستدلال»على وجود الله وفى اماطته اللثام عن المضمون الدقيق لامل الانسان فى الخلود ، وفى اسهامه فى الجدل الشائع حول امكان قيام الميتافيزيقا .

الله التى ترى كل شيء سوف تمنحه الراحة من عذاب أفكاره.. واما برونيه فهو لا يزال شيوعيا ملتزما يريد للحرب ان تبدأ ولكن بعض صراعاته الداخلية قد بدأت تطفو على السطح، ومضمونها انه لا يستطيع — او بالاحرى — يقاوم النزعات البورجوازية فى نفسه واصوله الطبقية حتى يحظى بالقبول التام من جانب العمال. وبوريس يخدم فى الجيش . وايفتش تهرب من منزلها فى الريف لتعود الى باريس ..

وعندما يبدأ الجزء الثالث **الحزن فى النفس** الذى نشر عام ١٩٤٩ نجد ماتيو جنديا فى فرقة تتقهقر. ان احداثه تدور فى مايو ويونيو عام ١٩٤٠. والضباط قد هجروا فرقتهم اثناء زحف الالمان . ومعظم الناس الذين دمرت اخلاقياتهم وانهارت نفسياتهم فقدوا القدرة على الصمود. وماعادوا يفكرون الا فى العودة الى بيوتهم ليعاقروا الخمر والنساء فى انتظار الهدنة ! ولكن ماتيو وصديقا له من العمال ينضمان الى فصيلة عسكرية وصلت الى القرية التى تعسكر فيها فرقتهم . ان هذه الفصيلة تريد ان تقف وقفة اخيرة مستبسلة امام جحافل النازيين . وفى برج الكنيسة يبذلون محاولة اخيرة للمقاومة .. فى وجه الالمان الذين وصلوا الى القرية فى تلك الليلة . وحينئذ تنفجر فى روح ماتيو الرغبة العارمة فى المقاومة . امامه الان خمسة عشرة دقيقة من البطولة .. او على الاصح من التمرد الفوضوى (فقد ذكر سارتر فيما بعد ان ماتيو كان تجسيدا لما اسماه هيجل بالحرية المرعبة ، وهو نقيض الحرية الحقيقية) ... **وشق طريقه الى الحاجز .. ووقف هناك يطلق النار. كان هذا انتقاما ضخما . كل طلقة من طلقاته انما تثأر له من وسواس قديم . طلقة من اجل لولا التى لم أستطع ان أسرقها، وطلقة من اجل مارسيل التى كان ينبغى ان اخلو بها ، وطلقة من اجل اوديت التى لم أشأ ان اضاجعها. وهذه الطلقة من اجل الكتب التى لم اجرؤ على كتابتها. وهذه من أجل النزهات التى لم اقم بها اطلاقا. وهذه على جميع الناس، كافة، ممن أردت ان اكرههم وحاولت أن أفهمهم . اطلق النار وكانت القوانين تتكسر من حوله . ستحب جارك كنفسك. طلقة فى هذا الفم القذر. لن تقتل ابدا، طلقة فى وجه هذا المسخ الزائف .. كان يطلق على الناس، على الفضيلة، على العالم كله. الحرية هى الرعب كانت النار تشتعل فى دار المحافظة .. كانت تشتعل فى رأسه .. واستمر يطلق الرصاص . لقد اطلق الرصاص . لقد اغتسل .. انه قوى للغاية .. انه حر .**

ومع ذلك فهل يمكن القول ان حرية ماتيو وهذه تمثل مفهوم سارتر عن الحرية؟

الحق أنه ولا طريق من هذه الطرق يمكن ان يقنعنا بأن هذه الحرية هى ما اراده سارتر، او تعبير ادق ما يمثل المفهوم المتكامل للحرية عند سارتر. ولعل النقاد الذين يوحدون بين شخصية ماتيو وشخصية خالقها يخطئون فى حق سارتر ابلغ الخطأ . واقصى ما يمكن ان يقال ان هذه الدروب التى يبحث من خلالها الاشخاص المختلفون عن الحرية، هى مجرد مراحل او اختبارات للطريق الصحيح . وسارتر نفسه فى الحديث الذى ادلى به لصحيفة الفيجارو عام ١٩٤٦ — والذى ذكر فيه ان حرية ماتيو هى تجسيد للحرية الرعبة — كما اطلق عليها هيجل — قال: ان ماتيو سوف يكف عن هذا الشكل من اشكال الحرية، **وانه سيجد خلاصه الحقيقى فى الجزء الرابع من الرواية** الذى لم يتمه حتى الان .



عندما سئل الفيلسوف الوجودى الالمانى **هيدجر** عن رأيه فى سارتر تأمل برهة ثم قال : سارتر؟ انه ليس فيلسوفا، ولكنه كاتب ممتاز . والحق انه ليس ابعد من هذا القول عن الحقيقة . لا لان سارتر ليس كاتبا ممتازا ، بل لانه لا يمكن القيام بهذا الفصل المتعسف بين سارتر الفيلسوف وسارتر الاديب. فهو واحد من فلاسفة **ما بعد تراث كيركجورد** الذين يدعوهم النقاد **بالادباء المتفلسفين** ، ولانه فضلا عن ذلك ليس من طراز من الفلاسفة الذين يهدفون الى اقامة مذهب من الافكار المجردة. فهو لا يتأمل فى الحقيقة التى ترتفع فوق الزمان والمكان . بل ان نطاقه بوصفه فينومينولوجيا يتحدد اساسا فى امتلاك المواقف الانسانية فى تكاملها المحسوس ، وبوصفه وجوديا فان فلسفته فى الوعى تدفعه الى التفكير فى الفرديات الانسانية فى حدود وعيها بذاتها وبالاخرين . ولعل كثيرا من اعماله الادبية — الروائية والمسرحية — يمكن ان تكون ، كما يرى ذلك بحق جون ويتمان ، مقطوعات كاملة من الفلسفة الوجودية .

ولا شك ان المسرح السارترى هو الوعاء الحقيقى الذى القى فيه بفلسفته كلها، على اختلاف عناصرها، وعلى تعدد مراحلها. فالمسرح هو الذى استحوذ على معظم نشاطه الادبى منذ ان كف عن كتابة الروايات . ومن ثم فقد شهد انعكاسا لافكاره فى بزوغها وصعودها وتحولها. على انه يبدو من الصعب — وربما من التعسف ايضا — تقسيم المسرح السارترى الى مراحل قاطعة على اساس تطور افكاره السياسية، وهى فكرة يحاول البعض الاخذ بها فيقولون مثلا **ان مسرح سارتر ينقسم** الى قسمين: **أولهما يتضمن انتاجه فيما قبل عام ١٩٥٢، وهو العام الذى اعلن فيه موقفه الجديد**

بالنسبة للمعسكر الاشتراكي ولقضية السلام ، وثانيهما الانتاج الذى صدر بعد ذلك التاريخ . والبعض الاخر يحاول ان يكون اكثر مرونة فيقول: بل يمكن تقسيمه الى ثلاث مراحل لا الى مرحلتين فقط، وهم يضيفون **مرحلة وسطى** بين المرحلتين السابقتين تمهد وتهيء الطريق لمرحلته الاخيرة . والواقع ان هذه التقسيمات الثنائية او الثلاثية خاطئة فيما نرى. فضلا عن صعوبة وجود الملامح المتميزة التى تحدد طابع كل مرحلة ، فهى تفرض على عالمه المسرحي مقياسا سياسيا خالصا، وتحاول ايجاد توازن مصطنع بين تطور فكره السيـاسي وانعكاسات هـذا التطور فى الابداع الفني على خشبة المسرح .ولا حاجة بنا بالطبع الى تأكيد فكرة التأثر والتأثير بين جوانب الفكر السارتري المختلفة، ولكن ما نلح عليه هو ان المفتاح الحقيقي لمسرح سارتر ليس مفهوماته السياسية اولا بل هي فلسفته الوجودية فى المقام الاول. بالاضافة الى اننا لا نخطيء وجود التداخل بين هذه المراحل التي يحاول بعض النقاد ــ على الاخص فى عالمنا العربي ــ تفصيلها عليه تفصيلا .ففى المرحلة الاولى نجد مسرحية **الذباب** وهى اول اعماله، ومضمونها السياسي واضح ولا يحتاج الى بيان ، ولعله اوضح من المضمونات التى يمكن استخلاصها من بعض مسرحياته المتأخرة. ونفس الامر ينطبق على **المومس الفاضلة** وهى تنتمى الى اعماله الباكرة. بينما نجد ان آخر اعماله **سجناء الطوناء**

ولعلها اعظم اعماله جميعا فى اعتقاد كثير من نقاده، تتضمن ــ على الرغم من كشفها وتعريتها وفضحها للنظام الرأسمالي ــ نبرة تشاؤمية واضحة لم يخطيء التعرف عليها كثير من اولئك النقاد .وربما لا نجد فى مسرحه كله ــ بما فيه **الايدى القذرة** ــ مسرحية سياسية خالصة سوى **نيكراسوف** ، ولكن حتى هذه المسرحية نفسها التى لا تعد من اعظم اعماله ولا من افضلها ــ هى مسرحية وجودية تماما من حيث افكارها ونوازع شخصياتها .

لا مفر اذن من اعتماد الفلسفة السارترية الوجودية مدخلا اساسيا لفهم مسرحه. ومن البديهي بعد ذلك ان نتلمس المضمونات السياسية لهذه الاعمال المسرحية والانعكاسات السياسية التي اصطبغت بها كلما اتخذت اقدام سارتر موقعا جديدا .

ولقد وضع سارتر **تسع مسرحيات** هى : **الذباب** ١٩٤٣، **جلسة سرية** ١٩٤٤، **موتى بلا قبور** ١٩٤٦، **البغى الفاضلة** ١٩٤٦، **الايدى القذرة** ١٩٤٨ ، **الشيطان والرحمن** ١٩٥١ ، **الممثل كين** ١٩٥٤ ، **نيكراسوف** ١٩٥٦، **سجناء الطونا** ١٩٦٠ ،وآخر اعماله **اعداد جديد للطراوديات اليونانية القديمة** قام به فى عام ١٩٦٥ .

وتعتبر مسرحية **الذباب** (Les Mauches) وهى أولى أعمال سارتر المسرحية من أعظم أعماله كلها . على الرغم من أنها ليست من أعماله التى اقبل عليها الجمهور اقبالا كبيرا . وبعض النقاد يرجع هذا الاحجام من قبل الجمهور على هذه المسرحية الى ان النص مركز للغاية والافكار أصيلة جدا والحوار معقد تعقيدا شديدا ، كما أن الهدف الاخلاقي الحقيقي للمسرحية غامض نوعا ما **مدرب كرانستون** . ولقد التجأ سارتر الى الاسطورة اليونانية المعروفة ــ أسطورة الكترا ــ التى عالجها كثير من الكتاب الفرنسيين غيره مثل **جيرودو وانوى** ، واعاد كتابتها بمفهوم جديد . ولعله لجأ الى الاسطورة فى هذه المسرحية بالذات (وهو لم يعالج الاساطير بعد ذلك فى مسرحه قط) لسببين : أولهما أنه اذا أخترع أنسان ما قصة غلام يقتل أمه ثم يعلن أن هذا واجبه فلن يوجد مخلوق يمكن أن يصدقه وهذا ما قاله سارتر نفسه . وثانيهما أن المسرحية رغم تصويرها لفكرة الحرية السارترية والمغزى الاخلاقي الذى تتضمنه لها مضمون سياسي واضح . فقد صدرت أبان الاحتلال النازى ، وكانت تحمل فى هدفها العام معنى المقاومة ضد النازيين وأنصارهم الفرنسيين أتباع حكومة فيشى ، وكان لا بد لها من استخدام الاسطورة حتى تمر . ومع ذلك فقد أوقفتها سلطات الاحتلال بعد ان كشف لهم الفرنسيون المتعاونون معهم عن مغزاها .

وفى مسرحيتنا ، يعود أورست الى أرجوس مع مربيه ليجد مدينته وقد جلس على عرشها عمه ايجست مغتصب عرش ابيه أجا ممنون ومعه امه

كانت

عمانوئيل كانت (١٧٢٤ ــ ١٨٠٤) اثر فى تفكيره تياران رئيسيان فى الفلسفة الاوروبية: احدهما النزعة العقلية التى وصلته عن طريق اساتذته بالصورة التى صاغها بها ليبنتز وفولف والتيار الاخر هو النزعة التجريبية التى وقع عليها فى كتابات هيوم المترجمة الى الالمانية . وتبدأ فلسفته الناضجة الخاصة به بكتاب «نقد العقل الخالص» (١٧٨١) وأشهر تسمية لها هى « الفلسفة النقدية » وهى تأليف ــ وليس مجرد جمع ــ من النزعة العقلية والنزعة التجريبية فكلتاهما قدمت فى نظره تفسيرا مشوها ومن جانب واحد لبناء المعرفة الانسانية ومضمونها

وقد كان تأثير اراء كانت المضادة للطبيعة قويا غاية القوة على المحدسين الاخلاقيين الذين جاءوا بعدئذ كما أرتضى كثير من فلاسفة الاخلاق فى المدارس المختلفة تفرقته بين العقل الخالص والعقل العملي . وكان للفلسفة النقدية ــ وخاصة نقد الحكم ــ تاثير ملحوظ على ظهور الفلسفة المثالية الالمانية وخاصة عند فشته واتباعه الذين أختلفوا عن كانت فى أنهم كانوا ينظرون الى الذات لاعلى انها تدرك العالم فحسب بل على انها تخلقه بصورة ما .

كليتمنسترا . والمدينة كلها غارقة فى الندم الذى هو دين الدولة . وهناك يلتقى اورست بجوبتر ويحاول جوبتر أن ينصح أورست بمغادرة المدينة ويتركها تمارس طقوسها . ولكن أورست يرفض ويلتقى بأخته الكترا ويتفقان على قتل ايجست وتحرير المدينة منه . ورغم تحذير جوبيتر لايجست فان أيجست لايفعل شيئا لحماية نفسه . وتتردد الكترا بعد أن قام جوبترا بايقاعها فى حبائل أفكاره . ولكن أورست الذى لم يقتل أيجست فحسب بل قتل أمه كليتمنسترا معه أيضا لا يتردد ولايندم على فعلته . بل ليتحمل مسئولية عمله كاملا ويحرر المدينة كلها من ندمها .. ثم يتركها تتبعه ايرينيات العذاب

والمضمون الفلسفى لهذه المسرحية يتلخص فى الافكار الاتية . **أولا :** فكرة الحرية وما يترتب عليها من أختيار ومن تحمل لتبعة هذا الاختيار . وهى فكرة أساسية فى فلسفة سارتر بل تكاد أن تكون محور فلسفته كلها . ان اورست يقول لجوبتر : انت رب الارباب ياجوبتر ، أنت رب الكواكب والنجوم وأمواج البحر ، ولكنك لست رب الانسان فيسأله جوبتر الم اخلقك ؟ فيوافقه أورست على ذلك ولكنه يقول : أجل ولكن ما كان ينبغى لك أن تخلقنى حرا .

جوبتر — لقد اعطيتك الحرية لتخدمنى

أورست — هذا ممكن ، ولكنها أرتدت عليك ، ولاحيلة لنا بها ، لا أنا ولاأنت .

جوبتر — أخيرا هذا هو الاعتذار

أورست — أنا لاأعتذر .

جوبتر — حقا ؟ أتعرف أنها تشبه الاعتذار كثيرا ، تلك الحرية التى تقول أنك عبد لها ؟

أورست — أنا لست السيد ، ولا العبد ياجوبتر انني حريتى !

وعندما يذكره جوبتر بالمعاناة التى سوف يعانيها والتى تترتب على هذا الاعتقاد يقول له أورست فى فخر : الناس أحرار ، والحياة الانسانية تبدأ على الطرف الاقصى لليأس !

والفكرة الثانية الاساسية هى الفكرة الخلقية . لقد قال سارتر فى كتابه الوجودية فلسفة انسانية : الانسان محكوم عليه بالحرية . محكوم لانه لم يخلق ذاته . وحر من جهة اخرى لانه مسئول عن كل ما يفعل بمجرد ارتمائه فى العالم . وعند سارتر أن القانون الخلقى للانسان لا يقوم على معطيات قبلية بل أن كل انسان يخلق قانونه الخلقى بذاته ومن خلال عمله . فليس ثمة ماهية سابقة للانسان لانه ليس ثمة اله وضع لنا قيما مسبقة علينا الالتزام بها . لقد أختفى الله من فلسفة سارتر . مات ولم يعد له وجود كما قال نيتشه ذات يوم . واذا لم يكن الله موجودا فكل شىء مباح . تلك هى عبارة دوستويفسكى التى يعيدها سارتر من جديد ويجعل منها نقطة انطلاقه فى هذا المضمار الخلقى . فليست القيم الخلقية من وضع اله متعال فوق البشر . ان الناس يخلقون قيمهم بأنفسهم . ان الناس احرار مستقلون . مطلقون . معزولون فى اليأس والهجر . أن الحرية الانسانية لعنة كما قال سارتر نفسه فى احدى مقالاته ، ولكن هذه اللعنة هى المنبع الوحيد لنبالة الانسان .

ولكن أورست وقد قتل الملك والملكة يغادر فى بساطة آرجوس . ما معنى هذا ؟ لماذا لم يبق يشارك فى تنظيم المدينة أو فى حكمها ؟ ولماذا قام بفعلته اذن ؟ هاهنا نلتقى بفكرة اخرى : ان الجريمة التى ارتكبها أورست فى آرجوس هى من الناحية الفلسفية ليست جريمة سياسية . انها فى وضوح فعل من أفعال الحرية يؤكد به ذاتيته واخلاقيته . انها درب من دروب خلاصه . كأننا نلتقى هنا بماتيو ، وقد صعد برج الكنيسة وأخذ يطلق النار . بل كأننا نلتقى بهربرت فى أيراستراتوس وقد عقد عزمه على أن يطلق النار على خمسة اشخاص . لم تزل الحرية هنا التزاما ذاتيا تتحمل مسئولية الذات وحدها . ولكن ربما كان يخفف من هذه الفكرة قول سارتر : أن الانسان عندما يختار فانه يختار للناس أجمعين . ولقد ذكر صديقه الكاتب والمفكر الفرنسى المعاصر جانسون على كل حال فى هذا الموضوع أن سارتر قال له أن الموضوع الكبير لاعضاء حركة المقاومة فيما عدا الشيوعيين هو هذا : اننا نحارب الالمان لكن هذا لايعطينا أى حق بالنسبة للفترة التى ستلى الحرب . ولكن جانسون فيما يبدو لايوافق على هذه الفكرة أو بتعبير آخر على مغزاها الفلسفى فأنه يقول : اذا كان سارتر قد أختار أن يسدل الستار على هذه الوقفة النبيلة البعيدة لاورست ، افلن يكون هذا بسبب أن المقاومة تلوح له فى المقام الاول على أنها مخاطرة شخصية لكل مقاوم ، على أنها أختبار للحرية التى لم تواجه حتى الآن أى أستجابة سوى نوع من بطولة الضمير ؟ .. أنا اعرف أن سارتر قد تحدث فى أوائل عام ١٩٤٤ عن المسئولية الكاملة ، والدور التاريخى لكل فرد فى عزلته الكلية ، فى الهجر المطلق الذى يجد كل مناضل سرا نفسه محكوما به ، ولكن اذا كان أورست قد قتل حقا المغتصب ورفيقته بسبب مسئولياته التاريخية فكيف يصف الانسان انسحابه — خيانته — عندما اختار أن يهرب من الموقف الخالص الذى خلقه هو نفسه وأن يغسل يديه منه ؟

ومهما كانت الافكار الفلسفية التى تضمنتها هذه المسرحية ، فهى كانت تحمل رسالة سياسية واضحة بصرف النظر عن هذه النهاية موضع الاشكال بين النقاد ، رسالة تقول : أقتل الغزاة . أقتل عملاءهم . ولا تأخذك بهم شفقة ولا رحمة . ولا تقتل

قلبك بالندم . أن جميع الطغاة يخشون أن يضع المستعبدون أيديهم على حريتهم . كن حرا . لان الانسان اذا عرف انه حر كان المصير المحتم للطغيان هو السقوط لا محالة !

ولقد كتب سارتر ابان الاحتلال النازي مسرحية اخرى هي **جلسة سرية** او **الابواب الموصدة** (Hais Clos) ، وتعتبر هذه المسرحية من اكثر مسرحياته شيوعا وسط الجمهور الفرنسي وظلت تمثل على المسارح الفرنسية عدة سنوات متتالية على الرغم من مضمونها الفلسفي الاصيل في فلسفة سارتر . وموضوعها يتلخص في ثلاث اشخاص : استيل ، واينيز ، وجارسان يجدون انفسهم في الجحيم وجها لوجه . جارسان جبان هارب من خطوط الدفاع اعدم رميا بالرصاص جزاء له على فراره من الخدمة العسكرية . **واينيز** امراة شاذة مصابة بداء السحاق ولا تعاشر الا النساء ، و **استيل** امراة خائنة هي الاخرى ، خانت زوجها واتخذت لها عشيقا ، ووضعت سفاحا نتيجة لخيانتها الزوجية وقتلت طفلها مما دفع عشيقها الى الانتحار .. والجحيم الذي ينقلنا اليه سارتر ليس هو الصورة التقليدية التي نعرفها او التي نتصورها ، ولكنه جحيم من نوع آخر . غرفة مؤثثة بأثاث من طراز الامبراطورية الثانية . وليس بالحجرة نوافذ ولامرايا . كل مابها ثلاث ارائك تجلس عليها الشخصيات الثلاث . ولكن الواقع أن الجحيم ليس هو هذه الغرفة في حد ذاتها . ولكنه عالم الغير . عالم الاخرين الذي لامهرب منه **الجحيم هو الاخرون** كما قال سارتر على لسان جارسان في نهاية المسرحية .

والواقع أن مشكلة **الاخر** هي احدى الافكار الاساسية التي عنى سارتر بدراستها في فلسفته ، وفي سيكولوجيته الوجودية على السواء . وموجز الفكرة أن الانسان في رايه هو الموجود لذاته ولكن هذا الموجود لذاته لابد أن يدخل في علاقات مع الاخرين . فالاخرون يمثلون ضرورة جوهرية لا محيد عنها بالنسبة للانسان . ومن ثم فهو موجود للغير ايضا الى جانب انه موجود لذاته . ومعنى ذلك أن كل انسان موجود لذاته ، وموجود للاخرين في نفس الوقت . وتتكشف لنا حقيقة الاخر من خلال ظاهرة الخجل فالخجل ظاهرة نفسية تكشف لي أني موجود في الخارج ، اى في عالم الغير . وعندما اكون في الخارج فانا اتحول الى موضوع للاخر ، ان الاخر ينظر الي فيحيلني الى موضوع . بدون هذا الاخر اكون مركزا للاشياء ولكل مايحيط بي . ولكن ما أن يظهر الاخر حتى يتحول كل شيء الى مركز آخر واصبح موضوعا بين الموضوعات . ومعنى ذلك أن كل انسان هو ذات ، وموضوع في نفس الوقت . ولا يمكن بهذا الوضع قيام علاقات حقيقية بين الذوات المختلفة . فكل ذات تريد الاستحواذ على غيرها من الذوات وتملكها والسيطرة عليها باعتبارها حريات ولكن امتلاك الحرية، من حيث هي حرية مستحيل . ومن ثم فان اى محاولة للحديث عن المشاركة أو الحب أو التآزر بين الذوات المختلفة مصيرها الفشل لان حضور الذات امام الاخرين هو السقوط الحقيقي .

وهكذا نرى في هذه المسرحية ذات الشخصيات الثلاث ، أن العلاقة بينهم مستحيلة . فاذا قامت علاقة بين اثنين منهم فان الثالث يقوم بدور الرقيب او الشاهد او العزول الذى يخجل منه الاخران . لاسبيل اذن لقيام علاقة جنسية بين استيل واينيز الشاذة ، او بين ستيل وجارسان او حتى بين جارسان واينيز . ان الاخر يقف بالمرصاد لن تستطيع أن تكون وحدك . ولن تتمكن من اقامة علاقة حقيقية مع الاخرين . بل ولن تستطيع التخلص من هذا الاخر بالقتل ، فهو ميت ولايمكن أن يموت مرة اخرى ! أليس هذا هو الجحيم بعينه ؟ ! .. لقد حكم عليهم أن يبقوا معا .. وسوف يظلون هكذا الى الابد . وهم يضحكون في النهاية ضحكة هستيرية عنيفة ، ثم يصمتون فجاة صمتا طويلا .. ويحملق كل منهم في الاخر .. ولا يقطع السكون المخيم سوى صوت جارسان قائلا حسنا .. حسنا فلنستمر ..

ومسرحية .. **جلسة سرية** .. مسرحية اخلاقية تقوم على الشخصيات كما رأى ذلك الناقد الشهير اريك بنتلي وتنطبق عليها التعاليم الارسطية تماما من حيث أن الشخصية هي ما يكشف عن الهدف الاخلاقي مبينا ماهية الاشياء التي يختارها الانسان أو يتجنبها . فهذه المسرحية توضح ماهية ما اختاره وما تجنبه هؤلاء الاشخاص الثلاثة في جحيمهم الابدي

ولعل نجاح هذه المسرحية من الناحية الجماهيرية

انجلز

فردريك انجلز (١٨٢٠ — ١٨٩٥) اشتراكي الماني كان صديقا وزميلا لماركس ابان اقامته في بريطانيا . وبعد كتابه عن « لودفيج فويرباخ » وفيه يتناول النزعات المادية والمثالية والمادية الجدلية والمادية الميكانيكية والتوجيه المادي الجديد للجدل الهيجلي ، وكتابه « في الرد على دوهرنج » وفيه يعيد عرض جانب كبير من مؤلفه الفكرى ردا على ماوجهه دوهرنج من انتقادات . والكتاب من ثلاثة اجزاء اولها عن الفلسفة ، وثانيها عن الاقتصاد السياسي والاخير منها حول الاشتراكية العلمية . اما كتابه « ديالكتيكية الطبيعة » فيحتوى على أوفى عرض للقوانين العلمية منظورا اليها من وجهة المادية الجدلية . وكذلك كتابه « الاشتراكية العلمية والاشتراكية الخيالية » من افضل العروض للاشتراكية الماركسية . وقد شارك ماركس في نضاله السياسي واشترك معه في اصدار « البيان الشيوعي »

يعود الي أنها تضمنت بداخلها الكثير عن العلاقات الجنسية والخيانات الزوجية ، الى حالات الإنتحار، الى الاعدام رميا بالرصاص . فضلا عن أن الوحدة الدرامية كانت سليمة ومتكاملة . لقد التقط سارتر هذه العناصر التى تشكل فى العادة معظم المسرحيات التجارية وصاغ منها مسرحية جادة . اخلاقية . وفلسفية فى جوهرها . وعبر من خلالها عن كثير من أفكاره حول الاخر ، والجحيم ، وسيكولوجية النظرة ، وطبيعة العلاقات بين الحريات المختلفة.

ولقد قدم سارتر بعد هذه المسرحية مسرحيتيه **موتى بلاقبور، والبغى الفاضلة**، اللتين عرضتا معا على خشبة مسرح أنطوان فى ٨ نوفمبر عام ١٩٤٦ ومعظم النقاد لايعتبرون هاتين المسرحيتين من أعماله الهامة . ومع ذلك فلا بأس من الـمـامة سريعة بموضوعيهما

موتى بلا قبور . تدور حول سيكولوجية التعذيب الذى تتعرض له فرقة من فرق المقاومة وقعت فى الاسر . أنهم يعذبون من الميلشيا الفرنسية المتعاونة مع حكومة فيشى حتى يعترفوا على مكمن زعيمهم جان المختبىء فى الجبال . وبين هذه المجموعة غلام صغير واخته . ويثور هذا الغلام الصغير الذى لم يتعد الخامسة عشرة من عمره على التعذيب والاستشهاد على الاخص وأن هؤلاء جميعا لايعلمون شيئا عن مكان جان وليس لديهم بالتالى شىء يقولونه . وعندئذ يقبض على جان دون أن يعرفوا انه هو الزعيم المطلوب . وعندما يقبل على هذه المجموعة يصرح لها بكل شىء ويطلب منها الا تعترف بوجوده معهم وهو واثق من أن المسئولين عن عمليات القبض والتعذيب سوف يفرجون عنه اذا أنتحل شخصية زائفة لتضليلهم . ولكن فرانسواز الصغير يعلن انه سوف يكشف كل شىء . وحينئذ يقرر من بينهم اخته ان يقتلـوه انتصـارا لحـرية جان الذى سوف يخرج ليواصل النضال ولينقذ فرقة اخرى من فرق المقاومة . ويطلق سراح جان . ويعدم الباقون رميا بالرصاص .

ولقد هاجم جبرييل مارسيل المفكر الوجودى المسيحى هذه المسرحية بشدة . وندد بعمليات التعذيب المؤذية للمشاعر التى تحدث على خشبة المسرح . بينما دافع عنها اريك بنتلى وقال أن مشاهد التعذيب التى تضمنتها تقل عن مثيلاتها التى تظهر فى كثير من أفلام السينما . ولعل سارتر أراد أن يضع على المسرح واحدا ــ مما يدعوه بالمواقف المتطرفة التى تكشف حقيقة الحياة الانسانية . وليس مثل تجربة التعذيب دافعا للانسـان على ادراك انه مسئـول عن كل كلمة يقولها عن كل قرار يتخذه بمحض حريته .. وليس مثلها أيضا يجعل الانسان يحس كما لايمكن أن يحس بذلك فى أى تجربة أخرى انه وحيد وحدة مطلقة .

أما مسرحيته **البغى الفاضلة** فهى تدور حـول عاهرة امريكية اسمها ليزى شاهدت اثناء ركوبها أحد القطارات رجلا أبيض يقتل زنجيا . وهى ترى فى هذا العمل جريمة ولكن أبن عم الرجل الابيض وهو زبون عندها يحاول أن يقنعها بأن تشهد ان الرجل الابيض انما فعل ذلك لان الزنجى حاول أغتصابها وهو تقدم للدفاع عنها . وترفض ليزى فى بداية الامر . ولكن البوليس يهددها بالقاء القبض عليها بتهمة البغاء اذا لم تقم بهذه الشهادة . وترضخ ليزى فى نهاية الامر . ويكتشف فرد أبن عم الرجل الابيض زنجيا آخر فى حمام بيتها . لاذ به فرارا من البيض . ويطلق عليه الرصاص من فوره . وتنتهى المسرحية بمحاولة ليزى أن تطلق النار على فرد أنتقاما للزنجى البرىء . ولكن محاولتها لا تدوم طويلا . وسرعان ماتعطى المسدس الى فرد فيضعه فى جيبه ، ثم يعدها بأن يسكنها فى بيت جميل على ضفة النهر .. وأن يكون زبونا عندها ثلاث مرات فى الاسبوع !

ولم تنجح هذه المسرحية القصيرة لضعف بنائها الدرامى، وتفككها ، والتبسيط الشديد التى رسمت بها شخصياتها . ومع ذلك فان هذه المسرحية اعتبرت جزءا من النشاط المعادى لامريكا الذى يقوم به سارتر لانها تضمنت شكلا من اشكال الدعاية ضد الاضطهاد الذى يقع على زنوج أمريكا .

على أن سارتر قدم فى عام ١٩٤٨ واحدة من اهم واشهر أعماله المسرحية كلها ، وهى مسرحية **الايدى القذرة** . واستقبلت هذه المسرحية استقبالا كبيرا عند نقاد الغرب وقام بعضهم بمقارنتها . بأعمال سوفوكليس وشكسبير وراسين ومولير ، وتريث البعض الاخر قليلا ولم يقارنها الا بأعمال أبسن وشو وآرثر ميللر ! . ولعل الدافع الى كل هذا التهليل للمسرحيـة ليس خـالصـا لوجه الفن . فالمسرحية تتناول موضوعا سياسيا مباشرا ، وان كانت قد احتفظت بالطبع بجوهرها الفلسفـى الوجودى، رأى فيه كتاب الغرب قذيفة موجهة ضد الاحزاب الشيوعية والمعسـكر الاشتراكى ، حتى فى أمريكا التى كانت تعتبر سارتر واحدا من القائمين بالنشاط المعادى لها ، ترجمت المسرحية تحت عنوان القفاز الاحمر وظلت تمثل لفترة طويلة طبقا لذلك المفهوم المعادى للاشتراكية .

ومن الخير أن نلم بموضوع هذه المسرحية التى أثارت كل هذه الضجة فى الغرب ، وربما فى الشرق أيضا .

المسرحية تتكون من سبعة مشاهد . نرى فى المشهد الاول منها هوجو المثقف الشاب الذى أطلق سراحه عام ١٩٤٥ من السجن الذى قضى فيه مدة العقوبة التى حكم عليه بها بتهمة قتل هودرر أحد زعماء الحزب الشيوعى الذى ينتمى

اليه هوجو ، وهو يحكى لصديقته ورفيقته أولجا قصة الجريمة التى ارتكبها . هى تريد أن تعرف السبب الحقيقى الذى دفعه الى القيام بهذا العمل ولديهاساعات ثلاث تناقشه فيها قبل ان يتخذ الحزب قرارا ما بشأنه . وعندما تخفت الاضواء نرتد الى الماضى .. الى عامين سابقين حيث كان هوجو يعمل بصحيفة الحزب،ويطمح فى القيام بعمل مباشر فى السياسة بدلا من الممارسة الثقافية للثورة .

وتتاح له الفرصة عندما يخبرونه ان هودرر احد اعضاء اللجنة المركزية يوشك أن يخون الحزب ، فهو يعد العدة للحصول على موافقة اللجنة المركزية على البدء فى الدخول فى مفاوضات مع الملكيين والاحرار لتشكيل جبهة موحدة ضد الالمان . وفى هذا خيانة للخط الذى يتبناه الحزب وتصفية لقضية البروليتاريا التى ينبغى أن تقوم بالانفراد بالحكم وحدها . ومن ثم يجب التخلص منه وقتله . وعلى عاتق هوجو يمكن أن تقع هذه المهمة . ويوافق هوجو . ويهيئون له العمل كسكرتير لهوجو حتى تتاح له فرصة القيام بجريمته . ووافق معه زوجته جسيكا ، التى لاتصدق أن زوجها سوف يقوم بهذا العمل . والعلاقة بينهما على كل حال ليست علاقة جادة بل هى سلسلة من عمليات الخداع . وتمضى عشرة أيام ولايقوم هوجو بما كلف به من عمل . أن لهودرر طبيعة آسرة . ويبدو ان هوجو واقع تحت تأثيره .ولكن يأتى يوم يعلن فيه هودرر ان ممثلى الملكيين والاحرار سوف يقبلون لاجراء المفاوضات وتبدأ بالفعل . وتوشك على أن تختم بنجاح طبقا

لشروط هودرر،ولكن هوجو يهاجم هذه الاتفاقية ويضع يده فى جيبه ليخرج مسدسه ليقتل الخائن هودرر،ولكن وفى هذه اللحظة تنفجر قنبلة فى مكان الاجتماع . القتها أولجاورفاقها بعد أن ظنوا أن هوجو بعد هذه المدة قد خانهم . ولكن أحدا لايموت وينفض الاجتماع .ولكن هوجو يؤذيه ان يشكوا فى صلاحيته لهذا العمل . ويدخل فى نقاش مع هودرر ليثنيه عن عزمه .ولكن هودرر مقتنع تماما بأن هذا هو الطريق الاصوب . لان انتظار وصول الروس وتخليص المدينة من النازيين مسألة فى حكم القضاء والقدر ، وحتى اذا نجحت فسيكون معنى ذلك أن الحزب قد تولى السلطة بمساعدة جيش أجنبى . ومن الخير له ان يسلك السبيل الاخر الذى يتيح له الاشتراك فى الحكم بطريقة اخرى . أن العمل السياسى فى رأيه يقتضى أن يكون الانسان مستعدا لان تكون يداه قذرتين ، مادام ذلك يوصل الى الهدف وتذهب جسيكا وتحذر هودرر من زوجها . وبدلا من ان ينزع هودرر سلاح هوجو ، يواجهه مباشرة ويقول له : هل بوسعه ان يقتل انسانا وهو هادىء مطمئن لمجرد انه يختلف معه .ثم يجرده من سلاحه فى هدوء . ويذهب هوجو الى الحديقة ليناقش الامر مع نفسه،وعندما يعود يجد هودرر يقبل زوجته . ويتصور هوجو ان هودرر انما يثق به كل هذه الثقة من أجل زوجته، بينما كانت جسيكا هى البادئة بمغازلة مفتعلة مع هودرر .ويهجم على المسدس الذى كان موضوعا على المنضدة ويطلقه على هودرر .ويموت عضو اللجنة المركزية صاحب فكرة الائتلاف مع الاحزاب البورجوازية وهويحكى للحراس انه كان يغازل زوجة هوجو ..حتى ينقذه من ايديهم .

هل قتل هوجـــو هودرر بسبب الغيرة ام ان الغيرة كانت مجرد الوقود الذى شد فى عضده حتى يقوم بقتله ؟

انه يقول أن الصدفة وحدها هى التى قتلت هودرر ، فلو لم يدخل فى تلك اللحظة الى الغرفة لما قتله . أنه يحمل جريمته على كتفيه وكأنها ليست جريمته. أنه لايعى مافعل. ولكن الامر كان قد تغير فى الحزب . لقد تغير خطه السياسى بعد ان عادت العلاقات مع الاتحاد السوفيتى . كان هودرر على حق فى رايه . ومن ثم فان الجريمة التى قام بهـــا هوجو والتى دفعه الحزب اليها أصبحت جريمة ضد الحزب ايضا ! لقد اصبـــح هودرر بطلا . وهوجو جاسوسا رجعيا ! .. وعندما نعود مرة أخرى الى المشهد الاول بين أولجا وهوجو ، يرفض هوجو ان يتبرا من فعله .وهو ما تدفعه اليه اولجا حتى يعفو عنه الحزب ! وعندما يواجه الحرس الحزبى يعلن فى نبرة عالية .. تمسكه بفعله ..

الوجودية

اسم لاتجاه او نزعة ظهرت فى تاريخ الفلسفة تنطوى على عداء للنظر المجرد الذى يطمس ما فى الحياة الفعلية من حالات التباين وعدم الاطراد . وقد يتخذ هذا العداء صورة التحليل الذاتى العميق كما هو الحال فى اعترافات اوغسطين ، او قد يأتى مثل خواطر باسكال فى صورة الاصرار على أن دعوى المنهج الرياضى فى العلوم المضبوطة بانه منهج كامل شامل للمعرفة الانسانية هى دعوى تحتمل المنازعة دفاعا عن نظرة اخرى اكثر مرونة واقل صرامة للاساليب المتنوعة المختلفة التى يستجيب بها الناس لبيئتهم الطبيعية والانسانية . ونقطة الانطلاق الاولى فى الاتجاه الوجودى هى اسبقية الوجود على الماهية . ولعل هذه النقطة هى التى تشكل القاسم المشترك الاعظم بين جميع الوجوديين . فهم بعد ذلك يتفرقون الى اتجاهات دينية كتلك التى ارتادها كيركجورد واتجاهات غير مؤمنة كتلك التى يقودها جان بول سارتر . وتركز الوجودية على كون الانسان «حرا» فى هذا الكون ، وأن حياته ليست الا « مشروعا » مستمرا يخضع لهذا المعيار الدقيق من الحرية والمسئولية .

ويصيح في وجوههم لا . **لست قابلا للاسترداد ولاصالحا للعمل !**

هذه هي الخطوط العامة للمسرحية . وعندما سئل سارتر عن مغزاها قال:انه كتب هذه المسرحية حتى يصور مشكلة العلاقة بين الغايات والوسائل في العمل السياسي ، وهو شخصيا يرافق هودرر على أنه في السياسة ينبغي أن تكون يدا الانسان قذرتين ! ولقد أحتج سارتر في عام ١٩٥٤ على التفسير المعادى للشيوعية الذى اعطى للمسرحية في الولايات المتحدة . وقال أن مسرحيته لم تكتب للهجوم على الشيوعية بل لبيان الصراع بين مجموعتين منرجالي المقاومة. وأعلنانهذه المرحلة تمثل مرحلة في تطوره السياسى تخطاها الان .

ولعل من الممكن أن نجد حتى في هذه المسرحية السياسية بعض الافكار من فلسفة مؤلفها . على الاخص في نهايتها الملتبسة . ولاشك أن فكرة الاختيار ومسئولية هــذا الاختيـــار ، وفكرة ان الانسان هو وحده الذى يعطى عمله مغزاه، بل أنه هو وحده الذى يقرر ما يجب عمله ومالايجب هى بعض الافكار التى تتردد كثيرا فىاعمال سارتر.ولا يكاد المرء يخطىءالمشابهة بين نهاية هذهالمسرحية نهاية هوجو الذى أعلن تمسكه بعمله وقد خرج ليواجه الحرس الذى يمكن ان يقتله ، ونهايةاورست الذى رفض أن يندم .. وترك آرجوس وقد حمل على عاتقه تبعة جريمته كاملة .

ولكن يظل لهذه المسرحية ، مع ذلك ، مغزاها السياسى الواضح والاصيل . وما من شك فى انها عبرت أصدق تعبير عن موقف سارتر ، وربما عن تجربته كذلك ـــ مع الحزب الشيوعى فى تلكالفترة التى كتبت فيها . ورفضه الانصياع للنظام والافكار القبلية التى يخضع لها بالضرورة عضو الحزب ، ولعلهكان يمثل ـــ وربمالازال يمثل حتىالان بدرجة ما ـــ اليسارى المستقل الذى لايتلقى التكليفات والاوامر من خارج قراره الخاص . اما هودرر الذى قتله هوجو فربما كاناصدقوصف له ماأطلقه عليه فيليب تودى .. أنه واحد من أولئك الذين اذا ماواتاهم الحظ أصبحوا مثل تيتو او جومولوكا واذا ماخانهم الحظ أصبحوا مثل ناجى أو تروتسكى

وفى عام ١٩٥١ قدم سارتر رائعة جديدة من روائعه المسرحية وهى .. **الشيطان والاله الطيب** او **الشيطان والرحمن** . وهى تدور فى المانيا ، وتستغرق أحداثها أكثرمن مائةعام، فى **عهدالاصلاح اللوثرى** . وقال سارتر عنها : أن مسرحية .. الشيطان والرحمن .. تتناول العلاقة بين الانسان والله أو العلاقة بين الانسان والمطلق .

والمسرحية تشتمل على شخصيات عديدة ، وأحداثها كثيرة مما يضفى عليها لونا من الوان التعقيد

ومع ذلك فان موضوعها فى خطه العام يمكن ان نوجزه بالصورة التالية : **فى الفصل الاول** نلتقى بالشخصية الاساسية وهى جويتز النبيل ابن الزنا الذى يرتكب الشر لذات الشر،لان الشر يستهويه، وهو يحاصر مدينة دورمز الثائرة على مطرانها المسجـــون فى مقره بزعامة الخبـــاز ناســـتى . ويذهب اليه هينريش القسيس الوحيـــد الحـــر ، بعد أن سجن سكان المدينة كل الكهنة ،ويعطيه مفتاح المدينة ويأخذه جويتز عازما على الاستيلاء على المدينة وحرقها . ويصل اليه ناستى ويقترح عليه التحالف مع الفلاحين الفقراء ، ولكن جويتز يرفض ويتباهى بفعل الشر ، فالشر هو سبب حياته . وفى تلك الاثناء يموت أخوه الشرعى ويرث هو كل الضياع التى خلفها ابوه . ولكن هينريش القس الداهية يسخر من تباهيه بارتكاب الشر ، ويقول له ان العالم مثقل بالشر حتى أن الانسان ليستحق نار الجحيم وهو راقد فى بيته ـــ فلا حاجة للهلاك اذن . لان كل شخص يرتكب الشر . ويســـأله جويتز الم يرتكب احد الخـــير اذن ؟ فيقـــول هنريش ابدا . ولذلك يقرر جـــويتز أن يكون هو صانع الخير . ويراهن هنريش على ذلك .

ويبدا جويتز فى توزيع اراضيه التى ورثها على الفلاحين الثوار . ولكن ناستى زعيمهم ، يقول له انه بهـــذا العمل يعجـــل بقيام ثورة لم تتهيأ لها الاسباب بعد . ولكن جويتز يرفض الانتظار .وهو سوف يخلق مجتمعا نموذجيا يقوم على الملكيـــــة المشتركة وما يترتب عليها من الاخاء بين البشر . وبعد ذلككان علىجويتز أنيكافح الاعمال التخريبية للكهنة الذين يقضون على الامال التى بدأت تتفتح فى قلوب شعبه فى مملكة عادلة وسعيدة فوقالارض وتنشب ثورة الفلاحين بالفعل ، ويقاومها النبلاء . ويهرع ناستى الى جويتز يرجوه أن يصبح قائدا للفلاحين حتى يتمكنوا من أحراز النصر . ويرفض جويتز قائلا انه لا يعيش الان الا بالمحبة ، لقد نبذ العنف نهائيا . ويذهب الى معسكر الفلاحينليحثهم على عدم الاستمرار فى القتال ولكن الفلاحين يسخرون منه . ويدمر الفلاحون الثائرون القرية النموذجية التى بناها لان سكانها لم ينضموا اليهم فى القتال . ولكنهم يخسرون معركتهم فقد انتصر عليهم النبلاء . وفى هذه الاثنـــاء يسرع هينريش الى جويتز ليواجهه بالفشل . لقد خسر الفلاحون حربهم كما تنبأ بذلك ناستى . ويعرض عليه ناستى أن يتولى زمام جيش الفلاحين فيتردد قليلا ثم يقبل ويرتدى ملابسه العسكرية من جديد ثم يصدر أول اوامره باعدام جميع الفارين ، ثم يقتل ضابطا آخر رفض الانصياع لاوامره .. لقد بدا من جديد حكم الانسان . ونبذ عالم اللاعنف . عالم المحبة .، عالم المسيحية .

والتحول الاساسى فى نفسية جويتز هو التحول

من الأيمان المسيحي الى الالحاد المتماسك . فعندما يواجهه هينريش بفشله يقول له : أنا وحدى أيها القسيس . انت على حق .لقد ابتهلت.لقد طلبت علامة . لقد بعثت بالرسائل الى السماء فما من جواب . لقد تجاهلت السماء حتى أسمى . لقد طلبت لحظة أثر لحظة ما استطيع ان أكون عليه فى عين الله ، والان أعرف الجواب : لاشىء أن الله لايرانى . الله لايسمعنى . الله لايعرفنى . هل ترى هذا الفراغ الذى فوق رأسك ؟ أنه الله . هل ترى هذا الشق فى الجدران ؟ أنه الله . الغياب هو الله . الله هو وحدة الانسان . لم يكن هناك احد عداى . أنا وحدى قررت الشر ، وأنا وحدى أخترعت الله .. أن الله لايوجد أنه لايوجد الفرح ! دموع الفرح ! لاتضربنى ! لقد خلصنا أنفسنا . ليست هناك سماء ليس هناك جحيم ، لاشىء سوى هذه الارض ..

والمسرحية بهذا المعنى تتضمن عنصرا أساسيا من فلسفة سارتر هو : لما كان الله غير موجود فان كل محاولات الخيرية لامعنى لها ، وليست كل محاولات الاخلاقية المسيحية التى تقوم على الاحسان وانكار الذات عديمة الجدوى فحسب بل هى ضد ماهو أجتماعى . أن الفرحة الوحيدة هى الاشتراك فى كفاح الطبقات المضطهدة حتى تمتلك مصيرها ، ان الشىء الوحيد الذى نملكه — تبعا لراى سارتر — بعد موت الاله هو أن نتقدم لخدمة البشر . وقرار جويتز النهائى بالانضمام الى ثورة الفلاحين هو أشارة الى نوع الاختيار الذى يمكن لنا أن نقوم به . ان الرسالة التى تبلغها لنا هذه المسرحية هى أنه ينبغى أن نثور على أخلاقيات اللاعنف . وان نتبنى سياسة هذا العالم الذى نعيشه ، سياسة هذه الارض ، فلقد أراد جويتز وحده وبأسلوب

هيجل

جورج فلهلم فردريك (١٧٧٠ — ١٨٣١) ولد فى شتوتجارت بألمانيا ويعد واحدا من أعظم الفلاسفة تأثيرا فى جميع العصور . وقد نشر هيجل «علم ظواهر الروح» (١٨٠٧) و «المنطق» (١٨١٢ — ١٨١٦) و «موسوعة العلوم الفلسفية » (١٨١٧) و « فلسفة القانون » (١٨٢١) وبعد وفاته نشرت محاضراته فى «فلسفة التاريخ» و «فلسفة الفن» و «فلسفة الدين » و «تاريخ الفلسفة» .

ويعد هيجل من آباء فكرة « الجدل » فى الفلسفة ، وأن اتخذت طريقا مثاليا يجعل من الوعى «مطلقا» سابقا على المادة (كتجسد الله فى شخصية المسيح كما اراد ان يبرهن) وكتجسد الفكرة المطلقة فى الدولة البروسية كما انتهى تفكيره.ويبقى لهيجل بعد ذلك منهجه التحليلى الذى يبدأ بالموضوع فنقيضه ثم المركب الجديد بينهما .

ميسر أن يصنع الخير ولكن ماذا كانت النتيجة . دمرت قريته . وخسر الفلاحون معركتهم . أما الان فعلى هذه الارض وفى هذه اللحظة الخير والشر لا ينفصلان . أنا أقبل نصيبى من الشر لارث نصيبى من الخير . وليس أمامه الا أن يظل وحيدا مع هذه السماء الجوفاء الفارغة فوق رأسه ، لانه لاتوجد طريقة أخرى ليكون بين الناس . فليس هناك الا هذه الحرب لنخوضها ، وسأخوضها .

ولقد حاول بعض النقاد ان يجدوا فى المسرحية معنى التبرير لموقف سارتر الجديد من الشيوعية . ورأوا فى الدفاع الذى تضمنته المسرحية عن القسوة السياسية دفاعا عن القسوة السياسية عند الشيوعيين . ومع ذلك فلعل المسرحية كانت تقصد الى ابعد من هذا الهدف الى الوصول الى سياسة النزعة الانسانية الجديدة التى تقوم على ممارسة العنف اذا كان ضروريا واذا كان لامفر منه . على أن سارتر قدأعلن بعدعام واحد منعرض المسرحية اى فى عام ١٩٥٢ .. ان تأييد الحزب الشيوعى هو خير خدمة يمكن أن نقدمها للجماهير .

ولقد كانت المسرحيه التالية التى قدمها سارتر هى مسرحية **نيكراسوف** شهدت الاضواء فى عام ١٩٥٦ . وهى تختلف عن سائر المسرحيات الاخرى التى كتبهاسارتر فى أن مضمونها السياسى يكشف عن نفسه مباشرة . والهدف السياسى منها لايحتاج الى استخلاصه من خلف اقنعة الرموز . وكان سارتر قد قطع على نفسه عهدا ابان مؤتمر فينا للسلام أن يخوض معركة السلام بلا هوادة . وليست هذه المسرحيه الا شكلا من الاشكال التى انجز بها وعده . واعلن فى حديث صحفى له أن العداء المنظم الذىيشنه اليمين ضد الشيوعيةيمثل اهم العقبات لتخفيف حدة التوتر الدولى . ولعله من المنطقى ان تقابل هذه المسرحية التى تفضح اليمين بشكل صارخ أن تلقى مهاجمة اليمين . وبالفعل هاجمتها أثناء العرض فرق من العصابات اليمينية .. وظلت تمثل فى الفترة القصيرة التى عاشتها على المسرح تحتحراسة الميلشيااليسارية

وموضوع المسرحية يدور حول شخصية جورج دوفاليرا المحتال الذى يطارده البوليس وكيف تخفى فى شخصية نيكرا سوف الوزير السوفيتى الذى فر من وراء الستار الحديدى موثرا الحرية . وتتبناه صحيفة يمينية تقوم على أساس الدعاية ضد الشيوعية ، حتى تساعد الحكومة فى الانتخابات . ويكتشف دى فاليرا بعد فترة أن أكاذيبه وتصريحاته لها نتائج خطيرة منها أن يسجن صحفيان يساريان بتهمة أخذ ذهب من موسكو . فيقرر أن يكشف كل شىء لصحيفة يسارية ويفضح عالم الاكاذيب الذى صنعه والذى استغلته الحكومة والدوائر اليمينية أحسن استغلال . والمسرحية من نوع الفارس،وهى ليست من هذهالناحية قوية البناء . ولكنها كانت طلقة قوية مدوية ضد اليمين الذى كان

يحاول التستر خلف الخطر الاحمر ليستمر في استغلاله للشعب

ولقد كانت آخر أعمال سارتر المسرحية ، هي **سجناء الطونا** التي صدرت عام ١٩٦٠ ويعتبرها بعض النقاد انضج أعمالها وأعظمها جميعا .

وبطل هذه المسرحية هو فرانتز فون جرلاخ ابن لواحد من أباطرة الصناعة الالمانية والوريث الاول لامبراطوريته الضخمة . ولكن فرانتز يسجن نفسه سجنا اراديا منذ ثلاثة عشر عاما بعد أن عاد من الجبهة البولندية ابان الحرب العالمية الثانية هاربا على أثر ابادة كتيبته كلها . وهو لم يعد سوى العقل . فقد خالط ذهنه نوع من التشوش والاضطراب بسبب ماأصاب بلاده من هزيمة وبسبب المحاكمات التى عقدت لمجرمى الحرب فى نورمبرج . وهو لايلتقى بأى فرد من أفراد عائلته سوى أخته لينى التى تحبه والتى يمارس معها علاقة جنسية كاملة . وهو يعتقد فى عزلته أن المانيا لم تزل كما كانت أثناء الهزيمة مهلهلة رازحة تحت نيران الدمار وهناك فى غرفته صورة لهتلر يقذف عليها القواقع الفارغة . وهو نفسه يرتدى حلة الضابط النازى التى كان يرتديها أثناء الحرب .

أما والده ، فيكتشف أن ماتبقى له من الحياة لايزيد عن ستة أشهر ، نظرا لاصابته بسرطان الحلق ، وهو يحاول الاتصال بابنه ويبعث له الرسائل تلو الرسائل مع لينى ولكنه يشك فى انها توصلها اليه اصلا . وهو يلجأ الى زوجة ابنه الاخر فرنر وأسمها جوهانا لتعاونه فى الاتصال بفرانتز . ويعطيها الاشارة السرية التى يفتح بهـا فرانتز بابه لاخته لينى . وتقبل جوهانا القيام بهذه المهمة لان الاب كان قد قطع على زوجها ابنه عهدا بألا يغادر الطونا بعد موته وأن يظل بالقرب من أخيه حتى يرعاه . ولكن جوهانا تسأل : لماذا حبس فرانتز نفسه فى هذه الغرفة المغلقة . يقول لها الاب أنه ذات يوم قام شجار بينه وبين ضابط أمريكى حاول اغتصاب أخته وقتلت أخته الضابط فى هذا الشجار ، وتحمل فرانتز القضية على عاتقه ، ولكنه أى والده استطاع الحصول على تصريح له بالسفر الى الارجنتين .. ولكن فرانتز يرفض ذلك

وحكاية اخرى حكاها لها الاب . فقد وافق ذات يوم على اقامة معسكر لتعذيب الاسرى وابادتهم فوق أرضه ، ولكن فرانتز أخفى فى بيته كاهنا بولنديا هرب من معسكر الابادة . واضطرهو — الاب — أن يبلغ جوبلز بهذا الامر . وأعيد الكاهن الى معسكر الابادة وأعدم أمام عينى فرانتز . فذهب بعد ذلك الى الجبهة الشرقية بحثا عن الموت .

واقتنعت جوهانا بأن تذهب الى فرانتز . وعندما دخلت الى غرفته وجدته فى بزته النازية يقف أمام محكمة وهمية من المحار يدافع عن جريمة العصر كله أمام السكان الوحيدين فى القرن الثلاثين وهم المحار ، واخبرته جوهانا ان المانيا قد تغيرت . . لم تعد ترزح تحت وطأة الهزيمة . . ويخبرها فرانتز أن جريمته هى أنه رفض أن يعذب سجينين روسيين ، وتصدقه جوهانا وتتعاطف معه . ولكن لينى تدخل فى هذه اللحظة . وهى تريد أن تحطم العلاقة التى توشك أن تبدأ بين فرانتز وزوجة أخيه ، وهى تريد الاحتفاظ به لها وحدها فى غرفته التى لايدخلها أحد غيرها ، فتخبر جوهانا على الفور أن فرانتز كاذب وأنه قد عذب بالفعل أسراه . فتبتعد جوهانا على الفور وتحاول لينى بعد ذلك اقناعه بمقابلة أبيه بأن تريه صحيفة تتحدث عن المعجزة الاقتصادية الالمانية ويوافق فى النهاية .

ويشكل هذا اللقاء بين فرانتز والاب ذروة المسرحية ونقطة الالتقاء بين عناصرها الكثيرة المتشابكة . أن فرانتز لايعرف أن اباه على علم منذ ثلاث سنوات . بالمذبحة التى ارتكبها مع الاسرى . أنه يخبر والده أنه قد عذبه بابلاغ جوبلز بمكان الكاهن البولندى وأنه كان يحس العجز الكامل وهو يرى الكاهن يعدم أمام عينيه . وهو لذلك — ونتيجة لهذا العجز — تقبل السلطة التى منحت له بوصفه ضابطا من ضباط هتلر كوسيلة للهرب من مسئوليته عن ذلك العجز ، واستغل هذه السلطة فى تعذيب السجناء . ويفهمه الاب ويسامحه . ولكن الحقيقة الاخرى التى كانت تبرر له جرمه وهى انهيار المانيا ودمارها قد أنتهت . لقد نهضت المانيا من جديد . أصبحت قوة اقتصادية كبرى . ما الذى يبقى له مبررا لما قام به من عمليات التعذيب اذن ؟ لاشىء . ومن ثم يقرر الانتحار مع أبيه تاركا لجوهانا على شريط مسجل رسالته الى القرن الثلاثين . بينما تصعد لينى الى غرفته المغلقة لتحل مكانه .

ولكن هذه الخطوط العامة السريعة لاتكشف عن جوهر هذه المسرحية الكثيف والمعقد الشديد الخصوبة والغنى . لقد اكتشف معظم نقاد سارتر أن هذه المسرحية فى نسيجها المتشابك لاتقتصر على تناول الفحشاء والتعذيب والانتحار ، بل تتناول أيضا الرغبة فى التملك وسوء الطوية ، وطبيعة الراسمالية الحديثة فضلا عن أنها من الناحية السياسية تعتبر أهم أعماله طموحا فهى تمثل أكبر نجاح توصل اليه فى استخدام المسرح للتعبير عن مجادلات يسارية مقنعة

ولعلنا يمكن أن نقول أن الخلفية الاساسية لهذه المسرحية من الناحية السياسية كانت مسألة التعذيب فى الجزائر . فسارتر يكشف هنا كما راى تودى بحق أنه مهما كان المبرر للتعذيب فهو ليس الا جريمة فردية ضد القانون العام ، وأن الضباط الفرنسيين الذين يضحون بشرفهم العسكرى من أجل النصر بتعذيب الابطال فى الجزائر سيجدون

أنفسهم فى موقف مأساوى وعابث شأن فرانتز فون جرلاخ، ومن ناحية أخرى فان المسرحية شأن مسرحيته السابقة ((**جلسة سرية**)) تكشف من الناحية الفلسفية والسيكولوجية عن مفهومه حول استحالة التواصل بين الذاتيات الانسانية المختلفة . أن الاب نجح فى أن يرى فرانتز ، ولكن ليكتشف انه لاتواصل بينهما الا فى الموت ونجحت جوهانا فى أن تدفع فرانتز الى تحطيم عزلته والخروج من غرفته، ولكنها وقعت فى حبه ، وكان حبا مستحيلا ، ونجحت لينى فى أن تحول بين جوهانا وبين فرانتز ، وأن تحتفظ به ملكا لها ، ولكنها فقدته هى أيضا بقرارها أن جميع الشخصيات واقعة فى أسر لامهرب منه . وليس هذا نتيجة منطقية لنظرية سارتر حول استحالة التواصل الانسانى فحسب ، بل هو يرتبط أعمق الارتباط بمفهومه عن طبيعة الرأسمالية وتفسخها وانهيارها .

وبعد . فلعل هذه الجولة السريعة فى عالم سارتر الادبى تكشف لنا لمحة من هذا العالم الواسع والرحب والعميق . ولاشك أن هيدجر لم يخطىء حينما وصفه بأنه كاتب ممتاز ، ولكنه أخطأ ولاشك حينما حكم عليه بأنه ليس فيلسوفا . فسارتر فيلسوف أصيل من فلاسفة الوعى الانسانى وأدبه أدب فلسفى ، وفلسفته ذات طبيعة درامية محسوسة . ألم تكن ايريس موردوخ اذن على صواب حينما قالت فى بداية كتابها عنه : أن تفهم شيئا عن سارتر معناه أن تفهم شيئا هاما عن عصرنا الراهن ؟

القسم الثالث

سارتر .. سياسيا

يتساءل

كثير من الناس عن موقف سارتر وآرائه السياسية .. هل هو شيوعى ؟ هل تخلى عن الوجودية، التى ذاعت شهرته بها بعد الحرب، واعتنق الماركسية ؟ .

هذه الاسئلة من الطبيعى ان تتردد على السنة الناس . فجان بول سارتر مفكر من أبرز مفكرى هذا العصر ، واديب أسهم مساهمة كبيرة فى غالبية فروع الادب . ولكن هذه الاسئلة لا يمكن الاجابة عليها ببساطة فى بضع سطور .. ولكننا سنحاول الاجابة عليها فى هذه الصفحات من خلال ماكتبه ((**سارتر**)) نفسه ، وبخاصة مقاله الهام الذى كتبه فى سنة ١٩٦١ عن صديقه الفيلسوف الفرنسى ((**ميرلوبونتى**)) ، والذى شرح فيه تطوره السياسى ، وايضا من خلال ماكتبته رفيقة حياته الكاتبة **سيمون دى بوفوار** فى مذكراتها ((**قوة الاشياء**)) التى تخصص منها جزءا كبيرا لتحليل مواقف سارتر وفكره .

وقد يبدو للبعض لاول وهلة ، ان التاريخ السياسى ((بجان بول سارتر)) ملىء بالمواقف المتناقضة ، فهو تارة يهاجم الشيوعيين ، وتارة يصادقهم . ولكن عند التدقيق فى مواقف سارتر السياسية وفكره ، نجد خلف هذه المواقف المتناقضة فى الظاهر ، يكمن عنصر الاستمرار والاطراد .

صحيح ان موقف سارتر السياسى فى **سنة ١٩٤٨** يختلف عن موقفه فى **سنة ١٩٥٢** أو موقفه **الان** ، كما ان موقفه الفلسفى فى كتابه ((**الوجود والعدم**)) يختلف عن موقفه الفلسفى فى كتابه ((**نقد العقل الجدلى**)) . ولكن من خلال هذا التطور المستمر فى مواقفه ، وهذا الاثراء الدائم فى فكره ، توجد أفكار أساسية مستمرة وثابتة . ولنأخذ لذلك مثلا : فى اثناء حركة المقاومة ضد الاحتلال الالمانى لفرنسا ، كان سارتر يتعاون مع الشيوعيين وكانت علاقاته بهم ودية للغساية ؛ وبعد الحرب وقع الجفاء بينه وبينهم ، وازدادت العداوة فى سنة ١٩٤٨ — ١٩٤٩ عندما انضم الى ((**التجمع الديمقراطى الثورى**)) ، وفى سنة ١٩٥٢ أعلن سارتر وقوفه بجانب الشيوعيين وانه رفيق كفاحهم ، واستمر ذلك حتى وقعت الاضطرابات فى ((**المجر**)) وتدخل الاتحاد السوفيتى لقمعها ، فأدان الاتحاد السوفيتى وهاجم الحزب الشيوعى الفرنسى لتأييده هذا التدخل . ثم فى السنوات التالية أعلن أنه ماركسى وان الماركسية فلسفة العصر .

ولكنه خلال جميع هذه المواقف لم يتبدل موقفه، وهو الدفاع عن الاشتراكية ، والكراهية الشديدة التى يكنها للبورجوازية . فهو عندما كان ينتقد **الستالينية** كان ينتقدها من زاوية الاشتراكية . وعندما أدان موقف الاتحاد السوفيتى فى المجر ،

قال انه يدين هذا الموقف لانه ليس في مصلحة الاشتراكية . وعندما رفعت الدول الرأسمالية عقيرتها بالاحتجاج،وندد اليمين بالاتحاد السوفيتي أعلن سارتر ان البورجوازية ليس لها حق التنديد بموقف الاتحاد السوفيتي ، وانه لكي يقف المرء في موقف الناقد له ، يجب اولا ان يقبل بمشروعه وينتقده من زاوية هذا المشروع ، وبمعنى آخر انه لكي يكون للمرء الحق في نقد الاتحادالسوفيتي يجب أولا أن يقبل الاشتراكية .

أحدثت الحرب في «**سارتر**» تغييرا حاسما . لقد كان قبل الحرب يكره الرأسمالية ويتمنى هزيمتها ، ولكنه لم يكن يتمنى قيام مجتمع اشتراكي يحرمه — كما كان يعتقد — من حريته . كتب في مذكراته في يوم **١٤ سبتمبر سنة ١٩٣٩ : «هاأنذا قد شفيت من الاشتراكية ، اذ كنت بحاجة الى ان أشفى منها » (١)** .

غير انه في عام ١٩٤١ بعد احتلال الالمان لفرنسا ، اشترك في تأسيس جماعة من المثقفين لتنظيم المقاومة ضد الاحتلال الالماني ، جمعت تعميدا لها ، كلمتي « اشتراكية وحرية » . لقد توصل الى الاشتراكية من خلال نضاله ضد الاحتلال الالماني وضد المتعاونين معهم ، واكتشف من خلال هذا النضال فساد القيم البورجوازية . فكتب مستعرضا تلك الفترة من حياته في مقاله عن

بلزاك

اونريه دى بلزاك (١٧٩٩ — ١٨٥٠) روائي فرنسي ولد في اسرة برجوازية في « تور » . واهل كثيرا في صباه . درس القانون ثم اتجه الى التأليف الادبي.قضي حياته في عمل مستمر وعاش مع ذلك غارقا في بؤسه وديونه . له مجموعة روايات وقصص قصيرة بعنوان « الكوميديا الانسانية » (١٨٣٢ — ١٨٤٧) يصف فيها المجتمع الفرنسي بكل فئاته ومختلف حرفهم ومهنهم وصناعاتهم . ومن اشهر روايات هذه المجموعة « اوجيني جرانديه » (١٨٣٣) و « الاب جوريو » (١٨٣٥) . امتاز ادبه بقوة الملاحظة وحدة الخيال والسخرية اللاذعة.الف بعض الروائع من القصة القصيرة ولكن محاولاته في المسرحية فشلت . كان يحاول ان يعيش في الواقع كثيرا مع احداث رواياته الخيالية ليتقن وصفها .

« ميرلو — بونتي » الفيلسوف الفرنسي : **« في عام ١٩٤١ تشكلت في كل مكان تقريبا من أرض بلادنا ، روابط مثقفين تزعم انها تقاوم العدو المنتصر . وقد انتميت الى احدى هذه الروابط (الاشتراكية والحرية) . كانت مشاربنا وتقاليدنا وضميرنا المهني ، نحن المترعرعين في احضان البورجوازية الصغيرة الجمهورية ، تدفع بنا الى الدفاع عن حرية القلم . وعبر هذه الحرية اكتشفنا سائر الحريات .. واصيبت — وحدتنا الصغيرة التي ولدت من الحماسة — بالحمى وماتت بعد عام نظرا لانها لم تكن تعلم ماعليها ان تفعل . وواجهت سائر الروابط في المنطقة المحتلة المصير نفسه ، لذات السبب بلا ريب ، فلم تبق منها واحدة عام ١٩٤٢ .وبعد ذلك بفترة وجيزة ، جمعت الديجولية والجبهة الوطنية شمل هؤلاء المقاومين الاوائل»(٢)**.

ومالبث ان اعتقله الالمان ، وتركت تجربته في الاسر أثرا عميقا في نفسه ، لقد علمته التضامن والمشاركة في حياة الجماعة .

كتبت « **سيمون دى بوفوار** » عن الاثر الذي أحدثه الاسر في نفسه وتفكيره : **« جاءت حرارة الرفقة وصداماتها لتحل التناقضات التي تعانيها نزعته المناهضة للانسانية .. انه بعد الان ، لا يدرك الفردية والجماعية الا مرتبطتين ، بعد أن كان ينصب احداهما في وجه الاخرى .. وهو سوف يحقق حريته لا بأن يلتزم التزاما ذاتيا الموقف المعطى ، بل بأن يغيره ، موضوعيا ، ببناء مستقبل منسجم وامانيه . وقد كان هذا المستقبل باسم المبادىء الديمقراطية نفسها التي كان مرتبطا بها ، هو الاشتراكية ، التي كان قد ابعده عنها ، الخوف وحده من أن يضيع فيها . أما الان فقد كان يرى فيها حظ الانسانية الوحيد ، وشرط اكتمالها الخاص في وقت واحد » (٣)** .

وقد أعطى فشل حركة « الاشتراكية والحرية » لسارتر درسا في الواقعية السياسية ، لقد تعلم ان الفعالية السياسية لا توجد الا حيث وجدت الجماهير . وانضم سارتر الى الجبهة الوطنية . وكانت علاقته مع رجال المقاومة الشيوعيين ودية للغاية . وبعد ذهاب الالمان ، حرص على ابقاء هذه العلاقات . وقد هاجمه الكتاب اليمينيون بسبب علاقاته مع الشيوعيين ، وفسروا موقفه بالتحليل النفسي ، فوصف بانه يعاني من عقد النقص والطفولية ، والحنين الى الكنيسة .

وتشرح « **سيمون دى بوفوار** » موقف سارتر من الشيوعيين في تلك الفترة فتقول : **« كانت**

---

(١) نقلا من كتاب « قوة الاشياء » لسيمون دى بوفوار
(٢) ميرلو — بونتي حيا : جان بول سارتر
(٣) قوة الاشياء : سيمون دى بوفوار

لجماهير تسير وراء الحزب الشيوعي ، ولم تكن الاشتراكية تستطيع ان تنتصر الا به . وكان سارتر من جهة أخرى يعرف الان ان علاقته بالبروليتاريا ، تضعه هو نفسه موضع السؤال بصورة جذرية . لقد اعتبرها دائما الطبقة العالمية .. والعالمية التي كان يصبو اليها كمثقف بورجوازي ، انما كان يستطيع ان يكسبه اياها الرجال وحدهم الذين كانت تتجسد فيهم على الارض . كان قد ادرك ما عبر عنه فيما بعد ، عام ١٩٥٢ — في دراسته ((الشيوعيون والسلام)) — من أن وجهة النظر الحقيقية في الاشـــياء ، انما هي وجهة نظر المحرومين ، ان الجلاد يمكن ان يجهل مايفعله ، اما الضحية فتعاني ، معاناة لا ترد ، المها وموتها ، ان المضطهد هو حقيقة الاضطهاد)) .

وتستطرد سيمون دى بوفوار في شرح موقف سارتر فتقول : انه كان يريد التعاون معهم ، ولكنه لم يفكر قط في الانضمام الى الحزب الشيوعي : ((لانه أولا كان مستقلا أكثر مما ينبغي ، وكان له على الخصوص ، خلافات ايديولوجية مع الماركسيين كان الديالكتيك ، كما كان يتصوره آنذاك ، يهدمه كفرد ، وكان هو يؤمن بالحـــدس الظاهر الذي يعطي الشيء مباشرا ((لحما وعظما)) . وبالرغم من انه مرتبط بفـــكرة (التطبيق) . فانه لم يرد ان يترك — ولم يترك قط — مفاهيم السلبية ، والاستبطانية والوجود ، والحرية ، التي درسها في كتابه ((الوجود والعدم)) . وكان يحرص على انقاذ البعد الانساني في الانسان ضد ماركســية معينة كان الحزب الشيوعي يدعوا اليها . وكان يأمل ان يعطي الشيوعيون وجودا اقيم النزعة الانسانية ، وسيحاول بفضل الوســـائل التي سيستعيرها منهم ، ان ينتزع من البورجوازيين النزعة الانسانية . وسوف يتناول الماركسية من وجهة نظر الثقافة البورجوازية ، فيموضع هذه — بصورة معكوسة — في منظور ماركسي .. وعلى الصعيد السياسي ، كان يفكر بأن ((الانصار)) كان عليهم ان يمثلوا خارج الحزب الشيوعي الدور الذي كانت المعارضة تضطلع به داخل الاحزاب الاخرى ، التأييد مع النقد)) (٤) .

ولكن مالبث ان احتدم صراع الطبقات ، وبدأ الصدام بين اليمين واليسار يظهر بشكل سافر ، وتبددت الاحلام التي ولدتها المقاومة عن امكان التعاون بين القوى المشـــتركة فيها ، ورفعت الرجعية رأسها بعد ان ظن الجميع انهـا صفيت سياسيا بتصفية النازية . وكان سارتر ما يزال يعتقد ان بامكانه اقامة تعاون بين اليســـار المثقف : ((كنا منحدرين من الطبقات المتوسطة ، فحاولنا ان نقيم صلة الوصل بين البورجوازية الصغيرة المثقفة والمثقفين الشيوعيين)) (٥) .

ثم تسرد سيمون دى بوفوار الاحداث التي ادت الى نشوب أول نزاع بين سارتر والشيوعيين : ((لم تلبث موجة الحب والثناء التي ظهرت في خريف عام ١٩٤٤ ان انحسرت . وكان اقصى اليمين قد بدأ يخرج من التحفظ ، مع بعض الاحتياطات ، فكان يصب افتراءاته على سارتر بشكل مقالات نقدية هجائية ، واشاعات واحاديث خبيثة . لقد كان سارتر ينتزع نفسه من طبقته ، فكان العداء الذي تكنه له طبيعيا . ولكن موقف الشيوعيين هو الذي اصابه بالدهشة . فقد كانت الوجودية بعيدا عن التصوف والعدمية ، تعرف الانســـان بالعمل . ولئن كانت ترصـــده للضيق والقلق ، فبمقدار ماكانت تحمله من مسئوليات ، والامل الذي كانت ترفضه له ، هو الثقة الكسلى بشيء آخر غير نفسه . كانت اذن تتوجه الى ارادته . وكان سارتر واثقا من ان الماركسيين لن يعتبروه بعد هذا خصما لهم)) (٦) . بيد أن الشيوعيين تصلبوا في موقفهم منه . وكتب ((هنرى لوفيفى)) الفيلسوف الشيوعي — وقتذاك — مقالا في مجلة ((اكسيون)) اتهم سارتر فيه باضاعة الوقت في ((الوجود والعدم)) وذلك بالتدليل على اشـــياء مفروغ منها بالنسبة للماركسي ، وانه يســـد الطريق على كل فلسفة للتاريخ ويخفي على قرائه المشـــكلات الحقيقيـــة . ودعا ســـارتر لمقابلة «جارودى» احد فلاسفة الحزب الشيوعي حيث اتهمه بالمثالية وبأنه يصرف الشباب عن الماركسية . وتوقف الشيوعيون عن الكتابة في مجلة ((التايم مودرن)) (الازمنة الحديثة) التي اصدرها سارتر في أواخر سنة ١٩٤٥ . ولكن سارتر كان يتمنى مع ذلك الا تنقطع صلته بهم : ((كانت لنا اهداف الشيوعيين نفسها وكانوا هم وحدهم القادرين على تحقيقها . وفي الصراع الذي انتصب فيـــه توريز (سكرتير الحزب الشيوعي وقتذاك) في وجه ديجول ، انحزنا الى جانب الاول)) (٧) .

وتتابع (سيمون دى بوفوار) حديثها : ((لاشك ان سارتر كان ما يزال بعيـــدا عن فهم خصوبة الفكرة الديالكتية والمادية الماركسية . وقد دل على ذلك بالكتب التي نشرها في ذلك العام (بودلير — وتأملات في القضية اليهودية) . وقد كان سارتر ينتقد في دراسته (المادية والثورة) ، فكرة ديالكتية الطبيعة ، بحجج أقل قيمة من حجج اليوم ، ولكنها مستوحاة من المبادىء نفسها . وكان يحلل المادية ،

---

(٤) المصدر السابق
(٥) ميرلو — بونتي حيا : جان بول سارتر
(٦) قوة الاشياء : سيمون دى بوفوار
(٧) المصدر السابق

في قوتها وضعفها ، باعتبارها اسطورة ثورية . وكان يشير الى المكان الذي تفسحه الثورة بالضرورة وبالفعل لفكرة الحرية . وقد كان تفكيره في تلك الاثناء ضيقا لانه كان مترددا في موضوع العلاقة بين الحرية والموقف ، وكان اكثر ترددا حول موضوع التاريخ . كانت فلسفة سارتر أقل عمقا من النظرية الماركسية في بعض النقاط ، واكثر تطلبا منها في نقاط اخرى ، ولكنها لم تناقضها جذريا » (٨) .

وكان سارتر يتمنى متابعة الحوار مع الشيوعيين ولكنهم رفضوا ذلك . وهو يرى ان الجمهور البورجوازي افسد معنى الوجودية ، بالصورة التي استخلصها عنها ، فقد رأى فيها ايديولوجية ابدال . وكذلك فعل الشيوعيون .

وتتساءل « سيمون دي بوفوار » ، عما اذا كان الموقف السياسي هو الذي فرض عليهم هذا التعصب ؟ ثم تجيب بأن الامر كان سواء ، فان حوارا مع سارتر كان ممكنا ، من الوجهة الفكرية، ولكن الشيوعيين فضلوا ان يستخدموا لحسابهم الشتائم التي كان يصبها اليمين على سارتر ، مثل: شاعر الوحل ، وفيلسوف العدم واليأس . وكان المثقفون الشيوعيون يشنون عليه حملة ضارية . كانوا يرون انه يزداد عليهم خطرا بقدر مايقترب منهم . وقد قال له « جارودي » الفيلسوف الشيوعي : « انك تمنع الناس من ان يجيئوا الينا » . وقالت له الكاتبة ايلسا تريوليه زوجة الشاعر الشيوعي آراجون : « انك فيلسوف ، فانت اذن ضد الشيوعية » . وقد نعت جارودي سارتر بأنه « حفار قبور الادب » ، أما « كانابا » فقد وصف الوجوديون في كتابه « الوجودية ليست فلسفة انسانية » بأنهم فاشيون وأعداء البشر .

وقرر سارتر الا يلتزم الصمت بعد ذلك .. ولم يكن ثمة مفر من هذا الانشقاق مادام قد كتب في « ماهو الادب » ؟ — التي كانت مجلة « الازمنة الحديثة » تنشرها وتتداك تباعا — يقول : « ان سياسة الشيوعي الستاليني لا تتطابق مع الممارسة الشريفة للمهنة الادبية » . وكان يأخذ على الحزب الشيوعي نزعته العلمية البدائية ، وتذبذبه بين النزعة المحافظة والانتهازية ، والنفعية التي تنحط بالادب الى درجة تحويله الى دعاية . وتعلق « سيمون دي بوفوار » على ذلك : « كان سارتر ، وهو المشبوه في نظر البورجوازيين ، والمفصول عن الجماهير ، يحكم على نفسه بالا يكون له جمهور ، وانما قراء فحسب ، وهذه الوحدة ، كان يتقبلها طائعا لانها كانت تتملق نزعته الى المغامرة . كان الشيوعيون اذ يرفضونه ، يرصدونه سياسيا للعجز » (٩) . ويحدد سارتر موقفه السياسي في تلك الفترة بعد ذلك بسنوات : « كنت على يمين ميرلو — بونتي ، وعلى يسار كامي .. هذين الصديقين اللذين سينحيان على كلاهما باللائمة بعد حقبة وجيزة لصداقتي مع الشيوعيين » . ثم يعلن : « لم يخطيء المثقفون الشيوعيون . فما أن انتهت هدنة ١٩٤٥ حتى هاجموني : كان فكري السياسي مشوشا ، وكان من الممكن ان تكون أفكاري ضارة » ويستطرد قائلا : « كان ممكنا ، في عام ١٩٤٥ ، الاختيار بين موقفين لا أكثر . الاول والأفضل هو التوجه الى الماركسيين ، اليهم وحدهم، وفضح الثورة المخنوقة في المهد والمقاومة المذبوحة وتمزق اليسار .. لكن لفضح الثورة المخنوقة كان لابد ان نكون ثوريين ، كان (ميرلو) قد كف عن ان يكون كذلك ، ولم أكن انا قد اصبحت بعد كذلك . لم يكن لنا الحق حتى في ان نعلن اننا ماركسيون ، بالرغم من تعاطفنا مع ماركس . والحال ان الثورة ليست حالة نفسية ، انها ممارسة يومية تنير السبيل امامها نظرية ما . واذا كان لا يكفي ان يكون المرء قد قرأ ماركس حتى يصبح ثوريا ، فانه ينضم اليه عاجلا أم آجلا عندما يناضل من أجل الثورة .. أثوريون نحن ؟ هيا ، فلندع المزاح جانبا ! فالثورة لم تكن تبدو آنذاك الا أسطورة محببة ، مثالا كانتيا الى حدما . كنت أردد الكلمة باحترام ، ولم أكن اعرف شيئا عن الموضوع . كنا مثقفين معتدلين ، فاجتذبتنا المقاومة

مالارميه

ستيفان مالارميه (١٨٤٢ — ١٨٩٨) شاعر فرنسي ذو آراء خاصة في نظم الشعر ، كان يكون واضحا كل الوضوح ، وان يقتبس الكثير من الموسيقى ، وبخاصة موسيقى فاجنر، ويحب ان يعبر عن السمو . تتميز لغته بعدم تقيدها بقواعد ، او شكل يؤدي الى غموضها وصعوبة فهمها . اشهر قصائده « الفون بعد الظهر » « الفون مخلوق خرافي له شكل انسان وحوافز عنزة » ويعد مالارميه الرائد الاول لجماعة الرمزيين ، الذين كانوا يستمعون الى اشعاره وهم في سن الشباب ، وكان يجمعهم في مسكنه كل ثلاثاء بعد الظهر ليقرأ عليهم شعره. ظهرت مجموعة لشعره ١٨٨٧ وله مختارات نثرية ١٨٩٧ .

(٨) المصدر السابق
(٩) المصدر السابق

الى اليسار . لكن ليس تما فيه الكفاية . ثم ماتت. فهل كان بوسعنا ان نكون غير اصلاحيين ، وهل كنا غير اصلاحيين بعد أن اضطررنا الى الانكفاء على ذواتنا ؟ يبقى الموقف الاخر . لم يكن في اليد خيار ، فقد فرض نفسه فرضا . وحاولنا ، نحن الخارجين من الطبقات المتوسطة ، ان نكون صلة الوصل بين البورجوازية الصغيرة المثقفة ، وبين المثقفين الشيوعيين . لقد ولدتنا هذه البورجوازية، فكان ارثنا منها ثقافتها وقيمها . لكن الاحتلال والماركسية ، علمانا انه لا ثقافتها ولا قيمها أمر مسلم به . كنا نطلب من اصدقائنا في الحـزب الشـيوعي الادوات الضرورية لننتزع من البورجوازيين المذهب الانساني . كنا نسأل جميع الاصدقاء اليساريين ان يشاركونا هذا العمل . كتب ميرلو بونتى : (لم نكن على خطأ عام ١٩٣٩ عندما اردنا الحرية والحقيقة والسعادة وعلاقات شفافه بين البشر ، ولم نتخل عن المذهب الانساني . لكن الحرب علمتنا ان هذه القيم تظل لفظية .. من دون بنية تحتية اقتصادية وسياسية تفتح لها باب الوجود) . أنا ادرك ان هذا الموقف ، الذى يمكن وصفه بانه تخيرى ، لم يكن قابلا للحياة مع مر الزمن ، لكنى ادرك أيضا ان الوضع الفرنسى والدولى كان لا يسمح بموقف غيره » (١٠) .

ويصف « سارتر » العملية التى كان يقوم بها ميرلو — بونتى لخلق فكر يسارى : «وكان قد شرع (يقصد ميرلو — بونتى) من جهة — كما فعل غيره في بلاد اخرى في الحقبة نفسها تقريبا — بمواجهة واسعة النطاق ، فراح يضع مفاهيمنا المجردة على محك الماركسية التى كانت تتحول الى ماركسية حقا بمجرد ان تتمثل هذه المفاهيـم . والمهمة اليوم أيسر واسهل، وذلك لان الماركسيين — سواء كانوا شيوعيين ام غير شيوعيين — قد اخذوها على عاتقهم ، لكنها كانت عـام ١٩٤٨ شائكة للغاية .. كان علينا ان ندافع عن العقيدة الماركسية ، دون ان نخفى تحفظاتنا وترددنا ، وان نقطع شوطا من الطريق مع رفاق كنا نؤكد لهم تعاطفنا معهم وكانوا ينعتوننا بالمقابل بمثقفين وشاة » . ثم يبدى سارتر رأيه في هذه المحاولات فيقول : « ادى ميرلو — بونتى العمل على الوجه المطلوب .. ليضع الاسس الاولى ، عبر ماركس وبتخطيه ، لما سماه احيانا بـ « فكر يسارى » . لكنه بمعنى ما ، قد اخفق ، فالفكر اليسارى انما هو الماركسية لا أكثرولا أقل . لكن التاريخ يستعيد كل شيء باستثناء الموت ، فاذا كانت الماركسـية في سبيلها الى ان تصبح اليوم كل فكر اليسار ، فنحن مدينون بذلك بالدرجة الاولى لجهود قبضة من الرجال كان هو منهم » (١١) .

التجمع الديمقراطى الثورى

دامت الهدنة سنتين، ثم اعلنت الحرب الباردة. وتقدمت الولايات المتحدة **بمشروع مارشال** لفرض سيطرتها على اوروبا . ورفض « **مولوتوف** » — وزير خارجية الاتحاد السوفييتى في ذلك الوقت — المشروع ، ولكن اقلية ضئيلة جدا من اليساريين ايدت موقف الشيوعيين . وكان سارتر وميرلو — بونتى هما الوحيدين تقـريبا من بين المثقفـين اليساريين اللذين اعتنقا وجهة نظر الشيوعيين عن « **الفخ الغربى** » وببداية الحرب البـاردة بدأت البورجوازية الفرنسية تتجمع ، فأعلن **الجنرال ديجول** انشاء « **تجمع الشعب الفرنسى** » . وفي نفس الوقت كان بعض اليساريين يعمـل على توحيد جميع العناصر الاشتراكية غير المتحالفة مع الشيوعيين . وقد دعى سارتر الى الاشتراك في هذه الحركة وحرر هو **ودافيد روسيه** — الذى كان تروتسكيا قبل الحرب (ويرأس الآن تحرير جريدة الفيجارو الادبية اليمينية) — **وجيـدار روزنتال** ، بيان تكوين « **التجمع الديمقـراطى الثورى** » في فبراير سنة ١٩٤٨ ، وعقدوا مؤتمرا صحفيا يوم ١٠ مارس، ناقشوا فيه فكرة «**الحرب ليست حتمية**» .

وقد شرح « سارتر » اسباب انضمامه الى « التجمع » بعد ذلك بسنوات فقال : **ولد « التجمع الديمقراطى الثورى » كوسيط محايد بين الكتل ، بين الفصيلة المتقدمة من البورجوازية الصغيرة ، وبين العمال الثوريين ، وعرض على ان انتسب اليه ، واقنعت نفسى بأن اهدافه هى اهدافنا**»(١٢)

وبين الدوافع الذاتية التى دفعته الى الانضمام الى التجمع : « **ان مقال (ما هـو الادب ؟) قد قادنى الى « التجمع الديمقراطى الثـورى » . لنفرض ان هذا التناقض الذى اعيش فيه (وانا حائر بين البورجوازية والبروليتاريا) — والذى ادرك الآن انه « من العصر » بدلا من ان يمنحنى حرية ومحتوى ايجابى ، ليس الا التعبير عن شكل خاص جدا (المثقف المتعاطف مع الاشتراكية) ، ولنفرض ان المسـتقبل يبتلعه ؟ اننى بالاجمـال**

(١٠) ميرلو — بونتى حيا : جان بول سارتر
(١١) المصدر السابق
(١٢) المصدر السابق

متأرجح بين فكرتين : الاولى — ان وضعي ذا الامتياز يعطيني الوسيلة للقيام بتركيب الحريات الشكلية والحريات المادية، والثانية — ان وضعي المتناقض لايعطيني اية حرية؛انه يعطيني الشعور البائس، هذا كلما في الامر . وما يزول في الحالة الثانية ، انما هو تفوقي . فأنا لا افعل سوى ان اعكس وضعي . واتجاه جميع جهودي السياسيةهو ايجاد ((التجمعالديمقراطي الثوري)) الذي يعطي تفوقي معنى ، والذي يثبت حين يوجد ((التجمع)) ان وضعي المتمزق هو وضعي الحقيقي . على اني اذا كنت مخطئا ، فانوضعي هو من الاوضاع التي يستحيل فيها التركيب . وحتى التجاوز نفسه مزور . فالمرغوب فيه ، في هذه الحالة ، هو العدول عن الفكرة التفاؤلية التي تتضمن ان بامكان المرء في كل وضع ان يكون انسانا . الفكرة المستوحاة من المقاومة : ان بامكان المرء ، حتى تحت التعذيب ان يكونانسانا. ولكن المشكلة لم تكن هنا ، وانما هي في انبعض الاوضاع قابلة لان تعاش تماما، ولكن التناقضات الموضوعية تذورها بصورة لاتحتمل)) .

ويستطرد سارترقائلا: ((ان التجمعالديمقراطي **الثوري هو في رأيي :**

● **الطبقات المتوسطة والبروليتاريا (انني لا افهم انتختار البروليتارياللاشيوعية البروجوازيين فان لها بنية مختلفة عنهم) .**

● **اوروبا — لا اميركا ولا الاتحاد السوفييتي،**

وانما التوسط بين الاثنين (يعني الاخذ قليلا من كل جانب) .

● **الحريات الديمقراطية والحريات المادية . كنت بالاجمال اريد ان احل النزاع من غير ان (اتجاوز) وضعي)) (١٣) .**

كامي

البير كامي (١٩١٣ — ١٩٦٠) كاتب فرنسي ولد بالجزائر . بدأ حياته الادبية بكتابة((الوحات)) يصف فيها الحياة الجزائرية . اشترك اثناء الحرب العالمية الثانية في مقاومة النازي،وكان من المؤسسين لجريدة ((الكفاح)).تأثر بالكاتب التشيكي كافكا ، واتسمت اعماله بالنزعة الوجودية . لخص افكاره في كتابين رئيسيين : ((الاسطورة سيزيف)) و ((الانسان المتمرد)) . ومن اهم رواياته((الغريب))١٩٤٢ و ((الطاعون)) ١٩٤٧ وفيهما يعبر عن لامعقوليةالحياةالمعاصرة وتفاهتها . ومن مسرحياته ((كاليجولا)) ١٩٤٤ و ((سوء تفاهم)) ١٩٤٤ . حصل على جائزة نوبل للاداب ١٩٥٧ .

وقد شرح « سارتر » موقفه ورأيه في اهداف التجمع وسياسته في المحاورات التي تمت بينه وبين **روسيه وروزنتال** في ١٨ يونيه و ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٤٨ ، ونشرت هذه المحاورات اولا في مجلة « الازمنة الحديثة » ، ثم في كتاب بعنوان « محاورات في السياسة » . وهذه هي الافكار الرئيسية التي عرضها سارتر في المحاورات :

١ — انشيء ((**التجمع الديمقراطي الثوري**)) بهدف توحيد العناصر اليسارية ، الماركسية وغير الماركسية ، ليواجه ((**تجمع الشعب الفرنسي**)) الذي اعلن تكوينه الجنرال ديجول والذي يعمل على ان يستقطب الفئات البورجوازية .

٢ — الاحزاب السياسية تعبر عن طبقات اجتماعية ومصالحها،وتستقطب الفئاتالاجتماعية التي تمثلها . اما التجمع فانه يضطر الى اجتذاب عناصره من عدة احزاب قائمة ، سبق لها ان استقطبت الفئات الاجتماعية التي تتوجه اليها . فالتجمع يتوجه الى هذه العناصر ، لاعادةتجميعها وهي باقية في احزابها،وذلك بهدف العمل من اجل اهداف فورية وتكتيكية .

٣ — « التجمع الديمقراطي الثوري » يخاطب الطبقة العاملة والطبقات المتوسطة . فهو لايعبر عن طبقة واحدة فحسب ، ولكنه يسعى لكييقف على الخط الفاصل بينالطبقات المتوسطةوالطبقة العاملة، الى تحقيق احتكاكاتبين هاتين الطبقتين اللتين لهما ذات المصالح حول الكثير من النقاط، وهذا يقتضي تلاقي عناصر عقائدية مختلفة .

٤ — عضو «التجمع» يؤمن بالتطور التاريخي، وبأن الانسان يعرفبموقفه الاجتماعي ايبانتمائه الى طبقة،وانه يعتبر الصراع الطبقي واقعايوميا، وفيهذا الصراعقرر الوقوفاليجانب البروليتاريا، وليس الى جانب البورجوازية .

٥ — الحرب ليست حتمية « والتجمع » يعمل علىبناء اوروبا موحدة واشتراكية لكي تكونعامل سلام بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي .

(١٣) مذكرات غير منشورة لجان بول سارتر — نقلا عن « قوة الاشياء » لسيمون دي بوفوار

٦ — ديمقـــراطية التنظيـــم تقتضى ان يقتصر عمـل اللجنة القيـــادية « للتجمـــع » على تلقى الطلبـات والشـعارات والاقتراحات التى تصـــوغها لجـــان القاعـــدة ، التى ينبغى عليها بدورها ان تتجاوب مع فئات عينية من المنتجين والمستهلكين . ثم تعمـــل اللجنة القيادية على ان تستخلص جميع المتناقضات التى لم تستطع لجان القاعدة ان تستمزجها بنفسها ، وان تواجهها بمتناقضات سائر اللجان الاخرى، وان تحاول ايجاد تركيب لها ، ثم تعيدها بالتالى الى القاعدة . وعلاوة على ذلك ينبغى على اللجنة القائدة ان تثير دوما المناقشات فى القاعدة ، وان تبلغ القاعدة كافة المعلومات التى لـديها والتى لاتستطيع القاعدة انتحصل عليها بنفسها .وهذا يقتضى اتصالا مستمرا على شكلين ،اتصالرأسى بين القيادة والقاعـــدة يوفر حـــركة دائمة من التبادلات العمودية ، ومن جهة اخـــرى اتصـــال دائم ، مستقل تماما عن المركز، بين لجان القاعدة بواسطة لجان محلية مهمتها تعريف كل لجنةعلى وجهة نظر سائر اللجان .

هذه هى خلاصة الآراء التى عرضها سارتر فى « **المحاورات** » ، ويلاحظ على المبـــادىء التى نادى بها لتحقيق ديمقراطية التنظيم ، وبخاصة العلاقة بين القيادة والقاعدة ، انهامستوحاة من مبادىء الحركة المعروفة « **بالنقابية الفوضوية** » وهى تيار من تيارات الحركة الاشتراكية كاد الآن ان يختفى تمـــاما ، كان متأثرا بأفكـــار **بـــرودون وسوريل** الفوضية ، وهى تعارض الخضوع لاى سلطة او اوامر تأتى من اعلى .

أما «**روسيه** » — وهو التروتسكى الاتجاه — فهو فى « المحاورات » يركز كلامه فى الهجوم على النظام السوفييتى باستمرار ، مما يكشف عن قصده لتحويل « التجمع » الى حـــركة معادية لليسار الشيوعى ، مما ادى فى النهاية الى انهيار « التجمع » . فقد اعلن « **روسيه** » ان التناقض الرئيسى فى العالم المعاصر ليس بين الاشتراكية والرأسمالية ، ولكن بين انصار اقتصاد الدولة المعادين للرأسمالية ، وبين الديمقراطية الثورية . وان ملكية الدولة لوسائل الانتاج وان كان ينهى الرأسمالية ، الا انه لا يأتى بالاشتراكية ، مالم تشرف الجماهير الشعبية على جهاز الدولة . ويقول انه يعتبر ان هذه هى مشكلة اليـــوم . ويحلل (**الستالينية**) على انها الحزب السياسى لتكوين اجتماعى تاريخى جديد ، تســـتقل فيه الدولة ، مالكة الاقتصاد ، الجماهير الشعبية . ومن ثم يجب التمييز بين انصار اقتصاد الدولة ، وبين الديمقراطية الثـــورية التى تستند — فى رأيه — الى تراث الماركسية والاشتراكية .وهى تهدف الى تحويل علاقات الانتـــاج فى الاتجـــاه الجماعى تحت الاشراف الديمقراطى للجماهـــير العاملة .

كان « التجمع » يحمل بذور انهيـــاره بسبب التيارات المتعارضة التى كانت تتصـــارع فيه . تقول سيمون دى بوفوار : « **كان تشقق واضح بسبيل ان يتم فى قلب « التجمـــع الـــديمقراطى الثورى » ، كانت الاكثرية تريد ان تساير العمل الاجتماعى للحزب الشيوعى ، فى حين ان اقلية كانت تنزلق نحو اليمين ، بحجة ان الشيوعيين كانوا يعاملون « التجمع » بعداوة .وكان روسيه له صلات مشبوهة مع بعض المنظمات الامريكية، وقد سافر الى الولايات المتحدة ، وعاد من هناك معلنا انه وجد وسيلة لتحويل « التجمع » .ولكن سارتر رفض انيكون «للتجمع» اية علاقة بهذه المنظمات . وكانت « حركة السلام » قد اعلنت انها تزمع عقد مؤتمر لمناقشة قضايا السلام . فاعلن روسيه عقد مؤتمر آخر فى نفس التاريخ ردا على حركة السلام،ودعى كثير من الشخصيات الامريكية المشبوهة للاشتراك فى المنـــاقشات . وطلب سارتر ، بدلا من مناقشة عامة مع اجانب، عقد مؤتمر داخلى يجمع اكبر عدد من منـــاضلى « التجمع » فى المناطق الريفية . فاعترض روسيه بحجة ان المال لايكفى لذلك . ورفض ســـارتر حضور المـــؤتمر الذى تحـــول الى حملة معادية للشيوعية . واستدعى سارتر على نفقته اعضاء** « التجمع » فأدانوا موقف روسيه » (١٤) .

وانهار « التجمع الديمقراطى الثورى » .وكتب سارتر معلقا على ذلك : « **تمزق التجمع الديمقراطى الثورى هو ضربة قاسية . تعلم جديد ونهائى للواقعية . ان الحركة لا تخلق .. ان الظروف لم تكن ملائمة للتجمع الا فى الظاهر . صحيح انه كان يستجيب لحاجة مجردة ، محددة بالمـــوقف الموضوعى ، ولكنه لم يكن يستجيب ، لحـــاجة حقيقية لدى الناس ،وهم من اجل ذلك لم يجيئو**»(١٥) وينتقد نفسه نقدا ذاتيا فى مقاله (ميرلو — بونتى) : « **لم اتاخـــــر فى الاعتراف باننى اخطأت فحتى نعيش اقرب مايمكن من الحزب الشـــــيوعى ، ونجعله يقبل بعض الانتقادات ، فـــلابد اولا ان نكون عديمى الفعالية سياسيا ، وان تكون لنـــا فى نظره فعالية اخرى** » .

انهار « التجمع الديمقراطى الثورى » فى يونية سنة ١٩٤٩ .وقرر سارتر الانسحاب من المعترك

---

(١٤) قوة الاشياء : سيمون دى بوفوار
(١٥) مذكرات غير منشورة لجان بول سارتر — نقلا عن « قوة الاشياء » لسيمون دى بوفوار

السياسي . وفي بداية عام ١٩٥٠ عزم على اصدار عدد خاص من « العصور الحديثة » عن الاتحاد السوفييتي . في ذلك الوقت بدأ يتسرب من الاتحاد السوفييتي اخبار وتقارير عن وجود معسكرات اعتقال . وقامت « العصور الحديثة » بحملة ضد هذه المعسكرات . تقول سيمون دي بوفوار : **كان سارتر يدعو الفرنسيين الى المحافظة على حريتهم ، وهذه الحرية تقضي بمواجهة الحقيقة في أي حال . وكان عازماً على الا يقنعها او يجملها على الاطلاق، لا بدافع من مبدأ مجرد، وانما لانها كانت لها في نظره قيمة عملية . ان المثقف له دور يختلف عن دور السياسي . ان عليه ، لا ان يحكم على العمل وفقا لقواعد اخلاقية مجردة ، بل ان يسهر على الا يناقض في نموه وتطوره ، ومبادئه وغاياته . فاذا كانت الاساليب البوليسية في بلد اشتراكي تسيء الى الاشتراكية ، فيجب عليه فضحها (١٦) .**

وكان رد الفعل لهذه الحملة عنيفا من الجانب الشيوعي . كتب سارتر : « **اصدقاؤنا في الحزب الشيوعي لم يهضموا المقال عن المعسكرات .. وكانت حملة حقيقية : جرذ ، ضبع، أفعى . ولكني لم انزعج ، كنت أحب هذه الاوصاف الحيوانية ، وكانت لي بمثابة تغيير جو !** » . ثم يضيف : « **هل كنا على ثقة كبيرة من اننا نستطيع ان نرفض النظام الستاليني من غيران ندين الماركسية؟ ... ماذا كنا سنقول لو اثبت لنا ان نظام المعتقلات تتطلبه البنية التحتية ؟ كان من الواجب ان تكون لنا معرفة أفضل بالاتحاد السوفييتي وبنظام الانتاج ، ولقد توصلت الى ذلك بعد عدة سنوات وتحررت من هذه المخاوف في الساعة التي بدأت فيها المعسكرات تفتح ابوابها . اما في شتاء ١٩٥٠، فقد كنا نرزح تحت وطأة لايقين أصم . ان قوة الشيوعيين تكمن في ان الانسان لايستطيع ان يقلق عليهم دون ان يقلق على نفسه . ومهما تكن سياستهم غير مقبولة ، فانه لايستطيع ان يبتعد عنهم — على الاقل في بلداننا الرأسمالية القديمة — من غير ان يعقد امره على اقتراف خيانة ما .. ان للسياسة اخلاقها — وهو موضوع صعب لم يسبق ان عولج قط معالجة واضحة — وحين تضطر السياسة الى خيانة أخلاقها ، فان اختيار الاخلاق ، انما يعني خيانة السياسة .. وبخاصة عندما تكون السياسة قد اعلنت ان هدفها تحقيق سؤدد الملكوت الانساني** » (١٧) .

وكان سارتر يجيب — على القائلين بأن الاشتراكية قد شوهت، بقوله : « **كلا لقد تجسدت اى ان العام قد دخل في الخاص وحين تحققت سقطت سريعا في متناقضات ، كانت تبعدها عن نقاوتها الاصلية . ولكن الاشتراكية الروسية كانت متفوقة على حلم اشتراكية لاتشوبها شائبة** » (١٨) .

الشيطان والاله الطيب

في يونية ١٩٥٠ نشبت الحرب الكورية ، وما لبث الامريكيون ان اجتازوا خط العرض ٣٨، وتدخلت الصين في الحرب ، وهدد **ماك آرثر** بالقاء القنابل على الصين . وعمت هستيريا الحرب اوروبا . وكان سارتر يتأمل مجرى الاحداث ويراجع مواقفه السياسية . وقد انتهى الى استحالة الاستمرار في الوضع الذي هو عليه . ولم يكن ثمة وسيلة امامه ليستمر في الحياة من غير ان يتجاوزه . وهكذا كان يقترب اقترابا سريعا من المشروع الذي كان قد لاحقه دائما ، وهو ان يبنى ايديولوجية تضيء للانسان وضعه ، فيما تقترحه عليه تطبيقيا (١٩) في ذلك الوقت — يونية ١٩٥١ — كتب سارتر مسرحيته الشهيرة «**الشيطان والآله الطيب**» ، وتعتبر هذه المسرحية بداية التطور الكبير الذي طرأ على تفكير سارتر منذ سنة ١٩٥٢ . كان «جويتز» الشخصية الرئيسية في المسرحية — يرمز الى التناقض الذي يعيشه سارتر ، بين مولده البورجوازي واختياره الفكري . ففي هذه المسرحية يعالج سارتر موضوع عدم جدوى الاخلاق في مواجهة جدوى التطبيق ، او بمعنى آخر التناقض بين الاخلاق والسياسة . وهذه المقابلة تذهب هنا ابعد جدا مما كانت في مسرحياته السابقة . ان تطورا ايديولوجيا كاملا ينعكس في « الشيطان والآله الطيب » . فالمفارقة بين ذهاب (اورست) في آخر مسرحية « الذباب » ، وتحالف « جويتز » مع الفلاحين ، تمثل الطريق الذي قطعه سارتر من الموقف الفوضوي الى الالتزام . أما المناضل « ناستي » (احد شخصيات المسرحية) ، فهو بخلاف مسرحيات سارتر السابقة ، لاينتصر على المغامر ، انه هو الذي يقوم بالعملية التركيبية التي كان سارتر يحلم بها . انه يقبل نظام حرب الفلاحين من غير ان ينكر ذاتيته ، ويحافظ في

---

(١٦) قوة الاشياء : سيمون دى بوفوار
(١٧) ميرلو — بونتى حيا : جان بول سارتر
(١٨) المصدر السابق
(١٩) قوة الاشياء : سيمون دى بوفوار

العملية على لحظة السلبي، انه التجسيد الكامل لرجل العمل ، كما كان يتصوره سارتر . يقول سارتر : **« لقد جعلت جويتز يعمل مالم أكن استطع ان اعمله »**(٢٠) . كان «جويتز» يتغلب على تناقض كان سارتر يستشعره بصورة جادة منذ اخفاق « التجمع الديمقراطي الثوري » ، ولا سيما منذ حرب كوريا ، ولكن من غير ان ينجح في تجاوزه. **« ان التناقض لم يكن في الافكار . وانما كان في شخصي . ذلك ان تلك الحرية التي «كنتها» كانت تفترض حرية الجميع . ولم يكن الجميع احرارا . ولم أكن استطيع ان اضع نفسي تحت نظام الجميع ، الا بان اتحطم . ولم أكن استطيع ان اكون حرا وحدي »** . (٢١) .

كان سارتر يرغب في عمل تركيب بين الايجابي والسلبي والموضوعي والذاتي . كان يقول : **« ان لكل عمل وجهين : السلبية التي هي مغامرة، والبناء الذي هو نظام . ولابد من احياء السلبية والقلق والنقد الذاتي في النظام »** (٢٢) .

ويمضي سارتر في طريقه الجديد .. ويواجه بقضية **« هنري مارتان »** . و «هنري مارتان» ضابط في الجيش الفرنسي، رفض القتال في الحرب الاستعمارية التي كان يشنها الفرنسيون في الهند الصينية ، فاعتقلته السلطات الفرنسية ، وقدمته الى المحاكمة بتهمة التمرد . وقد طلب الشيوعيون من سارتر ان ينضم الى لجنة تكونت للدعوة لتحريره ، وان يساهم في وضع كتاب لعرض قضيته على الراي العام. وكان سارتر يرى ان ذلك الاعتقال جدير بالاستنكار ، فقبل العرض وهو سعيد بذلك التقارب مع الشيوعيين .

وقد كتب سارتر : **« جاء شيوعيون لرؤيتي بصدد قضية هنري مارتان .. وانقطعت آخر الروابط، وتبدلت رؤيتي : ماعدو الشيوعية الاكلب، هذا موقفي لا احيد ولن احيد عنه .. انني بعد عشرة اعوام من الاجترار ، كنت قد بلغت نقطة القطيعة ، ولم اكن بحاجة الا الى دفعة بسيطة، وكان ذلك ، في لغة الكنيسة، هدايه .. واضمرت للبورجوازية ، باسم المبادىء التي لقنتني اياها، باسم مذهبها الانساني و « انسانيتها » ، باسم الحرية والاخاء والمساواة ، اضمرت لها حقدا لن يفنى الا معى »** (٢٣) .

كانت الاحداث قد اقنعته بأنه لم يعد ثمة مخرج لليسار الا باستعادة وحدة العمل مع الحزب الشيوعي . وكان التناقض الذى يتخبط فيه قد اصبح لديه غير محتمل : **« كنت ضحية وضالعا في صراع الطبقات ، ضحية لانى كنت مكروها من طبقة برمتها ، وضالع لانى كنت** احس انني مسؤول وعاجز » (٢٤) ومنذ ذلك الوقت بدا صراع الطبقات لسارتر في كامل الوضوح : **« كنت قد قرأت كل شيء . وكان كل شيء ، يتطلب ان يقرأ من جديد. ولم اكن املك الا خيط «آريان» (٢٥) ولكنه كان كافيا . وما هذا الخيط الا تجربة صراع الطبقات ، تلك التجربة الصعبة الغنية التي لاينضب لها معين . واعدت القراءة . وكان في راسى بعض العظام ، فحطمتها ، دون مشقة»**(٢٦)

في ٢٨ مايو سنة ١٩٥٢ نظم الشيوعيون مظاهرة احتجاج ضد الجنرال الامريكى **ريدجواى** . وقبضت السلطات على **جاك دوكلو** احد قادة الحزب الشيوعي وكثير من الشيوعيين ، واعلنت انها اكتشفت مؤامرة دبرها الشيوعيون . وقد دعا الشيوعيون في ٤ يونية الى اضراب عام للاحتجاج على اساليب القمع التي اتخذتها الحكومة. وفشل الاضراب ، وقامت الحكومة بموجة من الاعتقالات ومصادرة الصحف ، وبدا ان اليمين قد انتصر في المعركة. كان سارتر حينذاك في ايطاليا، فلما وصلته الانباء عاد الى باريس مسرعا . وقد كتب يصف تلك الاحداث : **« حين رجعت الى باريس ، على عجل، كان على ان اكتب او اختنق. وكتبت ليلا ونهارا، القسم الاول من «الشيوعيون والسلام » (٢٧) لقد توصلت الى الايمان ، الى المعرفة ، وتبددت اوهامى ، وبالتالى لن أساوم على شيء ، وطالما انه لابد من الصياح حتى يسمع صوتي في مجلتنا الخافتة الصوت، فانني ساصيح، وساقف الى جانب الشيوعيين، وساعلن ذلك»**(٢٨)

تقول سيمون دى بوفوار : **«كان لهذا المقال مغزى واحد ـ لقد انتهت فترة المصالحات . كان الناس مدعوون لاتخاذ مواقف حاسمة ، وقد ارتاح سارتر الى اتخاذه هذا الموقف، بالرغم من صعوبة**

---

(٢٠) مذكرات غير منشورة لجان بول سارتر ـ نقلا عن « قوة الاشياء » لسيمون دي بوفوار
(٢١) مذكرات غير منشورة
(٢٢) مدخل كتاب « صورة المغامر »لروجيه استفان :جان بول سارتر
(٢٣) ميرلو ـ بونتى حيا : جان بول سارتر
(٢٤) مذكرات غير منشورة ـ نقلا عن « قوة الاشياء »
(٢٥) في الاساطير الافريقية ان « آريان » ابنة مينوس ملك كويت ، اعطت حبيبها تيثيوس الخيط الذى ساعده على الخروج من المتاهة
(٢٦) ميرلو ـ بونتى حيا ـ جان بول سارتر
(٢٧) « الشيوعيون والسلام »
(٢٨) ميرلو ـ بونتى حيا ـ جان بول سارتر

مركزه . وادرك ان خطاه كان ، حتى ذلك الحين، انه اراد ان يحل الصراع من غير ان « يتجاوز » وضعه (٢٩) ثم انضم سارتر بعد ذلك الى حركة انصار السلام وسافر الى فيينا للمشاركة في مؤتمر السلام .

سارتر والماركسية

ومنذ ذلك الوقت ، وسارتر يقوم بعرض الفكر الماركسي ، والدفاع عنه . ولكنه في ذات الوقت كان ينتقد مثقفي الحزب الشيوعي الفرنسي ، لجمودهم وعدم رغبتهم في اغناء الفكر الماركسي بالتجارب الجديدة المعاصرة، ويطالبهم بأن ينفضوا غبار كسلهم ويساهموا في دراسة الاحداث والافكار المعاصرة بواسطة ادوات التحليل الماركسي . كان يقول **« اذا كان كثير من المثقفين — وانا منهم — ينتظرون من الماركسة اعمالا قيمة ومتينة ، فهذا لانه يستحيل على المرء ان يفكر من تلقاء نفسه وبمفرده . ان كتابا ماركسيا جيدا واحدا — هو فرصة ، لكل واحد منا — كيما ينجح في كتابه القادم » (٣٠) .**

ويتناول سارتر بالمناقشة مركز الفكر الماركسي في العالم المعاصر فيقول : **« الحال ان كل مثقف ، كل جماعة من المثقفين ، كل حركة فكرية ، تحدد نفسها بدلالة الماركسية وبالنسبة لها . ان من هم في سني يعلمون ذلك حق العلم ، ان الحديث الاكبر في حياتهم لم يكن الحربين العالميتين ، بقدر ما كان التواجه الدائم مع الطبقة العاملة ومع ايديولوجيتها ، التي تقدم لهم رؤية لايمكن دحضها عن العالم وعن انفسهم. ان الماركسية بيننا ليست مجرد فلسفة ، بل هي مناخ افكارنا ، الوسط الذي تتغذى فيه ، الحركة الحقيقية لما يسميه هيجل الفكر الموضوعي . اننا نرى فيها ثروة لليسار . بل انها وحدها الثقافة منذ ان مات الفكر البورجوازي ، لانها هي وحدها التي تسمح بفهم البشر والاعمال والاحداث ... اما البورجوازية فانها في سبيلها الى هجر الثقافة ، فهي ماعادت تفكر بشيء البته ، وافكارها عند الاحتكاك بالماركسية ، تموت من غير ان يحتاج الماركسيون الى تحريك قلامة ظفر. وحين يسعى فلاسفتها الى دحض الفكر المعادي ، يتبينون انه مقيم عندهم » (٣١) .**

ثم يخاطب المثقفين الشيوعيين ناقدا لهم : **« ان هذه الحيوية المدهشة هي حيوية ماركس ولينين ، حيوية ايديولوجية يعززها التاريخ باستمرار . انها ليست حيويتكم ، ومع ذلك لو صمم الفكر الشيوعي على التفتح لما لاقى اي مقاومة . لقد آن الاوان بالنسبة له ، ليقارع الفلسفات البورجوازية الحديثة ويفسرها وليحطم قوقعتها وليتمثل جوهرها . فماذا ينتظر ؟ ان العالم الماركسي مليء بالصحاري والاراضي غير المستكشفة : أفلم يعد هناك شيء . يقال عن الاقتصاد الرأسمالي ؟ والاقتصاد الاشتراكي ؟ ان السوفيتيين يتكلمون عن تناقضاته . فهل ينبغي ان يترك اصدقاؤهم الفرنسيون للبورجوازيين مهمة دراستها ؟ لو تمعنا في العلوم التاريخية لوقفنا على المفارقة التالية : ان المؤرخين يميلون الى الماركسية رغما عنهم، لكن الماركسيين لايؤدون عمل المؤرخين » (٣٢) .**

ويبين سارتر ان من اسباب عدم ازدهار الفكر الماركسي في فرنسا ، هو السياسة التي كانت تتبعها الجامعات الفرنسية، سياسة اسدال ستار من الصمت على الفلسفة الماركسية ، يقول سارتر : **« ان احد المآخذ التي يأخذها الماركسيون في المانيا او ايطاليا على اصدقائهم الفرنسيين هو انهم يخلطون بين ماركس وتين(٣٣) والحق ان تبعة هذه الغلطة لاتقع كلها علينا . فجامعة السوربون قد وضعت طوال اكثر من قرن — هيجل في قائمة المؤلفين المحرمين ، هذا اذا لم نشأ ان نقول شيئا عن ماركس . وعندما كان الايطاليون — مع كروتشه ، والانجلو — ساكسونيون مع برادلي وبوزانكيه ، يشهدون يقظة الهيجلية ، كانت الجامعة الفرنسية تتوجس وتتحصن، واكثر ماهنالك انها كانت تسمح لنا باللعب مع شوبنهاور . وفي الحزب الاشتراكي والنقابات كانت للتقاليد البرودونية الغلبة على الماركسية . وقد جعلونا ديكارتيين رغما عنا، وحين اردنا بعد حرب ١٩١٤، ان نسد ثغرات جهلنا، ظهرنا بمظهر العصاميين» (٣٤)**

دفاع عن حركات التحرر الوطني

لم يقتصر نشاط سارتر السياسي على النضال ...

---

(٢٩) قوة الاشياء : سيمون دى بوفوار
(٣٠) رد على بيير نافيل : جان بول سارتر « الازمنة الحديثة » سنة ١٩٥٦
(٣١) النزعة الاصلاحية والاصنام : جان بول سارتر « الازمنة الحديثة » سنة ١٩٥٤
(٣٢) المصدر السابق
(٣٣) هيبوليت تين فيلسوف ومؤرخ وناقد فرنسي في القرن التاسع عشر ، كان يقدم الاعمال الادبية والفنية والوقائع التاريخية بتاثير ثلاثة عوامل : الاجناس ، والبيئة ، والعصر
(٣٤) رد على بيير نافيل : جان بول سارتر « الازمنة الحديثة » سنة ١٩٥٦

ضد قوى اليمين، والعمل على خلق حركة يسارية قوية موحدة داخل فرنسا ، والمساهمة في تطوير الفكر اليسارى . ولكنه ناضل بقوة ضد الاستعمار في كل مكان ، وبخاصة الاستعمار الفرنسى . ووقف يدافع بشجاعة عن الشعوب المكافحة ضد الاستعمار . وقام بكشف الاستعمار القديم والجديد ، مفندا كل مايدعيه من مبررات فكرية وحضارية مصطنعة . وربط بين نضال شعوب المستعمرات وما يقال له العالم الثالث عموما ، وبين شعوب الدولة الاستعمارية ضد الامبريالية . وكشف عن جوهر النظام الاستعمارى كنظام للاستغلال والنهب الاقتصادى . كما ساهم في فضح اساليب القمع والتعذيب التى تمارسها السلطات الاستعمارية ضد شعوب المستعمرات والاحرار في كل مكان .

فقد هاجم الحرب الاستعمارية التى شنها المستعمرون في « **الهند الصينية** » (الفيتنام) والتى انتهت بهزيمتهم المشهورة في «**ديان بيان فو**» . ودافع عن **الثورة الكوبية** واستقلال كوبا ضد محاولات الامريكيين للقضاء عليها . فقد كتب محللا الاستعمار الامريكي والطرق التى يستخدمها لفرض سيطرته على بلاد امريكا اللاتينية : **«الامريكيون يعتبرون كوبا قدوة سيئة الغاية ، بل انهم يرون فيها دليلا على ان تحرر احد الشعوب الصغيرة من عقاله امر ممكن .. وهذا مالايحتمله ولا يطيقه الامريكيون .. على ان جوهر المشكلة يكمن في ناحية اخرى .. انه يتمثل في قيام نظام استعمارى صارم ، راح يحدد وينظم علاقات الولايات المتحدة بسائر بلاد امريكا اللاتينية . فاذا انحدر هذا النظام في بقعة من البقاع بات عرضة لان يتحطم في كل مكان ! والنظام بسيط للغاية .. انه نوع من السيطرة الاستعمارية لكن عن طريق الاهالى انفسهم .. وهو يقضى بانشاء روابط معينة مع البلاد المجاورة المتخلفة بحيث تغدو هذه البلاد مضطرة الى ممارسة زراعة من نوع خاص تعتمد على محصول واحد ، والعمل لمصلحة الولايات المتحدة بعد ان يتزعمها قادة باعوا انفسهم تماما لها . ولعل هذا ماحدث بالفعل في كوبا ايام حكم باتستا ، الذى لم يكن قد جاء الى الحكم مصادفة وانما بايعاز وتشجيع من الامريكيين . فأى فارق اذن بين هذه الطريقة والنظام الاستعمارى المألوف ؟ ثمة فارق يميز بينهما .. انه نفاق الامريكيين .. لقد كانت كوبا مستعمرة امريكية ، ولكن امريكا منحتها سيادتها، فصارت بلدا مستقلا له جيشه رمزا لاستقلاله ، بيد انه كان في واقع الامر آداة طيعة في يديها . والمرء ليؤثر الاستعمارى التقليدى ، لانه — في القليل — اكثر صراحة ، حقيقة ان النتائج واحدة، ولكن المرء يتبينها ويعرفها .. ولطالما انخدع الكوبيون انفسهم بالخطة الامريكية ، حتى لقد راحوا يعزون الى انفسهم اسباب نكباتهم ومصائبهم »** .

وكان صوت سارتر من اوائل الاصوات واعلاها التى نادت باستقلال **الجزائر** ، وقامت بفضح الحرب الاستعمارية هناك ، والقمع والتعذيب الوحشى الذى تعرض له الشعب الجزائرى ، مما عرضه لغضب منظمة الجيش السرى الفاشية ، التى حاولت اغتياله ونسف مسكنه وقد قام بتأييد ومساعدة المنظمة التى اسسها الفيلسوف الفرنسى « **جانسون** » وكانت تعرف باسم « **شبكة خلايا جانسون** » ، التى كان هدفها وقف الحرب الاستعمارية في الجزائر والاعتراف باستقلالها . وكانت تعمل في سبيل ذلك الى تحريض الجنود الفرنسيين على عدم الاشتراك في تلك الحرب الاستعمارية ، كما عمدت الى التعاون مع جبهة التحرير الجزائرية ومدها بكافة المساعدات المادية والادبية . وقد اصدرت هذه المنظمة بيانا عرف باسم « **ميثاق حق التمرد والعصيان** » وقعه مائة وواحد وعشرون مفكرا وكاتبا وفنانا في مقدمتهم جان بول سارتر وسيمون دى بوفوار وفرانسوا مورياك وفرانسوا زساجان .

وقد ادان البيان الحرب التى يشنها الفرنسيون في الجزائر . وناشد الجنود الفرنسيون ان يستجمعوا شجاعتهم وشرفهم ويمارسوا حقهم في عدم المساهمة في حرب استعمارية وخفض اسلحتهم المشرعة عن صدور اخوانهم الجزائريين . وقد طار صواب الحكومة الفرنسية ، وقامت بالقبض على بعض اعضاء «شبكة جانسون» وقدمتهم الى المحاكمة بتهمة الخيانة العظمى لتقديمهم المعونة للمناضلين الجزائريين . وكان سارتر في ذلك الوقت يقوم بزيارة البرازيل تلبية لدعوة وجهت اليه للمشاركة في احتفالات عيد استقلالها الوطنى . وقد اصدرت الحكومة الفرنسية امرا

مورياك

فرانسوا مورياك (١٨٨٥—) روائى فرنسى نظم الشعر . نجح في كتابة قصة «قبلة للابرص » ١٩٢٢ كما كتب عددا من الروائع التى تفيض بالعاطفة الدينية وتفصح عن ايمانه الشديد بالكاثوليكية ، ومنها « صحراء الحب » ١٩٢٥ ، و « تيريز ديكورو » ١٩٢٧ . من آثاره الادبية السير التى الفها عن « حياة راسينى » ١٩٢٨ ، و « باسكال » ١٩٣١ ، و « حياة السيد المسيح » ١٩٣٦ . هذا الى مقالاته العديدة في صحيفة الفيجارو . له مجموعة مقالات في ثلاثة مجلدات اسماها « الصحف » ١٩٣٤ . انتخب عضوا بالاكاديمية الفرنسية ١٩٣٣ وحصل على جائزة نوبل ١٩٥٢ .

بمنع الكتاب والفنانين الموقعين على البيان من الحديث في الاذاعة او التليفزيون او تقديم اعمالهم على المسارح الحكومية كما امرت باستبعاد اسمائهم من قوائم المشحين للجوائز الادبية. وقد عقد سارتر مؤتمرا صحفيا اعلن فيه انه يتحمل مسئولياته الكاملة في التوقيع على البيان وتحدى الحكومة الفرنسية وقتذاك أن تقدمه للمحاكمة. وبعث برسالة هي شهادة خطية منه يعلن فيها بشجاعة: ((**أنه لقليل أن أؤكد فقط تضامني التام مع المتهمين**)) ومضى سارتر في شهادته فقال: ((**ان التضامن الفعال مع المجاهدين الجزائريين لم يكن بوحي مبادىء نبيلة أو بوحي الرغبة العامة في محاربة الاضطهاد في كل مكان يقع فيه فحسب، بل هو نتيجة تحليل سياسي للوضع في فرنسا نفسها. ذلك ان استقلال الجزائر أصبح أمرا مفروغا منه بالفعل ... ولكن ما هو غير مؤكد، مستقبل الديمقراطية في فرنسا. فالحرب الجزائرية قد جعلت البلاد تهرأ. أن خنق الحريات تدريجيا واختفاء الحياة السياسية وتعميم التعذيب وانتفاضة القواد العسكريين الدائمة ضد الاصوات الحرة تسجل تطورا يمكن وصفه دون مبالغة بالارهاب. وازاء هذا التطور نجد اليسار عاجزا وسيظل كذلك اذا لم يوافق على توحيد جهوده مع القوة الوحيدة التي تكافح اليوم حقيقة ضد العدو المشترك للحريات الجزائرية والحريات الفرنسية. وهذه القوة هي جبهة التحرير الجزائرية**)). ثم يستطرد قائلا: ((**أن الفرنسيين الذين يساعدون جبهة التحرير لا تدفعهم لذلك مشاعر عامة نحو شعب مغلوب على أمره فحسب وهم لا يضعون أنفسهم في خدمة قضية أجنبية. بل يعملون لكي يقيموا في فرنسا ديمقراطية حقيقية**)) ويمضي سارتر فيحمل نفسه أمام المحكمة — دون خوف أو تردد — مسئولية المساهمة مع تنظيم جانسون، فيقرر: ((**لقد استقبلته ((يقصد جانسون)) وأنا عالم تماما بوضعه .. ولو أن جانسون طلب الي أن أنقل حقائب أو أن أخفي عندي مناضلين جزائريين، واستطعت أن أفعل ذلك دون تعريضهم للخطر لقمت به بلا تردد .. ان الوقت يقترب حيث يجب على كل واحد أن يتحمل مسئوليته**)). ويختم شهادته بقوله: ((**والمهم أن نقول بوضوح أن هؤلاء الرجال والنساء ليسوا وحدهم. وان المئات غيرهم قد حلوا مكانهم، وان الالوف مستعدون أن يفعلوا ذلك وان مصيرا معاكسا فرق مؤقتا بينهم وبيننا .. ولكني اجرؤ على القول انهم في هذا القفص مندوبين عنا، وان ما يمثلونه هو مستقبل فرنسا، وان السلطة الموهومة التي تتأهب للحكم عليهم لم تعد تمثل شيئا**)).

واتخذ سارتر نفس الموقف المبدئي الشجاع بجانب **الشعب المصري** خلال العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦، وأعلن في حديثه الى الأهرام في ٢٥ ديسمبر ١٩٦٥ بأنه ((**من جانبي فانا متضامن مع مصر منذ حرب السويس**)). كما أكد على ((**بروز دور مصر اليوم على الدوام في أفق السياسة الدولية كخميرة ثورية**)).

وعالج سارتر في نفس الحديث قضية ثورة الشعب اليمني ومساندة الجمهورية العربية المتحدة لها وأكد وقوفه أيضا بجانب هذه القضية بقوله: ((**وفي رأيي أن مصر قد ساهمت بمساندتها للثورة اليمنية بأكثر من البلاد ذات الحكومات الاشتراكية مثل حكومتنا الفرنسية أثناء الحرب الاسبانية، بغض النظر عما كانت عليه ارادتنا أو امكانياتنا وقتذاك. لقد جاء موقف مصر اكثر حسما واشد أصالة من الوجهة الثورية من موقف حكومة ليون بلوم أثناء الحرب الاسبانية ...**))

فرنسا والعبد المتمرد

يعتقد سارتر أن سياسة الجنرال ديجول لتحقيق استقلال السياسة الفرنسية وفصلها عن النفوذ الامريكي سياسة غير فعالة ولا تؤدي الى هذه النتيجة. يقول: ((**لقد نجح ديجول في تضليل الناس، عندما صور لهم أن استقلالا لفظيا هو في الواقع سياسة معادية للاستعمار .. أنه يدين السياسة الامريكية وفي نفس الوقت، لا يقدم في الداخل الوسائل الاقتصادية التي تؤدي الى التحرر من الوصاية الامريكية .. ولو كانت احزاب اليسار موحدة لكان عليها أن تقدم الدليل على أن طموح ديجول لجعل فرنسا خصما جديا للامبريالية الامريكية لا معنى له ما دام لا يعتمد على سياسة داخلية قادرة على تحريرنا فعلا من السيطرة الامريكية. فرنسا الان ليست الا عبدا متمردا، ما زال خاضعا للنظام الامريكي. حقا ان قيادة حلف الاطلسي سوف ترحل، ولكن باستطاعة الامريكيين تجريد عمال فرنسيين من أعمالهم متى أرادوا ذلك، باستطاعتهم تحطيم اقتصادنا بمجرد سحب آلاتهم الحاسبة، باستطاعتهم ممارسة ضغط اقتصادي لا نملك في وجهه أي وسائل دفاع**)). ويضيف مبينا الوسائل التي يراها كفيلة بتحقيق استقلال حقيقي: ((**ان اول نقطة في برنامج يساري يجب أن تكون النضال ضد سيطرة رؤوس الاموال الامريكية. وأنا أعلم أن هذا صعب وان فرنسا لا تستطيع ذلك لوحدها، وعليها أن تستعين بالسوق الاوروبية المشتركة وان تدفع شركاءها الى انتهاج سياسة مماثلة، فانهم أيضا محكومون بالسيطرة الاقتصادية الامريكية، ولكن بلدانا مثل ايطاليا قد تعيد النظر في وضعها اذا انتهجت فرنسا سياسة اقتصادية مستقلة حقا. ان نقطة الالتقاء**

الوحيدة بين اليسار وديجول يجب أن تكون المطالبة بالسيادة الوطنية ، سيادة يجب احرازها، ليس لحمايتها بغيره .. بل لكي نواجه بها الامبريالية الامريكية ، التي تحطم في كل مكان الانظمة الوطنية (٣٥) .

أمريكا والتعايش السلمي

ويرى سارتر أن الولايات المتحدة استغلت سياسة التعايش السلمي للاعتداء على فيتنام دون أن تخشى تدخل الاتحاد السوفييتي فيقول : ((ان العالم لا تحكمه قوتان كبيرتان ، بل قوة واحدة . والتعايش السلمي ، رغم جوانبه الايجابية ، يخدم الولايات المتحدة . فبفضل التعايش السلمي والصراع الصيني السوفييتي ، يقصف الامريكيون فيتنام باطمئنان . ثمة نكسة في المعسكر الاشتراكي نتيجة الصراع الذي يمزقه ، والسياسة التي انتهجها خروشوف . وكان من نتيجة ذلك أن الولايات المتحدة تتصرف مطلقة اليدين ، الى درجة أن الرئيس جونسون صرح بانه لن يسمح للصين بتطوير سلاحها النووي . هذا التهديد لم يكن ليطلق لو أن جونسون متأكدا من أن الاتحاد السوفييتي سيهب لنجدة الصين)) (٣٦) .

محـــــاكمة جونســـون

في شهر مارس القادم ستعقد المحكمة التي دعا اليها الفيلسوف البريطاني برتراند راسل والتي الفت من شخصيات بارزة في العالم اول جلساتها لمحاكمة الرئيس جونسون عن جرائم الحرب التي ترتكبها القوات الامريكية في فيتنام. وقد شرح سارتر أهداف هذه المحاكمة مبينا أنه ليس المقصود منها ادانة السياسة الأمريكية باعتبارها سياسة استعمارية أو سياسة ضارة ولكن المقصود بها بحث شرعية أو عدم شرعية الاعمال العسكرية لامريكا طبقا للقانون الدولي السائد فعلا .

يقول سارتر : ((ليس الموضوع بالنسبة لنا ما اذا كانت السياسة الامريكية في الفيتنام مضرة ، فمعظمنا لا يخامره الشك في ذلك ، ولكن أن نرى ما اذا كانت تلك السياسة تقع تحت طائلة التشريع العالمي المتعلق ((بجرائم الحروب)) . فالادانة بالمعنى القضائي ، لصراع الامبريالية الامريكية ضد بلدان العالم الثالث التي تحاول التمرد على سيطرتها ، لا معنى لها . فهذه السياسة ليست في الواقع الا ترجمة للصراع الطبقي ، على الصعيد العالمي .

ان السياسة الاستعمارية ، واقع تاريخي ضروري ، وهي تتمرد في ذلك ، على كل حكم قضائي أو معنوي . ولكن باستطاعتنا محاربتها كمثقفين، بكشف أسلوب عملها ، وسياسيا بالعمل على الخلاص منها .. وأنا أعترف بانني مثل بقية أعضاء المحكمة ، خصم للامبريالية ، كما أنني متضامن مع كل الذين يحاربونها . ان الالتزام بوجهة النظر هذه يجب أن يكون كاملا . ان كل امرىء يرى مجمل الصراع فيقف الى هذا الجانب أو ذاك حسب الدوافع التي تنبع من وضعه . في هذا المستوى نستطيع ان نكره العدو الطبقي ، ولكننا لا نستطيع أن نحاكمه ، بالمعنى القضائي للكلمة . وحتى أنه لمن الصعب ، بل من المستحيل، ما دمنا نتوقف عند النظرة الواقعية فقط لصراع الطبقات ، وضع حلفائها الطبيعيين في الخطوط القانونية وتحديد الجرائم المرتكبة من قبل حكوماتها ... وفي الواقع ، اذا لم يكن التطور التاريخي مسيرا بالقانون والقواعد الاخلاقية ـ وهما بالعكس من حصيلته ـ فان هذه البنية الفوقية تفعل في هذا التطور ((ردة معاكسة)) ، وهذا ما يسمح بمحاكمة مجتمع بمقاييس وضعها بنفسه. فمن الطبيعي اذن أن نتساءل ، في وقت من الاوقات ما اذا كان هذا العمل لا يتجاوز نطاق ((المفيد)) و ((الضار)) ليقع تحت طائلة تشريع دولي يتكون شيئا فشيئا . يقول ماركس تقريبا ، في احدى مقدمات رأس المال : نحن آخر من يمكن اتهامه بادانة البورجوازيين لاننا نعتبر أن تصرفهم المرتكز على عامل رأس المال وتصارع الطبقات هو ضروري . ولكن هنالك حالات ((يبالغون فيها)) . والموضوع هو الان معرفة ما اذا كان المستعمرون يبالغون أم لا)) . ويستطرد سارتر قائلا : ((في نورمبرج عام ١٩٤٥ ظهر لاول مرة مفهوم ((الجريمة السياسية)) . كانت بلا شك موضع شبهة ، لانها كانت تفرض قانون الغالب ، ولكن ادانة قادة المانيا النازية في محكمة نورمبرج لم يكن له معنى اذا لم يستتبع بادانة كل حكومة تقترف في المستقبل اعمالا تقع تحت طائلة هذا القانون أو ذاك من قوانين نورمبرج . وبالتالي مثولها أمام محكمة من الطراز نفسه . ان محكمتنا لا تعتزم الان الا أن تطبق على الامبريالية الرأسمالية قوانينها الخاصة. فالإطار القانوني لا يضم قوانين نورمبرج فقط ، هنالك أيضا ميثاق (بريان ـ كلوج) واتفاق جنيف ، واتفاقيات دولية أخرى)) .

(٣٥) حديث ادلى به جان بول سارتر الى المجلة الفرنسيه ((نوفيل اوبزرفاتير))
(٣٦) المصدر السابق

ثم يعود سارتر الى تأكيد أن المسألة ليست محاكمة السياسة الامريكية ولكن ادانة لجرائم الحرب : « ومرة اخرى ، ليس الامر محاكمة سياسية باسم التاريخ ،والحكم عليها ،ما اذا كانت معاكسة أملا لمصالح الانسانية ، ولكن الموضوع هو تحديد ما اذا كانت تقع تحت طائلة القوانين المرعية الاجراء .. مثلا نستطيع أن ننتقد سياسة فرنسا الحالية ، ويمكن ان نعارضها بشدة ، كما هو الحال بالنسبة لى ، ولكن لا يمكن ان ننعتها بأنها « مجرمة » . فليس ثمة معنى لذلك .. كان باستطاعتنا ان نصفها بذلك خلال حرب الجزائر ـ الاضطهاد ،تعذيب المواطنين المدنيين ،معسكرات الاعتقال ، الاعدام دون محاكمة .. كل ذلك شبيه ببعض الجرائم التى ادينت فى نورمبرج . ولو شكلت ، فى ذلك الوقت محكمة مثل محكمة برتراند راسل ، لكنت بالتأكيد قبلت الاشتراك فيها ، وليس لان ذلك لم يتم يومها بالنسبة لفرنسا ،يجب أن لا يتم بالنسبة للولايات المتحدة» .

ثم يبين سارتر نوع العقوبة التى ستحكم بها المحكمة ، اذا ما تبين لها أن القوات الامريكية ترتكب (جرائم حرب) فى فيتنام : « ليس الموضوع ان نحكم على اى كان بعقوبة ما. ان اية عقوبة غير قابلة للتنفيذ فى بداهة ، تكون موضع سخرية . كأن يحكم مثلا على الرئيس جونسون بالموت . ان هدفنا شيء آخر ، هو دراسة مجموع التقارير المتوفرة عن حرب فيتنام ، والاستماع الى جميع الشهود الذين يمكن احضارهم (من امريكيين وفيتناميين) ، وأن نحدد فى ضميرنا ما اذا كانت بعض الاعمال تقع تحت طائلة القوانين التى اشرت اليها . أننا لا نخترع اى قانون جديد. وانما سوف نقول ، اذا ما اثبتنا ذلك ، وهذا ما لا اقرره مسبقا: **« هذا العمل أو ذاك ، المرتكب فى مكان معين ، هو خرق لقانون دولى محدد ، وهو بالتالى جريمة »**

ليس الامر اذن اظهار احتجاج مجموعة فاضلة من المواطنين ، ولكن اعطاء مقياس قانونى لافعال سياسية دولية . ويشرح سارتر الدور الذى تؤديه هذه المحاكمة فى توعية الجماهير فيقول : « يتهمنا البعض باننا نتمسك بمبدأ المشروعية .. هذا صحيح .. ولكن من نريد ان نقنع ؟ هل هى الطبقات التى تناضل ضد الرأسمالية وهى مقتنعة بمحاربة الاستعمار حتى النهاية ـ سواء أكان جريمة ام لا ـ ام هذا القسم الكبير من الطبقة المتوسطة المتردد حاليا؟ علينا ان ننبه ونهز جماهير البورجوازية الصغيرة ، لان تحالفهم ـ حتى على صعيد داخلى ـ مع الطبقة العاملة أمر مستحب. وبهذه القانونية الضيقة نفتح عيونهم . وليس سيئا على اى حال ، ان نذكر الطبقة العاملة ، التى غالبا ماتميل الى اعتبار الفعالية فقط ، بأنه هناك بنية اخلاقية قانونية لكل عمل تاريخى . وفى فترة ما بعد الستالينية التى نعيش فيها ، من المهم جدا ابراز هذه البنية » .

چان پول سارتر .. فى سطور

● ولد **((چان بول سارتر))** فى باريس فى يونيه ١٩٠٥ وقد مات أبوه **((جان بانيست سارتر))** بعد عامين من مولده وتركه وأمه الارملة الشابة **((آن مارى))** دون ثروة فلجأ الى العيش بمنزل جديه لامه **((شارل ولويز شفايتزر))**. وقد عرف سارتر سنى طفولة سعيدة فى ذلك البيت الذى يسيطر عليه الشيخ المسن الملتحى الذى يحب حفيده حبا مفرطا والذى ترهبه زوجه لويز وابنته آن مارى . يقول سارتر فى كتابه «الكلمات» **((أى كرم يسود أسرتنا : فجدى يعولنى ، وانا اسعده ، والدتى تتفانى فى خدمة الجميع))** .

ولكن شارل شفايتزر الذى يشتغل بتدريس اللغة الالمانية يملك مكتبة رائعة جعلت حفيده يقول : **((وحتى قبل ان اتعلم القراءة بدأت أقدس تلك النصب المرفوعة ...))** وسرعان ما يتعلم الطفل القراءة فيمضى معظم وقته فى عالم الكتب السحرى وكان للجد الفضل فى دفع حفيده الى الكتابة . وهاهو ذا يرد على رسائل جده المنظومة برسائل منظومة كذلك. واليوم يرى سارتر فى شعره ونثره المبتكر الكثير من الادعاء ولكنه يقر بأن **أعظم ماكان يثيرنى هو رؤية ((نبش الفراغ)) يتحول الى وجود مادى ، لقد كان فى ذلك تحقق لما هو خيالى .**

● وفى اكتوبر ١٩١٥ يدخل سارتر ليسيه هنرى الرابع ، فتتوقف حياته الادبية الى حين ولكن دخول المدرسة كان حدثا بعيد الاثر فى حياته ، فقد خرج من عزلته فى البيت الى عالم جديد فيه عمل وفيه رفاق دراسة وفيه اكتشف سارتر الصداقة فى شخص **((بول ـ ايف نيزان))** زميله فى الفصل الخامس . وفى ١٩٢٢ يحصل على البكالوريا ثم

يعد لمسابقة دخول مدرسة المعلمين العليا «نورمال» ويجتازها بنجاح فى ١٩٢٤ ومعه صديقه نيزان . وفى تلك المدرسة العتيده يلتقى سارتر بسيمون دى بوفوار التى تقول عن هذا اللقاء فى كتابها ((**قوة الاشياء**)) : ((**لقد اظننى كائنا ممتازا لاننى لم أكن أتصور أن أعيش دون أن أكتب،وحين لقيته وجدته لا يعيش بالفعل الا ليكتب ...**))

● **وفى ١٩٢٩ يحصل سارتر على اجازة التدريس ((الاجريجاسيون)) ويؤدى الخدمة العسكرية لمدة عامين . وفى فبراير ١٩٣٩ يمارس عمله فى التدريس لاول مرة فى ليسيه الهافر حيث عاش لمدة سنتين وجعل من تلك المدينة اطارا لروايته الشهيرة ((الغثيان)) . ثم يقطع اقامته فى الهافر ليمضى عامين فى برلين يتعمق خلالها دراسة الفلسفة الالمانية !**

● **وفى ١٩٣٦ يظهر كتابه الاول ((الخيال)) ثم ينتقل الى ليسيه لاون حيث يتولى التدريس فى فصول الاعداد لمسابقةمدرسة المعلمين العليا.وفى يوليه ١٩٣٧** تنشر له ((**المجلة الفرنسية الجديدة**)) لاول مرة قصة قصيرة بعنوان ((**الجدار**)) . وفى نفس السنة ينقل الى ليسيه باستير فى باريس . وفى العام التالى تنشر له دار«جاليمار»رواية ((**الغثيان**)) ثم تتلوها مجموعة من القصص القصيرة تحمل اسم أولاها وهى ((**الجدار**)) ، وبهما يبدأ اسم سارتر يشق طريقه فىعالمالادب فى العاصمة الفرنسية .

● وبقيامالحربالعالميةالثانية يستدعى للخدمة العسكرية ، ويقع اسيرا بيد الالمان فى مقاطعة اللورين فى يونية ١٩٤٠ يومتوقيع الهدنة بين فرنسا والمانيا.وينجح سارتر فى الهرب من معسكر الاعتقال بعد حوالى عام مععدد آخر من الاسرى نجحوا فى الحصول على بطاقات شخصية مزيفة تثبت أنهم مدنيون وقرر الاطباء عدم لياقتهم بدنيا لاعمال السخرة التى كان يفرضها الالمان على شباب فرنسا .

● وفى العام الدراسى ٤٢/٤١ يعود سارتر للتدريس فى ليسيه باستير ويشارك فى اقامة شبكة مقاومة ضد الالمان تحت اسم ((**الاشتراكية والحرية**)) تضم عددا من المثقفين من بينهم((**ميرلو بونتى**)) الفيلسوف المعروف ، و ((**ديسانتى**)) الكاتب الشيوعى ، **وسيمون دى بوفوار** . ثم ينقل بعد ذلك الى ليسيه كوندورسيه وفى ١٩٤٣ يدخل((**اللجنة الوطنية للكتاب**)) وهى الهيئة التى عملت على أن تجمع فى صفوفها كل الكتاب والادباء المعادين للنازية وفى مقدمتهم **آراجون وكوكتو . واليوار** .وفى نفس الوقت يعاون شبكة مقاومة أخرى معروفة باسم ((**النضال**)) عن طريق صلته ((**بألبير كامو**)) . ثم ينضم الى ((**اللجنة الوطنية للمسرح**)) التى كانت تقود حركة المقاومة فى هذا المجال حول الممثل الشهير((**شارل ويلاف**)) الذى يخرج مسرحية سارتر ((**الذباب**)) التى تعتبر من روائع ادب ((**التهريب**)) . حيث أمكن تمثيلها فى ظل الاحتلال الالمانى مع أن دلالتها العميقة هجوم على الالمان .

● وبعد تحرر فرنسا فى١٩٤٤ ينشر له « جاليمار » مؤلفه الفلسفى الكبير((**الوجود والعدم**)) ثم الجزء الاول فالجزء الثانى من مؤلفه الروائى الاساسى ((**دروب الحرية**)) . وفى سنة ١٩٤٥ تخرج الى المسرح((**جلسة سرية**)) أكثر مسرحياته تعبيرا عن فلسفته الوجودية ، وفى نفس السنة يظهر العددالاول من مجلة ((**الازمنة الحديثة**)) ، ويبدأ خلاف سارتر مع الشيوعيين .

● فى ١٩٤٨ يشترك مع ((**دافيد روسيه**)) وعدد آخر من المثقفين اليساريين فى تكوين ((**التجمع الديموقراطى الثورى**)) الذى يعادى الحزب الشيوعى الفرنسى ويهاجمالاتحادالسوفيتى وفى نفس الفترة تظهر مسرحية ((**الايدى القذرة**)) ، ولكنه سرعان ما ينفصل عن ((**روسيه**)) حين عرض هذا الاخير ـ كما تقول سيمون دى بوفوار ـ على « التجمع » قبول تمويل أمريكى عن طريقاتحاد النقاباتالامريكى الذى مول فى نفس الفترة عملية انقسام فى صفوف اتحاد العمال الفرنسى .

● وفى ١٩٥١ يحصل سارتر على أكبر نجاح مسرحى عند الجمهور عند عرض ((**الشيطان والرحمن**)) . وفى نفس السنة التالية ينشب خلاف حاسم بينه وبين ((**ألبير كامو**)) عقب نشر كتاب كامو ((**المتمرد**)) فى حين يطلب اليه الشيوعيون المشاركة فى دراسة عن ((**هنرى مارتان**)) الذى كان مجندا فى البحرية وعضوا فى الحزب الشيوعى . وكان هنرى مارتان يقوم بنشاط واسع ضد حرب الهند الصينية فدبرت له قضية تخريب وحكم عليه بالسجن ثم صدر عفو لصالحه عقب توقيع الهدنة فى ١٩٥٤ . وقد ظهر كتاب سارتر ((**قضية هنرى مارتان**))فى ١٩٥٣، وفى عدد يولية ١٩٥٢ من مجلة الازمنة الحديثة ظهر دراسة سارتر المشهورة ((**الشيوعيون والسلام**)) .

● وفى اكتوبر ١٩٦٤ رفض سارتر جائزة نوبل للادب تعبيرا عن استنكاره للموقف الرجعى الذى تتميز بههيئةالجائزة والذى يتمثل فى عدم منحها لكتاب كبار لمجرد أنهم سوفيت أو شيوعيون واعطائها لاخرين لانهم يعبرون عن مصالح الغرب وبغض النظر عن قيمتهم الادبية .

مؤلفـــات ســـارتـــر

أولا : المؤلفات الفلسفية PHILOSOPHIE

1. L' Imagination (Presses Universitaires de France, 1936)

الخيال : — موضوعه طبيعة الخيال والصورة الخيالية ، ونقــد النظريات الفلسفيــة التي تعرضت لهذا الموضـــوع وبالاخص نظـــرية برجسون .

2. Esquisse d'une théorie des émotions (Hermann & Cie, 1939)

مشروع نظرية عن الانفعال : — موضـــوعه دراسة الانفعال فى ضوء المنهج الفينومنولوجى ونقد النظريات التى تناولت هذا الموضوع ، وبالاخص نظـــرية وليم جيمس وبيـــير جانيه وفرويد .

3. L' Imaginaire : psychologie phénoménologique de l'imagination (Gallimard, 1940)

الخيالى ، دراسة سيكلوجية فينومنولوجيـــة للخيال، هذا الكتاب يدور على موضوع الخيال وليس على فعل الخيـــال ، ومنـــه ينتقل الى دراسة الوجود .

4. L' Etre et le néant; essai d'ontologie phénoménologique (Gallimard, 1943).

الوجود والعدم ، محاولة لتأسيس علم للوجود الفينومنولوجى . الفكرة المحـــورية فيـــه ، التفرقة بين الوجود لذاته والوجود فى ذاته من أجل تقييم الحرية الانسانية

5. L' Existentialisme est un humanisme (Nagel, 1946)

الوجودية فلسفة انسانية، دفاع عن الوجودية بسبب سوء فهمها

6. Critique de la raison dialectique, tome I (Gallimard, 1960)

نقد العقل الديالكتيكي . موضوعه العلاقة بين الماركسية والوجودية .

ثانياً : الروايات ROMANS

1. La Nausée (Gallimard 1938)

الغثيان . اول رواية تدور عـــلى الحـــرية المجانية او الفارغة

2. Les Chemins de la liberté :
   1. L' Age de raison, 1945 .
   2. Le Sursis, 1945
   3. La Mort dans l'âme, 1949 .

دروب الحرية . رواية فى اربعة أجزاء . صدر منها ثلاثة اجزاء :

١ — سن الرشد ».
٢, — وقف التنفيذ ».
٣, — الموت فى النفس ».

ثالثا : أقاصيص , NOUVELLES

Le Mur, 1939 (Le Mur - La Chambre - Erostrate - Intimité - L' Enfance d'un chef)

الجدار . (الجدار — الغرفة — ايروستراتوس — علاقة حميمة — طفولة رئيس)

رابعا : مسرحيات Théâtre

1. Les Mouches, 1943 الذباب
2. Huis Clos, 1944 . جلسة سرية
3. Morts Sans Sépulture, 1946 موتى بلا قبور
4. Les Mains Sales, 1948 الايدى القذرة
5. La Putain Respectueuse , 1946 المومس الفاضلة
6. Le Diable et le Bon Dieu, -951 الشيطان والرحمن
7. Kean (a'aprés Alexandre Dumas) , 1954 . كين
8. Nekrassov, 1956 . نيكراسوف

9. Les Sequestrès D'Altona, 1960 سجناء الطونا

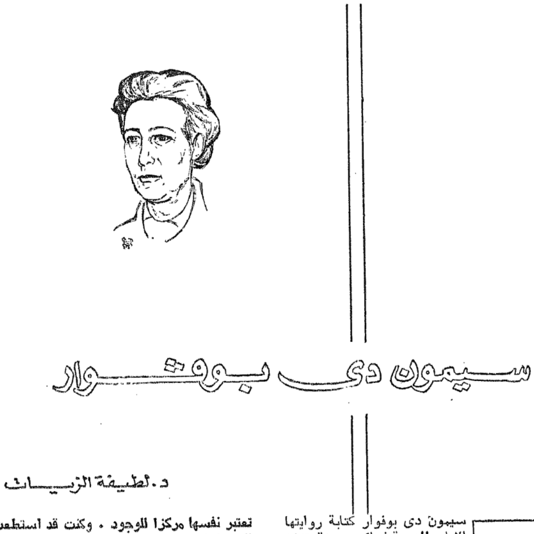
خامسا : أدب Littérature,

1. Situations, I, II, III, 1947 . مواقف .. سبعة اجزاء
2. Baudelaire, 1947 . بودلير
3. Saint Genet, Comédien et Marytr, 1952 القديس جينيه ، كوميديا وشهيدا
4. Qu' est-ce que la littérature ? , ما الادب وهو يشمل القسم الاكبر من الجزء الثانى من مواقف
5. Les Mots, 1964

سادسا : مقالات سياسية Essais Politiques

2. Matérialisme et Revolution 1946 . تأملات فى المسألة اليهودية
2. Matérialisme et Révolation, 1946
3. Entretiens sur la Politique (J.P. Sartre - David Rousset, - Gérard Rosenthal), 1949 محاورات فى السياسة (جان بول سارتر . ديفيد روسيه . جيرار روزنتال)
4. Les Communistes et la paix, 1952 الشيوعيون والسلم

نظرا لتخصيص « الطليعة » لحيز كبير منهـا لملف جان بول سـارتر والبحث الخاص بسيمون دى بوفوار، والدراسة الرئيسية ، نؤجل متـابعة نشر دراسة سـارتر عن « الوعى الطبقى عند فلوبير» الى العدد القادم.



د. لطيفة الزيات

بدأت سيمون دى بوفوار كتابة روايتها الاولى **المدعوة** فى اكتوبر سنة ١٩٣٨ وانهتها فى ربيع ١٩٤١ . وبين بداية هـذه الفترة ونهايتها كانت قوى النازية تجتاح اوروبا ووجه العالم يتغير .

ولاتملك سيمون دى بوفوار ازاء هذا التغير الا ان تتغير هى الاخرى ووقع التاريخ يجبرها اجبارا على مواجهة الواقع الذى افلحت من الهروب منه حتى هذا الحين .

وفى **قوة العصر** ، المجلد الذى تتابع فيه الكاتبة السيرة الذاتية التى بداتها فى مذكرات فتاة رصينة تصف هذا التغير .

وبينما كنت احاول جاهدة أن أخلق ، من عدم هذه الرواية تغير الجو وغابت الشمس واصبحت انسانة اخرى . وكان اهتمامى الوحيد حتى هذه الفترة ينصب على اغناء حياتى الخاصة ، وعلى تعلم التعبير عن هذه الحياة فى كلمات . وكنت قد تخليت بالتدريج عن اوهام فتاة العشرين التى تعتبر نفسها مركزا للوجود . وكنت قد استطعت التوصل الى الادراك الواعى لحقيقة وجود الاخرين ، غير ان علاقاتى الخاصة بهم كافراد ظلت هى العلاقة المستحوذة على اهتمامى . وكنت ومازال اتشوق حرقة الى السعادة . وفجاة انفجر التاريخ فى وجهى ووجدت نفسى اشلاء ، واستيقظت ذات يوم لاجد اشلائى موزعة على وجه البسيطة . وكل عصب من اعصابى مشدود لكل انسان على وجه البسيطة .. وانقلبت كل قيمى وافكارى راسا على عقب .. حتى السعى وراء السعادة فقد اهميته . وفى ١٩٤١ كتبت ((كم تبدو لى فكرتى السابقة عن السعادة فكرة قاصرة . ومع ذلك تحكمت فى عشر سنوات كاملة من حياتى . واظن انى قد تخلصت منها نهائيا الان)) . والواقع انى لم اتخلص منها تماما ولكن تعين على ، بعد ان توقفت عن اعتبار حياتى مشروعا قائما بذاته مستقلا تمام الاستقلال عما هو خارج عنه ، ان اعيد اكتشاف علاقاتى بعالم كنت قد نسيت تماما ملامحه .

وفهم ماهية هذا التحول وطبيعته هـو نقطة

البداية نحو فهم كتابات ومواقف واحدة من ابرز كتاب القرن العشرين ، ومن ابرز المناضلين عن قضايا الحرية والسلام فى النصف الثانى من القرن العشرين . ومن المستحيل ان يعرض الانسان لقصة التحول هذه دون ان يمس الحديث **«جان بول سارتر»** . فقصة تطور **«دى بوفوار»** من التمرد الى الثورية ، من المفهوم الفوضوى للحرية الى المفهوم الواعى المسئول ، من الفردية المغرقة فى مثاليتها وفى توحدها الى اعتناق الديالكتيكية الماركسية،هى قصة سارتر وان اختلفت التفاصيل . وكان من الطبيعى وقد عاشا معا فترة التمرد ، وفترة الاكتشاف الطويلة وفترة العمل الايجابى ثم فترة الاقتناع العقائدى ، ان تتقارب افكارهما بل وان تتقارب انفعالاتهما وهما يتبادلان يوميا الخبرات ويتوصلان الى النتائج المبنية على هذه الخبرات. وكان من الطبيعى والامر كذلك أن يتوصلا — بعد طول معاناة — لنفس التغير الايدلوجى الذى اقتضته حتمية الظروف التاريخية من حولهما وان اتسم هذا التغير وصورته بفردية كل منهما على حدة وبقدراته وبتكوينه النفسى وباهتماماته وبمزاجه .

وقد كان اهتمام **«سارتر»** بالفلسفة وبالمجردات وبالادب دائما اهتماما ملحوظا . بينما كان اهتمام **«دى بوفوار»** بالحياة والمحسوسات اهتماما اعمق واحد . وكانت الكتابة ، او بمعنى اصح ، العمل هو محور حياة سارتر دائما ، بينما كانت الرغبة فى التوصل الى السعادة تشكل المكانة البارزة فى حياة **«سيمون دى بوفوار»** لفترة من الفترات . وكان **«سارتر»** دائما اكثر مرونة منها واكثر قابلية على العمل السياسى بكل مايقتضيه هذا العمل من جهد ومن اجتماعات ومن مناورات وتنازلات احيانا .

ولهذا كان من الطبيعى ان يكون لسارتر ، كما تعترف **«سيمون دى بوفوار»** ،فضل المبادرة فى التفكير السياسى وفى المواقف السياسية الايجابية ايضا . ولايعنى هذا بحال ان دور **«سيمون دى بوفوار»** قد اقتصر على دور المرأة المحبة . فهى حين اختارت سارتر ، وهى فى العشرين من عمرها اختارت فيه المتمرد على اليمين وعلى قيم واخلاقيات البورجوازية التى تمردت ضدها . وهى حين سارت على الدرب الذى سار عليه سارتر اختارت هذا الدرب عن اقتناع وعن انفعال كما يتضح من كتاباتها ومن مواقفها . واذا كان لسارتر فضل المبادرة العقلية فمما لا شك فيه أن **لسيمون دى بوفوار** فضل المبادرة الانفعالية ، وفضل المعاناة الذى يرجع الى طبيعة تكوينها النفسى . فمنذ ان تبنت دى بوفوار قضية الحرية للبشر فى كل مكان بصرف النظر عن الجنس واللون والدين ، وهى تعيش هذه القضية ، لابقلمها ومجهودها وعقلها فحسب ، بل بكل مشاعرها وأحاسيسها ، وحياتها باكملها تتلون بهذه المشاعر والاحاسيس . وقضية الحرية تشغل اليوم فى حياة سيمون دى بوفوار نفس المكانة التى شغلتها قضية السعادة فى حياتها فى فترة الصبا .

قضايا الحرية وموقف دى بوفوار

وكتابات سيمون دى بوفوار ، ومواقفها فى الخمسينيات الى جانب قضايا الحرية فى العالم كتابات ومواقف تسجلها كمناضلة عظيمة وكنصيرة لحقوق الشعوب لاتعرف التنازل ولاالمساومة ولا انصاف الحلول . ولعل اشهر هذه المواقف هو موقفها الى جانب **ثورة الجزائر** ضد المستعمرين الفرنسيين . وفى وجه التعصب الوطنى الاعمى وفى وجه التهديد من جانب الارهابيين بالنسف والتدمير ، وفى وجه السفاهات والصغائر من جانب المتعصبين وقفت دى بوفوار مع من وقفوا الى جانب الشعب الجزائرى وهى تطالب بايقاف المجزرة البشرية وتحرير أرض الجزائر من جلاديها .

وتلتصق هذه القضية التصاقا وثيقا بحياة سيمون دى بوفوار حتى تكاد تشغل المجلد الثانى من **قوة الاشياء** الذى تكمل به سيرتها الذاتية سنة ١٩٦٣ . وقد اشتركت فى جميع مظاهر الاحتجاج ضد الاستعمار الفرنسى سواء على المستوى الشعبى او مستوى رجال الادب ، كما اشتركت فى فضح فظائع هذا الاستعمار على صفحات مجلة **الازمنة الحديثة** ، وفى مقدمة لكتاب **جميلة بوباشا** كتبته جيزيل حليمى، المحامية الفرنسية التى ترافعت عن «جميلة بوباشا» .

ولم تحتج سيمون دى بوفوار على مأساة الحرية فى الجزائر فحسب بل عاشتها يوما بيوم وهى تعانى من الشعور بالانفصام عن الشعب الفرنسى المضلل الذى يناصر حكومته،بل بنوع من الكراهية لهذا الشعب . وفى المجلد الثانى **قوة الاشياء** تسخر من نفاق الفرنسيين الذين يبكون فى المسرح ليلا على المصائب التى نزلت بالطفلة اليهودية «آن فرانك» على يد رجال النازية ، ويصمون آذانهم عن صرخات الاطفال العرب الذين يحتضرون ويموتون ويصابون بالجنون فى الجزائر . وكان نفاق الفرنسيين ، الذين لابد لهم دائما وابدا ان يقنعوا الوحشية ، يثير اشمئزازها. وكان ارتباطها الوثيق بهم يجعلها تعانى من الشعور بالذنب . فهى اولا واخيرا مسئولة عن الدماء التى تسيل فى الجزائر . فهى أخت الذين يعذبون ويحرقون ويذبحون ويجوعون . وهى تستشعر بالخجل لانها تستطيع ان تعيش وتتمتع بالحياة فى الوقت الذى تدور فيه هذه المجزرة البشرية . وهى لاترضى عن نفسها الا فى تلك اللحظات التى تود فيها لو اصيبت بالعمى فلا تقرأ ماتقرأ ، وبالصمم حتى لاتسمع مايروى . وان تموت حتى لاتعرف ماتعرف عن فظائع الاستعمار الفرنسى فى الجزائر .

ولم يحدث هذا التطور فى حياة **سيمون دى بوفوار** كما لم يحدث فى حياة **سارتر**، ما بين يوم وليلة وانما استغرق سنينا . ومن الصراع الدائم المتجدد بين الفتاة اللاهية التى تستوعبها السعادة ولاتريد غيرها بديلا ، وبين الانسانة المسئولة التى تشعر بواجباتها تجاه نفسها كانسانة وبواجباتها تجاه البشرية ولدت سيمون دى بوفوار الكاتبة القديرة . وكان من المستحيل ان تولد بدون هذا الصراع وبدون هذه المعاناة . ولو لم تمر سيمون دى بوفوار بالتغير النفسى الذى عانته فى الاربعينيات نتيجة للانتصار المؤقت للنـــازية ، والتغير الايديولوجى الذى حققته فى الخمسينيات لربما كتبت كما ارادت دائما ان تكتب الرواية . فالانسان الذى يعيش يعانى ، سواء اكانت معاناته محصورة على النطاق الخاص او تمتد الى النطاق العام . ولكن رؤيتها كانت قطعا ستختلف اختلافا جذريا عن الرؤية التى تعمر كتبها ، تلك الرؤية التى تتسم بالغنى والخصوبة والشمول . فمع اختلاف نظرة سيمون دى بوفوار الى الحياة اختلفت نظرتها بالتالى الى الادب .

وفى العشرين من عمرها كانت سيمون دى بوفوار قد قررت أن تصبـــح كاتبـــة ، وكان ذلك سنـــة ١٩٢٩ . ولم تبدأ فى روايتها الاولى ((**المدعوة**)) الا سنة ١٩٣٩ اى بعد عشر سنوات من لقائها بسارتر ، وبعد ان بدات هذه العلاقة تئن تحت وطاة تدخل الاخرين . واذ ذاك ، واذ ذاك فقط وجدت سيمون دى بوفوار الدافع والارادة لان تكتب . فالادب كما تقول فى **قوة العصر** :

((**يولد حين تختل الحياة بعض الاختلال . ويلزم الانسان عنصر اساسى لكى يكتب . لابد له وان يتوقف عن رؤية الحقيقة كأمر مفروغ منه، واذ ذاك فقط يستطيع ان يراها ، واذ ذاك فقط يستطيع ان يوفر للآخرين رؤيتها**)) .

وقد استوعبت السعادة مع سارتر حياة سيمون دى بوفوار فى الفترة من ١٩٢٩ الى ١٩٣٩ . وكانت تنهل دون ان ترتوى من منابع الحياة ، ولايزعجها فى شىء انها لم تحقق بعد املها فى ان تصبح كاتبة . وكان كل شىء يبدو لها رائعا ، فحياتها ملك يديها تشكلها كما تشاء . وقد ارادت السعادة وجاءت لها السعادة تسعى ، وارادت الحرية ، وتحققت لها الحرية بمفهومها المعين للحرية اذ ذاك . وماعليها الا ان تريد ليكون .

وكان هذا هو وهم فتاة العشرين ، ذلك الوهم الذى بدات حقائق الحياة تزلزله وسيمون دى بوفوار تقترب من الثلاثين . فالحياة لاتخضع لها كما تصورت انها ستخضع لها وهى لاتنفرد بتشكيل حياتها كما توهمت انها تستطيع . فهناك الاخرون وحقيقة وجود الاخرين ، الاخرون الذين لايساهمون فحسب فى صنع سعادتنا بل يساهمون ايضا فى تحطيمها .

ووجدت سيمون دى بوفوار موضوعا حين اهتزت رؤيتها للحقيقة بعد ان تهددت سعادتها ، ووجدت القدرة على معالجة الموضوع .

ولكن مفهومها الواعى لوجود الاخرين بقى حتى هذه اللحظة مفهوما محصورا بحدود الافراد الذين يؤثرون وتؤثر فيهم ، ويدورون فى نطاق علاقاتها الشخصية . وكذلك ظل مفهومها للادب نابعا من تكوينها النفسى فى هذه المرحلة .

وكانت سيمون دى بوفوار حتى هذه المرحلة ، ويصح هذا الكلام ايضا على سارتر، متمردة لاثورية كانت تعادى البورجوازية بمنطق البورجوازية وهى تتوهم انها تحررت من قيود الزمن والوطن والطبقة والوظيفة والعصر . وكانت تظن كما كان سارتر يظن، ان حقيقتها ككاتبة لاترتبط بالحاضر ولا بالمؤقت بل بالمستقبل وبالخلود . وكانت تريد ، كما يريد كل يسارى للعالم ان يتغير وللاشتراكية ان تنتصر وللبورجوازية ان تندحر بكل قيمها الزائفة . وكانت على ثقة ان كل هذا سيتحقق فى المستقبل القريب وبلا عناء كبير ، وبلا حاجة أن تتدخل هى أو يتدخل سارتر سوى عن طريق الكتابة .

وغذى هذا التفكير منطق فلسفى مثالى تغلب عليه النزعة التفاؤلية الطفولية ، منطق يجد جذوره فى فلسفة **((كانت))** حيث لافاصل هناك يفصل بين الرغبة وتحقيق الرغبة . وساند هذا التفكير مفهوم سارتر عن الحرية التى تبنته سيمون دى بوفوار والذى يتلخص فى حرية الاختيار وحرية الفعل . وغاب عن سيمون دى بوفوار كما غاب عن سارتر ان حرية الاختيار وحرية الفعل انما هى ميزة لايتمتع بها سوى القادرين . ولولا ميزات التعليم والثقافة واليسر المادى التى اتاحتها الطبقة البورجوازية لكليهما، ولولا انتمائهما لهذه الطبقة التى اعلنا الحرب عليها لما تهيات لهما حرية الاختيار وحرية الفعل . فحرية الاختيار وحرية الفعل بمفهوم سارتر ، كما أكتشف هو فيما بعد ، ليست حرية مطلقة ولكنها حرية القادرين . ومفهوم سارتر عن الحرية فى هذه الفترة مفهوم يصدر عن أخلاقيات مثالية . وكان الانصراف عن السياسة، كما تقرر سيمون دى بوفوار، هو فى حد ذاته موقف سياسى ينطوى على الابقاء على الوضع القائم .

وكانت سيمون دى بوفوار تتوقف احيانا لتسائل فلسفة سارتر عن الوجود والعدم .. هذه الفلسفة التى مستها حتى العظام وهى تدرك من تجربتها الشخصية عدم جدوى المحاولة الدائبة اليائسة لايجاد الذات من خلال الاخر . وضرورة الاختيار والفعل لتوكيد هذه الذات . فالحل الذى يقترحه سارتر فى رأيها حل غير مطلق، والعلاقة بين الموقف والحرية علاقة لاتستوى فى كل الاحوال . والظروف المادية المحيطة قد تعدم قدرته على تجاوز الموقف المعين الذى يجد نفسه فيه ، وتلغى امكانية توكيد وجوده عن طريق عمل ايجابى فعال . وكان لابد لسيمون أن تتخلى أولا عن أخلاقياتها المثالية الفردية

لتتوصل الى هذه الحقيقة ، حقيقة استحالة تمتع الانسان بحرية كلية فى ظل قوى مادية واجتماعية تتحكم فى كيان وفى موقفه ومصيره .

وكانت نظرة سيمون دى بوفوار الى الادب حتى هذه الفترة تتسم بنفس النظرة المثالية الفردية وبتشوقها الدائب الى المطلق ، ذلك التشوق الذى عانت طويلا حتى تخلصت منه او كادت . وقد ارادت للادب ان يحقق المطلق الذى يستحيل ان يتحقق فى الحياة . ومن هنا جاء ميلها فى التعبير الادبى لكل ماهو غريب ومجرد ونقى شديد النقاوة ، ومفصول اشد الانفصال عن واقع الحياة ، ومن هنا جاء تفضيلها للافلام السيريالية وللفن التشكيلى التجريدى ، ومسرح العرائس ، والاقنعة الافريقية وكل مايميز الفن كفن، ويباعدبينه كفنوبين الحياة . ولم تكن سيمون دى بوفوار تكره الواقعية فى الادب فحسب بل كانت تكره ايضا التراجيديا وكل مظاهر المعاناة ، وكل ما يفضح العاطفة بصورة مبالغ فيها .

وكان من الطبيعى والامر كذلك ان تتسم روايتها الاولى المدعوة (١٩٤١) ببعض الافتعال . فبالرغم من ان الحدث يدور حول فكرة الاخر التى صدرت عن انفعال حقيقى فالتصوير لهذا الانفعال مفصول عن جذوره فى التجربة الانسانية . وقد اقتلعت سيمون دى بوفوار الشخصيات من واقعها المادى الذى يضفى على تصرفاتها الواقعية والاقتناع فى حرص على الا تخلط بين الفن والحياة وبين الخيال والواقع . وكانت النتيجة ان افتقد الحدث عنصر الاقتناع وافتقدت معظم الشخصيات مقومات التطور والحياة . وبالرغم من أن رواية **المدعوة** كتبت فى فترة التحول من ١٩٣٩ الى ١٩٤١ ، الا انها تمثل بالنسبة للكاتبة رؤية ماض مات بلا عودة .

وفى الرواية التالية **دم الاخرين** (١٩٤٤) بدات سيمون دى بوفوار مرحلة جديدة من مراحل تطورها ككاتبة قصصية ، مرحلة لصيقة الارتباط بتطور رؤيتها للحياة . وفكرة الاخر ماتزال تشغل الكاتبة فى هذه الرواية ، ولكن مفهومها للاخر قد عانى الان تطورا ملحوظا . فالحقيقة الانسانية تتحقق وتعبر عن نفسها فى كل فرد انسانى على حدة ولكن كل فرد انسانى قادر بدوره على تعريض هذه الحقيقة الانسانية ككل للخطر . وفكرة الفرد عن نفسه لاتقوم منفصلة بذاتها عن مجتمعه فهى تتوقف على مدى سعى هذا المجتمع ككل لتحقيق حريته او التزامه بالخنوع امام القوى الذى تخنق هذه الحرية . ومع هذا فالفرد قادر فى ذات الوقت على التصدى للفكرة الكلية التى تتحكم فى مجتمعه اما بالرفض او القبول . وهى انطلاق من هذه المرحلة لاتدرك الفردية الا فى ارتباطها بالجماعية بعد ان كانت تضع الواحدة فى مواجهة الاخرى . وهى لاتتصور الحرية ، على انها محاولة من الفرد لتجاوز الاطار الاجتماعى الذى يجد نفسه فيه ، بل محاولة لتغيير هذا الاطار الاجتماعى تغييرا موضوعيا بهدف اقامة بناء يتوافق وامانيه .. وهذا هو الاشتراكية .

وبرواية **دم الاخرين** تدخل سيمون دى بوفوار فى مرحلة من تطورها الفنى استمرت اعواما ، مرحلة ينقصها النضج الفنى وان اتسمت بشمول النظرة . وفى هذه المرحلة نجد الفكرة تسيطر على الخيال والرغبة فى الوعظ تغلب على متطلبات الخلق الفنى والنهايات مقفولة تحكمها الافكار المجردة والاحكام العامة . والى هذه المرحلة التى تفتقر فيها رؤية الكاتبة للحقيقة الى الخصوبة والغنى ، وتبدو فيها الحقيقة بوجه واحد بدلا من ان تبدو بكل وجوهها المتناقضة المتعارضة تنتمى مسرحية الافواه اللامجدية

وتعزو سيمون دى بوفوار القصور الذى عاب كتاباتها فى هذه الفترة الى جذورها فى تكوينها النفسى . فقد كان تقبلها لفكرة الترابط والمسئولية الانسانية وموت الفرد فى سبيل اضفاء معنى على الحياة تقبل عقلى بحت فرضته الظروف ، تقبل لايتحول الى حس لان فرديتها ترفضه ولاترغب له ان يتحول الى حس . ولم تستطع سيمون دى بوفوار ان تخرج من هذه المرحلة التى غلبت عليها النزعة التعليمية والاخلاقية الا بعد ان تحول الاقتناع العقلى الى اقتناع وجدانى .

المثقفون ومرحلة النضج

ومع رواية **جميع البشر يموتون** دخلت سيمون مرحلة النضج التى اثمرت فيما بعد اعظم اعمالها الروائية **((المثقفون))**. وبالرغم من ان الكاتبة تفر فى **جميع البشر يموتون** من واقع عصرها الى التاريخ لتختار منه موضوع الرواية . وبالرغم من هذا الفرار فى حد ذاته ينطوى على رغبة فى تجنب مواجهة الواقع ، الا ان الفكرة التى تنبنى عليها الرواية وثيقة الاتصال بهذا الواقع . والصراع فيها بين النسبى وبين المطلق ، بين رغبة الانسان فى ان يكون كل شىء واستحالة ان يكون كل شىء ، وبين رغبة الانسان ان يتوحد والكون وبين اكتشافه لاستحالة تحقيق هذا الحلم لان الكون مكون من حريات فردية كل حرية منها عالم قائم بذاته لايتحمل الغزو .

((**وفوسكا**)) البطل يحاول ان يسعى الى الخلود عن طريق التوحد مع البشر ، وهو لايريد ان يضيع فى البشر وانما يريد للبشر ان يضيعوا فيه ، وهو يريد لهم الخير ، ولكن الناس لايريدون لاحد ان يسلبهم حرياتهم ولو كان الخير هو ثمن هذه الحريات . وهو بجنونه الفردى لايجلب فى النهاية لشعبه سوى الدمار . و **((ريجين))** البطلة تسعى الى الخلود هى الاخرى فى حماقة لاتقل عن حماقة ((**فوسكا**)) وهى لاتسعى الى الخلود

عن طريق التوحد مع البشر، ولكن عن طريق التوحد مع فوسكا . وهى ان استطاعت ان تكون كل شىء بالنسبة لفوسكا ستضمن هذا الخلود التى تطمح فيه . ولكن انسانا ما لايستطيع ان يعيش من خلال الاخر ، ومصيره لابد وان ينتهى الى الجنون ان تمسك بهذا الوهم . وفى مواجهة **((فوسكا))** يقف **((ارمان))** فى تناقض يمثل ، بلا فردية مجنونة التزام الانسان بمتطلبات عصره عقلا وحسا .

ورؤية الكاتبة للحقيقه فى هــذه الروايه رؤية خصبة وغنية فلا وجهة نظر «فوسكا» تلغى وجهة نظر « ارمان » ولا محاولة « ريجين » لايجاد ذاتها من خلال الاخر تقابل بالاحتقار . فلكل وجهة نظره التى تعارض الاخرى ، والحدث يثير اسئلة ولايقدم اجابات محددة لهده الاسئلة وهو يحاول الامساك بالحقيقة دون املاء صيغ واحكام على هذه الحقيقة . وبينما قامت **دم الاخرين** على فكرة مجردة بقيت مجردة لايجسمها البناء الفنى ، استطاعت الكاتبة ان تحيا تجربتها وجدانيا وحسيا وان تنقلها من الواقع الى الخيال فى **جميع البشر يموتون** .

وتبقى لسيمون دى بوفوار ان تحقق الفكره الجديدة التى اكتسبتها عن الادب فى القالب الروائى . فالتزام الكاتب فى نظرها ليس اكثر ولا اقل من تواجده تواجدا كليا فى كتابته . وكان هذا التواجد الكلى مستحيلا دون ان تتعرض الكاتبة لعصرها ولتجربتها خلال هذا العصر . وفى **((المثقفين))** حققت دى بوفوار فكرتها الجديدة عن الالتزام وفكرتها الجديدة عن الادب . وقد وضعت رواية **((المثقفين))** سيمون دى بوفوار عن جدارة فى مصاف كبار كتاب الرواية المعاصرين ولم يسبق ان تحقق لها قط ما تحقق لها فى **المثقفين** من حيث شمول الرؤية والنضج الفنى .

وقد تنوعت كتابات سيمون دى بوفوار بين الرواية وبين النثر اللاروائى ولها فى كل المجالين سجل كبير يثير الاحترام . وبالرغم من انها لم تعاود كتابة المسرحية بعد **الافواه اللامجدية** فقد صدرت لها اخيرا رواية بعنوان **((الصور الجميلة))** .

وتعتبر سيمون دى بوفوار الرواية والدراسات وجهين مختلفين من اوجه النشاط تجد نفسها فى كليهما وان اختلفت الصوره . فالرواية كما تقول تعكس الدهشة المتجددة التى تعانيها تجاه الوجود والوجود لايمكن تجريده الى افكار مجردة او الى احكام او صيغ ومن ثم فلابد وان تتضمن الحقيقة بكل اوجهها وكل مفارقاتها . اما الدراسات فتعبر عن اتجاهات الكاتبة التطبيقية وعن معتقداتها الفكرية .

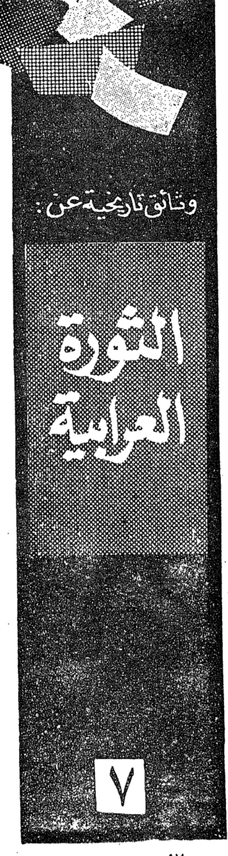
وتدخل بيروس وسيناس ، واخلاقيات الالتباس فى مجال الدراسات النفسية ، واهمية هاتين الدراستين اليوم اهمية تاريخية بحتة ، وهى مهمة بقدر ماتعبر عن مرحلة من مراحل تطور تفكير الكاتبة ولكنها لا تمثل بحال نظرتها الفلسفيــة الان الى الوجود . وهى شخصيا تدرك اليوم ان من العبث ايجاد فلسفة مفصولة عن الواقع المادى وتعيب النظرة الاخــلاقية المثــالية التى شــابت هاتين الدراستين .

وينتهى كتاب **((موت لطيف للغاية))** التى تصف فيه الكاتبة موت امها الى ادب السيره الذاتية التى انشغلت بها فى الفتره الاخيره والتى اصدرت منها حتى الان اربع مجلدات . ولما كانت حياة سيمون دى بوفوار قد ارتبطت ارتباطا لصيقا بمختلف التطورات السياسية فى فرنسا وفى العــالم فى الفتره التى عاشتها فسيرة الكاتبة اشبه ماتكون بسجل تاريخى من وجهة نظر امراة اولا ومن وجهة نظرة كاتبة تحالفت مع اختلاف ، مع كل قوى التقدم فى العالم . وان كان هذا لايجعل السيرة بحال اقل ذاتية . فسيمون دى بوفوار قد اكتشفت حقيقة التاريخ بوجدانها اكثر مما اكتشفتها بعقلها . وهى قد اكتشفته يوما بعد يوم من الحقائق الملموسة والمعاشة ، وهذا الاكتشاف ، على حد قول الكاتبة مغامرة لاتقل ذاتية وتفردا عن تطورها الذاتى . والواقع ان هذه الســيرة الذاتية تضفى المعنى لاعلى حياة الكاتبة فحسب بل على حياة القارىء والقارئة على وجه الخصوص . فما من قارئة تستطيع ان تمر بسيرة سيمون دى بوفوار دون ان تجد نفسها بصورة او اخرى فى هذه السيرة . والكاتبة حين تعرى نفسها فى شجاعة نادرة تخرج من المستوى الخاص الى المستوى العام وتضفى المعنى على الحياة الانسانية فى تلونها وتعددها .

وتدين المراه لسيمون دى بوفوار بالشكر على هذه الدراسه الممتازه التى اجرتها عن المراة تحت عنوان **الجنس الثانى** . وفى هذا الــكتاب تدحض الكاتبة المفتريات التى احاطت بالمراة طويلا . وتبرز الاختلافات بين الرجل والمراة وتتبع هذه الاختلافات من الطفولة الى الشيخوخة وترجعها الى اسبابها فى الثقافة لافى طبيعة المراة ذاتها . وقد تعرضت سيمون دى بوفوار لالوان من الهجوم والاضطهاد بعد ظهور هذا الكتاب ولكن يكفيها عزاء انها قدمت العون للكثير من النساء . وكان من الممكن ان يكون العون اكبر لو بنت سيمون دى بوفوار النتائج التى توصلت اليها فى هذه الدراسة على خلفية مادية تاريخية تصلها بجذورها فى الواقع الاقتصادى والاجتماعى . ولو فعلت لافسحت الامل فى الخلاص بالنسبة للمراة فى حالة بزوغ مجتمع لاطبقى .

والكاتبة تعترف اليوم بهذا القصور فى بنــاء النتائج على خلفية مادية . والسؤال الذى يثيره هذا الاعتراف هو : هل لو تغيرت البداية تتغير النهاية ؟ ان العون الذى يقــدمه **الجنس الثانى** للقارىء عون قاصر ، فهو يهبها عزاء يتمثل فى انها ليست فريدة فى المعاناة فكل جنسها يشاركها نفس المعاناة . ولكن هذا العون لايهبها بحال الامل فى الخلاص ولا الطريق الى الخلاص .





النصوص الكاملة لمحاضر التحقيقات مع :
محمد شوقى ، وأحمد عبد الغفار ، ومحمد شكرى ، وأحمد نير السوارى ، ومحمد حمدى

كان محمد ((بك)) شوقى اميرالاى ٢ جى بيادة الذى اشترك فى حصار عابدين ، اوضح فى التحقيقات مقاومته لاتجاه الضباط والعساكر للاشتراك فى الحصار . اما احمد ((بك)) عبد الغفار ، فقد اشترك مع العرابيين فى حلف اليمين بقشلاق عابدين ، كذلك فان الايه حضرالى مقر عابدين فى واقعة ٩ سبتمبر سنة ١٨٨١ ، كمااوضح هو فى التحقيقات ، انه حضر ((بأمر الحضرة الخديوية ، لاجل المدافعة عن الذات الخديوية ومن معها)) . اما محمد ((بك)) شكرى فقد قدم للقومسيون تقريرا ، بأعمال الاستحكامات ومعلومات اخرى عن حرق الاسكندرية واتهام القائمقام سليمان سامى بحرقها ، وكان عرابى قد كلف محمد ((بك)) شكرى بتسليم خريطتى الاسكندرية وابى قير لمحمود ((باشا)) فهمى المسئول عن استحكامات كفر الدوار . اما احمد ((بك)) نير السوارى ، فقد اتهم بحضوره حلف اليمين بقشلاق عابدين مع العرابيين ، وحقق معه بشأن اقامة مأدبة لعرابى ومحمود سامى البارودى . اما محمد حمدى بك فممن اشتركوا هو واورطته فى حصار مقر عابدين فى سبتمبر سنة ١٨٨١ .



محضر استجواب محمد شوقى بك (اميرالاى ٢ جى بيادة سابقا)

حسب ما تقرر بجلسة يوم الاحد ١٨ ذا سنة ٩٩ ، الموافق اول اكتوبر سنة ١٨٨٢ ، حضر محمد شـوقى بك ياور خديوى الآن (وكان اولا ميرالاى ٢ بيادة) ووجه اليه سـعادة الرئيس الاسئلة المحـررة ادناه ، فأجاب عنها بما يأتى :

س فى واقعة ٩ سبتمبر سنة ٨١ ، لما توجهت الالايات وحضرت الى سراى عـابدين ، فمن جملتهم ٢ جى آلاى بيـادة قومندانية حضرتكم وجـد مع الالايات ، فتوجهه الى هناك كان بأمر من ، ولاى داع ، ومن الذى احضره الى ميـدان عابدين ، وما معلوماتكـم فى هذه الواقعة ؟

الالاى مركبا من ثـلاثة اورط منهم اورطه كانت فى طنطا . والثانية توجهت الى القلعة ، والثالثة فى قصر النيل ، فمنها بعض بلوكـات فى الخفـر ، والبعض فى مركـز الالاى ، وصـدر لى امر من الحضرة الخديوية عن جمع الالاى بقصر النيل تحت السـلاح ، وان انتظر تشريف جنابه العالى ، فبوقتهـا عرفت ان العساكر موجـودة فى الجهـات التى اوضحت عنها ، فصـدر لى امره العالى بـكونه ارسـل تلغرافات الى طنطا والقلعة بسرعة حضور عساكر الالاى الموجودين فيهما ، فطبقا للامر جمعت من وجـد من الالاى لانتـظار تشريف الحـضرة الخديوية ، ولما نظر ورود آلاى السوارى من فوق الـكوبرى قاصدا التوجه الى عابدين ، فبوقتها تهورت علينـا اكثر ضباط الالاى بحالة شنيعـة وزعقوا مخبرين بأنهم مصرون على التـوجه الى عابـدين مـع الالايات الموجـودة فيها ، وانهـم يسـتعملون السلاح الذى فى ايديهم ان كان لهم قدرة على اسـتعماله ، فبوقتها كررت لهم النصـائح اللازمة فى هذا التهور ، واريتهم ان توجههم يعد اكبر عصيان على الحكومة والجناب الخديوى ، وان القوانين لا تساعد على ذلك . فمـا كان من **احمـد صادق** اليوزباشى ، الا ان اخذ العسـاكر الموجودة وخـرج بهم من القشلاق فعند ذلك زعقت عـلى تلك العسـاكر واريتهم ماينتج عن انقيادهم لضابطهم فى هـذا التوجه ، وان اغراء الضابط لهم بهذا المعنى هو ممـا يضر بهم ، فبوقتهـا جاوبتنى الضبـاط جميعا اننا متوجهون اسوة بأمثالنا ، وتركونى وتوجهوا برفقة احمد صادق ، وقـالوا نحن عاصين عـاصين ثلاث زعقات .

س الاورطة التى كانت فى طنطا والتى كانت بالقلعـة كانتا حضرتا وقتها ؟

ج بعد توجه صـادق افنـدى بالاورطة كما ذكرت ، توجهت الى محل التلغراف ، واخبرت الحضرة الخديويه بعصـيان الالاى وخروجه عن الطاعة ، وتوجهت الى الاسمـاعيلية لملاحظة الخفر ، وبعدها حضر لطرف **محمد افندى عـارف** بكباشى الاورطة التى كانت فى طنطا واخبرنى انه بعد حضور الاورطة ، خرجت من الطاعة ايضا ، وتوجهت الى عابدين ، وكذلك الاورطـة التى كانت بالقلعة ، وتوجهوا الى عابدين وقد بلغنى وقتها ان رسول فيضى هو الذى كان محاصرا عابدين .

س من الـذى كان طـلب تلك العساكر لعابدين ؟

ج كما هو معلوم للعموم ان الآمر لهم جميعا هو احمد عرابى .

س من الضـباط الذين كانـوا واسطة فى تبليغ الالاى المفاسد التى كان يرغب حصـولها احمد عرابى ؟

ج بعض اليوزباشيه وهم **احمد صادى . واحمد عبد السلام واحمـد افندى رباسـطى ، ورسول فيضى ، وعلى سلامه ، وعلى فهيم ، وعبد الواحـد رمضان ، ومحمد افندى منيب ،** والـلازمين أول ، **مصـطفى حمـدى ، وحسـنين فهمى ، ومحمد ميرة** ، والملازمين ثان ، **احمد جاهين ، واحمد سامى ، واسماعيل راجى ، واحمـد عـلى .**

بعد اخذ اجوبته المسـطرة يمينه واعـلاه ، امر بالانصراف للسجن فى ١٩ ذا سنة ٩٩)

اعضاء	اعضاء
محمد مختار	مصطفى خلوصى
سليمان يسرى	مصطفى راغب
محمـد حمدى	سـعد الدين
محمـد زكى	يوسف شهدى
على غالب	

رئيس قومسيون التحقيق
اسماعيل ايوب

محضر استجواب احمد بك عبد الغفار

حسب ما تقرر بجلسة يوم الاحد ١٨ القعدة سنة ٩٩ الموافق اول اكتوبر سنة ٨٢ صار احضار احمد بك عبد الغفار من سجن الضبطية ، ووجه اليه سعادة الرئيس الاسئلة المحررة ادناه فأجاب عنها بما يأتي :

س ماذا تعلم عن واقعة ٤ فبراير سنة ٨١ ؟

ج كنت مرفوتا ومقيما بمنزلى محجورا على بناء على امر الحضرة الخديوية ولا احد يدخل لى ولا اخرج لاحد .

س فى واقعة ٩ سبتمبر سنة ٨١ كان آلايك مع الالايات التى احاطت بسراى عابدين ؟

ج ان آلايى حضر فى ذلك اليوم بناء على امر **رضا باشا** بأمر الحضرة الخديوية لاجل المدافعة عن الذات الخديوية ومن معها .

س حضرت قبل الالايات او بعدها ؟

ج قبل الالايات وما كان هناك سوى المستحفظين مع **ابراهيم بك فوزى** .

س احمد عرابى يومها كان معه مراسلة سوارى فكانوا من اى آلاى ؟

ج المذكورون كانوا من آلاى الطوبجية

س بعد حضوركم ماذا جرى ؟

ج وقفت بالالاى فى الجهة الغربية من اول سراى المدرسة لحد القشلاق .

س ما كانت طلبات الضباط ؟

ج لا اعلمها ولا تداخلت فيها .

س اما صدرت لك اوامر او تنبيهات فى مدتها ؟

ج صدر لى تنبيه من رضا باشا بناء على امر الحضرة الخديوية ، وبعدها طلبت لدى الحضرة الخديوية وامرت بتوجهى مع الالاى ، انما بدون ضرب بورى ، وقد حصل وكان ذلك بعد ان قيل بسقوط الوزارة ، وانتهى الامر الذى بسببه كان حصل تجمع العساكر .

س هل آلايك كان كاملا ؟

ج كان ثلاث اورط لكون الاورطة الرابعة كانت فى مولد طنطا .

س ما هى الجمعيات التى كانت تحصل بينكم وفى منزلكم وفى منزل غيركم خصوصا التى عقدتم فيها الاتفاق على توكيل عرابى عن ضباطان العسكرية ؟

ج لم يحصل بمنزلى جمعيات مطلقا تختص بهذا الشأن ، وانما حصلت عندى بعض ضيافات دفعة واثنتين وثلاثا على سبيل الضيافة ، ولم نتكلم بشىء قط فى السياسة ولا توكيل عرابى ولا خلافه .

س قد حلفتم يمينا فى قشلاق على توكيل عرابى ؟

ج لا اعلم وما كنت من ضمن الضباط ولا موافقتهم فى الحقيقة . وضميرى وسيرى وحقيقة امرى يعلمها كل انسان وسعادة **سلطان باشا** يعلم ايضا .

(بعد اجابة المذكور بما سطر اعلاه اعيد الى السجن كما كان فى ١٨ القعدة سنة ١٢٩٩)

(كما تقرر بجلسة يوم الثلاثاء ٢٧ القعدة سنة ٩٩ صار استحضار احمد بك عبد الغفار من السجن وسئل فاجاب كما هو موضح) :

س قد حلفتم يمينا فى قشلاق عابدين بتلقين الشيخ **محمد عبده** ، فأفدنا كيف حصل وبحضور من ؟

ج لقننا اليمين الشيخ محمد عبده بحضور **احمد عرابى** ناظر الجهادية **ومحمود باشا سامى**

س هل كان ذلك ليلا ام نهارا ؟

ج ليلا نحو الساعة الثالثة .

س ماذا كان مضمون اليمين ؟

ج كان موضوع اليمين ان يكون الجميع يدا واحدة فى المدافعة عن الوطن ، ومن افشى السر يشق بطنه ويقطع قطعا ويلقى .

س : من كان موجودا ؟

ج : فى تلك الليلة حضر لى من طرف احمد عرابى جاويش من الجزيرة وقال لى احضر لقشلاق عابدين ، فتوجهت ووجدت هناك **احمد عرابى ، ومحمود سامى ، وعلى فهمى ، ومحمود فهمى ، وعلى الروبى ، وابراهيم فوزى** ، مأمور الضبطية **وعبد الوهاب بك** ، وحلفت وحلف قبلى **احمد بك نير وعبد الرحمن بك حسن** .

س : قلت انكم حلفتم للمدافعة عن الوطن فهذا لا يحتاج الى اليمين ، بل هو امر واجب على كل انسان خصوصا على العساكر مثلكم ؟

ج : لم تحلف الا لذلك .

س : فى اى تاريخ حصل حلف اليمين ؟

ج : لم اكن متذكرا .

(وبعد ذلك اعيد الى السجن فى ٢٧ ذا سنة ١٢٩٩) .

(بناء على ما تقرر من القومسيون فى يوم امس تاريخه الذى هو يوم الاحد الموافق ٢٥ ذا سنة ٩٩ تعينت لجنة مؤلفة منها نحن الواضعين اسماءنا واختامنا فيه ، لتحقيق ما ادعى به احمد بك عبد الغفار على ابراهيم اغا التتنجى ، ثم صار احضار احمد بك المذكور من السجن وسئل فاجاب بما يأتى):

س : انت بالامس طلبت الحضور للقومسيون وبطلبك امامه ، قررت ما وقع لك في ليلة الاحد من ابراهيم اغا التتنجي ، وحيث قر رأى القومسيون بتعيين لجنة منفردة عنه لتحقيق ما وقع لك ، فأفد عما حصل في تلك الليلة ؟

ج : ليلة الاحد بينما كنت نائما، اذ نادانى شخص باسمى وايقظنى من النوم ، فقمت فوجدت الباب مفتوحا وامامى **ابراهيم اغا التتنجي** ومعه شخص اخر بملابس ملكية واثنين من العساكر الاتراك المعروفين من الخفراء، وكانوا جميعهم بجانب الباب ثم اقترب منى ابراهيم اغا المذكور وجلس على ركبتيه وقال لى يا عبد الغفار انت تعرفنى انا من وبمجرد ماقلت له انت ابراهيم اغا قال لى (يا كرته يا خائن) وتفل في وجهى وضربنى بالكف ايضا على وجهى .

س : كان ذلك في اى ساعة ؟

ج : بعد انصراف المذكورين وغلق الباب ، ولعت عود كبريت كان معى وفتحت الساعة فوجدتها ثلاثة واربعين دقيقة .

س : بعدما حصل لك هذا الامر، ما الذى تم ؟

ج : لم يحصل لى غير ما اوضحته، انما وقت الصباح استدعيت النوبتجى واخبرته بانى اريد التوجه للقومسيون او يرسل الى احدا منه لاخبر بما وقع لى في هذه الليلة ، وبعدها انصرف النوبتجى وورد على حضرات **مصطفى بك راغب**، **ومحمد بك حمدى**، من الاعضاء وسألونى عما حصل لى ، ومن بعد ما اخبرتهم بما ذكر انصرفوا ، وبعدها صار طلبى الى القومسيون وسئلت فأخبرتهم بما توقع .

(بعد ذلك اعيد الى السجن في ٢٦ اذ سنة ٩٩ ، وفي تاريخه تحرر لسعادة تشريفاتى خديوى بطلب ابراهيم التتنجي) .

اعضاء	اعضاء
يوسف شهدى	سليمان يسرى

(محضر يوم الثلاثاء الموافق ٢٧ اذ سنة ٩٩) .

(لما علم ان المسجونين مرتب عليهم بكباشى حكمدار مخصوص يسمى عثمان افندى شريف ، ومعه من يلزم للمحافظة عليهم ، صار احضاره في تاريخه وجرى سؤاله بما يأتى) .

س : ما اسمك ورتبتك ومأموريتك التى انت معين فيها ؟

ج : اسمى عثمان شريف ورتبتى بكباشى ومأموريتى هى مأمور السجن .

س : في ليلة الاحد الماضى هل حضر احد من الاجانب او غيرهم لطرف المسجونين ليلا أم لا ؟

ج : في تلك الليلة توجهت الى الضبطية لمصلحة ، وكان موجودا وكيلنا الصاغقول اغاسى .

س : توجهك للضبطية كان في اى ساعة وعودتك منها في اى ساعة ايضا ؟

ج : توجهى كان تقريبا الساعة ٣ وعودتى كانت الساعة ٤ تقريبا .

س : الم يحضر أحد حتى ساعة توجهك ؟

ج : لم يحضر احد .

(ثم انصرف بوقته وطلب الصاغقول اغاسى وسئل بما يأتى) :

س : ما اسمك وما رتبتك ومأموريتك التى انت معين فيها ؟

ج : اسمى محمود عرفى ورتبتى صاغقول اغاسى ، ووظيفتى معين مع البكباشى على المسجونين .

س : في ليلة الاحد الماضى توجه البكباشى الى الضبطية ام لا ؟

ج : توجه .

س : توجه في اى ساعة وحضر في اى ساعة ؟

ج : توجه الساعة ٣ وحضر الساعة ٤ .

س : في مسافة وجودك الليلة المذكورة ، هل نظرت احدا حضر ودخل عند المسجونين أم لا ؟

ج : في تلك الليلة لم يحضر احد غير حضرة **شوقى بك** الميرالاى حيث تفقد الخفراء الواقفين على اوض المسجونين من الخارج ، وعندها سألنى عن عدد الخفراء الواقفين على اوض المسجونين ، وعن عدد جميع العساكر القره قول ، وعدد عساكر الانكليز الواقفين من الخارج ، فأخبرته ان الواقفين على اوض المسجونين في كل خفارة سبعة والواقفين من الانكليز من الخارج أربعة ومجموع الذين بالقره قول من عساكر الترك عددهم ٢٩ .

س : لما حضر شوقى بك هل أمر بفتح احدى الاوض التى بها المسجونين ودخل اليها أم لا ؟

ج : لم يأمر بذلك ولم يدخل الى اوضة ما .

س : شوقى بك كان بمفرده او معه احد ؟

ج : كان بمفرده ولم يكن معه أحد حتى انه في حال نزوله، نزلت انا معه لحد ما خرج من الباب الخارجى وركب عربته وتوجه .

س : كم من الوقت تخصص لكل خفارة وفي اى ساعة ابتدات خفارة الليل ؟

ج : كل خفارة لها ثلاث ساعات وخفارة الليل ابتدأت الساعة الاولى .

س : اوضح لنا عن ابتداء اول خفارة فمن اى ساعة لغاية أى ساعة بقيت ؟

ج : الخفارة الاولى استمرت من الساعة الاولى لغاية الساعة ٣ والثانية من اول الساعة ٤ لغاية الساعة ٦ والثالثة من اول الساعة ٧ لغاية الساعة ٩ وهكذا .

س : ما اسم الخفير الذى كان واقفا على اوضة احمد بك عبد الغفار فى الخفارة الثانية من ليلة الأحد ؟

ج : كل اوضة لم يكن لها خفير مخصوص ، بل كل خطة لها خفيران احدهما باولها والثانى فى آخرها ، والخطة التى بها اوضة احمد بك عبد الغفار تصادف فيها أوضتان بخفارتين .

س : ما اسم الخفيرين المحكى عنهما اللذين كانا فى الخفارة الثانية ؟

ج : **هما خليل أغا برازى ومصطفى اغا سليمان بوزقلنى .**

س : الاوضة التى بها المسجونين مغلوقة ولها مفاتيح ، فمفاتيحها عند من ؟

ج : مفاتيحها موضوعة عند خمسة اشخاص سجانه .

س : ما اسم الشخص الذى كان معه مفتاح أوضة احمد بك عبد الغفار ؟

ج : الاوضتان اللتان بالخط الموجودة بها اوضة احمد بك عبد الغفار والاوض التى بجوارها يستلم مفاتيحها ثلاثة أشخاص من السجانه ، والمفاتيح معلقة فى نفس الاوضة التى يقيم فيها السجانة المذكورين .

س : اذا لزم شىء للمسجونين من نحو اعطائهم خبز او ماء او نحوهما ، كيف يصير فتح الاوضة ؟

ج : اذا علم بما يطلبه المسجون منهم ، فبحضور الضابط نفسه الذى هو أنا ، او البكباشى ، يحضر السجان ويفتح الباب ويقضى اللازم بحضورنا ، واذا كان مقصودا ازالة ضرورة يرسل معه خفيرين ، وبعد اتمام ذلك يغلق الباب .

س : ما اسماء الثلاثة سجانة الذين معهم مفاتيح الاوضة التى من ضمنهم أوضة احمد بك عبد الغفار ؟

ج : **هم احمد لبيب وياور صدقى الكبير وبهات زكى .**

(بعد ذلك انصرف المذكور فى ٢٧ ذا سنة ٩٩ ثم صار طلب خليل برازى احد الخفراء ، وسئل فاجاب بما ياتى) :

س : ما اسمك ووظيفتك ؟

ج : اسمى **برازى خليل اغا** عياسى ووظيفتى خفير على المذكورين .

س : فى ليلة الاحد الموافق ٢م ذا سنة ٩٩ كنت خفيرا ام لا وواقفا فى اى خفارة ؟

ج : فى تلك الليلة كنت خفير الخفارة الثانية التى ابتدات الساعة ٤ وانتهت الساعة ٦ .

س : كنت خفيرا على اى اوضة ، ومن كان زميلك فى الخطة التى أنت بها ؟

ج : كنت خفيرا بالخطة من جهة الشمال ، وقبالتى كان من جهة اليمين **مصطفى اغا .**

س : هل تعرف اسماء المسجونين بالاوض الواقعة بالجهة التى انت خفير فيها ؟

ج : لا نعرف اسماءهم بما اننا مستجدون .

س : فى الجهة التى انت خفير فيها اوضة مقابلة لمحل المجلس مسجون فيها احمد بك عبد الغفار ، فهل تلك الاوضة فتحت أثناء خفارتك ودخل اليها أحد ؟

ج : اثناء خفارتى التى هى من أول الساعة ٤ لحد الساعة ٦ ما فتحها أحد مطلقا .

س : اثناء خفارتك هل حصل غيابك ؟

ج : فى تلك المسافة لم أغب مطلقا حتى لو عطشت لم انتقل من محلى .

س : هل لا يمكن مرور أحد بدون أن تنظره ؟

ج : لا يمكن ذلك .

(ثم انصرف المذكور فى التاريخ ذاته وصار احضار احمد لبيب وياور صدقى الكبير وبهات زكى وصار سؤال احدهم احمد لبيب اولا بما ياتى) :

س : ما اسمك وما وظيفتك التى انت معين فيها ؟

ج : اسمى احمد لبيب ووظيفتى سجان وعندى مفاتيح اوض المسجونين .

س : ما هى التعليمات والاوامر المعطاة اليك فيما يتعلق بفتح وغلق اوض المسجونين ؟

ج : التعليمات هو انه عندما يطلب اى مسجون فتح الاوضة سواء كان لاعطائه ماء او خبزا وطلبا لازالة ضرورة ، نخبر الضابط فيحضر بنفسه ويجرى تفتيشه اذا كان لاجل ادخال خبز اليه او ماء ، ثم يعطى المسجون ما يطلبه بعد فتح الباب بحضور الضابط كما توضح ، واذا كان مقصوده ازالة الضرورة يحضر الخفير ويتوجه معه الى المحل المعين لذلك ، والضابط يبقى منتظرا اياه حتى يعود ويدخل محله ، فيغلق الباب ونأخذ نحن المفتاح .

س : مفتاح الاوضة المسجونين بها احمد عبد الغفار مع من ؟

ج : مفتاح تلك الاوضة لم يكن مع رجل مخصوص ، بل ان مفاتيح الجهة من حد راس السلم من جهة الشمال الى الاخر ، موجودة معنا نحن الثلاثة .

(صار احضار ياور صدقى الكبير وبهاتوسئل الاثنانمعا) :

س : هل ان مفاتيح الطرقة وما يجاورها من حد راس السلم من الجهة الشمالية موجودة معكما ؟

ج : نعم :

س : التعليمات والاوامر المعطاة اليكما فيما يتعلق بالمسجونين ، هى مثل ما قال احمد لبيب امامكما ، أم بخلاف ذلك ؟

ج : نعم مثل ما قال بالتمام .

(ثم صار استجواب الثلاثة اشخاص معا) :

س : فى ليلة الاحد الماضى الموافق ٢٥ ذا سنة ٩٩ من منكم الذى فتح اوضة احمد بك عبد الغفار ، ومن الذى دخل اليها ؟

ج : ما فتحت الاوضة فى تلك الليلة ولم يدخل اليها احد .

س : فى تلك الليلة هل غبتم وتركتم المفاتيح ام لا ؟

ج : نحن الثلاثة موجودون حتى اذا طلع احد منا لازالة ضرورة ، يكون الاثنان قاعدين .

س : قال احمد بك عبد الغفار انه فى ليلة الاحد فتحت الاوضة عليه الساعة ٣ ودقيقة ٤٠ ودخل عليه ابراهيم اغا التتنجى وكان معه رجل بملابس ملكية ، فكيف تقولون ان الاوضة ما فتحت ؟

ج : ما فتحناها ولا رأينا احدا .

س : اذا حضر احد ما وشهد ان الاوضة فتحت ودخل اليها احد كما قال احمد بك عبد الغفار ، فماذا يكون جوابكم وقتئذ ؟

ج : الذى نعلمه هو انه لم يحضر احد مطلقا ولم تفتح الاوضة ، واذا حضرت شهود وشهدت على احد منا باننا فتحناها او فتحها احدنا ، كما قال احمد بك فنحن قابلون ما يترتب علينا من الجزاء .

س : مفتاح الاوضة التى كان بها احمد عبد الغفار كان موجودا مع مفاتيح باقى اوض المسجونين التى انتم معينون عليها أم لا ؟

ج : كان المفتاح موجودا مع باقى المفاتيح التى معنا .

(صار احضار احمد بك عبد الغفار من السجن وسئل فاجاب بما يأتى) :

س : انظر الى الاشخاص الواقفين وقل اذا كان احد منهم دخل عليك فى ليلة الاحد ؟

ج : نظرتهم واقول ان الذى دخل على فى تلك الليلة مع ابراهيم اغا هو فيما اظن الشخص الذى اشرت اليه .

س : الظن لا يصح بل يلزم ان تؤكد ما نظرت ؟

ج : بالتأكيد هو الذى اشرت اليه .

(اعيد احمد بك عبد الغفار الى السجن وانصرف الاشخاص الموجودة معهم المفاتيح ما عدا احمد لبيب الذى اشار اليه احمد بك عبد الغفار فانه صار ابقاؤه واستجوابه بما يأتى) :

س : تقول ان الباب لم يفتح ولم يدخل احد مع ان احمد بك عبد الغفار اجاب امامك بأنك انت الذى دخلت مع ابراهيم اغا فما جوابك ؟

ج : الباب ما فتحته مثل ما قلت ، ولم اسمع كلام عبد الغفار بك ، وها هم اخوانى موجودون والحمد لله قالوا انه لم يفتح احد الباب ، والخفير مع ذلك موجود ، والضابط موجود أيضا فاذا كان احد منهم يشهد على فأكون قابل الجزاء لانه اذا كان احد أمرنى بفتح الباب فطبعا كنت أقرر عنه .

(انتهت جلسة التحقيق على وجهما توضح فى يوم الثلاثاء ٢٧ ذا سنة ٩٩) .

اعضاء	اعضاء
يوسف شهدى	سليمان يسرى

محضر استجواب محمد بك شكرى (فى يوم الاحد ١٧ الحجة سنة ٩٩)

(بناء على ما تقرر بجلسة اليوم المذكور كان تحرر للداخلية بالتنبيه على محمد بك شكرى بحضوره للقومسيون فحضر وسئل فأجاب كما هو موضح ادناه) :

س : تقدم منكم تقرير عما يختص بأعمال الاستحكامات وختمت ذلك التقرير بقولك انك ستقدم تقريرا عن أمور اخرى من ضمن الامور المهمة التى نرغب معرفتها بما حصل من النهب والحرق والقتل فبين لنا ما تعلمه ؟

ج : فى يوم الاربعاء صباحا توجهت لباب شرقى ، واردت السفر فنبه على احمد عرابى باعطاء رسم البلد ورسم ابى قير لمحمود باشا فهمى فى كفر الدوار فعدت للبلد لاخذ الرسمين المذكورين معى ،

وبتوجهى ثانية لجهة المحمودية للخروج من البلد رايت العساكر يخرجون الاهالى بناء على زعمهم ان الانجليز يقتلون جميع من يجدونه ، ومعذلك سأقدمتقريرا بجميع ما اعلمه بما فيه ما رايته من قتل بعض الاورباويين فى محطة كفر الدوار بمعرفة العساكر .

س : الم تر احدا من الرؤساء اجرى شيئا مع العساكر الذين قتلوا الاورباويين او دافع عنهم ؟

ج : لم ار اجراء شيء لا منع ولا مدافعة .

س : لما نبه عليك احمد عرابى ومحمود سامى باعطاء الرسم لمحمود فهمى، الم تسمع منهما شيئا ؟

ج : لم اسمع منهما شيئا ولم يتكلم محمود سامى بشيء ، بل بمجرد وجودى شافهنى احمد عرابى بما يختص بالرسم المذكور ، وكان احمد عرابى ومحمود سامى بمفردهما فى اوضة سليمان سامى بباب شرقى ، وكان الخفير موجودا على الباب .

س : قل لنا ما تعلمه بشأن من اصدر الامر بحرق البلد ونهبها ؟

ج : اول سماعى بحرقاسكندرية كان من **رءوف باشا** وقد رأيت اللهيب من كفر الدوار ، وبلغنى ان سليمان سامى هو الذى اجرى ذلك .

س : الم تعلم هل اجرى ذلك من تلقاء نفسه او بناء على امر ؟

ج : لم اعلم انما طبعا يكون ذلك باتفاق من قبل بين رؤساء الجهادية جميعا .

س : هل اصدر لك تعليمات احمد عرابى لما كلفك بتوصيل الرسم لمحمود فهمى ؟

ج : لم يعطنى تعليمات .

س : لا يتصور ان احمد عرابى كلفك فقط ــ بتوصيل الرسم فانه كان يمكنه تكليف غيرك من العساكر الصغيرين بهذه المأمورية ؟

ج : لم يعطنى تعليمات كما قلت انما لما وصلت لكفر الدوار حضرت خطابات فيها تعليمات ولم تزل محفوظة تحت يدى .

س : المقصود ان تقول لنا ما تعلمه عمن اصدر الامر بالحرق والنهب ؟

ج : لم اكن حاضرا وقت الحرق بل علمت به فيما بعد .

س : الم تر مذ كنت فى كفر الدوار المنهوبات وبيعها بعد ذلك ؟

ج : نعم رايت منهوبات كثيرةجدا ورايت بيعها فى سوق كأنه سوق مولد طنطا وكان ذلك من **خليل كامل** الذى كان قائدا هناك .

س : الم يمنعذلك احد من رؤساء الضباط ؟

ج : لم يحصل منهم منع بل كان معهم هم ايضا منهوبات .

س : الم يحضر احمد عرابى لكفر الدوار ورأى ذلك ؟

ج : نعم حضر ورأى وكان يعلم بذلك .

س : الم يمنع شيئا ؟

ج : لم يمنع شيئا لا من النهب ولا من القتل الذى حصل فى كفر الدوار .

س : من المعلوم ان **سليمان سامى** كان مع عساكره فى المنشية وهو الذى اجرى النهب والحرق ولكن يمكن الظن بانه اجرى ما ذكر من تلقاء نفسه او بناء على امر او بناء على اتفاق ، فلما توجهت لكفر الدوار ماذا سمعت هل سمعت ان هذا الفعل كان مستحسنا او مستقبحا ؟

ج : سمعت ان جميع من كان فى كفر الدوار استقبح ما فعله سليمان سامى .

س : حيث انه صار استقباح ما فعله سليمان سامى فلماذا لم تصر محاكمته ؟

ج : لا اعلم لماذا لم تصر محاكمته وحضر اناس آخرون معهم منهوبات ولم تصر محاكمتهم ايضا ، وزيادة على ذلك ، رأيت احمد عرابى والرؤساء الاخرين يزورون سليمان سامى مرارا عديدة فى خيمته .

س : الم تر استغرابا عند احد من زيارة احمد عرابى وباقى الرؤساء لسليمان سامى مع استقباح فعله ؟

ج : الذين استقبحوا هذا الفعل هم **نسيم بك واسماعيل صبرى وابراهيم الموجى** وغيرهم من المهندسين واركان الحرب ، واما الرؤساء فكانوا احباء سليمان سامى المذكور .

س : حيث ان احمد عرابى كان متحدا مع سليمان سامى فى كفر الدوار وكان يزوره ، الم يحصل هذا الاتحاد ايضا فى اسكندرية ؟

ج : نعم فى اسكندرية كان متحدا به ايضا حتى ان جميع الناس كانوا يخشونه .

س : هل تظن ان سليمان سامى يمكنه اجراءشيء بخلاف اوامر احمد عرابى ؟

ج : لا اظن ذلك فان سليمان سامى كان رجل عرابى ، ولا يفعل شيئا الا بأوامره .

س : حيث انك قلت ان سليمان سامى هو رجل عرابى ، وان احمد عرابى وطلبه كانا يزورانه فى خيمته ، فألم يؤخذ من ذلك ان ما فعله سليمان سامى كان باتحاد احمد عرابى ؟

ج : نعم ».

س : الم يبلغك مذ كنت فى كفر الدوار ان احمد عرابى عزم على محاكمته ؟

ج : لم يبلغنى ذلك .

س : أما كان يحضر سليمان سامى بطرف احمد عرابى وباقى الرؤساء ؟

ج : لم أره حضر لطرف احمد عرابى ، بل رأيت عرابى وباقى الرؤساء يتوجهون غالبا لخيمة سليمان سامى .

س : قلت ان احمد عرابى لم يمنع القتل الذى جرى فى كفر الدوار ، فألم تعلم بشيء مما يختص بالقتل الذى حصل فى طنطا ؟

ج : لم اعلم بشيء لانى كنت دائما فى كنج عثمان .

س : هل كان احمد عرابى فى كفر الدوار مذ حصل القتل ؟

ج : كان فى كنج عثمان .

س : فى اى وقت حصل ذلك ؟

ج : فى الساعة ٤ بعد الظهر من اليوم الثالث بعد الضرب على الطوابى .

س : هل علم بالقتل احمد عرابى، وهل عمل تحقيقا عن ذلك ؟

ج : علم به كما علم الجميع خصوصا وان النساء بقين بالخيمة التى وضعن بها ولم يعمل تحقيقا .

س : حيث انك قلت انك رأيت حصول القتل فى محطة كفر الدوار وان خليل كامل كان حاضرا فى المحطة ولم يمنع ذلك ، وان احمد عرابى علم به ولم يعمل تحقيقا ولا خلافه، فالمقصود ان تقدم لنا تقريرا عن هذه المادة وعن تاريخ صدور الامر من الحضرة الخديوية بابطال الاشغال من الاستحكامات ، ولغاية اى تاريخ صار الاستمرار فيها بعد صدور ذلك الامر ؟

ج : سأقدم التقرير بعد يومين او ثلاثة بالاكثر .

(وبعد ذلك اذن له بالانصراف فى ١٧ الحجة سنة ٩٩) ..

اعضاء	اعضاء
محمد مختار	مصطفى خلوصى
سليمان يسرى	مصطفى راغب
محمد حمدى	سعد الدين
محمد زكى	يوسف شهدى
على غالب	

رئيس القومسيون
اسماعيل ايوب

محضر استجواب نير بك السوارى (فى يوم الاربعاء ٢٨ ذ اسنة ٩٩)

(بناء على ما تقرر بجلسة يوم الثلاثاء ٢٧ ذا سنة ١٢٩٩ حضر احمد نير بك وسئل ، فاجاب كما يأتى) :

س : علم للقومسيون وجودك فى ليلة حلف اليمين الذى حصل فى قشلاق عابدين مع الضباط فأفد عن ذلك ؟

ج : لم اوجد معهم .

س : هل تعلم هذه المحالفة ؟

ج : لا اعلم بها .

س : كنتم عملتم عزومة لعرابى والضابطان بمنزلكم فهل صار محالفة هناك ، ومحمود باشا سامى كان بها ام لا ؟

ج : العزومة المذكورة كان بها محمود سامى ولم يحصل محالفة .

س : هل بغير قشلاق عابدين ومنزلكم حصلت محالفة ووجدتم بها ؟ .

ج : لم يحصل .

س : اذا شهد عليك اناس بانك وجدت بالمحالفة التى حصلت بقشلاق عابدين ، فما يكون قولك ؟

ج : ما وجدت بالمحالفة وان شهد على احد بحصول ذلك فلا يكون لى قول .

(اذن له بالانصراف فى ٢٨ ذا سنة ٩٩) ..

اعضاء	اعضاء
محمد مختار	مصطفى خلوصى
سليمان يسرى	مصطفى راغب
محمد حمدى	سعد الدين
محمد زكى	يوسف شهدى
على غالب	

رئيس القومسيون
اسماعيل ايوب

محضر استجواب محمد حمدى بك بكباشى المستحفظين بمصر سابقا

(بناء على ما تقرر بجلسة يوم الاحد ١٨ القعدة سنة ١٢٩٩ اول اكتوبر سنة ٨٢ ، احضر محمد حمدى بك ، ووجه اليه سعادة الرئيس الاسئلة الاتية ، فاجاب عنها بما هو موضح ادناه) :

س : اوضح لنا معلوماتك فيما يتعلق بما حصل فى واقعة يوم ٤ فبراير سنة ١٨٨١ لما توجهت عساكر اجى الاى لاخراج الميرالايات المسجونين بقصر النيل ؟

ج : كنت موجودا فى ذلك اليوم بقصر النيل حيثتوجد اورطة مستحفظى مصر المقيمة بالقشلاق الفيلى وسمعت ونتها صياحا وهياجا ، وبالسؤال قيل لى ان عساكر من اجى آلاى حضروا للديوان بقصد خلاص الميرالايات المسجونين ، فتوجهت الى جهة الحرس البحرى بمفردى ووجدت عساكر ٢ جى آلاى واقفين تحت السلاح وعساكر ١ جى آلاى خارجين بهيئة هجوم من ديوان الجهادية ففى الحال ارسلت خبرا للضبطية .

س : هل ان القائمقام كان موجودا وقتئذ ؟

ج : نعم . واخبرته بما ذكر فتوجه حالا للضبطية .

س : هل نبه عليك بشىء قبل توجهه للضبطية وهل عساكر الاورطة دخلت تحت السلاح ؟

ج : لم يتنبه على بشىء لا من قبل ولا من بعد ولم تدخل العساكر تحت السلاح ، بل كانوا فى الاستراحة لعدم وجود تعليمات عندى .

س : ما هى معلوماتك فيمايتعلق بواقعة يوم ٩ سبتمبر سنة ٨١ لما تجمعت العساكر بعابدين ؟

ج : فى ذلك اليوم توجهنا لجامع سيدنا الحسين بمعية الحضرة الخديوية لاداء فريضةالصلاة، وبعد الصلاة بلغنا ان عرابى سيحضر فى ميدان عابدين مع المأمور الضبطية سعادة **عبد القادر باشا** لاخباره ، وأخذ تعليمات منه ، فنبه على باحضار الاورطة بالسلاح وقد كان فأحضرت الاربعة بلوكات وتوجهت بهم لميدان عابدين ووقفنا امام الباب الغربى ، ولما حضرت عساكر عرابى واصطفوا بالميدان احضروا اورطة من السودانيين واوقفوها خلف بلوكاتنا ولم نعلم سبب ذلك واتجاه الطوبجية كان نحو السراى ، وبعد ذلك حصلت المكالمة بين عرابى وبين الحضرة الخديوية .

س : هل ان التنبيه من سعادة عبد القادر باشا عليك بالتوجه بالاورطة لعابدين كان للمحافظة على الجناب الخديوى او لمساعدة عساكر عرابى ؟

ج : لم يخبرنى بذلك بل نبه على فقط بالتوجه بالعساكر لميدان عابدين وكان معهم جبخانة كالعادة وكان القائمقام موجودا .

(وبعد ان اجاب بما توضح اعلاه اذن له بالانصراف فى ١٩ القعدة سنة ١٢٩٩)

(فى يوم الثلاثاء ٢٠ القعدة سنة ١٢٩٩ ، الموافق ٣ اكتوبر سنة ٨٢ ، حضر محمد حمدى بك وطلب الاستئذان بالدخول الى المجلس ، فاذن له وسأله سعادة الرئيس عن سبب طلبه الدخول للمجلس ، فاجابه بما ياتى) :

انى تذكرت ان عساكر المستحفظين نزلت بالسلاح فى يوم واقعة ٤ فبراير سنة ١٨٨١ اى فى يوم الهجوم على قصر النيل وتوجهت للاسماعيلية ووقفت هناك بناء على امر الضابط ومر من هناك **اسماعيل باشا كامل وخسرو باشا** فردوهما .

(ثم بعد ذلك استاذنبالانصراف فاذن له فى ٢٠ القعدة سنة ١٢٩٩) ..

اعضاء	اعضاء
محمد مختار	مصطفى خلوصى
سليمان يسرى	مصطفى راغب
محمد حمدى	سعد الدين
محمد زكى	يوسف شهدى
على غالب	

رئيس القومسيون
اسماعيل ايوب

تواصل « الطليعة » نشر محاضر جلسات محاكمة رجال الثورة العرابية فى العدد القادم



سياستنا.. الاعتماد على أنفسنا في تدعيم نهضتنا
وسماد بلدنا.. يحقق الخير والرخاء
ويوفر آلاف العملات الصعبة
التي كنا نستورد بها احتياجاتنا
من الخارج
نتروكيما
٢٦٪ آزوت
السماد الأصيل.. لجميع المحاصيل
كيما
بأسوان
شركة الصناعات الكيماوية المصرية



دراسات ومقالات ((الطليعة)) عن
قضايا الوطن العربى
(١٩٦٥ - ١٩٦٦)

يناير ١٩٦٥ :

- البترول فى خدمة التطور السياسى والاقتصادى للوطن العربى .

ابريل :

- خطاب مفتوح من برتراند راسل الى المثقفين العرب ، ورد الطليعة عليه .
- اتجاهات الحركة التاريخية للثورة الوطنية والاجتماعية فى المغرب العربى .

مايو :

- فلسطين .. منذ زيارة مونتيفيدور عام ١٨٤٩ حتى حركة التحرير الفلسطينية .
- التخطيط لمستقبل البترول العربى .

أغسطس :

- من التراث العربى — نظرية القيمة عند ابن خلدون .

سبتمبر :

- وحدة من ؟ (حول المفهوم البرجوازى والمفهوم الاشتراكى للوحدة العربية) .
- الجذور التاريخية لمفهوم الوحدة العربية .

أكتوبر :

- الثورة العربية المعاصرة ، وحركة التغيير الاجتماعى .

نوفمبر :

- خطاب مفتوح من برتراند راسل الى الاصدقاء العرب .

ديسمبر :

- البترول ومصير الانسان العربى .
- من التراث العربى — دراسات المقريزى الاقتصادية واغاثة الامة بكشف الغمة .

يناير ١٩٦٦ :

- حسابات ١٩٦٥ وآفاق ١٩٦٦ فى الوطن العربى .

فبراير :

- الوحدة الاشتراكية فى الوطن العربى .

مارس :

- الحلف الاسلامى — حرب الرايات من الصليبيين والسلطان سليم الى الصهيونيين والشاه بهلوى .
- الاشتراكية والوحدة فى الوطن العربى .
- اتجاهات الوحدة النقابية والعمل السياسى للطبقة العاملة العربية .
- نحو وحدة القوى الثورية فى الوطن العربى .

ابريل :

- الاشتراكية والوحدة العربية .
- نحو مؤتمر اشتراكى عربى .

مايو :

- جذور وابعاد الصراع العربى الاسرائيلى .
- الوجود الاسرائيلى فى المخطط الاستعمارى .
- الجذور التاريخية والطبقية لعنصرية ((شعب الله المختار)) .
- اقتصاديات اسرائيل .. واجهة مدنية لمؤسسات عسكرية .
- أزمة اسرائيل من الداخل .
- الهستدروت .. لافتة نقابية لمؤسسة راسمالية .
- القنبلة الذرية .. والصراع العربى الاسرائيلى .
- اسرائيل .. وافريقيا .

- ثورة يوليو فى مواجهة التحالف الاستعمارى الصهيونى .
- قضية فلسطين اليوم .. عربيا وعالميا .

يونيو :

- قضايا المجتمع والثورة فى العراق .

يوليو :

- رؤية قومية للواقع العربى .
- اضواء على القضية اليمنية .. من الثورة حتى الحلف الاسلامى .
- على طريق الحرية من ايرلنده الى فلسطين .

أغسطس :

- وحدة القوى الثورية العربية تخرج من دائرة الشعارات الى دائرة الواقع الحى .
- الجبهة التقدمية الثورية .. طريقنا الى الحركة العربية الواحدة .
- أضواء على الوضع فى السودان .

سبتمبر :

- رسالة من عمال السودان الى المناضل جمال عبد الناصر .
- وحدة ((استراتيجية)) لا ((وحدة تكتيكية)) .

اكتوبر :

- العباءة والعقال لاخفاء معالم استراتيجية شرق السويس .

نوفمبر :

- نحو موقف فلسفى اكثر نضجا فى الفكر العربى المعاصر .

ديسمبر :

- من التراث العربى — نظرية ابن خلدون فى الدولة .

الثمن ١٠ قروش
مطابع مؤسسة الاهرام

مارس ١٩٦٧
السنة الثالثة

٣

الطليعة

طريق المناضلين إلى الفكر الثورى المعاصر



الثورة العربية
قضايا الواقع والمصير

الفن فى المجتمع الاشتراكى



طريق المناضلين الى

الفكر الثورى المعاصر

مجلة شهرية

تصدر أول كل شهر

الفهرس

العدد الثالث — السنة الثالثة — مارس ١٩٦٧

عنوان المراسلات :

« الطليعة »

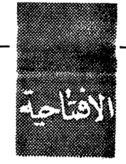
مبنى مؤسسة الاهرام ١٤ شارع مظلوم القاهرة تلفون ٤٦٤٦٤ — ٤٤١٤٤

الاشتراكات :

لسنة بالبريد العادى ، ج.ع.م ودول اتحاد البريد العربى ودول الدار البيضاء ١٢٠ قرشا .

ان « الطليعة » ميدان مفتوح لكل رأى حر ، وفى اعتقادها أن تفاعل الآراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع ان يبلور ويستخلص وحدة فكرية أصيلة .

من هذا المفهوم تفتح « الطليعة » صفحاتها لكل رأى لديه كلمة يقولها — مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى أطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر « قد أختلف معك فى الرأى ولكنى على استعداد لان أدفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رأيك » .



الحـــوار الشـــعبى.. والمســئوليـــة

حفل الشهر الماضى بمـــؤتمرات وندوات واجتماعات ، تعتبر استهلالا لمرحلة جديدة فى حيـــاتنا الـــديمقراطية ،وفاتحة عهد تسوده تقاليد تضـــع دعامة مفهوم ثورتنا عن المشـاركة الايجابية لارادة الجماهير العاملة فى صنع مستقبلها .

فى مجال صياغة الدستور الدائم ، بدأت اللجنة التحضيرية اجتمـــاعاتها فى صـــورة جلسات موسعة للاستماع ، تضـــم عددا كبيرا من رجال القانون والمهنيين والعمـــال والفلاحين والنساء والشباب ، ورجـــال الفكر والادب والاعلام وعلمـــاء الدين .. روعى فى اختيارهم اولا وقبل اى اعتبـــار آخر ، انهم سياســـيون وذوى اهتمـــامات اجتماعية ، وذلك خروجا عن اطار القواعد والتقاليد القديمة ، التى كانت تنحـــو الى اعتبار صياغة الدستور والقوانين عمل من اختصاص القانونيين والفنيين وحدهـــم ، يكتسب شرعيته من خلال هيئة نيابية منتخبة او بواسطة استفتاء شـــعبى ، وفى ظـــل علاقات انتاجية تخلق بالضرورة فروقا كبيرة فى الامكانيات الواقعية لممارسة الحرية .. فتحيلها الى مجرد فروض شكلية وطقوس مظهرية .

ثم ان انعقاد هذه الجلسات ، ليس الا تمهيدا لتجميع حصيلة المناقشات والبحوث ، والنزول بها الى جميع مستويات تنظيمات الاتحاد الاشتراكى . وهذه المادة ، بالاضافة الى الحوار الذى يدور على صـــفحات الجـــرائد وبوســـائل الاعـــلام المختلفة ، والدراسات والاقتراحات التى تصـــل الى اللجنة ، يتمثلها ابنـــاء الشعب فى جميـــع

مجالات العمل ، ليضيفوا اليها من خبراتهم ضمانات لحماية مصالحهم ، وينقونها مما قد يشوبها من آراء وقيم لا تتمشى مع اهدافهم وآمالهم .. وتعود لتصعد الى قيادات الاتحاد الاشتراكى ومجلس الامة والمختصين من رجال القانون ، لصياغتها ، قبل طرحها للاستفتاء الشعبى .

وفى مجال التعليم العالى ، وعلى اثر عقد نحو ٨٠ مؤتمرا فى الجامعات وكلياتها ، لمناقشة التقرير الذى تقدمت به أمانة المجلس الاعلى للجامعات ووزارة التعليم العالى ، افتتح فى ٢ فبراير الماضى مؤتمر التعليم العالى ، ليسهم فى تحديد معالم سياسة التعليم الجامعى ، شارك فيه نحو ١٥٠٠ عضو من الوزراء وممثلو هيئات التدريس والمكاتب التنفيذية للاتحاد الاشتراكى والمؤسسات والهيئات المختلفة .. ثم كونت ٩ امانات فنية تضم ٨٩ من أساتذة الجامعة وخبراء التعليم ، لتنظيم مؤتمرات اوسع تناقش السياسة التعليمية فى جميع القطاعات ، وتقدم هذه الدراسات الى اللجنة العليا لاعداد تقرير عام باتجاهات المؤتمرات ، تمر على اللجنة الوزارية للقوى العاملة لربطها باحتياجات المجتمع فى تطوره ، وذلك قبل احالتها لمجلس الامة لمناقشتها واستصدارها ، للبدء فى مرحلة التنفيذ فى مطلع العام الدراسى القادم .

كما استن الدكتور ثروت عكاشة منهجا جديدا ، منذ توليه مهام مسئولية وزارة الثقافة ، فشهد الشهر الماضى ندوة منظمة تتناول قضايا النشر — « مؤتمر الكتاب » .. وهى الحلقة الثالثة فى سلسلة لقاءات المسئولين بالوزارة مع المثقفين والفنانين والكتاب ، بعد أن دعم نجاح مؤتمرى السينما والمسرح هذا الاتجاه الديمقراطى للمواجهة والمصارحة والحوار البناء .

ومما يؤكد ان هذه الظاهرة الصحية ليست مجرد حدث عابر او شكل عارض فى حياتنا الديمقراطية ، تردد صداها فى مجالات اخرى فاذا بادارة الرقابة على المصنفات الفنية — حيث يتولى مسئوليتها اليوم واحد من اقدر مثقفينا موضوعيا وفنيا هو مصطفى درويش — تتبع خطة اشراك عدد كبير من المثقفين والفنانين والادباء فى مشاهدة ومناقشة الانتاج السينمائى الذى يفد الينا من الخارج بهدف صيانة تراثنا الثقافى وحماية فكرنا القومى من الغزو الايديولوجى الاستعمارى والصهيونى والرجعى ، وذلك دون جمود وعلى اساس من الحوار الجماعى بين القيادات الفكرية الاشتراكية ، مستبعدة اسلوب القرارات الادارية الفردية .

ولا جدال فى ان عملية صياغة الدستور الدائم ، تمثل العلامة المميزة ذات الدلالة الرئيسية والمغزى العميق لهذا الخط الجديد فى منهجنا الديمقراطى .. **منهج الديمقراطية المباشرة ذات المناخ الاشتراكى .**

كان الاعلان الدستورى الصادر فى مارس ١٩٦٤ ، قد عهد الى مجلس الامة الحالى بمهمة وضع مشروع الدستور الدائم ليطرح على الشعب للاستفتاء ، الا ان **المناضل عبد الناصر** عمل على تطوير هذا الاسلوب الى شكل اكثر ديمقراطية ، بدعوته التى وجهها فى عيد العمال الى الشعب بأن يشارك المجلس فى صياغة الدستور ، مستنا بذلك تقليدا ثوريا جديدا ، يرتكز على قاعدة جماهيرية اعرض ، ويصوغ مفهوما ديمقراطيا اعمق مما تضمنه الاعلان الدستورى . فقد اعلن فى اول مايو ١٩٦٦ : **« مطلوب النهارده من مجلس الامة ان يبدا فى اعداد الدستور الدائم » ..**

« يبتدوا يعملوا مناقشة مفتوحة فى كل وحدة على جميع المبادىء وجميع الفصول، فصل فصل » ثم أضاف **« الجماهير تدرس الدستور لان ذلك هو اساس ممارسة العمل العام وضمان الحرية وضمان الاستمرار »** .

وقيام مجلس الامة بوضع واقرار مشروع دستور دائم لطرحه للاستفتاء الشعبى ، عمل ديمقراطى لا غبار عليه ، فى ظل العلاقات الجديدة للانتاج والملكية الاجتماعية لوسائله وادواته .. الا ان الحقوق الديمقراطية مسالة نسبية ، واللجوء الى اشراك أوسع قاعدة جماهيرية فى القضايا الاجتماعية الاساسية ، يعبر عن طابع اكثر اصالة للعمل الديمقراطى ، وكلما توسعنا فى هذا الاتجاه ، ورسخت الحقوق الديمقراطية للاسهام المباشر من جانب القوى العاملة فى كل صغيرة وكبيرة من شئونها ، توطدت دعائم البناء الديمقراطى واكتسب محتوى اشتراكيا .

لقد نبذت ثورتنا المفهوم الليبرالى التقليدى الضيق ـ والشكلى فى الوقت نفسه ـ للديمقراطية ، الذى يقصر حقوق الشعب « صاحب السيادة » على أن يختار مرة كل بضع سنوات ممثليه الى المجلس النيابى .. وبعد انجاز « الطقوس » الانتخابية ينعزل الشعب وتضعف فاعليته ويقل نصيبه فى التعبير عن ارادته ، وتفرض عليه « اجازة » قهرية ، يبعد فيها عن النشاط الخلاق فى التأثير على اتجاه الاحداث ، التى تصبح حكرا للهيئة النيابية طوال سنوات وجودها الشرعى .

والخروج عن اطار هذا المفهوم الليبرالى للديمقراطية ، ليس وليد اليوم ، فقد امتدت جذوره الى سنوات مضت وصلب عوده منذ قرارات يوليو ١٩٦١ .. ان تجربتنا المريرة طوال نحو ٣٠ عاما من الحياة النيابية فى ظل دستورى ١٩٢٣ و ١٩٣٠ ، وحتى ثورة يوليو ١٩٥٢ ، اثبتت **« ان فقدان الحرية الاجتماعية لجماهير الشعب سلب كل قيمة لشكل الحرية السياسية التى تفضلت بها عليها الرجعية المتحكمة ، حتى لقد صدر دستور ١٩٢٣ منحة من الملك ، ومنة منه وتفضلا .. ان البرلمان الذى اقامه هذا الدستور لم يكن حاميا لمصالح الشعب وانما كان بالطبيعة حارسا للمصالح التى منحت هذا الدستور »** .

« ان واجهة الديمقراطية المزيفة لم تكن تمثل الا ديمقراطية الرجعية » .. « ان ذلك كله يمزق القناع عن الواجهة المزيفة ويفضح الخديعة الكبرى فى ديمقراطية الرجعية ، ويؤكد عن يقين انه لا معنى للديمقراطية السياسية او للحرية فى صورتها السياسية من غير الديمقراطية الاقتصادية او الحرية فى صورتها الاقتصادية » . والحركات الشعبية **« بقصورها عن التغيير الثورى فى معناه الاقتصادى سلبت الحرية السياسية ضمانها الحقيقى ولم تترك لنفسها منها غير مجرد واجهة هشة لاتلبث ان تتحطم وتنهار بفعل التناقض بينها وبين الحقيقة الوطنية »**

تلك هى حصيلة خبراتنا القومية ، وخلاصة التجربة المصرية فى حياتنا السياسية ، بلورها الميثاق فى قواعد وقوانين واضحة محددة ، فالثورة بانتقالها من مواقع وطنية الى مواقع اشتراكية وسعت من مفهوم الديمقراطية ليتضمن .. ليس فقط الحقوق السياسية المجردة ، بل وايضا الحقوق الاجتماعية للجماهير العاملة ، وجعلت المسالة المحورية للديمقراطية ليست الاعلان الشكلى للحقوق والحريات ، بل تهيئة الامكانيات المادية لممارسة هذه الحقوق . وكانت عمليات التأميم الواسعة ونزع الملكيات المستغلة وسيطرة قوى الشعب العامل على وسائل الانتاج ، نواة

مفهومنا الاشتراكى عن الديمقراطيةوركيزته الاساسية ، اذ ينزع سلاح الاقليات المسيطرة ويعزلها عن مواقع القوة والسلطة ، **ويضع العاملين فى علاقة مباشرة بأدوات الانتاج .**

وقد اوضح الميثاق ((**ان الديمقراطيةهى الحرية السياسية والاشتراكية هى الحرية الاجتماعية ، ولايمكن الفصل بين الاثنين . انهما جناحا الحرية الحقيقية ، وبدونهما او بدون اى منهما لاتستطيع الحرية ان تحلق الى آفاق الغد المرتقب))**
.. ومن هنا كان اسقاط حكم الاقطاعوراس المال المتعاون مع الاستعمار باستيلاء الثورة على السلطة ، ثم القضاءعلى نفوذ راس المال فى الحكم ، هوبداية الطريق والشرط الضرورى لتحقيق الديمقراطية السليمة والحرية الحقيقية ، فقد خلقت هذه التحولات الاشتراكية لاولمرة المقومات الاقتصادية والاجتماعية لبلوغ ديمقراطية سياسية على نطاق الشعبكله . فالتوصل الى مساواة حقيقية فى المجال السياسى لايمكن ان تتحقق الا فىظل النظام الاشتراكى .. يضمنها ان الناس جميعا متساوون واقعيا فى علاقتهمبوسائل الانتاج ، بما يكفل حقا متساويا للمشاركة فى تقرير وتوجيه سياسة البلاد.

واستنادا الى هذا المفهوم الثورى ، تماحداث تغيير جذرى فى مواقع القوى الإجتماعية ، لاعادة صياغة خريطتها ،باحلال التحالف العريض لقوى الشعب العاملة ، كبديل شرعى لسلطة تحالفالاقطاع وراس المال ، ونص الميثاق على ((**ان الدستور الجديد يجب ان يضمنللفلاحين والعمال نصف مقاعد التنظيمات الشعبية والسياسية على جميع مستوياتهابما فيها المجلس النيابى باعتبارها القوى صاحبةالمصلحةالعميقة والثابتةفىالثورة)) ،((كما انها بالطبيعة الوعاء الذى يختزن طاقات ثورية دافعة وعميقة بفضل معاناتهاللحرمان)) ، ثم والتاكيد على ((ان سلطة المجالس الشعبية المنتخبة يجب ان تتأكدباستمرار فوق سلطة اجهزة الدولة التنفيذية ..)) ، ((.. كذلك فان الحكمالمحلى يجب ان ينقل باستمرار وبالحاح سلطة الدولة تدريجيا الى ايدى السلطاتالشعبية ..))**

والديمقراطية الاشتراكية لا تنبت من تلقاء نفسها، فى شكل محدد وصورة ثابتة ، ولكنها تنمو وتتطور ، بتوالى الانجازاتفى مجال التحول الاشتراكى . فالاستيلاء على السلطة السياسية والغاء الملكيةالمستغلة لادوات الانتاج لا يعنيان نهاية المطاف بالنسبة للديمقراطية ، التى تنمووترتقى وتتقدم لتتحول من **سلطة باسم الشعب العامل** الى **سلطة بأيدى الشعبالعامل ،** بالعمل على تسيير الانتاج منقبل جموع المنتجين ، وتمكين العاملين من مدنفوذهم **المباشر** الى مختلف اوجه الحياة الاجتماعية ، حتى يكون لهم التأثير اليوميالمتصل والكلمة الاخيرة فى جميع القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

واذا كان المنطلق الاول لرفض المنطق الليبرالى للديمقراطية هو ان الديمقراطية السياسية لا يمكن انتنفصلعنالديمقراطيةالاجتماعية ، فان الشق الثانى يتمثل فى الاخذ بمنهج الديمقراطية المباشرة ذاتالمناخ الاشتراكى .

فى المراحل الاولى من الثورة ، تتكفلالسلطة الثورية عادة باجراء التغييرات السياسية الجذرية فى الانظمة المعمول بها،وتصدر التشريعات والقوانين التى تعيد بها صياغة علاقات الانتاج فى المجتمع**باسم الطبقات صاحبة المصلحة** فى العملية الثورية ، وتلجأ القيادة السياسية الىأستخدام جهاز الدولة **باسم المجتمع** لتنظيم الانتاج والتوزيع الإجتماعيين .

وتجربتنا الثورية — مثل معظم الثورات المماثلة لها — انتهجت نفس الطريق ، فاستهل مجلس قيادة الثورة عمله باصدار مجموعة من القرارات الثورية .. الاصلاح الزراعي واعلان الجمهورية .. الخ ،وتتابعت القرارات العلوية واستخدمت الوسائل الادارية الثورية في اعادة تشكيل مجتمعنا لمصلحة الجماهير العاملة ، بما في ذلك اخطر القرارات واكثرها حسما في تاريخنا .. قوانين يوليو ١٩٦١ . وكانت القيادة تستند في ذلك الى استجابة جماهيرية شعبية عارمة ، فهي العامل الاساسي والموضوعي في نجاح العملية الثورية ، عبر المراحل المختلفة لبناء المجتمع الذي تصبو اليه الجماهير العاملة .

وقد اجتازت ثورتنا مرحلة انتقال استثنائية ، بدا الشعب فيها زحفه من غير تنظيم سياسي او نظرة كاملة شاملة للتغيير الثوري ، ادى الى انفراد القيادة بتحمل المسئولية ، وسيادة سياسة « القرارات الادارية الثورية » .. الا ان عمق الوعي واصالة ارادة الثورة وقيادتها منحها القوة وهيأ لها القدرة على اجتياز هذه المرحلة المحفوفة بالاخطار ، فقد كان الاستمرار في هذا الاتجاه والتمادي فيه يهدد بانعزال القيادات عن القاعدة وانفصال جهاز الدولة عن الجماهير الشعبية العاملة ، ويزيد من خطر استقلال العامل السياسي وتفاقم الاتجاهات البيروقراطية .. خاصة واننا ورثنا تركة مثقلة تتمثل في جهاز بيروقراطي عمره خمسون قرنا ، قضاها في حكم مركزي يخدم مصالح الاقليات الحاكمة التي تقلبت على عرش مصر والسلطة فيها .

ومن هنا كان حرص القيادة الثورية على تعدى هذه المرحلة ، خاصة بعد قوانين يوليو ١٩٦١ وتحديد ملامح وطريق الثورة بصفة قاطعة ،وبعد ان بلور الشعب نظريته في التحول الاشتراكي وصاغها في ميثاقه الوطني ، **فكما ان الديمقراطية الشعبية لاتصبح واقعا موضوعيا الا في اطار المجتمع الاشتراكي ، كذلك فان التحول الاشتراكي لايتحقق الا من خلال العمل الديمقراطي الجماهيري ، بتوسيع وتدعيم دور وفاعلية القوى العاملة في النشاط الاجتماعي والسياسي المباشر .**

وقد اكد المناضل عبد الناصر هذا الاتجاه اذ قال « **اعتقد ان مرحلة الوسائل الادارية الثورية انتهت ، ولابد ان نعتمد على الوعي الكامل للشعب العامل .. ولابد ان نعتمد على العمل السياسي لا العمل الاداري .. ويجب ان يمارس العمل السياسي ، ويجب ان نعمل على تطوير الديمقراطية الاشتراكية** » .

والواقع ان القيادة الثورية ،منذ صدور الميثاق عملت على وصل مابين الديمقراطية السياسية والديمقراطية الاجتماعية ، مابين سيطرة الشعب على وسائل الانتاج والادارة الديمقراطية لهذه الوسائل المنتجة ، هادفة الى التوسع التدريجي المضطرد في اشراك الجماهير العاملة في النشاط اليومي الانتاجي والاجتماعي والسياسي وتدريبها على ممارسة السلطة واحلال نظام الادارة الذاتية للعمال والفلاحين للوحدات الانتاجية تدريجيا محل ادارة الدولة ، هادفة بذلك الى تحويل السلطة من جهاز يعمل باسم الشعب الى سلطة حقيقية مباشرة نابعة من مصادرها الاصيلة .

ففي مجال الانتاج الصناعي اشرك العمال في ادارة الوحدات التي يعملون بها ، بدخولهم بعضوين ثم اربعة اعضاء في مجالس الادارة ، كما اصبح تعيين الاعضاء الاربعة الآخرين من بين العاملين بالشركة نفسها ، ممن يحتلون مناصب رئيسية فيها ، وتاكيدا لدور الطبقة العاملة اوضح جمال عبد الناصر « **ان الطبقة العاملة كانت مستغلة وكانت قليلة العدد قبل الثورة ، وقد خف ذلك بصورة متزايدة ، نتيجة التغييرات**

السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي حدثت في البلاد . وهذه الطبقة العاملة تمثل في النظام الاشتراكي المركز القيادي »

وفي الريف المصري حدد الميثاق دور نقابات العمال الزراعيين بأنها القوى التي تستطيع « **ان تنسج خيوط الحياة في الريف من جديد وتصنع منه قماشا حضاريا يقرب القرية الى مستوى المدينة** » كما ان « **تعاونيات الفلاحين فضلا عن دورها الانتاجي هي منظمات ديمقراطية قادرة على التعرف على مشاكل الفلاحين وعلى استكشاف حلولها** . » والتعاونيات تتيح المشاركة الايجابية من جانب الجماهير الفلاحية ، خاصة وان قانونها يشترط ان يكون اربعة اخماس اعضاء مجالس ادارتها ممن لا تزيد ملكيتهم عن خمسة افدنة .

وهكذا اشرك الميثاق المنظمات العمالية والفلاحية في جميع الانشطة القومية ، والقى عليها مسئولية العمل الجسيم الذي نضطلع به في مسيرتنا الثورية ، هادفا الى تحريك واستثارة الطاقات الخلاقة للمنتجين المباشرين .

ــ واذا كان الميثاق يضمن للمنتجين الاسهام المباشر في ادارة الانتاج ، فمن البدهي ان يفترض مشاركتهم في صياغة القواعد المنظمة لحياتهم ، وقد نص على ان « **لابد في الدستور الجديد من تنظيم عملية رجوع القيادات الشعبية الى قواعدها وتأكيد مسئوليتها امام المنابع الاصيلة لقوتها . ولابد لنا ان نذكر دائما ان القواعد الشعبية مفعمة بالثورة الطبيعية وان ثورية القواعد والحاحها الدائم من اجل التقدم سوف يكون قوة دافعة لثورية القيادة** » .

الديمقراطية الاشتراكية اذن لا يمكن ان تتجمد في حدود النظام التمثيلي ، الذي يعبر عن جانب واحد من جوانب الحرية ، فان الانتخاب واختيار الممثلين وتفويضهم من جانب الناخبين لتقرير الامور باسمهم ، لا يلغي ضرورة الانتقال الى مستوى اكثر تقدما ، بالاسهام المباشر من جانب القواعد الشعبية في صياغة النظم الاساسية التي تحكم اتجاه حركتها ، وخاصة فيما يتعلق بتقنين الهيكل السياسي والاقتصادي والاجتماعي لمرحلة التحول الاشتراكي ، وتحديد القواعد الاساسية لنظام الحكم وتوضيح حقوق الافراد وواجباتهم .

وقد اشار احد فلاحي الاصلاح الزراعي بجلسات الاستماع الدستورية الجماهيرية الى واقع ان هنالك اربعة ملايين من عمال الزراعة والتراحيل لا يمثلهم احد في السلطة ... وهو واقع يكشف عن نواقص الديمقراطية التمثيلية خاصة في المراحل الاولى من التحول الاشتراكي وتؤكد ضرورة استكمالها بالديمقراطية المباشرة ، حتى لا تعزل فئات اجتماعية بوزنها العددي والاجتماعي والسياسي الخطير عن مجرى الاحداث وحتى تحصل على حقها الشرعي في ابداء رأيها والتعبير عن وجهات نظرها . ولا جدال في ان نفس الوضع ينطبق ــ بدرجات متفاوتة ــ على فئات اجتماعية اخرى ، كالعمال وصغار الفلاحين ، نتيجة الاخذ بتحديد « لجنة المئة » في تعريفها للعامل والفلاح ، والذي يضع كبار الموظفين في أعلى السلم الوظيفي في نفس مستوى العامل الذي يقبع في أدنى درجاته ، ويسوي بين مالك الخمسة والعشرين فدانا وصاحب القراريط المعدودة ، ولذلك فان الخروج على تلك التحديدات التنظيمية للاجهزة التمثيلية ، ضمان لان تمثل الفئات ذات المصلحة العضوية الثابتة والعميقة في الاشتراكية تمثيلا اوسع مما هو متاح لها في الاطر التمثيلية الحالية ، كما انه صمام امن ضد النزعات الفردية والتطلعات الفئوية الضيقة والاتجاهات التي تنحو الى

تعميم دون تفصيل وتجريد بلا تحديد، فتخلق ثغرات تفسح مجالا قد يستخدم لتعويق عمليات التحول الاشتراكي، والانتقال الى مواقع اكثر تقدما .. كالنص مثلا على ان « **لاتنزع الملكية الا للمنفعة العامة، ومقابل تعويض عادل** »، مما يمثل ردة عن الموقف الثوري الذي التزمته قيادتنا الثورية طوال الاعوام الاخيرة، والذي كفل لها القضاء على كثير من مواقع الاستغلال الاقطاعي والرأسمالي في مجتمعنا، وهو نص لم يخل منه اي دستور او اعلان دستوري حتى الآن . ان اقرارنا لفكرة « **ان سيطرة الشعب على كل ادوات الانتاج لاتستلزم تأميم كل وسائل الانتاج ولا يلغي الخاصة ..** » لا يفترض بالضرورة النص على تعويض عادل لكل ملكية تنتزع .

والاتجاه الجديد في صياغة الدساتير الاشتراكية ينحو الى نبذ التعميم والتجريد، والعمل على تفسير بعض مواده وتأكيد الضمانات للحقوق الواردة به، بصورة أدق وأكثر تحديدا وتفصيلا عما عهدناه في الدساتير البورجوازية . وهناك دعوة شهدناها في جلسات الاستماع — وتجدر واجا بين عدد كبير من المثقفين والقانونيين المتأثرين بالفكر الليبرالي — تقول بضرورة ان يتضمن الدستور « **امهات المسائل وحدها** » . واعتراضنا على هذه الدعوة لايعني اغراق الدستور في مسائل فرعية وثانوية، انما يهدف الى الوضوح . والامثلة على هذا الاتجاه في الدساتير الاشتراكية عديدة، نذكر منها على سبيل المثال ان الدستور اليوغوسلافي في ضمانه لحق العمل، يحدد ايضا الحد الاقصى لساعات العمل والعطلة اليومية الاسبوعية والاجازة السنوية المدفوعة الاجر وحق الضمان الشخصي والرعاية الصحية وغيرها من الحقوق المحددة . والقانون السوفيتي لايكتفي بالنص على حرية الصحافة والكلام وعقد الاجتماعات، بل يضمنها باضافة « ان حقوق المواطنين هذه يؤمنها كون المطابع ومخزونات الورق والبنايات العامة والشوارع والبريد والبرق والتليفون وغير ذلك من الوسائل المادية الضرورية لممارسة هذه الحقوق موضوعة تحت تصرف الشغيلة ومنظماتهم » .

ويرتبط باتجاه التعميم والاقتصار على « امهات المسائل » والمبادىء المطلقة، الحرص على ان تلحق بكل مادة النص على ان « يتم ذلك في حدود القانون » او « مالم يخل بالنظام العام .. » « الا اذا كان ضروريا لوقاية النظام الاجتماعي » .. الخ من التقييدات والتحفظات التي تفرغ كل مادة من مضمونها وتنزع عن كل حق محتواه .

والدستور ليس محايدا، فكما ان دستور عام ١٩٢٣ و ١٩٣٠ اللذان صدرا في شكل منحة من الملك، وضعا كافة السلطات بين ايدي تحالف الاقطاع ورأس المال، جاء دستور ١٩٥٦ ليعكس مصالح « **الامة ككل** » في مرحلة التحرر الوطني .. اما الاعلان الدستوري لعام ١٩٦٤، فقد جعل « **الاساس الاقتصادي للدولة هو النظام الاشتراكي الذي يحظر اي شكل من اشكال الاستغلال بما يضمن بناء المجتمع الاشتراكي — بدعامتيه — من الكفاية والعدل** »، وان « **الوحدة الوطنية التي يصنعها تحالف قوى الشعب الممثلة للشعب العامل، وهي الفلاحون، والعمال، والجنود، والمثقفون والرأسمالية الوطنية ..** »

وقد اتضح من واقع تجربتنا ان اخطر مايواجهنا في عمليات البناء الاشتراكي ويهدد بتعويق هذا التقدم، لايتمثل في بقايا الاقطاع ورأس المال، بقدر مايكمن في الفئة البيروقراطية الواسعة العريقه العميقه الجذور .. وان السبيل الوحيد للحد من خطرها، هو وضع اجهزة الدولة والقطاع العام والقطاع الزراعي التعاوني تحت اشراف ورقابة الجماهير العاملة . وقد قامت لجنة تصفية الاقطاع برئاسة المشير

عبد الحكيم عامر ، بدور مجيد في تخليص الريف من الجيوب الاقطاعية ، واتخذ مجلس الامة قرارا بفصل من ثبتت ادانتهم وتبين انحرافهم من ممثلي الفلاحين ، وتواصل لجنة تصفية الاقطاع نشاطها بالعمل على تطهير القطاع العام عن طريق اجراءات ادارية ثورية .. وهي اجراءات ضرورية لا مفر منها لمتابعة مسيرتنا الثورية .. الا اننا نعمل في الوقت نفسه على اجتياز مرحلة القرارات الادارية الى مرحلة العمل السياسي الشامل .. وهنا تبرز ضرورة ان ينظم الدستور الدائم حدود عملية الرقابة الشعبية وينص على مبدأ سحب الثقة من اعضاء مجلس الامة وجميع المجالس المنتخبة دون التقيد بمدة صلاحيته القانونية ، كما يكفل حق محاسبة المسئولين في جميع المستويات سواء في جهاز الدولة او القطاع العام والجمعيات التعاونية . هذا الحق بجانب انه ضمان للديمقراطية المباشرة في ارقى صورها واكثرها تقدما ، فهو ايضا بمثابة مدرسة للتثقيف السياسي .

ويمكن هنا ان نجسد بعض الضمانات التي يجب توفرها في الدستور الدائم فيما يلي :

- الا يقتصر الدستور على نظريات مجردة ، بل يتطرق الى تحديد الضمانات التي تكفل تأمين ممارسة الحريات .

- الا يثقل بتحفظات وقيود تفرغه من مضمونه .

- الا يتضمن مواقف حيادية ، بل يمثل بحق وعمق تحالف قوى الشعب العاملة على طريق الاشتراكية .

- أن ينظم الرقابة الشعبية المحكمة على القيادات في جميع مجالات النشاط القومي ، بكفالة حق المحاسبة وسحب الثقة .

- أن يدعم قواعد ممارسة الديمقراطية الاشتراكية المباشرة ، بنقل السلطة الى ايدي العاملين المنتجين .

ومن هنا تبدو الاهمية الخاصة للمشاركة الايجابية من جانب قوى الشعب العاملة ، وفي مقدمتها العمال وفقراء الفلاحين والمثقفين الثوريين في صنع الدستور ، بحكم انهم أشد الطبقات ارتباطا بالاشتراكية واكثرهم مصلحة في فرض ارادة التغيير والقضاء على استغلال الانسان للانسان .

ومساهمة المواطنين جميعا في صياغة الدستور الدائم ، بمناقشة مواده وتقرير مايجب ان يتضمنه من مبادىء ، يشعر كل فرد من ابناء الشعب العامل بأنه شارك في نسج بعض خيوطه ، بما يضفي عليه قيمة مضاعفة من الاحترام والتقدير والالتزام بما جاء به ، والادراك السليم لحقوقه وواجباته والوعي بالاطار الذي يعمل فيه والتعرف على معالم الطريق الذي يسلكه .. وهو من صنع يديه . وبذلك فهو يؤهل المناخ الصحي ، لان يصبح الدستور قوة حقيقية ، يكتسب حيويته ويستمد شرعيته من واقع ان كل مواطن نفث فيه من ارادته ، فأصبح تجسدا لهذه الارادة الجماعية .

ان عملية الانتقال من مرحلة « القرارات الادارية الثورية » الى مرحلة « العمل السياسي الشامل » ، والخروج من الاطار الضيق لنظرية النيابة عن الامة والديمقراطية التمثيلية الى رحاب الديمقراطية الاشتراكية المباشرة ، تمثل طفرة نوعية في حياتنا السياسية .. وهي عملية شاقة ، تقتضي تعبئة كل الجهود

وتركيزها ، وتستلزم تطوير أساليب العمل السياسى بما يتلاءم مع هذه المهام ، وتضع اعباء ثقيلة على التنظيم الاشتراكي والقيادات السياسية لرسم خطة عمل ومتابعة تنفيذها بالنقد والتقييم ، والمرونة فى ادخال تعديلات عليها ، كلما استكشفنا نواقص وثغرات خلال الممارسة العملية.

كما ان نجاحنا فى انجاز هذه المهمة الصعبة ، رهن بتعميم تطبيق الاسلوب نفسه فى كافة مجالات النشاط .. كأن تطرح قضية الموقف من الاراضى المستصلحة واساليب استثمارها للمناقشة الشعبية ، وأن نرفع مستوى الوعى بقرارات لجنة تصفية الاقطاع فى مجال القطاع العام ، باتاحة فرص مناقشتها فى وحدات الانتاج، لاطلاع العاملين على اسبابها وتعريفهم بالمعايير المتبعة وتوضيح اوجه القصور فى النشاط الانتاجى والادارى ، وطرح هذه الآراء لحوار مفتوح واستقصاء وجهة نظر العمال ، فى احتكاكهم اليومى بمشاكل العمل ، لرفع مستوى وعيهم ، وتحسين أساليب عملهم ، وتثقيفهم ، وصقل خبراتهم النضالية فى مضمار النشاط العملى .

ان اكتساب الوعى عن طريق المشاركة اليومية والممارسة العملية للنشاط فى مجالات الانتاج وبواسطة الحلول الذاتية للمشكلات ليس الا شق واحد من عملية متكاملة مترابطة ، فالشق الثانى الاكثر فاعلية فى رفع الوعى الى مستويات ارقى ، يتمثل فى الاسهام فى القضايا القومية العامة والمعارك السياسية الكبرى — كالكفاح ضد الاقطاع والاستعمار — ومناقشة الخطوط العريضة لسياسة التحول الاشتراكى .. اى القضايا ذات الطابع السياسى بالدرجة الاولى . انه السبيل الاساسى للانضاج الثورى للجماهير العاملة ، لحفز مبادراتها واستثارة حوافزها الخلاقة، لتوجيه حركتها التلقائية فى اتجاه واع هادف ، حتى تصبح مهيأة لنقل كل السلطات اليها ، ولترتفع الى مستوى المسئولية الملقاة على عاتقها . وهى فى الوقت نفسه مدرسة سياسية لتخريج الكادر بنظرته الشاملة ومنهجه العلمى وقدرته على مواجهة كل المواقف .

ومن هنا تبرز الاهمية البالغة للمنهج الجديد فى حياتنا الديمقراطية ، خاصة فيما يتعلق بمناقشة القضايا العامة . كالدستور فهو مصدر لاينضب ، للتثقيف والتوعية الجماهيرية ، مما يضع على قيادات الاتحاد الاشتراكى مسئولية رسم خطة واضحة للاستفادة من هذه الظروف المواتية ، لتوجيهها فى خدمة « العمل السياسى ، وتطوير الديمقراطية الاشتراكية » ، بأن تخصص وقتا من كل اجتماعاتها التنظيمية وتوالى عقد الاجتماعات الجماهيرية ، ببرنامج محدد للمناقشة، يمكن ان يتضمن على سبيل المثال :

- تعريف بماهية الدستور والفرق بينه وبين الميثاق الوطنى والقوانين .
- دراسة سياسية للدساتير التى صدرت عبر تاريخنا .
- بحوث مقارنة للتجارب الدستورية العالمية وخاصة الاشتراكية منها .
- الرجوع الى الميثاق وخطب واحاديث المناضل عبد الناصر باعتبارها المرجع الاساسى لفكرنا الثورى .
- متابعة المناقشات التى تدور فى اجهزة الاعلام المختلفة .

● حوار حول مواضيع محددة ، كحقوق وواجبات المواطنين ، والرقابة الشعبية وحق سحب الثقة .. الخ .

● الربط بين المشاكل الخاصة والقضايا العامة .

ليس هذا فحسب ، فوحدات التنظيم السياسي مطالبة بمتابعة النشاط السياسي والاقتصادي والثقافي .. والتقرير النهائي لمؤتمر التعليم العالي ومحاضر جلسات ندوات السينما والمسرح والكتاب ولجنة تصفية الاقطاع ، يجب ان توزع على مختلف المستويات التنظيمية للاطلاع عليها ومناقشتها ودراسة ماتحتويه من اتجاهات، حتى يكتسب اعضائها شمول النظرة واتساع الافق ، ويتدربون على استخدام المنهج العلمي في مواجهة تحديات عملية البناء الاشتراكي عن طريق تجميع الخبرات الثورية وتركيزها واستخلاص العبرة منها.

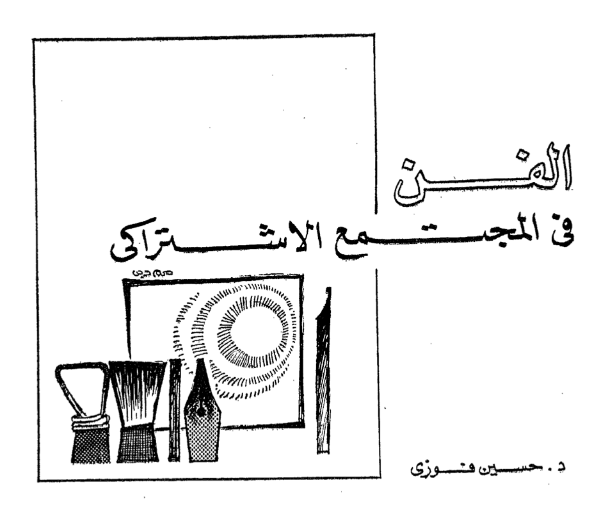
وفي ظروفنا الراهنة ، ونحن نواجه حملة مسعورة من جانب القوى الاستعمارية ـ الصهيونية في تضامن وثيق مع الرجعية العربية .. وفي الوقت الذي يتدفق فيه العتاد الحربي بغزارة على القواعد العسكرية الاستعمارية التي تطوق الشعوب المتحررة ، ويبلغ سخاء الاستعمار حدا لم نعهده من قبل في تسليح الرجعيية بالمغرب والاردن والسعودية وايران فضلا عن اسرائيل،ونواجه احتمالات انتقال الامبريالية من مرحلة الضغط السياسي والحصار الاقتصادي الى العدوان المباشر .. في ظروفنا هذه تعتبر الديمقراطية الاشتراكية ضرورة موضوعية لحماية المكاسب التي انتزعناها بالجهد والدم .

كما ان التقدم في مجال التنمية بمعدلات كبيرة على اسس اشتراكية ، رهن بتطور الاشكال الديمقراطية للادارة الاقتصادية والمشاركة الجماهيرية الفعالة المباشرة في جميع الشئون العامة ، فهو قانون الحياة الذي يضمن التطور الطبيعي وبمعدلات سريعة عصرية .

لقد رفع المناضل جمال عبد الناصر شعار مرحلة التحول الاشتراكي قائلا : ((**لا بد ان نعتمد على العمل الكامل للشعب العامل .. ولابد ان نعتمد على العمل السياسي، لا العمل الاداري .. ويجب أن نمارس العمل السياسي ، ويجب ان نعمل على تطوير الديمقراطية الاشتراكية**)) .

وهو يطلق هذا الشعار من قمة السلطة، ولكن لان السلطة تنبع من قلب الشعب العامل فهي سلطة ثورية تقدمية تعي وعيا عميقا مسئولياتها التاريخية على طول مراحل الثورة . ومهمتنا الملحة اليوم هي ان نترجم في جميع المجالات ومن جميع المستويات هذا الشعار ترجمة عملية .. امينة وقادرة ومسئولة .

((**الطليعة**))



يقول الكاتب السوفيتي ايليا اهرنبورج في حديث له مع صحفي فرنسي :

((يقيننا ان اتساع القاعدة في الاتحاد السوفيتي جاء على حساب التعمق . ومتى بدأ محدثو الثقافة مطالعة قصة ، أو شاهدوا لوحة جاء حكمهم خطيرا . ثم يتقدم الجمهور وئيدا في طريق الوعي الثقافي .

فاذا درج علي ارتياد متحف فني كبير مثل ((الارميتاج)) امكن له أن يتعرف خارجه على الفن الوضيع ، كشيء لايرى له مثيلا في ((الارميتاج)) . وعندما يطالع الكتب القيمة في ادبه وآداب العالم ، يرهف احساسه فيتبين الغث من السمين .

((في سنة ١٩٣٤ ، واثناء انعقاد مؤتمر الكتاب السوفيت الاول، تقدمت مندوبة مصنع نسيج لتشكو من وجود قصص وروايات عن المناجم، وعن الصناعة الثقيلة ، في حين افتقدت السيدة البدينة روايات عن ... مصانع النسيج !!

((ثم اتيحت لي فرصة زيارة المصنع نفسه منذ عهد قريب ، فوجدت العمال يقرءون قصة ليون تولستوي ((انا كارنينا)) ويطالبون مسرح العمال بتقديم تمثيليات ممتازة ، لاتكون عقدتها المصانع او المزارع الجماعية، فهذه مجردنقل سخيف لحياتهم اليومية ، وقد ادركوا بممارسة الثقافة ان الفن ليس النقل الفوتوغرافي للواقع .

((وانا اكثر ايمانا باهمية التقدم الثقافي للشعب مني بتقدم الفن نفسه لان الجمهور الواعي هو الذي يفرض على الفنان السمو والارتفاع .)) ! .

والعكس بالعكس ، لان الجمهور الذي يفرض عليه الفن الغث استصغارا لشأنه وملكاته، واتهاما لقدرته على التطور ، يفسد ذوقه ، ويطول الامل في ارتقائه ، الا ان يقوم قادة الفكر والفن بواجبهم كاملا في صدق وامانة .

ويطيب لي ان اذكر يوما قضيته ببلد صغير من بلاد الجمهورية الديموقراطية الشعبية للمجر ، بل

قضيت اكثره على عمق مئات الامتار تحت سطح ارضه ، داخل منجم فحم . فلما خرجنا من باطن الارض قضيت ساعة فى اكثر من حمام ساخن لاعود بنى آدم . وقالت مرافقتى الليبية الحسناء ، بعد ان نفضت عنها زى المنجم وتراب فحمه : لقد رايتنا فى ظروف العمل القاسى ، تعال بنا لنشهد كيف يقضى العمال اوقات فراغهم .

ويممنا شطر نادى العمال ، او «بيت الثقافة» ، واستمعنا مع اعضائه الى ... رباعيات بيتهوفن وبيلا بارطوك .

وفى فصل من كتاب «الفن والمجتمع» للسير **هربرت ريد،** الشاعر والناقد الفنى العظيم، بعنوان **((الواقعية الاشتراكية))** ، يشير الكاتب الى تدهور الفن فى البلاد الراسمالية ثم يواصل القول : **«ولقد توقعنا من بلاد ازاحت الراسمالية عن كاهلها ، ان تزيح معها المثل المنحطة للفن الراسمالى ، وتعود الى حقائق الخلق الفنى ، فلم يتحقق ماتوقعناه ، ومضت ثلاثون سنة على قيام الاتحاد السوفيتى ، وليست مدة كافية لبناء ثقافة جديدة . الا انه لو كان اجيز للفن فيها ان يتطور تطورا طبيعيا يجمع بين الخيال والواقع ، لسار كل شىء على مايرام ويرجى . ولكن ماحدث فعلا هو انهم فرضوا على الناس صورة ذهنية مسبقة لما يجب ان يكون عليه الفن فى المجتمع الاشتراكى .»)**

وهنا نقل هربرت ريد كلاما **لكارل رادك** فى سنة ١٩٣٤ ، حينما كان هذا الرجل يعتبر اهم ناقد فنى فى الروسيا ، يتحدث فيه عن تصوير واقع الحياة (راجع اعلاه افتقاد السيدة البدينة لروايات عن مصانع النسيج !) فيقول : **((الواقع الاشتراكى لا يعنى رسم صورة لتفسخ الراسمالية فحسب ، بل يجب ان يصور ايضا انتصار البروليتاريا ، تلك القوة القادرة على خلق مجتمع جديد ، وثقافة جديدة)) .**

ويعلق **ريد** على هذا بان كلام رادك يفسر لنا تدهور الفن الروسى تحت حكم **ستالين** . ومع ان **((رادك))** قد اعدم فى تصفيات الثلاثينات ، فقد خلفه من هو اسوأ واضل سبيلا، المدعو **((جدانوف))** ولم تخرج روسيا من محنتها الفنية الا بعد ان ادركت حقيقة بدائية ، وهى ان الالزام والاجبار فى الفن معناه القضاء على الجوهر الفرد فى الانسان اى على ملكة الخلق والابداع ، وهى لاتعيش الا طليقة فى جو من الحرية .

ثم اليك صورة اخرى من مجتمع سالف : عاش المصور **((جروز))** فى عصر لويس السادس عشر يصور الامراء والنبلاء ، ولكنه لم يغفل عن تصوير الشعب ، متاثرا بفلسفة **((ديدرو))** الاجتماعية . **الا ان** اسلوبه المتانق فى برودة ، العاطفى فى تكلف كان يمثل اسلوب الحياة الارستقراطية فى عصر اخر اللويسيين قبل الثورة الفرنسية . وحتى صورة «بائعة اللبن» ،او صورة «الاناء المكسور» ، وما اليهما ، كانت تبدو كانها تمثل مدام لاماركيز فى ثياب حفلة تنكرية .

وجاءت الثورة الفرنسية ، ولم يكن المصور جروز رجل سياسة ، الا ان صلاته الاجتماعية ادرجته فى صف البائدين . «سى دفان» فاودع السجن ، وكاد يقع بين ايدى النائب فوكييه — تانفيل ، لولا ان انقذته الثورة البيضاء فى التاسع من شهر ترميدور .

وعاش جروز حتى عصر نابليون ، وتوفى سنة ١٨٠٥ هملا منسيا، لان فنه مات يوم انطلقت الغوغاء لتهدم الباستيل فى ١٤ يولية ١٧٨٩ . فالفنان الذى يطبع بطابع مجتمع معين ، يموت فنه موتا طبيعيا فى العصر الجديد .

يتعين علينا اذن ان نخرج من حسابنا كل انتاج فنى حدد اتجاهه مقدما، وبداه اصحابه بفكرة مسبقة ايا كان الباعث عليها ، كقول القائل بأنى ملزم فى مجتمع اشتراكى بانتاج فن اشتراكى صفته كذا ونعته كيت .

ولنلاحظ هنا ان الالزام غير الالتزام . فالكاتب او الفنان الملتزم يعمل بوحيه الخاص ، وايمانه بقضية فنية يعالجها ، فاذا كان فنانا صحيحا ، فلا يضير فنه ابدا ان يكون ذا اتجاهات اصلاحية معينة ، وهو يصور المجتمع المثالى حسبما يراه ، او ينقد ليهدم مجتمعا رجعيا متخلفا .

اما من يزعم الالتزام، وهو فى باطن الامر مدفوع بمرغبات دنيا ، من كسب او شهرة ، او خاضع لايحاءات ودفع خاص ، فان موقفه عمليا اشبه بموقف المحامى يدافع عن قضية لايؤمن فى قرارة نفسه بعدالتها . وقد يستطيع المحامى النابه اداء واجبه فى الدفاع عن تلك القضية دفاعا مقبولا . اما رجل الفن فلا يمكن ان يوفق فى ابداع فن صادق.

ويحسن كى نصل الى اتفاق وتفاهم على هذا المبدأ ان نضرب مثلا عمليا من واقعة معينة يمكن ان توحى باعمال فنية على مستويات متعددة . وهى **ماساة الاعتداء على بورسعيد، واحتلالها سنة ١٩٥٦.** ولنتصور ان عددا من الاشخاص يكتبون اويصورون او يؤلفون شعرا او الحانا او تمثيليات عن تلك الواقعة .

اولهم : شهد الحادث ، وانفعل به ، وانشأ على انفعاله وتجربته الوطنية عملا فنيا منطلقا من ذات نفسه ، لايهدف فيه الى اكثر من تحقيق وقع الحادث عليه فى عمل فنى متكامل ، لايرجو من ورائه جزاء ولاشكورا ، فالعمل منبثق من ضميره وخالص وجدانه .

وثانيهم : لم يشهد الحادث، ولكنه عرفه بتفاصيله من شهود عيان ، او من تحقيقات الصحف ، او من الفيلم التسجيلي المشهور الذي قامت بتصويره وحدة السينما بوزارة الارشاد القومي ، فحقق عمله الفني خالصا لوجه الفن والوطن .

وثالث : خرج من بورسعيد وهو ينوي ان يؤدي عملا فنيا يستنهض به الهمم، ويثير نخوة بني قومه . اي انه انتوى اداء واجب مقدس ، هو جهاد في سبيل الوطن بالوسيلة التي اعدته طبيعته لادائها .

ورابع . يشبه الثالث في ظروف معرفته بالحادث وسمع بان الاذاعة او التليفزيون تعد برامج لذكرى تلك القارعة ، او كلفته اداة الاعلام بقصيدة ، او لحن، او تمثيلية الخ، لتؤدي في برامج الذكرى .

وخامس : صلته مقطوعة بالواقعة، ومعلوماته عنها ضئيلة ، ولكنه بحكم وظيفته في جهاز اعلام ما ، مكلف باداء فني معين عن الحادث .

وكل هؤلاء مفروض فيهم الوطنيه الصادقة، والولاء الكامل لقضايا الوطن ، بل ونفترض فيهم ملكات ابداعية متقاربة . فمن منهم ياترى اجدر باخراج العمل الاصدق والاقوى اثرا ، واهم من كل ذلك : **العمل الفني الجدير بهذه الصفة ؟**

لاشك في ان قيمة اعمالهم الفنية تتفاوت حسبما جاء في الترتيب الذي وضعته لهم ، الاكمل فالاقل كمالا .

فالرابع والخامس ، مهما كان عملهما مفيدا، مؤديا لواجب مقدس، فان بواعثه من امل في شهرة، او في كسب مادي ، او من تكليف رسمي ، تلقي على انجازهما ظلالا **قد لاتسيء الى العمل الفني ذاته اساءة بالغة ،** ولكنها قطعا تخرجه من مجال الانجاز الفني الخالص ، وتضعه في اضعف مراتب الفن الهادف .

اما الاخرون ، فان طبائعهم الفنية اختلفت في اتجاهاتها : الاول هو اصدق الفنانين وانبلهم غرضا **يبدع الفن خالصا لوجه الفن .** والثاني نبيل الغرض الا ان طبيعته الفنية تومىء دائما الى هدف بعينه الخ .

واكرر اننا افترضنا في الجميع صدق الطوية والوطنية ، وتساوي او تقارب الملكات الابداعية .

ولعلي بهذه الصوره الافتراضيه استطعت ان اقرب الى الاذهان مركز الفنان في المجتمع الاشتراكي

ولكني تركت للنهاية صوره فنان صادق اصيل يستوحي الزهر والروض والحب، او يمارس تاليف المسرحيات الفلسفية ، او التي تسبر اغوار النفس او تعنى برسم الشخصيات . اوهو يؤلف سمفونيات ذات مغزى انساني عام، اويعالج التصوير التجريدي او ادب اللامعقول .

ومهما راى فلاسفة الاشتراكية ان مثل هذا الفنان لامكان له في مجتمع متطور متحرك نحو تغيير الاوضاع السياسية والاجتماعية، فان دوره الانساني العظيم باق وهو: ابداع الجمال الفني فيما لاغنى عنه للانسان في اي دور او طور من اطوار المجتمع . ولانتصور لحظة واحدة مجتمعا يعيش على مجرد فن هادف او فن ملتزم ، يقوم في الصباح ، ويمسي عليه المساء وهو يبدي ويعيد ، ويسمع ويقرأ ويشهد موضوعا واحدا يظهر في اللوحات والتمثيليات والشعر والقصص والموسيقى ، وكان الحياة ضاقت سبلها فلم يبق للفن الخالص لوجه الفن مكان فيها .

ولقد عشت مثل هده التجربة في مطالعاتي ايام الشباب ، عندما كنا نتابع تحركات الثورة الروسية في ربع القرن الذي قطعه الاتحاد السوفيتي . وبينما كنا نعجب بمشروعات السنوات الخمس ، وبجهاد ذلك الشعب العظيم نحو خلق المجتمع خلقا جديدا، اخذنا مطالعة ادبه الجديد، وكنا من العاكفين المعجبين بالادب الروسي قبل الثورة ممثلا في عباقرته **((بوشكين)) و ((جوجول)) و ((دستويفسكي)) و ((تورجنيف)) و ((تولستوي)) و ((تشيخوف)) الخ ،** فاذا بنا نصدم بادب كله مصانع ، وجرارات، ومزارع جماعية، وحرب «كولاك» ومحطات كهرباء . وكان من غير المعقول ولا المقبول ان يعيش شعب باكمله ، وشعب عظيم ، على مثل هذا الادب المنطفىء الممل الخامل .

والفن ظاهرة فردية قبل ان يكون ظاهرة اجتماعية يبدأ تعبيرا عن الاحاسيس بوسائل عدة، منها الكلام المنظوم والمنثور ، واللحن والصورة والتمثال . ولكن الفرد اذ يعبر عن ذاته لايمكن تصوره منفصلا عن مجتمعه لا في الحاضر ولا في الماضي ، فالفن في مجموعه هو الصورة الحية الباقية لكل المجتمعات .

والعمل الفني لايقف عند حدود الفرد ابدا ، بل ينتهي الى اشراك المجموع ، اما انفعالا به ، او مشاركة في ادائه .

والفن كالفكر ، يبدا مطلقا مجردا ، لايعنى بغير صياغة الانفعال في اشكال وانماط تحقق تناسبا جماليا ، اياكانت وسيلة هذا التناسب .

ولكنه يؤدي دائما غاية اجتماعية، قد تكون مجرد الامتاع الروحي في ارفع انواعه ، او الامتاع الحسي في احطها . وقد يتعدى ايضا الى التاثير في المجتمع فيؤدي الى تطويره ، وقد يبلغ حد الاثارة فيه مدى اندلاع الثورة .

الا ان الفنون ــ حسب ابوابها ــ تختلف في دورها الاجتماعي . فن الكلمة منطوقة ومكتوبة له

اثر مباشر فيمن يسمع الكلمة او يقرأها .. اى ان طريق التحول من الفن المطلق الى الفن الهادف ممهد مفتوح . ومع هذا فان الصفة الاساسية لفن الكلمة — كما لغيره من الفنون الاخرى — هى ان يكون فنا اولا، تجتمع له الصفات الجمالية مواءمة بين المضمون والشكل .

وصفاء العمل الفنى لايتاتى الا ان يصدر عن الحافز الروحى لدى الفرد وسط المجموع ، متاثرا بالوراثة والبيئة ، منفعلا بالطبيعة فى كل اشكالها ، وبالمجتمعات البشرية فى كافة تطوراتها . ففردية العمل ، كما سبق القول ، لاتعنى الانفصال عن المجموع فى حاضره ، ولا عن السوابق التاريخية والاجتماعية . وفى هذا يعتبر الفن اصدق صورة للمجتمع فى ماضيه وحاضره . بل قد ينبىء ايضا عن مستقبله . وهو لا يزين الحضارة فحسب بل هى أبقى وأقوى صورة لها .

والفن عندما لا تكون مادته الكلام المفهوم — كما هو الحال فى الموسيقى والباليه والفنون التشكيلية فان الحدود فيه بين التجرد والاطلاق، وبين الاستهداف والالتزام، واضحة المعالم. ثمة فن يهدف قصدا الى التأثير الاجتماعى، بل والسياسى. وفن خالص أهدافه هى ذاته ، فى صيغه وأشكاله ومضمونه الجمالى .

الا ان تعمق التفكير يظهرنا على ان لافن بلا هدف اجتماعى ، حتى فيما يعرف بالفن للفن. وهذا التعريف الاخير حديث نسبيا . نشأ عن الوعى العلمى والفلسفى لمقومات العمل الفنى كعمل فى ذاته **ولكن الحقائق التاريخية تثبت لنا ان الفنون كلها ملتزمة بتوكيد العنصر الروحى فى الانسان .** فالفن فى نشاته الاولى — ومابرح فى بعض اشكاله — صورة من صور العبادة ، فى عمارة المعابد ، وفى الالحان الدينية ، وفى بعض فنون الشعر . والمسرح فى بداياته بارض يونان ، وفيما يظهر لنا من آثاره عند اجدادنا القدماء، وفى نشاته ابان العصر الوسيط الاوربى، وفى تطور الموسيقى الغربية، وفى الابتهالات والتواشيح الدينية، كل هذه فنون نشأت، واستمرت على اتصال بالطقوس الدينية .

وكذلك الصور والتماثيل ، لم تكن فى اول امرها غالبا ، سوى تمثيل مرئى لنصوص او فكرة دينية وعقائد اجتماعية ، غايتها التبصير والتاثير . **فهى كتاب الشعب الذى لايعرف القراءة** تشده اليها يتلقى عنها الدعوة والاستنارة باصول عقيدته واسرارها ..

ومصدر العناية بالفن فى كل المجتمعات هو منبعه من روح الفرد ووجدانه، واثره العميق فى الجماعات تبعا لصفاته الجمالية اياكانت .. وهذا هو الاصل **فى استخدامه كاداة فعالة بين ايدى رجل الدين ،** والمصلح الاجتماعى ، والداعية السياسى .

والحاسة الفنية لايكاد يخلو منها انسان ، وان تفاوتت قدرات الناس على الانفعال بالفن ، واختلفت قيمة الاعمال الفنية ذاتها بالنسبة لقدرة الناس على التذوق ، ووعيهم الثقافى . بيد ان تهجد الرجل البدائى امام شجرة «البودى» المقدسة بجزيرة سيلان، وانفعال رجل الحضارة بجمال «البارثينون» ينبعان من شعور واحد : **هو الارتفاع والسمو عن الحاجات المادية للبشر ، الى عالم الروح .**

وادراك هذه الحقيقة وحدها هو الذى يضفى على الفن بالغ الاهمية ، **باعتباره فنا فحسب ، لاهدف له سوى تحريك الوجدان بما يشعر ابن آدم بان حياته ليست مجـرد تفاعلات مادية وان ارهاصاتها ترتفع به عن الحيوان الاعجم .**

اذا حفظنا ووعينا كل هذا ، أصبحنا كمن ينظر الى خريطة ايضاحية **لدور المفكر والفنان فى المجتمع اياكان نظامه .**

والفنان يعمل بحافز ثاو فى اعماق نفسه . ولكن هذا لايجرده من العمل بدوافع خارجية . وضعف الحافز الداخلى لايعنى توقف الدافع الخارجى . فقد يواصل الفنان عمله **بدافع من الخارج ، دون ايمان عميق بما يعمل . وكلما تغلبت الدوافع الخارجية على الحافز النفسى ، تضاءلت قيمة الانتاج الفنى .**

والشهرة والصيت ، من الدوافع الخارجية ، لاحرج فيها على الفنان ، **بشرط ان لاتجور على الحافز الداخلى .**

اما الكسب المادى ، ومداهنة الحكام ، ومسايرة الغرائز الدنيا فى الناس ، فهى اسوأ الحـوافز الخارجية .

ونقد السلطات يختلف الحكم فيه تبعا لدوافع الفنان . فاذا كان الدافع اليه ماديا، بمعنى ان الفنان يعمل لمصلحة معينة ، تستخدمه معارضة غير نزيهة فذلك يدخل فى حساب السوء . اما اذا انقاد الفنان لحافز النقد النزيه ، فان فضيلته واضحة ، لاسيما اذا تعرض لما يؤذيه فى معاشه ، او يفقده مركزه لدى الجمـاهير .

واحب ان يفهم الناس ان النقد النزيه يهدم ليبنى ، والنقد المغرض هدام فحسب .

وللحاكم فى كل الاحوال ان ينتفع بالفن النابع من اى فن آخر، **بشرط ان لاتستأجر الاقلام، ويستكتب استخدام فئة من اصحاب الفن الجماهيرى للمساعد الحاذقة فى التوعية عن طريق الامتاع والترفيه**

وفن الكلام ، كما قلت ، اقرب الى ابواب التوعية من اى فن آخر، **بشرط ان لاتستاجر الاقلام، ويستكتب الكتاب** . ومادمنا اليوم ، وغدا ، بصدد اكتشاف القادة والدعاة ، فان من الخير ان نحاول اكتشاف الكتاب الهادفين بطبيعتهم لننتفع بادبهم فى شئون الدعوة ، دون ان نجعل منهم الكتاب الرسميين للتنظيم باية حال .

ونحن فى مرحلة تتطلب التوعية المباشرة دون تستر او التواء ، فليس فى اشتراكيتنا مايدعو الى التخفى والاهم ان نؤمن المجتمع من الرجعية، ومن كل محاولة فنية تبدو ذات علاقة مريبة بالرجعية فى اية صورة . والتوعية المباشرة هى تعريف الناس فى المرحلة الحاضرة بمالهم وماعليهم فى حدود الميثاق، مع تجنب ابتذال كلمة الاشتراكية، ودسها على الفن الجماهيرى لان ذكر الاشتراكية فى اغنية تافهة ، او تمثيلية دارجة ، او قصيدة سخيفة ، يفقد الكلمة احترامها ويفوت على السامع ابعادها واغوارها .

ويجدربنا ايقاف كل عبث تافه يستعمل فى ادوات الاتصال بالجماهير دعوة للاشتراكية ، مع التوكيد فى هذه المرحلة على الاحاديث الجادة المباشرة ، والندوات التى يشارك فيها صادقو النية ، ينقدون ويتباحثون فى حرية وصراحة عن حقيقة مجتمعهم فى الحاضر والكشف عن عيوبه ، ثم التخطيط الذهنى والوجدانى لمجتمع المستقبل .

والفنان المؤمن بالاشتراكية ليس من الضرورى أن يجىء تعبيره الفنى منصبا على الدعوة . **ذلك لان صفة الفنان الهادف لاتكتسب، ولاتستقضى، وانما هى سليقة فى فنه ، وهو يمارس التعبير الاجتماعى تدفعه الى الالتزام . وسيزداد عدد الفنانين الهادفين تبعا لاتساع مجال الدعوة المباشرة ، وعمق الوعى السياسى والاجتماعى ، اى كلما وعت الاجيال الصاعدة معنى الحياة الديموقراطية الاشتراكية .**

فهناك نوع من الفنانين لايحسنون غير التعبير الذاتى ، والفن للفن ، شعرا او موسيقى او فنا تشكيليا . ولهذا الفن دور ايجابى هام فى المجتمع الاشتراكى ، ليس من الخير ان يناقض او ينتقص من قيمته . فالفن للفن ، كالعلم للعلم ، يتحتم ان يقوم اساسا لكل مجتمع ناهض ، يقدر الفكر الحر والتعبير الحر .

ويبقى اخيرا اعظم دور للفن فى اى مجتمع حضارى وهنا تستوى المجتمعات الاشتراكية والمجتمعات الرأسمالية . **هذا الدور هو الارتفاع بمستوى الشعور ، والارتقاء بالاذهان . والفن هنا كالروض فى المدينة . متنفس روحى يخرج بالانسان عن دوامة الحياة المادية، الى رياض الفكر والاحساس .**

ومن ثم **تصيب الجماعات** عندما تعنى بارتقاء الفن كفن ، والسمو يذوق الجماهير ووجدانهم . **وتخطىء الجماعات** التى تحاول توجيه الفن وجهات عملية ، سياسية او اجتماعية ، مثلما كان يصنع **((الدكتور جوبلز))** فى المانيا النازية ، و **((رادك))** و **((جوانوف))** فى الحقبة الستالينية للنظام الشيوعى وقد نجح ثلاثتهم فى القضاء على الابداع الفنى القيم او الحجر عليه ، وحققوا العقم والتخريب الفنى فى شعبين من ارهف الشعوب احساسا فنيا .

يجب ان نجنب مجتمعنا الجديد هذا النهج فى قيادة الفكر والفن ، **مع ملاحظة ان المصرى من طبيعته يكره الكبت والضغط على حريته فى التعبير عن خوالجه** . والمصرى لايقاوم دائما الاملاء والقهر بطريقة مكشوفة ، ويبدو من اكثر الشعوب طاعة وانصياعا . ولكن مالا تستطيع قوة ان تبلغه ، هو ان تقهره فى قرارة نفسه . فقد فرض عليه الذل والكبت الطويل ان يرضى فى الظاهر باوامر الحاكم ونواهيه ، ولكنه لايغفل فى نفسه ، وبين خاصته ، ماالحاكم بسبيله من خير او شر . وقد خضع لحكم الرومان قرونا فلم يتحول عن مذهبه المسيحى ، حتى عندما تحولت الامبراطورية الرومانية الى المسيحية ، وحاولت ان تخضعه لمذهب مسيحى لم يعتنقه .

ومع ان مصر خضعت لحكم الشيعة الفاطميين احقابا ، وعانت عسف الحاكم بامر الله وظلمه فان شعبها لم يتحول عن السنة قيد انملة .

والمجتمع السوى الذى نرسى قواعده فى هذا العصر هو شىء عظيم حقا ، يوائم الضمير المصرى كل المواءمة ، وينصف الشعب المصرى بعد طول عذاب . فليس ثمة مايدعو الى اقامة «مولد» من الاغانى والتمثيليات والصور والشعارات التى تبدو وكأنها تحاول التأثير عليه فيما هو بغير حاجة اليه، **وهو يؤمن بالتحول والتطور الجاد فى نظام مجتمعه . يكفى ان نؤمن حياته من الرجعية والافكار الهدامة لمجتمعه الاشتراكى سواء جاءته من اليمين او من اليسار الزائف .**

والمصرى كفيل بأن يرى بعينيه ويسمع ويحس بان الحياة الاشتراكية هى التى تنقله من عقلية

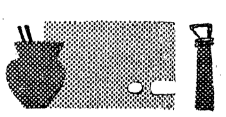
القرون الوسطى،الى عقلية عصر العلم،وهو بغير حاجة الى تعمق الفلسفة لبلوغ وعيه الاشتراكى. فالمصرى يختبر الاشياء تبعا لنتائجها ، حسب طبيعته البرجماتية . **والاشتراكية التى تغنى من حياته المادية والروحية، وترفع من مستوياته الذهنية والاجتماعية، وتؤمن حياته واسرته واحفاده ،وتقضى على استغلال الانسان للانسان ، هى كل مايعنيه من نظامها .**

ويبقى ان تشير الى اخطر مايهدد مجتمعنا ، حتى بعد القضاء على تحالف الاقطاع والراسمالية ، الا وهو التخنث والطراوة والاستسلام للمؤثرات الحسية ، والمخدرات الفنية . فهذه كلها بواقى المجتمع البائد، ومخلفات مجتمع متفسخ عفن، يلتمس فيها الشعب نسيان ضعته وظلمه ، فيختار من متع الراسمالية اخسها وانجسها .

فالاشتراكية نظام جاد صارم يرفض انحلال المجتمع الراسمالى، والانزلاق الى متعاته السفيهة . انما ينهج فى فنونه الجدية والكفاح والتسامى، **ويتخذ من اعلام الانسانية فى الماضى والحاضر ــ دون نظر الى منبتهم والمجتمعات التى نشاوا فيها ــ نماذج لفنونه ومباهج لحياته** . هذا الى ان المجتمعات الراسمالية تضن على الشعب ان يتذوق الفنون الرفيعة،زعما انها تعلو على مستوى ثقافته وذوقه .

بينما المجتمع الاشتراكى يعمل على اثراء حياة الشعب بما يقدم له من متاع وجدانى وذهنى فى الشعر والنثر والموسيقى والباليه والمسرح والفنون التشكيلية . يشهد بذلك مايجرى فى «بيوت الثقافة» بالديمقراطيات الشعبية ، وكيف تنظم الطبقة العاملة سمرها بنماذج من الفن التعبيرى الرفيع يستمعون اليها او يشاركون فى ادائها . ويعلقون على جدران مطاعمهم لوحات فنية . وفى بعض البلاد تعار لهم بعض هذه اللوحات من المتاحف ، ثم تستبدل بغيرها .

واجبنا قدما ان نظهر ادوات الاتصال بالجماهير من الفن الرخو العابث . وان نطارد فى المسرح والسينما وثمرات المطابع كل اثار التفسخ والاغلال فكما ان الشعب الجاد ينتج الفن الجد ، فان الجدية فى الفن تخلق الشعب خلقا جديدا .



الثورة العربية

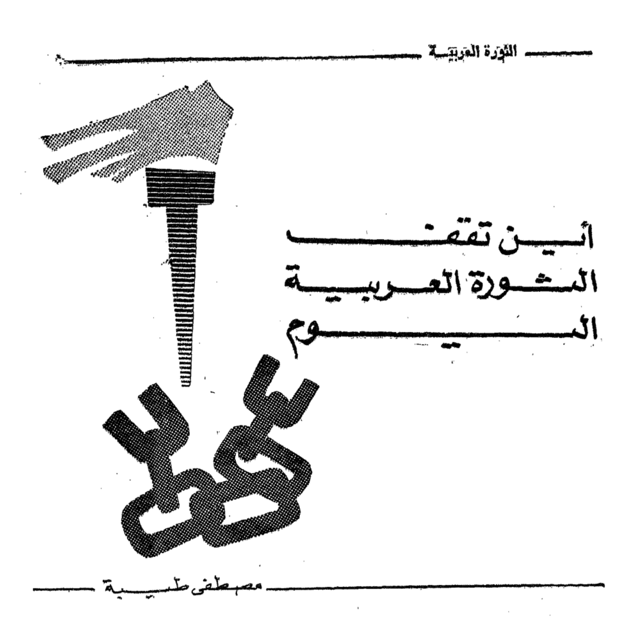
قضايا الواقع والمصير

تمر الثورة العربية بمرحلة خطيرة في تاريخهـا ، تتميز بهجـوم وضغوط استعمارية شاملة على جميع الجبهات ، وتصاحبها عملية تسليح واسعة النطاق ومكثفة لمحاصرة القوى التقدمية والرائدة في الشرق العربي ، فيتدفق العتاد الحربي بسخاء على اسرائيل وايران والسعودية والاردن وتعبأ القواعد العسكرية الاستعمارية ، في نفس الوقت الذى تدعم فيه الرجعية العربية بصورة لم يسبق لها مثيل ، لرفع قدراتها الحربية ، بامدادها بالاسلحة والاموال ، مما يكشف عن النيات المبيتة ، والاتجاه المتزايد للانتقال من خطة الضغط السياسي والحصـار الاقتصـادى الى عمليـات عدوانيـة مسلحـة ومباشرة من جانب التحـالف الاستعمـارى الرجعي ، مستنـدا الى تدهور الاوضاع الدولية وبخاصة في تصدير الثورة المضادة الى عديد من البلدان المتحررة .

الا أن أرض المعركة ليست حكرا للنشاط الاستعمارى وحده ، فمن الجانب المقابل ، تدعم القوى الثورية مواقعهـا في الوطن العربى وتوطد مراكزها بتطوير بنيانها الاقتصادى والسياسي حيثما تقبض على السلطة ، وكشف وعزل القوى الرجعية في البلاد التي مازالت تخضع للنفوذ الاستعمارى ، كما بدات خطوات جادة ايجابية في اتجاه توحيد القوى الثورية العربية .

وهكذا تقف القوى التى استقطبتها الاحداث في مواجهة بعضها البعض ، وتزداد احتمالات الصدام المباشر ، مما دفع « الطليعة » الى تكريس الدراسة الرئيسية في هذا العدد للوضع العربي وقضـايا الواقع والمصير .





أين تقف الثورة العربية اليوم

مصطفى طيبة

ان من يراقب ويتتبع مجمل الوضع العربى فى واقعه الراهن ، وما ينطوى عليه من احتمالات ، يستطيع أن يرى بوضوح دخول الثورة العربية فى مرحلتها الحاسمة .

فلقد دخل الصراع على الارض العربية عصرا لم يعد يسمح بما هو دون العلاج الحاسم حلا للتناقض الذى بات يستقطب قوى الثورة فى جبهة، وقواها المضادة فى جبهة أخرى . ان حركة الثورة العربية تسير بخطى سريعة ، وبشكل لم تشهده الارض العربية من قبل ، نحو استقطابها الكامل فى جبهتين متقابلتين لم تستطع القضية الفلسطينية ذاتها انتكون عنصرا لتهدئة القتال بينهما حتى لمدى زمنى تحكمه اغراض مرحلية محددة .

ولقد بدات طلائع هذا القتال تتحدد وتتضح منذ ما يقرب من العامين ليطلّ منه الوضع العربى اليوم على تفاقم الصراع الطبقى وقد بلغ مرحلة الوصول الى قمته . ان الوطن العربى يتحول كله ، وعلى امتداد السنوات القليلة المقبلة الى ساحة قتال على مستوى بالغ الاهمية والخطورة. فالحلف الرجعى الاستعمارى لميعد يكتفبالضغوط المباشرة الموجهة للقاهرة رأسا، وانما انتقل مخطط هذا الحلف الى مقاتلتها ودخول معارك صريحة ضد القوى العربية التقدمية فى كل الميادين على امتداد الوطن العربى من مشرقه حتى مغربه . دل على ذلك الحروب الداخلية التى بدت طلائعها فى العام الماضى ، وازدحم بها الوطن العربى مع الايام الاولى لمطلع هذا العام .

فأين تقف الثورة العربية اليوم ؟ . واين تجد مواقعها المتقدمة ؟ .

أرض المعركة الاساسية

حين اختارت الثورة العربية في مصر الحل الاشتراكي طريقا لهـا الى التقـدم السياسي والاجتماعي والاقتصادى ، تحددت نهائيا ارض القتال الاساسية ضد كافة أعداء الثورة العربية . وفوق هذه الارض الجديدة التى امتزجت عليها أهداف التحرر الوطنى وأهداف الثورة الاجتماعية بآفاقها الاشتراكية ، دارت معارك النضال العربى ضد أعداء التحرر الوطنى والتقدم الاجتماعى من جانب ، ومن أجل توحيد قوى الثورة بمستوياتها المختلفة . ولقد دلت مؤامرة الانفصال الرجعى فى سوريا بعد أقل من شهرين على صدور قرارات يوليو على حقيقتين هامتين .

الحقيقة الاولى هى أن القوى المضادة للثورة والتى زاد حجمها بعد قرارات يوليو كانت أكثر ادراكا لصلابة الارض التى اختارتها الثورة العربية ميدانا اساسيا لقتالها فأسرعت بالمؤامرة الانفصالية فى سوريا . ومنذ تلك المؤامرة تحددت خطة التحالف الرجعى الاستعمارى واساسها الهجوم المباشر على القاهرة . فالجمهورية العربية المتحدة بالنسبة لقوى الثورة المضادة « لم تعد الخطر فقط وانما الخطر الذى يتفاقم » (١)

الحقيقة الثانية هى أن قوى الثورة العربية التى دل نجاح مؤامرة الانفصال الرجعى فى سوريا على عمق تناقضاتها ، قد صارت مطالبة بأن تعى حقيقة أن التناقضات القائمة فيما بينها ، يجب أن لا تؤدى الى طمس التناقض الاساسى القائم فى الوطن العربى بين معسكرين متصارعين : المعسكر الذى يضم اعداء التقدم العربى من ناحية ، والمعسكر الذى يحوى فى اطاره كل القوى الثورية العربية التى تصدر فى فكرها وفى عملها عن الالتزام بأهداف عامة مشتركة من ناحية ثانية .

هاتان الحقيقتان هما اللتان حكمتا حركة النضال العربى منذ مؤامرة الانفصال فاتخذت اشكالا مختلفة من الهجوم والتراجع لكنها كانت باستمرار تستند على قاعدة اساسية ، هى قاعدة الايمان بالشعب قوة للثورة وطاقة تكسب حركة الثورة العربية كل معانيها الاصيلة الخلاقة . ولم تكن سياسة التهدئة منذ الانفصال حتى تأجيل مؤتمرات القمة أمرا ارتجاليا او تلقائيا ، وانما كانت هى السياسة التى أملتها الظروف الموضوعية للثورة .

ولعل المواقع المتقدمة التى انتقلت اليها الثورة العربية اليوم — قياسا الى ما كانت عليه فى سبتمبر ١٩٦١ — دليل فى ذاته على صحة تلك السياسة وعلى صدورها عن قاعدة اساسية ، هى قاعدة الايمان بالجماهير العربية . كذلك فان كسب الثورة العربية لهذه المواقع المتقدمة هو الذى يكسب سياستها اسلوبها الجديد، أسلوب الانتقال من وحدة العمل العربى الى وحدة القوى الثورية العربية .

ان عددا من الحقائق الفكرية الهامة التى أنبتتها ارض الثورة العربية حين اختارت الحل الاشتراكى هى التى شكلت وتشكل حركة النضال العربى .

● ان ثورة ٢٣ يوليو بانتقالها الى مرحلتها الاشتراكية نقلت مفهوم الوحدة العربية الى موقع جديد يختلف كيفيا عن موقعها القديم . فلقد تحولت الوحدة العربية لتكون تجسيدا لحركة التغيير واداتها ، فالتحام النضال الاجتماعى بالنضال الوطنى ، جعل قضية الوحدة فى يد القيادات الشعبية ، وأصبحت العلاقة بين الوحدة والتقدم الاجتماعى والتحرر الوطنى علاقة وثيقة يقابلها العلاقة بين التجزئة والتخلف .

● ان وحدة الهدف أساس لازم ونقطة بدء لابد منها لتحقيق الوحدة الدستورية بين البلدان العربية .. وبديهى أن وحدة الهدف انما يتطلب تحقيقها بناء وحدة متعاظمة بين القوى الثورية، هذه القوى التى القت عليها التطورات الجديدة عبء قيادة النضال الوطنى التحريرى وتعميق الطريق الذى شقته الثورة العربية بمضمونها الجديد .

● ان ثورة مصر لم تزل تضع على راس برنامجها الالتزام المطلق ، بل والتجاوب المستمر مع الوضع الثورى العربى برمته . وهى بفضل قيادتها والمواقع المتقدمة التى انتقلت اليها أصبحت تشكل القاعدة التى لا ينبغى لاية حركة ثورية ان تنعزل عنها أو تعاديها والا انتهت هذه الحركة — على المدى الطويل — الى أن تقع فى شرك الثورة المضادة .

هذه الحقائق نفسها هى التى شكلت سياسة القوى المضادة للثورة . فـ (عندما صدرت قوانين يوليو الاشتراكية ، وما لحق بها من تغييرات اجتماعية حاسمة تضع الانتاج تحت سيطرة الشعب وتؤكد الديموقراطية لقواه العاملة ... وتربط بين الاقتصاد والسياسة ربطا سليما واصيلا

(١) وثيقة نشرها الاهرام « ٢٥ يوليو سنة ١٩٦٦ » .

.. فقد ارتبطت الصيحات فى عدد من عواصم الغرب الموجهة ، وعدد من عواصم الشرق القابعة تصرخ بأن التطبيق الشيوعى قد بدأ فعلا فى مصر ، وان طلائع الالحاد اهلت ، لان التعرض لاعادة تقسيم الثروة هو تعرض لارادة تقسيم الارزاق ومشيئته) (٢) ..

فلماذا كانت القمة ؟

لقد حكم حركة النضال العربى مبدأ اساسيا حدده المناضل جمال عبد الناصر فى بداية عام ١٩٥٧ بقوله :

● فى الوقت الذى يحاولون فيه تجميدنا فان واجبنا الاول ان نتحرك (٣) .

● وفى الوقت الذى يتصورون فيه انهم يحاصروننا فان علينا ان ننطلق .

● اذا تجمدنا فقد انتهينا .. واذا وقفنا مكاننا اذن فقد حققنا اهدافهم ..

ومع أن عام ١٩٦٣ شهد ــ بعد مؤامرة الانفصال ــ أحداثا جرت بسرعة خاطفة : حيث سقط حكم أسرة حميد الدين فى صنعاء ، وسقط حكم قاسم فىبغداد، وسقط حكم الانفصال الرجعى فى سوريا ، وتمزقت التجارب الانتهازية التى قامت فى بغداد وفى دمشق فوضعت هذه الاحداث التحالف الاستعمارى الرجعى فى موقع الدفاع بعد أن كان فى موقع الهجوم ، فان الدعوة الى مؤتمر القمة كان خطوة تاكتيكية هامة حتى وان اتخذت مؤقتا طابع التهدئة . فليس شرط التهدئة الوحيد ان تكون قوى الثورة فى موقع الدفاع ، بل يمكن لقوى الثورة ان تلجأ اليها ، وحين لاتكون فى وضع يمكنها من شن هجوم ناجح. وهكذا فان السياسة التى تستهدف وحدة القوى الثورية بتوضيح الرؤية أمامها ، عن طريق كشف تضليل الرجعية ، ودون تهاون فى الخط الثورى أو تراجع عن المواقع المتقدمة التى حصلت عليها الثورة ، وباليقظة الثورية حيال خطط العدو ومؤامراته، هى سياسة سليمة حتى وان وضعت موضع التساؤل . بهذا المقياس يمكن الحكم على سياسة القمة بأنها قد حققت للثورة العربية عددا من مواقعها المتقدمة وليس تمسك الرجعية بها اليوم دليل على عكس ذلك .

إن المعركة فى اليمن لم تكن بين الثورة اليمنية والملكية السعودية ، وانما كانت معركة العالم العربى كله تعكس التفاعل الدائر فيه وسيرها نحو الاستقطاب الضرورى الذى ينتج عن هذا التفاعل ، ولقد تحقق هذا التفاعل بالتقاء القاهرة وبغداد ودمشق الذى كان مفتقدا مع بداية القمة، وكذلك الامر بالنسبة لقضية فلسطين فقد وضعت القمة حدا لسياسة المغامرة والمساومة . وفى وقت كان الاستعمار يعد فيصل ليكون قطب الثورة المضادة . والخطر الاسرائيلى كان يتفاقم بسرعة وكانت مشروعات اسرائيل لتحويل مياه نهر الاردن لتوسع منرقعة اراضيها الزراعية يستهدف أمرين : اولهما كسب سياسى جديد باستجلاب مزيد من المهاجرين ، وثانيهما نواياها الذرية التى اتضحت بشكل يهدد بجعل الامور فى يدها . كان لابد من حركة سريعة . تفسد محاولات التجمع الرجعى وفى نفس الوقت تعطى فرصة الادراك الاعمق للقوى الثورية فى الوطن العربى لابعاد العمل الثورى . بهذا المعنى اثمرت سياسة القمة ،فهى فىحصيلتها النهائيةفوتت علىالرجعية والاستعمار فرص التجمع حين توهمت انها تستطيع ذلك من القمة، فىنفس الوقت جسدت ابعاد حركة النضال العربى بكل صعوباته وتعقيداته امام الشعوب العربية وطلائعها الثورية بمختلف اتجاهاتها ونضجت ظروف تحقيق شعار وحدة القوى الثورية .

وحدة القوى الثورية فى بوتقةالتنفيذ

كانت مباحثات السلام المتعثرة فى مؤتمر حرض باليمن ، واعلان فيصل عزمه على زيارة شاه ايران وتتابع الاتصالات المشبوهة بين دول حلف بغداد ثم قرارات مؤتمر رؤساء الحكومات العربية من « الاتفاق الكلى » مظاهر تدل على تحرك حلف الاستعمار والرجعية لتنظيم صفوفه تمهيدا لشن هجومه الرئيسى ، وكانت فى المقابل موضع قلق الوطنيين . لكن هدوء القاهرة الذى صاحب ذلك كله لم يكن سوى نذير العاصفة . ففى خطاب السويس وضع المناضل جمال عبد الناصر الثورة العربية على أبواب مرحلة جديدة ، جوهرها الانتقال منمجابهة الرجعية والاستعمار من مواقع التهدئة الى مواقعالهجوم ، فى نفس الوقتالانتقال بكل قوة نحو تعبئة كل الطاقات والامكانياتلتحقيق خطة التنمية الثانية للجمهورية العربية المتحدة ..

(٢) محمد حسنين هيكل . اهرام ٢٥ يناير سنة ١٩٦٥ .
(٣) من خطاب للرئيس جمال عبدالناصر فى بداية عام ١٩٥٧ .

على أن أهمية هذا التحول في حركة الثورة العربية لا تكمن فقط في انتقالها من موقع التهدئة الى موقع الهجوم . وانما تكمن اساسا في توقيت هذا الانتقال . فان ملكت امكانية توقيت الانتقال من موقع الى موقع ، ومن مرحلة الى مرحلة فقد ملكت حرية الحركة ، ومن يملك حرية الحركة فقد ملك المعركة كلها .

ان قوة القاعدة وسلامة القيادة والاستجابة السريعة للقوى الثورية لظروف المعركة المتغيرة ، هي أمور ينبغي التأكد منها قبل الانتقال من مرحلة الى مرحلة . والتوقيت الثوري يحدده ، مقدار الارتباك الذي يحدثه في صفوف العدو من جانب . ومقدار الوحدة التي تحققها قوى الثورة وطلائعها من جانب آخر . من هنا لم يكن صدفة ان تكسب الثورة العربية مواقع متقدمة خلال شهور منذ انتقلت الى شعار وحدة القوى الثورية ...

فسقط الحلف « الاسلامى »

كان المقصود اساسا بالحلف « الاسلامى » انشاء قيادة سياسية لقوى الثورة المضادة تنظم الرجعية وتعبيء قواها وتمنحها القدرة على العمل، ولم تكن الدعوة الى مثل هذا الحلف اولى محاولات التحالف الاستعماري الرجعي لانشاء مثل هذه القيادة ، كما لم يكن اختيار السعودية لتكون على رأسها أمرا جديدا . فالسعودية كانت وراء ضرب الحركة الوطنية في الاردن عام ١٩٥٧ ، وكانت الى جوار الحملة الاستعمارية لغزو سوريا والتي رتب لها حلف بغداد ، وكانت وراء محاولة ضرب وحدة مصر وسوريا عام ١٩٥٨ ، وهي التي قامت بتمويل مؤتمر شتورة الذي أراده الانفصال الرجعي فرصة لمحاكمة الثورة العربية والوحدة العربية ، وهي التي قامت بتمويل المرتزقة لضرب ثورة اليمن ، ومع ذلك لم ينجح التحالف الاستعماري الرجعي في تحقيق حلمه القديم بانشاء قيادة لقوى الثورة المضادة لتقف في مواجهة الثورة العربية في القاهرة . بعد ذلك .. وتحت وهم أن القاهرة مجبرة على سياسة القمة بدأ الهجوم مباشرا وواداته الاساسية فيصل ضد الجمهورية العربية المتحدة . «وكانت الافتراضات المتصورة وقتها لامكانية نجاح هذا الهجوم المباشر كما يلي :

● سوف يكون من الصعب على القاهرة ان تتصدى لدعوة تغطي نفسها بعباءة الاسلام .

● ان الولايات المتحدة الامريكية تستطيع عن طريق الضغط الاقتصادي بالقمح ان تفرض على القاهرة شللا يمنعها من المقاومة حتى بالكلام .

● ان وجود الجيش المصري في اليمن قد يكون نقطة ضعف مؤثرة اذا وضع بين فكي كماشة ، بريطانيا في الجنوب ، وبريطانيا بواسطة التسلل من الشمال .

● ان الضغط الامريكي والنفقات المتزايدة لعمليات اليمن سوف تخلق موقفا اقتصاديا عسيرا قد يؤدي الى تخلخل في الجبهة الداخلية ، وكانت الاختناقات الاقتصادية التي ظهرت فعلا في خريف ١٩٦٤ في مصر اشارة مشجعة الى هذا الافتراض .

● ان تخلخل الجبهة الداخلية في مصر قد يؤثر في القوات المسلحة .. خصوصا في قوات اليمن الموضوعة بين فكي الكماشة ! .

● فوق ذلك كله فان التنظيم السري للاخوان المسلمين الذي كان يدبر تحت الارض وقتها — ولا يعرفه الا الذين يحركونه من الخارج — كان في تقدير هؤلاء المحركين حريا بأن يوجه في الاوقات العصيبة ضربات غدر تهز الاعصاب على الاقل » (٤) . وللمرة الثانية، وبسقوط الحلف (الاسلامى) ، سقط الهجوم الرئيسي للتحالف الاستعماري الرجعي ، وفشلت محاولة انشاء قيادة الثورة المضادة .

وانفجر الصراع الحاسم في الجزيرة العربية

ان الجزيرة العربية هي بؤرة الصراع الأولى بين الاستقطاب الرجعي الاستعماري بكل مصالحه الحيوية والبترول في طليعتها ، وبين حركة الثورة العربية التي يمثلها تيار التحرر الوطني في المنطقة وبالجيش المصري الذي يحمي له ظهره . فمنذ أن أعلنت السعودية ، بتأييد ودعم من الولايات المتحدة وبريطانيا رفضها للحلول السلمية التي تحمي حق الشعب اليمني في تقرير مصيره ، بدا واضحا ان القضية اليمنية قد أصبحت على أبواب تطور حاسم . فلقد ردت الجمهورية العربية

(٤) من مقال محمد حسنين هيكل . يونيو سنة ١٩٦٦

المتحدة على موقف السعودية بموقفين اساسيين : القدرة على البقاء فى اليمن لفترة غير محدودة من الزمن « سياسةالنفس الطويل » ،ثم التهيؤ لضربة تمسح قواعد العدوان السعودية وتقضى على الخطر فى مصادره الاصلية.بفضل هذهالسياسة، وبفضل عوامل كثيرة تضافرت داخل السعودية نفسها ، بدأت المقاومة المسلحة ، وتفجرت القنابل فى اماكن البعثة الامريكية ، وفى مكاتب الوزراء والامراء .

● وبدأ الجنوب المحتل صراعه الطاحن الذى يتزايد ملامحه كلما اقتربنا من عام ١٩٦٨ . فلقد أصبح واضحا ان بريطانيا تهيىء نفسها للانسحاب من الجنوب بما فى ذلك الغاء قاعدة عدن . ولكن بريطانيا تهيىء فى الوقت نفسه مخططا آخر يستهدف تسليم الحكم لعملائها الموثوقين بحيث تستطيع حماية مصالحها الحيوية وابقاء المنطقة تحت نفوذها بتنسيق مع السعودية يضمن اهداف الطرفين .

وتحقيقا لذلك تعد لندن بالتعاون مع الرياض جيشا يستطيع احتلال الجنوب بعد انسحاب بريطانيا ليضع فى مركز الحكم العملاء الذين هيأتهم لذلك . وفى مواجهة هذا المخطط انطلقت الحركة الوطنية لتتحول الى جيش تحرير فدائى يدخل ميدان الصراع على السلطة يضرب الوجود البريطانى السعودى فى المنطقة جنوبها وشمالها .

● وفى الخليج يتجه الصراع نحو اكتمال حلقاته الحادة على امتداد الجزيرة العربية كلها.فالقضية المطروحة فى الخليج من خلال مواقف حكام المنطقة ، وخطط شركات النفط ، ومطامع السعودية ، واستراتيجية شرق السويس التى تعتبر البترول عصب السياسة الحساس ، هى قضية اتحاد امارات الخليج . لكن شئون «تنظيم» الخليج يعانى من تناقضات . فالكويت تحاول منذ زمن أن تلعب دورا رئيسيا فى تحقيق امارات الخليج . وفى هذا الصدد ظهر اتجاهان : احدهما يريد لامارات الخليج انتتحد معالكويت وبزعامتها بعيدا عن الارتباط الرسمى المباشر بالسعودية وخوفا من مطامعها ، والثانى يريد الاتحاد أن يكون اتحادا مع السعودية منذ اللحظة الاولى بصفتها القوة القادرة على حمايته وحماية المصالح التى يحتويها . وازاء محاولات تغليب الاتجاه الثانى — بصفة خاصة بعد تأجيل القمة — انفجرت الحركة الوطنية فى الكويت لتلتحم مع الحركة فى عدن والبحرين ولتأخذ نفس ابعادها فى المعركة ضد مؤامرة اتحاد امارات الخليج ، ولتلتحم الحركة الوطنية فى الخليج كله بالحركة الوطنية فى اليمن شماله وجنوبه .

ان الجزيرة العربية وهى بؤرة الصراع الاولى بين الثورة العربية والاستقطاب الرجعى المعادى لها ، يمتزج لهيب حركتها الوطنية ليشملها كلها يمينها وجنوبها وخليجها . ولابد ان يمتد هذا اللهيب الى آبار البترول فى الجزيرة العربية كلها .

وسقطت محاولات سيطرة أقصى اليمين فى العراق

وفى العراقفشلت محاولة التحالف الاستعمارى الرجعى لاحداث انقلاب «سلمى» بواسطة القوى التقليدية لعمل تغيير جوهرى فى سياسة العراق الداخلية والخارجية بكافة جوانبها السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، والتى بدأت اثناء انتخاب الرئيس عبد الرحمن عارف خلفا للمرحوم عبد السلام عارف . لقد حاولت القوى اليمينية أن تدفع بعبد الرحمن البزاز الى منصب رئيس الجمهورية ليفتح الباب نحو تغيير شامل ونهائى فى السياسة العراقية فى اتجاه اليمين . وكما فشل التسلل الاستعمارى الرجعى فى الوصول الى منصب رئيس الجمهورية العراقية ، فشل ايضا من خلال ممارسة البزاز لمنصب رئاسة الحكومة، وتحت ضغط غالبية القوى السياسية والعسكرية، ثم اقصاء حكومة البزاز وتشكيل حكومة جديدة .

وضربت المؤامرة على سوريا فى مهدها

وفى سوريا تلقى تحالف الاستعمار والرجعية هزيمة ساحقة بفشل محاولة الانقلاب التى قادها سليم حاطوم لحساب الاردن والسعودية وبرعاية امريكا وبريطانيا . ان الموقع المتقدم الذى احتلته الثورة العربية بهزيمة هذه المؤامرة الكبرى تتضح اذا ما تأملنا بنودها :

● اعداد ما يسمى « بجيش تحرير سوريا » فى الاراضى الاردنية على ان يتشكلمن بعض رجال العشائر وعناصر الاخوانالمسلمين بقيادة الضباط الانفصاليين الذين توافدوا على الاردن .

● ينتهز جيش « تحرير سوريا » فرصة تحرش اسرائيلى واسع النطاق يسهل معه استدراج الجيش السورى الى الحدود ليدخل « جيش التحرير »الى دمشق والمحافظات السورية ويحتلها بدعم من القوات الاردنية وتبدأ بعد ذلك عملية تصفية شاملة للجيش السورى .

● تعلن الدول الرجعية العربية والدول الاستعمارية اعترافها الفورى بالوضع الجديد فى سوريا واستعدادها لحمايته والدفاع عنه .

وتحددت معالم معركة تحرير فلسطين

ومـا كان يتردد بين أوسـاط بعض الثوريين العرب من أن سياسة القمة تسببت فى اضعاف الحـركة الوطنيـة فى الاردن ، أثبتت التطورات الاخيرة داخل الاردن ، وفى منظمة تحرير فلسطين عكس ذلك تماما . فالحركة الوطنية فى الاردن ، والشعب الفلسطينى ، كانا على وعى دائم بأن وجود الحكم الاردنى المشبوه محكوم بابعاد ثلاثة لا تنفصل :

● اقتطاع شرقى الارض بمساعدة بريطانيا .

● اقتطاع الضفة الغربيـة بعـد مفاوضـة الصهيونية والتآمر معها .

● الاعتماد الكامل على مسـاعدات الغـرب المالية .

هذه الابعاد الثلاثة جعلت الوجود الاردنى على حساب قضيةفلسطين، وبالتالى تتعارض مصالحه تماما مع ايجاد حل حاسم لها لانه يعنى فى النهاية زوال هذا الوجود المشبوه . وما فعلته سياسة القمة هى انها كشفت بوضوح أن وجود الاردن بشكله الحالى انمـا كان أصلا بنـاء على اتفاق بين لندن وواشنطن وعمان نالت منه الصهيونيـة نصيبها من الارض واخذ الحكم الاردنى نصيبه ايضا . وذلك حين وضعتهامامبدأ تحريك الجيوش العربية ، وامام مبدأ اعطاء الشعبالفلسطينى فى الاردن حق التعبير عن نفسه والانتظام فى منظمة تحرير فلسطين . فالحكم الاردنى برفضه مبـدأ تحريك الجيوش ورفضه طلب القيادة الموحـدة بالسماح للجيش العراقى بدخول اراضيه . كشف عن تواطئه الكامل مع الاستعمار، وادخل الطمأنينة فى قلب اسرائيل بأنه سيظل حاجزا بينه وبين القوة العربية . وحين رفض اعادة الحـرية للشـعب الفلسطينى منخلال حشد طاقاته فىمنظمة التحرير كشف عن حقيقة وجوده القائم على حساب قضية فلسطين الذى يفرض عليه شل فعالية الشعب الفلسطينى وابقاءه عاجزا مشلولا عن اى عمل او حركة . لقد بدأ الرفض هادئا ثم اخذت حرارته ترتفع شيئا فشيئا حتى تأجيل القمة والانتقال الى وحدة القوى الثورية ، فانفجر الرفض تهما باطلة تدين منظمة التحرير بالانحراف وتلصق بها تهمة الشيوعية التقليدية ، ثم الانحياز نهائيا وعلنيا الى جانب السعودية. والتهديد بسحب اعترافحسين بالجمهورية اليمنية ، الى جانب التهديد « باتخاذ اجراءات أخرى تراها مناسبة » (٥) . واخيرا الحديث علانية بعد فضيحة الاسلحة الامريكية عن الاتفاق الذى « تم بين الطرفين ــ فيصل وامريكا ــ على استخدام ثمنها بمعرفة السلطات الاردنية فى مشروعات مشتركة تهم حكومة ملك الاردن والحكومة الامريكية معا » (٦) .

ان دخول الاردن الى قلب السياسة الرجعية العربية وانتقاله علانية الى موقف الهجوم قد حدد بشكل نهائى ميـدان معـركة تحـرير فلسطين واسلوبها وسلاحها . لقد صار ميدان المعركة هو عمان وكل مدينة اردنية ، واسلوب المعـركة التطويح بالعرش الاردنى أو اجباره على الرضوخ لمسيرة الثورة العربية ، والشعب الاردنى هـو سلاح المعركة حين يصبحسيد نفسهومالك مصيره .

ان معركة فلسطين تدبدأت بدايتها الفعلية حين انطلقت من عمان .فالاردن هى الدولة التىتمارس بوعى كامل سياسة حماية لاسرائيل بربطسياستها العسكرية والاقتصادية بالاستعمار ، وبرفضها اى اجراء عربى من شأنه تعزيز قوة الجبهة الاردنية. ولقد انطلقت الحركة الوطنية فى الاردن تفضح هذا الارتباط المصيرى كالمهمة الاولى أمامها .

لقد كسبت الثورة العربية قيام منظمة التحرير الفلسطينية كتعبير عن ارادتها المجسدة نحو تحرير فلسطين . وهى بوحدتها مع المنظمات الفلسطينية الشعبية ، ووصولها الى لقاء حول العمل الفدائى مع ارتباطه بالنضال العربى ، وتشكيل مجلس الثورة كقيادة ثوريةسريةقادرة علىالعملوالحركة انتقلت الى فرض مطالبها بقوة الشـعب الذى يدعمها وقوة الحق الذى تمثله وبقيادتها المعركة من قلب الاردن . انها بما تملكه من امكانيات ، ومن قدرة على الحركة فى المجالين العربى والعالمى ، وبتفاعلها مع الجماهير الفلسطينية ، تستطيع ان تساهم فى خلق الظروف المناسبة لمعركة تحـرير فلسطين الفاصلة .

(٥) فى المذكره التى بعثت بها الحكومةالاردنية الى الحكومة اليمنية .
(٦) تصريح لمصادر أردنية فى هيئـة الامم المتحدة نشرته الصحف يوم ٢١ يناير سنة ١٩٦٧

وفشلت محاولات عزل الشمال الافريقي

وفي الشمال الافريقي العربي تقف الجزائر التقدمية صامدة في وجه التحالف التونسي المغربي. فلقد جرب تحالف تونس والمغرب اثارة قضايا الحدود بين الجزائر والمغرب كحلقة من حلقات تآمر حلف الاستعمار والرجعية، وفشل، كما فشلت محاولاته من قبل لاثارة الوقيعة بين الثورة الجزائرية والثورة المصرية. ان اتصال الصراع بين الجزائر وبين المغرب وتونس بالصراع العربي الواسع قد أبرز بوضوح ان هذا الصراع لم يعد محصورا داخل جدران الشمال الافريقي وحدها. وفي هذا تكمن الدلالة العميقة للقاء الثوري بين القاهرة والجزائر، وبينهما وبين دمشق وبغداد.

انه لقاء العالم العربي مشرقه ومغربه، والذي تحطم عليه محاولة التحالف التونسي المغربي باثارة قضايا الحدود، والذي وجد انعكاسه السريع في المظاهرات التي اجتاحت تونس ضد بورقيبة وحكمه بعد ان خيم الهدوء هناك طويلا، كما وجد انعكاسه في محاولات الحسن الجديد لتجديد حواره مع المعارضة والذي يصطدم بنفس موقفها بعد أحداث الدار البيضاء في عام ١٩٦٥.

وفشلت الرجعية في السودان

ونظرة متأملة على تطورات الاحداث في السودان تكشف عن أن هناك معسكران اساسيان يتأهبان اليوم لخوض معركة جديدة حاسمة تنبيء بها كل الشواهد. يستعد كل من اطرافها بتجميع قواته لفرصة مواتية.

وتأتي هذه المعركة الجديدة المحتملة، بعد بروز ظاهرتين هامتين بلورتهما تطور الاحداث منذ انتهاء حكم سر الختم خليفة واجراء الانتخابات التي تقدمت فيها عشرات الطعون

● وأول هاتين الظاهرتين، هو فشل كل المحاولات التي تكتلت وبذلت من اجل تفتيت وضرب القوى الديمقراطية. هذه المحاولات التي توجتها في الشهور القليلة الماضية قصة المؤامرة « قلب نظام الحكم » التي اعقبها عمليات قبض واسعة على عشرات من العناصر الديمقراطية، والتي افتضحت بجلاء. وكان ازاحة هذه القصة الى عالم النسيان والافراج عمن تم اعتقالهم، بمثابة تراجع غير منتظم لفشل جديد، ودليل على ضعف القوى الرجعية التي خشيت الدخول في معركة صريحة مع القوى الشعبية.

● اما الظاهرة الثانية — والمترتبة على فشل المحاولات السابقة — فيتحدد طابعها العام ببعدين هامين. يكشف احدهما عن ان استقطابا واضحا قد تم — داخل صفوف الشعب السوداني — لصالح القوى الثورية الديمقراطية، كان اعلان تأسيس **الحزب الاشتراكي الجديد** انعكاسا حقيقيا لهذا الاستقطاب. بينما برز على الجانب الاخر، طابع التفسخ والانهيار بين صفوف القوى الرجعية المعادية للديمقراطية. ويحكم الاطار العام لهذه الظاهرة الثانية، طابع الصراع المتفاقم المحتمل الانفجار بين وقت وآخر.

وانطلقت الحركة الوطنية في لبنان

وامام حركة لبنان الوطنية الموحدة فشلت المساعي الاستعمارية بعد كشف فضيحة بنك أنترا، لاحكام سيطرتها على لبنان وبهدف تحويله الى قاعدة للاستعمار الجديد. كذلك لم تنجح محاولات تهدئة معركة البترول في لبنان، حين نجحت الحركة الوطنية في تحويلها الى معركة شعبية للوصول بها الى مداها.

هذه نظرة سريعة الى خريطة المعركة، تظهر مدى التغيرات التي طرأت على علاقات القوى منذ انتقل شعار وحدة القوى الثورية الى بوتقة التنفيذ.

على ان هناك عددا من اللقاءات الثورية جاءت محصلة لتحويل شعار الوحدة القوى الثورية من مرحلة الشعار الى بوتقة التنفيذ، تصلح نقاطا تبدأ منها لقاءات فكرية اعمق من اجل تطبيق اغنى واشمل.

● ان معاهدة الدفاع المشترك بين سوريا والجمهورية العربية المتحدة، وفشل سياسة الوقيعة بين الثورتين الجزائرية والمصرية، والتقاء قوى الثورة في سوريا والعراق حول الموقف من معركة البترول، والتدعيم المستمر للعلاقات بين الجمهورية العربية المتحدة والعراق، كلها احداث تكتسب أهميتها التاريخية حيث تعبر عن حقيقة انه بقدر ما تستطيع قوى الثورة العربية ان تدعم

وحدتها بقدر ما تتهيأ الظروف الموضوعية لتحقيق انتصارات،الأمر الذى يضاعف بدوره الفرص لمزيد من الوحدة والتضامن بين قوى الثورة ذاتها .

● ان تحديد الموقف من قضية اليمن من خلال البقاء فيها حتى تصبح الثورة اليمنية قادرة على الدفاع عن نفسها ، مع الاستعداد لضرب قواعد العدوان اذا ما تجدد القتال هناك ، ينطوى على وصول الوضع العربى الى قمة التوتر ، فى نفس الوقت تلوح احتمالات مؤكدة لامكانية نشوب حرب مع اسرائيل ، يضـــع على القوى الثورة العربية مسئولية الاسراع فى تحقيق وحدتهـــا ، فالموقف الوحيد أمامها لن يكون سوى مواجهته الحاسمة .

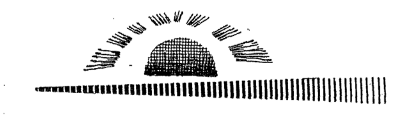
● ان طبيعة المعركة فى الوطن العربى بعد موت الحلف « الاسلامى » لم تعد تسمح بأن تقف اى دولة منها على الحياد . فكل دول ستتأثر سلبا او ايجابا، فالمعركة ستكون معركة الجميع واتساع آفاقها سيجعل منها معركة ضارية ، وليس هناك من بديل لوحدة القوى الثورة العربية لمواجهتها .

● ان الاستعداد لخوض معركة وقائية ضـــد اسرائيل اذا ما تابعت سعيها لامتلاك سلاح ذرى، انما يضع على عاتق الدول التقدمية مهمة وضـــع الخطط بناء على امكانياتها وحدها . ويفرض ذلك عليها بالضرورة صياغة علاقات ايجابية مدعمة تستند اليها فى اعداد تلك الخطط .

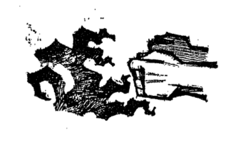
● ان اطار وحدة القوى الثورية العربية يتسع ليشمل القوى المناضلة من اجل استكمال معركة التحرر الوطنى ، والقوى المناضلة ضد السيطرة الاستعمارية المباشرة ، جنبا الى جنب مع القوى المناضلة من اجل استكمال البناء الاشتراكى . وان وحدة القوى الاشتراكية أمر تفرضه طبيعة الثورة العربية ذات الطابع الوطنى والاشتراكى معا .

وقيـــادة القـــاهرة للثورة العربية على مختلف مستوياتها أمر تفرضه حركة الثورة بعد اكتسابها .. مضمونها الاجتماعى .

من هنا تكتسب كل اللقاءات التى تمت بين القوى الاشتراكية وكل اللقـــاءات التى على الطـــريق اهميتها الخاصة،فان مثل هذه اللقاءات مدعوة الى أن تضع الاسس الفكرية والسياسية المتينة لوحدة اغنى واعمق بين القوى الثورية . ان ما يبـــدو فى سماء الايام المقبلة ،ومن حصيلة الموقف فى فيتنام وازمة الراسمالية فى امريكا ، فى نفس الوقت هياج الاستعمار العالمى وأبواقه فى كل مكان عن العدوان، الجمهورية العربية على السعودية، يمهد «لفيتنام» بديله فى العالم العربى . هنا لا تعود وحدة القوى الثورية العربية قضية تجرى بعيدا عن وحدة كل القوى التقدمية فى العالم . انوحدة الدول التقدمية، ووحدة الدول العربية المتحدة عمليتان يجب أن يسيرا جنبا الى جنب مع ضرورة التلاحم بالقوى الاشتراكية العالمية .



تجربتان ثوريتان في مواجهة الاستعمار الجديد



أبو سيف يوسف

تقف البلدان العربية التي اختارت طريق التطور الاشتراكي (الجمهورية العربية المتحدة وسوريا والجزائر) موقفا مرموقا على طول جبهة الثورة العالمية في النضال ضد الاستعمار الجديد . وكما أن النضال الوطني التحريري لهذه البلدان قد ترك اثارا بعيدة المدى على حركة التحرر في اسيا وافريقيا ، فهي لا تزال — أيضا — تقدم مساهمات ايجابية وثمينة تضاف الى ترسانة الفكر التقدمي العالمي في هذه المرحلة مرحلة التحام الثورتين الوطنية والاجتماعية .

وربما لا يسمح المجال هنا بمزيد من التفصيلات عن ماهية « الاستعمار الجديد » . لكن من المهم مع ذلك التأكيد على بعض الحقائق المعروفة والمتعلقة بطبيعة الاستعمار الجديد وأساليبه المتنوعة . ولن يكون الهدف من ذكرها مجرد التكرار ، بل القاء الضوء على تجارب بلدين عربيين يخوضان المعركة ضد الاستعمار الجديد ونعني بهما الجمهورية العربية المتحدة والجزائر .

ونحن نعلم انه بعد الحرب العالمية الثانية توقفت ظاهرة انشاء مستعمرات جديدة ويرجع الفضل في ذلك الى النضال البطولي لشعوب المستعمرات والبلدان التابعة ، لكن حاجة البلدان الامبريالية الى المواد الخام والى الاسواق لم تتوقف ، بل ان هذه الحاجة قد باتت تفرض نفسها اكثر فاكثر . وهكذا فان السباق على المواد الاولية مستمر ايضا ، خصوصا ما تعلق منه بالمعادن والبترول .

غير أن رأس المال الخاص قد أضحى يتهيب « المخاطرة السياسية » لان التهديد بالتأميم

وسلطة التشريع في البلدان النامية كلّ هذا لم يعد يضمن لراس المال الخاص المعدلات الخيالية من الربح ، وهي المعدلات التي كان راس المال الخاص يحصل عليها في المستعمرات من الانخفاض البشع في أجور العمال ومن الانخفاض النسبي في ثمن الاراضي .

وبالاضافة الى هذا فان عاملا اخر قد بات يحد من حماس راس المال الخاص . وهو انه اذا كان أصحاب رؤوس الاموال الخاصة يوظفونها ــ فيما مضى ــ في المستعمرات في الصناعات التحويلية فان الاستثمارات في هذه الصناعات لم تعد ــ بالضرورة مجزية كالعهد بها ــ لان التقدم التكنولوجي في الغرب الراسمالي قد فتح أمام أصحاب راس المال فرص الحصول على معدلات عالية من الربح عند توظيف استثماراتهم في بلادهم ذاتها .

مع ذلك فان هذا لم يمنع الراسماليين من أن يكونوا على الدوام « **مستعمرين جددا** » وذلك على حد تعبير **جاك ارنو** في كتابه « من الاستعمار الى الاشتراكية » . فالميل الى البحث عن المواد الاولية لا يزال هو الغالب . الا أن تكاليف البحث عن المعادن والبترول قد أصبحت باهظة . واصبح البحث عنها ــ بهذا الوضع ــ وقفا على راس المال الكبير وبالتحديد راس المال الاحتكاري وذلك بقدر ما يتمكن هذا الراسمال الاحتكاري من الحصول على ضمانات تؤمن توظيف الاستثمارات . ومن هنا ولدت الحاجة ، حاجة الامبريالية الى سياسة « استعمارية جديدة » .

وليس سرا ان جوهر سياسة الاستعمار الجديد هو الابقاء على البلدان المستقلة حديثا في فلك النظام الراسمالي العالمي ومواصلة استغلال شعوبها بوحشية كأسواق وكموردة للسلع الزراعية والمواد الخام . الامر الذي يحول بينها وبين أن تسلك طريق التقدم الاجتماعي . وليس سرا أيضا ان الاساليب التي يستخدمها المستعمرون الجدد متنوعة وعديدة بل ومتغيرة باستمرار .

ويخوض المستعمرون الجدد معركتهم ضد شعوب البلدان المستقلة حديثا على كافة الجبهات السياسية والاجتماعية والايدلوجية . فعلى الجبهة السياسية نراهم يقاومون باستماتة افكار الاشتراكية العلمية ويرفعون شعار معاداة الشيوعية بهدف عزل البلدان النامية عن اسرة البلدان الاشتراكية ، وبذر بذور الانقسام في صفوف القوى الوطنية والتقدمية . وعلى الجبهة الايديولوجية يركزون على تجميل الراسمالية كنظام وأسلوب للحياة ، ويبذلون جهودا خارقة ليوهموا الشعوب أن القيم الدينية تقف في صفهم وتعادي الاشتراكية . وعلى الجبهة الاجتماعية يوجهون اهتمامهم الى جذب قطاعات من الراسمالية الوطنية ويوجهون دعاياتهم وأساليب اغرائهم لتجنيد اعداد متزايدة من المثقفين بل انهم لا يستثنون أيضا اقساما معينة من القيادات العمالية وباختصار فلعل **ادوارد هنتنسون** نائب مدير مكتب الولايات المتحدة للتنمية الدولية خير من يلخص اهداف الاستعمار الجديد عندما يقول « ان الاجراءات التي تتخذها الولايات المتحدة الامريكية من شانها ــ في اتجاهها العام ــ أن تؤثر على التركيب السياسي والاقتصادي والاجتماعي كما ان هنالك سببا اخر استراتيجي » .

وعندما تعجز أساليب التغلغل الاقتصادي والسياسي والايديولوجي عن ان تحقق اهدافها فان سياسة « العصا الغليظة » هي التي تسود ، والاساليب الاستعمارية المبتذلة هي التي تسفر عن وجهها . العدوان المسلح والتآمر ، واغتيال الوطنيين والتقدميين والتخريب في جميع صوره .

واذا حاولنا بعد ذلك ان نقيم مواطن القوة والضعف عند المستعمرين الجدد قلنا انهم يملكون رؤوس الاموال الضخمة والتقدم العلمي والتكنولوجيا المتفوقة تسندها ترسانة أسلحة ضخمة . وهذه كلها وسائل ضغط فعالة طالما استخدمت وحققت بعض النتائج في اخضاع الشعوب التي حصلت على استقلالها حديثا . لكن نقاط القوة عند المستعمرين الجدد تبقى مع ذلك مؤقتة لان نقاط الضعف في الاستعمار الجديد مميتة « واستراتيجية » ــ اذا صح التعبير ــ لأن النظام الرأسمالي العالمي ذاته يعيش أيامه الاخيرة تاركا الميدان للنظام الاشتراكي .

تجربة المواجهة بين الجمهورية العربية المتحدة والاستعمار الجديد

وسنحاول واضعين امام اعيننا هذه الحقائق ــ ان نستعرض تجربة المواجهة بين الثورة في الجمهورية العربية المتحدة وبين المستعمرين الجدد .

والواقع ان حركة التحرر الوطني في مصر قد واجهت الاستعمار الجديد . في وقت مبكر . فخلال الحرب العالمية الثانية وبعد انتهائها تقدم المستعمرون الجدد الامريكان على استحياء

معتمدين على أساليب التغلغل الاقتصادي والثقافي وأمكنهم أن يحققوا بعض النتائج وأن يكسبوا عناصر سياسية من قيادات أحزاب الوفد والسعديين والاحرار الدستوريين .

لكن معركة السويس كانت مرحلة جديدة بالنسبة لهم . فعندما رأوا أن قيادة الثورة تقتلع جذور رأس المال الاحتكاري البريطاني والفرنسي، ثم رأوا بعد ذلك أنه ليست هناك فرصة حقيقية ليحلوا محل حلفائهم ، أخذوا يغيرون بالتدريج من أساليبهم « الهادئة » ولجأوا الى عدد من وسائل الضغط الدبلوماسي والسياسي والعسكري ، والى الحصار الاقتصادي وذلك في سبيل جر مصر الى شبكة الاحلاف العدوانية . لكن انتصار السويس مكن القيادة الثورية في مصر من أن تضاعف من اعتمادها على جماهير الشعب . ومنذ ذلك الوقت انخرطت مصر في نضال متعاظم وسافر ضد الاستعمار الجديد عندما اصرت قيادتها الثورية على أن تختط طريق التطور المستقل ، وان ترفض المعونات اذا ما كانت تعنى قيودا على الاستقلال والسيادة القومية . وقد عبرت مصر عن هذا بمواقف التضامن ودعم جبهة الكفاح المشترك مع الشعوب الاسيوية والافريقية . وهكذا نرى أن مصر كانت مخلصة لمثلها عندما وافقت على القرارات الاقتصادية للمؤتمر الاول لتضامن الشعوب الاسيوية الافريقية (القاهرة ١٩٥٧/ ١٩٥٨) هذه القرارات التى تدعو الى تحرير اقتصاد البلدان التى كسبت الاستقلال عن طريق الاخذ بالتصنيع « وتأكيد أن التأميم وسيلة مشروعة لتدعيم الاقتصاد القومى » . ثم عقد المؤتمر الثانى لتضامن الشعوب الاسيوية الافريقية (كوناكرى ١٩٦٠) تحت شعار الاستقلال الاقتصادى . ولعل القرار الاقتصادى في هذا المؤتمر أن يكون أخطر القرارات . فقد حذر المؤتمر البلاد الافريقية والاسيوية من : « الخطر الجديد الذى نشأ من تكتل الامبرياليين والاستعماريين ... والهدف الذى يسعى اليه التكتل الامبريالى الاستعمارى **والاستعمارى الجديد** هو ببساطة الربح » .

واضاف القرار « وليس ثمة شيء يستطيع معاونتنا على مقاومة المؤثرات الامبريالية سوى الاستقلال الاقتصادى . فالاستقلال الاقتصادى يتيح الحماية الحقيقية ويدعم السيادة الوطنية . الاستقلال الاقتصادى يجنب الوقوع في تبعية السوق العالمى ويشل ضغط الكتل المالية الدولية، كما أنه يتيح استخداما أكمل لمواردنا الوطنية » .

وحتى نهاية عام ١٩٦٠ كان قادة الجمهورية العربية المتحدة قد تبينوا بما لا يدع مجالا للشك ان للامبرياليين شروطهم المهينة : فرأس المال الاجنبى الخاص لا يرحب بالمجيء ، والقروض من الدول الاستعمارية تقترن بشروط تتنافى مع السيادة القومية أحيانا وتقدم ـ أحيانا أخرى ـ بفوائد باهظة وشروط قاسية . وجاء القرار الذى صاغه المؤتمر الثالث لجميع شعوب افريقيا المنعقد في القاهرة (من ٣ ـ ٥ مارس ١٩٦١) معبرا أيضا عن رأى الجمهورية العربية المتحدة في الاستعمار الجديد ويقول القرار : « يعتبر الاستعمار الجديد ـ وهو استمرار للنظام الاستعمارى .... نوعا ماكرا غير مباشر من السيطرة السياسية او العسكرية أو الفنية وهو أعظم خطر يهدد البلاد الافريقية التى نالت استقلالها حديثا أو التى توشك أن تحصل عليه »

ومنذ عام ١٩٦١ بدأت مرحلة حاسمة في النضال ضد الاستعمار الجديد ذلك أن قرارات يوليو المجيدة قد اقتلعت جذور راس المال الكبير وعزلت نفوذه عن السلطة . وصدرت قوانين الاصلاح الزراعى الثانى لتضيف قيدا على الملكية الكبيرة في الريف . ثم توالت منذ هذا التاريخ الاجراءات الاجتماعية والاقتصادية الثورية . ومنذ الان سوف ينتقل مركز الصراع مع الاستعمار الجديد ـ أكثر فأكثر ـ نحو المجالات الاقتصادية والاجتماعية . ولا نعدو الحقيقة اذا قلنا ان اجراءات يوليو وما تلاها قد هدمت بعض الجسور الرئيسية الهامة التى كان يمكن أن يعبر عليها الاستعمار الجديد لغزو البلاد . ان احد هذه الجسور هو الطبقة البرجوازية الكبيرة والجسر الثانى هو المواقع الاقتصادية للرأسمال الكبير الاجنبى والمحلى في البلاد .

وان الصدمة التى أصابت المستعمرين الجدد من الامريكان لم تكن في عنفها بأقل من تلك التى أصابت المستعمرين الجدد من الالمان الغربيين هؤلاء الذين بنوا كل حساباتهم في أواخر

الخمسينات على أن تصبح مصر مكانا أمينا لرؤوس الاموال أو أن تصبح المركز التجارى لالمانيا فى الشرقين الادنى والاوسط وذلك على حد تعبير **ايرهارد نفسه** .

وان ردود الفعل فى صفوف الامبرياليين كانت فى الواقع عميقة للغاية وكذلك كانت فى صفوف كل قوى الرجعية العربية المتعاونة معهم والتى رفضت حتمية الحل الاشتراكى . واذا كانت السنوات الستة الماضية قد تخللتها فترات من الهدوء النسبى على الجبهة العربية بين الثورة فى الجمهورية العربية المتحدة وبين قوى الرجعية العربية فقد تحددت استراتيجية الامبريالية فى ازاحة النظام القائم فى مصر بأى ثمن . وفى مقابل ذلك ظلت استراتيجية القيادة الثورية هى ان تكسب قضية التنمية لتتحول مصر الى قاعدة صناعية وزراعية قوية .

ولا مجال هنا للافاضة فى تفصيلات المؤامرات الموجهة من قبل الامبرياليين الامريكان والانجليز والالمان الغربيين ومن قبل قاعدتهم الامامية اسرائيل لقد ركزوا امالهم على انزال الهزيمة بالقوات المصرية فى اليمن كمدخل لضرب الحكم الثورى فى مصر . ولكن مع فشل هذه المحاولات لجأوا الى السلاح الايديولوجى الذى يعول عليه المستعمرون الجدد تعويلا كبيرا فاندفعوا فى حملة شعواء للتضليل باسم الدين وتوسيع الدعاية المنشورة ضد أفكار الاشتراكية العلمية ووسعوا نشاطهم بين صفوف المثقفين خصوصا بين صفوف طلاب البعثات الذين يتلقون العلم فى الجامعات الامريكية والاوربية .

هذا الهجوم الايديولوجى اخذت تتجسم اخطاره منذ عام ١٩٦٤ لانه تحت ستار الدفاع عن الدين تحركت فى الداخل فرق الارهاب المسلحة لتغرق الشعب فى الدماء . وتحت هذا الستار رفع الملك فيصل راية الحلف الاسلامى المزعوم . وعلى صفحات العدد الكبير من الكتب والمنشورات المطبوعة ركز بعض المثقفين على تحقير الاشتراكية وتشويه أفكارها . وفى كثير من جامعات الغرب وضع الشباب العربى المثقف تحت نيران مركزة موجهة بالاساس ضد الاشتراكية وضد مجموع العمل التقدمى الذى يتم فى البلاد .

ولم يكن هجوم المستعمرين الجدد على الجبهة الفكرية بالامر الذى يمكن أن تتقبله القيادة الثورية بالسكوت ، لانه — على اى حال — لم يكن هينا او ضعيف الاثر . وقد رأت القيادة السياسية انه ثمة فى داخل المجتمع قطاعات اجتماعية تغذى هذه الحملات وتحتضنها لانها تتفق اصلا مع مصالحها وتطلعاتها الطبقية . وكما وضح قادة الثورة لقد نمت راسمالية جديدة فى المدينة والريف واثرت ثراءا عريضا . ومن هنا تحركت الثورة مرة اخرى على الجبهة الاجتماعية بمجموعة من الاجراءات تهدف الى محاصرة وتقليم اظافر الراسمالية فى قطاع المقاولات وفى قطاع تجارة الجملة . كما التفتت الى القطاع العام لتطهره من هذه الفئة من البيروقراطيين الذين عاثوا فيه فسادا واثروا على حساب الشعب . على ان اقوى هجمات الثورة هى تلك التى نظمتها وقادتها لجنة تصفية الاقطاع فى الريف . فمن ناحية — كما اوضح الرئيس عبد الناصر فى محافظة البحيرة — فان بقايا الاقطاع لم ترتدع ومن ناحية اخرى فان فئات من اعيان الريف الذين اثروا فى ظل الثورة اخذوا يرثون نفوذ الاقطاعيين ويبسطون سلطانهم عاملين على خرق قوانين الاصلاح الزراعى ومخربين فى نهاية الامر كل الجهود التى بذلت ولا تزال تبذل لانهاض حركة تعاونية واسعة تضم صغار الفلاحين وتحقق نموا مضطردا فى الانتاج الزراعى .

بهذه الاجراءات والتغييرات فى علاقات القوى الاجتماعية واجهت الثورة هجمات الامبرياليين والمستعمرين الجدد حتى اننا نستطيع ان نقرر انه منذ عام ١٩٦٤ تحددت معالم المعركة ضد الامبريالية والاستعمار الجديد فى الاطار العام التالى :

فى **المجال السياسى** : الدعوة الى وحدة جميع القوى الثورية فى الداخل وعلى نطاق الوطن العربى .

فى **المجال الاقتصادى** : كسب معركة الانتاج بالاعتماد اولا على القوى الذاتية للامة .

فى **المجال الاجتماعى** : تحديد اكثر حسما لقوى الشعب العامل التى لها مصلحة فى استمرار الثورة بما يتطلبه هذا من عزل الطبقات والفئات

التى لا تتفق مصـــالحها مع مصـــــالح التطور الاشتراكى .».

فى المجال الايديولوجى : وضـــع أسس التقدم الفكرى والثقافى ».

هكذا يطرح تقدم الثورة فى الجمهورية العربية المتحدة وقــائع وخبرات النضال ضــد نشاطات الاستعمار الجديد ومخططاته الموجهة ضد بلادنا. والملحوظة الجديرة بالتسـجيل هنا هى انه بينما يمثل الاقتصاد الميدان الذى ستحسم فيه المعركة بـين الثورة وبـين الاســتعمار الجـديد ، فان المعركة فى المجال الايديولوجى باتت تحتل مركزا متـزايد الاهميـة ، والسـبب فى هـذا ليس الحاجة الى وضـوح الرؤية امـام الجمـاهير فحسب لتعرف اعدائها وتعزلهم، بل لانه من خلال الكفاح على الجبهة الفكرية تستطيع الثورة ان تدعم صفوفها وتجذب اليها — كتلة المثقفين — الذين هم جزء لا يتجزأ من قوى الشعب العامل ، بل تستطيع ان تخلق المناخ الذى يعاد فيه تربيتهم وتثقيفهم بروح الالتزام المطلق نحو الشعب ونحو قضاياه الحيوية . ولعلنا ان نجد ماينشر فى هذا المجال بالنشـــاط الـراهن فى مجـــالات انهاض الثقافة وتطوير التعليم الجامعى .

الجزائر فى مواجهة الاستعمار الجديد

وللجزائر تجاربها التى تختلف عن تجــارب جمهوريتنا فى النضال ضد المستعمرين الجدد . ونعزى « خصوصية » هذه التجربة الى اكثر من عامل . فلقد عزلت الجزائر ١٣٢ عاما عن بقية اجزاء الوطن العربى وتحولت الى مســتعمرة حقيقية وفرض عليها المســتعمر ثقافته ولغته وعندما شبت ثورة الجزائر سلك الشــعب الى الاستقلال طريقا له معالمــه الخــاصة وواجه مجمــوعة من المشكـــلات تختلف عن تلك التى واجهتها بلاد عربية اخرى . وعلى سبيل المثال لم تجد قيادة الثورة الجزائرية غداة الاســتقلال جهاز دولة، وكانت الكوادر الفنية والمثقفون عموما من القلة بحيث تعذر ان تقوم عليهـم الـدولة الناشئة . ولما كانت فرنسا تعامل الجزائر على اساس انها جزء من « الوطن الام » ، فان نزوح المستعمرين منها قد تركها .. المصـانع والمزارع خاوية بدون رؤوس امـوال وبـدون خبرات . فى نطاق هذه العوامل مجتمعة — وفى نطاق عوامل اخرى غـيرها — وقعت **اتفاقية افيان** . وبمقتضى هذه الاتفاقية تعهدت فـرنسا بأن تقدم للجزائر معونة مالية سـنوية ضخمة كما وافق الطرف الجــــزائرى على ان يمنح الشركات الفرنسية امتياز التنقيب عن البترول واستغلاله .

وهكذا ، فاذا اخذنا بالمقاييس المجـردة التى نحدد بها سيطرة الاستعمار الجديد على بلد من البلدان لوجدنا :

— ان فى الجزائر تغلغلا اقتصـاديا وتغلغلا ثقافيــا .

فالسؤال الذى قد يتبادر الى الذهن لاول وهلة هو :

اذا كان الحال كذلك فكيف نضع الجـزائر فى سلك البلدان الثورية التى اختـارت الطـريق الاشتراكى ؟

لابد ان نؤكد ونحن نجيب على هذا السؤال بأنه اذا كانت لسيطرة الاستعمار الجديد قسمات رئيسية فانه من الصعوبة بمكان أن يحدد الانسان مسبقا نقطــة ثابتة يبدأ عندها خضـــوع بلد من البلدان للاستعمار الجديد . ومن الخطأ ان نترك جانبا كل القسمات الرئيسية للوضــع فى هذا البلد ونحصر انفسنا فى نطاق استقراء الاتفاقيات الاقتصادية والثقافية التى يكون قد وقعها هــذا البلد مع دولة كانت تحتل ارضـه .

ولابد هنا لحل هذه القضـــــية من ان تعقد بعض المقارنات بين الجزائر من ناحية وبين تونس من ناحية اخرى .

ان تونس تتلقى ايضا معونات اقتصــادية اجنبية (جزء هــام منها من الـولايات المتحدة الأمريكية) ، والجزائر كما قلنا تتلقى من فرنسا معونة سنوية ضخمة .

ولكن بينما تسلك الجزائر مسلكا مستقلا تماما فى سياستها الخارجية : منهج الحيــاد الايجابى والتعاون الحر مع جميع البلدان . وبينما تقف موقف التضامن مع حـركة التحرر فى البلــدان العربية وفى افريقيا ، وتنتصر لقضايا القـومية العربية وتقف مع شعب فلسطين . نجـد على العكس من ذلك السـياسة الخارجية للحـزب الحاكم فى تونس : سياسة العزلة عن حـركة القومية العربية بل ومناهضتها ، والتراخى فى الدفاع عن حقوق شعب فلسطين ، وتسليم ميناء

بنزرت ليكون مركز نشاط للامريكان وقاعدة لهم ، والتباعد عن حركة التحرر فى افريقيا .

والخلاف فى السياسة الخارجية بين كل من تونس والجزائر ليس مجرد خلاف شكلى . اذ انه من المقطوع به ان السياسة الخارجية لبلد من البلدان الداخلية لبلد من البلدان هى امتداد لسياسته الداخلية .

من هنا فان معيار الحكم على مدى التبعية للاستعمار الجديد هو اولا وقبل كل شىء معيار داخلى يبدأ من هذه النقطة : وهى الدور الذى تمارسه السلطة الثورية فى الرقابة على جميع القطاعات الحيوية للاقتصاد القومى وفرض سيطرة الدولة عليها . وعلى سبيل المثال فان الجزائر قد اممت اراض المعمرين الفرنسيين كما أممت شركات المناجم والتأمين . وفى مجال البترول تحقق الجزائر نجاحا مضطردا فى تعديل الاتفاقيات المجحفة بها ، وانشأت خطا خاصا من انابيب البترول تملكه الدولة ودخلت وانشأت مع رأس المال الفرنسى شركات مختلطة للبحث والتنقيب عن البترول ، وهى شركات خاضعة لرقابة الدولة .

لقد ضربنا مثلين من امثلة النضال ضد الاستعمار الجديد : الجمهورية العربية المتحدة والجزائر ولا شك ايضا فى ان سوريا التى يسيرها قادة ثوريون قد حققت وتحقق نجاحات فى النضال ضد المستعمرين الجدد باصرارها على كسب معركة التنمية ومواجهة الاحتكارات الاجنبية وعزل الاجنحة اليمينية التى تريد ان تجمد الثورة وتسلمها للبرجوازية والعناصر الاقطاعية . **من هنا فان النتيجة الاساسية التى تستخلص من خبرة هذه البلدان الثورية الثلاثة هو ان حجر الزاوية فى النضال ضد الاستعمار الجديد وتحقيق نجاحات حاسمة فى هذا المجال انما يتمثل — اولا وقبل كل شىء — فى المجهود الداخلى لهذه البلدان . ذلك انه كلما توصل هذا البلد او ذاك الى ان يتحرك بقواه الخاصة كلما انكمشت مطالبه واحتياجاته من المستعمرين الجدد ، وكلما قل تعرضه للاصابة بسمومهم .**

ظروف مواتية لتشديد النضال ضد المستعمرين الجدد

على ان الخبرات التى تجمعت لدى البلدان العربية الثورية فى صراعها ضد المستعمرين الجدد يجب الا تملؤنا بالتفاؤل الساذج . فالحقيقة المرة هى ان كثرة من البلاد العربية تتعرض لعدوان المستعمرين الجدد وهى واقعة منذ زمن فى شباكهم . هناك مثلا تونس ومراكش وليبيا فى المغرب العربى والسعودية والاردن ولبنان فى المشرق العربى ، والقائمة طويلة ! ففى جميع هذه البلدان اصبحت للاستعمار الجديد مواقع قوية فى حياتها السياسية والاقتصادية والثقافية . وهذا الامر فى حد ذاته يثير اشد دواعى القلق فى نفوس الوطنيين ويلقى بظله الكئيب على حركة التحرر الوطنى ويظلل بظل قاتم آفاق التقدم الاجتماعى فى البلاد العربية .

ومع هذا فالامر المؤكد هو انه رغم كل شىء فان ثمة ظروفا مواتية فى البلاد العربية تسمح بتشديد النضال ضد الاستعمار الجديد وتحقيق انتصارات متزايدة :

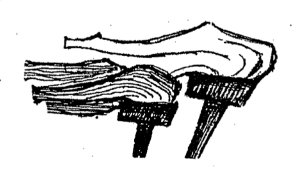
فأولا : ان المرحلة الراهنة التى يعيشها الوطن العربى — ككل — هى مرحلة التحام الثورتين الوطنية والاجتماعية ، وهذا الالتحام يجمع القوى الثورية ويدعم وحدتها لا حول الشعارات المعادية للامبريالية والاستعمار التقليدى فحسب بل انه يوحدها ضد الاستعمار الجديد حول شعارات التقدم الاجتماعى والقضاء على التخلف . وليس من قبيل الصدفة ان القوى الثورية العربية فى مجموعها فى جميع البلدان العربية تنظر الى الاستعمار الجديد باعتباره اكبر خطر يهدد الوطن العربى .

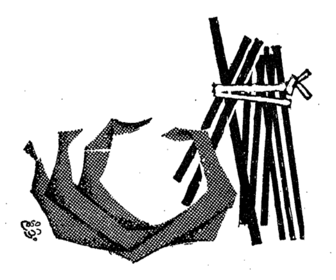
ثانيا : يوصف الاستعمار الجديد بأنه «استعمار جمعى» اى انه يعبر عن ظاهرة تجمع الامبرياليين بتنسيق خطط التغلغل الاقتصادى فى البلدان المستقلة حديثا ، غير ان هذه الظاهرة انما هى رد فعل للتجمع العريض بين شعوب آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية التى تعبر عن مواقفها المشتركة وتصوغ شعاراتها المشتركة ضد المستعمرين الجدد . فاذا كان للمستعمرين الجدد خطط شاملة ومشتركة فان البلاد الثورية فى الوطن العربى تتجه بكيفية متزايدة الى توسيع نطاق المعركة ضد المستعمرين الجدد . من هنا الاهمية الكبرى لترتيب لقاءات قادمة تضم رؤساء البلدان الافريقية التى اختارت الاشتراكية ، وترص صفوفها فى المعركة ضد العدو المشترك .

ثالثا : ان قوى التقدم وقوى الرجعية فى العالم العربى قد اخذت منذ مدة تصطف وتعبىء قواها على طول جبهة تشمل الوطن العربى كله استعدادا

لمعارك فاصلة بدأت ومعارك اخرى لاتزال على الطريق . غير ان هذه الظاهرة ظاهرة المواجهة الحادة بين معسكرى التقدم والتخلف انما تعكس فى الواقع ظاهرة الاستقطاب الشديد الذى يجرى فى صفوف الطبقات الاجتماعية والقوى السياسية فى الوطن العربى . والامثلة على ذلك كثيرة : فى السودان تتجمع قوى هائلة تريد التقدم والاشتراكية وتنظم صفوفها . فى لبنان — مثلا — تستقطب جبهة الاحزاب والهيئات والشخصيات الوطنية والتقدمية .. كل القوى النبليبة فى سبيل احداث تغييرات اقتصادية جذرية تبعد الاقتصاد اللبنانى عن فلك الاحتكارات العالمية . بينما تنفصل عن هذه القوى تلك الفئات من البرجوازية التى تربط مصيرها براس المال الاجنبى وبعناصر الاقطاع . وفى مراكش تحتدم التناقضات الاجتماعية احتداما عنيفا ارغمت معه قيادة حزب الاستقلال القيادة التقليدية (للمعركة الوطنية) على ان تجدد مواقفها فأخذت تنفصل عن مجموع القوى الوطنية والتقدمية وتبدي ميلا متزايدا الى الارتباط بمعسكر الرجعية . وفى تونس يولد استقطاب جديد سيكون ضحيته — كما هو واضح — الحزب الاشتراكى الدستورى الذى تزعمه الحبيب بورقيبة . ذلك ان هذا الحزب الذى قاد الحركة الوطنية فى فترة من الفترات يبدى عجزا متزايدا من الاستجابة لمطالب العمال والفلاحين والمثقفين ، وهو يواجه الآن المصير الذى لاقاه حزب الوفد فى مصر من انفصال متزايد بين سياسة قيادته ومصالحها الطبقية وبين مطالب الجماهير العريضة .. وفى مراكش وفى تونس كليهما علامات الساعة ، وهى علامات لاتخطىء : ازمة عميقة فى نظام الحكم . وقد بات من المعروف ان الحكام فى هذين البلدين يعالجون هذه الازمة بمزيد من الاجراءات الاستثنائية الموجهة ضد مجموع الشعب العامل . الا ان هذه المواجهة الشاذة لا تحقق شيئا الا العزلة المتزايدة . على ان « ازمة نظام الحكم » هى اشد بما لايقاس فى السعودية والاردن ، هناك حيث ادى الخضوع التام للامبرياليين والمستعمرين الجدد الى نشوء وضع يهتك ستر الاستقلال الشكلى وينتكس بالوضع الى اعتماد سافر على المستعمرين الاجانب .

هذه الظروف الموضوعية والمواتية لتقدم النضال الوطنى المعادى للامبريالية والتى تخدم ايضا التقدم الاجتماعى تستفيد منها الثورة العربية — بقدر ماتتدعم وتتلاحم فيها — وحدة القوى الثورية . لقد بدأت كل القوى الثورية تحس بحاجتها الى التجمع والوحدة وبدأت تستجيب باضطراد للشعار الذى رفعته القاهرة : شعار وحدة كل القوى الثورية فى الوطن العربى ، غير ان المستعمرين يعلمون ان قيام هذه الوحدة وتثبيت اركانها انما يعجل بسقوطهم وهو فى التحليل الاخير الخطر الداهم على مصالحهم .لذا يستميت المستعمرون الجدد فى محاولة تصديع الوحدة بين البلدان العربية وبين القوى الوطنية والتقدمية فى داخل كل بلد ، ومن هنا لم يعد ممكنا ان يترك الثوريون قضية بناء الوحدة بينهم لينضجها الزمن (على مهل)، وانما يتحتم عليهم وهم يدرسون الخطوات التى خطوها والانجازات التى حققوها ان يتعاونوا فى وضع برنامج نضالى او شعارات عملية تدفع بقضية الوحدة بين الثوريين دفعات مضطردة الى الامام .ولن يكون هذا على الثوريين بالامر المستحيل .





الاستعمار الجديد.. واقتصاد الوطن العربي

خيري عزيز

ليست هذه هي المرة الاولى التي يوصف فيها الاستعمار الجديد ، بأنه كالرابى الذى يلبس — كذبا — ثوب المحسنين . ذلك أن التشبيه استحسن فى الادبيات الاشتراكية عامة ، فى الفترة الاخيرة ، لانطباقه على الحقيقة الواقعية التى يصفها . لان الاستعماريين الغربيين الجدد فى نهبهم البشع لثروات العالم الثالث ، والوطن العربى جزء منه لا يقرون قط بحقيقة فعلهم هذا ، بقدر ما يلجأون لخداع الشعوب والتمويه عليها ، عندما يلبسون امامها مسوح «المقرضين» ، ومقدمى «المعونة الاقتصادية» الخيرين .

وسنقصر حديثنا هنا ، على التعرض لبعض المظاهر الاقتصادية للاستعمار الجديد فى الوطن العربى ، لذا يصبح من المهم بمكان اقرار تلك الحقيقة التى ازداد وضوحها فى الفترة الاخيرة ، الا وهى ان السمة الرئيسية للاستعمار الجديد من الناحية الاقتصادية ، هى الرغبة فى فرض طريق التطور الراسمالى على الدول النامية ، والعمل على الاحتفاظ بها داخل اطار السوق الراسمالى العالمى ، لابقائها ادوات للاستغلال الامبريالى ، وتوابع للمادة الخام الزراعية . ووفق هذا الخط يناصر منظرو الاستعمار الجديد ، بالنسبة للبلاد النامية ، الدعوة لاتجاهات تقوم فحسب على تنمية الزراعة ، وصناعات خفيفة ، **والاهتمام بتيسير** دخول السلع المصنعة ، **ودخول** راس المال الخاص

دون قيد او شرط ، وكافة الاتجاهات المضادة لكل احتمال للتنمية غير الراسمالية . كما يناصرون فكرة تكوين «مجموعات مشتركة» لا بدافع تنمية القوى الانتاجية حقيقة ، وانما كستار لاستغلال رأس المال الاجنبي لها ، وسنجد لمعظم تلك الاساليب انعكاسها على اوضاع البلاد العربية .

على انه اذا كانت المجموعات الرجعية «القديمة» مثل الارستقراطية الاقطاعية ، والزعماء القبليين ، والكومبرادور ، قد نزعوا القناع عن انفسهم بمساندتهم المكشوفة للادارة الاستعمارية في الماضي، كما قوضت سلطتهم الاقتصادية والسياسية في كثير من البلاد خلال الكفاح التحرري ، لذا يتجه الاستعمار الجديد اليوم اكثر فاكثر الى القطاعات الجديدة الناشئة للبورجوازية القومية الكبيرة ، ولكبار ملاك الارض الذين غدوا بورجوازيين، ونحو البيروقراطية المرتفعة الدخل ، وذلك دون ان يهمل بالطبع اى امكانية متاحة لدى الرجعيين القدامى. بل ان الاستعمار الجديد يشجع بكل وسيلة التعاون والتحالف المباشر بين القوى الرجعية القديمة والجديدة ، اينما كان ذلك ممكنا .

والحقيقة ان اصرارنا على ايضاح السمات الاقتصادية الهامة التى تميز الاستعمار الجديد في الوقت الراهن، انما يستهدف في الواقع تعميق فهمنا لدور هذا الاستعمار وليكانيزم عمله ، سواء في الوطن العربي او عالميا . وبهذا الصدد نقول ان سمة هامة اخرى من سمات هذا الاستعمار في الحقل الاقتصادى ، هى تغيير شكل وطريقة تصدير رأس المال الى البلاد النامية . فمع ان تصدير الرأسمال الاحتكارى الخاص ، قد ساد قبل الحرب العالمية الثانية ، فان تصدير رأسمال الدولة الاحتكارى اصبح هو النموذجي اليوم . ذلك ان عملية بسط نفوذ واستغلال الاستعمار الجديد ، لم تعد متروكة لاتجاهات واهواء الراسمال الاحتكارى الخاص بقدر ما اصبحت مرتبطة بسياسة الدولة الامبريالية العليا، لم يعد محكوما بمصالح المجموعات الاحتكارية الفردية ، وانما بمصالح السياسة الاقتصادية الرسمية للدول الامبريالية . وكمثل على ذلك فقد صدرت الولايات المتحدة الامريكية رؤوس اموال صافية قدرها ١١٫٨٦٣ مليون دولار ، لم يخص الرأسمال الخاص منها سوى ٥٫٩١٦ مليون دولار، لم يصدر منها للدول النامية غير ١٫٩٨٠ مليون دولار «١» كذلك صدرت فرنسا في سنة ١٩٦٢ حوالى ٦٩٢٢ مليون فرنك الى البلاد النامية ، منها ٤٩١٢ مليونا من الدولة . وهكذا وفي تعارض مع الماضي ، نجد ان الرأسمال الخاص ، يعاد توزيعه من الناحية الاساسية، على البلاد الراسمالية المتقدمة نفسها .

وسمة هامة اخرى تساعدنا على فهم ما يفعله الاستعمار الجديد في تونس مثلا ، هى أنه يضطر بشكل متزايد الى ان يساند ، ليس فقط الاحتكارات الخاصة، وانما ايضا مشروعات الدولة الاقتصادية، وممثلين للاحتكارات الاجنبية هم عادة الذين يسيطرون على ادارة مثل هذه المشاريع (٢) .

عدم التكافؤ وسيلة نهب اقتصادى عالميا وعربيا

ان عدم التكافؤ في العلاقة الاقتصادية بين دول العالم الثالث والدول الاستعمارية الغربية، يعكس آثاره – نهبا واستنزافا لثروات الشعوب – على كافة بقاع هذا العالم . والوطن العربي كوحدة قومية وجغرافية قائمة بذاتها ، لا تستثنى من هذه الاثار ، وحتى لو استطاعت بعض الدول الثورية الواعية ان تقاوم خطط الاستعمار الجديد السياسية ، وهى قادرة حتما على ذلك ، فانها من حيث لا ترغب ، ستظل لفترة ما ، فريسة لعملية الافقار المستمرة التى تقوم بها القوى الاستعمارية نتيجة تحكمها في اسعار الاسواق العالمية وخفضها المستمر لسعر المواد الخام .

لكننا نود على كل حال ان نفهم حقيقة عدم التكافؤ هذا الذى يلقى بظلاله القاتمة على اقتصاديات المنطقة العربية ، والينا الصورة العامة للمسألة. «تتبادل دول العالم الثالث مع الدول الامبريالية، مجموعة من السلع تبلغ قيمتها سنويا ما بين ٢٠ ، ٢٢ مليار دولار . ولكن في حين ان هذا المبلغ لا يمثل الا ١/٤ قيمة تجارة الدول الامبريالية في المجال الراسمالى العالمى، فانه يمثل ٣/٤ تجارة دول العالم الثالث في المجال نفسه . وهكذا نستطيع قياس مدى عدم تكافؤ العلاقة بين قوى الجبهتين في مجال التبادل » (٣) .

كما انه في حين تتكون ٩٠٪ من صادرات دول العالم الثالث الى الدول الامبريالية من المواد الخام الاساسية، تتكون مبيعات الدول الامبريالية للعالم الثالث ، اساسا ، من المواد المصنعة .

(١) استراتيجية الاستعمار الجديد «بقلم» . فيتوف .
(٢) فيتوف — نفس المرجع .
(٣) بيير جاليه . نهب ثروات العالم الثالث (دراسة اقتصادية) .

«والاحتكارات الاجنبية التى تبيع منتجاتها الصناعية لهذه الدول الغنية بأسعار فادحة الغلو ، وتشترى منها موادها الخام المعدنية والزراعية «بتراب الفلوس» ، تكسب من عملية التبادل غير المتكافئة هذه ما بين ١٤ الف ، ١٦ الف مليون دولار فى كل عام » (٤) .

ليس ذلك فحسب ، بل ان اسعار المواد المصنعة يتواصل ارتفاعها منذ ١٥ سنة . ولو اخذنا سنة ١٩٥٨ سنة الاساس ، لوجدنا انها تبلغ ٧٨ فى عام ١٩٥٣ ، و١٥٥ فى عام ١٩٦٤ ، هذا فى حين يتواصل انخفاض سعر المواد الخام . فازدادت علاقات التبادل سوءا بالنسبة للعالم الثالث ، وتحسنا بالنسبة للدول الامبريالية . «كذلك فان التجارة الخارجية التى تقوم بها الدول الامبريالية تنمو بوضوح ، اسرع منها فى العالم الثالث ، وانها تزداد بصفة خاصة فيما بين الدول الامبريالية نفسها، مماادى الى انخفاض ملحوظلنصيب العالم الثالث فى مبادلات مجموعة الدول الامبريالية من ٣٢٪ فى عام ١٩٤٨ الى ٢٥٪ عام ١٩٦١ » (٥) .

كذلك فقد انخفض نصيب العالم الثالث فى الصادرات العالمية من حوالى ١/٣ فى اوائل الستينات الى حوالى الـ ١/٥ فى منتصف السبعينات، الامر الذى يوضح ان التجارة الدولية اتجهت منذ منتصف الستينات الى غير صالح الدول النامية . كذلك مما لوحظ ايضا ان زيادة مبادلات الدول الراسمالية الصناعية ، قد انصبت اساسا على الواردات من السلع المصنوعة لا الخامات. وعلى اساس ان الرقم القياسى لعام ١٩٥٧ هو ١٠٠ ، غير ان واردات الاتحاد الاقتصادى الاوربى لعام ١٩٦١ هى ١٠٥ر١ بالنسبة للخامات ، ١٥٠ر١ بالنسبة للمواد المصنوعة .

رفع أسعار فائدة الاقراض

كذلك يعمل الاستعمار الجديد على تضييق الخناق على الدول النامية ، والعربية بالتالى وهى التى تواجه زيادة فى تكلفة التمويل الخارجى وذلك برفع اسعار فائدة الاقراض بمعدلات تراوحت اخيرا بين ٥ر٦٪ ، ٨٪ ليس فقط من جانب البنوك الخاصة، وانما ايضا من جانب البنك الدولى للانشاء والتعمير . ويرجع ذلك الى تزايد اسعار الخصم — نتيجة للاتجاه التضخمى والرغبة فى كبح جماحه فى دول اوربا الغربية — ولما كانت تدفقات القيمة الكلية السنوية للمنح والقروض ورأس المال المنتقل للدول النامية ، لم تتعرض لاى زيادة منذ سنة ١٩٦١ (٦) ، بينما طرات زيادات لها قيمتها على اسعار واردات متطلبات التنمية خلال تلك المدة . لذا كان لكل ذلك وغيره آثاره التى لم تخدم عمليات التنمية ، فتعرض معدل تقدم الدول النامية عامة للانخفاض من ٥٪ سنويا فى اوائل الستينات ، الى ٤٪ فى السبعينات . مما سيترتب عليه تزايد مدى التباعد بين مستويات المعيشة فى الدول النامية والمتقدمة فى نهاية السبعينات عنه فى اولها.

وفى الحقيقة فان هذا الانخفاض النسبى فى معدلات التنمية، لايرجع كلية الى العوامل الخارجية بل تشترك فى تحقيقه العوامل الخارجية والداخلية معا . وهنا تبرز اهمية الاراء التى تنادى بضرورة اجراء تغييرات داخلية هيكلية ووظيفية ، تتناول طرق تعبئة الموارد المحلية ، واعادة تكوين الاساس الصناعى والزراعى ، للارتفاع بمعدل التنمية . كما تبرز ايضا المضار المترتبة عن الجهود التى يبذلها الاستعمار الجديد للمحافظة على الهياكل الرأسمالية والاقطاعية وشبه الاقطاعية فى تونس وليبيا والمغرب والسعودية ولبنان .

كذلك مما لوحظ اخيرا وعانت منه بعض الدول العربية ، ان الدول الامبريالية تميل الى تحديد وتقليل وارداتها من الدول النامية، فى حين ان اغلب هذه الدول تعانى من عجز صادراتها عن الوفاء باحتياجاتها من الواردات الخاصة بالتنمية ، مثلما حدث ويحدث بالنسبة للنبيذ الجزائرى ، وزيت الزيتون التونسى على سبيل المثال — وبذا تزداد الضغوط والاعباء المالية اللازمة لمثل هذه الدول العربية والنامية لكى تحتفظ بمعدل التنمية المطلوب، وتزداد الضغوط على موازين مدفوعاتها ، وتزداد معاناتها بالتالى من تراكم القروض القصيرة الاجل، فضلا عن الطويلة الامد . كل ذلك يحدث ، فى حين انه لو زاد معدل الطلب الخارجى على منتجات الدول العربية والنامية ، وبشروط دفع موافقة ، لامكن الى حد كبير توفير جانب هام من المتطلبات الضرورية للتنمية عن طريق التجارة الخارجية .

الواقع العربى وجبهتا عدم التكافؤ

ولكن ، اذا كنا قد اوضحنا بشكل عام ، طبيعة العلاقات الاقتصادية التى تربط منتجى الخامات ،

(٤) دجالو الاستعمار الجديد والحقيقة عن فرق السلام الاميريكية ص ٣٥ .
(٥) بيير جاليه . نهب ثروات العالم الثالث .
(٦) التجارة الدولية والدول النامية .الاهرام الاقتصادى سنة ١٩٦٦ .

بالدول الامبريالية الصناعية، نود ان نعرف الارضية الاقتصادية التي تقف عليها البلاد العربية ، في اطار تلك العلاقات الجبرية غير المتكافئة حاليا .

والحقيقة ان اغلب البلاد العربية ، ما تزال تعتمد على انتاج المواد الاولية الزراعية واستخراج الخامات التعدينية ومنها النفط ، كمصدر اساسي للدخل ولا زالت الصناعات التحويلية تحتل مكانا متواضعا كمصدر للدخل القومي وكمجال لاستخدام اليد العاملة ، ولا تشارك الا بنصيب متواضع في مجال الصادرات(٧) . ونصيبها في الناتج المحلي، او في الدخل القومي لغالبية الدول العربية يكاد لا يتجاوز ١٠٪ ، في حين ان هذه النسبة ترتفع الى ٢٠٪ في بعض البلاد العربية ، بينما يتراوح نصيب الصناعة التحويلية في البلاد المتقدمة صناعيا بين ٣٠٪ ، ٤٠٪ من الناتج المحلي ، مما يشير الى البون الشاسع بين اغلبية البلاد العربية . وبين الدول الصناعية في نموها الصناعي . . وعامل هام في اعاقتها عن السير خطوات واسعة في ايجاد التقدم الصناعي ، هو الظروف السابق ذكرها فيما يتعلق بالسيطرة الاقتصادية الضارة لقوى الاستعمار الجديد . كما ان نسبة المشتغلين في الصناعة التحويلية من القوى العاملة في الدول العربية، يتراوح ما بين ٣٪ ، ١١٪ ، في حين تبلغ تلك النسبة في البلاد الصناعية ما بين ٣٠٪ ، ٤٠ من اجمالي القوى العاملة .

وبالاضافة الى ذلك، فان نصيب الفرد من الدخل الصناعي المحلي بالنسبة لمجموع السكان ، لا يزال ضئيلا في غالبية البلاد العربية ، اذ يقدر معدل هذا النصيب بحوالي ٢٥ دولارا للفرد في عام ١٩٦٣، ونحو ٤٨٠ دولارا للفرد في الدول المتقدمة في عام ١٩٦٠ ، مما يشير الى ان نصيب الفرد في الدول الاخيرة بلغ ما يقرب من ١٨ ضعف نصيب الفرد في البلاد العربية . كما يشير الى البون الشاسع بين التقدم الصناعي في الدول الصناعية ومثيله في الدول العربية على وجه الاجمال .

ولقد كان نصيب الصادرات من السلع المصنعة لا يتجاوز ٥٪ من اجمالي الصادرات الوطنية في بعض البلاد العربية ، في حين بلغت نسبتها مابين ٢٥٪ ، ٣٠٪ من اجمالي الصادرات الوطنية في عدد قليل من تلك البلاد. وتشكل صناعة الاغذية والمشروبات والتبغ والمنسوجات والملابس ، تشكل في مجموعها ما بين ٥٠٪ وبين اكثر من ٧٠٪ من اجمالي الناتج من الصناعات التحويلية في غالبية البلاد العربية، في حين ان صناعات الاثاث والاخشاب والورق وصناعات الطباعة والنشر وهي من الصناعات الخفيفة ايضا ، تشكل في مجموعها ما بين ٦٪ ، ٨٪ من اجمالي الناتج من الصناعات التحويلية جميعا في تلك البلاد .

ومدلول ذلك ان الصناعات الثقيلة ، ومنها صناعة المعادن الاساسية والمنتجات المعدنية ومنتجات المطاط والصناعات الكيماوية والهندسية على تعدد انواعها ، لا زالت تشكل النصيب الاقل في الناتج الصناعي القومي للبلاد العربية .

العرب والسوق الاوروبية المشتركة

كأداة للاستعمار الجديد

والسوق الاوربية المشتركة ، كتجميع اقتصادي لعدد من الدول الغربية التي تمارس سياسة الاستعمار الجديد ، وهي نفسها كأداة هامة للاستعمار الجديد في معركة التبادل غير العادل ، تشكل خطرا له شأنه على عديد من البلاد العربية فهناك اتجاه لهذه السوق لتقليل الاعتماد على بترول الشرق العربي والاوسط عامة ، ومحاولة من جانبها لاحلال موارد اخرى للطاقة محله كلما امكن ذلك(٨) مع تنويع مصادر الطاقة المحركة والحصول على البترول بأرخص الاسعار ، وهذا الاتجاه وان كان يحتاج لتنفيذه الى امد زمني طويل الا انه يشكل منحى معينا تنحاه هذه السوق بازاء مادة اساسية من منتجات البلاد العربية . كذلك لدى السوق اتجاه آخر للخفض او الاستغناء نهائيا عن قمح سوريا ، وشعير العراق ، وتخفيض واردات السوق من ارز مصر ، بسبب فرض تعريفة جمركية على الارز الوارد من خارج السوق . والتوسع الداخلي في تجارة الارز بين دول السوق ، نتيجة رفع الحواجز ، وبسبب المعاملة التفضيلية للدول الافريقية المنتجة له والمنتسبة للسوق ، وكذلك بسبب توسع ايطاليا في زراعة الارز في الجنوب نتيجة تنفيذ مشروع «الخطة الخضراء» . وكذلك الامر بالنسبة لقطاعي الخضر والفاكهة الطازجة او المجففة، بسبب انتساب اليونان والتعاريف الجمركية الخ . والقطن المصري بالرغم من انه لا يوجد عائق امام تصديره الى هناك، الا ان انتساب بعض الدول الافريقية للسوق قد يزيد منافستها له هناك . وبالاضافة الى ذلك فان انضمام بريطانيا للسوق

(٧) التقرير الختامي للمؤتمر التنمية الصناعية للدول العربية المنعقد في الكويت من ١ الى ١٠ آذار (مارس ١٩٦٦) . الوضع الراهن للتنمية الصناعية في البلاد العربية .

(٨) الشرق الاوسط والسوق الاوربية المشتركة . روهولله . ك . رامزاني .

المشتركة يلحق اضرارا اكبر بدول الشرق الاوسط ، لانه يزيدمن حدة المشاكل بينها وبين السوق بالنسبة لمنتجات معينة ، نظرا لاهمية بريطانيا كسوق للشرق الأوسط .

والاتفاق الزراعى الذى توصلت اليه دول السوق المشتركة على اساس ان يصبح سارى المفعول نهائيا فى نهاية ١٩٦٩ ، والذى قصدوا من ورائه «حماية الانتاج المحلى للدول الاعضاء من المنافسة الاجنبية» ، فضلا عن توحيد الاسعار وحرية تداول السلع الزراعية والغذائية داخل السوق،هذا الاتفاق عندما يصبح سارى المفعول،ستجد الدول المصدرة للسلع الزراعية نفسها فى مركز لاتحسد عليه.ولذا انتسبت تركيا واليونان للسوق ، واسبانيا كانت حتى ديسمبر ١٩٦٦ فى سبيل الانتساب ، واسرائيل تحاول ذلك . كما ينتظر ان تبدأ مباحثات بين تونس والجزائر ومراكش ترمى الى انتسابها للسوق(٩) للحصول على امتيازات اقتصادية اسوة بال ١٨ دولة افريقية من مجموعة الافرو ملجاش، وقد عقدت دول اخرى اتفاقات خاصة ببعض السلع ، مثل نيجيريا ، ولبنان التى عقدت اتفاقا بخصوص الموالح واسرائيل ايضا وغيرها . وجميع هذه الاتفاقات رغم تفاوتها قصدت بها الدول المختلفة ، تخطى الحواجز التى فرضتها اتفاقية السوق الاوربية المشتركة للحصول على تسهيلات لصالحها داخل السوق .

ومما هو جدير بالذكر انه اذا كان متوسط صادراتنا الزراعية فى الجمهورية العربية المتحدة «باستثناء القطن والكتان» قد بلغ فى السنوات الاخيرة حوالى ٣٥ مليون جنيه (١٠)،فان حوالى ال ١/٦ كان يصدر الى دول السوق المشتركة ، التى تستطيع ان تستوعب فى الحقيقة اكثر مما صدر اليها .

وعلى اى الاحوال ، فاحد مكامن الخطر هنا، يتمثل فى محاولة الدول الاستعمارية استغلال التسهيلات داخل السوق المشتركة ، كضواغط سياسية واقتصادية على الدول المستقلة الفتية . خاصة وما يمكن ان يعطى لدولة تابعة لهم او تدور فى فلكهم كاليونان وتركيا ، واسبانيا ، ليس من السهل اعطائه لدولة ثورية كالجمهورية العربية المتحدة او الجزائر وغيرها .

نهب البترول العربى

ان جبهة النضال ضد النهب الاستعمارى البشع الذى تقوم به الشركات الاحتكارية الغربية وعلى راسها الامريكية والبريطانية للبترول العربى تعد دون شك من أهم جبهات النضال العربى فى المرحلة التاريخية الراهنة ان لم تكن اهمها جميعا ولا يوجد هناك ماهو ابلغ من الارقام فى الدلالة على مدى النهب الذى يقوم به «اللص» الاستعمارى الذى يدعى «تصدقه» «بمعوناته» و «قروضه» على البلاد العربية .

فأولا تسيطر الشركات الامريكية ، سيطرة كاملة على بترول السعودية والبحرين والمنطقة المحايدة السعودية الكويتية ، وعلى ٥٠٪ من بترول الكويت ، ٤٠٪ من بترول العراق وقطر وابو ظبى ، كما تسيطر الشركات البريطانية على ٥٠٪ من انتاج الكويت ، ٣٣٪ من انتاج العراق وقطر وعلى ٦٦,٥٪ من انتاج المنطقة البحرية لابوظبى(١١) كما انها تعد الان لاستغلال بترول عمان .

كذلك ففى حين ان تكلفة البرميل الواحد من خام فنزويلا تبلغ حوالى ٥٠ سنتا فى المتوسط ، تبلغ تكلفه البرميل الواحد من خام الخليج العربى ١٦ سنتا فى المتوسط (١٢) هذا بينما لم يبلغ سعر برميل الخام العربى سوى ١,٨٠ دولار حاليا ، فى حين ان سعر الخام المماثل (درجة ٣٤) فى خليج المكسيك يبلغ حوالى ٣ دولارات «وبذا زاد الفرق بين السعرين من ٤٢ سنتا فى البرميل سنة ١٩٤٨ الى ١٢٠ سنتا سنة ١٩٦٤، وقدر ماسرقته الشركات الاحتكارية بهذه الكيفية باكثر من مليار دولار خلال العام الماضى وحده ١٩٦٥ » (١٣) . هذا فى حين ان قيمة ما تستولى عليه بريطانيا وحدها كعائد من البترول العربى فى العام الواحد ٥٠٠ مليون جنيه سنويا (١٤) . وهذا الرقم يمكن ان يبعد عن الحقيقة كثيرا ، لانه مستقى من الاحصاءات البريطانية نفسها ، التى يجرى فيها بقدر الامكان اخفاء حقائق النهب البترولى) . ليس ذلك فحسب بل ان «البلاد العربية التى تملك ٧٠٪ من احتياطى البترول المقدر فى العالم ، والتى تنتج حوالى ٢٥٪ منه

(٩) الاتفاق الزراعى للسوق المشتركة ومدى اثره فى صادراتنا الزراعية . نبيل صباغ .
(١٠) نفس المرجع .
(١١) هذه الارقام ، قدمها سيد نوفل الامين المساعد لجامعة الدول العربية فى المؤتمر السياسى للصحفيين العرب ، الذى انعقد فى ٥ فبراير الماضى .
(١٢) منظمة الدول المصدرة للبترول . محمود رشدى . مجلة البترول ـ العدد الثانى ـ السنة الرابعة سنة ١٩٦٦ .
(١٣) نفس المرجع السابق .
(١٤) نظرات حول البترول العربى ومعركتنا ضد الاستعمار . محمد الديب ، الاهرام الاقتصادى ، ١٥ مارس ١٩٦٥ .

حاليا ، لم يوظف فيها من الاموال العاملة في صناعة البترول العالمية الا نسبة ٣٪ » (١٥) .

مصالح الكارتيل الدولي

لا المشروع السعودي

والحقيقة ان جشع شركات البترول الاحتكارية في المنطقة العربية، لم يقف عند حد . فهذه الشركات تعرقل وتقف بالمرصاد لاى مشروع يمكن ان يقلل من ارباحها الاستغلالية الفاحشة حتى ولو كان القائمون به أخلص اصدقائهم في المنطقة الا وهم الرجعيون السعوديون . ومن أهم الامثلة على ذلك فشل محاولة الحكومة السعودية في تكوين «شركة العربية السعودية لناقلات البترول البحرية بسبب اعتراض ارامكو ، وبريطانيا والولايات المتحدة حرصا على مصالح شركات النقل البحرى التابعة لهم . ليس هذا الا مثالا واحدا على ان الدول العربية لاتملك في ظل النظام الحالى لانتاج ونقل البترول ، ان تقوم بمشروعات . اقتصادية حيوية بالنسبة لها . ويرجع ذلك الى الشروط المجحفة التى تضمنتها عقود امتياز البترول مع الشركات الاجنبية » (١٦) .

كذلك فان نظام نقل البترول بواسطة الانابيب هو نظام مجحف جدا بالبلاد التى تخترقها هذه الانابيب ». فالعوائد التى تحصل عليها هذه البلاد ، لاتمثل سوى نسبة ضئيلة جدا ، حوالى ١٧٪ من الارباح الطائلة التى تحققها الشركات الاجنبية المالكة لهذه الخطوط .

والاستعماريون الجدد لايقتنعون بذلك فحسب لان هناك محاولات تبذلها الشركات المنتجة للبترول لنقل سيل البترول العربى الى اسواق الاستهلاك عبر منطقة جغرافية غير عربية ، عن طريق انشاء اسطول من ناقلات البترول الجبارة يدور حول افريقيا ، «مادام لن يمكنه عبور قناة السويس بعد مشروع ناصر» وهى أهم حججهم . وكذلك انشاء شبكة من خطوط انابيب للبترول لاتخترق البلاد العربية وانما تخترق تركيا واسرائيل .

« الاوبك » وسحب معركة البترول

بعيدا عن الجامعة العربية

ومادمنا نتعرض لعملية استنزاف ثروات الشعوب العربية البترولية، يصبح من المهم بمكان استيضاح كافة أو حتى اغلب الجهود التى يبذلها الاستعماريون الجدد للمحافظة على عمليات الاستغلال غير العادلة في المنطقة . ولا شك ان قسما من جهودهم يوجه لعرقلة عمل « منظمة الدول المصدرة للبترول » (الاوبك) وتوجيهها بما يخدم مصالحهم فهذه المنظمة التى تكونت في اواخر سنة ١٩٦٠ من كل من فنزويلا ، وايران والسعودية والعراق والكويت ، كاعضاء مؤسسين ، ثم انضمت اليها قطر واندونيسيا وليبيا ، كان الغرض من قيامها دعم اسعار الزيت الخام، وتحسين شروط الامتيازات البترولية لصالح الدول المنتجة . «وانفقت منظمة الاوبك ٥ سنوات كاملة تحاول توحيد منهج الفكر بين الدول الاعضاء ، فلم تنجح ، ومن هذه السنوات الخمس ، انفقت ٣ سنوات في محاولة تصحيح خديعة الشركات للدول الاعضاء في اقليم الشرق الاوسط ، بعدم تطبيقها ما طبقته في فنزويلا ، فيما يتعلق باعتبار الاتاوة مصروفا ، وهو ما اصطلح على تسميته بمبدا تنفيق الريع، ولم تنجح ايضا» (١٧) وكذلك لم تحاول المنظمة ادخال اية تحسينات اخرى على شروط الامتيازات التقليدية على مافيها من جور وافتئات على حقوق الدول المنتجة .

والحقيقة اننا لو تأملنا منظمة الدول المصدرة للبترول (الاوبك) لوجدنا انها تتألف من دول يقع معظمها تحت سيطرة القوى الاستعمارية واحتكاراتها العالمية ، وهذا الوضع يفسر لنا طابع المهادنة الذى تتسم به قراراتها (١٨) .

كما انه مما يلفت النظر ان دخول الدول العربية المنتجة للبترول في عضوية المنظمة ، قد جاء في الوقت نفسه الذى بدات فيه الجامعة العربية تنظم مؤتمرات للبترول العربى ، وتلك ظاهرة ملفتة للنظر في حد ذاتها ، فالمعروف ان من أهم اهداف الجامعة ، جمع الدول العربية في صف واحد ، في مواجهة الاحتكارات البترولية وحكوماتها وذلك عن طريق توحيد السياسة البترولية في البلاد العربية ومنظمة الدول المصدرة للبترول بالاضافة

(١٥) البترول في سبيل الانسان العربى، عبد الله الطريقى . نفس العدد السابق .
(١٦) البترول والوحدة العربية . د . سمعان بطرس فرج الله .
(١٧) منظمة الدول المصدرة للبترول . محمود رشدى . مجلة البترول العدد الثانى السنة الرابعة سنة ١٩٦٦ ص ٢٥ .
(١٨) نفس المرجع السابق .

الى ذلك تضم فى الوقت نفسه كلا من ايران وفنزويلا والاولى وضعها واضح فى المعسكر الاستعمارى ، والثانية وضعها غير مستقر نسبيا ، فضلا عن اختلاف ظروفها اختلافا بينا عن البلاد العربية (زادت من نصيبها فى ارباح البترول من ٥٦٪ الى حوالى ٦٧٪)

ومن ناحية أخرى، فان الاوبك تعتمد فى دراساتها على معلومات وبيانات احصائية ، تنبع من شركات البترول الاحتكارية ، وبالتالى يمكن ان تكون احكامها موضع شك ، فضلا عن ان الاجهزة الداخلية للمنظمة تتكون من خبرات اجنبية وغربية بالذات وهى بعيدة عن ادراك الاحاسيس القومية لدول المنظمة ، كما انها تكون دائما معرضة لتأثير المصالح الغربية التى تحكمها بدورها اتجاهات الشركات كذلك فان ممثلى الدول الاعضاء ، تعينهم الطبقات الحاكمة فى تلك الدول ، ومن الطبيعى اذن ان تتأثر اتجاهات المنظمة بأكملها بمصالح الاسر الحاكمة.

الكويت تفقد مكان الصدارة لتحتله السعودية

زيادة بريئـــه ام مصـــدر للضـــغط ؟

ومن الوسائل التى استخدمتها شركات الاحتكار البترولى أخيرا ، مسالة استخدام زيادة الانتاج البترولى ، كمصدر للضغط مثلما حدث بالنسبة للكويت التى كانت تحتل المركز الاول فى انتاج الشرق الاوسط . اذ قامت الشركات الاستعمارية بطفرة كبيرة فى انتاج البترول السعودى ، حتى تخطى معدل انتاج الكويت ، واحتلت السعودية المركز الاول،وتخلفت الكويت الى المركز الثانى. ولتوضيح المسالة بالارقام نجد : ان معدل الزيادة السنوية فى انتاج الكويت هبط من ٩ر٨٪ سنة ١٩٦٤ الى ٢ر٣٪ فقط فى عام ١٩٦٥ ، هـذا فى حين حققت السعودية طفرة ضخمة بلغت ١٨٪ . ومن ديسمبر ١٩٦٥ لحقت السعودية بالكويت بل تفوقت عليها لاول مره واحتلت مكانتها الاولى . وقد حققت عائدات السعودية فى نفس العام زيادة قدرها ٨٧ مليون دولار ، بينما زادت عائدات الكويت فى نفس الفترة بمقدار ١٢ مليون دولار فقط (١٩) .

وفقدان الكويت لمركزها الممتاز وتخلفها الى المركز الثانى فى الشرق الاوسط بعد السعودية اثار كثيرا من التساؤلات حول الاسباب الحقيقية التى ادت لان تفقد الكويت مركزها ، بالرغم من الميزات التفضيلية التى تتميز بها كدولة منتجة للبترول (٢٠).والحقيقة « ان ما حدث فى الكويت والسعودية انما هو نوع من الاسلحة ذات الحدين حد لانزال العقاب والردع السريع الصارم ، وحد لمكافأة « المخلصين المتعاونين » ، لانه اذا كانت الكويت ترفض الاشتراك فى الحلف الاسلامى ، والاحلاف التى يقصد بها ضرب حركة النضال التحررى العربى ، فقد وجب عقابها حتى يكون فى ذلك عظة لها وعبرة لغيرها ، واذا رضى الحكم الرجعى فى السعودية ان يقوم بالدور المرسوم له من قبل الاستعمار القديم والجديد فى ضرب القوى الثورية فى الجنوب المحتل وعدن ، وفى التآمر على ثورة اليمن ، ومحاولة اقامة الحلف الاسلامى ، والدعاية ضد الجمهورية العربية المتحدة (مخصصات الاعلام فى السعودية ١٢ مليون جنيه) ، وفى تدبير المؤامرات ضد النظام القائم فى سوريا ، وفى مزيد من الضغط على لبنان اذا رضى الحكم السعودى بأن يقوم بكل ذلك فهو «صديق مخلص نشيط» استحق ان يكافأ بسخاء من قبل الاستعماريين الجدد .

دعم الســـعودية وليبيـــا

والضغط على العراق والكويت

وقد عمدت الاحتكارات الاستعمارية ، لاستخدام ذلك الاسلوب أيضا مع دول عربية أخرى تواكب ركب التحرر العربى كالعراق — ولما كانت منظمة «الاوبك» قد وضعت خطة تجريبية لتقنين انتاج اعضائها لمدة عام ينتهى فى أول يوليو سنة ١٩٦٦، لذا عملت الشركات الاستعمارية جاهدة للضغط على الدول العربية التى تحاول ان تسلك بدرجات متفاوتة الطريق المستقل .

ووفق هذه الخطة ، لم يكن من الصدفة ان تخلف انتاج الكويت والعراق عن خطة «الاوبك» . اذ بينما كانت الزيادة المستهدفة للكويت فى الخطة هى ٦ر٥٪ ، نجد انها لم تحقق فى الواقع اية زيادة فعلية ، كذلك فى حين نجد ان الزيادة التى كانت مستهدفة للعراق هى ١٠٪ ، فأن ماتحقق فعلا لم يتجاوز نسبة الـ ٤ر٥٪ (٢١) . اما السعودية فسبق ان أوضحنا الزيادة التى حققتها من قبل اما المملكة الليبية فقد فاق انتاجها الخطة بكثير ،

(١٩) آراء وافكار حول القفزات السريعة فى انتاج السعودية . محمد شوكت .مجلة البترول . العدد الثالث . السنة الرابعة سنة ١٩٦٦ .
(٢٠) نفس المرجع السابق .
(٢١) خطة التقنين لمنظمة الدول المصدرة للبترول . عبد العظيم محمد الضرير .مجلة البترول العدد الثالث السنة الرابعة سنة ١٩٦٦ ص ١٢ .

اذ وصلت الزيادة الفعلية فيها الى ٣ر٢٧٪ بينما كانت الزيادة المستهدفة لها ٢٠٪ فقط ، ولا تخفى طبعا الجهود التى يبذلها الاستعماريون الجدد من أجل ربط ليبيا الدائم بهم، خاصة بعد ان أصبحت سادس دولة مصدرة للبترول فى العالم (٢٢) .

نفوذ الاستعمار الجديد ومراكز الرأسمال الاجنبى العامل فى البلاد العربية

على ان هناك عديدا من المراكز الاخرى ، غير شركات الاحتكار البترولى يستند اليها الاستعمار الجديد فى حركته للتحكم فى اقتصاديات البلاد العربية ، الا وهى البنوك وشركات التأمين وغيرها من مراكز الرأسمال الاجنبى العامل فى الوطن العربى ويعتبر وجود هذه المراكز وعملها داخل البلاد العربية فرصة مواتية للاستعمار الجديد لدعم سياسته ازاءها ولضمان درجات متباينة من تبعيتها له .

تونس

ففى تونس مثلا يعمل البنك الفرنسى — التونسى والكريدى فونسييه للجزائر وتونس ، والكريدى ليونيه، وديسكونت ودى كريدى للصناعة، والشركة الفرنسية التونسية دى بانك ودى كريدى ،والشركة المارسيلية،والبنك البريطانى للشرق الاوسط(٢٣) وغيرها . كما تعمل فيها عديد من شركات التأمين الاجنبية منها تأمينات لابيى ، وليجل ، وتأمينات تريستا العامة ، وجريشام ، وهلفسيا ، وشركة موند ، والشركة السويسرية الوطنية ، وشركة دى مان، والفرنسية العامة للحوادث ،والفرنسية العامة للحياة وغيرها ، وكل تلك المراكز تمارس تأثيرا متفاوتا داخل الاقتصاد التونسى .

ومما يلفت النظر انه على الرغم من ان الحكومة التونسية ، أممت بعض القطاعات الهامة مثل المناجم والكهرباء والتجارة الخارجية (٢٤) ، الا ان ذلك لم يحل دون «مساندة» الاستعمار الجديد للاقتصاد التونسى بغية ابقائه فى الاطار الرأسمالى التابع له ، وتقديمه كنموذج للاقتصاد الحر فى المنطقة العربية .

وليس ذلك بمستغرب اذا كانت الحكومة التونسية نفسها ، تبذل جهودا متواصلة لتشجيع رأس المال الخاص المحلى والاجنبى وهو ما يبغيه الاستعمار الجديد للبلاد النامية. تقول «الفيناتشيال تايمز» البريطانية بتاريخ ١٩٦٦/١١/١٠ « هناك دلائل قوية على ان الحكومة التونسية مهتمة بتشجيع راس المال الخاص،سواء المحلى او الاجنبى، وذلك بعد الفترة التى ظهر فيها الميل الى التجارب الاشتراكية . ذلك انه يجرى العمل على اصدار قانون جديد للاستثمار من شأنه ان ينهى الاضطراب والتشويش — هكذا تقول المجلة — الذى نشأ عن التناقض الذى يوجد فى القوانين الحالية،والمقصود بهذا القانون الجديد ، هو جذب رؤوس الاموال الاجنبية ومنح المستثمرين ضمانات معقولة ، كما تم تشكيل مركز لتطوير الاستثمارات بمساعدة الحكومة وذوى المصالح الخاصة» وتضيف الصحيفة البريطانية ، بأن ماتسميه «بالاستقرار السياسى والاراء التى تميل الى القيم والاساليب الغربية فى الحياة ، لابد وأن تشجع المستثمرين الاجانب» — ولكن أليس ذلك هو نفس مايسعى اليه ١٠٠٠ر٠ من رسل الاستعمار الجديد فى فرق السلام ؟ — وتواصل قائلة : «وان علاقات تونس مع الولايات المتحدة حسنة للغاية ، كما تزايدت المعونات الامريكية لتونس الى نحو ٥٠٠ مليون دولار » وكانت قد حصلت بالاضافة الى ذلك على قروض غربية أخرى ومن البنك الدولى مقدارها ٤ر٥٤ مليون دينار ، سنة ١٩٦٣ .

أما بالنسبة للهيكل العام لاقتصاد تونس ،فلا يزال الزيتون هو المحصول الرئيسى ، كذلك فان ٥٩٪ من تكاليف مشروع الثلاث سنوات ١٩٦٢ — ١٩٦٤ كانت من مصادر التمويل الاجنبية وهى غربية فى الاساس .

على انه اذا كانت كل هذه «المساعدة» الغربية الضخمة قد قدمت لتونس ، فأية نتائج اسفرت عنها بالنسبة لتقدم الاقتصاد التونسى ، واجهة الاقتصاد الرأسمالى فى المنطقة ؟ ان الحقائق الاقتصادية توضح «ان تونس لاتزال تواجه عجزا فى ميزان مدفوعاتها بسبب تناقص الصادرات وزيادة الواردات بصورة ملحوظة ، فبلغ العجز فى سنة ١٩٦٣ ما يناهز ٤٥ مليون دينار » (٢٥). وارتفع فى ١٩٦٤ الى ٥ر٥٣ مليون دينار وهى آخر ارقام وصلت الينا . وقد مول نصف العجز عن

(٢٢) ماذا جرى فى ليبيا ؟ ماهر الشافعى، مجلة البترول . العدد الثانى . السنة الرابعة ١٩٦٦ ص ٤٠ .
(٢٣) الكتاب السنوى الاقتصادى لتونس . عام ١٩٦٤ .
(٢٤) جريدة « صباح الخير » — ملف الاقتصاد التونسى قسم المعلومات بالاهرام ١٩٦٦/١١/٢٠ .
(٢٥) التقرير الاقتصادى العربى — اصدار الاتحاد العام لغرفة التجارة والصناعة والزراعة للبلاد العربية (يونية ١٩٦٥) .

« المساعدات » و « المعونات » و « القروض الخارجية» ، وحوالى ٢٨٪ منه بواسطة القروض طويلة الامد ، والباقى بواسطة انخفاض احتياطى تونس من الذهب والعملات الاجنبية .

ونفس المشكلة التي اثرناها في البداية بالنسبة لخامات البلاد النامية ، تجد انعكاسا لها هنا ، برغم علاقات تونس الوثيقة بالغرب — «فتونس تجد صعوبة في تصدير زيت الزيتون الى الاسواق الاوربية ، نظرا لانخفاض سعره عالميا ، ولم تتمكن خلال موسم ١٩٦٣ ، ١٩٦٤ مثلا سوى من تصريف ٢٨٪ من الانتاج ، وبقى اكثر من ٥٠٪ من الانتاج مخزونا برسم التصدير (٢٦) ليس ذلك فحسب اذ انخفض تصدير الرصاص في سنة ١٩٦٤ بنسبة ٢٤٪ عن ١٩٦٣ ، والزنك بنسبة ٣٠٪ ، ولم تتمكن تونس من ان تصدر من الحديد الخام سوى ٣٧٤٫٠٠٠ طن في النصف الاول من سنة ١٩٦٤ مقابل ٩٠٠٫٠٠٠ طن في الفترة المقابلة من السنة السابقة . وبالنسبة للاشهر السبعة الاولى من ١٩٦٣ مثلا ، تضخم عجز الميزان التجارى بنسبة ٢٠٪ وبلغ العجز في الميزان التجارى مع دول السوق المشتركة ١٦ مليون دينار ، ١٠ مليون منها مع فرنسا ، و٦ مليون مع الولايات المتحدة الامريكية هذا بينما كانت حركة التجارة الخارجية لصالح تونس مع كل من الجزائر وليبيا .

والحقيقة اننا لو ضربنا مثالا فرديا بتوزيع مبلغ الـ ١٦٠ مليون دينار المنفقة سنة ١٩٦٤ على مشاريع التنمية وفق الخطة الثلاثية في تونس ١٩٦٢ — ١٩٦٤ ، لاستعدنا الى الذهن على الفور ، ماسبق ان قلناه بشأن اتجاهات التنمية التي يدعو اليها منظرو الاستعمار الجديد والتي تركز على مجالى الزراعة والصناعة الخفيفة ، مع تعضيد كافة الاتجاهات المضادة لاحتمال التنمية غير الراسمالية فقد خص الزراعة وحدها ٧٥ مليون دينار ، والانشاءات ٤٠ مليونا ، وتأهيل الفنيين والاعمال ٣٢ مليونا ، ولم تنل الصناعة سوى ١٣ مليون دينار .

ولم تقف الحكومة التونسية عند هذا الحد ، ففى سبيل زيادة الرساميل الاجنبية في مشاريع التنمية ، اتخذت عدة اجراءات تكفل لها الحماية وتمنحها المزيد من الاعفاءات المالية والضرائبية ، وتسمح بحرية ادخال واخراج رؤوس الاموال ، وهو نفس مايبتغيه استعماريو الغرب الجدد .

المغرب

ويعمل في المغرب أيضا عدد ضخم من البنوك وشركات التأمين والمؤسسات المالية الاجنبية ، مثل بنك باريس والاراضى الواطئة ، والبنك البريطانى للشرق الاوسط (مراكش) ، والاتحاد المصرفى الاسبانى — المراكشى ، والبنك العثمانى بمراكش،وبنك انترا،والشركة المارسيلية دى كريدى، والشركة المراكشية دى كريدى ودى بانك والكريدى ليونيه بمراكش (٢٧) ، وبنك المغرب الفرنسى .. السويسرى وساهم فيه اتحاد المصارف السويسرية بنسبة ٥٠٪ ، وبنك التسليف التجارى الفرنسى بنسبة ٥٠٪ ، والشركة الهولندية دى بانك ودى جسثيون ، والبنك الاسبانى في مراكش ، كما يتألف البنك الوطنى للتنمية الاقتصادية من دويتشة بنك وبنك لافورد الوطنى ، والبنك التجارى ، ويملك مصرف الكريدى فونسيه جزءا من بنك الصندوق المراكشى للتجارة الخارجية ، ويملك بنك تسليف الشمال الفرنسى ، جزءا من بنك المغرب المالى . ويتألف بنك المغرب التجارى من مصالح الشركة الصناعية والتجارية (سى آى سى) ومن الكريدى ليونيه في المغرب ، وفى الاتحاد المالى للمغرب .

والحقيقة ان التبعية الاقتصادية للغرب الاستعمارى، والسيطرة الاجنبية ظلت الى مابعد «الاستقلال» مسيطرة على الملامح الاقتصادية والاجتماعية في البلاد — ولا يزال الاقتصاد المغربى يقوم أساسا على الزراعة ، وتربية الماشية . والثروات الطبيعية وهى المورد الثانى لدخل البلاد ، تكاد هى الاخرى باستثناء الفوسفات — تكون احتكارا للشركات الاجنبية (٢٨) ، وجزء كبير من الاراضى الزراعية يمتلكه الاجانب وكبار الملاك ، بينما السواد الاعظم من الفلاحين المغاربة لايمتلكون شيئا .

وفيما يتعلق بالمغرب بالذات ، يجب الا تغيب عن ذهننا تلك الحقيقة،وهى ان الثروات الطبيعية تمثل جزءا لايستهان به من صادرات هذه البلاد اذ تصل نسبة ما يصدر منها حوالى ٣٥٪ من مجموع صادرات المغرب . ومن اهم المعادن المستخرجة ، الفوسفات ، ويتبوأ المغرب المركز الثانى في العالم في انتاجه ، وهو احتكار للدولة . والكوبالت ومرتبة المغرب هنا ايضا الثانية في العالم (١٢ مليون طن سنويا) ، ١٠٪ من انتاج العالم، والحديد

---

(٢٦) نفس المرجع السابق .
(٢٧) Bankeres Alwanac and year book 1962-1966
(٢٨) الاهرام الاقتصادى ١٥/٨/١٩٦٦ ، المغرب .

الخام ويقدر الانتاج حاليا بـ ٥ر١ مليون طن والاحتياطيات بـ ٣٠ مليون طن .

ولكن ماالذى أسفر عنه «النشاط الحر» للبنوك الاجنبية وللشركات الاحتكارية الغربية وللراسمال المغربي الخاص ؟ لقد اسفرت عن عدم تحقق النتائج المطلوبة في الخطة الخمسية الاولى ١٩٦٠ ـ ١٩٦٤ فوجود الاحتكارات الاجنبية ، وسيطرة رأس المال الاجنبي والخاص على مقومات الانتاج كانت عائقا دون تحقيق الاهداف المرجوة . فطلبت السلطات المغربية من البنك الدولي ارسال بعثة لدراسة الاوضاع الاقتصادية في المغرب على ضوء نتائج الخطة الخمسية الاولى . وفعلا قدمت البعثة اقتراحات أخذ بها المغرب ، وبدأ بتطبيقها في البرنامج التالى ١٩٦٥ ـ ١٩٧٠ . ويتضح الطابع « الموجه » لاقتراحات البنك الدولى ، فيما لو قمنا بفحص النسب التى خصصها لكل قطاع انتاجي . وقد قدرت الاستثمارات الحكومية في الفترة كلها في حدود ١٤٠٠ مليون دولار ، نصيب الزراعة منها ٢٦٪ والخدمات السياسية ٢٧٪ والخدمات الاجتماعية ٤٪ والقوى والطاقة ١١٪ والنقل ١٢٪ بخلاف بعض الاستثمارات الاخرى ولا شيء للصناعة .

ومما هو ذا مغزى هنا ، ان بعثة البنك الدولى اقترحت في تقريرها ، ان تمول اكثر المشاريع السياحية من رؤوس اموال خاصة (٢٩) . وان تتخذ الحكومة الاجراءات التى من شأنها ان تشجع اصحاب رؤوس الاموال على تشغيل اموالهم في تلك المشاريع ، كمنحهم سلفا طويلة الامد بشروط معقولة ، أما بالنسبة للصناعة فقد طالبت البعثة بمجرد زيادة انتاج الفوسفات وتحويل قسم منه الى انتاج الاسمدة التى تحتاجها البلاد لانماء مشاريعها الزراعية ، كما أوصت بانشاء صناعات أخرى لتنويع الانتاج « على انها ترى ان رءوس الاموال اللازمة لتلك المشاريع يجب ان تأتى من القطاع الخاص »(٣٠) .

ونتساءل ثانية ، ما الذى اسفرت عنه نصائح البنك الدولى وقروض البنك الدولى ، وقروض الولايات المتحدة الامريكية ، والقسم الاكبر من تجارة المغرب الخارجية مع الدول الاوربية ؟ لقد اصبح العجز المتواصل في الميزانية، ظاهرة ملموسة تهدد استقرار المغرب المالى ، وآخر احصاء حصلنا عليه يوضح انخفاض احتياطى المغرب من الذهب والعملات الاجنبية من ١١٠ مليون دولار في ديسمبر ١٩٦٣ الى ٦٢ مليون دولار في نهاية يونية سنة ١٩٦٤ ، ذلك «ان المدفوعات المتتابعة لتغطية القروض ـ وهي احدى آفات الاستعمار الجديد ـ كانت تحرم البلاد من احتياطيها من العملات الاجنبية » (٣١) ،وذلك مع عدم حدوث تحسن في الميزان التجارى ايضا وانخفاض مستوى المعيشة بشكل مستمر ، وانتشار ظاهرة البطالة بشكل واسع . كل هذا التدهور الاقتصادى يتم رغم ان المغرب يعتبر غنيا بثرواته الزراعية والمعدنية بشكل خاص . ان الواقع يؤكد ان النظام الاقتصادى المتخلف في المغرب ، هو في الحقيقة يشكل العقبة الكبرى في طريق تطويره ، فما زال المعمرون الفرنسيون يستولون على احسن واجود أراضى المغرب الزراعية ، (حوالى مليون هكتار) ، كما ان الراسمال الاجنبى قد جعل من المغرب بعد الاستقلال موردا مستمرا لارباح جديدة ، دون اي عناية بتطويره .

ليبيا

ومن البنوك الاجنبية العاملة في ليبيا وذات النفوذ بنك باركليز والبنك البريطانى للشرق الاوسط ، وكومرشيال بنك وغيرها . والشركات البترولية الكبرى العاملة بها هي ستاندرد اويل (نيوجرسي) وشركة «موبيل» هذا مع العلم بأن مجموع الشركات الامريكية العاملة هناك كان حتى مايو ١٩٦٥ ، ١٣ شركة أمريكية ، واهم الشركات المستقلة هى شركة كونتيننتال التى تملك شركة جيت بتروليوم ، وشركة ماراتور ، وشركة آماراداا التى تبيع معظم أنتاجها لشركة شل . ويذهب القسم الاكبر من صادرات البترول الليبى الى بلدان السوق الاوربية المشتركة والمانيا الغربية هي الدولة الاولى المستوردة للبترول الخام (٤٠٪ من الكمية (٣٢)، وبريطانيا الثانية، تليها ايطاليا . وللتدليل على مدى النهب الضخم الذى تقوم به الشركات الاحتكارية للبترول الليبى ،حتى قبل القفزة الاخيرة (من ٧ مليون طن سنة ١٩٦٢ الى ٥٨ر٥ مليون طن سنة ١٩٦٥ وهى ستضاعف بالتأكيد من ذلك النهب) . للتدليل على ذلك نذكر ان الربح الصافى للشركات الامريكية وحدها من تصدير البترول الليبى طبقا للاحصائيات الرسمية ـ كان حوالى ٥٢ مليون جنيه ليبى عام ١٩٦٢ (٣٣)،

(٢٩) التقرير الاقتصادى العربى ـ يونيه (حزيران سنة ١٩٦٦) .
(٣٠) نفس المرجع السابق .
(٣١) نفس المرجع السابق .
(٣٢) ماذا جرى في ليبيا ؟ ماهر الشافعى مجلة البترول العدد الثانى السنة الرابعة ١٩٦٦ .
(٣٣) ركائز الاستعمار في العالم العربى قضايا سياسية .

«فما الذى اخذته ليبيا مقابل بترولها — حينذاك —؟ يوجد فى ميزانية الحكومة الليبية رقم متواضع تحت عنوان « دخل البترول » وهو ٧ مليون جنيه ليبى فقط (٣٤) .

وازدياد عائدات البترول لدى الحكومة الليبية بعد القفزة الاخيرة ، ولو انه يعنى ايضا زيادة الملايين المنهوبة للاجانب زيادة لا تقاس مع الماضى، الا انه يطرح امكانية بل وجوب اسهام عائدات البترول اسهاما فعالا فى حل كثير من المشكلات الصعبة التى واجهت ليبيا بعد استقلالها وكانت تدفعها الى الاعتماد اعتمادا كبيرا على «المعونات» الخارجية التى كانت تتلقاها من بعض الدول الغربية، مما ادى بالضرورة الى ارتباطها بتلك الدول فى غير المجال الاقتصادى البحت .

ذلك أن ليبيا لاتزال بلد زراعى متخلف اقتصاديا لاتستطيع أن تطعم سكانها بمواردها ، وتستورد المواد الغذائية ، فى نفس الوقت الذى تدهور فيه عدد الماشية هناك بصورة كبيرة . واذا استعرضنا بعض نتائج ماتسمى «بالمعونة» الاجنبية قبل القفزة الاخيرة فى ليبيا ، لوجدنا ان العجز فى ميزان التجارة الخارجية الليبية ، كان يتزايد عاما بعد عام بنسب مرتفعة — اذ بلغت الواردات الليبية عام ١٩٥٩ ضعف صادراتها ، ووصلت فى عام ١٩٦١ الى ٢٢ ضعفا ، وفى عام ١٩٦٢ الى ٢٥ ضعفا .

والحقيقة أن «المعونة» الامريكية لليبيا ، لم تكن تستهدف أهدافا سياسية فحسب ، فتحت ستار «المعونة» شارك الرأسمال الاحتكارى الامريكى بنشاط فى استغلال مصادر البترول الليبى . وقد أشارت مجلة «سيريناياكا ويكلى نيوز» الى أنه « على الرغم من أن المعونة الامريكية قد مدت لعدد من السنين ، فمن المستحيل ان تقدم مشروعا واحدا ذا فائدة مباشرة لاقتصاد البلاد ، وهذا هو رأى الليبيون انفسهم فيما يختص بتلك المعونة» (٣٥) .

اما اسعار البترول الليبى فمنخفضة انخفاضا جائرا واذا كنا قد اوضحنا من قبل الطابع المهادن لمنظمة الاوبك فى مواجهة الشركات الاحتكارية فان انخفاض السعر الصادر للبترول الليبى قد اشكل ويشكل خطرا حتى على خطط منظمة الاوبك لتحسين الاسعار (٣٦) ، والتى هى اصلا موضع نقد ، والحقيقة ان قاعدة « هويلوس فيلد » العسكرية (١٤٠ الف امريكى) كغيرها من القواعد العسكرية فى الخارج ، تقدم مزايا تجارية معينة للبلد الذى اقامها وهو الولايات المتحدة الامريكية . كما تستغلها الولايات المتحدة كأحد مراكز الدعاية التى يمتد نشاطها ليشمل ليبيا والبلدان العربية الاخرى المجاورة . فبحجة خدمة الادارة الامريكية وعائلاتهم ، تقوم القاعدة بعملية غسل مخ شعوب البلدان المجاورة بمفاهيم العالم الحر والاقتصاد الحر . وتستغل الولايات المتحدة القاعدة ليس فحسب «لانها قاعدة ممتازة يسهل منها ضرب داخل روسيا بالقنابل» كما قالت مجلة «يو اس نيوز آند ورلد ريبورت» ، وانما أيضا للمحافظة على تبعية ليبيا الاقتصادية للغرب، خاصة بعد ان زادت اهميتها واصبحت سادس دولة مصدرة للبترول فى العالم .»

الاردن

اما الاردن فيتسم اقتصاده بوجه عام ، بالاعتماد الواضح على القروض والمعونات الغربية التى ظلت حتى ميزانية ١٩٦٠ — ١٩٦١ تفوق الموارد المالية المحلية . فالزراعة والرعى هما الحرفتان الرئيسيتان فى الاردن ، والصناعة لاتأتى بأكثر من ١٠٪ من الدخل القومى والتجارة بـ ٢٠٪ منه . ولذا فلو القينا نظرة على مصادر التمويل فى برنامج السبع سنوات لمضاعفة الدخل القومى (١٩٦٣—١٩٧٠) لاتضح لنا الدور الاساسى للقروض و « المنح » الغربية بالذات والقطاع الداخلى الخاص فى تمويله اذ لم يساهم (القطاع العام) سوى بـ ٢١ مليون دينار ، فى حين ساهم القطاع الخاص بـ ٤٧ مليون دينار، والقروض والمنح الاجنبية بأكبر نصيب وهى ٥٩ مليون دينار (٣٧) .

ومثل على مدى نفوذ رؤوس الاموال الامريكية والغربية والبنك الدولى فى الاردن ، هو مدى مساهمتهم فى مشروع البوتاس الذى يعتبر من اهم المشاريع الصناعية فى الاردن . اذ أتفق بين الوفد الرسمى الاردنى وبين المسؤولين فى البنك الدولى ووكالة الولايات المتحدة للانماء الدولى ، على أن تكون تكاليف المشروع ٦٠ مليون دولار ، ويكون راسمال الشركة المكتتب به ١٥ مليون دولار ، بما فى ذلك مشاركة الشركة الاجنبية ، على أن يقدم

(٣٤) نفس المرجع السابق .
(٣٥) نفس المرجع السابق .
(٣٦) خطة التقنين لمنظمة الدول المصدرة للبترول . عبد العظيم محمد الضرير . مجلة البترول . العدد الثالث . السنة الرابعة ١٩٦٦ .
(٣٧) اتجاهات جديدة فى التنمية الاقتصادية فى الاردن . دكتور راشد البراوى — الاهرام الاقتصادى اول يناير سنة ١٩٦٥

البنك الدولى قرضا طويل الاجل بمبلغ ٣٠ مليون دولار ، وتقدم وكالة الانماء الدولية الامريكية قرضا آخر بمبلغ ١٥ مليون دولار ، والفائدة المتوقعة حسبما جاء بالتقرير الاقتصادى العربى (يونيو ١٩٦٦) وبرغم دور الاردن المناصر للغرب فى المنطقة هى ٥ر٥٪ لمدة ٢٥ سنة ، وتنصب المساعدات الامريكية كالعادة على شق طرق جديدة ومقاومة الملاريا وتحسين السياحة ومشاريع التنمية الريفية والارشاد الزراعى الخ . هذا ويقوم مجلس الاعمار الاردنى بالتعاون مع وكالة الولايات المتحدة للانماء الدولى بتنفيذ المشاريع الانمائية التى تمول من المساعدات الامريكية للسنة المالية ١٩٦٦ — ١٩٦٧ — ومن ضمنها بعض المشاريع السابقة .. وآخر تقرير اقتصادى عربى وصل لدينا ، يوضح أن ميزان المدفوعات الاردنى سجل عجزا فى سنة ١٩٦٤ قدره ٩٦ر٨ مليون دينار ، كما بلغ عجز الحساب الجارى لنفس السنة ٩٣ر٢٢ مليون دينار (٣٨) .

العــراق

اما العراق الذى يسيطر الامريكيون والبريطانيون على ٧٣٪ من بتروله المنتج ، كما تغطى نسبة ٨٠٪ من ميزانية حكومته بموارد النفط ، فانه يعانى من عجــز متواصل فى ميزانية الحكومة منذ ١٩٥٨ ، توج فى نهاية السنة المالية ١٩٦٣ — ١٩٦٤ (حسبما أوضح التقرير الاقتصادى العربى يونيو ١٩٦٦) بعجز نقدى كبير للخزينة العامة وقد ازداد هذا العجز كثيرا خلال السنة المالية التالية ١٩٦٤—١٩٦٥ ولا يعلم احد — على وجه الدقة — المدى الذى يمكن أن يقف عنده هذا العجز ، واذا كان عدد من المراقبين الاقتصاديين يفسره بتوسع نفقات كثير من الادارات الحكومية والمؤسسات شبه الرسمية ، فان العـدد الاكبر يرى أن مصـدره الاصلى هو انخفاض عائدات البترول الى الحكومة بنسبة لم تحققه الشركات الانجلو — أمريكية من ارباح طائلة .

لبنـــان

أما لبنان التى يؤكد توزيع الدخل القومى فيها على الطبقات الاجتماعية والقطاعات الاقتصادية ، ظاهرة التخلف فى اقتصادها نجد أن خزينة الدولة فيها تعانى من عجز سنوى متعاظم ، كذلك تشير توقعات المراقبين الاقتصاديين الى حدوث تقلص شديد فى القطاع المصرفى ، بحيث لن يستطيع أن يؤمن لقطاع الخدمات متطلباته من التسليف ، ومعنى ذلك أن قطاع الخدمات الذى يساهم بحوالى ٦٨٪ من الدخل القومى ، سيجابه هو الاخر مرحلة انكماش وتقلص ، لذ يشيرون الى أن الدخل القومى سينخفض بدرجة محسوسة تؤدى الى انخفاض تدريجى فى مستوى المعيشة .. والحقيقة انه من العوامل التى ادت الى انخفاض تدفق رؤوس الاموال على لبنان هو منافسة الاسواق الراسمالية العالمية للسوق اللبنانى الضعيف ، ارتفاع سعر الفائدة فى الخارج الخ ، وتطور فرص الاستثمار فى البلدان العربية المنتجة للبترول وخاصة فى الكويت التى اخذت تلعب دور المركز المالى للمنطقة بديلا عن بيروت .

كل ذلك بالاضافة الى العجز فى نفقات تنفيذ الخطة الخمسية ، كشف حاجة لبنان الى أموال اضافية ، فتوجه الى الولايات المتحدة سنة ١٩٦٦ طالبا قرضا قيمته ١٥ مليون دولار ، لكن واشنطون طلبت سعرا عاليا لفائدة القرض لم يقبله لبنان الذى توجه الى فرنسا ، الا انه مع مطلع ١٩٦٧ ، طلبت الحكومة اللبنانية ثانية من واشنطون ، قرضا اكبر مما طلبته فى العام الماضى وقدره هذه المرة ، ٥٠ مليون دولار ، كما اعلنت استعدادها لدفع سعر الفائدة الذى امتنعت عن دفعه سابقا ، لكن واشنطون طلبت سعرا اعلى (على اساس ان سعر الفائدة قد ارتفع) بالاضافة الى نفس الشروط السياسية التى كانت قد حددتها من قبل وهى تمس حرية لبنان ، فعادت الحكومة اللبنانية الى طلب قرض فرنسى بـ ٦٥ مليون ليرة لبنانية ، غير ان اتجاه فرنسا هو عدم الرضاء عن سعر ٥٪ كفائدة والذى رفضه لبنان فى العام الماضى ، كما طلبت فرنسا ان يعهد امر بناء كافة المستشفيات والمدارس المهنية فى الخطة الخمسية الى شركات فرنسية .

على انه اذا كانت بعض الدوائر السياسية المطلقة ، تعتقد أن لبنان سيوافق — «مضطرا» — على العرض الفرنسى ، فان ذلك على كل حال ، لن يفي بحاجة لبنان الى الاموال فى الفترة الراهنة خاصة وأن الحكومة ترى نفسها عاجزة عن انجاز ١/٤ المشاريع التى وعدت بتنفيذها (٣٩) ، وربما لهذا السبب أبقت الحكومة اللبنانية باب المفاوضات

---

(٣٨) التطورات الاقتصادية فى البــلاد العربية ، خلال النصف الثانى من سنة ١٩٦٤ . التقرير الاقتصادى العـربى (يونية ١٩٦٥) .
(٣٩) الحرية . الوضع المالى للبنان ـ ٣٠ كانون الثانى سنة ١٩٦٧ .

مفتوحا مع الولايات المتحدة الامريكية برغم قسوة شروط واشنطون .

السعودية و « الايمان بالاقتصاد الحر »

اما السعودية فلا تحتاج لمزيد من ايضاح دورها بازاء خدمة المخططات السياسية والاقتصادية التى يسعى اليها الاستعمار الغربى فى بلادنا ، قديمه وحديثه، وذلك ليس بمستغرب اذا كانت الشركات الاحتكارية الامريكية تسيطر سيطرة تامة على انتاج البترول السعودى نفسه .

وتعمل «سعودية فيصل» و «تونس بورقيبة» اللتين يجمعهما العداء الشديد ضد الحركة الثورية العربية والتحول الاشتراكى على تنسيق جهودهما الاقتصادية معا . وقد عقدنا فى ١٩٦٥/١/١٦ مثلا اتفاقية لتسهيل التبادل التجارى بينهما خضعت بموجبها بعض المنتجات المستوردة من البلدين الى تخفيضات جمركية واضحة ، اتفق الطرفان ايضا على تسهيل تجارة الترانزيت الذى يمر ببلديهما بكافة وسائل النقل .

الجنوب العربى والمؤامرة ضد عروبة الخليج

وفى عدن والجنوب العربى يعمل البنك البريطانى للشرق الاوسط ، وشارترويك ، وايسترن بنك وحبيب بنك (باكستانى) ، وبنك الهند (بومباى) وناشيونال وجرنين لأى بنك (بريطانى) . ولما كانت احتياطيات البترول فى جنوب شرقى الجزيرة العربيه وامارات الخليج الفارسى تبلغ ٤٠٪ من كل احتياطيات البترول فى الشرق الاوسط ، مع قيامها حتى وقت قريب بانتاج نصف بترول الشرق العربى كله (٤٠) . فان كل ذلك يمكن ان يفسر لنا سر الاصرار العدوان البريطانى فيما يتعلق بتنفيذ مخططهم عن اتحاد الجنوب العربى ، ومؤامراتهم ضد عروبة الخليج الفارسى .

ليس ذلك فحسب ، بل أن احتكارات البترول الامريكية والبريطانية تتنافس على مناطق التنقيب عن البترول على ساحل الخليج العربى، وفى جنوب الجزيرة . والاحتكارات البترولية البريطانية هى فى الحقيقة التى تدفع بريطانيا لاستخدام مختلف الاساليب للاحتفاظ بهذه المنطقة فى اطار التبعية الاستعمارية لاطول فترة ممكنة . كما أن اتحاد الجنوب العربى الذى أقامته بريطانيا يلتزم بكافة الاتفاقات مع تلك الشركات والتى منحت بموجبها سلطات غير محدودة فى تلك المناطق .

ومما هو جدير بالذكر أن النشاط الاقتصادى فى البحرين ، تكاد تسيطر عليه ٤ بنوك اجنبية معظمها بريطانية ، وكذلك ١٦ شركة للتأمين كلها بريطانية أيضا . وبريطانيا هى الدولة الاولى المصدرة الى البحرين ، والولايات المتحدة هى الثانية ، واليابان الثالثة . كذلك فان امتياز «شركة نفط البحرين (بابكو) » وهى التى تقوم باستثمار نفط البحرين باعتبارها أحد فروع مجموعة «كالتكس» ، هذا الامتياز لن ينتهى حسب العقد الا سنة ٢٠٢٤ .

كذلك نظرا لان الاستثمارات البريطانية فى اعمال استغلال النفط والمعادن الاخرى تقدر بنحو ٤٠٪ من مجموع أسهم الشركات العاملة فى الخليج وهى توازى تقريبا نسبة الاسهم الامريكية ، لذا تضع بريطانيا فى عملها السياسى هناك ، هذه المصلحة الاقتصادية نصب عينيها، وهى تتبع اليوم سياسة جديدة تقوم على تشجيع الهجرة الايرانية ، على عكس موقفها سنة ١٩٥١ عندما ايدت عروبة البحرين ضد الادعاءات الايرانية، أيام كانت بريطانيا فى صراع مع حكومة مصدق الوطنية التى شرعت فى تأميم صناعة النفط فى ايران حينذاك .

السودان

وفى السودان حيث يعمل بنك باركليز والبنك العثمانى وبنك اثيوبيا التجارى وغيرها من البنوك والبيوتات المالية الاجنبية .فلا تزال قاعدة الانتاج التى يعتمد عليها الدخل القومى بشكل رئيسى ، هى الزراعة وتوابعها ، حيث يعمل فيها ٨٢٪ من سكان البلاد ، وتشكل منتجاتها صادرات البلاد الرئيسية فى التجارة الخارجية ، والحقيقة انه اذا كان السودان يعانى من أزمة تسويق حاليا ، فذلك يرجع الى الخط الاقتصادى الذى يريد الاستعماريون الجدد وعملائهم الا يحيد عنه السودان خط عدم التخطيط المؤدى للهزات المتلاحقة ، خط ارتباط السودان بالأسواق الراسمالية العالمية ويضاعف من أزمة تسويق الحاصلات الزراعية عملية النهب المتواصلة التى تتم خلال عملية التصدير وتمويله ، وذلك بسبب سيطرة الشركات والبنوك والبيوتات المالية الاجنبية على هذه العمليات . والحقيقة أن السيطرة الاجنبية على مصادر التمويل

(٤٠) ركائز الاستعمار فى العالم العربى

فى السودان توجه تجارته الخارجية لغير منفعته. فالعجز الملازم للميزان التجارى ليس أمرا عفويا ، اذ ان بريطانيا تشكل عاملا أساسيا فى هذا الاختلال وهى تحتل المركز الاول فى قائمة الواردات السودانية وفى عام ١٩٦٥ على سبيل المثال اشترت بريطانيا من السودان بما قيمته ٣٥٦ر٤ر٠٠٠ جنيه وباعت له بما قيمته ٥٩٨ر١٥ر٠٠٠ مليون جنيه، وبذا اصبح العجز فى الميزان التجارى السودانى معها هو ٢٤٢ر١١ر٠٠٠ جنيه .

هذا وقد ادى الاقتصاد لخطة انتاجية والتوسع انتاجيا بشكل عفوى الى الوقوع فى مآزق مالية دفعت بالسودان ليمد يده الى « العون » الاجنبى طعم الاستعمار الجديد، حتى بلغت ديونه حاليا أكثر من ٩٥ مليون جنيه ، كما بلغ العجز العام الناتج عن ميزانية الانشاء والتعمير ٤٠ مليون جنيه ، ومما له دلالته بالنسبة لتطور السودان المقبل أن الحكومة السودانية أعلنت أنها ستغطى هذا العجز ،اعتمادا على القروض الاجنبية بنسبة عالية. وعلى فوائض المؤسسات شبه الحكومية والقروض فى النظام المصرفى المحلى . والحقيقة أن النتيجة المترتبة عن ذلك لن تكون سوى سير السودان بخطوات أوسع نحو التبعية الاجنبية والتحكم الاجنبى واستنزاف قوى الشعب السودانى الانتاجية ، لمصلحـــة المؤسسات المالية الغربية — اصولا وفوائد للقروض

محاولة ضرب مشروع الجزيرة

وربما كان من أبرز الامثلة على النوايا التى يبيتها المستعمرون الجدد لاى ظاهرة تقدمية تبـــرز فى اقتصاديات البلاد العربية ، هو موقف البنك الدولى من مشروع الجزيرة فى السودان .

فاذا كان معروفا ان القطاع الزراعى فى السودان كان ولايزال يمثل رأس الرمح فى جميع عمليات التوسع الاقتصادى هناك . فان مشروع الجزيرة يعتبر السلسلة الفقرية للقطاع العام الزراعى ،ودعامة هامة لاقتصاد السودان . فهذا المشروع يقوم بدور هام بالنسبة لقطاعات الانتاج الاخرى كما أن له تأثير هام على الميزان التجارى وحركة التعمير وموارد الاستثمار . واذا كان القطن يقوم بالدور الرئيسى فى البناء الاقتصادى باجمعه ، فأن المساحة المزروعة قطنا بمشروع الجزيرة تمثل حوالى نصف أجمالى المساحة المزروعة قطنا فى جميع أنحـــاء السودان . كذلك يفضل دخل هذا المشروع على مديرية النيل الازرق وصل الدخل الفردى هناك الى ٤٢ جنيها بالمقارنة مع ٣٠ — ٣١ جنيها على نطاق السودان كله . كذلك قفزت أرباح الحكومة السودانية خلال الـ ٥ السنوات الاولى التى اعقبت تأميمه فى سنة ١٩٥٠ الى ٥٣ مليون جنيه .

الا أن ما لوحظ اخيرا من ذبذبة فى متوسط انتاج الفدان ، وانخفاض العائد النقدى من عملية الانتاج وخاصة القطن ، شكل فرصة ذهبية لخبراء المعونة الامريكية والبنك الدولى للانقضاض بهجومهم على المحتوى التقدمى لشكل ملكية الارض فى مشروع الجزيره . والحقيقة ان خبراء المعونه الامريكية قد قدموا انتقادات من قبل لهذا المشروع اثناء حكم **ابراهيم عبود** ، اما الانتقادات التى احتدمت فى تقرير البنك الدولى ، فقد قدمت اخيرا الى الحكومـــة السودانية .

وقد انصب الهجوم منذ البداية على طابع القطاع العام الذى يتسم به المشروع وعلى شكل ملكية الارض المعمول بها ، وعلى نظام الشراكة السائد ، والشىء الملفت للنظر ، هو توارد الخواطر الذى لم يحدث بالصدفة بين خبراء المعونة الامريكية ، وبعثة البنك الدولى فى الاراء التى قدموها .

فبالنسبة لملكية الارض ، أوضح البنك أن عدم خضوع سعرها لتقلبات السوق ، يعوق الانتاج ويؤثر على حوافز زيادته. واقترح أن يكون للمزارع حق ثابت فى «الحواشة» له مطلق الاختيار فى بيعه بواسطة السلطة المركزية .

وهذا الشكل وهو مايعرف بالطريق الامريكى فى التنمية الزراعية ، رغم نجاحه فى أطار الاقتصاد الرأسمالى الغربى ، الا أنه لايلائم ظروف السودان المتخلف ، اذ قد يعرض ملكية الارض للتفتيت ، ولمؤثرات السوق السوداء . والحقيقة ان النية المبيتة وراء هذا الاقتراح تنطـــوى على تحطيم معوجات القطاع العام (٤١) .

وما طالب به البنك أيضا ، هو أن يترك للمزارع حرية اختيار المحصول الذى ينوى زراعته ، والعيب الرئيسى لهذا الاقتراح ، هو ترك زراعة محصول نقدى اساسى لرغبة المزارع وبالتالى اضـــعاف الاعتماد عليه كمورد للعملة الصعبة ، وهو اجراء يهدد الكيان الاقتصادى للبلاد .

والحقيقة التى لاحظها احد كبار المراقبـــين الاقتصاديين فى السودان ان انخفاض الانتاجية وضعف حوافز الانتاج ، لايمكن أن يلصقا بمسألة

(٤١) مجلة اخبار الاسبوع السودانية .

الملكية العامة للارض، لان كثيرا من المشاريع الخاصة هناك تعانى من نفس الظواهر الاقتصادية .

أن أسباب التدهور الحقيقية التى يحاول الاستعماريون الجدد وخبرائهم ، أن يغضوا الطرف عنها عامدين ، هى ميل سعر القطن العالمى نحو الانخفاض ، وهى ظاهرة ليس من الممكن محليا فى السودان ، التحكم فيها حتى ولو استطاع رفع مستوى الانتاجية ، وهذا الوضع الخاص بالقطن وثيق الصلة بالوضع العام — عالميا — حيث تأخذ أسعار المواد الخام فى الانخفاض وأسعار المواد المصنوعة فى الارتفاع .

ويتفاعل مع هذا السبب ايضا ، ارتفاع تكاليف الانتاج بوجه عام ، ويلاحظ هنا دور الشركات الاجنبية ، وعدم تحديد نسبة أرباحها ، خاصة التى تلعب دور الوسيط فى استيراد المواد والمعدات الخاصة بالانتاج الزراعى . كذلك من العوامل المؤثرة ، سوء تسويق المحاصيل النقدية وتعدد الوسطاء وضعف أجهزة الدولة فى السيطرة على موارد الريع والحيلولة دون تسربها الى الخارج .

والنتائج المباشرة لكل تلك العوامل : هى انخفاض نسبة الربح من عام لاخر ، وبالتالى انخفاض المردود النقدى ، وتجدر الاشارة هنا ، الى انه حتى نسبة الربح المتحصل عليها ، تتعرض لنهب الشركات الاجنبية فى عمليات (التأمين — الرش — البترول — الآلات — التلاعب فى الاسعار الخ) وتستخلص من كل ذلك حقيقة هامة هى أن وضع التبعية الاقتصادية الذى يرزح تحته الاقتصاد السودانى يمثل الفصل المباشر فى اضعاف حوافز الانتاج وفى تدهور الوضع الزراعى والاقتصادى عامة .

وبعد ..

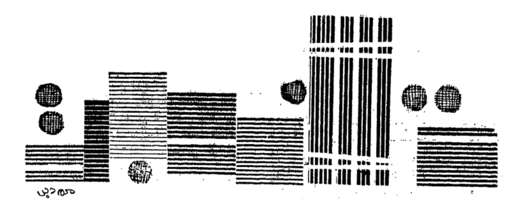
فان الدول العربية الثورية المتحررة كالجمهورية العربية المتحدة والجزائر وسوريا ، والعراق الذى يواكب ركب التحرر، كلها تعانى من النتائج المترتبة من عمل قوى الاستعمار الجديد فى الحقل الاقتصادى العالمى . وجميع النتائج المترتبة عن العلاقات غير المتكافئة فى مجال التبادل الدولى ، تعانى هذه الدول أيضا من ويلاتها بالنسبة لمحاصيلها الزراعية وخاماتها الاساسية

على انه ينبغى الا تعتبر اية قروض يمكن لهذه البلاد المتحررة ان تحصل عليها من الغرب تؤدى بشكل ميكانيكى الى خضوعها للاستعمار الجديد . ذلك ان العلاقات الاقتصادية مع الاستعمار ليست فقط احادية الجانب ، وانما هى علاقة ثنائية بين الدولة التى تعطى وتلك التى تأخذ . فاذا كانت الدولة التى تتلقى « المساعدات » قوية بحيث تستطيع ان تستوعب هذه المساعدات دون أن تتأثر بها حريتها السياسية ودون أن يكون لها أثر فى أتخاذ قراراتها أو فى اتجاهاتها الاقتصادية والاجتماعية ، فليس بوسع المستعمرين الجدد أن يجروها ثانية لركب التبعية لهم . ذلك انه على قدر اليقظة والوعى والتماسك فى الاقتصاد الوطنى ، يكون نجاح المقاومة المبذولة ضد نوايا الاستعمار الجديد . وعلى العكس من ذلك ، اذا كانت الدولة ضعيفة ذات اقتصاد مخلخل مفكك ، فأن ضعفها يجعلها عرضة لفقدان حريتها السياسية ، ويسهل بالتالى قيادها لركب التبعية من جديد .

الا أنه ستقع فى الحالتين ، وسواء كانت الدولة ضعيفة أو قوية ، مغارم مالية وأعباء اقتصادية على عاتق الشعوب الفقيرة ، وذلك بسبب الارتفاع المتزايد عالميا لنسبة فوائد «القروض» الأجنبية بسبب تحكم قوى الاستعمار الجديد فى الاسواق المالية العالمية واستغلال مركزها المالى المتفوق .

ان معركة الشعوب العربية ضد الاستعمار الجديد انما تحتاج اكثر من أى وقت مضى ، الى توحيد جهودنا الكفاحية وقوانا مع سائر الشعوب الاخرى فى البلاد النامية ، التى تقع مثلنا فريسة للنهب الاستعمارى وللضغط الغربى الاقتصادى . ذلك أن معركة عدم التكافؤ الاقتصادى ، انما هى معركة عالمية فى جوهرها ولا يمكن لشعب واحد ، أو لمنطقة واحدة ، مهما أوتيت من ثورية ويقظة أن تدعى قدرتها منفردة ، على تغيير ميزان القوى الاقتصادى العالمى . لانه بدون ذلك التوحيد العالمى المنتظر للشعوب النامية — أيا كانت اشكال التوحيد لايمكن لهم اجبار عدوهم المشترك على الرضوخ لمنطق العدل فى العلاقات الاقتصادية العالمية .

أن المعركة ضد الاستعمار الجديد ، هى آخر معركة يخوضها النظام الاستعمارى برمته على أرضنا العربية ، وهى أكثر ضراوة بما لايقاس مع المعركة السابقة المكشوفة ضد قوى الاستعمار القديم ، لان الكفاح الحالى هو فى الحقيقة ، كفاح ضد قوى استغلالية أكثر تسترا ، وضد عدو أكثر خفاء ، وذلك يلقى فى الواقع ، مسئوليات كبرى على عاتق القيادات الثورية الطبيعية للشعوب العربية التى ستسهم بانتصارها العربى فى تلك المعركة اسهاما له اهميته، فى الانتصار الانسانى العام، الذى سيفتح طريقا للبشرية جديدا ، تسوده علاقات النفع المتبادل والتعاون المنزه عن الغرض ، لا الاخلاقيات الجشعة للاستعمار الجديد فى الاستغلال والنهب الدوليين .



اتفاقية الوحدة الاقتصادية العربية .. واقعها .. انجازاتها .. وآفاقها

من واقع احتكاكه المباشر بالمشاكل العملية للتنسيق والتعاون الاقتصادى فى اطار الوطن العربى ، يقدم الدكتور عبد المنعم البنا — أمين عام مجلس الوحدة الاقتصادية العربية — عرضاً وتقييماً للنشاط فى هذا المجال الحيوى من العمل العربى الموحد .

د . عبد المنعم البنا

التعاون

الاقتصادى العربى جزء لا يتجزأ من التعاون العربى الشامل . فلقد نص ميثاق جامعة الدول العربية ، ان من أغراض الجامعة تعاون الدول المشتركة فيها تعاونا وثيقا فى الشئون الاقتصادية والمالية ، بما فى ذلك التبادل التجارى ، وشئون الزراعة والصناعة وغيرها من الحقول الاقتصادية ، كما نصت معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادى بين دول الجامعة العربية ، انه استكمالا ولاغراض المعاهدة المذكورة ، وما ترمى اليه من اشاعة الطمأنينة وتوفير الرفاهية فى البلاد العربية ورفع مستوى المعيشة فيها ، تتعاون الدول العربية الاعضاء على النهوض باقتصاديات بلادها ، واستثمار مرافقها الطبيعية ، وتسهيل تبادل منتجاتها الوطنية الزراعية والصناعية ، وبوجه عام على تنظيم نشاطها الاقتصادى وتنسيقه وابرام الاتفاقيات التى تحقق هذه الاهداف .

وكان من مظاهر عناية جامعة الدول العربية بالامور الاقتصادية ان انشىء المجلس الاقتصادى العربى كجهاز يعكف على أمور التعاون العربى فى المجال الاقتصادى .

وواقع الامر ان التعاون الاقتصادى والتعاون السياسى صنوان متلازمان يكمل كل منهما الاخر ويزيد من فعاليته ، ويجب ان نضع هذه الحقيقة

نصب أعيننا دائما ان أردنا تحقيق الاهداف التى ينص عليها ميثاق الجامعة ، وتنفيذ المبادىء التى قررتها مؤتمرات القمة العربية . ولهذا يجب ان يصير الاهتمام بالامور الاقتصادية على نفس المستوى الذى نوليه للامور السياسية .

وجدير بالذكر ان البلاد العربية قد بدأت محاولات التعاون الاقتصادى فى مختلف مجالاته مبكرة على كثير من المناطق الاخرى النامى منها والمتقدم . اذ بدأت هذه المحاولات منذ سنة ١٩٥٣ بعقد اتفاقية تسهيل التبادل التجارى وتنظيم تجارة الترانزيت ، وتستهدف معاملة المنتجات العربية عند تداولها بين البلاد الاعضاء معاملة تفضيلية وذلك بوضع جداول للاعفاء او التخفيض الجمركى . وقد ادخلت تعديلات على هذه الاتفاقية بمقتضاها ادرجت جداول جديدة للتخفيض الجمركى ، وأدخلت سلع جديدة فى بعض الجداول ، ونقلت سلع اخرى من جدول لآخر بحيث تتمتع بتخفيض أكبر . كما عقدت أتفاقية تسديد مدفوعات المعاملات الجارية وانتقال رؤوس الاموال بين دول الجامعة العربية ، تتلخص اهدافها فى تسهيل عمليات تحويل العملات المستحقة عن تداول البضائع وكذلك الخدمات الاخرى كالسياحة ونفقات التأمين والخدمات الاخرى . وكذلك قرر المجلس الاقتصادى انشاء مؤسسة مالية عربية للانماء الاقتصادى للمساهمة فى النهضة الاقتصادية فى البلاد العربية سواء بالاقراض او بالمساهمة المباشرة او الضمان . وكذلك وافق المجلس الاقتصادى العربى على مشروعات أخرى فى مجال التعاون الاقتصادى العربى من أهمها مشروع مؤسسة الخطوط الجوية العربية العالمية لتنسيق الخدمات الجوية بين الدول الاعضاء ، ومشروع الشركة العربية للملاحة العربية للقيام بعمليات الملاحة والنقل للاشخاص والبضائع برا وبحرا ، ومشروع الشركة العربية المشتركة للانشاءات لاعداد وتصميم وتنفيذ المشروعات الانشائية الكبرى بالبلاد الافريقية والاسيوية ، ومشروع الشركة العربية المشتركة للتجارة الخارجية وذلك للاتجار المشترك خاصة مع البلاد النامية فى أفريقيا .

وفى مجال البترول وافق المجلس الاقتصادى على اتفاقية لتنسيق السياسة البترولية بين الدول العربية يكفل احسن استغلال للموارد البترولية فى أراضيها وتحسين ظروف العمل فى صناعة البترول العربية ، وضمان تعاون وثيق بين حكومات الدول العربية فى هذا المجال . كما أوصت مؤتمرات البترول العربية بتوصيات هامة فى هذا الشأن من أهمها انشاء شركة عربية لناقلات البترول .

هذه الاتفاقيات أو مشروعات الاتفاقيات تعتبر محاولات من جانب البلاد العربية لتحقيق التعاون الاقتصادى فيما بينها .

النواقص

الا أننا اذا تطرقنا الى بحث الجانب التنفيذى فى هذه المشروعات يتضح انه بالرغم من مرور سنوات عدة على بعضها فانها تتصف بعدم الشمول ، **اذ أن كثيرا من البلاد الاعضاء لم توقع أولم تصدق عليها ، وحتى المنفذ من هذه الاتفاقيات رسميا تعتبر معطلة من وجهة فعلية** نظرا للتحفظات المختلفة التى تتحفظ بها مختلف الدول على بعض بنودها . ولقد ادت هذه الصعوبات الى قصور هذه المحاولات عن تحقيق الاهداف المنشودة من التعاون العربى الوثيق فى مختلف المجالات . وليس ادل على هذا من ان حجم التجارة بين البلاد العربية لايزال يمثل نسبة ضئيلة من حجم تجارتها العالمية على الرغم من مرور نحو أربعة عشر عاما على اتفاقية تسهيل التبادل التجارى وتنظيم تجارة الترانزيت .

ولقد كان من المتوقع — بعد هذه السنوات — ان تؤدى مختلف المحاولات للتعاون الاقتصادى العربى فى مختلف المجالات التجارية والاستثمارية الى تكامل اقتصادى عربى متين الدعائم ، الا ان النتيجة المرجوة هذه لم تتحقق . وذلك نظرا لصعوبات عملية ، تتعلق فى المحل الاول بموضوع التنسيق الاقتصادى الواجب اجراؤها بما يكفل التغلب على الصعوبات ، وبما يضمن ازالة التحفظات .

اتفاقية الوحدة الاقتصادية

ومن هنا تبرز اهمية اتفاقية الوحدة الاقتصادية العربية وما أنبثق عنها من قرار انشاء السوق العربية المشتركة . ولنستعرض باختصار اهم مظاهر هذه الاتفاقية من زاوية دعم الاقتصاد العربى وتكامله وتحقيق الاهداف الاقتصادية التى نص عليها ميثاق الجامعة ، ومبادىء التعاون الاقتصادى العربى كما قررته مؤتمرات القمة العربية .

اولا : تعتبر الاتفاقية خططا عاما للتعاون الاقتصادى العربى يكفل الترابط الواجب بين مختلف مظاهر هذا التعاون ، ذلك الترابط الذى

بدونه قد يتعثر تحقيق التعاون فى مجال معين اذا ما أهملت المجالات الاخرى ولن تسير جنبا الى جنب مع بعضها البعض . ومن اهم مظاهر هذا المخطط أيضا ان رسمت مراحل التعاون فى اطاره على اساس واقعى عملى تنفذ فى اجل مرسوم مع كفالة المرونة الواجبة فى الحقل الاقتصادى .

ثانيا : فى حين ان الاتفاقية تنص على تحقيق الاهداف باقصى مايمكن من السرعة ، فانها راعت التدرج الواجب فى رسم المراحل بما يكفل التنفيذ المجدى الفعال ، وبحيث لايتم الانتقال من مرحلة الى المرحلة التى تليها الا بعد تنفيذ وتحقيق الامور المتعلقة بالمرحلة الاولى .

ثالثا : راعت الاتفاقية نصا وروحا الظروف المحلية الخاصة بكل بلد عربى ، كما راعت الظروف العملية المتعلقة بالتطبيق . ولهذا نصت ، فيما نصت ، على جواز الاستثناءات من الاجراءات المتخذة حماية لصناعة محلية ناشئة أو لمورد مالى هام ، أو لحماية صالح اقتصادى اعلى . وهذا المظهر فى الاتفاقية من الاهمية بمكان ، لان الاتفاقية انما تستهدف النفع المتبادل للاعضاء جميعا ولا تؤدى الى احاقة ضرر بعضو ما بل على العكس من ذلك تؤدى الى تدعيم اقتصاده وتمكينه من التنمية والى النفع العربى الاشمل .

رابعا : لاتتعارض الاتفاقية مع السيادة الاقتصادية المكفولة لكل عضو على موارده الاقتصادية وتعتبر بمثابة تعاون اقتصادى وتجارى على اساس الاحترام المتبادل لحق السيادة هذا .

خامسا : لاتتعارض الاتفاقية ايضا مع اختلاف النظم التجارية والاقتصادية للبلاد الاعضاء ، ذلك لان التنسيق الاقتصادى فى مختلف المجالات والذى تنص عليه الاتفاقية ، وما يؤدى اليه هذا التنسيق من زيادة حجم التبادل التجارى وترابط اقتصاديات الدول الاعضاء ، لايمنع من تعامل مؤسسة عامة مع مؤسسة مختلطة أو مع مؤسسة خاصة سواء كانت هذه المؤسسات فى بلد واحد أو فى بلاد مختلفة . وجدير بالذكر أننا رأينا اتجاها فى الاعوام الاخيرة لامكانيات التعاون بين بلاد ذات نظم اقتصادية مختلفة لاتربطها صلة ، كما رأينا بلادا ذات نظم اقتصادية مختلفة تتعامل فى اطار اتفاقيات دولية لتسهيل التبادل التجارى كالاتفاقية العامة للتعريفات والتجارة (الجات) . ولا شك أن هذه الامكانيات أكبر مدى وأوسع بين بلاد تربطها صلات اقوى ويجرى التنسيق بين اقتصادياتها فى مختلف الامور .

سادسا : تستلزم الاتفاقية ، تحقيقا للتطبيق العملى ، وتيسيرا للتكامل الاقتصادى المنشود ، وفى حدود المصالح القومية السالف ذكرها ، اجراء توحيد فى بعض التشريعات الاقتصادية والمالية حيث يتيسر التوحيد ، واجراء التنسيق فى امور اخرى ، ذلك التنسيق الذى يكفل فعاليتها من جهة واستغلال الموارد المعطلة فى البلاد العربية من جهة اخرى .

سابعا : لاتتعارض الاتفاقية كذلك مع أية ترتيبات تجارية واقتصادية بين بلدين عربيين أو أكثر وتمثل مرحلة أقوى من مراحل التعاون الاقتصادى عن أية مرحلة جارية لاتفاقية الوحدة الاقتصادية والسوق العربية المشتركة . ومثل ذلك اتفاقية التكامل الاقتصادى بين الجمهورية العراقية والجمهورية العربية المتحدة ، أو الترتيبات الاقتصادية المعقودة بين دول المغرب العربى .

ثامنا : فى اطار الاتفاقية يمكن أيضا لكل بلد عضو ان يحتفظ بمصالحه الاقتصادية الاساسية مع بلاد ثالثة أو باقامة ترتيبات تجارية مع تكتلات اقتصادية اخرى بما لايتعارض مع التعاون الاقتصادى العربى ، كما تبين لى من الاتصالات الاولية التى قمت بها فى هذا الشأن بتكليف من مجلس الوحدة الاقتصادية العربية . وجدير بالذكر فى هذا الصدد ان اللجنة التى شكلتها منظمة الجات (الاتفاقية العامة للتعريفات والتجارة) لبحث مدى توافق اتفاقية الوحدة والسوق العربية المشتركة مع قانون المنظمة بما يكفل انضمام اى بلد عضو فى اتفاقية الوحدة ، قد رحبت بهذه الاتفاقية وبالترتيبات التى تكفل التكامل الاقتصادى العربى وأن أى بلد عضو فى اتفاقية الوحدة يمكنه ان ينضم الى اتفاقية الجات ، تلك الاتفاقية التى تطورت فى الاعوام الاخيرة تطورا من شأنه اعطاء مزايا خاصة للبلاد النامية . وقد جاء قرار اللجنة المذكورة على الرغم من محاولة عميلة الاستعمار اسرائيل وعملاء الصهيونية من التقليل من شأن اتفاقية الوحدة وحرمان اعضاء مجلس الوحدة من الحصول على اية مزايا تعطى للبلاد النامية من جانب المنظمات الدولية .

تاسعا : تعتبر اتفاقية الوحدة الاقتصادية بمثابة خطة للتنمية الاقتصادية العربية على أساس اقليمى وهو الاساس الواجب بالنسبة للبلاد النامية ، بل قد يكون هو الاساس الوحيد لتمكين البلاد العربية من استغلال مواردها العاطلة واقامة صناعات تكفل قيمة مضافة كبيرة الى دخولها القومية ، وتتيح فرصا للعمل المثمر المنتج امام سكانها ، وتكفل تصنيع مواردها الاولية وثرواتها

المدنية بما يحسن شروط تجارتها فى مجال التجارة الدولية . ويلاحظ فى هذا الشأن أن جميع البلاد العربية تقوم بتنفيذ خطط اقتصادية محلية ، أو شرعت فى تنفيذها ، او قامت برسمها وهى على وشك التنفيذ . ولا شك ان هذه الخطط تزداد فعاليتها ويزيد وزنها ويتسع نطاقها وتتاح فرص اكبر لتطبيقها لو حدث التنسيق الواجب بينها بما يضمن تنفيذها على اساس اقليمى . ولهذا فان اتفاقية الوحدة بما نصت عليه من تنسيق اقتصادى من الاهمية بمكان لتمكين الدول العربية من تنفيذ ماخططته من دعم اقتصادى قومى وماتستهدفه فى خططها من تنمية اقتصادية واجتماعية .

عاشرا : انبثق عن اتفاقية الوحدة الاقتصادية العربية **قرار السوق المشتركة** ، واود ان أبرز هنا ان الاتفاقية والقرار يكمل كل منهما الاخر ، لامن الزاوية القانونية البحتة فحسب ولكن كما تمليه الاعتبارات الاقتصادية العملية ايضا . ويمكن النظر الى اتفاقية الوحدة كما سبق بيانه على انها اتفاقية للتنمية الاقتصادية ، كما يمكن النظر الى قرار السوق العربية المشتركة على انه اتفاقية لتحرير التجارة . وأود ان أؤكد **انه لن تتيسر التنمية بغير تحرير التجارة ولن يتيسر تحرير التجارة بغير تنمية وتنسيق الخطط الاقتصادية** . فمن ناحية نجد ان التنمية الاقتصادية وقوامها التصنيع ، لن تتيسر الا بايجاد الاسواق امام منتجات الصناعات الناشئة والمزمع انشاؤها بنطاق اقتصادى يسمح بانتاج كبير لابد من تسويقه وكثيرا ماتكون السوق المحلية اضأل من أن تستوعب هذا الانتاج او لاتسمح الا باقامة صناعات للاستهلاك المحلى فقط لايكون لها الوزن الاقتصادى الذى يندفع بالتنمية الاقتصادية ويساهم مساهمة فعالة فى زيادة الدخل القومى . **ولهذا فان سوقا عربية فسيحة كما تكفله السوق العربية المشتركة، من اهم دعائم التنمية الاقتصادية فى البلاد العربية** . ومن ناحية اخرى فان تحرير التجارة من مختلف القيود بين البلاد العربية لن يتيسر الا اذا حدث التنسيق اللازم خاصة فيما يتعلق بهيكل التكلفة والاسعار بالنسبة لمختلف القطاعات والصناعات العربية حتى تسير التجارة ويزيد حجم التبادل التجارى . وهذا الاعتبار من الاهمية بمكان ، اذ ان الاهتمام بتحرير التجارة بدون اعطاء الاهمية الواجبة لشئون التنمية وتنسيقها بين البلاد العربية سيكون باستمرار صعوبة مزمنة تعترض سبيل التعاون الاقتصادى وتحرير التجارة ، كما دل على ذلك التطبيق العملى لاتفاقية تسهيل التبادل التجارى وتنظيم تجارة الترانزيت .

البلدان النامية والتكتلات الاقتصادية

تلك — باختصار — المظاهر الهامة لاتفاقية الوحدة الاقتصادية العربية التى تعتبر تكتلا اقتصاديا عربيا تزيد بمقتضاه درجة تكامل الاقتصاد العربى وتقل درجة التنافس فيه . وجدير بالذكر فى هذا الامر ، ان العالم يشهد منذ الحرب العالمية الثانية ، اتجاها قويا الى التكتل الاقتصادى حتى اصبح تكوين الاسواق المشتركة من اهم مظاهر الاقتصاد الدولى ومن اخطرها شأنا ومن ابعدها اثرا . ولم يقتصر هذا التكتل على البلاد المتقدمة الصناعية بل شمل أيضا فى مختلف انحاء العالم البلاد النامية، التى وجدت انه فى معترك التيارات الاقتصادية الدولية العارمة ، عليها ان تتعاون فى الحقل الاقتصادى والتجارى بما يعود عليها بالنفع المتبادل وييسر لها مقومات النهضة الاقتصادية ويوسع السوق امام منتجاتها ، ثم يجعلها اكثر قدرة على مجابهة اية اثار قد تنشأ عن التكتلات الاقتصادية القوية . ولقد جاء عقد المؤتمر العالمى للتجارة والتنمية تاكيد لهذا الامر ، بفضل تضامن البلاد النامية التى تعى الارتباط الوثيق بين مشاكل التجارة الخارجية وقضايا التنمية التى تجابهها ، عليها ان تنشىء تكتلات اقتصادية وتقيم اسواقا مشتركة فيما بينها حتى تتحسن شروط تجارتها مع العالم الخارجى وحتى تتيسر لها سبل التنمية وتتنوع اسواقها ويزيد حجم التجارة فيما بينها . **ولقد تبين فى المؤتمر ايضا ان تكوين الاسواق المشتركة بين البلاد النامية والتخطيط الاقتصادى فيها على اساس اقليمى من الاهمية بمكان بل قد يكون لازما لنهضتها الاقتصادية** وتجدر الاشارة ، فى هذا الشأن الى ان البلاد العربية ، كبلاد نامية قد قامت بدور رئيسى فى المؤتمر وما قام به من دراسات وما توصل اليه من قرارات بل ان رئيس المؤتمر ومقرره العام كانا من مواطنى البلاد العربية ويحق لنا على هذا الاساس ان نتوقع ان تكون البلاد العربية من اولى البلاد النامية التى تبادر الى تنفيذ مادعت له وما سعت اليه وما اوصت به فى مجال التعاون الاقتصادى .

وان كان هذا الاتجاه الى التكتل الاقتصادى مشاهدا بين البلاد المتقدمة الصناعية ، وان كان لازما للبلاد النامية ، فهى أكثر ضرورة بالنسبة لبلاد تربطها الصلات الطبيعية والتاريخية وتجمعها الاواصر العربية وتجابه عدوا مشتركا هى معه فى حالة حرب قد يكون من امضى اسلحتها السلاح الاقتصادى) ؟ ان التكامل الاقتصادى بين هذه البلاد ادعى اذن والزم .

وان دعم الاقتصاد العربي وتكامله كنتيجة لاتفاقية الوحدة الاقتصادية ، بجانب مايؤدي اليه من نهضة عربية شاملة ، سيساهم باوفر نصيب في النشاط الاقتصادي العالمي في اطار من التعاون الاقتصادي الدولي المبني على الاحترام المتبادل للسيادة الاقتصادية للشعوب وعلى النفع المتبادل ، لاعلى اساس الاستغلال . فنحن لاننشد من تكتلنا الاقتصادي اقتصادا عربيا مغلقا بل على العكس منذلك سيؤدي التوسع المطرد في الاقتصاد العربي وما يؤدي اليه من زيادة في الدخول القومية العربية ومن رفع لمستوى معيشة الشعب العربي ومن زيادة الاحتياج الى معدات التنمية الاقتصادية والتصنيع الى زيادة تعاملنا مع البلاد الاخرى والكتل الاقتصادية الاخرى . وليس معنى زيادة حجم التجارة بين البلاد العربية ، نقصا في حجم تجارة هذه البلاد مع العالم الخارجي بل يمكن ان يزيد هذا الحجم في الناحيتين مع كفالة نسبة متزايدة مطردة للتجارة بين البلاد العربية الى تجارتها الخارجية الكلية . ولهذا فان البلاد الاخرى يجب ان ترحب باتجاهنا نحو التكتل الاقتصادي وعزمنا الاكيدعلى تكوين سوقنا المشتركة اما الصهيوني والمستعمر فلانتوقع منهما الامقاومة لتعاوننا الاقتصادي ومحاربة لتكتلنا الشامل ، وتشكيكا مغرضا في امكانية الوحدة الاقتصادية العربية .

ولنستعرض الان اهم ماتم من انجازات في السوق العربية المشتركة :

التخطيط الجمركي بين البلاد الاعضاء : من أهم الامور التي تمت في هذا الشأن ، ما استقر عليه الراي من وجوب تحرير التجارة من كافة القيود الادارية التي تعرقلها ، ذلك لان الاعفاء والتخفيض الجمركي يصبح عديم الجدوى اذا صحبته القيود الادارية . وقد بلغت نسبة التحرر من هذه القيود حتى الان ٦٠٪ بالنسبة للسلع الزراعية و ٣٠٪ بالنسبة للسلع الصناعية

المعاملة التفضيلية : استقر الراى أيضا على تفضيل كل بلد عضو للاعضاء الاخرين في مجال التعامل التجاري ، وعلى ضوء الطاقة الانتاجية والتصديرية ، وكذلك احتياجات كل بلد عضو من مختلف الواردات. وتدرى مجلس الوحدة الاقتصادية في هذا الشأن — ان يشرع في اتخاذ الترتيبات اللازمة للتشاور الدوري بين غرف التجارة والمؤسسات التجارية العامة في البلاد الاعضاء حتى يتيسر تنفيذ مايتجه اليه المجلس من تطبيق هذه المعاملة التفضيلية . وجدير بالذكر أنه ثبت بالتجربة في الاسواق المشتركة الاخرى أن التخفيضات الجمركية والاعفاءات الادارية وحدها قد لاتؤدي الى زيادة ملموسة في حجم التجارة بين الدول الاعضاء الا اذا صحبتها تلك المعاملة التفضيلية الكمية في الاستيراد والتصدير .

الاستثناء من اجراءات التحرير التجاري . وهو حق لكل دولة عضو حماية لصناعة ناشئة او لمورد مالي هام ، ومن الخطوات الايجابية الهامة في هذا الشأن ما تم من الاتفاق على مبدأ الغاء الاستثناءات ، كما قد نقص عدد السلع المستثناة مما يزيد عنمائة الى ستةعشر سلعة فقط يجرى التشاور حاليا بشأن رفعها .

تيسير المدفوعات بين البلاد الاعضاء : أعد مشروع لاتحاد مدفوعات عربي يعتبر بمثابة غرفة مقاصة متعددة الاطراف بين البلاد الاعضاء وكصندوق لمنح تسهيلات ائتمانية قصيرة الاجل لمقابلة المديونية الناشئة عن المعاملات التجارية الجارية بينها . وهو مشروع من الاهمية بمكان نرجو اخراجه في القريب العاجل الى حيز التنفيذ ، اذ أن عدم توفر وسيلة الاداء قد يمثل صعوبة أساسية في زيادة حجم التعامل التجاري بين الاعضاء .

تنسيق الخطط الاقتصادية : يدرس المجلس ولجانه المختصة الامور المتعلقة بهذا التنسيق استهدافا لتحقيق التكامل الاقتصادي بين البلاد الاعضاء بما فيه النفع المتبادل ، ولما يؤدى اليه من دعم للصناعات ، ولما يتيحه من اسواق جديدة ولما ينتج عنه من استغلال موارد اقتصادية تزيد من الدخول القومية في البلاد الاعضاء . ويتركز الاهتمام الان على التنسيق الصناعي ، لما للصناعة من اهمية خاصة في خطط التنمية . وقد يرى مجلس الوحدة الاقتصادية في هذا الشأن ان يصير التشاور فيما يتعلق بالتنسيق الصناعي ، لا بالنسبة للقطاعات الصناعية في البلاد الاعضاء على وجه عام فحسب ، ولكن بالنسبة لصناعات رئيسية معينة لها وزنها الخاص كالصناعات البتروكيماوية والنسيج والاسمدة والسكر والفوسفات والاسمنت . وقد يرى المجلس ايضا المبادرة بدراسة الخطط الاقتصادية نفسها حتى يتوصل الى خطة اقليمية واضحة المعالم للوحدة الاقتصادية . وجدير بالذكر أيضا ان تركيز الاهتمام بقطاع الصناعة لايجب أن يؤدى الى عدم تناول قطاع الزراعة بالدراسة والاهتمام اللازم . اذ ان مجال التكامل بين البلاد الاعضاء في هذا القطاع هو مجال واسع .

التمهيد للوحدة الجمركية : تم وضع مشروع جمركي موحد تمت دراسته في اللجنة المختصة وارسل الى الدول الاعضاء لابداءملاحظاتها عليه

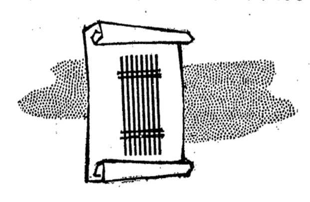
ويعتبر هذا المشروع خطوة رئيسية نحو قيام الوحدة الجمركية بين البلاد الاعضاء كما تنص عليها الاتفاقية ، والتى سيبدأ تنفيذها حسب المخطط المرسوم بعد عشر سنوات .

التشريعات العمالية وانتقال الاشخاص :
ووضع مشروع لتنسيق تشريعات العمل فى البلاد الاعضاء . كما ان من اهم الامور التى تمت فى هذا الامر وضع بطاقة شخصية موحدة للدول الاعضاء وافق المجلس على أن يبدأ العمل بها ابتداء من اكتوبر ١٩٦٨ ، وهناك اقتراح بتقديم الموعد عن هذا التاريخ ، وكذلك اعد تقرير عن قوانين التملك والايصاء والارث والتركات والضرائب والتنسيق فيما بينها اذ أن هذا التنسيق هدف آخر من اهداف اتفاقية الوحدة .

مجلس الوحدة فى المجال الاقتصادى الدولى :
اعترفت كل من منظمة الجات (الاتفاقية العامة للتعريفات والتجارة) ، ومؤتمر التجارة الدولى بمجلس الوحدة ككتلة اقتصادية عربية محدودة المعالم ، واضحة الاهداف ، وذلك على الرغم من مساعى الاستعمار واسرائيل لاحباط مسعى الامانة العامة فى هذا الشأن . وقد رحبت المنظمتان باتفاقية الوحدة الاقتصادية العربية وما انبثق عنها من سوق عربية مشتركة كتجربة كبيرة للدول النامية ، فيما يتعلق بتكاملها الاقتصادى ، وعزمها على تحقيق النهضة الاقتصادية فيها ورفع مستوى معيشة شعوبها . وفضلا عما فى هذا الاعتراف من اعلام دولى للمجلس وللبلاد العربية ، فان له أهمية مباشرة خاصة للمجلس . فاعتراف الجات يؤدى الى عدم التعارض بين عضوية بلد عربى فى المجلس وعضويته فى هذه المنظمة التى تمثل مجتمعا تجاريا عالميا كبيرا ، يمنح مزايا خاصة للبلاد النامية المنضمة اليه . كما أن اعتراف مؤتمر التجارة بالمجلس يتيح له الفرصة أن يشترك ايجابيا فى أعمال المؤتمر ومجلسه ولجانه ، التى من أهمها لجنة التكتلات الاقتصادية ، كما يقوى من وزن المجموعة العربية فى المؤتمر وفى مجموعة البلاد النامية السبعة وسبعين ، ويدعم جهد هذه البلاد النامية فيما تسعى اليه من علاج مشاكل اقتصادها الخارجى ولتحقيق الامن الاقتصادى لها فى معترك التيارات الاقتصادية الدولية العارمة . هذا وان اعتراف المنظمات الدولية بالمجلس يعطى له الحق أيضا فى طلب المعونات الفنية والاقتصادية ، التى تتيحها الامم المتحدة ووكالاتها المتخصصة للتكتلات النامية .

البحوث والدراسات : وهى من الاهمية بمكان ، اذ على ضوئها يجرى التشاور والنقاش فى المجلس ولجانه بالنسبة لمختلف الامور المتعلقة بالوحدة الاقتصادية والسوق العربية المشتركة ومن أهم الدراسات والبحوث التى تمت : بحث عن الهيكل التجارى الخارجى للبلاد الاعضاء مع بعضها البعض وعن العالم الخارجى ، ودرسات عن اقتصادات البلاد الاعضاء ، وعن التكتلات الاقتصادية وموقف المجلس منها ، وعن القيود الادارية ، فضلا عما قامت الامانة العامة بتقديمه من مذكرات مختلفة عن المواضيع التى تدرسها مختلف اللجان . هذا وقد قدم مجلس الوحدة بعض البحوث التى اثارت اهتماما خاصا فى مؤتمر التنمية الصناعية بالكويت وهى دراسات عن تنسيق الصناعة البتروكيماوية بين البلاد العربية ، وعن تنسيق صناعة السكر والورق ، وعن التوحيد الصناعى القياسى بين البلاد الاعضاء ، وعن هيكل موحد لمحاسبة التكاليف . مما يساعد على التخطيط لتنسيق الاقتصاد العربى على أسس علمية سليمة .

يتضح مما سبق أن اتفاقية الوحدة الاقتصادية العربية وما انبثق عنها من سوق عربية مشتركة وما تم من انجازات حتى الان على الرغم من مرور فترة قصيرة منذ انشائها ، تعتبر نواة طيبة لتعاون اقتصادى أعم واشمل ، خاصة اذا ما انضمت البلاد العربية الاخرى اليها ، كما أن الاتفاقية من الاهمية بمكان لا للنهضة الاقتصادية العربية الشاملة فحسب ، ولكن لدعم الكيان السياسى للكتلة العربية فى المجال الدولى أيضا .



التحديات التي تواجه قوى الثورة في المغرب



كاتبة هذا المقال فريدة النقاش قضت عشرة أيام في زيارة المغرب . ولقد اكتشفت الكاتبة ــ للوهلة الاولى ــ ان المغرب من اجمل بلاد الدنيا. وفوق ذلك فان هذه البلاد الرائعة حافلة بآثار التراث العربي المجيد .

لكن للصورة ــ مع ذلك ــ وجهــا آخر

لقد اكتشفت الكاتبة ــ للوهلة الاولى ايضا ــ أن « وراء نظرات الناس يلمع حزن اسطوري » . ولاحظت في تنقلاتها أن الشوارع تموج بآلاف المتعطلين ، وتزدحم أرصفتها باطفال ونسوة يتجسد فيهم البؤس . وفي الشوارع ايضا تنتشر عربات الامن الوطني بكيفية ملفتة للنظر لكن ثمة عربات كثيرة أيضا تحمل لافتات حمراء وأرقاما خاصة بالقاعدة الامريكية!

هذا الحزن وهذه المظاهر هي التي حدت بالكاتبة الى أن تشرع اثناء زيارتها في التعرف على الملامح الرئيسية للاوضاع السائدة في هذا البلد العربي وان تقدم للطليعة هذا المقال .

فريدة النقاش

ليست هــذه المظاهر الناطقة المعبرة الا انعكاسا صارخا للواقع الاقتصادي والاجتماعي في المغرب الذي يحكمه اعتماد المغرب الاساسي على الزراعة كمعظم الدول النامية،ولعل توزيع الارض في المغرب ان يرسم لنا الجانب الاساسي من الخريطة الطبقية.

تصل مساحة الاراضي المزروعة في كل عام الى ٥ر٥ مليون هكتار وتتوزع الملكية بين ٥ر٩ مليون فلاح كما يلي :

٣٣٪ من الاسر الفلاحية لاتملك اى شيء

٢٧٪ يملكون اقل من هكتار

١٢٪ يملكون اقل من هكتارين

٤ ٪ يملكون اقل من اربع هكتارات

٢ ٪ يملكون من ١٠ الى عشرين هكتارا .

بالاضافة الى الف عائلة تملك كل منها اكثر من ٢٠ هكتارا ، وتملك العائلة المالكة وحدها ما يزيد على ١٢٠ الف هكتار ومن هنا يتضح لنا ان ٧٢٪ من العائلات المغربية التى تعيش على الفلاحة لا تملك هكتارين من الارض وهم يعيشون على زراعة الشعير والقمح ، ويصل الدخل النقدى للفلاح تبعا لذلك من ١٢ــ١٦ دولارفى السنةالى جانب الاستهلاك الذاتى الذى يتحصل عليه من منتوج الارض .

ويحتكر ملكية الاراضى الخصبة وذات الانتاجية العالية والمزروعة بطريقة عصرية والتى تصل الى مليون هكتار المعمرون الاجانب والاقطاعيون المغاربة وكبار رجال الدولة من قواد ووزراء .
ويملك المعمرون وحدهم ٦٠٠ الف هكتار ، اما الاراضى التى استردتها الدولة « فى اطار مشروع الاصلاح الفلاحى » والتى تصل الى ٤٠٠ الف هكتار فقد وزعت منها ٣٠ الفا على الفلاحين ، اما بقية الارض فقد آلت الى الموظفين الكبار والعمد .

ويعيش الفلاح فى حالة بؤس وفاقة تامة وخاصة بعد رفع اسعار المواد الاستهلاكية مثل السكر والشاى والزيت ، ولان محصول ٦٥ ــ ٦٦ كان ضعيفا جدا بسبب قلة الامطار فوصلت نسبة الانخفاض فى بعض الاحيان الى ٥٠٪

ويملك الاجانب وخاصة الفرنسيون ٨٠٪ من الصناعات الموجودة فى المغرب ، وتمثل رءوس الاموال هذه استنزافا مستمرا لامكانيات المغرب اذ انها تخرج ١٥٠ مليار فرنك من الارباح كل عام والتى تخرج بطريق رسمى الى جانب الاموال المهربة .

ورغم الامكانيات الهائلة للتصنيع فان الحكومة لا تهتم بوضع اى برنامج للصناعة الوطنية او لتأميم الصناعات الموجودة بالفعل .

وتعتمد التجارة فى المغرب على تصدير المواد الخام والاولية واستيراد المنتوجات الصناعية ثم اعادة الارباح المحصلة من كلتا العمليتين الى الخارج ، وتنقل ٩٠٪ من تجارة المغرب على بواخر اجنبية ويتكلف ذلك ١٢ مليار فرنك يؤدى بالعملات الاجنبية ، ويتصرف وسطاء التجارة الخارجين المرتبطين بشركات اجنبية فى فرنسا والمانيا فيما يقرب من ٤٠٠ مليار فرنك ، ٢٠٠ مليار للواردات و٢٠٠ مليار للصادرات ويتحصل هؤلاء على مايقرب من ٤٠ مليار فرنك من الارباح تنقل كلها الى الخارج سنويا .

وقد ارتفعت ميزانية النفقات العادية بالمغرب سنة ١٩٦٥ بنسبة ١٨٤٪ اذا قورنت بما كانت عليه سنة ١٩٥٥ بينما لم يرتفع الدخل القومى سوى بنسبة ٧٠٪ وتبلغ نسبة الاستثمارات ١١٪ وهى اقل نسبة فى العالم حتى بين الدول المتخلفة تبعا لاحصائيات الامم المتحدة .

ومع ان الانتاج التقليدى قد نقص فيما بين ٦٠ ــ ٦٤ بنسبة ١٠٪ ولم يتحقق اى نمو فى الدخل خلال ٦٤ فان زيادة السكان قد بلغت ١٥٪ خلال هذه الفترة ، ومعنى ذلك ان الدخل العام للاسرة المغربيه قد نقص بنسبة ٢٥٪ ، ويتجسد ذلك فى الصورة القاتمة التى تلون حياة الطبقات الكادحة فى الريف والمدن .

ونتيجة لهذا الانخفاض **الذى لا يوجد مثيل** له فى العالم شهد المغرب انخفاضا فى نفقات الاستهلاك العادى وخاصة استهلاك المنتوجات الجوهرية وذلك رغم زيادة السكان التى تبلغ ٣ر٥٪ سنويا فانخفضت نسبة استهلاك السكر اكثر من ٩٪ سنة ٦٤ وانخفضت مبيعات الشاى بنسبة ١٥٪ ومبيعات الزيوت بنسبة ٢٥٪ وفى سنة ١٩٦٥ انخفضت مبيعات السكر عن السنة السابقة بنسبة ٣ر١٣٪ والشاى بنسبة ١٠٪ .

ويتوزع الدخل بين القوى الموجودة فى المغرب كما يلى :

● يعيش ٩ر٥ مليون من سكان البوادى على اقل من ٢٠ ٪ من الدخل القومى .

● يعيش ٣ر٥ مليون من سكان المدن «عمال ــ تجار صغار ــ موظفون ــ صناع تقليديون ــ عاطلون» على ٢٥٪ من الدخل القومى .

● اما ٥٥٪ الباقية من الدخل فتعود على الطبقات الكبيرة المالكة للصناعة والزراعة والتجارة والاقطاعيات الكبيرة وجهاز الدولة .

وهذا يعنى ان ٠٠٠ر٢٠٠ر١٢ نسمة اى الشعب الكادح بمجموعه تستهلك سنويا ٥٢٧ مليار فرنك من الدخل القومى .

بينما يستهلك ٦٧٠ الف نسمة من الاقطاعيين

والبورجوازيين ومن بينهم ٣٠٠٠ الف اجنبي ٦٤٣ مليار فرنك من الدخل القومي. وتتكرر هذه الصورة في كل المجالات الاقتصادية والاجتماعية، ففي افتتاح السنة الدراسية ٦٤ ـ ٦٥ وطبقا للاحصائيات الرسمية كان هناك مليونا ونصف مليون صبي ممن تتراوح اعمارهم بين ١٣ ـ ١٧ سنة لايجدون اماكنهم في المدارس . وكان ٧٥٪ من التلاميذ البالغين سن الدخول للتعليم الاعدادي اي ١٦٠ الف خريج من المدارس الابتدائية لم يجدوا اماكن خالية في المدارس الاعدادية وانضموا الى صفوف المشردين ، وان ١٠ ٪ فقط من الاطفال الذين بلغوا سن الدراسة الابتدائية هم وحدهم الذين وجدوا اماكن في المدارس بما فيه كتاتيب القرية .

ويعلن قرار للوزارة الوطنية للتعليم «ان الواقعية تفترض ان يسير التعليم في السنوات العشر القادمة وفق المخطط التالي :

١ ـ التراجع العملي في تعميم التعليم ، اي لايقبل في مجموع التعليم الابتدائي سنويا اكثر من ٣٦ الف طفل .

٢ ـ التضييق الشديد في دخول الثانوي .

٣ ـ التعليم العالي حلية وزينة لاحتمية له .

٤ ـ فرنسة التعليم والرجوع عن تعريبه لعدم توفر الاطارات .

ويبرر القرار هذه الخطة بالعجز المالي وعدم امكانية الزيادة في اعتمادات التعليم. ونتيجة للعجز المالي كذلك تتفشى الامراض والاوبئة لعدم وجود اي نوع من الرعاية الصحية للجماهير الكادحة التي لاتملك قوت يومها «فلكي ادخل المستشفى على أن اقدم اكثر من عشر وثائق لاثبت انني معدم ولاأملك شيئا » كما قال لي سائق فقير في مراكش .

وتتفشى البطالة بشكل مخيف وتجد تجسيدها الصارخ في مدن التصدير حيث تضيع طاقات بشرية هائلة ، ويتم تخريب نفس الانسان وجسده حين لايجد عملا او ماوى ، وفي الدار البيضاء وحدها يصل عدد العاطلين الى ٤٠٠ الف من بين عدد السكان البالغين مليونا ، ٣٠٠ الف نسمة ،ويستنتج من الاحصائيات الرسمية ان سكان الريف لايشتغلون الا ٨٠ يوما في السنة وان مستوى التشغيل الكامل لايتجاوز ٣٣٪ . ويصل عدد العاطلين في عموم المغرب الى مايزيد على مليون ونصف مليون عاطل بمافيهم الفلاحون الذين يفقدون ارضهم نتيجة لتراكم الديون او الذين لايملكون شيئا ولايجدون عملا فينضمون الى جيوش العاطلين في المدن ، هذا اذا مااخذنا في اعتبارنا ان من يعمل ساعة واحدة في الاسبوع لايسجل في الاحصائيات الرسمية عاطلا.

« وفي ظل هذا الاقتصاد القائم على الاحتكارات والتمايز اصبحت خريطة المغرب الاجتماعية صورة صارخة للانقسام والتباعد الطبقي ، وتوزعت قوى المغرب الاجتماعية الى مجموعتين متصادمتين تتصارع كل منهما مع الاخرى صراع مصير وحياة» .

ففي ناحية وقفت الراسمالية الاستعمارية تساندها قوي الاقطاع والراسمالية المغربية التي تدور في فلك الراسمال الاجنبي . وفي الناحية المضادة تماما وقفت قوى العمال الذين يشكلون قوة ثورية حقيقية في المغرب، ومعهم جموع الفلاحين المتعطشة للارض ، وفئات كبيرة من الطبقة الوسطى خاصة مثقفيها ، ثم جيش هائل من صغار سكان المدن الذين يعانون من الفقر والجوع والبطالة » .

وفي الوقت الذي يسير فيه المغرب في طريق المزيد من التخلف الي الازمة الحقيقية التي سوف تضع القوى المتناقضة كلها وجها لوجه في معركتها النهائية والحاسمة نجد انه منذ ٤ يونية ١٩٦٥ وبعد احداث مارس بشهرين اعلنت **الحالة الاستثنائية** التي تخول الملك بمقتضى المادة ٣٥ من الدستور استلام مقاليد الحكم وتجميد البرلمان ، وفي غياب اية رقابة شعبية على اجهزة الامن اصبح اسلوب القمع شيئا رسميا ومعترفا به ، فكانت جرائد المعارضة تصدر يوما وتتوقف عشرة ايام ، وتعرضت القوى التقدمية لعمليات الاغتيال والاختطاف، وكانت عمليات العنف الرهيبة التي قادها الجيش المغربي في احداث مارس مقدمة لتصفية كل عناصر المعارضة الحقيقية وكان اختطاف المهدي بن بركة هو التتويج النهائي لهذه السياسة . وقضية المهدي بن بركة بما اثارته من ردود فعل مختلفة لدى الجماهير والحكم والحزب الذى ينتمي اليه «الاتحاد الوطني للقوات الشعبية» هي قمة التعبير عن هذه الوضعية المتدهورة في كل الميادين .

المهدي وماذا يمثل ؟

مما لاشك فيه ان المهدي بن بركة لاينتمي فحسب الى الاتحاد الوطني للقوات الشعبية وانما هو ينتمي الى تاريخ المغرب الوطني والسياسي كله ، انه جزء لا يتجزأ من نضال الشعب المغربي الطويل من اجل التحرر حتى الاستقلال ، ثم استكمال التحرر باقامة العدل والحرية الاجتماعية .

كان المهدي بن بركة يحمل في قلـ

الكادحين ويضعها فى اسمى مكان ، وكان المهدى رسولا لليسار والتقدم العربى فى المغرب الى بلدان العالم الثالث فهو خير من استطاع ان يتحدث باسمها وان يصوغ نضالها وامانيها قولا وفعلا . وبقدر ماكان المهدى رجل سياسة ومناورات «انتهازيا» كما يسميه معارضوه واعداؤه ، فقد كان يعرف جيدا نقاط الضعف ومكامن القوة فى القوى المناوئة للجماهير والتى رصد حياته من اجل ان يضع حدا لطغيانها وتسلطها على الشعب ، وكان حريصا اذا مادفعته ظروف النضال الى توقيع حلف مع عدوه ان يتاكد من ان هذا الحلف لن يحجب عن عيون المناضلين وبصيرتهم آفاق العمل الثورى ومتطلباته وآفاق قضيتهم الاساسية وهى اقامة الاشتراكية دون مساومة .

وكانت حيوية المهدى وذكاؤه وحسه السياسى الهائل سببا فى ان توجهت اليه الرجعية المغربية بهذه الضربة وبهذا الاسلوب الفاضح ، ففى كثير من بلاد العالم تتجمع قوى رجعية اكثر تخلفا واشد فتكا ، ولكن واحدا منها لم يفتضح او يتعرى كما حدث للرجعية المغربية نتيجة لنشاط المهدى بن بركة فى العالم كله ، وكان اعداؤه يعرفون جيدا ان مجرد كونه يحيا ويتنفس هو فى حد ذاته خطر جسيم يهدد استقرارهم فى كل لحظة ، ومن هنا كانت اللعبة الغادرة التى لم تتم بعد .

وعلى عكس ماتصور مدبرو جريمة الاختطاف فان تاثير المهدى لم ينته باختطافه واغتياله، فالمهدى بن بركة ما زال يؤثر حتى الان على الاحداث فى المغرب اكثر مما كان يفعل قبل موته ، لان قضيته اذا كانت قد هزت الجمهورية الفرنسية الخامسة فمالاشك فيه انها قد زلزلت اركان المغرب ووضعته امام احتمالات جديدة متفجرة كل يوم .

فالحكم يواجه بالدرجة الاولى ازمة العلاقات الفرنسية — المغربية لان وجود فرنسا فى المغرب ليس وجودا عاديا ، ولكنه وجود يعكس طبيعة الاستعمار الفرنسى وارتباط الطبقات الكبيرة به فيتغلغل النفوذ الفرنسى الاقتصادى والادارى والثقافى بشكل يهز اركان الدولة المغربية ويوقف حركتها اذا ما اصرت على موقفها من قضية المهدى فى محاولة لالقاء المسئولية كلها على اجهزة الامن الفرنسية ، وانكار الدور الذى لعبه « اوفقير » فى اختطاف المهدى واغتياله ، وتحاول الحكومة تجميد الموقف باسلوب جديد يتضح فى عملية تسليم «الدليمى» وهو رجل الامن القوى وبالتالى رجل الحكم فى المغرب كبداية تتلوها عمليات تسليم اخرى لعدد من الذين شاركوا فى العملية ويوجدون الان فى المغرب .

فمن المؤكد ان «جورج بوشيس» رجل العصابات المتهم فى قضية المهدى يعيش طليقا فى المغرب يتنقل بين الدار البيضاء والرباط ومراكش وان الحكومة المغربية تمنحه حمايتها ، واكد لى احد ابناء مراكش ان «بوشيس» و «اوفقير» قضيا اسبوعا معا فى شهر نوفمبر بفندق « المامونية » وكانت المدينة كلها تعرف ذلك .

وتحتفظ الحكومة بهؤلاء الرجال لكى تسلمهم واحدا تلو الاخر فتطيل من عمر المحاكمات والاستجوابات فى انتظار ان تاتى الانتخابات الفرنسية القادمة التى اما ان تؤدى الى غياب ديجول عن المسرح السياسى وتاتى برجل اقل تشددا واكثر تفاهما ، واما ان يؤثر الزمن والضغط على موقف ديجول نفسه وهكذا تنتهى قضية المهدى .

ولكن الحكومة المغربية لاتعتمد فقط على هذا التكتيك فهى تسعى جاهدة لتجد ولو مؤقتا بديلا للوجود الفرنسى فى المغرب ، ولكن هل يمكن فى فترة وجيزة ان يتغير وضع الاقتصاد المغربى من اقتصاد تابع لفرنسا الى اقتصاد تابع لامريكا ؟

وهل يمكن كما صرح احد المسئولين فى المغرب لصحيفة امريكية «ان المغرب الذى عاش ثلاثة عشر قرنا بدون فرنسا يمكنه ان يفعل ذلك من جديد ، وان على امريكا ان تطمئن وان تعلم بانها سوف تجد فى المغرب صديقا حميمالها» .

ورغم تطلع امريكا ورغبتها الاكيدة فى الحلول محل فرنسا فى المغرب وفى قبول الدعوة الصريحة لذلك ، فان الحكومة الامريكية نتيجة لاقتراب موعد انتخابات الرئاسة وللورطة التى يجد الحزب الديموقراطى نفسه فيها بعد عمليات التوسع فى حرب فيتنام وازدياد السخط العالمى ضد الحكم القائم فهو متهم بتزكية نظم عميله ودكتاتوريته ، وخاصة فى امريكا اللاتينية ، فانه يشترط لكى يقدم مساعدات كبيرة للمغرب ولكى يمنح المزيد من الدعم للحكم القائم ويحرضه على مزيد من الاصطدام بديجول على امل ان يستطيع المغرب ان يمثل احدى القوى الحقيقية المزعجة لديجول — يشترط لكى يفعل كل هذا ان يقيم الحكم واجهة ديموقراطية ، مجلسا للنواب ودستور ، ثم يطلق شيئا من الحريات العامة ويمنح بعض العطايا الى جانب اكياس الدقيق الامريكى للفلاحين والعمال الجياع حتى يضمن استمراره بعضا من الوقت وحتى لا تضيع المساعدات سدى .

وهكذا فان المد الرجعى الذى يجتاح العالم تدعمه وتموله الولايات المتحدة الامريكية يستطيع حتى

الان ان يضمن للحكومة الخروج من ازمة العلاقات مع فرنسا مع بعض الشروط والتحفظات .

ولكن ازمة العلاقات الفرنسية المغربية ليست الا جانبا واحدا من جوانب التاثير الهائل الذى تركه شبح المهدى على الحكم ، فهناك اتهام واضح بين الجماهير العادية فى المغرب للحكم بعد ان لوثته الفضيحة ، ولم تفلح سياسته فى مصادرة الجرائد التى تكتب عن القضية فى ان تمنع الناس من سماع اخبارها وتسقطها بكل الوسائل ، وقالت لى سيدة عجوز جاوزت الستين فى قرية نائية من قرى الجنوب «كان المهدى يريد لنا الخبز ولهذا قتلوه»

وقال لى طالب صغير فى الرباط «مازال المهدى لم يمت هنا ، ان قضيته سوف تجعلنا اشد اصرارا على المضى فى طريقه » .»

وكان تسليم الدليمى شبه اعتراف رسمى من الحكومة بالمساهمة فى العملية،وان تمثيلية فروسيته وشجاعته لم تنطل على احد ، حتى ان اشد الناس التصاقا بالنظام وولاء له يعتبر ان تسليم الدليمى محنة وقع فيها الحكم ، ويعرفون جيدا ان الدليمى قد تلقى أمرا بتسليم نفسه وحين رفض «ابلغ انه سوف يصفى على طريقة المهدى اذا لم يفعل » ومازالت الحكومة المغربية ترفض ان تسمح لزوجته وابنه بالخروج من المغرب ويقال انها تحتفظ بهما كرهائن وتذكره بذلك كلما انهارت معنوياته او اراد ان يحكى القصة الحقيقية بكل من وراءها .

وبعد ازمة الثقة التى حدثت بين الجماهير والحكم والتى لا تعود بداياتها الى اختطاف المهدى وحسب،وانما الى احداث مارس وما قبلها وبسبب وعود الحكم وسرقاته المتكررة لشعارات المعارضة من الاصلاح الزراعى الى التاميم وتوفير العمل ، دون ان تكون هناك اية بادرة لاعادة النظر فى الاوضاع العامة ، ولكن هذه الازمة بلغت قمتها فى قضية المهدى التى فضحت الحكم فى الخارج واوقعته فى ورطة لايعرف سبيلا للخروج منها فى الداخل.كان رد الفعل المباشر هو تشديد عمليات الامن وزيادة اعتمادات الشرطة والبوليس السرى حتى وصل عددهم الى ما يقرب من ٢٠ الف رجل .

ومع ذلك فان بوليس المغرب يعيش فى حالة انهيارمعنوىتام بعدتسليم الدليمىللمحاكم الفرنسية فقد راى كل منهم فى هذه العملية تهديدا خطيرا لمستقبله ، فاذا كان الدليمى وهو احد اعمدة الحكم يسلم ككبش فداء بهذه السهولة كتغطية لموقف مسئولين اكبر منه ، ويعلن نفسه رغم انفه المجرم الوحيد فان ايا منهم لن يطمئن فيما بعد الى ما يمكن ان يحدث له .»

وهناك اكثر من قصة تحكى فى المغرب وتدل على هذا الانهيار ، منها ان وزير الداخلية المغربى يضع فى مكتبه لوحة كبيرة بها صور لجميع الزعماء الذين يهتم شخصيا بمعرفة اخبارهم بدقة ، وتعمل هذه اللوحة اتوماتيكيا على الاتصال بمراكز الامن المختلفة التى تبلغه فى كل ساعة بحركات ولقاءات اىمن الشخصيات التىوضعها فى اللوحة.

وفى شهر اكتوبر الماضى سافر الىاسبانياالفقيه البصرى عضو السكتابة العامة للاتحاد الوطنى للقوات الشعبية وسليل جيش التحرير المغربى وقائد مايسمى بمؤامرة ٦٣ ، وقد خرج البصرى بجوازسفر عادىعن طريقطنجة. وخرج بسيارته وبعدخروجه باسبوعكامل ظلتاللوحة الاتوماتيكية تحمل لوزير الداخلية اخبار الفقيه البصرى الذى اكتشفه بالصدفة فى احد مطاعم اسبانيا ضابط من الجيش المغربى ، وقد اوقف عدد من جنود الميناء عن عملهم واجريت معهم التحقيقات .

وفى يوم ٢٩ اكتوبر سنة ٦٦ فوجىء البوليس الذى يدعى انه يحصى انفاس المعارضة ويدس رجاله فى صفوفها «فى كل خلية يضع البوليس رجلا من رجاله » ،فى هذا اليوم وضعت مئات من باقات الزهور على بيت المهدى بن بركة وقامت عشرات التجمعات الصغيرة فى مقار لجان الحزب المختلفة ولم يكن البوليس يعرف شيئا عنها الابعد ان وقعت .

وقبل قضية المهدى كان البوليس المغربى الذى نبع جنوده من اكثر الطبقات الشعبية فقرا وبؤسا قد رفض ان يسهم فى عمليات القمع البشعة التى قادها احد كبار المسئولين فى الجيش من طائرته الهيليوكوبتر فوق سماء الدار البيضاء .

وبنفس القدر الذى اثرت به حادثة المهدى على الحكم — وربما اكثر — كان تاثيرها على الحزب . ويكاد الاتحاد الوطنى للقوات الشعبية الى جانب الحزب الشيوعى المغربى ان يكون هو الحزب التقدمى الوحيد فى المغرب . وكان المهدى بالنسبة لهالعصبالحساس وخاصة فى علاقاته بالخارج ، كان الثقل والسمعة الناصعة التى اكتسبها الحزب فى الوطن العربى واسيا وافريقيا ناتجا عن وجود المهدى بذكائه الشديد وحركته المستمرة وايمانه الذى لايحد بضرورة ربط كل الحركات التقدمية والتحررية فىالعالم الثالثحتى تستفيد من الخبرات والتجارب المتبادلة وحتى تستطيع ان تشكل قوة ذات نفوذ فى وجه المد الرجعى العالمى ، وكان المهدى فى الداخل قائدا سياسيا يعرف جيدا كيف يعبىء الجماهير وراء هدف ، وكان نجاحه فىقيادة معركة انتخابات ٦٣اكبر دليل على ذلك .»

وانتظر العالم بعد اختطاف المهدى رد فعل عنيف فى صفوف حزبه ، وان تؤدى هذه العملية الى الصدام المباشر مع الحكم وربما كان اختطاف المهدى كما توقع المراقبون هو نقطة بداية جديدة تشعل مرة اخرى نيران الثورة وتكون الفرصة مواتية لتسديد الضربة القاضية للرجعية المغربية .

ولكن شيئا من هذا لم يحدث، لقد تمت عملية الاختطاف وتكشفت بعدايام قلائل مساهمة مسئولين كبار من الحكم القائم فيها وكان رد الفعل الوحيد هو اعلان «الحداد» الذى نظمه الاتحاد الوطنى للطلبة .

وكان صمت الاتحاد الوطنى للقوات الشعبية هو مايثير التساؤل ، هل انتهى الحزب بانتهاء المهدى؟ وهل تبددت القوى الثورية فى المغرب واطمأنت الرجعية تماما الى المستقبل فلم يعد هناك من يزعجها ؟

ترددت هذه التساؤلات خاصة فى الشرق العربى بعد ان كنا قد تعودنا ان تندلع المظاهرات فى المغرب فى كل مناسبة تدعو الى ذلك ، وتعودنا ان يقابل هذا **الشعب العظيم اعمال العنف بالعنف المضاد** وكان الطلبة العزل فى الدار البيضاء وفاس ومراكش يملاون عجلات السيارات بالبنزين ويشعلون فيها النار ثم يلقون بها على القوات التى فتكت بهم بلا رحمة ، وللمقاومين المغاربة فيما قبل الاستقلال تاريخ حافل بالبطولات .

وكان هــذا التساؤل محيرا ولكن الواقــع كان يرسم صورة اخرى ، فاختطاف المهدى تم بعد مرور سبعة اشهر فقط على وقوع احداث مارس الدامية التى اجتاحت الدار البيضاء بشكل اساسى وامتدت الى فاس ومكناس ومــراكش وقــامت عــلى اثر اعلان وزير التعليم قرارا بحرمان التلاميذ البالغين من العمر ١٧ عاما من التعليم الثانوى وخرج التلاميذ يصحبهم اهلوهم بشكل تلقائى الى الشــوارع يطالبون بحقهم فى التعليم وانضمت اليهم جيوش العاطلين وترددت شعارات اثارت الذعر فى صفوف الحكم الذى وجد فى هذه المظاهرات الطلابية اشارة البدء التى سوف تفجر فى صفوف القوى الشعبية المسحوقة من عمال وفلاحين وتجار صغار وعاطلين الطاقة الثورية الكامنة والسخط المتزايد الذى يحركه كل يوم الارتفاع الجنونى فى الاسعار وتجميد الاجور وتسريح العمال واغلاق المصانع .وكان الرد على مظاهرات الطلاب داميا فسقط برصاصات الجيش المغربى مايزيد على الف قتيل والف جريح ممن تتراوح اعمارهم فى الغالب بين السابعة عشرة والعشرين ، وكانت فرق الجيش التى تحمل الموتى والمصابين تتغير فى كل مرة حتى لاتتسرب احصائية كاملة بعدد الذين سقطوا ، وخرج مئات الاباء والامهات يبحثون عن ابنائهم وكان شيئا رهيبا صدم الجماهير المغربية صدمة عنيفة .

وبعد سبعة اشهر اختطف المهدى بن بركة ، وكان تقدير الحزب ان اختطافه ليس الا بداية مخطط خبيث لتصفية الاتحاد الوطنى للقوات الشعبية وتوجيه ضربة له لايستطيع القيام بعدها ابدا وبذلك يتخلص الحكم من الد اعدائه واكثرهم تنظيما وفاعلية وكان الحكم ينتظر ان يثير غضب المناضلين فى صفوف الحزب وان يهيج مشاعرهم ويستدرجهم الى ميدانه عزلا لايحملون سلاحا ولاتسندهم الجماهير العريضة التى مازالت تعيش فى مخيلتها الصور المفزعة لاحداث مارس ، وتلقى اعضاء الحزب وخلاياه فى جميع انحاء المغرب تعليمات مشددة بان يلزموا الصمت جميعا وان يكبحوا مشاعرهم حتى لايجرهم الحكم الى عملية انتحارية يخسرون فيها قواهم بلا جدوى وقال لى شاب فى العشرين «لم اكن املك الا ان ابكى وادق راسى فى الحائط حين تلقيت امرا بالصمت والثبات» .

وقال لى احد المسئولين عن التنظيم « لو خرجت خلايا الحزب الذى كان قد بدأ يدخل فى طور تشكيلها الجدى الى الشارع لقدمت دمها بلا مقابل وحققت للرجعية ماكانت تريده بالضبط وهو التصفية النهائية والشاملة لقوانا . وحين يسمع الناس طلقات الرصاص التى توجه الى صدور مناضلينا وحدهم سوف يغلقون النوافذ ويقولون ليرحم الله الشهداء ثم يمنعون ابناءهم من الخروج ، لقد فضلنا ان نتعرض لسوء الفهم المؤقت على ان نخسر كل قوانا . وقضية المهدى لم تمت ابدا ، ان موته هو بداية النهاية للقوى التى قتلته غيلة » .

وزاد من قوة هذه الاعتبارات كلها ان الحزب كان يلملم اشتاته بعدما سمى بمؤامرة ١٩٦٣ حيث تعرضت مئات من قياداته الكبيرة والمتوسطة لعمليات القمع من اعتقال واحكام بالاعدام وجاء بعدها خطا الحزب فى تقديره لمشكلة الحدود المغربية — الجزائرية اذ ان الحكومة قد نجحت فى اقنــاع الجماهير بان ضرب الحدود معركة وطنية واستطاعت خلالها ان تعبأ الجماهير ضد الجزائر وبالتالى ضد الذين اسمتهم بالخونة وهم قادة الاتحاد فى الخارج « المهدى وحميد براده » الذين وقفوا ضد هذه الحرب .

وبعد ان كانت التجربة الاشتراكية فى الجزائر تستخدم كنموذج يوضع فى مقابل البؤس والفقر الذى يعيش فيه الشــعب المغــربى استطاعت السلطات المغربية والجيش المغربى المحترف والذى يقوده ضباط كبار ساهموا الى جانب فرنسا فى

حزب الهند الصينية ولهم تاريخ حافل في خدمة الاستعمار الفرنسي والامريكي بالاضافة الى بعض «الخبراء» و «الفنيين» الامريكيين الذين يقومون بتدريبه استطاعوا ان يصوروا الجزائر للجماهير على انها دولة معادية وان يخلق بخطة خبيثة تيارا معاديا لها مما جعل من الصعب بعد **ذلك اكتساب الناس الى صف التجربة الاشتراكية** في الجزائر واعتبارها نموذجا يحتذى،يدخل في ذلك ايضا ذكاء الحكم وقدرته على حجب القضية الاجتماعية عن عيون الجماهير واذكاء مشاعر شوفينية متعصبة في نفوسهم ولم تكن النتيجة في النهاية لصالح الاتحاد بل كانت احداث ١٩٦٣ بمثابة انتكاسة للحزب أفقدته الكثير من المواقع .

وبعد احداث ١٩ يونية في الجزائر كفت قيادة الحزب عن ان تضع التجربة الجزائرية كنموذج واتخذت موقف التشكك في الوضع الجديد والمدافع عن الوضع السابق مما افقد الحزب سندا كان يدعمه فكريا وماديا ايضا وكان سلاحا من اسلحته في تعبئة الجماهير واثارة سخطها .

وبعد هذه المحن المتتالية — التي بدات منذ ١٩٦٣ مارة باحداث مارس واحداث الجزائر حتى اختطاف المهدى ، كان الواجب الملح والعمل الحقيقي الذي ينبغي على الحزب انجازه هو اعادة تقييم نفسه تنظيمه وايديولوجيته ومساره في سنوات الامتحان القادمة وكان الحكم قد بدا يقوم بعمليات الاستفزاز المتتالية والسافرة فاختطف من احد شوارع الدار البيضاء المحامي عمر بن جلون احد اعضاء الامانة العامة للحزب واراد البوليس اضافته الى قائمة المفقودين ثم التخلص منه لولا ان الامر قد انكشف فوجه اليه تهمة التحريض على الاضراب في ذكرى حوادث مارس،وتوالت المضايقات بالنسبة للاتحاديين البارزين في مجال عملهم فتعرضوا للفصل والنقل .. وفي مثل هذه المحن يتكشف الصمود والقدرات المحدودة على الاحتمال « كان هناك هذا الامتحان الذي حررنا والذي أشعرنا بضرورة تغيير اساليب عملنا كما أبرز المناضلين الواجب الاعتماد عليهم» .

وكان الحزب قد اخذ يلح على مشكلة التنظيم بعد سنة ١٩٦٣ واكتشف مؤخرا جدا ان تنظيم الخلايا على اساس الاحياء هو اسلوب عمل حزب اصلاحي يريد ان يحدث التغييرات علانية وفي اطار الحكم . فجماعات الاحياء نوع من التنظيم الحزبي الذي يصلح للانتخابات والمظاهرات والعمل السياسي العام الذي يسمح به النظام القائم ، ولكن التنظيم الثوري الحقيقي والذي ينبغي أن يضع في اعتباره ان تطورات الازمة الاقتصادية لابد ان تلجأ الحكم ان عاجلا او آجلا للاصطدام به وتشتيته — ينبغي له ان ينظم نفسه اساسا في خلايا للمؤسسات ومقار العمل وبهذا اللون من التنظيم يمكن ان يرتبط النضال النقابي لكل فئة من الفئات بالنضال السياسي ويصبح من السهل التنسيق والتوفيق واعطاء صبغة سياسية — وهي الصبغة الوحيدة في ظروف كهذه — للقضايا النقابية التي تطرح يوميا سواء في وسط العمال او المهنيين او الفلاحين .

لقد تغافل الحزب طويلا عن ضرورة التنظيم داخل المؤسسات ومناطق العمل معتمدا على اكتسابه المؤقت لقيادة الاتحاد المغربي للشغل وهو اكبر واقوى تنظيم عمالي في افريقيا والوطن العربي ، وكان بقيادته وجماهيره يشكل سندا حقيقيا للحزب، الى جانب ان الحزب كان قد اكتسب الى صفوفه الحركة الطلابية المنظمة في « الاتحاد الوطني لطلبة المغرب » هذا الاتحاد الذي خاض محنة ٦٣ وحيدا وكان صموده مثار الاعجاب والتقدير بعد تشتيت قيادة الحزب وكوادره الوسطى والحكم بالاعدام على رئيس الاتحاد نفسه بعد حوادث الحدود .

وكان للحزب بالاضافة الى ذلك رصيد من السمعة الثورية البراقة في الخارج وجاء كل هذا على حساب التنظيم الدقيق والصعب لخلاياه.

« كانت جميع مشاكلنا ناتجة عن تهاوننا في تنظيم الجماعات ، وفي كثير من الاحيان لم يكن مقياس الاختيار كفاءة او نضالية المرشح للمسئولية وانما ارتباطاته وعدد اتباعه خاصة اذا كان هناك صراع شخصي يفرض بعض الترضيات لتلافي الازمات المزيفة ، وهكذا كانت العناصر الحية — وخاصة الشباب — يبتعدون عن نشاط المقاطعة بعدما يقتنعون بهذه الحقيقة،وهكذا يبقى مشكل الإطارات موضوعا دون ان يجد حلا لان العناصر المتقدمة لم تجد مجالا للعمل »

لم يكن التهاون في التنظيم وحده هو السبب في بروز هذا النوع من المشكلات وانما كان عدم الوضوح النظري وخاصة غياب الرؤية الاجتماعية امام كثير من القيادات المتوسطة الى جانب عمليات القمع التي وجهها النظام ضد القوى التقدمية وخاصة الاتحاد الوطني سببا في عمليات الخروج الجماعية من الحزب والتي تحسب عليه الان في كثير من الاوساط .

وتقول نشرة داخلية للحزب في سنة ٦٥ « ان اغلب تنظيمات الاتحاد في القاعدة قد جمدت نشاطها بمجرد ما بدات حملة الاعتقالات وهذا غير طبيعي بالنسبة لحركة ثورية معرضة في كل وقت لحملات

الاضطهاد والقمع الشيء الذي جعل المناضلين يقتنعون الآن بضرورة التنظيم الجدي »

ورغم التحديد الذي لا شك فيه لان الاختيارات الاساسية المطروحة امام الحزب منذ سنة ١٩٦٠ لا تخرج عن احد خطين كما اكد المهدي في «الاختيار الثوري»:

« ١ — فاما ان يتأكد لنا ان الوضع الحالي مؤقت اي انه لا يمكن ان يؤدي الى الغاية المقصودة منه وان اكثر ما يحققه هو وضع القواعد التي يمكن ان يقوم عليها فيما بعد البناء الثوري .

٢ — واما ان نكتفي بانتقاد الاسلوب الذي تسير عليه السياسة الاصلاحية دون التعرض للوضع في مجموعه وتكون حينذاك عملية نقد للجزئيات دون التجرؤ على المساس بمنابع الفساد .

الا انه اذا كان من اليسير ان تقوم في بلد متقدم معارضة مبنية على انتقاد وسائل الحكم فان التجربة اثبتت حتى الان ان مثل هذه المعارضة لا يمكن ان تؤدي الى طائل في بلد متخلف او مار بمرحلة انتقالية .

ثم انه من البديهي ان من يكتفي بالخطة التكنيكية المرحلية دون ان ينطلق من افق استراتيجي يكون مصيره اما ان يسرق منه الخصم سياسته واما ان يظهر بمظهر الانتهازي » .

ورغم هذا التحديد الذي وصفه المهدي سنة ١٩٦٢ فان فكرة الدخول في محالفات مؤقتة مع الحكم كانت مطروحة الى وقت قريب وخاصة بين القيادات الوسطى التي وجدت في الاتصالات التي اجراها الحزب مع القصر — رغم تأكد القيادة من عدم جدواها — فرصة لاعادة التنظيم في اطار النظام القائم .

وكانت كل امراض الحزب التنظيمية والايديولوجية ناتجة عن طبيعة تكوينه نفسها ، فالاتحاد الوطني للقوات الشعبية لم يظهر في سنة ١٩٥٩ كحزب ثوري ذا منهج محدد لتغيير النظام القائم ورفض كل حلوله ومساوماته وانما كان تيارا تقدميا نبع ونما في احضان حزب الاستقلال وهو حزب الحركة الوطنية ، وكان بمثابة اجتماع القيادات الشابة والقواعد التي تمثل القوة الاجتماعية التي اخذت مصالحها شيئا فشيئا تتناقض مع مصالح القيادات الكبرى في الحزب والتي ازداد ثراؤها بعد الاستقلال ومن ثم اتضح عجزها — نتيجة لوضعها — عن استكمال التحرر الاقتصادي في المغرب ، وكان انفصال هذا الجناح — يحمل في طياته سخطا لم يتحدد ، وتكون الحزب بطبيعة الحال في اطار الشكل السهل والذي كان مازال ممكنا في هذا الوقت ابان حكم محمد الخامس ومن هنا كان تكوين جماعات الاحياء واستقطاب عدد كبير من القيادات المتوسطة والشابة في داخل حزب الاستقلال ليس كنتيجة لموقف فكري او اجتماعي واضح ولكن كنتيجة لارتباطها الشخصي بهذا الزعيم او ذاك ، واعتمد الحزب في بدايته الاولى على مجموعة من المثقفين والعمال ، ولكن جاء المؤتمر الثاني يحمل لنا الاحصائية التالية للتوزيع المهني لممثلي الفئات المختلفة في المؤتمر ، وهي تؤكد ان بناء الحزب قد اخذ يتجه الى الاعتماد على القوى الثورية للعمال والفلاحين:

الفــلاحون	٢٩٦	٪٣٢
العمــال	٢٥٩	٪٢٨
التجار والصناع	١٨٧	٪٩ر١٥
الموظفــون	١٤٠	٪٢ر١٥
الطلبــة	٤٣	٪ ٧ر٤
المهن المختلفة	٣٩	٪ ٢ر٤

ولكن ظلت نقطة الضعف الاساسية في تكويناته حتى ذلك التاريخ ، وفيما بعد ، هي قصور التنظيم الحزبي في البادية (الريف) وعدم القدرة على استقطاب جماهير الفلاحين ، وهم غالبية السكان ، والاكثر بؤسا وفقرا من غيرهم . فالاعتماد على الطبقة العاملة القوية المنظمة في الاتحاد المغربي للشغل، بهر قيادات الحزب وشغلهم عن التوجه الى الريف لتنظيم طاقته الثورية التي لا تحد ، رغم تكرارهم لاهمية تنظيم الفلاحين . ففي مؤتمر ٦٢ يقول المهدي في تقريره «الاختيار الثوري في المغرب» :

« فالمشكلة الاولى تتعلق بربط نضال جماهير المدن من عمال وصغار التجار وحرفيين بنضال الفلاحين في الارياف ، فكلنا يعلم ان الاستغلال الاستعماري قام عندنا على اغتصاب المعمرين للاراضي الزراعية الذي نتج عنه استفحال البطالة في القرى، وهجرة الفلاحين للمدن، وهؤلاء الفلاحون المطرودون من ارضهم هم الذين يكونون جمهرة الصعاليك في المدن ، وهم الذين دخلوا افواجا في الحركة الوطنية ، بينما منبع سخطهم ومصدر قوتهم الثورية خارج هذه المدن وفي وسط الارياف، ولذلك فبمجرد ما تصل حركة التحرير الوطني الى هذه الارياف نكون قد اقفلنا الحلقة وتصبح الطاقة الثورية المتجمعة في كلا القطبين الحضري والبدوي قوة لا مرد لها » .

ان الريف هو الوعاء الحقيقي لاي عمل ثوري في المغرب . فمن قلب النضال القاسي الذي خاضته جماهير الفلاحين ابان معارك الاستقلال تكون جيش التحرير المغربي ، وخلق لفكره استمرار العنف الثوري في سبيل تحقيق اماني الجماهير التي استشهدت من اجل الاستقلال الوطني تيارا حقيقيا مضادا ، ظل ينمو ويتبلور داخل حزب الاستقلال حتى خرج كل رجالات جيش التحرير مع القيادات

السياسية فى الحزب لتكوين الاتحاد الوطنى للقوات الشعبية ، مستندا الى القاعدة الجماهيرية للحركة الوطنية . وظل هذا التيار يسرى وينمو داخل الحزب ، يخضع احيانا لاسلوب التكتيك والمناورة ، ويضعف أحيانا اخرى حينما يصفو الجو السياسي ويعلن الحكم فتح صفحة جديدة للتعاون .. ولكن كان هذا التيار طوال هذه السنين التيار الاكثر تعبيرا عن الواقع المغربى والذى تتجسد فيه هذه الحقيقة الاساسية ، وهى ان الريف هو قلب الثورة .

ولا شك ان هذه الحقائق كلها طرحت بقوة ، بعد حادثة اختطاف المهدى ، قضية التنظيم الحزبى على اسس جديدة . قال احد قادة الحزب : «الحركة قائمة بعد المهدى لا شك فى ذلك ، ولكنها تسير بكثير من الاحتياط والحذر . لقد وضحت لنا التجربة انه من الافضل ان نستعد بتكوين الاطر التى تملك من الوضوح الفكرى وشمول النظرة وانكار الذات ما يجعلها قادرة على خوض كل المعارك واقساها ، وكان علينا كذلك ان نحكم اجهزتنا داخل المغرب فى انتظار يوم من الايام نخرج فيه من المحنة التى نعيشها الان» . وبدأ الحزب بالفعل عملا جديامنظما ومحكمافكونت الخلايا على مستوى المؤسسات ووضع برنامج لتكوين الاطارات ، يلتزم بالتحليل العلمى لحركة التاريخ، ويصل فى النهاية الى حتمية الحل الاشتراكى ، ويدرس نماذج من التطبيقات المتعددة للاشتراكية ويربى قياداته الصغيرة والمتوسطة على اساس من الوضوح الفكرى ازاء القضايا الاجتماعية والاقتصادية ويقوم نضالهم اليومى كل فى مجاله ، على اساس الارتباط الاكيد بين العمل السياسى والمطالب الاقتصادية والاجتماعية .

واخذت المنظمات المرتبطة بالاتحاد الوطنى ، مثل الاتحاد الوطني للطلبة، تنقل بمزيد من الوضوح القضايا الاقتصادية والاجتماعية الى ساحة الجامعة والمعاهد العليا ، وتقول رايها فيها . وتعرض اثنان من قادة المنظمة الطلابية لما يسمى بالتجنيد الاجبارى، وهو نظام استحدث فى المغرب، تستطيع السلطة عن طريقه تجنيد اى فرد دون التقيد بقانون او سن او اى ظرف اجتماعى ، وذلك كنوع من الاعتقال المهذب لتشل نشاط المنظمة الطلابية وتعزلها عن العمل السياسى الذى يقوم به الحزب واعتقلت السلطات مؤتمرا الرئيس الجديد بالاتحاد فتح الله ونقلوه مع اثنين من اعضاء اللجنة التنفيذية بين جموع الطلبة والطالبات .

ومنذ عدة اشهر تأسست «الشبيبة الاتحادية» كمنظمة للشباب ترتبط بالاتحاد الوطني للقوات الشعبية ، تجمع كل الشباب المنتمين للاتحاد ، للبدء فى تكوين الشباب تكوينا مذهبيا ، وفتح مجالات العمل امامه لخدمة أهداف الجماهير الشعبية طبقا لخطط ومبادىء الحزب . ثم اتاحة الفرصة لهم للكشف عن مواهبهم وتنميتها وبالتالى تزايد فرصتهم فى الالتحام والتفاعل مع جموع الناس والتأثير فيهم .

وقام الحزب بمجهود واضح لتحقيق مبدأ تسييس الطبقة العاملة وسحب قواعد الاتحاد المغربى للشغل وتصفية قيادته المنحرفة ، والذى تمثل ذكاء القوى الرجعية والاتحاد الدولى للنقابات الحرة ، فى شرائها لفتح ثغرة حقيقية فى صفوف القوى التقدمية فى المغرب . فلو ان المحجوب بن الصديق والجهاز الادارى لاقوى النقابات العمالية العربية واكثرها تنظيما ، التزم بالخط السياسى للحركة التقدمية، لتغير بشكل جذرى تاريخ السنوات الخمس الاخيرة فى المغرب .

بذور الانحراف

وقد بدا اتجاه القيادة للانحراف يظهر فى المؤتمر الثالث للاتحاد المغربى للشغل الذى انعقد فى يناير ١٩٦٣ ، واعلن فيه المحجوب — الذى وصفه احد المعلنين بأنه «سيكوتورى العرب» — الاتجاه اللاسياسى للمنظمة ، وبدا يمارس نوعا من الدكتاتورية داخل المنظمة النقابية . وتصدت له نقابة عمال البريد لتكشف عن الاتجاه الجديد اللاديمقراطى لقادة الاتحاد المغربى للشغل . وفى ذكاء عطل المحجوب مؤتمرات المنظمة النقابية منذ ذلك الحين تجنبا لمعركة لا يعرف نتيجتها ؛ واحس الحكم انه كسب جولة بعزل قيادة الطبقة العاملة وبالتالى النقابية بأسرها عن المشاركة فى العمل السياسى . وتوقف الاهتمام بالاتحاد العام للعمال المغاربة الذى انشىء فى اكتوبر ١٩٦٠ لمحاربة وجود الاتحاد المغربى للشغل ، وتقسيم الطبقة العاملة، فأصبح المحجوب بن صديق منذ ذلك الحين صديقا حميما للقوى المسيطرة فى المغرب ، وبدت عليه مظاهر الثراء « **والتبرجز** » ولم يعد كما كان فى بداية ظهوره وتوليه القيادة فى ميدان العمل النقابى .. نموذجا للعامل الثورى وللقيادة التى ينبغى ان تظهر فى صفوف العمال فى الدول المتخلفة وكان زفافه فى مايو الماضى ، كما قال لى شامتا احد الصحفيين البارزين فى حزب الاستقلال ، «زفاف امير من امراء القرن التاسع عشر » !

والمحجوب بن صديق لا يعمل وحيدا فى ميدان تخريب الحركة التقدمية وحرمانها من طليعتها ودرعها المتين ، الطبقة العاملة .. ولكن يقف وراءه معلم

واستاذه عبد الله ابراهيم الذى كان واحدا من ابرز قيادات الاتحاد الوطنى للقوات الشعبية وممن قادوا التيار اليسارى داخل حزب الاستقــلال وناضلوا من اجل انتصاره .

ومن الغريب ان ينتهى عبد الله ابراهيم هذه النهاية التى عزلته تماما وافقدته القدرة على التأثير فانحصر جهده فى توجيه المحجوب والتخطيط له .. وهو الذى قال حين كان رئيسا للوزراء فى عام ١٩٥٩ .. «اننا نؤمن ان المعركة من اجل التحرر الاقتصادى والاجتماعى لبلادنا لا ينبغى أن تنفصل عن المعركة السياسية وان التجربة التى شاهدناها فى الماضى فى بعض الاقطار العربية الشقيقة ، كان السر فيها فصل الكفاح السياسى عن الكفــاح الاقتصادى والاجتماعى . وتجربة مصر قبل الثورة اكبر دليل على ذلك » .

ويرى الاتحاد الوطنى للقوات الشعبية «ان الشرط الاساسى لفعالية اى عمل ثورى هو ان تسترجع الطبقة العاملة مكانها ودورها الطبيعيين كقوة طلائعية وذلك يستلزم قبل كل شىء تصفية جراثيم الانحراف على رأس النقابة .

وكان موقف الحزب من هذه القضية يتسم ببعد النظر والحس الثورى اذ انه استبعد تماما فكرة تكوين نقابة خاصة به حتى لا يتسبب فى تقسيم الطبقة العاملة وفى خلق معارك جانبية بين القواعد وخاصة بعد ان قرر حزب الاستقلال انشاء نقابة خاصة به ، وكان حرص الحزب على وحدة الطبقة العاملة سببا فى ان قيادته قررت عدم الاشــــهار بالتصرفات اللا اخلاقية والاتجاه الذى بدأت بذوره تظهر حتى قبل انعقاد المؤتمر الثانى ، وكان المهدى بن بركة قد تزعم تيارا يعارض تصفية المحجوب وكشفه امام القاعدة لكى لا يستغل هذا التفكك لمصلحة القوى الرجعية ويؤدى الى ضياع القواعد العمالية وتشتتها .

ويعزو الحزب الانحراف الذى حدث فى النقابة الى الظروف السياسية التى تأسست خلالهــا النقابات ويذكر بأن الاتحادات والجامعات المحلية والنقابات الموحدة لم تتأسس بجميع هياكلها الا بعد اعلان الاستقلال وفى وضعية سياسية يلخصها الحزب كما يلى .

« ١ ــ الصراع بين القصر الملكى وحــزب الاستقلال حول السلطة وكان كل منهما يحاول ترضية القوات التى انبثقت من معركة التحرير ليعزلها عن الاخر .

٢ ــ الصراع داخل حزب الاستقلال بين القيادة البورجوازية وبين الجناح اليسارى المتمثــل فى النقابيين والمقاومين والتقدميين ، وكان هؤلاء يعملون على ان تنظيم الطبقة العاملة بسرعة ما دامــت الظروف ملائمة ومادامت الرجعية غير قادرة على عرقلة هذا التنظيم الا ان هذين الصراعين بقيا مختفيين عدة سنوات وراء جو الحماس الوطنى والوحدة الوطنية ، وكانت النتيجة هى ان الاتحاد المغربى للشغل نظم بوسائل واطارات جعلته يحمل جميع مميزات المنظمات الرسمية المعتمدة على الدولة بما يقتضيه ذلك من عقلية وتصرفات .

ونتيجة للصراع داخل حزب الاستقلال بين البورجوازيين واليساريين التقدميين ، جعل هؤلاء الاخيرين يسهرون على حماية المنظمة العمالية ضد الرجعية وادى بهم ذلك الى حماية التصرفات التى مهدت الظروف امام انحراف القيادة ، واصبح التيار اليسارى داخل الحزب يقوم بدور الواجهة السياسية للجهاز النقابى .

وفى هذه الظروف كانت المسئولية النقابيـــة امتيازا يتوفر عليه المحظوظون الشىء الــذى خلق سباقا عظيما خلال الاشهر التى تأسست اثناءها النقابات بسرعة وفى جميع القطاعات وجميع المدن والقرى . ان قلة الاطارات القادرة والمدربة على الكفاح الوطنى والنقابى من بين النقابيين الذين ساهموا فى المعركة الوطنية ، وخلال تأسيس الاتحاد المغربى للشغل وضعت فى المقدمة عددا كبيرا من العناصر التى لم يسبق لها ان اعطت اى برهان نضالى والتى جاءت الى الميدان النقابى لانه يوفر امتيازات مادية ومكانة اجتماعية ، وهذه العناصر لم تعرف النقابة الا كمنظمة رسمية معتمدة على الدولة من حيث وسائل العمل المادية ومن حيث حل المشاكل عن طريق الاتصال اليومى مع السلطة .

اما النقابيون المنبثقون من الكفاح ضد الاستعمار والذين يتبنون مفهوما آخر للنقابة وللنضال العمالى ، والذين كانوا جنــود جيش التحــرير ، واتضحت امامهم ابعاد المعركة فوجدوا من ارتباط النقابـــة بالسلطات واعتمادها عليها تحالفا مؤقتا لا بد ان ينتهى يوما عندما تبدا المطالب الشعبية فى تهديد مصالح الحكم وارتباطاته ، وانه لا بد من معركة حاسمة مع الحكم ان عاجلا او آجلا ، وقد ابعد هؤلاء النقابيون المقاومون شيئا فشيئا من طرف الامين العام .

ونتيجة للاسس التى قام عليها الجهاز النقابى من اعتماده على السلطة فى التمويل واعتباره الحركة التقدمية مجرد واجهة سياسية تحميه وتمنحه الثقل دون ان تكون مشاركته فعالة وماسة فى المعركة

السياسية ثم خضوعه لارادة شخص واحد واتباعه يرفضون اقرار الديمقراطية فى داخله ويعتبرونه اقطاعا خاصا لهم ـ نتيجة لكل هذا اخذ الانحراف يعلن عن نفسه بقوة ووضوح بمجرد ما تغير احد هذه الاسس،واتضحت الابعاد السياسية للصراع ووقفت الحركة التقدمية فى المعارضة بشكل صريح وهو ما حدث عندما اقيلت حكومة عبد الله ابراهيم حيث وجد الجهاز النقابى نفسه امام اول اختيار حاسم له ، واختار المحجوب ان يرفع شعار الخبز فقط بعيدا عن السياسة والذى كانت نتيجة ممارسته الفعلية ضربة حقيقية للحركة التقدمية فى المغرب حيث عزلت الطبقة العاملة المنظمة من النقابات عن كفاح الجماهير ضد الرجعية المستغلة.

ولكن السؤال المطروح الان هل يستطيع شخص مهما بلغت قدرته ان يسيطر لمدة ما يزيد على خمس سنوات بأفكاره واتجاهه المنحرف على التنظيم النقابى الا اذا كان هناك قصور حقيقى وفادح فى التنظيم الحزبى للطبقة العاملة وقصور آخر فى تدريبها السياسى واقناعها بالارتباط الحتمى بين النضال الاقتصادى والنضال السياسى ، وهذه نقطة ضعف اخرى تواجه الحزب فى المرحلة القادمة اذ ان عليه ان يقوم بعمل شاق فى اطار نظريته الصائبة والخاصة بالحرص التام على وحدة الطبقة العاملة كسلاح للجماهير فى معركتها القادمة ، ويعترف الحزب بهذا الواقع «اذ يجب علينا ان نرى الاشياء بكل موضوعية فاذا كان فى متناول بعض القادة النقابيين المنحرفين ان يرفضوا الديموقراطية داخل النقابات فذلك لانهم لا يجدون امامهم تنظيما حزبيا مركزا فى المؤسسات ومكونا من مناضلين نشطين واكفاء » وقد شرع الحزب بالفعل فى احياء وحدات نقابية كانت قد شلت حركتها نتيجة لمعارضتها للتيسادة واصرارها على اقرار الديموقراطية داخل النقابة « ان تأسيس النقابة الوطنية للتعليم ليس خروجا عن المنظمة المركزية الاتحاد المغربى للشغل كما انه ليس عملا موجها ضدها بل ان تأسيس هذه النقابة هو فى الواقع تجديد واحياء لعضو من اعضائها المشلولة » .

والنقابة الوطنية للتعليم هى جزء من الاتحاد المغربى للشغل بصفته منظمة الطبقة العاملة .

ان استعادة الطبقة العاملة الى صفوف النضال الجماهيرى من اجل الاشتراكية وتسييسها لهو اشق المهام التى تقع على عاتق الحزب فى مرحلة انطلاقه الجديدة والقاسية . وان النشاط الذى يقوم به الحزب الان على مستوى القاعدة العمالية رغم انه يسير ببطء وحذر الا ان خطواته صائبة على طريق تنظيم الخلايا الواضحة الرؤية فى اطار المؤسسات حتى يرتبط العمل النقابى بالعمل السياسى وتتوحد المعركة من اجل المستقبل .

العنف والنقاء الثورى

وبالرغم من اهمية هذه التطورات كلها فان ابرز واهم نتيجة لعملية اختطاف المهدى وما سبقه من محن هى بروز تيار المقاومين ، الذى اصبح يشكل الخط الاساسى والحاسم فى معظم خلايا الحزب والمنظمات المرتبطة به ، لقد عاد مقاومو جيش التحرير ليفرضوا فكرهم وحلولهم الثورية الحاسمة ويكاد انتصارهم ان يكون قاطعا خاصة بين الشباب الذين يرون ان العنف لا يواجه الا بالعنف الثورى وان الرجعية قد اعلنتها معركة سافرة على القوى التقدمية الحقيقية التى تتصدى لها ، وقال لى شاب فى التاسعة عشرة من مراكش «ان الفلاح المغربى قد نفض يده من كل الحلول السياسية ولم يعد امامه كى يوفر لنفسه ولاطفاله الخبز والأمن الا ان يحمل السلاح ويصعد الى الجبل ، فلم يعد هناك ما يفقده »

ان هذا التيار القديم الذى ولد مع مولد جيش التحرير وطمست ملامحه الخلافات والمناورات السياسية يعود الان ليسيطر على فكر جيل بأكمله من شباب الحزب هم صفوة الصفوة بعد ان توالت الاختبارات القاسية وحدثت عمليات الخروج الجماعى على الحزب ، وبقى هؤلاء يمثلون قمة التجرد والنقاء الثورى ، انهم شبان بين الثامنة عشرة والثلاثين من الطلبة والعمال والفلاحين والمثقفين من بينهم علماء جامعة القرويين فى فاس، يضعون ارواحهم على اكفهم وقد تخلى الكثيرون منهم عن الارتباطات الاجتماعية واصبح همهم الاكبر هو ان يفتروا بدمائهم عالما يسوده العدل والحرية، وهم يملكون الحق ويقين المتصوفين .

كان انبعاث هذا التيار من جديد هو اعظم ما قدمته المحنة للاتحاد الوطنى للقوات الشعبية وما قدمه الحزب رغم اخطائه العديدة للمغرب ، لان هذا التيار سوف يفتح صفحة جديدة فى تاريخ النضال ويضع القوى المعارضة الاخرى امام اختيارات جديدة لم يسبق ان طرحت عليه من قبل .

ورغم سيادة هذا التيار وقوته ، فما زال الحزب يواجه فى داخله تيارا ربما لا يستطيع ان يعبر عن نفسه الان، ولكنه موجود ويرى ان فرصة العمل السياسى والتعاون المرحلى مع الحكم لم تنته بعد .

ومن خارجه يواجه الحزب بدعوة ملحة وحارة

للوحدة بين الاحزاب والقوى المعارضة الاخرى لمواجهة التدهور القائم فى المغرب . وتتكون هذه القوى المعارضة من حزب الاستقلال والحـزب الشيوعى والاتحاد المغربى للشغل ، فما هى حقيقة هذه القوى واحتمالات وحدته ؟

اما حزب الاستقلال فهو حزب الحركة الوطنية والنضال القومى من اجل التحرر السياسى وهو حزب الاقطاع المغربى والراسماليه الوطنية المتطلعة بلهفة لتحل محل رءوس الاموال الفرنسية القوية فى المغرب . وبسبب طبيعه تكوين هذا الحزب وخاصة بعد انسحاب القوى اليسارية لم يطرح الحزب بجدية او حسم القضية الاجتماعية الا فى الحدود التى لا تغضب مموليه من كبار الاقطاعيين والبورجوازيين ، وهو يقدم للجماهير بدلا من الحل الاشتراكى العلمى مايسمى بالتعادلية والتى تعنى ان يتنازل الاغنياء شيئاما وان يكسب العمال والفلاحون شيئا ما « اننا نقف مع الاحزاب التى تقر جانبـا من الحق والعدل »

والقضية الاساسية التى تؤرق هذا الحزب كما يرى المراقبون هى الوصول الى الحكم اما عن طريق القصر او عن طريق التحالف مع الاتحـاد الوطنى للقوات الشعبية لتشكيل حكومة برلمانية ليس لها بالعمل الثورى الخلاق اى صلة »

ويفتقر الحزب منذ الاستقلال حتى الان الى اى وضوح فى موقفه من الحكم الرجعى فهو حين يجد الفرصة مواتية للمشاركة فى الحكم ينهال على القصر بالمديح والقصائد وحين تغلق الابواب فى وجهه يلعن الحاشية ، وفى حين كان يعرف جيدا ان «مشروعية» الدستور الذى صنع سرا سنـة ٦٣مشكوك فيهاوقف مؤيداللاستفتاء على الدستور الى جانب جبهة الدفاع عن المؤسسات الدستورية وقال علال الفاسى يومها « فالسيادة او السلطة او الدستور كل ذلك مجسد فى شخص الملك الذى حافظ على استمرار كل هذه العناصر قبل الاستقلال وبعده ولن يأتى الدستور الا ليسجل هذا الواقع»

ورغم عمليات القمع التى يوجهها الحكم القائم ضد بعض عناصر الحزب الذى يقف فى المعارضة الان لانه ليس فى الحكم،يصرح زعيمه علال الفاسى فى يونيه من هذا العام لجريدة تونسية انه لـم يوجد خط فاصل بين القصر الملكى وحزب الاستقلال .

وتردى الحزب فى مواقف افقدته الكثير مـن احترام العالم الخارجى والجماهير بعد ان كتب علال سلسلة من المقالات فى جريدة العلم يدافع فيها عن التضامن الاسلامى المنزه عن السياسة والاعيب السياسيين فى الوقت الذى تقوم فيه معركة بين قوى التقدم والاشتراكية فى الوطن العربى وبين الرجعية العربية التى تريد ان تحجب عمالتهـا للراسمالية العالمية وحقدها على التيار التحررى الذى تسنده امانى الجماهير بالاحتماء وراء الدين الاسلامى ، فى هذا الوقت يتوجه علال الى ايران ليلقى محاضرات هناك عن هذا «التضامن» المزعوم .

وفى خلال محاكمات الاخوان المسلمين فى القاهرة ابدى الحزب تعاطفا شديدا مع سيد قطب «العالم» كان هذا العالم لا علاقة له بسيد قطب السياسى المتآمر الذى استخدم الدين ليستر حقده عـلى التقدم وكان حلمه وتخطيطه كله ينصب على تخريب مصر .. كل شىء فيها .. وحاول الحزب ان يقيم التجمعات احتجاجا على اعدام المتآمرين ولكنها لم تنجح ، واقام الحزب صلاة الغائب على ارواحهم ولكن الجماهير لم تحتشد كماتوقعوا لتصبح مظاهرة ضد الاشتراكية وتوج الحزب هذا السـلوك ازاء قضية من اخطر القضايا العربية باصدار عـدد خاص من مجلة الايمان عن سيد قطب قدم له علال مقدمة طويلة .

وعندما اعلنت محكمة السين اتهام اوفقير بتدبير اختطاف المهدى واغتيـاله طالبت جريدة العلـم الناطقة باسم الحزب الى القصر المبادرة بتأمين جميع الممتلكات الفرنسية فى المغرب ليس بدافع الضرورة الوطنية لتحرير الاقتصاد المغربى من التبعية لفرنسا ولكن لان المحكمة الفرنسية كانت قد اهانت الدولة المغربية حين وجهت الاتهام الى رجل من رجالها . واتخذ الحزب هذا الموقف فى الوقت الذى كان العالم كله يعرف تفاصيل المشاركة الاثمة للحكم فى عملية اختطاف الزعيم المغربى .

وفى الذكرى الاولى لاختطاف المهدى نشرت جريدة العلم قصيدة بعنوان «رثاء كلب» وتحمل هجوما رمزيا بذيئا على شخص المهدى وتاريخه هذا بدلا من ان يحاول الحزب ان يجعل من هذه القضية فرصة لكشف الحكم وتعرية اساليبـه الضارية فى العمل ضد القوى الوطنية .

ويبـدو ان علال الفـاسى يتوق الى ان يرث تركة المهدى وسمعته فى الخارج ويقال الان انه سوف يقوم بعد زيارة ايران بجولة اخرى فى العالم يحاول فيها ان يحصل على نصيب من رصيد المهدى فى بلدان العالم الثالث سواء فى قلب الحـركات الوطنية او القيادات التقدمية الحاكمة ، ولكن هل يستطيع علال حقا ان يرث المهدى ؟

ومع كل هذه المزالق والاخطاء الاساسية فى الفكر والقيادة «ان قيادتنا دكتاتورية حقا ولكنها رشيدة»كما قال شاب من المع شباب الحزب،فان حزب الاستقلال ما زال يتمتع بولاء قاعدة عريضة

من الجماهير الشعبية وهي الامل الوحيد في خلاص هذا الحزب حين تكتشف قواعده التي لا تنتمي الى البورجوازية الكبيرة المسيطرة عليها ان الحزب قد حاد عن الطريق الصواب في موقفه من القوى الاجتماعية المتناقضة ، اى ان التيار التقدمي الذى من المحتمل ان ينمو في داخل الحزب هو تيار من القاعدة التي تضم العمال والفلاحين وصغار التجار ولكن الا يقتضى ذلك سنة ١٩٥٩ اخرى ؟

اما الحزب الشيوعي المغربي فمما لاشك فيه انه حزب تقدمي من اكثر الاحزاب الشيوعية العربية انفتاحا على الواقع القومي وانطلاقا منه وتمتاز مواقفه بالوضوح والصدق الثوري ولكنه حزب يعتمد في تكوينه على مجموعة من المثقفين ولايستطيع ان يلتحم بالجماهير او حتى يقترب منها ، وهو لذلك لا يشكل خطرا على الحكم او ازعاجا له ، وهو في امس الحاجة الان للتحالف مع حركة تقدمية لها شعبية واسعة وجماهير منظمة وهذا يفسر لنا سر ارتباطه بقيادة الاتحاد المغربي للشغل التي يتناقض سلوكها مع اوليات الماركسية التي ترى في الطبقة العاملة طليعة لنضال الجماهير من اجل تغيير المجتمع ، ان الحزب الشيوعي في حين يمنح تأييده للمحجوب ويتعامل معه ويحاول ان يكسب العمال من خلاله دون تغيير جذرى لفكره واسلوب عمله يسىء الى تطور الحركة التقدمية التي لا بد ان تتكاتف كلها لكسب الطبقة العاملة الى صفوف الجماهير في نضالها اليومي .. والحزب الشيوعي هو اعلى المطالبين بوحدة القوى التقدمية في المغرب صوتا .

اما الاتحاد المغربي للشغل الذى عبرت جريدته الطليعة عن ضرورة وحدة القوى الوطنية لانقاذ المغرب فربما كان الاتجاه الى الوحدة هذا سببا في استعادة الطبقة العاملة الى موقعها الطبيعي . فالاتحاد المغربي للشغل كمنظمة عمالية تضم ما يقرب من المليون عامل تشكل اللبنة الاساسية في تحالف القوى الشعبية الى جانب انها اكثرها تنظيما ووعيا .

وتتجه كل هذه الفئات بنداء الوحدة اساسا الى الاتحاد الوطني للقوات الشعبية .

وبالرغم من ان الاتحاد الوطني للقوات الشعبية لا يرى في وحدة القوى التقدمية مجرد فكرة سليمة ولكنها عمل مهم ومفروض بحكم طبيعة الظروف التي تردت فيها البلاد الى الحضيض ، الا انه يعترض على شكل الوحدة المطلوبة لان «لقاء من هذا النوع بين قيادات احزاب متناقضة مذهبا واتجاها وسلوكا سيكون اشبه في المضمون والنتائج بمؤتمرات القمة العربية التي كانت في النهاية لفائدة الرجعية العربية وحدها» ولكن «مما لا شك فيه ان وحدة ثورية سليمة تتمخض في اعماق القاعدة الشعبية بعيدا عن تعفنات اغلب القيادات السياسية والنقابية الحالية لهو اقوم شىء واجمله في حياة النضال الجماهيري واقوى قوة واقدرها على مواجهة الاقطاع والرجعية والانتصار عليهما» .

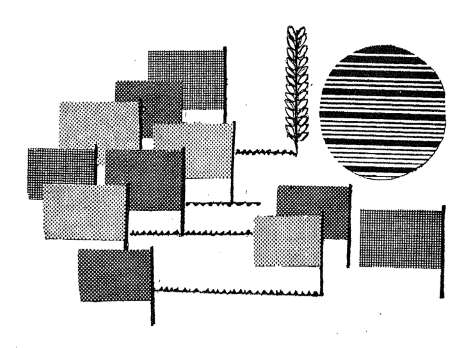
ويضع الحزب برنامجا اوليا وحدا ادنى من نقاط الاتفاق التي يجب ان تلتقي حولها القوى المعارضة منها ان تقوم الوحدة اساسا على معارضة الحكم لا على اساس مفاوضته من اجل الحكومة ، وان تحدد القوى المتحالفة برنامجا لا يتخلى عن الاسس العامة للحركة الاشتراكية الثورية او تؤدى الى التخلى عنها مثلا — ضرورة الحل الاشتراكي — ديموقراطية الحكم — التخطيط السياسي والاقتصادي .

ويرى الحزب كذلك انه لما كانت قضية المهدى قد تجاوزت في اطارها قضية قمع عادية ، ولما كان لا بد لها ان تتحول الى قضية وطنية تذكى الصراع بين الشعب واعدائه وتوضحه فان الحزب يرى «ان من حقنا ان ننظر من هذه الهيئات المهتمة بانقاذ البلاد والتي تعمل جادة على توحيد القوى الحية ان تلح على معاقبة مرتكبي جريمة الاختطاف وان تكافح الى جانبنا من اجل الحصول على ذلك»

«ويمكن لهذه المبادىء اذا تحتم تطبيقها ان تصد كل انتهازيين وان تقطع الطريق ايضا على مخاطر الاقليمية والعنصرية وستحول بالخصوص دون اى محاولة لتزييف قضية حيوية كقضية كفاح القوات التقدمية في المغرب ، هذا التزييف الذى قد تكون غايته تخطى المصاعب التي يتخبط فيها الحكم حاليا، وستر التسلل الامريكي الى بلادنا» .

ولكن هذه الشروط التي يضعها الاتحاد الوطني للقوات الشعبية لقضية الوحدة تجعل تحقيقها وقبولها من الاطراف الاخرى امرا بعيد الاحتمال مما يجعل منطق العنف الثوري هو المنطق الذى يكسب ارضا جديدة كل يوم .

ان المغرب يعيش تناقضاته الحادة الصارخة التي تعبر عن نفسها بوضوح وايجابية تخرس كل الاصوات التي تحاول ان ترثى القوى التقدمية في المغرب معلنة اندحارها واستسلامها وتحاول التشكيك في ثورية الشعب المغربي وطاقاته الهائلة ومن ثم في جدية الشعار الثوري الذى يرتفع في وجه المد الرجعي العربي لتحقيق وحدة القوى التقدمية في الوطن العربي .. هذا الشعار الذى يجد في المغرب ارضا خصبة وناضجة للعمل عن طريق الفهم الموضوعي للقوة التقدمية في المغرب ودعمها .



الوضع الراهن للعلاقات بين العالم الاشتراكى والبلدات العربية

خالد محيى الدين

حتى الحرب العالمية الثانية كان الاستعمار والرجعية يحيطان العالم العربى كله بسياج عازل كثيف يحجب ما بينه وبين الدولة الاشتراكية الوحيدة فى هذه الفترة « الاتحاد السوفيتى » .

ولم يكن لاى من البلاد العربية اية علاقة رسمية او غير رسمية بهذه الدولة اللهم الا اليمن التى عقدت فى العشرينات معاهدة للصداقة معها .

لكن فترة الحرب العالمية الثانية التى قامت خلالها جبهة تضم كل القوى المناوئة للفاشية بما فى ذلك الاتحاد السوفيتى .. وكل الاحزاب الشيوعية فى العالم .. قد اتاحت الفرصة لجماهير الشعوب العربية ان تتعرف — ولو الى حد ضئيل — على الاوضاع فى الاتحاد السوفيتى، وخاصة من خلال معارك النضال البطولى ضد العدوان الفاشى وبالذات معركة ستالينجراد .

ومع المعركة الوطنية التى احتدمت فى اكثر من بلد عربى فى اعقاب الحرب الثانية كان ثمة احساس عميق ينمو فى اذهان الجماهير العربية . ان الاتحاد السوفيتى والبلدان الاشتراكية الاخرى

هي — ايا كان موقفنا منها — قوى مناوئة لاعدائنا .. للاستعمار والرجعية المحلية .

ومع الانفراجـة التي اتاحتها فترة الحـرب الثانية بدأت العلاقات الدبلوماسـية مع الدول الاشتراكية وبدأت معها بعض العلاقات الطفيفة التي تمثلت في بعض مهرجانات الافلام ومعارض الكتب لكنها لم تتعد هذا الاطار .

غير ان تطور الاحداث قد اتاح لهذه العلاقات مزيدا من التدعيم .. فعندمـا طرحت قضـية استقلال سوريا ولبنان أمام مجلس الامن ، وعندما طرحت مصر ايضا قضيتها امام مجلس الامن وقف الاتحاد السوفيتي يدافع عن قضايانا دفاعا حارا واستخدم كل ثقله مؤيداً حقوقنا .. ومن هنا كانت البداية للتيار الحقيقي للعلاقات العربية مع البلدان الاشتراكية ، غير انهذه العلاقة قدتعرضتلبعض مؤثراتسلبية .. خلال أزمةفلسطين سنة ١٩٤٧ فقد صوتت الدول الاشـتراكية الى جانب قرار التقسيم .. ولسنا على اية حال في مجال تقييم هذا الموقف من جانب الدول الاشتراكية — لكن الشيء الذي يهمنا في موضوعنا هذا هو اهتزاز العلاقة بين الدول الاشتراكية والدول العربية بسبب هذا الموقف .. وقد استخدم الاستعماريون — الذين خلقوا اسرائيل والذين يحمونها حتى الان — هذا الموضوع سلاحا لهم في معركتهم ضد العلاقات بين الدول الاشتراكية والدول العربية .

.. غير ان الموجة استمرت في الصعود برغم العوامل السلبية الطارئة ..

فثورة الصين التي غيرت ميزان القوى العالمي ، كانت ذات أثر هام في جذب انتباه جماهير الشعوب العربية الى هذه الكتلة الاشتراكية التي تتعاظم قوتها يوما بعد يوم .

وهناك ايضا التأييد المتواصـل الذي قدمه الاتحاد السوفيتي وكل الدول الاشتراكية لنضال الجماهير العربية .. في مصر عند الغاء معاهدة ١٩٣٦ وايام معارك الفدائيين في القنال .. وفي العراق في كل الهبات الشعبية ضد الاحلاف وضد التسلط الاستعماري الرجعي ..

وهكذا كانت الصداقة تتدعم من خلال التأييد الثابت لمواقفنا ونضالنا ومن خلال ادراك الجماهير العربية ان الاتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية نصير اكيد لها في معركتها ضد الاستعمار .

وبالنسبة لمصر كانت ثورة يوليو ١٩٥٢ نقطة تحـول جـديدة في تاريخ العـلاقات مع البلدان الاشتراكية .. فاذا كانت الايام الاولى لثورتنا قد شهدت استمرارا متطورا للعلاقات التقليدية الا ان صمود ثورتنا ضد الاحلاف العسكرية وبالذات ضد حلف بغداد كانت بداية لتأييد فعال ومساندة ايجابية من جانب الدول الاشتراكية .

ثم كان مؤتمر باندونج وبروز الدور الايجابي والسلامي الذي تلعبهبلادنا وثورتنا وتزايد الضغط الاستعماري علينا .. وبالتبعية تزايد الضـغط الصهيوني .. ومن ثم تزايد التأييد الفعال من جانب الاتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية .

ومع تزايد الضغط العسـكري الصـهيوني واستمرار المسـاندة الاسـتعمارية لاسرائيـل واستخدامها لها كمخلب قط للعدوان على البلدان العربية المتحررة التي ترفض التبعيـة وترفض الاحلاف ومع استمرار الضغط الاستعماري علينا واستمرار رفض تسـليحنا بهدف ابقاء التفوق العسكري لاسرائيل ويهدف الضغط علينا لقبول مساعدات مشروطة .. قررنا ان نطلب السلاح من الاتحاد السوفيتي .. وكانت طفرة جديدة في مجرى العلاقات بين الوطن العـربي والدول الاشتراكية .

والحقيقة ان صفقة الاسلحة الاولى كانت تحولا كيفيا في نوعية هذه العلاقة فقد استتبعت اقامة علاقات واسعة بين الجيوش .. واستتبعت ايضا علاقات تجارية واقتصادية وثقافية اكثر اتساعا وعمقا .. ولاشك ان الفضل الاكبر في هذه الخطوة يرجع الى الموقف السياسي الشجاع والحنكـة السياسية للرئيس جمال عبد الناصر .

ثم ان مدنا بالاسلحة بالذات قد عبر عن مدى الثقة التي تكنها القيادة السوفيتية لثورة يوليو واصالة مواقفها الوطنية وعداؤها للاستعمار وعن تقديرها لثورية الرئيس عبد الناصر بالذات .

غير اننا لا يمكن ان نتجاهل خلال هذا السرد السريع الدور الفكري الهام الذي لعبه المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي الذي ارسى وطور عديدا من المفاهيم عن حركات التحرر الوطني وعن دور الحكومات الثورية في النضال العالمي ضد الاستعمار ومن اجل التحول الاجتماعي وعن الطرق المختلفة لبناء الاشتراكية .

ولا شك في ان هذا التطور الايديولوجي الهام قد ترك اثرا بعيدالمدى في رغبة القادة السوفييت وقادة البلدان الاشتراكية الاخرى في تدعيم وتعزيز علاقاتهم بالبلدان العربية المتحررة وبالحـكومات الثورية فيها ..

وهكذا تتابعت الاتفاقيات الاقتصادية والثقافية والتجارية بين البلدان الاشتراكية والبلدان العربية. وبدات المســاعدات الاشــتراكية غير المشروطة والقروض الطويلة الاجل ذات الفــوائد الضئيلة تقدم لعدد من البلدان العربية كمصر وسوريا .. وغيرها ....

وتتابع التاييد الحاسم على النطاق الدبلوماسي وفى المنظمات الدولية وعلى النطــاق الشــعبى للحركات الثورية العربية وكانت حرب التحرير الجزائرية ميدانا حقيقيا لاختبار اصالة هــذه المساعدات .. فقد انهالت على المقاتلين الجزائريين المساعدات المادية والفنية من كل البلدان الاشتراكية تقريبا ..

وهكذا بدات العلاقات مع البلدان الاشتراكية تتبلور فى اذهان الجماهير العربية كسلاح فعال فى المعركتين الحاسمتين فى حياتها وهما :

- معركة التحرر الوطني والخلاص من السيطرة الاستعمارية المباشرة بالنسبة للبلدان التى لم تكن قد استقلت بعد ...

- معركة التطور الاقتصادى والتخلص من التبعية للاستعمار بالنسبة للبلدان التى حصلت على استقلالها .

ثم كان العدوان على مصر .. وكان التاييد الحاسم والفعال من جانب البلدان الاشتراكية ذلك التاييد الذى توج بالانذار السوفيتى المشهور الذى كان فى اعتقادى علامة طريق هامة فى العلاقات الدولية فى القرن العشرين ، وكان نموذجا حيا للصداقة والاخوة فى النضال ضد الاستعمار .

وبعد العدوان كان الحصار ، وكانت المساعدات الاشتراكية للتغلب على الحصار .. مساعدات من كل نوع .. ابتداء من القمح الى المعدات الى الخبراء .. الى الادوية الى الاسلحة .

وكانت ثورة مصر تتطور فى هذه الاثناء وتتجه من خلال معركتها ضد الاستعمار والرجعية الى بناء مجتمع على اساس ثورى وعلمى .

وبدا الاتجاه الحقيقى نحو التصنيع وبدا مشروع السنوات الخمس .. وكانت القروض السوفيتية احد المظاهر البارزة فى هذه الاثناء .

وهناك ايضا القروض لسوريا .

وعندما قامت ثورة العراق ســاندتها الدول الاشتراكية منذ اليوم الاول وقدمت لها المساعدات والقروض هى الاخرى ..

والحقيقة ان هــذا السرد السريع يقدم رغــم سرعته نموذجا جيدا لعلاقات من نوع جــديد لم تشهدها شعوبنا العربية من قبل .

علاقات على قــدم المساواة وخالية من اية شروط وهى فى اعتقادى خير نموذج للعلاقة بين دول اشتراكية ودول وطنية ثورية تناضل ضد الاستعمار والتبعية .. علاقة لم تتاثر بالفوارق الايديولوجية ولا بالاختلاف فى الموقع الاجتماعى بل انها كانت سبيلا حقيقيا لتعزيز وتدعيم التطور الوطنى المستقل .

ولعل ابرز مثال على ذلك هو موقف الاتحــاد السوفيتى فى سنة ١٩٦٠ — حينما كانت الخلافات بين الجمهورية العــربية المتحــدة والاحــزاب الشيوعية العربية على اشدها وكذلك الخلافات من النــاحية الفكــرية على الاقــل مع البلــدان الاشــتراكية موقفــه الذى ابرز للعالم الجوهر الحقيقى للمساعدات غير المشروطة فتقدم لتمويل المرحلة الثانية للسد العالى .

وبعد هذا السرد السريع لتطور العلاقات يمكننا ان توقف فى بعض المواقع لنلقى عليها مزيدا من الضوء ومزيدا من التفصيل ..

فى مجال العلاقات السياسية

ان نظرة سريعة لاحصــائيات التصــويت فى الجمعية العامة للامم المتحدة وفى مجلس الامن توضح ان الدول الاشتراكية جميعــا كانت تقف باستمرار موقف المســاندة للقضــايا العــربية الاساسية الجزائر .. عمان .. عدن .. فلسطين .. وفى جميع الاحوال كانت اصوات مجموعة الدول الاشتراكية جزءا من رصيدنا فى المنظمات الدولية . وفى قضية فلسطين بالذات ترفض الدول الاشتراكية جميعا التصــويت الى جانب اى من مشــاريع التفــاوض المباشر التى تعرضها اسرائيل وغيرها من الدول وذلك منذ الدوره السادسة عشرة للجمعيــة العامة للامم المتحدة .

اما فى مجلس الامن فقد كان الفيتو السوفيتى ضمانا لنا ضد المؤامرات الاســتعمارية ، وعندما كسبت اسرائيل وســادتها المســتعمرين غالبية مجلس الامن ضد سوريا كان الفيتو السوفيتى [illegible] ضدها ..

غير ان مساندة الدول الاشتراكية للقضايا العربية لم تقتصر على التأييد فى المنظمات الدولية. بل ان اجهزة الاعلام فى هذه الدول كانت احد الاسلحة الفعالة لتأييد قضايانا ..

والذى لا شك فيه ان ضمان هذه المساندة القوية وهذا التأييد المادى والادبى كان احد العوامل الايجابية التى تستخدمها حركة التقدم العربية وتستفيدمنها ، ومع تطور الثورة الاجتماعية فى الجمهورية العربية المتحدة ، وبدء عملية التحول الاشتراكى بدأت العلاقات تتغير تغيرا كيفيا متخذة طابعا اخويا عميق الدلالة ، واتسعت قاعدة هذه العلاقات فلم تعد قاصرة على الميدان الرسمى بين الحكومات لكنها تطورت الى علاقات بين الاجهزة الشعبية والنقابات ومنظمات الشباب والنساء واتخذت العلاقات الاخوية طابعا أكثر بروزا بحضور ممثلى الاتحاد الاشتراكى العربى كمراقبين فى مؤتمرات الحزب السوفيتى وغيره من الاحزاب فى البلدان الاشتراكية .

هذا الى جانب علاقات شخصية وعملية واسعة النطاق بين العاملين فى مجالات البحث العلمى والتخطيط والسد العالى والجيوش وغيرها ...

واذا كان الهدف الاساسى للاستعمار والاستعمار الجديد هو تعزيز النموذج الرأسمالى فى كل البلدان التى حصلت على استقلالها حديثا فى آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ، ذلك النموذج الذى يؤدى حتما وبالضرورة الى طريق التبعية للاستعمار ، فان المساعدات الاخوية من جانب البلدان الاشتراكية قد مكنت الدول العربية الثورية من ان تشق طريق البناء الاشتراكى باندفاع اكثر وصعاب اقل .. وهكذا كانت المساعدات الاخوية للجمهورية العربية المتحدة والجزائر وسوريا مساهمة فعلية فى تطوير الوضع الاجتماعى وانجاح المعركة السياسية من أجل البناء الاشتراكى .

والامر الذى لاشك فيه ان المساعدات الاقتصادية والعسكرية قد مكنت النموذج العربى للاشتراكية ليس فقط من تدعيم نفسه وانما ايضا من تعزيزا قدراته الدفاعية لحماية نفسه ضد العدوان والتآمر ، بل ان هذه المساعدات قد مكنت القوى الاشتراكية العربية ليس فقط من الصمود للتآمر الاستعمارى والصهيونى ، وانما ايضا من اتخاذ زمام المبادرة فى المعركة ضد الصهيونية والاستعمار على الصعيد العربى والافريقى .

واذا كانت عملية التطور الاجتماعى فى البلدان العربية انبثاقا موضوعيا واصيلا من واقعنا العربى ، غير انها قد تأثرت بلا شك من حيث سرعة التطور والقدرة على الحركه والامساك بزمام المبادرة بهذه العلاقات الاخوية مع البلدان الاشتراكية .

بل ان الشعور الجارف لدى الجماهير العربية بأن ثمة قوى ذات أثر فعال فى الميزان الدولى تساندها فى معركتها ضد الاستعمار والصهيونية ومن أجل التطور الاجتماعى المستقل .. ان مجرد هذا الشعور قد لعب دورا هاما فى تطوير الاتجاهات والافكار والمواقف العملية فى عديد من البلاد العربية . ان هذا النموذج الرائع للعلاقات الاخوية قد تركت اثرا لدى جماهير الشعوب . ان هذه المجتمعات تسعى الى الخير الانسانى بغض النظر عن الاختلاف الايديولوجى بين بعض القوى فى البلدان العربية وبين البلدان الاشتراكية الا ان الجميع دائما يضعون فى الاعتبار قبل البدء فى أى معركة ان القوى الفعالة للبلدان الاشتراكية تساندهم فى سعيهم لتحقيق اهدافهم .

فى مجال العلاقات الاقتصادية

وقبل ان ابدا الحديث فى هذا الموضوع اود ان اشير الى اننى بالنسبة لايراد التفصيلات سأقتصر على العلاقات مع الجمهورية العربية المتحدة لكننى لست بحاجة الى ان أؤكد ان العلاقات الاقتصادية قد تطورت ايضا مع كل البلاد العربية الاخرى تقريبا وبالذات مع البلدان المتحررة كالعراق والجزائر وسوريا واليمن .

اما بالنسبة للجمهورية العربية المتحدة فان تتبع هذه العلاقة يشير الى ان فترة الحصار الاقتصادى فى اعقاب العدوان كانت بداية الانطلاقة الحقيقية لهذه العلاقة . فقد تبلورت فى هذه الفترة سياستنا الثورية الرامية للسير فى طريق التطور المستقل المتخلص تماما من القيود والعلاقات الاستعمارية .

وفى المقابل بدأت تدعم علاقاتها مع الدول الاشتراكية وعقدت معها عدة اتفاقيات تجارية واتفاقيات للدفع ..

وبعد ان كانت صادراتنا الى الدول الاشتراكية طوال الفترة من ١٩٥٢ الى ١٩٥٦ لا تمثل شيئا يذكر اذا بها تصل فى عام ١٩٦٤ حوالى ١٠٥٫٧ مليون جنيه مصرى تمثل ٤٥ ٪ من اجمالى صادراتنا الى دول العالم كله .. ثم ارتفعت صادراتنا فى عام ١٩٦٥ الى الدول الاشتراكية الى ١٢٩ مليون جنيه مصرى وهى تمثل نسبة ٤٩٪ من اجمالى الصادرات .

اما الواردات من الدول الاشتراكية فقد بلغت فى عام ١٩٦٤ ، ٧٩ مليون جنيه وهى تمثل ١٩٫١ ٪ من جملة وارداتنا .. ثم ارتفعت فى عام ١٩٦٥ الى ٩٢ مليون جنيه ممثلة نسبة ٢٢٫٧ ٪ من جملة الواردات .

والنتيجة الهامة والواضحة ليست مجرد زيادة العلاقات التجارية وفتح اسواق واسعة لصادراتنا وانما ايضا وجود فائض فى الميزان التجارى لصالحنا بلغ فى عام ١٩٦٤ ، ٢٦٫٧ مليون جنيه مصرى وفى عام ١٩٦٥ ، ٢٧ مليون جنيه .

اما بالنسبة لميزان المدفوعات فقد بلغت قيمة مدفوعاتنا للدول الاشتراكية عام ١٩٦٤ حوالى ٩٢ مليون جنيه مصرى بينما بلغت المتحصلات من هذه البلدان ١٠١ مليون جنيه وبذلك كان ميزان المدفوعات متضمنا فائضا قيمته ستة ملايين جنيه لصالح الجمهورية العربية المتحدة .

ويوضح الجدول المرفق تطور صادرات وواردات الجمهورية العربية المتحدة من والى بعض البلدان الاشتراكية :

لكن الجانب الرقمى ليس وحده المهم فى هذا المجال ، فهناك عوامل اخرى قد تكون اكثر اهمية واكثر حسما .

فالتعاون الاقتصادى القائم على المساواة والمصلحة المتكافئة قد خلق تقليدا جديدا فى العلاقات الدولية ، ومكن البلدان العربية والبلاد المستقلة جميعا من ان تتعامل مع الدول الاستعمارية من مواقع اكثر قوة ، مما خلق نوعا من المنافسة أدت الى استعداد الغرب فى بعض الاحيان لتقديم مساعدات ميسرة الشروط سواء من حيث سعر الفائدة او من حيث آجال التسديد ، ولا يمكن ان نتجاهل فى هذا الصدد موقف التأييد الذى اتخذه الاتحاد السوفيتى للدول النامية فى مؤتمر التجارة الدولية بجنيف من أجل معاملات تجارية اكثر عدلا واكثر تكافؤا .

كما ان اهمية التعاون الاقتصادى مع البلدان الاشتراكية تبدو فى نوعية هذا التعاون ، فمعركة التصنيع والتصنيع الثقيل بالذات الذى يعتبر امل الشعب العربى فى سيره نحو الرفاهية والتقدم لعبت الدول الاشتراكية فيها دورا أساسيا .

والخبرات التكنيكية والمشاريع الضخمة كالسد العالى ، والاسلحة الحديثة ، وفوق كل هذا القمح تمثل كلا منها شيئا اكثر من مجرد التعاون الاقتصادى ، واكثر من مجرد القيمة المادية او الرقمية . وثمة اتفاقات جديدة بين جمهوريتنا وبعض البلدان الاشتراكية تقدم البلدان الاشتراكية بموجبها للجمهورية العربية المتحدة

بيان بصادرات وواردات الجمهورية العربية المتحدة من والى بعض البلدان الاشتراكية
(بالالف جنيه)

اسم الدولة	١٩٦١ صادرات	١٩٦١ واردات	١٩٦٢ صادرات	١٩٦٢ واردات	١٩٦٣ صادرات	١٩٦٣ واردات
الاتحاد السوفيتى	٢٥٤٠٠	٢٧٧٠٠	٢٤٠٠٠	٢٤٦٠٠	٤٤٠٠٠	٢١٣٠٠
المانيا الديمقراطية	٦٠٥٧	٧٩٤٤	٥٩٣٧	٧٩٣٥	٦٥٢٥	٧٤٣٠
بولندا	٣٧٩٦	٢٨١٢	٣٣١٦	٥٧٦٩	٤٧٢٢	٥٨٠٠
رومانيا	٤٥٦١	٣٠٤٦	٤٦٨٥	٤٥٤٧	٥٤٣٩	٤٢٥٧
المجر	٣٠٥١	٢٧٤٩	٢٦٥٧	٤٤٣٧	٥٣١٥	٦٥٨٩
يوغوسلافيا	١٠٣٥	٦٢٦٣	٤٥٧٢	٧٥٠٧	٦٧٣٨	٩٩٦٦
تشيكوسلوفاكيا	٢٣٨٣٧	٥٩٥٩	١٢٥٥٠	١٠٢٤١	٢٢٠٦١	١٠٩٥٩
بلغاريا	١٢٩٩	١١٠٩	١٠٧٨	٢٢٨٢	١٧٥٠	١٥٩٥

بيان بصادرات وواردات الجمهورية العربية المتحدة من والى بعض البلدان الاشتراكية
(بالالف جنيه)

اسم الدولة	١٩٦٤ صادرات	١٩٦٤ واردات	١٩٦٥ صادرات	١٩٦٥ واردات	النصف الاول من عام ١٩٦٦ صادرات	النصف الاول من عام ١٩٦٦ واردات
الاتحاد السوفيتى	٤١٧٠٠	٣٢١٠٠	٥٦٦٠٠	٣٦٥٠٠	٤٢١٠٠	٢٥٦٠٠
المانيا الديمقراطية	٨٣٥٥	٦٥٤٢	١٠٠٤٠	١٠٣٥٣	٥٩٣٥	٩١١٦
بولندا	٦٨٨٠	٦٦٨١	٧٠٠٦	٤٦٠٨	٣٤٨٧	٣٣٧٠
رومانيا	٥٥٥٣	٤٠٠٣	٨٠٨٠	٦١٦١	٥٩٠٠	٤٤٨٣
المجر	٥٤٤٨	٢٦٠٤	٣٨٢٤	٥٤٩٧	٤٢٢٩	٤٠١٩
يوغوسلافيا	٨٤٢٧	٨٢٥٣	٨٢٤٤	٨٠٣٥	٦٣٤٨	٨٠٨٤
تشيكوسلوفاكيا	٢٢٥٩٦	١١٢٤٨	٢٦٩٨٠	١٣٧٧٢	١٧٦٠٥	٩٤٤٦
بلغاريا	٣٢٠٧	١٧٢١	٢٦٥٢	١٨٨٠	٢٠٧٨	٢٥٩٤

المواد اللازمة لصناعة عدد من الادوية الهامة على ان تسدد الجمهورية العربية المتحدة ثمنها من انتاج هذه الادوية ذاتها .. ومثل هذه الاتفاقات تقدم امكانيات كبيرة لتطوير صناعة الدواء المصرية وفتح مزيد من الاسواق امامها .. ولاشك ان تطوير هذا النموذج من العلاقة التجارية وتعميمه فى مختلف مجالات الانتاج سوف يقدم فرصا كبيرة للتقدم الصناعى فى بلادنا .

فى مجال العلاقات الثقافية والانسانية

ان تاريخ علاقة الدول العربية بالخبراء الاجانب يمثل تجربة مريرة بالنسبة لنا ، فالخبراء الاجانب القادمين من الغرب كانوا باستمرار عنصرا متعاليا على الشعب وعلى العاملين معه ، كانوا يأتون ويذهبون دون ان يتنازلوا عن « اسرار » عملهم محيطين كل تصرفاتهم « بكهنوت » وطلاسم بحيث يستحيل على المتعاونين معهم من العرب ان يستفيدوا منهم استفادة حقيقية .

لكن خبراء الدول الاشتراكية قدموا تجربة جديدة ورائدة ..

كان هدفهم الاساسى هو تربية الكوادر المدربة من ابناء الوطن ، ونقل كل خبراتهم ومعرفتهم وكفاءاتهم الى زملائهم العرب المتعاونين معهم .

ان روح الاخاء والمودة التى سادت منطقة العمل فى السد العالى هى خير تعبير عن هذه العلاقات الانسانية الجديدة التى نمت فى حقول العمل والتعاون المشترك .

ان اثمن ما قدمته لنا تجربة السد العالى هو الوف الخبراء والتكنيكيين الذين نمت خبراتهم وكفاءاتهم العملية من خلال العمل المشترك والمساعدة الاخوية للخبراء السوفيت .

ولست استطيع ان اقدم احصاءات رقمية عن مجموع الخبراء والتكنيكيين والعلماء القادمين من البلدان الاشتراكية الى مختلف ميادين العمل فى البلدان العربية لكن الجميع يعرفون ان صحارى ومدن ومصانع وحقول الجمهورية العربية المتحدة والعراق وسوريا والجزائر واليمن تشهد كل يوم العمل الدؤوب لهؤلاء الخبراء ..

والجميع يذكرون كيف توافدت افواج الخبراء فى كافة المجالات ، المهندسون والاطباء والمعلمون من مختلف البلدان الاشتراكية على الجزائر عندما ناشدت الدول فى بداية ايام الاستقلال لمساعدتها على التغلب من النقص فى مجال الخبرات الفنية .

غير انه من المفيد ان أذكر هنا بعض الارقام وكلها متعلقة بالجمهورية العربية المتحدة ، فمجموع الخبراء السوفييت المدنيين وحدهم فى جمهوريتنا يقرب من ١٥٠٠ فى مختلف مجالات التخصص ، واهم من هذا كله هو افواج الفنيين الذين تدربوا فى مراكز التدريب التى اقيمت بالتعاون مع الاتحاد السوفيتى ، ومنذ ١٩٥٩ حتى الان تم تدريب ١٨٠٠٠ طالب فى مختلف المهن ، ويجرى الان تدريب ١١٥٠٠ طالب آخرين .

وثمة مسألة هامة اخرى قد لا نشعر نحن بمدى اهميتها نظرا لتقدم مستوى التعليم فى بلادنا ، وهى فتح ابواب الجامعات فى الدول الاشتراكية امام ابناء البلدان العربية التى تعانى من النقص فى مجال التعليم الجامعى .

ان جامعات البلدان الاشتراكية المختلفة تقدم مئات بل والوف المنح المجانية لالاف من ابناء فلسطين والاردن والجزائر والسودان واليمن فلسطين والاردن والجزائر والسودان والسعودية واليمن والمحميات ولن تمضى بضعة سنوات اخرى حتى تزخر هذه البلدان بالمثقفين الوطنيين القادرين على ان يلعبوا دورهم فى تطوير مجتمعهم والنهوض به ..

ان هذه المنح الدراسية تحل احد المشاكل الرئيسية التى تواجه البلدان المتطورة عموما وهى النقص فى الخبراء .. انها تمثل ذخيرة حقيقية للمجتمعات العربية المتطلعة الى النهوض .

وبعد ...

فان الشىء الهام الذى يتعين تركيز الانتباه عليه هو ان العلاقات بين الدول العربية والدول الاشتراكية تمثل بالنسبة لنا وبالنسبة لكل الشعوب نموذجا لعلاقات جديدة قائمة على اساس من المساواة المطلقة والتكافؤ الحقيقى للفرص والمصلحة المتبادلة ..

لقد شهدت بلادنا طوال تاريخنا نماذج مروعة من العلاقات مع الدول الغنية .. كانت العلاقة استبدادا محضا ، واستغلالا محضا حتى ولو غلفت بمظاهر دبلوماسية وديعة .

وفى المقابل كانت البلدان العربية ترفع شعارا صاغه رائد القومية العربية المناضل عبد الناصر شعار « نصادق من يصادقنا ونعادى من

يعادينا » .. وهكذا كانت الدول العربية المتحررة والشعوب العربية جميعا تقدم صداقة بصداقة وودا بود ...

وعلى الارض العربية انهارت كل مشاريع الاستعمار واحلافه ومخططاته الاستراتيجية التي كانت ترمى الى تحويل منطقة الشرقين الاوسط والادنى المتآخمة للحدود الجنوبية للاتحاد السوفيتي الى قاعدة مدججة بالسلاح تستخدم منطلقا للتوتر والعدوان والحرب ..

وبدلا من هذه المخططات العدوانية ، وبفضل النضال البطولى للشعوب العربية وحكوماتها الثورية تحولت الارض العربية الى منطقة صديقة للاصدقاء .. والى منطلق للامن والسلام للعالم كله ...

لقد نجحت العلاقات بين الدول العربية والدول الاشتراكية فى ان تزيل من اذهان الجميع الاسطورة التي نسجها الاستعماريون محاولين ايهامنا ان عدونا الرئيسى هو « الاتحاد السوفيتي » وهذه الاسطورة لم تكن مجرد كذبة وانما هي ستار خبيث يستهدف تحويل الانظار عن العدو الحقيقى .. الاستعمار والصهيونية .

وليس صدفة ان التخلص من هذه الاكذوبة قد صحبه بالضرورة اندفاع جدى فى الاستعدادلمجابهة العدو الحقيقى ..

ان اهم ما فى هذه العلاقات هو انها قد فتحت الطريق لمجابهة حقيقية مع العدو الحقيقى ..

وهى فوق ذلك تقدم الامكانيات المادية والمعنوية والتأييد والمساندة وكل ما يلزم لهذه المجابهة .

فلا احد ينكر اهمية هذه العلاقات فى تطوير الامكانيات العسكرية والمادية للقوى الثورية العربية وفى تطوير مكانتها ومهابتها فى العالم كله .

ولا شك فى ان كل ذلك يترك اثرا ايجابيا على الصمود العربى الشجاع والمجابهة العربية الحاسمة لاعدائنا فى اليمن والجنوب المحتل .. وفى فلسطين .

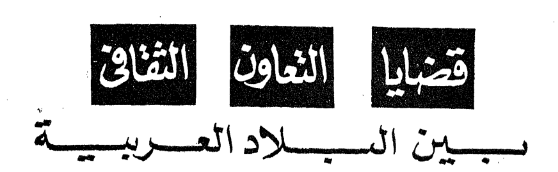
ولا شك فى ان كل ذلك يترك اثرا ايجابيا على القدرة الثورية العربية فى مساندة ومساعدة حركات التحرر فى افريقيا كلها .

وفوق هذا كله هناك الاثر الايجابى والفعال الذى يتركه على معركة التطور الاجتماعى والبناء الاشتراكى فى البلدان العربية المتحررة .. وفى بناء القاعدة الفعلية للمجتمع الاشتراكى .

والشيء العام الاخر هو ان هذه العلاقات لم تكن عقبة فى سبيل تدعيم علاقاتنا بالبلدان الغربية بل على العكس لقد كانت سبيلها فعالا لاجبار الغرب على ان يتعامل معنا على اسس اكثر عدلا واكثر تكافؤا ...

ولست اشك فى ان المستقبل سوف يشهد نموا مطردا وتطورا كبيرا للعلاقات الاخوية بين البلدان الاشتراكية والبلدان العربية ، فهى تعبير صادق عن المصلحة المشتركة والاخوة وروح الصداقة الاصيلة .





قضايا التعاون الثقافي بـين البـلاد العـربيـة

يكتب هذا المقـال للطليعة المفكر والكاتب اللبنانى التقدمى حسين مروة وهو من كبار النقاد العرب ويرأس تحرير مجلة الطريق ..

حسـين مـروّة

في هـذه المرحـلة الخطيرة شـبه الحاسـمة التى تواجهها الثورة العربية ، يزداد وضـوحا ، لدى مختلف فصـائل القوى الثورية العربية ، ان غياب المسألة الثقافية عن نطـاق المهمات الكبرى التي تحرك مجمل النشاط الكفاحى لهـذه القوى ، لابد ان يحـدث خللا فى العمل الثورى ذاته ، وهو — لا شك — يفتح امام اعداء الثورة ، رجعيين واستعماريين ، ثغرة خطرة فى جدار ثورتنا العربية ينفذون منها الى اعز اهدافهم المعادية لمطامح شعبنا التحررية والتقدمية .

اننا ، حين نضع مسألة التعاون الثقافى بـين البلاد العربية فى نطاق مهماتنا الثورية ، اثناء هذه المرحلة بالخصوص ، لا نكون قد ابتعدنا كثيرا ولا قليلا عن ميدان المعركة القائمة الان بأقصى حدتها ، بل نكون اقرب فأقرب الى قلب المعركة . ذلك اننا ، حين نضع المسألة فى هذا النطاق ، لا نطلب امرا خارجا عن طبيعة القضية التى تقوم عليهـا المعركة ، وانما العكس هو الصـحيح ، اى ان طبيعة هذه القضية هى التى تفرض — بالضرورة — ان تكون وحدة المنزع الثقافى ، على الصعيد العربى كله ، هى الارض الصـلبة الراسـخة للمعركة ، وان تكون — فى الوقت نفسه — السلاح الاشد مضاء وقوة للمناضلين الخائضين غمارها الان . فليست معركتنا الحـاضرة قائمـة على العاطفة الجموح ، ولا على الحماسة الهوجاء ، ولا على العصبية المنتفخة الاوداج غرورا وخيلاء وغوغائية ، ولا على رمـال من الخيـال الارعن والطـوباوية الواهية .. وليسـت هى معركة تدفعها العفوية والاعتباطية دون وعى ولا رؤية بصيرة ولا ارادة هادفة .. انها — فى الواقع — تنطـلق من ارادة واعية يحـكمها الفكر الواعى المنظم ، ومن مبادىء تستند الى شرعة الحق ، وقوانين العلم ، بقدر ما تستند الى تراث فكرى وكفاحى له تاريخ ، ثم الى اختيار هادف فاعل .

على ان الامر يزداد — بعد — وضوحا اكثر فأكثر ، حين نلتفت الى قـوى الثورة المضـادة لثورتنا العربية ، فاذا هم — مستعمرين كانوا ام رجعيين تابعين لهم — يتخذون من قضايا الفكر والثقافة اسلحة شتى يستخدمونها بكثير من الدقة

والبراعة والمكر لمناهضة الثورة العربية فى ارضها ، وفى قواعدها الفكرية ذاتها ، وهم يحشدون لها صفوفهم ، رغم تناقضاتهم كلها ويستميلون اليها — بصنوف من المغريات — حشــدوا من الاعداء الداخليين للثورة ، ومن ضعاف النفوس والاراء فينا ، ومن ذوى الثقــافات المترعرعة فى منابت الفكر الغربى الليبرالى ، ليدخلوا بهم جميعا الى حصون ثقافتنا الوطنية الاصيلة ، محاولين اثارة الشكوك بقدرتها ومناعتها ، وزرع الالغــــام « الايديولوجية » المعادية للحرية — باسم الحرية — فى اسسها .. وسنعود الى هذه القضية بشىء من التوضيح والتفصيل بعد قليل .

مضمون التعاون الثقافى

فمسألة التعاون الثقافى بين البلاد العربية ، هى — اذن — مسألة الثورة العربية ذاتها ، وهى — الى ذلك — تدخل فى مهمات المرحلة الحــاضرة للثورة من بابها العريض . ولكن ، قبل الانتقال من هذه التوطئة الى صلب الموضوع ، لابد من سؤال :

● ماذا نعنى بالتعاون الثقــافى هذا ؟ اى — بشىء من التحديد : ما المضمون الحقيقى المقصود لهذا التعاون ؟ وبعبارة اكثر وضوحا وتحديدا : اى نوع من الثقافة هــــذا الذى نريده ان يكون موضوعا للتعاون ، واى نوع من القوى البشرية العربية التى نريد ان تتعاون فى هذا المجال ؟ ..

اذا تقرر ان المسألة الثقافية ، هنا ، هى مسألة الثورة العربية ، كما قلنا ، فقد اصبح واضــحا ان المطلوب هو تعاون القوى الثورية فى البلاد العربية ، بمختلف هيئاتها ومنظماتهــا وانتماءاتها الفكرية ، على تحقيق حد ادنى — بالاقل — من الاسس النظرية والمبادىء والمنطلقــات الفكرية للثقافة العربية ذات المنزع الوطنى والتقدمى ، لتكون هذه الاسس والمبادىء والمنطلقات ملتقى تتفق عنده وجهات النظر لدى هذه القوى جمعاء . ولعل اول ما نتطلع اليه ، فى هذا الصدد ، ان نتفق على ان المضمون الثورى للثقافة التى نتعاون جميعا على انمائها وتطويرها وحمايتها واشــــاعة مفاهيمها فى المجتمع العربى ، هو :

اولا — ما يوجه الثقافة العربية وجهة التعبير المتكامل عن مطامح الشعوب العربية الى التحرر الوطنى والتقدم الاجتماعى ، وعن حاجات حياتها المتطورة فى المجالات الفكرية والاقتصادية والتقنية والاجتماعية والســــياسية بما يرفع مســــتوى جماهيرها العريضة فى الوعى الفكرى والرخـــاء الروحى والمادى ، وما يؤكد الشخصية العربيـــة والاستقلال الوطنى الكامل ، وما يناهض الافكار والثقافات المعادية لهذه الوجهة ولقضية السلام العالمى ولقضية الانسانية التقدمية بوجه عام ، بذلك كله يتهيأ لثقافتنا القومية ان تصبح جزءا من عملية الثورة بكاملها .

ثانيا — ما يرتبط بالتراث الثقافى العربى ارتباطا يبتغى الكشف المنهجى عن مضامينه الانســـانية والحضارية التقدمية ، واحياء ما طمسه التاريخ الاستبدادى والاستعمارى فى بلاد العرب ، طوال عصور ، من كنوز هذا التراث . ويبتغى كذلك تطوير الجوانب الحية منه وفق مقتضيات العصر الحاضر ومقتضــيات الثورة العربيــة وحاجاتها واهدافها بالذات . وبالطبع ، لابد ان يســتتبع التطوير لمضامين التراث تطويرا لاشكاله الفنيــة فى مجالات الادب والفن .

الاساس التاريخى للتعاون الثقافى

فى حدود هذا الاطار العام لمضمون الثقــافة التى نريد ان تكون موضوعا للتعاون بين مختلف القوى الثورية العربية ، نستطيع معالجة القضايا المتصلة ، كليا او جزئيا ، بأسباب هذا التعــاون ووسائله ، وبالعوائق التى تقف فعلا ، او يمكن ان تقف ، فى سبيل تحقيقه وتطويره .

وبديهى ان يتبــادر للذهن ، فى الــكلام على التعاون الثقافى بين البلاد العربية فى المرحــلة الحاضرة ، ان لهذا التعاون اساسه التاريخى ، وانه ليس حادثا ارتجاليا مقطوع الصلة بماضينا العربى ، وليس هو ظاهرة مســتجدة انشــأتها ظروف عابرة لا تقوم على قاعدة من التاريخ لها مقومات الحياة المستمرة المتجددة ، كما انه ليس قضية نظرية مجردة تفتقر الى ما يصل بينها وبين الجذور الحية لواقع الحياة العربية فى عصورها التاريخية وفى عصرنا الراهن .. ولعل الاســاس التاريخى لهذا التعاون يأبى علينا ان نكتفى من التعبير عنه باسم « التعاون » . فقد توحى هذه الكلمة ، اول وهلة ، ان الامر قائم بين اطراف لا تجمع بينهم من الصلات الثقافية سوى صــلة التعاون ، كما يحدث بين دولة او شعب وبين دولة اخرى او شعب آخر كل منهما اجنبى عن الاخر .. فان الذى هو قائم بين البلاد العربية ، فى هذا المجــال بالاخص ، اجــدر ان نســميه « الوحدة الثقافية » . وهى الوحدة التى تضرب بجذورها العريقة الى ابعد اعماق الوجود العربى .

وهذه حقيقة منبثقة من وحدة الوجود العربي كله ، ومن المقومات العلمية لمعنى الامة ، وهي — هنا — الامة العربية . ذلك يضاف الى التعبير الواقعي الرسمي عن هذه الحقيقة في الوثائق الرسمية للمعاهدات والاتفاقات التي تقوم عليها مؤسسة « جامعة الدول العربية » .

ففي النص الذي جاء مقدمة لميثاق الوحدة الثقافية العربية ، المنعقد في بغداد (٢٩ فبراير عام ١٩٦٤) ، والذي وافق عليه مؤتمر وزراء التربية والتعليم العرب في المكان والزمن ذاتيهما — في هذا النص تصريح بأن الميثاق هذا انما كان « تنفيذا لما جاء في ميثاق جامعة الدول العربية ، ومتابعة لما حققته المعاهدة الثقافية التي ابرمت بين الدول العربية في سنة ١٩٤٥ » (١) . وقد عبر هذا النص ذاته عن واقع الوحدة الثقافية التاريخية بين البلاد العربية ، وعن كون هذه الوحدة دعامة اساسية لبناء الوحدة العربية ، بقوله :

« استجابة للشعور بالوحدة الطبيعية بين ابناء الامة العربية ، وايمانا بأن وحدة الفكر والثقافة هي الدعامة الاساسية التي تقوم عليها الوحدة العربية ، وبأن الحفاظ على التراث الحضاري العربي وانتقاله بين الاجيال المتعاقبة وتجديده على الدوام هو ضمان تماسك الامة العربية ونهوضها بدورها الطبيعي الابداعي في مجال الحضارة الانسانية والسلام العالمي المبني على اسس العدل والحرية والمساواة .. » (٢) .

ما كانت حقيقة هذه الوحدة الطبيعية وما تتقوم به من وحدات متكاملة : تاريخية وجغرافية ولغوية ونفسية وثقافية ، لتحتاج الى مثل هذا النص الرسمي دليلا عليها ، ولكنه مثال ليس غير ، جئنا به اشارة محضا الى التزام الدول العربية التزاما حقوقيا بذلك الواقع التاريخي وبتلك الحقيقة الكيانية الاصيلة ، ولكي نعزز القول بأن قضية العلاقات الثقافية بين البلاد العربية هي اعمق من كونها قضية « تعاون » .. ومؤدى كل هذا اننا حين ندعو الى هذا « التعاون » انما ندعو — بالواقع — الى الاخذ بمقتضيات تلك الوحدة الثقافية النابعة من اصول الوحدة الطبيعية المشار اليها . **ومن ابرز هذه المقتضيات الملحة ان تتضافر القوى الثورية العربية ، في هذه المرحلة من مسيرة الثورة ، على تنمية المحتوى التقدمي لثقافتنا المشتركة ، وعلى تهيئة المناخ الصحي السليم لانشاء القاعدة الفكرية التي يصح ان تكون منطلقا لمختلف الوان الثقافة العربية الملائمة لهذه المرحلة ، لكي تكون هذه الثقافة قادرة على التعبير الحق عن مطامح شعوبنا الى التحرر والتقدم وعن حاجاتها الجديدة في معركة الحرية والتطور ، ثم لكي تكون قادرة كذلك على الفاعلية القوية في دفع المعركة وفي التخطيط لها وفي توضيح آفاقها ، فضلا عن فاعليتها المنشودة في اشاعة الوعي الروحي والفكري في جماهيرنا العربية من اي بلد عربي .**

التعاون الثقافي في عهد النهضة

اننا لا نطلب امرا غير ممكن ، او غير واقعي ، او خارجا عن سياق التاريخ الثقافي لبلادنا ، بل الامر على العكس .. اننا نطلب الانسجام مع هذا السياق الطويل المستمر المتجدد ، ونطلب اخصاب هذا السياق وتطعيمه بالوعي والتنظيم والتخطيط والمنهجة المتطورة غير الجامدة ولا المتزمتة .

في سياق هذا التاريخ عرفنا مرحلة عهد النهضة الحديثة ، وعرفنا كيف انطلقت حركة النهضة الثقافية ، في تلك المرحلة ، من واقع الحركة التحررية العربية ، بل يصح القول ، بكثير من الاطمئنان واليقين ، ان النهضة الثقافية تلك كانت فاعلة في الحركة التحررية اكثر منها منفعلة ، وقد لا نبعد عن الواقع ان قلنا بأنها كانت قائدة لها ورائدة ، فان معظم الذين اسهموا في الحركة السياسية الداعية الى تحرير العرب من ربقة الاستعمار العثماني والى استقلال البلاد العربية ، كانوا من قادة النهضة الفكرية والثقافية ، ولا سيما الادباء منهم . ومن المعروف المشهور ان اولئك القادة الرواد لم يكونوا من بلد عربي واحد ، بل كانوا قافلة طويلة ينتمون الى عدة بلدان عربية ، فكان « التعاون الثقافي » بينهم في سبيل النهضتين : الفكرية والسياسية ، يجري تلقائيا ، بدافع خفي من الارتباط الشعوري والموضوعي والتاريخي الذي يشدهم جميعا الى اصول الوحدة العربية الطبيعية .

فاذا كان هذا قد حدث ، في تلك المرحلة ، باستجابة عفوية لنداء الحقيقة الموضوعية ، فانه

---

(١) و (٢) « مجموعة المعاهدات والاتفاقيات المعقودة في نطاق جامعة الدول العربية ومع بعض الهيئات الدولية » — ص ٤١٦ — مطابع دار النشر للجامعات المصرية ..

لاجدر بنا اليوم — والثورة العربية في مرحلتها الخطيرة شبه الحاسمة — ان نجرى على هذا السياق ، ولكن مع ادراك ان مرحلة التعاون الثقافي العفوي قد تخطاها التاريخ واصبح لزاما على المثقفين العرب التقدميين ، الوارثين لتلك الخبرات الغنية من التعاون الثقافي ، ان يصونوا هذا التراث ، بالعمل لتطويره وفق المضمون الجديد لمرحلة الثورة العربية وللمبادىء الفكرية التي تقوم عليها ، وان يكون التعاون الثقافي ، بهذا المضمون ، منطلقا من وعى المثقفين هؤلاء لمقتضيات المرحلة الحاضرة للثورة وللتاريخ البشرى ذاته .

التفاوت الثقافي بين البلدان العربية

وفي الناحية العملية لتحقيق هذا التعاون المنشود ، لابد من رؤية القضية على حقيقتها ، لكي نتجنب الانزلاق الى مواقع التمنى المحض بعيدا عن الواقع . وهذه الرؤية تقتضينا ان لا نهمل الجوانب السلبية التي من شأنها اطالة الطريق الى الغاية المرجوة ، فان اهمالها يزيد الثغرات والصعاب ، بل قد يحول بيننا وبين الوعي الصحيح لابعاد القضية ، او يحول دون امساكنا بالخيوط الموصلة الى وضع «استراتيجية» سليمة للمسألة بكاملها .

ان اول ما يبدو لنا ، بين الجوانب السلبية تلك ، واقع هذا التفاوت الثقافي الصارخ بين بعض البلدان العربية والبعض الاخر . وليس هذا التفاوت سوى جزء من الارث الضخم الذي تركته في بلادنا عهود الاستعمار الطويلة وما خلفته من تشتيت وتجزىء وانفصام بين ظروف التطور هنا وظروف الركود والتخلف هناك من ديار العرب ، وما اوجدته كذلك من انفصام آخر في حركة التحرر العربية ادى الى تفاوت كبير في ابعاد المعركة الفكرية والسياسية بين هذا البلد العربي وذاك . ففي حين تقوم المعركة الان في بعض بلداننا على محتوى متقدم من التحولات الاجتماعية الجذرية ، تقوم المعركة في البعض الاخر على محتوى التحرر الوطني او الكفاح المسلح للاستعمار المباشر ، وتقوم في قسم ثالث على محتوى مزدوج من هذا وذاك .. واذا كان من الصحيح القول بأن المحتويين معا اصبحا متداخلين في الظروف الحاضرة للثورة العربية بكليتها ، فان من الصحيح القول كذلك بأن هذا التداخل متفاوت في النطاق التفصيلي لمواقع الثورة .

ان التفاوت الثقافي هو حصيلة هذه الظروف جميعها ، وهو حقيقة واقعة لا شك فيها . وهذه الحقيقة لا يمكن الا ان تلقى ظلالا من التخلف الثقافي على بلدان عربية معينة دون غيرها ، وان تلقى ظلالا أخرى من الميوعة الثقافية في احد البلدان (لبنان) .

لا مفر اذن من الاعتراف بأن هذه الظاهرات الموضوعية كان من شأنها ان تحدث آثارا سلبية على مجمل المعركة العربية ، ومعركة فلسطين بالاخص . فهل من طبيعة هذه الظاهرات ان لا تحدث آثارا سلبية من النوع نفسه على مسألة التعاون الثقافي بين البلدان العربية ؟

المراكز الثقافية الاستعمارية

وهناك وجه سلبي آخر للمسألة يتمثل بهذه المراكز الثقافية التي ينطلق منها الفكر الاستعماري في بعض البلدان العربية تحت ستار من شعارات « التعاون الثقافي ! » او « الحوار الفكرى ! » ، او ما اشبه ذلك من شعارات زائفة خادعة تضلل الكثير من المثقفين العرب الطيبين ، وتخلق لبعضهم مجالا لـ « تبرير » الانزلاق او الارتزاق على حساب الثقافة العربية ذاتها . ولم يبق من ستار يستطيع ان يخفى مقاصد مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر ، القاهرة — نيويورك ، مثلا وفرعيها في بيروت وبغداد ، (المنظمة العالمية لحرية الثقافة) ومجلتها الصادرة بالعربية في لبنان باسم « حوار » .. وما يصدر من كتب مترجمة الى العربية تمولها وتختارها السفارة الامريكية في القاهرة . (٣)

ظاهر ان امثال هذه المراكز والمؤسسات تنطلق ، بالدرجة الاولى ، من القصد الى التشكيك بقيم التراث الثقافي العربي ، والدعوة المبطنة المتحايلة لامكانية احلال ثقافة غربية محل الثقافة العربية ، غير مرتبطة بهموم الشعب العربي الحاضرة ، ولا بواقع حياته ، ولا بحركة الارض

---

(٣) يراجع مقال عبد الجليل حسن « دراسة صريحة حول فرانكلين وتخريب الثقافة العربية » — مجلة « الكاتب » القاهرة — عدد يناير ١٩٦٧ .

العربيــة ومعركتها الدائرة الان ، ولا بمطــامح العرب الوطنية والتقدمية ، ولا بحاجاتهم الروحية المعبرة عن هذه المطامح . انها الدعوة الى ثقــافة تقوم على مرتكزات فــكرية و « ايديولوجيــة » هدفها ـ بالاكثر ـ تشكيك جماهير الشــعب العربي بالعــالم وبقدرته على تحــويل واقعنا المتخلف ، هنا وهنــاك ، الى واقع متطور ، او بقدرته على نقل المجتمعات العربية من نظــام انكشفت مساوئه ومفاسده وعاهاته المزمنة الى نظام معافى من هــذه المســاوىء والمفاســد والعاهات ..

ونأسف ان يصبح لبنان ، بالخصوص ، مسرحا حرا حرية مطلقة لمثل هذه الدعوات المضللة ، في الصــحف اليومية والاســبوعية ، وفي الاذاعة والتليفزيون ، فضلا عن دور النشر الكثيرة التي لا تكتفي بنشر الاضــاليل عن الثورة العربيــة بجملتها ، ولا بنشر الدعوة لنمط الحياة الامريكية المتفسخة ، بل كثيرا ما يعمد بعضها لتشــويه التراث الثقــافي العربي بصــنوف لا تحصى من التشويه .. واخطر هذه الامور اشــاعة فكرة « الحياد » بين الفكر التقدمي والفكر الرجعي .. في حين ان « الحياد » المزعوم هذا انما يعبر عن انحياز ظاهر للفكر الرجعي ، لانه لا يعني ـ في الواقع ـ سوى موقف محدد يقصــد به وضع الكوابح امام صيرورة الفكر التقدمي ليس غير .

ذلك مجمل ما يعترض المسألة ، على الصعيد العام ، من ظاهرات سلبية تؤثر ، من الناحيــة العملية ، على بلوغ الاهداف المرجوة من حركة التعاون الثقافي بين البلاد العربية .

ماذا على الصعيد الرسمي ؟

اما على الصعيد الرسمي فان اظهر العوائق دون تحقيق هــذا التعاون على وجهــه العملي الصحيح المثمر ، يكاد يكون من الكثرة حيث يزيد المسألة تعقيدا . ونجمل هــذه العوائق ، دون حصر ، بالامور التالية :

اولا ـ الدول العربية ذات الانظمة الرجعية والموالية للدول الاستعمارية ، وموقفها الســلبي تجاه الحركة الفكرية التقدمية من جهة ، وتجــاه حركة التعليم بصورة عامة في بلدانها . فهي ـ اي هذه الدول ـ لا تكتفي بأســاليب التضييق والاضطهاد التي تصطنعها في وجه انتشار الفكر التحرري والتقدمي ، لمنع روح الثورة العربيــة المشتعلة من الوصول الى صفوف جماهير الشـعب والمتعــلمين ، بل تزيد في الامر انها تحــول دون تطوير الحركة التعليمية في الاقطار التي تحكمها ، في حين تبذل ابهظ النفقات على ملذات حــكامها وعلى المؤامرات ضد البلدان العربية المتحررة ، وضد حركة الثورة التحررية والتقدمية ، وعلى المرتزقة من اعداء الثورة في كل مكان للدعوة الى الاحلاف الاســـتعمارية ، او لنشر الافتــراءات والاضاليل والافكار المسمومة والانحلالية .

ثانيا ـ ما يتعــرض له المثقفــون التقــدميون والوطنيون العرب من مصاعب شتى يتعمد اولئك الحكام وضعها في حياتهم ،مادية ومعنوية وجسدية يرهقونهم بها ،لكبت كلمتهم الفاعلة ،ومنع افكارهم من الوصول الى الجماهير العربية هنا وهناك .

نظرة الى اعداد من هؤلاء المثقفين بين مشردين عن اوطانهم في البلدان العربية الاخرى والبلدان الاجنبية ، ومودعين السجون لأوهى الاســبــاب ولا سبب سوى حماية الانظمة الرجعية ، وفيهم الشعراء والــكتاب والباحثون الاكفاء والعلمــاء والفنيون المختصون بالفروع التقنية ـ نظرة الى هذه الاعداد من المثقفين تكفي علامة على هذه الظاهرة المؤدية لمسألة التعاون الثقافي ، ولقضــية الثورة العربية بوجه أخص .. ذلك فضلا عما يلقاه هؤلاء المثقفون من مصاعب النشر ومصــاعب الاهتمام المرهق بشئون العيش وقلة فرص التفرغ ، كليا أو جزئيا ، للعمل الثقافي الابداعي ، ولتتبع النشاط الفكري والادبي العاصف من حولهم وفي العالم .

ثالثا ـ فقدان روح التخطيط التربوي والتعليمي والثقافي لدى الدول العربية غير التقدمية . فان ذلك مما حال ويحول دون تحقيق الحد الادنى من تنسيق الحركة الثقافية بين مختلف الدول العربية ، ودون تنفيذ الاتفاقات المعقودة بين أعضاء جامعة الدول العربية ، ولاسيما ميثاق الوحدة الثقافية المنعقد عام ١٩٦٤ ، والذي كان احدى نتائج مؤتمر القمة العربي الثاني ، وكان قد أقره وزراء التربية والتعليم العرب في اجتماعهم ببغداد (٢٩ فبراير ١٩٦٤) . فقد نص هذا الميثاق على امور جليلة الشأن كان بالامكان ، لو انها دخلت حيز التنفيذ ،

أن تخدم مسألة التعاون الثقافي بين البلاد العربية خدمات عملية هامة ، ولكان بامكانها كذلك أن تزيل الكثير من العوامل السلبية التي تعوق حركة التعاون بمضمونه التقدمي .

مما نص عليه الميثاق بهذا الصدد أن « تتعاون الدول الاعضاء تعاونا كاملا في ميادين التربية والثقافة والعلوم وارساء دعائمها على أساس من التكافل والتكامل ، وتعمل بصفة خاصة على تنسيق انظمتها التعليمية وتطويرها ، وعلى تبادل الخبرات والمعلومات وثمرات البحوث العلمية والتقنية ، وتبادل الاساتذة والمدرسين والخبراء، وقبول الطلبة بالمدارس والمعاهد والجامعات ، وتقديم المساعدات التقنية والمشاركة في انشاء معاهد البحوث ومراكزها ، وعقد المؤتمرات والحلقات الدورية والتدريبية ، وتيسير انتقال المطبوعات العربية ، وتنسيق الوان النشاط الرياضي والفني ، وتحقيق التعاون بين الهيئات والمجالس المختصة بهذه الشئون حكومية وغير حكومية » (المادة الثانية) .

ونص الميثاق على أن « تعمل الدول الاعضاء على بلوغ مستويات تعليمية متماثلة عن طريق تنسيق انظمة التعليم فيها ، وبخاصة توحيد السلم التعليمي ، وتوحيد أسس المناهج ، وخطط الدراسة ،والكتب المدرسية ،ومستوى الامتحانات وقواعد القبول ، وتعادل الشهادات ، واساليب اعداد المعلمين ، وادارة المؤسسات التعليمية » (المادة الرابعة)

ونص على موافقة الدول الاعضاء على تأليف « مجلس أعلى لتنسيق التعليم الجامعي في الوطن العربي » وعلى انشاء اتحاد للجامعات العربية (المادة الخامسة) .. ونذكر بصورة خاصة ما نص عليه من اعلان موافقة الدول الاعضاء « على أن تكون اللغة العربية لغة التعليم والبحث في مراحل التعليم كلها ، وعلى الاقل في المرحلتين الابتدائية والثانوية . وفي الوقت نفسه تعمل الدول العربية على توثيق صلة طلابها بالثقافة الادبية والعلمية والفنية الحديثة ، ومساعدتهم على اتقان الوسائل اللغوية التي تمكنهم من استيعاب هذه الثقافة» (المادة العاشرة) .. ونص على « تأليف الكتاب الام الذي يعد المرجع الرئيسي لما يؤلف من الكتب المدرسية في تاريخ البلاد العربية وحضارتها وجغرافيتها ولغتها وادبها ومقومات المجتمع العربي » (المادة الثانية عشرة) ..وهناك نصوص تؤكد بها الدول الاعضاء تعاونها على احياء التراث العربي - الفكري والفني - والمحافظة عليه ونشره وتيسيره للطالبين بمختلف الوسائل ،وعلى ترجمة روائعه الى اللغات الحية ، وعلى التعريف بالثقافة العربية الاسلامية ، وبشئون الفكر العربي المعاصر وبالقضايا العربية الحاضرة ، كما تتعاون على نشر اللغة العربية والخط العربي وتيسير تعلمها في البلاد الاجنبية وفي البلاد الاسلامية خاصة (المادة الخامسة عشرة) ..وعلى العمل لتنشيط الانتاج الفكري في البلاد العربية. (المادة السادسة عشرة) ،وعلى السعي لتوحيد المصطلحات العلمية والحضارية ومساعدة حركة التعريب بما يحقق اغناء اللغة العربية مع المحافظة على مقوماتها (المادة السابعة عشرة) ، وعلى انشاء مجلس للمجامع اللغوية (المادة ١٨) ،وعلى العمل لتوثيق الصلات بين دور الكتب في البلدان العربية ومتاحفها العلمية والتاريخية (المادة ١٩) ، وعلى التعاون في تبادل الخبرات الثقافية الخاصة بالموسيقى والمسرح والسينما والفنون الشعبية والصحافة ووسائل الاعلام المختلفة (المادة ٢٠) ، وعلى العمل لوضع تشريع لحماية الملكية والادبية والعلمية والفنية (المادة ٢١) ، وعلى اتخاذ الوسائل اللازمة للتقريب بين اتجاهاتها التشريعية التربوية والثقافية وتوحيد ما يمكن توحيده منها (المادة ٢٧)

وفي الوقت نفسه الذي وضع فيه ميثاق الوحدة الثقافية العربية ، اتفق على انشاء « المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم » ووضع دستورها الذي ينص في مادته الاولى على أن « هدف المنظمة هو التمكين للوحدة الفكرية بين أجزاء الوطن العربي عن طريق التربية والثقافة والعلوم ورفع المستوى الثقافي في هذا الوطن حتى يقوم بواجبه في متابعة الحضارة العالمية والمشاركة الايجابية فيها » .

قصدنا من هذا العرض التفصيلي لمحتويات الميثاق ، أن يتبين القارىء مدى الفائدة العظيمة التي كان بالامكان اتاحتها لتحقيق الاهداف

التقدمية من التعاون الثقافى العربى على هذه الوجوه المنصوص عليها ، ومدى فاعليتها فى ازالة بعض ما أشرنا اليه سابقا من عوامل سلبية تعترض تلك الاهداف ، ثم لكى يتبين القارىء العربى أيضا مدى الاضرار التى الحقها الحكام الرجعيون العرب بحركة التعاون الثقافى ، اذ عملوا على هدم نتائج مؤتمرات القمة وتحويل أهدافها البناءة الى أهدافهم الرجعية ..

وجوه عملية ايجابية للتعاون الثقافى

فى مقابل تلك الوجوه السلبية ، وجوه ايجابية بناءة تقطع على المتشائمين طريق الانحدار الى اليأس والانهزامية .. فى طليعة ما نذكر من ذلك تلك الامكانيات الثورية التى تستطيع الدول العربية المتحررة ، ولاسيما الجمهورية العربية المتحدة ، والقوى الثورية الاخرى فى الصعيد الشعبى ، أن تستخدمها فى ايجاد الاسس الصالحة لتحقيق التعاون الثقافى بينها وفق خطها الثورى التقدمى الذى تتفق عليه جميعا .

ان البلدان العربية ذات الانظمة التقدمية بالخصوص قادرة على أن تنهض بعبء المساندة الفعالة للاقطار العربية المتخلفة ثقافيا ، سواء فى النطاق الشعبى وبوساطة المنظمات والهيئات والتجمعات الوطنية والتقدمية فى تلك الاقطار ، أم فى النطاق الرسمى بالنسبة للدول العربية التى تتخذ نوعا من الموقف الحيادى فى المعركة بين المعسكرين العربيين : التقدمى والرجعى .. كما أنه من المهم ، فى هذا المجال ، أن نذكر ممكنات الدول العربية التقدمية فى مساندة المثقفين التقدميين فى الاقطار العربية الاخرى على تطوير التعاون الثقافى نحو الاهداف الصحيحة فى اطار المضمون العام للثورة العربية .

من هذه الممكنات ، مثلا :

● تعديل التشريعات المالية التى تحد من نشاط تبادل المنشورات الثقافية ، الادبية والفنية والعلمية وذلك بأن يتجه التعديل نحو التساهل فى مسائل تحويل العملات وتسويق المطبوعات ، على نحو لا يؤدى الى استغلال هذا التعديل فى تهريب العملات والاضرار بالتدابير المالية المتخذة فى سبيل مصلحة التنمية الوطنية والتحولات الاجتماعية التقدمية .

● الاستفادة من مؤسسة النشر المصرية وتنظيماتها الجديدة فى سبيل تنسيق وسائل النشر والتوزيع والترجمة بين الاقطار العربية المنفتحة ابوابها امام الكتاب العربى غير المعادى للفكر التقدمى .

● منح التسهيلات الكافية والممكنة لتنقل الفرق الفنية ، ولاسيما المسرحية ، بين الاقطار العربية ذات الانظمة التقدمية من جهة ، وبين هذه والاقطار العربية غير المغلقة امام النشاط الفنى للبلدان الشقيقة المتحررة . ليتاح بذلك لكل من هذه الاقطار تبادل الخبرات الثمينة فى هذا المجال والافادة منها للتفاعل بينها فى سبيل التطور الفنى وتقارب مستوياته ووتيرات حركته .

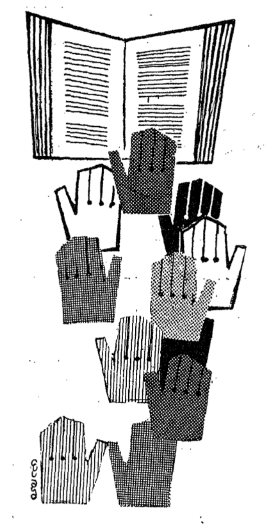
● العمل لانتاج الافلام والمسرحيات والاذاعيات المشتركة بين ذوى المواهب والخبرات من هذا البلد وذاك معا ، ولاقامة معارض الرسم والنحت والكتب بصورة مشتركة أيضا .

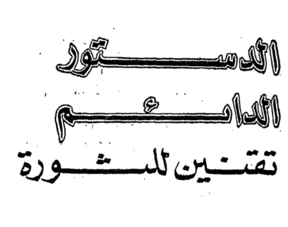
● اقامة الندوات الادبية والفنية والعلمية دوريا ، بين عواصم هذه الاقطار ، فى كل موسم لتبادل الاراء ومناقشتها فى القضايا الفكرية والثقافية المتنوعة . ومثل ذلك تخطيط برامج موسمية لتبادل الزيارات بين فئات المثقفين هنا وهناك ، ان لم يكن للبحث والمناقشة ، فبالأقل للتعارف عن كثب واحتكاك الافكار بعضها مع بعض ، الى غير ذلك من الاغراض المؤدية الى تحقيق التعاون الثقافى المنشود .

● أن تكون الاولوية فى اختيار وسائل التبادل الثقافى ، باختلاف اشكالها ، للتوعية الثقافية ، اى لما يصلح ان يكون عامل تطور وتقدم فى سبيل رفع المستوى الفكرى والروحى فى أوساط المثقفين والجماهير الوطنية ، ولتكوين الوعى التحررى المتكامل عند هذه الاوساط .

ان هذه الوسائل الايجابية تستطيع ان تعمل ، جنبا الى جنب ، مع مسيرة الثورة العربية فى مختلف بلدان العرب ، الى أن تنتصر الثورة على أعدائها الداخليين والخارجيين . عندئذ تتهيأ الظروف الموضوعية والذاتية معا لتطوير أسباب التعاون الثقافى ووسائله وفق مضمون المرحلة الجديدة .

وفى الظروف الحاضرة يبقى العبء كله على عاتق القوى الثورية التى تخوض المعركة المشتركة سواء كانت من الهيئات والمنظمات والتجمعات ذات الطابع الشعبى ، أم كانت من القيادات المناضلة ذات الطابع المسئول فى الدولة .





الدستور الدائم تقنين للثورة

د. وليم سليمان

تمارس جماهير شعبنا هذه الايام تجربة ديمقراطية هامة ،اذ تقوم بمناقشة نظام الحكم الذى سيتضمنه دستور البلاد ـ ليمكن صياغة مواده بعد ذلك وقد استمد مضمونها من الارادة الشعبية . والواقع ان التجربة الثورية المصرية قد رسمت طريقا للمناقشة السياسية أصبح واحدا من أهم تقاليدها . فالامر لا يقتصر من جانب الجماهير على سماع قيادتها فى مختلف المناسبات ، ولكن هذه الجماهير نفسها تجتمع لتفكر معا ، وبصوت عال ـ تحاول من خلال المناقشة الحرة المفتوحة أن تجد طريقها . هذا هو ما حدث فى اجتماعات اللجنة التحضيرية لمؤتمر القوى الشعبية وفى المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية الذى أصدر الميثاق ، وما يحدث الان فى مناقشات الدستور التى تتم هذه الايام . ومع وضع جميع وسائل الاعلام فى خدمة هذه المناقشات على أوسع نطاق ، ومع اتاحة الفرصة لكل جماعة بل ولكل فرد كى يبدى الجميع اراءهم ـ تصبح هذه المناسبات بمثابة مدارس للتربية السياسية ، وتعميق الوعى ، والتحام الجماهير بالعمل الوطنى

واذا كان الدستور مطروحا على هذا النحو للمناقشة الشعبية ، فلعله أن يكون من المفيد الحديث عنه فى أسلوب يمكن الجماهير من القيام بدورها المطلوب . وأول سؤال يتبادر الى ذهن المواطن غير المتخصص فى القانون هو : ما هو الدستور ؟ والاجابة لابد أن تبدأ بأمر قريب من كل فرد : يتعامل الناس بالقانون فى علاقاتهم ،وقبل أن يتصرف واحد تصرفا من أى نوع يتساءل أولا: ما هو حكم القانون فى هذه المسألة ..

والدستور قانون . أى مجموعة من القواعد

العامة التى تنظم العلاقات فى المجتمع . ولكنه قانون من نوع خاص ــ ان كل قانون عادي ينظم علاقات مجموعة معينة من الافراد : قانون العمل الذى يخضع له العامل ورب العمل ،قانون الايجار الذى ينظم علاقة المالك بالمستأجر ، قانون مهنة الطب أو الهندسةأو المحاماة ... الدستوريختلف عن كل هذه القوانين فى أنه ينظم مسائل تتصل بجميع المواطنين فى الدولة دون استثناء .

ولكن هناك قوانين تضع أحكاما لمسائل من هذا النوع ، القوانين التى تنظم انتاج وتوزيع المواد الغذائية ، قوانين التسعيرة مثلا ... فما هو الفارق بين الدستور وبين هذه القوانين ؟

الدستور ينظم مسائل معينة بالذات تهم جميع المواطنين ، انها أخطر ما يمس حياتهم ، بل تتوقف عليه جميع القوانين الاخرى التى تتعرض لمختلف نواحى علاقاتهم الاجتماعية .

الدستور يضع القواعد المتعلقة بنظام الحكم فى المجتمع : الدولة : رئيسها ، السلطات التى تشرع القوانين وتنفذها وتطبقها ــ انه يبين كيف تصدر القوانين الاخرى ، وكيف يلزم الافراد باحترام قواعدها

ولكن مضمون الدستور لا يقتصر على ذلك . فالمسألة ليست مجرد بيانلكيفية تركيبوتشغيل جهاز الدولة . ان هذا الجهاز لا يعمل فى فراغ ، ولا ينشط الا من أجل هدف معين يحققه . والقوانين لا تصدر الا لخدمة مصالح معينة فى المجتمع. ولهذا فانالدستور يتضمن بيانالمقومات المجتمع ، وللحقوق والواجبات العامة . ان هذا الجزء من الدستور قد يكون أخطر أجزائه ، لان جميع الاجزاء الاخرى انما توضع لخدمة الاهداف والمقومات التى يقومعليها المجتمع ولحمايةالحقوق والواجبات العامة .

ولنأخذ مثلا يوضح ذلك من الدساتير التى طبقت فى بلادنا .

ففيما يتعلق بالملكية مثلا . نجد أن دستور ١٩٢٣ ودستور ١٩٣٠ يتضمنان نصا واحدا بشأنها ينص على أن « للملكية حرمة . فلا ينزع عن أحد ملكه الا بسبب المنفعة العامة فى الاحوال المبينة فى القانون وبالكيفية المنصوص عليها فيه وبشرط تعويضه عنه تعويضا عادلا »

هنا نجد مجتمعا لا يقوم فيه الا نوع واحد من الملكية . وهذا الحق مطلق لا قيد عليه .

فما هو وضع هذا النص البسيط الحاسم فى دساتير ما بعد ثورة ١٩٥٢ ؟

حين نطالع دستور ١٩٥٦ نجد مبادىء جديدة تظهر لم تعرف من قبل فى الوثائق الدستورية : التضامن الاجتماعى . تنظيم الاقتصاد القومىوفقا لخطط مرسومة . مبادىء العدالة الاجتماعية . تنمية الانتاج . رأس المال فى خدمة الاقتصاد القومى . التوافق بين النشاط الاقتصادى العام والنشاط الاقتصادىالخاص . الوظيفةالاجتماعية للملكية الخاصة . الحد الاقصى للملكية الزراعية. تنظيم العلاقات بين ملاك العقارات ومستأجريها.

هذه المبادىء التى تضمنتها المواد من ٤ ــ ١٤ فى الباب الخاص بالمقومات الاساسية للمجتمع المصرى ، تكشف عن أن مجتمعا جديدا يبنىعلى أسس مغايرة لما كان يحدث فيه من قبل

ومع تتابع انجازات ثورة يوليو : الانتصار على العدوان ، قوانين التمصير ، قوانين التحول الاشتراكى ، صدور الميثاق ... تتضح ملامح مجتمع الثورة أكثر فأكثر :

تنص المادة التاسعة من دستور ١٩٦٤ المؤقت على أن « الاساس الاقتصادى للدولة هو النظام الاشتراكى ، الذى يحظر أى شكل من أشكال الاستغلال ، بما يضمن بناء المجتمع الاشتراكى ــ بدعامتيه ــ الكفاية والعدل »

وبدلا من « التوافق بين النشاط الاقتصادى العام والنشاط الاقتصادى الخاص » الذى جاء فى المادة العاشرة من دستور ١٩٥٦ ــ تنص المادة ١٢ من دستور ١٩٦٤ على أن « يسيطر الشعب على كل أدوات الانتاج ، وعلى توجيه فائضها وفقا لخطة التنمية التى تضعها الدولة لزيادة الثروة ، وللنهوض المستمر بمستوى المعيشة »

ثم جاءت المادة ١٣ لتعدد أنواع الملكية : ملكية الدولة ، والملكية التعاونية ، والملكية الخاصة . ثم نصت على أنتكون رقابة الشعب شاملة للقطاعات الثلاثة ، مسيطرة عليها بأكملها .

هكذا يكشف الدستور عن مقومات البناء الاجتماعى والاقتصادى فى الدولة . وعلى أساس هذا البناء يكون شكل التنظيم السياسى ، وكيفية تركيبه وممارسة نشاطه .

ان فقرة مشهورة وردت فى الميثاق وأصبحت احدى مكونات الفكر السياسى فى بلادنا ــ تؤكد هذا المعنى . يقول الميثاق :

« ان من الحقائق البديهية التى لا تقبل الجدل أن النظام السياسى فى بلد من البلدان ليس الا انعكاسا مباشراللاوضاع الاقتصادية السائدةفيه،

وتعبيرا دقيقا للمصالح المتحكمة فى هذه الاوضاع الاقتصادية .

« .. ولقد كانت القوة الاقتصادية فى مصر ـ قبل الثورة ـ فى يد تحالف بين الاقطاع وبين رأس المال المستغل . وكان محتمها أن تكون الاشكال السياسية بما فيها الاحزاب تعبيرا عن هذه القوة ، وواجهة ظاهرة لهذا التحالف ... »

وهكذا صدر دستور ١٩٢٣ ـ يتضمن تكريسا كاملا حماية تامة لنوع الملكية الوحيد الذى ينهض على أساسه التحالف الرجعى .

وهكذا يمكننا أن نرسم الخطوط الرئيسية لنظامنا السياسى الذى سيتضمنه الدستور الذى ننهض بمهمة عمله ـ اذا عرفنا المبادىء الاساسية التى يقوم عليها اليوم بناء البلاد الاقتصادى .

ولكن سؤالا هاما يتبادر اليوم للاذهان ولابد أن تتم الاجابة عليه فى وضوح ودقة . ما لزوم دستور جديد ولدينا دستور ١٩٦٤ ـ ولماذا يوصف هذا الدستور بأنه مؤقت ...

الاجابة على هذا السؤال لا يمكن أن تكون الا فى ضوء التطورات الاقتصادية والسياسية التى مرت بها البلاد منذ دستور الثورة الصادر ١٩٥٦

نحن نعلم أنه بعد هذا الدستور تمت الوحدة بين مصر وسوريا ، وصدر الدستور المؤقت لدولة الوحدة فى مارس ١٩٥٨ .

كما طرأت بعد صدور هذا الدستور تغييرات جذرية فى تكوين الدولة ، وفى بنائها الاقتصادى ، وأصبحت لها نتيجة ذلك فلسفة سياسية ، وبرنامج عمل جديدين

● ففى يوليو ١٩٦١ صدرت القوانين التى تعيد بناء المجتمع على أسس جديدة مغايرة لماكان عليه من قبل

● وحدث الانفصال فى أكتوبر ١٩٦١

● ثم صدر ميثاق العمل الوطنى فى مايو١٩٦٢

فى هذه الظروف ،كانت مبادىء النظام السياسى للبلاد تستمد من دستور مارس ١٩٥٨ معدلا بالاعلان الدستورى الصادر فى سبتمبر ١٩٦٢ ، ومن الميثاق لان الدستور المذكور لم يعد معبراعن الاوضاع الاقتصادية بعد أن بدأ البناء الاجتماعى يتغير منذ يوليو ١٩٦١ . ولم يعد يعبر عن الفكر السياسى الذى تضمنه الميثاق .

فكان لابد من صدور دستور جديد يمثل هذه المرحلة الجديدة من تاريخ بلادنا ـ تمثيلا صادقا أمينا .

ومن المبادىء المسلم بها أنه نظرا لان الدستور ينظم أخطر المسائل التى تهم جميع المواطنين ، فان الجهة التى تتولى اصداره تختلف ـ نوعا وكما ـ عن الجهة التى تصدر عنها القوانين . ومن هنا اختلاف التسمية بين الجهتين ، فبينما يصدر القانون عن البرلمان أو السلطة التشريعية ـ يصدر الدستور عن الجمعية التأسيسية . بل ويطرح للشعب كله كى يبدى رأيه فيه عن طريق الاستفتاء

ولكن القيادة السياسية الثورية لم تشأ أن تتأخر ممارسة الديمقراطية فى البلاد الى حين اصدار الدستور الدائم الذى يعمل به عوض دستور ١٩٥٨ . فصدر قانون مجلس الامة فى نوفمبر ١٩٦٣ وانتخب المجلس فعلا وبدأ يتهيأ لممارسة مهمته . وهو لا يستطيع أن يقوم بذلك الا فى ظل دستور يتضمن لهذا بيان نظام الحكم وأجهزته والعلاقات بينها

ومن هنا كانت مبادرة قائد الثورة ، ورئيس الجمهورية الذى انتخبه الشعب ، فأصدر دستور ١٩٦٤ .

وفى اصرار على التزام المبدأ الديمقراطى ، نص الاعلان على أن يكون هذا الدستور مؤقتا ، الى أن يقوم مجلس الامة بوصفه جمعية تأسيسية بوضع مشروع الدستور الدائم للبلاد ، وطرح هذا المشروع على الشعب للاستفتاء لكى يمنحه من ارادته الحرة القوة التى تجعله مصدرا لكل السلطات ...

وهكذا يبين مما سبق لماذا كان من اللازم أن يصدر دستور جديد

ولماذا كان دستور ١٩٦٤ مؤقتا

وكيف يمكن أن يكون للبلاد دستور دائم

وثمة سؤال اخر ـ لماذا نضع الدستور الان والميثاق سيعاد النظر فيه سنة ١٩٧٠ .. أليس من الاوفق الانتظار حتى يتم التعديل ثم يوضع الدستور ، والا اضطررنا الى تعديل الدستور مع تعديل الميثاق ...

● وللاجابة على هذا السؤال لابد أن نذكر الظروف التى سبقت والتى جعلت من دعوة الشعب للمشاركة فى وضع الدستور ضرورة وطنية لامكان استمرار ممارسة الحياة الديمقراطية فى البلاد . فمع سقوط دستور ١٩٥٨ وصدور

الميثاق الوطني وبدء عمل مجلس الأمة عام ١٩٦٤ أصبح من المحتم أن يكون للبلاد دستور تصدره الجمعية التأسيسية المعبرة عن الارادة الشعبية. ان هذه المهمة هي المهمة الرئيسية لمجلس الأمة، وعليه أن ينهض بها أثناء دور انعقاده الحالي .

● ومن ناحية أخرى ـ فاننا حين ننظر الى الميثاق نجد أنه تعبير عن الخطوط الرئيسية للفكر السياسي والاجتماعي، وفي نفس الوقت برنامج عمل خلال المرحلة من صدوره الى ١٩٧٠

أما الخطوط الرئيسية السياسية، وهي التي يتلاقى فيها الدستور مع الميثاق ويستمد منها مبادءه ونصوصه ـ فانه لا يكفى القول بأن المؤتمر القومي العام للاتحاد الاشتراكي العربي سيعيد النظر في الميثاق عام ١٩٧٠، للقول بأن عمله حينئذ سيتناول تعديل هذه الخطوط الرئيسية . لان هذه الاصول لا يكون تغييرها الا نتيجة لتعديل أساسي في البناء الاجتماعي والاقتصادي للدولة كما سبق القول . ان دستور ١٩٥٦ كان تعبيرا عن ثورة ١٩٥٢ التي أسقطت النظام الاقتصادي والاجتماعي السابق عليها . ودستور ١٩٥٨ كان نتيجة قيام الوحدة . والميثاق نفسه كان التعبير عن اجراءات يوليو ١٩٦١ الثورية التي أعادت بناء المجتمع على أساس جديد . وهكذا كان الدستور المؤقت الصادر ١٩٦٤

ومن هنا يكون القول بأن عمل المؤتمر القومي للاتحاد الاشتراكي العربي عام ١٩٧٠ . سيتناول برنامج العمل الذي وضعه الميثاق دون مبادئه الرئيسية المرتبطة بالبناء الاجتماعي الذي أرسته انجازات الثورة في مراحلها المختلفة .

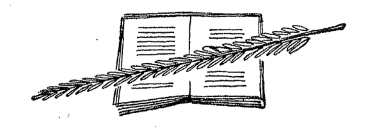
● يؤكد هذا ويوضحه ـ أن المبدأ الذي يحكم كل نشاط الارادة الشعبية هو استمرار الثورة. « لقد اثبتت التجربة ـ وهي ما زالت تؤكد كل يوم ـ أن الثورة هي الطريق الوحيد الذي يستطيع النضال العربي أن يعبر عليه من الماضي الى المستقبل » « الثورة مستمرة . ودولة الثورة لابد أن تقوم على أسلم الاسس وأصلب القواعد : الدستور والقوانين وتنظيم مؤسسات الدولة والعلاقة بين هذه المؤسسات ... »

وحين تقوم الارادة الشعبية اليوم بعمل الدستور فانها في حقيقة الامر تواصل عملها الثوري . ومن هنا ما تردد أثناء جلسات لجنة الاستماع من أن الدستور هو « تنظيم للثورة » أي أنه يجعل جهاز الحكم وسلطة الدولة في خدمة المصالح والقوى الاجتماعية التي قامت الثورة من أجلها .

وحين ينهض مجلس الامة بمهمة اعداد مشروع الدستور الذي سيطرح للاستفتاء الشعبي يحكمه نفس المبدأ أيضا . « أن ارادة الثورة الشعبية هي التي فتحت طريقه وهيأت مكانه واعدت له الدور الكبير ... انه قادم بالثورة وعليه أن يستكمل الطريق الى الثورة .. قادم من ارادة التغيير العميق، وعليه أن يذهب بها الى أهداف التغيير العريضة والرحبة ... الى مجتمع تتكافأ فيه الفرص بين الافراد، وتذوب فيه الفوارق بين الطبقات ... »

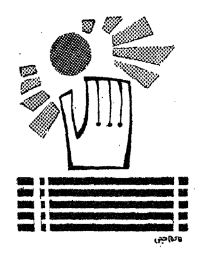
هذا هو المبدأ الذي يحكم عمل مجلس الامة كله كما جاء في خطاب المناضل عبد الناصر للمجلس يوم افتتاحه في مارس ١٩٦٤ . وفي قمة هذا العمل أعداد مشروع الدستور .

وهو المبدأ نفسه الذي سيحكم عمل المؤتمر القومي العام للاتحاد الاشتراكي عام ١٩٧٠ . وهكذا تظل الارادة الشعبية تواصل ثورتها . ولا يكون ثمة تعارض بين وضع الدستور الان، واعادة النظر في الميثاق عام ١٩٧٠ ـ لان العملين ينطلقان من بداية واحدة ويتجهان لهدف واحد .





الاتحاد الاشتراكى تكوينه وأهدافه



يكتب هذا المقال للطليعة السيدمحمد عبد الفتاح ابو الفضل عضو الامانة العامة "الاتحاد الاشتراكى لشئون الاعضاء" وفيه يلقى الاضواء على تكوين واهداف الاتحاد الاشتراكى كتنظيم سياسى .

محمد عبد الفتاح أبو الفضل

معنى التنظيم السياسى

هو تجمع بشرى حول فكر موحد مبنى على الوعى والايمان والايجابية ، وذلك داخل اطار من أهداف مرحلية تؤدى الى هدف نهائى او داخل اطار هدف رئيسى واحد .

ويتوقف نجاح التنظيم على مدى مطابقة نوعية محتواه وشكله على الهدف الرئيسى والاهداف المرحلية وعلى مدى مرونة التنظيم عند القيام بالاعمال الجماهيرية التى تخدم الهدف .

واذا لم يطابق التنظيم الهدف قد يصبح أحدهما معول هدم للاخر ... فمثلا الاتحاد القومى عندما

أطلقت القوانين الاشتراكية كهدف مكمل للوحدة والقومية أصبح التنظيم ، وهو الاتحاد القومى معول هدم للوحدة نفسها .

من المعروف أن كل نظام أجتماعي يحمل فى طياته معول هدمه والسبب فى ذلك هو قوانين التطور للمجتمع ، واذا صحب هذا التطور التقدمى تخلف التنظيم عن المجتمع المتطور يصبح المجتمع نفسه باهدافه الجديدة معول هدم للتنظيم نفسه أوللنظام الاجتماعي المتخلف .

الاتحاد الاشتراكى العربى

هو تنظيم جماهيرى يمثل قوى الشعب العاملة لتمارس من خلاله الديموقراطية فى أعرض قاعدة وذلك خلال العمل اليومى متدرجا من مطالب الحياة الفردية .. فالواجبات المطلوبة .. فالعمل الاجتماعى .. فالعمل السياسى للفرد .. ثم المجتمع ككل ، ويتوقف هذا التدرج على درجة الوعى وكفاءة التنظيم .

وعليه فان كل فرد وكل وحدة وكل خلية فى المجتمع يمكنها من خلاله أن تمارس الديموقراطية ولو فى أبسط مجالاتها ، كالحقوق والمطالب ورفع الظلم .

فنجد فى قاعدة التنظيم ٧٠٠٠ وحدة فى القرى والمؤسسات الجماهيرية،وكل وحدة تتكون من لجنة ومن مؤتمر لهذه اللجنة .. اللجان تجتمع مرتين على الاقل شهريا والمؤتمر ينعقد دوريا مرة كل اربعة اشـهر . وعلى ذلك يكون الاتحاد الاشتراكى بهذا التمثيل العريض لقوى الشعب تنظيما شعبيا موسعا يحقق الديموقراطية من ناحية «الكم» «أنه الديموقراطية فى الترجمة الصحيحة لكون الثورة عملا شعبيا » (ميثاق — ٥) .

وفى نفس الوقت فانه باعلان سيطرة قوى الشعب على وسائل الانتاج ومصادرة الثروة (التمصير — التأميم — تحديد الملكية سنة ٥٢ ، ١٩٦١ — مجانية التعليم فى جميع مراحله — التأمينات الاجتماعية — الاسكان الشعبى — التجارة الخارجية ٧٥٪ قطاع عام — ٥٠٪ على الاقل فى جميع التنظيمات الشعبية والسياسية فى جميع مستوياتها يجب أن يكونوا من العمال والفلاحين — التجارة الداخلية ٢٥٪ منها للقطاع العام، ٧٥٪ منها للقطاع الخاص)

وبذلك يتحقق فى داخل الاتحاد الاشتراكى الديموقراطية من ناحية الكيف ، «أن الديموقراطية هى توكيد السيادة للشعب ووضع السلطة كلها فى يده وتكريسها لتحقيق أهدافه «الميثاق — ٥»

وبذلك يكون الاتحاد الاشتراكى وسيلة الشعب لحل التناقضات التى توجد بين قواه العاملة سلميا، ووسيلة لممارسة الديمقراطية ، كما لتحقيق الديموقراطية السياسية،وكيفا لتحقيق الديموقراطية الاجتماعية وهما جناحا الحرية . «أن الديموقراطية السياسية لايمكن أن تنفصل عن الديموقراطية الاجتماعية » (الميثاق — ٥) .

الجهاز السياسى

وفى داخل الاتحاد الاشتراكى ، يوجد الجهاز السياسى الذى يقود الاتحاد الاشتراكى (التنظيم الجماهيرى) وهومكون من العناصر المدربة سياسيا والملتزمة تماما بمبادىء الثورة .

فالاتحاد الاشتراكى يعتبر التنظيم الجماهيرى ، الذى يعبر فيه الشعب عن وجهات نظره ديموقراطيا كما وكيفا ، والجهاز السياسى يعتبر القيادة الثورية والذى يمكن به توجيه الجماهير ، والتفاعل بين التنظيمين (الاتحاد والجهاز السياسى) هـو الضمان الكامل للتعرف على مطالب الشعب وأمانيه وآرائه وما يشعر به من سخط او رضاء .

الاتحاد الاشتراكى .. هل هو حزب ؟

ما هو الحزب ؟

جماعة من الناس تمثل مصلحة طبقة معينة . وليس من الضرورى أن يكون التمثيل بذات اشخاص الطبقة ، فاحيانا نرى محام او حتى عامل ويدافع عن مصالح الراسمالية أو الاقطاع ، واحيانا نرى مثقفا من اصل طبقى غنى، ولكنه يمثل ويتبنى مصالح العمال .

التمثيل الذى نعنيه هو تمثيل مصالح الطبقة ، بصرف النظر عن الوضع الطبقى لاشخاص قيادة الحزب ، أو حتى الجماهير المضللة التى تنساق وراءه . يقول الميثاق : «أن الديموقراطية السياسية لايمكن أن تتحقق فى ظل سيطرة طبقة من الطبقات . أن الديموقراطية حتى بمعناها الحرفى هى سلطة الشعب ، سلطة مجموع الشعب وسيادته » .

والاتحاد الاشتراكى يضم العمال والفلاحين والمثقفين والجنود والرأسمالية الوطنية ، أى أنه لايمثل طبقة بمفردها ، بل يمثل تحالف قوى الشعب ولذلك فهو ليس حزبا .

هل هو جبهة ؟

الجبهة تضم عدة أحزاب او تنظيمات مستقلة ،

لكل منها نشاطها الخاص وبرنامجها الخاص وتلتقي كلها عند الحد الادنى من برنامجها ، بينما يحتفظ كل تشكيل منها (احزاب — نقابات — منظمات — اتحادات وروابط) ببرنامجه الخاص واهدافه البعيدة ، كالجبهة المواجهة لديجول فى فرنسا مثلا واسمها «التجمع الديمقراطى» وتتكون من : الحزب الاشتراكى الفرنسى ، الحزب الشيوعى ، الحزب الراديكالى ، ومثل الجبهة الوطنية لتحرير جنوب فيتنام .. وتتكون من : الحزب الديمقراطى (راسمالية وطنية لا تريد الاشتراكية) ، الحزب الراديكالى الاشتراكى (بورجوازية صغيرة) ، الحزب الثورى الشعبى (شيوعى) ، هيئات + نقابات + اتحادات + روابط + جماعات دينية ولا دينية .

والجبهة يمكن ان تنحل او تنفصل منها بعض الأطراف .. ويمكن أن تنشأ داخلها تكتلات بين بعض القوى ..

أما الاتحاد الاشتراكى ، فهو لايضم احزابا أو تنظيمات سياسية سابقة على وجوده ، وحتى بالنسبة للافراد الذين مارسوا نشاطا سياسيا معينا قبل قيام الاتحاد الاشتراكى ثم تخلوا عن موقفهم ايمانا بالموقف الثورى للاتحاد الاشتراكى وتسليما باهدافه فان العضوية لاتمنح لهم الا على أساس فردى ، بل على أساس التخلى عن كل رابطة تنظيمية سابقة .

وقوى الشعب المكونة للاتحاد الاشتراكى تتفق جميعها فى الهدف البعيد والقريب ولايسمح فى الاتحاد الاشتراكى بتكوين تكتلات ، وانفصال أحدى أو عدد من قوى تحالف الشعب غير ممكن .

يقول الميثاق : «أن تحالف هذه القوى الممثلة للشعب العامل هو البديل الشرعى لتحالف الاقطاع مع رأس المال المستغل ، وهو القادر على احلال الديموقراطية السليمة محل الديموقراطية الرجعية» و « أن الوحدة الوطنية التى يضعها تحالف هذه القوى الممثلة للشعب ، هى التى تستطيع أن تقيم الاتحاد الاشتراكى العربى ليكون السلطة الممثلة للشعب والدافعة لامكانيات الثورة والحارسة على قيمه الديمقراطية السليمة » .

ولكل ذلك ، فالاتحاد الاشتراكى العربى ليس تنظيم جبهة .

هل الاتحاد الاشتراكى العربى هو نظام الحزب الواحد ؟

حكم الحزب الواحد ، هو احد نظامين ، أما النظام الفاشستى ، حيث يمثل الحزب الحاكم مصالح الطبقة الرجعية ، ويحرم الطبقات الاخرى من حق التعبير عن مصالحها . وأما حزب ديكتاتورية البروليتاريا (الطبقة العاملة) ، حيث تؤمن النظرية الشيوعية بنظام ديكتاتورية الطبقة العاملة ، وحرمان الطبقات الاخرى من حق التنظيم السياسى باعتبارها سائرة فى طريق التصفية .

ولكن تجربتنا رفضت ديكتاتورية الطبقة الواحدة أولا : لانها ثورة تقدمية صفت الطبقات الرجعية ، وثانيا : لانها رفضت فكرة ديكتاتورية البروليتاريا .

وحيث أن الاتحاد الاشتراكى العربى أصلا ليس حزبا ولكنه تحالف قوى الشعب العاملة ، ولكن داخل اطاره يعمل الجهاز السياسى لمنع مخاطر الحزب الواحد لان مخاطر الحزب الواحد ، هو أن افراد الحزب يعتبرون أنفسهم طبقة جديدة مميزة فى المجتمع ، تمارس نوعا من السيطرة أو نوعا من الاستغلال أو التعالى على افراد المجتمع ، وبذلك يمكن أن نقول أن تنظيمنا السياسى ، وهو الاتحاد الاشتراكى العربى لايعبر عن ديكتاتورية الطبقة الواحدة ، ولكنه يعبر عن ديموقراطية الشعب العامل عن طريق نظام الانتخابات على الاساس الافقى على المستوى الجغرافى فى القرية أو المدينة أو الدائرة ، وعلى الاساس الراسى فى نفس الوقت وذلك داخل النقابات والمؤسسات الجماهيرية ، وبهذا الاسلوب الافقى والراسى يخرج لنا الممثلين الحقيقيين للشعب .

لماذا لم نأخذ بنظام تعدد الاحزاب ؟

لم نأخذ بنظام تعدد الاحزاب ، لان نظام تعدد الاحزاب ينشأ من تعدد الطبقات ، وكل طبقة ستكون الحزب السياسى الذى يعبر عن مصالحها ، والتجربة الحزبية ليست نظاما يفرض ، بل هى تطور طبيعى وتاريخى فى المجتمع .

وفى تجارب مثل التجربة الانجليزية أو الامريكية نجد أنها تقوم فى الواقع على حزبين فقط . وتجربة تعدد الاحزاب الفرنسية ، أنتهت بالفشل وسلمت نفسها الى ما يشبه حكم الحزب الواحد . وعندما كانت الاحزاب تمثل الطبقات الرجعية ، وبتصفية النفوذ السياسى والاقتصادى لقوى الرجعية اصبح السماح لها بتنظيم نفسها يعنى تهيئة حرية العمل للقوى المعادية للثورة والشعب اعتمادا على المساعدة الاجنبية .

لماذا لم يؤسس حزب منفصل

لكل قوة من قوى الشعب العاملة ؟

لايوجد تناقض رئيسى بين مصالح قوى الشعب يبرر استقلال كل منها بتنظيم سياسى ، لان قوة قوى الشعب تكمن فى تحالفها ووحدتها ، فاذا سمحنا بتقسيمها وصراعها ، استطاعت الرجعية ان تتسلل الى صفوفها ، وان تضرب قوى الشعب ببعضها وتهزم تحالفها .

التنظيمات النقابية تكفل التعبير عن المصالح الخاصة لكل قوى الشعب العاملة . والتنظيم السياسى (الاتحاد الاشتراكى) ينسق بين هذه المصالح ويوحدها ضد العدو المشترك .

كيف يمكن للمعارضة أن تعبر عن رأيها ؟

اى كيف تحمى الحريات الفردية لمن لايتفق معنا فى الراى ؟

لقد اعلن الميثاق «باب ــ ٥» «ان تحالف القوى الممثلة للشعب العامل هو البديل الشرعى لتحالف الاقطاع مع راس المال المستغل ، وهو القادر على احلال الديموقراطية السليمة محل الديموقراطية الرجعية » .

ولما كان علاجنا السلمى لتحالف الاقطاع وراس المال المستغل سنة ٥٢ ، ١٩٦١ وكذلك لنمو راسمالية مستغلة طفيلية فى ظل مرحلة التحول الاشتراكى ، وهذه كلها جيوب تمثل الرجعية، ورغم ان الثورة تركت كل هذه الجيوب الرجعية داخل المجتمع ، فانها فى الواقع تمثل معارضة سمحت لها الثورة بالحياة المعزولة سياسيا ولايسمح لها بالمعارضة اطلاقا ، لان شعارنا : .. «لاحرية لاعداء الشعب»

فاذا حاولت العناصر الرجعية ان تخرب الجهود الانتاجى للشعب أو مدت يدها للمستعمر الاجنبى او حاولت تشكيل تنظيمات تهدد بها ديمقراطية الشعب ، فان اصحاب المصلحة الحقيقية وهم قوى الشعب العاملة ، يجب أن تتصدى لها دفاعا عن مكاسبها ..

اما قوى الشعب العاملة فهى الوحيدة فى المجتمع التى لها حق المعارضة ، وهى تمارسها ديموقراطيا داخل جميع التنظيمات السياسية والتشريعية، سواء فى التصدى للتناقضات الموجودة داخل قوى الشعب العاملة او فى مواجهة ومساءلة مجلس الامة للسلطات التنفيذية او فى ممارسة الرقابة الشعبية لاجهزة وتنظيمات الاتحاد الاشتراكى للسلطة التنفيذية وغيرها . ولكن بشرط ان تخضع الاقلية لراى الاغلبية ، فعلى الاقلية ان تلتزم بعد ذلك باحترام راى الاغلبية والتحمس له ، كل ذلك من خلال المناقشات والاقناع والاقتناع ، علاوة على ان ميثاق العمل الوطنى اكد على ممارسة النقد والنقد الذاتى :

«ان النقد والنقد الذاتى من اهم الضمانات للحرية (ميثاق ــ ٥)

« ولقد كان اخطر ما يعرقل حرية النقد والنقد الذاتى فى المنظمات السياسية هو تسلل العناصر الرجعية اليها » (ميثاق ــ ٥)

ومن هنا يتضح لنا ان لدينا معارضة ديموقراطية ولكن معارضة تحالف الجيوب الرجعية المعزولة سياسيا والتى من شيمها التحالف مع الاستعمار الاجنبى والرجعية العربية ، نعتبرها معارضة هدامة معادية للثورة الاشتراكية ، ومعادية لتحالف قوى الشعب العاملة ، فهى مرفوضة اساسا لانها بهذا الشكل ستعبر عن مصالح طبقات معادية . فلا ديموقراطية لغير قوى الشعب العاملة ..

مراحل تكوين التنظيم السياسى

(الاتحاد الاشتراكى العربى)

ماقبل قيام ثورة ١٩٥٢

كانت مصر تحت سيطرة الاستعمار من الناحية السياسية والعسكرية والاقتصادية ، فكانت هناك قوات احتلال بريطانية تملى ارادتها وتمارس اذلال الشعب ، حتى ضمن مجرد مظهرها ووجودها ، وتدعم الاستعمار السياسى والاقتصادى ، فقد كان السفير البريطانى يمثل فعلا القوى السياسية الحقيقية وكانت جميع الاحزاب السياسية تخضع لتوجيهاته ، وكانت سياستنا داخليا وخارجيا ترسم فى لندن .

وكان بالتبعية هناك تحالف بين الاستعمار والرأسمالية المستغلة والاقطاع ، وكانت الاحزاب عبارة عن واجهات سياسية لطبقات الراسماليين والاقطاعيين ..

وطبيعى كانت الاحتكارات الاجنبية تمثل الجزء الاكبر من الاستثمارات الاقتصادية وكانت طبقة ٣/١٪ هى الوسيط والعميل والواجهة لهذه الاحتكارات الاجنبية .

باقى طبقات الشعب

العمال : لم تكن هناك اى تشريعات عمالية فعالة سواء اجتماعية أو صحية أو شروط عمل أو تحديد لساعات عمل أو معاشات للعاجزين أو الشيخوخة وقبل الثورة صدر تشريع عمالى يستهدف اولا واخيرا حماية اصحاب رؤوس الاموال الاستغلاليين من العمال، وكان مسموحا بالنقابات العمالية، ولكن كانت الطبقات الحاكمة تسيطر عليها سياسيا سيطرة كاملة وكانت توجهها لخدمة سيطرة رأس المال (النبيل عباس حليم من الاسرة المالكة كان زعيم الحركة النقابية) .

الفلاحون : كانوا واقعين تحت سيطرة الاقطاع ، فكان يمتلك معظم الارض ، ولم يكن مسموحا بانشاء نقابات للعمال الزراعيين .

المثقفون : كان التعليم مخططا لخدمة الاستعمار، ويقوم بتخريج موظفين لخدمة التحالف بين الاستعمار والطبقات الرجعية الحاكمة والعناصر الثورية من المثقفين كانت مشتتة التفكير ، لان القيادات السياسية الموجودة كانت غير قادرة على تحمل مسئولية العمل السياسى فى البلد ، ومن هنا ظهرت قيادات مختلفة وسط المثقفين ، منها المتبنى للفكر الشيوعى ، ومنها الخاضع للتيار الفاشستى وكذا للتيار الرجعى المرتبط بالمفاهيم والتفسيرات الرجعية للدين .

تنظيم الضباط الاحرار

كانت القوة الوطنية الوحيدة المنظمة قبل عام ١٩٥٢ .. هى الحركة الوطنية داخل الجيش ، لانها لم تتلوث بالتيارات الحزبية او بالانحرافات وكثير من العناصر الوطنية المدنية المستقلة عن الاحزاب والتى كانت تنفس عن سخطها فى الكتابة وتربية النشء .

وقد جاء فى كتاب فلسفة الثورة ص — ٢٧.

« كان الموقف يتطلب ..

ان تقوم قوة تقرب مابين افرادها اطار واحد يبعد عنهم الى حد ما صراع الافراد والطبقات .

وان تكون فى استطاعة افرادها ان يثق بعضهم ببعض ..

وان تكون فى أيديهم من عناصر القوة المادية ما يكفل لهم عملا سريعا وحاسما .. ولم تكن هذه الشروط تنطبق الا على الجيش ».

كان هناك الآن تنظيم ثورى طليعى محدد الشكل والنوعية يربطهم وعى وفكر وايمان بقضية الثورة، وكانت له قواعد وكان متفاعلا مع القواعد النوعية فى الجيش وله نفس آمال القاعدة الشعبية العريضة يشعر بنفس مشاعرها ويتألم من مرارة الاستغلال وله أمل مشترك مع جماهير الشعب ».

كما جاء فى ص ١٩، ».

أن ثورة ٢٣ يوليو كانت تحقيقا لأمل كبير راود شعب مصر منذ بدأ العصر الحديث يفكر فى أن يكون حكمه فى ايدى ابنائه وفى ان تكون له الكلمة العليا فى مصيره ».

وقامت الثورة واستولت الطليعة الثورية يوم ٢٣ يوليو على السلطة فى ظروف وصفها الرئيس جمال عبد الناصر بقوله — الميثاق الباب الاول — « أن هذا الشعب البطل بدأ زحفه الثورى من غير تنظيم سياسى يواجه مشاكل المعركة » ».

«كذلك فان هذا الزحف الثورى بدأ من غير نظرية كاملة للتغيير الثورى »

وكان لا بد ان تواجه الثورة مشكلة تكوين التنظيم السياسى ».

وقد مرت الثورة بعدة اشكال تنظيمية هى ».» هيئة التحرير ».» والاتحاد القومى ».» ثم الاتحاد الاشتراكى ».

وهنا لابد من ان نطرح سؤالا : بل ان هذا السؤال يطرح نفسه دائما .. الا وهو طبيعة هذا التطور السياسى وهل هى مجموعة تجارب اجرتها القيادة الثورية بحثا عن التنظيم الكامل وانتقلت من تجربة الى تجربة حتى وصلت الى الاتحاد الاشتراكى الذى مايزال فى دور الامتحان؟ .. أم انه كان تطورا طبيعيا لمراحل الثورة المستمرة راعى فيه شكل التنظيم أبعاد كل مرحلة ثم تخطى العمل الثورى طاقات التنظيم فانتقل العمل السياسى الى شكل جديد من اشكال التنظيم ؟ ».

للاجابة على هذا السؤال .. لابد أن نتفق أولا على معنى المرحلة ، ومعنى التجربة ».

معنى المرحلة

المرحلة يحددها الهدف المرحلى الموصل عبر فترة زمنية او مراحل متتابعة لهدف رئيسى استراتيجى واى هدف مرحلى يحدد خريطة المعركة وتوزيع القوى فيها ، فاذا قلنا ان المرحلة من ١٩٥٢ الى

١٩٥٦ كانت مرحلة التحرر من الاستعمار ، فان ذلك يعني ان الهدف المرحلى **هو التخلص من الاحتلال العسكرى** .ومهما تعددت تاكتيكات العمل الثورى من المفاوضة الى الكفاح المسلح فى القناة الى اعتقال اعوان الاستعمار، فان المرحلة تستمر ثابتة ما دام الهدف ثابتا، وما دامت الخطوات التكتيكية تخدم الهدف المرحلى .

وفى هذه المرحلة فان خريطة توزيع القوى تجعل فى جانب العدو الاستعمار البريطانى ومن خلفه القوى الاستعمارية العالمية وجيوب الاستعمار فى المنطقة وما له من احلاف وقواعد . .ثم الرجعية العميلة المرتبطة بالاستعمار داخليا او فى الوطن العربى كله .

وتجعل فى جانب قوى الثورة جميع القوى الوطنية المعادية للاستعمار ،الراغبة فى التحرر ، على تفاوت ثوريتها وعلى تباين الدوافع التى تحركها للتحرر من الاستعمار .

هذا ما نعنيه بالمرحلة.. هدف مرحلى ثابت ، وقوى مؤيدة ومعادية واضحة محددة. .والمرحلة لا تنتهى الا بتحقيق الهدف المرحلى ،فينتهى الشكل والتركيب التنظيمى الذى يعكس الاحتياجات الاستراتيجية وبذلك يكون التطور طبيعى وسليم، بل ان اغفال ضرورة تغيير التنظيم قد يهدد عمل مرحلة التطور الثورى فى المرحلة الجديدة .

نعود للسؤال، هل كان تغير شكل التنظيم السياسى فى تجربتنا مرتبط بتغير مراحل العمل الثورى ، أم كان مجرد تجارب بحثا عن التنظيم الافضل ؟

للاجابة على ذلك يجب ان ندرك تطور العمل الثورى فى مصر . .ابتداء من لحظة استيلاء طليعة الثورة على السلطة فى ٢٣ يوليو فى ظروف وصفها الرئيس جمال عبد الناصر بقوله : «ان هذا الشعب البطل بدأ زحفه الثورى من غير تنظيم سياسى يواجه مشاكل المعركة» (الميثاق — الباب الاول) .

لقد تم فى ٢٣ يوليو استيلاء طليعة الثوره على السلطة السياسية فى البلاد ولكن الثورة لم تكن ابدا قد تمت بعملية الاستيلاء هذه، بل يمكن القول انها بدأت بها .لو ان طليعة الثورة قد وقفت عند حد الاستيلاء على السلطة لتحولت الثورة الى انقلاب عسكرى ولكان عليها ان تحمى استمرارها فى الحكم بالديكتاتورية التى تستند حتما الى التأييد الخارجى .

لذلك طرحت الثورة اهدافها الستة، وقد وصفها الميثاق « ان ارادة الثورة فى تلك الظروف الحافلة لم تكن تملك من دليل للعمل غير المبادىء الستة المشهورة التى نحتتها ارادة الثورة من مطالب النضال الشعبى واحتياجاته «ميثاق — ١»

لقد كان مجرد اعلانها فى حد ذاته — **فى جو** المصاعب والخطر والظلام دليلا على صلابة **ارادة** التغيير الثورى وعنادها الذى لا يلين :

— فى مواجهة جيوش الاحتلال البريطانى الرابض فى منطقة قناة السويس، كان المبدا الاول هو القضاء على الاستعمار واعوانه من الخونة المصريين .

— فى مواجهة تحكم الاقطاع الذى يستبد بالارض ومن عليها، كان المبدا الثانى هو القضاء على الاقطاع .

— فى مواجهة تسخير مواردالثروة لخدمةمصالح مجموعة من الراسماليين ،كان المبدا الثالث، هو القضاء على الاحتكار وسيطرة رأس المال فى الحكم .

— فى مواجهة الاستغلال والاستبداد الذى كان نتيجة محتمة لهذا كله، كان المبدا الرابع هو اقامة عدالة اجتماعية .

— فى مواجهة المؤامرات لاضعاف الجيوش واستخدام ما تبقى من قوته لتهديد الجبهة الداخلية المتحفزة للثورة. كان الهدف الخامس هو اقامة جيش وطنى قوى .

— فى مواجهة التزييف السياسى الذى حاول ان يطمس معالم الحقيقة الوطنية، كان الهدف السادس هو اقامة حياة ديمقراطية سليمة .

ان هذه المبادىء الستة التى اسلمها النضال الشعبى المتواصل الى الطلائع الثورية التى جندها لخدمته من داخل الجيش والطلائع الثورية التى تجاوبت معها تلقائيا وطبيعيا من خارجه، لم تكن نظرية عمل ثورى كاملة ولكنها كانت فى تلك الظروف دليلا للعمل يمثل عمق هذه الارادة الثورية ويلبى احتياجاتها ويبرزتصميمها على بلوغ الشوط الى مداه .

ولكن القيادة الثورية رفضت اغراءات هذا الطريق السهل لانها لم تكن تسعى الى الحكم بل كانت تعبيرا عن ارادة الشعب وتطلعه للتغيير الشامل . «انا ماجيتش عن طريق الحكم ولكن عن طريق الثورة والناس اللى قاموا بالثورة قاموا من اجل تحقيق اهداف هذا الشعب، ماقاموش من اجل مصالح ذاتية، بل ثاروا فى طريق الثوار ولم تؤخذ المسألة ابدا انها مسألة حكم، اذ الثورة

مستمرة .. » (خطاب الرئيس بالسويس — ٢٢ مارس ١٩٦٦) .

توزيع القوى

العدو : قوات الاحتلال والجهاز السياسى الذى اقامه الاستعمار والذى يعتبر القصر والنظام الملكى قمته .

قوى الثورة: الفلاحون والعمال والمثقفون والقوات المسلحة والرأسمالية الوطنية واجزاء ضخمة من الرأسمالية بل وبعض كبار الملاك كافراد الذين يتطلعون الى الاستقلال ولو بدافع الغيرة الوطنية او بدافع الامل فى الاستقلال بالسوق المصرية .

اتجاه المعركة : عزل كبار الاقطاعيين . وتحرير جهاز الحكم تماما من سيطرة الطبقات الرجعيـة وتأكيد طابعه الثورى، وربط الجماهير بالقيادة الثورية من خلال التحام المعركة الوطنية بأهداف داخلية (الموازنة بين الثورة الاجتماعية والثورة السياسية) ضمانا لاستمرار الثورة وتقدميتها .

وكان شكل التنظيم السياسى ،هو هيئة التحرير: جبهة وطنية تضم كل القوى المعادية للاستعمار ، تحقق الوحدة الوطنية فى ابسط صورها وحول المبادىء الستة بعموميتها التى اشار اليها الميثاق **لان تحديد هذه المبادىء وتفصيلها كان كفيلا بأن يثير قضية الثورة الاجتماعية قبل الثورة السياسية .**

وكما هو معروف فقد كان على ثورتنا ان تحفظ توازنها بالسير على عجلتين، الثورة السياسية اى التحرر من الاستعمار الاجنبى، والثورة الاجتماعية اى تحقيق الاشتراكية داخليا .

حل الاحزاب: حققت هيئة التحرير وحـدة الشعب المصرى ضد الاستعمار وعزلت طبقـة العملاء وصفت التشكيلات السياسية التى كان يمكن ان يتسلل الاستعمار من خلالها .

لماذا حلت الثورة الاحزاب

حلت الثورة الاحزاب ،وكان ذلك اجراء وطنيا فى الدرجة الاولى . لم تكن الاحزاب فى مصر مظهرا من مظاهر الديمقراطية ، فلم تكن فى مصر احزابا تمثل الجماهير ولو حتى فى اطار النظام الرجعى ، لم يكن فى مصر حزب يمثل العمال والفلاحين او الرأسمالية الوطنية، بل كان على هذه الجماهير ان تختار حزبا من احزاب الرجعية تنتمى اليه وان تتقبل قيادة كبار الملاك واعضاء مجالس الادارات .

كان فى مصر حزب للعمال يرأسه نبيل من العائلة المالكة .

وكانت النتيجة كما يقول الميثاق «ان اصبح الصراع الحزبي فى مصر ملهاة تشغل الناس وتحرق الطاقة الثورية فى هباء لا نتيجة له » .

وبتوقيع معاهدة ٣٦ من جانب جميع الاحزاب فقدت هذه الاحزاب حتى جانبها الوطنى وكانت قد جردت نفسها من كل مضمون اجتماعى منذ ثورة ١٩ عند ما رفضت ان تتبنى مطالب الجماهير فى التغيير الاجتماعى .

لم تعد هذه الاحزاب تمثل الجماهير لا وطنيا ولا اجتماعيا، ثم بفعل انعزالها عن الجماهير ،وبفعل سيطرة كبار الملاك والاحتكاريين عليها زاد ترامیها على اقدام الاستعمار والسراى . واصبح حل هذه الاحزاب هو فى حد ذاته تحرير لطاقات الجماهير وللعمل الثورى .

لم تكن الوحدة الوطنية هى وحدها التى فرضت شعار حل الاحزاب بل ومسئولية العمل الديمقراطى من اجل تطهير الحياة السياسية من بقايا تحالف الاقطاع والرأسمالية الاحتكارية . وجاء قرار حل الاحزاب بمثابة شهادة وفاة لميت قد مات بالفعل، فلم تقم لها قائمة بعد ذلك . . وتجمعت كل القوى الرجعية وكل الاصابع الاجنبية خلف الاخـوان المسلمين .

لذلك كان الصراع الحقيقى هـو بين هيئـة التحرير ، التنظيم السياسى للقوى الوطنية الملتفة حول اهداف الثورة ،وبين الاخوان المسلمين ، التنظيم الذى تعلقت به آمال كل القوى المعـادية للثورة من الاستعمار والرجعية .

وانتصرت القوى الثورية .

وحققت المرحلة الثورية اهدافها بتوقيع اتفاقية الجلاء ،ثم بتنفيذ الجلاء ،ثم القضاء على العدوان الثلاثى وخروج قوات العدوان، وتأكد بذلك تحرر مصر السياسى بصفة نهائية وجذرية .

وتمت تصفية اعوان الاستعمار القدامى ،فاختفت طبقة السياسيين المحترفين، وكانت آخر اشكال مقاومتهم هى محاولتهم الخائنة اليائسة لتسليم البلاد خلال ايام العدوان، وبذلك انتهوا تاريخيا وسياسيا ووطنيا . وكذلك هزم الاقطاع كقوة سياسيـة واقتصادية فلم تعد له شبهة سيطرة على جهاز الحكم — فى قمته الثورية على الاقل — كما لم يعد

هو مركز الثقل الاقتصادى فى البلاد ،وان بقى نفوذه التقليدى فى الريف من خلال العلاقات الاجتماعية المتخلفة ومن خلال الاجهزة التى لم ترتفع الى مصاف الثورة تحديد الملكية سنة ١٩٥٢ — ١٩٦١) .

وانتهت سيطرة رأس المال الاحتكارى على الحكم بتصفية نفوذ كبار الراسماليين وتعديل قوانين الشركات وقطع جذورهم المتصلة بالاستعمار وفى نفس الوقت امنت الثورة مستقبل التطور الاجتماعى عند ما رفضت اغراءات الحل الراسمالى عقب التحرر من الاستعمار وتمصير شركاته وبنوكه، اذ عرضت الراسمالية ان تشترى اسهم وسندات الراسمالية الاجنبية ولو تم ذلك لاصبحت لها السيطرة الاقتصادية على البلاد، ولكان من حقها ان تتطلع للسيطرة السياسية كخطوة ثانية ،ولكن الثورة أمنت الاستمرار الثورى برفضها تسليم انتصارات المعركة الوطنية للراسمالية المتطلعة ، بل جعلتها نواة للقطاع العام .. «التمصير والتأميم وقوانين تنظيم الصحافة وتأميمها » .

انتهت المرحلة بالنصر، بتحقيق اهدافها كاملة بل وبفتح الطريق لاهداف جديدة، هى انجاز الثورة الاجتماعية، وكان من المفروض ان يقوم عندئذ الاتحاد الاشتراكى بعد انتهاء دور هيئة التحرير .

مرحلة الاتحاد القومى

ولكن ..الوحدة العربية فرضت علينا ظروف المعركة الوطنية ضد الاستعمار ،العمل خارج حدود مصر الاقليمية والالتحام بالجماهير العربية انطلاقا من ايماننا بوحدة المصير والعمل العربى التى اشار اليها الرئيس فى اول كتاباته (فلسفة الثورة) وايضا لكسر محاولة العزلة والتطويق التى كان يشنها الاستعمار .. **واوضح صورها كانت حلف بغداد ..**

التقت الجماهير العربية حول القيادة الثورية فى القاهرة، ووصل الالتحام الى قمته خلال معركة العدوان الثلاثى، واستطاعت الجماهير العربية ان تفرض شعار الوحدة العربية على القيادات فى معظم بلدان المشرق العربى .

وكان واضحا امام القيادة الثورية فى القاهرة ان طريق الوحدة ليس بالسهولة التى ترسمها احلام الجماهير، ولكنها كانت على يقين ايضا من ان كفاح الجماهير فى سبيل الوحدة هو فى جوهره كفاح ضد الاستعمار وطبقة العملاء الاقطاعيين المرتبطة به، لذلك لم يكن تبنى القيادة الثورية لشعار الوحدة تملقا لغرائز الجماهير ولا كان معوقا للتطور الثورى كما يزعم البعض، اذ لولا هذا الكفاح الوحدوى ولولا قيام الوحدة المصرية السورية، ما سقط عرش بغداد وحلف بغداد وحكم كميل شمعون وتزعزع العرش السعودى والعرش اليمنى .

فاذا كانت الجماهير قد تبينت ان طريق الوحدة ما زال طويلا فان كفاحها الوحدوى لم يضع عبثا، بل حقق التصفية الشاملة للاستعمار القديم والطبقة العميلة القديمة .

التناقض بين الثورة السياسية والاجتماعية : فى هذه المرحلة قام الاتحاد القومى تنظيم سياسى يوحد كل القوى المؤمنة بالوحدة العربية ،الراغبة فى تصفية الاستعمار .

ولكن مع الانتصارات المتزايدة فى معركة تصفية الاستعمار كان التناقض يزداد حدة بين الاطراف المكونة لهذا التحالف،وكانت مطالب الثورة الاجتماعية تفرض نفسها بالحاح اكثر. كان التحرر الوطنى قد زاد من شهية الراسمالية وزاد من مكاسبها ، وزادها رغبة فى الاستغلال ،وكانت الجماهير التى حققت النصر ضد الاستعمار تطالب بالتغيير الاجتماعى الثورى .

وكان الاستعمار قد بدأ يغير اساليبه ويتخلى عن الطبقات الرجعية القديمة المفضوحة والتى فقدت كل جماهيريتها **ليجدد صلاته وروابطه بالراسمالية الموجودة داخل التحالف الوطنى .** وتبين للقيادة الثورية انه طالما ظلت العلاقات الراسمالية الاستغلالية قائمة فان من طبيعة هذه العلاقات ان تمتد لتلتقى مع الاستعمار .وتبين للقيادة الثورية ان تأجيل مطالب الثورة الاجتماعية لم يعد ممكنا ،بل ان هذا التأجيل كفيل بان يهدد نفس اهداف الثورة الوطنية .

التشريعات الاشتراكية

لذلك كان من الضرورى ان تصدر التشريعات فى ١٩٦١ ، وبذلك انتهت مرحلة ، وبدأت مرحلة جديدة ..

ويمكن ان نقول ان الراسمالية المستغلة هى التى انهت المرحلة الثانية عندما تحركت للعمل مستندة الى تأييد الاستعمار فى حماية الرجعية التقليدية وبتمويلها بل وحاولت استغلال التنظيم السياسى. الاتحاد القومى ،فى ضرب الثورة والانقلاب عليها .

كانت الاجراءات الثورية قد تخطت امكانيات التنظيم السياسي، وكان العمل الثورى قد تخطى المرحلة فعلا، فأصبح التنظيم السياسى متخلفا، ومن ثم حاولت القوى المعادية ان تستغله ضد الثورة. وتمكنت القوى المعادية من ضرب الوحدة ووقع الانفصال، لان الهدف تخطى التنظيم ..

ومع المرحلة الجديدة .. مرحلة بناء الاشتراكية، قام الشكل التنظيمى الجديد .. الاتحاد الاشتراكى العربى، وبذلك فان تنظيمنا السياسى ليس تجارب بل مراحل واضحة الاهداف، تتغير تنظيماته بتغير اهدافه.

أهداف الاتحاد الاشتراكي العربي

اهداف الاتحاد الاشتراكى هى الحرية .. الاشتراكية .. الوحدة.

الحرية فى التجربة المصرية: حدد الميثاق فهمنا للحرية فى النص على « ان الاشتراكية مع الديموقراطية هما جناحا الحرية، وبهما معا تستطيع ان تحلق الى الافاق العالية التى تتطلع اليها جماهير الشعب.

هذه هى قاعدة الحرية فى التجربة المصرية، الربط العضوى بين الاشتراكية والديموقراطية، بين المساواة الاجتماعية والمساواة السياسية.

اننا نرفض الديموقراطية الراسمالية التى تكتفى بمنح الشعب المساواة السياسية وتبقيه تحت رحمة التمييز الاجتماعي والحاجة الاقتصادية، الامر الذى يشل كل مساواة سياسية.

يقول الميثاق «ان الديموقراطية السياسية لا يمكن ان تنفصل عن الديموقراطية/الاجتماعية، وان المواطن لا تكون له حرية التصويت فى الانتخابات الا اذا توافرت له ضمانات ثلاثة:

- ان يتحرر من الاستغلال فى جميع صوره.
- ان تكون له الفرصة المتكافئة فى نصيب عادل من الثروة الوطنية.
- ان يتخلص من كل قلق يبدد امن المستقبل فى حياته.

بهذه الضمانات الثلاثة يملك المواطن حريته السياسية ويقدر ان يشارك بصوته فى تشكيل سلطة الدولة التى يرتضى حكمها ».

فالتجربة المصرية ترى تحقيق المساواة الاجتماعية وتحرير المواطن من الاستغلال وتأمينه على المستقبل كشرط لتحقيق الديموقراطية السياسية. وايضا يقول الميثاق «ان الديموقراطية السياسية لا يمكن أن تتحقق فى ظل سيطرة طبقة من الطبقات. ان الديموقراطية بمعناها الحرفى هى سلطة الشعب، سلطة مجموع الشعب وسيادته». فالتجربة المصرية ترفض ديكتاتورية الطبقة الرجعية المستغلة وترفض نظام ديكتاتورية الطبقة الواحدة الذى اخذت به بعض البلدان التى ثارت على الراسمالية. وهى تعطى السلطة للاتحاد الاشتراكى الذى يضم كل قوى الشعب العاملة.

لهذا كانت تجربتنا منطقية مع نفسها فى انها بدأت بالاجراءات الاشتراكية كقاعدة للديموقراطية السياسية انطلاقا من قول الميثاق «ان تحرير الانسان السياسي لا يمكن ان يتحقق الا بانهاء كل قيد للاستغلال يحد من حريته». وكذلك لابد أن يستقر فى ادراكنا انه لا حرية للفرد بغير تحريره اولا من براثن الاستغلال.

وبدأ التطبيق الديموقراطى عندما تمكن من اسقاط تحالف قوى الرجعية وتجريدها من تفوقها السياسي والاجتماعى والاقتصادى، ثم بنقل مصادر الثروة الى ملكية قوى الشعب العاملة، وبذلك أمكن قيام التنظيم السياسى الذى سيمارس الديموقراطية والذى سيكون السلطة الممثلة للشعب والدافعة لامكانياته والحارسة على القيم الديموقراطية السليمة (الباب الخامس).

ان التجربة المصرية تؤمن بان من يسيطر على لقمة العيش، انما يسيطر على الحياة السياسية ويحدد القيم الاجتماعية بل والاخلاقية للمجتمع، وان اى تفكير فى تحرير الانسان سياسيا دون تحريره من الاستغلال يحيل الديموقراطية الى ملهاة تتسلى بها الطبقات المالكة المحترفة وتضلل بها الجماهير. التجربة المصرية تؤمن انه لا وجود للديموقراطية فى مجتمع يمتلك ١/٢ ٪ من المواطنين نصف الدخل القومى أى نصف نتاج عمل الامة بأسرها !!

لا مساواة بين من يعمل نظير عشرة قروش وبين مالك الف فدان تعيش عليها وترتبط بها حياة الف اسرة يملك ان يميتهم جوعا بكلمة واحدة منه رغم انهم متساوون جميعا فى حق التصويت .. وامام القانون.

ان تحرر الانسان المصرى الحقيقى قد بدأ مع تحريره من الاستغلال بتمليك الشعب العامل مصادر الثروة فى بلاده.

الاشتراكية : هى تملك الشعب العامل لقوى الانتاج ومن ثم فان ملكية الفلاح المنتج تعد

ملكية اشتراكية رغم انها ملكية فردية، وكذلك ملكية الراسمالية الوطنية الغير المستغلة تتسع لهـا اشتراكيتنا ما دامت تقوم على العمل ،وما دامت تضيف الى الانتاج ولا تمارس الاستغلال بل تحصل على نصيبها من الدخل مقابل ما تقدمه من جهد ومن خدمات .

واذا كانت الاشتراكية قد بدأت عندنا بسيطرة الشعب على كل ادوات الانتاج فان الاشتراكية مستمرة كهدف ، لانها كما عرفها الرئيس « كفاية وعدل» . .بمعنى انها لا تقتصر على عدالة التوزيع وحدها، بل ترتبط بزيادة الانتاج سعيا للوصول الى معدلات عدل اكبر واوسع في التوزيع .

لذا فان قمة الاشتراكية التي يمكن القول انه بتحقيقها تنتهي مرحلة الاتحاد الاشتراكي . . هي بناء القاعدة الصناعية التي تحقق مجتمع الكفاية ، وهي ايضا تذويب الفوارق بين الطبقات داخل تحالف قوى الشعب .

الوحدة: والوحدة الوطنية هي الاساس لتحقيق الوحدة العربية، والاشتراكية هي محور الوحدة الوطنية الثورية .واذا حقق البلد العربي وحدته الوطنية وحقق التغيير الاجتماعي الداخلي . . فان الوحدة الدستورية تصبح قضية شكلية واقرار الامر الواقع .

وعلى الطريق الى الوحدة الثورية الشاملـة تمارس الثورة العربية نماذج من العمل العربي يحكمها عاملان :

١ ــ الوحدة الثورية الشاملة هي الهـدف الاساسي . . اي ان تحتفظ القيادة بثوريتها وحريتها في العمل المنفرد .

٢ ــ قبول اي مستوى من التعاون مع الدول العربية مادام يخـدم الهدف البعيد (الجـامعة العربية مؤتمرات القمة) .

هل هناك أهمية خاصة لهذا الترتيب ؟

نعم . . ولا . .

ان تجربة الثورة العربية قد مرت حتى الان بما يؤكد اهمية هـذا الترتيب ، فقد كان التحـرر من الاستعمار شرطا اساسيا لقيام الاشتراكية ، وان كل حديث عن الاشتراكية قبل التحـرر هو ضرب من الاحلام او وضع العربة امام الحصان .

واثبتت تجربة الوحدة والانفصال ان الاشتراكية هي الاساس الوحيد لقيام الوحدة ، لانها تنقل هذه القضية من مغامرات الراسمالية وتطلعات وتضارب مصالحهـا واختلاف اتجاهاتهـا وميولهـا الى يد الجماهير المتفقة المصالح ، المتحدة الاتجاه، القادرة على حمايتها من المغامرين والمستعمرين .

لذلك كان منطقيا ان تضع ثورتنا هـذا الترتيب السياسي لاهدافها ، الحرية . . الاشتراكيـة . . الوحدة .

ولكن يجب ان لا نقدم الشكل على الجوهر، ونبدد طاقات العمل الثوري في مناقشة هـذا الترتيب او ان نتصوره كترتيب البروتوكول .

فالعمل الثوري متجدد وحي ومتغير ، واذا كان قيام الاشتراكية في بلدين عربيين يخلق جسرا ثوريا للوحدة بينهما فقد تكون الوحدة بين بلدين عربيين هي المناخ المناسب لقيام الاشتراكية .

ان ترتيب الاهداف يعكس فهم القيـادة الثورية لمجرى التاريخ . . ولكن يجب الا نقيم حائطا منيعا بين هذه الاهداف .

فمثلا ، كانت مفاوضـات الوحدة مع العـراق سبيلا الى صدور بعض التشريعات الاشتراكية بها، فهنا نجد وضعـا افضى شعار الوحـدة فيه الى الاشتراكية، وبالتالي عادت الاجراءات الاشتراكية فمهدت الطريق الى الوحدة .

بتحقيق هـذه الاهداف الثـلاثة يكون الاتحاد الاشتراكي العربي قد حقق اهدافه وتكون المرحلة الثالثة من ثورتنا قد انجـزت . . لتستقبل مرحلة جديدة وشكلا تنظيميا جديدا .



الوعى الطبقى عند فلوبير

التلفيقية الأصلية

يتابع سارتر فى هذا الفصل الجديد رحلته مع الفنان الفرنسى جوستاف فلوبير . وهو يتناول هنا رحلة فلوبير نفسه مع الحياة ، هذه الرحلة التى لم يعبر عنها فقط فيما كتبه من اعمال روائية ، بل عبر عنها ايضا تعبيرا مباشرا فيما كتبه من اعترافات ومذكرات . وهى كتابات ترتفع فى نظر سارتر الى مستوى الفن الخالص ، وان كانت تعكس من زاوية اخرى معاناة فلوبير الهائلة فى رحلة العمر مع اليأس والشك والاحساس العدمى بالحياة .

جان ــ بول سارتر

حين كتب جوستاف **الاحتضارات ــ شكوك فكرية** كان واعيا كل الوعى بالغرض الادبى منه بل ويزعم فى مقدمة عاجلة انه بدأ «هذا العمل» قبل سنة منها و «القى به جانبا ثم عاد اليه اكثر من مرة» ، الا انه ورد فى الفقرة الاولى ومباشرة بعد المقدمة قوله «اعود الى هذا العمل الذى بداته منذ سنتين» . لا تناقض بالضرورة بين القولين فمن حقنا الافتراض ــ مثلا ــ أن المقدمة كتبت بعد انتهاء سنة على بعض الفقرات وقبل انقضاء سنة على بعضها الاخر. **وايا كان الحال** ، فالدليل على ان هذا العمل ، الذى انقطع خيطه ، يتضمن من الصفحات ما يرجع به فى التاريخ الى سنة ١٨٣٥ ، ما اتسمت به الفقرة الاخيرة فى هذا الكتاب ــ وهى الفقرة الخامسة والعشرين ــ من استعارتها مطلع «الرحلة الى الجحيم» وان مستها من التغييرات ما ستتضح أهميته لنا بعد حين ، هل بوسعنا ان نؤكد ــ مع ذلك ــ قصد المؤلف الشاب جمع «شكوك فكرية» فى مجلد واحد ؟

ليس هذا ما يلوح لنا فالنص الاول من «الرحلة الى الجحيم» قدم الينا على انه كل متكامل ، والحقيقة أن جوستاف لا يخدعنا ، فلقد ادرك عندما عاد الى قراءة «الرحلة» ، ما انطوت عليه من حركة ومعنى . كانت الرغبة تشده منذ الرابعة عشرة من عمره نحو اجراء الجمع والتدليل على وجود الشر والغم على الدوام فى كل مكان من العالم ليستخلص من تلك القائمة الدقيقة ، أن حياة البشر هى واللعنة سواء بسواء . يظل جوستاف وفيا لمشروعه الاول فيدمج «الرحلة» فى «الاحتضارات» غير انه أيقن بلا شك من عجز الجمع بمفرده عن الاقناع فأضاف الى الكتاب مجموعة من «الافكار» تمثل كل واحدة منها ــ او تكاد ــ جمعا كاملا شاملا . وتدل كلمة الاهداء على ان تلك الافكار « لقد رايتها تتفتح ياعزيزى الفريد » تفتحت للحياة الواحدة بعد الاخرى فى نظام من العسير علينا استعادته وكأنها استجابات يائسة يرد بها الفتى على التشاؤم الوقور الذى يبديه شقيقه الاكبر . لامحل من هذه الزاوية لتدرج حقيقى من فكرة الى اخرى ، فالفقرة الرابعة

مثلا كاملة التعبير « ان حياة الانسان لهي اللعنة » ولا اضافة تضيفها الفقرتان الرابعة عشرة والتاسعة عشرة حين تقرر الاولى : «نعم يتسلط البؤس والغم على الانسان ...» وحين تعلن الثانية «ما الغم ؟ انه الحياة» ، على ان الكاتب يظل مبقيا — مع ذلك — على فكرة التدرج ، فهو حين يربط تلك الاحكام والاستعارات والاعترافات الخاصة كل منها بالاخرى انما يستهدف بذلك غاية محددة يعمل مرتين على تعريفها في مقدمته : تزويدنا على حد قوله بـ «ملخص مستفيض لحياة اخلاقية شديدة البشاعة والسواد» أو يعمل كما يقول بعد قليل على ان «يضم في قليل من الصفحات أغوارا عميقة من الشك واليأس» .

ولتبين ما اذا كانت هاتان العبارتان تحملان نفس المعنى ، يجدر بنا ان نعود الى الفقرة الخامسة والعشرين ونقوم على مقارنتها **بالرحلة** فقد يكون من شأن التصحيحات التي أجراها المؤلف في نصها الاول مايهيء لنا فهم ملاحظته عن العمل والعثور على بذور الرؤية التي انطلق منها اتجاه الكتاب بأسره .

الاسلوب السردي في **الرحلة مكتوب** بضمير المتكلم . يقول قائل أنا . من ؟ حقا ليس هذا الـ «ممنون» (١) سوى شخص خالص مجرد يرتقي به المؤلف منذ البداية الى ما فوق الجنس البشري ماذا يصنع ؟ لا شيء . انه يتأمل . دون ان يخرج بنتيجة ما . يتراءى له حين يظهر ابليس ويخطفه ما للانسان من فضائل زائفة ورذائل وهموم ، ويسمع النتيجة التي لايحجم ابليس عن استخلاصها فهل يشعر هذا «الممنون» بالالم من هذه النتيجة ؟ لا ندري ولا يسر الينا اذا كان قد اقتنع بها . فيم تلك الضرورة اذن لوجود هذا الشخص الكائني اللاانساني المجرد العقيدة والعيوب ؟ لماذا وقع اختياره على العبارة التالية « (في اوربا) جعلني ارى العلماء ... وكان هؤلاء أشدهم جنونا » ، ولم يكتب « العلماء أشدهم جنونا » ان الامر لواضح كل الوضوح فقد يكون الجمع الخالص الموضوعية عملا لازمانيا يجعل من فاعله مجرد قوة تركيبية في الوحدة والربط ، بل قد لاتكون الحصيلة المجردة الصماء في الحساب الختامي سوى تحديد وتعيين زماني ، ومن المفروض ان يجرى الحساب الختامي خطوة بعد خطوة . يعرف **ابليس** وحده في مناجاة مع نفسه ان الارض مملكته منذ السقوط . يجوز التعبير عن هذا التأكيد

بل ويجب ان يتم في اقل قدر من الكلمات ، فهو ملخص حساب قد تم **بالفعل** جرده . حقا ، « قد يحتمل التعبير عن الحقيقة المكتسبة **علاقة** بالانا « العالم ملكي » ولكن الانا رمزي في هذا المجال : انه الشيطان . ولذلك سيكون أقرب تعبير الى الصواب لا شخصي حتما وسوف يتبين أن الشر المتأصل ينهش العالم الطبيعي منه أو الاجتماعي .

يستعمل جوستاف ضمير المتكلم لما تحدو به الرغبة في جعل هذا التأكيد المباشر زمانيا ولتحويل هذا التأكيد الى خبرة . فمن واجب ابليس الذي يستطيع التعبير عن المعرفة على التو أن يلقن تلك المعرفة شيئا فشيئا الى الجاهل بها .

قد يبدو ان الربط بين العالم والشر اذا ما اتخذ على أنه حدس لازماني، على أنه حكمة أو «نظرية» اى على انه تركيب من المعاني المجردة . ولكن جوستاف يرتاب في المعاني المجردة ، فتلك « الطبيعة السلبية » التي يتكشف عنها في حكم تركيبي نوع من النشاطية لا ادرى كنهه تعمل على تخليص تلك النشاطية من كامل سلبيتها . يدرك فلوبير الخبرة على أنها **انتقال تدريجي مفروض** وعلى أن النتيجة انما تحوز قوتها بتفاعلها داخل الذات، بعيدا عن تلك الذات وضدها، فهي لاتستمد مالها من قوة الا باستحالة الفكاك منها . ان الفكرة محل الشك » التي ستصبح بعد قليل **الفكرة** في **مذكرات مجنون** ، هي بالاختصار حقيقة قد صارت وسوف يكون التطور الزماني المضمون الحقيقي والملموس لما ستنتهي اليه . سوف يقول فلوبير فيما بعد « حياتي فكرة » وان كانت الامور لم تتكشف له على هذا القدر من الوضوح الا انه قد استشف عندئذ حقيقة نتيجة الجمع في معنى الماضي الذي يتجلى تدريجيا اذا اردنا الا يصبح نظرية . ولكن طالما لم يكن لهذا الكشف في نظر جوستاف يوما من الايام محلا في محاولة **للممارسة العملية** ولما كان ايضا البحث في ترابط الاشياء بعيدا كل البعد عن امكانياته واهتماماته فهو يستعرض لنا عملية الجمع وكأنها قد تمت في محيط الذاتية بيد **الآخر** القوية . ابليس هو بالدقة ذلك **الآخر المطلق** (الوالد — الفريد وجوستاف نفسه كما سنرى فيما بعد على مستوى آخر في الوجود) الذي يحقق قسرا وحدة الوجود في الخبرات الذاتية الى ان يتجلى المعنى الترنسندي او الصوري للماضي والى ان يفرض هذا المعنى نفسه (الدنيا هي الجحيم) . والذي يميز هذا اليأس المنهجي من الشك المنهجي لديكارت هو ان الشك

---

(١) الطليمة : شخصية من شخصيات الرحلة .

عند ديكارت تحتمل من الاناضد « الشيطان الخبيث » بينما اليأس المنهجي عمل من الشيطان الخبيث فى الانا نفسه. ابليس «يبين» و « **يجعلنا نرى** » فهو **الوحدة — الآخر** للذاتية فى لحظاتها المتتالية وهو فى الآن نفسه **التوجيه — الآخر** للماضي وما تحمله الخبرات من مضمون مفروض . نشاهد هذا الزواج العجيب بين الجمع فى البراني وهو معرفة العالم مجرد معرفة موضوعية وبين تحقيق هذا التركيب نفسه عبر الماضي فى ذات احسنت قيادتها . ليس لحقيقة زمانية ان تفرض **صيرورتها — حقيقة** الا اذا اصبحت زمانا فى نفس يجرى اعدادها .

على ان الطفل كان خالى التفكير وهو يكتب فى سنة ١٨٣٥ فلم تكن الحركة الذاتية فى الخبرة الموجهة متماسكة فى ظاهرها ولا تكاد تخفى القائمة الصادقة لمعايينا . يحمل الجمع الظاهر — الباطن من هذه اللحظةفيجنباته — وهومايزال سرا دفينا — مبادىء انفصام جذرى يفصل الظاهر عن الباطن . ليس الانا المجرد بقدرمايبقى خالص السمات هو الانا لجوستاف غير انه يعين ويحدد المؤلف الشاب لكونه الانا الكلى ، كما يعين ويحدد اى شخص آخر ، ويكفى ان يضفى عليه مضمونا ذاتيا حتى يتقمص فيه وحتى يعود الى خبرة فلوبيرالخاصة . الا انالخطر قد يتهدد الحياة الذاتية عندئذ الانغلاق على نفسهاوبتذويب نشاط **الآخر** فى نفسه النفسية مما ينقلنافى النهاية من ميدان الفلسفة الى ميدان الترجمة الذاتية .

وعلى العكس،يتجه النشاط الشيطانى ـباعتباره انه **الآخر** — فى طرح نفسه على نفسه ، وليصبح معرفة نظرية تعبر عنها مجموعة من الاحكام يبذل فلوبير الجهد فى « الرحلة » ليجلى — مستعينا بالاستعارة — ما نستطيع ان نطلق عليه **الكلى المفرد** ، الا ان العملية شاقة فقد يتحول الجمع الى مطلقاتمجردة اذا اخذ طابع الشمول، كما أن الماضى يفقد سمة الشمول اذا تفرد .

تمثل الاحتضارات الانعكاس العميق الذى يعكسه الحدس الاصلى،وتمثل فىذاتالوقت الآثار المنبعثة منهذا الانعكاس. ويتراءىلجوستاف حين عاد الىقراءة **((الرحلة))** فى٣٧ او٣٨ما انطوىعليه عمله من معنى ، الذى لايعدو انيكونابراز وجود الشر المتأصل فى نهاية جمع فى الظاهر والباطن ولكنه يتكشف عيوب المحاولة الاولى فلا يرضى بهذا القدر من شبه الزمن فى اللازمانى وسوف يدخل عليها تعديلات جوهرية عندما يضمنها فى **الاحتضارات** تتصل اساسا بالانا حين يقول :

« فى الزمن الذى كنت فيه صبيا وطاهرا اؤمن بالله وبالحب والسعادة والمستقبل والوطن ، فى الزمن الذى كان فؤادى ينتفض فيه علىذكر كلمة الحريةفيهذا الزمن — اللعنةعلىاللهمنمخلوقاته، ظهر لى ابليس وقال : تعالى ، تعالى الى ، انت طموح القلب وشاعرى النفس ، تعالى سأريك عالمى ، مملكتى انا » .

هبط العملاق من الاطلس وزالعنه هذا التكبر الذى كان قد ارتفع به اعلى جنسنا البشرى واصبح الآن شبه رجل وطفل ملىء بالاوهام . وليسبمقدوره — وهوينتمىالى الجنسالبشرى — الا يبالى بالمفاجآتالتى يدبرها له ابليس، فسوف يستمع من الشيطان باللعنة عليه « العالم هو الجحيم » مما يعنى الآن : أنت من رعايا مملكتى وسأجعلك تذوق العذاب كامثالك . وعلاوة على ذلك، فالعبارة التىادخلها جوستاف على **الرحلة** حين ضمنها فى **الاحتضارات** تحمل كلمتان تدلان على العلاقة بين الطفل الخائب وبين جوستاف نفسه،فهو مثله شاعر وطموح (٢) . ولا شك ان فلوبير عزم على انزال اللعنة على هذا الطفل **بفضائله** : شعر بالالم من خلال طهارته المدنسة ومن خلال طموحه الخائب . اخذ الوهم بالاختصار يتبدد فى حركة قاسية ترسم خطاها فى مطلع الفقرة الثانية والعشرين اذ ينتقل فيها الانا من الايمان الى اليأس . أليس هذا ما اقدم عليه كل من (جاليو) و (مازا) ؟ او ليس فى وجود الشر متجليا فى كل مكان من العالم كشف فى نفس الوقت لطبيعته الذاتية الخاصة . واذا لم تكن الفضيلة سوى مظهر ، الا يعنى هذا انه لم يقتصر فى الخطأ على الآخرين بل أخطأ فى حق نفسه ايضا لان طهارته لم تكن سوى مظهر لا تماسك فيه مخفيا فى طياته كبرا حادا .

لقد استقرت كل الامور الآن ليكون من شأن الكلمات الاخيرة التى ينطق ابليس بها « **تجميع** أغوار من الشك واليأس » .

لن ترى تلك الكلمات نور الشمس لان **فلوبير** يتوقف بعد عشرين سطرا من مسيرته ، فقد **ايقن** بالهوة التى تفصلفيما بينهذا الانا — **وان اغتنى** واثرى — وبين ذات شخصه .

(٢) قارن الذكريات ص ٦٦ : «يا الهـا لم خلقتنى بهذا القدر من الطموح »

لقد اوضح فلوبير فى الواقع تفكيره فى الفقرات السابقة متخذا تارة هذا الاتجاه او ذاك من هذين الاتجاهين المتعارضين اللذين اخذ حدسه الاصلى يترسمهما .

فعثر فى تلك الفقرات السابقة على امثلة من انواع الجمع الخارجية المطلقة التالية :

— ماذا بك ؟ الا تؤمن بشىء ؟
— لا
— الا تؤمن بالمجد ؟
— انظر الى الحسد
— الا تؤمن بالكرم ؟
— انظر الى البخل
— الا تؤمن بالحرية ؟
— الا ترى الاستبداد الذى يحنى برؤوس الخلق ؟
— الا تؤمن بالحب ؟
— وماذا عن الدعارة ؟
— الا تؤمن بالخلود ؟
— فى اقل من سنة تفتك الديدان بالجثة فتصبح ترابا ثم العدم ، وبعد العدم ... العدم وهو كل مايبقى منها »

لايزال الحوار يدور هنـــا الا انه قد انحسر على اضيق الحدود . قد نستطيع ان نتبـين فى تعاقب الاجابات جنينا من الزمانية وان نستشف صوت المؤمن ان اردت فى الصـــوت الاول وان نرى صوت « الروح التى تنكر على الدوام » فى الصوت الثانى الا ان الغرض المقصود هنا هو العمل فى الحقيقة على تعداد محاسن هذا العالم مــع اظهار ما يختفى فى كل منها من حامض خبيىء يفتك به . ومما هو اكثر برانية من تلك العبارات ماجاء فى المقولات عن البؤس والغم او تلك الصـــورة الرمزية لهذا الرحالة التائه الذى «مزقته النمور» ، فالكاتب الشاب يقف فيها خارج العالم مشـــيرا بيده الى الآفات . يتم الحساب تحت بصرنا بلا محاسب ، والنتيجة النهائية صفر على الدوام .

الجمع يدور مع ذلك فى فقرات اخرى جوانيا فى الزمان الماضى لذات باديا على انه مغامـــرة يقدم عليها شخص مفرد تحمله حياته فى مسيرتها على اليأس حتما . ويتردد جوستاف ، هل يأخذ فى الكتابة بضمير الغائب كما جاء فى المقـــدمة ام يستعمل ضمير المتكلم كما جاء فى الفقرات التالية عليها ؟ والشىء الوحيد الذى تأكد فى ذهنه انه هو هذا الشخص سواء كان بضمير الغائب او بضمير المتكلم . يكشف لنا فلوبير فى عبـــارات دقيقة عن اختياره المفضل فى التركيبات الذاتية على الرغم مما اتسمت به تلك الحكم من طابع العدوان اللازمانى الذى اختلط فى لحمة كتاباته :

« سوف يكون قد مضى على الصفحة الاولى من هذا (الكتاب) سنة على كتابتها من المؤلف الذى القى منذ ذلك الوقت بهذا العمل الشاق جانبــا وعاد اليه فى اكثر من مــرة .... وفى كل مــرة حين يعتمل الموت فى نفسه ... فى كل مــرة ... حين كان الالم ينتشر ومعه القلق من خلف حياته الخارجية الهادئة والساكنة كان يلقى صرخـــات ويذرف دموعا .... » يتحتم عليه اذن ان يبين الحقيقة اللاشـــخصية عبر المغامـــرات الاليمة فى شـــخص من الاشخاص ، اى عليه ان يبـــين الطـــريقة التى جعلت النفس تفنى نفســـها باجترارها تلك الحقيقة اللاشخصية شيئا فشيئا . ومجمل القول لايسعنا الحديث عن العالم بغير الحديث عن ذاتنا ، كما لايسعنا الحديث عن نفسنا بغير الحديث عن العالم . ويعود السبب فى ذلك الى التفاعل فى الآفاق بين العالم والانا ، اذ يجد الانا مصيره فى العالم ، بينما يعثر العالم فى صيرورة الانا على وحدته الزمانية فى الجمع . ان مايطلق فلوبير عليه فى ذلك الوقت «عدم اعتقاده فى شىء» مما يعنى انه **لايعتقد** فى شىء ، ومما يعنى فى ذات الوقت **اعتقاده فى العدم** كحقيقة شاملة ، يجب ان يكون مبنيا على العدم فى واقعه الموضوعى اذا اراد الا يصبح « عدم اعتقاده فى شىء » خيـــالا وجنونا . الا ان العـــدم لن يحس — من ناحية اخرى — بذاته باعتباره اساسا للواقع الا من خلال آلام شخص يعمل على جمعه بأزالة الوهم عنه . يؤكـــد فلوبـــير فى مقدمة **الاحتضـــارات** على الحركة الجوانية وعلى الصرخات والدموع ، ورغم ان الانا يحدثنا عن تجربته وعن الموت الذى يأخذ فى الانتشار رويدا رويدا فى نفسها بأثرها ، الا انه يجب ان تتخذ الكتابة شكل السجل الحسابى ذا القيد المزدوج فتحمل كل جملة فيها معنى مزدوجا واثرا مزدوجا طالما ترجعنا تلك الجملة الى الماضى وفى ذات الوقت الى ماسيكون من الحياة . يصبح الانا حينئذ شهيدا بكل ماتنطوى عليه تلك الكلمة من معنى . وتشهد تلك الآلام اذا استطاع المؤلف حملنا على تعميمها ، ان لكل اعتراف مخرجين ، اذ ينبغى على القارىء تلقى الشكوى الغرامية على انها سر شخصى يؤتمن عليه بل لتتحـــول ايضا بمجرد تلقيها منه الى فضح موضوعى عن عيوب الحب . تتمثل الغاية المثلى فى قدرة الذاتية المتأصلة على جعلنا ندرك الشر الذى يصاب به واحد من البشر على انه الجـــرح الذى يصيب الجميع ، اى ان يكون فى مقدورها الدعوة للانتقال تلقائيا الى اطار الموضوعية المطلقة .

يجدر على هذا المستوى ان يتم **بنـــاء** الاعتراف

الادبي وان يتخيل الكاتب احداثا فـــردية ذات الفاعلية الشاملة ، كما ينبغي ان تتضمن روايته — معبقائهاقي الذاتية — المسالك والمسارب التى تقودنا حتما الى الموضوعية . يكتشف فلوبـــير باعمال فكره ان عملية هذا البناء تقع على عاتقه، وسوف نرى فيما بعد ان هذا البناء لايمثل واحدا من الابعاد الثلاثة . اى شيء يخلق النشـــوة في النفس اكثر من ان ينطلق الانسان بتجـــربته الماضية ليعيد بناءها بالقلم والكتابةالىان تستحيل تلك التجربةفىالقارىء الى مطلقاتوبغير ان تفتقد مذاقها المفرد الحاد . اليس هذا احسن ما يصبو اليه الفنان ؟

ولكنا نعلم قبلا ما للكلى المفرد من قـــوة فى فرض تفرده والوقوع فى الشمول الخالص وفى ان يصير حكمة او بديهة او مجرد انطلاقة كلامية . لقد انتهت المعاني المجردة من تكوين نفسها على حساب الصيرورة وعلى حساب الزمانية، ولذلك نرى المؤلف الشاب مســتغرقا فى الطنطنة عن البؤس . وعلى النقيض ، قد يبقى الاعتراف ذاتيا فيصف الفرد الذى يتكلم ولا يصف العالم . وحين يزعم جوستاف انه « يجمع اغوارا من الشـــك واليأس » فهو يستعمل قالب الكلى المفرد ، واذا كان اليأس والشك من المواقف الذاتية ، الا انه يأمل حـــين يعـــرفها بأنها اغـــوار « بحـــر » القارىء فى دوار يقضى عليه بدوره فى هذه الاغوار وعلى العكس حين يستهدف المؤلف فى مقـــدمته حملنـــا على قراءة «ملخص مستفيض من حيـــاة اخلاقية شديدة البشاعة والسواد » ، فالكلمات التى يستخدمها تنبىء بذاتها على خطر بقاء بتلك الحياة على انها حياته ولا تحدثنا تلك الكلمات عن شيء من حيـــاتنا .

(١)

اعود الى هذا العمل السقيم والطويل الذى بدأته منذ سنتين . انه رمز الحيـــاة فى ســـقمها وطولها .

لماذا انقطعت عنه هذه الفترة الطويلة ؟ لماذا. اشعر بالتقزز فى تأديته ؟ لا ادرى .

(٢)

لماذا اشعر بالملل من كل شيء فى هذه الارض الدنيا ؟ الـــخ .....

(٣)

اشعر بالملل . كم اريد ان اكون ميتا او ثملا او ان اكون الرب الذى يحيك المقالب ....

(ثــم الى حيث القت !)

تعد تلك الفقرات الثلاثة — وغيرها كثير — من اشد مايسترعى الاهتمام ، فالانا الذى يتحدث جوستافنفسه عنه هوالذى يسر الينا بخاصيتهولا يوفر لنا وسائل الخروج منها . حقا يبذل فلوبير الجهد لينسج الخصوصيات على العموميـــات ، الا انالتعميم يجرىبالقياس بينعمله كمؤلف وبين حياته . ليس القياس مبررا . وحين يتسائل : « لماذا اشعر بهذا القدر من التقزز (فى العمل) » فهو يعرض علينا تحديدا مفردا « لماضيه » بغير ان يكون فى قدرتنا التعرف على انفسنا فيه اذ اننا قد نكتب بدون تقزز او قد لانكتب اطلاقا .تعبر الفقرة التاسعة عن انطباع مباشر القى فلوبير به فى اللحظة على الورقة ، اى عن تلك الناحية من المزاج التى تفتقر بأقل من غـــيرها الى قوة الانتقال . لقد ادرك فلوبير بالاختصـــار منـــذ السادسة عشرة من عمره **الفكرة الحاسمة** فى بناء الكلى المفرد مما يتبين من الاحتضـــارات فى صفحات بأكملها . ولكن مضمون الكل المفـــرد يسير فى اكثر من صفحة نحو الانفصال عنالشكل ليبدو بالجمع الموضوعى على انه تشاؤم شامل، وفى المقابل يتسلل الماضى بطابع مزاجه الخـــاص فى « أنا » المتكلم ، ويعمل هذا المضمون الجديد على تحويل الشهادة القابلةللشمول الى «صرخة» و « دمعة » لا تشهدان على شيء.ومجمل القول ، لايتوقف جوستاف عن الذبذبة والتأرجح بيننوعين من الجمع فى البرانية احدهما خالص الموضوعية يتم تكوينه بقوته الذاتية ويبقى الآخر « الانا فى المجمع » صوريا وخاما فى ، كما يتذبذب ويتأرجح بين تفردين ملموسين احدهما حقيقى الا انه مبنى من اجل الانتقال والآخرصحيح كل الصحةوتلقائى الا انه لايشير الى الانا الملموس . وتسير الامور علىهذ االنحو حتىيفقد جوستاف الاتجاه ويغض النظر عن بناء هذا الكلى المفرد اذ كيف لايلمس المستويات المتباينة التى يقف عليها حين يعودالى قراءة الكتاب وكيف لايشعر بفقدان التجانس بين « الانات » التى تحدثنا ؟ الم يكتشف مثلا — حين انقطع عن مواصـــلة كتابة الفقـــرة الخـــامسة والعشرين — انه لايمكن التقريب بين « الانا » الملموس الذى كان يقول « اشعر بالملل » كـــم اريد ان اكون ميتا .... ثم الى حيث القت ! » وبين الانا المجرد الذىيصطحبه **الشيطان** الاعرج عبر اوربا . ليس الذى يدعو القـــارىء الى الاســـتنتاج والذى يقدم نتائج معـــدة هو نفس الانسان الذى يعرفالعالم ويتحمل ماتفرضه عليه مجريات الامور .

يشعر فلوبير بالفزع من هذا القـــالب المتباين الجوانب وينهى الينا فى غير قصـــد وهو يصـــغ

كتابه فى المقدمة الاســـباب التى حملته على تركه جانبا » .... انه دون الشعر فهو من النثرودون النثر ، انه صرخات . وان كان منها النشازوالحاد والصارخ والاصم، صرخات حقيقية كلها وقليل منها ما يعبر عن السعادة . انه عمل غريب لايمكن تعريفه وتحديده مثله تماما مثل الاقنعة الممسوخة التى تنزل الرعب فى القوب » . يتألم فلوبير فى أسف لعجزه عن تحقيق الهدف الذى يرمى اليه، فالكتاب لاينتمى الى لون من الوان الادب كما يفتقد الى الوحدة، فهو عبارة عن صرخات ودموع، «نشاز» احيانا وان كانت « صادقة على الدوام » . يبدو «الانا» المعبر عن نفسه فيه على انه كامل التجريد تارة الى حد التلاشى فى الكلى ويكون هذا «الانا» تارة اخــرى محــدد ومعــين بحيث يســتطيع الافلات من المطلقات وتكون الحــركة فى عملية الزمان حقيقية تارة ولا تكون تارة اخرى سوى حركة البلاغة والفصاحة ، وتتلاشى تلك الحركة تارة ثالثة امام الحكمة اللازمانية . تضفى تلك السرعة المتقطعة والمتغــيرة على الكتاب طابــع « القناع الممسوخ » . يثير الــكتاب الرعب فى النفس الا ان فيما هو اهم يصدم الكتاب فلوبير بما يفتقر اليه من وحدة . وحين ادرك فلوبــير بوضوح تلك الذبذبة وهذا التأرجح بين الخارج والداخل قرر فجاة ترك هذا الكتاب المشتت الاوصال من اجل الجمع فى البرانية . وقد اتم فلوبــير فى الواقع فى ١٨ مايو سنة ١٨٣٨ — اى فى اقل من شهر من اهدائه الاحتضــارات — قصة رمــزية اطلق عليها اسم « رقصة الاموات » محــاولا تجريدها من اى اعترافات للمؤلف ومن اى تنويه عنه . ان شخصيات هذا الكتاب مجردة ورمزية!

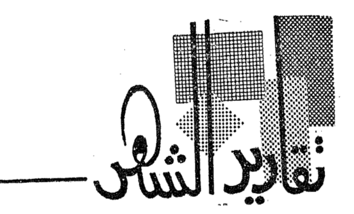
« الفقير » — « الذين نزلت اللعنة عليهم » — «النفوس الصاعدة الى السماء» — «التاريخ»، ان النفس التى تحقق ذاتها فى لحظة من اللحظات فى حركة من اليأس ومن تبرير الوهم هى المسيح. يقوم بالجمع كل من **ابليس والموت** او بالاحرى هناك نوعان من الجمع يتناقض كل منهما والآخر طالما ان **الموت** يزعم البقاء بعد **ابليس** (« عندما ينقضى اجل هذا العالم ستجد الراحة مثله وتستطيع النوم فى الفراغ ، وانا الذى عشت كل هذا القدر من الزمن .... على ان ابقى ») وطــالما ان **ابليس** يبقى بعد **الموت** (« ســـــوف تموت لان العالم سيفنى . كل شيء فان الا انا ») . ايا كان الامر فلقد تساوت وجهة النظر البرانية فى وضوح تام بوجهة نظر الآخر .

وتشكل النظرية والممارسة العملية وحــدة واحدة ، فلا يقال لنا ان كل شيء — الانسان او الامبراطورية — آيل للهلاك فى العدم ، بل يحدثنا **الموت** ليسر الينا انه يقتل . لاحديث عن الشر المتأصل باعتباره تعيين وتحديد للموجود بل يظهر **ابليس** « ضاحكا ... ضحكة الفــرح والتكبر » وهو يهوى على البسيطة ملقيا عليها بجناحين من الخفافيش يضمها كالكفن الاسود بين ذراعيه ».

واذا كان فلوبير يفضل استخدام تلك الوجــوه الرمزية فلا يرجع هذا لاحتفاظ تلك الوجوه بمــا تتسم به من حوار وتشابك واعمال على شــبه تدرج زمانى فى الجمع الى البرانى ، بل ايضا لان الشر المتأصل لايتراى لفلوبير كما نعلم على مجرد شكل العبث الموضوعى لقدرنا .يرى فلوبير فى هذه الوجوه الرمزية تأثير ارادة متسمة بالدهاء والصلابة تفرض المصير لتحقق فى الزمان اللعنة الاصلية .

هل فلوبير راض عن نفسه ؟ كلا . حقا وضع فلوبير كتابا متجانس الاطراف وفيه من التعبير مايفوق « الاحتضارات » ولكن لاشيء اكثر من هذا . ولا مكان للشهيد على الرغم من وجــود مسيح يجلب الشفقة الساخرة .فلتنفعل الوجوه الرمزية ولتصرخ بملء فيها ولتلوح لنافى نشاطها انها غارقة فى عملها الهدام الجبار ، الا ان تلك الوجوه الرمزية لن تحل محل الارضية التى تؤدى خبيتها التدريجية الى تحقيق الشر كحقيقة صارت. ولذلك يعود فلوبير — فى صراحة — بعد انتهائه من آخر مؤلفاته الرمزية « ثمل وموت » (محاولة اخرى للجمع فى البرانى) الى الجمع الجــوانى فى **مذكرات مجنون** . لقد ادرك الوحدة الذاتية فى هذه المرة محاولا الاحتفاظ بها فيصف تقدم اليأس فى شخص ملموس .

وبالاختصار ، ينعزل النموذجان عن بعضهما ابتداء من ١٨٣٨ وتأخذ بفلوبير الذبذبة والتأرجح بين هذين النموذجين — ليس فى نفس الــكتاب فقط — وان التقينا بقدر من الشاعرية الذاتية فى **سماره** وعثرنا على بعض الحكم فى **المذكرات** — بل نلمس وجود تلك الذبذبة من كتاب لآخر . كتب المذكرات بعد الرقصة وبعدها ســماره لنلتقى فيها بكل الشخصيات الرمزية التى عرفناها فى **الرقصة** . ووضع فلوبير بعد **سماره** كــلا من نوفمبر **والتربية** الاولى واعقب **الاغــواء الاولى** « التأملات الــذاتية » ويعمل هــذا الكتاب على الجمع فى البرانية . سنحاول بعد حين التدليل على ان الذبذبة لاتعبر عند فلوبير عن تردد الفنان فقط بل تتواءم مع اختيارين جوهريين فى **الانسان**. لنتبع الآن النظرية « الضدية » حتى نرى مصير «مذكرات ممنون» التى تمثل اول محاولة جــادة يجريها فلوبير لاعمال الجمع البرانى .



- لجنة تصفية الاقطاع تتسلم مهام الرقابة العليا
- عهد جديد من الاستقرار والشعور بالمسئولية
- الحزب الاشتراكى الجديد فى السودان
- محاولة جديدة للانضمام للسوق المشتركة

■ **الجمهورية العربية المتحدة**

الالتزام .. بلا طبقية .. بلا احتكارات .. بلا كهنوت ..

تلاحظ الدوائر الثقافية والفكرية ، ان الاحتفال بعيد العلم اصبح يتسم بطابع شعبى يتسع نطاقه عاما بعد عام . كما تلاحظ انه اصبح يحمل معه — فى كل مرة — اضافة جديدة للفكر المصرى فى سعيه لبلورة صياغة علمية نهائية لنظرته الاجتماعية والاقتصادية والسياسية .

فقد شملت الجوائز والاوسمة ، بالاضافة الى رجال العلم الاكاديميين فى الجامعات وفى الكليات العسكرية ، عددا كبيرا من الكتاب والفنانين يغلب على اعمالهم الطابع الجماهيرى والشعبى . وكان كثير من هؤلاء الكتاب والفنانين قد قاموا بعدد من اعمال الخلق الفنى ، حققت لهم شعبية مميزة .

وتقول الاوساط العلمية ان خطاب الرئيس يحمل اكثر من مجرد كلمات للاحتفال بمناسبة ، وانما يشمل دروسا فى منهج التفكير العلمى ، جرى بأن يتوخاه رجال العلم والفكر والثقافة فى مصر اسلوبا لعملهم ونشاطهم الفكرى . ومن هنا يكتسب **جمال عبدالناصر** ، لا وضعية القائد السياسى فقط ، وانما وضعية المعلم الثورى فى الفكر والفلسفة كذلك .

وتستشهد الاوساط العلمية على ذلك بأكثر من فقرة من خطاب الرئيس عبد الناصر فى عيد العلم . فهو يحدد المقياس العلمى لحيوية اى امة **فيقول** « وانما نقيس حيوية اى امة بحركتها للخلاص من اسباب تخلفها اولا — ثم بحركتها للاخذ بأسباب التقدم ثانيا » . ثم يؤكد ان لهذه الحركة — بالضرورة — طابع نضالى . وهو لهذا يضيف « ويقوى من آمالنا هنا ادراكنا بأن النضال الواعى لامتنا قد أحاط حركة التقدم فى وطننا بضمانات عزيزة » . ويرسم الخطوط العامة لضمانات التقدم العلمى فى المجتمع بقوله « ان عماد التقدم فى بلادنا الآن .. علم بلا طبقية .. علم بلا احتكار .. علم بلا كهنوت » . **ولا يفوته** أن يحدد : علم لمن ؟ فيقول « علم مفتوح للجميع .. ومن أجل الجميع .. كل بقدر استعداده .. وكل بمدى جهده .. وكل بحدود طاقته » . **ويضيف** فى موضع آخر « .. فان الوعى النضالى لها



● الرئيس جمال عبد الناصر

(أى لامتنا) لابد ان يستتبع ذلك بجعل العلم للمجتمع .. اى بالوصول الى العلم الملتزم » (•) ويعرف مفهوم العلم الملتزم فيقول « العلم الملتزم فى اى وطن من الاوطان هو العلم الذى يتسع لامال هذا الوطن (••) ومعنى ذلك انه يعيش فيها .. وانه يعانيها .. وانه قادر على خدمتها .. هـو باختصار العلم الذى لا يكون السؤال الاول على لسان اصحابه هو : كم اخذنا ؟ وانما يكون السؤال الذى يسبقه هو : كم اعطينا ؟ » . ويوضح جذور هذا المفهوم بقوله « ان اى عملية حساب بسيطة كفيلة بان تظهر الثمن الفادح الذى تدفعه الجماهير لكى تصل بواحد من ابنائها الى العلم المتقدم (•••) فاذا بلغ مكانه ، وتصور ان وصوله اليه يعطيه الامتياز .. ولا يفرض عليه التزاما .. فقد وقع فى الخطأ والخطيئة » . ويحدد دور ومسئولية رجل العلم فى « ان يتحول بكل ما اخذه الى مصدر عطاء الذين اتاحوا له ومكنوه وحققوا امتيازه » .

ومن الجدير بالذكر ان الرئيس العراقى **عبد الرحمن محمد عارف** كان قد حضر الاحتفال بعيد العلم ، وذلك اثناء زيارته للجمهورية العربيـة المتحدة ، والقى فيه خطابا اشاد فيه « باليقظة العربية اليوم » التى « تبشر بمستقبل زاهر يحقق ما كان عليه اسلافنا فى تفوقهم على الامم » (•).

●

القاهرة تستقبل عارف وسنجور

لقاء اخوى ناجح :

حظت المحادثات التى تمت بين الرئيس **جمال عبد النـــاصر** والـرئيس العراقى عبد الرحمن عارف اثناء زيارته **للقاهرة** فى اوائل الشـهر الماضى ، باهتمام المراقبين العرب والاجـانب (•) وذلك بحكم ما تناولته من بحث لطبيعة ومتطلبات المرحلة الدقيقة الراهنة للنضال العربى وازمة البترول بين **العراق وسوريا** من جهة وبين شركة نفط العراق من جهة اخرى .

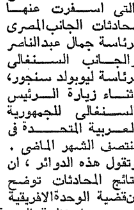
لقد استهدفت محادثات الرئيسين ، بالاضافة الى « توثيق العلاقات الاخوية بين الشعبين » ، تحقيق « تفاهـم تام » بين وجهات النظـر فى « المشكلات التى تعترض طريق العمل العربى » . وقد جاء البيان المشترك انعكاسا صادقا لمـدى التفاهم الذى حققته المحادثات . فعلى المستوى العربى ككل، اكد البيان المشترك « ضرورة اللقاء بين القوى الثورية فى الوطن العـربى » ، وتأييد الرئيسين « **لمنظمة تحرير فلسـطين** وجيش فلسطين » . كما اكد تأييدهما لنضـال شعب **الجنوب المحتل** وفى **الخليج العربى** ، وتأييدهما المطلق للجمهورية العربية اليمنية .. واستنكارهما « للمؤامرات التى تستهدف العـودة باليمن الى عهود التخلف » . وقد عبر الرئيس العراقى، عن تقديره التام « للدور الذى تقوم القوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة فى مساندة الجمهورية العربية اليمنية للدفاع عن اراضيها وعن مكاسبها الثورية ولتحقيق التقدم الاقتصادى والاجتماعى فى اليمن »

وفى المؤتمر الصحفى الذى عقده الـرئيسان وحضره ممثلون عن الصحافة العربية الـذين جمعهم فى القاهـرة المؤتمر السـياسى الاول للصحفيين العرب ، اجاب الرئيس عـارف على سؤال وجه اليه بخصوص قضـية النفط وهل هناك تقارب فى وجهات النظر بين سوريا والعراق، فقال : « ان مشكلة النفط تبدأ بالمعاهدة المعقودة عام ١٩٥٥ بين شركة نفط العراق وسـوريا ، وتقضى بأن تأخذ سوريا حصة معينة عن المرور وحصة معينة عن اعمال الميناء . وضمن بنـود هذه المعاهدة بند يقول بأن تكون هناك مناصفة فى الارباح بين سوريا والشركة عن كل طن ينقل الى البحر الابيض (التجميل) . » ثم اضـاف الرئيس العراقى « الاخوان السوريون حسبوها بالنسبة لهم فوجدوا انهم متضررون . وحصـل مع الشركة نقاش ومشاورات . ولم ينتهوا الى شىء . طلب السوريون ان تزداد اجرة المرور واجرة التجميل كـذلك . ووافقت الشركة على طلب سوريا بعد ان سنت سوريا قانونا بأنه اذا لم تنفذ الشركة الالتزامات تضع سوريا يدها على الانابيب . والاخوان السـوريون جعلوا هـذا القانـون بأثـر رجعى منـذ ١٩٥٥ . وشافوا بالحساب ان الحصة اللى بياخدوها ليست نصف الارباح وطلبوا ان يحاسبوا عن الفترة من ١٩٥٥ الى ١٩٦٥ . » ثم اسـتطرد الرئيس عـارف « لما انقطع النفط عن العراق انضر . وخسـارة العراق بالنسبة لارباح سوريا التى تأتيهـا من

المرون لاشيء . فحاولنا ان نجمع الطرفين ونضغط على الشركة لتلبية رغبات سوريا . وفعلا حدث تقارب . وقبل حضورى الى هنا كان ممثل الشركة المستر دالى قد رحل الى بيروت وحدث اتصال . » وابدى الرئيس العراقى تفاؤله بأن « تنتهى المشكلة بخير . » والجدير بالذكر ان اجابة الرئيس عارف ، قد نفت المزاعم التى رددتها الصحافة الغربية ـ وخاصة صحيفة **الجارديان البريطانية** ـ والتى ذكرت ان الرئيس عارف « قد اوضح للرئيس جمال عبد الناصر بصفة خاصة ان بغداد قد تتعرض لاضطرابات كبيرة اذا لم يتم الضغط على الحكومة السورية لكى تتوصل الى حل وسط مع شركة بترول العراق . » ومن المعروف ان البيان المشترك قد اوضح ان الجانب المصرى ايد موقف العراق من ازمة النفط واكد ضرورة تدفق البترول ضمانا لمصالح العراق ، ثم اضاف « **كما ايد الجانبان مطالب سوريا المشروعة فى هذا الشأن** » .

دعم الوحدة الافريقية

اعربت الدوائر الافريقية عن تفاؤلها بشأن النتائج التى اسفرت عنها محادثات الجانب المصرى برئاسة جمال عبدالناصر والجانب السنغالى برئاسة ليوبولد سنجور، اثناء زيارة الرئيس السنغالى للجمهورية العربية المتحدة فى منتصف الشهر الماضى .



• سنجور

• عبد الرحمن عارف

وتقول هذه الدوائر ، ان نتائج المحادثات توضح انقضية الوحدةالافريقية ـ ورمزها منظمة الوحدة ـ شغلت جانبا هاما من مناقشاتهما . فقد اكد البيان المشترك عن المباحثات ، ان الرئيسان قد عبرا « عن ايمانهما بمنظمة الوحدة الافريقية واكدا الدور الذى تضطلع به فى مقاومة الاستعمار والاستعمار الجديد والتفرقة العنصرية . كما اكدا عزمهما على دعم هذه المنظمة وجهودها من اجل تنسيق وتنمية التعاون بين الدول الافريقية فى كافة المجالات . » وترى الدوائر الافريقية ان دعم منظمة الوحدة ، هو المهمة الاساسية التى تواجه هذه المرحلة القوى الوطنية والتقدمية فى القارة ،

وفى تقييم الرئيسين لاسباب التوتر الدولى ، اتفقت وجهة نظرهما على ان هذا التوتر «يرجع الى السياسة التى تتبعها قوى الاستعمار والاستعمار الجديد والعنصرية . وهما يدينان كافة مظاهر السيطرة الاجنبية . » ويضيف البيان المشترك ان الرئيسين قد اعربا عن « قلقهما البالغ ازاء الموقف الخطير فى فيتنام وما يشكله من تهديد للسلام العالمى . وقد اتفقت وجهة نظر الرئيسين على ضرورة وقف الغارات الجوية لتحقيق السلام فى فيتنام وتطبيق اتفاقيات جنيف وتمكين شعب فيتنام من ممارسة حقه فى تقرير المصير .

وفى مجال التعاون الاقتصادى استعرض الرئيسان القضايا المتصلة بمسائل التنمية فى البلاد النامية . واتفقت وجهة نظرهما « على ضرورة ايجاد علاقات اقتصادية عادلة بين الدول المتقدمة والدول النامية . » وفى هذا الصدد دعا الرئيسان كافة الدول النامية الى « بذل جهود اضافية فى الاجتماع المقبل لمجموعةالسبعة والسبعين بالجزائر بقصد تنسيق جهودها واتخاذ موقف موحد فى مؤتمر الامم المتحدة الثانى للتجارة والتنمية المزمع عقده بنيودلهى » .

وجدير بالذكر ان الرئيس جمال عبد الناصر كانقد حددخمسقضايا هامة امامالزحفالافريقى، فى خطابه امام الرئيس السنغالى . وهذه القضايا هى : تحقيق المواءمة بين روحافريقيا وبين روح العصر بدون اذابة الشخصية الافريقية ، واثراء الفكر الافريقى السياسى والاجتماعى والثقافى ليصبح قوة فعالة تضيف الى الرصيد الانسانى كله تأخذ منه وتعطيه ، وتحقيقالوحدة بين القيم الروحية التى تعتز بها الشعوب الافريقية وبين ادوات الانتاج المادية لتحقق عملية التغيير الضرورية فى المجتمع الافريقى، ايجاد صيغة التغيير الملائمة للشخصية الافريقية ولعصرنابغيرتعللبالاوهام .. بغيرعقدالهزيمة .. بغير مركبات التعالى ، واخيرا تحقيق وحدة عمل افريقية عبر اختلاف مراحل التطور السياسى والاجتماعى وتحقيق علاقة صحية بين الوحدة الافريقية والثورية الافريقية .

وقد اشاد الرئيس السنغالى ، فى خطبه ، بالتجربة المصرية ومكاسبها، واوضح مفهومه عن الاشتراكية بقوله انها « استخدام احدث الاكتشافات العلمية والفنية بقصد زيادة الانتاج من السلع والخدمات وتوزيعها بالعدل بينجميع العاملين » .

وقبل انيختم الرئيسسنجور زيارتهللجمهورية العربية المتحدة ، اهدته جامعة القاهرة درجة الدكتوراه الفخرية تعبيرا عن تقديرها له مفكرا واديبا ممتازا .

العلم والمجتمع

حقائق كثيرة كشفت عنها مناقشات مؤتمرات التعليم الجامعى التى استغرقت اكثر من اسبوعين واشترك فيها اكثر من ١٥٠٠ عضو من رجال الجامعات والمكاتب التنفيذية للاتحاد الاشتراكى ومجلس الامة والمؤسسات والشركات وممثلى الوزارات . .

اكدت المناقشات ان جامعة الاعداد الكبيرة حقيقة ينبغى الاعتراف بها وان العمل الجاد فى سبيل خلق مدارس علمية ناجحة تتبنى البحوث التى تعمق علينا وتتصدى لمشاكل المجتمع وتؤمن حركة التنمية وتؤصل صناعاتنا آنله ان يبدأ . . وان الجامعة يجب ان تفتح ابوابها للفئات العاملة التى تثبت جدارتها علىمواصلة التعليم وانه ينبغى ان تكون الجامعات منارا للفكر الاشتراكى الاصيل والبحث العلمى فى قضايا التطبيق العربى الاشتراكى ومركزا لدراسة مجتمعنا العربى فى ماضيه وحاضره ومستقبله .

ان المناقشات الواسعة المستفيضة لمؤتمرات التعليم الجامعى التسع ابرزت الى جانب المهام التقليدية المعروفة للتعليم الجامعى مهاما اخرى فى المجتمعات التى تتطور بسرعة على طريق التنمية . . فى مقدمتها تعويض النقص الشديد الملموس فى قطاعات الانتاج والخدمات من الافراد العلميين والفنيين ذوى الكفايات العالية الامر الذى يدعو هذه المجتمعات دائما الى الاستعانة بالخبرات الاجنبية على اوسع نطاق . وانه من الضرورى ان يلازم الاهتمام باعداد الاخصائيين والفنيين اهتمام مماثل بالدراسات الانسانية وتطويرها حتى تكون الجامعات منارا للفكر الاشتراكى الاصيل والبحث العلمى فى قضايا التطبيق العربى للاشتراكية ومركزا لدراسة مجتمعنا العربى فى ماضيه وحاضره ومستقبله .

وابرزت المناقشات اهميةان **تفتح الجامعة بابها للفئات العاملة** التى تثبت قدرتها على مواصلة التعليم وان تتيح الجامعة مجالات الدراسة لمستويات مهنية مختلفة وان تعينها على انتصبح فى موقف يؤهلها للدراسة الجامعية .

ان الاطار العام للسياسة الجامعية الجديدة يرتكز على ٦ مبادىء اساسية :

● ضرورة ازالة التناقضات فى هيكل التعليم العالى والجامعى والعمل على ان يكون البنيان سليما متجانسا تقوم فى اطاره علاقات سليمة تنمى العمل الجماعى داخل الجامعة وفى غيرها من مؤسسات الدولة المرتبطة بالجامعة علميا وفكريا .

● ضرورة القضاء على الثنائية الحالية فى التعليم وان يتم توحيد التعليم العالى داخل الجامعة .

● ينبغى ان ندرك امكانياتنا الحقيقية فى توفير هيئات التدريس ووسائل الايضاح واماكن الدراسة وعلى ضوء ذلك يتم تفادى الازدواج كلما اقتضت الامكانيات ضرورة التركيز .

● تأكيد صلة الجامعة بمراكز الانتاج والخدمات عن طريق قيام مجالس نوعية للدراسات المختلفة تلحق بالمجلس الاعلى للجامعات ويمثل فيها رجل الجامعة والانتاج والخدمات عن طريق توجيه المناهج ووضع برامج البحوث . وتنظيم العلاقة العلمية بين معاهد البحوث داخل الجامعة وخارجها وبينها وبين اقسام الجامعة المختلفة .

● لابد ان تتجه المرحلة القادمة نحو العناية بعقل الطالب والارتفاع بمستوى قدراته على التحصيلوالاستقرار والتحليلوالاستنتاج ، ومن ثم فانه من الضرورى ان ينمى فى مجتمع الجامعة الطالب القارىء والطالب الباحث والطالب الذى يتلمس طريق المعرفة داخل المعامل وبين حجرات المتاحف .

● بالرغم من ان جامعاتنا تشكو من الاعداد الكبيرة فان متطلبات المجتمع وما يمليه السباق العلمى الكبير الذى يجرى فى عالمنا اليوم يستوجب منا فى بعض التخصصات زيادة فى الاعداد . وان تكون دراسات البكالوريوس والليسانس دراسات قائمة على قاعدة عريقة من العلوم الاساسية والانسانية ولكنها لا تؤدى الى التخصص الدقيق الا فى احوال خاصة ثم يبدأ التخصص فى مرحلة الدراسات العليا للحصول على الدبلوم او الماجستير عن طريق دراسة مقررات محددة . وتبقى درجة الدكتوراه على ما هى عليه قائمة على اساس اضافة جديد عن طريق البحث وان كانت تقتضى ايضا حضور مقررات دراسية .

ومن خلال نظرة شاملة على اعمال مؤتمرات التعليم الجامعى يتضح ان الحوار قد دار بين اعضاء المؤتمرات حول خمسة قضايا هامة :

اولا : الربط بين التعليم العام والتعليم العالى

لقد اجمعت الاتجاهات داخل المؤتمرات على ان يبقى هيكل التعليم العام المطبق فى الجمهورية العربية فى المرحلةالحالية على ما هو عليهخصوصا بعد ان تبنته وطبقته الدول العربية الاخرى مع الاهتمام برفع كفاءة التعليم العام على اساس انه المدخل الاساسى للتعليم الجامعى . وان يشمل الالزام تدريجيا مرحلتى التعليم الابتدائى والاعدادى . وان تبقى السنتان الاولى والثانية من التعليم الثانوى كما هما الان استكمالا لمرحلة التثقيف العام بحيث تكون السنة الاولى دراسة عامة مشتركة ثم يقسم الطلاب فى السنة الثانية الى شعبتين ، ادبى وعلمى ويحصلون فى كل شعبة منهما على دراسة عامة فى المواد الداخلة فى تخصصهما اما السنة الثالثة فيكون التخصص فيها على نحو ادق ، ووفقا للمستوى العلمى المطلوب للدراسة الجامعية .

ثانيا : الدرجة الجامعية الاولى كان هناك اتفاق عام على ان يكون تحديد اعداد الطلاب المقبولين فى مختلف الكليات متمشيا مع الخطوط العريضة لاحتياجات خطة التنمية . وان يكون القبول بالجامعات على اساس المستوى العلمى للثانوية العامة وباكثر من طريق ، وان يستمر العمل بالقواعد الحالية لمكتب التنسيق والتى تحقق تكافؤ الفرص بين المواطنين وضرورة مشاركة الجامعات فى وضع مناهج المرحلة الثانوية ، وفى امتحان هذه الشهادة ايضا . وان يفتح باب القبول بالجامعات للممتازين من حملة الشهادات الفنية بعد اجتيازهم الاختبارات للحكم على مستوى تحصيلهم للعلوم ..

واتفقت الاراء على الاخذ بنظام المراحل وربط الاقسام العلمية المتناظرة داخل الجامعة الواحدة ووضع حد اقصى لمدة بقاء الطالب فى كل فرقة ضمانا للجدية وارتفاعا بالمستوى العلمى للخريجين .

كما طالبت آراء اعضاء المؤتمرات بضرورة النهوض بالدراسات العليا والبحوث سواء الانسانية منها او العلمية او التطبيقية وان ينشأ فى كل جامعة مجلس للدراسات العليا والبحوث يقترح السياسة العامة لها ويتلقى المشكلات العلمية من الهيئات المختلفة فى البلاد ويعمل على توزيعها على الكليات لحلها ونشر البحوث وتبادلها. وان يقتصر ايفاد البعثات الى الخارج على التخصصات التى لا تتوافر الامكانيات لها فى الداخل ويشترط حصول الموفدين على درجة الماجستير . وضرورة رسم سياسة متكاملة طويلة الاجل لاستكمال هيئات التدريس فى مختلف التخصصات سواء عن طريق الدراسات العليا بالداخل مع توفير كافة الامكانيات اللازمة لها او الايفاد الى الخارج .

ثالثا : ربط التعليم الجامعى بالمجتمع ولقد كانت هذه القضية من القضايا الهامة التى دارت حولها مناقشات واسعة داخل اروقة مؤتمرات الجامعة. وهناك اتفاق عام على ان تشترك الجهات المستفيدة من مؤسسات الخدمات والانتاج فى المجالس الجامعية فى وضع خطط الدراسة ومناهجها وان تشترك الجامعات فى حل مشاكل الانتاج والخدمات سواء عن طريق قيام هيئة التدريس والطلاب باجراء البحوث فى مراكز البحوث المتخصصة المنشأة فى المؤسسات المختلفة او عن طريق تحويل هذه المؤسسات لبعض البحوث التطبيقية التى تجرى فى الجامعات . والاستفادة من خبرة المتخصصين بالمؤسسات فى النواحى التعليمية بالجامعات وان تعنى الجامعات بادخال دراسات فى المرحلة الجامعية الاولى والدراسات العليا تتصل بالبلاد ومشاكلها ليكون الطلاب مهيئين لفهم مشاكل المجتمع وتناولها بالبحث والحل فى نطاق تخصصاتهم .

رابعا : توحيد التعليم العالى فى اطار الجامعة اجمعت الاراء حول ضرورة تصفية المعاهد العليا غير الصالحة وضم الصالح منها الى الجامعات مع مراعاة الاحتفاظ بكافة الحقوق بالنسبة للطلاب واعضاء هيئات التدريس الموجودين حاليا بالمعاهد.

خامسا : تخطيط التعليم اتجهت بعض الاراء داخل المؤتمرات الى المطالبة بانشاء هيئة دائمة او مجلس اعلى يتولى وضع فلسفة للتعليم والتدريب بما يضمن الربط بين مختلف مراحل التعليم والتدريب والربط بين التعليم والتدريب واحتياجات الدولة فى مختلف قطاعاتها .



المؤتمر السياسى للصحفيين العرب

أنهى المؤتمر السياسى للصحفيين العرب — المنعقد فى القاهرة — أعماله فى اليوم الخامس من فبراير الماضى . وقد أصدر فى جلسته الختامية ٢٧ قرارا سياسيا ومهنيا .

وقبل انتهاء المؤتمر التقى الرئيسان جمال عبد الناصر وعبد الرحمن عارف بوفود الصحفيين العرب بمقر الاتحاد الاشتراكى . وحضر هذا اللقاء السيد على صبرى الامين العام للاتحاد الاشتراكى والسيد محمد فائق وزير الارشاد والسيد عبد المجيد فريد امين المكتب التنفيذى للقاهرة .

وتحدث الرئيس عبد الناصر فى هذا اللقاء شارحا تطورات قضية فلسطين ومؤتمرات القمة ، وعن سياسة الجمهورية العربية نحو السودان واستنكار التدخل الاستعمارى فى جنوب السودان .

وحول الصحافة قال الرئيس عبد الناصر ، انه قد تكون هناك حرية صحافة فى بلد ما ، ومع ذلك لا تكون صحافة حرة ، ونحن قد قضينا على هذا تماما . فالصحافة فى مصر ملك للاتحاد الاشتراكى وكل صحيفة مسئولة فى اطار خط عام ، وهو خط اشتراكى تحررى ثورى حسب نصوص الميثاق ، وقال الرئيس عبد الناصر ان هذا الاجتماع يعطى الدلالة على التعاون والذى يمكن من خلاله ان يتم التنسيق ولفت النظر الى بعض النقط فى سياسة الصحيفة نفسها . ولا بد من التلاحم بين الصحفيين العرب ، وكذلك تفاعل الصحفيين المصريين بالجو العربى ، وعليهم خلق هذا التفاعل والتلاحم من خلال اجتماعاتهم المتكررة مرة كل ستة شهور .. فى بيروت وبغداد والقاهرة .

وقد عقد المؤتمر السياسى للصحفيين بالقاهرة فى الفترة ما بين أول فبراير حتى ٥ فبراير الماضى ، ومثل الصحافة العربية فيه تسع دول هى الجزائر والسودان والعراق وسوريا ولبنان واليمن والكويت والمغرب والجمهورية العربية . وكان نقيب الصحفيين

فى القاهرة قد عقد مؤتمرا صحفيا فى ٣٠ يناير الماضى اعلن فيه عن الموضوعات التى سيناقشها المؤتمر وهى :

- البترول العربى .
- آخر تطورات قضية فلسطين
- تطبيق مبدأ اللقاءات الجماهيرية بين الشعوب العربية
- وحدة العمل فى الصحافة العربية المتحررة .

وقد اصدر المؤتمر ٢٧ قرارا سياسيا ومهنيا منها ان البترول العربى يجب ان يكون اداة فى بناء التقدم العربى وسلاحا فى وجه القوى الاستعمارية والاحتكارية . كما حذر دول العالم من استمرار السماح بالهجرة الى فلسطين . وايد المؤتمر ثورة الجنوب اليمنى المحتل . ودعا المؤتمر جميع القوى الشعبية فى العالم العربى الى اجتماع مشترك تعقده المنظمات الشعبية التقدمية العربية لوضع خطة عمل ايجابى مشترك على ضوء ميثاق عمل مشترك محدد الوسائل والاهداف .

وفى مجال القرارات المهنية تقدم السودان بمشروع انشاء وكالة انباء عربية متحدة . وتقدم لبنان بمشروع السعى لالغاء تأشيرة الدخول بالنسبة للصحفيين فى البلاد العربية الحرة . وتخفيض اجور الانتقال بالبر والبحر . وعقد مؤتمر الصحفيين المقبل فى بيروت .

كما تضمنت قرارات المؤتمر تكليف مكتب مجلس نقابة الصحفيين بالقاهرة القيام بمهام مكتب امانة اتحاد الصحفيين العرب الى ان يعقد المؤتمر القادم فى ابريل المقبل ببيروت .

ومن المعروف ان اتحاد الصحفيين العرب انشىء فى ٢١ فبراير ١٩٦٤ ، بعد قرار اللجنة التحضيرية التى انعقدت بالقاهرة فى ذلك الوقت والتى مثلت عشر دول عربية ، وشكلت اللجنة التأسيسية من ثلاثين عضوا يمثلون الدول الاعضاء ، واختارت ايضا أعضاء المكتب التأسيسى ، وتقرر عقد اول مؤتمر لاتحاد الصحفيين فى ابريل ١٩٦٥ .

وفى شهر فبراير ١٩٦٥ ، انعقد بالكويت اول مؤتمر لاتحاد الصحفيين العرب حضره وفود ١٣ دولة عربية . وكان من بين قراراته عقد المؤتمر الثانى بالاردن فى أكتوبر ١٩٦٦ .. ولكن الظروف السياسية فى الاردن ومواقفها التى تتعارض مع قوى التحرر العربية دفعتها الى التأجيل شهرا الى أن اعتذرت نهائيا عن عقد المؤتمر بها .

وفى ديسمبر ١٩٦٦ طلبت سوريا عقد المؤتمر الثانى بدمشق وتقرر عقده فى ابريل القادم . وبدأ أمين اتحاد الصحفيين اتصالاته بالمكتب الدائم للتحضير لعقد المؤتمر فى موعده المقرر .

وقد كان من نتائج القرار الخاص بمكتب امانة اتحاد الصحفيين العرب الذى اصدره المؤتمر السياسى للصحفيين الذى دعت اليه نقابة الصحفيين بالقاهرة ان اصدر السيد صبرى ابو المجد الامين العام لاتحاد الصحفيين بيانا موجها الى نقيب الصحفيين بالقاهرة ، قال فيه «وجهتم فى ١٩٦٦/١٢/١٥ من وراء ظهر اتحاد الصحفيين العرب — دعوة لعقد مؤتمر البترول العربى ، ثم اعلنتم عن تغيير الاسم الى مؤتمر الصحفيين العرب السياسى ، واحسسنا بما يدبر ، خاصة وانتم تعلمون اننا نعد العدة لعقد المؤتمر الثانى فى سوريا . ولكننى آثرت ان اترك لكم فرصة العمل كما تريدون ، وعندما ابلغتنا بعض الوفود احتجاجهم على ما تريدون من اقحام المؤتمر فى بحث الخلاف القائم بينكم وبين الاتحاد ورأى هؤلاء الزملاء الانسحاب من المؤتمر وخاصة بعد ان هددتم وتوعدتم الاتحاد وانذرتم بأن فى استطاعتكم انشاء اتحاد آخر .. آثرنا الصبر ايضا على امل ان تسير الامور سيرا مقبولا » .

ويقول البيان فى فقرة اخرى «ان القرار الذى اصدرتموه خاصا باتحاد الصحفيين العرب لا يعبر عن رأى الاتحاد ولا يلزمه ، بل ان اتحاد الصحفيين العرب يحتج على هذا القرار اشد الاحتجاج ويحملكم مسئوليته . ومرة اخرى اناشدك كما ناشدتك فى العام الماضى ، عدم التدخل فى شئون اتحاد الصحفيين العرب الا بالقدر الذى يتيحه لك دستور اتحاد الصحفيين وبالقدر الذى يتاح لمثلى ايه منظمة صحفية اخرى » .

ومن الواضح ان مكتب امانة اتحاد الصحفيين استند فى رفضه لهذا الاقتراح على المادة الرابعة من دستور الاتحاد التى تنص على ان ينتخب المكتب الدائم من بين اعضائه رئيسا ونائبا للرئيس وامينا عاما وسبعة امناء مساعدين .

ومن المعروف ايضا ان السيد حسين فهمى رئيس اتحاد الصحفيين العرب كان عضوا بمجلس نقابة الصحفيين ، وتقدم فى ديسمبر ١٩٦٤ بطعن لمجلس الدولة يطلب فيه بطلان قرار الجمعية العمومية غير العادية بفصل المرحوم احمد قاسم جودة وقبول استقالة السيدة امينة السعيد التى كان المجلس قد اجل النظر فى قبول استقالتها .

واستمرت القضية أكثر من سنتين استأنف النقيب فيها الحكم الذى صدر من مجلس الدولة فى فبراير ١٩٦٥ ، كما تم خلالها انتخاب نصف الاعضاء فى دورتين للمجلس واعيدت الانتخابات فى المرة الاخيرة بناء على حكم من محكمة النقض ببطلان الانتخابات .

وفى الشهر الماضى اصدرت المحكمة الادارية بمجلس الدولة حكمها ببطلان القرارين الخاصين بالعضوين ، والغاء الاثار المترتبة على بطلان هذا القرار .

واصدر مجلس النقابة بيانا اعلن فيه ان ما صدر عن هيئة المفوضين بمجلس الدولة ليس الا رفضا لاحالة الطعن الى المحكمة الادارية العليا . وأن الحكم الصادر فى فبراير ١٩٦٥ ينصب على زميلين

أحدهما انتقل الى رحمة الله ، والآخر مستقيل بمحض ارادته ، وأن عضوية اللذين حلا محلهما قد انقضت مدتها تلقائيا . ثم عادا الى المجلس بانتخابات اخرى ، فالحكم الابتدائي يعتبر نافذا تلقائيا ، ولكنه يشكل اشكالا يلجأ فيه مجلس النقابة الى السلطات التنفيذية المختصة . ولما كان القائمون بالامر في النقابة لهم نفس الصفة قبل صدور الحكم الابتدائي فسوف يصرفون شئون النقابة كالمعتاد .

ولكن ما زال النقاش يدور حول البيانات المتضاربة التى تصدر من الاطراف المختلفة ،وعن شرعية المجلس الحالى وحول تفسير الحكم الذى صدر ، وايضا حول عقد مؤتمر الصحفيين السياسي بعيدا عن اتحاد الصحفيين العرب أو دعونه لهذا المؤتمر .

●

■ الوطن العربي

السعودية : العمل الوطني يعرقل المؤامرة
الاردن : الملك حسين وجولة الاستعداء
الكويت : الموقف ينذر بأضطرابات سياسية

في مؤتمر صحفي عقده **روبرت ماكلوفسكي** المتحدث الرسمي باسم وزارة الخارجية الامريكية لاعلان تأييد بلاده لشكوى السعودية من ضرب الطائرات المصرية للحدود السعودية ، سأله أحد المراسلين عما اذا كان السعوديون قد طلبوا اتخاذ أى اجراء بمقتضى اتفاقات الامن والضمان التى أعطتها امريكا لهم في ١٩٦١ ، ١٩٦٢ .

فرد ماكلوفسكي قائلا : «حسنا لا أعتقد انى استطيع ان أذهب في ذلك الى اكثر من هذا عند هذه النقطة . ولاشك اننا نشعر بقلق كبير ازاء أي تهديد لسلامة اراضي السعودية» .

وفى مجلس العموم البريطاني وقف **ويلسون** يؤيد مزاعم السعودية عن الغارات المصرية واستخدام الغازات السامة . وأنطلق راديو لندن يردد نفس الاتهامات والقصص . وحملت الانباء أخبار مساعي بريطانيا لتحريض السعودية على تقديم شكوى لمجلس الامن . وارسلت هذه الاخيرة مذكرة الى يوثانت تلفت فيه نظره الى خطورة الوضع واحتفاظها لنفسها بحق اتخاذ الاجراءات المناسبة ، واستدعت سفراء الدول العربية والاسلامية والصديقة واطلعتهم على خطورة الوضع .

ومن عمان وتونس ، جاءت رسالتان من الملك **حسين وبورقيبة** تستنكران الغارات المصرية وتؤيدان السعودية في موقفها .

والواقع أن حملة التشهير كانت قد بدات في صحف لندن وراديو اسرائيل منذ عدة أشهر . ورغم اثارة حملة مماثلة منذ ثلاث سنوات ونصف وحققت فيها الامم المتحدة ونفت ماجاء بها الا أن السعودية ومن ورائها أجهزة الاعلام الغربية رأت اثارتها مرة أخرى كحلقة جديدة في محاولات الضغط لاخراج القوات المصرية من اليمن قبل تسوية الوضع هناك وجاءت هذه الحملة وبعد أتخاذ الجمهورية العربية «أحكم قرار» كماتقول **((الصنداى تايمز))** والذى تم بموجبه سحب القوات المصرية وتركيزها في نقط تجمع ، وترك حراسة الحدود ومقاومة التسلل للقوات اليمنية والقبائل الموالية للجمهورية . وبعدفشل مؤامرات الجانب السعودى في لجنة السلام وطرده من اليمن ، وتطويق كل محاولات الانقضاض من الداخل وافشالها . وبعد أن توقفت محاولات الوساطة التى قامت بها الكويت ولبنان والسودان واعلان راديو اسرائيل أن السعودية قد الغت من جانبها أتفاقية جده . . وبعد أن تبين عجز حلفاء السعودية عن ممارسة اى ضغط على القاهرة . فقد رد المتحدث باسم الخارجية الامريكية الذى أعلن أنه ليس هناك مايدعو للشك في بيانات وزارة الدفاع السعودية ، على سؤال احد الصحفيين عما اذا كانت الولايات المتحدة قد هددت الجمهورية العربية بقطع المعونة بسبب موقفها من السعودية . بقوله أنه «اسف لان الجمهورية العربية لاتحصل على اى معونات امريكية » .

ومحاولات التشهير لاتنفصل عن سعى السعودية لتحريض اعوان البدر على استئناف الحرب كما تقول جريدة ((**النيويورك تايمز**)) . وعن قرب وصول ٢٠٠٠ من المرتزقة الانجليز الى نجران على ان يلحق بهم بعض الفرنسيين والبلجيكيين الذين عملوا من قبل في الكونجو كما تؤكد «لموند» الفرنسية . وبعض هؤلاء المرتزقة من الطيارين الذين سرح بعضهم من القوات البريطانية خصيصا ليلتحقوا بقوات البدر ، مما يدل على ادخال تغيير جديد في أسلوب مواجهة الثورة اليمنية ، يؤكد هذا اعلان بعض المصادر السعودية عن تسليح قوات البدر بأسلحة ثقيلة . واعلان **((التايمز))** عن وجود ضابط مخابرات بريطاني كبير في **نجران** لهذه المهمة ومحاولة الاسراع في بناء القاعدة الجوية في خميس، واستكمال نظام الدفاع الجوى الذى يشرف عليه البريطانيون والامريكيون . وفى هذه الخطة يلعب محور السعودية ـ بريطانيا كماتقول الايكونومست دورا اساسيا ، فقد أعلنت بريطانيا تأجيل انسحابها من الجنوب وبدأت في اتخاذ اجراءات وحشية ضد الحركة القومية هناك . ووضعت بريطانيا كافة جهودها الاعلامية تحت تصرف السعودية ، ويقوم الضباط البريطانيون بتجنيد المرتزقة ، واثارة القلاقل على حدود اليمن . وفى تكامل تام مع هذا

المخطط قامت الاردن وتونس بسحب اعترافهما باليمن بحجة عدم سيطرة الحكومة على معظم الاراضي اليمنية ، تمهيدا لتبرير التدخل ضدها .

ولكن العمل الوطني في السعودية كما تقول التايمس يعرقل كل هذه الجهود ، واعلان القاهره عن تصميمها على ضرب قواعد العدوان في السعوديه ذاتها اذا ما تحركت ، وثبوت نجاح سياسة النفس الطويل في اليمن ، وأمكان استخدامها لسنوات عديدة مقبلة ، وتدعم الحكم الجمهوري في اليمن ، قد اصاب هذه الخطط بالارتباك والتخبط . مما جعل حكام السعودية يلجأون الى اجراءات ذات طابع انتقامي تضر بالوضع الاقتصادي لبلادهم . فتأميم فرعى بنك مصر ، والفروع الاربع لبنك القاهرة ، تلعب دورا رئيسيا في عملية الانشاء والتعمير في السعودية لابد وأن يحدث اضطرابا في الحياة الاقتصادية هناك ولاشك أن القاهرة لم تكن تستفيد من أعمال هذين البنكين بقدر ما استفادت السعودية ، اذ لم تقم هذه الفروع بتحويل أى مبلغ من ارباحها الى القاهرة بل كانت تعيد استثمارها في السعودية من جديد . وكان من الطبيعي أن تفرض القاهرة الحراسة على أموال فيصل واولاده واعوانه كرد طبيعي وشرعي على اجراءات الملك فيصل

ومع السعودية اشتركت الاردن في محاولـــة القضاء على المؤسسات المنبثقة عن مؤتمر القمة وهي منظمة **التحرير ، وهيئة تحويل روافد الاردن، والقيادة العسكرية الموحدة** . فقد سحب الاردن اعترافه بمنظمة التحرير ، وأصبح وجودها محرما في الارض التي كان مفروضا أن تكون قاعدة انطلاق

تعليـــق

الحقائق التاريخية في خدمة الثورة

تعليق على بحث الدكتور محمد أنيس عن احداث ٤ فبراير

في اوائل فبراير الماضي ، هبت نسمة منعشة في الجو العلمي والثقافي في بلادنا ، وذلك بنشر الاهرام للبحث الذى اعده الدكتور محمد أنيس عن احداث ٤ فبراير ١٩٤٢ ، بمناسبة مرور ربع قرن على ذلك اليوم الهام في تاريخنا الحديث

وقد كان الناس في بلادنا عموما موزعين ، تجاه أحداث ذلك اليوم ، بين احد مواقف ثلاث :

(١) موقف عاطفي ، أساسه الكراهية الحقة للمستمرين الانجليز ، دون اقامة اعتبار كاف لغير ذلك من حقائق الموقف الدولي البالغ الخطر والتعقيد حينذاك ، ودون احاطة بحقائق العلاقات المشبوهة التي كانت قائمة بين القصر وبين الالمان والطليان ، مضـاربة عـلى احتمـال انتصارهم ، على الرغم من أنهم كانوا الطـرف الاستعمـاري الاشـد ضراوة وعدوانية . وكان ذلك موقف الاغلبية .

وقد أجاد فاروق وعملاؤه استغلال هذا الموقف الى أقصى حد . ولا عجب ان ظل فاروق حريصا — حتى ١٩٥٠ — على حضور احتفال يقام في ٤ فبراير من كل عام في نادي الضباط ، وكان ذلك اليوم هو « عيد الكفاح الملكي » ، الى ان لاحت بشائر الثورة فأنهت هذا التقليد السمج ، ثم أنهت الملكية كلها بعد ذلك بقليل . والحق ان أبواق الدعاية الملكية استغلت عدم معرفة المصريين بالذعر الذى اصاب فاروق وانهياره في جبن ومهانة أمام تهديد لم يستمر الا بضع دقائق .

وفي مقابل ذلك ، كان ثمة موقفان :

(٢) موقف حزبي ، أساسه الدفاع عن الوفد بغض النظر عن مخازيه . وكان ذلك موقفا ، ضعيفا حيث لايمكن ان ينسى الناس ان بعض الشباب الوفدي ، منجرفا بتيار تهالك غالبية القيادة على الحكم ، حمل السير مايلز لامبســون (السفير البريطاني حينذاك على الاعناق) ، حين ذهب السفير لتحية الوزارة الجديدة في لاظوغلي . ثم جاء اغراق تلك الوزارة الوفدية في الفساد ، مع اغفالها لاثارة القضية الوطنية مع الانجليز ، ليزيد هذا الموقف الحزبي ضعفا على ضعف .

(٣) موقف ثالث كان يتبناه قلة مـن المثقفين التقدميين ، يضم يسارا وفديا وليدا ، يقوم على معارضة الفاشـية والتقدير الجاد لخطرها ، والتعاطف مع القوى التي التحمت في حرب مصـيرية معها ، وبخاصة مع قوى الاشتراكيـة كما تمثلت في المقاومة الوطنية الرائعة للشعب السوفييتي وحركات المقاومـة السرية في بلاد اوروبا التي احتلهـــا النازى .

وحتى هذا الموقف كان ينقصه الاحاطة بتفاصيل الحقائق التاريخية لواقع القوى المتصارعة عند القمة في مصر ، بحيث يستطيع ان يكون مقنعا للرأى العام ، ويمكنه ان يتفوق — او حتى يوازن — اثر الدعايات الملكية التي اقيمت من اجلها دار صحفيـة كبرى ، وجنـدت لخدمتها معظم الاقلام المدربة ولم يكن لاصحاب هذا الموقف من القوة ما يمكنهم من خلق تيار فعال على النطاق القومي ، يقوم على فكرة « المساندة للجهد العالمي المعادى للفاشية مـع الصراع ضـد الاستعمار البريطاني المتوطن — في نفس الوقت » . وهو مانجحت فيه الحركات التقدمية ذات النفوذ في بعض البلاد التي كانت خاضعة للنفوذ البريطاني .

ولا عجب ان ظلت هذه المواقف كامنة في وجدان اصحابها فترة طـويلة من الزمن ، فالموضوع لم تفتح عليه النوافذ منذ عهد طويل . ولا شك ان البحث الذى قام به الدكتور انيس ، مـع التوزيع الواسع الذى اتاحته صحيفة الاهرام ، مكن لمئـات الالاف مـن المصريين الذين شهدوا هذه الايام فرصة جديدة للتأمل ، واعادة تشكيل افكارهم ووجدانهم وفقا لما تضمنته الحقيقة التاريخية . كذلك كان في هذا البحث غذاء فـكريا عظيم القيمة لابناء جيل جـديد لم تر عيناه عجائب الحياة السياسية في مصر الملكية ، وهو غذاء ضروري لتعميق وعيهم بجلال ماحققته الثورة من اقرار لحق المصريين في حكم بلادهم ، لاول مرة منذ اقـدم العصور .

وبعـد ، فان الـكشف عن اسرار تاريخنا الحديث على ضوء منهج علمي تقدمي مستنير ، هو ميدان يكاد ان يكون بكرا ، ومن ثم فهو جدير بكل اهتمام . والحقائق التاريخية العلمية ذخيرة قيمة في خدمة الثورة والتقدم .

سعد زهران

لعملها . ورد **الشقيرى** بأنه لايعول كثيرا على قرار حسين الذى لايختلف عن اشكول فى شىء بالنسبة لقضية تحرير فلسطين . ودعت المنظمة فى مذكرتها التى قدمتها الى الجامعة العربية الى أجراء استفتاء عام فى الاردن حول الموقف منها ، واتهمت حسين بأنه تلكأ فى أقامة مطارين لاستقبال الطائرات العربية وانه قام بتحويل بعض المبالغ التى حصل عليها من بعض الامارات العربية من أجل قضية فلسطين الى حسابه الشخصى ، وانه رفض تنفيذ التجنيد الاجبارى للفلسطينيين ، ورفض تنفيذ الاتفاقات العسكرية ، وانه يقوم بمطاردة الفدائيين ، واستولى على مبلغ ٢١ مليون جنيه التى خصصتها الجامعة لتسليح جيش الاردن ، اذ اتضح ان الاسلحة القديمه التى حصل عليها من الولايات المتحدة كانت **هدية مجانية** .

ومما يؤكد تعاون السعودية والاردن فى هذا الصدد ، انه بعد اعلان القاهرة لتأجيل مؤتمرات القمة فى يوليو ١٩٦٦ ، واصرار السعودية على عقد المؤتمر الرابع واتخاذها ذلك تكأة لعدم سداد التزاماتها ، قام الملك حسين بارسال مذكرة الى الجامعة العربية فى ديسمبر ١٩٦٦ ، يطلب عقد مؤتمر القمة الرابع فى عمان ، ولم يعن احد بالرد عليه . وعندما دعا **الفريق على على عامر الى** عقد اجتماع يضم ممثلى الاردن والسعودية والعراق لبحث مسألة ادخال القوات السعودية والعراقية الى الاردن ، قال مندوب الاردن انه لابد من سداد جميع الالتزامات أولا ، وأكمل مندوب السعودية بانه لابد من عقد مؤتمر القمة الرابع قبل الدفع . وعند الدعوة لاجتماع مجلس الدفاع العربى ، ابلغ الاردن الجامعة بأنه لن يحضر ، وسارع مندوب السعودية الى تأييده ، وبعد طلب حكومة المغرب تقرر تأجيل الاجتماع الى ١١ مارس ، وبالتالى تأجيل اجتماع وزراء المالية العرب الى ٨ مارس ، لان الاجتماع الاخير قد اتفق على ان يسبق اجتماع مجلس الدفاع ، وسيثار فيه موضوع الواحد وعشرين مليونا التى استولى عليها حسين ثمنا لتسليح جيش الاردن

ويعمل حسين وفيصل ، على تكتيل القوى الرجعية فى المنطقة ومحاولة الانقضاض على المواقع المتقدمة . فقد اعتمد فيصل ١٠ ملايين من الجنيهات لينفق منها حسين على تدبير المؤامرات ضد سوريا والعراق . وكشفت بعض المصادر انهما فى لقائهما الاخير فى الرياض اجتمعا بأحد وزراء نورى السعيد وبحثا معه تدبير انقلاب فى العراق . وفضح الرئيس الركن **محمد يوسف الحمارشة** الضابط الاردنى المؤامرة المدبرة ضد سوريا ، والخطة الموضوعة لاغتيال بعض القادة السوريين والسيد احمد الشقيرى . وفى دمشق اعلن متحدث رسمى اكتشاف مؤامرة دبرها الملك حسين شخصيا وتم وضعها فى الاردن ولبنان . وجولة حسين فى الكويت والبحرين وقطر وابو ظبى ودبى ، تستهدف الى جانب طلب المساعدات المالية للاردن وتأجيل ماعليها من قروض تأليب هذه الامارات على منظمة التحرير ، وعلى سياسة الجمهورية والثورة اليمنية ، ومحاولة ضمها الى محور التآمر السعودى الاردنى .

وقد جاءت زيارة حسين للكويت فى وقت توترت فيها أوضاعها الداخلية ، بسبب الانتخابات النيابية الاخيرة . مما زاد فى فتور استقباله من قبل جماهير الشعب رغم محاولة حشد عدد كبير من البدو لتحيته وكان تجاهل صحيفة «أخبار الكويت» للزيارة الى جانب موقفها من الانتخابات من اسباب أغلاقها

وانتخابات الكويت هى ثانى انتخابات نيابية منذ استقلالها فى ١٩٣٥ ، فقد تمت الانتخابات الاولى فى نوفمبر ١٩٦١ . وفيها نجح ثمانية من القوميين العرب ، على رأسهم الدكتور **أحمد الخطيب ، وقاسم العاظمى** ، وحصلا على نسبة كبيرة من الاصوات ودعا هؤلاء خلال المجلس الاول الى التعاون مع البلاد العربية لحل قضية فلسطين والقضايا العربية الاخرى ، والعناية بمساكن ذوى الدخل المحدود ، واحترام ميثاق الامم المتحدة ، وتنفيذ الاصلاحيات الاجتماعيه . ولكن فى اكتوبر ١٩٦٥ استقال هؤلاء النواب احتجاجا على صدور تشريع يحد من حرية الصحافة والنوادى السياسية والجمعيات ، ويحرم النشاط السياسى للطلاب والموظفين . واتهموا البرلمان بأنه اصبح اداة فى يد الحكومة .

وفى الانتخابات الجديده التى اجريت فى ٢٥ يناير وأشترك فيها ٣٠ ألف ناخب ، ٢٥٥ مرشحا . اتهمت المعارضة الحكومة بأنها نقلت ٣ آلاف بدوى من الصحراء الى المناطق التى تخشى فيها هزيمة مرشحيها ، وانفقت عليهم مبالغ طائلة ، ومنحتهم الجنسية فورا . وكانت النتيجة نجاح ٤ فقط من القوميين . الذين أتهموا الحكومة بالتدخل فى الانتخابات واستبدال الصناديق . وقد هزم الدكتور الخطيب رغم أنه حصل على اعلى نسبة اصوات فى الانتخابات الماضية أمام عبد العزيز الساعيدى الذى يدعو للتعاون مع السعودية والاردن . وأعلن ١٣ نائبا من الناجحين استنكارهم للنتائج فى بيان وقعوه مع ثمانية وعشرين مرشحا من الذين لم ينجحوا واصدر اتحاد الخريجين ، واتحاد الجامعات ، واتحاد العمال ، وجمعية المهندسين ، وأتحاد المقاولين ، واتحاد المحامين والحقوقيين ، واتحاد الصحفيين ، والاتحاد الوطنى للطلبة ، بيانات أدانو واستنكروا فيها اجراءات الانتخابات . واستقال اثنان من الوزراء احتجاجا . واصدرت الحكومة قرارا بتعطيل جريدتى أخبار الكويت التى صدرت مجللة بالسواد ونشرت استنكار الهيئات والشخصيات الكويتية ، وجريدة الهدف . أما الرسالة فقد قررت الاحتجاب اختياريا . وحاولت الحكومة جعل المرشحين يطعنون فى سقوطهم امام المجلس المنتخب ، ورفض هؤلاء لانهم لايعترفون بشرعية هذا المجلس اصلا ، ثم أن القانون يحدد طريقة طعن غير الناجحين ولكن

هناك ١٣٠ نائبا من الناجحين يطعنون فى نتيجة الانتخابات كلها . ومما يزيد فى سخط هؤلاء نجاح ١٧ من البدو ، ٩ من الايرانيين (كانوا ٤ فى المجلس الماضى) وحصول الحكومة على غالبية الخمسين مقعدا . ورغم اتجاه المعارضة الى تهدئة سخط الثائرين ، والاكتفاء بالمطالبة بالغاء الانتخابات الا أن ((**الفاينانشال تايمز**)) تقول أن الموقف ينذر بحدوث اضطرابات سياسية خطيرة .

●

الجزائر

عهد جديد من الاستقرار والشعور بالمسئولية

فى افتتاحه للحملة الانتخابية التى استمرت لمدة أسبوعين واستهدفت تعبئة الشعب الجزائرى حول انتخابات المجالس البلدية ، قال الرئيس بومدين ان هذه الانتخابات تمثل « عهدا جديدا من الاستقرار والهدوء والشعور بالمسئولية وهى مدرسة حقيقية للديمقراطية الشعبية الفعلية » .

وفى الخامس من فبراير ، اليوم المحدد للانتخابات توجه ما يزيد عن سبعة ملايين جزائرى ، رغم رداءة الطقس ، الى صناديق الاقتراع واختاروا ١٠ آلاف مستشارا شعبيا من ضمن ٢٠٣١٦ مرشحا تضمنتهم القوائم التى قدمها حزب جبهة التحرير . وتراوحت نسبة المشتركين فى التصويت بين ٥٩٫٠٢٪ فى منطقة الجزائر وبين ٧٥٪ فى باقى الاربعة عشر منطقة ، ورغم اعلان الجماعات المعارضة لمقاطعة الانتخابات فان ذلك لم يكن له تأثير يذكر . وقد ترك حزب الطليعة (المقاومة الشعبية سابقا) الحرية لانصاره فى المشاركة فى الاقتراع او الامتناع حسب الاشخاص المرشحين . وضمت القوائم أساسا العمال الزراعيين ، المزارعين ، المحاربين القدماء والمهنيين والعمال . وشارك الاتحاد العام للعمال الى جوار الحزب ، والدولة فى اختيار وتزكية المرشحين خاصة فى وهران .

وقد تمت هذه الانتخابات بعد اصدار قانون الاصلاح البلدى الذى استهدف تعديل النصوص التى وضعت فى عهد السيطرة الاستعمارية ، وجرى ترقيعها دون جدوى ، وادت الى استفحال البيروقراطية والتهرب من المسئولية ونص القانون الجديد على انتخاب مجلس شعبى فى اقتراع عام من القائمة التى يقدمها الحزب ، ثم يختار هذا المجلس لجنة تنفيذية من بين اعضائه ، وحدد المجالس البلدية بأنها الجماعة الاقليمية الادارية والاقتصادية والاجتماعية الاساسية ، وأن يكون لها اسم ومركز ، ويديرها مجلس منتخب هو المجلس الشعبى البلدى لمدة أربعة سنوات . وحدد القانون مسئولياتها فى المساهمة فى التجهيز والانعاش الاقتصادى بالاتى :

اعداد برنامج خاص بالتجهيز المحلى فى حدود موارده ووسائله ، كما انه يحدد وفقا للمخطط الوطنى النشاطات الاقتصادية فى دائرته ، كما انه يسهم فى وضع وتنفيذ المخطط الوطنى للتنمية ، كما تجرى استشارته مقدما فى كل مشروع فى دائرة البلدية ، وتضمن الدولة له المساعدات المالية والفنية اللازمة للتجهيز المحلى وهو يتولى توجيه وتنسيق مجموع نشاطات القطاع فى دائرة البلدية ومراقبته ، ويسدى المعونة فى تكوين وتنصيب اجهزة التسيير الذاتى كما ان له دوره فى التنمية الفلاحية ، والتنمية الصناعية ، والتوزيع والنقل ، والتنمية السياحية ، والاسكان والانعاش الثقافى والاشتراكى .

والواقع ان جريدة « الثورة الافريقية » الجزائرية تعبر عن جانب هام من الصورة بقولها « أن هذه الانتخابات تبين الموقف من الدولة ومن المسئولية ، والبلديات تجعل المواطن الجزائرى يحس بالجماعية المحلية ، والجماعية القومية ، وجزائر ١٩٦٧ ليس لديها اى سبب يجعلها تحذر من ان تعهد بأكبر المسئوليات للمناضلين ، وهذا يدل على تصميم السلطة الثورية على عدم الانعزال عن الجماهير ، لاننا فى الجزائر نريد حوارا مستمرا بين القمة والقاعدة والانتخابات تضمن هذا » وتقول المجاهد ان الاقبال كان دليلا على « ثقة الناخبين » وعلى ان « السياسة الصحيحة للجزائر تسير الى الافضل وهذا هو الدرس الاول » وقد شعرت الحكومة الجزائرية ، كما صرح وزير الاستعلامات بالرضاء « عن نتائج الانتخابات ، فقد كان الاشتراك فيها واسعا سواء فى المدينة او فى القرية ، وهى تدل على ان البلاد قد دخلت الى مرحلة من الاستقرار السياسى » . والحقيقة ان هذا الكلام صحيح بدرجة كبيرة ، فقد بدأ الاستقرار السياسى والاقتصادى طريقه فى الجزائر ، وبدأت اقسام عريضة من الجماهير تستجيب للاجراءات الاخيرة وتخرج من حالة الترقب والانتظار ، بل وبدأ جزء من المعارضة يتجاوب مع ما يتم . وبالطبع انعكس الاستقرار السياسى الداخلى فى استعادة الجزائر لفعاليتها الدولية ، بعد ان كان التنظيم الداخلى قد اقتطع جزءا كبيرا من وقتها وجهدها . وتجلى ذلك فى الموقف من فيتنام وفضح التسلل الامريكى فى المنطقة . فقد بدأت أجهزة الاعلام والمسئولون الجزائريون يكشفون عن دور الولايات المتحدة فى القارة ، وقامت الحكومة باغلاق المركز الثقافى الامريكى فى قسطنطينة لاتهامه بالتجسس ، وطالبت شركات البترول الامريكية بدفع فروق الضرائب المستحقة على رفع سعر البترول

وامهلتها ٢٤ ساعة للدفع . وزاد في حنق الامريكيين التقارب الفرنسي الجزائري . فبدأوا في استخـدام اساليبهم المعروفة ، فلم يردوا على طلب تقدمت به الجزائر لشراء القمح . ولتبرير قطع المعونة تقدم السفير الامريكي في الجزائر باحتجاج على سلوك الصحافة واجهزة الاعلام ، وتنديدها بدور الولايات المتحدة في امريكا اللاتينية وفيتنام وكوريا والشرق الاوسط ، وهجومها على مؤتمر طنجة لسفراء الولايات المتحدة في افريقيا باعتباره اداة لتدبير المؤامرات والمناورات . وردت الحكومة الجزائرية فرفضت الاحتجاج وقالت ان اجهزة الاعلام تؤدي واجبها . ومن قبل هذا كانت قد تصدت لتكذيب ما اذاعه افريل هاريمان بعد زيارته للجزائر عن وساطتها في الحرب الفيتنامية واصدرت بيانا عنيفا هاجمت فيه العدوان الامريكي . كما أن الرئيس بومدين ذهب في زيارة للصحراء يوم وصول ادوارد كينيدي حتى لا يقابله . وبدأت الجزائر تدبر أمورها بالنسبـة للقمح فطلبته من فرنسا ومن الاتحاد السوفيتي وغيرهما من الدول حتى لا تضع نفسها تحت رحمة السياسة الامريكية .

وبعد اجلاء فرنسا لقوات حلف الاطلنطي عن اراضيها ، وتمنع اسبانيا عن منح المزيد من القواعد وزيادة امكانية الجزائر كقاعدة للعمل الثوري في المنطقة وفي القارة وتدعيم الجيش الجـزائري وزيادة قوته وكفاءته ، اتجهت جهود امريكا نحـو تونس والمغرب ، وركزت على الاجهزة بصفة خاصة ولم تكن زيارة الملك الحسن الحالية لامريكا التي اصطحب فيها علال الفاسي المدافع الاول عن الحلف الاسلامي في المنطقة، الا تتويجا لعمليات تقارب بدأت منذ فترة طويلة . فقد كثرت زيارات المسئـولـين الامريكيين للمغرب مثل جوزيف بالمر المسئول عن الشئون الافريقية ، وافريل هاريمان ، وعدد ضخم من رجال المال والاعمال الذين جاءوا لدراسة امكانيات الاستثمار والتسويق ووقعت اتفاقيـة للقمح لمدة ثلاث سنوات (مع البلاد الاخرى لمدة عام فقط). ومعروف أن الميزان التجاري في صالح امريكا بمبلغ ٢٣٥ مليون درهم (١٩٦٥) ، واقامت الغرفة التجارية الامريكية فرعا لها في الدار البيضاء تشترك فيه ٢٤ مؤسسة امريكية ، وفي ١٩٦١ وقع اتفاق بين الحكومتين لضمان وحماية الاستثمارات وتقضي بتسهيل التحويل، وعدم المصادرة، والضمان ضد خسائر الحرب او الثورة او التمرد . وحسب تقديرات رئيس الغرفة التجارية الامريكية تبلغ الاستثمارات الامريكية الخاصة ٢٠ مليون دولار وان كانت تزيد في الواقع عن ذلك كثيرا . والشركات الامريكية العاملة في المغرب هي : في ميدان توزيع المنتجات البترولية (اسوستاندرد ماروك ، سوكوني موبل اويل كومباني وتكساكو S.H.P.P) وفي صناعة الصابون (كولجات ، كادوم ، بالموليف ماروك ، بروستراند جامبل ماروك) وفي تعبئة المياه الغـازية (كوكاكولا اكسبورت كوربوريشن) ، والاطارات (جنرال تاير اندروبر كومباني أوف ماروك) وفي توزيع الالات الزراعية (انترناشيونال هارفستر والالات الحاسبة (I.B.M) ، وعدة شركات اخرى كشركة الفنادق ، وشركة الومنيوم كومباني أوف أمريكا . وتدرس جنرال الكتريك اقامة مصنع للصلب في ناضور (تهتم به شركة كروب ايضا) وتدرس شركة اوكسدنتال بتروليم كومباني اقامة مصنع للمخصبات . وتقول جريدة «لموند» الفرنسية ان هذا التقارب تم بفضل نشاط هنري تاسكا السفير الامريكي ، وانه في يوم الاستقلال الامريكي لا يتخلف وزير واحد عن الذهاب للسفارة ، وتكون الوزارة هناك بكامل هيئتها وكذلك رئاسة الاركان . اما في ١٤ يوليو عيد فرنسا القومي فالحماس كما تقول الجريدة ، محدود وفاتر . ويضع السفير الامريكي امام رجال الاعمال ٩ نقاط تشجعهم على الاستثمار في المغرب هي ، وجود نظام مالي واضح ومحدد ، وقوانين عمالية ونقابية «محسوبة بمهارة» لتشجيع رجال الاعمال، وسياسة قومية تضمن الاستثمارات، وتسوية سريعة لديون الدولة ، والسماح بالتحويل الفوري للانصبة وتسوية الواردات ، والتسليف بفوائد معقولة والجهود المبذولة لرفع مستوى اليد العاملة ، جهاز رسمي يبسط الاجراءات ويضع الصيغ المطلوبة ، اهداف اقتصادية قومية محددة بوضوح . وقدمنحت الولايات المتحدة قرضا مقداره ٧ر٤ مليون دولار للمغرب لتحويل القاعدة العسكرية في نواسير (جنوب الدار البيضـاء) الى مطار حديث . وسارت القروض والهبات الامريكية على النحو التالي : في ١٩٦٠ ، ٦٣ مليون دولار ، و٨ مليون قرض ، في ١٩٦١ ، ٢٠ مليون هبة ، ٥٥ مليون كقرض ، في ١٩٦٥ ، ٢٠ مليون هبة ، ٢٧ مليون قرض ، وفي ١٩٦٦ ، ٧ر٩ مليون هبة ١٣، مليون قرض ، وبلغ ثمن القمح في سنوات ٦٣،٦١، ١٩٦٥ ، ٧ر٨٦ مليون دولار ، وقدمت الجامعة الامريكية ١٧٣ منحة دراسية . وارسلت ١٠٦ أستاذا لتدريس الانجليزية في محـاولة لاحلالها محل الفرنسية وانشأت مراكز ثقافية في الرباط ، والدار البيضاء ، فاس ، طنجة . ويدرس انشاء جامعة كجامعة بيروت في المغرب . وبلغت المساعدة العسكرية ١٨ مليون دولار . يقال انها ستزيد كثيرا بعد تدعيم الجيش الجزائري كجزء من المحاولة الامريكية لخلق قاعدة ثابتة في المغرب في مواجهة الجزائر والتسلل منهـا الى البلاد الافريقيـة . ومعروف أن التوتر على الحدود الجزائرية المغربية لا ينفصل عن هذا الاطار .

■ السودان

الحزب الاشتراكى الجديد فى السودان

في عيد الاضحى القادم ينعقد فى السودان المؤتمر التأسيسى للحزب الاشتراكى السودانى وذلك بعد أن اعلن عن تكوين اللجنة التحضيرية فى ٢١ يناير ١٩٦٧ .

وتكونت امانة عامة من زعامات وقيادات المنظمات والهيئات الديمقراطية التى كانت العمود الفقرى لثورة اكتوبر التى أطاحت بالحكم العسكرى فى ١٩٦٤ . فتشكلت الامانة العامة من **أمين الشبلى** نقيب المحامين و**الشفيع أحمد الشيخ** سكرتير عام اتحاد عمال السودان واول وزير دولة منتخب عن العمال فى وزارة ثورة اكتوبر و**الامين محمد الامين** رئيس وحدة المزارعين ووزير الصحة فى وزارة الثورة و**دكتور الطاهر عبد الرحمن** رئيس الجمعية الطبية و**محمد سليمان** عضو المجلس النيابى وممثل المعلمين الاشتراكيين .. وعن نقابات العمال **محمد نور الحاج والحاج عبد الرحمن** ومن نقابة المحامين **محيى الدين عروضة وفاروق أبو عيسى وفوزى التوم** واشترك فيها كذلك **بابكر محمد على** (تاجر) و**عبد الرحيم الريح** .

والحزب الاشتراكى الجديد كما أعلن امين شبلى نقيب المحامين ورئيس الحزب هو نتاج ثورة اكتوبر وثمرة كفاح ست سنوات ضد حكم عبود العسكرى وضد ردة الرجعية بعد تخلى وزارة ثورة اكتوبر عن الحكم . «فالحزب الاشتراكى يؤمن بأنه ما من طريق للخروج ببلادنا من ظلمات التخلف الى نور القرن العشرين الا عبر دروب الاشتراكية الوضاءة » وقال «يؤمن الحزب الاشتراكى بالديمقراطية منهجا لحياته وحياة شعبنا وأسلوبا لحكمه .. والديمقراطية الحقيقية تتعلق فى بلادنا عبر النضال الذى لاهوادة فيه من أجل محو استغلال الانسان لاخيه الانسان ، وفى ظل مجتمع يقوم على مبادىء العدالة الاجتماعية » .

واكد أمين شبلى أن « الحزب الاشتراكى شديد التصميم والارادة فى انتزاع جوهر الدين الاسلامى ومفاهيم العدالة الاجتماعية فيه من الايدى التى ظلت تلطخه فى مسرح السياسة السودانية وتتعرف فيه الى تتويج نفسها خلافة وامامة على الجمهور المسلم ، وتتمرغ به فى وحل الاحلاف وتقبض الثمن ، وتشحن به شباب السودان ارهابا وضيق أفق ويأسا وكراهية للحياة » . واستطرد شارحا منهج الحزب فقال «نحن نؤمن بالاشتراكية العلمية مطبقة على السودان - ونحن مع كل من يؤمن بهذه الاشتراكية مطبقة من واقع بلاده » .

و « الحزب الاشتراكى سيهتدى بواقع السودان ، وتجارب البلاد العربية وبصفة خاصة الجمهورية العربية المتحدة لاسباب كثيرة موضوعية وليست عاطفية .. فالجمهورية العربية المتحدة قائد ورائد ومرشد » .

والحزب الاشتراكى الجديد – كما يتضح من تكوين قيادته – حزب جماهيرى عريض ينظم كل الطلائع التى صهرتها ثورة أكتوبر – وسيطبق داخله نظام المركزية الديمقراطية فهو ليس مجرد تجمع ديمقراطى ليبرالى . وكما اعلنت الامانة العامة للجنة التحضيرية فهو لن يفتح بابه لكل طارق رغم أنه حزب جماهيرى عريض ، وأن اعضاءه سيختارون فى اجتماعات جماهيرية تعقد الان فى المصانع والنقابات والجمعيات والاتحادات وفى الاحياء بالمدن وفى القرى .. وسيضم الحزب كل المدارس الاشتراكية الجادة فى السودان بما فيها المنظمات الديمقراطية الثورية وان كان ينقصها الوضوح وليس لها نظرية محددة المعالم حول البناء الاشتراكى ويضم كل القوى والعناصر التى تريد احداث تغيير حقيقى فى حياة السودان والتى اخذت تنفصم عن احزاب اليمين التقليدية

ويستبعد الحزب من صفوفه الاشتراكية « اليمينية » – المأخوذة عن الفكر الفابى – والتى تؤثر على بعض المثقفين وكذلك الدعوة الرجعية التى تتبناها جماعة الاخوان المسلمين المتواطئة مع الاستعمار «باسم الاشتراكية الاسلامية» . فى نفس الوقت الذى يحترم فيه الحزب العقائد الدينية ويعتبر هدفا من أهدافه العمل ضد استغلال الرجعية للدين الاسلامى واعتبار عقيدة الشعب المسلم قاعدة للحرب ضد الاستعمار والرجعية .

وقد صرح **عبد الخالق محجوب** سكرتير الحزب الشيوعى بأن الجماهير فى السودان اليوم : «تتكلم عن الاشتراكية ويمكن أن تنشط حركتها وتشكل قوة جبارة تحت هذا الشعار وباسم الاشتراكية وأفكارها الرئيسية يمكن للحركة الجماهيرية أن تصبح حركة عميقة وتقترب بالتدريج الى مواقع الفكر العلمى . وبوجود تنظيم جماهيرى يجمع الحركة الثورية فى البلاد يمكن اجتذاب اقسام واسعة من السكان الى ميادين العمل الثورى ولا بد أن تتحد الجماهير وطلائعها المؤمنة بالتطور الرأسمالى فى تنظيم جماهيرى تلعب فيه فرقها المختلفة والاشكال التنظيمية الثورية المتنوعة دورها فى توسيع نطاق الدعوة الثورية ، وفى تحبيب الاشتراكية الى ملايين السودانيين »

ويعزو المراقبون تكوين الحزب الجديد ، فى الوقت الذى أفلست فيه القوى الرجعية فى السودان وأصبحت فى حالة عجز ، الى العمل على تجميع قوى التقدم فى تنظيم جماهيرى يستوعب طاقات الحركة الثورية ويقدم البديل التنظيمى للجماهير التى تنفض يوميا عن الاحزاب التقليدية – والمتنازعة

على السلطة والمعتمدة على قوى الاستعمار الغربى .

والحزب الجديد ستكون له أجهزة اعلام خاصة به — دار للنشر ومكتبات وصحافة يومية واسبوعية وله اليوم جريدة ناطقة باسمه وهى أخبار الاسبوع ، ومن المعروف انه سينضم اليه عدد من النواب الحاليين ، هذا غير نواب الحزب الشيوعى الذين أيد عودتهم الى المجلس أعلى سلطات القضاء فى البلاد .

●

■ **تنزانيا**

ضرورة .. لابد منها

وافقت الجمعيــة الوطنيــة التنزانية فى جلستها الاستثنائية التى عقدتها فى منتصف الشهر الماضى ، عــلى قرارين احدهما خــاص بتأسيس **البنك التجارى الوطنى** والاخر خاص بتأسيس **مؤسسة الدولة للتجارة** . ويضم البنك الوطنى البنوك التجارية الستة التى صدر قرار بتأميمها فى اوائل فبراير . وتضم مؤسسة التجارة شركات الاستيراد والتصدير الثمانية التى شملها قرار التأميم فى نفس الفترة . وكانت حكومة الرئيس **جوليوس نيريرى** قد أممت كذلك شركات التأمين بالاضافة الى شركات المطاحن .

ويعتقد المراقبون الافريقيون ، ان اهمية قرارات التأميم التى صدرت فى تانزانيا فى الشهر الماضى ، تكمن فى دلالاتها الخاصة . ويعدونها — اولا — تأكيدا لاصرار قيادة تانزانيا على الاستمرار فى تطبيق الاشتراكية التى اختارها شعبها طريقا لتطور بلاده . وتنبع اهميتها — ثانيا — من طبيعة المواقع التى كانت تسيطر عليه هــذه البنوك والشركات فى الاقتصاد التـانزانى ، وهى مواقع الادخار الوطنى وتمويل عمليات التجارة الخارجية والداخلية وتصريفها .

ومن المعروف ان لهذه المواقع اهميــة بالغة بالنسبة للخطة الخمسية للتنمية (١٩٦٤ — ١٩٦٩) التى تستهدف الى تحقيق معدل زيادة سنوية فى الدخل القومى تقدر بــ ٦ر٧ ٪ . وتبلغ مجموع الاموال المطلوبة لتحقيق اهداف خطة التنمية هذه ٢٤٦ مليون جنيه استرلينى . تقدر قيمة التمويل المحلى (من المدخرات وعائد الاعمال الاقتصادية) بــ ٥ر١١٧ مليون جنيه استرلينى . وجدير بالذكر أن الاقتصاد التانزانى يعتمد اعتمادا رئيسيا على عمليات زراعة المحاصيل النقدية (السيسال والقطن والبن والشاى والدخان والسكر) وتصــديرها للخارج . بالاضافة الى عمليات استخراج وتصدير الماس والذهب والفحم وبعض المعادن الاخرى .

ويربط المراقبون بين عمليات التأميم الاخيرة ، وسلسلة عمليات التآمر والتخريب التى كشفت عنها حكومة تانزانيا فى عامى ١٩٦٥ — ١٩٦٦ والتى قامت بها كل من **المانيا الغربية والولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا** . مما دفع حكومة تانزانيا الى شن هجوم سياسى دائم ضد سياسة هذه الدول فى افريقيا . وقد لجأت هذه الدول الى وضع العراقيل — عن طريق بنوكها وشركاتها فى تانزانيا — امام اهم مصدر للدخل من مصادر الاقتصاد التانزانى ، وكان ذلك مثار شكوى دائمة من المسئولين فى تانزانيا . لهذا تقول الدوائر الوطنية الافريقية ان سيطرة الدولة على هــذه المواقع الهامة فى الاقتصاد التانزانى كان ضرورة لابد منها .

ويفسر المراقبون سر الدهشة الـكبيرة التى قابلت بها الاوساط الاجنبية ، قرارات التأميم ، بأنه ناتج عن السرعة الشديدة التى اضــطرت فيها حكومة تانزانيا الى تغيير سـياستها التى حاولت بها اعطاء بعض الضمانات لتشــجيع الاستثمارات الاجنبية عن طريق قوانين خاصــة بضريبة الدخل واعفاءات من بعض الضرائب المقررة على عمليات التنقيب واستخراج المعادن .. هذه السياسة التى لم تكد تستمر عاما كاملا أو يزيد بقليل . وجدير بالذكر ان صــحيفة **الاوبزرفر** البريطانية كانت قد علقت على قرارات التأميم بقولها انها تتوقع ان تواجه حكومة نيريرى بعض المصاعب من اولئك الاجانب اصحاب المؤسسات المؤممة . ولكن شعبية الحكومة فى تانزانيا — بل وفى افريقيـــــا — وارتباطات حــــزبى **التانو والافروشيرازى** الجماهيرية الواسعة فى البلاد .. تبعث فى نفوس الوطنيين فى افريقيا ، الامل فى قدرة شعب تانزانيا وقيادته على مواجهة اى احتمالات معادية .

●

■ **اليـــابان**

دلالة الانتخابات الاخيرة

فى التاسع والعشرين من شهر يناير الماضى ، توجــه ٤٦ مليون ناخب يابانى الى صناديق الاقتراع ، فى عاشر انتخــابات عامة تجــريها اليابان منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية .

وعندما اعلن ايزاكو ساتو ، رئيس الوزراء ، عن حل البرلمان السابق قبل ذلك بحوالى شهر ، اطلق اليابانيون على هذا الاجراء تعبيرا خاصا هو : « حل الغيوم الســوداء » ، يشيرون بذلك

الى سلسلة من فضائح الفساد واستغلال النفوذ التى ادت بعدد من وزراء ساتو الى الاستقالة ، والقت بالحكومة فى ازمة استمرت بضعة اشهر ، وانتهت الى استقالتها .

ويرى بعض المراقبين ان هذه الانتخابات هي من اهم الاحداث السياسية فى اليابان ، حيث ستواجه الحكومة التى تتمخض عنها مشكلة تجديد معاهدة الامن المتبادل بين الولايات المتحدة واليابان . ومعروف ان هذه المعاهدة تلقى معارضة متزايدة من جانب هام من الراى العام اليابانى ، يمثله اليسار اليابانى عموما تحت زعامة حزب اشتراكى قوى (١٤١ مقعدا فى البرلمان السابق) ، وهو يدعو الى تدعيم العلاقات مع الصين الشعبية والاعتراف بها ، والى الغاء معاهدة الامن المتبادل مع امريكا ، والى تأميم الصناعات الاساسية .. الخ، والى حزب شيوعى لزم اخيرا جانب الحياد فى الصراع الصينى السوفيتى بعد ان كان مواليا للصين ، وحركة عمالية وثقافية نشيطة .

وكان كثير من المراقبين يتوقعون تدهورا كبيرا لمركز الحزب الديمقراطى الحر الذى يتزعمه ساكو ، وان تنزل اغلبيته البرلمانية نزولا محسوسا ، (٢٧٨ من مجموع مقاعد البرلمان السابق وعددها ٤٨٦) . وكان يدعم من هذا التوقع ما لوحظ اثناء السنوات الماضية من نمو مطرد فى قوة الحزب الاشتراكى المعارض ، وهو امر تجلى تماما فى الانتخابات البلدية التى اجريت فى العام الماضى .

ولكن نتائج الانتخابات لم تات مطابقة تماما لهذه التوقعات . ذلك انه على الرغم من هبوط مجموع الاصوات التى حصل عليها الحزب الديمقراطى الحر بشكل ملحوظ ، الا ان النظام الانتخابى الحالى لم يؤد الا الى فقد كرسى واحد من كراسيه فى البرلمان ، اى انه اصبح للحزب الحاكم اغلبية ٢٧٧ من ٤٨٦ فى مجلس الديت . وعلى الرغم من ان مجموع الاصوات التى حصل عليها الحزب الاشتراكى المعارض زادت ، وان يكن بشكل طفيف ، الا انه فقد احد كراسيه ايضا ، اى اصبح له ١٤٠ كرسى فى مجلس الديت الجديد .

ويعتقد بعض المراقبين ان اليسار اليابانى كان يمكن ان يحقق انتصارات حقيقية فى الانتخابات الاخيرة لولا ظرفين غير مواتيين : الاول : هو استغلال الدعاية اليمينية والمحافظة لما يجرى الان فى الصين من احداث للنيل من قوة اليسار . ومعروف ان اليسار اليابانى ، بل والشعب اليابانى عموما ، اشد حساسية لما يجرى فى الصين منه لما يجرى فى اى بلد آخر خارج بلاده . يضاف الى ذلك الارتباك الذى يصيب صفوف اليسار اليابانى عموما نتيجة لتفاقم الخلاف العقائدى بين القادة الصينيين والسوفييت ، الامر الذى يفقده فرصا كبيرة للعمل والانطلاق .

اما الظرف الثانى فهو الانتعاش الاقتصادى المتزايد فى اليابان . وقد اصدرت صحيفة نيويورك تايمز ملحقا اقتصاديا عن آسيا بتاريخ ٢٦ يناير الماضى ، بينت فيه ان اليابان هى اكثر بلاد آسيا استفادة من «السوق الرائجة» التى خلقتها الحرب الفيتنامية فى الشرق الاقصى . وتقدر دوائر الاعمال اليابانية ان رقم المبيعات الى فيتنام الجنوبية والى السلطات الامريكية التى على صلة مباشرة بالمجهود الحربى الامريكى فى فيتنام وصل الى اكثر من ٨٠٠ مليون دولار ، هذا ، عدا الزيادة الكبيرة فى ارقام التجارة الخارجية مع دول الشرق الاقصى التى تسهم مباشرة فى الحرب الفيتنامية

هكذا يتحول دم الشعب الفيتنامى المناضل ، المراق على تلك الارض الباسلة ، الى رصيد من رواج زائف ، يستفيد منه ذلك الحزب الرجعى الموالى للامريكيين ، لكسب تأييد اقسام واسعة من الراى العام فى بلاده ،

وطبيعى ان تهلل الصحافة الامريكية لنتائج الانتخابات اليابانية الاخيرة ، وتكيل المديح لساتو وحكومته وحزبه ، ويمينها — طبعا — على عام ١٩٧٠ ، عام اعادة النظر فى المعاهدة التى تجعل من اليابان القاعدة الامريكية الاولى فى آسيا

غير ان نجاح ساتو فى الانتخابات العامة شيء وتجديد معاهدة الامن المتبادل مع امريكا شيء آخر . وموعد الشعب اليابانى مع فوات الاحتلال الامريكية ليس ببعيد .

●

■ **بريطانيا**

محاولة جديدة للانضمام للسوق المشتركة

فى النصف الثانى من شهر يناير الماضى بدأت زيارات ويلسون لعواصم الدول الاوروبية الست ، المنضمة الى السوق الاوروبية المشتركة ، فى مسعى جديد لانضمام بريطانيا الى السوق .

زار ويلسون ايطاليا أولا ، ثم القى خطابا فى المجلس الاوربى فى ستراسبورج (٢٣ يناير) . وتوجه بعد ذلك الى باريس حيث أجرى محادثات مع الجنرال ديجول استغرقت يومين (٢٤، ٢٥ يناير) . والمعروف أن خمسا من دول السوق الست (فرنسا والمانيا الغربية وايطاليا وهولندا وبلجيكا ولوكسمبورج) ترحب بانضمام بريطانيا الى السوق ، وأن العقبات فى هذا السبيل توضع أساسا من جانب فرنسا الديجولية ، حيث يخشى ديجول أن تقوم بريطانيا بدور حصان طروادة

للنفوذ الامريكى داخل الجماعة الاقتصادية الاوربية . وقد سبق أن استخدم ديجول حق الفيتو لرفض الطلب الذى تقدمت به حكومة المحافظين برياسة ماكميلان لدخول السوق منذ اربع سنوات ، الامر الذى ادى الى تفجير واحدة من كبرى أزمات التحالف الغربى فى فترة مابعد الحرب (انظر الطليعة عدد اكتوبر ١٩٦٥) . لذلك تعتبر كلمة باريس فى هذا الشأن فاصلة .

ويقول سولزبرجر ، كبير المعلقين الامريكيين فى الشئون الاوروبية ، أن تكتيك ويلسون يقوم على ثلاثة أركان : كسب موافقة الدول الخمس ووضع فرنسا فى موضع الحرج اذا لجأت الى استخدام الفيتو ، والظهور بمظهر الاوروبى المخلص كما تبين من خطاب ستراسبورج ، واغراء دول السوق بما يمكن أن تقدمه بريطانيا فى مجال التنمية التكنولوجية لاوروبا ، الذى يعتبر من المجالات الاساسية للتنافس مع الولايات المتحدة .

والحق أن خطاب ويلسون فى ستراسبورج اثار ثائرة الامريكيين ، حيث استعار رئيس وزراء بريطانيا تعبيرات بنصها للجنرال ديجول ، ليدلل على تفهمه للروح الاوربية كما يريدها الجنرال ، وعلى بعده عن فطنة القيام بدور العميل للولايات المتحدة فى السوق . تحدث ويلسون عن «الرغبة التى تحدونا لاقامة سلام حقيقى ودائم مع جيراننا فى الشرق» . بل انه ذهب الى حد التحذير من «الوقوع فى العبودية الصناعية التى تحاول الولايات المتحدة ان تفرضها على أوروبا » .

وبعد تقديم هذا العربون الكلامى فى ستراسبورج وهو عربون اثار غضب الصحافة الامريكية ودوائرها المسئولة ، ذهب ويلسون الى باريس حيث دارت المفاوضات حول النقاط الثلاث المتوقعة وهى : (١) علاقات بريطانيا التجارية مع دول الكومنولث (اذا دخلت بريطانيا السوق فان عملاءها التجاريين القدامى يجب عمل نوع من التنازلات لهم) ، (٢) العلاقات بين الشرق والغرب ، (٣) التخلف التكنولوجى الذى تعانى منه أوروبا بالقياس الى الولايات المتحدة ، وبحث امكانيات البلدين للاسهام فى «مجمع أوروبى للخبرة الفنية » . كذلك اظهر الفرنسيون قلقهم على مركز الجنيه الاسترلينى وشكهم فى امكان ابقائه كاحتياطى عالمى للنقد مرتبط بالدولار (تبلغ ديون بريطانيا ١٣ مليارا استرلينيا بينما لا تزيد احتياطياتها على ٣ مليارات) .

ويكاد يجمع المراقبون على أن ويلسون قوبل بنوع من الترحيب فى باريس ، وأن الجنرال أصغى اليه كثيرا . وقد أعلن ويلسون نفسه «أن المحادثات كانت أفضل مما كنا نتوقع ، من بعض الوجوه » . وان كان المراقبون الامريكيون الذين يحسون أن التقارب بين بريطانيا وفرنسا لابد وأن يكون على حساب النفوذ الامريكى ، يقولون ان ديجول كان مضطرا لعدم اظهار حقيقة نواياه لان الانتخابات الفرنسية على الابواب ، ولان هناك قسما هاما من الرأى العام الفرنسى لايرضى عن سلوك الجنرال تجاه مشكلة انضمام بريطانيا الى السوق . ولاتألو الصحافة الامريكية جهدا فى التركيز على فكرة تعنت ديجول وتحذير بريطانيا من الاستدراج خلفه فى مشروعه الاوروبى الكبير الذى يقف للنفوذ الامريكى فى أوروبا بالمرصاد ، وبخاصة أن باريس لم يبدر منها حتى الان مايوحى بتأييد انضمام بريطانيا للسوق . يقول سولزبرجر فى النيويورك تايمز «سيكون من المؤلم أن تقطع بريطانيا مابينها وبين الولايات المتحدة تقربا من أوروبا لكى تسمع حكم الجنرال النهائى : لستم أوروبيين بمافيه الكفاية »

وفى تعليق آخر للنيويورك تايمز بتاريخ ٢٦ يناير تقول الجريدة : «مطلوب من بريطانيا التخلى عن دورها العالمى ، بما فى ذلك وجودها العسكرى شرقى السويس ، والمعاملة التفضيلية لدول الكومنولث، وانهاء أى علاقة خاصة لها مع الولايات المتحدة فى شئون الدفاع والاقتصاد والسياسة ، وتعديل دور الاسترلينى كاحتياطى نقدى عالمى مرتبط بالدولار ، وربما خفض جديد فى قيمته . وقد تكون بريطانيا متجهة، راغبة أو كارهة ،نحو واحد أو اكثر من هذه الاهداف ، وربما تكون مستعدة للمساومة على الباقى . ولكن السؤال هو : هل يضمن ويلسون — بعد دفع كل هذا الثمن — أن يسمح له ديجول بدخول النادى الاوروبى » ؟.

تأميم الصلب .. مرة أخرى

فى أول فبراير الماضى ، اقر مجلس العموم البريطانى مشروع قانون لتأميم صناعة الصلب البريطانية ، تم بموجبه تأميم ١٤ شركة تنتج ٩٠٪ من الصلب الذى تنتجه بريطانيا . ويكلف المشروع الحكومة مبلغ ٤٥٠ مليون جنيه استرلينى تعويضات لاصحاب المصانع المؤممة ، علاوة على بضع مئات أخرى من الملايين لاعادة تنظيم هذه الصناعة التى دب فيها العجز والتخلف وسوء التنظيم، لكى تثبت للمنافسة العالمية (بريطانيا هى خامس دولة منتجة للصلب فى العالم بعد الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى واليابان والمانيا الغربية) . ومعروف ان حكومة عمالية سابقة ، هى حكومة اتلى ، سبق ان اممت هذه الصناعة عام ١٩٥١ ، ولكنها سقطت بعد ثمانية اشهر فقط من قرار التأميم الاول ، لكى يعيد المحافظون المصانع الى اصحابها عام ١٩٥٣ بعد ان تكلفت الخزينة البريطانية اموالا طائلة فى اجراءات التأميم ، وكان ويلسون يرغب فى اعادة التأميم منذ ١٩٦٤ ولكن الاغلبية الهزيلة التى كانت لحكومته الاولى فى البرلمان لم تشجعه على ذلك . فلما اعيدت الانتخابات ليفوز بأغلبية معقولة اتخذ مجلس العموم قرار التأميم بأغلبية هى ٣٠٦ ضد ٢٢٠ .

والسؤال الذى يكاد يجمع عليه المراقبون هو : هل لايعدو أن يكون هذا الاجراء معونة سخية جديدة يتقدم بها حزب العمال ، وهو فى الحكم ، الى أصحاب احتكارات الصلب من جيب دافع الضرائب الانجليزى ، حتى اذا عاد المحافظون تولوا اعادة المصانع الى أصحابها ثانية ، وفقا لما تقضى به أصول الديموقراطية الغربية ؟ ! !

●

■ **لندن**

حصاد رحلة كوسيجين

يعتقد عديد من المراقبين السياسيين ، ان أحد الاهداف الاساسية لرحلة **أليكسى كوسيجين** رئيس الوزراء السوفيتى الى بريطانيا ، هو توضيح أهمية الاقتراحات المقدمة أخيرا من هانوى وهى الاقتراحات التى قدمها وزير خارجية فيتنام الشمالية فى حديثه مع الصحفى الاسترالى **«ويلفريد بيرشيت»** ، وتقوم على اساس ان «وقف القاء القنابل فورا وبدون شروط شمال خط عرض ١٧ ، يمكن ان يهىء الجو المناسب لاجراء محادثات مباشرة بين الولايات المتحدة وفيتنام الشمالية» .

وهذا التصريح الذى يعد عنصرا جديدا فى الموقف الفيتنامى ، لقى اهتماما واضحا من السوفييت خاصة وانه يمكن ان يتيح الفرصة للولايات المتحدة للخروج من الطريق المسدود فى فيتنام . وقد قام **ويلسون** بابلاغ **جونسون** موقف السوفييت المناصر لمقترحات فيتنام الشمالية الاخيرة . الا ان ما ادلى به **دين راسك** بعد ذلك ، اوضح اصرار الولايات المتحدة على استئناف عملها العدوانى ضد فيتنام الشمالية ، وان «الغارات الامريكية على فيتنام الشمالية لن تتوقف بينما يواصل الجانب الاخر نشاطه العسكرى» والحقيقة ان الاصرار الامريكى على رفض ذلك العرض من جانب فيتنام الشمالية ، يمكن ان يترتب عليه تفاقم الموقف ، ويسد الطريق على اى اقتراح آخر يمكن ان يتضمن عرضا واقعيا لانهاء القتال الدائر . وقد نبه كوسيجين فى لندن الى ان « حرب فيتنام ونهوض العسكرية الفاشستية فى المانيا الغربية ، يمكن ان يؤديا الى الحرب العالمية ونظرا لتمسك السوفييت بموقفهم الحالى ، فان المسئولين البريطانيين لا يرون اية بارقة امل فى ان «يخفف» الاتحاد السوفيتى من موقفه الحالى بشأن قضية فيتنام . وانه سيستمر فى خط الهجوم العنيف على السياسة الامريكية هناك ، وكذا المطالبة باطلاق «صوت حازم ضدها» وهو ما دعا اليه كوسيجين فى لندن .

كذلك كانت رحلة كوسيجين للندن ، مجالا لتأكيد موقف الاتحاد السوفيتى التقليدى من المشكلة الالمانية ، وقد اوضح كوسيجين هناك : «ان الاتحاد السوفيتى لن يسمح ابدا لالمانيا الفيدرالية بالحصول على الاسلحة النووية» كما اعلن ان تخلى المانيا الفيدرالية عن نياتها الانتقامية وآمالها فى امتلاك السلاح النووى ، ستخدم قضية تخفيف التوتر الدولى ، كذلك طالب بأن تتخلى المانيا الفيدرالية عن كل تفكير فى اعادة النظر فى حدودها الحالية .

ومما اعلنه بشأن عدم استخدام الاسلحة النووية ، وهو احد الموضوعات التى دارت بشأنها المباحثات مع رئيس الوزراء البريطانى ، أن اتفاقا بهذا الشأن يمكن ان يظهر قريبا ، وان معاهدة شرقية — غربية بشأن الاسلحة النووية «ستوقع سوء رغبت المانيا الغربية او لم ترغب . ويعكس ذلك فى الواقع احدى السمات الايجابية الهامة التى يتسم بها تطور الموقف الاوربى . كما انه يعد من ناحية اخرى تتويجا للخط الفرنسى فى القارة والذى يستهدف تخفيف حدة الحرب الباردة ، واجراء تقارب اوربى ، غربى — شرقى لمصلحة السلام — الا ان كوسيجين وجه انتقاداته الى السوق الاوربية المشتركة لانها غير مفتوحة لكل البلاد ، لكى تشترك فيها على قدم المساواة ، كذلك من المقترحات التى استرعت الانتباه ، اقتراح كوسيجين بعقد معاهدة صداقة وتعايش سلمى بين الاتحاد السوفيتى وبريطانيا . وكذلك دعوته الى حل حلف الاطلنطى ووارسو

ومما لفت انظار المراقبين العرب بوجه خاص ، رفض كوسيجين مقابلة ممثلى الطائفة الاسرائيلية فى بريطانيا ، والذين طلبوا فى اجتماع خاص بهم ان يسمح الاتحاد السوفيتى لليهود السوفييت بالهجرة الى اسرائيل ، ويعكس ذلك الموقف ، تمسك الاتحاد السوفيتى بموقفه السليم ازاء الصراع الدائر فى الشرق العربى بين اسرائيل والدول العربية .

وقد لقى هجوم كوسيجين على القادة الصينيين اهتمام الدوائر المتابعة للصراع الصينى — السوفيتى الا انه لا يحمل جديدا فى الموقف فى ذلك الصراع . لان الهجمات ضد «مجموعة ماو» مستمرة منذ ادانت اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى فى ديسمبر الماضى ، فى موسكو ، السياسية القومية «المعادية للسوفييت والمعادية للينينية» لقادة بكين وقد اعلن كوسيجين : تعاطف الاتحاد السوفيتى مع من وصفهم بالمناضلين ضد النظام الديكتاتورى **لماوتسى تونج** فى الحزب الشيوعى الصينى وفى الحكومة» غير انه اوضح «انه من جانبنا ، فاننا نود تماما العمل لتصبح العلاقات حسنة مع الصين»

ولا يعلم المراقبون السياسيون على نحو محدد ، النتائج التى ادت اليها محاولات ويلسون حث الاتحاد السوفيتى على التخلى عن اقامة نظامه

الدفاعى الجديد ضد القذائف الصاروخية . وهو النظام الذى كان الرئيس الامريكى **جونسون** ، قد طالب الاتحاد السوفيتى بتجميده ذلك ان كوسيجين تجنب الخوض فى هذا الموضوع امام الصحفيين موضحا لهم «ان الامر يتعلق هنا بمسالة هامة تخص الشئون العسكرية ،ولست فى حل من الرد مباشرة على هذا السؤال» . الا ان عددا من المراقبين يعتقدون فى اصرار الاتحاد السوفيتى على اقامة شبكته الدفاعية،خاصةوان كوسيجين قد اضاف ردا على الصحفيين : «ان النظام الدفاعى ، انما يبدو له اقل اثارة للتوتر الدولى من الانظمة الهجومية » .

●

■ مسرح

بريخت بين برلين والقــاهرة

فى سبتمبر من العام الماضى عقدت فى برلين الغــربية، نـدوه موسعـة للمشتغلين بالمسرح الالمانى . وكان موضوع الندوه **«بريخت والغرب»**

وقد كتب يومها **مارتن اسلين** ـــ الناقد الذى الف كتابا هاما عن بريخت ـــ يقول «من الصعب على المرء اعطاء عرض موضوعى لنقاش كان هو أحد المشتركين فيه . لم تثر مسالة الرقابة صراحة ابدا ، لـكنها بدت متضمنة فى اكثر الحجج التى استند اليها الذين عارضوا تمثيل بريخت فى الغرب **ذلك أنه لم يكن ثمة تضارب فى الرأى حول كون بريخت واحدا من شعراء ومسرحيى عصرنا العظام وفنانا هائلا** ، ولم يكن ثمة جدال فى أن تمثيـل مسرحياته سيبعث اهتماما ولا شك فى جماهـير المتفـرجين ، ولهـذا فان الاحتجـاج بأن على مسرحيات بريخت ان تظل بعيدة عن التمثيل لانها ستعود على المسرح بخسائر مالية ، او لانه لايوجد طلب عليها ، لم يثر مطلقا » . وفى نفس الندوة علق المخرج البارز **أوجست افردينج** بأن **«مسرحيات بريخت شأنها فى ذلك شـأن مسرحيات شكسبير ستظل تمثل عندما لايكون فى وسع المتفرجين حتى أن يتخيلوا القضايا السياسية التى شاء أن يضمنها أعماله** ، مثلما لا يمكن لمتفرجي اليوم أن يتيقنوا هل قصد شكسبير بشيلوك أن يكون نذلا أو شخصية تستدعى الشفقة » .

ولعل من تتاح له فرصـة المتابعة الدقيقة لما يكتبه اكبر نقاد الغرب من مسرح بريخت ، سواء فى مقالاتهم وتعليقاتهم أو فى الكتب الكاملة التى يصدرونها عن هذا الفنان الاشتراكى ، سـوف يشعر بأنهم يركزون على نقطة واحدة هى خطورة النقلة الفنية التى قام بها بريخت فى تاريخ المسرح منذ أن حطم شكسبير نظام الوحدات الارسطية الثلاث . لهذا كان مهرجان برلين الشرقية لمسرحيات بريخت خلال أسبوع كامل فى الشهر الماضى من أهم العروض التى ركزت على معنى هذه «النقلة التاريخيه» فى حياه المسرح التى حققها بريخت .

فقد عرض المهرجان الاعمال الخمسة الكبـرى **« دائره الطباشـير القوقازية »** و **«الانســان الطيب»** و **« الام شجاعة »** و **« حياة جـاليليو »** و **« القاعدة والاستثناء »** فأكد المخرجون الخمسة لهذه المسرحيات على «الشكل الملحمى» الـذى لايخضع بموجبه المسرح للتصنيف التقليدى الى تراجيديا وكوميديا ، كما لايخضع للسمة الغالبة على المسرح المعاصر « التراجيكوميديا » . ذلك أن بريخت دحطم تماما فكرة «البطولة التراجيدية» كما حطم فى نفس الوقت فكرة «الايهام» فاصطنع مسافة موضوعية بين المسرح والجمهور عن طريق الخطاب المباشر بين احد الممثلين او الكورس من ناحية ، والمشاهدين من الناحية الاخرى واكـد المخرجون الخمسة كذلك على « الشكل الملحمى » من زاوية الصراع الرئيسى فى المسرحية ، فهـو حقا صراع خارجى بين مجموعة من الشخصيات وبعض القوى الخارجية ، ولكنه لاينتهى كملاحم العصور الوسطى بانتصار البطل الخير على غريمه الشرير . ذلك أن «غياب البطل الفرد» من مسرح بريخت يرفع المشكلة الانسانية الى مستوى اكثر تعقيدا ، وبالتالى فهو يجسد المسالة الفنية فى بناء اكثر تركيبا .

وكان المخرجون الخمسة فى مهرجان برلين قد اختاروا معظم الممثلين من فرق الهواة غير المحترفين ليحققوا لبريخت فكرة غياب البطل عمليا بأن لايكون هناك «النجم» اللامع والمشهور الذى يجـــذب الانظار ،وقد يركزها على شخصه . وبالتالـى يصبح **«ضد بريخت»** على حد تعبير أحد النقاد وكذلك كان **« العنصر الغنائى »** عنصرا ملحميا لايقترب من الكورس اليونانى فى **«وصف الكارثة»** او **« مناشدة البطل»** وانما هو جزء متمم للحـدث الدرامى يتكامل بنموه ويتطور مع الانشاء المزدوج أوالجماعى .. تماماكما يختلف **«الشكل الملحمى»** فى مسافته الموضوعية بين المسرح والجمهـور بكسر الابهام ، عن رفع **« الحائط الرابع »** عند بيراند يللو حيث تمتد الصالة الى خشبة المسرح أو العكس .

وتعرض القاهرة الان **« الانســان الطيب »** لبريخت على مسرح الحكيم من اخراج سعد أردش وليست هذه هى التجربة الاولى للقاهرة مـــع بريخت ، فقد حاولنا من قبل أن نخرج **«دائـــرة الطباشير »** ، ولم توفق الامكانيات الفنية حينذاك من تحقيق الكثير من رغبات المخرج الالمانى الذى انتدبته وزارة الثقافة ليشرف على اخراج المسرحية باللغة العربية ثم نجحنا بعد ذلك فى مسرح الجيب فى أن نخرج **«القاعدة والاستثناء»** ثم **« طبول فى**

الليل » . وبذلك يصبح الجمهور القاهرى من رواد مسرح الجيب على الاقل ، ممهدا لاستقبال «الانسان الطيب» رائعة بريخت الكبيرة التى يدوم تمثيلها على خشبة المسرح حوالى أربع ساعات .

ونحن نستقبل فى البداية ثلاثة آلهة يبحثون عن انســـان واحد طيب فى بلدة « **شتسوان** » فيتعرف عليهم **(سقا)** يهديهم بعد عناء الى بيت احدى المومسات هى الآنسة **(شن تيه)** ويحاول الآلهة الثلاثة أن يشاركوا فى تحويل شن تيه الى انسان طيب بامدادها بالمال المناسب لفتح دكان صغير . ويحتل هذا الدكان معظم مشاهد المسرحية ففيه تستضيف شن تيه من سبق أن مدوا لها يد

تعليــق

مؤتمر الكتاب : خطوة نحو مؤتمر عام للمثقفين

«**اين موضع الكتاب العربى فى حركة التغيير الاجتماعى والثورى التى تشمل كل جانب من حياة الناس فى بلادنا وفى كل جزء من اجزاء الوطن العربى ؟** » .. هذا هو السؤال الذى طرحه **الدكتور ثروت عكاشة** فى مقدمة بيانه القيم بمؤتمر الكتاب العربى . وقد اجاب نائب رئيس **الوزراء** بان **كتابنا لايعبر عن الظواهر الاساسية الجديدة فى مجتمعنا ، وبالتالى فهو لايشارك فى تحولنا الاجتماعى الى الاشتراكية** . وقد استدل على هذه الاجابة بان تاريخا قوميا موحدا للامة العربية لم يكتب بعد وان تاريخا موحدا للفكر العربى لم يكتب بعد ، وان تاريخا موحدا للادب العربى القديم والحديث والمعاصر لم يكتب بعد ايضا . يحدث هذا فى الوقت الذى تمتلىء فيه المكتبة العربية بكل مايثير البلبلة الفكرية ويشــيع الاضطراب فى نفوس المفكرين ويبث الغاما سريعة الانفجار فى بنائنا الاجتماعى . واستشهد السيد وزير الثقافة بالكتب التى صدرت من القطاع العام فى السنوات الاخيرة ، **ومن بينها مايصف الثورة بانها انقــلاب عســكرى ومايصف الاتحاد الاشتراكى بانه حزب دكتاتورى ، ومايصف اسرائيــل بانهــا واحة الديموقراطية ، ومايشيد بابى رقيبة ونورى السعيد وكرومر** . وكان الوجه المادى لهذه السيول الفكرية المدمرة ان المؤسسة المصرية للتاليف والترجمة وشركاتها تدهورت احوالها المالية للدرجة التى معها وصل العجز الى مليون جنيه بين خسائر وديون ، كما وصل المخزون من الكتب التى بدأ يدب فيها التلف الى تسعة ملايين نسخة !

هذه هى الصورة التى قدمها الدكتور ثروت عكاشة عن « الكتاب العربى » الذى اصدره القطاع العام بوزارة الثقافة خلال السنوات القليلة الماضية . ومن ثم جاء تجديده الفكرى لدور الكتاب فى المرحلة القادمة على اساس اننا «**لانؤمن بالتعايش السلمى بين الافكار الرجعية والافكار التقدمية** » . لان الفــكر هو « **اداة من ادوات الانتقال الثورى نحو مجتمعنا الاشتراكى الجديد** » .

ولقد كان من الطبيعى ان يثير بيان السيد نائب رئيس الوزراء العديد من التساؤلات والمناقشات التى انفسحت فى الكثير من جوانبها عن واقعنا الثقافى بتناقضاته وتعرجاته ومستوياته المختلفة . والحق انه ليس من الغريب ان يتحول المؤتمر من اجتماع خاص بالكتاب وحده الى اجتماع خاص بالثقافة عموما ، اذ تفرعت المناقشات الى معنى التقدم والرجعية فى الفكر ، والى دور التراث الانسانى والعربى فى ثقافتنا المعاصرة ، والى دور ادوات التعبير المختلفة من الكتاب الى المجلة الى الاسطوانة الى المحاضرة الى المسرحية والفيلم فى توصيل الثقافة الى الجماهير القارئة .

وقد اسفرت الرجعية من وجهها فى ثلاثة مواقع . كان اولها ، واكثرها حساسية فى نفس الوقت ، قضــية التراث العربى القديم . فبالرغــم من ان بيان وزير الثقافة يؤكد ان وزارته تبذل اقصى مافى وسعها لسد النقص الذى تعانيه المكتبة العربية فى هذا الفرع من فروع المعرفة ، الا اننا وجدنا اصواتا ترتفع لتتشكك فى القائمين بهذه المسئولية وتلوح بان تراثنا انقى التراثات ، وان ماشابه فى عصور الانحطاط من ضعف كان مجلوبا عليه من الاجانب ، وان من يزعمون التقدمية والاشتراكية فى بلادنا لاعلاقة لهم بهذا التراث لان منهم من سبق له التمريض بقمم هذا التراث . وبالرغم من اشارة البيان الواضحة الى هذه النقطة ، ورذود بعض الزملاء من اعضاء المؤتمر عليها ، فانه يعنينى هنا ان اؤكد بصدد هذه القضية على ثلاث نقاط :

الاولى هى ان اهتمامنا بالتراث وعنايتنا بنشره لاتعنى تقديسا كهنوتيا له . وبالتالى فاننا ونحن نتوجه بهذا التراث الى الجمهور الواسع من القراء لابد لنا من ان نقــدمه بشروح عصرية وتفســيرات علميــة تتفق من ناحية مع المستوى الحضارى الراهن الذى بلغته ثقافتنا ، وتتفق من ناحية اخرى مع غاياتنا من توسيع الرقعة القارئة . فنحن نعلم ان الهوة عميقة حقا بين العصور التى اثمرت هذا التراث ، والعصر الحديث ومن هنا تنبت ضرورة «همزات الوصل» الثقافية التى تمهد العقل العربى المعاصر للتعرف الحميم على هذا التراث . **وكذلك نحن نعلم ان المكتبة العربية القديمة والحديثة على السواء قد امتلات بتفسيرات وشروح غير علمية لهذا التراث العظيم املتها ظروف واســباب مغايرة للمنــاخ الفكرى الذى نعيشه الان** . ومن هنا كان لابد من ان نتخلص من كل ماهو «طارىء» و «مجلوب» على تراثنا لاننا نرفض وصــاية الرجعية على عقــولنا ولاننا نعتز بتراثنا نقيا خاليا من اصابع الذين لوثوه بالتعليقات التى تتفق اما مع اهوائهم ومصالحهم واما مع جهلهم وتخلفهم على احسن الفروض .

والنقطة **الثانية** هى اننــا نؤمن بان التراث العربى كتبه بشر مثلنا فى رقعة محددة من المــكان ، وحيز معــين من الزمان . اى اننا نؤمن بتاريخية هذا الذى كتبه الاقدمون . لهذا السبب نؤمن بان هــذا التراث يشتمل على عنــاصر سلبية واخرى ايجابية ، جنبا الى جنب .. هذا لاننا نفترض مقدما فى العصور التى اثمرته انها اشتملت على عناصر القوة والضعف معا ، ولاننا نفترض ايضـا فى الذين كتبوه ان من بينهم الجيد والردىء والجاهل والعالم . هكذا نتصور امكانية ان يضم هذا التراث السنة رجعية عبرت فكريا من الرجعية فى عصرها ، وان يضم فى نفس الوقت قمما تقدمية عبرت ايضا عن تقدم عصرها . على ان هذا التصور لاينفى الضرورة العلمية لنشر تراثنا جميعا ، السلبى والايجابى ، اذ تنبع هذه الضرورة من اننا بحاجة الى معرفة تاريخنا الفكرى معرفة موضوعية مفصلة ، واننا بحاجة لان نعرف لماذا كان الرجعى رجعيا والتقدمى تقدميا . الا ان هذا ايضا لاينفى ــ عند التخطيط ــ ان نعطى الاولوية للقمم التقدمية فى تراثنا حتى يتفق تخطيطنا الفكرى مع تخطيطنا

العوق ، وفيه تستقبل الطيار المتعطل عن العمل ويريد أن يتزوجها ليأخذ منها المال اللازم لتوظيفه ، وفيه تعرف الحلاق الذى يريد هو الاخر ان يتزوجها ليشيد مصنعا فى الارض الخراب المجاورة. وتزاوج شن تيه بين شخصية المومس الفقيرة وشخصية ابن عمها المزعوم الذى يحتل مكانة اجتماعية موهومة وان تكن مرموقة ـ ليضمنها فى مهام البيع والرهن والشراء . وتنتهى المسرحية بأن الانسان الوحيد الطيب ، لم يستطع أن يكون طيبا فى هذا العالم الشرير بالرغم من تشجيع الالهة .

لم يبسط **سعد أردش** المسرحية على هـذا النحو الذى قد نتصوره من التلخيص ، بل حاول

الاقتصادى والاجتماعى فى مرحلة الانتقال التى يجتازها مجتمعنا نحو بناء الاشتراكية. **فهذه المرحلة تبلغ من التعقيد والحساسية درجة يتحتم معها على الفكر ان يلتزم باكثر الجوانب تقدما فى ماضيه وحاضره حتى يتشكل انساننا الجديد باكثر العناصر الفكرية صلابة فى مواجهة تحديات العصر.** فبالرغم من اننا نعلم يقينا ان ما كان تقدميا فى افكار الاقدمين ربما لايعد كذلك فى العصر الحـديث ، الا اننا نلح فى اعادة نشره وتقييمه بالنسبة لعصره وعصرنا حتى لاننقطع عن جذور الماضى من ناحية وحتى نجيب من ناحية اخرى على هذا التساؤل : كيف كان هذا الفكر تعبيرا تقدميا عن العصر الذى عاش فيـه ؟

فالاجابة على هذا السؤال سوف تضيف الى صياغاتنا المنهجية الشىء الكثير . وبعد ان نتزود باكثر العناصر ايجابية فى هذا التراث يحين الوقت لان نقدم العناصر السلبية مشروحة ومقيمة بمنهج علمى موضوعى معاصر .

والنقطة **الثالثة** فى هذا الصدد هى «الجانب العلمى» فى هذا التراث ، فقد طال بنا الامد فى نشر المطولات الادبية فى التراث مع اهمال مقصود او غير مقصود للعلم فى هذا التراث . ان اهم ماقدمه العرب للعالم فى اظلم العصور ، لم يكن فقط ماحفظوه من الثقافة اليونانية ، وانما كانت حصيلتهم من «التجربة العلمية» هى اهم الانجازات العظيمة التى قدموها لمعامل اوروبا فى عصورها الوسطى .

لاشك ان العصر قد تجاوز هذه «التجارب» و «النظريات» التى اكتشفها الذهن العربى فى الكيمياء والطبيعة والطب ، ولكن معرفتنا بهذا الجانب من جوانب التراث سوف تفصح عن ان العقلية العربية ليست بطبعها عقلية غير علمية ، وسوف تفصح عن دور العلم والمناهج العلمية فى حضارة المجتمع العربى القديم . بذلك نرد ردا قاطعا وحاسما على اعداء العلم والمناهج العلمية من « حماة التراث » فى مجتمعنا الجديد . **اننا لانشير الى هذه الانجازات العلمية اشارات عاجلة لنقول ان العرب اعظم البشر على مر التاريخ كما يفعل حماة التراث او دعاته احيانا كثيرة ، وانما نحن ندرس هذا التراث دراسة دقيقة لنخرج بعد ذلك بان العقلية العربية العلمية هى مايجب ان يستعيده الذهن العـــربى المعاصر .** كمـا نخرج بأن الفكـر العـــربى ليـس فـكرا عظيما لمجرد انه «عربى» او ان مانلاحظه على بعض عصوره من ضعف مصدره الاجانب وحدهم . بل ان عظمة هذا الفكر تصدر من كونه استطاع التعبير عن حضارتنا فى المجتمع العربى القديم تعبيرا موضوعيا يشتمل على الصواب والخطأ جميعا ، وان كلا من الصواب والخطأ او التقدم والتخلف قد اسهمت فى صنعه عوامل داخلية وخارجية على السواء ، وان كنا نضـع « العامل الداخلى » فى المقام الاول من حيث دوره فى صياغة الظاهرة الحضارية او الفكرية.

كان واضحا ان قضية التراث ليست الا ستارا ، وان كان شديد الشفافية لقضية اخرى اتخذت فيها الرجعية موقعها الثانى بمؤتمر الكتاب ، وهى قضية التقدمية والرجعية فى ميادين الفكر المختلفة فلقد ارتفعت بعض الاصوات فاضحة من هذه التفرقة قائلة ان لاتقدمية او رجعية فى مجال «الفكر» البحت» لان هذا التصنيف فى رأيها وثيق الارتباط بالجانب المادى من حياة المجتمع دون الجانب الروحى هناك تقدمية او رجعية فى البناء الاقتصادى ، نعم ، اما فى بناء الفكر فلا . هناك فقط «فكر اولافكر» او هناك فقط «فكر عظيم واخر ردئ» من حيث المستوى لامن حيث النوع . ثم ارتفعت اصوات اخرى ترحب بما اسمته «اليمين المعتدل واليسار المعتدل» فى الثقافة ، . وعادت تستدرك قائلة انها تدعو الى ثقافة تجمع بين « اليمين الوطنى واليسـار الوطنى » لانهما معا يبنيان الوطن .

والحق ان هذا الكلام يقدم مايشبه التنازلات من الرجعية الفكرية فى مصر فهى مثلا تؤمن بان هناك تقدم ورجعية فى الابنية الاقتصادية وهى ايضا تؤمن بان هناك يمين ويسار معتدلان او وطنيان فى المجال الثقافى ، وينبغى لهما ان يتعايشا سلميا . غير ان هذه التنازلات فيما اعتقد هى بمثابة «تكتيك» اريد به الهجوم العملى على هذا المبدأ الهام فى بيان الدكتور ثروت عكاشة ، المبدأ القائل بأن لا تعايش بين الثقافتين ، التقدمية والرجعية . ولايقف هذا المبدأ الثورى حائلا دون حرية الفكر والتعبير لانه لن يقف عقبة فى سبيل التعبير عن الراى حتى ولو كان رجعيا ، ولكنه عند التخطيط لادوات التعبير ووسائله سيقف بحزم الى جانب الفكر المتقدم الذى حرم عشرات السنين فى ظل الرجعية الحاكمة من امكانية التعبير عن نفسه . نحن نعلم اننا فى مجتمع انتقالى يجتاز اخطر مراحل تطوره نحو الاشتراكية ولذلك سوف تكون الرجعية الفكرية من الملامح التى سترافق تطوره فترة من الزمن ، ومن هنا سوف تنال حقها فى التعبير عن نفسها ، ولكننا بحكم مرحلة الانتقال نفسها ، نحن ننحاز الى الفكر المتقدم ، وهو الفكر الاشتراكى فى اطار المنهج العلمى . **ومن هنا كان امرا بديهيا ان ينال هذا الفكر حقه فى التعبير عن نفسه ، ان ينال فرصة اوسع تعوض جماهيرنا ازمنة الماضى الذى حرمت خلالها من هذا الفكر . وان ينال هذا الفكر ـ بحكم مرحلة الانتقال نفسها ـ فرصة الصراع الحر المباشر مع اوكار الرجعية الفكرية** التى حددها السيد نائب رئيس الوزراء فى تحديده الصارم لمعنى التقدم والرجعية حين قال ان التقدمية هى كل فكر وثقافة تعادى الاستعمار والاقطاع والراسمالية والصهيونية ، وان الرجعية هى كل فكر يدعم بصورة او باخرى ثقافة هـذه القوى السـافرة حينا ، والمستترة احيانا .

غير ان اصوات الرجعية لم تكن هى الاصوات السائدة فى مؤتمر الكتاب العربى فقد تصدت لها اصوات اخرى كشفت عما استتر من انيابها ، واوضحت القيمة التقدمية الكبيرة فى بيان وزير الثقافة ودعت الى التمسك بها والعمل الخلاق فى تطبيقه . وهكذا لم يقتصر المؤتمر على مناقشة «الكتاب» بل تفرع الى كثير من القضايا الفكرية الملحة على وجـدان المثقفين اليوم ، مما يثير هذا التساؤل :

الا يستحق المثقفون مؤتمرا اوسع يناقش بهذه الروح الديموقراطية العالية ، اعمق همومهم التى هى ليست الا انعـكاسا صادقا لهموم عصرهم ومجتمعهم ؟

غالى شكرى

جادا أن يرتفع الى المستوى التركيبي المعقد للمسرحية فاشرك **صلاح جاهين** بتعريبه لاغنيات بريخت **وسعد مكاوى** بتمصير الموسيقى المرافقة للدراما **وسكينة محمد على** بتصميم الديكور الملحمى الذى يومىء بما اراده بريخت وان اضمره فى ثنايا العمل المسرحى . واذا كان من الممكن أن يقال عن تمثيل **سميحة أيوب** انه التقمص الواعى الدقيق لشخصية شن تيه ، الا انها من جانب آخر يمكن أن يقال أنها فرضت لونا من «البطولة» يختلف مع جوهر بريخت وتوجيهاته الصريحة بأن يلتزم المخرج فكرة «غياب البطل» . وقد تمكن **فاروق نجيب** من تجسيد شخصية «السقا» الذى يخاطب الجمهور حينا ، والنورانيين ـــ الالهة ـــ حينا آخر ، ولكنه فى معظم الاحيان يخاطب **ضمير العصر** من موقع **الانسان العادى** .

تمكن الاخراج المصرى للمسرحية كذلك من تحريك المجموعات وفق التطور الدرامى للمسرحية سواء بتوظيف المجموعة **نثرا** فى ايضاح معالم شخصية شن تيه ، أو بتوظيفها **شعرا** فى تحديد ملامح العالم الخارجى . وان كان **بطء الايقاع** فى الجزء الاول من المسرحية قد أصابها ببعض التفكك والابتعاد عن رمزيتها العميقة الدلالة . ولم يستطع **عزت العلايلى** رغم مهارته فى سرعة الحركة ودقته فى تمثل النص ان يعوضنا شيئا عن بطء الاجراء الاولى وصراخ الديكور القائل «فلسطين لاسرائيل فيتنام امريكية » الى بقية الشعارات التى جسدتها بصورة اكثر وضوحا الدولارات المكبرة فى خلفية المسرح .



لجنة تصفية الاقطاع تتسلم مهام الرقابة العليا

بعد ثمانية شهور من العمل المتواصل أكدت النتائج التى حققتها «اللجنة العليا لتصفية الاقطاع فى الريف» ـــ حقيقة ان قيام اللجنة والمهمة التى أوكلت اليها والاجراءات التى أتبعتها ـــ كانت ضرورة ثورية ـــ وحتمية سياسية واقتصادية .

لقد بلغ مجموع اراضى الاقطاعيين التى وضعت تحت الحراسة أو استولى عليها الاصلاح الزراعى نحو ٢٠٠ الف فدان كما شملت الحراسة اكثر من ١٦١٣ آلة زراعية و ٢٠ الف رأس من المواشى و٣٦٣ فرسا عربيا اصيلا ، بالاضافة الى ٩٤ قصرا فى مختلف المحافظات تقرر تحويلها الى مراكز للثقافة او الخدمات او مدارس ومستشفيات ومعاهد اشتراكية . وابعد عن الريف ما يزيد عن ٢٢٠ اقطاعيا أو من المتحكمين بالارهاب والاجرام .. وفصلت اللجنة مئات من العمد والمشايخ والموظفين الخاضعين لنفوذ الاقطاعيين وحلت عشرات من لجان الاتحاد الاشتراكى فى القرى ومجالس ادارة الجمعيات التعاونية، وهذه الارقام وحدها تؤكد ما اجمع عليه المراقبون من ان قيام اللجنة العليا لتصفية الاقطاع كان حدثا تاريخيا بارزا فى مسار ثورتنا وفى حياة الفلاحين المصريين وقد وصفه بعضهم بأنه «الاصلاح الزراعى الثالث» ووصفه البعض الاخر بأنه «الثورة الزراعية»

ويرى المراقبون ان الشهور التى انقضت منذ قيام اللجنة ـــ والنتائج التى حققتها تجعل المرء يدرك بوضوح انه لم يكن مصادفة ان تبدأ اللجنة عملها فى منتصف عام ٦٦ ، هذه الفترة التى شهدت اشتداد الهجوم الاستعمارى الصهيونى على حركة التحرر العربى ـ

وكان الهجوم الاستعمارى الرجعى يضرب فى عدة جبهات ـــ فامريكا ترفض ان تبيع لنا القمح وتوقف تجديد اتفاقية بيع فائض الاغذية بالعملات المحلية بعد ان وصل ما نحصل عليه من القمح الامريكى الى ما قيمته ٦٠ مليون دولار سنويا وفى نفس الوقت تقدم امريكا الاسلحة والصواريخ لاسرائيل ـــ وانجلترا تقدم الطائرات والطيارين للسعودية ـــ وتتعاون معها بالخطط والرجال فى تصدير الثورة المضادة للجمهورية اليمنية ـــ ومن بعض العواصم العربية التى تحكمها حكومات عميلة ارتفعت الدعوة لانشاء الحلف المشبوه المسمى « بالاسلامى » ـــ

وقد اكد بيان مجلس الامة الصادر فى ٢٥ مايو حول حادث كمشيش «ان شعبنا ليدرك عن يقين ان خلع الرجعية من قمة السلطة لا يعنى القضاء عليها وان جيوب الرجعية المحلية المتبقية حليف طبيعى للرجعية العربية العميلة وللاستعمار سوان الرجعية المحلية فى تعاون مع قوى الرجعية العربية والاستعمار العالمى » لقد عاشت القوى الرجعية سنوات طويلة تملك السلطة والنفوذ ولما جاءت الثورة تظاهرت بالولاء لتستطيع تحت ستار هذا الولاء المزعوم التحايل على القوانين وان تستولى على لجان الادارة المحلية والمنظمات الشعبية

وان تواصل استغلالها ـ ولكن بعد صدور القوانين الاشتراكية عام ٩٦١ بدأت تواجه الثورة الاجتماعية والعمل السياسي المنظم ـ ممثلا في الاتحاد الاشتراكي العربي ـ فبالرغم من ان عددا كبيرا من الاسر الاقطاعية قد نجح في السيطرة على لجان الاتحاد الاشتراكي والجمعيات التعاونية في مناطق نفوذهم ـ الا ان صوت الثورة قد نفذ رغم كل الحواجز والهب حماس مناضلين من ابناء الفلاحين في لجان الاتحاد الاشتراكي ودفعهم للتصدي لجرائم الاقطاعيين والسعي للاتصال بالقيادة الثورية بعد ان فشلوا في الحصول على اية مساعدة او مساندة من السلطات المحلية ادارية كانت امسياسية.

وبدأت الامانة العامة للاتحاد الاشتراكي تتقصى الحقائق وتتحرى وتجمع المعلومات وتضع يدها على العديد من الوقائع التي تفوق كل تصور عن نشاط ونفوذ القوى المعادية للثورة في الريف ـ وعندما احست القوى الرجعية بالحلقة تضيق عليها ويد الثورة تفتش عنها فقدت اعصابها ولجأت لسلاحها التقليدي ـ سلاح القتل والارهاب وكان مصرع ابراهيم الدسوقي أمين مساعد لجنة الاتحاد الاشتراكي في بني محمد سلطان بالمنيا، وصلاح حسين عضو لجنة الدعوة والفكر في كمشيش منوفية.. وكانت هذه الحوادث الاستفزازية اشارة الخطر لما وصل اليه نشاط الرجعية في الريف . وكانت هذه الحوادث كما وصفها المشير عبد الحكيم عامر «نقطة الانطلاق التي بدأت منها الخطوات الثورية للقضاء على مراكز الرجعية وبقايا الاقطاع والتسلط والمتهربين من القوانين .

وقد وصف الرئيس جمال عبد الناصر مشاعر الفلاحين بقوله «الفلاح المصري اللي عاش مئات السنين في مجتمع الاقطاع يكافح ويناضل ـ ولكن لما يجد القوة الغاشمة والارهاب والقتل يقول الدنيا دي متغيرتش والكلام اللي بيتقال ده بنسمعه في الاذاعة ولكن تطبيق مفيش» .

ولم يكن السبيل لانجاز هذه المهمة الصعبة ان تصدر القيادة الثورية قانونا جديدا بتحديد الملكية الزراعية او تنظيم ايجارات الاراضي او حماية الفلاحين ـ ولم يكن من الممكن ان تتم مراجعة تصرفات الاقطاعيين من جديد ـ بواسطة لجان او موظفين سبق لهم ان وافقوا على هذه الاجراءات او ساهموا فيها بالسكوت عنها .

فبالرغم من ان قوانين الاصلاح الزراعي قد وجهت ضربات قوية متلاحقة للملكية الاقطاعية الكبيرة ولاحتكار الارض ، الا ان تجربة الاربعة عشر عاما من الثورة بالنسبة للريف قد اثبتت انه لا يكفي ان يكون القانون ثوريا او تقدميا ليحقق التغيير المطلوب ، وانما تطبيق القانون تطبيقا ثوريا هو الذي يجعل له الفاعلية ويؤدي للتغيير الجذري .

لقد طبقت قوانين الاصلاح الزراعي باسلوب اداري بيروقراطي وفي غيبة التنظيم السياسي الواعي بمهمته ، وبالاعتماد على اجهزة الحكم المحلي الوثيقة الصلة بكبار الملاك ، وقد مكن هذا كله الاقطاعيين من الاستفادة من الثغرات الموجودة في قوانين الاصلاح الزراعي وبسبب اعتماد الدولة عند تطبيقها لهذه القوانين في رقابتها على مدى خضوع الملاك لهذه القوانين ـ اعتمدت على الاقرارات التي قدموها بأنفسهم تنفيذا للقانون ـ ولقد سهلت المادة الرابعة من قانون الاصلاح الزراعي لعام ٥٢ ، لعدد كبير من الاقطاعيين تهريب حوالي ٩٠ الف فدان من الاراضي الزراعية التي كان مفروضا ان يتم الاستيلاء عليها .

وعقب صدور قانون ٦١ كانت هناك لجنتان فقط من اعضاء مجلس الدولة وقضايا الحكومة تقومان بفحص الاقرارات المقدمة من كبار الملاك واستبعاد الاراضي التي تصرفوا فيها قبل صدور القانون في ١٩٦١/٧/٢٥ .

وبالرغم من أن الفترة التي تلت صدور قانون الاصلاح الزراعي الثاني عام ١٩٦١ ضمن قانون الاصلاح الزراعي الثاني عام ٦١ ضمن القوانين الاشتراكية قد شهدت اشتداد حركة تهريب الاراضي من جانب كبار الملاك وامكن خلال تلك الفترة ضبط عدد من القضايا الهامة مثل قضية عائلة الفقي بمركز الشهداء ، وقضية بيلا بكفر الشيخ ، وقضية في الجيزة واخرى في بني سويف، وهي كلها قضايا تهريب ارض وتزوير عقود واختام رسمية للدولة وسرقة مستندات من المحكمة. وادين في هذه القضايا عدد من الاقطاعيين واتباعهم وبعض موظفي الشهر العقاري والمحكمة .

وبالرغم ايضا من انه في اعقاب قضية كفر الشيخ عام ١٩٦٢ صدر قرار بتشكيل لجنة من الرقابة الادارية لمراجعة جميع محاضر الاستيلاء على الاراضي وتوزيعها على صغار الفلاحين منذ عام ١٩٥٢ ، وبالرغم من انه في شهر مارس ١٩٦٦ قامت ادارة متابعة تنفيذ القوانين بالهيئة العامة للاصلاح الزراعي ببحث وتحقيق شكاوى تهريب الملكية وتبين وجود ٣١٥ فدانا و١٠ قراريط مهربة من قوانين الاصلاح بالرغم من كل هذه الجهود الا انها كانت كلها ردود فعل لاحداث محددة وحالات متفرقة ، وبالتالي كانت كل حالة منها تعالج علاجا منفردا وجزئيا ـ ولم يكن من الممكن ان تؤدي هذه الجهود المتعثرة والمبعثرة الى حل جذري شامل للقضاء على بقايا الاقطاع والارهاب في الريف ، لان المشكلة اصبحت ـ كما يصفها الاستاذ عبد الفتاح ابو الفضل امين شؤون الاعضاء بالاتحاد الاشتراكي العربي «ان مشكلة الاقطاع كما لمستها الامانة في دراستها لمناطق وحالات مختلفة ليست مشكلة فرد متهرب من قوانين الاصلاح الزراعي وانما هي

مشكلة سياسية من الدرجة الاولى ــ لذلك فهي مشكلة الارتفاع بمستوى الاجهزة المختلفة الى مستوى المسئولية الثورية . فالواقع ان المطلوب ليس الاجراء الادارى العادى ــ بل هو الاجراء الثورى» .

وجاء قرار الرئيس جمال عبد الناصر بتشكيل اللجنة العليا لتصفية الاقطاع فى الريف واسناد رئاستها لنائبه الاول ، ونائب القائد العام للقوات المسلحة المشير عبد الحكيم عامر ، تعبيرا عن مدى الاهمية التى تعلقها قيادة الثورة على عمل اللجنة .

وكان الخط الواضح الذى اكده المشير عبد الحكيم عامر ــ هو ان «ملكية الارض حق ــ ولكن بحيث لا تتعدى ما نص عليه الميثاق وهو المائة فدان» ــ وانه «اذا كان على اللجنة ان تلتزم بما جاء فى الميثاق فانه يجب ان يكون واضحا وجوب سد الطريق نهائيا فى وجه الاقطاع بحيث تتم تصفيته تماما دون ان تبقى هناك ثغرة يمكن ان يعود الى التسلل منها» .

١ ــ الاقطاعيون يتحايلون على القانون : وفيما يلى اهم الوسائل والامثلة :

●● فى اول مواجهة من اللجنة لموضوع تهريب الارض ثبت لديها تهمة تهريب الارض على ٩٢ اسرة معظمهم من الاسر الاقطاعية القديمة العريقة فى الاستغلال الاقطاعى ــ وكان التقدير الاولى ان هذه العائلات تمكنت من تهريب ١٢ الف فدان ــ فقررت اللجنة فرض الحراسة عليها ــ وعندما باشرت اللجان المكلفة بتنفيذ قرارات الحراسة عملها على الطبيعة تبين ان مساحة هذه الاراضى بلغت ٢٥ الف فدان اى اكثر من ضعف الارض المقدر اكتشافها .

●● استخدام الكمبيالات والعقود العرفية لتكبيل الفلاح فرض الايجارات المرتفعة او ثمن الاراضى المباعة او الديون المفتعلة . وقد عثر لدى احدهم على ٣٤٥٥ عقد ايجار و١٨٠ كمبيالة و٦٤٠ عقد تنازل عن اراضى زراعية و٨٤٠ عقد بيع عرفى و٦٠ ورقة بيضاء على كل منها توقيع ــ ووجد لدى عائلة الفقى ١٠٠٠ كمبيالة ومئات العقود والايجارات ولدى اقطاعى آخر عثر على

تعليق

الدائرة المغلقة .. والفن للاقاليم

فى محاولة جادة للافلات من الدائرة المغلقة فى القاهرة حول الحركة الفنية .. تخطو فنوننا التشكيلية خطواتها الاولى على الطريق الى الاقاليم ، هاربة من عزلتها واسرها ، لكى تلتقى بالقاعدة العريضة للجماهير .

ففى خلال الشهرين الماضيين شهدت قصور الثقافة فى بورسعيد وبنها والسويس واسوان لوحات كبار فنانينا تحتل جدرانها ، وتزدحم صالاتها بجمهور متعطش الى التعرف على الوان فنونه المختلفة . ولم تترك بورسعيد الفرصة دون ان تضع بصماتها على هذه المناسبة ، فسجلت تقييما لمعرض «الفن فى المعركة» من واقع رأى الجمهور الذى تردد عليه ، وقدمت دراسة شاملة وحصرا لمختلف الفئات التى زارت المعرض . وبهذا يكون مركز الثقافة ببورسعيد قد نهج منهجا علميا للاستفادة من التجربة بكامل ابعادها والقاء الضوء على مدى تذوق الجمهور ــ خارج العاصمة ــ للفنون ومدى تأثره بالحركة الفنية الحديثة .

ومن هذه الدراسة نستخلص ان الذين زاروا معرض «الفن فى المعركة» قد بلغ عددهم ٢٥١٤ شخصا من بينهم ٣٠٠ عامل وعاملة ، وهذا الرقم يبلغ اضعاف رواد معارض الفنون التشكيلية فى القاهرة .

والذى يستوقف النظر ــ بجانب هذا العدد الضخم الذى زار المعرض ببورسعيد ــ هو التقييم الذى جاء نتيجة للاستفتاء الذى قام به مركز الثقافة .. هذا التقييم الذى اعطى صورة عن تذوق الجمهور لاعمال كبار فنانينا ، ومدى تأثره بهذه الاعمال .. كما يعطى الدلالة لحالة الترقب التى يعيشها جمهور الاقاليم استقبال فنون القاهرة واعتبارها حدثا فى حياتهم الجديدة .

لا شك ان مثل هذه الدراسة تلقى بعض الضوء على طريق الحركة الفنية ، والى اين يجب ان تتجه ؟ وما هو الاسلوب الذى يجب به مخاطبة جمهور عاش طويلا محروما من تذوق فنونه ..

كما كشفت الدراسة ان الاشكال البدائية البسيطة التى تعطى الجمهور فنا سهلا مباشرا .. هى الاكثر استجابة وتأثيرا فيه ..!! ان تطور الحركة الفنية فى الدائرة المغلقة بالعاصمة ادى الى اتساع المسافة بين قدرة تذوق الجمهور بين تطور حركتنا الفنية .

لهذا يتحتم علينا ان نفكر فى صياغة اسلوب نخاطب به جمهورا مازال يحتاج الى فن بسيط له تأثيره الجماهيرى . كما يجب ان تكون اعمال الفنانين القديمة والحديثة التى ترقد فى رطوبة المخازن ، يجب ان تكون بين ايدى الجمهور ، لتكون بمثابة جسر يعبره هذا الجمهور الذى فاته نعمة التذوق المستمر ، لتصل به الى آخر كلمة قالها الفن .. ويتحقق هذا بأن تقوم وزارة الثقافة بطبع هذه الاعمال ، وطرحها على نطاق واسع بين ايدى الجمهور باسعار مقبولة .. ويصبح من السهل واليسير على الهيئات والمؤسسات الثقافية والمدارس ودور الثقافة الخ .. اقامة معرض دائم لاعمال فنانينا . كما تمكن فنوننا التشكيلية من الدخول الى المنازل التى تزدان جدرانها بلوحات رخيصة تباع مع «الموبيليا»

ان الدراسة التى قدمها مركز الثقافة ببورسعيد تثير قضيتين هامتين ، اولهما قضية «التذوق الفنى» وثانيهما واجب الفنان فى هذه المرحلة .. ولا شك ان الصورة ستكتمل وتكون اكثر شمولا عندما تتجمع عدة دراسات من الاقاليم .. يمكن من خلالها استخلاص الاتجاه الذى يجب ان تصب فيه فنوننا .. لهذا اقترح على ادارة الثقافة الجماهيرية ، ان تتابع نشاطها بمثل هذه الدراسات لتجميعها فى شكل كتيب يوضع تحت ايدى الفنانين التشكيليين يساعد على خلق المناخ الصحى للمناقشات ، على اساس من الواقع الحى ، تنطلق منه حركتنا الفنية .. حسب متطلبات الجماهير فى فترة محددة .. وهى مرحلة التحول الذى يعيد فيها صياغة المجتمع وبناء الانسان .

عبد المنعم القصاص

٨٠٢ كمبيالة موقعة على بياض ومعها ٢٩٠ عقد ايجار على بياض .

●● ثبت ان بعض الاقطاعيين المتهربين كانوا من ناحية اخرى يحاسبون الفلاح عند استئجاره للارض على اساس مساحة الفدان ١٩ قيراطا بدلا من ٢٤ قيراطا ، وبذلك يزيدون مساحة اراضيهم بمقدار الربع .

٢ ــ فئة جديدة من الاقطاعيين قد نمت وكونت ثرواتها بالاغتصاب والارهاب

كشفت اعمال اللجنة ان كثيرا من الاقطاعيين قد زادوا املاكهم فى السنوات الاخيرة وان فئة جديدة من الاستغلاليين الذين حققوا ثراء سريعا عن طريق اغتصاب اراضى الدولة والفلاحين وفى فرض سيطرتهم اساسا بوسائل اجرامية . وقد ثبت للجنة ان من بينهم من نشأ من صفوف الخدم فى قصور الاقطاعيين وبعضهم كان يعمل خفيرا لماكينة رى . وكان البعض الاخر موردى انفار من العمال الزراعيين . وعدد منهم له نشاط كبير فى الاتجار بالمخدرات او تهريب مواد التموين او التعاون مع جيوش الاحتلال . وكان بعضهم يفرض الاتاوات باسم الخفارة الاجبارية بواقع جنيهين الى ثلاثة على كل فدان ليشترى هو ثلاثمائة فدان . وسلك عدد منهم طريق الاجرام بنفسه وبافراد عائلته بينما استعان البعض الاخر بالقتلة المحترفين .

لقد ثبت مثلا ان محمد ابو يوسف الذى كان يسمى نفسه ملك البطاطس كان يملك ٣٠٠ فدان ويستأجر سبعة عزب كاملة مساحتها ١٢٠٠ فدان، ولم تكن ملكيته قبل الثورة تزيد عن ٣٠ فدان .

وثبت ان صلاح الفقى الذى كانت الحراسة مفروضة على امواله منذ عام ٦٢ ــ كان وقت حادث كمشيش يدير مزرعة ضخمة للالبان فى منطقة ابيس قدرت بحوالى ٥٦ الف جنيه ، وتضم ٨٦ جاموسة و ٤٠ بقرة وتدر يوميا ٤٠٠ كيلو لبن ــ وثبت ان حلاق احد القرى اصبح يملك ٢٠٠ فدان ويستأجر حوالى ٢٥٠ فدانا ــ وثبت ان اقطاعيا بدأت ملكيته بـ ١٤س ١٨ط ميراثا عن والده واستطاع عن طريق الارهاب ان تصل ملكيته الى ٦٩١ فدانا وحيازته الى ١٤٥٣ فدانا .

٣ ــ الاقطاعيون يشكلون عقبة فى سبيل تنمية الانتاج الزراعى

أ ــ باغتصابهم لاراضى الدولة واراضى طرح النهر دون حق .. وفى الوقت الذى تبذل جهود غير عادية لتوسيع الرقعة الزراعية واستصلاح الاراضى يضعون هم ايديهم مع آلاف الافدنة . فقد ثبت ان احد الاقطاعيين قد استولى على ٢٦١٤ فدانا على ضفة بحيرة المنزلة و ٥١٤ فدانا اخرى بملاحة البلاشى ــ واغتصبت عائلة بالفيوم تملك خمسة آلاف فدان ــ اغتصبت ١١٤٧٨ فدانا من اراضى الحكومة ــ ووضع اقطاعى يده على اربعة آلاف فدان فى منطقة الفردان .

ب ــ السيطرة على الجمعيات التعاونية وتسخير مواردها وامكانياتها لمصالحهم ومصالح عائلاتهم . فقد ثبت استيلاء الاقطاعيين على الاموال المخصصة لمساعدة الفلاحين على شراء البذور والاسمدة ونفقات الزراعة ، اما باختلاس عشرات الالوف او بالاستيلاء عليها باسم الفلاحين واجبارهم على التوقيع عليها .

٤ ــ تخفيض الانتاج نتيجة لتفتيت الارض ونظام المخامسة .

ثبت ان مايلجأ اليه الاقطاعيون من تأجير الاراضى مساحات صغيرة للفلاحين على اساس نظام المخامسة الذى بمقتضاه يخرج الفلاح صفر اليدين من زراعته، يؤدى الى نقص كبير فى انتاجية الارض وفى انعدام الحافز لدى الفلاح بعكس الفلاحين المنضمين للجمعيات التعاونية .

وثبت ايضا ان بعض الاقطاعيين يطبق نظام المشاركة ويستولى بمقتضاه على محصول القطن كله ثم يأخذ نصف الشتوى والصيفى بعد خصم المصروفات وفى كل الحالات يأخذ المحصول جميعه الى مخازنه ثم يحاسب الفلاح بعد ذلك .

٥ ــ كان الاقطاعيون يمنعون اقامة حياة اجتماعية وسياسية سليمة فى الريف

ثبت لدى اللجنة ان الاقطاعيين كان يسعون للسيطرة بأنفسهم او بأعوانهم على كل المراكز الهامة فى المنظمات الشعبية والمراكز الادارية، وكانوا يقيمون اوثق الصلات مع اجهزة الحكم المحلية . ولعل اوضح مثال على ذلك هو عائلة سويلم بالدقهلية التى كانت تحتل مركز العمدة ، ونائبه ، و ٤ شيوخ وشيخ الخفر ووكيل شيخ الخفر ، وامين لجنة الاتحاد الاشتراكى والامين المساعد ، و ١٨ عضوا جميعهم من عائلة سويلم ، وكذلك رئيس المجلس القروى وسكرتيره و ١٠ اعضاء من نفس الاسرة ورئيس الجمعية التعاونية وكاتبها واحد اعضائها .

٦ ــ كان الاقطاعيون يهددون الامن والاستقرار

لقد سجل تقرير مدير الامن العام، اللواء الركايبى عن عام ٦٦ ، نقصا ملحوظا فى جنايات القتل والخطف والسرقة ــ انخفضت جرائم القتل من ٧٥٥ عام ٦٥ الى ٦٣٧ عام ٦٦ وجرائم الخطف من ١١ عام ٦٥ الى ٥ فقط عام ٦٦ وجنايات السرقة من ٦٤ الى ٥٩ . ويؤكد سيادته فى تقريره ان السبب الاساسى لنقص الجنايات هو الاجراءات التى اتخذت ضد الاقطاعيين والمجرمين فى الريف .

كيف واجهت اللجنة جرائم الاقطاعيين ؟

لقد حدد المشير عبد الحكيم عامر ثلاثة مبادىء اساسية حكمت الاجراءات التى اتخذتها اللجنة فى الحالات التى عرضت عليها أ ــ عقاب عادل ازاء جريمة ارتكبت . ب ــ الارض وحدها هى هدف الاجراءات وتصفية الامتيازات الطبقية وليست تصفية الاشخاص هى محور الاجراءات الثورية .

ج ـ المقاييس الانسانية لا بد وان تخدم
وفي كل حالة نظرتها اللجنة كانت تضع في اعتبارها وهى تقرر اجراءاتها سلوك الشخص وتاريخه السياسي وطريقة تملكه للاراضي الزائدة ومساحتها وهل له عصبية تجعل لوجوده بمنطقته خطر، وهل له تاريخ اجرامى أم لا ، وهل له نفوذ اقتصادى في مجال ملكيته أم لا . وان يختلف تقدير العقوبة من شخص لاخر حسب موقفه وموقف اسرته من الثورة خلال التاريخ الوطنى بحيث لا يتساوى في المعاملة اسرة لها تاريخ وطنى باسرة لها ضلع في خيانة الحركة الوطنية .

وقد سارعت بعض الاصوات الهامسة احيانا المتشككة احيانا اخرى تدعو للتسامح والعفو وتذكر بأن ثورتنا بيضاء وتاريخ شعبنا حافل بالعفو وبحسن معاملة الاسير والمهزوم . ولكن المشير عبد الحكيم عامر اعلن في خطابه امام القوات المسلحة في سيناء «الاقطاع ما زالت له قدرة ، ولكننا سنصفى كل جيوب الاقطاع بلا رحمة ــ نحن في مرحلة ثورية جديدة ولن نقبل النصب علينا والكلام عن ان الثورة ثورة بيضاء وليعطوا لانفسهم الفرص للاستيلاء عليها ثم يقلبوها هم الى ثورة حمراء» ــ وقال ايضا «لقد اعطيناهم الفرص الكافية ١٤ عاما من الرحمة وبعد هذا تكون الرحمة ضعفا او عدم ثورية »

ضرورة استمرار الثورة

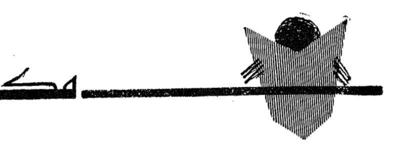
ان كلمات الرئيس عبد الناصر في دمنهور هى اصدق تلخيص للعمل الذى قامت به اللجنة العليا لتصفية الاقطاع ، وهو يطرح ايضا المهمة العاجلة التى تواجه الثورة بالنسبة للريف «الثورة تحركت بالفعل من مراكز القوة والقدرة من اجل تصحيح هذه الانحرافات ــ ليس الموضوع موضوع جريمة وعقاب ــ العملية هى التأكيد على ضرورة استمرار الثورة » وينبه سيادته للاخطار بقوله ليست المسألة ان نتخذ اجراءات ثورية بل نفتح عيوننا .. الاستغلال لا يستسلم ولن يستسلم بسهولة، يحاول ان يخادع ثم يستعد للانقضاض ليعود الى عهد سيادة الظلم .. العمل السياسي المعتمد على قوى الشعب العاملة اصحاب المصلحة في التغيير عن طريق هذا العمل نستطيع ان نقيم العلاقات المطلوبة» .

وقد اعلن المناضل عبد الناصر في خطابه يوم عيد الوحدة في ٢٢ الماضى « سرنا في لجنة تصفية الاقطاع وعملية لجنة تصفية الاقطاع واجبها بالنسبة لبقايا الاقطاع في الريف وبحثت لجنة تصفية الاقطاع بعد كده مشاكل وانحرافات القطاع العام وقيمت الاعمال ورشحت مجالس للادارة وبعد كده حتتحول الى انها تشوف الحكومة والوزارات كلها واللى انا شايفه واستقر عليه الراى ان هذه اللجنة تستمر لجنة دائمة وتسمى لجنة رقابة عليا للدولة دائمة ومستمرة وتتعقب أى انحراف وتقوم أى اعوجاج سواء في المجلس التنفيذى أو في المجال الشعبى ، سواء في الحكومة او القطاع العام أو في الاتحاد الاشتراكى ، وبهذا اللى عنده حاجة بتبقى فيه لجنة عليا للرقابة للدولة وبتراقب جميع الانشطة في الدولة » .

ان القضية التى طرحها الرئيس عبد الناصر كانت من ابرز القضايا التى تناولها الكتاب والمعلقون واعضاء مجلس الامة في تعقيباتهم على ما كشفت عنه اعمال اللجنة العليا لتصفية الاقطاع ــ ففى مجلس الامة قال السيد خالد محى الدين «الحل هو ضرورة وضع خطة سياسية تؤدى الى نقل النفوذ السياسي والسيطرة الى اصحاب الحق الطبيعى ــ الفلاحين ــ الذين حققت لهم الثورة كل هذه المكاسب »

وردا على السؤال الذى كان يتردد لمواصلة السير في الطريق الذى شقته اللجنة العليا لتصفية الاقطاع وتحقيق ما دعا اليه الرئيس عبد الناصر ، كتب احد المعلقين يقول : «ان كل اجراء ثورى حاسم يصحبه مد ثورى وانتعاش للنشاط الجماهيرى ، ودور القيادات السياسية فى هذا الجو المواتى ان تبادر الى الاستفادة منه لتدعيم التنظيمات السياسية والديمقراطية وتعبئة قوى الشعب العاملة . والقرارات الثورية الاخيرة تتيح فرصة الارتكاز عليها لاستثارة المبادرة الجماهيرية وتنشيط الطاقات الخلاقة لاشراك القوى الشعبية بصورة فعالة في حركة التغيير الثورى ــ وقال ايضا «ان دخول الجماهير الشعبية معركة جدية في مناخ صحى وبعد تأمين الريف من ارهاب العائلات الاقطاعية باعادة الانتخابات حينما عزلت العناصر المستغلة . ولجميع المراكز التى خلت بعزلها سواء في لجان الاتحاد الاشتراكى او المجالس القروية أو الجمعيات التعاونية كفيل باحياء النشاط السياسى والديمقراطى والكشف عن قيادات ثورية جديدة . وتدعيم المواقع التى اجليت عنها القوى المضادة للثورة »

لقد اجمع المراقبون على ان ردود الفعل من جانب الفلاحين لاعمال اللجنة العليا لتصفية الاقطاع كانت مواتية جدا ومشجعة وعبرت عن احساس الفلاح لاول مرة ان الثورة قد وصلت اليه وانها قامت من اجله ، وان القيادة الثورية قد مهدت الطريق امام تحولات حقيقية في الريف . ولكن هذه التحولات لا يمكن ان تتم بشكل سليم اذا لم تحتضنها جماهير الفلاحين ــ الا اذا تصدى لها التنظيم السياسى لقوى الشعب العاملة فى الاتحاد الاشتراكى العربى» وحشد اصحاب المصلحة الحقيقية حول المكتسبات التى حققتها اللجنة العليا لتصفية الاقطاع ــ وان يبنى بالعمل السياسى سدا عاليا في وجه القوى المعادية للثورة لا تستطيع تسلقه او القفز فوقه وانما تذوى وتندثر تحته .



مكتبة الطليعة

• مشاكل التعليم فى المدرسة السوفيتية

■ من المجلات الفكرية العالمية آفاق بولندية

مشاكل التعليم فى المدرسة السوفيتية

Problems of Soviet School Education
1965 by Makarenko

أنطون ماركارنكو فيلسوف سوفيتى من فلاسفة التربية ظهر فى منتصف القرن العشرين ، حيث ولد فى عام ١٨٨٨ وتوفى فى عام ١٩٣٩ ، وقد ذاع صيته كمرب له طابعه المميز فيما تذرع به من وسائل تربوية وككاتب أصيل شق طريقه الخاص بين الكتاب التربويين .

فاحتل مكانة مرموقة بين فلاسفة التربية السوفييت من جهة كما ذاع صيته بين فلاسفة التربية العالميين من جهة ثانية .

ولماكارنكو عدة مؤلفات ومحاضرات تربوية قيمة نجتزىء منها فى هذا المقام بأربع محاضرات تعبر عن الخطوط العريضة لفلسفته القاها فى يناير عام ١٩٣٨ مكتفين بتلخيصها وابراز المقومات الرئيسية بها ومستهدفين من ذلك الاسهام ايجابيا فى قيام «فكر مفتوح لكل التجارب الانسانية» .

أما الطابع المميز لفلسفة ماكارنكو التربوية فهو جعل النشاط العملى والعمليات ذات الاهداف المحددة محورا للعمل التربوى بحيث تستوعب التربية على رعايتهم وخدمتهم. ويمكن تلخيص المبدأ والا تقتصر على العمل المدرسي وحده .

والواقع أن المسلمات النظرية التى تتسم بها فلسفة ماكارنكو عامة والتى تتضح فى هذه المحاضرات خاصة هى تلك المسلمات المستمدة من روح الاشتراكية ، ومن الايمان العميق بالانسان والحب الصادق للاطفال والشبان الذين تقوم التربية على رعايتهم وخدمتهم . ويمكن تلخيص المبدأ الاساسى لهذه الفلسفة فيما يأتى : «مر الشخص بأوامر دقيقة وعاملة فى نفس الوقت باحترام شديد . ويعبر ماكارنكو عن هذا المبدأ بقوله : اننا نبغى تنشئة العامل السوفييتى المثقف . من هنا كان علينا أن نقدم اليه تعليما حتى المرحلة الثانوية أن أمكن كما يجب علينا أن نعلمه احدى المهن وأن نعلمه النظام وان نجعله عضوا ناضجا من الناحية السياسية » .

ويعلق ماكارنكو فى نظامه التربوى أهمية كبرى بالعمل الانتاجى وبالحشد وبالشخصية . فبعد أن وقف الفيلسوف على المعنى الحقيقى للتربية السوفيتية من أنها تربية حشدية ، فانه عمد الى الايمان بأن الطريق الى تحقيق هذا النوع من التربية لايكون الا باقامة حشود قوية وفعالة . فالمدرسة فى نظره بمثابة حشد أى مجتمع من التلاميذ والمدرسين وعلى رأسهم الناظر الذى يقوم بدوره بتوجيههم .

على أن ماكارنكو لايوافق على الطرائق التربوية التى تعمل على رد التربية وحصرها فى دائرة التأثير المباشر للمدرس فى التلميذ . ولكنه فى نفس الوقت وفى أثناء اهتمامه بالحشد من حيث تشكيله وتقويته

والعمل على تطويره باستمرار ، لم يغض النظر مطلقا عن الطفل باعتباره وحدة مستقلة بل انه اخذ يؤكد اهمية التربية الفردية الى جانب تأكيده على التربية الجماعية .

والواقع أن ماكارنكو قد وفق الى طريقة جديدة وأصيلة فى التربية الفردية ، وهى طريقة تقوم على اتجاه جديد حول العلاقة بين الحشد والفرد . فالعلاقة بين الحشد والفرد ينبغى الا تكون علاقة مباشرة بل ينبغى أن تكون صلة يدعمها ما يطلق عليه الفيلسوف أسم الحشد الاولى ، وهو الحشد الذى يتم تكوينه خصيصا لتحقيق بعض الاهداف التربوية كالاسرة المدرسية والفريق والفصل الخ .

ويرى ماكارنكو ان التدريس للحشد الاولى بمثابة خطوة كبيرة الى الامام فى سبيل دعم التربية.

ولكن ماهو الحشد الاولى ؟ يعرف ماكارنكو الحشد الاولى بأنه تجمع دائم نسبيا يربط فيما بين بعض الافراد بعضهم ببعض ويوحد بينهم لاجل تحقيق عمل معين، ويدعم الصداقة فيما بينهم ويحقق مصالح مشتركة عامة تشملهم جميعا . ومما يساعد على دعم الروابط فيما بينهم وجود ايديولوجية معينة توحد بين صفوفهم . ويعتقد ماكارنكو أن الحشد الاولى لابد أن يكون حازما جدا وعنيفا مع أى عضو من اعضائه اذا هو جرؤ على افساد معاييره بطريق أو بآخر . فالحشد اذن ينتج آثارا تربوية فى غاية القوة . على أن ماكارنكو يحذر من ان يعمد الحشد الى التقوقع فى دائرة ضيقة محصورة فى حدود مصالحه الخاصة . ولكن يمكن تلاشى هذا الخطر عن طريق ابراز ما بين الافراد من فوارق فردية والسماح للميول الفردية بالبزوغ وتوفير وسائل الاشباع التى تعمل على سدها ومجابهتها. فالواقع كما يعتقد هذا الفيلسوف أن الحيلولة دون ظهور هذه الميول الخاصة قد يعمل على تفكك الحشد المدرسى وفقدان تكامله ، كما أنه قد يعمل على فقدان الهدف المشترك وأحباط الحماس الجماعى ذاته .

وبصدد تناول ماكارنكو لكيفية تشكيل الحشد من الاطفال نجده يؤكد أن مراعاة «قانون حركة الحشد» بمثابة واحد من المبادىء الاساسية الذى ينبغى العمل على تطبيقه حتى يتسنى تنظيم الحشد تنظيما سليما وحتى يتسنى حفزه نحو النشاط والتمتع بالحيوية . ومن الواجب أن يرتسم امام الحشد على الدوام هدف محدد يلزم بذل الجهد فى سبيل تحقيقه . والواقع أن انخراط جميع التلاميذ فى نظام تتزايد أهدافه تعقدا بحيث لايتم التوصل اليها وتحقيقها الا خلال مجهود حشدى منظم ، انما يعد شرطا أساسيا لدعم الحشد ولتوحيد مقوماته ، ولخلق عامل تربوى هام منه .

وحيث أن هذا الفيلسوف قد بدأ من هذا المفهوم المتعلق بالحشد، فانه لذلك قد عمد الى تعليم تلاميذه أن يدأبوا على تنسيق مصالحهم ومطامحهم الخاصة فى ضوء مصالح واهداف الحشد، ويعتقد ماكارنكو أنه لاتعارض مطلقا بين الاهداف الخاصة والاهداف العامة ، مادامت تلك الاهداف تصدر بصفة رئيسية عن الاهداف العامة .

ويكرس الفيلسوف جانبا كبيرا من اهتمامه لما اسماه بالاسلوب Style وبالنغمة To... المتعلقين بالحشد الذى ينخرط الاطفال تحت لوائه . فالاسلوب والنغمة هما الصيغتان الخارجيتان اللتان تتبدى فيهما الانشطة الحشدية التى تراعى فيها المعايير الاشتراكية وتنعكس من خلالها ، ويحدد ماكارنكو الاسلوب بأنه التعبير عن مسئولية التلميذ الحقيقية والجادة بازاء اى عمل يوكل اليه وبازاء قدرته على ضبط نفسه وتمسكه بالاحترام الذاتى وصيانة كرامته مهما كانت الظروف بالموقف . ولكن مع هذا فان فيلسوفنا يحض على تعليم الاطفال استخدام ضبط النفس وعدم التعرض للمعايير المتعلقة بالسلوك المثقف بالهجوم او كسر قواعده المرعية . ولا يوافق ماكارنكو اطلاقا على السلوك غير المتزن مؤكدا ضرورة تعليم الاطفال ضبط حركاتهم وكلامهم .

ومن بين الوسائل التربوية التى يراها الفيلسوف ميسرة لدعم الحشد وتحقيق تقدمه ذلك الدور الهام الذى يلعبه الانفعال فى نشاط الاطفال وبخاصة اللعب . فاللعب فى رأيه يساعد على جعل الحشد فى حالة من المرح والحيوية ، كما انه يجعل الاطفال مستعدين على الدوام للقيام ببعض النشاط المفيد ولاداء بعض الاعمال التى تكون بحاجة الى تركيز الذهن وأعمال الذكاء

ويضع ماكارنكو التقاليد فى اول القائمة كوسيلة لاغنى عنها فى ربط أواصر الحشد . فهو يعتقد أنه لاسبيل الى قيام تربية سوفييتية حقيقية مالم تجمع بين مقومات الحشد تقاليد معينة تكون قد ثبتت فائدتها واهميتها . وهو يعتقد أن من واجبات المدرسة الاساسية العمل على رسم خطوط معينة لمجموعة من التقاليد المدرسية ثم العمل على تأكيدها والضرب فى أثرها .

ومن النواحى الهامة التى تتسم بها فلسفة ماكارنكو التربوية التأكيد على حكم الاطفال انفسهم بأنفسهم فلقد أظهر ماكارنكو بالكتابة والممارسة أن من الوظائف الرئيسية لهيئة التدريس وعلى رأسها ناظر المدرسة العمل على تنظيم حشد الاطفال وتحقيق الحكم الذاتى له . وهو يرى أن تحقيق ذلك الحكم الذاتى يؤدى الى آثار تربوية فعالة فى تكوين شخصيات التلاميذ. فالحكم الذاتى يساعد

التلاميذ على التلبس بعادات وبقدرات تتعلق بالتنظيم والريادة .

على أنه مما لاشك فيه أن أهم جانب في فلسفة ماكارنكو التربوية هو التعلم من خلال العمل . فمن طريق العمل الانتاجي الاجتماعي المشترك والمفيد اجتماعيا يمكن تربية المواطن تربية فعالة . فالعمل في نطاق واحد من الحشود والتعاون مع الاخرين في سبيل التوصل الى أهداف معينة مع الاحساس بالصداقة والالفة والترابط يعد الوسيلة الفعالة في تكوين الشخصية .

ويعتقد ماكارنكو ان الطرائق التربوية لايمكن أن تنشأ من صلب العلوم المتاخمة للتربية مثل علم النفس وعلم الاحياء بغض النظر عما احرزته تلك العلوم من انتصارات وماتوصلت اليه من مكتشفات فالخبرة الميدانية وحدها ينبغي أن تكون المصدر الذي تقوم على اساسه الطرائق التربوية الجديرة بالاتباع . على أن دور علم النفس وعلم الاحياء يجب أن يقتصر على اثبات وتأكيد ما تشير اليه التجربة وتجلى عن صحته .

ولكن اليس هناك هاد للتجربة الميدانية ؟ ان ماكارنكو يذكرنا بأن على التربية أن تستهدى بهدف سياسي . فالتربية التي تسير وهي معصوبة العينين تكون تربية ضالة، ولكن التربية التي تضع نصب عينيها مبدأ سياسيا محددا تلتزم به، فأنها تستطيع ان تثرى وتتفتح لجوانب كثيرة وتستطيع أن تتفاعل مع المجتمع وتأخذ منه وتعطيه .

ويهاجم ماكارنكو أولئك الذين يستمدون أهداف التربية من علم النفس ومن علم الاحياء ، ويؤكد أن أهداف التربية لايمكن أن تنشأ الا من الحاجات الاجتماعية ذاتها ، اذ كيف يمكن أن نبحث عن أهداف للتربية في هذين العلمين أو غيرهما من علوم ونترك الواقع الاجتماعي الحي الذي نحسه من حولنا ونتفاعل معه . فنقطة البداية اذن في تحديد اهداف التربية ينبغي الا تكون عن طريق عمل قياس منطقي من أي علم من العلوم بل من الاهداف الاجتماعية والسياسية ذاتها .

ويحذرنا ماكارنكو من ثلاثة اخطاء خطيرة يقع فيها كثير من المربين وقد وقع فيها هو شخصيا قبل أن يكتشف الحقيقة . والاخطاء الثلاثة هي : الاستنتاجات القياسية . ثانيا — الاحجبة أو الرقيات الخلقية . ثالثا — الوسائل المفككة . فقد يعمد المربي الى التخطيط لاحدى الطرائق في التدريس على اساس ما تقرره المواد المتاخمة ووفق خطوط منطقية دقيقة، معتقدا ان ما رسمه بالمنطق سيكون ذا فاعلية عملية عند التطبيق ، ولكن سرعان ما يخيب ظنه وظن تابعيه ، لان ما يمكن أن يرسم بالمنطق قد لايصلح في مجال التطبيق وقد لايأتي بالنتائج التي كانت متوقعة بالفكر بعيدا عن الممارسة العملية .

أما ما أسماه ماكارنكو بالاحجبة أو الرقيات الخلقية فانه يتبدى في بعض المعتقدات التي يتشبث بها بعض المربين ، كاعتقاد البعض منهم مثلا بأن طريقة الوحدات التي كانت منفذة بالمدارس السوفييتية في عام ١٩٢٠ يمكن أن تعمل على تحقيق ترابط الخبرة في وجدان التلميذ . ان مثل هؤلاء الناس لا يعبأون بما يمكن ملاحظته في الواقع الحي بل بما سبق لهم ان آمنوا به وتملك على وجدانهم : أما عن الوسائل المفككة التي يحذرنا منها ماكارنكو فانها تمثل الخطأ الثالث الذي يتردى فيه كثير من المربين ويوضح الفيلسوف مايرمى اليه بأن يضرب مثالا بالضرب . قد يقول واحد من المربين «لاتضرب الطفل» وقد يقول آخر « استخدم الضرب مع الطفل » أن الخطأ الواضح هنا هو عزل العقوبة عن السياق الكامل للمواقف المختلفة . أن المسألة في نظره ليست مسألة تقرير وصفة تربوية ، وانما ينبغي ان يكون للوسيلة التربوية مغزى داخل اطار الموقف ككل . فلا يمكن الحكم على الضرب بأنه عمل سليم اوخطأ اذا ما عزل عن باقي الوسائل الاخرى التي يتضمنها الموقف . يقول ماكارنكو «أن العقوبة قد تكون أداة لتعليم العبد ولكنها في أحيان اخرى تكون وسيلة لتعليم الشخص الصالح جدا بل والشخص الحر والواثق من نفسه جدا » وأكثر من هذا فان ماكارنكو يؤكد أنه لاتوجد وسيلة تربوية جيدة في حد ذاتها او ضارة في حد ذاتها . فالاطلاق كحكم على الوسيلة خطأ من أساسه . وانما ينبغي ان يتسم الحكم على اية وسيلة تربوية في ضوء النسبية ، فقد يكون أستخدام الضرب في موقف ما من الوسائل التربوية الناجحة، بينما قد يكون ضارا في موقف آخر . وهكذا يقال أيضا عن المكافأة بل حتى عن تودد المدرس للتلاميذ . أن المدرس في بعض الاحيان يجب أن يكون غير ودود مع تلاميذه وفي مواقف اخرى يجب أن يداعبهم وأن يعاملهم بما يقرب من الندية والاخوة .

ويعلق الفيلسوف على النظام أهمية كبيرة في التربية، على أن النظام لديه لايعد وسيلة تربوية ، وأنما هو محصلة ونتيجة للتربية . ويشترط ماكارنكو أن يكون النظام في حيز الوعي والادراك الشعوري . ولكن كيف يكون النظام في النطاق الشعوري؟ أن ماكارنكو لكي يجيب عن هذا السؤال يميز بين ثلاثة مواقف يمكن أن يتم النظام في نطاقها . أما الموقف الاول فهو النظام الناجم عن الطاعة العمياء لمجموعة من الوصايا كأن نقول للشخص : لاتسرق ؟ أن هذا النوع من النظام مرفوض من جانب هذا الفيلسوف لانه يحيل الاشخاص الى آلات صماء لاتفكر . أما الموقف الثاني فهو النظام الناجم عن الاقتناع الفردي وهو أيضا لايتفق مع فلسفة ماكارنكو وذلك لانه يرتبط برغبات الشخص الفردية وهي رغبات متقلبة من جهة كما أنها رغبات متباينة أن لم تكن متعارضة فيما بين الافراد المتباينين من جهة اخرى . أما الموقف

الثالث فهو النظام الناجم عن اقتناع جماعي أو حشدي فالمربي هنا يقدم خطوطا عريضة للحشد وبالمناقشة يتم الاتفاق على تفاصيل النظام وهو مايطلق عليه ماكارنكو أسم المنهج . والمنهج يتضمن كل ما يجب على الحشد المحافظة عليه وصيانته من الاعتداء أو العصيان . ويعتقد ماكارنكو أن ضغط الحشد بمثابة قوة رادعة جبارة جديرة بالمحافظة على الخطوط الدقيقة للبرنامج ، ومن ثم يتأتى النظام .

ولكن ما الخطوط العريضة التي يرتئيها ماكارنكو والتي ينبغي أن توضع كهاد أمام الحشد ، والتي في ضوئها يستطيع أن ينسج خطوطه الدقيقة ؟ أن فيلسوفنا يقدم الينا أربع مباديء رئيسية يرى أنها كفيلة بالوصول بالحشد الى مرتبة خلقية سامية . والمباديء الخلقية العامة هي على النحو التالي :

أولا — أن النظام كصيغة تكفل تقدمنا سياسيا وخلقيا يجب أن ينبثق من الحشد ذاته .

ثانيا — أن هذا النظام يضع كل فرد على حدة في وضع يكفل له الطمانينة والحرية .

ثالثا — أن مصالح الحشد ينبغي أن تكون دائما فوق مصالح الفرد .

رابعا — أن النظام بمثابة حلية يتزين بها الحشد

وعلينا بعد هذا العرض السريع للخطوط العريضة في فلسفة ماكارنكو التربوية أن نعقد مقارنة بين هذه الفلسفة وبين ماذهب اليه واحد من فلاسفة الغرب المعاصرين لنفس الفيلسوف ، ونختار لهذا الغرض الفيلسوف برتراند رسل الانجليزي . والواقع أن السبب في هذا الاختيار هو ما لاحظناه في أثناء دراستنا لفلسفة ماكارنكو التربوية من انها على نقيض فلسفة رسل تماما .

فبينما يجعل ماكارنكو المحور الاساسي في فلسفته التربوية هو النشاط العملي والعمليات ذات الاهداف المحددة، بحيث تستوعب التربية لديه جميع أوجه حياة الاطفال والمراهقين ، فاننا نجد أن برتراند رسل على النقيض يجعل المحور الاساسي للتربية هو الفكر والوقوف على الحقيقة . ان رسل عندما أقدم على تحديد أهداف التربية من وجهة نظره آخذ يتساءل : ما المقومات التي تجعل الفرد صالحا؟ ويجيب الفيلسوف عن تساؤله بأن هناك ثلاث مقومات يمكن أن يحكم على صلاحية الفرد في ضوئها أما النوع الاول فهو المقومات المعرفية . فالفرد الصالح ينبغي أن يكون بمثابة مرآة للعالم ، ولكن ما قيمة ذلك يجيب رسل بقوله « أنا لا أستطيع أن أعلل لذلك ، الا بأن المعرفة والفهم يتبديان لي خاصتين رائعتين بحيث في ضوئهما أفضل نيوتن على صائد المحار . » (١)

أما النوع الثاني من المقومات التي تجعل الفرد صالحا فهو الانفعال . فيجب أن تكون المعرفة مفعمة بالوجدان . ولكن ما مكانة الارادة عند رسل؟ أن رسل يجعل الارادة في المركز الثالث بعد المعرفة والوجدان ، ولكنه على أية حال يجعل المعرفة والوجدان والارادة شروطا يجب أن يتسم بهسا الانسان الصالح . على أن الارادة التي يشير اليها رسل ليست ارادة المجتمع ، بل هي ارادة الفرد ذاته . فالمجتمع في نظر رسل لايعدو أن يكون مجموع افراده المكونين له. وبينما يجعل ماكارنكو الفرد والجماعة مكملين الواحد منهما للآخر . فاننا نجد أن رسل ذهب الى وجود خصومة بين الفرد والمجتمع معتقدا أن المجتمع يعمل أو هو يحاول دائما أن يعمل على تذويب الملامح الفردية للافراد ودمجهم في طيات المجتمع . يفرق رسل بين المواطنة والفسردية وبالتالي بين التربية التي تستهدف تنشئة المواطن والتربية التي تستهدف تنشئة الفرد . المرجع السابق ص ١٤

وبينما نجد أن ماكارنكو يجعل شعاره التربوي «مر الشخص واحترمه في نفس الوقت» فاننا نجد رسل على نقيض ذلك لايريد أن يجعل الطفل خاضعا لاي سلطة خارجية ، محاولا جعل زمام قيادة عقله الشخصي ذاته ، ومعنى احترام شخصية التلميذ في نظر رسل يجب أن ينحصر في احترام تفكيره ووجدانه وأتاحة الفرصة لهما للظهور في مواقف الحياة المتباينة .

وطبيعي أن منطق التربية عند رسل لايتمشى مع منطق ماكارنكو فيما يتعلق بالتعليم من خلال العمل الانتاجي ان رسل يجعل التعلم اساسا نتيجة الادراك والتأمل . ولا غرو فان رسل يجعل المعرفة الرياضية والمنطقية الاساس في كل تفكير دقيق ، وهو يعزو نفور البعض من هذا اللون من المعرفة الى ضعف ذكائهم وعدم قدرتهم على متابعته وسبر اغواره .

ويناهض برتراند رسل الاستعانة بالايديولوجية في المسائل التربوية معتقدا أن التربية والتعليم ينبغي أن يتجنبا السياسة . فالهدف الرئيسي من التربية هو الطفل ذاته وليس المجتمع او الدولة . ومادام الامر كذلك اذن فرسل لايؤمن بالحشد وبما يترتب على وجود الطفل في نطاقه من أثار تربوية وحتى اذا هو أعترف بتلك الاثار ، فانها اذن آثار ضارة لانها تؤثر من وجهة نظره في القوام الفردي للتلميذ .

وبينما يرفض ماكارنكو المنهج القياسي في النظريات والفلسفات التربوية فان رسل على نقيض ذلك

(1) Russell, B, Education and the Social-order; London George Allen and Iunwirn. 5 th imp. 1956, P 10

يعتقد أن هذا النوع من التفكير هو السليم . فالتربية يجب أن تبدأ بالفكر وتنتهى الى الممارسة لا بالعكس ومادام الامر كذلك ، اذن فعلى المربين أن يستهدوا بما توصلت وتتوصل اليه العلوم المتباينة من حقائق وقوانين واستنتاجات . ومادام علم النفس وعلم الاحياء يبحثان فى الانسان . اذن لماذا لاتفيد التربية مما ينتهيان اليه من قوانين واستنتاجات ؟ أكثر من هذا فان رسل يستند الى الفلسفة والمنطق فى تحديد الاهداف التربوية معتقدا أن الفكر هو أسمى ما يصل اليه الانسان من تربية .

وبعد هذه المقارنة بين فلسفتى ماكارنكو وبرتراند رسل علينا أن نسأل ما الموقف الذى ينبغى علينا اتخاذه من كلتا الفلسفتين ؟

نود أولا أن نؤكد حقيقة هامة ينبغى الا تغيب عن البال ، وهى أن فلسفة أى فيلسوف تعد صدى للواقع الاجتماعى الذى يعيش فيه . فالديموقراطية الغربية التى نشأ فى ظلها برتراند رسل والتى تربى فى احضانها تحمله على الايمان بالفردية واعطائها الاولوية على الجماعة . ومعروف ان تلك الديموقراطية بمثابة صدى للنظام الراسمالى الذى يقوم اساسا على مبدأ الترسل Laissez - Faire والتنافس الفردى وعدم تدخل الدولة الا فى حدود التنسيق بين الانشطة الفردية . وفى مقابل هذا نجد ان ماكارنكو قد نشأ فى المجتمع الروسى وعاصر الثورة الروسية فى عام ١٩١٧ وتجاوب معها وتعشق مثلها العليا وآمن بالوسائل التى تتذرع بها وبالايديولوجية التى ترنو اليها . من هنا فان فلسفته التربوية تعد هى أيضا صدى للنظام الاجتماعى الذى استظل به .

ونحن بالجمهورية العربية المتحدة وقد أخذنا بالاشتراكية طريقا نضرب فى أثره وفلسفة نعيش وفقها ونمطا من أنماط الحياة الاجتماعية نسير بمقتضاه علينا أن نرسم خطوطا لتربية اشتراكية تتوازى مع الخط الاجتماعى السياسى الذى نسلكه . وأعتقادى شخصيا هو أن فلسفة ماكارنكو التربوية أقرب الينا من فلسفة رسل التربوية . نعم أن الواجب علينا الا نستورد فلسفة تربوية وننقلها الى مؤسساتنا التربوية نقلا اعمى غير متبصر بتاريخ أمتنا أو واقعنا الآنى او مثلنا العليا المرجوة ، ولكن عدم النقل لايعنى عدم التفاعل . واذا نحن سلمنا بوجوب التفاعل مع مقومات جديدة ، فان فلسفة ماكارنكو التربوية تكون من بين تلك الاتجاهات التربوية الجديدة التى يجدر بنا أن نتفاعل معها .



آفاق بولندية

تعد بولندا من اكثر البلدان الاشتراكية تقدما فى مجال الثقافة والفنون . وهى أحد الاقطار الحديثة العهد بالخروج من قبضة السيطرة الرأسمالية ، وبالتالى فقد واجهت فى المرحلة الاولى من تطورها بعض الصعاب والمشكلات التى تتشابه الى حد كبير مع العقبات التى واجهتنا .

ولهذا كان من الضرورى أن نتعرف على تجربتها الثقافية الخاصة حتى نستنير بها فى المرحلة الحالية من تطورنا الثقافى .

ومجلة « آفاق بولندية » التى يصدرها اتحاد الكتاب هناك هى التعبير الفكرى عن التجربة البولندية فى الحقل الادبى والفنى والعلوم الانسانية

ويضم العدد العاشر من مجلة «آفاق بولندية» ١٩٦٦ مجموعة من الدراسات حول التطور الثقافى للشعب البولندى ، والمعونات الثقافية التى قدمتها بولندا لشعوب العالم الثالث ، وتجارتها الخارجية مع الدول السكندنافية ، بالاضافة الى أبواب الفن والادب والعلوم والكتب الجديدة . ويغلب على هذه المجلة التى يصدرها اتحاد الكتاب البولنديين ، الطابع المحلى فى اختيار الموضوعات التى تصور بولندا الشعبية من مختلف زوايا حضارتها الاشتراكية الجديدة .

وحول «نمو الثقافة فى بولندا الشعبية» كتب **جارسلو ايفاز كيفز** يقول : «ان واحدا من أعظم انجازات الشعب البولندى بعد الحرب الاخيرة كان اعادة بناء وارسو . ولقد تجاوبت الحكومة مع الشعور القومى فى العمل على بناء العاصمة فى نفس مكانها السابق . ويخيل الى أن ثمة اعتبارات أخرى الى جانب الشعور القومى دعا الى اتخاذ هذا القرار ، وفى مقدمة هذه الاعتبارات بناء

حضارة وثقافة جديدتين في بولندا لا تنقطع بهما الجذور عن الماضي القريب . ولذلك حين أتصور مسار نمو ثقافتنا منذ بداية ١٩٤٥ اعتقد أننا لم نبدأ من الصفر . لقد تلخص عملنا في اعادة استنبات البذور من نفس التربة القديمة التى مضت عليها آلاف السنين فلم يفلح النازى ولا غيره من اكتساحها أجل ، كان العمل صعبا بالفعل ، ولكننا ركزنا كل جهودنا . ونحن لم ننس فى أكثر اللحظات حرجا أن العدو لم يتمكن من تذويب ملامحنا الحضارية الاصيلة ، ولهذا لم ينل التخريب الهتلرى من امكانيات أرضنا وقدرتها على ولادة قيم جديدة فى الثقافة والحضارة جميعا ، كما لم يحل هذا التخريب عددا هائلا من أخلص الاكاديميين والفنانين والموسيقيين والكتاب من تأدية واجبهم « تحت الأرض » في نشاط المقاومة السرية . كانوا على درجة عالية من الايجابية والايمان بحيث أن ثمرات عملهم السرى جاءت ناضجة . ولعلنا نستطيع ان نقدم انتاج الشاعر **كرزيزتوف باسزينسكى** دليلا واضحا على هذا النضج .. انه وعدد كبير آخر من زملائه هم آباء الثقافة الجديدة التى تتمتع الان بخيراتها . فبعد مضى حوالى عشرين عاما تقف الآداب والفنون البولندية مع طليعة الثقافة الانسانية فى أوروبا ».

موسيقانا مثلا ، لا سبيل الى انكار عظمتها الحالية ولكننا نرى الصورة من احد جوانبها فحسب حين نكتفي بهذا القول . فلا شك أن الموسيقى البولندية قبل الحرب قد وصلت الى مرحلة عظيمة من مراحل الابداع الفنى ، لانه كان لدينا الموسيقيون الكبار الذين اغتنت وجداناتهم بحياة شعبنا وازدهرت أعمالهم بالتعرف على تراثه . ولنقل أن انجازات **تادوسز أوكلوفسكى** قد حققت نجاحا قبل الحرب وبعدها ، لانها كانت موسيقى «بولندية» اولا بغض النظر عن المصادر الاجتماعية والفكرية التى عانقت الهام هذا الموسيقار فى كلا المرحلتين . والنقطة الهامة هنا هى ان الموسيقى السيمفونية استطاعت أن تحتوى الانتاج القومى على يدى موسيقيينا الكبار . واضحت الموسيقى مادة رئيسية فى المدارس الابتدائية بل اننا حين تذكر صعاب ماقبل الحرب فى جمعية أوبرا وارسو وبخاصة أوركسترا وارسو الفيلاهار مونيك ، نذكر فى نفس الوقت اى تقدم احرزناه .

ويمكن أن يقال نفس القول على فن السينما ، فقبل الحرب لم تكن تنقصنا امكانيات الممثلين والكتاب ، ولكن صناعة الفيلم كانت فى أيدى الملاك الفرديين . وعندما أصبحت صناعة الفيلم فى حيازة الدولة ، أجريت دراسات عديدة حول امكانياتنا الحقيقية فى مختلف المجالات الصانعة للفيلم السينمائى ، وأسندت عملية الانتاج الفنى الى قيادات شابة من المخرجين . ولا شك أن عديدا من الاخطاء قد حدثت ، غير أن هذه الحقيقة لاتنفى ان ثمة انجازات حقيقية أيضا قد تمت بصورة يتزايد حجمها يوما بعد يوم ، بحيث ان الاخطاء اضحت مجرد شيء ثانوى . فالنتائج النهائية هى التى تهمنا ، وهذه النتائج تؤكد ان حيازة الدولة للانتاج السينمائى تقدمت بهذا الفن الجماهيرى العظيم .

ويكاد يكون الموقف فى المسرح قريبا من الموقف العام الذى تتخذه الدولة من الفن ، وان لم يكن فى نفس الدرجة من الوضوح الذى يتسم به الموقف من السينما . ذلك أننا حين بدأنا فى بناء مسرحنا القومى عام ١٩٤٥ كنا فى واقع الامر نبدأ من نقطة الصفر . أى أنه لم تكن لدينا تقاليد مسرحية راسخة فى أرض ثقافتنا . وهذه نقطة شديدة الاهمية فى محاولة تقييم ماحدث بالفعل فى حياتنا المسرحية منذ الحرب الى الان . من الملاحظ مثلا أننا نأخذ بنظام الريبوتوار «اعادة عرض المسرحيات التى سبق عرضها فى مواسم ماضية» فى معظم المدن البولندية التى لافكرة لديها تقريبا عن المسرح . أما العروض المسرحية الكبيرة فانها تنتقل بالتدريج الى المراكز المسرحية القليلة خارج وارسو وكراكاو وذلك بعد التنمية الخلاقة التى بذلت للمسرح البولندى خلال عشرين عاما بعد الحرب . ولعل مصدر الضعف الرئيسى فى مسرحنا القومى هو ضعف المادة الادبية الدرامية . على ان هذا الضعف لايشوب المسرح وحده ، وانما يشوب الاذاعة والتلفزيون أيضا . بالرغم من أن الراديو فى بلادنا له جذوره السابقة على الحرب . ولما كانت الاذاعة والتلفزيون من اجهزة الاعلام الجماهيرية بطبيعتها ، فقد ظهرت معهما الكثير من المشكلات التى تولدت أولا من الازدواج الوظيفي للراديو والتلفزيون فهما من الادوات الثقافية والاعلامية فى وقت واحد . كما تولدت ثانيا من «الشعبية الواسعة التى تنالها الاذاعة والتلفزيون فى جميع الاوساط وبين مختلف الفئات الاجتماعية . ولقد كان من مهامنا الاساسية توسيع رقعة المستمعين للراديو والمشاهدين للتلفزيون . وكان فى مقدمة هذه المهام أيضا تحويل الثقافة من الدائرة الضيقة للمتخصصين الى أرحب دائرة تضم العاملين . من الطبيعى وهذه هى اهدافنا أن تواجهنا المشكلات وفى مقدمتها الفروق الواضحة بين القرية والمدينة فى بولندا . واذا كنا قد حققنا بعض النجاح فى مواجهة مشكلاتنا الثقافية فان هذا لا يعود الى فضل **الاذاعة والتليفزيون** وحدهما . وانما هناك الى جانبهما المكتبات الشعبية وبيوت الثقافة وقوافل الادب والفن ونوادى الشباب والعمال والطلبة غير ماتنظمه الجهات الحكومية والحزبية من أسابيع للنشاطات الثقافية المختلفة بالطبع واجهتنا أثناء الممارسة العديد من التساؤلات التى لم تخطر لنا على بال عند تصميم الابنية المادية والفكرية لاجيالنا الجديدة : ماهى الاشكال الملائمة لتثقيف الفلاحين والتى قد لاتلائم تثقيف العمال ؟ ما هى المواد الثقافية التى ينبغى تقديمها للطلبة

والطالبات فى المرحلة الجامعية ولا يمكن تقديمها لزملائهم فى المرحلة الثانوية ؟ ما هى ثقافة الاطفال الى غير ذلك من التحديات التى واجهتنا ، وكنا نجد لبعضها حلولا عمليه ، وبعضها الاخر كان يحتاج الى دراسات نظرية واسعة تعتمد على الشكل الديموقراطى فى البحث والتقييم الموضوعيين اى اننا نشرك مختلف الاطراف المعنية فى طرح السؤال ومحاولة الجواب .

ومما يدعو الى التفاؤل حقا، أن القراءة أصبحت من أهم النشاطات الثقافية فى القرية كما هو الحال فى المدينة . وهذا مايفسر ازدهار العمل فى دور النشر والمكتبات وقاعات القراءة . على أن هذا النجاح النسبى لاينفى حاجتنا الماسة الى خلق نموذج فريد للثقافة الشعبية تقدمه بولندا الى شعبها ، ان كل من عاش هذه السنوات فى قلب شئوننا الثقافية سوف يتذكر ان شيئا لم يتم فى فراغ .

وقد انعكست هذه الظروف جميعها على ادبنا المعاصر . فالكاتب يملك فى وجدانه اداة شديدة الحساسية تلتقط كل مايطرا على المجتمع وثقافته وجماهيره من تغيرات . غير أن الفنون التشكيلية كانت أسبق من غيرها فى تسجيل التغير . ولا شك أن تاريخ بولندا مع الفن التشكيلى كان له أبعد الاثر فى تقدم هذا الفن عندنا ، وان تناقض هذا التقدم أحيانا مع مايتسم به من «غموض» . على أن هذا الغموض كان بمثابة رد الفعل لما ثورطنا فيه من جمود سواء فى الاكتفاء باطلاق الشعارات الاشتراكية او فى تقنين مبادىء الواقعية الاشتراكية، وذلك خلال السنوات الاولى التالية للحرب ، حتى أن بعض الادباء والفنانين لجأوا فى أعمالهم الى نوع من «التنازلات التوفيقية» من جانب مايحسون به لمصلحة الدولة والحزب كما تصورها الشعارات الجامدة . وكم عانى الفن التجريدى فى بلادنا حتى يشق لنفسه طريقا خاصا يحصل بموجبه على الموافقة الرسمية .

ولقد كان هذا «الطريق الخاص» الذى راحت مختلف الفنون والاداب البولندية تحاول اكتشافه مواكبا بصورة تلقائية — ولكنها عملية — لبناء عاصمتنا الثقافية الجديدة، عاصمة الثقافة المخططة وفق تاريخنا القومى وحضارتنا الراهنة فى وقت واحد ، وبحيث تستطيع أن تسهم فى البناء الاشتراكى على قاعدة متينة من تقاليد عصورنا الماضية .

ان تصور معنى ما للواقعية ، كان يشكل العمود الفقرى لكافة الاجتهادات التى بذلها ادباؤنا فى مجال الخلق الشعرى والروائى . فقد أصبح ملحا وواضحا أن «الخطة الخمسية» فى بنائنا الاقتصادى تستلزم بالضرورة أن تكون هناك خطة مشابهة موازية لها فى بنائنا الفنى ، دون أن تختلط هذه بتلك ، ويصبح الاقتصاد أدبا والادب اقتصادا .

وكان من الطبيعى أن ينشغل أدباؤنا فترة من الزمن بمرحلة «الموت» التى اجتازتها بولندا فى ظل الفاشست ، ولكن ماأسرع أن بلد الموت حياة نبضت بها انجازات الادباء فى مجتمعنا بسرعة يهنئون عليها حقا بل ان ادباءنا الشيوخ الذين قضوا زهرة اعمارهم قبل الحرب ، بدأوا يتنفسون الحياة الجديدة بعمق يبعث على الاطمئنان . ولعل أعظم الامثلة على ذلك يمكن أن نضربه بالكاتبة **ماريا دابروفسكا** التى عرفت قبل الحرب بترجماتها للاداب الاخرى ، ثم تحولت الان الى الخلق الادبى فأثمرت اعمالها الجميلة القيمة الحافلة بالوعى والذكاء والارتباط بالتراث القومى كما نجد فى «عرس القرية» و «الخريف الثالث» وهناك ادباء لم تكن لهم قيمة شعبية عالية لانهم كانوا يؤثرون الاتجاهات العديمة النفوذ لدى الجماهير ولكنهم الان مع المثابرة والتعرف الدقيق على احتياجات القارىء أصبحوا من اشهر الكتاب و الفنانين بما يتخذونه لانفسهم من منطلقات جديدة فى الادب والفن . غير أن الامال الكبيرة نضعها بطبيعة الحال فى الاجيال الجديدة المعاصرة لازمات الشعب البولندى والحضارة البولندية ، وهذه الاجيال وحدها هى التى ستضع الحلول للمشكلات والتحديات التى يطرحها الزمن كل لحظة . وهى مسئولية كبيرة يقبلها الادباء الشباب بصدور رحبة .

ان احداث خريف ١٩٥٦ كانت بلا ريب «صدمة كبيرة للادب» لمعناه ، ولدوره فى حياة المجتمع ، والشعور بأن هذا التاريخ يشكل نقطة تحول فى تلك المرحلة قد يتلاشى من ذاكرتنا ، ولكن المؤرخ لادبنا فى المستقبل لن ينسى « النفس العميق الذى فقدته فجاة وثات كتابنا و فنانينا» فى الاحساس بمسئوليتهم الاجتماعية . وسوف يسجل هذا المؤرخ أيضا ، كيف أنه من الممكن للادب أن يكون مستعدا للقاء مثل هذه الاحداث الخطيرة ، ليس الادب المعاصر وحده ، بل الكلاسيكى كذلك ، كما لاحظنا فى العروض الاولى لمسرح بولسكى فى موسم الخريف من عام ١٩٥٥ .

ومن المفيد ان نذكر حقيقة هامة هى أن أدبنا استطاع بالرغم من كل العوائق أن يعبر المسافات الى غرب اوروبا وشرقها فى عدة لغات أجنبية ترجم اليها . وهذه الحقيقة تلقى من المسئوليات على أدبنا أكثر مما تلقيه من الورود

ولا ينبغى أن يفوتنا ونحن نبنى ثقافتنا الجديدة ان نذكر شئون النشر . فأى انسان له علاقة بهذه الشئون سيلاحظ مدى الصعاب التى تقف فى طريقنا من مشكلة صناعة الورق والطبع الى الخامات اللازمة الناقصة ، واحجام المطبوعات الى غير ذلك من المشكلات الاليفة فى حياتنا

الثقافية . فنحن الى جانب مطبوعات الادب والفن مطالبون باصدار المعاجم ودوائر المعارف واعادة طبع التراث القديم ، الانسانى العام والمحلى القومى . وبالطبع فان هذه المشكلات تظهر ونجد لها الحلول فى نطاق مطالب القراء وتزايد عددهم ، فالقارىء هو الذى يخلق التحدى وهو نفسه الذى يواجهه . ومارجال الادب والنشر فى الحكومة والحزب والهيئات المختلفة الا «عوامل مساعدة» للقارىء تستجيب له وتوجهه فى آن واحد » .

ويختتم الكاتب مقاله بقوله : « ان التيارات النامية فى ثقافتنا خلال العشرين عاما الاخيرة تؤكد انها ليست مجرد امتدادات آلية لحياتنا الاجتماعية وانما هى اضافة ثرية لوجودنا الاجتماعى . كما تؤكد أننا سوف نتقدم خلال فترة قصيرة الى مستويات يحلم بها كل مواطن بولندى ، تلك المستويات التى يمكن ايجازها فى أن يكون لنا ثقل واضح فى الفكر الانسانى ، وأن يكون لنا وزن يعتد به كلما قالت آدابنا وفنوننا كلمتها فى هموم البشرية المعاصرة »

وحول علاقات التبادل الثقافى مع العالم الثالث كتب **جان هالبرن** ، يقول : «انها لحقيقة يفخر بها التاريخ البولندى بانه خلال المائة والخمسين عاما من عمرنا القومى تمكن علماؤنا ومفكرونا من ان يبلغوا درجة عالية من الانتشار فى العالم . ولقد كان من الطبيعى ان يلقى العالم الثالث من انتباهنا فى هذا الصدد الشىء الكثير فتمتد اليه خبرات علمائنا من الجغرافيين وعلماء الاجناس واللغويين وعلماء الاجتماع . ومن هؤلاء العلماء من اكتسب شهرة عالية فى مجالات بحثه . فهناك **برونسلاو** الباحث الجغرافى فى طبيعة القارة الاسيوية خلال القرن التاسع عشر ، وهناك العالم الجيولوجى **اجناس** وقد تخصص فى الطبقات المعدنية بشيلى ، وهناك **دويزو فولسكى** الباحث فى طبيعة الاراضى وصاحب الرحلات الطويلة العديدة الى بقاع نائية من العالم ، وهناك **تشيكانوفسكى** عالم الاجناس المتخصص فى اواسط أفريقيا ، واشهرهم جميعا **برونسلاو مالينوفسكى** الاب الشرعى للانثروبولوجيا الاجتماعية المعاصرة الذى درس الحياة والعادات فى جزر المحيط الهادى .. أولئك جميعا ليسوا الا نماذج قليلة من أمثلة الاهتمام العالمى الواسع من جانب بولندا وعلمائها فيما قبل الحرب العالمية الثانية . فقد اصبحت اعمالهم وبحوثهم وانجازاتهم مجالا خصبا للدارسين فى مختلف جامعات العالم الغربى والشرقى على السواء » .

ويمضى الكاتب قائلا « .. وفى هذا المقال أود أن أعطى فكرة موجزة عن علاقاتنا الثقافية بآسيا وافريقيا ، ويمكننا أن نلخص المجالات التى اسهمت بولندا فيها على النحو التالى :

- الدراسات الشرقية (من لغويات وثقافة الشرق القديم)
- دراسات فى التخطيط الاقتصادى لشعوب العالم الثالث
- الدراسات المعاصرة لافريقيا

ولقد تعطل الدارسون البولنديون فى الشرقيات عن العمل خلال الحرب واحتلال النازى

وفى عام ١٩٤٦ أعاد معهد الدراسات الشرقية اصدار الكتاب السنوى عن المجتمع الشرقى ، وفى عام ١٩٤٨ بدات «المجلة الشرقية» فى الظهور ثم انتظمت فى الصدور كل ثلاثة اشهر منذ عام ١٩٥٣ وفى نفس العام اعلنت الاكاديمية البولندية للعلوم تأسيس المعهد الشرقى برئاسة البروفيسير **زاجاكوفسكى** حيث تخصص فى تحقيق المخطوطات الشرقية والتاريخ (والان يعد كتالوج للمخطوطات الشرقية) . وفى السنوات الاولى للحرب كانت المواد الشرقية تدرس فى جامعتى وارسو وكراكو (وتدعى الاخيرة جاجيلونيان) وكان التركيز على الدراسات الاجتماعية والتاريخية غالبا . وبعد الحرب اتسعت الدراسات الشرقية فشملت رقعة كبيرة من الثقافات واللغات . ولقد طرأت على كافة هذه الدراسات تغيرات جوهرية بعد الحرب ، مع التغيرات التى طرأت على المجتمع البولندى سياسيا واقتصاديا . وكان من الطبيعى أن تنجذب بولندا الشعبية الى حركات التحرر الوطنى فى آسيا وافريقيا ، ومن ثم قامت علاقات قوية بين علماء الشرقيات فى كل من بولندا وشعوب القارتين العظيميتين .

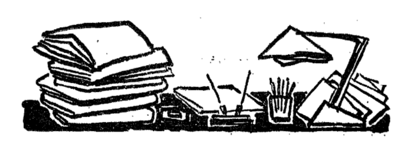
ففى كرسى اللغات الشرقية القديمة بجامعة وارسو (البروفيسير رودولف رانوسيك) قام الدارسون بأبحاثهم عن «بين النهرين والاناضول والاكاديميين والحيثيين » . كذلك اخذ البروفيسير **ميخالوفسكى** على عاتقه بالتعاون مع هيئة التدريس بجامعة وارسو ومركز دراسات البحر المتوسط بالقاهرة دراسة الشرق الادنى وفارس وبالميرا والاسكندرية والدير البحرى ودنقلة . وكذلك كرسى الدراسات السامية يجرى بحوثه عن البحر الميت . وهناك الابحاث الاكاديمية عن اللغات الاثيوبية ومنها اللغة الامهرية . وتخصص فى الدراسات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية كشعبى ايران وتركيا البروفيسور جان ريشمان

وتدور أبحاث المركز العربى حول الدراسات الادبية والفلسفة الاسلامية (جوزيف بيلافسكى) وتاريخ العصور الوسيطة العربية (ليفسكى) .

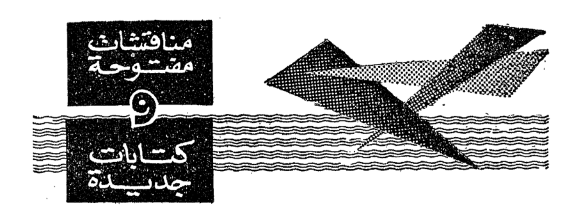
ويبذل الاقتصاديون البولنديون مالديهم من امكانيات وجهود لدراسة الوضع الحقيقى لشعوب الدول النامية وكانت أبحاثهم تدور حول آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية فى اطار القواعد التى يمكن اتباعها فى خريطة الاقتصاد المخطط وبرامج التنمية ، وكذلك فى اطار التغيرات الفكرية الطارئة على الادب الاقتصادى فى هذه البلاد . ونحن نذكر الجهود التى بذلها استاذان قديمان نسبيا هما **اوسكار لانج (١) وميشال كاليكى** فى تحليل بعض المشكلات التى واجهت التطور الاقتصادى الهندى . لقد اختبر اوسكار لانج الهياكل الاقتصادية القائمة فى الهند والامكانيات الفعلية لاقامة اقتصاد موجه لخير قطاعات عريضة من الشعب الهندى ، ولعل اوسكار لانج من رواد القائلين باستحالة اتباع الطريق التقليدى للتطور الصناعى فى الغرب ، عن المجتمعات النامية التى تحررت حديثا فى آسيا وافريقيا من ربقة الاستعمار الاجنبى . وهو ايضا الذى أعد مذكرة تاريخية للحكومة الهندية من اجل الخطة الخمسية الثانية أما الاستاذ كاليكى فهو الذى قدم المذكرة الخاصة بالخطة الخمسية الثالثة . وتبلورت ملاحظاته آنذاك فى أن الاقتصاد «المختلط» القائم فى الهند عمليا من شأنه أن يسيىء الى « النظام الحديث» التى تأخذ به «نظرية البرمجة الاقتصادية» على أنه لم يناد بتوحيد الابنية الاقتصادية فى الوقت الحاضر ، وانما اقترح قيام اقتصاد اشتراكى واضح فى بعض القطاعات من الصناعة جنبا الى جنب الاقتصاد « المختلط » ولكن بشكل متمايز يخلق نوعا من التعايش السلمى بين النظامين داخل القطر الواحد بحيث أن نتيجة التنافس المشروع بينهما هى التى تحسم نهائيا فكرة الاخذ بهذا أو بذاك . على أن يتم هذا التعايش ضمن خطة طويلة الامد .

وفى نفس الوقت تقريبا قام فريق من العلماء بدراسة الوضع الاقتصادى فى **افريقيا** ، وانتهت تقاريرهم الى نتائج ايجابية اخذت ببعضها البلدان المعنية ومن بينها **الجزائر** لقد مكث البروفيسير **بوبرفسكى** فى الجزائر فترة **طويلة** درس خلالها امكانيات التيسير الذاتى والقطاعات الاقتصادية الاخرى — وكذلك الامر فى دراساتنا للاوضاع فى اوغندا والعراق حيث تتنوع المشكلات الخاصة بقطاع الدولة فى الاقتصاد الوطنى ، والتجميع الزراعى . وقد انشأ عام ١٩٦٢ مركز الدراسات الاقتصادية للاقطار النامية ان علاقات المعهد بالمراكز العلمية فى بقية الاقطار والمنظمات الدولية الاخرى تتطور يوما بعد يوم . ولقد زار المعهد عدد من الاقتصاديين من آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ولقد اكتسب زمالة المعهد أساتذة من ايطاليا ومصر والهند ، وعقد ندوات تحت رعاية الامم المتحدة ومنظماتها المختلفة . لهذا كان من اهم الانجازات التى حققها علماؤنا لشعوب العالم الثالث لافكار النظرية التى حصلوا عليها من تقييم التجارب الاقتصادية والاجتماعية فى **غانا وغينيا والجزائر وتونس والمغرب ونيجيريا والكونغو** وذلك لاننا فى عام ١٩٦٢ أنشأنا مركزا للدراسات الاقتصادية فى جامعة وارسو حيث يدرس فيها الطلبة اللغات العربية والقبطية والامهرية والسواحلية .

ان هذا التقدم فى اهتمام بولندا بدراسة احوال العالم الثالث لم يتحقق الا باستجابة شعوب هذا الجزء الهام من العالم لانجازات علمائنا فى الفكر والممارسة . على أننا نأمل أن يحقق هذا التقدم فى السنوات القليلة المقبلة مالم نستطع أن نحققه حتى الان .



(١) اوسكار لانج ، هو العالم الاقتصادى الاشتراكى ، وقد نشرت له الطليعة دراسة من « النماذج الثلاث فى التطور الاقتصادى» كما نشرت له دار المعارف كتابه فى « الاقتصاد السياسى » .



كتابات جديدة

أضواء على أزمة النقل

عطية الصيرفى

تنشر الطليعة هذا المقال للعامل عطية الصيرفى ، وتحيي مبادرات كاتب المقال لمعالجة مشاكل واقعية تمس حياة عدد واسع من المواطنين ، ودأبه لموالاة الطليعة بعدد من الدراسات الجادة التي تبدو لكل من يقرأها مدى الجهد الواضح الذي يبذله الكاتب ويقدم فيه مادة حية ويقترح حلولا ايجابية .

تعانى بلادنا هذه الايام أزمة فى خدمات النقل بالسيارات سواء فى نقل الركاب أو البضائع وذلك نتيجة للزيادة المطردة فى عدد السكان التى صاحبها المزيد من الخدمات التعليمية والصحية والتموينية بفضل التغييرات الاجتماعية والثورية التى تمت فى بلادنا . كما أن سرعة التنمية وزيادة التصنيع لم يصاحبها تنظيم مدروس لخدمات النقل البرى التى تغطى قرابة ٦٠٪ من مجموع خدمات النقل . والتنظيم الذى اعنيه هنا هو التنظيم المركزى الذى يشرف على كل قطاعات النقل بالسيارات (الملاكى والتاكسي والاتوبيس والنقل) التابعة للقطاعين العام والخاص على السواء ، حتى يستطيع دفع هذه القطاعات فى اتجاه خدمة التصنيع والمجتمع وحتى لا يصبح مجال النقل بالسيارات (الملاكى والتاكسى ففى الماضى مثلا ، استمرت

صناعة الزجاج تستورد الرمال اللازمة لها من شرق أوربا وجنوبها رغم وجود الرمال الصالحة البديلة لها فى سيناء . ولكن خدمات النقل كانت تمثل عقبة فى سبيل ذلك كما جاء فى تقرير لجنة الصناعات عام ١٩٤٨ .

وأعنى ايضا أن يكون هذا التنظيم المركزى ديمقراطيا بحيث تساهم أجهزة الحكم المحلى والتنظيمات الشعبية والعمالية فى توجيهه ورسم سياسته ، حتى لا تلتهم بعض المحافظات الكبرى كالقاهرة والاسكندرية نصيب المحافظات الاخرى من هذه الخدمات . فقد كانت سيارات الاتوبيس المخصصة لخدمة سكان محافظات الوجه القبلى كله عندما كان عددهم ٩٫٢٢٩٫٠٠٠ نسمة هى ٥٥٤ سيارة وكانت السيارات المخصصة لخدمة سكان محافظات الوجه البحرى كله عندما كان عددهم ١٠٫٨٣٨٫٠٠٠ نسمة هى ١٠٣٥ سيارة ، بينما كانت تملك مدينة القاهرة وحدها اكثر من الفى سيارة عدا خدمات الترام والمترو — ومساهمة هذه الاجهزة الشعبية تحول دون أن تستحوذ بعض الطبقات الاجتماعية على نصيب باهظ من هذه الخدمات ، كما استحوذت من قبل الراسمالية المصرية المستغلة (التى احتكرت وحدها فى عهد النظام الملكى البغيض حق استعمال طريق مصر اسكندرية الصحراوى ، حتى تدخل مؤتمر عمال النقل الذى تكون عام ١٩٥١ وأصدر قرارا يتضمن المطالبة بمرور سيارات الشعب عبر هذا الطريق .. والتى اختطفت اكثر من نصف خدمات النقل رغم ضآلة حجمها العددى) ففى عام ١٩٣٥ كانت تملك وحدها ١٧٩٠٦ سيارة ملاكى خاصة بينما كان مجموع الشعب يملك ٧٥١٠ سيارة أجرة واتوبيس ونقل ، وفى عام ١٩٤٦ كانت تملك ٢٥١٦٣ سيارة بينما كان الشعب يملك ١٥٢٥٢ سيارة وفى عام ١٩٥٠ كانت تملك ٤٩٩٢٦ بينما كان الشعب يملك ٢٧٨٩٣ سيارة . وفى عام ١٩٥٣ كانت تملك ٥٧٥١٧ سيارة بينما كان الشعب يملك ٣١٣٧٥ سيارة وفى عام ١٩٥٨ كانت تملك ٥٩٣٦٠ سيارة بينما كان الشعب كله يملك ٢٧١٧٥ سيارة ، وفى عام ١٩٦٠ وصل عدد السيارات الملاكى الخاصة الى اكثر من ٦٠ الف سيارة . ورغم ضخامة عدد هذه السيارات فقد تضمنت الخطة الخمسية الاولى — نتيجة لعدم مثل هذا التنظيم المركزى الديمقراطى — اربعة ملايين جنيه اغلبها عملة صعبة لشراء سيارات لهذا الغرض . علما بأن الخطة لم تتضمن غير خمسة ملايين جنيه لشراء سيارات اتوبيس لتدعيم مرفق النقل بالاقاليم .

اتساع الازمة

وبالاضافة الى ما سبق ، هناك بعض العوامل الاخرى التى ساعدت على اتساع ازمة النقل بالسيارات ، منها نظرية عدم ازدواج الخطوط الحديدية وخاصة الخط الرئيسى بين القاهرة واسوان اعتمادا على عمليات التحكم المركزى فى تسيير القطارات ولقد اكدت الايام خطأ هذه النظرية بعد حركة التصنيع الضخمة التى غطت محافظات مصر العليا وخاصة أسوان .

ومن هذه العوامل ايضا الغاء خطوط سكك حديد الدلتا الضيقة التى كانت تخدم حركة نقل البضائع والركاب فى غالبية محافظات الوجه البحرى بأجر رخيص ومناسب . كذلك فان الجمود الذى سيطر على قوانين المرور قد ساعد على وجود هذه الازمة حيث مازالت هذه القوانين تخالف وتمنع استعمال السيارات اللورى فى نقل الركاب حتى ولو كانت فارغة بلا حمولة علما بأن الكثير من البلاد الصناعية المتطورة تستعمل هذه السيارات فى عمليات نقل الركاب وعلما بأن الواقع العملى يؤكد أن السيارات اللورى تقوم بنقل الركاب بدليل ان الالاف من عمال الزراعة والتراحيل لا ينتقلون الا بواسطة هذه السيارات بعد استخراج تراخيص خاصة من ادارات المرور المختلفة .. وحيث ما زالت تفرض ايضا القيود الروتينية على زيادة العدد المقرر للسيارات الاجره رغم ان هذه القيود قد وضعت فى الماضى خدمة لشركات الاتوبيس الراسمالية حماية لها من منافسة السيارات الاجرة والنقل التى تملكها الراسمالية الصغيرة حتى لقد تدخل مؤتمر عمال النقل عام ١٩٥١ مطالبا بعدم تخفيض مقرر السياره الاجرة من سبعة ركاب الى خمسة ، وذلك خدمة للسائقين وأصحاب السيارات الصغار . وفى الوقت نفسه فان هذه القوانين قد أعطت الفرصة لاصحاب شركات الاتوبيس امثال كافورى ومرجان ومحمد سالم بشحن السيارات وتحميلها باكثر من ضعف عددها المقرر حتى استغلت هذه الشركات هذه الفرصة وقللت من عدد السيارات بشكل ملحوظ حتى تستطيع ان تجنى المزيد من الارباح بدون تكليف نفسها شراء وتصنيع المزيد من السيارات خدمة لجمهور الركاب . ففى عام ١٩٥٢ كان فى مصر ٤٧٥٥ سيارة اتوبيس وفى عام ١٩٥٣ كان فيها ٤٨٩٤ سيارة وفى عام ١٩٥٥ وصل هذا العدد الى ٥٥٥٧ وفى عام ١٩٥٨ هبط عدد هذه السيارات الى ٣٦٠٧ سيارة — وبجانب هذا كله فان الخطة الخمسية الاولى تضمنت تخصيص مائة مليون جنيه لمرفق السكة الحديد بينما خصصت لمجال النقل بالسيارات والترام والمترو والترولى باص قرابة ٣١ مليونا من الجنيهات رغم أن الاحصائيات تؤكد أن حركة نقل البضائع والركاب بواسطة السيارات تمثل اكثر من ٦٠ ٪ من مجموع حركة

النقل العام. ورغم ان المهتمين بالشئون الاقتصادية يؤكدون ان هذا القطاع له المستقبل فى أعمال النقل فى بلادنا .

مظاهر الازمة

ورغم العمل الجاد للقضاء على هذه الازمة فمازالت باقية لدرجة أن العديد من السيارات التابعة لشركات الاتوبيس فى الاقاليم بدأت تعمل الان فى خطوط القاهرة تخفيفا لازمة النقل فى العاصمة علما بأن غالبية القرى والبنادر فى الريف تعانى من نفس الازمة يشهد بذلك ما نشرته جريدة الجمهورية فى ١٢/٧/١٩٦٤ من هجوم على ادارة مؤسسة النقل الداخلى لعدم تعويضها جماهير الفلاحين ما فقدوه من خدمات مرفق سكك حديد الدلتا. ونتيجة هذه الازمة فقد مارس اصحاب السيارات استغلالا بشعا ضد الشعب حيث فرضوا اجورا باهظة على جماهير الركاب حتى ارتفعت الاجرة للراكب الواحد من ميت غمر الى القاهرة ٨٠ قرشا بدلا من ٢٥ قرشا ومن شبين الى القاهرة ٥٠ قرشا بدلا من ٢٠ قرشا وذلك فى يومى الخميس والجمعة وأيام المواسم والاعياد.

أزمة عكسية

وفى مجال نقل البضائع بالسيارات فقد شهدت بلادنا أزمة صعبة كان نتيجتها ارتفاع اثمان النقل والمشالات ارتفاعا كبيرا ترتب عليه زيادة الاسعار عموما، كما ترتب عليها ايضا هجرة واسعة النطاق لرأس المال الخاص صوب هذا المجال طمعا فى أرباحه المتزايدة . حتى لقد تواجدت سوق سوداء للسيارات النقل حيث قد وصل سعر بعض هذه السيارات الى ١٢ الف جنيه . وكان خير شاهد على هذه الازمة ما صرح به رئيس مؤسسة التجارة الداخلية عام ١٩٦٣ بقوله «ان المشكلة الرئيسية فى عمليات التسويق هى مشكلة النقل » .

كما أن مشكلة تكدس البضائع فى ميناء الاسكندرية كانت علامة على هذه الازمة التى قد انتهت منذ وقت قريب بفضل تدخل القطاع العام فى مجال نقل البضائع بالسيارات . هذا القطاع التى خصصت له الخطة الاولى عشرة ملايين جنيه لشراء سيارات نقل ومقطورات — وكان هذا التدخل المناسب عاملا فى وجود أزمة عكسية فى هذا القطاع الرأسمالى وقد بدت الازمة العكسية فى قلة المشالات حيث سيطر القطاع العام على أهم مصادر العمل فى هذه الناحية ولهذا فقد انخفضت اسعار النقل وظهرت حالة من البطالة الجزئية لغالبية السيارات النقل التى وصل عددها سنة ١٩٦٢ قرابة ١٨ الف سيارة .

موقف نقابة عمال النقل البرى

رغم غياب التنظيم الادارى الواحد لكافة قطاعات النقل فقد تواجد تنظيم شعبى ممثلا فى النقابة العامة لعمال النقل البرى التى تضم فى عضويتها كل عمال النقل البرى بما فى ذلك عمال العربات الحنطور والكارو . ولكن هذا التنظيم الشعبى كان ايجابى الشكل سلبى المحتوى حيث تعيش غالبية قيادته فى حالة مستمرة من « البيات الشتوى » لدرجة انها لم تتمثل بما جاء فى الميثاق بشأن دور التنظيمات الشعبية حيث قال « ان سلطة المجالس الشعبية المنتخبة يجب أن تتأكد باستمرار فوق سلطة اجهزة الدولة التنفيذية، فذلك هو الوضع الطبيعى الذى ينظم سيادة الشعب ثم هو الكفيل بأن يظل الشعب دائما قائد العمل الوطنى كما انه الضمان الذى يحمى قوة الاندفاع الثورى من أن تتجمد فى تعقيدات الاجهزة الادارية او التنفيذية بفعل الاهمال او الانحراف »وحيث قال ايضا « ان التنظيمات الشعبية — وخصوصا التنظيمات التعاونية والنقابية — تستطيع أن تقوم بدور مؤثر وفعال فى التمكين للديمقراطية السليمة ،

ان هذه التنظيمات لابد أن تكون قوى متقدمة فى ميادين العمل الوطنى الديمقراطى » ولدرجة عدم تفتح وجدانها لفهم ما جاء بالميثاق بشأن علاقة الخدمات بالانتاج حيث قال « ان هذا التنظيم مطالب بأن يدرك ان غاية الانتاج هى توسيع نطاق الخدمات ، وان الخدمات بدورها قوة دافعة لعجلات الانتاج . وان الصلة بين الانتاج والخدمات وسرعتها وسهولة جريانها تصنع دورة دموية صحية لحياة الشعب ولحياة كل انسان فرد فيه » .

وكان ذلك كله بسبب تسرب بعض عناصر الارستقراطية العمالية الى قمة هذا التنظيم النقابى — هذه العناصر التى قد تورط بعضها فى اتهامات مشينة والتى تسيطر عليها الجهالة والامية النقابية لدرجة رسوب بعض هذه العناصر فى امتحانات دراسة معهد الأمن الصناعى التابع لمؤسسة الثقافة العمالية رغم تفرغهم لهذا الغرض،ورغم أن القطاع العام هو الذى تكبد وحده مصاريف التفرغ والدراسة .. وحتى نلتزم الموضوعية الخالصة فى هذه المناقشة لابد من عرض بعض القضايا المتصلة بهذا الموضوع على ضوء موقف النقابة من كل منها .

خطورة تزايد السيارات الملاكى

ان زيادة السيارات الملاكى على النحو الذى ذكرته من قبل تمثل خطورة وعبئا على كاهل الاقتصاد القومى بأسره حيث تستهلك هذه السيارات الكثير من البنزين الذى كان من الممكن تصدير بعضه الى الخارج للحصول على بعض احتياجاتنا من العملات الصعبة . كما أن هذا القطاع يلتهم جزءا غير قليل من الاموال المخصصة لمجال النقل وذلك نظير شراء سيارات وقطع غيار ،يزيد على ذلك ان هذه الالاف من السيارات تتسبب فى الاستهلاك

الشديد للطرق وخاصة طرق الدرجة الاولى (المرصوفة) وقد كان واجب النقابة العامة التدخل لوقف هذه الزيادة خدمة لحل أزمة النقل عن طريق المطالبة بالاتى :

● فرض ضريبة استهلاك بالنسبة لهذه السيارات وخاصة أن اثمان البنزين في مصر تعتبر رخيصة جدا كما يؤكد ذلك الاقتصادى الدانيمركى الذى زار مصر مؤخرا .

● فرض ضريبة ثانية نظير استهلاك الطرق .

● فرض ضريبة ثالثة تحتسب على أساس مقاعد السيارة .

اقطاع المواقف

نتيجة أزمة النقل ارتفعت أجور النقل بالسيارات الاجرة كما قلت من قبل . وتحولت مواقف السيارات الى أبعديات على رأس كل منها اقطاعى يفرض الاتاوة على سائقى وأصحاب السيارات .. حتى لقد وصلت الاتاوة اليومية التى كان يتقاضاها واحد منهم كان يهيمن على مواقف السيارات الاجرة بالقاهرة اكثر من ٣٠٠ جنيه يوميا . ولقد ظل هذا الوضع الشاذ سائدا حتى أصدر محافظ القاهرة قراره الثورى بالقضاء على هذه الابعديات على أثر الاعتداء الذى وقع على بعض ضباط البوليس بواسطة أعوان هذا الشخص — وقد كان بديهيا أن يتدخل التنظيم النقابى لعمال النقل مطالبا كما يرى النقابى القديم محمدكامل العقيلي رئيس نقابة التاكسي بالقاهرة تشغيل السيارات الاجرة التى تعمل فى الخطوط الطوالى من خلال شركات الاتوبيس تطبيقا لمبدأ رقابة القطاع العام على القطاع الخاص على أن تودع الاتاوة (القومسيون) التى تدفع نظير عملية التشغيل فى خزينة الدولة او فى صناديق الزمالة الاجتماعية للعمال وعلى أن يتم وضع تعريفة رسمية للاجور يلتزم بها أصحاب السيارات وذلك حتى يتم تنظيم هذا القطاع فى جمعيات تعاونية تضم العمال وأصحاب السيارات على السواء .

لافتات تعاونية

فى أول سبتمبر عام ١٩٦٤ نشرت مجلة المنصورة مقالا بعنوان « هل تسلل رأس المال الى التعاون الانتاجى » وجاء فيه أن الجمعيات التعاونية للسيارات النقل هى عبارة عن لافتات تعاونية على شركات رأسمالية نتيجة سيطرة كبار أصحاب السيارات على قيادة هذه الجمعيات وابعاد العمال من عضويتها ، ولهذا السبب نفسه فقد انحرف اغلب هذه الجمعيات وصدرت قرارات بحل عدد منها مثل جمعيتى محافظة الشرقية والدقهلية — ولقد كان منتظرا ان تعمل النقابة العامة على تدعيم هذه الجمعيات التى كان يجب أن تعتبر نقلة تقدمية فى تطور الملكية فى هذا القطاع الرأسمالى حيث كان من الممكن تحويل ملكية قرابة ٢٠ الف سيارة نقل الى ملكية تعاونية وشبه اشتراكية . وبالتالى كان من الممكن ان تصبح هذه الجمعيات أجهزة ثورية تساهم فى القضاء على أزمة النقل وذلك باشتراك العمال فى قيادة هذه التنظيمات خاصة وان قوانين التعاون الانتاجى قد نصت على مشاركة العمال وأصحاب الاعمال فى عضوية هذه الجمعيات وذلك على أساس ديمقراطى بحيث يتساوى عند التصويت وفى عملية الانتخاب والترشيح صاحب السهم وصاحب الالف سهم . ومن المؤسف ان النقابة لم تلتفت الى هذا الموضوع الهام بعكس اللجنة النقابية لعمال النقل البرى بمدينة زفتى فقد كافحت فى سبيل الوصول الى قيادة الجمعية التعاونية للنقل بمحافظة الغربية حتى استطاعت الحصول على عضوية لجنة الاشراف على مكتب التشغيل التابع لهذه الجمعية بمدينة زفتى بواسطة رئيسها السائق **زكى العزب** الذى استطاع كشف عدد من الاخطاء والانحرافات فى هذه الجمعية .

عمر السيارة

يؤكد النقابى **عبدالحليم عتمان** عضو المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية والسائق بشركة اتوبيس المنوفية فى كل مناقشة حول الانتاج بأنه من الخطأ تحديد عمر السيارة .. وهذا الراى يؤيده الواقع . ففى مجال النقل توجد سيارات قديمة وصل عمر بعضها الى ثلاثين سنة ، وما زالت تعمل بشكل جيد . كما أن غالبية سيارات النقل والاتوبيس التى كانت تعمل حتى سنة ١٩٥٢ كانت مشتراة من مخلفات الجيش البريطانى . ولهذا كنا نرجو أن تتقدم القيادة العمالية فى هذا المجال الى مؤسسات النقل البرى لتطالبها بضرورة الاستفادة من السيارات القديمة الملقاة فى مقابر السيارات واعادتها الى العمل والحياة بعد تجديد هياكلها حتى يزداد عدد السيارات التى يمكن ان تخفف من أزمة النقل فى مصر .

مشاكل العاملين

ان مجال النقل مشحون بعدد من العلاقات الاجتماعية المختلفة هذه العلاقات التى تحدد نوعية المشاكل . وفى تقديرى ان القيادات النقابية لم تعمل بشكل جاد من أجل تطوير هذه العلاقات . ولذلك تواجد العديد من المشاكل الجماعية والفردية على السواء بلا حل . تشهد بذلك العديد من القضايا بالمحاكم . ومن أهم المشاكل المرتبطة بموضوع المناقشة هى مشكلة الاجور التشجيعية أو ربط الاجور بالانتاج ، التى يجب أن

تسود مجال النقل ، ثم مشكلة هجرة العمال الفنيين (العمال الميكانيكية والكهربائية والسمكرية والحدادين) من مهنهم الاصلية عن طريق الحصول على رخص لقيادة السيارات جريا وراء الاجر الافضل الذى يتقاضاه السائق. وذلك بسبب عدم حصولهم على الدرجات المالية المناسبة وعدم حصولهم على الاجور التشجيعية التى تتوافق مع حجم العمل الذى يقومون به . ولهذا فمطلوب من القيادات العمالية لعمال النقل البرى ان ترتبط واقعا وفكرا بالجماهير العاملة .



أفلام الحرب ..

كتب الناقد **هاشم النحاس** ، عن افلام الحرب يقـول :

تحتل افلام الحرب نسبة كبيرة مما يرد الينا من الافلام الاجنبية سواء ما يمثل منها الكتلة الغربية او الكتلة الشرقية . وفيلم الحرب لا يمكن ان يكون تسلية مجردة . وان كان فيلم ((**الاعياد الجميلة**)) اخراج رينيه كلير من امتع افلام الحرب تسلية فلم تنقصه وجهة النظر الواعية التى حملتها سخرياته اللاذعة من الحرب . والسبب فى ان فيلم الحرب لا يمكن ان يكون مجرد تسلية انه يتناول قوى سياسية متعارضة وصل الصراع بينها الى قمته فارتدى الملابس الحربية ، واى عرض سينمائى لهذا الصراع الحربى شكلا ، السياسى مضمونا ، لا يمكن بالطبع ان يخلو من وجهة نظر سياسية .

وان كانت بعض اهداف ((افلام الحرب)) السياسية واضحة فأغلبها غير واضح. وفى الحالة الثانية يصل عدم الوضوح احيانا الى درجة التضليل ، كأن يزعم الفيلم انه ضد النازية بينما هو فى الواقع يدعم افكارها. وقد تلقت القاهرة مع قدوم العام الجديد فيلمين تتمثل فيهما الحالتين . الاول بريطانى يمجد فى صراحة تامة احد جنود الاستعمار ويشوه تاريخنا بكل بساطة الواثق مما يقدمه من معلومات . وكان الفيلم يحمل اسم بطل احداثه ((**غوردون**)) ثم تغير الاسم ((لاسباب سياسية)) الى ((**الخرطوم**)) . ورفضت الرقابة الجديدة عرضه .

اما الفيلم الثانى فقد مر من بين طرفى مقص الرقابة دون ان يمس ، وعرض على جمهور القاهرة ، وهو فيلم ((**معركة النهاية**)) .

((ومعركة النهاية)) فيلم امريكى . والافلام فى امريكا سلعة تجارية تنتجها الشركات من اجل الربح ، الامر الذى يفسر ميل هذه الشركات الى التوسع فى افلام الحرب التى تعتمد فيها على اثارة غرائز فطرية عامة تجذب بها اكبر عدد ممكن لشباك التذاكر . ويمثل هذا الهدف التجارى احد البعدين الاساسيين اللذين يحددان مواصفات الفيلم الامريكى عامة. والبعد الثانى تمثله السياسة الامريكية نفسها التى فرضتها بالقوة لجنة النشاط غير الامريكى منذ ان شنت على هوليود غاراتها عام ١٩٤٧ واعلنت صراحة ان هدفها فرض رقابة سياسية على الافلام . ومن ثم لم يعد الفيلم سلعة تجارية فحسب ، بل هو فى نفس الوقت معبرا عن ايدولوجية معينة .

وتتخذ افلام الحرب الامريكية عدة طرق لتدعيم ايديولوجيتها،اقلها خطورة فى نظرى ما يصور قوة امريكا الحربية الساحقة مثل افلام **الحياة القاتلة** الذى يصور نجاح فرق المتطوعين الامريكيين فى نسف سفن الالمان الحربية ، و **شياطين البحارة** الذى يحاول ان يقنع المشاهد بجبروت البحرية الامريكية وبطشها ، و **فخر البحرية** الذى يبرز القوة الهرقلية المبذولة لتموين الجنود بكل ما يحتاجون اليه حتى باللبان الامريكى . اذ ان هناك

من الافلام ماهو اكثر خطورة من ذلك وهو مايصور الحرب والانضمام الى القوات المسلحة الامريكية كلون من الوان المتعة الرياضية المرحة المليئة بالفكاهة والرقص بالاضافة الى وجود الحسناوات المنتظرات للحب والمغامرة العاطفية، كما نرى فى فيلم **اتبع الاسطول** ونرى فى فيلم **فى المدينة** مغامرات ثلاث بحارة مع حسناوات ثلاث . اما فيلم **سحر الربيع** فيحكى قصة ثلاث جنود يلتقون بعد مرور عشر سنوات على الحرب فيتحسرون على ايامها وعلى الحياة العسكرية ويفضلونها على الحياة المدنية الرتيبة . وهكذا لا تكتفى مثل هذه الافلام بابراز الحرب فى صورة مضللة تحاول ان تغرى بها الشباب ، وانما تتخطى ذلك الى اتهام حياة السلام بالرتابة والملل !! .. وطبيعى ان يبدو السلام مملا لمن امتهن الحرب وأخذ على عاتقه نشر الموت والدمار . ولكنه ليس كذلك لمن وهب نفسه لبناء الحياة فى سلام .

ويلجأ الفيلم الامريكى فى اعداد هذا النموذج الشاذ من الانسان المغامر المحب للحرب الى بث ما يدعم اتجاهاته المنحرفة من افكار كأن يؤكد مسئولية النظام الاجتماعى نفسه عن خلق دوافع الجريمة مما ينشأ عنه الشعور بأن الفرد لا مكان له فى مجتمع الغابة الا باتخاذ اساليبها فى الحياة ، بعد أن قدر عليه ان يبقى وحيدا كحيوان متوحش فى غابة . ويقدم لنا فيلم **اللهب الابيض** نموذج لقانون الغابة ويعلن عنه كواحد من **سبل الحياة** . وهكذا يؤدى بنا الفيلم الامريكى الى طريق مسدود لا سبيل فيه لاعلاء غريزة القتل الا بخضوعها للسلطة المطلقة التى تنظمها لخدمة الحرب . ومن ثم نرى جريجورى بيك فى فيلم **الساعة الثانية عشر** يهيىء رجاله لتوقع الموت ويطالبهم بأن يضعوا نصب أعينهم تحقيق اكبر قدر ممكن من التخريب قبل أن يموتوا . وهكذا يطبق بطل هذا الفيلم ورجاله الدرس المأخوذ عن فيلم **اللهب الابيض** وغيره من أفلام قطاع الطرق ، وهو ان الانسان ليس أمامه الا أن يكون قاتلا أو مقتولا . غير أن القاتل المجنون فى أفلام الجريمة أصبح بطلا من أصحاب الرسالة فى أفلام الحرية ، وتحول جنونه الى وطنية .

وليس من الغريب بعد ذلك ان تنتج شركة فوكس بعد عامين من انتاجها للفيلم السابق فيلم **ثعلب الصحراء** تعقد فيه البطولة لاحد كبار ضباط النازية الفوهرر روميل . ويصبح أحد قواد هتلر بطلا لفيلم أمريكى . وللتضليل يسخر الفيلم من هتلر،غير أن سلوك الفوهرر الالمانى يدعم النظرية النازية القائلة بأن غريزة القتل فطرية فى الطبيعة البشرية ، ولا يمكن التحكم فيها الا بسلطة الطبقة الممتازة. ويقدم لنا الفيلم **روميل** وقد تحلى بالبسالة الحربية وكل فضائل أسرة الطبقة المتوسطة ، فهو يملك بيتا جميلا ، وهناك مشاهد تبين حبه لزوجته وعبادته لابنه ، مما يخلق جوا من التعاطف مع روميل وأصدقائه الذين لم يتورعوا عن قتل ملايين البشر .

وقد يسمح الفيلم الامريكى بمناقشات ديموقراطية عن الاخوة وحقوق الانسان كما حدث فى فيلم **الخوذة الفولاذية** حتى أننا نرى الاسير الكورى يهاجم التفرقة العنصرية فى أمريكا. ولكن المناقشات لا تقترب أبدا من الكشف عن سبب الحرب أو أغراضها . وانما تركز افلام هوليود على خضوع الفرد لغريزة القتل وصراعه للتغلب على خوفه . ويقدم لنا فيلم **وسام الشجاعة الاحمر** مثالا على ذلك قصة شاب خائف يذهب الى المعركة ويعود رجلا شجاعا ، اذ يندفع فى مغامرة جنونية يغسل بها جبنه ويتبعه فيها آخرون . ومعلق الفيلم يقول عنه : كان يندفع بعاطفة قوية نحو تحطيم العدو . . وهكذا كى تصبح رجلا عليك أن تتعلم القتل وتمتلىء بالغضب لتحطيم الاعداء. ولكن لماذا جبن الشاب ؟ ولماذا أصبح شجاعا ؟ .. ولماذا يمتلىء بالغضب ؟ هذا ما لا يفسره الفيلم الذى يقول مخرجه **جون هوستون** : ان الشجاعة غير مبررة شأنها فى ذلك شأن الجبن ؟ ؟

ومعنى ذلك هو أن ننتزع من الشاب صفاته الانسانية ونجعل منه دمية تتحرك دون ارادة واعية . وهى نفس الفكرة التى يحملها فيلم **الحراب الثابتة** ويحكى قصة جندى صغير يقهر الخوف ويصبح بطلا بعد أن كان لا يرغب فى القتل .

وأول ما تمثلته هوليود من أساليب الدمار الغاشمة التى اتخذها هتلر هى مناظر القتل الجماعية . وفى فيلم **رعد فى الشرق** نرى داعية السلام الهندى يلجأ فى آخر الفيلم الى اطلاق مدفعه على جموع الثائرين . ولتكثيف النهاية يوجه القاتل فوهة مدفعه الى الجمهور مباشرة مما يعبر بصدق عن غرض الفيلم .. فالجمهور بالفعل هو الهدف .

وفيلم **معركة النهاية** الذى شاهدته القاهرة اخيرا وقد عرض فى أكبر دارين للسينما فى وقت واحد ، ثم توقف أسبوع العيد ليعود مرة أخرى فى احدى الدارين ، يقدم لنا أحد النماذج المتقنة لافلام الحرب الامريكية .

الفيلم من انتاج شركة وارنر . ولقد سبق لهذه الشركة أن أنتجت من الافلام الحربية ما يتفق والطريقة التقليدية فى تمجيد قوة أمريكا الحربية الساحقة مثل فيلم **صرخة الموقعة** الذى يروى لنا كيف تغزو أمريكا جزر الباسيفيك الواحدة بعد الاخرى وكيف تبيد اليابان ابادة شنيعة . ولكنها فى فيلم **معركة النهاية** تنهج عكس ذلك وتتخذ منهج شركة فوكس فى انتاجها لفيلم **ثعلب الصحراء** فتجعل من **هسلر** أحد قواد النازية بطلا للاحداث

وتختار له ممثلا وسيما روبرت شو وتقدمه في صورة جذابة فيه شجاعة الجندي واقدامه وفيه حزمه ودقة تدبيره للمعركة . ولئن ختم تشرشل فيلم **ثعلب الصحراء** بقوله عن روميل انه **عدو شهم** فقد ردد المعلق في نهاية فيلم **معركة النهاية** نفس المعنى عن **هسلر** .

ولا يلجأ الفيلم الى ابراز قوة القوات الامريكية بل على العكس . ان دبابات **النمر** الالمانية تملأ الصورة في زحفها الساحق نحو الامريكان ، وتختار الكاميرا من الزوايا ما يؤكد ضخامتها ، أو يكشف عن تشكيلاتها بأعدادها الوفيرة ، الى جانب ماتلتقطه من صور تبرز قدرتها على التدمير . ويقودها **هسلر** بنجاح من موقع الى آخر لولا أزمة حاجته الى الوقود التي تكون السبب في القضاء عليه وايقاف زحفه . وهي نفس الازمة التي واجهت روميل **ثعلب الصحراء** وقضت عليه . وان ضمن الفيلم لنفسه خط الرجعة ضد تأكيد الانهزامية بين الجنود الامريكان بأن جعل هجوم القوات الالمانية مفاجئا ، وجعله هجوما شاملا ضد قوات صغيرة متفرقة لم تكن على استعداد . وفيما عدا ذلك اشتمل الفيلم على كل مواصفات فيلم الحرب الامريكي وما يروجه من افكار ، فقد ظلت الروح المعنوية بين الجنود الامريكان على درجة عالية طوال الفيلم رغم نجاح الالمان في زحفهم ، بل وكثيرا ما عبر بعضهم عن شوقهم لملاقاة العدو ، ومعسكراتهم اشبه ما تكون بمعسكرات كشافة في نزهة خلوية يتمتعون فيها بالاسترخاء ، ويتبادلون القفشات ، ومنهم من يلعب الطاولة او يقرأ في مجلة او يمضغ اللبان . ونرى احدهم يكدس البضائع على سطح دبابته ليتاجر بها حتى يعود غنيا الى بلده . وبمجرد ان يعلن سائق الدبابة عن حاجته للبنزين حتى تقبل سيارة تحمل براميل البنزين تلقى له بواحد منها . ولم يخل الفيلم من امرأة تعشق الجندي صاحب البضائع ، واخرى شقراء محترفة جاءت تعرض مفاتنها على هسلر وتحاول اغراءه ولكنه يرفض . كما تضمن الفيلم مشهد قتل جماعي اعده النازيون للاسرى الامريكان يؤكد به الفيلم قانون الغاب **قاتلا او مقتولا** . ويكشف لنا الفيلم عن سيطرة غريزة القتل على هسلر عندما يقول لمساعده : ليس المهم ان ننتصر ولكن المهم ان تستمر الحرب . وبذلك يضع هسلر قانون الغاب موضع التنفيذ .

ولم يهتم **كين اناكين** باخراج مشهد القتل الجماعي الذي انتهى على الشاشة سريعا ، بينما برع في اخراج مشهد استعراض هسلر لجنوده من الشبان الصغار وكيف غمرهم الحماس وقد ارتفعت حناجرهم بنشيد الحرب . ويبين هذا الخلاف في اخراج المشهدين مدى الاهتمام بتأكيد افكار معينة عن افكار اخرى . والتأكيد الواضح هنا هو اشعال روح المقاتلة بالحماس ، وهو مادأب الفيلم عامة على تأكيده بأساليب مختلفة اخطرها تمجيد هسلر رغم ادانته بالوحشية .

والفيلم لا يقترب اطلاقا من اى نوع من المناقشة لمعنى هذه الحرب او اسبابها . نحن نرى الامريكان يريدون ملاقاة العدو ولا نعرف لماذا سوى انهم اعداء ؟ وهم يحاربون لانه لا حيلة لهم الا صد هجمات العدو . والالمان يزحفون وكل املهم ان يصلوا الى الهدف الذي حدده قائدهم . ولكن لماذا هم يسعون الى هذا الهدف ؟ ومن اجل اى شيء يحاربون اصلا ؟ وعلى اى شيء يختلف الفريقان ؟ لا اجابة لمثل هذه الاسئلة في الفيلم الذي يكتفي بالعرض الضخم للقوات المتصارعة .

واذا كانت الدراما تعالج علاقات اجتماعية والصراع فيها لا بد ان يكون صراعا اجتماعيا بين ارادات واعية ، فمعنى ذلك ان افلام الحرب الامريكية ليس فيها من عناصر الدراما شيء . فهي تقدم شخصيات منفصلة عن اى جذور اجتماعية تفسر ما نراه من مظاهر سلوكها وما بينها من تشابكات . وتبدو الشخصيات كدمى تتحرك ، لا ندرك دوافعها او آمالها ولا ما يجتاحها من مشاعر متناقضة . والواقع ان الحرب في هذه الافلام لم تعد سوى معارك خالية من اى ابعاد درامية . الصراع فيها ليس سوى صدام ميكانيكي . ونحن لا نرى بشر وانما آلات تتحرك ، سواء كانت آلات من حديد أو من لحم ودم وعظام .

ولاشك ان الامبريالية الامريكية التي تقف وراء هذه الاتجاهات المنحرفة لافلام الحرب الامريكية ترمي الى اعداد المقاتل الذي يندفع نحو تحقيق اطماعها دون تردد او مناقشة . وان استطاعت بعض القوى التقدمية ان تنفذ من الحصار وتقدم بعض الافلام تعالج فيها موضوع الحرب بوجهة نظر انسانية على مستوى رفيع من العرض الدرامي السليم . لكنها ظلت افلام نادرة مثل : **كل شيء هادىء في الميدان الغربي** الذي كتب قصته الكاتب الانساني **ارك ماريا رمارك**، وصور فيها اهوال الحروب ومأساتها ، وفيلم **احسن سنوات حياتنا** الذي أخرجه وليام وايلر عن مأساة الجنود الامريكيين العائدين من جبهة القتال ، ومحاولاتهم اليائسة لاسترجاع حياتهم وعلاقاتهم المدنية التي طال البعد عنها .

●

أقتراح .. لهيئة التأمينات الاجتماعية

وكتب المواطن **عبيد صابر الطنساوى** ، موظف حسابات بمحلج لوين . يقول :

تتلقى الهيئة العامة للتأمينات الاجتماعية شهريا المبالغ الاتية : ــ

مايدفعه العامل	مايدفعه صاحب العمل	
٨٪	١٤٪	تأمين شيخوخة وعجز ووفاة
	٣ ٪	تأمين اصابات عمل
١٪	٢ ٪	تأمين بطالة

وهذه المبالغ التى تدفع لهيئة التأمينات الاجتماعية محسوبة من اجمالى المرتب الشهرى الشامل الذى يتقاضاه كل عامل بالجمهورية العربية المتحدة يخضع للقانون ٩١ لسنة ١٩٥٩ . اى جميع العمال الذين يعملون بشركات القطاع العام وايضا الذين يعملون لدى القطاع الخاص من شركات ومحلات تجارية وصناعية .

هذا شىء جميل خصوصا وان القوانين الاشتراكية أصبحت تنص صراحة على حق هؤلاء العاملين فى المعاش بدلا من المكافأة التى كانت تصرف للعامل عند ترك الخدمة سواء ببلوغ السن القانونى أو العجز او لعائلته فى حالة الوفاة ، ولكن هناك شىء مهم جدا يحتاج الى تنظيم وعنساية حفظا لحقوق هؤلاء العاملين ، ذلك انه اذا توفى اى عامل لا يمكن للهيئة معرفة حسابه فى المعاش حيث أنها لا تعرف تاريخ التحاقه بالعمل وتاريخ التأمين عليه وذلك للاسباب الأتية :

● لهيئة التأمينات الاجتماعية بكل محافظة فرع خاص بها يوجد به ملفات لاصحاب الاعمال بدائرته ولكل ملف رقم خاص .

● كما أن القطاع العام له الحق الان فى نقل عماله من محافظة الى اخرى . وعند نقل اى عامل من محافظة الشرقية مثلا الى محافظة بنى سويف ، يترك رقمه كعامل ورقم صاحب العمل بالشرقية ويحمل رقم صاحب عمل جديد ورقم عامل جديد بمحافظة بنى سويف . وهكذا اذا نقل العامل خلال مدة خدمته الى أربع أو خمس محافظات لكان له أربع او خمس أرقام وبديهى أنه عند وفاته لايحسب له المعاش الا عن آخر رقم له خاصة وأن المعاش يصرف بنسبة ماسدده العامل للهيئة وبالتالى يضيع علية ماسدده بالمحافظات الاخرى حيث لم تقم الهيئة بنقل ملفه معه الى الجهة الجديدة التى نقل اليها .

● ان بعض العاملين كانوا يعملون لدى أصحاب أعمال تجارية أو صناعية تم تأميمها تنفيذا للقوانين الاشتراكية فأصبح القطاع العام خلفا لصاحب العمل السابق .

فى هذه الحالة يقوم القطاع العام بالتأمين على هؤلاء العمال تحت رقم صاحب عمل جديد . فى حين أنه كان مؤمن عليهم ولهم حساب بالهيئة تحت رقم صاحب العمل السابق . وبذلك يضيع على هؤلاء العمال ماسددوه بالرقم السابق . وتصبح أقدميتهم بالمعاش ابتداء من تاريخ التأمين عليهم بمعرفة القطاع العام .

وتلافيا لهذا ، فانى أقترح الاتى :

أولا : تشكيل لجنة تقوم ببحث ملفات هؤلاء العمال ومطابقتها بملفات الخدمة التى توجد لدى أصحاب الاعمال، وتوحيد مدة الخدمة، وضم الملفات وتخصيص ملف واحد لكل عامل ينقل معه الى أى جهة ينقل اليها .

ثانيا : فتح دفاتر حسابات بكل فرع من فروع الهيئة ولكل عامل صفحة مستقلة يبين فيها :

الاسم ، الوظيفة ، المرتب الشهرى الشامل ، المسدد للهيئة شهريا ، ثم ملاحظات . وعند نقل العامل يؤشر أمام أسمه نقل الى الجهة (كذا) وتخطر هذه الجهة بكشف تفصيلى عن حسابه . وعلى الجهة المنقول اليها اعطاؤه رقما جديدا واثبات ذلك بدفاترها وهكذا . وبذلك تسير العملية على اتم وجه ، ويمكن للهيئة معرفة حساب اى عامل بسرعة . ويطمئن العامل على مستقبل أسرته .

●

مجلة ((جمعية الفيلم))

أصدرت جمعية الفيلم العدد السابع من نشرتها التى تصدر كل ثلاثة أشهر ، وتتكون هيئة تحرير النشرة من **أحمد كامل مرسى ، أحمد الحضرى ، صبرى موسى ، أحمد راشد .**

وتمثل هذه النشرة جانبا من اهتمامات الجمعية من أجل نشر الثقافة السينمائية . فجمعية الفيلم وهى جمعية أهلية تكونت منذ ٦ سنوات تستمر فى عقد ندوات سينمائية كل اسبوع تعرض فيها الافلام المختارة والمحاضرات .

ويتضمن هذا العدد من النشرة الى جانب الابواب الثابتة بحثان هامان :

الاول : تقرير الخبير الكندى **جون فينى** عن **((انشاء مركز للافلام التسجيلية فى مصر))**

والذى قدمه فى أغسطس ١٩٦٣ الى المسئولين ويرى فينى أن الفيلم التسجيلى من أهم وسائل الإعلام لتوجيه القطاعات الكبيرة من الشعب من

أجل التلاؤم مع التغييرات الاجتماعية العربية التي تمر بحياتهم في هذه الفترة. ويضع جون فيني خطة لخمس سنوات للوصول بالافلام التسجيلية الى مستوى رفيع . لذلك يدعو الى قصر انتاج الافلام القصيرة على هذا المركز بدلا من قيام عدة هيئات بانتاجها . ويؤكد الخبير الكندى جون فيني ضرورة استقلال المركز فيقول : «من المنطقى أن يصبح المركز هيئة عامة من هيئات الخدمات تحت رعاية وزارة الثقافة وداخل اطار مؤسسة السينما . ويجب أن تتوفر له الحرية لينمو ويقوم بدوره القيادى في ميدانه وان تتوفر له الحرية لخلق شخصية خاصة للافلام التسجيلية المصرية »

والثانى : ((عن السينما والفلاحين)) بقلم مجيد طوبيا وفيه يبحث ضرورة عمل أفلام خاصة بالفلاحين . ويتحدث عن نوعية هذه الافلام فيقول «وفيلم الفلاح المصرى يجب أن يستلهم نوع معيشته فحياته تمر في دعة وهدوء . ويومه لاتعقيد فيه . والبساطة امر طبيعي عنده مثل حياته يكون الفيلم الذى يقدم له : بسيطا وصادقا . وسبيلنا الى ذلك هو الفيلم الملحمى الريفى »

وتتضمن النشرة الى جانب هذين البحثين ، ابوابها الثابتة مثل ((**صورة لها تاريخ**)) خصصت للتعريف بالراحلين في ميدان السينما العالمية والمحلية وتناولت في عددها الاخير **والتديزنى وحسن حلمى** ومهندس الصوت **كريكور** .

وباب ((**لقطات**)) ويكتبه هذه المرة **يوسف جوهر** ويتحدث عن علاقة كاتب السيناريو بالمنتج والمخرج والممثل الذين لايفهمون عمله الا بما يحقق رغباتهم دون أعتبار للقيم الفنية .

وباب ((**سينمائيات**)) وينشر نقدا للفيلم اليابانى ((**الخيال الرهيب**)) بقلم **مصطفى حسنين** . عن المواهب المشتركة في الافلام والتى يشترك فيها سينمائيون من مختلف الدول والجنسيات كتبه **محمد خان** من لندن . ونقدا لفيلم (**بياع الخواتم**) بقلم **يوسف شريف**

وباب ((**حدث في الموسم الماضى**)) ويكتبه **حليم طوسون** وهو يسجل نشاط الجمعية وما تم عرضه فيها من أفلام وما القى من محاضرات ودار من مناقشات . ثم باب ((**الشاشة المصرية في ثلاثة شهور**)) وهو يقدم سجلا وتعريفا موجزا للافلام المصرية التى عرضت .

وقد استحدثت النشرة بابا جديدا اسمته ((**ارشيف**)) وفيه تقدم سجلا بأعمال أحد السينمائيين المصريين الذين ساهموا في صناعة السينما المصرية . وبدأت **بمحمد كريم** في العدد الماضى **وأحمد بدرخان** في هذا العدد .

مجلة ((صوت الجماهير))

ارسلت هيئة تحرير مجلة ((**صوت الجماهير**)) التى تصدرها **امانة الدعوة والفكر بالتعاون مع امانة الشباب بالاتحاد الاشتراكى ، بمحافظة اسيوط** ، العددين الصادرين في اول يناير وفى ١٥ منه .

وفكرة تعاون امانات الاتحاد الاشتراكى في المحافظات ، لاصدار نشرة او مجلة ، فكرة اثبتت نجاحها « صوت الجماهير » ، وتدعو بالفعل الى ضرورة الاستفادة من هذه التجربة في محافظات اخرى .

فصدور مثل هذه النشرات او المجلات ، يثير جانبا هاما من جوانب قضية كبيرة .. قضية الصحافة الاقليمية . فرغم المبادرات التى قام بها البعض — تاريخيا — لتأسيس صحافة اقليمية ناجحة ، الا انها فشلت ، واحد اسباب فشلها انها مشروعات فردية كان الدافع الى قيام الكثير منها الرغبة في الكسب أولا .

ولا نظن ان هناك من هو اجدر واقدر على تحقيق قيام صحافة اقليمية في بلادنا ، من الاتحاد الاشتراكى بمنظماته وهيئاته المتعددة خاصة وانه يملك المؤسسات الصحفية جميعها .

ولا تقف أهمية مثل هذه المجلات عند حدود التوعية فقط ، بل انها تؤدى — بلا شك — دورا تنظيميا هاما .

و « صوت الجماهير » تجربة ناجحة ونموذجا طيبا لمجلة شابة صغيرة تضم شبابا للتحرير قادر على اخراجها في شكل صحفى لائق ولا يقل في مستواه وكفاءته عن مستوى صحافة القاهرة .

والنقد الذى يمكن ان نقدمه لصوت الجماهير — بكل اخلاص — هو انها لا تقدم — الا فيما ندر — اسماء من يرسمون الكاريكاتير ويكتبون موضوعاتها وقصصها القصيرة والزجل الذى ينشر بها . الخ . واهمية كتابة الاسماء ينبع من ضرورة تشجيع هذه العناصر التى تكتب وابراز المواهب التى يزخر بها مجتمعنا في اقاليمه المختلفة . اما النقد الثانى فهو انها يجب ان تسلط الاضواء اكثر على نشاط منظمات الاتحاد الاشتراكى في المحافظة .

ولكن المجلة تستحق تحية حارة على موضوعاتها الجادة والملتزمة وخاصة تلك التى تتعلق بمشاكل محلية بالمحافظة . كموضوع ((**العلاج بسعر التكلفة**)) ، و ((**موضوع الساعة .. كما هو وكما يجب ان يكون**)) عن الجمعيات التعاونية في المحافظة ومشاكلها ، ((**وكيف اجعل من اللص قاضيا**)) ، و ((**الصابون والبطاقات**)) ، و ((**الثأر .. تحت الضوء**)) . **ويستحق باب((صح النوم))تحية خاصة لانه يتناول بالنقد الجرىء البناء المشاكل المتعلقة بقضية الانتاج والخدمات في المحافظة .**

الجبهة القومية لتحرير جنوب اليمن المحتل ووحدة القوى الثورية العربية

جاءنا البيان التالى من الجبهة القومية لتحرير جنوب اليمن المحتل ، هذا نصه :

ياشعبنا العربى العظيم :

أن استصدار قرارات هيئة الامم المتحدة فى ٥ نوفمبر ١٩٦٥ م ، وتبنى الغالبية الساحقة من الدول لهذه القرارات لم يكن ليتحقق الا بعد تفوق الثورة المسلحة وبلوغها مستوى من الرسوخ أكسبها الوزن والقوة ضد الاستعمار البريطانى . ذلك أن بريطانيا رفضت منذ ادراج قضيتنا فى هيئة الامم المتحدة بكل تعنت قبول القرارات الصادرة فى عام ١٩٦٣ ، ثم القرارات الصادرة عام ١٩٦٥ م . ولم تذعن للقبول بها الا بعد أن استطاعت المعركة المسلحة أن تمتد وتشمل سائر اجزاء الجنوب اليمنى منذ الرابع عشر من اكتوبر الخالد ١٩٦٣ م وبعد أن حظيت الثورة بهذا الالتفاف الجماهيرى العارم .

أن قرارات الامم المتحدة الصادرة فى ٥ نوفمبر ١٩٦٥ م رغم كونها لاتمثل الا الحد الادنى من مطالب جماهير شعبنا المناضلة ، الا انها تعد مكسبا من مكاسب نضاله فى الحياة ، جاءت لتتوج النضال العنيف الذى اشتقته الثورة المسلحة بصلابة وتصميم عبر الكفاح المسلح المتواصل .

ولكن السؤال الرئيسى الذى يطرح نفسه **علينا اليوم يتعلق بالطريقة التى يجب أن تنفذ بها هذه القرارات بالشكل الذى يتفق مع الحفاظ على جوهرها .**

يا جماهير شعبنا المناضلة :

أن الجبهة القومية وبكل صدق وأخلاص ثوريين ترى أن الوضع الذى تعيشه الحركة الوطنية لم يعد يقدم الضمانات الكافية لتنفيذ سليم لهذه القرارات وأن وضع الحركة الوطنية الراهن لن يؤدى الى النتيجة المستهدفة من استصدار هذه القرارات ، ذلك بالرغم من أعلان بريطانيا استعدادها بقبول تنفيذ قرارات الامم المتحدة قد جاء فى جانب منه بفضل ضغط النضال الشعبى المسلح وتعاظمه وبفضل تأييد الثوريين العرب والدول المناهضة للاستعمار والمحبة للتحرر السياسى والتقدم الاجتماعى . الا أنه لايفوتنا أنه جاء فى جانب منه بما يتفق مع المخططات التى وضعتها بريطانيا ليشير الى أنها قد استغلت بذكاء أزمة الحركة الوطنية لتضمن بذلك تنفيذا لهذه القرارات بطريقة تنسف جوهرها .

يا شعبنا المناضل :

ان الجبهة القومية تقديرا منها لمسئولياتها التاريخية والتزاما منها بقرار مؤتمرها الاستثنائى الثالث الذى دعا الى ضرورة مبادراتها للسعى الجاد لايجاد وحدة وطنية سليمة تقوم على أسس تضمن قيام عمل ثورى موحد فى جنوبنا اليمنى ، تستشعر اليوم **بضرورة لقاء الاطراف الثورية لتدارس مخطط عمل موحد يضمن تنفيذا سليما** لقرارات الامم المتحدة ويحفظ لجماهير شعبنا مكاسب نضالها . فالحفاظ على مكاسب الجماهير الشعبية الكامنة فى قرارات الامم المتحدة لاياتى بواسطة وصول بعثة من هيئة الامم المتحدة أو بواسطة الاشراف منها على تنفيذ قراراتها ، **بقدر ما يأتى عن طريق وحدة موقف القوى الثورية لمجابهة ما تخططه الامبريالية وعملاؤها للمنطقة .**

والجبهة القومية اذ تستشعر اهمية هذا اللقاء ، ستظل فى الوقت نفسه على حرصها الشديد للحفاظ على مستوى المعركة وتطويرها ، حتى تتوفر الضمانات الكافية لتحقيق أهداف الجماهير المناضلة وعدم التلاعب بها من قبل الاستعمار والسلاطين العملاء .

ياشعبنا البطل :

أن الجبهة القومية لعلى ثقة بأن جماهير شعبنا من عمال وفلاحين ومثقفين وقبائل وطلاب ونساء وجنود ، التى بادرت لحمل السلاح وخوض المعركة بكل شرف وأصالة ، ستظل حريصة على مواصلة كفاحها البطولى من اجل استخلاص حقوقها والوصول الى أهدافها .

والجبهة القومية تؤكد فى الوقت نفسه أن لقاء القوى الثورية ضرورة أساسية لاستبعاد التلاعب بمكاسب شعبنا ولتوفير الاجواء الصحيحة لوحدة وطنية سليمة .

— عاشت وحدة القوى الثورية .

— وعاش نضال شعبنا من اجل :

— التحرر التام من الاستعمار والحكم السلاطينى الرجعى العميل .

— الوحدة اليمنية انطلاقا نحو وحدة عربية اشتراكية .

●

نداء الى كتاب العالم

وجاءنا من **اتحاد الكتاب الفلسطينيين العرب** ، النداء التالى :

يا كتاب العالم الاحرار :

أن أيماننا ، نحن الكتاب ، عظيم بحق الانسان فى الحياة الحرة الكريمة ، وحق الشعوب فى تقرير مصيرها ، وتحقيق ذاتها القومية للمساهمة فى بناء الحضارة الانسانية ، وحياتنا مرتبطة ارتباطا عضويا ومصيريا بحياة شعوبنا التى تناضل من أجل التحرر

من الاستعمار والامبريالية والاستعمار الجديد ،وأن أجمل الرسائل والاشعار والاغانى هى التى تعبق بنضال الشعوب فى محاربة الاستعمار ومن أجل الحرية والتقدم. ولاشك فى أن ايماننا بوحدة النضال العالمى من أجل الحرية والتقدم ، وخير البشرية ، والقضاء على جميع صور الاستعمار والاستغلال والاضطهاد ، هو الذى يدفعنا نحن كتاب فلسطين، الى التوجه اليكم بهذا النداء .

يا كتاب العالم :

على عواتقكم تقع المسئوليات الجسام للاجيال، وبأقلامكم الحرة وحدها ، تسطرون أروع صفحات التاريخ ، وتنيرون الطريق أمام الجماهير المناضلة، من أجل حريتها وتقدمها وسعادة الانسانية جمعاء. فأنتم المعبرون عن ضمائر الشعوب،والقيمون على مبادىء الحق والعدل والحرية من العالم كله ،وانتم الطليعة المناضلة المتسلحة بالوعى ، ضد القوى الغاشمة الاستعمارية ، لبناء مجتمع حر وسعيد .

ولقد ادى التآمر بين الصهيونية والاستعمار العالمى ، الى خلق اسرائيل فى قلب الوطن العربى لتكون عدوانا صارخا ومباشرا ، لاعلى شعب فلسطين الذى اقتلع من أرضه ، وشرد من وطنه فحسب ، بل وعلى الشعب العربي كله ، وعلى شعوب القارتين الافريقية والاسيوية ايضا .وذلك لان اسرائيل ، تمثل القاعدة التى أقامها الاستعمار القديم ، ليتخذ منها وسيلته فى الحفاظ على مصالحه وتنفيذ مخططاته وأهدافه ولانها تجسد الاداة التى جعل منها الاستعمار الجديد وسيطه ، للتسلل الى الدول الجديدة النامية فى أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية ، وضمان سيطرته على خاماتها ومواردها واسواقها

يا كتاب العالم الاحرار :

لقد ادانت قوى التقدم فى العالم كله اسرائيل ووضعتها فى المكان الذى يجب أن توضع فيه ، بعد أن اتضحت الحقائق الصارخة التى كانت الدعاية الصهيونية الكبيرة التمويل والتنظيم والموارد ،قد أخفتها عن عيون العالم أمدا طويلا . وهكذا ظهرت صورة اسرائيل على حقيقتها ، كأداة للاستعمار والامبريالية ، وتجسيد للايديولوجية العنصرية العدوانية .

ويخوض شعب فلسطين ، نضالا مريرا وشاقا، ضد قوى الاستعمار والصهيونية التى تألبت عليه، وتآمرت على حرمانه من حقوقه فى وطنه وفى تقرير مصيره . وهى حقوق طبيعية ضمنتها شرعية حقوق الانسان ، وميثاق الامم المتحدة وهو لايتوخى من هذا النضال العادل الذى يخوضه ، الا استعادة حقوقه ، وتحرير وطنه ليتمكن من تحقيق أهدافه القومية ، والعمل جنبا الى جنب ، مع قوى السلام الخيرية فى العالم،لنشر الطمأنينة وبناء عالم السلام والعدل والتقدم والازدهار .

يا كتاب العالم :

اننا ندعوكم الى اداء رسالتكم العاجلة ، والى رفع أصواتكم داوية مجلجلة ضد الظلم والاستعمار والاستغلال ، وضد الجرائم التى ارتكبت ومازالت ترتكب بحق شعبنا العربى الفلسطينى .

وأن انتصاركم ، لنضال شعب فلسطين من أجل استرداد حقه الشرعي فى وطنه السليب ، ومن أجل حقه فى الحياة الحرة الكريمة ، انما هو دفاع عن الحرية التى نذرتم انفسكم لها . وأن نضالكم ، ضد اسرائيل ، قاعدة العدوان الاستعمارية فى الوطن العربى انما هو واجب مقدس من صميم عملكم ، لان تصفية الاستعمار شرط من شروط التطور الكامل للاعمال الادبية ، ولان الازدهار الحقيقى للادب لايمكن بلوغه الا فى ظل الحرية والاستقلال وسيادة الشعوب ، ولان حرية الفكر التى تحرسونها أنتم وتناضلون من أجلها ، لاتنمو الا فى المجتمعات التى تحررت جماهيرها من الظلم والاستعباد والاستغلال والفقر والجهل والمرض .

يا كتاب العالم :

اننا ندعوكم الى النضال معنا فى سبيل تصفية اسرائيل ، القاعدة الاستعمارية المعتمدة أعتمادا كليا على الامبريالية العالمية ، وفى سبيل اعادة شعبنا الى ارضه ووطنه . لان اسهامكم معنا فى هذا النضال يعد انتصارا للمثل الانسانية العليا التى تجمعنا نحن الكتاب الى بعضنا على اختلاف أجناسنا والواننا.

اننا ندعوكم الى الوقوف صفا واحدا معنا فى محاربة المؤامرة التى يحيكها الاستعمار ضد بلادنا العربية المتحررة ، والى محاربة العدوان الذى يشنه الاستعمار على شعبنا المناضل فى الجنوب اليمنى المحتل ، وفى عمان ، والى مقارعته فى كل بلد يخوض معركته التحررية فى أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية .

اننا ندعوكم الى الدفاع عن جميع الشعوب المضطهدة ، وتأييد النضال البطولى الذى يقوم به شعب فيتنام ضد العدوان الامريكى من أجل حريته ووحدة وطنه .

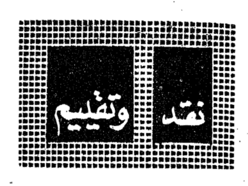
فقضية التحرر فى العالم ، كل لا يتجزا ، لانها قضية حضارة وانسانية، وأن الاستعمار بمحاولاته، ان يجعل من وطننا ميدانا لتآمره ، وموقدا لاشعال نار الحرب الاستعمارية انما يحاول تحطيم التراث الحضارى الانسانى وعرقلة سير التاريخ .

يا كتاب العالم الاحرار :

دافعوا عن شرف الحروف الحرة ، بتأييد نضال الاحرار .

عاش النضال العربى من أجل تحرير فلسطين ، وكل جزء من الارض العربية .

وعاش تضامن كتاب العالم الاحرار فى نضالهم من أجل بناء عالم التقدم والحرية والسلام .



عدد فبراير ١٩٦٧ من الطليعة

السوق السوداء

من الدراسة الرئيسية ، كتب عادل غنيم :

كانت ظاهرة السوق السوداء موضع دراسة وتحليل الطليعة فى العدد الماضى وذلك بهدف التوصل الى الحلول الواقعية الاقتصادية والسياسية والتنظيمية التى تضمن السيطرة على ارتفاع الاسعار وتصفية السوق السوداء .

ولجأت الطليعة فى معالجة تلك القضية الحيوية الى ثلاث وسائل رئيسية :

● شهادات واقعية عن الميدان موضع البحث من مجموعة متفاوتة الدخول من المستهلكين وعدد من الموزعين والتجار فى القطاعين العام والخاص .

● تقارير عدد من المسئولين من واقع خبرتهم العملية فى الجهاز التنفيذى والقطاع العام والغرف التجارية والنيابة العامة ومباحث التموين بالاضافة الى تقرير صحفى عن مشاكل التموين .

● بحوث نظرية اقتصادية واجتماعية وسياسية حول أسباب السوق السوداء والحلول المقترحة لتصفيتها .

والواقع ان من يقرأ الشهادات الواقعية يجد نفسه أمام صورة نابضة بالحياة لمشكلة السوق السوداء فى المدينة تعكس وجهة نظر طرفى المشكلة : المستهلكين .. والتجار . وكنا نود أن تمتد هذه الشهادات الى الريف حيث تشتد وطأة السوق السوداء التى تستشرى نتيجة لعدم امتداد نشاط المجمعات الاستهلاكية الى الريف وبسبب ضعف الرقابة الادارية والشعبية على تجار الريف (وخاصة مواد التموين الاساسية كالحبوب والاقمشة الشعبية) .

أما التقارير فقد جاءت حافلة بالحلول الاقتصادية والتنظيمية العملية لمواجهة المشكلة وابرزت فى مجموعها ضرورة تخطيط الاسعار والاستيراد واعادة تنظيم شبكة التوزيع والاخذ بنظام البطاقات ودعم دور القطاع العام فى ميدان التجارة الداخلية وخاصة فى تجارة الجملة والتأكيد على اهمية دور اجهزة التوعية بالنسبة للتجار والمستهلكين على السواء .

وتحت عنوان « السوق السوداء وارتفاع الاسعار » عالج **د . حازم الببلاوى** بعض جوانب المشكلة معالجة نظرية فبعد ان قدم للموضوع بعرض سريع لظروف تكوين الاثمان فى مرحلة التنمية حلل اسباب ارتفاع الاسعار وردها الى مجموعتين رئيسيتين : **اسباب هيكلية** لا يمكن تجنبها بشكل عام وهى المتعلقة بتطور هيكل الانتاج وهيكل العلاقات الدولية وما يترتب عليها من نقص فى عرض السلع المتاحة للاستهلاك وزيادة فى الدخول النقدية الموزعة مما يترتب عليه اختلال التوازن بين العرض والطلب يؤدى الى ارتفاع الاسعار .

واسـباب متعلقـة بالنقص في كفاءة التنظيم الاقتصادى : وهى اسباب يمكن تداركها اذ يؤدى هذا النقص الى زيادة الاختلال فى التوازن بين عرض وطلب بعض السلع مما يؤدى الى ظهور اختناقات لا تلبث ان تزيد من حدة ارتفاع الاسعار وتتبع الدول النامية بدرجـات متفـاوتة التخطيط الاقتصادى لزيادة معدل التنمية بها ، ويؤدىنقص كفاءة اجهزة التخطيط وعدم توافر الخبرة الكافية (وعدم كفاية ودقة البيانات) الى ظهور اخطاء فى التوقعات التى تنبنى عليها الخطة تؤدىالى ارتفاع اسعار بعض السلع .

وختم د . حازم مقـاله بشرح بعض الظروف الخاصة التى نمر بها والتى تزيد من حدة ارتفاع الاسعار « **كتفير خط الانفاق لاصحاب الدخول المرتفعة والثروات الكبيرة** الذين كان دخلهم قبـل التأميم موزعـا بين الاسـتثمار الرأسـمالى والاستهلاك ، اما بعد التأمين فقد اتجهوا الى التوسع الكبير فى الاستهلاك . ويضاف الى ذلك **ظهور أنمـاط جديدة للاسـتهلاك التفاخرى** الذى يتمثل فى التنافس الجنونى للحصول على سيارات نصر واجهزة التليفزيون والغسالات الكهربائية . وايضا اشتداد حمى المضاربة عن طريق التخزين ورفع الاسعار وهـذه الظروف هى فى مجموعها ظروف استثنائية خاصة بمرحلة التحول وتستدعى اتخاذ اجراءات عاجلة للحيلولة دون تفاقمها » .

واذا كان لى من ملاحظة على هذه الدراسـة القيمة فهى طابعها الاكاديمى المجرد اذ انها لم تفرق بين التنمية الرأسمالية والتنمية الاشتراكية عند تحليل ظاهرة ارتفاع الاسعار، ذلك ان ارتفاع الاسـعار هو ارتفـاع مخطط فى ظـل التنمية الاشتراكية وارتفاع تلقائى تحكمه قوانين السوق الرأسـمالى فى ظل التنمية الرأسـمالية وتلعب الرأسمالية التجارية دورا رئيسيا فى تفاقم حدته (وخاصة فئاتها العليا) ولهذا بدت ظاهرة تضخم الاسعار فى تلك الدراسة كما لو كانت نتيجة حتمية للتنمية الاقتصادية فى حين اننا لو اخذنا الصـين كنموذج للتنمية الاقتصادية الاشتراكية فاننا نجد ان اسـعار التجزئة للمنتجـات الصـناعية التى تبيعها الدولة لم ترتفع خلال الفترة ٥١ / ٦٣ الا بنسبة ١٣٫٧ ٪ ، وان اسعار التجزئة فى المـدن الكبرى لم ترتفع خلال الفترة نفسـها الا بنسـبة ١١ ٪ . ومعنى هذا انه امكن تحقيق استقرار نسبى كبير فى الاسعار فى سـنوات التصـنيع السريع .

ومن ناحية اخرى لم يتصد المقال لمشكلة ارتفاع الاسعار والسوق السـوداء كما يطرحها واقعنا الراهن الاقتصادى والاجتماعى واكتفى بالتعميم النظرى . ومن هنا لم يتعرض المقـال للحـلول الملموسة الاقتصادية والتنظيمية للمشكلة .

وفى مقال « التجارة الداخلية فرصة فى السوق السوداء ام خدمة للاقتصـاد الوطنى ؟ » تناول **فؤاد الدهان** تطور مفهوم ووظيفة التجارة الداخلية وخاصة بعد التأميمات الواسعة التى شهدتهـا بلادنا للمصالح الاستعمارية والرأسمالية الكبيرة واوضح كيف انه اصبح « من غير المقبول بعد ان ساد الطابع الاجتمـاعى لعملية الانتاج ان تظل التجارة الداخلية خاضـعة لنفس المقاييس التى كانت تحكمها من قبل والتى كانت تضـفى عليها طابعا طفيليا فلا يمكن فى ظل التطورات الهـائلة التى مر بها مجتمعنا ان تظل التجـارة بعيدة عن التأثر بها والتمشى معها بل يتعين ان تتطور ايضا تطورا يسير بها نحو التخلص من جميع مظـاهر الاستغلال الطفيلى ونحو تأكيد طابعها الاجتماعى المستمد من الخدمة التى تؤديها بعملية الانتـاج وهى تبادل السلع فى يسر وكفاءة » .

ثم ينتقل فؤاد الدهان الى عرض الاسس التى يقوم عليها تنظيم التجارة الداخلية فى الميثاق وفى ضوئها يبين دور تجارة الجملة فى خلق السـوق السوداء باعتبـار « انها ليسـت الا مظهرا من مظاهر النفوذ الرأسمالى الذى يتخذ من تجـارة الجملة مركزا لمقاومة سير المجتمع نحو الاشتراكية وهذا المركز الحيوى يسمح للطبقة الرأسمالية بأن تحقق نموا جديدا من عملياتها المشروعة وغـير المشروعة فى السوق السوداء .. وهذا التوسع الذى تحققه الرأسمالية له طابع طفيلى لانه لا يساهم فى عملية الانتاج ويحرم الاقتصاد الوطنى من قوة استثمارية كبيرة » ..

ويختم فؤاد الدهان مقـاله بضرورة اعـادة صياغة تجارة التجزئة على اسس جديدة تعاونية قوامهـا الديمقراطيـة وبعيـدا عن وصـاية البيروقراطية، على ان تقوم تعاونيات التجار بتوفير السلع والائتمان وتمكين التجار من التعرف على رغبات المستهلكين بصورة اكثر فاعلية كما تمارس الاشراف والرقابة على احترام التجار للتسـعيرة فضلا عن ان التعاون يفتح للتجار باب الانتفـاع بنظام التأمينات الاجتماعية على اختلاف صورها ، وايضا الاسـتفادة بالغرف التجـارية القـائمة وامكانياتها الادارية والاحصائية والمالية .

وكنا نود الا تقتصر هذه الدراسة على بيـان الضرورات التى تفرض التمويل الاشتراكى للتجارة وانشاء وحدات عامة للاتجـار بالجملة وتشجيع التنظيم التعاونى لتجار التجزئة ، وان تتنـاول تحديد وحدات القطاع العام فى مجال تجارة الجملة وتخطيط الاسعار وبيان علاقاتها سواء بوحدات القطاع العام المنتجة والمستوردة او بالتعاونيـات الاستهلاكية (التى تضم تجار التجزئة) .

وتحت عنوان « دور التنظيمات الشـعبية فى توجيه الاستهلاك » تناول **ظريف عبدالله** المضمون

الطبقي لمركة تصفية السوق السوداء باعتبارها « ميدان من ميادين الصراع الاجتماعي بين قوى الشعب العاملة وبين القوى المعادية للشعب من الرأسماليين المستغلين والتجار الجشعين . ومن ثم فهي معركة شعبية بكل معنى الكلمة ومعركة سياسية أيضا ، فمن العبث ان نتصور في الامكان مكافحة أعداء الشعب بالاجراءات الادارية والبوليسية وحدها ومن هنا كانت اهمية العمل السياسي ودور التنظيمات الشعبية ، وذلك في ثلاث جبهات رئيسية وهي تعبئة العاملين من اجل تخطي اهداف الانتاج والاستيراد والتخزين والنقل والتوزيع من اجل توفير السلع حيث تطلب وكشف حالات التخزين والمضاربة في السوق السوداء واخيرا الدعوة الجماهيرية للحد من الاستهلاك ».

بقيت ملاحظة اخيرة على هذه المشكلات الثلاث: انفصالها الواضح عن الشهادات والتقارير الواقعية الفنية بالتفاصيل الهامة والملاحظات الذكية والحلول العملية وكان المفروض ان تكون مادتها نقطة البدء في الدراسة النظرية التي تضمنها تلك المقالات .

●

سارتر والعالم العربي

وعلق محمد سيد احمد على ملف سارتر قائلا :

ضم ملف « الطليعة » عن جان بول سارتر الجوانب المختلفة لنشاط المفكر الفرنسي الكبير ، وافسح للقارىء المصري فرصة التعرف على سارتر الفيلسوف والناقد ، والروائي ، وكاتب المسرح ، ورجل السياسة .. ولكن ، اذا كان هناك ثمة مأخذ على الملف ، فهو انه قد اكتفى من حيث **منهج العرض** ، بتناول هذه النواحي المختلفة **منفصلة عن بعضها** ، علما بأن انتقاء سارتر لهذا الشكل او ذاك من التعبير ، لم يكن ابدا اعتباطا .. وانما كان يرتبط ارتباطا عضويا **بأفضل سبل التعبير** عن الفكرة الفلسفية ، **وبحركة فكره** ، طوال السنوات الثلاثين الماضية.

ويتسم الجزء الفلسفي ، على شموله للاساسيات رغم اقتضابه باستعراض **المنطق الداخلي** لفلسفة سارتر ، علما بأن حركة هذا المنطق ، وتطور فكر سارتر ، في ارتباطه — وفي مواجهة — التيارات الفكرية الكبرى التي اثرت تأثيرا بارزا في عصرنا ، **تتجاوز حدود العرض الاستاتيكي** .. واذا كانت وجودية سارتر ، لحظة في حركة النظم الفلسفية الكبرى ، فلتطور فكره ، ديناميكيتها الداخلية التي نقلته من موقع البرجوازي المتبرم من البرجوازية ، الى **موقع** متكشف سبل التوفيق بين وجوديته ، والماركسية بوصفها فكر الطبقة المتقدمة في هذا العصر ..

وربما كانت هذه الرحلة الشاقة ، مع منعرجاتها وعثراتها ، التي لا يتحمل سارتر وحده مسئوليتها، ابرز ما يميز شخصيته الفذة ، وشجاعته واتساقه على تنوع « مواقفه » ، وحرية الاختيار بما ترتبط به من التزام ..

ان اشتراكية اليوم ، بتجاوز اختزالها الى « القوالب المصبوبة » ، في حاجة الى هؤلاء الذين يستطيعون ان يثمروها باستكشافهم جوانب من « الوجود الانساني » وكيانه طالما بقيت غير مطروقة ، وليست هذه حقيقة اوروبية فحسب .. سارتر في تلاقيه مع اليسار في فرنسا ، وفي اوروبا ، بمعناه الشامل .. والجديد .. مصدر اثراء وابداع لليسار .. ولسارتر .. ولكن لم يعد يكفي قصر النظرة في تنوعها على الزاوية الاوروبية فقط .

ومن هنا يبرز جانب هام لم يتناوله الملف ، وهو **« سارتر والعالم العربي »** .. فحضور سارتر الى مصر « اختيار » له دلالته ومغزاه .. وليس « سارتريا » ان نتناول سارتر بمناسبة زيارته لمصر بدون ان نتناول « سارتر والعالم العربي » ونعني به في المقام الاول اكساب سارتر فرصة التفاعل المباشر بتجربتنا الاشتراكية — غير الاوروبية — في اصالتها وحيويتها .. كما تكسبنا فرصة اللقاء والتفاعل بمفكر من اعظم مفكري عصرنا .

●

الرافعي «مؤرخا» لا ينفصل عن الرافعي «سياسيا»

وكتب كمال السيد عن البحث الخاص بالرافعي وثورات مصر الثلاث يقول :

لفتحي خليل اسلوب ادبي مبسط ، يتناول به اهم القضايا السياسية والفكرية في المستوى الذي يجعلها في ميسور جمهور واسع من قراء المجلات الاسبوعية ، ويخلق منها نوعا متميزا من « الادب السياسي » الذي لا يمكن فصله عن الاطار الذي يظهر فيه ، ونقصد به الكتابة في المجلات الاسبوعية السياسية التي تدخل في اعتبارها نوع القارىء ووقته من جانب ، ودقة التحليل وصحته من جانب آخر .

ومقال فتحي خليل في « الطليعة » عن « عبد الرحمن الرافعي » خير تجسيد لهذا المنهج اذ انه يقدم لمحات تحليلية سريعة وذكية عن الرافعي « مؤرخا » . فيرجع السبب في ان الثورة عنده تعبير فضفاض ، لا يفرق بينها وبين **التمرد** او الهبة او الانتفاضة ، الى انه لا يعتبرها انقلابا

طبقيا فى طبيعة السلطة او محاولة لاحداث هذا الانقلاب الطبقى . ويفسر سر تحامل الرافعى على العرابيين ، بأنه يرجع الى عاملين ، الاول ان الرافعى كان من ابناء مرحلة النكسة ، الذين هالهم الاحتلال فألقوا بمسئوليته على الثورة العرابية ، والثانى ان الحركة الوطنية الوليدة والرافعى من رجالها كانت تتجه الى التعاون مع السراى واستمالتها ولو كان ثمن ذلك رسم صورة قاتمة للثورة العرابية ، بل ويضيف الكاتب ان عجز ثورة ١٩١٩ عن اقتلاع الاحتلال ، قد حمله الرافعى لحساب العرابيين . ويوضح فتحى خليل ان منهج الرافعى يرد احداث التاريخ الى ارادات القادة وقراراتهم باعتبارها العامل الحاسم ، وانه كان اسيرا للمفهوم القديم عن دور الجيش على خريطة الدولة والمجتمع ، باعتباره اداة لحفظ النظام ، وان خطيئة العرابيين الاولى تكمن فى محاولتهم جعله «اداة سياسية للسيطرة والحكم» .. ويؤكد الكاتب ان منهج الرافعى القدرى حجب ـ غالبا ـ رؤيته للقوى الطبقية وصراعها وجعله يعتقد بنجاح ثورة ١٩١٩ وانها تصلح لكى تكون قاعدة تبنى عليها الاجيال عن طريق التراكم الكمى والتطور الهادىء الحكيم ، وان سر عظمتها يكمن فى خلوها من المضمون الاجتماعى . وقد جعله هذا يعيش تحت وهم ان ائتلاف القوى الرجعية والوطنية كان ممكنا ومفيدا . وظل كذلك الى ان فاجأته ثورة١٩٥٢ التى كانت خروجا على مفاهيمه التقليدية باعتبار ان القائمين بها ضباطا من غير اهل السياسة ، كما انها سارت على غير خطته فى النمو . وعندما دخلت مرحلة التحول الاجتماعى بكل ثقلها ، تجاوزت حتى قدرته على الرصد والتحليل ، فكر راجعا على اعقابه يؤرخ لمصر القديمة ويتأمل فى احداثها .

والواقع ان فتحى خليل فاته جانب هام من جوانب شخصية الرافعى ، ونقصد به الرافعى « سياسيا » ، فالرافعى الذى اتصل مبكرا بمصطفى كامل ومحمد فريد وعمل محررا فى اللواء ، وتدرج فى عضوية الحزب الوطنى حتى اصبح سكرتيرا عاما للحزب فى ١٩٣٣ ، واصبح عضوا فى البرلمان ، ووزيرا للتموين ، ونقيبا للمحامين ، ولقد بدأ كتابته للتاريخ كجزء من عمله الوطنى . اذ انه عندما قابل مصطفى كامل وتأثر به ، عزم على كتابة سيرته ، ولكنه وجد انه من الافضل له ان يرجع الى بداية الحركة القومية . والرافعى وهو يؤرخ للاحداث لا ينسى صفته السياسية ، بل وصفته الحزبية الضيقة ، فهو يصدر فى كل كتاباته عن رأى متحيز للحزب الوطنى ، مبرر لكل تصرفاته ، متحامل على ما عداه ، وبالذات على الوفد لاسباب حزبية بل وشخصية فى بعض الاحيان وكون الثورة تعبيرا فضفاضا عنده ، مفرغا من اى مضمون طبقى ، بل واعتبار اى نوع من القلاقل ضد اى سلطة حتى ولو كانت اجنبية او رجعية ثورة ، ليس من قبيل التجاوز وعدم الدقة ، وانما ينبع من اختيارات سياسية واضحة ومحددة ، وواعية بمصلحتها الطبقية ، فالرافعى وقيادة الحزب الوطنى ، ممثلة البرجوازية المصرية التى لم تقف موقفا حاسما من الاقطاع والرجعية ، لا يريدون ، باعتبارهم ملكيين دستوريين ، المساس بجوهر الاوضاع القائمة ، بل كل ما يطمعون فيه هو تقنين هذه الاوضاع واتاحة مكان لهم حتى ولو كان الى جوار صدقى او حسين سرى . ومنهجهم فى عبادة الدستور ، وتكاتف الغنى والفقير فى البناء وتضامنهما ، والاكتفاء بفرض الضرائب التصاعدية على الاغنياء والبر ان لم يقبلوا عليه مختارين ، ووضع حد لزيادة الملكية دون المساس بما سبق ان كسبه كبار الملاك ، وذلك بهدف زيادة عدد صغار الملاك ، هذا المنهج الاصلاحى التطورى هو الذى يشكل الارضية الفكرية لاسلوب الرافعى « القدرى » كما يسميه فتحى خليل ، و « الاخلاقى » كما يسميه آخرون ، الذى يجرد التاريخ من العوامل الاقتصادية والاجتماعية ويستبعد كل العوامل المادية ، ويرد الامور الى افضلية شريف على عرابى ، ومصطفى كامل وفريد على سعد زغلول ، وحافظ رمضان على مصطفى النحاس .

والواقع ان الرافعى ادرك ، فى حدود وضعه الطبقى والفكرى ، الصراع الطبقى وحدد ملامحه بدرجة او بأخرى ، اذ تعرض لوضع مختلف الفئات الاجتماعية ، بل وسجل الاسباب الاقتصادية والاجتماعية للثورات ، وعدد مظاهر السيطرة الاقتصادية الاجنبية . وانما الخلاف يكمن حول مدى الاهمية التى يعطيها الرافعى لهذه الاسباب فى صنع الاحداث . فليس المهم الاعتراف بوجود الصراع الطبقى ، بل الاقرار بنتائجه ودوره وتأثيره ، ومن هنا كان عجز الرافعى عن متابعة احداث ثورة ١٩٥٢ ، ونكوصه الى التاريخ المصرى القديم ، ولا يرجع هذا بالدرجة الاولى الى انه من ابناء مرحلة النكسة ، فكم من هؤلاء جدد نفسه ومشى مع الجديد وعمل فى سبيله على قدر طاقته ، بل وطور افكاره واحكامه السابقة ، الامر الذى لم يفعله الرافعى ، على الاقل بالدرجة الكافية .

والحقيقة ان مقال فتحى خليل رغم ذكاء تحليله للرافعى « مؤرخا » ، ودقة ايضاحه لاسباب القصور فى منهجه ، فانه يترك انطباعا عاما بأسقاط الجانب السياسى ، ولا احد ينكر فضل الرجل فى الانبعاث الوطنى ، فالرافعى يعد المؤرخ المصرى الذى تناول فترة طويلة من تاريخنا القومى ، ورصد احداثها ، الامر الذى يجعل منها مرجعا وسجلا لتلك الفترة من تاريخنا ، ولم

يخضع فى ذلك الا لما يمليه عليه ضميره الشخصى والحزبى ، ومنهجه الفكرى . كما انه المؤرخ الذى أبرز ، بدرجة او بأخرى دور الجماهير فى صنع الاحداث ومس مسا رقيقا ظروف معيشتها وحياتها واثر ذلك على التطور العام .

يبقى بعد ذلك ان مقال فتحى خليل يعد منهجا جديدا فى الكتابة عن شخصياتنا الوطنية ، نطلب المزيد منه والتوسع فيه .

●

حول الحوافز المادية .. والحوافز المعنوية

وعلق سعيد خيال على مقال توسيع القاعدة الاجتماعية للادارة والابواب الثابتة للمجلة :

كتب الدكتور محمد الخفيف مقالة بعنوان : « توسيع القاعدة الاجتماعية للادارة » . وقد تنقل بنا بين عدة نقاط ، فمن كلام عن الخطة الخمسية الاولى الى تحصيل لكتاب **بانيكار** .. لنقل انها معلومات مفيدة على كل حال .

ولقد استلفت النظر قوله مؤكدا : ان اهم حافز على العمل فى ظل الاشتراكية هو فعلا الملكية العامة لوسائل الانتاج ..

واخشى ان يفسر القارىء هذه القاعدة على ان الحوافز المادية والمعنوية هى رجس من عمل البورجوازية . وان الملكية العامة اصبحت غريزة فى الانسان تدفعه للعمل بصرف النظر عن مصلحته فيه .. ولذلك اردنا ان نقول للقارىء ان الاشتراكية بما تضمن من عدالة التوزيع القائم على اساس العمل او الجهد المبذول . وبما تقرره من حوافز ماليةوعينية ومعنوية تجزى بها الافضل والاحسن ، وبما ترسيه من استقرار واطمئنان لا يعرف القلق فى الحاضر او فى المستقبل وبما تتيحه من فرص للتعليم والتثقيف . بهذا وبغيره مما لا يقع تحت حصر مسبق ، تكون الحافز الدافع على العمل والاتقان .

ومن التقارير تقرير عن « اللجنة العليا لتصفية الاقطاع تنقل نشاطها الى القطاع العام » .

وقد اورد كاتب التقرير فى ايجاز مهمة اللجنة وهى كلمة اعادة تنظيم القطاع العام او ملكية الشعب . بوضع اسس جديدة للعمل فيه ، وتحديد للمسئوليات واساسها مسئولية الرجل الواحد ، والتطهير من العناصر غير الصالحة مع امتصاص العاملين الزائدين عن الحاجة فى المشروعات الجديدة .

والذى لم يذكره التقرير هو ان هذه الإجراءات الهامة والضرورية تتم داخل لجنة التمة . وكان المنتظر ان تنهض القواعد فى التنظيمات الجماهيرية المختلفة بدورها الهام بشرح هذه الاجراءات وبيان دور الجماهير العاملة فى وضعها موضع التنفيذ ، واثارة الحماس حولها واقناع الناس بها وشرح اسبابها ، والواقع ان العمل الجماهيرى الديمقراطى لا غنى عنه للقيادة الثورية فى بناء المجتمع الاشتراكى .

كما اورد ، تقرير : « الوطن العربى جبهة واحدة ضد عدو واحد » تسجيلا للمواقف والوقائع على قدر الامكان . والجبهة هى جبهة القوى الوطنية والثورية ضد العدو الواحد وهو حكم الرجعية فى السعودية والاردن وضد الاغتصاب فى فلسطين .

والذى يدعو للحيرة حتى اليوم هو عدم وضوح الهدف امام الجبهة الثورية فى هذا الخصوص .

ما هدف النضال ، هل يستهدف تغيير النظم القائمة فى البلدين ، ام هو ردع هذه النظم لتسير فى اتجاه تحررى .. ؟ ! ثم ما هى الشعارات العملية المطروحة امام الجماهير غير يسقط ويحيا والمفرقعات ..

لا شك ان الحركة الثورية الحقة لا تمضع زادها يوما بيوم ، دون استراتيجية محددة واهداف واضحة وتنظيم على مستوى المعركة وما بعد المعركة ايضا ..

وجاء فى التقرير ايضا ان حركة الثورة العربية كانت تعانى جزرا او تقلصا ، وانها اجتازت هذه الفترة ، ودخلت حاليا مرحلة المد الثورى .

فهل هذا صحيح ؟ هل هو جزر ومد ام انه شىء آخر ؟ المسألة تحتاج الى تفكير والى تأصيل .

واظهر تقرير «الكونجو ــ كينشاسا» امرين : الاول ان الرئيس موبوتو يقف موقفا حازما ضد الاستعمار البلجيكى .. والثانى ان الولايات المتحدة وايطاليا واليابان تتطلع الى توسيع استثماراتها فى الكونجو على حساب بلجيكا .

وان كان لنا ان نضيف شيئا فهو ان هذا يدل على ان التناقضات بين القوى الاستعمارية لا تزول . ورغم قيام حلف الاطلنطى وحلف جنوب شرق آسيا الذى يجمع المتنافسين ورغم السوق الاوروبية المشتركة التى قامت للتنسيق بين المصالح الاستعمارية واحكام قبضتها على المستعمرات وبخاصة الافريقية .. رغما عن هذا فان قتال الوحوش يدور خفيا بينها وقد احسن موبوتو بالاستفادة من هذه التناقضات بينهم .. وحقق لشعب الكونجو مصلحة كبيرة حيث ان نصيبه فى الشركة الجديدة يبلغ ٦٠ ٪ من جملة الاسهم .

وكما جاء فى التقرير فان تأييد الكونجو فى المعركة واجب .

وثائق

وثائق تاريخية عن:

الثورة العرابية

٧

النص الكامل لمحاضر التحقيق مع علي عيسى ، وعبد الوهاب قائمقام البوليس ، وابراهيم فوزى واسماعيل صبرى ، ومحمد رفعت .

اعترف على ((بك)) عيسى بكباشى فرقة أ جى بيادة باعتراضه على البكباشى محمد عبيد حين قام الأخير باخراج الفرقة المذكورة من ثكناتها الى قصر النيل ، لانقاذ القادة العرابيين الذين حبسوا هناك ، أما عبد الوهاب ((بك)) فكان حكمدار البوليس ، وقد استفسر منه المحققون عن سر المحادثة التى تمت بين طلبة عصمت وهو من العرابيين ، وبين عبد القادر ((باشا)) مأمور الضبطية ، الا انه اوضح عدم معرفته بها وعدم حضوره وقتها ، كما اعترف ابراهيم ((بك)) فوزى الذى عمل مأمورا للضبطية فترة ما ، بعمله على تفريق الجمعيات العرابية الثورية التى كانت تحدث فى منزل عرابى ، ومحمود سامى البارودى ، وعبد العال حلمى ، وطلبة عصمت . أما اسماعيل ((بك)) صبرى فكان أميرالاى الطوبجية بالقاهرة ، وحاول منع الايه وألاى أحمد عرابى من التوجه لقصر عابدين فسجنه العرابيون . وكان محمد ((بك رفعت)) يعمل ناظر قلم تركى لوزارة الحربية ، وقد قدم لاحد أعضاء قومسيون التحقيق صورة تلغراف قيل انه ورد من الصدر الاعظم التركى يكدر فيه عرابى على سوء فعله ، وجاء به أيضا اقرار السلطان التركى لعزل الخديوى لاحمد عرابى .

محضر استجواب على بك عيسى الذى كان بكباشى ا جى بيادة

(بناء على ما تقرر فى جلسة يوم ١٧ القعدة سنة ٩٩ الموافق ٣٠ سبتمبر سنة ١٨٨٢ صار استحضار على بك عيسى ووجه اليه سعادة الرئيس الاسئلة المقتضبة فأجاب عنها كما يأتى) :

س : ما اسمك ؟

ج : اسمى على عيسى .

س : كنت بكباشى اجى بيادة وتوجهت باورطتك مع الالاى فى واقعة ٤ فبراير سنة ٨١ الى قصر النيل لاخراج الميرالايات الذين كانوا مسجونين فأفد عما اجريته ؟

ج : نعم كنت بكباشى ا جى آلاى وفى ليلة ٤فبراير سنة ١٨٨١ كنت فى منزلى فى العباسية ، وتوجهت فى ثانى يوم فوجدت البكباشى الاخر **محمد عبيد** ضرب (طابور) للالاى ، واخذه بحالة مزعجة وسألته مرارا عن الجهة المقصودة ، واجتهدت بحجز العساكر مع **راشد باشا حسنى** ولم تحصل فائدة ، واثناء توجهى لقصر النيل تقابلت مع محمد عبيد بالقرب من منزل محمود بك الفلكى عابرا بالعسكر مع الميرالايات .

س : هل توجهت لديوان الجهادية؟

ج : **حاشا** .

س : كم بلوك من البلوكات توجهت الى قصر النيل مع باقى الالاى ؟

ج : جميعها ماعدا ثلاثة بلوكات كانت فى الشغل .

س : لا يتصور انه بمجرد ان محمد عبيد يضرب بورى لتتجمع العساكر وتخرج معه بالصفة التى خرجت بها الا اذا كان موجودا اتفاق بينكم من قبل على ذلك ؟

ج : لا اعلم بذلك الاتفاق لانى وان كنت بالالاى لكن احوال الميرالاى والضباط ليست خافية .

س : الم تر الجمعيات والمخالفات التى حصلت مع كونك من كبار الضباط بالالاى ووظيفتك فيه بكباشى ؟

ج : ضباط الالاى رفاهم على الديب ولذلك كان سرهم بينهم ولم اطلع عليه بل كنت مبغوضا عندهم حتى انه عندما توجهنا للاسكندرية صار القاء عفشى وتشفع لى احد الملازمين .

س : لم تعلم شيئا ولم يبلغك امر ما ولو من الخارج او اقله فلماذا لم تسأل من الضابطان عن اسباب اجتماعاتهم واجراءاتهم ؟

ج : الالاى لم يكن منتظما ولا متبع القوانين حتى انى لو سألت احد الرؤساء،لايجاوبنى بالحقيقة ، اما جمعياتهم فهى انه كان يحضر على الديب ، وعبد العال ، وعبد الغفار، واحمد عرابى ،ومحمد عبيد ، وحسن جاد ، ويمكثون فى الكشك .

س : هل طلبة والزمر ومحمود سامى كانوا معهم ؟

ج : نعم طلبة والزمر كانا دائما معهم ، اما محمود سامى فكان حضوره فى بعض الاحيان .

س : وهل يعقوب سامى باشا كان معهم ايضا ؟

ج : لم اره الا فى الاواخر .

س : حيث ان اجراءات هذه الفتنة كانت معلومة لعامة الناس من اهالى مصر ،فكيف انت تجهل ذلك مع انك بكباشى ؟

ج : لم اطلع على اجراءاتهم لعدم حضورى معهم فى جمعياتهم .

س : يعلم من اجوبتك السابقة انك قصرت فى اداء واجبات وظيفتك اذ لو قمت بها كما يجب نحو مراقبة احوال مرؤوسيك لتيسر لك الوقوف على حقيقة تلك الجمعيات ؟

ج : حاشا لم اقصر فى اداء واجبات وظيفتى بل كنت اخرج فى التعليم والخفر وباقى الاعمال الداخلية المقررة فقط .

س : لو لم تكن متحدا معهم ، لكنت قلت لنا المسألة بصراحة واخبرتنا بما بلغك عن اتفاقهم ؟

ج : لم ار شيئا غير ماقلته .

س : لو كنت بالحقيقة ضدهم وغير متحد معهم لحبسوك كما حبسوا القائمقام ؟

ج : لم احبس ولكنى ضربت فى ذلك اليوم لعدم موافقتى لهم .

س : كيف تجهل الحالة مع انك احد حكام الالاى وزيادة على ذلك كان يجب عليك اخبار ناظر الجهادية ؟

ج : اخبرته مرارا ثم التزمت اخيرا السكوت نظرا لكونى رجلا ذا عائلة عديدة وفقيرا .

س : لماذا توجهت مع العسكر مادمت غير متفق معهم ؟

ج : لاجل ارجاعهم وكان معى سعادة راشد باشا حسنى .

س : الثبوت ان راشد باشاعمل عليه قلعة امام القشلاق ولم يسمع كلامه ، ولم يقل احد بتوجهه لقصر النيل وكذلك القائمقام حبس ، فلو كنت ضدهم لاجسروا معك مثل هؤلاء ؟ ..

ج : لم يتأخر محمد عبيد فى القشلاق لكى يحبسنى بل توجه مع العسكر الى قصر النيل .

س : حيث انك لم تعلم بمحل توجههم ولا غرضهم ، لماذا كنت مجتهدا بارجاعهم ؟

ج : نظرت خروجهم بهيئة غير منتظمة ففهمت ان ذلك لامر مخالف .

س : هذه محاولات ، وقد تكررت اليك السؤالات بالاجابة بعبارة صريحة ، فأفد بغير تمحل ؟

ج : الذى اعلمه انى كنت بأورطتى وسمعت نوبة (طابور) فنزلت انا وخورشيد بك ، وعلمت وقتئذ بتوجه العسكر لاخراج الميرالايات .

س : لم يسبق التنبيه من الميرالاى باخراجه من السجن لو حبس ؟ .

ج : اذا كان يوجد اتفاق او تنبيه من هذا القبيل ، فيكون مع محمد عبيد ولابد ان يكون كذلك ..

س : احمد فرج البكباشى زميلك، قال انه سبق التنبيه عليكم بما ذكر ؟

ج : انا ماكنت حاضرا ذلك التنبيه .

س : حيث انك كنت ترى تجمع احمد عرابى وباقى الفئة بالقشلاق بطرف على الديب، فلماذا لم تبحث عن اسباب حضورهم هناك ؟

ج : حيث ان هؤلاء الاشخاص هم ضباط كبار عظام فكنت اظن ان حضورهم للتكلم مع البعض بصفة اصحاب واحباء

س : لماذا اجتماعهم كان فقط بطرف على الديب ، مع انه ميرالاى مثلهم ؟

ج : اجتماعهم لم يكن فقط فى طرف على الديب بل بطرف خلافه ، وهذا معلوم للجميع .

س : قلت انك لم تكن متفقا معهم وضدهم ، فلماذا رقوك مع الباقى ؟

ج : لما صدرت الاوامر الخديوية بترقيهم ، لم اكن معهم انما ترقيت فى ثانى دفعة .

س : الذين ترقوا جميعهم من زمرة العصاه ولو كانوا يبغضونك كما قلت لما رقوك ؟

ج : الرأى لسعادتكم

س : سألتك عن سبب اجتماعهم، قلت لى انهم اصحاب واحباء فهذا غريب بالنظر لما كان معلوما عموما ان الغرض من اجتماعهم الاتفاق على بعض امور ؟

ج : لم اقل ذلك بل قلت انه بالنظر لعدم حضورى معهم ، لم اعلم بسر اجتماعاتهم بل بلغنى عنها مابلغ الجميع .

س : قل لنا ماذا بلغك ؟

ج : الذى بلغنى انهم كانوا يجتمعون فى المنازل فى ضيافات ، وغيرها ويتكلمون مع بعض فى الاحوال التى كانت حاصلة .

س : ماهى تلك الاحوال ؟

ج : منع سفر بعض الضباط للسودان ، وسن قانون ، وما اشبه ذلك كما بلغنى من الخارج ،

س : هل كنت بالالاى فى واقعة ٩ سبتمبر سنة ٨١ لما تجمعت فى عابدين الالايات عموما ؟

ج : كنت بمنزلى مريضا لاصابتى بكسر بعض الاعضاء .

س : ما الذى بلغك عن تلك الواقعة ؟

ج : بلغنى ان احمد عرابى اخذ الالايات ، بيادة وطوبجية وسوارى وتوجها الى عابدين .

س : لاى سبب ؟

ج : لطلبات قيل انهم متطلبونها.

س : ماهى تلك الطلبات ؟

ج : رفع الوزارة .

س : اى الوزارات ؟

ج : لست متذكرا .

س : وما هو غير ذلك ؟

ج : سن قانون .

س : احمد عرابى ضابط الاى واحد، فمن امر باقى الالايات بالتوجه ؟

ج : هو احمد عرابى الذى نبه بالتوجه .

س : كم كانت مدة مرضك قبل ٩ سبتمبر سنة ٨١ ؟

ج : ٥ اشهر منها اربعون يوما بالاسكندرية والباقى فى العباسية ، وكان سالم باشا يعالجنى .

س : هل كنت فى محاربة العصاة بالتل الكبير ؟ .

ج : لا بل كنت فى مديرية المنوفية لتشهيل العساكر .

س : اين توجهت بعد قيامك من المنوفية ؟

ج : للبحيرة ومن البحيرة توجهت الى رشيد بالالاى مع الآيات ابراهيم طعيمة والحلوانى.

س : ماهى التنبيهات التى صدرت لك وقتئذ ؟

ج : محاربة الانكليز .

س : الم تعلم ان محاربة الانكليز مضادة للحضرة الخديوية ؟

ج : لا اعلم ذلك والذى سمعت ان محاربة الانكليز كانت بأمره .

س : الم تعلم باوامر الحضرة الخديوية التى صدرت بعدم وجوب حرب وبعزل عرابى وعدم استماع اوامره ؟

ج : لا اعلم ذلك .

س : الم ترد مكاتبات من عرابى لما كنت بالمنوفية والبحيرة قيل فيها انه ولو ان الخديوى امر بابطال الحرب ولكن يجب الاستمرار على المقاومة ، وعلم لك منها أن الخديوى امر بابطال الحرب ؟

ج : لم ار شيئا مثل ذلك .

س : منذ كنت فى رشيد الم تطلع على منشورات او مكاتبات او غيرها تعلن بذلك ؟

ج : ما اقمت فى رشيد الا عشرين يوما ثم ورد أمر من الخديوى بالتسليم فسلمنا .

س : كيف تجهل ان الحرب كان ضد امر الخديوى ، مع ان احمد عرابى ذكر فى بعض مكاتباته انه صدر امر من الخديوى بعزله وابطال الحرب ، وعقدت الجمعيات فى الداخلية وتقرر بها الاستمرار ونشر ذلك بالجرائد ، وبالطبع صدرت لكم الاوامر المذكور فيها ايضا ذلك ؟

ج : الأوامر التى صدرت لنا من ناظر الجهادية مذكور فيها فقط اننا نحارب الانكليز .

س : الم يبلغك هرب لبيب بك المهندس الذى كان معكم وتوجه للخديوى ومن ذلك تعلم ان محاربة الانكليز هى ضد امر الحضرة الخديوية ؟

ج : لم يبلغنى ذلك ولم اعرف اليك المذكور ، لانى لما توجهت الى رشيد لم اجده هناك .

س : لما توجهت بالآلاى لرشيد هل كان ذلك بأمر ؟

ج : نعم بمقتضى تلغراف من يعقوب باشا سامى .

س : احضر هذا التلغراف ؟

ج : ليس موجودا معى .

س : لما بعثت بالآلاى هل كنت تعلم ان عرابى سبق عزله ، وان استمراره على المحاربة مخالف لاوامر الحضرة الخديوية ؟

ج : لا أعلم ذلك بل توجهنا بأمر عرابى .

س : ان امر عرابى المقول منك عنه ، مخالف لامر الحضرة الخديوية فلماذا انقدت له ؟

ج : الذى أعلمه من ناظر الجهادية ان الحرب بأمر الخديوى وانه صدر به ديكريتو فى الاسكندرية .

س : الم تطلع على الجرائد التى توضح فيها كيفية حصول الضرب على طوابى الاسكندرية وانتهائه ؟

ج : لم يحضر لنا جرائد فى رشيد .

س : الم يبلغك مذ كنت فى المديرية عزل احمد عرابى ؟

ج : لم يبلغنى ذلك

س : كيف تنكر ذلك مع ان جميع ماذكر نشر فى الجرائد التى تصدر بأمر العصاه وقيل فيها انه ولو ان الخديوى امر بأبطال الحرب لكن بناء على رغبة الامة يلزم الاستمرار عليها ؟

ج : الرأى لسعادتكم

س : قلت انك كنت مريضا فى يوم واقعة عابدين واورطتك توجهت لهناك فمن توجه اليها ؟

ج : الصاغقول أغاسى طبعا حيث انه كان موجودا هناك .

س : ما أسمه ؟

ج : محمد عوض

(بعد ذلك اعيد للسجن فى ٢٠ القعدة سنة ١٢٩٩)

اعضاء	اعضاء
محمد مختار	مصطفى خلوصى
سليمان يسرى	مصطفى راغب
محمد حمدى	سعد الدين
محمد زكى	يوسف شهدى
على غالب	

رئيس قومسيون التحقيق
اسماعيل ايوب

محضر استجواب عبد الوهاب بك

بناء على ما تقرر بجلسة يوم الجمعة ٢٣ ذا سنة ١٢٩٩ الموافق ٦ أكتوبر سنة ١٨٨٢ حضر عبد الوهاب بك قائمقام البوليس سابقا ووجه اليه سعادة الرئيس الأسئلة اللازمة فأجاب عنها كما يأتى :

س : ما اسمك ؟

ج : عبد الوهاب

س : ما هى وظيفتك ؟

ج : كنت حكمدار البوليس .

س : فى يوم الخميس صباح ٨ سبتمبر سنة ٨١ حضر **طلبه باشا** لطرف عبد **القادر باشا** مأمور الضبطية فى ذلك الوقت وحصل بينهما كلام وكنت وقتئذ موجودا امام المأمور المشار اليه فماذا سمعت من ذلك ؟

ج : لم إسمع شيئا ، فانه قبل حضور طلبه باشا كان نبه على سعادة المأمور بأخذ خمسين عسكريا والتوجه لطنطا لاكلف الحضرة الفخيمة الخديوية على التشريف الى هناك .

(بعد ان اجاب بما توضح اذن له بالانصراف فى يوم السبت ٢٤ ذا سنة ٩٩)

اعضاء	اعضاء
محمد مختار	مصطفى خلوصى
سليمان يسرى	مصطفى راغب
محمد حمدى	سعد الدين
محمد زكى	يوسف شهدى
على غالب	

رئيس القومسيون
اسماعيل ايوب

صورة استجواب ابراهيم بك فوزى ـ مامور الضبطية سابقا

حسب ما تقرر بجلسة يوم الاحد ١٨ القعدة سنة ٩٩ الموافق اول اكتوبر سنة ٨٢ ، صار استحضار ابراهيم بك فوزى ووجه اليه سعادة الرئيس الاسئلة المحررة ادناه ، فاجاب عنها بما يأتى :

س : ماذا تعلم فى واقعة ٤ فبراير سنة ٨١ ؟

ج : فى صباح ذلك اليوم ، امرنى **عثمان رفقى باشا** ناظر الجهادية وقتها باحضار عساكر من المستحفظين ولو قدر ٤ بلوكات ربما يحصل شىء ، وان النظار لهم ثقة بنا ، فجعلت الاربعة بلوكات المذكورة جاهزين بقصر النيل ، وحضرت فاخبرت مأمور الضبطية بذلك ، وفى اثناء ذلك بلغنى قيام برنجى الاى وتوجهه لقصر النيل وهجومه بقصد اخراج المير الايات المسجونين .

س : كان معك خبر قبل قيام برنجى الاى ؟

ج : حاشا لله ، بل انه لما بلغنى قيامه ، توجهت لجهة قصر النيل فقابلنى **عبد العال باشا** فى حال خروجه مع العساكر من قصر النيل وبمجرد رؤيتى شتمنى بالفاظ قبيحة وتوعدنى بالقتل ، ولا اعلم السبب وبالجملة وضع احد العساكر البندقية فى صدرى .

س : لماذا توجهت الى الضبطية وتركت الاربعة بلوكات التى استحضرتها بأمر ناظر الجهادية مع كونه نبه عليك بجعلهم حاضرين ، وعلمت الاهمية حتى ترتب على ذلك دخول برنجى الاى الى قصر النيل بكل سهولة ؟

ج : نظرت ان توجهى لمأمور الضبطية واخباره بذلك ضرورى لاجل المداولة فى ترتيب خفراء وقره قولات البلد خشية حصول امرمضر ، ومع ذلك تركت مع البلوكات البكباشى وقتها **وهو محمد بك حمدى** القائمقام الآن .

س : ما اسباب توجه اورطتك لعابدين فى يوم ٩ سبتمبر سنة ٨١ ؟

ج : ان توجه اورطتى لعابدين كان بناء على امر الحضرة الخديوية الذى صار تبليغه لى يوم الجمعة من سعادة عبد القادر باشا مأمور الضبطية وقتها ، وكان معها ايضا بلوك صار جمعه من البوليس ، ووضعتها امام باب المعية الغربى لحفظ الحضرة الخديوية ومن فى السراى وعبد العال باشا وضع خلف المستحفظين اورطة من آلايه .

س : لاى سبب وضع عبد العال باشا تلك الاورطه خلف المستحفظين ؟

ج : لا ادرى ان كان يقصد خيانة او غير ذلك .

س : اما كان حاصلاً جمعيات وقتها ؟

ج : كان حاصلا وانا الذى كنت مأمورا من طرف الحضرة الخديوية وفرقتها تقريبا ، وكنت ابلغ الاخبار والحوادث المتعلقة بها بأوقاتها لمأمور الضبطية ومنه للمعية .

س : بمنزل من كانت تعقد الجمعيات ؟

ج : بمنزل احمد عرابى ، ومحمود باشا ، وعبد العال ، واحيانا فى بيت طلبه باشا .

س : هل كان طلبه باشا موجودا فى الواقعة ؟

ج : وان لم يكن مستخدما بالآلايات لكن كان معهم .

(بعد ان اجاب بما توضح اعلاه صار انصرافه فى ١٨ القعدة سنة ٩٩)

(بناء على ماتقرر بجلسة يوم الجمعة امس ٢٣ ذا سنة ١٢٩٩ الموافق ٦ شهر اكتوبر سنة ٨٢ ، حضر ابراهيم بك فوزى ووجه اليه سعادة الرئيس السؤال المحرر ادناه ، واجاب عنه بما يأتى)

س : كنت حاضرا فى يوم ٨ سبتمبر سنة ٨١ بطرف **عبد القادر باشا** مأمور الضبطية وسمعت ماحصل بينه وبين طلبه باشا مذ حضر عنده ، فقل ماسمعته ؟

ج : قبل ذلك اليوم طلبنى الجناب الخديوى ونبه على بمنع الجمعيات ، فنبهت بذلك على الضباط ، ولما حضر عبد القادر باشا ، طلبنى **مصطفى بك راغب ، وعمر بك رحمى ، وعبد الوهاب بك** ، وتكلمنا فى هذا الشأن ، وفى ثانى يوم حضر **طلبه باشا** بحضورنا ،

فالقى عبد القادر باشا بعض عبارات وتنبيهات مختصة بتسكين الافكار واخماد الفتنة فجاوب طلبة باشا باننا لانموت فطيس وقبل ان نموت لابد ان نميت اناسا كثيرين .

وانصرف بعد ذلك على عزم ان يتكلم مع احمد عرابى لاصلاح الحالة .

(وبعد ان اجاب بذلك اذن له بالانصراف فى يوم السبت ٢٤ القعدة سنة ١٢٩٩)

اعضاء	اعضاء
محمد مختار	مصطفى خلوصى
سليمان يسرى	مصطفى راغب
محمد حمدى	سعد الدين
محمد زكى	يوسف شهدى
على غالب	

رئيس القومسيون
اسماعيل ايوب

محضر استجواب اسماعيل بك صبرى

حسب ما تقرر فى جلسة يوم الاربعاء ٢١ القعدة سنة ١٢٩٩، ٤ من اكتوبر سنة ١٨٨٢ ، صار استحضار اسماعيل بك صبرى الذى حضر الى سجن الضبطية من الاسكندرية ، ووجه اليه سعادة الرئيس الاسئلة اللازمة فاجاب عنها كما ياتى :

س : هل كنت ميرالاى الطوابجية بمصر ؟

ج : نعم

س : لما كنت ميرالاى الآلاى المذكور ، فماذا علم لك مما جرى فى عابدين فى واقعة يوم الجمعة ٩ سبتمبر سنة ١٨٨١ ، لما تجمعت العساكر هناك ؟

ج : الذى اعلمه هو انه لغاية يوم الاربعاء كنت بالاسكندرية ميرالاى ١ جى سواحل ، ثم حضر لى امر من الجانب الخديوى بنقلى من ١ جى السواحل الى مصر، فحضرت وتوجهت لديوان الجهادية واستلمت امر تعيينى ميرالاى الطوبجية البرى ، فذهبت للعباسية فى يوم الخميس الساعة عشرة لاستلام الآلاى وبعد استلامه على يد القائمقام ، مكثت فى اوضة البكباشى نظرا لعدم وجود عفشنا لعدم احضاره من الاسكندرية ، وبعد برهة حضر الى اوضة البكباشى التى كنت فيها **احمد عرابى** ميرالاى ٤ جى بيادة الذى كان موجودا بالعباسية ومعه بكباشى يسمى الزمر ، فتكلم الزمر المذكور معى فى شأن المنشور الذى ورد فى ذاك الوقت من الجهادية لعموم الآلايات فيها بوجوب الاهتمام بالتعليمات والقاء الدروس وعدم التداخل بما لايعنى الانسان وعدم التجمع . واوضح انه صار رد ذلك المنشور للجهادية ولم يصر قبوله لديهم . اما من جهتى ففى حال وروده لآلايننا نشرناه على اورط الآلاى وجرى مفعوله ولم اصغ لما قاله الزمر واحمد عرابى من انه يجب علينا رده كما فعلوا ، بل اخبرتهم بأن هذا لايصح، واوامر الجهادية لابد من اتباعها وتنفيذها على حسب اصولنا المعلومة التى لانتعداها وكان حصول ذلك بحضور بكباشية آلاى الطوبجية ثم قام احمد عرابى والزمر وتوجها لمحلهما وتوجهت لمنزلى فى تلك الليلة ، وفى اثناء مرورى توجهت لمنزل رفعت بك كاتب تركى الجهادية واخبرته بما حصل كى يشعر ناظر الجهادية وقتها بذلك .

وفى يوم الجمعة الساعة ثلاثة نهارا ، حضر الى منزلى بالحلمية صاغقول اغاسى من الآلاى يسى **محمد حسنى** ، واخبرنى ان ضباط آلاينا جميعهم من ملازم ثانى لحد البكباشية حصل عندهم هياج زائد ، فتوجهت معه لمركز الآلاى وقصدت اوضة البكباشى المسمى **عباس افندى وهبى** ، فوجدت جميع الضباط المذكورين مجتمعين وواقفين على اقدامهم بهيئة شر ، ولما استفهمت منهم عن سبب تجمعهم وما يرغبون ، اجابوا بأنهم يرغبون التوجه لطرف احمد عرابى بمركز الآلايه المجاور لمركز آلايننا ودعونى لمرافقتهم فأمتنعت من ذلك لقرب عهد حضورى وعدم معرفتى لاحمد عرابى المذكور الذى علمت بأتحادهم معه من المكالمة التى حصلت بينى وبينهم ، وبالاختصار اقول ان الساعة ٨ ضرب احمد عرابى (طابور) لآلايه وآلاينا ، وتجمع كلاهما وذهبا ولما اردت منعهم اهانونى وسجنونى بناء على امر احمد عرابى بقشلاق البيادة حكمداريته ونظر ذلك رضا باشا .

س : الم تتوجه لعابدين مع الآلاى .

ج : حاشا ، بل بعد ان تركونى وحدى فى العباسية تبعتهم فرايتهم تجمعوا هناك فتركتهم وساروا فى سبيلهم ثم عادوا وتعصبوا جميعا ضدى وتشكوا فى حقى حتى ترتب على ذلك نقلى للسواحل .

س : من عينك بعد ذلك للسواحل ؟
ج : تعينت بناء على امر الخديوى .
س : لما توجهت للسواحل وحضرت المراكب الفرنساوية والانكليزية ، ماكانت التعليمات التى صدرت اليك ؟
ج : قبل حضور المراكب كان جاريا تعمير الدونئمات .
س : بمقتضى أمر من ؟
ج : امر ناظر الجهادية مع محمود سامى للفريق الموجود هناك ، فان الدونئمات لم يجر تصليحها من عهد سعيد باشا .
س : ماذا حصل يوم المحاربة ؟
ج : فى الساعة ثلاثة ليلا من يوم الاثنين طلبنى أحمد عرابى بالترسانة وكان موجودا معه **محمود فهمى وطلبه وكامل باشا وعيد بك ومصطفى عبد الرحيم وسليمان سامى** وغيرهم .

وابان لى ان الانكليز سيضربون الطوابى باكر تاريخه وان المجلس الذى انعقد قر رأيه على مجاوبتهم بعد خمس كلل ولكن مع ذلك لاتجاوبوا الا بعد عشرة ثم نبه بتوزيع الآيات البيادة على الطوابى كما تنبه على مصطفى عبد الرحيم بذلك ، اعنى ان يرسل اورطه لطابية الفنار واورطة لطابية القضا وقايد باى وعلى آلاى سليمان بأن يوجد فى الطوابى من طابية صالح لطابية العجمى وبعد ذلك اخذت القائمقام وتوجهنا لاحضار البكباشية من المحلات الموجودين فيها فجمعت البكباشية ونبهت عليهم بما ذكر وتوجهوا للطوابى وفى ثانى يوم صباحا الساعة ١٢ ابتدأ الضرب من المراكب على الطوابى التى كانت جميعها بعهدتى ، لكن لم اوجد الا بأحداها ، وكان محمود فهمى بطابية الفنار فبعض النقط ضربت بعد ١٢ كلة وبعضها بعد ١٠ اما النقطة التى كنت فيها فضربت بعد ١٥ ، واستمر الضرب لغاية الساعة ٩ حتى تخربت الطوابى وتدمرت فخرجنا ، وفى اثناء الليل وردت لى بوصلة من عرابى يأمرنى فيها بأن ارفع علما ابيض اذا حصل ضرب فى اليوم الثانى .
س : أين البوصلة ؟
ج : ربما توجد بطرف المعاون المسمى **أحمد فهمى** .
س : ماذا جرى بعد ذلك ؟
ج : الذى جرى هو انى ارسلت خبرا لبكباشى طابية الفنار المسمى **سيف النصر** بما وردت به البوصلة ، وفى ثانى يوم الساعة ٣ عربية حصل بالفعل الضرب من المراكب ، فأراد البكباشى المذكور رفع العلم الابيض فارتفع العلم الاحمر عن غلط ونشأ عن ذلك استمرار الضرب نحو ٢٠ كله ، وهذا على حسب ماقيل لى منه ثم رفع بعد ذلك العلم الابيض وبقى مرفوعا ، وفى اثناء النهار توجه طلبه للمحاكمة مع الاميرال برفقة **انيس بك** بصفة مترجم ولما عاد ، لم اعلم اين توجه وفى الساعة ٦ كنت راكبا مع **بسيم بك** للبحث عن اسباب قيام اهالى البلد وخروجهم فرأينا وكيل الضبطية **حسن بك صادق** فى جهة المنشية يتكلم مع **سليمان بك سامى** بحدة بالقرب من القره قول قائلا له لايصح مايجرون من الكسر والحريق ، ولما استعان بنا **حسن بك** المذكور لنصح سليمان سامى كى يعدل عن هذا الفعل ، وتكلمنا معه فى هذا الشأن تطاول علينا .
س : هل رأيت كيفية الكسر والحريق ؟
ج : نعم رأيت العساكر تكسر الابواب ورأيت صفائح الغاز موجودة .
س : هل سمعت من سليمان سامى انه اجرى ذلك من تلقاء نفسه او بناء على امر ؟
ج : سمعته قال انى مأمور بحرق وتخريب البلد ولما نصحناه لم يسمع منا بل قال انه لابد من ان يخربها .
س : ممن كان الأمر ؟
ج : ممن كان متحدا معه طبعا فابحثوا عمن كان متحدا معه يتضح لكم الامر ، ومع ذلك وان كانت رتبته قائمقام ولكن كان جاعلا نفسه فى درجة كبيرة حتى انه فى ذلك اليوم شتمنا وسبنا سبا بليغا .
س : تفكر جيدا .
ج : الذى اتذكره هو انه قال انى لابد ان احرق البلد واخربها .
س : ماذا جرى بعد ذلك ؟
ج : ركبنا وتوجهنا لباب شرقى ووجدنا هناك **محمود سامى وعمر رحمى** واخبرناهما بما سبق ، فكلف محمود سامى نسيم بك بالتوجه لسليمان سامى لينظر الحالة التى قيل عنها ، فامتنع نسيم بك من ذلك ، ثم كلف ابراهيم فوزى وتوجه ولم يمكنه منع سليمان بك وتصادف حضور احمد عرابى فاخبره بذلك الامر ، فكلف محمود سامى بأن ينظر فى ذلك وبالحال قام محمود سامى ثم عاد ولم يعلم ماذا جرى .
س : هل رأيت احدا فى باب شرقى غير من ذكرته ؟
ج : نعم رأيت **بهجت بك** ووكيل الضبطية وسمعت محمود سامى يقول للوكيل المذكور اخرج الاهالى واحجز منهم الخيول .
س : ماذا فهمت من قول احمد عرابى لمحمود سامى توجه وانظر ؟
ج : لم يجاوب عن هذا السؤال .
س : هل مرت المنهوبات على احمد عرابى ورآها ولم يمنع ذلك ؟
ج : نعم مرت عليه جميعها ونظرها ولم يمنع شيئا لا هو ولا محمود سامى .
س : ماذا جرى بعد ذلك ؟
ج : توجهنا لحجر النواتية وقضينا الليلة هناك مع باقى العساكر ، وفى ثانى يوم توجهت العساكر لعزبة

خورشيد ، وارسل احمد عرابى **خليل كامل** الى هناك لمنعهم من تجاوز تلك النقطة، فحصل وباتوا بالعزبة المذكورة، وفى ثانى يوم توجهوا لكفر الدوار واقاموا هناك ، اما انا فتعينت للنزول الى رشيد .

س : الم تعقد مجالس عسكرية فى اثناء ذلك وقر رأيها على شىء ؟

ج : لم اعلم فانهم لم يطلبونى .

س : هل كانت الطوابى برشيد فى عهدتك ؟

ج : كان لها اميرلاى مخصوص يسمى **امين بك**

س : الم تكن وكيل لواء وبالطبع كان الميرالاى المذكور تحت امرك ؟

ج : تعينت للنزول فقط .

س : لماذا لم تذعن لاوامر الخديوى التى حضرت اليكم بابطال الحرب وعزل عرابى؟

ج : لم تحضر لى تلك الاوامر بل حضرت لى اوامر من خورشيد باشا بأن ابقى معينا للنزول .

س : كيف تمتثل لاوامر خورشيد باشا مع انه لواء مثلك ؟

ج : امتثلت لامره لانه كان قومندانا .

س : هل بقيت فى رشيد بوظيفة لواء ؟

ج : نعم .

س : الم يبلغك صدور اوامر الحضرة الخديوية بابطال المحاربة وعزل عرابى ؟

ج : بلغنى ونشر ذلك فى الجرائد .

س : مادام علم لك ذلك ، فلماذا بقيت فى مركز اللواء ، ولم تتوجه للاعتاب السنية ؟

ج : لم اتمكن من الهرب سيما انه لما هرب لبيب بك نبهوا بان البيادة تتوزع خفراء .

س : حيث ان لبيب بك تمكن من الهرب .فكان يتيسر لك ذلك ايضا ؟

ج : لبيب بك هرب بواسطة اظهاره الرغبة فى اخذ مقاس عمق المياه .

س : كان يمكنك انت الآخر ان تظهر اجراء لزوم مامورية ما؟

ج : ماكان يمكنك ذلك لوجود اورطه بيادة فى كل طابية للخفر .

س : منذ كنتم فى رشيد توجه اليكم واحد من طرف الجانب الخديوى وطلب منكم تسليم الطوابى وابطال المحاربة ، حتى ان كثيرا من ضمن الموجودين كتبوا للخديوى انهم مطيعون ومنتظرون حضور وابور لاخذهم فهل بلغك ذلك ؟

ج : نعم بلغنى .

س : كيف بلغك ذلك ؟

ج : لم انظر من حضر ، فانه ربما كان حضوره لامين بك بالنسبة لوجوده بأبى قير على البحر ووجودى بديوان اللواء فانه لما هرب لبيب بك نبهوا على رئيس البوغاز بعدم اخراج احد .

س : افدنا كيف بلغك ورود تلك الاوامر ؟

ج : بلغنى من المراكبى الذى اوصل لبيب بك للمندرة عند هربه للاسكندرية ، فانه لما عاد قال ان لبيب بك هرب وانه .وجود وابور خارج البوغاز يوزع اوراقا واعطى بالجملة منشورات لامين بك، وامين بك ارسلها لناظر الجهادية .

س : ماهى تلك الاوراق ؟

ج : منشورات من الخديوى بأن عرابى عاصى . الخ

س : لايعقل ان المراكبى يخبرك بحضور الوابور وتوزيع الاوراق ويعلمك بما اشتملت عليه لانه لم يوجد تناسب بين درجة كل منكما ؟

ج : لم يحضر الشخص شيئا من تلك المنشورات

س : لما اخبر نسيم بك محمود سامى بحصول الحريق بمعرفة سليمان سامى كان موجودا عساكر معه حتى يتمكن من منع حرق البلد ام لا ؟

ج : كان موجودا معه الاى عيد بك

س : لماذا لم يمنع اذن الحريق؟

ج : لا اعلم بذلك .

س : الم يكن فى باب شرقى غير الاى عيد بك ؟

ج : نعم جميع العساكر اعنى الاى **مصطفى عبد الرحيم** والاى **خليل كامل** والمستحفظين والبوليس كانت هناك ماعدا عساكر سليمان سامى فانهم كانوا معه .

س : هل اذا رغب محمود سامى او احمد عرابى منع الحريق كان يمكنه ذلك ؟

ج : نعم بكل سهولة اذ كان موجودا مايزيد عن خمسة آلاف عسكرى .

س : لما سحبتم العلم الابيض وانتهى الضرب ، من امرك بترك الطوابى واخذ العساكر والخروج من البلد ؟

ج : عرابى نبه بخروج جميع الاهالى والعساكر حتى انه نبه على وكيل الضبطية باخراج الناس وحجز خيولهم .

س : قلت ان عرابى كان خارج باب شرقى وانت خارجه ، فكيف امركم بترك الطوابى والخروج من البلد ؟

ج : بلغنى انه لما توجه طلبه للاميرال طلب الاميرال بعض طلبات لابد من اجابتها فى مسافة ساعتين والا يعيد الضرب على البلد فنبه عرابى بخروج العالم .

س : متى كان عرابى بالاسكندرية ومتى خرج منها من ابتداء يوم ١١ يوليو سنة ١٨٨٢ ؟

ج : يوم ١١ يوليو سنة ١٨٨٢ كان بالاسكندرية ، ويوم ١٢ منه بقى فيها ايضا حتى خرجنا منها بناء على امره قرب الغروب .

س : قلت ان ترك الطوابى كان بأمر عرابى فهل هــذا الامر كان شفاها ، او بالكتابة او بواسطة ؟

ج : شفاها للعموم .

س : قلت انك لما توجهت لباب شرقى ماوجدت عرابى هناك فكيف اعطى هذا الامر .

ج : بعد حضوره

س : ولماذا تركت اذن الطوابى قبل مقابلته ؟

ج : كان موجودا فيها الضــباط والعساكر

بعد ذلك اعيد الى السجن

اعضــــاء	اعضــــاء
محمد مختــــار	مصطفى خلــو
سليمـــان يسرى	مصـــطفى ر
محمــد حمــدى	ســعد الـــ
محمـــد زكى	يوسف شــ
على غـــالب	

رئيس القومسيون
اسماعيل ايوب

محضر استجواب محمد بك رفعت ــ ناظر قلم تركى نظارة الحربية فى ١٩ الحجة سـنة ٩٩

بناء على الطلب الموما اليه سابقا كما هو مبين بمحضر جلسات أمس ويوم تاريخه ، حضر وسئل فأجاب كما يأتى :

س : من اى جهة تحصلت على صورة التلغراف الذى اعطيت صورته الى حضرة سعد الدين بك احد اعضاء القومسيون الموضح فيها انه صــدر من دولتلو **سعيد باشا** الصــدر الاعظم الى احمد عــرابى بتكديره على سوء فعله وان الحضرة الشاهانية اقرت على عزله الصادر من الجنــاب الخديوى فى ٤ رمضان سنة ١٢٩٩ وهل يوجد الاصــل عند حضرتك ؟

ج : ان سعد الدين بك اخذ تلك الصورة منى حقيقة وانا فى الاصل اخذت صــورتها من رجل لست متذكره وهو اخذ صورتها من شخص مطبعجى يسمى عبد الرحمن مستخدم بديوان الحربية الآن ، انما لما تحريت عن حقيقتها علم ان الاصل مخترع .

س : حيث ان المطبعجى المذكور مستخدم معكم فى الديوان ، فالقومســيون يكلف حضرتك بأن تسأل هــذا الشــخص وتدعوه يتذكــر حقيقة الجهة التى تحصل منها على تلك الصــورة وتحضر المطبعجى المذكور للقومســيون ايضــا لاجل استجوابه ؟

ج : لا مانع من ذلك فانى سأتوجه واجرى ذلك ثم اعود واعرض للقومسيون ما يتضح .

اذن له بالانصراف فى ١٩ الحجة سنة ٩٩

اعضــــاء	اعضــــاء
محمد مختــــار	مصطفى خلــوصى
سليمـــان يسرى	مصـــطفى راغب
محمــد حمــدى	ســعد الـــدين
محمـــد زكى	يوسف شــهدى
على غـــالب	

رئيس القومسيون
اسماعيل ايوب

تواصــل « الطليعــة » نشر محــاضر جلســات محــاكمة رجال الثـــورة العرابيـــة فى العـــدد القـــادم



سياستنا.. الاعتماد على أنفسنا
في تدعيم نهضتنا
وسماد بلدنا.. يحقق الخير والرخاء
ويوفر آلاف العملات الصعبة
التي كنا نستورد بها احتياجاتنا
من الخارج
نتروكيما
٢٦٪ آزوت
السماد الأصيل.. لجميع المحاصيل
شركة الصناعات الكيماوية المصرية
احدى شركات المؤسسة المصرية العامة للصناعات الكيماوية
كيما
بأسوان



دراسات ومقالات الطليعة الفكرية والثقافية (١٩٦٥ — ١٩٦٦)

يناير ١٩٦٥ :

— خطوات الطليعة
— مفهوم وطريق الاشتراكية فى الميثاق
— البطل فى الدول الحديثة النمو
— دور الادب والفن فى مرحلة الانتقال

فبراير

— مفهوم وطريق الديمقراطية فى الميثاق
— قضايا ومشاكل جديدة فى التجربة المصرية لبناء التنظيم السياسى الثورى
— التخطيط الاشتراكى والتخطيط الراسمالى
— ما هى الفلسفة ؟

مارس

— حول نغمة الافكار المستوردة
— نحو ادارة اقتصادية مرنة للمشروعات
— حول الخطة والربح والعلاوات

أبريل

— حوار مع أرنستو جيفارا — ندوة
— الفن فى خدمة الانسان

يونيو

— حركة الصراع الفكرى فى المجتمعات النامية
— نحو فن سينمائى اشتراكى
— الفن فى خدمة الدين (المسيحية)

يوليو

— التطبيق العربى للاشتراكية
— مفهوم وطريق تحالف قوى الشعب العامل

اغسطس

— اليوغسلاف يردون على جيفارا
— سلامة موسى والفكر الثورى المعاصر

سبتمبر

— القيم الانسانية بين التقدم والتخلف
— الجذور التاريخية لمفهوم الوحدة

— الفن فى خدمة الدين (الاسلام) .

أكتوبر

— الفن فى خدمة الرأسمالية

نوفمبر

— أزمة العلوم الانسانية فى مجتمعنا
— الفن المصرى بين الرأسمالية والاشتراكية

يناير ١٩٦٦ :

— حسابات ١٩٦٥ وآفاق ١٩٦٦ فى الثقافة والفنون

فبراير

— الانحراف نحو « المغامرة » .. والجمود

مارس

— الوعى الخام ومشاكل التوعية الاشتراكية
— الرحلة الانسانية فى المعرفة بالحياة الى الوعى الاشتراكى
— حول أمراض السلبية وجذورها
— بصمات العقاد الفكرية والادبية والسياسية

أبريل

— من أجل جهاز مركزى لثقافة الاطفال
— فى الطريق الى حدوتة جديدة
— صحافة الابن الجديد . . . قضية اشتراكية
— برامج الاطفال والمجتمع الجديد
— أفلام الكرتون هدف ثقافى وترفيهى
— مسرح الاطفال بين الواقع والاسطورة
— الموسيقى وتربية الوجدان الاجتماعى
— العلاقات الجمالية والتربية الحديثة

مايو

— مندور فى تراثنا القومى « ملف »

يونيو

— الميثاق أساس لنظرية فى القيم

— حصيلة الصراع الفكرى نواة « لثقافة جديدة »
— حول مفهوم « الربح بين الاشتراكية والرأسمالية »

يوليو

— حوافز الانتاج بين الفهم الراسمالى والفهم الاشتراكى
— الوعى الطبقى عند فلوبير

اغسطس

— الاشكال الجديدة للاستغلال
— نشأة السلطة فى المجتمع
— ماذا تعنى الواقعية الحديثة والفن التشكيلى
— مستقبل الفيلم . . . والمستوى الفنى والتذوق الجماهيرى
— الوعى الطبقى عند فلوبير

سبتمبر

— الوعى الطبقى عند فلوبير

أكتوبر

— انعكاسات الصراع الاجتماعى فى الفكر الاشتراكى
— الاتجاهات الفكرية فى مفهوم الملكية
— الايديولوجية الديمقراطية وصراع الطبقات
— الفكر الفلسفى وصراعنا الاجتماعى
— حول تناقضات مرحلة التحول
— الوعى الطبقى عند فلوبير

نوفمبر

— نحو موقف فلسفى أكثر نضجا
— الوعى الطبقى عند فلوبير

ديسمبر

— نظرية ابن خلدون فى الدولة
— ملاحظات حول الصراع الفكرى فى مجتمع
— الوعى الطبقى عند فلوبير

الثمن ١٠ قروش

مطابع مؤسسة الاهرام

أبريل ١٩٦٧
السنة الثالثة

الطليعة

٤

طريق المناضلين إلى الفكر الثوري المعاصر

لكل حسب عمله

تقارير وشهادات واقعية عن سياسة ربط الأجر بالإنتاج

حوار .. سارتر وسيمون دى بوفوار مع الفلاحين والعمال والمثقفين العرب



طريق المناضلين الى الفكر الثورى المعاصر

مجلة شهرية
تصدر أول كل شهر

الفهرس

العدد الرابع ـ السنة الثالثة ـ ابريل ١٩٦٧

ان ((الطليعة)) ميدان مفتوح لكل راى حر ، وفى اعتقادها ان تفاعل الآراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع ان يبلور ويستخلص وحدة فكرية اصيلة .

من هذا المفهوم تفتح ((الطليعة)) صفحاتها لكل راى لديه كلمة يقولها ــ مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى اطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر ((قد اختلف معك فى الراى ولكنى على استعداد لان ادفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رايك)) .

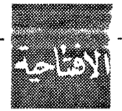
عنوان المراسلات :

((الطليعة))

مبنى مؤسسة الاهرام ١٤ شارع مظلوم
القاهرة تليفون : ٤٦٤٦٤ ــ ٤٤١٤٤

الاشتراكات :

لسنة بالبريد العادى : ج٠ع٠م ودول اتحاد البريد العربى ودول الدار البيضاء ١١٠ قرشا .



حديث عن السلبيات

المتتبع لمسار حركة الثورة العربية التقدمية فى مصر فى السنوات الاخيرة ، يستطيع ان يضع العين والفكر واليد بوضوح على ظاهرة هامة . وأعنى بها ظاهرة تفجر الحديث والمناقشة .. على أوسع نطاق .. من القيادات والقواعد معا عن « سلبيات » التجربة واسبابها وكيفية علاجها ، بعد أن كانت « الايجابيات » تستأثر بكل الحديث والاهتمام والنقاش .

ان المناضل جمال عبد الناصر ، كرئيس للاتحاد الاشتراكى ورئيس للجمهورية ، مثله مثل عضو اللجنة القاعدية فى اى قرية من القرى ، يركز اليوم — مثلا — على الانحراف البيروقراطى فى اجهزة الدولة وضرورة الكشف عنه فى كل مجال ومقاومته والقضاء عليه لتخلص « السلطة » تماما لتحالف قوى الشعب العاملة .

ولا أريد هنا ان استطرد فى عرض مئات الامثلة التى تكون هذه الظاهرة عن « الحديث المتزايد عن السلبيات » فيكفى ان تتصفح جريدة أو تشارك فى اجتماع تنظيمى أو تستمع للاذاعة أو تشاهد التليفزيون أو تحضر ندوة او محاضرة حتى تحس بمدى عمق واتساع حركة التشخيص والنقد للسلبيات . فهى لا تعفى مجالا أو أحدا . القطاع العام .. الاتحاد الاشتراكى ... اجهزة الدولة المختلفة ... الاعلام ... الثقافة الخ ...

والحق انى لم أكن واعيا تماما بحجم ووزن الظاهرة ، حتى كان لقاؤنا مع سارتر فى النصف الاول من الشهر الماضى (مارس) .. لقد كان هناك موضوعا محوريا فى ذهن

سارتر يريد مناقشته واختباره عمليا خلال زيارته لمصر وهو «قضية الحرية والاشتراكية عمليا في مصر». وظل يلح عليه دوما عندما قابلته في باريس — موفدا من الاهرام — للاتفاق على البرنامج معه وتحديد القضايا التي يريد مناقشتها عند حضوره. وظل يركز على هذا الموضوع بعد مجيئه وحتى نهاية الاسبوع الاول من زيارته. وحان موعد مناقشته مع أسرة « الطليعة » حول هذا الموضوع وبقية الموضوعات الاخرى التي طرحها. واذا بنا نفاجيء بسارتر يطلب الينا اسقاط موضوع الحرية والاشتراكية في التجربة المصرية من جدول الاعمال. لماذا ؟ آجاب سارتر ببساطته : « بعد معايشتي للتجربة في مواقعها المختلفة ومناقشاتي المفتوحة مع العمال والفلاحين والمثقفين أستطيع ان أقول ان هذه القضية لم تعد تقلقني ولم تعد سؤالا أطرحه عليكم بحثا عن جواب. لقد حصلت بنفسي على اجابات واقعية وايجابية الى حد كبير ».

ولم أستطع أن أمنع نفسي وقتها من مساءلته : كيف ؟.

وجاءت اجابته بعباراته القاطعة البسيطة : حديثكم الصريح عن السلبيات والعقبات. أنتم بالفعل شعب غير نائم.

وعندما قابل سارتر المناضل جمال عبدالناصر، خرج ليقول نفس الاجابة ويعلنها في مؤتمره الصحفي قبيل مغادرته للوطن.

والواقع ان ظاهرة « الحديث الشعبي والقيادي عن السلبيات » ظاهرة صحية تماما في مجتمعنا، لانها تعني أول ما تعني ان الثورة العربية التحررية التقدمية باهدافها الاشتراكية قد بلغت من العمق والنضج درجة تستطيع معها اليوم — ذاتيا — أن تعري بايديها دون مواربة او خجل، سلبيات التجربة في كل مجال من أرديتها.

وذلك بعد أن تبلورت الانجازات المادية والمعنوية للعمل الثوري عن قاعدة راسخة وقوة جماهيرية شاملة وواعية، يغدو معها كل محاولة لاخفاء السلبيات تحت أي ستار — وفي مفهوم حركة الثورة — عملا تخريبيا من الناحية الموضوعية.

ومن هنا يصبح التصدي « للسلبيات » بشجاعة ادبية ومنهج علمي، هو بالدقة احدى مهام الثوري المناضل اليوم في المجتمع المصري العربي المنطلق نحو الاشتراكية.

وتصبح القضية الاساسية هنا اذن هي « كيف » يتصدى الثوري المناضل للسلبيات بشجاعة ادبية ومنهج علمي ؟.

ان المناضل الثوري — كنقطة بداية — سيمنح كل ولاءه وجهده، دون ما تحفظ، لقضية انتصار الاشتراكية في مجتمعه بجميع أبعادها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.. بمعنى انه على صعيد الفكر والتطبيق يقف باستمرار ويناضل باستمرار مع كل ما من شأنه ان يلغي ويذيب الفوارق بين الطبقات، ويصفي اسباب ومظاهر الاستغلال، ويزيد الانتاج لصالح المجموع. وهو في نفس الوقت يقف باستمرار ويناضل باستمرار ضد كل محاولة لعرقلة او ايقاف عملية تصفية الاستغلال او اذابة الفوارق بين الطبقات عند حد معين، او يخرب الانتاج او يسرق جهد العاملين في شكل امتيازات طبقية من نوع جديد لصالح فئة من الطفيليين.

وانطلاقا من هذا المفهوم فان رؤية الثوري المناضل « للسلبيات » يجب ان تتسم دائما بهذه النظرة العميقة المزدوجة المتفاعلة من « موقفه مع » و « موقفه ضد » معا وفي نفس الوقت. بمعنى انه لا يرى السلبيات مجردة في حد ذاتها او في حالة جمود وانعزال عن مجرى التيار العام للتطور بصفة عامة ومحصلة الايجابيات فيه بصفة خاصة. فالتجربة الانسانية التاريخية تعلمنا، انه ما من عمل انساني — مهما كانت درجة نجاحه

او اخفاقه ـ الا ويعطى فى النهاية ثمارا ايجابية وثمارا سلبية معا ، وذلك بمفهوم العصر والواقع والاتجاه الذى وقع خلالها هذا العمل . ومهمة الثورى المناضل دائما هو التمييز الدقيق بين الايجابى والسلبى ومحاولة استخدام ما ينبع عن الايجابى من طاقات فى معالجة السلبى .

ان فسادا مثلا فى مصنع من مصانع القطاع العام ، سواء فى شكل عدم كفاية او اسراف او زيادة فى نفقة الانتاج عن الحد الاقتصادى او تدهور مستوى الانتاج كما او نوعا .. كل هذه « سلبيات » يجب ان يتصدى لها الثورى المناضل .

وهو فى تصديه لهذه السلبيات فى هذا المصنع لا يجب ان يعزلها **اولا** عن الايجابيات التى تفتحت فى نفس المصنع مهما كانت ضئيلة والا كان معنى هذا أن يصادر عمليا الحد الادنى من الامكانيات الايجابية الداخلية للتحرك الفعال ضد السلبيات . ان عليه وهو يكشف السلبيات ويعريها ان يعمل على تعبئة وتجنيد كل الطاقات الايجابية ضدها فى موقع المعركة ذاتها .

وهو **ثانيا** لا يجب ان يعزل سلبيات هذا المصنع عن كل من ايجابيات وسلبيات القطاع العام بجميع مصانعه فى حركة تطوره ونموه ، والا كان فى الحقيقة « يجرد » ما كشفه من سلبيات مصنعه من كل معنى . ويصبح « الموضوع » موضوع مصنع واحد .. موضوع جزئى ، فى حين انه فى حقيقته جزء من كل وحلقة فى سلسلة وخطوة فى مسيرة متحركة . وخطورة النظرة الجزئية والجامدة « للسلبيات » ، تأتى فى تعميم سلبية الجزء واعتباره الطابع العام للكل ، والنظرة الجزئية تقفز دائما الى هذه النتيجة لانها مريحة لصاحبها وترضى غروره الذاتى ، فى حين أنها تؤدى فى النهاية الى حسابات خاطئة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا ، واحيانا مدمرة معنويا للقدرة على التغلب على المصاعب من ناحية وللثقة فى القطاع العام كوسيلة اساسية من وسائل الانماء الاقتصادى والتحول نحو الاشتراكية .

كذلك فان مثل هذه النظرة الجزئية والجامدة « للسلبيات » تعزل الموقع الذى اكتشفت فيه هذه السلبيات عن الخبرة الجماعية المكتسبة فى الاجزاء الاخرى من الكل وبالتالى تحول دون الاستفادة منها سواء فى التشخيص او العلاج . بمعنى انه يمكن من خلال رؤية سلبيات موقع معين فى ضوء الحركة العامة فى بقية المواقع التوصل ـ بجهد اقل ووقت اقصر ـ الى حلول ثبتت صحتها وفاعليتها فى تجارب اخرى سابقة . بل وفى التحذير المسبق ـ احيانا ـ من الوقوع فى مثل هذه السلبيات التى اكتشفت فى مواقع اخرى . وهذا كله من شأنه يثرى الخبرة الجماعية لكل الاجزاء باستمرار .

وفضلا عن ذلك فان رؤية السلبيات مجردة ومنعزلة عن الايجابيات يختلف جذريا عن رؤيتها فى ضوء الايجابيات ، اى فى وضعها بميزان العمل الواقعى فى الكفة المقابلة لكفة الايجابيات . ان ميزان السلبيات والايجابيات من شأنه ان يكشف لنا مدى صحة او عدم صحة الطريق أو الاسلوب الذى نسلكه وذلك تبعا لرجحان كفة السلبيات او كفة الايجابيات . بل ان مثل هذه الرؤية المزدوجة للسلبيات والايجابيات معا تجعلنا نكتشف بعمق اكبر ما اذا كانت السلبيات قد نتجت عن اسباب عارضة او مؤقتة او هى نابعة عن اوضاع جذرية يجب تغييرها . بمعنى انه كلما كان الربط فى رؤيتنا للسلبيات والايجابيات كلما كان تكييفنا وتشخيصنا للسلبيات دقيقا وواقعيا وبالتالى علاجنا اكثر حسما وسرعة .

والثورى المناضل مطالب ايضا فى تصديه للسلبيات فى اى موقع سواء اكان القطاع العام او الاتحاد الاشتراكى او أجهزة الدولة ان لا يراها فحسب فى ضوء الكل الخاص بهذا الموقع فحسب وانما فى ضوء التطور العام للمجتمع فى حركته نحو الاشتراكية ،

وما يموج داخل هذه الحركة من صراعات بين القديم والجديد .. بين القوى اليمينية أو المحافظة وبين القوى التقدمية . وبالتالي لا يقف بالسلبيات عند سطحها الخارجي وانما يصل بها الى جذورها الاجتماعي .

ان مثل هذه ((**الرؤية الاجتماعية الشاملة للسلبيات**)) قد طبقت اخيرا في مجتمعنا وادت الى معالجات جذرية بدونها كان يمكن ان تتجمد حركة التقدم الاجتماعي ككل . فالرؤية الاجتماعية الشاملة ((للسلبيات)) في الريف مثلا بعد تطبيق قوانين الاصلاح الزراعي وكذلك في قطاع التجارة الداخلية وفي قطاع المقاولات والتشييد ، ادت الى الكشف عن جيوب اجتماعية تختفي فيها قوى معادية بمصالحها للتطور الاشتراكي ، غيرت جلودها والتفعت برداء ((الرأسمالية الوطنية)) لتتسرب داخل تحالف قوى الشعب العاملة وتنظيمها السياسي .

ومن هنا كان العلاج حاسما وجذريا وهو تصفية هذه القوى بعد تعرية حقيقتها واخراجها من نطاق الرأسمالية الوطنية وبالتالي من تحالف قوى الشعب العاملة وتنظيمها السياسي .

وهكذا بدون هذه النظرة الاجتماعية الشاملة للسلبيات من ناحية ، ورؤيتها في ضوء الايجابيات من ناحية اخرى ، وربط الجزء بالكل من ناحية ثالثة ، ينزلق الانسان من موقف ((**الناقد صاحب التجربة**)) الى موقف ((**الناقد عدو التجربة**)) . أو ما اصطلحنا على تسميته ((**بالنقد البناء**)) و ((**النقد الهدام**)) .

وثمة أصوات تتردد اليوم ـ بحسن أو بسوء نية ـ في مواجهة الحملة الشعبية والقيادية للكشف الثوري الذاتي عن السلبيات قائلة ان ((العدو)) سوف يستفيد في معركته ضدنا من حديثنا عن هذه ((السلبيات)) . والواقع ان هذه وجهة نظر ليست سطحية فحسب بل وغير ثورية اصلا . لان المستفيد الاول في الحقيقة من حديثنا وكشفنا عن ((السلبيات)) في عملنا هو شعبنا ، لانه بذلك يتخلص مما يشوب نضاله من نواقص ونقط ضعف فيزداد قوة وقدرة على مواجهة التحديات والعدو .

هذه نقطة . ونقطة اخرى فان التصدي الداخلي للسلبيات هو جوهر الممارسة الحية للديمقراطية الشعبية بمفهومها الاشتراكي حيث يربي الشعب نفسه بنفسه ويعالج عيوبه من خلال عملية البناء الاجتماعي والاقتصادي والسياسي لواقعه الجديد .

وقد حرص **المناضل جمال عبد الناصر** على تأكيد هذه الحقيقة بقوة في مؤتمر الانتاج الاخير (مارس ١٩٦٧) حينما قال نريد الناس ان تناقش كل شيء بحرية . فالفرق بين الناس والطوب ان الناس تناقش وتنتقد .

ونقطة ثالثة ، ان العدو سيستمر في معاداتنا سواء كشفنا ذاتيا عن سلبياتنا او لم نكشفها ، فالصراع بيننا صراع مصير بين الحرية والاستعمار .. بين الرأسمالية والاشتراكية .. بين الوحدة القومية والتمزق الاقليمي .. بين الحرب والسلام . واذا لم يجد العدو سلبيات واقعية يرتكز عليها في محاربتنا فسوف يخترع ويفبرك سلبيات يستند اليها في دعاياته .

ونحن نخدع انفسنا اذا تصورنا انه لا توجد مقاومات من البيروقراطيين في مجتمعنا للحركة الشعبية القيادية للكشف عن ((السلبيات)) وهذا امر طبيعي لان عملية الكشف تشمل فيما تشمله هؤلاء البيروقراطيين ومسئولياتهم عن هذه السلبيات . وبالتالي تعمل على تقويض نفوذهم وامتيازاتهم وحياتهم الطفيلية على حساب عرق العاملين .

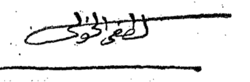
بيد أن الخطر الحقيقى لا يكمن فى مقاومة البيروقراطيين وانما فى ذلك الاتجاه المتسلق الذى ينمو فى أوساط عدد محدود من المثقفين التقدميين تاريخيا للاسف ويتخذ « **أسلوب التبرير لكل السلبيات** » . وسواء أكان التبرير ذكيا ام غبيا ، فهو يؤدى موضوعيا دور اخفاء السلبيات ويصادر امكانيات كشفها وعلاجها ويعمل بالتالى على توفير مناخ ملائم لميكروبات الضعف والسلبية كى ترتع دون حساب فى البناء ، فضلا عن تغطية عورات البيروقراطيين . ولعل هذا ما يفسر تشجيع البيروقراطية لهذا النوع من أسلوب التبرير ، خاصة وانه يتشكل فى صيغ تقدمية وتحت شعارات اشتراكية ! .

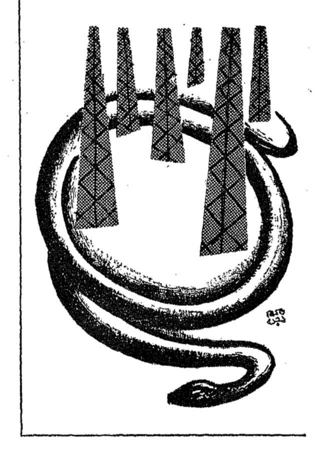
ومن ملاحظة « **حركة المبررين لكل السلبيات** » الوليدة فى مجتمعنا نرى انها اما أن تصدر عن عدد من المرضى بعقدة ذنب ميكانيكية تجاه الثورة يريدون بكل ثمن أن يكفروا عما يحسونه ذاتيا من عقد سعيا وراء ثقة مطلوبة او منصب مرغوب ، فيروحون يبررون كل السلبيات بشكل مطلق حتى ليصل بهم الامر الى تجميلها وتزييف حقيقتها الى ايجابيات مستخدمين فى ذلك كل مهاراتهم التحليلية ورصيدهم من المعرفة الاشتراكية استخداما اقل ما يمكن ان يوصف به انه موضوعيا معاد لخط الثورة وتطورها على الطريق الاشتراكى .

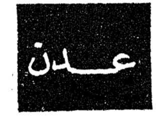
واما ان تصدر عن بعض ممن « **وصلوا** » الى بعض المناصب فى أجهزة الدولة ، رسمية كانت او شعبية ، واذا بهم يصابون بعدوى البيروقراطية ، بدلا من ان يكونوا قوة داخلية محاربة للبيروقراطية . فيفقدون ثوريتهم التى كانت دافعا اساسيا لتوليهم هذه المناصب المسئولة وتضيق صدورهم بالنقد ويتحولون الى تفصيل « **الفتاوى الايديولوجية** » لتبرير كل السلبيات فى كل المناسبات . ويصبحون بالتالى مشاركين فى ارتكابها بدلا من ان يكونوا « عين الثورة » فى اكتشافها « وارادتها وخبرتها » فى معالجتها وتصفيتها .

واخيرا فان من الملاحظ ايضا ان حركة التبرير تصدر عن بعض آخر فقد ثوريته مسبقا وتحول الى طالب منافع وامتيازات بمنطق واسلوب الشلل والدوران من حول محور شخصى ذى مكانة ومسئولية يرتبطون به ذاتيا بدلا من الرباط الموضوعى مع الثورة وقيادتها كعمل جماعى وتنظيم سياسى موحد ويتحولون الى قارعى طبول لكل ما يصدر عن هذا المحور من ايجابيات وسلبيات معا دون تمييز ، حتى ليورطون بذلك محورهم فى معارك مفتعلة من صنعهم مما يشكل خطرا حقيقيا على وحدة الثورة وقواها وبذلك يسهل لهم الصيد طالما قد تعكرت البحيرة .

والواقع ان « حركة المبررين لكل السلبيات » هى فى حد ذاتها — ورغم انها ما تزال ضعيفة — نوعا من السلبيات الاجتماعية التى لا مفر منها فى كل ثورة ، ومن واجب كل مناضل ثورى ان يتصدى لها بنفس النظرة الاجتماعية الشاملة فيكشفها ويعريها من خلال العمل والمواقف الموضوعية . . فلنتتبع اذن فى المجتمع وفى انفسنا معا ، كل المظاهر السلبية من اجل التخلص منها اولا بأول وبطريقة صحية لا تقصد الانتقام او التشفى الشخصى وانما تستهدف البرء من الضعف وزيادة قدراتنا المادية والمعنوية على مواصلة السير دون وهن نحو الاشتراكية » .





موقع معركة


من المخطط الاستعماري الجديد

محمد سيد أحمد

لقد تقرر أن يكون اليوم (أول ابريل) ..تاريخ وصول بعثة الامم المتحدة لتقصى الحقائق عما يجرى فى عدن .. وقد أسرع طومسون ، وزير الدولة البريطانى الى عـدن .. وهو يعقد فى جو عاصف اجتماعات سرية مع كبار المسئولين بالمدينة لمواجهة هذه الزيارة .. ان بريطانيا التى وعدت بانسحابها من القاعدة فى ١١ فبراير من العام القادم تصر على عدم مغادرة عدن بدون تركها فى حالة من التفكك والتأزم والاجهاد شبيهـة بفلسطين قبل مغادرتها فى ١٥ مايو ١٩٤٨ ! ..

منذ أشهر ، تنقل وكالات الانباء أحداث النسف والقتل والحرب المفتوحة فى عدن ... ولم يعد

يستطيع الاستعمار أن يخفي حقائق نضال الشعب العربي في الجنوب المحتل .. وقد اعترف تقرير بريطاني رسمي بأن عدد العمليات خلال العام الماضي فقط بلغ ٥٠٠ عملية ، وقتل واصيب فيها ٥٨٣ شخصا ، وهو عدد أكثر من الذين قتلوا واصيبوا خلال العامين السابقين .. واعلن المتحدث بلسان الحكومة في مجلس العموم أن القوات المسلحة البريطانية فقدت في عدن ٢٠٧ قتيلا و٨٢٦ جريحا .. وكل هذه الارقام المعترف بها رسميا اقل بكثير من الارقام الحقيقية ..

ففي شهر فبراير فقط ، شملت عملية الارهاب والاعتقال أكثر من ١٢٠٠ .. وفي ١٩ يناير ، عمت المظاهرات الصاخبة المدينة بمناسبة مرور ١٢٨ عاما على الاحتلال .. وانفجرت القنابل اليدوية وسط اشتباكات دامية ، واضراب عام في كل الاحياء .. واصبحت الصحف البريطانية تعترف بأن « جبهة التحرير » تمثل الغالبية العظمى من شعب عدن ، واتسعت لتمثل رجال الاعمال ، واصحاب المهن الحرة ، وعلى هذا فليس من المنطق تنحية هذه الجبهة عن السلطة بعد انسحاب القوات البريطانية في عام ١٩٦٨ .. وجاء مقتل أبناء عبد القوى مكاوى لدفع الصراع الى نقطة الغليان .

ومع ذلك . مازال يصر « دانكان ساندرز » وزير الكومنولث السابق ، على رأس ١٢٠ من النواب المحافظين ، بأن تبقى بريطانيا في عدن « وفاء لالتزاماتها » !! .. ونشبت خلافات حادة بين سلاطين « اتحاد الجنوب » حول مستقبل المنطقة ، ويطالب بعضهم ببقاء بعض الجنود البريطانيين لحماية مراكزهم .. كما نشبت خلافات حول طريقة استقبال بعثة الامم المتحدة .. وبريطانيا تحبذ انشاء « قوة سلام » تابعة للامم المتحدة (على غرار ماحدث في الكونغو) ليحل محلها في الجنوب المحتل بعد انسحاب قواتها .. ويبحث تعيين « شريف بيجان » حسين بن أحمد الهبيلي ، المشهور بعدائه للثورة ، على رأس اتحاد الجنوب ، لتدعيم مراكزه المزعزعة ، بالعنف والارهاب .. كما برزت أصابع أمريكا في المخطط الاستعماري .. وثبت أخيرا ان أمير لحج مثلا ، على صلة بوكالة المخابرات الامريكية .

وفي ١١ فبراير انفجر اضراب عام في الذكرى الثانية لتكوين ((اتحاد السلاطين)) وتجمع كافة الطوائف في عدن على استقبال بعثة الامم المتحدة بالمقاطعة الشاملة ، والاضراب العام لا كموقف ضد الامم المتحدة ، أو لعدم الثقة بها ، أو بالدول المشتركة في عضوية البعثة (فنزويلا ومالي وافغانستان) ولكن لمعارضة الزيارة لقرارات الامم المتحدة باجرائها ، وبريطانيا مازالت جاثمة فوق أرض الجنوب .. وتشترط اتحادات النقابات ورجال القانون ، والهيئات المختلفة في عدن ، تطبيق قرارات الامم المتحدة قبل وصول البعثة ، وأن تفاوض الحكومة البريطانية ممثلي جبهة التحرير باعتبارها وحدها الممثلة الشرعية للشعب .

وبينما تنتشر أنباء مهاجمة ثوار الجنوب لميناء عدن بالقنابل .. وتصفية حساب الخونة .. وتتعاظم المعركة في كافة انحاء المحميات ، وأصبحت العمليات الفدائية تمتد الى قلب قلاع الرجعية العربية في السعودية والاردن .. أصبح العالم كله يرقب بقلق الاعمال الوحشية التي ترتكبها الجيوش البريطانية ضد سكان الجنوب الامنين ، وتصفها القرى بلا انقطاع بالطائرات .. وتشريدها أكثر من ٦٠ الفا من النساء والشيوخ والاطفال الابرياء الذين يعيشون بلا مأوى في الجبال .. واخضاع عدن لاحكام الطوارىء بصفة دائمة .. واجراء اعتقالات بالجملة ، وتعذيب المعتقلين تعذيبا اجراميا . وكان آخر انبائها ماروأه محمد سالم باسندوه ، بعد القاء القبض عليه وقبل نفيه بالقوة .. لقد بلغت احداث التعذيب من الخطورة حدا ، دعا مجلس العموم ذاته الى اجراء تحقيق عاجل بشأنها .. واضطرت الحكومة أن تبعث الى عدن مبعوثا خاصا من وزارة الخارجية لتقصي الحقائق عنها بشخصه .. فقد أخذت تمس حتى كبار رجال البوليس ، وشخصيات مسئولة داخل سكرتارية حكومة عدن ! ..

ان الاحداث عندما تبلغ هذا القدر من التفجر ، انما تكشف عن أن النظام كله في مهب الرياح .. وان تغييرات جذرية باتت ضرورية لا محالة .. ولكن اية تغييرات تجرى في عدن ، وهي تمثل الركيزة الاخيرة للاستعمار البريطاني في صورته التقليدية على اتساع العالم العربي كله ، لابد وأن يكون لها انعكاسات خطيرة .

ومن هنا ، لابد أن يصطحب اي تغيير في عدن خططا واسعة المدى تمس العالم العربي كله ، والموازين الدقيقة التي تحكم الصراع داخله .. ومن هذه الزاوية يبرز موقع « معركة عدن » من مخططات الاستعمار في المنطقة باسرها .. كأن له أهمية بالغة ..

ومما لاشك فيه أن الابعاد الجديدة ، التي تكتسبها المعركة في الجنوب المحتل كله .. وزيادة الوضع تفجرا في معسكر الرجعية العربية برمته ، احدى ثمرات اطلاق القاهرة شعار ((وحدة القوى الثورية العربية)) ، كبديل لسياسة ((مؤتمرات القمة)) ، بعد أن اثبتت هذه السياسة انها تفسح للقوة الرجعية العربية فرصا واسعة في المناورة ..

ونتيجة لتعاظم النضال العربي في الجنوب ، اضطرت حكومة بريطانيا ، بعد أن اكدت مرارا انها لن تنسحب من عدن .. الى اعلان قرارها باغلاق القاعدة في ١٩٦٨ .. ولكن هل معنى ذلك وضع حد لسياسة « شرقي السويس » ، وتخليها عن نقطة ارتكاز رئيسية في قلب الجزيرة العربية ؟

هل معنى ذلك ادخال تغييرات جذرية على خططها الاستراتيجية الطويلة الامد ؟

للاجابة على هذه الاسئلة ، يجب متابعة المحركات الخفية للسياسة البريطانية في المنطقة العربية ، والمصالح الحيوية التي تقف خلفها ، كما يجب تتبع موازين القوى لا في مختلف ارجاء الوطن العربي وحده ، بل على نطاق الاستراتيجية الاستعمارية العالمية ، وفي داخل انجلترا ذاتها .. وعند التحدث عن المصالح الاستعمارية في الجزيرة العربية ، تبرز مشكلة **البترول** بوصفها القضية الاساسية ...

الجزيرة العربية .. والبترول

ولتبين اهمية صحراء شبه الجزيرة العربية ، وبالذات سواحلها الشرقية والجنوبية ، ولماتدخره من البترول ، يكفي أن نقول **أن احتياطي الكويت وحدها يفوق احتياطي الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي معا** ، واذا كانت الولايات المتحدة تتفوق بانتاجها اليوم عن مجموع انتاج الوطن العربي ، فان هذا لن يستمر طويلا ، نظرا لما تعانيه حقولها من اجهاد شديد ، وقدم في استغلالها فقد كانت الولايات المتحدة تملك أكبر احتياطي للبترول في العالم حتى عام ١٩٣٨ (٥٩٫٣ ٪) .. ولكن هذه النسبة المرتفعة اخذت تتناقص سنة بعد اخرى بسبب اكتشاف الحقول العربية ، وكثرة المستنزف من البترول الامريكي ، حتى اصبحت لاتزيد على ٩٫١٪ في ١٩٦٤ ، بينما ارتفعت نسبة احتياطي الوطن العربي الى ٥٦٫١٪ في ١٩٦٤ .. وتشير كل الشواهد الى زيادة هذه النسبة عندما يعرف بمزيد من الدقة جملة احتياطي البترول في الجزائر وليبيا واليمن وسوريا والجنوب العربي ، ونتيجة الاكتشافات الاخيرة في الجمهورية العربية المتحدة .. وفي ١٩٦٤ ، شكل انتاج البترول في الكويت والسعودية وقطر وابي ظبي والبحرين وامارات الخليج ، دون غيرها من البلدان العربية ٦٣٪ من مجموع الانتاج العربي ، أي تقريبا ١٧٪ من مجموع الانتاج العالمي ، وهي نسبة تفوق نسبة انتاج الاتحاد السوفيتي (١٥٫٣٪) .. واذا اضفنا انتاج ايران الى هذه البلدان ارتفعت النسبة الى ٢٠٪ من الانتاج العالمي — ويكفي **ذلك لتبين المركز الاستراتيجي الذي تمثله منطقة الخليج العربي والبلدان المحيطة به في مخططات الاستعمار الجديد ، والاهمية الحيوية — من وجهة نظر بريطانيا وامريكا — للاحتفاظ بسيطرتها على هذه المناطق ..** فهي تنتج وحدها من البترول **مايساوي ٢/٣ من مجموع انتاج الولايات المتحدة الان ! ..**

وجدير بالذكر أن استهلاك المواد البترولية في البلدان الاستعمارية قد زاد بمقدار **الضعف** خلال الاعوام العشرة الماضية فقط ، وبلغ ١٣٠٠ مليون طن في ١٩٦٥ . وان البترول قد تحول خلال هذه الفترة الى **مصدر الطاقة الذي أصبح يحتل المكان الاول في الاستهلاك** ، بعد أن كان الفحم يحتل هذا المركز ، كما يتضح من البيان التالي :

مصادر الطاقة في العالم الراسمالي

السنة	نسبة الفحم	نسبة البترول
١٩٥٥	٤٨ ٪	٣٥ ٪
١٩٦٥	٣٥ ٪	٤٥ ٪

كما أصبحت الصناعات الكيماوية التي تعتمد على البترول — رغم حداثة عهدها — تكتسب أهمية تتعاظم عاما بعد عام ، واصبح هذا الفرع يمتص الان ٣٪ من الانتاج العالمي للبترول ، أي يستهلك منه مقدارا مساويا لاقدم فروع الانتاج له وهو الزراعة . وقفزت الاستثمارات المخصصة للصناعات الكيماوية البترولية في أوربا الغربية وحدها ، من ٢٤٠ مليون دولار في ١٩٥٤ الى ٣٠٠٠ مليون دولار في ١٩٦٤ !

وبوجه عام ، اذا كانت استثمارات البلدان الرأسمالية في صناعة البترول بلغت ٦٣ الف مليون دولار في ١٩٥٥ ، فقد قفز هذا المبلغ الى ١٥٠ الف مليون دولار في ١٩٦٦ .

وهذه الحقائق كفيلة وحدها بتفسير العناية البالغة التي يوليها الاستعمار اليوم للمنطقة المحيطة بالخليج العربي بوصفها احدى مناطق العالم التي أكتسبت في السنوات الاخيرة اهمية فائقة لاقتصادياته ، وافتقاده لسيطرته عليها يمس اخطر مصالحه في الصميم ...

استراتيجية بريطانيا الاستعمارية

وسيـــاسة « شرقى السـويس »

ولعلنا نجد فى هذه الحقائق ايضا ، تفسـيرا للتناقضات فى أقوال هارولد ويلسون ، وقتما كان زعيما للمعارضة ، ومنذ أن اصبح رئيسا لوزراء بريطانيا .. قال فى الماضى وهو يتحدث عن اتحاد « الجنـوب » انه « لايعـدو أن يكون تجمعـا لحفنة من الافراد الاقطـاعيين ، والمشـايخ والسلاطين الرجعيين » وهو جهاز لايتسم باى طابع تمثيلى ، وينبغى حله ! .. ولكن بمجرد توليه مهام الوزارة ، أخذ يستخدم لغة اخرى .. « لايمكن لبريطانيا أن تتخلى عن دورها العالمى شرقى السويس ! » .. « ينبغى على بريطـانيا أن تبقى قوية شرقى السويس ! » ..

وقد لايستخدم ويلسون مصطلحات المحافظين فى الماضى ، ويجد انه من غير الملائم التحـدث عن « الامبراطورية البريطانية » . و « مستعمراتها » .. ولكن استبدلت هذه المصطلحات بأخرى تساير مقتضيات العصر ، وان كانت لاتختلف فى المدلول: « التزامات بريطانيا فيما وراء البحار » « الدفاع عن الحقوق المشروعة للمصالح البريطانية التقليدية » الخ ....

ولادراك هذه « الالتزامات » بوضوح اكبر ، تجدر الاشـارة الى وثيقة اصـدرها « معهـد الدراسات الاستراتيجية » البريطانى فى مـارس ١٩٦٦ ، وهى وثيقة تغنى عن أى تعليق (الورقة ٢٦ من أوراق « أولفى ») تحت عنوان **مصادر النزاع فى الشرق الاوسط .**

جاء بهذه الوثيقة :

« ولبريطانيا قواعد لقواتها البرية والبحرية فى عدن والبحرين ، ترتبط بسلسلة مؤلفة من أربع قواعد جوية مركزية فى ريان بمحميـات عـدن الشرقية ، وسلالة وجزيزة مسيرة بمسقط وعمان ، والشارقة من الدول المتصالحة فى الخليج ، وهذا بالاضافة الى مهابط للطائرات فى اتحاد الجنوب العربى ، ومحميات عدن الشرقية ... وبريطانيا **ملتزمة** رسميا بالدفاع عن اتحاد الجنوب العربى (ويشمل عدن) ، وعن المحميات الخارجة عن الاتحاد — كما أن بريطانيا **ملتزمة رسميا** فى الخليج الفارسى بالدفاع عن البحرين وقطر والنجيرة ضد أى هجوم أو عدوان ، وفضلا عن هذه **الالتزامات الرسمية** ، فان بريطانيا تعتبر نفسها ، كما يعتبرها الكثيرون ، **ملتزمة ادبيا** بالدفاع عن سائر دول الخليج التى لاتزال بريطانيا مسئولة عن علاقاتها الخارجية . . **وكل ذلك هام فى تأكيد الوجود العسكرى البريطانى بمناطق المحيط الهندى والجنوب الشرقى لاسيا » .**

وبعد بيـانات مستفيضة هـدفها الربط بين الولايات المتحـدة وبريطـانيا فى هـذا المخطط الاستعمارى العسكرى ، وحديث عن « الحزام الاستراتيجى الغربى » الذى يطـوق الاتحـاد السوفيتى وحلف وارسو ، ويؤلف قوة هجومية ودفاعية ضد التوسع السوفيتى ، تقول الوثيقة :

« ومن شأن القواعد العسكرية فى شبه جزيرة العرب ، والخليج الفارسى ، دعم النفوذ الغربى فى الشرق الاوسط ، والتدخل ضـد الاعمـال العدوانية المحلية .. وبالاضافة الى انها تساعد على فتح الطـريق الاستراتيجى الى القواعـد العسكرية البريطانية فى المحيط الهندى والجنوب الشرقى لاسيا ، يحد من التوسع الشيوعى فى المنطقة ، فان الهدف الاساسى من وجودها هو ضمان الاستمرار فى شحن بترول الشرق الاوسط ومنع أى نزاع فى المنطقة المجاورة أو القضـاء عليه ، والمساعدة على التـدخل العسـكرى البريطانى » .

وهذه العبارات صريحة لالبس فيها ، فى ان هدف القواعد البريطانية فى الجنوب المحتـل هو ضمان السيطرة على مصادر البترول العربية ، والحيلولة دون المساس بمصالح الاحتكارات التى تستنزف ثروات العرب القومية بأية صورة كانت ودعم نفوذ الغرب ، ومناهضة الثورة العربية بالقوة المسلحة ، فضلا عن أهداف الاستعمار فى مقاومة الاشتراكية .

ان منطق هذه الوثيقة ، المتجاهل تماما لكل تطورات القرن العشرين ، والذى يكشف عن العقلية الاستعمارية البريطانية التقليدية فى اكثر صورها افتضاحا وسفورا ، لايختلف فى شىء عما قاله كيرزون فى ١٩٠٣ ، وهو يتحدث عن امارات الجنوب والخليج : « ان بريطانيا لن تفرط فى هذه البلاد ، ولابد أن يكون سلطان الحكومة البريطانية فيها هو السلطان الاقوى » ! ..

ولتبين ابعاد استراتيجية بريطانيا الاستعمارية الجديدة .. والاهمية الخاصة لقواعد بريطانيا فى الجنوب العربى داخل اطارها العام ، ينبغى تتبع تطورات هذه الاستراتيجية خلال السنوات الاخيرة .. حيال ما طرا على العالم من تحولات خطيرة .

كان العمود الفقري لمصالح بريطانيا الاستعمارية في الخارج ينهض على **سلسلة متصلة من القواعد العسكرية** : جبل طارق ، مالطة ، قبرص ، قناة السويس ، عدن ، سيلان ، سنغافورة ، هونجكونج ... **ان حلقات كثيرة من هذه السلسلة قد فقدت** أو على وشك الانفلات .. واصبح مركز بريطانيا مهزوزا بدرجة أن هارولد ويلسون نفسه قد اضطر الى أن يعترف بأنه قد يكون من المستحيل الاحتفاظ بقواعد في الاماكن التي يناهض السكان المحليون وجودها ...

كان المخطط البديل هو الاستناد الى قوة **الكومنولث** ، ولكن الكومنولث بدوره لم يعد اطارا مأمونا للحفاظ على مصالح بريطانيا الاستعمارية ، فالاعضاء البيض بالمنظمة قد اصبحوا مجرد أقلية .. ودور بريطانيا « القيادي » موضع نزاع حاد في كل كونفراس تعقده . وسمم النزاع حول روديسيا العلاقات بين الدول المنتمية اليها ، وبلغ حد المساس بكيان المنظمة ووجودها ... ألم يعلن **كينيث كواندا** ، رئيس زامبيا في اجتماعها الاخير : « اذا كان عصيان روديسيا لن يسحق قبل اجتماعنا المقبل ، فاقترح فصل بريطانيا من الكومنولث ، لعجزها عن القيام بالتزاماتها ! » ؟ ....

من هنا ، اتجه الكيان الاستعماري البريطاني الى النهوض على ما يعرف « **بسياسة شرقي السويس** » . وترتكز هذه السياسة الاستراتيجية الجديدة على **نقطتي ارتكاز اساسيتين** ، فضلا عن مراكز بريطانيا التقليدية في **افريقيا** ، والتي تجد مراكزها الرئيسية في روديسيا واتحاد جنوب افريقيا ، ومعظم مستعمرات بريطانيا السابقة ...

نقطة الارتكاز الاولى هي « اتحاد ماليزيا » (سابقا) أي ماليزيا وسنغافورة ومستعمرات بريطانيا في جزيرة « كاليمانتان صباح » ، و « سراواك » ، وهذه المنطقة من جنوب شرقي آسيا غنية بالمطاط وبالمعادن ...

ونقطة الارتكاز الثانية ، وربما كانت اهمها هي المنطقة المحيطة بالخليج العربي ، والتي تسندها قاعدة عدن والقواعد ونقاط الارتكاز الملحقة بها في قطر والبحرين وابي ظبي ودبي والشارقة وتنتج هذه المنطقة ٣/٠ من كل واردات بريطانيا من البترول ، كما تشكل هذه المنطقة موطنا رئيسيا من المواطن التي تمتص الانتاج الصناعي البريطاني (بما يفوق قيمته ٢٠٠ مليون جنيه استرليني كل عام) ...

ولكن مخطط « شرقي السويس » بنقطتي ارتكازه الرئيسيتين ليس تصميما بريطانيا خالصا .. بل اسهمت امريكا كذلك في تدبيره ، والاصرار على استمرار العمل بمقتضاه .. وقد رحبت الولايات المتحدة بتولي حزب العمال الحكم في ١٩٦٤ ، بعد أن أعلن ويلسون تخليه عن انتاج أسلحة نووية « وطنية » والاستناد كلية لحماية مصالح بريطانيا « القومية » الى الانتاج النووي الامريكي ، وبعد أن تضامن مع أمريكا في تأييد عدوانها على فيتنام ، وتنظر أمريكا الى « سياسة شرقي السويس » بوصفها « عنصرا مكملا لها » في سياستها القائمة على مناهضة حركات التحرر الوطني في بلدان « العالم الثالث » ، وعلى تولي بريطانيا دور « البوليس الدولي » من السويس الى سنغافورة — ان نهوض بريطانيا بهذا الدور يؤكد النظرية الامريكية القائلة بأنها لاتتحرك وحدها في آسيا ، وانما بالتعاون مع حلفائها في حلف الاطلنطي وحلف جنوب شرقي آسيا .

ولذلك عندما طرحت مشكلة اغلاق قاعدة عدن واحتمال انسحاب بريطانيا من سنغافورة اقترحت واشنطون على لندن التفكير جديا في انشاء قواعد عسكرية بديلة في جزر موريشيوس وسيشيل ، وارخبيل شاجوس ، بالمحيط الهندي .

وكان للتدخل الامريكي دور فاصل في ارجاء بريطانيا التفكير في تعديل خططها بشأن قاعدتها في سنغافورة .. « حتى لايحدث الانسحاب أزمة أدبية تعزل أمريكا في جنوب شرقي آسيا » (الاوبزرفر في ١٩٦٦/٦/٩) ..

« الحلف الاسلامي »

• • والقاعدة البريطانية

وليس من باب الصدفة ان القاسم المشترك الاعظم في كل الدول المبادرة في اطلاق فكرة « الحلف الاسلامي » والمتحمسة له .. هو أنها دول منتجة بغزارة للبترول ويسيطر على هذا الانتاج الاحتكارات البترولية الاستعمارية في السعودية وايران .. فينتج هذان البلدان وحدهما كل عام ٢٠٠ مليون طن بترول ، ولا يخضع هذا الانتاج لشركات وطنية ، ولكن يتبع اساسا الكارتل الدولي للبترول ، المشكل من ٥ شركات أمريكية ، وشركة بريطانية ، وشركة بريطانية هولندية ، وشركة فرنسية ...والمصالح البريطانية الامريكية هي السائدة ....

وليس من باب الصدفة كذلك أن فكرة انشاء ((الحلف)) اقترنت بشحن كميات ضخمة من الاسلحة البريطانية والامريكية الى فيصل ، ملك السعودية .. فاذا صح أن المعونات التي تقدمها أمريكا لاسرائيل وحدها تفوق مجموع المعونات التي تمنحها أمريكا لدول الشرق الاقصى ، والتي لاتمانع في تلقى هذه المعونات (١) .. الا أن أمريكا أخذت تضارب بشكل متزايد في الفترة الاخيرة على تسليح الدول العربية التي تناهض التيار العربي التقدمي ، حتى مع وجود عداء بين هذه الدول واسرائيل ، لقد قررت السعودية أن «تدعم دفاعها » بشراء معدات عسكرية قيمتها ١٥٠٠ مليون دولار ، استعدادا لمواجهة حاسمة مع القوى الثورية العربية ، وفى طليعتها الجمهورية العربية المتحدة .. لقد رصدت السعودية ٣٠٠ مليون دولار لمناهضة تأثير الافكار الثورية في العالم العربي ..والاسلحة التي تبتاعها ليست مجرد اسلحة خفيفة ، بل تعاقدت مع بريطانيا خلال الاشهر الستة الماضية على شراء مطاردات نفاثة تفوق سرعة الصوت من طراز « لايفنتج » مقابل ١٠٠ مليون جنيه استرليني ، كما اشترت صواريخ معادية للطائرات ، ووضعت ٣٧ قاعدة منها على مسافة لاتتجاوز ١٢٠ كيلو مترا من حدود اليمن .. واتفقت مع بريطانيا على « اعارة » ٩٠٠ ضابط بريطاني « سابق » لانشاء نظام جديد للدفاع الجوى قرب حدود اليمن ..وتعاقدت مع أمريكا على تسلم معدات للنقل العسكرى بمبلغ قيمته ١٠٠ مليون دولار .. كما تتحدث الصحافة الغربية عن استعداد أمريكا لمد السعودية باسلحة قيمتها ٤٠٠ مليون دولار ، منها صواريخ « هوك » وطائرات نفاثة . واجهزة رادار الخ . وأصبحت السعودية الآن تفوق حكومة الكونغو في التعامل في « أسواق المرتزقة » ، وتجلبهم من باريس ومن غيرها من العواصم الاوربية .

ورغم أن «الحلف الاسلامى» لم ينتقل بعد من حيز « الفكرة » الى حيز « التنفيذ » ، الا أن الزيارات المتبادلة لاجراء مباحثات بشأنه ، وتذليل الخلافات والنزاعات التي طالما حالت دون «وحدة الملوك والقادة الرجعيين في المنطقة » ، قد نشطت للغاية خلال الاشهر الاخيرة .. زيارة فيصل لطهران ولتونس..وزيارة حسين لطهران.. وزيارة فيصل للاردن وبمقتضى هذه المباحثات التمهيدية عرضت السعودية على الاردن ١٠ ملايين من الجنيهات الاسترلينية لتمويل انقلابات ضد سوريا والعراق ، كما أسرعت بارسال ٢٠ الف جندى « لحماية الاردن » — لاضد اسرائيل بعد الغارة الاخيرة — ولكن لمساندة حكم حسين الذى أوشك أن ينهار تحت وطأة المظاهرات التي اجتاحت المدن الكبرى ..

أن فيصل يحلم اليوم في مواجهة حاسمة مع القوى الثورية العربية ، ويأمل انه في مقدوره أن يحقق استقطابا تحت قيادته يضم الاردن والبحرين وامارات الخليج ، ضد الجمهورية العربية المتحدة وسوريا والعراق واليمن والجزائر على ان ينحاز لصفه المغرب وتونس والكويت ، ويكفل حياد لبنان وليبيا والسودان .. وهذه الخطة توعز بها القيادات الاستراتيجية الاستعمارية في لندن وفى واشنطون .. وبديهى أن هذه الاحلام غير مقبولة لمجرد التفكير فيها ، ناهيك التدبير لها ، بدون وجود قاعدة استعمارية راسخة في قلب المنطقة العربية ، تشكل القلب النابض للمخطط في مجمله ..

ومن هنا ،أياكانت المعارضة الوطنية المتعاظمة للقاعدة البريطانية في عدن ، يقدر الاستعمار أن وضع مخططاته موضع التنفيذ ، وضمان حد أدنى من التماسك في صفوف الرجعية العربية وتحويل الحلف الاسلامى المزعوم الى كيان له وجوده المادى، انما يستدعى استبدال قاعدة عدن بقاعدة أخرى لاتقل خطورة ..

أنطلاقا من هذه الحقائق ، تعمل بريطانيا بكل قوة من أجل اعادة تنظيم شبكتها العسكرية في منطقة الخليج ..

عدن محطة وقود

لشركة الهند الشرقية !

ومن هنا، فأيا كانت وعود بريطانيا بالانسحاب من عدن .. فان اصرارها على استمرار وجودها في منطقة الخليج ، أمر مرهون بصميم كيانها الاستعمارى ..

لم تكتسب «قاعدة» بريطانيا في عدن أو في أى مكان آخر بالجزيرة العربية... في يوم من الايام ... الاهمية التي تمثلها اليوم ..

وكثيرا ما حاولت بريطانيا الاستيلاء على ميناء

---

(١) باستثناء حكومة فيتنام الجنوبية العميلة .

عدن لتأمين طرق مواصلاتها البحرية الى شبه القارة الهندية ، وتموين مراكبها التجارية والحربية وحماية اسطولها في البحر الاحمر والمحيطين العربي والهندي .. وقد بدأت بالسطو على جزيرة « بريم » عام ١٧٩٩ ، ثم اتخذت من نهب المركب الهندي « دوريادولت » من فعل قراصنة البحار ذريعة ، للتحرش بالميناء . فانزلت ٧٠٠ جندي بريطاني تحت قيادة « كابتن هينز » على الشاطيء ، ودارت بعض المعارك ، ومقابل ١٥ من القتلى ، احتلت بريطانيا عدن ومساحة من الاراضي المجاورة تبلغ ٧٥ ميلا مربعا ، في ١٩ يناير ١٨٣٩ .

ومنذ ذلك التاريخ ، وبريطانيا تسعى ، لتأمين وتثبيت مركزها في عدن ، الى بسط نفوذها على الامارات المجاورة ، مستندة الى قوتها ، وضعف الدولة العثمانية ، وانشغالها في حروب طاحنة مع شعب اليمن الذي رفض الخضوع للحكم التركي ، كما استغلت تخلف وسذاجة رؤساء ومشايخ الامارات ، وفرضت عليهم معاهدات واتفاقات جائرة غريبة ، لم يعرف العرف الدولي مثيلا لها .. كانت تترك لهم حرية التصرف في شئونهم الداخلية ، بشرط ان تستأثر بريطانيا وحدها بعلاقاتهم الخارجية ، وتكفل بذلك انفرادها بالسيطرة على المنطقة بأسرها ..

ولم تكن عدن تمثل أهمية خاصة للامبراطورية البريطانية وتتذاك ، الا بوصفها محطة وقود في خدمة شركة الهند الشرقية .. وفي ١٨٣٩ ، في مستهل حكم فيكتوريا ، ضمتها بريطانيا الى حكومة الهند ، وظلت تتبعها اداريا حتى أوشكت شبه القارة الهندية على الاستقلال ، فالحقتها بريطانيا مباشرة بوزارة المستعمرات في ١٩٣٧ وسميت منذ ذلك التاريخ « بمستعمرة عدن » .

وبدأ النشاط يدب في عدن ، بخاصة بعد انشاء قناة السويس في ١٨٦٩ ، وتحولت الى أهم مدينة تجارية في شبه الجزيرة العربية ، وبلغ عدد سكانها ربع مليون ، غالبيتهم العظمى عرب من اليمن ، ولكن تضم بجانبهم صوماليين وهنودا وباكستانيين .. ونشأت طبقة من التجار الاثرياء من أبرزهم «كواسجي و بنشو» و «بيسي وشركاه» و « لوك توماس » و « اخوان اثاناس » وهم يونانيون من الاسكندرية . كما نشأت طبقة عاملة نشيطة من عمال الشحن والتفريغ في الميناء ..

واكتسبت عدن طابعا متميزا .. حاولت بريطانيا أن تضفي عليها الوان وتقاليد عواصم امبراطوريتها المترامية الاطراف ... بالارتكان أساسا الى جالياتها من الاجانب المنتفعين .. انشأت مجلسا تشريعيا وآخر بلديا كوسيلة لتحقيق اهدافها ، ولكن أمرا من شئون المدينة لايمكن البت فيه الا بعد موافقة الحاكم البريطاني .

وافضت كل هذه العوامل الى بلورة وعي وطني أكثر تطورا من المناطق المجاورة .. نشأت حركة نقابية ابتداء من ١٩٥٠ ، وازدهرت صحافة محلية ، وفي ١٩٥٦ ، اقدم عمال عدن على اضرابات نشطة لمساندة شعب مصر ضد العدوان البريطاني ، للمطالبة بالاستقلال .. ونشأت منظمات معادية للاستعمار .. «الجبهة القومية» و « منظمة التحرير » .. ولم تجد بريطانيا سبيلا لتأكيد سيطرتها الا ان توفد على وجه السرعة وزير مستعمراتها لورد لويد بنفسه الى عدن ليعلن أن « عدن تحتل من الاهمية الاستراتيجية والاقتصادية داخل الكومنولث مايحول دون مجرد التفكير في احتمال اعادة بريطانيا النظر في التزاماتها حيال المستعمرة !! » ..

وازاء تصاعد الحركة الوطنية ، ولعزل نفوذ عدن عن المناطق المجاورة ، حرصت وزارة المستعمرات البريطانية على تقسيم منطقة الجنوب المحتل الى ثلاثة اقسام : **عدن** ، **والامارات الشرقية** التي تشكل منطقة حضرموت وتضم سلطنات « القعيطية »و« الكثيرية » و«الواحدية» و « المهرة » ، **والامارات الغربية** التي تضم أكثر من عشرين سلطنة ، ابرزها لحج وبيحان والفضلية والحوشبية الخ ... ولم تكن هذه الامارات تمثل أهمية لبريطانيا الا بالقدر الذي تشكل به «حاجزا صحيا » يحيط بميناء عدن ...

المحميات لحماية « قاعدة » عدن

أم « القاعدة » لحماية المحميات ؟

وللتدليل على أهمية المناطق المجاورة لقاعدة عدن في نظر بريطانيا .. كمجرد «حاجز صحي» يحيط بالقاعدة .. يكفي أن نسرد بايجاز قصة بريطانيا مع المملكة اليمنية ، اثر هزيمة الدولة العثمانية بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى ، واعلان استقلال اليمن .. خشيت بريطانيا قيام دولة مستقرة في اليمن قد تهدد ميناء عدن والامارات التي بسطت عليها نفوذها بالقوة والخديعة وبخاصة أن عدن وهذه الامارات تعتبر نفسها جزءا من اليمن الكبرى .. بحكم الوضع الجغرافي والتاريخي .. ولم تنجح بريطانيا أبدا في ازالة الروابط القوية ، والشعور بالولاء الروحي لحكومة اليمن ، رغم كل محاولاتها في عدن طوال عهد الاختلال ...

حاولت بريطانيا عقد معاهدة مع حكومة اليمن على اساس التسليم بالامر الواقع ، ولكن اليمن رفضت ، ولم تعترف لبريطانيا بأي حق . ورفضت الاعتراف بالاتفاقيات التي عقدتها بريطانيا مع الاتراك والامراء ، لانهم ليسوا أصحاب حق ، ولايجوز لهم التصرف في اراض تخضع لسيادة اليمن .. فثارت بريطانيا ، واشاعت القلاقل والفتن على الحدود ، وقامت الطائرات البريطانية بقصف مدن اليمن ، واشهرها عام ١٩٢٨ ، فهدمت الطائرات المدن والقرى ، وحلقت فوق « صنعاء » للارهاب ..

وبعد اتصالات عديدة ، اتفق الطرفان على عقد معاهدة ١٩٣٤ التي تنص على الامتناع عن احداث اى تغيير على الحدود .. الا ان بريطانيا عادت الى اعمالها الوحشية مرة أخرى .. واشتد النزاع .. وزادت عمليات الاستفزاز .. وبعد الحرب العالمية الثانية ، لجأت اليمن الى الجامعة العربية ، للاستعانة بالدول العربية لنصرتها في قضيتها العادلة .. وانعقد المجلس في مايو ١٩٤٦ ، وتدارس الموقف ، واتخذ قرارا مؤيدا لليمن في حقوقها .. ولكن انجلترا لم تتخل عن العدوان .. واظهرت اليمن استعدادها ورغبتها لانهاء النزاع بالطرق السلمية ، وانتهى الامر بمعاهدة لندن عام ١٩٥١ ، تم بمقتضاها تبادل التمثيل الدبلوماسي لاول مرة بين الدولتين .. وكان من المنتظر أن تقلع بريطانيا عن خلق المشاكل ، ولكنها رجعت الى سياستها التقليدية من التحرش والاخلال بنصوص الاتفاقية ، وارغام السلاطين والامراء الى الانضمام الى اتحاد للامارات ، مما اضطر حكومة اليمن الى الاتصال مرة اخرى بالجامعة العربية ، وعرض تلك التطورات الجديدة عليها ..

واخذت حملات بريطانيا عقب العدوان البريطاني على السويس تتخذ طابعا اكثر حدة وعنفا .. لتدارك انتشار افكار القومية العربية المتحررة الى الجنوب المحتل .. وعرضت القضية على الجمعية العامة للامم المتحدة .. ولكن هذا لم يمنع بريطانيا من مواصلة اعمالها العدوانية .

والواقع ان هذه الهجمات المتواصلة على اليمن الام ، انما كان يحكمها منطق فصل الامارات عنها ، وتجميعها في اتحاد فدرالي تحت سيطرة بريطانيا ، تؤمن قاعدة عدن ، وتثبت مركز بريطانيا في جنوب الجزيرة العربية بعد فقدانها قواعدها في مناطق اخرى من العالم العربي ، وبالذات في مصر .. ولمواجهة تصاعد الحركة القومية التحررية العربية المنتشرة في كل مكان بمراكز تستند اليها بريطانيا لحماية مصالحها الاستعمارية .. كان هذا العدوان المتفاقم في الجنوب رد فعل للهزيمة المنكرة التي الحقت بالعدوان البريطاني على مصر ..

ورغم سخط حكومة اليمن ، والمنظمات الشعبية والسياسية في الجنوب ، واصلت بريطانيا ضغطها على الامارات ، وضمت داخل الاتحاد ١١ سلطنة .. ثم اعلنت بريطانيا **دستورا** للاتحاد وقعه الحاكم البريطاني لمدينة عدن ، عن بريطانيا والسلاطين والامراء . واصبح الاتحاد بمقتضى نص هذا الدستور مرتبطا بوزارة المستعمرات البريطانية ، واصبح حاكم عدن من الوجهة الفعلية الرئيس الحقيقي للاتحاد .. واصبح هو الذى يوجه سياسته الداخلية والخارجية ، وبيده شئون الدفاع والمال ..

ولكن بريطانيا لم تكتف بهذه الخطوة ، بل وجدت مع تصاعد الحركة الثورية العربية واحتمالاتها المتفجرة **ضرورة ادماج عدن رسميا داخل الاتحاد** .. وجرت مشاورات ومباحثات طويلة حول الادماج تم في خلالها اعداد الدستور والمعاهدة التي ستعقد بين بريطانيا والاتحاد الجديد بعد انضمام عدن . وفي ١٦ اغسطس ١٩٦٢ ، كان التوقيع على مسودة المشروع في لندن تحت اشراف وزير المستعمرات من جانب بريطانيا ، ومن وزراء عدن ووزراء اتحاد الجنوب وصدق على المشروع في سبتمبر ..

وفي ٢٧ سبتمبر ١٩٦٢ ، انفجرت ثورة اليمن .. وفي ١٣ نوفمبر ، اسرع البرلمان البريطاني بالتصديق على المعاهدة ، حتى تكتسب نهائيا قوتها القانونية في وجه الاخطار المحدقة .. ونصت المعاهدة على ابقاء السياسة البريطانية على عدن ، التي اصبحت دولة من الان ، ويعتبر الاندماج ابتداء من ١٨ يناير ١٩٦٣ . وقد تم كل ذلك في وجه مقاومة شعبية شديدة ، وبينما كان احرار الشعب في السجون ، وثواره على قمم الجبال .. خرجت قوات الجيش البريطاني للقضاء على المظاهرات ، وقبضت على الزعماء الشعبيين والنقابيين — واعلن وزير المستعمرات البريطاني : « ان بريطانيا لن تتخلى عن قاعدتها العسكرية في عدن ، وان حكومته تعتبرها قاعدة استراتيجية ذات اهمية قصوى بالنسبة لها ، وحتى في حالة حصول عدن على استقلالها ، لن تتخلى بريطانيا عن القاعدة ، بل ستكون طرفا في اتفاقية تبرمها مع الحكومة الحرة في عدن »

وهكذا في نفس اللحظة التي انشئت قاعدة للتحرر العربي في الجنوب ، بمولد « الجمهورية اليمنية » ثبت الاستعمار كيانه في المنطقة

باقامة « اتحاد الجنوب » . وزادت المعركة عنفا واستقطابا مع انفجار حرب اليمن ، ووقوف السعودية بجانب الملكيين في اليمن ضد الجمهورية الوليدة ، ولجوء هذه الاخيرة الى مساندة الجمهورية العربية المتحدة العسكرية لحماية مكتسبات الثورة .. ولم تعد المعركة من وجهة نظر الاستعمار ، مجرد « عمليات تطهير » لاقامة « حاجز صحي » حول « قاعدة » تقف على خطوط مواصلاته الكبرى الى الهند والشرق الاقصى .. بل اصبحت المعركة تدعيم كيان قاعدة ، ينطلق منها لحماية مصالح حيوية في منطقة الجنوب العربي نفسها .. خاصة بعد استخراج البترول بكميات وفيرة ، لا من أرض السعودية والكويت والبحرين فحسب ، بل أيضا من قطر وابى ظبى ودبى وغيرها من محميات الجنوب وساحل الخليج ابتداء من ١٩٦٠ .. وتنبىء جميع هذه المناطق بأنها مازالت تنطوى على احتياطى ضخم من البترول ، لم تستكشف كل امكانياتها بعد ... وانتقلت المعركة من مجرد « تأمين محطة » على طرق المواصلات الكبرى ، الى معركة من اجل الاحتفاظ بموقع حيوى للكيان الاستعمارى الغربى كله .

عدن في قلب المعركة الحاسمة

ليس صدفة ان تحتدم المعركة في قلب عدن كما احتدمت في الفترة الاخيرة ..

ليس صدفة ان يلجأ الاستعمار البريطاني الى ابشع اساليب التعذيب الوحشي ضد مواطنين ابرياء، كما كشفت عن ذلك «منظمة العفو الدولية» بالادلة الدامغة .. في معتقل رأس مربط وسجن المنصورة ومعتقلات بيجان والعواذل والواحدى والضالع والحواشب .. من تخليع الاظافر .. الى تكسير العظام .. الى الضرب المبرح الى نفخ البطون بالماء .. الى انتهاك الاعراض الى التعليق من الاكفة ، الى افقاد البصر والنطق .. الى الاذلال والتعذيب حتى الموت .. الى ابقاء مئات المعتقلين دون محاكمة لمدة ٣٠ شهرا مع معاملتهم اسوأ معاملة ..

ليس صدفة فرض احكام الطوارىء بدون انقطاع منذ ١٠ ديسمبر ١٩٦٣ واعتقال المواطنين وتفتيش المنازل والمتاجر وأماكن العبادة وتدمير أحياء بأكملها في عدن والمعلى والتواهى والشيخ عثمان عشرات المرات خلال العام الماضى ..

ليس صدفة عزل ونفى وضرب واهانة واعتقال الامراء المخالفين كما حدث مع حاكم الشارقة ، أو تدبير اغتيالهم كما حدث في عدد من محميات ساحل الخليج ..

ليس صدفة تشريد اهالى مناطق باسرها ، وقصف قراهم بالطائرات ، وترك ٣٠ الى ٦٠ الف من اطفال ونساء وشيوخ ردفان والضالع ويافع والحواشب ليعيشوا بدون مأوى، ويتعرضوا لمرض الملاريا والحميات والموت بسبب الجوع والبرد القارس في الجبال .. ولمصير مماثل لمأساة ابناء فلسطين ..

ان هذا الاجرام الوحشى ضد الشعب العربى في الجنوب ، تعبير عن خوض الاستعمار معركة حياة أو موت من اجل الحفاظ على مصالحه الحيوية في كل الشرق العربى .. وتعبير عن اصراره على الا يتخلى عن قاعدة عدن الا مجبرا ومهزوما ، ودليل قاطع على انه سيرجىء هذا الانسحاب بالقدر الذى تتيح الظروف ..

وفي لهيب المعارك ، تدعمت وحدة القوى الثورية داخل عدن والجنوب، وتجمعت « الجبهة القومية » و « منظمة التحرير » ومختلف المستقلين، وعلى رأسهم عبد القوى مكاوى ، رئيس حكومة عدن التى اقالها الاستعماريون ، ليشكلوا تنظيما ثوريا واحدا يمثل نضال الشعب من ساحل المهرة حتى باب المندب : « **جبهة التحرير بجنوب اليمن المحتل** » .. وتعاظم نشاط الفدائيين ، وبلغت الحالة في مختلف مناطق الخليج والجنوب حد الغليان ..

وتدخلت الجمعية العامة للامم المتحدة ، واعلنت انها « تعتبر ان استبقاء القواعد العسكرية في المنطقة تشكل عائقا كبيرا لتحرير شعب المنطقة من السيطرة الاستعمارية وخطرا على امن وسلامة المنطقة ، وان ازالتها الفورية والكاملة امر ضرورى » و « تحث المملكة المتحدة ان تعمل فورا على الغاء حالة الطوارىء والغاء جميع القوانين التى تقيد الحريات العامة ، والاقلاع عن جميع اعمال القمع ضد شعب المنطقة وبالذات العمليات العسكرية ، واطلاق سراح جميع المعتقلين السياسيين والسماح بعودة الاشخاص المنفيين والمحظور عليهم الاقامة في المنطقة بسبب نشاطهم السياسى » . وفي يونيو ١٩٦٦ قامت لجنة تصفية الاستعمار بزيارة القاهرة للاستماع الى ممثلى جبهة تحرير جنوب اليمن المحتل .

وفجأة في ١٣ مايو ١٩٦٦ ، اعلنت حكومة « اتحاد الجنوب » عن قبولها لقرارات الامم المتحدة . وعزمها على تطبيقها بالكيفية «المناسبة» . وجاء هذا الاعلان بعد ان تضاعف النشاط الوطنى بقيادة جيش التحرير ضد السلطات البريطانية العسكرية والمنشآت الحربية ومخازن التموين ، وبعد التأييد الشامل لها في الاقطار العربية والبلاد المناصرة للحرية ، وبعد جولة من وفود الجبهة في عدد من العواصم العربية ، والاستجابات

الشعبية والرسمية التي لاقوها في صنعاء والقاهرة ودمشق وبغداد وبيروت والخرطوم والجزائر ، **وبوجه خاص بعد ان علمت بريطانيا ان جبهة التحرير بصدد اقامة حكومة وطنية موقتة ، منبثقة عن مجلس وطنى يمثل شعب الجنوب تمثيلا حقيقيا ، ومدعمة بجيش تحرير نظامى ، بالاضافة الى قيام الجبهة باعداد الخبراء والفنيين لعهد الاستقلال الوطنى .**

واصبح تحايل عملاء بريطانيا للافلات من هذه القرارات ، هو ان يستبيحوا لانفسهم حق الاتفاق على التفسير **الملائم** لتطبيق هذه القرارات، وكذلك الوسائل **المناسبة** لتطبيقها ! .. واسرع عدد من سلاطين الجنوب «بمناشدة بريطانيا على البقاء». واخذوا يلتمسون منها « استمرار الحماية » ، لا خوفا من غزو خارجي كما يزعمون .. ولكن خوفا من مصيرهم هم على يد شعبهم وثورته الوطنية ..

وتظاهرت بريطانيا فى اغسطس الماضى امام اللجنة الرابعة التابعة للامم المتحدة بالموافقة على ايفاد بعثة ثلاثية الى عدن ، مع ابداء بعض التحفظات والقيود على مهمة البعثة وصلاحياتها .. وكان الغرض من ذلك الحصول على اعتراف الامم المتحدة بالاجهزة والانظمة القائمة ، وبالتالى منع اللجنة من تقديم توصيات تنهى الاوضاع الشاذة فى المنطقة ، بما فى ذلك الاتفاقات غير الشرعية المبرمة بين بريطانيا والسلاطين .. وقد طالب ممثلو الجبهة بضرورة سحب تحفظات الوفد البريطانى ، واصدرت بالفعل اللجنة عدة توصيات اساسية تجعل من هذه التحفظات غير ذات موضوع — وقد نص قرار اللجنة الرابعة على ان تقدم بعثة الامم المتحدة توصياتها بشان تأليف حكومة مركزية موقتة تحل محل جميع الاجهزة غير الشرعية القائمة . كذلك نص القرار على ان تقوم بريطانيا فور وصول البعثة برفع حالة الطوارىء ، واطلاق سراح المعتقلين السياسيين ، واباحة حرية العمل السياسى — وتعتبر هذه الفقرة ان قبول بريطانيا لالغاء الاحكام العرفية امرا اساسيا لقيام البعثة بمهمتها . **واعلنت جبهة التحرير انها تعلن تعاونها مع لجنة الامم المتحدة على تنفيذ نص هذا القرار بحذافيره، والا فلن تجد مفرا من مقاطعة البعثة ، لان حضورها دون تنفيذ النقاط المذكورة يعطى بريطانيا ثغرة كبيرة تطعن فيها قرارات الامم المتحدة ، بل ستستغل وجود الامم المتحدة لتنفيذ مؤامراتها ...**

المعارضة داخل بريطانيا

ولكن المعارضة لسياسة ((شرقى السويس)) لاتقتصر على قوى الثورة العربية ، وكافة القوى المحبة للسلام والمعادية للاستعمار فى مختلف ارجاء العالم، وانما تجد أصداء لها داخل بريطانيا نفسها ، ولاسباب عديدة مختلفة ..

واول هذه الاسباب هو ان بريطانيا تواجه **صعابا اقتصادية** ، قوامها انها لم تعد قادرة على تحمل ماتدعيه من « التزامات » فى الخارج .. فهى تنفق لشراء اسلحة لصيانة قواعدها واهدافها العسكرية خارج حدودها مابين ٣٥٠ و ٤٠٠ مليون جنيه استرلينى سنويا . ويبلغ مجموع نفقاتها العسكرية والمدنية الجارية فى الخارج، مبلغ ٥٧٠ مليون جنيه كل عام . كما تصدر رؤوس اموال بمقدار ٣٠٠ مليون جنيه سنويا لاستثمارها فى مشروعات فى اوربا وغيرها .. وادت هذه النفقات الباهظة الى **اختلال شبه مزمن فى ميزان مدفوعاتها** .. ولمواجهة هذا الاختلال ، اتخذت الحكومة فى يوليو الماضى اجراءات تستهدف تجميد الاجور والاسعار لمدة ٦ اشهر على الاقل ، يحد من الائتمان ورفع سعر الفائدة ، وتخفيض المبالغ المخصصة للاغراض الاجتماعية والتعليم والبحث العلمى الخ .. بهدف الحد من الاستهلاك الداخلى، حتى ولو ترتب على ذلك زيادة البطالة .. وهدف الحكومة من هذه الاجراءات هو الحد من الانفاق الداخلى بمقدار ٥٠٠ مليون جنيه سنويا ، كما قررت تخفيض نفقاتها العسكرية فى الخارج بمقدار ١٠٠ مليون جنيه سنويا ..

وترى **المعارضة اليسارية داخل حزب العمال** ان هذه الحلول التى تقدمت بها الحكومة لمواجهة متاعب بريطانيا الاقتصادية حلولا تحمل افقر طبقات المجتمع عبء الازمة، بينما مازالت انجلترا تجرى وراء اوهام استعمارية عن « التزاماتها » الدولية ، لاتخدم فى نهاية الامر غير مصالح الاستعمار الامريكى، وتجعل من بريطانيا ذيلا له، و « اداة مكملة لمخططاته » ..

وهذه المعارضة داخل حزب العمال ليست مجموعة منظمة متجانسة ، وليست هناك حدود محددة تفصلها عن بقية الحزب .. يساعد على وجودها كظاهرة متميزة تركيب حزب العمال وطبيعته .. وايمانه ايمانا « بريطانيا » بافضال الارتجال والتسامح حيال تعايش مجموعات متنازعة الاتجاهات داخل صفوفه .. وازدراؤه « البريطانى » ايضا ، للقضايا النظرية ، واخذه بالمنهج البراجماتى .. ويتميز هذا اليسار المعارض داخل حزب العمال بديناميكيته ، **واتساقه** فى تمثل تقاليد بريطانيا الاشتراكية .. وقد يرتكب اخطاء كثيرة ، وقد لايستوعب الا ببطء وصعوبة اهمية الانضباط والعمل الجماعى ، والاهتمام بانشاء اواصر قوية مع جماهير العمال وبالذات العناصر اليسارية داخل الحركة النقابية — ولكنه يشكل بلا شك قوة فعالة ، وتزداد اهميته كلما تفاقمت الازمات ..

وترى هذه المعارضة ان الحكومة ستنجح بلا شك في تجميد الاجور .. ولكنها لن تنجح في تثبيت الاسعار ..، و ٨٠٪ من اقتصاد بريطانيا يخضع لسيطرة الرأسماليين .. ولذلك لاتعنى الاجراءات التى تتقدم بها الحكومة الا الحد من استهلاك افقر الطبقات .. وزيادة البطالة ، وقد اصبح عدد العاطلين بالفعل خلال الاشهر الاخيرة ٧٥٠ الف عاطل .. وهو أعلى نسبة منذ عدد من السنوات .. كما ترى هذه المعارضة انه سيترتب على اجراءات الحكومة وقف نمو الاقتصاد وتعرضه للكساد .. **وتتقدم هذه المعارضة بفكرة التركيز على تخفيض النفقات العسكرية بالخارج كحل اساسي للازمة ، والحد من استيراد السلع الترفيهية، وتنشيط الاستثمارات في فروع الصناعة الانتاجية ، ومحاربة هروب رؤوس الاموال للخارج .. لذلك كان احد اهدافها الرئيسية تصفية سياسة « شرقي السويس » وتصفية قواعد بريطانيا في منطقة الجنوب العربي التى تحمل وحدها الخزانة البريطانية ١٥٠ مليون جنيه سنويا .**

وقد زادت هذه المعارضة نشاطا وبلورة في الفترة الاخيرة .. واحرزت نصرا في معارضتها للحكومة باستقالة وزير التكنولوجيا ، فرانك كوزنز .. وارتفعت اصواتها في مؤتمر النقابات البريطانية في سبتمبر الماضي وفي مؤتمر حزب العمال في اكتوبر .. ولكنها لم تنجح في ان تجعل وجهة نظرها بحذافيرها رأى حزب العمال الرسمي ، ولا ان تؤثر بشكل حاسم على سياسة حكومة العمال ..

والمعارضة لسياسة « شرقي السويس » لا تقتصر على يسار حزب العمال وحده .. بل تمتد الى بعض الاجنحة داخل الحزب وضمنها جورج براون الى حد ما ، وكذلك الى جناح هام داخل حزب الاحرار ، والى عدد كبير من الصحف البريطانية ، وفي مقدمتها « التايمز » و « الديلى اكسبريس » و « الديلى ميل » و « الساندداى تايمز » و « الاوبزرفر » و « الجارديان » ، فضلا عن بعض المجلات المتعاطفة مع حزب العمال مثل « الديلى ميرور » و « الصن » وجريدة الحزب الشيوعي البريطاني « المورننج ستار » ..

واسباب هذه المعارضة تختلف .. منها — بوجه خاص — ان بعض الاجنحة اليمينية ترى أنه من الافيد لبريطانيا ان تتخلى عن « التزاماتها » المعرضة لاخطار جسيمة فيما وراء البحار ، وان تركز استثماراتها على السوق الاوربية المشتركة واوربا .. فهى تكفل عائدا اضمن ، وتتمشى مع قدرات انجلترا الواقعية .. وتعبر عن مصالح رأس المال البريطاني الاصيلة .. وتحله من التبعية الكاملة للمخططات الامريكية ..

ونتيجة لتداخل هذه الاعتبارات المختلفة ، تمت معارضة للحكومة حيال سياسة « شرقي السويس » تمثلت في ٨٠ نائبا عماليا ، يمكن اعتبار ٥٠ منهم ينتسبون الى قوى اليسار .. وتمرد ٣٢ منهم صراحة على موقف الحكومة بامتناعهم عن التصويت عند طرح القضية في مجلس العموم .. والسبب في ان التمرد لم يتجاوز هذا الحد هو خوف معظم هؤلاء النواب من ان يؤدي امتناعهم الى افتقاد حزب العمال اغلبيته في المجلس ، وان يترتب عليه اسقاط الحكومة لحساب المحافظين ..

وخرج ويلسون من المازق « بحل وسط » ، وذلك بتأكيد وعده بالانسحاب من قاعدة عدن في ١٩٦٨ ، بدون المساس بجوهر سياسة « شرقي السويس » ، وذلك بتدعيم مراكز بريطانيا في مناطق اخرى من الجزيرة العربية ..

استعدادات محمومة في البحرين

واخذت بريطانيا تهيء منطقة الخليج كي تتحول الى الملجأ الاخير لاستعمارها المباشر في المشرق العربي .

وبالفعل فمنذ ان اعلن ويلسون ان بريطانيا ستنسحب رسميا من عدن في ١٩٦٨ ، يجرى نشاط محموم في جزر **البحرين** لاقامة قاعدة بديلة، وللتخفيف من وطأة هذا التراجع الاجباري تحت ضربات الثورة العربية الصاعدة ، بدون المساس بجوهريات سياسة « شرقي السويس » .

وهناك اسباب عديدة ادت الى اختيار جزر البحرين على وجه التحديد ، **اولها** خضوع هذه المنطقة لاستعمار بريطانيا المباشر منذ القرن الثامن عشر، وارتباط امرائها ببريطانيا باتفاقيات مجحفة لا تحدوها آجال او قيود .. والسبب **الثاني** ، هو الموقع الاستراتيجي لهذه الجزر في مواجهة منطقة الشرق الاوسط .. اما السبب **الثالث** ، فهو وقوعها في قلب منطقة البترول ..

ويتلخص المخطط الجديد في قمع أى تحرك شعبي في منطقة الخليج ، ومحاولة الحفاظ على السيطرة المطلقة للامراء والمشايخ تحت امرة الانجليز ، والتوسع في بناء قواعد عسكرية مزودة باحدث الاسلحة والمعدات ، تنتقى مواقعها بدقة، بحيث يكون توزيعها شاملا لمنطقة الخليج كلها ، وضرب نطاق كثيف من الكتمان حول هذه التحركات حتى لايتسرب اخبارها الى الرأى العام العربي والعالمي ، كما تعمل بريطانيا على خلق **اتحاد فيدرالي بين امارات الخليج** ، على غرار

اتحاد الجنوب العربي ، ليتمكن الاستعمار من تشديد قبضته على المنطقة برمتها ، والاستفادة من جعل الاخوة يضربون بعضهم بعضا باسم « جيش الاتحاد » او « شرطة الاتحاد » ، ومواجهة شعب اى امارة من هذه الامارات اذا ما انتفض ضد الهمجية الاستعمارية بقوة بقية الامارات ، بصورة تعطى تدخلها طابع الشرعية تحت قناع مقتضيات الحفاظ على امن واستقرار « دولة الاتحاد الفيدرالى » ..

كما تعمل بريطانيا على ربط هذه المنطقة بالسعودية وايران .. وبالذات من الوجهة العسكرية ، حيث تقوم على اراضى هذين البلدين القواعد والمنشآت العسكرية الاستعمارية تحت مختلف المسميات، آخرها هو « بعثات التدريب » تستند الى قواعد ضخمة كقاعدة الظهران فى السعودية ، والى عشرات الاسراب من الطائرات المقاتلة ، وقاذفات القنابل وطائرات التجسس الخ ..

وتخضع البحرين لنفوذ الاستعمار البريطانى من كل الوجوه .. وقد فرضت بريطانيا منذ احتلالها لجزر البحرين سلسلة من المعاهدات كان ابرزها معاهدتى ١٨٨٠ و ١٨٩٢ حيث جاء فى نصوصهما :

● ان شيخ البحرين يلزم نفسه وخلفاءه من بعده بأن لايسمح لاية دولة — عدا الحكومة البريطانية — باقامة اى تمثيل قنصلى او تجارى فى اراضيه الا بموافقة الحكومة البريطانية ، وان لايمنح او يؤجر او يرهن او يبيع اى جزء من اراضى البحرين لاية دولة — عدا الحكومة البريطانية — الا بموافقتها » !! ...

واستمر تدخل بريطانيا فى كل شئون البحرين علنية حتى تم نفى قادة هيئة الاتحاد الوطنى الى جزيرة « سنت هيلانة » فى ١٩٥٦ ، على اثر اشتداد الحركة الوطنية ، والمقاومة الشعبية للوجود البريطانى .. ومنذ هذا التاريخ، اضطرت بريطانيا الى محاولة اخفاء تدخلها السافر وصارت تخفى هذا التدخل تحت اسم حاكم البحرين ، وما يسمى بحكومة البحرين — وبقى الاستعمار مسيطرا على كل مرافق النشاط السياسى والاقتصادى ، على البترول والبنوك وتجارة الجملة ، والنقل البحرى ، وتأمين الطيران ، والمواصلات البرقية ، واعمال الصيانة البحرية والمشاريع الانشائية ..

وتتركز القواعد العسكرية فى « المحرق » و « الجفير » و « الهملة » ، وتعد الآن العدة لتوسيع هذه القواعد واعدادها لاحتلالها محل قاعدة عدن . وهذه القواعد الثلاثة تحتل اهم مناطق جزر البحرين، وتضم مختلف اجهزة العدوان والتجسس والدمار .

وفى اوائل ١٩٦٦ ، تم توحيد ادارة القواعد الثلاث فى قيادة واحدة ، كتمهيد لاستقبال قوات قاعدة عدن ، وتوحيد تجهيز القواعد الصغيرة المنتشرة فى الخليج، فى الشارقة وسلالة ، ومسيرة وغيرها .. وتتميز قاعدة البحرين ، خلافا لقاعدة عدن ، بعدم استنادها الى منشآت ثابتة تحول دون مرونة نقلها عند الضرورة، وتزويدها بالحد الادنى من المنشآت اللازمة لانزال قوات ضخمة من البحر، لقمع اية حركة ثورية من اهالى المنطقة بمجرد تفجرها !

ولكن شعب البحرين والمحميات لايستكين لهذه المخططات .. لقد تحرك فى انتفاضات متكرره فى ١٩١٩ ، و ١٩٢٦ و ١٩٢٨ وبخاصة فى ١٩٥٤ — ١٩٥٦ .. وكان الاستعمار يواجه هذه التحركات بالمزيد من القمع والارهاب .. وفى ١٩٥٦ نزل الاستعمار بكل ثقله ، وفرض حالة الطوارىء ، وهى مستمرة حتى اليوم ، وانزل جيوشه لاحتلال مدن وقرى البحرين وليعسكر فى شوارعها وليلقى بعشرات الطلبة والعمال والفلاحين فى السجون وليشرد مئات اخرى . واخذ ينفق الاموال الطائلة على انشاء وتوسيع اجهزة القمع والتجسس ..

ولكن ، كان من شأن هذه الاجراءات زيادة تدريب الشعب على النضال .. وقد اخذ يشكل منظماته الثورية السرية .. ليضرب بشكل علمى فى صميم مصالح العدو ..

ان كل هذه الحقائق تكشف ان المعركة باستقطابها على نطاق المشرق العربى كله ، انما قضت على تصور ان ثمة مناطق نائية، باقية على هامش دروب النضال الرئيسية، يستطيع الاستعمار ان يعيث فيها فسادا وان يعبث بها كما يشاء .. لقد اقتحمت الثورة معاقل الاستعمار فى الجنوب، وانتقل محور الصراع الى المحميات فى شرق الجزيرة العربية ، بعد ان التهبت المعركة فى قلب الجزيرة .. لم تعد رمال الصحراء الواسعة حائلا دون التقاء الثوار وتجاوبهم فى خوض الانتفاضة الكبرى ضد اسباب التخلف ، وقوى الاستغلال .. ومن أجل استثمار العرب بأنفسهم ثروات بلادهم ..

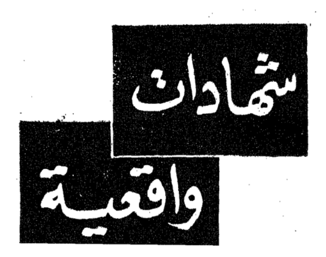
ان التاريخ يتحرك فى كل شبر من الارض العربية .. وكل جبروت الاستعمار ، باحدث اسلحة الفتك بالجملة ، لن يستطيع أن يوقف سيره المظفر الى الامام ..



((لكل حسب عمله ، ومن كل حسب قدرته)) شعار مركز ، عميق الدلالة عن مفهوم الاشتراكية لالغاء استغلال الانسان للانسان وتذويب الفوارق بين الطبقات . وهى عملية معقدة ، تستغرق وقتا وجهدا وتتناول كل أوجه الحياة بالتغيير .

وربط الاجر بالانتاج ليس الا جانبا واحدا من نشاط متشعب شامل ، لكنه فى الوقت نفسه قاعدة أساسية للعدالة الاشتراكية ، وحافز رئيسى للعاملين على بذل كل ما فى طاقتهم واستثارة مبادراتهم لتحسين قدراتهم الانتاجية ورفع انتاجية عملهم لمصلحة المجموع .

ونحن فى مرحلة الانجاز ، التى نعيـــد فيها تنظيم بيتنا من الداخل خاصة فى مجال الانتاج ، بعد الشوط الكبير الذى قطعناه ، نحتاج الى تنشيط الحوافز الفردية والجماعية . وتجاوبا مع هذا الاحتياج الموضوعى تقدم ((الطليعة)) دراستها الرئيسية عن سياسة ربط الاجر بالانتاج مستخدمة أسلوب التقارير والشهادات الواقعية من مختلف مواقع الانتاج بما يعكس الخبرات الجنينية فى هذا المجال ويتيح فرصة تبادلها ، وتدعيم الايجابى منها ، وتعميم بعض التجارب الناجحة مع مراعاة الظروف المتباينة فى قطاعات الانتاج المختلفة،هذا بالاضافة الى تعليقات من واقع هذه التقارير ، وبحيث يبلور التجـــربة الانســـانية فى اطار نظرى .



العلاوة الدورية مصدر التواكل والتكاسل

عبد العزيز بخيت
سكرتير مساعد النقابة العامة
للنسيج بالجمهورية العربية المتحدة

ان الدافع الاساسى لفكرة ربط الاجر بالانتاج ، هو زيادة الانتاج ، اولا وقبل كل شيء . اقول هذا لان البعض يفكر فى هذا الموضوع من زاوية زيادة الاجور كنقطة بدء . وهذا التفكير خاطىء . صحيح ان رفع الانتاج سيؤدى الى زيادة الاجور ورفع مستوى المعيشة بصفة عامة ، اى ان زيادة الانتاج ورفع مستوى المعيشة مسألتان مرتبطتان ، ولكن نقطة البدء يجب ان تكون هى مصلحة الانتاج ، لان زيادة الانتاج هى الاصل ، هى التى سيترتب عليها رفع مستوى المعيشة ، وليس العكس .

النقطة الثانية هى ان اية مقترحات او مشروعات لربط الاجر بالانتاج ، بطريقة تضمن

زيادة حقيقية في الانتاج ، اي زيادة انتاجية العمل ، لا يمكن ان تلقى نجاحا في التطبيق الا اذا كانت القيادات وبخاصة القيادات الادارية ومجموع العاملين في الوحدة الانتاجية مهيأة ذهنيا لاحترام الملكية العامة ومفضلة للمصلحة العامة قبل اي اعتبار آخر . وباختصار يجب ان تكون الفكرية الاشتراكية هي السائدة بين القيادات وبين جماهير العاملين . فليس الامر متوقفا على احكام الاقتراحات ودقة اللوائح بقدر ما يتوقف على اقتناع القائمين على الانتاج ، وحماسهم لرفع انتاجية العمل . ولسنا بحاجة الى القول بأن الوضع الراهن ما يزال بعيدا عن ذلك ، وامام التنظيم السياسي والقيادات النقابية الواعية الثورية مهمات كبيرة في مجال اشاعة الفكر والروح الاشتراكية بين العاملين .

الشرط الاخر لنجاح فكرة ربط الاجر بالانتاج ، هو الا يكون عدد العاملين في اية وحدة انتاجية يزيد عن حاجة العمل . وتلك حالة نشكو منها في كثير من الوحدات الانتاجية وبخاصة في الوظائف الادارية . ونقطة البدء هي بحث حالة العمالة في الوحدات الانتاجية ، والاستغناء عن الزيادة في الوظائف الادارية مع سد النقص في الاعمال الفنية . وفي كثير من الاحيان يجب العمل على الاستفادة المثلى من الكفاءات الفنية الموجودة ، والتي كثيرا ما لا يستفاد منها استفادة كاملة .

والشرط الاخير هو اننا يجب الا نبدأ في تنفيذ اي مشروع جديد لنظام الاجور الا بعد ان يختبر في عدد محدود من الوحدات بحيث يطبق ، بعد اختباره ، في اقصر وقت وباقل ارباك ممكن للانتاج . ولا يجب ان نكرر كثيرا من الاخطاء التي ادت الى ارباك الانتاج لفترة تقرب من عامين نتيجة لوضع النظام الحالي في التطبيق ، حيث لم يكن للعاملين هم الا البحث عن اوضاعهم وتسكينهم ودرجاتهم .. الخ .

وبهذه المناسبة اقول ان عمال الانتاج في صناعة النسيج (وهم اكثر من ربع عدد العمال ويشكلون العصب الحقيقي للصناعة وتزيد نسبتهم في الانتاج الكلي عن نسبة عددهم بالنسبة للمجموع الكلي لعدد العمال) — اقول انه يؤسفني ان عمال الانتاج هؤلاء كانوا اقل حظا من زملائهم بكثير في النظام المعمول به حاليا ، وهو نظام الدرجات . ولا شك ان وضع نظام جديد للاجر مرتبط بالانتاج ومطبق على الجميع ، من شأنه تصحيح هذا الوضع .

بعد هذه المقدمة ندخل في الموضوع . واهم نقطة فيه هي كيفية تقدير الاجر . وفي رأيي ان يكون العامل المتوسط هو الاساس في تقدير الاجر ، ويكون اجره (عند بدء تطبيق نظام ربط الاجر بالانتاج) هو متوسط الاجر محسوبا على مستوى الصناعة في البلاد كلها في اليوم الذي يبدأ فيه التطبيق ، آخذين في الاعتبار كفاءة الالة التي يعمل عليها . بمعنى انه في صناعة النسيج مثلا ، تحسب مجموع اجور عمال النسيج وتقسم على مجموع عددهم والناتج هو الاجر الذي يحاسب على اساسه عامل النسيج اذا كان انتاجه في الحدود المحسوبة التي تسمح بها نوع الالة التي يعمل عليها ، وذلك — بالنسبة لصناعتنا مثلا — امر سهل .

وهذا العامل المتوسط هو الوحدة التي تحتسب بالنسبة لها اجور العاملين الاخرين ، واقصد بهم العمال غير الفنيين (مثل العتالين) او العمال المبتدئين والصبية من ناحية ، ثم العاملين الاكثر مهارة من العامل المتوسط من ناحية اخرى ، واقصد بهم الميكانيكيين والملاحظين ورؤساء الورديات .. الخ . فاذا كان اجر العامل المتوسط ١٠٠ وحدة مثلا ، يمكن ان ينخفض اجر العمال غير المهرة او الصبية الى ٥٠ وحدة ، كحد ادنى ، بينما يرتفع اجر الميكانيكي الى ١٥٠ وحدة مثلا . والملاحظين الى ٢٠٠ وحدة .. الخ . بحيث لايزيد الحد الاعلى عن نسبة معينة ارى أن تكون ٣٠٠ تحقيقا لفكرة تقريب الفوارق بين الحد الادنى والحد الاقصى للاجر . هذا ، ويجب ان يحاسب هؤلاء العاملين على اساس انتاجية الوحدات التابعة لهم . فرئيس الصالة مثلا ، ينال اجره كاملا اذا كان انتاج الصالة كلها في الحدود المقدرة في الخطة من ناحيتي الكمية وجودة النوع ، وكذلك بالنسبة للملاحظين والميكانيكيين .. الخ .

اما عن الاعمال الادارية في الوحدات الانتاجية ففي رأيي انها يجب ان تحتسب على اساس ميزانية الوحدة الانتاجية في مجموعها . بمعنى ان الشركة الصناعية يمكن ان تعمل ميزانية للتكلفة وللارباح ، وعلى ضوئها يتحدد مجموع مرتبات العاملين في الادارة ، وتوزع هذه المرتبات ايضا بحسب نوعية العمل الاداري نفسه — ابتداء من كاتب الانتاج الى عضو مجلس الادارة . اي ان اجور العاملين في الادارة ومرتباتهم يجب أن تخضع للاسس الاقتصادية السليمة في ادارة المشروع الصناعي ، وليس على اساس اوضاع منقولة من مجالات اخرى ، او اوضاع مكتسبة بحكم الصدفة وضارة بمصلحة الانتاج . ومرة اخرى نؤكد هنا ضرورة حصر القوى العاملة في هذا المجال وعدم تحميل الوحدات الانتاجية فوق طاقتها ، اي تحويل الموظفين الاداريين الزائدين عن حاجة العمل الى مجالات اخرى تحتاج اليهم ،

مع الاستخدام الرشيد للقوى التى تبقى منهم فى الوحدات الانتاجية .

وأخيرا هناك مسألة العلاوات . واحب ان ابين ان فكرة العلاوات الدورية للعمال الصناعيين فكرة دخيلة على مجال الانتاج الصناعى ، وهى منقولة اليه من الدواوين الحكومية ، وهى فكرة ضارة بالانتاج . وتطبيق نظام ربط الاجر بالانتاج لا يجب ان يعترف بنظام العلاوات الدورية . وقد يغضب هذا بعض العمال ، اذ قد يظنون ان فى هذا انتقاصا من حقوقهم ، لانهم قد يظنون ان العامل الذى يعين اليوم بأجر ١٠٠ وحدة مثلا سيظل كذلك لمدة ١٥ او ٢٠ سنة طالما ليست هناك علاوات دورية . وان صح ان تكون هذه نظرة موظفى الدواوين القدامى فلا يصح ان تكون نظرة العاملين فى الصناعة . فالحق ان العاملين فى الصناعة يمكن — فى ظل نهضة صناعية حقيقية كالتى تشهدها بلادنا الان — ان تزيد اجورهم بنسب تفوق كثيرا النسب التى تزيدها مرتبات من يعلقون كل اذهانهم على فكرة العلاوات الدورية .

والزيادة فى الاجور الحقيقية للعاملين مصادرها ثلاث :

١ — الانتقال من مستوى الى آخر فى نوعية العمل . بمعنى ان الصبى يمكن ، بعد فترة من المران ، ان يصبح عاملا مبتدئا ، والعامل المبتدىء يمكن ان يصبح عاملا متوسطا ، وهذا يمكن ان يصبح ميكانيكيا ثم رئيس صالة .. الخ . وهذا التدرج يصحبه تدرج فى الاجر . وهو تدرج طبيعى ، لا يحول العامل الى موظف متكاسل ينتظر مرور الاعوام لكى يحصل على علاوة دورية ، وانما هو متوقف على اجتهاد العامل وزيادة مرانه وامكانه الانتقال من شكل ادنى الى شكل ارقى من اشكال العمل المنتج . كما ان ذلك الترقى مصحوب بفائدة للانتاج ، أى للمجتمع فى جملته ، وليس للفرد فحسب . ونحن نعرف ان الحال كثيرا ما يكون معكوسا بالنسبة لمن يعيشون حياتهم ينتظرون العلاوات الدورية .

٢ — المصدر الثانى لزيادة الاجر هو الجهد الاضافى الذى تبذله كل وحدة انتاجية لزيادة ارباحها عن الهدف المحدد فى خطتها . فاذا كان موضوعا فى خطة شركة صناعية معينة ، وعلى اسس اقتصادية سليمة ، ان تحقق ربحا قدره ١٠٠ وحدة ، فان من حق العاملين فيها — اذا حققت ربحا قدره ١٢٠ وحدة مثلا — ان يحصلوا فى نهاية العام على نسبة من هذه الزيادة . وحين نتحدث عن الجهد الاضافى الذى يبذله مجموع العاملين لرفع انتاج شركتهم وارباحها ، فلا نقصد بذلك ان يكون الجهد بدنيا ، او بساعات اضافية فحسب ، وانما ما يزال امامنا ان نعمل الكثير لزيادة الانتاج والارباح عن طريق الاستخدام الامثل للخامات والطاقة المحركة والعمل ، وعن طريق احكام رقابة العاملين بحيث يقطعون الطريق على اى اهمال او انحراف يبدد الممتلكات العامة او يقلل من طاقتها ، وعن طريق زيادة كفاءة العمل بالتدريب المهنى ، وعن طريق رفع حماس العاملين بالتوعية السليمة واتباع الاساليب الديمقراطية فى الانتاج والادارة .. الخ .

٣ — وهناك اخيرا ارتفاع انتاجية العمل على المستوى القومى نتيجة للتقدم الصناعى . ان الصناعة فى تقدم مستمر . ويتبع هذا زيادة مستمرة فى انتاجية العمل . واذا اخذ بنظام ربط الاجر بالانتاج على نطاق البلاد كلها ، فستوجد لجان عليا لتحديد الاجور والاسعار ، تشرف عليها اعلى السلطات . ولا شك ان هذه اللجان ، مع استمرار التقدم الصناعى ، لن يقف تقديرها لاجر العاملين فى صناعة معينة عند حد جامد لا يتغير مع الزمن . وانما لابد وان هذه اللجان ستعيد النظر فى تقدير الاجور بحيث تأخذ فى الاعتبار الزيادة فى انتاجية العمل التى تتحقق على النطاق القومى . ويمكن ان تتم اعادة النظر تلك مع اعداد مشروعات الخطط الخمسية .

هذه هى المصادر الثلاث التى ستجعل اجور العاملين فى تزايد ، ليس مع مرور الوقت ومع التواكل والتكاسل والانتظار ، ولكن مع مزيد من الانتاج وارتفاع مستوى العاملين ، الفنى والثقافى والمعنوى ، ومع ازدهار المؤسسات الصناعية والتقدم الصناعى للبلاد فى مجموعها . وبغير هذا الفهم فلن يكون هناك تقدم يتسع للحاجات المتزايدة للشعب العامل .

بقيت كلمة عن دور النقابات فى عملية التطبيق السليم لاى نظام يوضع للاجور .

ان البعض يظن انه لم يعد للنقابات دور فى ذلك وبخاصة فى القطاع العام . يظن هذا البعض انه يكفى ان يصدر قانون معين لتطبيق نظام معين للاجور وان يوكل الامر لادارات الشركات والمؤسسات التابعة للقطاع العام لكى تطبقه ، دون ان يكون للنقابات دور فى ذلك . والحق — مع الاسف — ان هذا هو ما حدث تقريبا فى الفترة الاخيرة . وقد آن الاوان ، بعد تجربة دامت عدة سنوات ، ان نعيد النظر فى هذا الامر . ذلك ان اعادة تنظيم كثير من شئون الانتاج فى المؤسسات الصناعية ، والتوسع الكبير فى القطاع العام ، فى وقت نتحسس فيه طرقا جديدة للادارة والتنظيم

تتمشى مع مرحلة التحول الاشتراكي — كل هذه الاعتبارات تجعل من اللازم تعبئة كل الطاقات الممكنة لدفع عجلة العمل . وقد رأينا كيف ان تطبيق نظام معين للاجور او للدرجات يتعثر شهورا طويلة ، بل لا ابالغ اذا قلت ان العامين الاخيرين شهدا حالة من الارتباك الملحوظ فى الوحدات الانتاجية نتيجة لذلك . فهل كان يمكن ان يكون الامر على هذا النحو لو ان النقابات اخذت موقفا ايجابيا لمساعدة العاملين والادارة فى هذا المجال ؟ بالطبع لا .

ونؤكد هنا ان دور النقابات يمكن ان يكون دورا مساعدا تماما للادارة الاشتراكية ، كما يمكن ان يكون عنصرا لكشف التراخى او الاهمال من جانب العناصر الادارية ذات العقلية الرأسمالية التى لا يهمها مصلحة الانتاج ولا يشغل بالها مشكلات العاملين ، والتى تحاول ان تخفى عجزها او انحرافها بالتجنى على حقوق العاملين او بالتراخى فى تنفيذ القوانين الاشتراكية فى الانتاج والاجور والتنظيم .

مشكلة الحوافز فى الخط الانتاجى المتكامل

د. محمد عجلان
نائب رئيس شركة النصر لصناعة الزجاج والبللور

لقد بدأ تطبيق هذا النظام بمصنع شبرا الخيمة ، شركة النصر لصناعة الزجاج منذ قبل التأميم ، وهو بذلك يتيح امكانية لتتبع آثاره على الانتاج وعلى العاملين ، كما يتيح استكشاف النقص فى التطبيق نظرا لعديد السنوات التى مرت . وتبرز الان فيه نواح من الضعف واخرى من القوة .

هذا وقد اتخذ فى تطبيقه عدد من القواعد اختلفت حسب طبيعة الانتاج من وحدة الى اخرى .

فحيث يتم الانتاج يدويا كانت القاعدة هى الانتاج بالقطعة حيث يحدد مقرر للانتاج اليومى على العامل ان يوفيه لينال اجره ، وبالتالى تحددت « فية » للمنتج المعين ، يحصل العامل على نسبة مئوية منها سواء للانتاج المقرر او الزيادة عن المقرر اليومى . ولكن عامل الحافز المادى قطع شوطا اكبر من ذلك ، فكلما تقدم العامل وازدادت مهارته وازداد تطابق انتاجه مع المواصفات المطلوبة كلما ارتفعت تلك النسبة المئوية من « الفية » التى تجرى المحاسبة على اساسها .

وحيث يتم الانتاج على ماكينات آلية ، وتقوم بالعمل مجموعة من العاملين سويا كان الاساس للحافز ان تتخذ نسبة مئوية معينة من الطاقة الانتاجية النظرية للماكينة فى الوردية ، يكافأ العاملون بنسبة من الاجر اليومى تتزايد كلما ازداد تخطيهم لهذه النسبة ، ويوقع الجزاء بنسبة من الاجر كلما انخفضت عنها .

وحيث يتم الانتاج على وحدات متكاملة يصعب فصل حدود النشاط لكل عامل او مجموعة من العاملين على حدة ، كان الاساس هو معدل انتاجى معين للوحدة ، تكافأ مجموعة العاملين فى الوحدة بنسبة من الاجر تتزايد كلما تزايد تخطيهم لهذا المعدل الانتاجى ، ويحرمون من المكافأة اذا لم يصلوا اليها .

ولم يقف امر الحافز عندحدود الاقسام الانتاجية فحسب ، بل انصرف كذلك الى الاقسام الانتاجية المساعدة .. وكان الموقف فى شأنها ان يربط بين القسم المساعد المعين ومكافأة الانتاج التى تصرف للقسم الذى تنصب عليه مساعدته ويكافأ العاملون بنسبة من اجورهم كلما تزايد انتاج القسم الذى تنصرف اليه خدماتهم . او يكافأون على اساس متوسط نسبة مكافأة انتاج مجموعة من الاقسام الانتاجية اذا كانت خدماتهم تشمل اكثر من واحد من الاقسام .

ولكن قد اوضحت هذه النظم عددا من نقاط الضعف تكاد احيانا تجعل الحافز يؤدى الى غير المقصود منه . وتلك ما يمكن ان نوجزها فيما يلى :

فمن غير الجائز – بناء على خبرة التطبيق هذه – ان يسرى الحافز على مجموعة بينما لا يسرى على كل مجموعة مماثلة اخرى . كما لا يجوز ان يتمتع به عامل بينما لا يتمتع به عامل آخر طالما قد اوفى هذا الاخير شروط الصلاحية الفنية المطلوبة . اذ انه فى هذه الحالة ينقلب الى ناقم حاقد ، قد تدفعه مشاعره الى عدم التعاون مع الاول او يذهب الى ابعد من ذلك . أن قاعدة ربط الاجر بالانتاج يجب ان تنطبق على كل المنتجين والا يحرم منها احد .

ومن غير الجائز كذلك ان يرتبط الاجر بالانتاج لعامل او مجموعة داخل خط انتاجى – من الناحية الفنية – متكامل ، دون باقى اجزاء الخط ، اذ يدفع هذا الوضع بمن ارتبط اجرهم بالانتاج الى الصعود بانتاجهم الى ارقام ومعدلات قد لا تتفق مع قدرات باقى اجزاء هذا الخط مما يؤدى الى انتاج معيب او غير كامل المواصفات . كما ان عوامل الغيرة قد تدفع باقى العاملين على اجزاء الخط الى عدم الاندفاع الى نفس المستوى الانتاجى الذى يحققه من ارتبط اجره بانتاجه ما داموا لا يحصلون هم الاخرون على شىء .

ومن غير الجائز بتاتا كذلك أن ترتبط اقسام او مجموعات العاملين التى تقوم بأعمال رقابية بكمية الانتاج ، مثل ان يرتبط اجر اقسام الفرز مثلا بكمية الانتاج الذى يمر بين ايديهم . اذ ان عمل هؤلاء ليس كميا على الاطلاق بقدر ما هو فنى ، تزداد كفاءته كلما حدد عيوبا واكتشفها وليس كلما ازداد العمل عليه ، او زادت الكمية الناتجة بعده .

ومن غير الجائز فى اعتقادنا كذلك ان يرتبط اجر المشرفين بكمية الانتاج فحسب ، اذ انهم فى هذه الحالة كثيرا ما يميلون الى تبرير نقصه بحكم المصلحة الخاصة ، وكثيرا ما يلقون بعبء الانخفاض على عاتق المعدات والالات ويميلون الى جعلها المسئولة ولا يرجع الى عدم اندفاع العامل او نقص اشرافهم . ان المستويات الاشرافية يجب ان تجرى محاسبتها على اسس اضافية لكمية الانتاج ، مثل نوعيته ، واقتصاديات الانتاج ، والابتكارات التى يحققونها وهكذا .

ومن غير الجائز ايضا ان تهمل فى نظم ربط الاجر بالانتاج الاقسام المساعدة فنية كانت او ادارية ، اذ ان جهد العامل المنتج واستطاعته تحقيق افضل المعدلات يتوقف بدرجة كبيرة على مدى كفاءة الخدمات التى تقدمها له هذه الاقسام .

ولعل اكبر المشاكل فى ربط الاجر بالانتاج ينجم عن الفارق الذى لابد يحدث بين دخل العامل الفعلى ، واجره الرسمى المربوط – ذلك الذى يعامل على اساسه فى الاجازات الاعتيادية والمرضية – واثر الاخير على تقييمه فى سلم الدرجات المالية ، اذ كثيرا ما وضع العامل فى درجة ادنى بكثير من تلك التى يستحقها بالفعل نتيجة ان اجره الرسمى لم يتحرك لسنوات بنفس السرعة التى تحرك بها دخله الفعلى نتيجة اكتسابه مهارة او تدرجه فى سلم الاعمال الفنية المختلفة .

هذه بعض حصيلة الخبرة لدينا . ونرجو ان نتمكن من التغلب على نقائصها وجعلها بالصورة التى تحقق دفعا اكثر نحو مجتمع الاشتراكية .

التناسق بين إنتاجية الماكينة وإجمالى الإنتاج المعد للبيع

المهندس سمير مطر
مهندس عنبر بمصنع المطرقاش

عوامل الانتاج الكبير تتكون من ثلاث عناصر :

أ – الايدى العاملة
ب – الالة . ج – المواد الخام .

ولابد لهذه العوامل ان تكتمل حتى نحصل على الانتاج الكبير الجيد . واى تعطل او نقص فى احد هذه العوامل يؤثر فى جودة الانتاج وكميته **والعامل البشرى هو اهم عامل** . فعلاوة على

تأثيره المباشر على الانتاج فانه يؤثر تأثيرا غير مباشر على العاملين الآخرين . فالعامل الواعي المخلص يستطيع ان ينتج انتاجا جيدا بأقل التكاليف وطبعا هذه التكاليف تشمل استهلاك الماكينات والمواد الخام . لذا كان هذا العامل البشرى اهم عامل فى الارتفاع بالانتاج . ومن الوسائل التى بذلت لذلك ربط الاجر بالانتاج ، بتحديد حدود معينة لانتاج العامل يمنح اجره على اساسها ، ثم يمنح العامل زيادة عن كل وحدات اضافية علاوة على الكمية المقررة .

الحافز الايجابى

وهذا يعنى عمل معدلات انتاجية لكل وحدة انتاج على اساس انه فى حالة تجاوز هذه المعدلات يمنح العاملين بهذه الوحدة اجرا اضافيا عن كل زيادة حسب شرائح معينة . وهذا النظام يساعد دون شك على الارتفاع بالانتاج عن طريق العمل الجاد ، وفى نفس الوقت محاولة تسهيل وتحسين وسائل الانتاج من جانب العامل نفسه ، ومن فوائد هذا ايضا العمل على كسر الروتين وعدم التواكل ، بل لقد اصبح العامل يحاول ان يساعد فى اعمال عدة كالمشاركة فى اعمال الصيانة ومتابعة صرف الخامات او العدة التى يحتاج اليها وذلك لتقليل مدة عطل الماكينة . كذلك جعل العامل اكثر مواظبة واقل تكالبا على اخذ الاجازات المرضية او التمارض او حتى اخذ اجازات اعتيادية .

وتتوقف قيمة هذا الحافز على العوامل التالية :

- كمية الانتاج فى فترة زمنية معينة .
- كفاءة العامل فى الوحدة الانتاجية فى هذه الفترة .
- ايام الحضور فى هذه الفترة بالنسبة لكل عامل .
- درجة العامل المالية .

وتكون قيمة الحافز على اساس عمل اسعار تقديرية لقيمة المنتجات التى تزيد عن الحد المقرر فى هذه الوحدة الانتاجية وبعد ذلك تقدر القيمة المضافة التى خلقها عمل العمال فيها . ويستقطع منها مبالغ للخدمات كعمال الصيانة والتفتيش والتخطيط ومختلف ادارات المصنع وجزء للمصنع والباقى يوزع على العمال حسب العناصر السابقة

وبقدر ما يؤدى هذا الحافز الايجابى الى رفع كمية الانتاج بقدر ما يحتاج الى رقابة شديدة نتيجة للاحتمالات التالية :

أ — اجهاد الماكينة نتيجة لمحاولة العامل اخذ اكبر كمية من الانتاج منها وفى نفس الوقت عدم ايقافها لعمل الصيانات الخفيفة بها ناظرا الى الحافز الوقتى ويكون مثله فى ذلك كمثل الرجل الذى ذبح دجاجته التى تبيض ذهبا ليحصل عليه كله دفعة واحدة .

ب — انخفاض جودة الانتاج نتيجة لان كل عامل يحاول ان يخرج اكبر كمية من الانتاج وفى حالة تشدد التفتيش على الانتاج تكثر التلفيات فى الخامات ، ونظرا لان من يقوم بالتفتيش يتقاضى جزءا من الزيادة ايضا ، ففى هذه الحالة فانه محتمل الا يقوم بعمله على الوجه الاكمل كزيادة عن الانتاج ، الا اذا خصصنا له حافزا يقدر على اساس كمية العيوب التى يكتشفها .

الحافز السلبى

ولتلافى الاخطاء التى تحدث نتيجة للحافز الايجابى وهى تتلخص فى الاحتمالين المذكورين عاليه يجب تطبيق نظام الحافز السلبى . ففى هذه الحالة علاوة على خصم التلفيات من الانتاج نعمل لها شرائح حوافز سلبية . وفى هذه الحالة سيقل التالف وكذلك الامر بالنسبة لسوء استعمال الماكينة اذ يحتسب العطل وتكاليفه والنقص فى الانتاج على عمال هذه الماكينة والمشرفين على صيانتها . وكذلك يعمل حافز سلبى بالنسبة لنقص الانتاج نتيجة لتقصير العامل . ومن الممكن ان يطبق ذلك عن طريق اطالة الفترة الزمنية التى يحتسب بالنسبة لها معدل الانتاج كأن يصرف الحافز كل شهرين او ثلاثة وفى هذه الحالة اذا كان معدله قليل فى احد الشهور يضاف هذا العجز بالسالب الى الشهر التالى وهكذا يطبق الحافز السالب . على ان لا يخصم اى حافز سلبى من المرتب الشهرى .

وفى بعض الاحوال تحدث عطلات فى الانتاج نتيجة لاسباب خارجة عن ارادة العاملين فى الوحدة الانتاجية او العاملين فى المصنع ككل وامثلة ذلك :

- نقص المواد الخام المستوردة من الخارج .
- عدم وجود قطع غيار .
- قلة المبيعات .

وقد حدث ان تعطل خط انتاجي في احد الوحدات الانتاجية نتيجة لعدم وجود خامات (وهي مستوردة) واصبح العاملون في هذا الخط الانتاجي بدون عمل ، وبالتالي لا يستحقون حافزا وذلك نتيجة لخطأ لم يرتكبوه ، واصبح العاملون في هذا الخط الانتاجي حملا دون فائدة على الوحدة الانتاجية .

ومن امثلة الخطأ في تطبيق الحافز ما حدث عند تطبيق النظام على اساس عمل معدل انتاج لكل ماكينة بمجرد انتاجه (وهو عادة لا يكون انتاجا كاملا) ، ووجد ان الماكينة تتجاوز معدلها فعلا بينما كمية الانتاج التي تدخل المخازن قليلة نتيجة لعدم سير عمليات الاختبارات والتفتيش بنفس المعدل . وفي هذه الحالة يمنح العاملون حافزا على انتاج غير كامل ، بينما الانتاج المعد للبيع قليل . وقد عدل هذا النظام بعمل معدل الانتاج على الكمية المعدة فعلا للبيع وليس لكل ماكينة على حدة .

أما في حالة حدوث اى عطل في الوحدة الانتاجية كلها لاى سبب خارج عن ارادة العاملين فيها ففي هذه الحالة لن يتقاضوا حافزا طبعا ولن يكون هذا مقبولا بالنسبة للعامل نفسه حيث انه سيشعر انه يتحمل خطأ او تقصير الغير ناظرا الى المشكلة بنظرة ضيقة وهنا يتضح لنا اهمية وجود الوعى عند العامل . وهذا الوعى يجعل العامل يأخذ في اعتباره مصالح الدولة او الخطة ككل وليس مصالحه هو فقط الجزء من هذه المصالح .

واني لاعتقد ان نظام الحافز لابد ان ينتهى حينما نستطيع ان نخلق الوعى الكافي لدى العمال ، الذى يجعلهم يجدون ويجتهدون دون النظر الى النتائج المادية ناظرين فقط الى مصلحة الوطن وتحقيق الهدف السامى وهو بناء الاشتراكية السليمة . ويالتينا نعمل كما قال الرئيس ما معناه انه يجب على الفرد في آخر العام ان يسأل نفسه كم اعطى وليس كم اخذ .

المعايير السليمة لتقدير الوحدات القياسية للإنتاج

المهندس محمود المستكاوى
شركة المقاولات المصرية
« مختار ابراهيم سابقا »

تمثل هذه العملية انشاء قواعد ابراج خط كهرباء السد العالى الذى ينقل التيار الكهربائى القادم من اسوان بعد وصوله الى محطة محولات القاهرة الى محطة محولات التحرير ثم محطة محولات اسكندرية . وطول الخط تقريبا مائتى كيلو متر وعدد الابراج ٤٨٠ برجا على مسافات تتراوح بين ثلاثمائة واربعمائة متر .

وقد تمت دراسة هذه العملية في شركة المقاولات المصرية (مختار ابراهيم سابقا) على الاسس الاتية :

اولا : التشغيل الذاتى بمعنى ان تقوم بالعمل فرق تابعة مباشرة للشركة وليست فرق تابعة لمقاولى الباطن فيما عدا فرق الحفر والردم .

ثانيا : ان يتم وضع نظام لربط الاجر بالانتاج لجميع العاملين بالمشروع يضمن ان يتناسب الأجر مع معدلات الانتاج في الفرق المختلفة ومعدل الانتاج في المشروع كله .

وكانت الاعتبارات الاتية شروط لامكان نجاح التجربة :

اولا : ان تتم دراسة دقيقة للمشروع توضع على اساسها معدلات انتاج قياسية عادلة ، تتناسب مع قوة الفرق المختلفة ومستوى

انتاجيتها ؟ بحيث يصبح تخطى هذه المعدلات دليلا فعليا على ان زيادة الانتاج هى **حصيلة المجهود المضاعف للعاملين وحصيلة ازدياد كفاءتهم الانتاجية** .

وتقدير هذه الوحدات القياسية للانتاج شرط اساسى لنجاح ربط الاجر بالانتاج فالخطأ فى تقديرها يؤدى اما الى شعور العاملين بأن المعدلات المطلوب تحقيقها تمثل هدفا بعيد المنال وغير علمى واما ان يكون العكس وفى هذه الحالة تصبح اجور الانتاج الزائد لا تخرج عن رشوة تقدم للعاملين تحت ستار ربط الاجر بالانتاج وتصبح مصدرا من مصادر الاسراف .

ثانيا : ان يتم حساب المعدلات القياسية والتكاليف القياسية على اساس اسعار وتكاليف مقاولى الباطن للاعمال المماثلة . ويعتبر المشروع ناجحا اذا نجحنا فى خفض تكاليف العمل الى اقل من مستوى اسعار مقاولى الباطن .

هذا بالرغم من ان مقاولى الباطن عموما يعتمدون فى الوصول بأسعارهم الى مستواها على عاملين هامين هما :

أ ــ خبرتهم التخصصية فى الاعمال التى يقومون بها وقدرتهم التنظيمية لعملهم فى حدود مسئوليتهم .

ب ــ عدم قيامهم بتنفيذ التزاماتهم قبل العمال الذين يستخدمونهم سواء من ناحية التأمينات الاجتماعية او العلاج او عقود العمل الى آخر الحقوق التى تكفلها قوانيننا الاشتراكية ــ معتمدين على انماط متخلفة من العلاقات العرفية والحرفية وعلى كل الثغرات التى يمكنهم النفاذ منها فى قوانين العمل السائدة .

وفى هذه الحالة عندما ننجح فى انجاز العمل بتكاليف اقل من مقاولى الباطن وفى نفس الوقت فان الشركة تقوم طبعا بسداد كل الالتزامات التى تكفلها قوانيننا الاشتراكية للعاملين ، فاننا نكون فعلا قد انتقلنا الى علاقات انتاج ارقى فى هذا الحقل المتخلف من حقول الانتاج فى بلادنا . ونكون قد الغينا هامش الربح الاستغلالى لمقاول الباطن وحولناه الى مكاسب حقيقية للعمال والى وفر فى تكاليف الاعمال .

ثالثا : ان تؤدى دراسة العملية وتخطيط برامجها الى ضمان رقابة ذاتية للقائمين بالمشروع على مختلف مستوياته بحيث يكون العمل المنجز مقارنا بما كان يجب انجازه فى كل مرحلة من مراحل المشروع هو جرس الخطر الذى ينبه العاملين اولا بأول الى اية ثغرات يجب تخطيها والتغلب عليها .

ولقد ادت هذه الاعتبارات كما كان يجب ان تؤدى الى ازدياد قدرة الشركة والعاملين بالمشروع على السيطرة على الانتاج والتحكم فى جودته وحجمه .

اما الاجور فقد تم ربطها بالانتاج بالطريقتين الاتيتين :

اولا : فرق الانتاج المباشر : فرق الخرسانة وفك وتركيب الفرم والنجارين والحدادين .

وتتكون اجورها من :

١ ــ اجر اساسى = ٢/٣ الاجر السائد فى السوق لنفس النوع والكفاءة من العمل .

٢ ــ اجر انتاج (فى حدود ١٠٠ ٪ من البرنامج المفروض تنفيذه) عن كل وحدة =

$$\frac{\text{١/٣ الاجر السائد فى السوق}}{\text{مقطوعية العمل خلال شهر}}$$

ويدفع بحسب الوحدات المنتجة .

٣ ــ اجر الانتاج الزائد (عندما يتجاوز الانتاج ١٠٠ ٪ من برنامج العمل المعتمد فى الدراسة) اجر الوحدة الزائدة =

$$\frac{\text{الاجر الاساسى}}{\text{مقطوعية العمل فى الشهر}}$$

اى ان اجر الانتاج الزائد يساوى تقريبا ثلاثة امثال اجر الانتاج فى حدود البرنامج ، وهذا طبعا عدا امتيازات الاقامة والاعاشة والعلاج والتأمينات التى تكفلها القوانين وقواعد العمل فى المشروع .

وعلى هذا الاساس فان العامل لا يتحصل على اجر مساو للاجر السائد فى السوق الا اذا حقق انتاجا مساويا لـ ١٠٠ ٪ من البرنامج . وبعد ذلك كل انتاج زائد يحصل على اجر عليه يعادل نصيب اجره الاساسى فى الوحدات المنتجة .

ثانيا : فرق الاشراف الفنى والادارى : (المهندسين ــ الملاحظين ــ المحاسبين ــ موظفو المخازن .. الخ) .

هؤلاء تدفع لهم اجورهم على الاساس التالى :

● مرتب اساسى هو مرتب التعاقد حسب اللائحة .

● عند تنفيذ البرنامج ١٠٠ ٪ يصرف لهم ٥ ٪ من الاجر الاساسى تقديرا لاتمام البرنامج .

● عند تخطى الانتاج للبرنامج بنسبة معينة تدفع لهم اجور عن هذا الانتاج الزائد تعادل نفس النسبة من مرتباتهم الاساسية .

● هذه النسبة لا تدفع الا بعد عمل ميزانية (شهرية) يتضح منها ان تكاليف تنفيذ الوحدة مثل او اقل من تكاليف تنفيذ الوحدة فى الدراسة .

وذلك كضمان لان زيادة الانتاج لا تتم على حساب زيادة التكاليف .

● اجور الانتاج الزائد تصرف على اساس كشوف يتم فيها تقدير العاملين حسب كفاءتهم وفاعليتهم فى الانتاج بحيث يستحق الممتاز ١٠٠ ٪ من اجر الانتاج الزائد والجيد ٧٥ ٪ والمتوسط ٥٠ ٪ والضعيف لا شىء .

ولقد بدأ العمل التنفيذى فى المشروع فى منتصف سبتمبر ١٩٦٦ على ان تكون مدة التنفيذ عشرة شهور بحيث ينتهى تنفيذ المشروع فى منتصف يوليو ١٩٦٧ .

وكانت النتائج التى تحققت حتى الان كما يلى :

● فى آخر فبراير ١٩٦٧ تم تنفيذ ٤٢٠ برجا . اى ان ما تم تنفيذه فى المشروع هو ٨٧,٥ ٪ ، وسوف يتم عمل الفرقة الرئيسية التى بدأت فى العمل من قرب ابو المطامير متجهة الى القاهرة قبل ٢٠ مارس حيث يتم تنفيذ آخر قاعدة فى الخط مجاورة مباشرة لمحطة محولات القاهرة .

أما الفرقة الثانوية التى تعمل فى منطقة العامرية فينتهى عملها فى منتصف ابريل القادم بالرغم من كل معوقات الامطار وانقطاع طرق الوصول لمواقع العمل وغزارة المياه الجوفية التى واجهتنا بسلسلة لا تنتهى من العقبات .

وبذلك يتم تنفيذ المشروع كله قبل موعده بثلاثة شهور .

● كان معدل الانتاج الزائد ، وبالتالى قيمة اجور الانتاج الزائد التى صرفت للعاملين كما فى الجدول (١)

جدول رقم (١)

سبتمبر	١٣ ٪
اكتوبر	٢٥ ٪
نوفمبر	٣٩ ٪
ديسمبر	٣٥ ٪
يناير	٥٣ ٪
فبراير	١٠٣ ٪

● تم حصر المون والمعدات المستخدمة فى المشروع اولابأول وكانت نتيجتها كما فى الجدول(٢)

● عند مقارنة تكاليف الانتاج الفعلية بتكاليف الانتاج باستخدام مقاولى الباطن فالمقارنة توضح ما يلى :

	مقاول الباطن	فرق الانتاج
صب المتر المكعب من الخرسانة	٠,٨٨٠	٠,٧٧٠
فك وتركيب الفرم الحديدية (بالبرج)	١٥,٠٠٠	٨,٥٠٠
تشغيل وتركيب حديد التسليح (بالطن)	٩,٦٠٠	٧,٥٠٠
تكاليف عمل وتركيب وفك فرم الخشب بالمتر المكعب	١,٨٠٠	١,٢٠٠

● نتيجة لربط الاجر بالانتاج فان ساعات العمل الاضافية التى قدمها العاملون فى المشروع قد عبرت عن نفسها فى اجر الانتاج الزائد — اما ساعات العمل التى لم تعبر عن نفسها بهذه الطريقة فهى فى الواقع ساعات عمل ضائعة — وبالطبع لم تصرف اجور عن ساعات عمل اضافية اطلاقا فى المشروع منذ بدئه ، ولم يشتك عامل واحد من انه عمل ساعات اضافية لم يتلق عنها اجرا مقابلا .

وبعد فهذه تجربة للتشغيل الذاتى مع ربط الاجر بالانتاج تتم فى قطاع المقاولات وتقترب من نهايتها وتدل كل النتائج التى اسفرت عنها على

جدول رقم (٢)

بيانه	زلط (متر مكعب)	رمل (متر مكعب)	اسمنت (طن)	حديد تسليح (طن)
الدراسة	٦٣٤٣,١٨٦	٣٩٦٣,٦٦٠	٢٤٤٦,٦٨٦	٢٠٢,٣٠٤
فعلى	٦٠٩٩,٩٣٠	٣٨٣٢,٥٤٠	٢٠٨٢,٨٩٠	١٦١,٧٠٠
الوفر	٢٤٣,٢٥٦	١٣١,١٢٠	٣٦٣,٧٩٦	٤٠,٦٠٤

إن ربط الاجر بالإنتاج هو مفتاح الطريق لرفع الكفاية الانتاجية وخفض التكاليف .

واليوم ونحن على وشك نهو العمل فى هذا الشريان الحيوى من شرايين الطاقة التى تسرى من السد العالى فى اسوان الى اقصى الشمال فى بلادنا يحق لنا ان نرفع راسنا ونقول للرئيس جمال عبد الناصر : ياريس لقد انجزنا العمل الذى كلفنا به ونحن على استعداد لانجاز عملنا القادم بكفاءة اعلى ومستوى افضل .

العامل الإنسانى والحافز الاقتصادى لرفع إنتاجية العمل

احمد زيتون
رئيس مجلس ادارة شركة أبى زعبل للكيماويات الحربية والمدنية

اشترك فى وضع نظام المكافآت التشجيعية جميع مشرفى المصنع ابتداء من الملاحظين ، وذلك باستخدام استجواب ثم عقد اجتماعات للمناقشة اسفرت عن الاتى :

● وضع اساسان لمنح المكافآت التشجيعية الاول انسانى اى المساهمة فى الارتقاء بالروح المعنوية وتنمية روح الابتكار وروح العناية والعطاء ، والثانى اقتصادى .

● شمل الاستجواب ثمانية نواح يفتح المجال فيها للتقدم باقتراحات وكانت النواحى الثلاث التى حصلت على اكبر عدد من الاصوات وتضمنتها اللائحة المشار لها عاليه هى :

زيادة السلامة ، زيادة جودة المنتج ، زيادة المحافظة على الماكينة وتقليل تآكلها واستهلاكها .

● شملت لوحة الشرف ستة نواح هى :

لم يتغيب بدون اذن + لم يعرض على الطبيب + لم يحدث له حادث او يتسبب فى حادث + لم يوقع عليه جزاء + له نشاط اجتماعى + له نشاط رياضى .

اولا : التطور التاريخى :

١ ــ اصدار لائحة تنظيم صرف المساعدات الاجتماعية والمكافآت التشجيعية بتاريخ ١٩٥٩/٩/٢ واشتملت على الآتى :

● المنح ــ فى حالات الزواج لاول مرة والمرض فى حالة نفاذ اجازة العامل التى يتقاضى عنها اجرا وبحد اقصى ، والعمليات الجراحية ، والكوارث والنكبات ، وفى الوضع الاول ، وفى حالة وفاة احد افراد الاسرة او العامل نفسه .

● القروض ــ فى حالات المرض والازمات والطوارىء .

● مكافأة تشجيعية عند تقديم العامل اقتراحا على اساس النتيجة التى يحققها الاقتراح وبحد اقصى عشرون جنيها عن الاقتراح الواحد .

● مكافأة العامل المثالى ، وقدرها عشرة جنيهات لمن يظهر اسمه فى لوحة الشرف لمدة اثنى عشر شهرا اى طوال اشهر السنة ، وخمسة جنيهات لمن يظهر اسمه فى لوحة الشرف مدة لاتقل عن ستة شهور متتالية .

٢ ــ نجحت اللائحة المذكوره عاليه واشتمل الاحتفال السنوى اعلان اسم العامل المثالى وتسليمه المكافأة ، ونجحت المنح والقروض ، ولكن التقدم باقتراحات كان محدودا للغاية .

٣ ــ صدر امر ادارى رقم ١٨٥ بتاريخ

١٦ / ٨ / ١٩٦١ بخصوص مزاولة النشاط الثقافى واصدار مجلة حائط بكل قسم رئيس وبكل ادارة — وكانت تشكل لجنة تحكيم فى نهاية كل سنة مالية لاختيار القسم او الادارة الفائزة وخصصت كأس للفائز الاول يحتفظ بها لمدة سنة — كانت اسس التحكيم هى :

عدد الاعداد المنشورة — عدد المشتركين فى التحرير — الاخراج — التشريع — جودة المادة .

٤ — من بداية عام ٦٤ / ١٩٦٥ بدأ النشاط الثقافى يتركز فى جماعةمركزية تكونت من مندوبين مثقفين عن الاقسام كلها وذلك بغرض التنمية الثقافية الاشتراكية ثم تطورت عام ٦٦ / ١٩٦٧ الى جماعة الدعوةوالفكر ثم تطورت فىشهر فبراير ١٩٦٧ الى تكوين جماعات دعوة وفكر فرعية فى جميع الاقسام بالاضافة الى اللجنة المركزية .

٥ — تطور نظام العمل المثالى عام ١٩٦٥/٦٤ الى لائحة للعمال المثاليين اصدرها مجلس ادارة الشركة بقراره رقم (٨) لسنة ١٩٦٥ على اساس ان تعطى المكافأة لغاية الفئة الثامنة وكانت شروط اختيار العامل المثالى هى :

- لم يتغيب بدون اذن .
- لم يأخذ اجازات مرضية .
- لم يأخذ اجازات عرضية اكثر من يوم واحد فى الثلاثة شهور .
- لم يتسبب فى حادث .
- لم يوقع عليه اى جزاء .
- لم يأخذ سلفيات .
- حصل على متوسط (أ) فى عناصر الكفاية الانتاجية (كمية العمل — الدقة — التعاون) .

وكانت قيمة المكافأة تزيد مع مرور الوقت ومع محافظة العامل على مثاليته وقد ساهمت هذه اللائحة فى رفع مستوى الوعى بالنسبة للشروط التى هى فى نفس الوقت قيم سلوكية للعامل ومقاييس موضوعية لقياس كفاءته .

٦ — فى جميع المراحل السابقة كانت تمنح مكافآت تشجيعية على الاعمال المتمازة مثل تصميم منتج جديد او خفض تكلفة العمليات او ابتكار جهاز .

٧ — تطور نظام العامل المثالى السابق الى نظام مكافآت تشجيعية للافراد المنفذين والغير مشرفين بصدور قرار من مجلس ادارة الشركة رقم (٣٤) لسنة ١٩٦٦ تعطى المكافأة على اساسمعدلات الاداء ولغاية الفئةالثامنة، ولبعض افراد الفئةالسابعة الذين يعملون كعمالمهنيين فى الصيانة والورش الميكانيكية وفىالصيانة والورش الكهربائية وفى صيانة البخار والمياه وفى نترتة الجلسرين وقد نجح هذا النظام فى الاقسام الانتاجية اساسا .

٩ — صدر قرار مجلس الادارة رقم (٧) بتاريخ ١٥ / ١ / ١٩٦٧ بنظام للمكافآت التشجيعية للرؤساء المنفذين وقد بدىء بتنفيذه اعتبارا من اول يناير ١٩٦٧ وتمنح المكافأة كل ثلاثة شهور .

ثانيا : الموقف حاليا :

١ — يتلخص الموقف حاليا فى ان النظرة العامة بالشركة تبلورت الى تقسيم الوظائف الى الانواع الاربع الاتية :

- وظائف منفذين لغاية الفئة الثامنة اساسا وبعض وظائف الفئة السابعة .
- وظائف مشرفين تنفيذيين ويشغلون الفئات السابعة والسادسة والخامسة .
- وظائف مشرفين تطويريين من الفئة الرابعة فما فوق .
- وظائف اخصائيين وهم الذين يعملون بالبحوث اساسا .

٢ — تسعى الشركة حاليا لتكملة انظمة الحوافز باصدار الاتى :

- نظام حوافز للاقسام الغير انتاجية والتى لم نستطع تحديد معدلات انتاجية لها وعلى اساس مراكز المسئولية او الميزانيات الفرعية اساسا .
- نظام حوافز للتطويريين والاخصائيين .
- الاعتناء بالنشاطين الرياضى والثقافى بدرجة اكبر .

هذا بالاضافة الى نظام الارباح التى توزع فى نهاية السنة المالية والذى يطبق على جميع شركات القطاع العام .

وبذلك فاننا نسعى لاكتمال هذا النظام عن طريق :

- وجود نظام لتقييم الوظائف بطريق النقط .
- وجود مقاييس لقياس الكفاءة تتطور مع نمو النظام وتحسنه .
- وضع الرجل المناسب فى المكان المناسب .
- ربط الترقى بالتدريب كلما امكن ذلك .
- وجود نظام للاختبارات للترقى يتناسب مع مستوى الوظيفة .

كل وحدة تختار رائدها والمنافسة بين وحدات الإنتاج

محمد محمد التونى
أمين مساعد الجماعة القيادية
ورئيس اللجنة النقابية
لشركة العبوات الدوائية

قامت شركة العبوات الدوائية بناء على قرار التأميم الصادر فى ١٧ / ٣ / ١٩٦٤ على انقاض بعض شركات القطاع الخاص التى كانت تحتكر صناعة العبوات الدوائية فى الجمهورية العربية وكانت هذه الشركات تعتمد فى انتاجها على وسائل انتاج متخلفة تقوم فيها القوة العضلية فى التشغيل بالدور الاول دون النظر الى استهلاك هذه القوة . فكانت الادارات الراسمالية المستغلة المالكة لهذه الشركات لا يهمها الا زيادة مكاسبهم دون التفكير فى تطوير ما تنتجه من سلع او وسائل الانتاج او وضع معدلات بين ماتنتجه شركات الدواء وبين ماتحتاجه من عبوات فقد كانت نظرتهم الى العامل ومحور تفكيرهم هو استغلاله الى ابعد حدود الاستغلال فلم يحظ العامل برفع مستواه الفكرى والادبى والمادى ، ولم تكن هناك اية اهتمامات بالعلاج ، او اى نوع من التغذية لتحصينه ضد امراض المهنة او اية وسيلة للامن الصناعى . وامام هذه التركة المثقلة بالتخلف وما تفرضه اهداف صناعة الدواء فى ظل مرحلة التحول الاشتراكى كان لابد وان ندرك بالضرورة انه لا يمكن تحقيق هذا الهدف الذى اممت من اجله الشركة الا بتوفير مستوى عال من الكفاءة الانتاجية للحصول على اقصى النتائج بأقل ما يمكن من النفقات سواء فى العمل او فى الوسائل المادية مع وضعنا فى الاعتبار منافسة القطاع الخاص . ومن اجل ذلك رأينا انه لا يمكن توفير هذا المستوى من الكفاءة الا بوجود الحوافز المادية والادبية، وبرفع الروح المعنوية للعاملين وربط الاجر بالانتاج من خلال المنافسة الجماعية داخل الوحدات الانتاجية للانتصار على كل الصعوبات التى تواجهنا .

ديمقراطية الادارة والحوافز الأدبية

بما ان الديمقراطية الادارية من اهم الحوافز الادبية التى لابد من توافرها فى علاقات الانتاج الاشتراكى ، فقد تواجدت الادارة فى كافة مستوياتها بين القاعدة وعملت على التغيير الشامل لعلاقات الانتاج الراسمالية فتم القضاء على النظرة الطبقية البغيضة التى تنعكس آثارها على اسلوب العمل وبالتالى على نقص الانتاج وعدم جودته فقامت الادارة بالتعاون مع التنظيمات الشعبية الديمقراطية بالشركة بفضل الارتباط التاريخى بينهم وبين العاملين قبل التأميم وبعده بتنظيم ندوات اسبوعية تجمع ما بين المديرين على كافة مستوياتهم وبين جميع العاملين فى مناقشة مفتوحة لكل ما يتصل بأسلوب العمل وزيادة الانتاج وتطويره وفقا لخطة الانتاج فى

قطاع الدواء والقيام بتطبيق كل ما يسفر عنه اجتماعاتهم من خطط ناجحة. مع الاشادة بمن أدوا مقترحات سليمة وتشجيعهم أدبيا وماديا .

وبذلك تمكنا من القضاء على عقد الادارة والنظرة الطبقية التي كانت سائدة بين العاملين في عهد الرأسمالية المستغلة ، كما امكننا من خلال ممارستنا للعمل وضع قاعدة اساسية للاحساس بالمسئولية الجماعية وارتباط هذه المسئولية بالخطة العامة للشركة وبالتالى ارتباطها بالاقتصاد العام للدولة .

ربط الاجر بالانتاج

قام المسئولون بالشركة بتجربة تطبيق نظام الحوافز وربط الاجر بالانتاج وقد بدأت ذلك في مصنع البلاستيك ، وبناء على دراسة اعدت لتنفيذ هذه التجربة الرائدة قسم المصنع الى وحدات لكل اربع ماكينات وحدة في ثلاث ورديات تتألف من اثنى عشر عاملا يكونون وحدة متكاملة ، وقد تركت الادارة لكل وحدة ان تختار لها رائدا ، وان يتفق فيما بينهم اختيار اسم لوحدتهم يسجل على علم ، وقد كانت معدة لذلك خطة انتاج موضوعة وفقا لبرنامج التنمية نحو اطراد زيادة الانتاج لكل وحدة اسبوعيا وفى نهاية كل اسبوع يتم احصاء ما قدمته كل وحدة من انتاج ، اذ ان هناك برنامجا يوميا واسبوعيا يحدد قيمة الانتاج الذى يجب ان ينتج في هذه الفترة المعينة وكان أيضا ان تم اختيار الوحدات لاسمائها واختيار روادها فكانت الاسماء للوحدات قد تمت باسماء شهداء الوطن — وبعض المشروعات الحيوية مثال (مصطفى كامل — جول جمال — احمد عرابى — السد العالى) ، كما كان قد تم تحديد النسب المادية التشجيعية لكل وحدة حققت اكبر رقم انتاج مع جودته وفقا للخطة الموضوعة لها .

فمثلا اذا كان المفروض ان تنتج احدى المجموعات ١٠٠ ك بلاستيك في اليوم وانتجت بالفعل ١١٠ كم او ١٢٠ ك فقد خصص علم مثلث من القطيفة الحمراء يعلق على ماكينة الرائد للوحدة الفائزة وينال كل عامل من العاملين بهذه الوحدة بعد حصولهم على هذا الفوز مبلغ ١٠ قروش يوميا علاوة على اجره وبجانب مكافأة الانتاج التى تصل في المتوسط للفرد المنتج ٨ جنيهات شهريا . ثم ينقل هذا العلم المثلث الى وحدة اخرى تفوز يشير الى ان هذه المجموعة او تلك من العمال قد بذلت جهدا اكثر من غيرها وساهمت مساهمة فائقة في زيادة انتاج المصنع وبهذا نجحنا في ان نرفع مستوى العاملين ونرفع من طاقاتهم الانتاجية وقد قمنا بعد هذه التجربة بطبع بطاقات انتاج لكل عامل بعدد ايام الاسبوع تسجل فيها معدلات انتاجه اليومى مقارنا بالمطلوب منه او ببرنامج اليوم الذى يعلق في لوحة في العنبر بشكل بارز وفى نهاية اليوم يعلق جدول بالانتاج الذى تم فعلا ويصبح في استطاعة كل عامل ان يعرف مدى التقدم الذى يحققه او مدى الجهد المطلوب للنهوض بالعمل اذا كان متخلفا عما هو مطلوب .

توفير الطاقة العضلية والارتفاع بالمستوى الذهنى

قامت ادارة الشركة باستيراد ماكينات اوتوماتيكية من احدث ما توصل اليه العمل في صناعة البلاستيك للنهوض بمستوى الانتاج كما وكيفا ، وازاء هذا تقدمت التشكيلات الديمقراطية باقتراح الى المسئولين بالشركة لانشاء مدرستين احداهما لتعليم الاميين من العمال والعاملات القراءة والكتابة والاخرى للتعليم الفنى والتكنيكى ودراسة آخر ما توصل اليه العلم والعمل في صناعة البلاستيك والعبوات الدوائية بشكل عام وقد تم ذلك وما زال تحت اشراف بعض المهندسين الالمان ، والان اصبح العامل بعد هذه التدريبات والدراسة لا يستعمل غير مهارته الذهنية في ادارة الماكينات وصيانتها بعد المجهود العضلى العنيف الذى كان يبذله عند صاحب رأس المال في القطاع الخاص قبل التأميم والآن وبعد ان تمت هذه التطورات اصبحنا نغطى احتياج قطاع الدواء للعبوات تقريبا وتجرى التجارب داخل الوحدات المختلفة على تطوير صناعة العبوات من البلاستيك والقصدير والالمنيوم على خفض التكلفة بالدرجة التى تمكننا من التصدير والمنافسة على نطاق السوق العالمى .

وبعد ان تمت تجربة تقسيم مصنع البلاستيك الى مجموعات وظهرت نتائجها للعامل واثرها على الانتاج ، طالب العاملون كتابة الى الادارة بالغاء ساعة الراحة لوجبة الغداء ، حتى يستمر العمل ويتسنى لهم مواصلة التقدم في زيادة الانتاج ، وللخند من الهالك ، فكثيرا ما كانت

تستهلك كميات من الخامات عند ايقاف الماكينات لفترة الراحة وفى بداية تشغيلها من جديد بعد الراحة . وقد ادى ذلك الى زيادة ملحوظة فى الانتاج ، ونجحت التجربة التى جاءت بمبادرة من العمال ، واصبحوا يتناولون وجبات الغداء بعد انتهاء ورديتهم .

بيان احصائى مقارن عن نشاط الشركة وتطورها

بيـــان	١٩٦٥/١٩٦٤	١٩٦٦/١٩٦٥	١٩٦٧/١٩٦٦
قيمة الانتـاج	٥٩٦ الف جنيه	٨٤٤ الف جنيه	٧٦٤ الف جنيه « نصف سنة »
قيمة المبيعات	٥٧٣ الف جنيه	٨٢٧ الف جنيه	٧٠١ الف جنيه « نصف سنة »
كمية المبيعات			
انابيب معدنيـة		١٣٤٠٠٠٠٠ انبوبة	١٥٣٠٠٠٠٠ انبوبة « نصف سنة »
عبوات بلاستيك		٥٥٥٨٠٠٠٠ عبوة	٣٧٧٢٨٠٠٠ عبوة « نصف سنة »
منتجات بلاستيك		١٢٢٠٠٠٠ وحدة	٧١٢٠٠٠ وحدة « نصف سنة »
عبوات زجاجيـة		١٤١٨٨٠٠٠ زجاجة	٦٧٣٧٠٠٠ زجاجة « نصف سنة »
صـافى الارباح	١١٣ الف جنيه	٢٠٤ الف جنيه	
عدد العـاملين	١٠٤٢ عاملا	١١٧٧ عاملا	١٢٤٨ عاملا
متوسط اجر الفرد	١٣٨ جنيـه	١٤٢ جنيـه	١٦١ جنيـه
انتاجية الفرد السنوية	٥٧٣ جنيـه	٧١٤ جنيـه	١٢٢٤ جنيـه
انتاجية الجنيه اجور	٤ر١ جنيـه	٥ر جنيـه	٥ر٧ جنيـه

تقييم عمل الوحدة الإنتاجية قبل تقييم عمل الأفراد

سعد المستكاوى
الشركة العربية المتحدة للشحن والتفريغ — ميناء الاسكندرية

الى ان يبلغ الوعى السياسى الاشتراكى لدى جماهير العاملين اعمق الجذور، والى ان يؤمن كل عامل بالدولة والقطاع العام فان زيادة الانتاج وتحسينه الى اقصى حد مستطاع هو الحل الاقتصادى الحاسم لمشكلة الموازنة بين الدخل والاستهلاك على مختلف المستويات من الدولة كلها كجهاز ينظم ويوجه علاقات الناس الى ابسط عامل لايجد دخلا يكفى احتياجاته من الاستهلاك الى ان يصل وعى الجماهير حد اليقين بأن كل زيادة فى الانتاج فى نفس الفترة الزمنية وبنفس التكاليف يقابلها انخفاض بنفس النسبة فى ثمن السلعة المنتجة . اقول الى ان يصل جماهير العاملين الى هذا المستوى حيث تصبح الحوافز المعنوية وسيلة فعالة للسيطرة على الانتاج يجب ان تعتمد الدولة على الحوافز المادية لدفع العاملين الى زيادة الانتاج كما وكيفا بربط اجر كل عامل بحجم وجودة الانتاج الذى يحققه . ان ربط الاجر بالانتاج هو الوسيلة الفعالة لخلق الرقابة الذاتية فى وحدات الانتاج وهى ارقى واكفأ وسائل الرقابة والتى تطلق طاقات العاملين الى اقصى الحدود وليس الى حدود الالتزام فقط .

تجربة ربط الاجر بالانتاج فى الشركة العربية المتحدة للشحن والتفريغ

ان طبيعة العمل الذى تؤديه هذه الشركة له طابع خاص وهو من الاعمال التى تبرز حتمية

ربط الاجر بالانتاج . فالمهمة هي تفريغ وشحن البواخر وهي عملية تتطلب السرعة الفائقة مع العناية التامة بسلامة الطرود اثنـــــاء تداولها والبواخر تدفع بسخاء ورضى تام مقابل تحقيق هذه السرعة مع سلامة الطرود . لـذلك كان هذا الحقل مناسبا تماما لنشاط القطاع الخاص حيث يجد في الربح الوفير الذي يحققه مايدفعه ويغريه على بذل جهده بدون حـــدود وتشـــجيع العاملين معه بمرونة وسرعة لانجاز العمل المطلوب في الموعد المطلوب والحصول من العمـــال على اقصى جهد يمكنهم بذله . وعندما انشئت هذه الشركة وانتقلت اليها مسئولية تنفيذ جميع اعمال شحن وتفريغ البواخر بميناء الاسكندرية كان واضحا امام ادارة هذه الشركة انه لابد من ايجاد وسيلة للسيطرة على حجم الانتاج والا حدثت كارثة تؤدي الى ضياع سمعة الميـنـــــاء العالمية وتؤدي الى فقدان الثقة في صـــــلاحية اسلوب القطاع العام في هذا النوع من الاعمال وهذا بدوره يمكن ان يخلق نوعا من البلبلة في فكرة وصلاحية القطاع العام كنظام ارقى للانتاج في كل مجال . لذلك وامام هذه المسئولية الخطيرة اضـطرت ادارة الشركة ان تتحمل من وقت مبكر مسئولية وضع سياسة اجور بعض فئات العاملين على اساس ربط الاجر بالانتاج وامكنها فعلا ان تحافظ على مستوى الانتاج وان تصمد للتجربة وتهزم عدة محاولات للتخريب والهدم وليس هنا مجال التعرض لها .

المنهج الذي اتبعته الشركة

لربط الاجــر بالانتــــاج

عمليات شحن وتفريغ البواخر تنفرد بطابع خاص فهي لاتتم بطريقة آلية بل هي تتم بطريقة يدوية مع استخدام بعض الآلات والمهمات اهمها الروافع البرية والعائمة ووسائل النقـل البرية والبحرية . ونظرا لان ظروف كل باخرة تختلف عن الاخرى بدرجة كبيرة فان خطة تفريغها او شحنها توضع على اساس هذه الظروف وعناصر نجاح خطة الشحن والتفريغ تعتمد على عنصرين اساسيين اولهما تجميع العدد المناسب من العمال والمعدات والادوات بدون اسراف ثم ضبط التوقيت بين المجموعات المختلفة التي تشكل سـلسلة عمليات المناولة من عناصر البواخر الى المخازن وساحات التخزين . بعد ذلك يأتي دور العمال الذين يستطيعون بجهدهم ان ينفذوا هذه الخطة ويتمموا كل عملية في وقتها المحدد وعلى اساس هذه الطبيعة المميزة لعمليات الشحن والتفريغ قسمت الشركة مجموعة العاملين بأجهزة التنفيذ الى فئتين :

● **فئة الملاحظين والمشرفين :**

وهم الكادر الفني الذي يقوم بدراسة ظروف واحتياجات كل باخرة ويضع الخطة المنـاسبة لتفريغها او شحنها . وهذه الفئة يجب ان تضع وتنفذ خطة الشحن والتفريغ بذكاء بحيث تكون التكاليف اقل مايمكن لانها في سبيل زيادة الانتاج يمكن ان تنحرف نحو الاسراف بحشد اعداد من العمال والمعدات اكثر مما يجب ويترتب على ذلك زيادة التكاليف حيث تصبح الشركة امــام احد موقفين : اما ان تنفذ اعمالها بطريقة خاسرة حتى تفلس، واما ان تلجأ الى رفع فئات تنفيذ الاعمال وتسبب بذلك اضرارا للاقتصاد القومي حيث يلجأ ملاك البواخر الى رفع «النولون» ويتحمل المستوردون والمصدرون اعباء باهظة يتحملها المستهلكون في النهاية .

لذلك وضعت الشركة نظام اجور هذه الفئة على اساس ربط الاجر بالربح الذي يتحقق من تنفيذ الاعمال فجعلت لهم اجرا شهريا ثابتا ثم نسبة الربح ٣١/٢٪ توزع على العاملين من هذه الفئة بنسبة مساهمة كل منهم في العمل .

وقد حقق هذا النظام اهدافه وخلقت الشركة لنفسها كادرا فنيا امكنه ان يحل محل المقاولين القدامى ترتبط مصالحه موضوعيا بنجاح عمليات شحن وتفريغ البواخر بوضع خطط تفريغ سليمة وبمراقبة العمل بأخلاص واهتمام لايقل عما كان يبذله المقاول القديم .

● **فئة العمال والمعلمين :**

وهي الفئة التي تنفذ الخطة الموضــــوعية بمجهودها العضلي حيث يتوقف نجاح او فشل الخطة على الهمة والحماس الذي تؤدي به هذه الفئة اعمالها .

لذلك كان من الضروري ان يتم ربط الاجــر بالنسبة لهذه الفئة بكمية الانتـــاج الذي يتحقق في نفس الفترة الزمنية حتى يجتهد كل عــامل لتحقيق اعلى معدلات عمل يمكنه تحقيقها والشركة تتبع لتنفيذ هذه السياسة اسلوبين :

— المحاسبة على الاجر بالقطعة والوحدة هنا هي الطن حيث يحسب استحقاق العامل طبقا لكمية الاطنان التي اشترك في تنفيذها .

— المحاسبة على اجـــر يومية ثابتة بشرط تحقيق معدل مقرر خلال ساعات العمــل التي يتقاضى عنها اليـــومية . ثم يحـــاسب عن قيمة الاطنان التي تزيد عن هذا المعدل او يخصم منه قيمة الاطنان التي لم يجتهد في تحقيقها .

ونظرا لان عمليات الشحن والتفريــغ هى سلسلة متتالية من عمليات المناولة تقــوم بكل عملية منها مجموعة من العمال،لذلكفأن الحصيلة النهائية لحجم الانتاج هى حجم أنتاج اضعف هذه المجموعات. ومن هنا كان من الضرورى وضع معدلات عمل دقيقة لكلمجموعة وتجميعمجموعات متوازنة حتى لاتتسبب اى مجموعة منها فى تعطيل جهد المجموعات الاخرى .

هذه الطبيعة الخاصة لعملياتالشحن والتفريغ اثرت الى حد بعيد على تحقيق النجاح المنشود من سياسة ربط الاجر بالانتـــاج لهذه الفئة لان وضع وحدات قياس دقيقة لتقييم عمل المجموعات كان يحتاج الى خبرة عميقة وممارسة طويلة لم تتيسر الا أخيرا،الا انه بالرغم من ذلك وبالاعتماد على بعض المكافآت التشجيعيةالمباشرة للمجتهدين امكن تحقيق معدلات عمل باهرة وامكن الوصول الى خلق مجموعة من المعلمين الملتزمين يحققون الان معدلات عمل لاتقل عن معدلات عمل القطاع الخاص قديما . وقد وضـــعت الشركة اخــيرا مشروعات كاملة لربط اجر كل مجموعة بانتاجها والمنتظر عند التطبيق على نطاق واسع ان ترتفع المعدلات بما لايقل عن ٤٠٪ .

وبعـــــد ..

ان ربط الاجر بالانتاج يجب ان يعم جميــع العاملين بالدولة . وقد يبدو للنظرة السطحية ان من الصعب تطبيق ذلك على الاعمال الادارية وعلى وحدات الخـدمة العامة مثل المــدارس والمستشفيات والقضايا والتحقيقات . ولكن فى الواقع ان ربط الاجر بالانتاج ضرورىلجميعفئات العاملين وهو امر ممكن تماما ولا يتطلب سوى وضع وحداتقياس لكلعمل ادارى او فنى،كذلك فان الوحدات الادارية يمكن وضعنظام ربط الاجر بالانتاج لها بوضع هدف محدد لكل وحدة على ضوء المهمة المشكلة من اجلها هذه الوحدة ، فمثلا ورش الصيانة والاصلاح يمكنوضعهدفلها وهى ان تكون نسبة القطع الصالحة ٨٠٪ مثلا من عدد القطعالموجودة حسبنوعها ومدة استخدامها فاذا حقق العاملون بهذه الوحدة هذا الهــدف يستحق لهم اجر زيادة بنسبة مئوية معقولة من اجورهم وكلما تحسنت ظروف العمل يمكن رفع الهدف ليكون ٩٠٪ وهكذا . كل وحدة خــدمة ادارية او فنية يمكن وضع هدف لها ثم زيادة هذا الهدف بالتدريج الى ان تصل جميع الخدمات الى اقرب مايكون من الكمال .

بهذه الطريقة يمكن تقييم عمل الوحدة ككلوهل حققت الهدف الموضوع لها ام لا . بعد ذلك يبدأ تقييم عمل افراد هذه الوحدة وهل كانت مساهمة الجميع فى تحقيقهذا الهدف متساوية ام انالبعض ادوا واجبهم بصورة افضل من الآخرين ؟؟ لابد من تقييم عمل كل فرد داخل الجماعة حتى لايلجــأ احد الى التواكل اعتمادا على ان غيره ســوف يغطى اهماله وتكاسله حتى يتحقق الهدف المحدد لهذه الوحدة . والوصول الى ذلك من اسـهل الامور حيث يكفى لكل موظف ان يسجل الاعمال التى انجزها يوما بيوم ويعتمدها من رئيسه ... وهكذا حتى أعلى مســتوى فى الادارة .

والمسألة ببساطة تتلخص فى :

- وضع هدف لكل وحدة ادارية او فنية .
- حصر عمل كل عــامل او مــوظف طبقا لتخصصه وهو ما يعتبر انتاجه .
- أعطاء المجتهدين ثمرة اجتهادهم .

ضـــرورة تغيــير اللوائـح والقوانــين لتســمح بمرونـة سيـاسـة الحـوافـز

المهنــدس جــورج ميخــائيل
شركة حلــوان للصنـــاعات
الحـــربية والديــــزل

ابتدأنا فى التفكير فى الحوافز الانتاجية فى أضــيق الحدود حيث ان القوانين الحالية لاتسمح لنا نحن المسئولين عن الانتـــاج باعطاء اى فرصة للعامل المجد والمـاهر بالترقية لانه قد وضعت شروط لابد من استيفائهـــا قبل البت فى اعطاء العامل ترقية أو علاوة استثنائية

وهذه الشروط تستغرق سنة بأكملها ولا يتحمل العمل أو العامل انتظار هذه المدة لان العامل يهمه المكافأة السريعة او عملا محسوسا مباشرا يشعر به بسرعة . حتى اذا تمكنا منحه علاوة أو ترقية استثنائية فانه في السنة التي تليها لايمكن اعطاؤه، وأيضا فانه قد تحددت نسبة معينة سنوية للعاملين الذين يستثنون لايمكن التجاوز عنها .

ولكن فى شركة حلوان للصناعات الحربية والديزل تمكنا من وضع أسس لبعض هذه الحوافز وامكننا تطبيقها بالروح الثورية الموجودة فى الشركة . ولقد اصدر مجلس ادارة الشركة قرارا نص فيه على إعطاء مكافأة لاى عامل من العاملين بالشركة تحت شروط معينة واهم بنودها :

- نسبة انتاجيته .
- سلوكه وعلاقته بالاخرين .

وقبل شرح كيفية اعطاء المكافأة لابد أولا من ترتيب وظائف العاملين بالورشة الإنتاجية .

— المهندس او رئيس القسم يختص بالناحية الفنية وبعض الاعمال الادارية وهى العلاقة الخارجية للقسم بالنسبة للاقسام الاخرى وادارات الشركة .

— الملاحظ وهو يختص ايضا بالاعمال الفنية داخل القسم ولكن له اهتمام اكثر بالنسبة للشئون الادارية للعمال فقط ومشاكلهم وكيفية حلها .

— عامل التوضيب وهو يختص بتوضيب العملية على الماكينة ويكون مسئولا عن اول قطعة تنتج وفقا للمقاسات المطلوبة قبل تسليم الماكينة لعامل التشغيل لهذا فهو مسئول ايضا عن عدد معين من الماكينات .

— عامل التشغيل وهو يعمل على الماكينة فقط ويعطى الانتاج المطلوب منه فى الوقت المحدد له .

وبتعاون هذه الفئات الاربعة يجرى الانتاج فى الشركة ، لهذا حينما أصدر مجلس ادارة الشركة قراره للحوافز نص فى بند من بنوده على **العلاقة بين العاملين .**

والاسس التى وضعت هى كالاتى :

وضعت نسبة معينة بالنسبة لمرتب العامل اليومى اذا زاد الانتاج اليومى عن الكمية المطلوبة منه بمعنى اذا فرض أن الانتاج اليومى العادى لماكينة معينة هو ١٠٠ قطعة وفقا للدراسات الخاصة التى اجريت قبل ذلك فان المفروض من العامل العادى أن يعطى لنا ١٠٠ قطعة فاذا زادت هذه الكمية بين ٥ او ١٠ قطع فان العامل يكافأ بنفس نسبة الزيادة الانتاجية له أى بين ٥ ٪ الى ١٠ ٪ من مرتبه اليومى كمكافأة ، ولكن اذا زادت هذه الكمية عن ١٠ ٪ فمعنى هذا ان الوقت النظرى الذى وضع وفقا للدراسات السابقة مخالف للوقت الفعلى ويعاد دراسته من جديد وهكذا .

وكان هناك راى بأن يعطى العامل المكافأة فوريا اى يوميا ، ولكن وجد عيب فى هذه الطريقة ، وهو ان العامل يعمل بجهد كبير فى اول وثانى يوم ويبتدىء انتاجه يقل حيث إن الجهد الجسمانى استنفد فى الايام الاولى او حدث له طارىء (مرض او اجازة اعتيادية او توضيب لعملية اخرى ..) فيحرم من هذه المكافأة او يعمل الايام الاولى بجهد عال ، ويكتفى بمكافأة هذه الايام ، لهذا وضعت فى الاعتبار هذه النقط ، واتفق ان تؤخذ النسبة اليومية لانتاج كل عامل لمدة شهر كامل وتؤخذ النسبة المتوسطة لهذا الشهر وأيضا لكى يتحقق او يظهر بند التعاون مع الاخرين الذى له اهمية كبرى فى المكافأة .

اما العامل الذى يقل انتاجه عن المعدل المطلوب فتدرس العملية فاذا كان الوقت النظرى غير مطابق للواقع فيغير فورا ويحدد له المعدل اليومى لانتاجيته مرة اخرى ، أما اذا كان الوقت النظرى مطابقا للوقت الفعلى فيعتبر هذا اهمال من العامل وينذر انذارا اوليا فاذا استمر على هذا فيجازى بخصم ١/٤ يوم ويضاعف اذا استمر وبعد هذا نحاول نقله على ماكينة اخرى . وهنا نقف قليلا حيث ان القوانين الحالية وضعت حدودا ضيقة بالنسبة للجزاءات للعامل المهمل فمن رأى أنه لابد أن يجازى العامل بنسبة انتاجيته بمعنى انه اذا كانت نسبة الاهمال ٥ ٪ عن المعدل الشهرى المطلوب فتخصم هذه النسبة من مرتبه ايضا .

ولقد خططت جداول مخصوصة لتفى بهذا الغرض كان المسئول المباشر عنها هو الملاحظ ،

شهر ....

القسم .... الملاحظ المسئول ....

رقم الماكينة .... عامل التوضيب ....

[illegible]	اسم العامل	[illegible]	رقم الجزء المنتج	[illegible]	وقت القطعة		عدد القطع المنتجة		امضاء العامل	امضاء الملاحظ	النسبة الإنتاجية
					النظرى	الفعلى	النظرى	الفعلى			
١											
٢											
٣											
٤											

والأيام المرضيـة أو الاعتيـادية تحسب، على الشركة اى نسبة الانتاج للعامل فى هـذه الايام تكون ١٠٠٪ ولكن أيام الغياب بدون اذن تحسب على العامل اى نسبة صفر ٪ واتفق على ان نسبة المكافأة للعاملْ تكون وفقا للاتى :

النسبة المتوسطة	درجة الانتاج	
من ٩٠ — ٩٥ ٪	عـادى	ويعطى مكافاة عادية
من ٩٥ — ١٠٠ ٪	جيد	ترتفع النسبة٥٪عن السابق
من ١٠٠ فما فوق٪	جيد جدا	ترتفع النسبة١٠٪عن السابق

اما عامل التوضـيب فتحسـب له النسـبة المتوسطة الشهرية للعمال المسئول عنهم بمعنى اذا كان عامل التوضيب مسئول عن ماكينتين مثلا وانتاجيتهم الشهرية كالاتى :

١ — ٨٥٪   ٢ — ١٠٥٪

فان نسبة انتاجيـة عامل التوضيب تـكون كالاتى = ٨٥+١٠٥÷٢ = ٩٥٪ وتحسـب له المكافاة كما هو واضح فى الجدول السابق وهكذا بالنسبة للملاحظ والمهندس يضاف للاخيرين نسبة عن مدى التعاون والابتكار لتقليل وقت العمليات ولسهولة تشغيلهم .

ووزعت هذه المكافاة بمعرفـة مدير الانتـاج وحضور رؤساء الاقسام وكان هذا تقليدا جميلا ولو انها كانت أيضا مكافاة بسيطة ولكن العامل المنتج شعر بمدى تقدير الشركة له . وارتفعت نسبة الانتاج فى الشهر الذى طبق فيه هذا النظام حوالى ١٠٪ عن الشهر السـابق .

ولى كلمة اخيرة فى هذا الموضوع وهو اننا نجد صعوبة كبيرة فى الحصول على معلومات نظرية يمكن الاستفادة منها فى التطبيق العملى هنا فى الجمهورية العربية المتحدة ، حيث أن كل المراجع باللغة الانجليزية او الفرنسية او الالمانية وتعالج الاوضاع فى الانظمة الراسمـالية ، لهذا لابد أن ينبع نظام هذه الحوافز من التجارب المـاثلة ، وهو جانب يستحق أن نوليه عناية خاصة .

مساهمة العامـلين فى حسـاب التكاليف النمطية وأهداف الإنتـاج

المهندس الزراعى عبد المنعم شتلة
القطاع الشمالى بمديرية التحرير

بدأت عملية ربط الاجـر بالانتـاج فى المشروعـات الزراعية بالاراضى الجديدة منذ فترة ليست بالقصيرة . ويمكن القول بانها بدأت منذ اتجاهنا لاستصلاح هذه الارض واستزراعها . ومع هذا فقد تعددت اشكال ووسائل هذه العلاقة ولم تتخذ نمطا او

نظاما واحدا . فقد كان العمل فى هذه الارض الجديدة يختلف اختلافا ملحوظا عنه فى الارض التقليدية الاخرى — ولذا حرص المسئولون لايجاد الحافز لدى العاملين فى هذه الارض الجديدة . فأضيفت لاجورهم — نسبة مئوية معينة لكل من يعمل فى المشروعات الزراعية الجديدة — وتختلف هذه النسبة المئوية باختلاف طبيعة العمل الذى يقوم به العامل .

كما كانت تمنح مكافآت اخرى للعاملين وذلك عند انجاز البرنامج المحدد او تحقيق انتاج محصولى مرتفع — وتتفاوت هذه المكافآت تبعا لصافى العائد او الربح الذي حققه المشروع .

ومع هذا فلم تكن هذه المكافآت او المنح ترتبط ارتباطا وثيقا ومباشرا بالعمل المحدد والذى يقوم به العامل فى هذه المشروعات — مما اضعف الاثر المطلوب منها .

طبيعة العمل الزراعى

ولا شك ان العمل فى الحقل الزراعى يختلف عنه فى مجالات العمل الاخرى . خاصة بالنسبة لبلدنا التى لم تصل فيها الميكنة الزراعية لما وصلت اليه البلدان المتقدمة .

ولازالت هناك عوامل مختلفة تؤثر على الانتاج دون ان يتمكن العاملون من التغلب عليها . واقصد بها العوامل الجوية او عدم توفر المياه اللازمة او وجود صفات خاصة فى تركيب التربة .

ان كافة هذه العوامل وغيرها تزيد من صعوبة الربط بين الاجر والانتاج، ومع هذا فلم تكن عائقا دون الوصول لذلك . ففى العام الماضى امكن وضع تنظيم خاص محاولا ايجاد علاقة وثيقة بين الاجر والانتاج

التنظيم الجديد

وضعت لكل مساحة معينة من الارض تزرع بمحصول معين واحد — برنامج زمن محدد فى سجل خاص يحدد به مستلزمات الانتاج النمطية — من ايد عاملة — آلات زراعية — اسمدة — تقاوى — مبيدات حشرية — الى كافة العمليات الزراعية المختلفة .

كما يحدد بهذا البرنامج الاهداف الانتاجية الواجب تحقيقها طبقا للظروف والعوامل المحيطة بهذه المساحة الارضية المعينة .

وتتم هذه العملية بالاشتراك مع العاملين فى قطعة الارض هذه وبعد مناقشات واسعة معهم .

فاذا افترضنا انه قد تحدد انتاج اربعة قناطير من القطن للفدان فى هذه القطعة من الارض .

وبمتابعة العمليات الزراعية المختلفة وجد انها تطابق البرنامج المحدد — وبالتالى لم تزد التكاليف الفعلية عن التكاليف النمطية السابق وضعها .

ومع هذا فقد تمكن العاملون فى هذه الارض المعينة من زيادة انتاج محصول القطن لاربعة قناطير ونصف القنطار بدلا من الاربعة التى سبق تحديدها .

ففى هذه الحالة وجب صرف مكافآت تعادل ٢٥٪ من مجموع صافى الربح المحقق من زيادة المحصول عن المعدل النمطى الموضوع — وتصرف هذه النسبة على كافة العاملين فى هذه المساحة المحددة من الارض .

ولا يقتصر تطبيق هذا النظام على المحاصيل الحقلية كالقطن والاذرة .. الخ ولكنه ينطبق كذلك على المحاصيل البستانية كالعنب والموالح ... الخ .

كما يمتد تطبيقه كذلك على الانتاج الحيوانى سواء بالنسبة للبن او اللحم او الصوف .

اما فى حالة نقص المحصول عن المعدل النمطى المطلوب — ففى هذه الحالة لاتصرف اية مكافآت اضافية للعاملين — بل ويمكن فرض خصومات بنسب معينة .

ولكن — فى هذه الحالة الاخيرة — يجب التأكد من ان نقص المحصول ناتج عن اهمال وليس نتيجة عوامل خارجة عن ارادة العاملين — مثل العوامل الجوية او عدم توفر مياه الرى اللازمة للمحصول .

وبالطبع يتم تحديد هذا الامر بمعرفة لجنة مختصة وباشراك العاملين انفسهم . ولتسيير العمل بهذا النظام وضع نظام جديد للتكاليف الزراعية على اسس علمية سليمة — حتى يمكن عن طريقها معرفة الميزانية الدقيقة لكل مشروع وتبيان النواقص والمزايا .■

مزايا هذا النظام

مما لاشك فيه ان شعور العاملين بأن كل عمل يبذل سوف يجد التقدير المناسب له من قبل المسئولين — يجعله يضاعف من نشاطه وكفاءته الانتاجية ويدفعه لبذل مزيد من الجهد .

كما سيقلل كثيرا من العناصر السلبية في الانتاج، وسيدفع كل عامل لبذل اقصى جهد ممكن لازالة العوائق والعقبات التى تعترض الطريق لزيادة الانتـاج .

ومن الضرورى فى هذه الحالة قيام التنظيمات السياسية بنشاط فعال من اجل رفع وعى العاملين حتى يدركوا المغزى السياسى وراء زيادة الانتاج وبث روح الحماس والاندفاع والمنافسة الاشتراكية فى العمل .

ان الدور الملقى على عاتق هذه التنظيمات السياسية فى هذا الشأن لمن الاهمية القصوى — حتى يمكن القول بأنه ما لم تقم هذه التنظيمات بدورها فى كافة المجالات وخاصة فى هذه المشروعات الحيوية — فان تحقيق ما تهدف اليه من زيادة فى الانتاج سيصبح مهددا بشكل خطير .

ان المشروعات التى قامت التنظيمات السياسية فيها بدور ايجابى وسط العاملين بها — حققت نتائج هامة — مما يجعل الاهتمام بالعمل السياسى وسط العاملين من اولى الواجبات امامنا .

ان تطبيق هذا النظام الجديد فى المشروعات الزراعية لازال فى بدايته — لذا وجب الحرص على معرفة كافة النواقص التى قد تعترض تطبيقه وازالتها اولا بأول — حتى نتمكن من تحقيق الاهداف التى وضعت من اجله .

رفع الكفاية الإنتاجية ... لا تسعير للشهادات

د . احمد فؤاد نجيب
وكيل وزارة السد العالى

قال الله تعالى فى كتابه الكريم :

« فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » .

فوضع الله لخلقه فى هذه الاية الكريمة وفى غيرها من الآيات البينات النبراس الذى يجب ان نهتدى بهداه والاسلوب الذى يجب ان نتبعه فى معاملاتنا الدنيوية — فربط الاجر بالعمل والثواب بفعل الخير والعقاب لمن اذنب .

وقال رئيس جمهوريتنا وقائد نضالنا فى بعض خطبه :

« لان كل فرد يأخذ أجره — وفقا لعمله ووفقا لكفاءته ووفقا لتجربته » كما قال كذلك : « علينا ان نحقق أهداف العمل فى القطاع العام وأن نحقق أهداف الانتاج وأن نحدد المسئولية ونعطى الثقة » .

« وأن نحاسب على اساس العمل »

وبذلك وضعت لنا الاسس التى يجب ان نسير عليها ونقوم على تطبيقها كل فى مجتمعه الانتاجى . ومع اقتناع جميع المختصين بضرورة البدء فورا فى تنفيذ هذه المبادىء الا ان الجدل قد زاد حول اسلوب التطبيق واشترط بعض المديرين قبل البدء فى التنفيذ وضع معدلات الاداء النمطية لكل مهنة ولكل مستوى، ووضع مواصفات المهن واشتراطاتها وتحديد الاجر وفقا للمهنة — أى انهم التزموا بالتفكير العلمى الخالص وأجلوا تطبيق ربط الاجر بالانتاج حتى توضح هذه المعايير ، وهذه تقتضى وقتا طويلا لوضعها بصفة مبدئية ثم يصير تطويرها

وتعديلها بصفة دائمة وفق ما يتضح فيها من أخطاء أو وفق تغيير اساليب الانتاج ووسائله .

وكان من الممكن أن يدوم الجدل وأن يصرف الجهد فى المناقشة ولكن صدر قرار رئيس الجمهورية يحدد الاسس التى تمنح وفقا لها مكافآت الانتاج وتوزيع الارباح — فوضع حدا للجدل واعطى اشارة بدء العمل وفقا للاسس العادلة التى تربط الاجر بالانتاج .

وقد يتأثر غير ذوى الخبرة فى الموضوع بالاسلوب العلمى المتقدم فيعتبرون أن تطبيق هذا النظام بعيد المنال أن لم يكن مستحيلا فى ظروفنا الحالية .

ولكن التجربة الحية الرائدة التى طبقها بناة السد العالى وقدرة القائمين على ادارته من التحرر من ربقة الفكر السائد والنظم العتيقة التى ما زال معمولا بها فى قطاعات متعددة من الاقتصاد القومى وقدرتهم على التحرر من سيطرة التفكير العملى والنظرى وقدرة رائدهم على تطويع المفاهيم النظرية لخدمة الانتاج فى واقعه الحى قد أثبتت انه يمكن العثور على مسلك ادارى يجمع بين الفكر العلمى والتطبيق العملى فى مجتمعنا الحالى وان احدى الطرق السليمة للوصول الى كمال التطبيق وفقا للنظرية هى السعى الى ذلك تدريجيا وعلى مراحل متتالية .

لذلك لم يتجمد تفكير الادارة فى مواجهة الصعاب التطبيقية ولم تلجأ الى اقصى الطرف الاخر فتتحرر تحررا مطلقا ، وكانت بين هذا وذاك سواء لم يغب عن تقديرها أن المشروع ذو ظروف خاصة وله اعتبارات مميزة تجعل التحرر من نير النظم السائدة واجبا ضروريا — ولا أن ذلك كله لا يغير من وضعه كجزء من الاقتصاد القومى يؤثر فيه ويتأثر به وان ما يتقرر فى المشروع من سياسات ادارية ونظم للاجور سوف يؤثر تأثيرا مباشرا وسريعا فى سوق العمل ، وأن الاتجاهات المستحدثة فى هذا السوق سوف تعود بتأثير آخر على العمالة فى السد العالى ، كما لم يغب عن تقدير ادارة المشروع انها لازالت مرتبطة بطريق أو بآخر بما تقرره الدولة من سياسات خاصة بالاجور أو بالدرجات المالية ، أو غير ذلك ، وانها ملتزمة بتطبيقها أن قليلا أو كثيرا .

وربط الاجر بالانتاج يعتبر المرحلة الثانية فى تحديد الاجر العادل للعمل ، والمرحلة الاولى هى ربط الاجر بالعمل أو بالمهنة والتحلل من تقدير الاجر وفقا للسنوات التى تقضاها العامل فى الخدمة ، أو المؤهل الذى حصل عليه .

ويهمنا قبل الدخول فى تفاصيل ربط الاجر بالعمل أن يكون هناك اتفاق عام ومشترك على أن الاجر يعطى لقاء العمل — وعلى قدر قيمة العمل يكون الاجر — وعلى قدر ما يبذل فى العمل من جهد يحدد الاجر .

ولكل عمل متطلبات واشتراطات وتختلف هذه بين مهنة وأخرى كما يختلف فى المهنة الواحدة باختلاف الظروف التى تؤدى فيها — ومن متطلبات العمل مقدار ما يبذل فيه من جهد عضلى وما يتعرض له العامل خلاله من مشقة جثمانية وما يقتضيه العمل من قدرات جسمانية خاصة كالقدرات اليدوية أو السمع المرهف أو البصر الحاد أو القدرة على استعمال الاطراف بطريقة منسقة . وقد يقتضى العمل درجة من العلم أو الثقافة العامة أو قد يقتضى خبرة طويلة ومرانا وممارسة ، وقد يقتضى كذلك القدرة على تحمل الضغوط النفسية أو العصبية أو قد يقتضى تحمل بعض الاعباء الاجتماعية كضرورة الافتراق عن العائلة أو العيش بعيدا عن مراكز الحضارة الى غير ذلك من العوامل التى تجعل مقدار الجهد الذى يبذله العامل فى عمل يختلف عن ذلك الذى يبذله فى مهنة أو فى مكان آخر .

كما أن لبعض المهن والاعمال صفة تميزها عن سائر المهن وتجعلها بحكم طبيعة ما تؤديه من خدمات فى موقف يتحكم فى الانتاج النهائى أو يتحكم فى انتاج المهن الاخرى ومن هذا تستمد أهمية خاصة — ولحساسيتها وتأثيرها المباشر على عمل الآخرين وعلى الانتاج النهائى للوحدة الاقتصادية — فانه يكون من الواجب تميز القائمين بها من ناحية الاجر وأنواع المعاملات الاخرى :

والطرق العملية لتوصيف الوظائف والمهن وتصنيفها متعددة ، وتختلف بين ما هو مبسط وما هو عسير ومعقد ، وعموما كلما اتجهت الطريقة الى الوصول الى المعيار الدقيق أخذت فى اعتبارها جميع العوامل التى تهىء العامل للقيام بعمله وجميع العوامل التى يتعرض لها خلال ادائه لعمله ، كلما كانت الطريقة معقدة وعسيرة وتحتاج الى معلومات وبيانات مختلفة ومتفرقة .

ولذلك فقد رأت ادارة السد العالى الا تأخذ بالنظام الموجود فى تقدير الدرجات المالية بدون ربطها بالعمل الذى يؤدى فعلا ، والا تتجه الى الطريقة المعقدة . ولذلك فقد قامت بحصر المهن التى تؤدى فى السد العالى فى مجموعات مهنية تضم كل منها المهن التى تتشابه فى احتياجاتها من المهارات الاساسية والعلم والخبرة ، والتى تتشابه ظروف العمل المحيطة بها ، وبلغ عدد المجموعات احدى عشر مجموعة تبدأ من العمال العاديين الذى لا يحتاج عملهم الى علم أو تجربة أو مهارة معينة الى طبقة الملاحظين والمشرفين التى تحتاج الى قدر وافر من العلم والفن والقدرة على القيادة وعلى المبادأة وعلى الادارة فى صفوف العاملين . الخ .

وحددت لكل مجموعة من هذه المهن الدرجات المالية وفئات الاجر التى تقابل الجهد الذى يبذله

القائمون بها والتي تعادل قيمة اسهامهم في العمليات الانتاجية .

ويتدرج الاجر في الدرجة المالية المحددة للمجموعة المهنية وفقا لدرجة مهارة العامل في اداء المهنة المحددة، ويكون تحديدها اما وفقا لاختبارات مهنية قبل الدخول في الخدمة أو خلالها .

ويعاد النظر في تحديد الاجر وفقا لما يتضح للادارة من ارتفاع في مهارة العامل سواء من خلال الممارسة العملية أو خلال التدريب المنظم الذى يتلقونه اثناء خدمتهم بالسد العالي .

أى أن الاجور الاساسية للعاملين بالسد العالي قد ارتبطت بنوع المهنة التي يزاولها العامل وبدرجة مهارته في ادائها .

ليس هناك ادعاء بأن هذه الطريقة قد بلغت حد الكمال أو انها حققت العدالة المطلقة في تحديد الاجر وفقا لمعيار دقيق لكل مهنة اوانها قد تخلصت من فكرة تحديد الاجر للعامل ، وليس للعمل والنتيجة، فلا زال أمامنا مشوار طويل نسعى على طوله لوضع معايير دقيقة لكل مهنة ولكل مهارة ، ولوضع أسس تحديد الاجر ليعادل مقدار مساهمة الفرد في العمليات الانتاجية بطريقة موضوعية لاشخصية وحتى تلقى نتلافى الاتجاه الذى يصل الاجر بالمؤهل والشهادة والاقدمية المطلقة لنفكر في ربط الاجر بالقدرة على الانتاج وحدها .

ثم وضعت الهيئة في اعتبارها كذلك الظروف الجغرافية والطبيعية والمناخية لمنطقة العمل والظروف المعيشية — فقررت أن تمنح العاملين بالسد العالي أجورا يزيد على متوسط الاجور السائدة في سوق العمل بما يعادل مايتعرضون له من مصاعب وما يتحملونه من مشاق وجهد بسبب مناخ المنطقة وموقعها الجغرافي .

ويمكن تلخيص ماسبق فيما يلي :

١ — انتهجت الادارة المشرفة على بناء السد العالي سياسة متحررة عند تحديد الاجور والخدمات والامتيازات التي تمنح للعاملين في السد العالي بغرض :

- ترغيب العمال وخصوصا ذوى المهارات في العمل بالسد العالي .
- تهيئة الخدمات السكنية والمعيشية والاجتماعية والطبية للعاملين بالسد العالي وتشجيعهم على تحمل مايلاقونه من صعاب ومشقة وتسهيل سبل الحياة لهم في أسوان ما أمكن .
- منح العاملين بالسد العالي أجورا تتناسب مع المهن التي يقومون بها ودرجة مهاراتهم تحت ظروف العمل القاسية في المنطقة .
- أن يتفق الاجر مع نوع المهنة ودرجة المهارة وبغض النظر ما أمكن عن المعايير التقليدية التي يؤخذ بها في قطاعات الاقتصاد القومي الاخرى .

٢ — وضعت الادارة في اعتبارها سوق العمل القومي وتأثير سياستها العمالية في اتجاهاته وتأثر هذه السياسات بهذه الاتجاهات ثانية . غير أننا لم نقف عند هذه الخطوة ، خطوة تحديد الاجر وفقا لنوع المهنة ولدرجة ومهارة العامل، فان المعيار الحقيقي للاجر ليس القدرة على الانتاج أو الاداء ولكن هو الانتاج نفسه كما وكيفا — فمن المعروف أن انتاج الافراد حتى ولو تساووا في درجة المهارة يختلف باختلاف تفكيرهم واتجاهاتهم نحو العمل وقدرتهم على تحمل المسئولية أو تحمل المشاق في سبيل انجاز ما يطلب منهم .

لذلك فقد :

٣ — وضعت الادارة السياسات الكفيلة بربط الاجر بالانتاج كما وكيفا .

وقد قال الله تعالى : « ولايستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وانفسهم ، فضل الله المجاهدين بأموالهم وانفسهم على القاعدين درجة — وكلا وعد الله الحسنى ، وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما ، درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما » .

لذلك فقد استقر الرأى واعتمدت السياسات الخاصة بمنح العاملين المجدين في أعمالهم والمواظبين عليه مكافآت تشجيعية أو مكافآت انتاج يختلف مقدارها وفقا لما يحققه الافراد أو المجموعات من انتاج يفوق ماهو مطلوب منهم ، ولكل من مكافآت الانتاج هدف يحققه في ذاته .

فعندما لاحظت الادارة أن نسبة الغياب عن العمل تفوق المعدل الطبيعي في بعض الاحيان قررت مكافآت مالية للعاملين الذين يواظبون على الحضور الى العمل طوال الفترات الحرجة أو التي يكثر فيها الغياب مثل أيام الاعياد .

وعندما كان العمل في الانفاق يتميز بمشقة غير عادية وظروف أقسى من ظروف العمل في المناطق الاخرى ، منح العاملون في الانفاق أجرا اضافيا لقاء مايتعرضون له من مشقة ومايبذلونه من جهد .

ويلاحظ عند تحديد نصيب الفرد من المكافآت وجوب تناسبها مع مايبذله من مجهود في سبيل تحقيق الانتاج وارتباطها بقيمة الاجر الذى يحصل عليه عادة ، وعدد الايام التي قام خلالها بالمساهمة في العملية الانتاجية ودرجة كفاءته الانتاجية في هذه الفترة ، كذلك يؤثر سلوك العامل العام في تحديد النسبة المئوية لقيمة مكافأته ، فتنخفض بمقدار اذا اثبت عدم اطاعة الاوامر ، والتعليمات أو مخالفة تعليمات الامن والسلامة ، أو أكثر تغيبه أو غير ذلك .

وعندما استقر رأي الادارة على ضرورة منح العمال مكافآت تعادل ما قاموا بتنفيذه زيادة عما كان مطلوبا منهم ، أو بطريقة أكثر اقتصادا أو أكثر دقة مما كان مطلوبا ، وضرورة وضع سياسة دائمة للحوافز الفردية والجماعية ، وذلك بغرض دفع العاملين بالسد العالى الى رفع كفاياتهم الانتاجية وبذلك يزيد معدلات الاداء عموما ـ كان على الادارة أن تحدد مستوى الاداء العادى حتى تقرر مقدار العمل الذى يزيد عليه ومن ثم تقرر منح مكافآت الانتاج أولا ثم تحدد نسبتها .

كان من الممكن ان تنتظر الادارة حتى تقرر معدلات الاداء النمطية لكل مهنة ولكل عمل ، وهذا كما قلنا يقتضى وقتا طويلا . وكان من الممكن ان نأخذ بالمعدلات النمطية التى اقرتها منظمة أخرى أو دولا اخرى فى غير بلدنا ، ولكن رئى ان يكون الواقع الحى هو معيارنا الحقيقى ، وان كل ما يفوقه يعتبر ارتفاعا فى القـدرة الانتاجية ـ وان نسترشد بالمعايير النمطية لدى ـ الدول الاخرى ـ وان نعدلها بما يتناسب مع ظروفنا المحلية وقدرات افرادنا ، وان نعتبر هذه بالنسبة لنا هدفا يمكننا تحقيقه فى المدى الطويل .

وبالمقارنة بما سبق لنا تحقيقه من انتاج وبدراسة العمليات غير النمطية وصعوبات التشغيل والتنفيذ التى تطرأ على وسائل التنفيذ امكننا وضع معدلات للاسترشاد توضع وفقا لها برامج التنفيذ ، واعتبرنا ان هذه البرامج تمثل الانتاج النمطى وان كل زيادة فيه ترجع الى زيادة كفاءة العمال وزيادة الجهـد الذى بذلوه مما يستحقون عليه المكافأة والتشجيع .

وقد تنوعت هذه المكافآت فمنها :

- مكافآت الانتـاج الفردى : التى تقرر لفرد واحد مقابل انتاجه الشخصى .

- مكافآت الانتاج الجماعى : التى تقرر لمجموعة من الافراد مقابل انتاجهم الذى يحققـونه معـا بصورة جماعية .

- مكافآت التفوق : التى تقرر لفرد او جماعة مقابل تقدمهم على الاخرين فى تحقيق نسب عالية من الانتاج الامثل او مقابل اداء خدمة ممتازة فى اى مجال من مجالات العمل .

وتختلف النسب المقررة لمكافآت الانتاج باختلاف مواقع العمل ونوعه فتعطى النسبة العليا للقائمين بالاعمال الانتاجية المباشرة ذات الطبيعة المحددة ، والتى تحدد مقدار ما حققه القطاع فى الفترة الزمنية مقارنا بالبرامج الموضوعة (نقل مواد ـ تركيب حديد ـ صب خرسانة ـ مد خط كهربائى ـ حفر نفق ـ عمل أخرام ـ الحقن . الخ) .

تنخفض هذه النسبة قليلا للقائمين بأعمال غير محددة تخدم العمليات الانتاجية مباشرة مثل عمال الورش ـ عمال الصيانة ـ عمال ساحات تركيب الحديد . الخ .

ثم تحدد نسبة اخـرى اقل بالنسبة للقائمين بالخدمات التى تساهم فى العمليات الانتاجية وغير المحددة بطريقة غير مباشرة ، مثل اعمال الامداد والتموين والشئون الادارية والمالية . الخ .

وقد اثبت هذا النظام فاعليه حقيقيه فى ارتفاع الكفاءه الانتاجية للعاملين بالسد العالى ، وعلى رفع الروح المعنوية بينهم فقلت بذلك نسبة دوران العمل وزادت دخول الافراد المجدين بدون زيادة مماثلة فى الاجور الثابتة .

لقد كان لنا فى تجربه السد العالى خير مثل على ما يمكن ان تفعله الاداره الحكيمه الواعية فى سبيل التحرر من ربقة التفكير التقليدى السائد وفى سبيل التحرر من سلطة التفكير العلمى النظرى ، وانه يمكن الوصول الى الهدف النهائى على مراحل تدريجية وان تكون خطواتنا فى اتجاه وثبات متئدة . تراجع بعد كل منها ما حققناه وما صادفناه من صعوبات ومشاكل ثم نحاول حلها فى خطواتنا التالية حتى نصل الى درجة النجاح المنشود باذن الله وتوفيقه .

وانه لازال علينا حتى نتمكن من ربط الاجر بالانتاج ربطا حقيقيا ان نخطوا خطوات سريعة نحو :

- تحديد مسميات المهن وتوصيفها والاتفـاق عليها .

- تحديد متطلبات كل مهنة فى كل مستوى من مستويات الاداء من التعليم والمهارة والخبـرة والادراك والقدرات القيادية والبادأة والمواصفات الجسمانية والعقلية والنفسية .

- تحديد مستويات المهارة فى كل مهنـة وما يجب ان يكون العامل قادرا على ادائه وان يكون على علم به .

- تحـديد المعدلات النمطية لكل مستوى من مستويات المهارة ولكل مهنة .

- ربط الاجر بالانتاج الحقيقى والتخلى عن تقييم

الشهادات وسنوات الخبرة والعلاوات الدورية التلقائية .

● وضع خطة لحوافز الانتاج بحيث لا يكون التدريب هدفا فى حد ذاته ولكن وسيلة لغاية محددة، وهى رفع الكفاية الانتاجية للعامل فى عمله والا تسعر شهادات التدريب كما لا تسعر الشهادات المدرسية وأن يرتفع اجر العامل بارتفاع درجة مهارته بطريقة مباشرة وسريعة وعادلة ويمنح العامل ما يقابل الاهتمام بعمله والسعى الى تحسينه عن طريق الاقتراحات أو الاختراعات أو الطرق البديلة فى طريقة سريعة ومباشرة .

ولنا من رائد نهضتنا خير مثل يحتذى وفى توجيهاته مايسدد خطواتنا نحو مستقبل زاهر فى المجتمع الاشتراكى حيث يسود العدل والكفاية بكل معانيهما .

الجــزء الثـابت .. والجـزء المتغـير من أجــر العــامل

عبـد المحسن الاعسر
مهنـدس كيمائى بشركة
مصر للحـرير الصناعى

اذا كان ربط الاجـر بالانتاج يصلح ويسهل تطبيقه فى بعض الصناعات وفى بعض العمليات ، الا أنه لا يمكن تطبيقه بشكل مطلق على كل الصناعات وعلى كل العمليات فى الصناعة . ذلك أن ربط الاجر بالانتاج يتطلب تحديد معدلات اداء قياسية يمكن عن طريقها محاسبة العمال ، ويكون هذا الحساب قائما على اسس سليمة ومعروفة وبسيطة حتى يمكن للعامل تقبلها والاطمئنان اليها .

وهذه المعدلات القياسية تحتاج الى دراسات للعمل للوصول الى البيانات الخاصة بالانتاج القياسى أى اقصى انتاج باقل عوادم ممكنة وبأعلى جودة وبأقل استهلاك للمواد الخام والطاقة والالات أى قطع الغيار . وهذا يتطلب تحديد القدرة الانتاجية القصوى للماكينات ، والقدرة المتاحة لها كما يتطلب دراسة كل العمليات الانتاجية دراسة تحليلية ، ودراسة الوقت الذى تستغرقه ، وقياس وحساب العمل اليدوى اللازم لادائها ، وذلك للوصول الى امثل الطرق لادائها وبأقل تكلفة عماله .

وتوجد بعض الاعمال والعمليات التى يصعب تحديد هذه المعدلات القياسية لها ، كما توجد بعض العمليات التى لا يستطيع العمال أن يلعبوا دورا مهما فى زيادة انتاجها وذلك اما لطبيعة العملية أو لنوع الماكينات أو بسبب بعض العوامل الخارجية مثل تغير طلبات السوق أو ندرة المواد الخام المستوردة أو تطبيق بعض القوانين الملزمة بزيادة العمالة بالمصانع .

وان طبيعة العمل بمصانع شركة مصر للحرير الصناعى ، دفعت الى اتباع اسلوب معين للمحاسبة على الانتاج ، فبالرغم من ان الشركة هى احدى شركات المؤسسة المصرية العامة للغزل والنسيج الا أن طبيعة العمليات بها هى نفس طبيعة عمليات الصناعات الكيماوية حيث لا يستطيع العامل أن يلعب دورا كبيرا فى زيادة الانتاج ولكن فى الحفاظ على مستواه ، لان الانتاج يتم فى خطوط مغلقة ، ومهمة العامل تتركز فى المراقبة أو اداء بعض الاعمال اليدوية المساعدة والتى تكمل دورة الانتاج . ولكن ليس فى استطاعته زيادة سرعة الماكينات أو تغيير الحرارات أو الضغوط المحددة سلفا على اساس علمى لاعطاء احسن انتاج .

وفى الوقت الذى يتقاضى فيه العاملون بالاقسام الادارية والمكتبية والمشرفين بالمصانع أجورهم على أساس المرتب الشهرى كل على حسب الوظيفة التى يشغلها بالفئة التى تقع فيها ، بصرف النظر عن زيادة الانتاج أو نقصه يتقاضى العاملون الذين يقومون بالاعمال اليدوية بالاقسام الانتاجية واقسام

الاعمال المساعدة والذين يشكلون حوالى ٨٠ ٪ من عدد العاملين بالشركة ، يتقاضون أجورهم على أساس الاجر الحافز . والاجر الحافز هو أحد اساليب دفع الاجور ، وفيه ينقسم الاجر الى جزءين جزء ثابت ومربوط ببعض الاعتبارات ، وجزء متغير أو متحرك مرتبط بالانتاج .

والجزء الثابت من الاجر الذى يتقاضاه العاملون بالشركة ، هو الاجر الشهرى الذى يستحقه العامل لشغله وظيفة تقع فى فئة معينة نتيجة لتقييم الوظائف . وهذا الجزء من الاجر ليس له ارتباط بالانتاج ، ولكن يخضع فى تغيره بالزيادة أو النقصان للعلاوات الدورية السنوية وللغيـاب والاجازات المرضية ، وهو بالتالى يتمشى مع تطبيق لائحة العاملين بالشركات .

اما الجزء المتغير وهو مايطلق عليه مكافأة التشغيل ، فهو جزء يصرف شهريا ، ومحدد بنسبة معينة من متوسط الاجر الشهرى لفئة العامل ، ويتغير بتغير تحقيق معدلات اداء قياسية ، اما للعامل على حدة أو على مجموعة عمال معا .

وترتبط معدلات الاداء بعوامل معينة تختلف من قسم الى آخر من اقسام الانتاج بحسب اهميتها فى هذا القسم ، أو بحسب التوصل الى حسابها الدقيق . وهذه العوامل هى كمية الانتاج ونسبة العادم ونسبة الجودة ومعامل القوى العاملة وهو النسبة بين عدد أيام الحضور الفعلية فى الشهر لعمال القسم وعدد الايام اللازمة نظريا لانتاج كمية انتاج معينة .

وهذه العوامل قد تدخل جميعها او بعضها فى حساب معدلات الاداء كما أن لكلا منها وزنه الخاص المرتبط بمدى أهميته وتأثيره فى انتاج القسم ، وتتغير هذه العوامل وأوزانها من قسم الى آخر . وعند تحقيق معدلات الاداء القياسية ، أى عند تحقيق الانتاج القياسى بالنسبة القياسية للعادم والنسبة القياسية للجودة وبعدد أيام العمالة النظرية ، حددت نسبة الاجر المتغير أو مكافأة التشغيل بحوالى ١٥ ٪ من متوسط اول وآخر مربوط أجر كل فئة .

وتتدرج هذه النسبة فى الارتفاع حتى تصل الى ٣٠ ٪ عند الوصول الى اقصى انتاج ممكن وبأقل عادم وأعلى جودة ، كما تتدرج هذه النسبة ايضا بالنقصان عند الانحراف عن هذه المعدلات القياسية حتى تصل الى الصفر .

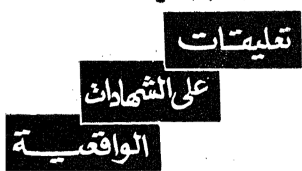
وهذه النسبة القصوى محددة على اساس أن العامل لايمكنه بأى حال أن يبذل وبشكل مستمر جهدا أعلى من ٣٠ ٪ من جهده العادى والا فقد صحته .

وقد اجريت دراسات طويلة وشاقة للوصول الى هذه المعدلات القياسية الخاصة بكميات الانتاج بالاقسام المختلفة ونسب العادم والجودة وتحديد عدد العمال اللازمين لتحقيق هذه المعدلات . ذلك أن عدم سلامة ودقة هذه المعدلات مع ربط مكافأة تشغيل قد يزيد أعباء الشركة المالية بدون داع ، او يعطى معدلات خيالية لايمكن للعمال التوصل اليها مما يثبط هممهم .

كما أن هذه المعدلات محتاجة لمراجعة مستمرة ، فهى تتغير بتغير ظروف العمل وحالة الماكينات وغيرها ، وحيث أن طبيعة العمل بأقسام الانتاج تدفع الى ان يتم الانتاج بشكل جماعى ، مما يستحيل معه تحديد انتاج كل عامل على حدة ، أو تأثيره الخاص فى كمية الانتاج ونسب الجودة والعادم ، لهـذا يحاسب كل العمال بكل قسم بشكل جماعى على تحقيق مستويات الاداء القياسية للقسم كله . وبهذا يكون أى تأثير بالارتفاع أو الانخفاض فى هذه المستويات لها نفس الاثر المباشر بالزيادة أو النقص على مكافأة جميع العاملين بالقسم وفى الاعمال التى أمكن فيها محاسبة العمال بشكل فردى على تحقيق معدلات اداء قياسية ، مثل أعمال الورش وبعض الاعمال الانتاجية ، يحاسب كل عامل على حدة على تحقيق هذه المعدلات ، ويتقاضى هؤلاء العمال مكافأة التشغيل على نفس الاسس التى يحاسب عليها بقية العمال من ناحية النسب المئوية عند معدلات الاداء المختلفة .

اما العاملون فى الاعمال المساعدة ، مثل اعمال الصيانة الميكانيكية والكهربائية وغيرها من الاعمال المساعدة للانتاج ، فنتيجة للصعوبة البالغة لحساب كمية هذه الاعمال وحساب أوقات قياسية لها ، وحيث أن هؤلاء العمال يتمون ماهو مطلوب منهم من حيث الصيانات الدورية والروتينية والطارئة بشكل يتمشى ويحقق مطالب الانتاج ، فتتم محاسبتهم على أساس أنهم يؤدون معدلات الاداء القياسية ، وبالتالى يتقاضون حوالى ١٥ ٪ من أجورهم كمكافأة تشغيل .

وبجانب جميع هذه المعدلات الموضوعيـة والمحسوبة والمعروفة ، توجد عوامل اخرى معنوية وشخصية تدخل فى حساب المكافأة وهى عوامل خاصة بالتعاون بين العامل وزملائه وبين العامل ورئيسه ، والسلوك الشخصى للعامل وغيرها . وهذه العوامل لها درجات يضعها الرئيس المباشر ولها تأثير على مكافأة التشغيل لانقاصها فقط . أى أن العامل العادى ذو السلوك الطيب لاتزيد مكافأته ، بينما العامل سىء السلوك تخفض مكافأته بنفس انخفاض نسبة تقريره الشخصى .



تقييم قوة العمل.. المشاكل.. ومنهج العلاج

د. اسماعيل صبرى عبدالله

يتضح من قراءة الشهادات الواقعية « ان قضية ربط الاجر بالانتاج قضية مطروحة بالفعل فى اكثر من مجال ، وانها تشغل القادة الاداريين والسياسيين والنقابيين فى عدة قطاعات . والشهادات تتفاوت فى موضوعها بين الاكتفاء بطرح ابعاد المشكلة وبين المحاولات المتنوعة لتنفيذ بعض الحلول المقترحة . كما ان الحلول التى طبقت بالفعل تختلف من حيث زاوية الاهتمام الاساسية ومن حيث نوع المشكلات التى واجهتها . والملاحظة التى تبدو لاول وهلة هى بالدقة الطابع الجزئى لمعظم التجارب العملية ، بمعنى تركيز الاهتمام على بعض الجوانب دون البعض الآخر . ومن ثم فان جمع هذه الشهادات فى صعيد واحد يكون له فى المحل الاول ميزة عرض ومعالجة تلك الجوانب كلها . ولكن ليس الغرض من هذا التعليق ، بأية حال ، تقييم التجارب العملية ، فمثل هذا التقييم يفترض الدراسة الشاملة لظروف كل شركة . وانما الغرض هو بالدقة محاولة استخلاص القضايا العامة لمشكلة ربط الاجر بالانتاج . وهذا ما يمكن فى تقديرنا ايجازه على النحو التالى :

١ — ليس بالخبز وحده يحيا الانسان

ففى اكثر من شهادة برزت اهمية الجوانب غير المادية فى مشكلة رفع الكفاية الانتاجية وزيادة الانتاج . فثمة جانب اساسى فى المعركة هو جانب الوعى السياسى ، او ما اسماه السيد عبد العزيز بخيت « بالفكرية الاشتراكية » ، اى الاقتناع بملكية الشعب والحرص عليها والفهم العميق للعلاقة البعيدة المدى بين زيادة الانتاج القومى وبين ارتفاع مستوى معيشة المواطنين من الجيل الحالى والاجيال المقبلة . ولعل من اخطر الامور فى هذا الصدد ان يستخدم ربط الاجر بالانتاج مجردا عن التوعية والعمل السياسى بحيث يذكي فى نفس العامل عوامل الفردية والانانية وعدم المبالاة بالمصلحة العامة . فالعامل الذى تحكمه مثل هذه العقلية التى لا تسعى الا وراء الكسب المادى ، يمكن ان يخرب الانتاج اذا وجد طريقا آخر ، ولو كان غير مشروع ، يحقق له كسبا اكبر : كالميكانيكى الذى لا يجهد نفسه فى العمل الرسمى ليعمل بعد الظهر فى «ورشة خاصة» ، او العامل الذى يسرق قطع غيار ليبيعها فى السوق السوداء .. الخ . وتقديرا لهذا المعنى حرصت لائحة شركة « ابى زعبل للكيماويات الحربية والمدنية » على ضرورة ان يؤخذ فى الاعتبار بعض « القيم السلوكية » عند تقدير العامل المثالى ، وعند اجراء الترقيات .

ويرتبط بهذا ايضا ما جاء فى شهادة السيد امين مساعد اللجنة القيادية بشركة « العبوات الدوائية » من ان ديمقراطية الادارة من اهم الحوافز الادبية وان تلاحم الادارة مع العمال

وتنمية روح المسئولية الجماعية وتعاون الادارة مع التنظيمات الشعبية امور تلعب دورا اساسيا فى زيادة الانتاج ورفع الكفاية الانتاجية .

وفى زيارة للسد العالى ، كنت كلما سألت احد العاملين عن مشكلة الحوافز اتلقى ردا يكاد لا يتغير : « الفلوس مش كل حاجة » ، وانما المهم ان يشعر العامل بأن رئيسه يعرف العمل الذى يقوم به ويساعده فيه ولا يفتش فقط من العيوب وانما يعاونه على تطويرمهارته ويعامله كانسان ويهتم بكل اموره حتى الخاصة منها .

٢ ــ جوهر القضية

وبعد تحديد هذا الاطار الفكرى والسياسى يكاد يكون ثمة اجماع على ان كل اشكال ربط الاجر بالانتاج تدور حول ثلاثة افكار رئيسية :

● تحديد اجر اساسى لكل فئة من فئات العمال المتمايزة نوعيا : العتال ــ العامل الماهر ــ العامل الفنى ــ الملاحظ او الاوسطى .. الخ . وقد اوضح البعض ان هذا الاجر الاساسى يجب الا يتغير الا بقرار مركزى يتخذ على اعلى مستوى على نطاق الدولة كلها ، ويكون اتخاذه بناء على ارتفاع متوسط انتاجية العمل فى الاقتصاد القومى ، فلا ينبغى ان يزيد متوسط الاجر الا بالقدر الذى يتلاءم مع الزيادة فى انتاجية العمل والا خلقناحالة تضخم واختل التوازن بين الانتاج والاستهلاك .

● اى زيادة من الاجر الاساسى فى كل فئة يجب ان ترتبط بزيادة الانتاج فى الوحدة الانتاجية وتحسين نوعه ورفع الكفاية الانتاجية . وهنا يبرز خطأ نظام العلاوة الدورية الثابتة باعتباره فى الواقع مكافأة على الكسل . فالعامل الذى لايقوم بعمل ايجابى يستوجب حرمانه من العلاوة كجزاء يحصل عليها ولو لم يقم بأدنى جهد لزيادة الانتاج . والعامل الذى يتفانى فى تحسين الانتاج وتطويره يجد نفسه فى نهاية الامر مقيدا بقيود المدة ليحصل على علاوة دورية .

● يجب ان ترتبط الترقية من فئة الى اخرى باكتساب المهارات والخبرات التى تجعل العامل ينتقل فعلا من فئة الى اخرى . ولا ينبغى بحال ان يفترض انه من الممكن اكتساب هذه المهارات بمجرد مضى المدة . بل يجب التأكد من اكتسابها باختبارات وتقارير مختلفة ، ثم ترقية العامل بمجرد التأكد من اكتسابه لها .

٣ ــ العقبات والمشكلات

على انه اذا كان ثمة اتفاق على تلك الخطوط العريضة ، فان التطبيق يصطدم بعقبات ومشكلات ليست هينة .

فهناك **اولا** ، **نظام العاملين القائم على العلاوات والترقيات الدورية** الذى يجب تعديله تعديلا جذريا يسمح بربط اى تحسين فى الاجر او ارتقاء فى السلم الوظيفى بزيادة الانتاج او الكفاية الانتاجية .

وهناك ، **ثانيا** ، **زيادة العمالة عن حاجة الانتاج** . او بعبارة ادق اختلال التوازن بين العمالة فى الاقسام الادارية وغيرها من الاقسام غير المرتبطة مباشرة بالانتاج ، وبين العمالة الفنية فى اقسام الانتاج . ولابد هنا من سياسة لتخطيط القوى العاملة على النطاق القومى وعلى نطاق كل مؤسسة وشركة بحيث يسحب الفائض من الايدى العاملة ويوجه الى حيث تظهر الحاجة اليه . ولابد كذلك من تشغيل الالات اكثر وقت ممكن لاستيعاب اليد العاملة ، ولابد اخيرا من اعادة تأهيل عدد من العاملين فى الاقسام غير الانتاجية ليكتسبوا المهارات الفنية التى تجعلهم صالحين للعمل كملاحظين ورؤساء عمال او عمال فنيين حسب الاحوال .

وهناك ، **ثالثا** ، **ضرورة وجود معدلات نمطية للاداء** مدروسة على اسس علمية تأخذ فى الاعتبار طاقة الالات وظروف الانتاج فى مصر ومستوى كفاءة العمال والملاحظين والمهندسين . ففى معظم التجارب التى تمت لربط الاجر بالانتاج ، تم تحديد الاجر الاساسى على اساس تحكمى . ففى السد العالى مثلا ، اتفق فى البداية على ان يكون معدل اداء العامل المصرى فى اسوان ٦٤ ٪ من معدل اداء العامل السوفييتى فى بلاده . وفى شركة « المقاولات المصرية » تقرر اعتبار ان الاجر الاساسى يساوى ثلثى الاجر الذى يدفعه مقاول الباطن .. ولا شك انه فى مستوى الشركة الواحدة لا مفر من الاجتهاد على هذا النحو . ولكن فى مستوى القطاع سيتعين على كل مؤسسة نوعية ان تقوم بالدراسات اللازمة لوضع معدلات نمطية للقطاع كله .

وهناك ، **رابعا** ، **مشكلة جماعية الانتاج** . فحيث يكون الانتاج فرديا يتميز فيه جهد كل عامل على حدة يكون ابسط صور ربط الاجر بالانتاج هو نظام الاجر بالقطعة كما اشار اليه الدكتور محمد عجلان ، او نظام الاجر بالانتاج الذى كان معروفا فى قطاع النسيج .ولكن من المعروف ان تقدم الصناعة الآلية يجعل الطابع الجماعى للانتاج يتزايد ويتأكد بحيث لا يمكن تمييز ثمرة عمل كل فرد على حدة . وهنا تبرز فكرة منح مكافأة الانتاج « للوردية كلها » . وهذا النظام اتبع فى السد العالى فى عمليات حقن جسم السد . وميزة هذا الاسلوب تنمية روح التعاون بين افراد الوردية وتوفير اسس لمكافأة الملاحظ اورئيس العمال ، ولكن يبقى بعد ذلك مشكلة تقدير

مكافأة الانتاج للعاملين فى الاقسام غير المرتبطة مباشرة بالانتاج . وهنا ايضا يمكن القيام بدراسات على اساس علمى لتحديد معدلات نمطية . حقا ان الامر اكثر تعقيدا منه فى الاقسام الانتاجية المباشرة ولكنه ليس مستحيلا .

وهناك ، **خامسا ، العوامل الاخرى — غير كمية الانتاج — التى يجب ان تؤخذ فى الاعتبار** عند تحديد مكافأة الانتاج . ففى اكثر من تجربة يعتبر انتظام العامل فى العمل وقلة تغيبه من عناصر التقدير الاساسية ، وهذا امر ضرورى للغاية . فالانضباط فى العمل شرط اساسى لكل تطوير جدى ومنتظم للانتاج . كذلك لابد من ان يؤخذ فى الاعتبار سلوك العامل ازاء زملائه ورؤسائه تأكيدا لمعانى التعارف فى العمل والانضباط . فالشغب والفوضى والمشاحنات لا يمكن ان تهيىء جوا صالحا للانتاج . والعامل الذى يحقق المعدل المطلوب رغم تغيبه او مشاغباته لا يرجى منه خير كثير . كذلك لابد من ان يحسب حساب درجة محافظة على الالات والمعدات وحسن استخدامها وعدم اهمال صيانتها وعدم تبديد المواد الاولية .. فزيادة الانتاج على حساب الالات او عن طريق الافراط فى استخدام المواد الاولية يزيد من تكلفة الانتاج بما يذهب بقيمة الزيادة فيه . وهناك اخيرا ، وليس ذلك اقل الامور اهمية ، نوعية الانتاج . فلا يمكن ان يكون ثمن الزيادة فى الكمية المنتجة هو تدهور نوعية المنتجات لان ذلك يفقدنا امكانيات التصدير ويغضب المستهلك ويجعله يتقبل دعايات الرجعية ضد القطاع العام .

٤ — منهج العلاج

ونخلص من التجارب المعروضة ان مشكلة ربط الاجر بالانتاج تحتاج الى دراسة علمية وتخطيط . ولابد ان نؤكد هنا ما اشار اليه السيد احمد زيتون ، من حاجتنا الى مؤلفات عربية فى ادارة الاعمال وفى قضايا الكفاية الانتاجية والعلاقات الصناعية تقوم على الدراسة النظرية لواقعنا وتحاول ان تؤصل تجربتنا وتبحث فى ضوئها عن التطبيقات الملائمة ولا تكتفى بأن تنقل الى العربية الاساليب والنظريات التى نشأت فى ظل النظام الرأسمالى .

كما انه لابد من التنويه بخطر محاولات تطبيق حلول عامة وموحدة على كافة الوحدات الانتاجية دفعة واحدة . فظروف كل وحدة تختلف عن غيرها من حيث نوع نشاطها الانتاجى ودرجة وعى العاملين فيها ومستوى قادتها الاداريين والسياسيين والنقابيين . ولكل قطاع مشكلاته الخاصة . كما ان التغيير المفاجىء يربك الادارات والعاملين جميعا كما حدث عند تطبيق نظام العاملين الحالى حيث استغرقت مشكلات التوصيف والتسكين وقتا كبيرا من العاملين ومن الادارات . ولهذا فانه يجب ان يبدأ تطبيق الحلول الجديدة بالتدريج فى وحدات محدودة العدد تعتبر وحدات رائدة يؤدى نجاح التجربة فيها الى حفز الوحدات الاخرى على محاكاتها .

أهداف ومعدلات الأجر الحافز .. فى التطبيق

على الشلقانى
مدير العلاقات الصناعية
بشركة الحديد والصلب

لعله من المفيد ان نفرق فى فكرة ربط الاجر بالانتاج بين مفهومين احدهما اوسع من الاخر ..

المفهوم الاول هو الربط بين الاجر من جانب وبين اهمية الوظيفة التى يشغلها العامل من جانب آخر . ولعل هذا المفهوم الواسع الذى تطرق اليه بعض الذين كتبوا فى الموضوع يدخل اكثر ما يدخل فى توصيف الوظائف وتقييمها وترتيبها .

اما المفهوم الثانى فهو مفهوم اضيق فى ربط الاجر بالانتاج يقصد

فيما اعتقد تحرك الاجر الذى حدد طبقا لتسكين العامل فى وظيفة سبق تقييمها ومعادلتها باحدى فئات لائحة العاملين ، يقصد تحرك هذا الاجر زيادة ونقصا مع تحرك انتاج العامل فى فترة زمنية معينة قد تكون شهرا او ربع سنة او اكثر ..

وهذا هو المفهوم الذى سنحاول اننربط به بين الافكار الكثيرة والمفيدة التى تعرض لها الكتاب ، ونقول الربط بين هذه الافكار ، وليس تقييم التجارب التى تحدثوا عنها — لان هذا التقييم يخرج عن مجال هذا التعليق ، ولان المساحة التى حددوا بها الكتابة لم تتح لهم الفرصة الكافية للتحدث عن تجاربهم باسهاب .

وتسهيلا للربط بين الافكار الاساسية فىالاجر الحافز يحسن ان نرتب هذه الافكار طبقا للاسئلة التى تتبادر الى الذهن اذا طلب منا ان نضع نظاما متسقا للاجر الحافز ، او لربط الاجر بالانتاج فىوحدة اقتصادية ما ..

ويمكن ان نقسم هذه الاسئلة بوجه عام الى قسمين رئيسيين:

قسم يتصلبالقواعد التىيجب ان يتضمنها نظام الاجر الحافز ، وقسم آخر يتصل بالشروط العامة التى يجب ان تتوفر فى الوحدة الاقتصادية لتتيح النجاح لهذا النظام ..

وقد يبدو منطقيا ان نبدا بالشروط العامة للاجر الحافز قبل ان نبدا بقواعده . الا ان تقدير اهمية الشروط العامة قد يسهل اذا ماتعرضنا بادىء ذى بدء لقواعد الاجور الحافزة .

واول سؤاليتبادر الى الذهن عند وضع نظام للاجر الحافز يتصل بنتائج نشاط الوحدة الاقتصادية التى يراد ان ترتبط بالاجور الحافزة . وقد تكون هذه النتائج هى كمية إنتاج ،وقد تحدد هذه الكمية بمواصفات من حيث الجودة ونسب معينة من حيث المرفوض او العادم ، وقد يراد تحقيق نتائج معينة منحيث التكلفة .. وقد يركز فى التكلفة على عنصر معين من عناصرها ككفاءة استخدام المواد والطاقة او استغلال الوقت المتاح ،وقد يقصد بها التكلفة الكلية التى تدخل فى الميزانية التقديرية للوحدة الاقتصادية ، ثم قديرتبط الاجر الحافز بوجه عام بتحقيق اهداف الخطة العامة السنوية للوحدة الاقتصادية .

ولنصطلح على تسمية هذا السؤال الاول بـ « اهداف الاجر الحافز » .

وقد تعرض الكتاب الذين تحدثوا عن اهداف الاجر الحافز لاهم المسائل التى يجب ان تتضمنها هذه الاهداف :

فتحدث المهندس محمود المستكاوى عن تجربة شركة المقاولاتالمصرية (مختار ابراهيم سابقا) فى انشاء ابراج خط كهرباء السد العالى ، وهىاحدى التجارب الرائدة فى مجال المقاولات . وواضح من عرضه ان اهداف الاجر الحافز غطت كلا من المعدلات القياسية للانشاءات والمعدلات القياسية للتكاليف معا .

وادخال عنصر التكاليف كعنصر هام من عناصر اهداف الحافز ، لان زيادة الانتاج قد تتم نتيجة لزيادة التكاليف . ولما كان هدف الحافز فى النهاية هو النجاح الاقتصادى للمشروع ورفع انتاجية العمالة ، فان اغفال عنصرالتكاليف يعتبر نقصا جوهريا فى اى نظام يربط بين الاجر والانتاج . ولهذا كانعلى حق عندما اكد ان هذا التوازن بين معدلات الانتاج ومعدلات التكلفة يضمن ان مايدفع منأجر عن زيادة الانتاج هو مقابل حصيلة المجهود المضاعف للعاملين ، وحصيلة زيادةكفايتهم الانتاجية .

وفىتجربة اخرى رائدةفىمجال الزراعة تحدث المهندس عبد المنعم شتله عن ادخال نظام الاجر الحافز فى المشروعات الزراعية بالاراضى الجديدة . ولعل اهم مايلفت النظر فى تحديد اهداف الحافز فى هذه التجربة هو ان هذه الاهداف شملت كل مستلزمات الانتاج : العمالة والآلات الزراعية والاسمدة والتقاوى والمبيدات الحشرية فضلا عن الانتاجالمقدر للفدان ، واخيرا البرنامج الزمنى المحدد للمحصول ..

ونشعر ازاء هذه العناصر الكاملة للاهداف ان مثل هذا النوع لمكافآتالانتاجيحققالنجاح الاقتصادى الذى يجب ان يكون الهدف الاول والاخير من ربط الاجر بالانتاج ، ويؤكد هذا المعنى ان وعاء مكافأة الانتاج هو صافى الربح المحقق منزيادة المحصول عنالمعدلات التقديرية، وهو موقف سليم للغاية .

ونود ان نشير هنا الى اهمية الارتباطبالبرنامج الزمنى كعنصر من عناصر اهداف الحافز ،ليس فقط فى مجال الزراعة ، وانما فى كل الانشطة الاقتصادية حيث يجب ان يعتبر تنفيذ الخطة السنوية فى المواعيد المقررة احد الاهداف التى يحاسب عليها العاملون او فريق منهم على الاقل هو مجموعة المشرفين والادارة العليا .

وفى مجال الصناعة تحدث المهندس سمير مطر عن تجربة شركة المطروقات ، واشار الى ان الهدف الذى يرتبط به الاجر الحافز هو القيمة المضافة للمنتجات التى تزيد عن المعدلات المحددة وذلك بعد تحديد قيمة

تقديرية للمنتجات المعدة للبيع، وهنا كذلك يبدو الاهتمام بالربحية ، والوعاء هو القيمة المضافة زيادة على المعدلات وليس مجرد زيادة فى كمية الانتاج ».

ولاننا فى هذه التجربة ننتقل الى مجال الصناعة نجد اهتماما بجودة المنتجات وبصيانة الآلات، وكلاهما محاولة للتغلب على اثر الحافز الذي يرتبط بكمية الانتاج، وقد يدفع العامل الى اهمال جودة النوع او اساءة استخدام الآلات .

ولسنا فى حاجة الى بيان اهمية الجودة . فالوحدات الاقتصادية تشترط عادة الجودة كهدف الى جانب الكم ، حيث يستبعد من حساب الاجر الحافز الانتاج المرفوض ».

على اننا نقف قليلا عند صيانة الآلات ، وتبدو اهميتها بوجه خاص فى البلاد النامية لان الآلات فيها عزيزة، ولانها تستورد بالعملة الاجنبية الصعبة ، ولان تكلفتها فى المشروعات الصناعية، وبالذات فى الصناعات الثقيلة، تعلو كثيرا على تكلفة العمالة ، ولهذا كان حسن استخدام الآلات والمحافظة عليها احد عناصر اهداف الاجر الحافز الهامة التى ينبغى ان يتضمنها نظام الاجر الحافز فى الصناعات الثقيلة خاصة .

وقد يقال ان الحافز الذى يدفع عن الكمية يتضمن بالتبعية الاهتمام بصيانة الآلة لان تعطل الآلة معناه تعطل الانتاج وضياع الحافز ، وهذا صحيح ، ولكن المقصود بادخال عنصر صيانة الآلات كأحد اهداف الحافز ليس هو التغلب على الوقت الضائع فى العطلات ، والا كان تكرارا لحافز الكمية ، وانما يقصد به تكلفة الصيانة ، فيهتم العامل ان يحسن استخدام الآلة بحيث تنخفض تكلفة صيانتها الى اقل حد ممكن ».

ونجد عناصر شبيهة فى مجال صناعى آخر عندما يتحدث المهندس عبد المحسن الاعسر عن تجربة شركة الحرير الصناعى . ان اهداف الحافز تدخل فيها الكمية والجودة ونسبة العادم. ولعله لم يتحدث عن عنصر التكلفة مباشرة لانه لايمثل مشكلة فى قطاع الغزل والنسيج حيث تحقق الشركات فى العادة ربحا طيبا . على اننا نلاحظ انه اشار الى معامل القوى العاملة كأحد الاهداف التى يرتبط بها الاجر الحافز .وربما كان السبب فى ذلك ايضا هو طبيعة الصناعة الخفيفة حيث تكلفة العمالة تمثل نصيبا اكبر من التكلفة الكلية عنها فى الصناعات الثقيلة .

بعد ذلك يثور سؤال ثان حول تقسيم العاملين فى الوحدة الاقتصادية الى مجموعات وفرق ازاء الاجر الحافز ، كالعاملين مباشرة فى الانتاج ، والعاملين فى الادارات واقسام الخدمات الصناعية كالصيانة والمرافق ، والعاملين فى الخدمات العامة او الادارات المساعدة كالادارة المالية والتجارية وشئون الافراد، وفى العادة تختلف كل مجموعة من هذه المجموعات عن الاخرى من حيث الاهداف التى يطلب منها تحقيقها لاستحقاق الحافز . فيكتفى مثلا بربط اجور العاملين مباشرة فى الانتاج بكمية الانتاج وجودته، بينما يكتفى بربط اجور الادارة الوسطى بكمية الانتاج وجودته وتحقيق الميزانية التقديرية للتكلفة، وتسأل الادارة العليا عن تحقيق الخطة السنوية للوحدة بجوانبها المختلفة انتاجا واقتصادا .

ولنصطلح على تسمية هذا الجانب الثانى بـ « تقسيم العاملين ازاء الحافز » .

وقد اهتم الدكتور محمد عجلان بابراز هذا الجانب فى حديثه عن تجربة شركة النصر لصناعة الزجاج والبللور .

ان العاملين يقسمون ازاء الحافز طبقا لمعيارين احدهما هو فردية الانتاج او جماعيته ، وحيث يمكن ان يحاسب العامل الفرد عن انتاجه الشخصي اتبع فى العادة نظام الانتاج بالقطعة، غير ان هذا النظام يتناقض مع تقدم الصناعة الحديثة وتشابك عمليات الانتاج وتداخلها، واعتماد بعضها على بعض حيث تصبح مسئولية الانتاج فى الحقيقة مسئولية جماعية . واذا كان نظام القطعة ينتشر فى بعض الصناعات الخفيفة فانه يكاد ينعدم فى الصناعات الثقيلة .

على ان المسألة الاكثر اهمية التى اثارها الدكتور عجلان هى مسألة الحافز للاقسام المساعدة التى تعمل فى الخدمات الصناعية كالصيانة او الخدمات العامة للوحدة كالادارة المالية .

ونجد هذه التفرقة بين مجموعات العاملين ايضا فى حديث المهندس محمود المستكاوى حيث يفرقون بين مجموعات الانتاج المباشر ومجموعات الاشراف الفنى والادارى . ونلاحظها كذلك فى حديث السيد سعد المستكاوى ، وهو يتناول تجربة الشركة العربية للشحن والتفريغ ، بين فئة الملاحظين والمشرفين ، وفئة العمال والمعلمين، وكذلك فى حديث السيد احمد زيتون عن تجربة شركة ابى زعبل للكيماويات حيث قسم العمال الى اربع مجموعات : منفذين ، ومشرفين تنفيذيين ، ومشرفين تطويريين ، واخصائيين .

وهكذا نجد تقسيمين كبيرين لمجموعات العاملين، تقسيم يقوم على مسئولية الوظيفة ، والخط

الفاصل فيها بين وظائف الاشراف ووظائف التنفيذ . واهمية هذا التقسيم ان الوظائف الاشرافية تحاسب عن اهداف للحافز اكثر واعم من وظائف التنفيذ ، ففي تجربة شركة المقاولات المصرية بينما تحاسب الفرق الاشرافية عن معدلات الانتاج والتكلفة معا، نجد ان الفرق التنفيذية تحاسب عن معدلات الانتاج فقط .

وفى العادة ، واستطرادا لهذا المفهوم ، يكتفى فى محاسبة المجموعات التنفيذية بالمحاسبة عن الكمية والجودة والمرفوض والعوادم ، بينما تمتد مسئولية المجموعات الاشرافية الى التكلفة التقديرية بمختلف عناصرها والى تنفيذ الخطة فى مواعيدها كما تمتد مسئولية الادارة العليا الى المحاسبة عن نتائج نشاط الوحدة الاقتصادية فى مجموعة ممثلا فى النهاية فى الميزانية السنوية . ولهذا يصمم الحافز باهداف مختلفة لكل مجموعة من هذه المجموعات .

ويتداخل هذا التقسيم لمجموعات العاملين مع تقسيم آخر بين الادارات والاقسام التى تعمل فى الانتاج مباشرة ، وتلك التى تعمل فى الخدمات الصناعية او الخدمات العامة .

وفى العادة تحدد الاهداف الاساسية للعاملين فى الانتاج مباشرة ، وتحدد اهداف فرعية للعاملين فى الادارات الاخرى كل حسب طبيعتها ، فترتبط اقسام الصيانة مثلا باهداف اقسام الانتاج بحيث يتوقف الحافز الذى تحصل عليه على نتائج نشاط هذه الاقسام ، كما ترتبط ايضا ، وفى جزء آخر من اجرها الحافز، باهدافها الخاصة كأن ترتبط بمعدلات الوقت المخصص للصيانة وبتكلفة الصيانة .

ويبدو لنا ان التفرقة بين الاهداف التى ترتبط بها كل مجموعة من العاملين يتغلب على التساؤل عما اذا كانت الادارات المساعدة والعامة تستحق اجرا حافزا او لا تستحق . اذ مادامت اهداف الحافز قد تغيرت بتغير الوظيفة والمسئولية فمصلحة الانتاج تقتضى ان يرتبط جميع العاملين بالحوافز التى تناسبهم، والا نشأ عن فصل مجموعات من العاملين عن نظام الحافز صراع بين الاقسام والمجموعات المختلفة بدلا من التعاون الضرورى فى الانتاج الحديث .

واخيرا أثار الدكتور عجلان تساؤلا فى محله عن كيفية معاملة الاقسام التى تعمل فى رقابة الانتاج . ذلك ان هذه الاقسام وهى تراقب على سبيل المثال جودة الانتاج،تتعارض مصلحتها مع اقسام الانتاج فى خصوصية الاجر الحافز . لان العاملين فى الانتاج يريدون اعلى نسبة من الجودة ، وعلى العاملين فى الرقابة ان يقرروا الحقيقة ولو ادى ذلك الى الاضرار بعمال الانتاج ، ومن هنا يصعب ان يرتبط العاملون فى الرقابة بنفس اهداف الانتاج ، وقد يكون الحل فى اخراجهم من نظام الاجر الحافز ووضع مكافآت تشجيعية لهم تقدرها الادارة .

بعد تحديد الاهداف ، وتحديد المجموعات التى تسأل عن كل هدف من هذه الاهداف ، يجب تحديد طريقة قياس الوصول الى هذه الاهداف او تخطيها ، ليمكن الحكم على نتائج نشاط العاملين فى كل مجموعة ، وهذا يقتضى ترجمة هذه الاهداف الى ارقام واوزان مكافئة .

ولنصطلح على تسمية هذا الجانب الثالث بـ « المعدلات القياسية للحافز » . هذه المعدلات التى تحدد على ضوء تحقيقها او تخطيها حوافز العاملين .

وقد يكون الاجر الحافز الذى يدفع للعاملين محددا بمبلغ من المال عن كل وحدة منتجة (كذا قرش عن المتر المنتج مثلا) او نسبة معينة من الاجر تدفع عن كل نسبة جاوزت الاهداف او معدلات الاهداف . كما تحدد نسب اخرى سلبية تخصم من الاجور اذا لم تتحقق تلك الاهداف، وهى مايسمى بالحافز السلبى .

ولنصطلح على تسمية هذا الجانب الرابع بـ « نسب الحافز » .

ونقتصر هنا على الاشارة الى مسألتين رئيسيتين :

الاولى هى تدرج النسب ، فالملاحظ مثلا فى تجربة شركة المقاولات المصرية أن كل زيادة ١٪ فى تجاوز المعدلات يقابلها ١٪ من المرتب الاصلى كأجر حافز . اى ان الخط البيانى للعلاقة بين الزيادة عن معدلات الانتاج وبين الزيادة فى الاجر هو خط مستقيم . وقد يكون من الاوفق ان يتدرج الاجر الحافز صعودا كلما زادت نسبة الزيادة عن المعدلات ، وعلى سبيل المثال اذا قسمت الزيادة فى المعدلات الى شرائح فلتكن الـ ٥٪ الاولى من زيادة الانتاج يقابلها ٥٪ زيادة فى الاجر، بينما الـ ٥٪ الثانية فى زيادة الانتاج يقابلها ١٠٪ من الاجر. والفكرة من ذلك ان المجهود البشرى والمهارة معا التى تتطلبها زيادة الانتاج يزدادان تصاعديا ، ويستحقان بذلك مكافأة اكبر .

اما المسألة الثانية فهى الحد الاعلى لنسبة الاجر الذى يدفع كحافز ، فقد اشار المهندس عبد المحسن الاعسر الى انه حدد بنسبة ٣٠٪ فى شركة الحرير الصناعى، استنادا الى انه من غير الطبيعى ان يؤدى المجهود المتزايد للعاملين الى زيادة فى الانتاج تتجاوز هذه النسبة . ونجد على العكس من ذلك انه فى تجربة شركة المقاولات المصرية تصل نسبة الاجر الحافز

المدفوع فى بعض الشهور الى اكثر من ١٠٠٪ من المرتب الاصلى .

وقد يكون السبب فى هذا الاختلاف اننا امام مفهومين متغايرين للاجور الحافزة ، احدهما ينظر الى الحافز كمكافأة عن الجهد الاضافى الذى يبذله العامل ويؤدى الى زيادة الانتاج، وفى هذا المفهوم هناك حدودا لهذا الجهد لايستطيع العامل ان يتجاوزها بحكم طبيعته ، فهو مهما جد فى العمل لايستطيع ان يزيد عن المتوسط العادى الا فى حدود الثلث ، والنظرة الاخرى لاترى فى الحافز مجرد مكافأة عن الجهد الاضافى وانما مكافأة عن رفع الانتاجية التى لاتأتى بسبب جهد اضافى فحسب، وانما قد تأتى فى المكان الاول نتيجة لاعادة تنظيم العمل وتوثيق التعاون بين العاملين . والغرض هنا كما فى المفهوم السابق ان تكنيك الانتاج لم يتغير ، ولكن يرى المفهوم الثانى ان زيادة الانتاج حصيلة لتعاون العاملين لان الانتاج لم يعد فرديا ، وان مجال الابتكار والتحسين وتوفير الوقت والجهد بالتعاون الجماعى واعادة التنظيم لرفع الانتاجية ، ولو فى ظل تكنيك ثابت هو مجال مفتوح بغير حدود .

ومهما يكن من امر الاختلاف بين كل من وجهتى النظر فان مايدفع من اجر حافز للعاملين يجب كقاعدة اقتصادية اولية ، الا يتجاوز الوفر فى تكلفة الانتاج الناشىء عن الزيادة فيه .

وفى العادة حتى اذا ترك الحافز مفتوحا بغير حدود فان نسبة الاجر الحافز التى تدفع تتوقف على المعدلات المحددة للاهداف من قبل . فاذا ارتفعت نسب الاجر الحافز المدفوع ارتفاعا كبيرا فقد يكون معنى ذلك ان المعدلات التى وضعت لاهداف الحافز كانت اقل من المتوسط السليم .

ويرتبط بنسب الاجر الحافز مسألة الاجر الحافز السلبى ، اى الخصم من الاجر اذا لم تتحقق المعدلات الموضوعة فى الخطة التقديرية ، وهى مسألة هامة فى الصناعة ، ولذا نجد ان المهندس سمير مطر قد اشار اليها فى تجربة شركة المطروقات كما اشار اليها كذلك المهندس عبد المحسن الاعسر فى تجربة شركة الحرير الصناعى، فالاصل ان الانتاج المرفوض يستبعد من حسابات الاجر الحافز . ولكن هذا فى الوحدات الصناعية لايكفى لان الانتاج المرفوض قد تكلف فعلا مادة خام وطاقة واستهلاك آلات واجور عمال ، ومن هنا فقد لايكفى مجرد استبعاد هذا الانتاج من الاجر الحافز ولانه يضر باقتصاديات الوحدة ويعطل تنفيذ الخطة يستدعى الامر احيانا ان توقع خصومات على هذا الانتاج المرفوض ، وعلى ذلك اذا زادت نسبة المرفوض عن حد معين مقبول طبقا لخبرة الصناعة قد يحسب الانتاج المرفوض بالناقص فيخصم اما من الاجر الحافز المستحق وقد يخصم احيانا من المرتب الاصلى .

وقد ذهب نظام العاملين بالقطاع العام رقم ٣٣٠٩ لسنة ١٩٦٦ الجديد الى حد اباحة النزول بالمرتب الاصلى الى اول مربوط الفئة الادنى من فئة العامل ، وذلك شهريا وطبقا لتقلبات الانتاج .

والجانب الخامس يتعلق بطريقة محاسبة العاملين عن المعدلات التى حققوها، ذلك انه قد تحقق مجموعة من العاملين الاهداف الموضوعة لها وتجاوزها، غير ان افراد هذه المجموعة قد يتفاوتون فى مساهمتهم فى تحقيق الهدف ، ومن هنا لزم رسم طريقة لتقييم اداء المجموعات والافراد .

ويتصل بهذا الجانب تحديد المواعيد التى تدفع فيها الاجور الحافزة ، وتتوقف هذه المواعيد على طبيعة الاهداف، فاذا كانت اهدافا غير متكررة كعمليات انشاءات او تركيبات يدفع الاجر عند انتهاء كل عملية اوكل مرحلة منها طبقا للبرنامج الزمنى المحدد لها . واذا كان النشاط موسميا فقد يدفع الحافز عند نهاية الموسم ، اما اذا كان النشاط دوريا فقد يدفع الاجر بالنسبة لبعض الاهداف شهريا وبالنسبة للبعض الاخر ربع سنويا او سنويا .. وفى كلمات اخرى يدفع الاجر الحافز فى الموعد الذى يمكن فيه تقييم اداء مجموعات العاملين طبقا للاهداف المحددة لكل مجموعة .

ولنطلق على هذا الجانب : « تقييم الاداء » .

وهنا ايضا سنقتصر على اثارة مسألتين : الاولى هى ان اختلاف اهداف الانتاج بالنسبة لكل مجموعة من العاملين تستتبع ان يتم التقييم لادائهم فى اوقات مختلفة . فاذا كان اثر الحافز بالنسبة للعمال التنفيذيين يتوقف على سرعة منحه لهم ، وجب ان يدفع لهم بمجرد انتهاء العمل المكلفين به ، ولهذا جرت العادة ان يدفع لهم فى فترات قريبة . غير ان الوضع يختلف بالنسبة للفئات الاشرافية لانهم يحاسبون عن اهداف اخرى غير الانتاج ، وقد يصعب لذلك ان يصرف لهم الاجر شهريا، ولو كان احد هذه الاهداف على سبيل المثال هو تنفيذ الخطة السنوية فقد يكون من الملائم ان يجنب جزء من الاجر لايصرف لهم شهريا انما فى نهاية العام ، بحيث يحاسبون على النتيجة النهائية لنشاط السنة، ولو تمت المحاسبة على غير هذا الاساس فقد يتقاضون اجرا حافزا عن شهر ثم يختل الانتاج فى شهور اخرى بحيث يضيع اثر الزيادة السابقة .

والمسألة الثانية هى ضرورة

التفرقة بين المجد وغير المجد من العاملين فيتقاضى الاجر الحافز، وتثور المسألة عندما لايكون الاجر الحافز فرديا ولكن جماعيا، فاذا حققت مجموعة من العاملين معدلات تزيد عن اهداف الحافز قد يكون من الضار ان يسوى بينهم فيما يستحقونه من اجر حافز. وكثيرا مايعترض العاملون انفسهم على هذه المساواة ، وتحل هذه المسألة احيانا كما اشار المهندس الاعسر بنص عام يعطى للادارة الحق فيحرمان العاملين من الاجر الحافز او جزء منه اذا اهملوا فى العمل او اذا لم يتعاونوا فيه . وقد توضع نظم — كما اشار المهندس المستكاوى — لتقييم العاملين دوريا مع دفع الاجر فيحصل الممتاز على ١٠٠٪ والجيد على ٧٥٪ والمتوسط على ٥٠٪ والضعيف على لا شيء ..

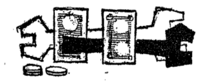
وبوجه عام نستطيع ان نقول ان مسألة تقييم الاداء من اهم المسائل التى تعرض للاجر الحافز فى التطبيق ، وان دقة التقييم تتوقف على حسن تخطيط العمل والتحديد الواضح للاهداف مسبقا ، لان تقييم الاداء فى جوهره ليس الا مقارنة بين الاهداف الموضوعة من قبل وبين نتائج النشاط الفعلى .

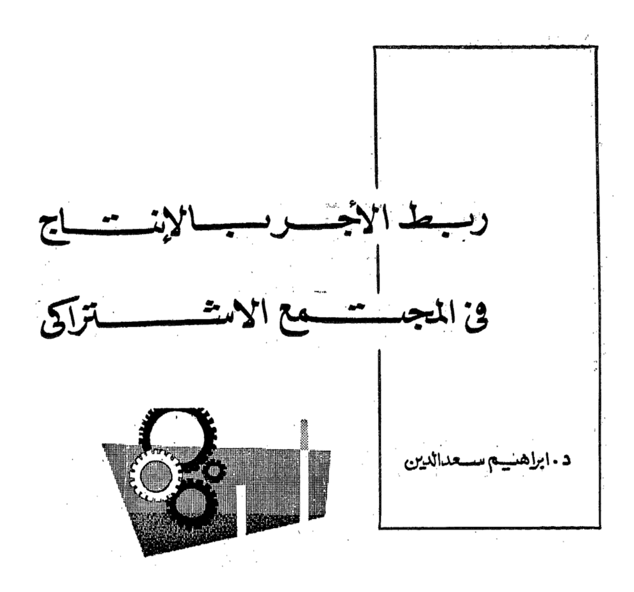
وتذهب بعض الوحدات الاقتصادية فى قياس الاداء لحد تصميم نماذج خاصة لكل مجموعة من العاملين تقوم بعمل متميز وتحدد فى هذه النماذج اهم العناصر التى تتم المحاسبة عليها ويقيم نشاط المجموعات يوميا او اسبوعيا او شهريا او عند انتهاء مهمتها حسب طبيعة عمل كل منها .

هذه فيما نعتقد اهم الجوانب التى تثور فى التطبيق عند تصميم نظام للاجر الحافز .. الا انه من ناحية اخرى فان التجربة تدل على ان ربط الاجر بالانتاج فى حد ذاته ومستقلا عن الظروف الاخرى فى الوحدة ، ليس ضمانا لزيادة الانتاج ، ذلك ان العامل ليس آلة اقتصادية بل هو انسان اولا واخيرا ، له بوصفه هذا مطالب مختلفة احدها ، وليس دائما اهمها ، هو الاجر ، والقول بغير ذلك ينكر المجهود الشاق والتضحيات الضخمة التي يبذلها الانسان لاغراض غير اقتصادية كالدفاع عن الوطن والتطوع للعمل السياسى والانشطة الاجتماعية والرياضية المختلفة ، ومن هنا كان للجو العام الذى يحيط بنشاط العاملين فى الوحدة الاقتصادية اثر حاسم لنجاح الاجر الحافز او فشله ، كما يشير بحق السيد عبد العزيز بخيت .

فكثيرا ما فشلت نظم الاجور الحافزة فى الوحدات الراسمالية لا لخطأ فى تكنيك الاجر الحافز وحساباته ، وانما لاقتناع العاملين بأن الوحدة الراسمالية تستغلهم ، وبالتالى مقاومتهم لمحاولة رفع انتاجيتهم ، ومن هنا كان اقتناع العاملين باهداف الاجر الحافز ، وحسن العلاقات بين الادارة والعاملين فى تطبيق وتطوير نظم الاجور الحافزة ، وشعورهم بعدالة هذا التطبيق ، هو الفيصل ، فى احيان كثيرة ، فى نجاح الاجر الحافز او فشله .

واخيرا فلقد آثار السيد عبد العزيز بخيت موضوعا هاما يتصل باطار الاجر الحافز وهو موضوع العلاوات ، ونستطيع ان نربط به ايضا موضوع الترقية بالاقدمية ، وكلاهما يتعارض مع جوهر نظام الاجر الحافز او ربط الاجر بالانتاج ، فاذا سلمنا ان الوحدات الاقتصادية يجب ان تسعى للربح والى خفض تكلفة الانتاج ، فان رفع هذه التكلفة دوريا بالعلاوات وبحركات الترقيات بالجملة ، لا لدواعى العمل وانما لمجرد مرور الزمن قد يرفع تكلفة العمالة فى الوحدة الى القدر الذى تصبح فيه غير اقتصادية وسببا فى الخسارة .. وهى مسألة جديرة بالمناقشة بلا شك .





ربط الأجر بالإنتاج في المجتمع الاشتراكي

د. ابراهيم سعد الدين

الربط بين مساهمة كل فرد من افراد المجتمع فى الانتاج وبين مايحصل عليه من دخل هو قاعدة اساسية من قواعد النظام الاشتراكى . فاذا كانت سيطرة الشعب وملكيته لادوات ووسائل الانتاج شرط اساسى لقيام الاشتراكية واعادة تنظيم الانتاج والتوزيع على اسس جديدة فان اتمام التحول الاشتراكى يعنى أن علاقات جديدة قد نشأت فى المجتمع علاقات تنبنى على انتفاء استغلال الانسان للانسان وانتهاء الفروق الطبقية وتذويبها ، علاقات تنبنى على مشاركة قوى الشعب فى الانتاج طبقا لقدرة كل من العاملين وعلى مشاركة كل فرد من المنتجين فى نصيب من الدخل القومى على اساس من مشاركته فى عملية الانتاج .

ان تحقيق هذا المبدا هو الضمان الوحيد لتحقيق الكفاية والعدل هدفا المجتمع الاشتراكى . فتحقيق الكفاية يتطلب بل ويشترط الربط بين المصلحة الشخصية لكل منتج وبين مصلحة المجتمع ككل . فاذا كانت مصلحة المجتمع هى فى زيادة الانتاج والدخل وتحقيق الكفاية الانتاجية فان مصلحة كل فرد من المنتجين هى فى زيادة دخله . ومن ثم فان الربط بين دخل المنتجين وانتاجهم هو وسيلة المجتمع الاشتراكى لتوفير الحوافز لمجموع العاملين تحقيقا لاهداف المجتمع . والمجتمع الاشتراكى بهذا الوصف هو مجتمع الحوافز لا لمجموعة من الراسماليين اصحاب المشروعات وحسب وانما لكافة المنتجين والقوى العاملة .

وتحقيق العدالة يعنى حصول العاملين على ناتج عملهم كاملا دون استغلال . فيوزع مجموع الدخل القومى على مجموع المنتجين بعد استقطاع

ماهو لازم لتنمية موارد المجتمع والوفاء بحاجاته من الخدمات والاستهلاك الجماعى . كما أن العدل يعنى الاجر المتساوى للعمل المتساوى والربط الوثيق بين كل زيادة فى دخل الفرد وبين مدى المساهمة التى يساهم بها فى زيادة الانتاج. كما تربط كل زيادة يساهم بها فى الانتاج بزيادة مقابلة فى دخله وان لم تكن بالضرورة مساوية . ويتم هذا خلال الربط الوثيق بين الاجر والانتاج.

واذا كانت هذه القاعدة الهامة هى ركن اساسى من أركان النظام الاشتراكى فان وضعها موضع التنفيذ العملى يقابله كثير من الصعوبات النظرية والعملية وخاصة فى مرحلة الانتقال .

ولعل أهم الصعوبات النظرية والعملية فى هذا الشأن هى ما تختص بكيفية قياس مساهمة كل من العاملين فى الانتاج الاجتماعى وهى المساهمة التى يتحدد على اساسها ما يستحقه من دخل ، كذلك تثور صعوبات اخرى تختص بالعمل فى ظروف غير متساوية وكيف تعكس هذه الظروف نفسها فى شكل اختلاف فى الاجور . ومدى الارتباط بين الاختلاف فى تكاليف المعيشة فى المناطق المختلفة والاجر وغير ذلك من القضايا الاساسية.

واذا كانت هذه القضايا وغيرها تثور عند وضع هذا المبدأ موضع التنفيذ فى كافة المجتمعات الاشتراكية فهناك عدد آخر من المشاكل التى تجابه المجتمعات الاشتراكية فى مرحلة التحول فالمجتمع الاشتراكى يرث من المجتمع الرأسمالى تركيبا اقتصاديا واجتماعيا معينا يعكس طبيعة العلاقات الرأسمالية ومدى نمو الانتاج وتطوره فى المجتمع الرأسمالى . فالاجور فى المجتمع الرأسمالى لاتعكس بالضرورة مساهمة العاملين فى الانتاج بل تعكس العلاقة القائمة على الاستغلال والتى تسود هذا المجتمع . فالرأسمالى يحاول باستمرار الحصول على أكبر فرق بين مايحصل عليه العامل من اجر وبين القيمة التى يضيفها الى الموارد المادية فى اثناء عملية الانتاج . وهو يحاول زيادة هذا الفائض اما خلال الضغط على الاجور وعدم السماح برفعها او العمل على تخفيضها أو خلال الضغط على العاملين لزيادة جهدهم الجسمانى او العضلى فى خلال فترة معينة وتكثيف العمل او خلال زيادة وقت العمل نفسه اوغير ذلك من الوسائل وتختلف درجات نجاح الرأسماليين فى تحقيق هذه الضغوط باختلاف الظروف التى يعمل فيها المشروع حيث يواجه الرأسماليون فئات عاملة على درجات مختلفة ومتفاوتة من الوعى والتنظيم وظروف مختلفة من الوفرة أو الندرة لبعض أنواع العمل أو التخصصات فى سوق عمل معينة . وتعكس هذه الاختلافات نفسها فى اختلاف الاجور بين مشروع وآخر حتى بالنسبة للعمل الواحد واختلاف الميزات العينية التى أمكن للعاملين الحصول عليها فى هذا المشروع أو ذاك وغياب وجود قواعد عامة تحكم ترقى وتقدم العاملين داخل المشروع أو تباين هذه القواعد بين مشروع وآخر . ووجود قواعد مختلفة من الحوافز الايجابية أو السلبية يطبقها الرأسماليون فى هذا المشروع أو ذاك كأداة لممارسة الضغط على القوى العاملة لبذل غاية جهدها لتحقيق اقصى فائض للرأسمالى .

والاجور فى المجتمع الرأسمالى الى جانب ذلك كله تعكس الاوضاع الاجتماعية والطبقية السائدة. فالتعليم والعمل الذهنى قاصر على فئات اجتماعية معينة داخل المجتمع . والفرق بين الأجور فى الاعمال اليدوية والتى تحتاج الى جهد جسمانى واجور الاعمال الذهنية لايعكس مجرد الاختلاف فى مشاركة كل من أنواع العمل المختلفة فى الانتاج بل يعكس الى جانب ذلك الفروق الاجتماعية التى تسود المجتمع الرأسمالى .

ان تأميم ادوات الانتاج وتحقيق الملكية العامة . يثير ضغط العاملين المباشر من أجل تصحيح هذه الاوضاع وتطبيق قاعدة الاجر المتساوى للعمل المتساوى تحقيقا كاملا . وتحقيق ميزات عينية موحدة لكافة العاملين ووضع سياسة للاجور تتميز بالربط الصحيح بين المشاركة فى الانتاج وبين الدخل . وفى غمار هذا الاندفاع للقضاء على الظلم الاجتماعى ومظاهر الاستغلال وعدم المساواة قد تنشأ كثير من المشاكل والصعوبات وتنشأ فى نفس الوقت أنواع من الاتجاهات الخاطئة والتى تبرز كرد فعل لما كان سائدا فى المجتمع من ظروف . ورغم أن بعض هذه الاتجاهات قد يتفق مع مصالح العاملين أنفسهم وقد تعوق تحقيق المجتمع الاشتراكى مجتمع الكفاية والعدل فانها تجد من يتبناها من فئات العاملين المختلفة ويدافع عنها باعتبارها التطبيق الصحيح للعدالة الاشتراكية .

وقد برزت مثل هذه الاتجاهات فعلا فى بعض التشريعات واللوائح الخاصة بالاجور فى مجتمعنا بعد التطبيق الاشتراكى . وأدت بعض هذه الاتجاهات الى آثار معاكسة بالنسبة للانتاج

وتحقيق التنمية مما تطلب اعادة النظر فيها ووضع قواعد جديدة تسمح بتطبيق المبدأ الاشتراكى الاساسى مبدأ ربط الاجر بالانتاج .

وسنحاول فى هذه الدراسة الاشارة الى بعض الصعوبات التى واجهت وضع هذا المبدأ موضع التنفيذ وبعض الاتجاهات التى سادت فى التطبيق واثر هذه الاتجاهات على تحقيق اهداف المجتمع فى التنمية وتحقيق العدالة الاشتراكية .

التقييم وتحديد الاجور على أساس من المشاركة فى الانتاج

يقوم المجتمع الصناعى الحديث على التخصص وتقسيم العمل . ويؤدى التقدم الصناعى عادة الى خلق انواع جديدة من الاعمال ودرجات ادق من التخصص . أن أى وحدة انتاجية تستخدم العمل البشرى من أجل خلق قيم جديدة . ولكن العمل البشرى الذى تستخدمه ليس عملا انسانيا مجرد ، بل هى تستخدم عملا بشريا محددا يتميز بدرجات متفاوتة من التخصص والمهارة والمعرفة والخبرة والقدرة على تحمل المسئولية . وهى تستخدم هذا العمل الانسانى فى ظروف تختلف فى مدى قسوتها أو ملاءمتها للعمل الانسانى وتزداد درجة التخصص من الاختلاف فى انواع العمل الانسانى المستخدم بازدياد التقدم الصناعى .

وتشارك فئات العاملين المختلفة داخل الوحدة الانتاجية فى خلق القيم الجديدة . ولايمكن تصور أن يتم الانتاج الحديث دون التعاون الوثيق بين أنواع العمل المختلفة والتنسيق بينها سواء فى ذلك العمل المباشر فى الانتاج أوفى الادارة أو فى تأدية الخدمات اللازمة للانتاج ولاستمراره دون تعطل أو توقف . واذا كان من المستطاع أن نحدد مايضيفه العمل البشرى الى الموارد المادية فى عملية الانتاج من قيم وهو ما نعبر عنه احيانا بالقيمة المضافة . فان تحديد مدى مشاركة كل من أنواع العمل المختلفة فى تحقيق هذه النتيجة تكتنفه صعوبات كثيرة ، رغم أن هذا التحديد هو الاساس اللازم والضرورى لتطبيق القاعدة الاساسية السابق الاشارة اليها لكل حسب عمله أو حسب مشاركته فى تحقيق الانتاج والدخل .

وللتغلب على هذه الصعوبة يلجأ علم الادارة الحديث الى مايعرف بتوصيف وتحليل وتقييم الاعمال . ويتضمن توصيف وتحليل الاعمال تحديد المهام والمسئوليات التى يتطلبها اداء عمل معين أو مهمة معينة ووصف للظروف التى يتم فيها العمل . وتحديد للمهارات الاساسية التى يتطلبها اداء هذه المهام والمسئوليات والصفات الجثمانية أو العضلية التى يجب أن تتوفر فيمن يؤديها ونوع التعليم والتدريب الضرورى لاكتساب هذه المهارات والخبرات التى يجب أن تكتسب ليصبح العامل المنتج قادرا على أداء مهام عمله أو وظيفته ومدى المسئولية التى تلقى على كاهله سواء بالنسبة لعمله أو لعمل الاخرين الذين قد يعملون معه .

أما التقييم فهو خطوة تالية للتوصيف والتحليل فهو يتضمن تحديد قيمة نسبية لكل من العناصر المختلفة التى تضمنها التوصيف والتحليل ومن ثم تحديد مجموع القيم التى يمكن أن تحصل عليها كل وظيفة أو مهمة توطئة لتحديد فئة الاجر التى يمكن أن يحصل عليها القائمون بها . ولتوضيح هذه الناحية ولاهميتها نضرب مثلا لما تعنيه : فاذا تصورنا مثلا أن مجموع النقط التى يمكن أن تحصل عليها أعلى الوظائف أو المهام هو ١٠٠٠ درجة . وان التحليل يتضمن بيان العناصر التالية باعتبارها اهم العناصر فى التقييم . وهى : التعليم — الخبرة — المسئولية — القدرة العضلية — القدرة الذهنية . فان عملية التقييم تتضمن فى هذه الحالة تحديد للقيم النسبية لكل عنصر من العناصر السابقة . فمثلا يحدد ماهى عدد الدرجات من ١٠٠٠ التى تخصص للتعليم وهكذا بالنسبة لباقى العناصر الاخرى بحيث يكون المجموع النهائى للدرجات المخصصة لكل العناصر هو ١٠٠٠ درجة . وكما نحدد قيما نسبية لكل عنصر نحدد كذلك قيما نسبية للدرجات المختلفة داخل كل عنصر . فاذا اخذنا التعليم كمثال وتصورنا أن عدد الدرجات المخصصة لهذا العنصر هو ٥٠٠ درجة مثلا فان استكمال عملية التقييم يتطلب تحديد الدرجات التى يحصل عليها من لايستطيعون القراءة والكتابة ، ومن يستطيعونها والحاصلون على الاعدادية والثانوية العامة ومايعادلهما والدرجة الاولى فى التعليم الجامعى ودرجة الاستاذية والدكتوراة وهكذا بحيث تغطى الدرجة النهائية لاعلى درجات التعليم .

ويبدو من هذا التوضيح أن تحديد الدرجات المختلفة التى تخصص لكل عنصر من عناصر التقييم والقيمة النسبية لكل درجة من درجاته تؤثر تأثيرا كبيرا فى التقييم النهائى للاعمال المختلفة ، فلو تصورنامثلا كمافى مثالنا السابق ان الدرجات المخصصة للتعليم هى ٥٠٠ درجة فان هذا كفيل بايجاد فروق كبيرة فى الاجر على اساس من نوع التعليم أو الشهادة ــ المطلوبة لاداء الوظيفة ــ فروق أكبر من تلك التى تسود مثلا اذا ما قدرت مجموع الدرجات المخصصة لـ ٢٠٠ درجة مثلا . وهنا يثور السؤال عن الكيفية التى تحدد بها هذه الدرجات النسبية . والاجابة هى اننا نعكس النظرة الاجتماعية لهؤلاء الذين يتولون عملية التقييم أو المسئولين عن اتمامها .

وقد ورث مجتمعنا أوضاعا تتميز بانتشار العديد من الاحداث الانتاجية المتفاوتة فى الحجم وفى الانظمة وفى الاجور وفى الميزات العينية التى يتمتع بها العاملون . وارتفعت مطالب المنتجين من اللحظة الاولى بضرورة تحقيق الاجر المتساوى للعمل المتساوى والقضاء على الفروق بين المشتغلين فى القطاع العام . وما أن انتهت العمليات الاولى لتنظيم القطاع العام حتى صدرت اللائحة الاساسية للعاملين فى شركات ومؤسسات القطاع العام بتنظيم محاولة للقضاء على الفروق غير الطبيعية بين العاملين ومحددة لفئاتها وحدودها الدنيا والعليا وطالبت اللائحة وحدات القطاع العام أن يضع كل نظامه الخاص فى حدود هذه اللائحة العامة وان يتم ذلك خلال مدة محددة ــ ستة شهور ــ على أساس من توصيف وتحليل وتقييم الاعمال فى كل مشروع .

لقد كان قصر المدة المحددة للتوصيف والتقييم بالاضافة الى الظروف الموضوعية السائدة آنذاك سببا فى بروز عدد من الاخطاء فى تنفيذ هذه العملية الهامة وانعكاس آثارها بعد ذلك على امكان تطبيق المبدأ الاشتراكى الخاص بتحديد الاجور طبقا لمشاركة المنتجين فى عملية الانتاج .

فعملية التوصيف والتقييم تفترض أولا تحديد دقيق للاعمال فى كل مشروع وتنظيم واضح للعمل فيه وتحديد لمسئولية ومهام كل وظيفة تحديدا واضحا ومصر الرأسمالية كانت تتصف بسيادة اساليب بدائية فى الانتاج والادارة تتميز بسيطرة المدير الفرد أو صاحب المشروع ذو السلطة المطلقة والذى يغير ويحدد الاختصاصات طبقا لما يراه ويحاول الحصول على أقصى فائض خلال استخدام أساليب الضغط المباشر . وقد كان من الصعب على كثير من الادارات الجديدة والتى لم تكن قد اكتسبت بعد خبرة كافية بالاعمال التى تشرف عليها لاول مرة أن تضع تنظيما جديدا للاعمال على أساس سليم . وفى ظروف الضغط من أجل الانتهاء من التوصيف والتقييم لجأت الكثير من ادارات الشركات الى عدد من محترفى التوصيف والتقييم الذين امتلأت بهم السوق المصرية فجأة واستغلت الفرصة للحصول على أقصى ربح او اجر لهذه الفئات بدلا من الدراسة الحقيقية والمتأنية للتنظيم السليم السليم للمشروع وللاعمال الحقيقية التى يتطلبها .

ومن ناحية أخرى فقد وجدت العديد من العناصر الادارية فى التقييم فرصة مناسبة لانشاء عديد من الدرجات الجديدة واشغال الادارة بوظائف متعددة تتيح لاكبر عدد من الجهاز المشرف على الادارة الترقية وتحقيق أقصى منفعة شخصية .

ومن ناحية اخرى فقد تميز التقييم بأنه قد تم فى غياب ممثلين للعاملين فى المشروع وترتب على ذلك أن جاء التقييم فى كثير من الاحوال عاكسا للنظرة الاجتماعية للعناصر الادارية المشرفة متيحا لهذه الفئات أوسع الفرص للترقى وارتفاع الاجر مع الابقاء على الفوارق الطبقية التى توارثها المجتمع دون محاولة جدية لازالتها .

وفى مواجهة هذا السيل من التقييمات المتسرعة التى تتصف اساسا بمحاولات تضخيم الجهاز الادارى حاولت المؤسسات العامة المسئولة وضع بعض القواعد التى تسمح بالتوحيد بين المشروعات المتشابهة داخل كل مؤسسة ثم حاول بعض الوزراء التوحيد بين القواعد الموضوعة للتقييم بين المؤسسات التابعة لها . واخيرا حاول مجلس الوزراء صاحب المسئولية النهائية فى اقرار قواعد التقييم ، التوحيد بين الاسس التى تم بها التقييم فى القطاعات الانتاجية وقطاعات الخدمات المختلفة . واذا كانت هذه المحاولات قد نجحت فى النهاية فى الحد من الاندفاع فى طريق زيادة عبء الوظائف الادارية والاشرافية فان ذلك قد تم فى بعض الاحيان بالعودة الى بعض القواعد العامة التى تنفى الحكمة من التوصيف والتقييم باعتبارها اداة لتحديد الاجر على أساس من المشاركة فى الانتاج والتى تقلل فى نفس الوقت من اهمية العمل على اكتساب خبرات ومهارات جديدة بالنسبة للعاملين . فعلى هذا المستوى العالى من مستوى المسئولية لم يكن مجلس الوزراء أو اجهزته يملك الا اللجوء لبعض القواعد العامة لقياس الخبرة مثلا . وأهم هذه القواعد هى

المؤهل الدراسي والمدة . ومن هنا جاءت قواعد التقييم الى اعتبار أن المهارة تكتسب خلال مضى وقت معين فى العمل بعد الحصول على مؤهل دراسى محدد ، دون النظر الى حقيقة الخبرة التى اكتسبت فعلا .

ان تحقيق ربط صحيح بين الاجر والانتاج فى مجتمعنا يتطلب دراسة واعية ومتأنية للعمل فى كل وحدة من وحدات القطاع العام ، وحصر للاعمال ومسئولياتها بتمدون تعجل وعلى اساس علمى . كما تتطلب مشاركة العاملين وممثليهم فى مناقشة السياسة الاجرية وتحديد العناصر المختلفة محل التقييم والقيم النسبية لهذه العناصر .

العلاوات الدورية والربط بين زيادة الانتاج وزيادة الدخل

الى جانب التفرقة الواضحة بين العمل الذهنى والعمل العضلى فى مصر الرأسمالية اتصف مجتمعنا القديم كذلك بوجود نظرة متميزة للعاملين فى القطاع الحكومى . فوجود الجهاز الحكومى كسلطة تفرض سلطاتها على الشعب ولا تستمد سلطانها منه . تطلب تفرد موظفى الحكومة بمميزات خاصة لهم دون سائر الفئات .

ومن المميزات الاساسية التى تمتع بها الموظف الحكومى فى مصر منذ وقت طويل الحق فى العلاوة الدورية كل مدة دورية معينة مادام مرتبه لم يزل فى حدود الدرجة المالية التى يشغلها . ويحصل الموظف على هذه العلاوة مادام يؤدى الحد الأدنى من العمل الذى لايؤدى الى منعه من الحصول على هذه العلاوة .

وعلى العكس من نظام العلاوات الدورية التى تمتع بها الموظفون الحكوميون . فقد كانت فرص العامل او الموظف فى القطاع الخاص فى الترقى أو زيادة الاجر تتوقف على تقييم الادارة أو صاحب المشروع . وتميل الادارة عادة الى مكافأة العناصر التى تمكنها من الحصول على اقصى الارباح وذلك عن طريق الضغط المستمر على العاملين من اجل بذل أقصى جهد ممكن . كما تلجأ الادارة الرأسمالية الى رشوة بعض القيادات العمالية عن طريق رفع أجورهم . وقد ادت هذه الظواهر الى وجود خلافات عديدة بين الاجور لذوى الخبرة والمؤهل الواحد فى العديد من المشروعات .

وقد اتجهت حركة الطبقة العاملة فى مصر فى مواجهة هذه الانواع المختلفة من التمييز الى الضغط من أجل حصول العمال فى القطاعات الرأسمالية على معاملة مشابهة لتلك التى يعامل بها موظفو أو عمال الحكومة . واصبحت اشكال معينة من هذه الميزات كالعلاوة الدورية والترقية بالاقدمية والاجازات الطويلة المدفوعة الاجر، والحق فى الاجازة المرضية والعرضية وغير ذلك هدفا تسعى مجاميع العمال الى تحقيقه

وقد نال العاملون كل أو اغلب هذه الحقوق بصدور اللائحة العامة للعاملين بالقطاع العام . وكان ذلك تعبيرا عن الاتجاه لتذويب الفروق بين الطبقات والاتجاه للقضاء على التفرقة بين العمل العضلى والعمل الذهنى . الا ان بعض من هذه الحقوق كان له آثار عكسية على الانتاج والتنمية كما انه لايتفق والقاعدة الرئيسية التى يجب ان تتوفر فى نظام الاجور فى المجتمع الاشتراكى وهى قاعدة الربط بين زيادة الانتاج وزيادة الدخل . ونشير هنا بوجه خاص الى قاعدة العلاوات الدورية . ان العلاوة الدورية تعنى زيادة نقدية فى أجر العامل ، سواء ارتبطت هذه الزيادة بتحقيق زيادة فعلية فى الانتاج أولم ترتبط ، واذا كان من الممكن تبرير الزيادة الدورية فى اجور العاملين فى الحكومة على اساس من عدم امكانية القياس الفعلى لانتاج العاملين فى هذا القطاع وافتراض ان استمرار العاملين فى نفس العمل لمدة معينة يكسبهم خبرة لابد وان تنعكس نفسها فى انتاجهم وان العلاوة الدورية تعتبر على هذا الاساس مقابل زيادة الخبرة التى يكتسبها العاملون فى مثل هذا القطاع فان الظروف تختلف بالنسبة للعاملين فى قطاعات الانتاج . فهناك امكانية فعلية لقياس انتاج العاملين وانتاج الوحدة الانتاجية بشكل عام . ومن هنا فان الربط بين زيادة الانتاج وزيادة الدخل لاتتم خلال نظام العلاوات الدورية وانما تتم على اساس من قياس حقيقى لمشاركة العاملين المختلفين فى زيادة الانتاج بصفة فعلية .

وتؤدى العلاوة الدورية فى القطاع العام الى زيادة فى التكاليف مالم يصاحبها ارتفاع مقابل فى الانتاج . ولهذا فقد احتاط المشرع منذ البداية فجاءت اللائحة لتقرير حق العاملين فى الحصول

على هذه العلاوة بشرط قدرة الشركة على منحها وذلك فى ضوء مركزها المالى . على ان ذلك الشرط لم يمنع الاتجاه الى منح هذه العلاوة مادامت القدرة على دفعها قائمة ودون ان تربط ربطا حقيقيا بتحقيق اهداف معينة . ولذلك كان من الضرورى تعديل هذا النص بحيث يربط مبدأ منح العلاوة لا بالمركز المالى للشركة وحسب بل بمدى تحقيقها للاهداف . وان يشترط اعتماد قرار مجلس ادارة الوحدة الاقتصادية المقترن للعلاوة من مجلس ادارة المؤسسة واعتماد قرار مجلس ادارة المؤسسة من الوزير المختص . كما ميزت اللائحة الاخيرة للعاملين بين نسبة العلاوة التى يمكن ان يحصل عليها الحاصلون على تقدير ممتاز او جيد وبين العلاوة التى يحصل عليها العامل المتوسط والتى نص على أن تكون نصف نسبة العاملين الحاصلين على التقدير الاعلى .

ورغم أن مبدأ العلاوة الدورية قد قيد بهذا التعديل تقييدا شديدا . فان النظام الاساسى الذى تحدده لائحة العاملين للاجور هو نظام الاجر على اساس من الوقت مع السماح بزيادة عامة فى الاجور اذا تبين ان الوحدة الاقتصادية قد نجحت فى تحقيق الاهداف المحددة لها . وقد اقرت اللائحة فى نفس الوقت مبدأ وجود نظام للحوافز الفردية والجماعية على اساس من معدلات قياسية عادلة للانتاج ومستوى الاداء . كما أتاحت للادارة حق منح العلاوات الاستثنائية والمكافآت التشجيعية . الا أن الصورة الغالبة للنظام الاجرى فى مصر لم تزل كما اشرنا سابقا هى تحديد الاجر طبقا للوقت رغم ان النظام لايتيح الحوافز الكافية للعاملين من اجل العمل على زيادة الانتاج . ولا يربط ربطا مباشرا بين مشاركة كل فرد من المنتجين وبين الزيادة فى دخله . فقد يحرم بعض العاملون من زيادة محتملة فى دخولهم كنتيجة لتقاعس آخرين ادى فى النهاية الى عدم تحقيق الوحدة لاهدافها ، أو قد يحدث العكس فيحصل البعض على زيادة فى الدخل رغم عدم بذل ماهو لازم من جهد لزيادة الانتاج .

واذا كان هناك مايبرر وجود نظام للاجر على أساس الوقت والعلاوة الدورية فى بعض الوظائف الادارية والاشرافية التى يصعب قياس الاداء فيها فان الامر يختلف فى مجال الانتاج . فامكانية قياس الاداء تمكن من الاعتماد على نظم اخرى للاجور تربط ربطا مباشرا بين الجهد الفردى لكل منتج او جماعة محددة من المنتجين وبين مايمكنه او يمكنهم الحصول عليه من زيادة فى الدخل .. وهو ماسنتناوله فيما يلى :

الحوافز والربط بين زيادة الدخل وزيادة الانتاج

المجتمع الاشتراكى كما سبق الاشارة هو مجتمع الحوافز . لانه يحرر العاملين من الاستغلال الراسمالى ويطلق طاقاتهم من اجل زيادة الانتاج ويتيح اجرا متساويا للعمل المتساوى ويربط بين مشاركة العامل فى الانتاج وبين مشاركته فى الدخل وبين عمله من اجل زيادة الانتاج وبين حصوله على دخل اكبر . ان اطلاق حريات وطاقات العمل تفتح المجال لمشاركته باشكال مختلفة فى زيادة الانتاج . فزيادة الانتاج لاتتم فى هذه الحال بمجرد زيادة الجهد او تكثيف العمل كما يحدث عادة فى النظام الراسمالى . بل يستطيع العامل أن يزيد الانتاج خلال اعادة تنظيم العملية الانتاجية أو خلال توفير بعض الحركات او خلال اقتراح باستبدال بعض المواد بمواد اخرى بديلة او غير ذلك من الوسائل . على ان تحقيق هذا الاندفاع للعامل من اجل المشاركة الفعلية فى تطوير الانتاج يتم خلال الربط بين مصلحته الشخصية وبين صالح المجتمع .

وتكافأ الاعمال الممتازة للعاملين عن طريق مكافآت تشجيعية خاصة . وقد نصت لائحة العاملين لذلك على جواز منح مكافآت تشجيعية للعامل الذى يقدم خدمات ممتازة او اعمالا أو ابحاثا او اقتراحات جدية تساعد على زيادة الانتاج او خفض تكاليفه او تحسينه او ابتكار انواع جديدة او زيادة التصدير . واطلقت حدود المكافأة وسهلت اجراءات منحها . كما اتاحت اللائحة كذلك منح العامل الذى بذل جهدا خاصا يحقق ربحا أو اقتصادا فى النفقات أو زيادة فى الانتاج علاوة استثنائية .

واذا كانت هذه الاشكال من المكافأة أو العلاوة تتيح الفرصة لمن يقومون باعمال ممتازة من العاملين للحصول على زيادة فى دخولهم مقابل

مايقدمونه للمجتمع من خدمات . فان مثل هـذا النوع من المكافأة لايكفى وحده لحث الجمهرة الكبرى من العاملين والذين قد لايستطيعون التقدم بمثل هذه الاقتراحات على الحرص على زيادة الانتاج وتحسين نوعه . وانما يتم ذلك خلال نظام يتيح للعامل الحصول على زيادة ولو بسيطة فى الاجر مقابل زيادة ولو بسيطة فى الانتـاج ويتم ذلك خلال النظام الاساسى للاجور نفسه لا خلال المكافآت أو العلاوات الاستثنائية .

وقد أتاحت لائحة العاملين بالشركات التابعة للمؤسسات العامة الصادرة بالقرار رقم ٣٥٤٦ لسنة ١٩٦٢ امكانيـة اقامة نظم للاجور تحقق الهدف السابق الاشارة اليه فاجازت لمجلس ادارة الشركة وضع نظام للعمل بالقطعة أو بالانتاج أو بالعمولة على أساس حصول العامل على الحد الادنى للاجر المقرر لفئة عمله بالاضافة الى اجر محدد عن كل انتاج يزيد على المعدل الذى تقرره الشركة فى المهن المختلفة . على ان هذا النص قد بقى معطلا فى اغلب الاحوال . فالروح العامة للائحة نفسها تجعل هذا النوع جوازيا فقط وفى حالات استثنائية . والاتجاه العام الذى ساد كل من العاملين والادارة فى الفترة التالية أدى الى تفضيل استخدام القواعد العامة التى جاءت بها اللائحة عن استخدام هذا النص الجوازى ، فحيث ساد الاتجاه الى منح العلاوة الدورية السنوية كان من الطبيعى أن يضغط العـاملون من اجل التمتع بنظام يتيح زيادة سنوية فى الاجر بدلا من نظام يربط بين زيادة الاجر وزيادة الانتاج طبقـا لمعدلات محددة . خاصة وأن التجربة العملية قد أثبتت فى بعض الاحوال أن الفئات المحدودة من العاملين والتى تعمل على اساس من اجر القطعة أو الانتاج لم تتمكن من زيادة اجرها السنوى بين سنة وأخرى وعلى العكس من ذلك فان العاملين بالاجر على أساس الوقت كانوا يتمتعون فعـلا بزيادة دورية فى الاجور دون ما ارتباط بالعمل من أجل زيادة الانتـاج . أما بالنسبة للادارة التى وضعت تحت ضغط الانتهاء من عمليات التقييم فى أقصر فترة ممكنة والتى واجهت لاول مرة فى كثير من الاحيان مشاكل ادارة صـناعات جديدة لم تمارس ادارتها من قبل فانها أيضا قد وقعت تحت اغراء استخدام القواعد العـامة للائحة

وقليل فقط من الحالات هى التى حاولت الاستفادة من هذا النص الجوازى .

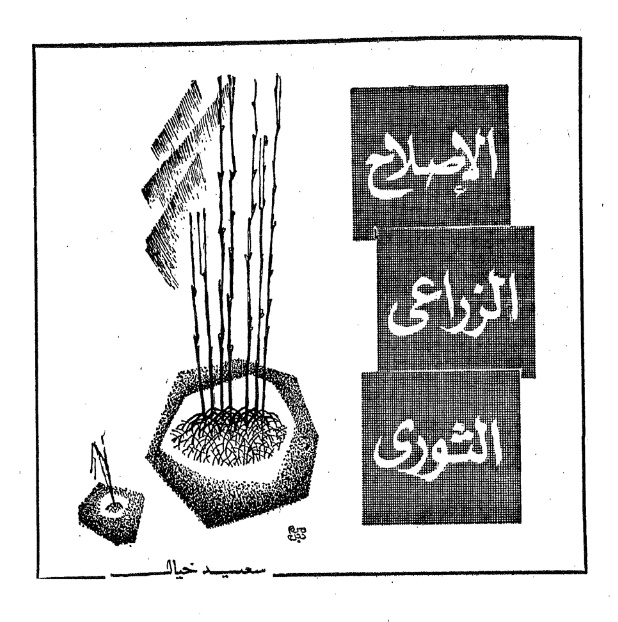
وقد كان لهذه الحقائق أثرها المعاكس بالنسبة للانتاج والتنمية وتحقيق زيادة فى الكفاية الانتاجية وخفض تكاليف الانتاج وتحسين فى نوعية المنتجات . لذلك حرص المشرع عند تعديل اللائحة بالقرار الجمهورى رقم ٣٣٠٩ لسنة ١٩٦٦ بشأن نظام العاملين بالقطاع العام على أن يفرد بابا خاصا للحوافز وربط الاجور والانتاج وأن يستهل هذا الباب بالمـادة ٢٩ والتى تنص على أن « يضع مجلس الادارة نظاما للحوافز بما يحقق حسن استخدامها على أساس المعـدلات القياسـية العادلة للانتاج ومستوى الاداء » .

كما يجب تنمية احساس العاملين بالمشاركة الواضحة المنظمـة للوصـول بهم الى المستوى المطلوب .

وعلى عكس النص السابق فان المادة المشار اليها تجعل وضع نظام للحوافز مسألة وجوبية بالنسبة لكافة مجالس الادارة وذلك على أساس وضع معدلات قياسية عادلة للانتاج ومستوى الاداء .

ان وضع هذا النص موضع التطبيق العملى يتطلب التغلب على صعوبات كبيرة لتحديد ماهية المعدلات القياسية العادلة للانتاج فى كل عمليـة من عمليات الانتاج فى كل صناعة من الصناعات المتعددة وفى ظروف العمل المختلفة والمتباينـة . وكذلك لتحديد العلاقة بين أداء العـاملين وبين زيادة دخـولهم . حيث يتطلب وضـع مثل هذا النظام تحديد ماهية الزيادة فى الدخل التى ترتبط بكل تحسين معين فى الاداء . وكما يشير النص فان بلوغ مستوى أعلى للاداء لايتم الا خـلال مشاركة العاملين المنظمة واثارة حماسهم وتدريبهم من أجل الوصول الى المستوى المطلوب .

ان التغلب على هذه الصعوبات هى التحدى الحقيقى الذى يواجـه الادارة الاشتراكية وهو واجب أساسى من واجباتها ، وماتعرضه الطليعة فى هـذا العـدد من تجـارب يشير الى بعض المحاولات التى تبذلها ادارة القطاع العام لتحقيق الربط بين زيادة الانتـاج وزيادة الدخل ومن ثم لتحقيق الكفاية فى المجتمع الاشـتراكى وتحقيق العدل فى نفس الوقت .■



الزراعة هى اعظم انتصار حققه الانسان فى نضاله الطويل ضد الطبيعة . ولا تقاس عظمة هذا الانتصار بقدر الجهد المبذول فيه ، وانما بأثره الهائل فى حياة الانسان . فالزراعة هى التى وفرت للانسان الاطمئنان على ضرورات الحياة من مأكل وملبس .

وهى التى خلقت الضرورة الدافعة وكذلك القدرة على استئناس الحيوان وتدجين الطيور ، وعلى ملاحظة الظواهر الطبيعية واستخلاص قوانينها منذ البداية ولاول مرة أنشغل الانسان بالعلم وقام المجتمع البشرى على اسس تتيح له التقدم والرقى ومن اهمها نظام تقسيم العمل ونظام الدولة .

كانت الارض منذ الازل ، منذ ملايين السنين ، لكل الناس . فلم تكن لها قيمة خاصة ولم تدخل فى المعاملات . وبعد الزراعة أصبحت الارض هى عماد الانتاج الاجتماعى واساسه وتقاتل الناس عليها وتمكن الاقوياء من حبسها على منفعتهم الخاصة واستعباد الاخرين للعمل فيها ، وبذلك دخلت الارض نطاق الملكية الخاصة .

ثم مضى المجتمع فى طريق تطوره الطبيعى عبر آلاف السنين . وساد النظام الراسمالى على انقاض النظام الاقطاعى . وكان قفزة هائلة للامام . لكن النظام الراسمالى تحول نتيجة التناقضات الملازمة لطبيعته والتى زادت حدتها مع التطور ، تحول الى معوق للتقدم حيث عجز عن تحقيق العدالة والحرية والمساواة والسلام . وظهرت الاشتراكية سلاحا يرسم للعمال والفلاحين وسائر المستغلين طريق الخلاص من النظام الراسمالى ويعلم الشعوب بناء المجتمع الجديد النظيف من استغلال الانسان للانسان .

ومن هنا ، من وسط التفكير الاشتراكي العلمي ، انبثق شعار الاصلاح الزراعي كتعبير ثوري عن الآمال المشروعة لجماهير الفلاحين الكادحين وكحل لازمة الانتاج الزراعي .

اصلاح على الطريقة الامريكية

واذا كان الاصلاح الزراعي شعارا يرتبط باعادة بالمفاهيم الثورية الا انه لم يكن كذلك في جميع الحالات . ان الرجعية عند اللزوم تسرق شعارات الاشتراكية وترفعها بأعلى صوت . وعند الضرورة تضعها موضع التنفيذ ، ولكن بعد افراغها من أى مضمون ثورى .

ومنذ سنوات أدركت الولايات المتحدة الامريكية ان الاشتراكية اصبحت عامل جذب قوى للطبقات الفقيرة . وانه اصبح من الصعب على الرجعية التقليدية أن تسيطر بالوسائل القديمة على الطبقات المحرومة ، وبخاصة في البلاد المتخلفة . فنصحت اصدقاءها في تلك البلاد بتنفيذ سياسة اصلاح زراعى يكسبهم مظهرا عصريا . وفي الوقت ذاته يؤدى الى توسيع السوق في البلاد التابعة امام الاستثمارات والمنتجات الاجنبية ، والى توسيع قاعدة الحكم الرجعي ، بتكبير التجار والزراع وسائر فئات الطبقة الوسطى .

حدثت تجربة من هذا النوع في ايران فقد اسرع الشاه لتنفيذ نصيحة الاستعمار الامريكي مدفوعا في ذلك بالخوف من تأثير الثورة المصرية حيث كانت اشعاعات يوليو العظيمة تكشف فساد حكمه امام اعين شعبه .

في ذلك الوقت انطلقت دعاية ايرانية رددها الاستعمار بأبواقه المختلفة بأن الشاه — الرحيم بشعبه — يوزع ارضه على الفلاحين .

وما لبثت الخطة اللئيمة ان تكشفت . كان الشاه قد قسم جانبا من املاكه الشاسعة الى قطع متوسطة الحجم وراح يبيعها لاغنياء الريف بسيف الحياء والاحراج . وبهذه الطريقة تمكن من تحويل جانب من استثماراته الى الصناعة والتجارة وهي اكثر ربحا . لم يكن اصلاحا بل عملا مضادا لتعطيل الثورة وتضليل الشعب والاثراء على حسابه .

الاصــلاح الزراعى الثورى

اذا جاز تعريفه في جملة واحدة فهو الاصلاح الذى يحرر الفلاحين من الاستغلال وينظم الانتاج

ان الصورة التى تتبادر للذهن عن الاستغلال هي صورة المستأجرين يستغلهم الملاك باقتضاء أيجار الارض منهم . وليست هذه هي الصورة الوحيدة للاستغلال . فنظام المشاركة المسمى في مصر بالمزارعة نوع من الاستغلال أشد . وهو من مخلفات عهد الاقطاع . وقد تم الغاء هذا النظام في مصر حيث أصبح محظورا بحكم قانون الاصلاح الزراعى .

ولايقتصر الاستغلال على الحالات التى يزرع فيها الفلاحون ارضا يملكها غيرهم . بل يقع تحت نير الاستغلال ايضا صغار الفلاحين الذين يزرعون ارضا يملكونها . ومعلوم أن البنوك الراسمالية تستهدف الربح بصرف النظر عن اى اعتبار آخر . وهى حين تقرض الفلاحين تضع شروطا يذعنون لها تحت ضغط الحاجة ، ومنها الفائدة المرتفعة والمركبة فضلا عن المصاريف الادارية وغيرها .

اما الفلاحون الذين هم افقر من أن يتعاملوا مع البنوك فهؤلاء يقعون في حبائل المرابين . وكانوا يتقاضون في مصر فائدة تتراوح بين ٢٠ و ٢٥ في المائة سنويا .

اضف الى ذلك الاستغلال في التسويق الراسمالى ، فالفلاح يقع فريسة للاستغلال حين يبيع محاصيله للتاجر ، وكذلك حين يشترى المنتجات الصناعية .

وثمة صورة قاسية للاستغلال لاتزال موجودة في مصر ويحسن التعريف بها في هذا المقام .

الفلاح الفقير لايستطيع ان يزرع بغير البقرة ، لكنه لايملك ثمنها فيتوجه للراسمالى المجهول (مجهول لان مصلحة الضرائب لاتعرفه) ويتسلم منه البقرة شركة بينهما . لكل منهما نصفها ، لكن الفقير لم يدفع شيئا ! لابأس فسيدفع فيما بعد عندما تلد البقرة . ويظل هو يطعم العجل شهورا حتى يستوى عوده ثم يباع ويأخذ الراسمالى ثمن نصف البقرة المسمى عند التعاقد من ثمن العجل .

ثم يتقاسم الشريكان بحق النصف ثمن كل عجل بعد ذلك ، والبقر يلد كل سنة . وبهذه الطريقة يحصل الرجل الطيب الذى عنده قضاء الحاجات على فائدة تزيد على ٣٠ في المئة سنويا ! ؟

ان الاستغلال الذى يعانيه الفلاحون تتعدد انواعه واشكاله . والاصلاح الثورى حقا هو الذى يخلصهم من كل انواع الاستغلال . ولايوجد نموذج معتمد أو ماركة مسجلة للاصلاح الزراعى الثورى ، فهو كغيره يتم في اشكال تختلف او تتشابه من بلد الى بلد حسب الظروف والاحوال . لكن المضمون يبقى واحدا على الدوام وهو منع الاستغلال وتقدم الانتاج .

ان شعار الأرض لمن يفلحها هو أحدى تطبيقات منع الاستغلال . حيث يزرع الفلاح الارض التي يقدر على زراعتها هو وأسرته دون الاستعانة بالعمل المأجور . وحيث يكون لهذا الزارع ناتج عمله كله ، سواء أصبحت الارض ملكا له أم كان حقه عليها هو حق ملكية المنفعة دون ملكية الرقبة .

ولكن ليس بالضرورة أن يتم الاصلاح الزراعي عن طريق ذلك الشعار ، بل هو قد تم في بلاد كثيرة عن طريق ملكية الشعب للارض الزراعية أو لقطاع عام منها . وفي هـذه الحالة يعمل الفلاحون على هذه الارض نظير الاجر . وفي هذه الحالة ايضا ينتفي الاستغلال . لان مايخصم من الاجور يقدم للعاملين في صورة خدمات وتأمينات . الخ .

ولابد في هذا المقام من التنويه بأن الاصلاح الثوري ليس عملية توزيع للارض فحسب . اليس عملية تحويل الأجراء الى ملاك ، وبالتالي فما يقال في العراق مثلا من أن مساحة الارض هناك شاسعة وأن قانون الاصلاح الزراعي لذلك جعل الحد الأعلى المسموح به للملكية هو الف فدان ، هذا القول بعيد عن دائرة الاصلاح الزراعي الثوري ، اللهم الا أن يكون مقدمة له ، فماهية هذا الاصلاح ان يمتنع الاستغلال وبالتالي ان تقتصر الحيازة على القدر الذي يقدر عليه عمل الحائز واسرته وليس على القدر الذي يسمح به مجموع الارض الزراعيـة .

واستقراء لما حدث في مصر يتعين ان يشمل الاصلاح الثوري العناصر الاساسية في الانتاج الزراعي . يشمل الارض قاعدة الانتاج ويشمل وسائل الري والصرف والمباني والمواشي والماكينات والآلات الجماعية ومحطات البذور ومصانع السماد ومؤسسات الارشاد الزراعي والرقابة كما يشمل البنوك والجمعيات ونظام التسويق وغيرها من لوازم الانتاج الزراعي .

ولما كان الفلاحون هم القوة المنتجة فان الاصلاح الزراعي لابد وأن يتناول تنظيماتهم السياسيـة والديموقراطية والانتاجية والنقابية والثقافيـة والرياضية . الخ .

ولقد أخذت الجمهورية العربية المتحدة بنظام توزيع الارض على المعدمين ومن في حكمهم فعلا . وفي البداية كانت الاسرة المكونة في المتوسط من خمسة أشخاص تحصل على خمسة أفدنة ، لكن التوزيع جرى بعد ذلك على أساس مابين فدانين وثلاثة للاسرة تحصل عليها ملكا ولكن التصرف فيها مقيد بشروط .

وحسب الاحصاء الرسمي بلغت مساحة الاراضي الموزعة ٦٩٩ر٦٤٤ فدانا ، وعدد الاسر المستفيدة ٢٦١ر٤٣٩ أسرة وذلك حتى ١/١/١٩٦٤ .

ويتركز القطاع العام الزراعي (ملكية الشعب) في مديرية التحرير . وهي أرض استقطعت من الصحراء حيث تم أصلاحها في عهد الثورة . وانتاجها من الفاكهة مخصص اساسا للتصدير . ومعروف ان الارض القابلة للزراعة متوافرة في مصر ، لكن المسألة تتوقف على كمية الميـاه اللازمة للري . ويقدر ما عندنا من مياه بقدر ما نزرع من الارض . ولهذا عنيت حكومة الثورة ببناء السد العالي وينتظر ان يوفر المياه الكافية لري مليون فدان جديد تقريبا . والاتجاه الثوري ينادي بضمها لملكية الشعب ، وفي هذه الحالة فان جملة مساحة القطاع العام ستصل الى ثلث الارض الزراعية في مصر .

وقد نظمت الدولة الدورة الزراعية في خطة عامة عرفت بنظام الزراعة الموجهة حيث حـددت نوع المحصول ومساحته وموقعه في كل قرية وكذلك موعد زراعته وخطة مقاومة الافات وغير ذلك . وهي خطة تعتمد على الجمعيات التعاونية التي تغطي الان الريف المصري كله . ويجري الان تنفيذ الخطة المرسومة بتزويد الجمعيات التعـاونية بالالات الميكانيكية للري والحرث ودرس القمح . كما تم تحديد أجرة ري الفدان بواسطة الماكينات ، سواء اكانت ملكا للجمعية أم للافراد . وكذلك يحصل الفلاحون على التقاوي والاسمدة الصناعيـة والمبيدات الكيماوية وعلى النقود من بنك التسليف الزراعي والتعاوني عن طريق الجمعيات التعاونية وبغير فوائد على الاطلاق . وقد بلغت جملـة السلفيات عام ١٩٦٥ مبلغ ١١٣ مليون جنيه (بيان الحكومة في مجلس الامة ــ فبراير سنة ١٩٦٧) والراجح أنه يدخل في هذا المبلغ اثمان الاسمدة والتقاوي وغيرها .

وقد نظمت الدولة التسويق التعاوني الذي حل محل التسويق الرأسمالي ، فلم يعد في الريف كله تجار يستغلون الفلاحين ، لا في الشراء ، شراء المحاصيل ولا في البيع ، بيع التقاوي والاسمدة والمبيدات . التجارة في كل هـذا مؤممة بطريقة التسويق التعاوني .

وكذلك توجد الان مؤسسات مختلفة لخدمة الانتاج الزراعي كمؤسسة الصناعات الغذائية ، والاسمدة والكيماويات والنقل وتربية الماشـيـة والدواجن والمؤسسة المصرية العامة للتعاون الـزراعي ، الخ .

اما بالنسبة للعمال الزراعيين فان ظروف مجتمعنا المادية لم تنضج بعد لتحريم العمل المأجور ، ونتيجة للتصنيع واقامة المشروعات الكبيرة ، واصلاح الاراضي أصبح العمال الزراعيون في وضع افضل كثيرا بحيث صار الاجر الفعلي يزيد عن الحـد الادنى الذي حدده القانون وهو ربع الجنيه يوميا كما اصبح لعمال الزراعة نقابة عامة وتعمل النقابة

على الغاء نظام مقاولي الانفار وان تتولى هي تنظيم تشغيلهم .

وقد حدد قانون الاصلاح الزراعي الاجرة السنوية للفدان في حالة الايجار بحيث لاتزيد عن سبعة امثال الضريبة السنوية المربوطة عليه ؛ وحرم اخراج المستأجر من العين المؤجرة ماداميقوم بالتزاماته . وبهذا ضمن لهم الاستقرار ورفع عن كاهلهم تحكم الملاك واستبدادهم .

اما بالنسبة لمجالس ادارة الجمعيات التعاونية فاشترط القانون السارى أن يكون أربعة اخماس اعضاء المجلس من صغار المزارعين الذين لاتزيد حيازتهم ملكا او ايجارا عن خمسة افدنة .

وتدور الان مناقشة واسعة حول تعريف الفلاح أحدى دعامتي تحالف قوى الشعب العامل والاكثرية حتى الان ترى أن الفلاح هو من لاتزيد ملكيته عن خمسة افدنة يزرعها بنفسه .

هذه بعض تطبيقات الاصلاح الزراعي الثورى في مصر . وهو اصلاح لم يكن منذ البداية على ماهو عليه الان ، بل خضع للتدرج والتغيير المستمر ، ولايزال . تطبيقا لمبدأ اذابة الفوارق بين الطبقات والغاء استغلال الانسان للانسان وهو ما اعلنته الثورة المصرية وضمنته ميثاق العمل الوطني وجعلته مادة في الدستور المؤقت السارى الان ، وقد ترتب على الاصلاح الزراعي زيادة كبيرة في الانتاج على خلاف الاشاعات التي اطلقتها الرجعية بتناقص الانتاج وكانت تقصد التخويف بالمجاعة وزعزعة الثقة .

الاصلاح الثورى لا يتم الا في دولة شعبية

هذا الاصلاح يستحيل تنفيذه الا في ظل دولة شعبية ، أى عندما تستولى قوى الشعب العامل على الحكم . اما قبل ذلك فتكون السلطة موجهة لحماية الاستغلال وقمع اى تمرد عليه .

وفي تاريخنا الحديث مثال على ذلك : فقد نزع محمد على مؤسس مصر الحديثة الارض الزراعية وجعلها ملكا للدولة، لكن جماهير الفلاحين لم يتغير عليها الحال فبقيت مسخرة مستغلة لمحمد على ومن يحكمون باسمه . ولسنا في حاجة الى القول بأنه ليس من الضرورى أن يتم الاصلاح الزراعي الثورى دفعة واحدة فكثيرا مايتم تدريجيا على مراحل . وقد تطول مرحلة الانتقال على حسب الظروف والاحوال .

مثال ذلك ماحدث في الجزائر حيث بدىء بتكوين قطاع عام زراعي يدار بطريقة التسيير الذاتي ، وهذا القطاع تكون من الارض الشاغرة اى التي هجرها اصحابها الاجانب ومساحتها مليون هكتار . وأراضي المعمرين — الكولون — الفرنسيين ومساحتها ٢ مليون هكتار . وكذلك الاراضي التي كانت ملكا للخونة والمتعاونين مع الاستعمار وتمت مصادرتها . ولاشك أن ماتم في الجزائر حتى اليوم هو المدخل الطبيعي والاساس القوى للثورة الزراعية في الجزائر، لاصلاح زراعي ثورى شامل .

الاصلاح الثورى يتضمن تصفية طبقية

ان الغاء الاستغلال في الزراعة وتحرير الفلاحين يقوم في الاساس على تصفية الطبقة المستغلة ذلك شرط جوهرى . ويتحقق الشرط طبعا اذا لم يدفع للارض والاستثمارات الاخرى تعويض . والا ظل الاستغلال متصلا وان تحولت الطبقة المالكة الى مجالات أخرى تستثمر فيها رأسمالها المتراكم من التعويض المدفوع . ولافرق في الحكم بين التعويض يخرج من خزينة الدولة ، خزينة الشعب ، اويخرج مباشرة من جيوب الكادحين المنتفعين . ولكن ليس المقصود من عدم الدفع هو الانتقام أو التعذيب فمن حق هذه الطبقة أن تمكن من العيش الكريم . ولهم حق في العمل الشريف الذى يقدرون عليه . أما الذين لايستطيعون العمل فان عدالة الثورة توجب تقرير معاش مناسب تلتزم الدولة بهنحوهم .

وفي الحالات التي ترى الدولة ترك قطع من الارض لهم يتعين ان يؤخذ في الاعتبار مقدار ماتغله هذه المساحة التي يزرعونها لحسابهم . اما الاقتصار على اعتبار المساحة وحدها دون مقدار الغلة فلا يحقق العدالة لاختلاف الجودة وتفاوت التكلفة الامر الذى يترتب عليه بالضرورة تفاوت الغلة . وهذه القاعدة ايضا يجب تطبيقها في حالة توزيع الارض على المعدمين .

ولكن لاينبغي ان يؤخذ شرط عدم التعويض على اطلاقه في جميع الاحوال . ذلك جمود ننزه التفكير الثورى عنه . فأحيانا تستلزم الضرورة تقرير التعويض ، مثلا لتفادى صدام غير مرغوب فيه . واحيانا تستلزمه العدالة مثلا اذا رأت الدولة ان يتحمل المنتفعون المعاش اللازم لمن نزعت عنه الملكية .

ولاينبغي ان يغيب عن البال ان القوى الديموقراطية الواعية هي التي تزداد ، اما الرجعية فتتناقص ، وان المجتمع في تطوره الجديد يخلق الظروف الموضوعية التي تسمح باجراء تغييرات لتصحيح الاوضاع على الاسس العادلة . وفي هذا الخصوص يجب التذكير بما حدث في مصر ، فقد

تقرر نزع ملكية كبار الملاك مقابل تعويض او ثمن مقسط على ١٥ سنة ثم انتهى بالمصادرة دون مقابل وتم التغيير سلميا وظلت الثورة بيضاء .

التلازم بين الاصلاح الثورى والديمقراطية

تضع قوى الشعب العامل — بعد سيطرتها على السلطة — الاصلاح الثورى موضع التنفيذ . وتزرع عن كاهل الفلاحين سيطرة الطبقات المستغلة وتحكمها . ولهذا يلمس كل من له اتصال بالريف المصرى مدى الحرية التى يشعر بها الفلاحون . انهم يجيبون على سؤالك لهم عن الحرية بأنهم لم يتمتعوا فى حياتهم بحرية مثلما يتمتعون الان ويقولون ان الروس تساوت .

ويعتمد الاصلاح الثورى على التخطيط والتنظيم ولهذا كان من الضرورى دائما ان يتفهم الفلاحون الخطة وان يشاركوا فى وضعها لضمان واقعيتها ولتبين اهميتها وما يترتب على التقصير فى انجازها كذلك فمن المهم ان يتابع الفلاحون التنفيذ لا على النطاق المحلى وحده بل على النطاق العام حتى يستخلصوا من تجاربه وعيا وحكمة وعلما .

ولا جدال ان ممارسة هذه الواجبات — وصحيح ايضا انها حقوق — تتطلب توافر القيادات فى مواقع العمل ، قيادات عاملة حاصلة على ثقة الفلاحين وقادرة على تنويرهم ورفع حماسهم وقيادة نشاطهم ولاتخفى اهمية العمل السياسى والتنظيم الذى يعتمد على واقعية الادراك وموضوعية التقدير وعلى العلم دليلا للعمل . لكن التنظيم السياسى لا يكفى وحده لتغطية اوجه النشاط المختلفة . بل لابد من قيام المنظمات والمؤسسات الديموقراطية الاخرى مثل نقابة العمال الزراعيين والجمعيات التعاونية المتخصصة او ذات الاغراض المتعددة . وكذلك الجمعيات الثقافية والرياضية وغيرها من التنظيمات الجماهيرية التى تساعد الفلاحين وتخرجهم من الفردية الى الجماعية . وبغير ذلك يبقى الفلاحون على الهامش . ويبقى الفراغ المخيف فى الريف فينتشر الفساد وتتحكم البيروقراطية .

وقد راينا مثلا فى تجربة الجزائر انها تأخذ بالاسلوب الديموقراطى المباشر باتباع طريقة التيسير الذاتى . وبعض التجارب الاخرى تأخذ بطريقة التمثيل النيابى فيختار الفلاحون بالانتخاب الحر ممثليهم وقياداتهم فى مختلف التنظيمات ، ويكون لهم دائما حق سحب الثقة واسقاط العضوية عن المنحرف والسلبى . وفى البعض الاخر يجمع بين طريقة الانتخاب هذه وبين تعيين ممثلين للحكومة لكن عدد هؤلاء المعينين قليل جدا بالنسبة للاغلبية المنتخبة ، وغالبا يكون رأيهم استشاريا فلا يشتركون فى التصويت .

ولايجوز التقليل من المصاعب التى تقوم فى طريق العمل فى الريف ، وبخاصة اذا كانت الامية والروح الفردية أو العائلية منتشرة . وكان التنظيم السياسى لايزال فى بدايته . فى هذه الحالة تكون المسئولية على عاتق السلطة المركزية ، ومما يساعد على تقصير فترة الانتقال والتغلب على العقبات فى كثير من البلاد ما لجأت اليه من الاستعانة بالقيادات الخبيرة المجربة الواعية من بين عمال المدن الذين لهم قواعد فى الريف ، وكذلك تنفيذ برنامج لتثقيف وتدريب القيادات الفلاحية التى تظهر فى ميادين العمل والنشاط .

قطاع عام فى الزراعة

فى البلاد الزراعية ، وخاصة فى البلاد النامية، تتراجع اسعار المحاصيل بالنسبة لاسعار المنتجات الصناعية ، ويزداد مستوى المعيشة انخفاضا وتتسع الهوة بين البلاد الزراعية والبلاد الصناعية المتقدمة .

ولابد لاى شعب عقد العزم على ان يخلص نفسه من التخلف ان يعمل بجد لبناء الصناعة الثقيلة فى الاساس . وهذه ماكينات وآلات وخبرة تستورد بالسعر العالمى . صحيح أن البلاد الاشتراكية تقدم متطلبات التصنيع بشروط اقتصادية ميسرة وبعيدة عن التدخل فى الشئون الداخلية . ولكن لا يجوز ان ننسى انها فى النهاية ديون لابد من سدادها لاصحابها . ولهذا لابد ان تدرك الشعوب المتطلعة للتقدم انه لا مفر من اعتمادها على نفسها ، على جهدها وعرقها ، ولا مفر من تقشفها فى مرحلة التاسيس والبناء .

وهى لاتستطيع ان تبدأ الا معتمدة على رؤوس الاموال المحلية الكبيرة ، وبالتالى لابد من تأميمها لتبدأ بها خطة التصنيع وتوفر قدرتها على انجازها . وعندى ان هذا هو المقصود من النص الوارد فى ميثاق العمل الوطنى المصرى عن حتمية الحل الاشتراكى .

بعد هذا التمهيد تظهر اهمية القطاع العام فى الزراعة . اهميته لبناء الصناعة وكفاية الانتاج . وليس للاصلاح الزراعى الثورى . اذ يحدث ان يكون الاصلاح ثوريا بغير قطاع عام بدليل ما استقرت عليه النظرية الاشتراكية العلمية من أن الملكية التعاونية هى احدى اشكال الملكية الاشتراكية .

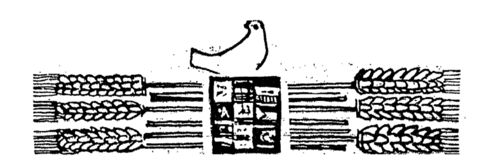
في القطاع العام تزرع الدولة المحاصيل اللازمة للصناعة الوطنية واللازمة ايضا للتصدير ، غلى الاقل لسداد ثمن المصانع المستوردة . في القطاع العام يكون الانتاج كله للشعب ويمكن اتباع ارقى النظم واستخدام الطرق العلمية وخلق الحوافز الايجابية والسلبية ، المكافأة والجزاء ، حتى يتحقق اعلى انتاج وافضله .

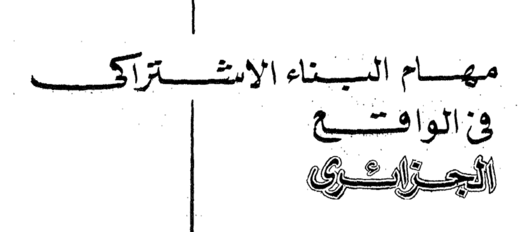
وكذلك تستطيع الدولة عن طريق القطاع العام ان تتحكم في الاسعار وفي تموين الشعب بما يحتاجه ، وان تتغلب على انانية الفلاح عندما يغريه الربح او الجشع فيزرع محاصيلا تروج في السوق المحلى بدلا من المحاصيل المطلوبة مثلا للتصدير . او يلجأ للتخزين انتظارا للفرص عندما تشح المعروضات ، او يسعى للسوق السوداء لبيبع بازيد من التسعيرة المحددة . أو يتسبب في زيادة الاستهلاك في منتجات ترى الدولة ضرورة ضبط الاستهلاك فيها . وصحيح ان الدولة تستطيع استخدام السلطة لغرض تنفيذ ما تقرره ، لكن الاكراه اسلوب بغيض . كما ان الدولة قد تلجأ لرفع الاسعار اغراء للفلاحين على زراعة ماتريده . في هذه الحالة يكون السعر غير مطابق لاصوله الاقتصادية ويثرى الفلاحون على حساب فئات الشعب الاخرى وبخاصة على حساب العاملين في المدن ، الامر الذى يهدد تحالف العمال والفلاحين في الاساس . لاسيما وان رفع سعر نوع من الحاصلات يجر اسعار المحاصيل الاخرى للارتفاع .

ان رفع سعر الارز في العام الماضي في مصر قد ادخل في جيوب الفلاحين مبالغ طائلة خرجت من جيوب عمال المدن ، وذلك في الوقت الذى يتحمل فيه سكان المدن كثيرا من الاعباء . كما ترتب عليه ان اصبحت زراعة الارز اكثر ربحا من سائر المحاصيل الاخرى بما فيها القطن . وفي هذه الحالة يقل بداهة حماس الفلاحين لزراعة القطن ، وهم ملزمون قانونا بزراعة نصف حيازتهم قطنا . وضرر هذا على الانتاج كبير .

وقد لاقت ايضا مصانع السكر صعوبة في الحصول على حاجتها من القصب هذه السنة . لان الفلاحين فضلوا بيع القصب للقطاع الخاص ، للمحلات التى تعصره شرابا للناس . واضطرت السلطات المحلية لحظر نقل القصب حتى توفره للمصانع وهى قطاع عام .

ان القطاع العام في الزراعة يغنى الحكومة عن كثير من وسائل الضغط الادارى ولايجعلها تحت ضغط الفلاحين تقدم تنازلات غير متوقعة او غير اقتصادية ، الامر الذى يعود بالضرر على المستهلكين في المدن . القطاع العام يسلح الدولة بسلاح اقتصادى فعال ويخلق انسب الظروف لتطور المجتمع في طريق الكفاية والعدل ولتكوين طليعة فلاحية لايربطها بالاستغلال اى رباط .





فى اطار تبادل الخبرة بين الاشتراكيين العرب حول مشاكل التطبيق ، كتب عبد العزيز الزردانى وزير العمل الجزائرى الى الطليعة مستعرضا بعض مشاكل التطبيق فى الواقع الجزائرى ، بهدف التفاعل بين التجارب الاشتراكية فى الوطن العربى .

عبدالعزيز زرداني

هناك نقاط مبدئية يجدر بنا ان نبرزها رغبة منا فى ان ييسر للقارىء العربى تفهما اكثر دقة لوجهة النظر التى نعرضها .

اولا : الطريق الجزائرى الى الاشتراكية ، وليس الاشتراكية الجزائرية مبدأ يجب ان يزيل كل الغموض عن جميع اولئك الذين يتلبسون بالاشتراكية ولا يملكون منها الا هذا الاسم .

ان الاشتراكية نظام اجتماعى اقتصادى وسياسي وله سمة لا تقبل اى غموض :

القضاء على استغلال الانسان للانسان .

وكما اثبت التاريخ وبرهنت التجربة فان الاشتراكية اينما زيفت فى العالم كان السبب هو زعم البورجوازية بما تسميه الاشتراكية الوطنية ، بينما هى تواصل نسج مصير الشعوب الكادحة باذيال الامبريالية العالمية ويمكن القول هنا ايضا بان الطريق الى الإشتراكية ..نؤكده هنا فقط لاعطاء نوع من الوحدة لمبدأ الاشتراكية عامة ، ومن هنا يمكن ان نقول ايضا الطريق العربى الى الاشتراكية ونعنى بذلك التشابه الكبير لشروط تطبيق الاشتراكية فى البلاد العربية كلها .

ان الطريق العربى الى الاشتراكية بدلا من الاشتراكية العربية ... هذا التعبير يستطيع ان يحمى الاشتراكية من جميع الاتجاهات التى تحارب الاشتراكية محتمية تحت ستار دعوى زائفة بالدفاع عن التقاليد العربية مثلا او عن الدين الاسلامى .

الطريق العربى الى الاشتراكية معناه ايضا مراعاة جميع الشروط والتقاليد الخاصة بالبلاد العربية .

ثانيا : من المشاكل التى استغلت استغلالا

فادحا حتى الان ضد الاشتراكية هي مشكلة محاولة وضع الحدود بين الثورتين الوطنية والاشتراكية ويمكن القول بان الاستغلال في هذا الميدان يمكن ان يأتي من جانبين متضادين كما هو الحال في الجزائر : من اليمين واليسار معا . بينما تحاول البورجوازية عبثا انتعطى لمبدأ الاشتراكية نفسه صفات سياسية بحتة : اى ان النضال في الداخل وضد الخارج قد انتهى بالحصول على الاستقلال الوطني ، نجد هناك في نفس الوقت جماعة تريد باسم اليسار ان تتنكر لجميع التقاليد الاشتراكية محاولة ان تقلبجميع الاجراءات التي حدثت حتى الان وتسيرها في خدمة مبادىء ربما تكون غريبة تماما عن تراث البلاد .

ان تفادى هذا الخطر المضاعف لا يتأتى الا بتوعية اشتراكية حقيقية لشعوبنا ، توعية ترتكز اولا وقبل كل شيء على الدور الفعال الذى لعبته الجماهير وخاصة الفلاحين والعمال في هذه الثورات التحريرية نفسها .

ان الانطلاق من هذا المبدأ هو وحده الكفيل بالحفاظ على المبدأ الاشتراكي من كل تشويه ايديولوجي مهما تكن الجهات التي ينطلق منها .

ان الطريق نحو الاشتراكية يعبر قبل كل شيء من حقائق العصر في عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية حيث استطاعت اغلبية الحركات التحريرية الوطنية الحريصة علىاندفاعاتها الثورية انتندفع مباشرةبعد انمرت بالاختباراتالقاسية نحو طرق غير رأسمالية لتنمية اقتصادها وبناء مجتمع جديد .

ان هذه الظاهرة التي تحكمت في سير الثورة العالمية قد دخلت حيز الوجود على يد بعض الثورات وبصفة خاصة على يد الثورة الجزائرية وذلك بفضل اصالتها ومميزاتها الخاصة .

ان الجزائر هذا البلد الذى كان بالامس مستعمرا يشق اليوم طريقه الخاص نحو الاشتراكية الطريق الذى فرضته معركة التحرير الوطني ،ولم يكنضمناىبرنامج للاحزابالوطنية قبل سنة ١٩٥٤ .فان مطامحالجماهير قد تحولت اثناء معركة التحرير الوطني .

كانت هذه المطامح في البداية تحررية، ولكنها تحولت مع طول المعركة الى مطالب اجتماعية قد تصل الى حد المطالبة بقلب المجتمع السابق رأسا على عقب ، اذ كانت الثورة الاجتماعية مستترة وراء الثورة السياسية ، فالاخيرة لم تكن ترمى الا الى الحصول على الاستقلال الوطني .

منذ ذلك الحين والتجربة الجزائرية الرامية الى بناء مجتمع اشتراكى ، تظهر لعصرنا كانموذج جديد ، كما ظهر ما تقدمه للمعرفة النظريةبالثورة الاشتراكية ، هاما وثريا .

ان وجود طريق جزائرى نحو الاشتراكية أمر محقق ، ولماذا لا يكون لنا طريق خاص بنا ؟ لماذا لا تتضاعف طرق المرور الى الاشتراكية ؟ انه من المحقق ان الاشتراكية — كنظام اجتماعي يقضي على استغلال الانسان للانسان — ستظل شيئا واحدا دائما . فالطرق التي يجب قطعها يمكن ان تكون مختلفة ، ولكن الهدف المقصود يبقى واحدا بالنسبة للجميع .

ان الاشتراكية ليست وصفة جاهزة صالحة لكل الشعوب ،وليست أيضا مجموعةمنالطقوس لا تتغير بينما تتغير ظروف الحياة .

ولكن يجب علينا ان نأخذ حذرنا امام المحاولات التي ليس لها في الحقيقة من الاشتراكية سوى الاسم .

لكي يستطيع نظام ما الادعاء بأن له طريقه الخاص نحو الاشتراكية ، فانه يجب عليه مسبقا تحقيق بعض الشروط التي تظهر بصورةواقعية اذا كان البلد قد تحرر من سيطرة القوىالاجنبية سياسيا واقتصاديا ، وتحرر من سيطرة رأس المال ، فيجب كذلك ان يملك نظرية ثورية لان النظرية هي وحدها القادرة على ضمانة منطقية القرارات في كل الميادين ، النظرية الثورية قادرة ايضا على اكتشاف الخصائص المميزة لشعب من الشعوب من خلال تقاليده في الكفاح وتراثه الثقافي ومزاجه الوطني الذى يلقحه ضد التهريج والمغالطة والعقائدية .

وباختصار نقول بأنه من الواضح انه لا يمكن الا لنظريةتستند اولا الىالمبادىء العلميةومتشبعة بالقيم الخاصة بالبلد ان تتفادى مواقف الافكار المنحرفة وتسمح بالحصول على مفهوم صحيح عن الثورة .

اذا كنا نلح على هذه النقطة بصفة خاصةفذلك من اجل الاشارة الى ظهور ثم ازدهار عدد من الصيغ مثل الاشتراكية العربية والسينيغالية والجزائرية واشتراكية اسلامية ، واشتراكية مسيحية ، ونشير الى انها ترمى كلها الى تدعيم الفكرة القائلة بأنه توجد اشتراكيات بعدد البلدان والاديان .

ان استعمال هذه الصيغ ، وكذلك المحاولات التي جرت فيهذا الاتجاه تنشر الخلط وتنمىافكارا معارضة بصفة اساسية للجانبين العقائدى والعملى من الاشتراكية .

فعنهذا الطريق الملتوى يمكنلافكار وشعارات ذات جوهر رجعي ومضاد للثورة ان تظهر لمحاربة المحاولة العلمية لمعالجة المشاكل المطروحةامام مختلف المجتمعات .

من هذه الافكار نكتفى بذكر تلك الافكار الرامية الى رفض الاستفادة من التيارات الفكرية أو

التجارب التي وقعت في بلدان أخرى ، واثارة العاطفة الوطنية بالتذكير في كل لحظة ، وفي كل الظروف بقيم وطنية .

من أجل هذه الاسباب بالضبط سنستعمل في هذا البحث العبارة التالية : الطريق الجزائري نحو الاشتراكية وليس الاشتراكية الجزائرية .
وقبل ان ندخل في صميم الموضوع ، نرى من الانسب معالجة مسألة نظرية تكتسب في نظرنا قيمة كبيرة .

طبيعة العلاقة بين الثورة الوطنية والثورة الاشتراكية

انها في الواقع معرفة ماذا كانت الثورة الوطنية والثورة الاشتراكية متطابقتان او انه لكل منهما مهامها الخاصة .

لقد تكون على ضوء التجربة التي وقعت خلال السنوات الماضية ، هوة واضحة بين اتجاهين اثنين :

فهناك الاتجاه الذى اراد ان يكون اختيار المناضلين ونوع اطارات البلاد خاضعا فقط لمقاييس عقائدية ودون الاخذ بحساب الماضي . ويتعلل هذا الاتجاه بفكرة ان الثورة الوطنية قد اجتيزت وان المشاكل التي كانت تعترض الجزائر المستقلة تتعلق بثورة أخرى أي الثورة الاشتراكية وحدها .. وهناك اتجاه آخر كان يرى تبعنا لفكرة ان الثورة الوطنية في ظروف الجزائر لا يمكن أن تكون خالية من الطابع الطبقي ، وبالنتيجة فان الثورة الاشتراكية كانت ضمن الثورة الوطنية وكان هذا الاتجاه يريد ان يختار المناضلين ونوع اطارات البلاد فقط من بين الذين شاركوا بطريقة او بأخرى في الحرب من اجل التحرير الوطني .

يظهر بوضوح من هذا ان كل مناضل وطني ليس بالضرورة مناضلا اشتراكيا . ومن جهة اخرى ان الثورة لم تجمع فقط في صفوفها فلاحين فقراء وعمالا وبرجوازيين صغارا لم يفقدوا بعد ارتباطاتهم بالشعب ،ولكن ايضا كل المنبوذين الذين اصبح اندماجهم مستحيلا . وكذلك كل الذين لم يكونوا يأملون في شيء اكثر من تعويض المعمرين والتمركز في المصانع . ومن جهة ثالثة ، اذا كانت طبقة الفلاحين الفقراء والطبقة العاملة التي لازالت في طور التكوين والجماهير التي دفعت الى التشرد في المدن والبوادي يستطيعون بهذه الصفة تكوين « قوى ثورية » فهل يكفي ادخالهم في جهاز ثورى لكي يصبحوا بصفة آلية « قوى ثورية » ؟

زيادة على هذا فان هناك حقيقة ثابتة وهي ان التفرقة بين ثورتين ، الأولى وطنية ، والثانية اشتراكية واجبة ، وكذلك اعتبار الاولى منتهية ومنتهيا معها دور ابطالها ، فان ذلك يخلق وضعية يصعب تحملها ولا يمكنها الا ان تخلق توترا بين الذين قاموا « بالثورة المنتهية » والذين نادوا للقيام بالثورة الجديدة .

اننا نميل من جهتنا كثيرا الى التقدير الرامي الى البرهنة على ان الثورة الوطنية والثورة الاشتراكية متداخلتان عوضا عن ان يتمايزان او أن يتطابقان .

انه يمكن ويجب ان يكون الاستقلال والاشتراكية استمرارا للثورة ، ولكن يجب لتحقيق ذلك ان تقبل الثورة اثناء المعركة المسلحة من اجل الاستقلال الوطني ، خطر انقسام قيادتها وان تحدد اهدافا تتجاوز الاستقلال السياسي . لو ان هذا قد تم لكانت المشكلة بسيطة . ولكن شيئا من هذا لم يحدث لسوء الحظ ، فما ان حصل الجزائر على الاستقلال حتى رات جبهة التحرير الوطني نفسها وقد افرغت من كل مضمون ايديولوجي تنفجر مثل البرتقالة التي نضجت اكثر مما ينبغي . لذلك كان بالامكان ان يكون الوضع اقل اضطرابا لو ان الذين كانوا يريدون ان يحتكروا وضع المناضلين الاشتراكيين قد شاركوا بحصة كاملة في المعركة التحريرية . وليس هناك ما يصور هذا الحالة اكثر من كلمة مسؤول نقابي : انى لا اسمح لاى انسان ان يقول عني بأني لست اشتراكيا ولكنى لا استطيع ابا كان الحال ان اقبل أن يأتي هؤلاء الذين كانوا يعتبروننا أثناء حرب التحرير مغامرين وفاشستيين ،هؤلاء الذين لم يروا استقلال الجزائر الا في اطار تحرير فرنسا ، أن يأتي هؤلاء اليوم ويقولوا لنا شكرا لكم ، لقد انهيتم عملكم ولنا نحن اليوم ان نقود لاننا وحدنا اشتراكيين . اننا لا نذكر هذه الاقوال الا لكى نعيد حقائق اكدتها الحياة العملية منذ ذلك الحين انه لا يكفي ان يعلن الانسان انتماءه لعقيدة ثورية لكي يصير بصورة آلية ثوريا . كما انه لا يكفى ان يعلن الانسان انتماءه للفكرة الوطنية وحدها لكي يكون ثوريا . ان تقدم الاشتراكية في الجزائر كما هو الحال في كل مكان يخضع لوجود وضعية تاريخية متميزة بظروف سياسية واقتصادية واجتماعية محددة . ان هذه الظروف لا سبيل الى فهمها بعمق الا من جانب قيادة وطنية عليها حتما ان تضمن مهام المعركة ضد الاستعمار ،والتي تكتشف حتما المحتوى الاجتماعي للثورة الوطنية . ونحن نقول حتما لان كل ما وقع حتى الآن لم يصدر عن اختيار حر ولكنه جاء نتيجة سبع سنوات ونصف من الحرب الممتزجة بواقع المجتمع الجزائرى . فالحل الاشتراكي يكون في الجزائر حتمية تاريخية فرضها تحرك الجماهير الكادحة

من العمال والفلاحين اثناء حرب التحرير الوطنية، وبرزت الى الوجود غداة الاستقلال .

لقد تحدد البناء الاجتماعى فى بلادنا بالطابع الذى اخذته تحت السيطرة الامبريالية . ان هذا الواقع قد ضايق الى حد كبير نمو الطبقات الاجتماعية المميزة وساعد على افقار الاغلبية الساحقة من الشعب . من اجل هذا يلزم ان يكون واجب النظرية الثورية فى الجزائر هو التأكيد على الجانب التاريخى والحاسم الذى لعبته الطبقة العاملة وطبقة الفلاحين ، هذان العنصران الوحيدان الصالحان فى الثورة الجزائرية . ان هذه النظرية يجب ان تقود العمال والفلاحين الى معرفة موضوعية بمصالحهم التى هى قبل كل شىء مصالح الاغلبية الساحقة من الشعب .

ان مصالح الاغلبية الساحقة من الشعب هذه هى التى دفعت الى التحول الجذرى للمجتمع الاستعمارى التقليدى والتى استدعت كل الاجراءات التى اتخذها الحكم فى هذا الاتجاه . انه فى مجموع فعالية المعركة الاجتماعية هذه كما ظهرت فى اليوم الاول من الاستقلال حيث ينبغى البحث عن اصل « لجان التسيير » والملكية الجماعية لوسائل الانتاج — ليتذكر كل فرد الحركة الثورية التى قام بها العمال فى المدن والارياف والفلاحون الذين لا يحسنون القراءة بهجوم على المراكز الامامية للاستعمار الزراعى والصناعى. ان هذه الحركة التى اكتسبت طابعا جماعيا وليس طابعا فرديا قد عكست عقلية وعادات جماعية اكتسبتها جماهيرنا الكادحة عبر القرون .

ان هذه المعركة وهذا التملك الجماعى لوسائل الانتاج من طرف الطبقة العاملة والفلاحين الفقراء هما اللذان اعطيا الدفعة الاولى والنبضات الاولى للانفتاح على الاشتراكية وطبعت استمرار الثورة بطابع خاص .

التسيير الذاتى .. دلالته .. ومشاكله

ان الحركة قد فرضت اول الامر من طرف الجماهير ، ثم اصبحت من المؤسسات العامة على يد السلطات ، وقد ادى الامر الى النظام الحالى للتسيير الذاتى الذى هو الطابع المميز الاساسى للطريق الجزائرى نحو الاشتراكية .

ما هو التسيير الذاتى : هذا الطابع المميز الاساسى للطريق الجزائرى نحو الاشتراكية ؟ اننا نعتقد بانه لا يوجد فى اى مكان آخر تعريف اكثر مطابقة واتم من التعريف الذى يقدمه ميثاق الجزائر : « ان التسيير الذاتى يعبر عن ارادة الطبقات الكادحة للبلاد فى ان تبرز على المسرح السياسى والاقتصادى وان تكون قوة مسيرة .. فعلى المستوى الاقتصادى ، كون التسيير الذاتى ضرورة التوسع فى الاصلاح الزراعى والتأميمات، سواء فى ميدان الزراعة او ميدان الصناعة ، وكذلك ضرورة اعادة تنظيم التجارة الخارجية والداخلية ونظام البنوك . وعلى المستوى السياسى وضع التسيير الذاتى مسألة العلاقات بين الدولة والحزب ، والنقابات ، والجماهير حسب نظرة جديدة تفرض النمو المستمر للطابع الديموقراطى لكل الاجهزة فى علاقاتها مع الجماهير . ان الديموقراطية الاشتراكية ، الضرورية يجب ان تظهر وتتمثل فى الواقع بان توجد فى القاعدة اجهزة ديموقراطية حقيقية لتسيير الاقتصاد . واجهزة شعبية حقة لادارة البلديات ، ويوجد نقابات ديموقراطية حقة وارادة فعالة تحت مراقبة الجماهير » .

ويوجد مظهر آخر للتسيير الذاتى يجب ابرازه وهو واقع القضاء على مفهوم العمل بالاجرة فى الاماكن والمشاريع المسيرة ذاتيا . وكذلك ان ملكية وسائل الانتاج ذات الطابع الاجتماعى . اننا لن نتوسع فى الحديث فى هذا المجال فكلنا يعرف اهم ما جاء فى قرارات مارس ١٩٦٣ ، ولكننا سنعكف معا لدراسة المشاكل ذات الطابع العملى التطبيقى للتسيير الذاتى ونحيط بدقة بالمشاكل بالصعوبات والعوائق التى يجب على التسيير الذاتى تجاوزها .

يتميز الوضع الحالى بانه يوجد فى الميدان الزراعى قطاع عصرى مسير ذاتيا واقلية من المالكين الكبار والمتوسطين ومجموعة ضخمة من الفلاحين الصغار . وهى متميزة فى الميدان الصناعى والتجارى ، بوجود قطاع الانتاج الاشتراكى ، وقطاع من النوع الراسمالى فى الانتاج .

الملاحظة الاولى التى تقفز الى اذهاننا هى عدم وجود توازن بين القطاع الاشتراكى الذى ينحصر غالبا فى مجرد وحدات انتاج (وخاصة فى ميدان الصناعة) والقطاع الراسمالى الذى يملك كل العناصر اللازمة لسيره سيرا حسنا (نظام مصرفى وامداد وتسويق ، واطارات) ، يجب ان يضاف الى هذا التناقض ان التسيير الذاتى لم يكن ابدا مطبقا بطريقة جدية وانه ظل مواجها — حتى من طرف بعض الاجهزة المكلفة بصفة رسمية بتنظيمه — بعداوة معلنة متفاوتة فى درجاتها وحدتها .

لقد عاش التسيير الذاتى محاصرا بأوساط معادية له بصورة واضحة وانه لمن المعجزات تقريبا — ويرجع الفضل فى ذلك لوعى العمال — ان تكون النتائج التى تم الحصول عليها ليست أسوأ مما هى عليه . انه لا يمكن ابدا ان يكون هناك توافقا او تعايشا مستمرا بين القطاع

الاشتراكي والقطاع الخاص ، وخاصة في الميدان الزراعي .

ان التسيير الذاتي ليس مجرد تجربة اقتصادية تحاول معرفة ما اذا كانت نتائجها حسنة او رديئة . ومن الواجب ان توفر له كل الشروط الضرورية لنموه ونجاحه . ان مفهوم التسيير الذاتي لا يمكن الا ان يكون نتيجة لنظرة شاملة للمجتمع وللتحولات التي يجب اجراؤها وليس مجرد شكل من اشكال التسيير الاقتصادي على قدم المساواة مع الاشكال الاخرى سواء منها التعاونية ، او حتى الخاصة .

لقد ظهر من الضروري ، من اجل معالجة هذه الوضعية ، ان تعطى للقطاع الاشتراكي في اقرب وقت ، الوسائل التي تنقصه حتى يستطيع تحقيق نمو منسجم . ان هذا يعني ان القرارات المتخذة يجب ان تكون مجموعة متلاحمة تمكن القطاع الاشتراكي بان يكون المحرك الحقيقي للحياة السياسية والاقتصادية للبلاد وتنقص تدريجيا من دور وتأثير القطاع الخاص . وتوجد ايضا مهام اخرى لا تثقل كاهل المنظمة النقابية في هذا الميدان ، فمن واجب النقابة ان تنظم عمال الارض وان لا تكتفي بالمطالبة بدفع الاشتراكات . فعمال الارض يجب ان ينظموا ، وسيرفع التثقيف الاشتراكي من درجة وعيهم ومن مستواهم الثقافي : ومن واجب النقابة ان تقوم بأهم نشاطاتها في ميدان الانتاج وليس في مجال الخدمات حيث الضغوط الاقتصادية والاجتماعية اقل شدة مما هي عليه في قطاعات الانتاج ، فالوعي الاشتراكي سيظهر في المصانع والمزارع ويتحقق احدي شروط نجاح الاشتراكية في تحالف طبقة العمال مع الفلاحين كما ستتكون في هذا التحالف الدعائم الاجتماعية للنظام الثوري .

ان طبيعة هذا النظام الثوري في ان يكون من جهته المدافع عن مصالح الطبقات الكادحة التي تكون اساسه الاجتماعي . وهو بهذه الصفة لابد وان يتصادم حتما مع الطبقات صاحبة الامتياز التي تشمل من جهة كل الذين يملكون وسائل الانتاج مهما كانت درجة هذه الملكية ، ومن جهة اخرى حلفاؤهم سواء كانوا في الخارج او داخل النظام نفسه .

التحول الثوري في القطاع الزراعي

بعد هذه الملاحظات يبدو اذن ان المهمة الاقتصادية الاولى والاكثر الحاحا في بناء الاشتراكية ، هي تدعيم وتنمية وتوسيع التسيير الذاتي ، ان تحقيق هذه المهمة الرئيسية تحقيقا كاملا هو الذي يوفر الشروط لنجاح كل المهمات الاخرى التي سنعالجها فيما يلي :

ان العملية الثانية لا يمكنها بفعل ان تسمى بالثورة الزراعية لانه اذا كان وضع الاراضي الاستعمارية تحت نظام التسيير الذاتي قد سمح بارساء اسس بناء بلد اشتراكي ، فانه لم يحل مشكل الاراضي التي يملكها الملاك الجزائريون الكبار . ان المسالة هناك تتعلق بعملية حتمية وعاجلة لا يمكنها ابدا ان تتحمل التأجيل . من اجل تحقيق هذا الهدف وضعت وثيقة هامة تعالج الثورة الزراعية ، على يد لجنة وطنية على مستوى مجلس الثورة ، تحدد الدخول في تطبيق الثورة الزراعية بهذه السنة الجارية ، ويبدو واضحا ان الاهداف التي يرمي اليها لا يمكن تحقيقها دون تجنيد الجماهير ومشاركتها الفعلية في كل مراحل العملية .

ان المبادىء النظرية التي وجهت صياغة هذه الوثيقة ترمي الى ازالة الملكية الاقطاعية الكبيرة ، والحد من قيمة الملكية المتوسطة ، وتشجيع الملكية الصغيرة . ان الهدف من هذا ليس الاستيلاء على الاراضي واعادة توزيعها لان ذلك سيبدو عملية مخالفة للقواعد الاقتصادية وانما الهدف هو الادماج التدريجي لهذه المجموعة الهامة المتكونة من الفلاحين الصغار في مجموع النشاطات الاقتصادية لكي نتمكن بذلك من تدعيم الانتاج العام .

وكخاتمة لبحث هذه النقطة يجب ذكر الخطوط الرئيسية والمبادىء الجوهرية لهذه العملية :

- الارض لمن يخدمها .
- تحديد الملكية .
- لن تكون الاراضي الغنية (كروم — ونواكه وخضر ...) التي سيتم استرجاعها ، جزءا من الاراضي التي ستوزع ، بل ستذهب بصورة آلية الى القطاع المسير ذاتيا لكي يتسع بالتدريج .
- تنظيم تعاونيات ستكون مفتوحة امام كل الفلاحين الصغار .
- توزيع بعض الاراضي على الافراد في كل الحالات التي يظهر ان تسييرها آنيا او ادخالها في نظام للتعاونيات ليس ذو فائدة هامة .

ومن الاهمية بمكان ان نقدم بعض الايضاحات حول دور وتنظيم نظام تعاوني يقع في منتصف الطريق بين التسيير الذاتي والتسيير الخاص .

ان اقامة نظام تعاوني يبدو في المرحلة الاولى كافضل وسيلة لتجاوز هذا النوع من الملكية الذي هو توزيع الاراضي على الفلاحين بصفة شخصية ، ولكنها تبقى مع هذا مرحلة انتقالية بالنسبة للنظام الاشتراكي الذي هو التسيير الذاتي . ان الهدف المقصود سيكون اذن التحويل التدريجي لهذه التعاونيات الى وحدات مسيرة ذاتيا ، وهذا التحول

يجب الا يتم عن طريق القسر، وانما سيكون مرحلة تدريجية للفلاحين .

على ضوء هاتين النقطتين اللتين عالجناهما سابقا ، يمكننا ان نستخلص احد المعطيات الدائمة وهو معرفة ان الفلاحين والعمال ، بعد ان كانوا المحرك الاساسي في تحطيم النظام السابق سيكونون أيضا المحرك الاساسي في بناء النظام الجديد لانهم يركزون في ذاتهم كل المصالح الثورية للمجتمع ، ان تكوينهم العقائدي والثقافي على يد الحزب والمنظمات الجماهيرية يمثل اذن حاجة مستمرة .

ان الاعداد المنطقي المخطط لتنمية اقتصاد اشتراكي طبق ايضا في الميادين الاخرى ، لانه لا يمكن ان يكون هنالك اقتصاد اشتراكي ، دون تخطيط اشتراكي . ان التخطيط يتطلب ثلاثة انواع من الشروط مرتبطة ببعضها ارتباطا حتميا : الشروط الفنية والاقتصادية والسياسية .

● فعلى المستوى الفني يتطلب التخطيط معرفة تامة بوضعية البلاد وبعدم التوازن بين المناطق وبالحاجيات ذات الاسبقية . وهكذا نستطيع ان نتفادى التفرقة بين التخطيط النظري والتحقيق الملموس . لقد جرت في السنة الماضية عملية احصاء عام وستكون بعض النتائج معروفة خلال هذا العام .

● اما على المستوى الاقتصادي فان التخطيط الاقتصادي يتطلب تجنيد ومركزية الفائض الاقتصادي . اي ما يتجاوز من الانتاج ما هو ضروري للاستهلاك . ان هذا التجنيد وهذه المركزية يجب ان يأخذا شكلين متكاملين : بين يدي الدولة بالنسبة للمشاريع التابعة لتسييرها وبين يدي القطاع المسير ذاتيا والتعاونيات الانتاجية .

● ان التنمية الاشتراكية تقتضي وجوب ان يكون مجموع المشاريع ممولا في اقرب وقت ممكن من طرف مصادر داخلية اي عن طريق الاخذ من الدخل القومي ، فالمساعدة الخارجية يجب ان تعتبر مجرد تكملة آتية لتضاف الى المجهود الوطني ، فالقبول الاعمى لهذه المساعدة تخل بالاستقلال الاقتصادي وعن هذا الطريق نفسه بالاستقلال السياسي للبلاد .

● واخيرا على المستوى السياسي ، يتطلب التخطيط استقلالا حقيقيا للبلاد ، لانه دون هذا الاستقلال الحقيقي ، يبقى تحديد سلم الافضليات فكرة مجردة ، ويتطلب كذلك عملا ديموقراطيا مع المشاركة الواعية والمساعدة الفعالة من طرف العمال ، ففي هذه الافاق سيكون التنظيم البلدي الجديد الذي خصص ثلثي مقاعد المجلس الشعبي البلدي للعمال ، سيكون مطالبا بان يلعب دورا حاسما شيئا فشيئا في تكوين وتطبيق المخطط .

وفي هذا الاطار اخيرا يجب على سياسة تصنيع حقيقية ان تتحدد من اجل الاستعمال الكامل لطاقاتنا الاقتصادية تبعا للحاجيات الحالية . ان الاجهزة الصناعية التي تركها الاستعمار للجزائر قليلة النمو جدا ، فلم يكن ذلك يتجاوز بعض الورش او الصناعات الخفيفة الغذائية وبعض المجمعات ذات القيمة المتوسطة والكبرى التي كونت من حيث تزويدها بالعناصر الضرورية ، حسب مصلحة السوق الفرنسية وبعكس ماجرى في القطاع الزراعي ، فان قسما ضعيفا فقط من هذه الوحدات قد وضع تحت نظام التسيير الذاتي ، بينما يتطلب نمو القطاع المسير ذاتيا ، ليس فقط توجيه وتحويل القطاع الخاص تحويلا تدريجيا ، ولكن ايضا ان تكون هناك مشاريع صناعية جديدة .

ان اهداف هذه المشاريع الجديدة يجب ان ترمي بصفة أساسية الى :

● خلق وظائف جديدة .

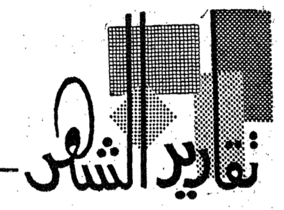
● تموين الاستهلاك الداخلي ، وهذا يعني الانقاص من استيرادات المواد الاستهلاكية والزيادة من تصدير هذه المواد نفسها .

ان هذا سيسمح من جهة اخرى للانتاج الزراعي بأن يجد اسواقا جديدة ويخلق قاعدة لنموه .

● تكوين مجمعات صناعية قادرة على ارساء اسس صناعية ثقيلة في الجزائر . ولكن هذا يفرض كشرط مسبق تنشيط كل الصناعة الخفيفة والمتوسطة الموجودة والقادرة على تكوين قاعدة نمو للصناعة الثقيلة التي تتطلب سوقا واسعة بقدر كاف لضمان ربح هذه الصناعة .

ان الصناعة الخفيفة والمتوسطة وبصفة خاصة ، الصناعة التحويلية تخلق كثيرا من الوظائف وتسمح بتسرب جزئي للبطالة بينما تخلق الصناعة الثقيلة قليلا من الوظائف لانها مبنية على المقدرة الفنية والالية .

وعلى مستوى آخر فان الشركات الوطنية ، اذا ظهرت صلاحية تكوينها ، فانها يجب ان تخضع بصفة دقيقة الى قوانين ومبادىء المجتمع الاشتراكي وليس الى قوانين السوق الرأسمالية . ان تكوين هذه الشركات الوطنية ، وازدهارها يطرحان مشكلة تسييرها . ومسئولية العمال يمكن ان تنقص ، هناك ايضا الكثير من المهام التي يجب ذكرها مثل التوزيع والتسويق ونظام البنوك ، والتكوين المهني واعادة ومراجعة نظم التعليم ، ولكن ذلك لن يؤدي بنا الى استغراق زمن طويل ، لقد اكتفينا بمعالجة المهام التي يظهر لنا انها تكتسي اهمية اكبر وافضلية مطلقة .



- البترول .. مصدر جديد للنقد الاجنبى
- محاولة مغربية لتدويل النزاع على الحدود
- الاربعة الخضر يحكمون أندونيسيا
- أسطول جونسون يغلق طريق التفاوض

■ **الجمهورية العربية المتحدة**

حول الاشتراكية والانتاج والاداء والادخار

في مساء الثامن عشر من مارس الماضى افتتح الرئيس جمال عبد الناصر مؤتمر الانتاج الاول لوزارة الانجاز موضحا لكثير من المفاهيم السياسية ومحددا الخطوط العريضة لطريقة العمل وأهدافه فى سنوات الانجاز القادمة وبالتالى اعطاء اشارة واضحة للطريق الذى سنسلكه بعد تجاوز مرحلة الانجاز ، وقد تناول خطاب الرئيس نقاطا ومواضيع كثيرة نذكر منها :

- التفسير البسيط لمعنى الاشتراكية فى قطاع الانتاج .
- الطريق الى الاشتراكية وضمان استمرار السير فيه .
- أهداف خطة العمل فيما بعد مرحلة خطة الانجاز .

ومن دعائم التطبيق الاشتراكى مبدأ العدالة فى توزيع الناتج القومى على افراد المجتمع لكل حسب جهده فى الانتاج . والعدالة لكى تصبح حقيقة ملموسة فانها تتطلب تطويرا وتغييرا لشكل ملكية عوامل الانتاج وكيفية تكوين عائد الانتاج ذاته وكيفية توزيع هذا العائد وطريقة استخدامه فى اشباع حاجة أفراد المجتمع ، لذلك نجد الرئيس جمال عبد الناصر يبرز التفرقة الواضحة بين الاشتراكية والرأسمالية فى العناصر الرئيسية التالية .

● **كيف يتكون عائد الانتاج ؟** ان عائد الانتاج يمثل عائد جهد وقوى الشعب العاملة فى كافة قطاعات الانتاج والخدمات لصالح الجميع وفى ظل اشراف ورقابة الدولة لصالح الجميع بغية تحقيق الهدف الرئيسى وهو اسعاد ورفاهية أفراد المجتمع وبالطبع تنتفى علاقة الاستغلال سواء فيما بين قوى الشعب العاملة أو فيما بينهم وبين الدولة ، وهذا لا يعنى ــ فى حد ذاته ــ الغاء الطبقات وانما الغاء التفاوت الشاسع فيما بين دخول الطبقات وجعل الجهد البشرى المصدر الرئيسى للدخل .

● **من الذى يملك وسائل الانتاج ؟** انه لاشك المجتمع ، ولكن لظروف خاصة تميز قطاع الزراعة فى مجتمعنا ولاعتبارات التحول السلمى الى الاشتراكية وما يتطلبه من التدرج فى التطبيق ، فقد ظلت بعض عوامل الانتاج مملوكة للقطاع الخاص ولكن تحت رقابتها وفى اطار التخطيط الشامل ، فقطاع الزراعة مثلا تربطه بالتخطيط الشامل نظم الدورة الزراعية وتجميع الاستغلال الزراعى والتسويق التعاونى ، وفيما عدا بعض الصناعات

الحرفية الصغيرة ، فإن قطاع الصناعة الرئيسية يكاد أن يكون مملوكا بالكامل للمجتمع ، وبالتالى فان عائد هذه الملكية يعود على المجتمع ذاته ، وهو الامر الذى يدعوا الى حرص الجميع على حسن اداء القطاع العام للمهام الموكولة اليه على خير وجه .

● **من الذى يحصل على عائد الانتاج ؟** ومـا دام المجتمع هو الذى يملك معظم وسائل الانتاج وتحولها من تحت سيطرة القطاع الخاص ، فليس هناك مايحول دون حصول جميع العاملين فى الدولة وغيرهم على المزايا المباشرة وغير المباشرة التى يتيحها تملك الدولة لعوامل الانتاج بالطريــق والاسلوب والتوقيت الزمنى الذى يتفق وظروف المجتمع .

● **فيم يستخدم عائد الانتاج ؟** اذا كانت الصفة المميزة لاستخدام العائد فى المجتمع الرأسمالى هى محاولة تضخيم التكوين الرأسمالى لصالح الفئة الرأسمالية المحتكرة للقدر الكبير من وسائل الانتاج فانها بالتالى تتحكم فى توزيع العائد بين الدخول المكتسبة (أجور الطبقة العاملة) وبين الدخول غير المكتسبة (عوائد ملكية عناصر الانتاج) وبالقدر الذى يمكن هذه الفئة القليلة (فئة الـ ٣/١ ٪ فى مجتمع ماقبل الثورة فى مصر) من التحكم والسيطرة واستمرار خضوع الطبقة العاملة الكادحة لانها لاتتملك شيئا تستطيع أن تحقق به بعض المساومة أو الاستقلال عن سيطرة وسطوة الرأسمالية المحتكرة . ولكن الدولة فى مجتمعنا تستخدم الفائد فى تكوين الاستثمارات الجديدة والمزيد من العمالة وبالتالى زيادة أعداد ذوى الدخول المنظمة ممن حرموا نعمة العائد (الاجر) المنظم وحرموا ايضا ميزة الاستهلاك المنظم ، هذا الى جانب مبدأ تكافؤ الفرص للجميع (الخدمات الصحية المجانية والتعليم المجانى) والدولة بذلك تمنع استغلال الانسان لاخيه الانسان وهو الاساس والدعامة الجوهرية لبناء الاشتراكية .

وتعتبر فترة خطة الانجاز خطوة على الطريق نحو الاشتراكية ، وبقدر نجاح الخطة فى تحقيق أهدافها بقدر ما يكون الطريق نحو الاشتراكية ميسرا ، ولضمان ذلك فان المناضل جمال عبد الناصر أوضح ضرورة وجود مؤشرات لقياس النجـاح وبالتالى الحساب على مستوى القطاع العام ثم على مستوى القطاعات الفرعية ثم على مستوى المؤسسة وفى النهاية على مستوى الشركة باعتبارها الوحدة الاقتصادية المتكاملة الاعضاء ، وفى سبيل ذلك **أتفق مقدما** على وجود مقياسين ومؤشرين لوسيلة الحساب هما :

● **حساب الاداء** ، ويقصد به معدل التنفيذ الذى تحققه الوحدة الاقتصادية بالنسبة للمستهدف تحقيقه سواء بالنسبة للانتاج الاجمالى أو الانتاج الصافى اومستلزمات الانتاج (كما وقيمة) او اهداف التصدير والعمالة وبقدر مايتحقق من نجاح فى تحقيق المستهدف انجازه فى سنوات الخطة ـــ بافتراض أن ذلك المستهدف هو الحجم الطبيعى لقدرة ونمو الانشطة الاقتصادية الوطنية ـــ بقدر ما يتيسر تحقيق التوازن الاقتصادى دعامة التنمية الاقتصادية لصالح المجتمع ولخير الجميع ، وبذلك يكون قياس الاداء فى نفس الوقت مقياسا صالحا للبذل والاداء فى خدمة الاشتراكية أيضا .

● **حساب الادخار** ، اى حساب مدى قدرة المشروع على تحقيق معدل الادخار اللازم لتكوين استثمارات التنمية الاقتصادية . فكل وحـــدة اقتصادية يجب أن تبذل قصارى جهدها فى تكوين التمويل **الذاتى** ، لأن تجعل الزيادة فى الانتاج مسخرة ومحولة بالتلقائية لخدمة أغراض الاستهلاك سواء الفردى أو الجماعى (الترف فى اقتناء الاثاث والمفروشات) او عدم القصد فى استخدام مستلزمات الانتاج . وتكوين الادخار الذاتى لكل وحدة أقتصادية يساهم الى حد كبير فى التقدير . والحكومة من جانبها ـــ فى سبيل تلك الاهداف ـــ قد التزمت هى الاخرى بمبدأين هامين هما :ـــ

خفض الانفاق الداخلى ، لتجنب أى اثار تضخمية التركيز على المشروعات الاكثر أقتصادا رغبة فى زيادة الانتاج والعائد .

وهما هدفين مرتبطين ببعضهما تمام الارتباط ، فالتصنيع الثقيل بمثابة تشييد الاساسة الخرسانية للاشتراكية والاعتماد على النفس يمثل المرحلة الاخيرة للاستقلال الاقتصادى وبالتالى الاستقلال السياسى ، والتصنيع الثقيل أصبحت له استثماراته الخاصة المميزة عن باقى الاستثمارات ، مثال ذلك مجمع الحديد والصلب ، وقد خصص له ١٤٥ مليون جنيه ضمن استثمارات خطة الثلاث سنوات القادمة والاهتمام بالتصنيع الثقيل تحتم وجوده اعتبارات عديدة منها :

● اهداف التنمية الاقتصادية المتوازنة بين قطاعات النشاط الاقتصادى المختلفة ، باعتبار ذلك ضرورة يحتمها تجنب الاختلال فى التوازن الداخلى أو مع الخارج .

● حساب الادخار ، وتكوينه واستخداماته ، واهمية التصنيع الثقيل تنبع من جانب آخر يرتبط ارتباطا وثيقا بتكوين الادخار وأستخداماته فالعبرة بأهمية الادخار (مالم ينفق من الدخل على الاستهلاك) بأن يقابله استثمار يواجه احتياجات التنمية الاقتصادية ونجاح خطط التنمية الاقتصادية يعتمد على تحقيق التوافق بين الادخار وبين الاستثمار اللازم للسلع الانتاجية ذات الكثافة الرأسمالية العالية ، ومن هنا كانت أهمية التصنيع الثقيل حيث يمثل القدر الاكبر من الاستثمارات كبديل للمخزون السلعى من سلع الاستهلاك والسلع الوسيطة الفائضة عن حاجة الاستثمار الحالى ، او التى لاتلقى رواجا

مناسبا فى الاسواق الخارجية ، وهى الناشئة عن الاهتمام النسبى بالصناعات الخفيفة .

● الحقيقة التى لاجدال فيها ، وهى اتجاه معدل التبادل التجارى الخارجى فى غير صالح الدول النامية والذى يضاعف من خطورته على اقتصاد الدول النامية اعباء تكلفة الاقتراض الاجنبى ، وهما الامران اللذان يؤديان معا الى الزام الدول النامية بتصدير المزيد من السلع الوطنية وحرمان السوق المحلية منها لغرض الوفاء بالاعباء المتراكمة من عام لآخر ، يضاف الى هذا تزايد تكلفة الواردات المصنوعة ، وفى النهاية انخفاض عائد وانتاجية العمل الوطنى فى الدول النامية ، اى انخفاض القيمة المضافة لعناصر الانتاج الوطنية .

اذن فسبيل التصنيع الثقيل والاعتماد علـــى النفس يؤديان معا الى توسيع دائرة الاكتفاء الذاتى فيكون النقص فى الواردات من السلع المصنوعة اعتمادا على انتاج البديل محليا دون ما حاجة الى التضحية ببعض المزايا التى تستطيع الحصول عليها اذا ما اتخذت موقفا صلبا تحتمه ظروف وواقعية الاستقلال السياسى الذى ينبغى أن يعتمد على انتاج كبير وبتكلفة مناسبة ويحقق تقدما ملموسا .

●

البترول .. مصدر جديد للنقد الاجنبى

أعلنت وزارة التجارة الامريكية فى نشرتها الاسبوعية ، انه من المرجح ان يصبح البترول المصـــــدر الثالث الكبير للنقد الاجنبى فى الجمهورية العربية المتحدة خلال السنوات القليلة القادمة ، بعد القطن وقناة السويس .

وفى نفس الاتجاه اكدت « واشنطن بوست » ان اكتشافات البترول الاخيرة ستضع الجمهورية العربية المتحدة فى صفوف الدول المصدرة للبترول .

وقد جاءت هذه الاراء والتعليقات فى اعـــقاب الاكتشافين الكبيرين للبترول فى حقلى المرجـــان والعلمين خلال الشهور الثمانية عشرة الماضية . مما سيرفع انتاجنا من البترول بصورة تصاعدية حتى يصل الى ٣٠ مليون طن قيمتها ١٠٠ مليون جنيه .

والواقع ان اعتبارات ضخامة رؤوس الاموال المطلوبة فى عمليات البحث (البئر يتكلف من ١٠٠ الف الى مليون جنيه وقد تكلفت اعمال البحث فى ليبيا مثلا ١٠٠٠ مليون دولار وتم حفر ١٠٠ بئر) فضلا عن الحاجة للخبرة الفنية المتخصصـــــة والاجهزة والمعدات الجديثة ، دفعت المؤسســـة العامة للبترول للاستعانة بالشركات الاجنبيـــة حيث ان القروض لاتفيد فى ذلك . وتم هذا فى اطار نظام محكم يضمن الحفاظ على الثروة القومية ويمنع اى تلاعب ويعطى للدولة رقابة ومتابعة دقيقة تمنع قيام اى نوع من النزاعات التى غالبا ما تحدث فى مناطق الاستقلال الاخرى فى الوطن العربى والتى تنشأ بالدرجة الاولى عن انفراد الشركات الاجنبية لكل العمليات . فضلا عن ان هذه السياســـــة تجنبنا مخاطر عمليات البحث والتنقيب (تلتزم الشركات الاجنبية بانفاق ٩٤٫٥ مليون دولار) ويضمن اشتراك الامكانيات المحلية ، ويصـــلح كمثل يحتذى وهذا ماطالبت به بعض صحف الكويت التى نادت بعقد اتفاقات على غرار اتفاقـــات الجمهورية العربية المتحدة ، التى تتمثل فى الاتى :

اطراف العقد : المؤسسة المصرية العـــــامة للبترول والشركة الاجنبية (بنسبة ٥٠ ــ ٥٠) . وبذا تصبح الدولة شريكا ومانحا للامتياز

مدة العقد : مدة اولية ٣٠ عاما يمكن مدها ١٥ عاما آخرى ، مما يمنع بقاء الشركات الاجنبية الى مالا نهاية

الالتزامات : يتم الكشف والتنقيب خلال فترة تتراوح بين ٧ و١٢ عاما وتلزم الشركة برد اراضى الامتياز بعد مدة ، كما تتحدد مساحة مناطق البحث بما يمنع انتشار الشركات بمســـاحات شاسعة كما يحدث مع العراق (وتسيطر الشركات فيها على كل الاراضى وتستخدم ١/٢٪ منها فقط) وتتحمل الشركة الاجنبية المخاطر المالية طوال مدة الكشف كما يحدث مع العراق (تسيطر الشركات فيها على التى لها حق مراجعة المصروفات . وتعين حدود مناطق الاستغلال بمعرفة الشريكين ويجرى اعداد الحقول المنتجة واستغلالها بواسطة شركة من الشريكين يملك كل منهما ٥٠٪ من البترول المنتج ، ولكل منهما الحق فى تصدير حصته بعد الوفـــاء فى سد الاحتياجات المحلية . وفى بعض الاحيان يلتزم الشريك الاجنبى بتصدير جانب من نصيب المؤسسة . كما تنص العقود المبرمة على حصول الحكومة على اتاوة تتراوح بين ١٥ ، ٢٠٪ كحد ادنى من الانتاج او ٥٠٪ من الارباح ايهما اكبر ، كما أن لها الحق فى شراء نسبة من الانتاج بحـــد اقصى ٢٠٪ للاستهلاك المحلى بخصم ١٠٪ من سعر التصدير وتحصل الحكومة على اتاوة ٥٠٪ من الارباح الصافية لكل شريك فى شكل اتاوات وضرائب ورسوم جمركية وايجـــارات وتنص عقود الامتياز على تعيين مساعد مـــصرى لكل خبير اجنبى حتى يكتسب خبرته ويحل محله ، واعطاء الاولوية للمقاولين المحليين والخـــامات

المحلية . وللحكومة حق الاستيلاء على منتجات الشركة فى حالة الطوارىء القومية مع التعويض كما ان اى نزاع يحل طبقا للقوانين المحلية .

والواقع ان عائد استثمارات البترول اعلى من عائد الاستثمار فى اى صناعة اخرى بكثير ، اذ تبلغ انتاجية العامل فيها ٤٤٥٨ جنيها ، بل وتبلغ انتاجية الجنيه من الاجور ٨٫٣ جنيها . وقد ارتفعت العمالة فيه الى ٢٧٦٧٤ عاملا ، بلغت اجورهم ١٦ مليون جنيه . وللعمالة فى قطاع البترول مشاكلها الخاصة ، التى تستدعى أن تضع المؤسسة خطة متكاملة لمواجهتها ، فقد حاولت شركات التنقيب الاجنبية مثلا استخدام العمال فى عمليات التنقيب فى عمليات محدودة ولمدد معينة وعند انتهاء البحث فى منطقة معينة تقوم بالاستغناء عنهم ، ثم تعقد لهم عقودا جديدة فى العمليات الجديدة حتى تتخلص من مدد خدمتهم وحقوقهم السابقة ، الامر الذى يستدعى مد نطاق الحماية الاشتراكية الى العاملين فى هذا المجال .

وقد عكست التجربة المصرية آثارها فى مؤتمر البترول العربى السادس الذى عقد فى بغداد واشتركت فيه وفود ٢٢ دولة عربية وآسيوية وأوربية ومن امريكا اللاتينية فضلا عن مندوبى ٥٠ شركة بترول ، وتجلى ذلك فى عدد البحوث المقدمة منها ونوعيتها ، اذ قدمت ٣٥ بحثا من مجموع البحوث المعروضة والبالغ ٦٢ بحثا ، كان من اهمها بحثا عن استغلال الدول العربيـة لبترولها ، وتجلى ايضا فى فشل الهجوم الذى قام به ممثلو السعودية وشركة أرامكو على التجربة المصرية ، ووقوف المؤتمر فى وجه هذه المحاولات . وسيادة الاتجاه الذى ينادى بضرورة التنسيق بين السياسات البترولية للدول العربية تمهيدا لتحقيق المواجهة المشتركة لشركات البترول الأجنبية ، التى تعتمد اساسا على توزيع وتنويع مصادر انتاجها فى عدة دول الامر الذى يتيح لها تحمل توقف انتاجها فى واحدة منها ، بينما لاتستطيع هذه الاخيرة الصمود طويلا امام هذا التوقف ، خاصة وأن الشركات الاجنبية نجحت فى جعل اقتصاد يقوم على البترول ويتوقف عليه بما يحتم توحيد موقف البلاد العربية تجاه الشركات الاجنبية ، وتوحيد شروط الامتيازات التى ستمنح فى المستقبل ، وتوحيد وتنظيم علاقة الحكومات بهذه الشركات من الناحية المالية والصحية والفنية والاجتماعية والعمالية ، وتحسين قواعد المشاركة فى الارباح ، واقامة اجهزة موحدة لرسم السياسة البترولية ، والارتقاء بالعمل العربى لمستوى يجعل فى امكانه الاستقلال باستغلال موارده فى المستقبل ، ويضمن له حاليا وضعا أفضل فى المساومة من ناحية ، ويخدم اهدافه السياسية وعلاقاته الدولية من جانب آخر .

دستور من صنع الشعب

بدأت دورة جديدة من جلسات « لجنة الاستماع » وهى دورة مخصصة لاستماع اراء المواطنين المتعلقة بالتطبيق الاشتراكى فيما يختص بالمقومات ذات الصبغة الاقتصادية الواردة فى الدستور المؤقت ضمن المواد من الثامنة الى الثامنة عشر .

وكانت الدورة الاولى «للجنة الاستماع » . قد انتهت فى منتصف مارس الماضى ونوقشت خلالها « نظام الدولة السياسى » الذى يتضمنه الباب الاول من الدستور المؤقت .

وكان مجلس الامة قد شكل من ثمانية من أعضائه «**اللجنة التحضيرية لاعداد الدستور** » استجابة لتوجيه الرئيس جمال عبد الناصر الذى دعا فيه مجلس الامة لان يشرع فى أعداد الدستور الدائم للبلاد ــ وكان المجلس قد حدد مهمة اللجنة التحضيرية « بدراسة الدستور المؤقت لاستظهار مواطن النقص أو القصور فيه ومراجعة الميثاق لاستخلاص المبادىء التى لم يتم تقنينها فى الدستور المؤقت وأعداد بحوث ودراسات مقارنة فيما يتعلق بالمبادىء الاساسية فى مختلف دساتير العالم وتحضير المراجع والدراسات ثم الاستماع لراى الشعب »

وبعد ان استخلصت اللجنة التحضيرية المقومات الثورية الاساسية من الميثاق والدستور المؤقت وخطب قائد الثورة ، اعلنت نتائج دراستها الاولية للشعب ودعت كل المواطنين للمشاركة فى المناقشة من أجل أعداد الدستور الدائم وشكلت « لجنة الاستماع » لكى يتقدم اليها المواطنون .

ويرى المراقبون الذين تابعوا الدورة الاولى من أعمال اللجنة أنه كانت هناك دعوة واسعة لان يتضمن الدستور « تقنينا للثورة » وعلى ضرورة النص فى الدستور على مكتسبات الثورة ، وأن يحدد الدستور السمات البارزة للتطبيق الاشتراكى فى بلادنا ، وأن يحدد المضمون الاجتماعى للتحول الاشتراكى . ولم يكن هناك خلاف بين المتحدثين فى هذه النقطة حول مدلول الاشتراكية الديمقراطية ، وان الديمقراطية الاجتماعية هى الطريق الصحيح الى الديمقراطية السياسية

ولاحظ المراقبون تركيز واضح بين المتحدثين فى هذه النقطة وبشكل خاص بين المتحدثين من الفلاحين ــ على ضرورة تحديد معايير لفئات قوى الشعب العاملة ــ والمطالبة بالنص فى الدستور على ما تضمنه الميثاق من تمثيل العمال والفلاحين بنصف مقاعد المجلس النيابى والمجالس الشعبية ــ وكان هناك الحاح من الفلاحين الذين تكلموا فى الجلسات

على أن يتضمن الدستور النص على أن « الارض لمن يفلحها » وأن الفلاحين « هم الفئة التي تعيش في الريف أصلا ملتصقة بالارض ومصدر رزقهـا الوحيد الزراعة ولايزيد ما تزرعه ملكا أو ايجارا عن خمسة أفدنة » .. ودعا المتحدثون لاعتبار من تزيد ملكيتهم او حيازتهم عن هذا القدر بانهم من « الرأسمالية الوطنية الزراعية » — وطالب بعض المتحدثين بأن يكون « أعضاء الجمعيات التعاونية ممن يحوزون خمسة أفدنة أو أقل » — ومن ناحية أخرى كانت هناك دعوة قوية لتحديد مفهـوم الرأسمالية الوطنية .

وحظيت قضية الديمقراطية بنصيب وافر من اهتمام المتحدثين،وتناول الحديث مفهوم الديمقراطية السياسية والاجتماعية ، وعنى المتحدثون بالتأكيد على أهمية توسيع الديمقراطية وأحاطتها بالضمانات اللازمة،فدعا احد المتحدثين «بأن يتضمن الدستور بيانا عن الحريات السياسية والاقتصادية وضمانات هذه الحريات — وهي ضمانات عملية تؤكد أمكانية ممارسة العمل السياسي للجميع لالفئة من الفئات» ودعا متحدث آخر الى أن تكون الديمقراطية في تجربتنا هي«ديمقراطية المشاركة — مشاركة الشعب العامل في ادارة شئونه الاقتصادية والسياسية »

ودعا عـدد كبيـر من المتحـدثين الى دعم نظام الحكم المحلي وأن نبدأ التفكير في أقامة المجالس الشعبية المنتخبة وتأكيد سلطة هذه المجالس فوق سلطة أجهزة الحكم .

وكان الاتحاد الاشتراكي العربي موضع اهتمام عدد كبير من المتحدثين في جلسات الاستماع وتناولوه من زوايا عديدة — ماهي طبيعة الاتحاد الاشتراكي؟ هل هو سلطة عليا — ام تتمثل فيه سيادة الشعب؟ وماهي علاقة الاتحاد الاشتراكي العربي بمجلس الامة وبمختلف أجهزة الحكم — وكان هناك أتجاهان رئيسيان واضحان من آراء المتحدثين الذين تناولوا هذه النقطة — اتجاه يرى أن الاتحاد الاشتراكي هو الذي يمثل ويمارس سيادة الشعب . ويجب أن ينص صراحة على أنه السلطة العليا في البلاد — وبالتالي لايجوز أن يوجد الى جانبه سلطة أخرى كمجلس الامة — واتجاه آخر وصف الاتحاد الاشتراكي بأنه سلطة سيادة عليا لاسلطة حكم ،

وبينما نجد المتحدثين في الاتجاه الاول يطالبون بأن يقود الاتحاد الاشتراكي بابا خاصا في الدستور يحدد اختصاصاته وتنظيماته وعلاقته باجهـزة الدولة نجد أن المتحدثين عن الاتجاه الثاني يرون « الاكتفاء بما جرى عليه الدستور المؤقت من الاكتفاء بالاشارة الى الاتحاد الاشتراكي كقوة سياسية دافعة وموجهة ، اما تنظيمه فلن يتم خارج نطاق تنظيم سلطة الدولة وهو بعد يسود ويوجه سلطة الدولة لاستنادا الى نص دستوري بل استنادا الى تأثيره الحقيقي في الجماهير »

هذا وقد برز اتجاه قوي بين المتحدثين في المطالبة بايجاد « الصيغة الملائمة لربط الجنود ورجال القضاء بالاتحاد الاشتراكي العربي » .

وقد عبر الكثيرون من المتحدثين عن تطلعهم بأن يتضمن الدستور أو مقدمته النص على ضرورة مساندة حركات التحرر الوطني والشعوب التي تكافح من اجل استقلالها وطالبوا بتجسيد السياسة الخارجية للجمهورية العربية المتحدة التي استقرت في ضمير الشعب وابرزت شخصيته على النطاق العالمي وذلك بالنص في مقدمة الدستور على مبدأ الحياد الايجابي وعدم الانحياز والاعلان العالمي لحقوق الانسان .

ومن القضايا التي حظيت باهتمام المتحدثين في جلسات الاستماع موضوع النص على دين الدولة في الدستور — وكان هناك رايان متباينان — رأي يرى ضرورة النص على أن « دين الدولة الاسلام » وذهب البعض الاخر الى الدعوة بأن يكون اسم البلاد الجمهورية العربية الاشتراكية المؤمنة أو المسلمة .. وطـرح الـرأي الاخـر تسـاؤلا « هـل من الضروري أن ينص الدستور على مسألة الديانة مع أن الاتجاه الحديث في الدساتير هو عدم التعرض لها . واقترح البعض في هذا الاتجاه أن يكون لنا شعار « الدين لله والوطن للجميع » .

ولكن مع تباين الرأيين كان هناك اتجاه قوي وأضح لان تكون الشريعة الاسلامية أحد مصادر التشريع الرئيسية،وعن ضرورة التأكيد مع احترام الشعائر الدينية لكل المواطنين

ومن اروع المشاهد التي شاهدتها قاعة مجلس الشيوخ التي تعقد فيها جلسات لجنة الاستماع هي المشاركة في المناقشة التي قام بها وفد مؤتمر المحامين العرب حيث توالى على منصة اللجنة نقباء المحامون والمحامون العرب من العراق وسوريا ولبنان والسودان وغيرهم

ويرى المراقبون أن كلمة السيد **فاروق ابو عيسى** امين سر نقابة المحامين في السودان كانت نموذجا وتلخيصا معبرا عن اثر مايجري في الجمهورية العربية المتحدة على البلدان العربية الاخرى — وتداعلن في كلمة أمام اللجنة « انها لمقارنة غريبة أن أحضر الى مصر وأرى دستور مصر يضعه أبناء الشعب العامل في هذه القاعة وهناك في السودان يخافون المصير ولا يخافون الضمير — أن الدستور هنا يوضع في الشارع ، ومن حق كل مواطن أن يدلي برأيه فيه وهذه تجربة رائدة بعكس ما يحدث في السودان مثلا حيث تغلق الابواب على قلة تتولى وضع الدستور ، واكد المناضل السوداني أمام

اللجنة « ان شعب السودان جزء من الشعب العربي مهما ارادوا له غير ذلك ، انهم يفكرون فى ربط السودان بكينيا وتنجانيقا والصومال ولكنى أؤكد أننا جزء منكم ولايمكن لاية قوة أن تفصل بيننا وبين الشعب العربى فى الوطن العربى الكبير ».

ويرى المراقبون أن جلسات الاستماع فى اللجنة التى أعقبت صدور الميثاق قد أحدثت من التغيير الكبير فى حياتنا وأفكارنا — مما أدى الى ظهور هذا الفرق الهائل بين مناقشات الشعب اليوم وبين مناقشاته أثناء انعقاد المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية رغم تقارب الموضوعات التى تناقش اليوم مع تلك التى نوقشت اثناء انعقاد المؤتمر » وللتدليل على هذه الحقيقة يقول احد المراقبين انه « فى الوقت الذى تعلو الاصوات التى تطالب بأعادة النظر فى تعريف العامل والفلاح بقصد تضييقه الى ابعد مدى — لايعلو صوت مضاد يطالب بالابقاء على التعريفين أو التوسع فيهما كما حدث أيام المؤتمر — وفى الوقت الذى ترتفع الاصوات تطالب بالاعتراف للمرأة بكامل حقوقها وكل حريتها — كانت الاصوات تطالب فى مؤتمر القوى الوطنية بفرض ازياء الراهبات على المرأة واعلان وصاية الرجل كاملة عليها وعلى تصرفاتها وحرمانها من معظم الوظائف لانها لاتناسب طبيعتها التى خلقت لحياة البيت وخدمة الرجل والطفل »

ويرى المراقبون انه كلما تقدم العمل من اجل أعداد الدستور فأن المناقشة تتنسع وتجتذب انتباه فئات أوسع وأوسع من جماهير الشعب — وتلعب وسائل الاعلام دورها فى نقل مايدور فى الجلسات ونشره على أوسع نطاق ويساهم الكتاب والمعلقون بالابحاث والمقالات والمحاضرات حول مشكلات الدستور وسوف ترفع محاضر الجلسات ومعها كل ماورد الى اللجنة من آراء المواطنين الى الامانة العامة للاتحاد الاشتراكى لكى تطرحها على كافة مستويات الاتحاد وتقوم بتجميع الملاحظات واعادتها للجنة — وبهذا يتجمع لدى اللجنة صورة واضحة عن اتجاهات الرأى العام

●

لجنة دائمة
لوحدة القوى العربية الثورية

فى المدة من ٢٧ فبراير الى ٤ — مارس ١٩٦٧ انعقد فى القاهرة المؤتمر التاسع لاتحاد المحامين العرب . وقد اشترك فى المؤتمر اكثر من ١٨٠٠ مندوب (اثنى عشر نقابة) من كل البلاد العربية عدا تونس والاردن حيث منع ممثلو المحامين فيهما من المشاركة فى اعمال المؤتمر .

واشترك فى المؤتمر عدد من المراقبين — مندوب رابطة القانونيين الديمقراطيين الدولية ونائب رئيس المحكمة العليا السوفيتية وممثلو حركات التحرير فى الجنوب المحتل واريتريا .

وافتتح الرئيس **جمال عبد الناصر** المؤتمر حيث تحدث فيه عن وحدة القوى الثورية وعن الثورة والقانون ..

وقال جمال عبد الناصر : « ان القوى الوطنية الثورية مطالبة قبل اى شيء آخر بأن تبنى قواعدها الاساسية فى أوطانها مع جماهيرها وهذا هو العامل الذى يحدد مكانها فى مجال وحدة القوى القومية الثورية كما انه يحدد فاعليتها وبالتالى فان العمل الوطنى الثورى — فى كل وطن عربى — هو مقياس الطاقة على خدمة العمل القومى . واقول بأمانة أن الحركات الوطنية التى لاتبنى قواعدها الاساسية فى أوطانها ومع جماهيرها لاتستطيع أن تقدم للعمل الثورى الموحد أو تضيف اليه ، وهى تتحول بغير شك لتصبح قيدا لحركته وعبئا عليه . تأخذ من العمل الثورى الموحد ولاتعطيه وبالتالى تضعفه ولاتقويه . وحين أتحدث عن القواعد الاساسية فلست أعنى بذلك قواعد السلطة فما أكثر مانرى الجماهير العربية على ناحية والسلطة فى أوطانها على الناحية الاخرى ، ان الجماهير هى القوى الحقيقية ، والسلطة بغير الجماهير مجرد تسلط معاد لجوهر الحقيقة .

وحمل المناضل جمال عبد الناصر مؤتمر المحامين العرب أمانة العمل على تقنين الثورة .. فقال « كما أن تقنين الثورة حصانة أكيدة للتطور الدستورى السليم وليظل القانون دائما أكبر من مراكز السلطة القوة وأعلى من أرادات الافراد .

وقد دار حوار سياسى وقانونى داخل لجان المؤتمر وأنتمى المؤتمر بعد أربعة أيام الى توصيات شجبت مؤامرات الاستعمار والرجعية العميلة والصهيونية . أما فى مجال وحدة القوى العربية الثورية وقضية الاشتراكية . فقد دعا المؤتمر : « كل الهيئات والمنظمات والاحزاب التقدمية وكل الوطنيين الاحرار على كل الارض العربية ، الى المبادرة فورا الى تأمين اللقاءات الايجابية فيما بينهم ، وفتح الحوار المخلص الهادف الى تحقيق وحدة التقييم للمرحلة ، ووحدة الهدف والصف والخطة والنضال فى المعركة الواحدة . وذلك سعيا الى تحقيق وحدة كل القوى العربية الثورية»

وتقرر تكوين لجنة دائمة **لوحدة القوى العربية الثورية** فى مقر الامانة العامة لاتحاد المحامين العرب تسعى لتأمين اللقاء بين الطلائع الثورية ،

وأكد المؤتمر أن الاشتراكية اصبحت ضرورة لازمة لاقامة العدل الاجتماعى فى المجتمع العربى والطريق

الحتمى لحل مشكلات التخلف والتبعيـــة . وأن الانجازات الاشتراكية التى تحدث فى بعض البلدان العربية قد ادت الى تصاعد المد الثورى الشعبى فى الدول العربية وأسهمت الى حد كبير فى توسيع الكفاح الثورى فى المنطقة العربية برمتها ضـد الاستعمار وقواعـده المتمثلة فى شركاته الاحتكارية وشركات النفط بصفة خاصة وقاعدته اسرائيل وعملاءه من الرجعيين . واعلن المؤتمر : أن طريق التحول الاشتراكى فى الوطن العربى وقد أصبح حقيقة واقعة يواجه اليوم أقوى تحديات الاستعمار والرجعية بأسلحتها المختلفة الاقتصادية والنفسية والعسكرية مما يستدعى المبادرة الفورية إلى توحيد القوى العربية الثورية الاشتراكية .

●

■ **مجلس الامة**

اعتراض على شرعية الاجراء
أم مـوقف من محتـــواه !

فى بداية شهر فبراير عام ١٩٦٧ أصدر **عصام الدين حسونه** وزير العدل قرارا بالغاء تنفيذ احكام الطاعة جبرا وبواسطة الشرطة . وعلق على قراره هذا بان الاسلوب الذى امر بالغائه ــ وهو تنفيذ الاحكام عن طريق الشرطة كان من شأنه أن يقيم كيان الاسره على اساس يحمل فى جوفه اسباب تصدعه وانهياره ــ وان الاسرة لايجوز أن تقوم علـى غير الحب والاحترام والكرامة . وان الاسرة التى تجمعها الشرطـة والخوف والحقد تعكس كل مساوئها على الابناء ومن ثم على المجتمع كله .

وباتخاذه لهذا القرار ــ الغى وزير العـدل احد الاجراءات التى اصدرها الباب العالى عام ١٨٩٧ لتنظيم علاقة الاسرة فى مصر من خلال تنظيم تنفيذ قوانين الاحوال الشخصية .

وقد أوضح وزير العدل ان تنفيذ احكـام الطاعة عن طريق الشرطة لم يكن احد القوانين المنظمة لعلاقة اطراف الاسرة فى مصر ، وانما كان اجراءا خاصا بشكل تنفيذ الاحكام التى يضعها القانون ويحكم فى اطارها القضاء .

وفى الثانى والعشرين من نفس الشهر اصدر السيد وزير العدل قراره الثانى الخاص بتعديل لائحة تنفيذ احد قوانين الاحوال الشخصية فى الجمهورية العربية المتحدة . وهو القرار الخاص بوقف رؤية الاطفال فى اقسام الشرطة . وفسر هذا الاجراء امام مجلس الامة اذ قال انه لم يعدل قانونا . ولم يستبدل قانونا بقانون ــ ولم يضع قانونا جديدا . وانما غير فى لائحة تنفيذ الاحكام التى يصدرها القضاء فى اطار قانون الاحوال الشخصية .

وبهذا القرار الثانى حدث رابع تغيير فى القوانين ولوائح القوانين الخاصة بالاحوال الشخصية فى بلادنا منذ بداية القرن العشرين . كان اولهما هو التعديل الهام الذى ادخل عام ١٩٢٣ على سن زواج الفتى والفتاة . وهو التعديل الذى ادخلته وزارة **يحيى ابراهيم** « باشا » بعـد ان طالب الاتحاد النسائى المصرى بقيادة السيدة **هـدى شعراوى** به ، والخاص برفع سن زواج الفتى من ١٦ الى ١٨ سنة ثم سن الفتاة من ١٤ الى ١٦ سنة . اما التعديل الثانى فكان عام ١٩٥٤ وهو التعديل الذى نص على الغاء المحاكم الشرعية حتى تصبح قضايا الاسرة من اختصاص المحاكم المدنية .

ثم جاء تعديلا وزير العدل .

ورغم عدم ادخال تعديلات اخرى على قوانين الاحـوال الشخصية فى بلادنا الا ان موضـوع الاحـوال الشخصية والتطورات اللازم ادخالها عليه اخذت مكان الصدارة فى وسائل الاعلام فى بلادنا اكثر من اى موضوع قانوني آخر ، وخاصة منذ عام ١٩٥٨ .

ففى عام ١٩٥٨ وبعد اتمام الوحدة بين سوريا ومصر شكلت لجنة على مستوى الاقليمين لتوحيد القوانين . ثم شكلت لجنة فرعية على مستوى الاقليم المصرى لاعادة النظر فى قانون الاحـوال الشخصية ثم محاولة التوحيد بينها وبين الاقليم السورى الذى اتسمت قوانينه بطابع اكثر تقدما .

وراس هـذه اللجنة الشيخ **فرج السنهورى** واستمرت فى اعمالها الى ما بعد ١٩٦٣ بينما قررت اللجنة ضم احدى النساء اليها ووقع الاختيار على السيدة «**مفيدة عبد الرحمن**» .

وتناثرت اخبار كثيرة عن التعديلات المزمع ادخالها على القانون الحالى . ولكنها لم تصدر عن شخص مسئول او بشكل رسمى . وبعد انتخاب مجلس الامه ــ عام ١٩٦٤ ــ توقع الكثيرون ان تتقدم اللجنة بالتعديلات التى ترى ادخالها على قوانين الاحوال الشخصية ، خاصة وأن اعمال هـذه اللجنـة استغرقت سـنوات طويلـة « ١٩٥٨ــ١٩٦٤ » الا ان المشروع الجديد لم يتقدم الى مجلس الامة فى دورة ١٩٦٤ .. ثم تكرر نفس الشيء فى عام ١٩٦٥ و١٩٦٦ الى ان جاء عام ١٩٦٧ .. وهو العام الذى شهد التعديليـن

الصادرين من وزير العدل حول اسلوب تنفيذ حكم الطاعة ورؤية الابناء عن طريق اقسام الشرطة .

وفى يوم ١٢ فبراير ١٩٦٧ ابلغت وزارة العدل الجهات المسئولة فى وزارة الداخلية بقرارها الخاص بمنع تنفيذ احكام الطاعة عن طريق الشرطة . ثم فى يوم ٢٤ من نفس الشهر ابلغت وزارة العدل الجهات المسئولة فى وزارة الداخلية قرارها الثانى الخاص بمنع رؤية الاطفال فى اقسام الشرطة .

وبذلك اصبح من المقرر ان يسقط حق الزوجة فى النفقة اذا ما رفضت تنفيذ حكم الطاعة ضدها والصادر من القضاء . وفى يوم ١٨ فبراير تقدم كل من السادة **مصطفى كامل مراد وصبرى القاضى ومحمد حافظ سليمان** اعضاء مجلس الامة بخمسة اسئلة وطلبوا عرضها بوجه السرعة على المجلس . وانقسمت الاسئلة الى قسمين :

الاول — ويتعلق بما اذيع من ان وزير العدل قد اصدر قرارا بعدم تنفيذ احكام الطاعة مع ان القانون سوف يعرض على المجلس خلال دورته الحالية . وعن مدى قانونية هذا القرار واسباب تأخر تقديم مشروع قانون الاحوال الشخصية الى المجلس حتى الان .

الثانى — يتضمن سؤالين عن ضرورة العمل على وقف تنفيذ احكام رؤية الطفل فى اقسام الشرطة وعدم تنفيذ احكام ضم الصغير بالقوة الجبرية .

وحدد يوم السبت ٤ مارس موعدا لمناقشة السيد وزير العدل امام اعضاء مجلس الامة .

وفى هذا اليوم تجمعت ١٥٠ سيدة مصرية فى شرفات قاعة المجلس وجلسن يتتبعن المناقشة ، التى دارت حول سلطة وزير العدل فى تغيير لوائح تنفيذ القوانين دون الرجوع الى مجلس الامة ، وبسبب تأخره عن تقديم مشروع قانون الاحوال الشخصية الجديد والذى وعد به منذ عامين . وهو مشروع القانون الذى الغى مشروع القانون الاول والذى وضعته اللجنة الفرعية التابعة من لجنة نوعية القوانين المشكلة عام ١٩٥٨ .

وقد لاحظ بعض المراقبين ان عددا من الاعضاء عمد الى الخروج عن اطار المناقشة حول شرعية الاجراء ، الى مواقف لاتحبذ تحرير المرأة ، وتعمل على تجميد وضعها وتقييد حقوقها .

وفى نهاية الجلسة قرر المجلس احالة موضوع الخلاف الدستورى الى اللجنة التشريعية مع تأييده الكامل لعدم تنفيذ احكام الطاعة او رؤية الاطفال بقوة الشرطة . وفى نفس الجلسة وعد الوزير بتقديم مشروع قانون الاحوال الشخصية الجديد فى الاسبوع التالى اى فى الاسبوع الثانى من شهر مارس ١٩٦٧ .

لقاءات عمالية وحلقات دراسية

استقبل اتحاد نقابات العمال فى الجمهورية العربية المتحدة خلال الشهر الماضى وفود اتحادين عماليين كبيرين .

الاول : **وفد الاتحاد العام للعمل الفرنسى** C.B.T. وهو الاتحاد الذى يضم ٦ مليون عامل فرنسى ويمثل اليسار فى الحركة العمالية والنقابية الفرنسية والذى يصدر مجلتين الاولى هى « الحياة العمالية » والثانية مجلة نسائية هى « انطوانيت » .

ورأس الوفد الزائر للجمهورية العربية المتحدة **بينوا فرنشون** سكرتير عام الاتحاد . وهذه اول زيارة يقوم بها وفد عمالى فرنسى بناء على دعوة من اتحاد نقابات العمال الفرنسى .

وقد احتوى برنامج هذا الوفد على زيارة عدد كبير من المنشآت الصناعية فى حلوان واسوان والاسكندرية والمحلة الكبرى وبورسعيد بجانب عدد من الندوات التى حضرها الوفد مع النقابيين فى شركة كيماويمدينتى الاسكندرية والمحلة الكبرى . وبجانب هذه الزيارات واللقاءات عقد **احمد فهيم** رئيس اتحاد نقابات العمال فى القاهرة اجتماعين مع الوفد الفرنسى لتبادل الرأى حول القضايا العمالية العالمية وشرح المستوى الذى تطور اليه التحول الاشتراكى الذى بدأ عام ١٩٦١ .

وقد ابلغ الوفد الفرنسى المسئولين فى اتحاد نقابات العمال فى الجمهورية العربية المتحدة انهم سيصدرون عددا خاصا من مجلتهم — الحياة العمالية — عن التطور الاشتراكى فى الجمهورية العربية المتحدة وعن الوضع النقابى بها .

اما الوفد الثانى فمكون من ممثلى الاتحاد العالمى لنقابات عمال الزراعة والغابات . ورأس الوفد **جواكيو جيزيو** سكرتير عام الاتحاد .

وكان الهدف من هذه الزيارة — بجانب التعرف على الانشطة والتطور النقابى والزراعى فى الجمهورية العربية المتحدة — الاعداد لمؤتمرين كبيرين لعمال الزراعة فى بلادنا خلال عام ١٩٦٧ .

المؤتمر الاول — خاص باتحادات العمال الزراعيين فى حوض البحر الابيض المتوسط ، وهو المؤتمر الثالث . وقد عقد الاول فى مدريد والثانى بالمغرب اما الثالث فقد تقرر منذ عام ان يعقد فى الجمهورية العربية المتحدة فى صيف عام ١٩٦٧

ويضم هذا المؤتمر اتحاد نقابة زراعية ومنظمات تعاونية زراعية ذات انتماءات سياسية مختلفة . فمنها من هو عضو فى الاتحاد المسيحى العالمى ومنها من هو عضو فى الاتحاد الدولى لنقابات العمال وآخر مستقل وآخر منضم للاتحاد العالمى للنقابات .

وسوف تعقد اللجنة التحضيرية لهذا المؤتمر

فى مدينة روما خلال الشهرين القادمين من ممثلين لاتحادات ايطاليا ومصر والمغرب والجزائر ويوغوسلافيا وفرنسا للاتفاق على دليل المناقشة فى المؤتمر ثم وسيلة التمويل .

اما المؤتمر الثانى — فيأخذ شكل الحلقة الدراسية للقيادات الزراعية النقابية والتعاونية فى **القارة الافريقية** . وهى الحلقة الدراسية التى استقر عليها رأى العاملين فى الحقل النقابى والتعاونى الزراعى فى المؤتمر الذى نظمه الاتحاد العالمى فى مدينة برلين فى العام الماضى . كما استقر رأى العاملين به على ان يكون مقرها القاهرة .

وقد اجتمع جواكيو جيزيو سكرتير الاتحاد العالمى لنقابات عمال الزراعة والغابات بكل من السيد **كمال الدين رفعت** امين الدعوة والفكر بالاتحاد الاشتراكى العربى والسيد **احمد فهيم** رئيس اتحاد نقابات العمال المصرى والسيد **صلاح ابوالمجد** رئيس النقابة العامة لعمال الزراعة فى الجمهورية العربية المتحدة . واستقر الرأى بعد هذه اللقاءات الثلاثة على ان يكون برنامج الدورة على الوجه التالى :

● تضم الدورة ٢٥ دارسا من النقابيين الزراعيين فى افريقيا . من ١٩ دولة افريقية .

● تقدم باللغتين الانجليزية والفرنسية بالاضافة الى اللغة العربية .

● تضم الدورة ٧ حلقات نقاشية سياسية يتولى الاتحاد الاشتراكى العربى تنظيم ثلاثة منها .

● يقوم الاتحاد العالمى بدفع تكاليف الحلقة .

كما استقر ان تضم هذه الحلقة الموضوعات النقاشية التالية :

● **تطوير الحركة التعاونية الزراعية** — التعاونيات والاصلاح الزراعى — مختلف أشكال التعاونيات — القيادة الديمقراطية للتعاونيات — ادارة التعاونيات — التمويل — العلاقة بالدولة — دورة النقابات .

● **العقود المشتركة والاتفاقات الجماعية الزراعية** — اهميتها بالنسبة للنشاط النقابى — مختلف انواع الاتفاقات الجماعية — مضمون العقود المشتركة — القيمة القانونية والعملية لهذه العقود — العمل النقابى الموحد .

● **الحقوق النقابية** — حقوق التنظيمات النقابية فى مستوياتها المختلفة ونشاطها — حق التنظيم والتظاهر وممارسة النشاط النقابى — الحياة الداخلية للنقابات — المستويات الدولية

● **الاصلاح الزراعى** — الموقف من مغتصب تملك الاراضى — اجراءات الاصلاح الزراعى والعقبات التى تواجهها — تسويق المحاصيل الزراعية وتغيير هذا التسويق — قروض الدولة واستثماراتها — قضايا وحركة العمال الزراعيين والفلاحين مع الطبقة العاملة فى تدعيم الاصلاح الزراعى .

● **الكفاح ضد الاستعمار** فى القاهرة ومشاركة حركة العمال الزراعيين وعمال النقابات . — البلاد التى لا تزال تحت سيطرة الاستعمار — الاهداف المحددة للكفاح من اجل التضامن — اشكال التضامن ومظاهره .

سياسة وحدة نقابات العمال الزراعيين وعمال الغابات والمزارع فى افريقيا . — برامج النقابات اثر الهيكل البنائى للنقابات — العلاقات الدولية .

الاستعمار الجديد وسياسة تغلغل الدول الراسمالية فى البلدان الافريقية — المصاعب التى تواجهها حركة الفلاحين — اسعار المنتجات الزراعية — مصالح الاحتكارات فى التطور الزراعى السوق الاوروبية المشتركة وافريقيا — المساعدات والعجز فى تسديد الديون — الاهداف المشتركة للكفاح من اجل التضامن بين عمال افريقيا واوربا وغيرهما من البلدان والقارات .

●

■ الوطن العربى

معركة البترول .. أرض لتلاحم القوى الثورية

لقد دللت معركة البترول التى خاضتها الجماهير الكادحة فى القطر العربى السورى ضد شركة نفط العراق على ان المعركة نفسها هى التى تخلق التلاحم بين القوى الثورية — كما دللت المعركة نفسها على أن القوى الثورية فى الوطن العربى جاهزة لان تخوض حربا واحدة فى معركة مصيرية واحدة »

بهذه الكلمات الواضحة وبعد أسبوع واحد من عودة تدفق البترول العراقى عبر الانابيب السورية حدد **نور الدين الاتاسى** رئيس الدولة السورية فى خطابه بمناسبة احتفالات ٨ (آذار) مارس الدروس التى استخلصتها القوى الثورية العربية من احداث الازمة بين سوريا وشركة نفط العراق .

فبعد مضى احد عشر اسبوعا منذ توقف ضخ البترول — اضطرت شركة نفط العراق لقبول مطالب الحكومة السورية ووقعت معها اتفاقا حصلت سوريا بمقتضاه على مبلغ ٤٫٩١١٫٢٠٠ جنيه استرلينى قيمة ماكانت تطالب به سوريا من عائدات على اساس العائدات الجديدة لعام ١٩٦٦ ، وسوف تحقق هذه الزيادة الجديدة فى

العائدات زيادة فى الدخل القومى تبلغ حوالى ٥٥ مليون ليرة سورية — وتنفيذا للاتفاق بـدأ الطرفان مفاوضات جديدة لمراجعة الحسابات القديمة من عام ١٩٥٦ الى ١٩٦٥

ويرى المراقبون الذين عاشوا احداث الازمة وتابعوها فى دمشق وبغداد والقاهرة ان النصر الذى حققته سوريا ماكان من الممكن الوصول اليه بدون عنصرين أساسيين :

الاول ثبات الحكومة السورية فى موقفها ازاء الضغوط المختلفة وحرب الاعصاب واستعراض القوة التى تعاون فيها الاستعمار وعملاء الشركة من الرجعيين العرب — وكذلك التعبئة الواسعة التى حققتها الحكومة السورية فى صفوف الجماهير حول قضية البترول .

ثانيا الدعم الواسع والقوى الذى لقيته سوريا من القوى الثورية العربية وفى مقدمتها الجمهورية العربية المتحدة — ويجمع المراقبون والقادة السوريون على الاهمية الكبرى للدور الذى لعبه **المناضل جمال عبد الناصر** خلال الازمة سواء بتأكيداته المتتالية عن مساندة سوريا فى موقفها ، وكذلك موقف العراق .

ولقد صح ماتنبأ به المراقبون أبان الازمة من ان حل الازمة التى افتعلتها شركة نفط العراق مع سوريا لن يكون سوى انهاء لمرحلة أولى من معركة طويلة وشاقة وشاملة وهى معركة البترول العربى وكما توقع المراقبون كان مؤتمر البترول العربى السادس الذى عقد فى بغداد من ٦ — ١٣ مارس الماضى الميدان الذى اقتحمته القوى الثورية تحت علم «بترول العرب للعرب» لتواجه خطط احتكارات البترول العالمية والقوى الاستعمارية والصهيونية والرجعية المساندة لهما والمستفيدة منها .

لقد كشفت مناقشات خبراء البترول العربى للتقارير المقدمة للمؤتمر (٦٢ تقريرا) وهى تقارير اعد معظمها أبان اشتداد الازمة — ان البلاد العربية التى تملك اكثر من نصف احتياطى العالم من البترول والتى تنتج ٣٧٪ من النفط وتصدير مايقرب من ٦٠٪ من الصادرات النفطية فى العالم لايحصل البلد العربى المنتج صاحب الثروة الا على ٦ر٧٪ من الحصيلة النهائية للبرميل ؛ طبقا للاحصاء الذى نشرته منظمة التعاون الاقتصادى الاوربى لعام ٦٤) وحتى هذه النسبة الهزيلة لاتوجهها الحكومات العميلة لرفع مستوى شعوبها انما تقوم بانفاق معظمها على تحقيق المشروعات الاستعمارية — ومن ابرز الامثلة على ذلك ماقامت به حكومة البحرين من سحب عائدات البترول لعام ٦٧ — ٦٨ من شركة بابكو للبترول للحد من العجز المتزايد فى ميزانية ٦٦ — ٦٧ التى رفضت اعلانها للشعب — وهذا العجز ناتج من انفاق حاكم البحرين على انشاء المرافق العسكرية والشوارع ومحطات الكهرباء اللازمة لاستكمال



● نور الدين الاتاسى

تحويل قاعدة (المحرق) الى قاعدة ذرية وفقا للاستراتيجية الانجليزية الامريكية .

ولم يتورع عملاء شركات النفط الاستعمارية داخل المؤتمر الدفاع عن « امجاد » الشركات الاحتكاريه ، بل ذهبوا ، كما اكد المهندس حسن عامر رئيس الوفد العربى فى المؤتمر ، الى ان المعسكر الرجعى الذى كان يقوده وفد السعودية فى المؤتمر كان يسير حسب تفاهم سابق من اجل تحطيم شعار بترول العرب للعرب » وكانوا يوزعون نشرات للتشكيك فى امكانية نجاح قيام شركات وطنية بالدول المنتجة للبترول » واعلن احد أبواقهم « ان الدول العربية ليس فى مقدورها ان تتولى عمليات الانتاج والتسويق والنقل لانها عمليات فنية ومعقدة تحتاج الى خبرة اجنبية » . واكد المهندس **حسن عامر** « ان الوفد السعودى حاول عرقلة اعمال المؤتمر وعارض اتخاذ اية توصية تتعلق باستخدام البترول كسلاح فى قضية فلسطين كما تحفظ على توصية المؤتمر الخاصة بانشاء شركات عربية للبترول »

وفى مقابل هذا الموقف من القوى الرجعية قدمت الدول العربية المتحرره عملا كبيرا من اجل التقدم خطوات فى اتجاه تحقيق شعار بترول العرب للعرب — كما دعا الرئيس **عبد الرحمن عارف** فى الخطاب الافتتاحى « الدول العربية ان تنسق سياسيتها النفطية لكى تستطيع ان تضمن احسن الطرق لاستثمارها وحمايتها من المؤثرات السياسية الخارجية » واكد المهندس حسن عامر « ان الجمهورية العربية المتحدة تتولى بنفسها انتاج ثلث بترولها وانه لولا الابحاث والمسح والاعمال الاستكشافية لما تمكنت شركة بان أمريكان من اكتشاف البترول خلال سنة واحدة من بدء عملها » . وطالب حسن عامر بتنفيذ قرارات المؤتمر الخامس وخاصة القرار المتعلق بانشاء منظمة بترولية عربية واستخدام البترول كسلاح لخدمة

قضية تحرير فلسطين — ودعا البحث الذى قدمه **سعد علام القاضى** فى محكمة سوهاج وعضو وفد الجمهورية العربية المتحدة الى استثمار الدولة لبترولها بنفسها او على الاقل التمسك بالمشاركة بنصيب عادل ومجز » ، واستطاعت وفود الدول التقدمية كما صرح حسن عامر « انتبرهن على ان الشركات الوطنية هى شركات ناجحة ستدعمها الحكومات العربية بالخبرات لتكون لها السيطرة على بترولها » . واستطاعت قوى الجمهورية العربية المتحدة والعراق الوصول الى توصيات بالتأكيد على انشاء الشركات العربية للبترول ، كما استطاعا طرح فكرة اقامة منظمة عربيةللبترول لاتتعارض مع منظمة (الاوبك) وطالبا بحساب سعر البترول العربى فى احدى البلاد الاوربية بدلا من نيويورك مما يؤدى الى زيادة سعر البترول فى الاسواق الاوربية .

ويرى المراقبون ان الحوار الواسع الذى يجرى الان فى المنطقة العربية حول البترول ، يمثل فى حد ذاته مجالا من مجالات العمل الثورى الموحد — وانه من واقع النضال المشترك والخبرة المكتسبة تتوحد القوى الثورية العربية حول طرق واساليب الوصول الى تحقيق شعار « بترول العرب للعرب » .

●

■ الجزائر

محاولة مغربية لتدويل النزاع على الحدود

فى رسالته الى **يوثانت** ، طالب الملك **الحسن الثانى** بتكوين لجنة تحت اشراف الامم المتحدة يعهد لها بمهمة مزدوجة : أن توصى كلا من الجزائر والمغرب بالتنازل عن الزيادة فى القوات المسلحة لتجنب أخطار التسابق فى التسليح فى شمال افريقيا وأن تقوم فى عين المكان وبجميع الوسائل الصالحة بمراقبة السلاح الذى يتوافر للمغرب والجزائر كما وكيفا وتحديد القدر الضرورى لكل منهما للمحافظة على أمنهما الداخلى .

وقد جاء اقتراح المغرب هذا ، والذى يؤدى موضوعيا الى الخروج بالنزاع الى نطاق دولى ، قبل عدة أسابيع من أجتماع لجنة التحكيم المنبثقة عن منظمة الوحدة الافريقية لحل النزاع على الحدود وربط راديو الجزائريين زيارة الملك الحسن للولايات المتحدة وبين الاقتراح . والمح الى الاتفاقات التى عقدت أثناء هذه الزيارة . ومع ذلك فقد اجاب المندوب المغربى فى مؤتمر وزراء الخارجية فى اديس أبابا على سؤال مندوب الجزائر عن ارتباط رسالة الملك الحسن الى يوثانت بالنزاع على الحدود بأنه لاعلاقة بين الاثنين . ولكن جريدة « **الثورة الافريقية** » الجزائرية تربط بينهما وتشير الى أن هذا الاقتراح قد جاء رغم خطاب **الرئيس بومدين** امام ممثلى المجالس البلدية والذى اكد فيه أن اقامة جيش وطنى قوى تستهدف الدفاع عن المكاسب الثورية والتراب الجزائرى . وهى قبل كل شىء لحماية الشعب وليست بهدف عدوانى ، أو للمطالبة بأراض خارج حدود الجزائر ، فحدود الجزائر تكفيها وهى لاتريد توسعا فيها وليس لها أى مطامع لافى الشرق ولا فى الغرب .

وتربط الصحافة الجزائرية والصحافة العالمية التقدمية بين اثارة نزاع الحدود وبين الامور الثلاثة الاتية :

● طرد فرنسا لقوات حلف الاطلنطى من اراضيها وتشدد اسبانيا فى منح المزيد من القواعد وازدياد قوة الحركة الوطنية فى كل من قبرص ومالطة الامر الذى يزيد من اهتمام الولايات المتحدة بالمغرب عسكريا واقتصاديا . وفى هذا الاطار تجىء زيارة الملك الحسن للولايات المتحدة ، واجتماع الدبلوماسيين الامريكيين فى طنجه ، وعقد اجتماع عسكرى فى أوربا لمناقشة نقل بعض القواعد للمغرب ، وأجتماع الملك الحسن فى يونيو الماضى بوكيل وزارة الحرب الامريكية وبجوزيف بالمر المسئول عن الشئون الافريقية وشحنات الاسلحة الامريكية للمغرب .

● اكتشاف ثروات كبيرة فى الاراضى الجزائرية على الحدود . فمناجم حديد غارجبيلات فى منطقة تندوف يقدر الخام الموجود بها بحوالى ٢٠٠٠ مليون طن . غير الزنك والبترول وغيرها من الثروات . وقد وضعت الجزائر هذه المصادر تحت الادارة الوطنية وخلصتها من أيدى الشركات الاجنبية التى كانت تتولى استغلال جزء منها ، مما اثار المغرب ودفعها للاحتجاج ، ودفع صحيفة العلم المغربية الى دعوة « حكومة المغرب لحل مشاكل الحدود فورا وعدم وضع اراضى المغرب المغتصبة رهن لجنة أو هيئة دولية تكتفى بتعليق المواضيع لعدم أتسامها بالشجاعة الكافية لمعالجتها »

● اثارة المتاعب امام التطبيق الاشتراكى فى الجزائر ، فبعد عام واحد من أستقلال الجزائر ، هاجمت القوات المغربية الحدود الجزائرية وأحتلت عدة مواقع سرعان ما استعادتها القوات الجزائرية ونشب نزاع مسلح فى أكتوبر ١٩٦٣ وضربت المغرب تنجوب بالصواريخ والقنابل . وتدخل الرئيس عبد الناصر والامبراطور هيلاسلاسى لعقد أجتماع أقطاب تشترك فيه المغرب والجزائر وتونس وليبيا وأثيوبيا ومالى . ثم تقرر أن يحضر هذا الاجتماع رؤساء المغرب والجزائر وأثيوبيا ومالى فى باماكو حيث وقع أتفاق لوقف أطلاق النار وكونت لجنة


● بوتفليقة

مشتركة لبحث الموقف على الحدود اشترك فيها ضباط من أثيوبيا ومالي . وعرض النزاع على أجتماع وزراء خارجية افريقية في أديس أباباوكونت لجنة تحكيم من سبع دول لحل النزاع سلميا بعد دراسة أسبابه تتكون من ساحل العاج ، اثيوبيا ، مالي ، نيجيريا ، السنغال ، السودان ، تنجانيقا . ومازالت هذه اللجنة تواصل عملها ويقدم لها كل جانب مستنداته اويقوم بدعوتها عندما تتأزم الامور وغالبا ما يكون ذلك من طرف المغرب . ويربط المراقبون بين التوتر الاخير وبين الخلاف الامريكي الجزائري حول فيتنام ودور الولايات المتحدة في السياسة الدولية .

وتحاول الحكومة المغربية اثارة مواطنيها ضد التجربة الجزائرية ومنع التعلق بها ، فبجانب الحملات الصحفية والاذاعية ، تصور المطبوعات والنشرات الحكومية الجزائر في صورة الدولة المعتدية . ففي كتاب أصدرته الخارجية المغربية في مارس ١٩٦٦ بعنوان «**عشر سنوات من الدبلوماسية المغربية**» نادت فيه باستعادة « مناطق الحدود الجزائرية وبالدرجة الاولى **تندوف وكينادزا** والتوات وتيدكالت » التي تم أغتصابها وتتهم حكومة المغرب الجزائر بتحريض رعاياها على الثورة ضد الحكومة ففي سبتمبر ١٩٦٣ اذاعت وكالة الانباء المغربية أن بعض الجزائريين دخلوا الى بعض المناطق المغربية التي كانت تشكو من المجاعة ووزعوا الغذاء على الاهالي وحرضوهم على الثورة ضد الحكومة : كما تتهم المغرب الجزائر بتدريب وتسليح بعض الثوار المغاربة وادخالهم الى المغرب لاثارة الاضطرابات فيها . وقد كذبت الجزائر هذه الانباء وأكدت انها لاتتدخل في شئون المغرب الداخلية بل وأتهمت الجنرال **أوفقير** بأنه قد أجتمع على الحدود عدة مرات ببعض القوى المناوئة للثورة الجزائرية وتعمل تونس وليبيا في تعاون تام مع المخطط المغربي ، خاصة مع تزايد أحتمالات وجود البترول في منطقة الحدود الجزائرية مع كل منهما ، فتقومان بالضغط على الجزائر لتدعيم موقف المغرب ، رغم أن **بورقيبة** في ١٩٦٤ قد صرح في مقابلة له مع مندوب مجلة « جان أفريك » بقوله :

« لماذا يصلح وضع الجنود في الصحراء ، لعمل ماذا ؟ لعد النجوم ؟ بصراحة لا ؟ أنا لا أرى اي داع لمطالبة الجزائر بالحدود . فهذه مشكلة تجاوزناها كلية ولم تعد محل سؤال وأنا مرتاح لها تماما » .

ومع ذلك فسير عان ما اثارت تونس بدورها مسألة الحدود ومن بعدها ليبيا ، وطالب بورقيبة باستفادة كل دول المغرب من الصحراء الجزائرية التي اعتبرها بحرا داخليا فيما بينها . ورد عليه الرئيس بومدين معلنا رفض الجزائر لمطالب المغرب وتونس الخاصة بالحدود وقال أن الجزائر لاتقبل أن تكون مناطق الحدود موضوعا للمفاوضة ،

والواقع أن الجزائر ترفض ، كما أعلن **بوتفليقه** في مؤتمر أديس ابابا ، نظرية الحدود المتحركة لانها تفسح المجال لكافة أنواع المساومات والمغامرات وتعلن أن أتفاقيات ١٨٤٥ بين المغرب وفرنسا وتطبيق المعاهدة الفرنسية المغربية في ١٥ ستبمر ١٨٤٤ وبرتوكول سنتي ١٩٠١ ، ١٩٠٢ هو اساس الحدود الحالية التي كانت المغرب قد قبلتها . اما صدور بعض البيانات اثناء النضال الوطني حول بحث مسائل الحدود فيما بعد فقد كان الغرض منه تفويت الفرصة على فرنسا التي ارادت ادخال المغرب طرفا في النزاع لتتخذ من ذلك تكأة لمنع الجزائر من الحصول على استقلالها

وتؤكد «المجاهد» الجزائرية انه اذا تم التخلي عن جزء من التراب المسقى بالدماء فان ذلك يعني اعادة النظر في التضحيات السابقة .

●

■ منظمة الوحدة الافريقية

ثلاث خطوط للهجوم .. وقرار سياسي

يرى المراقبون ، ان اجتماعات **منظمة الوحدة الافريقية** ، قد اصبحت مسرحا اساسيا لصراع مكشوف بين القوى الرجعية والقوى الثورية في افريقيا .

وتلاحظ الدوائر الافريقية أن هجوم القوى الرجعية ونشاطها التخريبي داخل المنظمة ، قد ازداد حدة منذ الانقلاب ضد حكومة **كوامي نكروما** في **غانا** .

وبرغم أن مؤتمر وزراء خارجية المنظمة الذي انعقد في **أديس أبابا** في أوائل الشهر الماضي ، قد خصص لمناقشة ميزانية المنظمة الا أن الرجعية الافريقية فجرت عددا من المشاكل السياسية عبر خطوط ثلاثة تمس وضعية المنظمة ومبررات وجودها .

تصفية حركات التحرير . فقد برز أتجاه بين الدول الافريقية الرجعية ينادى بتخفيض ميزانية المنظمة التى تقدر بـ ٣ملايين دولار الى ١ر٢مليون دولار . وقدتزعمت كل من **تونس وملاوى** فى المؤتمر الدعوة الى أنهاء أعمال **لجنة التحرير** المنبثقة عن المنظمة والتى ترعى شئون حركات التحرير المسلحة فى الدول الافريقية التى تناضل من أجل استقلالها أو للتخلص من النظم العنصرية المسيطرة . وجدير بالذكر أن تونس كانتقد قادت حملة مماثلة فى مؤتمر وزراء الخارجية فى نوفمبر ١٩٦٦ ولكنها فشلت . ويربط المراقبون السياسيون بين دعوة كل من تونس وملاوى هذه وبين نشاط حكومتى الدولتين فى الفترة الاخيرة ، والذى يتسم بالعداء لقضايا التحرر الوطنى . ولكن حملة الدولتين ، باءت بالفشل بفضل الجهود التى بذلتها القوى الثورية داخل المنظمة .

الخروج على ميثاق المنظمة . ويتمثل فى تعمد حكومة **المغرب** أرسال برقية الى يوثانت، السكرتير العام للامم المتحدة ، عشية أنعقاد المؤتمر ، حول ماأسمته «بقلق حكومة المغرب من تسليح **«الجزائر»** و **«مشكلة الحدود»** . ومعروف أن مشكلة الحدود الجزائرية المغربية ، معروضة على منظمة الوحدة منذ سنوات ، حيث يقضى ميثاق المنظمة بطـرح المشاكل فيما بين الدول الافريقية داخل المنظمة . ويفسر المراقبون أزمة القلق المغربية على انهـا « أزمة قلق داخلية » ويربطون بين أثارة المشكلة والاجراءات العدائية التى تتخذها حكومات كل من تونس والمغرب وليبيا على الحدود الجزائرية حيث تدعى كل منها بملكيتها لبعض مناطق « التراب » الجزائرى . وجدير بالذكر أن معظم الاراضى التى تطالب بها هذه الدول قد أكتشف فيها خام الحديد والبترول حديثا فى الجزائر . ومن جهة أخرى ، أقدمت حكومة **ملاوى** على أتخاذ خطوة لم تجرؤ على الاقدام على مثلها اية دولة افريقية اخرى منذ ١٩٤٨ مهما بلغت رجعية حكامها . فقد ترددت الانباء عشية أنعقاد المؤتمر ، تقول بأن ملاوى ستقيم علاقات دبلوماسية مع حكومة جنوب أفريقيا العنصرية ولم تلبث حكومة **هايستنجز باندا** أن أقامت العلاقات الدبلوماسية بالفعل مع حكومة جنوب أفريقيا بعد أنتهاء أعمال المؤتمر . وترى الدوائر التقدمية فى أفريقيا ، أن هذه الخطوة تعد سابقة خطيرة وتطرح عضوية ملاوى فى المنظمة لضرورة أعادة النظر .

استفزاز القوى العربية الافريقية فقد اقترحت كل من **توجو وداهومى وملاجاش** : ضرورة اشتراك سفير **اسرائيل** فى الحبشة فى احتفالات المنظمة . ويرى المراقبون أن الهدف الاساسى من هذا الاقتراح هو استفزاز بعض القوى الافريقية الثورية وبخاصة الجمهورية المتحدة ، لكى تنسحب من مثل هـــذه المؤتمرات . كذلك اعتراض بعض دول مجموعـــة **الافروملاجاش** على أستخدام اللغة العربية كلغة رسمية فى أجتماعات المنظمة . ولكن الموقف الحازم لوفد الجمهورية المتحدة افشل كلتا المناورتين .

ومن أهم القرارات السياسية الايجابية الذى استطاعت وفود الدول الثورية فى المؤتمر ، أتخاذها القرار الذى ندد **ببريطانيا** « لتخليها عن مسئولياتها الدستورية والادبية تجاه شعب روديسيا وسماحها لحكومة الاقلية العنصرية بتدعيم موقفها » وقد اكد القرار أن المسئولية الاولى تقع على عاتق بريطانيا و« أن القوة هى السبيل الوحيد الى اسقاط حكومة سميث » وأنتهى القرار بمناشدة مجلس الامــــن باستخـــدام القوة لاســـقاط الحكم العنصرى فى روديسيا . وجدير بالذكر أن تونس هى الدولة الوحيدة التى تحفظت على هذا القرار .

●

■ **ايران**

مصدق أمام محكمة التاريخ !

فى فجـــر يوم الاحـــد ٥ مارس توفى الدكتور **محمد مصدق** الزعيم الايرانى الذى قاد معركة التأميم التاريخية المعروفة من أجـــل كسر احتـــكار الشركة الانجلو ايرانية لبترول ايران .

ولقد عاش الزعيم الايرانى حياه سياسية طويلة وحافلة بمواقف النضال ضد قوتين متمانعتين: الاسرة المالكة الايرانية والاستعمار البريطانى ممثلا فى شركة البترول الانجلوايرانية . وهكذا بدا مصدق منذ عام ١٩١٩ الكفاح ضد معاهده التحالف والصداقة مع بريطانيا العظمى . ولم يثنه عن خوض هذه المعركة صلة القرابة القوية التى كانت تربطه بالاسرة الحاكمة ــ أسرة كاجار ــ التى أغتصب منها العرش فيما بعد رضا بهلوى ، والد الشاه الحالى .

وليس من شك فى أن المؤرخين سوف يجمعون على أن تأميم مصدق لاحتكارات البترول البريطانية كان نقطة أنعطاف حاسمة لا فى تاريخ أيران فحسب بل وأيضا فى تاريخ نضال البلدان التابعة والمستعمرة ضد سيطرة الاحتكارات العالمية . على أن هذا الموقف الوطنى لم يلق ــ بالطبع ــ الترحيب من قبل الدوائر الامبريالية والرجعية . وعلى العكس ركزت هذه الاوساط كل دعاياتها من أجل تحقير مصدق ، والنيل من شخصيته كسياسى وكقائد وطنى . واذا رجعنا الى مجموعات الصحف البريطانية والامريكية أيام التأميم لوجدناها تشير الى مصدق باعتباره « السياسى المهرج » و « الالعبان » و « رئيس الوزراء الباكى» و « الرجل الذى يتظاهر بالاغماء عند الازمات » و«لابس البيجاما الحمراء» .. الى آخر هذه المسميات . ونسجت الدعايات الامبريالية

حوله خرافات لاتجد بين الامبرياليين أنفسهم من يصدقها وذلك على حد تعبير **جاستون فورنييه** في جريدة **لوموند ١٩٦٧/٣/٧** .

لم يكن غريبا أن يحوض حزب مصدق ــ الجبهه الوطنية ــ انتخابات عام ١٩٥١ فيفوز الفوز الساحق ويجد الشاه نفسه مرغما على تكليف عدوه مصدق بتاليف الحكومة . وهكذا ، واستنادا الى التأييد الشعبى الواسع امم مصدق **شركة البترول الانجلوايرانيه** فاعاد الى ايران بليونا من الدولارات وعندما اشتدت المعركة ضد الانجليز طرد موظفيهم وخبرائهم وقطع العلاقات الدبلوماسية مع بريطانيا وسحب أعتراف ايران باسرائيل .

وفى عام ١٩٥٢ توهم الشاه أن مصدق قد اصبح ضعيفا بعد أن كسب عداوة الانجليز والامريكان معا . فحاول ان يقيله . لكن حركة شعبية عارمة أنفجرت فى وجه الرجعية الايرانية وأرغمت الشاه مرة اخرى على ان يعيده رئيسا للوزراء فى نفس ذلك العام .

ان هذه الذخيرة الثمينة من التأييد الشعبى الذى لم يلقه من قبل زعيم وطنى فى ايران قد ساعدت مصدق على ان يصمد امام اعتى العواصف وان يبقى ضد الامبرياليين الانجليز الا انه كان بالمثل ضربة فى الحكم من ربيع ١٩٥١ الى صيف ١٩٥٣ .

ان تأميم البترول الايرانى وأن جاء ضربة مباشرة ضد الأمبرياليين الانجليز الا انه كان بالمثل ضربة مروعة أصابت أحتكارات البترول العالمية ونالت من هيبتها . هنا شرعت الولايات المتحدة الامريكية تعمل بهمة للقضاء على حكم مصدق . فبادرت حكومة أيزنهاور وانذرت مصدق بقطع المعونة الامريكية عن أيران مالم يذعن لشروط شركة البترول . ثم تضافرت أحتكارات البترول بمالها من نفوذ جبار فى السوق الرأسمالية لتحول بين ايران وبين أن تبيع بترولها . لكن هذه الضغوط جميعها لم تضعف من مكانة مصدق فى صفوف الشعب . هنا ضاعف الامبرياليون والرجعيون من نشاطهم .

فمن ناحية ارسلت المخابرات الامريكية ضابط الانقلابات الشهير الجنرال **شوارتزكويف** . وفى طهران أجتمع رجل المخابرات بالشاه ورسم معه خطة انقلاب تطيح بمصدق .

ومن ناحية أخرى ركز الامبرياليون عملهم السياسى على أساس خطتهم المعروفة فى تمزيق الصف الوطنى وتعميق الخلافات بين مختلف الفصائل الوطنية والثورية . وهكذا فأن خريطة القوى السياسية فى أيران كانت فى ذلك الوقت كما يلى :

● قوى الامبرياليين، والرجعيين ويمثلهم الشاه وطبقة الاقطاعيين والرأسمالية المتعاونية مع الاجنبى وكبار رجال الجيش الموالين للشاه .

● القوى الوطنية والثورية : ويقودها حزب الجبهة الوطنية بزعامة مصدق ويقف معها حزب تودة كقوة لليسار المنظم . ثم الجماهير الوطنية فى المدينة ومن بينها صغار الضباط الوطنيين .

● قوى الوسط التى تقف بين المعسكرين ويمثلها كبار رجال الدين ذوى النفوذ الواسع فى الاوساط الشعبية .

ان دراسة الامبرياليين لهذه الخريطة السياسية قد دلتهم على أن هناك امكانيات واسعه للحركة ضد مصدق ، وبالفعل استطاعوا ان يثيروا بعض الانشقاقات داخل حزب مصدق نفسه فانفض عليه بعض اعوانه البارزين من أمثال **حسين مكى** . ثم ركزوا على كسب الرجعيين والمترددين من رجال الدين فانقض على مصدق **آية الله كاشانى** بعد ان سانده فى المرحله الاولى من التاميم وكذلك وقف ضده الزعيم الدينى **البهبهانى** . وكل هؤلاء اخذوا يقفون موضوعيا فى معسكر الشاه والاستعمار .

اما عن حزب توده الذى رمى بثقله فى جانب مصدق، فقد ظل نشاطه محظورا بحكم القانون وفوق هذا فان مصدق لم يرغب فى أن يوحد جهوده من الناحية الفعلية مع جهود اليسار الايرانى وفضل ان يقف منه موقفا سلبيا .

اما عن الجماهير غير المنظمة وفى مقدمتها الفلاحون الفقراء والمعدمون فلم يحاول مصدق ان يحولها الى قوة ايجابيه فى المعركة الوطنيه ضد الامبرياليه وضد الرجعيه الايرانية . وباختصار لم يقدم لها مصدق الاصلاح الزراعى الثورى الذى يعزلها عن تاثير الرجعيين سواء من الاقطاعيين او من رجال الدين وذلك على الرغم من ان كتله الفلاحين فى ايران تعانى من قهر اقطاعى لايوصف .

على ان المراقبين الذين تابعوا بقلق تطورات معركه التاميم يتفقون اليوم على ان الخطأ المميت الذى وقع فيه مصدق قد تمثل فى مسالمته لقوى الرجعيه الداخلية بكيفية ساذجة اسلمته واسلمت الحركة الوطنية الى الهزيمة الساحقة . فالواقع أن مصدق قد أظهر كرما مبالغا فيه عندما صفح عن زاهدى الذى قاد الانقلاب ضده فيما بعد ، وعندما رفض أن يتخذ اى أجراء ضد العائلة المالكة وضد



● د. محمد مصدق

الاقطاعيين والرجعيين من عملاء شركة البترول والسفارة الامريكية .

وترك مصدق جبهة العدو فى الداخل سليمة على وجه التقريب . وكان يوم ١٩ يونيو ١٩٥٣ هو اليوم المحدد للانقلاب الدموى . واستطاع الدولار الامريكى أن ينشر الفساد فى صفوف الجيش واستطاعت السفارة الامريكية أن تعتمد على تحريك شبكة من عملائها المخربين المنبثين فى صفوف القتلة المحترفين وبين جموع المتعطلين والجماهير المتخلفة فى الوعى السياسى .

وفى ظروف تمزق القوى الوطنية، وضعف تنظيم الجماهير ، وتفاقم النشاط المعادى تمكن الحلف الامبريالى الرجعى من أن يسقط الحكم الوطنى فى ايران .وعندما تم له ذلك لم يكرر الخطأ الذى وقع فيه مصدق فبادر الى اجراء تصفية دموية مريعة وواسعة شملت صفوف الوطنيين والتقدميين جميعهم .

على أية حال فان المؤرخين التقدميين يرون أن أخطاء مصدق لا تنال بحال من أمجاده كقائد وطنى يقف أمام محكمة التاريخ كمثل فذ فى مسلكه الشخصى وأخلاقياته وفى نضاله العنيد لتحرير ايران من قبضة الاحتكارات الاجنبية . حسب مصدق أنه قدم نفسه عام ١٩٥١ الى شعوب الشرق الاوسط باعتباره المناضل الذى قام باقتحام باسل وجرىء ضد قوى رهيبة تمثلها احتكارات البترول العالمية . وحسبه انه دلل بمسلكه هذا — ورغم الهزيمة — على أن هذه الاحتكارات لم تعد تستعصى على الهجوم وانها ليست معصومة من السقوط فى أيدى الشعوب .

●

■ الهند

سقوط العمالة وشرود الولايات

أسفرت الانتخابات الهندية عن النتائج التى كان يتوقعها معظم المراقبون ، وهى فوز حزب المؤتمر بأغلبية ضئيلة ، اذ انخفضت عدد مقاعد الحزب من ٣٦٤ مقعدا فى البرلمان السابق الى ٢٧٨ مقعدا فى البرلمان الحالى ، أى ان اغلبية الحزب انخفضت من حوالى ٩٠ صوتا فى البرلمان السابق الى حوالى ٢٠ صوتا فى البرلمان الحالى .

وقد أثارت انتخابات الهند تعليقات لاتحصى نظرا لاهميتها ،سواء لمركز الهند ومكانتها ووزنها العددى ، أو لاهمية تجربة « الديموقراطية » فى الهند بالنسبة لمستقبل آسيا ، ولتطور العالم الثالث فى مجموعه .

ولنبدأ أولا بعرض لنتائج الانتخابات بالنسبة لاهم الاحزاب الهندية بالمقارنة الى ماكانت عليه قوة هذه الاحزاب فى البرلمان السابق :

الحزب	عدد المقاعد فى البرلمان الحالى	عدد المقاعد فى البرلمان السابق
المؤتمر	٢٧٨	٣٦٤
سواتانترا (اليمين العلمانى المتطرف)	٤٣	٢٢
جان سنج (اليمين الهندوكى المتطرف)	٣٥	٤٢
الشيوعيون	٤٠	٢٩
الاشتراكيون اليساريون	٢٣	١١

أى أن أولى النتائج تتمثل فى خسارة واضحة تنزل بحزب المؤتمر ويستفيد منها الائتلاف اليمينى المتطرف المكون من حزب كبار الراسماليين (سواتانترا) ، والحزب الهندوكى ذى الاتجاهات الفاشية (جان سنج) ، كما يستفيد منه الائتلاف اليسارى المتمثل فى الاشتراكيين اليساريين والشيوعيين (ولهم حزبان احدهما متعاطف مع الخط الصينى فى الاستراتيجية الشيوعية العالمية بقيادة **نامبودرى باد** ، والثانى وهو الاضعف، متعاطف مع الخط السوفييتى بقيادة القائد النقابى القوى النفوذ **دانج**) .

ومن العلامات المميزة لهذه الخسارة التى أصابت حزب المؤتمر أن عددا من كبار قادة الحزب لم ينجحوا فى دوائرهم ، من بينهم ستة وزراء ، **وكامراج** ، رئيس الحزب .وقد أصابت الخسارة اثنين من أهم ثلاثة من أقطاب اليمين فى الحزب ، هما **باتل** ، وزير النقل السابق ، **وجوشى** ، أمين صندوق الحزب . أما **كريشنامينون** ، أبرز قادة الجناح اليسارى فى حزب المؤتمر فقد سقط هو الاخر ، بعد أن تخلى الحزب عنه وتقدم بمرشح اخر ، هو شاب يسمى **بارق** ، لينافسه على دائرة شمال شرقى بومباى .

ومن الزعامات التقليدية التى حققت انتصارات فى المعركة الانتخابية ،تأتى السيدة **انديرا غاندى،** رئيسة الوزراء ، فى المقدمة . ولعل ذلك يرجع الى اسباب شخصية ، منها العطف الذى لاقته على أثر اصابتها بتهشم فى الانف والاسنان والوجه أثناء أعمال العنف التى قادتها الجماعات الدينية واليمينية المتطرفة ضد حزب المؤتمر فى المعركة الانتخابية ، وما أظهرته السيدة انديرا من رباطة جأش وضبط للنفس مما اكسبها — الى جانب العطف — كثيرا من الاحترام والتقدير . كذلك نجح كل من وزير الداخلية السابق واحد قادة الوسط فى الحزب ، والساعد الايمن لرئيسة الوزراء . ونجح **موراجى ديساى ،** الزعيم العتيد لليمين فى المؤتمر ، والذى تطلع طويلا الى رئاسة

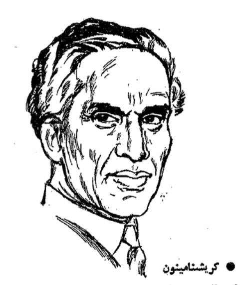
الحكومة منازعا فى ذلك نهرو وشاسترى وانديرا غاندى .

غير أن الخسائر التى منى بهـا « عمالقة الحزب » كانت فى مجموعها أكبر من الانتصارات التى حققها هؤلاء القادة التقليديون ، مما يعبر تعبيرا صادقا عن القلق وعدم الرضا الذى يجتاح الجيل الجديد ، وتطلعه الى زعامات جديدة .

أما عن الصراع بين اليمين واليسار فى قمة حزب المؤتمر ، فان المراقبين يجمعون على أن هزيمة باتل وجوش أصابت أحلام اليمين للسيطرة بضربة قاسية . والنتيجة أن مورارجى ديساى تخلى عن محاولاته الدءوبة لانتزاع مركز رئيس الوزراء واكتفى ، بعد مناورات عنيفة ، بمركز نائب رئيس الوزراء ووزير المالية ، وهو مركز استحدث خصيصا ليحتله ديساى ارضاء لليمين الذى يزداد نفوذه باضطراد فى قيادة الحزب ، وابقاء على وحدة الحزب ، ذلك ان أى انشقاق جديد فى الحزب ، وغالبية الانشقاقات فيه يمينية ، كفيلة بأن تنزل بالاغلبية الهزيلة فى البرلمان الى مادون الاغلبية المطلوبة للانفراد بالحكم ، وهو أمر تحاول انديرا غاندى أن تتجنبه جهد طاقتها تلافيا لمتاهة الائتلافات والازمات الوزارية .

ولعل المشكلة الكبرى التى خلفتها الانتخابات الأخيرة هى التناقضات التى يتوقع أن تتفاقم بين الحكومة المركزية فى دلهى العاصمة وبين حكومات الولايات الست عشرة . ذلك أن حزب المؤتمر اعتاد ، فى الانتخابات الاربع السابقة أن يحقق الاغلبية سواء على نطاق الهند كلها أو فى كل ولاية على حدة (باستثناء ولاية كيرالا) ، وهكذا لم يظهر ذلك التناقض طيلة العشرين عاما الماضية ليشكل مشكلة كبيرة . أما فى الانتخابات الاخيرة فان حزب المؤتمر فقد أغلبيته فى ثمانية من الولايات الست عشر ! ومن هذه الولايات اثنتان (**كيرالا وغرب البنغال**) يتولى فيها اليسار الحكم ، وولاية **مدراس** حاز فيها على الاغلبية حزب (الدرافيديين التقدميين) ، وهو حزب يثير سكان الولاية على أسس عنصرية ، حيث يرفع لواء الدفاع عن العنصر الدرافيدى الجنوبى ضد تحكم الهندوكيين الشماليين ، وفى ولاية **بيهار** ، التى تضر بها المجاعة ، تولى الحكم ائتلاف من أحزاب الى يمين المؤتمر ، ويخشى أن يؤدى ذلك الى تعقيد مهمة مواجهة المجاعة فى هذه الولاية المزدحمة بالسكان الحافلة بالاضطرابات .

أما حزب جان سنج الهندوكى المتطرف ، الذى أثار الاضطرابات الطائفية ومظاهرات معارضة ذبح البقر ، فقد حقق أكبر انتصاراته فى المناطق الشمالية وبخاصة فى دلهى العاصمة ، حيث انتزع ستة من الدوائر السبعة التى قسمت اليها العاصمة .



● كريشنامينون

غير أن التحدى الاكبر لحزب المؤتمر يأتى من كيرالا ، حيث نجح الحزب الشيوعى المتعاطف مع الصين فى الحصول على ٥٤ مقعدا فى برلمان الولاية ، كما نجح فى تكوين جبهة تضم الحزب الشيوعى الثانى والاشتراكيين اليساريين والرابطة الاسلامية وعددا من المستقلين التقدميين ، وللجبهة ١٢٤ مقعدا من برلمان الولاية الذى به ١٥٥ مقعدا ، ليس لحزب المؤتمر فيه سوى ٩ مقاعد . واذا كان نهرو قد تمكن من حل برلمان الولاية حين حقق الشيوعيين أغلبية سابقة فيها ، وأخضعها للحكومة المركزية ، فمن المشكوك فيه أن تتمكن انديرا غاندى من ذلك لاسباب ، منها أن الشيوعيين عادوا يحققون أغلبية أكبر ، وأن مركز حزب المؤتمر عموما أضعف مما كان ، وأن ولاية كيرالا لم تعد وحدها ، وانما أصبح معها ولاية غرب البنغال ، علاوة على الولايات الاخرى التى فقد المؤتمر اغلبيته فيها .

وعلى أية حال ، ان لم يتمكن حزب المؤتمر من حل مشكلات الهند المزمنة ، وعلى رأسها مشكلة الفقر (المركبة من مشكلتى بطء التنمية الاقتصادية مع سرعة الزيادة فى عدد السكان) ، فان ظاهرة الضعف والانشقاق التى تصيب حزب المؤتمر ستستمر ، وربما يتفاقم ويزداد استقطاب القوى السياسية بين اليمين المتطرف واليسار المتطرف ، الامر الذى يخشى من أن يؤدى الى تفاقم الاضطرابات وأعمال العنف وانفلات زمام الامور من يد سلطة مركزية قادرة .

أما **النيويورك تايمز** ، أوسع الصحف الأمريكية نفوذا ، فان أهم مايعنيها هو ماينطوى عليه مستقبل الهند من مغزى بالنسبة لمستقبل آسيا كلها ، حيث أن شعوب آسيا تقيم مقارنة دائمة بين الخط الذى تنتهجه الهند والخط الذى تنتهجه الصين .

■ **اندونيسيا**

الاربعة الخضر يحكمون أندونيسيا

لا تحمل التطورات الاخيرة في اندونيسيا ، معالم تغيرات جذرية جديدة في وضع الرئيس **سوكارنو** ، بقدر ما تعتبر تقنينا **«دستوريا»** لنزع سلطاته الرئاسية ، وانتقالها على مراحل ، الى الجنرال **سوهارتو** الذي اصبح رئيسا للجمهورية بالنيابة ، وتولى السلطة الفعلية .

وقد تضمن قرار المجلس الاستشاري الشعبي حول ذلك الموضوع ، اعادة النظر ايضا في البرنامج السياسي الذي يتضمن الخطوط الاساسية لسياسة اندونيسيا والذي وضعه سوكارنو .

ومن المشاهد ان جنرال **سوهارتو** يحاول ان يختط سياسة « عملية » في مواجهة المشاكل العديدة التي تواجه اندونيسيا ، وفي مواجهة الاتجاه الاكثر يمينية الذي يمثله في الوقت الحالي ، **آدم مالك** وزير الخارجية . ففي حين نجد الاخير يطالب بمحاكمة سوكارنو بعد عزله من منصبه نهائيا يؤيده في ذلك جنرال **دهار سونو** القائد العسكري لغرب جاوة وغيره من القادة المتطرفين ، واعضاء المنظمة الطلابية « **كامى** » والجماعات المتعصبة ، نجد سوهارتو يحذر المجلس الاستشاري الشعبي ، ويعمل في اتجاه عدم اقصاء سوكارنو من منصبه الذي لايتمتع فيه بالسلطة الفعلية ، ويرى سوهارتو — حسبما تنقل عنه ذلك وكالات الانباء — ان اقصاء سوكارنو تماما قد يؤدي الى اراقة الدماء واشاعة الانقسام في البلاد . ويرجع احتفاظه بالرئاسة الشكلية في الحقيقة الى جهود انصاره في البوليس ، وضباط البحرية ، واعضاء الحزب الوطني الاندونيسي ، خاصة وان مظاهرات وسط جاوة التي قام بها الطلبة وقناصة البحرية ، تأييدا لسوكارنو ، قد اتخذت مظهرا عنيفا ، اذ قامت فرقة « **البيريه الاحمر** » بحراستها والاسلحة مشهرة في ايديها ، للرد على اي اعتراض .

والحقيقة ان تعليق سوهارتو على دور سوكارنو في انقلاب ٣٠ سبتمبر ، لم يقابل بالارتياح من جانب عدد من اعضاء المجلس الاستشاري الشعبي والطلبة المتطرفين المعادين لسوكارنو ، الذين تصايح بعضهم « **اننا فوق سوكارنو** ، بل حتى فوق سوهارتو نفسه » . وقد اكد سوهارتو : « ان سوكارنو لم يكن العقل المدبر لانقلاب ٣٠ سبتمبر ولم يكن على علم بوقوعه ، وان كان قد ابلغ ان هناك اضطرابات متوقعة ولكن لم يصدقها . واذا كان لم يساعد الشيوعيين ، فانه استغلهم لتحقيق مناوراته السياسية » وذلك حسبما اوضحت جريدة **الموند** في ١٤ / ٣ الماضي . ورغبة من سوهارتو في الحفاظ على الاوضاع القائمة في البلاد ، اوضح بعد ان ادى اليمين : «ان قرار المؤتمر لا يعد نصرا للبعض وهزيمة للاخر . انه يعني ببساطة ان « النظام الجديد » قد قرر تطبيق دستور ١٩٤٥ روحا ونصا ، ان اندونيسيا « ستواصل كفاحها ضد الامبريالية » ودعا سوهارتو الى وحدة الشعب لاعادة بناء الاقتصاد الوطني وزيادة الانتاج وتخفيض النفقات » .

ومماله دلالة بالنسبة لتطورات الوضع الاقتصادي لاندونيسيا في الفترة القادمة ، والذي سيكون له بالضرورة انعكاسات على الاتجاه السياسي العام لها هو ان ١٤ دولة غربية اتفقت في مؤتمر لها في **امستردام** على تقديم مساعدة سريعة لاندونيسيا بسبب الوضع المتدهور الذي اصبح عليه ميزان مدفوعاتها . فوفق المعلومات المستقاة من صندوق النقد الدولي ، تحتاج اندونيسيا الى ٢٠٠ مليون دولار في سنة ١٩٦٧ لتوازن مدفوعاتها . وقد قامت واشنطون باعطائها ٦٦ مليون دولار اي ١/٣ المبلغ اللازم لها .

اما من الناحية السياسية فقد حبذ **آدم مالك** وزير خارجية اندونيسيا في مباحثاته مع **وليم بوندي** نائب وزير الخارجية الامريكية لشئون الشرق الاقصى ، حبذ خلق اتحاد « **المافيليند و** » «اتحاد للتعاون الاقليمي بين ماليزيا والفلبين واندونيسيا» وهو المشروع الذي قدم سنة ١٩٦٣ بواسطة سوكارنو ، **وماكاباجال** رئيس الفلبين ، **وتنكو عبد الرحمن** رئيس ماليزيا .

وعلى اي الاحوال فقد نجح سوهارتو سياسيا في الاستئثار بالسلطة . والمشكلة الاكثر خطورة التي تواجهه الان هي النجاح في حقل التوازن الاقتصادي واصلاح التدهور العام في البلاد .

ومما يلقي ضوءا جديدا على الاحداث العنيفة التي وقعت في اندونيسيا بعد انقلاب سبتمبر ١٩٦٥ ، التفسير الذي يقدمه البروفيسور الهولندي **فيرتهايم** وهو من افضل المتخصصين في الشئون الاندونيسية ويشغل حاليا كرسي علم الاجتماع والتاريخ الحديث للبلاد غير الغربية في جامعة امستردام ، الذي الف عدة كتب عن المجتمع الاندونيسي واوضاع بلاد جنوب آسيا وجنوب شرقها اوضح فيرتهايم أن مذابح ١٩٦٥ قد حدثت في الريف بشكل خاص . « ولكي نفهمها ، في جاوة بوجه خاص ، ينبغي العودة الى ١٩٦٠ عندما مرر سوكارنو قانونا للاصلاح الزراعي . طبقه الموظفون الفاتري الحماس تطبيقا سيئا . عندئذ قامت اتحادات الفلاحين بنفسها بتقسيم اراضي كبار الملاك . وكان الحزب الشيوعي الاندونيسي يتعاون في تلك الفترة مع حكومة سوكارنو ، وكانت هذه الحركات تحديا للحزب الذي حاول ان يوقفها في نهاية ١٩٦٤ ، وأكثر من ذلك ، اننا نجد في تلك الفترة ، احزابا مثل حزب نهضة العلماء ، والحزب

الوطني الاندونيسي، يهددان بالانسحاب من التحالف اذا لم يضع الحزب الشيوعي الاندونيسي حـداً نهائياً لتوزيع الاراضي » « وما رؤي بعد ذلك في خريف ١٩٦٥، هو استعادة كبار الملاك لاراضيهم . لقد قامت حينئذ مذبحة للمعدمين الذين لا يملكون ارضا ، والذين قتلوا هم الفقراء وعائلاتهم » . وردا على الاستفسار عن سبب قتل الملاك للعاملين في اراضيهم فسر البروفيسور الهولندي ذلـك بالتضخم الكافي الكبير في جاوة .

على انه اذا كان رجل الشارع في اندونيسيا يعتقدان الذين يحكمون اندونيسيا اليوم هم « الاربعة الخضر » الكوماندوس ذوى البيريهات الخضراء ، وملاك الاراضي وشعارهم اخضر ، ومنظمة الطلبة «كامي» بشاراتها الخضراء ، ومستوجرين السفير الامريكي . فان مما يلقي ضوءا آخر على شخصية الجنرال سوهارتو ، ما ذكره البروفيسور فيرتهايم من ان مجموعة الضباط المتمردين في وسط جاوة والذين دابوا على انتقاد الجنرالات الذين في السلطة لم يوجهوا انتقادا ضد سوهارتو ، الذي كانت حياته الشخصية لا غبار عليها ، والذي ربما كان العصاة يعتقدون انه سينضم اليهم « بعد نجاح الانقلاب » .

●

■ **فيتنام**

اسطول جونسون يغلق طريق التفاوض

ادى اقدام الولايات المتحدة على ضرب فيتنام الشمالية من البحر ، ولاول مرة في تاريخ الحرب الفيتنامية ، الى موجة من التشاؤم في الاوساط السياسية العالمية ، بشأن امكانية انهـاء حرب فيتنام في أمد قريب .

ذلك أن تلك الامكانية بدت كأمر محتمل وقوعه قريبا ، عقب اقتراحات هانوي بامكانية اجـراء مباحثات مع الولايات المتحدة ، لو توقفت عن القاء القنابل شمال خط عرض ١٧° ، وهي الاقتراحات التي تقدمت بها هانوى أخيرا .

وكان رد الفعل الطبيعي لموقف **جونسون** الاخير هو ان اعلن **نجوين فان نين** المندوب العام لجبهة تحرير جنوب فيتنام في هانوى ، « أنه لم يعد أمامنا الان سوى طريق واحد ، هو الكفاح حتى النصر» وبذا تكون الولايات المتحدة باقدامها على أجراء ذلك « التصاعد » الجديد والخطير قد استمرت في فرض القتال المسلح ، كالاسلوب الوحيد « لحل» مشكلة فيتنام . وقد اعلن **آرثر جولدبيرج** المندوب الامريكي في الامم المتحدة ، عقب رحلة من الشرق الاقصى : « بأن الصراع الفيتنامي سيكون طويلا ودمويا » ، وطالب بوقف سياسة « التصاعد » . كذلك أعلن **أوثانت** السكرتير العام للامم المتحدة عقب محادثاته التي أجراها في **رانجون** مع ممثلي فيتنام الشمالية : « انه من الصعب على اى شخص ان يتفاءل بشأن احتمالات المستقبل في فيتنام » ، و« ان المحادثات التي قمت بها مع ممثلي هانوى كانت أيجابية وودية . الا انه ليست هناك أفاق لحل فوري للصـراع » وانه « مالم تكف الولايات المتحدة عن ضربها لفيتنام بالقنابل ، فستكون الحـرب طويلة ودموية » ، وقد لفتت **«الموند»** الفرنسية النظر أخيرا الى ان العداء يتزايد بين أوثانت والحكام الامريكيين، فبينما تحاول الدعاية الامريكية ان تقوم بدور كبير لاقناع الراى العام بأن « الحمر يلفظون آخر أنفاسهم » وأن «الربع ساعة الاخير» يقترب . فأن أوثانت وصل من رحلته بنتائج مضادة تماما، وهي أن الفيتناميين الشماليين قد قرروا القتال حتى النهاية .

كذلك نجد انه بينما اجتمع أوثانت في الماضي مع الفيتناميين الشماليين في هلسنكي وموسكو . فان هانوي لم تتكلم ابدا عن هذه المناقشات ، ولكن في هذه المرة اذاع الفيتناميون الشماليون الخبر على نطاق واسع ، الامر الذي أعتبرته باريس ذا مغزى كبير . الا ان مراسل وكالة الانباء الفرنسية في هانوى قد أشار بهذا الصدد الى حقيقة ذات اهمية هنا وهى أن القادة الفيتناميين الشماليين قد انتقدوا ، ولكن باعتدال ، خطة السلام المقدمة من السكرتير العام للامم المتحدة .

وقد رحبت الصحف اليوجوسلافية بالمقترحات التي قدمها **روبرت كيندى** والخاصة بوقف الغارات على فيتنام الشمالية والاستعداد لمفاوضات السلام وقالت ان رفض الحكومة الامريكية لهذه المقترحات، دل مرة أخرى على انها غير صادقة في نية اقرار السلام في فيتنام ، خاصة وكان السناتور **ادوارد كيندى** الذى أيد مقترحات شقيقه ، قد أعلن انه لايمكن تحقيق **انتصارات** » جديدة في فيتنام عن طريق ميدان القتال ، وأنه من واجب الولايات المتحدة ان تسرع في أجراء مفاوضات سلام . ومما هو جدير بالذكر ان صحافة سايجون قد هاجمت روبرت كيندى ومقترحاته

هذا ولم تعلق وكالات الانباء المختلفة ، أو الدوائر السياسية العالمية على طلب **هنرى كابوت لودج** اعفاءه من منصبه كسفير أمريكي في سايجون ابتداء من الربيع القادم . وأن كانت « **النيويورك تايمز** » قد أوضحت أن البيت الابيض بدأ يبحث عن خليفة له هناك سواء كان نائبه **وليم بورتر** : أو الجنرال **وليم وستمورلاند قائد القوات الامريكية في فيتنام**

ومما هو جدير بالذكر ان **آرثر شليزنجـر** المستشار السابق للرئيس الامريكي كيندى ، أصدر اخيرا بيانا صحفيا كشف فيه عن حقيقة أن حكومة جونسون ليست مهتمة باجراء مفاوضات لانهاء الحرب الفيتنامية ، والا لاوقفت الغارات على فيتنام الشمالية » واقترح عدة اقتراحات :

● تخفيض متتال لضرب فيتنام الشمالية بالقنابل .
● اقامة حكومة مدنية فى سايجون .
● نبذ سياسة التصاعد .

وقد نبه شليزنجر الى خطر فيتنام « **مكارثية جديدة** » فى الولايات المتحدة . وذكر ما كان يعتقده **جون كيندى** وهو أن حرب فيتنام لايمكن كسبها اذا أصبحت « حرب من البيض ضد الاسيويين » وهو ما تحولت اليه على يدى جونسون . وأشار الى ما قاله الجنرال **دالاس جرين** قائد « البحرية » وهو أنه : « يمكنكم أن تقتلوا كل رجال الفييت كونج ، وكل الفيتناميين الشماليين فى الجنوب ، ومع ذلك تخسرون الحرب » . ويرى شليزنجر أن استمرار الحرب يمكن أن يسبب الخسارة داخل الولايات المتحدة وكذلك خارجها . فى الداخل لان عديدا من الحوادث التى ذكرها تطرح مسألة نشوء «نيومكارثيزم» ،خاصة وحرب كوريا قد أدت لازدهار المكارثية من قبل . وفى الخارج لان « أوربا الغربية، وأمريكا اللاتينية ، هى مناطق العالم الاكثر أهمية بالنسبة للولايات المتحدة »،وان حرب فيتنام تجرف جهود واشنطون ، حسبما يرى هو .

والحقيقة أن ضرب الاسطول الامريكى لسواحل فيتنام الشمالية ، انما يتعلق بالخطة الاستراتيجية الامريكية التى أوضحها **ماكسويل تيلور** مستشار الرئيس الامريكى وهى انه يجب مواصلة الضغط على الثوار فى فيتنام الجنوبية ، وعلى فيتنام الشمالية حتى فى حالة موافقتهم على الجلوس الى مائدة المفاوضات . الا أن تلك الضغوط من جانب الامريكيين والمتمثلة فى بعض العمليات العسكرية الواسعة النطاق لاتزال تنتهى بالفشل . ويرى المراقبون العسكريون أن القوات الامريكية والمتحالفة التى تهاجم بمئات الالوف من الجنوب وتشن أحيانا ١٧ عملية عسكرية واسعة النطاق فى وقت واحد يصيبها الفشل ، بسبب تكتيكات الثوار الناجحة ، وتعود الى قواعدها دون أن تواجه جنديا واحدا من جنود « العدو » .



● روبرت كيندى

■ **الصين الشعبية**

التحدى الاقتصادى ينتظر المنتصرين سياسيا

أعيد فتح المدارس فى العاصمة الصينية وفى شنغهاى بعد ان ظلت مغلقة لمدة تسعة شهور لانشغال الطلبة فى حركة «الثورة الثقافية الكبرى» وبذا يكون « الحرس الاحمر» الطلابى — من وجهة نظر منظميه — قد اوشك تقريبا ، على الانتهاء من المهمة التاريخية التى انيطت به ، وهى تصدر المواجهة الجماهيرية الواسعة ضد خصوم محور **ماو — لين بياو — شواين لاى** .

وقد أكد المراقبون اليابانيون فى بكين مرة اخرى وبرغم الصراعات التى لاتزال قائمة فى بعض مناطق الصين — أن الرئيس **ماوتسى تونج قد أنتصر** سياسيا فى الصراع ضد خصومه ، الا أن عددا آخر من المراقبين يرون أن هذا النصر السياسى ينبغى أن يدعم بالنجاح الاقتصادى فى حقل زيادة الانتاج — خاصة وأن كثيرا من المرافقين يعزون الصراع الحالى الى عدم نجاح « القفزة الكبرى الى الامام» وتخلف الانجازات الاقتصادية عن الاهداف المرسومة، ويعتقدون ان ذلك هو التحدى الواضح الذى يواجه مجموعة ماو الان ، وبعد ان أعاقت الصراعات السياسية الماضية التقدم الانتاجى فى البلاد .

وحسبما أوضحت وكالات الانباء العالمية اخيرا، أصدرت بعض الهيئات السياسية العليا فى الحزب والجيش ، نداءات تدعو الى تركيز الجهود فى عملية الانتاج وخاصة الزراعة ، وأمرت قوات الجيش بمساعدة الفلاحين ، هذا فى الوقت الذى توقف فيه المهيمنون على شئون الثورة الثقافية عن مهاجمة مسئولين كبارا جددا .

ومما هو جدير بالذكر أن صحيفة «**ماينيشى** » اليابانية قد أوضحت فى ١٣ — ٣ — الماضى أن رجال جيش التحرير الصينى هم الذين سيتولون مهمة تنفيذ الثورة الثقافية الكبرى ، بعد أن عاد معظم شبان الحرس الاحمر الى مدارسهم . ومن ناحية أخرى أذاع الحزب الشيوعى الصينى بيانا فى نفس اليوم أوضح فيه أن الجيش وضع بكين تحت السيطرة العسكرية وتولى أعمال البوليس فيها لتعزيز ديكتاتورية الطبقة العاملة وسحق العناصر المعادية للثورة . وكانت « **الموند** » الفرنسية قد اشارت من قبل الى أن التوجيهات الجديدة بالعودة الى « معاملة سليمة للكوادر » — كوادر الحزب والادارة — والتى تطبق فى بكين فى الفترة الاخيرة، لم تصل الاقاليم الا فى وقت متأخر ، أو انها لم تنجح تماما فى تهدئة « المتمردين الثوريين » اى الانصار المحليين للثورة الثقافية والرئيس ماوتسى تونج .

وتصور معظم وكالات الانباء العالمية شواين

لاى على اساس انه الذى يقوم بالمجهود الواضحة من اجل عودة الاوضاع الطبيعية — خاصة وقد اصبح نائب رئيس اللجنة العسكرية للحزب ، متمتعا بسلطات عسكرية واسعة الى جانب سلطته التنفيذية . وقد اذاعت وكالة أنباء « كيودو » اليابانية نقلا عن صحف الحائط فى بكين فى ٣/٦ ان هذه اللجنة العسكرية قد أمرت بالافراج فورا عن جميع كبار المسئولين الذين عزلوا من مناصبهم واعتقلوا منذ بدء الثورة الثقافية الكبرى .

ومما يلقى ضوءا على اسلوب التطهير الصينى،

تعليق

احتكارات السينما العالمية تعبث بتاريخ الثورات

لسنا بحاجة الى ان نكرر ما قيل فى هذا الصدد من قبل عن فيلم « **الخرطوم** » الذى يشوه تاريخ الثورة السودانية المهدية تشويها مشينا لصالح المستعمرين والمبشرين وفيلم « **الدكتور زفايجو** » **الذى له شهرة** خاصة فى الاساءة الى الثورة الاشتراكية فى روسيا ، وهما فيلمان أحسنت الرقابة صنعا بحماية الجمهور من أثرهما الضار .

وانما سأتحدث هنا عن فيلمى « نضال المحترفين » و « **تحيا ماريا** » ، وهما فيلمان ظلا يعرضان أسابيع عديدة ، الاول فى سينما راديو ، والثانى فى سينما قصر النيل . والأرجح ، طالما أجازتهما الرقابة ان سينمات كثيرة أخرى ستعيد عرضهما سواء فى الضواحى أو الاقاليم ، أو فى السينمات الصيفية .

وموضوع الفيلمين هو العبث الهازل بالتاريخ الثورى للمكسيك . ومعروف أن المكسيك شهدت سلسلة من حركات الفلاحين وثوراتهم التى اشتعلت عنيفة ابتداء من عام ١٩١٠ ليستمر أوارها ملتهبا حوالى ثلاثين عاما ، وهى تتعثر بين مد وجزر ، بالسلاح حينا وبالاساليب السلمية احيانا ، فى وجه مقاومة وحركات انقلابية دموية ضارية من جانب الاقطاعيين والطغاة المحليين ، تسندهم الامبريالية الامريكية من الخارج بالمال والسلاح وتقدم صفوف الثورة المكسيكية عدد من أعظم الثوار فى تاريخ أمريكا اللاتينية ، لعل أشهرهم هو القائد الفلاحى الشهيد « **زاباتا** » ، وتمخضت عن حركة فكرية خصبية قادها **جوزى فاسكونسيلوس** ، ومدرسة فنية حديثة ، ذات مكانة عالمية رفيعة ، على رأسها رسامو الفريسك العظام : **ريفيرا واوروزكو وسيكويروس** .

هذا التاريخ الحافل بالمآسى والبطولات كان مصدر الهام لكثير من الاعمال الفنية والادبية الجيدة ، نذكر منها قصة «**يحيا زاباتا** » التى أخرجها الياكازان فى فيلم عرض فى القاهرة ، منذ حوالى عشر سنوات ، وأثار نقدا عنيفا فى الاوساط الفنية التقدمية حينذاك .

أما اليوم ، فان السينما الامريكية تنتج عن نفس الموضوع أفلاما تتناسب مع ما وصلت اليه السياسة الامريكية من تحد لمشاعر الشعوب ، وعبث بتاريخ ثوراتها وتحقير لنضالها ، واستهتار بمقدراتها لم يسبق له مثيل .

يتلخص فيلم « نضال المحترفين » فى ان امريكيا يملك شركة للسكك الحديدية استأجر اربعة من القتلة المحترفين لاستعادة زوجته المكسيكية الفاتنة التى اختطفتها العصابات المكسيكية . ويتمكن القتلة المحترفون ، وهم أمريكيون بينهم زنجى (ولاينسى المخرج — مراعاة للتقاليد العنصرية الامريكية البغيضة حتى فى اوساط القتلة — أن يضعه موضع التابع فى تلك العصبة الدامية) — يتمكنون من اجتياز الحدود ، واختراق مناطق شاسعة يحتلها الثوار ، وتدمير الحركة الثورية فيها ، وذبح عدد لايحصى منهم . ويصور الفيلم الفلاحين الثوار وقادتهم وكأنهم قطيع لا مكان فيه لعاطفة أو لاسرة ، حياتهم حيوانية مقززة ، كل شىء فيها مستباح ، وكل قيمة مهدرة . وأخيرا يتمكن القتلة المحترفون الامريكيون (الذين لايقهرون) من استعادة الزوجة الشابة ، ولكنهم يتبينون ان الزوجة لم تخطف اصلا ، ولكنها هربت من زوجها الثرى الذى اشتراها بماله لتلحق بصديق طفولتها ، وهو أحد قادة الثورة فى الريف المكسيكى . عندئذ تأخذهم الشهامة (ولا عجب ، لانهم — وان كانوا قتلة بالاجر — الا انهم امريكيون !) فيضربون عرض الحائط بالمكافأة السخية التى وعدهم اياها العجوز الغنى ، ويعيدون الشابة المكسيكية الجميلة الى صديق صباها ، الى القائد الثورى المكسيكى ، ولكن بعد أن يكون قد تحول — مع الثورة التى يمثلها — الى خرقة ملطخة ممزقة ، ونفاية محطمة تعافها النفس .

وتوضع فى خدمة هذه الافكار الاستعمارية المدمرة ، المغلفة فى جو قصصى مثير ومتوتر ، كل امكانيات صناعة سينمائية عالية التطور ، مع ايقاع محموم ربت عليه السينما الامريكية جمهورها الكبير ومؤثرات صوتية ولونية تصم الاسماع وتخطف الابصار وتقطع الانفاس .

اما فيلم « تحيا ماريا » فتتلخص قصته فى أن فتاتين من بائعات الهوى ، يقودهما انجليزى يدير مسرحا متنقلا ، (أحداهما ايرلندية ذات ماض فى الثورة على الانجليز!) يدفعهما التجوال العشوائى الى مناطق تجتاحها ثورة الفلاحين فى المكسيك ، حيث تتمكن الفتاتان بعد سلسلة من المصادفات السمجة ، وبفضل روح القطيع والبلاهة التى يصورها الفيلم لجماهير الفلاحين الثائرين ، تتمكنان من أن تصبحا قائدتين لهذه الجماهير ، ينزلهما الفلاحون منزلة القديسين والانبياء . وتقدم هذه الافكار الخبيثة الى المتفرجين ، وأن شئنا الدقة لقلنا انها تهرب بأسلوب أشد خبثا ، بطريقة تمتزج فيها الحقيقة بالخيال ، والجد بالهزل والتهريج بالاثارة الجنسية والمتعة السهلة بالتزييف المبتذل للتاريخ والاستهبال بالتهريب اللئيم لافكار تنطوى كلها على التحقير لنضال الشعوب والعبث بمقدراتها .

هذان فيلمان فيهما اساءة بالغة الى شعب مناضل ، وعبث بتاريخ واحدة من اعظم الحركات الثورية الحديثة فى امريكا اللاتينية . وان كانت صلتنا المباشرة بثورة الشعب السودانى الشقيق ، ومعرفتنا الوثيقة بحقائق الثورة الروسية قد منعت فيلمى « الخرطوم » و « **دكتور زفايجو** » من التسلل الى وجدان جماهيرنا ، فان يقظتنا تجاه المحاولات الدعوبة لتهريب مثل هذه السموم يجب الا يفتر ، حتى ولو صدرت الينا من طريق الطعن على بلد بعيد كالمكسيك ، ووسط ضجة اعلانية يستغل فيها رصيد فاسد لربات الاثارة الجنسية وملوك الجريمة والتوتر على الشاشة البيضاء . ولنذكر ان افساد وعى الجماهير وتشويه وجدانها تجاه أية حركة ثورية فيه افساد لوعيها الثورى عموما ، فى زمن ترابطت فيه مصائر الشعوب ، وتوحد نضالها ضد أعدائها المشتركين .

سعد زهران

أن شواين لاى قد أعلن أخيرا أن حركة التطهير لن تشمل الا القلائل من الزعماء منهم **ليوشاوشى** رئيس الجمهورية ، **وتنج هسياوبنج** السكرتير العام للحزب ، وأوضح أن بعض الذين تناولتهم حركة التطهير ، سيتولون مراكز حزبية فى « مستويات أدنى » .

هذا وقد نشرت « **العلم الاحمر** » جريدة اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الصينى مقالا افتتاحيا اعتبره بعض المراقبين بمثابة « حساب ختامى » للثورة الثقافية ، تعرضت فيه لوضع التحالف الثلاثى المشكل من العناصر المؤيدة لمحور ماو — لين — شواين لاى ، وهى الجماهير والجيش ، والكوادر الثورية .

ويعترف المقال فى التحليل النهائى « بأن الحرس الاحمر ارتكب اخطاء واعمالا متطرفة، وانه كان هناك عدم اتفاق داخل الجيش ، ولكن هذه الاشياء انما هى اخطاء لايمكن تجنبها ، وأن الاتجاه العام للحركة كان سليما فى مجموعه . وأن الحرس الأحمر ، وزملائه العمال « المتمردين الثوريين » يستحقون الثناء ، وفيما يتعلق بكوادر الحزب البيروقراطية، وهى الحفنة التى كانت تتبع الطريق الراسمالى ، فقد « اكتشف » أمرها ، وثبت أن اغلبية الكوادر كانت من عناصر طيبة ، أو طيبة نسبيا . واوضح المقال أن « مبدأ استبعاد كل الكوادر ينبغى أن يدان بدون أدنى تحفظ » .

أما فيما يتعلق بالجيش وهو العنصر الثالث فى تحالف أنصار محور ماو فوصف بأنه الحارس لديكتاتورية البروليتاريا ، ولكن « العلم الاحمر » اعترفت بأن بعض الرفاق المنتمين الى عدد من الوحدات العسكرية المحلية انضموا مؤقتا فى صفوف الجانب السىء بسبب التعقيد والغموض الذى يمر به صراع الطبقات .

هذا ولم يعرف بعد بشكل رسمى المآل الذى ينتظر زعماء المعارضة لاتجاه ماو وعلى رأسهم **ليوشاوشى وتنج هسياوبنج** ، كذلك لم تتوفر — حتى كتابة هذا التقرير — أية وقائع تكفى للتدليل على نشوب صراع جديد على السلطة بين لين بياو — وشواين لاى ، حسبما أشارت بذلك أخيرا وكالة الانباء التشيكية .

●

■ فرنسا

نتائج وحدة اليسار

جاءت نتائج الانتخابات الفرنسية مفاجأة حتى للاطراف المشتركة فيها . ولاول مرة فى السنوات الاخيرة كانت نتائج انتخابات الاعادة بعيدة عن كل ما ذهبت اليه توقعات أجهزة استطلاع الرأى العام التى كانت قد نجحت فى الوصول الى تقدير قريب جدا من الواقع لنتائج الجولة الاولى .

وكان من طرائف المفاجأة ان طلعت احدى المجلات الامريكية غداة انتخابات الاعادة بتعليق طويل — مكتوب بالطبع على أساس التوقعات — يحلل مدى تأييد الشعب الفرنسى لديجول .

والحق ان الارقام بالغة الدلالة . فقد فقد تحالف انصار **ديجول** « الجمهورية الخامسة » اربعين مقعدا ، فى حين حصلت احزاب اليسار على ستين مقعدا جديدا . وقد سقط فى الانتخابات اربعة من وزراء ديجول بينهم وزير الخارجية ووزير الدفاع وسانجنيتى الذى كان مرشحا لتولى السكرتارية العامة لحزب ديجول . وتفصيل هذه الارقام الاجمالية يظهر فى ان تعاون احزاب اليسار قد افادها جميعا . فقد كسب الحزب الشيوعى اثنين وثلاثين مقعدا جديدا فى حين حصل اتحاد اليسار الديمقراطى على خمس وعشرين مقعدا اخرى ، وزاد الحزب الاشتراكى الموحد عدد نوابه من نائب واحد الى ثلاثة نواب . أما من حيث الاحداث فقد كسب الحزب الشيوعى اكثر من مليون ناخب جديد بالنسبة للانتخابات البرلمانية السابقة التى جرت عام ١٩٦٢ فى حين زاد عدد ناخبى اتحاد اليسار بأكثر من ٨٠٠ الف صوت .

وفى انتخابات الاعادة كان مجموع ما حصلت عليه احزاب اليسار يمثل ٤٦٫٩٪ من اصوات الناخبين ، فى حين لم يتجاوز نصيب انصار ديجول ٤٣٫٩٪ .

ولكن **كيف حدث هذا التحول ، وما مغزاه ، ومانتائجه القريبة والبعيدة على السياسة الفرنسية فى الداخل والخارج ؟**

لا شك ان العنصر المحرك فى هذا التحول هو اتفاق احزاب اليسار على التعاون فى المعركة الانتخابية . وقد بدا هذا التعاون بمناسبة انتخابات الانتخابية. وقد بدا هذا التعاون بمناسبة انتخابات ترشيح **فرانسوا ميتران** الراديكالى اليسارى فى مواجهة ديجول على اساس النقاط السبع الرئيسية فى برنامجه . وكان من اثر هذا الاتفاق حينئذ ان ديجول لم يفز فى الجولة الاولى بالاغلبية المطلقة ، وفى الاعادة حصل ميتران على حوالى ٤٥٪ من الاصوات . وخلال ١٩٦٦ جمع ميتران تحت رياسة الحزب الاشتراكى واليسار الراديكالى ومؤتمر الدفاع عن المؤسسات الجمهورية فى «**اتحاد اليسار الديمقراطى**» الذى تقدم فى الانتخابات البرلمانية بمرشح واحد فى الدائرة . ولكن بقى بعد ذلك ان يتفاهم الاتحاد مع الحزب الشيوعى والحزب الاشتراكى الموحد . ولما لم تسفر المفاوضات عن التوصل الى برنامج موحد استقر الرأى على ان يخوض كل تنظيم من تلك التنظيمات الثلاثة الجولة الاولى مستقلا ، على أن يتم التنازل فى الاعادة لصالح المرشح اليسارى

الحاصل على أكثر الاصوات . وتفسير ذلك ان قانون الانتخاب الفرنسي لايقصر الاعادة على المرشحين الحاصلين على اكثر الاصوات ، بل يكتفي باستبعاد من لم يحصل على ١٠٪ من الاصوات . ومن ثم لو احتفظ كل حزب بمرشحين لتبددت اصوات اليسار . وقد طبقت قاعدة التنازل المتبادل بالفعل في الاعادة . وكان التنازل يتم لحساب المرشح اليساري الحاصل على اكبر الاصوات الا في خمس عشرة دائرة تنازل فيها المرشح الشيوعي لمرشح الاتحاد اليساري رغم حصوله على اكثر الاصوات مجاملة لبعض المرشحين . ومن ابرز هذه الحالات حالة الصحفي المعروف **كلود استيبه** مؤلف كتاب « مصر في ثورة » الذي كان حاصلا على ٧٠٠٠ صوت فقط ولكن المرشح الشيوعي الحاصل على ١٢٫٠٠٠ صوت تنازل له ممامكنه من ان ينتصر على الوزير الديجولي سابخنيتي .

ولكن ليس معنى ذلك ان نجاح اليسار ليس الا ثمرة مناورة وتكتيك انتخابي . فالواقع انه تعبير عن اتجاه متعاظم نحو اليسار لدى الشعب الفرنسي . وليس ادل على ذلك من وضع « **اتحاد الوسط الديمقراطي** » الذي يقوده **لوكانويه** والذي تجمع حوله اليمين الموالي لامريكا . فقد خسر هذا الاتحاد كثيرا من الاصوات والمقاعد . وفي الاعادة اعلنت قيادته ان شعارها هي « **سد الطريق امام خطر الشيوعية** » ولكن جزءا كبيرا من ناخبي الوسط صوتوا لمرشحين شيوعيين ضد انصار ديجول . ومن ناحية اخرى لا تزيد خسائر انصار ديجول عن اربعين مقعدا في حين تبلغ مكاسب اليسار ستين مقعدا . وهذا يفيد ان اليسار قد انتزع عشرين مقعدا من اليمين التقليدي . وقد يبدو هذا التحول نحو اليسار غريبا في نظر من يتابع من الخارج سياسة ديجول في الحقل الدولي فيلمس جوانبها الايجابية التي تفيد قضية السلام . ولكن الواقع ان هذه السياسة لاتعبر داخليا عن وضع طبقي متقدم ، بل انها تعبير عن مصالح قومية لاجنحة هامة من الرأسمالية الفرنسية . ولهذا فهي تتسم بعدم الاتساق . فبينما تظهر حكومة باريس بمظهر من انسحب بارادته من المستعمرات الافريقية ومنحها الاستقلال نراها تتعاون مع البرتغال وجنوب افريقيا وتؤيد تشومبي وحكومة

تعليق

الاقطـــاع الســـعودى ينهـــار

عندما يتفكك نظام ما ، يفقد القدرة على السيطرة والتحكم في تطورات الاحداث . وهو في هذه الحالة ، يستحل لنفسه الاقدام على اتخاذ أية اجراءات عنيفة ، وسرعان ماتطفو على سطحه الاشكال البوليسية والعسكرية للحكم . ولا يكون ذلك كله تعبيرا عن القوة ، بقدر ماهو تعبير عن حالة احتضار في الطريق الى لفظ انفاسه الاخيرة .

واحداث السعودية في الشهر الماضي ، تجسيد حي لهذه الحقيقة الموضوعية . فالنظام الاقطاعي القائم في السعودية ، نظام منقرض بالضرورة .. لا من زاوية عدم قدرته على الوفاء باحتياجات ومطالب الشعب في السعودية فحسب ، بل ومن زاوية ان حليفه — الاستعمار العالمي — يعاني ازمة بقاء وانحسار لنفوذه ، في النصف الثاني من القرن العشرين حيث تنتشر الاشتراكية وتتسع لتصبح نظاما عالميا يحاصر الراسمالية العالمية والاجزاء المتناثرة المتبقية من الاقطاع المنهار .

واقدام الرجعية الحاكمة في السعودية ، على اعدام ١٧ يمنيا ، حدثا له دلالتين كبيرتين :

أولا : ان بشاعة الحدث الذي اقدم عليه الحكام السعوديون وآثار غضبة واستنكار الرأي العام العربي ، انما هي تعبير واضح عن مدى الحقد الكامن في نفوس الرجعية السعودية ضد ثورة شعب اليمن ومنجزاتها بعد ان دكت معقلا من معاقل الاقطاع في الجزيرة العربية . وليس اعدام ١٧ يمنيا ، سوى انتقام حاقد من ثورة اليمن تصبه على بعض ابناء الشعب اليمني الذي فجرت ثورته لا المقاومة الوطنية في السعودية وحدها ، وانما فجرت لذلك ثورة تحرير مسلحة في جنوب اليمن المحتل باتت تهدد الوجود الاستعماري في الجنوب العربي كله ، وقد أقدمت الرجعية السعودية الحاكمة على هذه الخطوة ، بعد أن فشلت كل محاولاتها السابقة في تطويق ثورة اليمن أو تقويضها والانتكاس بها .

ثانيا : اعدام ١٧ يمنيا ، ليس الا محاولة فاشلة من جانب الرجعية السعودية الحاكمة ، بالصاق اعمال المقاومة الوطنية التي اتسع نطاقها في داخل السعودية وأحدثت خللا واضحا في صفوف النظام القائم ، بوطنيين « غير سعوديين » ، بهدف الزعم بأن أعمال المقاومة هذه تتم على ايدي « متسللين » وليست من فعل أبناء الشعب العربي في السعودية . وفي نفس الوقت ، تحاول الرجعية السعودية — دون طائل — الغاء « وجود » منظمة اتحاد شعب الجزيرة العربية التي أصدرت أكثر من بيان تعلن فيه انها تتحمل مسئولية وأعباء أعمال المقاومة الوطنية القائمة على قدم وساق . وفي النهاية ، تحاول الرجعية السعودية الحاكمة أن تقدم صورة زائفة الى الرأي العام العالمي لاتعبر في شيء عن حقيقة موقف الشعب في السعودية من حكم الاقطاع .

وقد تقدم الرجعية السعودية ، على مزيد من اعمال العنف والاعدام ، وتزيد من نشاط دوائرها البوليسية والعسكرية وبناء السجون ومعسكرات الاعتقال . ولكنها لن تنجح .. بحكم التطور التاريخي وثورة الشعب العربي — في أن ترأب الصدع الذي يكاد أن يقوض النظام الاقطاعي القائم .

حسين شعلان

الاقلية البيضاء فى روديسيا . اما فى الحقل الداخلى فان الوجه الاخر لسياسة ديجــول «الاستقلالية» ازاء امريكاهو تدعيم مركز الاحتكارات الفرنسية ودفعها الى مزيد من التركز وربطها باحتكارات اوروبا الغربية ومساعدتها على زيادة ارباحها . ولذلك فسياسة الحكومة الاجتماعية متخلفة وقد استخدمت كافة وسائل الضغط ضد الحركة النقابية . واذا كان نجاح ديجول فى انهاء حرب الجزائر بدون ان تتحول الى حرب اهلية فى فرنســا وســنوات الرواج الاقتصــادى قــد طمست هذا الواقع لفترة فى ان تباطؤ معدلات النشاط الاقتصــادى وعودة البطالة الى الظهور وتفاقم ازمة المساكن وقعت كلها بجماهير غفيرة الى صفوف اليسار . ولا شك ان بعض قادة الاحزاب اليسارية من العناصر التى لا يمكن الوثوق بها مثل جى موليه ـــ كما ان بداخله تيارا يتأثر باتجاهات واشنطون . ولكن دعاة وحدة اليسار يقولون ان الخطوات الايجابية التى اتخذها ديجول ـــ مثل الانسحاب من حلف الاطلنطى ـــ لا يمكن الرجوع فيها ، كما ان الحركة الجماهيرية التى تنشط بفعل وحدة اليسار يمكنها ان تفرض على القادة جميعا مواقف اكثر تقدما .

ومهما يكن من امر ، فان ديجول ليس له فى المجلس الجديد الا اغلبية صوتين ، حصل عليهما بتصويت بعض المستعمرات . ومن بين هذه الاغلبية المشكلة من ٢٤٤ نائبا هناك حزب له كيانه المستقل هو حزب «الجمهوريين المستقلين» الذى يقوده **جيسكار ديستان** وزير المالية السابق والذى يقف الى اقصى يمين انصار ديجول . فما هو اثر ذلك كله على سياسة ديجول ؟ ان ثمة احتمالين واضحين . اما أن ينصت ديجول الى صوت لوكانويه الذى يدعوه للاعتماد على اصوات نوابه السبعــة والعشرين فى حلف معاد للشيوعية وعندئذ يكون الثمن هو تراجع ديجول فى سياسته الخارجية ، وبالذات فى سياسته ازاء الولايات المتحدة الامريكية ، واما ان يأخذ فى اعتباره دلالة التصويت الشعبى لصالح اليسار فيؤكد الاتجاهات الايجابية فى سياسته الخارجية معتمدا فى الازمات على تصويت النواب الشيوعيين الثلاثة والسبعين ، ويعمل على اتخاذ بعض الاصلاحات الاجتماعية التى يطالب بهــا « اليسار الديجولى » ليجذب اليه من جديد بعضا ممن صوتوا لليسار .

ولكن القضية الهامة تبقى بعد ذلك هى كمــا قال **منديس فرانس** : ماذا بعد ديجول ؟ فالرجل قد تجاوز السادسة والسبعين وانصاره شيع بين يمين ووسط ويسار لايجمع بينها الا شخصه . فاذا انقضى اجله لابد ان تحسم الامور لصالح احد الطرفين اليمين الديجولى وغير الديجولى أو اليسار غير الديجولى والديجولى معا .

■ الولايات المتحدة الامريكية

المســكرية الامــريكية . .
وأزمـــة النظـــام . .

تابع الراى العام العالمى ، باهتمام بالغ ، الانبــاء التى كشفت عن عــلاقة المخابرات المركزية الامريكية بعديد من الهيئات والاتحادات والجمعيات القومية الامريكية والدولية التى يمتد نشاطها خارج الولايات المتحدة .

ومن الملاحظ ان حملات الاحتجاج والاستنكار قد شملت دوائر المثقفين فى انحاء العالم المختلفة ـــ بما فى ذلك المثقفين الامريكيين ـــ وعلى اختلاف اتجاهاتهم الفكرية والسياسية . وكانت حملات الاستنكار بمثابة ادانة من جانب المثقفين للنظام السـياسى والاجتماعى والاقتصــادى الامريــكى وادعاءات المشايعين له .

وقد شملت الضجة انحاء العالم ، على اثر التحقيق الذى نشرته مجلة **رامبراتس** الامريكية ذات الميول التقدمية ، واثبتت فيه ان وكالة المخابرات الامريكية كانت تستخــدم الطلبة « كجواسيــس وعملاء لها داخل وخارج امريكا . ولقد ظلت تمول طوال الخمسة عشر عاما الماضية المنظمات الطلابية وعلى راسها الاتحاد القومى الامريكى للطلبة بما يزيد عن ثلاثة ملايين من الدولارات » .

والواقع ان التحقيق الذى نشرته رامبراتس ، لم يكن اول محاولة داخل امريكا لكشف العلاقات المريبة للمخابرات الامريكية بعدد من الهيئــات المختلفة . فمنذ عدة سنوات ظهرت بعض المحاولات التى تفضح نشاط وكالة المخابرات الامريكية بشكل عام سواء بالتلميح او بالتصريح الواضح . وكان ابرز هذه المحاولات كتاب « **الحكومة الخفية** » الذى صدر عام ١٩٦٤ وترجم فى القاهرة ونشرته **دار المعارف** ١٩٦٥ ، وكذلك سلسلة التحقيقات التى نشرتها صحيفة **نيويورك تايمز** الامريكية فى ابريل ١٩٦٦ والتى احدثت صدى واسع النطاق وخاصة فى العالم العربى لما حوته من معلومات عن بعض المجلات التى تصدر بالعربية مثل **حـــوار** وعلاقاتها بالمخابرات الامريكية .

وقد تبين من المقال الذى نشرته صحيفة **وشنطن بوست** الامريكية للكاتب **ريتشارد هاروود** مدى النشاط المروع الذى تقوم به المخابرات الامريكية

داخل معظم المؤسسات والهيئات الامريكية التى تعمل داخل الولايات المتحدة وخارجها والتى كانت موضع احترام بعض اوساط الرأى العام فى امريكا وفى عدد من الدول الاخرى . وقد استهدف هذا « النشاط المروع » — على حد تعبير هاروود — « التأثير الايديولوجى على الناس داخل وخارج امريكا. اى انها كانت جميعها اجهزة مسخرة لخدمة عمليات غسيل المخ التى تجريها المخابرات الامريكية للشعب الامريكى والشعوب الاخرى كجزء من الحرب الباردة المنغمسة فيها » .

لقد استخدمت وكالة المخابرات الامريكية عددا ضخما من المؤسسات ، لتوزيع اموالها على الاشخاص والجماعات والمنظمات فى العالم . ومن امثلة هذه المؤسسات : «شئون الشباب والطلبة» و«برايس» و«جوثام» و«راب الخيرية » و«بيكون» و« بيرد » و« ميتشجان » و«مارشال» و«براون» الخ . وتقوم هذه المؤسسات بدورها بتوزيع اموال الوكالة المركزية على منظمات :« اتحاد الصحافة الامريكية » و« مؤسسة التنمية الدولية » و«اتحاد الطلبة القومى» و« جمعية اصدقاء الشرق الاوسط » و« معهد الدراسات العمالية والدولية » و«المعهد الافريقى الامريكى» و«الجمعية الامريكية الخ . وتقوم هذه المنظمات بدورها بتوزيع الاموال على الجماعات والمشروعات والاشخاص موضع اهتمام الوكالة مثل : « وكالة الانباء الاجنبية » و « الاتحاد الدولى للصحفيين الاحرار » و «اتحاد الثقافة الحرة » مجلات « حوار — لبنان ، فورام — النمسا ، بريف — فرنسا ، انكاونتر — بريطانيا ويعتقد المراقبون ان هذا « النشاط المروع » للمخابرات الامريكية ليس الا القشرة السطحية لحقيقة هامة اكثر عمقا . فيفسرون عملية النشر الواسعة عن نشاط المخابرات الامريكية فى الصحف وبعض الكتب التى تصدر فى الولايات المتحدة ، على انها تجسيد لذلك الانفصال الهائل بين دوائر المثقفين الديمقراطيين والتقدميين الامريكيين وبين النظام القائم فى امريكا . اما الحقيقة الهامة التى تكمن فى اعماق الصورة ، فتوضح عمق الازمة التى يعيشها الاستعمار الامريكى كنظام . فالاحتكارات المالية الضخمة والصناعية هى التى تملك هذه المؤسسات التى تقوم بتمويل الهيئات والجماعات التى كشفت الانباء عن علاقاتها بالمخابرات . والاحتكارات الامريكية التى تعبر السلطة السياسية فى وشنطن عن مصالحها، هى التى توجه نشاط هذه المؤسسات والهيئات والجماعات فى الداخل. ولما كان الاستعمار الامريكى يواجه موقفا صعبا فى الخارج، بتزايد قوة حركات التحرر الوطنى وتقلص النفوذ الامريكى ، اصبح النظام الاستعمارى الامريكى فى خطر محدق . ومن هنا يتضح ان الاحتكارات الامريكية المسيطرة على كل شىء لم تعد تثق فى اى نشاط تمارسه اى هيئة من هيئات الشعب الامريكى ، الا من خلال تحكمها وتوجيهها . ويذهب المراقبون ابعد من ذلك الى القول، بأن «العسكرية الامريكية» هى التى تحكم الولايات المتحدة ، يؤكد ذلك كل نبأ جديد يذاع عن علاقة المخابرات بنشاط مؤسسات الشعب الامريكى وهيئاته الداخلية والخارجية حيث تعتبر المخابرات ، العقل المدير لسياسة العسكرية الامريكية ».

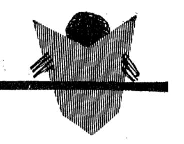
ويذهب بعض المراقبين الى القول بأن الفضائح التى عرفت عن نشاط المخابرات الامريكية ليست الاجانبا بسيطا من مجموع نشاط الوكالة المركزية. وهذه المعلومات كلها ، تكشف عن حقيقة الادعاءات القائلة « بالديمقراطية الغربية » و« العالم الحر » وهى بالتالى تؤكد زيف هذه « الديمقراطية » و «الحرية» الامريكية ، بل الغربية ككل .

ومن الملاحظ ان المخابرات الامريكية تهتم اهتماما كبيرا بالهيئات والتجمعات ذات الطابع الثقافى والجماهيرى وبخاصة فى العالم الثالث . ويعزو المعلقون التقدميون هذا الاهتمام ، الى الدور المتزايد الاتساع الذى تقوم به هذه الهيئات الجماهيرية فى دول العالم النامى، وبخاصة اتحادات العمال والمثقفين والطلبة فى كل دولة على حدة والاتحادات ذات النشاط والارتباطات الدولية . وذلك بهدف محاصرة هذه الهيئات وامتصاص ثوريتها وايجابيتها من جهة ولتوجيه حركتها فى اتجاه يجافى مصالح شعوبها من جهة اخرى .

وجدير بالذكر ان اتحادات الطلبة فى الجمهورية العربية المتحدة وفى الجزائر وتنزانيا وتشيكوسلوفاكيا وبعض الدول الاخرى ، اصدرت بيانات منفردة تدين كل منها نشاط المخابرات الامريكية وتدخلها فى حياة الطلبة .

ومن الغريب ان جمعية اصدقاء الشرق الاوسط اصدرت بيانا فى منتصف الشهر الماضى ، تنفى فيه علاقتها بالمخابرات الامريكية . وذلك رغم كل ما نشر فى الصحافة الامريكية من وثائق .

وتجمع الدوائر السياسية والثقافية فى العالم الثالث، على انه قد ثبت بما لا يدع مجالا لاى شك، الدور التخريبى الذى تمارسه الهيئات والمؤسسات الامريكية خارج بلادها على المستوى الثقافى والاجتماعى بل والتنظيمى ، مما يستدعى ضرورة قطع علاقات المؤسسات الوطنية والتقدمية فى العالم الثالث بالهيئات الامريكية المريبة ، او وضعها تحت رقابة ذات طابع شعبى .




- عصر ورجال
- ■ تأليف : فتحي رضوان
- ● مكتبة : الانجلو ١٩٦٧

- ■ من المجلات الفكرية العالمية
- ● مجلة ((الادب السوفيتي))

عصر ورجال

■ **تأليف : فتحي رضوان**

● **مكتبة : الانجلو ١٩٦٧**

قليلة حقا هي الكتب التي تؤرخ لحياتنا الفكرية ، خاصة المرحلة التي تقع بين ثورتي ١٩١٩ و ١٩٥٢ .. واقل من القليل مايكتبه ابناء هذه المرحلة عن تجاربهم الشخصية في مجال الفكر ، سواء مع المفكرين انفسهم ، او مع الافكار التي يقدمونها ، من هنا تأتي القيمة الرئيسية لهذا الكتاب الهام الذي كتبه **فتحي رضوان** تحت عنوان **((عصر ورجال))** . فالكتاب محاولة — ايا كان نوعها — لتأريخ مرحلة ماقبل الثورة تاريخا فكريا ، والكتاب ايضا تجربة شخصية مهما كان اتجاه صاحبها عايشت عن كثب ثقافة ما بين الحربين ، وجيل مابين الثورتين ، وشاركت بصورة من الصور في صياغة هذه المرحلة الهامة في تاريخ مصر الحديث .

وفتحي رضوان يبدأ كتابه بمقدمة تشير الى انه فكر طويلا قبل ان يختط منهجا محددا . هو ذلك المنهج الذي يروى قصة عصر من العصور من خلال حياة كبار ادبائه ومفكريه وفنانيه ((**فليس اصدق في رواية التاريخ وتحديد خصائصه من قصص حياة الاشخاص الذين صنعوا هذا التاريخ ، وليس اصدق في رواية الحياة العامة من الحياة الخاصة لمن خلقوا هذه الحياة العامة ولعبوا على مسرحها وادوا الادوار الكبرى فيها ، فالحياة الخاصة للكبار ، هي الصورة الخالية من التزييف للعصر الذي ينتمون اليه ، او الذي ينتمي اليهم ، المحببة الى القلب السهلة التناول**)) .

بالطبع نحن نستطيع ان نفهم من هذه الكلمات ان منهج الكاتب يعتمد اولا على ايمان عميق بدور الفكر في صنع اللوحة الاجتماعية للانسان ، وايمان مماثل بدور الفرد في صنع التاريخ . ولا شك انه منهج متعارف عليه ومعترف به بين مختلف المناهج التي يستخدمها الدارسون للمجتمع والمؤرخون للفكر . ولكنه ايضا ، وفي نفس الوقت ، منهج ذو حدين .. فهو قد يبالغ في اهمية الدور الذي يلعبه الفكر في الحياة الاجتماعية او يقلل من اهمية هذا الدور اذا لم يتم البحث في اطار صارم من الموضوعية العلمية التي تكاد تقترب من تجارب المعمل ، وهو قد يبالغ في تقييم دور الفرد في صناعة التاريخ او يقلل من اهمية هذا الدور ، اذا تم البحث بمعزل عن الخريطة الاجتماعية التي

تشير البوصلة الدقيقة الى كافة خفاياها وتضاريسها ، والمبالغة في كلا الجانبين تتأتى حين يصبح المؤلف ((**طرفا**)) في هذه المعركة او تلك ، او ((**خطأ**)) في صورة بعينها .. حينئذ تعز الموضوعية ويندر العلم ، ويصبح الكتاب اقرب الى ان يكون ((انطباعا)) منه الى البحث العلمي .

لنر اذن ، ماذا فعل فتحي رضوان باخطر حقبة في عصرنا الحديث،وهو الرجل الذي عايش احداثها عن قرب وانفعل بالتجربة ، وشارك فيها سياسيا وفكريا ؟

انه يبدأ البحث بسؤال هام ((**اى عصر هذا الذي نؤرخ له ؟ أهو حقيقة عصر ذهبي كما تردد على خاطرى فترة ، وانا اتهيأ للتفكير في الكتابة عنه ؟**)) ثم يبدأ في تقديم صورة العصر من خلال الشعر فيقول انه اصبح بضاعة يتكسب منها الشاعرمالا أو منصبا أو جاهاءفمامنشاعر الا وقد كان له قوى يلوذ به ويجري عليه الرزق ويحميه فقد مدح **حافظ** الانجليز ، ومدح **شوقي** اعوان الانجليز وعملاءهم ، اما الجيل التالي لهما — **شكرى والعقاد والمازني** — فقد مارسوا الشعر الى جانب النقد فلم يكتب لهم النجاح وكف احدهم عن نظم الشعر ، واختفى الثاني لفترة طويلة عن الحياة الادبية،وواصل الثالث وحده — **العقاد** — حتى منح لقب امير الشعراء ، ولكنه لم يستطع ان يحتفظ به اذ لم يجد له صدى عند الناس ولا ايمانا به فلم يعد احد يناديه به او يخلعه عليه او حتى يفكر فيه . ولم تستطع مدرسة ابولو ان تحتمل اعباء الرسالة ، فلم يعد احد يتذوق الشعر الا من كان من المتخصصين والادباء ، وتزداد القطيعة اتساعا بين الشعر والناس يوما بعد يوم حتى يكاد يخرج من حياتنا .

اما في النثر ، فإن فتحي رضوان يرى في إنتاج كتابنا اثناء تلك المرحلة التي يؤرخ لها انه كان انتاجا جزئيا لايتكامل ، فلم يجرؤ احدهم في الغالب على اخراج كتاب الا بعد ان تقدم به العمر ، ولم يكن تأليف الكتب بجمع المقالات المتفرقة مجرد مرحلة من مراحل الحياة الفكرية لهؤلاء الكتاب ، وانما يرى فيها المؤلف صفة من صفاتهم العقلية تكشف عن طبيعة تكوينهم ، وعن حدود قدراتهم ومواهبهم ((**فقد كانوا منذ البداية عاجزين عن ان تكون لهم نظرة شاملة لامر من الامور السياسية او الادبية**)) ذلك ان الامر عندهم كان تنقلا بين الشخصيات والافكار والكتب فجاءت اعمالهم مجموعة من الانطباعات السريعة لقراءات لا يتمثلونها فلا تملأ من ثم حياتهم ولا وجدانهم ، وهكذا تجد كتاباتهم اشبه شيء بقاعات في متحف صور ، تجد فيها انتاج كل الفنانين في حياد يقف من الجميع على بعد واحد تقريبا . ولذلك اذا فرغت من قراءة كل ما كتبه العقاد والمازني وهيكل — **يقول فتحي رضوان** — لاتعرف بالضبط ما الذي يريده اى منهم ، ثم لاتعرف الفارق بين الواحد والآخر ، فانهم في واقع الامر ابناء مدرسة واحدة ، وقد انتقلوا جميعا الى التاريخ للاسلام والدفاع عنه وختموا حياتهم بهذا التطور .. على ان هذا الاعجاب الكبير بالاسلام لم ينعكس قط على سلوكهم في الفكر او في السياسة لان الكتابة عندهم لم تكن معاناة روحية ((**وقد عجل هذا التحلل الروحي بنهاية هذا العهد وبالكارثة التي ختم بها**)) .

ماهي هذه الكارثة ؟ يجيب فتحي رضوان بسؤال آخر : ماذا انتهى اليه هذا الجيل من المفكرين في شأن الانجليز والملك ؟ لقد هدأت المعركة مع الانجليز — يقول المؤلف — واستحال النضال الوطني حربا اهلية بين الاحزاب يصيب الانجليز خلالها بعض الرشاش ، ولكن السهام والحراب والقذائف والمدافع توجه كلها الى العدو الداخلي ، ولذلك هبطت الوطنية المصرية الى مستوى كان له اسوأ الاثر على الفكر ، وكان كل مايقال او يكتب مكررا ومعادا فلم يؤثر عن كتابنا جميعا في هذه المرحلة كلام يستحق البقاء ((**ولذلك لم يكن غريبا الا ترتسم في الذهن صورة المناضل العنيد للانجليز اذا ماذكر اسم واحد من كتاب العصر الذي نؤرخ له**)) وجملة القول في رأى فتحي رضوان ان كبار كتابنا في عصر مابين الثورتين **وعدوا** بالتحرر وبالثورة وبقلب الاوضاع الفاسدة وباطلاق العقول من اسارها ومجابهة دعاة القديم الرث البالي **فلم يفعلوا** من هذا كله شيئا .

على ان فتحي رضوان لاينسى الشذوذ والاستثناء الذي يتواجد احيانا في القاعدة والخط العام ، فيقدم باقات الورود الى شخصيتين لا ثالث لهما : **المنفلوطي** الذي يعتقد المؤلف ((ان الفترة التالية لنهاية الحرب العالمية الاولى يمكن ان تسمى عهد المنفلوطي)) لانه كتب ماكتب في لغة هي في اعلى مراتب البيان العربي . **وجورجي زيدان** الذي ((اضطلع بمهمة كانت تشغل ولاتزال تشغل كتابنا ومؤرخينا وادباءنا فنهض بها في همة ومثابرة)) .

ولكن ماذا يكون رصيد الحركة الفنية عند مطلع ثورة ١٩٥٢ ؟ يتساءل الباحث ، ويجيب اننا في مختلف ميادين الفنون التعبيرية من مسرح وغناء وموسيقى كنا ((**بلا حياة فنية**)) لا بسبب الفنانين وحدهم ((**فلقد كانت حياتنا العامة كلها ارتجالا ابتداء من السياسة وانتهاء بالادب مارابالاقتصاد**)) وهو يبحث عن بعض ابناء جيله فلا يجدهم ، اما لان المجلات اختفت،واما لانهم تفرقوا هنا وهناك، واما لانهم سافروا الى الخارج وبقوا في منفاهم الاختياري . غير ان المجلات نفسها التى اختفت، في **جميعها** لاتجد شيئا ذا قيمة عن المسرح او

الرواية او التراجم . فالمعارك الادبية **كلها** كانت شجارا مفتعلا ، الصخب المفرقع فيه اكثر من الغضب الصادق « **وحينما تقوم هذه المعارك ، تقوم كالحرائق التى تشب عن اهمال او عن غير عمد ثم لا تلبث ان تنطفىء فلا تدرى لماذا شبت، ولماذا أطفئت ، ثم لا تتبين لها اثر يعد انـدلاعها والاحاطة بها ثم اخمادها . انها لاتترك شيئا .. نعم لاتترك شيئا مطلقا** » .

ولكنك قد تسأل ـ يقول فتحى رضوان ـ ما الذى جعل الحياة العامة بين الثورتين فاترة ، وجعل اهل مصر يعيشون فى انبساط ودعة كأنهم يمرون فى عصر السعادة والرخاء ؟ ويجيب ان الشعوب لاتشعر بالضيق ولا تمر بالازمة الا حينما تعانى كلها من محنة تسحقها او خطر يهدد امنها « **وفى الفترة مابين الثورتين لم يكن فى مصر مايدعو الى هذا الشعور** » لان الفتور والاسترخاء بل والسبات العميق كان القاسم المشترك الاعظم بين الطبقات الاجتماعية واهل الفكر وارباب السلطان جميعا .

وكانت علامة الاستفهام الاخيرة عند فتحى رضوان حول الجامعة : ماذا فعلت ؟ ويجيب بثلاث كلمات قاطعة كحد السيف « **انى اؤثر الصمت** ».

وفيما لايزيد عن الصفحتين يرضى المؤلف ضميره القانونى بقوله « **ومع ذلك كله ، لقد تركوا ـ هؤلاء الرجال ـ شيئا له اثـره وقيمته** » . هذا الاثر وتلك القيمة يحوطهما المؤلف بعشرات التحفظات والشكوك ، فهم حقا رواد فى فـروع مختلفة من الثقافة ، ولكنهم لم يلتزموا فى حياتهم منهجا ولم يدعوا لمدرسة ولم تتضح لهم فلسفة . ولقد كانت اياديهم على الفكر المصرى خليقة ان يعظم اثرها وان يكتب لها نصيب اكبر من الخلود لو ان نصيبهم من الشجاعة كان اكبر ، ولو كان اخلاصهم للفكرة اعمق ، ولو كانت نظرتهم الى الحياة اشمل واوسع « **فقد تركوا جميع القضايا معلقة** » . ويفسح المؤلف بعد ذلك اثنى عشر فصلا يدلل فيها على صحة مايقول بتطبيق منهجه على حياة واعمال احمد شوقى وحافظ ابراهيم وابراهيم المازنى وعباس العقاد وسلامة موسى وعلى الغاياتى ومى زيادة ويوسف حلمى ولطفى السيد والدكتور هيكل واحمد امين وعبد الحميد الديب .

والحق ان المجهود الذى بذله فتحى رضوان فى كتابة ـ سبعمائة صفحة من القطع الكبير ـ وطبيعة الموضوع الشاق الذى اختاره ميدانا لهذه الكتابة ، يدفعنا لان نستقبل هذا العمل الهام باكثر من شعور . فلا ريب ان المكتبة العربية ترحب بهذا الكتاب ترحيبا صادقا لانه يملأ فراغا اكيدا. وقد اسهم المؤلف على قدر طاقته وفى حدود تكوينه فى ملء هذا الفراغ . ومن ناحية اخرى لايحول هذا الترحيب بيننا وبين الاختلافات مع الكتاب ومؤلفه لان القضية نفسها موضوع البحث تحتمل الخلاف ، فقد تناولها الباحث من وجهة نظر معينة ومن خلال تجربة شخصية . ولان القضية ايضا بطبيعتها هى قضية تاريخنا الحديث بأكمله او فى معظمه على وجه ادق . وتاريخنا لايملكه فرد سواء كان مؤرخا له او مشاركا فيه . ومن ثم لابد من الحوار لتكتمل الصورة من احد جوانبها على الاقل ، وهو الجانب الفكرى فى هذا الكتاب.

ولشد مايبرز الخلاف مع فتحى رضوان حين يقدم لنا كتابا ليس فى تاريخ الفكر وحده ، بل فى تاريخ العصر كذلك، ومع هذا لا يشير بحرف واحد الى دعائم العصر الاجتماعية التى كانت مصدرا موضوعيا حقيقيا لفكر تلك الايام . فلقد تسبب غياب هذه الدعائم فيما اقامه المؤلف من محاكمات لادبائنا ومفكرينا تشبه فى اكثر الاحوال «محاكمة» كافكا التى لايـدرى فيها المتهم مـا هى التهمة المنسوبة اليه.وذلك لان الكاتب اختار بمحض ارادته منهجا ذاتيا يعتمد على الاطلاق والتعميم ، فجاءت « **انطباعاته** » مجموعة من الاحكام التى تفتقر الى مايؤيدها من الحيثيات . ويعتمد هذا المنهج الانطباعى عنـد فتحى رضوان على ثلاث نقاط : الاولى هى المبالغة فى تضخيم دور الفكر فى حياة المجتمع وتغييره ، واسبقية هذا الفكر على طبيعة التكوين الاقتصادى والاجتماعى والسياسى للمجتمع ، والنقطة الثانية هى المبالغة فى تضخيم دور الفرد عموما فى صنع تاريخه الاجتماعى ، واولوية هذا الفرد على نضال المجتمع كطبقات. والنقطة الثالثة هى ان الباحث وقد اختار قضية هو بالضرورة احد اطرافها، فانه انحاز مقدما الى معيار فكرى محدد اقرب الى ان يكون معيارا شخصيا ليتبين الموقف السياسى للمؤلف ويبرر به او يدين مواقف بقية الشخصيات والاحداث التى تناولها بالتحليل .

فلاشك اولا ان الاطار التاريخى للكتاب ،وهو يبدأ بثورة ١٩١٩ وينتهى بثورة ١٩٥٢ هو اطار صالح موضوعيا لمعالجة قضية متكاملة واضحة هى قضية الفكر المصرى الحديث فيما بين الثورتين . وهى مرحلة يمكن لنا ان ندعوها بمرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية حتى نحدد طبيعة الدور الذى لعبه كل مفكر ظهر ابان هذه المرحلة، هل كان دورا متخلفا بالنسبة لهذه المرحلة ، أم أنه كان دورا متقدما ؟ ومن ناحية اخرى نستطيع ان نكون اكثر تحديدا فنقول انها مرحلة عايشها جيلان : احدهما جيل الثورة الاولى الذى توقف عن العطاء الخلاق عند بداية الحرب الثانية على وجه التقريب ، والاخر جيل الاربعينات الذى غرس بكلتا يديه قيم الثورة الثانية . والارض الاجتماعية لكلا الجيلين هى الطبقة المتوسطة المصرية فى مختلف مراحل تطورها وفئاتها المتناقضة .

من هنا يختلف المرء مع فتحي رضوان اختلافا عميقا حين يضع اولا « **كل كتابنا** » في طبق واحد لاسبيل الي التمييز بينهم افرادا أو جماعات ، وحين يختار ثانيا بعض الذين يمثلون « **ظواهر جزئية** » لايمكن لها ان تعبر عن عصر كامل مثل علي الغاياتي ومي زيادة وعبد الحميد الديب ، وحين يعمد ثالثا الى **ادانة المرحلة كلها بصورة** نفهم معها أننا بلا تاريخ حديث على الاطلاق . ان الاختلاف مع المنهج بشكل عام ، يتضح أكثر فاكثر عند التفصيل . فان شوقي الذى يتهمه المؤلفبأنه مدح اعوان الانجليز وعملاءهم لم يجد سوى العقاد وهو بعد شاب في الثلاثين يجرؤ على النيل منه فكريا وسياسيا وفنيا . ولااعتقد أن الكاتب ينسى الدور الهام الذى لعبه كتاب مثل « **الديوان** » فى وضع شوقي في مكانه المناسب . انه الكتاب الذى سبق كلمات فتحي رضوان بنصف قرن في وصف شوقي بأنه اللسان الشعرى المعبر عن الرجعية العميلة للاستعمار . وهو ايضا الكتاب الذى أرسي معالم نقد حديث للشعر في مصر . وبعده بخمس سنوات أصدر **طه حسين** كتابه «**في الشعر الجاهلى**» فأثار حفيظة الرجعيةللدرجة التيمعها سحبالكتاب من الاسواق، وحقق بشأنه مع المؤلف تحقيقا اداريا علي أيدي النيابه وتحقيقا سياسيا في البرلمان . وأعتقد أن الكاتب لاينسى الدور الهام الذى لعبه هذا الكتاب في ميدان الفكر والنقد وفي جعل « **الحرية** » قيمة أساسية في «**البحث العلمي**».وفي هذهالاونة نفسها كانسلامة موسي يوالي اجتهاداته فى بذر « **الاشتراكية** » و « **التطور** » و « **السيكلوجية** » وغيرها من أدوات المنهج العلمي والعقلية الحديثة المتطورة . وغير هؤلاءصف طويليجمع هيكلوأحمد أمين واسماعيل مظهر وابراهيم المصرى ، أسهموا جميعا بدرجات متفاوتة وفق مكوناتهم الذاتية والاجتماعية فى خلق عصر النهضة الحديثة في بلادنا . واذا كانتالاغلبية الساحقة من ابناء هذا الجيل قد توقفت حوالى عام١٩٣٦ فانالطبيعة الاجتماعية للطبقة المتوسطة التي نشأوا فيها ونموا بين احضانها هي التى شاركت بصورة رئيسية في جمودهم وعجزهم عن ملاحقة التطور . وعندما يستثنى فتحي رضوان كاتبامثل سلامةموسي واظبعلي الدعوةالاشتراكية الي أواخر حياته ، فقد كان مطالبا بدراسة هذه الظاهرة التي لاتحطم القاعدة وأن كانت تبرر الاستثناء . لقد وضع المؤلف بغير شك كلتا يديه على ظاهرة صحيحة هى نكوص جيل الرواد عن متابعة الثورة ، ولكنه لم يرجع بهذا النكوص الى مصادره الاجتماعية في باطن المجتمع المصرى لانه كان يخضع في تقييمه وتحليله لتصور مثالي مغرق في المثالية من شأنه أن يبالغ في دور الفكر والمفكرين فاذا سقط الفكر كانت الدنيا ظلاما ، واذا سقط المفكرون فعلى الدنيا العفاء .

وليس هذا صحيحا فقد كانت مصر المناضلةحبلى بأبناء جيل ثورى جديد من المفكرين الذين حملوا أروع الجوانب المضيئة في حياة الجيل السابق . كان الجيل السابق قد أورث الاجيال الجديدة منهجا ثوريا في النقد ، جمع بين العلمية والحداثة علي نحو من الانحاء في كتابات **العقاد والمازني وشكرى وطه حسين** . وكان الجيل السابق قد أورثالاجيال الجديدة منهجا ثوريا في تحليل المجتمع جمع بين التفسير الاشتراكي للتاريخ والاتجاه العلمي في الحضارة الحديثةكما نجد فيكتابات **سلامة موسي**. وكان الجيل السابق قد أورث الاجيال الجديدة منهجا ثوريا في الخلق الفني منذ كتب محمد حسين هيكل قصة « **زينب** » الى ان كتب **توفيق الحكيم** « **عودة الروح** » و « **يوميات نائب في الارياف** » وفي المسرح المصرى كما نجد عند الحكيم أيضا في « **أهل الكهف** » و «**شهر زاد** » وفي الشعر كما نجد عند **عبد الرحمن شكرى والمازني** . ورث الجيل الجديد هذه الجوانب المضيئة ، فكتب أعمالا لايستهان بها في حقل النقد علي أيدى **محمد مندور ولويس عوض** اللذين نقلا نظرية النقد من مجال التعميم الى مجال التخصيص بحكم استعدادهما وثقافتهما وطبيعة المرحلة الجديدة التى تحتاج الى التخصص ، **ونجيب محفوظ** الذى ارتفع بعملية الخلق الفني الي درجة عالية من النضج والعمق . لقد أدي الرواد دورهم « العام » في صياغة « **منهج** » كانت تحتاج اليه مرحلتهم اكثر مما تحتاج الى التخصص ، وبذلك كانوا امناء مع انفسهم وواقعهم معا ، وجاء الجيل الجديد فقدم « **الالتزام في الادب** » شكلاً ومضمونا وجاء الجيل الجديد من شعراء ابولو فقدموا اروع ما في تراثنا الرومانسي الى الان كاشعار الهمشرى وعلي طه وأبراهيم ناجي ومحمود حسن اسماعيل . وجاء الجيل الجديد من كتاب الرواية والقصة القصيرة فقدم لنا صفا طويلا يبدأ بنجيب محفوظ وعادل كامل وعبد الرحمن الشرقاوي ويوسف الشاروني وغيرهم كثيرونممن أصبحوا الان فيحكم «**التراث**» السابق على ثورة ١٩٥٢ . اننا لو تصورنا حقا ، أن كل مانعيش فيه الان من عناصر المناخ الفني المزدهر،مقطوع الصلة بالماضي القريب لكنا نصنع شيئا غريبا حقا .

فلست اعتقد معفتحي رضوانان الشعبالمصرى فيما قبل ثورة ١٩٥٢ كان مسترخيا هادىء البال والا لما ثار عام ١٩٥٢ .. بل ان هذا الشعب لم يكفيوما عنالنضال منذ انتكست ثورته عام١٩١٩، بالرغم من كافة ظروف الارهاب والبطش التى مارستها السلطات الرجعية أو جيوش الاحتلال . والمؤلف فيما أظن ليس بحاجة لان اذكر له المواقع والاحداث والتواريخ التى استشهد بها على استمرارية كفاح الشعب المصري ، لانه هو نفسه احد ابناءهذا الشعبوجنوده الوطنيين،ولانالفترة التينتحدثعنها غايةفيالقرب والوضوح. ولست اعتقد انهذا الشعبفيمعاركه اليومية معالتخلف والاستغلال كف يوما واحدا عن أنجاب المفكر

والاديب والفنان المناضل الذي يعكس ثورة الاجيال **فيما يكتبه أو يصوره أو يلحنه او ينحته أو يغنيه او يمثله**. أن الحان واناشيد وأغنيات سيد درويش وكامل الخلعي وداود حسني ستظل تراثا ثوريا لفنوننا. وتماثيل مختار ولوحات كامل يوسف ومحمود سعيد واحمد صبري وراغب عياد ستظل تراثا هاما يرتبط به ويأخذ عنه ويضيف اليه فن رمسيس يونان وتحية حليم وحسن فؤاد وغيرهم من اولئك الذى نعيش فى دفء ابداعهم الى الان . كذلك فان مجلات وصحفا مثل « **المستقبل** » و« **المجلة الجديدة**» و « **التطور** » و « **الكاتب** » و « **الكاتب المصرى** » ستظل المنابر الحية لتراثنا القريب . أن المعارك التى يفتقدها الباحث فى تلك المرحلة ، سوف يجدها بكثرة تذهله ، اما داخل الاعمال الفنية والفكرية نفسها حيث يصارع الفنان أو المفكر افكاره وتكوينه ومجتمعه وقيمه . وأما خارج هذه الاعمال بين جيل الرواد والمجتمع « فى الشعر الجاهلى » أو بينه وبين الكلاسيكية « **الديوان** » أو بينه وبين نفسه « **لاتينيون وسكسونيون — العقاد وطه حسين** »،« **جناية احمد امين على الادب العربي — احمد امين وزكي مبارك** » ، « **في الادب واللغة والاشتراكية — سلامه موسي والرافعي والعقاد** » «**في الادب والسياسة — العقاد وطه حسين ومحمود العالم وعبد العظيم انيس ولويس عوض وعبد الحميد يونس**» ، «**الشكل والمضمون في الادب والفن — محمد مندور ومحمد خلف الله** » الى غير ذلك من مئات المعارك التي اخصبت حياتنا حينذاك، ومازال

تخصبها الى الآن بما اضافته او عدلته او حذفته من عناصر فى المنهج او الحياة .

ولو أن المؤلف قد اخذ على عاتقه أن يرى الصورة الشـــاملة أو الغابة كما يقولون ، منـذ البداية لرأى الشجرة في مكانها الصحيح . ولكنه نظر أولا الى الشجرة، الى الفرد فبالغ فى دوره ، وحين رآه يسقط بالغ فى تقييم سقوطه . وهكذا ظلم الفرد **والتاريخ جميعا وليخرج القارىء ـــ مع الأسف ـــ الا بانطباعات تفيد في فهم الكاتب نفسه لا في فهم المكتوب عنهم . ذلك اننا نستشف خيطا واحدا مصاحبا لكل ما كتب هو اشباع ميوله السياسية كمناضل قديم في الحزب الوطني ومصر الفتاة ، سواء حين يمدح او حين يقدح ، هذا الشخص او ذاك الموقف .**

ولاشك ان الجيل الثانى فى مرحلة مابين الثورتين قد أدى واجبه من بداية الاربعينات الى بداية ثورة ١٩٥٢ بل وسار مع الثورة شوطا طويلا . ولاينبغى ان نطلب اليه مايفوق قدرته على التطور ، إذا لم يستطع أن يرتفع الى مستوى المرحلة الجديدة، مرحلة التطور الاشتراكي . ذلك أن جيلا ثالثا جديدا قد ولد فكريا وترعرع بين احضان الثورة ، يمتلك كافة الامكانيات التى يصارع بها وينمو ويتطور ، ويحقق مالم تحققه الاجيال السابقة . ولنقل لهذه الاجيال : شكرا، فقد ادت واجبها فى حدود الامكانيات التى أتاحها لها العصر والمجتمع والحضارة فى بلد كان الى وقت قريب ، مستعمرا وشبه اقطاعي .»



مجلـة « الادب السـوفيتي »

تعد مجلة «**الادب السوفيتي**» اللسان الرسمى الناطق باسم اتحاد الكتاب السوفيت فى عدة لغات اجنبية،منها اللغة الانجليزية التى نقدم عنهـا العدد الاخير . فالمجلة تصدر كل شهر ، وتعـالج أهم القضايا الفكرية التى يطرحها الادب السوفيتى المعاصر . ولكنها كثيرا أيضا ماتتناول قضايا أكثر شمولا من الجانب المحلى فتنشر أبحاثا وموضوعات حول التراث القومى للاداب السوفيتية ومختلف آداب البلدان الاشتراكية والكثير من اقطار أوروبا الغربية وآسيا وافريقيا .

وفى العدد الجديد تصفحنا ثلاثة اعمال قصصية هي على الترتيب : « **دونتشكا ونيكيتا** » ليوليان سيميونوف ، و « **ماء الحياة** » لسيرجى نيـكيتين «**ويوكاب كولاس** يروى حكايته» لمكسيم لوزهانين . كما تصفحنا مجموعـة من الاشـعار التى كتبتها الشاعرة **اولجا بيرجولتس** خلال الفترة الواقعة ما بين ١٩٣٧ و ١٩٥٩ . كانت تقول فى الفترة الاولى :

ان أخوف ما أخافه هو فقدان

كل هــذه الاشياء التى احببتها

ثم عادت تقول فى الفترة الاخيرة :

ولكنى أقول انه ليست هنــاك

سنة واحدة عشــتها عبثــا

غير ذلك تضــم المجلة مجموعة من البحــوث الادبيه والفنية المحيطة بأحدث ما يقال عن الادب السوفيتى فى الداخل والخارج ، ومن اهم هــذه البحوث ، المقال الذى كتبه ليونيد نوفتشنكو تحت عنــوان « **تطــورات اكثر جــرأة فى الواقعيــة الاشتراكية** » . قال فيه « لقد آن الاوان لان نطرح على نطاق واسع التساؤلات الخاصة بالعنــاصر الجديدة التى يتم اكتشافها اثناء عملية الخلق الفنى ، وينبغى اضافتها الى نظرية الواقعية الاشتراكية حتى تزداد ثراء فى المرحلة الراهنة . فمن المؤكد تماما أنه قد ولدت ظواهر جديدة مع تقدم المجتمع السوفيتى ، اقتصاديا واجتماعيا ، وبالتالى فلابد لهذا التقدم من أن ينعكس على « **الانســان** » السوفيتى . وحينئذ ليس أمام « **الفن** » الا ان يحترم هذا التغير والتطور فيقدم من الجــديد ما يوازى التغيرات المادية ويرتفع الى مستواها — فى مجاله النوعى المحدد — اذا لم يتجاوزها الى مكان القيادة الحقة ، القيادة الفكرية للوجدان .

ولاشك أن معرفة الواقع الموضوعي والقوانين الاساسية للتطور من المصادر الهامة لخلق فنى اصيل يتسم بكل صفات الانسان السوفيتي وهو يصارع من أجل بناء مجتمعه على نسق لم يكن موجودا من قبل . ولعله من المفيد القول بأن التجربة العالمية للاداب الواقعية الاشتراكية تؤكد « **تعدد السبل** » الى بناء أدب واقعى اشتراكى ، فليست هناك مواصفات محددة تحديدا مسبقا ، بمقتضاها يتحتم على الفنان ان يبدع جماليا ، وانما هناك روح كل شعب وتراثه الذى يختلف موضوعيا عن تراث وروح اى شــعب آخــر . انها ليست الخصــائص القومية وحــدها التى تميز ادبا عن آخر ، وانما الجذور التاريخية والحضارية هى التى تفرق — وتجمع فى نفس الوقت — بين شعب وآخر . اى أن الجانب الانسانى العام يشكل عنصرا ما فى هذا الادب او ذاك ، ولكن الجانب المحلى الخاص يشكل عنصرا هاما للغاية وبواسطته يشق أدب كل بلد طريقه الخاص الى الانسانية ، والواقعية الاشتراكية لا تعتدى على محلية الادب او انسانيته ، ولكنها تضىء الزاوية الفكرية التى ينبغى للفنان الاشتراكى ان يلتزم بها . بعد هذا ، ليس للواقعية الاشتراكية أية سلطات جمالية يخضع لها الفن ، لان التقاليد الجمالية من العناصر التراثية التى تتسرب الى البناء الفنى من الارض المحلية سواء بوعى من الفنان او بغير وعى ،

بل اننى أذهب الى ابعد وأقول أن الواقعيــة الاشتراكية ليست لها سلطات فكرية على الفنان الا فى حدود المنهج العام ، لان مشكلات كل مجتمع على حدة هى التى تضيف الى الخطوط العــامة للمنهج تفاصيله الدقيقة وملامحه الذاتية . ومن هذه المشكلات المحلية يتكون الوجه الاخر للعمل الفنى المضمون . ومعنى هذا بالدقة أنه ليست الواقعية الاشتراكية قالبا فكريا جاهزا على الفنان والاديب ان يصب فيه مواد البناء وخاماته فحسب .

اننى اشير الى تشيكوسلوفاكيا وبولندا كمثال لما كتبه ادباؤهما من أدب ثورى وفن تقدمى فيما بين الحربين ، فلاشك أن هذا الادب وذاك الفن هــو الذى يمد الان ما يكتبه الادباء البولنديون والتشيك المعاصرون بماء الحياة . أى ان التراث الادبى والفنى لكلا البلدين قد أسهم فى تطوير الادب الاشتراكى لكل منهما » .

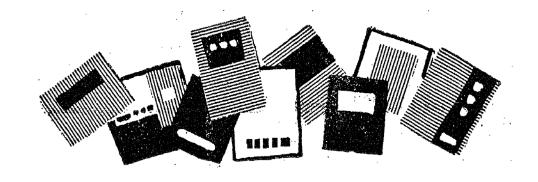
وتحت عنوان « **نحو تحليل رشيد** » كتب ايجور تشيرنوتسان مقالا حول العلاقة بين النقد والحياة ، جاء فيه « لا سبيل الى انكار ما طرأ على حقل النقد والدراسات الادبية من تغيرات عميقة فى تناول موضوعات الفن والجمال وعلاقتهما بالواقع الاجتماعى . على ان اتساع الهوة بين النقد والحياة من ناحية ، وبين النقاد والقراء من ناحية اخرى ليس مرجعه ما يشاع عن تعقيد اللغة النقدية ، او تعالى الناقد على قرائه ، وانمــا مرجعه هو أن النقد مايزال واقفا على أعتاب العموميــات الشديدة لا يلج ابواب التفاصيــل التى عانى فى خلقها الفنان ، تلك هى القضية : « **معايشــة العمل الفنى من الداخل** » كمجموعة من العلاقات الجمالية والقيم الاجتماعية معا دون الانشــغال بمحــاولة التصنيف الاكاديمى ، او ملء الخانات المعدة سلفا ، او الحديث المعاد حول وظيفة الادب . اننا بغير شك كنا فى حاجة ماسة الى ترسيخ هذه المفاهيم « **العامة** » فيما مضى ، ولكننا الان بحاجة اكثر الى « **الدخول فى الموضوع** » . والموضــوع يتلخص فى نقطتين ابتذلهما علم الجمال البرجوازى وهما : **لحظة الخلق ، ولحظة التذوق** . اننا نريد اعادة اكتشاف هاتين المنطقتين فى ضــوء اسس جديدة لعلم الجمال الاشتراكى المتطور ، وفى ضوء النقــد الواقعى الذى ارسى دعــائمه فى بلادنا الديموقراطيون الثوريون الذين ربطوا بين الادب والحياة ربطا عميقا .

ان الشخصية الايجابية فى الادب — مثلا — هى بلا ريب الشخصية ذات القدرة البالغة فى التأثير على القارىء . ولكن هذه ليست قاعدة عامة ، لانه لن نستطيع أن نكتشف « **القدرة** » والتأثير بمقولات قديمة اكتشفها الاولون فى ضوء خبرتهم

الخاصة . نحن أيضاً ، والأجيال الجديدة معنا ، لها تجربتها الخاصة التي ينبغي اكتشاف أبعادها المختلفة ، كيف يتأثرون وكيف يؤثرون ؟ هذه الأبعاد الجديدة هي التي تصوغ معنى الشخصية في الفن ، ايجابية كانت أو سلبية ، منتصرة كانت أو مهزومة .. وهكذا .

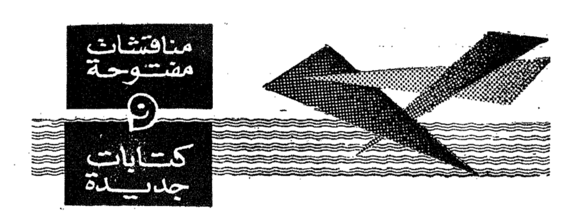
مثال آخر نستمده من مقولة « **الأسلوب** » الذي نختلف فيه بالقطع مع مؤلف « **نظرية الأدب** » (١) وان كنا نتبنى أسلوب القرن العشرين ولا نتخلف عن حضارة العصر . وهو الأسلوب الذي لايحاكي الأقدمين ولايستظهر قوالبهم التعبيرية — وهي أسلوب « **الحياة** » ان جاز التعبير عن اتساق اللغة مع روح العصر . فنحن في عصر الفضاء والقنبلة الذرية والكشوف الهائلة للكون والانسان فهو عصر لايتحمل « **التقعر** » و « **الجفاف** » و « **التقليد** » .

ما هو موقف النقد الاشتراكي من هذه القضايا وغيرها ؟ ان الاجابة العملية وحدها هي الكفيلة بتضييق الهوة القائمة فعلا بين النقد والحياة أو بين النقاد والقراء » .



---

(١) من تأليف رينيه ويلك وأوستن وارين .. والكتاب يقوم على تحليل الأدب تحليلا جماليا خالصا لا علاقة له بمقولة القيم .



طريق انتصار القوى الثورية ... والوحدة العربية

زبيد قدورى

من سوريا ، يتناول زبيد قدورى ، فى المقال التالى ، قضية وحدة القوى الثورية العربية ، معبرا عن وجهة نظره .

تتأهب الرجعية العربية اليوم ، مستندة الى الاستعمار العالمى ، لتوجه ضربة الى الثورة العربية ، مستخدمة فى ذلك عدة وسائل تسعى الى تفتيت الجبهة الداخلية فى كل قطر عربى ثورى على حدة ، بتغذية عناصرها وحلفائها من الرجعيين الذين اضيرت مصالحهم الاقتصادية وسحقت مؤامراتهم واعمالهم التخريبية . كما انها تتربص الفرصة بوجود أى ثغرة داخل كل نظام ثورى أو بين القوى الثورية فى الوطن العربى ، وتلجأ الى سلسلة من الاشاعات المسمومة عن طريق وسائل الاعلام والدعاية الاستعمارية والرجعية .

ويتم استعداد الرجعية العربية لتوجيه ضربتها ، على قدم وساق ، ومنذ تدفق الاسلحة عليها من امريكا وبريطانيا وقدوم بعثتيهما العسكرية . كما تحاول الرجعية السعودية تقوية شوكة انصار الامام المخلوع بتدريبهم وتأجير المرتزقة الاجانب تمهيدا لشن عدوان على ثورة اليمن ، والاحلال محل القوات البريطانية فى الجنوب اليمنى المحتل . كما تنشط الرجعية الاردنية فى تدريب بعض العناصر الرجعية اليمنية الحاقدة والعناصر الانفصالية الهاربة من سوريا بعد مؤامرة سليم حاطوم الفاشلة ويتم هذا التدريب فى جنوب

ســوريا تمهيدا لشن هجــوم عليها .

ومن الاعمال التى تبرز نوايا العدوان الرجعى الاستعمارى ، الاســتفزازات العســكرية والتهديدات التى يطلقها مسئولون عسكريون ومدنيون ســواء من القوى الرجعية او الاستعمارية . وهــو ما تفعله العصــابات الصهيونية فى فلســطين المحتلة على الحدود العربية السورية . كذلك جولات الاسطول السادس الامريكى فى البحــر المتوســط وزياراته المشبوهة التى تشكل تهديدا للقوى الثورية العربية . وفى نفس الوقت تتم حشــودا عسكرية تونسية ومغربية على الحدود الجزائرية ، تحت شعار زائف يقول « بتوازن القوى » . بالاضافة الى زيارات اقطــاب الرجعية مــن بعــض الدول والامارات التى يحكمها عناصر موالية للاستعمار . كذلك مواصلة الحصار الاقتصادى الاستعمارى كمحاولة لوقف المد الثــورى التحررى الذى يهدد مصــالح القوى الاستعمارية والرجعيــة وكيانها .

كل ذلك ، يتطلب فى رايى ، لا وحدة القوى الثورية الحاكمة فى بعض الاقطار العربية فقط ، ولكنه يتطلب وحدة القــوى اليسارية الثورية فى جميع اقطار الوطن العربى عامــة . وذلك باقامة جبهات يسارية فى كل قطر عربى لم تنتصر فيه بعد القوى الثورية ولم تتول زمام السلطة . ثم بعد ذلك ، تقام جبهة كبرى على مستوى الوطن العربى عامة من هذه الجبهات . فقيــام الجبهة اليسارية فى كل قطــر عربى لم يستكمل تحرره ، يجعلها اكثر قدرة على العمل والحركة وتشل بذلك جميع تحــركات الرجعية فى المنطقة العربيــة ، لتقضى عليها فى نهاية الامر .

ويجــب الاسراع فى طــرح هذا الموضوع والدعوة الى لقاء القوى اليسارية التقدميــة فى الوطن العربى فى كل قطر ، حتى لا تستطيع الرجعية ان تتحرك وتقضى على هذه القوى فى الداخل الواحدة تلو الاخرى كما حدث فى الاردن عام ١٩٦٣ . ويجب ان يكون هذا اللقاء مبنيا على أسس علمية موضوعية ليضع ايديولوجية واضحة المعــالم واستراتيجية بعيدة المدى تحقق الامانى الثورية الاشتراكيــة التى يتطلع اليها الشعب العربى .

وبعد ذلك تدعى هذه الجبهات اليسارية التقدمية الى مؤتمر عام يعقد فى عاصمــة من عــواصم الاقطار العربية الثورية «سوريا» ، وينتخب هذا المؤتمر **لجنة عليا** للقيادة والاشراف على نضــال الجبهات . وينعقد هذا المؤتمر كل ستة اشهر فى عاصمــة يختارها ويناقش اعمال اللجنة العليا ويجرى انتخابات جديدة .

ان اقامــة تلك الجبهــات وتوحيدها وانبثاق لجنة عليا منها يحقق الانتصار الاكيد على قوى الردة والرجعية ويمهد الطريق الصحيح للوحدة العربية . وهى فى نفس الوقت سلاح القــوى الثورية لاستكمال انتصاراتها فى الوطن العربى كله .



عن السوق الســوداء

تعقيبا على دراسة السوق السوداء التى نشرتها الطليعة فى عدد فبراير المــاضى ، كتب المواطن **محمد احمد الفقر** ، موظف بتوكيل ابوســمبل للملاحة واحد الدارسين السياسيين بالتوكيل :

قرأت موضوع الاخ الدكتور وليم ناشــد عن اسباب انتشار السوق السوداء وقد نسب ذلك الى زيادة عدد السكان فى الجمهورية العربيــة المتحدة والى بعض الاشخاص الذين يتاجرون فى السلع المباعة فى الجمعيات التعاونية .

واننى اتفق مع الاخ الدكتور وليم ناشد فى رأيه ، ولكننى فى نفــس الوقت احب ان اضيف بعض الاسباب الاساسية التى من شأنها ان تســاعد على انتشار السوق السوداء فى الجمهورية العربية المتحدة ، وخاصة فى الجمعيات التعاونية التى هى ملك الشــعب ومن الشــعب . اذ ان ببعض الجمعيات اشخاص هم فى الحقيقة المسئولون اولا

واكثيرا من انتشار السوق السوداء والمساعد الاكبر لها . اذ يحدث عند استلام المسئولين فى الجمعيات التعاونية ، كميات البضاعة الخاصة بالجمعية ، ان يتفقوا فى نفس الوقت مع بعض تجار السوق السوداء على اخذ اكبر كمية من هذه البضاعة نظير مبلغ متفق عليه بين بعض المسئولين بالجمعية وتجار ليس لهم ضمير ولا يهمهم غير الكسب الحرام . وعند حضور احد المواطنين الى الجمعية لاخذ مايحتاجه من السلع تكون النتيجة ان يجد جزءا ضئيلا من احتياجاته او يكون رد المختص بالجمعية : ان الطلب قد نفد ، وفى هذه الحالة يضطر المواطن الى شراء ما يلزمه من تجار السوق السوداء لحاجته اليه . وهذا يحدث فى ٧٥٪ من الجمعيات التعاونية فى انحاء الجمهورية »

ولذلك اقترح على مراقبة التموين القيام بتعيين اشخاص موثوق فى تقديرهم للمسئولية الوطنية وفى ايمانهم بمصالح الشعب للاشراف على استلام وتوزيع جميع كميات السلع على المواطنين واكتشاف الاشخاص الذين يتاجرون فى غذاء الشعب . وفى هذه الحالة يمكن — فى رأيى — القضاء على تجار السوق السوداء »

●

نقد للطليعة .. واقتراحات

كتب المواطن **يحيى محمد عبد الرحيم الامام** ، يعبر عن رأيه فى بعض ما نشرته الطليعة ، ويقدم بعض الاقتراحات ، فيقول :

اود ان اقدم اليكم هذه الملاحظات :

١ — وقع **لطفى الخولى** — فى افتتاحية عدد يناير ١٩٦٧ — فى خطأ عند حسابه تكاليف انشاء مصنع جديد فى البلاد النامية فهو يحسب هذا الارتفاع بمقدار ٣٣,٦+٣١,٣ = ٦٤,٩٪ من تكاليفه قبل عام ١٩٥١ بينما الاصح ان مقدار الزيادة = ٣١,٣+١٠٠ على ١٠٠ — ٣٣,٦ × ١٠٠ ٪ — ١٠٠٪ = ٩٧,٧٪ اى ان انشاء هذا المصنع يتكلف ضعف تكاليفه قبل عام ١٩٥١ لان الزيادة الفعلية هى الزيادة النسبية لا المطلقة .

٢ — فى الحوار المفتوح مع **بومدين** كنا نود ان يتطرق الى موضوع الثقافة فى الجزائر والتعليم ومشكلات التعريب بجانب قضايا التنمية والديمقراطية ووحدة القوى الثورية العربية التى تعرضتم لها معه فى الحوار »

٣ — تهانينا للبحث الذى قدمه **ميشيل كامل** لندوة افريقيا ونشر بعدد يناير .

٤ — فى باب نقد وتقييم لعدد يناير الذى نشر فى عدد فبراير لخص **سعد زهران** (مسار التجربة الثورية فى الجزائر) دون تعليق ولا ادرى لماذا نلخص الموضوع مادام ليس لدينا عليه تعليق .. ارجو ان يقتصر فى باب النقد على الموضوعات التى تحتاج الى تعليق وتعقيب فقط .

٥ — بالنسبة لوثائق الثورة العرابية نطالب — مع الجميع — بعمل دراسة لها وقد سبقنى فى هذا الاقتراح كثيرون . ولما كنت اعتقد انه مادمنا لم ندرس الوثائق مع نشر كل وثيقة ومعهما الايضاحات والتعليقات والدراسة الشاملة — لذلك اقترح ان تكون هذه الدراسة بعد نشر باقى الوثائق وان نسرع فى نشر باقى الوثائق وذلك بزيادة الحيز المسموح لها حاليا ، للضعف او الضعفين مثلا .

٦ — اريد ان اعرف معلومات عن مجلس السلام العالمى ، والقومى . نشأته ، مبادئه ودستوره ، تكوينه ، اهم اعماله ، ابرز اعضائه ... الخ وارجو ان نقرا عنه قريبا فى الطليعة .

٧ — اعجبتنى صراحة الطليعة بالنسبة لقضايانا العربية وخاصة حين التعرض للاحداث الجارية فى الدول العربية الحيادية والتى يدور فيها الصراع بين القوى التقدمية والقوى الرجعية ، مما تحجم الصحف والمجلات الاخرى عن نشره وتتحفظ حين تتكلم عن هذه الدول . وهذا مما يدعم ثقة القراء بالطليعة ويوضح الرؤية امام الجميع لتتبع الاحداث الجارية ويسلط الضوء على هذا الصراع حتى لا يفاجأ القراء البعيدين عن مسرح متابعة الاحداث السياسية بتغير الاحوال بين لحظة واخرى . لذلك ارجو ان تزيد الطليعة من القاء الضوء على هذا الصراع ، ومزيد من التعليق والصراحة فى تناول هذه الاحداث الجارية فى الدول العربية التى فى منتصف الطريق .

الطليعة : نشكر لك ملاحظاتك القيمة ، ونرجو أن نحقق اقتراحاتك . أما بخصوص مجلس السلام ، فحركة السلم العالمية ، هى حركة جماهيرية نشأت خلال احتدام الحرب الباردة التى اعقبت مشروع مارشال وتاسيس حلف الاطلنطى ، وبعد حصول كلا المعسكرين على القنبلة الذرية وبدء سباق التسلح . فقد احس المثقفون ان خطر الحرب يطل من جديد ، ومن ثم وجه اتحاد النساء العالمى بالاشتراك مع خمسة وسبعون من كبار العلماء والمثقفين ورجال الدين من بينهم عالم الذرة فريدريك جوليوس كورى والشاعر ايلوار والرسام بيكاسو والشاعر بابلو نيرودا والكاتب هوارد فاست والعالم برنال ، الدعوة الى اجتماع

يعقد في باريس لبحث الموقف الدولي المتدهور ولدراسة الوسائل الكفيلة بصيانة سلام العالم وامنه

وعقد الاجتماع وحضره ممثلو ٧٢ بلدا ووجهوا نداء الى العالم ، وبعدها بدات الحركة العالمية للسلام تشق طريقها في كل البلدان . وبسرعة تكونت عشرات ال مجالس السلام القومية لتقود نشاط السلام في بلادها.

وحركة السلم العالمية ومجالس السلام القومية حركة واسعة تضم كل القوى الاجتماعية التي تؤمن بالسلام بغض النظر عن مواقعها الطبقية ، وبغض النظر عن الجنس او الدين او اللون ، وبغض النظر عن انتماءاتها الحزبية او اتجاهاتها الفكرية . وهي ايضا تنظيم مرن فهي لا تخضع لقيود انضباطية ولا تتطلب من الاعضاء التزاما فكريا معينا ولا حتى تسديد اشتراكات منتظمة .

لكن ذلك لا يعني ترك العمل السلامي للتلقائية ولهذا تتشكل المجالس القومية للسلام لتنظيم العمل السلامي في كل بلد . وتضم هذه المجالس القومية انشط العناصر المناضلة من اجل السلام .

اما التشكيلات التنظيمية لحركة السلام العالمي فتتكون من المجلس العالمي للسلام وتتكون من ٤٠٠ عضو يمثلون حركات السلام المحلية النشطة . ويجتمع المجلس مرة كل سنتين وينتخب من بين اعضائه مجلس رئاسة مكون من ٤٥ عضوا يجتمع مرتين في السنة اما فيما بين فترات الانعقاد فتمارس عملية التنسيق بين نشاط حركات السلام في العالم ، السكرتارية الدائمة التي تتخذ مقرا لها في فيينا ويشرف على نشاطها رئيس المجلس والسكرتير العام

اما عن المجلس القومي للسلام في الجمهورية العربية المتحدة فقد بدا نشاطه عام ١٩٥٠ . وقد لعب دورا هاما في ربط نشاط السلام في بلادنا بحركة السلم العالمية وفي الدعوة لفكرة السلام وهو الان ـ نظرا للتطورات الجذرية الهامة التي حدثت في مجتمعنا ـ يعيد تشكيل نفسه ليتلاءم مع الظروف الجديدة . وسوف يعلن المجلس عن تشكيله الجديد قريبا .

●

ونقد آخر للطليعة

وفي رسالة للاخ حسن علي احمد العلوي ، من البحرين ، كتب عدة ملاحظات للطليعة ، يقول :

اكتب اليكم بعض ملاحظاتي :

اود ان :

اولا : في الحقيقة ارى ان « الطليعة » تنقصها الكتابات القومية واقصد بها الدراسات التي تبحث وتحلل اعماق وجذور القومية العربية ـ تاريخها وحركتها . الى جانب كل ما تتصل به من اسباب واهداف تجعل من الشعوب العربية امة واحدة تنهض ـ بعد قرون من السبات العميق ـ لتقوم بدورها الطليعي والطبيعي في تقدم البشرية ورفاهيتها .

ولا اكذب عليكم اذا قلت اني حين اقرأ « الطليعة » اشعر بنقصها في هذه الناحية او بفقرها بالنسبة لهذه الدراسات التي تبحث في القومية العربية كحركة وكتيار ينطلق من صميم وواقع الجماهير العربية . ولعلي اوضح اكثر اذا قلت : في المجال الذي يكتب فيه ساطع الحصري وعبد الله عبد الدائم .

ثانيا : وجانب آخر يتصل اتصالا وثيقا بما ذكرته سابقا ـ وهو تحليل الاحداث التي تجري على مسرح العالم العربي تحليلا موضوعيا ، وربط تحركات الرجعية المشبوهة بالمد الاستعماري العالمي . اما تقارير الشهر فانها ـ صراحة ـ ليست بالدرجة التي ينبغي أن تكون عليها . فهي أشبه بالانباء دون التعليق السياسي والتحليل الواقعي . ولعل من الجدير أن أشير هنا الى كتابات محمد حسنين هيكل في « الاهرام » ـ والفرق بين « بصراحة » ـ وبين « أحداث الاسبوع » واضح وبين ـ وفي « الطليعة » لدينا أحداث الشهر ـ التقارير ـ لكن دون «بصراحة» .. ومثال ثان جدير بالذكر في هذا المجال هو كتابات محمد النقاش في « الحوادث » اللبنانية .

هذان مثالان ـ والمثال السابق ـ ساطع الحصري ـ سقتهم لاجل توضيح الفكرة فقط . سقتهم لا دعوة مني لتقليدهم وانما رغبة مني في معرفة رأيكم في هذه المجالات الحيوية .

أما حديثكم عن مقابلة (بومدين) ـ فانه بلا شك حدث عظيم ـ على المستوى الشخصي والفكري لمناضل ثوري ـ لكني أعتقد أن ذلك لايعني أو بالاحرى لايبرر اغفالنا مثل هذه الدراسات الضرورية .

ثالثا : لماذا لاتواصلون نشر « ملف الطليعة » ؟ ولماذا لاتتناولون حياة الاحياء من مفكرينا وادبائنا وفنانينا ؟؟ .

رابعا : اقترح نشر الميثاق على صفحات «الطليعة» وكذلك خطابات المناضل عبد الناصر .

واخيرا اشكركم جدا على خدماتكم الموفقة

واطلب الاستمرار فى التدفق الفكرى الناضج والنقد الذاتي الموضوعى .. كما أهنئكم على ماقدمتموه لنا عن سارتر وسيمون دى بوفوار .

الطليعة : تعتقد الطليعة ان قضية القومية العربية — كوجود — قد حسمت فى الفكر العربى واصبحت واقعا لايستطيع ان ينكرها حتي اعداء الامة العربية وشعوبها ، ومن ثم تؤمن الطليعة ان دورها الاساسى الان هو توضيح التحديات التي تواجهها الامة العربية في معركتها الضارية ضد قوي الاستعمار العالمي والقوى الرجعية فى الوطن العربى . وكذلك كشف ابعاد هذه المعركة ومتطلباتها وواجبات القوي الثورية لتحمل مسئولياتها التاريخية . وفى الوقت نفسه تهتم الطليعة بمعالجة المتناقضات — الثانوية بطبيعتها — داخل صفوف القوى الوطنية والثورية في الوطن العربى . ونعتقد بأن ماجاء فى العدد الماضى (مارس) حيث خصصت الدراسة الرئيسية للعدد عن « الثورة العربية .. قضايا الواقع والمصير » وما نشر في الغلاف الاخير لعدد فبراير عن المقالات التي نشرت فى الطليعة منذ عام ١٩٦٥ وحتى آخر ١٩٦٦ من القضايا العربية ، فضلا عن مقال هذا العدد « موقع معركة عدن والجنوب من مخططات الاستعمار الجديد » — ذلك كله كاف لان يوضح ، على عكس ملاحظتك الاولي ، اهتمام الطليعة بقضايا الثورة العربية .

اما عن نقدك لتقارير الشهر : فنود ان نقول ان تقارير الشهر هى بمثابة القاء الضوء على احداث نعتقد باهميتها ورصد وقائعها دون مناقشة او تحليل او تعليق . وهذا — في راي الطليعة — هو دور تقارير الشهر ، حتي يتمكن القارىء الذى لايسمح له وقته بقراءة كل الانباء فى الجرائد اليومية ، من ان يكون صورة مركزة عن احداث العالم .

وبالنسبة لملاحظتك الثالثة ، فنشر ملف ما ، مرتبط بحدث ما او ذكري او بروز قضية ما ، يهدف الى اعطاء القارىء وجهة نظر الطليعة فى هذا الحدث او موضوع الذكرى او المناسبة ، من مختلف الزوايا .

وعن ملاحظتك الرابعة ، فالميثاق قد نشر على نطاق واسع ، فضلا عن ان الطليعة قدخصصت عددا خاصا فى يونيو ١٩٦٦ لدراسة الميثاق فى ذكري مرور اربع سنوات علي صدوره . اما خطابات الرئيس ، فانك تجد عرضا مركزا لهما في تقارير الشهر بعد كل خطاب .
وشكرا وتقديرا لملاحظاتك .

●

رأى .. فى بعض ماكتب عن وحدة القوى الثورية

ومن طنطا ، كتب المواطن **طه مصطفى خفاجي عامل ودارس سياسى** ، عن الكتابات التي عالجت قضية وحدة القوى الثورية يقول :

منذ أن أطلق المناضل عبد الناصر شعار وحدة القوى الثورية ، تتابع الجماهير العربية باهتمام جميع المناقشات والاراء التى تكتب حول هذه القضية . والواقع أن هناك اقلاما كثيرة صالت وجالت فيه . فمن قائل أن الوحدة التي يقصدها المناضل عبد الناصر ، انما تعني وحدة القوى القومية فقط ، ومن قائل أن المقصود بهذا الشعار ، وحدة كل القوي القومية والثورية والقوى المؤمنةبالطريق الاشتراكي .ولقد راحت بعض الاقلام تهاجم بعض هذه القوى وتتهمها بأنها تتخذ هذا الشعارستارا تخفيوراءه أهدافها ومطامعها . ثم راحت تدعي لنفسها صفةالثورية وأن غيرها ليس بثورى . وهكذا أوشك الشعار الاساسي أن يضيع وسط الحملات وينزل الى مستوى الحملات الشخصية أو الفئوية .

والواقع أن دعوة القومية العربية ، دعوة تقدمية لما تحمله من مضمون اشتراكي ، ورغم انها تقوم فى وجدان الشعوب العربية منذالاحتلال الاستعمارى ، الا أنها اكتسبت حيويتها من خلال صراع الشعوب العربية ضد الاستعمار بجميع صوره . سواء منها الاحتلال العسكري أو قواعده العنصرية — اسرائيل — أو محاولات الاستعمار الجديد فى السيطرة على اقتصاد شعوبنا .

صحيح أن هناك قوى وطنية لازالت تؤمن بمفاهيم قد تختلف مع المفهوم الاشتراكى . وصحيح أن هناك قوى ثورية وتقدمية تؤمن بالاشتراكية وان اختلفت فى بعض مفاهيمها ، ولكن العمل النضالى المشترك والواحد هو — فى رأيي — الكفيل بأن يجد حلا لجميع نقاط الخلاف . وصحيح كذلك أن البلاد العربية تختلف فى مستويات تطورها الاقتصادى والاجتماعى ، ولكن العمل النضالى الموحد كاف لخلق أشكال قوية ومدعمة من التعاون ، مادامت مفاهيم هذه القوى — بشكل عام — ذات محتوى ثورى وتقدمى .

ان ما نواجهه فى بلادنا فى مرحلة التحول ونحن نبنى الاشتراكية ، يختلف مثلاعما تواجهه الشعوب العربية فى السعودية والاردن والجنوب المحتل التى تسعى من اجل التخلص من الاستعمار ومن النظم الرجعية ، لهذا كان موقف المناضل عبد الناصر حينما قال أمام مؤتمر المحامين العرب ان القيادات الثورية مطالبة أولا أن تبني وحدتها مع قواعدها حتى لاتصبح عبئا على هذه الوحدة ، كان تعبيرا أصيلا ومدركا بوعى لمتطلبات المرحلة التى يمر بها الوطن العربى اليوم .

أما أن تنسى بعض الاقلام الهدف الاساسى ، دون أن تعمل من أجله ، ثم تذهب الي حد استبعاد

قوى معينة من هذا التحالف ، فهى تقع بهذا في خطأ كبير . واذا كنا متفقين حول حقيقة أن من يعمل يمكن أن يخطىء ، وأن مقياس ثوريته هو اعترافه بهذا الخطأ ، والعمل على تلافيه وعدم الوقوع فيه مرة أخرى ، فانمحاولة تصيدالاخطاء وتحويلها الى جراح لايراد لهاأن تلتئم ، ثممحاولة اتخاذ بعض الاخطاء وسيلة للاذلال ، فان ذلك كله بلا شك وقوع في شبك يريده لنا أعداؤناحتى لا نواجههم بوحدة واحدة قوية ... اننا حين ننسى الهدف الاساسى من الشعار ثم نروح نتراشق التهم ، فليس ذلك الا منقبيل المناقشات التي لا تفيد .

ان شعار وحدة القوىالثورية يجب أنيتحقق، وأن تضم هذه الوحدة كل المؤمنين بعدم استغلال الانسانللانسان . فيجب الاننسى ابدا اننا نواجه عدوا واحدا هو الاستعمار العالمي وعملائه ، وعلينا أن نقلل من الكلام قليلا وأن نزيد من العمل أكثر .

اننا نواجه اليوم معركة ضد الاستعمار والرجعية لاتقل في ضراوتها عن معركة العدوان ١٩٥٦ . معركة يستخدم فيها الاستعمار كل الاسلحة ابتداء من السلاح الاقتصادى الى بعض الواجهات الرجعية التى تعيش علىدماء شعوبها أمثال فيصل وحسين وبورقيبة ، ليوقف تطور التاريخ .

وقد يستطيع الاستعمار وعملاؤه الرجعيون أن يشنوا بعض الهجمات كما حدث في غانا واندونيسيا . ولكنه على اى حال نجاح مؤقت ، لان أفكار الاشتراكية والعدالة الاجتماعية اصبح لها جماهيريةلاتقهر لدى شعوب العالم ، والتاريخ دائما مع ارادة الشعوب .

●

البتــــرول ..

ومن بغداد ، كتب الاخ **ابراهيم جميل** ، يقول في رسالته :

في شرقنا العربى ، العديد من المجلات التى اسميها « تجارية » وهى مجلات فارغة من كل محتوى تقدمى ، وتدعىالحياد في صراع القوى التقدمية العربية مع الرجعية العفنة . وحتى هذا « الحياد » المدان اساسا ، تقدمه في صورة انتهازية تجارية رخيصة .

والشباب العربى ، وأنا واحد منه ، يبنى آمالا كبارا على الطليعة . لهذا فهو يتوق في هذه الظروف التى تمر بها الثورة العربية ، الى أن يجد بحثا عميقا عن معركة البترول باعتبارها مشكلة من أكبر مشاكل الوطن العربى .. يحاول أن يجد حلولا لهذه المشكلة ككل . وعدم وجود مثل هذا البحث غفلة من الطليعة لاتغتفر .

الطليعة : نود لو اوضحنا ان العدد الاول من عام ١٩٦٥ والعدد الثانى عشر من عام ١٩٦٥ قد ضم كل منهما مقالا عنمشكلة البترول . فضلا عن ان العدد الخامس من عام ١٩٦٥ قد افرد ملفا كاملا لتلك المشكلة بعنوان « التخطيطلمستقبل البترول العربى » . وبالاضافة الى هذا ، فاننا نعد بموالاة معالجة المشكلة .

●

عن وثائق الثورة العرابية

وكتب المواطن **حسن محمد على عيسى** ناظر مدرسة الاتحاد بببا ، يعقب على المقدمة التي سبقت محضر التحقيق مع على (بك) عيسى في وثائق الثورة العرابية .. يقول :

جاء بالعدد الثالث الصادر فيمارس سنة١٩٦٧ في ص ١٥٤ تحت عنوان (وثائق تاريخيةعن الثورة العرابية) محضر التحقيق مع المرحوم على (بك) عيسى .

وقدمت الطليعة لهذا التحقيق بقولها « **انه** اعترف وهو بكباشى فرقة اجى بياده انه **اعترض** على البكباشى **محمد عبيد** حين قام باخراج الفرقة المذكورة من ثكناتها الى قصر النيل لانقاذ القادة العرابيين الذين حبسوا هناك » .

ولما كانت المقدمة المذكورة مستمدة من الاقوال التي جاءت في محضر التحقيق معه . فقد كان ذلك — في رأيي — نوعا من الدفاع عن نفسه في مثل هذا التحقيق وما لابسته من ظروف .

والحقيقة انه اشترك فعلا مع المرحوم محمد عبيد في محاصرة قصر النيل وانقاذ القادة العرابيين منه . وقد جاءت هذه الحقيقة في **مذكرات احمد عرابي** ص ١٦٠ ، ١٦١ ما يأتي «هكذا كان الشكر والفخر للبطل المقدام والشجاع الهمام محمد افندي عبيد الذي كان انقاذنا من الهلاك على يديه. وللبطل المقدام على افندي عيسى البكباشي » .

من هذا يتضح انه لم يعترض . بل اشترك فعلا في تنفيذ الخطة المطلوبة وطوق ثكنات قصر النيل من الجهة الخلفية .

وعندما تولى احمد عرابي نظارة الجهادية في ربيع الاول ١٢٩٩ انعم عليه مع غيره من الضباط الموالين له برتبة القائمقام ص ٢٤٣ و ص ٤ من **كتاب مصر للمصريين لخليل سليم نقاش** وص ٢٠٩ من **كتاب الثورة العرابية لعبد الرحمن الرافعي والوقائع المصرية** عدد ١٢ مارس سنة ١٨٨١ .

هذا ما أردت ايضاحه راجيا التكرم بنشره تصحيحا للتاريخ »

●

حول المناورات العسكرية الفرنسية — الموريتانية

وجاءنا البيان التالي نصه :

برقية موجهة الى سعادة محمد الشرقاوي — وزير الشئون الخارجية »

نعبر عن اشمئزازنا من جراء المناورات العسكرية الفرنسية الموريتانية ، بدعوى معاهدة الدفاع . تلكم المناورات التي تهيىء عدوانا مسلحا للاستعمار الجديد الفرنسي في الجنوب المغربي والتي تعتبر مساندة للمحاولات الاسبانية الرامية الى فصل وادي الذهب والساقية الحمراء عن الوطن المغربي فصلا نهائيا .

ونحن نرى ارتباطا وثيقا بين هذه العمليات والمناورات العسكرية الفرنسية الاسبانية التي اجريت اخيرا .

وان هذه التدخلات العسكرية الفرنسية تشكل تهديدا ملموسا موجها ضد الكفاح التحرري للمواطنين المغاربة في الجنوب الغربي ، وموريتانيا ووادي الذهب ، كما انها تشكل تحديا لمطامح الشعب المغربي المشروعة في وحدته الترابية .

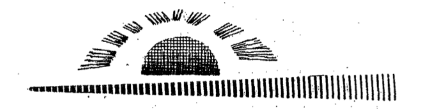
اننا نعبر عن استنكارنا لنفاق عملاء نواكشوط الذين يقومون في العواصم الاجنبية بتصريحات طنانة معادية للامبريالية ، وفي الواقع يسلمون التراب والاقتصاد الموريتانيين للاحتكارات والجيوش الامبريالية »

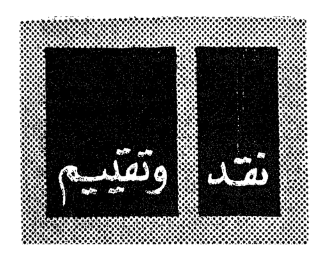
ونحن نطالب بتدخل دبلوماسي حازم لدى الحكومة الفرنسية لاجبارها على التخلي عن هذه التصرفات المعادية للمغرب »

كما نوصي باخبار منظمة الوحدة الافريقية بهذا المساس الجديد بالحقوق الشعب المغربي وبهذا التهديد للسلم الافريقي .

مع تحياتنا واحترامنا .

علي يعته





عدد مارس ١٩٦٧ من الطليعة

« الثـورة العربية »
قضايا الواقع والمصير

عن الدراسة الرئيسية كتب د. محمد الخفيف :

كانت الثوره العربيه موضوع الدراسه الرئيسيه لعدد مارس اذ ضم سبع مقالات تناولت بعض القضايا الفرعية للثورة العربية ..

واذا استثنينا مقال « التعاون الثقافى بين البلاد العربيه » الذى تميز من حيث الموضوع الذى يعالجه بأنه يتناول جانبا من جوانب القضية الجوهرية الاولى للثوره العربية وهى قضية وحدة القوى الثورية العربية وبان كاتبه حسنين مروة لم يكتف برصد واقع الموضوع الذى يعالجه بل تعدى الرصد الى التحليل واستخلاص النتائج ثم الخروج من النتائج بمهام رأى ان تعمل القوى الثورية على القيام بها فيما بين ما يجب ان تقوم به من مهام من اجل وحدتها ، اذا استثنينا هذا المقال وجدنا ان المقالات الست الباقية اتجه كاتبوها الى رصد الواقع رصدا تسجيليا اكثر من التحليل .

ففى المقال الاول يستعرض **مصطفى طيبة** ، عن طريق التركيز على بعض الوقائع ، تاريخ الماضى القريب لحركة الثورة العربية ليدلل على ان الثورة العربية تواجه اليوم مرحلة « التناقض الذى بات يستقطب قوى الثورة فى جبهة وقواها المضادة فى جبهة اخرى » ، وفى المقال الثانى «تجربتان ثوريتان فى مواجهة الاستعمار الجديد » يبدأ **ابو سيف يوسف** بالتأكيد على بعض الحقائق المعروفة والمتعلقة بطبيعة الاستعمار الجديد واساليبه « المتنوعه » فينبهنا الى ان التأكيد عليها ليس هدفه التكرار « بل القاء الضوء على تجارب بلدين عربيين يخوضان المعركة ضد الاستعمار الجديد » ثم يتتبع تاريخ الثورة المصريه من خلال بعض مواقف الفعل ورد الفعل التى مرت بها وهى تبنى المجتمع الجديد فى مواجهة تحديات الاستعمار الجديد .. ثم لا يذكر تجارب البلد الثانى الجزائر الا فى سطور قليلة فى نهاية المقال .

اما **خيرى عزيز** فيمسك بالقلم فى حماس الشباب ويصوب الى القارىء فى مقاله « الاستعمار الجديد واقتصاد الوطن العربى » طلقات متصلة وسريعة من الارقام والمعلومات واسماء الشركات والبنوك حشد ضخم من البيانات لايتابعه المرء الا فى صعوبة متنقلا بين مختلف البلاد العربية من المغرب الى المشرق ومن الشمال الى الجنوب .. حشد من ضخامته لا يلبث القارىء ان يتناساه فور الانتهاء من قراءته ولكن تبقى فى ذهنه ووجدانه صورة كئيبة للواقع العربى بوجه عام وليس هذا من الحقيقة فى شىء وانما هى طريقة المعالجة التى اهتمت بالجانب المعتم واغفلت الجوانب الاخرى المضيئة ، والتى حرصت الحرص كله

على جمع اكبر قدر ممكن من البيانات دون موالاتها بالتحليل والانتهاء الى نتائج تفرض مهاما امـام القوى الثورية .

اما **الدكتور عبد المنعم البنا** فيتناول « اتفاقية الوحدة الاقتصادية العربية » تناولا هادئا فيمسك بنصوصها يفسرها تفسيرا يكاد ان يكون تفسيرا قانونيا بحتا .

وبأسلوب ممتع تعكس **فريدة النقاش** بصدق انطباعاتها السريعة خلال العشرة ايام التى قضتها بالمغرب ، واظنها اول زيارة لها لهـذا البلد . فالمقال كما ارى انطباعات اكثر مما هو تحليل علمى للواقع الذى تعيشه القـوى الثـورية فى المغرب وللتحديات التى تواجهها فعلا وللعوامل التى تحول دون وحدتها على الرغم من انـه لا طريق امامها سوى الوحدة . ثم هى ايضا تهتم بقضية بن بركة اهتماما يكاد يطغى على المقال جميعه ، وهذا امر لاشك طبيعى فان بن بركة كما تقول كاتبة المقال بحق « ينتمى الى تاريخ المغرب الوطنى والسياسى كله » فما بالك وانت تزور موطنه الذى ضحى بحياته من اجله . اردت ان اقول ان عنوان المقال اكثر شمولا وعمقا من مضمونه .

ولا يشذ مقال « العلاقات بين العالم الاشتراكى والبلدان العربية » كثيرا عن الاتجاه السائـد للدراسة . اتجاه الرصد والتسجيل وتجميـع المعلومات وبالرغم من ان **خالد محيى الدين** نجح فى ان ينتقى اهم المعلومات وان يجمعها فى ايجاز غير مخل .

●

الدستور والحوار الشعبى . . . والمسـئولية

وعن الدستور والحوار الشعبى . . والمسئولية كتب سعد زهران :

احتل موضوع الدستور مكانا هاما فى العدد الماضى من الطليعة ، اذ تناولته افتتاحية العدد ، كما كرس له الدكتور وليم سليمان مقالا هاما بعنوان « الدستور الجديد ، تقنين للثورة » .

والحق ان الافتتاحية تناولت موضوعا ، او ان شئنا الدقة ، موضوعات اوسع من الدستور ، وضعت تحت عنوان « الحوار الشعبـى . . . والمسئولية » وقد طرحت الافتتاحية مجموعـة الافكار الاتية :

● اهمية المناقشة الديمقراطية التى تسـهم فيها الجماهير كما يسهم فيها المتخصصون بدور كبير . واشار الكاتب الى المناقشات التى تدور بخصوص الدستور ، والمؤتمرات الثمانين التى نظمتها وزارة التعـليم العالى لمنـاقشة سياسة التعليم العالى والجامعى ، ومؤتمرات الكتـاب والمسرح والسينما التى نظمتها وزارة الثقافة ، واسهام عدد من المثقفين والفنانين فى مشـاهدة الانتاج السينمائى الاجنبى ومناقشتهالذى تنظمه ادارة الرقابة على المصنفات الفنية .

● المقارنة بين الديمقراطية الليبرالية بمفهومها الشكلىالضيق، والديمقراطيةالاشتراكية بمفهومها الاجتماعى ،وبماتفترض مناتاحةالفرصة الحقيقية لممارسة الحرية السياسية للجماهير الشعبيـة بتحريرها من العبودية الاقتصادية للاقـطـاع والرأسمالية المستغلة .

● تناولت الافتتـاحية ايضا جانبـا هاما من جوانب الديمقراطية الاشتراكية ، هو الديمقراطية المباشرة . حيث بين الكاتب ان الديمقراطيـة الليبرالية تعطى الناخب اجـازة اجبـارية بعـد الادلاء بصوته واداء بعض الطقوس النيابية فى مواسم الانتخابات ، بينما تسعى الديمقراطيـة الاشتراكية الى اشراك الجماهير العاملة اشراكا مباشرا فى ادارة الحياة اليومية — الاقتصاديـة والاجتماعية — وفى تقرير المسائل المصيرية التى تتعلق باختيار وصياغة الاسس العامة التى يقوم عليها البناء السياسى للدولة . وضرب الكاتب امثلة عديدة — مثل اشراك العاملين فى الادارة ، والدور النشيط التى تقوم به النقابات والتعاونيات ومناقشات لجنة الدستور . . الخ .

● تحدثت الافتتاحية عن مرحلتين متميزتين من مراحل العمل السياسى ، مرحلة الوسائل الادارية الثورية ، او مرحلة ممارسة السلطة بـاسـم الشعب ، ومرحلة الاعتماد على الوعى الكامل للشعب العامل ، مرحلة الاعتماد اساسا عـلى العمل السياسى لا العمل الادارى ، مرحلة تطوير الديمقراطية الاشتراكية ، وهى مرحلة ممارسـة السلطة بأيدى الشعب .

وبينت الافتتاحية اننا نمر بفترة انتقال مـن المرحلة الاولى الى المرحلة الثانية ، وان هـذا الانتقال عملية شاقة تتطلب تعبئة كاملة لكـل الطاقات السياسية والدعائية والاعلامية .

● خصص الكاتب جزءا كبيرا من الافتتاحيـة

للاسس التي يرى ان يقوم عليها الدستور الدائم، وقارن بين الاسس العامة لدستورى ما قبل ثورة ١٩٥٢ ، والتعاليم الدستورية لما بعد الثورة عامة ، ولما بعد القرارات الاشتراكية لعـام ١٩٦١ بصفة خاصة . وبين الكاتب ان « اخطر ما يواجهنا فى عمليات البناء الاشتراكى .. لا يتمثل فى بقايا الاقطاع وراس المال ، بقدر ما يكمن فى الفئة البيروقراطية العريقة العميقة الجذور » ولذلك اعطى اهمية خاصة لما يجب ان يتضمنه الدستور الدائم من كفالة وتطوير رقابة الجماهير العاملة على أجهزة الدولة والقطاع العام والقطاع التعاونى

● مسئولية قيادات الاتحاد الاشتراكى فى الاستفادة من الظروف المواتية بتنظيم المؤتمرات وفتح المناقشات حول كثير من المشكلات الحيوية لدفع العمل السياسى وتطوير الديمقراطية الاشتراكية .

الافتتاحية — هكذا — مليئة بالافكار الخصبة ، غير ان ما يعيبها هو ان هذه الافكار اكثر من ان تحتملها مقالة واحدة . فلو ان الافتتاحية ركزت على فكرة اساسية او فكرتين « مثل موضوع الديمقراطية المباشرة او الانتقال من مرحلة الوسائل الادارية الثورية الى مرحلة الاعتماد على العمل السياسى اساسا .. او موضوع الرقابة الشعبية على اجهزة الدولة والقطاع العام والقطاع التعاونى » لكان ذلك اوفق ، ولتمكن الكاتب من اعطاء الموضوع مزيدا من العناية والدراسة وطرحه بطريقة ابسط تساعد القارىء على الاستيعاب .

اما مقال الدكتور وليم سليمان فقد اعتنى بشرح بعض المصطلحات الخاصة بالدستور على ضوء الفكر الاشتراكى ، حيث قال فى بداية مقاله: « اذا كان الدستور مطروحا على هذا النحو للمناقشة الشعبية ، فلعله ان يكون من المفيد الحديث عنه فى اسلوب يمكن الجماهير من القيام بدورها المطلوب » .

وقد بذل الكاتب جهدا مثمرا فى هذا الاتجاه ، حيث اجاب على الاسئلة التالية :

— ما هو الدستور ؟

— ما هو الفرق بين الدستور والقانون ؟

— كيف يعبر الدستور عن المقومات التى يقوم عليها المجتمع ؟

— ما هى الفوارق الجوهرية بين دساتير ما قبل الثورة وما بعدها ، وما قبل مرحلة التحول الاشتراكى وما بعدها ؟

— لماذا تسمى دستور ١٩٦٤ دستورا مؤقتا ؟

— لماذا نضع الدستور الان ولا ننتظر حتى يعيد المؤتمر العام للاتحاد الاشتراكى النظر فى الميثاق عام ١٩٧٠ ؟

ولعل السؤال الذى يحس القارىء انه مفتقد فى هذه السلسلة هو : لماذا تعاقبت الدساتير والدساتير المؤقتة والاعلانات الدستورية فى عهد ما بعد ثورة يوليو ١٩٥٢ ؟

ان اجابة مقنعة على هذا السؤال يمكن ان تكون ذا فائدة محققة بالنسبة لوعى المواطن العادى وغالبية المتخصصين فى الدراسات الدستورية على السواء . وفى رأيى ان هذا يمكن ان يكون موضوع دراسة تاريخية دستورية مقارنة خصبة تدور حول عنوانين اساسيين :

— تتابع المراحل الثورية الانتقالية منذ يوليو ١٩٥٢ حتى اليوم .

— الالتزام بما تفرضه التجربة الثورية المصرية والعربية ، دون التزام مسبق بنقل حرفى من التجارب الدستورية السابقة ، « المعتمدة » لدى فقهاء الغرب الرأسمالى او الشرق الاشتراكى « على النمط الماركسى اللينينى »

ولعل الاقتناع بأن هذين الاعتبارين يحكمان تطور التعاليم والتجارب الدستورية فى مصر الثورة هو الذى يجعلنا لا نتفق مع ما ذهب اليه الدكتور وليم سليمان مما يشبه الجزم بأنه اذا صيغ دستور عام ١٩٦٧ ، فلن يكون بحاجة الى اعادة نظر بعد اعادة النظر فى الميثاق عام ١٩٧٠ .

●

الفن فى المجتمع الاشتراكى

عن مقال الدكتور حسين فوزى « الفن فى المجتمع الاشتراكى » كتب غالى شكرى يقول :

من اهم المشكلات التى طرحتها التجربة الاشتراكية فى المجال الثقافى ، مشكلة « الفن ».

الذى يصوغ هذه التجربة الانسانية الجديدة ،. فالفن فى المجتمعات البرجوازية ينبثق عن تراث ضخم من التقاليد الادبية الراسخة . اما الفن فى المجتمع الاشتراكى فبالرغم من استفادته من تاريخ الفنون والاداب الانسانية جمعاء ، الا ان مصدره الرئيسى والاول ، هو التجربة الاجتماعية الجديدة التى انعطفت بحياة البشرية نحو وجهة جديدة تختلف جذريا مع الحياة فى المجتمع البرجوازى .

وقد كان من الطبيعى ان يكون الاتحاد السوفيتى — وهو صاحب اول تجربة اشتراكية فى العالم — هو صاحب المحاولات الاولى لخلق ادب وفن اشتراكيين . لذلك فيما اعتقد كان اعتماد الدكتور حسين فوزى فى مقاله القيم « الفن فى المجتمع الاشتراكى » اعتمادا شبه مطلق على التجربة السوفيتية فى الادب ، للحصول على بعض النتائج التى قد تفيدنا وبلادنا تجتاز خطواتها الاولى نحو الاشتراكية .

والنتيجة الاولى التى خرج بها الدكتور حسين فوزى ، هى ان روسيا « لم تخرج من محنتها الفنية الا بعد ان ادركت حقيقة بدائية ، وهى ان الالزام والاجبار فى الفن معناه القضاء على الجوهر الفرد فى الانسان اى على ملكة الخلق والابداع ، وهى لا تعيش الا طليقة فى جو من الحرية » . ومن هذه النتيجة الاساسية تفرعت نتائج اهمها انه ليست هناك مواصفات معدة من قبل لانتاج الفن الاشتراكى ، وان الالزام يختلف عن الالتزام الحر بقضايا الانسان ، وان الفن ظاهرة فردية تؤدى دائما غاية اجتماعية ، وان الدور الحقيقى للفن من الممكن تأديته فى ظل الراسمالية او الاشتراكية على السواء اذ ان « هذا الدور هو الارتفاع بمستوى الشعور والارتقاء بالاذهان . والفن هنا كالروض فى المدينة . متنفس روحى يخرج بالانسان عن دوامة الحياة المادية الى رياض الفكر والاحساس »

ويناقش الدكتور حسين فوزى فى هذه القضية الهامة ، ثلاث مشكلات رئيسية هى : ذاتية الفنان ، ومصدر الفن ، والعملية الفنية . وهنا ، اى حين نترك الخطوط العامة لندخل فى التفاصيل ، نختلف مع الدكتور فوزى فى ان ذاتية الفنان — بالرغم من انها عنصر رئيسى فى العمل الفنى — الا انها ليست العنصر الوحيد فثمة عناصر اخرى عديدة تشارك فى بناء العمل الفنى ، وتكاد ان تخرج تماما من ذاتية الفنان بل وارادته ، لانها من صميم العالم الخارجى بكينونته المستقلة نسبيا عن الذات البشرية ، ومعنى هذا ان علاقة الفن بالواقع ليست علاقة « اخلاقية » مصدرها انه « يجب » على الفنان ان يشارك الانسانية همومها . وانما تنبع هذه العلاقة من ان ذاتية الفنان لا تتناقض مع موضوعية الفن ، فالعمل الفنى فى نهاية الامر هو نتاج هذه العلاقة الدينامية بين الفنان والعالم . لذلك يصعب علينا ان نتصور ثمرة هذه العلاقة « بين طرفين » ان تكون عملا ذاتيا محضا ، الا فى حالة واحدة هى ان تختل هذه العلاقة ويسود احد الطرفين على الاخر ، وحين تسود الذات الفنية على التجربة الموضوعية ، لا يثمر التفاعل المختل بينهما ، فنا حقيقيا اصيلا ، وانما يثمر — فى احسن الاحوال — اعترافات شخصية او خواطر ذاتية . وليست هذه هى « الحرية فى الفن » لان الالتزام الحر لا يرفض التجارب الشخصية للفنان على ان تتم صياغة هذه التجارب فى ارتباطها الوثيق بالواقع الموضوعى الذى شارك بغير شك فى انباتها .

والفن ليس انعكاسا آليا للواقع كما تصور الدكتور فوزى فى المقاطع التى تتخلل مقاله القيم وهاجم فيها الجمود الذى رافق بعض مراحل البناء الاشتراكى بالاتحاد السوفيتى . الفن ليس انعكاسا بل خلقا ، ولكن الخلق الفنى لا يتم فى فراغ ميتافيزيقى يخلو فيه الفنان للسياحة فى عالم صنع من مادة الاحلام . الفن خلق ، بمعنى انه اعادة تركيب لنفس المواد الموجودة فعلا . واعادة التركيب تعنى فى نفس الوقت اعادة نظر . ومن هنا اصرارنا على ان «موقف» الفنان هو زاوية الرؤية للاشياء فى لحظة صياغتها من جديد . والفنان ملتزم بهذا الموقف الذى اختاره اختيارا حرا .

وهكذا يختلف دور الفن فى المجتمع الاشتراكى اختلافا جذريا عن دوره فى المجتمع البرجوازى . ولا علاقة لهذا الاختلاف بما يدعوه البعض فنا تقدميا وآخر رجعيا . وانما يختلف دور الفن فى بلاد مثل بلادنا عن دوره فى بلاد اخرى هدفها « الارتفاع بمستوى الشعور » فهذا التعبير الوارد فى معظم ابحاث علم الجمال فى الثقافة البرجوازية ، لا يقصد به سوى حالتى « الترف والبلادة » اللتين يصفه بها سارتر الانسان البرجوازى المعاصر فى الغرب . اما نحن الذين نبنى الاشتراكية فى بلاد تخلفت حضاريا عن مستوى العصر بمئات السنين ، فأننا نحتاج الى الفن « الذى يرفع مستوى الحياة » كما يقول سارتر ايضا فى دراسته لادب الزنوج والفن الافريقى .

حوار .. سارتر وسيمون دى بوفوار مع الفلاحين والعمال والمثقفين العرب



على مدى ستة عشر يوما منذ مساء ٢٥ فبراير حتى مساء ١٣ مارس الماضى ، التقى سارتر وسيمون دى بوفوار ، يصاحبهما كلود لانسمان مدير تحرير مجلتهما ((العصور الحديثة)) بالفلاحين والعمال والمثقفين من أبناء شعبنا وذلك فى حوار مفتوح ومثمر ، خلال جولاتهم مع الحضارة المصرية ومع واقع العمل الثورى للبناء الاشتراكى المعاصر ، هذا الواقع الذى هو جزء لا يتجزأ من الثورة التقدمية المعاصرة التى تشمل الوطن العربى كله .

ولم يقف سارتر وسيمون دى بوفوار عند معايشة التجربة العربية التقدمية فى مصر ، بل سعيا — بناء على طلبهما — فى رحلة بحث ودراسة على الطبيعة الى غزة من أجل جمع معلومات موضوعية مباشرة — على حد تعبيرهما — عن القضية الفلسطينية .

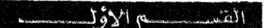
ويضيق المقام هنا عن تسجيل كل ما دار من حوار مع سارتر وسيمون دى بوفوار وما تحدثا به الى الفلاحين والعمال والمثقفين فى شعبنا ، خاصة وأن من تقاليد ((الطليعة)) الحرص على نشر النصوص كاملة . ومن هنا فقد استقر رأى هيئة التحرير على تقديم هذا الملف شاملا فى الحقيقة للخطوط الرئيسية لآراء وأحاديث سارتر وسيمون دى بوفوار خلال زيارتهما للجمهورية العربية المتحدة وقطاع غزة . وهو يتكون من ٣ أقسام مختارة بعناية .

القسم الأول : ويشمل النص الكامل لمحاضرة سارتر عن ((دور المثقفين فى المجتمع المعاصر)) التى ألقاها فى مساء ٤ مارس ١٩٦٧ بقاعة جامعة القاهرة الكبرى أمام أكثر من ستة آلاف مواطن ومواطنة ، مترجمة بدقة عن الاصل الفرنسى المسجل .

القسم الثاني : يشمل النص الكامل لمحاضرة سيمون دي بوفوار عن « دور المرأة في العصر الحديث » التي القتها في مساء ١١ مارس ١٩٦٧ بقاعة جامعة القاهرة الكبرى امام اكثر من خمسة آلاف مواطن ومواطنة ، مترجمة بدقة عن الاصل الفرنسي المسجل .

القسم الثالث : يشمل نصوص الاسئلة والاجابات في اللقاء الذي تم بين الضيفين الكبيرين وأساتذة وطلبة جامعة القاهرة في مساء ١١ مارس ١٩٦٧ بنفس القاعة .

كما يشمل مختارات من احاديث سارتر وسيمون دي بوفوار في عدد من اللقاءات الجماعية التي تمت بينهما وبين الفلاحين والعمال والمثقفين والنساء العرب وكذلك لقائهما مع اللاجئين والشعب الفلسطيني في غزة .



النص الكامل لمحاضرة جان پول سارتر بجامعة القاهرة في ٤ مارس ١٩٦٧

"دور المثقفين في المجتمع المعاصر"

هذه هي المرة الاولى التي اتحدث فيها امام جمهور مصري ويسعدني ان اعبر له عن صداقتي العميقة . اسمحوا لي ان اشكر اولا هؤلاء الذين اتاحوا لي هذه الفرصة لكي استمتع بهذا الشرف (١) .

سأحدثكم الان كما تعلمون عن دور المثقفين في المجتمع المعاصر . وهناك في الحقيقة مشكلتان .

فأنا من ناحية ولدت في مجتمع بورجوازي ، دور المثقفين فيه قد تحدد بحكم طبيعة هذا المجتمع نفسه . ومن ناحية اخرى فأنا هنا في القاهرة اتحدث الى مجتمع ثوري يطرح على المثقفين قضايا اخرى . ومن البديهي انني لا استطيع الكلام عن هذا المجتمع الثاني لانني للاسف انتمي للمجتمع الاول .

ولهذا فسأتحدث اليكم عن كفاح المثقفين في المجتمعات البورجوازية ، ما هو ، وما يجب ان يكون عليه هذا الكفاح ؟ في بلادنا ، اعني في الغرب واحيانا في الشرق لا ينظر الى المثقفين بعين الارتياح من الطبقة الحاكمة عامة وللاسف في بعض الاوقات من الطبقات الكادحة ذاتها التي وان كانت تجل العالم وتحترمه باعتباره رجل علم ومعرفة ولكنها ترتاب منه اذا كان مثقفا . فهناك اذن فارق بين ان يكون الانسان مثقفا وان يكون رجل معرفة .

ان النقد الذي يوجه كما تعلمون الى المثقف هو انه دائم المعارضة والنقد ويتدخل فيما لا يخصه من الامور مستغلا شهرته وتأثير اعماله الثقافية والعلمية . ان هذا النقد ليس موجها كما ترون لرجل المعرفة على هذا الاعتبار المحدد . اذن ما معنى ذلك ؟ فبالنسبة لرجل امريكي في الولايات المتحدة يخدم اهداف الامبريالية — بعلم منه او بغير علم — وذلك بقيامه ببعض الابحاث النووية فهذا الرجل يعد عالما وليس مثقفا . ولكن اذا اخذت نفسه تضطرب بما يقوم به من ابحاث كما حدث ذلك فعلا . . واذا اشترك مع علماء آخرين في التوقيع على بيان يدين ما تستعمل فيه تلك

(١) قدم سارتر هنا شكره « للاهرام » على دعوته ولعدد من اصدقائه المصريين . وقد آثرنا فصل هذا الشكر من موضوع المحاضرة وذلك باعتباره امرا ذاتيا .

الابحاث في اغراض غير انسانية فهو يتدخل في تلك اللحظة فيما لا يخصه ويتحول الى مثقف . لقد كانت تلك الابحاث مجرد ابحاث علمية ولم يقل عنه بالتالي انه مثقفا . وعلى النقيض يصبح مثقفا منذ اللحظة التي يعي فيها بنتائج أعماله ، وحين يوجه الانظار الى الخطر من استعمال تلك الابحاث . لقد كان يطلق احيانا في فرنسا اثناء حرب الجزائر عبارة « المثقف القذر » . . لماذا ؟

فلنحاول ان نوضح الامر ونضرب هنا مثالا عزيزا على الان واعني به « محكمة راسل » . ان تلك المحكمة تنعقد لتقرر ما اذا كانت الاعمال التي يقترفها الامريكيون في الفيتنام جرائم حرب ام لا . وهذه المحكمة مكونة من رجال ، هم علماء في الرياضية مثل «لوران شوارتس» وفي الفيزياء مثل «فيجيه» ورؤساء دول سابقين مثل « كارديناز » وفلاسفة مثل (راسل) وقانونيين وعلماء في التاريخ ، انهم رجال اسميهم بالاختصار رجال معرفة عملية ، نيقال لهم عندما يريدون تقييم اعمال الحكومة الامريكية ! لماذا تدسون انوفكم فيما لا يعنيكم ؟ فهذا بعيد عن اختصاصكم .

والواقع ان الذى يجمع فيما بيننا في تلك المحكمة ليست مهننا وهى جميعها في الحقيقة مهن معرفة . ولكن الذي يجمع فيما بيننا هو اننا في اللحظة التي اردنا فيها تشكيل تلك المحكمة تشكلنا كمثقفين . ويبدو على العموم ان ما يعاب على اعضاء تلك المحكمة هو ان رجل الشارع او العامل لا يحكم على اعمال الامريكيين . . فلا يقول عنها ان كانت جرائم ام لا ، وعلاوة على ذلك فلا توجد محكمة رسمية اى محكمة دولية تتصدى للحرب في الفيتنام ولقضية فيتنام .

وينبني على ذلك انه اذا لم تكن هناك ثمة محكمة مكونة واذا لم يصدر الناس حكما ما ، فنحن نعتبر انفسنا اذن اننا فوق مستوى البشر في اللحظة التي قررنا فيها اصدار حكمنا . ويصبح المثقف في هذا المجال كموجود ذو عقدة من الكبرياء يصيح « انا القاضي » لمجرد انه قام بأعمال علمية هامة او انه معروف مثل راسل « بمؤلفاته الفلسفية » . .

يصيح هكذا باسم التفوق ، وباسم تفوقه كارستقراطي « انا القاضي » . سوف نرى الان ان الامر على عكس هذا تماما . غير انني اردت ان انبه منذ البداية لماذا يتولد عن مجرد تشكيل المحكمة حالة من سوء الفهم ، لماذا يؤدى هذا الى تعريفنا وتحديدنا على اننا مثقفون ، اى اناس يظنون ان من حقهم عمل اى شيء استنادا الى بعض الاعمال الصغيرة المشهورة التي قاموا بها .

توجد في الواقع مجالات محددة لاستخدام تلك المعرفة التي تشكل ثورة الكاتب والقانوني والطبيب الخ . . فهناك لجان للتحقيق تذهب باسم المحكمة الى فيتنام لتجرى فيها التحقيق والاستقصاء على أساس من الواقع والعلم بشأن طبيعة تلك الاعمال واستنادا الى البقايا والاثار .

وعلى سبيل المثال ذهب الى هناك «فيجيه» عالم الفيزياء لدراسة «قنبلة الاناناس» التي يطلق عليها اسم السلاح الموجه المعادي للافراد العاديين ، اى تلك القنابل التي تتدحرج ثم تقفز فتتدحرج مرة ومرات في نواح مختلفة متشعبة . لقد استطاع هذا العالم ان يتأكد — لانه من علماء الفيزياء — ان تلك الاسلحة هى حقا معادية للافراد بمعنى انها لا تصيب بأى ضرر اذا ما التقت بحاجز او بأى نوع من اكياس الرمل ، فليس بمقدورها اذن اصابة الجندى الذى هو في موضع الحماية على الدوام ، بل ولا تصيب الجندى في طائرة ولا الجندي الذي يقوم بالدفاع الجوى طالما تحميه اكياس من الرمل ، ولا يمكن ان تصوب تلك القنابل الا على الذين يعملون في الحقول .

وسوف يقوم احد الاطباء في ذات الوقت بفحص وتشخيص الجراح التي تسببها تلك الاسلحة ليقرر ان هذه القنبلة القاتلة بالجملة تحمل في الحقيقة الموت الى الفلاحين في حقولهم او على الاقل تسبب لهم قروحا عضوية عنيفة .

ويتضح اذن ان هذا السلاح هو من وجهة النظر التكتيكية سلاحا معاديا للافراد اى انه سلاح معد لارهاب السكان المدنيين .

ترون في هذه الحالة اذن ان ما استخدمه صديقي « فيجيه » ليشارك الاطباء في تشخيص الجراح ولفحص القروح وللكشف ايضا عن قوة انفجار القنابل انها يعود الى ما للفيزياء من منهج وما للعلوم من دقة . . لقد استحضر معه قنابل جاء بها من هناك وقام بشرح جهازها .

ان الذين يهاجمون « محكمة راسل » يعلنون اننا نستخدم نوعا من المعرفة وبعض المناهج العلمية التي لقنت الينا لغير هذا السبب . تلقى « فيجيه » علم الفيزياء ليكون عالم فيزياء وهو يحرف مناهج علم الفيزياء وابحاثه من استعمالها الطبيعي ليحاول ان يدلل باعتباره عالم في الفيزياء على واقعة تتعلق بحرب الفيتنام .

في هذه اللحظة سرقنا الالة كما يمكن ان يقال . ويكون المثقف — طبقا لما يعرفه به اعداؤه — هو الانسان الذي يستخدم ابتداء من هذه المحكمة ما لديه من المعرفة العملية والتكتيكية فيما هو خارج اختصاصه . فهو الانسان الذى يسرق الالة ليحصل على نتائج تختلف عما يجب ان يحصل عليه منها .

فلنتفحص معنى هذه الامور عن كثب . ما الذي حدث للعالم الذرى في امريكا كما سبق ان حدث عديد من المرات ، حين ندد بالدور الذي جعلوه

يلعبه ؟ وحين اعلن ان البحوث الذرية لا يجب ان تستخدم في اتجاه ذرى عدوانى ؟ **لماذا اصبح هذا الرجل مثقفا بين يوم وليلة** » لقد راينا اننا اذا اخذنا عليه تدخله فى امور بعيدة عن العلوم ، فهو فى الواقع قد سبق وتدخل فيها فعلا رغما عن انفه عندما كان يعمل « للبنتاجون » لان هذه البحوث العلمية كانت تستخدم فى اغراض سياسية . اذن فهو فى الحقيقة ــ منذ البداية ــ قد تدخل فى امور بعيدة عن مجالات تخصصه .

ماذا فعل ؟ لاحظ انه كان مستخدما من فئة من الاشخاص ، وان ما كان يفعله انما كان يستخدم لاغراض لم تكن تبدو لديه انها من الاهداف التى يجب ان يسعى اليها .

اذن فقد اصبح مثقفا منذ الوقت الذى لاحظ فيه انه يسلب من عمله ، وهو فى الحقيقة اصبح مثقفا عندما اتخذ موقفا سياسيا اكثر وعيا من الموقف الذى كان قد اتخذه رغما عنه فى مواجهة هــذا الموقف ، واندفاعيا عندما كان يقوم بعمله كعالم .

ماذا فعل ؟ هل رفض خدمة السياسة الامبريالية بدافع من النزوة ام قد لاحت له فجأة رؤية اخلاقية لتقول له : كلا لن تفعل هذا ؟ هل هو مجرد خائن كما يزعم من استخدموه والذين جروه الى ساحة القضاء فى الولايات المتحدة وجعلوه يمثل امام لجان النشاط المعادى لامريكا ؟ كلا ان هذا الرجل لــم يقترف شيئا ما . فكل ما قام به هو انه اكتشف التناقض بين الشمولية العلمية وبين الخصوصية البورجوازية . ان هذا المثال يدلنا على ماهيــة المثقف .

ان المثقف رجل معرفة الا انه رجل معرفــة عملية لانه لا يوجد الان فرق حقيقى بين المعرفــة النظرية والمعرفة العملية .. انه العالم او الطبيب او التكنيكى او القانونى او الكاتب او الفيلسوف او الفنان ــ اذا اردت ــ الذى يعى بتكوين نفسه فى تناقض داخل المجتمع البورجوازى . ولكن ليس كل هؤلاء الناس يقومون بهذا التكوين لانفسهم فهناك علماء يعيشون فى حالة من القلق ويتعامون عن رؤية الامور ، وهنــاك من يريدون بموافقة السلطات اخفاء هذا التناقض على غيرهم ، فهم الذين اطلق عليهم صديقى « فيزون » عبارة كلاب الحراسة .

هؤلاء لا نسميهم مثقفين لان ما من احد يسميهم مثقفين .

انهم علماء قلقون او غير راضين عن انفسهم او من كلاب الحراسة . اما المثقف فهو الذى لا يريد ان يعيش هذا التناقض وان كان يلاحظ ان هذا التناقض يكونه .

فيم اذن هذا التناقض ؟ ولماذا يكون المثقف ؟

اقول ان هذا التناقض يكمن فيما بين طبيعة التربية التى يتلقاها المثقف فى طفولته ــ وهى تربية من الماضى ــ وبين المهنة التى تفرض عليه فيما بعد وهى مهنة لها طابع الشمول . اليكم مثلا مستمدا من **تاريخ اليابان** عندما تم الاصلاح الكبير اى حين قرر اليابانيون ان يصنعوا بلادهم .تم هذا الاصلاح من اعلى ، بمعنى انه لم يتقرر فى النهاية تكوين طبقة بورجوازية . بل قامت الطبقة الحاكمة مضحية ببعض الاقطاعيين وذلك بتكوين رؤوس اموال كافية لدفع عجلة الاقتصاد ، الامر الذى يجعل من هذا الاقتصاد اقتصادا اقطاعيا .
ومن الامور العجيبة انه اقتصاد اقطاعى وفى ذات الوقت رأسماليا ، بحيث لم تنشأ بورجوازية بل اصبح كبار الاقطاعيين رأسماليون . ومع ذلك فكان لا بد من وجود كوادر اى مهندسين وفنيين وعلماء .

اذن كان لا بد من اصلاح فى التربية ، لان التربية كلها كانت تقليدية تربى الشعب على عبــــادة الامبراطور وعلى التضحية من اجله ، اى فى حقيقة الامر من اجل الطبقة الاقطاعية التى كانت تحوط بالامبراطور . عندئذ قرر احد وزراء التربية ان يمسك العصا من وسطها . فقرر ان الطالب فى طفولته يجب ان يتلقى تربية فى حدود المبــادىء التقليدية بما فى ذلك احترام الاسلاف والعــادات الاقطاعية والديانة اليابانية التى قد تتمثل فى احترام الاسلاف والخضوع العبودى « للميكادو » (٢) وللطبقة الرأسمالية والعسكرية وللطبقة الاقطاعية هذا كل ما يتلقاه الطفل من علم حتى يصل الى سن التعليم العالى ، حيث تصبح التربية فى الجامعة علمية تماما اى انها ستترك هذه المجموعة مــن المعتقدات التى تلقاها الطالب لتجعله يشتغل فى الفيزياء والرياضيات وعلم الاحياء . ترون التناقض التام بين هذين الفرعين من التربية فاحدهما يعلمه الخضوع الكامل لطبقة متحيزة والطاعة للامبراطور ، وفى النهاية الخضوع لمجموعة من التقاليد لا تمت الى تلك التى تكون وتشكل بلدا ما يدفعه الى الامام ، ولكن من تلك التقاليد التى تهدر انسانية الذين يتحملون عبئها .

ومن جهة اخرى بماذا يطالب هذا الجزء الثانى

---

(٢) الامبراطور .

من التعليم الذي يتلقاه في الجامعة ؟ فهو يتعلم الحرية اولا . ويجب ان نفهم ان كلمة الحرية تلك كثيرا ما كانت محل خلط وابهام في الكتب والمؤلفات . ان كلمة الحرية هنا لها معنى محددا ودقيقا . انها حرية الفكر . ليس حرية التفكير في اي شيء بل حرية البحث . انها حرية تقدم الشيء على ما اكتسبه الفكر من تجارب ، مما يتمشى ويتجاوب مع رفض مبدأ السيادة . هذا معناه ان الفكر العلمي لا يقف ابدا امام ما جاء قبله بل يرث منه ويستعيده اذا سار كل شيء سليما ولا يخشى من نقضه اذا تعثر في الامر شيء . . تلك هي حرية الفكر . ولكن فلنفهم الامر على صورته الكاملة . تلك الحرية هي التي يحتاج العالم على مضض منه الى استعمالها . فليس هو الذي يبحث عن التناقضات بل تأتي التناقضات اليه بنفسها .

وعندما اراد « ميكلسون » و « مورلي » في بداية هذا القرن ان يقيسا سرعة الضوء ، فقد فعلا هذا في نطاق نظرية « نيوتن » ولم يفكرا اطلاقا في نقض هذه النظرية الى حد انهما استعانا بها في اجراء التجارب . **ولكن ما الذي حدث** » اتضح انه على الرغم من اجراء العديد من التجارب ، فقد كانت جميعها تؤكد حقيقة واحدة ، وهي ان سرعة الضوء باقية على ما هي سواء اقترب الشيء المضاء من المرآة وابتعد عنها ».

فالنقض لم يكن من فعلهما . بل نشأ من عملية القياس ذاتها . وكانت محاولتهما الاولى – وهما على هذه الحالة من الفزع – وضع حد لهذا الامر فأخذا في اعادة التجارب بحيث امتنع اي سبب من الشك ثم حاولا الحد من الفضيحة في نقض نيوتن حتى لا يتعدى التغيير سوى القدر القليل ». وتلاحظون ان « انشتاين » عندما وضع افتراضاته كان مضطرا الى ذلك الشيء ذاته . وهذا يعني ان العالم لا يقبل تغيير عرف علمي او الانفصال عنه بنزوة في نفسه . غير انه مطلوب منه في ذات الوقت ان يقبل النقض عندما ينقض الشيء نفسه . ان العالم يتعلم انه ليست هناك حقيقة خالدة ابدية وانه لا بد احيانا ان ينفي وينكر ، وذلك للتقدم الى الامام ، اي ان العلوم الدقيقة تسمح في الواقع في كل حقبة من التاريخ وباسم بعض الحقائق المكتسبة بأن تبني ادوات للعمل اكثر دقة من سابقاتها ، والتي من شأنها ان تنازع بسبب تلك الدقة الحقائق التي تمكنت من تشييدها فيما توصلت اليه من نتائج . ينبغي على العالم اذن ان يكون على الدوام في حركة الحرية ، فلا سلطة تحده سوى موضوع المنازعة ».

اذن ففي الفكرة الحية التي تسيطر على العالم هناك من جهة الاستقراء واستنتاجات ببعض الحقائق التي لا تتغير ابدا اولا تتغير انذاك ، وهناك من جهة اخرى من الحقائق ما يتولد من النفي لتصبح ايجابيات . هذا ما نسميه هنا الحرية ، الحرية العملية ، حرية ما يقتضيه العمل ».



● سارتر وسيمون دي بوفوار في حوار مع الادباء والكتاب وفناني المسرح

لقد اكتشف هؤلاء الطلاب في ذات الوقت ما للعلم من طابع شامل وكلي . - اي ان تلك الشمولية تنصح اولا بأن كل انسان يمكن ان يكون عالما مهما كان عمله وايا كان مستوى ثقافته ». ان هذا الامر اساس العقل العلمي وقد دلل سقراط عليه منذ زمن بعيد عندما جعل عاملا في هدوء وصبر ، احد العبيد – بل عبدا مجردا من كل علم – يكتشف البرهان على نظرية من النظريات . لا شك انه كان يمهد لهذا العبد بنقله من جملة الى اخرى ومن استنتاج الى آخر للوصول الى هذا البرهان ». ان العلم مبني على تلك الحقيقة التي تعني بالتالي انه لا توجد صفوة علمية ، فليس العالم من الصفوة انه مجرد اخصائي في البحث الذي يستطيع اي انسان التوصل اليه اذا ما وفرت له اسباب التخصص . اما اذا افترضنا ان باقي الناس لا يستطيعون اكتشاف الحقيقة فنحن ننفي في الواقع كل معنى لتلك الحقيقة . فهناك على سبيل المثال توجد في عالم الفن من النظريات ما تقرر ان بعض المؤلفات التي تتسم بالرقة والحساسية النادرة ليست موجهة الا لمن يتميزون بذات المستوى من الرقة والحساسية وبالتالي فان المؤلفين والقراء يشكلون مجموعة صغيرة من فئة عليا تفوق غيرها من الناس ».

انها لفكرة خاطئة والدليل على ذلك ان « ستندال » الذي كتب مؤلفاته لقلة من المختارين كما يقول هو نفسه ، تعرض كتبه الان للبيع في فرنسا في شكل « كتب للجيب » الى الملايين من القراء . في بعض البنيانات الاجتماعية حيث لا يزال البحث قائم عن الصفوة الممتازة ، قد يتخيل

الفنانون باعتبارهم فنانين انهم من طبيعة خاصة متفوقة . هذا ما لا يمكن للعالم ان يفكر فيه لانه اذا ما اخذ يفكر ان غالبية الناس ليسوا مؤهلين للحكم على الاشياء او رفضها او انهم لا يستطيعون ادراكها فهو فى الحقيقة يمس صميم الطابع الكلى الشامل للعقل ، ويجعل من تلك الشمولية شيء فى ايدى قلة من الناس ، مما يستتبع ان البحث لا يكون عاما للانسان الامر الذى يفقده فى ذات الوقت اسس الوحدة .

ان هذا يعنى كما قال « ديكارت » ان الفكر السليم بدلا من ان يكون اكثر الاشياء اشتراكا بين الناس يصبح امتيازا لقلة منهم مما لا يعنى شيئا على الاطلاق . وهكذا فالعالم ليس صفوة بل هو ممثل لكل البشر منذ اللحظة التى يبدأ العمل فيها ، على ان الدليل قد اثبت ويثبت انه ما من طبقة اجتماعية الا وانجبت العلماء .

اذن فالاخصائى فى المعرفة العملية هو فى حد ذاته انسان كأى انسان . لان عمله يدمجه فى الجميع . اما ان يصبح الانسان عالما اى ان يكون واحدا بين الكل ، فهذا مما يدل على المساواة المطلقة فيما بين ممثلى نوع من الانواع ، مما يعنى ان العلم قد إتخذ منذ تلك اللحظة موقفا ضمنيا ضد العنصرية .

لا يمكن للانسان ان يكون فى ذات الوقت عالما وعنصريا ، ولكن يتحول للاسف لان يكون هكذا وذلك لا بسبب سوى العمل على خدمة مصالح اناس يمدونه بالاجر . اما اذا تركنا العلم ينطلق فى الانسان بحرية فهو حتما سيرفض العنصرية ، اى يرفض تفاوت المستويات الذهنية بين الاجناس البشرية . ولاننا بالدقة نرفض اى تمييز بين البشر على اعتبار انهم بالعقل يقومون بعمل علمى مشترك فنحن نرفض لهذا بالدقة كل انواع الخصوصية اى نرفض العنصرية ونرفض الاستغلال . الخ .. ولكننا نطالب فى ذات الوقت باتفاق جميع الافكار وباتفاق الفكر العلمى كله وبالتالى بوحدة الفكر ، ان لم يكن بين البشر جميعا الذين لم يستطيعوا التخصص فعلى الاقل وحدة الفكر بين كافة العلماء ، مما يفترض بالدقة رفض اية انقسامات او تناقضات عالمية . وهكذا نشاهد على سبيل المثال ان العلماء السوفيت والعلماء الامريكيين يعقدون المؤتمرات المثمرة فى غير الميادين التى تتعلق بالدفاع . وملخص القول نرى هنا دليلا اضافيا على صحة كل اكتشاف ، لان من شأنه بالدقة تحقيق اتفاق الافكار بين العلماء ، ومن شأنه ايضا ان يقضى بشكل ما على الحواجز كالامبريالية او المعارك فيما بين البلاد .

هذا ما كان يتعلمه الطالب اليابانى فى ١٨٩٠ — ١٩٠٠ عند دخوله الجامعة . ولكن فى نفس الوقت الذى كان يتعلم فيه ان الناس جميعا احرار ، وان النشاط العلمى يجب ان يكون حرا سواء كان فكرا او عملا ، وانه لا شيء الا ومعرض للمنازعة العلمية ، الرامية للتقدم لا التخريب . فى هذا الوقت كان الطفل هو ما صنعوه . اى انه قد استبقى فى نفسه النظرة الخصوصية .. الايديولوجية الخصوصية التى لقنوها له منذ الطفولة . ويعنى هذا انه فى الوقت الذى كان العلم يعلم هذا الطفل رفض عدم المساواة بين الناس ويجعله يشيد بالكل العام ، فقد كان انسان صنع وصيغ بحيث بقيت فيه عناصر الخضوع والاقطاعية . ولما كانت مرحلة الطفولة عميقة ولا يمكن بسهولة الرجوع فيها ، فقد تكون وتشكل فى هذا الطفل ذلك التناقض الذى ادى فيما بعد الى الاضطرابات التاريخية المعروفة . تناقض بين مرحلة الطفولة وقد صاغتها وصنعتها الايديولوجية الارستقراطية وبين مرحلة الشباب التى عمد الارستقراطيون انفسهم على تحريرها واطلاقها نحو العلم والتصنيع الذى استهدفوه . ان الذين شعروا بهذا التناقض لاحظوا وقتئذ انهم آلات فى ايدى طبقة متميزة قامت بصنعهم مرتين ، وانها مسئولة عن التناقض الذى يكمن فيهم بما انها صنعتهم اطفالا ثم صنعتهم يافعين ، ليس هذا فحسب بل لاحظوا ايضا انهم هم انفسهم تناقضا ، وانهم لن يستطيعوا التغلب على هذا التناقض ان لم يقوموا بعمل منظم منهجى . كان عليهم ليس فقط ان يصارعوا هؤلاء الذين حاولوا ان يجعلوا منهم آلات لهم ، وان يحولوا عملهم الى مجرد ربح . بل فهموا ايضا انه يجب عليهم ان يصارعوا ذات انفسهم لانهم قوم يخوضون بعيدا مجالات العقل الكلى ، وفى ذات الوقت هم انعكاس لتلك الطبقة المتميزة . فى هذا المستوى يظهر المثقف . اسمى تلك المرتبة الاولى : « الثقافية » اى ان الانسان يشاهد فى تلك المرتبة مشاركا الامتيازات الخصوصية وفى ذات الوقت خادما حرا للكلى العام ، وهو يعلم فى الان نفسه انه هذا وذاك معا . ينبغى عليه اولا ان يختار بين طفولته وبين مهنته ، فاذا اختار الاولى كان من كلاب الحراسة . اما اذا اختار الثانية فعليه ان يمارس عملا هدميا فى ذاته ليرفض العنصرية والخصوصية والامتيازات وليرفض الفكرة التى تقول انه انسان خارق ومتميز .. وانه لعمل شاق ودؤوب .

ولاضرب لكم مثلا شخصيا . فقد ربيت كما يربى الجميع فى جو العنصرية . وظننت وانا فى سن الخامسة عشرة اننى قد قضيت فى نفسى على هذه الفكرة السخيفة . واعتقد ان الامر — فى عمومه — كان بالفعل فى ذلك الوقت يعتبر تصفية لهذه الفكرة فى نفسى ، الا انه كانت لا تزال هناك بعض البقايا اكتشفتها ذات يوم .

بعد سنة ١٩٤٥ كانت تصلنى مؤلفات خطية من بعض الشباب الافريقى . وكنت اعطيهم نقطا تشجيعية — كما يقال — عندما لا تكون مؤلفاتهم على المستوى الجيد جدا . وذلك لعلمى بالجهد الذى يبذلونه والصراع الذى بداوا فيه . سرت

على هذا المنوال قدرا من الوقت حتى تنبهت ذات يوم انها طريقة تنم على انني لا اعاملهم باعتبارهم متساويين معى، بينما كان الوضع يقضي في الواقع ان اصارحهم بالحقيقة وان تسبب ذلك في ايلامهم.. وان ادى بهم الى مزيد من العمل والجهد . وهى جهود تبلغ اضعاف الجهود التي نبذلها نحن لكى يصلوا في النهاية الى مستوانا . كان يجب ان اعاملهم على نفس المستوى الذى اعامل به الاخرين والا لكنت عنصريا . اقول هذا حتى تتبينوا هذا الشرك الخبيث الذى يجب على كل منا ان يتفاداه، لان الانسان لايمكن ان يكون معاد للتمييز العنصرى — اذا بدأت طفولته في جو من العنصرية — بغير ان يكافح طيلة حياته بحر من الاغراءات، وعلى سبيل المثال، باستبدال العنصرية بالحب لهذا او ذاك .. تلك هي عملية الكفاح المستمر والدائم. ان المثقف هو هذا الشيء اولا، هو محاولته في ان يلفظ من ذاته باسم الكلى العام ليس التقاليد والعادات جميعها فحسب، بل تلك التى تجعل منه بالتحديد في اعماق نفسه مشاركا للطبقة الحاكمة. في هذه اللحظة لا يلوح المثقف على انه انسان فوق باقى البشر بل على انه مخلوق غريب، انسان صنع متناقضا وعليه في هذا المستوى الاول ان يعبر عن تناقضه وان يكافح ضد هذا التناقض او ان ينفق ويموت .

ان القلق في المجتمع البورجوازى الغربى يختلف نوعا ما عن القلق الذى تحدثت عنه بشأن المجتمع اليابانى، وهو مجتمع اقطاعى يتسم بالخصوصية الشديدة . في بلادنا نحن الذين نزعم اننا انسانيون مجتمعات قلقة . ولكن اذا كان القلق يختلف في بعض الوقفات فهو في حد ذاته واحد تماما في النهاية . ماذا نتلقى في فرنسا ونحن اطفال ؟ نتلقى تعاليم الانسانية البورجوازية التى تقول ان جميع الناس متساوون في الحقوق، احرار واخوة . ففى سنة ١٧٨٩ لما عارضت الطبقة البورجوازية النبلاء، وهى تقود معها كل الطبقة الثالثة الاخرى، فان تلك الطبقة البورجوازية اعتبرت نفسها الطبقة الشاملة العامة فشيدت بذلك مشروعاتها المجردة التى صاروا يعلمونها لنا منذ الصبا . وعلى هذا فقد كنت مقتنعا منذ سن السادسة ان البشر جميعا متساوون وان الناس كلهم احرار فيما يعملون وانهم اخوة . الخ .. الخ ..

أن التناقض الذى يعانيه المثقف في بلادنا يتخذ مسارا عكسيا لما يعانيه المثقف في اليابان . ان التناقض في بلادنا يكمن فيما بين المبادىء التى اعتنقها الانسان منا وهو طفل والتى كونته بل وكونته متفائلا راضيا (فما الذى يمكن أن يطلب اكثر من ان يكون الناس اخوة احرارا متساوون ؟) وبين الواقع الذى يكتشفه فيما بعد خطوة اثر خطوة ويتحسسه بالذات في عمله كانسان ذو معرفة عملية .

انه يدرك في هذه اللحظة انه قد اجتر في نفسه مع الايدلوجية الشكلية التى لقنت اليه، ايدلوجية اخرى اجترها بطريقة تحيته بما يسمعه من اقاربه وعائلته وفي مدرسته (ليس ما يقدم في الدراسات الرسمية) وما يستمده من قراءته وبكل ما يحيط به من وسط وبيئة، اى بكل ما يكيف حقيقة الايدلوجية البورجوازية . لقد اجتر في نفسه مجموعة من الاشياء تناقض فيه الانسانية التى تحدثت عنها . في تلك اللحظة يلتقى بنفس التناقض الذى اتضح للمثقف اليابانى . واليكم هذا المثال : فقد كان (فرانز فانون) من سكان جزيرة (الجوادلوب) (٣) يشتغل في فرنسا مع طالب في كلية الطب حين قال له هذا الاخير « **بالله عليك لقد تاخرنا كثيرا وعلينا ان نعمل وكا ......** » ثم توقف فجاة . عندئذ قال له (فانون) استمر في قولك وقل « **كالزنوج** » هناك في بلادنا تعبير يقول .. علينا ان نعمل كالزنوج .. (تعبيرا عن العمل الدءوب الشاق). (غضب فانون) على حق من صديقه وان لم يكن هذا الصديق يعتبر نفسه عنصريا. فقد كان آنذاك اعز اصدقائه الا انه طالما كان هذا الطالب على الرغم منه «قالب» يستوعب هذا النوع من العبارات « سنعمل كالزنوج » التى تعود بنا الى العبودية (فلا سبب في العمل المضنى الذى يقوم به الزنوج سوى انهم عبيد) . وطالما كانت تسكن مثل تلك الامور في هذا الطالب فلا يمكن ان تكون هنالك رابطة حقيقية بينه وبين الافريقى او غيره من الملونين الذين عهد به اليه .

اذن تجثم على صدورنا ثقافة بورجوازية كاملة تقول لنا حقا اننا بشر وليس اى شيء انسانى غريب عنا، الا ان تلك الثقافة تضيف ان كل البورجوازيين بشر وأن البشر جميعا بورجوازيون واذا لم يكن البشر بورجوازيون فهم ليسوا بشرا. هذا هو الوضع الذى نتعلم بالتحديد على اكتشافه .

ابتداء من هنا نجد بالدقة للمثقف نفس التناقض الذى لمسناه سواء في غربنا الخبيث الذى يتسمى بالعالم الحر، او في بلد اسيوى مثل اليابان الاقطاعى حيث تتم التربية على اساس الخضوع للاقطاع فلا يمكن لهذا المثقف ان يكون متفقا مع نفسه .

---

(٣) طبيب نفسى زنجى من جزر المارتينك (مستعمرة فرنسية) انضم الى ثورة الجزائر واصبح ممثلها قبل الاستقلال في غانا ، وكتب عدة كتب هامة منها « عبيد الارض » الذى قدم له سارتر . توفى بسرطان الدم قبيل استقلال الجزائر .

لا يمكن أن يكون متفقا مع ايديولوجية مخدومه سواء كان بورجوازيا أم اقطاعيا — والامر هنا على حد سواء — وفى ذات الوقت متفقا مع الايدلوجية التى تشمل فى طياتها معرفة العلم أو المعرفة العملية . فاذا رغب المثقف أن يظل وفيا للانسانية فمن واجبه أن يضفى عليها مضمونا حيا ملموسا ، والا فسوف يستخدم على الدوام تلك الانسانية ليخفى فى الواقع رغباته الخاصة فى عدم المساواة . ترون أذن أن المثقف على هذا المستوى مخلوق غريب فهو يقف بجانب الطبقة الحاكمة لانها كونته من أجل خدمتها ولتشاركه فائض القيمة ،فتصيح تلك الطبقة فى تقزز واشمئزاز : « مابك ؟ انا مخدومك وعليك أن تفعل ما اطالبك به ، عليك ان تفعل هذا الشىء ولا تصدر الاحكام » . وهذا المثقف فى ذات الوقت محل الارتياب من الطبقات الكادحة لان حالته الموضوعية تجعله مشاركا لاصحاب السلطة ، فهو فى الواقع جزء من فائض القيمة ويعيش عموما بين الطبقات المتوسطة كالبورجوازى الصغير ، وهو ليس مع ذلك فى وضع الطبقات الكادحة .

ان هذا المخلوق الغريب بعيد فى تفكيره واهتماماته عن أن يعتقد انه يتفوق على غيره من البشر ، بل انه يتخذ اتجاها خطيرا مؤسفا وهو الاتجاه الانهزامى لدى المثقف الذى يعد نفسه أقل من الاخرين ،الذى يفكر فى أن يكون أى شىء ، الذى يفضل أن يكون عاملا واعيا يقوم بعمله ومستغلا على ان يكون مثقفا خائنا ومشاركا وموضع شك الجميع . ليس لهذا المثقف فى الحقيقة صفة يتميز بها الا أن التناقض الذى فى داخله ليس سوى الاجترار ، أى انها الحياة الداخلية المعطاة للتناقض الموضوعى الذى يمزق كل المجتمعات المبنية على الاستغلال . وهو فى الواقع يعانى من هذا التناقض لان هذا التناقض يكون المجتمع ويشكله . ولذلك ونظرا لتلك الظروف فنحن نلتقى بالقضايا التى تطرحها على نفسها مجموعات من المثقفين من خلال المعارك التى تتصارع فيها تلك المجموعات . أن الطبقات الكادحة تقوم فى المجتمعات المستغلة بعمل كان من المفروض أن يكون لخدمة الجميع الا أنه يستخدم فى القدر الكبير منه لصالح الطبقة المتميزة . فى اسوان رأيت فيلما جذابا شاهدت فيه عمال السد العالى والفرح يملأ قلوبهم ويشع البشر فى نفوسهم عند لحظة تحويل مجرى النيل . وقد سألت فى المساء هؤلاء العمال لماذا أحسستم بهذه الفرحة ؟ فقال لى احدهم ان هذه الملايين من الفدادين التى ستصلح وتزرع هى السبب . كان يشعر بأن عمله وعمل زملائه يعود اثره من خلال الفلاحين على المجتمع بأسره وعلى البلاد كلها . لقد أضفى فجأة شيء على هذا الوضع ، فالداعي الى فرحة هذا العامل هو شعوره بأن العمل الذي قام به انما قد تخطى ذاته واصبح ملكا للجميع . ولكن فى البــــلاد الراسمالية .. فى البلاد البورجوازية لا يمكننا ان نتصور ابدا مثل هذا السرور والفرح من جانب العمال لان اقامة خزان ليست الا طريقة لخفض تكاليف ولزيادة الارباح ولاتصبح اثراء للبلد الا بصورة تبعية ومن خلال الاختيار الراسمالى . ان السدود تشيد فى البلاد الراسمالية بهدف تركيز الملكية العقارية ، كما وانه يتولد عن الالات الجديدة — ولو الى حين — البطالة التكنولوجية اولا ، ثم يأتى تخفيض فى تكاليف الانتاج وزيادة فى الارباح دون أن يضطر الراسمالى الى زيادة عدد المنتجات الصناعية او زيادة عدد السلع المعروضة للبيع . ولذلك فان العامل يشعر بأن عمله ،قوة غريبة عنه، بل ونتاج عمله شيء غريب عنه . يشعر ان هذا العمل قد سرق منه وانه خلق مجتمع الرخاء الزائف حيث يتمتع المتميزون فيه بمزيد من السلع الاستهلاكية ان هذا العامل مضطر هو الاخر ان يتصارع مع نفسه داخل ايدلوجية الطبقة البورجوازية ، فليس المثقف وحده الذى يعانى منها . فلقد لقن العامل منذ طفولته بتلك الايدولوجية وقيل له وهو مايزال صبيا انه انسان ،وطالما انه سيمارس حق الانتخاب وطالما انه انسان فعليه ان يقبل باسم الانسانية أن يعيش كشبه انسان . عليه اذن هو ايضا أن يحاول فهم اللعبة التى تجعل منه متساويا لاى انسان آخر وفى ذات الوقت تلقى به الى اسفل المجتمع . وعليه هو ايضا ان يتخلص من العنصرية التى لايتورعون فى تلقينها اليه بطريقة عفوية . فلقد رأينا كيف انهم ارادوا اثناء حرب الجزائر ان يجعلوه مشاركا للاستغلال الاستعمارى وكم تطلب الامر عملا تحرريا ضخما للقضاء على تلك المقاومة الراسخة .

وملخص القول أن المثقف وإن كان موضع شك الطبقات الكادحة فهو لايعثر على حقيقته الموضوعية الا فى تلك الطبقات ، خاصة وأن العالم ملىء الآن بتلك التناقضات ، هو يعثر على تلك الحقيقة فى تلك الطبقات ، وايضا فى بلاد العالم الثالث التى تكافح الاستغلال وتعمل من أجل الشامل الكلى العام وبعبارة أخرى فان المثقف يجد حقيقته عندما يرتبط

فقط بهذه الصراعات الموضوعية التى يخوضها هؤلاء الناس سواء فى المجتمع الذى يعيش فيه او فى المجتمعات الاخرى التى ترمى الى العام الكلى ، اى تلك المجتمعات التى تكافح ضد كل من يحاول لجمها واخضاعها للامبريالية ، وتسعى فى ذات الوقت للاستقلال والسلام .. ايا كان هذا الكفاح لان الاستقلال هو السيادة لتلك المجتمعات ولانه السلام لها .. والسلام هو الشمول فى البحوث .

ولن يتوقف المثقف عن معاناة هذا التناقض حتى فى اللحظة التى وجد حقيقته فى الكفاح . بل يصبح واعيا تماما بها ويدرك انه لايستطيع حل هذا التناقض بمفرده ، بل يشعر انه يستطيع حله فى الكفاح الكلى .

عندئذ يتبادل كل من المثقف والعامل الخدمات فيما بينهما . ان العامل مستغل وليس مشارك . انه يطالب من خلال كفاحه بالحرية والمساواة التامة اى انه يطالب ان تستهلك منتجات عمله من المجتمع كله . والعامل على هذا الاعتبار يضفى على التناقض الذاتى عند المثقف موضوعية ملموسة حية وتاريخية ويمنع هذا التناقض من العيش فى السوداوية المجردة ، او كما قال « هيجل » فى الام الضمير ، وهى امور شكلية الا انها ايضا ذاتية . وعلى النقيض من ذلك فالعامل يبصر المثقف بان تناقضه كامن هنا وموجود فى الكفاح وانه ينبغى عليه ان يتخلص من هذا التناقض وانه يبقى مشاركـــا للبورجوازى ان لم ينج من هذا التناقض ليتخذ مكانه بجانب العامل . وعلى هذا المستوى فالمثقـــف يتخلص من تناقضه بوضع معرفته التكنيكية فى خدمة السلام .

وفى الاتجاه المقابل ان المثقف هو الانسان الذى يشعر بالوعى من خلال لغة الكلام وبفضل الطبقات الكادحة . وليس السبب فى ذلك انه يفوق العاملين ، بل لان المجتمع البورجوازى قد شكله على هذه الصورة .. تناقض يتم على مستوى العبارة وعلى مستوى الكلمة . وبالتالى تلك الطبقة التى وضعته فى تناقض ايدولوجى وفى خضوع دقيق ، قد ارغمته على ان يعيش على مستوى الوضوح المعقول والوضوح العقلى . ذلك هو التناقض الذى يعانيه الكثيرون دون ان يستطيعوا استيضاحه بجلاء كامل . وعليه يمكن للمثقف ان يخدم العامل ، وبمقدوره ان يساعده على التخلص من بقايا الايدولوجية التى تعرقل كفاحه . وذلك بان يقوم بصياغة التناقضات على مستوى المنطق وبالالتقاء بتلك التناقضات على مستواها الاكثر غموضا التى تعيشها الطبقات الكادحة .

ان الرباط بين المعرفة العلمية وبين العمل ؟ تتضح اذن بكون المعرفة عامة شاملة او انها تريد ان تكون هكذا ، وان العمل من ناحية اخرى ايضا يريد ان يكون عاما شاملا ، فالعالم ، مثل العامل فى « اسوان » يطالب ضمنيا بنفس الشمولية العامة الملموسة والحية . ومن هنا نرى ان المثقف لايضىء الطريق من اعلى للعامل بل انه انسان لايستطيع ان يجد حقيقته الا بأن يقف على نفس الخط الذى يقف عليه العامل ، يعيش التناقض معه ، ويعبر عن هذا التناقض بصورة يستطيع الاخر استعادتها على مستوى العبارة والكلمة . غير ان صعوبة جديدة تواجهنا فى هذا المستوى . اذ ان الطبقات الكادحة قد كونت لنفسها فى بلادنا اجهزة من اجل الكفاح الحى الملموس ويقبض المسئولين فى تلك الاجهزة على السلطة الحقيقية يمارسونها من اجل الكفاح الاجتماعى والاقتصادى فى الصراع بين الطبقات حتى يتحرر العمل . ماهى العلاقات التى تنشأ بين المثقف والسلطة الجديدة ؟ .. سلطة العمال وهى الجهاز اى الجهاز النقابى وجهاز الحزب على السواء . وبعبارة اخرى عندما ينحاز المثقف الى مواقف الطبقة الكادحة فهو يجد انها منظمة وموحدة سياسيا ، فتطرح بالتالى قضية علاقة المثقف بالسياسة ليست تلك السياسة التى تصنع سياسة الطبقة الحاكمة والمسيطرة ، بل تلك التى بيدها سلطة الحزب الجماهيرى . ومما يجب التأكيد عليه اولا هو ان المثقف ليس سياسيا ، الا انه طالما يعانى ويتألم من التناقض الاجتماعى وطالما ان ادراكه للامور يستدعى منه الفضح الكامل لهذا التناقض ، فهو لن يكون مثقفا الا اذا عرض التناقض الاجتماعى وعرض التناقضات والحياة التى لاتطاق ويعيشها البشر الان بكل مالها من جوانب ، اى فى اعماقها وجذورها ، ولايمكنه ان يقبل اى تباطؤ او مساومة او محاولة لاخفاء هذا الواقع . فليس بمقدور المثقف ــ وهو الذى قد نشأ بالتحديد من النزاع بين النظام العلمى الدقيق وبين الخضوع ، كما وانه اختار العام الكلى ــ ان ينظر للواقع فى مساره ومضمونه التقليدى . انه مضطر طالما ان الهدف الذى يسعى وراءه هو هدف جميع الناس الذين يعملون ، اى تحقيق العام الكلى الملموس والحى ، حيث يصبح العمل سيد نفسه وحيث يقدم كل فرد انتاجه للجميع» انه مضطر ان يفضح ــ



● سارتر وسيمون دي بوفوار في لقائهما مع فلاحي قرية كمشيش

باسم تحرير النشاط الإنساني ولجعل هذا النشاط عام للجميع ــ كافة الحلول السهلة التي وإن كان من شأنها أن تحقق هدفا مباشرا الا انها قد تهدد بجرف العملية كلها

الا أن المساومة من طبيعة السلطة السياسية حتما أيا كان مستوى أخلاق ونزاهة الذين يمارسون تلك السلطة حيث ينبغي عليها أن تراعي بعض القوي المقاومة لتتخلى عنها وتنزل الضربات بها في الوقت المناسب . على هؤلاء الرجال الذين بيدهم زمام السلطة أن يبقوا في حالة من الانتباه واليقظة الدائمة والمستمرة من اليمين في الحزب ويساره . عليهم ضمانا لوحدة القيادة أن يقبلوا التنازلات تارة لتلك الجهة وتارة للجهة الاخرى .

اذن فعلى الذي يرغب في القيام بدوره أن يكون مجردا من السلطة وأن يقف على نفس خط الحزب مشاركا في عمله ، مما يستتبع أن واجبه الاول هو الخضوع ــ للنظام . ولكن اذا اشترك المثقف في مسئولية السلطة أي اذا انضم للحزب وعهد اليه بدور يقوم به . فانه يجد نفسه مضطرا لان يصبح سياسيا اى عليه أن يدعو ويساند عملا ما آخذا في الاعتبار الامكانيات الراهنة اكثر من اخذه في الاعتبار المبادىء والهدف المحدد والدقيق . فعلى المثقف اذن ان يذعن لشعارات الحزب تطبيقا لمبدأ الخضوع للنظام ، ولكن عليه أن يرفض في ذات الوقت أي سلطة ،وهو بذلك يحتفظ ــ لانه بالتحديد مجرد من السلطة ــ بحقه في أن يكون راديكاليا عندما يتناول تحليل الاوضاع ،وعندما يقوم بالمنازعة الايجابية للوسائل ، وعندما يؤكد باستمرار على الهدف .

ومما لاشك فيه أن الراديكالية والخضوع للنظام يمثلان تناقضا جديدا . فقد تهدد الراديكالية بتقويض النظام ــ الذي قد يؤدي بدوره الى اجهاد الراديكالية أن المثقف الذي لايكلف بالقيام بمسئولية ما قد يقع في اليسارية . بمعنى أن الامر قد يصل به الي التأكيد على الهدف مع انكار الوضع الراهن انكارا جذريا ولذلك فان تلك النظرة الاولي التي قدمتها اليكم عن المثقف بمعنى انه يجب أن يكون مجردا تماما من كل سلطة أنها تتطلب التصحيح . وفي الواقع لكي

يكون هذا التناقض لدى المثقف بين الخضوع للنظام وبين الدقة ثم بين المبادىء والخضوع ، تناقضا حقيقيا يكون له دورا يؤديه لنعيشه ولنتغلب عليه فانه يجب علينا ان نعالج هذا التناقض في روية ، دون السياسية ، ولكن في علاقة وثيقة بها . لذلك فهناك في الحقيقة امكانيتان متلازمتان تسيران جنبا الي جنب ، فاذا تحققت هاتان الامكانيتان في وقت واحد امكن للمثقف ان يقوم بكل واجباته . الا انه من غير الميسور لنفس الانسان ان يقدم على هذين العملين في ذات الوقت: الدخول في الحزب الجماهيري الثوري وعدم الدخول فيه ، غير انه من المفيد وجود مثقفين داخل الحز ب وخارجه . ان اللقاءات الاولى او بالاحري اللقاءات الحقيقية يجب الا تتم بين مثقفين خارج الحزب السياسى لما تفتقد اليه مثل تلك اللقاءات الي لغة مشتركة . بيد انه اذا كان المثقفون داخل الحزب فانهم يصبحون سياسيون قد يفضلون المساومة المطلقة ، اذا تركوا لامرهم داخل الحزب، ويتنازلون عن الهدف من اجل التاكتيك ، ويقبلون الانحرافات خضوعا للنظام وحفظا على الوحدة. ومن ناحية اخري اذا ظل المثقف خارج الحزب فهو قد يمارس بنزوة في نفسه حقه في النقد . اما اذا كان هناك مثقفون بجانب الحزب وخارجه دون ان تكون لهم ادني سلطة وفي ذات الوقت مثقفون داخل الحزب مع قدر من السلطة تلقى عليهم جانبا من المسئولية ، فان هاتان المجموعتان تكيف كل منهما الاخرى ، احداهما تدعو المثقف الذي خارج الحزب الي التزام الروية والثانية تذكر المثقف داخل الحزب بالهدف الحقيقي من انضمامه اليه .»

واعتقد اذن ان الذي يكون تلك الوحدة الحية الثقافية هى هذا الجمع الذى تشكل في فرنسا مثلا من المثقفين تدور بينهم المنازعات والتعارضات العنيفة احيانا وعلاقات الصداقة احيانا اخري ، والامران معا احيانا ثالثة ، وهم في ذات الوقت داخل الاحزاب وخارجها ويعيشون في تنازع متبادل فيما بينهم . ان هذه الوحدة التي تمثل الثقافة الان ستضيء لنا الطريق لنفهم مجري الامور التى تحدث بشأن «محكمة راسل » التي حدثتكم عنها في بداية المحاضرة .

لماذا لانعتبر انفسنا متفوقين عن غيرنا من الناس؟
ولماذا نحن مثقفون خارج الحزب وليس بداخله ؟
وماهي علاقاتنا بالمثقفين داخل الحزب ؟

النقطة الاولي ان مثقفي المحكمة دون سلطة فهم اذن من فئة غير الحزبيين ولم يفوضهم احد . انطلاقا من هذا الواقع ولان المثقف هو بالتحديد الانسان الذى تعلم ان يعتبر نفسه انسانا عاديا وليس انسانا متميزا بشكل او آخر ، فان حكمنا ليس له من قيمة الا بقدر ما تعتمده الشعوب في جميع البلاد، فلسنا في هذه المحكمة سوى قوم يقترحون عليكم نتيجة او نتائج معينة . هذا هو السبب في جعل جلسات تلك المحكمة علنية اذ ان الغرض هو تشييد حركة للتحرر وتشييد التعاليم للذين سوف يشاهدون تلك الجلسات سواء علي شاشة التليفزيون ، او يسمعون في الاذاعة ما يدور فيها او يحضرون تلك الجلسات بأنفسهم او يقراون محاضرها في الصحف . سوف نعرض مجموعة الوقائع والوثائق والافلام والادلة المادية والتقارير والشهود الفيتناميين الخ . وكل هذا حتى تستطيعون ويستطيع البشر جميعا ان يكونوا اولا بأول ومن خلال تلك الجلسات فكرة عما يدور هناك في الفيتنام ، وحتى يستطيعون بذواتهم وكل عن نفسه تقرير ما يجب عمله في هذه الحالة وتقرير اذا كان من السليم ومن العدل ان نقيس ما يقوم به الامبرياليون الامريكيون بتلك المجموعة من الاتفاقات التي كانوا هم اول الموقعين عليها مثل «مبادىء نورمبرج» . فهذا العمل هو بالفعل عملا تربويا لانفسنا ولغيرنا من الناس نقوم به معا . وبالاضافة الي ذلك فلقد بدانا في حملة لجمع التوقيعات بحيث ما كان في بادىء الامر حكما صادرا من البعض يصبح حكما عاما للكل ، بمعنى انه في النهاية لن نكون نحن القضاه بل نصبح بينكم جميعا قضاة بين القضاة . نريد ان نجعل الناس تشعر بما قاله رجل ليس من ديني ولا من دينكم وهو (لوثر) الذى اعلن يوما ان « الناس جميعا انبياء »

نريد بهذا العمل ان نحاول افهام الجماهير الشعبية ان البشر جميعا قضاة ، وان من حق الناس جميعا ومن حقهم معا ان يحكموا على عمل صادر من حكومة ما . ترون اذن ان عملنا ليس له من معنى الا اذا استردته الجماهير ، فالمثقف ليس بالتالى من يظن ان من حقه اصدار الاحكام بل هو من يعتقد ان حكمه لن يكون صحيحا وسليما الا اذا تبناه الجميع .»

والنقطة الثانية هى كما قلت لكم ان مهمة المحكمة ليست سهلة ولاتظنوا اننا لانثير عند بعض الاصدقاء بل واصدقاء اعزاء مجموعة من المتاعب . نحن مثقفون

دون سلطة قمنا باجراء تلك المحكمة من تلقاء انفسنا ونطالبكم باقرار واعتماد ما نصدره من حكم ونعتقد انكم سوف تقرون هذا الحكم . ليس هناك اى شىء يثير الانتباه اذا اقتصر الامر على مجموعة من الاشخاص أجتمعوا فى أحدى القاعات وقالوا أن الامريكيين مجرمين . ولكن الوضع يختلف تماما اذا كان هؤلاء الاشخاص مزودون بتأييدكم ، واذا قال الجميع ما قالوه هم . لاشك أن هذا من شأنه اثارة الصعوبات لنوع معين من السياسيين . حقا يستطيع الناس التعايش سلميا مع غيرهم من البشر وان غدوا بعد ذلك أعداء لهم ، طالما انهم اليوم لايقدمون على شىء ، ولكن لايمكن التعايش سلميا مع مجرمى الحرب . فاذا ما تبنت الجماهير الحكم باعتبار الامريكيين من مجرمى الحرب . (على فرض انه سوف يصدر على هذا الاساس) ، فما لاشك فيه أن هذا الامر سيزيد من صعوبة سياسة التعايش السلمى . أن الرادبكالية كما ترون الان — وهى تعنى التساؤل عن كل شىء — لاتكتفى بمحاربة الامبريالية بل من مقتضياتها أن تعرف اذا كانت الحرب الفيتنامية جريمة أم لا ، أى اذا كانت تلك الحرب شيئا يتعدى الامبريالية وليست مجرد نمو لها .

هل هذا الشىء الاضافى جريمة أم لا ؟ وهل هو جريمة القتل بالجملة ؟ ولاشك من وقوع الجريمة اذا كان هناك تعذيب وكانت هناك اسلحة ضد الافراد . فاذا ما نحن قررنا هذا استنادا الى الراديكالية واذا ما تبينتم أنتم هذا الحكم فلاشك أن سياسة التعايش السلمى ستكون فى موضع حرج . ولكن هل يعنى هذا أنه علينا أن نغض الطرف ؟ كلا لاننا أولا مزودون بالموافقة التامة والتشجيع الكامل من (هوشى منــه) ومن (الفيتكونج) ، وعليــه لم نسلك طريقا قد يؤدى بنا الى الموقف الصينى ، فنحن فقط على مستوى اناس يكافحون ويقولون لنا : نعم يجب بحث الامور من زاوية الجرائم لاننا نعانى منها ونتعذب . أستطيع ان اقول انه ليس على (هوشى منه) ولا على (الفيتكونج) أن يتخذا فى هذه اللحظة أى موقف بشأن التعايش . انهم يقصرون عملهم على التأكيد بأن الحرب المفروضة عليهم تكون وتشكل الجريمة ، ويبغون أن نكون نحن الذين نصرح بذلك .

فالصعوبة للمثقف كما ترون هو ان يكون راديكاليا كما يجب وبالا يقف مع ذلك قبل أخذ كل الامور فى الاعتبار موقفا فى القضايا السياسية الواسعة المدى . الا أنه كما سبق أن أوضحت فأننا نستطيع نحن المثقفين المجردين عن كل سلطة والمؤيدين ادبيا من المثقفين الذين يحاربون فى الفيتنام ان نقول — لهذا السبب بالتحديد — أن من شأن الرباط الذى يربط بيننا وبين الفيتناميين عبر المحكمة تجريد الاجراء الذى قد نتخذه انذاك فى صف التعايش السلمى او ضده ومع الصينيين اوضدهم من اى آثار سيئة . أردت فى الواقع التدليل على أنه يمكن طرح قضية المثقف كشىء مطلق وهى قضية وقوع الجريمة فى الفيتنام او عدم وقوعها بغير ان ينبنى — على الرغم من الصعوبة التى شرحتها — موقفا مع التعايش السلمى أو ضده . فاذا تعثر التعايش السلمى من أجل ذلك فهو الدليل على أن شيئا ما يجب ان يصحح فيه للابقاء عليه بمعنى أن الافراط فى التعايش السلمى قد يفيد الامريكيين أكثر مما يفيد السوفيتيين .

أن لطرح هذا التعريف الذى سوف نقدمه عن جريمة الحرب اهمية خاصة اذا كان من شأنه اجراء بعض التغيير فى التعايش السلمى ، الا أن هذا الامر لايدخل فى عملنا . فنحن علينا أن نقوم فقط بشىء واحد ذو مراحل ثلاثة ، أولها المبادأة من بعض الاشخاص لانهم مثقفون ولانهم يعرفون ما هو التناقض الثقافى ، ثم عليكم انتم اصدار حكمكم عن القضاة أى أن توافقون أولا توافقون على حكمهم ، واخيرا يأتى الربط بيننا وبين الفيتناميين الذين يرون أن الامر جاد ولايريدون شيئا سوى الرد على العدوان الامريكى بدون مناقشة السياسة السوفيتية مما يجعلنا نتأكد اننا لسنا سائرين نحو راديكالية غبية .

لقد أردت هنا ان ابين لكم انواع الاعمال التى يمكن أن يقوم بها المثقفون ســـواء المجـــردين من السلطة او الذين يتمتعون بقدر منها فى بعض الاحزاب أردت ان ابين لكم ان هؤلاء المثقفين ليسوا روادا ولكنهم بشر لا يشعرون بالطمأنينة فى نفوسهم الا اذا اشتركوا مع الاخرين من اجل الاشتراكية ومن اجل السلام .

ليس الامر بالنسبة للمثقفين أن لديهم ما يقولونه بل أن كل الامر هو فى أنهم يبحثون عن راحة الضمير فى الكفاح الذى يخوضونه بجانب الطبقات الكادحة .

القسم الثانى

النص الكامل لمحاضرة سيمون دى بوفوار بجامعة القاهرة فى ١١ مارس ١٩٦٧

دور المرأة فى العصر الحديث

سأحدثكم عن دور المرأة ، ما هو وما يجب ان يكون . وهذه المحاضرة لا تتجه للنساء فقط رغم انهن الاكثر عددا فى هذه القاعة ، وانما تخص الرجال ايضا لان مشكلة المرأة مشكلة تخص المجتمع كله ، اى النساء والرجال معا .

ان دور المرأة اليوم دور ثانوى ، لان العالم الذى نعيش فيه عالم من صنع الرجال .. عالم رجال .. هو محكوم بالرجال . وباستثناء قلة ، فان كل الحكام رجال كما ان كل المسئوليات سياسية كانت او اجتماعية او اقتصادية ، هى مسئوليات موضوعة بين أيدى الرجال . اما المرأة فان دورها كما قلت لكم دور ثانوى او نسبى كما قال «ميشليه» (١) . انها مازالت كائنا نسبيا او ثانويا حتى اليوم وذلك على المستوى العريض . ولن اعرض لكم موقف المرأة فى العالم كله فهذا موضوع يستغرق وقتا طويلا . وانما ، ولكى نكون محددين بعض الشىء ، سأتحدث عما هى عليه فى بلدين : أعنى **بلدى وبلدكم** .

ففى **فرنسا** ، وحتى بداية القرن العشرين كانت هناك فئتان من النساء : نساء يعملن ولكنهن لم يكن لهذا السبب يتمتعن بالاستقلال ، لانهن كن فلاحات وعاملات يخضعن بسبب ظروف العمل العامة للاستغلال والقهر . وعلى هذا فقد كن يتمتعن بشىء من الاستقلال المادى ولكن لما كان نتاج عملهن يخضع لقوانين الاستغلال الراسمالى مثلهن فى ذلك كمثل الرجال فانهن لم يكن يتمتعن بالاستقلال . ومن ناحية اخرى فقد كانت هناك فئة المستمتعات بالامتيازات اللاتى لم يخرجن للعمل ولكن يخضعن للزوج والاسرة ، ولم يكن لهن حقوق مماثلة لحقوق الرجل ولم تكن حريتهن التى تسمح بها التقاليد تتعدى الحدود المرسومة لهن فى الميادين الاخرى .

ان تحرر المرأة الفرنسية لم يبدأ جديا وحقيقة الا فى سنة ١٩١٨ اى فى نهاية الحرب الاولى عندما كان الاحتياج للايدى العاملة فى فرنسا شديدا . وذلك لان كثيرا من الرجال كانوا قد ماتوا أثناء الحرب . وعلى هذا فلم يكن هناك بد من الاستعانة بالمرأة . وقد جاءت هذه الاستجابة من المجتمع كله لاسباب اقتصادية . وتلك نقطة هامة جدا يجب ان نعود الى مناقشتها . ولكن ينبغى أن نلاحظ انه ابتداء من ذلك التاريخ ، اعنى ابتداء من اول تاريخ لتحرر المرأة الذى تحرك فيه مايقرب من ٢٦٪ من النساء نحو العمل ، وقد سعت المرأة للحصول على حقوقها السياسية . ولقد كان الكفاح من أجل الحصول على هذه الحقوق طويلا وبطيئا فهى لم تحصل على حقها فى ان تكون ناخبة او قاضية الا بعد الحرب الثانية اى فى عام ١٩٤٥ . واخيرا جدا اعنى فى العام الماضى تعدل القانون المدنى ليعطى المرأة المتزوجة نفس الحقوق ونفس الامكانيات التى يتمتع بها الرجل . ومع ذلك فرغم كل هذه الانتصارات وكل هذا التاريخ الطويل فان وضع المرأة الفرنسية اليوم غير مساو مطلقا لوضع الرجل .

(١) كاتب ومؤرخ فرنسى من كتاب القرن التاسع عشر .

ان القوانين الشكلية هى تقريبا نفس القوانين أما على مستوى التقاليد والعلاقات الخاصة بالحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية فان دورها مازال ثانويا جدا ».

فالحرية الحقيقية للمراة لايمكن ضمانها وتحقيقها الا بوسيلة واحدة وهى العمل ، واعنى العمل الذى لايدخل فى دائرة نفوذ الجماعة التى تنتمى اليها . واريد ان اقول بذلك ان هناك الكثيرات من الفلاحات اللاتى يعملن مثلما يعمل الفلاح تماما ولكن ثمرة عملهن لاتفيدهن مباشرة وانما تعود الى المجموع العام للاسرة التى ينتمين اليها ولا تعطيهن استقلالا ذاتيا حقيقيا . اما النساء العاملات او المشتغلات بالمهن الحرة او المالكات فان عددهن لا يتجاوز ٢٦٪ ، وهذا يوضح لكم الى اى حد وصل عدم المساواة بينهن وبين الرجال . هذا بالاضافة الى ان هذه الاعمال فى مجموعها اقل مستوى بكثير من مستوى اعمال الرجال . ان النساء يصلن الى اعمال اقل اهمية واقل جوهرية من الاعمال التى يقوم بها الرجال . فعدد مراكز التدريب للعاملات أقل بكثير من مثيلاتها للعمال الشبان ، او انها لاتؤدى بهن الا الى طرق مسدودة عقيمة كأن ينتهى الامر بهن الى العمل فى ورشة خياطة . اذن رغم التاريخ القديم نسبيا لتحرير المراة فنحن مازلنا فى اطار أقل مستوى بكثير من الاطار الذى يعيش فيه الرجل الذى ينطبق عليه .

واذا وضعنا الان مجتمعكم على مستوى المناقشة فسنجد ان تاريخ تحرير المراة لم يبدا الا منذ عهد قريب جدا : ففى عام ١٩٥٦ ، اذا لم اكن مخطئة ، استطاعت النساء الحصول على حقوقهن السياسية . اذن فهذا التاريخ واسميه تاريخ تحريركن ، لم يبدا الا منذ عهد قريب جدا . فمن الطبيعى جدا والامر هكذا ان تكن فى وضع اكثر خطورة مما هو عندنا فى فرنسا ، رغم النشاط والاخلاص فى العمل لبعض الرائدات عندكن .

اولا هناك القانون : فهو لايعترف لكن بنفس حقوق الرجل خاصة فيما يتعلق بالطلاق والزواج الخ .. ومن ناحية اخرى لاحظت وتحدثت الى كثير من النساء وادركت من كل هذا ان التقاليد عندكم تربط المراة وتقيدها الى الاسرة ، حتى المراة التى تعمل لم تحصل على استقلالها التام لان دخلها يعود مباشرة الى المجتمع الصغير الذى تنتمى اليه . فاذا كانت فتاة فان دخلها يعود الى اسرة ابيها ، واذا كانت متزوجة فانه يعود الى الاسرة الزوجية . **اما فى ميدان العمل** وهو الميدان الاكثر اهمية كما قلت لكم فان كل الفلاحات يعملن فى بلدكم كما فى بلدى على الاقل الفقيرات منهن لكن هذا العمل لايعطيهن الاستقلال ، تماما مثلما يحدث فى بلدى . اما فى المدينة فيما يخص النساء اللاتى يعملن بالمصانع او المهن الحرة فعددهن ، حسبما قيل لى ، لا يتجاوز ٧٪ وهو عدد قليل . وعلى هذا فدورهن فى النقابات يكاد يكون معدوما . كما أنه ليس لهن فعالية سياسية اذن فهناك فى مصر عدم مساواة واضح جدا بين الرجل والمراة . وهذا وضع بالتأكيد لن يدوم طويلا لان فى «ميثاقكم» فقرة تقول صراحة وبقوة ان الاشتراكية يجب ان تمر بتحرير المراة، وانه ليس من الممكن تحقيق الاشتراكية اذا لم تتحقق المساواة بين الرجل والمراة واذا لم تتفجر كل الطاقات الانتاجية الخلاقة فى المراة (٢) ومن ناحية اخرى فهناك كفاح يقوده عدد من النساء ، وهو عدد صغير ، ولكن الرغبة والاخلاص الحقيقيين يدفعان هذا العدد الصغير للعمل من أجل الاستقلال ولخدمة المجموع العام للمجتمع . وبالتالى فيمكننا التنبؤ بان الوضع حتماسيتغير وربما بمنتهى السرعة.

ومع ذلك فلو نظرنا الى المراة عندكم فى الصورة التى هى عليها اليوم فانى ارى حقيقة متناقضة : لاننى اجد نفسى أمام مجتمع حارب لتحطيم كل آثار الاقطاع ونجح فى ذلك، ومع هذا فهو فى بعض الجوانب لازال يحتفظ بتقاليد اقطاعية لان استعباد المراة بالدرجة التى يقبلها به القانون عندكم هو اثر من آثار الاقطاع . أنتم بلد قد حارب بقوة ودفع غاليا ثمن الحصول على استقلاله ، ولكنه لازال يحتفظ بنصف عدده داخل اطار التبعية. انتم بلد معاد للتفرقة العنصرية ومع ذلك فانتم ضحايا لما يمكن ان اسميه بالتفرقة الجنسية وانتم فى هذا ككل بلاد العالم ، فنحن نقابل فى كل بلاد العالم بعض المفاهيم عند الرجال بل عند النساء فى بعض الاحيان ، القائلة بأن للمراة الحق فى اختلافها عن الرجل . ولكن شكل المساواة هذا القائم على أساس الاختلاف هو نفس الشكل الذى نستخدمه العنصريون الامريكيون البيض فى التفرقة بين البيض والزنوج . هذا الشكل الذى يستخدمه التمييز بين البيض والسود ، يؤدى الى نوع من الانعزال . وبالتالى فهناك تناقض جذرى فى مجتمعكم يتمثل بوضوح فى وضع المراة . ومع ذلك فقد عرفت ان هذا التناقض لا يقابل بمعارضة من الجميع وقد اتيحت لى الفرصة لان اتحدث الى عدد من الطلبة والطالبات ولقد ادهشنى جدا هذا التخوف وهذا التشكك الذى قابلت به النساء حديثى عن حاجة المراة والمجتمع للحرية . لقد قابلت ايضا اعتراضات عنيفة من الرجال ، واننى لا اعرف حقا الموقف الذى سيقابل به الحاضرون فى هذه

(٢) ان المراة لابد ان تتساوى بالرجل ، ولابد ان تسقط بقايا الاغلال التى تعوق حركتها الحرة حتى تستطيع ان تشارك بعمق وايجابية فى صنع الحياة . (الباب السابع من الميثاق) .

القاعة كلامى هذا ولكنى أعرف أنى قد لاحظت مقاومة شديدة تجاه استقلال المراة الذى تحتاج اليه الاشتراكية احتياجا اكيدا. والمهم انه رغم هذه المقاومة فمن الواضح تماما أنه من الضرورى أن يتم هذا التغيير . وسأحاول أن أقول لكم ماهى الضرورة التى تحتم هذا التغيير وكيف يمكن الحصول عليه ولكن أولا يجب أن نفهم الاسباب التى دعت الى خلق هذا الوضع الراهن .

انها أسباب عامة جدا وتشمل كل بلاد العالم طالما أن الامر يتعلق دائما بعدم المساواة ، هذا بالطبع باستثناء بعض التفاصيل القليلة . وقد يرد البعض بسرعة بأن عدم المساواة هذا شىء طبيعى .

وان الطبيعة هى التى تحتم على المراة ان تكون فى مرتبة اقل من مرتبة الرجل، وان قدرها الفسيولوجى مكتوب فى جسدها وفى ضعفها العضلى وفى انها مسيرة لانجاب الاطفال وارضاعهم وتربيتهم . وان الطبيعة هى التى تحفظ للرجل وضعا معينا وامكانيات خاصة ، وان الطبيعة هى التى تعزل المراة وتدفع بها الى المكوث بالدار . ان فكرة الطبيعة هذه ليست الا تفسيرا سهلا ولا قيمة له لان المجتمع الانسانى يتصف دائما بصراع الطبيعة وهذه الطبيعة لاتظهر الا فى شكل محاولات تعديل وانتصارات يقوم بها المجتمع . ومفهوم طبعا ان تعديل الطبيعة لايتم باى شكل ويجب وضع القدرة على مقاومتها موضع الاعتبار .ولكن من المستحيل أن نتنبأ بالحد الذى تصل اليه تلك المقاومة ، اعنى أننا لا نستطيع ان نحدد المدى الذى قد تصل اليه تلك الانتصارات على الطبيعة .ولو ان احدهم تنبأ للمصريين القدامى بأنه سيأتى وقت يصبح فيه من الممكن حجز مياه النيل وصنع بحيرة واسعة وري الصحراء كما رأيت بعينى منذ أيام ، لو كان هناك من تنبأ لهم بهذا لقالوا انه مستحيل ، وان الطبيعة لاتسمح بهذا ،وان مجرى النيل لايسمح برى صحارى على جانبى الدلتا . ومع ذلك فان المجتمع المصرى اليوم قد حقق كل هذه المشاريع ومجموع البشر قد حققوا كثيرا من المشاريع الاخرى بل يتحدثون الان عن السفر الى القمر ويمتلكون الصواريخ . المهم أن مجموع الانجازات التى حققت حتى الان مجموع عظيم حتى ليبدو ضد الطبيعة ، ويبدو انه كان مستحيلا بالنسبة للبشر منذ الفى عام او مائتى عام او حتى مائة عام . **هذا يعنى أنه من المستحيل الحكم مقدما على أن الطبيعة قد أدانت المـرأة قبل أن تكون على الوضع الذى تعيشه اليوم . الحقيقة أن الطبيعة تلعب دورا ولكنها تلعب هذا** الدور داخل الاطار الاقتصادى والتاريخى وذلك بالضبط هو تاريخ المراة ، ذلك بالضبط مايدلل على أن كل الفرص فى الاطار الاقتصادى والتاريخى كانت ضدها منذ البداية . ان الاطار الاقتصادى الذى يعيش فيه المجتمع الانسانى مازال خاضعا لقانون الندرة . كل شىء نادر ، ما عدا الهواء الذى نستنشقه ، ومن يدرى ربما أصبح هذا نادرا أيضا المهم فيما يخص عصرنا هذا ، فان كل شىء نادر : المأكل والملبس وكل شىء . وقد كانت الامور دائما هكذا . ان هذه الندرة لاتجعل من الكائنات البشرية اصدقاء بل متنافسين وخصوما بل وحتى أعداء . ان كل امرىء يرى فى الاخر عدوا بالقوة . واننا لنلاحظ أنه عندما تلتقى جماعتان من البشر وتكون هناك فوارق بينهما فان الذى يحدث فى كثير من الاحيان هو ان ينشب بينهما الصراع .ولو لم تكن هذه الندرة ولو لم تكن هذه الفوارق التى تتحول الى صراعات لما كانت هناك حاجة للسؤال عن السبب الذى دعا الجماعة الاولى وهى الرجال الى استعباد الجماعة الثانية،وهى النساء،واخضاعها طويلا لحكم السيطرة ، بل والاستمرار فى ممارسة السلطة عليها حتى اليوم . ولكن الحقيقة ان الصراعات قائمة وان النساء على مختلف المستويات قد ظهرن للرجال كمنافسات ومعارضات ، وليس كجزء من المجتمع الذى يعيشون فيه .لقد كانت المراة بالنسبة للرجل شيئا معارضا له وليس جزءا يشكل مع الرجل كيان المجتمع . مفهوم طبعا أن الطبيعة كانت عبئا ثقيلا بالنسبة للمراة فى الشعوب البدائية اى فى مجتمعات الصيد ومجتمعات القبائل الرحل والحرب لانها اقل قوة من الرجل حيث أنها تتمتع فقط بثلثى قوة الرجل ، وهذه مسألة تصبح على درجة كبيرة من الاهمية فى ظروف معينة . ومن ناحية أخرى فان كثرة انجابها للاطفال ورعايتها لهم كانا يمنعانها من المساهمة فى الحروب والصيد. اذن فهناك **قوانين قد استقرت وأضحت ضد مصالح المراة بمرور الوقت . ومع ذلك فقد استطاعت المراة أن تحصل على جزء كبير من الحقوق والامكانيات المادية وذلك عندما تغيرت الحضارة وأصبح الرجال زراعا** واستقروا ليزرعوا الارض . عند ذلك استطاعت المراة أن تشترك فى العمل أى فى الحياة الاجتماعية اكثر مما كان يحدث فى مجتمعات الصيد الاولية . ولكنها مع ذلك قد ظلت حبيسة بداية تاريخها ، وتمكن الرجل من الاحتفاظ لنفسه بقوانين امتياز رفض دائما التخلى عنها . مفهوم طبعا ان كل التعليلات قد بنيت على اسس اقتصادية ، كل التعليلات قد وصفت بألفاظ ذهنية ثقافية لتؤكد امتياز الرجل على المراة . بصورة اخرى لقد انتشرت كثير من الخرافات القائلة بأن الرجل هو الاول وان المراة تأتى بعد ذلك . ولقد بنيت كثير من الايديولوجيات على هذه الاسس أما القوانين فلقد أعطت للرجل حق الامتياز والسلطة على المراة، أما العرف والاخلاقيات فقد أيدت هذا أيضا تماما مثلما فعل البناء الاجتماعى وتكوين الاسرة . ونتيجة هذا فان لدينا الان بناء اجتماعيا قد ارتفع معتمدا على كل الظروف التى نشأت نتيجة للنظام الاقتصادى . والمهم أيضا كما سنرى هو أن هذه الايديولوجيات قد تأصلت داخل

نفوس الرجال والنساء على السواء . ففي نفوس الرجال تأصل احساسهم بسموهم ، تأصـــــل في نفوسهم ما يمكن ان اسميه بعقدة العظمة والثقة في النفس يجعلهم يشعرون أنهم يشكلون طبقة الاسياد وفي نفوس النساء تأصلت عقدة النقص كالخجل مثلا في شكل عدة احاسيس وهذه الافكار القائلة بضرورة ثباتها في مكانها. اذن فقد توغل العالم الخارجي الى اعماق نفوس الرجال والنساء ونجد المسألة قد اخذت شكل نظام مبنى كله بالدرجات والطبقات فهناك الجنس الاول وهناك الجنس الثاني .

ومع ذلك فلو نظرنا الى مجتمعات اليوم لوجدنا ان كثيرا من الاسباب الهامة التي كانت تحكم المرأة في المجتمعات البدائية قد انتفت اليوم او تكاد . أولها أن الفوارق الفيزيقية قد انتفت عمليا اليوم ففي عصر الالات العاملة ذاتيا كما هو الحال في عصرنا لا تلعب القوة الفيزيقية دورا هاما . لقد كان ضعف المرأة عن الرجل بما يقدر بثلث قوته شيئــا هاما في عصر الحــاجة الى رفع العصى الضخمة أو تكسير الاحجار . أما اذا كان العمل لايخرج عن ملاحظة الازرار أو مراقبة ورشة كل شيء يدور فيها أتوماتيكيا أو القيام بالاعمال الحسابية او الوظيفية او البيروقراطية او الاعمال الحرة فان القوة الفيزيقية لاتلعب دورا هاما على الاطلاق اذن فان هذا العامل الذى كان يلعب دورا هاما في الماضي ويضعها في اطار اقل مرتبة من الرجل لم يعد موجودا اليوم . اما فيما يخص الامومة فان الامور تختلف تماما ، ذلك لان باستطاعة المرأة أن تخطط وتتحكم في الانجاب ، وباستطاعتها أن تختار اللحظة التي تكون فيها أما دون أن يكون في هذا اضرار بمستقبلها في العمل . بل انها تستطيع أن تحدد عدد اطفالها . اذن فان الامور تختلف تماما عما كانت عليه المرأة وقت أن كانت تخضع لكثير من الظروف ولم يكن باستطاعتها مثلا أن تتحكم في انجاب الاطفال الامر الذى كانت تقوم به طول السنوات وربما في أخصب فترات حياتها . ونتيجة لهذا فان الفروق الطبيعية التى لعبت دورا هاما في البداية لاتلعب اليوم أي دور . ومع ذلك وكما قلت لكم فان المساواة لم تتحقق بعد

لماذا ؟ أولا لان هذا يرجع الى ندرة التقاليد نفسها والى ندرة العمل وندرة الرزق . وهذا شيء مهم جدا . ليس هناك اليوم عمل يستوعب كل رجال ونساء الارض . ولو كانت هناك حاجة لان تعمل كل النساء لتغير وضع المرأة تماما مثلما تغير في سنة ١٩١٨ ولم تكن أسباب هذا التغير آتية من الرجال أو النساء وانما حدث احتياج لليد العاملة واليوم كما تبدو المجتمعــات مفتقرة الى تحــكيم العقل سواء جزئيا او كليا فاننا بعيدون تماما عن استخدام كل الايدي العاملة التى تشغل ســطح الارض . وبالطبع لن نصدر بسبب هذه التقاليد وهذا الماضي التاريخي وتلك العقد الكاملة في نفس المرأة والرجل لن نصدر بسببها قرارا ينص على أن يعمل الرجل خمس ساعات بدلا من ثمانية وعلى أن تحل المرأة محله فهذه فكرة طوبوية ومجردة فالامور لاتحدث هكذا أبدا . وكما أن الرجال هم الذين يتحكمون في العمل والنساء لايصلن الى العمل الا اذا كانت هناك حاجة لهن أو كان هناك فائض في الوظائف ومع ذلك فاذا كانت المرأة تحتل مكانها في بعض الاوقات ، **وأنا أتحدث الآن عن المجتمع الفرنسي** ، فانها تقابل دائما بمقاومة شديدة من الرجال الذين يحتجون عليها بأنها تتسبب في خلق المنافسة لانه ليس هناك عمل يستوعب الجميع . ومنذ عشر سنوات تقريبا حدث هجوم عنيف على النساء العاملات بالطب والمحاماة فقد أعلن المحامون والاطباء انه من الظلم ان تدخل المرأة هذين الميدانين لانه ليس هناك وظائف تستوعب كل خريجي الحقوق والطب وكأن هذه الوظائف ملك لهم وحدهم بقوة الحق الالهي . اذن فهناك صعوبة ان ليس هناك عمل للجميع .

وبالتالي فليس من السهل ان نقلب الامور داخل هذا الاطار التقليدي ذى الماضي التاريخي الذى يثقل على المرأة منذ امد بعيد . هناك اذن قوة من الخمول نتجت عن هذا الماضي وتثقل تقاليد وعرف الحاضر وتظهر بعد ذلك كأنها امر طبيعي ولهذا السبب قلت لكم انهم يتحدثون كثيرا عن الطبيعة بينما الحقيقة انهم لايلاحظون ان المسألة لاتمت بصلة للطبيعة وانما هي نوع من الطبيعة الثابتة أو العادة ، أتخذها المجتمع وهذه العادة لاتمت بصلة للطبيعة . هناك اذن ثقل الماضي وثقل التقاليد وثقل العرف وهذا التأصل لعقدة النقص .. وكل هذه الامور تخلق عند الرجال ايمانا يجعلهم يعتقدون انهم ينتمون الى طبقة أسمى وأعلى . ومن المريح حقا أن يشعر المرء دائما أنه أسمى وأعلى . ولكن الاحساس بالسمو في مجتمع يعتمد على المساواة امر عسير المنال، اذ لايمكن الحصول عليه الا بالكفاح والعمل والالتزام ، لايمكن الحصول عليه الا بالتعب وبالجهد الشاق . وعلى هذا فاذا تمتع الرجــل بهذا السمو وكأنه هبة لاتحتاج لجدل أو لنقاش فانه يرى ان هذا امرا مريحا ومناسبا . هو مثلا يشعر بالراحة لاستمتاعه بالشعور بأنه الســيد عند عودته الى داره بعد أن يكون قد شعر في عمله بين زملائه او رؤسائه بالمهانة او الضيق هناك يشعر بأنه من الطبقة الاسمى . وهذا احساس مريح له . ولكن هذا السبب الذى اسوقه اليكم لا يخص علاقة الرجل بالمرأة فقط وانما هو يخص كل مشاكل الضغط والقهر . وعلى سبيل المثال نجد أن اكثر انصار التفرقة العنصرية تعصبا في أمريكا هم البيض ذوى الحال المتوسط الذين يعيشون في ولايات الجنوب ، هؤلاء الذين لايمتلكون الكثير وعلى هذا الاساس فداخل اطار التفرقة العنصرية بامكانهم الشعور بالتفوق على « الزنوج القذرين ! » . نفس الامر بالنسبة للمستعمرات ، فاثناء حرب الجزائر مثلا كانوا يقولون لنا : انتم

لا تعلمون حقا : هناك المستعمرون الكبار الذين يفيدون من الاستعمار ولكن هؤلاء المستعمرين الصغار اى صغار التجار ونظار المحطات وغيرهم لايستفيدون بأى شيء من المستعمرات .ولكن هذا خطأ جسيم لانهم كانوا اولا يستفيدون اقتصاديا وعلى مستويات مختلفة وثانيا لانهم كانوا يتمتعون بامتياز ضخم الا وهو ان يكون تحت أيديهم دائما شخص اقل مستوى واقل مرتبة وأن يشعروا انهم الاكثر أهمية والاكثر ذكاء لان المستعمر الصغير اكثر ذكاء بل حتى اكثر عبقرية من المستعمرين الكبار .

وعلى ذلك فان هذا التعالى الذى تتمتع بهتلك الفئة من الرجال من السهل مهاجمته . ومن الملائم جدا للرجل أن يستقر فى هذا الوضع من التعالى واخيرا فاننا حتى نكون عادلين ، علينا أن نقرر أن ثمة نوعا من المقاومة يأتى من النساء أنفسهن . وذلك لان هناك اولا التقاليد ولان المرأة من وجهة النظر التقليدية ، اذا جاز لى أن أقول هذا ، انما هى كائن تقليدى يعيش فى عالم من التكرار : رعاية البيت وأداء نفس الواجب على نحو ثابت . فلو فرضنا أن هناك من بين النساء من يرفضن تغيير هذا الوضع بسبب استكانتهن اليه ،فثمة نساء قد عانين منه ويرفضن بسبب من اثانيتهن ان يتمتع غيرهن به ،وأن تتمتع بناتهن وبنات بناتهن والاجيال التى ستجىء من بعدهن بامتيازات ومكاسب لم تكن متاحة لهن . واننى لافترض ايضا ان هناك طبقة من النساء يسترحن للتبعية اكثر مما يريحهن الاستقلال وأن التبعية تتطلب مجهودا اقل مما يتطلبه الاستقلال أو ربما كن على درجة من عدم الجراة لاتسمح لهن بالتجاسر على تغيير حياتهن . وثمة درجة من الخمول تنبع من داخل النساء انفسهن وتساهم فى الابقاء على المجتمعات بالصورة التى نراها عليها اليوم . ومع ذلك ،فان التغيير — الذى لم يتحقق بعد — اقدر بعمق انه شيء خليق بالتطلع اليه ، خليق بالتطلع اليه بل وحتى فانه ضرورى ، وذلك من وجهات نظر عديدة : هو اولا خليق بالتطلع اليه من جانب النساء اذ يأملن فيه . ولا اعتقد ان بلدا مثل بلدكم كافح طويلا من اجل استقلاله سيواجه هذا الامل بأى اعتراض لان للتبعية كثيرا من المحاسن ومن الممكن أن يكون المرء سعيدا جدا فى تبعيته ، وهذا شيء لا اعتقد أن الذين يفكرون فيه بصوت خفيض سيجرؤون على التصريح به . ومن ناحية أخرى أعرف تماما أن النساء لايعتنقن هذا الرأى وفى كل مرة اتيحت لى فرصة التحدث مع النساء ظهر لى انهن يؤيدن الاستقلال بصورة قوية وأن الرجال هم الذين كانوا يعارضون . وبالتالى فانهن لسن راضيات عن التبعية ، على الاقل الاجيال الجديدة منهن . ولقد رأيت كثيرا من الطالبات غير راضيات عن وضع التبعية ، ويرين ان سعادتهن الحقيقية لن تأتى بغير الاستقلال . هذا بالاضافة الى أن المسألة ليست مسألة سعادة وانما هى قضية الكرامة والكبرياء الانسانى ، وتحقيق الذات لكل هذه الاسباب فان للمرأة الحق فى الاستقلال بل وايضا ، بصورة ما ، عليها واجب المطالبة به .

واضيف بأن السعادة التى تتحقق بالتبعية انما هى سعادة زائفة ، اذ اننى قد رأيت أمثلة عديدة من الشقاء النسائى لاتصيب الرجال أبدا ، وكلها فى حقيقة الامر نابعة من وضع التبعية . لان المرأة ، التى تعيش فى ظل التبعية انما تعيش من خلال زوجها،ومن الامكانيات الاقتصادية التى تستمدها منه ومن حبه وتقديره لها . فاذا ماوجدت نفسها ذات يوم مفتقدة لهذا كله ، احست بأنها محرومة ليس على المستوى الاقتصادى فقط ، اى ان تجد نفسها بلا نقود ، وانما على المستوى المعنوى والنفسي لان سبب وجودها قد انتزع منها . وانه لعلى درجة كبيرة من الخطورة أن تكون تابعة اقتصاديا — وربما كان من السهل معالجة هذا — والاكثر خطورة أن تجد نفسها تمضى فى الحياة من خلال شخص آخر لان هذا الشخص من الممكن ان ينزع منها السند المعنوى الذى يعطيه لها فتجد نفسها خالية الوفاض .

ولقد رأيت الكثيرات من النساء أصابهن الدمار تماما من الناحيتين المادية والمعنوية لهذا السبب فى سن الخامسة والاربعين بل ربما قبل ذلك ايضا ولم يعدن يعرفن ماذا يفعلن بانفسهن . ولما كان الاستقلال الحقيقى ذا طابع اقتصادى فذلك يعنى أن التغيير لن يتم الا عن طريق خروج المرأة للعمل وأن يعطى عمل لكل النساء . ومفهوم طبعا انى لن أقول أن العمل هو الشرط الوحيد للحصول على الاستقلال طالما أن هناك نساء يعملن وتسرق منهن ثمرات عملهن ولسن بكل تأكيد قد تحررن عن طريق العمل . وهناك الى جانب هذا احساس الغربة الذى يسببه العمل . فالعمل غالبا ما يتسبب للمرأة فى الشعور بالغربة قبل أن يحقق لها الحرية .

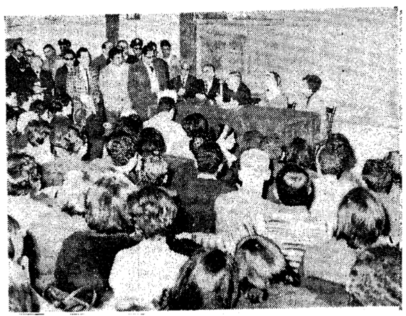
ولكن المهم ان طريق العمل قد يبدأ اولا بالاحساس بالغربة الا أنه الطريق الوحيد الذى سيحقق للمرأة حريتها . ومن ناحية اخرى فان ارتقاء المرأة الى درجة العاملة سواء بصورة كلية أو جزئية ، والى التساوى مع الرجل انما هو شيء ضرورى جدا للمجموع العام للمجتمع . فبحصر المرأة فى الميادين النسائية الصرفة فقط،نحرم المجتمع نفسه من العديد من الامكانيات ، بل انه ليبدد جانبا كبيرا من قواه . ولذا فاننى احب كثيرا تلك الجملة من ميثاقكم التى تقول بانه من الضرورى استغلال الطاقات الانتاجية الخلاقة لدى النساء . ذلك لان هناك تبديدا لما يمكن ان تقوم به المرأة فنحن نكتشف يوما بعد يوم الامكانيات التى هى قادرة عليها . ولم يكن هذا ليخطر على بال أحد منذ مائة عام ، بل لقد تم اكتشافه حديثا جدا : فالمرأة تستطيع أن تكون طبيبة ممتازة ومهندسة ممتازة لان بوسعها القيام بالكثير من الانجازات فى عديد من الميادين . وعلى ذلك فمما يدعو للاسف حقا أن يحرم مجتمع نفسه وعلى وجه الخصوص اذا كان فى طريق التنمية من كل تلك القوى الحية التي تستطيع بقدر كبير

أن تساعد في عملية التطور وأن تعجل بحدوثها .
إن المرأة التي تبقى حبيسة المنزل انما تمثل قوة خاملة اي قوة سلبية،فيما عدا استثناءات نادرة. لانه من الواضح أن الناس يفكرون ويتصرفون بحسب الطريقة التي يعيشون بها ، « فالبناء الفوقي»للمجتمع انما هو نتاج تلك الطريقة وانعكاس لها . وعلى هذا فكيف تعيش المرأة : انها تعيش حاضرها مثلما كانت تعيش في الماضي ، تعيش في التكرار ، اذ تفعل كل يوم نفس الشيء . تقوم بأداء واجبات المطبخ مثلما كانت أمها تفعل ومثلما كانت تفعل هي نفسها منذ عشر سنوات ، بل وانها تعلم ابنتها نفس الشيء كذلك . وذلك امر لايثير اهتمامها ، ولا يجعلها تنخرط في طريق التقدم ، ولا في أن تتطلع الى هذا التقدم أو تدرك معناه ، فهي تحيا في عالم خاص : هي منعزلة تعيش حياتها الخاصة في بيتها وداخل أسرتها ، واتصالها بالعالم الخارجي يتم من خلال زوجها وأبنائها اذا كان لها أبناء كبار . واذن فهي من الناحية السياسية تمثل ثقلا ميتا ، لن يكون لها الا موقف متخلف ورجعي يؤيد ثبات الامور على حالها . ولما كان لها نفوذ قوي على اطفالها فهي تخاطر بالتأثير عليهم من هذه الناحية .

وانه لامر مذهل حقا أن يكون استقلال المرأة مرتبطا ،وقد كان كذلك دائما،بالتقدم نحو الاشتراكية والعكس صحيح ايضا. فقد كانت حركات التراجع اليميني والرجعية اليمينية ترتبط دائما بتخلف قضية المرأة ، ومما يثير الدهشة ان هذا يحدث في فرنسا الان . لقد كانت هناك كثير من الحركات الاستقلالية النسائية بعد الحرب الاولى وبعد الحرب الثانية وقد استطاعت المرأة من خلال هذه المعارك والحركات أن تكسب عديدا من الوظائف وعديدا من المكاسب ولكن هناك منذ عدة سنوات ، وكما تعلمون بالتأكيد انقسام شديد في صفوف اليسار . لم يعد اليسار هو الذي يقود بلدنا وانما الذي يقودها هو البرجوازية والقوى الرجعية ، ونتيجة هذا فان هناك الان حملة واسعة النطاق بدأت منذ خمس أو ست سنوات لفصل المرأة عن السياسة . وحتى يحدث هذا فانهم يحاولون ابعادها عن ميدان العمل ويحاولون ابعادها عن المسئوليات والاحتفاظ بها في الدار . وقد وضعوا في اعتبارهم ان المرأة فيما بين الخامسة والعشرين والاربعين اى في ريعان الشباب اذا لم تخرج الى الحياة ولم تشترك في العمل النقابي أو في التنظيمات السياسية واقتصر نشاطها على النطاق المنزلي ، فلن يكون لها فعالية سياسية ، وبذلك تساهم في دعم النظام القائم والمحافظة على ثباته،وانها لتعمل كذلك على اقصاء زوجها عن الاهتمامات السياسية . لانه اذا لم يكن لها من اهتمامات الا في نطاق المنزل وانحصر اهتمامها في التلفزيون الذي تحتفظ العائلة به في المنزل فانها سوف تؤثر على زوجها في نفس الاتجاه بحيث تشده الى نفس الدائرة التي تنحصر فيها ، فتحول بينه وبين ارتياد النقابة والتردد على الاحزاب وتدفع به الى حصر نفسه في الدائرة التي تنغلق فيها حياة الاسرة . ان المجتمع البرجوازي الذي يريد الحفاظ على القيم البرجوازية ، ينصب اهتمامه كله ولقد فهم ذلك تماما ، على الاحتفاظ بالمرأة في حالة تبعية كاملة اي في حالة لاتقوم فيها بأي عمل . باختصار اردت أن اقول لكم بأنه قد حدث منذ عدة سنوات حملة واسعة النطاق ، اشترك فيها بالطبع عديد من النساء ،لاقصاء المرأة عن الاهتمامات السياسية على العكس من ذلك فقد رأيت في المجتمعات الاشتراكية النساء اكثر اقترابا في وضعهن من وضع الرجل ، ولم يكن ذلك لاسباب طوبوية أو مثالية بل لاسباب ترجع الى الحاجة . ففي روسيا على سبيل المثال مع حركة التصنيع وتطوير البلد كانت ثمة حاجة الى أن تعمل المرأة ، وقد عملت النساء على الفور . ونسبة النساء العاملات هناك الان ٩٥٪ وهي اعلى نسبة في العالم وهن يضطلعن بمسئوليات سياسية ليست من مسئوليات الصف الاول ولكنها مسئوليات من الدرجة الثانية واسعة النطاق وتشمل عدة مستويات ، وعلى هذا فهن يتمتعن — وقد رأيت هذا بعيني لانني ذهبت هناك مرات عديدة — باحساس كرامتهن وبقيمتهن الانسانية: وهذا الاحساس موجود لدى الرجال أيضا وليس ثمة فرق بين الرجل والمرأة في هذا الصدد . وهن لايعانين من ذلك الخجل أو الخوف اللذين نجدهما حتى الان في فرنسا في كثير من الاحيان . فهن يتحدثن ويتناقشن ويتخذن قرارات على مستوى المساواة التامة مع الرجال وليس معنى ذلك انهن قد تمتعن بوضع المساواة الكاملة ، فذلك لم يحدث بعد ، ولكن رغم ان كل المسئوليات السياسية بين أيدي الرجال . وكذلك المسئوليات التكنيكية والعلمية في معظمها ، فان درجة المكاسب التي حصلن عليها تعتبر أعلى منها في اى بلد آخر من بلدان العالم .

واذن ، فاننا نرى ونعود الى نقطة البداية وهي أن ثمة علاقة واضحة جدا بين الاشتراكية وبين تحرير المرأة . وهذا يشير لنا في نفس الوقت الى الاجابة التي ينبغي ان نعثر عليها حتى نرد على التساؤل الذي طرحته في البداية وهو : **اذا كنا نأمل في ان يتغير الموقف فكيف يجب ان نعمل وما هي الامال التي يمكن ان نصبو اليها ؟**

الاجابة واضحة جدا وبسيطة وقد اجابتني بها بعض السيدات المصريات بقولهن انه ينبغي احداث تغيير اقتصادي واجتماعي حتى نصل ايضا الى تغيير وضع المرأة . فالعادات والصفات النفسية التي تحدثت عنها من قبل لايمكن التعرض لها بالتغيير الا اذا غيرنا في الاساس الاقتصادي والبناء الاجتماعي الذي يعتمد عليه . وفي نفس الوقت فمن المفهوم أن العادات والحالات النفسية سوف تتغير تبعا لذلك بالضرورة فان المرأة حين تساهم مع الرجل في النضال وفي الحركات التقدمية



● جـان بول سارتر وسـيمون دى بوفوار فى جامعة الاسكندرية

فانها تخدم بذلك فى نفس الوقت قضية المراة عموما وحين يزداد تطور مجتمعكم نحو التصنيع ستزداد الحاجة الى العمال والفنيين فيزداد عدد الوظائف التى سيكون على المرأة ان تملاها . اذن فان فرصة المرأة هنا انما هى الاشتراكية . وينبغى أن تعمل لا فى سبيل هدف خاص يحبسها فى اطار القضية النسائية التى تعنيها فقط، وانما عليها ان تعمل الى جانب الرجل من اجل تحقيق التقدم العام للمجتمع، وهذا لايعنى الا يكون بوسعهن أن يخضن المعارك فى داخل النقابات وفى التنظيمات السياسية فى سبيل كسب حقهن فى النضـال : انهـا معركة تتم على مستويين .

وهناك مثال هام على الطريقة التى سارت عليها المعركتان معا . وهذا المثال هو عملية تحرير المراة فى **الولايات المتحدة الامريكية** فى نهاية القـرن التاسع عشر . **ثمة علاقة وثيقة جدا وحارة جدا بين حركة تحرير العبيد وحركة تحرير المراة** . فقد كان هناك عدد من النساء ، وخاصة الراهبات ، وبعض السيدات اللاتى يتحلين بدرجة عالية من الاخلاق الفاضلة ،قادمات من انجلترا بشكل عام، ومن بينهن أيضا بعض نساء الولايات الجنوبية قمن بشن حملة واسعة النطاق تناهض استغلال العبيد . وكن يتحدثن من منبر لاخر مناديات بحق المساواة بين كل الرجال . وقد تعرضن لهجـوم عنيف من قبل الرجال ، انصار العبودية بالطبع، فقد أعلنوا أنهم ضد الاخلاق النسائية وأنه لم يكن لائقا ان تكون الكلمة للنساء مثلما كان الامر معهن فى ذلك الوقت . ومن خلال قيادتهن لمعارك اكثر شمولا من معركتهن الخاصة استطعن النضال من اجل تحقيق استقلالهن الخاص . وعندئذ قامت بعض الرائدات للكفاح من أجل تحرير المراة ولكنهن فى نفس الوقت كن يعطين الاهمية الاولى لتحـرير العبيد، وجاء غيرهن اكثر اهتماما بالقضية النسائية فركزن عليها وجعلن من القضايا الاخرى قضايا ثانوية . واننا فى النهاية لنجد المثالين . **الاول** ، هو هذه الفئة من النساء اللاتى قدن معركة التحرير النسائية . **والثانى** ، هو تلك الفئة من النساء اللاتى قدن عملية تحرير جميع المستعبدين اينمـا كانوا . وتلك الفئة الاخيرة قد اكتسبت الحرية من خلال الكفاح فى قضايا أخرى . واننى لاعرف انه نفس الامر بالنسبة لكم وان لديكم نساء يخضن المعارك الى جانب زملاء من الرجال فى قلب الاتحاد الاشتراكى ولكنهن فى نفس الوقت قد كون جماعات خاصة للعمل من أجل قضية تحرير المراة ، وذلك حتى يصلن الى جعل الكفاح العام ممكنا بصورة أكبر .

وهناك الان اعتراض أود أن استبعده لانــه اعتراض خاطىء ومزيف رغم اتخاذه صورة الحقيقة انتم تقولون بأن تخلف المرأة ليس امرا طبيعيا ، ولكننا اذا مالاحظنا تطور التاريخ الانسانى لوجدنا أن هناك فارقا ضخما بين الاعمال التى أنجزهـا الرجل وتلك التى انجزتها المرأة ، وانها فى الماضى لم تبتكر شيئا ذا قيمة وان الرجال وحدهم هـم الذين كانوا بناة حقيقيين . وتلك بالضبط حجة لايقول بها الا المستعمرون . فذلك ماكان يردده المستعمرون للمستعمرين ،تماما مثلما حدث فى أمريكا اى مثلما يحكم الامريكى الابيض على الامريكى الاسود بتلميع الاحذية ليقول بعد ذلك انه لايصلح الا لهذا النوع من العمل . وهذا نفس ماحدث للمرأة . فقد حبسوها بالمنزل وقالوا بعد ذلك انها لاتصلح الا للحياكة ورعاية الاطفال والطهى واداء الاعمـال المنزلية ، ولم تعط لهن فرصتهن . ولو تأمـلنا بعض الحالات الخاصة، فهناك الروائية الانجليزية « **فرجينا ولف** » التى احبها كثيرا ،وقد الفت كتابا صغيرا عنوانه «**حجرة خاصة**» ، وتشرح فيه انه اذا كان عدد النساء المؤلفات قليلا نسبيا فى انجلترا

واذا كن اقل امتيازا من باقي الكتاب الانجليز فذلك لان المراة في نهاية القرن التاسع عشر وفي بداية القرن العشرين لم تكن تتمتع « بحجرة خاصة بها » او باستقلال خاص يسمح لها بتكريس عدد من الساعات للعمل الادبي — فقد كان هناك دائما الزوج والاطفال الذين لا يكفون عن ملاحقتها بطلباتهم . كانت تعمل على منضدة صغيرة عندما يسمح الوقت لها بذلك . وفي مثل هذه الظروف كيف يتأتى لها أن تؤلف عملا ، عملا عظيما بحق؟ ثم تابعت المقارنة بطريقة مسلية فأخذت « **شيكسبير** » كمثل ، فلو أن شيكسبير ولد امراة في نفس الساعة ونفس الظروف ، فان أحدا لم يكن ليسمح به ابدا . لان هذه المراة التي هي شيكسبير لم تكن لتقوم بالدراسة اطلاقا ، ولم تكن لتستطيع مغادرة المنزل ، ولتكدست أمامها مسئوليات الاعمال المنزلية ، ولقامت بنفس الاعمال التي تقوم بها أخواتها دون أن يكون هناك اعتبار لموهبتها . فقد كانت هذه الموهبة ستختفي منذ البداية . وهناك رجل يناصر المراة بصورة عميقة هو « **ستندال** » وقد قال في عبارة سريعة وصادقة للغاية : « **كل عبقرية تولد في امراة هي عبقرية ضائعة بالنسبة للبشرية** » . وبالتالي فلا يمكننا أن نقول أن الماضي يأتي ببرهان على أن المراة لا تستطيع ان تؤدى عملا عظيما وذا قيمة يضارع ما يصنعه الرجال .

ومن الممكن أن تستأنف هذه الحجة بطريقة اكثر زيفا فيقول قائل : حسن ، كل هذا يتعلق بالماضي ، أما الان فلنأخذ المراة الفرنسية ابتداء من عام ١٩٤٥ ، فقد حصلت على حقوقها السياسية وهناك نساء عاملات ورغم ذلك فليس لديكن ما يتساوى مع ما يقوم به الرجال ، ليس لديكن علماء جيولوجيا كبار ولا جراحون كبار ولا محامون كبار ولا نحاتون كبار ولا مصورون كبار الخ .. كل هذا حقيقي ، ولكن الزيف يكمن في القول بأنه في فرنسا اليوم — وانا اتحدث عن فرنسا ، لانني آخذ فرنسا بشكل خاص اذ انها قد اعطت للمراة فرصا اكثر مما اعطيتموها انتم — الفرص المتاحة للمراة هي نفس الفرص المتاحة للرجل . اولا على المستوى المهني ، فاننا نرى أن مدارس التدريب للنساء معدودة ، ونتائجها اقل اهمية من تلك التي يحصل عليها الرجال من مراكز تدريبهم . اما اذا اخذنا المهن الحرة فسوف نجد ان تربية الطفل عليها تتطلب توجيها خاصا . اما ان يبذل نفس هذا المجهود من اجل فتاة فهذا ما لا يمكن ان تقرره الاسرة الا اذا كانت غنية جدا . فحتى يدفع بالطفل الى مدرسة الطب لا بد من نفقات باهظة ، بل قد يستدعي الامر ان تبذل الاسرة تضحيات كبيرة من اجل هذا ، ومثل هذه التضحيات لا تبذل من اجل اخت له . فالتفكير يتجه الى انها ستتزوج وليس من الحكمة ان ينفق عليها طالما ان هذه النفقات لن تستثمر . واذا لم تتزوج فان العادات ونفسيات الاهل لا تجد غضاضة في أن تعمل الفتاة ممرضة او سكرتيرة . اما اذا قام الابن بعمل من هذا النوع فهذا امر سيء جدا ، اذ يجب أن يكون الابن طبيبا أو مديرا عاما ، أي ينبغي أن يصبح شخصا مهما . أما الفتاة فعظيم جدا أن تكون عاملة اختزال أو أي شيء صغير من هذا القبيل . اذن فقد كانت فرصة المراة منذ البداية اقل بكثير من الفرص المتاحة للرجل . اما على المستوى المهني فاننا نجد أن هناك نوعا من التضامن الرجالي ليقيموا سدا في وجه النساء ، وقد ثبت ذلك من واقع الابحاث والدراسات التي تمت ببعضها وقرأت بعضها الاخر ، فمثلا في الشركات التي يقوم فيها النساء بنفس الاعمال التي يقوم بها الرجال تتوالى المراة التدرج في سلك الاعمال الهامة الى أن تصبح مساعدة رئيس مكتب بينما يصبح الرجال رؤساء مكاتب . وهذا يحدث في كثير من بلدان العالم كما رأيت وكما تقول لي النساء وانني لا اذكر اني تحدثت الى سيدة يابانية تعمل في الاذاعة فقالت لي اني استمر في العمل وانتقل من درجة لاخرى ولكنني اعرف انني لن اتخطى حدا معينا ، هذا بينما يتدرج الرجال من زملائي في سلك العمل دون أن يكون هناك حدود لترقيتهم . اذن فهناك هذا العامل الذي يلعب دورا مهما . أعني ذلك الحد الذي يوضع امام المراة مهما كانت قدرتها على الوصول . ومن ناحية أخرى ففي بعض المهن التي تحتاج الى ثقة العملاء أو ثقة الجمهور ، ولناخذ المحاميات والطبيبات على سبيل المثال ، فاننا نجد أن الجمهور لا يعطي ثقته للمراة بمثل ما يعطيها للرجل وانني لا اعني هنا الجمهور النسائي ايضا . حتى النساء انفسهن لا تثقن بالنساء . وربما كان هذا بسبب مركب النقص الموجود عند المراة ، وربما كان ايضا بسبب نوع من النفور يوجد بين النساء وبعضهن وبالتالي فليس للنساء نفس فرص الرجال . ذلك لانه لو اعطيت دائما الفرص السهلة فان مستواك يظل مرتبطا دائما بمستوى السهولة هذا . وحتى يكون المرء طبيبا عظيما فان عليه ان يجابه المشكلات العويصة التي تفرضها مهنة الطب . عندئذ يصبح ضروريا على المرء ان يتفوق على نفسه . أما النساء فانهن لا يدعين للقيام بنفس الشيء ، وهن يعرفن ذلك . فهن يعرفن مقدما أنهن لن يرتفعن كثيرا . هذا بالاضافة الى أن هناك بعض الامور الدقيقة في شكل التربية . اذ يقال مثلا ان الفرص متساوية في البداية بين المراة والرجل ! ان التربية تنمي الطموح في الرجل وتعلمه أن يكون جديرا حقا بالانتماء للجنس الاول يقولون له « **انت رجل فلا ينبغي عليك ان تفعل هذا ويجب ان تفعل ذلك** » وهم بذلك يدفعونه دائما للتفوق على نفسه . ويضعون نموذج والده نصب عينيه دائما . عليه ان يتساوى مع أبيه ، وهو يريد هذا بالطبع . ان العاطفة تلعب دورا هاما هنا . عقدة أوديب وحب الطفل لامه يدفعانه لان ينافس أباه ، وغيرته من ابيه تدفعه الى الطموح والى ان يتفوق عليه ، وهو شيء ديناميكي جدا وجميل جدا .

أما فيما يخص البنت فانهم يعلمونها أن تكون حكيمة ، وان تتشكل على صورة أمها ، التى هى صورة تقليدية فى الغالب الاعم ، ومن الناحية العاطفية فانها اذا مابلغت الرابعة عشرة والخامسة عشرة فانها تتعلق بأبيها حسب مقلوب عقدة أوديب وتعيش بذلك فى التبعية والخضوع . واذا كانت تريد أن تستحوذ على اعجابه فانها تتمثل بالصورة التقليدية للمراة لابصورة المراة التى تريد أن تكون ارقى من الرجال . وبالتالى فان كل شىء فى حياة المراة، فى طفولتها وفى نموها وفى مراهقتها، كل شىء يتسبب لها فى نوع معين من الافتقار الى الطموح ، وفى نوع من الخوف والخجل . ولما كان هذا الخوف وذلك الافتقار الى الطموح تتأكد جميعا بفقدان الثقة الذى يخلقه المجتمع فى المراة عن طريق العقبات التى يضعها لها زملاؤها فى طريقها فانها عند ذلك تعيش فى ظروف لا تشجع على القيام بالانجازات ذات الطابع المهم .

ومن ناحية أخرى ، فهناك عدم مساواة فاضح فى توزيع اعباء الاسرة ، عندكم مثلما هو عندنا، ومثلما هو موجود فى جميع البلاد تقريبا ، اذ أن من المتفق عليه أن تقوم المراة بالاعمال المنزلية وبتربية الاطفال . واننا لنجد الان فى فرنسا فى فترة الانتقال هذه ان المراة عاملة او موظفة او مشتغلة بالمهن الحرة تعمل ثمانى ساعات فى اليوم ، ومن العسير عليها ان تؤدى عملها بقوة وحرارة لان الاعباء المنزلية تتطلب منها خمس او اربع ساعات أخرى يوميا . هذا بالطبع يثير من ناحية أخرى الما عميقا فى نفسية المراة اذ تعتقد فى كثير من الاحيان انها ام غير صالحة وانها مدبرة بيت لا تجيد توجيه شئونه كما ينبغى عليها ان تفعل . الخلاصة انها لا تستطيع القيام بانجازات ذات أهمية لاعلى هذا المستوى ولا على ذاك . وهى تشعر أنها لو لم تكن تعمل لاستطاعت ان تؤدى هذه الاعمال جيدا ، وتلوم نفسها على هذا . بل يلومها الزوج ايضا وكذلك الاطفال الذين لايمثلون الطبيعة وانما يعكسون أراء المجتمع الكبير اذ ليس اكثر تمسكا بالشكليات والتقاليد من الاطفال . ومن ناحية أخرى فانها تشعر على المستوى المهنى انها لاتتمتع بالكفاءة المطلوبة وتصاب لهذا بالانهيارات العصبية وهذا مايستغله مجتمع اليوم اذ يقول لها : ((**ترين جيدا الى اى حد يرهقك العمل . لا تعملى اذن**)) وهذا بدلا من أن يقال لها أن العمل فى مثل هذه الظروف متعب جدا وانه يجب ان تكافئى فى عملك، والا تقومى وحدك بالاعباء المنزلية وان يكون هناك من التقاليد ما يجعل معاونة الرجل للمراة فى القيام بالاعباء المنزلية شيئا طبيعيا . المهم أن مثل هذه الموضوعات تشكل فى فرنسا الآن كثيرا من المناقشات حتى يمكن الوصول الى كيفية اضفاء شىء من التوازن على الاعمال التى تقوم بها المراة . ولقد كان هناك بعض الاصوات التى اقترحت أن تعمل المراة نصف اليوم وتنال نفس الاجر الذى يتقاضاه الرجل . ومثل هذا الاقتراح يبدو معقولا لانها تستأنف العمل بالمنزل . ولكنه اقتراح خطيرا جدا لانه يخلق تمييزا، والتمييز بدوره يخلق الانفصال فى المستقبل . ففى المجتمع الراسمالى سيتردد صاحب العمل كثيرا فى توظيف النساء لديه اذ انه لن يحصل الا على نصف العمل بنفس الاجر . وعلى المدى الطويل يصبح هذا الاقتراح حسابا خاطئا للامور . ومع ذلك فرغم عدم المساواة فى كل الفرص المتاحة للمراة فهناك نجاحات وانجازات نسائية عظيمة لايمكن تجاهلها وهذا فى كل بلاد العالم تقريبا . انى أعرف مثلا أن فى بلدكم فتيات يدرسن الهندسة وقد حققن ، كما قيل لى ، تفوقا ملحوظا وانه ما أن تعطى الفرصة للفتاة وما أن تتمكن من الحصول على هذه الفرصة فانها تصل الى التساوى بالرجل فى الانجازات بل انها تتفوق عليه فى بعض الاحيان .

اذن نستطيع ان نستخلص من كل هذا انه ليست الطبيعة ولا التاريخ ولا اى مسلمة واقعية تستطيع أن تحكم على المراة بالحياة فى وضع أقل مرتبة بالنسبة للرجال .

وعلى أى حال فالماضى ليس حجة توجب الرجوع اليها لتعريف المستقبل واستكشافه مادام المستقبل عبارة عن تطور مستمر دائم، وتحول غير متوقع . وحتى اذا لاحظنا أن النساء لم يعملن مثلما عمل الرجل حتى الان ، وحتى ان لم يكن قد قمن فى السنوات الاخيرة بانجازات تتساوى فى قيمتها بما انجز الرجال، فهذا لايعنى اطلاقا أن ليس بامكانهن القيام بانجازات هامة فى المستقبل . هذا لايعنى مطلقا انه يجب ان نحرم انفسنا من استخدام كل الامكانيات الكامنة فى المراة . وآمل ان يختفى فى المستقبل مايحدث الان فى بلدى أعنى حركة التقهقر هذه التى آمل أن نتمكن من التغلب عليها وأن تتابع المراة ما بدأته . وآمل ان يتغير الموقف النسائى فى بلدكم .. هذا الموقف الذى يعكس التخلف الذى عشتموه طويلا . فعلى مستوى القضية النسائية ربما كنتم اكثر تأخرا من بعض البلاد الاخرى ولكنكم من ناحية أخرى لاتسيرون فى طريق التقهقر بل على العكس تسيرون نحو التطور . لقد بدأتم بداية طيبة حقا ، ولديكم ايضا هذه الرابطة التى تربط بين قضية الاشتراكية وتحرير المراة، اعنى هذه الرابطة التى اتفقتم عليها جميعا وتعتبرونها مبدءا أساسيا . لديكم ايضا عديد من النساء اللاتى يقفن على طريق التقدم ويتحمسن له ، وبالتالى فانى أعتقد أنكم ستنجحون فى هذا ربما أسرع من بلاد اخرى ، وستصلون الى مساواة وضع المراة بوضع الرجل . والامل الذى اختتم به الحديث هو ان الشعب الذى صنع الاهرام وسد اسوان العالى يستطيع ايضا أن يحقق هذا الهدف .. يستطيع تحقيقه رغم صعوبته ، ويستطيع تحقيق مساواة واضحة حقيقية مادية ومعنوية بين الرجال والنساء .

لقاءات سارتر وسيمون دى بوفوار مع الفلاحين والعمال والمثقفين

عقد سارتر وسيمون دى بوفوار عددا من اللقاءات الجماعية مع الفلاحين والعمال والمثقفين فى مواقع عملهم المختلفة حيث دار الحوار الصريح المفتوح من الجانبين حول عديد من القضايا الفكرية والسياسية والاجتماعية ، سواء ما تعلق منها بالتجربة المصرية او العالم الثالث او مشاكل العالم المعاصر ككل خلال نضال شعوبه من اجل الحرية والاشتراكية والسلام .

وقد لقيت كل من قضيتى «فيتنام» ، «وفلسطين» اهتماما خاصا خلال هذه اللقاءات . فلم يخل لقاء من اسئلة مركزة حول الموقف العالمى الايجابى الواجب اتخاذه ازاء العدوان الامريكى على شعب فيتنام . وطبيعة محاكمة مجرمى الحرب التى ستنعقد فى باريس فى ابريل القادم بدعوة من كل من « برتراند راسل » و « سارتر » .

وكذلك تمت لقاءات بحث حول القضية الفلسطينية بين سارتر وسيمون دى بوفوار وكلود لانسمان مدير تحرير « مجلة العصور الحديثة » وبين الشعب الفلسطينى فى غزة واعضاء منظمة تحرير فلسطين من ناحية وكذلك بينهم وبين عدد من المثقفين العرب من خلال اجتماع خاص نظمه « الاهرام » ودعى اليه كل من د . وليد الخالدى ، وكلوفيس مقصود ، وميشيل كامل ولطفى الخولى ود . ابراهيم سعد الدين ود . محمد الخفيف ود . اسماعيل صبرى عبد الله وريمون دويك ود . مراد وهبة ويوسف درويش ، ود . وليم سليمان ، وسعيد خيال ، ود . محمد عجلان وعادل غنيم ، وعبد المنعم الغزالى ، ومحمد سيد احمد ود . لطيفة الزيات .

ومع العمال تمت لقاءات مع كل من اعضاء اللجان القيادية للاتحاد الاشتراكى وممثلى النقابة فى مصانع كيما وعمال السد العالى بأسوان وعمال التراحيل .

ومع الفلاحين تمت لقاءات مع قواهم العاملة فى كل من مديرية التحرير وكمشيش بمحافظة المنوفية .

ومع المثقفين تمت لقاءات مع رواد قصر الثقافة باسوان ، واساتذة وطلبة جامعة القاهرة واساتذة وطلبة جامعة الاسكندرية واساتذة وطلبة المعاهد الفنية العليا بمدينة الفنون ، والفنانين التشكيليين ، وكتاب وفنانات وفنانى الحركة المسرحية خاصة والادبية عامة ، وذلك بالمسرح القومى حيث قدمهم توفيق الحكيم ود . على الراعى ، وعدد من الشعراء والفنانين الشعبيين .

كما عقدت مناقشة بين سارتر وسيمون دى بوفوار وكلود لانسمان مع اسرة تحرير الطليعة حول التجربة المصرية وأبعادها السياسية والاقتصادية والاجتماعية من اجل التحرر والاشتراكية والوحدة والسلام العالمى .

كذلك انعقد لقاء فى الاهرام مع محمد حسنين هيكل رئيس تحرير الاهرام وعدد من كتابه ومحرريه وفى بيت الفن بالقلعة قدم له هيكل رؤساء تحرير الصحف والمجلات العربية .

وعقدت سيمون دى بوفوار لقاء خاصا مع ممثلات الحركة النسائية لمناقشة قضية المرأة والاشتراكية بصفة عامة وفى التجربة المصرية بصفة خاصة شارك فيها كل من السيدات : سيزا

نبراوى ، وكريمة السعيد ، وامينة السعيد والفت كامل ود. نوال السعداوى وعواطف والى ود . سامية اسعد وانجى افلاطون ، وميرى الدغيدى والنقابية سهير درويش وانجى رشدى وامينة شفيق . وادارت المناقشة الدكتورة لطيفة الزيات .

هذا فضلا عن اللقاءات التى تمت مع قيادة الاتحاد الاشتراكى ممثلة فى السيد على صبرى الامين العام ، والسيد كمال الدين رفعت امين الدعوة والفكر بالاتحاد .

كذلك وقع لقاء ثقافى مع الدكتور ثروت عكاشة نائب رئيس الوزراء ووزير الثقافة .

كما تم لقاء مع السيد خالد محيى الدين السكرتير العام للمجلس القومى للسلام فى الجمهورية العربية المتحدة .

ووقعت مناقشات فى اكثر من مجال مع عدد كبير من المثقفين المصريين من بينهم توفيق الحكيم ود . حسنين فوزى ويوسف السباعى ولويس عوض ولطيفة الزيات وعبد القادر رزق وعثمان عاشور ومحمود العالم والزجال الشعبى مصطفى القوصى ونبيل الالفى ود. محمد القصاص ود . رمزى مصطفى وسميحة ايوب وسناء جميل الخ ..

ويضيق المقام هنا عن رصد وتسجيل جميع هذه اللقاءات المتنوعة . ولقد رأت الطليعة أن تقدم هنا تسجيلا حرفيا وكاملا للقاء الذى تم مع اساتذة وطلبة جامعة القاهرة الذى تم فى مساء السبت ١١ مارس ١٩٦٧ بعد المحاضرة التى القتها سيمون دى بوفوار عن « دور المرأة فى العصر الحديث » وذلك باعتباره آخر لقاء جماعى تم مع سارتر وسيمون دى بوفوار فى ختام زيارتهما للجمهورية العربية المتحدة وغزة بدعوة من الاهرام من ناحية ، ولانه من ناحية اخرى تناول تقريبا جميع القضايا التى سبق واثيرت فى اللقاءات التى سبقته .

وقد تم هذا اللقاء بقاعة جامعة القاهرة الكبرى وحضره اكثر من الف شخص وادار المناقشة لطفى الخولى ، الذى ندبه الاهرام لمصاحبة الضيفين الكبيرين ، خلال زيارتهما لبلادنا .

وفيما يلى النص الكامل والحرفى لهذا اللقاء :

لقاء سارتر وسيمون دى بوفوار مع أساتذة وطلبة جامعة القاهرة

طالب بكلية الاداب : ماهو رايك فيما يطلق عليه بازمة الحرية والديمقراطية فى المجتمعات الاشتراكية الحالية ؟

● **سارتر :** اود أن أعرف أولا ماتعنيه بالمجتمعات الاشتراكية الحالية ؟

لطفى الخولى : اعتقد ان صاحب السؤال يقصد اساسا مجتمعات مثل الاتحاد السوفيتى والصين الشعبية وتشيكوسلوفاكيا الخ .. اليس كذلك ؟

أصوات من الصالة : نعم .. نعم

● **سارتر :** هذه مجتمعات لم تضع الحرية فى مقدمة برامجها التى ستبدا بها العمل . انها مجتمعات بدات اولا بفكرة السلطة المركزية روسيا مثلا اطلقت على هذه الفكرة اسم « الديمقراطية الشعبية » النابعة من الحزب ، الحزب الواحد . انها مجتمعات لاتعيش ازمة حرية وانما تعيش أزمات اخرى .. على سبيل المثال ترون أن الصين تعانى ازمات على مستويات اخرى ، فليست الحرية هى موضع قضيتهم وانما مشكلتهم هى الكفاح من داخل الحزب

وهناك عناصر أخرى تعمل من خارج الحزب ضد بعض اجهزة الحزب . والذى يبدو لى أكثر اهمية فى السؤال عن أزمة الحرية فى البلاد الاشتراكية ، هو أن نتساءل : اذا كان بلد مثل بلدكم يسعى لتحقيق الاشتراكية بطريقه الخاص يستطيع أن يمضى فى الاشتراكية ليس فقط ومحافظا على الحرية بل ايضا معمقا وموسعا من حرية الانسان . ذلك أن الاشتراكية فى نظرى تهدف للحرية . انها بالطبع لم تخلق للحرية الفردية وانما لحرية الاشخاص اعنى

تأمين الحرية للأفراد من خلال مجموع المجتمع ، ومن خلال انضمام وانتماء الافراد الى المجموعة ، فيما يخص هذه النقطة فيجب أن أقول لكم ان التجربة الاشتراكية عندكم تعطيني آمال واسعة ، لانني نادرا ما رأيت مثل هذا الحذر ومثل هذا الاهتمام فى التوفيق بين كل المصالح التى تتعارض فى كثير من الاحيان هذا مع المحافظة فى الوقت ذاته على أكبر قدر من الديمقراطية المادية الملموسة داخل الحركة نفسها . اذن فانى آمل أن تستمر هذه الحركة المتقدمة وتستأنف نموها وان تستمروا داخل الاتحاد الاشتراكى فى تطوير الديمقراطية ».

لطفى الخولى : بالنسبة للاسئلة الواردة عن قضية فلسطين سنجملها جميعا فى سؤال واحد لانه يدور دائما حول نفس الموضوع .

فتحى احمد ابراهيم كلية الاداب: لقد أبديتم رأيكم فى مختلف قضايا العالم التحررى وقد زرتم سيادتكم قطاع غزة ورأيتم اسوأ وابشع فظائع الاستعمار والصهيونية على حقيقتها، ونعلم انكم ستزورون فيما بعد اسرائيل فما رأى سيادتكم فى قضية فلسطين بعد أن رأيتموها على الطبيعة ونحن نعلم انكم قاسيتم من الاستعمار والنازية الالمانية عام ١٩٤٠ ؟

● **سارتر :** الذى أستطيع أن اقوله لكم الان بعد أن زرت غزة هو ملاحظتين : الاولى هى انى أحسست احساسا عميقا بمأساة كل هؤلاء اللاجئين الفلسطينيين الذين يعيشون فى ظروف بائسة بل ولا تحتمل فى بعض الاحيان، الذين يعيشون على حدود البلد الذى كان بلدهم .. والملاحظة الثانية هى انى أعتبر أن حق الفلسطينيين القومى فى العودة الى البلد الذى كانوا يعيشون فيه هو حق لهم لاتجوز مناقشته اطلاقا .ولن أذهب فى حديثى اليوم الى أبعد من هذا ، لانه قد يتساءل البعض وكيف يعودون الى بلدهم وما هى العلاقة التى يفترض أن توجد بينهم وبين من يوجدون باسرائيل اليوم الخ ؟ أقول لن أذهب الى أبعد مما قلت وسأقول لكم السبب : اننا نقوم الآن فى مجلة «العصور الحديثة » بتحضير عدد خاص عن مشكلة اللاجئين الفلسطينيين ، سنقدم فيه لاول مرة وجهة النظر العربية بأقلام كتاب عرب ، وسيقدم هؤلاء الكتاب كل وجهات نظرهم ، ومن بين هؤلاء الكتاب كتاب فلسطينيون ينتمون الى (منظمة التحرير أى الحكومة المؤقتة السرية) وفى نفس الوقت سنقدم وجهة نظر معروفة فى فرنسا اليوم أكثر من وجهة النظر العربية وأعنى بها وجهة النظر الاسرائيلية . سنقدم وجهتى النظر وذلك لاننا لو أعطينا وجهة نظر واحدة فان اعلام الجمهور الفرنسى ، هذا الجمهور الذى أعرفه تماما ،سيكون اعلاما ناقصا. ان الرأى العام الفرنسى فى حاجة الى وجهتى النظر لكى يحكم ، ولكى نحصل على وجهتى نظر لجانبين ، اعنى العرب والاسرائيليين ، وهما يرفضان الحوار تماما فيما بينهما فقد قررنا ، لا أن نكون محايدين وانما متغيبين تماما . أى أن نكون غير ممثلين على الاطلاق فى هذا العدد . ان هذا العدد سيتكون من جزء سيكتبه الاسرائيليون وجزء آخر منفصل سيكتبه العرب، ولن نضيف أى شىء أكثر من هذا . سنقول ببساطة اننا نقدم هذا العدد .. مفهوم اذن انه لن يكون هناك حوار من أى نوع بين العرب والاسرائيليين ، كما انه ليس هناك أى تدخل من جانبنا . فى مثل هذه الظروف لو انني ذهبت الى البحث فى أعماق المشكلة فانى فى مثل هذه اللحظة سأكون منحازا واذا حدث فانى أحنث بالعهد الذى قطعته على نفسى فى مواجهة هذا العدد الذى أعده ، اذن فانى أتوقف عند حد هذا القول الذى أعلنته .

لطفى الخولى : هناك مجموعة من الاسئلة موجهة للسيدة سيمون دى بوفوار ومن الملاحظ انها كلها حتى الان موجهة من الرجال . نجملها أيضا فى سؤال مقدم من باسيلى فخرى يسه .

باسيلى فخرى يسه : ان المرأة أكثر تأثرا من الرجل عاطفيا وبذلك من الخطر أن تتقلد المرأة مسئوليات الدولة .. وهذا بالطبع يعارض رأيك. وأعتقد ان رأيك الذى أعلنتيه صادر بسبب انك لم تمارسى مسئولية عملية بالنسبة لتقلد اى منصب من مناصب الدولة الرئيسية فما هو رأيك بعد هذا الايضاح منى ؟

● **سيمون دى بوفوار :** أنا لم آمل ابدا أن يكون لى مسئوليات سياسية ، والذى كان يثير اهتمامى دائما هو الكتابة .. ولا اتخيل نفسى أبدا حاكمة لبلد أو رئيسة لحزب أو اى شىء من هذا النوع . بل سأقول انى لو كنت وزيرة لاستشعرت الضيق كثيرا . وليس هذا اطلاقا هو الذى أثر على طريقتى فى النظر للامور . ان طريقتى فى النظر للامور يمليها ما يستوجب موضوعيا .. اى الحقيقة . واعتقد انى ببساطة قد قررت الحقيقة عندما قلت فى هذه المحاضرة التى قدمتها لكم ، ان هذا العالم هو عالم من صنع الرجل . واما فيما يخص املي فى أن يتغير هذا

الوضع فانما لم اقل هذا لاسباب شخصية اذ اننى راضية تماما عن حياتى . وانما قد قلت ما قلته بسبب ان عددا كبيرا من النساء اللاتى رأيتهن يتألمن من الوضع الذى فرض عليهن . وقد قلت هذا أيضا بسبب الخسارة الجسيمة التى يخسرها المجتمع عندما يحرم نفسه من استغلال القوى النسائية . ان الاسباب التى دعتنى لاتخاذ المواقف التى اتخذتها تعود الى اسباب موضوعية والى رغبة فى عرض الامر كما هو حقيقة .

لطفى الخولى : سؤال آخر موجه للسيدة سيمون دى بوفوار من الآنسة عايدة الشريف .

عايدة الشريف : هل طرا تغيير هام واساسى فى نظرتك الى وضع المراة فى الوقت الحالى منذ ن كتبت كتاب « الجنس الاخر » ؟

● **سيمون دى بوفوار :** لا لم اغير شيئا من موقفى . وما قلته لكم اليوم هو نسبيا تلخيص للموضوع الذى عرضته فى « الجنس الاخر » وبالطبع هناك بعض التغييرات التى طرات على تطور المراة منذ خمسة عشر عاما حتى الان ولكن هذه التغيرات لم تدفعنى الى اعادة النظر فيما فكرت فيه من قبل . وربما كانت هناك اشياء قد تستحق الاضافة على المستوى الاحصائى او الوصفى او التسجيلى الى آخره ولكنى لو انى شرعت الان فى كتابة كتاب عن المراة لكتبت « الجنس الثانى » مرة اخرى من ناحية الخط العام .

لطفى الخولى : يبدو ان الاسئلة ستنهال على السيدة سيمون دى بوفوار . سؤال آخر من نادية على .

نادية على : أليس من الضرورى ان يساهم الرجل فى الاعمال المنزلية لتحقيق المساواة بين المراة والرجل ؟

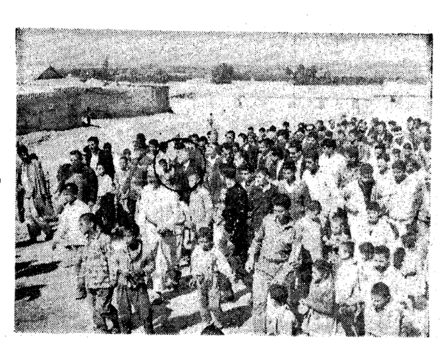
● **سيمون دى بوفوار :** بالتأكيد يجب أن تقسم الاعمال . وانى لاعرف بعض الازواج التقدميين فى فرنسا ، حيث يؤدى الرجل ثلث الاعمال المنزلية . ان الثلث ليس بالشىء الكثير ، ولكنه كسب لا بأس به . ولكنى اعتقد انه فى بلد اشتراكى ، فى بلد تسير فيه الامور بنظام يجب أن تبسط هذه الاعمال او ان يعهد بها الى متخصصين والى اجهزة متخصصة بدلا من ان تضيع المراة وقتها فى الطبخ والغسيل والتنظيف الخ الخ .

لطفى الخولى : اعتقد انه من الممكن أن نسأل بدورنا راى سارتر فى هذا الموضوع نفسه .

● **سارتر :** انا شخصيا لااطلب الا المشاركة فى الاعمال المنزلية ولكن عمليا غير كفء لها ، الى درجة ان سيمون تمنعنى من ادائها .

طالب بكلية الطب : لقد قلتم فى احد المؤتمرات فى روما على ما اظن انه لايمكن ان يوجد ادب غربى طليعى بصدق . فماذا تعنون بذلك وما هو رايكم فى الدور الذى يمكن ان يلعبه ادب من هذا النوع الطليعى فى العالم الثالث ؟

● **سارتر :** عندما تحدثت عن الادب الطليعى لاحظت فى روما ان هذا التعبير ذا الاصل العسكرى يهدف اساسا للاشارة الى حقبة معينة يتحلل فيها الادب البرجوازى . واليوم نستطيع أن نقول ان المجموع العام للموضوعات المقدمة لنا لمعالجتها والمجموع العام للمناهج الادبية قد اصبح على درجة من القدم ، ومن الثراء أيضا بحيث اصبحنا عمليا نعود دائما لنفس الاشياء . ومن الممكن كتابة ادب تجريبى ولكن اللغة قد صنعت وانتهى أمرها وهى تحمل فى ذاتها عوامل الخضوع لها وتحمل فى ذاتها ايضا ثراءها بحيث اصبحت هى التى تملى العمل بشكل ما . والذى يمكن ان نأمله من الادب فى أوربا الغربية هو أن يكون شعبيا بشكل عريض . ولكن الادب لم يعد يستطيع ان يكتسب قطاعات جديدة من ناحية الشكل ومن ناحية الثراء الجمالى لاننا فى الواقع نعود دائما الى نفس الاشكال ان ادب الرواية الجديدة عمليا ، ليس أدب طليعى ، وانما هو يمثل قطاعا خاصا من الادب البرجوازى . والذى أسميه أدب طليعى هو على العكس .. هو ذلك النوع من الادب الذى يظهر فى بلد جديد يمضى فى طريق تشكيل حياته ، أعنى بلد يتمتع بناؤه الاجتماعى بالمرونة والتطور ، ويمتلك لغة لم تتواءم تماما بعد للتطور الذى هو بصدده ، وانما تسعى لهذا التواءم . فى هذه الحالة يصبح للاديب الطليعى دورا جوهريا لانه يجب ان يجعل اللغة مرنة بحيث تصبح دائما متوافقة مع الحركة وليس متأخرة عنها . يجب اختراع اللغة . . يجب أن تضفى عليها صفة المرونة . انى أذكر مثلا عندما ذهبت الى « سكوبيا » بيوجوسلافيا ورأيت الكتاب يقولون لى أن المشاكل الادبية — بالنسبة لنا نحن أصحاب اللغة الفقيرة نسبيا — هذه المشاكل التى تبحثونها فى اوربا الغربية ليست بعد مشكلاتنا . ان مشكلتنا هى أن نضع بواسطة الشعر وبداية النثر لغة « ماسيدونية » . هؤلاء هم الكتاب الطليعيون ، وفى نفس الوقت فانى اطلق صفة « الطليعية » على كتاب هذه البلاد الذين يلتزمون بملاحظة ظواهر جديدة وتسجيلها ، ليس من خلال الواقعية الاشتراكية وانما بأى وسيلة



● جان بول سارتر وسيمون دى بوفوار اثناء زيارتهما لقطاع غزة .

يرتأونها . انهم طليعيون أيضا لانهم يريدون فهم هذه الظواهر الجديدة ولانهم يدفعون غيرهم لان يعيشوا هذه الظواهر الجديدة . هذا الادب الذى ربما أصبح ، أو هو بالفعل أدب مصر ، على سبيل المثال .

لطفى الخولى : اظن يمكننا أن نواصل أسئلة الادب والفن ، هناك سؤال عن الالتزام . وهى قضية كما رأيتم موضع جدل واسع فى بلادنا اليوم .

علاء البياع ، كلية الاداب : بالنسبة للالتزام فى الادب ، ماهو مفهومه اليوم فى نظرك وارتباط قضية الالتزام بقضية التطور فى الشعوب النامية . ولماذا استثنيت الشعر من الالتزام كما جاء فى كتابك « ماهو الادب » ؟

● **سارتر :** لقد قلت منذ عدة أيام فى مناقشة مع زملاء لكم ان الادب الملتزم ليس هو الادب الموجه . الادب الموجه ، اذا كان يصح أن نسمى هذا أدبا ، لانه فى الحقيقة لايعدو أن يكون مجرد كتابة نصوص ذات هدف سياسى واضح . ربما كانت كتابة جيدة ولكنها ليست أدبا بمعنى الكلمة .

اما الادب الملتزم فهو فى رايى أن الكاتب يجب أن يدرك شمولية وجوده فى العالم . هذا يعنى أنه فى موقف معين ومحدد وهذا يعترض وجود مجتمع محدد . ولكنه ليس محددا فقط ، وانما متحركا متطورا ومرتبطا بالعالم . سواء كان هذا الرباط بالمساعدة او التهديد . ولا يجب على الكاتب ان يأخذ كل شيء على اعتبار انه كاتب ، على مستوى عقلانى محدد وانما يجب أن يتناول الاشياء تماما مثلما يعيشها هو ومثلما يعيشها الاخرون معه . بشكل آخر فان الادب الملتزم لا يختلف فى بعض النقاط عن الادب الموجه أى انه يساهم ويجب أن يساهم فى التطور الاجتماعى مثلما يريد الادب الموجه ولكنه لايفعل هذا بهدف تقديم شعارات ونداءات ، وانما يفعله بهدف تسجيل مايحدث فى الحياة المعاشة بطريقة فنية . أى تسجيل شيء يتحرك ويتطور ، ولكنه غير مفهوم بوضوح .

ان الادب قد خلق خصيصا لتمكيننا من فهم الامور الشديدة التعقيد والغموض والاستغلاق والخصوصية . الادب قد خلق ليعطى معنى عقلانى . انه قد خلق ليقدم مانشعر به . ولكن الذى نشعر به هو بالضرورة شيء يسلمنا المجموع العام للعالم تماما مثلما يفرض علينا الاحساس كما هو فى واقعه وفى مثل هذه الظروف من المستحيل على كاتب ملتزم ويعيش فى عصرنا .. أقول ملتزم أى يسجل شمول مجتمعه .. من المستحيل عليه أن يؤلف كتبا دون أن يعكس قلقنا مثلا أمام التهديد الذرى وكفاحنا ضد هذا التهديد ، أى ضد الامبريالية ولكنه لو قرر بينه وبين نفسه قائلا : « سأكتب ضد القنبلة الذرية » ولو بدأ فى كتابة مؤلف واضعا هذا الهدف أمامه بوضوح ، فانه من الممكن أن يسجل شيئا بوصفه كاتبا مناظرا أو مناضلا أو منشئا (كاتب مقالات) ولكنه لن يكتب أدبا بالمعنى الذى قد يفعله كاتب روائى مثلا . يجب ببساطة أن يفرض على نفسه أن يقول كل شيء مما يحس به ، فى هذه اللحظة

يصبح موضـــوع التهـــديد الذرى أو موضـــوع الثورة ضد هذا التهديد الذي يمارس على البشر ، في هذه اللحظة يمزج هذا الموضوع في اعماق نفسه . في هذه اللحظة قد يعبر عن هذا الموضوع ربما حتى دون ذكر اسم « التهديد الذرى » .. ربما أصـبحت نوعا من القلق ، قـد يكون غامضـا في الـكتاب لـكنه محسوس عـلى المسـتوى الاجتماعي ، يستطيع القارىء أن يشعر به دون أن يقول بوضوح انه قلق راجع لذلك التهديد . وبهذا المعنى يصبح من الواضح ان الادب في بلاد العالم الثالث لايمكن الا أن يكون ملتزما .

وفي هذا الاطار فان الذى يهم في بلد تسير على طريق النمو وعلى طريق الاشتراكية هو تسجيل كل ـــ ما ينتج عن البنـاءات الاقتصـادية والاجتماعية كل ما هو معاش كل ما يمكن لانسان أن يعيشه أى انسان . ربما لم يـكن هذا الانسان عليما بأى شيء عن البناءات الاقتصادية ولكنه يعيشها كل يوم . في هذه اللحظة يصبح الادب ملتزما لانه شيء يجب أن يدفع الانسان الى التجربة والى الاحساس بالتناقضات . والمشاعر تدفع الانسان نحو هدف ما ، وفى نفس الوقت فانها تفعل ذلك ببساطة عبر حياة يقصـها الكاتب . حياة اناس حياتنا نحن . بهـذا المعنى يصبح الكاتب ما .

ومن وجهة النظرة هـذه تسألونني لـماذا استبعدت الشعر . انى لم استبعده تماما من الالتزام . فقط أقول أن الشـاعر يستخدم الكلمات بطريقة تختلف تماما عن تلك التى يستخدمها كاتب النثر . وعلى هذا الاحســاس فلا يمكننا أن نطالب الشاعر بنفس الالتزام المحـدد . ولكن أن يكون لدينا اليوم وفى البـلاد المناضلة بالتحديد ، شـعرا ملتزما كشعر « سيزير » مثلا فهذا لايثير الشك مطلقا .

ان اشعاره تتمتع بطـابع مزدوج . فهى ذات اصـل أو مؤثرات سريالية وبمعنى من المعاني فهى تقدم نفسها بشكل غامض نسبيا يعطيها قوة وحدة شاعريتين ولا تقدم لنا معارف أو أحاسيس عقلانية أو محددة ، وهي في نفس الوقت أغاني ثورية للانتيليين المقهورين تثير الاعجاب حقا .

اذن فانى استطيع أن أقول ان شئتم ان هناك اشعارا تفلت من الالتـزام بطبيعتها الذاتية . ولكن هناك بشر مثل « سـيزير » أو غـيره يستطيعون الاحتفـاظ بالبناء الشعرى . وفى نفس الوقت يسـتطيعون تسجيل تطور بلادهم حتى بصور تتولد من طبيعة بلادهم . وانى لامل أن تكونوا قد قرأتم «سيزير» فهو من كبار شعراء اللغـة الفرنسية .

لطفى الخولى : الاسـئلة تعود بنا الى **سيمون دى بوفوار** مرة أخرى . السؤال هـذه المرة بسيط ومحدود ولكنه في نفس الوقت معقد أرجو أن يتسع صدرك .. تفضل .

على محمود كلية التجارة : ماهو رأيك في الزواج .

● **سيمون دى بوفوار :** حسن .. انى اعتقد أن الزواج يجب أن يكون شركة حرة بين الرجل والمرأة وأن يكون باستطاعة كل منهمـا أن يكتفى بذاته وبالتالي أن يكون لكل منهما امكانية الانسحاب من هـذه الشركة اذا ما اراد احدهما هذا ، ووجد هذا اصلح له وفى حدود الممكن بالطبع ، على ان لايجور هذا على مصالح الاطفال أو أن يكون ناجما عن نزوة طارئة .

ان الزواج في أغلب الاحيان شيء مختلف تماما عن هذا فهو بالنسبة للنساء وظيفة يلتحقن بها عندما لايجدن شيئا يفعلنه ، ووسيلة يجدن من خلالها أحدا لاعالتهن . وهو بالنسبة للرجال نوع من الراحة الاجتماعية فهو يعطى تكوينا ظـاهريا اجتماعيـا وهو يسـمح لهم بانجاب الاطفال فهم يريدون أطفالا ، ولانه من المريح أن يكون للرجل امرأة في بيته لتدير شئونه . في هذه الحـال يتحول الزواج الى نوع من القهر يمارسـه الرجل على المرأة ، تزدوج في الغـالب الاعم اذ يصبح هناك ايضـا نوع من القهر تمارسه المرأة على الرجل ولكن بشكل اكثر دقة . وفى النهاية يتحول الامر الى شقاء متبادل عندما يمتد به الزمن ، ذلك لان الحرية في هذه اللحظة تصبح حرية مفتقدة ، ولان الزواج لم يعد مثلما كان يأمل كل من الطرفين في البداية . فاذا كان الزواج مثلما وصفته في البداية فاعتقد انه أمر طيب جدا ولكنى اعتقد ان مثل هذه الحالة نادرة .

لطفى الخولى : سؤال او لعله طلب ورجاء **لسارتر** من **أحمد عثمان** .

احمـد عثمـان كلية الاداب : لاحظت انك تدخن بكثرة واذا علمنـا أن التـدخين يسبب السرطان كما يقول الاطباء فهل تستطيع أن تحرر نفسك من هذه العادة خدمة للفكر الانساني ؟

● **سارتر :** أنا أدخن منذ أربعة عشر عاما وعمرى الان اثنين وستين عاما . واذا كنت سأصاب بالسرطان فسيكون سرطان الشيخوخة وهـذا يمكن الاحتفاظ به حتى سن الثمانين .. اطمئن . شكرا .

لطفى الخولى : والان السـؤال الاخير لو سمحتم لان الوقت المتفق عليه لهذه الجلسـة قد حان .

طالبة بـكلية الحقـوق : هل القضـية المرفوعة منك ومن الفيلسوف راسل على الرئيس

جونسون بخصوص قضية فيتنام ، هل تتضمن فيما تتضمنه بشكل خاص ادانة للمدنية الامريكية من حيث ان أعمال جونسون ورجاله العسكريون ثمار طريقة تفكير وثقافة خاصة بالامريكان ؟

● **سارتر** : ان محكمة رسل لاتدين الامبريالية . فالامبريالية لا تدان وانما تكافح . ولكن المحكمة تريد ادانة جرائم الحرب . اى انها تريد ان تعرف ما اذا كانت فى هذا الكفاح الذى نقوم به كلنا ضد الامبريالية هناك قوى العدوان الامبريالية الان بفيتنام قد سمحت لنفسها القيام بأعمال استنكرتها الاتفاقات الدولية مثل معاهدة **بريانكيلوج** أو معاهدة جونيف ونورمبرج ؟ اننا نريد أن نعرف اذ كان بالامكان وصف هجوم الامريكان على فيتنام بصفة العدوان . اننا نريد ان نعرف ما **اذا** كانت الاسلحة المستخدمة هى اسلحة ضد الافراد المدنيين أو اسلحة كلاسيكية . ان الاسلحة المعروفة باسم «ضد الفراد» هى اسلحة توجه خصيصا ضد السكان المدنيين .

اننا نريد أن نعرف ماذا كان الامريكان الموجودين بفيتنام الجنوبية يقومون بتعذيب سجنائهم أو اذا كانوا يتركون ذلك للفرق الفيتنامية الجنوبية تعذيب افراد جبهة التحرير الذين يأسرونهم أو يتعاونون معا .

نريد أن نعرف ما اذا كانوا يحاولون عن عمد تسميم منابع المياه وتدمير المزارع . واذا ماكانت المدافع تصوب قنابلها على المدارس والمستشفيات ؟ ذلك هو مجموع الاحداث الذى نريد أن نعرف ما اذا كان حقيقيا ام مزيفا . هناك عديد من اللجان قد سافرت الى هناك وأتت لنا بنتائج تسمح لنا بمعرفة أن بعض هذه الاحداث قد تحقق من حدوثها فعلا . ان ادانة هذه الافعال ليس ادانة للامبريالية . هذا غير معقول انها محاكمة للجرائم فقط . وربما كانت كل امبريالية تقوم بالجرائم ، وعلى أى حال فاننا نعلق على أملين : أولهما : ان تظل المحكمة دائمة أى حتى بعد اصدار الحكم . وحتى بعد المخرج الذى قد تنتهى اليه حرب فيتنام يجب أن تظل المحكمة قائمة حتى تحاكم كل جرائم الحرب فهناك نضالات كثيرة وجرائم كثيرة . نريد أن تظل هذه الهيئة قائمة . ولكن ليس هذا كفاحا ضد الامبريالية انه أحد عناصر هذا الكفاح ان شئتم . ان الكفاح الحقيقى ضد الامبريالية يقوم على الكشف الدائم المستمر عن الامبريالية ، وعلى الكفاح اليومى وعلى اتحاد الشعوب .. يقوم على الاحتجاجات والاضرابات والكفاح المسلح . الخلاصة ان المسالة مسالة وقائع مستمرة . أما فيما يخص الحديث عن امبريالية جونسون والحضارة الامريكية فنحن لاندين الحضارة الامريكية ولانحاربها ولكننا نعرف تماما البناء السفلى لهذه الحضارة التى يستغل أمريكا اللاتينية وبعض البلاد الاسيوية أو تريد استغلالها . نحن لاندين هذا البناء السفلى الذى قد يدينه قاض ولكننا نريد ان نساعد البلاد التى تكافح للخروج من دائرة السيطرة هذه . ونحن بهذا نأمل فى ان نتمكن من تغيير هذا البناء السفلى الذى يقف عليه المجتمع الامريكى ذلك لانه ليس من شك فى فناء الامبريالية اذا ما غير المجتمع الامريكى من قواعده المؤسس عليها أى أن نعمل على أن تفقد هذا الرخاء الذى ينبع من استقلال البلاد ويجعل من الامريكيين متواطئين مع هذا النظام حتى ان لم يريدوا هذا .

ب مختارات من اللقاءات الجماعية

مع الفلاحين

● انى سعيد بوجودى بينكم . لقد رايت فى الايام الماضية صورا من نجاح الثورة المصرية ، ولكنى أرى اليوم بشكل واضح التقاء القيادات الثورية مع فئات الشعب العامل .. واشعر بايمان لاشك فيه أنكم حقا حماة الثورة ، أنكم ستقفون

لنام جيوب الرجعية والاقطاع .. أنتم أيها الاحرار الذين يستميتون أي محاولة لاعادة عجلة الثورة الى الوراء .. عاشت ثورتكم المصرية .

(سارتر في لقائه مع فلاحي كمشيش في ١٩٦٧/٣/٩)

● انني اشارك سارتر في تحيتكم ، وفي تحية الثورة المصرية .. ولكني فخورة بنوع خاص أن ارى المرأة هنا في كمشيش تقوم بدورها الطليعي والثوري .

(سيمون دي بوفوار في لقائها مع فلاحي كمشيش في ١٩٦٧/٣/٩)

● .. انني رايت في بلادكم كيف ان كل قطرة من ماء النيل تستغل في الزراعة وكذلك رأيت المراكز التعاونية الزراعية . ولكن عليكم أن تعالجوا مشكلة تزايد السكان حتى تحافظوا على ماحققتموه من مكاسب .. أن المستقبل هو ما تختارونه أنتم بارادتكم صنعه .

(سارتر في لقائه مع فلاحي كمشيش في ١٩٦٧/٣/٩)

● عندما عرفت ان شابا تقدميا من بلادكم قد قتل كان شعوري أليما جدا . ولكن هذا الشعور الحزين مالبث ان تغير عندما عرفت ان مقتله قد دفع بالمد الثوري الى الامام وخلق من قرية كمشيش خلية ثورية .. لقد ساهم موته في أشعال المد الثوري وسط جماهير القاعدة الشعبية من الفلاحين .وانني لسعيد باللقاء مع هذه الجماهير واتمنى لثورتكم الانتصار الدائم .

(سارتر في لقائه مع فلاحي كمشيش في ١٩٦٧/٣/٩)

مع العمـــــــال

● طبعا انا ضد الحرب بشكل قاطع . ولكني بلا نزاع أقف في نفس الوقت بجانب حركات التحرر الوطني . ومنذ اللحظة الاولى وقفت ضد الاستعمار الامريكي في فيتنام .ووقفت الى جانب حرب التحرير الجزائرية لانني كنت مؤمنا أن الحرية والسلام لن يستتبا في الجزائر الا بانتصار الثورة الجزائرية .

(سارتر ـــ في لقائه مع عمال كيما باسوان في ١٩٦٧/٣/٣)

● التحول الى الاشتراكية في فرنسا امر عسير جدا الا إذا أتحدت جميع العناصر اليسارية بمختلف درجاتها ، ولكن هذا غير ممكن الان بكل أسف . وكل من يسعى الى تحقيق الاشتراكية في فرنسا ، ينبغي عليه أن يسعى نحو تحقيق هذه الوحدة أولا

(سارتر ـــ في لقائه مع عمال كيما في أسوان في ١٩٦٧/٣/٣)

● الحقيقة انه من الصعب الحكم على مايجري في داخل الصين . فأنا لست هناك . ولاأعرف حقيقة ما يحدث بها . ولااستطيع ان اقف الى جانب الصين ضد الاتحاد السوفيتي . ولا الى جانب الاتحاد السوفيتي ضد الصين . ولكن كل ما يمكن قوله الان أن في ذلك تعارضا داخل النظام الاشتراكي ، وأن هذا التعارض من المؤكد أنه يضعف الجبهة الاشتراكية . واخشى ما اخشاه ان يكون من نتائجه أستمرار حرب فيتنام اكثر مما قدر لها ان تستمر حتى اليوم ، وأكثر من طاقة الجبهة الاشتراكية علي أيقافها نظرا لهذا الضعف الناشيء عن تصدعها الداخلي . وان كنت ارى ان احتمال وجود تعارض داخل النظرية الاشتراكية امرا مشروعا .

(سارتر ـــ في لقائه مع عمال السد العالى في ١٩٦٧/٣/٣)

● في جنوب مصر التقيت بتاريخكم والتقيت بثقافتكم ، كما التقيت بهما في الشمال في الاهرام . هذا الشعب له ماض عريق يلتقي اليوم مع حاضر عظيم امام السد العالى .. ولقد وجدت أمامي وصلة فعليه بين ماض وبين مستقبل يامل فيه هذا الشعب ويستعد له . هذا كان شيئا ساحرا بالنسبة لي .

(سيمون دي بوفوار ـــ في لقائها مع عمال السد العالى في ١٩٦٧/٣/٣)

● ارى ان الماركسية منهج لمعالجة المشاكل الاجتماعية والاقتصادية في عصرنا . ومن هـــذه الزاوية فانني ماركسي وأن كنت غير شيوعي بمعنى أني غير منضـــم لاى حـــزب . والملاحـــظ ان الدراسات الماركسية قد توقفت متجمدة منذ ثلاثين عاما . والسبب في ذلك أن الماركسية نظرية وتطبيق وقد كان التطبيق يغلب دائما على الفكر وبالتالى يعطل نمو الفكر النظرى دائما . والان توجد مداخل متعددة للماركسية . وقد زاعت المعوقات التي كانت قائمة أمام الفكر الماركسي بسبب مساهمة الفكر الحي الذي ينبع اليوم من العالم الثالث . وتشهد فرنسا اليوم أزدهارا واضحا في الفكر الماركسي . ولايمكن امتبار هذا الازدهار نوعا من أتجاهات المراجعة . كما هو معروف من اصطلاحات الفكر السياسي الماركسي الحديث . وأنما هو في الواقع تعبير جديد وحر من الماركسية . والوجوديون يساهمون في تطوير هذه الفلسفة حيث تتبلور مساهمتهم في موقفهم من مشكلة الحرية بأبعادها الطبقية والفردية .

(سارتر ـــ في لقائه مع عمال السد العالى في ١٩٦٧/٣/٣)

مع المثقفـــــــين

● لا استطيع ان اقول لكم سوى شيء واحد وهو أن الوجودية تعتبر نفسها نمطا من أنماط البحث

في داخل الفكر الاشتراكي العلمي . ولست أعتقد مطلقا على عكس ماقيل في الكلمة التي سمعتهاهنا الان أن الفكر الوجودي يتطور ابتداء من نقطة الانطلاق الذاتية . أن الوجودية بكل بساطة تعنى بأن تحل في أطار الفلسفة الاشتراكية العلمية عددا من القضايا التي أهملتها الماركسية . وبالذات مشكلة علاقة الطبقة بالمجموعة وعلاقة المجموعة بالافراد . وبهذا الاعتبار تستطيع الوجودية أن تقدم مساهمتها المتفردةفيتطوير الماركسية ..ان الوجوديةمذهب ثوريبمقدار ما تتكامل بالتحديد مع الماركسية .

(سارتر — في لقائه مع رواد قصر الثقافة باسوان في ١٩٦٧/٣/٢)

● دائما كانوا يقولون عن الوجودية بانها متشائمة . ودائما ما كانت هذه التهمة تنبع من عدم مشاركة الوجوديين لنقادهم في القيم التي يعتنقونها ولست أعتقد أن دعوة الوجودية الى تحرير الانسان والىمقاومة الاستغلال وازالةالغربة يمكنأنتعرف بأنها مظاهر تشاؤم بأي معنى من المعاني .

(سارتر — في لقائه مع اساتذة وطلبة معاهد الفنون العليا بمدينة الفنون في ١٩٦٧/٢/٢٧)

● اعتقد انمسرح «بريخت» هو اكثر المسارح أهمية في السنوات الاخيرة . ومع ذلك فلاينبغي أن ننسى الظروف التي كتب فيها ذلك المسرح . فهو مسرح تعليمي نوعا ما في جانب كبير منه ، ولم يقصد بهأحداث تغييرات أجتماعيةكما يقول السؤال الهدف الذي كان يرمي اليه « بريخت » من مسرحه هووصف المجتمع بمافيهمن متناقضات وتصويره بأسلوب الرجل الذي ينظر اليه من الخارج . وثمة درجة من درجات الفتور ينطوي عليها هذا المسرح الذي يدفع اليههذا التأملمن الخارج .وعلىهذا الاساس فان بريخت كاتب مسرحي ناقد للمجتمع البرجوازي . وهو بهذا المعنى كاتب ثوري قبل وقوع الثورة . وبالتالي فلو أردنا أن يوجد كاتب مسرحي معاصر للاحداث الثورية فانالمنهجالمناسب لذلكهو منهج آخر تماما يجمعبين النظرمن الخارج والمعايشة من الداخل معا .

(سارتر — فيلقائه مع الادباء والكتاب وفناني المسرح بالمسرح القومي في ١٩٦٧/٣/٦)

● ادب الدعاية بكل بساطة ليس ادبا على الاطلاق . وحينما ناديت بالادب الملتزم لم أكن اقصد على الاطلاق أن يسخر الادب للدعاية . فالادب لا يكون أدبا مهما كان مضمونه أجتماعيا أو هادفا اذا لميتوفرله الشكل الجمالي الملائم . وليسمن الضروري أن يلتزم الكاتب بالواقعية الاشتراكية حتى يكون أدبا ملتزما . وأنما يجب أن يكون موضوعه ذا قيمة أجتماعية مع الاهتمام بالطبع بالناحية الجمالية ، ولاضرب لكم مثلا مما شاهدته في المعرض التشكيلي الذي رأيته بالامس عندكم . لقد لاحظت أن من بين الموضوعات التي شغلت بال الفنانين التشكيليين قائمة على « السد العالي » . ولكن الشيء الملفت للنظر أنهم لم يحاولوا تصوير العمال الذين يشقون الارض بآلاتهم ، أي انهم لم يتجهوا للتعبير بشكل مباشر وزاعق عن موضوعهم . ولكنهم وجهوا أهتمامهم — على العكس — الى محاولة حل المسائل التشكيلية المتعلقة بالقالب ، فكانت هذه السمة تمثل قاسما مشتركا بينهم .. أنهم يهتمون بمعنى السد العالي في حياتهم ، وهو معنى أجتماعي ، كما يهتمون بالقيم التشكيلية الجمالية . والقضية التي تواجههم هي محاولة التوفيق بين أستلهام منابع ثلاثة : الاصول الفرعونية ، الاصول الفلكورية ، ثم التأثرات الغربية التي تعلموها من فناني الغرب .. ثم بعد ذلك كيفية التعبير عن هذا كله تعبيرا يسوده الانسجام ..

ومشكلة الادب ، هي نفس المشكلة في الواقع فكل من يقول لنفسه وهو يحلق ذقنه في الصباح : لسوف أكتب أدبا عن حرب فيتنام ، فهو في الواقع لن يكتب أدبا وانما سيكتب دعاية فقط . ومع ذلك فمن الضروري أن نتذكر انه من المستحيل أن يعيش الانسان في عصرنا دون أن يحمل على عاتقه مشاكل العصر كلها . حرب فيتنام والقنبلة الذرية مثلا .. فهاتان المشكلتان تمثلان جزءا أساسيا من وجدان القرن العشرين .

ونفس الوضع ينطبق على الشاعر الذي يكتب قصيدة حب ، يعبر فيها عن عاطفة خالصة بعيدة عمايجري فيالعالم منأحداث ومايسوده منتوترات هذا الشاعر يسقط في التجريد ، ويخطيء نفس خطأ الاديب الذي يكتب عملا دعائيا فقط .. اذن فمن الواجب على الاديب الحقيقي أن يكون مسئولا على الدوام ومشغولا طوال الوقت بمشكلات وقضايا العصر .

(سارتر — في لقائه مع الادباء والكتاب وفناني المسرح فيالمسرح القومي في ٦٧/٣/٦)

● اسمحوا لي ان اقول ان قضية علاقة الوجودية بالمجتمع تحظى بسوء فهم نوعا ما .نحن كلنانعيش فيمجتمع ونتأثربه ... نحن نجد انفسنا في نفس الوقت غرباء وفي عزلة ، بمعنى أن ظروف حياتنا هي أن واقعنا بين أيدي الغير . وذلك يبدو واضحا في المجتمعات المستغلة والبرجوازية .اذ أننا عندما نقدم على تصرف ما ويخرج منا هذا التصرف لايصبح ملكا لنا ، وأنمايصبح ملكا للغيروتحتتصرفه وارادته . وهذا عادة يحدث بوضوح في المجتمعات التي تعتبر الحرية ترفا .

انحريتنا عادةتكشفها يومان نحس بعبوديتنا، واذا كنا أحرارا فنحن نشعر بهذه العبودية ومنبتها سواء أكانت العبودية لفكرة أو لعمل .●

وبمجرد أن تخرج تصرفاتنا منا ، فنحن مسئولون عنها . ومهما كانت النتائج فمن المهم أن نعمل على السيطرة عليها وجعلها فى صالحنا . ولاضرب لكم مثلا وقع لى شخصيا . عندما كتبت مسرحية الايدى القذرة ، وتدور حوادثها حول عضو ملتزم فى حزب فى دولة من دول أوربا الشرقية ، كان اليسار فى ذلك الوقت يعانى انقساما . . الشيوعيون فى ناحية وباقى اليسار فى ناحية أخرى . وكانت فرصة لكى يرفع اليمين رأسه ويظهر على مسرح الاحداث . وما كادت مسرحيتى تظهر فى السوق حتى اعلن اليمين ان هذه المسرحية تنقد الشيوعية وتعاديها ، وبدأت الاحزاب الشيوعية تهاجمنى .

وعندما ذهبت عام ١٩٥٤، ١٩٥٥ — لاأذكر تماما — الى فيينا لكى اشترك فى مؤتمر السلام العالمى قالوا لى ان مسرحيتى هذه سوف تمثل على احد مسارحها . وهنا شعرت أن هذا العمل الذى خرج منى وأصبح بين أيدى الاخرين على أن أدافع عن موقفى خلاله . فأنا لم أكن اعنى أبدا الهجوم على الشيوعية وقلت هذا علانية وشرحت هدفى من كتابة هذه المسرحية . وبعد مرور بعض الوقت طلب الشيوعيون فى أيطاليا أن يمثلوا هذه المسرحية

(سارتر — فى لقائه مع اساتذة وطلبة جامعة الاسكندرية فى ١٩٦٧/٣/٨)

مع النســـــــــاء

● ان لدينا فى فرنسا هذه القوانين التى تعطى المرأة اجازات بسبب الحمل والولادة ومع ذلك فان هذه المزايا فى الواقع ، تقف عادة حائلا دون تشغيل عدد من الكفاءات النسائية . فأنا أعرف مثلا عددا من الكيمائيات الماهرات رفض صاحب العمل أن يلحقهن بالعمل وفضل عليهن الرجال . وذلك بسبب هذه الامتيازات بالذات . ففى رأيه أن تشغيل المرأة وخاصة بعد زواجها يفقده جانبا من الربح الذى يعود عليه .

(سيمون دى بوفوار — فى لقائها مع ممثلات الحركة النسائية بالقاهرة فى ١٩٦٧/٣/٥)

● لقد لاحظت وانا فى اسوان اهتماما عميقا بتحرير المرأة ولاحظت وأنا أتكلم عن اهمية تحرير المرأة ان الذى تحمس لاجاباتى وصفق لها هن النساء وليس الرجال .. وفى رأيى أن الدور الاساسى فى مشكلة تحرير المرأة ، هو المرأة نفسها بمعنى انه يقع على عاتقها هى أولا . وبالتالى فهى عملية شاقة وصعبة لان المرأة عادة دورها فى المجتمع مزدوج . فهى تكافح من أجل أن تتحرر وتتساوى مع الرجل ، ثم أيضا تشارك فى معركة التنمية والانتاج وتحرير المجتمع . وفى رأيى أن تحرير المرأة يحتاج الى جهد مضاعف ووقت فان الرواسب القائمة لها جذور تاريخية عميقة ولابد من فرص تتخلص فيها من رواسب التقاليد والمجتمع الرأسمالى .

(سيمون دى بوفوار — فى لقائها مع ممثلات الحركة النسائية بالقاهرة فى ١٩٦٧/٣/٥)

● نعم .. هناك فى عادات الفلاح الفرنسى مايعوق تقدم الفلاحة الفرنسية فعلا .. وذلك لان التقاليد الموروثة تعطى الرجال حق الافضلية . وبالتالى تجعلهم فى مستوى أعلى من مستوى المرأة . ولكن من خلال مشاركة المرأة للرجل فى العمل تولد قيم جديدة وتقاليد جديدة تسمح للفلاحة بمقاومة العقبات التى تنهض فى سبيل تحررها ..

(سيمون دى بوفوار — فى لقائها مع فلاحات كمشيش فى ١٩٦٧/٣/٩)

مع الشعب الفلسطينى فى غزة

● شكرا لكم .. فبفضل معونتكم استطعت أن أرى الواقع الفلسطينى وأن أفهم جيدا ما يمكن أن يشعر به الرجال والنساء والاطفال الذيـــن يعيشون فى معسكرات بعيدين عن أرضهم ، وأن افهم ايضا رغبتهم العميقة فى العودة اليها . وانا أعرف أنكم تنظمون أنفسكم للوصول الى هذا الهدف وعلى ذلك وبسبب فهمى هذا فان عواطفى معكم .

(سارتر — فى لقائه مع اللاجئين والشـــعب الفلسطينى فى غزة فى ١٩٦٧/٣/١٠)

● انكم تطلبون منى خلال زيارتى لاسرائيل او كما تعبرون عنها فلسطين المحتلة ، أن أزور هناك بعض القرى العربية مثل كفر قاسم وأن أرى وأتحدث مع العرب هناك . وهذا امر لم أنساه بل أننى منذ البداية أبديت رغبتى الواضحة الصريحة فى مقابلة العرب وأعدكم أننى سوف أفعل هذا وأزور جميع الاماكن التى طلبتم منى زيارتها والتحدث الى العرب هناك وتحقيق حالتهم ووضعهم . وسوف أنشر فى عدد مجلتى « العصور الحديثة » الذى سوف اصدره عن القضية من وجهتى النظر العربيـــة والاسرائيلية وثيقة خاصة بالمنظمة العربية داخل اسرائيل المعروفة باسم الارض . وانى لاشكركم على هذه الصراحة فى الحديث معى وأستطيع أن أوكد لكم أننى سوف أنقل وجهة نظركم الى فرنسا وزملائى الفرنسيين .

(سارتر — فى لقائه مع اللاجئين والشعب الفلسطينى فى غزة فى ١٩٦٧/٣/١٠)

● استطيع مطمئنا ان اقرر لكم انى اعترف دون تحفظ بالحق القومى لجميع اللاجئين الفلسطينيين فى العودة الى بلادهم .

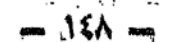
(سارتر — فى لقائه مع اللاجئين والشـــعب الفلسطينى فى غزة فى ١٩٦٧/٣/١٠)

وثائق

وثائق تاريخية عن:

الثورة العرابية

النص الكامل لمحاضر التحقيقات مع حماد «بك» ومحمد شافعى ، والفى يوسف ، ويوسف أبو دية ، ونجيب أغا ، ومحمد عارف ، وسعيد البستانى ، ومحمد منيب .



وحماد ((بك)) جرى معه التحقيق بسبب حضور حسن موسى العقاد (من العرابيين) اليه فى يوم ١١ يونية سنة ١٨٨٢ ، وهو يوم ((مقتلة الاسكندرية)) التى راح ضحيتها عديد من المصريين والاجانب . ومحمد شافعى ((افندى)) كان كاتبا لدى سلطان ((باشا)) ، اعترف فى تحقيق القومسيون عن سليمان زغيب مأمور الطوبخانة بأنه من اكبر المتشيعين لحزب العصاة ، والفى افندى يوسف كان بكباشيا بآلاى ٤ جى بيادة تحت قيادة احمدعرابى ، اعترف باشتراكه مع البكباشى محمدخورشيد ابوجبل وعثمان شريف ومحمودطاهر فى منع هذا الالاى من الذهاب الى تكنات قصر النيل لاخراج القادة العرابيين الذين احتجزوا هناك . واليوزباشى يوسف أبو دية اتهم بتحريض الاهالى فى طنطا على احداث ((المقتلة)) المعروفة باسم هذه المدينة ، وذلك وهو فى طريقه من دمياط فى

بامورية ، لطرف عرابى بكفر الدوار . ونجيب اغا هو وكيل دائرة سلطان باشا ، بسجن بالطوبخانة اثناء الثورة وتحقق معه بشأن ما تعرض له اثناء فترة السجن ، ومحمد افندى عارف بكباشى بالجيش ، سئل عن معلوماته بشان ما حدث يوم ٩ سبتمبر سنة ١٨٨١ (يوم عابدين) ، بعد رجوعه بـ ٦٠ بلوكات من طنطا فى ذلك اليوم ، وقد ذهبت هذه البلوكات الى عابدين بعد ان تركها هذا البكباشى فى قصر النيل ، اما سعيد افندى البستانى فكان مترجما بقلم المطبوعات ، وسئل عن مراسلات محمد عبده وغيره من العرابيين ، مع ويلفريد بلنت (مؤلف كتاب التاريخ السرى للاحتلال البريطانى) ولويس صابونجى الذى عاصر احداث الثورة ، اما محمد افندى منيب فكان بكباشى اورطة سوارى الخديوى ، طلب منه احمد عرابى تعيين بلوكين سوارى وارسالهما اليه ، كما استفسر منه القومسيون عن رأيه فى حريق الاسكندرية ودور العرابيين فيه .

●●●

محضر استجواب حماد بك

(فى يوم الخميس ١٢ محرم سنة ١٣٠٠ - بناء على ما تقرر بجلسة يوم ١١ محرم سنة ١٣٠٠ كان طلب حضور حماد بك فحضر فى هذا اليوم وسئل فاجاب كما ياتى) :

س : هل تعلم بيوم مقتلة الاسكندرية ؟

ج : نعم اعلم به وهو يوم الاحد ١١ يونيو سنة ١٨٨٢ .

س : هل حضر حسن موسى العقاد الى طرفك فى ذلك اليوم ؟

ج : حضر بين الساعة تسعة ونصف وعشرة عربى .

س : لماذا حضر بطرفك ؟

ج : لما حضرت من صلاة العصر ، وجدته قاعد بالمندرة ، فسألته عن سبب حضوره فاجابنى ، ان له قضية عندنا فى المجلس ويرغب معرفة انتهائها من عدمه ، فقلت له اظن انها انتهت فاراد ان يعرف نتيجتها ، فقلت له النتيجة لا تعرف الا فى يوم الخميس والافوكاتو الموكل عنك يخبرك عنها ، ثم حصل صيحة كبيرة فى الحارة امامنا فخرجت انا وهو الى الباب لننظر الخبر فسمعنا المارين يقولون ، (عراكة فى المنشية والرصاص يطلق فيها بين اروام واولاد عرب) ، فحينئذ حصل لنا رعب نحن الاثنين فقلت له ، يا اخى لا تؤاخذنى ولا لزوم للقهوة بل توجه لشغلك لانى سأقفل الباب ، فخرج وركب العربة ومشى .

س : ما كانت الساعة وقت خروجه من المنزل ؟

ج : كانت الساعة عشرة تقريبا

س : الم يتكلم معكم وقت العراكة ؟

ج : لا .. انما لما رأى مرور العساكر قال لابد أن تكون مسألة كبيرة .

س : هل رأيته فى الاسكندرية قبل اليوم المذكور ؟

ج : لم يحضر الى فى مدة الثلاث سنين التى اقمتها فى الاسكندرية الا فى ذلك اليوم ، انما هو رجل تاجر وكان يحضر غالبا على ما بلغنى ولكنى لم اره .

(اذن له بعد ذلك بالانصراف) .

اعضاء	اعضاء
محمد مختار	محمد حمدى
سعد الدين	يوسف شهدى
على غالب	رئيس القومسيون
	اسماعيل ايوب

محضر استجواب شافعى افندى بالنواب

(فى يوم الاثنين غاية محرم سنة ١٣٠٠ بناء على ما تقرر بجلسة امس ، كان تحرر لسعادة سلطان باشا عن حضور شافعى افندى (كاتب) فحضر وسئل فاجاب كما ياتى) :

س : ما اسمك ؟

ج : محمد شافعى .

س : لما كنت بالطوبخانة من الذى كان فيها بصفة مأمور ؟

ج : سليمان زغيب .

س : بعض اناس من المسجونين ادعوا على المذكور انه يعذبهم ويأخذ نقودا منهم ،

فهل لك علم بشيء من ذلك؟

ج : الضرب عاينته واما النقود فسمعت بها ، حتى انه في عهد ادارة نيابة الحضرة الخديوية ، كان تقدم كشف من احد جنرالات الانكليز بالقلعة يشتمل على مفردات مائة جنيه وستة وكسور ، ويقال ان سليمان زغيب المذكور اخذهم وكان تعين بمعرفة سلطان باشا **على افندى ثابت** احد ياوران الحضرة الخديوية لتحصيلهم منه ، ولعدم اتمام ذلك كان تعين حضرة **عثمان افندى بدران** لتحصيلهم ايضا ، فتوجه وحضر مخبرا بأن المذكور استحضر اليه مبلغ ٤٨ جنيها مما حصل الادعاءبه عليه ولم يقبلهم لعدم استكمال المطلوب واوعد باستحضاره اليه لانى غير متذكر الان ذلك .

س : ابراهيم افندى الهلباوى اخبر انه كان عمل لذلك قضية ولكونك كاتبا بطرف سعادة سلطان باشا فأين توجد الورقة تعلقها ؟

ج : اعلم يقينا انه لم يعمل لذلك قضية ، بمعرفة ادارة الحضرة الخديوية وانما بناء على الكشف الذى تقدم ، كان تحرر لكل من حضرات المومأ اليهما بالتوجه والتحصيل ولتصادف دخول دولتلو رياض باشا لمصر وتحويل الادارة على دولته لم يعلم ماذا تم .

س : هل لم يؤخذ منك نقودا ولم يحصل لك ضرب ؟

ج : لم يحصل ذلك جميعه ولكن اصبت باهانة موجبة لمس الشرف مثل صدور امر المذكور بتشغيلى ولم يتم .

س : حيث كنت بالطوبخانة فضرورى، شاهدت احوال سليمان المذكور فهل كان من المتشيعين لحزب العصاة ام لا ؟

ج : كان من اكبر المتشيعين لحزب العصاة كما شاهدت من افعاله واقواله .

(اذن له بالانصراف فى غاية محرم سنة ١٣٠٠) .

اعضاء	اعضاء
سعد الدين	محمد حمدى
مصطفى راغب	يوسف شهدى
محمد مختار	مصطفى خلوصى
	وكيل رئاسة القومسيون
سليمان يسرى	
	محمد زكى

محضر استجواب ألفى أفندى يوسف البكباشى

(بناء على ما تقرر بجلسة يوم ١٧ القعدةسنة ٩٩ الموافق ٣٠ سبتمبر سنة ٨٢ صار طلب الفى افندى يوسف الذى كان بكباشيبآلاى ٤ جى بيادة تحت قيادة احمد عرابى ووجه اليه سعادة الرئيس الاسئلة المبينةادناه ، فأجاب بما يأتى) :

س : هل كنت فى آلاى احمد عرابى مدة هجوم ١ جى آلاى بيادة على قصر النيل واخراج الثلاثة ميرالايات الذين كانوا مسجونين ؟

ج : نعم كنت بكباشى بالالاى المذكور .

س : ما الذى تعلمه فى هذه المسألة وهل توجه الايكم فى هذه الحادثة الى جهة ما ، كما توجه آلاى السودان حكمدارية عبد العال ؟

ج : الذى اعلمه انه فىذلك اليوم حضر لطرف شخص (بلوك امين) يسمى **محمد فتحى** من ٣ جى آلاى الذى كان بالقلعة ، وقال لى ان احمد عرابى يطلب توجهى بالالاى الى عابدين ، فأخبرته ان عرابى سبق عزله وتعين ميرالاى غيره ولا يمكننا سماع اوامره الان ، فأخذته واوصلته لطرف سعادة **طه باشا** اللوا فأمر بسجنه ، وبعد ذلك حضر لنا ملازم من ١ جى آلاى يطلب توجهنا بالالاى فلم نسمع ، واوصلنا الاخر الى سعادة طه باشا وكان عزم على سجنه ، فتصادف حضور **عبد الله بك فوزى** ياور الحضرة الخديوية لقصد طلب ضباط الالاى للاعتاب السنية لاجل اعطائهم تنبيهات ، واستصوب سعادة الباشا المشار اليه مع عبد الله بك عدم سجن الملازم المذكور لانه مجرد رسول ، وعلى ذلك لم يتوجه الالاينا لمناسبة اتفاق القائمقام خليل بك معنا ومع زملائنا البكباشية الاخرين ، وهم **محمد افندى خورشيد أبو جبل** ، **وعثمان افندى شريف** ، وكذلك حضرة **محمود بك طاهر** الذى تعين ميرالاى ، حتى انه بعد ذلك علمنا انه صدرت اوامر خديوية برجوع الميرالايات الى آلاياتهم ، وبالجملة عرابى رجع الى آلاينا وفى الليل حضر ملازم

وطلب توجه آلاي لاستقباله وحضوره معه كما اجرى ذلك آلاي السودان فلم نجب هذا الطلب ايضا .

س : ما هي اسماء الملازمين الاثنين اللذين حضرا اليكم ؟

ج : لست متذكرا الان اسماءهما

س : ضروري ان تتحرى وتتذكر اسماءهما وتحضر للقومسيون لاخباره بذلك ؟

ج : سأجرى ما ذكر حسب الطلب .

(ثم امر له بالانصراف في ١٨ القعدة سنة ٩٩) .

وفي يوم ١٩ القعدة سنة ٩٩ شهر اكتوبر سنة ٨٢ حضر الفي افندي يوسف واستاذن بالدخول فأذن له وسئل فأجاب كما هو مبين ادناه) :

س : حسب ما وعدت امس بأن توضح للقومسيون اسماء الملازمين اللذين توجها اليك لطلب الالاي الى قصر النيل لاخراج الميرالايات فبين ذلك الان ؟

ج : ان الذي حضر لنا اولا هو **محمد فتحي** الذي قلنا عن انه بلوك امين والان باشجاويش وجعلوه وكيل في ٣ جي بيادة ٢ جي فرقة، ثم الملازمان احدهما الذي حضر اولا يسمى **خليل افندي وهبي** ملازم اول من ١ جي بيادة والان يوزباشي في الالاي المذكور برنجي فرقة ، وثانيهما الذي حضر ليلا يسمى **عبد العزيز ندا** من ١ جي بيادة وزيادة على ذلك فانه في عصر ذاك اليوم حضر لطرفنا محمد افندي عمارة صاغقول اغاسي والان بكباشي ، وبعده حضر **السيد افندي خاطر** صول قول اغاسي وقتها والان ملازم ثاني في ١ جي بيادة فرقة وطلبا توجه الالاي ولم نطعهما وقد استدليت ايضا للقومسيون على ان الشخص الذي توجه لاستحضار آلاي السودان من طرة يسمى **احمد افندي حمدي** ملازم اول ١ جي بيادة .

(ثم اذن له بالانصراف في ١٩ القعدة سنة ١٢٩٩) .

اعضاء	اعضاء
سليمان يسري	مصطفى راغب
محمد حمدي	سعد الدين
محمد زكي	يوسف شهدي
علي غالب	محمد مختار
مصطفى خلوصي	رئيس القومسيون
	اسماعيل ايوب

محضر استجواب يوسف أبو دية اليوزباشي في ١٧ ذي الحجة سنة ٩٩ .

(بناء على طلب ابو دية المذكور سابقا حضر من طنطا الى ضبطية مصر وسجن فيها ثم طلب وسئل فأجاب كما يأتي) :

س : ما اسمك وما رتبتك ؟

ج : اسمي يوسف ابو دية ورتبتي يوزباشي .

س : قل لنا كيفية المقتلة التي حصلت في طنطا ؟

ج : لم انظرها لاني ما مكثت في طنطا سوى مسافة ثلاثة ارباع الساعة وكنت يومها محضرا من دمياط متوجها بمأمورية لطرف عرابي بكفر الدوار ، ومدة اقامتي في طنطا كانت في انتظار حضور الوابور المتوجه الى كفر الدوار ، وبلغني بعدها عن حصول هيجان بطنطا داخل البلد وانه كان مبتدئا من الصباح قبل حضوري .

س : كل الشهود تقول انك انت الذي كنت موجودا هناك محرضا للناس على ارتكاب القتل، وتقول ان ذلك بأمر احمد عرابي فهل الشهود الذين شهدوا كذابين ؟

ج : ان القول بذلك من الناس هو بناء على نفسانية سابقة بيني وبين وكيل المديرية ، وهو الذي حرض الشهود وتكلم في حقي للمدير ايضا .

س : ما هي المأمورية التي كنت توجهت بها الى كفر الدوار ؟

ج : كان معي جواب من عبد العال الى عرابي ، فتوجهت واوصلته اليه .

س : ما الذي كان في ذلك الجواب ؟

ج : لا ادري .

س : تعترف اذن بأنه حصلت مقتلة طنطا في اليوم المذكور ؟

ج : نعم . انما كنت بالمحطة انتظر الوابور القائم

لكفر الدوار ولم اتداخل فى شيء قط .

س : قد شــهدت الشهود بمــا اجــريته انت فى المحطــة يومها فى تلك المقتلة ، فهل عندك شهود تنفى كونك عملت شيئا ، وانك كنت غير متداخل فى تلك المقتلة؟

ج : لا اتذكر احدا سوى **احمد بك المنشاوى** .

س : اذا كنت ما فعلت شــيئا كما تقول فهــل ما نظرت حصول المقتلة بالمحطة ؟

ج : لم ار شيئا بالمحطة .

س : الم تنظر احد العســاكر مستحضرا شــخصا لاجل قتله هناك ؟

ج : لم انظر ذلك .

س : بعــد ان توجهت الى كفر الدوار فما الذى فعــلته هناك ؟

ج : بعــد ان اوصلت الجواب رجعت تانى يوم .

س : فى اى جهــة بت فى كفر الدوار ؟

ج : بت فى النســحة الكائنة بجوار المحــل الذى فيه احمد عرابى بكنبج عثمان .

س : من كان هناك ؟

ج : لست متذكرا .

س : هل كان هناك احد لا تعرفه أو لم يكن موجودا احد ؟

ج : كان هنــاك اناس كثيرون لا اعرفهم .

س : أما تكلمت مع احد ؟

ج : لم اتكلم مع احد قط بل اكلت ونمت .

س : لما اكلت ، كنت بمفردك او معك احد ؟

ج : مع اناس لست متذكرهم .

س : هل لم يتكلم احد فى اثنــاء الطعام ؟

ج : لم يتكلم احد .

س : اما سمعت احدا يتكلم بشىء عما صار من نهب وحرق بالاسكندرية ؟

ج : ما سمعت شيئا ولا احــد تكلم فى ذلك .

س : لما اعطيت الجــواب الى عرابى فهل لم يعطك رده او يكلفك بشىء تبلغه الى عبد العال ؟

ج : لا . بل اخذ الجواب منى وقمت من عنــده ، وفى الصباح رجعت بالوابور .

س : لما رجعت الى دمياط مريت على طنطا ام لا ؟

ج : نعم حيث الوابور يقف هناك والركاب تنتظر حتى يقوم الوابور المتوجه لدمياط .

س : لما توجهت لدميــاط اقمت فيها مدة العصيان للاخر او توجهت الى جهات اخرى ؟

ج : اقمت فيها للاخر انما حضرت الى مصر بمأموريات دفعة او اثنين او ثلاثة .

س : الدفعات التى حضرت فيها الى مصر ما كانت مأموريتك فيها ؟

ج : دفعة كانت تسليم عســاكر والثانية اظن كنت احضرت جوابا لوكيل الجهــادية ولا ادرى ما فيه .

س : ما هو الذى قاله لك وكيل الجهــادية عندما احضرت اليه هذا الجواب ؟

ج : لم يقل لى شيئا .

س : والمــرة الثــالثة ما هى مأموريتها ؟

ج : هما مأموريتان فقط .

س : لما عدت الى دمياط اقمت لاى زمن ؟

ج : اقمت لحد تسـليم الطوابى الى عساكر الانكليز .

س : الم تتوجه لكفر الدوار بعد الدفعة القائل عنها ؟

ج : لم اتوجه قط .

س : لما كنت فى دمياط لم تتوجه الى المنصورة ؟

ج : لما حضرت الى مصر بمأمورية توصيل العساكر وكان ذلك بعد واقعــة التل الكبير الاخــيرة ، رجعت ونزلت من بنها فى البحر فى قلوكة ولما وصلنا الى المنصــورة طلعت الى البر .

س : هل عند حصــول هزيمــة العســاكر بالتل الكبير ، كنت فى مصر ؟

ج : نعم يوم وصولى الى مصر كان عرابى حضر اليهــا بعد هزيمة التل الكبير ، وتوجــهت الى ديــوان الجهادية وتركت الجــواب والعســاكر ورجعت تانى يوم بالوابور لحــد بنها ، ثم نزلت فى البحر

س : الم تقــابل احمــد عرابى يومها ؟

ج : لا ..

س : الم تقابل وكيل الجهــادية لتأخذ منه تعليمات او رد الجواب الذى احضرته مع العساكر ؟

ج : لا ..

س : لماذا احضرت العســاكر

العساكر من دمياط الى مصر هل لم يتيسر معالجتهم هناك ؟

ج : ان المذكورين كانوا قد خرجوا بشهادات من الحكماء بعدم اللياقة وحضرت لتسليمهم فقط .

س : ما الذى صار عند وصولك الى المنصورة ؟

ج : لما وصلت وطلعت الى البر، توجهت الى طرف محمد المنتور وكيل المديرية ، ووجدته مع رئيس مجلس المنصورة ، فقال لى ان العرابى ضبط وسجن بمصر ، فانا سألت عن عبد العال ان كان فات بالوابور متوجها الى مصر ام لا ، فقال انه لم يفت ، فنزلت فى الحال الى البحر وتوجهت الى دمياط .

س : الم تر شيئا بالمنصورة او لم يحصل شىء هناك حال وجودك ؟

ج : لا ..

س : ما هى مكالماتكم التى كنتم تتكلموها انت وعبد العال فى دمياط عن مسائل الحرب ، حيث انك معاون وهو مؤتمنك ويعتمد على اقوالك كما هو مشهود ذلك ؟

ج : لم يكلمنى فى شىء بخصوص ذلك .

س : الم تقرا الوقائع المصرية قط فى اثناء مدة العصيان ؟

ج : لا ..

س : هل لم يبلغك ان الحضرة الخديوية عزلت احمد عرابى ؟

ج : بلغنى بالاشاعة .

س : فى اى وقت بلغك ذلك ؟

ج : لست متذكرا .

س : لما كنت تحضر الى مصر ، الم تر جمعيات صار عقدها بالداخلية او الجهادية ؟

ج : لم ار تلك الجمعيات .

س : هل لم يبلغك حصول الصلح بين الجناب الخديوى والانكليز ؟

ج : لم يبلغنى .

س : ما الذى كنتم تعملونه فى دمياط من الاعمال العسكرية ؟

ج : لا شىء سوى اجراء التعليمات والاهالى كانت تشتغل فى الطوابى .

س : هل من ذلك كان معلوما لك انه موجود حرب ام لا ؟

ج : نعم ، معلوم لنا وكل ذلك هو استعداد للحرب .

س : هل سمعت ضرب مدافع على اسكندرية ؟

ج : نعم .

س : حينئذ تعلم يقينا انه موجود حرب ؟

ج : كل الناس تعلم ذلك .

س : حيث ذلك فالحرب الذى كنتم تستعدون له فى دمياط كان لاجل الخديوى، او لاجل احمد عرابى ؟

ج : لا ادرى حيث انى ما اطلعت على الاوامر لانى من الضباط الاصاغر .

س : هل تعرف تقرا ؟

ج : نعم .

س : هل لم تطلع على جرنالات؟

ج : لم اطلع قط .

س : لما توجهت لدمياط بعد حضور عرابى لمصر، هل لم يسألك عبد العال عن شىء ؟

ج : سالنى عن الاخبار ، فقلت له ان التل الكبير اخذ والعرابى توجه الى مصر .

س : هل لم يقل لك شيئا عن تصميمه بعد ذلك على الحرب او عدمه ؟

ج : لا .

(اعيد الى السجن فى ١٧ الحجة سنة ١٢٩٩)

اعضاء	اعضاء
محمد مختار	مصطفى خلوصى
سليمان يسرى	مصطفى راغب
محمد عبدى	سعد الدين
محمد زكى	يوسف شهدى
على غالب	رئيس القومسيون
	اسماعيل ايوب

محضر استجواب نجيب اغا

(فى يوم الثلاثاء غرة صفر سنة ٩٩ طلب نجيب اغا فحضر وسئل فاجاب كما ياتى) :

س : ما اسمك ؟

ج : نجيب اغا .

س : ما صنعتك ؟

ج : وكيل دائرة سلطان باشا سابقا .

س : علم للقومسيون انك سجنت

بالطوبخانة اثناء مدة العصيان، واخذت منك نقود بصفة رشوة، فهل هذا حقيقى ام لا . وفى حالة الايجاب ما هو مقدار النقود التى دفعتها، ولمن أعطيتها، وما سبب اعطائها، وهل لحق بك ضرر آخر فى اثناء وجودك بالطوبخانة مثل ضرب او اهانة او تعذيب او غير ذلك ام لا ؟

ج : حال حضورنا من وجه قبلى الى قصر النيل، أمر وكيل الجهادية بارسالنا للطوبخانة بمقتضى بوصلة الى سليمان زغيب مأمور السجن، فبوصولى للطوبخانة أمام سليمان زغيب امر بوضع حديد فى رجلى ووضع بنسة فى رجلى وزنها نحو ٣٠ اقة فشكيت له فى الحال وقلت أن النسبة المذكورة تمنعنى من الصلاة المعتاد عليها، فكان جوابه لى يكفيك الصلاة التى اديتها لغاية الآن، ثم ارسلنى للسجن، وفى ثانى يوم صباحا ارسل لى شخصا يسمى **سيد احمد** من المسجونين وشخصا آخر وهوجاويش مخصوص لخدمة سليمان زغيب المذكور، وهددانى بنقلى الى **جبل الجيوشى** لشال الاتربة، فاجبتهم ان لا قدرة لى على هذا العمل انما يمكننى احضار عشرة رجال غيرى بأجرة ادفعها انا ليشتغلوا بدلا منى، فلم يقبلاذلك، بل لمحا لى انه يمكن خلاصى من ذلك اذا اديت مبلغا ما فقدمت لهما عشرة جنيهات فلم يقبلا ثم خمسة عشر فرفضا ثم عشرين وخمسة وعشرين ولم يقبلا الا لما تم مبلغ ٣٠ جنيه فأخذاه وانصرفا .

س : هل فهمت منهما ان هذا المبلغ لنفسهم ام لسليمان زغيب، وما اسم الجاويش الذى قلت عنه ؟

ج : فهمت منهما ان المبلغ كان لسليمان زغيب اذ هوالذى امر بتشغيلى، ثم بعد اخذ المبلغ امر برفع القيود من رجلى اما الجاويش فلم اعرفه .

س : الم يلحقك ضرر آخر مثل ضرب او اهانة او غير ذلك كما سئلت اولا ؟

ج : لم يلحقنى ضرر آخر غير الذى قلته مثل ضرب أو غير ذلك انما شاهدت ضرب كثيرين غيرى .

س : هل تعرف منهم احدا ؟

ج : لم اعرف احدا انما شاهدت الضرب بنفسى .

(اذن له بعد ذلك بالانصراف)

اعضاء	اعضاء
محمد مختار	مصطفى خلوصى
سليمان يسرى	سعد الدين
محمد حمدى	مصطفى راغب
يوسف شهدى	

وكيل رئاسة القوميسيون

محضر مسئولية محمد أفندى عارف البكباشى

(حسبما تقرر بجلسة يوم الثلاثاء ٢٠ ذا سنة ٩٩ و ٣ اكتوبر سنة ٨٢، استحضر محمد أفندى عارف ووجه اليه سعادة الرئيس الاسئلة الموضحة ادناه، فاجاب عنها كمايلى):

س : ما الذى تعلمه فى واقعة يوم ٩سبتمبر سنة ١٨٨١ ؟

ج : الذى اعلمه انى كنت فى طنطا فى المولد الاحمدى ومعى ٦ بلوكات وفى تلك الواقعة عدنا من طنطا بعد الغروب .

س : هل كانت الواقعة قد انتهت ام توجه احد من طرفكم اليها قبل انتهائها ؟

ج : بعد وصول الوابور الى المحطة صادفنا **اسكندر بك** الذى كان فى السكة الحديدية على الرصيف فترجيته ان يرسلنا بالوابور الى قصر النيل فاجاب، وعند وصولنا الى المفتاح الموصل الى العباسية، نزل **احمد افندى عبد السلام** هناك بعد الاستئذان لكى يتوجه الى منزله، لسكونه بالعباسية، وبدخول الوابور الى قصر النيل اقترب من العساكر بعض عساكر آخرين وحصل بعض لغط فى الكلام فنزلت وسألت عن الكيفية وكان بالتصادف هناك شخص يسمى على افندى بلبل (ملازم) فاخبرنى ان ٣ جى الاى الذى فى القلعة عصى وامتنع عن السفر للاسكندرية ولذلك توجه اجى و٢ جى الاى لمحاصرته فعند ذلك أمرت العساكر باخراج الجرابنديات واعمال السلاح (دمكله) وانتظارى حتى اعود، وتوجهت للاسماعيلية لاستخبر عن الحالة فقابلنى شوقى بك الميرالاى، فاخبرنى بالحقيقة فطلبت منه ان يعطينى عربة لكى

أتوجه بها لمعاينة الحالة وقد كان ، فوجدت ان الحالة كانت قد انتهت والعساكر اخذت في الانصراف ، فرجعت الى قصر النيل فلم اجد العساكر الذينكنت اقمتهم في انتظارى ، وعلمت انهم توجهوا لعابدينبضباطهم.

س : هل لم يتوجه احمد عبد السلام الى عابدين في تلك الليلة ، وبرجوعك لقصر النيل ليلا لم تجده فيه اي لم يحضر من منزله كليا ؟

ج : لا ادرى ان كان بعد نزوله من الوابور رجع ام لا لكون ذلك الوقت كان ظلاما ، انما المذكور كان مهيجا في الالاي وكان دائما مشوش الافكار باقوال تطابق اغراض رؤوس العسكرية، وبعدهذه الليلة بكميوم عمل الغنانى عزومة في جنينة الازبكية وارسلوا اوراقا للالايات ، وصار توزيعها بمعرفة الضباط واختصوا بهامن يكون قد توجهلميدان عابدين وبالجملة احمد افندى عبد السلام اعطوه تذكرة . ومع ذا يعلم انه توجه معهم .

س : هل لم يكن توزيع تلك التذاكر بمعرفة البكباشي؟

ج : لا . بل حصل بمعرفة اليوزباشي والمتحدين معهم .

(وبعد المجاوبة منه بما توضح اعلاه اذن له بالانصراف)

اعضاء	اعضاء
محمد مختار	مصطفى خلوصي
سليمان يسري	سعد الدين
محمد حمدى	مصطفى راغب
يوسف شهدى	

رئيس القومسيون
اسماعيل ايوب

محضر استجواب سعيد افندى البستاني في يوم الجمعة ٢٣ ذا سنة ٩٩ .

(بناء على ماتقرر بجلسة يوم الخميس ٢٢ ذا سنة٩٩ الموافق ٦ اكتوبر سنة ٨٢ ، حضر سعيد افندى البستانى ووجه اليه سعادة الرئيس الاسئلة اللازمة ، فاجاب عنها بما ياتى) :

س : ما اسمك ؟

ج : سعيد البستانى .

س : ما وظيفتك ؟

ج : مترجم افرنكى بقلم المطبوعات .

س : هل كنت مع رفعت بك في القلم المذكور ؟

ج : نعم .

س : تعلم انه يجب على كل انسان ان يبين مايعلمه مما يختص بزمرة العصاة، وحيث انك كنت موجودا مع رفعت بك ، ومحمد عبده، وتعلماحوالهما، وقد بلغنا انه تحرر من رفعت بك رسالة لاحدى الجرائد بأن المدافع عن حقوق الامة لم يكن احمد عرابي فقط بل معشر المصريين اعنى خمسة ملايين، وهم تحت السلاح ، فهل رأيت ذلك ام لا ؟

ج : لم ار ذلك هنا، فاني سافرت بعد واقعة١١ يونيوبخمسة أيام ، ولكن اتذكر انى قد كنت بالشام رايت كتابة بهذا المعنى من رفعت بك في احدى الجرائد ، فسابحث عن تلك الجريدة واحضرها للقومسيون .

س : هل رايت منشورات او مكاتبات او كلفت بتراجم او غيرها ؟

ج : لم ار شيئا من ذلك انما لما انتقلت لقلم المطبوعاتمن المالية ، اعطى لى ثلاثة جوابات احدهما مختص ببنانيا والاخر بانكلترا والثالث مشترك بين المانيا والاستانة، ولم ار من وقع عليها ، ولكنها كانت من ضمناخبار السياسة بتلك البلاد ، اما محمد عبده فكان يكاتب بلانت ولويس الصابونجي بتلغرافات وكنت إكلف بترجمتها ، فرايت فيها انه حين الاستفهام منه عن الشقاق الموجود بين الامة يجاوب بنفى ذلك ، وكانوا يخفون عنى احيانا امضاء الموقع على التلغراف او المكاتبات ثم حصلت ممارسات بيني وبين الشيخ المذكور ، ففهمت منه أخيرا انه كان عضوا في الحزب وكان له كلمة نافذة .

س : قيل لنا انك وجدت بقلم المطبوعات مع الشيخ محمد عبده ورفعت بك ، فالقصد ان توضح لنا كتابة عما تعلمه او شاهدته من اجراءاتهما مما يدل على اشتراكهما في الحزب انما يكون ذلك باستيفاء التوضيحات اللازمة ؟

ج : سأقدم ذلك للقومسيون .

(ثم اذن له بالانصراف في ٢٣ ذا سنة ٩٩)

اعضاء	اعضاء
محمد مختار	مصطفى خلوصي
سليمان يسري	سعد الدين
محمد حمدى	مصطفى راغب
يوسف شهدى	

رئيس القومسيون
اسماعيل ايوب

محضر استجواب محمد افندى منيب بكباشى اورطة سوارى المعية السنية يوم السبت ١٥ ذى الحجة سنة ١٢٩٩

(بناء على ماتقرر بجلسة يوم تاريخه طلبت محمد افندى منيب وصار استجوابه بمعرفة سعادة الرئيس فاجاب كما يأتى) :

س : ماكان عدد العساكر السوارى الذين كانوا معك فى اسكندرية ؟

ج : كان معى مائتين وستين .

س : تبع اى الاى ؟

ج : تبع اجى الاى .

س : كيف انفرزت منه ؟

ج : حضر امر الى اجى الاى من الجهادية بارسال اورطتين الى اسكندرية وتعينا بالفعل، وتعينت انا معهما .

س : قد نظر مع احمد عرابى عساكر سوارى فمن اين كانوا ؟

ج : كانوا من الاورطتين المذكورتين .

س : ماعددهم .

ج : كانوا بلوكين وسبب ذلك انه حضر لطرف السيد افندى بيومى يوزباشى المستحفظين ، وقال ان احمد عرابى يطلب بلوكين سوارى فعينت البلوكين مع بكير افندى كامل اليوزباشي وابراهيم افندى انسى الملازم .

س : اين يوجد اليوزباشي والملازم المذكوران ؟

ج : الملازم موجود باسكندرية مع الاورطتين ، واليوزباشى هنا فى الجيزة .

س : هل تعلم بالاوامر التى صدرت للبلوكين المذكورين مع احمد عرابى ؟

ج : لم اعلم فانهما كانا بالطوابى وانا بالرمل .

س : اين كنتما فى يوم ١٢ يوليو سنة ٨٢ ؟

ج : فى القشلاق فى الرمل .

س : الم تعلم ان كان النهب والحرق اللذان حصلا فى اسكندرية كانا بناء على امر احد ، او العساكر والضباط الذين باشروهما من تلقاء انفسهم ؟

ج : لم اعلم بذلك ، انما بلغنى حصول النهب والحرق .

س : هل يمكن حصول ذلك بدون امر من الرؤساء ؟

ج : يستحيل ذلك وقد بلغنى من بكير افندى اليوزباشي لما عاد للرمل فى الساعة ١٠ تقريبا من يوم ١٢ يوليو سنة ٨٢ وسألته عن الاخبار وقلت له ماهذه الحريقة قال انه كان متفقا عليها من قبل ، فانى سمعت احمد عرابى ومحمود سامى فى هذا الصباح ، يتذاكران فى حرق البلد فانهما قالا انه من حيث ان الانكليز اجروا ما اجروه فيلزم اننا نحرق البلد .

س : الم يقل لك اليوزباشى المذكور ان كان سمع اصدار اوامر من احمد عرابى بالنهب والحرق بعد حصول المذاكرة فى هذا الشأن بينه وبين محمود سامى ؟

ج : لم يقل لى شيئا اكثر مما ابديته .

س : هل رجع البلوكان اللذان ارسلتهما لاحمد عرابى بعد اخلاء البلد ؟

ج : رجعا ماعدا اربعة انفار او خمسة هربوا .

س : بين لنا اسماء عساكر البلوكين المذكورين ؟

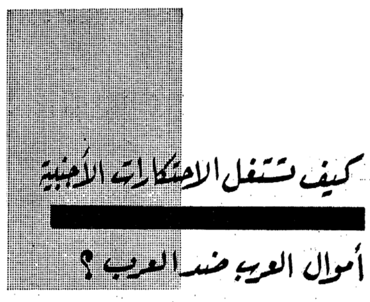
ج : سأقدم باسمائهم كشفا للقومسيون بعد غد لانه يلزم الاستفهام عن بعضهم من مركز الاورطة بالاسكندرية حيث توجد الدفاتر .

(اذن له بالانصراف فى ١٥ ذى الحجة سنة ٩٩)

اعضاء	اعضاء
محمد مختار	مصطفى خلوصى
سليمان يسرى	سعد الدين
محمد حمدى	مصطفى راقب
يوسف شهدى	محمد زكى
على غالب	

رئيس قومسيون التحقيق
اسماعيل ايوب

تواصل « الطليعة » نشر محاضر جلسات محاكمة رجل الثورة العرابية فى العدد القادم



ليس جديدا او غريبا ان تسعى دول الاستعمار الى تحقيق اطماعها واهدافها عن طريق الاحتلال العسكرى والاستعمار الاقتصادى الذى يتخذ اشكالا والوانا متعددة ، منها ما يظهر فيها الاستعمار بمظهر الصديق المتعاون مع الدول النامية ، وهو فى حقيقة الامر يستنزف اموالها وثرواتها لتحقيق مصالحه الخاصة .

ومن (الوان) الاستعمار الاقتصادى الدور الذى تقوم به الشركات الاجنبية الاحتكارية التى تتولى تنفيذ المشروعات الخاصة بالدول العربية ، ويمثل هذا اللون نوعا خطيرا من الاستعمار ، اذ انه يستغل اموال العرب .. ضد العرب !! ..

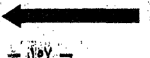
ان هذه الحقيقة تزداد وضوحا اذا علمنا ان المشروعات التى يجرى تنفيذها فى الدول العربية تبلغ قيمتها حوالى ١٠٠٠ مليون جنيه ، وان معظم هذه المشروعات تتولى تنفيذها شركات اجنبية ، تكسب الملايين من هذه المشروعات ، ثم تحول هذه المبالغ الى اسرائيل .

والسؤال الان .. ما هى الوسيلة للقضاء على هذا النوع الخطير من الاحتكار والاستعمار المقنع ؟ .

الجواب : الاعتماد على الخبرات والسواعد العربية ، فى تنفيذ كل مشروع عربى ..

وقد استطاعت الجمهورية العربية المتحدة ان تقطع شوطا كبيرا فى تحقيق هذا الهدف ، بالاعتماد على ابنائها فى تنفيذ مشروعاتها التى كانت تحتكرها الشركات الاجنبية ، كما قامت شركة المقاولين العرب التى تولت انشاء السد العالى ، اهم المشروعات فى الدول العربية الشقيقة .. لقد دخلت الشركة فى منافسات عالمية مع الشركات الاجنبية التى كانت تتقدم للعطاءات التى تعلنها الدول العربية ، لتنفيذ مشروعاتها ، وقد رست هذه المشروعات على المقاولين العرب ، لان عطاءاتها كانت دائما اقل العطاءات .. لقد ضحت الشركة بالجانب المادى ، ودخلت فى كل مشروع ، وقد وضعت نصب عينيها تحقيق الهدف العربى المشترك ، وهو القضاء على الاحتكارات الاجنبية ، ومطامع الشركات الاستعمارية التى تشكك العرب فى قدراتهم وامكانياتهم ، حتى يظل الباب مفتوحا امام كل خبرة اجنبية ، مغلقا امام الكفاءات والمهارات العربية ، وقد استطاعت الشركة ان تحقق انتصارات كبيرة فى مجال المنافسة مع الشركات الاجنبية فى كل من : الكويت . العراق . ليبيا . الاردن . السعودية .

على هذا الاساس ، فان المهندسين والفنيين والعمال الذين يطيرون الى الدول العربية لتنفيذ مشروعاتها ، يتحملون مسئولية كبرى تجاه دولتهم ، واتجاه الامة العربية اداء لواجبهم نحو وطنهم العربى الكبير ، ولذلك توفد شركة المقاولين العرب للعمل فى مشروعاتها خارج ج . ع . م خلاصة العاملين فيها من حيث الخبرات والدراسات وحسن الخلق ، لانها تؤمن بانهم سفراؤنا فى الخارج ، وان مهمتهم ومسئوليتهم مزدوجة فهم رسل بناء ، وفى نفس الوقت ، مرآة تعكس مدى الخبرات التى اكتسبناها ، ومدى امكانياتنا وقدراتنا على بناء



مشروعاتنا بسواعدنا ، والاعتماد على انفسنا فى بناء نهضة امتنا ..

واذا استعرضنا الانتصارات المتوالية التى تحققها الشركة فى الداخل والخارج، ونتائج اعمالها التى اصبحت نموذجا ومثلا لكل عمل ناجح ، سيبرز ســؤال هام ..

● ما هو سر هـذا النجاح وهذه النتائج الباهرة .. هل هى الخبرات الطويلة ؟ .. هل هى مهارات العاملين ؟ هل هى الدراسات والبحوث المستمرة ؟

□ الجواب : ان هذه العوامل كلها مجتمعة ، تمثل نصف عناصر النجاح ، اما النصف الاخر ، فهو نابع من اعماق العاملين فى الشركة .. انه الايمان المطلق بعملهم ، واخلاص كل فرد لكل مهمة يؤديها ، واحساسه بأنه يعمل فى شركة ملك له . ولاسرته ، لان خيرها ، يعود على مجتمعه . وعلى اولاده من بعده .. ان كل فرد يرى فى هذه الشركة مستقبل ابنائه وبلده ..

والسـبب الذى خلق هـذه الروح الانسانية بين العاملين فى الشركة ، هى لوائحها الداخلية التى اذابت الفروق بين العاملين فيها .. الجميـع يلتقون كاسرة واحدة من اجل تحقيق هدف واحد .. الكل رقيب على نفسه ، وعلى كل تصرفاته ..

ان هذه اللقاءات تتكرر دائما وتتوالى فى اكثر من صورة.واكثر من شكل..ومن هذه الصور .. لقاءات وحدتى الاتحـاد الاشتراكى بالشركة ، والجماعة القيادية مع المسئولين فى الشركة ، لدراسـة ومناقشة مشكلاتها بصراحة .. والبت فورا فى كل قرار صالح .. اننى اسجل هنا لقطة سريعة من اجتماع الوحدتين ٨٤ قسم عابدين و ٣٦ قسم شبرا الخيمة للمقاولين العرب مع المهنـدس عثمان احمد عثمان رئيس مجلس ادارة الشركة فى احد اجتماعات الاتحادالاشتراكى الذى حضره شباب المنظمة واعضاء الجماعة القيادية .. ان المناقشات التى دارت فى هذا الاجتماع تلقى اضواء سريعة على طبيعة العلاقات الانسانية بين العاملين فى الشركة :

□ الامين : عباس صـفى الدين : العاملون يعقدون مؤقتة على عمليـات انتهت او فى سبيل الانتهاء فى قلق وخوف على مســتقبلهم من استغناء الشركة عنهم .

□ رئيس مجـلس الادارة : كل العاملين فى عمليات انتهت او ســتنتهى سينقلون الى عمليات اخرى ولكن هؤلاء الذين يستغلون زملائهم ويعيشـون على اكتاف الاخرين وعرقهم ولا ينتجون هـم الذين ستستغنى عنهم الشركة لانه لاعمل لمن لا ينتـج ويجب عليـكم ان تتنبهوا للمستغلين الذين قد يوجدون فى صفوفكم وقمة المستغلين هم العمال الذين يأخذون اجورا دون ان يقـدموا مقابلهـا عملا يساهم فى دفع عجلة الانتاج فى شركتنا .

ونحن يا اخوانى فى مجتمع رأسـماله العمل المخلص العلمى المنظم .

نحن فى عصر طابعه التسابق فى الانتاج لنعوض ما فاتنا فى عصور التخلف ويجب الا نمكن المســتغلين والمتســلقين وان نتعاون جميعا على مضاعفة الانتاج بأقل قدر ممكن من المصاريف .

وفى نفس الوقت فليطمئن الذين عملوا معنا باخلاص وجهد وايمان وشرف على مستقبلهم فى انه سيتاح لهم فرص الترقى وسيوضعون فى وظائف ممتازة وسيعطون اماكن ومستقبلا احسن .

والمفروض ان الذى يبنى معنا جدير بأن يحمى وان يطمئن ، والمطلوب منا التضحية والصبر حتى ننطلق فى عمـل دائب كبير لان المشروعات لن تنتهى ، بل ستزداد لان التطور لن يقف والتقـدم سيستمر ، فنحن فى مجتمع طابعه البنـاء المستمر الذى هو قاعدة للنمو المستمر ، نحن فى مجتمع يسعى لان يطور نفسـه وان يحقق الرخـاء للجميع وليس لفئة قليلة من الناس ولن يتأتى ذلك الا بدوام التشييد على اسس سليمة قوية لا تعتمد الا على انفسنا ولن نكون عبيد احسان لاحد من المستغلين والمستعمرين

□ ابراهيم عباس : رئيس النقـابة : نحن على استعداد للتضحية فى سـبيل الوطن والصبر على المشاق .

□ رئيس مجلس الادارة : بمناسـبة التضحية ، اود ان اقرر بكل فخر ان زملائكم الذين يعـملون فى الخــارج يستحقون تقدير واوسمة البطولة ، لان عملهم نوعا من الحرب والتضحية .. ففى الاردن ، يعمـلون على الحــدود المشتركة بيننا وبين العصابات الصهيونية ومعرضون دائما للعدوان ، ولابد ان يعلم كل عامل ان العمل فى الخارج هو نوع من الحرب والتضحية فى سبيل اسم الوطن العربى ، وليس نزهة .. انه عمل وعرق وتضـحيات . وهذا شىء ضرورى ، لاننا لابد وان نقف امام المنافسة الضخمة الخارجيـة ، اذ ان فرصـتنا الوحيدة لمنافستهم هى الاعتماد على عرقنا وخبرتنا وعملنا ، وان نواصـل جهودنا ليلا ونهارا للمحافظة على اموال العرب للعرب ، ولا نتركها بقدر الامكان تتسرب لايدى شركات الاحتكار الاجنبية فترتد بعد ذلك اسـلحة لمحاربة اهداف العروبة السياسية والاجتماعية والاقتصادية .

ولا شك ان تصدير خبرتنا وعملنا للخارج خدمة كبيرة لكم ولامتنا ، فأنتم تعملون بأجور مجزية وبلادنا يستفيد من العملة الصعبة ومن تصدير بعض منتجاته للمساهمة فى اعمالنا فى الخارج ، وهو خدمة لامتنا العربيـة لاننـا نتيح للبلاد العربية والافريقية تنفيذ مشروعاتها بأقل بكثير مما تعرضه الشركات الاجنبية ولابد ان يكون شعارنا توفير العملات الاجنبية لبلادنا لكى نسهم بها فى خطتنا .

ولا يفوتنى ان اذكر هنا اننا ايضا فى الداخل ، يجب علينا ان نحاول تجنب الاكثار من انفـاق هـذه العملات فى الاستيراد من الخارج ، بصيانة معداتنا مثلا لتتحمل فترات اكبر والاقلال من استهلاك قطع الغيار والمحافظة عليها ومحـاولة تصنيع ما يمكن من الالات محليا وتطويرها ، وعلى سبيل المثال فقد احتاج العمل فى

رأس شقير لكراكة كنا نستوردها من الخارج بمئات الالوف من الدولارات وعملية قطرها من امريكا وحدها تتكلف حوالى ٤٠ (اربعون) الف دولار فاتفقنا مع الشركة الامريكية على صناعتها محليا بخامات معظمها محلى وبدأنا فعلا فى تصنيعها بورش الصيانة البحرية التابعة للشركة بالاسماعيلية .

وبهذا سنوفر قدرا كبيرا من العملات الصعبة وبهذا ايضا يثبت لكم انكم تستطيعون أن تؤدوا فى هذا المجال خدمات لا تقل عن خدمات اخوانكم الذين يعملون فى الخارج .

☐ **وتطرقت الأسئلة الى التدريب ، فاجاب رئيس مجلس الادارة قائلا :**

بالاضافة الى التدريب على المهن المختلفة المطلوبة ، نود عمل معهد تدريبى لكى يتدرس فيه كل موظف وعامل سيسافر للعمل فى الخارج ، ليكون ملما بجو العمل والظروف التى تحيط بنا فى البلاد العربية . والكل يتدرب ، وليس بلازم ان يسافر فورا ، المهم ان يكون مستعدا للسفر فى اى وقت .

والتدريب شقان :

اولا : شق فنى ادارى يتعلق بالعمل الذى سيباشره العامل فى الخارج ويجب ان ننتقى للعمل بالخارج امهر العمال واكثرهم خبرة حتى يكونوا واجهة مشرفة للعمال العرب وان يستطيعوا اداء عملهم بأقل نفقات ممكنة وفى اقل وقت ممكن اذ ان عامل الزمن فى شركات المقاولات عامل هام جدا .

ثانيا : وشق يتعلق بالاخلاق وطريقة معاملة الناس وهو فى نظرى من اهم الدراسات .

ومن المهم جدا ان يتعلم العامل كيف يتعامل مع زملائه فى العمل اولا ثم يتعلم كيف يعامل اهل البلد التى يسافر اليها

كل هذا يجب ان يتعلمه العامل كما يجب ان يكون على وعى كامل وعلم واسع بتاريخ بلده ، ومنجزاتها ومظاهر تقدمها وتطورها المستمر فى سبيل التقدم وما هى التصرفات التى تضر بها فيتجنبها وما هى التصرفات التى تفيدها فيحرص عليها ، فهو سفير لبلاده فى الخارج فى مجاله الذى يعمل به .

ويجب ان يتصرف بلباقة وديلوماسية فى كل اعماله .

☐ **خالد المالكى :** اللائحة الجديدة للشركات والمؤسسات تعطى رئيس مجلس الادارة حقوقا كبيرة وسلطات واسعة فى منح ومنع العلاوات والمكافآت وفصل المهمل العابث بالانتاج والعاملون هنا يطمئنون لعدالتكم ونزاهتكم فى استعمال هذا الحق .

☐ **رئيس مجلس الادارة :** كل هدفى كرئيس مجلس ادارة هو اتاحة الفرص امام المجدين وفتح مجال الترقى امام الممتازين ، وراحة كل العاملين لكى ينتجوا ويبنوا مجدا لبلدهم وينعكس على العاملين اخيرا وفيه استمرار لنجاح ونمو شركتكم وانتم تعلمون اننا لم نستعمل اى حقوق خولها لنا القانون الا لصالح العمل ، واننى اؤمن ببناء العمل على اسس من المحبة وان يشعر كل عامل انه يعمل فى مال مملوك له وان يحافظ على هذا المال كما يحافظ على ماله وهو فى الحقيقة ماله فعلا وليس قولا .

اما المستغلون والمنحرفون وارجو الله ان لا يكون منهم فى صفوفنا حاليا ولا مستقبلا فستكشفونهم بأنفسكم وهذا واجبكم لان رئيس مجلس الادارة لايستطيع ان يرى كل شىء الا بواسطتكم انتم ، وعواقب عمل المخرب تنعكس على ارزاقكم واولادكم وعلى وطنكم ، فيجب عليكم ان تفتحوا عيونكم لذلك ..

☐☐ وتناولت المناقشات العاملين الذين بلغوا سن الستين ويحالون الى المعاش فقال رئيس مجلس الادارة :

لابد من مراعاة الرحمة والانسانية مع هؤلاء حتى ولو عمل معنا احدهم باخلاص لمدة سنة واحدة فكلنا معرض لهذا المصير ويجب ان نتعاون جميعا فى مد يدنا لهؤلاء الذين بلغوا سن الاحالة للمعاش بيننا ، حتى ولو عملوا معنا سنة واحدة ، يجب ان ندرس حالاتهم بدقة واخلاص وان نتبين وسيلة العيش لهم بعد تركهم العمل وما هى التزاماتهم نحو تربية اولادهم . يجب ان نقيم لهم حفلات لتكريمهم مثلا وان نساعدهم بكل ما نستطيع لانهم من عملوا فى مشروع الجيل « السد العالى العظيم » .

وارى ان نحاول اعطاء الاولوية لاولادهم فى العمل فى الشركة مثلا حتى يكملوا رسالة آبائهم فكلكم معرض لهذا المصير ويجب ان يحب كل منكم لزميله ما يحبه لنفسه .

واجاب رئيس مجلس الادارة على سؤال بشأن حوافز العمل والانتاج فقال :

العمل فى الشركة جار على ان كل عملية تنتهى تطلب من مديرها عمل كشف بأسماء كل من يستحق مكافأة تمنح له فورا وكذلك فى الادارات كل مدير يتقدم بكشف بأسماء الممتازين والعاملين المخلصين ويطلب لهم مكافأة نوافق عليها فورا اما فى حالة سفر العاملين للخارج فاننا نطلب منهم من مدير الادارة المباشر تقريرا ، ونحن نثق فى كل العاملين ، ولا مانع عندى من وضع نظام متكامل لحوافز الانتاج لكل ادارة على حدة ، واحب أن اضيف ان المهم ان يراعى كل مدير ربه فيما يضع من تقارير العاملين والا يجامل والا يتحيز وان يكون الدافع له عمل كل شخص فى ادارته .

وكلمة اخيرة اود ان تراعى بكل دقة ان تعملوا مع الاجهزة الادارية المختلفة على بلورة هذه القرارات ووضعها موضع التنفيذ حتى تكون للاجتماعات التى نعقدها ثمارها التى تساهم فى دفع عجلة التقدم والانتاج فى شركتنا لتعمل على توفير اسباب الطمأنينة والراحة النفسية للعاملين معنا .

☐☐☐

هذه لقطة من احد الاجتماعات الدورية التى تعقدها وحدتا الاتحاد الاشتراكى بشركة المقاولين العرب التى تحول جميع العاملين فيها الى خلايا وطلائع ثورية .. ان عددا كبيرا من هذه الطلائع التى عملت فى (جامعة) المقاولين العرب ، تفرغوا الان للعمل السياسى اداء لواجبهم ورسالتهم .. اننى اذكر على سبيل المثال :

☐ **اللواء امين عمر :** امين عام الاتحاد الاشتراكى بمحافظة اسوان ، كان مديرا اداريا للمقاولين العرب بأسوان .

☐ **زكى علام :** امين الاتحاد بقنا ، كان مستشارا قانونيا بالشركة .

☐ **محمد رشدى :** امين محافظة بور سعيد كان محاميا للشركة ببور سعيد .

☐ **جمال سلامة المحامى :** عضو مجلس الامة وامين المكتب التنفيذى بالقناطر وكان مديرا للادارة القانونية بالشركة .



هذا بالاضافة الى عدد كبير من العاملين الذين تفرغوا للعمل فى امانة الاتحاد الاشتراكى .

ومن الطلائع الثورية التى تواصل العمل بالشركة حتى الان :

□ **المهندس محمود العتبلى** : امين الجماعة القيادية بوحدة شبرا .

□ **السيد عيد محمد حسين** : امين مساعد وحدة الشركة فى شبرا الخيمة .

□ **خالدالمالكى** : امين مساعد الجماعة القيادية بوحدة الادارة .

□□□

واذا بحثنا عن روح التضحية والفداء التى يتميز بها العاملون فى المقاولين العرب ، نجد انها ليست وليدة يوم وليلة .. ان جذورها تمتد الى سنوات طويلة .. كانت هذه الروح وهذه القوى تعمل فى الماضى من اجل مقاومة الاحتلال الاجنبى ، وهدم اعداء الوطن .. واليوم .. تعمل من اجل البناء .. لقد ازدادت اشتعالا وايمانا ، بعد ان وجدت فى طبيعة العمل بالشركة ، ارضا خصبة لمواصلة كفاحها ونضالها .. ان هذه لقطة اخرى من التاريخ :

□ الزمن : نوفمبر ١٩٥١ عقب الغاء المعاهدة ..

□ المكان : الاسماعيلية والتل الكبير

□ الشعب : بركان يغلى يكاد ان ينفجر ..

□ القصر : يدعم قوات الاحتلال البريطاني الرابضة فى منطقة القنال ..

□ الحكومة : عاجزة عن ان تتخذ موقفا ايجابيا تجاه قضية مصر ..

ووسط هذه الظروف .. كان يناضل الفدائيون وكتائب الجامعات ويحاربون فى جبهتين :

● قوات الاحتلال البريطانى ..

● سلبية الحكومة التى لم تمد اليهم اى عون ..

ومن جامعة القاهرة .. خرجت اول كتيبة وكان من مهمتها نسف مخازن الذخيرة والمطارات الحربية الخاصة بالانجليز

وذات يوم .. خرج طلبة الجامعة متنكرين فى ملابس الفلاحين لنسف قطار انجليزى قادم من الاسماعيلية محمل بالذخيرة .. وبعد دراسة الخطة .. تم تنفيذها بنجاح .

وهنا .. طاش صواب الانجليز ، الذين التحموا مع الفدائيين فى المعركة المعروفة باسم التل الكبير ، وقتل فيها الشهيدان عمر شاهين واحمد المنيسى ، واسر فيها ايضا ٧ من كتيبة الجامعة . ان هذه الكتيبة كانت تضم طالبان اسمهما عباس صفى الدين (كلية التجارة) ، ومصطفى عابدين (كلية الحقوق) .. لقد اشتركا فى المعركة . وعاشا احداثها .. وقاوما مع زملائهم بقسوة وبسالة ..

وبعد ان تخرج هذان الطالبان من الجامعة .. لم تهدأ نفسيهما الا بمواصلة الكفاح ..

وفى شركة المقاولين العرب .. وجدا مجالا كبيرا للنضال والكفاح والعمل .. من اجل البناء .. ان عباس يعمل الان مديرا ماليا الشركة . اما مصطفى ، فهو وكيل مكتب الشركة فى الاسكندرية .

ان المقاولين العرب تضم الان آلافا من هذه النماذج .. بعضها .. وجد فى طبيعة العمل بالشركة امتدادا لنضاله .. والبعض الاخر .. اكتسب هذه الروح نتيجة انضمامه الى اسرة المقاولين العرب ..

□□□

واذا ترجمنا هذه الروح وهذه الجهود الى نتائج واعمال ، نجد انفسنا امام صفحات مشرقة :

ففى الكويت .. قاموا بتنفيذ مشروع البلدية ومجلس الامة .. لقد دخلوا فى مناقصة عالمية اشتركت فيها شركات عالمية من امريكا والمانيا وسويسرا وانجلترا . وبالرغم من منافسة الشركات الاجنبية ، فاز عطاء المقاولون العرب الذين استخدموا اضخم المعدات الجبارة لتنفيذ هذا المشروع ، الذى اصبح الان من اهم معالم الكويت .

وقد وصل هذا المشروع الى درجة كبيرة من الروعة الى حد ان دائرة المعارف الروسية ارسلت تطلب بيانات تفصيلية عنه ، كما طارت بعثة من جمعية المهندسين البريطانية لفحص مبانى مجلس الامة والبلدية .

ويتكون كل مبنى من ٥ طوابق مكيفة الهواء ، واقيمت الحوائط والاسقف مزدوجة ، وجميع الاضاءة فيها غير مباشرة ، والواجهات الامامية كلها من الزجاج والالمنيوم الذى تم تركيبه عن طريق الاوناش الكهربائية .

ان هذا المشروع بلغت تكاليفه ٤ ملايين جنيه استرلينى .

اما احدث مشروع قام به المقاولون العرب فى الكويت ، فهو مشروع تنقية مياه المجارى الذى تعتمد عليه الكويت فى تنفيذ مشروعاتها الصحية والاجتماعية والزراعية والصناعية . ان المحطة ستؤدى الى ارتفاع سنوى للخدمات الصحية بالكويت ، وستنتج ٢٤ مليون جالون من المياه النقية يوميا ، ستستخدم فى زراعة شريط من الاشجار عرضه ٥٠ مترا يحيط بالكويت لحمايتها من العواصف الرملية التى تهب من الصحراء وتستمر احيانا ٣ ايام تحجب الرؤية خلالها على بعد ٤ امتار ، وقد الحق بالمحطة مصنعا للسماد ينتج ٢١٠٠ متر مكعب من الاسمدة يوميا ستقوم الكويت باستغلاله فى مشروعاتها الزراعية وتصدير جزء منه الى الخارج .

وقد بلغت تكاليف هذه المحطة مليونين ونصف المليون دينار بخلاف قيمة الالات التى وصلت الى ٨ ملايين دينار .

وقد روعى فى تصميمها مواجهة التوسع والامتداد الافقى العمرانى فى الكويت .. انها تستطيع ان تواجه زيادة نسبتها ٦٠ ٪ ، بعد ان تعمل بكامل طاقتها .

وفى قطاع التعليم .. قام المقاولون العرب بتصميم ٣٠ مدارس ، كانت الكويت قد اعلنت مسابقة عالمية لتصميمها ، وقد فازت الشركة وكانت اكبر البيوت الهندسية العالمية التى اشتركت فى هذه المسابقة ، وقد عهد اليها فى ذلك الوقت ، الاشراف على عملية انشائها .

وفى العراق : يقومون الان بتنفيذ مشروع قناة كركوك للاستفادة من مياه نهر (الزاب الصغير) ، فى رى اراضى وادى كركوك .

وقد بدأ المقاولون العرب العمل فى المشروع فور توقيع العقد فى ١٧ مايو ١٩٦٥ ، وبعد عام ، رسا عليهم عطاء تنفيذ المرحلة الثانية ، بعد ان دخلوا فى منافسة مع الشركات العالمية .

ومشروع قناة كركوك . يمثل جزءا من المشروع المائي الكبير الذي يهدف الى تنظيم تصريف مياه نهر الزاب الصغير ، وتنظيم ري ٣/٤ مليون فدان تمتد من « دبيس » في كركوك وتنتهي جنوبا حتى بغداد ..

اما مشروع القناة نفسها ، فهو يبدأ من منطقة (دبيس) شمال كركوك ، وهو عبارة عن شق قناة رئيسية للري طولها ٣٢ كيلو مترا ».

وفي ليبيا : يساهم المقاولون في تحقيق خطة التنمية بالبلد العربي الشقيق ، وذلك بتنفيذ مشروع المدينة الرياضية ، ومشروع المجاري ببنغازي .

وقد بدأ العمل في تنفيذ المشروع فور توقيع العقد في يوليو ١٩٦٥ للانتهاء من تنفيذه في موعده .

وتشمل اعمال المرحلة الاولى من مشروع المدينة الرياضية : انشاء ملعب يتسع لـ ٦٠ الف متفرج وصالة العاب مغطاة تتسع لحوالى ٣٥٠٠ متفرج . وملاعب لكرة السلة والطائرة وأربعة حمامات سباحة للسباق الاوليمبي والتدريب والغطس ، وحمام سباحة شتوى وملاعب للتنس وصالة جيمنازيوم ومباني النادى والادارة ، ومساكن للطلبة وللفرق الزائرة ، وميناء لرسو قوارب التجديف وصالات للرماية والعاب البولو والجولف . كما تضم المدينة الرياضية مباني اخرى كفصول دراسية للتدريب النظرى ووحدات لخلع الملابس ومحلات لبيع الادوات الرياضية ، والهدايا ، ومبنى للبريد ومواقف للسيارات الاوتوبيس ».

وفي الاردن : يقومون بانشاء سد خالد بن الوليد وهو المشروع الذي اقرته مؤتمرات القمة العربية ، لاسترداد المياه التي اغتصبتها اسرائيل .

وفي السعودية : قاموا بانشاء المطارات المدنية والحربية وعدد كبير من المشروعات الانشائية في قطاعات التعليم والصحة .. الخ ..

☐☐ اما في الجمهورية العربية المتحدة ، التي بدأت الشركة منها انطلاقتها ، فقد قامت بتنفيذ اضخم المشروعات وعلى رأسها .. السد العالى .. الذي خضنا من اجله الحروب العسكرية والاقتصادية والنفسية والسد العالي .. ليس مجرد مشروع اقتصادى ستقوم عليه نهضة مصر الحديثة ، فان مغزاه أكبر من هذا واعمق .. انه رمز لارادة الانسان المصري على صنع الحياة متحديا جميع العقبات التي تعترض طريقه ، متخطيا جميع الصعوبات ، بعد ان شطب من قاموس حياته كلمة اسمها « المستحيل » ! »..

وقد عبر الرئيس جمال عبد الناصر عن طبيعة العمل في هذا المشروع الذي تتعلق به آمال الملايين فقال :

« ان السد العالي .. لن يبنى بالصخور .. ولكن بارادة مصر وتصميم شعبها » ».

والسد العالى .. هو احد المشروعات التي تساهم فيه شركة المقاولين العرب « عثمان احمد عثمان وشركاه » ، بأكبر نصيب .. وقد اسند اليها في المرحلة الاولى الاعمال الاتية :

★ شق وانشاء قناة التحويل ».

★ انشاء السد الامامى المؤقت ».

★ انشاء السد الخلفي المؤقت ».

★ انشاء السد الجزئى الامامى ».

★ الحاجز الأرضي الشرقى المكمل للسد الرئيسي .

وفي المرحلة الثانية .. اسند اليها الاعمال الاتية :

★ بناء جسم السد ».

★ بناء محطات محولات الكهرباء ومد خطوط الكهرباء من اسوان الى سوهاج ..

ومن اجل تنفيذ هذه المراحل في مواعيدها ، بل قبل المواعيد المحددة ، يناضل المقاولون العرب نضال الأبطال ويصارعون صراع الجبابرة لتحقيق المشروع الكبير الذى سيمكننا من التحكم في كل قطرة من مياه النيل تتبدد وتضيع في البحر .. اننا سنستغل هذه المياه في توليد طاقة كهربائية تصل الى ١٠ مليارات كيلووات ساعة سنويا تستخدم في ادارة مصانع جديدة ، وفي زيادة طاقة وامكانيات المصانع القائمة ، وتنفيذ مشروعاتنا الزراعية الحديثة ، هذا بالاضافة الى توسيع الرقعة الزراعية الى ١,٣ مليون فدان جديدة اى حوالى ٢٥ ٪ من المساحة الحالية .

وكما أن أسلوب العمل في السد العالي قد اصبح نموذجا لما يجب ان تكون عليه برامج انجاز المشروعات ،اصبح العاملون فيه ايضا نموذجا لما يجب ان يتميز به المهندس والعامل من خبرة وكفاءة وتقدير للمسئولية .

من هنا .. كان السد العالى نقطة انطلاقة جديدة للمقاولين العرب ، للقيام بتنفيذ مشروعات الدولة الكبرى في مختلف القطاعات .

وفيما يلى اهم المشروعات التى قام المقاولون العرب بتنفيذها في الجمهورية العربية المتحدة :

☐ مشروع ناصر لتوسيع وتعميق قناة السويس :

تعتبر هذه المشروعات من اضخم العمليات البحرية العالمية التى اسندت الى الشركة عام ١٩٥٩ .. وكان الهدف منها توسيع وتعميق القناة الى مسافة بلغت ٨٠ كيلومترا ، وقد تضمنت هذه المشروعات :

ـ المشروع الثامن المعدل لتوسيع وتعميق قناة السويس بطول ٦٠كيلومترا بين الكيلو ٧ والكيلو ٦٧

ـ اقامة انشاءات بحرية واحواض لرسو معديات السكك الحديدية في منطقة القنطرة

ـ توسيع القناة فيما بين الكيلو ٧٢ والكيلو ٨٨ .

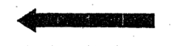
اما المراحل الرئيسية لمشروعات التحسين فهى :

ـ زيادة القطاع المائى ليصبح ١٨٥٠ مترا مسطحا بدلا من ١٣٠٠ متر قطعة

ـ توسيع عرض القناة بمقدار ٣٥ مترا مسطحا ليصبح عرضها عند منسوب سطح الماء ٢٢٠ مترا .

ـ تعميق القناة قدمين وهو ما يسمح بمرور بواخر غاطسها ٣٧ قدما .

وفي عام ١٩٦١ .. اسند الى الشركة مشروع اخر لتوسيع وتعميق القناة يشمل المسافة من الكيلو ١٣٠ الى ١٥٧,٥ .



وفى سيناء .. قاموا بتنفيذ ميناء ابو زنيمة .

والآن .. يجرى العمل فى منطقة شقير على البحر الاحمر لانشاء ميناء لحماية الالات والمعدات البحرية التى تعمل فى مشروعات استخراج البترول بخليج السويس .

□ مشروع ناصر لتحسين ميناء بورسعيد :

وقد حقق المقاولون العرب نصرا جديدا فى مجال الاعمال البحرية ، عندما قاموا بتنفيذ مشروع ناصر لتحسين ميناء بورسعيد ، وقد كانت هى الشركة العربية الوحيدة التى تقدمت فى المناقصة العالمية التى اعلنتها هيئة قناة السويس واشتركت فيها ثمانية شركات عالمية من اليونان .. السويد .. المانيا .. اليابان .. هولندا .. ايطاليا .

وقد تضمن هذا المشروع تعميق قاع الميناء ، وانشاء ارصفة جديدة تسمح للبواخر حمولة ٥٠٠٠ طن بالرسو عليها ، كذلك توسيع الارصفة الحالية واقامة سيفون جديد للمياه العذبة يصل بين بورسعيد وبورفؤاد وفى الاسماعيلية .. قاموا بانشاء مبنى برج الارشاد ومكاتب هيئة قناة السويس .

□□ وفى مطار القاهرة الدولى : قام المقاولون العرب بانشاء المبانى الجديدة التى تكلفت وحدها حوالى مليون جنيه ، وتتكون من سبعة طوابق تتسع لجميع الاحتياجات المحتملة التى يتطلبها مطار دولى كبير .. ويضم المطار فندقا من الدرجة الاولى ، وصالات مكيفة الهواء للمسافرين والزوار وسوقا ومطاعم وكافيتريا ومكاتب لشركات الخطوط الجوية وادارات الخدمة المدنية .

كما قام المقاولون العرب بانشاء ممرات الهبوط الرئيسية المرصوفة بالخرسانة .

□ والمصانع :

وامتد نشاطهم الى المصانع ليساهموا بدورهم فى تحقيق نهضتنا الصناعية ، فقاموا بانشاء مصنع الاسمنت الحديدى بحلوان ، وهو اكبر مصنع من نوعه فى منطقة الشرق الاوسط ، ولكى ندرك مدى ضخامة هذا المشروع ، يكفى ان نعرف ان الشركة قامت بانشاء مستعمرة سكنية للعمال فى منطقة العمل ، كما اقامت ورشا ميكانيكية لصيانة واصلاح الالات والمعدات الثقيلة ، وقد اقيم هذا المصنع الضخم على مساحة ٦٠٠ فدان وفى حلوان ايضا قام المقاولون العرب بانشاء مصنع الكوك الذى يعتبر الاول من نوعه فى بلادنا ، كما قاموا بانشاء مصنع السماد .

وفى شبرا الخيمة قاموا بانشاء مصانع النصر لصناعة اقلام الرصاص ومنتجات الجرانيت ومصنع الخيوط الجراحية .

مشروعات الاسكان والمجارى

. وفى مجال مشروعات الخدمات ساهموا باكبر نصيب فى تنفيذ مشروعات ناصر للاسكان العاجل ، ومشروع المائة يوم لمجارى مدينة القاهرة ، وقد تمكنوا من الانتهاء من هذه المشروعات قبل المواعيد المحددة لها .

وعلى الرغم من انهم قد قاموا بانشاء عدد كبير من مشروعات الاسكان التى تعتبر نموذجا للفن المعمارى الحديث ، فان هناك مشروعا يرتبط بأعز ذكرى .. ذكرى الانتصار ، وهو مشروع تعمير مدينة بورسعيد بعد تطهيرها من دنس العدوان الغاشم .

□□ وفى مجال الزراعة واستصلاح الاراضى ، يقوم المقاولون العرب بمشروع استصلاح ٣١٢ الف فدان بوادى الصالحية ، وهو احد المشروعات التى تعتمد على مياه السد العالى ، وتبلغ تكاليف هذا المشروع ٩٩ مليون جنيه ويحقق دخلا قدره ٧٠ مليون جنيه خلال السنوات العشر الاولى ، ستزيد بعد ذلك الى ٨٢ مليون جنيه ، هذا بالاضافة الى ايرادات الانتاج الحيوانى والدخل الناتج من قطاعات التصنيع الزراعى .

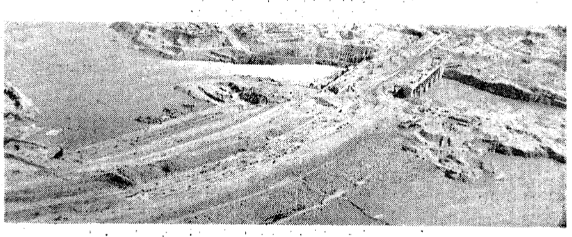
وتقع منطقة الصالحيه وسط مساحة صحراوية شاسعة تمتد مابين الاسماعيلية جنوبا وبورسعيد والمطرية شمالا ، وتمتد بمحاذاة قناة السويس من الضفة الغربية كما تتاخم بحيرة المنزلة من جهة الغرب .

وتتميز الاراضى فى هذه المنطقة باختلاف انواع التربة الذى يساعد على تنوع المحاصيل الزراعية اذ انها تضم ١١٨ الف فدان تربتها طينية و ٢٨ الف فدان تربتها طفلية جيرية و ١١٤ الف فدان تربتها رملية .

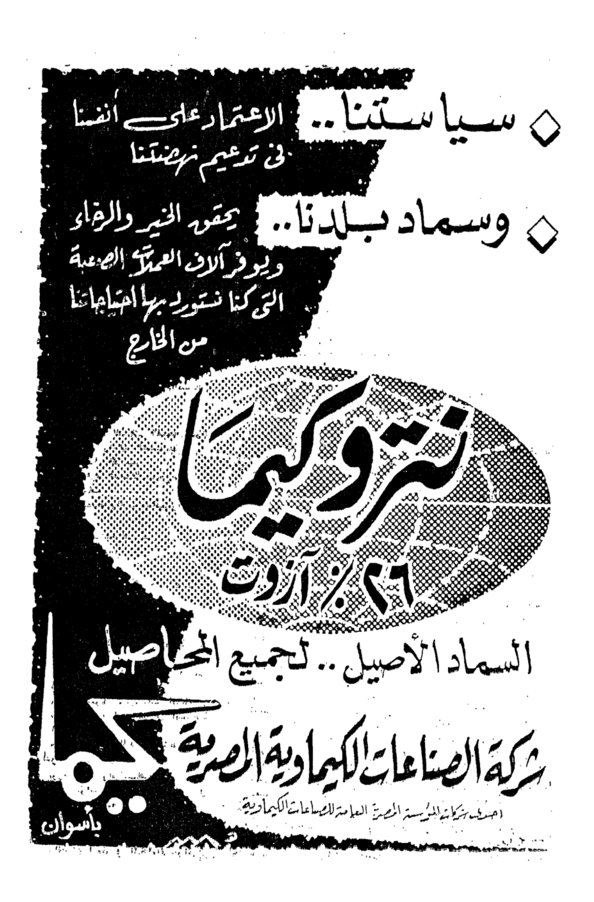
وبالاضافة الى النتائج الاقتصادية التى سيحققها هذا المشروع، فانه سيحقق نتائج اجتماعية وعمرانية اهمها :

ـ تحويل ٦٢٤ الف اسرة من معدمين الى ملاك

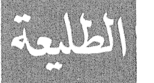
ـ نشأة محافظة جديدة باسم الصالحيه .



السد العالى .. اكد للعالم كفاءة الخبرات العربية ، وقدرتها على تنفيذ مشروعات العرب .



سياستنا .. الاعتماد على أنفسنا في تدعيم نهضتنا
وسماد بلدنا .. يحقق الخير والرخاء ويوفر آلاف العملات الصعبة التي كنا نستورد بها احتياجاتنا من الخارج
نتروكيما
٢٦٪ آزوت
السماد الأصيل .. لجميع المحاصيل
كيما
بأسوان
شركة الصناعات الكيماوية المصرية
احدى شركات المؤسسة المصرية العامة للصناعات الكيماوية



الـدراسات والمقالات الاقتصادية بالطليعـة (١٩٦٥ - ١٩٦٦)

يناير ١٩٦٥

- البترول فى خدمة التطور السياسى والاقتصادى للوطن العربى .
- النماذج الثلاث للتطور الاقتصادى المعاصر .

فبراير

- التخطيط الاشتراكى والتخطيط الرأسمالى .
- السد العالى : سياسيا واقتصاديا واجتماعيا « ملف » .

مارس

- الصراع بين البلاد المنتجة للمواد الخام .. والبلاد الصناعية .
- قضية غذاء الشعب .
- نحو ادارة اقتصادية مرنة للمشروعات .
- حول الخطة والربح والعلاوات .

أبريل

- الادارة الذاتية للمنتجين .
- البترول فى مصر .

مايو

- التخطيط لمستقبل البترول العربى .

يونيو

- حركة الاستثمارات فى الخطة الخمسية الاولى .
- الصناعات الثقيلة فى الخطة الخمسية الثانية .
- مشاكل الاستهلاك والتنمية فى ظل الاشتراكية .
- مشاكل تمويل مشروعات الخطة .
- تطور فكرة التخطيط فى اقتصادنا القومى .
- ما هو وكيف ولماذا التخطيط ؟

يوليو

- ثورة يوليو والرأسمالية .
- خطوات التحول الاشتراكى فى التجربة المصرية .

أغسطس

- القطاع العام فى النظام الرأسمالى والقطاع العام فى النظام الاشتراكى.
- الوضع الراهن للقطاع العام فى مصر .
- القطاع العام من الداخل « ندوة ».
- نظرية القيمة عند ابن خلدون .
- الاستثمار البشرى .
- صورة الانتاج والعمالة خلال السنوات الاربع من الخطةالخمسية الاولى .

سبتمبر

- التعاون فى ظل الرأسمالية والاشتراكية .
- التعاون والتجارب الاشتراكية .
- تاريخ التعاون فى مصر .
- التعاون فى الانتاج الصناعى .
- حول مفهوم التخطيط الاقتصادى .

أكتوبر

- تشريعنا الضريبى فى ظل الاشتراكية.
- أزمة السوق المشتركة هى أزمة حركة الوحدة الاوروبية .
- قوانين العمل بين النظام الرأسمالى والتحول الاشتراكى .

نوفمبر

- الرغيف ومستقبل التنمية .
- التركيب التنظيمى للاقتصاد المخطط.
- القطن واقتصادنا القومى .

ديسمبر

- البترول ومصير الانسان العربى .
- دراسات المقريزى الاقتصادية واغاثة الامة بكشف الغمة .
- ميزان المدفوعات وقضية زيادة الصادرات وخفض الاستهلاك .

يناير ١٩٦٦

- البنوك بين الدول الاستعمارية والمستعمرات .
- استهلاك وانتاج السلع التموينية الاساسية .

فبراير

- الملكية الخاصة للارض والزراعة الاشتراكية .
- التنظيم النقابى والقاعدة العمالية .

مارس

- تجربة من رومانيا : من الدولة الشعبية الى الدولة الاشتراكية .

ابريل

- التطبيق الاشتراكى فى غينيا .

يونيو

- خريطة الاقتصاد القومى بين القطاع العام والقطاع الخاص .
- نحو تنظيم جديد شامل للقطاع العام .
- الرقابة الشعبية على النشاط الاقتصادى .
- اضواء على اتجاهات الرأسمالية الوطنية .
- حول مفهوم الربح بين الاشتراكية والرأسمالية .

يوليو

- حوافز الانتاج بين الفهم الرأسمالى والفهم الاشتراكى .
- دروس من الخطة الخمسية الاولى للتنمية .

أغسطس

- تطور التنظيم الاقتصادى الاشتراكى فى أوروبا الشرقية
- الاشكال الجديدة للاستغلال .
- ندوة الطليعة فى الاتحاد الاشتراكى مع شارل بتلهيم .

سبتمبر

- حول تطور العلاقات الاقتصادية والطبقية فى الريف .

اكتوبر

- ملامح التطبيق الاشـ[illegible] ف تشيكوسلوفاكيا .

نوفمبر

- التغيرات التى طرأت على رأسمالية ما بعد الحرب
- نشأة وتطور نظـ[illegible] الاجتماعية .
- القطاع العام بين الرأسمالية والاشتراكية والتجربة المصرية .

الثمن ١٠ قروش

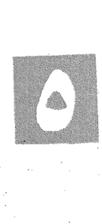
مطابع مؤسسة الاهرام

الثمن ١٠ قروش

مطابع مؤسسة الاهرام

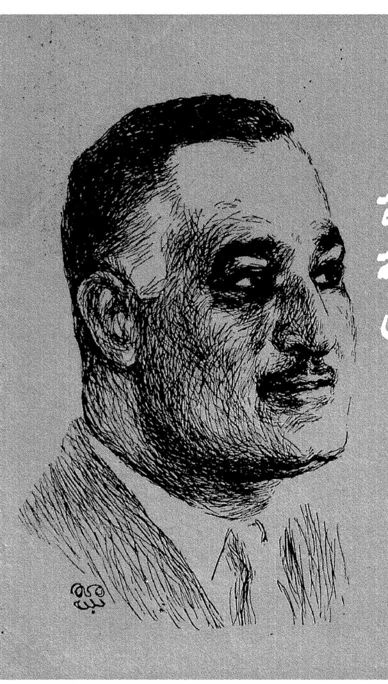
الطليعة

طريق المناضلين إلى الفكر الثوري المعاصر



٥

المناضل جمال عبد الناصر يتحدث عن الطريق الى وحدة القوى الثورية فى الوطن العربى



العمل السياسى فى الحياة اليومية



طريق المناضلين الى
الفكر الثورى المعاصر

مجلة شهرية
تصدر اول كل شهر

الفهرس

العدد الخامس ـ السنة الثالثة ـ مايو ١٩٦٧

ان ((الطليعة)) ميدان مفتوح لكل رأى حر ، وفى اعتقادها ان تفاعل الآراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع ان يبلور ويستخلص وحدة فكرية أصيلة .

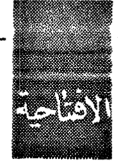
من هذا المفهوم تفتح ((الطليعة)) صفحاتها لكل رأى لديه كلمة يقولها ـ مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى اطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر ((قد اختلف معك فى الرأى ولكنى على استعداد لان ادفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رأيك))

عنوان المراسلات :

((الطليعة))

مبنى مؤسسة الاهرام ١٤ شارع مظلوم القاهرة تليفون : ٤٦٤٦٤ ـ ٤٤١٤٤

الاشتراكات :
ل [illegible] بالبريد العادى : ج.ع.م ودول [illegible]اد البريد العربى ودول الدار البيضاء ١١٥ قرشا .



نحو.. نقد ذاتى للشعب

يكشف لنا واقعنا المعاصر ، ان مسيرتنا الثورية قد قطعت بالفعل مرحلة استراتيجية هامة ، وهى اليوم تقتحم مرحلة اخرى جديدة ، وذلك على المستوى المحلى والقومى معا .

فعلى **المستوى المحلى** ، انجزت مسيرتنا الثورية ، بعد تحقيق الاستقلال السياسى والاقتصادى، عملية الاختيار الحاسم ــ نظريا وتطبيقيا ــ للاشتراكية بقوانينها العلمية منهاجاوطريقاللتطور، واتخذت من اجل ذلك عددا من الاجراءات الجوهرية فىالمجالات الاقتصاديةوالسياسية والاجتماعية ادت الى بناء القواعد الاساسية اللازمة لعملية الانطلاقنحو الاشتراكية .

فأرست القاعدة الاقتصادية فى شكلالقطاع العام الذى نقل وسائل الانتاج الرئيسية ــ فيما عدا الارض ــ القديمةمنها والمستحدثة على نطاق واسع وعميق بفضل خطة التنمية ، من الملكية الخاصةالاستغلالية الى الملكية العامة التى يشارك المنتجين انفسهم فى ادارتها .

وارست القاعدة الاجتماعية فى شكلتحالف لقوى الشعب العاملة المكونة من

الفلاحين والعمال والمثقفين والجنود والرأسمالية الوطنية ، كأساس للسلطة ، عزلت عنه فئات كبار ملاك الاراضي والرأسمالية الكبيرة ، بعد تصفية نفوذهم الاقتصادى والسياسى .

وأرست القاعدة السياسية فى شكل تنظيم سياسى ثنائى التركيب يتكون من منظمة جماهيرية (الاتحاد الاشتراكى العربى) وحزب طليعى تحت التأسيس (الجهاز السياسى العامل من داخل الاتحاد) .

وبذلك امتلكت القوى الثورية الوسائل الجوهرية لصراعها من اجل تصفية الجيوب والقيم المعادية للاشتراكية فى المجتمع من ناحية ونضالها من أجل نصرة قضية بناء الاشتراكية فكريا وماديا . ومن هنا تنبثق المرحلة الجديدة مرحلة تحويل الامتلاك المادى لهذه الوسائل الى امتلاك فعال ومتحرك . وهذا يعنى التدعيم الاجتماعى والسياسى لهذه الوسائل وتطويرها باستمرار على ضوء العلم والخبرة وحصيلة السلبيات والايجابيات المكتسبة من التجربة . واستخدامها الواعى والمسئول فى بناء وحدة كل القوى الثورية فى المجتمع .

وعلى **المستوى القومى** ، اسهمت مسيرتنا الثورية ، فى عملية التحرير السياسى للجزء الاكبر من الوطن العربى واشعال حرب التحرير المسلحة فى المناطق التى لاتزال خاضعة للاستعمار المباشر مثل الجنوب العربى والمحميات ، واقامة قواعد ذات نظم تقدمية للثورة العربية الشاملة مثل الجمهورية العربية المتحدة والجزائر وسوريا ، واكتشاف الشعوب العربية لمقومات وحدتها القومية التاريخية والجغرافية والاقتصادية واللغوية والتكوين النفسى والحضارى المشترك وايمان الجماهير بضرورة وامكانية بناء هذه الوحدة القومية بمضمون اشتراكى . الامر الذى فجر على صعيد الوطن العربى ككل عملية الصراع الطبقى بوجوهها المتعددة والتى أصبحت المهيمنة على العلاقات العربية وكل تحرك داخلها سواء فى موقف القوى المختلفة بعضها من بعض او فى موقفها من القوى الخارجية . . ومن هنا تنبثق المرحلة الجديدة ، التى يعبر عنها شعار وحدة القوى الثورية العربية فى مواجهة القوى الرجعية العربية وحلفائها من الاستعمار القديم والجديد معا

والانتقال من مرحلة لمرحلة خلال عملية التطور الثورى الجارية دون توقف ، يتطلب اول مايتطلب الوضوح الفكرى والرؤيا الواقعية باستمرار لطبيعة وظروف كل من المرحلتين بايجابياتهما وسلبياتهما معا ودون انفصال . وذلك من أجل اكتساب مزيد من القدرة والخبرة واليقظة على مواصلة الطريق .

بمعنى ان واجب كل ثورى — مع نفسه وبارتباط مع الاخرين فى نفس الوقت — أن يتأمل بعمق وشمول حركة التطور فى مجموعها ، وما حققته من نجاح وما منيت به من اخفاق . وذلك بهدف التعرف على الاسباب الموضوعية والذاتية للنجاح

والاخفاق معا . وهو فى تأمله — الذاتى والجماعى — لا يقف موقف المتفرج على رصيف الاحداث او يقبع فى برج عاجى يحلم احلاما تجريدية ، وانما هو يتأمل من خلال مشاركته الايجابية فى العمل والبناء . اى يتأمل الواقع الذى يسهم فى صنعه « ويداه فى النار » — على حد التعبير الشعبى .

وحاجتنا جميعا الى التأمل هى حاجة موضوعية ، لان الثورة — محليا وقوميا — قد غدت فى واقع الحال اكبر منا جميعا — على تفاوت القدر الذى ساهم به كل منا فيها . وهذا امر طبيعى . فالثورة من خلال تشبعها بعرق الملايين من القوى الشعبية ، تحقق بالطاقة الجماعية للجماهير العاملة مايرقى الى مرتبة المعجزات بالنسبة لكل فرد على حدة . وهكذا تتحول الثورة بالنسبة لكل ثورى ساهم فى صنعها وتطويرها شيئا اكبر منه ، عليه ان يتعلم منها ويصغى بانتباه واحترام لدروسها وخبراتها ويعيد تقييم قدراته واسلوبه فى العمل على ضوء ماتقدمه باستمرار .

ان ثورة يوليو فى مصر مثلا قد غدت اكبرنا جميعا . وليس من قبيل التفاخر الاقليمى الضيق أن نصف ما حققته من اعمال بانها معجزات . فهى بالنسبة لكل ثورى معجزة بالقياس الى قدراته المحدودة .. ولنأخذ على سبيل المثال انتصارها الساحق على قوات العدوان البريطانى والفرنسى والاسرائيلى عام ١٩٥٦ وعلى قدرتها على امتلاك قناة السويس وادارتها بكفاءة اذهلت كل التوقعات العالمية ، وعلى بناء السد العالى الذى وصفه « دالاس » بانه مشروع دولة كبيرة لا تقدر عليه دولة صغيرة كمصر ، وعلى انتهاج الطريق الاشتراكى فى منطقة متخلفة تعج بالنفوذ الاستعمارى واحتكاراته وقواعده العسكرية .

وثورة الفاتح من نوفمبر فى الجزائر قد اصبحت اكبر من كل من صنعوها فحطمت قيود التبعية الخرافية التى كانت تخضعها ماديا ومعنويا الى الاستعمار الفرنسى طوال ١٣٢ عاما وراحت تشق طريقها الوعر نحو الاستقلال الاقتصادى والبناء الاشتراكى .

كذلك الحال فى سوريا واليمن والجنوب اليمنى المحتل ..

وهذه الظاهرة تلقى بمسئوليات جديدة على كل المناضلين الثوريين . وهى مسئوليات تتبلور كلها فى ضرورة التطهر الذاتى والجماعى من كل ما يشوب القدرة الثورية من نواقص واخطاء ، وتنقية حقل الثورة مما يوجد به من طفيليات وشوائب وتقاليد وعلاقات تقيد او تعرقل الحركة الى الامام .

وهذا هو بالدقة الهدف الاساسى لكل الثوريين اليوم فى مجتمعنا ووطننا العربى حتى نستطيع ان نوائم قدراتنا مع هذا المستوى الكبير الذى بلغته الثورة .

واذا كان لكل هدف فى الحياة الانسانية وسيلة رئيسية خاصة به وتتفق مع طبيعته

وظروفه لتحقيقه . فانّ علينا أنْ نستخدم الوسيلة الرئيسية الخاصة بتحقيق هدفنا .. واذا كانت الوسيلة الرئيسية لحرث قطعة أرض مثلا تتراوح طبقا للظروف والامكانيات والتقدم العلمي من الفأس الى المحراث اليدوي الى المحراث الميكانيكي (التراكتور) وكان الاخير هو اكثر الوسائل تقدما وفاعلية، فان الخبرة العلمية والانسانية لانجاز هدفنا الثوري هذا الملح اليوم في المجتمع والوطن العربي تقدم **((النقد الذاتي))** كوسيلة رئيسية .

ولهذا فنحن ندعو الى حملة شعبية يمارس خلالها كل مناضل ثوري مع نفسه وفي ارتباط مع الاخرين — من مواقع العمل والمسئولية — النقد الذاتي ، بحيث يمكن أن تغدو العملية في الواقع عملية نقد ذاتي للشعب في جميع المجالات وعلى مختلف المستويات .

والنقد الذاتي يتطلب ممن يمارسه انْ يتسلح بقدر عظيم من الشجاعة الادبية والنظرة الموضوعية في نفس الوقت . ذلك ان النقد الذاتي لا يكتسب أهميته وفاعليته الا باعلانه والمجاهرة به بصوت عال ومسموع، وان يستند الى الواقع الموضوعي الحي ، وان يشحذ كل الامكانيات لتقديم حلول للمشاكل المطروحة .

وبهذا يستطيع كل ثوري ان يتطهر مما ورثه من سلوك وقيم وتقاليد عن الاوضاع المنهارة ، ويستطيع الشعب كمجموع في نفس الوقت ان يضع اليد والعين والعقل على ما يثقل واقعه وحياته من نواقص واخطاء وعلاقات تقيد من حركته الثورية نحو بناء الكيان الجديد لمجتمعه . وهكذا تتفتح من خلال عملية النقد الذاتي الشاملة مدرسة شعبية نتعلم فيها من بعضنا بعضا بتواضع ، ونزيد في آن واحد من خبراتنا المشتركة . ونضاعف من التكوين الثوري لقدراتنا وملكاتنا الفردية والجماعية ،وبذلك نخلق الوجدان الثوري الذي يصبح ضمانا موضوعيا لعدم تكرار الاخطاء والمضي على الطريق في الاتجاه السليم بأقصى قدرة وكفاية ممكنة وبأقل تضحيات واخطاء واقصر وقت ممكن .

وانطلاقا من هذا الفهم والمسئولية فان ((الطليعة)) تعد العدة لاصدار عدد خاص تكرسه لعملية نقد ذاتي شاملة تمارسها القوى المناضلة الشعبية في كل مكان وفي جميع المجالات ، في واقعنا المحلي ووطننا العربي ككل.وان يتاح لهذا العدد ان يصدر الا بأوسع مشاركة وتجاوب من المناضلين والجماهير الشعبية .

ولهذا فنحن ندعو بالحاح كل العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين في المصانع والمزارع والمدارس والجامعات ومراكز البحث العلمي والمهني .. الرجال والنساء .. الشبان والشيوخ .. التنظيمات السياسية والنقابية والتعاونيات واتحادات النساء والكتاب والادباء والفنانين الى المشاركة — فرديا وجماعيا — في عملية النقد الذاتي بكشف الاخطاء والنواقص في نفوسنا الفردية وفي حياتنا الجماعية وتقديم

الحلول والمعالجات الممكنة ثوريا وواقعيا .. وذلك فى المجالات السياسية او الاقتصادية او الاجتماعية او الثقافية على السواء .

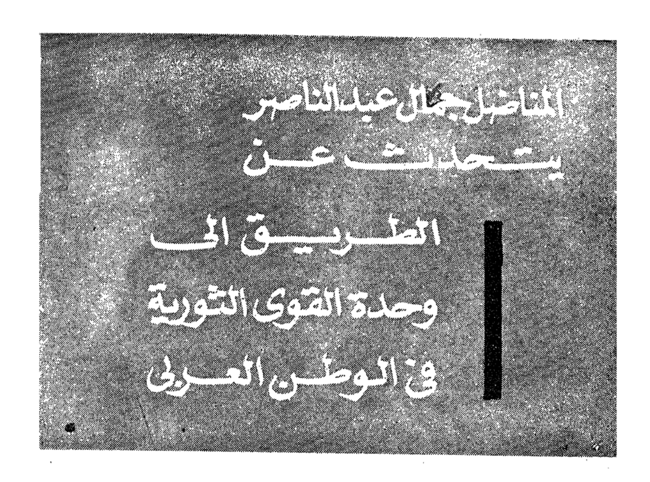
ونحن ندعو ان نواجه كل العيوب والنواقص والاخطاء باقصى ماف طاقاتنا من شجاعة وقدرة ابتداء من عدم احترام المواعيد مثلا الى العلاقات بين الرجل والمرأة .. الى السلوك الاجتماعى ككل .. الى الفوائد الغذائية .. الى قضايا الاستهلاك والادخار والادارة .. الى مظاهر الفروق الطبقية .. الى النعرات الاقليمية .. الى تفكك القوى الثورية على الصعيد المحلى والقومى .. الى الابنية الفكرية والسياسية .

ونحن نعتقد انه كلما كانت المشاركة عميقة وواسعة وصريحة وشجاعة كلما كان ذلك دليلا على نضجنا الثورى وعلى قدرتنا الثورية فى تحويل النواقص والاخطاء الى مكاسب ودروس نتعلم منها ونشحذها فى مواجهة التحديات . ونتمكن بذلك من ان ننتصر على الضعف الانسانى الكامن فى نفوسنا بالطبيعة كبشر .

ونأمل ان يكتب الينا بتفصيل اكبر عدد ممكن من المناضلات والمناضلين فى مجتمعنا والوطن العربى ناقدين لذواتهم ، وفى نفس الوقت ناقدين للعمل الجماعى الذى يشاركون فيه بالمجالات المختلفة والمتنوعة ، بصراحة وصدق الثوريين .

لطفى الخولى

ملحوظة : ترجو الطليعة ممن يرغب فى المشاركة فى حملة « نحو نقد ذاتى للشعب » أن يكتب اليها بنقده مفصلا فى ميعاد لايتجاوز ١٥ سبتمبر القادم متضمنا اسمه وعنوانه وسنه وعمله ، وان يضع على الجانب العلوى الايسر من مظروف الخطاب عبارة « حملة النقد الذاتى » .



اعتقد ان المؤتمر كان له فوائد كبيرةجدا ... والفائدة الاولى ان عناصر من جميع الدول العربية بتلتقى مع بعض ،والناس اللى فى الاقطار العربية المختلفة بتتبادل الافكار،وطريقنا الحقيقى ماهواش طريق سهل .. طريق النـــاس اللى عايزين يكونوا مستقلين ١٠٠٪ ،والناس اللى عايزين يحققوا الوحدة ... ويرفعوا راية القومية العربية ...

فى الحقيقة انا اتكلمت اساسا على وحدة القوى الثورية ووحـــدة القـــوى التقدمية او القومية ... ممكن نسميهاتجاوزا .

هو فى ناس كثير بيتساءلوا لماذا لااتدخل انا فى هذا الموضوع ... الحقيقة انى انا لايمكن انى انا اتدخل فى هذاالموضوع ، وحتى اذا فـــرضت حل من الحلول على الناس بدون قناعة فالحل دهسينفرط ...

اذن الثوريين نفسهم والقوميين نفسهم هم اللى عليهم يحلوا هذا الموضوع ..وفى ناس كثير كانوا قالوا لى انى انا لازم اتدخل شخصيا واقول الصيغة ..

النقطة الثانية اللى انا اقولها انى اناماقدرش اقول الصيغة .. الناس اللى عايشين حياتهم وظروفهـــم هـــم اللى يقدروا يعملوا هذه الصيغة ... فى اى بلد عربى وكل بلد عربى له ايضا ظروفه المحلية ..

واذا نادينا بالوحدة يجب الا ننسى هذا ، واذا نسينا الظـــروف المحليـــة والاختلاف فى العادات والطباع والبيئة والنشأة الى آخره والتاريخ ... نبقى بنغلط غلطة كبيرة جدا ..

تنشر « الطليعة » ــ بتصريح خاص ــ نص الحديث الذى تناول فيه المناضل جمال عبد الناصر قضية وحدة القوى الثورية العربية ، والطريق الى بنائها على أسس موضوعية . وهو الحديث الذى وجهه الرئيس فى اللقاء الخاص الذى تم مع ممثلى مؤتمر المعلمين العرب (أعضاء المكتب الدائم والنقباء) بقصر القبة فى ٨ مارس ١٩٦٧ .

وكان المؤتمر قد عقد جلساته بالقاهرة فى الفترة من ٢٧ فبراير الى ٨ مارس ١٩٦٧ وركز فى مناقشاته على هذه القضية الحيوية .

و « الطليعة » تنشر هذا الحديث الهام ، والقوى الثورية العربية على ميعاد للقاء فى ندوة « الاشتراكيون العرب » بالجزائر التى دعا اليها الرئيس هوارى بومدين فى أواخر هذا الشهر . ومن المعروف ان قضية وحدة القوى الثورية فى الوطن العربى هى النقطة الاولى فى جدول اعمال الندوة .

انا بنادى بالشىء اللى انا شايفه ضرورى فى هذه المرحلة ولكن لا استطيع أن أجد له الحل السليم وحدى ولا أستطيع أن أباشر هذه العملية بنفسى .

الثوريين العرب والقوميين العرب والوطنيين هم اللى يقدروا يصلوا الى الصيغة مع بعض والا مايبقوش لا ثوريين ولا قوميين ولا تقدميين .. لانهم اذا بقوا ذاتيين وكل واحد اتكلم عن ذاته ، بتبقى العملية تجارة وليست بأى حال من الاحوال ثورية ولا قومية ولا وطنية . واذا كانوا الثوريين العرب اللى بيسموا نفسهم ثوريين عرب مايقدروش يوصلوا الى حل اذن هم مش ثوريين ولازم المرحلة تتعداهم .

اما افتعال اى شىء بالذات فى اى بلد عربى فلن يحل ابدا اى حل سليم ، نستطيع ان نفتعل ، ولكن ماهى نتيجة الافتعال ، يكون البناء بيتهاوى ، كل واحد بيكون متربص ينتظر اى فرصة عشان يهد هذا البناء .

فخير لنا ان احنا مانعملش حاجة احسن من احنا نوهم انفسنا ان احنا عملنا حاجة ، وفى الحقيقة نكون مابنيناش شىء .

الظروف النهاردة بتفرض علينا هذا .. المعركة الضارية الموجودة بتفرض علينا هذا .. اللى بيدور تفكيره حول ذاته وبس وحول وضعه .. مع تنكره لكل الاوضاع العربية والعالمية الموجودة ... يبقى لا هو ثورى ولا هو قومى ولا هو وطنى ولا هو تقدمى . يبقى مافيش فايدة فيه ، بالعكس حتى اذا دخل بيكون باستمرار مثار تنغيص وعامل من العوامل المعوقة .

وما هي الوحدة ..ده برضه موضوع مهم .. جدا .. لان لما نقول وحدة الثوريين العرب ده تعبير صعب جدا .

بنقول الوحدة .. وحدة الثوريين ووحدة القوى الثورية .. ان ساعات الالتقاء بينتج عنه وحدة ، لان وجود الاختلاف بيسبب باستمرار تعويق فى السير وتعويق فى التقدم وعدم بلورة امور لان فيه خلاف ..

اذا حصل انشقاق فهذا الانشقاق فى الحال بيبقى وحدة . لان اما الجزء المختلف بيمشى .. الجزء اللى باقى الجزء الاكبر اللى باقى ، بيبقى متوحد فكريا ومتوحد فى عقيدته وايضا الثقة تجمع بينه ، اذن الانشقاق قد تتولد عنه وحدة .

فاحنا النهاردة عايزين مش بالانشقاق نولد وحدة ، لا .. ده احنا عايزين من اطراف مختلفة نولد وحدة .. لان أسهل قوى لما يكون عندك مجموعة منظمة ومختلفة انك تشقها وتقسمها قسمين .. فالقسم الاول توحد والقسم الاخر توحد ..

بهذا يبقى بسبب وحدة وده حصلت فيه وحدة ..

لكن النهاردة لما يكون فيه قوى مختلفة عايز توحدها ، زى عملية تفتيت الذرة ثم عملية تجميع الذرة ، هم وصلوا الى تفتيت الذرة لكن لم يصلوا الى الان الى انهم بعد ما بيفتتوها يجمعوها تانى ..

قد تكون عملية التفتيت اسهل كثير امن عملية التجميع .. وفى التاريخ السياسى كله بالنسبة للعالم كان من السهل قوى ان الاحزاب تنشق . لكن مش من السهل قوى ان الاحزاب تتوحد .. الحزب تلاقيه بعد كده بيبقى حزبين وثلاثة واربعة وخمسة الى آخره .. كان عندنا فى مصر الامر بهذا الشكل .. لكن من الصعب انك تعمل حزبين حزب ، او ثلاث احزاب حزب ، او تعمل اربع احزاب حزب .. انا بقول هذه الامثلة علشان نعرف يعنى مدى الصعوبة لما نتكلم على وحدة القوى الثورية .. فهى عملية صعبة ..

وحدة القوى الثورية تتحقق فى عدة أشكال

اذن وحدة القوى الثورية ممكن انها تيجى فى عدة اشكال ومش ضرورى ابدا نصمم على الوحدة بصفتها المطلقة ، اللى هى الوحدة ، اللى هى الدمج والتوحيد الكامل لان انا فى رأى ان هذا الموضوع عسير قوى الوصول اليه .

قد يكون من الاسهل ان نبتدى بنوع من الجبهات او عمليات بهذا الشكل .. ودى بتوصل فى المستقبل الى نوع من التفاهم لمواجهة القوى المضادة الموجودة فى العالم العربى .

معنى هذا ايه .. معنى هذا بنقول ان الجبهة هى اللى ممكن تكون مدخل لكل الافكار اللى بتجول برؤوسنا . لان عملية التوحيد بمعنى التوحيد قد تكون عملية عسيرة وقد تكون عملية صعبة بل قد تكون اذا قامت تلقائيا عملية مصطنعة لان ده برضه حيكون تابع له وده ايضا حيكون تابع له .

بعدين احنا بالذات ، بالنسبة لينا ، احنا ما لناش فروع لينا بره ابدا .. يعنى احنا من الاول اخذنا على نفسنا هذا المبدأ .. مايبقاش فرع لينا فى منطقة او فى قطر من الاقطار . ولكن احنا مستعدين نتعاون مع كل الوطنيين التقدميين فى العالم العربى نحو قضية الوحدة . وعلى هذا الاساس بيكون ممكن يكون فيه لقاءات ويكون فيه انسجام فى العمل ويكون فيه التخطيط وياخذ ايضا سيره الطبيعى ..

طبعا بالنسبة للقيادة وده الموضوع اللى احنا باستمرار بنطعن فيه، ان احنا عايزين نعمل امبراطوية او ان احنابنطمع فى كذا وان عبد الناصر عايز يعمل كذا وكذا .. عبد الناصر فى هذا ليس الا ظاهرة بتاخد وقتها وبتنتهى. لكن الحقيقة اللى بيبقى فى هذا هو المبادىء اللى بنؤمن بها فى كل بلد وفى كل مكان. العملية ماهياش ابدا عملية شخصية ولا عملية متعلقة بى انا ، مهما كان كل واحد له عمله وله دوره واحنا ــ مهما كنا باستمرار دورنا فى الحياة قصير جدا ــ يعنى دور اى انسان فى الحياة بيبقى قصير جدا بالنسبة للحياة نفسها وبالنسبة لحياة الناس وحياة الشعوب وحياة الامم . فده الموضوع اللى بيحاولوا بيهاجموا بيه، فاحنا لازم نثبت الحقيقة.. ان وحدة القوى القومية والقوى التقدمية والقوى الثورية او القوى الوطنية .. ان هذا العمل ، العمل ده ماهواش عمل فلان او علان ولكن ده عمل الامة العربية فى كل بلد عربى..

الاخ هنانو (1) تكلم عن حلب .. اناشفت حلب وسمعت على حلب . وهو بالذات سمعت عليه كثير ويمكن مالتقيناش مع بعض وقعدنا القعدة دى .. القعدة اللى قاعدينها النهاردة بنقعد مع بعض لاول مرة وانا باسمع اسم ماشفتوش ابدا . يعنى وما شفنيش وماقعدش معايا وهو له دوره .. وقد يكون ناس حاسبينه على ويقولوا ان ده بياخد تعليمات من عبد الناصر والكلام اللى انتم بتسمعوه ..

(**السيد هنانو** : هو مش تعليمات هو نضال) .

الرئيس : لا قصدى اللى بيتقال يعنى، يعنى انا اول مرة الحقيقة شفته حفظت شكله يوم مارحت الجامعة وقال لى على اسمه .. انا اعرف اسمه كويس جدا واعرف هو ايه ودوره ايه لكن شكله ماعرفوش ماقعدناش مع بعض .. وزى الاخ فيه آلاف فى العالم العربى ،يعنى ايه ، هم اصلا مناضلين ولهم دور قيادى ، وانا بالذات طبعا بيبقى عندى جاذبية نحوهم وشعور نحوهم رغم انى انا ماحصلش تعارف بينى وبينهم ولاقعدنا مع بعض ولا فيه صلة .. صلة ارتباط بينى وبينهم ..

فى كل بلد موجود المناضلين الثوريين، وده الحقيقة اللى بتخلينى اقول ان الواجب علينا فى هذه المرحلة ان احنا بنعمق النضال ونقوى قيادات هذا النضال ونبلور الامر امامنا ببساطة ما بنعقدوش ابدا . احنا عايزين نبقى مستقلين ١٠٠٪ ومش عايزين نفوذ استعمارى فى الامة العربية .. فده الاساس ..

كل بلد عربى له أوضاعه وظروفه

وبعدين اما بنتكلم عن الوحدة ــ الوحدة مش عملية سهلة ابدا ، الوحدة عملية صعبة ولازم تركيبة الوحدة تكون التركيبة اللى تخلى كل واحد مطمئن على مستقبله ومطمئن على حاضره ايضا . طالما بنقول احنا اشتراكية ... مثلا انا باقول الاوضاع فى لبنان بتختلف عنها فى مصر ، ولما كان هنا الاخ كمال جنبلاط قلت له انى انا لو فى لبنان ماعملش اللى انا بأعمله فى مصر ، لان انتم فى لبنان بتستوردوا بالفين مليون ليرة وبتصدروا بـ ٣٠٠ مليون ليرة بتبقوا بتجيبوا الالف وسبعمائة مليون ليرة منين ماحدش يعرف (ضحك) انتم يمكن تعرفوا .. ده سركم بأه ..

---

(1) السيد عصمت هنانو عضو مجلس نقابة محامى حلب وعضو المكتب الدائم لمؤتمر المحامين العرب

(احد اعضاء الوفد من اللبنانيين : الخدمات الغير منظورة) (..)

السيد الرئيس : الخدمات غير المنظورة .. فالاشتراكية على طريقتنا بتضيع الالف وسبعمائة مليون لـيرة من عندكم (ضـحك) فالاشتراكية مهياش ابدا يعني تخفيض مسـتوى المعيشـة .. الاشتراكية رفع مستوى المعيشة واحنا عندنا ما بنعرفش السر بتاعكم ده .. احنا ناس هنا في بلدنا فلاحين وبيشتغلوا على انهم فلاحين .. طبيعي بلد فلاحين ومانقدرش نجيب الالف وسـبعمائة مليون ليرة بالطريقة اللي انتم بتجيبوها بيها ، وانتم توارثتوها عن سنين طويلة . فاذن احنا طريقتنا لازم نزرع او نصـنع علشان نوازن نفسنا ، تطبيقنا في هذا يختلف جدا عن التطبيـق اللي بيكـون موجود في لبنان .

احنا لما نتكلم عن الاشتراكية مفيش داعي ابدا ان اخواننا في لبنان يخافوا من كلمة اشتراكية ، لان زى مابقول لكم انا لو اتكلم عن لبنان ما اقولش نعمل رقابة على النقد مانقولش كده .

لكن طبعا نقول عدالة إجتماعية وكذا وكذا دى مواضيع اخرى وانتم بتنادوا بيها .

لما واحد يسألني ايه رأيك بالنسبة للبنان ، اقول عايز عدالة اجتماعية ، مافيش داعي مثلا كذا واحد يبقوا مليانين وكروشهم كبيرة والباقي مش لاقيين كذا وكـذا .. اقـول ادرسـوا فيه ايه في السويد مثلا .. شـوفوا كيف يرون الاشتراكية هناك .

فده الوضـع لما سألوني مثلا بالنسبة للعراق ـــ انا قلت لهم بالنسبة للعراق ، لو انا حخطط للعراق ، انا بأمم حاجتين بس ، البنوك وشركات التأمين بس .. لكن ايه بالنسبة للقطاعات الاخرى ، النمو فيها بطيء جدا ، وممكن نوسـع المجال الاشتراكي في العراق بأن الدولة تعمل حاجات جديدة والحاجات الجديدة تبقى ملك الدولة .

انا معرفتش اللي اتعمل في العراق ، ولم اعرفه الا من الراديـو ، وقيـل في العراق ان احنا اللي عملنا ، كل ده كلام لا اساس له من الصحة ، واقصد من هذا أن كل دولة لها اوضاعها ، والمطلوب الحقيقة ، حتى نحقق الصيغ المطلوبة ، ان كل واحد يتنازل عن ٥٠٪ او ٦٠٪ من النواحي التكتيكية والنواحي الذاتية ، ولم اقل اننا نتنازل عن مبـادئنا لان المبادىء ممكن اجمالها في حاجات محددة .

أما اذا كان كل واحد تشبث بالكلام الذى يقال ، طبعا لن يلتقى انسان بالاخـر ابدا ، واما اذا تناول هذا بجزء وذاك بجزء ، ممكن الناس يلتقوا ، ومعركتنا هي معركة صعبة الحقيقة ، لان تحـالف الاستعمار مع الرجعية وايضا تحالف الاستعمار مع اسرائيل بيمثـل تحدى كبير جدا لكل القوى العربية ، والمعركة النهاردة يتاح فيها جميـع الوسـائل والاسلحة والاساليب ..

وطبعا لن يمكن ان يكون هناك وحدة قوى ثورية في الوطن العـربى الا اذا كانت هناك وحدة قوى في كل قطر من الاقطار العربية وهذا يجب أن تعرفه الناس .

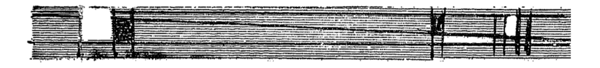
كل شيء ممكن ومفيش شيء مستحيل ، وبالصبر والايمان والتعب اى شيء ممكن انه يتحقق ، واتمنى لكم عودا سالما ، وابلغ تحياتي الى كل اخواننا في الوطن العربى . واتمنى ان احنا نشوف اليوم الذى نلاقى فيه العالم العربى كله مستقل فعلا استقلالا حقيقيا ليس فيه اى جزء يخضـع لنفوذ اجنبى او فيه قـواعد وشكـرا (.....)

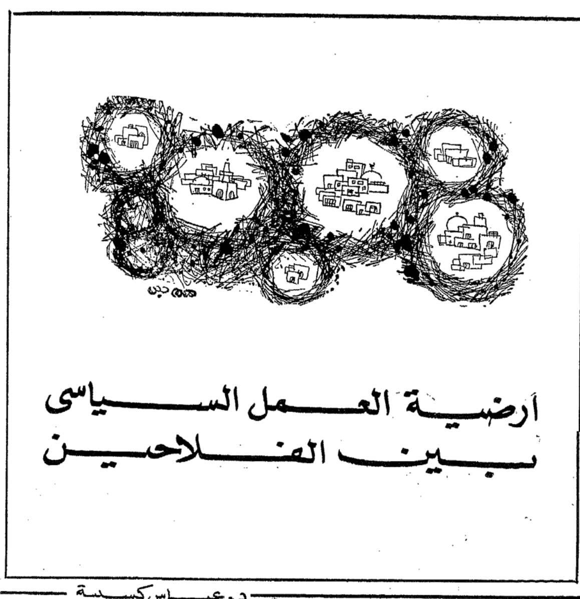


العمل السياسى فى حياة الجماهير اليومية يتداخل مع الجهد الخلاق الذى يبذله الشعب العامل فى عملية الانتاج ، ومن أجل رفع مستواه المادى ، واشباع حاجاته الثقافية والروحية المتزايدة .

واذا كانت الانظمة التى تقوم على الاستغلال تهدف الى عزل الجماهير عن العمل السياسى ، وتعطى العمل السياسى مفهوما غامضا وشكلا معزولا عن نشاط العاملين ومتعاليا عليهم ، فان المفهوم الأشتراكى المتقدم ينظر الى العمل السياسى باعتباره عاملا اساسيا يساعد الجماهير على الوعى بواقعها الاجتماعى والاقتصادى ، والعمل الايجابى لتغييره . أى ان العمل السياسى — بالمفهوم الاشتراكى — هو سلاح الجماهير العاملة من أجل التحرر من ربقة العوز المادى والتخلف الفكرى والفقر الروحى وهى معان كثيرا ما أكد عليها وشرحها السيد على صبرى الامين العام للاتحاد الاشتراكى العربى .

وفى الصفحات التالية تقدم الطليعة عددا من الدراسات تتناول مفهوم العمل السياسى واساليبه فى مختلف المجالات ، فى الريف والمدينة ، فى الانتاج والخدمات والادارة ، بين الفلاحين والعمال والمثقفين — مستمدة كلها من الخبرة العملية الحية لكاتبيها ، حيث لهم جميعا مسئوليات سياسية مباشرة ، يجمعون بينها وبين مسئولياتهم فى مختلف فروع النشاط الاقتصادى والاجتماعى والانسانى العام .





أرضية العمل السياسى بين الفلاحين

د. عباس كسيبة

أن التحالف بين الفلاحين والعمال هو **التحالف الاساسى** الذى يقود النضال الثورى لمجتمعنا نحو التحول الاشتراكي ، بتصفية كافة صور الاستغلال وبناء القاعدة الصناعية الثقيلة .

ونظرا لاختلاف **أسلوب الانتاج بين العمال** فى المصانع عنه بين الفلاحين فى الحقول ، فان طبيعة العمل السياسى واسلوبه **تختلف** ايضا بين كل منهما، رغماعن وحدةاهداف النضال ووحدةالمصلحة المشتركة فى التحول الثورى للمجتمع .

وترجع مظاهر هذا الاختلاف بين الفلاحين أساسا للاعتبارات الاتية :

● **سيادة الاسلوب الفردى** فى **الانتاج الزراعى** نظرا لصغر الحيازات وانتشار العمل اليدوى ، الذى يعتمد على قوة الانسان العضلية **والحيوان.**

● **تخلف ادوات الانتاج** المستخدمة فلا زالت هى نفس الادوات الخشبية المستعملة منذ ٤٠٠٠ سنة .

● **تخلف علاقات الانتاج** وتداخلها بين العلاقات الاقطاعية والرأسمالية النامية، فمثلا نجد انه بالرغم من نمو واتساع نطاق العمل المأجور فى الزراعة فلا زال هناك نظام المشاركة فى الزراعة ويشكل نسبة ٢٧ ٪ من جملة المساحة المستأجرة .

● **تخلف العلاقات الاجتماعية** والمستوى الفكرى والثقافى وسيادة الامية بين الفلاحين .

● **تداخل القوى الاجتماعية وتفرعها** ، اذنجد ان من بين فئة صغار الملاك من يعملون بأجر فى اراضى الغير ، وان من بين العمال الزراعيين من يستأجرون مساحات محدودة من الارض . كما نجد مثلا ان من بين الفئة المالكة للارض من يستثمر رأسماله فى اعمال تجارية ، كما نجد ان من بين عناصر البرجوازية التجارية فى الريف من يمتلك الارض او يستأجرها او يربى الماشية ويشارك عليها . وهكذا العديد من التداخل والانتقال من فئة اجتماعية لاخرى ، اذ ان الحدود الفاصلة بين الطبقات التى تعيش فى الريف لم تتحدد بعد تحديدا كافيا .

وعلى ذلك فالعمل السياسى بين الفلاحين يختلف عن العمل السياسى فى المدينة بين العمال او المثقفين، وبالاخص فى طبيعته واسلوب **نقطة البداية**، ثم تتطور اشكال العمل حتى تتقارب شيئا فشيئا مع نفس اسلوب المدينة ، موازيا للتقارب الذى يحدث بين مستوى القريه والمدينة ، والتقارب بين العمل اليدوى والعمل الذهنى فى اطار حركة المجتمع ككل نحو الاشتراكية .

ولبداية اى عمل سياسى فانه من الضرورى اولا ان نستوضح ثلاث ابعاد رئيسية يستحيل بدونها تحديد اى شكل **علمى** للعمل السياسى ويتحول بدونها الى عمل ارتجالى .

١ ـ **الانتماء الطبقى** لجماهير الفلاحين فى القرية

٢ ـ **الاطار التنظيمى** الذى يتم العمل السياسى من خلاله .

٣ ـ **وضوح القضية** التى ستناضل الجماهير من اجلها .

الانتماء الطبقى

الطبقة بالمعنى العلمى هى مجموعة الناس الذين لهم مصالح مادية مشتركة وعلاقة محددة بوسائل الانتاج . ويتحدد دور الطبقة فى العمل السياسى بموقفها من الاعتبارين الاتيين :

● **موقفها من الاستغلال** .

● **دورها فى عملية الانتاج** .

وعلى اساس موقفها يتحدد مدى **ثورية الطبقة** والى اى مدى هى مع التقدم ومتى تتحول الى قوة مضادة للتغير الاجتماعى .

وقد عرف المناضل جمال عبد الناصر الاستغلال ببساطة فى انه « **اكل عرق الغير** » . وهذا يتم اساسا من خلال استخدام **العمل المأجور** . واذا اعتبرنا ان الحيازة المحدودة فى خمسة افدنة هى الحد الاقصى من الارض الزراعية التى يمكن ممارسة عملية الانتاج فيها ـ دون استخدام للعمل المأجور ـ بواسطة الفلاح وعائلته وفى اطار ادوات الانتاج المستخدمة حاليا ، فانه يمكن على هذا الاساس ، وبدراسة خريطة الملكية الزراعية فى مصر من تحديد ثلاث طبقات اساسية بشكل عام وان كانت كل منهما تحتوى فى احشائها على درجات متعددة ومختلفة .

فحسب احصائيات ١٩٦٥ لشكل الملكية الزراعية فى مصر نجد ان **٩٦٫٩٪** من اجمالى عدد الملاك لا تزيد مجموع ما يملكونه من اراض زراعية عن **٦٦٫٦٪** من جملة المساحة المنزرعة، ولايزيد حجم الحيازة فى **٨٥٫٧٪** منها عن اقل من **٥ افدنة (١)** . فهى مقسمة الى مساحات صغيرة مفتتة تتراوح بين اقل من فدان الى ٥ افدنة . وهؤلاء الملاك هم الذين يكونون **طبقة صغار الملاك من الفلاحين** .

وتشكل هذه الطبقة فى مصر ٣٫١١ مليون فلاح ، ٧٢٪ منهم **تقل حيازاتهم عن الفدان** وهم بذلك اقرب ما يمكن لطبقة العمال الزراعيين .

ونظرا لظروف المعيشة القاسية التى عانوها فى الماضى ولصعوبة رفع مستوى معيشتهم تحت ظروف الانتاج المفتت للارض ، فليست لهم تطلعات طبقية الا ضمان مستوى من الدخل يسمح لهم **بالحد** الادنى المعقول للمعيشة .

ويشكل باقى الفلاحين فى هذه الطبقة حوالى ٢٨٪ موزعين على حيازات تتراوح بين الفدان الواحد و٥ افدنة . وهؤلاء يتمتعون بظروف معيشية افضل نسبيا ، الا ان الطبقة كلها ذات دخل معيشى منخفض بوجه عام .

وتمتلك هذه الطبقة مزيجا من الافكار التقدمية والرجعية . ويمثلون نموذجا صادقا للانتاج السلعى البسيط ، حيث يعتمد **انتاجهم على العمل الشخصى**، اى انهم يعملون بأيديهم **ولايستغلون عمل الاخرين** .

(١) كتاب الجيب السنوى للاحصاءات العامة الجهاز المركزى للتعبئة والاحصاء ١٩٦٦ .

دور هذه الطبقة فى عملية الانتاج

يتم الدور الاساسى فى عملية الانتاج الزراعى من خلال **عمل** هذه الطبقة مع طبقة **العمال الزراعيين** ، اذ انها تتولى وحدها زراعة حوالى ٣٫٧ مليون فدان من جملة المساحة المنزرعة بالجمهورية والتى لا تزيد حاليا عن ٥٫٦ مليون فدان .

واذا علمنا ان ٥٠٪ من جملة الزمام المزروع تؤجر ، وان نظام الايجار يتبع اساسا فى الملكيات الكبيرة والغائبة عن القرية ، فان افراد هذه الطبقة من العناصر التى تستأجر الارض الزراعية او من افراد طبقة العمال الزراعيين الذين يعملون فى الزراعات المؤجرة الكبيرة يقومون بالدور الاساسى فى الانتاج فان هذا يدل على ان الانتاج الزراعى بالجمهورية يعتمد اساسا على **عمل** طبقة صغار الملاك وطبقة العمال الزراعيين .

ويكون كل من افراد هذه الطبقة «صغار الملاك من الفلاحين » مالكا لوسائل انتاجه او جزءا منها، وان كان لا ينتج لاستهلاكه الشخصى بل اساسا **للبيع فى السوق** .

ويعرقل النظام التجزيئى للارض، تقدم اقتصادياتها ويديم من جهة اخرى جموده وعدم جدواه ، اذ انه مع ارتفاع تكاليف الانتاج يتدهور اقتصاد الحيازات الصغيرة خصوصا اذا لم تدعمهم الحكومة بأساليب الانتاج الحديثة التى تحقق زيادة فى الانتاج وانخفاض ملموس فى تكاليفه، مثل مشروع **(التنظيم الانتاج الزراعى)** الذى طبق فى محافظة كفر الشيخ وبنى سويف بنجاح ، وامكن خلاله رفع انتاجية الفدان عن مستوى الجمهورية بين ٣٫١ — ٣٨٫٩٪ للمحاصيل المختلفة . كما امكن خفض تكلفة الوحدة المنتجة باستخدام المعدات الالية والميكانيكية لاداء العمليات الزراعية بمعدل ٣٨٪ فى المتوسط عن اسعار التكلفة السائدة بالمحافظتين قبل تنفيذ المشروع .

وتتميز هذه الطبقة بعدم الاستقرار اذ تستمر عملية **التفتيت الطبقى** بينها حيث تزداد القلة منهم غنى بينما يقل ثراء الغالبية العظمى خصوصا مع التفتيت المستمر للملكية بالارث .

ولهذه الطبقة وضع **ثورى** خاص فى مرحلة التحول الاشتراكى اذ انها تقترب من طبقة **العمال الزراعيين** : وتتوحد هذه الطبقة مع **الافكار التقدمية** وتدخل فى صراع مستمر مع طبقة كبار الملاك والمتوسطين فى الريف ، لتحمى نفسها **من** عبء الاستغلال الذى تباشره عليها . خصوصا فى مرحلة التحول الاشتراكى ، ومع زيادة الاعباء الاقتصادية فى الريف لتحقيق التنمية الصناعية التى تكون الاساس المادى للمجتمع الاشتراكى (*)

طبقة متوسطى وكبار الملاك

ومن جهة اخرى فاننا نجد ان **٣٣٫٤٪** من جملة المساحة المنزرعة كلها بالجمهورية يمتلكها **١٫٢٪** فقط من اجمالى عدد الملاك بالجمهورية . ويتراوح حجم الحيازة بها من اكثر من ٥ افدنة الى ١٠٠ فدان (٢) . وتمثل هذه الطبقة **متوسطى وكبار الملاك** الذين لا يزيد عددهم عن ١٠٠٫٠٠٠ شخص فقط من بين ٣٠ مليونا من البشر يعيشون على ارض الجمهورية . ويمتلك ٤٠٠٠ شخص فقط من هذا العدد الضئيل من المالكين حوالى **١٪** هذه المساحة وحدهم .

موقف هذه الطبقة من الاستغلال ودورها فى عمليـة الانتـاج

تمارس هذه الطبقة اشكالا مختلفة من الاستغلال **يتعاظم عند قمتها** سواء فى استغلال العمل المأجور او فى استثمارات رأسمالية او فى استغلال الفلاحين بتأجير الارض لهم بالمشاركة . ويقل معدل الاستغلال تدريجيا الى ان **يضمحل عند قاعدتها** .

وتتميز هذه الطبقة بأن **قمتها** تتكون من بقايا الاقطاعيين الذين طبقت عليهم قوانين الاصلاح الزراعى ومن طبقة المالكين المتوسطين قبل تطبيق قوانين الاصلاح **وتحولوا** بعد تحديد الملكية الى طبقة كبار الملاك وفى قمتها . وبالتالى فان موقفهم **مضاد** للتحول الاشتراكى على طول الجبهة ويشكلون عماد جبهة « الرجعية المعاصرة » التى تعيش **داخل** مجتمعنا وتعمل بوضوح **ضد** التحول الاشتراكى بل وتحاول القضاء عليه والعودة الى المجتمع القديم لتستعيد امتيازاتها الطبقية القائمة على **المزيد** من الاستغلال (*)

(*) نفس المصدر السابق

والجزء **الاوسط** من هذه الطبقة يتميز بضراوة شراهتـه نحـو الاسـتغلال ويتطلع طبقيـا فى محاولة الحلول محل الطبقات الاقطاعية المندحرة وان يرث امتيازاتها الطبقية . ويحاول بكل امكانياته وبطرق غير مشروعة فى الوصول الى هذا الوضع المتميز . وتتخذ هذه الطبقة **موقفا انتهازيا** : فهى تتظاهر بتوحدها مع التحول الاشتراكى وترفع شعارات الاشتراكية وتتقدم الصفوف محـاولة السـيطرة على المراكز القيادية فى التنظيمـات الجماهيرية والسـياسية حتى تتمكن من تحقيق تطلعاتها فى الاستغلال . وهى بذلك اشد خطورة على المجتمع ومسيرته الثورية نحو الاشتراكية لانها تنقض عليه من **الداخل** ولان عداءها له **مستتر** .

اما الجزء **القاعدى** من هذه الطبقة وهم الاغلبية منها «حوالى ٦٠٪ من العـدد الكلى للطبقة» فهم **مترددون** ؛ القلة منهم يزداد ثراؤها وتنتقل بذلك الى الجزء الاوسط من الطبقة . والاكثرية يقل ثراؤهم وينتقلون بذلك الى طبقة **صغار الملاك من** الفلاحين . وهم بذلك اقرب الى الفلاحين منهم الى كبار الملاك . ولا يزيد حجم الحيازة بهذا القطاع عن اكثر من ٥ افدنة حتى ١٠ افدنة .

وقد كشفت لجنة تصفية الاقطاع عن دور هذه الفئة التى تمتلك ١/٣ المساحة المنزرعة فى عملية الانتاج وابرزت حقيقة سلوكها الارهابى وموقفها الاستغلالى ودورها الطفيلى فى عملية الانتاج . اذ انها بعيدة تماما عن المساهمة المباشرة فى عملية الانتاج ما عدا الجزء القاعدى منها .

وقد ذكر الامين العام للاتحاد الاشتراكى **نماذج انحراف** هذه الطبقة فى تحليله لواقع الريف المصرى بجريدة الجمهورية (٣) وتبين للجنة العليا لتصفية بقايا الاقطاع مثلا ان عائلة واحدة كانت فى عهد الاقطاع القريب وكانت تعمل فى خدمته — قد بلغ ما استحوذت عليه واغتصبته ، اكثر من ٧٠٠ فدان ودخـل مدبر هـذه الجرائم ومرتكبهـا الـى **مجلس الامة** مع فئات الفلاحين ، وضمن نسبـة الممثلين القياديين للفلاح فى المجتمع الاشتراكى ، وتسلل فى اطار التعريف العام للفلاح ... وثبت ان عضوا آخر كان يحوز بمفرده ٤٤٢,٢ فدانا ، ٩ ط ، ٢ س .. وثالث امكنه ان يحوز ٢٨٢ فدانا ، ٢١ ط ، ٤ س .. الى جانب اربعة غيرهم اكدت التحقيقات التى اجرتها الاجهزة المتعددة ان صفحاتهم طافحة بالانحرافات والجريمة ، وقلوبهم تملؤها التعالى وحب السيطرة والتطلع الى الطبقية » .

« وحاولت بعض العناصر مثلا ان تسيطر على الجمعية التعاونية فى القرية لتكون فى خدمتها ووفق هواها . واستخدمت بعض العناصر مثلا ، اسلوب **الارهاب والقتل والتعذيب** لفرض نزواتها واطماعها واحـكام سيطرتها على الفلاحين فى القـرية .. وكانت سطوة البعض من هؤلاء ، تمتد لتشمـل **مركزا** ، يضم العديد من القرى ، او فى **محافظة** بكل ما فيها من مراكز ، وبكل من عليها من بشر » .

وتسلل افراد هذه الطبقة الى التنظيمـات الشعبية واحالوها «الى تشكيل مقفل وشركة عائلية محدودة ، لا يدخلها الا افراد العائلة واعوانها ، ليفرض المستغلون مشيئتهم على كل الاجـهـزة والتنظيمات المختلفـة» . ولم يقتصر سـلوكهم واستغلالهم على الافراد بل تعداها الى الدولة بشكل عام فى الاستيلاء على اراضى طرح النهر وفرض الاتاوات عـلى الفلاحـين ، وتغير فى الحيـازات والملكيات وتهرب من القـوانين .. والصاق التهم بكل من يحاول التصدى او الاعتراض مستعينين بالاجهزة البيروقراطية للدولة نفسـها على ذلك » .

ويبين الامين العام دور هذه الطبقة فى الانتاج ومدى استفادتها من الخدمات الانتـاجية التى تيسرها الدولة للجميـع

« وامامى كذلك احصائية ، تشير الى ان **اضخم** حجم من الديون المتأخرة لبنك التسليف ، يوجد فى ذمة **كبار الملاك** ... رغم انهم اقدر من صغار الزراع بالطبع ، على سداد ما حصلوا عليه من سلفيات واموال ... ورغم ما قررته الدولة من تسهيلات فى الدفع وتبسيط فى اجراءات السداد .. ان فردا واحدا من هؤلاء على سبيل المثال ، بلغت ديونه المتأخرة لبنك التسليف ومن الاموال الاميرية ١٥٧٥١,٦٤٧ جنيها .... بينما بلغ التمادى عند بعض المماطلين والمتهربين — الذين حصلوا على اموال بنك التسليف — ان استثمروها فى عمليات **غير زراعية** ، ومتاجرة للمواشى وكسـب غير مشروع .... ورأسمالهم فى هذا من **امـــوال الشعب** ، المودعة فى بنك التسليف ، لاستثمارها فى مصـلحة المجتمع كله ، والارتفاع بالانتـاج الزراعى ... » (٤)

وبخلاف الطبقات المالكة للارض فان اكبـر طبقة — من ناحية الحجم — فى الريف المصرى هى **طبقة العمال الزراعيين** وهى الطبقة الفقيرة مالكة للارض والتى تعيش على **بيع قوة عملها** لكبـار

(٣) جريدة الجمهورية فى ١/٧ ، ١/٦ /١٩٦٧
(٤) جريدة الجمهورية فى ١٩٦٧/١/٢٦

الملاك ومتوسطيهم ، ومستواها المعيشى لايتعدى حد الكفاف وتستأجر قلة منهم شطايا من الارض الزراعية ، تحاول ان تضمن بها مصدرا مأمونا للقمةالعيش . ويتراوح حجم هذه الطبقة فىمصر حوالى ٤ مليون عامل زراعى ويصلون الىحوالى ٦ مليون عـامل زراعى اذا ادخلنا فى حسـابنا انه فىمواسم العملتشتغل البناتوالاولاد والاطفال والسيدات ، وللاسف لاتوجد أى احصـائيات دقيقة عن دخلوهم أو عدد ساعات عملهم ولا مستوى معيشتهم .

والجزء منهم الذى يعمل فى خدمة **اجهزة الدولة** فى أراضى الاستصـلاح والاستزراع أو مـزارع الدولة يعيش نسبيا فى ظروف احسن وبدخـل منتظم .

ويقع على هذه الطبقة **كل أنواع الاسـتغلال** التى تمارسها الطبقات الاخرى فى المجتمع ، فهى اشد الطبقات معاناة للاستغلال .

ولا تتطلع هذه الطبقة الا للحصول على مصدر منتظم للعمل والدخل يضمن لها مستوى معيشة انسانى . وهى تتوحد مع طبقة صغار الملاك من **الفلاحين** فى تبنى الافكار التقدمية والدفاع عـن الثورة الاشتراكية . الا ان ظروف التخلف القاسية والمستوى المعيشىوالثقافى والفكرى وظروف العمل التى تفرض عليهم الانتقال والتشتت تمنع من **توحد** هذه الطبقة وانتظامها فى تشكيل نقابى فعـال يوفر لها حقوقها ويدافع عن مصالحها، وعلىالاقل يبعدها عن استغلال **مقاولى الانفار** . ونظرا لتخلف ادوات الانتاج وللزياده المستمرة فى اعداد هذه الطبقة فان انتاجية الفرد منها تقل كثيرا عن انتاجية العامل فى المدينة . وافراد هذه الطبقة هم عماد الانتاج الزراعى مع **طبقة الفلاحين** من صغار الملاك . وتفرض ضرورات التنمية فى الزراعة لتحقيق الفائض اللازم للاستهلاك والتصنيع ضرورة الاستخدام الواسع للاشكال المتطورة من التكنيك مما سيؤدى بالضرورة الى رفع مستوى العمال الزراعيين المعيشى والفكرى ، وبالتالى سيكونله اثره نحو وحدتهم **كطبقة ثورية** لها دور اسـاسى مواز لدور العمال الصناعيين فى النضال من اجل التخلص من كل صور الاستغلال وتحقيق انطلاقة الانتاج التى هى اساس الرفاهية فى المجتمـع الاشتراكى الجديد .

والطبقات الثلاث الرئيسية فى الريف المصرى ليست هى بالقطع كل الطبقات ، اذ اننا لسـنا بصدد تحليل شامل للطبقات فى الريف . ويمكن ان نشير الى **طبقة البرجوازية التجارية** فى الريف التى تنمو باستمرار وتحاول من خلال عمليات **الربا والسوق السوداء** ان تحقق استغلالا على الفلاحين والعمال الزراعيين يرضى اطماعهاالطبقية فىوضع ممتاز داخل التركيب الطبقى للمجتمع فى الريف. وهى ليست فى حد ذاتها طبقة **منفصلة** بل انـها **متداخلة** مع طبقة كبار ومتوسطى الملاك فى عملية الاستغلال الزراعى . اذ انها بالاضافة الى عمليات الاستثمار التجارى، فانها **تملك الارض وتستأجرها** وتشارك على الماشية والحاصلات .

ويتداخل مع طبقتى كبار الملاك وطبقة الفلاحين من صغار الملاك فئات **المزارعين بالايجار،** اذ يقع صـغار المستأجرين الذين لايزيد حجـم حيازتهم المملوكةوالمستأجرة عنه افدنةضمن طبقةالفلاحين فى حين ينتمى بقية المستأجرين الى طبقة متوسطى وكبار الملاك باجزائها المختلفة طبقا لحجم الحيازة المملوكة والمستأجرة .

وينتمى **المثقفون** فى القرية الى طبقة الفلاحين والبورجوازية المتوسطة ، خصوصا بعد التوسع فى التعليم العام ، وفتح ابواب الجامعات مجانا . وينقسم المثقفون فى الريف الى نوعين :

● **مثقفين من داخل القرية**

وهم من ابناء الفلاحين الذين **مازالوا** فى مراحل التعليم المختلفة، وهم طبقيا مع الفلاحين ومشاكلهم لانهم ينبعون منها اساسا ، الا ان الكثيرين منهم ينسلخ بفكرهووجودهعنمنبعهالطبقى — خصوصا بعد انتهاء دراستهم وبعدهم عن الريف — وينتمى الى الطبقة البرجوازية الصغيرة والمتوسطة فى المدينة أملا فى الحصول على امتيازات طبقية ترضى اطماعه وتطلعاته .

ومثل هؤلاء المثقفين هم للاسف الجزء الاكبر من هذه الفئة ، نظرا لانعزالهم وغياب التربيـة السياسية فى معاهد التعليم . الا انه من المنتظر مع التوسع فى التربية السياسية للشباب كسبهم لصالح العملالسياسىنحوالتغير الثورىللمجتمع.

والجزء منهم الذى لازال يعيش داخل القرى بين الفلاحين يمكنه ان يخدم العمل السياسى فى القرية من خلال الدعم والتوجيه من جانب القيادات السياسية . الا انهم بحكم كونهم اساسا **مهنيين** ولسيادة العلاقات الاجتماعية المتخلفة فانهلايمكن ان تتفق قيادتهم مع متطلبات التغير الثورى فى الريف ، وان اتيحت لهم مواقع قيادية فانها لابد وان تكون محدودة بفترة تطول أو تقصر ، الا انها فى النهاية لابد وان تكون القيادة **فلاحية** نابعة من اصحاب المصلحة الحقيقية والمباشرة فى الريف. لانه مهما بلغت درجة **ثوريتهم لا يمكن ان يكونوا**

اكثر صدقا فى الفهم والتعبير عن **واقع وتناقضات** الريف من الفلاحين انفسهم ، ومن هنا كان نص الميثاق على ضرورة تمثيل الفلاحين والعمال ، بما **لا يقل** عن ٥٠٪ فى جميع مستويات التنظيمات السياسية والشعبية

● **مثقفين من خارج القرية**

وهم من المثقفين الذين **يفدون** من المدينة للعمل فى الريف من الذين تربوا اساسا فى اطار الفكرية السائدة فى اوساطهم بالمدينة ، وهى فكرية **البرجوازى الصغير** ، وتطلعاتهم ومصالحهم تختلف مع واقع الريف ومتناقضاته . ومن هنا فان اغلبهم يشكل **عبئا** على الفلاحين بانحرافهم واستغلالهم للنفوذ نظير الخدمات التى من واجبهم ان يؤدوها لهم بحكم واجباتهم الوظيفية مثل الطبيب والمشرف الزراعى وكاتب الجمعية والمدرس ..... الخ

ويرفض اغلبهم معايشة المجتمع فى القرية حتى وان كان اصلا ينبع من قرية اخرى ، ويغلب عليهم صفات **الانعزالية والتعالى والسخط** على الواقع ، ويبذلون كل ما فى وسعهم فى محاولة الفرار من هذا الواقع .

وهم بهذه الوضعية لايمكن ان يخدموا العمل السياسى **كقيادة** ، فهم على العكس عناصر **معوقة** لنمو العمل السياسى فى الريف ، وغالبا ما يتحالفوا مصلحيا مع الطبقات المستغلة ضد مصالح الفلاحين والعمال الزراعين .

وليس من المتوقع حتى للمحاولات البسيطة لتغير فكريتهم ومفهومهم الايديولوجى ان تجعل منهم **قيادات** للعمل السياسى فى الريف .

وعلى هذا فالمثقفون ، حتى **الثوريون** منهم ، هم عوامل **مساعدة تمهد** للعمل السياسى وتنميه ، لكنها لايمكن ان تقود النضال السياسى فى الواقع الريفى ، لان **القيادة الحقيقية** يجب ان تنبع من داخل الفلاحين انفسهم من خلال **نضالهم اليومى وتطورهم** السياسى والاقتصادى والفكرى .

وكما سبق ان ذكرنا فان هذه الطبقات كلها تتداخل فيما بينها وتتصل بفروع جانبية ، كما انها بالتحديد المبين ليست فى حالة ستاتيكية ثابتة ولكنها فى عملية **ديناميكية مستمرة** ، فى هبوط وصعود ، واتساع وانكماش طبقا **لقوانين الحركة** فى المجتمع ومحصلة الصراع الطبقى فيه .

الاطار التنظيمى

بتحليل الانتماء الطبقى للجماهير يمكن ان نحدد التركيب العام للمجتمع ، وبمعرفة موقف كل طبقة من قضية الاستغلال ودورها فى عملية الانتاج يتحدد وضعها الثورى ، ويمكننا ان نحدد اى الطبقات **معا** ، وايها **ضد** التحول الاشتراكى . وبذلك يتحدد شكل الاطار التنظيمى المناسب **وتركيبه** واى الطبقات تدخل الاطار ، وايها يكون لها القيادة وايها تظل خارجه لانها تشكل قوة معادية .

وبدراسة الواقع الحالى للريف نجد ان عملية بناء اطار تنظيمى يضم الطبقات صاحبة المصلحة فى التحول لن تكون له الفاعلية والقدرة على التغيير نظرا لان القوى المضادة ستستولى عليه وتحول دون وصول القيادات الثورية الى المواقع المؤثرة والفعالة فى التحول . وهذا ما حدث فى معظم لجان الاتحاد الاشتراكى وفى الجمعيات التعاونية . ومن هنا تصبح المواجهة الثورية للقوى المضادة تحت ظروف الريف الان — حيث التخلف المادى والفكرى وفى وجود طبقة كبار الملاك بتأثيرها المادى والمعنوى — تتطلب ان تكون **المواجهة اساسا من خلال العمل السياسى داخل التنظيمات التعاونية والانتاجية على ان تنتقل المواجهة بعدها الى داخل التنظيم السياسى وبقيادته** . حينئذ يكون التنظيم قد تحقق له العناصر القيادية والكوادر المناضلة الصلبة من خلال عملية الصراع داخل المنظمة الانتاجية . ويكون الوضوح الفكرى قد نما بما يسمح لهذه القيادات فى مواقعها فى التنظيم السياسى من قيادة جماهير الفلاحين والعمال الزراعيين لتحقيق الثورة والبناء الاشتراكى فى الريف ، وذلك للاعتبارات الاتية :

● سيادة الملكية الخاصة فى الريف ووجود طبقات متوسطى وكبار الملاك بتأثيرها المادى والمعنوى ونفوذها لدى الاجهزة البيروقراطية للدولة يعطيها مركز ثقل واضح فى الريف مما يؤثر على اتجاهات العمل السياسى فيه ، وخصوصا اجزاء القمة منها من الاقطاعيين القدامى وكبار الملاك الجدد بأفكارهم المعادية للتحول الاشتراكى . والاجزاء الوسطية منا بشراهتها للوصول الى امتيازات طبقية اعلى وتسللها الى المواقع القيادية لتحقيق مآربها فى الاستغلال والسيطرة .

● التخلف المادى والتكنيكى والفكرى بين الفلاحين وانعزالهم عن العمل السياسى فى الفترة التى تلت الثورة العرابية ، لسيطرة طبقة كبار الملاك عليه واحتكارهم لها .

● فى ظل مستوى المعيشة المنخفض للفلاحين وتحت الضغوط الاقتصادية المتزايدة يتحدد الصراع اساسا بين الفلاحين وقوى الاستغلال **داخل الجمعية التعاونية فى أثناء ممارسة العملية الانتاجية اليومية المتجددة** .

● ان الصراع داخل الجمعية التعاونية يتخذ شكل **المواجهة المباشرة** ضد القوى المستغلة ويمكن بسهولة تجميع الفلاحين للنضال فى سبيل مصلحتها الواضحة والتى يلمسها كل منهم .

● ان محاولة سيطرة التنظيم السياسى على الجمعية التعاونية وقيادة الصراع الطبقى فيها يشترط ان يكون قيادته على وعى وصلابة ، وهذه غير متوفرة الان . كما ان وجود هذه الطبقات المستغلة فى الجمعية التعاونية يجعلها فى مركز القوة التى تؤثر منه على الفلاحين والعمال الزراعيين وتحرف نضالهم السياسى فى التنظيم وتفرض عليهم افكارها واعوانها كقيادات لهم .

● ان اجهزة الدولة لازالت متخلفة ولا تعكس افكار قيادتها الثورية ولذلك فهى تسقط بسهولة فى يد القوى الرجعية وطبقة كبار الملاك وتسخر اجهزتها فى خدمتهم كما تنحاز الى جانبهم ضد الفلاحين والعمال الزراعيين فى صراعهم الطبقى ضدها ، مما يؤدى الى ان هذه الطبقات الكادحة تحس بالعزلة والضعف فى مواجهة هذه القوى المؤثرة . وبالتالى فان تحديد **مجالات** الصراع **واطاره وشكله** يجب أن يسمح للقوى الثورية من أن تناضل من مواقع القوة .

ولكى يتحقق نجاح هذه المواجهة الثورية فانه يستلزم استيفاء الخطوات الاساسية الاتية :

أولا : ان نعيد النظر فى موقفنا من طبقات متوسطى وكبار الملاك ، ومن التعريف السياسى للفلاح ، الذى يسمح لاجزاء منها ان تتسرب الى تنظيماتنا الشعبية ومواقع القيادة فى التنظيم السياسى تحت ستاره ، ويقول الامين العام « ولقد كان السؤال الذى يتردد بالحاح — بعد تجارب سنوات مابعد تطبيق الميثاق — وتطرحه القاعدة الشعبية فى كثير من الندوات والمؤتمرات، هل يظل مفهوم الفلاح فى هذا الاطار العام ، ويكون ممثلا للفلاحين كل من يمتلك ٢٥ فدانا فاقل .. ؟ وهى ملكية تعتبر اليوم من اعلى الملكيات الزراعية فى الريف ... ؟ وهل يستطيع ان يمثل القاعدة العريضة من ملايين الفلاحين منهم من **كبار الملاك** ،ونسبتهم الى الملايين من الفلاحين وصغار المستأجرين قلة قليلة .... ؟ » (٥) .

ثانيا : نظرا للدور الطفيلى **لطبقة كبار الملاك** فى الانتاج فانه من الضرورى ابعاد هذه الطبقة عن مراكز التأثير فى المنظمات الانتاجية للفلاحين مثل الجمعية التعاونية . بابعادها تماما عن حق الترشيح لعضوية **مجلس ادارة الجمعية التعاونية** والتى يسمح لهم القانون الحالى بالحق فى ١/٥ عدد اعضاء المجلس واحد مناصبه القيادية) مع قصر حق عضوية الجمعية وحق التعامل معها على الذين يثبت التزامهم بالقوانين وتوجيهات الجمعية . والا فكيف يمكن لمجلس ادارة الجمعية وهو يضم ممثلين عن هذه الطبقة المستغلة ، وبما لهم من سيطرة ونفوذ مادى ومعنوى من حماية صغار الفلاحين والعمال الزراعيين من الاستغلال الذى يقع عليهم من طبقة كبار الملاك انفسهم .

ثالثا : ان **طبقة العمال الزراعيين** رغما عن انها قوة العمل الرئيسية فى الانتاج الزراعى الا انهم بعيدون تماما عن المنظمات التعاونية التى تشرف على عملية الانتاج ، فى حين ان لغيرهم ممن يملكون ولا ينتجون حق العضوية ، وعضوية مجلس الادارة . وحيث ان الملكية ليست هى اساس الانتاج ، وان **العمل وحده هو اساس** الانتاج فى المجتمع الاشتراكى ، وانطلاقا من هذا المفهوم فانه يصبح من الضرورى بالاضافة الى التنظيم النقابى ان تفتح **عضوية** الجمعيات التعاونية وحق **الترشيح لمجالس ادارتها للعمال الزراعيين** بأعتبارهم مع **طبقة الفلاحين** من صغار الملاك،هم القوة الاساسية الوحيدة فى الانتاج . ويصبح من حقهم وحدهم دون غيرهم الاشراف على ادارة العملية الانتاجية ديموقراطيا . فضلا عن ان طبقة العمال الزراعيين والفلاحين من صغار الملاك يمثلون عدديا **غالبية** قوى الشعب المنتجة ، ومن هنا فان سيطرتهم على المنظمات الانتاجية فى الريف هو فى الحقيقة تمكينا لهم من السيطرة على مقدراتهم وحماية أنفسهم من الاستغلال ، بالاضافة الى انها نقطة تحول هامة نحو تحقيق الديموقراطية الاشتراكية .

رابعا : ان السوق السوداء التى تمتص دماء الفلاحين تنبع اساسا من فعل **طبقتى متوسطى وكبار الملاك** ، والتى لازالت قوانين التسويق التعاونى للمحاصيل تسمح لها بالاحتفاظ بفائض كبير من المحصول تبيعه فى السوق السوداء مستغلة عجز العمال الزراعيين وصغار الفلاحين عن توفير احتياجاتهم الاستهلاكية من محاصيل الاستهلاك الضرورى ، لتحقيق **مكاسب** خيالية

(٥) جريدة الجمهورية فى ١٩٦٧/١/٧ .

بزيادة قوتها المادية ، تستثمرها في المزيد من الاستغلال لهذه الطبقات الكادحة . ولهذا فانه يصبح من الضروري تعديل هذه القوانين حتى لاتتيح لهذه الطبقة المستغلة خلق السوق السوداء، وذلك بالاستيلاء على **كل المحصول الناتج** ، بدلا من تسويق جزء منه فقط . وتتولى الدولة عن طريق **الجمعيات التعاونية** تسويق الجزء الخاص بالاستهلاك المحلي في الريف باسعاره المحددة وتوزيعه على الكادحين من العمال الزراعيين والفلاحين .

كما يمكن ان يتحقق للدولة من خلال هذه السيطرة على معدلات الاستهلاك وتوجيه الفائض المستهدف نحو التصدير .

خامسا : اعتقد انه قد آن الاوان لمناقشة دور **الرأسمالية** في الانتاج الزراعي وتطوره منذ نشأتها حتى الان ، وان الوهم الذي يسمى بالحافز الفردي للملكية الخاصة ، ودور الملكيات الخاصة الكبيرة في زيادة الانتاج بعيدا عن الحقيقة . ويكفي ان نلقي نظرة على تاريخ الزراعة في الخمسين عاما الاخيرة حتى يتضح لنا ان كل التطور الذي حدث في الانتاج الزراعي قد تم بمعرفة الدولة واجهزتها ، وان الملاك وبالذات كبارهم لم يقدموا أي استثمارات أو تحسينات لزيادة الانتاج فالترع والمصارف كانت تقوم بها الدولة لمنفعة هذه الطبقة ، والاصناف الجديدة المحسنة من البذور المنتقاه قدمتها كلها وزارة الزراعة . كما تولت اقسام الوزارة اصدار البحوث الجديدة وادخال الطرق المحسنة للانتاج . ولم تقدم الرأسمالية الزراعية أى استثمارات تذكر لميكنة الزراعة وتطويرها التكنيكي او استصلاح اراضي جديدة ، وعلى هذا فان التقدم الذي حدث في الزراعة في الخمسين عاما الاخيرة، تم بمعرفة الدولة وبأجهزتها الفنية وامكانياتها المادية بالتعاون مع صغار الفلاحين والعمال الزراعيين وهم **المنتجين الحقيقيين** على الارض ولكل خيراتها .

وضوح القضية

ان قضية الاشتراكية في حد ذاتها قضية واضحة امام الجماهير ، الا ان بناء الاشتراكية لا يتم في **يوم وليلة** وهو لهذا يحتاج الى مرحلة للتحول تطول او تقصر حسب الظروف الخاصة بكل مجتمع كما ان البناء الاشتراكي لايتم بسهولة دون صعاب وتضحيات ومقاومة شرسة من القوى المضادة . ولهذا فان الوضوح المطلوب هو **للقضايا المرحلية** التي تطرح للجماهير حتى تنقل مواقع نضالها الى الامام نحو استكمال الثورة الاشتراكية .

فما هي القضية المطروحة الان امام الجماهير من الفلاحين والعمال الزراعيين للنضال من اجلها؟

ان شعار **«زيادة الانتاج»** المطروح الان امام الجماهير ، هو الشعار الذي يظل ملازما للمجتمع الاشتراكي باستمرار ، لان «الاشتراكية هي في النهاية بيت سعيد لكل اسرة» وهذا لا يتحقق الا من خلال العمل المستمر على زيادة الانتاج بمنع استغلال الانسان للانسان ، وبناء القاعدة الصناعية المتطورة . وليس القضاء على الاستغلال في المجتمع الاشتراكي هدف مجرد ، فهو ايضا الطريق الوحيد **لانطلاق** قوى الانتاج وتحرير المنتجين من كل المعوقات التي تحد من تقدم الانتاج وكفايته . ويتبنى العمال والفلاحون هذا الشعار ويناضلوا بكل قواهم نحو تحقيقه .

وفي الريف حيث تسود **الملكية الخاصة** للارض نجد ان الطبقات المختلفة فيه تتبنى هذا الشعار على الوجه الاتي :

● **فلاحو الاصلاح الزراعي** الذين يشكلون ملامح المجتمع الجديد ، حيث تتساوى حيازتهم ويتجمعون في اطار تنظيمي خاص بهم ، وهي الجمعيات التعاونية للاصلاح الزراعي (٥٤٥ جمعية) وتكون ملكيتهم للآلات الزراعية ملكية تعاونية ، وتقوم الدولة بأجهزتها الفنية بمساعدتهم نحو تطوير الانتاج وزيادته . نجد ان الفلاحين هم اول من يتبنى هذا الشعار ويناضلوا باخلاص لتحقيقه . ولقد اثبتت الاحصاءات الرسمية ان معدلات الانتاج في اراضي الاصلاح **أعلى** منها في الاراضي المملوكة ملكية خاصة ، بل والموجودة في حيازات كبيرة . ونجد ان الجمعية التعاونية ذات نشاط فعال في العملية الانتاجية ، وان قابلية الفلاحين للاستجابة للتطوير التكنولوجي والفني في الانتاج غير محدودة على عكس الحال في اراضي كبار ومتوسطي الملاك . ويرجع الفضل في هذه الزيادة للتدخل المستمر للدولة في عملية الانتاج وللالتجاء الى اشكال من تنظيم الانتاج الجماعي على الزمام كله .

ويكون التناقض الاساسي على هذه الارض بين الفلاحين والبيروقراطية التي تحاول ان تقيد انطلاقهم نحو زيادة الانتاج باساليبها المتخلفة وحجب مبادرتهم الشخصية .

وعلى هذا الاساس فان هذه الفئة من الفلاحين هي من اكثر الفئات **ثورية وتنظيما** داخل الريف (على مساحة ٦٤٤ر٦٩٩ فدانا وبين ٢٦١ر٤٣٩ اسرة من المنتفعين) . ومن هذه الفئة من طبقة الفلاحين يجب ان تنبع الشرارة الاولى للتغيير الثوري في الريف . ويظل باستمرار شعار زيادة الانتاج ، راية الاشتراكية على هذه الارض ويتجمع الفلاحون بحماس للنضال من اجله .

● اما على الارض المستثمرة **كملكية خاصة** فاننا نجد ان **طبقة الفلاحين** من صغار الملاك والمستأجرين مستعدة لتبنى هذا الشعار لانه الامل الوحيد فى رفع مستوى معيشتها . والطريق الوحيد امامها هو فى ان تسلم زمام الادارة على ارضها لتخطيط وتنظيم الدولة للانتاج الزراعى على مستوى زمام الارض كلها ، لانها هى وحدها القادرة بامكانياتها المادية والفنية على تحقيق زيادة حقيقية فى الانتاج على هذه الارض .

اما **طبقات متوسطى وكبار الملاك** فان هذا الشعار بالنسبة لمتوسطى الملاك لايجد صدى كبيرا ، أما كبار الملاك فلا يفهمونه الا على اساس زيادة الانتاج بزيادة الاستغلال للفلاحين والعمال الزراعيين وهم القوة الاساسية للانتاج . ومن هنا فهى طبقة تحاول ان تتستر تحت هذا الشعار لضرب القوى المنتجة فى الريف ، وللسيطرة على المنظمات الانتاجية (الجمعية التعاونية) لتحصل على امتيازات طبقية لها . وتزداد ضراوة الصراع بين الفلاحين وبين الاجزاء القمية والوسطى منها . ورغم ان زيادة الانتاج فى المجتمع ككل هى فى النهاية وسيلة البناء الاشتراكى ، الا ان الظروف القائمة على ارض طبقة كبار الملاك تمنع العمال الزراعيين والفلاحين من وضوح القضية امامهم . وبدون حماية الدولة والتنظيم السياسى والتعاونى لحقوقهم يظلوا معرضين لاخطار الاستغلال المتزايد .

● ومن هنا تصبح سيطرة العمال الزراعيين وصغار الفلاحين على الادارة فى الجمعية التعاونية نقطة ارتكاز اساسية لتحقيق الشعار الذى يجسد احلامهم وآمالهم فى المجتمع الجديد . كما يمكنهم من موقع **القوة المؤثرة** الحد من الاستغلال الطبقى والقيود البيروقراطية على الانتاج . وتبلغ عدد الجمعيات التعاونية الزراعية ٤٣٥١ جمعية يمكنها ان تكون مراكز الانتاج الاساسية فى الريف .

● ولكل هذه الاسباب ولتعدد الظروف وتباينها فى الريف ، فانه يصبح من الصعب **كنقطة بداية** الانطلاق من خلال شعار واحد . اذ ان الوضوح المطلوب **للقضية** تحت ظروف الريف يتطلب توافر الشروط الاساسية التالية لها :

١ ـــ ان تكون القضية **محددة** بمعنى ان يكون جوهر الاستغلال واضح ومباشر امام الجماهير . حتى يسمح لها ان تتفهم ابعادها ومصلحتها فيها ، دون صعوبة او مستوى معين من الوعى .

٢ ـــ ان تكون القضية **متجددة** ، بمعنى ان تكون صور الاستغلال فى تطورها الى اشكال جديدة متجددة باستمرار اثناء معايشة الفلاحين للواقع ، فيحسوا بوطأته باستمرار . وبذلك تكتسب القضية حماسا متجددا من الجماهير للنضال من اجلها .

٣ ـــ ان تكون القضية **عامة** بمعنى ان يعم جوهرها اكبر عدد من الجماهير .

وعلى هذا الاساس فان **نقطة البداية** للعمل السياسى بين الفلاحين يمكن ان تنطلق من خلال العمل فى الجمعية التعاونية . ويمكن لقضية محددة مثل مسئولية سلامة توزيع الخدمات الانتاجية والسلع الاستهلاكية على الفلاحين فى القرية ـــ دون ما استغلال او امتياز لطبقة معينة ـــ ان تكون **الكشاف** الذى يلقى الضوء على نوعية القيادة وصلاحيتها . كما انه من خلال الصراع حول هذه القضية تكتسب الكوادر الفلاحية صلابة ومقدرة وابعادا اعمق لواقعها ومتناقضاته ويحمسهم للمزيد من النضال والثورية .

وبذلك يمكن ان نجمع الفلاحين للنضال ضد قضية **محددة** ، مظهر الاستغلال فيها واضح امام الجميع ، **ومتجددة** كل يوم فى معاملة الفلاحين للجمعية . كما انها **عامة** على جميع الفلاحين والعمال الزراعيين بالقرية .

وفى النهاية فان التكتيك الذى يمكن ان ينجح فى الريف هو اسلوب **الوحدة والصراع ...**

الوحدة بين العمال الزراعيين والفلاحين والاجزاء القاعدية من طبقة الملاك ضد كل مظاهر الاستغلال .

والصراع مع أجزاء القمة والوسط من طبقة كبار الملاك التى تحاول ان تنحرف لتستغل او تسيطر . ولتصفية امكانياتها المادية كضمان لحماية الثورة الاشتراكية .

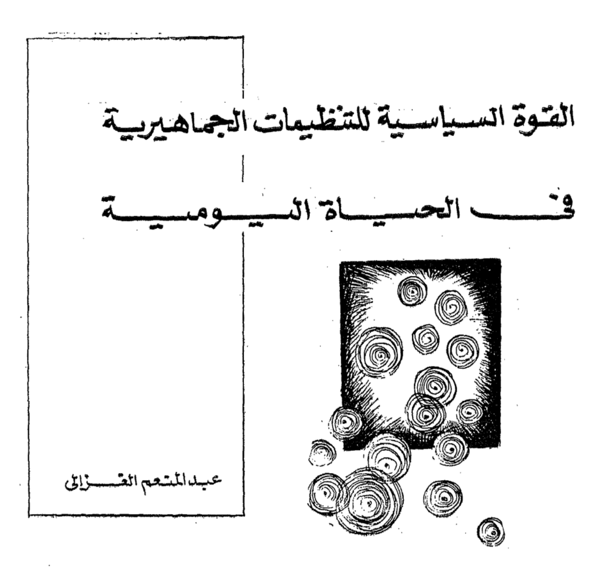
ويقول المناضل جمال عبد الناصر (٦) «ليست هذه ثورة على الورق نكتفى فيها باصدار القوانين وانما يجب ان تكون ثورة حية ، ثورة **مستمرة** ، ثورة تحدث اثرها .... ولا بد ان تحدث هذا الاثر فى الحقل ، فى الغيط ، فى المصنع فى المدرسة ، فى الجامعة ، فى مراكز الخدمات ، فى كل مكان يخدم الحياة من اجل تطويرها فى ارض مصر ... لكن لازم فيه حاجة **لازم نعرفها** ودا اللى اظهرته تحقيقات لجنة تصفية بقايا الاقطاع .. الاستغلال لايستسلم بسهولة ولن يستسلم بسهولة الاستغلال لايستسلم بسهولة ولن يستسلم بسهولة تمكن من الخداع فانه يستعد **للانقضاض** علشان يسترد كل ماضاع منه ، وليعود الى عهد سيادة الظلم بغير مانع او رادع . اذن الاستغلال لن يستسلم ، وحتى يستسلم الاستغلال لابد ان يكون العمل السياسى مبنى فعلا على **الاشتراكيين الحقيقيين** .... على اصحاب المصلحة فى التغيير ... »

---

(٦) من خطاب السيد الرئيس فى المؤتمر الشعبى بدمنهور فى ١٩٦٧/٦/١٥

القوة السياسية للتنظيمات الجماهيرية في الحياة اليومية

عبد المنعم الغزالي



التنظيمات الجماهيرية كالنقابات العمالية والاتحادات الطلابية واتحادات الشباب والتنظيمات النسائية والجمعيات والنوادي الثقافية والرياضية والاجتماعية والنقابات المهنية ..هي اشكال تنظيمية تضم الجماهير العريضة للطبقة او الفئة التي تمثلها لتنظم حركتها اليومية في المجتمع وللدفاع عن مصالحها وحل المشاكل التي تواجهها كجماعات او التي تواجه اعضائها كافراد.

وهذه التنظيمات بحكم نشأتها التاريخية هي تنظيمات ديمقراطية اذ تقوم اساسا على حرية الاشتراك — العضوية الاختيارية — وان اختلفت درجة هذه الحرية من تنظيم لتنظيم كما هو الحال في معظم النقابات المهنية والتي جعلت الاشتراك فيها شرطا لممارسة المهنة بينما يختلف الوضع في النقابات العمالية والتي لا يكون الاشتراك فيها شرطا لممارسة مهنة او صنعة معينة . ويختلف بطبيعة الحال دور ومهمة كل تنظيم جماهيري عن التنظيم الاخر باختلاف الطبقة او الفئة التي ينظمها ويعبر عن حركتها — كما ان رسالة كل من هذه التنظيمات تختلف باختلاف النظام الاجتماعي الذي تعيش فيه .

والتنظيمات الجماهيرية بشكل عام تعتبر من اجهزة الصراع الطبقي والاجتماعي والسياسي في المجتمعات الطبقية . فالنقابات العمالية في ظل المجتمع الرأسمالي هي اجهزة صراع ضد رأس المال من اجل تحسين ظروف حياة اعضائها والنقابات المهنية في مجتمع ما قبل الثورة كانت تجمعات للمثقفين لحماية مصالحهم واوضاعهم الخاصة وكسب ميزات خاصة بهم . ولقد نظمت الجماهير المصرية صفوفها منذ وقت مبكر — منذ اوائل القرن الحالي — في تنظيمات خاصة بها للدفاع عن مصالحها في مواجهة القوى الرجعية المحلية والقوى الاجنبية في محاولة لكسب حرياتها الديمقراطية وتحسين ظروف حياتها وعملها . ولقد كانت التنظيمات الجماهيرية وبصفة خاصة النقابات العمالية — هي المدارس التي تعلمت فيها

وقياداتها الدروس الاولى لممارسة الديمقراطية وللكفاح من اجل الحصول عليها .

دور التنظيمات الجماهيرية في بناء الاشتراكية

ولئن كانت التنظيمات الجماهيرية في ظل النظام القديم هي اجهزة من اجهزة الصراع الطبقي والاجتماعي والسياسي مع فعالية كل منها في هذا الصراع تبعا للقوى الاجتماعية التي تمثلها ولدور هذه القوى في مجالات الصراع هذه ـ فان هذه التنظيمات في ظل مجتمع يتحول الى الاشتراكية وبينها هي ايضا اجهزة صراع طبقي واجتماعي وسياسي ، فمهمتها الرئيسية في المجتمع القديم والذي كان قائما على تحكم طبقة او طبقات مستغلة او قوى اجنبية في مجموع الشعب العامل الكادح هي احراز مكاسب خاصة بالقوى الاجتماعية التي تمثلها كحقوق اقتصادية او حقوق ديمقراطية كحقها في التنظيم والتعبير ، فان مهمتها في المجتمع الجديد (بعد انتصار ثورة ٢٣ يوليو) اصبحت تتمثل اساسا في **التمكين لحكم تحالف قوى الشعب العامل ، والعمل على اذابة الفوارق بين الطبقات والوصول اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا الى مجتمع لا يستغل فيه الانسان اخاه الانسان ، مجتمع تحقق فيه الحرية الاقتصادية والحرية الاجتماعية والرفاهية للشعب الكادح .**

ودور التنظيمات الجماهيرية في ظل المجتمع الذي يرسي اسس البناء الاشتراكي يفرض ضرورة تطوير الديمقراطية الى اقصى حد داخل هذه التنظيمات وضرورة البحث عن اشكال لهذا التطوير ووضعها موضع التجربة العملية فانه ما من ديمقراطية هكذا ((**مجردة**)) تكون قادرة على حشد الجماهير وتعبئتها في عملية البناء ، ولكن الديمقراطية في الحياة ينظر اليها بالاعمال التي تنجز بممارستها . والهدف من ممارسة الديمقراطية داخل التنظيمات الجماهيرية هو تمكين الجماهير اعضاء هذه التنظيمات من المشاركة في عملية بناء الاشتراكية وهي عملية تتضمن بناء اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا وايدولوجيا .

وحتى تكون ممارسة الديمقراطية داخل هذه التنظيمات ممارسة جادة تشرك فعلا الجماهير في العمل ـ وليست ممارسة لائحية ـ فان عضوية هذه التنظيمات يجب ان تتسع لتحتضن الغالبية العظمى من الجماهير التي تمثلها ، الامر الذي تفتقده معظم تنظيماتنا الجماهيرية ـ فأغلب هذه التنظيمات مازالت عضويتها ضئيلة نسبيا .

ان عضوية التنظيمات النقابية العمالية مازالت تمثل اقل من ٢٠٪ من الجماهير العمالية المفروض ان تنظمها ، وعضوية المنظمات النسائية مازالت اقل من ١٪ من مجموع النساء .. الخ .... وتنظيمات جماهيرية تكون عضويتها على هذا المستوى تضعف من فاعليتها وتأثيرها ، بما يكشف افتقار قياداتها الى القدرة على الارتباط بالقواعد العريضة ، فهي لا تعيش مشاكل هذه القاعدة ولا يمكن ان تجد الوسائل السليمة لحلها ، ومن ثم تكون بعيدة عن القضايا الرئيسية التي يواجهها المجتمع ككل غير قادرة على ممارسة مسئولياتها بصورة ايجابية فعالة .

ديمقراطية التنظيمات الجماهيرية وعلاقتها بالتنظيم السياسي

ان دور التنظيمات الجماهيرية الهام في بناء المجتمع واتساع عضويتها الى اقصى حد وديمقراطية هذا الاتساع ترتب ضرورة تحديد العلاقة بين هذه التنظيمات الجماهيرية في حركتها وبين التنظيم السياسي القائد للثورة . وهذه العلاقة بالمفهوم الثوري ليست علاقة تنسيق بين التنظيم السياسي وبين هذه التنظيمات ولكنها علاقة وحدة ـ محورها الدور القيادي للقيادة السياسية داخل هذه التنظيمات . فشعار ((استقلالية)) هذه التنظيمات الجماهيرية في الماضي عن الحكم الرجعي وعن اجهزة الطبقات المستغلة كان شعارا سليما حتى يمكن لهذه التنظيمات ان تمارس دورها في مواجهة هذه القوى وفي عملية النضال من اجل التغيير السياسي والاجتماعي ـ ولكن شعار ((الاستقلالية)) اليوم يصبح شعارا غير ثوري لانه يعني عدم حركة هذه التنظيمات وسيرها في الطريق الذي تحدده قيادة الثورة لمسار عملية التغيير . والاحتجاج ((الليبرالي)) والذي يثار كثيرا بانه مادام لهذه التنظيمات ((شخصيات اعتبارية)) خاصة بها فانه يكون لها الحق المطلق في استقلاليتها ، احتجاج مصدره فكرية بورجوازية ، فشخصية التنظيم الجماهيري الاعتبارية مصدرها ارادة جماهير الطبقة او الفئة التي تمثلها ـ وهي ارادة يجب ان تحكمها ارادة اكبر واشمل ، وهي ارادة

مجموع القوى الشعبية ، ازاذة تحالف قوى الشعب العامل والتى يعبر عنها التنظيم السياسى

ان التنظيمات الجماهيرية رغم كونها تنظيمات عريضة تضم اوسع جماهير بغض النظر عن فكرياتها وايمانها السياسى ونظرتها للتطور والحياة ودرجة تقدمها وتخلفها ـ فانها بحكم تنظيمها لطبقات او فئات ذات مصالح متباينة ؛ فان التزامها بعملية التغيير يكون دائما متسما بضيق افق مصدره هذه الطبقية او الفئوية .ومن هنا مثلا يظل الجانب المحافظ فى النقابات العمالية والتنظيمات الجماهيرية الاخرى موجودا وسائدا ومؤثرا على حركتها وعلى فكرية القيادة النقابية او الفئوية نفسها ، وهذا الجانب المحافظ اكثر بروزا فى النقابات المهنية وفى التنظيمات التى تنظم جماهير غير عمالية وغير فلاحية .هذا بينما ان التنظيم السياسى القائد لعملية البناء يتم تشكيله على اساس انتقاء واختيار العناصر والافراد المؤمنة بضرورة احداث تغيير ثورى شامل للمجتمع لمصلحة كل القوى الاجتماعية الكادحة ، ومن هنا فان نظرته للامور تتسم بالشمول وبالمرونة والرحابة وبالعمومية لا بالخصوصية .. وتقع عليه مهمة ممارسة دوره القيادى داخل هذه التنظيمات الجماهيرية وممارسة التنظيم السياسى القائد لدوره القيادى فى التنظيمات الجماهيرية لايلغى ديمقراطية الحركة فى هذه التنظيمات ، لانه يمارس دوره القائد هذا بالطرق والوسائل الديمقراطية وعلى اساس الالتحام العضوى بالجماهير . فالاساس هنا ليس هو اخضاع هذه التنظيمات اخضاعا رسميا للتنظيم السياسى ،بل قيادة التنظيمات الجماهيرية من خلال الاقناع بالاساليب الديمقراطية ، وعن طريق تقديم اصلح واخلص العناصر واكثرها وعيا، لتحوذ على ثقة الجماهير ..

والقضية الرئيسية لضمان تحقيق هذه القيادة ـ هو انه ـ كما يقول المناضل جمال عبد الناصر (١) :

« لا يمكن للقيادة ان تنمو الا على مبدأ الاتصال بالجماهير ، بمعنى انه من الضرورى ان ناخذ من الناس ونعطى للناس ، اى لابد ان ادرس حركات الجماهير دراسة واقعية ، ووجهات نظر الجماهير دراسة وافية ثم اعمل عملية تنظيم وتنسيق ،وبالذات لاراء الجماهير، فالجماهير لها اراء مختلفة ولكن هذه الاراء دائما مبعثرة وغير منظمة.وواجبى طالما ألتقى مع الجماهير أن آخذ هذه الاراء المبعثرة غير المنظمة وأدرسها دراسة وافية ، ثم اخطط لها وانظمها وانسقها واعطيها ثانية للجماهير منظمة ومنسقة . لانه لو تركت الجماهير على هواها نجد انها دائما تبدى اراء مشتتة مبعثرة ، ولكن فيها عنصر أساسى سليم فاذا لم تنظم لا يمكن الا انها تشرد منك، واعتقد ان الذين عملوا فى نقابات عمالية مروا بمثل هذه التجارب . الناس مش طوب ،الناس عندها اراء وعندها افكار. ولن تستطيع ذلك الا اذا اتصلت بالناس والتحمت بالجماهير وأخذت معاها واعطيت بالكلام وفى الاجتماعات والحياة اليومية » .

ويقول : **« اذا تجاهلنا الجماهير وتجاهلنا ربط القيادات بالجماهير ،بيكون عملنا مفيهش فايدة . .اذا ما كناش على وضوح ازاى نربط القيادة بالجماهير يبقى برضه مفيش فايده وعلشان نربط القيادة بالجماهير لازم تنظم الجماهير . وبعد ما نعرف مشاكل الجماهير اذا ماخليناش هذه المشاكل ، نبقى مش مربوطين بالجماهير.اذن يجب ان نتعرف على مشاكل الناس ، ثم نجد الحلول السليمة لهذه المشاكل ونحلها » .**

ويقول فى نفس الحديث : « لن ننجح الا اذا فهمنا ايه واجبنا . لن ننجح الا اذا اتصلنا بالجماهير . لن ننجح الا اذا فهمنا الجماهير ناخد أفكارها واراءها ندرسها وننظمها ، ونعطيها تانى للجماهير ، ونوجهها فى الطريق الصحيح قبل ما تتشتت ويجى حد غيرك سواء كان رجعى او غيره يوجهها فى اتجاه آخر».

اذن فالاساس فى تحقيق الدور القيادى ،ليس هو الاخضاع ولكن هو الاتصال العضوى اليومى بالجماهير والعيش معها ودراسة احاسيسها وحركتها وعواطفها وآمالها وطموحها والتعرف على مشاكلها وحل هذه المشاكل .والدعوة الخبيثة للاستقلالية والتى مازلنا نستمع اليها هى دعوة رجعية تريد ان تستقل بالعمل فى هذه التنظيمات

(١) من الحديث التنظيمى الذى وجهه الرئيس فى المؤتمر الاول لاعضاء المكاتب التنفيذية للمحافظات (فى المدة من ١١ الى ١٣ يناير سنة ١٩٦٦) والمنشور بمجلة الطليعة العدد الثانى لعام ١٩٦٦ .

مستفيدة من حرية حركة هذه التنظيمات الديمقراطية الواسعة .»

ويترتب على هذا ضرورة تحديد مفهوم ومعنى واضح لقضية « الالتزام » ، فلدى التنظيميين يكون « الولاء » .. « الالتزام » للتنظيم الجماهيري ام للتنظيم السياسي — فعضوية التنظيم الجماهيري عضوية عريضة تضم بين صفوفها من هو عضو قيادي في التنظيم السياسي وتضم غالبية عظمى ليست متمتعة بهذه العضوية القيادية . الامر ببساطة هو ان العضو ملتزم في تنظيمه الجماهيري بنظام هذا التنظيم واهدافه وقراراته ولوائحه ولكن القيادات المنتمية الى التنظيم السياسي تلتزم بخطه السياسي ، ومن هنا يصبح للتنظيم السياسي باعتباره المعبر عن ارادة المجتمع حقا قبل التنظيمات الجماهيرية ,ويصبح للتنظيمات الجماهيرية واجبات حيال التنظيم السياسي . وأي محاولة من قبل قيادات هذه التنظيمات الجماهيرية للخروج على قيادة التنظيم السياسي او لخلق تناقضات واصطناعها بين القيادات السياسية والقيادات النقابية هي محاولات مرفوضة لانها تعني في الحقيقة والواقع خلق مراكز مضادة لقيادة الثورة ككل ، فالاساس هو تبعية الجزء للكل ، واخضاع المصلحة الجزئية للمصلحة الكلية . وعليه يجب وان يكون هناك عمل جاد وجماهيري تقوم به قيادات التنظيم السياسي في مجالات التنظيمات الجماهيرية حتى تمكن الجماهير من اختيار قيادات واعية بالحركة الثورية وملتزمة بها ،وحتى يمكن استبعاد القوى غير الاشتراكية التي تمكنت من الوصول الى مراكز قيادية في التنظيمات الجماهيرية مستغلة تخلف او سلبية اجزاء قطاعات من التجمعات الفئوية . فان هذه القوى قد كشفت عن نفسها في كثير من المواقع كقوى مضادة لحركة الجماهير ونضالها من اجل بناء مجتمع الكفاية والعدل وكقوى تحركها مصالحها الخاصة وانانيتها وتطلعاتها الطبقية — وقضية فضح وكشف هذه القيادات يجب ان توضع في أيدى الجماهير عن طريق التنظيم السياسي وليس عن اي طريق آخر كالطريق الاداري لان قضية التخلص منها هي قضية جماهيرية ، هي قضية ممارسة الجماهير لحقها الديمقراطي في محاسبة قيادات انتخبتها وانحرفت عن الطريق السوي .»

أسلوب ممارسة الديمقراطية

داخل التنظيمات الجماهيرية

وقضية الديمقراطية وممارستها في التنظيمات الجماهيرية هي قضية اسلوب عمل هذه التنظيمات وطريقة حركتها للمشاركة في حل مشاكل المجتمع النامي المتطور وفي حل مشاكل الجماهير اليومية المتشابكة والمعقدة احيانا والمتناقضة احيانا مع الاهداف الرئيسية التي تهدف خطة التنمية الى انجازها .»

و « الحركة الديمقراطية » في هذه التنظيمات تتكون من مجموع المبادىء والاشكال التي تتيح المجال لكل اعضاء المنظمة الجماهيرية للمشاركة الفعالة في حياة المنظمة والتي تخلق الشروط الصالحة والملائمة لكي يقرر الاعضاء قضايا الحركة وذلك اما بطريق مباشر او بواسطة الهيئات التي انتخبوها .»

والتطبيق السليم للديمقراطية في هذه التنظيمات هو الذي يساعد على اتساع العمل الجماهيري لحل مشاكل الجماهير ولدفعها للمشاركة بشكل فعال من اجل زيادة انتاجية العمل ، ولرفع الوعي بين اعضاء هذه المنظمات سواء في مجال ادارة الاعمال العامة او اعمال الدولة وللمشاركة في النشاط التخطيطي والتنفيذي والرقابة على انجاز الخطة .

واسلوب العمل وطريق الحركة الديمقراطيان لهذه التنظيمات نعني به :

اولا : الانتخاب لجميع الهيئات القيادية من القاعدة حتى القمة — فالاسلوب الانتخابي هو الذي يمنح اعضاء هذه المنظمات الحق في قبول او رفض اي مرشح — ولكن في نفس الوقت يجب وان يحكم القبول أو الرفض المصلحة العامة لجموع الحركة الاجتماعية والسياسية. والانتخاب في هذه التنظيمات ليس مجرد ضرورة شكلية ، بل يجب ان ننظر اليه باعتباره الوسيلة التي تعبر بها الجماهير عن ارادتها وباعتباره عملية ضرورية تحقق بها الجماهير رقابتها على المسئولين وكوسيلة للحكم على تصرفاتهم وكذلك باعتباره عملية ضرورية لتربية الجماهير على ممارسة النشاط الديمقراطي. ومن هنا فانه يجب العمل لتخليص الانتخابات التي تجرى لهذه التنظيمات من كافة العيوب التي ورثناها من ماضينا المتخلف ومن التقاليد الرجعية التي كانت تسود هذه المعارك الانتخابية ،والتي لم تقتلع جذورها بعد. فأساليب البلديات والعصبيات والاقليمية والشلل واستغلال النفوذ والتدخل الاداري ... الخ كل هذه الاساليب يجب ان تحارب فكريا وسياسيا ، وكذلك يجب ان تتخذ الاجراءات ضد العناصر والقوى التي تصر على الاستمرار في العمل بها . لان خطرها لا يتمثل فقط في المجيء بعناصر ضعيفة وغير واعية بقدر ما يتمثل في المجيء

بعناصر وقوى مضادة لحركة الجماهير والثورة ، وبعناصر وقوى فاسدة غارقة في تطلعات طبقية تعبر عن انانيتها ولا تعبر عن طموح الجماهير ورغباتها.

ثانيا : ان العملية « الانتخابية » بمفهوم الحريات البورجوازى تتوقف بعد تمامها ، وتنتهى عند انتخاب المسئولين — وتظل ارادة الجماهير فى التغيير معلقة حتى تنقضى الفترة الزمنية التى انتخب القادة ليمارسوا قيادتهم خلالها — وبذلك يصبح حق الجماهير فى الرقابة على هؤلاء المسئولين حقا موسميا — الامر الذى يتعارض مع المفهوم الثورى لحق الجماهير فى الاستمرار فى ممارسة حقوقها الديمقراطية او تصبح هذه الممارسة مجرد ممارسة نظرية أو استشارية الامر الذى يساعد على تكوين قيادات بيروقراطية ومكتبية متسلطة والذى يسمح لعناصر انحرفت أو فسدت فى الاستمرار فى انحرافها وفسادها .. لذلك فان العملية الانتخابية يجب ان تستكمل حلقاتها فى النظام الانتخابى لتنظيماتنا الجماهيرية باعطاء اعضاء التنظيم الجماهيرى حق سحب الثقة ممن انتخبوهم خلال الفترة الزمنية التى انتخبوا لها ، اذا ما ثبت ان هؤلاء قد استغلوا مسئولياتهم لمصلحتهم الذاتية او انحرفوا عن الخط السياسى للثورة وقيادتها .

واعطاء هذا الحق لاعضاء التنظيمات هو توسيع لحركتها الديمقراطية ولحقها فى الرقابة ، وهو سيؤدى الى اشراك الجماهير اشراكا حقيقيا فى نشاط تنظيماتها وسيحول دون استمرار القيادات التى جاءت بالانتخاب اذا انحرفت او تخاذلت عن العمل من اجل تطبيق البرامج التى انتخبت بمقتضاها ، أو عند ارتكابها اخطاء جسيمة دون انتظار لانقضاء الفترة الزمنية التى انتخبت لها . كما انه سيسمح بمتابعة عملية تطهير هذه التنظيمات — دون توقف — من العناصر الرجعية والانتهازية التى تتمكن بأساليب محترفى الانتخابات — والتى اتقنتها لسنين طويلة — من التسلق الى المراكز القيادية والاستمرار فيها دون رقابة فعالة من جانب المنتخبين طوال الفترة ما بين الانتخابات . كما انه سيسمح للتنظيم السياسى القائد بممارسة حقه فى تغيير القيادات المنحرفة او السلبية عن مراكزها بطريقة ديمقراطية معتمدة على ارادة الجماهير .

ثالثا : ولتحقيق الممارسة السليمة للديمقراطية فى هذه التنظيمات — فانه لابد من تحقيق المشاركة الجماهيرية فى كافة انواع النشاط وفى تمكينها من التعرف على حركة قيادتها — ويكون ذلك بتقديم التقارير الدورية عن النشاط وسير العمل لاعضاء هذه التنظيمات وذلك حتى يتمكن الاعضاء من المراقبة المخططة المنظمة لعمل هيئاتهم القيادية المنتخبة . ويرتبط بذلك ممارسة مبدأ النقد والنقد الذاتى للتخلص من كل النواقص والعيوب والثغرات . وحيث لا تقوم التنظيمات بهذا العمل فان اعضاءها يفقدون القدرة على مراقبة مسئوليهم وتنعدم الصلة بينهم وبين اللجان القيادية المنتخبة ، فيعجزون عن تفهم الاسباب الداعية للقيام بعمل من الاعمال او لتطبيق خطة من الخطط او شعار من الشعارات ويعجزون كذلك عن تطبيق قرارات الهيئات العليا والدفاع عنها وتبنيها .

وتنظيماتنا الجماهيرية — بشكل عام — تعانى من انعدام تطبيق هذه المبادىء داخلها — فالملاحظ ان المبدأ الذى مازال يسود العمل داخل هذه التنظيمات هو الاسلوب التقليدى حيث يقتصر على تقديم الميزانية وتقرير عام — سطحى فى أغلب الاحيان — عن النشاط عندما تنقضى فترة وجود الهيئة القيادية — ويتم تقديم هذه البيانات بطريقة شكلية وغير جدية على الاطلاق . فالجمعيات العمومية تجتمع لا لتناقش سياسة تنظيمها — نقابة او جمعية او اتحاد — وخطته ومشروعاته ولا لتحاسب قيادتها عن الفترة السابقة ولا حتى لتناقش الميزانية المقدمة (وهى عادة تقدم لخطة انعقاد الجمعية العمومية) . ولكنها تجتمع لتقوم فقط بعملية الانتخاب وليس من هدف او خطة عامة او شعار محدد تتم على أساسه عملية تشكيل قيادة التنظيم الجماهيرى .

رابعا : والطابع الديمقراطى للعمل داخل التنظيمات الجماهيرية يتضمن ايضا كفالة حق كل عضو فيها ان يشترك فى دراسة مشاكل التنظيمات وبذلك يمارس حقه فى المشاركة فى اتخاذ القرارات وتقديم الاقتراحات والتوصيات والانتقادات . ولكن ممارسة هذه الحقوق الديمقراطية يجب ان تتم باستكمال الضوابط التنظيمية حتى لا يساء استعمال هذه الحقوق الديمقراطية وحتى لا تنقلب الى نوع من الفوضوية الليبرالية ، وحتى لا يساء استخدام هذه الحقوق من قبل العناصر التى ترى الاستناد اليها للتقدم بمطالب فردية تشذ عن حركة الجماعة وتتعارض مع الاهداف العامة للمجتمع ككل .

خامسا : تطبيق مبدأ القيادة الجماعية — باعتباره المبدأ الرئيسى للعمل القيادى الديمقراطى ، اذ ان القيادة الجماعية والديمقراطية داخل التنظيمات الجماهيرية أمران يرتبط كل منهما بالاخر ارتباطا وثيقا ، فالقيادة الجماعية تعنى مشاركة المستويات

المختلفة من المنظمة الجماهيرية في خدمة القضية والهدف بمعلوماتهم وخبراتهم وبمبادراتهم .

وقد اعتبر ميثاق العمل الوطني اسلوب القيادة الجماعية في العمل من المبادىء الهامة والاساسية وهو الضمان لاتخاذ القرارات الصحيحة ، ويمنع امكانية نشأة السلطة الفردية — سواء كانت سلطة فرد او جماعة — في نفس الوقت الذي لا يضعف فيه من المسئولية الشخصية — والقيادة الجماعية تنبع اساسا من الخصائص الطبيعية للتنظيم الجماهيري باعتباره تنظيم ديمقراطي للجماهير العريضة يوحدها طوعا واختيارا ».

ونعني بضرورة اتباع اسلوب القيادة الجماعية في العمل — **أولا** : ان الجماعية تبدأ من عملية التحضير الاولى لاجتماعات الهيئات — فالتحضير لاجتماعات الهيئات عندما يتم من قبل الشخص المسئول وحده يتحول الى اجراء شكلي لايقنع احدا ولا يعكس الاحتياجات والمتطلبات الحقة للجماهير . والتحضير الاولى يجعل الهيئات القيادية دائما تركز على القضايا الهامة والحاسمة ولا يسمح للقضايا الفردية والثانوية بان تغرق الهيئات القيادية في اعمال جانبية غير مجدية .

ثانيا : ان « الجماعية » في القيادة لا تلغي المسئولية الشخصية والاستقلالية والمبادرة ، بل هي في احتياج اليها — وذلك حتى لا تتحول « الجماعية » الى فيض من الاجتماعات المعطلة للعمل — ومن هنا « فالجماعية » في حاجة الى مسئولين قادرين على التفكير المستقل وواعين سياسيا ، وعليه فالامر الثاني هو ان « القيادة الجماعية » تعتمد على المسئولية الشخصية الواعية ولا يمكن لها ان تعمل في معزل عنها .

ثالثا : ان اسلوب القيادة الجماعية يعني ضرورة عرض كافة الموضوعات والمسائل المطلوب بحثها واتخاذ قراراتفيها ، على الهيئات قبل بحثها حتى يمكن دراستها بشكل موضوعي ، والحوار الجاد لوجهات النظر المختلفة حولها للتوصل من خلال النقاش البناء الى خير الحلول واسلمها — ان فرض الموضوعات والمسائل المطلوب بحثها على اجتماعات الهيئات القيادية لحظة اجتماعها انما هو خرق « للجماعية » لانه يعني بحث هذه المسائل بشكل غير واع ، وصورة تلقائية دون اعداد او تمهيد يفقدها حريتها وجدواها ، الامر الذي يضعف الارادة في العمل ويشلها الى حد كبير ، والذي يؤدي في نفس الوقت الى عدم مشاركة اوسع عدد من الجماهير المعنية بالامر في مناقشة القضايا الهامة ».

ان تنظيماتنا الجماهيرية — مطلوب منها اليوم واكثر من اى وقت مضى — وهي مواجهة باعباء رئيسية في عملية بناء الاشتراكية ، ان تلتزم باسلوب « القيادة الجماعية » في العمل حتى تتمكن من التركيز على القضايا الهامة والحاسمة ولا تسمح للقضايا الفرعية والثانوية بعرقلة نشاطها ، وحتى تتمكن من فتح المجال رحيبا امام العناصر النشطة والفعالة والخلاقة لتأخذ مكانها في العمل الوطني ، ولتتحول الى معاهد تدريب وتربية القيادات الجديدة في معترك النشاط اليومي والاحتكاك المباشر بمشاكل الانتاج والمنتجين ».

واخيرا ان قضية تدعيم الديمقراطية داخل التنظيمات الجماهيرية ستظل لفترة من الزمن هي قضية تنظيم الجماهير العريضة التي لم تنظم بعد حتى تصبح هذه المؤسسات تنظيمات جماهيرية حقة وديمقراطية حقة — ان ضيق عضوية هذه التنظيمات او تمثيلها لجزء بسيط من القوى المفروض ان يضمها وينشطها ويعبئها سيظل قيدا على الحركة الديمقراطية للجماهير وعلى ممارسة الحقوق الديمقراطية التي حصلت عليها الجماهير ومازالت تكتسبها بدرجات متزايدة على مدى الزمن ».

والاحتجاج الذي نلمسه من قيادات عديدة في التنظيمات الجماهيرية بان السبب في ضعف عضوية هذه التنظيمات انما يرجع الى عدم وعي الجماهير الشعبية هو تبرير لا يستند الى واقع تحاول به القوى التي قصرت في تنظيم الجماهير ان تجسد الاعذار لموقفها وتبرز تقصيرها بالقاء الاتهام على الجماهير نفسها ».

ان عملية تنظيم الجماهير في المنظمة هي عملية شاقة يجب ان تمارسها القيادات لا من مكاتبها ولكن بالحياة مع الجماهير ومعايشتها والحركة بينها ، والا تنتظر داخل مكاتبها لتحضر الجماهير اليها . انه كلما اتسعت قاعدة العضوية الديمقراطية للتنظيمات الجماهيرية كلما ازدادت امكانيات العمل لاختيار قيادات سليمة تحترم الجماهير وتلتزم بالعمل الثوري ، وكلما امكن عزل القيادات الرجعية والانتهازية والمتسلقة ».



المثقفون ... والعمل السياسى

لطفى الخولى

الحديث عن المثقفين والعمل السياسى فى واقعنا المعاصر ، يطرح علينا أول ما يطسرح مهمة اولية — فيما أعتقد — وهى تحديد **ماذا نعنى ((بالمثقفين)) ، وماذا نعنى ((بالعمل السياسى))** . فمثل هذا التحديد يساعد على اضاءة نقطة البدء التى نود ان ننطلق منها لمناقشة هذه القضية الحيوية .

والتعريف السائد الآن «للمثقف» يحدده بأنه الانسان الذى لا يقف بعلمه ومعارفه عند حدود مهنته او تخصصه ، وانما ينفتح على حركة الحياة بكل ما تموج به من صراعات واحداث سواء فى مجتمعه او عالمه او عصره . فيكون لنفسه ازاءها وجهة نظر ويتخذ منها فى النهاية موقفا معينا . بمعنى انه يصبح **((مشاركا))** على نحو ما ، وليس مجرد **((متفرج))** على هامش الحركة .

ولا يقف التعريف بالمثقف عند هذا الحد وانما هو يمضى بعد ذلك للتمييز بين انسان يغرق بمعارفه وعلمه داخل أسوار المهنة والتخصص والذات ، وبين انسان آخر يسعى اجتماعيا بمعارفه وعلمه متخطيا أسوار المهنة والتخصص والذات . فيرى فى **((الثانى))** وحده الانسان المثقف ، فى حين ينفى صفة المثقف عن **((الاول))** مهما كانت درجته العلمية وحصيلته من المعارف .

وفى ضوء هذا التعريف يمكن اذن ان نعثر — واقعيا — على علماء واصحاب معرفة ومهن وتخصصات فنية ولكنهم غير مثقفين .

هذا وضع يستقر عليه الرأى الآن . ويحضرنى تأكيد لهذا الرأى أعلنه **((جان بول سارتر))** أخيرا فى محاضرته التى القاها بجامعة القاهرة عن «دور المثقفين فى المجتمع المعاصر» (١) حيث قال :

(١) راجع نص المحاضرة المنشور بعدد ابريل ١٩٦٧ من الطليعة — المحاضرة القيت فى ١٩٦٧/٣/٤ خلال زيارة سارتر للجمهورية العربية المتحدة .

((ان المثقف رجل معرفة ، الا انه رجل معرفة عملية . لانه لايوجد الآن فرق حقيقي بين المعرفة النظرية والمعرفة العملية .. انه العالم اوالطبيب او التكنيكي أو القانوني او الكاتب او الفيلسوف او الفنان — اذا أردت — الذي يعي بتكوين نفسه في تناقض داخل المجتمع البرجوازي . ولكن ليس كل هؤلاء الناس يقومون بهذا التكوين لانفسهم . فهناك علماء يعيشون في حالة من القلق ويتعامون عن رؤية الامور . وهناك من يريدون بموافقة السلطات اخفاء هذا التناقض على غيرهم . فهم الذين أطلق عليهم صديقي (فيزون) عبارة كلاب الحراسة .

هؤلاء لا نسميهم مثقفين لان مامن أحديسميهم مثقفين)) .

وهنا أسمح لنفسي بأن اختلف :

بمعنى انه اذا كنا نتفق **اليوم** على ان المثقف هو فعلا هذا الانسان الذي لا يتقوقع بعلمه ومعارفه في أغوار ذاته ومهنته وتخصصه ، وانما يتجاوب ويتفاعل سلبا وايجابا — مع حركةالحياة وقضايا العالم وهموم العصر ، الا انه في الواقع والحقيقة ، لم يعد هناك **اليوم** ، امكانية — بسبب طبيعة وظروف عصرنا الحالي — وجود انسان حصل على قدر كبير او صغير من العلم والمعرفة يسجن ذاته وتفكيره ونشاطه في حدود المهنة والتخصص فحسب . وانما هو بحكم موضوعية الظروف المعاصرة يتخذ في الواقع وباستمرار ، موقفا من حركة الحياة والعالم والعصر ، أياكانت طبيعة هذا الموقف ومداه .

أقصد — بتعبير أدق — انه في عالمنا المعاصر، اصبح كل صاحب علم او معرفة او تخصص — مهما كانت درجته — مثقفا بالضرورة .

ان صورة العالم او صاحب المهنة اوالتخصص الذي لا تتعدى اهتماماته ظل انفه وجدران معمله واوراق بحوثه ، لم تعد قائمة **واقعيا** في أي مجتمع انساني بعد الحرب العالمية الثانية على وجه التحديد .. **لماذا** ؟

الاجابة ببساطة تكمن في أن **عالم ما بعدالحرب العالمية الثانية قد تغير تغييرا جذريا عن عالم ماقبل الحرب** . بمعنى انه دخل مرحلة جديدة تماما ، أصبح معها الانسان في أمريكا مثلا غير منفصل عما يحدث في احراش فيتنام بآسيا . والانسان في افريقيا يتابع دقيقة بدقيقة ويتخذ مواقف محددة باستمرار بالنسبة لما يحدث في كل انحاء العالم مثله مثل الانسان في بريطانيا والصين وفرنسا وسوريا واستراليا واليمن والاتحاد السوفيتي . والانسان في مصر يتأثر ويؤثر بالنشاط الانساني في روديسيا والهند واندونيسيا والبرتغال الخ .

وداخل كل مجتمع اليوم ، نلحظ ان الانسان ، قد رفع عن وجهه ما يمكن ان نسميه **((بالحجاب السياسي والاجتماعي))** ، وانطلق متحررا بدرجات متفاوتة من قيود اللامبالاه ، مكونا رأيا ، ومتخذا موقفا بالنسبة لما يجرى في بلاده وعالمه من احداث وتطورات ، ومعبرا عن ذلك بأشكال مباشرة وغير مباشرة ، فردية وجماعية على حسب الاحوال وعلاقات القوى في مجتمعه . ولعلنا نستطيع هنا أن نرصد العديد من الظواهر التي تتسم بقدر متزايد من الشمول والاتساع والتي لم يعد يخلو منها مجتمع مافي عصرنا ، وتكشف عن هذه الحقيقة الموضوعية . مثلا ظاهرة البيانات العديدة التي يصدرها العلماء ورجال التكنولوجيا والكتاب والفنانون في امريكا وبريطانيا وفرنسا ضد استخدام الطاقة النووية في انتاج أسلحة الدمار والحرب ، وضد العدوان الامريكي على فيتنام ، وضد التفرقة العنصرية .. وكذلك البيانات المضادة .. وظاهرة المحاكمة التي دعا اليها كل من **((رسل))** و **((سارتر))** مع عدد كبير من العلماء والفلاسفة والكتاب لمحاكمة مجرمي الحرب في فيتنام .. وظاهرة الندوات والمؤتمرات العلمية والمهنية التي تبدأ من أرضية فنية متخصصة بحتة، ولكنها ما تلبث ان تمتد الى أرضية هموم الانسانية والاهتمامات العامة الجارية مثل خطر الحرب والعدوان والتفرقة العنصرية وانقسام العالم الى فقراء واغنياء الخ .. ولعلنا في بلادنا نلاحظ انه قد أصبح أمرا مألوفا وعاديا اليوم ان تتصدى المؤتمرات المهنية المتخصصة ، في مجال القانون والطب والهندسة والادب والتجارة وغيرها ، للقضايا السياسية والاجتماعية العامة في رباط مع المشاكل الفنية البحتة . وغدا الشعار المرفوع اليوم هو انه **((لا علم محايد))** .

ماذا يعني هذا ؟ انه يعني ان عالمنا المعاصر قد أصبح يتميز بنوع جديد من الاتصال المباشر والسريع — ماديا ومعنويا — يربط بمزيد من القدرة والفاعلية باستمرار بين الناس — على اختلاف درجات ونوعيات معارفهم العلمية وتخصصاتهم الفنية — في كل المجتمعات ، وبين بعضهم البعض في كل مجتمع على حدة في آن واحد .

وهم من خلال القنوات العديدة الاشكال لهذا الاتصال الجديد يكونون في الواقع **وحدة انسانية شاملة لها وجهان متصارعان :**

وجه يتجمعون فيه حول مصالح مشتركة مثل درء خطر الفناء الذرى .

ووجه آخر يختلفون فيه من حول مصالح متناقضة مثل أيهماأفضلطريق للحياة، الرأسمالية ام الاشتراكية ؟

٤ أسباب

ولقد نبع هذا التغيير الجوهرى الذى أصاب العالم وانسانه المعاصر ، وتبلورت معه هذه القنوات الجديدة من الاتصال وتلك الوحدة الانسانية الشاملة الجديدة وعكست بالتالى تأثيرها على كلالمجتمعات .. أقول ان هذاالتغيير نبع من أسباب اربعة رئيسية :

أولها : تفجر الثورات التحريرية القومية بعمق أكبر وشمول أوسع ، لم يسبق له مثيل فى القارات المستعمرةالثلاثة ، آسياوافريقيا وأمريكااللاتينية .

وقد لوحظ فى خط هذه الثورات بصفة عامة بروز الدور الايجابى للفلاحين والعمال والمثقفين الثوريين مما يميزها عن الثورات التحريرية التقليدية التى عرفت قبيل الحرب العالميةالثانية . هذا فضلا عن امكانية تجميع قوى هذه الثورات فى وحدات دولية ذات مستويات مختلفة لاولمرة مثل مؤتمر تضامن شعوب آسيا وأفريقيا ومؤتمر القارات الثلاث الذى انعقد فى كوبا عام ١٩٦٦ .

وقد نتج عن ذلك تاريخيا ما يمكن ان يسمى بحق انهيار النظام الاستعمارى فى صورته التقليدية وتقلص النفوذ المباشرللدول الاستعمارية الكبرى الى درجة تكاد تصل الى حد العدم كما حدث بالنسبة لالمانيا وايطاليا وبلجيكا وهولندا .

وبذلك طرقت قضية الحرية بابكلمجتمعوكل انسان فى العالم ، وصار من غير الممكن على اى منهما ان يتجاهل هذا الطرق ولا يتخذ منه موقفا طبقا لمصالحه ، لان قضيةتحرير الانسانيةاصبحت فى الحقيقة مرتبطة بمستوى حياته ولقمة خبزه ومسكنه ومزاولته لمهنته وممارسته لابحاثه العلمية والفنية .

وثانيها : انهيار **وحدانية النظام الرأسمالى** واحتوائه للعالم وتحكمه فى مصيره ، ماديا ومعنويا . وذلك بعد بزوغ النظام الاشتراكى بقوة متزايدة ونامية على الدوام ، بحيث أصبح يشكل ظاهرة عالمية تنافس — سياسيا واقتصاديا وعسكريا وعلميا — كل معطيات الراسمالية ، وتقدم بديلا عنها فى كل شيء ، اكثر مواءمة مع ظروف العصر ومناخه الانسانى العام . وغدا كل مجتمع وكل انسان فى العالم يواجه موضوعيا وبالحاح متزايد موقف الخيار بين الراسمالية والاشتراكية كطريق للحياة على كل من المستوى الذاتى والعام معا .

وثالثها : ما تحققه **الثورة التكنولوجيةالمعاصرة** من اكتشافات وامكانيات علمية لم يسبق ان توفرت فى عصر من عصور التاريخ الانسانى من قبل ، تمكن الانسان من أن يقوى سيادته على الطبيعة وفى ان يستثمر خياراتها استثمارا لصالح رفاهية البشرية كلها . وفى نفس الوقت تضعبين يديه قوى عاتية للتدمير والخراب الشاملين . وغدت بالتالى كل من امكانية عالم الغد السعيد والقنبلة الذرية المدمرة على مراى البصر واليد من كل انسان وعليه ان يختار بين طريقى السلام والحرب .

ورابعها : التقدم العلمى المذهل فى وسائل المواصلات والاتصالات بالذات ، بين قارات العالم بعضها وبعض ثم داخل كل مجتمع على حدة . وهى جميعا ، ابتداء من **((الطائرة النفاثة))** حتى **((الراديو الترانزستور))** ، قد اسهمت فى الواقع والحقيقة فى خلق عالم واحد جغرافيا ونفسيا ، يحكمه الى حد بعيد رأى عام يتمتع بوزن وتأثير متزايدين ، ويستطيع الحركة ، نسبيا ، بسهولة ومعدل أسرع واكثر فاعلية وذلك على مستوى العالم ومستوى المجتمع الواحد معا . ونستطيع ان نلمس ذلك فى مئات الظواهر مثل الاممالمتحدة ومؤتمرات عدم الانحياز والقارات الثلاث وكذلك المنظمات الدولية ومؤتمراتها فى مجالات الصحافة والقانون والتكنولوجيا الحديثة والتربية والتعليم والادب والسينما والمسرح والطب والاقتصاد ، بل والازياء والحلاقة الخ ..

وهكذا لم يعد صاحب المهنة او التخصص العلمى او الفنى قادرا على ان يعزل نفسه فى «برج عاجى» بعيدا عن حركة الاحداث الجارية فى مجتمعه وعالمه ، وانما يجد نفسه فى قلبها ويتصل بالحركة الانسانية ساعة بساعة ويوما بيوم عن طريق الاذاعة والتليفزيون والصحف العديدة والمؤتمرات والندوات المحلية والعالمية . بل انه يجد نفسه وهو فى صميم ابحاثه ومهنته مضطر — حتى لا يتخلف علميا ومهنيا — للاتصال بحلقات اوسع واوسع باستمرار فى كل مكان من العالم بحكم اتساع وتعقد وتشابك أمور البحث العلمى والتخصص المهنى . وهو يتأثر فى اتصالاته هذه ويؤثر فيها بحكم اختلاف الظروف

السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى تسود هـذه الحلقـات .

ومن هنا لم تعد حالات فيلسوف «كرسل» أو عالم ذرى «كابنهايمر» او شاعر «كالجواهرى» او فنان «كشابلن» او ناقـد ادبى «كمندور» او خبير بترولى «كالطريقى» او مسرحى «كبريخت» او استاذ فلسفة «كزكى نجيب محمود» أو ممثل «كبوب هوب» او قصاص «كميخائيل نعيمه» .. خرجوا من قوقعة العلم والتخصص المهنى الى رحاب الحياة متخذين مواقف معينة من صراعاتها، مجرد حالات فردية واستثناء من القاعدة . وانما اصبحت بالفعل تيارا عاما شاملا ، وخاصـة فى اجيال ما بعد الخمسينيات ، يتجسد فى حركات فردية وجماعية تتراوح بين المحافظة والليبرالية والثورية . والا فكيف نفسر مثـلا ذلك الرفض الجماعي من الكتاب والفنانين والعلماء الامريكيين لدعـوة الرئيس جونسون لهـم فى حفل بالبيت الابيض فى عام ١٩٦٥/١٩٦٦ بسبب معارضتهم للحرب فى فيتنام ، وكذلك الحركات المضادة من علماء وفنانين آخرين يتخذون موقف التأييد للعدوان الامريكى فى فيتنام . وكيف نفسر ظهور متعلمين لم يسبق لهم الاشتغال بالسياسة فى امريكا اقدم بعضـهم على حـرق نفسه احتجـاجا عـلى الحرب الفيتنـامية وآخرين اشـعلوا النار فى اجسادهم ضد حركة الاحتجاج ! وكيف نفسر ذلك التجاوب الواسع النطاق من العلماء والمحـامين والفنانين والاطباء والكتاب العرب مثلا مع الثورة اليمنية وحربها العادلة ضد المخربين والقـوى الرجعية والاستعمارية ، فى حين تعقد مؤتمرات فى جـدة وتونس من نفر من المهنيين العرب الذين ارتبطت مصالحهم بالقوى الرجعية والاستعمارية يتخذون موقفا مضادا من الثورة اليمنية .

٥ نقـاط

والواقع أن هذه العوامل الاربعة والرئيسية فى حركتها تحدث هزات عميقة وتشققات أيدولوجية وسياسية واجتماعية باستمرار فى صورة اوضاع العـالم والعصر الذى نعيشه ، لم يعـد يسلم منها انسان مهما شحبت اهتمـامته العامة . بمعنى أنه نتج اليوم عن تفاعل هذه العوامـل الاربعة مع الواقع عدة نتائج جوهرية حتى الآن، حطمت كل الحواجز التقليـدية الوهميـة بين التخصص المهنى والمعرفة العلمية وواقع الحياة باهتماماتها العامة .

ونسـتطيع أن نلخص أهم هذه النتـائج فى **خمس نقاط :**

● ان وحدانية العالم الرأسمالى لم تنهـار فحسب بسبب قيام النظام الاشـتراكى ونموه كظاهرة عالمية ، بل انه داخل كل من العالمين الرأسمالى والاشتراكى المتصارعين قد وقعت منـذ اواخر الخمسينات ، تشققات جديدة حول العديد من القضايا النظرية والتطبيقية معا . وهو مانراه اليوم فى النزاع الاوربى عامة والفرنسى خاصـة مع الولايات المتحدة الامريكية فى العالم الرأسمالى، وكذلك فى النزاع الصينى السوفيتى داخل العالم الاشتراكى . ورغم كل ماقد يكون هنـاك من عوامل سلبية او ايجابية بالنسبة للجميع نتيجة هذه التشققات الجديدة الا انها عمقت من الحركة الراديكالية التى تتسائل عن كل شىء وتعيد بحث كل المسـلمات والمقدسـات من جديده بجراة وبالتالى بذرت القلق البـاحث عن الحقيقة فى نفس كل من أصاب قدرا من العلم والمعرفة .

● ويزيد من هذا القلق البناء ظهور ذلك التيار التحررى القومي الجديد ، وهو يشق طرقا جديدة نحو الاشتراكية لم يسبق أن عبرتها الثـورات التقدمية من قبل وتطرح بالتـالى فى مجـالات السياسة والاقتصاد والثقافة والتكنيك قضـايا ومشاكل جديدة فى المدرسة والجامعة والمصـنع والادارة والرعاية الطبية والابداع الفنى والادبى ، لايستطيع أى متعلم أو صاحب مهنة الا ان يواجهها ويلتحم بها ويبحث عن حلول لها فى واقعه وحركته الاجتماعية ، وبذلك تجـذبه جذبا الى سـاحة المعركة المحتدمة بين التخلف والتقدم ، بين النظم الاقطـاعية والرأسمالية والنظم الاشـتراكية ، بين الماضى والحاضر والمسـتقبل ، بين التراث والتكنولوجيا الحديثة .

● والواقع أن تأزم حدة الصراع بين التخلف والتقدم فى العالم ينفجر بقسوة وضراوة فى البلاد النامية على وجه الخصوص . ويشعر معها كل متعلم وصاحب مهنة او تخصص أن طريقه لرفع مستواه العـلمى والمهنى والتكنيـكى ، اصبح يصطدم فى الحقيقة بمقاومة عنيفة من القـوى الاستعمارية المتقدمة واحتكارها للعلم والتكنولوجيا من ناحية والتخلف الحضارى لمجتمعه من ناحية اخرى .. ومن هنا يلتحم مصيره كعالم أو فنى مع حركة المقاومة ضد كل هذه المعوقات العالمية والمحلية .

● انه مع التطور الذى اصاب العالم سواء فى موازين قواه الدولية من ناحيـة واضـاءة

الاكتشافات العلمية الحديثة بدرجة متزايدة لمناطق مجهولة ولطاقات ظلت قرونا مقيدة وقابعة فى ظلمة الجهل من ناحية اخرى ، شساعت عمليات استخدام التكنولوجيا والتكنولوجيين من مختلف المجالات فى عمليات الثورة والثورة المضادة معا، الامر الذى شد باستمرار العلماء والمهنيين والمتخصصين فى جميع الانواع الى حلبة الحياة والصراعات التى تدور بين قواها . ونستطيع أن نلمس هذا فى عديد من المظاهر ، مثل انهماك العلماء فى الغرب والشرق على السواء فى عمليات انتاج الاسلحة النووية الهجومية والدفاعية . وعمليات خطف العلماء النوويين من هنا وهناك واحيانا قتلهم وكذلك عمليات التجسس الصناعى وسرقة المكتشفات العلمية الحديثة دوليا . استخدام عدد هائل من الكتاب الصحفيين والمهنيين والعلماء والمتخصصين فى العلوم الطبيعية والعلوم الانسانية فى عمليات التجسس والمخابرات والمؤامرات وتمويل عديد من الجمعيات ومعاهد البحث العلمى ودور نشر الصحف والمجلات ومحطات الاذاعة والتليفزيون واتحادات المهنيين والطلبة الخ ... (٢)

ومعنى هذا ان العصر بصراعاته السلمية والدموية وبأساليبه الشريفة والقذرة على السواء قد حطم إسطورة امكان انعزال متعلم أو صاحب مهنة أو تخصص عن حركة الحياة واتخاذ موقف بشأنها .

● ان الانفجار السكانى اليوم فى العالم بصفة عامة وفى مصر بصفة خاصة ، قد اسهم فى تضييق فرص الانعزال المكانى أو الزمانى أو الاجتماعى او النفسى لاى انسان . ذلك ان معدل زيادة السكان عامة فى جميع البلاد تتقدم بسرعة لاتوازيها سرعة معدل النمو فى الموارد فضلا عن ثبات مساحة الكرة الارضية من ناحية وعدم تحقق المساواة الاجتماعية بين الناس من ناحية اخرى . وهذا كله من شأنه ان يحفز الانسان — تحت أى وضع — الى التحرك خارج ذاته وحياته الخاصة والمهنية والعلمية دفاعا عن هذه الذات والحياة الخاصة والمهنية والعلمية ، وبذلك يشتبك فى الصراعات الدائرة على مستويات مختلفة .

ويكفى لتجسيم هذا الواقع أن نستعرض الارقام التالية :

— فى عام ١٨٠٠ ، بلغ عدد سكان العالم منذ بدء الخليقة على الارض ١٠٠٠ مليون نسمة . ولكن هذا العدد قفز الى الضعف فى خلال ١٣٠ سنة فحسب اذ يصل عدد السكان فى العالم اليوم (حسب احصاء ١٩٦٦) الى ٣٠٣٥ مليون نسمة . بمعنى ان الزيادة السنوية فى سكان العالم تقدر اليوم بما يزيد على ٥٧ مليون نسمة وهو مايعادل مجموع سكان بريطانيا وهولندا وسويسرا معا . فالحياة الانسانية على هذا النحو تزدحم يوميا بحوالى ١٧٨ الف انسان جديد او ٧٤٢٠ انسان فى الساعة أو ١٢٤ انسان فى كل دقيقة (٣) .

— وفى عام ١٨٨٢ بلغ عدد السكان فى مصر ٦٫٨ مليون نسمة منذ بدأت الحياة الانسانية تدب فى بلادنا . ولكنها تقفزت الى ٣٠٫١ مليون نسمة خلال ٨٤ عاما فقط (٤) .

قضية اليوم

اريد من وراء هذا كله التدليل على ان عالم اليوم ، ومجتمع اليوم ، لم يعد يتيح لاى انسان ومن باب اولى لمن حصل على قدر من التعليم والمعرفة كبيرا كان أم صغيرا ، عاما او متخصصا — ان ينعزل فى لامبالاة داخل ذاته وعلمه وتخصصه . وانما هو بحكم الواقع والضرورة يشارك فى حركة الحياة سلبيا أو ايجابيا . ومن هنا فانا اصبح من غير الواقعى ان نفرق بين المتعلم والمثقف . بل ان كل متعلم هو بالضرورة مثقف ، تتحدد نوعيته بحكم مواقفه الفكرية والاجتماعية والمصالح التى يدافع أو يعبر عنها مستخدما علمه ومعرفته وخبرته الفنية ، **وتصبح القضية اليوم اذن هى اساسا فى التمييز بين المثقف الرجعى والمثقف التقدمى بمفهوم العصر والواقع الاجتماعى الذى يعيشه .**

وقد يثير البعض هنا موضوع سلبية بعض

(٢) راجع كتاب (الحكومة الخفية) تاليف الكاتبين الامريكيين ديفيد وايز وتوماس روس — ترجمة جورج عزيز — دار المعارف بالقاهرة ١٩٦٥

(٣، ٤) راجع كتاب زيادة السكان فى الجمهورية العربية المتحدة وتحدياتها للتنمية — الادارة المركزية للاحصاء — نوفمبر ١٩٦٦ (طبعة مؤقتة)

المتعلمين ازاء حركة الصراع فى المجتمع ، ويتخذون منها دليلا على انهم غير مثقفين .

وبالفعل هناك اليوم عدد من المتعلمين يرفعون راية السلبية ويتنحون عن المشاركة الايجابية فى حركة شعبهم نحو التطور والتقدم قائلين بأنه لامصلحة لهم فى الصراع الدائر حول تشكيل المجتمع اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا ، وهل يصاغ فى اطار راسمالى او اطار اشتراكى ، وانهم مجرد فنيين وعلماء يبيعون خبراتهم لمن يدفع الثمن المجزى لهم سواء أكان فردا أم شركة خاصة أم قطاع عام مملوك للدولة .

بيد ان التعمق فى بحث حالة هؤلاء الذين يرفعون راية السلبية تقطع بأنهم مثقفون .. ومثقفون رجعيون بالذات . **لماذا**

لان هذا الوضع الذى يحددونه لانفسهم باسم **« السلبية »** هو فى الواقع والحقيقة **« موقف »** من حركة الحياة وصراعاتها فى مجتمعهم . فاذا كان لايهمهم تقدم مجتمعهم وانتصار قوى الشعب العاملة فى صراعها ضد القوى الاستعمارية والاقطاعية والرأسمالية والتحول من مجتمع الاستغلال الى مجتمع اللااستغلال اى الى الاشتراكية فهذا يعنى **فعليا** انحيازهم للقوى الرجعية فى عملية الصراع الفكرى والاجتماعى ، المعادية لهذا التطور .

فذلك الفريق مثلا من اساتذة الجامعات الذين ينادى «باسم استقلال الجامعة وتفرغها للعلم البحث والبحث المحايد عن المعرفة » بعدم توريطها فى الصراع الاجتماعى ، ضد فريق الاساتذة الاخرين الذين يعملون على ربط الجامعة بالمجتمع والعلم والمعرفة بحركة الحياة وخطها التقدمى دون ما اهدار لحرية البحث ، لا يقف هذا الفريق (الاول) موقفا محايدا اوسلبيا فى الحقيقة . وانما هو يعمد بأسلوب غير مباشر الى الحيلولة دون ان تنحاز الجامعة بطاقاتها العلمية الى القوى الثورية وتبقى رصيدا للقوى المعادية للثورة .

وهؤلاء الذين يتدثرون بالسلبية ، عندما يدعون ان مايهمهم فى الموضوع هو تقاضى الثمن المجزى لخدماتهم الفنية والمتخصصة لااكثر ولا اقل ، فانهم فى الحقيقة يسلكون مسلكا مخادعا فى تغطية موقفهم الفكرى والاجتماعى المعادى لقضية الثورة والتطوير الاشتراكى والذى يمارسونه فعلا ... **كيف ؟**

انهم يسعون باستمرار — ومهما شكل ذلك عبثا على حركة التنمية والتطوير — الى تقاضى اعلى الاجور لخدماتهم وبذلك يعمدون فى الواقع الى تعطيل حركة النمو الاقتصادى والاجتماعى او على الاقل تخفيض معدل سرعتها . فاذا لم تستطع قدرة المجتمع على الوفاء بما يطلبونه من ثمن ، هاجروا من وطنهم المحتاج الى خبراتهم وفنونهم الى حيث يجدون الثمن الذى يطمحون اليه . . وهم بذلك فى الواقع يتخذون اما موقف المحافظة على امتيازاتهم الاجتماعية على حساب الجماهير العاملة ، واما موقف الهروب وعدم المشاركة فى تطوير المجتمع . فالمسألة هنا ليست اذن مجرد موقف سلبى وانما هو موقف ايجابى ضد تطوير المجتمع .

وهم دائما ضد اشاعة النظم الديمقراطية فى المؤسسات الاقتصادية واشتراك المنتجين العاملين فى ادارتها ، بدعوى ان ذلك يخل بصالح العمل ، وهو فى الواقع يخل بدكتاتورية السلطة والامتيازات التى يحرصون على التمتع بها مهما كان الثمن . وغالبا ما نراهم يثيرون العراقيل فى عمليات الانتاج ، اما بالبطء فى عملية الانتاج او الاسراف فى الموارد او اشاعة القلق والاضطراب فى صفوف العاملين عن طريق استخدام اسلحة الفصل غير المشروع والوقف عن العمل الخ ..

واذا ما نحينا القشرة الخارجية عن وجوههم وجدناهم فى الواقع ينتمون فكريا واجتماعيا الى الطبقات المعادية للثورة .

وهكذا فان السلبية اليوم ليست هى حالة عدم المبالاة التى كنا نلمسها فى متعلمى الامس ، وانما هى موقف فكرى واجتماعى محدد ومعين من حركة الصراعات فى المجتمع . ومن هنا فهم فعليا قوة من قوى المثقفين المعادين للثورة . كل مافى الامر انهم يستخدمون اساليب غيرمباشرة واكثر مرونة من تلك التى يستخدمها المثقفون السافرى الرجعية والذين يجاهرون بصراحة وبطرق مباشرة بآرائهم ومواقفهم .

ومن هنا تبدو الخطورة واضحة فى عدم اعتبار مثل هؤلاء المتعلمين واصحاب التخصص « السلبيين » عند احتساب قوة المثقفين الكلية فى مجتمع ما . اذ بذلك نضع حسابات غير واقعية عن الكم والوزن الحقيقيين للمثقفين ، ونغمض العين والوعى عن جزء غير يسير من المثقفين الرجعيين الذين ينشطون لخدمة الثورة المضادة فى الخفاء وتحت ستار السلبية .

ونصل من هذا الى نتيجة انه عند احتساب القوة والحجم الحقيقيين للمثقفين فى اى مجتمع من مجتمعات اليوم يجب أن نضع فى الاعتبار — بادىء ذى بدء — جميع المتعلمين والمهنيين والمتخصصين الذين حصلوا على المعرفة — مع اختلاف الدرجات — عن طريق الدراسة المنتظمة، فهذا هو النبع الاساسى . وبالطبع يجب أن نضم اليهم ايضا بعد ذلك كل العمال والفلاحين وغيرهم من الذين استطاعوا من خلال احتكاكهم بالواقع أن يتفتحوا على حركة الصراع الاجتماعي واهدافها وأساليبها فعملوا على التثقف الذاتي وباتوا يمارسون عمليا ونظريا ، الاهتمام المسئول بقضايا ومشاكل مجتمعهم .

حجم المثقفين

والان فلنحاول احتساب القوة الحقيقية للمثقفين النابعين من المصدر الاساسى وهو التعليم المنتظم بمختلف مستوياته ومجالاته . لعل أول جهات رئيسية نلجأ اليها فى عملية الرصد والحساب هى الاربعة عشر نقابة مهنية القائمة فى مجتمعنا . وحسب الاحصاءات الاخيرة عن عضوية هذه النقابات نستطيع أن نخرج بما يلى (٥) :

١	— نقابة الاطباء البشريين	١٤٠٠٠	عضو
٢	— نقابة الاطباء البيطريين	١٦٢٥	عضوا
٣	— نقابة اطباء الاسنان	١٦٥٤	عضوا
٤	— نقابة الصيادلة	٤٠٤٢	عضوا
٥	— نقابة المحامين	٧٠٠٠	عضو
٦	— نقابة المحاسبين	١٥٠٠	عضو
٧	— نقابة المعلمين	١٤٠٠٠٠	عضو
٨	— نقابة الزراعيين	٢٠٠٠٠	عضو
٩	— نقابة المهندسين	٢٢٠٠٠	عضو
١٠	— نقابة العلميين		عضو
١١	— نقابة الصحفيين	١٢٠٠	عضو
١٢	— نقابة الموسيقيين	١٠٦٠	عضو
١٣	— نقابة الممثلين	٩١٤	عضوا
١٤	— نقابة السينمائيين	٤٣٠	عضوا

فيكون المجموع الكلى للمهنيين النقابيين هو ٢١٩٫٤٢٥ عضوا .

ولكن علينا أن نضيف الى هذا المجموع اعدادا اخرى وذلك تأسيسا على الحقائق الآتية : (٦)

● فطبقا للقانون الجديد سوف ينضم الى نقابة الزراعيين ٣٠٫٠٠٠ عضو جديد من خريجى المعاهد الزراعية المتوسطة .

● كذلك يجب أن نحتسب فى قوة المهندسين ١٢٠ الف من خريجى المدارس الصناعية ، ٥ آلاف من خريجى معاهد الفنون .

● ويلاحظ ايضا انه بالنسبة لقوة المحامين يجب احتساب حوالى ٥٠٠٠ من المحامين الذين يعملون بالقطاع العام ، وكذلك ٢٠٠٠ محاسب فى القطاع العام بالنسبة لقوة المحاسبين . وذلك علاوة على حوالى ١٠٠٠ خريج من معاهد الفنون (سينما ومسرح وباليه الخ ..) يطلبون الالتحاق بعضوية النقابات الفنية ، ٣٠٠٠ باحث علمى جديد تقدموا بطلب عضوية نقابة العلميين .
وبهذا يرتفع رقم المهنيين الى ٣٨١٫٤٢٥ مواطنا

اما **الجهة الثانية** التى يجب أن نلجأ اليها لرصد وحساب المثقفين فهى هيئات الدراسة المنتظمة على اختلاف مستوياتها ونعنى بها على وجه التحديد الهيئات الجامعية والمعاهد العليا المختلفة ومراكز التدريب المتخصصة والتعليم الثانوى . فمجموع الدارسين فى هذه الهيئات يشكلون قوة الطلبة فى مجموع المثقفين فى المجتمع وهى قوة تتميز بحركيتها وديناميكيتها .

ووفقا لاحصاءات عام ١٩٦٥ — وهى الاحصاءات الاخيرة المتاحة — (٧) نخرج بالحصيلة التالية :

● عدد الطلاب والطالبات بجامعات القاهرة والاسكندرية وعين شمس وأسيوط والازهر ١٢٩٫٤٦٥ طالبا

● عدد الطلاب والطالبات بالكليات والمعاهد العليا التجارية والزراعية والصناعية والفنون

(٥) المصدر الذى اعتمدنا عليه فى الحصول على هذه الاحصاءات هو قسم النقابات المهنية بالمكتب التنفيذى للاتحاد الاشتراكى بمحافظة القاهرة
(٦) نفس المصدر السابق.

الجميلة والتطبيقية والمعلمين والمعلمات والخدمة الاجتماعية والتربية الرياضية الخ ..
٢٧٫٤١٩ طالبا

● عدد الطلاب والطالبات في مراكز التدريب المهنى المختلفة . ٣٠٢٩ طالبا

● عدد الطلبة والطالبات فى المدارس الثانوية لعامة والفنية على السواء ٢٦٥٫٤٩٨ طـالبا

وبذلك يكون مجمـوع ابناء هذه الجهة من المثقفين هو ٤١١٫٤٢٥ مواطنا

وهناك جهات اخرى يجب احتسابها فى قوة المثقفين . مثل اساتذة الجامعات والمعاهد والادباء والشعراء وضباط الجيش والبوليس وبعض موظفى اجهزة الدولة الاداريين والذين لايتمتعون بعضوية نقابة مهنية . ولما كانت لا تتوافر تحت أيدينا الان الارقام الدقيقة عن اعدادهم فاننا نضع تقديرا اجماليا لعددهم بمالايقل عن ١٥٠٫٠٠٠ مواطن .

اذن نستطيع اليوم أن نحدد قوة المثقفين ، من المنابع الاساسية التقليدية ، تحديدا اقرب مايكون الى الواقع بمجموع هذه الجهات الثلاث معا والذى يبلغ ٩٦٠٫٨٣٦ مواطنا ، اي حوالى المليون مواطن .

وبالتالى فان الوزن الكمى لقوة المثقفين فى مجتمعنا الذى يضم اليوم ٣٠٫١ مليون مواطن هو أقل من ١/٣٠ من مجموع الشعب .

وهذا الـ ١/٣٠ من الشعب هو بالدقة الذى يكون فئة المثقفين التي عناها الميثاق الوطنى عند تحديده للفئات الاجتماعية الخمسة (الفلاحون والعمـال والجنـود والمثقفـون والرأسماليـة الوطنية) التي يتكون منها تحالف قوى الشعب العاملة ، القاعدة الاجتماعية والسياسية للسلطة اليوم فى مجتمعنا الذى يمر بمرحلة الانتقال من التخلف والرأسمالية الى التقدم والاشتراكية .

ولايدخل فى هذا التحديد الاجتماعى والسياسى للمثقفين بالتالى العامل المثقف ، أو الفـلاح المثقف ، لان كلا منهما يظل محسوبا — اجتماعيا وسياسيا — وبصفة عامة وغالبة فى اطار القوة الطبقية للعمال والفلاحين فى التحالف ، أيا كانت اتجاهاته .

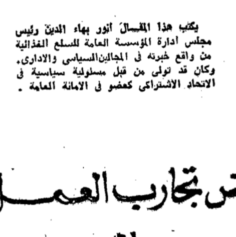
ومن هنا فان دراستنا عن « المثقفين والعمل السياسى » تستند فى الاساس الى عرض وتحليل اتجاهات ومواقف وصراعات قوة هذا الـ ١/٣٠ من مجمـوع الشـعب فى الحركة السـياسية لواقعنا .

وهذا ما نأمل مواصلته فى العدد القادم .

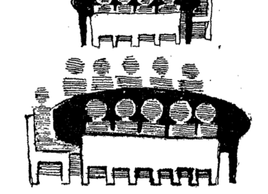


(٧) المصدر : الجهاز المركزى للتعبئة والاحصاء — كتاب الجيب السـنوى للاحصاءات العامة — مارس ١٩٦٥

يكتب هذا المقال أنور بهاء الدين رئيس مجلس ادارة المؤسسة العامة للسلع الغذائية من واقع خبرته فى المجالين السياسى والادارى، وكان قد تولى من قبل مسئولية سياسية فى الاتحاد الاشتراكى كعضو فى الامانة العامة .



بعض تجارب العمل السياسى فى مجالس الإدارة



أنور بهاء الدين

ما من شك فى ان القوة الرئيسية فى عملية البناء الاشتراكى هى العمل الانسانى ، ذلك لانها ، وبوجه خاص فى بلد عاش اجيالا عدة يعانى من التخلف بكل ما يعنيه التخلف من فقر فى الموارد ونقص فى الامكانيات وضعف فى القاعدة الاقتصادية ، تعتبر عملية تحد ضخمة نظرا لما تتطلبه من القيام بمشروعات كبيرة مرتبط بعضها ببعض بحيث اذا تعثر احدها تعثر معه غيره ، وما من سبيل امامنا ازاء ضيق الامكانيات وضخامة المشروعات وحتمية اتمامها فى مواعيد محددة ، لا سبيل امامنا سوى العمل الانسانى الذى يستطيع تحقيق المعجزات بشرط ان يكون عملا منظما ومخططا ومحتفظا بقوته الدافعة التى تضمن استمراره وتدفقه بنشاط وحيوية .

هنا يبرز دور الادارة كالعنصر الحاسم فى تنظيم العمل وتخطيطه وتجميع العاملين فى المشروع بحيث يصبحون ، على الرغم من تعدد تخصصاتهم وتباين ما يقومون به من اعمال ، قوة واحدة صلبة ومتماسكة تقهر كل الصعاب وتتخطى كل العقبات وتجد الحلول لكل المشاكل . ولا يمكن للادارة ان تنجح فى اداء هذا الدور الا اذا كانت على قدر من الوعى السياسى يمكنها من ان تنتقل بالعمل من عمل تنفيذى روتينى تهدره الفردية والبيروقراطية وتمزقه اللوائح والتعقيدات الى عمل جماعى خلاق واع بأنه يحقق للجماهير مجتمعها الذى ثارت من أجله ، مجتمع الكفاية والعدل . ومن هنا لابد وان ينصهر العمل الادارى والعمل السياسى فى بوتقة واحدة ليصبحا عنصرا واحدا .

وفى السنوات القليلة الماضية تمكن العمل الانسانى فى بلادنا من ان ينجز بنجاح اكثر من مشروع ضخم وهام يتصل اتصالا وثيقا بعملية البناء الاشتراكى ، ولعل ابرز مشروع هو :

مشروع تهجير اهالي بلاد النوبة

فى عام ١٩٦٠ اجتمع الرئيس عبد الناصر ، اثناء زيارته لجنوب الوادى ، باهالى بلاد النوبة ووعدهم باقامة مجتمع جديد لهم فى أى مكان يختارونه ، مجتمع يوفر لهم حياة كريمة ومستقرة يعوضهم عن السنين الطويلة التى عاشوها على هامش الحياة فى اقصى الجنوب ، وعلى ان تتم هجرتهم فى يسر وبنظام . وكان لابد بطبيعة الحال ان تتم الهجرة فى موعد يسمح بأن لا يتعطل العمل فى بناء السد العالى ، بمعنى انه كان هناك ارتباط زمنى هام بين سير العمل فى السد وبين تنفيذ عملية الهجرة . وبالاضافة الى هذا كان المشروع فى نفس الوقت تجربة رائدة بالنسبة الينا من حيث تطوير القرى على نطاق ريفنا كله . لقد كان المشروع ، كما عبرت عنه بحق صحافة العالم اذ ذاك ، اكبر عملية تهجير منظمة فى العصر الحديث .

ولكن ماذا كان يعني المشروع من حيث التنفيذ ، من حيث المهام المطلوب القيام بها ؟ كان يعنى :

● بناء ١٦١٠٥ مسكنا موزعة على ٣٣ قرية بما فيها مركز نصر الادارى .

● انشاء ٢٤ مدرسة لمختلف المستويات وخمسة مساجد وعشرون زاوية ومضيفة ، ٣٠ سوقا يضم دكاكين لمختلف السلع ، ٣٠ مخبزا حديثا وساحات شعبية وميادين رياضية ومراكز اجتماعية وتسعة وحدات صحية ومستشفى مركزى وتسعة عمارات سكنية للعاملين ومركز نصر واربع نقط للشرطة ومحكمة ومقار للتنظيم الشعبى .

● استصلاح ٢٦٠٠٠ فدان للتمليك بحد ادنى فدانين وحد أقصى ٥ افدنة للاسرة الواحدة واستزراعها .

● تهجير ٦٠ الف مواطن مع عمل المسح الاسرى والصحي وصرف التعويضات واعداد وسائل النقل اللازمة على طول ضفتى النيل جنوب أسوان لمسافة ٣٥٠ كم .

وبدا التنفيذ فى اواخر ١٩٦١ ، ولكن فى شهر سبتمبر ١٩٦٣ لم يكن قد تم سوى بناء ٥٠٠ مسكن بقرية دابود ، وكان لابد ان يتم المشروع فى ثلاثمائة يوم ، أى انه كان لابد مثلا من ان يبنى مسكن كل نصف ساعة ! . . وبدات الدراسة الجادة المنظمة للاحتياجات وكانت النتيجة انه لابد من توفير ما يلى :

● ٦ مليون م ٣ حجر ورمل وزلط الامر الذى يتطلب فتح اكثر من ١٥ محجرا .

● ٥٠ مليون طوبة اسمنتية .

● ٥٠٠,٠٠٠ طن اسمنت من الممكن تخفيضها الى ٣٥٠,٠٠٠ طن اذا امكن توفير بدلها جيرا .

● ١٠٠,٠٠٠ طن حديد تسليح .

● ١٥٠,٠٠٠ قطعة نجارة معالجة كيمائيا ضد الحشرات والنمل الابيض .

● ٣٠,٠٠٠ عامل وفنى مع توفير وسائل ايوائهم ومعيشتهم .

● ٣٥٠ لوريا ، ١٠٠ جرار بالمقطورة ، ١٥٠ قطعة ميكانيكية لاستصلاح الاراضى .

● ٥٥ ماكينة انارة . (ثلاث ورديات عمل) .

● ٦٠ ماكينة وطلمبة مياه وانشاء ثلاثة خزانات للمياه بمناطق السلسلة والعباسة ونصر

● انشاء طريق طوله ٦٠ كم على قوس نصف دائرة انشئت عليه القرى وانشاء ١٠ كم طرق من هذا الطريق الدائرى الى داخل المحاجر لخدمة نقل الحجر والرمل والزلط .

● انشاء رصيف على محطة سكة حديد السلسلة بحرى كوم امبو ١٠ كم لخدمة تفريغ المشحونات للامداد .

● انشاء مصنع للجير لادخاله فى المونة لتخفيض كميات الاسمنت المطلوبة من القاهرة والتى تبعد ٨٠٠ كم عن مناطق العمل بالجنوب .

ثمانى عشرة شركة أم شركة واحدة ؟

كان يشترك فى تنفيذ المشروع ثمانى عشرة شركة ، ١٢ شركة تشييد ، وشركتان للتعدين ، وشركة للحراريات ، وشركة لاستصلاح الاراضى ، وشركتان للنقل . وذلك بخلاف الهيئة التنفيذية للمشروع والتى كانت تضم ممثلين للاسكان والمرافق والشئون الاجتماعية والتموين والنقل والمواصلات والزراعة والتعليم والشرطة والقوات المسلحة .

وكانت القضية الهامة هى كيف يمكن لثمانى عشرة شركة ان تعمل فى نفس الوقت فى نفس المشروع ؟ صحيح ان كل شركة مكلفة بعمل معين ومرتبطة بتنفيذه فى وقت معين ، ولكن هذا وحده لا يكفى ضمانا لارتباط الاعمال المختلفة التى تقوم بها هذه الشركات بحيث تسهم جميعها فى تحقيق عمل هو فى النهاية عمل واحد وان تشعبت منه مئات الاعمال واعنى به بناء النوبة الجديدة واستصلاح اراضيها .. ان الحصول على الحجر

مثلا يتطلب كما سبق ان ذكرنا فتح اكثر من ١٥ محجرا .. ولكنه يتطلب ايضا نقله الى اماكن التشييد ، والنقل لا يحتاج فقط الى وسائل نقل بل ايضا الى طرق ولابد من انشاء الطرق .. وهكذا تتداخل جميع الاعمال وتتشابك .. ويزيد الامر تعقيدا اختلاف الامكانيات والقدرات من شركة الى اخرى ، فقد تشكو شركة من نقص في الالات وزيادة في العمالة ، بينما الاخرى تتوافر لديها الالات وتنقصها العمالة المناسبة بينما شركة ثالثة يتوافر لديها العنصران ، فهل تترك كل شركة وشأنها ؟

لم يكن هناك من حل سوى ان تعمل هذه الشركات ، كلما اقتضت الظروف ، كما لو كانت شركة واحدة ، وان تهدم الحواجز بين بعضها البعض ، فاتبعنا ما اسميناه «المناورة بالاحتياجات والامكانيات » وهو يعني انتقال الاحتياجات والامكانيات من شركة الى اخرى دون عوائق من روتين او لوائح ، وان تنتقل المنافسة من الطابع الفردي الى الطابع الجماعي لتصبح منافسة على التعاون والعمل المشترك .. ولم يكن الجبر او الاكراه هو الطريق بل النقاش الحر بين المسئولين عن العمل في هذه الشركات تم اقتناع العاملين بهما ..... وكان التركيز على نقطتين :

الاولى هي شرح اغراض المشروع واهميته وارتباطه بمشروع السد العالي ، وبيان ان تأخير التنفيذ سيجعل الدولة امام امر من امرين كلاهما مر ، فاما ان تتأجل المرحلة الاولى لبناء السد ، وهنا كان لابد من ابراز الضرر الذي سيعود على البلاد من هذا التأجيل . وهذا بدوره ينقل عملية التوعية الى شرح مزايا السد واثارة حماس العاملين حوله ، واما ان تتم عملية التهجير بأي شكل من الاشكال وبطريقة غير منظمة والى اماكن غير معدة اصلا لهذا الغرض كالمدارس والمستشفيات وهو امر لا يجوز ان نقبله لانه في واقع الامر يعني اننا نتسبب في تشريد ٦٠ الفا من اشقائنا المواطنين .. ثم ماذا نقول لرئيسنا ناحية اخرى لم يقتطع جزء من وقت راحة الذي وقائدنا الذي وعد هؤلاء الاشقاء بمجتمع جديد مستقر وبهجرة منظمة كريمة ؟

والثانية هي انه عند تقييم المشروع لن تقيم كل شركة على حدة فيقال نجحت هذه وفشلت تلك بل سيحكم علينا جميعا كقوة واحدة فاما ننجح جميعا او نفشل جميعا

وكانت التوعية تتم اثناء العمل وفي مواقعه فلم يكن الوقت يسمح بتخصيص اى جانب منه لعمل سياسي مستقل ، حتى وقت الراحة كان لابد وان ينفقه العامل في الراحة فعلا لكثرة ما يبذله من جهد اثناء العمل ولانه ايضا وقت محدود ، والواقع ان التوعية اثناء العمل نجحت نجاحا لم تكن لتحققه لو ان وقتا محددا كان خصص لها فمن ناحية لم يشعر العامل بانها عملية مفتعلة ومن كان في أشد الحاجة اليه ومن ناحية ثالثة خلقت هذه العملية جوا من الالفة بين الرؤساء والمرءوسين وبين الفنيين وغير الفنيين لان الاعتماد اساسا كان على العناصر الواعية من الرؤساء والفنيين حتى تم ربط العاملين على وحدة فكر اساسها الايمان بضرورة تنفيذ المشروع حبا في بلادهم ومواطنيهم واسهاما في رفع مستوى الجماهير واصبح التصميم على تحدى الزمن والظروف شعارا تولد عنه العناد المصرى الذى لا يقهر .. هنا ايقن الجميع ان المشروع سيتم تنفيذه في الوقت المحدد ».

معركة الاسمنت

واثناء حساب الاحتياجات وسير العمل في نفس الوقت وجدنا اننا سنواجه بموقف سيؤدي الى اختناق كامل في المشروع وهو موقف الامداد بالاسمنت من القاهرة الى كوم امبو لمسافة ٨٠٠ كم وكانت الدراسات السابقة والجهود المبذولة ومعاونة كافة الجهات قد رفعت طاقة الامداد اليومي الى ٣٠٠ طن اسمنت ومعنى ذلك اننا لا نحصل في نهاية ٣٠٠ يوم الا على ٩٠ الف طن من ٣٥٠,٠٠٠ طن مطلوبة بالموقع اى انه مطلوب وصول ١٢٠٠ طن يومي في الوقت الذي تقوم فيه السكك الحديدية بنقل مثل هذه الكمية يوميا الى السد العالي ، وكانت دراسة وتفكير بعمق لجميع وسائل النقل استغرقت عشر ساعات متصلة ومضت في نهايتها فكرة استخدام عربات خام الحديد في عودتها فارغة من القاهرة الى اسوان وكانت تتسع لنقل الف طن يوميا ، اما المئتان الباقية فيمكن نقلهما عن طريق النيل . وكانت الصعوبة انه لا يمكن تحديد مواعيد وصول هذه العربات وان وصولها ليلا اكثر من وصولها نهارا وان تفريغها لا يمكن ان يتم الا في محطة السلسلة وهي تبعد عن الموقع الاساسي للعمل بحوالي عشرة كيلو مترات .. كا نلابد اذن من ان تتفرغ لهذه العملية مجموعة من العاملين تعيش في هذه المنطقة وتكون مستعدة للعمل في اى وقت ..... ولم نجد صعوبة اذ كان العمل السياسي قد اثمر ثمراته .

ونجحت معركة الاسمنت التي لو تعطلت يوما لاثرت في الخطة وكان للتعاون بل وتنظيم هذا التعاون يوميا لادارة معركة اخرى وهي معركة التحجير والنقل الاثر الحاسم في تنفيذ المشروع بنجاح ».

من رى الحياض الى الرى الدائم

وبنفس الاسلوب تم تحويل مساحة ٣٥٠٫٠٠٠ فدان من الرى الحوضى الى الرى الدائم بمحافظات اسيوط وسوهاج وقنا ، لقد بدأ هذا المشروع عام ١٩٦١ وكان مخططا له فى وزارة الرى ان يتم فى اربع سنوات ويشمل :

● عمليات حفر ٩٠ مليون م ٣ وانشاء ترعتى الناصر الغربية والشرقية .

● اعمال صناعية ٢٥٠٠ عمل صناعى من قناطر حجر وبوابات وسحارات ومنها سحارة طما اكبر سحارة فى الوجه القبلى بطول ١٧٠ م تحت السكة الحديد وترعة الناصر الغربية حتى النيل واستخدم فى انشائها ٦٠٫٠٠٠م٣ خرسانة عادية ، ٤٠٫٠٠٠م٣ خرسانة مسلحة .

وفى اول شهر يوليو سنة ١٩٦٤ وبعد دراسة لثلاثة ايام على الطبيعة اتضحت حقيقتان :

الاولى هى ان تأخير تنفيذ المشروع عن ١٥ سبتمبر سنة ١٩٦٤ يؤدى الى خسارة حتمية تصل الى ٢٠ مليون جنيه .

والثانية هى ان كمية الاعمال المطلوب انجازها فى ٧٥ يوما هى ١٥ مليون م٣ حفر ، ١٥٠٠ عمل صناعى بالاضافة الى قنطرة سوهاج على الناصر الغربية وسحارة طما .

وبنفس آلات الحفر ولكن باثارة حماس العاملين وتوفير وسائل المعيشة لهم ، والعمل ثلاث ورديات تفجر العمل الانسانى المصرى مرة اخرى وتدفقت مياه النيل فى ترعة الناصر الغربية صباح يوم ١٥ سبتمبر سنة ١٩٦٤ من فتحات توزيع المياه بسوهاج وكانت بداية تاريخ جديد تخطه يد الثورة بتحويل الصعيد الى الرى الدائم وتحويل ٣٥٠٫٠٠٠ فدان الى زراعات متعددة فى السنة بدلا من زراعة واحدة سنويا مما يضيف للدخل القومى فى هذا القطاع دخلا لا يقل عن ٥ مليون جنيه سنوى .

مشروع مجارى القاهرة الكبرى

كانت القاهرة تعيش على مشروع للمجارى تم منذ ٥٠ سنة واضيفت اليه طاقة فى الثلاثينيات لمواجهة تعداد سكانى يبلغ المليون فكيف يكون الحال فى ١٩٨٠ عندما يصل عدد سكان القاهرة الى ثمانية ملايين ؟ وكان الحل :

● تنفيذ مشروع مجارى شمال القاهرة .

● تنفيذ مشروع مجارى وسط القاهرة جاردن سيتى والقصر العينى والسيدة زينب الى مشروع غرب النيل وناهيا .

● مشروعات فرعية لتحسين شبكة المجارى التى لم يكن قد طرأ عليها تحسين بلغت فى مجموعها ١٠٦ مشروعا .

● اعادة تجديد شبكة ضغط الهواء .

● اقامة مجمعات للمجارى وهى تشبه الانفاق تحت الارض (وقد كان الكيلو متر ينفذ فى الماضى فى سنة فنفذت ٨ كم فى ١٠٠ يوم بالعمل ثلاث ورديات واستخدام معامل ميكانيكا التربة فى فحص التربة وتقرير انسب الطرق للتنفيذ وشفط المياه الجوفية) وربطها بالمجمعات القديمة . وقد تطلب هذا الامر استخدام قوات الضفادع البشرية من الشرطة النهرية كما ان القوات المسلحة اسهمت فى اقامة الكبارى المتنقلة على جميع اعمال الحفر لاستمرار حركة المرور والتعليات بدون عوائق .

ماسورة السيدة زينب

من الاعمال البطولية والتى تدل على الوحدة المتكاملة بين العاملين ، وضع اضخم ماسورة للمجارى تحت مترو حلوان عند السيدة زينب .

لقد عرضت هيئة السكك الحديدية خطتها ليتم العمل فى ١٤ يوما وعرضنا نحن مع شركة المقاولين العرب ان تتم العملية فى ٢٤ ساعة من الساعة ١٢ منتصف ليلة الخميس الى الساعة ١٢ منتصف ليلة الجمعة / السبت وبدأ الاستعداد فى تشوين كافة المواد والات الحفر والاوناش وطلمبات شفط المياه وماكينات الانارة والتوصيلات ، وبدأ التدريب على التنفيذ قبل البدء فيه لمدة اسبوع بحيث عرف كل فرد عمله وواجبه اثناء العملية وهنا ظهر ضرورة الاتصال بالاهالى القاطنين بالمنطقة وكان ذلك سهلا ميسرا حيث انه للمرة الاولى فى مشروع المائة يوم تم تشكيل اللجان المشتركة بين الجهاز الشعبى ممثلا فى اعضاء مجلس الامة وممثلى لجان الاتحاد الاشتراكى والجهاز التنفيذى لمرفق مجارى القاهرة والجيزة وتم تنظيم اجتماعات دورية اسبوعية واجتماع كل ١٥ يوما على مستوى امانة القاهرة والجيزة واللجنة الدائمة للمشروع وكانت لقاءات مثمرة حيث يتم عرض الخطط وخطوات التنفيذ ونتائج المتابعة الميدانية وقامت هذه اللجان بمهمة الدعاية مما دعم الوعى الادارى لدى الجماهير الشعبية ، وكان عدد العاملين فى المشروع التابعين للجهاز التنفيذى وشركات المقاولات ١٤٫٠٠٠ ولكن لم يكن هؤلاء كل العاملين فقد انضمت اليهم الجماهير من مختلف الفئات .

● ربات البيوت — طلبة المدارس — اجهزة الاعلام — الكل عاش المشكلة وعاش حلها مشتركا بنشاط وافر فى العمل البناء .



الديمقراطية والعمل السياسي وعلاقتها بالعمل الانتاجى ، وتفاعلها داخل وحدات الانتاج ومجالاته ، قضية تطرح نفسها للمناقشة المستمرة ، بهدف ان توجد لها صيغة من التزاوج تأتى ثمارها المرجوة . هذه القضية تطرح نفسها فى اجتماعات الاتحاد الإشتراكى والجماعات القيادية فى الوحدات، كما تتناولها الاقلام فى الصحافة ، وكانت من اهم نقط النقاش حين التقى رئيس الجمهورية مع قيادات قطاعات الانتاج ».

الديمقراطية والعمل السياسى واقع قائم

ليس من شك ان بلادنا تعيش اليوم حياة ديمقراطية بالمعنى الواسع العريض . واذا كان التعبير الرئيسى عن الديمقراطية ينعكس فى مدى تمتع الافراد بحرية الكلمة ، فانه يوجد امام اى مصرى اكثر من فرصة ليقول وينادى بما يريد . ومنذ طرحت الدولة الميثاق للمناقشة الواسعة ، ثم

اجتمع فى حرية لاقراره ٤٠٠٠ من ممثلى الشعب، ومنذ الحملة الواسعة حول انتخاب رئيس الجمهورية ، صارت القاعدة فى حياتنا هى التلاقى الحر حول كافة المشاكل والاراء .

واحست بالديمقراطيةوتمارسها فئات وطبقات حرمت منها عشرات السنين بل مئاتها ، الفلاح الاجير يشترك فىتوجيه الجمعية التعاونيةوينتخب لها الممثلين وامامه الفرصة ان يظهر فى مجلس القرية ، ويناقش مندوبى الزراعة والادارة فى الندوات المتتالية .والعامل ينتخب ممثليه فى مجالس الادارة والنقابة والتنظيمات السياسية بكل حرية ودون تدخل ، ويلتقى مع المسئولين فى ندوات تتصارع فيها الافكار وتتقابل الاراء .

هذا واقع نعيشه اليوم ، وتدعمه اجهزة الاعلام فى مناقشة المسئولين امام الجمهور بصورة مباشرة وتلقائية ،وتلعب دورها الاساسى فيه وحدات الاتحاد الاشتراكى ، وتفرد الصحافة من مساحاتها الكثير له . ومع كل ما يمكن ان يؤخذ على ما يقال ويذكر ، الا ان المعنى الاكيد لحرية الرأى هذه قد دعمه ان يرفض رئيس الجمهورية رفضا قاطعا اى وصاية على ما يكتب فى الصحف ، ونمارسه ايمانا به الى حد انتتاهب كل الجهات اليوم لمناقشة خطةالانجاز على مافيها من عمق ودراسات قد تعلو عن مستوى الكثيرين.

والعمل السياسى بدوره حقق فى العامين الاخيرين ما لم يحققه فى عشرات السنين قبلها . فالاتحاد الاشتراكى يحمل بنشاط كبير عبء نشر الوعى السياسى بكل صورة ممكنة .. هناك منظمة الشباب ومعسكراتها بالمراحل المختلفة ، ومعسكرات التدريب السياسى على مستوى المكاتب التنفيذية للاقسام ، والمحافظات ، وعلى المستوى القومى العام ، ثم فيما بعد ذلك على مستوى وحدات الانتاج بانتشارها الواسع العريض وفى ندوات يومية واسبوعية . لقد اتسعت قاعدةنشر الوعى السياسى حتى شملت اقصى النجوع فى اعمق اعماق الريف .

الديمقراطية والعمل السياسى كلاهما وسيلة

والديمقراطية والعمل السياسى ، كلاهما وسيلة وليس غاية فى حد ذاتها ، فكما تبلور فى مفهومنا ان الاستقلال يصبح خواء وكلمة جوفاء ان لم ينعكس على حياة الجماهير ، وان لم يتعد مضمون « الراية » الى مضمون التقدم الاقتصادى والاجتماعى ، فكذلك الديمقراطية ان بقيت عند المفهوم المسطح فى حدود ممارستها بمجرد الحديث ،ومصارعة الافكار دون ان تنعكس بمضمون محدد فى داخل العملية الانتاجية تصبح تفلسفا نحن فى غنى عنه مادام يزيد عن حده ، ويصبح سفسطة لا انعكاس لها فى هذه الناحية التى تحكمها ارقام وكميات وامتار واطنان هى الاساس الوحيد لتحقيق مضمون الاشتراكية المعبر والبسيط « بيت سعيد لكل اسرة » .

ان يكون لنا حرية القول والحديث امر جميل يجعل للحياة عبيرا طيبا ، ولكن العمل السياسى الناجح هو الذى يدرك ان الديمقراطية ليست فى اطلاق المناقشات والاجتماعات على الغارب حتى لقد وصل الى تعطيل وقت المنتجين فى شرح ورد على استفسارات ، بل فى ان ينعكس هذا فى نهايته الى واجبات محددة اثناء ممارسة عملية الانتاج بكمياته ونوعيته .والعمل الناجح هو الذى يركب منبر الديمقراطية ليحقق تزاوجا بين الجانبين ،مناقشات توضح الرؤية وتحدد الاهداف ثم دفع للانتاج وتجنيد للجماهير فى اتجاهه ،وتقريب مفاهيم العمل ودقائقه وما غلق على الفهم .وتدريب القاعدة عليه ليتيسر ممارستها له .

فالديمقراطية والعمل السياسى فى مواقع الانتاج ليست احداهما غاية ، ولكن كلاهما وسيلة لطفرة الانتاج وتقدمه ، وبدون هذا المضمون ، وبدون ان يتحقق يتحول كلاهما — برغم العبير الطيب الذى ينشره — الى تفلسف وسفسطة لا يتسع لها المجال .

ولكن ماذا يجب أن تكون عليه اهداف العمل السياسى فى وحدات الانتاج ، وفى اى اتجاه يجب عليه ان يتحرك .

وللاجابة على هذا السؤال يجب ان نؤكد ان العمل السياسى فى اى وحدة ليس شيئا منعزلا فى ذاته ولكنه يجب ان ينبع من حركة المجتمع ذاته ، ويجب ان يرتبط عضويا باهداف الدولة، وان يكون جزءا لا يتجزأ منها .

ويقوم اعضاء التنظيمات السياسية بجهد وافر فى عقد الندوات والقاء المحاضرات وقيادة المناقشات، يشرحون فيها الميثاق ،واسس النظام الاشتراكى، وغيرها من المواضيع .

وذلك كله جميل ومفيد ، ولكنه قد يأتى يوم يصبح فيه تكرارا لما قيل . وهو كذلك يجمد الفكر عند حدود دائرة المحاضرات التى تلقاها المناضل السياسى او سمعها الصديق السياسى الذى نكسبه .

والعمل السياسى فى وحدات الانتاج يجب ان ينعكس فى النهاية الى حقائق انتاجية يجب ان يستمد منها وقودا يدفع العاملين الى انتاج اكثر او اجود .

وربما كان خيرا قبل ان نضع نظريات وخطوطا عامة للموضوع ان ابرد بعض امثلة للممارسة السياسية للعمل اليومي فربما كانت هذه اكثر ايضاحا واقوى اثرا في تحديد مفهومي لها .

مثال لحل انتخابي وحل سياسي

في عاصمة احدى المحافظات وابوران للطحين يعملان بشكل متواصل ويوفران الطحين للعاصمة بالاضافة الى دعم احتياجات مركزين من مراكز المحافظة نسميهما ا ، ب . وفجأة تعطل احد الوابورين وبالكاد استطاع الثاني أن يوفي احتياجات تلك العاصمة . وصدرت الاوامر الى وابور كبير نسبيا في مركز ثالث (جـ) من مراكز المحافظة أن يمد ا ، ب بقدر من احتياجاتهما .

ولما كانت طاقة هذا الوابور اضعف من ان تقوم بكل هذا الواجب ، وكان من غير الممكن أن تترك ا ، ب بدون دقيق على الاطلاق مما استوجب أن تنضغط الكميات المرسلة لهما ، فقد حدث عجز في المركز (جـ) .

واحس المكتب التنفيذي في المركز بالازمة ، وسمع فوقها من يقول كيف نرى الدقيق يحمل أمام اعيننا الى مراكز اخرى ولا نجد هنا الخبز . وانبرى المكتب في تلقائية وسرعة ليتصل بالمسئولين يشكو من هذا الوضع ، ويطلب ايقاف شحن الدقيق . وتحمس عضو ليقول ان هذا لايمكن ان يكون ، وانه سيصل بالطلب الى اعلى المستويات ، ولابد ان يوقف غدا شحن الدقيق ، لقد كادت الجماهير ان تأكل وجهه .

وتلاقى البعض في اجتماع ، وكان احدهم قد سمع لسانا رجعيا يقول الا ترون الان كيف كان الحال وقت ان كانت امريكا راضية عنا وطلب الا يوقف شحن الدقيق بل ان يستمر . انه لو حدث عجز في المركزين ا ، ب فكأننا نحن الذين نساعد على نشر هذه الدعوة الرجعية ونخدم الاستعمار بها ايما خدمة . وانبرى له البعض وكيف نفعل امام جماهيرنا فرد عليهم نقابلهم بالواقع والصراحة . . نشرح لهم المشكلة انه لاعجز هناك في القمح ، ولكنها مشكلة الوابور المعطل . ونطلب من مكتب تنفيذي العاصمة ان يجند كل قوته السياسية وراء ان تستمر عملية الاصلاح اربعا وعشرين ساعة وان يجند لها كل الشباب وكل قوة فنية تريد . ومن ناحيتنا يجب الا نقتصر على الوابور الوحيد لدينا حتى لا يعطل هو الاخر عن قريب . يجب ان نستغل كل ماكينات الطحين الصغيرة المنتشرة في كل اجزاء المركز . انها لا تحتوى على امكانيات لغسيل القمح قبل طحنه . ولكن فليحل ذلك بجهود اعضاء منظمة الشباب في ابسط صورة حتى لا يتعطل العمل .

وانتهت الازمة وتم لقاء من أجل تركيز محصول الخبره من هذه الواقعة ، وتحدث صاحبنا هذا ليشرح كيف ان اتجاه الشكوى الاول كان حلا انتخابيا يحفظ ماء الوجه امام الجماهير ، ويتيح التفاخر بأنه قد بذلنا جهدا في حل الازمة . ولكن الثاني حل سياسي نبع من ادراك للموقف لا على مستوى الواقع المحدود ، ولكن على المستوى السياسي الشامل والذى لا ينسى مشاكل الجزء ولكن يراها في اطار مشاكل الدولة ووضع الاستعمار وضرورة تنمية القدرة على مقابلة الصعاب مقابلة جماعية .

وكان قرار بعدها ان على المكتب ان يحصر كل الامكانيات الانتاجية والقوى المتاحة حوله ليتيسر له مقابلة الحوادث في وضوح ويسر .

مثال لحل ايجابي انتاجي

حدثني امين مكتب تنفيذي فقال انه سئم كثرة حديثه للناس عن ارتفاع عبء الخدمات وضرورة ان ينمو الانتاج دون ان يستطيع اقتراح امر محدد ليرفع به الانتاج في منطقته . وظل على قلقه حتى قابلته بعد فترة فوجدته وقد طفح البشر على وجهه يهلل ان قد وجدتها . ابلغني انه في احدى جولاته وجد مساحة من الارض تبلغ العشرين فدانا وقد تحولت الى برك اثر حفرها لانشاء جسر عال مجاور لقطار الدلتا فيما مضى . وراح قطار الدلتا ولكن بقى الجسر وبقيت البرك . وانه لهذا قد وضع مشروعا يستغل فيه امكانيات اعضاء منظمة الشباب وطاقات معينة بشرية وآلية معطلة جزئيا في مصنع مجاور ليقيم معسكرا دائما للعمل يزيل به الجسر ويردم البرك ويحولها الى ارض تزرع ، وفي النهاية يحقق اكثر من هدف . ان يخرج كل عضو من هذا المعسكر وقد تفتحت عينه ليبحث في قريته عن كل قطعة ارض متروكة ، والا تقف طاقة انتاجية عاطلة عن العمل وفي النهاية ان يحولها الى حديقة للموالح يخصص انتاجها لخدمة المنطقة .

وأمثلة أخرى

ومناضل آخر هداه الفكر الى انه توجد بقريته ومجموعات القرى من حوله آلات زراعية عديدة ، وتديرها ايدى الفلاحين من اهله عن غير خبرة كبيرة مما يؤثر على كفاءتها وقدرتها ، ويعرضها

للعطل ، ورأى فيها ثروة قومية يجب ان تصان ، وان يحافظ عليها باقصى ما يستطيع . وانطلق الى المدينة المجاورة حيث يوجد مصنع وبه عدد من المهندسين والصناع المهرة . وكان حديث ونقاش انتهى منه بأن يجندهم لينتشروا فى قرية بعد اخرى ينشرون الوعى بادارة الالات وصيانتها ووسائل رفع كفايتها واطالة اعمارها .

وفى احدى المصانع تنتج سلعة معينة للتصدير . وحتى يحافظ المصنع على سوقه وحتى يكسبه ازاء منافسة شديدة اضطر ان يهتم بالنوع اهتماما كبيرا لدرجة ان ما يصدر ظل يمثل ٥٠٪ من الانتاج المتاح . ورأى احد المناضلين ان هذه النسبة الباقية ستظل معطلة سنوات اذ انها مما لا يقبل بسهولة فى السوق المحلى . وهنا تحدث الى مجموعة من زملائه : ان واجبهم ان يرتفع النوع حتى لا يحتجز من التصدير كل هذا القدر . واعملوا فكرهم سويا حتى وصلوا الى تغيير فى أسلوب العمل رفع الصالح الى ٧٥٪ والباقى ابتكروا له تعديلا جعله اكثر قبولا حيث **صدرت البضائع الاولى** .

تلك واخرى أمثلة نعتبرها ناجحة تستحق التحية والاكبار وتستحق فوق ذلك ان تكون أمثلة تحتذى فى جميع المجالات .

وهى نماذج على مايمكن ان تكون عليه اتجاهات العمل السياسى فى وحدات الانتاج . ذلك مايمكن ان نركز الضوء فى شأنه على ما يلى :

الحلول الذاتية

ان الظروف التى يعبرها مجتمعنا فى معاركه مع الاستعمار والرجعية وآمالنا فى حياة افضل ، تستلزم ان نقيم المجتمع القوى ماديا ، المدعم اقتصاديا ، والقادر على التصدى لهذه المهام .

وليس من سبيل الى هذا الا ان يزيد انتاجنا كما حتى نستغنى به عن كل ما يمكن الا نستورده ، وان تنخفض تكلفته حتى نستطيع ان ننافس فى التصدير ، وأن يرتقى نوعا ضمانا لاستمرار القدرة على المنافسة .

انه يصبح واجبا سياسيا على اكبر درجة من الخطورة ان تعى الجماهير فى مواقع الانتاج ان كل قطعة غيار يتم الاستغناء عن استيرادها هى مسمار فى نعش الاستعمار ، وان كل وحدة منتجة محليا تصدر هى خطوة فى طريق النصر ، وان كل مشروع يتام او آلة تصمم هى طوبة فى بناء « بيت سعيد لكل اسرة » وانه كلما قام الموقع المعين بحل مشكلة من مشكلاته ورفع عبئها عن كاهل الدولة ، كلما استطاعت ان تتفرغ لما هو اهم واكثر استعمالا .

الابتكار والتجديد

ليس يكفى ان ندير ماتحت ايدينا من طاقات بكفاءة . وليس يكفى ان تظل آلاتنا تعمل طول الوقت . فالمجتمع العالمى يتقدم خطوات كل يوم . والثورة التكنولوجية تدفع طاقات الدول المتقدمة صناعيا خطوات وخطوات كل يوم حتى انه قد لا تمضى بضع سنوات دون ان تقف طاقاتنا ازاءها موقف الاقزام ، ودون ان يؤثر هذا كل التأثير على قدراتنا فى التصدير ، اذا لم نبادر الى اتخاذ الخطوات الكفيلة بملاحقة ركب التقدم بمعدلات عالية تسمح بالتغلب على عملية النمو غير المتكافىء .

انه لا تنقصنا فى العديد من نشاطاتنا القدرات على الابتكار والتجديد ، ولا المختصين الذين يستطيعون ان يضيفوا كل يوم جديدا .

ولكن مشكلة العمل السياسى فى مواقع الانتاج اليوم ان يجذب الجماهير ، لتحقيق خطوتين متتاليتين . **الاولى** ان يؤدى العاملون عملهم عن محبة له ... عن ايمان عميق بانه السبيل الوحيد للبيت السعيد . **والثانية** ان يعملوا الفكر مع السواعد فى ان يرتقوا به كل يوم ، وان يتطوروا بكفاءاته فى الكم والنوع . وان يبتكروا فيه كل حين وآخر جديدا .

دعم الفكر الثورى المتقدم

وبالتالى اجتثاث جذور الفكر الرجعى المتخلف . لقد عاش مجتمعنا سنين طويلة يحارب الاقطاع والاستعمار والراسمالية . وتركز الجماهير دورها فى نقد القائم ، ولا تتحرك نحو ايجابيات معينة الا واحدة هى هدم النظام الجاثم على صدورها . لقد رسخ فى نفوس الكثيرين منذ تلك العصور ان ننتقد فحسب ، وان نطلق النكات وان نقف الموقف السلبى من المشاكل . لقد عاشت الحركة السياسية تاريخا طويلا ودورها الاساسى ان تطالب فحسب .

ولقد ترسبت قيم مثل تلك التى يرددها البعض ان « احيينى النهاردة » واخرى مثل تلك التى يعبر عنها موقف جحا من .. الحريق فى حارته ولكنه بعيد عن بيته . وانمت الرأسمالية الاتجاهات الفردية والذاتية .

ولم يعد هدف العمل السياسى اليوم هدم نظام ، بل اقامة آخر جديد ، واقامته عملية

تحكمها الحقائق لا الاقوال . ولم يعد ازاحة او تصفية طبقة ، بل صار تذويبا للطبقات . ولم يعد طرد مستعمر ابقاء على الثروة القومية بل دفع وتنمية فعلية لهذه الثروة .

وأى قصور فى العمل السياسى عن هذا انما هو فكر متخلف ، واستمرار لاساليب مجتمع قد زال .

الانعزال عن الجماهير ، والاكتفاء بالقاء الشعارات ، امر يماثل تماما هؤلاء الذين كانوا من داخل القصور ينادون « الاستقلال التام او الموت الزؤام » .

ضعف الايمان بقدراتنا الذاتية على خوض معركة الانتاج ، ومركب النقص ازاء كل ما هو اجنبى ، واللجوء الى « الخواجة » فى كل صغيرة وكبيرة . وعدم دفع القدرات الشابة الى الانطلاق . وايقاف عجلة التطور خوفا من المسئوليه ، والنقص فى الاندفاع بصورة ثورية ، وتأجيل الحلول بمختلف المعاذير والارتجال دون التخطيط ، والمركزية فى أمور العمل اليومية . .

واخيرا انعزال النظرة واقتصارها على جزء دون الكل مثل ان تربح شركتنا او فلترتفع اسعارنا وليكن ما يكون .

كل هذه مظاهر لفكر رجعى متخلف لا يتفق مع مجتمع يرجو ان يتطور وينمو .. تلك المظاهر كثيرا ما نقابلها فى وحدات الانتاج ، وعلى العمل السياسى دور كبير فى ان يحاربها وان يخلص جماهيره منها ليتحقق انطلاق متكامل فى المجتمع .

والرقابة الذاتية

ولسنا نعنى هنا ان نخلق من العمل السياسى جهازا جديدا للرقابة ، فنجاح العمل السياسى ليس فى أن يرهبه الناس ، بل فى ان يحبوه وان يستشعروا فى كنفه الدفء . كما انه ليس المقصود به مراقبة الادارة بل على العكس فقد يكون من واجبه ان يحميها من كل ما يعطلها او يصرفها عن اداء دورها كقيادة مسئولة عن الانتاج .

ولكنا نعنى بها ان على العمل السياسى حتى يحقق نجاحا كاملا ان يرسم لنفسه خطة فى العمل ، وان يحدد له اهدافا فى الانتاج من ناحية ، فى توعية الجماهير ، فى جذبها الى اداء العمل عن محبة واقتناع ، فى تحقيق الابتكارات ، فى اداء واجباتها داخل الاطار العام من تحقيق اهداف التصدير ، خفض الاستيراد ، فى محاربة الاسراف ، فى المحافظة على الطاقات وهكذا .

وعليه بعد ذلك ان يراقب ذاتيا كم كان التقدم فى كل اتجاه ، وكم حقق من كل هدف ، ولماذا كان القصور وما أسبابه ووسائل التغلب عليه .

انها فى مضمونها عملية متابعة لجميع الاعمال انتاجية وسياسية ، وهذا ما يخرج بها عن المفهوم الدارج لكلمة الرقابة .

عناصر القيادة السياسية

ولكى ينجح القادة السياسيون فى اعمالهم داخل الوحدات ، وجب ان نؤكد عددا من العوامل لابد من توافرها اذ شئنا فى امرهم التقدم والنجاح :

● استمرار دؤوب للتعمق فى الفهم السياسى ليس عن طريق التلقين ، ولكن عن الممارسة الفعلية للعمل واكتساب الخبرة الناجمة عن تلك الممارسة ، خبرة فى ادراك احاسيس الجماهير واهتماماتها ، ومدى اكتسابها للوعى ، وخبرة فى معرفة نقاط الاقتراب من مفاهيمها وادراكها ، وخبرة فى اكتشاف ايسر الطرق للوصول بها الى الهدف الذى نريد . فكثيرا ما يعتقد البعض ان خطبة عصماء ، او ندوة موسعة ، او ترديد الشعارات مجرد الترديد امر كاف . ولكن الواقع والحقيقة اثبتت دائما انها ابعد ما تكون ان يكون فى هذا الكفاية .

● واكتشاف العناصر الصالحة للقيادة ، والاهتمام بها ، وتنميتها ، واعطائها الفرصة للتدريب وممارسة قدراتها مهما بدأت محدودة بسيطة ، امر فى غاية الاهمية حتى تتسع قاعدة الممارسة ، وحتى يتحقق اوسع ارتباط بالجماهير .

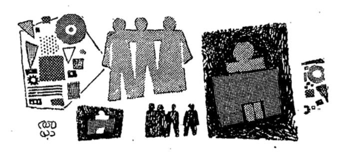
● وان نهتم اهتماما واعيا بمن الذين نكسبهم للعمل السياسى وبنوع القيادة التى نخلقها هل هى من المثقفين القائمين فى وحدات الانتاج فحسب ، أم نهتدى بالقاعدة التى افترضها تطورنا الثورى «خمسين فى المائة على الاقل للعمال والفلاحين» .

● والمصارحة من ناحية ، وعدم المبالغة فى تقدير النتائج من ناحية اخرى ، من اهم الوسائل لاكتساب ثقة الجماهير وتضامنها . وليكن للمناضلين فى هذا اسوة برئيس الجمهورية .

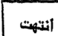
● واخيرا وربما كان اهم العوامل فى نجاح العمل السياسى واقواها اثرا ان يتمثل فى المناضلين ، ويتحقق فى مظهرهم وتصرفهم وعلاقاتهم ان يكونوا القدوة الحسنة والمثل الصالح . ان شعبنا الماح ـ ولله الحمد ـ يؤمن من تاريخ طويل بقول الشاعر « لا تنه عن خلق وتأتى مثله ... » .



بين مسئولية الرجل الواحد وجماعية القيادة



د. محمد الخفيف



لجنة الرقابة العليا من اختيار الغالبية العظمى من رؤساء مجالس ادارة المؤسسات والشركات التابعة لها وبذلك اصبحت وحدات القطاع العام — قلعة بناء الاشتراكية فى بلادنا — مهيأة لان تبدأ **مرحلة الانجاز الجديدة التى حدد لها الثلاث السنوات القادمة** والتى تتميز بأنها تواجه تحديات ضخمة ومتعددة ولكنها فى نفس الوقت مسلحة بخبرة لا يستهان بها اكتسبناها خلال السنوات السبع السابقة منذ أن بدأنا أول خطوة من خطوات التخطيط الشامل .

وهناك فيما يتصل بعملية اختيار اولئك الرؤساء ثلاث ملاحظات جديرة بالاهتمام: **الاولى** هى أن لجنة الرقابة العليا التى تولت المهمة لجنة تمثل على أعلى مستوى سيادة الشعب وسلطة الدولة فهى من ناحية يرأسها **المشير عبد الحكيم عامر** الذى يشغل اعلى منصب تنفيذى فى الدولة بعد رئيس الجمهورية بوصفه نائبه الاول ثم هو ايضا عضو اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى ثم هو فوق هذا كله ، ولا اقول أهم من هذا كله ، اليد اليمنى القوية لمفجر ثورتنا العربية الاشتراكية المناضل عبدالناصر، والانسان الذى عاصر الثورة منذ ان كانت حلما فى الصدور والذى شارك بكل جهده وعقله ويده فى ان تصبح واقعا حيا ومستقبلا مشرقا ، واللجنة من ناحية ثانية تضم **على صبرى** الامين العام للاتحاد الاشتراكى وعضو لجنته التنفيذية العليا ورجل الثورة الذى تحمل بشجاعة واخلاص مسئولية أول خطة شاملة فى تاريخ الشعب المصرى ، كما تضم اللجنة ايضا رجل السد **صدقى سليمان** عضو اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى ورئيس الوزراء الذى يتولى مسئولية تنفيذ خطط الانجاز ، ثم هى من ناحية ثالثة تضم **رؤساء أجهزة الرقابة وعددا من الوزراء** .واهمية هذه الملاحظة هى أن اختيار قادة القطاع العام كان لابد وان يتم من أعلى مستوى ثورى لاتصاله اتصالا وثيقا بالقضية الاولى للشعب ، قضية البناء

الاشتراكي ، كما وان اللجنة لا تقتصر مهمتها على الاختيار بل هي ايضا لجنة رقابة فهي لجنة دائمة تراقب عملية البناء وتتابع اعمال من اختارتهم .

والملاحظة الهامة **الثانية** هي ان عملية الاختيار لم تبدا من فراغ بل بدأت ولدى اللجنة كما قلنا حصيلة سبع سنوات من العمل وامامها تاريخ كل واحد من المرشحين وكل واحد ممن لم يرشحوا ، ما له وما عليه ، كيف تصرف ازاء ما واجهه من صعوبات والى اى مدى قاوم ما تعرض له من اغراء وماذا كانت نظرته الى قضايا الشعب وما هي احتمالات تقدمه ، الى آخر ما يحيط بعملية الترشيح لمثل هذه المهام الكبيرة من عوامل وبحيث نستطيع القول ان اختيار اللجنة سيدفع الى صف قيادة القطاع العام بافضل العناصر فى ظل ظروفنا القائمة .

والملاحظة **الثالثة** الهامة هي ان الاختيار يتم فى ضوء مبدا هام وخطير وصلنا اليه من خلال تجارب السنوات الماضيه واعنى به مبدا المسئولية الكاملة لرئيس الوحدة الاقتصادية وبالتالى تخويله ايضا السلطة الكاملة فى وحدته ، فلا مسئولية بدون سلطة . وقد تم بالفعل تعديل لائحة العاملين بالقطاع العام بما يحقق هذا المبدا .

وهذه الملاحظة الاخيره هي التى تعنينا بوجه خاص فى دراستنا لقضية الادارة من حيث وجهة النظر التى عبرنا عنها فى عدد سابق (١) والتى تقول بأن جوهر القضية هو توسيع القاعدة الاجتماعية للادارة .

تعارض أم لقاء ؟

لعل اول تساؤل يقفز الى الذهن هو كيف نأخذ فى نفس الوقت بالرايين : تخويل الادارة كل السلطة وتوسيع قاعدتها الاجتماعية ؟ اليس كل منهما نقيضا للآخر او على الاقل الا يتعارضان ؟ . غير ان الأمر على العكس مما قد يبدو لاول وهلة، ذلك لان سلطة رئيس الوحدة الاقتصادية لا يمكن ان تؤتى ثمارها اذا لم يصاحبها فى نفس الوقت توسيع للقاعدة الاجتماعية للادارة عن طريق ايجاد الاشكال التنظيمية واستنباط اساليب العمل التى تضمن اشراك عدد متزايد من العاملين فى مختلف المستويات فى ادارة المشروع .

ان توسيع القاعدة الاجتماعية للادارة ليس سوى التطبيق العملى ، من وجهة نظرنا ، **لمبدا** هام من مبادىء العمل التى حددها الميثاق ، **مبدأ جماعية القيادة** التى وصفها بانها « امر لابد من ضمانه فى مرحلة الانطلاق الثورى » لانها « **ليست عاصما من جموح الفرد فحسب ، وانما هى تأكيد للديمقراطية على اعلى المستويات ، كما انها فى الوقت ذاته ضمان للاستمرار الدائم المتجدد** » ،

ولكن ما علاقة الديموقراطية بالانتاج ؟ « ان العمل الوطنى كله » كما يقول الميثاق « وعلى جميع مستوياته لا يمكن ان يصل سليما الى اهدافه الا بطريق الديموقراطية ووسيلة الديموقراطية ان تتوافر الحرية فى مراكز الانتاج جميعها **لكى يتمكن جميع العاملين فيها من ان يعطوا كل جهدهم الفنى والوطنى من أجل كمال العمل ، على أن يتم ذلك بالطبع تحت احكام تسلسل المسئولية** » .

نحن هنا امام معادلة هامة وخطيره يمكن صياغتها على النحو التالى :

القضية الرئيسية الاولى امام قوى الشعب هي بناء مجتمع الرفاهة ولا رفاهة بدون وفرة ولا وفرة بدون انتاج ولا انتاج بدون عمل .

اذن فالعمل الوطنى فى مراكز الانتاج ، فى وحدات القطاع العام ، هو طريق الشعب الى مجتمع الرفاهة ، ولكن العمل الوطنى « **لا يمكن ان يصل سليما الى اهدافه الا بطريق الديموقراطية** » .. ولا ديموقراطية بدون جماعية القيادة .. ولكن كيف تتحقق جماعية القيادة ؟ . كيف يتحقق توافر « الحرية فى مراكز الانتاج جميعها لكى يتمكن جميع العاملين فيها من ان يعطوا كل جهدهم الفنى والوطنى من اجل كمال العمل ؟ الجواب : عن طريق توسيع القاعدة الاجتماعية للادارة ..

نستطيع ان نقول اذن :

لا رفاهة بدون وفرة ولا وفره بدون انتاج ولا انتاج بدون عمل ولا عمل بدون ديموقراطية ولا ديموقراطية بدون جماعية القيادة ولا جماعية للقيادة (داخل مراكز الانتاج) بدون توسيع القاعدة الاجتماعية للادارة فى هذه المراكز .

ولكن ماذا عن الوجه الاخر للقضية ؟ . ماذا عن تخويل راس الادارة كل السلطة وتحميله كل المسئولية ؟ كيف تتفق سلطة الرجل الواحد ومسئوليته مع التوسع فى اشراك العاملين فى الادارة ، كيف تتفق مع جماعية القيادة ؟ بل اكثر من هذا كيف يستقيم قولنا ان سلطة الرجل الواحد

(١) راجع مقال توسيع القاعدة الاجتماعية للادارة عدد فبراير سنة ١٩٦٧ من الطليعة.

لن تؤتى ثمارها الا عن طريق جماعية القيادة ؟ «

لنسأل أنفسنا اولا لماذا انتهينا الى فكرة الرجل الواحد المسئول والتى بدأ تنفيذها بالفعل بعملية اختيار رؤساء المؤسسات والشركات ، فالوزير اختار على مسئوليته رؤساء المؤسسات التى يشرف عليها ورئيس كل مؤسسة اختار رؤساء الشركات التابعة لمؤسسته وسيختار رئيس كل شركة اعضاء مجلس ادارة شركته وسيكون كل منهم مسئولا ممن اختارهم مسئوليته عن نفسه ».
لمـــاذا ؟ .

لان التجربة ، وبدون الدخول فى تفصيلات ، أظهرت خلال السنوات الماضية اننا فى كثير من الحالات لم نستطع ان نحقق مبدأ «مركزيةالتخطيط ولا مركزية التنفيذ » ، لم نستطع ان نرسم الحدود بوضوح كاف بين الاشراف والتوجيه وبين العمل التنفيذى اليومى ، وكانت النتيجة فى هذه الحالات ان مالت اجهزة التنفيذ نحو تحميل أجهزة التخطيط والتوجيه والرقابة مسئولية اتخـــاذ القـــرارات التنفيذية ، واستمرأت هذا الوضع فأصبح بعضها لا يبرم أمرا صغر أم كبر الا اذا رجع الى مستوى توجيهى أعلى ، ومن ناحية اخرى لمتجدالمستويات التوجيهية غضاضة فى هذا بل لعلها رحبت به فكان أن أصبحت المسئولية مشاعا بين عديد من المستويات واصبح من الصعب تحديد المسئول عن القصور والنجاح على حد السواء أهىالشركة ام هى المؤسسة ام هىالوزارة ام هىاجهزة التخطيط ام تراها اجهزة الرقابة واذا كان تحديد المستوى أمرا صعبا فانتحديد المسئولية على مستوى الفرد يكون أمرا اكثر صعوبة ... ذلك لان الوضع امتد ايضا الى داخل الشركات فشاعت المسئولية بين قطاعاتها المختلفة كما شاعت بين قيادات كل قطاع رغم ان الميثاق ينبهنا الى :

« ان العمل الوطنى على أساس الخطة لابد أن يكون محددا أمام اجهزة الانتاج على جميـــع مستوياتها . بل ان مسئولية كل فرد فى هذا العمل يجب ان تكون واضحة امامه حتى يستطيع ان يعرف فى أى وقت من الاوقات مكانه فى العمل الوطنى » (*)

مسئولية رئيس الشركة

وكان الحل الرئيسى الذى تنبع منه باقى الحلول هو ان تكون الشركة هى الوحـــدة الاقتصـــادية المسئولة كل المسئولية عن تنفيذ ما يخصها من الخطة .. ليست المؤسسة هى المسئولة وليس الوزير وليست أجهزة التخطيط بل الشركة ... ولكى تتحمل هذه المسئولية فعلا لابد من أمران : الاول ان يكـــون لها رأى مســـموع فيما يختص بنصيبها من الخطة ، والثانى ان تكون لها كـــل سلطات التنفيذ فلا يتعـــدى دور ما يعلوها من مستويات حدود الاشراف والتوجيه عندما تقتضى الظروف .. واذا كان الامر كذلك فان المنطقيقضى بأن يكونرئيس الشركة هو المسئولالاول، وبالتالى صاحب السلطة الاولى .. فلن يعفيه بعد اليوم ان يقول انه كتب الى المؤسسة فلم ترد او لجـــأ الى الوزارة فلم تعنه او استفتى الجهاز المركزى للمحاسبات فلم يسعفه ..انه ملتزم وبعد موافقته باهداف معينة وله حرية الحركة والتصرف فعليه تقع المسئولية الاولى .. ولكن .. كيف يضمن ان تكون حركته فى الاتجاه الصحيح وان يكون تصرفه سليما ؟ ان خبراته وقدراته الشخصية أمر على اقصى درجة من الاهمية فى هذا الصدد ولكنها وحدها لا تكفى ، ذلك لانه لايدير عملا صغيرا وانما يدير وحدة انتاجية اقتصادية مرتبطة كل الارتباط بالخطة العامة بكل ما تتضمنه الادارة فى عصرنا الحديث من مهام متعددة تتصل بخبرات ومهارات متنوعة ، وهو لا يديرها وحده بل معه جيش من العاملين فىمختلف التخصصات. ان فردا يزعمانه قادر وحده على البت فى كل امور ادارة الوحدة لابد وان يكون مختل العقل او مخربا .. لابد اذن من اشتراك الجميع دون استثناء كل فيما يخصه اولا ثم فى الامور العامة ثانيا .. لابد اذن لنجاح العمل، بل لنجاح رئيس الشركة نفسه ان « تتوافر الحرية فى مراكز الانتاج جميعها لكى يتمكن جميع العاملين فيها من ان يعطوا كل جهدهم الفنى والوطنى من أجل كمال العمل ، على أن يتم ذلك بالطبع تحت احكام تسلسل المسئولية » .

ونقف قليلا عند هذا القول من الميثاق وعنـــد فقرته الاخيرة بوجه خاص لانه يلقى الضوء كاملا على مضمون جماعية القيادة . فجماعية القيادة لا تعنى بحال من الاحوال ان يعتبر كل فرد نفســه قائدا والاخرين تابعين له فلا ينفذ الاما يحلو له ، ولا يعتد الا برأيه فتتضارب الاراء والقرارات ولا تجد سبيلا الى التنفيذ ، وجماعية القيادة لا تلغى المسئولية على مستوى الفرد فتضيع المسئوليـــة بين الجميع وتصبح الوحدة الانتاجية كسفينـــة بدون ربان تتقاذفها امواج بحر غاضب ... ان جماعية القيادة تعنى باختصار ان تكون القرارات نتاج الخبرة الجماعية للعاملين فى الشركة لانتاج خبرة فرد واحد او قلة من الافراد وهو الامر الذى لا يتحقق بدون ان يسهم كل عضو برأيه وخبرته بدون ان « يتمكن جميع العاملين فيها من أن يعطوا كل جهدهم الفنى والوطنى من اجل كمال العمل» ... ولهذا فان جماعية القيادة ترتبط بحـــرية المناقشة وابداء الرأى وحرية النقد وممارســـة النقد الذاتى بشجاعة .. وليس يغير من جوهـــر الامر شيئا ان القرار يصدره فى النهاية فرد او مستوى معين وانما القضية هى كيف وصل هـــذا الفرد أو المستوى الى هذا القرار ... والقيـــادة

الجماعية لا تلغى مسئولية الفرد ولا تسلسل المسئولية بل على العكس من ذلك هى تؤكد هذه المسئولية ، فلكى يصبح الفرد مسئولا عن عمله ولكى يصبح من حق غيره ان يحاسبه لابد وان تتاح له الفرصة اولا للادلاء برأيه فى حرية وكما يقول الميثاق » على أن يتم ذلك بالطبع تحت احكام تسلسل المسئولية » ... انها جماعية القيادة لا فوضى القيادة ...

وهكذا نجد ان تخويل رئيس الشركة السلطة وتحميله المسئولية لابد لكى يؤتيا ثمارهما من ان يسود اسلوب جماعية القيادة داخل الشركة عن طريق توسيع القاعدة الاجتماعية للادارة بمعنى تمكين جميع العاملين فيها من اعطاء كل جهدهم الفنى والوطنى من أجل كمال العمل .. بل انهما فى حد ذاتهما يمهدان الطريق تمهيدا لسيادة هذا الاسلوب ولو بحكم حرص رئيس الشركة على ان ينجح فى مهمته ... ان الرئيس الذى كان فى الماضى يضرب باللوائح او برأى مجلس الادارة عرض الحائط مكابرة منه واعتدادا برأيه معتمدا على شيوع المسئولية ومتعللا بتحطيم الروتين لا يملك اليوم وقدتحددت المسئولية الاان يشرك معه غيره.

المسئولية السياسية والمسئولية الادارية

فى ضوء هذا المفهوم للعلاقة المتبادلة بين سلطة رئيس الشركة وجماعية القيادة بها تتحدد فى وضوح معالم الطريق أمام العمل السياسى داخل الشركة وتتضح الحدود ، حدود التواصل لا حدود الفرقة، بين السلطة الادارية والسلطة السياسية، ان القيادة السياسية فى الشركة تتمثل فى المكتب التنفيذى للجماعة القيادية ، ولهذا فان المكتب هو المسئول الاول عن العمل السياسى داخل الشركة ولكنه فى نفس الوقت مكون من اعضاء عاملين فى الشركة وهم بهذا تابعون اداريا لرئيس الشركة الذى اتفقنا على انه المسئول الاول فيها وله سلطة التصرف . فماذا يكون دور المكتب فى ظل هذا الوضع وهل يجوز ان تخضع السلطة السياسية للسلطة الادارية ؟ سؤال يبدو محيرا ولكن لكى نجيب عليه لابد اولا وان نتفق حول معنى العمل السياسى داخل الشركة ..

الشركة هى الوحدة الاقتصادية المسئولة عن تنفيذ الاهداف التى حددتها لها الخطة .. واللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى ، أعلى سلطة سياسية ، هى التى ترسم الخطوط الرئيسية العامة للخطة ثم تعود فتعتمدها بعد اعدادها من جانب الحكومة ثم يقرها مجلس الامة على هيئة ميزانية .. أهداف كل شركة اذن اهداف أقرتها السلطة السياسية العليا .. وهذا هو الدور الاساسى لهذه السلطة فى وضع الخطة .. وتلك هى مركزية التخطيط .. ثم يأتى التنفيذ .. من الذى ينفذ ؟ فروع السلطة السياسية العليا أم فروع الاجهزة الحكومية التنفيذية ؟ فروع الاجهزة التنفيذية .. وهكذا تخضع الاجهزة التنفيذية الادارية للسلطة السياسية فى عملية تحديد الاهداف العامة لقوى الشعب ورسم الخطوط الرئيسية العامة لخطة تحقيق هذه الاهداف بما يتضمنه هذا من علاقة بين الانتاج والخدمات وبين الاجور والاسعار وبين الادخار والاستهلاك وغير ذلك من العوامل ، ولكن تنفيذ الخطة بعد توزيعها على مختلف الوحدات بما يتضمنه التنفيذ من اصدار القرارات وتنظيم اساليب العمل وكل ما يتصل بالادارة من مهام هو من صميم عمل الاجهزة التنفيذية الادارية وهو مسئوليتها وحدها ومن ثم فان رئيس كل وحدة لابد وان يكون كما اتفقنا هو المسئول الاول وصاحب السلطة الاولى فى تسيير وحدته .

هل يعنى هذا الكلام ان المكتب التنفيذى للوحدة وهو فرع من فروع السلطة السياسية ، لا علاقة له بعملية التنفيذ بمعنى ان يتم التنفيذ بمعزل عن العمل السياسى ؟ . كلا على الاطلاق .. بل العكس تماما هو الصحيح .. فرئيس الشركة لن ينجح فى مهمته الا بقدر مايؤدى المكتب التنفيذى دوره ، الا بقدر ما ينشط العمل السياسى داخل شركته ... صحيح أنه ليس من دور المكتب التنفيذى للشركة بأى حال من الاحوال ان يصدر قرارات تتصل بمهام ادارة الشركة ، وليس من دوره ان يتدخل فى تفصيلات عملية التنفيذ .. ومن المحتمل ان يكون امين المكتب او احد اعضائه ممن يشغلون مناصب تعطيهم حق اصدار القرارات ولكنه فى هذه الحالة يصدرها لا بوصفه امينا للمكتب او عضوا فيه بل بوصفه شاغلا لمنصب ادارى له حق اصدار القرارات ويخضع فى ممارسته لهذا الحق لاحكام تسلسل المسئولية الادارية .. والسبب فى أن المسئول السياسى فى الشركة لا يجوز له التدخل فى اعمال الادارة واضح وبسيط ، وهو ان شغل المناصب الادارية يخضع لمقاييس تختلف تماما الاختلاف عن مقاييس شغل المسئوليات السياسية لاختلاف طبيعة العمل فى كل منهما وليس من المستبعد طبعا ان يتوافر الجانبان فى شخص واحد وهو الوضع الامثل ولكن اذا لم يتحقق ، وقل ان يتحقق ، فان من الخطورة بمكان أن نخلط بينهما ، فليس كل ادارى ناجح هو بالضرورة قائد سياسى ناجح وان كان لابد وأن يكون على قدر من الوعى السياسى ،كما وأن القائد السياسى ليس بالضرورة وأن يكون قائدا اداريا ناجحا ومن هنا فاننا مواجهون بعدد كبير من الحالات التى تستدعى ان يكون القائد السياسى للشركة غير قائدها الادارى وهو أمر طبيعى تماما ولا ضرر منه على الاطلاق بشرط ان يكون واضحا ان ادارة الشركة هى من

اختصاص قائدها الاداري وحده وان رأيه فيما يتصل بادارتها هو الراى الملزم .. ولكن السؤال يظل ينتظر الجواب .

ما هو اذن دور العمل السياسي ؟

الحقيقة ان للعمل السياسي بالشركة دوران اساسيان : الاول هو ربط العاملين بالشركة بقضايا المجتمع — ونعنى بهذا توسيع دائرة اهتمام العامل لتشمل الى جانب الإهتمام بالخاص الاهتمام بالعام وعلى اساس انه بدون تحقيق العام وصيانته وتدعيمه لا يمكن ان يتحقق الخاص .. اليس مثلا اهم ما يشغل بال العامل الاهتمام بازدياد دخله ؟ . فهل يمكن لدخل ان يزداد بانتظام بل هل يمكن حتى ان يحتفظ به على ما هو عليه ان لم يزد الدخل العام ؟ . ان ربط العامل بالمجتمع والخروج به من محيط عنبره واسرته الى محيط مجتمعه وعالمه امر على درجة قصوى من الاهمية، ان هذا يخلق منه انسانا جديدا ويضفى على عمله طابعا ثوريا يجعل منه عملا من اجل الانسان لا من اجل الفرد ، من اجل الجميع لا من اجله هو وحده .. ان معرفته لما يواجه مجتمعه من تحديات ووعيه بأن ما يواجه مجتمعه يواجه فى نفس الوقت حياته هو شخصيا يجعلانه يحقق المستحيل .. ان ادراكه لاتجاه حركة المجتمع وللقوى التى تعرقل حركته نحو الرفاهة يجعله مناضلا الى جانب كونه عاملا ... ولسنا هنا بصدد الدخول فى تفاصيل كيف يمكن القيام بهذه المهمة التى هى جزء من **المهمة الاساسية لتنظيمنا السياسي وهى الانتقال بحركة الجماهير من حركة تلقائية الى حركة واعية منظمة .**

اما الدور الثانى فيتصل اتصالا اقوى بعملية الادارة وهو ابتداع الاساليب والاشكال التنظيمية التى تمكن من توسيع القاعدة الاجتماعية للادارة التى تؤكد **جماعية القيادة** ، التى تضمن بشكل منظم اشراك العاملين فى ابداء الراى وتفجر طاقاتهم الخلاقة وتثير حماسهم من اجل تحقيق الاهداف ... ان رئيس الشركة لا غنى له عن خبرات جميع العاملين فكيف تنظم هذه الخبرات وتجمع ويستفاد منها — هذا دور المكتب التنفيذى فى الاساس .. غير ان الامر لا يقتصر على هذا ، هناك ايضا تصحيح الاخطاء ومقاومة الانحراف .

ولكن ماذا لو اختلف الطرفان .. ماذا لو راى المكتب التنفيذى ان رئيس الشركة مخطىء فى قرار اصدره او فى اسلوب معين يتبعه ؟ . الامر بسيط. الم نتفق منذ البداية على حرية الراى وعلى النقاش واسداء النصح ،فاذا لم يقتنع المكتب براي الرئيس وظل الرئيس على رأيه ليس هناك ما يمنع المكتب من أن يرفع رأيه الى المستوى السياسي الذى يعلوه وليس فى هذا الامر ما يغضب رئيس الشركة بأى حال من الاحوال . اليس هدف الجميع ، ورئيس الشركة اول الجميع ، ان تحقق الشركة اهدافها ؟ .

عود الى المعادلة

فى صدر بحثنا هذا انتهينا الى صياغة المعادلة التالية :

قضية الشعب هى بناء مجتمع الرفاهة ولا رفاهة بدون وفرة ولا وفرة بدون انتاج ولا انتاج بدون عمل ولا عمل بدون ديموقراطية ولا ديموقراطية بدون جماعية القيادة ولا جماعية للقيادة دون توسيع القاعدة الاجتماعية للادارة ، بمعنى اشراك اكبر عدد ممكن من العاملين ، وصولا الى اشراكهم كلهم فى وضع خبراتهم الفنية وطاقاتهم ومشاعرهم النبيلة الاصيلة فى خدمة اهداف جماهير الشعب وفى القضاء على ما بينهم من تناقضات ثانوية ، واشعال روح الفريق بينهم .. فكيف يتم ذلك ؟ .

لست ازعم لنفسى القدرة على ان اوفى الموضوع حقه كاملا فهذا امر يتطلب تضافر كل الجهود وكل فى مجال عمله اقدر على رسم طريقه، وقصارى ما استطيعه هو ان اسهم ببعض الاقتراحات لعلها ان تفتح الباب لمناقشة اوسع .

يتكون الهيكل التنظيمى لكل شركة بوجه عام من ادارات عامة تمثل كل ادارة قطاعا من قطاعات الشركة ويراس كل منها مدير عام هو فى نفس الوقت فى أغلب الحالات عضو من الاعضاء المعينين بمجلس الادارة، وتتفرع الادارة العامة الى ادارات فرعية أو اقسام وتنقسم الاقسام الى وحدات والسؤال هنا هو كيف نتوصل الى ان يكون راى كل مدير عام أو قراره معبرا عن الخبرة الجماعية لمجموع العاملين فى ادارته ؟ . وكيف يشعر بما يصادف طريقهم من عقبات وما يدور بينهم من خلافات ؟ . ان الاعتماد على التقارير والمراسلة أمر لا يكفى ، فضلا عن ان التقارير صماء فى العادة فان ضمان انتظامها وضمان ان يتبع الجميع هذا الاسلوب امر فى حد ذاته وفى ظل الظروف القائمة يمثل مشكلة ، فلا يزال الكثير يخشى الكلمة المكتوبة فاذا كتبها فانما يكتبها بحيث لا تربطه براى معين او على الاقل بحيث لا تعرضه فى تصوره الى مؤاخذة من رئيسه او الى تحميله مسئولية لا يريد تحملها . فضلا عن أن **من يقرأ ليس كمن يقرأ ويسمع ، ومن يقرأويسمع ليس كمن يقرأ ويسمع ويناقش .**

لابد اذن من شكل تنظيمى ديموقراطى يضمن تجميع خبرات العاملين فى كل ادارة ويضمن اتصالا حيا واقعيا بين مختلف مستوياتها ويكشف عن مشاكل العمل وظروفه كما هى فى واقعها وحركتها بل ان مثل هذا الشكل كفيل ايضا بأن يحقق قول الميثاق فى صدد تناوله للموضوع الفكرى وعلاقته بالتجربة :

«وانه لمن الزم الامور هنا تشجيع الكلمة المكتوبة لتكون صلة بين الجميع يسهل حفظها للمستقبل ، كما انها تستكمل حلقة هامة فى الصلة بين الفكرة والتجربة .

انه من الامور اللازمة تشجيع كل المسئولين عن العمل الوطنى ان يكتبوا افكارهم لتكون امام المسئولين عن التنفيذ ، كذلك من الضرورى **تشجيع كل القائمين بالتنفيذ ان يكتبوا ملاحظاتهم لتكون أمام المسئولين عن التوجيه .**

ان ذلك أمر لا يمكن ان يترك للصدفة أو الارتجال وانما ينبغى تنظيمه » .

والشكل التنظيمى الذى اقترحه هو اجتماع مرة فى الاسبوع للعاملين بكل الوحدات التابعة للقسم يحضره رئيس القسم (او لكل وحدة اذا كان عدد العاملين به كبيرا) ثم اجتماع لرؤساء الاقسام مع مدير الادارة مرة كل أسبوعين ثم اجتماع شهرى لجميع العاملين فى الادارة بحضور مديرها العام . ويكون لكل رئيس قسم حرية التصرف فى كل ما يستطيع التصرف فيه من امور ثارت فى اجتماع الوحدات دون اشتراط موافقة مدير الادارة مسبقا » . أما ما لا يستطيع التصرف فيه فيعرضه على اجتماع رؤساء الاقسام . اما الاجتماع الشهرى فهو لمتابعة ما تم بالاجتماعات الفرعية ولحل ما لم تستطع حله من مشاكل وتقييم ما تم من عمل بالادارة خلال الشهر والتوصية بما يراد عمله فى الشهر التالى .

ومن الطبيعى ان تبدأ هذه الاجتماعات بشكل متواضع ولا ينبغى ان نطلب منها فى اول الامر ما لا طاقة لها به بعد . ومن الطبيعى ان تستغرق وقتا لكى يقتنع بها الجميع ، وتصبح شكلا تنظيميا دائما . ومن المهم فى نفس الوقت ان تبدأ بمناقشة قضايا سهلة الحل ، وانما يتفق عليه يسلك طريق التنفيذ على الفور ، فهذا وحده هو سبيل تدعيمها واقتناع العاملين بها .

ولسنا فى حاجة الى تأكيد ان عصب الحياة فى هذه الاجتماعات هو حرية الرأى واتاحة الفرصة كاملة لكل صاحب رأى ان يعبر عن رأيه وتشجيع من لا يريد الكلام ان يتكلم . ولا بأس من ان تبدأ بالنقد على أن يكون الهدف هو الوصول الى النقد الذاتى . ومن الممكن ان تبدأ بغير جداول للاعمال وبغير كتابة محاضر تفصيلية ، ولكنها دون شك ستتطور الى شكل تنظيمى منظم يعد لها جداول اعمال مسبقة ويكتب لها محاضر تفصيلية ويقدم فيها تقارير مكتوبة من العاملين وترفع فيها اقتراحات الى الادارة العليا . ولعل من ابرز مهامها مهمة تجميع ما يبتكره العاملون من خطط او اساليب او مشروعات ، وكم سمعنا عن امثلة عديدة لعاملين ، ومنهم غير متخصصين ، توصلوا الى حلول لكثير من المشاكل والى طرق لانتاج قطع غيار ومستحضرات لم يسبق انتاجها ، امثلة لا ينقصها سوى التنظيم والتعميم والتنفيذ ، فمن ينظمها ويعممها ويتبناها لتنفيذها سوى مثل هذه الاجتماعات ، بل اننى لمقتنع تمام الاقتناع ان هذه الاجتماعات تستطيع فى مستقبلها القريب ان تحقق عدم الاسراف وزيادة الانتاج وان تحدد من المستحق للترقية ومن يحرم منها وان تستنبط اساليب خاصة للمتابعة والمحاسبة والتقييم والحوافز .

ان بكل شركة ادارة هامة للمتابعة وهى تعد تقارير دورية لمتابعة تنفيذ الخطة واقتراح الحلول لما يعترضها من صعاب واصلاح ما يقع التنفيذ فيه من اخطاء ، وهى تقارير وافية او المفروض انها وافية ، ولكنها فى اغلب الحالات لا تصل الا الى رئيس المجلس واعضائه مع انه من الاهمية بمكان ان تعرض على القائمين فعلا بالتنفيذ واذا كانت الحجة هى صعوبة تنظيم هذا الامر فان هذا الشكل الذى اقترحه ، الاجتماعات ، يحل هذه الصعوبة على الفور . ولست بمستطيع ان احدد منذ البداية خط التطور لهذا الشكل فذلك أمر متروك للتجربة وفق ظروف كل شركة .

بمثل هذه الطريقة تصبح كل ادارة عامة وحدة متماسكة تجمع العاملين فيها علاقات ديموقراطية جديدة وتقل فرص التنازع على السلطات وتشابك المسئوليات . ولكن تبقى مسألة العلاقة بين كل ادارة او قطاع وباقى الادارات ، تبقى مسألة ان تصبح كل القطاعات على اختلاف تخصصاتها وحدة متماسكة ، ان حل المشكلة فى كل ادارة على حدة لا يحلها بالضرورة على مستوى الشركة ككل ، انه يمهد الطريق اذ لا يمكن بناء كل متماسك من اجزاء غير متماسكة ولكن لابد ايضا من ايجاد الشكل التنظيمى الذى يحقق التماسك بين الادارات المختلفة المتماسكة .

واساس الشكل الذى اتصوره هو اجتماع عام يحضره كل العاملين بالشركة دون استثناء يعقد أربع مرات فى السنة على أن يكون لهذا الاجتماع مكتب تحضيرى يتشكل بالانتخاب من ممثلين لكل الادارات ، ووظيفة المكتب هى ان تطلع كل ادارة على ما يدور باجتماعات الادارات الاخرى وتبدى فيه رأيها فتتناقل الخبرات وتنصهر الاراء فى رأى عام موحد ثم هو بعد ذلك يعد

للاجتماعات الربع سنوية فيحدد موضوعات النقاش وطريقة المناقشة ، وبما ان الاجتماع ربع سنوى فسيكون اول موضوع بالضرورة هو دراسة تقرير المتابعة الربع سنوى وسيكون ايضا من اهم موضوعات الاجتماع الثانى مناقشة الميزانية السنوية التقديرية التى تتضمن خطة الانتاج والعمالة والاستثمارات وسيكون من اهم الموضوعات ايضا مناقشة الميزانية الختامية للسنة الماضية . هذا الى جانب اللوائح التنظيمية ولوائح الجزاءات ونظم الحوافز وغير ذلك من الامور التى تهم جميع العاملين .

هل يمكن ان يحدث هذا كله فعلا ؟ هل يمكن للعاملين اياكان تخصصهم اومستواهم ان يدرسوا تقارير المتابعة والميزانية التقديرية ؟ . نعم ... وبكل تأكيد .. انها ليست أحاجى والغازا . واذا كانت فقد آن الاوان ان تفك الاحاجى وتحل الالغاز .. والا فكيف — نحقق ما جاء بالميثاق من ان **« العمل الوطنى على اساس الخطة لابد أن يكون محددا أمام اجهزة الانتاج على جميع مستوياتها »** ومن ان **« مسئولية كل فرد فى هذا العمل يجب ان تكون واضحة أمامه حتى يستطيع ان يعرف فى اى وقت من الاوقات مكانه فى العمل الطبيعى »** .

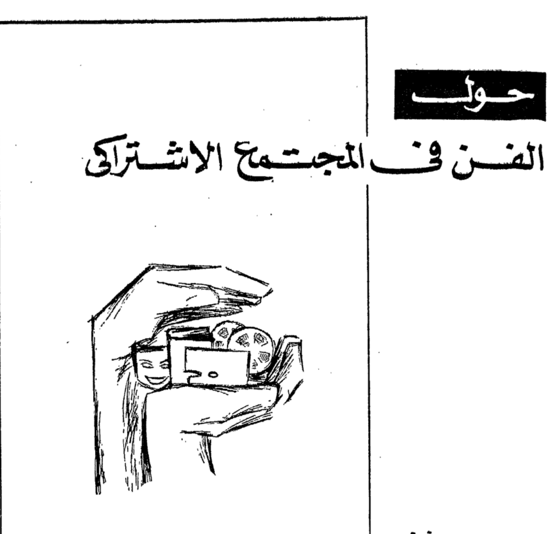
ذلك هو دور المكتب التحضيرى للاجتماع ، ان ينظم دراسة هذه الموضوعات عن طريق تبسيطها وقبل عقد الاجتماع بمدة كافية .. ولسنا نأمل بطبيعة الحال ان يتمكن كل العاملين من أول اجتماع من دراسة ومناقشة كل هذه الموضوعات ، وليس هذا مطلوبا ، فلنبدأ بابسط الامور واقربها الى العاملين جميعا ولننتقل بعد ذلك الى الموضوعات الاعمق ثم الاكثر عمقا ، ولنفكر فى كيفية التبسيط بحيث لا نخل بالمضمون ، بل ان هذا فى حد ذاته سيدفع من يعدون هذه التقارير والموضوعات الى التدرب على اعدادها فى بساطة بدلا من ان يعدوها وكأنما لن يقرؤها الا جهابذة الاقتصاد وادارة الاعمال بل لعلنى لا أذيع سرا اذا قلت ان عددا غير قليل من أعضاء مجلس الادارة يعجزون احيانا عن الالمام الماما كاملا بما يعرض عليهم من ميزانيات وحسابات ، وفى هذا المجال تبرز بشكل واضح الاهمية الحيوية للعمل السياسى .

وهنا ايضا تتضح اهمية اصدار نشرة او مجلة داخلية للشركة لا من اجل التفاخر بها وتحليتها بصور المسئولين وتوزيعها على المستويات العليا بل كأداة تنظيمية وتثقيفية ، فهى اداة تنظيمية لانها تساعد على ربط جميع العاملين بعضهم ببعض وعلى ربطهم ككل باهداف الشركة، ولانها ايضا وسيلة هامة من وسائل التعبير عن الراى وممارسة النقد والنقد الذاتى ومن ثم فهى وسيلة من وسائل تحقيق جماعية القيادة ، وهى تثقيفية بما تنشره من موضوعات ودراسات تنمى ثقافة العاملين ومعارفهم ما اتصل منها بعملهم وما اتصل بالقضايا العامة ، ثم هى بعد هذا كله تلعب دورا هاما وفعالا فى التحضير للاجتماعات العامة الربع سنوية عن طريق شرح ما سيثار فيها من موضوعات كما هى ايضا وسيلة هامة من وسائل اشعال المنافسة الاشتراكية بين العاملين، **وحذار حذار ان تقتصر هيئة تحريرها على المثقفين !** .

واخيرا أرجو ان اكون قد اسهمت بهذا القدر المتواضع فى فتح الباب امام مزيد من النقاش والاراء حول هذا الموضوع الهام .



حول
الفن فى المجتمع الاشتراكى



د. سعاد محمد خضر

لقد حاول الفن دائما أن يعطى مفهوما محسوسا للواقع ، وان يجيب على مشاكل الوجود والحياة الدائمة وان يفكر فى مغزى الوجود الانسانى ومفهوم السعادة لكي يعبر بذلك عن جوهر عصره ويساهم فى الحياة بنشاط ووعى .

ودراسة أية طريقة من طرق الابداع الفنى تتلخص فى أن اية ظاهرة فنية يجب أن ينظر اليها ليس فقط فى ضوء قوانينها الذاتية الداخلية ، ولكن فى علاقاتها المتبادلة مع التطور الفنى للانسانية بأجمعه بحيث يمكن استيعاب الجانب النوعى من الظاهرة الفنية بعد دراسة اصيلة ، متعددة الجوانب ، ومستندة على حقائق ملموسة منطقية واستخلاص القوانين العامة للفن . ولكن هذه الطريقة ليست قوانين مجردة يمكن بها تقديرقيمة الفن مع ان مفهومها يقوم على اساس بعض المبادىء الاستاتيكية (الجمالية) . فالطريقة الفنية هي مفهوم العصر الاستاتيكى والتعبير الفنى عن العلاقات القائمة والعلاقات المتبادلة والفهم المتبادل بين الانسان والمجتمع وبين الانسان والعالم وهى تحوى كل ما هو مهم وجديد فيما يقدمه العصر . ولا يمكن فهم الجوهر الحقيقى للفن الا عندما يتغلغل الباحث فى أعماق العصر ويكتشف قواه المحركة والانسان الجديد فى المجتمع . ثم ان عرض الفن وطريقته التعبيرية كمجموعة مبادىء عامة منفصلة عن ميادين البناء الفوقى الأخرى لاى مجتمع كان يعرقل فهم اية ظاهرة فنية جديدة ونوعيتها وجوهرها الاستاتيكى (الجمالى) ويقف عقبة فى سبيل فهم خصائصها الفنية ، كما يؤدى الى عدم ادراك علاقتها بمبادىء وقوانين التطور العام .

وعلى الباحث ان يحاول الكشف عن القوانين الحقيقية القائمةللعملية الادبية،ولذلك الجديد الذى يحدث فيها ، وذلك الجديد الذى نراه فى الادب والفن الذى تلهمه افكار الاشتراكية . وبدونذلك كله لا يمكننا تفهم العصر ولا التعبير عن العالم الحديث والانسان الجديد . ولا ينقطع النقاش مطلقا عند دراسة الحقائق الفنية نظريا وتاريخيا: أتوجد طريقة جديدة وعضوية للابداع الفنى او أن هذه الطريقة مجموعة من الظواهر الخارجية الخاضعة لمتطلبات فكرية يرتبط بها الفنانون ؟ للقيام بمثل هذه الدراسة على ما اظن ، من الضرورى الانطلاق من دراسة النتاج الفنى الحقيقى والتحقيق المتواصل المتعدد الجوانب للتغيرات العميقة التى تحدث فى الاداب خلال العصور المتوالية . فخطأ الذين ينتقدون الان كتاب ونقاد المعسكر الاشتراكى هو فى انهم لا يرون هذه التغيرات او انهم يتصورون ان كل ما هوحقيقىوجديد وناجحلدى **جوركى وماياكوفسكى وشولوخوف وبرخت ونيرفال** وغيرهم، يتصورونه على انهفىطريق معاكس للجوهر الجديد . وهم لا ينظرون اليهم فى ضوء عملية تكوين الشعور العالمى الجديد فى نتاجهم وفى ضوء فهمهم الجديد للعالم بل ووجهة نظرهم الجديدة . ونتيجة لدراسات وابحاث اولئك النقاد فى ميدانالاسلوب او فى تحديدهم لاكتشافات ((**جوركى**)) الادبية او ((**اراجون**)) او ((**نيرفال**)) او ((**الو،ر**)) يبدو نتاج أولئك فىاعتقادهم كما لو كانوا قدتخطوا الواقعية الاشتراكية ، او كما لو ان نتاجهم قد كتبعكس مبادئها . وهم يقولون مثلا بأن النهاية التراجيدية عندما تظهر فى قصة ((الدون الهادىء)) وتتعاظم فان ذلك ملحمة غريبة عن الواقعية الاشتراكية ، وعندما يهتم ((برخت)) بخبرة ((**كافكا**))الفنية فانه فى نظرهم انما يحاول تخطى افق الواقعية الاشتراكية ،كما انهم يرددون آراء مماثلة بالنسبة ((**لماياكوفسكى**)) الذىابتعد فىحينه عنالمستقبلية أو الكاتب ((**ليونيدليونوف**)) لانه يعتمد علىتقاليد ((**دستوفسكى**)) . ان طريقة كهذه لدراسة الحقيقة العلمية تحولها الى مجرد نقاشات حول الكلمات لانهليس سرا انالكتاب المذكورينوغيرهم قد قدموا فى نتاجهم طريقة جديدة تماما حولالحياة والانسان . واظهار الجانب الحقيقى لهذهالطريقة الفنية انما يعنى اعطاء الفهم العلمى لجوهر الواقعية الاشتراكية ولطريقتها التىولدها العصر تلك الطريقة او الظاهرة الجديدة المعروضة فى العملية الادبية العالمية والتى املاها التطور الخاص للثقافات القومية . ودراسة تاريخية يمكنها أن تكشف قوانين ظهور وجوهر الفن الجديد فى المجتمع الاشتراكى وصلاته العضوية بالتطور الفنى بمجموعه وامكانياته الابداعية الجديدة . فالعصر والطريقة والادب العالمى والواقعية الاشتراكية هى الميادين التى تحدد الظواهر التاريخية التى تحتل المكان الطليعى فى ميدان التطور الفنى للانسانية . ويفترض ذلك الرجوع الى القوانين الاستاتيكية للتعبير عن الواقع واظهار النظرة الفنية للعالم وللانسان واظهار وايجاد الصيغة التشكيلية للتعبير عنها . ودراسة كهذه تهدف الى تحليل الفن والتغيرات التى تحدث فى داخله متصلة بالعمليات التاريخية والحركات الحقيقية فى الواقع نفسه وفى وعى الناس .

دور الفن فى تطور الانسان

ويساهم الفن فى تغيير العصور ، ويساهم فى التطور الحر المستمر للناس . ومن هنا تنبثق القيمة الدائمة الحقيقية للشعر الذى يخدم بقيمه الاستاتيكية انسانية الانسان . لقد اظهر عصرنا وبشكل جديد علاقة الفرد بالمجتمع . وقد ظهر عمق الارتباط فى ظل التطور الراسمالى منسؤال ((**الوجود أم العدم ؟**)) المطروح امام الانسانية والذى يشغل افكار كل فرد طيب فى العالم اجمع ونتيجة لاعادة بناء الحياة الثورى العميق تغيرت أسس العالم ومستوى الفكر وتغير وضع العالم وما عليه عموما . ان عصرنا هو الوحيد الذى استطاع بهذه السعة وبهذا العمق ايجاد حل لمشكلة الانسان والتاريخ ومسئولية الانسان ومساهمته الواعية فى تقرير قضية مستقبل الانسانية جمعاء . وفى النضال من اجل حرية الانسان وتقريرمصيره، وفى سبيل التطورالمتناسق يعتمد الفن المعاصر والادب المعاصر على كل ما قدمه التاريخ الانسانى العالمى وثقافته وفنه.

ويستمد الفن دائما قوته من التغلغل فى أعماق الحياة كما انه يستمد من الحياة الثروات والكنوز الحيوية التى لا تنفذ ويرفعها الى مستوى ((**المثال الادبى**)) محولا اياها الى مثال استاتيكى مازجا الحقيقة بالجمال . فشعبية الادب هى التحقيق الواقعى لصلة الادب العميقة بالحياة بل وشاهد على عبقرية وجدة الفنان . انها وحدة لا تنفصم تربطه بواسطه الذى اوجده . ففى الشعبية ترى ميدان وجمهور الفن معا . اليست هى حياة الشعب التى اعطت للفنان المواضيع والابطال لبخلق اخلد النتاج الفنى ؟ الا نرى فى ذلك النتاج القيم الجمالية الشعبية ووجهة نظر الشعب ؟ اليست هى لغة الشعب الحية التى لا حدود لها والتى لا ينفذ معينها أبدا هى ذلك الغنى وتلك الثروة وتلك الاصالة التى يعمل الكاتب على تحقيقها ؟

لقد بحث الفن في جميع العصور ويبحث الآن في المجتمع الجديد عن المغزى الكامل للحياة في حياة الشعب أي الجمال والحيوية والقدرة والصحة . فالشعبية هي خصائص الفن الحقيقي الرائع ، بل اللحظة الحقيقية التي تقرر تطوره وهدفه ، فالفن يشهد على الشباب الدائم لنظرة الشعب للعالم : نظرة الخالق والمفكر ، والعامل والفنان . ان كل ما هو شعبي ويتصل بالشعب هو الضمانة الاكيدة للجمال والطيبة ، للاستاتيك والمنطق . وعصرنا هو الوحيد الذي استطاع بهذه السعة ولهذه الدرجة ايجاد حل لمشكلة الانسان والتاريخ ، ومسئولية الانسان ومساهمته الواعية فيتقرير قضية مستقبل الانسانية جمعاء. وفي النضال من اجل حرية الانسان وتقرير مصيره في سبيل التطوير المتناسق يعتمد الفن المعاصر والادب المعاصر على ما قدمه التاريخ الانساني العالمي وثقافته وفنه . فتحديد الظروف المؤثرة على الاخلاق والطباع لا تبعد مشكلة نشاط الانسان وحرية اختياره ومسئوليته عن كل ما يحدث على الارض . بل على العكس تتزايد أهمية ومغزى وجسامة مسئولية الانسان في عالم كهذا العالم الذي مر بمآسي حربين عالميتين وعاش فظائع ((بوخنفالد)) ((ومايدانك)) ومصيبة هيروشيما .

ان الفن في المجتمع الاشتراكي يدلل على جسامة مسئولية الفرد في عصرنا ومساهمته الواعية في بناء المجتمع الجديد وهو لا يغفل مطلقا العلاقة المتبادلة ذات المغزى بين الفرد والشعب، بين الشعب وسير الحياة وبين الانسان والتاريخ ويقوم الفنانون بالبحث عن القيم الغالية كمايصبح الانسان الحي بالنسبة لهم جزيرة الامال ومنبع التأكيد على الحياة والتفاؤل .

غربة الانسان في الادب

ان غربة الانسان عن نفسه ذاتها قد نتجت في ظروف المجتمع البورجوازي كامتداد لغربة الانسان عن التاريخ . ورغم روعة المثل الاستاتيكية وسموها لدى **بايرون وشيللر** وغيرهم من كبار الرومنطيقيين فانهم لم يستطيعوا ان يملاوا الفراغ ويسدوا الهاوية التي تفصل بين تعزيز الذات وبين تجريدها من انسانيتها في المجتمع البورجوازي . وفي المرحلة التي وصل فيها رأس المال مرحلة الاحتكارات فالاستعمار وحيث نرى ان عجلة قوى الانتاج مستقلة تماما عن الافراد تبدو قوى الانتاج هذه وكأنها ليست قوى الافراد الخاصة وانما قوى صاحب العمل. ونتيجة لانفصال قوى الانتاج هذه عن الفردا حس الفرد بالحرمان الكامل من كل محتوى حقيقي واصبح مجرد فرد او ذات مجردة . في مثل هذا المجتمع ظهر أدب التجريد وأدب اللامعقول الذي يعكس محنة الانسان وغربته في المجتمع الراسمالي والذي يعطي صورة حية لغربته النفسية والفكرية في ظل نظام تجريد الانسان من كل ما هو انساني.

وفي مرحلة من مراحل تطور مثل هذا النظام حلت لحظة زمنية روعت فيها انتصارات البروليتاريا وتطور وعيها الطبقي ، روعت البورجوازية الحاكمة ودفعتها الى محاولة التمسك بكل ، ايعمل على الابقاء على سلطتها وسيطرتها مهتدية في ذلك بكل ما خلفته القرون السابقة من بربرية وتعسف وعنصرية واستغلال الانسان للانسان. وقام كتاب وفلاسفة الرجعية بمحاولة للابقاء على هذه السلطة محاولين بذلك ايجاد المبررات التي تعطي الحق للعدوان الاستعماري بل وللتدليل على حتميته . كما ابتدع فنانو وكتاب الرجعية فكرة **((الفن للفن))** او **((الفن الخالص))** للحفاظ على الاحوال القائمة في المجتمع الراسمالي ولايهام الفرد بعدم جدوى اي نشاط انساني هادف والاكثر للدفاع والابقاء على حقوق الطبقات الحاكمة المستغلة . ان فناني مذهب الفن للفن او الفن الخالص كما يحلو كثيرا لهم ان يسموه يقومون بتصوير الحياة في جانب واحد مجردمنها وبعيدا عن حركتها الدينامية محاولين اعطاء اساس ماساوي للوجود وهم بذلك يحددون نشاطهم ويضيقون افق نتاجهم الفني الذي لا يستطيع بدوره ان يكشف دينامية حركة العصر. وهؤلاء الفنانون يعادون بطبيعتهم في فنهم حركات التحرر الوطني للشعوب وفي تمسكهم بالاتجاهات العنصرية نراهم يتوصلون الى تاييد افكار نيتشة العدوانية والى تأييد مبدأ عبادة الفرد القوي ويواجهون مصائر الشعوب والناس والفرد في برود،ولا مبالاة . ان ابتعادهم الواعي عن التغلغل في تناقضات الواقع يدفع بهم الى تصوير الظاهر الخارجية البراقة والتغزل فيها وهم ينتجون فنا معاديا للمجتمع ، معاديا للانسان بل وشاهدا بذلك على الضعف والفقر المعنوي والفكري للبورجوازية المنهارة . بل ان ظهور مثل ذلك المذهب في الفن والادب انما يعبر تعبيرا صارخا عن ازمة الثقافة البورجوازية الحادة .

الفن في المجتمع الاشتراكي

وعلى العكس من ذلك نرى الفن في المجتمع الاشتراكي وهو يخلق الذات الانسانية الحرة الواعية المفكرة انما يقدمها في علاقتها الوطيدة بالمجتمع مساهمة في خلقه وتوجيهه وتطويره . . لقد قدم الفن الاشتراكي ابطالا حقيقيين من صميم الشعب ، افرادا عاديين يشعرون بذواتهم وبمسئولياتهم الجسيمة الواعية تجاه المجتمع الذي يعيشون فيه . ان الفن في المجتمع الاشتراكي

لا يقدم كوصفة مسبقة ابدا بل انه عملية خلق دائمة متحركة تسير فى تطور دائم معتمدة على اسباس استاتيكى جديد بفضل الحل التاريخى للتناقضات التى ظلت عبر القرون .

ان الفن فى المجتمع الاشتراكى هو تحقيق لمملكة العقل التى تحدث عنها ((**افلاطون**)) ، بل انه دولة الشمس التى تحدث عنها ((**كامبانيلى**)) بل انه تحقيق حلم الانسان الكامل واعادة خلق جديدة للعوالم القديمة بما فيها من جمالوطيبة . والفن فى المجتمع الاشتراكى هو الرؤية الشاملة للوحدة التى لا مثيل لها بين التناسق المهيب والايقاع السيمفونى للحياة فى اسمى مظاهرها . انه الوحدة الشاملة لابداعات الافراد فى صلتهم بالمجتمع .

ولنستعرض روائع كتاب وفنانى اول مجتمع اشتراكى ما بين السنوات العشرين وحتى عشية الحرب ، ثم اثناء الحرب الى ما بعد الاحتفال بعيد النصر . وسنرى انهم قد خلقوا ابطالا من صميم الشعب يساهمون بوعى فى السير بعجلة تطورمجتمعهم الاشتراكى ،يعملون على الجرارات وفى الحقول وفى المناجم وفى المصانع ، ابطالا يخلقون الحياة الجديدة بكل ما فيها من جمال وسمو ، ابطالا خلقوا واسسوا مجتمع الكفاية والعدل ، ابطالا خلقوا معجزة النصر ويعملون فى امل وتفاؤل لتحقيق المثل الاشتراكية . لقد كتب جوركى (**(قضية ارتمونوف)) سنة ١٩٢٠** كما كتب **شولوخوف** الجزءين الاول والثانى من رباعية ((**الدون الهادىء**)) فى سنوات ١٩٢٩ — ١٩٣٠ ، **((وتفاردوفسكى))** قصيدته الرائعة **((مملكة النمل))** سنة ١٩٣٠ ((**وفادييف**)) قصة ((**الانفجار**)) سنة ١٩٣٠ ((**وبافلنكا**)) ((**السعادة**)) ((**وفيدين**)) ((**صيف غير عادى**)) فى نفس تلك الفترة وقصة فيدين ثلاثية رائعة تستوعب اهم فترة من فترات تكوين وتأسيس المجتمع الاشتراكى . كما كتب ((**ايليا اهرنبورج**)) فى نفس الفترة بالذات قصته المعروفة ((**العاصفة**)) . وكذلك روائع غيرهم من كتاب وشعراء امثال **((ماياكوفسكى))** ((**واستروفسكى**)) ((**وسنتلوف**)) ((**واسبيف**)). ومن الملحنين احب ان اذكر ((**موراديللى**)) ((**وشابورين**)) ((**وسيفان ايفانوف**)) ((**وسيرافيموفتش**)) ومن النحاتين ((**موخينا**)) صاحبة التمثال المعروف ((**الفلاحة والعامل**)) والرابض الان فى مدخل معرض انجازات الفن السوفييتى . والنحات ((**بوشيدفتش**)) صاحب تمثال مدينة ستالنجراد ((**الوطن المنقذ**)) وكذلك صاحب التمثال الرابض فى برلين والذى يمثل **((جندى يحتضن طفلة))** . هذا بعض من كل ما ظهر فى اولى مراحل بناء اول مجتمع اشتراكى وكلها امثلة تدلل على مدى اهمية ومغزى الفن الهادف الملتزم فى المجتمع الاشتراكى . لقد صور هذا الفن الحياة فى حركتها وتناقضاتها مدللا على امكانية الفرد الواعى لعملية التاريخ فى التغلب على هذه التناقضات ومحاولة ابعادها وموضحا الدور المتزايد الخلاق فى المجتمع الاشتراكى وكيف ان الكاتب او الفنان يعرض لنا رحلته الفنية الشاقة المبدعة حيث يقطع المسافة بين الواقع والمثال وبين المثال والواقع بالتفكير العميق باحثا عن وحدتهما العضوية ...

ولم يبتعد الفن مطلقا فى مرحلة البناء الاشتراكى هذه عن تناقضات الواقع الصارخة ولا عن صعوبة وتعقيد الحياة والانسان الحى كما انه لم يحاول ابدا اخفاء هذه العقد وتلك الصعوبات وانما حاول معتمدا على الاتجاهات القائدة للواقع ان يبحث فيها عن المغزى وان يصل الى التفكير التاريخى . وبعبارة اخرى محاولا ان يفهم الحياة على انها عملية تاريخية هادفة . فصعوبات الوجود ومتاهات الحياة السائرة نحو تحقيق مثل الثورة وتحقيق المثال الاشتراكى هى الاسس التى ارتكز ويرتكز عليها الفن فى المجتمع الاشتراكى ان التأكيد على المثال الاستاتيكى البطولى فى ظروف الواقع الجديد لا يعنى رفض التناقضات الحياتية والتى بدونها لا يمكن حدوث اى تطور وانما يعين امكانية تصفية تلك النزاعات الفنية الحقيقية وحلها الذى يؤدى بالنتيجة الى ايجاد وخلق الوضع الجديد .

ومن اسطع الامثلة على تلك العملية الدائبة للفن ثلاثية ((جوركى)) ((**قضية ارتمونوف**)) (١٩٢٠) و ((الدون الهادىء)) لشولوخوف ، حيث نرى واحدة من اللحظات الحقيقية الضرورية جدا لتوضيح وشرح الطريقة الجديدة وهى تعتبر الصلة بين رؤية الحياة فى مظهر العيد والاهتمام التحليلى الجدى لتناقضات الحياة الحقيقية . وتصبح الوسيلة لتحقيق المخرج التاريخى الواقعى والذى يعبر عن عودة الانسان لنفسه كما تساعده على رفع معنويته وانسانيته فوق ذاته . اى تحقيق ذلك المخرج الذى يتوقف عن كونه طوبائية استاتيكية .

وتنساب فى هذه القصص التحاليل النفسية الفنية لاسس الحياة الحقيقية منبعثة من التناقضات الصعبة التى يجب ان تثير فكرة تحقيق مثال الانسان الجديد وحيث يحاول الكاتب فى رحلة التطور الجديدة ان يمسك بتلك القوة القادرة على تحقيق التآلف وتجميع كل تلك الاجزاء من الانسانية بحيث لا يفقد شىء ولو قليلا من ثروة القيم .. وهذا تماما عكس ما يقوم به الفن المجرد فى المجتمع البورجوازى حيث يعمل المثل الفنى على تقوية سقوط الفرد وانهيار صفاته وذلك

بزفضه المثال الاستاتيكي للانسان الكامل . ويعبر مثل هذا الفن بشكل سلبي عن عدم جدوى الحياة وسعادة الوجود الانساني في غمرة العالم المعادي له . كما ان الفن المجرد يتمسك بالوحدة المأساوية للفرد وضعفه وعجزه وعدم قدرته أمام الطبيعة والقدر والمجتمع . فأين مثل ذلك الانسان العاجز — بطل الفن المجرد — من مثل الانسان القوي ذات التاريخ وصانعه في الفن الاشتراكي ؟ لقد قام مؤسسو الفكر الاشتراكي ثائرين ضد « روح التاريخ » المجردة وضد استنتاج جميع العلائق الحقيقية من المفهوم المجرد لجوهر الانسان .

وعلى أي حال فلا يخفى عن الذهن ان اعداء الفكر الاشتراكي يعملون بوعي معتقدين أن المبدا الاقتصادي ككل ينكر المبدأ الاجتماعي وكذلك كما لو أن مبدأ الانسان ومبدأ المجتمع لا يجتمعان لا عمليا ولا نظريا ، وكما لو أن المجتمع ينكر الاعتراف بالفرد وبحقوقه ومصالحه . بينما نرى أن الفكر الاشتراكي قد أبعد تماما مفهوم تعارض وتناقض مصالح الجماهير لمصالح الفرد بل اسست مصالح الجماهير والفرد على أساس جديد سام لاعادة بناء الحياة الثوري . ان الازدهار الحقيقي المتعدد الجوانب والتناسق للفرد لا يمكن تصوره بدون وجود مجتمع حر ، ووجود المجتمع الحر لا يمكن تصوره أو وجوده بدون الاشباع الكامل المتعدد الجوانب لجميع متطلبات ومصالح الانسان الفرد

لقد كشف الفكر الاشتراكي عن جوهر التناقضات الاجتماعية وعن المنبع والقوى المتحركة في المجتمع المتطور منطلقة من الذات الانسانية الحقيقية ومتطلبات الفرد الحيوية ومساهمته الضرورية الواعية في المجتمع وخصائص العمل الاجتماعي . وعلى أساس الوحدة الديالكتيكية فقط الفرد والتاريخ تمكن دراسة المشكلة . والتحول الى المجتمع الاشتراكي انما يعتبر عودة الشخص لنفسه ، عودة الانسان لذاته على اساس جديد نتيجة لتصفية التناقضات بين الانسان والمجتمع ، بين الفرد والمجموع . والتمسك بهذا التناقض معناه تعزيز واحدة من خصائص كيان نظام الملكية الفردية . وهذا بالذات هو محتوى الكثير من الاعمال الرجعية المعاصرة . أما المثل العليا الاشتراكية فانها تتعزز لانها قبل كل شيء عدوة للتنظيم غير العادل وغير الشرعي للذات والعمل في المجتمع ، ولذلك تبدو شيئا ضروريا لازما لا بديل له



حول مقال الدكتور حسين فوزي

اثار مقال الدكتور حسين فوزي عن « الفن في المجتمع الاشتراكي » الذي نشر بعدد مارس ١٩٦٧ من الطليعة ، اهتماما ملحوظا في دوائر المثقفين . وننشر في هذا العدد — نص تعليق لاحمد سويدان من — مجلة الاشتراكي بدمشق — على مقال الدكتور حسين فوزي ، ثم رأى الطليعة في تعليق سويدان .

الشيء الذي بلاحظه القارىء العربي والذي يؤكد حدة التناقض في المقال المذكور ، ان الكاتب من خلال استعراضه لتيارات الادب بشكل مقتضب ، لم يقتصر على الادب الروسي دون الادب الالماني . ولم ينظر الى قضية الفن والالتزام على انها خاصة بالامة الالمانية

او غيرها . لكنه عندما اراد ان يبعم شطر بلادنا ، ويعطى الفن فى هذه البلاد التقييم الذى هدف اليه من مقاله ،نجده يتجاهل الوطن العربى برمته ، ويخص مصر فقط ، كما يتجاهل لفظة المواطن العربى ويستبدلها بلفظة « المصرى هذه اللفظة التى لم تعد تناسب المرحلة الحالية ، ولم يعد استعمالها لائقا .بل انه تذكرنا بأصفار سعد زغلول الى حد كبير ، ويذكرنا باولئك الباشوات الاقليميين الذين كانوا يجدون فى الاقليمية حفاظا على امتيازاتهم ولنسمع ما جاء فى المقال :

« ان المصرى من طبيعته يكره الكبت، والضغط على حريته فى التعبير عن خوالجه والمصرى لايقاوم دائما الاملاء والقهر بطريقة مكشوفة . ويبدو من أكثر الشعوب طاعة ، وانصياعا » .

ان الكاتب يعترف فى هذا المقطع ان الشعب العربى فى مصر ، ليس شعبا عربيا ، بل شعبا مصريا .ولهذا الشعب مقوماته كشعب ، وهذه المقومات ليست هى مقومات الشعب العربى . فالكاتب يفصل شعب مصر اولا ، عن الشعب العربى ، وثانيا يعطى هذا الشعب مقومات الشعب الكامل الذى له تاريخ ولغة ومشاعر مشتركة ، وموقع جغرافى يشكل طبيعيا استقلال جغرافية المكان عن الاماكن المجاورة لهذا الشعب .

ثم يعترف من نفسه بوحدة تاريخ الشعب المصرى منفصلة عن تاريخ الشعرب العربى عندما يقول « وقد خضع (اى الشعب المصرى) لحكم الرومان قرونا فلم يتحول عن مذهبه المسيحى ، حتى عندما تحولت الامبراطورية الرومانية الى المسيحية »

وعلاوة على استقلال تاريخ الشعب المصرى عن تاريخ الشعب العربى فان البرهان الآنف الذكر لايشكل حتى لدى الاطفال قناعة دالة على الثبات ، اكثر مايكون بأن الكاتب فوق تجلده الاقليمى فانه يطرح قضية الدين من خلال المذهب بشكل غير علمى، وغير موضوعى، وغير اشتراكى . وهذا مايؤكده المقطع الذى يقول فيه :

« ومع أن مصر خضعت لحكم الشيعة الفاطميين احقابا ، وعانت عسف الحاكم بامر الله وظلمه ، فان شعبها لم يتحول عن السنة قيد انملة »

الثبات على السنة ضد الشيعة ؟ والثبات على القبطية ضد المسيحية او اوثنية ضد المسيحية (لان المصريين لم يكونوا برمتهم اقباطا) هذا يجب ان لايقودنا الى الاستنتاج بان الحرية هى السبب ، وان اصالة الفن هى المرشد. بل بالعكس هذه ظاهرات اجتماعية للتقاليد والعادات الدور الاساسى بشأنها، ولا دخل لاى استنتاج مزاجى آخر .

اما المغالطة الكبرى — فى نظرى — والتى لم يقع فيها الكاتب عن عمد ، فهى اعتباره حكم الفاطميين كاعتباره لحكم الرومان ، كلاهما حكم مصر ،وكبت شعبها ، مع ان الفاطميين عربا ، والرومان لاحاجة للبحث عن اصولهم حتى نفرق بينهم وبين العرب . ان هذه المغالطة الايديولوجية ، التى تقول ان حكم الفاطميين كان يظلم ويكبت لكونه يريد من الناس ان يكونوا شيعة ، لا سنة . انا مع الكاتب بان الفاطميين كانوا شيعة، وانا مع الكاتب بان الفاطميين ارادوا ان تكون مصر على مذهبهم . ولكن هل مثل هذا الطرح له دخل بمقال بعنوان «الفن فى المجتمع الاشتراكى » ؟

وهل يقتنع القارىء بأن الفاطميين لوحدهم فى تاريخ العرب منذ الاسلام هم الذين ارادوا ان يكون لمذهبهم قصب السبق ؟ ام ان كافة الحكام على اختلاف مذاهبهم كانوا على مثل هذه الارادة؟ وان العرب منذ فجر الدولة الاموية حتى عهدنا هذا يتشاءمون بالمذهب ويتحاربون بالكتاب .

اخيرا .. ان المقال من الوجهة القومية يعتبر تعثرا ، وانتكاسا ومن الوجهة الاشتراكية يعد لا علميا ، ولا موضوعيا .

الطليعة :

يدور هذا النقد حول محورين رئيسيين : الاول ان مقال « الفن فى المجتمع الإشتراكى » ينحو منحى « لا موضوعيا » و « لااشتراكيا ». والثانى : ان مفهومات المقال تتعارض مع مفهوم القومية العربيه .

والنقد على هذه الصورة يثير الدهشة فى الواقع ، لانه اذا سلمنا بان بعض عبارات المقال وافكاره لاتزال فى حاجة الى استيفاء وتحديد، ونشير هنا على سبيل المثال الى « طبيعة الشعب المصري البرجماتية» واذا سلمنا ايضا بان حديث د.حسين فوزى عن «الحافز الداخلى عند الفنان » ربما يخلع طابعا « ميتافيزيقيا » على هذا الحافز — نقول انه اذا جاز لنا ان نضع بعض عبارات المقال وافكاره تحت مجهر النقد فان المقال يظل فى جوهره ، ومن الناحية الاشتراكية متفقا مع الفهم العلمى والموضوعى .

ولنلق نظرة على المقال .ولسوف نكتشف ان المقال يبدأ بالاشارة الى تجربة شخصية للمؤلف فى بعض البلدان الاشتراكية يوردها فى معرض التدليل على الاهتمام العظيم الذى تعلقه المجتمعات الاشتراكية على الفن وعلى دوره فى تثقيف الجماهير. ثم ينطلق المقال بعد ذلك ليعرض بعض القضايا الهامة متخذا بازائها باستمرار موقفا محددا . يتضح فيما يلى :

١ — اذا كان يتحتم علينا ان نكافح ضد خطر الجمود العقائدى وعلى الفن فعلينا ان نكافح ايضا لتأمين المجتمع من الرجعية

٢ — يجب ان نحمى الفنان من الوقوع تحت ضغط الالزام — اذا كان الالزام يعنى ان يعبر عن نفسه بالامر وتحت الضغط — وفى الوقت ذاته اكد المقال على ان الفنان الحقيقى ملتزم بطبعه بالقضايا الكبرى فى مجتمعه .

٣ — اذا كان للعمل الفنى طبيعته الفردية فان هذا لاينفى ان العمل الفنى مرتبط ارتباط ضرورة بالمجتمع فى ماضيه وحاضره ومستقبله .

٤ — وضح د. حسين فوزى اهمية حل المشاكل الناشئة عن العمل لتوسيع قاعدة الثقافه فى صفوف الجماهير وبين المحافظة على مستوى العمل الفنى .

٥— وعندما اشار د. حسين فوزى الى الدور الايجابى لما سماه «بالفن للفن » لم ينس ايضا ان يؤكد على المضمون الاجتماعى لكل فن عندنا قال « الا ان تعمق التفكير يظهرنا على انه لافن بلا هدف اجتماعى حتى فيما يعرف بالفن للفن » .

٦ — ثم يختم د. حسين فوزى مقاله كما بداه بالتأكيد على ايمانه بان الفنون انما تزدهر ايما ازدهار

فى المجتمعــــات الاشتراكيــــة لان « المجتمعات الراسمالية » تضن على الشعب ان يتذوق الفنون الرفيعــة زعما انها تعلو على مستوى ثقافته وتذوقه » .

وهكذا .. اذا وضعنا فى الاعتبار المواقع التى يقف فيهــا د. حسين فوزى والمواقف التى يحددها بازاء القضايا الرئيسية امكننا ان نقــرر — مختلفين فى ذلك مع الاخ سويدان، بان مقال « الفن فى المجتمع الاشتراكى » ما هو الا حلقة من حلقات الجهــد الدءوب الذى يبــذله هــذا العــالم والاديب الكبير فى سبيل ان يجعل من الفن الرفيــع دعامــــة للمجتمــع الاشتراكى .

ونأتى بعد ذلك الى النقطة الثانية : واعتقــادنا ان الاخ ســويدان قــد استنتج من عبارات المقال اوسع النتائج من اضيق المقــدمات وذلك للاســباب التالية :

(١) ثمة حقيقة موضوعية لم تعــد تقبل الجدل وهى ان مصر جزء لايتجزا من الوطن العربى ومــن هــذه الحقيقــة الموضوعية ينطلق اصحاب الفكر التقدمى معبرين عن آرائهم ومواقفهم دون ان يجدوا انفسهم مطالبين فى كل لحظــة بالتاكيد على حقيقة لم تعد فى حاجــة الى تاكيد .

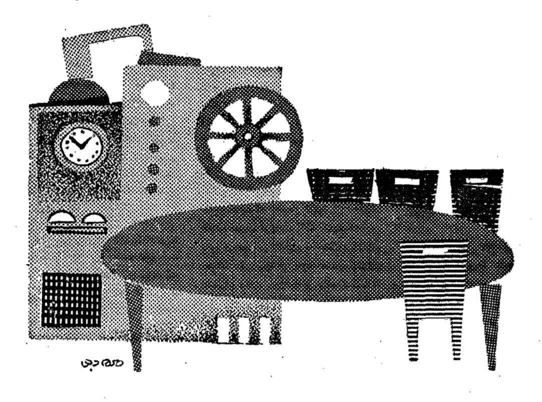
(٢) ان مقال د. حسين فوزى لم يكن مقالا عن القومية العربيــة ومن ثم فان العبــارات التى وردت عــن « المصرى بطبيعته .. » وعن « المصريين والشعب المصرى .. الخ » لا ترد فى معــرض التمييز بين « الشعب المصرى » وبين بقية الشعوب العربيــة ولا فى معــرض تغذية الشعور بالانفصال والتجــزئة . وحتى لانظلم د. حسين فوزى ينبغى ان نضع العبارات المشار اليها فى سياقها. عندئذ سوف نرى ان هذه العبارات تاتى فى معرض التدليل واستخلاص النتائج مطبقة على مجتمع بعينه هــو المجتمع المصرى، وذلك فيما يتعلق بقضية العلاقة بين الاشتراكية والحرية وبين المستوى الذى يجب ان ترتفع اليه الفنون . وفى هذا السياق يحذر د. حسين فوزى من المحاولات التى تتم تحت ستار الفن ثم تبتذل فيها كلمة الاشتراكيــة ابتــذالا شديدا (كما يحدث فى الاغانى التافهــة والتمثيليــات الدارجــة او القصــائد السخيفة) . وعندما يتم التحذير من هذا الخطر يؤكد د. حسين فوزى ان مثل هذه المحاولات لامستقبل لهــا لان التاريخ الحضارى للناس الــذين يحتك معهم ويعيش بينهم المؤلف يبرهن على ان الشعب لايتجاوب مع الضغط والكبت .

من هنا كان ينبغى على الاخ سويدان ان يركز اولا على مضمون كلام د. حسين فوزى قبل ان يلتقط فى المقال هــذه العبارة او هذا اللفظ ثم يدين المقــال « بانه يعتبر تعثرا وانتكاسا من الوجهة القومية »

واخيرا نقول للاخ سويدان باخلاص بان قضية القومية العربية والشــعور القومى بوجــه عــام ينبــغى الا تثير حساسيات متطرفة أو ضيقة الافق قد توقعنا وتجعلنا نسىء الفهم عن كاتب واديب كبير من كتاب العرب .



يمارس المنتجون فى الوحـدات الانتاجيةانتخاب ممثليهم فى دورة جـديدة لعضوية مجالس الادارة . وتنشر الطليعة فى هذاالعدد وجهتى نظر بشأن تطور ودور هـذه التجربةالاساسية فىالتحول نحوالاشتراكيةببلادنا . احدهما للدكتور عبد الرؤوف أبو علم ، وثانيهما لابراهيم غباشى . وكلاهمامن المختصين بالشئون العمالية .



اشـتراك العـاملين فى مجـلس الإدارة

د . عبد الرؤوف أبو علم

تستعد الطبقة العاملة المصرية للانتخابات النقابية ، وتشمل هذه الانتخابات جانب التنظيمات النقابية، منلجان نقابية الى نقابات عامة الى الاتحاد العام للعمال ، انتخاب ممثلى العمال فى مجالس الادارة .

ويقدر أن يشترك فى هذه الانتخابات قرابة ثلاثة ملايين عامل، ويقدر مجموع القيـادات التى سـوف تنتخبها فى التنظيمات النقابية ومجـالس الادارة بحوالى تسعة وستون الفا ، منها أكثر من الفين فى مجالس الادارة . وهـذه العمليـة الديمقراطية الواسـعة لاشك جـديرة بالبحث والدراسة استعدادا لها ، ولما سوف تسفر عنه من نتائج .

واذا استبعدنا التنظيمات النقابية،لان معركتها الانتخابية تناقش فى الوقت الحاضر وسط جماهير العمال والاتحـاد الاشتراكى والمثقفين الثوريين من اعضاء التنظيم ، فاننا نركز فى هذا المقـال على الانتخـابات العمـالية لمجالس الادارة . ومبعث الاهتمام لا يرجع فقط الى ضخامة هـذه العملية الديمقراطية القـادمة ، بل أيضـا الى اعتبارات أخرى عديدة من ابرزها :

اولا : اهمية مشاركة العاملين فى مجـالس الادارة لنظامنا الاشتراكى . فالاشتراكية تعنى تملك الشعب لوسائل الانتاج وتوجيهها لخدمة المجموع ، وهذا يستلزم بالضرورة ادارة الشعب لمشروعات الانتاج ، وتتم هذه الادارة عنطريقين، الاول طريق العاملين فى كل مشروع والقائمين

بالانتاج فيه فعلا ، والثانية بقية افراد الشعب عن طريق التنظيمات السياسية والنقابية . لهذا علينا أن ندعم دائما دور العاملين فى مجالس الادارة ، ونخضع التجربة للدراسة الدائمة لاستبعاد جوانبها السلبية وتدعيم جوانبها الايجابية التى تظهر خلال الممارسة العملية (١) .

ثانيا : المسئولية الكبيرة التى تقع على عاتق مجالس الادارة ، فى ادارة القطاع العام . والقطاع العام ، يمثل الملكية الجماعية لوسائل الانتاج وبالتالى هو الدعامة الرئيسية لمجتمعنا الاشتراكي ونجاح القطاع العام أو فشله يؤثر تأثيرا كبيرا على مرحلة التحول الاشتراكي التي نمر بها فى الوقت الحاضر .

ثالثا : أن مبدأ مشاركة العاملين فى الادارة أتى مع تحولنا الاشتراكي عام ١٩٦١ ، وعلى ضوء تحليل الدورة الاولى لمجالس الادارة ، التي بدأت عام ١٩٦٢ واستمرت عاما واحدا ، أمكن ادخال تعديلات جوهرية ، تمت على أساسها الدورة الثانية الحالية . لذلك كانت دراسة هذه الدورة فى غاية الاهمية للتمكن — على ضوء نتائجها — من الوصول الى دورة جديدة على أسس تساعد بفاعلية اكثر عملية التحول الاشتراكي ، ودفع الانتاج الي مستوي الخطة العامة للدولة ، وتعميق المفاهيم والقيم الاشتراكية .

رابعا : أن البلاد على أبواب خطة التنمية الثانية ، وهي خطة طموحة تختلف كثيرا عن الخطة الاولى فى أمور كثيرة منها ، تركيزها الواضح على الصناعات الثقيلة ، والانتاج الزراعي ، واستكمال مضاعفة الدخل القومي فى نهايتها عما كان عليه عام ١٩٦٠ — ١٩٦١ فى مواجهة تحديات ضخمة داخليا وخارجيا . وهذا يستلزم اعادة تقييم تجربتنا الاشتراكية كلها منذ بدايتها ، تقييم متكامل يتعرض لجميع الجوانب فى جميع التنظيمات والاجهزة ، بما فى ذلك العديد من الشعارات والمفاهيم التى سادت خلال التجربة .

خامسا : ارتباط التجربة بالكثير من المفاهيم الاشتراكية التي أتي بها التحول الاشتراكي ، والتنظيمات الشعبية ، وعمق تأثيرها على هذه المفاهيم وهذه التنظيمات . فهي مثلا مرتبطة بمفهوم القيادة الجماعية ، وسلطة الشعب ، والديمقراطية السياسية والاجتماعية ، والقدوة ، والرجل المناسب فى المكان المناسب . ومرتبطة أيضا بالتنظيمات السياسية فى المصنع وبالتنظيمات النقابية على مستوياتها المختلفة ، وكما أنها تتأثر بهذا كله فهى أيضا ، وبنفس القدر ، تؤثر فيها . ومن هنا ضرورة الاهتمام بها فى اطار هذه المفاهيم والتنظيمات وفى تكامل معها ، يؤثر فى مجموعه على التطور الاشتراكى .

مجلس الادارة فى النظام الرأسمالى والنظام الاشتراكى

أن مجالس الادارة تنظيم موجود فى النظام الرأسمالي ، وهذا يدفع البعض احيانا الى تصور أن الاشتراكية اخذته من هذا النظام لاهميته فى التنظيم الاقتصادى ، وللاستفادة من الخبرة الرأسمالية في هذا المجال . وهذا وهم خاطىء ، لأن هناك اختلاف جوهري وأساسي بين مجلس الادارة فى النظامين . فمجلس الادارة فى النظام الرأسمالى يمثل دور الرقيب بالنسبة لاموال المساهمين ، فمهمته الرئيسية خدمة رأس المال ، وخدمة الرأسماليين بتحقيق أكبر ربح ممكن لاموالهم ولو على حساب طبقات الشعب العاملة ، والاعضاء المعينون فيه هم خدم الرأسمالية الامناء ، يراعى فيهم دائما الايمان بالرأسمالية والدفاع المستمر عنها ، وهذا يفسر لنا تعيين الشخص فى أكثر من مجلس ادارة وبعده عن العاملين بالشركة ، وعدم المامه بالصناعة التي تعمل فيها الشركة ، لأن الهدف الحقيقي ليس الاستفادة من خبرته الفنية ، فالخبرة الفنية متوفرة فى أجهزة الشركة وأقسامها وإداراتها المتعددة ، أنما الهدف هو الوقوف على قمة الشركة لحماية النظام الرأسمالى والمصالح الرأسمالية ، ولذلك كان الاهتمام بوعيه الرأسمالي ، وبتفانيه فى خدمة هذا النظام .

أما مجلس الادارة فى النظام الاشتراكى فهو يمثل حق الشعب فى ادارة ملكيته ، وبالتالى فهو يمثل الشعب فى مجموعه ويمثل الملاك الحقيقيين لرأس المال ، وهدفه زيادة الانتاج لسد احتياجات الشعب ورفع مستوى معيشته ، وهو وأن كان يتفق مع النظام الرأسمالى فى أن يكون أعضائه من المؤمنين بالنظام الاجتماعي الذي يعيشون فى ظله ، أي فى هذه الحالة من المؤمنين بالاشتراكية والعاملين بصدق ووعى على بنائها وتدعيمها ، فانه يختلف معه فى تعيينهم من خارج الصناعة أو الشركة فمجالس الادارة فى النظام الاشتراكى تمثل فى حقيقة الامر

---

(١) كيف نواجه خطر الانحراف البيروقراطى للمديرين — دكتور محمد مجلان — الطليعة اغسطس ١٩٦٥ .
* حول تنظيم وادارة القطاع العام — الاشتراكية والتجربة المصرية — الدكتور اسماعيل صبرى عبدالله — الطليعة نوفمبر ١٩٦٦
* حول تنظيم وادارة القطاع العام — الاشتراكية والتجربة المصرية — الدكتور اسماعيل صبرى عبد الله — الطليعة نوفمبر ١٩٦٦

ادارة العاملين لمشروعاتهم الانتاجية ، ومن ثم وجب تشكيله بأكمله من بين العاملين فعلا فى الوحـدة الانتاجية سواء كان عن طريق الانتخاب او التعيين او عن طريقهما سويا ، كما يفرض أيضا أن يمثل المجلس عمال الانتاج انفسهم ، الذين يعملون مباشرة فيه ، بصرف النظر عن درجاتهم ، لانهم أقدر على لمس مشاكل الانتاج الحقيقية والفعلية . ويمثل ايضا جميع فروع الانتاج فى الشركة ، والاقسام الرئيسية المختلفة بها .

تحليل الدورة الحالية لمجالس الادارة

قامت بعض الجهات ، وبعض الافراد بتحليل الدورة الحالية لمجالس الادارة ، وقد تم هذا على نطاق أوسع مما تم فى حالة الدورة الاولى (٢) ، ويمكن تلخيص أهم الاراء التى يرددها الاعضاء المنتخبين فى الاتى :

اولا : عدم الفهم الكامل لدى المديرين لمبدا اشتراك العاملين فى الادارة وسلوكهم الذى مازال متأثرا بالفكر الراسمالى والعلاقات الراسمالية .

ثانيا : عدم وجود جدول أعمال مفصل ،وتوزيعه عليهم فى آخر فرصة لحرمانهم من فرصة الاطلاع والدراسة،وعدم تعاون المعينين معهم داخل المجلس بشرح الموضوعات المعروضة وتبسيطها ، والتستر بالمؤسسات العامة فى بعض الحالات .

ثالثا : عدم تسجيل مايدور فى الجلسات ،وانعدام وسيلة متابعة القرارات وتنفيذها .

رابعا : السلطات الموجودة لدى المعينين بحكم مناصبهم ، واستعلائهم على المنتخبين لضـعف مراكزهم،وتأثر سلوكهم ومناقشاتهم داخل المجلس بعلاقتهم الادارية برئيس مجلس الادارة .

خامسا : وجود أماكن وبرامج تدريب مختلفةلكل من المعينين والمنتخبين مما يدعم الفرقة بينهما مع فروق واضحة فى المعاملة أثناء فترة التدريب .

ويردد الاعضاء المعينون الاتى :

اولا : عدم كفاية العناصر العمالية المنتخبةلتفهم القضايا التى تعرض على المجلس

ثانيا : اهتمام المنتخبين بشئون الافراد اكثر من أهتمامهم بشئون الانتاج .

ثالثا : لم تأت الانتخابات باصلح العناصر انما بتلك المعروفة بعدائها للادارة،او بأكثرها تملقا للعمال ومطالبهم الخاصة

وبجانب الملاحظات التى يرددها كل من الفريقين توجد ملاحظات عامة اهمها :

اولا : الصراع الدائم بين الاعضاء المنتخبين والاعضاء المعينين .

ثانيا : تضارب اختصاص مجلس الادارة مع اختصاصات اللجنة النقابية ووحدة الاتحاد الاشتراكى

ثالثا : انفصال مجلس الادارة عن القاعدة العمالية .

رابعا : عدم تمكن مجلس الادارة من ربط جماهير العاملين بالخطة العامة للدولة والخطة التفصيلية للمصنع .

خامسا : واخيرا ضعف الوعى بالاشتراكية والسلوك الاشتراكى ، وبالمهام الرئيسية لمجلس الادارة فى المجتمع الاشتراكى .

هذه اهم الملاحظات التى رددت فى الفترة الاخيرة حول تجربة اشتراك العاملين فى الادارة سواء ما يمس منها التجربة الاولى او التجربة الحالية ، وبعضها ولاشك يمس قضايا رئيسية لا بد من التعرض لها بتفصيل اكثر .

نوعية أعضاء مجالس الادارة

اذا استخلصنا ان مجلس الادارة فى مجتمع اشتراكى يمثل الشعب فى ادارة المشروع أدارة اشتراكية هدفها تحقيق أهداف الخطة التىوضعها الشعب لرفع مستوى معيشته فى اطار علاقات اجتماعية اشتراكية لوجب علينا الاهتمام بنوعية اعضاء مجالس الادارة معينين ومنتخبين . أن المرحلة التى نمر بها لانفترض أن يكونوا على علم ووعى بالاشتراكية ومخلصين لها فحسب ، لانها تجاوزت هذه الصفات ، واصبحت اليوم تتطلب

(٢) قام معهد الادارة العمالية بمؤسسة الثقافة العمالية بعدة استفتاءات ودراسات فى هذا الشأن على الاعضاء المنتخبين فى الدورة الاولى والدورة الثانية ، وتعرض لهذا التحليل ايضا الدكتور نجيب اسكندر فى مقاله بالطليعة عدد مايو ١٩٦٥ ، والدكتور على عبد المجيد عبده فى كتاب العمل العدد ٢٩ ملحق مجلة العمل ١٩٦٦ ، والاستاذ منصور احمد طه فى رسالة الماجستير التى تقدم بها لكلية التجارة جامعة القاهرة وموضوعها أشتراك العاملين فى الادارة .

مناضلين ايجابيين من اجل تحقيق الاشتراكية وتدعيم بنائها والدفاع عنها . ومن هنا وجب ان يكون عضو مجلس الادارة ، بجـانب وعيه واخلاصه مناضلا ثوريا ، يطمأن الى تحمله لمسئولية البناء الاشتراكي في مجال عمله . ان البناء الاشتراكي الذي يعتمد على التخطيط يؤثر كل جزء منه في الاجزاء الاخرى ، واى ضعف في جزء ربما يؤثر على الخطة العامة للدولة كلها .

وهذا يتطلب منا الاهتمـام في اختيار المعينين والاشتراط عند ترشـيح المنتخبين وتدعيم دور التنظيم السياسى في هذا المجال .

قضية الانتاج

من الواضح ان اشتراك العاملين في مجالس الادارة لم يحقق أحد أهدافه الرئيسية وهو زيادة الانتاج ، ولهذا اسباب عديدة منها :

● ان الانتاج مازال في نظر الكثير من المسئولين سر من الاسرار،فالعمال لا يعرفون الخطة العامة للدولة ، ولا يعـرفون الخطـة التفصـيلية في مصانعهم ولم يشتركوا بصـورة او بأخرى في مناقشة خطة وحدتهم الانتاجية ، وبالتالى يجهلون ارقامها واهدافها .

● ان الاعضاء المعينين يعتبرون الخطة وما يتصل بالانتاج فوق مستوى الاعضاء المنتخبين ، وبالتالى لايشعرون بضرورة لعرضها عليهم عرضا تفصيليا .

● ان الترشيح للاعضاء المنتخبين لايتم مرتبطا بخطة المصنع ورأى كل مرشح فيها ، ومقترحاته بشأن تنفيذها .

● أن الاعضاء المنتخبين في كثير من الاحيان لايمثلون كل فروع الانتاج في الشركة ، واحيانا لايمثلون العمال الذين يعملون مباشرة في عمليات الانتاج ، ويخرجون من صفوف الاداريين والمكتبيين وبالتالى يخلو المجلس من العناصر التى تعكس المشاكل الفعلية للانتاج .

● ان بعض الاعضاء المنتخبين ، يندفعـون لاسباب عديدة ، الى التركيز داخل المجلس على مصالح العمال ومشاكلهم الضرورية ، وليس على الانتاج نفسه والمشاكل المرتبطة به مباشرة .

● انعدام المتابعة الحقيقية الفعالة من جانب مجلس الادارة وسرية تقارير مجلس الادارة وتقارير المتابعة التى تحرم العاملين من معرفة ما يدور في المجلس وما يتم بشأن متابعة قراراته وربما تنتهى باعداد تقارير متابعة غير صحيحة ترفع للسلطات الاعلى لتغطية المديرين .

ولما كانت قضية الانتاج هى قضية الاشتراكية الاولى وجب القضاء على كل معوقات الانتاج بعرض الخطة العامة للدولة والخطة التفصيلية للمصنع على العاملين ، ومناقشتهم لها على أوسع نطاق لفهمها والارتباط باهدافها ، وجعلها محور الدعاية الانتخابية للاعضاء المنتخبين ، وبذلك تحل كثير من المشاكل فلن يتقدم للترشيح الا العامل الواعى المثقف ، وتتوقف عملية الوعود بحل المشاكل الفردية ، والتركيز داخل المجلس على قضايا الانتاج وليس على مشاكل العاملين وحدها ، ونشر تقارير مجالس الادارة والمتابعة، فالمجتمع الاشتراكى على خلاف المجتمع الرأسمالى لاتوجد به اسرار لايجوز اطلاع العاملين عليها ، بل ان معرفتهم بكل التفاصيل هو خير وسيلة للمشـاركة الايجـابية الفعالة ، ومن الممكن حجـز القرارات التى تمس سياسة الدولة العليا ان وجدت .

علاقة الشركات بالمؤسسات

ان المفروض في المؤسسات العامة ان تـكون اجهزة للتخطيط والمتـابعة والتنسيق والرقابة ، لكن يبدو انها تتضخم بصفة مستمرة ، لتجعل من نفسها مرحلة اشرافية روتينية جـديدة ، وبذلك حطمت الحكمة من وجودها ، والمؤسسة بحكم تكوينها جهاز بعيد عن الانتاج،يتعامل بالورق وعلى الورق ، ومع ذلك امتد نفوذها حتى اصبح لها تأثير واضح على الشركات والوحدات الانتاجية . وقد رحب الفريق الروتينى داخل الشركات بالمؤسسات ودعمها متسترا خلفها في تدعيم بيروقراطيته واهميته الادارية . والانتاج الاشتراكى لا يتحمل هـذا الارهاق الروتينى، ولذلك لابد من مواجهة المشكلة مواجهة صريحـة .

والملاحظ انه مع هذا الوضع ، وهـذا التدخل في شئون الشركات ، لايوجد للعمال تمثيل في المؤسسات العامة ، وقد استغل رؤساء مجالس ادارة بعض الشركات هذا الوضع ، فتهربوا من عرض الكثير من الامور على مجالس الادارة بحجة انها من اختصاص المؤسسات وأنها سترفع لها لهذا فهناك ضرورة ملحة في تمثيل العمال في مجالس ادارات المؤسسات العامة ، حتى يتأكد ويتكامل مبدا اشراك العاملين في الادارة ، ويأخذ معناه الحقيقى والفعلى .

انعزال الاعضاء المعينين عن الاعضـاء المنتخبين

يعترف اعضاء الفريقين بوجود هذه الظاهرة ، وتنطق بهـا ايضا جلسات مجـالس الادارات ، واتجاهات التصويت فيها،ففى معظم الحالات يتكتل

كل فريق ويصوت في اتجاه واحد . وهذه الظاهرة لا شك تتنافى والسلوك الاشتراكي ، ولا يمكن ان تخدم قضية الانتاج ، ويدعمها في الوقت الحاضر بعض الامور من ابرزها :

اولا : انعزال الاعضاء المعينين عن الاعضاء المنتخبين في دورات التدريب ، فالفريق الاول يتم تدريبه في معهد الادارة العليا ، والفريق الثاني في مؤسسة الثقافة العمالية ، والى هذا الحد ربما لا يبدو الامر صارخا ، لكن الحقيقة انه تبدأ من هنا سلسلة من الاساليب لايمكن أن تخدم الا تعميق الانعزال بينهما ، وخلق وضع طبقي يحطم اسس الاشتراكية ، ويشكك مجموع العاملين فيها ، ويحطم وحدة الفكر والارضية الفكرية المشتركة اللازمة لهما .

فرغم انهم جميعا اعضاء في مجلس واحد ، له هدف واحد ، وجدول اعمال واحد ، واسلوب عمل واحد ، نجد ان لكل فريق برنامج يختلف اختلافا جوهريا عن الاخر ، ونجد كل فريق يعامل معاملة مادية تختلف اختلافا جوهريا عن الاخر (٣) .

ثانيا : مازال بعض الاعضاء المعينين يقيمون حاجزا بينهم وبين اخوانهم العاملين على اساس الشهادة التي يحملها كل واحد منهم ، فالاول وهو يحمل شهادة جامعية يرى انه لا يجوز له وقد حملها ان يختلط ويتبسط مع من يحمل دونها ، ولهذا يتكتل مع حاملي نفس الشهادة أو مايعادلها .

ثالثا : مازال بعض الاعضاء المعينين ايضا يتمسكون بالسلم الوظيفي ، وبالتالي يرفض وهو موظف الدرجة الكبيرة ، أن يتبسط مع العامل ذى الدرجة الصغيرة ، ويصر على اتباع نفس الاساليب المكتبية داخل قاعة المجلس ومناقشاته .

رابعا : السلطات الموجودة لدى الاعضاء المعينين داخل المنشأة بحكم وظائفهم ، وانعدام ذلك لدى اغلبية الاعضاء المنتخبين .

وظاهرة انعزال الاعضاء المعينين عن الاعضاء المنتخبين ظاهرة خطيرة ، تفرض ضروريات المرحلة علاجها حتى يكون المجلس وحدة متجانسة فكريا وتنظيميا ، ويمكنه القيام بدوره القيادي داخل المنشأة . واولى الخطوات في هذا السبيل ، تدعيم الوعي الاشتراكي لديهم باعداد تدريب مشترك للفريقين ببرنامج موحد يركز بجانب دراسات الادارة على الدراسات الاشتراكية والدراسات النقابية ، حتى يخلق قيادة موحدة الفكر ، تقف على ارضية فكرية واحدة ، ولديها المام كامل بمشاكل العاملين وبالتنظيمات الجماهيرية ومنها التنظيمات النقابية ، وبديهي بعد ذلك أن تكون هناك مساواة كاملة في المعاملة واماكن الاقامة والى ما غير ذلك من التفاصيل . ومثل هذا البرنامج الموحد يتطلب جهازا موجدا للاشراف عليه تهيأ له الامكانيات المادية والمالية لامكان استيعاب الاعداد الكبيرة من اعضاء مجالس الادارة في الفترة القصيرة للدورة .

مستوى الاعضاء المنتخبين

تشير الابحاث الى ان بعض الاعضاء المنتخبين ليسوا على درجة كبيرة من الثقافة والكفاية اللازمة لمجالس الادارات وما يناقش فيها من موضوعات . على ان هذا يجب الا يفسر على انه لا يوجد داخل الطبقة العاملة من هو على هذا المستوى، فالطبقة العاملة عندها كفاءات وعناصر ممتازة وعلى درجة كبيرة من الثقافة ، فتشير الاحصائيات التي قام بها معهد الادارة العمالية الى أن نسبة كبيرة من الاعضاء المنتخبين حاصلة على شهادات دراسية . ففي بحث على ١٥٦٦ عضوا منتخبا تبين ان ثمانية منهم حاصلين على شهادة دكتوراه، واربعة على شهادة الماجستير ، و ٩٢٨ حاصلين على مؤهل متوسط فما فوق، و٣٥٢ حاصلين على الاعدادية والابتدائية، وان جزء من هؤلاء ونسبة كبيرة من الباقين لهم مدة خدمة تزيد عن خمسة عشر عاما، هذا بالاضافة الى ان الثقافة التي تتطلبها عضوية مجالس الادارة ليست بالضرورة تلك المرتبطة بالشهادات ، فهناك الثقافة المكتسبة من الممارسة للعملية الانتاجية نفسها، اى الثقافة النابعة من واقع حياتنا ومشاكلنا، وتلك حالة ترتبط ارتباطا وثيقا بالقضايا الرئيسية الواقعية لتحولنا الاشتراكي ، ان الثقافة بمعناها الاشمل ليست مجرد شهادة دراسية ، بل هي وعي وخبرة ، وارتباط بالمجتمع ونظمه وفهم لعلاقاته الاجتماعية وقضاياه الرئيسية .

لكن الاسلوب الذى تتم به الانتخابات لايمكن هذه العناصر المثقفة الواعية من الصعود الى مجالس الادارات . فمن الواضح أن المعركة الانتخابية لاتتم على اساس موضوعي او فكرى ، وفي غيبة ذلك تقوم الانتخابات على اعتبارات اخرى منها الشلل والمجاملات والمساومات والتهريج والوعود بحل المشاكل الفردية او العمالية التي أصلا من اختصاص التنظيم النقابي ، او الظهور بمظهر العداء للادارة او الوعود بتحقيق مطالب

---

(٣) اضواء على القطاع العام للأستاذ عبد المنعم سعيد ، مجلة الكاتب العدد ٦٩ اكتوبر ١٩٦٦ م

جديدة للعمال الى تغير ذلك ، والنتيجة هو تصعيد قيادات بعيدة عن موضوعية اعمال مجالس الادارة

وفي رأيي انه لو تغير اسلوب المعركة ووضعت على اساس موضوعي وفكري لتغيرت نتيجة الانتخابات ، وصعدت العناصر الصالحة القادره على مسئوليات اعمال مجالس الادارة ، ويمكن ان يتم ذلكبانزال الخطة التفصيلية للمصنع وتقارير المتابعة الى جماهير العمال ، وربط الدعاية الانتخابية بهما ، فيتقدم كلمرشح برايه ومقترحاته، ووسائل الوصول الى اهداف الخطة في المدة المحددة ، وغير ذلك من الامور المرتبطة ارتباطا وثيقا بالخطة والمتابعة والانتاج . وهذا من شأنه أن يبعد العناصر غير القادرة عن المعركة ، ويدفع بالعناصر الواعية القادرة ، كما انه يبعد الاعضاء المنتخبين داخل المجلس من التركيز على مشاكل العاملين ونقل تركيزهم على الخطةوالانتاج لارتباطهم بذلك اثناء المعركة الانتخابية .

وقد يكون من الافضل تطبيق مبدا الغاء بدل حضور الجلسات على الاعضاء المنتخبين ايضا ، حتى لايكون المكسب المادي في الاعتبار اثناء الترشيح،والقول بابقائهبالنسبة للاعضاء المنتخبين فقط بسبب ضعف اجورهم قول ضعيف ، لان هدف المجلس ليس رفع مستوى اعضائه المادي ، بل ان هدفه هو الاحتفاظ بوضعهم القيادي في الانتاج .

الجمع بين عضوية مجلس الادارة وعضوية مجالس ادارة التنظيمات النقابية

من الملاحظ أن بعض الاعضاء المنتخبين حاليا في مجالس الادارة ، أعضاء في نفس الوقت في مجالس ادارة اللجان النقابية او النقابات العامة.وفي رأينا أن هذا الجمع من أخطر النقط التي تتسبب في خلط مهام كل من المجالين على الاخر . فهو الذيتسبب في انحراف الدعاية الانتخابية ناحية مشاكل العاملين ، وتركيزها على الوعود بحلها داخل المجلس ، وأبراز العداء للادارة والمسئولين عنها ويتسبب أيضا في اغراق مجلس الادارة فيمطالب نقابية .

ولما كان هناك فرق واضح بين مهام مجلس ادارة المشروعات الانتاجية ، ومجالس ادارة التنظيمات العمالية ، وكانت المرحلة الحالية التي نمر بها تتطلب منا التخصص في كل مجال حتى تكون القيادة واعية بمسئولياتها ، وحتى لاتحتكر قلة قيادة المجالين ويتسبب ذلك في عجزها عن تأدية واجباتها المطلوبة ، كما هو واضح في الدورة الحالية ، اذ أن بعض الاعضاء المنتخبين اعضاء في نفس الوقت في مجلس ادارة لجنتهم النقابية ونقابتهم العامة ، بالاضافة الى مراكزهم السياسية في الاتحاد الاشتراكي، والتشريعية فيمجلس الامة . ومثل هذا الوضع يتنافى مع ما نص عليه الميثاق من وضع الرجل المناسب في المكان المناسب ، والفرد الواحد في العمل الواحد ، فضلا عما فيه من حرمان للقاعدة من المشاركة في العمل الوطني والوقوف أمام تصعيد قيادات جديدة .

لذلك ربما كان من المصلحة عدم الجمع بين عضوية مجالس ادارة التنظيمات العمالية وعضوية مجلس ادارة المشروعات الانتاجية . وهذا التفرغ سيعمل على تركيز الاعضاء المنتخبين على قضية الانتاج والالتزام بها داخل المجلس وامام جماهير العمال .

هذا عرض سريع لبعض القضايا التي تمس اشتراك العاملين في مجالس الادارة ، واعتقد ان نقطة البدء ، وقد قرب موعد الانتخابات ، هينشر قرارات المجالس في هذه الدورة على العاملين ، وكذلك تقارير المتابعة ، حتى يمكن للقاعدة العمالية المشتركة في الانتخابات ان تحكم على ممثليها خلال هذه الدورة ، وان تحس بجدية المجلس ، ونوعية الموضوعات التي تثار فيه، ثم تنشر بعد ذلك الخطة التفصيلية لكل مصنع على العاملين به مع ملخص للخطة العامة للدولة ، حتى يدور حولها نقاش ، وتكون محور الدعاية الانتخابية بين المرشحين .

وفي نفس الوقت أرى انه قد آن الاوان لتوحيد الاشراف على تدريب أعضاء مجالس الادارة والاستعداد بذلك من الان بجهاز موحد وبرنامج موحد، وفي هذا كله يجب أن يأخذ التنظيم السياسي دوره القيادي ، للاطمئنان الى نوعية الاعضاء المعينين والمنتخبين ، والى سلامة الخط الفكري لبرامج التدريب ، وازالة التناقضات داخل المنشأة بين مجالس الادارة والتنظيمات الجماهيرية الاخرى .

وارى ضرورة وضع هذه المشكلة علىمستوى

جماهيرى تشترك فيه جماهير الشعب ، لأن القضية فى جوهرها قضية الانتاج وملكية الشعب، وبالتالى فيجب الا تتم بشكل منعزل عنه ، وعلى الصحافة ووسائل الاعلام ان تنقل القضية الى أصحابها الحقيقيين وتركز على حق مساهمة كل عامل فيها بفكره ومقترحاته ، مادامت هى جزء من ملكيته التى ردتها له الثورة ، وتمس قضية الانتاج التى هى قضيته الاولى .

مع بداية دورة جديدة للعضوية المنتخبة فى مجالس الإدارة

ابراهيم عشماوى

ماهى الدوافع الجديدة التى تلح بدراسة ظاهرة اشراك العمال فى مجالس ادارات الشركات ، والقيام بمحاولة جديدة — فى الوقت الحاضر — لمعالجة الموضوع ؟

لقد قدم عدد من الكتاب والباحثين الاشتراكيين خلال العامين الماضيين دراسات جادة عميقة اتجه بعضها الى توضيح وتأكيد المعنى الكبير الذى تعنيه هذه الظاهرة كأساس لمرحلة التحول الاشتراكي فى ظل ملكية الشعب لوسائل الانتاج وفى ظل انتقال المسئولية من مسئولية استغلالية سلبية لتحالف الاقطاع والراسمالية الى مسئولية وطنية ايجابية لتحالف قوى الشعب العاملة .

كما اتجه بعض هذه الدراسات الى تحليل للظاهرة من خلال الواقع والتطبيق ومن خلال الربط والمقارنة والتفريق بين دور ومسئوليات القيادات العمالية داخل مجالس الادارات ، ودور ومسئوليات التنظيمات النقابية وتنظيمات الاتحاد الاشتراكي مع استقراء تاريخى لتطور الحركة العمالية النقابية فى مصر خلال نحو نصف قرن على البداية وماتركته من رواسب وما سببته من عقد ومن أفكار واتجاهات تؤثر — من غير شك — على مدى تطور ظاهرة الاشتراك فى مجالس الادارات .

وقد يقول البعض ان هذه الظاهرة ليس لها عمر ، باعتبار ان نحو خمس سنوات فقط قد مرت على اول قانون استحدثها فى مجتمعنا عام ١٩٦١ ، ومن ثم فان محاولات الدراسة والتحليل المستمرة من جانب كل الراغبين فى نجاحها وتثبيت جذورها وتعميق آثارها امر طبيعى يفرضه الواجب وتحتمه ظروف التحول الاشتراكى عبر عنه الرئيس جمال عبد الناصر فى خطابه الذى قبل فيه ترشيح مجلس الأمة لرياسة الجمهورية (١٩٦٤) حين قال « يتعين علينا فى المرحلة

القادمة أن نمكن لقيم المجتمع الاشتراكى من أن تستقر وترسخ وتصل بجذورها الى اعمـــاق حياتنا »

وما اظن ان احدا لايرى ان اشتراك العمال فى ادارة الوحدات الانتاجية قيمة جديدة فى مجتمـع جديد .

وربما يقول البعض : ليس بالضرورة ان يوجد دافع او دوافع جديده للدراسة او الكتابة فى موضوع حيوى كموضوع اشتراك العاملين فى ادارة الانتاج القومى ، فمن غير دوافع فان الدراسة الجديدة تضيف باستمرار علامات مضيئة جديدة فوق طريق الوضوح الفكرى والتطور ..

والميثاق نفسه تعرض للقضية حين قال : **«ان الوضوح الفكرى اكبر مايساعد على نجاح التجربه ، كما ان التجربه بدورها تزيد فى وضوح الفكر وتمنحه قوة وخصوبة تؤثر فى الواقع وتتأثر به ، ويكتسب العمل الوطنى من هذا التبادل الخلاق امكانيات اكبر لتحقيق النجاح »**

ومع صدق هذا كله ، الا اننى اعتقد ان هناك دوافع جديدة اخرى تفرض بالحاحها التعرض للموضوع فى الوقت الحاضر .. بالذات فى قمة هذه الدوافع مايلى :

اولا — ان دوره انتخابية جديدة توشك ان تبدا فى ظل متغيرات كثيرة تطبع المرحلة القادمة بطابع خاص .. وفى ظل اطار تشريعى جديد خرج من تجربة التطبيق فى ادارة القطاع العام ، واطار من المسئوليه السياسيه على مستوى الوحدات الانتاجيه تفرضه ظروف التحديات التى نواجهها . وقبل كل شىء فى ظل حصيلة تجربة انتهت اليها دوره سابقة حافلة امتدت نحو عامين ونصف عام فى اكثر من ٥٠٠ شركة انتاج وخدمات .

ثانيا — ان كلاما كثيرا قد قيل سواء فى مؤتمرات المتابعه للمعهد القومى للاداره العليا أو فى المؤتمرات النقابيه او فى الندوات المختلفة حول امكانيه تطبيق مبدا القياده الجماعيه فى ظل مزيد من السلطات لرؤساء مجالس الادارات فى الوحدات الانتاجيه لتحقيق مزيد من التحديد للمسئوليه وقدر اكبر من حرية العمل فى هذه الوحدات بهدف اخير وواحد ومطلوب هو تحقيق أهداف الخطه انتاجيا كأساس طبيعى لاستكمال مرحلة التحول الاشتراكى سياسيا واقتصاديا واجتماعيا . وبطبيعه الحال فان الحديث عن القياده الجماعية يرتبط الى حد كبير بالحديث عن العضوية المنتخبة فى ظاهرة اشراك العاملين فى مجالس الادارات .

ثالثا — ان طبيعة المرحلة القادمة للعمل الوطنى تقتضى بعد الوضوح الفكرى تحديدا قاطعا للمشكلات ومواجهة صريحة شجاعة وحلولا اكثر حسما لاتعتمد على الحساسيات بقدرما تعتمد على الاساس العلمى او العملى ..

رابعا — انه اذا كانت بعض المبادىء والحلول التى انتهى اليها — منذ اكثر من عام — مؤتمر الانتاج ثم مؤتمر الاداره قد وجدت تعبيرا عنها فى نصوص التشريعات التى صدرت بعدهما ، فان الكثير من هذه المبادىء لايعتمد فى تطبيقه على التشريع بقدر مايعتمد على سلامة التقدير والتصرف ومقومات او اخلاقيات القياده فى مجالات العمل المختلفة ، وعلى عوامل نفسية بشرية تتعلق بالبشر المتعاملين المتعاونين معا داخل الوحدات الانتاجية ومن فوقها المؤسسات واجهزه الرقابة وغيرها من الاجهزه الحكومية . واذا كان العالم اليوم ، وعلى الاخص العالم النامى ، يضع كل اهتمامه فيما يسمى بالاستثمار البشرى او الاستفادة المثلى من القوى العاملة ، فان فى مقدمه من يهتم بهم رجال الادارة العليا واسلوب عملهم داخل مجالس الادارات وخارجها واسلوب علاقاتهم .

ومن ثم يصبح طريق اعدادهم واذائهم لواجبهم ولازالة المعوقات أمام فاعلية العمل الجماعى لهم قيمة تستحق مزيدا من اهتمام الباحثين .

خامسا — ان مرحلة العمل القادمة تتطلب الخروج من نطاق العموميات الى التفاصيل المرتبطة بالواقع ، فان كثيرا من العقد التى تحكم العلاقات داخل الوحدات الانتاجيه او بين كثير من الاجهزه والمنظمات تعتبر نتيجة لتراكم كثير من التفاصيل الصغيرة فى أغلب الاحايين .

وفى مواجهتنا للقضايا يجب ان نغوص فيها بحثا عن الجذور ، وننتقل دائما من مرحلة العموميات والتوصيات العامة الى مرحلة عمل شاق ومتشعب ومحدد وموجه الى أعماق المشكلات .. ومثالى على العموميات ماتضمنه دستور العمل الذى اصدره الاتحاد العام للعمال فى ٢٢ مايو عام ١٩٦٥ تحت عنوان دليل العمل الثورى — اى منذ اكثر من عام ونصف — من بعض النقاط مثل :

● العمل دعامة الانتاج والمصدر الاساسى لقوة الدولة الاقتصادية وتقدمها الاجتماعى .

● يؤمن العمال بان نهوضهم بهذه المسئوليات يتطلب أساسا ان يتعاونوا ايجابيا وباخلاص مع الدولة والادارة الاشتراكية على تنفيذ خطة التنمية وتحقيق أهدافها . وهذا التعاون يقضى بأن تنظر كل من النقابة والادارة الاشتراكية احداهما الى الاخرى ليس كطرف مقابل ، وانما كشريك لهم على قدم المساواة فى بناء ودعم وتطور المجتمع الاشتراكى .

● تآخى القيادات النقابية مع القيادات العمالية الاخرى فى المنشآت والتعاون معهما كقيادات متكاملة وليست متنافسة على تحقيق الاهداف القومية والانتاجية المشتركة .

وهذه الدوافع الخمسة تفرض نفسها كذلك على منهج الدراسة الذى اتخذه ثم على محاولة اقتراح بعض الحلول او تقديم بعض الآراء فى مواجهة مواقف معينة او اوضاع تواجه الـدورة الجديدة للعضوية المنتخبة فى مجالس الادارات .

وفى اعتقادى اننا نحتاج قبل الدخول المباشر الى بعض التفاصيل ان نتفق أولا حول بعض النقاط الجوهرية حتى يمكننا ان ننتقل الى مناقشة التفاصيل — وقد نختلف — ولكن فى اطار الاتفاق على نقط التحرك .

لابد أن نتفق اولا حول :

● مفهوم المسئوليه السياسية عن الانتاج التى حملت لرجال الادارة العليا .

● الهدف من اشراك العاملين فى مجالس ادارات الوحدات الانتاجية .

● مدى ماحققته الممارسه الفعلية لمبدا مشاركه العاملين فى الاداره على مستوى المجلس خلال الدوره التى يمكن أن نقول انها قد أنتهت وفى محاوله التقييم لهده الدوره لابد ان نتفق على معيار أو معايير لقياس نتائج مشاركه العاملين كأساس نبنى فوقه احتمالات التطوير فى المستقبل .

● مفهوم القيادة الجماعية ، وهل هناك تعارض بين هذا المفهوم وبين اعطاء مزيد من السلطات للفرد الممثل فى رئيس مجلس الاداره كجزء من مجموعة اجراءات تهدف الى تحقيق مزيد من حرية العمل فى الوحدات الانتاجية لتنطلق نحو تحقيق الاهداف المخططة لها .

- فى تحديد مركز نتناول كل نقطة من هذه النقاط فى علاقتها بموضوعنا المحدد وهو اشراك العاملين فى الادارة .

المسئولية السياسية للادارة العليا

ونعنى — فى اعتقادى — ان يتثبت الادراك عقليا والاحساس نفسيا لدى رجال الادارة العليا وعلى الاخص رؤساء مجالس الادارات بصفتهم مسئولين مسئولية مباشرة عن تحقيق الاهداف المخططة لوحداتهم الانتاجية ، بأنهم ليسوا مجرد فنيين تنفيذيين ، وانما هم جزء لايتجزأ من وحدة سياسية كبرى تضم جميع أفراد قوى الشعب العاملة وانهم فى وضع طليعى يقودون فيه العمل فى مجال الانتاج من أجل تحقيق اهداف قومية رسمها الشعب والتزم بها فى ميثاق العمل الوطنى وانهم بحكم هذا الوضع مسئولون عن تطبيق المبادىء التى ارتضاها المجتمع واعتبرها اسسا لتحوله الاشتراكى .

ومن هذا المفهوم فان رؤساء مجالس الادارات ومن يشاركونهم مسئوليه الاداره فى مستواها الاعلى مسئولون سياسيا عن نجاح مبدا مشاركة العاملين فى الاداره ومطالبون بالعمل **من أجل تهيئة كل الظروف المادية والنفسية الممكنه لتكون هده المشاركه اكثر فاعليه ، ولتكون دعامة أساسية من دعائم مجتمعنا الاشتراكى فى الغد .**

الهدف من اشراك العاملين

ان النظره الكلية الى التغيير الجذرى الذى حدث فى مجتمعنا نتيجه لثورة ٢٣ يوليو يجعلنا نصل الى هدفين رئيسيين لاتخاذ القرار باشراك العاملين فى مسئولية الادارة العليا للمنشآت .

● الهدف الاول هو تثبيت الديمقراطية الاجتماعيه كأساس للديمقراطية السياسية . ولقد عبر الرئيس جمال عبد الناصر عن ذلك الهدف فى وضوح قاطع فى خطابه بمجلس الامه فى ٢٥ نوفمبر ١٩٦٥ خلال تقييمه لمرحلة عمل ماضية « فى **الناحية الاجتماعيه شهدت مرحله التحول تغييرات جذرية حررت الثوره الوطنيه من الاحتكار الاجنبى والاقطاعى والرأسمالى ونقلتها الى ملكية الشعب العامل وادارته وخدمته ومكنت للديمقراطيه السياسية بالتالى من أساسها السليم الذى لااساس غيره .. الديمقراطيه الاجتماعية** » .

● الهدف الثانى هو القيام بعملية تحويل ثورى ينقل الطبقة العاملة منجانب الحقوق فحسب الى جانب الواجبات أيضا . فقد ارتبط باتخاذ قرار أشراك العاملين فى مجالس الادارات عده قرارات مباشره اعطت العمال حقوقا ثورية بدات بقرارات يوليو المعروفة فى عام ١٩٦١ وقرارات أخرى غير مباشرة احدثت تأثيراتها الاقتصادية والاجتماعية فى حياة الشعب بصفة عامة ومن بينه العمال .

ولا شك ان اعطاء العمال حقوقا ثورية — وهناك فرق واضح بطبيعة الحال بين الحق العادى والحق الثورى — يقابله تحميلهم بواجب ثورى .

فالعملية اذن هى نقل العمال من مجرد طرف يتلمس طريقه بالوسائل النقابية التقليدية فى ظل

مجتمع رأسمالي مستغل للحصول على بعض الحقوق مع سلبية في المسئوليات ، الى قوة من قوى الشعب العاملة في ظل مجتمع يملك الشعب تحمل مسئولياتها وتشارك بفعالية في بناء المجتمع وتطويره .

ولقد مس الميثاق هذا المعنى مسا صريحا مباشرا في باب الانتاج والمجتمع في مجموعة من الفقرات أو الشعارات مثل : **((.. ان ذلك التغيير الثورى في الحقوق العمالية لابد ان يقابله تغيير ثورى في الواجبات العمالية وان مسئولية العمل يجب ان تكون كاملة عن أدوات الانتاج التي وضعها المجتمع كله تحت ارادته))** . **والمقصود هنا إرادة العامل ، ((ولقد اصبحت مسئولية العمل بأدوات الانتاج التي يتولى الحفاظ عليها وتشغيلها بكفاية وأمان وبالاشتراك في الادارة والارباح مسئولية كاملة في عملية الانتاج))** .

ثم يأتي بعد ذلك الهدف الاقتصادى الذى نتوقعه من مشاركة العاملين في تحمل مسئولية ادارة الوحدة التي يعملون بها مما يضيف جهودهم وافكارهم الايجابية الى الجهد الذى كان يتحمله من قبل جانب واحد هو جانب صاحب العمل او الادارة ، فضلا عن الاداء المتوقع من افراد يشعرون بأنهم يملكون وحدة الانتاج ويشتركون في الارباح وفي الادارة ولهم كيان جديد في مجتمع جديد ..

تقييم الدورة المنتهية

من الامور البديهية أن قرارات مجالس الادارات هي النتيجة النهائية التي تصل اليها دراسة الاقتراحات والمناقشات وهي تعبير عن رأى المجلس مجتمعا ، ولا يمكن ان ينسب القرار — السليم بطبيعة الحال — الى عضو واحد من اعضاء المجلس حتى ولو كان هو الذى قدم مشروعه وحتى ولو لم يناقش على الاطلاق وانما وافق عليه الاعضاء بمجرد عرضه ، فان مجرد الموافقة تعني — اذا احسنا الظن — التقدير السليم لاثار القرار وما يترتب عليه من نفع .

وعلى هذا الاساس فان امكان فصل المجموعة المنتخبة عن بقية أعضاء المجلس ورئيسه وقياس مدى النجاح الذى حققته تجربة اشراك هذه المجموعة في الادارة ، عملية تكاد تكون مستحيلة .

فاذا اتفقنا على معيار مادى لقياس النجاح ، وقلنا أن تحقيق زيادة في الانتاج وزيادة في الارباح وقلة في الخلافات حول شروط العمل وعلاقات العاملين بالادارة نتيجة لسلامة التنظيم والتخطيط اذا قلنا أن توفر هذه النتائج في وحدة انتاجية مرجعه الى مشاركة العاملين في الادارة ، لكان لابد لنا ان نثبت جميع العوامل الاخرى أولا وهذا مستحيل فضلا عن انه لم يحدث في الواقع . ومن هنا تصعب المفاضلة والمقارنة .

اننا لكي نقيم دور المنتخبين في مجالس الادارات خلال الدورة المنتهية التي امتدت عامين ونصف عام لابد ان نجد اجابات محددة يسهل قياس نتائجها لهذه الاسئلة :

- هل استوعب المنتخبون دورهم الجديد وشاركوا في اتخاذ قرارات المجلس بفاعلية أضافت اليها ولم تعطلها وشاركوا في تنمية وعي العاملين بمشاكل الادارة وأسباب القرارات والحلول الملائمة لظروف الوحدة الانتاجية ؟
- هل قدمت المجموعة المنتخبة اقتراحات كان من شأنها ان حققت الوحدة الانتاجية نجاحا ماديا يمكن لمسه بالمعيار المادى ؟
- هل لعبت المجموعة المنتخبة دورا هاما في تهيئة المناخ النفسي المناسب الذى يتيح للعاملين تقديم افضل اداء لقدراتهم ؟

اذا استطعنا ان نجد اجابات يسهل قياس نتائجها لهذه الاسئلة وكانت الاجابات بالايجاب، لكان معنى هذا ان المجموعة المنتخبه قامت بدور فعال وان تطبيق هذا المبدا الاشتراكى يسير في طريقه المرسوم كركيزه من ركائز المجتمع، ومن ثم تدرس احتمالات تطويره وتمكينه من الدخول في مرحله جديده اكثر تقدما ومسئولية . والخلاصة اننا لا نملك حاليا — لانعدام المقاييس — اى دليل مادى يمكننا من تقييم دورة انتهت من الممارسة الفعلية لمبدأ مشاركة العاملين في الادارة بنسبة ٥٠٪ من عدد الاعضاء .

وفي رايي اننا يجب ان نتفق على استخدام النسبة دائما بدلا من الاشارة الى عدد الاعضاء فهو ليس اربعة في كل الاحوال وانما يتوقف العدد على عدد أعضاء مجلس الاداره جميعا ولقد سار على هذا النهج القرار الجمهورى رقم ٣٢ لسنة ١٩٦٦ باصدار قانون المؤسسات العامة وشركات القطاع العام فألزم بأن يكون نصف اعضاء المجلس منتخب من بين العاملين بالشركة أيا كان عدد افراد هذا النصف بحد اقصى اربعة اعضاء باعتبار أن الحد الاقصى الذى وضعه القرار الجمهورى الجديد لمجلس الادارة هو تسعة .

ومع غيبة الدليل المادى على النجاح، الا اننا نملك احساسا بالنجاح يجعلنا نتوقع نتائج افضل في الدورة الجديدة .

ولعل ابرز المظاهر التي ولدت هذا الاحساس هي :

● ان نسبة كبيرة من افراد القاعدة العمالية الراغبين فى التقدم للترشيح لعضوية مجلس الادارة قد ادركوا ان هذه العضوية تتطلب الماما ثقافيا خاصا ببعض جوانب الاقتصاد والتشريعات ونظم الادارة وطرق وضع الميزانيات التقديرية والتخطيط على مستوى الشركة.. ومن ثم تقدموا مختارين الى معهد الادارة العمالية التابع لمؤسسة الثقافة العمالية بغية الحصول على الدراسة المخصصة فى هذا المجال فى مقابل رسم يدفعونه من جيوبهم الخاصة، وبغض النظر عن احتمالات فوزهم او فشلهم .

● ان نسبة كبيرة من افراد القاعدة العمالية داخل الوحدات الانتاجية — من خلال متابعتها لممثليها الذين انتخبوا فى مجلس الإدارة — قد ادركت ان العصبية وحدها لا تكفى، وان الشعبية ليست وحدها قادرة على مواجهة مسئوليات العمل الجاد الجدى فى مجلس الادارة، وان الصلاحية للعمل النقابى تختلف الى حد ما فى ظل المستوى النقابى المحلى — عن الصلاحية للعمل فى مجلس الادارة .

● ان نسبة كبيرة من رجال الادارة العليا قد ادركت ان ارتفاع مستوى ادراك المجموعة المنتخبة وتعاونها مطلوب ومفيد، وادرك ذلك مع بعض رؤساء مجالس الادارات عدد كبير من الاعضاء المعينين، الذين لا يختلفون فى كثير من الاحيان — على الاقل فى شركات القطاع العام — عن الاعضاء المنتخبين فهم موظفون كبار تتوافر لدى البعض نفس رغبات وطموح المنتخبين ، وليسوا ممثلين لرأس المال تنتخبهم الجمعية العمومية كما هو الحال فى شركات القطاع الخاص .

ولقد ظهر هذا الادراك من جانب رجال الادارة العليا فى كثير من التوصيات التى خرجت من مؤتمرات وندوات جماعة خريجى المعهد القومى للادارة العليا ومن مؤتمر الانتاج المعروف .

● ان هناك نماذج ثبت فيها انه كلما ارتفع مستوى ادراك اللجان النقابية داخل الوحدات الانتاجية لمسئولياتها النقابية، وارتفع مستوى ممارستها لهذه المسئوليات، وبتحديد اوضح عرفت ان الدراسة العميقة العلمية للمطلب العمالى وامكانية تحقيقه ارتباطا بظروف الوحدة الانتاجية والظروف العامة المتداخلة هو طريقها الى العمل النقابى السليم .. كلما حدث هذا استطاعت اللجان النقابية ان تكون سندا للاعضاء المنتخبين بصفة خاصة وللمجلس بصفة عامة فى تسهيل مهمته فى اتخاذ القرارات، وسندا للمجلس فى تنفيذ القرارات التى يمكن للجان النقابية ان تنفذها او تساهم فى احداث آثارها الناجحة .

وفى هذه النماذج كان وعى المنتخبين هنا وهناك هو الذى خلق التعاون الفعال .

وبطبيعة الحال هناك نماذج اخرى ثبت للعاملين فيها ان التصارع على كسب الشعبية الانتخابية او النفسية على حساب العمل الجدى المفيد للوحدة الانتاجية ولتحقيق مصالح العاملين الحقيقية الواقعية، من جانب بعض او كل اعضاء اللجنة النقابية وبعض او كل الاعضاء المنتخبين، او بين افراد من اللجنة النقابية تجاه بعض او كل الاعضاء المنتخبين، قد سبب مشاكل كثيرة عانت منها الشركات وعانت منها القاعدة العمالية ، وكانت هذه المعاناة بدرجة اكبر فى النماذج التى دخل فيها بعض افراد من لجان الوحدات الاساسية للاتحاد الاشتراكى حلبة التصارع .

● ان نسبة ملحوظة من العناصر المثقفة تثقيفا عاليا والتى كانت تحجم عن النزول الى المعركة الانتخابية الخاصة باللجان النقابية، او الانتخابات النقابية بصفة عامة على مدى زمن طويل سبق، خشية ما يتعرض له المرشحون من تجريح واشاعات ووسائل يلجأ لها البعض تؤلم ذوى الحساسية المرهفة . ان نسبة ملحوظة من هؤلاء وهى عناصر كان من الممكن ان تفيد الحركة النقابية كثيرا قد وجدت اغراء كبيرا لها ان تتقدم لانتخابات مجالس الادارة لاهمية مسئولياتها من وجهة نظرهم ولانها فرصة لتنفيذ بعض الافكار الاصلاحية .

وتصل هذه النسبة الى نحو ٣٥٪ من مجموع الاعضاء المنتخبين فى مجالس الادارات طبقا للبيانات المتاحة من المؤسسة الثقافية العمالية .

القيادة الجماعية وسلطة الفرد

يخيل الى اننا نحتاج الى ان نسأل فى البداية سؤالا ننفق حول اجابته حتى نمضى خطوة ابعد فى الموضوع

هل سلطة الفرد على مستوى القيادة الادارية العليا مطلوبة وبالتالى تكون المسئولية مركزة ؟ قبل الاجابة بالتأكيد او المعارضة نتذكر اشياء :

نتذكر انه خلال اعوام ثلاثة مضت ومن خلال المؤتمرات والندوات والاجتماعات وحلقات البحث والمقالات والهمس الجانبى كانت المطالبة الدائمة المتكررة — كتعبير مخفف عن الشكوى والصراخ — من جانب رؤساء مجالس ادارات الشركات ومديريها ونسبة كبيرة منهم كانت هى التى حملت مسئولية القيادة الادارية فى القطاع الخاص — ان تكون

للشركات حرية عمل فى علاقتها بالمؤسسات العامة التابعة لها وبأجهزة الرقابة المتعددة وان يكون لرؤساء مجالس الادارات سلطة البت مستقلا فى معظم القرارات عن المؤسسة ودون خوف من رقابة غير رشيدة ، وان تكون لرئيس مجلس الادارة سلطة التصرف داخل الوحدة الانتاجية .

ولقد ادت هذه الخلخلة التى كانت سائدة فى مرحلة تطبيق لائحة الشركات القديمة ان إرتمى بعض رؤساء مجالس الادارات فى احضان المؤسسات ازاحة للمسئولية وطلبا للامان والبقاء وذهب البعض الاخر — سلبيا — الى ازاحة المسئولية الى مجلس ادارة الشركة بحكم ان المسئولية كانت تضامنا بين الجميع وبالتعبير الاقرب الى الحقيقة **((مائعة بين الجميع))** . بل ذهب البعض — صدقا او ادعاء — الى حد اتهام الاعضاء المنتخبين ومبدأ مشاركة العاملين فى الادارة بأنه السبب فى اى انهيار او تعطيل او تدهور داخل وحدته الإنتاجية .

ولنتذكر كذلك ان خطة التنمية الثانية خطة طموحة ، نريد لها ان تتم بالمعدلات التقديرية التى وضعت لها وفى ظل ظروف تمويلية تختلف الى حد كبير من ظروف الخطة الاولى وتجعلنا نحرص كل الحرص على استغلال كل مصدر للثروة فى حدود امكانياتنا ، ونحرص كل الحرص على الاستفادة المثلى من الانفاق دون اسراف او مخاطرة ارتجال او اهمال ، وان نعمل بكل طاقة من اجل التصدير كسبيل للاستمرار فى التنمية وتغطية الانفاق على المشروعات من القروض الاجنبية والمدخرات المحلية .

وبحكم الظروف الجديدة نجد ان الوحدات الانتاجية او الشركات هى الاجهزة المسئولة مسئولية مباشرة من الانتاج المطلوب والوفاء باهداف الخطة . وبحكم هذه المسئولية المباشرة لا بد ان يتوفر لها القدر الاكبر من حرية العمل ، ولابد — وهو الاهم — ان تتحدد المسئولية فى قائد واحد يأخذ قدرا اكبر من السلطة وامكانيات التصرف — على المستوى التنفيذى — ويتحمل المسئولية .

ومن الناحية الموضوعية ، لو بحثناه فان سلطات رئيس مجلس الادارة التى زادت فى ظل اللائحة الجديدة — مع خضوعها دائما لاحتمالات التغيير والتطوير — فهى فى الاغلب نوع من اختصار الاجراءات والحد من تدخلات معوقة لا مبرر لها من جانب المؤسسة من ناحية او من جانب مجلس ادارة الوحدات الانتاجية ذاتها . وحتى اذا كان رئيس مجلس الادارة قد اعطى بعض السلطات كحق التعيين فى فئات معينة كان مقيدا فيه من قبل ، فان اللائحة الجديدة قد وضعت له ولاول مرة اجراءات التعيين الشرعية وضماناتها كاملة .

وربما تكون الناحية التى تلفت النظر فى مجال السلطات الجديدة لرئيس مجلس الادارة ، ولنسمه تدقيقا المسئول سياسيا واداريا عن تحقيق المعدلات المحددة بالخطة لوحدته الانتاجية ، هى ناحية الجزاء .. المكافأة التشجيعية والعقوبة . وهذا الاتجاه طبيعى من جانب المشروع ، اذ يتمشى مع اتجاه حرية العمل وتحديد المسئولية ومع ضرورة حماية مرحلة بناء الاشتراكية من اى استهتار او تقصير او انحراف .

والسلطة التى اعطيت لرئيس مجلس الإدارة فى هذه الناحية ليست مطلقة ، فاذا كان قد انفرد بسلطة الامر بصرف مكافأة تشجيعية يحددها فقد حدد القانون المجالات او الاسباب العامة لمنح المكافآت التشجيعية كالخدمات الممتازة او الابتكارات والاقتراحات المفيدة ، ولا بد لرئيس المجلس ان يبرر صرف المكافأة بوقائع ملموسة وبناء على تقارير الرؤساء والمديرين المختصين وتحت انظار الجماعة القيادية فى الوحدة الانتاجية .

وبالنسبة لسلطة الجزاء السلبى او العقوبة ، فانه فى نفس الوقت الذى دعمت فيه سلطة رئيس المجلس ووضعت فيه عقوبات مشددة لحالات الانحراف من جانب العمال ، وعلى الاخص كما قلت فى موضع آخر من هذه الدراسة ان هناك عملية تحويل ثورى للعمال من جانب الحقوق الى جانب الواجبات والمسئوليات الثورية وفى قمتها بطبيعة الحال المسئولية عن الانتاج او مسئولية العمل ، وهى العملية التى كان قرار اشراك العمال فى مجالس الادارات جزءا من التعبير عنها .

اقول انه فى نفس الوقت الذى دعمت فيه سلطة رئيس مجلس الاداره فى العقوبة ، فقد وضع المشروع حماية مشددة كذلك للعامل ، فنصت المادة ٥٨ من اللائحة الجديدة على انه لا يجوز توقيع عقوبة على العامل الا بعد التحقيق معه كتابة وسماع اقواله وتحقيق دفاعه ، او يجب ان يكون القرار الصادر بتوقيع العقوبة مسببا ، وبالنسبة للعقوبات الصغيرة التى لا تجاوز الخصم او الوقف ثلاثة ايام فقد ابقى المشروع وضعها القديم .

فسلطة الفرد المسئول عن التنفيذ لازمة فى اطار خطة عامة واهداف موضوعة وقواعد عامة محددة بمقتضى التشريع ، وبطبيعة الحال فى اطار المحافظة — اشتراكيا — على مبادىء المجتمع التى نص عليها الميثاق ومنها مبدأ القيادة الجماعية .

فكما اتفقنا فان المدير الاشتراكى الكفء — والمدير هنا معنى وليس وظيفة — هو الذى يمارس مسئوليته كادارى فنى عن نجاح عمل وكسياسى ملتزم مسئول عن تثبيت المبادىء التى وضعناها لمجتمعنا الجديد .

وحتى فى مثال العقوبة الذى ذكرناه فان رئيس المجلس يمارس سلطة توقيع العقوبة فى اطار قواعد عامة يضعها مجلس الادارة اى القيادة الجماعية، اذ تنص المادة ٦١ من اللائحة الجديدة على ان مجلس الادارة مسئول عن وضع لائحة تتضمن انواع المخالفات والجزاءات المقررة لها واجراءات التحقيق وتحديد الرؤساء الذين يجوز تفويضهم فى توقيع الجزاءات التى يختص بتوقيعها رئيس مجلس الادارة .فمجلس الادارة اذن هو الذى يدرس وهو الذى يرى الظروف الواقعية وطبيعة العمل وما يصلح لها من لائحة يقرها . أما اختصاص توقيع العقوبة فهو لرئيس المجلس او لمن يرى المجلس جواز تفويضهم هذه السلطة.

ولقد جاء فى مقدمة مسئوليات رئيس مجلس الادارة فى المادة ٦٠ من القانون رقم ٣٢ لسنة ١٩٦٦ باصدار قانون المؤسسات العامة وشركات القطاع العام الذى مهد للائحة الجديدة، تنفيذ قرارات مجلس الادارة.

وسوف يجد الباحث المدقق ان بقية اختصاصات ومسئوليات رئيس المجلس الواردة بعد ذلك فى هذه المادة ،والتى تبلغ السبعة عددا، اختصاصات ومسئوليات تنفيذية لازمة لنجاح ادارة اى عمل.

بل اننى اذهب ابعد من هذا واقول ان من مصلحة القيادة الجماعية ،اى مجلس الادارة، ان تحمل مسئولية التنفيذ للفرد، ومبدأ وحدة الرئاسة مبدأ ادارى سليم. وبطبيعة الحال لا يعنى هذا ان يزيح المجلس المسئولية على الفرد ويكتفى بالتفرج !

وقد يقال ان هذا الكلام ــ حتى الان ــ ليست له اقدام يسير بها فى الواقع .فلنحاول اذن ان نبحث عن مثال فى مجال يمكن ان يحدث فيه الصدام بين سلطة الفرد وسلطة الجماعة فى مواجهة موضوعية لمسألة من المسائل .

نأخذ مثالا بسيطا. ان يقوم رئيس المجلس باستغلال سلطة المكافأة التشجيعية مثلا فى غير محلها .

ان الرد على هذا بسيط، فمن حق المجلس ان يتخذ قرارا بأن يعرض عليه تقرير شهرى مدروس يبين المكافآت التشجيعية التى صرفت واسبابها وتقييم النتائج التى عادت على الوحدة الانتاجية من وراء تنفيذ الابتكارات او الاقتراحات التى صرفت المكافأة عنها. فاذا لاحظ المجلس انحرافا فان من حقه ان يثير هذا فى المجلس فقد يجد ان هذا الانحراف من وجهة نظره له ما يبرره لدى رئيس مجلس الادارة، او قد يجد انه انحراف متعمد أو ناتج عن رغبة او نزعة نفسية لممارسة السلطة حبا فى السلطة . وهنا يحق للمجلس ان يرفع تقريرا الى المؤسسة او الى الوزير، والواقع ان القانون الجديد قد اعطت المادة ٥٨ منه ــ كما سبق ان قلت ــ للوزير حق تنحية رئيس مجلس الادارة او اعضاء المجلس كلهم او بعضهم اذا ما عرض الامر على رئيس الوزراء واستصدر منه قرارا بذلك .

ونأخذ مثالا لا يرتبط بموضوع اكثر خطورة. ان يقرر مجلس الادارة فى مصنع نسيج مثلا شراء آلات جديدة فى ميزانية تقديرية ،ويرى رئيس المجلس عدم الشراء ويكتفى بصيانة الالات القائمة ويضرب بقرار المجلس عرض الحائط.

انه اذا ترتب على انفراد رئيس المجلس بقراره خسارة جسيمة للشركة فهو المسئول وعليه تقع النتيجة .

والمجلس قد لا ينتظر حتى النهاية. وفى هذه الحالة عليه ــ متعاونا ــ ان يحاول اقناع رئيس المجلس او ان يجد من التقارير الفنية ما يقتنع هو به وبسلامة قرار رئيس المجلس .فاذا لم يقتنع احد الجانبين، فان المؤسسة مهمتها ان تدرس وكذلك الوزارة، ليس بغرض ان ينتصر احد الجانبين على الاخر، فالمسألة لا يجب ان تكون تنازعا على السلطة لمجرد السلطة بين الفرد والقيادة الجماعية، وانما بغرض الوصول الى الحقيقة وتوضيحها لمن يريد الاخذ بها سواء اكان رئيس المجلس أم المجلس .

وهكذا نصل فى النهاية ، او نتفق ، على انه لا تعارض بين مبدا القيادة الجماعية وسلطة الفرد .

واذا كانت القيادة الجماعية ــ اشتراكيا ــ مسئولة عن ان تساند الفرد الذى حملته المسئولية التنفيذية وتدرس معه وتخطط معه ، فان الفرد ــ اشتراكيا ــ وبحكم مسئوليته السياسية بل الادارية، اذا اراد النجاح ،لا بد ان يسعى الى الجماعة ممثلة فى مجلس الادارة وان يحفز جهودها معه ومساندتها لاقتراحاته .

اما اذا وجد تصارع على الانفراد بالسلطة لمجرد السلطة، فان هذه الصورة كانت مستساغة فى ظل مجتمع راسمالى كان فيه صاحب العمل يريد السلطة فى يده وحده دون تدخل من العمال بحكم ملكيته الكاملة لراس المال وتحكمه فى سوق العمل واحساسه بانتمائه اجتماعيا الى طبقة متسيدة ، وكان العمال من جانبهم ايضا يريدون السلطة بهدف آخر هو حماية انفسهم من الاستغلال فاذا وجد اذن هذا اللون من التصارع على السلطة وحدث الصدام فى ظروف الادارة الجديدة التى يشارك فيها العاملون، فان مرد ذلك ــ فى ظنى ــ

الى بعض العقد واتجاهات التفكير التى لاتزال تحكم العلاقات داخل الوحدات الانتاجية والتى سيأتى دور الحديث عنها .

المشكلة الرئيسية الواقعية

واذا كان قد بدا اننى بالحديث عن النقاط الاساسية التى قلت من قبل أننا لابد أن نتفق حولها أولا قبل الدخول فى بعض التفاصيل ، قد ابتعدت كثيرا عن حديث التفاصيل التى تتناول نقط التحرك من أجل توفير امكانيات اكبر لنجاح مبدأ مشاركة العاملين فى ادارة الوحدات الانتاجية .. اذا كان قد بدا هذا ، فان الضرورة — كما سيجىء — كانت تحتم الجرى وراء نقاط نلتقى حولها فكريا لان هذا هو الاساس الذى نتحرك بعده الى أى تفاصيل تتعرض لاية مشكلات تواجه الممارسة الفعلية لمبدأ مشاركة العاملين فى مجالس الادارات وتتعرض — بعد ذلك — لحلول هذه المشكلات . وأعتقد .. وأكاد اجزم بأن أى استفتاء كذلك الذى قام به قسم الدراسات السلوكية بالمعهد القومى للادارة العليا عن الدورة الاولى للعضوية المنتخبة فى مجالس الادارات سوف يدعم أعتقادى ..

اعتقد بأن المشكلة الرئيسية الواقعية التى لا تجعل من ظاهرة مشاركة العاملين تتحرك على أرض سهلة تتعلق أولا بالوعى ، ثم ببعض العقد التى لاتزال تحكم اتجاهات التفكير ثم العلاقات داخل الوحدات الانتاجية .. وهذا ثانيا .

ومن هنا فان اللقاء الفكرى حول بعض النقاط الجوهرية المتعلقة بظاهرة مشاركة العاملين مطلوب لانه يوضح ويقنع وربما ينقل العقدة من العقل اللاواعى — كما يقول علماء التحليل النفسى — الى العقل الواعى أو الشعور ، ومن ثم تنحل العقدة ولاتكون .

ليست هناك مشكلة مادية تحول دون نجاح وفاعلية اشتراك العاملين فى مجالس الادارات ، وانما المشكلة كما قلت تتعلق بالوعى :

● وعى الاعضاء المنتخبين بواجبهم ودورهم وحدودهم وادراكهم لمسئوليات رئيس مجلس الادارة ووضعه الجديد ودور زملائهم المعينين ودور اللجان النقابية ولجان الاتحاد الاشتراكى .

● وعى رئيس مجلس الادارة — ولا علاقة لوعيه بدرجة ما حصله من علم أو ثقافات أخرى — بدوره الادارى والسياسى وبأهداف مبدأ مشاركة العاملين ودورهم وبالقيمة التى يمكن ان يكسبها من وراء تعاونهم وفعالية ممارستهم لمسئولياتهم .

● وعى اللجان النقابية بدور الاعضاء المنتخبين وعلاقته بالعمل النقابى والعمل السياسى ونقط اللقاء ، والافتراق بين مسئولية التنظيمين .

● وعى لجان الاتحاد الاشتراكى بدور الاعضاء المنتخبين وعدم مزاحمتهم فى دورهم ، وانما توجيههم ومعاونتهم على مستوى المسئولية السياسية لهذه اللجان .

● وعى العاملين او القاعدة العمالية بدور الاعضاء والمنتخبين واسلوبهم فى العمل والعوامل التى تتحكم فى قراراتهم واسلوبهم فى معالجة مصالح العاملين من وجهه نظرهم كرجال ادارة عليا بمجرد دخولهم مجلس الادارة .

فاذا اكتمل الوعى لدى الجميع ، وهو أمر لاياتى تلقائيا وانما بالجهد المنظم من جانب كل التنظيمات فان المشكلة — اذا وجد صدام برغم أكتمال الوعى — ترجع الى بعض العقد التى لاتزال تحكم العلاقات داخل الوحدة الانتاجية نتيجة رواسب قديمة لايحلها الوقت وانما يضيعها السلوك نفسه ونضرب بعض الامثلة :

● بعض رؤساء مجالس الادارات الذين مارسوا القيادة الادارية على مدى زمن طويل فى القطاع الخاص فى ظل النظام الراسمالى ويمارسون القيادة الادارية فى ظل القطاع العام لايزالون ينظرون الى مسئوليتهم باعتبارها مسئوليه ادارية فنية فقط . وبمعنى آخر ان خبرتهم فقط هى المطلوبة وليس سلوكهم الاشتراكى فى علاقتهم بالقيادات المختلفة وبالعاملين بصفة عامة وفى القرارات التى يتخذونها .

ولقد تعود هؤلاء او بعضهم الانفراد باتخاذ القرارات وتعودوا — وهو الاهم — على أن هناك فارقا كبيرا بين المكانة التى يتمتعون بها وبين العاملين على أختلاف مستوياتهم . ومن ثم فهم — مهما تظاهروا — لايستريحون لوجود ممثلين عن العاملين وبعضهم صغار الى جوارهم يناقشونهم ويعترضون على تصرفاتهم أو يبدون أقتراحات قد تكون افضل فى بعض الاحيان . وقد يولد هذا عقدة تجعل رئيس مجلس الادارة من هذا النوع يرفض أى أقتراح مفيد اذا قدمه العضو المنتخب داخل المجلس بطريقة أو بأسلوب ، لحساسية رئيس المجلس قد يجد أنه غير لائق بمكانته وبطريقة مخاطبته ، أو لمجرد الاحساس بأنه هو الذى يجب أن يتخذ القرار الافضل الذى يصدر عنه ولايوجه فيه من عامل صغير .

لاتزال هذه النماذج موجودة وذكرها فى هذه الدراسة ليس القصد منه بأى حال أثارة نزعات تعصبية وانما — كما اتفقنا — تعبيرا عن خط المواجهة الصريحة للمشكلات . وليست هذه النماذج قاصرة على بعض الذين كانوا يمارسون القيادة الادارية فى القطاع الخاص ثم يمارسونها اليوم فى ظل

القطاع العام ، فهى نماذج يمكن أن توجد لدى بعض الافراد الذين يمارسون القيادة الادارية اليوم ، لاول مرة ولايكشفها الا الممارسة والاحتكاك والتجربة .

● لايزال عدد كبير من العاملين لايفرقون بين صورة صاحب العمل القديم وصورة رئيس مجلس الادارة الجديد . ومع المواجهة الواقعية أقول أن سلوك الادارة فى القطاع العام فى بعض الامثلة قد دعم عقدة هؤلاء العاملين . وعدم التفرقة بين الصورتين ينشط العقدة القديمة ومن ثم يولد الشك وعدم الثقة فى تصرفات الادارة ممثلة فى القرارات التى يتخذها رئيس مجلس الادارة . ومن ثم يتولد الشك فى الاعضاء المنتخبين اذا دافعوا عن هذه القرارات ايمانا منهم بسلامتها من وجهة نظر دورهم .

● لم تتعود الحركة النقابية بقصد على وجود تنظيم آخر يشاركها النفوذ لدى العاملين . ومن ثم يلجأ بعض أعضاء اللجان النقابية — اذا لم يكن هناك خلاف صريح مباشر — الى الهمس والايماء والنقد بالنسبة لتصرفات الاعضاء المنتخبين كلهم أو بعضهم ، وعلى الاخص أذا أحس هؤلاء النقابيين بأن العضو المنتخب أقدر ثقافة وأقوى تأثيرا فى القاعدة العمالية .

وهذه الحساسية التى قد تصل أولا تصل الى حد العقدة تؤثر بالتالى على اتجاهات الاعضاء المنتخبين اذا ماخلقت لهم هذه التصرفات متاعب أو شكوك أو نقد من جانب القاعدة العمالية .وهم بحكم انتمائهم الى العاملين ، فانهم لم يتخلصوا ابعد من تأثيرهم عليهم بحيث يكون رأيهم مجردا تماما لصالح ادارة الوحدة الانتاجية . وأصحاب الوعى منهم — والذكاء يحاولون التوفيق بين مصالح العاملين ومصالح الادارة الناجحة للوحدة الانتاجية .

اقتراحات

من خلال هذه المحاولات جميعا لتحديد المفاهيم وابراز العقد والحساسيات وتحديد المشكلات بحثا عن نقطة تحرك تدعيما لمبدأ مشاركة العاملين فى ادارة الوحدات الانتاجية على مستوى مجلس الادارة وأملا فى أن تحقق دورة أنتخابية جديدة قوة للتجربة وطاقة تطويرية جديدة لها . من خلال هذه المحاولات جميعا نجد أن الخط الاساسى للحركة المطلوبة هو الجهود التى تبذل من أجل الوعى ومن أجل التخلص من الحساسيات واتجاهات التفكير والعقد التى لاتزال تحكم العلاقات فى بعض الوحدات الانتاجية . وفى نطاق هذا الخط نقدم بعض الاقتراحات :

أولا : الاتحاد العام للعمال باعتباره جهازا مسئولا يجب أن يتحرك من الان فى اتجاه مساندة مبدأ مشاركة العاملين فى دورته الجديدة وفق دوره النقابى المطلوب منه فى مرحلة تحول اشتراكى وذلك من خلال مساهمته الفعالة فى حركة الوعى المطلوبة . يمكنه من الان أن يعد ملحقا خاصا لنشرته الشهرية يبين فيها دور الاعضاء المنتخبين والادوار المختلفة التى تحدثنا عنها عند تحديدنا لمجالات الوعى المطلوب ، والقدرات المطلوبة فى المرشحين .

ويمكنه من الان أن يختار من النقابيين المثقفين — ولا أقول المتعلمين — ومن الخبراء ضباط اتصال تكون مهمتهم أن ينظموا لقاء لمدة يومين أو ثلاثة أيام متتالية ، تساهم فيه المؤسسة الثقافية العمالية والمعهد القومى للادارة العليا ، بين الاعضاء المنتخبين واللجان النقابية والاعضاء المعينين ورؤساء مجالس الادارات فى كل وحدة انتاجية ، وذلك فور الانتهاء من تشكيل مجلس الادارة وقبل بدء ممارسته لمسئولياته. على أن يتم فى هذا اللقاء عملية توضيح فكرى للنقاط التى تحدثنا عنها فى هذه الدراسة وغيرها مما قد يثيره المجتمعون .

وبطبيعة الحال فان المكاتب التنفيذية للاتحاد الاشتراكى مسئولة كذلك عن تدعيم هذا اللقاء وتحفيزه .

ثانيا : يجب أن يتم لقاء عملى — بلا حساسيات — بين جهود المعهد القومى للادارة العليا والمؤسسة الثقافية العمالية ، وذلك بطبيعة الحال فى مجال برامج تدريب أعضاء مجالس الادارات . ان المسألة ليست مسألة ثقافة واقعية أو نظرية ، مبسطة أو غير مبسطة ، لجميع المستويات أو للمستوى الخاص .

وأذكر أن الدكتور فؤاد شريف رئيس مجلس ادارة المعهد القومى للادارة العليا قال لى أن المعهد يرحب بتدريب الاعضاء المنتخبين ضمن برامج تدريب رجال الادارة العليا ،ولكن هناك حدا أدنى للدرجة التعليمية التى تلزم المشترك فى هذه البرامج وهى أن يكون حاصلا على مؤهل جامعى .

على الاقل ليس هناك خلاف فى أن يقوم المعهد بالتدريب . ومرة أخرى لاأريد أن يتطرق الى ذهن البعض أن هناك طبقية تدريب ، وانما المناقشة الموضوعية تفرض أن نتوقع لكل معهد أو هيئة تعليمية أو ثقافية أو تدريبية أن يضع مستوى معين من المناهج يشترط له مستوى معينا من التأهيل حتى يكون التجاوب فعالا .

اذن لو التقى المعهد القومى والمؤسسة الثقافية على الاقل بأن يخرج منهما مجلس لتدريب أعضاء

مجالس الادارات المعينين والمنتخبين على السواء فان الامكانيات المشتركة يمكن ان تصنع شيئا افضل .

واقترح ان يكون منهج التدريب واحدا او موحدا يتولاه المعهد القومى بطريقته ويتولاه فريق المؤسسة الثقافية بطريقة أكثر تبسيطا . وفى هذه الحالة فليس هناك مايمنع باى حال ان يقوم المعهد بتدريب الاعضاء الجامعيين وان تقوم المؤسسة بتدريب الاعضاء الذين لم يحصلوا على فرصة التعليم او حصلوا على فرصة وصلت بهم عند حد الدراسة الثانوية فقط . وفى هذه الحالة فسوف يحمل المعهد القومى عبء تدريب نحو ٣٥٪ من الاعضاء المنتخبين فضلا عن الاعضاء المعينين وتدريبهم اساسى للتعاون المثمر والتكامل الفعال فضلا عن ان اللقاء بين المعينين والمنتخبين خلال مدة معينة على اساس التفرغ الكامل والحياة شبه المشتركة يوجد صداقة او تفاهما مطلوبا واساسيا للعمل المشترك الفعال بعد ذلك .

واعتقد ان السلوك الاشتراكى يفرض على الاعضاء المنتخبين الاكثر ثقافة والاوسع افقا ان يعاونوا زملاءهم فى تفسير وشرح مايصعب عليهم استيعابه . . واستطيع ان اقول بأن اى عضو معين آخر فى المجلس يستطيع ان يقوم بهذا الدور فى ظل الوعى الكامل بمسئوليته ودور عضو المجلس بصفة عامة .

واقترح ان تختصر فترة التدريب فتكون خمسة عشر يوما بدلا من شهر حتى يمكن استيعاب اكبر عدد ممكن من الاعضاء المنتخبين وان تنشىء المؤسسة الثقافية العمالية مركزا آخر للتدريب فى القاهرة ومركزا ثالثا فى الاسكندرية يغطى محافظتها وبعض المحافظات المجاورة . . ان المراكز الثلاثة تستطيع ان تدرب ١٢٠ دارسا فى كل دورة تستغرق ١٥ يوما على اساس ٤٠ دارسا كمعدل معقول متبع حاليا لكل دورة . وعلى هذا الاساس تستطيع هذه المراكز الثلاثة ان تدرب نحو ١٤٠٠ دارس (١) خلال ستة شهور هم تقريبا نصيب المؤسسة من الاعضاء المنتخبين اذا اعطيناها مسئولية تدريب ٦٥٪ من جملة المنتخبين بعد استبعاد النسبة التى قلنا ان المعهد القومى للادارة العليا يمكن أن يحمل مسئولية تدريبها الى جانب مسئولية تدريب الاعضاء المعينين . وان اعادة النظر فى البرنامج او المنهج الدراسى للمؤسسة النقابية نجد انه يمكن اختصار بعض المحاضرات كالاشتراكية العربية ، فهى اذا لم يكن العضو المنتخب يعرفها يمكن ان تقع مسئولية التوعية بها على الاتحاد الاشتراكى وكذلك مبادىء الاقتصاد وتطور تشريعات العمل على سبيل المثال . او يمكن أن تعطى هذه المحاضرات فى شكل معلومات ثقافية مطبوعة لقراءة واطلاع المتدرب خارج البرنامج .

والمواجهة الحاسمة تفرض ان نتحرك من الان لهذا اللقاء وان نعد المنهج الموحد وأن نختار الاساتذة وأن تدفع الشركات الاشتراكات وأن تجمع المؤسسة الثقافية مالها من اموال قبل النقابات بدفع من الاتحاد العام على مستوى مسئوليته .

ولاشك ان اتباع نظام مؤثرات المتابعة الذى يلتزم به المعهد القومى للادارة العليا يمكن اتباعه بصفة عامة ، وبالتعاون بين المعهد والمؤسسة الثقافية بأن يعقد مؤتمر عام ينقسم الى لجان لمدة يومين مرة كل شهر او شهرين لمواجهة مشاكل التطبيق واستكمال الدراسات السريعة الاولى . وانا بهذا نستطيع ان ندرب اعضاء مجالس الادارات المنتخبين خلال الستة شهور الاولى بعد الانتخابات بحيث يمكن لهم ان يؤدوا دورهم بقية الدورة بقاعدة من الفهم اساسية .

ثالثا : ان تصدر قرارات تشكيل مجالس الادارات فى وقت واحد او اوقات متقاربة بحيث لا يتعطل قيام الاعضاء المنتخبين بدورهم لمدة طويلة بلغت عاما او اكثر فى الدورة السابقة .

رابعا : ان تقوم المؤسسة الثقافية العمالية بالاشتراك مع المعهد القومى للادارة العليا او منفردة باصدار نشرة اسبوعية «على الاستنسل» تتضمن بعض المشكلات الواقعية التى ارسلها اصحابها او عرفت او يمكن توقعها مع توضيح اسلوب مواجهتها وذلك لخدمة اعضاء مجالس الادارات جميعا . ومن واجب الشركات ان تشترك فى هذه النشرة على الاقل بحكم مسئوليتها الجديدة فى التدريب الوارد بشأنها نص منفرد فى لائحة الشركات الجديدة حمل رئيس مجلس الادارة

---

(١) تقدر عدد الشركات التى ستجرى فيها الانتخابات بـ ٥٠٠ شركة ، يفرض ان عدد الاعضاء المنتخبين فى كل شركة اربعة اعضاء تكون الجملة ٢٠٠٠ عضو .

مباشرة مسئولية التدريب . وكذلك هى مسئولية اللجان النقابية من نصيبها من الاشتراكات والنقابات العامة من حصيلتها واختصاصها ان تشارك جميعا فى هذه النشره وتدفع مقابلا يحدد فى حدود التكاليف الفعلية واحتياطيات التطوير . وتشكل مجموعة من خبراء المؤسسة والمعهد لهذا العمل فى مقابل مكافآت رمزية .

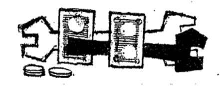
خامسا : أن تنشىء المؤسسة الثقافية والمعهد القومى للادارة العليا مكاتب استشاريه يمكن ان تكون هيئة خبراء النشره نواة لها ، يلجا اليها أى عضو من اعضاء مجالس الادارات ليعرض مشكلة او يطلب رايا بما فيهم رئيس المجلس . ولنبدا بمكتبين أو ثلاثة فى القاهرة على المستوى العام ثم نطور التجربة على المستوى التخصصى او التقسيمات الجغرافية بعد ذلك . وبطبيعة الحال فان التمويل يأتى من اشتراك الشركات التى وفرت كل منها فى العام بعد الغاء بدل حضور جلسات مجلس الادارة نحو ٥٠٠ جنيه بفرض اجتماع واحد فى الشهر لتسعة أعضاء مضروبا فى خمسة جنيهات للجلسة الواحدة . هذا بالاضافة الى تخصيص جزء من ميزانية المعهد القومى . وأقترح أن تسمى المكاتب الاستشارية لمجالس الادارات وان يكون مقرها بمقر المكتب التنفيذى للاتحاد الاشتراكى وأن يصدر الاتحاد قرار انشائها متضمنا السرية الكاملة لاعمالها واستشاراتها .

سادسا : أن يشكل مجلس فى كل محافظة من المكتب التنفيذى للاتحاد الاشتراكى باعتبار المسئولية السياسية للقيادة الادارية ، ومن المعهد القومى للادارة العليا للخبرة العلمية ، ومن الاتحاد العام للعمال . ويكون اختصاص هذا المجلس الاتصال لحل أى خلاف يهدد بتدمير العلاقات الناجحة داخل مجالس الادارات ، او يهدد بخطر يتعرض له العمل . وهذا المجلس الودى يمكن لعضو أو أكثر لرئيس المجلس أن يعرض عليه أى خلاف من هذا النوع ليجمع الاطراف أو يتصل من وراء ستار وبحكمة بالغة بالطرف الاخر ليتدارس معه الموقف أو ينبهه .

ولايجب بأى حال ان ينظر العاملون الى هذا المجلس على انه جهة شكوى . وانما هو وسيط خادم للجميع بلا تحيز ودون أن يضيف الى أجهزة الرقابة جهازا جديدا . ان هذا المجلس يمثل محاولة على مستوى المسئولية السياسية لحل أى خلاف أو تحسين فرص نجاح القيادات الادارية فى ممارستها لسلطتها الفردية فى التنفيذ فى ظل مبدأ القيادة الجماعية فى التخطيط والمتابعة واتخاذ القرارات الاساسية .

سادسا : حتى يمكن أن نكسب نصف الطريق يجب أن نواجه مشكلة انتصار الشعبية التعصبية على القدرة والصلاحية المستندة الى معرفة اساسية ببعض جوانب العمل فى مجالس الادارات ومسئولياته وطبيعة الادوار المختلفة . وهذه المواجهة — اذا أريد لها أن تبتعد عن الحساسية — تفرض أن نشترط فى الترشيح لعضوية مجالس الادارة بالاضافة الى معرفة القراءة والكتابة معرفة جيدة وليس مجرد «فك الخط» ثقافة عامة تخدم اغراض عضوية مجلس الادارة ، وان يعلن عن امتحان تحريرى ومقابلة شخصية فى موضوعات معينة تحدد اولا ولامانع من اعطاء المواد والمعلومات التى سيجرى فيها الامتحان والمقابلة لجميع المرشحين من المستوى التعليمى المشار اليه . ولاشك أن رغبتهم فى الفوز بعضوية المجلس ستدفعهم الى الالمام بهذه المعرفة . وبهذا نكسب — فى ظنى — نصف الطريق .

بعد ذلك لايبقى امامى سوى الامل فى أن تحقق الدورة الجديدة للعضوية المنتخبة فى مجالس الادارات دورها بفاعلية اكبر من الدورة الماضية ، وأن تواجه معوقات التجربة مواجهة صريحة شجاعة حاسمة ، وان نبحث عن الحساسيات وتحللها ونطفو بعقدها من الاعماق الى السطح ، ونفسح الطريق أمام امكانيات التطوير لكى نثبت مبدأ يمثل علامة على طريقنا الاشتراكى .»



تطور الحركة الوطنية في الأردن



ودیــــع أمیـــن

شهد العالم مع بدايه ظهور القرن الحالى ، اشتداد التناقضات وتفاقم حدة الصراع ، بين المجموعات الامبريالية ، حول اسواق المستعمرات ومصادر الخامات ومناطق النفوذ ، وخلق القواعد العسكرية بالقرب من هذه المصالح ، لحماية وحراسة عمليات النهب الاستعمارية وكبت وقمع الحركات التحررية الوطنية فى المستعمرات .

وفى ذلك الوقت اخذت الارض العربية تكشف عن ثرواتها المخبوءة فى باطنها ، كما افادت تقارير بعثات الاستكشاف واعمال الرحالة والمغامرين الاستطلاعية عن وجود مصادر للثروات الطبيعية والخامات فى انحاء كثيرة منها والتى كانت خاضعة فى ذلك الوقت للاستعمار العثمانى ، مما اثار جشع بريطانيا التى كانت تترقب فى اهتمام تدهور الامبراطورية العثمانية ، وتتحين الفرصة لترث تركة السلطان ، او الرجل المريض الراقد فى الاستانة .

ثم قامت الحرب العالمية الاولى كنتيجة طبيعية لهذا الصراع بين المجموعات الامبريالية ، من اجل اعادة تقسيم المستعمرات ومناطق النفوذ بالقوة ، وبعد انتهاء الحرب وهزيمة المانيا وتركيا ، تولت بريطانيا وفرنسا تمزيق اوصال الامة العربية وتقسيمها فيما بينهما ، وذلك حسب الاتفاقية القديمة المعروفة باسم « سايكس ـ بيكو » ، ففازت بريطانيا بالعراق وفلسطين ، كما فازت فرنسا بسوريا ولبنان ، ثم قامت بريطانيا بعد ذلك باقتطاع الضفة الشرقية لنهر الاردن من اراضى فلسطين ـ وكانت فلسطين تعد فى الاصل جزءا من اراضى سوريا الجنوبية ـ لتقيم **الامير عبد الله ابن الحسين الهاشمي** اميرا عليها ، ثم شرعت فى نفس الوقت فى اعداد فلسطين لتصبح الوطن

القومى لليهود ، تنفيذا لوعد بلفور الذى قطعته بريطانيا على نفسها من قبل .

ومن هنا ارتبط تاريخ الاردن ايما ارتباط بتاريخ فلسطين واسرائيل ، والسياسة الاستعمارية عموما فى الوطن العربى .

ومنذ البداية وجدت شرق الاردن عناية واهتماما خاصا من الاستعمار البريطانى ، ذلك ان الابحاث الجيولوجية التى قام بها الخبراء وعلماء الاثار والحفريات منذ اواخر القرن الماضى ، قد كشفت عن وجود كثير من الخامات والمعادن ، فى هذا الجزء من الارض العربية — مثل الحديد بأنواعه المختلفة ، والنحاس ، والمنجنيز ، والبوتاس ، والكاؤلين ، والفوسفات ، والجبس ، والكبريت . كما يعتبر البحر الميت مصدرهام للمعادن المختلفة، تعد ذات اهمية عظيمة من الناحية الاقتصادية ، مثل كلوريد البوتاسيوم ، وكلوريد الصوديوم ، وكلوريد المغنسيوم ، وكلوريد الكالسيوم ، وبرميد المغنسيوم ، وهى حسب تقديرات العلماء تكفى العالم مئات السنين ، هذا فضلا عن وجود كميات من الذهب ، التى تكثر فى الحفر حول البحر الميت وفى تاعه ، كما تؤكد الابحاث وجود البترول فى مناطق كثيرة من البلاد . (١)

ومنذ اليوم الاول لم تجد بريطانيا مقاومة تذكر فى هذا الجزء من الارض العربية ، وذلك لعدم تكامل الطبقات الاجتماعية ، الذى يرجع نتيجة ضعف التركيب الاقتصادى ودرجة التخلف الشديد فى ذلك الوقت — وذلك على عكس الجزء الاخر من الاراضى الفلسطينية الواقعة غربى نهر الاردن ، التى كانت تعد اكثر تطورا من الناحية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، والتى كانت تموج بالثورات وتناضل ضد سيول الغزاة والمرتزقة من مختلف الجنسيات ، التى كانت تتدفق فوق الارض العربية بهدف توطين اليهود ، واخذت حكومة الانتداب البريطانى تملأ بهم الدوائر الحكومية والمناصب الادارية الرئيسية فى البلاد ، وايضا فى نفس الوقت ضد الشركات ورؤوس الاموال الاستعمارية والصهيونية ، التى راحت بدورها تتسلل الى فلسطين وتسيطر شيئا فشيئا على المرافق العامة والتجارة وسائر نواحى الحياة الاقتصادية فى البلاد .

ظهور المعارضة الوطنية

ولم تظهر هذه المعارضة بشكل واضح الا فى عام ١٩٢٨ — وذلك عندما اخذت بريطانيا تستكمل سياستها باحكام سيطرتها واضفاء صفة الشرعية على وجودها فى البلاد ، فقامت بتوقيع المعاهدة البريطانية مع الامير عبد الله ، التى تقضى بمنح امارة شرق الاردن الاستقلال الذاتى ، وتكوين مجلس تشريعى ، كما نصت المعاهدة فى نفس الوقت على بقاء الجيوش البريطانية ، ومنح المعتمد البريطانى حق اصدار القوانين وتنفيذها والاشراف على مالية الدولة وحمايه الاقليات ، وان تتولى الحكومة البريطانية نيابة عن شرق الاردن فى التمثيل السياسى مع البلاد الاخرى .

وكانت المعارضة الوطنية تتكون فى ذلك الوقت، من عدد من الشخصيات البارزة ومن الاقطاعيين ورؤساء العشائر ومن فئة المثقفين البورجوازيين الذين تلقوا العلم فى سوريا وتأثروا بالحركة الوطنية هناك . كما كانت تضم عملاء الاستعمار العثمانى القديم الذين فقدوا نفوذهم السابق ، ومن هنا فلم تكن تمثل معارضه سياسية وطنية بالمعنى المفهوم ، الذى يستند الى حركة جماهيرية شعبية محددة المطالب والاهداف ، ولعبت العناصر الانتهازية دورها فى تخريب هذه الحركة ، مما جعلها عرضة للتفكك والانهيار السريع ولم يجد الاستعمار صعوبة فى تحطيمها ، فقد نجح بالفعل فى التنكيل ببعضهم وشراء البعض الاخر .

والجدير بالذكر فى هذه المناسبه ، انه كان على رأس هذه الحركة الوطنية فى ذلك الوقت ، الشاعر مصطفى وهبى التل — وهو والد وصفى التل رئيس وزراء الاردن السابق والصديق الشخصى للملك حسين — وكانت جريدته هى الناطقة باسم هذه الحركة ، والتى هاجمت المعاهدة البريطانية بشدة ، وتعرض بسبب آرائه الوطنية الى النفى والتشريد ، وكان لتفكك المعارضة وانهيارها اثر كبير فى اضعاف روحه المعنوية وتهادنه ، وكان ان انتهى الى نفس المصير الذى انتهى اليه زملائه من قبل . (٢)

ولقد كان لظهور المعارضة فى شرق الاردن فى ذلك الوقت المبكر ، باعثا لتهديد المشاريع والمخططات البريطانية ، و ... دعر الاسرة

(١) «وادى الاردن امتيازاته ومشروعاته» للاقتصاد الاردنى . عبد الرحمن الكردى . القاهرة ١٩٤٩ .
(٢) « الاردن ومؤامرات الاستعمار » للكاتبين الاردنيين صوان صوان الجاسر، ونعمان ابو باسم ، القاهرة . السماو المصرية للطباعة والنشر والتوزيع ١٩٥٧ .

الهاشمية الحاكمة ، التي باتت تخشى انتقال عدوى الثورة الفلسطينية المسلحة التي اخذ يشتد عودها من الضفة الغربية الى الضفة الشرقية — فبادرت بتعيين الضابط البريطاني **جلوب** قائدا لقوات البادية ، وقد سبق ان اشترك جلوب في الحرب العالمية الاولى ، وفي عام ١٩٢٠ ارسل الى العراق لاخماد الثورة الشعبية هناك واشرف على تنصيب **الامير فيصل** شقيق الامير عبد الله ملكا على العراق — ثم اصبح بعد ذلك قائدا للجيش الاردني . وألى جلوب يعود الفضل في اعداد وتكوين الجيش الاردني بنفس الطريقة التي تعد بها بريطانيا جيوش المستعمرات التابعة ، وتضع على قيادتها ضباطا بريطانيون ومعاونيهم من ابناء رؤساء وشيوخ القبائل الاقطاعيين والعملاء لخدمة اهداف السياسة الاستعمارية في كبت وقمع الحركات الوطنية التحررية في بلادها وفي المستعمرات الاخرى ، وقد لعب الفيلق العربي الذي يتكون اساسا من قوات البادية ، دوره بالفعل في التعاون مع القوات البريطانية والعصابات الصهيونية ، في ضرب الثورة الفلسطينية المسلحة في عام ١٩٣٦ ، وفي سحق ثورة رشيد عالي الكيلاني في العراق عام ١٩٤١ ، بالاشتراك مع القوات البريطانية بعد ثلاثين يوما من قيامها ، وكان يتولى اثناء الحرب العالمية الثانية مهمة الدفاع عن خطوط انابيب البترول في الشرق الاوسط لتموين القوات المتحاربة ، كما كان يقوم بمهمة الحرس الخاص للاسرة المالكة الاردنية ، والاشراف على الامن وحماية النظام الرجعي في البلاد . وقد عملت الرجعية الحاكمة على اطلاق يد جلوب في سائر نواحي الحياة السياسية وشئون الدولة ، وفي تدعيم النظام الاقطاعي والابقاء على الروح القبلية بين البدو ، واشاعة الفرقة والعداء بينهم وبين اخوانهم في المدن ، حتى اصبح جلوب هو الحاكم الفعلي لشرق الاردن .

ومرت فترة طويلة قبل ان تعود الحركة الوطنية الى الظهور من جديد على مسرح السياسة في الاردن ، وذلك في اعقاب الحرب العالمية الثانية . والتي كانت من اثارها ان ساهمت بدرجة كبيرة في الاسراع بنمو وتطور المجتمع في شرق الاردن ، مما ادى الى ظهور كيان الرأسمالية المحلية ، وظهور الطبقة العاملة ، نتيجة اشتداد حركة التجارة في الشرق الاوسط ، بسبب انقطاع خطوط المواصلات والتموين عن جيوش الحلفاء ، وزيادة نشاط الاحتكارات والبنوك والشركات وحركة الاستثمارات الاستعمارية في المنطقة ، وفتح فروع جديدة لها بالقرب من مصادر الخامات، وبسبب توفر ورخص الايدي العاملة العربية . كما اسفرت هذه الحرب عن نتائج سيئة وبالغة الخطورة ، بالنسبة للحالة الاقتصادية والاجتماعية في شرق الاردن ، التي اصابها الكساد السريع بعد زوال فترة الرخاء والرواج المصطنع الذي ظهر خلال سنوات الحرب ، وكان ان خلف وراءه عشرات الالوف من العمال والموظفين العاطلين وهبوط مستوى المعيشة والاجور ، كما ادى الى سيطرة البنوك والشركات الاستعمارية على المراكز الرئيسية لاقتصاديات البلاد ومرافق التجارة ، والى خلق طبقة اغنياء الحرب من فئات المقاولين وكبار التجار والمتعهدين ووكلاء الشركات والمستوردين ، الذين يعملون ذيولا للاحتكارات الاستعمارية في البلاد .

معركة فلسطين والرجعية العربية

وكانت معركة فلسطين في عام ١٩٤٨ بما تمخضت عنه من مأساة ، بمثابة صوت النذير للامة العربية ، فقد فتحت عيونها في نفس الوقت على ابعاد المخططات الاستعمارية الامريكية والبريطانية والصهيونية الضالعة معهما للسيطرة على الشرق الاوسط والامة العربية ، وايضا عن دور الرجعية العربية في تنفيذ هذه المخططات والاهداف الاستعمارية — ولسنا في حاجة الى التذكير بأن الملك عبد الله كان هو القائد الاعلى الذى اسندت اليه قيادة الجيوش العربية اثناء المعركة ، كما كان الجنرال جلوب هو القائد العام للجيش الاردني في ذلك الوقت ، وان ظروف المعركة كما كشفت عنه الاحداث فيما بعد ، كانت تجرى وفقا لمخطط سابق مرسوم ، وضعت تفاصيله في واشنطون ولندن وتل ابيب ، وعهد بتنفيذه الى الملك عبد الله ، والذى اتضح ان الرجعية العربية والاردنية بصفة خاصة ، لم تدخل حرب فلسطين من اجل معارضة قرار التقسيم وتحرير فلسطين ، بل كانت تحارب من اجل المحافظة على حدود التقسيم ، وامتصاص سخط الجماهير العربية الثائرة واستنزاف قواها ، والتخلص من القوى الرئيسية داخل الجيوش العربية — وكانت ان انتهت بتقسيم الوطن العربي وفقا لاتفاقية وقف اطلاق النار في عام ١٩٤٩ ، وتسليم اسرائيل المستعمرات التي تم تحريرها بدماء القوات العربية المسلحة من قبل ، في نظير موافقة اسرائيل على ضم الضفة الغربية الى شرق الاردن .

ويقول الكاتبان الاردنيان اليساريان : **صفوان الجاسر وزميله نعمان ابو بابسم** « وقد دفع الاستعمار عملاءه الى المطالبة والعمل على ضم الضفة الغربية الى شرق الاردن خوفا من قيام دولة عربية مستقلة في فلسطين بعيدة عن النفوذ

الاستعمارى ، وبذلك تكون نقطة انطلاق قوية من اجل تحرير القسم المحتل وبقية البلاد العربية ، وطالب بالضم ايضا ليبقى مشرفا على القضية الفلسطينية ، يعمد الى اثارتها كلما اشتدت فى وجهه موجة الاستقلال والتحرر ، وليستخدمها كوسيلة لضرب الحركة الوطنية بعنف تحت شعار الوقوف فى وجه الخطر الصهيونى .. ورغم المعارضة الشديدة التى ابدتها العناصر الوطنية فى فلسطين لقرار الضم ، اذ رأت فيه تصفية فعلية لقضية فلسطين ، واجراء لحماية اسرائيل ، التى اصبحت قاعدة استعمارية تأتمر بأوامر الاستعمار الغربى » (٣) .

(هذا الكلام قيل منذ عشرة اعوام على وجه التحديد ، وان ما يحدث الان ويقوم به الحكم الملكى فى الاردن ، بشأن موقفه الصريح من عدم دخول جيش منظمة تحرير فلسطين الى اراضيه وحماية مواطنيه ، او بشأن دخول القوات العربية الموحدة للدفاع عن الحدود الاردنية ضد هجمات اسرائيل ، ومنع دخول الفدائيين الفلسطينيين الى اسرائيل والقبض عليهم وتعذيبهم ، او بصدد ما تردد من ان القيادة الاردنية كانت على علم سابق بأمر الهجوم الغادر للعصابات الاسرائيلية على قرية السموع والقرى العربية الاخرى على الضفة الغربية ، ومن انها تركتهم ينفذون هجومهم للانتقام من عرب فلسطين وتأديبهم ، او بهدف التعمد واثارة مثل هذه الحوادث وافتعالها بين الحين والاخر بالتعاون مع اسرائيل ، كلما اشتدت فى وجهه موجة الاستقلال والتحرر ، لاستخدامها كوسيلة لضرب الحركة الوطنية فى الداخل بعنف تحت شعار الوقوف فى وجه الخطر الصهيونى — ان كل هذا يعتبر مصداقا لقول الكاتبين الاردنيين ، وتأكيدا لرأى المعارضة الوطنية الفلسطينية التى كانت ترى فى قرار الضم فى ذلك الوقت تصفية فعلية لقضية فلسطين ، ومن انه كان اجراء لحماية اسرائيل) . ولقد كانت نتيجة ضم الضفة الغربية الى المملكة الاردنية الهاشمية ، آثار هامة بعيدة المدى على الحالة السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى الاردن ، فهى تبلغ من حيث المساحة ثلث حجم دولة شرق الاردن ، كما يبلغ عدد سكانها اكثر من ضعف المملكة ، وتمتاز بوفرة الاراضى الزراعية التى تزرع بالمحاصيل المختلفة . الا ان هذه العوامل ساعدت « ايضا » على نمو الحركة الوطنية ، وانتعاش التجارة ، واشتداد ساعد البورجوازية الوطنية التى اخذت تلعب دورا هاما فى الحركة الوطنية ، وازدياد حدة الحركة بسبب مشكلة اللاجئين ، وانتعاش الحركة الثقافية والتوسع فى انشاء المدارس وارسال البعثات للخارج وصدور عدد من الصحف ، وانخفاض اجور العمال نتيجة لكثرة عدد المتعطلين وقلة الاعمال ، واتساع الطبقة العاملة لوجود عدد كبير من المهاجرين ، وظهور الحركة النقابية والتنظيمات العمالية والطلابية ، والتوسع فى ادخال الشباب الفلسطينى فى الجيش ، وظهور احزاب عقائدية تشمل الضفتين الغربية والشرقية مثل الحزب الشيوعى ، وحزب البعث العربى الاشتراكى — ان انضمام الشعب الفلسطينى الثائر الى شعب الاردن الذى يعانى المرارة والالم والفقر نتيجة الاستغلال والاضطهاد الاستعمارى الرجعى ، قد اسفر فى النهاية عن مولد عملاق ثائر . (٤)

تعاون الاحتكارات البريطانية والامريكية

وقد بدأ تسلل الاحتكارات الامريكية الى شرق الاردن وفلسطين فى عام ١٩٢٦ . (٥) ، الذى سجل بداية التعاون بين رؤوس الاموال البريطانية والامريكية فى استغلال المنطقة ، ففى ذلك العام تم تأسيس « **شركة الكهرباء الفلسطينية** » لاستغلال مياه وروافد نهر الاردن وتوزيعها داخل فلسطين والاردن ، وفى نفس العام حصلت « **شركة الاقتصاد الفلسطينية** » التابعة لمجموعة برانديس Brandies الامريكية ، على حق استغلال رؤوس اموالها فى البلاد ، وكذلك المساهمة فى مجموعة « **شركة البوتاس الفلسطينية** » ، التى تأسست فى عام ١٩٢٩ ، لاستخراج الاملاح والمعادن من البحر الميت ، وتمثل المصالح الامريكية عن طريق شركة الاقتصاد الفلسطينية ، بالاشتراك مع شركة الصناعات الكيماوية الامبراطورية I. G. I (البريطانية) واشتراك بعض الاموال الصهيونية . (٦) ، ولم يكن يحد من توسع الاحتكارات الامريكية فى ذلك الوقت ، غير سيطرة النفوذ البريطانى على شرق الاردن وفلسطين ، الذى كان يقف عقبة فى طريقها ،

---

(٣) و (٤) المصدر السابق
(٥) كانت امريكا قد دخلت الحرب العالمية الاولى عندما اوشكت الحرب على الانتهاء ، وحتى تلحق بالحلفاء وتحصل على نصيبها من غنائم المستعمرات وبترول وخامات الشرق الاوسط ، وبعد انتهاء الحرب قامت امريكا بجهد كبير فى الضغط على فرنسا ، التى كانت تعارض فى ضم الاراضى الفلسطينية الى بريطانيا ، وكانت تطالب بها لنفسها ، ولكونها جزء من اراضى سوريا الجنوبية ، وذلك قبل انعقاد مؤتمر عصبة الامم فى باريس عام ١٩٢٢ ، وحتى تتنازل عنها فرنسا لبريطانيا ، لكى تحصل الاخيرة على حق الانتداب على فلسطين ، وذلك تنفيذا لاهداف ومصالح الراسماليين الامريكيين الصهيونيين .
(٦) «وادى الاردن امتيازاته ومشروعاته» للاقتصاد الاردنى : عبد الرحمن الكردى ، القاهرة ١٩٤٩ .

ومن ثم فقد كانت تتجه الى الاماكن الاخرى في المنطقة .

ولقد كانت منطقة الشرق الاوسط والوطن العربي بصفة خاصة ، مسرحا لهذا التنافس الشديد بين الاستعمار البريطاني والامريكي ، فمنذ بداية الحرب العالمية الثانية ، كانت الامبريالية الامريكية قد اصبحت الشريك صاحب الوزن الاكبر في بترول العراق والبحرين والكويت والسعودية ، وفي سبتمبر عام ١٩٤٥ ، تم توقيع الاتفاق الانجلو ـ امريكي ، الذي تم بمقتضاه تقسيم بترول الشرق الاوسط بين اقوى مجموعتين امبرياليتين في العالم .

كما ظهرت خلال فترة الحرب العالمية الثانية ، اهمية وخطورة منطقة الشرق الاوسط ، وذلك بحكم **مركزها الاستراتيجي** بالنسبة لمصالح واهداف كل من السياسة البريطانية والامريكية على السواء ـ وكان على بريطانيا ان تتحرك بسرعة وتعمل على تقوية مركزها في مواجهة المنافسة والمزاحمة الشديدة من جانب الولايات المتحدة ، فبادرت بتوقيع **معاهدة ١٩٤٦** مع الاردن ، التي تنص على الاعتراف باستقلال البلاد ، وتنصيب الامير عبد الله ملكا على المملكة الاردنية الهاشمية ، كما ضمنت نصوص هذه المعاهدة ، اتفاق البلدين على حق الدفاع المشترك ، وحق بريطانيا في الاحتفاظ بقواتها وقواعدها العسكرية وخبرائها في الاردن لمدة خمسة وعشرين عاما . وفي نفس الوقت كانت امريكا تعد لخلق دولة اسرائيل ، لتكون قاعدتها العسكرية في قلب الوطن العربي ، وحتى تكون رأس الجسر الذي تزحف منه الى بقية البلاد العربية ، وذلك عن طريق مدها بالقروض والمعونات وتقويتها اقتصاديا وعسكريا .

ولقد تميزت هذه الفترة الهامة في اعقاب الحرب العالمية الثانية، بظهور المعسكر الاشتراكي على مسرح السياسة الدولية كقوة معادية للنظام الاستعماري ، ومناصرة للشعوب المضطهدة في المستعمرات ، كما تميزت ايضا باشتداد ونمو حركة التحرر الوطني في آسيا وافريقيا والوطن العربي بصفة خاصة ضد الاستعمار البريطاني ، وضد كافة المشاريع والمعاهدات العسكرية ، التي تهدف الى ربطه بعجلة المشاريع والاهداف العدوانية ، مثل مشروع **معاهدة صدقي ـ بيفن** في مصر عام ١٩٤٦ ، وضد معاهدة **جبر ـ بيفن** في العراق عام ١٩٤٨ .

وقد دفعت هذه الاحداث الهامة بأكبر دولتين استعماريتين الى التكتل والتفاهم فيما بينهما ، وتسوية خلافاتهما بطريقة تضمن استمرار الاستغلال والسيطرة الاستعمارية واحكام قبضتها على الشعوب العربية وتحطيم مقاومتها ـ واقتضت هذه السياسة الامبريالية العدوانية الجديدة ، العمل على انشاء شبكة الاحلاف وزيادة وتوسيع نطاق القواعد العسكرية ، سواء اكانت داخل البلدان الاستعمارية ذاتها ، او في المستعمرات او البلدان التابعة ، والعمل على الربط بينها جميعا في سلسلة واحدة .

وشهدت الفترة التي تلت مأساة فلسطين وقيام اسرائيل ، نشاط الاستعمار الامريكي بصورة متزايدة في الوطن العربي ، وعن طريق هيئات الاغاثة التابعة للامم المتحدة والمعونةالامريكية الى اللاجئين ، استطاعت الاحتكارات الامريكية ان تشق طريقها الى الاردن مرة اخرى وفي صورة جديدة مختلفة .

شرق الاردن والاستراتيجية الامريكية

ولقد وضحت اهمية شرق الاردن بالنسبة للاستراتيجية الامريكية الجديدة في الشرق الاوسط ، فهي بحكم موقعها الجغرافي تقع في قلب العالم العربي ، او بمعنى اصح في قلب المصالح الاستعمارية البترولية ، والتي تمر فيها انابيب البترول التابعة لشركة التابلاين الامريكية ، كما انها الدولة العربية الوحيدة التي ترتبط بحدود مشتركة مع اكبر عدد من البلاد العربية الاخرى ، فضلا عن كونها ترتبط مع اسرائيل في اطول حدود مشتركة ، وان وجودها امر ضروري لامن اسرائيل وحمايتها ، وحتى لا تظل مهددة من الدول العربية من كل جانب .

وفي ذلك الوقت وقع حادث هام ، كان له اثر كبير على سير واتجاه الاحداث فيما بعد ، وهو اغتيال الملك عبد الله في ساحة المسجد الاقصى بالقدس في عام ١٩٥١ ، التي وضعت حدا لاتصالاته ومقابلاته مع الزعماء والمسئولين الصهيونيين في ذلك الوقت ، من اجل توقيع الصلح مع اسرائيل ، وانهاء حالة الحرب بينهما ، ومن ثم ينفض يده من قضية فلسطين نهائيا ـ ثم جاء ابنه الملك طلال لكي يفتح الاردن على مصراعيه امام الاحتكارات الامريكية ، متخفية وراء ستار مشاريع النقطة الرابعة للنهوض بالبلاد ورفع مستوى المعيشة .

وباسم المعونة والمساعدة والنهوض بالبلاد ورفع مستوى المعيشة ، دخل خبراء الاحتكارات الامريكية ومعهم خبراء وكالة المخابرات المركزية وخبراء البنتاجون العسكريين الى الاردن ، وبحجة عمل الدراسات والاحصائيات اللازمة ، اخذوا ينتشرون فى المصالح والهيئات الحكومية ، ويتجولون فى كل اركان البلاد ، ويتصلون بالقوى الرجعية والعناصر الانتهازية ويعقدون الاتفاقات ، ويقومون بالتجسس على القوى الوطنية والثورية ، وجمع المعلومات عن الضباط الوطنيين داخل الجيش — وقام الخبراء الاقتصاديون بدورهم خير قيام فى وضع الخطط والمشاريع ، التى تهدف الى عرقلة التقدم الصناعى فى البلاد ، ووضع العقبات امام الرأسمال الوطنى وتعطيل التنمية الاقتصادية ، بهدف سيطرة الاحتكارات الامريكية على اقتصاديات البلاد ونهب المواد الخام ، وحتى تظل البلاد سوقا لتصريف المنتجات والسلع الامريكية — وهو الامر الذى لم ينكره الرئيس الامريكى السابق ترومان فى ذلك الوقت ، وبصفته صاحب المشروع اذ يقول « ان مشروع النقطة الرابعة يعنى بالنسبة للولايات المتحدة توسيع نطاق التجارة وزيادة اسواق التصريف وتموين امريكا بالمواد الاولية » (٧) .

وفى البيان الصادر عن ادارة المعونة الفنية بوزارة الخارجية الامريكية فى ذلك الوقت ، يوضح ان نسبة الاموال المخصصة لتنفيذ مشروعات النقطة الرابعة الخاصة بالاردن فى سنة ١٩٥٣ وحدها تبلغ ٦٫٠٥٦٫٠٠٠ دولار ، بينما مجموع الاموال المحلية كانت ٥٣١٫٠٠٠ دولار فقط . (٨) وهذه النسبة تكشف عن حقيقة اهداف النقطة الرابعة ، وغيرها من المشاريع التى لم تكن فى الواقع سوى اتجاها جديدا توسعيا صريحا فى السياسة الخارجية الامريكية ، وضمان السيطرة الاقتصادية والعسكرية على البلاد الاجنبية ويهدف فى النهاية الى السيطرة على العالم .

ان **مذهب ترومان** الذى ظهر الى الوجود فى عام ١٩٤٧ ، للمساعدة والنهوض باليونان وتركيا ، قد اوصل الى **مشروع مارشال** الشهير لانعاش اوروبا ، ومن ثم تكوين **حلف شمال الاطلنطى** العدوانى فى عام ١٩٤٩ ، الذى يعتبر الحلف الام الذى تفرعت منه بقية الاحلاف وسائر التكتلات الاخرى ، والذى انتهى منذ ذلك الوقت بركوع اوروبا تحت اقدام الامبريالية الامريكية . .

ولم تكن مشروعات النقطة الرابعة الجديدة لبلاد الشرق ، سوى امتداد لهذه السلسلة من المشاريع الاستعمارية الخبيثة فى صورها واشكالها المختلفة ، والتى لا تجيد صياغتها وحبكتها سوى الامبريالية الامريكية ، والتى كانت فى ذلك الوقت متقدمة لجر الاردن والبلاد العربية الاخرى للمشاريع الاستعمارية ، مثل **حلف البحر الابيض المتوسط ومشروعات الدفاع عن الشرق الاوسط وحلف بغداد** ، وكان آخرها **مشروع ايزنهاور** عام ١٩٥٧ ، الذى سقط بعده الاردن صريعا حتى ايامنا هذه .

ثمار الحكم الوطنى

ان الاسباب التى ادت الى محنة الاردن الحالية ، على اثر سقوط الحكم الوطنى فى الاردن فى عام ١٩٥٧ ، والذى انتهى بوقوعه فى براثن الاستعمار الجديد ، يعتبر من الاحداث الهامة المثيرة والاليمة ايضا فى تاريخ النضال العربى الحديث ، ولقد كانت حكاية سقوطه فى ذلك الوقت اشبه ما تكون بمصرع البطل فى احدى التراجيديات التاريخية المعروفة ، الذى تحالفت ضده كل قوى الشر والعدوان . . ولقد استطاعت القوى الوطنية الديمقراطية فى الاردن خلال العامين السابقين ، ان تحقق انتصارات عديدة ، وذلك بفضل صلابتها ووحدتها وتضامنها فى اشكال الجبهة المتعددة ، واستطاعت لاول مرة فى تاريخ الحركة الوطنية الديمقراطية فى الاردن بالاشتراك مع الضباط الاحرار فى الجيش الاردنى ، ان تحطم كل المشاريع الاستعماريه ، وان تجبر القوى الرجعية على الخضوع والتسليم ، ورفض الدخول فى حلف بغداد، وطرد الجنرال جلوب البريطانى من على رأس الجيش الاردنى ، وان تحمل الى البرلمان نواب يمثلونها اصدق تمثيل — وجاءت حكومة **سليمان النابلسى** الوطنية واستطاعت خلال فترة قصيرة من الزمن ، ان تنجز اعمالا واصلاحات باهرة ، فقامت بطرد الضباط البريطانيين من الجيش ، والغاء المعاهدة البريطانية ، والغاء المعونة البريطانية واستبدالها بالمعونة العربية بموجب اتفاقية التضامن العربى ، وتوقيع اتفاقية التحالف العسكرى الثنائى مع مصر ، واطلاق الحريات العامة ، والغاء القوانين الرجعية ،

---

(٧) و (٨) « الاستعمار عدو الشعوب » تاليف عبد العزيز فهمى ، القاهرة مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٢ .

والشروع في تطهير الجهاز الادارى من اعوان الاستعمار والرجعية ، وتحقيق اشراف الحكومة على مشروعات النقطة الرابعة والحاق اموالها بميزانية الدولة ، وتجريد الخبراء الامريكان من سلطاتهم الادارية ، ومنع استقدام الخبراء في المستقبل الا بموافقة الحكومة ، واطلاق حرية التجارة مع جميع الدول ، وتبادل التمثيل السياسى مع الدول الاشتراكية ، واتباع سياسة الحياد الايجابى والتعايش السلمى ، وبذلك استطاعت ان تعيد الى الاردن وجهه العربى الاصيل بجانب مصر وسوريا المتحررتين ، ولاول مرة تحقق الحركة الوطنية في العالم العربى وضوحا واتساعا بشكل لم يسبق له مثيل في تاريخها من قبل .

وكانت هذه الانتصارات المتلاحقة اكبر من ان تتحملها اعصاب الاستعمار والرجعية ، وهما يشاهدان تقلص نفوذهما ومصالحهما في الاردن على يد هذا الشعب الصغير المكافح ، وكان على الاستعمار ان يتحرك بسرعة قبل أن تفلت الامور من يده نهائيا .

مشروع أيزنهاور ورائحة البترول

وطلع الامريكان حينئذ باختراع جديد ، اعد خصيصا للشرق الاوسط ، الا وهو مشروع ايزنهاور ، بحجة ملء الفراغ في الشرق الاوسط ، ذلك الفراغ الذى خلا من النفوذ الاستعمارى في مصر وسوريا والاردن ، وادى الى تجميد حلف بغداد — وقد ولد مشروع ايزنهاور ميتا ، مما دفعهم فيما بعد الى ان يلبسوه عمامة وذقنا ويسمونه الحلف الاسلامى ، ولم يكن من الصعب على الجماهير العربية في ذلك الوقت ان تشتم منه رائحة البترول ، وهو ما لم ينكره اصحابه ومصمموه «فيصرح مونروج راثبون رئيس ستاندارد اويل اف نيوجرسى في خطابه الذى نشرته الفاينانشيال كرونيكل في ١٠ يناير ١٩٥٧ ، متهما الشيوعيين بأنهم قد عزموا على « التدخل في مواردنا التى تمدنا بالمواد الخام .. وان التجار الشيوعيين يعرضون في بعض بلاد الشرق الاوسط ان يبنوا موانى ، ومعامل للتكرير وطرقا عمومية في مقابل كميات من العملة قليلة الى اغرب حد او كمقايضة فورية مع فائض البلاد من السلع مثل القطن وزيت الخضروات .. هذا هو الموقف العام الذى يجب على الولايات المتحدة ازاءه ان تمارس قيادتها لاعادة السلام والاستقرار الى هذه المنطقة » (٩)

ولعل خطاب نيلسون روكفلر وارث وصاحب امبراطورية ستاندارد اويل للبترول في الشرق الاوسط ، للرئيس ايزنهاور كان اكثر صراحة ووضوحا وهو يقول : « ان مضمون هذه السياسة يجب أن يكون هو تطوير علاقاتنا الاقتصادية بهذه البلدان ، (المقصود بهذه البلدان ، هى التى تنتهج سياسة الحياد الايجابى كمصر وسوريا والاردن) بما يسمح لنا بالسيطرة على المراكز الاساسية في الاقتصاد الوطنى .. وبهذه الوسائل يمكننا ان نأمل في تغيير السياسة الخارجية لهذه البلدان في الاتجاه المطلوب .. وفي تشجيعنا للاستثمار الخاص في هذه البلدان ، فان التأييد يجب ان يمنح لهذه الاقسام او الافراد ممن يعارضون النظم الحالية وبذلك نضع اسس تغيير سياسة هذه البلدان في الاتجاه الملائم » (١٠)

اذن فقد كان الهدف من وراء مشروع ايزنهاور هو جر البلدان العربية الى الانحياز للغرب وخضوعها لعمليات الاستغلال والنهب الامريكية، وفرض القيود على الحركات الوطنية داخل نطاق السيطرة الامريكية ، تحت ستار ما تسميه واشنطون بخطر « الشيوعية الدولية » والدفاع عن « العالم الحر » . وبالطبع لم تصدق هذه الخرافة سوى دول حلف بغداد والرجعية اللبنانية ووزارة كميل شمعون في ذلك الوقت .

المخابرات الامريكية تعد للمؤامرة

وراح الاستعمار الامريكى يعد للتدخل في الاردن ، وعن طريق تنفيذ مؤامراته من الداخل ، والاستعانة بكل القوى الرجعية والعميلة ، ذلك الاسلوب الذى اصبح علامة مميزة لوكالة المخابرات المركزية الامريكية في قلب الحكومات الوطنية ، مثل حكومة مصدق في ايران وحكومة اربنز في جواتيمالا من قبل .

وفي ذلك الوقت « كانت الحكومة الوطنية قد استعدت للدخول في مفاوضات الغاء المعاهدة البريطانية ، وتشكل وفدان للقيام بالمفاوضة وحدد

(٩) « دراسات سوفيتية » . العدد الاول . القاهرة . دار الفكر ١٩٥٧
(١٠) « المؤامرة الامريكية في الاردن » ميشيل كامل . القاهرة . دار الفكر ١٩٥٧ .
(١١) « الى اين يتجه الاردن » . سمير التنداوى . القاهرة . الدار المصرية للكتب ١٩٥٧ .

يوم لذلك ؟ واعترض الملك على وجود وزيرين (البعثى ووزير الجبهة) ، وفى اليوم السابق لبدء المفاوضات اصدر الملك بيانا ندد فيه بالشيوعية والنشاط الشيوعى فى البلاد وطالب الوزارة باتباع سلطاتها التى خولتها لها القوانين للضرب بيد من حديد على كل من يدين بهذه المبادىء . » (١١) ، وكانت تلك هى اشارة الهجوم ، وبعدها تحركت كل القوى الرجعية ، السراى وشيوخ العشائر وقوات البدو داخل الجيش والحزب الدستورى الاقطاعى بزعامة **سمير الرفاعى** مستشار شركة التابلاين الامريكية والاخوان المسلمين وحزب التحرير الاسلامى وعملاء المخابرات الامريكية والبريطانية فى اجهزة الامن والمخابرات فى الجيش وفلول عصابة القوميين السوريين ، الذين كانوا قد هربوا الى الاردن فى تلك الايام بعد [illegible] المؤامرة الامريكية على سوريا .»

وفى الخارج احتشدت قوات حلف بغداد للاحاطة بحدود سوريا لتهديدها بعدم التدخل ، كما احتشدت القوات العراقية والاسرائيلية على حدود الاردن لحراستها ، حتى يفرغ المتآمرون من الاجهاز على الحكم الوطنى والقوى الثورية والتقدمية فى داخل الاردن .»

ومكث **ريتشاردز** مبعوث ايزنهاور فى بيروت ينتظر من فرط اللهفة نجاح المؤامرة ومعه الاسطول السادس فى ميناء بيروت ، والذى لم يخف قائده الغرض من مهمته « ان اسطوله مستعد لشق طريقه الى الاردن اذا اقتضى الامر »

وكان ان انتهت الاحداث بتلك الكارثة التى اطاحت بالحكم الوطنى ، وعودة الاردن مرة اخرى الى احضان الاستعمار والرجعية ، واعلان الاحكام العرفية ، وتعطيل المجلس النيابى ، وحل الاحزاب والنقابات والمجالس البلدية واتحاد الطلبة العرب ، وفصل مئات الموظفين الذين عرفوا بميولهم الوطنية ، وهرب اللواء **على ابو نوار** قائد الجيش الاردنى ونائبه اللواء **على الحيارى** الى دمشق ، والقى القبض على عشرات الضباط الاحرار الذين لم يتمكنوا من الهرب ، وزج بالالاف من المواطنين فى السجون والمعتقلات ، وسيق عشرات المواطنين والضباط الى ساحات الاعدام داخل معتقل **الجفرة والعبدلى** وفى ميادين عمان ونابلس وغيرها من مدن الضفة الشرقية والغربية ، وقامت قوات البدو بحصد ارواح المواطنين المتظاهرين فى الشوارع برصاص مدافعها ، كما راحت عصابات الاخوان المسلمين وحزب التحرير الاسلامى والقوميين السوريين الفاشيست تغتال العناصر الثورية والتقدمية واشاعة الارهاب والذعر بين المواطنين . لقد جاء الانقلاب الاستعمارى ليلغى كل الاعمال والاصلاحات التى قام بها الحكم الوطنى ، ويحطم كل المكاسب التى حصل عليها الشعب بنضاله الشاق الطويل ، وليفرض اخيرا حكم الحديد والنار على شعب الاردن ، ويضمه بالقوة وعلى الرغم منه الى العالم الحر ، وكانت الكارثة التى حاقت بشعب الاردن فى عام ١٩٥٧ ، هى التجربة العملية امام الشعوب العربية لمشروع ايزنهاور لملء الفراغ والدفاع عن الشرق الاوسط فى التطبيق .

أخطاء الحكم الوطنى

واذا كانت الاخطاء التى وقعت فيها القوى الوطنية فى ذلك الوقت ، فان المسئولية كانت تقع فى المحل الاول على وزارة النابلسى نفسها ، وعلى الحزب الوطنى الاشتراكى بالذات ، الذى ينتمى اليه النابلسى واغلبية اعضاء وزارته ، ولقد راينا الوزارة ومنذ بداية الازمة التى استمرت حوالى اربعة شهور ، تأخذ مواقف تتصف بالتردد والضعف والمهادنة امام استفزازات الملك وتصرفات رئيس الديوان الملكى **بهجت التلهونى** وتحركات القوى الرجعية — وانه بالرغم من ان هذا الحزب قد قام بدور هام فى الحركة الوطنية منذ تأسيسه فى عام ١٩٥٤ ، وخاض معارك بطولية بجانب الاحزاب الوطنية والثورية الاخرى ، غير انه عجز امام تلك الازمة الاخيرة ، عن ادراك حقيقة ابعاد المؤامرة الاستعمارية الرجعية ، وطبيعة الظروف التى تجتازها البلاد ، والمهام التى تتطلبها مرحلة التحرر الوطنى التام من الاستعمار والرجعية ، وما تتطلبه من الصلابة والسياسة الواضحة المستقيمة .»

ويرجع هذا الموقف فى الاساس الى طبيعة وتكوين الحزب الوطنى الاشتراكى نفسه ، فهو يضم عديد من الوزراء السابقين ، والشخصيات الوطنية ، والوجهاء وكبار الملاك واصحاب الاعمال ، وغيرهم من اصحاب المهن الحرة ، وهو حزب ليست له ايديولوجية ثورية واضحة ، او تنظيم قاعدى جماهيرى وكادر سياسى متمرس ومستعد للصدام مع الرجعية فى اى وقت . لقد كان نشاطه السياسى قاصرا على عقد المؤتمرات بين الحين والاخر ، والعمل فى المجال البرلمانى .» ولقد كان الحزب يعبر بحق عن مصالح الطبقة البورجوازية الوطنية بكامل اجنحتها ، وكانت ان انعكست هذه المصالح المضاربة داخل الحزب على سياسته وطبعت بالتالى مواقف وزارة النابلسى المترددة تارة والمهادنة تارة اخرى ، الامر الذى ظهر بوضوح فى مواقف الجناح اليمينى المعروف بميله الى السراى ، والذى كان يتزعمه

انور الخطيب ، او بالنسبة الى كتلة الوسط وعلى راسها عبد الحليم النمر ، تلك الاجنحة اليمينية والوسطية التي كانت ترى ان الظروف القديمة السابقة التي فرضت الوحدة الوطنية ، قد زالت بزوال الخطر الخارجي وتحقيق الاستقلال السياسي — دون ادراك للمضمون الحقيقي لهذا الاستقلال وهو الاستقلال الاقتصادي — ورغبتها في الاستئثار بالسوق الوطني ، وخوفها الشديد من حركة الجماهير الشعبية في الداخل ، وهي التي تعودت ان تقيس السياسة من زاوية مصالحها ، وتريد تجميد الثورة الوطنية عند حدود مصالحها الفردية الانانية الضيقة .

كما ان هناك ايضا عدة اخطاء لايمكن التقليل من اهميتها وخطورتها ، مثل تريث الحكومة في تطهير اجهزة الدولة من العناصر الرجعية والعميلة ، وايضا عدم وجود اشكال التنظيم لتنسيق العمل المشترك بين الاحزاب الوطنية والثورية وبين الضباط الاحرار في الجيش ، وكذلك الاعتماد على اسلوب واحد في الكفاح ، والذي لم يتعد حدود المظاهرات الشعبية في الشوارع لسحق المؤامرة الاستعمارية الرجعية المسلحة ، والذي ثبت فشله بمجرد إعلان الملك حسين حالة الطوارىء وفرض حظر التجول، وقفل بذلك الطريق امام المتظاهرين وشل حركتهم .

وقام الحكم الرجعي الاستعماري بتحطيم كل المكاسب السياسية والاقتصادية ، التي دفع الشعب ثمنها من دمه وجهده وتضحيات شهدائه الابطال ، والانحراف بالاردن عن الاتجاه العربي التحرري ، بعد ان كانت الحكومة الوطنية قد شرعت في العمل من اجل الوحدة مع سوريا ومصر من قبل .

وقبض حكام الاردن الثمن ، عشرة ملايين دولار ، دفعتها امريكا « تقديرا منها للخطوات التي قام بها الملك حسين في سبيل صيانة سلامة الامة واستقلالها ورغبة منها في تأييد هذه السياسة»(١٢) كما جاء في تصريح لنكولن هوايت المتحدث الرسمي لوزارة الخارجية الامريكية في ذلك الوقت ، وقد اعلنت وكالة اليونيتد برس في تعليق لها على هذا الموضوع بقولها « ان الاردن الذي قبل منحة قدرها عشرة ملايين دولار يعتبر في امريكا موافقا على مشروع ايزنهاور ولو انه لم يعلن ذلك » (١٣) .

وفتح الحكم الملكي العميل ابواب الاردن ليستقبل شحنات الاسلحة الامريكية من كل نوع ، التي اخذت تتدفق على البلاد من القواعد العسكرية الامريكية في ليبيا واليونان ، وذلك طبقا لميثاق الامن المتبادل بين الدولتين (والمعروف طبقا لشروط ميثاق الامن المتبادل ، انه لا يجوز لاية دولة استخدام هذا النوع من الاسلحة ضد اسرائيل) . ومع تدفق الاسلحة الامريكية ، دخل مئات الخبراء العسكريين ورجال المخابرات الامريكية للاشراف على الجيش واجهزة الامن « كما زاد عدد موظفي السفارة الامريكية في عمان من ٢٥٠ شخصا في شهر ابريل الى ٣٢٠ شخصا في شهر مايو ١٩٥٧ ، بزيادة ٧٠ شخصا في شهر واحد » (١٤) ، وذلك لمواجهة متطلبات ومهام المرحلة الجديدة في الاردن ، وتغيير الاوضاع السياسية والاقتصادية في اتجاه مصالح الاستعمار الجديد وربطها بعجلة السياسة الاستعمارية والاحتكارات الامريكية .

الاردن في قبضة الاستعمار الجديد

ولقد عملت السياسة الاستعمارية على تدعيم النظام الاقطاعي ، وعرقلة التقدم الصناعي في الاردن ، وتحريم قيام صناعات انتاجية وتحويلية ، لصلحة الاحتكارات الامريكية والبريطانية ، التي تسيطر على النشاط التعديني ونهب الثروات الطبيعية والمواد الخام في البلاد . وان معظم الصناعات الوطنية هي صناعات خفيفة ضعيفة ، ولا تكفي اساسا لسد حاجة البلاد من السلع الاستهلاكية ، وقد استهدفت السياسة الاستعمارية تحطيمها عن طريق المنافسة واغراق السوق المحلي بالسلع والمنتجات الامريكية ، وان معظم الصناعات الكبيرة القائمة حاليا ، مملوكة للرأسمال الامريكي والبريطاني .

وكذلك الحال بالنسبة للتجارة الداخلية والخارجية ، فهي واقعة تماما تحت السيطرة الاستعمارية ، بالتعاون مع كبار التجار الاحتكاريين والمتعهدين والمستوردين ووكلاء الشركات الامريكية والبريطانية عن طريق اشراف البنوك الاستعمارية على كافة المعاملات المالية .

وقد ظهرت في البلاد طبقة راسمالية كبيرة ، من التجار والمزارعين وأصحاب مشروعات البناء والنقل

(١٢) « الاردن ومؤامرات الاستعمار » للكاتبين الاردنيين : صفوان الجاسر ، ولنعمان ابو باسم . القاهرة . الـدار المصرية للطباعة والنشر والتوزيع ١٩٥٧ .
(١٣) و (١٤) « المؤامرة الامريكية في الاردن » . ميشيل كامل . القاهرة دار الفكر ١٩٥٧ .

والطرق ، تقف بجانبهم طبقة من الرأسماليين البيروقراطيين من كبار الموظفين في اجهزة الدولة، الذين يستغلون مراكزهم في تسهيل اعمالهم وصفقاتهم ، وتحقيق الثراء غير المشروع على حساب اموال الشعب ، والاخبار التي تتسرب الى الصحافة البيروتية ، عن فضائح هذه الطبقة واعمال الرشوة والتهريب والاختلاس ، تكشف عن اشتراك هؤلاء المسئولين ورجال السراي وافراد من العائلة المالكة ، في هذه الاعمال اللصوصية ، والتي تنتهي دائما بقفل وحفظ التحقيق وتكتم اخبار هذه الفضائح عن الشعب .

كما ان معظم الاراضي الخصبة في البلاد تستولي عليها الاسرة المالكة الهاشمية ومجموعة قليلة من العائلات الاقطاعية ، وتبلغ مجموع الاراضي التي يملكها الملك حسين وحده اكثر من مائة الف فدان في منطقة غور الكبد الواقعة على نهر الاردن ونهر الزرقا ، هذا غير عشرات الالوف من الافدنة في غور المندسبة وغيرها من المناطق على الضفة الشرقية ، والمعروف ان كل هذه الاراضي قد استولت عليها الاسرة المالكة الدخيلة على البلاد ،وذلك عندما قام المجلس التشريعي الذي عينه الانجليز في عام ١٩٢٨ ، بمنحها للامير عبد الله ، وايضا عن طريق توزيعها على عدد من شيوخ العشائر وكبار الموظفين بأثمان رمزية ، وذلك من اجل تدعيم النظام الاقطاعي وخلق طبقة من الاقطاعيين تلتف حول الاسرة المالكة الهاشمية في الاردن .

ويعيش الفلاحون الذين يمثلون اكثر من ثلثي مجموع الشعب ،تحت ظروف قاسية من الحرمان والفقر الشديد ، فمعظم عائد الارض يستولي عليه الاقطاعيون ، والبنوك الاستعمارية والمرابون والضرائب ، كما يتعرض العمال لابشع انواع الاستغلال والقهر ، في ظل قوانين وشروط عمل جائرة ظالمة ، وتحت تهديد القوانين الاستثنائية التعسفية ،واعمال الكبت والارهاب المنظم من قبل جهاز المباحث وسلطات الامن والمخابرات التي تشرف على تدريبها وقيادتها رجال المخابرات الامريكية في البلاد .

كما ان الحال في مدن واراضي الضفة الغربية ليست بأحسن منها في الضفة الشرقية ، ويزيد من حدة ومرارة الحياة وتفاقم ازمات ومشاكل البطالة والفقر والاستغلال هناك ، وجود مئات الالوف من اللاجئين المشردين ابناء عرب فلسطين ضحايا الخيانة الرجعية العربية والغدر الاستعماري الصهيوني ، الذين يرزحون تحت ظروف رهيبة من الجوع والبؤس الشديد ،وسوء الحالة الصحية والمأوى في العراء وفي الخيام القديمة الممزقة تحت سياط البرد وسيول الامطار ، حيث تفتك بهم الاوبئة والامراض المختلفة .

ويعاني الشعب الاردني نتيجة لهذه الاوضاع السيئة ، من الهبوط المستمر في مستوى المعيشة ومن النقص في الخدمات الصحية والتعليمية والاجتماعية والثقافية والزراعية ، اذ ان معظم الميزانية التي تجبى من اموال الشعب وعرقه وجهده ، تنفق في تسليح الفيلق العربي من قوات البدو ، الذي يتولى السهر على حماية الملك حسين واسرته ، وفي تدعيم اجهزة البوليس والمخابرات وبناء السجون والمعتقلات لقهر وكبت الشعب ، وارغامه على الخضوع والرضوخ لعمليات الاستغلال الوحشية من جانب تحالف الاستعمار والاقطاع ورأس المال .

ولقد نجحت السياسة الاستعمارية ، في ان تحتفظ بالبلاد في حالة من التأخر والتخلف الشديد، حتى تظل في حاجة دائمة الى المعونة والمساعدات الاستعمارية ، التي يفرضها الاستعماريون بالشروط التي يحددونها ، وايضا اوجه الصرف المختلفة لهذه المعونات والمساعدات ، التي تنفق على مشروعات ابعد ماتكون عن الناحية الاقتصادية والانتاجية المفيدة ،مثل شق الطرق وبناء القواعد العسكرية التي يشرف عليها الخبراء الامريكيون ، والمطارات الحربية وشراء الاسلحة والمعدات القديمة المستهلكة ،كما حدث اخيرا بالنسبة لصفقة الطائرات الامريكية القديمة التي فضحتها القيادة العربية الموحدة ، واثارتها صحيفة الاهرام في الاسابيع القليلة الماضية ، وايضا كما حدث من قبل بالنسبة لصفقة الدبابات باتون وناقلات الجنود من مخلفات الحرب الكورية ، التي باعتها امريكا للاردن في منتصف عام ١٩٦٥ ، وغيرها من صفقات هذه الاسلحة القديمة ، التي يدرك الملك تماما ، بصفته قائدا اعلى للجيش الاردني ، انها لايمكن بأي شكل ان تصمد امام الاسلحة الاسرائيلية الحديثة ، ولكن لا مانع ولامحل للاعتراض هناك، ما دامت هذه الاسلحة القديمة المستهلكة لن يستخدمها الملك حسين في المستقبل ضد اسرائيل، وما دامت امريكا تستفيد من وراء هذه التمثيلية لمد قاعدتها اسرائيل وتدعيمها بالاسلحة الحديثة الطراز لقتل العرب وتدمير بلادهم ، تحت ستار المحافظة على التوازن المسلح بين العرب واسرائيل، هذه السياسة المفضوحة التي تلقى كل يوم معارضة متزايدة من الشعب الاردني وفي صفوف الضباط الوطنيين داخل الجيش ،كما ثبت ان هذه الصفقات قدمت كهدايا دون مقابل ، بينما ادعى المسئولون بالاردن انها اشتريت وذلك لتتمكن من اختلاس قيمتها من الاموال التي دفعتها الدول العربية .

ان الاخبار عن المحاكمات الجائرة التي تجري كل يوم داخل الاردن ،والسجون المليئة بالمناضلين الاشتراكيين والتقدميين ، وعمليات التعذيب الوحشية ، وحملات الاعتقالات ، والتسريحات

المستمرة للضباط الوطنيين الديمقراطيين من الجيش ، توضح أن الشعب الاردني وطلائعه الثورية ، لم يهدأ أو يتوقف في يوم خلال السنوات العشر الماضية عن النضال ضد الحكم الملكي الاقطاعي والسيطرة الاستعمارية في الاردن ، وأنه لم ينعزل عن مجرى الكفاح العربي التحرري العام ، أو يغمض عينيه عن هذه التغيرات الاجتماعية التي تتم كل يوم في العالم من حوله ، وبخاصة في هذا الجزء القريب من حدوده في الجمهورية العربية المتحدة أو في القطر السوري الشقيق .

ان تجربة السنوات العشر الماضية للشعب الاردني ، قد تبلورت اليوم في هذه الشعارات الواضحة المحددة ، وفي منشورات الضباط الاحرار التي تنادي الان بالعمل على اسقاط النظام الملكي الاقطاعي الراسمالي ، واقامة النظام الاشتراكي على أنقاض النظام الفاسد المنهار ، والعودة بالاردن الى مكانه الطبيعي داخل الصف العربي الوحدوي التحرري .

كما أثبتت هذه التجربة الواقعية فشل الديمقراطية البورجوازية ، بمفهومها الليبرالي ، وخاصة في هذه الظروف التاريخية الجديدة الحاسمة ، التي تتداخل فيهما مرحلة الثورة الوطنية بالثورة الاشتراكية ، التي تجتازها الان حركة التحرر الوطني في المستعمرات والبلدان التابعة ، من أجل التخلص من سيطرة الاستعمار القديم والجديد والقضاء على الرجعية والاستغلال

تكوين الجبهة التقدمية الجديدة

وتفيد المعلومات الهامة التي خرجت من الاردن في الاسابيع القليلة الماضية ، انه قد تم تكوين جبهة القوى التقدمية ، التي تضم كافة القوى الاشتراكية والديمقراطية الثورية والوطنية التقدمية داخل الاردن ، وان الجبهة قد عقدت أول مؤتمر سري لها في شهر مارس الماضي وذلك في مكان ما بالضفة الشرقية ، وقد حضره ممثلون عن هذه القوى والحركات الوطنية التحررية في الاردن ، كما أسفر المؤتمر عن اتفاق تام بين هذه القوى الثورية ، واتخاذ قرارات هامة بشأن تحديد مستقبل القطر الاردني .

وقد تناول البيان الذى قامت الجبهة التقدمية بتوزيعه على الشعب الاردني في أعقاب المؤتمر ، شرح طبيعة الحكم الارهابي الاسود في الاردن الذى يتعارض مع أماني ومصالح الجماهير .. وان الجبهة ايمانا بدورها التاريخي واستجابتها لتحقيق أهداف الجماهير ، قد أخذت على عاتقها عبء النضال وقيادة المعركة ضد الحكم العسكري الارهابي ، وتخليص البلاد من العصابة الحاكمة التي جعلت من القطر الاردني مزرعة للمخابرات الاستعمارية ووكرا للجواسيس والعملاء والخونة المتآمرين الهاربين من البلاد العربية ، الذين يعملون ضمن المخطط الاستعماري الرجعي ، وحياكة المؤامرات ضد اهداف الثورة العربية والاشتراكية وتحرير فلسطين .

وكانت الجبهة قد دعت في بيانها الى المواطنين ، العمل على مقاطعة وافشال الانتخابات المزيفة التي كانت حكومة حسين بن ناصر الانتقالية قد حددت لها يوم ١٥ ابريل الماضي . (وكان الملك حسين قد قام بحل مجلس النواب في ديسمبر الماضي نتيجة الضغط المتزايد من العناصر الوطنية داخل المجلس ، وفي اعقاب الاضطرابات العنيفة التي اجتاحت الاردن بسبب الموقف المتخاذل للسلطات الاردنية بعد الغارة الاسرائيلية على قرية السموع ، بهدف التخلص من هذه العناصر الوطنية داخل المجلس ، ثم أصدر بعد ذلك مرسوما بتعيين السفاح وصفي التل رئيس الحكومة رئيسا للديوان الملكي ، وتكليف حسين بن ناصر بتشكيل حكومة انتقالية للاشراف على هذه الانتخابات المزيفة) ، كما أهابت الجبهة بكافة القوى الوطنية لتكتيل الجهود وتوحيد الصفوف حتى يتم سحق النظام الرجعي القائم والقضاء على الحكم الخائن في البلاد ، حتى يأخذ الاردن مكانه الصحيح في ركب الثورة العربية التحررية الزاحفة

وفي هذه الظروف النضالية الجديدة ، لم يعد الصراع الطبقي داخل الاردن يتخذ شكله العادى التقليدى ، من الصدام بين العمال وبين الرأسماليين أو بين جماهير الفلاحين والاقطاعيين ، من أجل مطلب بسيط لتحسين شروط العمل وزيادة الاجر ، بل أصبح صراع بين كل من يريد مواصلة الثورة الوطنية التحررية المعادية للاستعمار والاقطاع والاستغلال ، وتحقيق أهداف الثورة الاجتماعية الاشتراكية ، وبين أولئك الذين يتشبثون بالنظ الرجعي ، وبقائهم داخل النفوذ الاستعماري وتحويل بلادهم الى قاعدة عسكرية أمريكية — ويقف اليوم في طليعة النضال : العمال والفلاحون والمثقفون والجنود والاقسام المستنيرة من البورجوازية التي لم تفقد ثوريتها ، وأصبحت لا تعارض التحول والبناء الاشتراكي ، وتناضل اليوم بجانب القوى الثورية الاشتراكية والوطنية الديمقراطية في البلاد .

التحالف الرجعي الاستعماري الصهيوني

لقد اتسمت سياسة حكام الاردن في الفترة الاخيرة ، وذلك منذ نشوب الازمة الحالية في أوائل العام الماضي ، بشأن تأجيل مؤتمرات القمة ، بسبب ظهور الدعوة للحلف الاسلامي ، ومحاولة الرجعية

العربية العميلة استغلال مؤتمرات القمة في تخريب الثورة العربية التحررية وتصفية قضية فلسطين، بالتعاون مع الملك فيصل والحبيب بورقيبة ، بالطابع العدائي الصريح لمصالح الشعوب العربية وتنفيذ الاهداف والمخططات الاستعمارية ، الامر الذي ظهر بوضوح في المواقف التالية :

● الخروج باستمرار على مقررات والتزامات القيادة العربية العليا الموحدة ، وكان اخرها نقض قرارات مجلس الدفاع العربي الاعلى ، الذي وافق عليه وزير الخارجية الاردني **اكرم زعيتر** ، بشأن دخول القوات العراقية الى الاردن للمشاركة في حماية الاراضي العربية من الهجمات والاعتداءات الاسرائيلية ، وقرار حكام الاردن الاخير بعدم الاشتراك في مجلس الدفاع العربي الاعلى في المستقبل — وتطالب القيادة العربية العليا الموحدة الان ، أن تقوم الجامعة العربية بالتحقيق ، بخصوص الاموال التي تسلمها حكام الاردن ، والتي بلغ مقدارها ٢٢ مليون جنيه استرليني ، للصرف منها على تقوية الجيش الاردني وتسليحه بالاسلحة الحديثة ، الامر الذي لم يتم ، وبدلا من ذلك قام الملك حسين بصرف جزء منها في زيادة مرتبات الضباط الموالين له ، وايداع الباقي باسمه واسم زوجته الانجليزية في بنوك لندن وسويسرا .

● العمل على تصفية قضية فلسطين وتجريد الضفة الغربية من وسائل الدفاع اللازمة وسحب الاعتراف بمنظمة تحرير فلسطين ومعارضة دخول جيش منظمة تحرير فلسطين الى أراضيه لحماية مواطنيه، وغلق مكاتبها في القدس ، وتصفية معسكرات اللاجئين ، ومطاردة الفدائيين الفلسطينيين والقبض عليهم وتعذيبهم ، كما حدث في يوليو الماضي بالنسبة لحادث استشهاد المناضل **تركي عبد الله كنعان** وعمليات التعذيب الوحشية على أيدي رجال المخابرات الاردنية .

● حملات الاكاذيب والتشهير ضد الدول العربية المتحررة ، وسحب الاعتراف بالجمهورية اليمنية ، وتدبير وتمويل المؤامرات الاستعمارية ضد سوريا ، كما حدث بالنسبة لمؤامرة **سليم حاطوم** في سبتمبر الماضي ، وأيضا بالنسبة لهذه المؤامرة الاخيرة التي كشفت عنها السلطات السورية في شهر فبراير الماضي ، وجاءت تأكيدا للتصريحات التي أدلى بها الضابط الاردني **رشيد الحمارشة** ، الذي لجأ اخيرا الى الجمهورية العربية المتحدة ، والتي كانت تستهدف القيام بأعمال الاغتيالات والنسف والتدمير واحداث الاضطرابات والفوضى داخل سوريا ، في نفس الوقت الذي تتولى فيه اسرائيل القيام بأعمال الاستفزازات والتحرشات على الحدود السورية ، وذلك بهدف تصفية الحكم الوطني التقدمي في البلاد والتمكين لحكم الرجعية والاستعمار .

● الخروج على الاجماع العربي بشأن علاقات الدول العربية بالمانيا الغربية ، والاعتراف بحكومة المانيا الغربية واستئناف العلاقات الدبلوماسية بينهما ، وكانت حكومة الاردن قد اضطرت الى قطع علاقاتها بحكومة المانيا الغربية تحت ضغط الرأي العام العربي ، على اثر اعتراف حكومة بون باسرائيل في مايو ١٩٦٥ ، وتزويدها بالمال والسلاح بأيعاز من الولايات المتحدة — وقد قبضت حكومة الملك حسين ثمن الخيانة فورا ، وقيمتها ٢ مليون جنيه ، دفعتها احدى الشركات الالمانية كقرض ، قيل انه من اجل توسيع ميناء العقبة — والمعروف انه لم يخرج على قرار الجامعة العربية بشأن قطع العلاقات مع المانيا الغربية في ذلك الوقت سوى حكومة بورقيبة في تونس ، والملك الحسن في المغرب والملك السنوسي في ليبيا.

● الاستعانة بالاسلحة والخبراء العسكريين ورجال المخابرات الامريكية ، لقمع ثورة الشعب الاردني في الداخل ، والمعروف أن قيمة المبالغ والمساعدات الامريكية التي حصلت عليها الاردن منذ بداية الازمة في أوائل العام الماضي ، قد بلغت حتى ديسمبر الماضي أكثر من ٢١ مليونا من الدولارات الامريكية . ان كل هذه الامور والوقائع تكشف عن تواطؤ حكام الاردن مع الاستعمار والصهيونية ، وتؤكد حقيقة الارتباط التاريخي المصيري بين الحكم الملكي في الاردن واسرائيل، فقد كان وجود الحكم الملكي الهاشمي والعصابات الاسرائيلية منذ البداية على حساب قضية فلسطين، وضد قضايا التحرر في الوطن العربي .

ان الاخبار التي ترد الينا هذه الايام ، تشير الى ما يحدث الان داخل الاردن ، يوشك أن يحطم كل الأحلام التي بناها الاستعمار الامريكي على الحكم الملكي والرجعية في الاردن ، وان ميزان القوى الذي يميل الان لصالح القوى الثورية الاشتراكية والتقدمية في العالم العربي — بعد أن انتزع الشعب الاردني عنصر المبادرة بانتفاضته الثورية ضد سياسة الحكومة الاردنية ثم قيام المناضل عبد الناصر في بداية العام الماضي بدعوة القوى الثورية والتقدمية في العالم العربي ، بأن تتحد وتنظم صفوفها لمواجهة تحالف الرجعية والاستعمار ، وان القوى الثورية الاشتراكية والتقدمية المناضلة ، بدأت تسمع العالم صوتها من داخل الاردن ، ومن فوق الضفة الغربية ، وانها أخذت تمسك مصيرها بأيديها لتصنع تاريخها ومستقبلها ، مسلحة بوعيها وارادتها ، ولا شك أن لها من التجارب النضالية والممارسة الثورية السابقة خبرة غنية تقيها شر الاخطاء والعثرات في المستقبل ، وتمنحها ضوءا جديدا يعينها على مواصلة الطريق ، حتى تلحق بركب الثورة العربية ، على طريق الحرية والاشتراكية والوحدة .



الاشـتراكيـة فى تـنزانـيـا ..
من مقال أوجاما .. حتى إعـلان أروشـا

د . عبد الملك عوده

في حيـاة تانزانيا احـداث ووثائق متعددة ترسم الخط العام لتطورها السياسي والاقتصادى المعاصر . وتهدف هذه الدراسة القصـيرة الى مناقشة وثيقتين هامتين صدرتا خلال هـذا التطور المعاصر . هـاتان الوثيقتان هما **مقـال «اوجاما»** الذى نشره الرئيس نيريرى عام ١٩٦٢، **واعلان «اروشا»** الذى اعلنه الرئيس نـيريرى عام ١٩٦٧ (١) . وقبل ان نستطرد فى هذه الدراسة نقدم الملاحظات الاولية التالية :

● ان دراسة كل من الوثيقتين لايمكن ان تنفصل عن الاطار التاريخى الداخلى والخارجى للفترة الزمنية التى صدرت فيها كل منهما ، وان محاولة تجريد الدراسة تمثل خطر تمييع معـالم التطور

(١) الوثيقتان منشورتان فى .

- J.k. Nyerere : Freedom and Unity, (Ujamaa, the basis of African Socialism, 1962) . Oxford Press, EastAfrica, 1966 ,

The Arusha Declaration, and Tanu's Policy on Socialism and Self-reliance . Dar es Salam , 1967 .

الفكرى والسياسى الداخلى والخارجى وتطور القيادات والقوى المتعددة والعلاقات المتبادلة فى الداخل وفى الخارج .

● صدرت الوثيقة الاولى عام ١٩٦٢ وكانت تنجانيقا دولة مستقلة، وصدرت الوثيقة الثانية عام ١٩٦٧ وتانزانيا دولة اتحادية مستقلة تضم تنجانيقا وزنزبار . ولهذا وجب ان نأخذ فى الاعتبار التطور السياسى الخاص لكل منهما والتطور العام فى شرق القارة ، مع تقدير لاتجاهات وتركيب كل من الحزبين **(تانو وافروشيرازى)** فى تنجانيقا وزنزبار .

● كتب الدراسة الاولى الرئيس نيريرى عقب استقالته من منصب رئيس الوزراء فى يناير ١٩٦٢ ليتفرغ لاعادة تنظيم شئون الحزب ، وصدرت الثانية عقب اجتماع **اللجنة التنفيذية القومية لحزب تانو** فى اواخر شهر يناير ١٩٦٧ ، واقرها المؤتمر القومى العام للحزب، وقد اجتمع مجلس الثورة فى زنزبار ووافق على اعلان اروشا واعتبره وثيقة اساسية من وثائق حزب افروشيرازى .

● ترتب على اعلان كل من هاتين الوثيقتين اصدار عدد من القوانين والاجراءات الاقتصادية فى تنجانيقا . واهم ما ارتبط بالوثيقة الاولى تحريم الملكية الفردية الخاصة فى الارض الزراعية وتحويل ملكية المزارع الموجودة وقتذاك الى عقود ايجار طويلة الامد . وصدرت عقب اعلان الوثيقة الثانية خمسة قوانين تقضى بتأميم قطاع البنوك وقطاع تجارة التصدير والاستيراد والجملة وقطاع التأمين وقطاع الانتاج الزراعى ، وتقضى بملكية الدولة لما لا يزيد عن ٦٠٪ من اسهم عدد من الشركات الصناعية فى تنجانيقا .

أوجاما والاشتراكية الافريقية

على الرغم من ان دراسة الرئيس نيريرى تحمل عنوان «اوجاما» الا انه يفسرها بأنها الاشتراكية الافريقية ، والكلمة ذات اصل سواحلى وهو كلمة جماعة ، وتعنى مفهوم الارتباط العائلى والالتزام بمسئولياته الموروثة عن التقاليد والقيم القبائلية الافريقية . واهم ما ورد بها من اتجاهات هو :

● ان المجتمع الافريقى كان مجتمعا اشتراكيا باستمرار ، فقد كان الغنى والفقير آمنين تماما فيه ، وكانت الكوارث الطبيعية تأتى بالمجاعات ولكنها تصيب الجميع اغنياء وفقراء على السواء، ولم يتضور احد جوعا سواء من حيث الغذاء او الكرامة الانسانية بسبب عدم امتلاكه ثروة شخصية ، اذ كان فى وسع كل فرد الاعتماد على ثروة المجتمع **الذى هو عضو فيه** . وكان كل شخص فى **المجتمع الافريقى «عاملا»** اذ لم يكن هناك ثمة سبيل آخر أمام الجماعة لكسب العيش سوى العمل . وحتى شيخ او رئيس الجماعة والقبيلة كان يعمل بجد ونشاط أيام شبابه . والثروة التى يبدو للجميع انه يمتلكها فى أيام شيخوخته ليست ثروة شخصية له ، انما هى ثروته باعتباره رئيس الجماعة التى انتجتها **فهو امين قيم عليها** .

● ان عددا من المفاهيم دخل حياة المجتمع بعد وصول الاستعمار ، ولذا فهى غريبة على الفكر الافريقى ، مثل الاستغلال ورب العمل والعامل الاجير والملكية الفردية للارض الزراعية وطبقة الملاك الكسالى الطفيليين وصراع الطبقات .. الخ ويرجع هذا الى ان الاشتراكية الاوروبية هى وليدة الثورة الزراعية والثورة الصناعية فى اوروبا ، وكلا الثورتين خلقتا طبقات ملاك الاراضى الاقطاعيين والملاك الرأسماليين والاجراء الزراعيين والصناعيين . وهذه الثورات خلقت بذور الطمع والصراع الاهلى الذى يسميه الاشتراكيون الاوروبيون باسم الصراع الطبقى، ولما كان مجتمع القبائل فى تانزانيا لا يعرف كل هذه المقدمات والنتائج ، لهذا لا تعرف تانزانيا الصراع الطبقى ، ولاتأتى الاشتراكية نتيجة طبقات متصارعة .

● كل ما سبق يؤدى الى ضرورة العودة الى العرف التقليدى فى حيازة الارض وهو الغاء الملكية الخاصة فيها، وان يكون لكل فرد حق فى قطعة ارض على شريطة ان يستغلها . كما ان الثروة الزائدة التى تأتى للافراد نتيجة مراكز معينة فى القيادة لا يمكن ان تكون ملكا لهم الا كعون ضرورى للاضطلاع بواجباتهم . فهى **اداة** عهد بها اليهم لمنفعة الشعب الذى يقومون بخدمته **وليست ملكا لهم** بصفتهم الشخصية ولا يجوز لهم استخدام اى جزء منها كوسيلة لتجميع المزيد وتراكم المنفعة الشخصية .

واجمال كل هذه الاتجاهات يقرر ان اشتراكية اوجاما تعارض الرأسمالية والاشتراكية النظرية الفلسفية ، ان اوجاما تبنى مجتمعا لا يقوم على العداء ولذا تعارض الرأسمالية لانها تقوم على استغلال الانسان للانسان وتعارض الاشتراكية النظرية لانها تقوم على صراع محتوم بين الانسان والانسان .

والدراسة النقدية لهذه الوثيقة تثير **اولا** الاصرار

الواضح على ان اوجاما تعنى الاشتراكية الافريقية التى تختلف عن الاشتراكية الاوروبية والماركسية . وان الاشتراكية الافريقية تقوم على ميراث قديم من المساواة والحياة المشتركة والتكافل فى اطار القبائل ، وان الطبقات المتصارعة لم تظهر مطلقا فى التركيب الاجتماعي للسكان . وان الارض الزراعية باستمرار كانت ملكا جماعيا لكل الافراد . وتشير **ثانيا** ان الوثيقة تحدثت عن حياة الريف والزراعة ولم تتعرض بصورة مباشرة واضحة لحياة المدينة والتبادل التجارى والخدمات والانتاج غير الزراعي وما يرتبط بهذا من مراكز اقتصادية واجتماعية متعددة ومتباينة . وتشير **ثالثا** ان تعميم هذه الصورة الخاصة من الاشتراكية الافريقية على حياة جميع القبائل والوحدات البشرية انما يتناقض فى بعض الاحيان مع الدراسات التاريخية الصادقة التى ترى ان اقساما من افريقيا عرفت نظم الحكم والاقتصاد القائمة على الرق والاقطاع الزراعي والادارة المركزية والاحتكارات الحكومية للتجارة واستغلال سكان القرى وزراع الارض . كما تتناسى ميراث الحكم الاجنبى والغزو المسلح والامبريالية الاوروبية وما تركته من بصمات عميقة فى العلاقات الاجتماعية فى حياة افريقيا عامة . وهناك ملاحظة هامة هى ان الوثيقة تشير الى ظهور العمال الصناعيين عندما تتحدث بسرعة عن الرأسمالية الاوروبية ، ثم تتحدث عن مطالب نقابات العمال فى كفالة نصيب عادل من ارباح عملهم . وهذه الاشارة السريعة لم تأت فى مجال التحليل والمناقشة ، وانما جاءت كاعتقادى كرد فعل فى تفكير ونفسية قيادات حزب تانو ، اذ شهدوا فى العام الذى سبق اصدار هذه الدراسة — معركة سياسية مع اتحاد نقابات العمال فى تنجانيقا

اعلان أروشا والاشتراكية

يتحدث اعلان اروشا عن الاشتراكية بدون ان يردفها بصفة اخرى مثل الاشتراكية الافريقية او الاشتراكية العلمية او الاشتراكية الاوروبية .. الخ ومما يلفت النظر ان الرئيس نيريرى قرر امام المؤتمر القومي العام للحزب ان الاشتراكية كانت شيئا غامضا غير محدد فى حياة تانزانيا فجاء اعلان اروشا ليحددها وليوضح معالمها . ونلاحظ ان النسخة الاصلية من اعلان اروشا صدرت باللغة السواحلية واستعملت كلمتى الاشتراكية واوجاما كمترادفين بنفس المعنى لانها لم تفرق بينهما فى الاستعمال وان استعملت الترجمة الانجليزية الرسمية كلمة اشتراكية (سوشياليزم) فقط .

ونعرض اهم ماورد بالاعلان من اتجاهات وقضايا فى التالى :

١ — ان تانزانيا كدولة للفلاحين والعمال لم تصبح بعد دولة اشتراكية كاملة ، وهذا لان بها **عناصر رأسمالية واقطاعية** تمثل اغراءات وتهدد باحتمالات نمو وسيطرة هذه العناصر على المجتمع وتطوره ، ومع ذلك فان كل شعب تانزانيا «عاملون» وليس فى البلاد طبقات رأسمالية واقطاعية . وبناء الاشتراكية يستلزم **سيطرة وملكية** الفلاحين والعمال بواسطة الحكومة والتعاونيات على ادوات الانتاج الرئيسية وهى : الارض والغابات والموارد المعدنية والمياه والنفط والكهرباء ووسائل الاتصال والاعلام والمواصلات والبنوك والتأمين وتجارة التصدير والاستيراد وتجارة الجملة وصناعات الصلب والماكينات والالات والاسلحة والسيارات والاسمنت والاسمدة ، وصناعة النسيج وكل صناعة كبرى تعتمد عليها حياة قسم كبير من السكان او تقوم بتجهيز المقومات الرئيسية لصناعات اخرى ، والمزارع الكبرى خاصة التى تنتج المواد الخام الرئيسية

ولا تكفى السيطرة والملكية فقط لاعلان الاشتراكية ، انما يجب ان يقود الحكومة **الفلاحون والعمال المنتخبون انتخابا ديموقراطيا** ، اضف الى ان الاشتراكية كايدلوجية يجب ان تمارس بواسطة قيادات تؤمن بها وتطبقها فى الحياة اليومية وبدون ان تعبر هذه القيادات عن اتجاهات رأسمالية واقطاعية .

٢ — ان سياسة الحزب للوصول الى هذا الوضع هى الاعتماد على النفس اولا فى هذه المعركة ، وفى اطار سياسة الاعتماد على النفس يثير الاعلان مناقشة عدة قضايا بهدف اتخاذ مواقف تدعم سياسة الاعتماد على النفس وتساند تطبيقاتها ، واول هذه القضايا هى **سلاح النقود والمعونات الخارجية** ويراها سياسة خطا وقع فيها الحزب لفترة طويلة كما انها تهدد استقلال

البلاد وتساعد على نمو اتجاهات فكرية مضادة للاشتراكية . وثانى هذه القضايا هى **التركيز على الصناعة والتصنيع كطريق** للتنمية، ويراها ايضا سياسة خطأ وقع فيها الحزب ، وهذا لان تانزانيا بلاد فقيرة ومواردها الاولية محدودة وخبراتها الفنية ضئيلة ، وتؤدى مناقشة هذه القضية الى اثارة علاقة المدينة بالريف ، فيرى الاعلان ان آثار التنمية والتصنيع انما ظهرت بصورة مباشرة وسريعة فى المدينة وبين سكان المناطق الحضرية . بينما يدفع الثمن عند سداد القروض واقساط الديون سكان القرى والمناطق الريفية ، وهنا تظهر القضية الثالثة التى يذكرها الاعلان : (وهذا يطرح قضية هى **انه من الممكن** ان يتحول سكان المدن ومناطق الحضر الى مستغلين لسكان القرى والريف ..... واذا لم نفتح اعيننا جيدا فسوف تتحول تانزانيا الى وضع استغلال حقيقى يقوم به سكان المدن والحضر لسكان الريف والفلاحين)

واجمال كل هذه المناقشات يؤدى الى اقرار ان الاولوية الاولى والعاجلة هى للتنمية الزراعية التى تتوافر مقوماتها فى الثروة الزراعية والارض الواسعة الخصبة ، ويرى الاعلان هذه التنمية والاعتماد على النفس فى اصول اربعة هى الارض الزراعية والبشر والقيادات الصالحة والسياسات الصالحة ، وان منع الاستغلال لا يتم الا بالعمل الشاق والتوزيع العادل للثروة القومية .

٣ — ان حزب تانو هو **حزب الفلاحين والعمال** الذين يبنون الاشتراكية ، وهذا يؤدى الى اعادة النظر فى عضوية الحزب والتحول من الكم الى الكيف ، كما ان هذا يستلزم وضع مواصفات وشروط للقيادات فى الحزب والحكومة والقطاع العام ، وتتضمن هذه المواصفات والشروط ان يتولى القيادة الفلاحون والعمال ، وان يتم القضاء على الاتجاهات الاقطاعية والراسمالية التى لو تركت فسوف تنمو بشكل يهدد سياسات الحزب والبلاد . وهذه المواصفات والشروط هى عدم تملك الاسهم فى الشركات وعدم شغل مناصب ادارية فى القطاع الخاص وعدم الحصول على اكثر من مرتب واحد وعدم امتلاك منازل تؤجر لاخرين.

والدراسة النقدية لهذه الوثيقة تثير اولا مناقشة تصور الاعلان للتركيب الاجتماعى والطبقى لتانزانيا ، خاصة انه لم يفرد لهذا التركيب الاجتماعى (الخريطة الاجتماعية) قسما خاصا . فهو يرى المجتمع فى قسمين او طبقتين عليا ودنيا تعيش الاولى على عمل الاخرين ، وتعيش الثانية على العمل اليومى ، ويسمى الاولى احيانا طبقة الراسماليين والاقطاعيين، ويسمى الثانية باستمرار طبقة الفلاحين والعمال . كما يرى المجتمع فى صورة اخرى ، وهى قسمين او طبقتين : هما طبقة سكان المدن والبيئة الحضرية وطبقة سكان القرى والبيئة الريفية. ولايزيد الاعلان شرحا اوتحليلا لتفاوت المراكز الطبقية وتباين المصالح فى داخل هذه التقسيمات ولا فى حقيقة العلاقات الاجتماعية التى تقوم فيما بينهم من جانب وبين بعضهم بعضا من جانب آخر . وبمعنى آخر لا يتحدث اعلان اروشا صراحة عن موقفه الفكرى من قضية حرب الطبقات والصراع الطبقى .

ولم يتعرض الاعلان لتحديد من هم الفلاحون والعمال ؟ وانما ترك هذا لتفسيرات اللجان القيادية للحزب . وان كان الاعلان لا يعترف بوجود طبقات وفئات اجتماعية اخرى فى قيادة الحزب والحكومة والقطاع العام . ولا يوضح كيف سيكون مصيرهم بالنسبة لعضوية الحزب وبالنسبة للعلاقات الاجتماعية فى داخل المجتمع؟ وان كانت شروط ومواصفات القيادات فى القسم الاخير من الاعلان تستبعدهم بصورة قطعية من مجالات القيادة فى الحزب والوزارات والبرلمان والقطاع العام ومجالس الحكم المحلى ... الخ وهناك نقطة اخرى يشير اليها الاعلان وهى ان مصالح الفلاحين والعمال واحدة، ومعنى هذا هو نفى وجود التناقضات بين الفلاحين والعمال الذين يعتبرهم الاعلان طبقة واحدة .

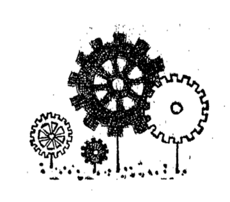
وابرز مافى الاعلان هو النقد الذاتى الذى يعترف به بالنسبة لقضايا النقود والمعونات الخارجية والتصنيع . وان لم يقرر الاعلان بصفة قطعية ايقاف قبول المعونات الخارجية او التراجع الكلى عن قضية التصنيع وبناء الصناعات ، وكل ما حدث — من وجهة نظرى — انه نقل التركيز والاولوية الى التنمية الزراعية مع الاعتماد على الجهد التانزانى فى التمويل والنمو . ولكن فى هذا المجال يصف الاعلان كل المعونات الاجنبية والدول الغنية فى صورة عامة ، فهو يراها تمثل تهديدا وتقف موقفا متماثلا تجاه الدول الفقيرة . ومعنى هذا انه لم

يميز فى هذا المجال بين الدول الصديقة والدول غير الصديقة مهما كانت دولا ثرية .

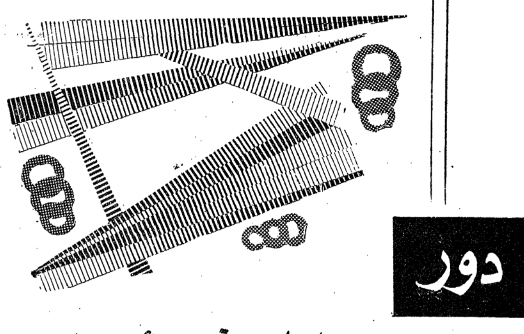
ولم يتعرض الاعلان لمشكلات التطبيق والتحول الاشتراكى ، وان كانت احاديث ومقالات الرئيس نيريرى بعد هذا تتناول بعض موضوعات فى هذا المجال ، ولكن الملاحظ ان هناك قضايا ومشكلات عدة يجب ان تناقش وتدرس فى ضوء ظروف تانزانيا الخاصة واوضاعها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية مثل قضايا الخبراء الفنيين والفئات ذات الاصل الاسيوى والاوربى ، واوضاع المزارع الكبرى فى الريف (المؤجرة لمدد تصل فى بعض الاحيان الى ٩٩ سنة) واعادة النظر فى الخطة الاقتصادية التى بدات عام ١٩٦٤ — ١٩٦٥ .. الخ

واستكمال هذه المناقشة يكون بدراسة القوانين الاشتراكية التى صدرت فى فبراير ١٩٦٧ ، والتى ترسم ابعاد هذا التطبيق الاشتراكى ومجالات عمل القطاع العام وسيطرة وملكية الفلاحين والعمال . ونلاحظ ان الرئيس نيريرى قد اكد مرارا خلال الشهرين الماضيين وفى جلسات المؤتمر القومى العام للحزب انه لن تصدر قوانين جديدة وانه لا توجد اجراءات اشتراكية اخرى سوى ما تعتزمه الحكومة من تنظيم سيطرتها وعلاقاتها فى مجال المزارع الكبرى التى تنتج المواد الاولية مثل السيسل ، وان هذا التنظيم ليس معناه التأميم او الملكية العامة فى هذا المجال .

وكل ما سبق لايجعلنا ننسى قيمة وآثار هذه المبادأة الاشتراكية فى شرق افريقيا فى هذا المناخ الدولى المعاصر الذى يشهد تحرش الرجعية والراسمالية والاستعمار الجديد بكل القوى التقدمية والتجارب الاشتراكيه فى العالم . كما يجعلنا لا ننسى ايمان قادة حزب تانو بالتجريب والتطور والبراجماسية فى تطبيقاتهم الاقتصادية والسياسية ، ولقد قال الرئيس نيريرى يوم ٤ مارس ١٩٦٧ : «اننا براجماسيون وما جاء فى اعلان اروشا انما هو دليل عمل ، ونحن ندرس ونستفيد من غيرنا ، ويمكن ان نستفيد من تجارب الصين الشعبية وغيرها . وهذه هى احدى مزايا العالم المعاصر الذى نعيش فيه ، ندرس ونستفيد من كل دولة فى خارج افريقيا وفى داخل افريقيا بدون ان نحترق بآثار الحرب الباردة والاستقطاب الدولى .. اننا لم نصدر اعلاننا لافريقيا ، ان اعلان اروشا صدر لتانزانيا فقط .. لسنا مدرسى قارة افريقيا» .



يعد كلاوس يواكيم ميخالسكى من أبرز خبراء جمهورية ألمانيا الديمقراطية بشئون الزراعة والحركة التعاونية ويعمل بجامعة ليبزج ويراس الحركة التعاونية. سبق له ان عمل كخبير فى عدد من الدول النامية كالهند وسوريه واليمن وكوبا وكمبوديا . وهو يكتب للطليعة عن رأيه فى اهمية التعاونيات فى التطور غير الرأسمالى للزراعة .



دور التعاونيات فى التطوير غير الرأسمالى ★★

كلاوس يواكيم ميخالسكى

أن تغيير الزراعة المتخلفة الى زراعه متقدمة عالية الكفاءة ، واعادة تشكيل العلاقات الاجتماعية فى الريف ، تعد من أكثر المهمات الحاحا واهمية فى كل البلاد النامية . والزراعة لها هذه الاهمية لانها تشكل الجزء الاكبر من اقتصاديات هذه البلاد ، فهى تستخدم غالبية الايدى العاملة كما أن الدخل القومى يأتى معظمه من الزراعة .

تستخدم الزراعة فى البلاد النامية نسبة تتراوح بين ٦٠ ٪ ، ٩٠ ٪ من كل القوى العاملة ، بينما لا تستخدم الا اقل من ٢٠ ٪ من مجموع القوى العاملة فى كثير من البلاد الصناعية المتقدمة . وتشكل الزراعة نسبة تتراوح بين ٥٠ ٪ ، ٩٠ ٪ من مجموع الدخل القومى للبلاد النامية ، بينما النسبة فى البلاد المتقدمة صناعيا تتراوح بين ٤ ٪ ، ٢٠ ٪ .

وسيادة قطاع الزراعة فى اقتصاديات الدول النامية يؤكد ان رفع الانتاج الزراعى وتعبئة الموارد الزراعية الخاصة لكل بلد من البلاد النامية بناء اقتصادياتها وتصنيعها . وبعبارة أخرى ، فان الزراعة هى المصدر الرئيسى لتراكم الموارد اللازمة لبناء اقتصاديات غالبية البلاد النامية . ولا يشذ على هذه القاعدة الا بعض البلاد التى تتمتع بموارد طبيعية او ظروف اقتصادية خاصة (مثل احتياطيات ضخمة للبترول أو طرق ملاحية هامة .. الخ) . تمكنها من الحصول على مصادر تمويل ميسرة .

★★ تعبير التطور غير الراسمالى تعبير مختلف عليه بين المفكرين الاشتراكيين ، لجا اليه بعضهم عندما بدات تختط بعض البلاد النامية طريقا مغايرا الطريق الراسمالى للتطور . غير ان تعبير « غير راسمالى » تعبير سلبى ، لان التطور فى البلاد النامية اما ان يكون راسماليا او تطورا نحو الاشتراكية . وعلى الرغم من خلافنا مع كاتب المقال حول هذا الاصطلاح ، الا اننا نقلناه الى العربية بنصه ، عملا بامانة الترجمة .

وتأكيد أهمية دور الزراعة كمصدر لتراكم رأس المال اللازم لتنمية اقتصاديات البلاد حديثة الاستقلال لا يعني استنزاف الفلاحين لمصلحة التصنيع ، وانما يعني الاستفادة الى أقصى حد من الموارد الزراعية الخاصة لكل بلد من البلاد النامية ـ مثل السكر في كوبا ، والكاكاو في غانا ، والسيزال والقطن في تنزانيا ، والشاي في سيلان .. الخ والاستفادة منها للاسراع في بناء الاقتصاد في مجموعه ، والارتفاع ، في نفس الوقت ، بمستوى انتاج الفلاحين ومعيشتهم .

وما تزال هناك عقبتان اساسيتان تعترض سبيل الارتفاع بمستوى الزراعة في عديد من البلاد النامية هما : انخفاض مستوى تطور قوى الانتاج الزراعي ، والعلاقات الاجتماعية المتخلفة في الريف . ونسوق هنا مثلين على الظاهرة الاولى هما استخدام المخصبات الكيميائية واستخدام الجرارات .

في ١٩٦٣/١٩٦٤ كان مجموع ما استخدمته قارة افريقيا من المخصبات النيتروجينيةهو ١٧٠ الف طن . وليس هذا سوى اقل من عشر ما استخدمته الولايات المتحدة في نفس العام (٠٠٠ر٠٤٣ر٣ طن) . واستخدمت بريطانيا في نفس العام ٥٤١ الف طن ، اي ما يعادل احد عشر مثل ما استخدمته بلاد جزر المحيط الهادي (٥٠ الف طن) . واستخدمت فرنسا وحدها ٦٨٢ الف طن ، اي ضعف ما استخدمته بلاد الشرق الاوسط مجتمعة (٣٣٠ الف طن) ، واستخدمت جمهورية المانيا الديموقراطية وحدها ٣٣٨ الف طن ، وهي كمية تقرب من تلك التي استخدمتها دول امريكا اللاتينية مجتمعة (٣٧٠ الف طن) .

وعن استخدام الجرارات : في اوروبا ، عدا الاتحاد السوفييتي ، يستخدم جرار واحد لكل ٣٢ هكتار من الارض المزروعة (الهكتار = ٥ر٢ فدان تقريبا) ، وجرار واحد لكل ٤٤ هكتارا في امريكا الشمالية ، بينما تنخفض النسبة الى جرار واحد لكل ٧٦٦ هكتارا في الشرق الاوسط ، ولكل ١٠٧٨ هكتارا في افريقيا ، ولكل ٢٦١٩ هكتارا في الشرق الاقصى .

والنتيجة الطبيعية لهذا المستوى المنخفض لقوى الانتاج أن المحاصيل في غاية الانخفاض . فمتوسط انتاج الهكتار من القمح في أوروبا عام ١٩٦٣/٦٢ هو ٢ر٤٢ كينتال (كينتال = ١٠٠ كيلو جرام) بينما هو في افريقيا يتراوح بين ١٨ ، ١٩ كينتال . وفي عام ١٩٦٤ كان متوسط محصول الهكتار من الذرة في الاتحاد السوفييتي ٥٤ كينتال ، بينما هو ٦ر٢٠ كينتال في آسيا ، ٨ر٢٢ كينتال في أفريقيا ، و٣ر٢٧ كينتال في امريكا اللاتينية . كذلك يبلغ متوسط انتاج الهكتار في الاراضي التي تزرع ارزا في اوروبا ٨ر٩٦ كينتال ، بينما هي في آسيا ٨ر٣٣ كينتال ، وفي افريقيا ٢ر٣٥ كينتال ، وفي امريكا اللاتينية ٤ر٣٧ كينتال .

والتخلف التكنيكي وثيق الارتباط بتخلف العلاقات الاجتماعية في الريف في كثير من البلاد النامية . ومايزال الاقتصاد المتنقل القديم (حيث تحول الغابات الى اراض زراعية بحرق الاشجار وانتزاع جذورها) ونظم الرعاة الرحل ، المرتبطة باشكال من جمع الاعشاب والحبوب الغذائية والصيد والقنص ـ ما تزال هذه الانماط العتيقة سائدة في مناطق عديدة من شرق افريقيا وغربها ، وفي بعض الاقاليم الجبلية في امريكا الجنوبية ، وفي بعض جزر المحيط الهادي ، حيث تسود الاشكال الابوية لاقتصاديات الجماعة Communal Economy وحيث الملكية الخاصة للارض وغيرها من ادوات الانتاج اما انها غير معروفة بالمرة او ما تزال في اولى مراحل نشوئها .

كذلك ، ما تزال بقايا العبودية قائمة جنبا الى جنب مع انماط من الاقتصاد الاقطاعي في بعض اجزاء العالم العربي (العربية السعودية واليمن قبل الثورة) . وما تزال ملكية اجزاء صغيرة من الارض وزراعتها هي الشكل السائد حتى الان ، او الذي كان سائدا حتى وقت قريب مضى ، في البلاد الكثيفة السكان في آسيا والعالم العربي . وهذا النوع من الاقتصاد يقوم اساسا على اشكال شبه اقطاعية من الملكية والزراعة . والطابع الغالب في بلاد امريكا اللاتينية هونظام اللاتيفونديا شبه الاقطاعي (وهذا لفظ من اصل لاتيني ويعني الضيعة الكبيرة) . كما ان هذه القارة فيها ملايين من اصحاب الملكيات الصغيرة الذين تضمهم تجمعات قروية تقليدية . ونشأت الزراعة الراسمالية وأخذت تنمو في آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية ، جنبا الى جنب مع هذه الاشكال التاريخية . والزراعة الراسمالية تتخذ ثلاثة اشكال : المزارع التي تملكها الشركات الاجنبية ، والمزارع التي يملكها المستوطنون البيض ، والمزارع التي يملكها عدد من كبار المزارعين الوطنيين .

وهذه الاشكال المتخلفة من الملكية والزراعة يترتب عليهما تركيز كبير في ملكية الارض ـ اقطاعيا او راسماليا ـ في كثير من البلاد النامية . وفي معظم بلاد امريكا اللاتينية يتركز في ايدي اصحاب اللاتيفونديات وفي أيدي الشركات الزراعية الاجنبية نسبة تتراوح بين ٥٠ ٪ ، ٧٠ ٪ من مجموع الاراضي المزروعة . ولا يزيد عدد ملاك هذه النسبة عن ٠ر١ ٪ الى ٥ ٪ من مجموع الملاك . وفي العراق ، قبل ثورة ١٩٥٨ ، كان كبار الملاك يملكون ٦٣ ٪ من مجموع الاراضي ، وفي مصر قبل ثورة ١٩٥٢ ، كانوا يملكون ٥٥ ٪ ، وفي الجزائر

عام ١٩٦٠ كانوا يملكون ٣٧٫٨٪ ، وفي بورما عام ١٩٦٠ كان ٤ ٪ من مجموع الملاك يملكون ٤٠ ٪ من مجموع الاراضي ، وفي الهند عام ١٥٩١ كان ٩ر٤ ٪ من مجموع الملاك يملكون ٤١٪ من مجموع الاراضي .. الخ .

ويؤجر كبار الملاك معظم اراضيهم لفلاحين يزرعونها بأدوات واساليب بدائية . وشروط الايجار تكون اما اقطاعية أو شبه اقطاعية . ويشكل الايجار عادة ٤٠٪ الى ٦٠٪ من المحصول يضاف الى ذلك استغلال بشع يتعرض له الفلاح من المرابي والتاجر . وتصبح مجاعة الارض في هذه الاحوال اشد وطاة على الفلاح . وعلى سبيل المثال : يبلغ متوسط مساحة المزرعة الخاصة في الهند ٢ر٦ أكر ، وفي بورما ٧ر٣ أكر ، وفي اكوادور ٢٫٤٧ أكر .

هذه الحقائق ترسم الخطوط العريضة للزراعة في البلاد النامية . وهي النتيجة الطبيعية للحكم الاستعماري التي تظل باقية لمدة طويلة حتى بعد تحقيق الاستقلال السياسي . وهي في ذات الوقت، تعبر عما وصلت اليه المشكلة الزراعية في البلاد النامية من صعوبة وتعقيد . ومن ثم ، ليس من الصعب أن نستخلص انه من المستحيل أن يبنى الاقتصاد القومي في البلاد النامية دون أن نعيد تنظيم العلاقات في الريف على اسس غير راسمالية .

الاسس غير الرأسمالية لتنمية الزراعة

يختلف هيكل الزراعة من بلد نام الى آخر . لذلك ، فانه من المستحيل ، عمليا ، أن توضع معايير عامة للتنمية غير الراسمالية للزراعة تصلح لكل البلاد النامية . وعلى سبيل المثال : ان علاقات الملكية السائدة في بلاد آسيا وشمال أفريقيا الكثيفة السكان ، حيث الملكية الخاصة على درجة عالية من التطور ، تتطلب اصلاحا زراعيا يختلف اختلافا تاما عن تلك التي تتطلبها بلاد وسط افريقيا القليلة السكان ، التي بها مساحات شاسعة من الاراضي غير المزروعة ، والتي ما تزال فيها بقايا قوية من علاقات انتاج بدائية ، جماعية وأبوية . وعلى ذلك ، فان كل بلد من هذه البلاد عليها ان تكتشف مفهومها القومي الخاص للاسس غير الراسمالية لتنمية الزراعة .

غير ان التجارب العملية لكوبا وبلاد آسيا الاشتراكية وعدد من البلاد النامية نفسها ، تشير الى عدد من المبادىء ذات الاهمية العامة بالنسبة للتنمية غير الرأسمالية للزراعة في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية :

● ليس ثمة قانون يحتم أن تعقب الزراعة الفردية الخاصة الاشكال التاريخية القديمة لاقتصاديات الجماعة التي ما يزال سائدا في عدد من البلاد النامية ، ففي الظروف الراهنة يمكن ان يتم انتقال تدريجي مباشر من الاشكال التقليدية للزراعة الى الزراعة التعاونية الجماعية الحديثة .

● ان اقامة هيكل زراعي غير راسمالي يتطلب القضاء على أشكال الزراعة الاقطاعية والاستعمارية ومؤسساتها (الملكية الاقطاعية للارض ، نظام قنانة الارض ، القوانين الزراعية الاستعمارية .. الخ) .

● يجب الحيلولة دون تطور علاقات راسمالية في الزراعة أو الحد منها ، ثم تخطيها فيما بعد .

● يجب ان يجرى تغيير ديموقراطي واسع في القرية يرسى اثناءه الاساس لزراعة اشتراكية في المستقبل . وهذه البذور التي تلقى للزراعة الاشتراكية يجب أن تنمي بالتدريج لتصبح هي التشكيلات الزراعية السائدة .

● ان بناء الزراعة على اسس غير راسمالية يجب ان يرتبط ، ويستند الى اجراءات غير رأسمالية لتطوير فروع الاقتصاد الاخرى ، كما يجب ان يقترن بتطورات ديموقراطية في الدولة ، وفي المجالات الاجتماعية والفكرية والثقافية .

ان انتهاج طريق غير راسمالي لتطوير الزراعة يتطلب تخطيط وتنفيذ سلسلة من الاجراءات العملية تتدرج من توطين قبائل الرعاة الرحل ، واجراء اصلاح زراعي ، الى علاج المشكلات الاقتصادية والفنية التي تهدف الى زيادة انتاجية الارض ورفع وعي سكان الريف ومستوى تعليمهم .

ولا يمكن علاج كل هذه المهمات المعقدة في هذا المقال . وانما سنقتصر هنا على شرح دور التعاونيات واهميتها في عملية البناء غير الرأسمالي للزراعة في البلاد النامية .

الجمعيات التعاونية كالشكل الاساسى لتطوير غير رأسمالي للزراعة

ان النظرية الماركسية اللينينية للطريق غير الراسمالي للتطور تبدأ من حقيقة ثابتة ، هي ان تطور المشروع الفردي ، اي تطور العلاقات الراسمالية في الزراعة ، لا يمكن أن يحل المشكلات الاقتصادية والاجتماعية للبلاد النامية ، كما لا يمكن أن يكفل مستقبلا مأمونا لسكان الريف في هذه البلاد .

وعلى ذلك ، فثمة امكانيتان لتطوير الزراعة على أسس اقتصادية واجتماعية تقدمية . أولهما

هو تحويل الأرض الى ملكية عامة ، أي ملكية دولة ، وانشاء مزارع حكومية يعمل فيها الفلاحون . والثاني هو انضمام الفلاحين معا ليكونوا جمعيات تعاونية ، أو اقامة زراعة تعاونية حيث يحتفظ كل فلاح بملكيته او تسود شكل الملكية التعاونية للارض .

وقد انتهجت التجارب العملية كلا الطريقين . غير أنه ، فى آسيا وافريقيا ، وفى المرحلة الراهنة ، يعد اندماج صغار الملاك ومتوسطيهم فى تعاونيات هو أنسب واهم أشكال التحول فى الزراعة . اما قطاع الدولة فى الزراعة فيجب ان يتركز ويقتصر فى البداية على الملكيات التى لم يكن الفلاحون يزرعونها أصلا .

وقد كانت المزارع المملوكة للدولة هى الشكل الاساسى للتحول الاشتراكى للزراعة فى كوبا . كذلك ، فان هذا الشكل يحتل مكانا هاما فى الاتحاد السوفييتى وغيره من البلاد الاشتراكية فى أوروبا واسيا . وقد بدا عدد من البلاد النامية ، مثل غينيا والجزائر والهند وسوريا فى انشاء مثل هذه المزارع . ويزداد الدخل الذى تحققه هذه المزارع بازدياد وعى العاملين فيها بتغير وضعهم الاجتماعى ، وبأعمال نظام مناسب للحوافز المادية والادبية .

وعلى أية حال ، فان فرص انشاء مزارع للدولة محدودة ، وذلك حيث تسود الملكية الصغيرة والمتوسطة وايديولوجيتها ، وتصل الى درجة خاصة من التطور . وهذا يعنى انه ربما اقتصر انشاء مزارع دولة فى البلاد النامية على المناطق التى كان قد تكون فيها فى المرحلة السابقة على ثورتها ، طبقة كبيرة نسبيا من العمال الزراعيين غير المرتبطين ، فى غالبيتهم ، بالارض . وينطبق هذا على المزارع الكبيرة التى كان يملكها عدد من كبار الاغنياء ، الاجانب أو المحليين ، وعلى الاراضى التى تتولى الدولة استصلاحها واستزراعها وتعميرها ، وعلى مزارع التجارب والمزارع النموذجية .

وعلى ذلك فان المزرعة التعاونية ستكون هى أوسع الاشكال انتشارا فى البلاد النامية التى تنتهج طريقا غير راسمالى للتطور . اى أن اعادة تنظيم الزراعة على أسس تعاونية سيكون هو الطريق الاساسى لتطوير الزراعة فى بلاد آسيا وافريقيا ، والى حد ما ، فى بلاد أمريكا اللاتينية أيضا .

وقد اعتبرت حكومات عدد من البلاد النامية أن هذا هو المحتوى الاساسى لسياستها الزراعية فى السنوات الاخيرة . ففى ١٩٦٢ ، أعلن الرئيس جمال عبد الناصر ان حكومته قد قررت أن تنصح الفلاحين بالانتقال الى زراعة الارض تعاونيا .

وفى الجمهورية العربية السورية ، أجرى اصلاح زراعي واسع فى الفترة من ١٩٦٣ الى ١٩٦٦ (وبخاصة فى العام الاخير) ، وبدأ الفلاحون السوريون ينضمون معا لتكوين مزارع تعاونية . وهذه المزارع تشبه المزارع التعاونية الموجودة فى جمهورية ألمانيا الديموقراطية . كذلك ، يجرى الان فى سوريا تكوين عدد من مزارع الدولة ، جنبا الى جنب مع التعاونيات .

وفى غينيا ، اتخذ المؤتمر الثانى للحزب الديموقراطي الغينى ، اتخذ قرارا بتكوين مزارع تعاونية كبيرة فى جميع انحاء البلاد ، بشكل تدريجى ، وذلك بهدف « وضع الاقتصاد القومى فى خدمة الجماهير » . ويستهدف هذا القرار انشاء مزارع تديرها الجمعيات التعاونية ومزارع تديرها الدولة وتملكها ايضا .

والبيان الاساسى الذى أعلنه مجلس الثورة فى بورما عن « طريق بورما للاشتراكية » ، ينص على أن جميع فروع الانتاج الاساسية « يجب أن تكون ملكا للدولة ، أو للجمعيات التعاونية ، أو للرابطات الاجتماعية » . ويرسى هذا البيان الاسس التى يقوم عليها الاصلاح الزراعى ، وتقديم المعونة الالية (محطات الآلات) والسلفيات للفلاحين ، ولتأسيس جمعيات تعاونية ذات أغراض متعددة فى الريف .

وفى الهند ، اعلن حزب المؤتمر فى ١٩٥٩ ، أن الزراعة التعاونية هى « دستور المستقبل » للزراعة فى الهند . والمفهوم الهندى للزراعة التعاونية يشمل الزراعة الجماعية لمساحات كبيرة مجمعة لعدد كبير من الفلاحين ، مع الاحتفاظ بالملكية الخاصة للارض . وفى هذا الصدد ، يعتبر انشاء جمعيات تعاونية متعددة الاغراض هو المرحلة الاولى لانشاء التعاونيات الزراعية الانتاجية .

كذلك تشجع حكومات مالى وتنزانيا والجزائر وغيرها — تشجع الفلاحين على تكوين التعاونيات الزراعية وتدرك أهميتها . هذا ، طبعا ، مع وجود اختلافات فى أهداف هذه التعاونيات من بلد الى آخر ، وتفاوت فى جدية الاجراءات التى تتخذ لوضعها فى التطبيق .

التجارب الماركسية اللينينية

والانتقال الى الزراعة التعاونية فى البلاد النامية يتطلب توضيحا دقيقا لكثير من المشكلات الاساسية ، كما يتطلب حل كثير من المسائل الاقتصادية التفصيلية . ومن أجل هذا يجب أن نقيم وندرس دراسة نقدية التجارب السابقة ، وبخاصة تجارب انشاء المزارع التعاونية فى البلاد الاشتراكية ، وتقاليد الحركة التعاونية فى البلاد المعين ، والنظريات والتطبيقات التعاونية فى البلاد الرأسمالية .

ولا شك أن الزراعة التعاونية في البلاد الاشتراكية هي من أهم وأكبر مصادر الخبرة للبلاد النامية ، ومن المستحيل ، عمليا ، أن تتوفر النية على بناء زراعة تعاونية تقدمية دون دراسة إستقصائية كاملة للزراعة التعاونية في البلاد الاشتراكية ، كما أن على العاملين في الزراعة التعاونية الاشتراكية وعلى باحثيها وعلمائها واجب دولي هام ، هو تقديم خبرة الزراعة في بلادهم الى القائمين على الزراعة التعاونية في البلاد النامية بشكل قابل للفهم ويمكن الاستفادة منه .

ومن تجربة التحول الى الزراعة التعاونية في جمهورية ألمانيا الديموقراطية ، فان النتائج الاتية تعتبر ذات اهمية خاصة :

● عمل اعدادات كافية وبعيدة الاثر من اجل التحويل التعاوني ، وذلك بتنفيذ اجراءات ديموقراطية واسعة في الريف على أساس التحالف الوثيق بين العمال والفلاحين (اصلاح زراعي ديموقراطي ، اقامة روابط للتكافل بين الفلاحين والجمعيات التعاونية التجارية ، اقامة مزارع مملوكة للدولة ، توفير الاساس المادي والفني لزراعة حديثة وذلك باقامة محطات لاعارة الالات الزراعية ، اقامة مؤسسات حكومية للتسويق والتخزين ، اكتشاف وتطبيق سياسة ائتمانية تقدمية ، ونظام ملائم للاسعار ، تطوير النظم البسيطة للتعاون ، تخطيط الانتاج الزراعي) .

● امكانية زراعة الارض تعاونيا مع الاحتفاظ بالملكية الخاصة للارض .

● الاساليب المستخدمة لادارة الجمعيات التعاونية الزراعية الانتاجية ، ونظم توزيع دخلها النقدي ، والاشكال الديموقراطية لتسيير أعمالها الداخلية .

● النظم النموذجية للانتاج الجماعي التي تسهل عملية المقارنة بين الاشكال المختلفة لتنظيم العمل ، وتحديد انسب توزيع للعمل وتكلفة الانتاج .

● تطوير العلوم الزراعية وكفاءة الانتاج الزراعي .

غير انه لايجب ان نتغافل عن حقيقة ان الانتاج الزراعي التعاوني في البلاد الاشتراكية يتم عادة في مزارع على درجة عالية من التنظيم ، وفي ظروف اجتماعية وسياسية واقتصادية لا تتوفر حتى الآن في البلاد النامية . لذلك ، فمن البديهي ان محاكاة مزارعنا التعاونية بشكل حرفي في بلاد آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية لابد وان يؤدي الى نتائج ضارة .

ومن الامور ذات الاهمية البالغة هي ان نعمل على دراسة وتقدير التقاليد التعاونية في البلد المعني ، والاستفادة منها . ففي كثير من بلاد آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية ماتزال توجد بقايا كثيرة لنظم الزراعة الجماعية القديمة (ملكية القبيلة للارض الزراعية وقطعان الماشية والاغنام ، الجماعات الريفية القديمة للقرية بنظمها المتفاوتة للادارة الذاتية ، التنفيذ الجماعي لبعض الاعمال والاشغال العامة .. الخ) .

وكثيرا ما اشار واضعو النظرية الماركسية اللينينية التقليدية الى ان هذه المؤسسات والنظم القديمة هي التعبير عن عادات هذه الشعوب واحتياجاتها الازلية ، ويمكن ان تكون نقط بدء مناسبة لتطور غير راسمالي للبلاد المتخلفة وجماعاتها البشرية غير المتطورة .

فقد كتب **كارل ماركس** عام ١٨٨١ ، في رد له على خطاب ف.أ. **ساسوليتش** ، كتب يقول : انه لايوجد قانون يحتم ان تتبع الملكية الخاصة للارض الاشكال الجماعية القديمة للملكية في الريف ، ويمكن ان تحل اشكال حديثة للملكية الجماعية محل الملكية الجماعية القديمة ، والامر يتوقف على الظروف والمناخ التاريخي . وقال ماركس انه ، لما كانت الراسمالية قد انتهى عصرها الذهبي وانتقلت الى مرحلة تدهورها ، فان البلاد ذات الانظمة الزراعية الجماعية القديمة يجب ان تتجنب الطريق الراسمالي لتطوير الزراعة بعد تحررها وتعيد خلق النظم القديمة على اسس حديثة .

واخيرا ، فان ماركس اشار الى ان الانتقال المباشر من النظم الريفية القديمة الى الزراعة التعاونية الحديثة يتطلب الربط بين اشكال الملكية القديمة الجماعية وبين الاساليب الفنية الحديثة ، والربط بين هذين العنصرين يشكل نقطة بدء للمجتمع الحديث ، المجتمع الاشتراكي ، والعكس بالعكس ، كما اشار ماركس ايضا . اي انه يمكن القضاء على اية امكانية للانتقال المباشر من النظم التقليدية القديمة الى طريق جديث غير راسمالي لتطوير الزراعة اذا تطورت الملكية الخاصة للارض على اتساع البلد بأسره ، وتشكلت ونمت فئات من متوسطي الفلاحين ، وتحول غالبية الفلاحين الى عمال زراعيين .

وفي ١٨٩٤ طبق **فردريك انجلز** هذه الافكار التي توصل اليها ماركس على روسيا التي كانت تشهد في تلك الاثناء تطورا رأسماليا قويا . في تلك الظروف اعتبر انجلز ان الثورة الاشتراكية هي الشرط الوحيد الواجب توافره لكي تنتقل الزراعة انتقالا تقدميا . وافكار ماركس هذه ماتزال تنطبق على عدد من البلاد التي لم يحدث فيها تطور رأسمالي بعد ، كما هي حال كثير من البلاد النامية .

كذلك ، فان تخطيط الحركة التعاونية في البلاد النامية يتطلب مناقشة نقدية ، ورفض للنظريات والتجارب التعاونية للتعاونيات الرأسمالية ، وهي

نظريات وتجارب يروج لها على نطاق واسع فى كثير من هذه البلاد . وان الكشف عن الطبيعة الرجعية للتعاونيات الرأسمالية ، وما تحمله من مخاطر على الحركة التعاونية فى البلاد النامية لمهمة تلقى تبعات دولية كبيرة على عاتق علماء المانيا الديمقراطية . فمن ناحية ، كانت المانيا هى الوطن التقليدى للتعاونيات الزراعية ابتداء من ١٨٥٠ . ومن ناحية اخرى فان منظرى الحركة التعاونية فى المانيا الغربية هم الذين ينشطون نشاطا خاصا فى مجال توجيه النشاط التعاونى فى البلاد النامية فى مسالك رأسمالية ، فى نفس الوقت الذى يحاولون فيه التشكيك فى مزايا التعاونيات فى البلاد الاشتراكية ».

وتعد مؤلفات الاستاذ **أوتو شيلر** مثلا واضحا على ذلك . فقد كان هذا الاستاذ « خبيرا زراعيا لروسيا » اثناء الرايخ الثالث ، وهو الآن احد قادة خبراء المانيا الغربية لدى البلاد النامية . كان رد الفعل الاول لدى هذا الاستاذ عندما وصل اليه مشروع الحكومة الهندية لانشاء تعاونيات انتاجية ان وضع مشروعا فى مواجهته عنوانه : « الزراعة التعاونية، والزراعة الفردية على اسس تعاونية » . ويرمى مشروع شيلر الى تحويل التعاونيات الانتاجية الى اشياء ثانوية لا قيمة لها ، من اجل افساح المجال للمزارع الخاصة ، المتوسطة والكبيرة ، لكى تأخذ مكانها وتتدعم .

وعلى ذلك ، فان خلق مفهومات تعاونية غير رأسمالية فى البلاد النامية يستلزم ان يميز القائمون على الحركة التعاونية فيها بين تيارين، (الاول راسمالى والثاني اشتراكي) ، موجودين حاليا فى صفوف الحركة التعاونية . وعليهم ان يقاوموا محاولات المستعمرين الجدد لاضعاف الاتجاه التقدمى لتطوير الحركة التعاونية .

وان انشاء تعاونيات زراعية لايؤدى ، بشكل آلى ، الى تطوير غير رأسمالى للزراعة . ان انشاء التعاونيات الزراعية لايمكن ان يكون عاملا لتطوير غير رأسمالى للزراعة الا اذا نظمت على اسس اجتماعية واقتصادية تقدمية ، ووضعت فى خدمة مصالح صغار الفلاحين ومتوسطيهم ، وكانت فى مجموعها جزءا من حركة اقتصادية — سياسية شاملة ، تهدف الى تجاوز الهياكل الاجتماعية الرأسمالية ، وخلق علاقات انتاج اشتراكية بالتدريج ».

أشكال التنمية التعاونية

ان تحويل الزراعة فى البلاد النامية الى زراعة تعاونية عملية بالغة التعقيد . والافكار التى قدمها **لينين** فيما يتعلق بجمهوريات الشرق السوفييتى تصلح للتطبيق فى هذا المجال . قال لينين ان البلاد المتخلفة يجب ان تمر بعدد من مراحل الانتقال اكثر من تلك التى تمر بها المناطق الاكثر تقدما ، وفى المناطق المتخلفة يجب ان يكون التقدم أشد بطئا ، واكثر حذرا ودقة من نظيره فى المناطق المتطورة اقتصاديا .

وتطبيق هذه الفكرة على شئون التعاون فى البلاد النامية يعنى اننا يجب ان نسعى فى المراحل الاولى الى الاشكال الاكثر بساطة للحركة التعاونية ، وهى الاشكال التى يمكن ان تتمشى مع مستوى التطور الاقتصادى فى البلد المعنى ، ومع درجة الوعى ومستوى التعليم الذى وصل اليه الفلاحون، ومع التقاليد القومية السائدة .

والاشكال التالية للتعاونية هى التى تنمو وتتطور فى كثير من البلاد النامية فى آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية : تعاونيات الائتمان ، تعاونيات التسويق ، تعاونيات الصناعات الزراعية ، التعاونيات المتعددة الاغراض ، التعاونيات الانتاجية .

والظروف السائدة اليوم فى البلاد النامية تكسب هذه الاشكال مبرراتها واهميتها الخاصة ، وهى اشكال تسهم بالضرورة ، فى تنمية غير رأسمالية فى ميدان الزراعة .

والتعاونيات الائتمانية الزراعية منتشرة بصفة خاصة فى آسيا . واهمية هذه التعاونيات ، فيما يتعلق بالاسهام فى تطوير غير رأسمالى ، تتلخص فى أن هذه التعاونيات تحل محل المقرضين الفرديين وتوفر على الفلاحين مايفرضه هؤلاء من فوائد ربوية على القروض الخاصة . اى ان هذه التعاونيات توفر التسهيلات المالية التى تكفل الانعاش الاقتصادى لصغار الملاك ومتوسطيهم ».

ومايزال المقرضون الفرديون يحتلون مواقع احتكارية فى كثير من البلاد النامية ، ويحققون بذلك ارباحا فاحشة تتراوح ، عادة، بين ٥٠٪، ١٠٠٪ ».

وفى الهند وحدها يبلغ مايحصله المقرضون والمرابون سنويا من فوائد حوالى ٢٠٠٠ مليون روبية، هكذا تستولى هذه الفئة الطفيلية على جزء كبير من الدخل الزراعى فى البلاد النامية، وتستنزف الطاقة الاقتصادية وموارد الاستثمار عند الفلاحين ، علاوة على تعديها على مستوى معيشتهم .

ان مبالغ طائلة من المال يمكن توفيرها لبناء الزراعة ورفع المستوى الاقتصادى والاجتماعى للفلاحين اذا أمكن احلال التعاونيات الائتمانية محل الاقراض الفردي الخاص . غير ان ذلك يفترض انضمام غالبية الفلاحين الى هذه التعاونيات ، وأن تنتهج هذه التعاونيات سياسة تقدمية فلا تستبعد صغار الفلاحين ومتوسطيهم من دائرة معاملاتها ، والتأكيد على هذه النقطة

ضرورى ، حيث ان الدراسات التى اجريت اخيرا فى عدد من البلاد النامية تبين ان التعاونيات الائتمانية المنشأة حديثا فيها تطبق أساليب الاعمال الرأسمالية ، ومن ثم تعتبر الفلاح الصغير والمتوسط « غير أهل لتلقى قروضها » . وهذا من شأنه ان يقلل ، ان لم يلغ تماما ، الاثر الاقتصادى والاجتماعى لهذا النوع من التعاونيات، وهذا يبين ايضا ان التعاونيات الائتمانية لها امكانيات محدودة فى عملية التحول غير الرأسمالى للزراعة، وعلى الرغم من تقديرنا لاهمية القروض التعاونية للزراعة الا أن بناء تعاونيا يقوم اساسا، او كليا ، على تيسير الائتمان التعاونى لايمكنه ان يحل المشكلات الاساسية للزراعة .

ويحتل التسويق التعاونى اهمية خاصة . وفى كثير من البلاد النامية يقوم على بيع المحصولات وشراء لوازم الزراعة فئات من تجار الريف والوسطاء والشركات التجارية الرأسمالية . وهذه المؤسسات التجارية الخاصة تستغل الفلاحين بلا رحمة ، وتكدس ارباحا طائلة بخفض اسعار شراء المحاصيل من الفلاحين ، ورفع اسعار بيع لوازم الزراعة لهم ، والمضاربة بأسعار المواد الغذائية ، وارتكاب كافة اشكال الغش والتزوير والاعمال الاجرامية فى المعاملات التجارية لاغتصاب دراهم الفلاحين ، وعلى ذلك ، فان احلال تسويق تعاونى تقدمى وفرض تسعير حكومى جبرى على جميع السلع الهامة ، هميا من الوسائل الهامة المناهضة للرأسمالية فى الريف ، كما ان هذا يطلق سراح مبالغ كبيرة للاسهام فى بناء الزراعة . وتنظيم التسويق فى البلاد النامية على اساس تعاونى يحد من النفوذ الاقتصادى للدول الامبريالية ويعجل بالاستقلال الاقتصادى للبلاد النامية .

ومن الامثلة الواضحة على هذا ماكان متبعا فى غانا قبل انقلاب فبراير ١٩٦٦ ، من تسويق تعاونى لمحصول الكاكاو وللمواد الغذائية . بدأت غانا بأيقاف نشاط بيوت تصدير الكاكاو الاجنبية والمشترين الافراد منها ، وانشأت بعد ذلك هيئة لتسويق الكاكاو، واخرى لتسويق المواد الغذائية، ولكل من الهيئتين شبكة واسعة من تعاونيات التسويق ، وكانت هذه التعاونيات تقوم بجمع كل محصول البلاد من الكاكاو وجمع جزء هام من منتجاتها الغذائية . كما كانت تقوم ، فى نفس الوقت ، بدور فى الانتاج عن طريق تنظيم المكافحة الجماعية للآفات ، وادخال نظم الزراعة الحديثة، وامداد الزراع بوسائل الانتاج ، وتنظيم عمليات تعليم وتدريب الفلاحين .

وتنظيم تجارة الكاكاو فى غانا على اسس تعاونية مكن غانا من زيادة صادراتها من الكاكاو من ٢٠٠ الف طن عام ١٩٥٧ ، الى ٤٠٠ الف طن عام ١٩٦٤ ، كما مكنها من زيادة نسبة الاصناف الممتازة من الكاكاو من ٦٠٪ الى ٩٩،٥٪ فى نفس الفترة ، غير أن هذا الاسلوب التقدمى فى التسويق يستلزم القضاء على ماتبقى من نفوذ الجماعات الرأسمالية والافراد ذوى الامتيازات الخاصة فى هذه التعاونيات ذاتها .

وتعاونيات الصناعات الزراعية تشكل قسما هاما من الحركة التعاونية فى البلاد النامية . فهى تغطى صناعات خفيفة مثل حليج القطن ، وصناعة السكر ، وضرب الارز ، وعصير الزيوت ، وصناعة منتجات الالبان وحفظ اللحوم والخضر والفاكهة .

والتسهيلات التعاونية فى هذا المجال ذات اثر ايجابى كبير فى تكثيف الزراعة وزيادة انتاجية الارض ، علاوة على انها ذات اهمية كبيرة بالنسبة لتصنيع البلاد النامية ولتكوين طبقة عاملة فى المناطق الريفية .

وفى السنوات الاخيرة خطت كل من سوريا وتنزانيا خطوات كبيرة فى سبيل حليج القطن على اسس تعاونية . لقد انهت سوريا تجارة القطن وحليجه على اسس فردية خاصة ، وجعلت ذلك من اختصاص التعاونيات وحدها ، كما بدأت تنزانيا تتخذ خطوات مشابهة .

وتشجع الهند بناء مصانع للسكر على اسس تعاونية بينما تحد من فرص النمو أمام مصانع السكر الخاصة ، وكانت التعاونيات فى الهند تنتج ٤،١ ٪ من انتاج البلاد للسكر عام ١٩٥٥/١٩٥٦، فأصبحت تنتج ٢٥ ٪ عام ١٩٦٥ .

ويبدو ضروريا أن تمنح الدولة والقوى التقدمية مزيدا من الدعم والمعونة لهذه التعاونيات فى البلاد النامية . ويتركز هذا الدعم فى البداية على : الحماية ضد منافسة الصناعات الخاصة ، الاجنبية والمحلية ، (تفضيل ضريبى ، تفضيلهم فى التعامل مع الجهات الحكومية ، حماية تشريعية) ، ودعم الموارد المالية والاساس الفنى الذى تقوم عليه هذه التعاونيات ، (اسهام الدولة فى رأس المال ، قروض طويلة الامد ، اعتمادات كافية من العملات الاجنبية)، وتدريب الفنيين اللازمين لها ، والحد من نفوذ وأنصبة المساهمين الفرديين ، واشراك العمال والفلاحين فى ادارة هذه التعاونيات .

وتكوين الجمعيات والروابط المتعددة الاغراض وتعاونيات الخدمات وتكوين فرق عمل جماعية من الفلاحين — كل هذا يشكل جانبا جديدا وهاما من حركة بناء التعاونيات فى البلاد النامية .

وتتلخص ميزة هذه الاشكال فى انها تقوم بمهمات عديدة فى نفس الوقت وتؤثر فى سير الانتاج الزراعى الى حد كبير ، وذلك بتنسيق الاستعمال الجماعى للآلات الزراعية ، والفلاحة والرى ومكافحة الافات ، وغيرها من عمليات الانتاج الزراعى ، كل ذلك بشكل جماعى .

ويعتبر هذا العمل الجماعي ، موضوعيا ، مدرسة ، أو هو مرحلة أولى للتعاونيات الزراعية الانتاجية ، وعلى التقدميين فى البلاد النامية أن يولوا دراسة تطور هذه التعاونيات عنايتهم الفائقة.

وقد اتخذت فى السنوات الاخيرة خطوات أولية فى سبيل انشاء التعاونيات الزراعية الانتاجية فى عدد من البلاد النامية ، وهى غينيا ومالى وغانا وسوريا والهند والمكسيك . وثمة مشروعات مشابهة فى الجمهورية العربية المتحدة وبورما وعدد اخر من البلاد النامية .

والتعاونيات الانتاجية التى أنشئت فى هذه البلاد لا يمكن اعتبارها الا مزارع نموذجية او تجريدية ، فهى ما تزال بعيدة عن أن يكون لها تأثير محسوس على الانتاج الزراعى فى مجموعه أو على الوصفية الاجتماعية للفلاحين ،ذلك أن التعاونيات الانتاجية هى أرقى أشكال التعاون ، ومن ثم ،فان التطبيق الشامل لنظام التعاونيات الانتاجية يتطلب شروطا مادية وفكرية معينة ، ما تزال غير ميسرة حتى الان فى البلاد النامية .

وتختلف أشكال التعاونيات الانتاجية الموجودة فى البلاد النامية الان ، وهى تتفاوت من فرق العمل البسيطة التى تدار بأساليب شبه جماعية، الى المزارع التعاونية الحقيقية والكوميونات. ويرجع هذا التفاوت الى اختلاف أفكار ووجهات النظر السياسية والايديولوجية للمجموعة الحاكمة فى هذا البلد او ذاك . كذلك تتوقف هذه الاشكال ، الى حد معين ،على الظروف الطبيعية والاقتصادية لكل بلد .

ففى البلاد كثيفة السكان فى اسيا والعالم العربى ، تتشكل التعاونيات الزراعية الانتاجية من انضمام عدد من المزارع الصغيرة التى كانت ملكيتها وزراعتها تتم بطريقة فردية لمدة طويلة . وعلى العكس من ذلك فى بلاد افريقيا الاستوائية ، حيث التعاونيات الانتاجية هى ثمرة زراعة كوميونية لاراض بكر فى مناطق قليلة السكان . وتسمى هذه الاراضى بالحقل الجماعى ، بينما يستمر الفلاحون فى زراعة قطعهم الصغيرة القديمة بطريقة فردية .

وفى غينيا ، عام ١٩٦٣ ، كان ثمة ٤٨١ من تلك المزارع ، تضم ٥٨٫٣٠٠ عضو . ولكن مساحة هذه المزارع صغيرة نسبيا ، تبلغ فى المتوسط حوالى ٥٠ أكر . وانما يرجع هذا الصغر الى أن الاراضى التى تزرع جماعيا هى الاراضى التى انتزعت من أطراف الغابة فحسب ، بينما الحقول القديمة ما تزال تزرع بطريقة فردية .

وتتطور أشكال مشابهة للزراعة فى مالى .

وفى الاتحاد الهندى ، بدأت تجارب التعاونيات الزراعية الانتاجية بعد الاستقلال مباشرة ،ويوجد من هذه التعاونيات فى الهند حاليا حوالى ٣٠٠٠ تعاونية ، ومن المقرر أن تصل الى حوالى ٢٠ الفا عام ١٩٧٠ . وثلثا التعاونيات الانتاجية فى الهند تشكل بدمج المزارع الخاصة ، بينما الثلث الباقى من أراض مملوكة تعاونيا او تملكها وتديرها الدولة.

ان التدرج فى انشاء نظم تعاونية زراعية فى البلاد النامية ، والسير بها خطوة خطوة فى سبيل الزراعة التعاونية المكتملة العناصر يعد عاملا هاما فى التطوير غير الراسمالى لهذه البلاد ، وهو عامل لا يقل أهمية عن بناء قطاع الدولة فى الصناعة . انه جزء حيوى من عملية بناء الاقتصاد المستقل التى تجرى فى هذه البلاد .

ان الملايين من صغار المنتجين المبعثرين ، الذين يعملون ويعيشون فى ظروف بالغة التخلف ، حين يتجمعون معا ، يتمكنون ،لاول مرة ،من ان يشكلوا قوة منظمة فى المجالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية . كذلك ،فان هذا التجمع يولد اشكالا من التنظيم غير الراسمالي للزراعة فى البلاد النامية .

ومن ثم ،فان الطبقة العاملة ،اذ توجه تنظيماتها الطبقية والاجتماعية من أجل اقامة تعاونيات زراعية انتاجية فى البلاد النامية ،انما تعمل سلاحا هاما لاقامة ودعم تحالفها مع الفلاحين ، وللنضال من أجل التقدم الاقتصادى والاجتماعى. اما التحفظ ازاء حركة التعاون الزراعى فى البلاد النامية ، أو اهمالها اصلا ، كما يفعل بعض قادة وأعضاء الاحزاب والتنظيمات الجماهيرية فى البلاد النامية، فلا ينتج عنه الا الاساءة الى التحالف مع الفلاحين، وتركهم تحت قيادة البرجوازية .

كذلك لا يجب ان يخفى علينا ان هذه التعاونيات لم تقم بعد على أسس اشتراكية ، كما انها ليست جزءا من اقتصاد اشتراكى . انها ماتزال خاضعة لتأثيرات قوانين الاقتصاد الراسمالى ،او ما قبل الراسمالية .

ومن ثم ، فعلى القوى التقدمية فى البلاد النامية ان تدافع بصلابة عن فكرة ان عملية التحويل التعاونى للزراعة يجب ان تصطحب باصلاح اساسى للدولة ، وللبناء الاقتصادى والاجتماعى. كذلك ، فان على هذه القوى أن تنادى بضرورة اجراء اصلاح زراعى جذرى ، والقضاء — قدر الأمكان — على العمليات والعناصر الاستغلالية فى الحركة التعاونية (بعمل لوائح تقدمية والرقابة على عدالة توزيع العائد المالى الى التعاونية) ، ومراعاة الادارة الديموقراطية للتعاونيات واجراء الانتخابات فى فترات منتظمة ، واتاحة الفرصة أمام العناصر التقدمية لكى تخوض الانتخابات فى ظروف مواتية لضمان نجاحها ،وأن تعقد الجمعيات العمومية فى فترات منتظمة لضمان رقابة القاعدة ومشاركتها



- ندوة القاهرة الدولية الطلابية تدين المخابرات الامريكية
- ندوة الاشتراكيين العرب فى الجزائر
- عندما تفلس « الديمقراطية » الغربية فى اليونان
- كروب يتنازل عن عرش « الامبراطورية »
- اللقاء الثالث بين كتاب آسيا وافريقيا

■ **الجمهورية العربية المتحدة**

أول مايو .. عيد العمال

يلتقى عيد العمال هذا العام بعيد من أعرق أعيادنا القومية ، بعيد الربيع ، عيد شم النسيم . لذلك يقام الاحتفال الرئيسى بعيد العمال هذا العام فى اليوم الثانى من شهر مايو . ويلقى المناضل جمال عبد الناصر خطاب الاحتفال ، معبرا عن تكريم الثورة للعمال ، وانزالها اياهم المنزلة اللائقة التى هم جديرون بها بين تحالف قوى الشعب العامل .

ويقام الاحتفال هذا العام فى منطقة شبرا الخيمة ، وفى ذلك تكريم للمعانى النضالية العظيمة التى يعبر عنها نضال هذه المنطقة العمالية العريقة ، التى طالما تصدى عمالها لقيادة النضال العمالى ، الاقتصادى والسياسى ، فى أزهى فترات الانطلاق الثورى — منذ أيام اللجنة الوطنية للعمال والطلبة عام ١٩٤٦ ، الى ان رفعت شبرا الخيمة شعار تحويل شهر مايو الى شهر للانتاج ، يحتفل فيه عمالنا ببذل أقصى جهودهم فى معركة الانتاج ، اسهاما فى معارك البناء الاقتصادى ورفع مستوى المعيشة ، ومن اجل مستقبل اشتراكى مزدهر لبلادنا وللوطن العربى بأسره .

ويأتى عيد العمال هذا العام والمعارك التى تواجه الحركة النقابية العمالية فى العالم ما تزال ضارية ، على الرغم من الانتصارات التى حققتها منذ أيامها الاولى ، فى أقل من قرن من الزمان .

ففى مايو ١٨٨٦ لم يكن عدد العمال المنتظمين فى نقابات فى العالم يزيد على خمسة ملايين عامل وكان التنظيم النقابى مركزا فقط فى بلدان غرب أوروبا والولايات المتحدة الامريكية . ويوجد اليوم فى العالم حوالى ٢٠٠ مليون عامل منظم فى نقابات واتحادات عمالية . وتعتبر هذه القوة المنظمة اكبر قوة منظمة فى العالم تؤثر فى تطور الاحداث العالمية لمصلحة الكادحين والطبقات العاملة ، وفى عملية النضال لتصفية النظام الاستعمارى .

والـ ٢٠٠ مليون عامل نقابى تضمهم تنظيمات دولية منقسمة اساسا الى أربع مجموعات دولية وهى الاتحاد العالمى للنقابات والاتحاد الدولى للنقابات الحرة ، والاتحاد الدولى للنقابات المسيحية . والمجموعة الرابعة وهى تضم عددا من الاتحادات الدولية على النطاق القارى والاتحادات المستقلة على النطاق القومى مثل الاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب واتحاد جميع نقابات افريقيا .

والاتحاد العالمي للنقابات تأسس في ١٩٤٥ موحدا لاغلب القوى العاملة المنظمة في العالم بعد الحرب العالمية الثانية — ٧٥ مليون — وقد جاءت هذه الوحدة كنتاج لصراع الطبقة العاملة الموحد ضد الفاشية. والاتحاد العالمي منذ تأسيسه يعتبر مهمته الرئيسية هي النضال من اجل السلام وضد الاستعمار بكافة اشكاله وضد كل اشكال الحكومات الرجعية وضد الاستغلال ومن اجل تحسين ظروف الحياة الاقتصادية والاجتماعية للعمال في العالم . وهذا الاتحاد اليوم هو اقوى الاتحادات العالمية وبلغت عضويته اليوم ١٢٠ مليون نقابي بغض النظر عن وجهات نظرهم السياسية واجناسهم وقومياتهم واديانهم ومهنهم الخ . وهو المركز النقابي الدولي الوحيد الذي ينظم نقابيين من البلدان الاشتراكية والراسمالية والبلدان النامية في افريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية .

والمركز النقابي الدولي الثاني هو الاتحاد الدولي للنقابات الحرة . وهو اتحاد تصل عضويته الى حوالى ٥٦ مليون عضو تأسس في ١٩٤٩ كانقسام على الاتحاد العالمي وبقيادة « اتحاد العمل الامريكي » . وكان قيامه كانقسام في الحركة النقابية الدولية جزءا من المخطط الكامل لمشروع مارشال وللدبلوماسية الامريكية للسيطرة على المنظمات الجماهيرية .

والاتحاد الدولي للنقابات الحرة منذ تأسيسه والمخابرات والمؤسسات الامريكية هي التي تنفق عليه وتدعمه بكافة وسائل الدعم . بلغ ما انفق عليه عند تأسيسه من قبل المخابرات الامريكية ١٦ مليون دولار — وما تدفعه المخابرات الامريكية (اليوم) سنويا لمكاتب الاتحاد الحر ببروكسل يصل الى حوالى ١٢ مليون دولار . ولم يقتصر الاتحاد الدولي للنقابات الحرة على الترويج لنظرية «النقابية البحتة» و «الوفاق الطبقي» ولكنه يشترك مباشرة في كافة المؤامرات التي تدبر ضد نضال الشعوب من اجل التحرر — فنجد مثلا — في ١٩٦٣ ان الدكتور جاجان رئيس الوزراء السابق لغيانا البريطانية ارسل برقية الى هيئة الامم في يونيو ١٩٦٣ أخبرها فيها ان القيادة النقابية الرجعية والاحزاب السياسية المعارضة مؤيدة ومدعمة من الاتحاد الدولي للنقابات الحرة وفروعه نظمت اضرابات واعمال ارهابية بهدف احداث الشغب وتخريب الاقتصاد ، الامر الذي ادى بالحكومة البريطانية الى الغاء الدستور وتأجيل تنفيذ الوعد باستقلال البلاد — وخلال حكم نكروما نظمت بعض القيادات العمالية المرتبطة بالاتحاد الحر حركات اضرابية واسعة كان الهدف منها احراج نكروما وشل الحياة الاقتصادية بالبلاد — ويدعم الاتحاد الحر السياسة الرجعية لتوم مبويا في كينيا — وهو يدعم الهستدروت الاسرائيلى بكافة انواع العون ويستخدمه رأس حربة للنفوذ الى البلدان الافريقية والاسيوية النامية .. الخ .

والاتحاد الدولي الثالث هو الاتحاد الدولي للنقابات المسيحية ، وقد تأسس هذا الاتحاد كمركز دولي في ١٩٢٠ بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية للتأثير في العمال باسم الدين ولابعادهم عن الفكر الثورى الذى اخذ ينتشر بشكل واسع بعد الحرب العالمية الاولى ..

ويضم هذا الاتحاد الدولي اليوم حوالى ٨ مليون عامل ، وله نفوذ في بعض بلدان امريكا اللاتينية ، في المنظمات النقابية التي لم تنضم لاى من الاتحادين الدوليين وبين هذه المنظمات التى فقدت الثقة في الاتحاد الدولي للنقابات الحرة .

والى جانب هذه الاتحادات الدولية الثلاث توجد مجموعة من الاتحادات الدولية المستقلة والتى تكونت اخيرا بفعل التغييرات الكبيرة بانتصار حركة التحرر الوطنى في عدد كبير من البلدان وبروز الشخصية المستقلة لهذه البلدان ، فتكون الاتحاد الدولي لنقابات العمال العرب عام ١٩٥٦ ، واتحاد جميع نقابات افريقيا ، ولهذه التنظيمات اليوم دور فعال في الكفاح من أجل تصفية النظام الاستعمارى

وتزداد اليوم حركة النضال بين جماهير العمال المنظمين من أجل تحقيق الوحدة الدولية للحركة العمالية — باعتبارها ضرورة موضوعية حتى يكون الكفاح العمالي الدولي حاسما ضد النظام الرأسمالي العالمي . ان قضية الاتحادات العمالية الدولية في أول مايو ١٩٦٧ ستطرح بشكل جديد بعد أن كشفت الاحداث الاخيرة عن دور المخابرات الاستعمارية في التدخل في شئون هذه الاتحادات وافساد الحركة النقابية .

●

ندوة القاهرة الدولية الطلابية تدين المخابرات الامريكية

في الثاني عشر من ابريل الماضي عقد ممثلو المنظمات الطلابية في ٢٢ دولة ندوة عالمية بالقاهرة لكشف تدخل المخابرات والمؤسسات الامريكية في حركة الطلبة العالمية وفي المنظمات والاتحادات الطلابية الوطنية . ودعا اتحاد طلاب ج.ع.م. الاتحاد الوطني للطلبة الامريكيين للمشاركة في أعمال الندوة ولكن الاتحاد الاخير اعتذر في آخر لحظة .

ويرجع النشاط العملي المباشر للمخابرات والمؤسسات الامريكية في حركة الطلبة العالمية الى سبعة عشر عاما مضت . وقد بدا هذا

النشاط عندما نشطت المجموعة الرجعية فى الاتحاد الوطنى للطلبة الامريكيين ومجموعات من قيادات اتحادات طلاب غرب اوروبا — لاحداث انشقاق فى اتحاد الطلبة العالمى . وكان هذا الاتحاد قد تأسس فى اغسطس ١٩٤٦ واشترك فى تأسيسه ممثلو ١١٧ منظمة طلابية من ٤٣ بلدا .

وقد أعلن هذا الاتحاد منذ تأسيسه أن أهدافه الرئيسية هى الكفاح ضد النظام الاستعمارى بكافة صوره واشكاله ، ودعم نضال طلاب المستعمرات من أجل الاستقلال الوطنى لبلادهم والكفاح من اجل السلام العالمى ، وتعاون الطلاب واتحادهم مع كل الطبقات الاجتماعية الشعبية ، العمال والفلاحون والمثقفون التقدميون من اجل تغيير وتطوير مجتمعاتهم .

ومنذ تأسيس هذا الاتحاد حاولت بعض العناصر الرجعية منع الاتحاد الوليد من تبنى هذه الاهداف ومن دعم ومساندة حركات الطلبة القوية التى شهدتها مستعمرات كثيرة بعد الحرب وخاصة فى مصر والهند واندونيسيا والعراق . وازداد نشاط هذه العناصر الرجعية بصفة خاصة بعد مشروعى مارشال (لامركة اوروبا) ومشروع النقطة الرابعة لبسط سيطرة الاستعمار الامريكى على بلدان افريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية — وبعد أن نجحت الدوائر الامبريالية الامريكية من احداث انقسام فى الاتحاد العالمى للنقابات فى ١٩٤٩ حيث تأسس الاتحاد الدولى للنقابات الحرة أخذت تركز خططها لاحداث الانقسام فى الحركة الطلابية العالمية ، وخاصة بعد تزايد دور الطلاب فى الكفاح ضد الاستعمار ومن أجل السلام .

ولذلك فانه فى عام ١٩٥٠ شكلت هذه العناصر الرجعية تنظيما طلابيا عالميا عرف باسم الندوة الطلابية الدولية (الكوسك) ، وفى ديسمبر ١٩٥٠ عقدوا مؤتمرا فى استكهولم (الكونفرنس الطلابى الدولى) ، ونظم هذا الكونفرنس بدعم كامل من المخابرات الامريكية عن طريق المجموعة المتعاونة معها والموجودة فى قيادة « الاتحاد الوطنى للطلبة الامريكيين » . وأعلنت هذه القيادات الرجعية الانقسام النهائى فى كونفرنس « نانس » — ديسمبر ١٩٥١ — وشكلت سكرتارية خاصة بها فى يناير ١٩٥٢ اتخذت مقرا لها فى هولندة . والهدف من خلق هذا التنظيم الدولى الجديد هو ايجاد تنظيم طلابى دولى يمكن استخدامه كسلاح أيدولوجى وسياسى لعزل الطلبة عن مشاكل مجتمعاتهم وابعادهم عن ساحات الكفاح

ومنذ أن تأسس هذا الاتحاد الدولى الانقسامى فى ١٩٥٠ — ١٩٥١ وشعاره الرئيسى هو الابتعاد عن اى عمل سياسى او اجتماعى ، والاهتمام فقط بما يسمونه « بالمشاكل الطلابية البحتة »

ففى مؤتمر استكهولم ١٩٥٠ رفضوا الطلب الذى تقدم به طالب مصرى لمناقشة وجود قوات الاحتلال البريطانى فى مصر ، ورفضوا ادانة التدخل الاستعمارى فى كوريا .. وفى ١٩٥٦ لم «يسكت» هذا الاتحاد فقط عن العدوان الاستعمارى الصهيونى على مصر بل احتضن القيادات الطلابية الصهيونية وقدم اليها العون ورفض تأييد الثورة الجزائرية وسعى لتنظيم منظمات انقسامية ضدها — كما احتضن الطلبة المهاجرين من المجر وأوكرانيا ولاتفياوكوبا وهم الذين تستخدمهم المخابرات الامريكية وتدربهم للقيام بأعمال تخريبية خاصة ضد هذه البلدان — ويدعم الكوسك والكونغرنس الطلابى الدولى بقيادة «رام لاكينا» عميل المخابرات الامريكية منظمة « كامى » الطلابية الاندونيسية الرجعية وحركة الطلبة الرجعيين بالكونغو وبالبرازيل وفنزويلا وقد رفض الكوسك الاعتراف باتحاد طلاب بورتريكو واعتبر بورتريكو جزءا من الولايات المتحدة .

لقد فضحت الندوة العالمية التى عقدت بالقاهرة أخيرا بمبادرة من اتحاد طلاب الجمهورية العربية المتحدة نشاط « الكوسك » التخريبى وعلاقته العضوية بالمخابرات والمؤسسات الامريكية وبالمجموعة الرجعية لقيادة الإتحاد الوطنى للطلبة الامريكيين .

ان ٩٠٪ من ميزانية الكوسك تدفعها المخابرات الامريكية ، وتدفع كذلك ٨٠٪ من ميزانية الإتحاد الوطنى للطلبة الامريكيين . وتستخدم المخابرات الامريكية عددا كبيرا من المنظمات والمؤسسات والجمعيات الامريكية والدولية لممارسة نشاطها التخريبى فى حركة الطلبة العالمية .

واختتمت ندوة القاهرة اجتماعاتها فى الرابع عشر من ابريل ١٩٦٧ باتخاذ عدد من القرارات الهامة ، فاستنكرت الندوة النشاط القذر للمخابرات الامريكية وتدخلها فى الحركة الطلابية واهابت بالعناصر الطلابية الشريفة من الطلبة الامريكيين بالوقوف ضد هذا التخريب . وطلبت الندوة من اتحادات الطلبة فى البلدان النامية أن تتحقق من مصادر التمويل المادى لها وأن تحذر من الواجهات المزيفة للشركات الاستعمارية والاحتكارية . واكدت ندوة القاهرة ضرورة تدعيم اللقاءات بين المنظمات الطلابية التقدمية لتعبئة الرأى العام العالمى ضد التحرك الاستعمارى واستنكار محاولات التسلط الامريكى على أمريكا اللاتينية وتسلل المخابرات الامريكية عن طريق فرق السلام والهستدروت ، وضرورة اليقظة والحذر من سياسة المنح والدعوات المفتوحة التى يقدمها للشباب اى اتحاد او مؤسسة تدعمها أموال امريكية . كما أعلنت الندوة أن عملاء

المخابرات الامريكية في العالم العربي هم اسرائيل والرجعية العربية ، وان التنسيق بين مخابرات هذه العناصر القذرة كان وراء اختطاف المجاهد بن بركة . واشادت الندوة بدور ج. ع. م. في الكفاح ضد الاستعمار .

●

العلاقات العربية السوفيتية تبادل الزيارات واتفاقات للتعاون واسبوع للصداقة

يقوم وفد من اعضاء مجلس الامة برئاسة السيد انور السادات رئيس المجلس بمشاركة الشعب السوفيتي وقادته احتفالات اول مايو في موسكو تلبية لدعوة مجلس السوفيت الاعلى وردا على زيارة وفد مجلس السوفيت الاعلى للجمهورية العربية المتحدة في السنة الماضية — وتهدف زيارة وفد مجلس الامة الى اجراء اتصالات ولقاءات لدعم التفاهم والصداقة بين البلدين وفي نفس الوقت يشارك وفد عمالي عربي في حضور احتفالات اول مايو في موسكو ويحضر وفد عمالي سوفييتي احتفالات عمال الجمهورية العربية المتحدة بعيد اول مايو .

ويرى المراقبون ان هذه المشاركة ليست « الا تعبيرا عن اطراد نمو علاقات الود والصداقة بين البلدين في شتى المجالات وانعكاسا للصداقة المتينة المثمرة التي تربط بين الشعبين الكبيرين » وهي « صداقة تقوم على اساس من الاحترام المتبادل الذي يسمو على اي غرض » .

وقد حفل الشهر الماضي بعدد من الانجازات والاتصالات واللقاءات التي « اكدت وتؤكد تصميم قادة وشعبي البلدين على مواصلة هذه السياسة وارتياحهما للنتائج المثمرة التي تحققها هذه السياسة الحكيمة في العلاقات الدولية القائمة على الاحترام والمصلحة المتبادلة .

ففي مستهل الشهر الماضي تم توقيع اتفاقية جديدة في نطاق التعاون الاقتصادي والفني بين البلدين وتضمنت الاتفاقية تقديم قرض سوفيتي قيمته ٣٠٠ مليون روبل (١٥٠ مليون جنيه) لتنفيذ عدد من المشروعات الاقتصادية الهامة — وتم الاتفاق على اعطاء الاولوية في التنفيذ لمشروع مجمع الحديد والصلب الذي خصص له ١٤٥ مليون روبل من القرض .

ويتم تنفيذ المجمع بالتعاون مع السوفيت خلال اربع سنوات وكذا تصنيع انواع جديدة من المطروقات والوصول بالمصنع الحالي الى طاقته القصوى .

كما تم الاتفاق على ان يقوم الخبراء السوفيت ببحث الاستفادة من معدات السد العالي وامكانيات الترسانة البحرية في التنفيذ — وبالنسبة للبترول تم الاتفاق على الاسراع في استكمال الدراسات الخاصة بالبحث عنه ، وسافرت بالفعل بعثة مشتركة من الخبراء العرب والسوفيت لتحديد المناطق التي سيتم فيها حفر اول آبار للبترول بواحة سيوه .

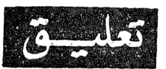
كما اتفق على توريد قطع الغيار اللازمة للمصانع التي اقيمت بمعونة السوفيت او مازالت تحت التنفيذ بتسهيلات تسدد على خمس سنوات ودراسة الامكانيات المحلية في الورش القائمة لتصنيع بعض المعدات الثقيلة واقتصاديات تصنيع بعض انواع السفن في الترسانة البحرية بالاسكندرية .

ومن الجدير بالذكر ان مصانع لننجراد قد انتهت من صنع التوربين الرابع لمحطة توليد الكهرباء بالسد العالي وكذلك وصل الى القاهرة في طريقه الى اسوان اول واكبر محول كهربائي في السد . وسافر خلال الشهر الماضي خمسون مهندسا وفنيا من العاملين في السد العالي للتدريب في مصانع الاتحاد السوفيتي على انشاء وتشغيل كهرباء السد العالي .

وفي المجال السياسي قام اندريه جروميكو وزير الخارجية السوفيتي بزيارة للجمهورية العربية واجرى مع المسئولين محادثات هامة — وقد حاولت وكالات الانباء الاستعمارية استغلال زيارة جروميكو التي وافقت وصول بعثة الامم المتحدة للجنوب العربي في بذر بذور الشك والوقيعة بين ج.ع.م. والاتحاد السوفيتي وتحطيم الروح المعنوية لثوار الجنوب العربي — واذاعت وكالات الانباء الاستعمارية ان هدف زيارة جروميكو هو التوسط بين ج.ع.م. وبريطانيا حول مشكلة الجنوب العربي ، وان جروميكو سوف يحاول اقناع ج.ع.م. بتخفيف تأييدها لجبهة تحرير جنوب اليمن المحتل — وقد سارع جروميكو الى تكذيب هذه الدسائس والتفسيرات الغربية لزيارته واعلن فور وصوله « انه يعرف تماما ان ج.ع.م. تثق في موقف الاتحاد السوفيتي المعادي للاستعمار وانه على العكس مما تذكره هذه المحاولات التي تبذرها وكالات الانباء الغربية يضع « الاتحاد السوفيتي كل تأييده وراء ثورة الجنوب المحتل » .

وجاء البيان المشترك الذي صدر بعد انتهاء المباحثات ليؤكد « عزم البلدين على الاستمرار في العمل لمقاومة كافة صور واشكال التدخل في الشؤون الداخلية للدول التي تمارسها القوى الاستعمارية » ، « ويعربان عن قلقهما البالغ

لاستمرار العدوان ضد شعب فيتنام الشمالية ويطالبان بالتوقف الفورى غير المشروط لقصف فيتنام الشمالية الديمقراطية بالقنابل وسحب القوات الاجنبية وحق شعب فيتنام في صنع مستقبله بنفسه » ودعا الجانبان لبذل مزيد من الجهود واتخاذ خطوات فعالة نحو تحقيق نزع



معركة القوانين الشخصية ليست مباراة بين جنسين .. ولكن صراع بين فكرين

انطلقت القيم القديمة في المجتمع المصرى تناضل وتصارع من اجل وقف اى تطور ثورى قد يلحق بقوانين الاسرة في الجمهورية العربية المتحدة . وهى القوانين التى تنظم - في المقال الاول - العلاقة بين طرفي الاسرة - الرجل والمراة - والمسماة بقوانين الاحوال الشخصية .

هذه القيم القديمة تريد ان تخضع الاسرة المصرية لقوانين مجتمع ما قبل عام ١٩٦١ ، هذا المجتمع الذى كان ينظر الى قوة العمل كسلعة والى الملكية الخاصة لادوات الانتاج كحق مطلق لايمس، والى المراة كمتعة للرجل .

ان قضية تعديل وتطوير قانون الاحوال الشخصية في الجمهورية العربية المتحدة ليست قضية نساء ورجال ، انما قضية المعركة القائمة فعلا بين القيم القديمة والمتبقية من مجتمع ماقبل ١٩٦١ وبين القيم الجديدة والمتطورة التى بدأت تثبت وتحتل جذورا قوية في كافة المجالات في مجتمع مابعد التحول الاشتراكى .

فقانون الاحوال الشخصية كان دائما ابدا موضعا لصراع بين الفكر المتخلف والفكر المتقدم .

فكر قديم يحاول ان يخضع القانون لتقاليد ونظم المجتمع الاقطاعى الرأسمالى وفكر جديد يحاول ان يسير بقانون الاسرة وعلاقاتها مع المسيرة الكبرى نحو التحول الاشتراكى الكامل .

وكم من نساء في بلادنا يشدهن الفكر القديم اذ يؤيدون تأييدا مطلقاحق الرجل في تعدد الزوجات وحقه في الطلاق الغير مقيد وحقه في حضانة الاولاد في سن مبكر بغض النظر عن مصلحتهم وحقه في اخضاع المراة بالقوة فيما يسمى في بلادنا ببيت الطاعة .

وكم من رجال ينظرون الى الاسرة بوصفها -حقيقة- الخلية الاولى للمجتمع ويؤيدون اطلاق القيود التى تقف دون ان تصبح الاسرة المصرية شركة انسانية تقوم اسسها في المقام الاول والاخير على التقدير والاحترام والمساواة الكاملة بين طرفيها وشركائها الاساسيين - الزوج والزوجة .

والتعديل الثورى والجذرى في قوانين الاحوال الشخصية لن يمر كأى تعديل يدخل على قوانين الضرائب او الجنايات او قوانين الضبط والربط في مجتمعنا، ولكنه سيكون بمثابة ثورة تدخل على علاقة الرجل والمراة في البلاد .

لماذا ؟

لان اى تعديل جذرى وثورى في قانون الاحوال الشخصية كفيل بان يضع المراة في موقع المساواة بالرجل ، بمعنى تعديل مفهوم ونظرة الرجل للمراة ، من كونها سلعة ومتعة الى كونها شريكة متساوية معه في السن والواجب . وهذا امر ضرورى وحيوى .

لان اى تعديل جذرى وثورى في بدايتها على ان تضع المراة على قدم المساواة مع الرجل في الحياة العامة والعملية . دأبت منذ استيلائها على الحكم على ان تعطى المراة قانونى حق العمل وحق الاجر المتساوى للعمل المتساوى والحق السياسى، معنى ذلك انها وضعت المراة في مكانها الثورى الدائم .. مكان المواطنة .

« ونحن لن نثير هنا مشاكل تطبيق هذه الحقوق ، لان منفذى القانون الثورى قد يكونون رجالا من حاملى الفكر القديم » .

فاذا سارت المراة بعد ذلك على خطين غير متوازيين - خط الحياة العامة الذى يكفل لها المساواة الكاملة ، ثم خط الحياة الخاصة التى يتحكم فيها قانون لايعترف بالمراة الا بكونها متعة للرجل . معنى ذلك ان المراة في بلادنا تسير على قدم تحررية واخرى رجعية .

والذى يطالب به حاملو الفكر المتقدم في البلاد - سواء كانوا رجالا او نساء - هو ان يصبح الجزء - وهو في هذه الحالة الاسرة - مكملا ومتكاملا مع الكل وهو المجتمع .

فاذا قضت قوانين المجتمع سواء كانت في شكل الميثاق - دليل العمل الثورى - او الدستور المؤقت ان المساواة بين الافراد يحققها القانون بغض النظر عن الجنس او اللون او العقيدة . فمعنى ذلك ان المساواة بين طرفى الاسرة لابد ان تتحقق من خلال قوانين الاحوال الشخصية .

فلا تخضع المراة لاهواء الرجل . ولا يخضع الرجل لاهواء المراة . وانما يخضعان سويا ومعا وعلى قدم المساواة للقيم الجديدة للمجتمع الاشتراكى الذى نعمل للوصول اليه ، وذلك بان ينظر للاسرة - بطرفيها - كخلية اجتماعية لها وظائفها ولها حق وعليها واجب. وهذا لن يكون الا بان يتحمل طرفا الاسرة المسئولية الكاملة من اجل ارساء دعائمها على التقدير والاحترام المتبادلين والرغبة الاكيدة في استمرار الحياة معا، لذلك يقف الفكر التقدمى دائما ابدا امام حرية الزوج المطلقة في ممارسة حق الطلاق وقتما اراد واينما شاء . وفي نفس الوقت يقف هذا الفكر دائما وابدا امام حرية الرجل في ان يدخل على زوجته بامراة اخرى - بلا اسباب جوهرية - تسلب منها احساسها المنطقى بالتقدير والاحترام.

والحرية المطلقة للرجل في ممارسة حق الطلاق او في الزواج من اكثر من واحدة يسلب من الاسرة مضمونها كخلية وشركة انسانية لها وظائف اجتماعية ، وكفيل ان يخضع الاسرة للفكر المتخلف القديم .

ومن ناحية اخرى .. اذا كانت الثورة الاجتماعية التقدمية اعتبرت « العمل حق والعمل شرف والعمل حياة» فهى تخضع كافة الفئات لهذا المضمون التقدمى لقوة العمل ودورها في البناء الاقتصادى والاجتماعى .

فاذا ماجاء مشروع قانون الاحوال الشخصية الجديد واعتبر عمل الزوجة على انه موضع - مساومة - بين طرفي الاسرة فهو يلغى الغاء تاما حقيقة العمل كحق وشرف وحياة . وبذلك نستطيع ان نقول ان هذا المشروع - بموقفه هذا من العمل - ليس وليد القانون الثورى ، ولكنه ابن شرعى للقوانين المتخلفة والملغاة .

- ليس الغرض من تعديل قانون الاحوال الشخصية ان يميز جنسا على آخر . او ان يمسك احدنا بطرف الحبل ويشد الى جانبه اطول جزء منه ليفوز في آخر المباراة . ولكن الغرض منه اولا واخيرا ان نخرج الجميع فائزين من المباراة .. وذلك لا يكون الا اذا سارت قوانين الاسرة الجديدة في مسيرة واحدة وفي خط متواز مع قوانين التحول الثورية - قوانين التحول الى الاشتراكية .

أمينة شفيق

السلاح التام الشامل والتوصل الى اتفاقية دولية لمنع انتشار الاسلحة النووية .

وبدعوة من الاتحاد الاشتراكى قام وفد من اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى برئاسة اجورستيف — واجتمع الوفد بالسيد على صبرى الامين العام بقادة الاتحاد الاشتراكى واعضاء المكاتب التنفيذية وذلك بهدف تبادل الخبرات فى مجال العمل السياسى والتنظيمى والتعرف على الهيكل التنظيمى للاتحاد الاشتراكى وخطه السياسى والانجازات التى حققتها القيادات لمختلف السياسية فى المجالات المختلفة وقد عبر رئيس الوفد عن الاثر الطيب الذى تركته فى نفوس اعضاء الوفد زيارتهم لمختلف المنظمات فى القاهرة والاقاليم وما شاهدوه من تجارب رائدة فى مجال الحلول الذاتية والعمل التطوعى ومجالات التنظيم والتثقيف ونشاط منظمة الشباب والمعاهد الثقافية العمالية .

واقيم خلال هذا الشهر فى كل من موسكو والقاهرة اسبوع للصداقة بين الشباب العربى والسوفيتى من اجل تدعيم روابط الاخوة بين شباب البلدين والسلام فى العالم بالاضافة الى المهرجانات الرياضية والمعارض الفنية وعقد ندوات ولقاءات فكرية لمناقشة دور الشباب فى تنمية مجتمعاتهم ومقاومة الاستعمار والامبريالية وتبادل الخبرات فى مجالات عمل الشباب المختلفة والوقوف على معالم البناء الاشتراكى فى كل بلد .

وقد اكد فيزروف سكرتير اللجنة المركزية للكومسمول ورئيس وفد الشباب السوفيتى «ان اسبوع الصداقة هذا يدل على ان العلاقات بين المنظمتين الصديقتين وقد وصلت الى مرحلة النضج التام وهو يعتبر حلقة هامة فى لقاء اكبر لصالح بلدينا وصالح السلام فى العالم» .

وفى المجال الثقافى اقيم فى محافظة بنى سويف اسبوع للثقافة السوفيتية بدأ باقامة معرض فى قصر الثقافة ببنى سويف يضم لوحات سوفيتية ومعرضا لفن الجرافيك والسراميك وطوابع البريد السوفيتية والقيت محاضرات وعرضت افلام سوفيتية .

وعلى مسرح دار الاوبرا عاش مئات من المثقفين العرب لحظات ممتعة فى امسية شعرية يستمعون للشاعر السوفيتى «ايفتوشنكو» — يردد «كلمات وصور تتمرد ضد الكذب والخداع والنفاق وتثور من اجل الحقيقة وتناضل من اجل الانسان والسلام والحب والتقدم» وهو يؤكد حبه واعزازه لبلادنا « تلك النقطة من الارض حيث كان ميلاد البشرية » ويطلب منا جميعا ان نبنى بنجاح « سدا عاليا فى وجه اى شكل من اشكال الاستغلال والكذب » .

■ عدن

محاولة بريطانية جديدة للتنصل

هدد جورج براون فى بيان القاه فى مجلس العموم ، بأن بريطانيا قد تبحث مد بقائها فى الجنوب العربى بل وتغيير شكل الاتحاد ، مالم تقم هناك حكومة مستقرة تخلف الحكومة الحالية . وتصريح براون هذا يلخص السياسة البريطانية فى المنطقة ، فاما اقامة حكومة تضمن المصالح البريطانية او التحلل من الوعد بالانسحاب

وليس ادل على كذب الادعاء البريطانى ، من انه قد ظهر للعالم كله ان جبهة تحرير الجنوب اليمنى المحتل هى الهيئة الوحيدة القادرة على السيطرة على البلاد ، يؤكد ذلك حقيقتان ، انها اولا استطاعت مد عملياتها العسكرية من القرى والجبال الى المدن والمعسكرات البريطانية ، ووسعت نطاق هذه العمليات التى ارتفعت ، حسب ارقام « ديلى تلجراف » ، من ٣٦ عملية فى ١٩٦٤ ، الى ٢٨٠ عملية فى ١٩٦٥ ، الى ٥١٠ فى ١٩٦٦ ، ويتوقع ان تتضاعف فى ١٩٦٧ . والامر الثانى الذى يؤكد قدرة الجبهة ان الاضرابات العامة التى دعت اليها الجبهة فى عدة مناسبات كمرور ثمانية اعوام على تكوين الاتحاد ، او مرور ١٢٨ عاما على الاحتلال البريطانى ، او لمقاطعة بعثة الامم المتحدة ، هذه الاضرابات قد لقيت استجابة تامة من شعب الجنوب .

ويجمع المراقبون على ان بريطانيا ممعنة فى اصرارها على استخدام العنف ، ومحاولة فرض حكومة تابعة ، ومنع الجبهة من تسلم السلطة باعتبارها الممثل الوحيد لشعب الجنوب ، والسعى الى اشعال حرب اهلية داخلية بين سكان الجنوب ، الامر الذى يعفيها من مقاومة الثورة بجنودها ويعطيها فرصة للتدخل كحكم بين المتنازعين . فتقوم بتكتيل السلاطين والعناصر « المعتدلة » من انصار السعودية والتفاهم مع بريطانيا ، ومنهم عدد من السلاطين الذين ظهروا ذات يوم بمظهر المتمرد على بريطانيا ، ويلتفون اساسا حول « الرابطة القومية » لمعارضة جبهة التحرير والقيام باغتيال بعض عناصرها واشعال نيران الحرب الاهلية . وتتلخص مهمة لورد شاكلتون الذى ارسلته بريطانيا ليكون وزيرا مقيما فى عدن ، فى الاتصال بهذه العناصر وتجميعها

والواقع ان المعركة المستعرة فى عدن قد احدثت استقطابا واضحا على الصعيد الداخلى ، وعلى الصعيد العربى . ففى الداخل انفصل عدد من اعضاء حزب « الرابطة القومية » وسافروا

الى تعـز حيث اعلنوا وضع انفسهم تحت تصرف الجبهة،وكذلك فعل عدد من ضباط جيش الاتحاد. كما حدث تقارب مماثل بين كل الاطـراف التى تخشى الانسحاب البريطانى .

وعلى النطاق العربى تكتلت الرجعية العربية الى جانب المخطط الاستعمارى .فالسعودية تحاول تسهيل عملية نقل السلطة الى نفر من السلاطين ينادى بعضهم بعقد اتفاقيات سياسية وعسكرية مع السعودية، وترشح السعودية الهبيلى شريف بيحان رئيسا للجمهورية المقبلة . ويؤكد الخطاب الذى القاه هيث رئيس حزب المحافظين فى دائرته الانتخابية وعرض فيه مشروعا لحل ازمة الجنوب، ارتباط السعودية بالمخطط البريطانى . وكانت السعودية قد اعلنت فى الامم المتحدة حسن تفهمها للاجراءات البريطانية فى المنطقة ، مما استوجب شكر ويلسون للملك فيصل . بل امتد التقارب السعودى الى مجال المعارضة البريطانية ، فقد دعـا الملك فيصل دنـكان سـانديز وزير المستعمرات فى حكومة المحافظين السابقة لقضاء اسبوع فى ضيافته ، فى اعقاب حملته على جبهة التحرير والجمهورية العربية . وكان هذا مثـار تعليقات فى الصحف البريطانية ، فالتخلى عن عدن كما تقول الجارديان البريطانية « يثـير مخاوف البعض فى الشرق الاوسط واكثر الجميع خوفا هم حكام السعودية »

وتساهم الاردن بدورها فى المعركة ، فتستقبل عددا من ضباط جيش السلاطين للتدريب فيها ، وبالطبع ستكون خبرات قوات البادية المشهورة بفظائعها فى اخماد الهبات الوطنية وقتل المناضلين وتعقبهم هى ما سيتعلمه المبعوثون الى عمان .

ولا تخفى اسرائيل اهتمامها بالمشكلة ، فجريدة « يديوت اهارفورت » تقول انها قد نقلت عن مصادر مطلعة جدا ان الحكومة الاسرائيلية تعتبر ان لمسالة عدن اهمية كبرى للملاحة الاسرائيلية. وتؤكد الجـارديان ان الاسرائيليين يشـاركون السعوديين مخاوفهم» .

وتحاول بريطانيا زيادة التنسيق مع الولايات المتحدة واستراليا لتنفيذ سياسة موحدة للمنطقة، ومن جانب آخرتحاول اثارةمختلف انواع العراقيل بل واستقلال علم الامم المتحـدة ، التى رفضت قراراتها اولا ثم تحفظت عليها ، وبعد ذلك سعت لتخريبها ، بمنع بعثة الامم المتحدة التى تكونت « لمساعدة المنطقة على الاسـتقلال » من اداء واجباتها بحجة الحفاظ على حياة اعضائها من العمال الجبهة وذلك بعد ان فشلت فى فـرض حكومة السلاطين على اللجنة . رغم ان الجبهة كانت قد اصدرت بيانا تعلن وقوفها وراء كل عمل واضح وبناء للامم المتحدة الا انها مصممة على سحق محاولة تستهدف اعادة ماحدث فى فلسطين والكنغو باسم الامم المتحدة . ويواصـل لـورد شاكلتون سياسة حكومته فيؤكد انه مازال يعتقد ان لبعثة الامم المتحدة دورا ، وان وصول القتال الى نقطة معينة يحتم اللجوء الى المفاوضات ، ثم يعود فيهدد بان عدم الوصول الى حل سيترتب عليه اخطار كبيرة ، ويقول ان حل المشكلة لايكمن فى الجنوب وحده .

وفى مواجهة خطة بريطانيا ، بحث مجلس قيادة جبهة تحرير الجنوب اليمنى المحتل موضوع انشاء حكومة وطنية فى المنفى، واعلن عبد القوى مكاوى، ان المجلس « قد درس بالتفصيل موضوع اعلان قيام حكومة وطنية منبثقة عن الجبهة على ضوء الاتصالات والمشاورات التى اجراها اعضـاء قيادة الجبهة مع كبار المسئولين فى الدول الشقيقة والصديقة وسوف تعلن الجبهة تشكيل الحكومة الوطنية فى الوقت المناسب » ولا شك ان هذا يقلل فرص المناورة سواء من جانب بريطانيا او من جانب السعودية ، ويسحب الارض من تحت اقدام من تسميهم الصحافة البريطانية «المعتدلين» ويكشف التطابق التام بين سـياسة المحـافظين وسياسة العمال .

●

■ الجـزائر

ندوة الاشتراكيين العرب

تحدد يوم ٢٢ مايو الحـالي موعـدا لافتتاح ندوة الاشتراكية فى الوطن العربى « بمدينة الجزائر — وهى الندوة التى دعا اليها الرئيس الجزائرى هوارى بومدين كمناضل اشتراكى عددا من المناضلين والمفكرين الاشتراكيين من مختلف المدارس فى جميع البلدان العربية على أسـاس شخصى للاشتراك فى مناقشات حـرة ومفتوحة حول قضايا ومشاكل التطبيق الاشتراكى ووحدة القـوى الثورية العربية وكيفيـة مواجهة قوى الرجعية العربية والاستعمار القديم والجديد فى الوطن العربى ككل .

وكان الرئيس الجـزائرى قـد شكل لجنـة تحضيرية برئاسـة الاخضر الابراهيمى سفـير الجزائر بالقاهرة وعضوية كل من محمد الميلى مدير تحرير المجاهد وعبد الله شريط الاستاذ بجامعة الجزائر للاتصـال بمختلف الاوسـاط والقوى التقدمية فى اتحاد الوطن العربى للاتفاق على جدول اعمال الندوة .

وقامت اللجنة بالفعل خلال شهر مارس وابريل

الماضيين بعدة زيارات الى القاهرة ودمشق وبيروت وبغداد والخرطوم وغيرها من العواصم العربية بهدف الدعوة للندوة التى قوبلت بترحاب ايجابى وعميق .

والمعروف ان الندوة وان كانت تعقد على مستوى حر أى غير حزبى او حكومى فانها تراعى ان يمثل المشتركين فيها مختلف المدارس والاتجاهات التقدمية والاشتراكية فى الوطن العربى دون استثناء .

وقد علم ان من بين المشتركين من الجمهورية العربية المتحدة كل من كمال رفعت وخالد محيى الدين و د. ابراهيم سعد الدين و د. محمد دويدار و د. عبد الرازق حسن و د. محمد عجلان واحمد بهاء الدين واحمد حمروش ومحمود العالم ولطفى الخولى وينتظر ان تتسع قائمة المدعوين من الجمهورية العربية الى اسماء أخرى

كذلك عرفت حتى الان اسماء عدة شخصيات من المشتركين من البلدان العربية الاخرى مثل كمال جنبلاط ومحسن ابراهيم ونقولا شادى من لبنان والشيخ على عبد الرحمن وعبد الخالق محجوب من السودان — وعبد الله الاصنج من الجنوب المحتل وفؤاد الركابى وخير الدين حسيب من العراق وعبد الله الطريقى من العربية السعودية وشفيق ارشيدات وفؤاد نصار وعبد الله الريماوى من الاردن و د. حيدر عبد الشافى من فلسطين وعبد الرحمن اليوسفى من المغرب وغيرهم .

ومن المعروف انه تم خلال الاتصالات التى وقعت بين اللجنة التحضيرية الجزائرية للندوة ومختلف الشخصيات والقوى التقدمية الاتفاق عن جدول اعمال الندوة بحيث يتناول بحث مناقشة قضايا بناء وحدة القوى الثورية العربية على مختلف المستويات القيادية والشعبية والتنظيمية وتقييم التجارب فى البلدان العربية التى اختارت الطريق الاشتراكى ، وتحليل واقع ومهمات القوى التقدمية فى الاقطار التى ما تزال تخوض كفاحا تحرريا وفى البلدان التى ما تزال تحكمها انظمة رجعية بالتعاون مع الاستعمار الجديد — كذلك سوف تتعرض الندوة بالبحث لمشاكل التنمية الاقتصادية والتخطيط والبترول سواء على المستوى القطرى او القومى والعلاقات الاقتصادية الخارجية العربية مع الغرب والعالم الاشتراكى والبلدان النامية وقضايا الديمقراطية ومشاكل التنظيم السياسى والاشتراكية والوحدة والبناء الثقافى القومى التقدمى .

ومن المنتظر ان يفتتح الرئيس هوارى بومدين اعمال الندوة ببيان رسمى فكرى يحدد فيه اهداف الندوة والمسئوليات التى تواجهها على الصعيدين النظرى والتطبيقى .

وتنبع اهمية هذه الندوة من انها اول لقاء على نطاق واسع يتم بشكل منظم بين مختلف القوى التقدمية والاشتراكية فى الوطن العربى — ومن هنا فهى فى رأى المراقبين تمثل خطوة هامة وجادة فى سبيل وحدة القوى الثورية فى الوطن العربى وتقريب المسافات بينها خلال المعركة الدائرة مع الرجعية وقوى الامبريالية والاستعمار القديم والجديد فى المنطقة .

وعلى صفحات الصحف والمجلات السياسية دارت مناقشات واسعة بين الاشتراكيين العرب حول الندوة — شكل الدعوة اليها — تحديد ماهية القوى الاشتراكية المدعوة للوحدة — ودار النقاش حول وحدة القوى الثورية ذاتها هل هى وحدة تاكتيكية ام وحدة استراتيجية — وما هو الشكل الممكن ان تتحقق به الوحدة ؟ . هل يكون تنظيما عربيا واحدا ام جهة أم اى شكل آخر تفرضه المعركة ذاتها ؟ . وعبر المشتركون فى المناقشة عما يعلقونه من آمال على الندوة وما ينتظرون منها انجازه .

دعوة أشخاص ام تنظيمات :

اثارت الصيغة التى أعلنها الرئيس هوارى بومدين عن دعوته «لندوة مفتوحة لجميع الثوريين الاشتراكيين فى العالم العربى فى الجزائر يأتون اليها بصفاتهم الشخصية دون ما التزام سوى الالتزام العام بالاشتراكية » اثارت نقاشا واسعا افتتحه **احمد حمروش** فى روزاليوسف داعيا لان تكون الدعوة فقط للمنظمين فى التنظيمات الشعبية .. ونادى **خالد بكداش** لفكرة مشابهة اذ عبر عن تضامنه على أولئك الاخوان المصريين الذين دعوا فى كتاباتهم الى أن يكون لقاء الجزائر لقاء بين قوى ثورية منظمة — اى بين احزاب وحركات لا ان يتخذ شكل لقاء بين افراد بصفتهم الشخصية كما يقترح آخرون . ثم اضاف بكداش تحفظا بقوله ان الاقتراح الاخير نفسه فيه بعض الفائدة » .

ولكن عددا كبيرا من الذين اشتركوا فى المناقشة من بينهم **خالد محيى الدين ولطفى الخولى وكلوفيس مقصود** — أيدوا الصيغة التى اقترحها الرئيس بومدين مؤكدين ان هذا هو السبيل لاتاحة أرحب الفرص للنقاش الموضوعى الحر دون قيود مسبقة ، وان « التمثيل الحزبى سوف يقيدنا فى الاختيار وسوف يجبرنا على استبعاد قوى اشتراكية حقيقية مراعاة لهذا البلد أو ذاك » .

وقد اعلن **الاخضر الابراهيمى** فى تصريحات له ببيروت عقب انتهاء جولته فى البلاد العربية بوصفه عضوا فى اللجنة التحضيرية للندوة « انه بعد بحث طويل وتبادل الرأى مع الكثير من الاخوان فى الوطن استقر الراى على أنه من المستحسن فى هذه المرحلة ان يكون اللقاء من الناحية الشكلية على أساس الدعوة الشخصية لاعتبارات عملية منها : عدد المشتركين الذين يجب ان يبقى محدودا حتى

يمكن أن يكون النقاش مجديا . بالاضافة الى أن بعض الدعوات ستوجه الى اشخاص مستقلين لا ينتمون لمنظمات قائمة » .

وفى نهاية المناقشة **انضمت روزاليوسف** الى هذا الاتجاه ﴿•﴾

من هى القوى الاشتراكية المدعوة للوحدة ؟

لقد كانت هذه القضية موضع اهتمام فى الحوار الذى نشط طوال العام الماضى بعد ان اعلن المناضل جمال عبد الناصر شعار «وحدة كل القوى العربية الثورية » . وقد ازداد هذا الاهتمام بعد اعــلان الدعوة للندوة التى اعتبرت « وجها من وجـــوه الترجمة العملية للشعار العظيم الذى يسود الموقف الراهن » — ويمكن تقسيم المناقشة التى دارت حول هذه النقطة الى قسمين اساسيين :

اولهما : تعريف ماهية القوى الاشتراكية ؟ ﴿•﴾

ثانيهما : حول استبعاد الشيوعيين العرب من اطار القوى المدعوة للوحدة ﴿•﴾

وفى محاولة تحديد المقاييس التى تجعل هـــذه القوى أو تلك من عداد القوى الاشتراكية ، كان هناك اتجاهان : اتجاه عبـــر عنه السيد **كمال رفعت وأحمد سعيد وفتحى عبد الفتاح** — وهذا الاتجاه يرى « بأن الثورى العربى هو الانســـان العربى الذى يرفض الاســـتعمار والاســـتغلال والتجزئة ويناضل من اجل التحرر والاشتراكيـــة والوحدة العربية وان الثـــورى يجب أن يـــكون وبالحتم قوميا واشتراكيا » .

أما الراى الاخر فيرى أن اشتراط توفر الايمان بالاشتراكيه كشرط مسبق عنـــد تحـــديد اطراف الوحدة الثورية فى الوطن العربى ككل . يستبعد بالضرورة من جيش الثورة قوى سياسية واجتماعية — ما زالت قادره وراغبة فى النضال الثورى ضد الامبريالية واسرائيل والنظم العميلة والرجعية » وعبر عن هذا الاتجاه **نبيل الهلالى ومصطفى طيبة** .

أما فى الشق الثانى من المناقشة فى هذه النقطة وهو الخاص بموضوع استبعاد الشيوعيين العرب من اطار القوى المدعوة للوحدة فقد حمل **احمـــد سعيد** لواء الحملة لاستبعاد الشيوعيين العرب من وحده القوى الاشتراكية وقال متسائلا « هل يمكن قيام وحدة بين تنظيمات اشتراكية قوميـــة وتنظيمات تقدمية لاقومية ، ويضيف احمد سعيد « انه قد تقوم جبهة او يقع تحالف . ولا يمكن وصف احد هذين العملين بانه وحدة للقوى التقدميـــة او الثورية — ويمكن معه تصور ان هدف الوحدة سوف يكون حاليا او مستقبلا من اهداف هـــذا العمل السياسى » .

الا أن هذا الاتجاه وجد معارضة ورفضا واسعا فى صفوف القوى الاشتراكية المشتركة فى المناقشة

﴿•﴾ وعبر عن هذا الاتجاه **خالد محيى الدين وعبد الفتاح ابو الفضل ونبيل الهلالى ولطفى الخولى** .

لقد طالب **خالد محيى الدين** ان تتاح الفرصة كاملة أمام كافة الافكار والمدارس لكى تطرح نفسها دون أى تحديد . وقال «ان الماركسيين مثلا يمثلون عدة أحزاب وجماعات وشخصيات ذات وزن فى عديد من الاقطار العربية ومن ثم يتعين ان نستمع اليهم وان ندير النقاش معهم متخلصين من عقـــد الماضى » واكد « ان اية محاولة لتقسيم صفوف الاشتراكيين او بث روح العـــداء بين مدارسها المختلفة هى فى جوهـــرها اضرار بالاشتراكيـــة ذاتها » ﴿•﴾

وفى حديث مع اخبار اليوم ، قال السيد عبد الفتاح ابو الفضل — فى معرض تعداده للقوى المدعوة للوحدة ، ان الشيوعيـــين « قوة تقدميـــة وطنية تسعى الى تغيـــير الواقـــع العربى والى التحرر والاشتراكية .

وتناول **لطفى الخولى** القضية المطروحـــة من زاوية أهميتها فى توفير الضمانات اللازمة لنجاح الندوة وطالب « ان نفتح أبواب الندوة أمام جميع الاشتراكيين العـــاملين فى الوطن العـــربى على اختلاف منابعهم الفكرية والاجتماعية دون قيود — فهذا هو الذى يـــكسبها طابعهـــا الديمقراطى الاصيل من ناحية ويتيح الفرصة من ناحية أخرى لحوار جماعى جاد وعميق نحن احوج ما نـــكون اليه فى هذه المرحلة » ﴿•﴾

وحدة تاكتيكية أم استراتيجية

اظهرت المناقشة فى قضية الوحدة ان هنـــاك اتفاقا عاما على ان وحده الاشتراكيين فى الدول المتحررة هى القوة الرئيسية لصد الاســـتعمار خارج الحدود وتأمين السير فى طريق الاشتراكية . وان وحـــدة الاشـــتراكيين فى الدول الخاضعـــة للرجعية الحاكمة يزلزل قوائم الرجعيـــة عميلة الاستعمار — كما بدا واضحا فى المناقشة الافتقار الكامل للوحدة الداخلية فى بلد كالعراق وان هذا الوضع يشكل صعوبات واخطار مقلقة تدعو الى بذل الجهود لمساعدة الاطـــراف المختلفـــة على الوصول الى صيغة ملائمة للوحدة ﴿•﴾

وفى المناقشة الدائرة حول نوعيـــة الوحـــدة المنشودة وهل هى وحدة تاكتيكية أم استراتيجية — كان هناك تيار غالب يرفض فكرة **احمد سعيد** الذى تنادى « بان وحدة القوى التقدمية كعمل سياسى مرهون بعمل مرحلى هو مواجهة وتصفية العمل الرجعى الاستعمارى » ﴿•﴾

لقد اكد **احمد حمروش** فى روزاليوسف **وحسن قاسم** فى « البعث » السورية **ونبيل الهـــلالى** فى « **الكاتب** » ، ان الوحدة المنشودة ليست موقفا تاكتيكيا مرتهنا بظروف معينة » ﴿•﴾ « ولا هو تاكتيك

سياسي للوقوف في وجه الهجوم الاستعماري والرجعية والصهيونية » — « وليس شعارا مرحليا يطرح لمرحلة معينة — بل ان الوحدة في جميع الحالات « ضرورة اساسية وحاسمة لانها استراتيجية النضال العربي » «وهي شعار ثوري يطرح لانه يشكل خطوة رئيسية في استراتيجية النضال الثوري العربي » .

وأوضح **نبيل الهلالي** ان النضال الثوري العربي يتطلب اليوم مستويين من الوحدة لا يغني احدهما عن الاخر :

وحدة القوى الاشتراكية العربية وهي ذات طابع استراتيجي ويجب ان تتم حول برنامج حد اقصى للكفاح .

وهناك ايضا وحدة القوى الثورية ذات الطابع التاكتيكي والتي تتم حول برنامج حد ادنى للكفاح» — ويرى « ان توحيد القوى الاشتراكية وتوحيد القوى الثورية في الوطن العربي مهمتان متميزتان بقدر ما هما متلازمتان » . وفي المناقشة اكد اكثر من رأى « ان وحدة الاشتراكيين العرب هي الاساس المتين لوحدة الثوريين العرب » .

حركة عربية واحدة ام جبهة من عدة حركات واحزاب

واحتل الشكل الذي يمكن ان تتجسد فيه وحدة القوى الاشتراكية جانبا هاما في المناقشة وظهر فيه اتجاهان محددان : اتجاه ينادي بتجسيد الوحدة في «الحركة العربية الواحدة » — واتجاه يرى ان شكل الوحدة تحدده العوامل والظروف السياسية والاجتماعية والطبقية — وان افضل اشكال الوحدة هي التي ستنبثق من خلال النضال المشترك .

ووجدت الحركة العربية الواحدة في **رفعت الشهاوي واحمد سعيد وعصمت سيف الدولة وخيري حماد** اكثر المؤيدين لها حماسا — **فرفعت الشهاوي** يعتبر ان الاتحاد الاشتراكي العربي في ج.ع.م. هو التنظيم الثوري الوحيد ويطالب بتحويله فورا الى حركة عربية واحدة وحيدة — ويرفض ان تقوم هذه الحركة العربية الواحدة باي شكل من اشكال التعاون مع الحركات العربية الثورية الاخرى بحجة انه « اذا امكن توحيد هذه الحركات — ظلت كل منها تحتفظ بتكتلها وحزبيتها الانانية داخل اطار الوحدة — ويجب على كل عنصر مخلص ان ينضوي بذاته داخل الحركة العربية الواحدة متخليا نهائيا عن حزبه اوجماعته القديمة»

ويرى **احمد سعيد** ان الحركة العربية الواحدة تنظيم ثوري على صعيد كل الوطن سيقوم على اساس وحدة عضوية تتصل بشخص الانسان العربي الحر ولا تقوم ابدا على وحدة بين تنظيمات اخرى قائمة بالفعل — وانها ستطرح على الجماهير نظريتها الثورية وخطة عملها النضالية من خلال التجربة الثورية الناصرية مثلا » .

وبالرغم من ان **خيري حماد** يدعو الى قيام وحدة تجسدها حركة اشتراكية عربية واحدة ذات عقائدية كاملة متكاملة ، الا انه يرى ان الحركة العربية الواحدة هدف بعيد ويدعو الى المبادرة بانشاء جبهة قوى متماسكة للقوى الثورية .

اما الاتجاه الاخر فقد عبر عنه السيد **علي صبري وخالد محيي الدين وعبد الخالق محجوب ونبيل الهلالي ..**

لقد اكد السيد علي صبري « اننا لا نستطيع ان ننادي الان بتنظيم قاعدته في القاهرة وله فروع في مختلف ارجاء الوطن العربي لان المناداة بذلك يؤدي الى تقليل القوى التي تتجمع في وحدة واحدة والظروف الموضوعية الان لا تخلق ارضا صالحة لاثبات هذه الدعوة » .

ويرى اصحاب هذا الاتجاه « ان الانصهار العضوي في حركة واحدة خطوة لا تزال ابعد من ان تطرح لمجرد النقاش » . وان الحركة الثورية العربية لن تنتصر اعتمادا على اتجاه واحد في داخلها وبالقدرة الذاتية لذلك الاتجاه » . ويرى هذا الاتجاه ايضا ان الهدف النهائي والنضالي لوحدة القوى الاشتراكية هو تحقيق الوحدة العضوية وكل الاشتراكيين العرب في تنظيم واحد يؤمن بالاشتراكية العلمية. وان الجبهة يمكن ان تكون الشكل المناسب للمرحلة الاولى من مراحل توحيد القوى الاشتراكية والثورية » .

الحاجة الى برنامج لعمل القوى الاشتراكية

وخلال المناقشة بدا اتجاه واضح عبر عنه **خالد محيي الدين ولطفي الخولي وابو سيف يوسف** — لدعوة القوى الاشتراكية لان تصفي خلافاتها الفكرية وان تتخلص من حساسياتها القديمة وان تحاول معا وباختيار كامل ان تصوغ مشروعا لخط عام للنضال الثوري في الفترة المقبلة وانه لم يعد ممكنا أن يترك الثوريون قضية بناء الوحدة بينهم لينضجها الزمن على مهل — وانما يتحتم عليهم وهم يدرسون الخطوات التي خطوها والانجازات التي حققوها — ان يتعاونوا في وضع برنامج نضالي وشعارات عملية تدفع بقضية الوحدة بين الثوريين الى الامام .

وطالب **لطفي الخولي** الندوة «بأن تدرس خريطة العالم العربي دراسة عميقة وتحدد بحسابات ومعايير واقعية القوى الثورية والقوى المضادة للثورة على طول وعرض الخريطة وتكتشف عناصر التكتيك الثوري اللازم اتباعه بالنسبة لكل نوع من هذه البلدان وكيفية تفاعله مع الاستراتيجية العامة للنضال الشعبي العربي المشترك وهو انتصار الاشتراكية . وهي لكي تمارس هذه

المسئولية عليها ان تواجه بصراحة الايجابيات والسلبيات وتناقش مشاكل التنمية وبناء الاحزاب او التنظيمات الثورية وامكانية قيام تنسيق اقتصادى وسياسى وثقافى بينها » .

هذا وقد اعلن **الاخضر الابراهيمى** ان الموضوعات التى تضمنها جدول الاعمال سوف توزع على المشتركين فى الندوة بحيث يعد تقرير واحد على الاقل لكل موضوع ، واكد فى تصريحه « ان هذه الندوة تكون ناجحة جدا اذا كانت بداية متواضعة وصغيرة لشىء ابعد واعمق فى تأثيره » .

●

■ **سوريا**

التواطؤ الاردنى .. يسهل مهمة المعتدين

فى السابع من ابريل ولاول مرة منذ تسعة عشر عاما ، تحلق الطائرات الاسرائيلية فى سماء دمشق ، فى الغارة الكبيرة الغادرة على سوريا ، والتى اشترك فيها علاوة على المدفعية والمدرعات ، عدد كبير من الطائرات بلغ ٧٢ طائرة . وقد تمكنت هذه الطائرات من الوصول الى دمشق متجنبة النيران الكثيفة للمدفعية السورية بالطيران عبر الاردن . فقد نشرت الصحف اللبنانية تصريحا للواء احمد سويدانى رئيس اركان الجيش السورى قال فيه ان الاردن سمحت للطائرات الاسرائيلية بالمرور عبر اجوائه . ومن جانب آخر اتهمت السلطات السورية الاردن بانها اخفت خبر انشاء اسرائيل لمطار حربى سرى قرب حدودها ، كما لم تبلغ القوات السورية عن تحركات اسرائيل .

والواقع ان العدوان الاسرائيلى كان متوقعا ، فقد نشر مراسل الفيجارو فى تل أبيب خبرا عن اعتزام اسرائيل بعمل عسكرى ضخم على الحدود السورية . وتواترت تصريحات المسئولين الاسرائيليين التى تطالب بردع سوريا . فقد طالب موشى كارمل وزير النقل الاسرائيلى ، باتخاذ اجراءات عنيفة ضد سوريا ، وادلى « ليفى اشكول » رئيس الوزراء ، و « ييجال آلون » وزير العمل بعدة تصريحات اكدا فيها ان العدوان الاسرائيلى على قرية السموع فى منطقة الخليل فى الاردن لم يكن هروبا من مواجهة سوريا . واكد ابا ايبان لمراسل الجارديان البريطانية ان سياسة بلاده فيما يتعلق بمسائل الحدود تقوم على مبادىء ثلاثة هى : توسيع نطاق الدفاع داخل اسرائيل ، والاعتماد على التأثيرات السياسية والالتجاء الى مظاهرات القوة .

وكان هدف العدوان على سوريا هو تحقيق اغراض اسرائيل الذاتية ، واغراض عدد من البلاد الاستعمارية ، وارضاء الرجعية العربية . فاسرائيل يحنقها مساندة سوريا لكافة تنظيمات الفدائيين الفلسطينيين ، ووضعها اجهزة الاعلام فى خدمة بياناتها واخبارها ، خاصة ما يتعلق منها بأعمال هذه المنظمات داخل اسرائيل ، وتقديمها معسكرات التدريب والسلاح لها فضلا عن دفاعها المستمر عن ان فكرة حرب العصابات تشكل سلاحا لا يمكن مقاومته لاقلاق الوجود الاسرائيلى . والواقع ان اسرائيل قد بدأت تعانى فعلا من اعمال الفدائيين العرب على طول حدودها ، ولم تتحمل للاقتراح الامريكى بكهربة خطوط الهدنة واقامة اجهزة للانذار على امتداد حدودها لان ذلك ليس عمليا فضلا عن تكلفته وعدم كفايته . ولذا أعلن المسئولون الاسرائيليون ان اعتمادهم الاساسى سيكون على « الردع العسكرى » الواسع ، خاصة وان بعض سكان مناطق الحدود من الاسرائيليين بدأ يتضخم احساسهم بعدم الامن ، الامر الذى ستكون له عواقبه السيئة على سياسة التهجير الاسرائيلية . ومن جانب آخر ، يحنق اسرائيل ان سوريا تلعب الى جانب الدول العربية المتحررة دورها فى فضح الرجعية العربية التى تحاول تخريب المشروعات العربية لاستغلال نهر الاردن ، والدفاع العربى الموحد . فقبل العدوان بعدة أيام قامت سوريا بتحويل نبع كانت تصب مياهه فى الاراضى الاسرائيلية . علاوة على تقاربها على المستوى الحكومى والشعبى مع الجمهورية العربية المتحدة والجزائر . ووقوف سوريا بالمرصاد امام محاولة اسرائيل منذ ١٩٤٨ الاستيلاء التدريجى على الاراضى المنزوعة السلاح لزراعتها ويتيح الوضع الطبوغرافى الملائم للمدفعية السورية فرصة لمنع كل محاولات التسلل الاسرائيلى الى هذه المناطق . وبجانب كل هذا لا يمكن بالطبع اغفال اثر الوضع الداخلى فى اسرائيل .

والعدوان الاسرائيلى لا يمكن فصله عن حلقات التآمر الاستعمارى ضد سوريا ، من افتعال ازمات اقتصادية ، الى شراء بعض العسكريين ومحاولة تدبير الانقلابات . وكل هذا لا ينفصل عن موقف سوريا من شركات النفط الاستعمارية واجبارها على احترام حقوق الشعب السورى الامر الذى امتد اثره الى العراق ولبنان .

ولاشك ان هذا العدوان يرضى الرجعية العربية ، لدأب اجهزة الاعلام السورية على التصدى لها وفضح تخاذلها امام اسرائيل . وبالذات الاردن بعد حادث قرية السموع وتخريب مقررات مؤتمرات القمة ، وكشف التآمر الاردنى ضد

سوريا وايواء الهاربين من صفوف الجيش السوري

وفى مقابل هؤلاء سارع القائم باعمال سفارة الجمهورية العربية المتحدة فى سوريا باعلان « ان القاهرة تؤكد مرة اخرى استعدادها واستمرارها فى الوقوف بكل الامكانيات والطاقات لدعم سوريا » وسافر الى سوريا قائد القوات الجوية العربية ، كما قام صدقى سليمان رئيس الوزراء بزيارة لسوريا . وكان وزير الاعلام السورى قد صرح بان الاتصال كان مستمرا بين سوريا والجمهورية العربية اثناء العدوان .

والعدوان الاسرائيلي ، يؤكد كما قال مندوب سوريا فى الامم المتحدة « ان الكيان الاسرائيلي العدوانى فى المنطقة يستخدم اداة تخريب واسعة ضد القوى التقدمية فى الوطن العربى ، ونتائج هذه المؤامرات لن تكون محدودة ، واشتعال الموقف الذى تثيره هذه القوى العدوانية سيكون حقيقيا وواسع النطاق » . ولاشك ان اسرائيل تعتمد على مساندة اصدقائها فى الهيئات الدولية للافلات من العقاب والادانة ، فعند نظر حوادث الحدود فى مجلس الامن قدم حماة اسرائيل قرارا بمسئولية سوريا عن منع تسلل الفدائيين . ولولا الفيتو السوفيتي وموقف الهند وبلغاريا ومالى لصدر هذا القرار وكل هذا يجعل من اسرائيل « مجرما محترفا » كما قال مندوب سوريا . رمما يزيد الامر وضوحا تصريح جونسون : « لدينا إجراءات عملية مباشرة سنتخذها بصدد الوضع بين اسرائيل والدول العربية » .

■ اليونان

عندما تفلس « الديمقراطية » الغربية

لايزال السلاح البحرى اليونانى، وسلاح الطيران ، يرفضان — حتى كتابة هذا التقرير — الاشتراك فى الانقلاب العسكرى الذى قام به الجيش أخيرا فى اليونان بأمر الملك **قسطنطين** . بالرغم من أن **قسطنطين كولياس** رئيس الوزارة العسكرية الجديدة ، قرر وقف نشاط جميع الاحزاب والغاء الانتخابات التى كان قد تقرر إجراءها من قبل فى ٢٨ مايو الحالى .

وكانت الطليعة ، فى آخر تقرير قدمته عن اليونان فى ديسمبر ١٩٦٦ ، قد قدمت ذلك التساؤل: «هل ستسمح الملكية واليمين اليونانى، **لباباندريو** وغيره من القوى التقدمية الاخرى فى اليونان ، ان يهزموهم عن طريق العمل البرلمانى ، أم انهم سيقطعون هذا الطريق بأى وسيلة كانت شرعية او غير شرعية ؟ » لانه من واقع الاجابة على هذا السؤال يمكن ان يصدر حكم جديد ، من تجربة جديدة ، لصالح فكرة الديموقراطية البرلمانية الغربية ، او ضدها . وذلك هو ما يعطى لتطور الاحداث فى اليونان خلال العام القادم (١٩٦٧) اهميته السياسية غير العادية » .

وقد اكدت احداث هذا الانقلاب ، اتجاه الملكية اليونانية لقطع الطريق على باباندريو والقوى المتقدمة والديموقراطية ، باستخدام اسلوب تدخل غير دستورى ، خاصة بعد أن فشلت تلك القوى فى صراعها « البرلمانى » ضد باباندريو ، ذلك الصراع الذى نشب منذ استقالة الاخير فى يوليو سنة ١٩٦٥ . وليس أدل على ذلك الفشل من لجوء حكومة **كانيلوبولوس** الملكية ، الى حل البرلمان اليونانى بعد أن تأكدت من خذلانها لو طرحت الثقة بنفسها فيه .

وتتبع خطى الصراع بين الملكيين واليمينيين من ناحية ،وبين انصار باباندريو والقوى الديموقراطية واليسارية من ناحية اخرى، يمكن ان يكون مفسرا للجوء اليمين الى الانقلاب العسكرى . ذلك ان الملكية اليونانية وقوى اليمين عامة قد ركزت قواها منذ بداية صراعها مع باباندريو لتحطيم أقوى حزب يواجهها فى البرلمان ، وهو حزب باباندريو ، حزب اتحاد الوسط الذى كان له من أعضاء البرلمان الـ ٣٠٠ ، ١٧٣ عضوا اى اكثر من النسبة المطلوبة للاغلبية وهى ١٥١ صوتا بحوالى ٢٢ صوتا . ولذا بدأت الملكية بعد ذلك ، بعملية متتالية لاسناد رئاسة الوزارة الى أعضاء بارزين فى اتحاد الوسط وذلك لاشاعة الفرقة فى صفوف الحزب ، والتشتت فى قواه البرلمانية فى التصويت .

وباسناد الوزارة بعد باباندريو **لجورج نوفاس،** وهو من اقطاب اتحاد الوسط ، انسلخ عن اتجاه باباندريو ٢١ نائبا ايدوا نوفاس ، فلما سقطت وزارة نوفاس ، وكلف **ستيفانوس ستيفانوبولوس** وهو من اقطاب اتحاد الوسط ايضا بالوزارة ، انسلخ عن باباندريو ٢٦ نائبا جديدا ، كذلك فقد اتحاد الوسط اصواتا اخرى باعلان **سافاس بابابوليتيس** زعيم احدى شعب اتحاد الوسط قطع صلة باباندريو ، بحيث فقد الحزب اغلبيته البرلمانية ، ولم تعد كتلته تتكون الا من ١٢٢ صوتا وهى أقل من نسبة الـ ١٥١ المطلوبة للاغلبية . كذلك كان اسناد الوزارة **لايلياس تسيريموكوس** وهو من اقطاب اتحاد الوسط ايضا ، حلقة اخرى من سلسلة خطة المواجهة اليمينية .

الا ان وزارة تسيريموكوس لم تستمر اكثر من اسبوعين ، واعقبتها وزارة **ستيفانوبولوس** ثم وزارة **باراسكيفوبولوس** محافظ البنك المركزى

والتى ضمت مجموعة من اســاتذة الجــامعات وجنرالات الجيش المتقاعدين ، ثم الوزارة الاخيرة برياسة **بنايوتى كانيلوبولوس** زعيم حزب الاتحـاد الراديكالى القومى (اليمينى) وثانى حزب فى البرلمان اليونانى (٩٩ صوتا) والتى قامت اخيرا بحل البرلمان لتأكدها من الهزيمة عند طرح الثقةبها

وقد اعتبر ذلك فى نظر المراقبين السياسيين فشلا للملكية فى حقل المواجهة « الديموقراطيــة البرلمانية » لبابــاندريو وانصــاره . ليس ذلك فحسب بل ان حزب اتحاد الوسط استطاع خلال مواجهته لليمين فى تلك المعركة ، ان يتطور مــع جماهيره فى اتجاه اكثر جذرية وقوة ، وان يوسع فى قواعد ارتكازه الجماهيرية ، كما تمكن اليسار واليسار المتطرف من زيادة قوتهم لدرجة طالبت فيهابعض القوى السياسية بالسماح بعلنية تكوين الحزب الشيوعى اليونانى ، كذلك فان الارهاب النفسى الذى كان موجها ضد القوى اليسارية ، فى قرى الاقاليم والمدن الصغيرة من قبل ، تحول خلال تلك المعركة ضد اليمين .

وبذا يفسر كثير من المراقبين الانقلاب العسكرى الجديد الذى اتى بوزارة عسكرية ، على أساس انه محاولة لوقف الخط المتقدم الذى سار فيــه باباندريو ، والذى ساندته فيه القوى الديموقراطية واليسارية الاخرى ، كما يعتبرونه فاتحة صراع جــديد بين تلك القــوى يختلف فى اسلوبه عن الصراع التقليدى السابق الا أن أحدا لم يستطع بعد ، بحكم جدة الموقف الاخير ان يحدد بشكل دقيق الاسلوب الجديد الذى ستواجه به الجماهير اليونانية والقوى الديموقراطية واليسارية ، قوى الملكية اليونانية واليمين اليونانى عامة بعد لجوئها الاخير الى الانقلاب العسكرى .

●

■ فيتنـــــام

مارفضه « المارين » سابقا ، قبلوه الان !

بلغ السخط على سياسة الحــكومة الامريكية فى فيتنام، آمادا لم يبلغها قط من قبل . ففى داخل الولايات المتحدة نفسها ، نظمت « لجنــة الربيع لوقف الحرب فى فيتنـــام » مظاهــرتان ضخمتان فى سان فرانسيسكو ونيويورك ضمتا عدة مئات الالاف من المتظاهــرين المعــارضين للسياسة الامريكية هناك . كمــا قامت « لجنة الامريكيين فى باريس » بمسيرة على الاقدام ، تضامنا مع المتظاهرين فى الولايات المتحدة ، فى حين تزداد داخل الولايات المتحدة نفسها الاتجاهات الداعية الى ضرورة الترابط المتين بين « حركة المطالبين بالحقوق المدنية وبين حركة الســلام » وهو تطور له اهميته فى خلق ارضية مشتركة للقوى المعارضة داخل الولايات المتحدة . كذلك تميزت اقامة **هيوبرت همفرى** نائب الرئيس الامريكى فى باريس ، بقيام مظاهرات عديدة مضادة لامريكا من عدة الاف من الفرنسيين ، احرق فيها العلم الامريكى ، ورفع علم الفيت كونج على منشآت قنصلية فيتنام الجنوبية ، وقد تكررت المظاهرات المضادة لامريكا فى الست دول الاوربية الاخرى التى زارها **هيوبرت همفرى** . وبلغ عنف الاحتجاج على السياسة الامريكية الخارجية ، حــدا كاد يتعرض فيه هيوبرت همفرى للاغتيــال فى برلين الغربية .

وقد مال عديد من المراقبين الى الاعتقاد بأن احد اسباب رحلــة همفرى وهــو معروف بأنه السياسى الامريكى القادر نسبيا على الظهــور بمظهر سلامى هو محاولة تجميع الدول الاوربية الغربية حول الولايات المتحدة بشكل اكثر توثقا، خاصة بعد ان اتجه الرأى العام الاوربى الغربى بشــكل متزايد الى الاعتراض على ســياسة الولايات المتحدة فى فيتنام . كذلك اشاروا الى ان احد الاهداف التى استهدفتها الولايات المتحدة فى مؤتمر الدول الامريكية فى « **بونتاديل استى** » كان مزيدا فى مساندة سياستها فى فيتنام ، غير ان من الواضح ان المؤتمر وجه اهتمامه اساسا الى المشاكل الخاصة بالقارة الامريكية ، ولم يتخــذ المؤتمر قرارا بشأن فيتنام .

ومما لوحظ بشأن المسألة الفيتنامية فى الفترة الاخــيرة تزايد النشـــاط الــذى يقوم به **اوثانت** السكرتير العام للامم المتحــدة ، لوقف الحــرب هناك ، وقد قدم يوثانت مقترحات جديدة تستهدف عقد هدنة عامة تتبعها محادثات تمهيدية لاعادة مؤتمر جنيف . واكد يوثانت على خطته هذه اثناء زيارته الاخيرة للهند موضحا انه بدون وقف حرب فيتنام الشمالية بالقنابل سيصبح من المستحيل « بذل اى مجهود يوصل الى السلام » . هذا وقد عبر السيد **سيناناياك** رئيس وزراء سيلان ليوثانت عن اقتراح جديد من جانبه ، يتضمن دعوة حكومة سايجون ، وحــكومة هانــوى ، وجبهة التحرير الوطنية ، للالتقاء دون تدخل خارجى ، لمناقشة الخطوات الاولية نحو وقف اطلاق النار، ولكن حكومة فيتنام الشمالية ، التى ســبق أن اوضحت للولايات المتحدة ان وقف ضرب الشمال بالقنابل يمكن ان يكون اساسا لبداية مفاوضات امريكية فيتنامية وهو الاقتراح السلامى الذى رد عليه جونسون بزيادة العنف واستخدام الاسطول

الامريكي ايضا في ضرب فيتنام الشمالية ، هذه الحكومة ترى — فيما يبدو — لاغلب المراقبين الآن إن اى تسوية للمشكلة الفيتنامية ، يجب ان تبدأ من التقاء سلطات فيتنام الجنوبية ، مع ممثلى جبهة التحرير الوطنى فى فيتنام الجنوبية وهو اتجاه ترفضه الولايات المتحدة تماما . هذا وتردد فى معلومات وصلت الى واشنطون ان الاتحاد السوفيتي والصين عقدا اتفاقا حول مرور الاسلحة السوفيتية عبر الصين ، يقوم بموجبه الفيتناميون الشماليون باستلام تلك الاسلحة عند الحدود الوطنية الصينية ثم عبور الصين بها .

ومع ذلك فلا تبدو فى الافق امكانية عاجلة لوقف القتال فى فيتنام . ويتسم الموقف العسكرى فى الجبهة — حتى كتابة هذا التقرير — بتدهور الوضع السياسي والعسكرى للامريكيين فى المقاطعات الجنوبية ، لدرجة اجبرت الجنرال وستمورلاند على ارسال فرق جديدة بشكل عاجل الى هذه المقاطعات ، واجبرته ايضا على تغيير خططه وتوزيعه للقوى فى قطاعات عسكرية اخرى .

واذا كانت فرق « البحرية » الامريكية (المارين) ، مسئولة عن المناطق المجاورة لخط عرض ١٧ درجة ، وعن منع « التسلل » الفيتنامى الشمالى ، الى الجنوب ، فقد ارسل لها الجنرال **وستمورلاند** تعزيزات جديدة ، وبينما رفض المارين فى الماضى (سنة ١٩٦٦) تعزيزات فرقة المظلات التى ارسلتها القيادة العامة وخلقوا عديدا من المشاكل ، على اساس ان المنطقة « منطقة حراستهم هم » ، مما اضطر القيادة الى سحب التعزيزات حينذاك ، نجدهم هذه المرة على العكس ، يقبلون التعزيزات ، لان تدهور الموقف

تعليق

لا .. أنه ليس « مثلثا مضطربا »
ولكنها الشعوب الثائرة

عندما كانت الدعوة للحلف الاسلامى فى بدايتها ، كانت الصحافة الاستعمارية فى الغرب اكثر تفاؤلا واقل عصبية مما هى اليوم . كانت التايمز والاوبزرفر والتايم والنيوزويك .. تملأ انهارها حديثا عن الملك فيصل وشاه ايران والملك حسين باعتبارهم رواداً للاصلاح فى بلادهم وتنشر صورا للمنشآت التى اقامتها المصالح الامريكية والبريطانية فى بلادهم للتدليل على صحة ما تقول .

كما كانت جولات فيصل فى بعض عواصم المنطقة تحتل اعمدة فى الصفحات الاولى ، وصورته وهو بالشال والعقال تتصدر الاخبار وتجتذب الانظار

وفى نفس الوقت ، كانت هذه الصحف عينها مليئة بالتهجم والتقليل من شأن البلاد المتحررة والثورات الشعبية فى المنطقة العربية . كانت هذه الصحف تتحدث عن اقتراب مشهد ختامى فى اليمن ، يدخل فيه فيصل على راس فلول الملكيين الى صنعاء . وتتحدث عن قرب تسلم حكومة السلاطين فى الجنوب لشئون الحكم بعد تصفية نشاط حفنة الارهابيين فى عدن ، وترثى لحال البلاد التى لا تستسلم للوصاية الامريكية ـ البريطانية وتهددها بالحصار الاقتصادى ، وتمارس الضغط عليها بنشاط اصحاب العروش والتيجان وحلفائهم الصهيونيين ، سواء على موائد مؤتمرات القمة او على طول الحدود الملتهبة هنا وهناك .

اما فى هذه الايام ، فقد اصبحت التايمز والاوبزرفر والتايم والنيوزويك .. اقل تفاؤلا واشد عصبية مما كانت فى اى وقت منذ بدأت الدعوة للحلف المشبوه وتوقف الحديث عن الاصلاح المزعوم فى السعودية والاردن وايران وماشبهها ، وحل محله حديث اكثر طبيعية واقرب الى الحقيقة ، حديث مفعم بالفزع على مصير حكام هذه البلاد وعلى مصير المصالح الامريكية والبريطانية فيها ، بعد ان تولت الشعوب نفسها مهمة الرد على تلك الدعاوى السمجة بكفاح جدى متواصل بذلت فيه مزيدا من الدم والدموع .

ولا تتحدث هذه الصحف الا بفتور شديد ، مثلا ، عن مهزلة انتخابات جرت فى الاردن فى ظل اوضاع ارهابية شاذة ، وتتشكك كثيرا فى امكان اضفاء مثل هذه الاجراءات الهزيلة لاى نوع من المشروعية على نظم مكروهة ومرفوضة من الشعوب وبدلا من الصور الصحفية الطريفة لفيصل وعقاله فى بعض العواصم تنشر اليوم صور لمرتزقة وقتلة ماجورين مستوردين من اوروبا ، ولعدد من كبار المسئولين الامريكيين ، ولوزير المستعمرات البريطانى السابق وهم على الحدود السعودية ، او فى عاصمة فيصل او غيره من اصحاب التيجان والعروش ، حيث الاجانب ذوو القبعات والكابات بالاصالة عن انفسهم ما كان يقوم به صاحب الشال والعقال بالنيابة عنهم .

واضطرت الصحف الاستعمارية الى الاعتراف بان ما فى عدن ليس حفنة من الارهابيين ، ولكنها حركة منظمة تمثل شعب عدن والجنوب ، وتملك ناصية قيادته ، وتحمل العالم كله — ممثلا فى بعثة الامم المتحدة — على الاعتراف العملى بحقيقة الاوضاع الاستعمارية التى يراد فرضها على جنوب الجزيرة العربية بعد استقلال وهمى . وبدلا من لهجة التفاؤل بمستقبل حكم السلاطين تتحدث تلك الصحف عن « فيتنام الصغيرة » فى الجنوب العربى وتمتلىء باخبار التخبط والتناقض الذى اصاب السياسة البريطانية فى المنطقة، والخلافات التى تفجرت بسبب ذلك فى صفوف حزب العمال الحاكم ، وبين حزبى العمال والمحافظين ، وبين الاستراتيجية البريطانية والاستراتيجية الامريكية فيما يسمونه « شرقى السويس»

والضغط بالسلاح على الحدود هنا وهناك لم يعد لعبة سهلة . فاليمن وسوريا والجزائر تاخذ باسباب القوة بحيث اصبح العدوان على اى منها من اسرائيل او السعودية او المغرب يعنى رد العدوان الى صدور مدبريه . وقد



العسكرى فى « المنطقة التكنيكية الاولى »اجبرهم على ذلك ».

وعلى أى الاحوال ، يوحى منـاخ المشـكلة الفيتنامية باسـتمرار ان الصراع ، وان كانت الولايات المتحدة بنشاطها فى اوربا الغربية عن طريق رحلة همفرى ومجهوداتها مـع ديجـول خاصة ، وفى بونتا ديل استى ، بوجه عام تحاول ان تتقى النتائج التى اثار الصينيون ، انها لابد مترتبة عن طول امد الصراع فى فيتنـام . تلك النتائج التى عبر عنها الصحفى الفرنسى **ك . س . كارول** بعد عودته من جمهورية الصين الشعبية والتى تقول بأن طول امد الصراع فى فيتنامسيكون له اثارة فى خلق ازمة داخل الـولايات المتحـدة الامريكية ، وازمة اخـرى فى نظـام المحالفات الامريكيـة ».

■ فرنسـا

قضيه بن بركة

روح الانصاف وتوقيت نظر القضية

اعترف **انطوان لوبيز** المتـهم فى قضيـة اختطاف المناضل المغربى **المهدى بن بركة** اعترافا واضحا بقيامـه بابـلاغ الجنرال **اوفقـير** وزيـر الداخلية المغربى ، بانجاز عملية الاختطاف . وقد قامت محكمة الجنايات الفرنسية اخيرا باستئناف النظر فى القضية .

والامر الواضح فى تطور القضية حتى كتـابة هذا التقرير ان محكمة الجنايات الفرنسية تحاول

اصبحت الحقائق اقوى من ان تطمس فالحديث المفتعل عن ـ معارك ـ جديدة فى اليمن كاد ان يتوقف ، ليحل محله اعتراف بان الثورة اليمنية حقيقة تزداد على الايام رسوخا ، وانها تنقل الشعب الشقيق ـ عبر صعوبات وجهود لاتقدر ـ من غياهب القرون المظلمة الى رحاب القرن العشرين . والنصر الذى حققته سوريا على شركة البترول الاستعمارية اقوى من ان يخفى ، وكذا الجهد الدءوب الذى يبذل فى الجزائر للتقدم الاقتصادى والاصلاح الادارى . وفى وسط هـذا المعترك كله تقف الجمهورية العربية المتحدة وقيادتها الثورية ، تصمد لكل التحديات وتلهم الاحرار والثوار فى كل ارجاء العالم العربى ، وتمد يد العون المادى والادبى لهم بكل ما تستطيع من قوة ونفوذ .

لاجـل كل ذلك زايل المستعمرون فى الاونة الاخيرة كثير من تفاؤلهم ، واستبدت بهم العصبية والروح العدوانية وصحفهم اليوم مشغولة بما يسـمونه « المثلث المضطرب » ، الذى تقع رؤوسه فى الرباط غربا ، وطهران شرقا ، ومقديشيو (عاصمة الصومال » ـ جنوبا . ومن الطبيعى ان يعجزوا عن تفهم روح النضال من اجل التحرر الوطنى والتقدم الاقتصـادى والاجتماعى التى تلهم الشعوب وتحرك انتفاضاتها وثوراتها ، فقد اعمتهم شهوة التسلط ونال منهم الفزع على قـرب زوال امتيازاتهم غير المشروعة . ولـذلك فهم يصبون كل احقادهم على الجمهورية العربية المتحدة وقيادتها . ولا تـكاد تخلو فقـرة من كتابات الصحـافة الاستعمارية عن الشرق الاوسط اوالعالم العربى من ذكر العربية المتحدة وجمال عبد الناصر ، وهو طبعا ـ وهذا من دواعى الشرف ـ ليس ذكرا بالخير .

وقد كتبنا فى هذا المكان منذ حوالى عام ، وكانت الدعوة للحلف الاسـلامى فى عنفوانها ، تقـول انه يبـدو ان الاستعماريين الجدد يبالغون فى تقـدير قوتهم فى هذا الجزء من العالم ، ولذلك فقد اطلقوا عملاءهم فى عملية مكتـوب عليها الخسران والفشل المحقق .

واليوم ، والمستعمرون وعملاؤهم يعودون من ذرع رياح المؤامرة بحصاد مزيد من عواصف الثورة ـ نقول ان المستعمرين فى هذه الايام ، وقد صنعتهم الاحـداث صنعات قاسية ، اصبحوا اكثر ادراكا لحقيقة قوى الثورة العربية وطاقاتهـا الكامنة . كذلك تكشف صحفهم من حقيقة افكارهم ، وليس « المثلث المضطرب » الا تعبيرا استعماريا مشوها لحقيقـة ناصعة ـ هى ان هذا الجزء من العالم يزداد كل يوم ثورة وتمردا على محاولات الوصاية الاجنبيـة ، ومظالم النهب الاستعمارى لثرواته .

غير ان المستعمرين ، كما هو شانهم غالبا ، بدلا من ان ينزلوا على ارادة شعوب هذه المنطقة نراهم يمعنون فى العناد ، بل ان اتجاهات عدوانية خطيرة تظهر فى صفوفهم تصل ـ فى حمى الكراهيـة والاحقاد ـ الى حد الدعوة للعـدوان السافر لنستمع الى السناتور جوزيف كلارك فى تقريره الى الـكونجرس عن منطقة الشرق الاوسط . يقول السناتور: « ان الدول العربية يجب ان تقبل الامر الواقع وتعقد صلحا مع اسرائيل ، ولكن الصعوبة الرئيسية هى ان الرئيس جمال عبد الناصر هو الذى يقف عقبة فى هذا الطريق . ولو اختفى جمال عبد الناصر من الميدان فلن تبقى فى البلاد العربية الاخرى اية حواجز تحول دون تحقيق هذا الهدف »

ويستطرد الاحلام العدوانية المحمومة : «وعندئذ يمكن سكوين بعثة دوليـة لتوجيه الاقتصاد المصرى ، وتوزيع المواد الغذائيـة ، والاشراف على التصنيع ، وبرنامج تحديد النسل » !!

وبعـد ...

فقد كان المستعمرون الجدد على ضلال عندما بالغوا فى تقدير قوتهم وحركـوا عملاءهم للبدء فى الدعوة للحلف الاسلامى المشبوه ، وهم اليوم اشد ضلالا حين صدمتهم الاحداث فزادت احقادهم اشتعالا واعصابهم هياجا بدلا من تحرك فيهم عناصر التعقل وتدعوهم الى اتباع سياسة اكثر واقعية واعتدالا .

وكما يندم المستعمرون الجدد اليوم ـ وان اجهدوا انفسهم فى اخفاء الندم ـ على بدء هجومهم منذ اكثر من عام فى حركة الحلف المشبوه ، فسيندمون غدا ان هم امعنوا فى طريقهم المسدود المحفوف بالمخاطر ، واستمعوا الى صيحات مثل هذا السناتور كلارك ، او الى تصرعات مثل ذلك الملك فيصل .

سعد زهران

استئناف النظر فى القضية ، فى ظروف صعبة وغير مناسبة للغاية من ناحية الدفاع عن الحق المدنى فى القضية وهم عائلة المناضل بن بركة .

فقد توفى منذ شهرين بالسكتة القلبية اثنان من اهم محامى هذا الدفاع هما الاستاذ **ثورب** نقيب المحامين فى باريس ، والاستاذ **ستيب** ، وتوفى اخيرا ايضا محام ثالث من ابرز هيئة الدفاع هو الاستاذ **ميشيل بروكيى** . ولذا فقد ارسلت السيدة **غيثة بن بركة** زوجة الزعيم المهدى ، رسالة خاصة الى السيد **بيريز** رئيس محكمة الجنايات الفرنسية ، والى الجنرال **ديجول** ، وزير العدل الفرنسى ، شرحت فيها الظروف الصعبة للمطالبين بالحق المدنى بعد أن افتقدوا ثلاثة من أهم محامى دفاعهم ، واوضحت انها وان كانت « تتمنى ان يقع الحكم فى القضية فى اقرب الاجال ، لكن ايضا يجب أن نسهم فى اظهار الحقيقة ، بأن نكافح فى شروط عادية ضد لفيف المجرمين والمتواطئين معهم » ، كما طالبت بوضع العنصر الجديد الذى ظهر اخيرا فى الاعتبار ، وهو احتمال تعاون المخابرات الاسرائيلية فى تحضير وربما حتى تنفيذ اختطاف المهدى بن بركة .

والتمست من الرئيس **بيريز** « القيام من جديد بكل تحقيق ترونه مجديا فى هذا الاتجاه » . وطلبت ايضا لجنة تحقيق للاستماع للبريجادير العام **مير عاميت** رئيس مصالح المخابرات الاسرائيلية ، **وشاموبل مور** رئيس تحرير مجلة « بيل » الاسرائيلية **وماكسيم غيلات** رئيس تحريرها بالنيابة

على أنه اذا كان رئيس المحكمة **بيريز** قد أجل القضية من ٥ ابريل الى ١٧ ابريل الماضى فقد اعتبرت مدة كافية لتنظيم الدفاع القضائى عن الحق المدنى . وقد كتبت مجلة الجالية المغربية فى باريس تقول : « ان مهلة ١٢ يوما لا تكفى الطرف المدنى ، بأن يعين محامين جددا ، وان يهيىء دفاعه تهيئة كاملة ، كما ان حضور الدليمى فى قفص الاتهام ، والتغيرات التى يتضمنها التحقيق ، تستلزم دراسة اضافية للملف يقوم بها الطرف المدنى » ، كذلك فان مسئولية المخابرات الاسرائيلية لم تأخذ قسطها الكافى من التحقيق ، « ذلك كما هو معلوم ان اثنين من محررى مجلة « بيل » الاسرائيلية وهما اللذان اتهما المخابرات الاسرائيلية بمشاركتها فى اختطاف المناضل المهدى ، قد حكم عليهما بسنة سجن ، وان **ليفى اشكول** رئيس الحكومة الاسرائيلية قد اعترف ايضا بمساهمة الفنيين الاسرائيليين فى تنظيم الشرطة السرية المغربية ، ولم يتم اى تحقيق لالقاء الضوء حول هذا العنصر الجديد فى القضية ».

هذا وقد بعث البروفسور **اندريه جوليات** رئيس لجنة الدفاع عن الحقيقة فى قضية المهدى ، رسالة باسم اللجنة الى بيريز رئيس المحكمة ، ليلفت نظره الى ضرورة تأخير المحاكمة مرة اخرى حتى يتسنى لهيئة الدفاع الجديدة الاطلاع على الملف ودراسة القضية ، دراسة كاملة . كذلك بعث الاستاذان **سينيشال وبيتان** المحاميان عن الطرف المدنى برسالة الى بيريز ايضا ، طالبا فيها بتأجيل القضية الى الدورة القضائية المقبلة ، واوضحا فيها « انه فى حالة عدم تلبية طلبنا هذا ، فسنكون مضطرين ان نترك مقاعد الطرف المدنى فارغة » .

ولذا يرى كثير من المراقبين السياسيين ، ان وجوب تأجيل بيريز لنظر قضية المناضل المهدى بن بركة فى هذه الظروف الصعبة التى يواجهها الدفاع عن الحق المدنى ، انما يشكل فى الحقيقة اسهاما فعليا فى الاستجابة لروح العدل والانصاف .

●

■ المانيا الغربية

كروب يتنازل عن عرش « الامبراطورية »

بعد ١٥٧ عاما من السيطرة المطلقة لاسرة « كروب » الالمانية الغربية ، على الامبراطورية الصناعية التى تحمل اسمها ، اعلن **الفريد كروب** العميد الحالى للاسرة انه سيتم تحول هذه المؤسسة الى شركة مساهمة ابتداء من ٣١ ديسمبر سنة ١٩٦٨ ، مقابل ضمان حكومة المانيا الغربية لها فى سلفة على البنوك تبلغ ٣٠٠ مليون مارك . وبذا لن تدار تلك الامبراطورية الصناعية الضخمة ، بعد ذلك ، كمشروع خاص لاسرة كروب .

واعلن كروب ايضا أنه لكى يتسنى تحويل المؤسسة الى شركة مساهمة ، قبل ابنه التخلى عن كل حقوق الوراثة الاسرية ، والحقيقة التى لاحظها اغلب المراقبين الاقتصاديين ان مؤسسة كروب كانت تعانى من متاعب مالية خطيرة منذ مدة ، وقد بلغت ديونها لبنوك المانيا الغربية حوالى ٨٠٠ مليون دولار . كذلك اوضحت الدوائر المالية الالمانية ان كروب لم يكن قادرا فى الشهور الاخيرة على دفع فوائد ديونه . لذا وافقت الحكومة الفيدرالية الالمانية على ان تضمنه فى قرض قيمته ٧٥ مليون دولار ، وهناك انباء حول قيام مقاطعة « وستفاليا شمال الراين » بضمانه فى ٣٧ مليون دولار ، كما وافقت البنوك على أن تستمر فى اقراض كروب الى ١٩٦٨ .

وقد اوضحت بعض المصادر الوثيقة الصلة بالمؤسسة انه سيدفع **لارندت كروب** الوريث ، ٢٥٠,٠٠٠ دولار سنويا حتى وفاة والده ، وبعد ذلك يدفع له ٥٠٠,٠٠٠ دولار كل عام طوال حياته ،

وسينشيء كروب ايضا مؤسسة تعود اليها كل ارباح الصناعات التى تخضع لها وربما ستكرس تلك المؤسسة للتقدم بالبحث العلمي والتعليم في المانيا حسبما اشارت النيويورك تايمز الامريكية.

والحقيقة ان المصاعب التى واجهها كروب في تمويل القروض طويلة الاجل التى كان يعطيها شروطا مخففة لطالبى التصدير ، هى التي أجبرت المؤسسة على قبول الضمان الحكومى ، الذى سيمكنها من الحصول على سلف اخرى من البنوك .

وقد تعهد كروب بأن كافة الاوجه الادبية والمادية لن تتغير بذلك التحول المخطط الى شركة مساهمة ، وان اعمال مستخدمى كروب وامتيازاتهم الاجتماعية ستضمن فى حالة التغير الجديد .

ويرى المراقبون الاقتصاديون فى المانيا الغربية ، ان وقوع كروب ، تلك المؤسسة الضخمة التى تستخدم ١١٠,٠٠٠ عامل في مثل ذلك المازق المالى ، انما هو درس لباقى المؤسسات الصناعية في المانيا الغربية ، فالسبب المباشر للمتاعب المالية لكروب ، هو اندفاعه في سياسة التصدير الى حدود ضخمة ، ونجاحه فى ذلك نجاحا كبيرا ، خاصة فى مجال المنافسة مع الشركات الالمانية الاخرى . اذ تمكن كروب من الحصول على عدد كبير من طلبات التصدير ، خاصة الطلبات المتعلقة ببناء مصانع كاملة للصلب ، الا انه كان يقدم لاصحابها قروضا طويلة الاجل بشروط مخففة ، فى حين انه كان هو نفسه يلجأ الى البنوك طالبا قروضا قصيرة ومتوسطة المدى . وبلغت الازمة ذروتها فى بداية العام الحالى ، عندما رفضت هذه البنوك — وعددها نحو ٥٠ بنكا — تقديم مزيد من القروض للمؤسسة ، الا بعد ان وافقت الحكومة الفيدرالية على منحها القرض الذى اشرنا اليه .

وهكذا قدم دافع الضرائب الالمانى ، عن طريق الحكومة الفيدرالية ، ضمانة لمؤسسة كروب فى ازمتها المالية الحالية . ومما هو جدير بالذكر أن النيويورك تايمز الامريكية قد اشارت أخيرا انه وان كان الشكل الذى ستأخذه المؤسسة لم يتحدد بعد نهائيا ، الا ان اسرة كروب لن تكون قادرة على اى حال على ادارة هذه المؤسسة الصناعية الضخمة كضيعة خاصة » . على ان نهاية دور أسرة كروب لا يعنى قط الغاء الطابع الاحتكارى التام الذى تتسم به مؤسساتها فى الحقل الاقتصادى الالمانى الغربى .

والملاحظ عامة ان مؤسسة كروب ، كانت قد دابت فى السنوات الاخيرة ، على توسيع نطاق نفوذها ، وذلك عن طريق الاستيلاء على عدد من المؤسسات الضخمة ، بحيث اصبحت تضم حاليا ، حوالى ١٠٠ شركة المانية غربية ذات برامج انتاجية عالية . تبلغ دورة رأس المال فى مجموعها ٦٠٠٠ مليون مارك سنويا .

والمعروف ان احدى المحاكم العسكرية الامريكية كانت قد ادانت **الفريد كروب** عام ١٩٤٨ بسبب جرائم الحرب ، وحكمت بسجنه ١٢ سنة ومصادرة ممتلكاته — اذ انه كان يساند النظام الفاشى فى العهد الهتلرى ماليا ، ويسهم بنصيب مادى ملموس فى تنمية وتدعيم الاقتصاد الفاشي فى وقت الحرب .. وكان يشتغل في أعمال السخرة والرق في مصانع الاسلحة التى يملكها حوالى ٩٧,٩٥٢ من الاجانب واسرى الحرب ونزلاء معسكرات الاعتقال ، كانوا يعيشون فى مخابىء مهجورة « عيشة الكلاب » او فى معسكرات لا يجدون فيها طعاما فياكلون الفيران بالاضافة للعمل الشاق المرهق والمهانة والمعاملة الشديدة السوء .

ومع ذلك اكتفى المندوب السامى الامريكي بثلاث سنوات فقط قضاها كروب فى السجن ، وامر بالافراج عنه والغى الحكم بمصادرة املاكه ، واتفق ظاهريا على أن يبيع معظم أملاكه ، « حتى لا تصبح تحت سيطرة رجل واحد يتحكم فى اقتصاد وسياسة اوروبا » ، واتفق سرا ايضا على الا يتقدم احدا لشرائها . ووافقت امريكا على أن يحتفظ كروب بامبراطوريته بل وان يضيف اليها شركة صلب جديدة جعلته اكبر منتج للصلب فى أوربا ، وكان كروب بعدها عند حسن ظن الامريكيين به ، اذ خدم ممتلكات سياسة واشنطون — بون بامانة ، وكان هو الذى قفز الى « تونس بورقيبة » مؤيدا ومساندا عندما اتخذت موقفها الانهزامى الخيانى من القضية الفلسطينية .

●

■ الولايات المتحدة الامريكية

حوار لامعقول حول « السبارتان » « والسبرنت » و « الميجادث » !

قال الشيخ : تقول ان نظام نايك — اكس ، حتى بعد تطويره فى السبعينات ، يمكن التغلب عليه بسهولة نسبيا ؟

فرد ماكنمارا : الارجح ان كل مايمكن ان يحدث هو ان كلا من الطرفين سيزيد من نفقاته الدفاعية بشكل هائل دون ان يحققوا هم او نحقق نحن اى تقدم يذكر فى ضمان أمن اى منا .

وقال الجنرال هويلر : اعتقد ان من واجبنا ان نبدأ الآن ... الارجح ان احدى الدولتين ستتخطى عوامل الفناء بدرجة اكبر من الاخرى

فى حالة تبادل الضربات النووية . وانقاذ حياة ٣٠، او ٤٠ ٪ او ٥٠ مليونا من الامريكيين امر يستحق ان نوليه عنايتنا — على اى حال .

هذا جانب من الحوار الذى دار فى لجنة القوات المسلحة التابعة لمجلس الشيوخ الامريكى فى الاسبوع الاخير من شهر مارس الماضى كما نشرته مجلة نيوزويك الواسعة الاطلاع . وقد دعى كل من روبرت ماكنمارا وزير الدفاع ، والجنرال ايرل هويلر رئيس اركان الحرب المشتركة الامريكية، للادلاء بشهادتهما امام اللجنة . وواضح من الحوار ان اللجنة كانت تفكر — على حد تعبير المجلة — « فيما لا يمكن التفكير فيه » ، وهو امكان نشوب حرب نووية عالمية ، يكون طرفاها الاساسيان هما الولايات المتحدة من جانب ، والاتحاد السوفيتى من جانب آخر .

اما نظام نايك — اكس الذى يتحدث عنه شيوخ امريكا وجنرالاتها ووزراؤها ، فهو النظام الامريكى المقترح لشبكة الصواريخ المضادة للصواريخ (ص.م.ص) . ويعتمد هذا النظام على شبكتين من اجهزة الرادار ، احدهما (ويعرف باسم تاكمار) يمسح السماوات المحيطة بالولايات المتحدة بصفة دائمة ليتكشف اية قاذفات صاروخية فى طريقها الى امريكا ، والثانى (ويعرف باسم م.س.ر) يوجه الصواريخ المضادة للصواريخ نحو اهدافها من الصواريخ المهاجمة : ويسير شبكتى الرادار مجموعة من العقول الالكترونية التى توجه اعمال الشبكتين توجيها آليا لحظيا.

اما الصواريخ المضادة للصواريخ (ص.م.ص) فيوجد منها لدى الامريكيين نوعان اجتازا مرحلة الاختبار ، ويدور النقاش حول الانتاج الكبير لهما لاغراض الدفاع ضد الصواريخ السوفيتية عابرة القارات . والنوعان الامريكيان هما سبارتان وسبرينت . ويختص سبارتان بملاقاة الصواريخ المهاجمة فى الفضاء الخارجى ، حيث لايوجد هواء جوى . وعندئذ لا تدمر الصواريخ المهاجمة بفعل الحرارة او الصدمة الناتجة عن انفجار الرأس النووى الذى يحمله « **ص.م.ص** » وانما تدمر الصواريخ المهاجمة بفعل الاشعاعات النووية الناتجة عن انفجار الرأس النووية « **ص.م.ص** » وبخاصة بفعل الاشعة السينية والنيوترونات المنطلقة من التفجير ، حيث تتمكن الاشعة السينية والنيوترونات من تحطيم دروع الصاروخ المهاجم التى تقاوم الحرارة ، فاذا ما دخل الصاروخ المهاجم الغلاف الجوى بعد اتلاف دروعه احترق بسبب احتكاكه بالهواء ، دون ان تنفجر شحنته النووية .

اما الصاروخ سبرينت فانه مختص بتدمير الصواريخ المهاجمة اذا تمكنت من النفاذ الى الغلاف الجوى ، وهى تدمرها بفعل الحرارة والصدمة الناتجة عن تفجير الرأس النووى للصاروخ سبرينت فى الهواء الجوى . وفى تلك الحالة تتعرض المنطقة المدافع عنها الى اشعاعات التفجير ، مما يستلزم اقامة نظام مكمل لبناء المخابىء الواقية من الاشعاعات الذرية .

هذا هو نظام نايك — اكس الذى يعد الآن الشغل الشاغل لدوائر البنتاجون والبيت الابيض، والذى يعتمد على نوعين من شبكات الرادار **(تاكمار ، م.س.ر)** ، ونوعين من **« الصمص »** (اى الصواريخ المضادة للصواريخ) هما سبارتان وسبرينت .

فالى اى حد ستزيد النفقات الدفاعية للولايات المتحدة اذا طبقت نظام نايك — اكس هذا ؟

هناك ثلاثة تقديرات للنفقات تتفاوت تفاوتا كبيرا :

(١) هناك نظام اولى للدفاع عن « المسالك الصاروخية » المؤدية الى القارة الامريكية عبر المحيط المتجمد الشمالى ، ولمواجهة احتمال خطأ غير مقصود فى اجهزة توجيه الصواريخ السوفيتية، او هجوم مفاجىء من جانب الصين فى حدود امكانياتها النووية القريبة ، وهذا يتكلف خمسة آلاف مليون دولار .

(٢) وبعد ذلك هناك مشروع لاقامة شبكات **« للصمص »** حول المدن الامريكية الخمس والعشرين الكبرى ، لمواجهة احتمال « هجوم متوسط » من جانب السوفييت ، وهذا يتكلف عشرة آلاف مليون دولار .

(٣) وهناك اخيرا مشروع لاقامة شبكات **« الصمص »** حول المدن الامريكية الخمسين الكبرى ، مع مشروع واسع للمخابىء الواقية من الاشعاعات الذرية ، وهذا يرفع التكاليف الى ٢٢ الف مليون دولار .

هذه هى تقديرات المحرر العسكرى لمجلة التايم، اما مجلة النيوزويك فتقدر ان التكاليف الحقيقية قد تصل الى ضعف هذا الرقم ، اى مايزيد على اربعة واربعين الف مليون دولار ، وذلك خلال السنوات العشر القادمة . وهذا اقرب الى تقديرات روبرت ماكنمارا، وزير الدفاع الامريكى) .

هذه هى التكاليف التى يمكن ان تمنع ان تزيد ضحايا الولايات المتحدة عن ١٢٠ مليون مواطن امريكى ، فى حالة وقوع صدام نووى مركز بينها وبين الاتحاد السوفيتى . وواضح ان المناقشة التى جرت فى تلك اللجنة من لجان مجلس الشيوخ الامريكى دخلت ، فى معظم اجزائها ، فى نطاق اللامعقول . ليس هذا لان المناقشة تدخل فى كثير من متاهات التكنولوجيا والعلوم الحديثة ، الى حد يكاد يطمس جميع المفهومات المألوفة عن استراتيجية الهجوم والدفاع العسكرى ، ولا لان الارقام التى يلوكها هؤلاء السادة تفوق كل تصور،

حيث الوحدة التى يتداولون الحديث بها هى المليار دولار (اى الف مليون دولار) ، فى عالم تتهدده المجاعة ويعيش نصف سكانه على أقل من مائة دولار للفرد فى العام ــ وانما لتلك المفارقة المؤلمة بين ما وصل اليه بعض البشر من مستويات عالية للتقدم العلمى والصناعى ، والغنى المادى الذى لم يسبق له مثيل ، مع هذا الافلاس المعنوى والروحى الذى يجعلهم ــ وهم على هذا المستوى ــ يتحدثون ببساطة مذهلة عن مقتل جماعات بشرية الوحدة فيها هى المليون قتيل . والحق انهم لاسباب تتعلق بالايجاز وعدم الرغبة فى تضييع الوقت ، اشتقوا كلمة واحدة تعنى « قتل مليون انسان » ــ وهى ((**ميجادث**)) . فهم يقولون مثلا ، انه حتى لو امكننا ان نخلق نظاما كاملا للمخابىء وللصواريخ المضادة للصواريخ فان ضربة هجومية اولى ستكلف الولايات المتحدة ٣٠ «ميجادث » ، ولكن ضربة ثانية ستكلف الولايات المتحدة ١٢٠، ((**ميجادث**)). هذا ، ويذهب بول دوتى ، الخبير الامريكى فى شئون الاسلحة النووية ، ان عدد الموتى يمكن ان يتضاعف بعد شهرين فحسب من الضربات النووية بسبب أثر الاشعاعات القاتلة ، والتى لا يجدى فى الوقاية منها اى نوع من المخابىء . وهو يعلن ببساطة وصراحة ان اى ضربات نووية متبادلة تعنى الفناء المحقق .

والحق ان الامريكيين يعرضون على الروس وقف السباق فى ميدان الصواريخ المضادة للصواريخ ، ومن اجل هذا يعقد السفير الامريكى فى موسكو اجتماعات مع المسئولين السوفييت منذ اسابيع عديدة . والدوافع عديدة ، منها ان أساليب خداع هذه ((**الصمصص**)) عديدة وسهلة (منها استخدام صواريخ ذات رؤوس نووية متعددة ، او احداث تفجيرات لتضليل اجهزة الرادار والعقول الالكترونية تعقبها التفجيرات الحقيقية .. الخ) ، وهذا مادعا ماكنمارا الى القول بأنه من السهل التغلب عليها . ومنها ان الاتحاد السوفيتى اسبق فى هذا الميدان ، حيث تمكن من عمل شبكتين للصواريخ المضادة للصواريخ ، الاولى حول موسكو والثانية فى منطقة البلطيق ، ومعروف ان السوفييت يعملون بجد فى هذا منذ ١٩٦٤ ، حيث ظهرت اول انواع من هذه الصواريخ فى استعراضات



فى لقاء الفنانين التشكيليين .. حق وواجب !!

طرح الفنانون التشكيليون فى لقائهم مع الدكتور ثروت عكاشة عدة قضايا على جانب كبير من الاهمية ، من التعليم والادوات والتفرغ والمقتنيات الخ .. ولكن دارت المناقشة فى معظم هذه القضايا ، حول حقوق الفنان وموقفه من هذه المشاكل مجردة من الظروف التى تحيط بها والواقع الذى تحيا فيه .. واتخذت المناقشة مسارا غير المسار المأمول من اول اجتماع فى تاريخ الحركة الفنية يجمع ما يقرب من خمسمائة فنان وفنانة .

لقد كان من الضرورى .. ونحن نناقش حقوق الفنان وقضية الارتقاء بالفن الى المستوى الانسانى .. والعالمى ، ان نناقش ايضا واجبات الفنان والتزاماته فى هذه المرحلة الهامة من تاريخ مجتمعنا ــ وهذا هو الوجه السياسى والاجتماعى للفنان ، ودوره فى بناء الانسان الجديد ، بجانب بنائه عصر نهضة فى فنوننا .

الاول انه كان يجب ان تكون هذه هى الارضية الاساسية التى يجب ان تنطلق منها المناقشة ، خاصة وان الدكتور ثروت عكاشة ، قد لمس فى كلمته التى افتتح بها اللقاء ، نقطتين هامتين : اولى هاتين النقطتين عندما قال :

« ان المجتمع الاشتراكى يسعى دائما الى ان تنال الجماهير نصيبها من الفن ، كما تنال نصيبها من سائر الخدمات ».

والنقطة الثانية قال فيها «رغم كل التطورات الكبيرة فى حجم الحركة الفنية واتساع ميادين العمل فيها وما قدمته الدولة من مساعدات ، بقيت الفنون التشكيلية تعانى وحدها دون سائر الفنون الاخرى عزلة كاملة عن الجماهير » .

واعتقد ان الدكتور ثروت عكاشة حدد واجبات تجاه الاجهزة الادارية بوزارة الثقافة ، عندما اوضح ان للجماهير حق فى نصيبها من الفن .. وهذا يعنى ان تنطلق كل هذه الاجهزة الادارية الى القاعدة العريضة وتمتد الى الاقاليم ، تعطى لها ... وتأخذ منها . ولا شك ان الشعار الذى اطلقته وزارة الثقافة منذ شهور قليلة وهو « الثقافة للاقاليم والريف » بدأ فى اثمار نتائج ملموسة وواضحة .

كما يعنى هذا بالتحديد ان تهتم وزارة الثقافة بالقضايا الاتية :

اولا : ان تتيح تداول اللوحة والتمثال فى ايدى الجماهير باسعار مقبولة ، وذلك عن طريق نسخها .

ثانيا : التوسع فى اقامة المتاحف بالاقاليم وذلك عن طريق مخزون ادارة المقتنيات ، ونسخ من الفن المصرى القديم .

ثالثا : اتاحة فرص النشر لكتب الفنون التشكيلية ، واعفاء الكتب الاجنبية من الرسوم الجمركية (خاصة وان الكتب الفنية ليست واسعة التداول وجمهورها المتخصص محدود) .

رابعا : تغطية الاقاليم والريف بافلام ملونة عن الفنون التشكيلية وتقديم الفنانين للجمهور وتبصيرهم بتراثنا الفنى ، وذلك بمساهمة مركز الافلام التسجيلية ، واذاعتها عن طريق قوافل الثقافة وقصور الثقافة ودور العرض المختلفة .

خامسا : اقامة معارض للفنانين الاجانب المعروفين ، عن طريق اتفاقيات التبادل الثقافى ، واستضافة اساتذة زائرين ومحاضرين لمعاهدنا الفنية .

الجيش الأحمر بموسكو . ومن الملاحظ انه في هذا السباق ، درج الاتحاد السوفييتى على تسجيل اسبقيات علمية عديدة منذ اطلاق اول اقماره الصناعية فى اكتوبر ١٩٥٧ . غير ان الامريكيين، بفضل مايتميزون به حتى الآن من تفوق فى حجم الانتاج الصناعى ، يسارعون الى اللحاق بالاتحاد السوفييتى ويتخطونه من ناحية الكم . ومعروف ان امريكا لديها من مخزون القنابل النووية مايكفى لنسف العالم ثلاث مرات، بينما ليس لدى الاتحاد السوفيتى الامايكفى لنسف العالم مرة واحدة فحسب!! ويذهب واضعو الاستراتيجية الامريكية الى ان توازن الرعب النووى هو الذى يمنع الصدام بين العملاقين العالميين . ولذلك فهم يعتبرون ان تقدم الاتحاد السوفييتى فى ميدان الصواريخ المضادة للصواريخ امرا مخلا بهذا التوازن ، ومن ثم فهم (اوعلى الاقل هناك فريق منهم يتزعمه روبرت مكنمارا) يسعى الى الاتفاق السريع على ايقاف هذا السباق ، ويكن مكملا للاتفاق المرتقب بين البلدين على منع انتشار الاسلحة النووية ، والا انطلقوا فى السباق الى مداه ، على الرغم من اقتناعهم بأن هذا جهدا ضائعا على الطرفين .

ولو ان ذلك المسعى مصحوب بتفكير متكامل من أجل توجيه هذا الجهد الضائع من اجل البناء السلمى ، ولو انه كان خطوة فى سبيل الاتفاق على تحريم السلاح الذرى وليس لمجرد الابقاء على توازن الرعب النووى ـــ لكانت فرحة العالم كله بهذا الاتجاه عظيمة ، ولكن يبدو ـــ للأسف ـــ ان هذا التفكير ، من جانب ماكنمارا وفريقه ترجع الى رغبة فى توفير جهد ومال هو بحاجة اليه فى الحرب التى تشن ضد شعب فيتنام . ولا تخفى الصحافة الامريكية حقيقة هذا التفكير، اذ تعلن صراحة ان هذا مرتبط بالرغبة فى تخفيف العبء على الميزانية الامريكية التى يذهب منها اكثر من ٢٠ الف مليون دولار سنويا للانفاق على قتل ابناء شعب فيتنام المناضل ، واجباره على قبول السيادة الامريكية .

فالى اى حد سينجح هذا المسعى الامريكى ؟ وما مدى علاقة هذا المسعى واثره على المشكلات الملحة مثل نزع السلاح والحرب الفيتنامية ؟

هذا ماستكشف عنه الشهور القليلة القادمة.

سادسا : اضافة بعض اعمال فنننا الحديث الى « الكارت بوستال » الذى مازال يحمل صوره ابو الهول والاهرام وبعض الاثار الفرعونية ، وهو الوسيلة السهلة الذى يقوم بالتعريف عن واقع فنوننا فى ايدى السياح وغيرهم .

كما اقترح ان يتفق مع هيئة البريد على استصدار طوابع بريد دورية تحمل اعمال فنانينا المعاصرين .

سابعا : تشجيع اقامة المعارض الاقليمية من خلال طلبة المدارس واساتذة الرسم بها ، ورسوم الاطفال ،وتتولى قصور الثقافة نقلها الى مراكز المحافظات واماكن التجمع كالاتحادات والنقابات والاندية والمصانع وغيرها .

اما عن عزلة الفنون التشكيلية عن الجماهير رغم ماقدمته الدولة من امكانيات الحركة الفنية ـــ وهى النقطة الثانية ـــ فيرجع سببها اولا لتفتت الفنانين فى جمعيات واتحادات متناثرة ، يختفى منها عنصر التخطيط ، وتتوه فيها خطة عمل موحدة .

ولذلك كان من المهام الاولى ان يجتمع الفنانون فى اتحاد عام حتى تتاح فرصة التخطيط والعمل الموحد ، والتنسيق مع وزارة الثقافة فى مختلف اجهزتها لتطبيق شعار « الفن للجماهير » .

كما يجب على الفنان ان يخرج من اسوار القاهرة ويقدم انتاجه الى جمهور الاقاليم .. فهذا خير الف مرة من عرضها مرة واحدة بالقاهرة ثم تسجن داخل المراسم الى الابد .. ويمكن لهذا ان يتم عن طريق « ادارة الثقافة الجماهيرية » التى قدمت للاقاليم عشرات الفنانين القاهريين فى فترة قصيرة .

وهناك عبء آخر يقع على المتفرغ .. فلابد ان يتغير الهدف من التفرغ فى هذه المرحلة .. وان ينتقل من مجرد التجويد والتحسين الفنى ، والنمو الرأسى لا الافقى والارتفاع بالقيم الفنية ملليمتر كل فترة !! (وذلك كما جاء فى مناقشات الاجتماع) .. لابد ان يكون مفهوم التفرغ ، هو ان يتفرغ عدد من الفنانين ليكونوا القوة الضاربة التى تنزل وتلتحم بالجماهير لتعوضهم ما فاتهم من نعمة التذوق الفنى .. وتقيم واجهات البناء وتعمر الحدائق وتجمل الميادين ، لترسم البسمة والبهجة فى قلوب ملايين الناس .

وما زلت اقول ان الدولة عندما تدفع من اموال الشعب للتفرغ .. لابد ان يستفيد من العائد أوسع قاعدة ممكنة، وهى الجماهير التى دفعت ثمن فرصة التفرغ .

ان التفرغ هو الوجه السياسى للفنان الذى يمكنه من مباشرة دوره وسط الجماهير .. ولهذا يتعين على كل فنان متفرغ ان يقوم « برحلة العودة » الى الاقاليم ، ويقيم كل فنان بمدينته اوبلدته، واعتقد ان قصور الثقافة فى امكانها تقديم التسهيلات الكافية كالمراسم والاقامة ، وعليه هو بالتالى ـــ بجانب انتاجه المتواصل ـــ ان يساعد على خلق حركة فنية داخل المنطقة التى يقيم بها .. سواء كان هذا عن طريق العرض، او التجميل او احتضان المواهب الشابة .

ولا شك ان الفنان الصادق عندما يلتحم بالجماهير ويحس بدفئها ستمطيه من القيم ما يرتفع بفنه الى المستوى الانسانى والعالمى .. فمن الواقع الام لابد ان تبدا الخطوة الاولى .. وامامنا مثل واضح وهو الفن المكسيكى المعاصر الذى فرض نفسه على كافة المدارس بعد ان انطلق من القيود واعلن ان « لوحة الاطار » ما هى الا فن اقتناء لا يتلاءم مع الواقع المكسيكى .. وانطلق يرسم على الجدران .

ولست بهذا المثل ادعو الى ان نسلك طريق المكسيك .. ولكننى ادعو الى عدم الانعزال عن الجماهير التى ستعطينا حتما الصيغة الملائمة التى نعبر بها عن واقعنا وواقع العصر الذى نعيش فيه.

عبد المنعم القصاص

■ أدب

اللقاء الثالث لكتاب آسيا وأفريقيا

في نوفمبر ١٩٥٨ عقد في طشقند المؤتمر الاول للكتاب الافريقيين الآسيويين .ولم يخلق هذا المؤتمر ميدانا جديدا لاتحاد الكتاب في آسيا وافريقيا فقط بل اعلن ايضا حملته على الثقافة الاستعمارية التى تنشر تحت اسم مستعار ومضلل هو « الحضارة الحديثة » وحث كل كتاب آسيا وافريقيا على نشر الادب القومى الانسانى . وطبقا لقرار المؤتمر ، تم انشاء مكتب دائم فى كولمبو بسيلان فى يناير ١٩٦١ ، وعقدت جلسة طارئة للمكتب فى طوكيو فى ابريل ١٩٦١ .

اما المؤتمر الثانى للكتاب الافريقيين الآسيويين فقد تم عقده بالقاهرة فى فبراير ١٩٦٢ ، وقد بحث المؤتمر الثانى دور الكتاب فى الكفاح ضد الامبريالية

تعليق

الكوابيس .. والمزيد من عزلة الكاتب عن الجمهور

الهجوم على النقد والنقاد ، او على الصحافة والصحفيين ، أو على فن التمثيل والمخرجين ليس موضوعا جديدا على التأليف المسرحى ، وليس من ضير ان يتناوله المؤلفون من جديد.. بشرط ان يتم هذا التناول فى اطار رؤيه جديدة أو فى نطاق معالجة جديدة ،تلقى مزيدا من الضوء على التكوين الانسانى الخاص ، والمناخ الاجتماعى العام الذى يظلل هذه المجموعات من البشر ، وهم يتحركون دائما فى « دائرة الضوء » .

على ان سعد الدين وهبه وقد اتخذ موضوعه من كواليس الصحافة والنقد المسرحى والتمثيل والاخراج ، قد اصطنع ما يمكن تسميته **باللغة** غير المسرحية فى نسج هذا الموضوع الكبير.. فهو قد فعل شيئا قريبا مما فعله باكثير فى « حبل الغسيل » والسعدنى فى « النصابين » ولويس عوض فى«المحاورات» وهو انه بعث الى الوجود الفنى ـ كما ينبغى ان نفترض ـ مجموعة من الشخصيات الحقيقية فى المحيط الصحفى والمسرحى ، والبسها اقنعة شديدة الشفافية تفصح عن اسماء اصحابها اكثر مما تضمر . ثم اداره بين هذه الاقنعة حوارا خاصا بها يشتمل على مفردات وتعبيرات ومشكلات غير معروفة أو متداولة الا فى الدائرة الضيقة التى يتحركون فيها . وكانت النتيجة ان **الجمهور العريض** للمسرح ، فضلا من جمهور سعد وهبه نفسه ، لم يتجاوب قط مع هذه « الالغاز » فى رأيه ،سواء كان اللغز قناعا لشخصية او موضوعا لقضية او حديثا لموقف ..ذلك ان الذين استطاعوا فهم ما يجرى على خشبة المسرح كانوا قلة معدودة من ابناء الوسط المعنى بالهجوم والقدح ، اى ان المسرحية منذ البداية فقدت جهاز الارسال ، وهو اللغة المسرحية المشتركة بين الكاتب والجمهور . ومن ثم كان من الطبيعى ان تفقد جهاز الاستقبال ، وهو تجاوب واقبال الجمهور على المسرحية ، مما يسجل للكاتب عزلته عن هذا الجمهور، ويسجل لكاتب مثل سعد الدين وهبه انه لاول مرة يفقد جمهوره بهذه الصورة المؤسفة .

ان الوجه الفنى لهذه المشكلة ، هو ان الكاتب قد تورط فى وهاد «ردالفعل» ازاء ما ندعوه بالشخصيات النمطية التى تقترب احيانا من الالية والجمود ، وتفقد بذلك وظيفتها الفنية ودورها الانسانى . وهروبا من « الانماط » جنح سعد وهبه الى النقيض المتطرف فتبنى مسرحيا مجموعة من الشخصيات « الحرفية » ان جاز التعبير فلم يأخذ عنها خبرتها الخاصة وتكوينها الذاتى ويضيف اليها من وحى تجربته مع الحياة ما يرتفع بها من المستوى الشخصى الى درجة من التعميم تسمح بان تكون على خشبة المسرح همزات الوصل الموضوعية بين المؤلف والجمهور ، حينذاك لا تصبح القضية هى مشكلة فلان الصحفى او الناقد الذى نعرفه نحن زملاؤه ولا يهم الجمهور فى شىء ان يتعرف عليه ، وانما تصبح قضية نوع من النقاد او الصحفيين يعرفه الجمهور جيدا . وتخرج المسرحية بذلك من عنق الزجاجة الضيق الذى يفصل بين ان يكون العمل مجرد تشهير علنى وتجريح لزيد من الناس ، وان يكون عملا فنيا يستهدف تقييم شريحة اجتماعية سائدة فى بلادنا

النقطة الثانية التى باعدت بين الكاتب والجمهور ، هى ازدحام المسرحية باحداث ومشكلات لا يتمكن البناء المسرحى بطبيعته من ان يتحمل اعباءها دون أن تتمزق أوصال المسرحية من الداخل ، ويتمزق الرباط الخفى بينها وبين المشاهد من الخارج . فى « الكوابيس » يطمح سعد الدين وهبه الى معالجة النقد المزيف المأجور فى الصحافة المصرية ، جنبا الى جنب التمثيل المفتعل والاخراج البهلوانى فى المسرح المصرى ، واخيرا معالجة قضية الصحافة ورسالتها وعلاقتها بالحكام والمحكومين . هذه هى الموضوعات الرئيسية الثلاثة التى اراد مؤلف « كوابيس فى الكواليس » ان يتناولها فى مسرحية واحدة . فماذا كانت النتيجة ؟

من الطبيعى ان يلجأ ، والحالة هذه الى حيلة المسرح المزدوج ، اى مايسمونه « بمسرح داخل مسرح » ، ومن الطبيعى ايضا ان يلجأ الى اسلوب « المحاكمة المسرحية » . ولكنه ينسى فى غمرة الطموح ان هذه الادوات الفنية المشروعة لا يستخدمها من كبار الكتاب مثل شكسبير ومن احدثهم مثل بيتر فايس الا فى المسرحية ذات الموضوع الرئيسى الواحد .. اما تعدد الموضوعات فى مسرحية سعد وهبه فقد جعل من الفصل الاول مجرد برولوج يمهد به الى القضايا المعروضة . أما الفصل الثانى والثالث ، فجاء كل منهما مستقلا عن الاخر تمام الاستقلال ، بحيث يمكن ان يقال انهما مسرحيتان من ذات الفصل الواحد وليسا فصلين فى مسرحية واحدة . غير انه فى هذه الحدود ايضا تشتت الكاتب والمخرج معه ـ كرم مطاوع ـ بين المحاور الرئيسية وادوات التعبير بحيث اختلط عليهما الامر اختلاطا اضاف المزيد من عناصر العزلة بين الكاتب والجمهور

غالى شكرى

مع بقية المشاكل التى تواجه الـكتاب فى آسـيا وافريقيا .

وفى الخامس والعشرين من فبراير الماضى عقد المؤتمر الثالث لكتاب آسيا وافريقيا فى بيروت ، ولقد بدات جلسات المؤتمر التى دامت اسـبوعا كاملا فى جو عاصف اثارت فيه الغبار على المؤتمر الصحافة الـرجعية فى لبنان .. فقـد خصصت جرائد مثل « النهار » و « الحياة » و « لسان الحال » معظم صفحاتها الادبية للنيل من المؤتمر واثارة الشكوك داخله وافتعال الازمات الموهومة بين اعضائه . وقد توجت الفئات الرجعيةفىبيروت جهودها فى التخريب حين انسحب بعض اعضاء الوفد اللبنانى وهم ((**رينيه حبشى**)) و ((**خليـل رامز سركيس**)) و ((**بولس سلامة**)) حين راح مندوب الجنوب المحتل يهاجم الرجعية السعودية.

وكان الموضوع الرئيسى فى المؤتمر هو ((**قضايا التحرر الوطنى كما تنعكس فى الآداب الافريقية الاسيوية**)) **أما الموضوع الفرعى فكان** ((**مناهضـة التغلغل الاستعمارى والاسـتعمار الجـديد فى الميادين الثقافية**)) .. ويبدو من واقـع التقارير التى القيت والمناقشات التى دارت، ان المؤتمر لم يرتفع الى مستوى الموضوعين الكبيرين اللذين كرس لهما معظم جلساته . فلقد اتسمت أغلب الكلمات الرسمية للوفود، بالتوقف عند حدود الخطوط العامة التى لم يعد يختلف عليها احد على طول جبهة الفكر الوطنى والتقدمى ، وهى التأكيد على اهمية ارتباط الحركات الادبية بالنضال السياسى ، فقد كان من المهم ـ كما قيل بالفعل فى بعض التعليقات الجادة غير المغرضة ـ ان يقدم المؤتمرون ابحاثا متخصصة تكشف فى تأن وموضوعية كاملين ، عن جوهـر العلاقة بين الادب والسياسة ـ فلم تعد كلمة **الالتزام** فى حد ذاتها تفيد الكثير فى التفرقة بين الادب الثورى والادب الرجعى ، بعد ان رفـع الكثيرون من غلاة الرجعية شعار الالتزام .. مادام الامر لايكلفهم سوى ادوات التضليل .

ومن جهة اخرى ، كان من الضرورى الاتجاه بالمؤتمر الى الابحاث الادبية حتى يتخذ صـفته الاولى وهى كونه مؤتمر ادبى ، أما ارتباط هذه الابحاث بالهدف السياسى التقدمى ، فانه يتم عن طريق زوايا المعالجة الفكرية والجمالية للبحث .. بهذا كان المؤتمر يتقى الاتهام الرجعى بأنه **مؤتمر سياسى فقط** ، وتلك فائدة سلبية ، ولكن الجانب الايجابى هو الاضافة النظرية المرتجاه من الادباء والنقاد الذين مارسوا عملية الخلق الفنى فى اطار الفكر التقدمى . وهى الاضافة التى كانت تجيب على العديد من التساؤلات الملحة القائمة فى وجه الآداب الوطنية والاشتراكية . وليس التساؤل حول امكانيات التوازن بين الهدف السـياسى والبناء الجمالى الا خطا عريضا يضع عليه كبار نقاد العصر التقدميين مئات التفاصيل الشكليـة والموضوعية الصانعة للعمل الفنى .

ولم يواجه المؤتمر الثالث ايضا مشكلة الثقافة الاستعمارية ومؤسساتها المختلفة فى جميع انحاء العالم، مواجهة تنم عن تبصر عميق بكافة الجزئيات والخصائص التى تثمر ((**خطة عمل ناجحة**)) من شأنها ان تصد التيارات المعادية لثقافتنـا دون التورط فى شباك الانغلاق على الذات. فقد اكتفى المؤتمر بالتنديد والاستنكار دون اتخاذ خطـوة عملية فى هذا الصدد .

ولقد كان جديرا بمؤتمر بـيروت ، ان يقـدم ((**كشف حساب**)) عن اعماله فى السنوات الماضية منذ ١٩٥٨ الى الآن .. فقد كان من اهم القرارات التى اتخذت فى مؤتمرى القاهرة وطشـقند ، هو انشاء دار كبرى للنشر تصدر الانتاج الآسـيوى الافريقى بلغات القارتين اولا ، ثم ببقية اللغات القادرة على نقل ثقافتنا الثـورية الى شـعوب العالم ، ثانيا . وكذلك كان من هذه القرارات انشاء مجلة دورية لادباء القارتين تنشر انتاجهم القومى ، على مثال المجلات الادبية الكبيرة التى تصدر مرتين فى العام على الاكثر . وللان لم تصدر هذه المجلة الهامة . اما مكاتب الاتصالات الدائمة بين كتاب آسيا وافريقيا فى كل بلد مشتركة فى المؤتمر فان انشاءها لم يتم للان، لذلك كان من الطبيعى ان يكون القرار التنظيمى الاول للمؤتمر الثالث هو تنفيذ قرارات المؤتمرين السابقين .. حتى لا يفاجئنا المؤتمر الرابع وجدول اعماله : كيف ننفذ القرارات السابقة .

تقرير شامل عن : الأحداث فى افريقيا

يستطيع من يتابع أحداث افريقيا فى شهرى مارس ـ ابريل الماضـيين ، ان يتعرف بشـكل كبير على أبعـاد حركة الصراع المحتدمة الدائرة فى القارة فى مختلف قضاياها ، حتى لو لم يكن متابعا لها من قبل . فقد وقـع خلال الفترة من النصف الثانى من مارس وحتى ابريل ، عدد من الاحداث الهامة التى تمثل مشاكل القارة مجتمعة ، والتى يندر تكرارها فى شـهر

واحد . وبرغم ان مؤتمر القمة المحدود الذى عقد فى القاهرة ، هو ابرز أحداث القارة فى تلك الفترة ، الا ان وقوع محاولة للانقلاب فى غـانا احتل عناوين الصفحات الاولى للصحف ، لمالغانا من مكانة خاصة فى نفس كل افريقى .»

نوع الجنين فى غانا

والحديث عن اتجاه محاولة الانقلاب الفاشلة التى وقعت فى غانا فى ١٧ ابريل الماضى — حتى كتابة هذه الرسالة — اشبه بالسؤال عن نوع الجنين الذى كان سيولد ، بعد عملية اجهاض .

وأيا كان اتجاه محاولة الانقلاب ولمصلحة من قامت ، فان الدلالة التى تكشف عنها المحاولة — ويجمع عليها المراقبون بمختلف اتجاهاتهم — ان النظام القائم اليوم فى غانا يفتقد الى الاستقرار ، والى تأييد شعب غانا ورضاه .

لقد برز اتجاهان لدى المعلقين على الشئون الافريقية بشأن محاولة الانقلاب . اتجـاه يقول بأن المحاولة تمت لصالح **بريطانيا** ضد النفـوذ الامريكى

ويقول الاتجاه الثانى ، بأن محاولة الانقلاب قد تمت لصـالح نكروما .

والثابت ، أن محاولة الانقلاب تنبه الى تدهور الاوضاع الاقتصـادية وتفشى حالة البطـالة فى البلاد . فمن المعروف ان حكومة انكراه كانت قد اوقفت العمل فى مشروع **سد الفولتا** . كما انها باعت للقطاع الخاص ٣٥ شركة من القطاع العام (٤٢ شركة) . كما قامت بطرد ٥٠ الف موظف منذ توليها الحكم بحجة «ولائهم لنكروما» . وغنى عن البيـان ان سمعة غانا الخـارجية وتأثيرها قد تدهورت منذ انقلاب فبـراير ١٩٦٦ الذى أغلق معسكرات تدريب الوطنيين الافريقيين .

وجدير بالذكر ان راديو **اكرا** (العاصمة) كان قد الـمح فى يناير ١٩٦٧ الى القبض على عدد من الاشخاص بتهمة «التآمر للقيام بانقلاب ضـد نظام الحكم» ومن الاسماء التى عرفت فى قيـادة محاولة الانقلاب الاخير الكولونيل **جوناثان اساسى** الشخصية الاولى وقائد قوات المظلات ، والميجور **أسانتى** قائد الكتيبة الثالثة فى تامالى ، والميجور اشعب نائب الحاكم العسكرى فى اقليم شمال غانا وكلهم من الضباط الشبان الذين ليس لهم تاريخ سياسى معروف . وقد تمكنت حكومة انكراه من القبض على كـل قوات محاولة الانقـلاب (١٢٠ ضابط وجندى) وستقدمهم الى المحاكمة .

مؤتمر لاسـتعادة زمام المبادرة
« لا نعتـذر عنـه لاحـد »

برغم أن مؤتمر القمة المحـدود الذى عقد فى **القاهرة** (٣ — ٦ ابريل) ، لم يكن المؤتمر الافريقى الوحيد فى الفترة الاخيرة ، الا انه حظى بأكبر اهتمام فى الأوساط الافريقية والعالمية . كما تعرض لحملة تشكيك واسـعة شنتها الصحافة الرجعية وبخاصة فى تونس .

واذا كانت طبيعة دول مؤتمر القاهرة المحدود ، قد شكلت جزءا كبيرا من أهميته ، فان الظروف التى أحـاطت بوقت انعقـاده زادت من تلك الاهمية .. هذه الظروف التى تحددها الدوائر الافريقيـة المهتمة فى :

— تكرار ظاهرة انعقـاد مؤتمرات محدودة للقمة سواء فى شرق افريقيا (**مؤتمر نيروبى**) او فى وسطها (**مؤتمر كنيشاسا**) . كذلك الدعوة الى تكـوين ((**كومنولث افريقى**)) . ويطلـق بعض المراقبين على هـذه الظاهرة ، تعبيـر « الاتجاه الى استقطابات جديدة فى افريقيا تتخطى واقـع التقسيمات التقليدية التى كانت تعرف بالمجموعة الفرنسية او الانجليزية .. الخ»

— تكرار ظاهرة الهجوم على **منظمة الوحدة الافريقية** التى بلغت قمتها فى نوفمبر ١٩٦٦ بحادث اعتقال حكومة الانقلاب فى **غانا** لوفد خارجية **غينيا** ثم محـاولات حكومتى **تونس وملاوى** تصـفية **لجنة التحرير** التابعة للمنظمة ، او باثارة حكومة **المغرب** لمشكلة الحـدود مع **الجزائر** ، واستمرار الهجوم ضـد منظمة الوحدة ، فى ظل مناخ عالمى وافريقى مشحون .

— بروز ظاهرة (**(الانقلابات العسكرية)**) بشكل يجذب الانتباه فقد وقع فى الفترة ما بين نوفمبر ١٩٦٥ وحتى مارس الماضى ، تسع انقلابات فى كل من الكونجو كينشاسا وفولتا العليا وجمهورية وسط افريقيا ونيجيريا وداهومى وغانا وبوروندى وتوجو وسيراليون، فضلا عن بعض المحاولات التى فشـلت فى دول اخـرى .

— اتساع نشاط **العنصرية** فى روديسيا وتدعيم وجودها بالتواطؤ مع بريطانيا ، وسعى حكومة جنوب افريقيا الى استمرار سيطرتها على منطقة جنوب غـرب افريقيا . وتنسـيق العمل بـين الاسـتعمار البرتغـالى والعالمى وبين النظـم العنصرية ، فى التآمر ضد استقلال الدول الافريقية المجاورة .

— اشتداد الضغط الاقتصادى ضد الحكومات الثورية فى افريقيا ، بلا استثناء وفى وقت واحد .

ولتبادل وجهات النظر حول هـذه القضايا ، انعقد مؤتمر القمة المحدود فى القاهرة ، بجدول اعمال مفتوح طرحت قضية روديسيا نفسها فى اول مناقشاته .. بحكم تطورها من جهة وبحكم ان دول المؤتمر كانت قد اتخذت موقفا موحـدا بقطع علاقاتها الدبلوماسية مع بريطـانيا بسبب تواطئها مع حكومة الاقلية العنصرية .. والتزاما بقرار وزراء خـارجية منظمة الوحدة (ديسـمبر ١٩٦٥) . وقد استغلت الدوائر الاسـتعمارية والرجعية ، عدم تمكن **موديبوكيتا** رئيس **مـالى**

وماسيمباديبا رئيس الكونجو ــ برازافيل، واحمد سيكوتورى رئيس غينيا ، من حضور المؤتمر ، لتجعل من ذلك مادة لحملات تشكيكها ضد المؤتمر. وقد حالت دون حضور الرئيس كيتا ، الظروف الاقتصادية الداخلية الصعبة التى تجتازها مالي بسبب الضغوط الاستعمارية ، والتى كان عودة انضمام مالى الى منطقة الفرنك للمرة الثانية دليلا واضحا عليها . كما اعتذر الرئيس ديباموضحا ان تطورات بلاده الداخلية تتطلب ضرورة وجوده فى هذه الايام . أما الرئيس سيكوتورى ، فلم يتمكن من الحضور فى آخر لحظة بسبب اعمال التخريب الاستعمارية التى نشطت فجأة فى الداخل، وصحيح ان عدم حضور الرؤساء الثلاثة اثار حملات التشكيك الاستعمارية والرجعية ، ولكن طبيعة الحكومات الثلاث وسياساتها ومواقفها السابقة ، تتفق كل الاتفاق مع ضرورة تنسيق العمل بين الدول الافريقية التقدمية

وبحضور الرؤساء جمال عبد الناصر وهوارى بومدين وجوليوس نيريرى ومختار ولد داده ، وليون ماكا ممثل الرئيس سيكوتورى ، افتتح المؤتمر أعماله بجلسة مفتوحة القى فيها كل من الرؤساء كلمة يوضح فيها اهداف المؤتمر المحدود والظروف الافريقية والعالمية المحيطة به . وقد وصف الرئيس عبد الناصر الاجتماع بأنه «اجتماع اصدقاء تقارب فكرهم والتقت مواقفهم النضالية وصحت عزيمتهم على عمل موحد» . واكد الرؤساء فى اكثر من مرة انه اجتماع «فى اطار منظمة الوحدة ومن اجلها» مفندين بذلك كل الافتراءات التى روجتها الصحف الاستعمارية والرجعية والتى زعمت انه تكتل وانقسام على منظمة الوحدة . وقد ضرب الرئيس عبد الناصر حصار الدفاع الذى حاولت القوى الرجعية فرضه على الاجتماع بقوله «انه اجتماع ضرورى ولازم. لا نتميز به على احد ولكننا لا نعتذر عنه لاحد» .

وقد اوضح الرئيس عبد الناصر دلالات عقد الاجتماع بقوله: «ان مجرد التقائنا هنا فى غير تحرج او تردد .. معناه رفضنا لكل انواع المساومة والتشهير . ومعناه استعدادنا لقبول مسئولية التحرك الايجابى فى وقت يتجه فيه اعداؤنا ويركزون جهودهم لحصرنا داخل مواقف التردد وتشتيت امكانياتنا على مواقع الفرقة والعزلة .

وبالاضافة الى القضايا التى توصل الرؤساء الى رأى فيها اتفقوا عليه فى جلساتهم المغلقة ، فقد ركزوا فى بيانهم المشترك الذى بعثوا بنسخ منه لكل من الرؤساء موديبو كيتا واحمد سيكوتورى وماسيبماديبا ، على قضايا افريقية رئيسية ثلاث تعد اليوم أكثر القضايا الافريقية الحاحا . وهى قضية الوحدة .. بتأكيدهم «التمسك بالتزامهم المطلق بميثاق منظمة الوحدة كثمرة رائعة للنضال الافريقى الشامل» ، وقضية الكفاح المسلح من أجل الاستقلال .. بتأكيدهم «بوجه خاص التأييد الكامل للدور الذى تقوم به لجنة التنسيق لتحرير افريقيا التابعة لمنظمة الوحدة ، فى دعم ومساندة حركات التحرر» ، وقضية مواجهة العنصرية .. بادانتهم بريطانيا «التى تتحمل مسئولية الوضع الراهن فى روديسيا كاملة» وبتاكيدهم «انهم سيواصلون دعمهم المطلق لشعب زيمبابوى (روديسيا) ولنضاله العادل» كما اكدوا من جديد «ان استخدام القوة هو الطريق الفعال الوحيد لوضع حد للحكم العنصرى» . هذا بالاضافة الى انهم ادانوا «استمرار بعض الدول فى التعامل ــ بوسائل مختلفة ــ مع الحكومة غير الشرعية للاقلية العنصرية» .

وايمانا من الرؤساء بأن قضية التحرير فى العالم واحدة لا تتجزأ ، ايدوا فى بيانهم المشترك «حق شعب فيتنام فى تقرير مصيره بنفسه . ويطالبون بانسحاب كافة القوى الامبريالية المتدخلة فى شئون شعب فيتنام . كما يطالبون بوقف قصف جمهورية فيتنام الديمقراطية بالقنابل فورا وبدون قيد او شرط كخطوة اساسية لتحقيق السلام فى فيتنام» ، كما اعلنوا «تأييدهم الكامل للنضال البطولى الذى يخوضه شعب الجنوب العربى المحتل ضد الاستعمار البريطانى» . واعلنوا كذلك «تأييدهم التام لكافة حقوق شعب فلسطين المشروعة» وبخصوص العالم النامى ، عبر الرؤساء عن الاهمية الحيوية لتمكين الدول النامية من الحصول على مصادر التمويل الخارجية بشروط عادلة .

ويرى المراقبون ، ان ابرز النتائج العملية لاجتماع القاهرة المحدود ، هو انطلاق «دعوة الاحزاب التقدمية فى افريقيا للاجتماع فى الجزائر فى وقت قريب» وينظر المراقبون الى هذه الدعوة، كبداية هامة لمرحلة جديدة فى النضال الافريقى ، تتمكن فيها الجماهير الافريقية وطلائعها من ان تساهم بدورها الخلاق فى دعم قضايا التحرر والوحدة .. جنبا الى جنب مسيرة منظمة الوحدة ، ولاثرائها .

سيراليون .. واتجاه الضربة القادمة

الملاحظ ان انقلاب سيراليون الاخير لم يلق اهتماما واسعا فى دوائر الرأى العام العالمي والافريقي . ولم يكن مرد ذلك ــ فى نظر المراقبين ــ نتيجة لوقوعه بعد ٣ أيام من قيام انقلاب سابق له وضده ، او لان الرأى العام قد اعتاد فى الشهور الاخيرة ، انباء الانقلابات فى افريقيا ، او لان الاحداث الذى اعقبته فى القارة (مؤتمر القاهرة ، تطورات احداث نيجيريا) قد جذبت انتباها اوسع غطت على

انباء الانقلاب ، او لصغر حجم الدور السياسى الذى تلعبه سيراليون فى السياسة الافريقية — وانما يعتقد المراقبون السياسيون ان مرد ذلك — بالاضافة لهذه العوامل — الى انه اثار قضايا افريقية أهم واخطر من وقوعه فى حد ذاته .

فشل الديمقراطية الغربية كأسلوب : كان ملفتا للنظر ان الصحافة الغربية وبالتحديد **الايكونوميست والصنداى تايمز والاوبزرفر والنيويورك تايمز والنيوزويك والتايمز** — قد استخدمت جملة واحدة تقريبا فى كتاباتها عن انقلاب سيراليون وان اختلفت مواضع هذه الجملة ، وهى لاول مرة فى ٣٨ دولة افريقية ، تتغير حكومة بأسلوب ديمقراطى عن طريق الانتخابات . ولكن ما ان تم هذا التغيير حتى انتهى بانقلاب عسكرى» وبغض النظر عما فى هذه الجملة من تعريض ضمنى بالدول الافريقية ، الا انها — كما ترى الدوائر الافريقية — تعنى موضوعيا عدم صلاحية تطبيق الديمقراطية الغربية فى افريقيا ، بعد ان برهنت تجربة نيجيريا من قبل على صحة ذلك . فقد كان فى سيراليون قبل الانقلاب ، حزبان احدهما (**حزب شعب سيراليون**) فى الحكم ، والآخر (**حزب مؤتمر كل الشعب**) فى المعارضة ، على الرغم ان الحزبين لا يختلفان جوهريا فى سياستهما او اهدافهما الاساسية ، فحزب المعارضة هو انقسام سابق من الحزب الحاكم . وقد فشل الحزب الحاكم فى معالجة الازمة الاقتصادية والسياسية التى سبقت الانقلاب . كما يدل عجز المعارضة عن الاستمرار فى الحكم ، على فشلها ايضا

كذلك اثار انقلاب سيراليون من جديد قضية «المؤسسات العسكرية» فى افريقيا والدور الذى تقوم به اليوم فى القارة وقد ناقشت الصنداى تايمز والايكونوميست البريطانيتان هذه القضية ، وخرجتا بنتائج غريبة تقول بأن النظم العنصرية فى روديسيا وجنوب افريقيا اثبتت نجاح الحكم المدنى فيها عن بقية دول القارة . ويلاحظ المراقبون ان انقلاب سيراليون ، كسائر الانقلابات السابقة — بأستثناء غانا — وقع على اثر أزمة سياسية حادة ، وفى دول لم تكن تعرف بالعداء للاستعمار ان لم تكن موالية له . كما يلاحظون سمتين اساسيتين مميزتين لقيادات هذه الانقلابات ومن تولوا الحكم بعدها **أولا :** انهم جميعا تقريبا ممن حصلوا دراساتهم وتدريباتهم العسكرية فى كليات الغرب العسكرية وبخاصة فى **سانت هيرست** ببريطانيا **ثانيا :** أن كثيرا منهم كان يقيم فى عواصم الغرب لحظة قيام الانقلاب ثم استدعى للحكم .

اتجاه الضربة القادمة : وتلاحظ الدوائر الافريقية ان اتجاه مؤشر الانقلابات العسكرية التسعة فى افريقيا منذ نوفمبر ١٩٦٥ قد بدأ من الكونجو كينشاسا فى وسط القارة مارا الى غرب القارة حيث تركز فى اواخر عام ١٩٦٥ واوائل عام ١٩٦٦ بالقرب من غانا . وبعد انقلاب غانا فى فبراير ١٩٦٦ نشط فى المناطق المحيطة بها ثم اتجه الى سيراليون واصبح بالتالى فى وضع اشبه بمحاصرة كل من **غينيا ومالى .** والجدير بالذكر ان المعلقين الغربيين قد اجمعوا على ان انقلاب سيراليون لن يكون — فيما يبدو — آخر الانقلابات العسكرية فى القارة ، ويثير ذلك تكهنات كثيرة وخاصة اذا وضعنا فى الاعتبار ان دولا افريقية ثلاث عرفت باتجاهاتها التحررية — هى مالى وغينيا والكونجو برازافيل — تواجه مشاكل اقتصادية ملحوظة ونشاطات داخلية مشبوهة دعت رؤساء هذه الدول الى تغليب أهمية بقائهم بالقرب من تطورات الاحداث فى بلادهم ، على مغادرتها وحضور مؤتمر القاهرة

ومن المعروف ان الانقلاب الاخير فى سيراليون ، قد وقع بعد مضى ٧٢ ساعة على انقلاب **ديفيد لانسانا** القائد العام السابق للجيش . وكان لانسانا قد قام بانقلابه بعد ساعات من استدعاء **هنرى بوسطن** الحاكم العام البريطانى **لسياكا ستيفنز** زعيم حزب مؤتمر كل الشعب ، لتشكيل الوزارة ، بمجرد ان وضح من الاتجاه العام للنتائج الاخيرة للانتخابات التى أجريت فى النصف الثانى من مارس ، فوز حزب ستيفنز بأغلبية ضئيلة للغاية . وقد اعتقل لانسانا كلا من الحاكم العام وستيفنز . وكان حزب **ألبرت مارجاى** الذى يؤيده لانسانا ، قد دخل الانتخابات على اساس برنامج يدعو الى اعلان الجمهورية (حصلت على الاستقلال فى ٢٧ ابريل ١٩٦١ ولكن لم تعلن الجمهورية وظل الحاكم العام ممثلا للملكة اليزابيث ومتمتعا بسلطات أشبه بسلطات رئيس الجمهورية) والى اقامة نظام الحزب الواحد . ويرجح المراقبون ان هذا البرنامج كان دعائيا بالدرجة الاولى لانه حتى باقدام مارجاى على هاتين الخطوتين مع استمرار سياسته المحافظة لم يكن يعنى الجديد كثيرا . ويرى المراقبون ان انقلاب الجيش على انقلاب لانسانا ، ربما يعنى دخول منافس اكثر قوة الى الحياة السياسية من متنافسين سابقين اقل قوة .

وبنجاح الانقلاب الاخير شكل **المجلس الوطنى للاصلاح** (٦ من الجيش و٢ من البوليس) بالاضافة لرئيسه لادارة الحكم . وكان المجلس قد استدعى اول الامر ، **امبروز جيندا** عضو وفد سيراليون الدائم فى **الامم المتحدة بنيويورك** والذى أبعده مارجاى من الجيش الى الولايات المتحدة لارتيابه فى مشاركته فى محاولة انقلاب ضده فى فبراير ١٩٦٧ ، ولخلافه مع الانسانا . ولكن بمجرد وصول جيندا الى **لندن** فى طريقه الى

فريتاون (العاصمة) أبرق له المجلس يستبعده ، ويستدعى **اندروجاكسون سميث** الذى كان مقيما فى لندن من مدة طويلة حيث كان يدرس فى كلية **كامبيرلى** لاركان الحرب ببريطانيا . ومعروف عن جاكسون عدائه لكل من مارجارى وستيفنز، بينما كان معروفا عن جيندا عدائه لمارجارى وتأييده لستيفنز .

وكان اول قرار اتخذه الانقلاب الاخير ، هو الافراج عن الحاكم العام وابقاء ستيفنز ومارجاى معا فى المعتقل . وبعد وصول جاكسون أعلن المجلس تنحية الحاكم العام البريطانى على اساس ان المجلس قد أصبح «السلطة العليا فى البلاد ، ممثلا للملكة اليزابيث كرئيسة اسمية لسيراليون» وأكد المجلس ولاءه لليزابيث .

وجدير بالذكر ان المجلس الوطنى للاصلاح ، اصدر قرارا بايقاف الدستور وحل البرلمان وتعطيل الصحف فيما عدا صحيفة الحكومة ، واعطى السلطات حق اعتقال اى شخص بدون محاكمة . كما اعلنت الحكومة الجديدة عن ترحيبها بالمستثمرين الاجانب . وعرضت تسهيلات كبيرة لحركة رءوس الاموال الاجنبية والارباح، واعلنت انه ليس لديها أية نية لتأميم المشروعات الصناعية والتجارية والمناجم .

نيجيريا .. والحاجة الى استقلال حقيقى

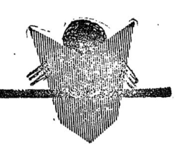
أخر تطورات الاحداث فى نيجيريا — حتى كتابة هذا التقرير — هو: طلب **أوجوكوو** الحاكم العسكرى للاقليم الشرقى، وساطة وتحكيم بعض زعماء افريقيا فى الازمة المحتدمة بينه وبين الحكومة الاتحادية . وقدرت **القاهرة** على طلب الوساطة بدعوتها اقاليم نيجيريا الى «حل خلافاتها بوسائل سلمية» كما اوضحت انها «تلتزم ازاء مشكلة الخلافات القائمة بين الاقليم الشرقى وبين الحكومة الفيدرالية ، بعلاقاتها مع الحكومة الفيدرالية» .

وكان الموقف فى نيجيريا قد وصل الى منعطف خطر ، عندما اصدر أوجوكوو مرسوما بتحصيل «جميع انواع الدخل» فى الاقليم الشرقى «وتوريدها لخزانة الاقليم» وذلك ردا على موافقة **المجلس العسكرى الاعلى** فى لاجوس على ميزانية عام ١٩٦٧ — ١٩٦٨ ، دون ان يدخل عليها التعديلات التى طلبها حكام الاقليم الشرقى . ومن المعروف ان قيمة عائدات البترول التى حصلتها الحكومة الاتحادية من الشركات العاملة فى الاقليم الشرقى فى عام ١٩٦٦ ، قد بلغت ٢٥٠ مليون دولار . وبالاضافة لما يعنيه هذا القرار من انخفاض ايرادات ميزانية الحكومة الاتحادية ، فانه يهدد مركز شركات البترول لان الاتفاقيات المعقودة بينها وبين الحكومة الاتحادية تحتم عليها دفع الضرائب .

ويلاحظ المراقبون ان تهديدات اوجوكوو بالانفصال بالامتناع عن دفع دخل الاقليم من البترول للحكومة ، تفوق كثيرا احاديث جوون رئيس الحكومة الاتحادية العسكرية ، عن الازمة او رده على تصريحات اوجوكوو . وجدير بالذكر ان حكومة اوجوكوو كانت قد هددت بالانفصال فى اول ابريل (١٩٦٧) اذا لم تستجب الحكومة الاتحادية لمطالب الاقليم فى تعديل الميزانية وفقا للتغيرات السكانية الجديدة بعد انقلاب يوليو (١٩٦٦) حيث هاجر آلاف من ابناء قبيلة الايبو الى الاقليم الشرقى هروبا من الاضطهاد واعمال القتل ضدهم ، كذلك مطلب منح الاقاليم مزيد من الاستقلالية . وباختصار تنفيذ قرارات **ابورى** (اجتماع بين حكام اقاليم نيجيريا عقد فى **غانا** يناير ١٩٦٧) . وكان جوون قد اعلن عن ضرورة تعديل هذه القرارات «على نحو يضمن عدم تجريد الحكومة الاتحادية من سلطتها العليا» ومعنى هذا ان هناك تراجعا من جانب الحكومة الاتحادية عن تنفيذ القرارات. وقد اصدرت الحكومة الاتحادية بعد ذلك مرسوما دستوريا يسمح للاقاليم بالتمتع بقدر أكبر من الحكم الذاتى . ولكنها احتفظت لها — فى نفس الوقت — «بحق السيطرة على اى من هذه الاقاليم فى حالة اعلان الطوارىء» كما يتضمن المرسوم ، منح حكومات الاقاليم مايشبه حق الفيتو فى وضع السياسة الاقتصادية والخارجية للبلاد .

ويعتقد المراقبون ان خطة جوون فى مواجهة الموقف ، تعتمد على تكتيك يحرص على تهيئة الظروف واعطاء الفرصة لمزيد من تصريحات أوجوكوو واستعداداته العسكرية وارتكاب اعمال منافية لمرسوم الدستور ، اعتمادا على ان ذلك لوضع حكومة الاقليم الشرقى فى حرج من جهة — حيث ان مرور الوقت على انذاراته دون تنفيذ شىء منها يضعف من وضعيتها — ثم انتهاز فرصة مواتية للتعلل بتطبيق مرسوم الدستور واعلان الطوارىء .

اما عن وساطة الدول الافريقية ، فيخشى بعض المراقبين ان تستنفد مشاكل نيجيريا القبلية المعقدة والتاريخية طاقات العمل الافريقى فى وقت أشد ما يكون فيه حاجة الى عدم تبديد طاقاته ؛ وينطلق هؤلاء المراقبون فى رأيهم هذا من اعتقاد بأن مشكلة نيجيريا هى ضرورة تحويل الاستقلال السياسى الى استقلال حقيقى يتخطى به شعب نيجيريا ظروف تخلفه ، ومن ثم فهم يعتقدون ان حل هذه المشكلة ، ستساعد الى حد كبير على معالجة مشاكل الوحدة القومية .




■ آراء يعقوب صنوع العملية
● تأليف : ايرين ل. جينديزيبه

□ من المجلات الفكرية العالمية
● مجلة اليسار الجديد

آراء يعقوب صنوع العملية

تأليف ايرين ل. جينديزيبه
مركز دراسات الشرق الاوسط
بجامعة هارفارد ١٩٦٦

قليلة جدا هى الدراسات التى خصصت ليعقوب صنوع ، سواء فى لغتنا العربية ، او فى اللغات الاجنبية. ولكن هذا الفنان والصحفى والسياسى المصرى الذى ظل منسيا كلية حوالى النصف قرن او اكثر، فدبدأ الاهتمام يعود اليه من جديد بعد عام ١٩٦٠ حينما طرحت للمناقشة قضية جذور المسرح المصرى، ووضعت تحت ضوء الدراسة رواده الاوائل . ومنذ البداية اختلفت الاراء اختلافا بلغ حد التناقض فى الحكم على يعقوب صنوع وعلى انتاجه وفى تقويم الاعمال التى قدر له ان ينجزها فى حياته وفى تفسير هجرته من مصر واقامته الدائمة فى فرنسا حتى وفاته عام ١٩١٢. فمن قائل انه مهرج انتهازى لم يكن مؤمنا ايمانا حقيقيا بالعمل الوطنى وانه كان يدعى الوطنية فقط ، ومن قائل انه كان علما من اعلام النضال الوطنى والحركة القومية فى ذلك الوقت ، وان خلافاته مع الخديو اسماعيل لم تكن خلافات سطحية او مفتعلة ، وانما كانت تناقضا طبيعيا فرضته تجربة النضال التى خاضها صنوع وعبر عنها فى صور متعددة وفى مجالات مختلفة ، حتى ان سرعة تغير الاحداث قد فرضت عليه فى فترة زمنية قصيرة ان يغير من مواقع العمل أكثر من مرة ، وان ينتقل من المسرح الى الصحافة الى الكتابة ، حسب امكانيات تلك المجالات على ان توفر له القدرة على الحركة السريعة . وبين هذين الرأيين اللذين يقفان على طرفى نقيض ، واللذين يحمل كل منهما حججه ومبرراته ، وبعضها لا يخلو من الوجاهة والاقناع ، كادت حقيقة تلك الشخصية المصرية التى ولد صاحبها قبل منتصف القرن التاسع عشر فى مصر ، ومات فى اوائل القرن العشرين فى باريس ، وشهد انتفاضة الثورة العرابية وفشلها ، والاحتلال الانجليزى لمصر وما صاحبه من ظروف وملابسات ، كادت معالم تلك الشخصية أن تنطمس تحت ثقل الاراء المتضاربة ، وكاد وزنها الموضوعى ان يستحيل على اى ميزان.

وهذه الحقيقة ان اكدت شيئا بالقياس الى يعقوب صنوع فانما تؤكد انه لايزال حتى الان محتاجا الى الدراسة الموضوعية النزيهة التى تستقرىء الوقائع استقراء غير متحيز دينيا او سياسيا او فكريا ، فتجعلها تقول ما ينبغى ان نعرفه اليوم عن تلك الشخصية الهامة . وقد كانت السيدة ايرين جينديزيبه هى التى امتلأت

بالحماس لتقديم دراسة جادة عن صنوع فى مركز دراسات الشرق الاوسط بجامعة هارفارد ، الامر الذى يجعلنا ننظر بعين الاهتمام الى تلك الدراسة التى فرضت على نفسها منذ البداية ان تكون فى اطار العمل الاكاديمى الجامعى ، فتكبدت صاحبتها جميع المشاق للتأكد من مادتها، وواجهت باصرار جميع المصاعب التى يمكن ان تصادف من يسير مثلها فى ارض غير مطروقة . وهى تقول فى مقدمة كتابها :

« بالرغم من ان يعقوب صنوع قد مات منذ اربعة وخمسين عاما مضت ، الا ان شهرته قد انطوت تحت ستار كثيف من النسيان الذى يؤسف له . فمما لا شك فيه انه يبدو فى نظر بعض لاحقيه لا مناضلا ولا مستحقا للتقدير بدرجة كافية باعتباره وطنيا رفيع المكانة . الا انه بالنسبة لآخرين ، وأنا ادرج نفسى ضمنهم ، انما يمثل انتفاضة غير عادية من انتفاضات الحركة الوطنية المبكرة . وهو لا يستأهل الاهتمام والتقدير الكبيرين بسبب مواهبه المتعددة فقط ، ولكن تفانيه من أجل الدفاع عن قضية الحرية فى مصر ، ومجهوداته التى بذلها مستهدفا احداث التقارب بين اوروبا ومصر ، تجعل منه واحدا من تلك المجموعة من الرواد المتحررين المتوقدين الذين كانوا يشكلون الحركة الوطنية عام ١٨٧٠ . ومنذ عام ١٨٧٨ حتى عام ١٩١٢ عاش صنوع فى فرنسا منفيا سياسيا . وقد اتاح له نزوحه الاضطرارى عن مصر وعزلته المختارة فى فرنسا أن يقوم بدور الممثل غير الرسمى للوطنيين المصريين ، وأتاح له ذلك أيضا ان يدرس الظروف التى تمر بها اوروبا بهدف خلق جو ملائم يمكن ان تنمو فيه العلاقات المصرية الاوروبية . والدراسة التى اقدمها انما تعنى بتلك الفترة بالذات » .

ثم تستطرد المؤلفة بعد ذلك لتذكر لنا الدارسين الذين سبقوها الى معالجة حياة صنوع وكتاباته فى دراساتهم فتقول انه قد ظهر قبل ذلك عملان عنه هما : « ابو نضارة ، يهودى مصرى وطنى » تأليف جاكوب م. لانداو فى جريدة الدراسات اليهودية عام ١٩٥٢ ، وثانيهما كتاب الدكتور ابراهيم عبده «ابو نضارة» الذى نشر فى القاهرة عام ١٩٥٣ . وبعد ذلك نشر الدكتور محمد يوسف نجم المجموعة الاولى من مسرحيات صنوع فى المجلد الثالث من سلسلة «المسرح العربى» التى يصدرها فى بيروت عام ١٩٦٣ . ولكن المؤلفة اذ تحصر تلك الاعمال وتعترف بدينها العلمى لها انما تصر فى الوقت نفسه على تأكيد مساهمتها الجديدة فى دراسة صنوع على انها مساهمة غير مسبوقة وذلك حين تقول : «على حين احمل فى عنقى دينا لاولئك المؤلفين الثلاثة ، اعتقد بأن نظرتى الخاصة لصنوع ستبرهن بما فيه الكفاية على انها نظرة مختلفة وبذلك تضيف بعدا جديدا الى المعلومات الشائعة المعروفة عنه ومن الصحفيين السياسيين فى عصره » .

وقبل كل شىء ينبغى ان نلاحظ المنطلق العاطفى الذى تبدأ منه المؤلفة دراستها ، فحتى ولو لم يكن له دخل او تأثير على موضوعيتها ونزاهتها ، الا انه على كل حال جدير بأن يستقر واضحا فى ذهن قارىء كتابها . وهذا المنطلق لا يمكن بل ولا يجب ان نقابله بأى اعتراض او انكار ، وهو انها تنتمى الى تلك الفئة من المثقفين اليهود فى العالم الذين شغلوا بالبحث عن الروابط الوطنية بين بعض الشخصيات اليهودية الكبيرة ، وبين البلاد التى ولدوا او نشأوا فيها ، وقبولنا لنقطة الانطلاق العاطفية تلك نحن القراء العرب سيؤكد نزاهة موقفنا السياسى وموضوعيته . فنحن لسنا ضد اليهود بشكل عنصرى خاص ، وانما نحن بالدرجة الاولى ضد الحركة الصهيونية كجزء من الحركة الاستعمارية العنصرية . ولذلك فاننا نقبل على وجه اليقين كل مجهود علمى لا تشوبه شائبة غرض غير علمى او غير انسانى ، يرمى الى كشف النقاب عن حقائق تاريخية تحتاج الى ان تظهر امامنا بوضوح حتى يتسنى لنا أن نفهم تاريخنا حق الفهم . فالمؤلفة تهدى كتابها الى ابنها قائلة : «الى ابنى اليكس الذى ربما قرأ هذا العمل ذات يوم اهدى هذا الكتاب مصحوبا بأملى فى ان يكبر وينمو فى عالم يعود اليه السلام بين العربى واليهودى» . وهذا الاهداء ربما كان امرا شخصيا محضا لا ينبغى لنا التعليق عليه او التحدث عنه . ولكن اهميته كما قلت انما ترجع الى انه يحدد المنطلق العاطفى الذى تقوم عليه الدراسة . والمنطلق العاطفى الذاتى هو الذى يشعل الحماس عادة ويؤججه للعمل ، وتلك حقيقة انسانية عامة لا يجوز ان نتغاضى عنها اطلاقا .

وبهذا المعنى فان المؤلفة تريد ان تثبت كما اعترفت هى بنفسها بصورة غير مباشرة ان يعقوب صنوع كان وطنيا مخلصا ، وان يهوديته لم تمنعه من ان يكون كذلك . ونحن معها بالطبع فى مبدأ ان الديانة لا يجب ان تجعلنا نصادر مسبقا اى انسان او ان نحكم عليه من خلالها ، وخاصة اذا كانت هذه الديانة قد قدرت لها الظروف ان ترتبط على نحو ما بظروف أخرى سياسية ، فهذا الارتباط قد اتى فيما بعد . ومن المؤكد ان اليهودى يمكن ان يكون مواطنا صالحا فى اى ارض يعيش فيها اذا لم يعتنق الدعوة الصهيونية العنصرية بكل ملابساتها وامتداداتها السياسية الضارة .

وترى المؤلفة بعد ذلك انه بين عام ١٨٧٠ وعام ١٩١٢ ، اى منذ افتتاح المسرح الذى صرحت به السلطات الملكية حتى وفاته فى باريس ، وقد عرف يعقوب صنوع نوعا من سوء السمعة تجمع الاهمال الذى لحق به بعد ذلك صعبا على الفهم فقد ولد من أبوين مصريين — ايطاليين ، ونشأ كيهودى واصبح مؤسس المسرح الوطنى ثم كاتبا

وصحفيا غزير الانتاج . وعندما تسنى له ان يدخل في زمرة الادباء والصحفيين والثوار السياسيين ؛ سرعان ما ذاع صيته كمتحدث موهوب وناقد «للنظام» الذى كان يقوم على رأسه الخديو اسماعيل ، وبشكل خاص للتدخل البريطاني الذى تبع صعود توفيق الى العرش . وبالرغم من ان منفاه الدائم قد خفف من عاطفة مواطنيه نحوه ، الا انه مما لاشك فيه ان صنوع كان فى وقته يعتبر وطنيا . وتستشهد المؤلفة بمقال ظهر فى مجلة التحرير (١٢ اغسطس عام ١٩٥٣) بعنوان «المثل الذى سخر من اسماعيل» ، وتقول أنه بين عامى ١٩٤٦ و١٩٦٣ قد ظهر عدد كبير من المقالات عن يعقوب صنوع وظهرت ايضا طبعة لمجموعة من مسرحياته فى القاهرة وبيروت .

فهى ترى انه عندما ولد يعقوب صنوع كانت مصر لا تزال تحت قبضة محمدعلى القوية (١٨٠٦ - ١٨٤٨) ، وعندما بلغ مرحلة النضج كان سعيد (١٨٥٤ - ١٨٦٣) وليا للعهد ، وعندما شب كوطنى مخلص كان اسماعيل (١٨٦٣ - ١٨٧٩) يجلس على العرش . ففى السنوات الاربع والعشرين الاولى من حياته شهد صنوع ما لا يقل عن اربع حكام توالوا على حكم البلاد . ومع كل واحد منهم كانت مصر تتقدم نحو صورة الامة الحديثة ، ومع كل واحد منهم ايضا ، باستثناء عباس الاول ، كان يزداد تحولها واتجاهها نحو الغرب . وقليلون هم اولئك الذين سينكرون ان محمد على قد غير وجه مصر حين اعاد اصلاح اقتصاد الامة وتوسع فيه ، وكذلك فى حياتها العسكرية وامكانياتها التعليمية . ولقد استفاد محمد على كثيرا من تجارب الغزاة الاجانب حيث انه قد جاء الى مصر عقب الغزو النابليونى . ولكن اسماعيل هو الذى مضى بتصوره الى ابعد من محمد على حين كان يريد لمصر ان تقبل فى عائلة الامم الاوربية . فتحت راية حكمه بدأت المحاولات لجعل القاهرة والاسكندرية مدينتين حديثتين . وميلاد مسرح يعقوب صنوع فى عام ١٨٧٠ ، وظهور جريدته «ابو نضارة زرقاء» قد عاصرا هذه الظروف، ومارسا دورهما النقدى فيها.

وقد قام صنوع وزملاؤه بخطوات جبارة للخروج من اغلال النقد التقليدى ، فهم لم يجرؤوا فقط على مناقشة الخديو فى نطاق فعاليته كحاكم ، وانما طبقوا المعيار الاسلامى بطريقة خاصة واحيانا مقنعة . فالتضامن الاسلامى كأداة من ادوات الوحدة كان يتضمن تقديرا لقوتها كعامل سياسى والتى كانت خطوة هامة فى تطور الفكر الوطنى فيما بعد . وفى هذا المجال وجد صنوع نفسه يتجاوب تجاوبا عميقا مع أبرز رجال الفكر فى جيله وهو جمال الدين الافغانى . ومثله كمثل الافغانى ، كثائر سياسى ، كان ينادى بتجنب أخطار التعصب الدينى ، وعندما كان صنوع يتحدث باسم الاسلام بصورة اساسية ، فقد عقد مقارنة بين الاديان تحتوى بصورة دقيقة على رفض للتعصب وادانة لمن كان ينظرون نظرة دينية مفردة وضيقة .

ثم توصلت المؤلفة الى القول بأن حب الحرية كان هو العاطفة الثابتة التى استحوذت على قلب صنوع ، ولكنه بنفس الدرجة قد الزم نفسه بالعمل من اجل تقريب المسافات بين الشرق والغرب ، وقد امتد بأفكاره الى حد بلورة نظرة متكاملة عن المساواة بين الاديان ، بين المسيحى والمسلم واليهودى . وقد كان صنوع فى الواقع - كما ترى المؤلفة وطنيا متحمسا وذا نزعة انسانية يمارسها بالعمل . فقد كان كما وصفه البعض داعية للقضية الوطنية المصرية ، ولكنه بالاضافة الى ذلك كان متحدثا باسم الفكر الليبرالى ، والنزعةالانسانية فى تلك القضية،ومن اجل هذا على - الاقل - تستحق ذكراه ان تعيش الى يومنا هذا .



بريخت .. والرواية الليبرالية المعاصرة

● مجلة اليسار الجديد

يضم العدد الاخير من مجلة اليسار الجديد الانجليزية مجموعة من الابحاث الهامة ، احدها حول **«المرأة : اطول الثورات» لجوليت ميتشل** ، وآخر حول **« جمهورية الدومنيكان »** لجيمس بتراس، وثالث حول **«الخلفية الاسبانية»** لاريك هوبسبون ، كذلك يضم العدد بحثا مطولا عن **«الشخصية فى روايات هنرى جيمس»** وترجمة لاربع قصائد كتبها الشاعر الالمانى **برتولت بريخت** ولم يكن قد تم نقلها الى الانجليزية من قبل .

ويقول المحرر فى المقدمة القصيرة التى قدم

بها لقصائد بريخت الاربعة بأنه قد سبق لهذه المجلة ان قدمت اشعارا لكل من **أتيلا جوزيف وفرانسـو فورتيني** ، وان **برتولت بريخت** هو الشاعر الاشتراكي الثالث الذى تقوم بتقديمه فى هذا العدد . وان المجلة تنحو هـذا النحو لتوجه الانتباه الى الصعاب والمشكلات التى تواجه أكبر شعراء الواقعيةالاشتراكية فى العالم .. فالقضية لا تخص الشـعر والسياسة ، بل هى تتجـاوز هذه الدائرة الى ماهو ارحب منها الى الثقافة السياسية والوعى الانسانى بشكل عـام . ان أمثال هؤلاء الشعراء الكبار عـانوا بلا ريب من الصراع الهائل بين التجربة الشـعرية والوعى السياسى ، والتكييف الجمالى لهذه التجربة وذاك الوعى . ويرتكب بعض النقاد خطأ فادحا حين يقتصر تقييمهم لمثل هذا الشعر على جانب دون آخـر ..

فكما ان نقاد اليمين يغفلون الجانب السياسى فى معظم الاحيان فيقتصر اهتمامهم على الجانب الادبى الخالص ، فاننا نرى بعضا من نقاداليسار ــ على الضفة الاخرى ــ تقتصر عنايتهم عـلى الجانب السياسى دون الجانب الادبى .. والفريقان كلاهما لا يعطى سوى نظرة وحيدة الجانب فـلا يصل الى المتلقى سوى الفتات . غير ان نقـاد اليمين على وجه خـاص ، حين يقصرون حديثهم على العنصر الجمـالى فى العمل الادبى ، فانما يقدمون موقفا سياسيا ما بصورة من الصور . اما نقـاد اليسار فانهم حين يقصرون الحـديث على المضمون الاجتماعى والسياسى ، فان هذا الذى يصنعونه يعد نقصـا معيبا وخطيرا فى ادواتهم النقدية ، لان نظرتهم حينذاك لن تكـون قاصرة فحسب ، بل انها تتضمن تقصيرا مخلا فى حـق انفسهم وفى حق الاخرين وفى حق الادب وفى حق السياسة ذلك انهمببساطة ينأون بمحض اختيارهم عن مجـال تخصصهم المفترض ، وهو النقـد « الادبى » .

والقصائد الاربعة التى تقدمها المجلة لبريخت فى هذا العدد ، تغطى فترة الحرب العالمية الثانية التى عاشهاالشاعر فىالولايات المتحدة الامريكية. ان المعلم فى قصيدة «هل الشـعب معصوم من الخطـأ ؟» يمكن مقارنتها بمسرحية **(سـيرجى ترتياكوف)** الكاتب السـوفيتى الذى اختفى فى الثلاثينات وكان صـديقا لبريخت وصاحب أول ترجمة روسية لاشعاره . أما **(مرثيات هوليود)** فهى مؤرخة بعام ١٩٤٢ . وكان بريخت قدوصل الى كاليفورنيا قادما من فلاديفوستوك فى صيف ١٩٤١ حيث عاش فى سانت مونيكا خارج لوس انجيلوس . وكذلك قصـيدة «تحولات الالهة» وقصـيدة « ذات مرة » فمن المرجح انهما كتبتا اثناء تلك السنوات التى قضاها فى امريكا . هذه القصـائد الاخيرة فحسـب هى التى نشرت فى حياته ، وقد تم نقلها عن الانجليزية لاول مرة بقلم جون ويليت .

ونحن ننشر هنا لاول مرة ايضا هذه الترجمة لبعض المقاطع التى آثرنا اختيارها من قصيدتين :

هل الشعب معصوم من الخطأ ؟

(١) معلـمى ..
كان طويلا وعطوفا
وقد لقى مصرعه فى ساحة «الشعب» !
مثل جاسـوس لعنـوه
حرقوا كتبه .. فان ذكره احـد
زجروه واحاطوه بالشبهات
فافرضوا انه كان بريئا ! ؟
(٢) لقد رأى ابناء الشعب انه مجرم !
اصحاب المصانع والمزارع من العمال
ومعاهد البطولات العالمية
ادانوه جميعا مثل عـدو
فلم يرتفع صوت من أجله
وربما .. كان بريئا ! ؟
(٦) ان مابينه خمسة آلاف يهدمه رجل واحد
أدين بشكل غـير يقينى
وربما لم يكن مجرما
هبوا انه كان بريئا
(٧) هبوا انه كان بريئا
وتصوروا طريقه الى الموت !

من الواضح ان القصيدة كتبت عن احدى مآسى الستالينية ، كما انه من الواضح ان انفعال بريخت العنيف قد اتخذ هذا الثوب التقريرى المباشر ، لان بطل القصيدة كانت تربطه به اوثق الروابط واغنـاها .

أما القصـيدة التـالية « **مراثى هـوليود** » فتقول لنا شيئا آخر :

(١) لقد صممت هوليود على أن تكون لكل الامم
الناس فى هذه الاماكن من السماء ، فى هذه الاماكن
جاءوا بالنتيجة النهائية التى قررها الله
فى اختياره الجنة والجحيم ، لايحتاج الى من
يتطلع اليهما معا
واحدة فقط هى السماء ، وهى
نقـدم لغير الناجحين
جحيمهـا
(٢) عند البحر ترقد مخازن البترول ، وتنتصب

تماثيل الذهب لاناس ذهبوا ، ولكن ابناءهم
مازالوا يشيدون المصانع الخيالية في هوليود
المدن الاربعـــة
امتلأت برائحـــة بترولية
كالافـــلام
(٣) المدينة سميت باسم الملائكة
وانت تلتقى بالملائكة فى كل ركن
وهم يتنســـمون رائحــة البتـــرول ويرتدون
القفازات الذهبيـــة
وبمجوهرات زرقاء حول عيونهم
يطعمون الكتاب الذين يتريضـــون بالسباحة
كل صـــباح
(٦) فوق المدن الاربعة يحوم الحراس في الجو
على ارتفاع شاهق رسمته «دوائر الدفاع»
حتى لا يتمكن الفقر
من اللحـــاق بهم

وهكذا تنتهى القصيدة بهذه السخرية المريرة من الوضع الاجتماعي في الولايات المتحدة ، وان اتخذ الشاعر من مدينة هوليود رمزا تجســـدت فيه كل عيوب النظام الامريكي . وتعد قصـــائد بريخت الاربعة نموذجا للشـعر العظيم الذي يتمثل التجربة الفنية بوعى سياسى نافـــذ ، ولكنه فى النهاية يقدم لنا **«بناء من الجمال والقيم»** كما يقول أشهر نقاده : مارتن اسلن

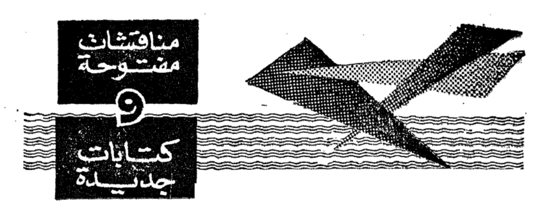
أما مقال **«الشخصية فى روايات هنرى جيمس»** فقد كتبه الناقد **«جون جود»** . والمقال ليس دراسة تطبيقية كما يوحى العنوان ، بل هو اقرب مايكون الى الدراســـات النظرية التى تســـتخدم بعض النماذج لمجرد الاستشـــهاد بهذا المثل او ذاك في اثبات **«نظرية»** معينة في الادب وهكذا يبدأ جود المقال بقوله ان وجهة النظر السائدة في مجـــال النقد الروائي الانجليزى ، خلال السنوات الاخيرة هي وجهـــة النظر التي ارسى دعائمهـــا الاولى الدكتور **«و.ف.ليفيز»** ثم والت مجلته «التمحيص» تثبت هذه الدعائم . وقد تحددت معالم هـــذه الوجهـــة فيما كتبـــه ولســـن نايت ومحـــررى «التمحيص» وبخاصة ما كتبه ا.س. برادلى فى نقده الشكسبيرى . وكانت **«الشـــخصية عنـــد شكسبير»** هي المدار الذي تدور من حوله ابحاث برادلي في كافة ارجاء البناء الشكسبيري الضخم .

ولقد امتد اثر هذه الفكرة المحورية الى كتابات اخرى حول **«الرواية»** .. كتلك المقـــالات التى اتخذت عنوانا يقول **«الرواية كقصـــيدة درامية»** وهي المقالات التي تطمح الى **«رؤية الرواية ككل»**

ولعل كتاب «التقاليد العظيمة» هو اكثر الكتب في نقـــد الرواية رسوخا فى اللغة الانجليزية .. وقد حاول فيه الدكتور ليفيز ان يضيف الى مسألة «البعد المكاني» في الرواية الرؤية الاخلاقية ايضا وذلك من خلال النسيج الشامل للعمل الروائي . غير ان كتاب و.ج. هارفى **«الشخصية والرواية»** قد جاء بمثابة الرد الاكاديمي العميق ، على آراء ليفيز ومدرســـته حـــول الرواية الانجلـــيزية . انه ــ ببساطة ــ يقدم تحديا حقيقيا ومباشرا لاراء هذا الاتجاه «الاخلاقى» ويقيم بدلا منـــه صرحا شامخا ــ ربما من مادة الاحلام واذا لم تخل الاحلام عادة من مادة الواقع ــ حيث يقوم هذا الصرح على أساس ان وظيفة الرواية هي تقليد الحياة حقا ، ولكن بصورة تغاير كافة محاولات التقليد الاخــرى .

ان الطريق الاخر الذي سلكه هارفي في كتابه الهام ، قد بلوره هذا التعريف الخاص والجديد للتطور الايديولوجي فى مجال النقد الادبي الانجليزى ، كما نلحظ بوضوح في اعمال ايريس مردوك وجون بايلى ، للدرجة التي يمكن معها ان نطلق عـــلى هذا التيار بأنه ليبرالية جديدة . فالرواية ــ يقول هارفى ــ **هي الشكل الفنى المحـــدد لليبرالية** .

وهو يقـــدم الليبرالية الجديدة كفكـــرة موازية للمسيحية والماركسية . ان الواقع ــ كما يقول هـــارفى ــ لم يعط بعد كاملا ، ومحـــاولة فهمه تستوجب المزيد من الخيال ، بل والخيال الفانتازي احيانا . لهذا كانت المسافة بين الواقع والاسطورة تزداد ضيقا واتساعا فى ذبذبة التناقضات التى لا تنتهى . والرواية المعاصرة فى النصف الثانى من القرن العشرين ، هى الاجابة «الليبرالية» على رواية القـــرن التاســـع عشر ، خاصـــة الرواية الرومانتيكية . وهذا ما نقصده بالشـــخصية في الرواية الجديدة ، انها ــ اي الشخصية ــ لم تكن ســـوى حجر زاوية في البنـــاء التقليدى من الاحداث والمواقف والاجـــواء الحالة فى روايات الماضى ، اما الآن في الرواية الليبرالية المعاصرة ــ فان الشخصـــية هي المحور والحـــدث والموقف والجو .. جميعا .



تجربة العمل السياسى في قطاع المقاولات

ابراهيم بكر

يعتبر المقاول نموذجا للوسيط البالغ التطفل على عناصر الانتاج في النظام الراسمالى خاصة في مجال الانشاءات . اذ ان كل عملية من عمليات التشييد تتكون من عدة عمليات انتاجية مركبة تدخل فيها خامات مختلفة وحرف متعددة وتخصصات فنية يعمل المقاول ما وسعه الجهد ، على نيل اقصى عائد ممكن من وراء كل منها على حدة ثم في النهاية من وراء العملية الكبيرة ككل .

ويقوم نشاط المقاول اصلا على استغلال العناصر الآتية :-

اولا - **العمالة** : تدخل اجور العمالة في تكاليف الانتاج ولعل مستوى اجور العاملين في حرف التشييد لا يزال اقل المستويات بين اجور العاملين في القطاعات الاخرى بصفة عامة حيث تعتمد غالبية الاعمال على العمال اليدويين الغير متخصصين او نصف متخصصين ، واجور معظم هؤلاء لم تتجاوز الحد الادنى ، واذا هي بلغته فليس ذلك نتيجة الخوف من القانون وانما نتيجة لامتصاص الصناعات المختلفة التي يجرى بناؤها طبقا لخطة التنمية ، للايدى العاملة النازحة من القرية الى المدينة .

ثانيا - **المواد الخام** : ومعظم المواد اللازمة لعمليات التشييد ، اذا استثنينا الحديد والبترول ، ترجع في الاصل الى خامات اسعارها في الطبيعة رخيصة جدا . فاذا ما اضيفت اليها تكاليف تصنيعها واجور النقل تعتبر نسبيا ضئيلة الى جانب ما يحصل عليه المقاول ثمنا لتوريدها للجهة صاحبة المشروع .

ثالثا - **التنفيذ** : ولعل التلاعب في هذا الباب هو الذى سمح لمعظم المقاولين في ظل القطاع الخاص بالثراء الفاحش ،

ويقتضي هذا الباب نوعا من الاجتهاد (الشخصي) للمقاول ومعاونيه المقربين ويتم معظمه بالتواطؤ مع المشرفين على المشروعات التي يجرى تنفيذها واحيانا « باستغفالهم » في كميات التوريد وتنفيذ المواصفات . ويكفي للتدليل على ما يمكن ان « يدره » هذا الباب على المقاول من « ارباح » ان نوضح المثل الاتي :

لو فرض ان لدينا مقاولة انشاء ورصف طريق يلزم له كميات من مواد الرصف مثل التربة الزلطية والدبش والاسفلت فانه باهمال نسبة يسيرة جدا من تنفيذ عملية ضغط التربة فانه يمكن اعطاء طبقة مجهزة ولكنها ليست في مستوى الضغط المطلوب بل اقل منه قليلا . وهذه النسبة الضئيلة التي قد لا يتجاوز سمكها نصف سنتيمتر لو ضربت في عرض الطريق الذى لن يقل عن ثمانية امتار وطوله يقاس بالكيلومترات فانه يمكن ادراك « العائد الهائل » الذى يجنيه المقاول من هذا الاهمال البسيط لتنفيذ مواصفات عملية الضغط ويتمثل هذا العائد في ثمن كميات المواد اللازمة لعمل هذه التربة وكذلك العمالة اللازمة لتنفيذها واجرة الالات والوقت . ومع ذلك فان هذا التفاوت « اليسير » يمكن للمشرفين على التنفيذ من مندوبي الجهة صاحبة المشروع التغاضي عنه واستلام الاعمال باعتبارها سليمة ومطابقة للمواصفات اذا رغبوا في ذلك واذا لم يكن ذلك بعلمهم فانه يعد نوعا من الاهمال البسيط جدا مما يتجاوز عن المحاسبة عليه .

وبهذه الوسائل امكن للمقاولين في ظل القطاع الخاص ان يجنوا ارباحا طائلة وان يضاعفوا « رؤوس اموالهم » والتي بدأ معظمها قريبا جدا من الصفر . في الوقت الذى كان يتم تهريب هذه الارباح من الضرائب حيث كان يجرى قيد استهلاكات وهمية وخيالية للالات والماكينات المستخدمة في الاعمال مما كان يهبط بقيمتها دفتريا عند المحاسبة هبوطا غير عادى الامر الذى هبط بالتالي بقيمة رأس مالها عند التأميم حيث اخذت معظم لجان الجرد والتقييم بالقيمة الدفترية التي كانت تختلف اختلافا شديدا عن القيمة الفعلية وتقل عنها اضعافا .

ولكي يحقق المقاول في ظل القطاع الخاص هذه السياسة سواء في التنفيذ او الادارة والمحاسبة فانه يستخدم الثقات من اقرب الناس اليه في بادىء الامر مع ضغط العمالة لديه بالحد الادنى الذى يكفي بالكاد لمواجهة اعباء التنفيذ بينما هو يمسك بقبضة من حديد كافة الاعمال الادارية والحسابية . فاذا اتسعت الاعمال وتحولت منشأة المقاول الفرد الى شركة لجأ الى الاستعانة بذوى الخبرات الفنية من معارفه ايضا او ممن يتقدمون اليه بضمان اقاربه او معارفه مشترطا ان يكون الولاء للعمل من خلاله شخصيا . ولهذا فان العامل الذى كان يستمر طول يومه في العمل على آلة معينة كان يكلف في آخر النهار باجراء الصيانة اللازمة لها بما يستغرق وقته كله لقاء « اجر اضافي » بسيط وان كان مغريا في نظر العامل باعتباره زيادة طارئة على اجره المقرر .

وازاء هذا العمل المتفاني في خدمة المقاول ، يصبح اى صوت غير عادى ، يطالب بحقه تمردا يعمل المقاول على ان يسحقه بشدة تتمثل في قرارات الفصل التي ينعتها القانون بانها تعسفية ويقرر ازاءها تعويضات للعامل المفصول يدفعها المقاول عن طيب خاطر ثمنا لاسكات هذا الصوت .

وكان من نتيجة هذه السياسة ان اختفت كل آثار الصراخ التي لابد جاشت يوما بين صفوف العاملين في هذا القطاع . خاصة وان محاكم العمال كانت تتسم بالبطء في نظر قضايا العمال المفصولين بلا عمل ولا اجور ليحتملوه متحدين رب العمل بامكانياته في تكليف اقدر المحامين لسرد « عدوان » المتمردين لدى القضاء ومن ثم كان شبح الفصل كفيلا بقتل هذه الصرخات .

وعلى هذا يمتد تصنيف نوعية العاملين في قطاع المقاولات على النحو الاتي :

● ارباب الادارة ورؤساء العمل والعمال المهرة وهؤلاء صلتهم وثيقة برب العمل وهم اهل ثقته من اقاربه او معارفه ويشترط بينهم جميعا الولاء التام لشخصه وعمله ويعتمدون في معيشتهم كلية على ما يجود به عليهم فضلا عن توفير الهيبة لهم وسط العاملين لضمان السيطرة واحكام الزمام بين العاملين .

● العمال النصف مهرة وهؤلاء يبدأون عملهم لدى المقاول منذ حداثتهم لانخفاض أجورهم من ناحية ولضمان ولائهم من ناحية اخرى . وبالطبع فان تدرج هؤلاء العمال في المهارات الحرفية لا يستتبع اطراد الزيادة في اجورهم بل تظل اجورهم محتفظة تقريبا بارقامها الهزيلة على ان يغطى الزيادة المفترضة من الاجور الاضافية والمنح التي يكون لها وقع يفوق وقع العلاوات الدورية الذى كان لا يأخذ به نظام المقاولات في ظل القطاع الخاص مطلقا .

● العمال الزراعيون الوافدون من الريف بعد أن ضاقت بهم مساحة الاراضي الزراعية وهؤلاء يجدون الطريق سهلا للانخراط في سلك عمال الاتربة التي لا تختلف عن الاعمال التمهيدية في مجال الزراعة . وتبعا لما يكون لدى الفرد من هؤلاء من تطلعات وطموح وما يبديه من استعداد في خدمة رب العمل وطاعة رؤسائه المباشرين فانه قد يسمح له بين الحين والاخر وفي حالات الاحتياج ان يتولى التدريب على احدى الالات او المعدات ربما لدى غياب قائدها الاصلي حتى يصبح عاملا عليها ولكن اجره

لا يرتفع ابقا الى هذا المستوى وانما ببطء شديد مع التعويض عن طريق الدخول الاضافية من منح ومكافآت تشجيعية. وقد كان قانون العمل رقم ٣١٧ لسنة ١٩٥٢، ومن بعده القانون رقم ٩١ لسنة ١٩٥٩ يحمي سيطرة رب العمل ، حيث كانت تنفى المادة ٧٥ من هذا القانون الاخير على حق رب العمل فى فصل العامل دون مكافأة او تعويض فى حالة اعتدائه على رب العمل او احد رؤسائه . وقد ذهبت محاكم العمل بصفة عامة الى اعمال هذا النص وفسرت الاعتداء على انه قد يكون بالفعل او القول او الاشارة وهو مايسهل ادعاؤه على اى شخص يراد التخلص منه .

التشكيلات النقابية : اوضحنا فيما تقدم ان تكتل العاملين داخل وحدات الانتاج فى قطاع المقاولات كان امرا غير ممكن . ولكن النظم القانونية كثيرا ماتتطلب مراعاتها الوفاء باشكال معينة مثل ضرورة تنظيم النشاط النقابي والتى اصبحت من جانب رب العمل ايضا تستخدم لامتصاص التذمر الذى قد يكون فى غير صالحه ويضفى على نشاطه طابع الشرعية .

وهذا النظام يحفل بالعناصر الانتهازية والنفعية التى تتكاثر باستمرار متسللة ما وسعها الجهد الى قمته بالتقرب ــ بشكل مباشر او غير مباشر ــ لدى رب العمل الذى يوحى الى هذه الفئات ان تشترك فى التنظيمات النقابية ويفرضها فرضا على المراكز الرئاسية فيها .

وقد كانت قوانين يوليو سنة ١٩٦١ الاشتراكية كفيلة باذابة هذا النظام بعد تأميم منشآت المقاولات ضمن ما تم تأميمه فى مختلف ادوات الانتاج وذلك فيما لو نفذت هذه القوانين تنفيذا ثوريا وبروح اشتراكية حقيقية . ولكن عقبة كاداء حالت دون بلوغ هذا الهدف ، اذ ظلت المشرفون على هذه المنشآت ان اقدر الكادرات لادارتها هم اصحابها الذين نجحوا فى تكوينها من العدم تقريبا . ومن تم اسندت اليهم المراكز الرئيسية والحساسة فى الشركات « المساهمة » التى تم تكوينها من المنشآت المؤممة بموجب قوانين التأميم . وقد فات المسئولين عن التنفيذ ان اصحاب منشآت المقاولات بحكم طبيعة تكوينهم ، وبحكم اوضاعهم الفكرية التى لم تكن تنظر الى قوانين التأميم الا باعتبارها «نكبة برامكة» حلت بهم ، ولايمكن لهم أن يقودونها فى طريق خدمة الاقتصاد الوطنى او مصالح العاملين .

ولما فرضت الى جانبهم فى معظم القطاعات رئاسات من الخارج ، بدا نوع من التنافس على السلطة وتكونت الشلل المتنافسة وفى بعض الحالات امكن ــ بفضل سيطرة المقاول السابقة على عماله ــ عزل القيادات الحكومية الجديدة عن كافة المجالات حتى العملية منها وانفردت بالسلطة والنفوذ القيادات السابقة والتى لم تستطع تغيير ولائها للمقاول كما لو كانت محصنة ضد الاشتراكية والديمقراطية

التشكيلات السياسية : ــ

وفى ظل هذا الجو لم يكن من الممكن الوصول باحكام قانون الاتحاد الاشتراكي العربى الى حيز التنفيذ الثورى فى ضمان سلامة الانتخابات وحريتها عند تشكيل لجان العشرين ، حيث بقى النفوذ المطلق لصاحب الشركة سابقا ، اذ اوكلت اليه السلطات التنفيذية الفعلية باعتباره « صاحب الخبرة » . ولذلك فان تشكيل لجان العشرين للاتحاد الاشتراكى العربى بالوحدات الاقتصادية بقطاع المقاولات ، اسفر عن واجهات «شكلية» لايرغب اعضاؤها فى تطوير العلاقات داخل الوحدات ، بل ظلت عقيدة «البكوات» اصحاب رأس المال حاجزا سميكا يحول دون الاتصال الثورى بين هذه اللجان وقواعدها ومانعا من تذويب الفوارق الفعلية القائمة فى التعامل حتى داخل الاجتماعات بين الاعضاء انفسهم على مختلف مستوياتهم .

وليس من قبيل الصدفة ان تجرى الانتخابات داخل اللجنة لاختيار الامين ويفوز بالمنصب المقاول شخصيا او من يقوم مقامه اذا لم يكن قد رشح نفسه، ولهذا جاءت هذه اللجان بحكم تكوينها واتجاهاتها متناقضة تماما مع الاهداف المحددة من تجميع قوى الشعب العاملة فى الاتحاد الاشتراكى العربى .

فمنذ اوائل عام ١٩٦٥ جدت بعض الظروف التى اقتضت ابعاد ارباب العمل السابقين عن مناصبهم القيادية فى الاجهزة الادارية . ولم يتبع ذلك اى اجراء بالنسبة لصفاتهم السياسية . وهنا برزت ظاهرة خطيرة اكدت ما اسلفناه عن سوء التكوين الذى صاحب التشكيلات السياسية فى بداية الامر . فكما اوضحنا ان قيادات الصف الثاني ــ ان لم يكونوا اصلا اقرباء ارباب العمل او شركائه ــ فقد كان معظمهم من الانتهازيين المنتفعين . ومن ثم كان محور ارتكازهم جميعا هو نفوذ رب العمل السابق الذى استمر بعد التأميم فى صورة عضو بمجلس الادارة او مدير فلما ابعد هذا المحور انهارت اداة الربط وتفتتت هذه « القيادات» فى اتجاهات متعددة، كل يلجأ الى مصدر النفوذ الذى يعتقد انه اقرب الى تحقيق مطامعه . او الى صاحب السلطة الاقرب الى الشمول او القريب جدا من المسئولية فى الجهاز الادارى المسيطر . وتبعا لتعدد جهات النفوذ والسلطة تعددت التجمعات والشلل وتحدد الولاء السياسى تبعا لهذا التفتيت الطارىء على التشكيلات السياسية داخل الشركة

الواحدة ، وان كانت جميعها تعمل بهدف تحقيق المصلحة الذاتية لاعضائها فى المقام الاول . وفى اتجاهها هذا لايخلو الامر من ان تتصدى هذه التشكيلات لبعض المسائل الفرعية التى تبدو فى صورة تسهيلات واجراءات صريحة بالنسبة لجماهير العاملين ذوى الدخول البسيطة ،كأن تتعرض هذه التشكيلات – على سبيل المثال – للمطالبة بمنح قروض للعاملين فى المناسبات كالاعياد ثم تواصل هذا الاتجاه بمحاولة تسهيل اجراءات سداد هذه القروض وغيرها من الامور التى يمكن ان تكون شاغلا للتفكير اليومى للعاملين البسطاء وتصرفهم عن التفكير فى المشاكل العامة او مشاكل الانتاج داخل الوحدات ذاتها . وفىنفس الوقت تعطى لاعضاء هذه التشكيلات نوعا من « الرواج الشعبى » لدى جماهير العاملين باعتبارهم يستجيبون لمطالب يومية عاجلة تشغل بالهم فعلا .

ولتقييم التجربة السياسية لهذه التشكيلات فانه كان يتعين اجراء رقابة مباشرة لتصرفاتها فى الفترة السابقة فى مجال العمل داخل وحداتها ولا يجوز الحكم عليها من واقع محاضرها التى تحرر بصورة غير ديمقراطية بالمرة والتى لا يمكن ان تكون معبرة بحال من الاحوال عما يدور داخل هذه اللجان .

وينبغى فى هذا المجال الايكون للاتصال الشخصى الذى يقوم به بعض اعضاء هذه اللجان اثر على تقييم التجربة لدى الاجهزة القيادية فى المستويات الاعلى داخل المكاتب التنفيذية التى تتبعها هذه اللجان . فمن الواضح انبعض الذين يتصلون بهذه المستويات بصفة مباشرة او مستمرة يعطون لهذه القيادات صورا محرفة وغير دقيقة بالمرة . فضلا عن ان هذه الاتصالات تعطى هؤلاء « المتصلين » نوعا من الثقة الشخصية لدىهذه الاجهزةدون ان تستند فعلا الى رصيد حقيقى من حيث الجهد الفعلىفى عملية البناء السياسىاو التطوير الواعى للعمل السياسى داخل هذه التنظيمات الامر الذى قد يبتعد بهذه القيادات عن الموضوعية والدقة عند محاولة الحكم على التجربة من خلال هؤلاء « الواصلين » ،وبالتالى يدور العمل السياسى فى حلقة مفرغة خاصة اذا ما اعطى لهذه القيادات حق الاختيار والاعتراض على المرشحين فى اى انتخابات مقبلة وقبل ان يبعدها نهائيا اصحاب النفوذ القدامى عن مجال العمل بصورة حاسمة ونهائية او تصفى العناصر الانتهازية التى طال – نسبيا – السكوت عليها وتركها تعبث فى مجال العمل السياسى بالافساد والتضليل والتهريج .

وينبغى قبل اجراء اى انتخابات مقبلة ان تتولى الاجهزة المختصة داخل الاتحاد الاشتراكى العربى بامانته العامة وبمساعدة ...سب التنفيذية المختصة ، اجراء حملات عاجلة للتوعية بابعاد العمل السياسى فى المرحلة المقبلة او « المواصفات » التى تتطلبها المرحلة القادمة فيمن يجب اختيارهم فى التشكيلات المقبلة سواء فى اللجان النقابية او مجالس الادارة او تنظيمات الاتحاد الاشتراكى على الا تأخذ هذه الحملات شكل المهرجانات او الحفلات الخطابية وانما تتم فى صورة ندوات جادة وموضوعية تتسم بالطابع التعليمى لمحو الامية السياسية لدى بعض العاملين والحد من السيطرة الشخصية للانتهازيين الذين واكبت تصرفاتهم وافكارهم العمل السياسى طوال المرحلة السابقة .

مناقشات مفتوحة

- الجماهير ووحدة القوى الثورية — السيد شعراوى
- تجربة فى الادخار — مصطفى حامد الخليفة
- حول العلاوات الدورية والانتاج — احمد عبده الليثى
- رد على دراسة ربط الاجر بالانتاج — ابراهيم عياد
- شباب اللجنة الثقافية لاتحاد طلاب كلية الاداب
- نضال الطلبة .. فى ليبيا
- الطلبة العرب ضد مذابح الرجعية السعودية

الجماهير ... ووحدة القوى الثورية

كتب المواطن السيد شعراوى من الاسكندرية، عن وحدة القوى الثورية ، يقول :

لقد اصبحت قضية وحدة القوى الثورية العربية والمطروحة الآن فى جدول اعمال جميع الثوريين العرب ، قضية الساعة . بل وبالغة الاهمية – ولاسيما بعد ان بدت جبهة الاستعمار والرجعية اكثر ضراوة وشراسة عن ذى قبل ، فى معركة صراعها مع قوى الثورة العربية .

والامة العربية – كما قالها المناضل جمال

عبد الناصر في مؤتمر المحامين العرب « تحتاج الى كل قواها القادرة لكي ترد وتحطم غارة مركزة من اعنف غارات تحالف الاستعمار والرجعية ضدها بكل اسلحة الحرب الاقتصادية والنفسية والعسكرية ايضا » . والواقع انها اعنف غارة مركزة . فالاستعمار وغلاة الرجعيين لا يفتأون ينظمون صفوفهم ويرسمون المخططات ويدبرون المؤامرات . وذلك في انتظار اللحظة التي يحلمون بها لينقضوا على اعظم واروع ما حققه الانسان العربي في مصر ، وبالتالي استعادة نفوذهم ومراكزهم في ارجاء العالم العربي . ومن هنا تعقد جماهير العالم العربي الامال الكبار في تحقيق شعار وحدة القوى الثورية العربية .

والجماهير العربية لا تكتفي برفع الشعارات بل انها مستعدة — وقد برهنت على ذلك من قبل — ان تضحي في سبيل حماية حاضرها ومستقبلها بل وان تقاتل حتى الموت .

واذا كان الاتفاق واضح تماما بين جميع القوى الثورية على تحقيق الوحدة الثورية ، فماذا بقي؟ نعتقد ان هناك نقطتان :

اولا : اقامة وحدة ثورية بين القوى الوطنية والتقدمية في كل بلد عربي على حدة وبما يلائم ظروفه وملابساته ومن خلال صراع فكري للوصول الى الوحدة الفكرية .

ثانيا : تحقيق الوحدة الثورية بين جميع القوى الوطنية والتقدمية على النطاق القومي .

وعن النقطة الاولى نقول انها خطوة هامة وضرورية . فاذا نجحت القيادات الثورية — كل في وطنها — في تعبئة وحشد الجماهير خلف طليعتها الثورية وحلت المتناقضات الموجودة بينها بالطريقة الثورية ، فعندئذ تستطيع هذه القيادات ان تخطو خطوات نحو الوحدة بين القوى التقدمية العربية ككل . والجماهير العربية تأمل في هذه القيادات الثورية . لماذا ؟ « لانها هي وحدها القادرة على الصمود حتى النهاية . لانها وحدها القادرة على قطع صلاتها بالاستعمار والرجعية المتحالفة معه » . والجماهير العربية صاحبة المصلحة الحقيقية في اقامة مجتمع اشتراكي لا استغلال فيه ، هي التي لا مصلحة لها في استمرار جبهة الثورة المضادة .. جبهة الاستعمار والرجعية . ومن هنا تأتي اهمية تنظيم هذه الجماهير وحشدها وراء شعارات ثورية تتناسب وتتمشى مع ظروف كل بلد عربي على حدة . فمما لاشك فيه ان لكل بلد عربي خريطته الطبقية التي تميزه عن غيره من الاوطان ، وهناك من الطبقات التي هي على استعداد ان تقف في وجه الغزو الاستعماري وتحافظ على الاستقلال الوطني مع انها ربما تقف ضد الشعارات التي تحقق للجماهير الكفاية والعدل الاجتماعي . المهم في هذه المسألة ان كل قيادة ثورية ، عليها ان تعي ظروف وطنها وتعبر بصدق واخلاص عن مشاكل وقضايا بلادها . ولن يتأتى ذلك الا عن طريق كفاح طويل . وكما قلنا يجب مشاركة الجماهير معها حتى لاتنعزل . ويجب ان تعي القيادات الثورية ان عالم اليوم ليس هو عالم الامس ، فقد تغيرت العلاقات الاجتماعية وزادت التناقضات واتسعت، وتعددت الصراعات واختلفت في اسلوبها وفي حدتها .

كذلك تعي القوى الثورية العربية انه لم يعد ينظر الى اية قضية من جانب واحد ، او تطبيق مقياس ما يسمى بالابيض والاسود في الحكم على الامور .

واذا نظرنا على الصعيد العالمي نجد ان قوى الاستغلال والراسمالية لم تعد هي القوى المتحكمة عاليا ولا المتفوقة ولا هي ايضا الاكثر تعبيرا عن متطلبات العصر . بل اننا نجد ان الاشتراكية تتجه لكي تحتل مكانها .

وهنا نذكر كلمة المناضل جمال عبد الناصر : « ان القوى الوطنية الثورية مطالبة قبل اي شيء آخر بان تبنى قواعدها الاساسية في اوطانها ومع جماهيرها . وهذا هو العامل الذي يحدد مكانها في مجال وحدة القوى القومية الثورية » .

هذا عن القضية الاولى . اما قضية وحدة القوى الثورية على النطاق العربي ، فانها مرحلة هامة وصعبة في نفس الوقت «لاننا لانواجه معركة عادية محددة الخطوط وتجري في ميدان مقفول . وانما معركتنا شاملة وغير محدودة . كل شيء مستهدف ، وكل سلاح مستباح ، وذلك يقتضي اول ما يقتضي تحليلا دقيقا لقوى العدوان وكشف اطرافها وتعرية ارتباطاتها . ذلك فضلا عن انه يسهل عملية ضربها وهزيمتها ، ويعزز قوى الثورة دائما باحتياطات جديدة من قوى الجماهير التي سوف يتاح لها اكثر ان ترى الضوء وان تسير في اتجاهه » .

وتعدد اللقاءات بين القوى الثورية العربية ، له اهمية بالغة ، فلن تختفي التناقضات والحساسيات بينها الا عن طريق اللقاءات التي يتم فيها الوضوح الفكري وتفهم كل قيادة ثورية لاخرى . والصراع والوحدة عمليتان ضروريتان من اجل الوحدة الثورية ولهزيمة الاستعمار والرجعية ايضا .

ان مشاركة الجماهير العربية عن طريق تنظيماتها السياسية ، وفي طرح قضية وحدة القوى الثورية ، تعطى دفعة قوية من اجل تحقيق هذا الشعار . ولكن ينبغي ان يكون هناك دائما حملات توعية للجماهير العربية العريضة عن اهمية وحدة القوى الثورية العربية . ولماذا تقف القوى الاستعمارية والرجعية في وجه كل تكتل ثوري وتحاول ان تقضي عليه . ومشاركة القوى الثورية لقواعدها الجماهيرية في مناقشة قضية وحدتها،

انما تحشد بذلك مظاهرة ضخمة رائعة من الجماهير تتحطم امامها مؤامرات ومناورات الاستعمار .

ان الجماهير العربية متلهفة الى اليوم الذى تغرب فيه قواعد الاستعمار والرجعية من الوطن العربى ، وتقيم مجتمع الوحدة والعدل الاجتماعى .»

●

تجربة .. فى الادخار

وكتب المواطن **مصطفى حامد الخليفة** مقرر عام الدارسين السياسيين بشركة الاسكندرية للغزل والنسيج ، عن تجربة قام بها الدارسون لتعميم شهادات الاستثمار على العاملين بالشركة «.. فيقول :

نظرا للتحديات التى تواجهنا ، والعقبات التى يضعها فى طريقنا الاستعمار واعوانه من الرجعية العربية والصهيونية ، والضغوط الاقتصادية التى تمارسها ضدنا الامبريالية العالمية ، وتلبية لنداء الزعيم العربى جمال عبد الناصر فى مجال الادخار ، لذا قمنا نحن الدارسون السياسيون بشركة الاسكندرية للغزل والنسيج تحت اشراف المكتب التنفيذى بالمحافظة ومكتب تنفيذى قسم باب شرقى باقامة ندوة دعيت اليها جميع التنظيمات الشعبية والادارية بالشركة ، واتفق على القيام بتجربة ادخار جماعية لجميع العاملين بالشركة بعد طرح الفكرة عليهم .. وشكلت لجنة من جميع هذه التشكيلات بعد عمل التوعية الشاملة للعاملين واتفق على الاتى :

تعميم شهادات استثمار على جميع العاملين بالشركة وتعدادهم حوالى سبعة آلاف عامل ستكون حصيلة مدخراتهم شهريا حوالى ١٥٠٠ ج الف وخمسمائة جنيه اعتبارا من اول ابريل ١٩٦٧ وتقوم الشركة بتحصيل هذه المبالغ من الاجر على النحو التالى :

فئة الاجر بالجنيه	قيمة القسط بالقروش	فئة الشهادة ج م	ميعاد استلامها
٧ — ١٢	١٠	١	فى الشهر العاشر
١٣ — ٢٠	١٢٫٥	١	فى الشهر الثامن
٢١ — ٤٠	٢٥	١	فى الشهر الرابع
٤١ — ٦٠	٥٠	١	فى الشهر الثانى
مايزيد عن ٦٠	١٠٠	١	شهادة شهريا

واننا نسوق هذه التجربة التى قام بها الدارسون بالتعاون مع التنظيمات الشعبية لزملائنا فى الوحدات الانتاجية حيث يعتبر هذا جزءا من نشاطنا فقط ، ونود ان نستفيد من خبرتهم عن طريق الصحف والمجلات التى تقوم بدورها الكبير فى نشر القيم والمفاهيم والتجارب

الاشتراكية . ولكى نستطيع ان نتخطى مرحلة التحول الاشتراكى باقصى سرعة ممكنة ولنساهم مساهمة ايجابية وفعالة فى بناء مجتمع تسوده الكفاية والعدل .

●

حول .. العلاوات الدورية والانتاج

وكتب المواطن **احمد عبده الليثى** ، عامل بمطابع مؤسسة الاهرام ، معقبا على مقال **عبد العزيز بخيت** الذى نشر فى العدد الماضى بعنوان **«العلاوات الدورية مصدر التواكل والتكاسل»** يقول :

.. واود ان اقترح ، ان يتولى رئيس كل وحدة عمل او انتاج ، كتابة تقرير دورى — شهرى مثلا — عن نشاط العاملين فى الوحدة .. مراعيا :

اولا : الكفاءة والانتاج . **ثانيا :** قدرة العامل على المواظبة على العمل واحترامه للوائح والتعليمات الصادرة اليه . على ان تخصص كل وحدة عمل ، لوحة خاصة تعلق بها نتيجة التقرير الشهرى لجميع العاملين فى الوحدة .

ويراعى عند عمل التقرير الشهرى السنوى .. النزاهة والصدق وعدم المحسوبية ، حتى تكون النتائج اكثر فائدة وفاعلية ، وحتى تخدم الهدف الحقيقى وهو الارتفاع بمعدلات الانتاج فى الدولة .

ونستطيع ان نقسم العاملين ، فى نهاية العام الى : مجموعة **ممتازة** حققت أكبر قدر من الانتاج ومجموعة **جيدة** حققت انتاجا مرتفعا ، ومجموعة **متوسطة** حققت الانتاج المطلوب دون زيادة . **أما الفئة** التى لم تحقق حتى الانتاج المطلوب ، فيجب ملاحظتها وتوجيهها باستمرار . وبعد ذلك توزع العلاوة الدورية وفقا لنتيجة هذا التقييم .»

●

رد على دراسة « ربط الاجر بالانتاج »

وارسل الاخ ابراهيم عياد عضو المكتب الفنى لوكيل وزارة الخزانة لشئون الحسابات ، الخطاب التالى :

السيد/ رئيس تحرير الطليعة
تحية .. وبعد

يسرنى ان اكتب لسيادتكم بعد اطلاعى على العدد الاخير من الطليعة ، والذى اوردتم فيه كتابات عن «تقادير وشهادات

واقعية عن سياسة ربط الاجر بالانتاج» وما تتضمنه هذه السياسة من مفاهيم خاصة بتغير الطريق التعاملي بين الوزارات والافراد وانهاء امبراطورية الروتين .

وقد رأيت ان اختص الطليعة بأن السيد/ أنور شلبي وكيل وزارة الخزانة لشئون الحسابات قد طلب تعديلا جذريا لاغلب أنظمة الحسابات السائدة . وقد تم بالفعل عرض اغلب هذه التعديلات على الدكتور نزيه ضيف وزير الخزانة لاقرارها .

وقد استنت وزارة الخزانة سنة حميدة، فخصصت وحدة تتبع حسابات الحكومة لتلقى اى اقتراح او شكوى لتقوم بفحصها لتعميم الفائدة اذا كانت تستحق التطبيق على وجه العموم .

هذا وقد ارسلت وزارة الخزانة القانون المالى الجديد — الذى سيعنى ثورة على اللوائح والقوانين — الى مجلس الدولة لاقرار صياغته قانونيا ، وسيترتب على ذلك تغيير كافة النصوص واللوائح والتى كانت وزارة الخزانة قد طلبت سلفا من الوزارات الاشتراك معها فى وضع القانون المالى مما يتراءى لها من تعديلات واقتراحات
وتفضلوا فائق الاحترام .

●

شباب اللجنة الثقافية لاتحاد طلاب كلية الاداب

ارسلت اللجنة الثقافية التابعة لاتحاد طلاب كلية الاداب جامعة القاهرة ، العدد الاول (١٥ مارس ١٩٦٧) من مجلة « **الشـــباب** » التى تصدرها وتتخذ شعارا لها من كلمات الميثاق التى تقول « ان الجامعات ليست ابراجا عاجية، ولكنها طلائع متقدمة تستكشف للشعب طريق الحياة » .

وتفتتح « **الشباب** » صفحاتها بمقال للدكتور فتحى الشنيطى عن « **فيتنـــام .. رمز الكفاح البطـــولى** » .. وعن « **الوجودية** » يتحدث **علاء حمروش** بعد ذلك ويدلى ببعض الاراء عن تفسير الوجودية ، نفاها سارتر فى احاديثه اثناء زيارته للقاهرة ، ولكن الكاتب ينسبها لسارتر كأن يقول « ويرى سارتر انه يجب البدء من الذاتية لاجل دراسة الانسان .. » والحقيقة أن سارتر يرى غير ذلك كما جاء فى لقائه مع رواد قصر الثقافة باسوان اذ قال « ولست اعتقد مطلقا ان الفكر الوجودى يتطور ابتداء من نقطة الانطلاق الذاتية . ان الوجودية بكل بساطة تعنى بان تحل فى اطار الفلسفة الاشتراكية العلمية عددا من القضايا التى اهملتها الماركسية » . وعن « **الالتزام .. فى الادب والفن** » يكتب **وحيد محب** ويفند مزاعم اعداء الالتزام موضحا اهميته ومضمونه . وبعد ذلك يتعرض **راجح رزق** تحت عنوان «**حوار حول الاتحادات الطلابية**» ،بتحليل أسباب عزوف الطلبة فى رأيه عن ممارسة دور ايجابى مع الاتحاد . ثم يعود **وحيد محب** ليكتب عن المسرح وينقد مسرحية «**أ.ب**» **لناظم حكمت.** وفى آخر صفحات « **الشباب** » نجد « **أخبار من الكلية** » ثم «**قاموس الاشتراكية**» عن اليمين واليسار .

والطليعة تحيى جمهور اسرة تحرير «**الشباب**» وتقدر تماما اهمية الدور الايجابى الذى يمكن ان تؤديه لخدمة القضايا الطلابية . وتود ان تقول — باخلاص — ان الاهتمام بشكل المجلة مسألة هامة .. فاخراجها وخط عناوينها .. بدائى للغاية. ويمكن ان يتحسن كثيرا وبنفس الامكانيات. وغير معقول ان يكتب فى منتصف الغلاف تقريبا اسم مكتب الآلة الكاتبة الذى طبع المجلة وعنوانه ورقم تليفونه . وعلاج ذلك — فى رأيى الطليعة — بتوسيع عدد الطلبة والطالبات المساهمين فى هذا الجهد اذ لابد ان يكون فيهم من يستطيع ان يكتب خطا أحسن أو يرسم أحسن . والمسألة الثانية.. هى ضرورة التركيز على القضايا الطلابية جنبا الى جنب الاهتمام بالقضايا العامة .

●

نضال الطلبة .. فى ليبيا

بعثت **اللجنة التنفيذية للاتحاد العام لطلبة ليبيا، فرع المملكة المتحدة** ، ببيان للطليعة هذا نصه :

ايها الاخوة الصامدون ..

لا زال اخوتنا الطلبة فى داخل ليبيا وخارجها والمناضلين من اجل الحريات الطلابية ومن اجل الحفاظ على حقوقنا النقابية والديمقراطية .. ما زال اخوتنا جميعهم يقفون وقفة الرجل الواحد فى وجه قرارات التعسف والسجن الجماعى وفى وجه اعداء العلم والحرية .

لقد رمت الحكومة بـ ٤٧٠ من اشقائنا فى السجن (٣٠٠ فى طرابلس و ١٧٠ فى بنغازى) من جميع ارجاء البلاد . بينما لا تزال الدراسة شبه معطلة فى كليات الجامعة الليبية . ان الاخبار الاكيدة التى تصلنا تفضح افتراءات هذه الحكومة ومصادرها المسئولة ، يقولون ان الدراسة قد عادت الى مجاريها . فمثلا يداوم على الدراسة فى كلية العلوم ١٤ طالبا !! نعم ١٤ طالبا فقط ، وجميعهم قد اصدرت لهم ادارة الجامعة بطاقات دخول خاصة . ان خير دليل على خطورة الموقف وتأزمه فى بلادنا الحبيبة ، تلك البرقيات المتوالية التى تصلنا من ذوينا يحذروننا فيها من الرجوع الى الوطن ، وذلك عقب نزول قوائم سوداء فى الحدود والمطارات الليبية مدرجة بها اسماء طلبتنا المناضلين فى الخارج للقبض عليهم .

كذلك فقد بعثت السفارات الى طلبتنا فى الخارج ، فى

المانيا وبلجيكا برسائل لتوقيعها ، وذلك كطلبات ارجاع المنح المسحوبة مع تعهد بعدم المطالبة باتحاد فى المستقبل . وكان ان قوبل هذا العرض الحقير بالرفض التام من جميع طلبتنا هناك . ان طلبة اوروبا لن يســاوموا ابدا على مصير اخوتنا الذين يصمدون وبكل شجاعة ورجولة فى وجه زبانية الحكم وسجانيه . اننا نحن فى اوروبا لنترفع عن هذا المستوى اللااخلاقى الذى وصل اليه رجال الحــكم المرتعب فى كبتهم الحريات وشرائهم للضمائر . واننا لنعاهد اشقائنا الرابضين فى السجون .. ولنعاهد من صمدوا فى ايام يناير الخالدة للرصاص الغادر .. ونعاهد من اغتالهم الحكم الظالم .. ونعاهد شعبنا المتوثب .. باننا لن نتخلى عن مطالبنا العادلة واهدافنا المقدسة .

ايها الاخــوة لا تزال حركتنا الطلابية المكافحة تحظى باعجاب وتأييد كل الحركات الطلابية والشعبية التقدمية فى العالم اجمع . فقد قام الوفد الطلابى المنبثق عن اجتماع ممثلينا فى مدينة بون مؤخرا بالاتصال بممثلى المنظمــــات الطلابية لدى الاتحاد العالمى للطلبة — بمدينة براغ — وحيث ابدت هذه المنظمات تأييدها الكامل لنا ولنضـــالنا المشروع ، وابدت استعدادها لتقديم بعثات دراسية فى بلادها لكافة طلبتنا المفصولين فى حالة استمرار الحــكومة فى موقفها الظالم تجاهنا . هذا وان اللجنــة التنفيذية لفرعنا فى بريطانيا ، تواصــل العمل والاتصــــالات مع الشخصيات البرلمانية البريطانية والمنظمات الطلابية البريطانية والاجنبية من اجل مد يد العون الى جماهيرنا الطلابية فى داخل ليبيا وخارجها . ونحن بصدد تكوين « هيئة للدفاع عن الطلبة الليبيين » من اجل فضح موقف الحكومة الليبية الباطل امام الرأى العام العالمى ، وكذلك من اجل استمرار حملة التبرعات فى مجالات اخرى خارج الاوساط الجامعية البريطانية . كذلك تسعى اللجنة التنفيذية اسوة بما قام به اخوتنا المفصولون فى بلجيكا والمـــانيا ، للحصول على تصريحات عمل لكل طالب مفصول فى بريطانيا .

واخيرا ايها الاخوة الصامدون ، ان الجنة التنفيذية تحيى كافة الذين جادوا بكل سخاء ، بتبرعاتهم لصـــالح الطلبة المفصولين ، ونذكر بالذات طلبتنـــا فى ايطاليـــا ، تعبيرا عن تضامنهم ومساندتهم لقضيتنا العادلة . وتحيى تضامن جماهيرنا الطلابية الرائع فى القاهرة وفى بون وفى دمشق وفى بلجيكا وفى بريطانيا ، وتعاهدهم باسمكم جميعا اننا لن نتخلى عن قضيتنا المقدسة .

اننا فى نفس الوقت ، حرصا على مستقبل بلادنا وشعبنا ننادى كافة العناصر المخلصة فى بلادنا للعمل من اجل اقناع المسئولين بالتراجع عن موقفهم الظالم وقراراتهم التعسفية التى تكاد ان تودى بمصير جيل باكمله . اننا نحمل الحكومة القائمة مغبة الجريمة الشنعاء فى حق ليبيا وابنائها . اننا كرر ونطالب الحكومة :

اولا : بالاعتراف بالاتحاد العام لطلبة ليبيا .
ثانيا : باعادة الطلبة المفصولين الى معاهدهم .
ثالثا : باعادة المنح المقطوعة الى المبعوثين بدون قيــد او شرط .
رابعا : بالافراج عن اشقائنا المسجونين .

عاش نضال حركتنا الطلابية العادل .
لتسقط قرارات الجهل والتعسف .
الخلود لشهدائنا البيجوويين حريز والنقاز .
مانشستر . مارس ١٩٦٧ .

●

الطلبة العرب .. ضد مذابح الرجعية السعودية

وتلقت الطليعة احتجاجا موجها منخمسة عشر رابطة واتحادا وهيئة للطلبة العرب ضد مذبحة السبعة عشر يمنيـــا التى اقترفتهــــا السلطـــات السعودية . وقد قدم الاحتجاج الى سفارة المملكة العربية السعودية فى باريس .

نص الاحتجاج الموجه الى سفارة المملكة العربية السعودية فى باريس

ان المذبحة البشعة التى سفكت فيها السلطات الحاكمة فى المملكة (السعودية) علنا وفى ميدان عام بالرياض دماء السبعة عشر يمنيا ، والتى هزت ضمائر الاحرار العرب ، وروعت الضمير الانسانى فى كل مكان ، لتمثل للرأى العام العالمى ابشع جريمة منكرة تخلت عنهـــا الانســـانية منذ قرون .

ان دماء هؤلاء الشهداء التى اريقت على مذبح الحرية لن تجف على الارض .. وانما ستظل وقودا يشعل نار الثورة ، ومدادا يخط معالم الطريق ، ومشعلاينير لجماهيرنا الثورية الزاحفة آفاقا لمستقبل تشرق فيه شمس الديمقراطية والاشتراكية .

لقد فضحت ثورة اليمن الباسلة الحكم الامامى العبودى الذى كان يماثل — ان لم يزد — فى بشاعته ووحشيـــته القرون الوسطى .. ومن ثم فلا غرابة ان جريمة بمثل هذه الوحشية ترتكب من قبل حـــكام العربية (الســـعودية) الحلفاء الطبيعيين لاسرة حميد الدين التى سحقها الشعب اليمنى فى ثورة ايلول (سبتمبر) ١٩٦٢ المنتصرة .

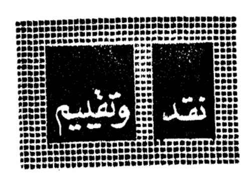
ان الجماهير العربيــــة الثورية لواعية تمـــاما لدورها التاريخى فى تحرير الوطن العربى كله من الامبريالية العالمية والاحتكارات البترولية والرجعية العربية المرتبطة مصيريا معهما .. وهى تؤمن ان مثل هذه الجرائم التى يرتكبها ذلك الذى نصبه الاستعمار الانجلو — امريكى لوقف زحف الثورة الاشتراكية فى عالمنا العربى لن تزيدها الا اشتعالا ، وسيأتى اليوم الذى يدفع فيه ثمن تلك الجرائم .. ولن يجديه آنذاك مرتزقة من الاوروبيين وقواعد اســــياده الامريكيين على ارض جزيرتنــــــا العربيـــة ولا حتى حلق الشعوذة باسم الاسلام .. وان غدا لناظره قريب ..

ان روابط ومنظمات الطلاب العرب فى فرنسا اذ تقـــدم احتجاجها هذا لتشجب بشدة هذه الجريمة البشعة معلنة تأييدها التام وغير المحدود لثورة اليمن الظافرة ومؤمنة بان الدماء التى اريقت على ايدى الحكام السعوديين ستكون بداية لنهاية حكمهم العميل فى جزيرتنا العربية .

عاشت ثورة الشعب اليمنى رائدة لنضال الجمـــاهير الثورية فى شبه الجزيرة العربية .

عاشت وحدة القوى الثورية ضـــد الامبريالية العالمية وحليفتها الرجعية العربية من اجـــل التحرر والاشتراكية والوحدة .

— الاتحاد العام لطلبة فلسطين .
— الاتحاد الوطنى لطلبة الجزائر .
— الاتحاد الوطنى لطلبة المغرب .
— الاتحاد الوطنى لطلبة سوريا (فرع باريس) .
— اتحاد طلبة موريتانيا فى فرنسا .
— رابطة طلبة شمال افريقيا المسلمين .
— طلاب الجمهورية العربية المتحدة فى فرنسا .
— رابطة الطلبة العراقيين فى فرنسا .
— رابطة الطلبة الليبيين فى فرنسا .
— رابطة طلبة السودان فى فرنسا .
— طلاب البحرين وامارات الخليج العربى .
— مجموعة طلاب الدراســــات والعمـــل الاشتراكيين التونسيين فى فرنسا .
— الطلاب الشيوعيون التونسيون فى فرنسا .
— طلاب اليمن والجنوب العربى فى فرنسا .
— الطلبة التقدميون اللبنانيون .



عدد ابريل ١٩٦٧ من الطليعة

حديث عن السلبيات

كتب محمد سيد احمد مناقشا افتتاحية العدد الماضي وتقارير الشهر عن الاحداث الجارية وبقية ابواب الطليعة ... يقول :

تعرض لطفي الخولي في افتتاحية عدد ابريل من « الطليعة » لموضوع يعتبر فعلا من موضوعات الساعة ، وينبغي الاهتمام به ، والتعرض له من مختلف زواياه ، وهو موضوع « الحديث عن السلبيات » بنظرة بناءة ، وكمحرك لتطوير الايجابيات .

فمن ابرز الامور التي ميزت ثورتنا المصرية، قدرتها دائما على ان تقتحم طريقها الى الامام بالوسائل **السلمية** ، وبتصفية مطردة لمحاولات أعدائها لتجميع قوى اجتماعية عريضة في مواجهتها، ولاشك في ان التعرض ، بجراة للسلبيات ، وتوعية الجماهير بها كافضل وسيلة لتصحيحها ، والتحرك بجسارة لعلاج مواطن الخلل والضعف ، هو في الوقت ذاته أفضل سبل تفتيت التجمع الرجعي والقوى المناهضة ، وتفويت فرص تحركها ، بخاصة في مرحلة التحول الحاسم نحو الاشتراكية ، وفي مواجهة تفاقم مخططات الرجعية والاستعمار ، على اتساع العالم العربي كله ، لخوض معاركها الاخيرة .

والواقع ان كل تجربة ثورية رائدة موفقة تنطوي حتما على سلبيات، كما انه لا توجد وسيلة اخرى لعلاجها غير التعرض لها بجراة وصراحة .

ان اغفالها يفسح للقوى المعادية فرص تحويلها من نسبيات الى مطلقات ، فرص تعميمها والتعظيم من شانها ، فرص تحويلها من مصاف « العوارض » و « الجزئيات » ذات الوزن الثانوي الى مصاف «السمات المميزة والاساسية» .. وكما ينطوي **اغفالها** على خطر وخطأ جسيم ، ينطوي التصدي لها **تصدي المبرر لوقوفها** على نفس القدر من الخطر والخطأ الجسيم ... والموقفان في التحليل الاخير لا يخدمان سوى القوى المعادية ..

اننا نرى في التصدي البناء لهذه القضية ركنا اساسيا من اركان تحولنا الراهن الى الاشتراكية، وتجسيدا عمليا لما نص عليه الميثاق من ضرورة النقد والنقد الذاتي ، ولتوسيع فرص التعبئة الجماهيرية في المرحلة الحاسمة التي نمر بها ...

● اما عن **تقارير الشهر** ، فقد اسهم بعضها بتقديم صورة ناطقة عن احداث بارزة جرت في شهر مارس ، **واخص** بالذكر تفاصيل وردت عن تقارير مؤتمر البترول العربي السادس ، والدوافع وراء اعادة اثارة مشكلة الحدود بين الجزائر والمغرب ، والتحليل الذي قدم عن السر في تفجير فضيحة المخابرات الامريكية . فقد كشفت هذه التقارير عن وقائع لم يسبق أن وردت في مكان آخر . واجملت تقارير اخرى عرض نتائج الانتخابات الاخيرة في الهند وفرنسا ، والتطورات

الأخيرة بعد « الثورة الثقـافية » في الصـين ؟ واستكمال عملية ازاحة سوكارنو من السلطة فى اندونيسيا ، وان كنت آخذ على هذين التقريرين الاخيرين موقفا ينطوى على شىء من التبرئة فى عرض موقف سوهارتو ومسئوليته فى احـداث اندونيسيا ، وربطا يبدو مبسطا لعلاقة شواين لاى بمحور «ماو ـ لين» . فـ «شو» لا يمكن اعتباره جزءا لا يتجزأ من القيادة التى اطلقت « الثورة الثقافية واضـفت عليهـا اللون الذى اتخذته ، وهو يحتفظ بخط فى تحديد مسار الامور له تمايزه، وينطوى علىتحفظ حيالكثير مماجرى.

وشملت التقارير التى تخص الموقف الداخلى اهم نواحى النشاط خلال شهر مارس بتعرضها لمؤتمر الانتاج ، والبترول كمورد للنقد الاجنبى ، ومناقشات الدسـتور واحتدام المناقشـة داخل مجلس الامة حول احكام الطاعة ، وتكوين لجنة دائمة لوحدة القوى الثورية ، واللقاءات العمالية بالاتحاد العام للعمل الفرنسى والاتحاد العالمى لنقابات عمال الزراعة . ولكن كان من المفيد ان يتعرض التقرير عن مؤتمر الانتاج لموضوع «علم الادارة » وقواعـده واصـوله فى الراسـمالية والاشتراكية باعتباره موضوعا بلوره الرئيس عبد الناصر فى ضوء جديد .

ويلاحظ عدم التنسيق بين كتابة بعض التقارير بدليل تكرار تفاصيل مشكلة الحدود بين المغرب والجزائر فى تقريرين متتاليين ، وكذلك ورود بعض اخطاء مطبعية ، وعرض يتسم احيانا بطابع فنى جاف (البترول فى مصر) .

وفى تعليق سـعد زهران عن « احتـكارات السينما العالمية تعبث بتاريخ الثورات » لفت نظر مفيد الى بعض ما يحكم انتقاء الافلام المعروضة بدور السينما ، اؤيده فى فكرة ان بعض الابتكارات الفنية التى لا تخلو من طرافة وسخرية جذابة ، لا ينبغى ان تطغى على الدلالة العميقة لبعض الافلام ، وعدائها وتشويهها لحركة الثورة فى عالمنا المعـاصر .

واعتقد انه من المفيد ان تضم التقارير بابا عن آخر المكتشـفات البارزة فى العلم والتكنولوجيا (الاستكشافات فى معرفة الكون ـ علم الفضاء ـ مبتكرات الطب الخ . . .) ، فهى موضوعات تثير انتباه جمهور يتسع على الدوام ، وبعضها يخص موضوعات ذات اهمية مباشرة لمجتمعنا النامى .

● وقد تعرض **باب مكتبة الطليعة** لعرض ونقد موفقين لكتاب فتحى رضوان « عصر ورجال » . مستخلصا ما يبدو انه اهمنتيجة رغم ما يكشف عنه الكتاب من مجهود ضخم ، وهو انه « يختلف المرء مع فتحى رضوان اختلافا عميقا حتى يقنع اولا كل كتابنا (فى مرحلة ما بين ثورة ١٩١٩ و١٩٥٢) فى طبق واحد لا سبيل الى التمييز بينهم افرادا وجماعات ، وحين يختار ثانيا بعض الذين يمثلون ظواهر جزئية لا يمكن ان تعبر عن عصر كامل .. وحين يعمد ثالثا الى ادانة المرحلة كلها بصورة نفهم معها اننا بلا تاريخ حديث على الاطلاق ! » .

● اما عن الملف الخاص **بحوار سارتروسيمون دىبوفوار مع الفلاحين والعمال والمثقفين العرب،** يلاحظ عليه جهدا موفقا فى انتقـاء النصـوص الخاصة بتقييم التجربة الاشتراكية فى ج.ع.م. ومشكلة فلسطين .وان كانت النصوص المختارة لم تتعرض لمشكلة اخرى اثارت انتباه الفيلسوف الوجودى الفرنسى ،وهى ،تطور موقفالماركسيين المصريين من الثورة ، والاسـباب وراء حـل التنظيمات الشيوعية طواعية .

يلاحظ عناية كبيرة فى ترجمة نص محـاضرة سارتر وسيمون فىقاعةالمحاضراتبالجامعة ،ولكن اختيار المصطلحات والصياغة ليس بنفس القدر من الوضوح فى المختارات .. كما ان فكرة « ادب الدعاية» عرض مكررا فى مكانين .



حول مقالى الجزائـر ... وعـدن

وفى هذا العدد يقيم **ابوسيف يوسف** وينقـد المقالين الرئيسيين عن الجزائر وعدن . لقد كتب احد المقالين وزير العمل الجزائرى « عبد العزيز زردانى » وكتب الاخر محمد سيد احمد . اما المقال الاول فيتعرض لعدد من التجارب والمشكلات التى تواجه بلدا عربيا اختار الحل الاشتراكى (الجزائر) . واما المقال الثانى فيوضح لنا ابعاد المخطط الجديد للاستعمار فى بلد عربى لم يتحرر بعد من نير السيطرة الاجنبية (عدن) .

ونبدأ بمقال « مهام البناء الاشتراكى فى الواقع الجزائرى » لعبد العزيز زردانى . وسوف نرى ان للمقال ميزتين بارزتين :

الاولى : وضوح الرؤية وتحديد المواقف .

والثانية : المعالجة العلمية التى اجتهد الكاتب فى ان يلتزم بها بشكل عام . وعلى هذا يبدأ المقال بتحديد الموقف من قضيتين اساسيتين :

الاولى هى ان المناضلين الجزائريين اذ ينطلقون من ان جوهر الاشتراكية هـو القضـاء على

استغلال الانسان للانسان يدافعون – في الوقت ذاته – عن الاشتراكية العلمية ضد كل المحاولات التي تبذلها القوى والطبقات المعادية للاشتراكية تحت ستار الحديث عن « الاشتراكية العربية والسنغالية والجزائرية ... واشتراكية اسلامية واشتراكية مسيحية . » ان زرداني يوضح ان الموقف العلمي يبدأ من مفهوم الطريق الجزائري الى الاشتراكية .

واما **القضية الثانية** التي يحدد موقفه منها فهي قضية العلاقة بين الثورتين الوطنية والاشتراكية اذ يؤكد الكاتب على الحقيقة العلمية القائلة بأن الثورتين الوطنية والاشتراكية ملتحمتان التحام مصير ومتداخلتان بالضرورة . وان كل محاولة متعسفة للفصل بينهما تؤدي الى وقوع البعض في انحرافات يمينية ، والى وقوع البعض الاخر في انحرافات يسارية . وتبرهن تجربة الجزائر على ان جنين الحل الاشتراكي قد نما في احشاء الحركة الوطنية وفي غمرة الحرب المجيدة التي تحمل اعباءها بالدرجة الاولى الغالبية الساحقة والفقيرة من شعب الجزائر .

وتبدو سلامة المنهج الذي اهتدى به الكتاب في انه وضح من خلال مقاله ان التمسك باشتراكية علمية واحدة لا يتعارض اطلاقا مع ضرورة التاكيد على الصفات القومية والميزات الخاصة للطريق الجزائري نحو الاشتراكية . ان الكاتب يحاول ان يكتشف هذه الخصوصية انطلاقا من حركة الجماهير الكادحة في الجزائر ، وذلك في واقع اجتماعي معين وظرف تاريخي محدد . فاذا كان الاستعمار قد حال دون نمو طبقة رأسمالية قوية في الجزائر ، واذا كانت سيطرته الطويلة قد افقرت الغالبية العظمى من عرب الجزائر ، فان حرب التحرير قد اكدت ان العمال والفلاحين هم بحكم دورهم في معركة التحرر – العمود الفقري والركيزة الصلبة والثابتة لكل تقدم اجتماعي ، وانهم – لذلك – اصحاب المصلحة الحقيقية في الاشتراكية

ولقد وضح الكاتب ان حركة العمال والفلاحين ، هذه الحركة التي بدأت بهجوم تلقائي من الكادحين على المواقع الاقتصادية للاستعمار هي التي ولدت « التسيير الذاتي » الذي يصفه زرداني بأنه « الطابع المميز للثورة الجزائرية » ان التسيير الذاتي لم يستورده الجزائريون ولم يكن وصفة جاهزة في كتاب من كتب الاشتراكية ولكنه نبع – في بادىء الامر – من اعماق حركة مبادرة وعفوية من العمال والفلاحين . لذلك جاء التسيير الذاتي ليحمل كل الملامح القومية للعقلية والعادات الجماعية التي تكونت في الجزائر عبر قرون طويلة

ولا بد وان ننوه بأن الكاتب قد اهتم اهتماما خاصا بقضية التحولات الثورية في قطاع الزراعة متبعا نفس المنهج العلمي ، فانطلاقا من التمسك بالقطاع الاشتراكي في الزراعي والدفاع عنه يعالج قضية هذه التحولات واضعا في الاعتبار قسمات الواقع الجزائري . ان هذا الواقع يتطلب رفع انتاجية صغار الفلاحين . وهذا يتطلب ان يوزع جزء من الارض عليهم ليقيموا باختيارهم تعاونيات تنهض بالانتاج . وفي هذه الحالة لن يقف التمسك بالقطاع الاشتراكي عقبة في سبيل كسب صغار الفلاحين الى قضية الثورة .

واذا كان من المقطوع به ان الاخوان الجزائريين هم خير من يتحدث عن واقعهم ، الا ان هذه الحقيقة لا تمنع – في الوقت ذاته – من ان نشير الى نقاط تمثل النواقص في مقال زرداني .

النقطة الاولى : عن دور المثقفين الجزائريين وموقفهم من قضية التحولات الاجتماعية الجارية . ان المقال لا يشير من قريب او بعيد – اية اشارة اليهم ، بل اخشى ان اقول ان الكاتب قد اشار اليهم اشارة سلبية عندما تحدث عن العمال والفلاحين باعتبار انهما « العنصران الوحيدان الصالحان » . صحيح ان العمال والفلاحين هم العمود الفقري لكل التحولات الثورية والتقدمية العميقة . ولكن يظل للمثقفين – مع ذلك . دورهم الهام حتى وان قيل انه ليس لهم وزن محسوس (الظروف خاصة بالجزائر) . وسيظل لهم دورهم ايضا في البناء الاشتراكي على الرغم من كل السلبيات التي تحيط عادة بحركة المثقفين وتثير في صفوفهم التردد في لحظات التحولات الاجتماعية الحاسمة .

النقطة الثانية : خاصة بالبعد العربي في مهام البناء الاشتراكي . ونحن لا يخالجنا ادنى شك في ان ثورة الجزائر وقادتها جادون قولا وفعلا في تأكيد الشخصية العربية للجزائر . ولكن عندما يتحدث الكاتب عن صعوبات الصناعة الثقيلة التي تتطلب – على حد تعبيره « سوقا واسعة بقدر **كاف لضمان ربح هذه الصناعة** » . نقول كنا نتوقع . ان يؤكد الكاتب في هذا المقام على هذه الحقيقة وهي أن مهام البناء الاشتراكي في كل بلد عربي متحرر اختار الاشتراكية **لها بعد عربي اصيل** . هذا البعد لا تحدده العواطف فحسب بل تمليه وتفرضه مصالح هذا البناء وضرورات تقدمه والمحافظة عليه والصعوبات الهائلة التي تواجهه . والواقع ان السوق الواسعة امام الصناعات الثقيلة في البلاد العربية لن تكون سوى السوق العربية المتزايدة الاتساع ، هذه السوق التي تبدأ في الوجود عندما تطرح على **نحو عملي** – وبحزم ثوري – قضايا التخطيط المشترك والتنسيق والتعاون الاقتصادي على اساس المساواة بين البلدان العربية التي اختارت الحل الاشتراكي .

النقطة الثالثة : تتعلق بنظرة الكاتب الى الصناعة الثقيلة ، فعلى الرغم من انه يؤكد

ـ يحق ـ على اهمية وجود « سياسة تصنيع حقيقية تستخدم طاقات البلاد استخداما كاملا» ، الا ان تصوره للشروط اللازمة لاقامة هذه الصناعة يظل في حاجة الى توضيح ، بالطبع لايستطيع انسان بعيد عن الواقع الجزائري ان يلقي بأي حديث فج او مجرد عن الصناعة الثقيلة ، ذلك لان لكل بلد ظروفه الخاصة .ولكن مايسترعي الانتباه هو قول زرداني ان اقامة مجموعات صناعية تمهد لقيام الصناعات الثقيلة **« يتطلب كشرط مسبق تنشيط الصناعة الخفيفة والمتوسطة الموجودة والقادرة على تكوين قاعدة نمو للصناعة الثقيلة ...** » وواضح من المقال ان زرداني ينطلق في هذا الحديث عن الصناعة الثقيلة من اعتبار هام للغاية هو ضرورة العمل على امتصاص البطالة في صفوف العمال ، وهو يرى ان الصناعة تستخدم من الايدي العاملة عددا اقل مما تستخدمه الصناعات الخفيفة والمتوسطة.

وتحفظنا على كلام زرداني نلخصه فيما يلي :

١ ـ من الخطأ في البلاد النامية ان نقول ايهما اسبق : الصناعة الثقيلة ام الخفيفة ؟ وانما توضع المسألة بديا على اساس تحقيق النمو المتناسق بين الصناعة الثقيلة والصناعة الخفيفة . لانه اذا بدأنا بالتركيز على الصناعات الخفيفة والمتوسطة فسوف نجد انفسنا سائرين في طريق مسدود . لان هذه الصناعات لابد وان تعتمد في وجودها وتطويرها على قاعدة من الصناعة الثقيلة . فاذا كان البلد المعين لاينتجها وجد نفسه في اعتماد متزايد على الاستيراد من الخارج . واستمرار هذا الوضع لايخدم الاقتصاد القومي في المدى الطويل .

٢ ـ وفيما يتعلق بالجانب الذي يشغل بال زرداني وهو ايجاد فرص عمل متزايدة للايدي العاملة فنحن نتفق معه على ان هذه مهمة رئيسية وملحة تواجه البلدان النامية غير ان التركيز الاساسي في حل هذه المشكلة على الصناعات الخفيفة والمتوسطة قد يؤدي الى انتكاسات . وهذه النقطة قد وضحها العلامة «شارل بتلهايم» في الندوة التي نشرتها الطليعة (اغسطس ١٩٦٦ ـ راجع ص ٢٥) . هنا يضرب بتلهايم مثلا نموذجيا بما حدث في الهند عندما لجأت الحكومة الى زيادة العمالة في قطاع النسيج فترتب على ذلك تدهور هذه الصناعة فنيا لان الحكومة حظرت استخدام الانوال الميكانيكية . وهذا التدهور افقد صناعة النسيج الهندية بعض اسواقها الخارجية، وحل مشكلة الايدي الزائدة ، في نظر بتلهايم ـ هو بالاتجاه الى مشروعات مثل مشروعات الاشغال العامة التي لاتؤدي الى تجميد رؤوس اموال ضخمة في معدات او آلات (بناء الطرق وشق الترع .. الخ) . ولقد يقال ان هذا حل مؤقت . نعم . لكن هذا الحل يواجه المشكلة الى ان تتم التنمية الصناعية . وفي مكان آخر يوضح بتلهايم هذه النقطة فيقول « اذا كنا بصدد مشروع تكنيكي يقتضي استثمارات ضخمة ، **ولا يخلق** عمالة ضخمة في الحال ، فان هذا **لايكفي** لرفضه، لانه يجب ان ننظر اليه من حيث الاثار التي لابد وان تترتب عليه في حركة التصنيع المقبلة .ويمكن عندئذ ان نقدر انه سيصبح ـ بمجموعة الاثار التي سيولدها ـ مصدرا للعمالة المتزايدة ولزيادة الدخل ايضا » ، (الطليعة ـ عدد ٨ سنة ٦٦ ـ ص ٢٠) .

واخيرا،فان هذه الانتقادات لا تنسينا ان نرحب كل الترحيب مرة اخرى بمقال الاخ زرداني لانه يوسع معرفتنا بتجربة الجزائر ولانه بما يثير من قضايا ومشاكل حية يوسع آفاق الحوار الجاد بين الاشتراكيين والثوريين العرب ، ويخلق بالتالي الظروف التي تؤدي الى مزيد من وحدة الفكر والعمل بينهم .

وننتقل الى مقال **محمد سيد احمد** عن « موقع معركة عدن من المخطط الاستعماري الجديد » .

ان الكاتب يختم مقاله بعبارة لها دلالتها حين يقول :

« ان المعركة باستقطابها على نطاق المشرق العربي كله ، انما قضت على تصوران ثمة مناطق نائية باقية على هامش دروب النضال الرئيسية يستطيع الاستعمار ان يعيث فيها فسادا ، وان يعبث بها كما يشاء ..... »

ان هذا الاستنتاج الصائب هو في الواقع خلاصة دراسة موفقة قام بها الكاتب عن موقع معركة عدن من المخطط الاستعماري الجديد . وبالفعل فقد وضحت الدراسة معالم الاستراتيجية الاستعمارية الجديدة في ارتباطها بقضايا البترول والقواعد العسكرية والوجود الامريكي في المنطقة ـ هذا من ناحية ـ ومن ناحية اخرى ارتباط قضية عدن بالحركة الثورية العامة في اليمن والسعودية ومنطقة الخليج العربي .

واذا بقي لنا شيء نقوله عن المقال فهو لايتعدى بعض الملاحظات السريعة .

ـ **الملحوظة الاولى :** هو ان الكاتب وضح ان مخطط شرق السويس ليس تصميما بريطانيا خالصا بل اسهمت امريكا كذلك في تدبيره . وهذه نقطة هامة لم تلق من الكاتب العناية الكافية بابرازها وتوضيحها ، لاسيما اذا عرفنا ان المهمة غير المقدسة التي ندب الامبرياليون الامريكان انفسهم لها هي ان يحلوا محل الاستعماريين القدامى في مناطق نفوذهم .

ـ الملحوظة الثانية : هى انه اذا كان التاريخ قد حكم على المستعمرين الانجليز بأن يزدادوا استسلاما وخضوعا للامبريالية الامريكية ، واذا كانت علاقات القوى قد حكمت عليهم بأن ينسقوا خططهم شرقى السويس مع الولايات المتحدة الامريكية فما هى التناقضات القائمة بين القوتين البريطانية والامريكية والتى تضعف من الوجود الاستعمارى بوجه عام . وهل توسع هذه التناقضات من فرص الحركة والمناورة امام الثورة العربية فى هذه المنطقة ، وبالذات فى عدن والخليج العربى ؟

ـ والملحوظة الثالثة : تتعلق بموقف اسرائيل من معركة عدن والمخطط البريطانى شرق السويس . من المسلم به ان اسرائيل هى المركز الامامى الذى تعتمد عليه الولايات المتحدة فى تنفيذ مخططاتها فى المشرق العربى . لكن هذا لاينفى ان اسرائيل تهتم اهتماما خاصا بتطورات معركة عدن . وذلك لسبب بسيط هو ان تحرر عدن يحمل فى طياته ـ وبكيفية موضوعية ـ التهديد للوجود الاسرائيلى فى البحر الاحمر ، وبالتالى للنشاط الاسرائيلى فى افريقيا . وهنا كنا نفضل لو اشار المقال الى هذه النقطة فى معرض حديثه عن مخطط القوى الاستعمارية شرق السويس .

مناقشات حول أبحاث عدد ابريل

حول مقال مهام البناء الاشتراكى فى الواقع الجزائرى

الاشتراكية كما ذكر الاستاذ عبدالعزيز زردانى ـ فى مقاله بعدد ابريل من الطليعة ـ نظام اجتماعى اقتصادى وسياسى ، وسمتها الانسانية «القضاء على استغلال الانسان للانسان» . ولكن لابد هنا ان توضح الاشتراكية المعنية ... اذ هناك اشتراكيات عدة .. منها الوطنية والتى ابتدعها النازى .. والايتوبية (الخيالية) والتى نادى بها الاصلاحيون الرافضون للانقلاب الجذرى والثورية كسبيل لتحقيق الاشتراكية وذلك عن طريق مناداة الضمير الانسانى فتنادى طالبة الانصاف وتخاطب افهام الناس وتناشد روح العدالة فى ضمائرهم ولهذا فهى تخاطب الشعوب والحكام على السواء وتنصح للاغنياء والفقراء وهى لا ترتكز على التطور الاقتصادى ولا تعتمد قوانينه . وكذلك الاشتراكية الخيالية تصر على كون التطورات الاجتماعية انما هى نتيجة لروح العدالة التى يتحلى بها البشر .. بينما هى نتيجة للصراع الطبقى .

وهذه الاشتراكيات لم تكن الا خزعبلات نادى بها اولئك الاصلاحيون والبرجوازيون والتى ادانها التاريخ الاشتراكى بالفشل .

اذن الاشتراكية العلمية هى السبيل الوحيد للتحقيق الموضوعى للجماهير الكادحة .

والاشتراكية العلمية هى بمثابة رصد للوقائع والاحداث وبحث عن القوانين التى تتحكم بها واستخدام المتناقضات التى تمتلك مجتمعنا الراهن ، وتنبيه الطبقة الكادحة المضطهدة المناضلة وتزويدها بالوعى وايقاظها على حقيقة دورها التاريخى العظيم .. وتعنى كذلك دراسة الواقع الآنى للحقبة الزمنية المراد بها الانجاز الاشتراكى (اى تقييم دراسى شامل لكل الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية فى ذلك المجتمع مع التخطيط المسبق والتقدير العلمى الصحيح للنتائج .

فنحن كشعب عربى ، مجتمع كبير يضم طبقات متناقضة كسائر المجتمعات البشرية الاخرى . فالشعب العربى كله مجتمع واحد رغم التفسيم الاقليمى المصطنع ، وهو زائل وذلك لطبيعة وحتمية هذا الامل الحقيقى للجماهير العربية .

فلهذا ان هناك تطبيق اشتراكى فى اى قطر عربى يجب ان ينبع من دراسة مصغرة للمجتمع العربى العام «واعنى بها دراسة ظروف ذلك القطر» . وبما انه لا تباين كبير فى نوعية ظروف الاقطار العربية لكون الشعب واحد والحياة الاجتماعية واحدة والاستغلال واحد ، وحتى درجة الوعى الثقافى متقاربة .. فلهذا وكما ذكر السيد عبد العزيز «هناك تشابه كبير لشروط تطبيق الاشتراكية فى البلاد العربية» لافوارق واسعة كانت

اجتماعية او ثقافية بين الاقطار العربية ، فالبناء الاشتراكي في اي قطر منها تكون قد اخطأنا في صحة تعبيرنا من الناحية العلمية لو نعتناه باسم ذلك القطر ... اي لا يوجد طريق جزائري مثلا للاشتراكية بل هناك تطبيق علمي للاشتراكية في الوطن العربي .

اما لكون النظام في الجزائر اشتراكي ووقع تطبيق اشتراكي هناك فيسمى طريقا جزائريا !. في رأيي هذا غير صحيح . فلنفرض أن الوطن العربي توحد تحت راية الدولة العربية الكبرى فماذا تكون تسمية التطبيق الاشتراكي عندئذ ؟ ونحن مقبلون على التوحيد .

اما بالنسبة لوضع الحدود بين الثورتين الوطنية والاشتراكية فأنا أرى :

ان النضال في الوطن العربي هو قومي واشتراكي في آن واحد .. اذ انه ثورة ضد التجزئة الاقليمية وفي الوقت نفسه ثورة اقتصادية غايتها مسخ وازالة الاحتكارات الاجنبية وتغيير علاقات الانتاج الاقطاعية وشبه الرأسمالية بعلاقات اشتراكية . ولذلك ان كل ثورة تقدمية في اي من الاقطار العربية نرى انها محاربة حتما من قبل الاستعمار اولا والرجعية العربية المرتبطة المصالح معه ثانيا .. ولو رجعنا للعناصر الرجعية العربية طبقيا لرأيناها صاحبة المعامل الكبيرة والاقطاعيات الزراعية . ولهذا يكون موقف كل الرجعيين في صف الاستعمار سيدهم الاول حفاظا على مصالحهم المادية . والاستعمار بطبيعته رأسماليا وكذلك الرجعية .. أما الثورة فهي وطنية قامت بها جماهير المثقفين الثوريين والعمال والفلاحين غايتها انهاء الدور الاستعماري . وفي الوقت ذاته تكون الجماهير الثائرة قد ناضلت ضد الرأسمالية المسيطرة بأساليبها الكلاسيكية والحديثة . ومن هنا ننطلق في تقييمنا بأن النضال في وطننا العربي قومي واشتراكي في آن واحد .

اكرم طاهر الراوي
— بغداد —

* * *

تعليق على مقال الاصلاح الزراعي الثوري

للاستاذ سعيد خيال (بعدد ابريل من الطليعة)

اختتم الاستاذ سعيد خيال مقاله القيم عن الاصلاح الزراعي الثوري بالمناداة بقطاع عام في الزراعة ، ولقد عدد الاستاذ سعيد أسبابا كثيرة تدعم مطالبته بضرورة وجود هذا القطاع في الزراعة ومع اتفاقي الكامل مع هذه الفكرة والاسباب التي اوردها الاستاذ سعيد خيال ، احب ان اضيف بعض الملاحظات :

● ان المطالبة اليوم بقطاع عام في الزراعة لا تعني الرجوع عما تم توزيعه فعلا على الفلاحين، اي اننا لن نعمل حركة ارتدادية بالنسبة لما فعلناه من توزيع ، واعتقد واثقا ان الاستاذ سعيد متفق معي تماما في هذا ، فلقد كان توزيع الارض على الفلاحين عملا ثوريا ، وان نتجت عنه لفترة بعض الاثار السلبية نتيجة لتفتت المساحات المنزرعة . لقد جاء التوزيع اشباعا لرغبة الفلاح الطويلة في ملكية الارض ، وتحقيقا لاحلامه وآماله، ومحاولة جادة لربط جماهير الفلاحين بالثورة ودفعهم للمشاركة فيها والدفاع عنها . فالثورة ثورتهم ولابد وان تحقق لهم ، ماكافحوا طويلا من اجله ، كان لابد وان تحررهم الثورة من الاقطاع وان تملكهم الارض .

ان للفلاح المصري ارتباطات عميقة الجذور بالارض التي صودرت من الاقطاعيين ، انها نفس الارض التي انسكب عليها عرقه وعرق اجداده فكان طبيعيا ان يحس الفلاح ان هذه الارض ارضه وانه جزء منها ، وكان طبيعيا وثوريا ان ترد له الثورة هذه الارض ليدرك من أعمق مشاعره واحاسيسه وليس بوعيه وعقله فقط ان الثورة ثورته وانه يجب ان يشارك فيها ويدافع عنها .

تلك كانت القضية وقتئذ ، ومازالت هي كذلك كلما تواجدت نفس الظروف والعوامل .

وكان لزاما ان يرتبط هذا العمل الثوري — توزيع الارض على الفلاحين — بالعمل على تلافي الجوانب السلبية لتفتت الارض ، ومحاولة الارتقاء بالعلاقات الانتاجية فكان السعي من اجل اقناع الفلاح بالاخذ باشكال عديدة من التعاونيات جمعيات تعاونية ، تسويق تعاوني .. الخ ومازال الشوط طويلا ليس في مناطق الاصلاح وحدها وانما على نطاق الريف كله للعمل على تنشيط التعاونيات والارتقاء بمستواها من حيث الملكية والانتاج ، على ان يتم ذلك جميعه عن طريق التوعية والاقناع .

● لم يبق امامنا اذن لخلق قطاع عام في الزراعة سوى الارض الجديدة المستصلحة . فزيادة الرقعة الزراعية عن طريق عمليات استصلاح مستمرة هي احد الاهداف الهامة لخطة التنمية ، وسوف يظل هذا الهدف قائما لفترة طويلة طالما نحن قادرون على ان نجد لمشكلة مياه الري حلا.

هذا هو الطريق لخلق قطاع عام في الزراعة ان تضع الدولة يدها على هذه الارض الجديدة

المستصلحة في ملكية عامة للشعب . وثمة يساعد على تدعيم هذه الفكرة اسباب عديدة منها :

١ – ان هذه الارض المستصلحة لا يوجد اى ارتباط سابق للفلاح بها ، لم يروها بعرقه من قبل ، ولم يضرب فيها بفأسه ، فهى مناطق كثير منها على اطراف الصحراء ، لم تزرع قبل ذلك وليس بها سكان سوى بعض العرب الرحل متناثرين هنا وهناك . مثل هذه الارض لن يترك عدم توزيعها اى احساس بالظلم او الغبن لدى الفلاحين ، كما ان قيام القطاع العام في الزراعة بعيد عن ملكية الـ فلاح الفقير لن يخلق إى تناقض بينه وبين الثورة ، او بينه وبين القطاع العام . وبذا فاننا سنحتفظ بهذا الفلاح أحد ركيزتى الثورة الاساسيتين العمال والفلاحون .

٢ – فى حالة تمليك الارض الجديدة سوف نضطر الى ان نهجر اليها عائلات من مختلف المحافظات وهؤلاء الفلاحون الجدد ليست لديهم خبرة بالارض الجديدة التى ستملك لهم . فخبرة الفلاح المصرى فى الزراعة وفلاحة الارض ، خبرة مكتسبة من الارض التى مارس فيها نشاطه وتجاربه طوال مئات السنين ، وادرك خصائص تربتها والنباتات الصالحة لها ومواعيد الزراعة والرى الى غير ذلك من الخبرات الضرورية لاستثمار الارض . أما الارض الجديدة فالفلاح المهاجر ليست لديه بها خبرة ، فهو لا يعرف خصائص تربتها ولا أصلح النباتات لها .

وبجانب هذا فان الارض المستصلحة حديثا تحتاج الى نوع خاص من المعالجة والعناية لن يتوفر الا بالخبرة العلمية القائمة على دراسة طبيعة التربة ومكوناتها وخصائصها ، ثم اختيار أنسب النباتات الملائمة لا بالنسبة للارض وحدها وانما بالنسبة للمناخ وامكانيات الرى والصرف، ودراسة ما تحتاجه الارض والنبات من أسمدة ، لكل هذا لكى تعطى الارض الجديدة ليس أى عائد وانما أكبر عائد ممكن .

ولقد دلت التجربة فى القطاع الشمالى لمديرية التحرير على فشل الفلاح المهاجر والذى امتلك الارض ، ورغم ما فى جعبته من خبرة مكتسبة ، فشل فى التغلب على صعوبات الارض الجديدة مما جعلها بعد فترة – كما فى قرية العز – فى حاجة الى عمليات استصلاح جديدة .

٣ – وسبب آخر تمليه ضرورات التنمية ومتطلباتها فالدولة تنفق عشرات الملايين من الجنيهات فى عمليات استصلاح هذه الارض الجديدة ، ومن الطبيعى ان تسترد الدولة هذه الاستثمارات من ناتج هذه الارض خلال اقصر وقت ممكن حتى تستطيع هذه الاموال ان تعمل دورة اخرى وهكذا .

ومن شأن توزيع هذه الارض على الفلاحين الفقراء والمعدمين – اذ اننا بالطبع لن نوزعها على اغنياء الفلاحين والقادرين على الشراء ، لاننا بذلك نكون قد وسعنا قاعدة البورجوازية الريفية بدلا من تضييقها ، وخلقنا وضعا يسمح بتوالد الرأسمالية فى الريف مما يولد مناخا معاديا للثورة والاشتراكية – لذلك فالتفكير الثورى فى حالة التوزيع ان يتم التوزيع على الفلاحين الفقراء والمعدمين ، وهؤلاء ليس لديهم ما يدفعونه سوى قوة عملهم ، وسيكون على الدولة عندئذ ان توزع الارض وان تقسط الثمن على آجال طويلة ثلاثين سنة او اكثر ، اى ان الاستثمارات التى صرفت لن تعمل دورة الا بعد هذه السنوات الثلاثين . وخلال هذه السنوات الطويلة فان الاستثمارات فى القطاع العام تكون قد عملت عدة دورات . وفى هذا كما هو واضح خسارة جسيمة للدولة وابطاء لعملية استصلاح الاراضى .

ليس هذا فحسب بل ان التوزيع سوف يتطلب ان تتحمل الدولة عبء امداد الفلاح بما يساعده على بدء حياته الجديدة ، فعلى الدولة ان تعطيه سكنا وبذورا واسمدة ومواشى .. الخ وكل هذا عبء اضافى على الدولة يضاف الى جملة الاستثمارات التى صرفت فى استصلاح الارض .

ان ضرورات التنمية السريعة تتطلب دورة للاستثمارات أقصر ما يمكن حتى نحقق أكبر قدر ممكن من الانجازات .

٤ – ان وجود القطاع العام فى هذه المساحات الواسعة سوف يسمح باستخدام احدث الالات الزراعية ، فالدولة بالطبع اقدر على شراء الجرارات وآلات الحرث والدراس ... الخ فمثل هذه الالات غالية الثمن لا تستطيع الجمعيات التعاونية ان تمتلكها فما بالنا بالفلاح الفقير .

ان قيام قطاع عام سوف يسمح باستخدام احدث الاساليب العلمية فى الزراعة والرى مما يتيح الفرصة لوجود زراعة آلية حديثة ، او نصف آلية، وبذلك يمكننا توفير مساحات كبيرة تضيع فى عمل مراو ومصارف الحرش الصغيرة . كل هذا يمكننا من الحصول على أعلى انتاجية ممكنة واكبر قدر ممكن من المحصولات الزراعية .

٥ – ان وجود قطاع عام فى الزراعة متفوق فى انتاجه يعتبر فى ذاته دافع قوى للفلاح للاقبال على الدخول فى التعاونيات ، كما يساعد على امكانية تطوير هذه التعاونيات نفسها الى اشكال أرقى من المزارع التعاونية ، ويساعد أيضا على تطوير علاقات الملكية الى علاقات ملكية عامة للشعب ، ملكية اشتراكية .

سمات القطاع العام الزراعى

ولسوف يتسم القطاع العام الزراعى ببعض السمات :

● انه قطاع عام شأنه فى ذلك شأن القطاع العام فى فروع الاقتصاد الاخرى . وهو ينمو بعيدا عن ملكية الفلاح الفقير وفى غير تناقض معه . انه ينمو مع استمرار المجهود الانسانى الضخم الذى يبذل باستمرار لاضافة ارض جديدة الى الارض المنزرعة . ولسوف يستمر عملية استصلاح الاراضى — وبذا يستمر نمو قطاع الزراعة — لسنوات طويلة مقبلة طالما يوجد شبر من الارض يمكن ان تتوفر المياه لريه . كما اننا لن نتوقف عن عملية البحث عن مصادر لمياه الرى ، سواء من مياه النيل او المياه الجوفية ، او ازالة ملوحة مياه البحر .. انها جميعا جهود للبحث عن مياه الرى .. سوف يرتبط بها باستمرار عملية نمو القطاع العام الزراعى .

● ان استخدام الآلات فى زراعة القطاع العام سواء عن طريق الميكنة الكاملة او نصف الميكنة، فان ذلك سوف يساعد على خلق اعداد من العمال مرتبطين بأدوات انتاج متقدمة ، مرتبطين بالانتاج الكبير ، سوف تنشأ فئة من العمال لا ترتبط آمالهم بالفأس او بشبر من الارض وانما سترتبط آمالهم بالملكية الجماعية للالات الضخمة ، سيرتبطون بالقطاع العام ، وبذا سينشأ داخل قطاع الزراعة لاول مرة فئة متقدمة من العمال ..

ومع نمو القطاع العام ستنمو هذه الفئة وتصبح احدى الدعامات الاساسية فى قطاع الزراعة ، ويمكن ان تلعب دورا كبيرا فى تطوير العمال الزراعيين وتطوير العمل داخل المناطق الزراعية .

هذه سمة اخرى للقطاع العام الزراعى سوف تتضح وتنمو مع نموه وتطوره .

● وسمة ثالثة ، هى انه بوجود قطاع عام فى الزراعة نكون قد خلقنا نموذجا اشتراكيا فى الملكية وعلاقات الانتاج بجانب النماذج الانتاجية الاخرى ، التعاونيات والملكية الفردية . ولسوف يصبح القطاع العام هو القائد فى قطاع الزراعة وشيئا فشيئا مع نموه وتزايد نسبة انتاجه فى مجموع الانتاج الزراعى ، سوف يصير هو القطاع المسيطر والموجه للسوق الزراعية ، كما سوف يصبح هو الملهم لحركة الفلاحين عموما . وتلك سمة هامة وضرورية ان شئنا ان تسير عملية تطوير العلاقات الانتاجية فى الريف بخطى أسرع .

لهذه الاسباب وللاسباب التى ذكرها الاستاذ سعيد خيال وهى كثيرة تصبح فكرة القطاع العام الزراعى فكرة ليس فقط يجب ان تعطى اولوية فى المناقشة بل يجب ان يستقر الرأى بشأنها فى وقت قريب لان على مثل هذا الاستقرار فى الرأى سوف يترتب عليه بعض الخطوات :

اولا : ان نوقف عملية التمليك فى هذه المناطق الجديدة حتى لا يتكرر ما تم فى مناطق اخرى مثل أبيس ومديرية التحرير . وبوقف اتجاه التمليك يصبح من الضرورى توعية الجماهير باهمية وجود قطاع عام فى الزراعة بل وضرورية ، وفى حملة التوعية هذه يجب ان نتصدى بجدية لمناقشة اية فكرة حول التمليك لان الدعوة الى تمليك الارض الجديدة للفلاحين قد تصدر فى بعض الاحيان ليس حرصا على مصالح الفلاحين بقدر ما هى عداء مستتر لفكرة القطاع العام ، وملكية الشعب لوسائل الانتاج ، وبالتالى يصبح محاولة تعبئة الفلاحين فى اتجاه الملكية وتوزيع الارض عقبة وجوا غير موات يجب ان نسعى للتغلب عليه بالتوعية والتعبئة المضادة لنكسب الفلاحين الى جانب الملكية العامة للشعب والاشتراكية .

ثانيا : وكما سيؤثر الاستقرار على رأى بشأن التصرف فى الارض الجديدة على وقف عملية التمليك والتعبئة حولها ، كذلك سيؤثر بالتالى فى عمليات استصلاحها وهل يتم تقسيم الارض الى مساحات صغيرة ، لتزرع بآلات أجدادنا الفأس والمحراث .. الخ أم ستزرع آليا فتقسم الى مساحات كبيرة .. وما يستتبع كل من التقسيمين من متطلبات .. انها مشاكل عملية تتوقف على كيفية التصرف فى الارض ومن المفيد معرفتها اثناء عمليات الاصلاح .

كل هذه ملاحظات حول ضرورة قيام القطاع العام فى الزراعة وسماته . ولسوف يكون قيام قطاع عام فى الزراعة ونموه علامة هامة من علامات تطوير العلاقات المتخلفة داخل الريف ، واعادة تشكيلها وصياغتها فى صالح الملكية الجماعية للشعب . ان قيام القطاع العام فى الزراعة سوف يضع أساسا قويا لكسب معركة الريف لصالح الاشتراكية وانجاز مرحلة التحول بنجاح .

مهندس محمد حسنى حسين



رد على تعليق « احتكارات » السينما العالمية تعبث بتاريخ الثورات

وجاءنا من الناقد الفنى توفيق حنا الرد التالى على التعليق الذى نشر بعدد ابريل عن « احتكارات السينما العالمية تعبث بتاريخ الثورات »

اذا كنت اتفق مع **سعد زهران** فى كلامه عن

فيلمي «الخرطوم» و «الدكتور زيفاجو» الا انى اختلف معه فى رايه عن فيلمى «تحيا ماريا» و «النضال المحترفين» ..

واكتفى هنا بان اقدم للقارىء ما كتبه الناقد الكبير **جورج سادول** فى المقال الافتتاحى فى العدد ١١٠٩ من مجلة «الاداب الفرنسية» الصادر فى ٩ ديسمبر عام ١٩٦٦ عن فيلم «تحيا ماريا»

ومجلة «الاداب الفرنسية» اسسها مع «جان بولان» بطل من ابطال المقاومة وهو جاك ديكور الذى اعدمه النازى ، ويرأس تحريرها الشاعر **اراجون** وفى العدد ٥٦ من مجلة «الافانسين» نقرأ النص الكامل لسيناريو «تحيا ماريا» مع كلمات النقاد فى فرنسا وامريكا .

ولوى مال الذى أخرج هذا الفيلم من اقدر واجرأ المخرجين الفرنسيين الطليعيين وقد كان تلميذا من تلاميذ جورج سادول فى المعهد السينمائى الفرنسى (الايدك) .

يقول جورج سادول :

عنوان الفيلم «تحيا ماريا» كان يردده رجال الدين من الجزويت المتعصبين وهم يذبحون الهراطقة اثناء حرب الثلاثين .

ويعد هذا الفيلم من اجمل انجازات المخرج لوى مال والسينما الفرنسية ، وهو يحقق هدف لوى مال الذى سجله فى هذه الكلمات : «أريد ان اوفق الى ان ابتعد بفن السينما عن ان يكون افيونا للشعب»

وقد حصل هذا الفيلم على الجائزة الاولى للسينما الفرنسية فى ديسمبر ١٩٦٥

ولوى مال منذ بدأ حياته الفنية مساعدا للمخرج كوستو فى الفيلم التسجيلى الطويل «عالم الصمت» وهو يتقدم ويتفوق على نفسه فى كل اعماله : «المصعد الى المقصلة» و «العشاق» و «زازى فى المترو» و «حياة خاصة» (وهو ترجمة ذاتية للممثلة بريجيت باردو) واخيرا « يوميات منتحر »

ولوى مال يرفض ان ينتمى الى اى مدرسة او مجموعة من السينمائيين . وهو من المتحمسين لفن المخرج الاسبانى **لويس بنويل** وقد دفعه هذا الحماس الى إختيار جوان لويس بنويل (ابن المخرج الكبير) مساعدا له .. كما أشرك معه فى عمل السيناريو جان كلود كاريير الذى قدم «يوميات خادمة» وهو الذى وضع حوار فيلم «تحيا ماريا» ويتضح أثر بنويل فى الجزء الاخير من الفيلم وبخاصة فى شخصية هذا الاقطاعى المستبد الطاغية .

وهذا الفيلم تدور احداثه فى جمهورية خيالية من جمهوريات امريكا اللاتينية . وهو انتاج مشترك (فرنسى امريكى — ايطالى)

وفيلم **تحيا ماريا** من نوع الفارس وهو يسخر تحت ستار الدعاية والتهريج والرقص والغناء بالاقطاع وكل الوان الاستبداد والتعصب ويقف ضد الحرب وكل مظاهر العنف والتعذيب .

ويرجع نجاح هذا الفيلم فنيا وانسانيا وجماهيريا الى عناصر كثيرة منها هذا الخيال المجنح وهذه الفانتازيا وهذا المرح الذى يشيع فى كل لحظات الفيلم ويعود كذلك الى وجود الممثلتين العظيمتين **جان مورو وبريجيت باردو** .. والى الوان هنرى ديكان وموسيقى جورج ديليرو ، والى هذه الاغانى التى وضع كلماتها بالفرنسية والاسبانية كل من لوى مال وجان كلود كاريير وكذلك الى ديكور برنارايفين . وهذا الفيلم الكوميدى الهادف يقدم لنا ثورة من ثورات امريكا اللاتينية .. قبل ظهور فيديل كاسترو بحوالى نصف قرن .

ويقدم لنا هذا الفيلم ثائرة صغيرة فى الخامسة من عمرها كانت تشترك مع ابيها فى مقاومة الاستعمار الانجليزى لتحرير وطنها ايرلندا عام ١٨٩٦ . وتنتقل الثائرة مع ابيها الى احدى المستعمرات البريطانية فى امريكا الوسطى وتشترك مع ابيها فى نسف احد الكبارى ومن يحملهم من قوات الاستعمار الانجليزى — ويموت الاب وتهرب الفتاة الثائرة متنكرة فى ثياب الرجال وتنضم الى سيرك متنقل تعمل فيه جان مورو — وكانت الفتاتان تحملان نفس الاسم : ماريا .

وعندما يصل السيرك الى احدى المدن التى كان يحكمها اقطاعى مستبد يحركه من بعيد راهب دموى عنيف ، تندفع الثائرة الى مقاومة طغيان واستبداد هذا الاقطاعى وتشترك هى وزميلتها مع الثوار .. وعندما يموت زعيم الثوار تقود ماريا ومعها كل افراد السيرك الثورة ضد الاستعمار والتعصب حتى يتم انتصار الثورة .

ونذكر ونحن نشاهد هذا الفيلم الثائرين العظيمين زاباتا وفيللا .. كما نذكر اعمال ايزنشتين : تحيا المكسيك والباخرة بوتمكين ..

ونحن لا نقول ان لوى مال تأثر بهذه الاعمال السابقة ولكنه قدم لنا فى بساطة وفى ذكاء وفى سخرية وفى مرح الاحداث الجادة فى شكل راقص غنائى . ويظهر تأثر لوى مال بفن ماك **سنيت وفيلدز واخوان ماركس** وهو يقدم مشاهد الثورات والمعارك كما يظهر تأثره بفن رينيه كلير فى فيلمه «**المليادير الاخير**» . وذكرت وانا اشاهد هذا الفيلم فيلم «**الثلوج الدامية**» الذى يدور حول احداث ثورة ١٨٢٧ والذى نجد فيه كيف ساعد المهرجون والبهلوانات وكل افراد سيرك متنقل الثوار الذين كان يطاردهم رجال البوليس القيصرى الروسى .

ولقد تحدثت فى دروس عن تاريخ السينما فى المعهد السينمائى الفرنسى (الايدك) عن حركة سينمائية طليعية اسسها عام ١٩٢٥ فى الاتحاد السوفيتى طليعة من الفنانين الشبان لم يبلغوا العشرين من عمرهم تحت اسم فكس (مصنع الممثل المتطرف) ومن اشهر ممثلى هذه الطليعة كوزنتسف وتراوبرج كانت ترى ان المشاهد الثورية الجديدة

بهذا الإسم هى الاشكال والاستعراضات الشعبية مثل السيرك وصالات الرقص والغناء والكباريه والاراجوزومسرح العرائس ــ وكانت هذه الحركة الجمالية تبتعد عن المسرح بكل تقاليده وممثليه باعتباره شكل من اشكال البورجوازية الفنية . وقد تعاطف مع هذه الحركة المتطرفة الثائرة على كل الاوضاع والاشكال الفنية القديمة المخرج ((ايزنشتين)) .

واكتفى بهذا القدر من النقد الطويل الذى قدمه جورج سادول .. واحب ان اضيف انى شاهدت هذا الفيلم واعجبت به اخراجا وتمثيلا وغناء وهدفا .. وهذا الفيلم لا يسخر بالثورة المكسيكية بل انه يتحمس لها ولكل ثورة .. ولكنه يقدم هذا الحماس تحت ستار شفاف من الدعابة المرحة ومن السخرية المجنحة الذكية العميقة . وارى فى هذا السيرك المتنقل رمزا للثورة التى تتقدم دائما والتى تنتصر دائما فى امريكا اللاتينية وفى كل بلد يعمل كل رجاله ونسائه واطفاله للتخلص من الاستعمار بكل صوره القديمة والجديدة .. هذا الاستعمار الذى يلفظ انفاسه الاخيرة ولكنه يقاوم فى ضراوة ضد هذه النهاية التاريخية الحتمية .



تعقيب على نقد عدد مارس

(كتب خيرى عزيز معقبا على نقد الدكتور محمد الخفيف لمقاله)) ((الاستعمار الجديد واقتصاد الوطن العربى يقول :

فى نقده لعدد مارس ١٩٦٧ من الطليعة ، اخذ الدكتور **محمد الخفيف** على مقال «الاستعمار الجديد واقتصاد الوطن العربى» كثرة الاحصاءات والمعلومات الاقتصادية عن البلاد العربية من «المغرب الى المشرق ومن الشمال الى الجنوب» دون موالاتها بالتحليل .

والحقيقة ان اكثر الاشياء سهولة فى النقد ، هو اصدار تقييمات عامة فى عناوين عريضة ، دون تقديم أمثلة محددة تطبيقية عليها ، لاننا كنا نود ان يقدم الاستاذ الناقد ولو مثلا واحدا عن بلد عربى واحد فى المقال ، قدمت عنه ارقام واحصاءات دون ان تحلل دلالاتها الاقتصادية والسياسية ، فيما يتعلق بعلاقة هذا البلد مع قوى الاستعمار الجديد .

ان ما استهدفه المقال فى الحقيقة ، هو كشف الطبيعة الاقتصادية المحددة ، لا النظرية العامة ، لعلاقة الاستعمار الجديد باقتصاديات الوطن العربى ، مع محاولة الخروج بتحديد معين للسمة الاساسية ولطبيعة النضال ضد الاستعمار الجديد فى المرحلة الراهنة ، والكلام عن البلاد العربية من الشرق الى الغرب ومن الشمال الى الجنوب انما قصد به التغطية الشاملة او شبه الشاملة لنشاط الاستعمار الجديد الاقتصادى فى الوطن العربى عامة وهو ضرورة اساسية فى مقال يلتزم بهذا العنوان .

والحقيقة ان النقد الذى يمكن ان يوجه بالفعل ، هو طول المقال ، والذى تسبب فيه فى الحقيقة ، عرض المراكز الاقتصادية التى تستند اليها قوى الاستعمار الجديد فى الوطن العربى عرضا واسعا يكاد يكون شبه شامل .

على انه اذا كان الناقد يقصد بالتحليل المطلوب ، التعرض لطريقة « المواجهة الاقتصادية للاستعمار الجديد ، ومهام القوى الثورية» فذلك يطرح فى الحقيقة موضوع مقال جديد ، ولا يمكن ان يدغم فى مقال مهمته الاساسية كشف وتشريح الطبيعة الاقتصادية لعلاقة الاستعمار الجديد بالاقتصاديات العربية ، ودلالاتها .

كذلك اذا كان يرى ان القارىء بعد قراءة المقال «تبقى فى ذهنه ووجدانه صورة كئيبة للواقع العربى بوجه عام ، وليس هذا من الحقيقة فى شيء» فأن الاكثر ثمرة وفائدة من جانب الناقد كان هو أن يدلنا بمجرد امثلة محدودة سريعة ، عن الصورة الاخرى التى يراها للموقف ، وعن الحقائق غير الكئيبة فى علاقة الاستعمار الجديد بالعرب ، ذلك ان الحقائق التى يغطيها الواقع بارقامه واحصاءاته وبياناته انما توضح النهب الاستعمارى البشع والاستغلال الاقتصادى الذى يتعرض له العرب فى ظروف اقتصادية صعبة ، لاتزال اغلب بلادهم فيها منتجة للخامات اساسا .

واذا كان الناقد يرى ايضا «ان طريقة المعالجة هى التى اهتمت بالجانب المعتم واغفلت الجوانب الاخرى المضيئة» ، فالحق اننا نجهل تماما تلك الجوانب المضيئة فى علاقات الاستعمار الجديد باقتصاد البلاد العربية ، خاصة تلك التى ركز عليها المقال ، والتى يمارس فيها الاستعمار الجديد نفوذا فعليا ملموسا . أما البلاد العربية التى تسلك طريقا تقدميا وثوريا فلم يركز عليها المقال كضحية للاستعمار الجديد ، وانما اوضح بالنسبة لها تلك الحقيقة الاقتصادية والسياسية المضيئة فعلا والتى تستند الى اساس واقعى ، والمتمثلة فى مقاومتها الباسلة الواعية لمخططات الاستعمار الجديد .

ولذا فمن الضرورى ان يقدم النقاد ــ التزاما بمسئولية النقد ــ امثلة واضحة محددة لما يرونه من جوانب النقص ، والا اطلق الكلام عاما ، على عواهنه ، بطريقة تضر ولا تبنى والالتزام بذلك الطريق فى نظرى ، هو الوسيلة الوحيدة ، للاستفادة من النقد كقيمة ايجابية بناءة فعلا (*)



وثائق

وثائق تاريخية عن:

الثورة العرابية

٧

النص الكامل لمحاضر التحقيقات مع رضوان فهمى ، وحسن واصف ، ومصطفى رمزى ، وابراهيم الهلباوى ، واحمد فوزى الاجزاجى ، ويوسف السيد ، والسيد بيومى

كان رضوان ((افندى)) فهمى يعمل مستخدما بقلم المطبوعات ، ومترجما تركيا بهذا القلم وقد استفسر منه ((قومسيون)) التحقيق عن معلوماته بشأن ذور احمد ((بك)) رفعت والشيخ محمد عبده فى الثورة ، بحكم مخالطته لهما فى العمل . وحسن ((افندى)) واصف احد تجار الاسكندرية ، سئل عما ادلى به عبد الله النديم اثناء سفره من الاسكندرية الى القاهرة ، بعد ضرب الاسكندرية من قبل الاسطول البريطانى ، ومصطفى ((افندى)) رمزى ، كان يوزباشى اركان حرب بفرقة مريوط ، اعترف بمحاولة الانضمام هو وعدد من الضباط الى الخديوى توفيق ، وقد قبض عليه بناء على تقرير قدمه على الروبى بشأنه وسجن ، حتى افرج البريطانيون عنه .

اما ابراهيم ((افندى)) الهلباوى فقد استجوبه ((القومسيون)) بشأن موقف شخص يدعى سليمان زغيب ، قيل انه قام باعمال عنيفة ضد بعض العناصر المعادية للعرابيين اثناء سجنها . وفيما يتعلق بأحمد فوزى الاجزاجى ، ــ سيدلى اسكندرى ــ فقد سئل عما رآه يوم مذبحة

الاسكندرية ، خاصة وكانت صيدليته مجاورة ((للضبطية)) .

وسئل يوسف ((افندى)) السيد بكباشى ٥ جى بيادة ، سئل عما قيل من انه اصدر اوامر بشأن عدم تدخل القوات التى تحت امرته فى اى اصطدامات يمكن ان تحدث بعد ٥ يونيو سنة ١٨٨٢ .

اما السيد بيومى فكان يوزباشيا باورطة مستحفظى اسكندرية ، ومما سئل عنه ، دور عساكر المستحفظين فى الإسكندرية فى فترة وجود الاسطول البريطانى ، واثناء ، وبعد ضربه للاسكندرية ، ومعلوماته عما قام به احمد عرابى فى تلك الفترة ، حيث كان معه فى ١١ يوليو سنة ١٨٨٢ فى طابية الديماس .

محضر استجواب رضوان أفندى فهمى (فى يوم الجمعة ٢٣ ذا سنة ٩٩)

(بناء على ما تقرر بجلسة يوم الخميس٢٢ ذا سنة ٩٩ ، الموافق ٥ اكتوبر سنة ١٨٨٢ ، حضر رضوان افندى فهمى منمستخدمى قلم المطبوعات ، ووجه اليه سعادة الرئيس الاسئلة المحررة ادناه ،فأجاب عنها بما يأتى) :

س : ما اسمك ؟

ج : رضوان فهمى .

س : ما وظيفتك ؟

ج : مترجم تركىبقلم المطبوعات.

س : هل كنت مع رفعت بك فى هذا القلم ؟

ج : نعم .

س : تعلم انه يجب على كل انسان ان يبين مايعلمه بما يختص بزمرة العصاة، وحيث انك كنت موجودا مع **احمد رفعت** ، والشيخ **محمد عبده** وتعلم احوالهما ، وقد بلغنا انه تحرر من رفعتبك رسالة لاحدى الجرائد ، بأن المدافع عن حقوق الامة لم يكن **احمد عرابى** فقط ، بل معشر المصريين ، اعنى خمسة ملايين ، وهمتحت السلاح،فقل لنا هل رايت ذلك (الرسالة المذكورة وجدت محررة فى جريدة البيان ، وعليها امضاء رفعت بك المذكور) ؟

ج : لم ار ذلك ، ولكنى اعلم ان **رفعت بك** كان من كبار العصاة ، وكان متولياامر تحرير المكاتبات مع الآستانة .

س : هل رايت منشورات او مكاتبات او كلفت بتراجم او غيرها ؟

ج : لم ار سيئا من ذلك ، وحيث انه كان كاتب سر مجلس النظار ، فربما يكون كلف بعض مستخدمى المجلس بالتبييض مثل **زكى افندى** او **كمال افندى** .

س : قيل لنا انك وجدت بقلم المطبوعات مع الشيخ محمد عبده ، واحمد بك رفعت، فالقصد ان توضح للقومسيون كتابة ما تعلمه وما شاهدته من احوالهما، بما يدل على اشتراكهما فى الحزب ، انما يكون ذلك باستيفاء التوضيحات اللازمة .

ج : ساقدم ذلك للقومسيون —

(بعد ان اجاب بما توضح اذن له بالانصراف ، فى يوم الجمعة ٢٣ ذا سنة ٩٩) .

اعضاء	اعضاء
محمد مختار	مصطفى خلوصى
سليمان يسرى	مصطفى راغب
محمد حمدى	سعد الدين
محمد زكى	يوسف شهدى
على غالب	

رئيس قومسيون التحقيق

اسماعيل ايوب

محضر استجواب حسن أفندى واصف (يوم السبت ١٥ الحجة سنة ٩٩)

(بناء علي ما اوضحه احمد سلامة معاون ضبطية اسكندرية في يوم ٨ الحجة سنة ٩٩ قد نبه عليه بأرسال حسن افندى واصف احد تجار اسكندرية ، فحضر يوم تاريخه وتوجهت اليه الاسئلة اللازمة ، فأجاب عنها بما ياتى) :

س : ما اسمك وما صنعتك ؟

ج : اسمى **حسن واصف** ووظيفتي تاجر باسكندرية .

س : تبين من التحقيق انك كنت بوابور السكة الحديد لما كنت قادما من اسكندرية لمصر ، عقب نهب وحريق اسكندرية ، وكان بالوابور المذكور عبد الله نديم الشقي ، فأفد عما سمعته منه وما نظرته ومن الذين كانوا معكم .

ج : كنت في طنطا في يوم الاثنين الموافق ١٠ يوليو سنة ١٨٨٢ بطرف اخى محمود افندى حامد احد اعضاء مجلس طنطا ، وبقيت بطرفه لحد صباح يوم الخميس الموافق ١٣ يوليو سنة تاريخه ، وبعدها توجهت الى المحطة بقصد الحضور لمصر ، فوجدت على رصيف المحطة قطرا فيه مهاجرين ولكونه كان في غاية الازدحام ، قصدت النزول في السبينسه ، ولما نزلت فيها وجدت بها **احمد افندى سلامة** من معاوني ضبطية اسكندرية ، **واحمد افندى** علي حكيم باشى قسم اول اسكندرية ، وبعد ذلك قدم الينا عبدالله نديم ، وقام القطر الى مصر ، وفى اثناء وجودنا معه سالته عن حالة اسكندرية فأجابنى بقوله : اننا اوقدنا فيها النار بعد السلب والنهب . وسألته ايضا عن حالة الطوابى ، فأفادنى انها هدمت ، وقال اننا مستعدون للمقاومة في البر ، لان الانجليز لم يكن لهم قدرة على المحاربة في البر ، فأنى انا ياضعيف ، قتلت بهذه الطبنجه ثلاثة من الاوروباويين واخرج طبنجة « ريفولفر » بيده ، وأرانا اياها وبعد ذلك انقطع الكلام بيننا ، وانا نمت حتى وصل القطر الى قرب محطة مصر وكانت الساعة تقريبا ٥ عربى نهارا ، فأيقظوني ففهمت ، وقبل دخول الوابور على رصيف المحطة ، نزل عبد الله نديم المذكور وتوجه لحال سبيله ، ونحن بقينا بالوابور حتى وصل الى الى الرصيف فنزلنا .

س : هل سمعت عبد الله نديم يتكلم عمن اجرى النهب والحريق ؟

ج : الذى قاله عبد الله نديم امامي بوقتها ، هو ما قلته من انه قال اننا اوقدنا النار فيها بعد السلب والنهب ، ولم يزد على ذلك .

س : قوله (اننا) شاملة من ومن ؟

ج : يعنى نفسه واخوانه الجهادية حيث دائما كان مصحوبا بهم .

س : حيث انك من تجار اسكندرية ، اوضح لنا ماتعلمه من تداخل العسكرية ، **وعبد الله نديم وحسن العقاد** في مقتلة ١١ يونيو سنة ١٨٨٢ ؟

ج : لا اعلم بشيء من ذلك .

(اذن له بالانصراف في ١٥ الحجة سنة ١٢٩٩)

اعضـــاء	اعضـــاء
محمد مختار	مصطفى خلوصى
سليمان يسرى	مصطفى راغب
محمد حمدى	سعد الدين
محمد زكى	يوسف شهدى
على غر...	

رئيس القومسيون
اسماعيل ايوب

محضر استجواب مصطفى أفندى رمزى

(بناء على ما تقرر بجلسة يوم الثلاثاء ٢٧ القعدة سنة ١٢٩٩ ، كان تحرر الى الحربية بالتنبيه على مصطفى افندى رمزى بالحضور الى القومسيون ، فحضر في هذا اليوم وسئل فأجاب كما ياتى) :

س : ما اسمك ؟

ج : مصطفى رمزى .

س : ما وظيفتك ؟

ج : يوزباشى اركان حرب .

س : كنت باى فرقة بجيش العصاة ؟

ج : بمريوط .

س : بلغنا انك لما كنت في تلك الفرقة ، كنت تجتهد ان

تتوجه للاسكندرية لطرف الخديوى ، فبلغ على الروبى ، ولذلك اجرى ضبطك وحبسك فما هى الكيفية ؟ .

ج : كنت دائما اجتهد بالاتفاق مع بعض عساكر وضباط كى نتوجه للاسكندرية ، وبعدها على الروبى حرر فى حقى تقريرا يوجد بين اوراق مجلس الجهادية ، وصار ضبط اوراقى ، وعلم منها ماكنت عليه ، وصار سجنى بالطوبخانة، وبقيت حتى دخلت عساكر الانجليز وافرج عمن كانوا بالطوبخانة وانا معهم .

س : هل تعلم ان ما اجراه سليمان سامى من النهب والحرق بالاسكندرية، كان من نفسه او بأمر من احد؟

ج : ما كنت بالاسكندرية . انما من الاشاعات علمت ، ان اجراء ذلك كان باتفاق رؤساء من حزب العصاة، وهم محمودسامي وعرابى وطلبه ، وسليمان وغيرهم الذين كانوا موجودين هناك .

س : ممن كنت تسمع تلك الاشاعات ؟

ج : من بعض الضباط وبعض العساكر لما كنت بكفر الدوار .

س : من الذين كانوا قد اتفقوا معك ، وكانوا يريدون التوجه معك من مريوط الى الاسكندرية لطرف الحضرة الخديوية ؟

ج : بعض ضباط اعرف ذاتهم ولم اعرف اسماءهم ، والذين اعرف اسماءهم ، هم **محمد طاهر** افندى بكباشى طوبجية، **ومصطفى سرى** صاغقول طوبجى ، **وعلى صبحى** بكباشى بيادة، **وعلى افندى لبيب** البكباشى ، وبكباشى طلبات الاسكندرية ، وغيرهم من الضباط الاصاغر .

(وبعد ذلك اذن له بالانصراف فانصرف فى ٢٨ ذا سنة ١٢٩٩)

اعضاء	اعضاء
محمد مختار	مصطفى خلوصى
سليمان يسرى	مصطفى راغب
محمد حمدى	سعد الدين
محمد زكى	يوسف شهدى
على غالب	

رئيس القومسيون
اسماعيل ايوب

محضر استجواب أبراهيم أفندى الهلباوى (فى غاية محرم سنة ١٣٠٠)

(بناء على ماتقرر بجلسة امس ، كان تحرر لسعادة سلطان باشا عن حضور ابراهيم افندى الهلباوى ، فحضر وسئل فاجاب كما يأتى) :

س : ما اسمك ؟

ج : ابراهيم الهلباوى .

س : لما كنت بالطوبخانة ، من كان فيها بصفة مأمور ؟

ج : سليمان افندى زغيب .

س : بعض اناس ادعوا على انه اخذ نقودا منهم وضربهم ، فما الذى تعلمه فى شأن ذلك .

ج : لما حضر سعادة سلطان باشا الى مصر ، حضر لسعادته اناس ، وتشكوا ان سليمان زغيب اخذ نقودا منهم تبلغ ١١٨ جنيها تقريبا ، وكان سعادة سلطان باشا امر بسجن المذكور ، وعين **عثمان افندى بدران ، وعلى افندى ثابت** لتحقيق ذلك بصفة رسمية ، واظن انه ثبت عليه ، ولابد ان تكون الاوراق بالضبطية .

س : هل ان المذكور ضرب المسجونين ام لا ؟

ج : نعم كان يضربهم .

س : هل لم يحصل لك ضرب ولا اخذ منك نقود ؟

ج : لم يحصل .

س : لم لم يحصل لك ذلك ، وقد حصل لغيرك ؟

ج : هذا الامر كان يحصل للناس الذين يؤمل الاعطاء منهم ، واما امثالنا فقط كان يجرى تشغيلهم بالقذارة ، وكان امر ان

اشتغل فيها ، ولكن ذلك لم يتم .

س : حينما كنتم بالطوبخانة ، فهل كنتم ترون انسليمان زغيب ، كان من المتشيعين والمتحزبين لحزب العصاة ام لا ؟

ج : نحن كنا مسجونين بمحل بعيد عنه ، فلذا ما كنا نسمع اقواله حتى نعلم انه كان متهورا ام لا ، ولكن القوةالتى كانيعامل بها المسجونين الذين كانوا يميلون للجناب الخديوى ، ومتباعدين عن حزب العصاة مع الالفاظ القبيحة التى كانت تصل لنا من جهة القدح فى حق الحضرة الخديوية تدل انه كان منءاكبر المتشيعين للفتنة الباغية .

(اذن له بعد ذلك بالانصراف فى غاية محرم سنة ١٣٠٠)

اعضاء	اعضاء
محمد مختار	مصطفى خاوصى
سليمان يسرى	مصطفى راغب
محمد حمدى	سعد الدين
محمد زكى	يوسف شهدى
على غالب	

وكيل رئاسة القومسيون
محمد زكى

محضر استجواب أحمد فوزى الاجزاجى (يوم الاثنين فى ٩ محرم سنة ١٣٠٠)

(بناء على ما تقرر بجلسة القومسيون قبل تاريخه ، كان طلب حضور احمدفوزى الاجزاجى باسكندرية ، فحضر فى هذااليوموسئل ، فاجاب كما يأتى) :

س : ما اسمك ؟

ج : احمد فوزى .

س : ما صنعتك ؟

ج : اجزاجى .

س : هل انت مستخدم بهذه الصفة فى الحكومة ، ام فى الخارج ؟

ج : لم اكن مستخدما فىالحكومة، بل فاتحا اجزخانة على ذمتى .

س : اين توجد الاجزخانة المذكورة ؟

ج : فى شارع الضبطية تحت جامع تربانة القريب من الضبطية .

س : هل تتذكر يوم حصول مذبحة الاسكندرية ، وهل كنت فاتحا الاجزخانة فى ذلك اليوم ام لا ؟

ج : نعم اتذكر يوم حصول تلك الواقعة،وكانت الاجزخانة مفتوحة ، انما غبت عنها نحو الثلاث ساعات من الساعة ٧ لغاية الساعة ١٠لوجود مسافرين عندى، وعند عودتى رايت الناس مزدحمين وفى هيجان زائد .

س : علم من التحقيق انه صار اخبارك قبل حصول هذه الواقعة بيوم ، انه مزمع وقوعها فى الغد ، وتنبه عليك بعدم وجودك فى دكانك ، فى يوم الاحد قبل الظهر ، فهل هذا حقيقى؟

ج : لم يخبرنى احد بذلك ، ولو اخبرنى احد بما ذكر ، لما كنت فتحت الدكان ، ولما وجدت فيها فى ذلك اليوم.

س : الم يخبرك السيد قنديل او على داود اوسعد ابو جبل بما ذكر . ؟

ج : لم يخبرنى احد بما ذكر .

س : الم يأخذ منك السيدقنديل مسهلا .

ج : اخذ منى مسهلا وادوية اخرى فىيوم الثلاثاء التالى للواقعة .

س : حيث انك قريب من الضبطية ، فهل رايت قتل احد ؟

ج : نعم لما كنت فى الاجزخانة بعد عودتى اليها من منزلى ، حضر اوربى مجروحا فى راسه ، وقيل انه من مستخدمى وابورات البروباتينو ، وكان موجودا عندى سعد افندى سامح ، ومحمد نفعى افندى الحكيم فى سواحل الاسكندرية، وبعد ضمد الجرح ، ووضع

الـــرباطات اللازمـــة ، احضرنا عـــربة واردنا ارجـــاعه لمحله ، فاجتمع علينـــا بعض الاشرار وارادوا ضربنا ، فاخفيناه واظهرنا اننا نحن الـــذين نرغب الركوب ، ثم صرفنا العربة ، وغلقنـــا باب الـــدكان على الاورباوي المذكـــور ، وفى ثانى يوم صباحا قبل فتح الدكان ، تقابلت مع **محمـــد توفيق الحكيم** ، واخذنا معنا من الضبطية، **منصور شوكت** المعاون ، وتوجهنا للدكان وفتحناها واخرجنـــا ذلك الشخص،وسلمته للمعاون لاعادته للبحر فى محله ، وفى وقت توجهي للضبطية لاخذ المعاون،كان موجودا على بابها الدكتور **رومانو** حكيم الضبطية ، وســـمع ماقلته **لمنصـــور افنـــدى** شـــوكت فى شأن الاوربى السابق ذكره .

(اذن له بعد ذلك بالانصراف)

اعضــــــاء	اعضـــــاء
محمد مختـــــار	مصـــطفى خلوصى
ســـليمان يسرى	مصـــطفى راغب
محمـــد حمـــدى	ســـعد الـــدين
محمــــد زكي	يـــوسف شـــهدى
على غـــــالب	

رئيس القومسيون
اسماعيل ايوب

محضر استجواب يوسف أفندى السيد (فى يوم الاثنين ٢٤ الحجة سنة ١٢٩٩)

(بناء على ماتقرر بجلسة هذا اليوم،طلب يوسف افندي السيد من السجن ،وسئل فاجاب كما يأتي) :

س : ما اسمك ؟

ج : يوسف السيد .

س : ما وظيفتك ؟

ج : بكباشي فى ٥ جى بيادة .

س : علم من اقوال **احمدافندى عبد الهادى** الملازم ، انه فى يوم الجمعة ٩ يونيو نبهت عليـــه وعلى باقى الضباط عند تغيير الخفر، انه اذا حصلت معركة او مشاجرة فى البلد ، فـــلا يتداخلوا فيهاولا يستعملوا الاســـلحة ، فهـــل حقيقة نبهت بذلك ام لا ، وفى حالة الايجاب بناء على امر من ، اصدرت هذا التنبيه؟

ج : لم اعلم بذلك التنبيه ،ولم اصدره .

(استصوب طلب احمدافندى عبد الهادى) ، لمواجهته بيوسف السيد ، فحضر وسئل فاجـــاب كما يأتى) :

س : قد سألنا البكباشي الذى قلت انه نبه عليكم بعدم التداخل فى المشاجرات او المعاركات التى تحصل ولا استعمال الاسلحة فأنكر ، فماذا تقول ؟

ج : نبه علينا بذلك كما قلت آنفا، فأنه فى اليوم المذكور جمع حكمدارات القره قـــولات من ضباط وصف ضباط ، وقال لنا ، كل عسكـــرى يقف فى نقطة،واذا حصلت مشاجرات او معاركات ، لايترك احـــد نقطته ، ولا يتداخل فيها ، ولا يستعمل الاســـــلحة لوجـــــود المســـتحفظين والبـــوليس المخصـــوصين لذلك .

س : (الى يوسف السيد) ،قد سمعت احمد افندى عبد الهادى ، يقول بحضورك، انك نبهت عليهم بما سبق ذكره امام حـــكمدار نقط الخفر ، فهل انت لم تزل مصرا على قولك بعـــدم صدوره منك ؟

ج : هذا التنبيه لم يصدر مني ، ولو صدر لما كنت انكره لانه لم يكن فيه غلط .

س : (الى احمد افندى عبـــد الهادى) ،هل تتذكر اسماء بعض الضـــــباط والصف ضباط الذين كانوا حاضرين وسمعوا التنبيه ؟

ج : لم اكن متذكرا اســـم احد لمضى مدة نحـــو الخمسة اشهر ، ولـــكن الضـــباط المذكورين من اورط خلاف اورطتى .

(اذن بعد ذلك لاحمد عبد الهادى بالانصراف،واعيد يوسف السيد الى السجن) .

اعضـــــاء	اعضـــــاء
محمد مختـــــار	مصـــطفى خلوصى
ســـليمان يسرى	مصـــطفى راغب
محمـــد حمـــدى	ســـعد الـــدين
محمــــد زكي	يـــوسف شـــهدى
على غـــــالب	

رئيس قومسيون التحقيق
اسماعيل ايوب

محضر استجواب السيد بيومى (فى ٢٠ الحجة سنة ١٢٩٩)

(بناء على ماتقرر بجلسة يوم ٦ الحجةسنة ١٢٩٩ ، كان تقرر للبحرية عن طلب السيد بيومى اليوزباشي بأورطة مستحفظين الاسكندرية ، فحضر ووجه اليه سعادة الرئيس الاسئلة الآتية ، فأجاب عنها كما يأتى :

س : ما اسمك ؟

ج : السيد بيومى .

س : ماوظيفتك ؟

ج : يوزباشي بأورطة المستحفظين بالاسكندرية .

س : اين كنت قبل ذلك ؟

ج : كنت فى ا.جى الآى سوارى.

س : متى نقلت للمستحفظين ؟

ج : من منذ ١٢ سنة .

س : متى ترقيت لرتبة يوزباشى؟

ج : ترقيت فى سنة ١٨٨١ .

س : ماهو عدد العساكر الذين كانوا معك .

ج : كان عددهم مائة وعشرين.

س : ما عدد من كان معك فى واقعة الاسكندرية الاولى التى حصلت فى يوم ١١ جونيو . ؟

ج : كان معى العدد المذكور، انما كان منهم نحو السبعين رجلا فى خارج البلد .

س : من هم الملازمون الذين كانوا معك ؟

ج : عبد السيد افندى عطية ، ومحمد ناجى ، ومصطفى نظيف ، واحمد فؤاد الذى كان اسمه احمد عشرى.

س : اين يوجد عبد السيد عطية ومصطفى راغب ؟

ج : عبد السيد عطية من دقادوس بمديرية الدقهلية ، ومصطفى نظيف من كفر طنطا بالمديرية المذكورة .

س : هل كنت فى الاسكندرية فى يوم الواقعة المذكورة آنفا؟

ج : نعم كنت هناك .

س : اين كنت فى وقت حصول الواقعة ؟

ج : كنت فى راس التين فى الاورطة .

س : الم يحضر لك خبر بحصولها، وصار طلبك للجهة التى كان حصول الواقعة فيها.

ج : نعم ارسل لى احمد حقى البكباشى بان اتوجه لقره قول اللبانة ، بستة عساكر سوارى ، ومن يوجد من البيادة وتوجهنا فوجدنا الازدحام الزائد ، فأجتهدنا بتفريق الناس حتى فرقناهم ، ثم تعينت لكرموز .

س : متى ارسل لك هذا الخبر؟

ج : فى العصر تقريبا .

س : هل فى علمك انه لم يكن من عوائد اهل مصر، فعل امور مثل هذه فما اسباب وقوع هذه الحادثة منهم ؟

ج : نعم بالحقيقة اعلم انه لم يكن من عوائد أهل القطر المصرى، فعل شيء من هذا القبيل ، واستغربت حصول هذه الحادثة ، ولكنى لم اعلم اسبابها ، انما بلغنى ان اصلها واحد حمار تشاجر مع شخص اوربا وى مالطى ، فتجمعت الاوباش وحصل ما حصل .

س : مما يدل على ان هذه الحادثة لابد لها من اسباب، وانها مؤسسة من قبل حصولها فى جهات متعددة فى آن واحد .

ج : نعم حقيقى ذلك واستغربت غاية الاستغراب واتعبت فكرى فلم اقف على الحقيقة .

س : الم تسمع ان عبد الله نديم، كان يلقى خطبا مهيجة .

ج : نعم سمعت من جميع الناس ان عبد الله نديم ، كان يلقى خطبا مهيجة ولابد ان تكون هذه الخطب هيجت افكار هؤلاء الاوباش .

س : الم يبلغك ان عساكر المستحفظين البيادة ، اشتركوا مع الاهالى فى قتل الاوروباويين ؟

ج : سمعت ان عساكر المستحفظين اشتركوا فى النهب والقتل ، ولما سئل من الناس عما اذا كانوا يعرفون احدا ، عرفوا عسكريا وقالوا انه من المستحفظين، وانه اشترك مع الاهالى فى القتل، وظهر فيما بعد انه من عساكر البلوك المخصص لخفر الليمان .

س : هل كنت فى الاسكندرية فى يوم واقعة ١١ يوليو ؟

ج : نعم .

س : الم يتعين منكم احد مع احمد عرابى لتأدية الطلبات ؟

ج : نعم تعينت في يوم الضرب على الطوابي انا وعشرة انفار تقريبا واثنين اومباشية، احدهما يسمى سليمان ، ولم اكن متذكرا لقبه ولا اسم الثاني ، وتوجهنا لطابية الديماس، وصار يعطي الينا اوراقا لتوصيل بعضها للطوابي وبعضها للتلغراف .

س : في اى ساعة تعينت ؟

ج : في الساعة ٣ صباحا من ذلك اليوم .

س : لاى ساعة بقيت ؟

ج : لغاية الساعة ١٠ لما نزل احمد عرابي ، توجه معه عسكريان ، وانا اخذت الباقى وانصرفت .

س : ماذا اجريت بعد الساعة ١٠ ؟

ج : توجهت لكرموز مع باقي العساكر ، وفي الساعة ١٢ ورد لنا امر بارسال بضعة عساكر يتوجهون مع احمد عرابي للرمل مع ملازم، فعينت محمد افندى وثمانية عساكر تقريبا ، وانا بقيت في كرموز وفي الساعة ٦ ، عاد الملازم والعساكر .

س : الم يقل لك الملازم اين توجهوا مع احمد عرابي، وماذا سمع ؟

ج : لم يقل لى شيئا فاني كنت نائما وقت حضوره .

س : الم تساله في الصباح ؟

ج : لم اساله ، فاني في الصباح، جمعت النقط واخذتهم وتوجهت للقشلاق في رأس التين .

س : الم ترسل عساكر لاحمد عرابي في ثاني يوم ؟ .

ج : لم ارسل له عساكر غير الاثنين اللذين كانا معه دائما يتبعانه حيث يتوجه .

س : ما اسم الاثنين اللذين بقيا مع احمد عرابي ؟

ج : احدهما يسمى **عبد الرحمن** ، ولم اكن متذكرا لقبه ، والثاني يسمى **عواد رافع**.

س : هل الملازم كان معك ؟ .

ج : كان توجه لمنزله .

س : ماذا فعلتم في راس التين؟

ج : مكثنا والسروج على الخيل. ولما حصل واصيب الاسطبل، اخذت العساكر وتوجهت للضبطية، فرايت هناك علي بك داود ، ولما سالني عن سبب حضورى، قلت له ان الاسطبل اصيب بالكلل ، فقال لي ابق العساكر هنا في اسطبل الضبطية، واحضر انت معي ، ثم لما راى ازدحام الطريق بسبب وجود العساكر ، قال لي توجه بهم لكرموز، فاخذتهم وتوجهت .

س : في اى ساعة كان ذلك ؟

ج : في الظهر تقريبا .

س : عند توجهك لكرموز ومرورك من المنشية ، الم تر عساكر اوسليمان سامي؟

ج : رايت سليمان سامي بالقرب من هناك ماشيا مع رجل، ورايت عساكر في المنشية كان بعضهم واقفا على التروتوار، وبعضهم ماشيا مثل دورية .

س : الم تر حصول نهب منهم ؟

ج : لم ار نهبا في ذلك الوقت ، انما بعد وصولي لكرموز، بلغني ان نهب البلد جار، فأردت اخذ العساكر الذين معي والتوجه للبلد لانظر ذلك ، فقيل لى ان هذا غير ممكن بالنظر الى اطلاق الرصاص من الشبابيك ، ولا يتيسر لاحد المرور ، حتى ان اثنين من البوليس قتلا . ثم ارسل لي **علي بك داود** عساكر اخبروني بلزوم الخروج من البلد مع العساكر الذين معي ، وباقي النقط ، والتوجه لحجر النواتية لانه مزمع اعادة الضرب على البلد .

س : هل كان مع احمد عرابي، غير الاثنين سوارى اللذين اخبرت عنهما عساكر مراسلة من المخصوصين بنظارة الجهادية ؟

ج : لم ار العساكر المذكورين ، انما كان تعين معه بلوكين من السوارى الذين اصلهم من مصر .

س : في اى ساعة ارسل لك على داود تنبيها بالخروج؟

ج : بعد العصر .

س : ماذا جرى بعد ارسال ذلك الخبر اليك ؟

ج : توجهنا لنمرة ٣ وبتنا هناك.

س : ماذا رأيت عند خروجك ؟

ج : رايت اهالي البلد والعساكر خارجين .

س : لماذا كانوا خارجين ؟

ج : قيل ان ذلك كان بناء على تنبيه .

س : بناء على تنبيه من ؟

ج : قيل من العساكر ومن الناس، ان سليمان سامي هو الذى نبه بالخروج من البلد ، لانه مزمع الضرب عليها .

س : علم من التحقيق ، ان الذى نادى فى الطرق بالخروج من البلد ، كانوا عساكر سوارى مستحفظين ، فمن هم ؟

ج : لم اعرفهم ، فان عساكر المستحفظين كانوا متفرقين فى جهات كثيرة ، وكان منهم اثنان مع احمد عرابى ، واثنان مع راغب باشا ، واثنان مع المحافظ ، وكان منهم اشخاص فى الضبطية وفى المحافظة ، فلا اعلم ان كان احد من هؤلاء نادى بذلك ام لا ؟

س : الم يبلغك حرق الاسكندرية ؟

ج : بلغنى ذلك فى يوم الخميس صباحا مذ كنا من نمرة ٣ ، فانه قيل انه حاصل حريقة فى الاسكندرية .

س : الم يبلغك من حرقها ؟

ج : سالت كثيرا من الناس ، فقيل لى ان السبب فى ذلك كل المدافع .

س : قلت انك مريت من المنشية فى الظهر بعد اطلاق كلل المدافع ، ولم تر شيئا ، فكيف تقول الآن ان الكلل هى سبب الحريقة ؟

ج : قيل ايضا من اناس ، ان سليمان سامى هو الذى حرقها ؟

س : الم تسمع لماذا سليمان سامى حرق البلد ؟

ج : لم اسمع .

س : عند مرورك فى نمرة ٣ وحجر النواتية ، الم تر منهوبات مع العساكر والاهالى ؟

ج : نعم رأيت منهوبات مع العساكر والاهالى .

س : الم تر فى كفر الدوار ايضا ، حصول البيع والشراء فى تلك المنهوبات بين العساكر وغيرهم ؟ .

ج : نعم بلغنى ان ذلك جار من عساكر الآى سليمان سامى .

س : فى واقعة ١١ جونيو ، قيل انه وجد جملة قتلى امام الضبطية ، الم تر ذلك ؟

ج : لم ار ذلك ، فانى عند نزولى من راس التين ، مريت من سكة الجمرك بقرب قول اللبانة .

(وبعد ان اجاب بذلك ، اعيد للسجن فى ٢٠ الحجة سنة ١٢٩٩) .

(بناء على ما تقرر بجلسة يوم ٢١ الحجة سنة ١٢٩٩ ، احضر المذكور وسئل ، فاجاب بما يأتى) :

س : قضيت يومى ١١ ، ١٢ ، يوليو تحت اوامر احمد عرابى ، فقل لنا الاوامر التى صدرت لك منه ؟

ج : لم تصدر لى اوامر من احمد عرابى ، غير تكليفى بتوصيل اوراق ، وكنت معه فى يوم ١١ يوليو فى طابية الديماس ، وفى غروب هذا اليوم ، تركت الطابية المذكورة انا والعساكر الذين كانوا معى ، وتمنا فى كرموز ، وفى ثانى يوم صباحا ، اخذت العساكر المذكورين وتوجهت لراس التين ، فتوجهى لكرموز فى غروب يوم ١١ كان بناء على المامورية المكلف بها من منذ عدة ايام ، وهى توزيع دوريات من العساكر الذين يكونون خشالين من المأموريات ، وفى مساء ذلك اليوم ، ارسل لى احمد عرابى امرا مع عسكرى بارسال عشرة عساكر ، وفى الواقع ارسلت العشرة عساكر سوارى المذكورين تحت قيادة محمد نامى الملازم ، وتوجهوا لطرف احمد عرابى فى منزل راغب باشا ، ومن هناك توجهوا بصحبته للرملة ، ثم عاد لكرموز فى الساعة ١ بعد نصف الليل ، والملازم توجه لمنزله بكوم الشقافة ، وفى ثانى يوم صباحا ، توجهت كما قلت آنفا الى راس التين ، وبقيت هناك لغاية سقوط بعض كلل فى جهة الاسطبل ، فاخذت العساكر الذين معى ، وتوجهت للضبطية فوجدت هناك على داود ، ومكثت فى الضبطيه لغاية الظهر تقريبا ، ثم توجهت مع العساكر المذكورين لكرموز لاخراج الدوريه بناء على امر من على داود ، ووصلت الى هناك فى الساعة ١ بعد الظهر ، وبقيت الى غاية الساعة ٥ او ٦ بعد الظهر ، ثم ورد لى امر من على داود بجمع القره قولات ، وبالخروج مع العساكر لحجر النواتيه .

س : يظهر مما قلت ، انه فى يوم ١٢ لم يوجد باسكندرية من الظهر ، مستحفظين سوارى ، مع ان جميع الشهادات التى اخذت تثبت لنا ، ان مستحفظين سوارى مروا فى طرق اسكندرية فى ذلك اليوم من الظهر .

ج : جميع المستحفظين السوارى ، لم يكونوا معى ، بل كان موجودا منهم فى الضبطية وفى المحافظة ، ومع راغب باشا رئيس النظار وفى مكتب التلغراف .

س : لما كنت فى كرموز ، هل رأيت العساكر حاملين منهوبات ؟

ج : لم ارهم .

س : لقد سالتك هذا السؤال ، كى تثبت انك ، لم ترد

اخبارنا بالحقيقة ، لاننا علمنا من اعتراف الملازم الذى كان معك ، ان العساكر الذين كانوا حاملين منهوبات ، وخصوصا المستحفظين ، مروا افواجا امامكم فى كرموز ، فهل تريد الان ان تقول الحقيقة عن امر المستحفظين السوارى بأن يكروا فى طرق البلد لاخراج السكان منها ، لانه كان مزمعا على حرقها بامر احمد عرابى .

ج : رايت اناسا اهالى وعساكر مارين ومعهم منهوبات ، ولكنى لم ار مستحفظين ، واما حرق اسكندرية سمعت ممن مروا امامى ان البلد فيها نار ، ولكنى لم اسمع فى ذلك الوقت ، انها حرقت بأمر احمد عرابى .

س : بأمر من حرقت اسكندرية اذن ؟

ج : سمعت من عساكر الالايات ان سليمان سامى حرق المنشية ، ولكنى لم اعلم بأمر من اجرى ذلك .

س : من يكون امر بحرق اسكندرية غير القومندان العمومى ؟

ج : لا اعلم ولا يمكننى ان اقول شيئا عن ذلك .

س : اذا كان سليمان سامى اجرى ذلك بدون امر من احد ، كان احمد عرابى لم يستحسن فعله ، وحيث انك كنت فى كفر الدوار ، فهل رايت شيئا مثل ذلك ، اعنى شيئا يدل على عدم استحسان ما اجراه سليمان سامى ؟

ج : لم ار شيئا من ذلك ، بل لم يفعل احمد عرابى امرا يدل على عدم استحسان ما اجراه **سليمان سامى** ولم يحاكمه ولا عاقبه ، واستمرت العلاقات بينهم كما كانت قبلا ، واعلم كما يعلم باقى الناس ، ان سليمان سامى كان الرجل الذى يعتمد عليه احمد عرابى ويثق به ويأتمنه على اسراره ، وكان معتبرا كشخصه ، وكذلك فى المدة التى قبل ١٢ يوليو سنة ١٨٨٢ ، كان معتبرا فى الاسكندرية بصفته وكيل احمد عرابى .

س : كيف خرجت عائلتك من اسكندرية ؟

ج : لما كنا فى حجر النواتية ، حضر لى محمد افندى نامى الملازم ، واخبرنى ان عائلته موجودة مع عائلتى ، وانه نصب لهما خيمة وسيقضيان فيها الليلة ، ثم توجهنا لكفر الدوار ، ولم اعلم ماذا جرى فى عائلتى ، حتى يوم ٤ رمضان حضرت مع اختى ، وبالاستفهام منها عن كيفية مجيئها ، اخبرتنى انه فى ثانى يوم الضرب ، خرجت مع عائلة الملازم بالنظر لتنبيه مشايخ الحارات بالخروج لانه مزمع على حرق البلد ولعودة الملازم وعائلته عادت هى ايضا معه ، وحيث انه لم يبق احد فى الحارة ، حضرت ثانيا .

(اعيد بعد ذلك للسجن) .

اعضاء	اعضاء
محمد مختار	مصطفى خلوصى
سليمان يسرى	مصطفى راغب
محمد حمدى	سعد الدين
محمد زكى	يوسف شهدى
على غالب	

رئيس قومسيون التحقيق
اسماعيل ايوب

تواصل « الطليعة » نشر محاضر جلسات محاكمة رجال الثورة العرابية فى العدد القادم



سياستنا.. الاعتماد على أنفسنا في تدعيم نهضتنا
وسماد بلدنا.. يحقق الخير والرخاء ويوفر آلاف العملات الصعبة التي كنا نستورد بها احتياجاتنا من الخارج
نتروكيما
٢٦٪ آزوت
السماد الأصيل.. لجميع المحاصيل
كيما
بأسوان
شركة الصناعات الكيماوية المصرية
احدى شركات المؤسسة المصرية العامة للصناعات الكيماوية



الملفات والوثائق التاريخية

الملفات :

عام ١٩٦٥

فبراير :

● السد العالى : من الزوايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

[redacted]

مايو :

● التخطيط لمستقبل البترول العربى .

أغسطس :

● سلامة موسى والفكر الثورى المعاصر.

عام ١٩٦٦

فبراير :

● روديسيا .. اسرائيل جديدة فى افريقيا.

مارس :

● « بصمات العقاد » الفكرية والادبية والسياسية على الواقع العربى .

مايو :

● «محمد مندور » فى تراثنا القومى .

عام ١٩٦٧

فبراير :

● سارتر فيلسوفا ، وسياسيا ، وناقدا وروائيا ومسرحيا .

ابريل :

● حوار سارتر وسيمون دى بوفوار مع الفلاحين والعمال والمثقفين العرب .

الوثائق التاريخية

عام ١٩٦٥

يناير :

● الارض والفلاح فى مصر .
منذ اعلان مينو (١٨٠٠) حتى ثورة يوليو ١٩٥٢ بقيادة عبد الناصر (١٩٦٤) .

فبراير :

● الاحزاب والتنظيمات السياسية فى مصر من الحــزب الوطنى الاهلى (١٨٧٩) الحزب الاشتراكى المصرى (١٩٢١)

مارس :

● الاحزاب والتنظيمات السياسية فى مصر. من حزب الاحرار الدستوريين (١٩٢٢) . حزب مصر الفتاة (١٩٣٧) .

ابريل :

● الاحزاب والتنظيمات السياسية فى مصر من حزب الهيئــة السعدية (١٩٣٧) . الاتحاد الاشتراكى العربى (١٩٦٥) .

مايو :

● العمل والعمال فى مصر . من لائحــة (السخرة) فى قناة السـويس (١٨٥٦) . تقرير عبد الرحمن رضا (باشا) سنة ١٩٢٧

يونيو :

● العمل والعمال فى مصر ..
من أول مكتب عمل فى مصر سنة ١٩٣٠ حتى تقرير هارولد بتلر سنة ١٩٣٢ .

يوليو :

● بيانات أيام التحول الكبرى فى تاريخ ثورة يوليو . من يوم ٢٣ يوليو (١٩٥٢) . حتى خطاب عبد الناصر أمام مجلس الامة (١٩٦٥) .

أغسطس :

● تاريخ القطاع العام فى مصر . منبداية تكوينه حتى سنة ١٩٥٥ .

سبتمبر :

● تاريخ القطاع العام فى مصر من ١٩٥٥ الى ١٩٥٩ .

أكتوبر :

● تاريخ القطاع العــام فى مصر من ١٩٦٠ الى ١٩٦٤ .

نوفمبر :

● تطور التعليم فى مصر .. من حركة اصلاح التعليم سنة ١٨٨٠ حتى تقرير محمد توفيق رفعت سنة ١٩٢٣ .

ديسمبر :

● وثائق التعليم فى مصر .. من تقـرير المستر ف. مان سنة ١٩٢٩ حتى قانون رقم ٩٠ لسنة ١٩٥٠ .

عام ١٩٦٦

يناير :

● وثائق التعليم فى مصر .. من قانون تنظيم التعليم الثانوى سنة١٩٥٣ الى الدستور المؤقت لـ ج.ع.م سنة ١٩٦٤ .

فبراير :

● الثورة العرابية .. محضر التحقيق مع أحمد عرابى (الجلسة الاولى) .

مارس :

● الثورة العرابية .. محضر التحقيق مع احمد عرابى (الجلسات الثانية والثالثة) .

ابريل :

● الثورة العرابية .. محضر التحقيق مع أحمد عرابى (من الجلســة الرابعــة الى السابعة) .

من مايو الى ديسمبر :

● بقية محاضر التحقيقــات مع رجــال الثورة العرابية .

عــام ١٩٦٧

من يناير الى ابريل :

باقى محاضر التحقيقات مع رجال الثورة العرابيــة .

الثمن ١٠ قروش

مطابع مؤسسة الاهرام

يونيو ١٩٦٧
السنة الثالثة

٦

عدد خاص

الطليعة

طريق المناضلين الى الفكر الثورى المعاصر

الاشتراكية فى الوطن العربى

ملف خاص عن
رفاعة الطهطاوى

أمام المبادرة الثورية .. ينهار حصار المثلث الخطر



طريق المناضلين الى الفكر الثورى المعاصر

مجلة شهرية
تصدر اول كل شهر

رئيس التحرير :
لطفى الخولى

مستشارو التحرير :
د. ابراهيم سعد الدين
امين عز الدين
د. جمال العطيفى
د. رشدى سعيد
د. عبد الرازق حسن
د. لطيفة الزيات
د. محمد الخفيف

سكرتارية التحرير :
ميشيل كامل
عبد المنعم القصاص

الفهرس

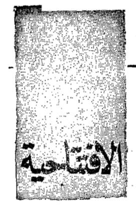
العدد السادس ـ السنة الثالثة ـ يونيه ١٩٦٧

عنوان المراسلات :
((الطليعة))
مبنى مؤسسة الاهرام ١٤ شارع مظلوم
القاهرة تليفون ٤٦٤٦٤ ٤١١٤٤

الاشتراكات :
لسنة بالبريد العادى ج.ع.م ودول اتحاد البريد العربى ودول الدار البيضاء ١١٥ قرشا .

ان ((الطليعة)) ميدان مفتوح لكل رأى حر ، وفى اعتقادها ان تفاعل الآراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع ان يبلور ويستخلص وحدة فكرية أصيلة .

من هذا المفهوم تفتح ((الطليعة)) صفحاتها لكل رأى لديه كلمة يقولها ـ مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى اطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر ((قد اختلف معك فى الرأى ولكنى على استعداد لان ادفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رأيك)) .



أمام المبادرة الثورية.. ينهار حصار المثلث الخطر

كان خطاب المناضل جمال عبد الناصر في عيد العمال ورسالته الى مؤتمر يوم فلسطين المنعقد في لندن يوم ١٤ مايو الماضي يتضمنان أعمق تحليل واوضح صورة للموقف السياسي ،ويضعان استراتيجية العمل الثوري في مرحلة حاسمة من مراحل كفاحنا،نواجه فيها تآمراً شاملا يسعى لمحاصرتنا من كل جانب ويخطط للانقضاض على امانينا القومية .

«حينما تقوم ثورة في أي مكان ، لابد ان تقوم مقابلها ثورة مضادة»

«ان التآمر يكشف عن حقيقة ان الاستعمار والصهيونية والرجعية ما هي الا مسميات مترادفة لشيء واحد هو الحلف المعادي لامتنا العربية .. لمبادئها ولاهدافها»

«ان المكونات الثلاثة للحلف المعادي تعيش مستندة على بعضها ، متممة لبعضها، لا يستطيع الواحد منها أن يبقى الا بمساندة حليفية ، ومن هنا جاء تنسيق التحركات المعادية لامتنا كل منها موقوت بما قبله مرتبط بما بعده».

«أمريكا هي قيادة الثورة المضادة في العالم»

«كما تلتحم القوى المضادة لابد ان قوى الثورة تلتحم»

«علينا ان نكشف عناصر الثورة المضادة في كل مكان ونقضي عليها»

وفي الظروف التاريخية الراهنة ، بعد ان اعلنت قيادتنا الثورية «حالة الاستعداد القصوى» بين القوات المسلحة ، واكدت عزمها على خوض المعركة ضد اسرائيل اذا تعرض الوطن السوري اوأي بلد عربي آخر لعدوان يهدد أرضه وسلامته .. وبعد أن أصبح الشعب كله ، بل والامة العربية بأجمعها معبأة للدفاع عن كيانها ، متأهبة للانقضاض على أعدائها ، فان القوى الثورية في جميع انحاء الوطن العربي مطالبة بأن تستوعب أبعاد المعركة وتتمثل شعاراتها وترتفع الى مستوى متطلباتها ، لتجسدها

فى مواقف ايجابية محددة (*)

ان قوى الثورة المضادة كانت تعمل على تطويقنا داخل ضلوع المثلث العدوانى ، ـ بمكوناته الثلاث الاستعمار والصهيونية والرجعية ـ وتحوك مؤامرة تعتمد على تصعيد التحركات المعادية على جبهات ثلاث تتضمن الحرب النفسية والحصار الاقتصادى والتسليح العنيف ، الذى انتقل الى مستوى جديد ادخل فى حسابه ان يضيف الى قوة اسرائيل العسكرية وامكانياتها الحربية قوى جديدة عن طريق التسليح الشامل لقوى الرجعية العربية بامدادها بأحدث الاسلحة فى مواجهة القوى النامية لحركة التحرر الوطنى، ولموازنة القوات المسلحة المصرية التى اتضح تفوقها على قوات الصهيونية ، حتى فقدت الاخيرة القدر الاكبر من فاعليتها وقدرتها على تنفيذ المخطط الاستعمارى فى الشرق العربى ، دون استعانة مباشرة بقوى الرجعية العربية .

ومن الواضح ان توقيت الضربة التى خطط لها الاستعمار بالتعاون مع اسرائيل والرجعية العربية اعتمد على حسابات مدروسة وسبقه اعداد وتمهيد طويل الامد متعدد الجوانب ، بلغ ذروته فى المرحلة الاخيرة ، وتجسد فى الخطوات التالية :

● استعراض العضلات الذى يقوم به الاسطول السادس فى مياه البحر الابيض المتوسط ، وتصريحات أشكول بأن أمن اسرائيل يعتمد فى حمايته على وجود هذا الاسطول الامريكى طبقا لوعد حصل عليه من الولايات المتحدة (*)

● تدعيم ترسانته الحربية فى اسرائيل باغداق صفقات السلاح وامدادها بأحدث عتاد حربى من جانب الولايات المتحدة وبريطانيا والمانيا الغربية وفرنسا ، هذا بالاضافة الى تقوية قواعده العسكرية المنتشرة فى أنحاء العالم العربى والمحيطة به، ودعم القوات المسلحة للحكومات غير العربية المتاخمة للعالم العربى مثل ايران

● تدفق صفقات الاسلحة الغربية والخبراء الاجانب والمرتزقة على الانظمة العميلة فى الاردن والسعودية وتكديس هذه الاسلحة وتجميعها فى الجنوب على حدود اليمن لا فى الشمال على حدود اسرائيل . وهذه القوى تعمل مباشرة فى خدمة المصالح الاستعمارية ، فيجرى «تنسيق بين اسرائيل وحكومة الاردن فى الضغط على سوريا وفى استفزاز القوة العربية لتتورط فى معركة لم تحدد هى وقتها ولا مكانها» . وليس من المستبعد ان يكون الاستعمار قد رسم لها دور احتلال أجزاء من سوريا بعد وقوع العدوان الاسرائيلى عليها بدعوى نجدتها وبهدف اسقاط الحكم الوطنى الثورى بها ، كما استهدف الاستعمار من تركيز الحشود السعودية والاسلحة فى الجنوب أن يشغل قطاعات من الجيش المصرى عن الجبهة الجديدة التى يراد فتحها ، الا ان قائد الثورة أفسد مؤامرتهم بسياسة «النفس الطويل».

● العمل على عزل مصر تماما عن العالم العربى عن طريق استقطاب قوى الرجعية نهائيا فى جانبه ، بنبذ سياسة التضليل والخداع التى اتبعتها طويلا الى موقف المواجهة والتحدى بل والصدام العسكرى ثم تحريك العملاء امثال بورقيبه ليروج لدعوة الصلح مع اسرائيل وينشر روح التخاذل والاستسلام . ومن جانب آخر الاتجاه الى «الضغط على لبنان وعلى اقتصاديات لبنان لكى يخرج عن الخط العربى الذى التزم به ، وهى نفس الضغوط التى تمارس ضد الكويت وحكومات عربية أخرى . وقد شاركت المانيا الغربية فى هذا المخطط ، بالاغراءات التى تقدمها لاعادة العلاقات الديبلوماسية مع بعض الحكومات العربية (*)

● الضغوط الاقتصادية التى تمارسها القوى الاستعمارية ضدنا وفى مقدمتها الولايات المتحدة الامريكية خاصة فيما يتعلق بالقمح، وتصورهم بأن هذه المشكلة بالاضافة الى بعض المشاكل الاقتصادية العارضة المؤقتة وانشغالنا بالجهود الموجهة للتنمية يمكن أن تجمد حركتنا وتخنق مبادراتنا وتسم موقفنا بقدر من التردد هو سلاحها الرئيسى حاليا فى ضرب حركات التحرر الوطنى . الا انها قد اخطأت التقدير .

● الضغط النفسى والدعاية المركزة الخادعة ضدنا فى البلاد العربية لخلق مناخ

مناسب لتحركها المعادى على ارضية غير متفجرة ، محاولة بذلك أن تتلافى الثورة العارمة التي عمت أنحاء الوطن العربي وكانت من العوامل الرئيسية في فشل العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ ، وهنا ايضا لم يصبها التوفيق ، فقد تحكمت الى أحلامها ولم تستند الى الواقع الموضوعي لشمول حركة القومية العربية .

● الاستناد الى بقايا بعض الاتجاهات الشوفينية بين أجزاء من القيادات الوطنية العربية التي كانت تخشى أو تعجز عن الخروج عن اطار النظرة القطرية الاقليمية الضيقة لاعتبارات تاريخية او ذاتية . الا ان التطورات الإخيرة اثبتت ان تلك الحواجز ليست الا جدرانا هشة هزيلة انهارت امام اول اختبار عملي جاد .

● التفكك الذى أصاب الكتلة الاشتراكية وتعدد المراكز داخلها وتفاقم النزاع الصيني السوفيتي ، مما أضعف الجبهة المعادية للاستعمار ، واطلق حرية الحركة للولايات المتحدة الامريكية خاصة بعد أن قررت العمل منفردة وفي استقلال عن حلفائها الغربيين ، ووقعت أسيرة الغرور الذى تولد عن نجاحها في تصدير الثورة المضادة الى عديد من بلاد آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية ، بل واوربا أيضا (اليونان) .

تلك هي حسابات الاستعمار وتقديراته التي بنى عليها توقيته وحدد أهدافه وحرك أعوانه وعبأ قواهم وحشد جموعهم تمهيدا لتوجيه ضربته ، الا انه أخطأ التقدير وتجاوز حدود الواقع الى تخيلات أملتها أحلام السيطرة وتطلعات التحكم في مقدرات العالم . لقد جانبه التوفيق في تقديره لقدرة القيادة الثورية المصرية على الحركة واتخاذ زمام المبادرة في الوقت المناسب ووحدة الارادة والتصميم على الدفاع عن مكتسبات الثورة ، أخطأ تقدير الطاقات العملاقة الكامنة في الامة العربية خاصة عندما يتهددها الخطر .

وتنبع هذه التقديرات الخاطئة من افتقاد الاستعمار للقدرة على ادراك مدى عمق وشمول التطورات التي تجرى في عالمنا المعاصر .. انه الخطأ الذى اوقعه في حرب ضد جمهورية كوريا الشعبية فعاد منهاجريحا يلعق جراحه . ولم يتعظ بتجربته فراح يشن حربا ضد شعب فيتنام البطل .. كان يظنها رحلة صيد لن تستغرق منه اكثر من أيام معدودة ، فاذا بأعظم واحدث جهاز حربي استعماري في تاريخ البشرية يمزق شر تمزيق بفضل ارادة لا تقهر لشعب صغير وفقير .

وليس من شك أن الاستعمار في اطار حساباته الخاطئة واستنادا الى المثلث العدواني الذى حاصرنا به كان يعول اساسا على اتخاذه زمام المبادرة واستخدامه عنصر المفاجأة لوضع مصر في موقف رد الفعل بعد ان يتم له تنفيذ مؤامرته ضد سوريا في ضربات خاطفة ، يفرض نتيجتها امرا واقعا . لذلك فان المبادرة من جانبنا بتحرك القوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة بقوة ضخمة قادرة مستعدة الى الخطوط الامامية ، وتسلم القوات المصرية المتقدمة الى سيناء كل نقط المراقبة التي كانت تعمل فيها قوات الطوارىء بعد سحبها بناء على طلبنا ، قد قلب موقف العدو رأسا على عقب .

وقد كشف رد الفعل العنيف من جانب الدول الاستعمارية لطلب مصر بسحب قوات الطوارىء عن الخطأ في حساباتها ، كما اشارت الصحف الى ذلك صراحة . ومن الامثلة على ذلك ان وكالة الانباء الفرنسية ذكرت في برقية لها «ان الاسرائيليين كانوا يعتقدون حتى أيام قليلة ان الجمهورية العربية المتحدة لن تخاطر بحرب ضد اسرائيل اذا قامت اسرائيل بالهجوم على سوريا» وأن الخطوات التي اتخذتها مصر غيرت هذا الرأى وبدأت اعادة النظر في الموقف وتغيرت نغمة الصحف التي ظلت تنادى «بتوجيه ضربة قوية الى سوريا» فظهرت نغمة «الجهود التي تبذل لتهدئة الوضع» .

ان في المبادرة كسب لنصف المعركة ، وقيادتنا بأصالتها الثورية وبايمانها المطلق الذى لا يتزعزع بالجماهير العربية لم تسمح مطلقا للعدو بأن يمسك بزمام المبادرة .

لقد دبر الاستعمار المؤامرة مستهدفا اسقاط نظام الحكم الوطني في سوريا كحلقة أساسية في مخططه الموجه ضد الجمهورية العربية المتحدة باعتبارها الخطر الرئيسي الذي يتهدد المصالح الاستعمارية في المنطقة (*)

فما هو الوضع الآن بعد ان أخذنا زمام المبادرة ؟

لم يعد مصير سوريا مهددا ، بل أصبح مصير اسرائيل والاردن والسعودية معلقا في الميزان ، كما ان الاستعمار يعلم اليوم انه يغامر بالبترول العربي واستخدامه لقناة السويس ، عصب الحياة للاقتصاد الاوروبي والغربي (*)

كان الاستعمار يهدف الى وضع قوات الطوارىء على الحدود السورية لمنع نشاط الفدائيين ولاستخدامها في تغطية التحركات الاستعمارية الصهيونية المعادية . وقد برز هذا الاتجاه في تصريح ماكلوسكى المتحدث الرسمي بلسان وزارة الخارجية الامريكية، والحملة الموجهة ضد يوثانت بعد استجابته لطلب سحب هذه القوات .. الا ان المبادرة من جانب القيادة السياسية المصرية افسدت المخطط الاستعماري ، بل وانتهى الامر بانسحاب قوات الطوارىء واحتلال القوات المصرية لمواقعها ، ومنها مراكز استراتيجية بالغة الاهمية كالمرتفعات ومنطقة شرم الشيخ المطلة على خليج العقبة . كانت تريد كسر جدار الحصار العربي المضروب حول اسرائيل فاذا به يزداد أحكاما .

ومنذ عام ١٩٥٦ وطوال فترة احتلال قوات الطوارىء لمنطقة شرم الشيخ استخدمت اسرائيل خليج العقبة كمنفذ لها للتوسيع وتدعيم تجارتها مع افريقيا وآسيا، وهو المكسب الوحيد الذي تحقق لها بعد العدوان الثلاثي ، وسرعان ما فقدته بفضل المبادرة الثورية اذ اعلن المناضل عبدالناصر في زيارته التي قام بها يوم ٢٢ مايو لمركز القيادة المتقدمة للقوات الجوية ان الخليج مغلق امام الملاحة الاسرائيلية والمواد الاستراتيجية لا تستطيع المرور منه الى اسرائيل ولو على سفن غير اسرائيلية ،وان الجمهورية العربية المتحدة تطبق الان في خليج العقبة نفس القواعد التي كانت تطبقها قبل حرب السويس ،وانه « لن يمر العلم الاسرائيلي امام قواتنا المرابطة الان في شرم الشيخ ، وسيادتنا على الخليج لا تنازع » .

اننا لم ندخل معركة مباشرة ضد الاستعمار الا وكان النصر حليفنا . الا فليذكر الامبرياليون ان ثورة ١٩٥٢ كانت رد فعل لهزلة حرب فلسطين واقامة اسرائيل قاعدة استعمارية عدوانية في قلب الوطن العربي،وان العدوان الثلاثي وضع لبانة الطريق الاشتراكي والوحدة مع سوريا ، واسقط نظام الحكم الرجعي في العراق ، وانه على اثر نكسة الوحدة تفجرت ثورة اليمن والجنوب العربي .

وليس من قبيل الاغراق في التفاؤل ان نرى بعض المظاهر الايجابية التي جاءت كرد فعل سريع لموقف الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية السورية وتتمثل في تراخي حماس معظم الدول الاوربية الاستعمارية للمغامرة الامريكية الصهيونية وتخلخل الارض التي تقف عليها الرجعية العربية والتعبئة الشاملة للامة العربية تصديا للاخطار التي تحيق بها ، وانهيار الفكريات الشوفينية والاقليمية الضيقة الافق (*)

لكن الاستعماريون لا ينكصون على اعقابهم بسهولة ويسر ،ولا يتعظون بدروس التاريخ ، والتهوين من شأن الاخطار التي تتهددنا لن يؤدي الا الى خدمة المصالح الاستعمارية وتشجيع القوى المعادية على الانقضاض ، اذا احست بتراخي اليقظة الثورية . كما ان المعركة مستمرة سواء اخذت طابع العدوان المسلح من الخارج او التآمر على النظم الثورية من الداخل ،ومن ثم فعلى القوى الثورية ان ترتفع الى مستوى الموقف ومتطلباته ، وان تستغل المناخ المناسب والمواتي للتعبئة الموجهة والتلقائية الشاملة للامة العربية لتدعم مواقعها وتنظم صفوفها وتوحد قواها ..

« علينا ان نكشف عناصر الثورة المضادة في كل مكان ونقضي عليها » (*)

« كما تلتحم القوى المضادة لابد ان قوى الثورة تلتحم » (*)

● ورغم ان الخطر الرئيسي اليوم قادم من خارج حدودنا ، الا ان تجربة السنوات الماضية اثبتت بما لا يدع مجالا للشك ان الانتصارات التى حققتها الثورة المضادة ضد الشعوب جاءت نتيجة تدبير انقلابات من الداخل قادتها القوى الرجعية والعميلة في ايران والاردن واندونيسيا وغينيا والسودان واليونان وقيادة الانفصال الرجعي في سوريا وغيرها من البلدان في جميع انحاء العالم . ومن ثم فان الرجعية المحلية هى الخطر الاساسي والاول والسلاح الرئيسي الذى تستخدمه الامبريالية اليوم ، وثبت بالتجربة انه اكثر فاعلية من العدوان الخارجي المباشر (*)

ان الوضوح الثوري يقتضي منا الا ننسى في غمرة التهديد الصهيوني كقوة ضاربة في المرحلة الراهنة ، ان ضلعي المثلث العدواني الاخرين يعملان في تنسيق معهما ، وان « المكونات الثلاثة للحلف المعادى تعيش مستندة على بعضها متممة لبعضها ، لايستطيع الواحد منها ان يبقى الا بمساندة حليفية » . ومن هنا تبرز ضرورة تطهير جبهتنا الداخلية لقطع الطريق على قوى الثورة المضادة بالداخل ، خاصة في مرحلة انتعاشها في جو التهديد الخارجي (*)

والقوى الثورية الحاكمة في جميع البلاد المتحررة مطالبة باليقظة تجاه التحركات المعادية واتخاذ اجراءات حاسمة ضد عناصر الثورة المضادة ، واضعة في اعتبارها انه اذا كانت الصهيونية هي القوة الضاربة الاساسية في المخطط الاستعماري اليوم ، فقد ينقلب الامر في اى لحظة بتحريك قوى الرجعية المحلية كقوة ضاربة . وقد حدد المناضل عبد الناصر في خطاب اول مايو هذه القوى والقى على لجنة الرقابة العليا للدولة وعلى الاتحاد الاشتراكى مسئولية التصدى للثورة المضادة « الموجودة في كل مكان .. من المستغلين » .

● بعد ان اتضحت مزايا المبادرة الثورية من مواقف القيادة الثورية المصرية (*) تلك السياسة الصائبة الحكيمة التى التزمتها في حركتها الدائبة نحو التقدم واستخدمتها لمصلحة قوى الشعب العاملة في عملية البناء الاشتراكى ، ووضعتها في خدمة الاهداف القومية في معركة التحرر والوحدة العربية ، فانه في استطاعة القوى الثورية العربية أن تستفيد من الخبرة المكتسبة في هذا المجال وان تستند الى سياسة مماثلة في نضالها الوطني والتحرري ضد الاستعمار والرجعية (*)

الا ان مفهوم المبادرة المدروسة المعتمدة على تقديرات موضوعية سليمة وحسابات علمية يختلف عن اتجاهات التهور والاندفاع العاطفي دون ضوابط او حدود . وافتقاد عنصر المبادرة الذى نلمسه في قطاعات من الحركة الثورية العربية راجع الى طبيعة القيادات المنتمية اساسا الى البورجوازية الصغيرة والمثقفين والى انعزال بعضها عن القاعدة الشعبية العريضة من العمال والفلاحين ، مما يعرضهم لامراض التردد والتهادن والحلول الوسط والاتجاهات التوفيقية التى تضع القوى الرجعية في مراكز القوى والتأثير والفاعلية . وهناك امثلة عديدة على ذلك منها ان احدى الحركات الثورية المناضلة في الاردن — وهى حركة لا يرقى الى اخلاصها الشك — ترفض طرح شعار تغيير نظام الحكم الرجعي العميل القائم بها بدعوى الافتقار الى القوى البديلة القادرة على تولى مقاليد الحكم ، وحالة الرخاء النسبي نتيجة تدفق المعونات الغربية ، وضخامة قوات البادية .. فتطلق بدلا من هذا الشعار مطلب توسيع الحقوق والحريات الديمقراطية !

وفي البلاد المتحررة المتجهة نحو الاشتراكية تعمل قوى الثورة المضادة على تطويق القيادات الثورية وعزلها عن الجماهير — التى تستمد منها الحياة — والحد من

حرية حركتها وتجميد قراراتهـا وانتزاع سلاح المبادرة من ايديها . وتروج في الوقت نفسه لنظريات توفيقية انتهازية .. تتدثر بلباس الاشتراكية استعدادا للانقضـاض على الثورة والقضاء عليها ، فعلى القوى الثورية ان تكسر هذا الحصار وتخترق جدار العزلة وتطلق زمام المبادرة بين حين وآخر .. ونقول بين حين وآخر لان هذه الفئة من عناصر الثورة المضادة تتميز بالمثابرة والعناد ، كلما ازيحت طبقة منها ترسبت طبقات جديدة ، وهي التي تمكنت من مواقع السلطة التي كانت تشغلها من ضرب الوحدة الثورية بين سوريا ومصر وخنـق الثورة الاندونيسية واجهاض ثورة غانا وعديد من الثورات في مختلف بقاع العالم .

● وفي مقدمة المهام العاجلة التي تفرض نفسها كضرورة تاريخية موضوعية من اجل تأمين مسار الثورة العربيـة وحمـايـة مكتسباتها وضمان تقدمها ، هو العمـل الجماعي المسئول لبناء وحدة النضـال لجميع القوى الثورية العربية بلا استثناء .

والواقع ان جميع القوى الثورية تحتضن شعار الوحدة وتدعو اليها ، الا ان النيات الحسنة والمشاعر الطيبـة والاقتنـاع النظري عقيم عديم الفاعلية اذا لم يصحبه التطبيق العملي بحماس واخلاص وشجاعة ادبية تواجه به الميراث المثقل بالشـكوك والعداءات والحزازات التي تولدت نتيجـة تعقد مسالك النضال في مراحله الاولى .

ولن تتحقق هذه الوحدة الا من خلال العمل المشترك بين جميع مسـتويات التنظيمات والاحزاب الثورية على اسـاس اختيارات سياسية واجتماعية محددة تتصل بواقع وابعاد المعركة العربية لتصفيـة الاستعمار وقواعده واحلافه واحتكاراته على النطاق العربي ، مع برنامج عمل يحـدد طبقا لظروف كل بلد على حدة .

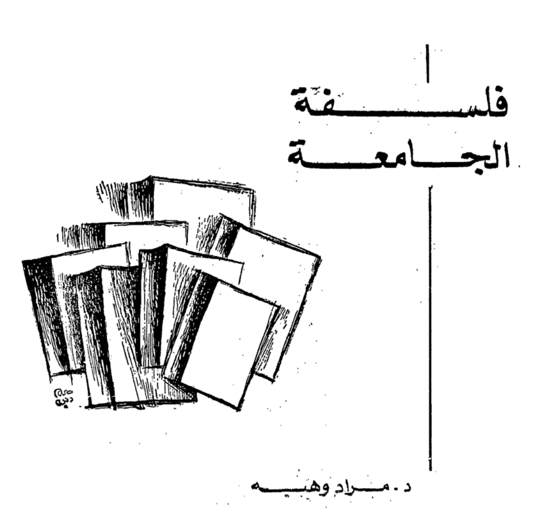
ومن العوامل الرئيسية التي يعتمد عليها الاستعمار في مواجهة حكمه لعديد من البلدان العربية ، ذلك التفكك والانقسام الذي يسود بين صفوف الجبهـة الثورية بما يستنفد قواها ويضعف من فاعليتها ، ومن ثم فهـو يقوى هذه الخلافات ويعمل على تعميقهـا واستغلالها لمصلحته . واذا عجزت القوى الثورية عن بلوغ قدر من النضج السياسي يسمح لها بادراك هذه الحقائق والتصدي لها بتدعيم وحدتها والقضاء على عـوامل الفرقة والتفكك ، فسوف تظل متخلفة عن مستوى الموقف .

ولا يعني هذا ان القوى الثورية لم تحقق نجاحا في هذا المجال ، فالجبهات الوطنيـة في السودان ولبنان قد انجزت مهمة وحدة القوى الثورية بها ، الا ان احتدام المعركة يضع اعباء جديدة ومسئوليات مضاعفـة للارتفاع الى مستوى الاحداث بالاسراع في تدعيم وحدة الصف العربي وتنظيم القوى الثورية في جبهات متماسكة ، خاصة وان المناخ العام وتعدد نقاط الالتقاء والتحلل التدريجي لعوامل الخلاف يمهد الارضيـة الصالحة لتشييد دعامات وحدة للقوى الثورية كفيلة بالتصدي لمؤامـرات الاسـتعمار والرجعية قادرة على اقتلاع الجذور العفنة للانظمة الرجعية العميلة .

ومسئولية القوى الثورية ليست قاصرة على خلق وحدة تكتيكية موقوتة بمواجهة التحركات الصهيونية او وحدة دفاعيـة مرتبطة باستمرار التهديدات الاستعمارية الرجعية المباشرة ، بل ان دورها يتخطى موقف رد الفعل الى موقع المبادرة والمبادأة بالهجوم ، ويتجسد في وحدة استراتيجيـة بعيدة المدى تسترشد بخطة عمل واضحة ، وتستند الى ارتباطات تنظيمية واسـعة عميقة الجذور بالجماهير الشعبية والتحام عضوي بقوى الشعب العاملة في الوطـن العربي .

« الطليعـة »

فلسفة الجامعة



د. مراد وهبه

لفظ الجامعة ، فى الاصل اللغوى ، يدل على الوحدة ولكن اية وحدة ؟ فى **العصر الوسيط** ، حيث منشأ الجامعة ، اساس الوحدة هو الفكر اللاهوتى .

وفى **العصر الحديث** ، عصر الثورة على الفكر اللاهوتى ، والدعوة الى «تعقل» المسائل قدر المستطاع ، اساس الوحدة هو العقل من حيث انه «اعدل الاشياء توزعا بين الناس» على حد قول ابى الفلسفة الحديثة رينيه ديكارت (١٥٩٦ - ١٦٥٠) فى مفتتح كتابه «مقال فى المنهج»

وفى **ايامنا المعاصرة** ، وحدة الفكر التطبيقى ، او التكنولوجيا بلغة العصر ، بديل لوحدة الفكر النظرى .

ومن هنا يثار سؤال : **ما الصلة بين التكنولوجيا والفكر النظرى ؟**

يرى نفر من اهل الفكر ان التكنولوجيا تأتى فى المرتبة الاولى من حيث انها تعبير عن روح العصر . وحجته فى ذلك ان ازمات الانسانية ، فى القرن العشرين ، هى ازمات ذات طابع تكنولوجى ، اذ هى تدور على مشاكل ثلاث : القلق من الدمار الذرى ، والانفجار السكانى ، والهوة اللامعقولة ، بين الدول المتقدمة والدول المتخلفة

وماذا يفيد هذا الراى ؟

يفيد ان ثمة تطابقا بين العلم النظرى والتكنولوجيا .

غير ان هذا التطابق ، فى رأينا ، ينطوى على خداع بصر . ذلك ان النظرية العلمية هى القانون مجردا ، والتكنولوجيا هى القانون مطبقا .

وراء التكنولوجيا اذن فكر مجرد

والفكر المجرد مجاوز للواقع بالضرورة لماذا ؟

لان الواقع جملة جزئيات .

والفكر المجرد جملة كليات

ومن ثم ينشأ توتر بين الواقع والفكر المجرد أى بين الجزئيات والكليات . الكليات تحاول ان تحدث تغييرا فى الجزئيات ، والجزئيات تحاول أن ترقى الى الكليات حتى يمكن ان يتم التطابق بينهما .

والنتيجة المحتومة انه من المحال احداث تغيير فى الواقع من غير فكر مجرد

ونسأل : **أين مكانة الفكر المجرد، فى المؤسسات التعليمية على الاطلاق ، وفى الجامعة على التخصيص ؟**

التعليم ، فى مراحله الاولى ، حسى بالضرورة بحكم ضآلة قدرة الطفل على التجريد . ولهذاتقدم المادة العلمية فى اشكال حسية ، وخاصة فى امثلة بصرية او عملية

ثم تزداد القدرة على التجريد فى مرحلةالمراهقة بحكم نضج الوظيفة الجنسية

وماذا يفيد هذا النضج ؟

يفيد ، عند المراهق ، القدرة على المشاركة فى عملية الخلق ، وبالتالى القدرة على ادراك العلاقة بين العلة والمعلول

وليس فى الامكان ادراك معنى العلة من غيران يصاحب هذا الادراك القدرة على التجريد

والجامعة ، من بين المؤسسات التعليميةكلها ، هى القادرة على تعويد الطلاب على البحث عن العلة فى مسائل المعرفة والعلم والمجتمع ، وبالتالى على ممارسة عملية التجريد .

الفكر المجرد اذن لازم للتعليم الجامعى .

وماذا يترتب على هذا اللزوم ؟

يترتب عليه ان تكون الجامعة قادرة على احداث تغيير «ما» فى المجتمع وهذا التغيير «الما» يتم بفضل ما تنطوى عليه عملية التجريد منرفض للاكتفاء بما هو كائن

التعليم الجامعى اذن هو بالضرورة مجاوز لما هو كائن الى ما حقه ان يكون .

والمجاوزة اذن تنطوى على نوعين من الفهم : فهم لما هو كائن ، وفهم لماحقه ان يكون

نتسأل فى البداية عما هو كائن وكيف هو كائن ولماذا هو كائن . ويكون هذا التسؤال مقدمة وارهاصا لمجاوزة ما هو كائن الى ما حقه ان يكون .

غير ان لكل مجاوزة اتجاه ؟

اذن من الذى يحدد الاتجاه ؟ .

أهى الجامعة ؟

نعم ، ولا

نعم ، بحكم ان الجامعة تبحث فيما هو كائن

ولا ، بحكم ان الجامعة جزء مما هو كائن ، والجزء لا يمكن ان يكون محددا للكل

غير ان الجواب ، سواء بالسلب او الايجاب يفيد انه ليس فى مقدور الجامعة ان تحيا بمعزل عن المجتمع

ولهذا نسأل : **ما العلاقةبين الجامعة والمجتمع؟**

العلاقة بينهما احالة متبادلة بسبب ان كلا منهما مجاوز لما هو كائن . الجامعة من حيث انها تتبنى الفكر المجرد ، والمجتمع من حيث هو متطور بالضرورة

غير ان التطور على نوعين :

منه البطىء ومنه المفاجىء

والتطور المفاجىء يقال عنه انه ثورة والثورة ، فى التعريف الشائع ، تغيير جذرى

ونسأل : ما أساس هذا التغيير الجذرى أساسه تدمير ما هو كائن لتدعيم ما حقه أن يكون

من اجل ماذا ؟

من اجل التحرر والحرية

ونسأل : ما **الفارق بين التحرر والحرية ؟**

التحرر قيمة سلبية ، اذهىمجرد ازالةللعوائق والحرية قيمة ايجابية ، اذ هى انطلاق للامكانيات البشرية

غير ان الانطلاق لا يمكن ان يتحقق علىالاطلاق فالمسألة نسبية بحكم نسبية الانسان . ولهذا فان التلازم ضرورى بين التحرر والحرية .

وكل نظام اجتماعى انما ينطوى على هاتين القيمتين . والاخذ بواحدة دون الاخرى يقف حائلا ضد الثورة .

الاكتفاء بالتحرر يقف بالثورة عند حد التدمير . والتشدق بالحرية وحدها يسمح لبقاء ما هو كائن مانعا للتغيير، على الجامعة اذن ان تأخذ بالقيمتين معا ، تحرر وحرية

ونسأل : على أى نحو ينبغى ان يكون هـذا الاخـذ ؟

على نحـو تقدمى

وما مقياس التقدمية ؟

مقياسها ثورات الانسانية فى الماضى وفى الحاضر ثورات فى الماضى نخص منها الثورة الفرنسية والثورة الروسية

وثورات فى الحاضر هى ثورات العالم الثالث وبين هذه الثورات فقط التقاء ونقط افتراق

نقط الالتقـاء تدور على «العلميـة» ، ونقط الافتراق تدور على «مجال» هذه العلمية

مجال العلمية فى الثورة الفرنسية هو الحاكم والمجتمع ودليلنا على ذلك مصاحبة نظرية «العقد الاجتماعى» لهذه الثورة

وماذا يعنى العقـد الاجتماعى ؟

فكرا نظريا ، يعنى اتفاقا بين النـاس يحكمه شرطـان :

الشرط الاول ان المجتمع منظمة طبيعية وليس منظمة فائقة للطبيعة

والشرط الثانى ان المؤسسين لهذا المجتمع هم ناس احرار

وفكرا تطبيقيا ، يعنى هـذا العقد الاجتماعى نهاية لنظام اقطاعى بلازمه فكر لاهوتى ، وبداية لنظام رأسمالى يصاحبه فكر علمى

ومجـال العلمية فى الثورة الروسية امتـداد للنزعة الطبيعية ، فى الثورة الفرنسـية ، حتى تشمل الكون كله

اما ثورات العالم الثالث فمن حيث هى ثورات فى الحاضر فانه ليس فى الامكـان تحديدها لانها فى طريقها الى التحديد .

والجامعة ، فى دول العالم الثالث على الاطلاق وفى الجمهورية العربية المتحدة على التخصيص، ما وظيفتها ؟

أن تسهم فى تحديد الثورة على مستوى الفكر النظرى فى كليات العلوم الانسانية والاساسية ، وعلى مسـتوى الفكـر التطبيقى فى الكليـات التكنولوجية

غير ان هذه المساهمة فى حاجة الى اطـارين : أحدهما تنظيمى والاخر ايديولوجى

ونسأل : **ما وظيفة هذين الاطارين ؟**

الاطـار التنظيمى وظيفتـه ازالة العـوائق النفسية والاجتماعية المانعة للانطلاق الثورى .

والاطار الايديولوجى وظيفته تحديد مسار الانطلاق الثـورى

وفى شهر فبراير الماضى انعقـد فى بـلادنا ، مؤتمر لتطوير التعليم الجامعى دار فى معظمه على تحديد الاطار التنظيمى مثل نظام الدراسة والامتحان وشروط قبول الطلاب والدراسات العليا والبحوث .

وقد انتهى المؤتمر الى جملة توصيات نخص بالذكر منها ثلاث توصيات : فتح باب الجـامعة للفئات العاملة التى تثبت قدرتها على مواصـلة التعليم ، وربط التعليم الجامعى بالمجتمع ، وتوحيد التعليم العالى فى اطار الجامعة

التوصية **الاولى** تنطوى على امكانية مواصلة التقدم للفئات العاملة . والتوصية **الثانية** تمنـع الجامعة من التقوقع والانعزالية . والتوصـية **الثالثة** تخفف من التوتر النفسى الذى ينشـأ من الثنائية القائمة بين الكليات الجامعية والمعاهد العليـا

ولم يتعرض المؤتمر للاطار الايديولوجى الا فى اشارات عابرة باهتة ، كأن يقال مثلا فى مذكرة امانة المؤتمر للعلـوم الانسـانية « ان للعلوم الانسـانية دورا أساسيا فى تحديد السـمات الرئيسية للمجتمع الذى نسـعى الى تكوينه ، **ولها فى هذا المجتمع رسـالة كبرى تستطيع اذا وجهت اليها العناية الكـافية ، ان تؤديها على الوجه الاكمل** » . وشبيه بهذا القول ما جـاء فى مذكرة امانة المؤتمر للدراسات التربوية واعداد المعلمين «يبدو خطأ النظرة الضيقة التى تميـل الى تقسـيم الكليات الى كليات عملية وكليات نظرية ، وتعطى الاهمية كلها للكليات العملية التى تؤثر تخصصاتها فى عمليات التنمية الاقتصادية ، **لان تكامل هذه الاهداف يؤكد ان التنمية الاجتماعية والعقائدية لا تقل اهمية عن التنمية الاقتصادية فى مجتمعنا المتحول بسرعة نحو الاشتراكية»**

وهذه العبارات ما دلالتها ؟

دلالتها ان العلوم الانسـانية فى **ازمة** ، **وان** هذه الازمة ، بدورها ، محدودة فى **جزء منها الى** مفهوم خطأ عن الفكر الاشتراكى

اذن الازمة ، فى حقيقتها ، **هى ازمة الفكـر** الاشتراكى

وعلاج هذه الازمة كيف يكون ؟

من المعروف ان الفكر الاشتراكى ، شأنه شأن اى فكر ، يستند بالضرورة على فلسفة .

ونسأل : اين هى هذه الفلسفة ؟

تحت قبة الجامعة فى المقام الاول

لمـاذا ؟

لان الجامعة ، بحكم نشأتها وتاريخها ، تعبير عقلى عن المجال الذى تحيا فيه

فماذا نحن واجدون ؟

فلسفات هائمة على وجهها فى انتظار تقييمها نشير اليها بايجاز فى هذا المقال ، ونثير حولها جملة اسئلة واستفسارات تمهيدا لاقامة شعائر الجدل والحوار

ثمة فلسفة وضعية منطقية يروج لها **الدكتور زكى نجيب محمود** فى محاضراته ومؤلفاته ، وبالاخص فى كتابه «نحو فلسفة علمية» .

ونسأل : ما الفكرة المحورية فى هذه الفلسفة ؟

ليس من شىء وراء المدرك الحسى

وكيف انتهت الى هذه الفكرة ؟

ان العلم ، فى رأيها ، على نوعين : علم رياضى وعلم طبيعى .

قضايا العلم الرياضى تحصيل حاصل بمعنى أنها تكرر جزءها الاول فى جزئها الثانى دون ان تضيف نبأ جديدا مثل قولنا ٢ + ٢ = ٤

وقضايا العلم الطبيعى ، هى قضايا كلية فى ظاهرها ، غير انهاتنحل فى النهايةالى قضاياجزئية تشير الى جزئيات قائمة فى العالم الخارجى .

وهذه الاشارة تقف عند حد «الوصف» دون ان تتعداه

ولماذا الوقوف عند حد الوصف ؟

لان الوصف يزعم المحافظة على الموضوعية

اذن ما رأى الوضعية المنطقية فى العلوم الانسانية ؟

عدم صلاحيتها لان تكون علما . باعتبار ان قضايا هذه العلوم معيارية وتقديرية . ومن ثم فهى تتجاوز حدود الوصف والموضوعية

وماذا يترتب على عدم الصلاحية هذه ؟

يترتب عليها ان التغير الاجتماعى ، وهو من موضوعات العلوم الانسانية ، لا يصلح ان يكون موضوعا للعلم . وبالتالى فان الزعم بأن لهذا التغير قانونا علميا انما هو وهم خيال

يبقى بعد ذلك ان القيمة كلها انما تكون للفرد من حيث هو جزء وليس للمجتمع من حيث هو كل وللدكتور زكى نجيب كتاب بعنوان «ايام فى امريكا» يفصح فيه عن هذه القيمة . يقول «وانا بحكم اتجاهى الفكرى ارحب بكل ما يقوى فرادية الفرد وكل ما يهدم المجتمع ، ان كان تماسك المجتمع على حساب الافراد ، اننى لا استطيع ان اتصور حقيقة واقعة الا وجودى الشخصى ، وكل ماعدا ذلك ان هو الا وسائل لتقوية ذلك الوجود ... اريد ان انمو مبتور الروابط بكل شىء غير نفسى بقدر ما يكون ذلك مستطاعا ، اريد ان انمو كما تنمو هذه الشجرة ، تنمو الى الحد الذى تمكنها منه طبيعتها بلا قسر ولا كبت ولا ضغط ، كل ما عدا وجودى الشخصى شبح ليس له وجود : امة، دولة ، انسانية ، كنيسة ، الى آخر هذهالسلسلة الطويلة من الاشباح التى يخيفوننا بها كمايخيفون الاطفال من اشباح العفاريت .

مفهوم هذا النص ان الوجود الحقيقى هو وجود الذاتية والفردية ، والى هذا المعنىيذهب **الدكتور عبد الرحمن بدوى** تحت عنوان آخر هو «المذهب الوجودى» ، يعرضه تفصيلا فى كتابه «الزمان الوجودى» وايجازا فى خاتمةكتابه «دراسات فى الفلسفة الوجودية»

ونسأل : ما الفكرة المحورية فى هذا المذهب ؟

ان الوجود الحقيقى هو وجود الفردية

وما الفردية ؟

انها الذاتية ، والذاتية جملة امكانيات . وهذه الامكانيات تكون ماهية الوجود الفردى . ومن هذه الزاوية يقال عن الوجود الفردى انه «وجود ماهوى»

وماذا يفيد هذا الوجود الماهوى ؟

يفيد ان الصلة فيه بين الذات وبين نفسها .

وماذا يترتب على هذه القضية ؟

يترتب عليها ان الوجود مكون من ذوات كل منها قائم بنفسه ، مغلق عليه فى داخل ذاته

اذن ثمة هوة بين الذات والاخر

فكيف يتم الاتصال بينهما ، ان كان ثمة اتصال ؟

ليس ممكنا هذا الاتصال الا بالطفرة

والطفرة تنطوى على اللامعقولية واللاعلية .

ويرى الدكتور بدوى انليس فىهذا القولمعارضة للروح العلمية . فالعلم ، فى رايه ، قد انتهى الى رفض «الجبرية العلمية» ، وبالتالى الى الانزلاق نحو اللامعقولية واللاعلية

وثمة ميزة فى كل منالوضعية المنطقية ووجودية بدوى ، انها الاهابة بالعلم . الاولى تتخذ من العلم محورا لتفكيرها ، والثانية تتخذ من العلم سندا ومبررا لافكارها

من اجل ذلك نسأل : ما العلم ؟

هل يقف عند حد الوصف ، كما تذهب الى ذلك الوضعية المنطقية ؟

ان القانون العلمى ، من حيث هو قضية كلية، مجاوز للمحسوس . وهذه المجاوزة تتم بفضل عملية التجريد

ونسأل : ما التجريد ؟

قد يقال انه انتزاع صورة جزئية من صورة جزئية . غير ان هذا القول ليس بالصحيح لان الجزئي لا يفسر المعنى الكلي . والصحيح ان التجريد هو «انتزاع الكليات المفردة عن الجزئيات» على حد تعبير الفيلسوف العربي ابن سينا نقلا عن المدرسة الارسطوطالية (•).

والذى يقوم بهذا الانتزاع للكلى انما هو الانسان ولهذا فان العلم «انسانى» بالضرورة . وبالتالى فان الموضوعية الخالصة وهم خيال. ومن هذه الزاوية ليس من مبرر لاستبعاد العلوم الانسانية بحجة عدم توفر الموضوعية الخالصة ، وبالتالى فانه يمكن النظر فى «التغير الاجتماعى» باعتباره موضوعا للعلم ، والكشف عن القوانين التى تحكم هذا التغير فى شتى صوره.

ونسأل : ما اساس القانون العلمى ؟

اساسه مبدأ العلية ، بمعنى ان القانون العلمى انما يكشف عن السبب فى حدوث ظاهرة ما او جملة ظواهر.

بيد ان هذا الاساس قد اصيب باهتزاز فى نهاية القرن التاسع عشر ، وقد انحاز الدكتور بدوى الى هذا الاهتزاز ، والى القول باللاعلية واللامعقولية (•).

ومن المعروف ان الدعوة الى اللاعلية مردودة الى بالانك وهيزنبرج ، الاول بفضل «نظرية الكم» والثانى بفضل مبدأ «عدم قابلية التحديد»

نظرية الكم تفترض ان الطبيعة مكونة من كميات منفصلة وليست متصلة ، وان هذه الكميات تتحرك فى قفزات وقد ترتب على هذه النظرية استحالة التنبؤ عن «يقين» عن اتجاه هذا المسير ثم جاء هيزنبرج واعلن ان ما تصوره نظرية الكم ينطوى على ما يسميه هو مبدأ عدم قابلية التحديد ويقرر هذا المبدأ انه ليس فى الامكان معرفة وضع الجسيم وسرعته فى وقت واحد . فثمة قدر من الخطأ المحتمل فى كل . وحاصل ضرب الخطأين ثابت (•).

غير ان هذا الخطأ ليس دليلا على انعدام العلية ، وانما هو دليل على قصور التصور المكانى الزمانى عند نيوتن، وعلى نقص فى أجهزة القياس.

نخلص مما تقدم ان التفكير فى التغير الاجتماعى ليس غريبا عن التفكير العلمى ، وان غياب اليقين عن القانون العلمى ليس دليلا على انكار مبدأ العلية

ثم نسأل : هل فى الامكان تاسيس علم للتغير الاجتماعى يستند على مبدأ العلية ؟

حاولت المدرسة الاجتماعية الفرنسية بزعامة دوركيم تحقيق هذه الامكانية (•) فقد أعلن هذا العالم فى مؤلفه «قواعد المنهج فى علم الاجتماع» أن مبدأ العلية لازم لتفسير الظواهر الاجتماعية (•) يقول فى الفصل الخامس من هذا المؤلف «يجب على كل من يحاول تفسير احدى الظواهر الاجتماعية ان يبحث عن كل من **السبب** الفعال الذى يدعو الى وجود هذه الظاهرة ، **والوظيفة** التى تؤديها وان يبحث عن كل منهما على حدة» (•)

وقد تبنت اقسام العلوم الاجتماعية فى الجامعة المصرية الترويج لفلسفة المدرسة الفرنسية (•) غير انه يؤخذ على هذه المدرسة اغفالها لفكرة «الصراع الطبقى» (•)

اما بعد (••)

فهذه ليست الا لقطات من الفكر الفلسفى فى جامعاتنا المصرية وهى لقطات قد تبدو متناسقة وقد تبدو متناقضة

يبدو التناسق فى الاهتمام بالعلم ، ويبدو التناقض فى مفهوم العلم

العلمية اذن هى محور التناسق والتناقض ويبقى بعد ذلك تحديد «مجال» هذه العلمية ، اذ هو لم يتحدد بعد

ومن اجل ذلك كنت ، فى بداية المقال ، حائرا بين عنوانين :

«فلسفة الجامعة» ام «فلسفة للجامعة»
وفى نهاية المقال آثرت العنوان الثانى ، وهو اصدق



تنعقد هذه الايام ، فوق أرض المليون شهيد ، ((ندوة الاشتراكيين العرب)) . واذا كانت قضية التطور الثورى — استمراره وحمايته — فى الوطن العربى ككل ، قد طرحت ضرورة وحتمية وحدة القوى الثورية العربية كضمان وحيد وضرورة موضوعية، فان الظروف التاريخية الحاسمة التى تمر بها الثورة العربية — وهى تواجه أعنف معاركها المعادية للامبريالية العالمية والصهيونية والرجعية .. منذ معركة ١٩٥٦ ، تجعل لندوة الاشتراكيين العرب ،أهمية عملية وخاصة .

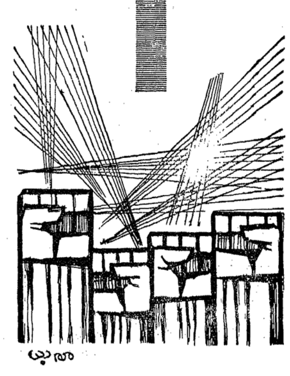
ان القوى الثورية العربية — بجماهيرها العريضة — هى القوى الوحيدة القادرة على مواجهة حلف الاستعمار العالمى والصهيونية والرجعية .. ذلك لأنها القوى الوحيدة التى تتناقض مصالحها — تماما وعلى طول الطريق — مع كل أشكال القهر والاستغلال والتخلف — وهى — ايضا — الوريث الشرعى الوحيد لكل التراث النضالى الوطنى .. بقيمه وخبراته ومكتسباته . وهى هنا — فى معاركها ضد الحلف غير المقدس — انما تدافع بشكل طبيعى عن حقوق وآمال مشروعة

واذ تنشر الطليعة — فى عددها هذا — بعض الدراسات التى تقدم بها أعضاء هيئة تحريرها الذين حضروا الندوة ، فانها تنشر كذلك ، دراسة واحد من ابناء فلسطين المكافحين هو الدكتور حيدر عبد الشافى .. وحرصا من الطليعة على تمكين الكادر السياسى العربى من الاطلاع على الدراسات التى قدمت فى الندوة ، فانها ستوالى نشر بعضها فى اعداد لها قادمة .



حول بناء وحدة القوى التقدمية في الوطن العربي

لطفى الخولى



تستأثر قضية بناء وحدة القوى التقدمية فى الوطن العربى اليوم على اختلاف منابعها الايدلوجية والاجتماعية ، بأعمق الاهتمامات النظرية والعملية من جميع الاحزاب والتنظيمات السياسية والنقابية والشخصيات الثورية المناضلة فى المشرق العربي ومغربه معا . وذلك سواء على مستوى البلد الواحد او على مستوى الوطن العربى ككل .

ولقد تمت بالفعل فى اطار هذه الاهتمامات ، وخاصة خلال ١٩٦٥ — ١٩٦٦ ، ١٩٦٦ — ١٩٦٧ العديد من المناقشات والاجتماعات — شعبية وحكومية علنية وغير علنية — فى أكثر من بلد واحد من بلداننا العربية . وذلك على صعيد القيادات التقدمية الحاكمة وتلك التى لم تصل الى السلطة بعد ، وعلى صعيد الاحزاب والتنظيمات السياسية والنقابية .

ولكن من الملاحظ أن الطابع العام لهذه المناقشات والاجتماعات كان محصوراً فى نطاق ثنائى أو ثلاثى على اكثر تقدير فى كل مرة ».

ويأتى اجتماعنا اليوم فى هذه الندوة على ارض المليون شهيد ، وفى رحاب الشعب الجزائرى العظيم بمبادرة من المناضل هوارى بومدين ،حلقة جديدة ومتطورة فى الجهود المستهدفة لبناء هذه الوحدة ، على هذا الوضع الذى تتجسد فيه الى حد كبير — ولاول مرة — غالبية الاتجاهات والتيارات الثورية فى العالم العربى .

واذا كانت هذه الندوة تنعقد على أساس المساهمات الشخصية للمشاركين فيها ، دون ان يكونوا ممثلين رسميين ومفوضين للاحزاب والتنظيمات التى ينتمون اليها ، فان هذا الوضع يقدم فى تقديرنا ، **خمس معطيات إساسية نلخصها فيما يلى :**

أولا :

أن شعار وحدة القوى التقدمية قد اكتسب فى الواقع العربى شعبية هائلة وأقتناعا جماهيريا عميقا، مماحوله من مجرد فكرة الى حركة جماهيرية ذات وزن مادى أصبحت تلح الحاحا متزايدا على التجسد فى كيان تنظيمى ملموس ومحدد، يملك فاعلية قادرة على الحركة المخططة منبثقة من اتفاق جميع القوى الثورية . ومن هنا فان هذه الندوة فى الواقع ليست الا ثمرة ايجابية من ثمرات هذا الالحاح الجماهيرى ».

ثانيا :

أن هذه الندوة قد استطاعت أن تتخطى العديد — ولا نقول الكل — من العقبات المحلية المتعددة بالنسبة للاوضاع الراهنة الخاصة بعلاقات القوى فى كل بلد عربى . هذه العقبات التى مابرحت — مع الاسف — تقف فى وجه اللقاء الجماعى الشامل لجميع القوى . وابتكرت فى سبيل ذلك صياغة الدعوة للمشاركة على اساس شخصى . وهذا يكشف عن مدى ماوصلت اليه قوانا الثورية من نضج واحساس بمسئولية المرحلة مكنها من التصرف بمرونة واعية ، أخترقت بها عددا من الحواجز التقليدية ».

ثالثا :

أن هذه الندوة وان كانت تقام فى أطار المشاركة الشخصية للداعين والمدعوين معا ، وهو مستوى أدنى فى درجة المسئولية من المشاركة على أساس تنظيمى للاحزاب والتنظيمات السياسية ، الا انه يجب أن لايغيب عن تقديرنا أن هذا هو أقصى ما يمكن الوصول اليه حاليا من لقاء للقوى . ومن هنا فهو عمل ثورى بمعيار الواقع الحى . فالعمل الثورى — كما نعرف جميعا — هو اولا واخيرا فن تحقيق الممكن ، من أجل توفير أمكانيات أكثر للتقدم ».

رابعا :

أنه على الرغم من الطابع الشخصى للمشاركة فى الندوة ، فان المشاركين فى واقع الحال ، ليسوا فروعا مجردة ومقطوعة من شجرة . وأنما هم فى النهاية أعضاء فى أحزاب وتنظيمات وحركات سياسية معينة لابد وأن يعكسوا — على الاقل — الخطوط العامة لاحزابهم وتنظيماتهم ، وهم بعد ذلك سوف يعكسون مايدور خلال الندوة من مناقشات واتجاهات الى بيوتهم التنظيمية . ومن هنا فان المشاركين فى هذه الندوة يكونون فى الحقيقة الجسور الحية الاولى بين فكريات هذه البيوت . وهذه خطوة أولى ضرورية نحو الانفتاح العام والشامل . ولهذا فنحن ننظر الى هذه الندوة لاكحدث عابر أو طارىء ليس له من غد ، وأنما كمفتاح للابواب التى آن لها أن تفتح من أجل اللقاء الحتمى والموضوعى لجميع القوى التقدمية فى وطننا العربى على مستوى الاحزاب والتنظيمات السياسية وقد تطهر الحقل من الشوائب والعقد التاريخية .

خامسا :

أن اللقاء فى هذه الندوة على أساس شخصى ، يتيح موضوعيا فى هذه الظروف ، فرصا أرحب للمناقشة الحرة دون ما احراجات او التزامات تنظيمية . والمناقشة الحرة ، بكل ما تحمله هذه العبارة من معان وابعاد ، امر لا غنى عنه ونحن نشرع فى حرث حقل العمل الثورى الموحد وتمهيد ارضه للقاء التنظيمى الشامل . ولهذا فبقدر ماتتمتع به مناقشاتنا من جراة موضوعية ومكاشفة صريحة للاراء والاتجاهات وتشخيص دقيق للايجابيات والسلبيات معا . بقدر ما يكون حرثنا للحقل اعمق وتمهيدنا لارض اللقاء الكبير انجح واقوى ».

فى ضوء هذه المعطيات الخمس لندوتنا ، نحاول فى هذا البحث أن نقدم للمناقشة بعض الافكار والملاحظات حول بناء وحدة قوانا التقدمية فى هذه المرحلة الاستراتيجية من ثورتنا العربية التحررية الاجتماعية التقدمية .

— ٢ —

والواقع أن النزوع الشعبى الى وحدة النضال فى الوطن العربى ، كان باستمرار موضوعا حيا

ومطروحا فى تاريخ حركة الشعوب العربية نحو امتلاك مصيرها . ونستطيع — باختصار — أن نرجع هذا النزوع القومى لوحدة النضال ، الى الاسس التاريخية والجغرافية والمادية واللغوية والروحية التى تجعل من هذه الشعوب التى تعيش مقسمة الى بلاد ودويلات على مساحة متصلة تقدر بحوالى ١٠ ملايين كيلو مترا مربعا من ارض افريقيا وآسيا وتمتد من المحيط الاطلسى الى الخليج العربى ومن البحر الابيض المتوسط الى حدود السودان الجنوبية .. تشعر دائما بأنها أمة واحدة ممزقة الاوصال ، منهوبة الخيرات ، تعرضت — ومازال — للغزو الاجنبى والنهب الاستعمارى والاستغلال الاحتكارى . وتواجه باستمرار منذ القرن الثامن عشر أعداء محددين هم القوى الغازية والاستعمارية ، العثمانية والفرنسية والبريطانية ، باستثناء حالتين لمراحل معينة وهى الاستعمار الايطالى بالنسبة لليبيا والاستعمار الاسبانى بالنسبة لمنطقة الريف بشمال المغرب ».

ولقد تبلور أكثر فأكثر الشعور القومى بوحدة الامة العربية مع تطور الحياة ونمو الطبقات البرجوازية والعاملة ، وبتقدم وسائل المواصلات والاتصالات ، ونضج الوعى القومى والاجتماعى ».

ونستطيع من استقراء حركة التاريخ العربى ، أن نلمس بوضوح وحدة نضال القوى الثورية العربية بمعيار كل مرحلة تاريخية — فى عدد من الثورات والانتفاضات فى الوطن العربى ، مثل ثورة الامير عبد القادر الجزائرى ، والريف بالمغرب العربى ، وعمر المختار فى ليبيا ، والثورة العرابية واشعاعاتها بالمشرق فى ١٨٨١ وثورة ١٩١٩ والثورة العربية عام ١٩١٦ خلال الحرب العالمية الاولى ، وثورات سوريا عام ١٩١٥ ، ١٩٢٠ ، ١٩٤٦ ، وثورات العراق فى العشرينات والثلاثينات . ويمكن فى هذا الضوء ان نتتبع قائمة طويلة متصلة من الاحداث والثورات بالنسبة لفلسطين ومصر والجزائر وسوريا ولبنان والاردن والعراق ومراكش وتونس والسودان وليبيا واليمن والجنوب اليمنى المحتل منذ الاربعينيات حتى وقتنا الحاضر ».

ومن الملاحظ أن محور هذه الوحدة الثورية فى العمل ارتبط دائما بطبيعة الاهداف الرئيسية لكل مرحلة فبالنسبة للمراحل الممتدة بصفة عامة من القرن الثامن عشر حتى الخمسينيات من القرن العشرين كان يغلب عليها طابع التحرر القومى من التبعية للاستعمار القديم أساسا ولهذا كان طبيعيا أن يتبلور محور وحدة القوى الثورية فى ذلك الوقت شيئا فشيئا من حول البرجوازيات العربية النامية بدرجات متفاوتة فى كل بلد عربى ، هذه البرجوازيات التى راحت تطمح فى الاستقلال السياسى وبمركز مناسب فى الاسواق المحلية ومشاركة القوى الاستعمارية والاحتكارات الاجنبية فى السلطة والارباح . وأن كانت ثمة اتجاهات وطنية تقدمية ثورية جديدة قد أخذت تبرز فى الميدان وفى مواقع استراتيجية محددة من الوطن العربى منذ اوائل الخمسينيات مثلما حدث فى مصر منذ عام ١٩٥٢ ، وفى الجزائر عام ١٩٥٤ ، وفى سوريا عام ١٩٥٧ وفى العراق عام ١٩٥٨ ». وذلك على الرغم من طول وقصر نفس بعضها عن بعض وتراوح نوعيات الانتصارات والانتكاسات بينها ».

غير أن مايهمنا هنا — دون الدخول فى تفاصيل تاريخية معقدة — أن الطابع العام لوحدة عمل القوى العربية الثورية بمعيار الخمسينيات من هذا القرن ظل فى عمومه طابعا وطنيا ، يحتضن كل القوى الوطنية الساعية نحو الاستقلال القومى السياسى ابتداء من الفلاحين الفقراء والعمال والمثقفين الوطنيين حتى البرجوازية بجميع أقسامها بما فى ذلك الكبيرة منها .

ولقد تجسد هذا فى شعار « **وحدة الصف** » ».

ومع حصول عدد كبير من البلاد العربية على استقلالها السياسى ، وطموح البعض القليل منها — نتيجة وصول قيادات هذه الاتجاهات الوطنية التقدمية الجديدة منذ بدايات الخمسينيات الى السلطة — الى تعميق الاستقلال السياسى باستقلال اقتصادى ، واصطدامها فى ذلك بقوى الاستعمار الجديد ومشاريعها وقيودها الاقتصادية والمالية والسياسية والعسكرية ، توارى شعار « وحدة الصف » ليحل محله شعار « **وحدة الهدف** » .

وفى ظل هذا الشعار الجديد تجمعت القوى الثورية بمعيار آخر ، هو معيار مرحلة العمل من أجل تحقيق الاستقلال الاقتصادى . ولما كان هذا العمل يجرى فى ظل الانظمة المتخلفة ذات الاسس والعلاقات الشبه الرأسمالية الشبه اقطاعية ، فقد كان طبيعيا أن تشترك تحت لواء « وحدة الهدف » فئات من البرجوازية المحلية الجديدة المستنيرة نوعا ما ، والتى تفتحت شهيتها للتوسع والاثراء وتلفعت بالحماية الجمركية الوطنية ، وامتلكت أمكانيات جديدة بدرت فى صفوفها الثقة والقدرة على وراثة كل المصالح الاحتكارية الاجنبية فى السوق المحلى والحلول محلها كسيد جديد منفرد . ومن هنا تجاوبت مصالحها مع هدف تصفية الاحتكارات الاجنبية ونفوذها فى الوطن ، وانضمت بذلك الى قوى « وحدة الهدف » . فى حين نجد أن فئات أخرى من كبار ملاك الاراضى أساسا ، الذين نزلت بهم قوانين الاصلاح الزراعى ، والرأسماليين الكبار التقليديين قد انفصلت من أطار القوى الثورية الوطنية بمعيار ذلك العصر ».

ويكشف عن ذلك طبيعة المعارك التى خاضتها قوى «وحدة الهدف» فى مواجهة الاستعمار والقوى المحلية العميلة له ضد حلف بغداد ، وضد مشروع أيزنهاور ، وضد احتكار السلاح ، وضد المساومة مع الاستعمار الجديد الفرنسى ممثلا فى مشروع قسنطينة لتصفية الثورة فى الجزائر ، وضد التصريح الاستعمارى الثلاثى عما يسمى بسباق التسلح فى الشرق الاوسط حماية لقاعدته العدوانية المتجسدة فى اسرائيل ، وضد الحواجز التى كانت تحول دون اقامة علاقات اقتصادية وسياسية وثقافية مع الاتحاد السوفيتى والصين الشعبية وبقية البلاد الاشتراكية الخ .. على أنه منذ أوائل الستينيات ، وبالذات منذ عام ١٩٦١ ، حدث تغير جذرى خطير فى أوضاع الوطن العربى وعلاقات القوى الاجتماعية والسياسية فيه . وذلك منذ بدأ الالتحام الموضوعى بشكل حاسم — لاول مرة — بين الثورة التحررية القومية وبين الثورة الاجتماعية بآفاقها الاشتراكية متجسدا فى مصر ثم فى الجزائر بعد استقلالها عام ١٩٦٢ ، ثم أخيرا فى سوريا بعد أن سقط الانفصال الرجعى الاستعمارى الذى كان قد ضرب وحدتها التاريخية مع مصر فى سبتمبر عام ١٩٦١ اثر انتهاج خط التطور نحو الاشتراكية فى الجمهورية العربية .

والواقع أن هذا الخط الذى قسم بشكل واضح الواقع العربى اجتماعيا ولاول مرة الى معسكر تقدمى ومعسكر رجعى ، نبع كضرورة تاريخية حتمية لمواجهة بقايا نفوذ الاستعمار القديم والهجوم الاقتصادى السياسى للاستعمار الجديد ، والتخلف الاقتصادى والاجتماعى والاستغلال البشع الذى يطحن الجماهير الشعبية العاملة ويحرمها من الحصول على ثمار عرقها وجهدها الانتاجى .

وبات هذا الخط — التحام الثورة العربية بأهدافها التحررية والاشتراكية — بما يجسده من مكاسب فى مواقعة المحلية بمختلف المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية — موضع جذب شديد لجماهير الشعوب العربية فى كل مكان من الوطن ، حتى تلك التى مابرحت تناضل ضد الاستعمار القديم وقواعده العسكرية وقوات احتلاله .

ومن هنا تحول هذا الخط بفعل احتضان الجماهير واقتناعها به الى قوة مادية معنوية مهيمنة اليوم على حركة التاريخ فى الوطن العربى . وفى ضوئها أصبح من الحتمى — وعلى الرغم من كل الرواسب الموروثة — أعادة النظر — بدرجات متفاوتة من وضوح الرؤية والمنهج العلمى فى تحليل الاوضاع والصراعات وممارسة النضال بالنسبة لجميع القضايا المصيرية مثل قضية الوحدة العربية ومفهوم القومية العربية وقضية تحرير فلسطين ، وقضية تصفية النفوذ الاستعمارى جذريا ، وقضية التنمية ، وقضية تحديد القوى الاجتماعية الثورية بمفهوم هذا الخط .

وهكذا برز الى السطح وبقوة ، الصراع الطبقي على صعيد الوطن العربى ككل . ولم تعد القضية المطروحة « أننا كلنا عرب » بل أصبحت قضية التمييز النظرى والعملى بين « عرب تقدميين » فى مواجهة « عرب رجعيين » ، متحالفين مع القوى الاستعمارية . وكان طبيعيا بالتالى أن يرتفع مع اقتحام هذه المرحلة ذات الثورة المزدوجة الشاملة شعار جديد يعبر عن جوهرها الاصيل ، الا وهو وحدة القوى الثورية التقدمية .

والامر الجدير بالتسجيل والاعتبار هنا أن المواطن العربى الذى يتنفس الحياة اليوم فوق أى جزء من الوطن العربى قد عايش خلال **فترة السنوات العشرين الماضية** فحسب ، ثلاث شعارات متعاقبة تولدت بعضها عن بعض ، وأحيانا تداخلت . بدأت « **بوحدة الصف** » ، ثم بوحدة الهدف ، وأخيرا « وحدة القوى الثورية التقدمية » .

ماذا يعنى هذا الامر ؟

أنه يلقى — فى تقديرنا — ضوءا كاشفا على أربع ظواهر هامة ومميزة لطبيعة حركة التاريخ المعاصر فى وطننا العربى :

تكشف **الظاهرة الاولى** عن أن ذلك الانتقال بين الشعارات الثلاث بكل ما يحمله كل منها من مضمون سياسى واجتماعى محدد ، وكموضوع معين من القوى . وتغيير كيفى للاوضاع والاهداف المقصودة .. قد تم خلال فترة زمنية قصيرة للغاية . وهذا يدل على أن معدل سرعة الاحداث والتطور — فى وطننا العربى — يفوق فى حركته كل المعدلات التقليدية المعروفة .

ونتيجة لهذا فان الواقع المادى فى تطوره الثورى قد سبق بمسافات كبيرة فى غالب الاحيان حركة الفكر الثورى وابداعاته . الامر الذى اعاق عملية التفاعل المتبادل الضرورية بين الفكر والتطبيق . هذه العملية التى تشكل — بحكم الخبرة الانسانية العلمية — ضمانة موضوعية ضد الانحراف نحو اليمين وكذلك ضد الانحراف نحو اليسارية التى لاتحتملها الاوضاع الواقعية .

وهكذا وقعت — الى حد بعيد — تلك العزلة الغير صحية بين الثوار العلميين وبين المثقفين الثوريين ، وانفتحت بذلك الثغرات المؤسفة التى

مازلنا نعانى من آثارها بدرجــات متفاوتة فى هذا البلد أو ذاك من بلداننا العربية وخاصة فيما يتعلق ببناء الوحدة الثورية الداخلية . وما برحت تلك الثغرات تأخذ عدة اشكال ، لعل اهمها مواقف المعارضة التى تمارسها بعض الاتجاهات الفكرية الثورية ازاء سلطة ثورية فى بلادها ،تبادل بدورها هذه الاتجاهات العداء . وذلك على الرغم من أن الواقع الموضوعى واهدافه يجمع بينهما معـــا فى المصير النهائى .

وتشير **الظاهرة الثانية** الى أن الانتقال السريع من المواقع الوطنية التحررية الى المواقع الاجتماعية ذات الافاق الاشتراكية قد وقع ــ نتيجة المعدل السريع للحركة ــ دفعة واحدة وفى تلاحم شديد . أى دون فترة زمنية فاصلة بدرجة كافية بـــين المرحلتين تتيح للبرجوازية المحلية أن تنمو وتوطد نظامها الرأسمالى . وأحيانا فى ظروف ضعفوهزال ساحقين للبرجوازية كما هو الحال فى الجزائر . بل أن هذا الانتقال قد تم على الرغم من عدم وصول الطبقة العاملة ــ كما وكيفاــ الى مستوى أجتماعى وسياسى مؤثر تأثيرا جذريا فى علاقات القوى فى المجتمعات العربية من ناحية ، فضلا عن سيادة العلاقات القبلية والاقطاعية من ناحيةثانية ، ومن ناحيةثالثة فانالانتقال وقعبقيادة عناصر واشتراك قوى ، لو قيمت تجريديا بالمقاييس التقليدية لماتعدت النطاق الوطنى الى النطاق الاشتراكى ، وهذا كله يقطع بان المبادىء الاشتراكية فى الواقع العربى ــ نتيجه أوضاع التخلف والاستغلال البشعوتحول الاشتراكية الى ظاهرة عالمية غيرت من موازين القوى الدولية وشمول حركة التحرر والثـــورة التكنولوجية ــ لم تعد الغذاء الفكرى للطبقـــة العاملة فحسب بل أيضا وفى نفس الوقت غذاء فئاتواسعة منالجماهير الشعبية،ومن هناتعددت المنابع الاجتماعية وبالتالى الفكرية للقوىالتقدمية فى الوطن العربى . وهو الامر الذى فجر من ناحية طاقات ثورية هائلة قادرة على الحركة الفعالة والصمود البطولى . وأن كان من ناحية أخرى قد تولد عنه بالضرورة نوعا من الضباب الفكرى وعدم وضوح الرؤية وبذر عوامل الحذر والشك بين هذه القوى بعضها وبعض التى راحت تتكلم من مواقع أجتماعية مختلفة لغة واحدة ، بصفة عامة ، وان تنوعت أصولها الفلسفية . وكان لامفر من مرور وقت وخوض تجارب مريرة ،والتعلم بتمعن من دروس الاحداث ، قبل أن يبدأ الضباب فى الانقشاع ، والرؤية فى الوضوح ، والشك والحذر فى التبدد .

ولعله يكفى فى هذا المقام أن نستحضر الىالذهن صورا من السنوات القليلة الماضية حول المواقف والعلاقات العدائية المتبادلة بين الثورة فى مصر والثورة فى الجزائر مثلا ، والاحزاب الشيوعيـــة العربية وبينها وبين حزب البعث العربى والقوميين العرب الخ .. ونقارنها بصورة أجتماعنا اليوم فى هذه الندوة .

اقصد من هذا الى القول بان هذه الظاهرة تؤكد فى الحقيقة على معنى هام وهو أن جميع القوى التقدمية فى الوطن العربى قد واجهت وضعا جديدا تماما طرحته الحياة فى واقعها ، لم يكن هناك تمهيد فكرى واضح بشأنه أو سوابق واقعية له . وكان طبيعيا اذن أن تتراوح النظرات والمواقف منـــه باستمرار ، تشوبها العوامل الذاتية فى كثير من الاحيان . واستلزم الامر الدخول فىتجارب اثر تجارب تصاحبها أيجابيات وسلبيات .. نجاحات وأخطاء ، شارك فيها الجميع بدرجات مختلفة . ومنهنا فان مسئولية الاخطاءموضوعيا لايمكنالقاء تبعتها على قوة تقدمية واحدة دون أخرى . وانما هى ــ بحكم هذا الواقع الجديد وظروفه الخاصةــ مسئولية الجميع دون أستثناء وهذا هو ما يجب أن نعترف به بشجاعة مشخصين الاخطاء لابقصد التشهير الحسابى ، وانما بقصد أن نتعلم بعضنا من بعض بتواضع ونتعلم جميعا فى الوقت نفسه من حركة التاريخ . فلم يعد المهم اليوم تحديد من المسئول عن هذا الخطأ أو ذاك . وانما المهم هو أن نتعرف على الاخطاء وأن لانكررها .

وتوضح **الظاهرة الثالثة** أنه لاول مرة فى ظل شعار وحدة القوى التقدمية العربية اليوم تطرح بالحاح قضيةبناء صياغةتنظيمية ملائمةلهذه الوحدة تتيح لها حركة العمل الموحد والمنسقمحليا وقوميا فى مواجهة اعدائها المحليين والاستعماريين . فى حين أنهخلال مرحلتى وحدة الصف «ووحدةالهدف» لم تطرح مثل هذه القضية التنظيمية . وكان هناك أكتفاء بالتنسيق العلوى بين خطط القياداتالثورية بمعيارهاتين المرحلتين ، وخاصة القيادات الحاكمة وذلك دون ما حاجة الى تنظيم القوى الشعبية التى كانت تتحرك فى وضوح ضد عدو محدد ومميز هو الاستعمار وقواعده العسكرية وأحتكاراته وقوات احتلاله ، اما اليوم فان الوضع يختلف مع انتشار الصراع الطبقى علىالصعيد القومىللوطن العربى ككل ، حيث تعمد القوى الاقطاعية والرأسمالية الكبيرة بالتعاون معالقوى الاستعمارية الىالتجمع فى وحدات منظمة ــ فكريا وعمليا ــ مستخدمة وسائل متعددة لضرب وتصفية القوى التقدمية ابتداء من تصدير الثورات المضادة بالقوة وتوظيف المرتزقة من العسكريين المحترفين الاجانب الى تضليل الجماهير بأسم الدين كمــا هو الحـال فى الحلف الاســلامى . فضـــلا عن انه خلال المعركة ذات الابعـــاد الاجتماعية الجذرية تختلط القوىأحيانا بعضهاببعضحتىلتفلح بعض العناصر الرجعية الى التسرب بعد تغيير جلودها ، داخل

صفوف القوى التقدمية وأحزابها وتنظيماتها لتعمل « كطابور خامس » يشل الحركة ، ويفتت الوحدة ، ويحرف الاتجاه ، ويضعف الروح المعنوية ، ويفقد الثقة الجماهيرية بهذه الاحزاب والتنظيمات ، وأمامنا أمثلة واقعية محددة . ماحدث مثلا بالنسبة لحزب جبهة التحرير الجزائرية بعد الاستقلال واختيار الطريق الاشتراكى للتطور . وماحدث بالنسبة لحزب البعث العربى الاشتراكى والصراع الذى دار داخله بين الاتجاهات المحافظة والاتجاهات التقدمية فى السنوات الاخيرة . وماحدث بالنسبة للاتحاد الوطنى للقوات الشعبية فى المغرب — ومايزال فى تقديرنا — ازاء انكشاف حقيقة العناصر المساومة والمحافظة التى عمدت الى التخريب من الداخل فلفظها الاتحاد . وما حدث بالنسبة لعناصر عديدة فى البلاد العربية رفعت راية الناصرية لتستر بها عوراتها الرجعية المعادية لكل ما تمثله حقيقة الناصرية من قيم تحررية وتقدمية .

واذا كانت المعركة اليوم هى على هذا النحو من التعقيد فقد وجب التمييز بدقة بين القوى التقدمية والقوى الرجعية ، ولم يعد التمييز فى حد ذاته يكفى أمام توحد القوى الرجعية من ناحية وضراوة المعركة وطولها من ناحية اخرى . وانما أصبح من الضرورى تجميع القوى التقدمية فى كيان تنظيمى ملائم يمتلك زمام المبادرة ويحافظ عليها ويواصل نضاله من اجل كسب أرض جديدة باستمرار . وهذا يستلزم بطبيعته وحدة العمل القاعدية جنبا الى جنب مع وحدة العمل القيادية . وبدون هذا تظل وحدة القوى التقدمية شعارا ومجرد عمليات تنسيق تكتيكية مفككة . ومن هنا تنبع المهمة العاجلة التى تلقى مسئولياتها على جيلنا التقدمى العربى المعاصر .

أما الظاهرة الرابعة فتعنى أن هذا الانتقال السريع النبض والخطى من وحدة قومية عامة من أجل الاستقلال السياسى ، الى وحدة قومية أكثر وعيا من أجل الاستقلال الاقتصادى ، الى وحدة قومية ثورية من أجل التقدم الاجتماعى باهدافه الاشتراكية ، يؤكد على حقيقة جوهرية وهى أن حرية الوطن العربى وتقدمه الاقتصادى والاجتماعى لايتجزأ . ومعنى هذا أن البعد القومى كان ومايزال اطارا عاما وأساسيا لحركة التاريخ فى بلادنا . ولكنه لايتجمد عند المفهوم الضيق والعنصرى للقومية وانما هو يكسب باستمرار مع كل مرحلة محتوى تقدميا بلغ اليوم درجة كبيرة من الوضوح الفكرى والعلمى . وذلك من خلال الرؤية للقضية القومية فى ضوء المبادىء الاشتراكية والاخوة الحضارية الانسانية .

ولو تمعنا فى شعار اليوم .. وحدة القوى التقدمية .. لرأينا فى الحقيقة امتدادا متطورا لشعار وحدة الهدف بعد تطعيمه بالبعد الاجتماعى الاشتراكى . واذا جاز لنا هنا استخدام التعبير المجازى لقلنا ان شعار « وحدة القوى التقدمية » هو ابن شرعى لشعار « وحدة الهدف » وكلاهما ينبع عن جد أصيل هو « وحدة الصف » حيث تم من خلاله بلورة « العام المشترك » فى الثورة العربية الشاملة جنبا الى جنب مع « الخاص والمتميز » فى العمل الثورى داخل كل بلد عربى على وحدة .

وبدون هذا الفهم لايمكن — فى رأينا — ان نمارس شعار اليوم على الصعيد القومى للوطن العربى ككل بجميع أجزائه ممارسة ثورية شاملة تحتمها طبيعة الصراعات الطبقية التى تسود عالمنا العربى منذ أوائل الستينيات .

والواقع أن حرارة وشمول شعار وحدة القوى التقدمية قد اخذت تتراوح درجتها بين سنة واخرى منذ عام ١٩٦١ حتى بلغت أوجها عام ١٩٦٦ .

ولماذا عام ١٩٦٦ بالذات ؟

ان الاجابة على هذا السؤال هامة فى سبيل التحديد الواقعى لظروف تفجر هذا الشعار تاريخيا ، الامر الذى يفيدنا فى تبيان « المعيار السياسى — الاجتماعى » الذى يتوجب علينا ان نقيس به موضوعيا القوى الثورية التقدمية المطلوب بناء وحدة عملها ونشاطها فى الوطن العربى اليوم . وذلك من خلال هذه المرحلة الاستراتيجية التى نخوض غمارها ويتحدد معها المصير العربى ككل لفترة مستقبلة بعيدة تجب فى امتدادها الزمنى أعمار كل الاجيال التى تعيش اليوم على الارض العربية .

— ٣ —

فى يوليو ١٩٦٦ اقدمت القوى التقدمية العربية على إنهاء سياسة مؤتمرات القمة العربية ، والتى كانت قد انبثقت كنوع من « وحدة الصف » فى أواخر عام ١٩٦٣ . وذلك لمجابهة تحديات قومية محددة متعلقة بالصراع العربى الاسرائيلى أساسا وخاصة فيما يتصل بالعدوان الصهيونى على مياه نهر الاردن . وكان الامر يتطلب حركة عربية مضادة شاملة وسريعة للرد على عمليات تحويل مياه الاردن بمشروعات مضادة وحماية هذه المشروعات من العدوان المسلح اذا تعرضت له .

وفى نفس الوقت كانت قضية فلسطين موقع مزايدة من جانب القوى الرجعية والاتجاهات المغامرة فى محاولاتها لتضليل الرأى العام العربى عامة ، والرأى العام التقدمى خاصة .

ومن هنا جاء اقتراح المناضل جمال عبد الناصر كرئيس للجمهورية العربية المتحدة نعقد مؤتمرات القمة كنوع من العمل فى اطار وحدة الصف، فى غياب وحدة عمل القوى التقدمية كحركة منظمة، مستهدفا الاغراض الآتية :

● مواجهة العدوان الصهيونى بتعبئة قومية عربية شاملة تردعه من ناحية وتتيح الفرصة الموضوعية من ناحية اخرى الى طرح القضية الفلسطينية من جديد طرحا ثوريا كحركة تحرير قومية تقدمية تستلزم بناء كيان تنظيمى لها من جبهة وجيش للتحرير .

● الرد العملى المباشر على المشروعات الاسرائيلية لتحويل مياه نهر الاردن بمشروعات عربية مضادة تسهم فيها جميع الدول العربية وتوضع فيه الحكومات العربية أمام مسئولياتها تحت أعين الرأى العام العربى مباشرة .

● وضع النظم الرجعية العربية فى مواقعها المختلفة تحت الضوء المركز الشديد لكشف تحالفها مع الاستعمار وتعاونها معه فى مخططاته لتصدير الثورة المضادة الى الجمهورية اليمنية ، وتصفية ثورة عدن والجنوب العربى .

● اتاحة الفرصة للقوى التقدمية المبعثرة والمضروبة داخل الانظمة الرجعية ، فى جو التهدئة النسبى الذى ساد بسبب مؤتمرات القمة ، حرية الحركة النسبية ايضا لاعادة تنظيم نفسها ووحدتها.

ولقد انعقدت مؤتمرات القمة، وضمت لاول مرة منذ ١٩٦١ ، قوى المعسكرين التقدمى والرجعى فى الوطن العربى . وكان من الواضح أن المعسكر التقدمى قد بادر الى الدعوة اليها كنوع من التكتيك الذى تفرضه ظروف مؤقتة غير عادية . وكذلك فان المعسكر الرجعى قد قبله فى نفس الوقت كنوع مضاد من التكتيك ايضا . بمعنى أن كلا من المعسكرين قد دخل فى الاساس تجربة مؤتمرات القمة بهدف ان يكسب وقتا وفرصا للتجميع قواه وتنظيمها ، استعدادا للصدامات الحتمية المقبلة .

ولم تخف قيادات القوى التقدمية سلوكها هذا، وأن اقدامها على المشاركة فى وحدة مؤقتة للصف لا يعنى اهمال او التقليل من اهمية وضرورة وحدة القوى التقدمية كخط استراتيجى . خطب جمال عبد الناصر فى نوفمبر ١٩٦٥ — قبل حوالى العام من انهاء سياسة مؤتمرات القمة ... يقول :

« اننا مصممون على ان نتيح لصيغة وحدة العمل (يقصد مؤتمرات القمة) كل فرصة ممكنة للنجاح . ولكننا لانخدع انفسنا ولا جماهير امتنا بتصور ان هذه الصيغة هى اداة تحقيق العمل العربى الى منتهاه . ان الرجاء الاصيل معقود بالقوى الثورية .. هى وحدها التى تقدر على القطيعة الكاملة على الاستعمار .. هى وحدها التى تقدر على اجباره بان يفك قواعده الباقية فوق الارض العربية .. هى وحدها التى تقدر على مواجهة التصفية الحاسمة للخطر الصهيونى »

ولهذا كان طبيعيا ان يعمد كل من المعسكرين بالوطن العربى — فى اطار مؤتمرات القمة — الى محاولة تحقيق مصالحه على حساب مصالح الاخر وكسب مواقع جديدة منه . وهذا هو ما وقع بالفعل . فاذا كان المعسكر التقدمى قد كسب مثلا بناء الكيان الفلسطينى وتمويل مشروعات تحويل مياه الاردن العربية ، فقد كسب المعسكر الرجعى ايضا نوعا من التدعيم لمراكزه ونوعا من حرية الحركة للتآمر والتخريب . وفى نفس الوقت انكشف بصورة اشمل واعمق على نطاق الوطن العربى ككل ، حقيقة المواقف الرجعية التى تسترت زمنا طويلا . وقد تجسد ذلك مثلا فى موقف الحبيب بورقيبة الانهزامى من قضية فلسطين وتعاونه مع الصهيونية والاستعمار الجديد فى علاقاته مع احتكارات المانيا الغربية وفى تأجيره لميناء بينزت للولايات المتحدة الامريكية لانشاء قاعدة بحرية نووية ، وفى سفور الملك فيصل للدعوة للحلف الاسلامى الذى تسانده فيه امريكا وبريطانيا بالاشتراك مع الملك حسين فى الاردن وبورقيبة فى تونس ومهادنة الملك الحسن فى المغرب . وفى التسلح من الغرب الاستعمارى تحت اسم مقاومة العدوان الصهيونى وذلك للقيام بعمليات التخريب وتصدير الثورة المضادة الى اليمن والجنوب اليمنى المحتل . وفى الشروع فى ضرب القوى التقدمية فى الاردن والمغرب وتونس وليبيا والسودان والعراق ، وممارسة أسلوب التصفية الارهابية الفاشية لحياة المناضلين كما حدث بالنسبة للمناضل المهدى بن بركة ولعدد من المناضلين فى الجنوب العربى ،وهكذا عندما بلغ تكتيك « وحدة الصف » — التى تولد نتيجة لظروف عابرة — حد تهديد الاستراتيجية العربية الثورية ونضج الموقف العربى — خاصة بعد استيلاء القوى التقدمية على السلطة فى سوريا وتزايد وزن الثورة فى عدن والجنوب بدرجة غيرت موازين القوى فى هذه المنطقة العربية الثورية لامكانية تلاحم القوى التقدمية تلاحما اكثر عمقا وادراكا للاخطار المشتركة أنهت القوى التقدمية سياسة مؤتمرات القمة رافعة شعار وحدة القوى التقدمية بحسم وقد

تأكد لها — نظريا وعمليا — انه لابديل له خلال معركة الصراعات الاجتماعية الطويلة الضارية التى تشمل الوطن العربى ».

— ٤ —

نخرج من هذا العرض المجمل ، بأن وحدة النضال العربى المشترك كانت تفرضها ظروف الواقع باستمرار بدرجات مختلفة ومعايير تتنوع بتنوع طبيعة المراحل المتوالية فى حركة التاريخ.

كما يؤكد هذا العرض على أنه خلال فترة العشرين عاما الاخيرة ، وهى فترة الانطلاق الثورى السريع النبض تعاقبت ، واحيانا تداخلت فى حالات عابرة ومؤقتة ،ثلاث شعارات رئيسية تعبركل منها عن مرحلة متميزة الطابع هى وحدة الصف ، ثم وحدة الهدف واخيرا وحدة القوى التقدمية .

ويصل بنا هذا العرض فى النهاية الى أن وحدة القوى التقدمية قد انصهرت ،منذ ادراك واقعيتها وضرورتها بشكل عام فى ١٩٦١، وذلك على طول وعمق السنوات الخمس التى انتهت فى عام ١٩٦٦، سنوات الصراعات وأحداث المد والجزر الاولى التى صاحبت بداية عملية شق طريق التطور الاشتراكى لأول مرة على صعيد الوطن العربى . واستطاعت هذه القوى التقدمية المبشرة بالاصيل والجديد معا من خلال تجربة مؤتمرات القمة ان تمتحن قدراتها الذاتية وقربها الموضوعى من بعضها وامكانياتها على التلاقى فى مواجهة ولقاء القوى المعادية . ومنذ عام ١٩٦٦ تجسدت اراداتها الوحدة اكثر من مرة .. فى معركة سوريا مع مؤامرات الثورة المضادة ومع شركة بترول العراق .. وفى التصدى للحلف الاسلامى وتصدير الثورة المضادة الى اليمن .. وفى مساندة ثورة الجنوب العربى .. كما تعددت اللقاءات الثنائية والثلاثية على مستويات مختلفة بين بعضها البعض . وبات هناك بالتالى اساس موضوعى ومناخ ملائم لممارسة العملية التاريخية لبناء وحدة هذه القوى سياسيا وتنظيميا ».

— ٥ —

واذا كان السؤال الملح والرئيسى الذى علينا ان نواجهه اليوم هو كيف نبنى واقعيا وحدة قوانا التقدمية ؟ فان الاجابة الثورية الممكنة عليه تمر فى الواقع عبر تساؤل آخر عن ماهية هذه القوى التقدمية التى نريد بناء وحدتها .. أو بتعبير اخر ماهى المعايير التى يمكن من خلالها التمييز بين القوى التقدمية وبين غيرها من القوى المتصارعة فى وطننا العربى اليوم ؟

ان هناك منهجان فى رؤية وتقييم القوى التقدمية منهج ذاتى ومنهج موضوعى ». وعلينا ان نختار بينهما بصدق وحسم ».

منهج ذاتى بمعنى ان كل قوة تحدد بقرار منها من هو التقدمى ومن هو الرجعى طبقا للفلسفة التى تعتنقها والايدلوجية التى تتبعها بوحى من مصالحها الضيقة كحزب او تنظيم سياسى قائم ».

ولما كانت القوى التقدمية فى واقعنا العربى اليوم ، ونتيجة الظروف الخاصة التى اوضحناها من قبل ، تنبع من مصادر اجتماعية وفكرية مختلفة فان الاخذ بهذا المنهج الذاتى من قبل أى من الاحزاب أو التنظيمات التقدمية القائمة ، سواء كانت فى السلطة أو فى المعركة من اجل الوصول الى السلطة يؤدى حتما الى تضييق نطاق الاحزاب والتنظيمات التقدمية المطلوب بناء وحدة عملها بحيث لاتشمل الا التنظيم صاحب هذا المنهج ذاته ، او على الاكثر عدد قليل آخر من القوى والتنظيمات والاحزاب الاخرى اذا اقتضت بعض الاعتبارات التكتيكية المحضة ذلك . وتكون النتيجة فى النهاية تفتيت القوى التقدمية واحزابها وتنظيماتها الى كتل متناحرة ومتصارعة أو على الاقل غير موحدة الجهود ومنسقة الخطط والاهداف . وبذلك نصل الى وضع اسوأ مما كنا عليه قبل محاولة التنظيم لوحدة القوى ، واكثر خطورة فى مواجهتنا للقوى الرجعية والاستعمارية التى تراصت فى وحدة شبه متكاملة متخطية كل التناقضات التاريخية فيما بينها مثل ذلك التناقض بين العائلة الملكية الهاشمية والعائلة الملكية السعودية ومثل التناقضات التقليدية من المصالح البريطانية والامريكية فى المنطقة ».

ويجب ان نعترف بصراحة هنا ان وجود قوة تقدمية فى السلطة يغريها كثيرا فى اتباع هذا المنهج الذاتى وذلك بحكم موقعها وعلاقاتها المتفوقة نسبيا بالنسبة لبقية القوى . بل ان المنطق الخاص لهذا المنهج الذاتى يؤدى داخل القوة التقدمية صاحبة السلطة نفسها الى بروز شخصيات تملك وزنا معينا تعمق من الابعاد الذاتية لهذا المنهج بحيث يتحول فى الحقيقة الى منهج خاص بها وبميولها فتحدد وفقا لاعتبارات شخصية محضة ما تعتبره تقدميا وما تعتبره رجعيا ، وأيا كانت ثورية هذه الشخصيات او التنظيمات او الاحزاب فانها باستخدام هذا المنهج الذاتى الضيق لن تصل فى النهاية الا الى افتعال وحدة سرعان مايصيبها التفكك والبعثرة خلال الاحداث والاصطدام بالاعداء ».

وانه ليهمنى هنا ان أوضح بجلاء ان القوة

التقدمية التي انتمى اليها والتي تنتظم في كيان موحد هو الاتحاد الاشتراكي بجهازه السياسي الطليعي تنبذ نبذا قاطعا هذا المنهج الذاتي في النظرة الى القوى التقدمية في عالمنا العربي وتقييمها . وقد عبر مناضلنا جمال عبد الناصر تعبيرا قويا واضحا عن هذا الموقف المبدئي في لقائه مع اعضاء المكتب الدائم لمؤتمر المحامين العرب في ٨ مارس الماضي بالقاهرة فقال : (١)

« هناك اناس يتساءلون لماذا لا اتدخل انا في هذا الموضوع .. الحقيقة انه لايمكنني التدخل في الموضوع .. وحتى اذا فرضت حل من الحلول على الناس بدون قناعة فهذا الحل سينفرط .

اذن الثوريون انفسهم والقوميون انفسهم هم الذين عليهم ان يحلوا هذا الموضوع .. وهناك اناس كثيرون كانوا يقولون لي انه لابد من تدخلي شخصيا واقول الصيغة .. انا لااقدر على قول الصيغة.. الناس الذين يعيشون حياتهم وظروفهم هم الذين يقدرون على ان يعملوا هذه الصيغة .. في اى بلد عربي . وكل بلد عربي له ايضا ظروفه المحلية .. الثوريون العرب والقوميون العرب والوطنيون هم الذين يقدرون على الوصول الى الصيغة مع بعضهم البعض والا ماكانوا ثوريين ولا قوميين ولا تقدميين .. لانهم اذا بقوا ذاتيين وكل واحد تكلم عن ذاته اصبحت العملية تجارة وليست باى حال من الاحوال ثورية ولا قومية ولا وطنية . واذا كان الثوريون العرب .. اللى بيسموا نفسهم ثوريين عرب .. لايقدرون على الوصول الى حل فهم اذن غير ثوريين ولازم المرحلة تتعداهم .

اما افتعال اى شيء بالذات في اى بلد عربي فلن يحل ابدا اى حل سليم . نستطيع ان نفتعل ولكن ماهى نتيجة الافتعال ؟ البناء يتهاوى . وكل واحد يكون متربصا منتظرا اى فرصة من اجل ان يهد هذا البناء » .

اما المنهج الموضوعي ،الذى ندعو له بكل قوة فهو ذلك الذى يتقبل الواقع العربي ويفهمه فهما واعيا بجميع ابعاده وقواه المتصارعة ، ويستنبط بالتحليل العلمي قوانين الحركة التاريخية فيه بشكل موضوعي مستقل وخارج عن نطاق الرغبات الذاتية للشخص أو الحزب والتنظيم فيصل في النهاية الى تحديد القوى الاستراتيجية الواقعية ايا كانت منابعها الفكرية والاجتماعية ،صاحبة المصلحة والقدرة على النضال من اجل التحرر الكامل للوطن العربي وتطوره على اساس اشتراكي وفي اتجاه الوحدة القومية الشاملة بأوضاعها الديمقراطية ومضمونها التقدمي . فيستطيع في النهاية ان يبنى بناء قويا، سليما متماسكا. يحتضن كل الامكانيات والطاقات الثورية المتاحة دون استثناء ويسير بها في خدمة حركة التاريخ على ارضنا من خلال سيطرته الواعية على قوانين الحركة الثورية واتجاهاتها .

ونحن نؤثر هذا المنهج الموضوعي ، لانه لابديل له علميا وواقعيا وتاريخيا . وبالتالي فهو مانقترح على جميع القوى التقدمية في وطننا الالتزام به ، سواء في نظرة كل منها الى الاخريات وتعاملها معها أو في تحديد الاهداف المشتركة أو في التجميع المخطط لها بارادتها الجماعية الحرة . فهذا المنهج نستطيع ان نبنى بناء حيا محسوسا على قاعدة راسخة صلبة ، وبدونه قد نبنى قصورا عظيمة ولكن في احلامنا وخيالاتنا او فوق الرمال على أكثر تقدير .

— ٦ —

والنقطة الاولى في استخدام المنهج الموضوع هو ان نتعرف على طبيعة الارض التى تريد البناء عليها .. اى على الخريطة السياسية والاقتصادية والاجتماعية الراهنة لوطننا العربي .

ان الواقع يقدم الينا ثلاثنماذجرئيسية تتواجد فيه :

النموذج الاول يضم البلاد التى اختارت بحسم وبقدرة فعلية الاشتراكية طريقا للتطور ، على الرغممن الصعوبات المختلفةفي كلبلد منهاويتجسد ذلك أساسا في الجمهورية العربية المتحدة والجزائر وسوريا .

والنموذج الثاني وهو يضم البلاد التى حصلت على استقلالها السياسي الشكلي ولكنها بحكم مصالح الطبقات الحاكمة فيها وقعت تحت سيطرة الاستعمار الجديد بشبكاته الاقتصادية والمالية الاحتكارية الدقيقة ومعوناته الفنية والعسكرية المدمرةلامكانيات التحرر الحقيقيللشعب وسيطرته الكاملة على خيراته ومصيره . وهذا النموذج هو الطابع العام للعدد الاكبر من الدول العربية في

(١) راجع النص الكامل المنشور بمجلة الطليعة — العدد الخامس من السلسلة الثالثة (مايو ١٩٦٧)

الوضع الراهن اذ ينتمى اليه كل من المغرب وتونس وليبيا والاردن والسعودية ولبنان والسودان والكويت .

أما النموذج الثالث فيضم البلاد والمناطق التى ماتزال محتلة وخاضعة للاستعمار القديم ويمارس الشعب فيها نضاله التحررى الذى يتروح من الكفاح المسلح حتى الاضرابات والانتفاضات السياسية المتعددة الاشكال ، ويضم هذا النموذج عدن والجنوب اليمنى المحتل وامارات الخليج ، وكذلك فلسطين رغم ان لها طابعا خاصا بها فى اطار النموذج نتيجة الاحتلال الاستيطانى العنصرى الصهيونى وتحول مليون ونصف من شعبها الى لاجئين فى عدد من البلاد العربية .

وبجانب هذه النماذج الثلاث الرئيسية توجد حالتان خاصتان لانستطيع فى الواقع ان ندخلها تماما فى اطار أى نموذج من هذه النماذج .

الحالة الاولى هى حالة اليمن التى استطاعت من خلال ثورة شعبها ان تتحرر من الحكم الاستبدادى الامامى القبلى الاقطاعى ، وان تتحول الى جمهورية وتنتقل من قيود العزلة المتعفنة الممتدة من القرون الوسطى الى القرن العشرين . غير انها ماتزال تمارس بشجاعة وصلابة عملية تدعيم استقلالها السياسى والاقتصادى وتنمية مجتمعها فى مواجهة محاولات الاستعمار والرجعية العربية وخاصة السعودية لتصدير الثورة المضادة اليها . ولكنها مع ذلك اصبحت اليوم موضوعيا ، ومن خلال تفاعلها مع الخط العام لحركة بلاد النموذج الاول ذات الاتجاه الاشتراكى والمساندة التى تلقاها منها وخاصة الجمهورية العربية المتحدة جدارا حاميا للثورة فى عدن والجنوب والامارات والمحميات فى الخليج ، ونقطة اشعاع ثورية فى منطقة شبه الجزيرة العربية جميعا . ومن هنا فان وضع اليمن الفعلى اليوم هو وضع الحليف والاحتياط المباشر لقوى النموذج الاول .

والحالة الخاصة الثانية هى حالة العراق . فان وضعه اليوم هو حصيلة تلك الصراعات الدموية العنيفة والمتتالية والتى عصفت بكل استقرار نسبى لاى نظام ، وتراوحت فى اتجاهاتها بين الاصلاحية والثورية ، بين جهود للتحرر الاقتصادى والوقوف فى وجه الاحتكارات الدولية ، واخرى للارتباط المقنع بالاستعمار الجديد عن طريق ايران وتركيا والسعودية ، والسماح للرأسمال الاجنبى الخاص بحرية الاستثمار ، فضلا عن الحرب ضد الاكراد ، وافتقاد الوحدة الوطنية التقدمية كأساس للسلطة والحكم واستمرار عمليات القمع والسجن لاعداد كبيرة من الوطنيين والتقدميين . بيد انه فى نفس الوقت هناك ثمة اتجاه يظهر بين آن وآخر فى الحكم ، يصارع من اجل التحرر الاقتصادى والتنمية الوطنية والتعاون مع بلاد النموذج الاول قوميا ضد القوى الاستعمارية القديمة والجديدة ومعاداة الحلف الاسلامى ونفوذ الاحتكارات البترولية .

وهذا كله من شأنه ان يجعل من «حالة العراق» حالة فريدة فى نوعها ، يشوبها الغموض فى كثير من الاحيان ، ويضعها فى مفترق طرق للخيار التاريخى بين التقدم فى اتجاه التحرر الاقتصادى **والتطور نحو الاشتراكية أو العكس .**

وبالتالى فانه يصعب احتسابها كاملة وبدقة كرصيد محدد لنموذج معين من النماذج الرئيسية الثلاث فى الوطن العربى ، كما هو الوضع بالنسبة « لحالة اليمن » .

— ٧ —

على انه من الخطأ الوقوف عند هذا التحديد العام لخريطة الوطن العربى ، والا — تورطنا فى نوع من التبسيط المخل بالواقع الذى قد يقودنا الى احكام تعميمية تفتقد الى الدقة الموضوعية ما امكن . ذلك انه بجانب هذا التقسيم العام لخريطة الوطن العربى توجد ثمة عوامل خاصة اخرى تلعب ادوارا هامة فى اتجاهات الحركة داخل كل بلد ، وعلى النطاق القومى فى نفس الوقت . ويجب علينا بالتالى احتساب وزنها ونوعيتها جنبا الى جنب مع التقسيمات العامة ، الامر الذى يسلحنا بمزيد من الوضوح لطبيعة الارضية التى نحاول ان نبنى عليها وحدة عمل قوانا التقدمية ، فنتعرف بعمق اكثر على ايجابيات وسلبيات الارضية ومراكز القوة والضعف معا من ناحية والاختلافات المميزة لكل بلد على حدة والتى لا مفر من اعتبارها عند البناء من ناحية اخرى .

ونستطيع ان نجمل هذه العوامل الخاصة ذات الوزن المؤثر فيما يلى :

أولا : النمو غير المتوازن للبلاد العربية اقتصاديا واجتماعيا ، نتيجة سنوات القهر الاستعمارى والاستبداد الاقطاعى والاستغلال الراسمالى البدائى أو العصرى بدرجات وأزمان وموارد طبيعية وكيانات تنظيمية متفاوتة ومختلفة . الامر الذى أدى مثلا الى قيام امكانيات للتحول نحو الاشتراكية مصر وسوريا والجزائر فى حين مابرح الاقطاع متمركزا بعلاقاته وقيمه فى بلاد اخرى مثل المغرب والسودان والاردن ، ورواسب النظام العبودى متكلسة فى السعودية .

ثانيا : التجزئة التعسفية للوطن العربي، وفقا لعلاقات القوى بين الدول الامبريالية ومصالحها وذلك داخل حدود مصطنعة ، تتسع لتصل الى ٢ر٥ مليون كيلو متر مربع في السودان وتضيق الى حد ٤٠٠ر١٠ كيلومتر مربع في لبنان ، وطاقات سكانية ترتفع الى اكثر من ٣٠ مليون نسمة في الجمهورية العربية المتحدة وتنخفض الى ٤ر١ مليون نسمة في ليبيا ، الامر الذي رسب أمراضا معينة من السلوك تتبلور اساسا في النعرة الاقليمية التي تظهر ، اما في شكل الخشية مما يسمى « ابتلاع الكبير للصغير » أو في شكل الاحساس بما يطلق عليه « مرض التفوق والتعالي » .

ثالثا : استمرار نظم وتقاليد القبلية والعشائرية والطائفية بدرجات متفاوتة في عدد كبير من البلاد العربية ، مما يخلق ثغرات للقوى الاستعمارية والرجعية لتفتيت الوحدة داخل البلد الواحد وبالتالي الوحدة القومية ككل . وحرف الصراعات عن مجراها الاجتماعي الاصيل الى نزاعات قبلية وطائفية . وذلك فضلا عن افتقاد الوحدة الوطنية الضرورية في كل مرحلة بدرجات متفاوتة ايضا، داخل كل بلد في معظم البلاد العربية .

رابعا : تباين الاوضاع بالنسبة لبلاد النموذج الأول ذات الاتجاه العام للتطور على الطريق الاشتراكي . ففي الوقت الذي نجد فيه بلدا كمصر قد استطاع نتيجة لظروف خاصة به ان يحقق تقدما ملحوظا في التطور الصناعي (اكثر من ٢٣ في المائة من الدخل القومي حاليا) ويخلق قاعدة اقتصادية قوية نسبيا من القطاع العام ويتوافر لديه الحد الادنى اللازم من الخبرات والكوادر الفنية ، نجد ان الوضع ــ نتيجة للظروف الخاصة ايضا ــ في الجزائر وسوريا مايزال في بدايات عصر التصنيع ويفتقر الى الخبرات والكوادر الفنية الوطنية اللازمة .

كذلك نلحظ ثمة فرقا آخر هاما . ففي حين ان مصر استطاعت بالفعل ان تحقق استقلالها الاقتصادي كاملا وتتحرر من التبعية المالية لمناطق الفرنك والاسترليني والدولار فان الجزائر وسوريا بدرجات متفاوتة مابرحتا تبذلان الجهد الشاق من أجل التحرر الاقتصادي الكامل والتخلص من جميع القيود التي ترسبت في المراحل السابقة على ثوريتهما . وقد اكد الرئيس هواري بومدين على هذه الحقيقة حين قال : (٢)

« ان مشكل المشاكل هو تحرير الاقتصاد في بلادنا .. والوضعية في الجزائر تختلف . فالتحرر الاقتصادي في الحقيقة عملية مزدوجة فنحن حررنا الارض من الناحية العملية ــ استرجعناها وهذا يعتبر تحريرا اقتصاديا للارض ولكن في نفس الوقت سلمت الارض للفلاح . وهذا على كل حال تطبيق اشتراكي . اذن فالتحرر من السيطرة الاجنبية متبوع في نفس الوقت بتطبيق اشتراكي . اخذنا معامل .. العملية الاولى هنا هي تحرير .. اما العملية الثانية المرتبطة بالعملية الاولى فهي تسليمها للعمال ليسيروها ويشغلوها .. هذا عمل اشتراكي .. »

وتأتي معركة البترول التي خاضتها ــ وما تزال ــ سوريا ببطولة ضد احتكارات البترول الاجنبية ومصالحها في البلاد، تأكيدا لحقيقة النضال من اجل استكمال التحرر الاقتصادي ، في نفس الوقت الذي تتخذ فيه الاجراءات للانتقال بالمجتمع نحو الطريق الاشتراكي .

وهذا الاختلاف في الظروف ، يعني بالضرورة الاختلاف في التطبيق والتجارب ، رغم وحدة الاهداف في بلاد هذا النموذج . ومن هنا يأتي خطر تعميم التجارب دون اعتبار للظروف الخاصة بكل بلد او قطر .

خامسا : تباين الاوضاع ايضا بالنسبة لبلاد النموذج الثاني الواقعة اساسا في قبضة الاستعمار الجديد . ففي بلد كالاردن او الكويت او السودان او لبنان لانجد اليوم أثرا يذكر للاستعمار القديم فلا قواعد عسكرية ولا قوات احتلال الخ .. في حين نجد بقية من آثار هذا الاستعمار القديم متزاوجة مع الاستعمار الجديد ذي الطابع الغالب في بلاد اخرى مثل المغرب وليبيا وتونس والسعودية حيث توجد العديد من القواعد العسكرية الصريحة وقوات احتلال حقيقية ولكن في ثياب مدنية . وهذا من شأنه أن يؤثر في علاقات القوى المتصارعة داخل كل بلد من هذه البلاد واساليب وطرق النضال

سادسا : تباين الاوضاع مرة ثالثة بالنسبة لبلاد النموذج الثالث التي تكافح من اجل تحررها الوطني من الاحتلال وقيود الاستعمار القديم . فبعض المناطق نضجت ظروفها بحيث أمكن ممارسة كفاح مسلح منظم مثلما هو واقع اليوم في عدن والجنوب . في حين ماتزال مناطق اخرى لم تنضج

(٢) حوار مفتوح مع بومدين ــ الطليعة ــ العدد الاول السنة الثالثة ، يناير ١٩٦٧) .

بعد لتفجير ثورة مسلحة وتتفاوت حركتها بين الاضرابات والمقاومة السلمية مثل ماهو حادث اليوم في كثير من المحميات وامارات الخليج .

ثم اختلاف هذا كله من ناحية ، عن ظـروف تحرير فلسطين حيث يقع ٧٠ في المائة من الارض تحت وطأة استعمار استيطانى عنصرى ، تحكم خلاله بالحديد والنار اقلية عربية لاتتعدى ٢٤٠ الف نسمة . في حين لايوجد تحت أيدى غالبية الشعب المطرود (حوالى مليون ونصف نسـمة) الا ٣٠ في المائة من الارض فحسب اقتطع النظام الملكى في الاردن جزءا كبيرا منها واخضعه معه للاستعمار الجديد وهو الجزء المعروف بالضفة الغربية ولم يبق بذلك من أرض محرره غير القطاع الصغير المعروف باسم غزة والذى تكتنفه صعوبات استراتيجية هامة لاتخاذه نقطة انطـلاق لحركة التحرير .

— ٨ —

وفي ضوء هذه الخطوط العامة والعوامـل الخاصة لخريطة الوطن العربى ، نستطيع ان تميز القوى التقدمية على مستوى كل نموذج ثم على مستوى كل بلـد عربى بأنها تلك القوى الاجتماعية التى تسعى — فكريا وعمليا — الى تغيير واقعها في طريق التقدم وذلك في اطار ما أصبح ناضجا فعليا للتغيير ، وفي حدود الممكن الذى تصل اليه اقصى القدرات المتاحة لهذه القوى واقعيا حتى لاتقع في هوة المغامرة .

ومن هنا فان هذه القوى التقدمية سـوف تتراوح نوعيتها الاجتماعية والفكرية وبالتـالى مدى قدراتها الثورية ، وذلك من نموذج لنموذج آخر ، ومن بلد الى بلد تبعا للحالة العامة للنموذج وللحالة الخاصة للبلد معا ودون انفصال .

فاذا عمدنا الى التطبيق ، فان القوى صاحبة المصلحة في التغيير بالنسبة لبلاد النموذج الاول تتبلور بصفة عامة في كل القوى الاجتماعيـــة التى لها مصلحة في التطور نحو الاشتراكيـــة وتصفيةكل القوى والعلاقات الاقطاعية والرأسمالية

ولكن تحديد هذه القوى واقعيا في كل بلد من البلاد الثلاثة سوف يختلف من واحدة الى اخرى طبقا لظروفها الخاصة .

فهى في الجمهورية العربية تتحدد في ذلك التحالف من قوى الشعب العاملة التى تضم الفلاحين والعمال والمثقفين والجنود والرأسمالية الوطنية ، التى يضيق نطاقها يوما بعد يوم بحيث تغدو محصورة في اصحاب الورش الصغيرة وتجار التجزئـــة والحرفيين . وذلك بعد التصفيات التى وقعت — بحكم التطور الخاص — لتجار الجملة والمقاولين من الباطن وملاك المائة فدان الطفيليين . بمعنى انه يمكن القول ان الرأسمالية الوطنية في مصر تعنى اليوم اساسا البرجوازية الصغيرة في حين ان قوى التغيير في كل من الجزائر وسوريا ، بحكم درجة التطور واستمرار ممارستها للنضال من أجل التحـــرر الاقتصادى تتسع لتشـــمل في الواقع بجانب الفلاحين والعمال والمثقفين والجنود مايمكن ان يكون فئـــات معينة من البورجوازية المتوسطة بمعيار كل من البلدين .

وذلك مع ملاحظة انه قد أصبح شرطا ضروريا أن لاتحتل كل من البرجوازية المتوسطة والصغيرة اجتماعيا مواقع القيادة في هذه البلاد .

واذا انتقلنا الى بلاد النموذج الثانى فان قوى التغيير بصفة عامة هى تلك التى تسعى الى التحرر من ربقة الاستعمار الجديد تحقيقا لمصالحها وهنا تدخل مع الفلاحين والعمال والمثقفين ، وبوزن قيادى ، قوى البروجوازية بصفة عامة بما في ذلك بعض الفئات الكبيرة منها التى تطمح في الانفراد بالسيطرة على سوقها المحلى .

وفي حدود هذا الاطار تختلف نوعيات هـذه الفئات من البرجوازية واتجاهاتها طبقا لظروف كل بلد من بلاد هذا النموذج ومدى درجة التطور وقوة او ضعف رواسب النظم القبلية والطائفية والعشائرية والاقطـاعية . بمعنى انه لايمـكن القول ان قوى التغيير في لبنان مثلا تماثل في تركيبها الاجتماعى والسياسى قوى التغيير في السعودية أو المغرب أو تونس أو السودان أو الكويت ، رغم الطابع العام لحركة التغيير في جميع هذه البلاد وسوف نجد ان قوى التغيير في بلاد النموذج الثالث هى جماع كل القوى الوطنية بالمعيار التقليدى لثورة التحرر الوطنى رغم اختلاف فكرياتها واهدافها بعد التحرر اختلافا جذريا .

ولكننا ايضا سوف نلحظ فروقا بين بلد وآخر ففى حين تلعب الطبقة العاملة دورا رئيسيـــا مثلا في ثورة عدن والجنوب المحتل ، نجد ان المثقفين الوطنيين من حول نواة من البرجوازية التجارية اساسا ، هم اصحاب الدور الاساسى اليوم في معركة التحرير الوطنى .

وبالنسبة « لحالة اليمن » نجد ان قوى التغيير في واقعها الذى مايزال محكوما بالعلاقات القبلية هى كل القوى صاحبة المصلحة في تدعيم النظام الجمهورى وحمايته من الثورة المضادة . فهى اذن تضم كل الجمهوريين على اختلاف اوضاعهم الاجتماعية والمعيار هنا يصبح سياسيا اكثر منه اجتماعيا .

وبالنسبة « لحالة العراق » فان قوى التغيير تضم كل من يسعى الى حسم الموقف ، والخروج من مفترق الطرق ، بالاختيار الحاسم لطريق التحرر الكامل سياسيا واقتصاديا والتطور فى الاتجاه الاشتراكى والتعاون الوثيق مع النظم التقدمية لبلاد النموذج الاول .»

— ٩ —

ولو تأملنا الموقف على هذا النحو ، لوجدنا انفسنا فى الحقيقة أمام برج بابل من قوى التغير كل منها قد تبدو واقعية وتقدمية فى بلدها ولكن فى حالة انعزال هذا البلد عن مجرى الاحداث العام لكل البلاد العربية مجتمعة . فاذا ماحاولنا تجميعها على النطاق القومى ، كما هى فى بلدها ، خلال وحدة عمل عربية شاملة ، كنا فى الحقيقة كمن يحاول الجمع بين النار والماء فى كيان واحد . فالتناقضات مثلا بين قوى التغيير فى بلاد مثل الجمهورية العربية المتحدة والجزائر وسوريا ، وبين قوى التغيير ، وبالذات البرجوازية الكبيرة منها ، فى بلاد مثل المغرب أو السودان او الكويت ، هى تناقضات جذرية لاسبيل الى حلها الا بتصفية احد طرفى التناقض تصفية نهائية .»

واذ نسعى الى بناء وحدة القوى التقدمية على الوطن العربى ككل ، فنحن لانستطيع ان نتجاهل مثل هذه التناقضات الجذرية لانها واقع موضوعى حى . ومن هنا فان تحديدنا الواقعى لهذه القوى لايمكن ان يتصف بالسلامة الموضوعية والواقعية العلمية اذا تقوقع داخل النظرة الاقليمية الخاصة والانعزالية لكل بلد على حدة . وانما يستلزم الامر ان يضع فى اعتباره بنفس الوقت النظرة العامة والشاملة للوطن العربى واتجاه حركة التاريخ الرئيسى فيه ، وبدون هذا تكون حساباتنا للقوى التقدمية العربية حسابات ميكانيكية خاطئة .

بمعنى ان الحسابات الواقعية والديناميكية للقوى الثورية هى فقط التى تتبع كحصيلة النظرة المزدوجة لكل من الطابع الثورى المحلى الخاص بالنسبة لكل اقليم ، والطابع الثورى العام بالنسبة للوطن العربى ككل معاودون انفصال . وبالتالى فان القوة التقدمية — فى مفهوم الوحدة التى نريد بنائها — يجب ان تكون ثورية محليا وقوميا فى نفس الوقت .»

— ١٠ —

والواقع ان هذه النظرة المزدوجة ، الاقليمية والقومية ، تقودنا الى مواجهة قضية حيوية هامة وهى قضية « العام والخاص » فى الثورة العربية المعاصرة وكيفية التنسيق بينهمـا .

ان ظاهرة انتهاج بلاد ثلاث فى الوطن العربى لخط التطور نحو الاشتراكية، ليست بظاهرة عابرة او ذات وزن ثانوى فى اتجاه الاحداث وتكييف العلاقات الراهنة والمستقبلة بين الدول وبيـن الطبقات العربية معا .»

وانما غدت عاملا جوهريا يطبع بطابعه كل حركة تغيير ، ايا كانت طبيعتها وحدودها ، داخل كل بلد عربى سواء اكانت حركة تحرر من الاستعمار القديم او الجديد اوحركة تنمية اقتصادية واجتماعية بمعنى ان مقياس الثورية فى الوطن العربى منذ عام ١٩٦١ لم يعد التحرر السياسي والاقتصادى فحسب بل تعدى ذلك ليصبح بالتحديد نبذ الطريق الراسمالى للتطور الى الطريق الاشتراكى باسسه وقوانينه العلمية اساسا . ونجد ذلك محددا بوضوح فى ميثاق العمل الوطنى للجمهورية العربية المتحدة وميثاق الجزائر وبيان المؤتمر القطرى الاخير فى سوريا لحزب البعث العربى الاشتراكى . وكذلك فى وثائق وبيانات القوميين العرب ، والاتحاد الوطنى للقوات الشعبية بالمغرب والحزب الاشتراكى الجديد فى السودان ، والاحزاب الشيوعية العربية والاشتراكيين العرب وجبهة الاحـزاب والهيئات والشخصيات التقدمية فى لبنان الخ ...

وينبع الاثر الكمى والنوعى لظاهرة خط التطور نحو الاشتراكية فى الوطن العربى اليوم مما تمثله كل الجمهورية العربية المتحدة والجزائر وسوريا من وزن مادى ومعنوى فى الوطن العربى .»

فالجزائر هى اكبر واقوى وحدة اقليمية فى المغرب العربى واكثرها تقدما . والجمهورية العربية المتحدة هى اكبر واقوى وحدة اقليمية فى المشرق العربى فضلا عن انها تمثل اليوم — بحكم مابلغته من تطور وحجم سكانى — اكبر وحدة اقليمية فى الوطن العربى كله مشرقا ومغربا على السواء .»

وسوريا تمثل بتاريخها وموقعها الجغرافى مركز اشعاع قومى وتقدمى فى المنطقة فشلت فى اخماده كل المؤامرات الاستعمارية والرجعية .»

ومن هنا اكتسب الخط العام لهذه البلاد الثلاثة نفوذه القومى وتحكمه وقيادته لحركة التاريخ المعاصرة فى الوطن العربى بجميع اجزائه . وبالتالى اصبح هو — موضوعيا — الخط العام للثورة العربية المعاصرة ، الذى يجب ان ترى فى ضوئه ويتفاعل معه ، الخطوط الخاصة للثورة داخل كل قطر وفقا لظروفه واوضاعه المتميزة .

والواقع ان قضية الملاءمة الواقعية او الصياغة الصحية بين كل من الخط القومى العام والخطوط الاقليمية الخاصة للثورة العربية المعاصرة ، هى

مفتاح الحل الثوري في رأينا لجميع المشاكل التي تواجهها سواء ماترسب منها عن المراحل السابقة او مايستجد منها على الطريق ، وفي مقدمتها وحدة بناء القوى التقدمية في الوطن العربي على اساس واقعي وسليم .

ونستطيع في هذا المجال أن نرصد اتجاهين متضادين ، كلاهما في رأينا يهدد بالخطر مسيرة الثورة العربية التقدمية المعاصرة في نطاقها القومي وفي مجالاتها الاقليمية الخاصة على السواء .

ونعني **بالاتجاه الاول** ذلك الذي يطمس طمسا تعسفيا وبطريقة ذاتية بحتة ماتفرزه الحياة فعليا من اختلافات في الظروف المادية والمعنوية بين الاقطار العربية بعضها وبعض . فيعمد في حركته الى محاولة تجاهل هذه الاختلافات ، وتخطيها الى التعميم الشامل العام لتجربة معينة بخصوصياتها على جميع الاقطار دون اعتبار لهذه الاختلافات ودورها - ايجابيا وسلبيا - في اقاليمها . ويصل - باسم الوحدة ومعاداة الاقليمية - الى حد المناداة بالتدخل وفرض نماذج وقوالب محددة على الحركة والتطور الثوريين في جميع الاقاليم .

ان انتهاج طريق الاشتراكية في عدد من البلاد العربية لايعني ان يتخذ في حركته داخل كل بلد نفس الاساليب والوسائل والتنظيمات ، بغض النظر عن الظروف الخاصة في كل بلد . هذه الظروف التي افرخت مثلا بالنسبة لادارة الملكية العامة لوسائل الانتاج المؤممة في الجزائر عامة ، اسلوب التسيير الذاتي نتيجة الاستيلاء على مزارع المستوطنين ومواجهة انسحابهم التخريبي الجماعي والمفاجيء عن المعامل والمصانع من ناحية وافتقاد العدد الكافي من الكادر الفني الوطني والثوري من ناحية اخرى . في حين ان الظروف في مصر انتجت اسلوب الادارة المشتركة من الدولة ممثلة في الخبراء الفنيين المتوافرين بدرجة كافية معينين من قبلها ، وذلك بجانب العاملين المنتجين عن طريق ممثليهم المنتخبين .

ويصبح من الخطأ هنا الحكم تجريديا على اي منهما اصلح لادارة وسائل الانتاج المؤممة على نطاق الوطن العربي ككل وبالتالي المطالبة بتعميمه على كل الاقاليم كشرط للتطور الاشتراكي . وانما يكون الحكم الصحيح هنا هو احترام كل اسلوب وتطويره طالما هو يستجيب موضوعيا للظروف الخاصة بكل اقليم .

واذا كانت الجمهورية العربية المتحدة في بنائها للقاعدة الاجتماعية والسياسية للسلطة الثورية قد انتهجت ، بحكم ظروفها تحالف قوى الشعب العاملة المجسد في تنظيم سياسي واحد ثنائي التركيب جماهيري وهو الاتحاد الاشتراكي وطليعي هو الجهاز السياسي العامل كحزب اشتراكي مكون من الكوادر الطليعية داخل الاتحاد الاشتراكي .

فليس معنى ذلك هو تعميم هذه التجربة على جميع الاقاليم والاقطار الاخرى متجاهلين الظروف الخاصة والمميزة لكل قطر والتي تفرز تجارب اخرى مثل حزب جبهة التحرير الطليعي في الجزائر وجبهة الاحزاب والهيئات - والشخصيات التقدمية في لبنان الخ ...

وكذلك - وهذه نقطة كثيرا ما اثارت حساسيات وتحفظات لامبرر لها موضوعيا - فان تجربة انهاء الشيوعيين لتنظيماتهم المستقلة نتيجة الظروف الخاصة في مصر وتقدمهم كافراد لعضوية الاتحاد الاشتراكي ليست تجربة صالحة للتعميم في جميع البلاد العربية ، وذلك بحكم اختلاف ظروفها وعلاقات القوى فيها عن ظروف علاقات القوى وتطورها في مصر .

اما الاتجاه الثاني فهو ذلك الذي ينحو المنحى العكسي تماما فيعمد الى المبالغة الشديدة ، والتفخيم التعسفي الذاتي للاختلافات الاقليمية الخاصة بين البلاد العربية بعضها وبعض بحيث يطمس «المشترك» بينها ويتعامى عامدا عن رؤيته وتدعيمه . مركزا فحسب على « الخاص المميز » . فيصادر بذلك - نظريا وعمليا - كل امكانيات الواقع في الحركة المشتركة وتبادل الخبرات وفي تكوين رصيد من الخبرة العربية الثورية المشتركة . ويعتبر كل محاولة في اقليم معين للاستفادة بتجربة اقليم او اقاليم اخرى تدخلا معيبا في شئونه وفرضا مقيدا لارادته .

ونلمس ذلك مثلا في المصادرة المسبقة في اي اقليم لامكانية الاستفادة من تجارب الاتحاد الاشتراكي او الجبهة اذا ماتوافرت الظروف الموضوعية والملائمة لاي منها .

وكذلك في التهوين والتقليل من قضية بناء الوحدة القومية الشاملة للبلاد العربية . وفي عدم احترام ماتقدمه حصيلة التجربة العامة المشتركة - كما سنوضح فيما بعد - من خطر البرجوازية الكبيرة وفقدانها لثوريتها التقليدية في مرحلة التحرر الوطني التقدمية بل وفقدانها اليوم لطابعها الوطني على الاطلاق .

— ۱۱ —

ومن هنا يحق لنا ، ونحن بسبيل تحديد القوى التقدمية في وطننا العربي وبناء وحدتها ، أن نحذر

من هذين الاتجاهين غير الموضوعيين ، وان نقدم بديلا ثوريا . ونعنى به الاتجاه الذى يرى ويقيم «الخاص المميز» فى ضوء «العام المشترك» . وذلك فى وحدة ديناميكية تتبادل التاثير والتفاعل المستمرين .

كيف ؟

ان حصيلة مجرى الاحداث والتطورات فى العالم العربى خلال العشرين عاما الاخيرة تكشف لنا ماهية وطبيعة العام والمشترك فى بعدين اساسيين :

البعد الاول هو : التزاوج الذى وقع بين اهداف الثورة التحررية واهداف الثورة الاجتماعية بافاقها الاشتراكية، على الرغم من ظاهرة الضعف النسبى ــ المتفاوت بين بلد وآخر ــ للطبقة العاملة، وذلك كحتمية تاريخية لمواجهة التخلف والقيود الامبريالية والاستعمارية وخاصة الاستعمار الجديد . وهو تزاوج يقع فى ظروف عالمية ملائمة بسبب تحول كل من الاشتراكية وحركة التحرر الوطنى الى ظاهرتين عالميتين فى وضع هجومى ضد النظم الامبريالية والراسمالية .

اما البعد الثانى فهو : تعمق النزوع الى الوحدة القومية العربية الشاملة فى جميع البلدان العربية كحتمية تاريخية لامكان قهر الاستعمار والتخلف والاستغلال قهرا جذريا ونهائيا وبناء كيان دولى تقدمى قادر على حماية شعوبه ومكاسبها والاسهام الايجابى فى حركة تقدم وسلام الانسانية ككل .

ونتيجة لذلك فان القانون او الخط العام للثورة العربية المعاصر هو تحررى ، اشتراكى ، وحدوى فى وقت واحد .

ويعنى هذا فى التطبيق تسعة امور هامة على وجه التحديد :

اولها : ان الصراع الرئيسى فى الوطن العربى اليوم يدور بين القوى التحررية الاشتراكية الوحدوية ، وبين القوى الامبريالية العالمية والاستعمار القديم والاستعمار الجديد معا والقوى الرجعية والانفصالية المتجسدة اساسا فى الاقطاع والراسمالية الكبيرة .

ثانيها : ان ثمة فئات وطنية مستنيرة من البرجوازية وخاصة الصغيرة منها بحكم عملية التزاوج بين الثورة التحررية والثورة الاجتماعية ذات الافاق الاشتراكية قد تغلب فيها الطابع التقدمى على الطابع المساوم وتواكب فعليا حركة التطور نحو الاشتراكية .

ثالثها : ان الفئات العليا من البرجوازية بل والشرائح الكبيرة من البرجوازية المتوسطة قد تحولت اليوم بالكامل وحتى فى النظم الاقطاعية وفى البلاد التى ما تزال تخوض معارك التحرر من التبعية الاستعمارية المباشر الى صف قوى الثورة المضادة نهائيا ، مكونة مع الاقطاع تحالفا رجعيا مع الامبريالية والاستعمار القديم والجديد .

ذلك انها ادركت بالتجربة المحلية والقومية والعالمية ــ ان ثورة التحرر الوطنى اليوم ، لم يعد من الممكن لجمها او عزلها عن التحول عن ثورة اجتماعية ذات آفاق اشتراكية ، ولهذا فانه فى انطلاق الثورة ونجاحها قضاء حتمى على مصالحها وامتيازاتها الطبقية . وذلك على عكس الوضع فى الثورات التقليدية المعروفة بين الحربين العالميتين حيث كانت تخرج منها ــ فى اطار المناخ الدولى وقتذاك وميزان القوى الذى كان يرجح لحساب الامبريالية والنظم الراسمالية ــ بالقسط الاعظم من المغانم والمكاسب .

ومن هنا فان هذه الطبقة لم تفقد فحسب ثوريتها التقليدية بالنسبة لحركة التحرر الوطنى . بل تحولت الى موقف الخيانة الوطنى الصريح للتحرر وللوحدة القومية التى كانت تدعو اليها كاطار يوسع ويضاعف من ارباحها وامتيازاتها وقوتها . وينبغى موضوعيا بالتالى استبعادها تماما من عداد القوى التقدمية سواء على النطاق المحلى او القومى ، مهما كانت درجة التطور الاجتماعى او المرحلة الثورية فى هذا البلد او ذاك من وطننا العربى وهناك اكثر من دليل تاريخى على ذلك .

فالبرجوازية الكبيرة مثلا فى سوريا (الشركة الخماسية) التى رفعت اعلام الوحدة مع مصر قبل ١٩٥٨، هى التى قادت ومولت مع القوى الاستعمارية والمغامرة انقلاب الانفصال فى سبتمبر عام ١٩٦١ وذلك كرد فعل لانتهاج الطريق الاشتراكى فى الجمهورية العربية فى يوليو ١٩٦١

وحزب الاستقلال المغربى الذى يمثل قيادة وتركيبا ، اقسام من البرجوازية الكبيرة الريفية والمالية والتجارية فى المغرب قد انفصل تماما فى السنوات الاخيرة عن خط الثورة ، وتحالف تحالفا وثيقا فى حركته مع الاقطاع والاستعمار الجديد .

والبرجوازية الكبيرة فى تحالفها مع الاقطاع فى عدن والجنوب العربى قد اقدمت دون مواربة او خفاء من مواقع السلطة المستندة للحراب البريطانية الى سلطات الاحتلال فى شهر ابريل الماضى بمذكرة مكتوبة تطالبها فيها بالبقاء وعدم تنفيذ قرارها بمغادرة المنطقة تحت ضغط الثورة المسلحة عام ١٩٦٨ .

والبرجوازية الكبيرة الفلسطينية من امثال يوسف بيدس مؤسس بنك انترا والمليونيرات الذين كونوا ثرواتهم من خلال عمليات التهريب واستغلال الشعب الفلسطيني اللاجىء والوضع الفلسطيني بشكل عام ، قد خانت بالتعاون مع الاقطاع العربي ممثلا في الملك حسين وفي البرجوازية العربية ممثلة في بورقيبة قضية تحرير فلسطين . وذلك وعيا منها بان تحرير فلسطين يسهم لا في القضاء على مصالحها وامتيازاتها بل وجودها ذاته .

رابعها : ان التطور نحو الاشتراكية في عدد من البلاد العربية قد وقع على الرغم من ان الطبقة العاملة بصفة عامة ، ولاسباب مختلفة ، لم تكن ناضجة بما فيه الكفاية ، كما وسياسيا وتنظيميا ، وبقدر يسمح لها بان تصبح الطبقة القائدة وذلك على النحو الذي نعرفه في الثورات الاشتراكية التقليدية . وهذا التطور يمضي في طريقه حتى يومنا هذا في البلدان الثلاثة (مصر وسوريا والجزائر) دون ان يتوقف على تحول الطبقة العاملة الى قوة قائدة ، بقدر ماهو نابع عن ضرورة اجتماعية تاريخية مرتبطة بتدعيم وتوسيع المكاسب الوطنية والاجتماعية والدفاع عنها ضد الامبريالية والاستعمار الجديد .

بيد أن هذا لاينفي كون الطبقة العاملة مع تطور التصنيع والتقدم الاقتصادي والاجتماعي مدعوة لان تلعب دورا اكثر اهمية باستمرار في تحديد مصائر الامة . ويقتضي الامر بالتالي تقويتها وتنظيمها وتلقيحها بالفكر الاشتراكي عن طريق التحام المثقفين الثوريين بها وذلك كي تقوم بواجبها كقوة دفع طليعية وضمان موضوعي لاستمرار التقدم على طريق الاشتراكية .

خامسها : ان في مقدمة الاوضاع الرئيسية المشتركة في الوطن العربي ، اعتماد اقتصادياتها بالدرجة الاولى على الزراعة بدرجات متفاوتة . ويمكن القول استنادا الى الاحصائيات الكلية الأخيرة الخاصة بالبلاد النامية ، ان الزراعة في البلاد العربية تستخدم نسبة تتراوح بين ٦٠٪ الى ٩٠٪ من كل القوى العاملة ، كما انها تشكل نسبة تتراوح بين ٥٠٪ الى ٩٠٪ من مجموع الدخل القومي . وهذا يؤكد على حقيقة هامة وهي ان الزراعة تمثل من ناحية المصدر الرئيسي لتراكم الموارد الرئيسية اللازمة للتنمية وبناء الاقتصاد الوطني المتطور في كل بلد عربي . ولايشذ عن هذا الا بلدين او ثلاثة تمتلك موارد طبيعية خاصة مثل البترول .

كما ان الزراعة او مافي حكمها من ناحية اخرى هي ميدان الكتل الضخمة من الجماهير الشعبية التي تعيش في ظروف قاسية وخلال علاقات اجتماعية متخلفة ذات طابع شبه رأسمالي ، تشيع في الريف مناخا مواتيا لافكار ونشاطات القوى المعادية للثورة باهدافها التحررية والاجتماعية ذات الافاق الاشتراكية .

ويستلزم الوضع بالتالي يقظة ثورية في معالجة قضية الريف والفلاحين من خلال اصلاح زراعي يصل الى الجذور ويطلق هذه الطاقات الهائلة بابعادها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية من قيود الاستغلال والتخلف واللامبالاة وينسجها نسجا حركيا مع خط الثورة العربية المعاصرة .

سادسها : منذ اواخر الاربعينيات شرعت الجيوش العربية تلعب ادوارا متفاوتة الوزن ، في الحركة السياسية . بعضها رجعي مثل انقلابات حسني الزعيم والحناوي والشيشكلي في سوريا وعبود في السودان . وبعضها تقدمي مثل ماحدث في ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ في مصر ، وثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق ، رغم ما اصابها من انتكاسات بعد ذلك ، وثورة فبراير ١٩٦٦ موضوعيا في سوريا ، وثورة اليمن في ١٩٦٢ . هذا فضلا عن دور الجيش الشعبي الجزائري الذي يتميز بانه تكون من خلال حرب التحرير من المناضلين الوطنيين .

وكانت الحركة الثورية العالمية — من خلال التجارب المريرة في اوربا وامريكا اللاتينية خصوصا — قد ظلت لامد طويل تتخذ باستمرار موقف الادانة الشاملة والمبدئية من تدخل العسكريين في الحقل السياسي باعتبار ان دورهم لايمكن الا ان يكون رجعيا بحكم اوضاعهم الطبقية وكون الجيش هو جهاز القمع لصالح الطبقة او الطبقات الرجعية الحاكمة ضد الجماهير الشعبية .

بيد ان التجارب في الوطن العربي لا تفضي الى هذا الحكم بصفة مطلقة . فمن الواضح انه في عدد من الجيوش العربية انطلقت طليعة من الجنود الضباط الوطنيين الثوريين ربطوا مصير الجيش بمصير الحركة الثورية وحولوه من جهاز قمع للشعب الى جهاز تفجير وحماية لثورته .

بل انه داخل جيوش الانظمة الرجعية في البلاد العربية تتخمر اليوم بلا انقطاع ، ونتيجة تفاقم التناقضات الاجتماعية ، عناصر وطنية ثورية من الجنود والضباط تربط مصيرها بمصير شعبها ومصير الوطن العربي في تحرره وتقدمه ككل ، على الرغم من قياداتها المحترفة الاقطاعية وذات الولاء للقوى الاستعمارية القديمة والجديدة . ويكفي في هذا

المقام أن نشير الى خشية الطبقة الحاكمة في السعودية من تكوين جيش وطني واعتمادها على المرتزقة الاجانب ، وحوادث لجوء الطيارين الاحرار من السعودية والاردن الى القاهرة بطائراتهم حتى لايشتركوا في مؤامرات ضرب الثورة اليمنية ».

وهذه الظاهرة التي تتصف اليوم بالشمول في الوطن العربي توجب على القوى التقدمية ان تعمل على كسب العسكريين كجنود وضباط وجهاز لصفوفها وعزل النفوذ الرجعي والاستعماري عن الجيوش الوطنية ».

سابعها : ان تلاحم الثورة الوطنية التحررية بالثورة الاجتماعية ذات الآفاق الاشتراكية يتم في مناخ فكري مايزال متخلفا عن التطورات والانجازات الثورية المادية ، حيث تختلط فيه الاتجاهات الرجعية البرجوازية والجامدة والغير علمية وفي نفس الوقت ماتزال ثمة قوى اوجيوب في البلاد التي اختارت الطريق الاشتراكي اقطاعية وراسمالية ذات وزن وسيطرة مادية ومعنوية في الوقت الذي مابرحت فيه القوى الثورية وليدة ومفككة ».

واذا كانت قضية التلاحم للثورة المزدوجة تستلزم الوحدة الوطنية داخل كل بلد فانه يصبح اساسا ان تبلور هذه الوحدة على اساس ثوري جديد لاعلى اساس بورجوازي تقليدي . وذلك حتى تشكل ضمانا واقعيا للتقدم في هذه المرحلة . بمعنى انه يجب ان تحتل القوى صاحبة المصلحة في التطور البعيد المدى وهو الاشتراكية ، وزنا غالبا ومؤثرا في هذه الوحدة . وهذه القوى في واقعنا العربي تتمثل في العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين ».

ثامنها : ان الوطن العربي يحتل منطقة استراتيجية حيوية في خريطة العالم وهي المنطقة المعروفة في الجغرافية السياسية باسم الشرق الاوسط . يمتد ٧٢٪ منها في افريقيا و٢٨٪ منها في قارة آسيا . وهما القارتان اللتان تشكلان اليوم مع امريكا اللاتينية ميدان المعركة الرئيسي الملتهب اليوم ضد الامبريالية والاستعمار القديم والجديد . وبالتالي فان مصير الثورة العربية مرتبط بمصير الافريقية والاسيوية وامريكا اللاتينية اي انها موضوعيا جزء لايتجزأ من حركة التحرر العالمية .

وهي في نفس الوقت بحكم ثوريتها الوطنية والاجتماعية تعادي النظام الامبريالي ككل والاستغلال الراسمالي . وبذلك تلتقي مع قوى التقدم الانسانية في هذا العصر والتي تتمثل في الدول الاشتراكية ودول وشعوب عدم الانحياز بالمفهوم التقدمي وجميع الشعوب المحبة للحرية والسلام . بمعنى انها موضوعيا جزء لايتجزأ من حركة التاريخ المعاصر في تقدمها نحو الحرية والاشتراكية والسلام . تماما كما ان قوى الثورة المضادة العربية هي جزء من حركة الامبريالية والاستعمار القديم والجديد . فكل محاولة لفصل الثورة العربية عن حركة الانسانية التقدمية تعني اول ماتعني عزلها عن عصرها وحلفائها وافراغها من مضمونها التقدمي . وهذه حقيقة تؤكدها القيادة التقدمية للثورة العربية باستمرار .

يقول المناضل هواري بومدين في يناير ١٩٦٧ في هذا المعنى : (٢)

« **ان خطة الامبريالية والاستعمار الجديد خطة عامة تشمل المعمورة كلها ، تشمل العالم الثالث والعالم الاشتراكي ، تشمل كل النواحي ، ونحن بالخصوص . اذن يكون من الخطأ ان ننظر الى المعركة على اساس انها معركة محدودة في النطاق العربي . ولمواجهة الهجوم المعتاد لابد وان نعمل على قدر المستطاع عملا واسعا ومتصلا مع القوات التقدمية الثورية في العالم . وكحلقة اولى : الوطن العربي فيه قوات تقدمية ورجعية . وبجانب العالم العربي هناك افريقيا التي تخضع لنفس التحليل . لابد وان يكون هناك نوع من اتصال بين هذه القوة الثورية العربية وفي افريقيا ، لازم توسع الدائرة حتى تشمل آفاقا اوسع من معركتنا هذه . لازم على كل حال نبحث عن اصدقائنا الطبيعيين وهم الموجودين في المعسكر الاشتراكي لانه اذا كان لنا دور في محاربة الامبريالية والاستعمار والاستعمار الجديد فاصدقاؤنا الاشتراكيون لهم دور وواجب في تدعيم موقفنا . ونحن وفق هذا التحليل ، نستطيع ان نقول اننا نواجه الضغط العالمي والمعركة بخطة على مستوى المعركة نفسها . هذا هو تحليلنا ونظرتنا للقضية** » .

ويقول المناضل جمال عبد الناصر في احتفال الجماهير العربية بعيد اول مايو ١٩٦٧ : « **اهنئكم بالعيد العالمي للعمال الذي نحتفل فيه مع كل اخواننا في كل وطن حر بتكريم هؤلاء الذين يبنون التقدم الانساني بسواعدهم القوية وبايمانهم المخلص وبوعيهم العميق وبصلابتهم التي تجعلهم بالطبيعة اعداء للاستغلال سواء كان ضد الاستغلال موجها**

(٢) حوار الرئيس بومدين مع اسرة الطليعة المنشور بالعدد الاول من السنة الثالثة (يناير ١٩٦٧)

ضد امم او شعوب اى فى شكل استعمار اوكان هذا الاستغلال موجها ضد طبقات او جماعات او افراد ، اى اقطاع وراسمالية عاتية .

ان الاستعمار فى حقيقته هو السطو بالقوة او بالخديعة علىثروات الاممو الشعوب. والاقطاع وراس المال المستغل هو السطو بالقوة اوبالخديعة على حقوق المواطنين داخل نفس حدود الوطن الواحد . والقيمة العظيمة ليوم العمال العالمى وعيدهم هو انه تذكرة مستمرة ضد الاستغلال على مستوى الاوطان والشعوب وعلى مستوى الطبقات والجماعات والافراد » .

وهكذا فان الثورة العربية المعاصرة تهتم بتحرير روديسيا من العنصرية الاستعمارية تماما كما تهتم بتحرير فلسطين من العنصرية الصهيونية الاستعمارية وتعادى العدوان الامريكى على فيتنام بنفس القوة التى تعادى به العدوان الامريكى على اليمن ».

تاسعها : ان الامبريالية والاستعمار القديم والجديد لاتقف نشاطها اليوم عند حدود تامين مصالحها الاحتكارية والسياسية والعسكرية فى البلاد العربية التى ماتزال خاضعة لسيطرتها. وانما هى توجه كل اسلحتها اليوم ، ابتداء من العدوان المسلح حتى الضغط الاقتصادى ، الى ضرب وتصفية القلاع الرئيسية للثورة العربية التقدمية المعاصرة وقواعدانطلاقها فىمصر والجزائر وسوريا . ومن هنا يصبح فى مقدمة اولويات العمل الثورى العربى المشترك اليوم هو حماية وتدعيم هذه القلاع باستمرار ، رغم ماقد يكون هناك لدى هذه القوى التقدمية او تلك من وجهة نظرها انتقادات او تحفظات معينة . فهذه كلها تهبطامام المعركة المحتدمة الى مستوى ثانوى تماما ، ازاء واجب الحماية والتدعيم .

— ١٢ —

هذه الامور التسعة مجتمعة، تكون — فى راينا — السمات الرئيسية للقانون العام ، او الخط العام للثورة العربية المعاصرة ووحدة قواها التقدمية .

وبتعبير اخر فهى تشكل الاطار القومى العام بالنسبة لحركةالثورة وقواهاالتقدمية خلالقوانينها الخاصة داخل كل اقليم او قطر وفقا للظروف والاعتبارات المحلية المميزة له .

فمثلا لايمكن فى تقديرنا اعتبارا قوة معينة تتجسد فى تنظيم او حزب ، داخل اى اقليم ، قوة تقدمية مدعوة الى وحدة العمل اذا افتقدت طبيعتها الاشتراكية بمفهوم الالتحام بين الثورة التحررية والثورية الاجتماعية ذات الافاق الاشتراكية . او كانت انفصالية فى حركتها او منغلقة على نفسها بالمعنى القومى العنصرى او العرقى ».

كذلك فانه يصبح امرا جوهريا عند احتساب القوى التقدميةداخل كل اقليم او قطراستبعاد الراسمالية الكبيرة ، بتنظيماتها واحزابها كلية . ولكن يبقى للقوى التقدميةداخل كل اقليم — وحدها — الحرية والحق الكاملين دون تدخل فى تحديد ماهية الراسمالية الكبيرة واقعيا طبقا لظروفها الخاصة . فما يمكن اعتباره اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا راسمالية كبيرة فىالاردن مثلايختلف بالضرورة عنه فى مصر وفى المغرب او فى سوريا او فى السودان اوالجزائرالخ.. وكذلك الوضع بالنسبةللبرجوازية الصغيرة واحزابها وتنظيماتها .

وايضا فانه اذا كان الطابع العام لحركة الثورة العربية المعاصرة هو الالتحام الموضوعى بين الثورة التحررية والثورة الاجتماعية ذات الافاق الاشتراكية فانه يبقى من حق وحرية القوى التقدمية داخل كل اقليم تحديد مدى امكانيات هذا الالتحام ودرجته ووسائل واساليب ممارسة الثورة داخليا وفقا للظروف دون فرض اشكال واساليب ووسائل معينة من خارج الاقليم .

وهكذا فانه من خلال هذه الوحدة الجدلية بين القانون العام القومى للثورة والقوانين الخاصة الثورية فى كل اقليم ، تستطيع القوى التقدمية العربية ان تبنى وحدتها بناء صحيا وديناميكيا لايحد فى الوقت نفسه من حريتها فى ممارسة العمل الثورى داخل اقليمها . الامر الذى يحول دون التضارب والتناقض فى الحركة العامة ، وهو شرط ضرورى لسلامة وحدة العمل المشتركة .

— ١٣ —

والان ماهى بالتحديد ، فى ضوء ماسبق عرضه ، القوى التقدمية العربية المطلوب بناء وحدة عملها اليوم ؟

الواقع انه اذا كنا قد اتفقنا على ضرورة سلوك المنهج الموضوعى فى التحديد والتقييم . فهذا يستلزم بالتالى استنباط معايير موضوعية لهذا الغرض . واستنباط المعايير الموضوعية لاياتى سليما الا من خلال الواقع وصراعاته وتحدياته . فبهذا يمكننا ان نحدد بدقة الاختيارات العملية الاساسية التى تصبح هى فى نفس الوقت ، معايير الفرز للقوى التقدمية عن غيرها من بقية القوى .

ومن هنا تغدو هذه الاختيارات بالتالى البرنامج او الميثاق الذى تتبلور من حوله وحدة القوى التقدمية فى وطننا العربى باحزابها وتنظيماتها المتعددة .

وتاسيسا على تحليلنا السابق عرضه نستطيع ان نلخص هذه الاختيارات الاساسية فى النقاط التسع التالية :

١ — مواصلة النضال ضد الامبريالية والاستعمار القديم والجديد بجميع اشكالها واحلافها وقواعدها العسكرية والاقتصاديه المتمثلة اساسا فى الاحتكارات البتروليه والمالية والتجارية الخ .. وذلك بما يتضمنه من مشاركة ايجابية جماعية بكل الطاقات المادية والمعنويه فى حركة تحرير عربية شاملة تشمل فلسطين والجنوب العربى والخليج فضلا عن الدفاع عن ثورة اليمن ونظامها الجمهورى .

٢ — الارتباط الفعال بجميع حركات التحرر الوطنى فى القارات الثلاث .. افريقيا وآسيا وامريكا اللاتينيه والدفاع عن السلام العالمى القائم على العدل والمساواة وذلك عن طريق الممارسة البناءة للتعايش السلمى التى لاتعنى بالطبع التعايش مع الاستعمار او الايدلوجيات الرجعية ، والنضال من اجل نزع السلاح الكامل الشامل تحت رقابة دولية فعالة .

٣ — تعميق حركة الالتحام بين الثورة الوطنية التحررية والثورة الاجتماعية بافاقها الاشتراكية، ومساندة وحماية كل النظم العربية التقدمية وخلق المناخ الصحى لقيام تضامن فعال ومنتج بينها فى جميع المجالات .

٤ — مساندة وتأييد القوى الوطنية والتقدمية فى البلاد العربية غير المتحررة فى كفاحها المشروع من اجل تطوير الاوضاع سياسيا واقتصاديا واجتماعيا : وذلك فى اطار العلاقات التنظيمية السياسية بما يكفل لها حرية العمل والنضال من اجل قضايا الشعب فى كل قطر . والوقوف بكل الطاقة الموحدة للقوى التقدمية ضد مؤامرات التخريب التى تمارسها الرجعية بالتعاون مع الاستعمار ، وتحديد الرجعية بالاقطاع والراسمالية الكبيرة .

٥ — حل مشكلات الاقليات القومية فى البلاد العربية بالطرق السلمية بما يحفظ للقومية العربيه مضمونها الديمقراطى التقدمى ، وبما يحفظ لكل بلد وحدة اراضيه وسيادته الوطنية .

٦ — بغض النظر عما انتهت اليه سياسة مؤتمرات القمة العربية فانه يجب المحافظة على تدعيم وتطوير المؤسسات القومية التى انبثقت عنها وهى :

ا — منظمة تحرير فلسطين .

ب — القيادة العربية الموحدة .

ج — صندوق الدعم العربى .

د — مؤسسات استثمار روافد نهر الاردن .

٧ — دراسة وممارسة العمل من اجل قيام اقتصاد عربى متكامل بين اجزاء الوطن العربى والاستفادة الجماعية بمكتشفات العلم والتكنولوجيا الحديثة بما يتيح للشعوب العربية استثمار مواردها خير استثمار وتبادل الخبرات والخدمات فيما بينها . والمواجهة الفعالة للضغوط الاقتصادية من جانب القوى الامبريالية الاحتكارية .

٨ — تنسيق الجهود لنشر الثقافة الاشتراكية بقوانينها العلمية وترسيخ قيمها فى الوطن العربى .

٩ — العمل على توفير الظروف الموضوعية لبناء الوحدة العربية الشاملة بمضمونها الديمقراطى التقدمى لصالح الجماهير الشعبية ، وذلك بانتهاج الطريق الاشتراكى مع الادراك العميق بان الثورة العربية هى جزء من الثورة التقدمية الانسانيه المعاصرة .

وهنا يحسن ان نواجه بصراحة تساؤل معين . فقد يبدو فى نظر البعض ان تحكم هذه المعايير ، والالتزام بهذه الاختيارات الاساسية كبرنامج لوحدة القوى التقدمية فيه عزل لبعض القوى الوطنية التى مابرحت تقوم بدور ثورى نسبيا فى بعض الاقطار نتيجة الظروف الخاصة ، او على الاقل ان الاخذ بهذه المعايير يضيق من نطاق القوى المدعوة اليوم الى الوحدة .

ويجب ان نعترف بان لهذا الاعتراض بعض القدر من الصحة .

ولكن القضية فى راينا تعرض منذ البداية عرضا ميكانيكيا وبالتالى خاطئا اذا طرحت على اساس « كمى » صرف .. اى التوسيع او التضييق . وانها على العكس تعرض عرضا علميا وثوريا اذا طرحت على اساس « كيفى » فى المقام الاول . بمعنى اى نوع من الوحدة نقصده اليوم : وحدة استراتيجية مبناها الحد الاقصى من الاهداف ، ام وحدة تكتيكية تدور حول الحد الادنى من الاهداف ؟
فى تقديرنا ان الوحدة المطلوبة فى جوهرها اليوم والممكنة فى نفس الوقت واقعيا ، على الرغم من كل الصعاب ، هى وحدة استراتيجية .

كيف .. ولماذا ؟

ان الالتحام بين الثورة التحررية الوطنية والثورة

الاجتماعية ذات الافاق الاشتراكية قد شق الطريق فى الوطن العربى بجميع مجتمعاته لمرحلة استراتيجية بعيدة المدى واضحة المعالم والاهداف لكل القوى المتصارعة بلا استثناء. وهذه المرحلة الاستراتيجية قد جبت فى الواقع والحقيقة كل المراحل القصيرة المدى ولحمتها ايضا بعضها ببعض فى نسيج واحد متكامل، ينتهى عند الاختيار منـذ اللحظـة بين الطريق الرأسمالى بين الطريق الاشتراكى للتطور ومن هنا فكل قوة منذ اليوم وبلا خفاء تبلور من مواقعها الخاصة، موقفا محددا من هذا الاختيار الذى فجر الصراع الطبقى على مستوى الوطـن العربى كله.

وهذا من شأنه كما هو واضح اليوم تماما فى كل قطر عربى وعلى نطاق الوطن ككل، استقطاب يزداد تركزا للقوى الرجعية والمحافظة والمساومة فى صف واحد مع القوى الامبريالية والاستعمارية من ناحية، وللقوى التقدمية فى صف واحد من ناحية اخرى. غير انه مما يلاحظ — مع الاسف — ان القوى الرجعية والمحافظة والمساومة قد بنت وحدتها مع القوى الامبريالية والاستعمارية واعادت ترتيب امكانياتها ومراكز دفاعها وهجومها بل وبادرت الى الحركة المضادة فعلا كما حدث بالنسبة لمؤامرة الانفصال فى سوريا وضرب القوى التقدمية فى المغرب وفى الاردن، وتجييش المرتزقة الاجانب ضد ثورة اليمن الخ.. وذلك بأسرع واكثر تنظيما مما حدث بالنسبة للقوى التقدمية حتى الان.

وما حدث بالنسبة لمؤتمرات القمة العربية كان نذيرا حاسما للقوى التقدمية بأن تسرع الى العمل وتنقية صفوفها وبلورة وحدتها.

وما برح صوت النذير يدوى بالتحذير حتى هذه اللحظة.

ومن هنا يصبح مما يتلاءم ورصيد الخبرة المتجمعة ان تبنى الوحدة التى نسعى اليها تحت شعار القوى التقدمية من حول نواة استراتيجية صلبة، تضم غير التنظيمات والاحزاب ذات المسار الثورى العربى الذى يجمع فى خطواته بترابط عميق وشامل بين التحرر الوطنى والتقدم الاجتمـاعى آفاقه الاشتراكية الامر الذى يضمن للوحدة جسدا وفكرا وحركة ثورية متجددة ومتفاعلة مع خط التطـور التاريخى للوطن العربى كجزء لا يتجزأ من الانسانية المعادية للحرب والعدوان والعنصرية والتخلـف والاستغلال الاقطاعى والرأسمالى، اما السماح لقوى غير تقدمية، ويبين ذلك من موقفها اساسا من الاستعمار الجديد والاستغلال — وان كانـت تقوم بدور ثورى نسبيا وجزئيا ومؤقتا هنا وهناك من اجزاء الوطن العربى، فمعنى هذا اننا نسمح لطابور خامس ان يقتحم بناء الوحدة ويعمل التخريـب المادى والمعنوى من الداخل الامر الذى ينتـهى بتمييع روابط الوحدة وتفككها وعدم فاعليتها، ويجعلها غالبا فى مركز الدفاع، وهو اسوأ المراكز فى العمل السياسى. فى حين انها يجب ان تكون ذات وضع دفاعى هجومى معا، على ان يكون الطابع الهجومى هو الغالب باستمرار.

وبدون هذا فان القوى التقدمية تحكم عـلى نفسها بأن تلدغ اكثر من مرة من نفس الجحر.

غير ان بناء وحدة القوى التقدمية على اساس استراتيجى، لا يمنعها خلال العمل من ان تشترك ولكن ككل موحد — هذا شرط حيوى — فى وحدات تاكتيكية هنا وهناك من اجزاء الوطن العربى اذا ما ارتأت القوى التقدمية فى هذه الاجزاء ضرورة ذلك موضوعيا بالنسبة لظروف خاصة بنشاطها وحركتها السياسية فى واقعها.

وبهذا تحتفظ وحدة القوى التقدمية بصلابتها ونقاوتها النسبية تاريخيا من ناحية، وتمتـع بالمرونة الكافية فى حركتها وتكيفها مع الاحداث من ناحية اخرى.

— ١٥ —

ان وضع قضية وحدة القوى التقدمية على النحو الذى عرضناه يصبح مجرد جهد نظـرى اذا لم نمتحنه عمليا من خلال واقع الوطن العربى ككل من ناحية، والواقع الخاص بكل قطر من ناحية اخرى.

ولعل مفتاحنا الرئيسى فى هذا الشأن هو الاجابة على سؤالين رئيسيين:

الاول: هل تحقيق مثل هذه الوحدة للقوى التقدمية ممكنا واقعيا فى ظروفنا الراهنة؟

والثانى: كيف يمكن ان نمارس هذا التحقيق ونجسده عمليا. او بتعبير آخر ما هى الصياغة الملائمة لوحدة القوى التقدمية اليوم؟

— ١٦ —

والاجابة على السؤال الاول تعنى رصـد الايجابيـات والسلبيات والصعوبات فى واقعنا بالنسبة لبناء الوحدة، وتحليل ايهما اقوى وارجح من الاخر.

فاذا رجحت كفة الايجابيات فى تحليلنا — وهذا ما سنحاول التدليل عليه — اصبح من مسئوليتنا التصدى للسلبيات فى محاولة لعلاجها، اما بتلافيها اذا كان ذلك ممكنا او الحد من آثارها الى ادنى درجة على الاقل فى الوقت الحاضر.

ونحن نعتقد من خلال معايشة الواقع ان بناء وحدة القوى التقدمية هو امر فى حدود الطاقـة

والامكانيات الفعلية والمتوافرة فى وضعنا الراهن . بمعنى ان مجمل الايجابيات فى هذا المجال يفوق مجمل الصعوبات والسلبيات .

ونستطيع هنا ان نرصد اهم الايجابيات فى العوامل السبع التالية :

● وصول قيادات وطنية تقدمية بمفهوم الالتحام العضوى بين الثورة الوطنية التحررية والثورة الاجتماعية ذات الافاق الاشتراكية الى السلطة فى ثلاث بلاد رئيسية هى مصر والجزائر وسوريا تمثل ثقلا ووزنا غير عادى فى الوطن العربى خاصة ومنطقة الشرق الاوسط بصفة عامة — سواء اكان ذلك من الناحية السياسية ام التطور الاقتصادى ام الاجتماعى ام القوة البشرية والفنية والمادية بما فى ذلك القوة العسكرية .

واقتناع السلطة التقدمية فى هذه البلاد، تنظيمات واحزاب وافراد بضرورة بناء الوحدة التقدمية فى الوطن العربى عامة ، وفيما بينهما وبين بعض بصفة خاصة . وقد تجسد هذا الاقتناع فى عديد من المواقف العملية فى الاونة الاخيرة ، مثل اللقاءات على المستوى القيادى والحكومى والتنظيمى ، الموقف الموحد من الاحتكارية الامريكية والالمانية الغربية وضغوطها المختلفة، تخطى ظروف الانفصال السورى وعقد اتفاقية الدفاع المشترك بين البلدين وتبادل التمثيل الدبلوماسى بينهما ومساندة الجزائر فى دفاعها عن حدودها ازاء هجمات القوى الرجعية المغربية والتونسية بالتعاون مع القوى الاستعمارية ، الموقف الموحد المشترك فى دعم الكيان الفلسطينى ومنظمة التحرير وثورة الجنوب العربى

● هدم الاسوار التى كانت تفصل — ماديا وحركيا — بين المغرب العربى والمشرق العربى وخاصة بعد انتصار ثورة الشعب الجزائرى التحررية التقدمية . الامر الذى ادى الى تفاعل القوى الشعبية والثورية بين جناحى الوطن العربى مما أكسب القوى التقدمية رصيدا ضخما وجديدا من الامكانيات والطاقات والقدرة على الحركة فى جميع انحاء الوطن العربى بلا استثناء لاول مرة فى التاريخ الحديث .

● المدى الثورى العام الذى شمل الوطن العربى بجميع اجزائه وذلك منذ اواخر الخمسينيات ضد القوى الاستعمارية والرجعية المتمثلة فى الاقطاع والراسمالية الكبيرة وبلوغه ذروة جديدة منذ الستينات استطاع معها ان يغزو ويكسب ارضا جديدة هامة فى منطقة كانت راكدة نسبيا وهى منطقة شبه الجزيرة العربية التى اصبحت اليوم ميدان الصدام الدموى الرئيسى مع الامبريالية والاستعمار والرجعية منذ ثورة اليمن عام ١٩٦٢ .

● سقوط التيار الانفصالى فى الوطن العربى مشرقا ، وعزله وتجميده فى الوطن العربى مغربا ، واكتساب الوعى القومى الوحدوى ابعادا اجتماعية ذات آفاق اشتراكية بصفة عامة وادراك ان هذا هو الطريق السريع والصحيح للوحدة ومواجهة التخلف والقوى الاستعمارية والرجعية معا .

● تركز الاستقطاب فى القوى ، اجتماعيا وسياسيا ، داخل كل اقليم بدرجات متفاوتة ،بيد ان الملاحظ انه يتم بمعدل سريع على الدوام ، الامر الذى يقرب باستمرار من المسافات السياسية والمواقف العملية لقوى المرحلة الاستراتيجية التقدمية فى مواجهة القوى الرجعية. ويظهر ذلك فى السنوات الاخيرة فى تصفية الاجنحة اليمينية والمساومة من الاحزاب الوطنية التقدمية ، او على العكس انسلاخ القوى التقدمية من الاحزاب الوطنية التقليدية مثلما حدث بالنسبة للانسلاخ الذى وقع فى حزب الاستقلال المغربى بتكوين الاتحاد الوطنى للقوى الشعبية، وتحول الاتحاد القومى فى الجمهورية العربية المتحدة بعد تصفية الاقطاع والراسمالية الكبيرة الى اتحاد اشتراكى ، وخروج القوى الوطنية الاكثر تقدما من حزب الاتحاد الوطنى السودانى وتكوين حزب الشعب الديمقراطى ، وتصفيات العناصر المحافظة واليمنية فى حزب البعث الخ ..

ويظهر كذلك فى بدء انحسار سياسة العداء للشيوعية من جانب التقدميين غير الشيوعيين وخاصة فى قيادات البلاد الثلاث التقدمية. واعتراف الشيوعيين بالامكانية العملية لوجود اشتراكيين فى الوطن العربى دون أن يكونوا ماركسيين لينيين .

ويظهر ايضا فى تكوين جبهات بالفعل من مجموع الاحزاب والتنظيمات والهيئات والشخصيات التقدمية، على الرغم من اختلاف المنابع الايدلوجية والاجتماعية ، فى كل من لبنان والاردن والسودان ، والشروع فى تكوين جبهات مماثلة فى المغرب والعراق .

● الدرس العملى الحاسم الذى قدمته سياسة مؤتمرات القمة العربية من عدم جدوى المصالحة مع القوى الرجعية والمحافظة ، حتى من اجل اهداف قومية محددة مثل قضية فلسطين، والادراك العملى بأن المسألة قد اصبحت بالفعل مسألة حياة أو موت بالنسبة لطرفى الصراع .

● ملاءمة المناخ الدولى الراهن بصفة عامة حيث يتعاظم تلاحم القوى التقدمية وقدراتها . وذلك نتيجة تأكد الاشتراكية كظاهرة انسانية ذات مبادىء واحدة وطرق متعددة نامية باستمرار ، وتفاعلها مع ظاهرة عالمية اخرى هى شمول حركة التحرر الوطنى ضد الامبريالية والاستعمار القديم والجديد .

ولا يؤثر فى ملاءمة هذا المناخ الدولى ما نجده من انقسامات وتعدد المراكز داخل هذه القوى ، وذلك نتيجة اوضاع خاصة لا مجال هنا لمناقشتها اذ ان تأثير هذه الانقسامات مازال بعيدا عن المساس بجوهر الظاهرة ووزنها العالمى ، وهو يتجسد اليوم فى اختلافات فى التكتيك او ابطاء فى الحركة الواجبة او حتى تجميد مؤقت تستفيد منه القوى الاستعمارية والرجعية مع الاسف الى حد ما . ولكنه لم يصل قط بأى منها الى حد الانسلاخ عن المسار التاريخى لثورة التحرر الوطنى والاشتراكية .

بيد انه فى مقابل هذه الايجابيات نصطدم بالسلبيات والصعوبات الرئيسية الثلاث التالية :

● نتج عن تلاحم الثورة التحررية الوطنية بالثورة الاجتماعية ذات الآفاق الاشتراكية ، التقاء عديد من القوى على الطريق نحو الاشتراكية ، كل منها ذات اصول اجتماعية وايدلوجية مختلفة .

ولقد اكتشفت هذه القوى — لو صح هذا التعبير — تواجدها معا فى نفس الصف وفى مواجهة نفس الاعداء ، بعد ان استهلكت وقتا وجهدا كبيرين فى صراعات مريرة بين بعضها البعض ، بدت فى كثير من الاحيان ، عدائية ، من زاوية النظر الفكرية والعملية الخاصة لكل قوة . وذلك قبل ان تنضج عملية الالتحام المزدوج للثورة وتتبلور كظاهرة اصيلة وجديدة . ويجب ان نعترف ان آثار هذه الصراعات مازالت تترك بصماتها بدرجات مختلفة على العلاقات الراهنة بين القوى التقدمية بأحزابها وتنظيماتها المتعددة بصورة عامة . وهذا من شأنه ان يتيح لعقد وتحفظات الماضى ان تلعب دورا سلبيا فى سبيل تطوير اللقاء الذى تم فى ارض المعركة بالفعل ، الى وحدة عمل منظمة ترتفع الى مستوى المسئولية والمرحلة الجديدة التى تختلف كيفيا عن المراحل التى افرخت هذه العقد والتحفظات . ويتخذ الامر صورة خاصة بالنسبة للعلاقات بين الاحزاب الشيوعية العربية والاحزاب والتنظيمات الاخرى بالذات .

وهى علاقات ساهمت فى تسميمها عوامل عديدة فى مقدمتها القوى الامبريالية والاستعمارية والرجعية وعدم الوضوح الفكرى اللازم بالنسبة لمراحل التجربة ، وحداثة الظاهرة محليا وقوميا وعالميا ، والتماوج الشديد بين تيارات الجمود واليسارية غير الواقعية ، وما صاحب ذلك من مواقف ذاتية غير موضوعية وذلك بالنسبة لجميع القوى بلا استثناء .

وافتعلت وضخمت بذلك معارك مبددة للقوى ، مسئولياتنا فيها كانت وما تزال مشتركة ، بين عداء الماركسيين للقومية من زاوية وعداء القوميين للاشتراكية من زاوية اخرى .

ولعل ذلك جاء نابعا — من ناحية — عن تصور ان عالمية المبادىء الاشتراكية لدى الماركسيين وصدور تنظيماتهم واحزابهم اساسا من مفهوم الصراع الطبقى ينفى بالتالى الاعتراف بالقومية العربية . فى حين ان الماركسية تفرق جوهريا بين قومية الامم ذات النظام الاستعمارى الامبريالى وبين قومية الامم المستعمرة والمقهورة المناضلة ضد الامبريالية والاستعمار بجميع صوره وانها بقدر ما تدين وتحارب الاولى كظاهرة استعمارية ، تعترف وتشارك كجزء لا يتجزأ من قوى القومية الثانية كظاهرة ثورية .

وليس هذا موقفا جديدا ، وانما هو اساس نظرى وعملى صدرت عنه مواقف محددة فى الثلاثينيات ، اى فى بواكير نشوء الاحزاب الشيوعية ، ونستطيع هنا ان نشير الى البيان الذى صدر عن مؤتمر الاحزاب الشيوعية فى سوريا ولبنان وفلسطين عام ١٩٣١ حيث اكد ان النظام الامبريالى السائد فى البلاد العربية لا ينهض فحسب على « استبعاد واخضاع الشعوب العربية بل على الواقع بأنها جزئت وفقا لمصالح العالم الامبريالى » ونص البيان كذلك على ان « اهم واجب من واجبات الكفاح الثورى للتحرر من الامبريالية فى منطقة الشرق الادنى الواسعة هو حل قضية العرب الوطنية » وهى « قضية الوحدة الوطنية والاستقلال » لان العرب « ذو لغة واحدة وتقاليد تاريخية واحدة وعدو واحد ... » وان « كفاح العرب لوحدتهم القومية رغم الحدود السياسية الاصطناعية ليس الا من وحى تقديرهم الحر الذى لاينفصم عن السعى لتحرير انفسهم من النير الامبريالى » كما وجد — من ناحية اخرى — تصور آخر يرى ان صدور الحركة القومية — باتجاهاتها الجديدة عن واقع النضال التحرر الوطنى والوحدة القومية اساسا لايمكن ان يمتد الى مواقع تقدمية ذات اهداف اشتراكية طالما هناك افتقاد منذ البداية لتبنى الماركسية اللينينية ايدلوجيا ، ولقيادة حزب شيوعى يمثل طليعة الطبقة العاملة لبناء دكتاتورية البروليتاريا وذلك على النحو الذى صيغت فيه تجارب البلدان الاشتراكية حتى بدايات الخمسينيات من هذا القرن .

واغفل هذا التصور حقيقة هامة وهى ان صياغات دكتاتورية البروليتاريا وقيادة الحزب الشيوعى لا تدخل فى نطاق الفكر الماركسى كشروط ابدية ، وانما هى حلول واقعية لظروف تاريخية وواقعية معينة لا يمكن التمسك بها وبحرفياتها اذا ما تغيرت هذه الظروف محليا وعالميا على السواء والا كان معنى ذلك هو الجمود على اشكال وقوالب مسبقة ، يراد فرضها على الواقع وذلك بدلا من استنباط اشكال وقوالب جديدة تتفق والواقع الجديد . حيث تميز بشكل واضح تاريخيا نوعان من القوى القومية فى النصف الثانى من القرن

العشرين عامة وفى ظروف واقعنا العربى خاصة قوى رجعية آخذه فى الانهيار ، وقوى تقدمية نتجت من التحام الثورة الوطنيه بالثوره الاجتماعية وآخذة فى الصعود ، تكتسب ارضا ونفوذا ماديا ومعنويا يتزايد باستمرار ، وتقود بالفعل فى عدد من البلاد عمليات تحول نحو الاشتراكية بمفهومها العلمى .

وهنا يمكن ان نقدم من تراث الفكر الماركسى نفسه نصا للينين يقول فيه : (٤)

« ستصل كل الامم الى الاشتراكية ، لان هذا امر حتمى : ولكنها من تصل اليها بنفس الطريقة ، بل ستقدم كل منها سمات نوعيه لهذا الشكل من اشكال الديمقراطيه او ذاك ، ولهذا النوع من انواع دكتاتوريه البروليتاريا او ذاك ، ولهذا الاسلوب او ذاك ، من اساليب التغيير الاشتراكى فى مختلف وجوه الحياه الاجتماعية » .

وقد ولدت هذه التصورات من الجانبين اتخاذ عدة مواقف معينة اشاعت حالة من الضباب والبلبلة الفكرية والعملية وفقدان الثقة ، بل والانقسامات حتى داخل كل قوة على حدة . واستنفذت الجهود فى ضوء معركة العداء المصطنع بين القومية والاشتراكيه والعملية فى محاولات نفى الشيوعيين العرب لتهمة انهم غير قوميين من جهة وفى نفى القوميين لتهمة انهم غير اشتراكيين من جهة اخرى . واستمر ذلك بشكل حاد حتى عام ١٩٦١ ، حين بدأت حدته تخف فى السنوات التالية ولكننا لا نستطيع ان نقول انها زالت تماما .

وهنا بالدقة تتجسد الصعوبة الحالية . وهى صعوبة تثبت التجربة الحية ان من الممكن تخطيها بنجاح بطرق مختلفة حسب ظروف كل بلد .

وهى قد حلت بالفعل فى عدد من البلدان ، ففى التجربة المصرية ، وهذا حل نؤكد من جديد انه خاص بها وبظروفها ، اقدمت التنظيمات الشيوعية على انهاء وجودها المستقل وتقدم اعضائها كأفراد ملتزمين بالميثاق وقياداته الثورية للالتحاق بالاتحاد الاشتراكى العربى . وفى تجارب لبنان والاردن والسودان حلت الصعوبة فى شكل الجبهة الوطنية الثورية .

ونعتقد انه قد آن الاوان لان تبذل الجهود المشتركة من الجميع فى مختلف الاقطار العربية الاخرى وخاصة ذات الانظمة التقدمية منها لتخطى عقد وشكوك الماضى للالتقاء الحر الفعال فى ضوء الظروف والظواهر الجديدة وتحكيم العوامل الموضوعية لا الذاتية والاستفادة من حصيلة الخبرة المحلية والقومية والعالمية التى اصبحت فى تناول ايدينا وعقولنا اليوم .

● اما الصعوبة الثانية فتتركز فى اختلاف الاصول الايدلوجية للقوى التقدميه المطلوب وحدتها اليوم . وبالذات الاصول الفلسفية .

ولكن ما هو المطلوب تحقيق وحدته بالدقة اليوم : هل هو وحده الاصول الايدلوجية وخاصة الفلسفية ، ام هو وحدة عمل مشترك لانجاز اهداف محددة ؟ الجواب بالبداهة هو وحدة العمل المشترك لانجاز اهداف محددة . غير اننا نبسط الامور تبسيطا مخلا اذا استبعدنا التاثير المتبادل وما يثيره بالتالى من تناقضات ، بين اختلافات الاصول الايدلوجية من ناحية ووحدة العمل المشترك من ناحية اخرى .

ومن هنا تنشأ الصعوبة التى نعنيها ويجب بالتالى مواجهتها للوصول الى حل واقعى وسليم .

وبادىء ذى بدء يجب ان نعترف بأن توحيد الاصول الايدلوجية بين مختلف القوى التقدمية المطلوب وحدتها ، شىء لازم وضرورى وهو فى نفس الوقت ليس عسيرا .

ولكنه يتطلب بطبيعته افساح وقت وفرصا رحبة للنقاش الفكرى والجدل النظرى على اساس ديمقراطى وباسلوب علمى متطهر من المذهبية الجامدة فالايدلوجيه الثورية فى جوهرها ليست اكثر من منهاج للتفكير يضع النظرية فى خدمة التطبيق ويطور فى نفس الوقت النظرية فى هدى ماتسفر عنه نتائج ومكتسبات التطبيق . وبالتالى فهى ابعد ما تكون عن مجموعة مقدسة من الحلول والقوالب الجاهزة فى الذهن والصالحة للتطبيق فى كل زمان ومكان . وهذا بالضرورة يستهلك زمنا طويلا .

وهكذا نوضع امام سؤال علمى هام : هل نوقف جهودنا من اجل وحدة القوى التقدمية حتى نوحد اصولنا الايدلوجية ؟

اننا لو استلزمنا توحيد الاصول الايدلوجية كنقطة بداية فان معنى هذا ان نستغرق الجهد مفككين فى مناقشات نظرية بحتة فى الوقت الذى يبلور فيه اعداء المعركة التاريخية الدائرة وحدتهم التنظيمية العملية ويتمكنون فيه بالتالى من اخذ زمام المبادرة ضدنا .

كذلك فان الجدل من اجل التوحيد العلمى للاصول الايدلوجية لايمكن ان يؤتى ثمارا ناضجة من خلال مناقشات نظرية تجريدية وانما اساسا — وكما دلت التجربة — من خلال العمل والكفاح المشترك على ارضية موحدة الابعاد . وهذا لا سبيل اليه بدون ان ننجز منذ البداية وحدة عمل قوانا التقدمية كضرورة لا غنى عنها من اجل التوحيد الايدلوجى . بمعنى ان يكون قانون وحدة القوى التقدمية هنا

(٤) لينين — المؤلفات — الطبعة الروسية الرابعة — المجلد ٢٢ ص ٥٨ .

هو ذلك القانون العلمى الذى اثبتت التجارب الانسانية صحته :

الوحدة من خلال الحوار والصراع الفكرى الذى يستخدم النقدوالنقد الذاتىبفاعلية وصدقثوريين.

ويصبح المطلوب — نظريا — فى هذه المرحلة اذن هو توحيد الفكر بين القوى التقدمية حول الاهداف المستهدفة لوحدة القوى التقدمية وهذا يتم من خلال الاتفاق على الاختيارات الاساسية او برنامج وميثاق وحدة العمل .

وقد غدا ذلك ممكنا اليوم بفضلوضوحالرؤية والانطلاق من نقطة اساسية مشتركة فى تحليلات جميع القوى التقدمية، ونعنى بهاالالتحامالعضوى بين الثورة الوطنية بالثورة الاجتماعية ذات الافاق الاشتراكية .

● اما الصعوبة الثالثة فتظهر فى افتقاد الوحدة بين القوى التقدمية اليوم فى عدد من البلاد العربية محليا، بدرجاتمتفاوتة حتىبين القوىالتىاصطلح على تسميتها بالنظم التقدمية .

ويرجع فقدان الوحدة هذا فى تقديرنا فى هذه البلاد الى جمود نظرة كل قوة من القوى التقدمية بأحزابها المختلفة الى الاخريات على اساس نظرة مرحلة ما قبل الستينيات . وذلك رغم التباين الجذرى وتغيير المواقع والظروف .

وتتفاوت الاوضاع فى هذه البلدان العربية المفتقدة الى وحدة القوى التقدمية الداخلية الى ثلاث حالات رئيسية :

حالة تسيطر فيها القوى التقدمية ،منفردة او مشاركة بوزن كبير على مواقع السلطة .

وحالة ثانية القوى التقدمية فيها ما زالت معزولة عن السلطة ولكنها تملك بدرجات مختلفة وزنا سياسيا وجماهيريا فى واقعها .

وحالة ثالثة القوى التقدمية فيها ما برحت فى مرحلة جنينية .

ورغم ان كل قوة من هذه القوى التقدمية تطالب الاخريات بالوحدة لا انها فى الواقع تطلب الانصياع الكامل لها دون مناقشة من الاخريات وهكذا تتحول المطالبة عمليا الى موقف تكتيكى ذاتى لا استراتيجى موضوعى .

ومن هنا يصبح من الضرورى تغليب الموقف الاستراتيجى الموضوعى داخل كل قوة تقدمية فى هذه البلدان على الموقف التكتيكى الذاتى من قضية الوحدة .

ويقع على القوى التقدمية فى مواقع السلطة فى هذه البلاد — بحكم وضعها — مسئولية اتخاذ المبادرة فى هذا المجال . على ان هذه الصعوبة لا يجب ان تغلق الباب امام اى حزب او تنظيم تقدمى ، وبالذات فى البلاد التى لمتصلفيها القوى التقدمية الى مواقع السلطة الى الانضمام منفردة — بصفة مؤقتة — الى تنظيم وحدة القوى التقدمية العربية ، خاصة وان ثمة وحدات تقدميه ذات وزن فعال ومؤثر قد تمت داخليا — باشكال مختلفة — فى عدد من البلدان العربية سواء اكانت ذات نظم تقدمية ام نظم رجعية .

وهكذا اذا قيمنا حساب الايجابيات والسلبيات بالنسبة لبناء وحدة القوى التقدمية العربية تنظيميا لكانت الحصيلة ايجابية اكثر منها سلبية . وبالتالى امكانية وضع الوحدة موضع التنفيذ العملى .

— ١٧ —

ونأتى الان الى قضية كيف نمارس تحقيق وحدة القوى التقدمية العربية عمليا .. او بتعبير آخر قضية الصياغة الملائمة لهذه الوحده .

واذا كانت هذه الوحدة لا يمكن ان تقع الا اختياريا ونتيجة اقتناع كل قوة من القوى التقدمية ان ذلك يحقق فى خط واحد مصالح واهدافا مشتركة لها مع القوى الاخرى ، فانه يكون بديهيا بالتالى ان تحدد الصياغة الملائمة لهذه الوحدة من خلال المناقشة الديمقراطية الجماعية لكل القوى المطلوب بناء وحدتها .

ومعنى هذا ان علينا ان نستبعد منذ البداية وبحسم اية محاولة لفرض صياغة معينة من جهة وكذلك اية محاولة لفرض مناقشة اى اقتراح يقدم بصياغة معينة من جهة اخرى .

هذه نقطة اولى . اما النقطة الثانية فهى ان المناقشة الديمقراطيةبحثا عنصياغة ملائمةلوحدة القوى التقدمية لا يمكن ان تدور بصورة تجريدية او فى فراغ ، وانما هى ترتبط ارتباطا موضوعيا لا فكاك له بواقعنا الراهن ،ايجابياته ، وسلبياته ، وعلاقاته القوى فيه ، ومدى مسئوليات كل منها ، والوضع العالمى ككل .

ومعنى هذا ان علينا ان لا نقيد انفسنا بصياغات تقليدية تمت تجربتها ، بنجاح او بفشل ، فى مراحل

او ظروف محلية وقومية وعالمية اخرى من ناحية وكذلك دون ان نصد انفسنا عن الاستفادة من هذه التجارب ونتائجها من ناحية اخرى . وهكذا فان القضية ليست فى استحداث صياغات جديدة او الاستفادة بصياغات قديمة وانما هى الاثنان معـا .

وفى ضوء ما تقدم فاننا اذ نتعرض للقضية فى هذا البحث فانما لنناقش آراء تداولت فى هـذا المجال محاولين فى نفس الوقت ان نقدم اقتراحات للمناقشة .

والواقع انه من استقراء الاحداث نستطيع ان نتبين ثمة اتجاهين اساسيين فى صياغة بناء الوحدة:

اتجاه يطالب بتذويب جميع الاحزاب والتنظيمات التقدمية القائمة فعلا بالوطن العربى فى حركة عربية سياسية واحدة ذات تنظيم موحد ..

واتجاه آخر يطالب باحتفاظ كل الاحـزاب والتنظيمات التقدمية بكياناتها الذاتية المستقلة على ان تتلاقى جميعا فى اطار من الجبهة العربية التقدمية من حول برنامج موحد او ميثاق ..

واصحاب الاتجاه الاول يدعمون وجهة نظرهم بأنه اذا كانت الوحدة المطلوبة هى وحدة استراتيجية فى جوهرها وليست تكتيكية ، فان صياغتها يجب بالتالى ان تكون محكمة الى اقصى درجة ممكنة وهذا غير مدرك الا بتنظيم موحد منذ البداية تنصهر فيه جميع الاحزاب والتنظيمات حتى لا تحتفظ — على رأى هذا الاتجاه « بتكتلها وحزبيتها الانانيـــة داخل اطار الوحدة .. » وبذلك يكتسب بناء وحدة القوى التقدمية فاعلية وقدرة عظيمتين على مواجهة التحديات والاخطار .

اما اصحاب الاتجاه الثانى فيدعمون وجهة نظرهم بأن الاخذ بالاتجاه الاول يعنى فى حقيقته اول ما يعنى اليوم تصفية الاحزاب والتنظيمات التقدمية التى تطالب بتوحيد قواها ويحول القضية الى قضية توحيد افراد لا رابط تنظيمى لهم بأى حزب تقدمى فى اى بلد عربى ، على كل منهم ان « ينطوى بذاته داخل المعركة العربية الواحدة متخليا نهائيا عن حزبه او جماعاته القديمة» . ونتيجة ذلك الفعلية هو تخطى الاحزاب والتنظيمات التقدمية فعلا وانشاء تنظيم عربى جديد من افراد منتقين كثوريين يتواجد له فروع فى كل بلد عربى . الامر الذى يولد بالضرورة تناقضات بين هذا التنظيم العربى الجديد من ناحية والاحزاب والتنظيمات التقدمية داخل كل بلد وعلى نطاق الوطن العربى معا ، مما يفتت فى النهاية الوحدة الثورية الجماهيرية بدلا من ان يبلورها ويحـرف المعركة عن اتجاهها الاصيل ضد القوى الاستعمارية والرجعية الى اشتباكات **داخل** صفوف القـــوى التقدمية نفسها ».

والواقع ان استهداف بناء تنظيم واحد يضم كل القوى التقدمية فى الوطن العربى هو امـــل مشروع وثورى فى آن واحد . ولا نعتقد ان هناك خلاف بين كل القوى التقدمية بأحزابها وتنظيماتها المختلفة على ذلك . ولكن الخلاف ينحصر فى هل هذا ممكن تحقيقه فى هذه المرحلة عمليا بحيث يؤدى المهام التاريخية المطلوبة منه ام لا ؟

والحق انه فى ضوء ظروف الوطن العربى اليوم بما فيه من تباين سبق ان عرضنا لتفاصيله من حيث الاوضاع الخاصة بالثورة فى كل بلد عربى على حدة وعلاقات القوى فيه ، ومن حيث اختلاف الاصول الايدلوجية للاحزاب والتنظيمات التقدمية ، ومن حيث الرصيد المتجمع من خبرة اللقاءات والشكوك معا طوال المراحل السابقة ، تقطع بعدم امكانيـــة اختيار الحركة العربية الواحدة ، وتنظيمها الموحد كصياغة واقعية وفعالة ومحققة للهدف اليوم وان ذلك يستلزم تغييرا جذريا فى الاوضاع والظروف وتوحدا فى الايدلوجيات لا يمكن الوصول اليـــه بقفزات فورية وبدون نضج موضوعى يستهلك زمنا وكفاحا طويلين وشاقين ..

بل على العكس اننا نرى فى صياغة التنظيم العربى الموحد اليوم عاملا من عوامل الفرقة فى ظروفنا الراهنة اكثر منه عاملا من عوامل توحيد الجهود وتعبئتها . ولهذا يبدو ان طريق الجبهة التقدمية العربية التى تتكون من جماع الاحزاب والتنظيمات التقدمية بلا استثناء والمحتفظة بكياناتها من حول برنامج موحد الاهداف استراتيجيا هو اسلم الصياغات المتاحة والممكنة واقعيا لبناء وحدة القوى التقدمية العربية . بل وهى السبيل الطبيعى للوصول — صحيا — الى هدف التنظيم العربى الثورى الموحد فى المستقبل

والقوة التقدمية التى انتهى اليها اكدت اكثر من مرة ايثارها طريق الجبهة اليوم كصياغة ملائمة لوحدة القوى التقدمية وتعبئة الجماهير العربية بأحزابها وتنظيماتها كقاعدة اساسية لها .. ومن ثم فهى تطرحه كاقتراح محدد ..

ولقد اوضح الميثاق الوطنى ، الذى هو دليـــل عمل لهذه القوة التقدمية المنظمة داخل الاتحـــاد الاشتراكى العربى ، ان « الجمهورية العربيـــة المتحدة لا بد ان تحرص على الا تصبح طرفا فى المنازعات الحزبية فى اى بلد عربى . ان ذلك امر يضع دعوة الوحدة ومبادئها فى اقل من مكانتـــها

الصحيح..» وانها اى الجمهورية العربية المتحدة «مطالبة بأن تفتح مجال التعاون بين جميع الحركات الوطنية التقدمية فى العالم العربى» وانتهى الميثاق من ذلك فى عام ١٩٦٢ عند اعلانه الى القول بأن «اتحاد الحركات الشعبية الوطنية التقدمية فى العالم العربى امر سوف يفرض نفسه على المراحل القادمة من النضال» .

وها نحن نعيش بالفعل هذه المراحل .

وفى اجتماعات مباحثات الوحدة الثلاثية (سوريا العراق ــ الجمهورية العربية المتحدة) التى عقدت بالقاهرة فى ١٩ مارس ١٩٦٣ انتقد المناضل جمال عبد الناصر بشجاعته الثورية تجربة حل جميع الاحزاب فى سوريا عند الوحدة عام ١٩٥٨ ــ فقال :

« ان عملية حل كل الاحزاب فى ١٩٥٨ ماكانتش صح ــ كان لازم اتبعنا اسلوبا آخر وهو حل الاحزاب التى لا تتفق فى الهدف ثم تجميع الاحزاب التى يجمعها وحدة الهدف .. الاحزاب القومية وتكون هى الطلائع الثورية فى جبهة قومية »

وفى ٨ مارس ١٩٦٧ اعلن المناضل جمال عبد الناصر فى اجتماعه الخاص مع مكتب اتحاد المحامين العرب بالقاهرة الطريق الذى تقترحه القوة التقدمية فى الجمهورية العربية المتحدة ، كصياغة ملائمة لبناء وحدة القوى التقدمية : (٥)

« وحدة القوى الثورية ممكن انها تاتى فى عدة اشكال وليس ضروريا ابدا انصمم على الوحدة بصفتها المطلقة ، اللى هى الوحدة ، اللى هى الدمج والتوحيد الكامل ، لانه فى رأيى ان هذا الموضوع عسير جدا الوصول اليه .

قد يكون من الاسهل ان نبدأ بنوع من الجبهات او عمليات بهذا الشكل . وهذا يوصل فى المستقبل الى نوع من التفاهم لمواجهة القوى المضادة الموجودة فى العالم العربى .. ومعنى هذا ان الجبهة هى التى من الممكن ان تكون مدخل لكل الافكار التى تجول برؤوسنا ، لان عملية التوحيد بمعنى التوحيد قد تكون عملية عسيرة وقد تكون عملية صعبة بل قد تكون اذا قامت تلقائيا عملية مصطنعة .

واحنا بالذات .. ليس لنا فروع فى الخارج ابدا (يقصد خارج مصر) بمعنى اننا منذ البداية اخذنا على انفسنا هذا المبدأ .. لا يبقى لنا فرع فى اى منطقة او فى قطر من الاقطار .ولكن نحن مستعدون للتعاون مع كل الوطنيين التقدميين فى العالم العربى نحو قضية الوحدة . وعلى هذا الاساس يكون ممكنا قيام لقاءات ويكون فيه انسجام فى العمل ويكون فيه التخطيط ويأخذ ايضا سيره الطبيعى » .

وفى ابريل ١٩٦٧ اعلن السيد على صبرى الامين العام للاتحاد الاشتراكى العربى « بالاهرام » (٦) **ان الاتحاد على استعداد للقاء مع كل الاحزاب والتنظيمات التقدمية فى الوطن العربى دون شروط مسبقة غير مكافحة الاستعمار القديم والجديد والرجعية المتحالفة معه والعمل على التقدم الاجتماعى فى طريق الاشتراكية .**

ــ ١٨ ــ

ومن متابعة الاحداث والمناقشات فى الوطن العربى نستطيع ان نقرر فى اطمئنان ان طريق الجبهة هو الاتجاه الذى يحظى باقتناع شبه اجماعى اليوم من جميع القوى التقدمية فى الوطن العربى . وتصبح مسئوليتنا بالتالى هى الدخول الى مرحلة العمل والتنفيذ وبدء الجهود العملية فى صياغة الجبهة صياغة واقعية فعالة .. وهنا يجب ان ننوه بالمسئولية الخاصة التى تقع اساسا على عاتق الاحزاب والتنظيمات التقدمية الحاكمة لتمهيد الارض واخذ زمام المبادرة لاقامة بناء الجبهة بأسرع وقت ممكن ، ولعل هذا يقتضى اول ما يقتضى تدعيم الجبهات التقدمية الداخلية فى اقطارها وفى التفرقة بين ممارسة الدولة لمسئولياتها المحدودة بالعلاقات الدولية والدبلوماسية وبين ممارسة التنظيمات والاحزاب التقدمية فيها لمسئولياتها الثورية دون حدود وفى اجراء الاتصالات واللقاءات مع جميع الاحزاب والتنظيمات التقدمية الاخرى فى جميع انحاء الوطن العربى دون استثناء بهدف الوصول الى برنامج للجبهة الموحدة والقواعد التنظيمية الرئيسية لها .

ولست اشك فى ان ندوتنا هذه هى خطوة اولى وهامة فى هذا السبيل وعلينا ان نترجمها عمليا الى اقتراحات محددة بالنسبة للبرنامج وطرق وأساليب الصياغة الرئيسية للجبهة نتقدم بها الى جميع التنظيمات والاحزاب التقدمية فى وطننا العربى بدعوة لمناقشتها حول مائدة مستديرة فيما بينها .

ان الزمن لا يمهلنا .. والمعركة التى يشتد اوارها من اجل مصير وطننا بدرجة لم يسبق لها مثيل لم تعد تحتمل البطء والدوران فى مناقشات نظرية لا تنتهى .

ان التاريخ يضعنا بدون حواجز وجها لوجه امام مسئولية واضحة وضوح الشمس لا مجال معها الا الاختيار الحاسم والسريع والفعال بين وحدة قوانا التقدمية بالصياغة الملائمة والواقعية او التفكك والبعثرة والضياع فى متاهات .

---

(٥) راجع نص الحديث المنشور بالطليعة (العدد الخامس من السنة الثالثة) مايو ١٩٦٧ .
(٦) راجع الحوار مع على صبرى المنشور بالاهرام بتاريخ ٢٦ ابريل سنة ١٩٦٧ .

التنظيم السياسى والديمقراطية

فى مجتمع متخلف يسير نحو الاشتراكية



محمد سيد أحمد

أن اشكال التنظيم السياسى ، والقوى الاجتماعية التى تحتويها، ومدلول الديموقراطية التى تعبر عنه . عوامل ترتهن كلها بطبيعة المرحلة الثورية واهدافها . كما ترتبط بالظروف النوعية الخاصة للثورة فى كل مكان .

وقد شهدت المرحلة الاخيرة تفاقما للصراع الوطنى والاجتماعى على نطاق العالم العربى باسره . واثبتت قوى الرجعية العربية كفاءة فى تنسيق خططها رغم تباين مواقعها بصورة تفرض على قوى التقدم بلوغ نفس القدر من الكفاءة بل وتجاوزها . ومن هنا . اصبح شعار « **وحدة القوى الثورية العربية** » شعار الساعة . وكى يتحول الشعار الى واقع مجسد لايكفى مجرد ترديده حماسيا . بل يجب أيجاد وسائل تطبيقه على الواقع العربى المتحرك . وتذليل العقبات التى اعترضت الى الان تنفيذه على افضل صورة ، وتحديد اشكال التنظيم السياسى التى تحقق تعبئة كل القوى المناصرة للحل الاشتراكى والتقدم الاجتماعى فى ضوء مقتضيات المعركة الموضوعية .

ويستهدف هذا العرض طرح الارضية التى ينهض عليها تجمع القوى الثورية العربية . انطلاقا من القضايا العامة التى تواجه التنظيم السياسى فى مجتمعات نامية تنطلق من مواقع متخلفة ، وتسعى الى بناء الاشتراكية ، مع تركيز خاص على المشاكل النوعية التى تثيرها قضية التخلف ، وسبل مواجهتها وعلاجها .

١ ــ طبيعة سيطرة الاستعمار على المجتمعات الاستعمارية والمجتمعات المستعمرة

ان ظاهرة « الاستعمار » التى اخذت ملامحها تتحدد ابتداء من العقد السابع فى القرن الماضى، لتصبح أبرز ظاهرة ميزت العصر . وجدت أبلغ تعبير عنها فى سيطرة الاحتكارات الاستعمارية فى مالا يزيد عن عشر دول رأسمالية متقدمة ، على مقدرات معظم مجتمعات وشعوب العالم . ويختلف الاستعمار عن التطور الرأسمالى السابق عليه فى انه نشاط رأس المال ، وسعيه الى اكبر قدر من الارباح ، لم يعد يقتصر على المجتمع الذى انبثق منه فى الاصل ــ بفعل تطوره الاقتصادى الداخلى ــ بل اخذ يستشرى ليعم ارجاء الكون الاخرى الاقل تطورا ».

ولكن ثمة تمييز تجدر الاشارة اليه عند مقارنة طبيعة سيطرة هذه الاحتكارات فى البلدان الاستعمارية وفى البلدان المستعمرة . يمكن اجماله فى الآتى :

أولا ــ سيطرة الاحتكارات فى البلدان الاستعمارية عملية انبثقت من داخل المجتمع كنتاج للتطور الاقتصادى فى المجتمعات الرأسمالية المتقدمة الى « ارقى » مراحلها ، نشأت بفعل قوة البناء الاقتصادى التحتى للمجتمع ، وبحكم طبيعة علاقاته الراسمالية كنتيجة ضرورية لبلوغها حدا معينا من التطور . لكن كانت سيطرة الاحتكارات الاستعمارية فى البلدان المستعمرة عملية مستوردة من خارج المجتمع . فرضت عليه لا بقوة التطور الاقتصادى الداخلى ، ولكن بفعل القهر المجرد من الخارج عن طريق الغزو العسكرى ، وقهر الكيان القومى ».

ثانيا ــ بروز سيطرة الاحتكارات ، كان نتاج اكبر قدر ممكن من التطور الاقتصادى والاجتماعى الرأسمالى . وكان من شأنه الافضاء الى المزيد من التطور . بينما عملت سيطرة الاحتكارات فى البلدان المستعمرة على الحد من التطور الاقتصادى والاجتماعى الى اقصى درجة ممكنة ». كان من شأن سيطرة الاحتكارات الاستعمارية عالميا زيادة الاستقطاب بروزا بين ((**التقدم**)) فى البلدان الاستعمارية و ((**التخلف**)) فى البلدان المستعمرة ».

ثالثا ــ و « التقدم » الرأسمالى فى البلدان الاستعمارية كان يعنى بدوره تأكيد الاستقطاب الطبقى داخل هذه المجتمعات ». وتفاقم صراع الطبقات بين الرأسمالية الاحتكارية من جانب ، والطبقة العاملة الصناعية من الجانب الاخر ». مع تحدد مواقع وملامح الطبقات والفئات ».

٢ ــ الاستعمار الجديد يكسب قضية الاشتراكية ابعادا جديدة

ولكن تغييرا اساسيا طرأ على التوازنات الدولية بعد ان انجز عدد من البلاد ثوراتها الاشتراكية . وانطلقت فى طريق بناء مجتمع يستهدف وضع حد لاستغلال الانسان للانسان . لقد افقد ظهور المجتمعات الاشتراكية انفراد الاحتكارات الاستعمارية بالتحكم فى مقدرات الشعوب . واوجد طرفا ثالثا على مسرح السياسة الدولية . اختلف جوهريا عن قطب الاستعمار . وادخل اختلالا بينا على العلاقة العضوية التى استقرت بينه وبين قطب التخلف فى عالم المستعمرات .

واذا كانت اسنح الظروف لانجاز الاشتراكية هى اكثر الدول الرأسمالية تطورا ». لانها تنضج قبل غيرها الاستقطاب الاجتماعى الضرورى للتحول الاشتراكى . الا ان الاستعمار هيأ لاندلاع الثورة بلدانا معينة بالذات فى لحظات تاريخية محددة . لقد مثلت تلك البلدان فى هذه اللحظات اضعف حلقة فى جبهة الاستعمار العالمى ». وذلك بأن تلاقت عندها وتضافرت تناقضات متباينة ومتنوعة الطبيعة . بلغت حد الانفجار ». وبتوافر عدد من الظروف الذاتية . سمحت بالاستفادة من الظروف الموضوعية المواتية . نجح عدد من هذه البلدان فى ان يؤدى بمكونات السيطرة الاستعمارية . وان يفتح لنفسه ثغرة ، افسحت المجال للانطلاق الاشتراكى ».

ولم تكن مهمة اقامة الاشتراكية فى معظم هذه الدول بالمهمة الهينة ، لا لمجرد ان الاستعمار ركز جهودا خارقة على محاصرة وملاحقة التجارب الوليدة . وتخريب منجزاتها بكل ما اوتيت له من قوة . ولكن ايضا لان توافر الظروف للافلات من قبضة الاستعمار لم يكن يعنى بالتبعية توافر الظروف لبناء الاشتراكية . وينبغى التسليم بأن بعض المآخذ التى سجلت على التجربة السوفييتية . والصعاب التى اعترضت عمليات البناء التى حالت ــ على سبيل المثال ــ دون التزامها دائما بقواعد الديموقراطية الاشتراكية، ومبادىء الشرعية الاشتراكية ، لم تكن تمليها فقط ضرورة الاحتماء باجراءات طوارىء استثنائية

لتأمين مكاسب الثورة ضد اعدائها الطبقيين فى الخارج والداخل . وانما عكست فى الوقت ذاته قصوراً فى التركيب الاجتماعى للمجتمع ، وسيادة العنصر الفلاحى ، وفكرية البرجوازية الصغيرة المنافية لمتطلبات الاشتراكية، والمنتشرة فىقطاعات مختلفة من المجتمع . وما كان ينطبق على المجتمع السوفيتى فى العقود الاولى من الثورة ينطبق من باب اولى على بعض التجارب الماثلة فى آسيا . ولكن الانتصارات الحاسمة التى احرزتها الثورة السوفيتية فى ارساء دعائم المجتمع الجديد ، والتحول فى نصف قرن من دولة متخلفة الى ثانى دولة صناعية فى العالم . على الرغم من اوجه القصور هذه .. اثبتت بما لايترك مجالا للجدل صحة النظرية القائلة بأن عدم توافر الظروف المثلى للانطلاق فى طريق الاشتراكية ، لايبرر بحال من الاحوال الامساك عن الانطلاق الثورى ، وارجاء خوض التجربة . فليس هذا سوى تسليم لسيطرة الاستعمار رغمتوافر فرص الاجهاز عليه فى مواقع محددة من العالم .

ان هذه الظروف فى مجموعها وغيرها اجبرت الاحتكارات الاستعمارية العالمية على اعادة النظر فى مخططها السابق حيال المستعمرات . لم تعد قوة القهر العسكرية تصلح كسلاح رئيسى فى مواجهة انتفاضة الشعوب . واتجه الاستعمار الى ان يستبدل الاحتلال السافر وغيره مناشكال السيطرة العسكرية بقوة « الروابط الاقتصادية الرأسمالية » الخفية كأفضل وسيلة تلائم مقتضيات العصر للاحتفاظ بجوهر سيطرته التقليدية . وفى هذا يكمن اساس « الاستعمار الجديد » . وهكذا نرى ان الاستعمار الجديد وان كان « رد فعل » لهزيمة الاستعمارفى صورته التقليدية امام انتفاضة الشعوب . الا انه يتسم فى الوقت ذاته بصفات تميزه ، ويسمح بقدر يختلف مداه للانتعاش الرأسمالى . ويلفتالنظر لحقائق لايجب التهوين منها .

فاكتساب «السيادةالسياسية» ليسفىحد ذاته انهاء لسيطرة الاستعمار ، وان كان يشكل شرطا ضروريا — وان لم يكن كافيا — لتحقيق الاستقلال الحق . ان « منح » السيادة السياسية يمكن فى بعض الظروف ان يشكل بداية لعلاقة تبعية من نوع جديد حيال الاستعمار ، لا تستند الىقوة الاحتلال العسكرى . والحرمان من الكيان السياسى . والحق الشكلى فى تقرير المصير . ولكن الى دوافعاخرىاساسها سيطرة الاستعمار على المراكز الحيوية فى الاقتصاد القومى . واسهامه فى اعادة تشكيله بصورة تؤكد هيمنته عليه،وتحول دون تحوله الى طريق يكفل لجماهير الشعب الاستحواذ على مصادر الثروة القومية .

وجنى ثمرات كدها ونضالها . (لذلك اسهم الاستعمار طواعية بمنح الاستقلال لبعض المستعمرات السابقة . مفضلا هذا الحل على التعسف فى التمسك بمراكزه السابقة المهددة ، لعل هذا يطلق اساسا لعلاقة جديدة تكفل لنفوذه البقاء مدة اطول) .

والاستقلال السياسى . حقيقة ذات مدلول نسبى . يشترط لتدعيمه تدعيم « الاستقلال الاقتصادى » والظروف السابقة الذكر . وان كانت مواتية لنيل «الاستقلالالسياسى» واعلانه، فهى ليست مواتية بنفسالقدر لتحقيق«الاستقلال الاقتصادى » . فسياسة الاستعمار التقليدية فى نهب ثروات المستعمرات،مع احتفاظه داخل حدود الدولة الاستعمارية الام بمواقع استثمار هذه الثروات المنهوبة . وحرصه على الاحتفاظ بعلاقات التخلف فى المستعمرات الى اقصى درجة ممكنة ، حالت دون توفير الكادر الفنى . ورؤوس الاموال المحلية الضرورية ، لاطلاق عمليات التنمية الاقتصادية ، اى حالت دون انشاء الثروة البشريةوالماديةاللازمة للنهوضبالاقتصاد القومى، ورغم ان الدول الاشتراكية قد بلغت من القوة ماسمح لها ابتداء من الخمسينات.بتقديم معونات اقتصادية وفنية للبلدان النامية الحديثة الاستقلال — وان تسهم بدور ملحوظفىتصنيع هذه البلدان. وارساء اسس اقتصادها المستقل . الا ان هذه المعونات ايا كانت،فهى لاتستطيع ان تتجاوز حدا معينا . ولا تستطيع ان تعوض وحدها التخلف الشديد الذى استبقاه الاستعمار .

وكل هذه العوامل مواتية لاستراتيجية « الاستعمار الجديد . واحلال قوة الروابط الاقتصادية الرأسمالية محل روابط التبعية القانونية المعززة بقوة الاحتلال والسلاح فقد انطلق الاستعمار بعد ان اتسمت معوناته بطابع عسكرى فى المقام الاول (الربط بأحلاف — اقامة قواعد — الخ ...) نحو « معونات » اقتصادية تستهدف استكشاف امكانيات التوسع فى الاستثمارات داخل البلدان الحديثة الاستقلال، والعمل على تنمية الرأسمالية المحلية وتكوين فئة اجتماعية محلية يستند اليها. وترحيلعمليات « الاستغلال » التى كان يوطنها من قبل — بوجه خاص — داخل البلدان الاستعمارية نفسها ، الى البلدان النامية كوسيلة لربطها بالاقتصاد الرأسمالى العالمى . والاحتفاظ بها داخل اطاره، كما يستخدم الاستعمار ديون وعوائد وفوائد القروض والتسهيلات الائتمانية. وشروط التجارة الدولية غير المتكافئة . وارتفاع المنتجات المصنعة مع هبوط اسعار المواد الخام . للتحكم — بشكل

غير مباشر — وبصورة قد توحي بأنها لاتمس السيادة القومية — في اقتصاديات البلدان الناشئة وتشكيلها وفقا لمصالحه . كما تلجأ الاحتكارات الاستعمارية الى صور مبتكرة من الهيمنة الاستعمارية تبدو مما تتقدم به من لافتات كأنما هي مجرد اشكال من التعاون الاقتصادي «مثل» « السوق الاوربية المشتركة » . ومجموعة الكومنولث » والى وسطاء تبدو كأنما هي تنتسب الى مجموعة الدول النامية بينما هي جزء لا يتجزأ من الكيان الاستعماري مثل اسرائيل . والى اشكال اخرى من الاستعمار الجماعي » .

ان هذه الحقائق وان كان من شأنها ان تبدد عددا من التصورات التي سادت حركات التحرير في بداية الستينات ، بعد نيل معظم المستعمرات استقلالها . الا انه لا ينبغي بحال التقليل من الاهمية التاريخية لانهيار النظام الاستعماري في صورته التقليدية ، وتفتح عصر جديد في العلاقات الدولية وافساح المجال أمام عدد من الدول النامية كي تفلت تماما من السيطرة الاستعمارية . ان مقتضيات العصر قد فرضت على الاستعمار ضرورة التخلي عن معظم اساليب قمعه الوحشي ونهبه المخزي للمستعمرات . واجبرته على ان ينتهج سياسة ليس من السهل الجمع بينها وبين الاحتفاظ بالدول النامية في ابشع اشكال التخلف. اصبح سلاحه الرئيسي للاحتفاظ بمراكز الهيمنة على اقتصاديات هذه البلدان ، هو دفعها الى انتهاج طريق الرأسمالية . وتطوير علاقات الانتاج السلعي . الامر الذي ينسف في الصميم مقومات سياسة الاستعمار التقليدية . ويقضي تدريجيا على العلاقات الاجتماعية المتخلفة . ويجر هذه البلدان الى الاستقطابات الطبقية الحديثة ، ويهيء الظروف لاستيعابها داخل اطار المدنية العصرية ».

٣ — قضية الاشتراكية — في المجتمعات المتخلفة والمجتمعات الرأسمالية المتطورة

فقضية الاشتراكية — في البلدان النامية — المنطلقة من مواقع متخلفة ، تختلف كثيرا عنها في البلدان الاستعمارية المتقدمة . ويكفي للتقليل على ذلك ان نشير الى الآتي :

اولا — الثورة الاشتراكية ليست موجهة ضد الاستعمار فحسب . بل ضد الرأسمالية كذلك . وهناك في البلدان الاستعمارية المتقدمة تطابق تام بين العداء المتسق للاستعمار ، وتعبيره المحلي (الاحتكارات الاستعمارية) ، وبين العداء للرأسمالية . ولكن الامر يختلف في البلدان المتخلفة . وذلك لان العداء للاستعمار فيها لايتطابق مع العداء للرأسمالية ولا يفترضه بالحتم ابتداء . فالاستعمار هو الشكل الارقى للرأسمالية في البلدان الرأسمالية المتقدمة . ويشكل معها كيانا واحدا . ولكنه في البلدان المتخلفة كيان مفروض على المجتمع من خارجه وهو يجمع في مواجهته عداء كل القوى الداخلية التي يكبت حريتها . بما في ذلك اجزاء من الرأسمالية المحلية . وهذه الرأسمالية الوطنية تستطيع ان تسهم بدور فعال في التحرر من الاستعمار . وقد تقود النضال ضده في مراحل معينة من الثورة الوطنية . ولذلك لايجوز في حال من الاحوال اعتبارها — ابتداء — جزءا لا يتجزأ من الكيان الاستعماري .

ثانيا — يصحب التقدم الناجم عن بلوغ الرأسمالية مرحلة الاستعمار ، استقطاب للطبقات يبلور ملامحها والفواصل بينها ، بمزيد من الدقة والوضوح . ويتأكد الطابع الطفيلي للرأسمالية الاحتكارية مع زيادة تركيز هيمنتها على قطاعات الانتاج الحيوية . ويزداد البون إتساعا بين ملكية الاحتكارات لوسائل الانتاج الرئيسية . وبين الطابع الاجتماعي للعمل . وتكتسب الطبقة العاملة الصناعية اهمية متعاظمة في كيان المجتمع ووعيا بهذا المركز وبامكانياتها وطاقاتها الكامنة . ويقضي الاستقطاب الاجتماعي الى بلورة طلائع الطبقات المتمايزة في احزاب وتجمعات سياسية. وتتهيأ الظروف الموضوعية لانتظامها في جبهة عريضة ، تنجذب مع زيادة عزل الاحتكارات اجتماعيا الى محور الحزب الثوري للطبقة العاملة بدرجات متفاوتة ، وتنضج قضية ازاحة سلطة الاحتكارات ، سند الكيان الرأسمالي كله ، والانعطاف ديموقراطيا نحو الاشتراكية .

ورغم ان السبيل الوحيد لتجنيب البلدان النامية الام وويلات الطريق الرأسمالي — الذي لايحل في الجوهر قضية تخلفها إزاء البلدان المتقدمة — هو طريق الاشتراكية ، وهو طريق يتحتم على هذه البلدان المتخلفة انتهاجه لمواجهة تحديات العصر ، واللحاق بالبلدان المتقدمة في اقصر وقت مستطاع . ومع ذلك ، لا تتوافر لديها في اغلب الاحوال ، لا الشروط الذاتية ولا الشروط الموضوعية لانتهاج هذا الطريق ، بمقتضى الانماط التقليدية .

فعنصر « التخلف » حال دون استقطاب المجتمع الى طبقاته الحديثة . وافضى الى بقاء العلاقات الاجتماعية السابقة على الرأسمالية سائدة بانعكاساتها الفكرية وتقاليدها واساليب

عملها في احوال كثيرة . ويصعب بناء تشكيلات سياسية مستوحاة من انماطها في البلدان الراسمالية المتقدمة . دون ان تتأثر بالصراع الاجتماعي الواقعي ، الناجم عن ظروف « التخلف » .»

ولكن هل يعني ذلك ان الطريق الى الاشتراكية مسدود ؟

وطرح هذا السؤال يعني : **هل ينبغي التسليم بحتمية انتصار « الاستعمار الجديد » ؟** ان « الاستعمار الجديد » لم ير النور الا نتيجة لهزيمته ، هزيمة « الاستعمار القديم » واساليبه البشعة في وجه انتفاضة الشعوب . والشعوب التي ابتدعت اساليب نضال فعالة لهدم كيان «الاستعمار القديم» لن تنقصها الفطنة ولا القدرة على اكتشاف اساليب نضال مبتكرة وملائمة لمواجهة العدو الجديد . واذا امكن لمجموعة من البلدان ان تشق عصا الطاعة على كيان الاستعمار العالمي ، رغم الصعاب التي صادفتها ، في ظروف لم يكن يوجد فيها كيان اشتراكي قادر على حمايتها فلا يجوز القول باستحالة انسلاخ مجموعة اخرى من البلاد في الظروف الجديدة ، وقد اصبح للاشتراكية كيان مترامي الاطراف قادر على التأثير بصورة فعالة في مجريات الامور العالمية .»

وقد اتجه فريق هام من الاقتصاديين الماركسيين الى اطلاق مصطلح « الطريق غير الرأسمالي » على الطريق المتفتح امام البلدان النامية التي قررت نبذ طريق الرأسمالية . ورفضت التبعية للاستعمار الجديد ، دون ان تكون قد اكتسبت بعد كل شروط وملامح البناء الاشتراكي . وليس هذا الطريق « بالطريق الثالث » في نظرهم ولكنه يشكل مرحلة انتقالية قد تطول لبضعة عقود ، وتهيىء الظروف للتنمية الاشتراكية .»

ثالثا — ان العنصر المحرك لاطلاق الثورة الاشتراكية في البلدان الرأسمالية والاستعمارية المتقدمة هو العنصر الاجتماعي والطبقي قبل ان يكون العنصر الوطني والقومي . صحيح ان الصراع الشرس بين الاحتكارات ، وسيطرة الدول الاستعمارية الاقوى على مصائر الدول الاستعمارية والرأسمالية المتقدمة الاضعف ، وزيادة عوامل الاستقطاب عمقا وبلورة ، حتى داخل معسكر الاستعمار العالمي ، من جراء الثورة التكنولوجية المعاصرة وغيرها من العوامل الاقتصادية والفنية ، صحيح ان كل هذه العوامل تعيد طرح القضية الوطنية في صور بلغت حد تصدع بعض الاحلاف (انسحاب فرنسا من حلف الاطلنطي — اوربا في مواجهة امريكا — الخ ...) وتسهم هذه الظواهر في تغذية الجبهة الديموقراطية المعادية للاحتكار بقوى تحركها دوافع قومية .» ولكن العنصر الحاسم في استهداف عزل الاحتكارات، والتحول الاجتماعي الى الاشتراكية ، هو تفاقم الصراع الطبقي وزيادة الاستقطاب الاجتماعي بلورة وتوترا واستحالة ازالة عوامل الصدام الداخلي الا بالاشتراكية .

ولكن العنصر المحرك لاطلاق الثورة الاشتراكية في البلدان النامية ، هو العنصر الوطني والقومي قبل ان يكون العنصر الاجتماعي واستقطاب المجتمع الى طبقات متعارضة بعد ازالة سلطة الطبقات القديمة سند الاستعمار . تبدو الثورة الاشتراكية كأنما هي ضرورة ملازمة ومتلاحمة مع الثورة الوطنية . وهي التي تكفل لها الاستمرار ، وصون وتدعيم وتعميق المنجزات الوطنية في وجه مخططات الاستعمار الجديد ، وضغوطه المتواصلة بأساليب مبتكرة لاسترداد مراكزه المفقودة .» والرأسمالية المحلية قد تكون عنصر عداء للاستعمار القديم ، لانه بحفاظه على التخلف يكبت حريتها وامكانيات نموها ، ولكنها تستطيع ان تصبح حليفا للاستعمار الجديد ، بل سنده — الرئيسي داخل المجتمع مالم تستوعب داخل تحالف قوى الشعب العاملة ، وما لم تجد في خدمة هذا التحالف مايحقق مصالحها بصورة افضل من الارتباط بمخططات الاستعمار الجديد . ولا سبيل لحسم هذا الموقف الا بانشاء قطاع عام لتأمين وتثبيت مكاسب الثورة الوطنية . واستثمارها بصورة اكفأ من القطاع الخاص . مطلقا بذلك للثورة الوطنية ابعادها الاجتماعية والاشتراكية.»

وهكذا يتضح ان هناك فروقا هامة تواجه قضية بناء الاشتراكية في البلدان النامية والبلدان الرأسمالية المتطورة :

في البلدان الرأسمالية المتطورة :

- العداء للاستعمار يتطابق مع العداء للرأسمالية
- شروط الاشتراكية ناضجة لبلوغ الاستقطاب الاجتماعي الرأسمالي مداه .»
- الحل الاشتراكي ضرورة لاسباب طبقية قبل ان تكون اسبابها وطنية .»

في البلدان النامية :

- العداء للاستعمار لا يتطابق مع العداء للرأسمالية .»
- شروط الاشتراكية غير ناضجة لتخلف علاقات الانتاج الرأسمالية . وسيادة علاقات موروثة من نظم اجتماعية سابقة دعمها الاستعمار .»

● الحل الاشتراكى ضرورة لاسباب وطنية قبل ان تكون اسبابها طبقية .

٤ ــ تطور القوى السياسية فى الوطن العربى

ربما كانت المنطقة العربية من اكثر مناطق « العالم الثالث » تأثرا بالتغييرات التى شهدتها التوازنات الدولية خلال ربع القرن الماضى . فرغم ان الاشتراكية قد تحولت الى قوة دولية بانتصار ثورة اكتوبر فى روسيا فى اعقاب الحرب العالمية الاولى ، الا ان الاستعمار قد نجح فى ان يحول دون تأثير هذا الحدث الهام فى الاساس بسيطرته على هذه المنطقة ، حتى الحرب العالمية الثانية . لقد احتفظ من القوة ماسمح له بكبت مفعول هبات الشعوب العربية وثوراتها الوطنية ، مستفيدا من ظروف التخلف التى فرضها على معظم البلدان العربية . فقد بقيت الطبقة العاملة محدودة من الوجهة العددية وضعيفة سياسيا وتنظيميا . واستطاع الاستعمار بفضل النظم الرجعية التى اقامها ان يقمع بقوة تطلعات الاحزاب السياسية الحديثة التكوين والحركة النقابية الناشئة الى تحقيق اهدافها الوطنية والاجتماعية وبقى الفلاحون الذين يشكلون جيش الثورة الرئيسى ، فى عزلة عن هذه الحركة نظرا لان البرجوازية الوطنية التى كانت تضطلع بالدور القيادى فيها ، لم تكن تبذل اى جهد خاص لحل المشكلة الزراعية بصورة ترضى مصالح الفلاحين . وكانت تنقص البرجوازية الصغيرة فى المدن الوعى السياسى وعناصر التنظيم اللازمة للانطلاق بحركة الثورة الى ابعاد فعالة . ولم يتسم الترابط بين البلدان العربية ، وتضامنها فى النضال المشترك .. بصلات يكسبهما طابع الثبات .

واستمرت بريطانيا وفرنسا فى تقاسم سيطرتهما على العالم العربى . باستثناء ليبيا التى غزتها ايطاليا . ورغم ان مصر دون غيرها من البلدان العربية اكتسبت الاعتراف بسيادتها الدولية فى اعقاب ثورة ١٩١٩ (بتصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢) الا ان هذه السيادة كانت مقرونة بشروط افقدتها محتواها . واكتسبت بريطانيا ــ بمقتضى معاهدة ١٩٣٦ ــ اعترافا من الجانب المصرى بشرعية احتلالها العسكرى . ويمكن بوجه عام ان يقال ان العالم العربى فى مجمله كان يخضع لهذا النمط او ذاك من سيطرة الاستعمار القديم .

ولم تكن الحركة الوطنية تخرج فى خطوطها العريضة من اسلوب بعض الاقطاعيين والبرجوازية الوطنية الناشئة والضعيفة . فى محاولة استغلال التناقضات داخل معسكر الدول الاستعمارية للحصول على بعض الحقوق . ورغم ان العقدين اللذين تليا ثورة اكتوبر شهدا نشأة عدد من الاحزاب الشيوعية فى العالم العربى ــ كانت صدى لانتصار اول ثورة اشتراكية فى العالم . وفى بلدان عربية تتبع السيطرة الفرنسية قبل السيطرة البريطانية (سوريا ــ لبنان ــ المغرب العربى ــ وكلها تتبع فرنسا . باستثناء العراق الخاضعة للنفوذ البريطانى وكانت اقرب البلاد العربية الى الحدود السوفيتية) . الا ان الاستعمار قد نجح فى غرس روح الخوف من الشيوعية لدى قطاع عريض من القوى القومية وكانت الاحزاب الوطنية هى اول من تصدت لقمعها ــ حل الوفد الحزب الشيوعى المصرى بعد اضرابات الاسكندرية فى ١٩٢٤) .

وكما لجأت القوى القومية المستنيرة فى بداية القرن الى فرنسا وتركيا لمناهضة السيطرة البريطانية فى مصر . والى بريطانيا لمناهضة سيطرة الاتراك فى المشرق العربى . انجذب فريق من القوى الوطنية الى « المحور » كقوة قادرة على ضرب السيطرة البريطانية بعد تعاظم مركزه الدولى فى الثلاثينيات وظهور اتجاهاته التوسعية . وتباينت القوى التى انجذبت نحو المحور ، من اقصى الرجعية العربية المتطلعة الى سيد جديد .. الى اتجاهات قومية من اصول برجوازية صغيرة وجدت فى دعاية المحور واساليبها ما يتجاوب مع اساليبها هى فى انجاز تطلعاتها الوطنية (عزيز المصرى فى مصر ــ رشيد عالى الكيلانى فى العراق) .

ولقد لعبت الحرب العالمية الثانية دورا كبيرا فى اطلاق حركة التحرر العربى . واكسابها ابعادا جديدة . كان عدد من بلدان المشرق والمغرب العربى ميدانا لعملياتها العسكرية . وكان لاقتصاد الحرب دوره فى تطوير بعض الصناعات ونظم المواصلات . وفى زيادة عدد افراد الطبقة العاملة وتنمية وعيها . وفى تطوير تنظيماتها السياسية والنقابية . واكتسبت البرجوازية الوطنية قوة جديدة . ونشأت احزاب للبرجوازية الصغيرة .

وقد شهدت الحرب العالمية الثانية ، والانتصار على الفاشية . تعاظما لدور الاتحاد السوفيتى والمعسكر الاشتراكى على مسرح الاحداث العالمية ، وبدأ تسرب نفوذ الاستعمار الامريكى الى المنطقة العربية . وانطلقت حركة التحرير العربى عقب الحرب مباشرة بقوة لم يسبق لها مثيل . وحققت انتصاراتها الاولى بكسب سوريا ولبنان استقلالهما السياسى . واضطرار فرنسا وبريطانيا على سحب قواتهما المسلحة . وبقيت كل محاولاتهما

للاحتفاظ بقواعد عسكرية وامتيازات اخرى بدون جدوى. وكان هذا النصر تعبيرا عن علاقات القوى الجديدة في العالم . واخذت حركة التحرير العربية تتسع تدريجيا لتشمل المنطقة العربية بأسرها . ولجأ الاستعمار الى اساليب جديدة لمقاومتها . كان ابرزها تفجير مأساة فلسطين بزرع دولة اسرائيل في قلب الشرق العربي، كقاعدة امامية للتحرش والعدوان . ولكن تأميم قناة السويس ورد العدوان الثلاثي على مصر دفعت بحركة التحرير العربية خطوة اخرى الى الامام وكشفت عن تدعم الروابط بينها وبين قوى الاشتراكية في العالم وعلى رأسها الاتحاد السوفيتي . ومثلت نقطة تحول خطيرة في حركات التحرير على اتساع العالم العربي كله بل وقارة افريقيا بأسرها ، وتوجت بعد سنوات معدودة بانتصار ثورة الجزائر ، فانفجار ثورة اليمن .

ان كل هذه التحولات قد ادخلت تغييرات جذرية على خريطة العالم العربي . انهارت النظم الاستعمارية السابقة . ونالت معظم البلدان العربية سيادتها القومية . ولم يبق سوى جزء ضئيل من الاراضي العربية مازال يخضع لحكم الاستعمار المباشر . وبينما ينطلق الثوار في عمان والبحرين وعدن لنسف آخر قلاع للاستعمار البريطاني على نطاق العالم العربي كله . استطاعت بلدان عربية ثلاثة . هي الجمهورية العربية المتحدة وسوريا والجزائر — بعدد من السكان يبلغ نصف سكان الامة العربية بأسرها — ان تبلغ من حركة التحرير حدا سمح لها بنبذ طريق التطور الرأسمالي . وان تنطلق في طريق للتحول الاجتماعي يفضي الى الاشتراكية .

ولكن هذه الانتصارات التي احرزتها الشعوب العربية ضد الاستعمار عمقت من التناقضات بينها وبين الاحتكارات الاستعمارية العالمية . ان العالم العربي بسكانه الذي يبلغ ٩٠ مليونا . وثروته الهائلة من النفط ، يحتل مكانا بارزا في الاقتصاد الرأسمالي العالمي . وفي مخططات الاستعمار الاستراتيجية وهي مواقع لايمكن للاستعمار ان يفرط فيها . ولذلك نشهد تفاقما لمؤامراته بهدف النيل من منجزات الثورة العربية واسترداد مراكزه المفقودة . وصون سيطرته على مصادر النفط . وتتخذ هذه المؤامرات اشكالا واساليب متنوعة . منها الانقلاب من الداخل والتهديد بالتدخل او التدخل فعلا من الخارج (كما حدث اثناء العدوان الثلاثي . وضد الاردن ولبنان ١٩٥٨ او ضد الجمهورية العربية اليمنية بعد اندلاع الثورة) . ويحتفظ الاستعمار بقواعد عسكرية في المغرب وليبيا وعدن والسعودية . ويرابط الاسطول السادس الامريكي في مواجهة السواحل العربية بالبحر الابيض المتوسط . وتختص اسرائيل بدور خاص في هذه المؤامرات كقاعدة امامية للعدوان والتوتر والتهديد بالتدخل في كل لحظة واخيرا اصبح « الحلف الاسلامي » الطبعة الاخيرة لمحاولات الاستعمار المتكررة من اجل سلب حرية الشعوب العربية . بربطها بحلف مركزي يخضعها لهيمنته . وتسند هذه المؤامرات المتنوعة — ضغوطه الاقتصادية . ومختلف سبل الاستعمار الجديد لزلزلة القواعد الاقتصادية للبلدان العربية المتحررة . ومنعها من الانطلاق في طريق التحول المستقل .

وهكذا نرى ان حركة التحرير العربية انطلقت ابتداء من الواقع الاجتماعية . التي شكلها وكيفها الاستعمار والتي اتسمت بقدر غير قليل من التخلف . رغم بدء ظهور التمايزات الطبقية . وقد تباين دور ومركز الفئات الاجتماعية المختلفة في حركة التحرير ، ومن بلد الى آخر ومن مرحلة الى اخرى . ولكن يمكن من جملة تجربة الثورة العربية ، تحديد بعض الخصائص العامة :

اولا — **البرجوازية الوطنية:** لقد ابتت البرجوازية الوطنية العربية بشكل عام ، رغم انها لم تستنفد بعد كل طاقاتها الثورية. انها لاتستطيع ان تواصل قيادة الثورة الوطنية ، او ان تجد حلولا ملائمة لمشاكلها الحيوية . ويرجع ذلك الى اسباب كثيرة منها طابعها المزدوج . وروحها التجارية وارتباطاتها الوثيقة بملاك الارض ، وعلاقات الانتاج شبه الاقطاعية .

ففي سوريا مثلا . وصلت البرجوازية الوطنية الى السلطة بعد نيل الاستقلال وانجزت عددا من الاصلاحات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية . الا ان كل هذه الاصلاحات كانت تستهدف في المقام الاول خدمة مصالح الطبقات المالكة او تدعيم وتطوير كيان الرأسمالية . وحرصت على ان لا تتخذ اجراءات من شأنها المساس بمصالح العائلات الاقطاعية بل افسحت لها فرصة تدعيم ثروتها وهيمنتها على الحياة الاقتصادية والسياسية، وحاولت هذه الفئات الرجعية بالاستناد الى العناصر اليمينية في الجيش والحياة المدنية — ان تلغي الحقوق الديموقراطية المحدودة التي كان يتمتع بها الشعب ، وان تفسد كل حركة من اجل التقدم الاجتماعي . وتآمرت من اجل توريط سوريا في مشروعات استعمارية مثل مشروع «سوريا الكبرى » و « الهلال الخصيب » .

ولم يكن بغريب بعد ذلك ان توقفت فجأة وفي فترة وجيزة . الرخاء والاستقرار النسبي وتلتها مرحلة من الازمات السياسية والاقتصادية

المتلاحقة . تمثلت في سلسلة من الانقلابات العسكرية والتقلبات المتعاقبة في الحكومة، الامر الذي اوصل سوريا في اكثر من مناسبة الى شفا الكارثة ، وافضى هذا الوضع الى تفاقم وتعميق التناقضات الاجتماعية ، والى تعاظم دور ومركز القوى الديمقراطية والتقدمية المناضلة باصرار من اجل وضع حد لمؤامرات الدول الاستعمارية والقوى اليمينية المتطرفة ، وصون وتدعيم استقلال سوريا . ولكن رغم تصاعد مركز القوى الديموقراطية كان لابد من انتظار اجراءات يوليو ١٩٦١ ، ثم بعد انتكاسة الانفصال . بداية عام ١٩٦٥ او احداث فبراير ١٩٦٦ حتى تتجمع الظروف مرة اخرى التي تسمح بتغييرات اجتماعية جذرية تستهدف عزل قوى اليمين ، وتطلق قوى التقدم والديموقراطية ، ولم تأت هذه الاجراءات على يد البرجوازية السورية ، بل بعد صراع طويل مارستها القوى الديموقراطية ضدها .

واذا صح ان البرجوازية السورية اسهمت بدور بارز في وضع حد للانتداب الفرنسي وانسحاب قوات الاحتلال ، وتحقيق الاستقلال السياسي . وذلك قبل انزلاقها الى مراكز يمينية . اثبتت البرجوازية المصرية ، واكبر احزابها في مصر — حزب الوفد — عجزا تاما عن اتخاذ المواقف الكفيلة بوضع حد للاحتلال البريطاني .لقد تراجعت امام تسلط القصر ، وتآمره مع الاقطاعيين والاحتكاريين للنيل من منجزات النضال الوطني ، والنيل من وحدته .ويرجع السبب في هذا التراجع الى تركيب قيادة الوفد وتشكيله في الاساس من عناصر اقطاعية ورأسمالية ، واحساس هذه العناصر بأن النضال الوطني الذي يستهدف جلاء القوات البريطانية كان يزداد ترابطه بالمطالب الاقتصادية والاجتماعية للطبقات الشعبية . لم يكن صدفة بعد ذلك ان تتفاقم ازمة الوفد الداخلية . وان يبرز جناح يساري داخل صفوفه في حالة تمرد مستمرة ضد قيادة الحزب وسياستها .

وبعد الثورة في ١٩٥٢ . استمرت البرجوازية المصرية في انتهاج سياسة مماثلة . فرغم ان ضربات الثورة تركزت في مراحلها الاولى ضد الاحتلال البريطاني والقصر وكبار الملاك الاقطاعيين وحدهم عارض جزء هام من البرجوازية الاجراءات المحدودة المتضمنة في الاصلاح الزراعي الاول . ورغم الظروف السانحة التي وفرت لها للاشتراك في التصنيع والتنمية الاقتصادية . استمرت هذه الطبقة في التعبير عن تبرمها وعدم رضائها . بل وقفت فئاتها العليا ضد انشاء وتوسيع القطاع العام وتدخل الدولة في الاقتصاد وناهضت تنمية علاقات اقتصادية مع الاتحاد السوفيتي ، والبلدان الاشتراكية الاخرى . وفي ١٩٥٦ بمجرد وقوع العدوان على الاراضي المصرية تقدم فريق من قادة الوفد ليطالبوا بالتسليم بدعوى ان مقاومة دول عظمى مثل فرنسا وبريطانيا لايمكن الا ان يجلب الخراب !! .

كذلك ابرزت البرجوازية السودانية عجزها عن انتتابع مقتضيات التحرر الوطني والاجتماعي في السودان عقب الاستقلال . وفي وجه تفاقم التناقضات الاجتماعية ، وتعاظم دور الطبقة العاملة والفئات الكادحة الاخرى بقيادة الحزب الشيوعي وتحركها من اجل تدعيم الاستقلال باصلاحات ذات طابع اقتصادي واجتماعي .لجأت العناصر الرجعية في قيادة الجيش الى انقلاب عسكري في نوفمبر ١٩٥٨ بهدف مصادرة ابسط الحقوق الديموقراطية وتصفية نضال الطبقات الكادحة . ولكن استطاعت القوى التقدمية مع الحزب الشيوعي ان تقوم بدور حاسم في الاطاحة بالحكم الرجعي العسكري في اكتوبر ١٩٦٤ . ولم يمض على هذا الانتصار اشهر معدودة حتى تآمرت البرجوازية من جديد بالتعاون مع الاقطاع والقوى الاستعمارية في الخارج . واعادت الى السلطة الحكم الرجعي .وحلت الحزب الشيوعي وطردت ممثليه من البرلمان .

ولا تختلف البرجوازية الجزائرية في الجوهر عن البرجوازية الوطنية في سوريا ومصر والسودان . اذا تغاضينا عن السمات المميزة للثورة الجزائرية ونمط تطورها . فبعد نيل الاستقلال ، اثبتت بعض قطاعات البرجوازية والبرجوازية الصغيرة في جبهة التحرير عدم استعدادها للتصدى للمهام الديموقراطية التي تواجه الثورة ، وابدت معارضتها الحادة للانعطاف بها في طريق يبتعد عن الرأسمالية نحو اهداف اشتراكية .

ثانيا — الطبقة العاملة . رغم انه يمكن ان يقال انه لاتكاد توجد اية مناطق من العالم العربي تنطبق عليها درجة التخلف الموجودة في بعض مناطق افريقيا الاستوائية . وهي انعدام وجود تمايز طبقي على الاطلاق . ولم تتشكل بها طبقة عاملة بالمعنى الحديث بعد (ربما باستثناء بعض مناطق جنوب وجنوب شرق الجزيرة العربية ، وبعض المناطق الصحراوية جنوبي المغرب العربي) . كذلك يمكن ان يقال ان الطبقة العاملة رغم بلوغها درجات متباينة من التقدم والوعي والتنظيم السياسي والنقابي في ارجاء مختلفة من الوطن العربي لم تتحول في اى من هذه الارجاء الى القوة السياسية القيادية الفاصلة .

ورغم وجود عدد من الاحزاب الشيوعية

العربية ، كممثلة للطبقة العاملة في بلدان عربية مختلفة ، اشتهر بعضها بماض وتقاليد نضالية معروفة . واكتسب في مراحل معينة من نضاله ابعادا جماهيرية واسعة . ويمثل اليوم — رغم تباين ظروف عمله — وزنا سياسيا لايمكن لاى من التيارات السياسية تجاهله . الا انه يمكن ان يقال كذلك ان ايا من هذه الاحزاب لم يتحول الى الحزب السياسي القائد للتحول الاجتماعي والثوري .

وقد طرح السؤال : **كيف يمكن لحركة التحرر العربي — في بعض البلدان العربية المتحررة ان تتخطى مرحلة النضال ضد الاستعمار الى مرحلة النضال ضد الرأسمالية ، قبل ان تصبح الطبقة العاملة وحزبها القوة القيادية الحاسمة ؟ .**

ويتضمن هذا السؤال فرضا لايمكن قبوله وهو ان مناهضة « الاستعمار الجديد » في ظروف التخلف امر يكاد يكون من المتعذر تحقيقه . لانه لابد من انجاز قدر غيرقليل من التطور الرأسمالي، حتى تتحول الطبقة العاملة الى قوة سياسية قيادية . بعبارة اخرى ان الانعطاف بالثورة الى طريق ينبذ الرأسمالية ، لابد ان يسبقه قدر من التحول الاجتماعي في اتجاه الرأسمالية .

والواقع ان طرح القضية بهذه الصورة تنبع من نظرة قاصرة الى الابعاد الجديدة للثورات الوطنية المعاصرة ، وتعبر عن التزام نمط لهذه الثورات ثم تجاوزه في المرحلة الراهنة . نمط التمايز الواضح بين الاهداف الوطنية ، والاهداف الاجتماعية والاشتراكية . ففي المرحلة السابقة، وفي وجه سيطرة الاستعمار القديم كانت القوى الوطنية الممثلةللبرجوازيةالقومية تستهدف ازاحة هذه السيطرة الاستعمارية ، ونيل الاستقلال السياسي ، لاطلاق حريتها في النمو الاقتصادي طبعا في طريق الرأسمالية ، ولم تكن قضية تحول هذه القوى الى قوى تناهض الرأسمالية كنظام قضية مطروحة اصلا — وكانت القوى الاشتراكية الممثلة لحركة الطبقة العاملة ، تستهدف ازاحة السيطرة الاستعمارية لا كهدف نهائي، ولكن كمرحلة انتقاليةوتمهيدية لثورة اخرى .. ثورة اشتراكية ، تطيح بالرأسمالية كنظام . بعد بلوغ المجتمع قدرا وافرا من الاستقطاب الاجتماعي والتمايز الطبقي . وبعد ان تكتسب الطبقة العاملة الدور القيادي الحاسم . الا أن هذا النمط كان يفترض كعدو ، الاستعمار القديم بسماته المميزة ، اى بسيطرته العسكرية ، وبكبته لمختلف القوى القومية بمافي ذلكالرأسمالية المحلية ، ولكنه نمط لم يعد يصلح في الظروف الجديدة وقد اخذ الاستعمار الجديد يحاول أن يحافظ على مراكزه عن طريق تدعيم الرأسمالية المحلية والاستناد اليها فيوجه اخطارالاشتراكية.

ولنضرب مثلا على ذلك : بعد وقوع العدوان الثلاثي على مصر . اتخذت القيادة الثورية قرارا بتأميم المؤسسات الاستعمارية ، البريطانية والفرنسية القائمة فيمصر.وانشيء بهذهالمؤسسات المؤممة نواة القطاع العام . وكان هذا القرار يحتمل وقتذاك تفسيرين : **التفسير الاول** هو ان هذا التأميم اجراء وطني محض ، ولا ينطوي على دلالة اجتماعية ذات آثار بعيدة . وان هذا التأميم اجراء يمثل مصالح البرجوازية الوطنية فيمصر وبالتالي يدخل داخل نطاق «الاجراءات العادية» بمقتضى النمطالتقليدي للثورات الوطنية. وينهض هذا التفسير على الاساس الاتي : وهو أن الطبقة البرجوازية الوطنية ، الضعيفة بطبيعتها فيالبلدان النامية تحبذ تولي الدولة تأسيس قطاع عام ليباشر انشاء المشروعات الاقتصادية الاساسية التي تكفل النهوض بالاقتصاد القومي ، والتي تتطلب استثمارات تتجاوز قدرتها كأفراد والتي لاتكفل عائدا سريعا . بعبارة اخرى ، ترحب البرجوازية الوطنية بانشاء قطاع عام بشرط بقائه تابعا للقطاع الرأسمالي الخاص وفيخدمته. ومن شأن هذه العملية تدعيم الانطلاق فيطريق الرأسمالية ، بتدعيم النشاط الرأسمالي الفردي « برأسمالية دولة » تنجز لخدمة الطبقة ككل بعض المشروعات الحيوية .

ولكن واقع العالم المعاصر يضفي على هذه العملية محتوى آخر . وذلك لان الاستعمار لايحارب انشاء القطاع العام باساليب الاستعمار القديم المعروفة فحسب (بالتدخل العسكري وبغيره من طرق القمع) وانما لايجد مناصا في الظروف العالمية الجديدة من اتباع اساليب « الاستعمار الجديد » وذلكبالضغوط الاقتصادية. وبمحاولة كسب فريق من القطاع الرأسمالي الخاص لاعاقة مشاريع القطاع العام ، والحد من فاعليتها في النهوض بالاقتصاد القومي . ويفرض هذا المخطط الاستعماري على القيادة الثورية الا تقصر القطاع العام على المؤسسات الاستعمارية فحسب ، بل أن تدعمه بضم مؤسسات هذا الفريق من الرأسماليين المحليين الذين يفضلون التعامل مع «الاستعمار الجديد» على الاشتراك في مشروعات التنمية ويبرز كشرط لنمو القطاع العام ، واضطلاعه بوظيفته في النهوض بالاقتصاد القومي، ضرورة توسيعهيمنته الى القطاع الخاص وتعبئته ليعمل لخدمته . وذلك بدلا من ان يكون في خدمته هو . وينشأ بالحتم تصادم له دلالته الاجتماعية الخطيرة بين القيادة الثورية . وتلك الفئات من « الرأسمالية

المستغلة » التى تغلب مصالحها الفئوية على مصالح الامة — ومع تعاظم هذا الصراع ، واتساع نطاقه . يتأكد طابع القطاع العام « الاجتماعى » . لا بصفته « رأسمالية دولة » فى خدمة طبقة الرأسماليين . ولكن بصفته اداةفى يد مجموع الطبقات الوطنية الملتفة حول عمليات التنمية الاقتصادية والحريصة على انطلاقها .. وبمعارضة فئات البرجوازية التى تستهدف ربط الاقتصاد القومى بعلاقات تبعية حيال الاقتصاد الرأسمالى العالمى والقوى المهيمنة عليه : الاحتكارات الاستعمارية العالمية ، تتبلور صفة القطاع العام كأداة تقود الثورة فى طريق ينعطف بها بعيدا عن الرأسمالية ، نحو الاشتراكية ..

ان **هذا التفسير الثانى** ، الذى ينطوى على ادراك لتداخل احداث العالم المعاصر فى حركتها. وان اجراءات التأميم الموجهة ضد المؤسسات الاستعمارية لاتنطوى على دلالة وطنية فحسب.، بل تكتسب دلالة اجتماعية خطيرة كذلك . وبشكل عام ، بقدر ماتطلق معارك قوية ضد الاستعمار على الصعيد الوطنى . بنفس القدر ، تنطلق طاقات ثورية تفرض تغييرات ثورية على الصعيد الاجتماعى ..

ان هذا التفسير ، الذى ينهض على تلاحم الثورة الوطنية بالثورة الاجتماعية والاشتراكية ، فى وحدة عضوية لا تنفصم،لم يكن التفسير الغالب فى صفوف الشيوعيين العرب فى ١٩٥٧ — ١٩٥٨ ..

وكان من البديهى ان ينهض هذا التصور فى ادراك ابعاد الاحداث . وقياس الامور بنمط لحركة الثورة يتنافى مع واقع العالم الجديد وامكانياته الكامنة ، الى سلسلة من المضاعفات ليست مجال بحثنا الان . ولكن كان من شأنها اعاقة الاحداث فى اتخاذ كامل انطلاقتها .وتعطيل تلاحم القوى الثورية ، وتعثرها فى متناقضات كان يمكن تجنبها ..

ولكن تجارب السنوات الاخيرة وانجازاتها نجحت فى تغليب اتجاه جديد داخل صفوف الشيوعيين العرب ، تكشف عن رغبة خالصة فى تغليب مصالح الثورة على كل اعتبار آخر . وكما يقول فؤاد نصار امين عام الحزب الشيوعى الاردنى : « ان كل تقليل من دور حركة التحرر الوطنى فى تحطيم الاستعمار وفى انتصار الاشتراكية. ان كل محاولة لقصر هذا الدور على النضال المعادى للاستعمار وللاقطاع وحدهما ، بدعوى ان البروليتاريا لم تمارس قيادتها بعد ، لايمكن الا ان يضر الحركة ، ويضعف من تحالفه مع النظام الاشتراكى العالمى وحركة الطبقة العاملة فى البلدان الرأسمالية ومن شأنه ان يمنع الطبقة العاملة الناشئة فى البلدان الحديثة الاستقلال من الاضطلاع بمكانها فى مقدمة النضال الوطنى التحررى » . (مجلة السلم والاشتراكية — عدد ٩ — ١٩٦٦) .. ويضيف نقولا شاوى من قادة الحزب الشيوعى اللبنانى « فى مسائل التعاون، لا نبدأ من المفهومات القديمة التى لم تعد ملائمة لحركة التحرر الوطنى ومستوى تطورها ولكننا ننطلق من المحتوى الجديد لهذه الحركة والتحول الخطير نحو الاشتراكية الذى اخذ يتبلور فى اذهان الجماهير . هذه التغييرات تجعل من الضرورى ادخال تعديلات على اشكال التعاون داخل حركة التحرر الوطنى .. كانت الصياغة القديمة للجبهة الوطنية ، بضمها الطبقة العاملة والفلاحين ، وكذلك البرجوازية الوطنية . المعادية للاستعمار، تفترض وجود قوتين طبقيتين متعارضتين داخل الجبهة وكان من المحتم ان تصطدم مصالحهما كلما اثيرت قضية التغييرات الاجتماعية البعيدة المدى.. اما التعاون مع عناصر تنبذ الطريق الرأسمالى وتسير فى طريق يفضى الى الاشتراكية، فهو ينهض على اتفاق يخص مهاما طويلة الامد ، تمس اعادة بناء المجتمع بصفة جذرية . ولذلك فالتمسك العنيد بالصياغات القديمة فى بناء التحالفات بدون ادخال تغييرات تستدعيها الظروف الجديدة .. والكشف عن « عقد » ازاء الوطنيين الثوريين والتفاف الجماهير حولهم ، لا يعنى سوى الوقوف ضد انتفاضة الشعب الثورية (مجلة السلم والاشتراكية عدد ٧ — ١٩٦٦) .. (النصان ترجما من الانجليزية) ..

ثالثا — القوى الثورية الوطنية والديمقراطية

فى ظل المجتمعات الرأسمالية المتقدمة ، يتصارع من اجل السيطرة على المجتمع طبقتان رئيسيتان : البرجوازية والطبقة العاملة . وتزداد هاتان الطبقتان بلورة واستقطابا بقدر تطور الصراع الطبقى بينهما ، ومدى تفاقمه ..

ولكن الاوضاع تختلف فى البلدان المتخلفة . فلم يكتسب أيا من هاتين الطبقتين النضوج و « البلورة الطبقية » التى تؤهله للاضطلاع بدور قيادى فى عمليات التحرير التى اضحت متفتحة امام المجتمع بأسره ، وتحرك اعرض جماهيره . وتثبت البروجوازية انها لاتستطيع ان تقود عملية التحرر الاقتصادى ضد اساليب الاستعمار الجديد . وبدون استبعاد احتمال نهوض احزاب الطبقة العاملة بدور قيادى حاسم، متى تواقرت الظروف لذلك،الا ان قوى واتجاهات

انبثقت من صفوف الفئات الاجتماعية التى تقف فى منتصف الطريق فى السلم الاجتماعى بين هاتين الطبقتين ، اثبتت اهليتها اكثر من غيرها فى تمثيل مصالح وتطلعات الحركة الوطنية والديموقراطية الجارفة. وهذه الاتجاهات متأثرة بفكريات متباينة، تستقيها من مصادر مختلفة . وهى تضم فئات مستنيرة تستطيع ان تنبهر بنفس القدر بأسلوب الحياة الامريكية ، او بالثورة الثقافية فى الصين ، ولكن ضابط نشاطها ، والمحرك الرئيسى له الذى يحميها من « الشطحات » المتطرفة ، وهو تصديها للنضال المعادى للاستعمار من زاوية ماتراه يحقق المصالح القومية فى المقام الاول .

٥ — مشاكل « التنظيم السياسى »

ذلك هو توزيع القوى الاجتماعية ، ووزنها المتبادل ، فى البلدان النامية المتفتح لها امكانية الانطلاق نحو بناء مجتمع اشتراكى. وهذا التحول لايمكن بحال من الاحوال ان يتحقق بصورة ارتجالية او تلقائية . بل يفترض تأسيسه على مفهوم للديموقراطية ، ونمط من انماط التنظيم السياسى يكفل انجازه بأكبر قدر من الكفاءة واقل المخاطر.

وتتلخص « مهمة التنظيم السياسى » فى هذه التجمعات المنطلقة من مواقع متخلفة ، والساعية الى بناء الاشتراكية . فى تعبئة كل الطاقات المتاحة للانتقال بالثورة من العداء للاستعمار الى العداء للرأسمالية .

وليست هذه المهمة بالمهمة الهينة ، اذ تعترضها صعاب جمة . من ابرزها ان عناصر الاشتراكية لم تنضج داخل المجتمع، كما ان الطبقة الاجتماعية التى تكثف فى ذاتها مكونات المجتمع الجديد لم تتبلور بعد . وان « الوعى الاشتراكى » ليس ظاهرة تنشأ فى الفراغ . وانما ينمو مع نضوج الظروف الاجتماعية ، المنشئة له . وتبرز «حتمية الحل الاشتراكى» كاستنتاج تفرضه ضرورات تجربة الثورة الوطنية وهى استحالة تحويل الاستقلال الذى انجز بعد اشد المشاق والتضحيات الى حقيقة حية تعيشها الجماهير بالبقاء داخل نطاق الرأسمالية العالمية . وبالاستناد الى البرجوازية المحلية والدول الغربية والاحتكارات الدولية .

وبديهى ان انماط التنظيم الكفيلة بانجاز التحول المنشود تختلف اختلافا بينا عن التنظيم القائد للتحول الاشتراكى فى البلدان الرأسمالية المتقدمة. ويتمثل هذا التنظيم فى تلك البلدان فى الحزب الشيوعى ، وهو تنظيم يمثل طبقة اجتماعية محددة . ولا يتغير التمثيل الطبقى للتنظيم القائد طوال عملية التحول الاجتماعى الى الاشتراكية. والسبب فى ذلك هو ان الاستقطاب الاجتماعى ، وظهور الطبقة العاملة كقوة سياسية قيادية عمليات برزت على مسرح الاحداث فى مرحلة « سابقة » على مرحلة اطلاق التحول الثورى .

اما فى البلدان المتخلفة، لاتنطلق العملية الثورية على ارضية من الاستقطاب الاجتماعى المتبلور المعالم . بل على العملية الثورية نفسها ان تحدث هذا الاستقطاب فى اسرع وقت مستطاع وبصورة مكثفة ، لا باتباع طريق الرأسمالية ولكن من خلال مناهضة هذا الطريق . ولذلك ورغم اختلاف اشكال هذا « التنظيم » باختلاف الظروف والتجارب التاريخية ، هناك عدد من الخصائص يتسم بها :

اولا — تعبئة كل الطاقات المتاحة والفعالة فى كل مرحلة من مراحل الثورة تفترض عدم قصر هذه التعبئة على الجماهير الشعبية وحدها . بل ان تشمل كل الطاقات المنتجة بما فى ذلك قوى الرأسمالية الوطنية . وينبغى ان يتناسب مركز وسلطة كل فئة اجتماعية فى هذا التجمع سياسيا، بالقدر الذى تشارك فيه فى عمليات التنمية اقتصاديا . ولما كان من شأن التنمية الاقتصادية ان تدخل تعديلات مستمرة على الكيان الاجتماعى للمجتمع ، وان تصفى بالتدريج مواقع الاستغلال لحساب اوسع جماهير العاملين ، وان يتعاظم دور هؤلاء مع تخطى عوامل التخلف وتأكد الاستقطاب الاجتماعى ، يتغير بالتدريج التمثيل الطبقى للتنظيم السياسى القائد . ويتجه اكثر فأكثر الى تمثيل القوى الاجتماعية ، الراغبة فى السير بالثورة الى نهاية المطاف . ويتأكد بالتدريج طابعه كتنظيم جوهره هو العداء للاستعمار ، الى تنظيم جوهره هو العداء للرأسمالية .

وينبغى التنبيه الى ان انتهاج طريق العداء للرأسمالية لايعنى بالحتم تصفية فئة الرأسمالية الوطنية . وانما يفترض تطوير القطاع العام ، وتنمية كفاءته فى الانتاج ، بمعدل يفوق معدل تطور القطاع الخاص. والعمل على تأكيد هيمنة القطاع العام على الاقتصاد القومى فى مجمله بصور متنوعة . بما فى ذلك القطاع الخاص .

ثانيا — يلاحظ ان هذا التنظيم لايقتصر على طبقة واحدة محددة ، بل ولا يقتصر على مجموعة محددة من الفئات الاجتماعية . ومن الملاحظ ان تركيبه الطبقى يتبدل مع تبدل الاوضاع الاجتماعية السائدة فى المجتمع . واختلاف وزن الفئات

الاجتماعية في عمليات التنمية . واذا كان المثقفين الثوريين من فئات البرجوازية والبرجوازية الصغيرة مراكز بارزة في صفوفه في مراحل الثورة الاولى ، تتجه الفئات الكادحة المنبثقة من العمال والفلاحين الى اكتساب مراكز القيادة . واحتلال المواقع الحيوية مع تعاظم دورها الاجتماعي ، وانتشار الوعي الثوري ، وتحول ملامح المجتمع .

ثالثا – وينبغي ان يلاحظ ان مثل هذا التنظيم السياسي ، بسبب انه تجمع لقوى اجتماعية وطبقية متباينة . لايمكن الا ان يكون مسرحا لصراع طبقي في داخله . وجوهر هذا الصراع يدور حول الطريق الذي ينبغي انتهاجه بعد انجاز الاستقلال . فالقوى المحافظة واليمينية تناصر تنمية الاقتصاد في طريق الرأسمالية بالاستناد الى الاستعمار الجديد . وهي تتقدم بحلول تفضي في نهاية المطاف الى التورط في علاقات تبعية ، تهدد بمصادرة مكاسب الاستقلال بصور جديدة مبتكرة . والقوى الثورية تناهض هذا « الحل » وتطالب بمواصلة الثورة الوطنية باجراءات اجتماعية تستهدف محاصرة القوى اليمينية ، وابعادها عن مراكز السلطة والمسئولية ، بقدر استقطابها في اتجاه يشل من انطلاق الثورة .

رابعا – ان انتقال التنظيم السياسي من العداء للاستعمار الى العداء للرأسمالية لايمكن ان يتم بصورة ارتجالية او تلقائية . ان التلقائية توقع التنظيم في براثن الاستعمار الجديد . ويثور هنا اشكال . فتصور مسار المستقبل رهن في كل لحظة بالتوازن الاجتماعي والطبقي داخل التنظيم السياسي ، وهذا التوازن يتعدل مع تغيير تمثيله الطبقي . وتتبدل بالتالي تصورات المستقبل وابعاد الخطة والطاقات الاجتماعية القابلة للتعبئة . والامكانيات المتاحة ولذلك لايمكن الاكتفاء بهذا التجمع الجماهيري الممثل للفئات الاجتماعية المناصرة للعملية الثورية في كل لحظة منها . بل لابد من طليعة ثورية قيادية تؤمن بحتمية الحل الاشتراكي ، وتعمل بوعي على تطهير التنظيم من العناصر المنحرفة ، وعلى ملء المراكز الحيوية بعناصر مؤمنة وواعية ، وتأكيد عمليات التحول داخل التنظيم التي تقابل التحولات في عمليات التنمية ، وعلى نطاق المجتمع .

خامسا – ان عنصرا هاما لتجديد دم التنظيم السياسي واحياء حيويته وتيسير عمليات تحوله ، هو الاهتمام بتجنيد فئات عريضة من القوى التي لم تسهم من قبل في المعترك السياسي والحريصة على التقدم الاجتماعي . وفي طليعة هذه القوى فئات عريضة من « **الشباب** » عن طريق تنظيمات خاصة للشباب والشبيبة . وتعبئة « **النساء** » وتوسيع مجال عمل « **التنظيمات النقابية** » الخ ..

سادسا – وينبغي الاشارة الى ان هذا التجمع المتحرك المتغير في مضمونه الطبقي ، واهدافه الاجتماعية ، لا يشترط فيه الالتزام « بشكل » تنظيمي محدد . بل يحتمل اكثر من شكل . يمكن ان يختلف مع اختلاف الظروف والتجارب التاريخية . ولكنه يفترض في كل الاحوال وجود قيادة واعية تقدمية تكفل اندفاع التحول الاجتماعي دائما الى الامام . وتغليب عوامل الوحدة على عوامل التفرقة والتفتيت ، وهي عوامل لاتنهض في معظم البلدان المتخلفة على اسس اجتماعية ضرورية ولا على استقطاب طبقي محدد المعالم . وانما يغذيها الاستعمار للحد من فعالية الحركة الثورية ، وخلق بيئة مواتية لترعرع نزاعات ذات طابع غير طبقي ، مصدرها العلاقات الاجتماعية المتخلفة (النزاعات الدينية او الطائفية او القومية او القبلية حسب الظروف ..) .

ومن ابرز مزايا هذا النمط من التجمع انه يحد قدر الامكان من تجمع مقابل للقوى المعادية للثورة ، وهو يعمل على عزلها اولا بأول ، بمجرد مناهضتها لتقدم العملية الثورية ، وهو يحقق تدرجا في تنمية « الوعي الاجتماعي » بقدر نضوج التحول الاجتماعي المنتج له ، وهو يكفل في الامد العام اكبر قدر من « التطور السلمي » .

و « الاتحاد الاشتراكي العربي » بالجمهورية العربية المتحدة مع وجود « الجهاز السياسي » في طليعته نموذج بارز لهذا النمط من التنظيم السياسي ، ولكنه ليس النموذج الوحيد له .

وقد اتجه بالفعل عدد كبير من البلدان النامية التي حققت استقلالها حديثا الى نظام « **الحزب الواحد** » كشكل من اشكال التنظيم السياسي الواحد ، لمواجهة المهام الثورية في المرحلة الراهنة . ورغم انه من المحتم ان يضم هذا الاطار التنظيمي اكثر من فئة اجتماعية واحدة . الا ان هذا لايعني انه يضم بالفعل في كل الاحوال كل القوى التقدمية الفعالة . ولكن هذا التوافق في شكل التنظيم السياسي بين عدد من التجارب المتباينة يؤكد ان اللجوء الى هذا النمط ليس عفويا ، وانما يعبر عن اسلوب اثبتت التجربة ملاءمته لمقتضيات النضال في الظروف الجديدة .

ولكن بعض البلدان النامية مازالت تلتزم بنمط « **تعدد الاحزاب** » مثل السودان ولبنان وغيرهما . ولا يمكن اعتبار هذا النمط في كل الاحوال مجرد تقليد « للديموقراطية الغربية » غرسها الاستعمار . رغم ان عددا من هذه الاحزاب انشئت لمناصرة المصالح الاستعمارية . وهي في الظروف الجديدة تعتبر سندا للاستعمار الجديد . ويلجأ هذا الاخير

الى اساليب متنوعة فى الحقل السياسى والحزبى غير استخدام « فرق السلام » وبعثات الطلبة ، وعمل المخابرات ، والتنظيمات السافرة الاتصال بالجهات الاستعمارية . فمثلا يجد احزابا تتخذ طابعا يغفل تماما الجانب « القومى » من الحركة الثورية مثل حزب بورقيبة فى تونس ، او طابعا يغفل تماما الجانب « الاجتماعى » مثل تنظيمات الاخوان المسلمين . ويكفى بشكل عام ان تتجاهل احد الاحزاب ركنا من اركان الثورة المتلاحمة ، حتى يجد نفسه ملتقيا فى اهدافه مع قوى الثورة المضادة .

ولكن نشأ ايضا بفضل نظام «تعدد الاحزاب» احزاب وطنية واحزاب اشتراكية وشيوعية ، لها ماضيها وتقاليدها النضالية. وارتبطت بجماهير عريضة وليس من المصلحة التعرض لقضية اعادة تنظيمها بدون ان يكفل للتجمع الجديد فرص نضال اوسع لانجاز التحول الاجتماعى نحو الاشتراكية . ومناهضة مخططات الاستعمار الجديد .

وربما كانت اخطر مرحلة فى حركة الثورة بعد نيل الاستقلال ، هى مرحلة تقرير الطريق الذى عليها ان تنتهجه. . مرحلة الانعطاف بها بعيدا عن طريق الرأسمالية ، او تعرضها للوقوع فى براثن الاستعمار الجديد، ويبلغ الصراع الطبقى الداخلى فى هذه المرحلة ذروته ، وينعكس هذا الصراع على التنظيم السياسى والتشكيلات الحزبية . وتتسم هذه المرحلة بانها مرحلة اعادة تشكيل خريطة القوى السياسية ، وتفرق القوى القومية الى قوى تناصر الحل الاشتراكى ، واخرى تتلمس حلولا قوامها البحث عن نقاط تلاق واتفاق مع الاستعمار الجديد .

اما المفهوم الجديد للثورة الوطنية ، الذى ينهض على تلاحمها العضوى بالثورة الاجتماعية ذات الافاق الاشتراكية . فالتقاء الطلائع الاشتراكية من اصول وطنية والشيوعيين لايقتصر على الاهداف المرحلية فحسب ، بل على الاهداف المصيرية البعيدة المدى ايضا . وينهض تلاحم هذه القوى على اسس استراتيجية لا على مجرد اهداف تكتيكية ، لانها تنهض على السير بالثورة حتى نهاية المطاف ، حتى تحقيق ابعادها الاشتراكية ، وهو بالدقة لان القوى اليمينية التى تناهض التحول الاشتراكى اصلا تدرك هذه الحقيقة فهى تحاول مناهضة الالتقاء بعنف مضعف.

وتركز لهذا السبب على نقطتين رئيسيتين :

النقطة الاولى — هى مناهضة تطبيق شعار « حتمية الحل الاشتراكى » بطرق متنوعة . منها تجريد «كلمة الاشتراكية» من محتواها الحقيقى، او اضفاء طابع خاص على « الاشتراكية المنبثقة من ظروف نوعية خاصة » ، (اشتراكية عربية — افريقية — اسلامية . الخ ...) . وتأكيد التمايز بينها وبين الاشتراكية بمفهومها العلمى العام .

والنقطة الثانية — لاتختلف عنها فى الجوهر ، وان اختلفت من حيث مجال تطبيقها . وهى تنهض على افتراضها ان الطريق القومى الى الاشتراكية، يستبعد اصلا الشيوعيين ، باعتبارهم لايشكلون قوة قومية .

وتستند القوى القومية اليمينية فى تغذية هذه الاتجاهات الى احداث الصدام التى وقعت فى الماضى فى ظل ظروف سيادة المفهوم السابق للثورة الوطنية وعدم بروز العوامل التى تقطع بتحول قوى تنتسب فى الاصل الى المواقع الوطنية والقومية ولم تنتقل بعد الى مواقع اجتماعية واشتراكية وافضت هذه الاحداث الى حساسيات مازالت ذات آثار الى اليوم .

وتبذل القوى القومية اليمينية اساسا قصارى جهودها لمنع الالتقاء العملى بين الطلائع الاشتراكية المنطلقة من مواقع وطنية وبين الشيوعيين ، وهى تؤكد لتبرير هذا الموقف ان هذه الطلائع لم تقرر انتهاج طريق الاشتراكية تحت تأثير الشيوعيين او بهدف الاقتراب من الشيوعية ، وان مسارها الثورى مسار حتمته الضرورة السياسية وحدها . وهى رهن بهذه الضرورة ، وجاء استجابة لفلسفتها السياسية الاصيلة فى الدفاع عن المصالح القومية . وتستهدف هذه الطلائع لم تقرر انتهاج طريق الاشتراكية القوى الوطنية الثورية من حلفائها الطبيعيين فى المعركة الحاسمة ضد « الاستعمار الجديد ». وتدعيم مواقع « الطريق الرأسمالى » تحت غطاء « الدفاع عن المصالح القومية » والواقع ان هذه القوى تقيم جسرا مباشرا مع الاستعمار الجديد فى رفع شعار « معاداة للشيوعية » بينما هى تطالب فى الوقت ذاته بمنع اى التقاء مع قوى تقف بجانب قوى الثورة الوطنية وكجزء منها ، لا فى مرحلة التحول الى الاشتراكية فحسب ، بل منذ انطلاقها فى الاصل كذلك .

والواقع ان التجارب قد اثبتت ان تصادم الشيوعيين والقوى القومية لم يكن يخدم سوى الاتجاهات اليمينية والاستعمار . ولم يكن سوى استنفاذ لقوى التقدم وتبديد لرصيدها . وهو فى الامد العام لايفيد ايا من الاطراف المتنازعة . واذا صح ذلك فى الظروف السابقة ، فمن

باب اولى فى الظروف الجديدة ، ونقاط الالتقاء الموضوعى تتعدد وتتسع ابعادها .

ولا شك ان عناصر « الالتقاء » بين الطلائع الاشتراكية المنطلقة من مواقـع وطنية . وبين الشيوعيين ، وهى التقاؤها فى الهدف (النضال من اجل الاشتراكية ، وضد عدو واحد ، يتمثل فى العلاقات الاقتصادية الرأسمالية التى تحركها الاحتكارات الرأسـمالية العالمية) . اقوى من عناصر الاختلاف ايا كانت وهى لاتعدو ان تكون مع افتراض الاسوأ . اختلاف فى « **سبب** » تحقيق هذا الهدف و « **سبب** » مواجهة هذا العدو .

كما ان تضافر « **زاوية الـرؤية** » بـدلا من تنازعها . وايجاد وسيلة للجمع العضوى بين النظرة « العامة » التى تستهدف الاشـتراكية كوسيلة للاسهام محليا فى قضية تحرير الطبقة العاملة والجماهير الكادحة من قوى الاستغلال الاسـتعمارى والرأسـمالى عالميا . والنظـرة « الخاصة » التى تستهدف الاشتراكية كوسيلة للسير بالتحرر القومى حتى نهاية المطاف ؛ بدلا من وضع كل من هاتين النظـريتين فى مـوقف المتعارض « مع الاخرى » امر من شأنه حتما ان يثرى النظريتين معا ، وان يكسب نظرية الثورة المعاصرة، وكذلك تكتيكاتها العملية، أبعادا جديدة مستمدة من تلاحم تجاربها النوعية الجديدة .وهو السبيل الوحيد لتصحيح اوجه القصور فى هذه النظرة وتلك .

٦ ــ قضية « الديموقراطية »

ان كل نمط من انماط « الديموقراطية » ينطوى فى الوقت ذاته على نمط من انماط « الدكتاتورية » فما « الديموقراطية الغربية » الا « مجمـوعة انماط تجمعها صفة مشتركة ، وهى « **دكتاتورية الاحتكارات الاستعمارية** » . وسـيطرتها على الدولة او مجموعة من الدول الرأسمالية المتطورة عن طريق « **رأسمالية الدولة الاحتـكارية** » . وتنظيمات اقتصادية « فوق الدولة » مثل السوق الاوربية المشتركة » وغيرها .

و « الديموقراطية الاشـتراكية » بمفهـومها التقليدى هى « **دكتاتورية البروليتاريا** » .

ولكل نمط من انماط ممارسة «الديموقراطية» ــ و « الدكتاتورية » ــ شكل رئيسى،يعتبر الاداة الرئيسية لهذه الممارسةوابرز مظاهرها ، فمثلا: قد يكون هذا الشكل الرئيسىهو استخدام الجيش واتخاذ الدكتاتوريةشكل «الدكتاتورية العسكرية» ــ او استخدام حزب سياسى . ويصبح شكلا من اشكال « الدكتاتورية الحزبية » الخ ...

وشكل بارز يتعاظم شأنه لممارسة « دكتاتورية الاحتكارات الاستعمارية » فى الغـرب ، هو استخدام قوة « الروابط الاقتصادية الرأسمالية » كوسيلة لفرض هيمنة الاحتكارات الاستعمارية على الاقتصاد القومى فى الداخل ، وكوسيلة للمحافظة على سيطرتها على اقتصـاديات مسـتعمراتها السابقة . وهذه الروابط الاقتصادية الرأسمالية هى وسيلة سيطرة رأس المال الاحتـكارى ، وانسب اطار لتعميق وتوسيع عمليات الاستغلال الرأسـمالى . وهى انسب الادوات المعاصرة لتمكين حفنة من الاحتكارات العالمية كى تستنزف ثروات الشعوب ، وفى قوة « الروابط الاقتصادية الرأسمالية» تكمن قوة الاستعمار الجديد .

وربما كان ابرز مظهر «لدكتاتورية البروليتاريا» فى التجارب الاشتراكية المعروفة الى الان هو « دكتاتورية » الحزب الشيوعى بوصـفه هيئة اركان حرب السياسة للطبقة العاملة . وكان تأكيد المظهر السـياسى والحـزبى فى ممارسة « الديموقراطية الاشتراكية » ضرورة لفـرض كيان النظام الجديد . وتأكيد ملامحه . وصونه من حصار الرأسمالية العالمية . ومحاولات غزوه من الخارج ونسفه من الداخل،فضلا عن مناهضته عوامل التخلف الكامنة فى معظم المجتمعات التى انجزت ثوراتها الاشـتراكية . الا ان الاتجاه الجديد فى عدد من التجارب الاشتراكية هو تأكيد «العنصر الاقتصادى» فى ممارسة «الديموقراطية الاشتراكية » وعدم الاكتفاء فقط بهيمنته «العنصر السـياسى والحـزبى » وفى هذا يكمن جوهـر « الاصلاحات الاقتصادية الجديدة » فى عدد من البلدان الاشتراكية . وتتمشى هذه التحولات مع مقتضيات العصر . واحلال التعايش السـلمى «تدريجيا محل علاقات التوتر الدولى و «الحرب الباردة» والحصـار الاجتمـاعى والاقتصـادى والعسكرى المضروب حول كتلة الدول الاشتراكية. ان «المنافسة السلمية» تستدعى تنشيط العوامل الاقتصادية فى هذا المعسكر وذاك .

و « الديموقـراطية » المطلوب ارسـاءها فى البلـدان النـامية المنطلقة من مـواقع متخلفة والساعيـة الى انجاز الاشـتراكية ، ليست « دكتاتورية الاحتـكارات الاستعمارية » . بل تنهض فى الجوهر ضد « الاستعمار الجديد ، وضد علاقات التبعية حيال » الروابط الاقتصـادية الرأسـمالية . وهى ليست فى الـوقت ذاتـه « دكتاتورية البروليتاريا » . ويكفى سببا لذلك ــ بدون خوض اسباب اخرى تتعلق بمسار حركة الثورة وطبيعة الطلائع الاشتراكية الموجهة لها ــ ان « البروليتاريا » لم تنهض الى مركـز القوة السياسـية القيـادية . وينطبـق ذلك على كل التجارب الراهنة فى العالم العربى .

فالديموقراطية « هنا » ديموقراطية وطنية من نوع جديد ذات طابع تقدمي وديموقراطية تستهدف في الاساس تعبئة الامكانيات المتاحة للنهوض بالاقتصاد القومي في اسرع وقت مستطاع . وتدعيم الاستقلال السياسي بالاستقلال الاقتصادي . وانجاز عملية التنمية الاقتصادية بأعلى المعدلات الممكنة . وجوهرها هو تحقيق اكبر قدر من الكفاءة في استثمار مصادر الثروة القومية وطاقتها الكامنة .. البشرية ، والطبيعية ، وتعويض عمليات استنزاف هذه الثروة التي طالما مارسها الاستعمار ، وتحقيق التراكم اللازم لاطلاق الاقتصاد القومي المستقل على اسس قويمة .

وتنهض هذه « الديموقراطية الوطنية ذات الاتجاه التقدمي في الاساس ضد الروابط الاقتصادية الرأسمالية التي تشكل نقاط ارتكاز الاستعمار الجديد داخل الاقتصاد القومي ، للحد من فعالية التنمية الاقتصادية ولشل الاستقلال السياسي وتحويله الى مجرد شكل بتجريده من محتواه الاقتصادي، ولاستمرار امتصاص الثروات القومية . هذا هو معنى انتقال الثورة من العداء للاستعمار الى العداء للرأسمالية .

وتحقق ((الديموقراطية الوطنية)) هذا الهدف بفرض دكتاتوريتها من خلال مجموعتين من الاجراءات :

● اجراءات تستهدف الحد من عوامل الاستغلال . اى انصراف موارد الثروة القومية الى فئات اجتماعية طفيلية لا تسهم في عمليات التنمية ، او تشكل جسور انتقال تكفل انتقال هذه الموارد الى الاحتكارات الاستعمارية . وهذه المجموعة من الاجراءات تنصب ضد جبهة اعداء الثورة .

● واجراءات تستهدف مقاومة التبديد والاسراف « البيروقراطية » والحد من كفاءة استثمار مصادر الثروة القومية التي نزعت من ايدي المستغلين وآلت الى الدولة الثورية ، وتتجه هذه المجموعة من الاجراءات الى قوى تمثل عوامل تخلف وانحراف داخل جبهة قوى الثورة .

والمجموعة الاولى من الاجراءات تتخذ اشكالا متنوعة :

تأميم المؤسسات الاستعمارية — تأميم بعض المؤسسات القومية المستغلة — تصفية العلاقات الاقطاعية والاصلاح الزراعي ضد المستغلين في الريف — الائتمان والتجميع الزراعي — هيمنة الدولة على التجارة الداخلية والخارجية — احكام سيطرة الدولة على « القطاع الخاص » — تحريك واستثمار مصادر الثروة المكتنزة وغير الموظفة ..

والمجموعة الثانية من الاجراءات تتخذ ايضا اشكالا عديدة : التخطيط — المتابعة والرقابة الاقتصادية — رفع كفاءة استثمار مصادر الثروة الطبيعية (استخدام مبتكرات العلم والتكنولوجيا المتاحة واعمال فن الادارة) وتعبئة مصادر الثروة البشرية (نشاط الحزب) — اطلاق مشروعات التصنيع الثقيل التي تستهدف اخراج الاقتصاد القومي من التخلف ، وارساء اسس استقلاله وتطوير علاقات الانتاج الاجتماعية (مثل السد العالي . ومجمع الصلب في ج.ع.م. وفي الجزائر او سد الفرات في سوريا) . تنشيط الحوافز الجماعية (المعنوية والسياسية) والفردية (المادية) الخ ... مقاومة مختلف اوجه الانحراف داخل القطاع العام وتحويله الى القطاع القيادي للاقتصاد القومي .

وهذه الاجراءات التي تنهض على استثمار صلاحيات الاستقلال السياسي (السيادة القومية) لتحقيق اكبر قدر من الاستقلال الاقتصادي (تدعيم كيان الدولة الممثلة للشعب ضد قوى الاستغلال الداخلية والخارجية) . هي اجراءات لاتنطوي على دلالة اقتصادية فحسب ، بل على دلالة اجتماعية وسياسية كذلك .

وينفرد هذا النمط من «الديموقراطية الوطنية» بخاصية تميزها عن انماط الديموقراطية الاخرى. وهي انها لاتقوم على مضمون طبقي محدد طوال عملية نهوضها بوظيفتها الاجتماعية بل على مضمون طبقي متغير . يتغير مع الخروج من علاقات التخلف الى علاقات الانتاج الاشتراكية . انها تكثف في مرحلة قصيرة عملية اقتضت اجيالا متعاقبة في ظل « الديموقراطية البرجوازية » .

ان « الديموقراطية الغربية » هي دكتاتورية طبقة محددة ، طبقة الرأسمالية الاحتكارية الاستعمارية . « والديموقراطية الاشتراكية بمفهومها التقليدي هي دكتاتورية طبقة محددة ايضا، الطبقة العاملة . اما « الديموقراطية الوطنية في البلدان التي تنطلق من مواقع متخلفة نحو الاشتراكية . هي دكتاتورية مجموعة الطبقات القومية التي تسهم بوظيفة اجتماعية ايجابية في عمليات التنمية . ولكل من هذه الطبقات مركزه داخل الحلف الثوري بالقدر الذي يسهم في عمليات التنمية . ويختلف المركز النسبي لكل من هذه الطبقات مع اختلاف الوزن السياسي والاجتماعي والاقتصادي للدور الذي ينهض به ، ومع أن هذه

الطبقات تضم العمال والفلاحين والمثقفين والثوريين واجزاء من البرجوازية بشكل عام ، تتجه الفئات العاملة الى اكتساب دور يتعاظم شأنه مع الخروج من علاقات التخلف ، وزيادة الاستقطاب الاجتماعى ، وتحول الاقتصاد من اقتصاد متخلف (زراعى) الى اقتصاد صناعى متقدم .

وعملية «تغيير المضمون الطبقى للديموقراطية» تتم عن طريق تولى التنظيم السياسى اطلاق حريات اوسع للطبقات الاكثر قدرة وصلاحية فى انجاز مهام التنمية ، فى كل مرحلة محددة من مراحل تطور الثورة ، مع الحد من حرية الطبقات التى تتجه الى اعاقة هذه التنمية ، والانصراف بجزء من ثمراته ، بعيدا فى عمليات الاستثمار لخدمة مصالح جزئية او فئوية (ونموذج بارز لهذه العملية اشتراط وجود ٥٠٪ من العمال والفلاحين فى الاجهزة التمثيلية والنيابية فى ج.ع.م.) .

اولا — تمارس « الديموقراطية الوطنية » دكتاتوريتها لتصفية مواقع الطبقات الطفيلية والمستغلة التى كانت تشكل تقليديا نقاط ارتكاز الاستعمار القديم (الاقطاع — الرأسمالية الاحتكارية — ممثلو ووكلاء المصالح الاجنبية — الخ ..) .

ثانيا — تولى «الديموقراطية الوطنية» اهتماما خاصا لدور الرأسمالية المحلية ، فهى من ناحية طبقة تستطيع ان تقوم بوظيفة اجتماعية هامة فى تطوير علاقات الانتاج المتخلفة ، وتنشيط التطور الاقتصادى ، وهى من ناحية اخرى تسعى الى احلال علاقات الانتاج الرأسمالية محل علاقات الانتاج المتخلفة ، وتشكل من هذه الزاوية ركيزة الاستعمار الجديد ، « الاقتصاد القومى » ومهمة «الديموقراطية الوطنية» حيال هذه الطبقة هى الاستفادة من جوانبها الايجابية مع الحد من مفعول جوانبها السلبية .

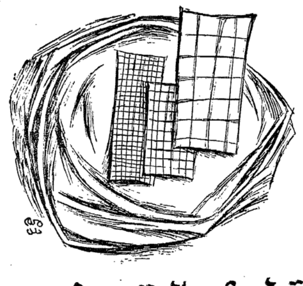
ان الرأسمالية الوطنية قد لاتعترض على اقامة قطاع عام ، بل ترى فى اقامته عن طريق تأميم المؤسسات الاستعمارية ما يحقق اهدافها فى اقامة المشروعات الصناعية التى تدعم الاقتصاد القومى والتى تتطلب استثمارات تفوق طاقتها ، ولا تغل عائدا سريعا ، ولكنها تتطلع الى «قطاع عام » فى خدمة « القطاع الخاص » — يخضع لزعامته ويقوم بتنشيط الاقتصاد ، ويهدف تطويره رأسماليا .

ان « الديموقراطية الوطنية » لاتعترض على قيام « قطاع خاص » — بل ترى ان القطاع الخاص ضرورى لتولى تنمية الاقتصاد فى المواقع التى لايمكن ان يتولاها القطاع العام ، ولكن يشترط ان يكون « القطاع الخاص » فى خدمة « القطاع العام » ويخضع لزعامته ، بهدف تنشيط الاقتصاد ، لا فى طريق الرأسمالية ، ولكن فى طريق يناهض سيطرة العلاقات الرأسمالية ، فى اتجاه ينعطف نحو الاشتراكية .

ثالثا — اذا كانت الفئات السابقة الذكر تتسم وبامتياز احتكار « رأس المال » هناك فئة اخرى ذات اهمية خاصة فى مرحلة التحول من التخلف الى التقدم ، وهى فئة الذين يتسمون بامتياز من نوع آخر ، وهو احتكار الخبرة know how والعلم (الفئات التكنوقراطية والبيرقراطية) ، واذا كان من الممكن الفصل بين « رأس المال » والانسان الذى يملكه ، لايمكن الفصل بين العلم والخبرة ومن حصل عليهما . ومن شأن التحول الاجتماعى بأن يدفع هذه الفئة الى المقدمة ، نظرا لاحتياج المجتمع اليها ، ولكفاءاتها الفنية والادارية ، ولان المجتمع لايستهدف التساوى المجرد بين من يعمل بكفاءة ومن لايعمل . وسبيل علاج هذه الظاهرة ، اى بروز فئة خاصة من البيروقراطيين والتكنوقراطيين فى المراكز القيادية الحساسة والحيلولة دون وقوع اى الوان من الانحراف ، هو تنشيط العمل السياسى ، والتعبئة الجماهيرية للرقابة على المؤسسات العامة ، وتوسيع تكافؤ الفرص لفك احتكار العلم والخبرة وتوفيرهما للجميع .

رابعا — ان علاقات التخلف تغذى عقلية البرجوازية الصغيرة بسماتها المميزة ، روح الفردية والتردد والاندفاع والمغامرة ، وتفضى تصفية مواقع الطبقات المستغلة الى تنشيط هذه الصفات اجتماعيا ، واستشرائها بشكل خطير ، وهى كلها صفات تتنافى مع روح الاشتراكية . ان تصفية مواقع الاستغلال ينبغى ان يحل محلها جهد منظم ومرسوم لاقامة مواقع صناعية متقدمة ، هى بمثابة نواة لملامح المجتمع الجديد ، لا لمنجزاتها الفنية فحسب ، بل لما تنجزه فى الوقت ذاته من تطوير للعلاقات الاجتماعية وبلورة صفات الانسان الذى يغلب قيم احترام وصون وتدعيم ملكية الدولة العامة ويبنى صرح مجتمع يملك مصائره .

هذا النمط الجديد من الانسان هو الذى ينهض بالتدريج ليصبح عصب « الديموقراطية الوطنية » فى مراحلها المتقدمة ، وهى ترسى الاسس السياسية والاجتماعية والفنية لمجتمع الاشتراكية .



التخطيط

على المستوى القطرى والقومى فى الوطن العربى

د. عبد الرازق حسن

عملت الدول العربية كغيرها من الدول النامية على تنمية مواردها الوطنية لرفع مستوى معيشتها من ناحية، ولمواجهة التخلف الطويل الذى عاشت فيه من ناحية اخرى. فباستثناء بعض الدول التى تنتج البترول بدرجة كبيرة نجد ان متوسط دخل الفرد يتراوح بين ٨٠ دولارا، ٢٠٠ دولار فى السنة، وهو يقل عن خمسه فى بلاد غرب اوربا، ولا نقول الولايات المتحدة، وبالرغم مما بذل من مجهودات فى التنمية فان معدلها مازال صغيرا، اذ يتراوح بين ٣٪، ٤٪ فى المتوسط، وهو معدل لن يؤدى الا الى زيادة الفجوة بين البلاد العربية والبلاد المتقدمة، وان كان هذا المعدل يرتفع فى بعض البلاد التى اكتشف فيها البترول حديثا كليبيا اذ بلغ حوالى ٥ر٥٪، كما يرتفع فى الجمهورية العربية المتحدة التى اخذت باسلوب التخطيط الشامل اذ وصل الى حوالى ٥ر٧٪.

وقد اثار انخفاض معدل التنمية فى البلاد العربية الكثير من التساؤل، حول اسبابه، والوسائل التى تمكن من رفعه، وسنحاول فى هذه الدراسة السريعة ان نلقى ضوءا على بعض العوامل المؤثرة فى التنمية، وكيف يمكن تنسيق عملها فى الاطار القطرى والقومى.

التنمية الاقتصادية ومشاكلها

وتقوم التنمية الاقتصادية على عناصر متعددة نجملها فى ثلاث: العنصر البشرى، الموارد المتاحة، والاطار الاجتماعى الذى يتم فى داخله التفاعل بين الناس والموارد من ناحية، وبين الناس وبعضهم من ناحية اخرى.

ويعتمد المجتمع فى نموه وتطوره على حجم الفائض الاجتماعى الذى يحققه، وطريقة توجيه هذا الفائض، فيقل الفائض او يزيد تبعا للجهد المبذول والادوات المستغلة فى العملية الانتاجية،

كما يتغير تبعا لكفاية العاملين ومدى كفاءة الادوات التي يستعملونها ، ويتأثر الفائض بشكل واضح بمدى التجانس والتنافر بين عوامل الانتـــــاج المختلفة .

واذا رجعنا الى البلاد العربية نجد انهـــــا تواجه الكثير من المتاعب نتيجة الظـــروف التي وضعها فيها الاستعمار ، وتؤدي الى انخفاض الفائض الاجتماعي ، وارتفاع معــــدل التبديد وزيادة التنافر بين العناصر العاملة فيها .

فاذا رجعنا الى السكان ، فاننا نلاحظ :

- سوء توزيعهم في البلاد العربيـــة وفي كل اقليم على حدة .
- زيادة نسبة الصغار في التركيب السكاني .
- ارتفاع معدل المواليد والوفيات .
- انخفاض المستوى الصحي العام .
- تفشي الامية .

فيتزاحم السكان نسبيا في لبنان والجمهـــورية العربية المتحدة وتونس والمغرب وتقل كثافتهم في ليبيا والسعودية والسودان ويتزاحم النــــاس او يخفون في اى منطقة نتيجة للارتباط بين الناس والامكانيات ، وان كان يرجع في الغـــالب الى الظروف التي فرضت تقسيم البلاد العربيــــــة والحوافز التاريخية التي وضعت فحدت من مرونة حركتهم بين اجزاء الوطن العربي ، وان كنا لا ننكر ان الاستقرار المكاني ونوع الانتاج لعبا دورا له اثره في هذا المجال .

ويتزاحم السكان بشكل واضح في المدن كنتيجة طبيعية للحرية الاقتصادية التي سادت البـــلاد العربية وما زالت تسود اغلبها حتى الان . ويؤدي هذا الوضع بشكل عام الى النمو غير المتناسق في مختلف اجزاء الوطن العـــربي ، فيؤدي ضعف كثافة السكان في بعض المناطق الى نتيجة مشـابهة لزيادة كثافتهم في مناطق اخرى وهي نقص العائد الاجتماعي .

والملاحظ في التركيب السكاني زيادة نســـبة الصغار كنتيجة للظروف الصحية ولا تزيد نسبة من هم في سن العمل (من ١٥ الى ٦٠ سنة) على ٥٥ ٪ من السكان وهو يقل بحوالي ١٠ ٪ عنهم في البلاد المتقدمة اقتصاديا ، فاذا عرفنا ان نسبة العاملين فيمن هم في سن العمل لا تزيد عن النصف مقابل ٨٠ — ٨٥ ٪ في البلاد المتقدمة ، امكننا ان ندرك شدة العبء الملقى على العاملين في المجتمع العربي .

وترتفع معدلات المواليد في البلاد العربية غــير أنه يحد من الانفجار السكاني فيها زيادة متكافئة في الوفيات ، وان كان الاهتمام في السنوات الاخيرة بالعناية الصحية قد أدى الى ارتفاع معـــدلات الزيادة الطبيعية في السكان الى ما يتراوح بين ٢ ٪ ، ٣ ٪ من السكان وهذه الزيادة لا تشـــكل مشكلة الا في الجمهورية العربية المتحـــدة التي تؤدي الى الزيادة الكبيرة في سكانها الى امتصاص قدر كبير من مجهودات التنمية المتحققة .

وبالرغم من العناية بالمستوى الصحي في البلاد العربية ، فما زال المستوى منخفض بشــــكل عام ، ومازالت الامراض المتوطنة والوبائية تؤدي الى كثير من المتاعب وتبدد جزءا طيبا من طاقة المجتمع ، في شكل نقص في ايام العمل ، وضعف القدرة الانتاجية .

وقد واجهت البلاد العربية بعد تحررها مشكلة كأداء ، تظهر في تفشي الامية التي تتراوح نسبتها بين ٧٠ ٪ و ٩٠ ٪ ، وتؤدي الامية الى نقص الكفاية الانتاجية وسيادة الكثير من المفاهيم المتخلفة التي تتعاون في الضغط على المجتمع والحد من تطوره .

وكان معنى تحسين الاوضاع العامة في البلاد العربية تحسين للصحة والتوسع في التعليم في جميع مراحله ورفع مستوى المعيشة عن طريق رفع الاجور او الاخذ بنظام التأمينات الاجتماعية ، الى زيادة المنفق من الموارد العامة التي لا يقابلها انتاج في الامد القصير وبالتالي نقص الفـــائض الموجه للتنمية الاقتصادية .

واذا رجعنا الى موارد البلاد العربية فاننـــا نتبين :

- ان الزراعة مازالت هي العنصر الغالب في الاقتصاد القومي .
- ان الموارد غير الزراعية هي الخامـــات المعدنية .
- ان الصناعة القائمة تغلب عليها الصفـــة الاستهلاكية .

والزراعة هي الحرفة الاولى التي عرفهـــا الانسان في مرحلة الاستقرار ، وقد ارتكزت عليها حضارات الشرق الاوسط سواء في العراق او مصر او المغرب ، غير ان قدرة الزراعـــة على الاستجابة للمطالب المتزايدة للمجتمع الحــديث اصبحت محدودة ، ويرجع ذلك اساســـا الى الظروف العامة التي تحيط بالزراعة وصعوبة تشكيلها وفقا لاحتياجات الناس المتضخمـــة ، حقيقة انه قد بذلت جهود ضخمة لزيادة انتاجية الارض باستخدام الوسائل العلمية سواء عــن

طريق تنظيم الرى والصرف او عن طريق الاسمدة واختيار البذور الصالحة ومقاومة الافات ، الا ان الزيادة مازالت محدودة النطاق ، وقد لاحظ الاقتصاديون هذه الظاهرة منزمن طويل، وعبروا عنها بالقول ان الزراعة تخضع لقانون تناقص الغلة او زيادة التكاليف بمعنى أن غلتها لا تزيد نسبيا بزيادة ما ينفق عليها ، وبالتالىفان الاعتماد على الزراعة يعنى الرضاء بفائض اجتماعى محدود .

وقد اثارت الثورة الصناعية واستعمار البلاد الصناعية للبلادالعربية الكثيرمنالمشاكل ،اذحولت الزراعة فيها الى المحاصيل الصناعية كالقطن فى مصر والسودان والعنب فى الجزائر ، مما نتج عنه قلة المنتج من المحاصيل الغذائية كالحبوب والبقول وترتب على ذلك اعتماد البلاد المنتجةلتلك الخامات الصناعية علىالخارجمما جعلاقتصادها تحت رحمة الظروف الخارجية .

ويمكننا ان ندرك خطورة هذه الحالة اذا رجعنا الى حالة القطن فى مصر ، فقد انخفض سعره مثلا خلال سنوات الازمة العالمية بحوالى ٦٠٪ من سعره فى السنوات الخمس السابقة عليها ، هذا وكان القطن يمثل بين ٨٠٪ الى ٨٥٪ من الصادرات المصرية ،وبالتالى عن طريقه كانت تحصل مصر على حاجتها من الخارج وتدفع التزاماتها الخارجية من اقساط ديون او ارباح مشروعات اجنبية ، فانخفاض اسعار المحاصيل الاساسية يعنى تدهور عام فى مستوى المعيشة.

ولم يكن من السهل على البلاد العربية المتحررة ان تتخلص من مشكلة زراعة المحاصيل الصناعية لانها ارتبطت بدورة زراعية معينة ، او خصصت لها قدرا كبيرا منالاستثمارات القومية ، وكانت محاولة التخصص لا تتم عن طريق العودة الى المحاصيل التقليدية وانما بالتوسع فى استصلاح الاراضى واستنبات محاصيل جديدة ذات انتاجية أعلى ، وفتح أسواق أرحب وعدم التعامل مع البلاد الرأسمالية .

ولم يكتف الاستعمار بتوجيه الزراعة فى البلاد العربية وفقا لمطالبه ولكنه ركز اهتمامه ايضا على احتياجات مصانعه ، كالبترول فى منطقة الخليج العربىوليبيا والمنجنيز فىمصر والفوسفات والحديد فى دول شمال افريقيا والكبريت فىالعراق واستغلال هذه المواد عملية استنفادية ، بمعنى أن البلدتفقدها بمجرد استغلالها، وطالماانه لاتوجد صناعة محلية لامتصاصها، فالنتيجة الطبيعيةانها تتأثر بظروف السوق العالمية للمواد الخام التى تتحكم فيها الدول الاستعمارية ، والملاحظ فعلا أن اسعار تلك المواد تتجه عادة الى النقصانوان زادت ففى حدود لا تتناسب مع الزيادة فىاسباب المواد المصنوعة. والنتيجة انهبالرغم منان عملية تصنيع المواد المعدنية يترك هامشا ضخما وفائضا اجتماعيا كبيرا الا ان عدم تصنيعها يؤدى الىنقص الفائض ،كما يؤدى سرعة استنفادها الى مشاكل أعمق بكثير من مشاكل زراعة المحاصيل المطلوبة للصناعة ، ولهذا لم نلمس اى تحسن للبلاد العربية المنتجة للخامات المعدنية عنه فى البلاد الاخرى .

والملاحظ فى البلاد العربية انه حينما سمح لها الاستعمار بقدر من الصناعة اتجه بها للصناعات الاستهلاكية التى تعتمد اما على المواد الزراعية كالزيوت والصابون والمعلبات والمنسوجات او المواد التى لا يحتاج تصنيعها الى شىء منالتعقيد كالجلود والاثاث والاسمنت وهذه الصناعاتتتميز بانها لا تحتاج الى راس مال كبير والخبرةالمطلوبة لها محدودة نسبيا وتعتمد فى تطورها على ما يرد من الخارج من آلات وقطع غيار ، وتتذبذب حصيلتها تبعا لظروف الدخل وبالتالى فيمكن القول أن العائد منها فى البلاد العربية التىينخفض فيها الدخل كان يتحرك فى نطاق محدود .

والنتيجة المباشرة للاوضاع الاقتصادية للبلاد العربية انخفاض فى الدخل فى المتوسط ويترتبعلى ذلك ضعف قدرة الدولة على تحصيل الضرائب وانخفاض معدل الادخار وبالتالى انخفاض القدرة على الاستثمار او التراكم الرأسمالى .

ويؤثر الاطار الاجتماعى فى اتجاهات التنمية فى البلاد العربية . ويتضمنهذا الاطار شكلعلاقات الانتاج القائمة ، والاوضاع التاريخية والدينية التى تحكم بعض مظاهر الحياة العامة .

فاذا رجعنا الى علاقات الانتاج نجد انمشكلة الملكية لم تكن معروفة فى البلاد العربية حتى دخول الاستعمار اليها .

وقد جرت الاوضاعالقديمةعلى السماح للافراد بملكية ثمرة الارض ، وليس بملكية الارض نفسها او مايسمىبملكية الرقبة.غير ان رغبةالاستعمار فى الاستقرار واهتمامه بربط الناس بالانتاج الزراعى دفعه الى فرض نظام الملكية الفرديةوهنا بدات سلسلة طويلة من المشاكل ودخل المجتمع العربى فى دوامات مازال يحس باثرها المخرب على اوضاعه حتى الان . وقد ادى تمكين البعض من السيطرة على الارض الى شطر المجتمع الى طبقتينمتنازعتينواحدة تملك واخرىلا تملك، وانغمرت الطبقة المالكةفىمشاكل الملكية والميراث، وبدأ يظهر فى الملكية اتجاهان متعارضان واحد يعمل على تفتيت الارض الصغيرة نتيجة التكاثر السكانى وتقسيم الارث ، والثانى يؤدى

الى تجميع الثروات الكبيرة نتيجة تضخم الفائض وعدم وجود مصدر آخر ينساب فيه هـذا الفائض ، وادى الاخذ بنظام الملكية المطلقة للارض الى السماح للاجانب بتملكها بعد ان كانت محرمة عليهم ،فبرزت الى السطح مشكلة التوطن الاجنبي وتعميق التناقض فى المجتمع .

واذا كانت بعض الدول العربية قد عملت على التخفيف من حدة مشكلة الارض عن طـريق قوانين الاصلاح الزراعى كما هو الحال فى مصر وسوريا ، او حرمت الاجانب من تملك الارض كما فى مصر والجزائر وتونس الا ان الاوضـاع القائمة مازالت تؤثر فى توجيه سياسة المستقبل بالنسبة للاراضى المستصلحة ، هذا فضلا عـن استمرار مشكلة تفاوت الملكية فى بعض البـلاد كالمغرب وتونس والسودان . وما يمكن ان يؤدى اليه تركز الملكيات الى توجيه النظام الاقتصادى والاجتماعى وجهة لا تساعد على دفع عجلة التنمية بالسرعة المرجوة .

ومن يتتبع الدور الذى يلعبه ملاك الارض . اذا كانت لهم السيطرة الاقتصادية يمكن أن يدرك بوضوح اتجاهات ومجالات التنمية ، وقد عاشت مصر هذه المرحلة واعتقد ان بعض البلاد العربية الاخرى تمر بها ، وهى تركيز اهتمام الدولة على المشروعات التى تخدم الانتاج الزراعى بالذات ؛ كالرى والصرف وتحسين المحاصيل ، وعـدم الاتجاه الى حماية الصناعة بما يؤدى الى زيادة الاعباء العامة .

ومهما يكن دور الملكية الزراعية فى توجيـه الاقتصاد القومى ، فان النظام الاجتماعى الذى يحبذ الملكية الفردية على اطلاقها يحكم على نفسه بسيادة عوامل التناقض ويترك نفسه تحت سيطرة العناصر الرأسمالية القوية فى العالم . فليس من الغريب اذن اذا وجدنا ان تغير علاقات الانتـاج فى المجتمع كما حدث فى الجمهورية العربية المتحدة والجزائر يؤدى الى القضاء على عوامل التناقض الداخلية ، ويزيد من فاعلية البلد وحريتها فى التعامل مع الخارج ، مما يرفع من معدل النمـو فيها عنه فى البلاد الاخرى . فسيطرة المجتمع على ادوات الانتاج تمكنه من تعبئة موارده لتحقيق اهدافه ولا تترك المجتمع تحت رحمة العـوامل الفردية وما تتضمنه من انحرافات .

ويرتبط بالاطار الاجتماعى الاوضاع التاريخية والدينية التى تحكم بعض مظـاهر الحيـاة العامة . ويتصور البعض ان القيم الدينية تدفع الناس لنوع من القدرية التى تؤثر فى نشـاط الافراد ،بزيادة ميلهم الى الاستهلاك وترك النشاط الاقتصادى لعفوية الظروف ،كما يتصورون ان هذه القيم بتحريمها للربا تحد من الميل للادخار والاستثمار وتدفع الى الاكتناز ، والواقع ان القدرية ترجع الى عوامل اقتصادية واجتماعية معينة اكثر منها عوامل دينية ، فالاعتماد على الزراعة وطول عهود الظلم تركت الناس فى حالة لا يشعرون معهـا بقدرتهم على التغيير ، وهذه الظروف نفسـها هى التى حدت من ميلهم الى الادخار والاستثمار وتفضيلهم للاكتناز ، ولو حللنا طبقات المجتمـع العربى المختلفة لوجدنا ان مفهوم القدرية يتفاوت وتحكمه الظروف المادية الى حد كبير ، كمـا نلاحظ ان ظاهرة القدرية تختفى مع الاخذ باسلوب الصناعة والتطور الاجتماعى الحديث .

ومهما يكن من شىء فليس فى الاوضاع القائمة فى البلاد العربية ما يفرض فلسفة جامدة او يحد من القدرة على الحركة والتطور ، كما هو الحال فى بعض الدول الاسيوية بل على العكس نجـد الاسلام وهو الدين الغالب فى البلاد العربيـة يعطى فاعلية للحركة والتنمية اكثر مما يدعو الى الاستكانة والرضاء بالامر الواقع ، ولا يخـل بهذا المفهوم وجود بعض القيادات الدينية التى تدعو الى الجمود لانها فى الواقع لا تفعـل ذلك بوحى من عقيدة دينية بقدر ماتعمل لتوطيد مركزها وتدعيم سيطرتها المادية .

اساليب التنمية الاقتصادية

لم تكن التنمية الاقتصادية مثـار اهتمـام الشعوب العربية حتى الحرب العالمية الثانيـة لان طاقتها كانت مركزة فى السعى للتخلص من الاستعمار الذى كانت تدرك انه أساس مشاكلها ومتاعبها . وحينما اكتسبت بعض هذه الشعوب حريتها شغلتها النظم السياسية القائمة فيهـا ببعض الشعارات الجذابة لتحول بينها ومناقشة الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية ومدى ارتباط مشاكلها بعلاقات الانتاج السائدة . غير انه لم يكن هناك مفر لتأخذ كل دولة بفلسفة واضحة ، تتفق مع علاقات القوى القائمة فيها .

وتتلخص اساليب التنمية التى اتبعتها الدول العربية فى ثلاثة انماط ، واحد يقوم على المفهوم التقليدى ، ويتلخص فى ان الحرية الاقتصـادية كفيلة بحسن توزيع الموارد العامة واستغلالهـا اوفى استغلال . ويقوم الاسلوب الثـانى على تخطيط الاقتصاد القطرى لضمان تحقيق مطالب الجماهير ، اما الاسلوب الثالث فيعتمد على حل متوسط بين حرية الافراد فى التصرف ، وتدخل

الدولة حينما تقصر مجهوداتهم على اقامة بعض المشروعات ذات الاهمية الحيويةوكان كل اسلوب من الاساليب يعنى سيادة نوع أو آخر من الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية .

أسلوب الحرية الاقتصادية

ويعود بنا الاسلوب الاول — اسلوب التنمية عن طريق ترك الحرية للقوى الاقتصادية الى المنطق القديم لآلية الظواهر الاقتصاديةوما يعنيه من ان التوازن الاقتصادى عملية تلقائية ، وان ما يبدو من حالات اختلال فى المجتمع ليست الا حالات عارضة ترجع أساسا الى خطأ فردى هنا أو هناك دون ان يكون للتركيب الاجتماعى دور فيها ، وقد اخذ بهذا الاسلوب بعض الدول العربية التى جمعها عنصر واحد وهو سيادة طبقة تتمتع بمزايا اقتصادية واجتماعية وان اختلفت مقومات كل عنصر منها . ويتبع اسلوب الحرية الاقتصادية بدرجات متفاوتة كل من السعودية ، والاردن ، ولبنان ، وليبيا ، ومعنى الاخذ به فى السعودية تمتع السلطة الحاكمة بكل ثروات المجتمع ، وتحكمها فى التنمية ، وهى بذلك تهدف الىتوطيد مركزها . اما فى الاردن فليس للطبقة الحاكمة موارد ذاتية تعتمد عليها ، وهى فى اخذها بنمط الحرية الاقتصادية انما تتبع الاسلوب الذى وضع لها من الخارج ،وهى تشعر ان التخلى عن هذا الاسلوبمعناه فقدانها لمقومات حياتها . اما فى لبنان فان الامر يختلف الى حد كبير ، فقد ادت سياسة الحكم الاستعمارى فى الشام الى جعل لبنان فى مركز المعتمد على الخارج ، وبالرغم من زوال الظروف القديمة الى حد كبير الا ان لبنان مازال يحصل على القدر الاكبر من موارده من الاتجار المشروع وغير المشروع ، كما ادت الحركات الوطنية والتحول الاشتراكى فى بعض البلاد العربية الى هروب قدر كبير من رؤوس الاموال واستثمارها او مجرد الاحتفاظ بها فى لبنان . اما ليبيا فتعتبر حديثة التكوين ، ولم تتبلور فيها القوى الاجتماعية بعد ، وقد نقلها اكتشاف البترول وانتاجه على نطاق كبير بمعرفة الشركات الاحتكارية ، الى مركز من السهل عليها فيه ان تجد اسلوبا آخر للعمل غير الحرية .

ومهما كان رأى المدافعين عن نمط الحرية الاقتصادية الا انه يبدو انهم لم يستفيدوا بعظة البلاد الرأسمالية نفسها ، وما انتهى اليه هذا الاسلوب من زيادة حدة التناقضات فى المجتمع ، ولا نبعد كثيرا فان اقتصاديات البلاد العربية التى تأخذ بالحرية الاقتصادية تعتمد أساسا على ظروف البلاد الرأسمالية ، واذا كانت ظروف الحرب الباردة فى العالم ، والساخنة فى بعض مناطق الشرق الاقصى تزيد من النشاط الاقتصادى للدول الرأسمالية ، الا ان زوال هذه الظروف سيحد من هذا النشاط الى حد كبير ، وتشير كل كتابات الملقين تقريبا الى ذلك ، بل ونلمس تدهورا فى سوق الاوراق المالية فى البلاد الرأسمالية كلما بدت تباشير سلام فى العالم . ومهما يكن من شيء فقد كشفت أزمة البنوك فى لبنان، وازمة بنك انترا بالذات كيف يعنى الاخذ باسلوب الحرية الاقتصادية مخاطر كثيرة، والجدير بالملاحظة ان اسلوب الحرية الاقتصادية يلقى مقاومة من الجماهير العاملة ، ولم ينجح فى الاستمرار الا تحت ضغط القوة والعنف ، فأصبح مثارا للتندر ان الحرية الاقتصادية تحتاج فى قيامها الى اسلوب القهر والكبت .

أسلوب التخطيط

أما اسلوب التخطيط فهو أكثر الاساليب قبولا من الشعوب المتحررة ، لانه يعنى حريتها فى تحديد مسار الاقتصاد القومى وفقا لاهدافها، ومعناه القضاء على سيطرة طبقة محدودة على أدوات الانتاج ، وتعبئة هذه الموارد لخدمة المطالب العامة .

وتعنى فلسفة التخطيط ان التوازن الاقتصادى والاجتماعى لا يمكن ان يتم تلقائيا وان ما يلم بالمجتمع من اخطاء انما يرجع الى انحرافات فى مجالات العمل ، وتناقضات بين قوى الانتاج وتؤدى هذه الانحرافات والتناقضات الى تبديد الكثير من الموارد الاجتماعية ، وبالتالى فالتخطيط هو الوسيلة الوحيدة لضمان تعبئة الموارد لتحقيق أى هدف اجتماعى منشود ، وتهيئة المناخ المناسب للعمل والعاملين .

غير ان الاخذ باسلوب التخطيط ، دفع الى اتباع فلسفة سياسية واجتماعية معينة هى الاشتراكية ، وادى الى الاصطدام بالعلاقات المادية القائمة ، واثار الكثير من المتاعب مع الدول الرأسمالية ، لما يعنيه من قضاء على فرصها فى الاستغلال والتحكم .

وقد اخذ باسلوب التخطيط فى الجمهورية العربية المتحدة ، والجزائر ، وسوريا ، والعراق الى حد ما .

ومن الواضح ان الحتمية التاريخية ، والتطور المادى هى التى دفعت البلاد السابقة للاخذ بالتخطيط الشامل وهو اسلوب العمل الاشتراكى .

ومن يتتبع ثورة ٢٣ يوليو في مصر في حركتها لتحقيق التنمية يمكنه ان يلمس كيف تدرجت من وضع خطط متفرقة للتنمية ، ومن تشجيع لرأس المال الخاص سواء بالاعفاءات الضريبية او الاعانات ، الى دفع مشروعات الاستثمار عن طريق الاشتراك فيها ومنحها الائتمان الرخيص، وكيف انتهت الى الاخذ بالتخطيط الاشتراكي كأسلوب وحيد لتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية السريعة ،وكما يشير ميثاق العمل الوطني ان « الحل الاشتراكي لمشكلة التخلف الاقتصادي والاجتماعي .. وصولا ثوريا الى التقدم — لم يكن افتراضا قائما على الانتقاء الاختياري ، وانما كان ... حتمية تاريخيةفرضها الواقع ، وفرضتها الامال العريضة للجماهير كما فرضتها الطبيعة المتغيرة للعالم في النصف الثاني من القرن العشرين » وقد كان الميثاق صريحا في تحليله اذ اشار الى ان التجارب الرأسمالية في التقدم تلازمت مع الاستعمار ، وان مرحلة التنمية المبنية على نهب أموال الشعوب قد ولت ، وان تحقيق التنمية عن طريق زيادة شقاء الشعوب العاملة واستغلالها اسلوبا غير مقبول فيالتنفيذ، وان نمو الاحتكارات العالمية يجعل التنمية المحلية محصورة داخلاسوار الحماية التييتحمل عبئها الشعب وحده ، وان اتساع شقة التخلف بين البلاد النامية والمتقدمة يفرض تعبئته للموارد، واستغلال العلم الحديث في خدمة التنمية، ووضع تخطيط شامل للانتاج القومي .

اما الجزائر فلم يكن من السهل تصور ان تأخذ بأسلوب الحرية الاقتصادية ، وهي التي ضحت في ثورة تحريرها بحوالي مليون شهيد من خيرة ابنائها في ثماني سنوات ، لان معنى الاخذ بهكان يعني الخضوع الاقتصادي للرأسمالية الفرنسية وعملائها في البلاد ، وكان يعني خلق تناقضات جديدة ، واتجاه التنمية نحو المشروعات المدرة للربح السريع .. واذا كان الاخذ بالتخطيط يبدو سهلا في الجزائر على اساس انها بلد بكر ، وانها تبدأ باقل قدر منالتناقضات ، الا ان صعوبته تتكشف اذا عرفنا ان الاستعمار الفرنسي خلف البلاد دون اجهزة ادارية او فنية ، وكانعلى ثورة الجزائر لا ان تبني اقتصادها فحسب ، وانما تبني جيلا يتولى قيادة العمل الفني والاداري .

وكانت تجربة التخطيط الاشتراكي في ظل الوحدة مثار الكثير من الجدل في سوريا ، لان الرأسمالية المحلية فيها كانت قد نمت الى حد شعرت معه ان هذا الاسلوب يحرمها من كثير منمكاسبها ، فانقضت على الوحدة معمصر، غير انالنكسة زادت من حدة التناقض الاقتصادي والاجتماعي ، ولم تؤد محاولات الرجوع الى اسلوب الحرية الاقتصادية الا الى هروب رأس المال الى الخارج ، وانخفاض معدل التنمية بشكل واضح مما ادى لقيام حركةمضادة والعودة الى اسلوب التخطيط وتجربة النكسة في سوريا جديرة بالاهتمام لانها توضح ان اخطاء التخطيط مهما بلغت لا تتناسب مع العودة لاسلوب العمل الحر ، لان هذا الاسلوب الاخير يفقده الكثير من مقوماته ، ويعيد اصحاب الاموال الى طريقة العمل البدائية في النظام الرأسمالي ،وهي التركيز على المعاملات التي يمكن تصفيتها في الاجل القصير ، وما حدث في سوريا في فترة النكسة يحدث الان في غانا ، التي لم تتمكن القوى الحاكمة فيها من اعادة الاستقرار الاقتصادي بالرغم من تدفق المساعدات الاجنبية عليها واطلاق حرية العمل لرأس المال فيها .

اما في العراق فان التخطيط مازال في مراحله الاولى ، ونعتقد انه ليس من السهل وضع خطة اقتصادية شاملة فيها الا بعد حل مشكلة احتكارات البترول ، لان الاستثمارات البترولية تكون قدرا كبيرا من الاستثمارات الاجنبية ،فضلا عن انها تؤثر في الاقتصاد القومي العراقي بشكل كبير .

أسلوب تدخل الدولة

اما الاسلوب الثالث للتنمية فهو الذي يقوم على تدخل الدولة لتحقيق ما تفشل القدرات الفردية عن تحقيقه ، وتأخذ بهذا الاسلوب السودان ، وتونس ، وكانت تأخذ به مصر منذ الحرب العالمية الثانية حتى المراحل الاولى لثورة ٢٣ يوليو ، وساد في سوريا منذ استقلالها حتى الوحدة ، ويقوم هذا الاسلوب على اعتبار الحرية الاقتصادية قاصرة على تحقيق اهداف المجتمع ، وانه يمكن تحقيق هذه الاهداف ودفع عجلة التنمية اذا تدخلت الدولة ،اما في اوقات الكساد لتشغيل قوى الانتاج العاطلة ، او في الظروف العادية لمعاونة رأس المال الفردي ، اذا قصرت امكانياته ويتميز هذا الاسلوب بانهيعتبر زيادة الانتاج هو القضية الاولى ، ولا يلقي بالا لمشكلة التوزيع ، ولا يهتم كثيرا بالنظر فيمنيتحمل عبء التنمية الذي يقع فينهاية الامر علىالطبقات العاملة ، لان هذا الاسلوب في اهتمامه بزيادة الانتاج يضع الكثير من الحوافز لاصحاب الاموال لزيادة الاستثمار ، سواء عن طريق خفض الرسوم على الواردات من الالات او المواد الخام، ورفعها على المنتجات المثيلةللمحليةاو اعفاء انواع معينة من الاستثمارات من الضرائب لمدد تطول أو تقصر .

ويلقى هذا الاسلوب تأييد الرأسمالية المحلية والوطنية ، ويكون في كثير من الاحيان عاملا لتزاوج رأس المال المحلي والاجنبي ، غير ان مشكلته انه يترك التناقضات الاقتصادية

والاجتماعية الاساسية دون حل ، ويترك الناس أحيانا في جو من البلبلة حول دور الدولة ، وهل تعمل في تدخلها لتنمية الاقتصاد القطري وحمايته امانها تعزز من مكانة الراسمالية وتثبت من أقدامها ؟

هذا وكثيرا ما يتخذ هذا الاسلوب كدرع واق ضد التخطيط الاشتراكي ، ومع ذلك فان نجاحه النهائي محدود المكان ، لان جهاز الدولة مهما قيل عنه ليس جهازا حياديا ، وانما يؤثر فيه ويوجهه اصحاب المصالح المسيطرة عادة على الاقتصاد القطري ، وبالتالي فهو في عمله ينحاز للمشروعات التي تزيد من مكاسب الطبقة الحاكمة الرأسمالية ، ويستغل في القيام عنها بالتجارب التي تقصر قدرتها عن تنفيذها غير انه اذا سيطرت قوى الشعب على جهاز الدولة واتجه الى المشروعات المدرة للكسب ، فهنا تحدث المشاكل ، وينكشف التناقض بوضوح .

وبالتالي فان قيمة الاخذ بهذا الاسلوب وفاعليته يتوقف على الطبقة او الفئة التي تسيطر على جهاز الحكم .

واذا كانت الشعوب المتحررة تفضل الاخذ بالتخطيط الشامل ، لانه يمنحها حرية العمل ، الا انه يثير الكثير من المسائل التي تحتاج منا الى دراسة خاصة اذا نظرنا الى المجتمع العربي كوحدة . فهل يعني التخطيط الاخذ بمبدأ التخصص المحلي او الاقليمي ؟ وهل يهدف الى كفاية الاحتياجات المحلية ام الاحتياجات الخاصة لمجموعة من البلاد ، او لمنطقة ما ؟

ولن نضيع الوقت هنا ببحث نظري عن الحل الامثل للتخطيط ، لان مثل هذا قد لا يكون له معنى واقعي ، ولكننا سنركز على وضعنا العربي في مرحلة الصراع التي نمر بها ، والبناء الذي نقوم به .

التخطيط بين الاعتبارات القطرية والعربية

يعرف التخطيط الاقتصادي بانه النشاط الاجتماعي الذي يحدد به العاملون الاهداف التي يسعون اليها في مجالي الانتاج والتوزيع . ويعرفه آخرون بانه مجموع التنظيمات والترتيبات التي توضع مستهدفة تحقيق هدف اقتصادي واجتماعي معين .

ومهما كان تعريف التخطيط الاقتصادي ، فهو عملية اجتماعية سياسية بالدرجة الاولى ، وليست مجرد نشاط تكنيكي ترتب فيه اوضاع عناصر الانتاج للحصول على اكبر قدر من الانتاج او الفائض ، ويتطلب التخطيط وجود هدف اجتماعي يلزم لتحقيقه تعبئة المواد المادية والبشرية المتاحة للمجتمع وتحريكها بأقل قدر من التكاليف الاجتماعية ، اذا كان الامر كذلك فكيف يمكن ان يخرج التخطيط عن حدود الاقليم الذي تتفاعل فيه القوى لتحقيق هدف محدد الى مناطق تتباين فيها الظروف وتختلف الاوضاع ومراكز القوى ؟ واذا وجدنا وسيلة للالتقاء بين بعض المناطق التي تأخذ باسلوب اجتماعي معين — او الاشتراكية مثلا — فهل يمكن أن يحدث لقاء على مستوى تخطيطي بين اسلوبين متنافرين من اساليب العمل ؟ أي الاسلوب الاشتراكي والاسلوب الرأسمالي ؟ واذا وجدت وسيلة للالتقاء فهل تكون على حساب واحد او آخر من النظم الاجتماعية ؟ وقد اثار هذا الجدل الكلام عن السوق العربية المشتركة ، كما أثار الرغبة في وجود مجالات اوسع للتفاهم بين البلاد العربية التي تأخذ بالاسلوب الاشتراكي ، ويثيره البعض الاخر الذي يشاهد عجلة التنمية تدور في البلاد العربية والخطط توضع ، والتعارض بينها لا شك حادث لو ترك كل مخطط يحدد اهدافه بعيدا عن اخيه ، واذا كانت مجالات اللقاء الان سهلة ميسرة ، فان احتمالاتها ستكون صعبة بعد ان تنتهي بعض الخطط الى تحديد مصالح معينة لفئة او اخ[illegible] في المجتمع . وقبل ان نستطرد في الحديث لنلقي بنظرة سريعة على وضع العالم العربي .

تشغل البلاد العربية المنطقة المتوسطة للعالم القديم ، وتبلغ مساحتها ١١٫٢ مليون كيلومتر مربع ، او ما يتعادل مع مساحة اوربا عدا الاتحاد السوفييتي ، وحوالي ثلث مساحة افريقيا ، ويتراوح سكانها بين ١٠٠ ، ١٠٥ مليون نسمة ، وتنحصر البلاد العربية بين خطي عرض ٥٤ ، ٣٧° شمال خط الاستواء ، وبين خطي طول ٦٠° شرقا ، ٥٥° غرب جرينتش .

والنسبة الكبرى من البلاد العربية صحراوات وتعتمد في اقتصادياتها على الزراعة التي تقوم في اغلبها على مياه الانهار وجزء ضئيل منها على المطر ونتيجة للظروف المناخية ، المتشابهة او القريبة من التشابه للبلاد العربية ، فان محاصيلها الزراعية تتماثل ، ويزيد من هذا التماثل اهتمام الاستعمار بتحويل بعض البلاد العربية لانتاج المواد الخام اللازمة لصناعته . فبالاضافة الى انتاجها جميعا للحبوب وغيرها من البقول والخضر والفاكهة ، نجد جزءا هاما منها ينتج القطن بكميات ضخمة كالجمهورية العربية المتحدة والسودان وسوريا . ويتوفر البترول في مناطق الخليج العربي ، وخليج السويس والصحراء الليبية والجزائرية ، وتنتشر المعادن بكميات متفاوتة

فنجد المنجنيز في المغرب ، والجمهورية العربية المتحدة ، والحديد الخام والقصدير والزنك والفوسفات في دول شمال أفريقيا ، والانتمونى في المغرب وتونس ، والكبريت في الجزائر والعراق ، وهكذا فالى جانب التشابه في بعض المنتجات هناك تكامل في بعضها الاخر .

وقد عمل الاستعمار على زيادة روح التنافس بين الدول العربية وقوى من علاقاته بها ، فنجد ان معاملات الدول العربية بينها والغرب أكبر وأضخم منها بينها وبعضها ، وهذا أمر طبيعى طالما ان الدول العربية منتجة للمواد الخام ومشترية للمواد المصنوعة ، وهى لا تستخدم فيما بينها ما تنتجه من خامات،ولا تنتج ما تحتاجه فيما بينها من مصنوعات .

غير ان عوامل التفكك يمكن ان تكون نفسها عوامل التكامل ، سيما وان العالم يتجه الان الى الوحدات الكبيرة اذ لم يعد للوحدات الصغيرة دور يذكر نتيجة لتغير طبيعة الانتاج ، وخاصة الى رؤوس اموال ضخمة ، وكفايات ذات مستوى مرتفع ، وتجارب مضنية ذاتتكاليف باهظة ، هذا بالاضافة الى ان الانتاج الصغير أصبح اكثر تكلفة ، واقل قدرة على المنافسة. والامثلة على ذلك واضحة لا تحتاج الى جدل طويل ، فهناك السوق الاوربية المشتركة ، ومجموعات بلاد المنطقة الحرة ، والبلاد اللاتينية، ودول اوربا الاشتراكية .. لمس الحلفاء اهمية البلاد العربية كوحدة في معركتهم مع النازيةخلال الحرب العالمية الاخيرة فجعلوا منها وحدة تموينية واحدة ، بها وزير بريطانى مقيم . ولمتعترض بريطانيا على انشاء الجامعة العربية قبيل نهاية الحرب (مارس سنة ١٩٤٥) بل وجدنا وزير خارجيتها يبارك انشائها ، مع ان بريطانيا نفسها كانت احدى الدول التى عملت على تفكيك البلاد العربية ، ولو اننا يجب الا نغفل أن بريطانيا كانت ترسملمستقبل مصالحها قبل أى شىء آخر .

وقد حقق التضامن العربى في ظل الجامعة العربية الكثير ، وان كان لم يحقق كل ما نرجوه، وقد تم ما تم بالرغم من التباين القائم بين الدول العربية ، ومن هذه الاتفاقات تسهيل التبادل التجارى وتنظيم تجارة الترانسيت ، وتسوية مدفوعات المعاملات الجارية وانتقال رؤوس الاموال والمؤسسة المالية العربية للانماء الاقتصادى ، واتفاقية الوحدة الاقتصادية ، وانشاء السوق العربية المشتركة .

وقد وضعت اتفاقية الوحدة على أساس من الحرية قد لا يتفق كثيرا مع مستلزمات التخطيط ، فتتضمن الاتفاقية حرية انتقال الاشخاص ورؤوس الاموال ، وحرية تبادل البضائع والمنتجات ، وحرية الاقامة والعمل والاستخدام وممارسة النشاط الاقتصادى ، وحرية النقل والترانسيت واستعمال وسائل النقل والمرافىء ، والمطارات وحرية الحركة والتعامل لا يمكن قبولها كأساس حتى بالنسبة للبلد الواحد الذى يأخذ بفلسفة التخطيط ، لان هذه الحرية تؤدى الى تركز المشروعات والمرافق،مما يخلبالتوازن الاقتصادى والاجتماعى في البلد الواحد ، وهو ما نلمسه جميعا في التباين الواضح بين الريف والمدينة، وبين المدن وبعضها وبين مختلف المناطق حتى في المدينة الواحدة نتيجة هذه الحرية الاقتصادية، وقد بدت هذه الظاهرة ايضا في البلاد التى توحدت في ظل الحرية الاقتصادية كبريطانيا وايطاليا مثلا التى نلمس التباين بين اجزائها بشكل أعمق مما كان قبل الوحدة . واذا كان الامر كذلك فان حرية الحركة والتعامل بين البلاد العربية ليس من السهل قبوله في هذه المرحلة من التطور ، وقد يؤدى الى زيادة تفاقم المشاكلبدلا من حلها . اذا تركنا مشروع الوحدة الاقتصادية الان بين البلاد العربية ، فانعلينا اولا ان نجيب على امكانية التعاون على اساس مرسوم بين البلاد العربية ، حتى لا تتضارب سياستها الاقتصادية ..

انه مهما كان التنافر بين النظم القائمة في البلاد العربية ، الا ان اهتمامها جميعا بالتنمية لرفع مستوى معيشتها يقتضى دراسة المشروعات اللازمة لتحقيق هذه النتيجة ، وطالما انالامكانيات المادية والكفايات البشرية محدودة فليس هناك مجال كبير لتبديدها في مشروعات غير مضمونة النجاح .

اذا اخذنا كل بلد عربى على حدة نجد ان أكبرها سوقا هى الجمهورية العربيةالمتحدة ،التى تضم في نفس الوقت أكبر عدد من الكفايات والخبرات ، وبالتالى لم تجد صعوبة في وضع خطة اقتصادية شاملة تتضمن القيام بعدد طيب من المشروعات الانتاجية الضخمة ، كالحديد والصلب ، والكيماويات ، والبتروكيماويات . وليس من السهل على البلاد العربية الاخرى ان تقوم بمثل هذه الصناعات ، لانه اذا توفر لها رأس المال ، واجهت بصغر حجم السوق ، وبالتالى ستجد متاعب في تصريف ما تنتج ، ومع ذلك فان قيام بعضهذه الصناعات قديكونمطلوبا لاعتبارات استراتيجيةاو لتدعيم صناعات اخرى، وهنا يمكن ان نجد بعض البلاد العربية قد تقبل على اقامة صناعات لا تستند الى أساس اقتصادى ، ويتحمل اقتصادها القطرى الكثير من الاعباء المترتبة على ذلك ، وفي هذا ما فيه من تكاليف قد لا يكون هناك داع لها لو تفاهمتالدول العربية فيما بينها مسبقا على نوع المشروعات

التى تقوم بها . وبالتالى يتم تخصيص رأس المال فى نواحى الاستثمارات المختلفة بشكل اجدى وأشمل .

والحقيقة الجديرة بالاهتمام انه مع ضخامة سوق الجمهورية العربية المتحدة . فهى تعتبر ضيقة بالنسبة للاحجام المثلى لبعض الصناعات الثقيلة ، واستخدام الطاقة النووية وهو ما يزيد الاحساس بضرورة التفاهم على اقامة مشروعات التنمية بين البلاد العربية ، فى هذه الحال يمكن ان تقوم صناعات فى بعض اجزاء الوطن العربى بالرغم من ضيق سوق البلد الذى تقوم فيه ، لان سوق هذه الصناعات سيكون السوق العربى الكبير .

وقد يتساءل البعض عن ماهية المعيار الذى يمكن ان يؤخذ فى اختيار الصناعات او تخطيطها، وهل هو التكاليف النسبية فحسب ، أم اعتبارات التوازن الاقتصادى والاجتماعى، حقيقة ان عنصر التكاليف النسبية عنصر هام غير ان اعتبارات التوازن قد تكون اجدى طالما ان الهدف هو ضمان القضاء على التناقضات التى يشكو منها المجتمع العربى .

ولضمان استقرار الانتاج يمكن ان تعقد الدول العربية فيما بينها اتفاقات طويلة الاجل للحصول على منتجات المشروعات المتفق عليها .

والاخذ بهذه الفكرة يعنى انه يمكن قيام صناعات استهلاكية فى كل سوق محلية ، ويترك لكل بلد حرية اقامة مثل هذه الصناعات لانها لا تتطلب رأس مال كبير ، او كفاية خاصة ، وتمتص قدرا لا بأس به من العمالة ، وذلك مثل صناعة المنسوجات والاحذية ،والاثاث،والزيوت، والصابون ، ومنتجات الالبان . وفى هذه الحال لا تلزم البلاد الاخرى باستيراد منتجات مثل هذه المصنوعات اذا صنعت محليا .

اما الصناعات الانتاجية فيمكن ان تتم على أساس اقليمى ، وعلى نطاق البلاد العربية ككل ــ هذا مع التزام البلاد العربية فيما بينها بشراء منتجات هذه الصناعات . ويمكن ان تتم العملية اما عن طريق تحديد صناعة انتاجية او اكثر لهذا البلد او ذاك ، او تشترك اكثر من بلد فى صناعة واحدة .

وحتى لا يحدث تعارض مع النظم الاجتماعية او تدخل فيها ، فالبلاد التى تأخذ بالاقتصاد الحر يمكن ان يقوم افرادها باستغلال الصناعات الاستهلاكية السابق الاشارة اليها ، اما الصناعات الانتاجية فمن المصلحة ان تتم على نطاق الدولة بمعنى ان تكون ادارتها للدولة بغض النظر عن شكل المساهمة .

اما عملية التمويل فيمكن ان تتم على أساس المدخرات العامة وتجميع حصيلة العملات الاجنبية بما لا يحرم أى بلد من التمتع بالقيمة الحقيقية لهذه العملات . ويحدث التجميع بتنظيم سياسة انتاج الخامات المصدرة ، اى تسويقها بشكل جماعى بما لا يسمح للمتعاملين الاجانب باحداث انشقاق بين المنتجين العرب ، كما حدث عند الضغط على مصر بشراء القطن السودانى .

واذا كان جزء من حصيلة تسويق المحاصيل يذهب فى شراء سلع استهلاكية اجنبية فيمكن اتباع سياسة تفضيلية للبلاد العربية . بما يسمح بشرائها من البلاد العربية دون البلاد الاجنبية .

يتضح من كلامنا السابق انه ليس هناك تعارض فى وضع تخطيط اقتصادى يضم البلاد العربية بالرغم من اختلاف الفلسفات التى تحكم اجزائه المختلفة ، ولا يعنى هذا التخطيط بأى حال ، كما نحب ان نؤكد ، حرية انتقال الاموال والاشخاص، لان هذا الانتقال يجب ان تحكمه المصالح الاقتصادية والاجتماعية لكل اقليم .

قد لا يجد بعض الحكام العرب مصلحة لهم فى اتباع نظام اقتصادى تخطيطى عام ، لسبب او لآخر ، وهنا يصبح ولا مفر للبلاد التى تأخذ بالفلسفة الاشتراكية او تجعل الاشتراكية هدفا لها من ان تبدأ بدراسة وضع خطة عامة للتنمية فيما بينها ،وهذه البلاد هى الجمهورية العربية المتحدة والجزائر ، وسوريا واليمن والعراق ، وهى تضم اكثر من ٥٥ ٪ من مجموع سكان البلاد العربية ، وتحوى من الامكانيات المادية ما يمكنها من وضع تخطيط عام بالرغم من بعدها عن بعضها . واذا لم تكن هناك حدود مشتركة تضمها ، الا ان الطريق البحرى يمكن ان ييسر هذا اللقاء ، والبدء بهذه الخطة مسألة أساسية اذا اردنا أن نقيم وحدة عربية تقوم على التكامل الاقتصادى . نخرج من ذلك بأن التخطيط على المستوى الاقليمى اذا كان ضروريا ، لخلق توازن اقتصادى واجتماعى ،فانه اساسى فى المرحلة التى نمر بها على مستوى المجتمع العربى كله حتى لا نفاجأ بالمتاعب فى المستقبل . ليس معنى ذلك اننا ننكر او نتجاهل متاعب التخطيط نفسها ، وما يمكن ان يحدث فيه من اختناقات ، فهذا وضعه بحث آخر ، ومع ذلك فان مشاكل التخطيط لتهون فى المدى الطويل اذا قورنت بمشاكل الحرية الاعتباطية ، فعلى الاقل يمكن الانسان بالمتابعة معرفة مدى الانحراف عما يضعه من خطط ، ولكنه فى النظام الاقتصادى القائم على الحرية لا يدرك الخطأ الا بعد ان يكون قد تسبب عنه خسائر اقتصادية واجتماعية بل وسياسية كثيرة ..



دور القطاع العام فى التنمية

د . محمد أحمد عجلان

حيث يجتمع الاشتراكيون العرب فى ندوة الهدف الرئيسى منها تحقيق وحدة فكرية فيما بينهم ، وتبادل الخبرة زيادة لحصولها لدى كل منهم ، واثارة للنقاش حول مواضيع تشغلهم جميعاحيث يكافحون ، لا يمكن ان نعالج « دور القطاع العام فى التنمية » من زاوية مقارنات بين اشكاله المختلفة فى البلاد العربية ، مثل ان نعقد مفاضلة مثلا بين نشأة القطاع العام والمسار الذى اتخذه والنتائج التى حققتها فى ج . ع . م . والتيسير الذاتى كأسلوب آخر نشأ ونما فى ظروف الجمهورية الجزائرية .

لايمكن ان يكون ذلك هو اسلوب المعالجة ، وانما يجب أن نتناول عرضه من زوايا أخرى ، ماالمفاهيم الاساسية وراء تكوين قطاع عام ، وما هى متطلبات وجوده ، وكيف يجب أن يسير ، وماهى الاهداف التى عليه أن يعمل من أجلها ، ما التناقضات التى يعيشها فى ظروف مجتمع يتطور نحو الاشتراكية ، ما الاساليب التنظيمية له وهكذا (*) .

نعنى هنا أن نحاول عرض هذا الموضوع فى مميزاته وخصائصه الرئيسية ، دون أن ندخل فى متاهة المقارنات ، فلكل بلد من ظروفه ما يملى أسلوب التطبيق فيه ، المهم أن تتجمع الخبرات ، وأن نناقش القواعد العامة التى يجب أن تحكم عملية تكوين وادارة القطاع العام .

وبالتـــــالى يثـــور ســـــؤال :

هو : ماذا نعنى بالقطـــاع العـــام ؟

ويلاحظ هنا أن القطاع العام لايبرر أمره الا فى الدول التى تحررت حديثا من الاستعمار ، والتى تتطور نحو الاشتراكية .

فهذه الدول التى تخرج من نفوذ الاستعمار بعد ان استنزف ثرواتها سنين طويلة وتتخذ حركتها التحريريةمضمونا أجتماعيا ، وتتعرض ــ بالرغممن التحرر السياسى ــ لضغط الاستعمار عامــة والاستعمار الجديد خاصة والرجعية الداخليــة كراس الرمح تتشكل أهدافها القومية فى صــور أساسية :

● مضمونوطنىيبغى التخلص النهائىمنالآثار الاستعمارية ،وهزيمة الاستعمار فىالمعركة الجديدة التى يفتحها .

● وضع أساس مادى لتنميةالمجتمع سعياالى الابقاء على الثورة القومية ورفعا لمستوى معيشة الجماهير .

● وضع قواعد لديمقراطية صحيحة سليمة تمارسها الجماهير صاحبة المصلحة فى التحرر على أوسع صورة يمكن أن تكون .

وحتى تتحقق هذه الاهداف التى تكاد تكونواحدة فى كل هذا النوع من الدول ، فانها تفترض ضرورة سيطرة الدولة على مواردها ، وتوجيه استخدامها، وتحديد طريقة وأسلوب تطورها .

هذه ضرورة أساسية يتطلبها الكفاح الجدى لتحقيق الاهداف الثلاثة السابقة .

وهو من ناحية أخرى واقع يتنافى معه أتاحة الاسلوب الراسمالى التقليدى للتنمية والتطور .

ولذلك تضطر هذه الدول الى أن تتخذ كل منها لنفسها ، ومن واقعها ، وحسب ظروفها وأسلوبها الخاص فى السيطرة على الموارد وتوجيه حركة المجتمع .

وتبدأ عادة بالاستيلاء على الراسمال الاجنبىأو القدر الاكبر منه .

وقد تقطع أشواطا أبعدمن ذلك ، حسبطبيعة النمو الاقتصادى فيها ، وموقف الفئات المختلفة من حركة التحرر التى خاضتها ، ومدى ارتباط بعض الفئات فى مجتمعها بالاستعمار القديم أو الجديد .

وهنا تصبح الدولة ــ دولة الثورة ذاتالمضمون الاجتماعى ــ مالكةلقدر منالثروةالقومية،وممارسة لجزء من النشاط القومى تجتهد فى أن توجه بهحركة المجتمع الاقتصادية وبالتالى الاجتماعية والسياسية فضلا عن ان تقف به فى حركتها الوطنية .

وهذا ما نسميه القطاع العام .

وهو بذلك تجسيد لملكية الدولة لقدر من الثروة القومية ، تديره وتوجهه بنفسها بهدف الوصولالى أهدافها الاجتماعية المحددة .

وبالتالى فأيا كانت الصورة التى يكونعليها فى اى بلدمن البلادفهو قطاع عامومادام يحققأويتحقق فيه كونه مملوكا للدولة ومتجها حسب ماترسمه .

يجب أن يتــكامل القطـــاع العـــام

فالقطاع العام ليس هدفا فى حد ذاته ، وليست ملكيةهذا القدر منوسائلالانتاجامرا مطلقا ،ولكنها فى الواقع وسيلة ، وملكية مرهونة بأن تحققأهدافا للمجتمع .

وحتى تحقق هذه الاهداف لابد أن تتوفر لها الامكانيات .

والمجتمعات النامية عادة ماتكون زراعية .

وهى لذلك تتجه الى التصنيع سعيا الى زيادة الثروة القومية ، وتحقيقا لمجتمع العمالة ما أمكن ، وتحررا من السيطرة الاستعمارية ، واقامة لدعامة حقيقية للتحول الاشتراكى .

ولكن هذا الاندفاع الى التصنيعيتطلباستثمارا واسعا ، وتعبئة للمدخرات وغالبا ــ بل يكاد يكون مؤكدا ــ تحجم الراسمالية المحلية عن الاسهام لما للثورة من مضمون اجتماعى .

والراسمال الاجنبى القائم فى صورة بنوك أو شركات تأمين أو استثمارات تجارية أو صناعية أو زراعية ،ليسبالمخلص لماتمثله الدولةمناتجاهات بل على العكس يسعى الى خنق الوليد الجديد .

والعمال والفلاحون والمثقفون وغيرهم ــ الذين تمثلهم هذهالدولةالجديدة ،لايمثلون اىقوة ادخارية يمكن أن تسهم فى الاستثمار ، ولايملكون الا العرق والجهد ليبذلوه ولكن بشرط أن تتواجد قبل ذلك امكانية الاستثمار .

وبالتالى اصبح ضروريا حتى يمكن للقطاع العام هذا أن يؤدى دوره :

● ان تتم السيطرة على البنوك وجميع المؤسسات المالية ، وكل الرأسمال الكبير ضمانا لاستخدام هذه القوى المتاحة في حقل التنمية ، وتوجيهها الى ما يدفع هذا القطاع العام للتقدم .

● وان تتم السيطرة الكاملة على التجارة الخارجية ، لضمان التحكم في تصدير ما يفيض ، واستغلال الحاصل في استيراد الالات والمعدات ، بدلا من اللبان ومعدات التجميل مثلا ، والتى تمثل للمستورد الفرد عائدا كبيرا تتضاءل أمامه الاعتبارات القومية في نظره .

● وان تتم السيطرة على التجارة الداخلية ، ضمانا لعدم وجود اختناقات في التسويق قد تؤثر على وصول منتجات القطاع العام الى يد الجماهير ، قد تؤثر على أن يصل الى متناول القطاع العام ما يلزمه من مستلزمات الانتاج .

● وان تتم السيطرة على الزراعة باعتبارها تمثل الجانب الاهم من الدخل القومي وتزداد عليها الاعباء بازدياد التنمية ، وتمثل في العديد من الصناعات العمود الفقرى لقيامها .

وهكذا ... وهكذا ... في مختلف قطاعات الثروة القومية .

لانه اذا أردنا للقطاع العام أن يقوم بواجباته التى حددناها ، وجب النظر اليه على انه جبهة متكاملة من النشاط الاقتصادى ، لايمكن أن تفتح فيها الثغرات والا كان ذلك على حساب التنمية على مستوى المجتمع كله .

وأيا كانت القطاعات في مختلف البلدان التى قد تتمايز من بلد الى بلد آخر في مدى أثرها على الاقتصاد القومى ، وبالتالى في ضرورة ومدى السيطرة عليها ، فان هناك من أوجه النشاط الاقتصادى ما يعتبر الاستيلاء عليه وليس مجرد السيطرة فحسب من الاولويات الضرورية اذا أردنا للتنمية أن تسير في طريقها الطبيعى ، وان يلعب القطاع العام دوره المطلوب .

تلك يمكن أن تكون :

● رأس المال المالى باعتباره وسيلة اتاحة الاستثمارات المعدة الجاهزة .

● الثروات الطبيعية فيما كان عائده يمثل قدرا هاما من الكيان الاقتصادى .

● الصناعات والانشطة ذات الصفة الاستراتيجية ، بمعنى الضرورة للحفاظ على الاستقلال الوطنى (أى حربية) او تمثل دعامة لركب من الصناعات والانشطة الاخرى .

وقد يختلف الامر من زاوية الاستيلاء أو السيطرة في قطاعات أخرى مثل الزراعة او السياحة أو النقل والمواصلات ... وهكذا .

ولكن اذا استطعنا الاستيلاء في حالة من الحالات فانه لايمكن مطلقا أن نسقط السيطرة .

ونريد هنا أن نؤكد أننا قصدنا بالسيطرة ، ليس بالضرورة الاستيلاء فذلك شكل السيطرة الاقصى ولكن قصدنا الحد الادنى من أمكانية التوجيه ، والتحكم في أتجاه الحركة ، ورسم خطوط التطور للقطاعات المختلفة ، ووضعها في نفس خط تطور المجتمع .

والخلاصة انه في أعتقادنا لايمكن للقطاع العام أن يحقق دوره كاملا وبنجاح الا اذا تمت سيطرة الدولة وتحكمها وفرضها لخط السير في جميع قطاعات الاقتصاد القومى ، والاتعرض القطاع العام لاخطار أن تتحكم العوامل الخارجة عنه فيه .

واذا كان نمو القطاع العام ، ونجاحه في اداء دوره يستلزم مثل هذه السيطرة ، فما الموقف من ناحيتين بالذات لهما أهميتهما وهما الزراعة والقطاع الخاص .

فكرة القطاع العام والزراعة

سبق أن قررنا ضرورة سيطرة الدولة على جميع القطاعات الانتاجية وغيرها .

والزراعة في المجتمعات النامية تمثل جانبا كبيرا ، وربما الجانب الرئيسى من الثروة القومية . وقد تلعب دورا رئيسيا — أو على الاقل ليس بسيطا — في معادلة الميزان التجارى للدولة ، وبالتالى فرضتها في استيراد الالات اللازمة للتصنيع وغيره .

والمجتمعات النامية ترث اوضاعا في القطاع الزراعى تتميز بقدر من علاقات الانتاج الاقطاعية ، سواء كان هذا القدر كبيرا أو صغيرا .

وترث مجتمعا ريفيا متعطشا لملكية الارض من ناحية ، كما يمثل توزيعها على افراده التجسيد الحى لزوال علاقات الانتاج الاقطاعية .

وهنا يتولد عديد من المتناقضات :

● تناقض من أثر تفتيت الملكيات على كفاءة

الانتاج ، وبالتالى على هذا الجانب الكبير من الثروة القومية وعلى اطعام الجماهير ، وعلى امكانيات التصدير .

● تناقض زيادة الطلب على المنتجات الزراعية للاستهلاك نتيجة اشاعة العدالة — أيا كان القدر الذى وصل اليه المجتمع — فى توزيع الدخل ، واستمرار ارتفاع مستوى المعيشة لقطاعات من المجتمع وتغير نمط الاستهلاك لها .

● تناقض ان التخطيط الاشتراكى يستلزم موازنة الحركة والتقدم ومعدل الاستثمار فى كل القطاعات ، وهو بالتأكيد لايستطيعه بالكفاءة والشمول اللازم فى قطاع تتحكم فيه مصالح الملاك الذاتية أو السوق .. وهكذا .

● تناقض ان المجتمع المتحول للاشتراكية ، والذى يفترض استمرار عملية تذويب الفوارق بين الطبقات فى كل مراحل تطوره ، قد يكون بهذه الاوضاع التى تجبره عليها الظروف التاريخية ، وتمايز الوعى السياسى ، يتحرك بصورة تساعد على نمو فئات وتبلورها الى طبقات تتناقض مصالحها مع مصلحة المجتمع ككل .

● تناقض محاولة اللحاق بالثورة التكنولوجية فى العالم ، وادخال الاساليب العلمية فى الزراعة مع الوضع المتفتت فى الريف .

وتصبح الدولة المتحولة الى الاشتراكية ، فى ضوء هذه التناقضات مجبرة بين الحين والاخر الى تنازلات للقطاع الفلاحى ، قد تصل آثاره الضارة الى تهديد كيان المجتمع الصناعى — من زاوية توفير المواد الخام اللازمة له — أو الى تهديد العلاقة الاساسية للمجتمع المتحول الى الاشتراكية ، وهى تحالف العمال والفلاحين .

ومع كل هذا فما زال أمامنا المبدأ الاساسى لبناء المجتمع الاشتراكى وهو ضرورة السيطرة على مصادر الثروة القومية وتوجيهها حتى تستطيع الدولة الوصول الى أهدافها .

وبالتالى وجب علينا ان نناقش فى أناة وصبر .. هل نستطيع ان نخلق فى قطاع الزراعة صورة القطاع العام القوية القادرة على أن تحكم تطور الزراعة وتوجهها وتفرض معدل حركتها ؟ .

هل نستطيع أن نتحول الى صورة المزارع الجماعية — حيث لاملكية بل عمال زراعيون حيث لاوسائل بدائية فى الزراعة ، بل ادارة بأسلوب علمى تكنيكى متقدم ؟ .

وهل لو افترضنا امكان ذلك ، فلدى المجتمع الذى مازال يبنى نفسه ، الفرصة والمجالات التى يستطيع فيها امتصاص القوى الغفيرة التى تصبح عرضة للبطالة بتكوين هذا القطاع العام ؟

وهل لو استطعنا ذلك بالنسبة للاراضى التى يتم الاستيلاء عليها من الملاك الاجانب والاقطاعيين، فهل نستطيع دون تعريض الثورة كلها لاشد الاخطار المساس بالملكيات الصغيرة نسبيا .

الواضح بعد كل هذا انه لامجال لقيام قطاع عام واسع فى المجال الزراعى . ولكنه واضح كذلك انه يجب أن يقوم معتمدا على بعض أو كل الاراضى التى يتم الاستيلاء عليها . وفى الاساس على تلك التى يتم استصلاحها .

ويصبح واجبا محددا لهذا الجزء من نشاط الدولة أن يحقق عددا من الاهداف :

● ان يكون مثالا حيا ناصعا لامكانيات التقدم العلمى فى مجال الزراعة .

● أن يتخصص — ما أمكن — لخدمة أهداف تصديرية معينة ، حتى تستطيع الدولة فى ضوء امكانياته ان تتبنى سياسة معينة ثابتة فى استيرادها .

● ان يرسم القواعد وينفذها لقيام علاقات أنتاج جديدة ، ولممارسة الديمقراطية الشعبية فى هذا الجزء من المجتمع الذى قد يتميز بتخلف سياسى .

ولان هذا القطاع العام فى مجال الزراعة سيكون بحكم ماذكرناه صغيرا ، ولايمثل الا قدرا بسيطا من النشاط الانتاجى الزراعى ، فمازالت امامنا ذات المشكلة الرئيسية وهى ، كيف تسيطر الدولة على هذا القطاع ، وكيف توجهه لخدمة اغراض التنمية ؟

وفى أعتقادنا أن ذلك مايمكن أن يتحقق بالاتجاهات الاتية :

● ان يوضع حد اقصى للملكية الزراعية يتم تحديده بالفعل ودون أى اعتبارات أخرى على أساس أستطاعة الفلاح الفرد واسرته وحدهما زراعته ، وذلك للقضاء على صورة العلاقات الاجتماعية القديمة .

● ان يشجع فى دأب واصرار على قيام الزراعة التعاونية ، ودعمها ماليا وفنيا ، حتى تنجح فى النهاية فى ان تجعل عائد العمل يفوق عائد التملك . وذلك كقاعدة اساسية لاعادة التشكيل السياسى لمفاهيم قطاع الريف .

● اتباع سياسة رشيدة وحازمة من ناحية تحديد أنواع المحصولات التى تزرع فى كل منطقة ، والكمية التى تستلمها الدولة منها ، والتى يجب ان تتدرج مع الملكية ، وخاصة ما يمثل اهمية تموينية او تصديرية .

● التحكم فى سوق الحاصلات الزراعية بفرض اسعار السوق على اساس من التكلفة الفعلية والتوازن مع انواع المنتجات الصناعية .

واخيرا وفى المدى الطويل تشجيع التعاونيات الزراعية على التحول الى شكل او آخر من الزراعة الجماعية فى تلازم وموازاة مع زراعة القطاع العام .

القطاع العام والقطاع الخاص

حيث اننا نعالج مشاكل مجتمع يتحول الى الاشتراكية ، فان ذلك يعنى فيما يتعلق برأس المال بعض الاعتبارات لعل اهمها :

● ان لرأس المال رسالة نحو المجتمع يجب أن تتحقق ، وانها فى حالة المالك الفرد يجب أن تلازم رغبته الدائبة فى تحقيق مكسب ذاتى ، وانه لم تعد هناك مصلحة خاصة تنفصل او تعلو على مصلحة المجتمع .

● ان جموحه نحو الاستغلال — اما مباشرة بفائض القيمة من عمل العمال الذين يوظفهم ، أو للمواطنين فى رفع عوائد التملك ، أو رفع عائد الخدمة — يجب أن يوقف عند حد معين لايسمح له بالزيادة عنه .

● وبالتالى فان اتجاه حركته ، ومعدل نموه ، وعائده ترسمه خطة عامة للدولة هو جزء منها يجب توجيهه بحيث يضيف الى تيارها لا أن يقف ازاءها أو يعرقل سيرها .

ويصبح خطأ كبيرا ، وفى معظم الاحيان خطيرا أن يظل مفهوم القطاع الخاص يسيطر علينا بصورته الرأسمالية بمعنى الاقتصاد الحر ، ... وهكذا .

وبالتالى فلعل أخطر القرارات فى المجتمع المتحول الى الاشتراكية فى هذا الخصوص هى مايتعلق بالاجابة على السؤال ، ماذا يترك للنشاط الخاص ؟ وما نوع الاجراءات التى يجب ان تتخذ لتحقق السيطرة المطلوبة على نشاطه ؟ .

وهنا اذ تتحدد اتجاهات الحركة للقطاع الخاص يصبح من الضرورى أن تدرس وتنفذ سياسات متمايزة بالنسبة لفئاته المختلفة :

● فالحرفيون مثلا ، والذين بطبيعتهم لايمثلون استغلالا ، بل قد يكونوا هم ضحية الاستغلال من فئات الرأسمالية الاقوى ، يجب أن يشجع دائما اتجاههم الى الانتاج التعاونى ، وأن تعمل الدولة بكل جهد على مساعدتهم ماليا وفنيا ، وأن تربطهم كلما كان ذلك ممكنا « بأب اقوى » فى القطاع العام يتعاون معهم انتاجا وتسويقا .

● والرأسمالية الوطنية المنتجة — يجب ان يتحدد الموقف منها بالتشجيع على الانتاج ولكن فى غير اتجاه الى أن تتحول طفيليه او استغلاليه .

● والرأسمالية الطفيلية التى قد تظهر فى صورة تجارة الجملة او مقاولات الباطن ، وهكذا يجب ازاحتها من الطريق تماما ، لان وجودها لايعنى مطلقا الا اثراء على حساب الشعب ، واستمرارا لنوع من علاقات الانتاج يجب ان يزول .

ولكن الى أين المصير للقطاع الخاص .

وهذا وان كان سؤالا يسبق اوانه بالنسبة لمعظم المجتمعات العربية الا ان الحلول له قد تكمن فيما أوردناه من تصنيف السياسة نحو فئات الرأسمال الخاص المختلفة .

فالتعاونيات الانتاجية كفيلة بعد التدعيم والنجاح أن تجعل عائد العمل يتقارب بل وقد يزيد على عائد التملك ، وبهذا تهيء مجالا كبيرا لاعادة التشكيل السياسى لهذا المستوى من القطاع الخاص .

والرأسمالية الوطنية التى لا تستطيع ان تطور نفسها كل يوم ، وأن تضيف بهذا بالفعل للمستوى الانتاجى للمجتمع ، لابد أن تنتهى الى طريق مسدود يوم تبلغ التنمية فى المجتمع المستوى الذى يجعل هؤلاء وما يملكون مخلفات من عصر متخلف انتاجيا وبالتالى تتم مع الزمن تصفيتهم .

ومن الخطر بل والخطأ فى نفس الوقت ان يفتح الباب لانضمام القطاع الخاص الى القطاع العام وقت يريد . ان هذا شرف اجتماعى لا يجوز ان يناله الا من يثبت فعلا انتاجيا وسياسيا انه يستحقه وهو اتجاه يدفع بالقطاع الخاص الى الاتجاه نحو الاثراء بأى طريق وتحقيق ربح خاص بكل وسيلة دون ان يتطور اويقدم للمجتمع جديدا ، مادام أمامه فى النهاية دائما « ملجأ » القطاع العام .

الاهداف التي يجب ان يتجه لتحقيقهـا القطـاع العـام

القطاع العام ابن الثورة الوليد ، وسلاحها الرئيسى لتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية بالمضامين التى تحددت قبل ذلك .

● تحقيق استمرار الاستقلال الوطنى،بمداومة دحر الاستعمار القديم ، والوقوف ازاء الاستعمار الجديد .،

● اقامة الدعامة الاقتصـادية القوية القادرة على ايجاد الاساس المادى لوجود الاشتراكية .

● تحقيق اوسع قاعدة للديمقراطية .،

وبالتالى يصبح على القطاع العام ان يهيىء قواه ، وان يجمع كل جهوده لكى يحقق هذه الاهداف الثلاث بوسائله الخاصة ، وبما يتفق مع طبيعة تكوينه .

فكيف يتيسر له ذلك ؟

فى مجال الاستقلال الوطنى

وعلى الاخص مقاومة الاستعمار الجديد . يمكن للقطاع العام أن يلعب دوره فى هذا المجال ، اذا استطاع بكفاءة ان ينجح فى ثلاث معارك رئيسية:

اولا : اقامة الصناعة الثقيلة .. اى صناعة وسائل الانتاج ، لانه بدونها تصبح صناعته (مجتمعه الصناعى) تحت سيطرة ورحمة الدول المنتجة لقطع الغيار والماكينات. والملاحظ فى المجتمع الحالى استمرار اتجاه هذه المنتجات الصناعية الى الارتفاع الى درجة أن بعض الحسابات قد أبرزت أن تكاليف اقامة مصنع ماقد ازدادت خلال بضعة السنوات الاخيرة بما يـزيد على ٥٠٪

هذا فضلا عن أن الصناعة الثقيلة تعتبر دعامة لاتصب نتائجها فى آلات المصانع فحسب ، ولكن فى كل نواحى النشاط الاقتصادى، النقل ، الكهرباء الزراعـة .. الخ .

ثانيا : رفع الكفاءة الانتاجية، وبالتالى التصدير فمن المعروف أنه قد لايتيسر وقد لايكون اقتصاديا ان يقام فى كل بلد من البلاد جميع فروع الصناعة الثقيلة . ومن ثم فالدولة فى حاجة الى استيراد مثل تلك المنتجات التى لاتنتجها ، وقد تكون بحاجة الى استيراد مواد تموينية وهكذا . وبـدون التصدير تنقلب الموازين التجارية للمجتمع النامى ويضطر الى القروض وبالتالى الضغط او السيطرة من القوى الخارجية .،

وحتى يتيسر التصدير لابد أن ترتفع الكفاءة الانتاجية حتى يمكن الدخول بنجاح فى حقل المنافسة مع بقية المنتجين لنفس السلعة .

وهنا كثيرا مايثار نقاش حول أن المجتمعات النامية تضطر الى تكثيف العمالة تحقيقا للعـدل الاجتماعى وقضاء على البطالة مما يقف ازاء رفع الكفاءة الانتاجية . ولكن الحل فى اعتقادنا ليس فى تكثيف العمالة فى الوحدة الانتاجية الاقتصادية ولكن بتحقيق العمالة الكاملة عن طريق زيادة النشاط الانتاجى ككل .،

ثالثا : مايمكن ان نسميه تكثيف العمل أو التفاعل المتسلسل . فالمشاهد فى المجتمع المعاصر أن هناك هوة تزداد اتساعا بين أسعار الخامات والمواد الاولية (ولها دور كبير فى اقتصـاديات البـلاد النامية) واسـعار المنتجات الصناعية (وتأتى غالبا من الدول المتقدمة والتى يمثل الكثير منها مخالب الاستعمار الجديد) . فالنجاح فى تخطيط التصنيع بحيث لاتصدر مادة خام ، بحيث تدخل اى مادة أو اى منتج فى حلقات تصنيع متصلة تخرج فى كل حلقة منها نوع من المنتجات ، وما بقى يدخل الى عملية اخرى وهكذا ، تلك هى افضل وسيلة لزيادة القيمة المضافة للمجتمع ، وللتغلب على هذه الفروق المذكورة اعلاه وتقلل من ضغط الموازين التجارية الناتج عنه .،

الانتاج يمكن تمثيله بتفاعل كيميائى تدخله مواد معينة لتتفاعل فى وعاء معين ، ينتج اثناء التفاعل طاقة تنصرف الى ما حـول الوعاء ، وفى النهاية منتج جديد أكثر قيمة أو اشد لزوما . واستمرار هذه التفاعلات يزيد الطاقة المنصرفة الى المجتمع فى شكل عائد عمل وعائد استثمار وهكذا ، وفى نفس الوقت منتجات أكثر قيمة .،

فى مجـال اقامة الدعامة الاقتصادية القوية

وانه فى اعتقادنا يمكن للقطاع العام أن يلعب دوره فى هذا الاتجاه بحيث يصبح مؤثرا وقويا ، اذا استهدف فى خطواته اتجاهات مثل :

اولا : أن يكون الوعاء الاساسى للادخار .،

فاقامة الدعامة الاقتصادية يتوقف بجـوار

التشغيل الكفء على زيادة حجم الاستثمارات ، وبالتالي حجم الاعمال .

والدول الناميةفي الاصل دول فقيرة ، قد نهبتثرواتها علىمدى السنين والقرون.وأفرادها عانت من الفقر والجهل والمرض ، ودخول الافراد لاتتيح لهم الادخار الى الحدود التى تتطلبها خطط التنمية الطموحة الواجبة (٢٠ الى ٢٥٪) .

والثروة القومية سواء بالفعل أو حسب ما يجب ان يكون ، تقع فى معظمها تحت سيطرة القطاع العام وادارته . وبالتالى فعليه وحده يقع العبء الاكبر فى الادخار لتحقيق الاستثمارات اللازمة . والادخار هنا يتكون من فائض القيمة الناتج عن التشغيل ، وهو الفرق بين تكاليف التشغيل وعائده .

ثانيا : أن يبنى مدارسه التكنولوجية فى سبيل التطوير والابتكار .

فأى استثمار يستغل ، وأى صناعة تنشأ ، حتى وان كانت على أحدث الوسائل التكنولوجية وأكثرها تطورا ، تصبح بعد فترة من الوقت قديمة متأخرة ، عاجزة أمام الابتكارات والتطوير الذى تحدثه الثورة التكنولوجية العالمية المعاصرة ، والتى أصبحت الاستثمارات اللازمة للحصول عليها باهظةالتكاليفتكاد تعجز عنها تماما الدول النامية .

وبالتالى أصبح واجبا حتى يستمر القطاع العام فى أداء دوره بكفاءة تتناسب مع التطورات العالمية وتتيح له استمرار امكانية التصدير سعياللحصول على كل من وسائل او مستلزمات الانتاج أن ينشىء مدارسه الخاصة للبحث والتطوير ، وأن يشجع بكل وسيلة وعلى كل المستويات روح الابتكار والتحسين . ان الموارد شحيحة ،ويجب أنيتصدى هذا النوع من النشاط لحل معادلة اقل استثمار ممكن وأكبر معدل لنمو الانتاج والانتاجية .

ثالثا : الاستثمارات البشرية واستغلالها اقصى الاستغلال .

فالدول الناميةوانكانيميزها نقصفىالاستثمارات الماليةالمتاحة،الا انها تتميز كذلكبكثرةالاستثمارات البشرية المتاحة . تتميز بتوفر قوة العمل القائمة والقادرة على اضافةجديد لو أمكن جذبها عنوعى واخلاص الى مجال العمل البناء . وذلك واجب سوف نتعرض له فى الجانب الديمقراطى من حركة القطاع العام .

ولكن القوى البشرية المتاحة هذه لم تولد وتنشأ ولم تتدرب فى مجتمع يرضع أطفاله منذ صغرهم فى لعبهم وهم أطفال ، وفى مدارسهم وهم شباب ، وفى مظاهر الحياة المحيطة بهم ، المعرفة الفنية الحديثة ، ومظاهر التقدم العلمى الحديث ، والتفاعل معها ، وادراكها ، ومعالجة مشاكلها . ان معظم الافراد فى الشعوب النامية تنشأ فىمجتمعات فقيرة ،زراعية وغيرها ،وبالتالى فامكانياتها فى العمل محدودة لضعف الخبرة .

والقطاع العام يلعب هنا دورا رئيسيا اذا مارس التدريب لأفراده بهدف رفع قدراتهم الفنية والذهنية باستمرار . هى عملية لاتنعكس آثارها داخل العمل فحسب ، بل فى جميع نواحى الحياة وحيث يعيش هؤلاء الافراد . اذا نظرنا الى التدريب النظرة البعيدة نسبيا لوجدنا أن القطاع العام يمكن أن يكون مصدر اشعاع فعلى للقدرة الفنية المتطورة على مستوى المجتمع بأكمله .

• • وفى مجـــال توسيـــع وتدعيم القاعدة الديمقراطية

فاذا كان صحيحا أن القطاع العام هو التجسيد الحى لملكية الشعب لوسائل الانتاج ، واذا كان يحق هو الدعامة الاقتصادية للاشتراكية ، واذا كان فعلا يمثل تجمع الثروة القومية . واذا كان الشكل الاقتصادىللمجتمعهو الذىيحدد صورتهالسياسية والاجتماعية ، فانه يصبح صعبا على الذهن أن يتصور الا تتحقق أهدافا مثل :

- تذويب الفوارق بين الطبقات .
- ديمقراطية الانتاج .

أول ماتتحقق داخل القطاع العام بالذات ، وأن يحمل عبء حملها جنينا ، وولادتها طفلا يحبو ، ورعايتها شابا قويا يعمل مثل زهرة تثمر .

ان خطوات كالتدريب التى ذكرناها اعلاه ، فضلا عن آثارها فى بناء الدعاية الاقتصادية هى السبيل الوحيد والسليم للارتفاع بمستوى الفئات الكادحة التى جرى المجتمع الرأسمالى على أن تولد وتموت وهى فى أسفل السلم الاجتماعى،وكان دائما حريصا على عدم تطورها أنه بالتدريب يمكن أن تشعر بكيانها الادمى . وتتفتح أمامها فرص التقدم . أن الاشتراكية لاتعنى بتذويب الفوارق بين الطبقات أن تنزل بالمستوى الذى هو أعلى الى المستوى الذى هو أدنى ، ولكنها تعنى العكس تماما ، ويجب أن يظلهذا هدفها مااستطاعت .

ان اتجاهات مثل الابتكار ، ورفع الكفاءة الانتاجية ، بجوار آثارها فى تكوين الدعامة الاقتصادية ، يجب أن تنعكس اجتماعيا على القضاء على نوع الاعمال الدنيا والنصلية اللافكرية وبالتدريب

يرتفع من سبق أن احتلوا كنتيجة للظلم الاجتماعى هذا الدرك الاسفل الى مستويات أعلاه ، أكثر قيمة من زاوية العمل ، وأكثر انسانية ، وبالتالى يستمر المستوى الطبقى الادنى فى الارتفاع ، وهو الحل الطبيعى والايجابى والمثمر فى نفس الوقت لعملية تذويب الفوارق بين الطبقات ».

وفى مجال ديمقراطية الانتاج .. سبق أن أشرنا الى أنه اذا كانت الاستثمارات المالية شحيحة فان الاستثمارات البشرية قائمة ، ويجب أن تجذب الى حقل الانتاج طواعية واختيارا ».

ان أقصى نجاح يتمثل فى أن نجعل الجماهير تؤدى العمل عن حب له وايمان به ، لاكمجرد وسيلة لكسب الاجر ، لانه لاشك فى الفارق بين الوضعين فى مجتمع ينمو ».

اننا نريد فوق ذلك أن نحول الانهار ، وأن نزيل الجبال ، وأن نستزرع الصحارى ولكن آمالنا أكبر مما تتيحه قدراتنا المالية . ولا سبيل لان نصل الى مانريد الا بأن نستطيع أن نجند هذه القوى البشرية لان تقدم قوة عملها عن رضى ودون مقابل فقوة العمل هى الاستثمار غير المحدود والذى ان وصلنا الى مفتاحه أصبحت سهلة ازاءه أى الامال .

ولكن ذلك كلهالذى نريد لا سبيل للوصول اليه الا عن طريق واحد رئيسى هو ديمقراطية الانتاج بجملة المضامين التى تعنيها .

انها أولماتعنىأن تشاركالجماهير علىاطلاقها وفى أوسع جبهاتها فى ادارة الاعمال وليس ذلك مما يعنى مطلقا الفوضوية . ولكنه يعنى أن تعلم دورها فى العمل ، وأن تناقشه وأن تضيف اليه ، وان تعترض على ماتظنه خطأ او فوق قدراتها ، حتى اذا ماانتهت المناقشة الواسعة العريضة اندفع الجميع بايمان وعن ادراك بأنه يعمل ماهو مؤمن به ، وما قدم فيه عصارة فكره .. ثم يتلو هذا اللقاء على فترات لمتابعة تطور العمل ، وتبادل النقد والنقد الذاتى ، وهكذا حتى وقت خطة العمل الجديدة ».

بهذا تشعر الجماهير فعلا بأنها تملك العمل ، وأنها تديره ، وأنها تدفعه نحو ما تؤمن وما تريد .

هذه الممارسة الديمقراطية للعمل هى من ناحية اخرى التجسيد الفعلى لتحقيق رقابة شعبية لاتتولد عنها تناقضات بين الادارة والجماهير العاملة ، وتجعل الجميع يسير فى تلاحم وتعاون، وليس فى تناقض وتنافر كما لابد ان يحدث لو امتنع هذا الواقع الديمقراطى ، أو لو أحللنا الفوضوية فى الادارة محل الانضباط الواجب .

الصورة التنظيمية للقطاع العام

واثارة هذا الجانب من « دور القطاع العام فى التنمية » ترجع أهميته الى أن التنظيم أحيانا — بل وكثيرا — قد يؤدى الى عرقلة التقدم كما قد يساعده .

هذا ويخضع التنظيمدائما للاعتبارات الاساسية فيما نكون التنظيم من أجله .

— ونبدأ هنا بأن نقرر بأن **الاشتراكية أو بناؤها والتخطيط صنوان لا يفترقان :**

— والتخطيط الاشتراكى يتصف — أو يجب أن يتصف — بالشمول ، وبربط كل أوجه النشاط الاقتصادى فى البلد المعين ببعضها البعض .

— ويجب أن تتركز فى يده تحديد معدلات النمو فى كل جانب ، ومن كل زاوية ، حتى يضمن تناسق عملية التقدم ، ويتفادى وجود الاختناقات .

— وبالتالى وجب أن نسلم هنـا بضرورة المركزية — والتى لابديل عنها — فى عملية التخطيط وتبعا لذلك المتابعة ، اذا أردنا ألا يسير كل قطاع شططا ، واذا اردنا ان تهيمن الدولة على استغلال مواردها افضل استغلال ، وعلى توجيه استثماراتها وعلى تحديد خططها المستقبلة بناء على تقديرات شبه مؤكدة ومضمونة تصل فى ضوئها ما بين مراحل التنمية .

— وتزداد ضرورة المركزية فى عملية الاحصاء التى هى الاساس الرئيسى لقيام تخطيط سليم قادر . فالنشاط الفردى فى المجتمع الرأسمالى أو شبه الرأسمالى بما يتميز به من عدم السيطرة على حركته ، ومن الرغبة فى اخفاء حجم أعماله وأرباحه وهكذا لايتيح — وعلى الاخص فى الدول النامية — أن تتواجد احصاءات يطمأن عليها ويمكن البدء لعملية التخطيط منها . كما أن ضعف الوعى وربما العرقلة الرجعية قد لاتتيح الاطمئنان الى ماتقدمه الوحداتفى أول مراحل البناء الاشتراكى ومن هنا صارت هناك ضرورة لمركزة عملية الاحصاء ، وبالتالى عملية المتابعة حتى يمكن ان يوجد الاساس المادى الذى يمكن ان تقوم عليه عملية تخطيط قادرة وسليمة .

والخطر الذى قد يحدث نتيجة هذه الضرورة الحاسمة هو نشوء البيروقراطية وتزايدها ».

والبيروقراطية كانت دائما الشعار الذي ترفعه الرأسمالية ضد الاتجاهات الاشتراكية ولا تتوانى عن استغلاله في تضليل الجماهير ومحاولة كسبها الى جانب الاقتصاد الفردي ».

ولكن نشوءها ضرورة ، ويصبح ضرورة كذلك الا نتركها تنمو وتصبح كالاخطبوط يلتف حول قدرات التنمية فيخنقها «.

فالبيروقراطية من حيث الصفة المكتبية ، ومن حيث خلق أجهزة معينة ضرورة حاسمة لتحقيق هذا القدر المشار اليه من المركزية «.

ولكنها بيروقراطية ، وأجهزة مركزية ذات دور معين ومحدد يجب أن تلعبه ، وبالتالي فمهما اتخذت صورة العمل المكتبي ، صورة من العلاقة بجميع أجهزة المجتمع الا أنه يجب أن نرى أن هاتين الصورتين هما من اجل تحقيق هدف ضروري للمجتمع «.

ويصبح الحرص كل الحرص واجبا أن نحافظ على دور هذه البيروقراطية في تلك الحدود بمعنى الا يسمح مطلقا بأن يمتد سلطانها الى أبعد مما تستلزمه طبيعة عملها «.

ويصبح ضروريا كذلك الا نجعلها الحجة التي يمكن أن يرتكن عليها كل جهاز عاجز عن ان يؤدي دوره ، وأن يقف عن التنفيذ والحركة الا بعد الرجوع لها ، وأن تتخذها باقي الاجهزة البيروقراطية في الدولة ستارا لعدم استطاعتها تحمل المسئولية والقيام بها «.

والحل هنا يجيء بألا يغيب عن الذهن دائما اعتباران :

● اعتبار ضمان خضوع الوحدات الانتاجية لمتطلبات الخطة والسير حسبها «.

● واعتبار تمكين الوحدات من حرية الحركة والقدر الكافي من السلطة لتحقيق دورها المرسوم لها ، ولكن دون المساس باحتياجات الخطة «.

وذلك مايمكن تصويره في صورة عملية في شكل خلق عدد من المستويات التنظيمية يرتبط به وبوضوح كامل قدر محدد من المسئولية في كل مستوى ، يتحقق به الانطلاق اللازم ، وتتحدد مهام الاجهزة ذات الصفة البيروقراطية — ولا نقول البيروقراطية — ويتحدد مستوى القرارات التي يستطيع كل من هذه المستويات أن يصدرها على مسئوليته ودون الرجوع الى مستوى اعلى ، يحاسب ان لم يتصد لها ويتحمل مسئوليتها «.

هذا ويمكن أن نضع صورة عامة لهذه المستويات يجب النظر لها على أنها ليست صورة جامدة بل تتغير تبعا للظروف من مجتمع الى آخر وربما في داخل المجتمع الواحد نفسه. تلك هي :

● مستوى تنفيذي مباشر يتخذ صورة الوحدات الانتاجية الاقتصادية .

● مستوى تخطيطي : اما على المجال الاقليمي أو المجال النوعي حسب الحاجة .

● مستوى تخطيطي على المجال القومي .

ويرتبط بهذين الاخيرين عملية المتابعة للتنفيذ ومدى ارتباطه بخطة الدولة العامة ، كما يرتبط به الاجهزة الاحصائية .

● ولكنا نضيف كذلك انه لابد ان ينتهي الامر بعد أن يتدعم الفهم والارتباط بخط التطور العام وبعد أن ترتكز حركة المجتمع على قواعد ثابتة ومحددة ، ان تعطى للوحدات الانتاجية جرعات من الاستقلال أكثر وأكثر تسرع من معدل نموها وتطورها ، مادامت الاشكال الاقتصادية في المجتمع قد تحددت بصورة تهيىء من ذاتها أقوى الموانع ضد أي جموع لهذه الوحدات أو خروج لها عن الخط «.

ويأتي الآن دور الوحدات الانتاجية

ويمكن في شأنها ايراد عدد من الاعتبارات الرئيسية التي يجب أن توضع دائما في الحسبان «.

● منها أن تكون الوحدة الانتاجية ذات حجم اقتصادي بمعنى ان يكون حجمها الانتاجي بحيث تلعب دورا له قيمته في الكيان الاقتصادي للمجتمع بحيث تستطيع ان توفى اعتبارات حجم التشغيل وحجم المصروفات ، وأن تحقق من التفاعل الذي يتم بداخلها عائدا معقولا للمجتمع . والا وجب ادماج مالا يوفى هذه الشروط ببعضه البعض وصولا الى الحجم المناسب «.

● ومنها ضرورة ان تتمتع الوحدات بكيان — ان لم يكن استقلال — فني ومالي ومحاسبي ، يمكن في ضوء نتائجه الحكم على مدى كفاءة الوحدة الانتاجية في قيامها بدورها في تحقيق الخطة ليس فقط من الناحية الاقتصادية ولكن من كل النواحي السياسية والاجتماعية كذلك .

● ومنها كذلك أن تتدعم في جميع الوحدات على الاطلاق حسابات التكاليف بالذات اذ أن هذه تمثل الاساس الضروري لامكان وضع سياسة تسعير سليمة على مستوى المجتمع ، ويمكن أن

تؤدى بالفعل الى حساب القيمة المضافة للمجتمع كبديل لمجرد أرباح الوحدة ، وتمكن من أن توازن اسعار التصدير مع الميزان التجارى للبلد المعين . وتؤدى الى وضوح أكثر فى الرؤية عند توجيه الاستثمارات ، وتمثل المحك الرئيسى فى المقارنة بين الاستمرار فى الانتاج بمعدات وآلات قد تكون قديمة نسبية ، وبين استبدالها بوسائل اكثر حداثة وجدة .. الى غير ذلك من الامكانيات التى تتيحها حسابات التكاليف اذا ماقورنت بحسابات التشغيل او موازين الخسائر والارباح .

هذا ويؤدى طبيعة البحث العلمى وتشعب مشاكله من ناحية ، وحقيقة ان جهدا علميا معينا قد ينصرف اثره الى اكثر من وحدة انتاجية من ناحية أخرى ، يؤدى ذلك الى ضرورة ان ترتبط كل مجموعة متماثلة من الوحدات فى اطار لها مع جهات البحث العلمى يتيح ان تلقى اليه بمشاكلها الفنية ، وان ينعكس فيها نتائج اى جهد تطويرى او علمى . انه بمعنى آخر ايجاد الترابط العضوى الذى يتيح ان يجمع ما بين القدرات العلمية المتاحة والقوى الانتاجية العاملة .

حماية القطاع العام ضرورة ثورية

لان القطاع العام بطبيعة الحال هو سلاح المجتمع الذى يسعى الى الاشتراكية فى تحقيقها فانه عرضة للهجوم من كل ناحية :

● يتعرض لهجوم الاستعمار بصفته تلك التى أوردناها ، وبوصفه منافسا جديدا فى السوق العالمى ، فيحاربه فى تصدير منتجاته ، ويضغط حتى لا تتوفر مستلزماته .

● يتعرض لهجوم الرجعية الداخلية باعتباره سلاح القضاء عليها .

● ويتعرض لهجوم الرأسمالية الوطنية الطفيلية باعتباره شجرة قوية تستطيع ان تتغذى عليها الطفيليات وان استمرت قضت عليها .

● وباعتباره الدعامة الرئيسية للتنمية ، فانه تنعكس فيه كل الصراعات والتناقضات التى يعيشها مثل هذا المجتمع . وبالتالى تكمن فى داخله عوامل يمكن اذا اشتد صراعها ان تهيىء الفرصة للهجوم ذى الشعب الثلاث اعلاه .

● فنحن نطلب للقطاع العام أن يمارس أقصى أشكال ديمقراطية العمل سعيا الى جذب الجماهير الى حقل الانتاج ، وان تبذل جهد سواعدها فيه ، وان تتضح كل فكرها فيما يعمل على تقدمه ، وفى نفس الوقت لا نرى بديلا لمركزية التوجيه وضرورة الارتباط لكل وحدة باتجاه التخطيط العام .

وهو أمر تزداد صعوبة ضبط السير فى ضبوئه كلما كان الوعى باهداف المجتمع لدى الجماهير العاملة منخفضا ، كلما لم تكن الطلائع الثورية من القدرة والنضج بحيث يمكن ان تطبع الامال والاندفاعات المحددة لمتطلبات العمل العام ، وتيار حركة المجتمع . وبحيث يمكن أن تجعل قواعدها فى موقع العمل المعين ترى أبعد من ارنبة الانف وان ترى نفسها وحركتها جزءا من مجتمع متكامل وليست بطوله خاصة فى حيز محدود .

● وعلى القطاع العام أن يكون وعاء الادخار الرئيسى ، وان يقتصد فى تكلفة اعماله حتى يحقق للدولة أكبر فائض ممكن، ولكن الجماهير التى طال حرمانها والتى ترى فى قبس الاشتراكية الضوء والامل تزداد مطالبها فى الحياة الحرة كل يوم ، وتكبر تطلعاتها مع كل تقدم ، والابقاء على فارق التكلفة مع قيمة الانتاج ليتحقق نفس الادخار امر يصبح بالغ الصعوبة ، وقد لا يتيسر ضبطه بحيث يأتى على الجديد الذى يحققه الابتكار والتطوير ، وقد يذهب ابعد من هذا الى أن يعتدى على الكيان ذاته .

● وثمة تناقض ثالث يعيشه القطاع العام ، فالدولة الثورية ترث اجهزة الانتاج ومن عليها . ومن هؤلاء من يصبح ولاؤه غير مضمون . ومنهم من بلغ به العفن انيميل الى البيروقراطية بمعناها ان لا يتحمل المسئولية ، ومنهم من يرى فى الوضع الجديد آمالا يريد ان ينتهزها ... وفيه مشكلة البشر بكل التقاليد والتعليم التى زرعها ونماها عصور الاقطاع والرأسمالية . ومع ذلك نريد القطاع العام أن يكون حامل الراية على رأس الجيش .

تلك أمثلة للتناقضات فى داخل القطاع العام، وهى اذا استشرت فيه أو كانت بحيث تتضخم ، فانما تعطى الفرصة للاعداء الثلاث الاستعمار والرجعية الداخلية والراسمالية الطفيلية ان تنجح فى هجومها عليه، وان تعزله عن الجماهير الشعبية التى ما وجد الا لخدمة مصالحها ، وبالتالى يفقد قدرته على النجاح بها مستندا الى جهودها .

وبالتالى تصبح الحماية للقطاع العام ضرورة ، وتصبح جزءا رئيسيا فى عملية بناء الاشتراكية ، والحماية يمكن ان تتخذ جميع الاشكال الممكنة :

● من تدعيم قواه ضد الاستعمار فى معارك التصدير او الاستيراد .

● من تصدى للشائعات ومحاولات التشكيك .

● من القضاء فى حسم على العناصر الرجعية او الانتهازية .

● من قطع دابر الرأسمالية الطفيلية ..

وهكذا منوسائل الحماية الادارية التىتمارسها الدولة الثورية من موقع السلطة .

وهى اجراءات يجب أن تكون الدولة قادرة ومستعدة على ادائها فى اللحظة المناسبة وبالحزم والشدة الواجبين ..

ولكن يجب ان نضيف الى هذا ضرورة الحماية من القاعدة .

وحماية القاعدة لا تتحقق الا بمزيد من الديمقراطية ، ومزيد دائم من العمل السياسى ..

وهذا بدوره لا يمكن ان يتحقق الا اذا وجدت وخلقت الطلائع الثورية القادرة على التوجيه والقيادة فى كل مجال ، وعلى كل المستويات .

وتصبح المشكلة الان ، أين تقف قيادة القطاع العام من تيار حركة المجتمع . ولسنا نعنى هنا قيادته الادارية والفنية ، بل فى الاساس قيادته السياسية التى تحكم وتوجه كل الجهد الادارى والفنى فيه .

والخبرة هنا قد تعددت فى كل ارجاء العالم . ولكنها نجحت دائما كلما كان التشكيل السياسى القائد للعمل ـ بكل جوانبه ـ فتلائما مع ظروف المجتمع موضع الممارسة ، ومع مرحلة تطوره ، ومع ظروفه الداخلية والخارجية ، ومع مدى القوة السياسية القائدة به ..

ولكن وضع القيادة السياسية فى وضعها الصحيح ، فى وحدات الانتاج كان دائما السبيل الى نجاح اكثر ، وتقدم اوسع ، وتحقيق لاهداف المجتمع .

ولكن : كيف نقيس نجاح القطاع العام ؟

ولسنا بحاجة الى أن نكرر انفسنا هنا .

فنجاحه كوحدات انتاجية يمكن انيقيس مدى ما حققه من انتاج « اكثر ، واجود ، وارخص » ومدى ما يحققه من فائض للاستثمار فى صورة ارباح ، ومعدل سيره فى هذا الاتجاه .

ولكن نخطىء اذا كان قياس العمل مفهومه الربح وحسب ..

فللقطاع العام رسالة سياسية ، واخرى اجتماعية يجب أن تدخل فى تقييم عمله بالاضافة الى الربح . ان الوقوف عند حد الربح مضمون رأسمالى صرف . كما تطرح الدولة الثورية الاسلوب الرأسمالى ، عليها أن تطرحه كذلك فى هذا المجال فلا يصبح هو المقياس الوحيد ،وربما فى بعض الاحيان ليس الرئيسى ..

ختام ..

ارجو أن اكون قد قدمت فىهذا مايصلح أساسا للنقاش ، سعيا الى مزيد من وحدة الفكر التقدمى العربى ، ووضعا لبعض ما يختلف حوله الرأى تحت منظار مكبر ..

وانى وان كنت قد تأثرت ـ بحكم طبيعة الاشياء ـ بالتجربة المصرية ، فلست اعتقد الا ان ما جاء بهذا البحث ، عدد من القواعد العامة والاشكال الاساسية التى قد تمثل عند الاتفاق عليها اساسا يصلح للتطبيق فى اكثر من مجتمع ..



الدكتور حيدر عبد الشافى ، هو من طليعة المثقفين الفلسطينيين الثوريين ، وعضو المجلس الوطنى لمنظمة تحرير فلسطين ، والمسئول عن التنظيم الشعبى بها فى قطاع غزة

فلسطين
واقعها .. وأسلوب تحريرها

د . حيدر عبد الشافى

تشكل قضية فلسطين حلقة هامة فى سلسلة قضايا التحرير العربية، ذلك لانه لايمكن حسم الصراع بين القوى الثورية العربية وبين الاستعمار والرجعية ما دام الكيان الاستعمارى العدوانى العنصرى الممثل فى دولة العصابات الصهيونية قائما فى فلسطين المحتلة ، بدور كلب الحراسة للمصالح الاستعمارية فى المنطقة . كما ان قضايا العرب المصيرية كالوحدة العربية وفتح الطريق امام التغيرات الاجتماعية ستظل مهددة مادامت فلسطين محتلة وقاعدة للعدوان واكثر من ذلك فان المكاسب التى حققتها حركة الثورة العربية ستظل معرضة للاخطار والتدمير .

وقضية فلسطين لا تختلف فى جوهرها عن غيرها من قضايا التحرر الوطنى فهى قضية تحرر من الاستعمار والصهيونية وان كانت تتميز بظروف خاصة لابد من الاحاطة بها وفهم الشروط النوعية للمجتمع الفلسطينى من اجل اكتشاف القوانين الاساسية التى تحكم ظاهرة القضية الفلسطينية واستنباط الخط الكفاحى السليم الملائم لواقع شعبنا الفلسطينى وطبيعة المرحلة التى تمر بها قضيتنا .

الظروف الجديدة للقضية

وتطرح القضية الفلسطينية نفسها اليوم فى ظروف جديدة تختلف اختلافا جذريا عن ظروف سنة ١٩٤٨ عالميا وعربيا ومحليا .

فعلى الصعيد العالمى نجد ان عصرنا الراهن يتميز بانه عصر تفكك النظام الامبريالى وتداعيه وتساقط معاقله الواحد تلو الاخر تحت ضربات القوى الاشتراكية وحركات التحرر الوطنى المتعاظمة ونتيجة لتأزم تناقضاته الداخلية .

كذلك يتميز عصرنا بانتصار الاشتراكية وشمولها بحيث اصبحت نظاما عالميا يلعب دورا حاسما فى قضايا العصر المختلفة ويطبع بطابعه الكثير من الحركات الثورية التحررية التى اجتازت مرحلة التحرر الوطنى واخذت تشق طريقها نحو الاشتراكية مستعينة بالعون المادى والادبى الذى يقدمه لها العالم الاشتراكى .

وهكذا اصبحت ظاهرة التلاحم بين الثورة الوطنية والثورة الاشتراكية سمة اساسية من سمات العصر ، ومن هنا يتأكد اللقاء بين العالم الاشتراكى وحركات التحرر الوطنى فى جبهة عالمية قوية معادية للاستعمار وتعمل على تحقيق السلم والتحرر والاشتراكية .

اما على الصعيد العربى فالسمة الاولى المميزة لهذه المرحلة هى احترام الصراع وتكثفه ووصوله الى مرحلة التطاحن بين القوى الثورية العربية وبين الاستعمار والرجعية العربية العميلة الحاكمة فى كل من الاردن والسعودية وتونس وليبيا والمغرب والسودان وامارات الخليج والجنوب .

أما السمة الثانية فهى ظاهرة التحام الثورة الوطنية بالتغير الاجتماعى فى رقعة واسعة من وطننا العربى تتمثل اساسا فى الجمهورية العربية المتحدة وسوريا والجزائر وهى التى تلقى الرعب والفزع فىقلوبالرجعيين العرب الضالعين مع الاستعمار والذينيجثمون علىصدور شعوبهم بمساندة حراب المستعمرين ، وكلما زادت الحركة الثورية العربية قوةواتساعا اسفر الرجعيون عن حقيقتهم كخونة معادين تماما لاهداف الامة العربيةفىالتحرر والوحدة والاشتراكيةمستخدمين فى ذلك سلاحا رجعيا استعماريا مغلولا هو محاربة الشيوعية ، ومتخذين من الدين شعارا لتجميع كل العملاء فى المنطقة لتأسيس حلفرجعى استعمارى هو الحلف الاسلامى .

لقد عرت القوى الثورية العربية هذا الحلف وكشفت هويته والداعين له وطرحت شعارا ثوريا هو شعار وحدة القوى الثورية فى المنطقة العربية باسرها من اجل خوض المعركة الفاصلة ... معركة تصفية الاستعمار والصهيونية والرجعية نهائيا والى غير رجعة ولم يعد هنالك مجال للمهادنة بين القوى الثورية والقوى الرجعية تحت اى ظرف من الظروف .

واما على الصعيد الفلسطينى فان سنوات الغربة والتشرد الطويلة بكل ضراوتها وقسوتها لم تستطع ان تثنى شعبنا العربى الفلسطينى عن مطلبه الاساسي وهو التحرير . كما ان محاولات التصفية والتوطين لم تنل من صموده وتصميمه على المحافظة على كيانه . ورغم عوامل التمزق والفرقة وجميع الظروف المعاكسة الاخرى تمسك الشعب الفلسطينى بصلابة وعناد بحقه الطبيعى فى تقرير مصيره بنفسه والقيام بدوره الطليعى فى تحرير بلاده ورفض كل اشكال الوصاية عليه.

وهكذا استطاع شعبنا بنضاله ان يفرض قيام منظمة التحرير الفلسطينية التى ارادها ان تكون تعبيرا عن شخصيته المستقلة وتجسيدا لحقه فى القيام بدوره الطليعى فىتحرير بلادهوتقرير مصيره بنفسه واداة لتوحيد قواه الثورية وتنظيمها وتعبئتها .

ولكىنفهم الواقع الفلسطينىلابد لنا انن ستعرض بايجاز العوامل التى لعبت دورها فى خلق هذا الواقع ، ومن اجل استخلاص الخطة الكفاحية التى يجب اتباعها لتغيير هذا الواقع .

فلسطين بين الاستعمار والصهيونية

كانت فلسطين هدفا لمؤامرات الاستعمار والصهيونية منذ اواخر القرن الماضي ولكنقضيتها اخذت شكلها النهائى نتيجة للتسويات الاستعمارية التى تمت فى اعقاب الحرب العالمية الاولى من جهة ، ونتيجة التلاحم بين مصالح الاستعمار البريطانى ومصالح الصهيونية منجهة اخرى. وكان وعد بلفور الذى اصدرته بريطانيا فى نوفمبر سنة ١٩٦٧ بمثابة الاعلان الرسمى عن هذا التلاحم .

لقد تحددت اهداف الاستعمار بالنسبة لفلسطين والمنطقة العربية بشكل واضح فى تقرير كامبل بانرمان رئيسوزراء بريطانيا الذى وضعه سنة ١٩٠٧ ، ومنه يتضح ان الدول الاستعمارية بريطانيا وفرنسا وبلجيكا وهولندا وايطاليا واسبانيا والبرتغال قد عقدت مؤتمرا لدراسة مشاكل الاستعمار ، وكان من أهم قرارات المؤتمر التى تخص المنطقةالعربية قرار ينص علىانالخطر الذى يهدد الاستعمار هو البحر الابيض المتوسط الذى يؤلف حلقة الاتصال بين الشرق والغرب

ويقيم على سواحله الجنوبية والشرقية شعب له كل مقومات الوحدة وهو الشعب العربي ، فأوصى التقرير لمواجهة هذا الخطر ان تعمل الدول الاستعمارية على تجزئة هذه المنطقة للابقاء على تخلفها ومحاربة اى اتحاد يقوم بينها ، واقترح كوسيلة لذلك العمل على فصل الجزأين الآسيوى والافريقى احدهما عن الاخر واقامة حاجز بشرى غريب فى نقطة الإلتقاء في فلسطين يمكن للاستعمار استخدامه فى تحقيق اغراضه .

وبالاضافة الى ما تقدم فان الاستعمار البريطانى بصفة خاصة كان حريصا على السيطرة على فلسطين لتأمين مواصلاته والاشراف على قناة السويس من جهة الشرق .

أما الصهيونية فهى حركة رجعية عدوانية استعمارية عنصرية نشأت فى حضن الرأسمالية الاحتكارية الاوربية فى العقد الاخير من القرن الماضي، وتستند هذه الحركة الى نظرية عنصرية خاطئة ومضللة مفادها ان اليهودية ليست دينا فحسب ولكنها ايضا قومية وان اليهود امة بحاجة الي وطن تقيم عليه دولتها دون منافسة اومضايقة وان هذا الوطن يجب ان يكون فى فلسطين باعتبارها ارض الميعاد المزعوم لليهود . ولم يأت اختيار فلسطين اعتباطا ، ولكن بقصد استغلال عواطف اليهود الدينية بحملهم على تأييد الصهيونية . لقد كانت هذه الحركة تعبيرا عن المصالح الاقتصادية للاحتكارات الرأسمالية بصفة عامة والتي يسيطر عليها ويساهم فيها الرأسماليون اليهود بصفة خاصة .

أما الزعم بأن الحركة الصهيونية قد قامت لحل المشكلة اليهودية فهو زعم باطل من اساسه ، وذلك لان تيارات اضطهاد اليهود التى ظهرت فى القارة الاوربية فى الفترة التى شهدت تطور المجتمع الاقطاعى وظهور بوادر العلاقات الرأسمالية فيه ليس منشؤها الديانة اليهودية كما تزعم الصهيونية ، بل نشأت نتيجة لطبيعة الدور الذى مارسه اليهود والاغنياء منهم بصفة خاصة تاريخيا فى المجتمعات التى اقاموا فيها وهو دور التاجر ورجل المال والقيام بالوساطة المالية والربا والاعمال المصرفية ، وكان القصد من وراء الاضطهاد هو انتزاع هذه الاعمال من أيدى اليهود لمصلحة البرجوازيات الاوروبية الناشئة والتى اتخذت من التعصب الدينى ومعاداة السامية ستارا ، وقد رافقت هذه الظاهرة عملية التحول من النظام الاقطاعى الى النظام الرأسمالى على فترات متعاقبة فى مختلف نواحي القارة الاوربية .

ويتضح لنا زيف ادعاء الصهيونية بأنها قامت بحل المشكلة اليهودية من ان الصهيونية ظهرت فى الفترة التى بدأ فيها المجتمع فى غرب اوروبا وامريكا يهضم اليهود واخذوا يندمجون فيه ولم يعودوا فئة منعزلة قائمة بذاتها فظهر منهم رأسماليون كبارا ولوردات أمثال روتشيلد ومونتفيوري ورؤساء وزارات امثال بلوم فى فرنسا ودزرائيلي فى انكلترا .صحيح ان المشكلة اليهودية كانت لاتزال قائمة فى شرق اوروبا ولكنها كانت فى طريقها الي الحل ، وهو اندماج اليهود فى المجتمعات التى يقيمون بها اسوة بما حدث فى غرب اوروبا وامريكا .

نشأت الصهيونية فى مرحلة تحول النظام الرأسمالى الحر الى النظام الرأسمالى الاستعمارى، واقترنت هذه المرحلة بضغط شديد على الطبقات الوسطى التى اخذت تبحث بحثا جنونيا عن مخرج من مآزقها فوجدته فى المذاهب العنصرية المتطرفة التى اوحت بها الدوائر الاحتكارية ولهذا نمت الصهيونية بين اوساط صغار الرأسماليين اليهود ، كما وجدت تشجيعا من كبار الماليين منهم الذين وجدوا فيها فرصة لزيادة ارباحهم واستغلال جموع اليهود فى مشاريعهم الاستعمارية التوسعية وابعادهم عن المشاركة فى حركة الجماهير ضد مستغليها فى الدول الرأسمالية، ولذلك كان قادة الحركة الصهيونية يرتاحون للاضطهادات التى تلحق باليهود لانها تمونهم بالاتباع . وفوق ذلك كله كانت تتلاقى تماما مع مصالح الاستعماريين الذين كانوا يبحثون من جانبهم عن أى وسيلة لاستغلالها فى خططهم التوسعية .

وهكذا تلاحمت مصالح الاستعمار والصهيونية فوجد الاستعمار فى الصهيونية اداة منظمة ونشطة لاستخدامها فى اغراضه التوسعية ، كما وجدت الصهيونية فى الاستعمار راعيا يقدم لها الحماية ويشركها معه فى استغلال الشعوب ، ولما كان الاستعمار البريطاني هو زعيم المعسكر الاستعمارى فى ذلك الوقت كان من الطبيعى ان ترتمى الصهيونية فى احضانه وتسعى لحمل الدول الاستعمارية الاخرى على الموافقة على انتداب بريطانيا على فلسطين لتحقيق وعد بلفور واقامة وطن قومى لليهود فيها .

وعندما فرض الاستعمار البريطاني وجوده فى فلسطين ادمج وعد بلفور فى صك الانتداب البريطانى عليها ووافقت عليه عصبة الامم وتعهدت الحكومة البريطانية بموجبه ان تعمل على اقامة الوطن القومى اليهودى واتخذت لذلك اربعة مظاهر رئيسية هى :

١ ــ تسهيل هجرة اليهود الى فلسطين وذلك من اجل خلق الاساس السكاني للوطن القومي اليهودي المفتعل . وكان يتم تهجير اليهود بعد اعدادهم للقيام بدورهم المرسوم في معسكرات خاصة تقيمها لهم الحركة الصهيونية في اوروبا وتلقنهم فيها الافكار الصهيونية الفاشية العدوانية وكانت تختارهم في سن الشباب وتهجرهم الى البلاد بموافقة الاستعمار البريطاني بحجة ان البلاد قادرة على استيعابهم اقتصاديا ، بالاضافة الى مهمتهم الاساسية وهي تقديم العمل للمؤسسات والاحتكارات الصهيونية فقد كانت لهم مهمة خطيرة هي مهمة الاصطدام بالحركة الوطنية العربية ، ونتيجة لهذه الهجرة ارتفع عدد اليهود في فلسطين من حوالي ٢٢ الفا سنة ١٩١٤ الى أكثر من ٦٨٠ الفا سنة ١٩٤٨ واصبحوا يشكلون حوالي ٣٢٪ من جملة السكان .

٢ ــ العمل على انتقال الاراضي الفلسطينية الى ايدي الصهيونيين وذلك بسن التشريعات المختلفة الرامية الى التضييق اقتصاديا على سكان البلاد العرب لحملهم على بيع اراضيهم للصهاينة ولكن هذه الحملة لم تنجح فلم يستطع الصهاينة ان يمتلكوا اكثر من ١٫٧٥ مليون دونم أي اقل من ٦٪ من جملة مساحة البلاد حصلوا على جزء كبير منها من الحكومة البريطانية التي منحتها للشركات الاحتكارية الصهيونية من الاراضي الاميرية وابتاعوا جزءا كبيرا من الاقطاعيين اللبنانيين الذين كانوا يملكون مساحات واسعة في شمال البلاد والباقي من بعض الاقطاعيين الفلسطينيين، وكانت الصهيونية حريصة على امتلاك الاراضي واعمارها بعمال زراعيين يهود حتى تقيم للوطن القومي اساسا اقتصاديا متجانسا مع الاقتصاد السائد في البلاد .

٣ ــ منح الامتيازات للشركات الصهيونية الاحتكارية لاستغلال موارد البلاد الطبيعية مثل :

(ا) منح شركة روتنبرج امتياز استغلال مياه ومساقط نهر الاردن لتوليد الكهرباء سنة ١٩٢١ .

(ب) منح شركة البوتاس الفلسطينية الصهيونية امتياز استغلال املاح البحر الميت سنة ١٩٢٩ .

(ج) نقل امتياز تجفيف سهل الحسولة الى الصهيونيين بعد ان كان ممنوحا لشركة عربية .

٤ ــ العمل على تشجيع الصناعات الصهيونية عن طريق حمايتها جمركيا واعفاء المواد الخام اللازمة لها من الرسوم الجمركية .

هذا بالاضافة الى اجراءات اخرى كاعتبار اللغة العبرية لغة رسمية في البلاد والاعتراف بالمنظمة الصهيونية والوكالة اليهودية كممثلة لليهود في فلسطين ، بالاضافة الى ضرب الحركة الوطنية العربية وعدم السماح بقيام اي شكل من اشكال الحكم الذاتي حتى لا يعرقل ذلك عملية بناء الوطن القومي .

وهكذا اخذت الصهيونية والاستعمار البريطاني يتطفلان على الاقتصاد الفلسطيني وكان لابد لهما من تطوير هذا الاقتصاد من اقتصاد اقطاعي راكد الى اقتصاد نصف اقطاعي نصف راسمالي يخدم اهداف الاستعمار والصيهونية فاخذت رؤوس الاموال الصهيونية والبريطانية تتدفق على البلاد لاستغلال مواردها الاولية واستثمارها ونشطت منذ بداية الاحتلال حركة تعبيد الطرق ومد الخطوط الحديدية واقامة شبكة من المواصلات التليفونية بالاضافة الى تعميق الموانىء .

وكان الغرض من ذلك مزدوجا ، فهو من جهة مجال لاستغلال رؤوس الاموال الاحتكارية الصهيونية والبريطانية وتسويق المنتجات الصناعية البريطانية ، ومن جهة اخرى يساعد على سرعة تحرك الجيوش البريطانية لقمع اي حركة وطنية ، ووافق ذلك تطوير الانتاج والنشاط الاقتصادي الرئيسي في البلاد وهو الزراعة تطويرا راسماليا ، ونشط الجهاز المصرفي الصهيوني الاستعماري ممثلا في بنكي باركليز وانجلو فلسطين في تمويل الشركات الاحتكارية ولكن هذا التطور الرأسمالي كان ذا شكل خاص فسياسة الحماية الجمركية للصناعات اليهودية اقترنت بفرض ضرائب فادحة غير مباشرة على سكان فلسطين العرب كما ان ترك التجارة حرة بالنسبة للعرب ادى الى خفض اسعار المنتجات العربية وخاصة المحصولات الزراعية، كذلك اقترن التطفل الاستعماري الصهيوني على اقتصاد فلسطين بترك اجزاء منه مهملة دون تطوير ، ونعني به الزراعة العربية التي ظلت متأخرة مما جعلها تعجز عن سد احتياجات البلاد كما حرمت الصناعة العربية من الحماية الجمركية مما جعلها تبقى متأخرة ومعتمدة على السوق المحلية فقط .

ومع ذلك فقد اصاب التطور الاقتصاد العربي الفلسطيني رغم انف الاستعمار لان تطوير الاقتصاد الفلسطيني عامة كان لابد ان يصيب القطاع العربي منه ، كذلك لعبت المنافسة الاقتصادية بين العرب واليهود دورا هاما في تطوير الاقتصاد العربي نحو الرأسمالية وقد اكتمل نمو الرأسمالية العربية بظهور رأسمالها المصرفي ممثلا في البنك العربي الذي تأسس سنة ١٩٣٠ .

والبنكين الزراعى العربى والصناعى العـــربى اللذين تأسسا سنة ١٩٣٥ .

وقد رافق ذلك كله تطور فى المجتمع العربى الفلسطينى الذى نشأت فيه طبقات جـــديدة فبالاضافة الى الطبقتين الرئيسيتين وهما الاقطاع والفلاحون ظهرت البرجوازية الفلسطينية وتركزت بشكل خاص فى الموانى والمدن الساحلية مثـل حيفا ويافا ، كما ظهرت الطبقة العاملة التى اخذت تتضخم بسبب تدفق الفلاحين الذين كانوا لا يجدون العمل فى الاراضى التى استولى عليها الصهاينة بسبب تطبيق نظام العمل العبرى فيها وحرمان العمال العرب من العمل فيها حتى بلغ عـــدد العمال العرب فى اواخر فترة الانتداب اكثر من مائة الف عامل .

الحركة الوطنية العربية فى فلسطين

كان التناقض الاجتماعى والاقتصادى والسياسى بين الاســـتعمار والصهيـــونية وبين الشعب الفلسطينى يجد تعبيرا له فى الحركة الوطنيـــة الفلسطينية تلك الحركة التى خاض فيهـــا شعبنا العربى الفلسطينى غمـــرة نضـــال طويل مرير لا هوادة فيه بدأ مبكرا فى اواخر القرن التاسع عشر حيث تصدى لمحاولات الصهيونيـــة شراء الاراضى فى العهد العثمانى لاقامـــة مستعمرات يهودية عليها وتمكن من ايقافها باستصدار فرمان سنة ١٨٩١ بمنع بيع الاراضى لليهود فى فلسطين ، كما ساهم شعبنا بصورة ايجابية فعالة فى حركة الثورة العربية ضد الحكم العثمانى . وقـــد واصل شعبنا الكفاح ضد الاستعمار والصهيونية طيلة فترة الانتداب البريطانى على فلسطين . ولكن الحركة الوطنية وقعت فى اوائل فترة الانتداب تحت قيادة العناصر الاقطاعية التى وجهت كفاح شعبنا توجيها خاطئا وجعلته يركز عدائه ضـــد اليهود فقط ، وكانت خطورة هذا الاتجـــاه انه يسير فى نفس الطريق الذى رسمه الاستعمار ، خط مهادنة الاستعمار وتجاهل الطبيعة العدوانية للصهيونية وتلاحمها معه .

لقد كانت القيادة الاقطاعية للحركة الوطنيـــة تقوم بمهمة تضليل هذه الحركة اذا لزم الامر وقد نتج عن ذلك ان تمكن الاستعمار من القيـــام بدور حمامة السلام بين الشـــــعب الفلسطينى والعصابة الصهيونية ، وقد استمر هذا الخط من سنة ١٩١٨ حتى اواخر سنة ١٩٣٣ ولذلك تميزت انتفاضات شعبنا فى سنوات ١٩٢٠ ، ١٩٢١ ، ١٩٢٩ ، بانها كلها كانت موجهة اساسا ضـــد اليهود وكانت القوات البريطانية تتدخل فى الوقت المناسب لوقف ما كانت تصوره بانه اعتـــداء من العرب على اليهود المسالمين .

ورغم ان البرجوازية الفلسطينية الناشئة قد بدأت تلعب دورا متزايدا فى الحركة الوطنيـــة ويظهر ذلك بوضوح من خلال التهييج السياسى الواسع وارسال الوفود الى الخارج الا انهـــا لم تستطع ان تفرض فكرها السياسى على قيادة الحركة الوطنية الا فى سنة ١٩٣٤ وبعد انحـــلال اللجنة التنفيذية التى كان يسيطر عليها الاقطاع والتى كانت تقود الحركة الوطنية منـــذ بداية الانتداب .

وقد استطاعت البرجوازية ان تحدد مطـــالب الحركة الوطنية بالاستقلال ووقف الهجرة اليهودية وانتقال الاراضى للصهيونيين واضـعة الاســـتقلال على رأس مطالبها ادراكا منها ان ذلك كفيل بحل كل المشاكل ، كذلك رفعت منذ ســـنة ١٩٣٣ شعار محاربة الاستعمار البريطانى باعتباره اصل الداء .

وزاد من قيمة افكار البرجوازية وتحريضهـــا السياسى وصولها الى صفوف الفلاحـــين الذين اصيبوا اكثر من غيرهم بسبب البرنامج الصهيونى نتيجة وقوعهم تحـــت عبء الضرائب الباهظة وبوار منتجاتهم وطرد اعداد كبيرة منهم مـــن الاراضى الزراعية التى استولى عليها الصهاينة.

كما ان الطبقة العاملة اخذت تنظم صفوفهـــا وتسهم بشكل متزايد فى الكفاح السياسى ولذلك تميزت الحركة الوطنية الفلسطينية فى الثلاثينيات بالصعود الى الاضراب السياسى العام الذى دام ستة شهور من ابريل الى اكتوبر سنة ١٩٣٦ ثم الى الثورة المسلحة التى كان الفلاحون قوامها وقد تم ذلك كله بمبادرة القوى الشعبية بحيث اجبرت قيادات الاحـــــزاب الفلسطينية نصف الاقطاعية نصف الرأسمالية الى التآلف فى اللجنة العربية العليا التى كانت تشكل القيادات السياسية للثورة .

لكن تلك الثورة الرائدة فى المنطقة العربية لم تلبث ان انتكست بسبب خيـــانة العنـــاصر الاقطاعية فى اللجنة العربية العليا للثورة وبسبب تردد العناصر البرجوازية فيها بعد تدخل الرجعية العربية ممثلة فى وساطة العميل نورى السعيد لانهاء الثورة ونداء ملوك السعودية ومصر والعراق وامير شرق الاردن المشـــــهور بوقف الاضراب والثورة المسلحة اعتمـــــادا على حسن نوايا صديقتهم بريطانيا .

وقد انتهت هذه الفترة بارسال لجنة تحقيق بريطانية اقترحت حلا لمشكلة فلسطين ولاول مرة هو تقسيم فلسطين الى ثلاثة اقسام : قسم تقام فيه دولة عربية وآخر دولة يهودية وقسم ثالث يبقى تحت الانتداب البريطاني ، مما ادى الى استئناف الثورة ،ولكن انعدام وجود قيادة ثورية وسيطرة العقلية المترددة والمساومة على القيادة السياسية وتآمر الرجعية المحلية والعربية مع الاستعمار ادى الى نهايتها .

الحرب العالمية الثانية وانعكاساتها

كان من ابرز انعكاسات الحرب العالمية الثانية في قضية فلسطين افلاس سياسة المهادنة والمساومة التي مارستها القيادة نصف الاقطاعية نصف الرأسمالية ، وتزايد اثر الجماهير الشعبية بعد ان اتسعت الطبقة العاملة واسست حزبها السياسي وهو عصبة التحرر الوطني التي كانت تستقطب غالبية العناصر الثورية والتقدمية في البلاد .

وكان من نتائج تلك الحرب تعاظم حركات التحرر الوطني في العالم بعد ان خرجت القوى الاستعمارية منهوكة من الحرب ونتيجة لهزيمة الفاشية وازدياد رقعة النظام الاشتراكي وكان من الطبيعي ان ينعكس هذا الوضع على القضية الفلسطينية .

وكان من نتائجها كذلك ان اصبح الاستعمار الامريكي هو زعيم المعسكر الاستعماري بعد ان انهكت الحرب القوى الاستعمارية القديمة التقليدية فاخذ الاستعمار الامريكي يسعى لوراثة الاستعمارين البريطاني والفرنسي في مختلف انحاء العالم ، وسارعت الصهيونية بالارتماء في احضان السيد الجديد القوي وادارت ظهرها لسيدها القديم الاستعمار البريطاني ، ونتيجة لذلك اخذ الاستعماريون الامريكان يتدخلون اكثر فاكثر في مسار القضية الفلسطينية فلاول مرة في تاريخ فلسطين منذ بداية الانتداب تحضر الى فلسطين لجنة تحقيق انجلو امريكية سنة ١٩٤٦ ومن مظاهر التدخل الامريكي كذلك حركة الارهاب الصهيوني في فلسطين والتي وجهت ضد الحكم البريطاني بتأييد من الاستعمار الامريكي ثم الضغط السياسي على الحكومة البريطانية لتوسيع الهجرة اليهودية الى فلسطين الامر الذي عجل بعرض القضية على الامم المتحدة .

قرار التقسيم

عندما عرضت قضية فلسطين على الامم المتحدة استطاعت القوى الاستعمارية بزعامة الاستعمار الامريكي ان تنتزع من الجمعية العمومية للامم المتحدة التي كانت غالبية دولها في ذلك الوقت خاضعة للنفوذ الامريكي قرارا يقضي بتقسيم فلسطين الى دولتين احداهما عربية والاخرى يهودية وذلك في نوفمبر سنة ١٩٤٧ ، وقد اعطى هذا القرار الصهاينة ٥٤٪ من مساحة البلاد في الوقت الذي لم يزد ما كانوا يملكونه على ٦٪ بينما اعطى اصحاب البلاد الاصليين ٤٦٪ فقط .

لقد كان التقسيم قمة المؤامرة الاستعمارية على فلسطين ووصولا بها الى غايتها ، وكان مبنيا على تصور خاطىء تماما لحقيقة المشكلة الفلسطينية ، فقد استطاع الاستعماريون والصهاينة تصويرها على انها صراع بين شعبين وقوميتين وان العداء بينهما وصل الى حد جعل التقسيم هو انسب الحلول .

وغني عن القول ان ذلك لم يسو بين المعتدين والمعتدى عليهم فحسب بل ميز المعتدى باعطائه القسم الاكبر من الاراضي الاكثر خصبا .

لقد رفض شعبنا قرار التقسيم وقاومه بعنف ولا زلنا نرفضه وندينه باعتباره امتدادا للخطة الاستعمارية في بلادنا وسنعمل على تقويض كل ما بني عليه .

طبيعة الحرب الفلسطينية سنة ١٩٤٨

اثار قرار التقسيم ثائرة الشعوب العربية وعمت فلسطين والبلاد العربية موجة عارمة من السخط والاستنكار تجلت في الاضطرابات والمظاهرات الصاخبة التي عمت فلسطين والبلاد العربية ... ففي فلسطين اعلن الاضراب العام لمدة ثلاثة ايام احتجاجا على قرار التقسيم وقامت المظاهرات في مدنها وقراها . كما قام المتظاهرون في البلدان العربية بمهاجمة سفارات الدول الكبرى التي ساندت القرار ، واقبل الشباب العربي على التطوع ، وتحت ضغط الجماهير العربية استنكرت الجامعة العربية قرار التقسيم . اما على ارض فلسطين فقد انطلقت شرارة النضال لاحباط هذه المؤامرة الاستعمارية ، واستطاع

المناضلون فى القرى والمدن المحافظة على معظم قراهم ومدنهم باسلوب ثورى مبدع رغم عدم التكافؤ وفساد الاسلحة حتى دخول الجيوش العربية تحت ضغط شعوبها .

هكذا يتضح لنا ان حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ فى جوهرها وبحكم انطلاقها اصلا من المواقع الشعبية وتحت ضغط الجماهير العربية التى ادركت ابعاد المؤامرة الاستعمارية الصهيونية الرجعية وبحكم ان النضال فيها كان معاديا فى الجوهر للاستعمار والصهيونية والرجعية حرب تحريرية ، غير ان القوى الرجعية العربية العميلة للاستعمار والتى كانت فى ذلك الوقت تسيطر على مقدرات الشعوب العربية فى المنطقة حرفت مسار هذه الحرب التحريرية عندما جعلت من جيوشها اداة لتحقيق اهداف الاستعمار ولانجاح المؤامرة الاجرامية الاستعمارية الصهيونية فى تمزيق وطننا وتشريد شعبنا .

ان الدور الذى حدد لقيادة الجيوش العربية للقيام به فى فلسطين يمكن فهمه فى ضوء التناقضات الاتية :

١ ــ التناقض بين الشعوب العربية وبين الاستعمار والاستعمار البريطانى بشكل خاص ومعه كل القوى الرجعية العربية العميلة الحاكمة. فبينما دفعت الحكومات العربية بجيوشها الى فلسطين تحت ضغط شعوبها كانت غير جادة فى المعركة الا بالقدر الذى يضمن الحفاظ على مصالح الاستعمار البريطانى ،كما وجدت الرجعية فى هذه الحرب وسيلة لضرب الحركات الوطنية المناضلة فى بلادها عن طريق فتح السجون والمعتقلات واعلان الاحكام العرفية .

٢ ــ التناقض بين الاستعمار البريطانى وعملائه من الرجعيين العرب من جانب وبين الاستعمار الامريكى الزاحف لوراثة الاستعمار البريطانى ومعه الصهيونية من جانب آخر ، ويظهر ذلك بصورة واضحة من موقف الاستعماريين من قرار التقسيم ،فبينما ايد الاستعمار الامريكى مشروع التقسيم وعمل على انجاحه امتنعت بريطانيا عن التصويت لصالح هذا القرار لان الاستعمار الامريكى وجد فى التقسيم مرتكزا لفرض نفوذه فى فلسطين كلها بحكم ارتباطه بالصهيونية . وهذا يجعل من الدولة اليهودية المقترحة قاعدة استعمارية للنفوذ الامريكى منذ قيامها كما انه كان يحلم بمد نفوذه بعد للدولة العربية الفلسطينية المقترحة من خلال الوحدة الاقتصادية بينما وجد الاستعمار البريطانى فى التقسيم كنسا لنفوذه من فلسطين كلها ،ومن هنا حرك الاستعمار عملاءه من الرجعيين العرب للدخول فى الحرب الفلسطينية مستهدفا استخدامهم للمناورة مع الاستعمار الامريكى والصهيونية وهذا يفسر حماسة الاستعمار البريطانى لمشروع برنادوت الذى لا يختلف فى جوهره عن قرار التقسيم سوى انه يضمن مصالح الاستعمار البريطانى بضم جزء من فلسطين الى شرق الاردن وبهذا كان الكونت برنادوت وسيطا بين العرب واليهود فى العلن ولكنه كان فى الوقت نفسه وسيطا خفيا بين الاستعمارين الامريكى والبريطانى .

لقد كان دخول الجيوش العربية الى فلسطين فى الوقت الذى كان فيه الحكام العرب ضالعين مع الاستعمار البريطانى مهزلة كبرى ، وقد بلغت هذه المهزلة ذروتها بتعيين الملك عبد الله العميل البريطانى الخضوع قائدا عاما لهذه الجيوش وبتجريد الشعب الفلسطينى من سلاحه وعزله عن معركته وحرمانه من اداء دوره الطليعى وتدمير معنوياته باتهامه بالجاسوسية وتسليم ارضه للاعداء فى الوقت الذى باع فيه الفلاح الفلسطينى قوته وحلى نسائه لشراء الاسلحة، ومطاردة ابنائه الاحرار وزجهم فى السجون والمعتقلات بشكل تعسفى ارهابى تمهيدا لتصفية قضيته وتمزيقه. وامعانا فى هذه المهزلة والخيانة انقضت الرجعية العربية لالتهام الاجزاء المتبقية من وطنه .

من كل ما تقدم نستطيع ان نحدد العوامل التى لعبت دورا اساسيا فى خلق المشكلة الفلسطينية وهى :

١ ــ الاستعمار العالمى .

٢ ــ الصهيونية العالمية .

٣ ــ الرجعية العربية والمحلية .

٤ ــ الظروف العالمية التى احاطت بنشأة القضية الفلسطينية .

الواقع الفلسطينى

لقد ادى نجاح المؤامرة الاستعمارية الصهيونية الرجعية فى بلادنا سنة ١٩٤٨ الى تدمير الكيان الفلسطينى السياسى والاقتصادى والاجتماعى كما ادى الى قيام دولة العصابات الصهيونية كقاعدة استعمارية عدوانية عنصرية فى قلب المنطقة العربية لتقوم بدور كلب الحراسة للمصالح الاستعمارية فى

هذه المنطقة وبدور مخلب القط ضد حركات التحرير العربية والتقدم الاجتماعي .

ومنذ ذلك الحين وشعبنا لازال يعاني من آثار تلك المؤامرة الاجرامية التي لم تتوقف عند ذلك الحد بل واصل الاستعماريون والصهاينة وشاركتهم في ذلك الرجعية العربية العميلة في محاولات تصفية قضيتنا الوطنية تصفية نهائية عن طريق مختلف مشاريع التوطين والاسكان . ولكن شعبنا العربي الفلسطيني وقف لكل هذه المؤامرات بالمرصاد وخاض ضدها معارك نضالية لا هوادة فيها ادت الى دفن هذه المشاريع الاستعمارية وفضح مخططيها واسقاطهم .

لقد الحقت المؤامرة الاستعمارية الصهيونية الرجعية اضرارا لا تقدر لشعبنا واعاقت نموها وتطوره وابرز نتائج تلك المؤامرة :

١ — تمزيق الكيان السياسي ووحدة الشعب الفلسطيني وتوزيعه في مجموعات منفصلة انفصالا تاما في الاراضي العربية المجاورة . وتوزع شعبنا على النحو الاتي :

(ا) الاردن ويقيم فيه حسب آخر الاحصائيات حوالي ٦٧٠ الف لاجيء ، هذا بالاضافة الى سكان المنطقة التي ضمها الحكم الهاشمي العميل بالقوة والذين يزيد تعدادهم عن ٣٠٠ الف نسمة .

(ب) في قطاع غزة يعيش حوالي ٤٢٥ الف نسمة منهم حوالي ٣٠٠ الف من اللاجئين .

(ج) وفي لبنان يوجد اكثر من ١٥٠ الف لاجيء .

(د) ويوجد في سوريا اكثر من ١٣٠ الف لاجيء .

هذا بالاضافة الى حوالي ٣٠٠ الف فلسطيني لازالوا يقيمون في الارض المحتلة من فلسطين وعشرات الالوف الموزعين في البلدان العربية كالسعودية والكويت والعراق وليبيا والجمهورية العربية المتحدة والجزائر والخليج العربي .. الخ .

وقد ترتب على هذا التمزيق انعدام وحدة الارادة والتنظيم والعمل بين هذه الاجزاء التي تخضع لنظم مختلفة وظروف متباينة .

٢ — اما النتيجة الثانية لتلك المؤامرة فهي سحق الكيان الاقتصادي الفلسطيني وحرمان الشعب من وسائل انتاجه ، فقد انتزع العدو اكثر من ٢٤ الف كيلو متر مربع من جملة مساحة البلاد البالغة حوالي ٢٧ الف كيلو متر مربع وقد قدرت لجنة التوفيق املاك العرب في الارض المحتلة على ما في تقديرها من تحيز واجحاف وغبن بحوالي الفي مليون من الجنيهات الاسترلينية حسب القوة الشرائية لعام ١٩٤٨ .

لقد اغتصب الصهاينة اراض زراعية مساحتها ستة ملايين من الدونمات وقدرت المنشئات الصناعية والعقارية بحوالي ١١٠٠ مليون جنيه استرليني بالاضافة الى الاموال المنقولة التي قدرت بحوالي ٢٥٠ مليون جنيه .

والنتيجة الطبيعية هي ابقاء الوضع غير الانتاجي للشعب الفلسطيني حيث يعيش مشردا وخاصة جموع اللاجئين من سكان المعسكرات الذين يعتمدون في حياتهم على ما تقدمه وكالة الاغاثة من معونات هزيلة تستهدف من ورائها قتل الشعب الفلسطيني ، والتخطيط المدروس المتعمد لتدمير معنوياته وتوطينه وتشريده نهائيا ، وقد نتج عن ذلك كله عدم استقرار المجتمع الفلسطيني .

٣ — التغير في الخريطة الاجتماعية والتركيب الطبقي :

لقد ادى تراكم الفلسطينيين في المناطق التي لجأوا اليها الى تغير واضح في الخريطة الاجتماعية والتركيب الطبقي :

١ — فقد انهارت طبقة كبار ملاك الاراضي بسبب استيلاء العدو على الارض ولم يبق من هذه الطبقة غير شرائح وبقايا بسيطة في قطاع غزة والاردن ، وعلى الرغم من ان هذه الطبقة قد لعبت دورا كبيرا في مهادنة الاستعمار وضرب الحركة الوطنية الفلسطينية وتخريبها ، وساهمت في بيع الاراضي ايام الانتداب البريطاني ، وعلى الرغم من ان كبار الملاك الحاليين في الاردن تلتحم مصالحهم مع مصالح الاستعمار والرجعية الاردنية ويساهمون في اضطهاد جماهير شعبنا الفلسطيني الا ان قطاعا واسعا منها بحكم ظروفه الجديدة الناشئة عن حرمانه من اراضيه يستطيع ان يلعب دورا في معركة التحرير شريطة ان لا يفسح امامه المجال لامتطاء العمل التحريري او نشر ايديولوجيته المختلفة .

(ب) اما البرجوازية الفلسطينية فقد استطاع جزء تجاري منها ان يواصل نشاطه في الظروف الجديدة ، ففي الاردن تما بعضه بحيث تحول الى كومبرادور ترتبط مصالحه بمصالح الرجعية الاردنية والاقطاع والاستعمار . وقد ولدت كذلك ظروف النكبة فئات برجوازية جديدة خارج الاردن لها مصلحة في تحرير فلسطين وذلك بسبب تقليم الحكم الوطني في سوريا ، والحد من نموها الراسمالي وبالتالي عدم ارتباطها بالاستعمار . غير ان البرجوازية التجارية

والكبيرة بصفة عامة تفيد من الاوضاع الحالية ولذلك يجب احتواء البرجوازية الفلسطينية وضمها الى صفوف التحرير على ان تعى الحركة الثورية طبيعة هذه البرجوازية المتمردة الاستغلالية .

(ج) وقد كان الفلاحون والعمال والبرجوازية الصغيرة هم اكثر طبقات الشعب الفلسطينى تحملا لاعباء النكبة ، فقد القت عليهم المأساة كل ثقلها وفداحتها ، وذلك لان الفلاحين فقدوا وسيلة انتاجهم وهى الارض ، وتحول العمال الى جيش من المتشردين العاطلين من سكان المعسكرات ، ورغم ان قطاعا ضئيلا من العمال والفلاحين والبرجوازيين الصغار قد حلوا جزءا من مشاكلهم المعيشية عن طريق الاغتراب غير المستقر الا ان هذه الطبقات لا تزال تعانى اشد انواع الحرمان والتشرد . ومن هنا فهى اصلب الطبقات ثورية واعظمها اصرارا وحسما فى قضية التحرير .

٤ ــ ونتيجة لهذا الواقع الموضوعى وفى غمرة النضال الباسل الذى خاضه شعبنا ضد مشاريع التصفية والتوطين تصدت بعض الطلائع السياسية الممثلة لجماهير الشعب الثورى لمواصلة دورها فى الكفاح ضد الاستعمار والصهيونية ومشاريعهما كامتداد لنضالاتها القديمة على ارض فلسطين ، كما برزت تنظيمات فلسطينية جديدة تسعى لتغيير هذا الواقع باساليب مختلفة ، وفى الجانب الاخر واصلت القيادة نصف الاقطاعية نصف الراسمالية المترددة والمتهادنة مع الاستعمار والممثلة فى الهيئة العربية العليا وبعض التنظيمات الاخرى كالاخوان المسلمين والتحريريين دورها التخريبى فى الحركة الوطنية الفلسطينية ، وعندما احتدم الصراع فى المجال العربى وقفت نهائيا بجانب الاستعمار والرجعية العربية .

٥ ــ الواقع المتمثل فى وجود القاعدة الاستعمارية العنصرية العدوانية فى صورة دولة تخدم فى حقيقتها الاهداف الاتية :

● تشكيل الحاجز البشرى الغريب الذى اراد منه الاستعمار اعاقة نمو البلدان العربية وتحررها وتطورها الاجتماعى والحيلولة دون وحدتها .

● تدعيم الانظمة الاقطاعية والراسمالية المنهارة فى الوطن العربى من اجل تثبيت الاوضاع الانفصالية وحالة التجزئة القائمة والتى تخدم مصالح الاستعمار .

● القيام فى القارتين الاسيوية والافريقية بدور الكومبرادور للاستعمار الذى يتخذ منهما مطية للتسلل الى هذه البلدان وتخريب اقتصادها والعمل على تدعيم الانظمة الموالية له فى داخلها .

● تشكيل راس الرمح للاهداف التوسعية الصهيونية على حساب الدول العربية .

أما جوهر هذه القاعدة العدوانية ومحتواها ومايزعم لها اسيادها من الديمقراطية والتعلق بالسلم والتقدمية فان الحقائق التالية تنفيه نفيا قاطعا :

● اعتماد اقتصادها اعتمادا اساسيا على المساعدات الاستعمارية والامريكية بشكل خاص وعلى املاك العرب المغتصبة .

● سجلها الحافل بالاعتداءات على الحدود العربية وابرزها دورها القذر فى العدوان الثلاثى الغادر على مصر سنة ١٩٥٦ .

● تأييدها للاستعمار والامبريالية ضد حركات التحرر فى آسيا وافريقيا وقد انفضح هذا الدور فى مقاومة حركات التحرير فى كل من الكونغو وموزمبيق وانجولا وروديسيا وقبرص وفيتنام ، وفى موقفها من قضية التمييز العنصرى فى جنوب افريقيا .

● الاضطهاد العنصرى والدينى الذى تمارسه ضد الاقلية العربية فى الاراضى المحتلة وكذلك التمييز بين اليهود انفسهم أوروبيين وشرقيين .

ان وجود هذه القاعدة العدوانية العنصرية القائم على الاغتصاب يفضح محاولات الاستعمار والصهيونية لتصويرها بخلاف ماهى عليه بغية تضليل بعض الحركات الوطنية واليسارية وخاصة فى أوروبا وهذا يلقى على الاشتراكيين العرب مسئولية كشف جوهر هذه العصابة وكسب تأييد وعطف كل الحركات الوطنية واليسارية فى العالم .

طبيعة حركة التحرير الفلسطينية ومضمونها

ان التناقض الرئيسى الذى يحكم ظاهرة التحرير الفلسطينية هو التناقض بين شعبنا الفلسطينى بطلائعه السياسية وقوى الثورة العربية وحلفائها على الصعيد العربى من جانب وبين الاستعمار والصهيونية والرجعية من جانب آخر .

ولفهم هذا التناقض نستطيع أن نحدد بوضوح عدونا وحليفنا على النطاق الفلسطينى والعربى والعالمى :

١ — فعلى النطاق الفلسطينى نرى أن جماهير الشعب الفلسطينى بمختلف فئاتها الاجتماعية من عمال وفلاحين ومشردين ومثقفين ثوريين وجنود وبرجوازية صغيرة ووطنية وبمختلف منابرهم السياسية وفى مختلف المناطق التى يقيمون فيها أصحاب مصالح أكيدة فى تحرير بلادهم باستثناء الفئات الاقطاعية والكومبرادورية الضالعة والعميلة للحكم الرجعى فى الاردن والتى تتخذ من الهيئة العربية العليا والاخوان المسلمين وحزب التحرير الرجعى ومن أجهزة الحكم الرجعى فى الاردن منابر سياسية لها .

٢ — أما على النطاق العربى فان قضية فلسطين جزء لايتجزء من حركة التحرير العربية ومن المهام العاجلة للقوى الثورية والشعوب العربية وحكومتها المتحررة . أما الانظمة الرجعية فهى معادية تماما لتحرير فلسطين منذ نشأت القضية الفلسطينية . فالنظام الرجعى العميل فى الاردن يفرض على شعبنا ارهابا بوليسيا وهو يقف عقبة فى سبيل تنظيمه واعداده ، كما تقف الانظمة الرجعية الاخرى مواقف معادية لقضية شعبنا فى تنسيق متكامل مع الاستعمار والصهيونية ، وابرز مثال على ذلك موقف بورقيبة الذى ينادى علنا بضرورة الصلح مع اسرائيل .

وعلى هذا الاساس فاننا نرى أن مؤتمرات القمة والقيادة العربية المشتركة وكافة المؤسسات التى تشترك فيها الرجعية العربية لاتستطيع بوضعها الراهن وبحكم اشتراك الرجعية العربية فيها أن تقدم لقضية فلسطين سوى التآمر والتخريب والتجسس .

ان شعبنا يدرك خيانة هذه القوى الرجعية ويضعها فى صف اعدائه ويحاربها دون تردد ، كما يدرك بفهم عميق مدى التحامه الاخوى بالحركة الثورية العربية وقواها الثورية ولذلك فهو يرتبط بها ويتضامن معها ويستند الى عونها وتأييدها ويضعها أمام مسئولياتها المباشرة تجاه القضية الفلسطينية .

وانطلاقا من هذا الفهم فان شعبنا يقف بكل حزم ووضوح ضد الذين ينادون بأن قضية فلسطين لايحلها الا الفلسطينيون وحدهم ويرى فى ذلك خطأ انعزاليا مغامرا ، كما يقف بنفس الوضوح ضد الذين ينكرون دور الشعب الفلسطينى الطليعى فى معركة التحرير وينادون بالاعتماد كليا على القوى العربية الثورية فى هذه المعركة ، كذلك فاننا نشجب الافكار والدعاوى المضللة التى تدعوا بأن يرتفع العمل التحريرى الفلسطينى فوق الخلافات العربية ذلك لان هذا الشعار يؤدى الى طمس الفوارق بين الثوار والعملاء ويسوى بين الحلفاء والاعداء وينسف قضية التحرير من اساسها .

٣ — أما على الصعيد العالمى فاننا نستطيع ان نحدد اعداءنا فى الصهيونية والاستعمار العالمى بشكليه القديم والجديد ، وبزعامة الاستعمار الامريكى العدو اللدود لكل شعوب العالم ، أما حليفنا الطبيعى فهو العالم الاشتراكى وحركة التحرر الوطنى العالمية .

وعلى هذا الاساس تتهتك كل الاقنعة التى تتقنع بها الشعارات الرجعية الديماجوجية التى تستهدف حرف انظار شعبنا عن اعدائه الحقيقيين وتشويه المواقف النضالية لحلفائه واصدقائه الطبيعيين .

ان شعارات اللعب على حبال التوتر الدولى وايهام شعبنا بأمكان الاستفادة من الصراع بين المعسكرين الاشتراكى والرأسمالى وكذلك شعار التسوية بين المعسكرين والنظر اليهما بنفس المنظار ان هى الا مفاهيم استعمارية رجعية معادية لمصالح شعبنا وقضيته التحريرية .

بهذا الادراك لمعطيات القضية الفلسطينية فلسطينيا وعربيا وعالميا فاننا نجزم بأن حركة التحرير الفلسطينية تتسم بأنها ثورة وطنية واشتراكية فى آن واحد ، وطنية لانها تستهدف التحرير ولانها موجهة اساسا ضد الاستعمار والصهيونية واشتراكيا لاتهتم بقيادة القوى الكادحة صاحبة المصلحة الاكيدة فى التحرير متحالفة مع القوى الثورية العربية حيث تلعب القوى الاشتراكية دورا قياديا ، وحيث تتلاحم فى جزء واسع من الوطن العربى الثورة الوطنية بالثورة الاشتراكية ، ولانها تتم ايضا فى ظروف شمول الاشتراكية ومساندة العالم الاشتراكى وتدعيمه لها بكل الوسائل وفى ظروف انهيار الرأسمالية وافلاسها .

وهى اشتراكية كذلك لما تتميز به حرب التحرير الفلسطينية من ظروف نوعية خاصة ناجمة عن كونها تحرير وطن سليب بأكمله بجهد جماعى يقتضى أن تكون وسائل الانتاج المحررة ملكا للمجموع ».

مهام حركة التحرير وأهدافها

تتحدد مهام حركة التحرير الفلسطينيةبالنسبة للواقع الفلسطينى الذى سبق لنا عرضه بالمهام الاتية :

١ — التغلب علىمايعانيه الشعب الفلسطيني من تمزق من الناحيتين الجغرافية والسياسية وذلك عن طريق انجاز وحدته الوطنية من خلال جبهة تجسد هذه الوحدة تنظيميا وسياسيا فالوحدة الوطنية ضرورة موضوعية وهدفكفاحى عاجل لابد من انجازه اذ انه لابد لقيام اية ثورة من خلق اداتها الثورية الواحدة ، كما أن الوحدة الوطنية هى الشرط الموضوعى لانتزاع حق الجماهير الفلسطينية فى مختلف مواقعها فىحرية الحركة والتنظيم وفرض مطالبها النابعة منصميم ارادتها الحرة وتمكين الشعب الفلسطينى من القيام بدوره الطليعىالتنسيقالاخوى معالحركات الثورية العربية ، ولابد أن تتم هذه الوحدة تحت قيادة العناصر التقدمية والاشتراكية لكى تعطى العمل التحريرى طابعا ثوريا تقدميا .

ان قضية وحدة شعبنا تكمن فى تحقيق وحدة قواته الثورية وذلك بتوحيد طلائعها السياسية التى ناضلت من أجل الحفاظ على كيان شعبنا من الذوبان والتصفية والتى لازالت تمثل عصب التحرير منذ أن ولدت على ارضية الكفاح ضد الاستعمار والصهيونية ، والوحدة الوطنية بهذا المفهوم مهمة استراتيجية تطبع مرحلة التحرير بكاملها وليست شعاراً تكتيكيا مؤقتا .

ومن الممكن أن تشكل منظمة التحريرالاطار الذى تلتقى على ارضيته وفى داخله كل القوى الوطنية الثورية ولكن الصعوبات التى تواجه المنظمة فى تحقيق هذاالمهمةحتى الان يجعلقضية الوحدة الوطنية على رأس المطالب الوطنية العاجلة الملقاة على عاتق القوى الثورية الفلسطينية .

٢ — تأكيد الشخصية الفلسطينية المستقلة وعدم اذابتها كرد على مؤامرات الاستعمار والرجعية الاردنية التى تستهدف محو الشخصية الفلسطينية .

٣ — أما المهمة الثالثة المطروحة والتى لابد من انجازها للقضاء على مايعانيه شعبنا منقيود تشل من فاعلية الجماهير فهى انتزاع حرية الفلسطينيين فى العمل والحركة دون تسلط أو وصاية وهذا مطلب ملح وعاجل فبدونه لايستطيع الفلسطينيون مباشرة دورهم الطليعى فى قضية بلادهم .

٤ — تعبئة الشعب الفلسطينى سياسيا وعسكريا وتخفيف وبلات التشرد عنه ومقاومة كل أسباب السلبية والانهزامية وبعث تراثنا الوطنى .

٥ — تحقيق التفاهم والتنسيق الاخوى مع القوى العربية المتحررة .

٦ — اقامة حوار دائب معكل المنابر الوطنية والاشتراكية فى العالم واقامة امتن العلاقات الاخوية مع كل مختلف قوى الجبهة المعادية للاستعمارفىالعالمومساندتهاومطالبتهابتأييدحقوق شعبنا المشروعة والافادة من تأييدها المادى والمعنوى فى كل المجالات والاعتماد على مساندتها لقضيتنا فى المؤتمرات واللقاءات الدولية .

٧ — أما المهمة الاخيرة والتى تعتبر التمهيد المباشر لبدء عملية التحرير فهى سحق النظام الاردنى الرجعى العميل باعتباره عقبة رئيسية فى طريق التحرير ، كما ان القضاء على هذا النظام يهىء لشعبنا ارضا ينطلق منها لبدء الصدام المسلح مع الصهيونية على ارض فلسطين المحتلة ، فالاردن هو منطلق المعركة حيث توجد رقعة واسعة من ترابنا الفلسطينى وغالبية شعبنا .

اما أهداف معركة التحرير فتتحدد فى الهدفين الاتيين :

١ — تصفية الكيان الاستعمارى الصهيونى نهائيا والقضاء عليه سياسيا وعسكريا واقتصاديا . أما اليهود الذين جلبتهم الصهيونية الى فلسطين منذ بداية الانتداب البريطانى حتى

اليوم فيمكن حل مشكلتهم باعــادة استيعابهم فى البلدان التى وفدوا منها .»

٢ ـ عودة الشعب الفلسطينى الى ارضه وتقرير مصيره بنفسه .»

أسلوب معركة التحرير

ان اسلوب شعبنا لتحقيق هذين الهدفين هو الكفاح المسلح ، ذلك لان طبيعة المعركة تحتم هذا الاسلوب ، فقد حول العدو فلسطين المحتلة الى ترسانة مسلحة لا يمكن القضاء عليها بغير الكفاح المسلح هذا الى جانب طبيعة الصهيونية العدوانية التوسعية وارتباطها مصيريا بالاستعمار مما يجعل اى اسلوب اخر معها عديم الجدوى ويتحدد نوع وطريقة الكفاح المسلح بناء على ما تراه قوى الثورة الفلسطينية والعربية بالتنسيق الاخوى بينها .

أما بالنسبة للعمل الفدائى الذى ينشط فى الوقت الحاضر فاننا نقدر البطولات والتضحيات المشرفة التى يقدمها ابناء شعبنا من الفدائيين ونعتبره عملا بطوليا ، ونرى انه لكى يصبح اكثر فعالية وعملا رائدا يجسد طليقية شعبنا الفلسطينى فى معركة التحرير لابد له الى ان يستند الى أرضية سياسية واضحة تتمثل فى انبثاقة من وحدة وطنية متينة ومن رؤية واضحة لمسار الثورة العربية وشمولها ، والى اكثر من قاعدة ارضية متحررة يتم عليها التنسيق مع الدول العربية المتحررة ، كذلك يجب ان يوجه العمل الفدائى بعد استكماله المقومات التى أشرنا اليها لنسف النظام الرجعى فى الاردن لان ذلك يفتح الطريق واسعا للعمل التحريرى ويهدم الجدار التى تقيمه الرجعية الاردنية لحماية الوجود الصهيونى فى فلسطين وان يتم ذلك جنبا مع العمل الفدائى داخل الارض المحتلة .»

خاتمة . .

بقيت هنالك قضية أخيرة لابد من طرحها وهى علاقة قضية فلسطين بغيرها من قضايا العرب المصيرية وخاصة قضية الوحدة العربية والتحولات الاجتماعية فى المنطقة العربية .

فهنالك من يرى ان قضية فلسطين لا يمكن حلها الا بأنجاز الوحدة العربية الشاملة او باتمام عملية التحول الاجتماعى .

أن تحقيق الوحدة بين قطرين او اكثر من الاقطار العربية المتحررة يقدم لقضيتنا فى فلسطين قوة عظيمة دافعة ، ومساندة فعالة لمحاصرة الصهيونية والقضاء عليها . غير ان تحقيق الوحدة العربية الشاملة لايمكن ان يتم الاعلى انقاض الأستعمار والرجعية والصهيونية . وعلى ذلك فاننا نؤكد أن تحرير فلسطين تحريرا كاملا سيفيد قضية الوحدة العربية لانه يكنس قلعة من قلاع الاستعمار فى المنطقة ويعجل بانهيار النظم الرجعية والاقطاعية ومعنى هذا فى التطبيق فتح المجال واسعا امام وحدة عربية قوية ، ولهذا فاننا نرى انه لا مجال للقول بضرورة تعليق القضية الفلسطينية الى ان تتم الوحدة العربية الشاملة .»

اما بالنسبة للعلاقة بين معركة التحرير الفلسطينية وعملية التحرر الاجتماعى فى المنطقة فهما قضيتان مترابطتان كل الترابط وتتبادلان التأثر والتأثير وكل انجاز يتم فى احداهما يدعم الاخرى ويدفعها الى الامام .»





بين حركة الواقع .. واتجاهات المستقبل

ميشيل كامل

يسجل ميشيل كامل ، فى هذا المقال ، انطباعاته عن حركة الواقع فى كل من المانيا الديمقراطية والمانيا الغربية • ويلقى الضوء على اتجاهات المستقبل فيهما • وذلك بعد معايشته للواقع الالمانى خلال فترة انعقاد المؤتمر السابع لحزب الوحدة الاشتراكى الالمانى فى المانيا الديمقراطية •

المشكلة

الالمانية فى مقدمة المسائل التى تشغل الراى العام العالمى ، تثور حولها تساؤلات عديدة ، وكثيرا ما يكتنفها الغموض ، وتحيط بها مشاعر متباينة من الرهبة والتقدير والاعجاب او الشك والادانة المسبقة ، تعكس الصورة المختلطة لمزيج من الانطباعات المتناقضة المشوشة عن واقع ومستقبل القضية الالمانية وأثرها على الاوضاع الدولية باعتبارها من اهم مناطق التوتر العالمى ، ثم لعلاقتنا المباشرة بالسياسة التى تخطتها .

ولا شك ان محاولة استكشاف اغوار هذه القضية وتفسيرها وادراك أبعادها ، والعوامل المؤثرة فيها ، تعد من العناصر الهامة فى تفهم التاريخ الحديث وطبيعة الصراع الذى يعتمل فى أعماقه ، وموقعها من العملية الثورية فى عالمنا المعاصر . كما تعد تجربة غنية بالخبرات ، عميقة الدلالة فى الدروس المستفادة منها لدعم النضال الانسانى من أجل كفالة السلام العالمى وحركة التحرر الوطنى والكفاح ضد الاستغلال ومن أجل البناء الاشتراكى .

فى خلال القرن الحالى وحده شنت الامبريالية الالمانية حربين عالميتين كلفت البشرية مائة مليون ضحية بين قتيل ومشوه ، ودمرت طاقات وامكانيات مادية هائلة كانت كفيلة لو انها وجهت فى النشاط الانتاجى البناء بتوفير الرخاء لمئات الملايين من البشر .

وكان من آثار الحرب العالمية الثانية ان شطرت المانيا الى دولتين وفقدت وحدة أراضيها وتمزق شمل شعبها ، وانطلقت كل من الدولتين فى طريق مضاد .. جمهورية المانيا الفيدرالية تابعت الخوض فى الطريق الرأسمالى الامبريالى والمانيا الديمقراطية سلكت طريق البناء الاشتراكى

كيف حدث أن نجحت الجمهورية الديمقراطية في اعادة صياغة مواطنيها بروح الجماعة والقيم الانسانية والخلق الاشتراكي ، واجتثت جذور النزعات العسكرية والفكر النازي ، بينما ظل الانسان الالماني في القطاع الغربي أسير الفكر الراسمالي والنظرة الفردية، وتدعمت بها الاتجاهات العسكرية والتطلعات والنشاط التوسعي العدواني ؟

ما هي العوامل التي تجعل من المانيا الديمقراطية نصيرة للسلام تعادي الحرب ،وتقف بصلابة مدافعة عن النضل التحرري للشعوب ، بينما تتبع المانيا الفيدرالية سياسة مساندة وتدعم الحركات العنصرية في جنوب افريقيا وروديسيا وتؤيد حرب فيتنام العدوانية وتسلح الاستعماريين البرتغاليين وتمدهم بكل عون مادي لقهر الكفاح البطولي لشعوب موزامبيق وانجولا وغينيا المسماة بالبرتغالية .

لماذا تغدق المانيا الفيدرالية السلاح على اسرائيل وتمنحها مئات الملايين من الماركات ، وتتخذ موقفا معاديا من حركة التحرر الوطني في البلاد العربية ، على النقيض من المانيا الديمقراطية التي تساند كفاح الدول العربية المتحررة وتؤيد النضال العربي وتدين اسرائيل كقاعدة استعمارية عدوانية ؟

كيف واجهت المانيا الديمقراطية مشاكل البناء الاشتراكي بعد التخريب الشامل الناتج عن الحرب النازية ، لتحتل اليوم المرتبة الثانية بين الدول الاشتراكية والخامسة في أوربا والثامنة في العالم أجمع من ناحية القدرات الانتاجية الصناعية.

المعجزة الالمانية

تقدم الدعاية الغربية المانيا الفيدرالية كنموذج يشهد على نجاح الاسلوب الراسمالي والمنهج الغربي ليحقق المعجزات التي تتعدى في ضخامتها أعظم التوقعات تفاؤلا ، وتهيء أعظم القدرات على الخلق والابتكار والتقدم والرخاء ، وذلك في مواجهة بلد سلك الطريق الاشتراكي ، حيث يلتقي تيار الاشتراكية والراسمالية بكل مايحملانه من تناقض على امتداد الخط الذي يقسم المانيا الى غرب وشرق .

وليس من شك أن المانيا الفيدرالية تشغل مركزا ممتازا من الناحية الاقتصادية. لكن ماهي الحقائق التي تكمن وراء هذا الواقع ويعمل الغرب على اخفائها في مقارنة غير عادلة بين شطري المانيا ، وما هي نقطة البداية عند كل منهما والعوامل المعوقة والمساعدة وآفاق التطور في المستقبل ؟ تلك هي القضية التي تستحق ان توليها الاهتمام الاول .

● كانت القاعدة الصناعية الاساسية لالمانيا ماقبل التقسيم تتركز في الغرب ، بينما ظل الشرق بمثابة « ريف » المانيا ،ويكفي في هذا المجال أن نشير الى واقع أنه عند انتهاء الحرب العالمية الثانية كان هناك فرنان عاليان فقط على الارض التي تشكل المانيا الديمقراطية حاليا مقابل ١٢٠ فرنا عاليا حديثا في الغرب ، كما كان انتاج القطاع الاول من الحديد الخام ٦٪ ، والحديد المصنع ١ ٪ ، والفولاذ ٧ ٪ ، والفحم ٢ ٪ من مجموع انتاج المانيا . فالجمهورية الفيدرالية بدأت انطلاقها من موقع النضوج والثراء بينما كان على القطاع الشرقي أن يبدأ من مركز ضعيف للغاية .

● هناك شبه تكامل في اقتصاد القطاع الغربي بحكم مساحته — ثلاثة أرباع مساحة المانيا — وعدد سكانه وتركز صناعات الاستخراج والتعدين والتصنيع وخطوط المواصلات والموانى به ، بينما ظل القطاع الشرقي يفتقر الى هذه المقومات جميعها ، وكان عليه أن يوجه جزءا ضخما من استثماراته للاعمال الانشائية الاولية لخلق قاعدة لاقتصاد متكامل ، وهو ما يطلق عليه استثمارات البناء التحتي أي تشييد الموانى وخطوط المواصلات والمواقع السكنية .. الخ ، وهو عبء باهظ على اقتصاد اي بلد في المراحل الاولى من تطوره

● الافتقار الى الايدي العاملة وقوى العمل البشري — عدد السكان ١٧ بليونا بالمقارنة مع المانيا الغربية التي يسكنها نحو ٩٠ مليونا — بسبب ضحايا الحرب وعملية السطو المنظمة على القوى العاملة المدربة من جانب المانيا الغربية قبل تدعيم الحدود ، مما كان له اثره على التركيب السكاني من ناحية سن العاملين ، فنجد ان نسبة العاملين ممن تزيد اعمارهم عن ٦٥ عاما ١٤٫٥٪ في جمهورية المانيا الديمقراطية بالمقارنة مع ١١٫٦٪ في المانيا الفيدرالية و٩٫٣٪ في الولايات المتحدة الامريكية .

● نتيجة سياسة الحصار الاقتصادي ومنع التعامل التجاري ، اضطرت المانيا الديمقراطية الى انتاج مواد خام ووقود في ظروف صعبة غير موائية بتكلفة انتاج مرتفعة ترهق الاقتصاد القومي.

● أعفيت المانيا الفيدرالية من دفع التعويضات وقدمت لها بمقتضى مشروع مارشال معونات هائلة .

هذه بعض العوامل التي ساعدت على انطلاق المانيا الغربية لتحتل مركز الصدارة في أوروبا ، لكن ، هل يعني هذا أن الراسمالية قد تخلصت

من أمراضها وحلت مشكلة التناقضات الداخلية التى تنتكس بقدراتها الانتاجية وتعطل طاقاتها وتقود الى البطالة والازمات ؟ وماهى آفاق التطور فى المانيا الغربية ؟

جاء فى عدد اول ابريل من مجلة الايكونومست البريطانية « استمر انخفاض الانتاج الصناعى فى يناير وفبراير ، وبلغت الطاقة المعطلة فى الصناعة نحو ٢٣ ٪ ، ويتوقع رجال الاعمال ان تزداد الحالة سوءا قبل نهاية مايو » وانه «فى نهاية فبراير ارتفعت البطالة الى ٦٧٠،٠٠٠ بالمقارنة مع العام الماضى اذ لم يتعد عدد العاطلين حينئذ ٢٤٠،٠٠٠ » وتبدى الدوائر الغربية والصحافة انزعاجها من احتمالات هذه التطورات ، خاصة وهى تصيب أقوى الاحتكارات ، فنجد بيت كروب العملاق يهتز ، وتعلن النيويورك تايمز — عدد ٣ ابريل — ان السيطرة الكاملة لاسرة كروب على امبراطوريتها الصناعية سوف ينتهى ، اذ يتم تحويلها الى شركة مساهمة فى نهاية عام ١٩٦٨ بعد ان لقيت متاعب مالية وانخفضت مبيعاتها ، فاضطرت الى اغلاق بعض مناجم الفحم وخفضت انتاجه بمقدار ٥٠٠،٠٠٠ طن (١٥ ٪) وفصل ١٠،٠٠٠ عامل فى العام الاخير .

وهكذا فان القانون الاساسى للراسمالية قد بدأ ينخر اعمدة النظام « المعجزة » ، والمنهج الراسمالى يثبت من جديد فساده وفشله .

وماذا عن الجانب الاخر ؟

فى عام ١٩٤٦ وصل انتاج المانيا الشرقية الصناعى كله ٤٢ ٪ مما كان عليه الانتاج عام ١٩٣٦ . وفى ١٩٤٨ بلغ قرابة ٧٢ ٪ وفى عام ١٩٦٤ انتجت الصناعة اكثر من ثلاثة أضعاف ونصف ما انتجته عام ١٩٣٦ . وقد حقق مشروع الخطة السبعية (١٩٥٩ — ١٩٦٥) زيادة فى الانتاج العام تقدر بنسبة ٨٨ ٪ ، كما ارتفع الانتاج الصناعى فى الفترة ما بين ١٩٦٢ و ١٩٦٦ — فى الاربعة سنوات الاخيرة — بمقدار ٢٥ ٪ وبلغ حجم الاستثمارات عام ١٩٦٦ وحدها مجموع الاستثمارات فى أعوام ١٩٥٣ حتى ١٩٥٥ .

وخلاصة الصورة التى تصوغها هذه الارقام أن المانيا الغربية بدأت من مركز القوة بعد الحرب العالمية الثانية بالنسبة لالمانيا الشرقية الا ان الاخيرة حققت نسبيا — أيضا — اعجازا اشد اثارة للاعجاب والتقدير من الجمهورية الفيدرالية ، وذلك لو اخذنا فى اعتبارنا نقطة البداية لكل منهما والشوط الذى قطعته فى ظل الظروف المحيطة بكليهما .

والاهم من ذلك هو آفاق التطور المستقبلى فى كل من الجمهوريتين ومغزاه فى ارتباطه بشكل النظام الاجتماعى القائم واثره على القضية الالمانية والامن الاوربى بل والتوازن فى المجال الدولى .

الثورة العلمية التكنولوجية

والعالم الحالى يمثل مرحلة جديدة تعتبر بحق مفترق طرق يقود الى تغييرات جذرية شاملة . ففى نفس الوقت الذى نشهد فيه بوادر انتكاسة فى الاقتصاد الالمانى الغربى ، بتباطؤ معدل التنمية وتعطيل الطاقات القائمة (٢٣ ٪) — وتوفير العمال وتفاقم مشكلة البطالة ، نجد على الجانب الاخر عملية الدمج بين الثورة العلمية الفنية والمجتمع الاشتراكى فى كل متكامل ، والاقدام على ادخال تغييرات جذرية فى الهيكل الاقتصادى والتنظيم العلمى للعمل لخلق انسب الظروف لاستخدام التكنيك الحديث وادخال الاوتوماشن فى جميع العمليات الانتاجية ، واطلاق الامكانيات العلمية لرفع انتاجية العمل الى أقصى حد مستطاع .

والجديد الذى قدمه المؤتمر السابع لحزب الوحدة الاشتراكى الالمانى (١٧ — ٢٢ ابريل) هو التأصيل النظرى لعملية التزاوج بين الثورة العلمية الحديثة والمجتمع الاشتراكى ، ولا شك ان للحزب فضل المبادرة فى هذا المجال بطرحه القضية بعمق وشمول وتحديد الخط النظرى والمنهج التطبيقى .

ويستند هذا الخط على ماجد من تطورات نوعية فى قوى الانتاج فى البلاد المتقدمة صناعيا خلال السنوات الاخيرة دخلت بعالمنا فى عصر « الثورة العلمية التكنولوجية » ، **فقد اصبح العلم عنصرا مباشرا فى الانتاج** وتحول الى قوة انتاج ، تستلزم تغييرات جذرية فى تركيب ونوعية وفاعلية الهيكل الاقتصادى ، ويفترض ضرورة تحديد موقع هذه الثورة العلمية التكنولوجية من استراتيجية العمل السياسى واتخاذ الخطوات اللازمة لاستخدامها فى خدمة التطور الاشتراكى .

ويرى الحزب انه خلال السنوات القليلة الماضية قد حدثت تغييرات جذرية فى طبيعة قوى الانتاج فى البلاد المتقدمة صناعيا . ويؤكد صحة الاستنتاجات التى توصل اليها ماركس من ان الاختلاف بين التشكيلات الاجتماعية لا يرجع الى ما تنتجه كل منها ، بل يعود الى الكيفية والاساليب المستخدمة فى الانتاج ، الا ان **الثورة الصناعية** كانت هى الشكل السائد لقوى الانتاج فى عصره ، نتيجة تطور الالات واستخدامها على نطاق واسع ، اما اليوم فتتميز **الثورة العلمية** أساسا بتطور المتطلبات العلمية والتكنيكية والتنظيمية والاقتصادية للانتقال الى الاستخدام الكامل المركب لنظام الانتاج المسير آليا .

وفي ظل ظروف العمل المحرر في المجتمع الاشتراكي والقضاء على التناقض بين علاقات وقوى الانتاج ، يصبح من الضروري ان يوضع تفوق الاشتراكية على الرأسمالية محل الاختبار من خلال رفع انتاجية العمل عن طريق **التطوير الشامل للعلم كقوة انتاجية** في النظام الاقتصادي الاشتراكي .

وهذا يتطلب تغييرات جذرية في الهيكل الاقتصادي القومي وتقسيم العمل والتخصص بين البلاد الاشتراكية ، وذلك بالاستخدام الواسع للسيبرنيطيقا والاعتماد على العقول الالكترونية والالات التي تقوم بالعمليات الالكترونية مجمع المعلومات وتصنيفها وتحليلها ، لادخال الميكنة والاوتوماشن على كافة العمليات الانتاجية ،حيث تتغلغل العمليات الالكترونية في جميع الانشطة الاقتصادية ، مما يقتضي تغييرات اساسية في التكنيك والتنظيم البعيد المدى المبني على تنبؤات علمية لاتجاهات تكرار الانتاج بصورة تخدم وتتسق مع متطلبات الثورة العلمية التكنولوجية .

والمعرفة العلمية والتكنيكية تتقدم بمعدل سريع للغاية ، حتى لسوف تتضاءل المنجزات الحالية مع الافاق الرحبة للاكتشافات العلمية المتوقع التوصل اليها في السنوات القادمة ، ومن ثم يجب ان يتم التخطيط لمدى ابعد وسنوات اطول مما اعتدنا من قبل ، للتركيز على تلك الفروع التي تكون القاعدة الاستراتيجية للثورة العلمية التكنيكية ، خاصة في مجال الاوتوميش للعمليات المادية والعقلية .

ويلعب التنبؤ بتوقعات مدروسة دورا هاما في هذا المجال .ومن الامثلة على التنبؤات التي توصل اليها العلماء الالمان ان عددا يتراوح ما بين ١٠٠ و١٢٠ الفا سيعملون عام ١٩٨٠ في اعداد وتشغيل الالات الخاصة بالعمليات الالكترونية لجمع المعلومات وتصنيفها وتحليلها (وهو عدد يوازي جميع العاملين في صناعة الفحم حاليا). وهنا تبرز مهام جديدة ومشكلات لابد من مجابهتها في تخطيط طويل الامد ، اذ يقتضي هذا الوضع ان يواصل ٢٥٪ من الطلبة على الاقل دراستهم حتى المستوى الجامعي ليتمكنوا من تنظيم واستخدام قوى الانتاج الجديدة . فان طبيعة العمل ستتغير طبقا للتطور الديناميكي في قوى الانتاج ، ولذلك تعدل مناهج التعليم والتربية السياسية لرفع مستوى الوعي الاجتماعي والقدرات العقلية الخلاقة . وعلى النقيض من اساليب العمل في ظل النظام الرأسمالي ، فان وحدة ما بين الاوتوماشن وتحسين ظروف العمل والحياة هو النموذج الذي يتوخاه المجتمع الاشتراكي ، فيضع نصب عينيه قضية تطوير علاقات الانتاج بصورة ثابتة مطردة النمو

السيبرنيطيقا

علم التحكم والسيطرة والترابط والاتصال عرفت عن طريقه الانسانية الرادار والالات الحاسبة الالكترونية والمصانع المدارة اليا بالاوتوميشن ،وهى تحقق في الصناعة مايحققه الجهاز العصبي في جسم الانسان .

بتحسين مستمر في مستوى المعيشة وظروف العمل ورفع المستوى التعليمي والتربوي وبث الفكر والثقافة الاشتراكية في جميع مجالات الحياة الاجتماعية .»

والانسان في المانيا الديمقراطية هو محور كل نشاط سياسي واقتصادي واجتماعي . وقد اشار قادة الحزب في المؤتمر الى ان اهم انتصار حققته البلاد كان في هذا المضمار ، بتطوير المواطن الالماني . وان كانت الثورة العلمية التكنيكية تفرض ضرورة الارتقاء بقدراته الفكرية والعملية الخلاقةوبمستوى معيشته الىمستويات نوعية جديدة ، فان هذه الثورة في حد ذاتها تستهدف مزيدا من التقدم والرفاهية للانسان الاشتراكي لمصلحة الشعوب ومن اجل ضمان استتباب السلام والامن العالمي .»

وهذه السياسة الجديدة تقتضي تخصيص استثمارات ضخمة في عمليات البحث العلمي ، تتركز بالدرجة الاولى على القاعدة الاستراتيجية للثورة العلمية التكنولوجية الا وهى الاوتوماشن الذى يعتمد بدوره على الصناعات الالكترونية والالات الحاسبة الاوتوماتيكية — Computers بهدف التوصل الى مستويات مرتفعة من انتاجية العمل وتخفيض تكلفة المنتجات الى اقصى حد .»

لكن هذه الخطة تلقى باعباء ثقيلة على كاهل الاقتصاد القومي لاى بلد واحد ، ومن ثم تثير مشاكل جديدة ، تبرز كانعكاس للاحتياجات التي يستلزمها التطبيق العملي ، وتطرح قضية تضامن اوثق بين مجموعات من الدول لتقسيم العمل في مجال البحث العلمي ، وايجاد اشكال جديدة لتنظيم وتخطيط النشاط في هذا الحقل بتكاليفه الباهظة .»

لقدذكر اولبرخت فيخطابه للمؤتمر ان الاستثمارات في مجال الالكترونات وحدها قدرت بنحو ٢٠٠٠ مليون مارك حتى عام ١٩٨٠ ، وانه في العشر سنوات ابتداء من ١٩٨٠ سوف يقومون بتشييد مصانع للطاقة توازي مجموع الطاقة التي ولدتها المانيا منذ بداية القرن .»

وفي اطار هذا المفهوم طالب الحزب بتدعيم العلاقات بين البلاد الاشتراكية على اساس الدولية البروليتارية ، منتقدا ومعددا اخطار ومساوىء النظرة الوطنية ضيقة الافق ، التي تنحو الى خلق اقتصاد متكامل في الظروف العالمية الجديدة . وفي وحدات صغيرة اعجز من ان تحقق هذا التكامل ، بل وتكلفها اعباء وخسائر كبيرة . وقد خبرت المانيا الديمقراطية نفسها هذا الطريق ، الا انها اضطرت بعد حين الى تصفية بعض صناعات اساسية — مثل الطائرات والسيارات — والتركيز على الصناعات المجزية طبقا لظروفها وامكانياتها الخاصة ».

وقد جاء في خطاب اولبرخت انه « يجب مراعاة الانسجام بين الطاقة الحالية والمستقبلة للبحث والتكنيك لتطوير كل من هيكل ومستقبل انتاجنا المادى . ومن جانب آخر علينا ان نراعى اتجاهات التعاون الدولى » وذكر ان انواع السلع المنتجة قد زادت ١١٠٠٠ منتج جديد خلال السنوات الثلاث الماضية وحدها ، وان « مثل هذا التطور يتعارض مع كل المحاولات الهادفة الى تركيز جهودنا وامكانياتنا ، ويعرقل امكانيات تكوين هيكل اقتصادى فعال » واشار جميع المتحدثين الى ضرورة التركيز اساسا على الصناعات ذات المستوى المرتفع فنيا وعلميا بانتاجية عمل مرتفعة وتكلفة انتاج منخفضة ، وان يراعى في ذلك المستويات العالمية والجودة والمواصفات الدولية بما يضمن اربحية المشروعات وامكانيات التصدير والمنافسة في السوق العالمى ».

وقد اوضح لى عدد من الاقتصاديين سخف النظرة الوطنية الضيقة لبعض الدول الاشتراكية التى مازالت تصمم على انتاج « كل شىء » ، وانه ليس من المنطقى ان ينفق بلد اشتراكى استثمارات كبيرة في صناعة البصريات مثلا وفي الابحاث الخاصة بها ».

بينما حققت المانيا الديمقراطية تقدما هائلا في هذا المجال ، وتنتجها بسعر تكلفة يقل كثيرا عن صناعة البلد الاخر . فالتخصيص في عملية البحوث العلمية والانتاج لفرع معين من الصناعة بظروف وامكانيات مهيأة يوفر على البلدان الاشتراكية الاخرى تكاليف باهظة ونفقات يمكن توجيهها لمجالات اخرى في نطاق تقسيم العمل ، خاصة وان اعباء البحث العلمى لا يتيح لاى بلد مهما كانت قدراته أن يقوم بانتاج كافة احتياجاته » .

ومن الملاحظات الجديرة بالتسجيل ان البلاد الاشتراكية الاكثر تقدما من الناحية الصناعية هى التى تبنت هذا الخط وتحمست له واكدت التزامها به ، وفي مقدمتها الاتحاد السوفيتى وتشيكوسلوفاكيا وبولندا ، وهى التى تقوم بالدور الرئيسى في تطبيقه ، بما ينعكس في الاتفاقيات المعقودة بينها ، بينما ظلت البلاد الاقل تطورا من الناحية الصناعية متحفظة ببعض الشىء وبدرجات متفاوتة ».

ولا يمكن ان نغفل العلاقة الدقيقة والصلة المباشرة بين هذه النظرة المتقدمة التى تخلصت من بعض ضيق الافق القومى وخرجت الى رحاب الفكرة الدولية الشاملة ، وبين موقف هذه الدول من قضايا الشعوب ».

وفي ظل تحرر قوى الانتاج داخل اطار المجتمع الاشتراكى تتكشف الافاق اللانهائية للتطور والانطلاق في طريق الرفاهية والرخاء والسلام .

ومن هنا فان تحرر الانسان الالمانى في الجمهورية الديمقراطية من الاستغلال الراسمالى فتح أمامه آفاق التطور على أسس اشتراكية . وكما ان الشعب الذى تقوده حكومة استعمارية تستعبد غيرها من الشعوب لايمكن أن يكون شعبا متحررا داخليا ، كذلك فان الشعب الذى يتحرر من الاستغلال ، لايقوم على استغلال غيره ، خاصة بعد ان يملك مقدراته وينبذ علاقات الانتاج القديمة التى تعرقل النمو المضطرد لقوى الانتاج وتكبلها بأغلال تتسبب في كل امراض المجتمع الرأسمالى».

وهكذا تقف هذه الشعوب الى جانب حركات التحرر وتدافع عن السلام والتعايش السلمى وتدين اى اتجاه للاستغلال سواء كان داخليا او موجها للخارج ، ولذلك يتمشى خط جمهورية المانيا الديمقراطية في السياسة الخارجية مع نطاقها الداخلى ، وتتفهم قضايا الشعوب وتبذل من اجلها الكثير ».

وفيما يتعلق بمشاكلنا الخاصة في الشرق العربى وافريقيا يمكن أن ندرك حقيقة العوامل الكامنة وراء مساندة المانيا الغربية لاسرائيل والرجعية العربية والانظمة العنصرية في افريقيا ، وعدائها المستحكم ضد العرب ، على النقيض من موقف المانيا الشرقية .

وقد جاء في تقرير اللجنة المركزية الى المؤتمر السابع لحزب الوحدة الاشتراكى « ان الرحلة التى قام بها والتر اولبرخت الى الجمهورية العربية المتحدة فتحت صفحة جديدة في تاريخ التعاون مع البلاد العربية » .. « ان مساندة الامبريالية الالمانية الغربية للقوى العدوانية في الشرق الادنى وخاصة مساعدتها في تحويل اسرائيل الى راس حربة استعمارية موجهة ضد البلاد العربية ، قد دفع عشر دول عربية الى قطع العلاقات الدبلوماسية بالمانيا الغربية في صيف عام ١٩٦٥ ، وان البيان المشترك الموقع بين جمال عبد الناصر ووالتر اولبرخت يعد برنامجا أساسيا للتعاون السياسى

والاقتصادى والثقافى والعلمى والفنى بين الدولتين المعاديتين للاستعمار .. »

الامن الاوربى والسلام العالمى

احتلت قضيتان رئيسيتان موقع الصدارة فى نشاط المؤتمر السابع لحزب الوحدة الاشتراكى ببرلين .. اولاهما قضية مواجهة الثورة العلمية التكنولوجية الحديثة وما يترتب عليها من تغيير فى استراتيجية العمل السياسى والبناء الاشتراكى. أما المسألة الثانية فهى المشكلة الالمانية والامن الاوربى،وقد تابعت الاحزاب الشيوعية والعمالية الاوربية مناقشة القضية الثانية فى المؤتمر المنعقد فى مدينة كارلو فيفارى ابتداء من ٢٤ ابريل الماضى .

وقد لخص اولبرخت موقف الحزب والحكومة من القضية الاولى فى وضوح وجلاء ، عندما أوضح أن الوضع الواقعى الراهن يتمثل فى وجود دولتين المانيتين ، تختلفان جذريا فى نظامهما الاجتماعى وفى المبادىء التى تملى عليهما سياستهما الداخلية والخارجية ، وأن تطورهما فى المستقبل يتجه الى مزيد من التنافر والتباين . والدعوة الى توحيد جمهورية المانيا الديمقراطية مع المانيا الغربية الاستعمارية مطلب غير واقعى فى الظروف الراهنة اذ يستحيل ان تنتكس المانيا الديمقراطية لتخضع من جديد للراسمالية والاستعباد والاستغلال الراسمالى .

كما ان خلق المانيا موحدة تحت سيطرة امبريالية لايهدد الالمان وحدهم بل يطيح بأمن اوربا بأجمعها، ولذلك فان الاعتراف بالمانيا الديمقراطية وتدعيم كيانها الدولى يتمشى مع مصلحة استتباب الامن الاوربى وحركات التحرر الوطنى فى افريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية .

وقد اكد اولبرخت أنه طبقا للظروف الواقعية القائمة فى المانيا واوربا ، فان تواجد دولتين المانيتين جنبا الى جنب احداهما اشتراكية والاخرى امبريالية هذا الوضع يجب ان نتوقع استمراره لفترة زمنية طويلة . وأن حل المشكلة لن يتأتى الا من خلال الصراع الطبقى الذى استمر أكثر من عشرين عاما وحتى تتمكن القوى الديمقراطية الشعبية فى المانيا الفيدرالية من القضاء على العسكرية الامبريالية الالمانية ، قائلا « اننا واثقون من أنه خلال عملية الصراع المعقد الطويل للطبقة العاملة فى الدولتين الالمانيتين ضد العسكرية والنازية — الجديدة — والكفاح من أجل التقدم الديمقراطى ، سوف تتشكل وحدة الطبقة العاملة فى داخل المانيا الغربية أثناء الحياة المشتركة والحركة الى الامام »

وانصبت الاقتراحات المقدمة من المؤتمر على ضمان التعايش السلمى بين الدولتين وتتلخص فى التالى :

- عقد اتفاقية بين الحكومتين لاقامة علاقات متبادلة طبيعية
- يتضمن الاتفاق بين الدولتين ادانة استخدام القوة فى العلاقات المتبادلة
- اقرار الحدود الحالية فى اوروبا .
- الاتفاق بين الحكومتين على تخفيض ميزانية التسليح ٥٠ ٪ لكل منهما .
- ادانة الحكومتين لتملك اوالتحكم اوالمشاركة فى التحكم فى الاسلحة الذرية من اى نوع واعطاء الضمانات الكفيلة للمساهمة فى خلق منطقة منزوعة السلاح الذرى فى اوربا . (ومن الجدير بالذكر ان حلف وارسو ينص على امكان انسحاب المانيا الديمقراطية منه ، واضعا فى اعتباره احتمال التوصل الى اتفاق مع المانيا الفيدرالية) .
- تبذل الحكومتان جهودهما لاقامة علاقات طبيعية مع كل الدول الاوربية

وتهديد المانيا الفيدرالية للامن الاوربى نابع من طبيعتها الامبريالية ومطامعها التوسعية سواء فى اوربا أو فى بلدان العالم الثالث، والضغوط التى تمارسها من أجل اعادة توزيع الاسواق ، وهى ترفض الاعتراف بالمانيا الديمقراطية وبالحدود الحالية وتعلن صراحة عن مطالب اقليمية فى تشيكوسلافاكيا وبولندا وتهدد دول العالم اجمع وخاصة الدول الافريقية والاسيوية اذا نقضت مبدأ «التمثيل الاوحد» لكل المانيا ، بما يشكل تدخلا صريحا فى الشئون الداخلية لهذه البلاد .

وتعمل الاحتكارات الالمانية على السيطرة والتحكم فى اوربا ، فستراوس يطالب فى كتابه مشروع لاوربا بمزيد من حرية العمل والاستقلالية والتضامن الاوربى من الدول الغربية تحت شعار « جسر الى أوربا الشرقية» ، وهالستين ممثل هذه الاحتكارات فى السوق الاوربى يعلن عن الحاجة الى مساحة أرحب وسوق للمستهلكين ، وترتفع الاصوات تنادى بتعديل الاثار المترتبة على الحرب العالمية الثانية ، ويثيرون روح الانتقام والنزعات الوطنية المتطرفة والاتجاهات العسكرية ، مما ادى الى عودة جرائيم النازية . وفى هذا المجال يتهم كيسنجر بأنه خدم هتلر فى وزارة ريبنتروب وتعاون مع جوبلز لمدة اثنى عشر عاما ، ويضم احد متاحف برلين آلاف الوثائق التى تدين كبار المسئولين فى جمهورية المانيا الفيدرالية وتكشف عن تاريخ ارتباطاتهم بالنازية .

وقد استعادت المانيا الغربية قوتها ، وتميز تطورها فى المرحلة الاخيرة بنمو راسمالية الدولة وتركز راس المال ،فعدد الاشخاص المنتمين الى راس المال الاحتكارى لايتجاوز ٢٠٫٠٠٠ اى ٣٪ من السكان ، ٥٠ منهم فقط يحتلون نحو ١٠٠٠ مركز من المراكز المهيمنة على الاقتصاد القوى بأجمعه ، يمثلون قمة الهرم الاجتماعى . وهذه التغييرات فى الهيكل الاقتصادى تتم فىوقت يتسم بعدم الاستقرار وحدة المنافسة على السوق العالمى ، وتعانىفيه الاحتكارية الالمانية من بداية أزمة اقتصادية ووضع تضخمى وتفشى البطالة مما يدعم الاتجاه الى الحلول التوسعية ،حتى أن كروب يعلن صراحة ان حل الازمة التى أخذت بخناق احتكاره العملاق يستلزم التوسع فىالاسواق والانتشار الى الخارج .

وتدفق رؤوس الاموال الالمانية كشريك فى الاستعمار الجماعي المشترك بما يصحبه من نفوذ للاحتكارات الالمانية الغربية فى مناطق نفوذ القوى الامبريالية القديمة ، ووقوفها الى جانب أعنف النظم العنصرية الرجعية فى اسرائيل وجنوب افريقيا وروديسيا وانجولا وموزمبيق ومساندتها لحرب فيتنام .. ليست الا نتاج طبيعى لطبيعة نظام الحكم .

وفى هذه الاوضاع يصبح الاستقرار والقوة الذاتية لجمهورية المانيا الديمقراطية المعادية للنازية والاستعمار عنصرا حيويا فى حماية الامن الاوربى وخط دفاع فى أخطر المناطق الاستراتيجية الذى يمتد على جبهة النضال العالمى لتصفية الاستعمار والاستغلال .

والواقع أن الغموض يكتنف بعض جوانب مشكلة تقسيم المانيا وتحديد المسئولية عنها ، بسبب الدعاية الغربية البارعة . وتوضيح هذا الجانب يكشف عن المخطط الاستعمارى بقيادة الولايات المتحدة الامريكية والذى رسمته على اثر الحرب العالمية الثانية مباشرة .

نصت قرارات مؤتمر بوتسدام — يوليو ١٩٤٥ على اجتثاث جذور العسكرية الالمانية ومعاقبة المسئولين عن الحرب ، مع اتاحة الفرصة للشعب ليبنى المانيا جديدة متحدة .

وأعلنت الجبهة الديمقراطية المتحدة المكونة من الاحزاب المعادية للفاشية انهاستسلك السبيل الذى رسمته قرارات بوتسدام .

وفى القطاع الشرقى اتخذت خطوات عملية فى هذا الاتجاه ، بتنفيذ قانون الاصلاح الزراعى والقضاء على سلطة أمراء الاقطاع الوكر الذى يفرخ جراثيم العسكرية البروسية الالمانية ، وجرت اصلاحات جذرية فى البرامج التعليمية لتطهيرها مما يشوبها من نظريات عنصرية ، وتسلم العاملون مسئوليات الادارة والسلطة .

وقد ظهرت اتجاهات مماثلة فى قطاعات من مناطق الاحتلال الغربى ، الا انها خفتت تدريجيا واستمر تحكم رجال الاعمال واصحاب الملايين من مجرمى الحرب الذين سبق أن دفعوا بهتلر الى السلطة . فقد صودرت مثلا أملاك كروب الا أنها أعيدت اليه بعد ثلاث سنوات ، وعاد عدد من النازيين الى التحكم فى السياسة ، حتى أن الحزب الديمقراطى الاشتراكى فى المانيا الغربية أعلن عام ١٩٤٦ « ان نفس القوى التى ساقتنا الى الاوضاع الراهنة مازالت تتحكم فى السياسة والاقتصاد والادارة » وجاء فى المجلة الامريكية « ساتردای ایفننج بوست » : « واذا توخينا الدقة لاتضح لنا ان ٣٣ فقط من بين ٣٦١ من كبار التنفيذيين من اعضاء الحزب النازى قد القى القبض عليهم ، اما الاخرون فجميعهم يشغلون وظائفهم القديمة »

وقد بدأ اديناور من وقت مبكر — أكتوبر ١٩٤٥ فى الدعوة الى دمجمناطق الاحتلالالغربية الثلاث فى دولةمستقلة . وأعلنكوهلر أولرئيس للبندستاج فى ١٩٤٦ : «اذا كانفىاستطاعة القوىالاشتراكية أن تحكم المانيا كلها ، فنحن نرفض وحدة المانيا » وفى ١٨ يونيو ١٩٤٨ فاجأت محطات الاذاعة فى المانيا الغربية الشعب الالمانى باعلان استبدال العملة القديمة بعملة للتداول فى القطاعات الغربية الثلاث ، ولمتمض ثلاثة أشهرحتى أعلن عنتكوين مايسمى بالمجلس البرلمانى برئاسة اديناور ، بدأ يتحدث باسم المانيا كلها .

وجاءت الخطوة الحاسمة فى ٧ سبتمبر ١٩٤٩ عندما أعلن تكوين دولة عاصمتها بون ، وانتخب اديناور مستشارا فيدراليا بأغلبية صوت واحد .

وردا على هذا الموقف كونت القوى الشعبية جمهورية المانيا الديمقراطية فى ٧ أكتوبر ١٩٤٩ .

وعلى اثر استقلال الاحتكارات الالمانية على المانيا الغربية وبالتضامن مع الولايات المتحدة الا مريكية بدأت سياسة الدعوة التوسعية ونغمة الانتقام وتعديل الحدود، فصدربيانحكومى يؤكدان الحكومة الفيدرالية لن تقبل استقطاع أراضيها على الحدود الشرقية طبقا لاتفاقية بالتاوبوتسدام ، وترددت من جديد المطالب بالحق فى هذه الاراضى ، وهى التى كانت نقطة الانطلاق فى الحروب السابقة التى فجرتها العسكرية الالمانية .

ولقيت هذه السياسة ترحيبا من جانب الدوائر

الامريكية التى كانت تتبع سياسة « مراكز القوة » و «الدحرجة الى الخلف» وتطبقها فى حرب العدوان على كوريا الشعبية .. وأرسيت قواعد محور واشنطن — بون ، وبدأ تسليح المانيا بعد ادخالها حلف الاطلنطى .

ورغم التصميم الواضح من جانب محور واشنطن بون على خلق الدولة الانفصالية ، فقد تقدم جروتولد فى المجلس الشعبى — بالاتفاق مع الاتحاد السوفيتى — باقتراح سحب كل القوات الاجنبية وعقد اتفاقية سلام مع النص على تحريم دخول أى من الدولتين فى الاحلاف العسكرية ، مع الاعداد لانتخابات عامة ، الا ان اديناور والقوى الغربية الثلاث رفضت هذه المقترحات ، وأعلن اديناور ان الخطوة الاولى فى سبيل الوحدة يجب أن تتركز فى استكمال التسلح والتفوق العسكرى — أى خلق مركز للقوة العسكرية تفرض منه شروطها .

وبعد أن وقعت المانيا الفيدرالية معاهدة باريس عام ١٩٥٤ ، ممثلة لالمانيا كلها ، أصبحت اقتراحات ١٩٥٢ عديمة الجدوى . وفى عام ١٩٥٥ أعلن مبدأ هالشتين بهدف عزل المانيا الشرقية ، وقد رد الاتحاد السوفيتى على هذه الخطوة باعلان استقلال الجمهورية الديمقراطية وادخالها فى حلف وارسو لحماية حدودها .

وكانت هذه الخطوة فاتحة عهد جديد ، لتحقيق الاحلام الانتقامية ، على أن يبدأ بقيام المانيا بدور قيادى فى اوربا ، وهو طموح يستند الى عظم مواردها البشرية والمادية . وبرز اتجاهان يتجاذبان السياسة الالمانية محور بون — باريس ثم محور بون — واشنطن ، لكن تمادى ديجول فى سياسته المناوئة لامريكا ومحاولته تخليص أوربا من النفوذ الامريكى ، وتلويح أمريكا لحكام المانيا الغربية بامكان الحصول على الاسلحة الذرية عن طريق مشروع القوة الذرية المتعددة الاطراف التابعة لحلف الاطلنطى ، وظهور اتجاه قوى داخل الدوائر اليمينية المتطرفة فى أمريكا يدعو الى تفضيل المانيا على بريطانيا وفرنسا فى التحالف الغربى الخاضع لزعامة الولايات المتحدة ، دعم حلف واشنطن — بون ، خاصة بعد سقوط ايرهارد بسبب بعض الخلافات مع واشنطن حول دفع نفقات قوات الاحتلال .

وفى الانتخابات الالمانية الاخيرة جرى استقطاب جزئى فى القوى ، فحصل كل من اليمين المتطرف واليسار على نسبة أكبر من الاصوات ولم يغير اسهام الحزب الديمقراطى الاشتراكى فى الحكم الخط السياسى للحزب الديمقراطى المسيحى . فقد تابعت الحكومة الجديدة استثارة النزعات الانتقامية وتأييد موقف «التمثل الاوحد» وهو يعارض اتفاقية نزع السلاح ، بل لقد ذهب برانت الى واشنطن للتدخل ضد الاتفاقية والمطالبة بتسليح بون بالاسلحة الذرية ، كما يؤيد الحزب الحرب العدوانية فى فيتنام والسياسة الخارجية الاستعمارية ومبدأ هالشتين .

وخلال المؤتمر السابع لحزب الوحدة الاشتراكى تركز الهجوم على ستراوس باعتباره المحرك الحقيقى للسياسة الالمانية الغربية ، وبرانت والحزب الديمقراطى الاشتراكى باعتباره الحزب الذى يضم قواعد شعبية ضللت بشعارات «شبه اشتراكية» ، ولم تكشف الجماهير حقيقته بعد . وأكدت قيادة حزب الوحدة الاشتراكى انه لم يحدث أى تغيير فى السياسة الالمانية فى ظل الحكومة الجديدة ، وكل ماهناك أنها تستخدم تاكتيك جديد ، تقارنه بالاسلوب الذى اتبعه هتلر ويتمثل فى التأثير على الدول كل على حدة ، ونفى اى نيات عدوانية تجاهها ، وتحييد هذه الدول حتى تركز سياستها العدوانية على دولة واحدة يعد لغزوها ثم يأتى دور الفريسة التالية ، فالتالية وهكذا .

وتتهم المانيا الديمقراطية كيسنجر باتباع هذا الاسلوب بهدف تفتيت وحدة الدول الاشتراكية ، فهو لا يهاجم المعسكر الاشتراكى ككل .. ويرى المسئولون أن تلك السياسة قد نجحت جزئيا ، فقد اعترفت رومانيا بالمانيا الغربية وتبادلت معها التمثيل السياسى . الا أن جمهورية رومانيا الشعبية ترى أن موقفها يدعم التعايش السلمى ويحطم فكرة مبدأ هالشتين .

وأيا كان الامر فان السياسة الالمانية الغربية لم تتغير من ناحية المضمون ، وهو مانلمسه نحن فى واقعنا العربى والافريقى . وليس من المتوقع أن ينتاب هذه السياسة أي تغيير مادام النظام الاجتماعى قائم على سيطرة الاحتكارات الامبريالية

ان حالة الاستقرار التى بلغتها جمهورية المانيا الديمقراطية ، والطفرة التى حققتها فى مجال الانتاج والتقدم المطرد لمستوى معيشة شعبها على اسس راسخة متينة والافاق المشرقة لتطورها فى المستقبل ، يعد من الركائز الرئيسية للامن الاوربى ، واستتباب السلام وتخفيف حدة التوتر . وليس أدل على ذلك من الانزعاج الذى يفصح عنه بعض الساسة فى المانيا الفيدرالية ، مثل قول ايريك ميندى زعيم الحزب الديمقراطى «ان هناك تحسنا ملحوظا فى مستوى المعيشة فى المانيا الشرقية فى الميادين الاقتصادية والصناعية ، فهى تحتل المركز الثانى بين دول أوربا الشرقية . ويجدر بالغرب أن يكون يقظا ليمنع ظهور المانيا الشرقية التدريجى كحاملة لرسالة الحضارة الالمانية وأن تظهر المانيا الغربية فى صورة التبعية الرجعية للشعب الالمانى » .

المعركة الثقافية بين القوى التقدمية والرجعية ودور المؤسسات الأجنبية الاستعمارية



يكتب هذا الخطاب المفتوح الكاتب العراقى الدكتور صلاح خالص ، وهو واحد من رواد الفكر التقدمى فى وطننا العربى ، وفيه يناقش ظاهرة خطيرة فى حقلنا الثقافى ، نطرحها بدورناللنقاش العام •

د . صلاح خالص

أعتقد ان **بيان الدكتور ثروت عكاشة** فى المؤتمر الذى عقده لرفع مستوى الكتاب العربى ، حول عدم امكانية التعايش السلمى بين الثقافة التقدمية والثقافة الرجعية جدير بأن يكون نقطة انطلاق للقوى التقدمية لاخذ مكانها الصحيح فى المعركة الايديولوجية ومناسبة لتوضيح موقفها تجاه كثير من الظواهر الخطيرة التى تركت طابعها واضحا على النشاط الثقافى فى العالم العربى فى السنوات الاخيرة .

ولا شك ان المقصود **بالثقافة التقدمية** هى الثقافة التى تخدم الشعب العامل المنتج ضد مستغليه والمتطفلين عليه ، هى تلك التى تخدم الحقيقة والعلم ضد التزييف والتزوير ، هى تلك التى تكون سلاحا قاطعا فى ايدى ابناء الشعب للقضاء على اعدائه الرجعيين والاستعماريين وبناء المجتمع المزدهر الذى تسوده العدالة وتتحقق فيه انسانية الانسان وتنطلق طاقاته الخلاقة المبدعة .. ومن هنا فان الكفاح من اجل الثقافة التقدمية هو جزء لا يتجزأ من الكفاح السياسى والاجتماعى ضد الاستعمار والرجعية وتحطيم أسلحتهما التى استعملت ولا تزال تستعمل لتعميق جراح الشعب والوقوف فى طريقه ، انه كفاح من أجل القضاء على سمومهما التى ينشرانها بألف شكل وشكل لتفتيت قوى الشعب والقضاء على حيويته والحيلولة بينه وبين اهدافه النبيلة بستار كثيف من الضباب الخانق والدخان الاسود ،

بحيث يضل عن الطريق الصحيح وينحرف عن السبيل القويم (*)

التعايش السلمى .. والخرافة

وكما ان التعايش السلمى بين قوى الشعب التقدمية من جهة ،وبين قوى الاستعمار والرجعية فى المجتمع من الجهة الاخرى اصبح خرافة لا مجال لقبولها وخدعة اثبت التاريخ بطلانها ، فمن الطبيعى اذن ان تكون فكرة التعايش السلمى بين الثقافة التقدمية سلاح الشعب والثقافة الرجعية سلاح اعدائه ، هى ايضا خرافة وخدعة مهما اختلفت الصيغ التى توضع فيها والعبارات المنمقة التى تصطنع لاخفاء حقيقتها (*)

وقد ادركت القوى الاستعمارية والرجعية هذه الحقيقة منذ وقت طويل ووضعت الخطط البارعة لفرض سيطرتها فى هذا الميدان مستغلة من جهة امكانياتها المادية الضخمة ، ومستفيدة من الجهة الاخرى من عدم اكتمال الوعى التقدمى وبعض جوانب الضعف الانسانى تجاه المغريات كالمال والشهرة وما الى ذلك (*)

لقد كونت هيئات ضخمة، ساهمت فيها الشركات الاحتكارية العالمية بكرم وسخاء، ونظمت مؤسسات عديدة باشكال متباينة وتحت شعارات مختلفة ووراء واجهات براقة ، فهذه مؤسسة للدفاع عن حرية الفكر ، وتلك للصداقة مع العرب ، وثالثة لتطوير البحث العلمى ، واخرى لنشر الثقافة الانسانية، وغيرها لمجرد الترجمة والنشر والتوزيع او لتقديم المنح الدراسية ، وما الى ذلك من واجهات واسماء لاتكادتخطر على البال، مستخدمة انبل ما لدى الانسان من مثل قومية او دينية او انسانية ، هذا بالاضافة الى عشرات الاذاعات والجرائد والمجلات المفضوحة التى تنفث سمومها جهرا فى كل ساعة من ساعات النهار والليل الى ملايين القراء والمستمعين (*) وتتدفق من هذه المؤسسات ، بحساب وبغير حساب ، سيول لا تنضب من الدولارات والباونات والماركات التى اذا ما تتبعنا منابعها الاصيلة نجدها من خزائن الشركات الاحتكارية الكبرى والمؤسسات الراسمالية العالمية ودوائر الاستخبارات وما الى ذلك من المصادر التى لا يمكن الشك مطلقا فى نواياها العدوانية تجاه الشعوب وموقفها تجاه حركات التحرر ودفاعها المستميت عن الاستعمار وعملائه واذنابه ، وحقدها المضطرم على كل ما يمس الاشتراكية من قريب او بعيد (*)

ان من السذاجة الاعتقاد بأن وكالة الاستخبارات الامريكية او فورد او روكفلر او فرانكلين او المجلس الثقافى البريطانى او هيئة الاذاعة البريطانية او غيرها من المؤسسات المماثلة لها والمرتبطة بها تقدم اموالها بهذا السخاء حبا بسواد عيون العرب ورغبة فى مساعدتهم على التخلص من الاستعمار وتحقيق المجتمع الاشتراكى الحر الذى يطمح اليه الشعب العربى ويبذل فى سبيله اغلى ما لديه من جهود ابنائه ودمائهم . واكثر من ذلك سذاجة دون شك التصور بأن هـؤلاء الرأسماليين الاحتكاريين مغفلون ، وانهم يخدمون الشعب العربى ويساعدونه على تحقيق اهدافه دون ان يدركوا ذلك او يشعروا به . فالواقع انهم يدركون جيدا ما يفعلون ويعرفون ما يريدون ، وان كل خطوة يخطونها انما تجرى على اساس دراسة اجتماعية ونفسية عميقة واهداف واضحة بينة تخدم قبل كل شيء اهدافهم السياسية .. ومن المؤسف ان نقول انهم قد نجحوا فى جهودهم الى حد بعيد وانهم حققوا انتصارات لا يمكن تجاهلها فى معركة الفكر ، ولا ادل على ذلك من الحيرة الفكرية والقلق الفكرى اللذين يتخبط فيهما كثير من شبابنا اليوم .

استخدام الاسماء المعروفة

كنت قبل اسابيع قليلة فى جمع من الاصدقاء العرب نتجاذب اطراف الحديث ، والتقط المذياع فجأة محطة لندن للاذاعة العربية ، وطفق المذيع يتحدث فى برنامج سماه «العالم العربى فى الصحافة البريطانية» ، طفق يتحدث عن «اضطهاد» المصريين للشعب اليمنى ، و« مطامع »الرئيس عبد الناصر فى الاستيلاء على الجنوب العربى ، و« مذابح الارهابيين » فى الجنوب العربى ، وما الى ذلك من الاقوال التى اعتادت اذاعة لندن ان ترددها يوميا عدة مرات فى برامجها المختلفة مثل «رسائل من العالم العربى »و« التعليق على هامش الانباء» و« لكل سؤال جواب » و« السياسة بين السائل والمجيب » وغيرها .. وما ان انتهى هذا الهراء المفضوح الذى لايمكن ان يثير اى استغراب لصدوره من اذاعة لندن ، حتى تقدم المذيع بالفقرة التالية من البرنامج : « مقابلة مع الدكتور لويس عوض — ماهى احب الاغانى اليك؟» وران الوجوم على وجوه الاصدقاء ،وارتسمت على وجوههم مختلف العلامات ،بين ذاهل مستغرب وحانق متأسف .. لم يكن فى الحديث ما يثير الاستغراب والحنق ،فقد سئل الدكتور لويس عوض عن احب الاغانى اليه ، واجاب ببساطة ، ثم اذيعت بعض الاغانى التى تحدث عنها (*) ولكن الغريب المؤسف ان ينطلق صوت الدكتور لويس عوض ، وهو كاتب عربى معروف من اذاعة لندن بالذات ، التى لايشك احد فى ان غرضها ليس امتاع الجماهير العربية والترفيه عنها .. الغريب المؤسف ان

ينطلق صوت معروف ذو مكانة فى الصحافة العربية فى وسط هذه الاصوات النشاذ التى تطلقها هذه الاذاعة الاستعمارية صباح مساء . والدكتور عوض ليس الوحيد الذى قدمته اذاعة لندن فى برامجها المختلفة مثل « احب الاغانى اليك ..» و « معرض الرأى » وغير ذلك ، فقد سبقه فنانون معروفون مثل **الفنان الكبير محمد عبد الوهاب والفنان عبد الحليم حافظ** وغيرهما ، كما ان اذاعة لندن تذيع احاديث ومسرحيات لكتاب عرب معروفين لا يشك فى وطنيتهم فقد قدمت مثلا فى حلقات « الايام » **للدكتور طه حسين** ، و« الرجل الذى فقد ظله » للاستاذ **فتحى غانم** ، و« سيرة عنترة بن شداد » للدكتور **محمد عبده عزام** ، وكثير غير ذلك ..

واذا كنا لا نشك مطلقا فى وطنية هؤلاء الكتاب والفنانين وامثالهم ولا نرتاب فى حسن نواياهم فان من حقنا بل ومن واجبنا ان نرتاب فى الاذاعة البريطانية ، بل وان نتهمها بأنها تستخدم هذه الاسماء الشريفة اطارا لبث سمومها الفتاكة ودعاياتها المغرضة .. ان اذاعة لندن لم تخف يوما اغراضها التى قامت من اجلها . انها لم تخف مساندتها التامة لجميع انواع الاستعمار ودفاعها عن الصهيونية وعدائها الشديد لجميع الحركات التحررية ، وفى مقدمتها حركة التحرر العربى ووقوفها فى وجه اى تفكير اشتراكى .. فما هو السر الذى حدا بأدباء وفنانين تعتز بهم الثقافة العربية الحديثة الى الانزلاق فى هذه البؤرة المليئة بالسموم والجراثيم واية مصلحة لهم وللشعب العربى وحركته التقدمية فى مساعدة هذه المؤسسة المغرضة ؟ !!

وهيئة الاذاعة البريطانية ليست هى الوحيدة البارعة فى نصب مثل هذه الاحابيل والشراك .. فقد ملات فضائح وكالة الاستخبارات الامريكية اعمدة كثير من الصحف العالمية فى هذه الايام .. واذا كان قد اتضح ان هذه المؤسسة تمول ـ بشكل مباشر او غير مباشر ـ مؤسسات ثقافية ضخمة مثل مؤسسة **«حرية الثقافة»** المعروفة ، ومجموعة كبيرة من الصحف والمجلات فى انحاء العالم المختلفة ومنها البلدان العربية ، كما تمول جمعيات ومؤسسات ترتدى مسوح الرهبان . كمنظمة « **اصدقاء الشرق الاوسط** » ، كما فضح ذلك احد اعضاء مجلس الشيوخ الامريكى فى الثانى والعشرين من شهر مارس فى الكونجرس الامريكى نفسه ، اقول اذا كان قد افتضح جزء يسير مما تفعله وكالة الاستخبارات الامريكية ، فان الاكثر من فعالياتها السرية لا يزال طى الكتمان .. ولكن ما ظهر منها يكفى لادراك طبيعة المعركة الثقافية القائمة اليوم واهمية القوى التى يزجها الاستعمار والرجعية فيها ، ويوجب ادراكا واعيا من جانب القوى التقدمية على اختلاف اتجاهاتها واتخاذ ما هو ضرورى من الاحتياطات للدفاع عن نفسها وعن الشعب الذى تمثله ، والصمود فى المعركة حتى النهاية .

ان هذه الجهود لم تقتصر دون ريب على العالم العربى ، بل شملت العالم كله . واذا كانت اموال دوائر الاستخبارات الامريكية والمؤسسات الرأسمالية والاستعمارية قد اشترت كثيرا من الاقلام فى الشرق والغرب ، فان عددا غير قليل من الكتاب فى جميع انحاء العالم قد احترموا شرف الكلمة ووقفوا كالاطواد الشامخة امام المغريات وساروا غير عابئين ببريق الذهب وانوار الشهرة الكاذبة شاقين طريقهم رغم العقبات والصعوبات نحو المجد الحقيقى كممثلين حقيقيين للفكر الانسانى النير والتقدم البشرى الجبار .. ولم يفتقر مجتمعنا العربى لا قديما ولا حديثا الى مثل هذه الوجوه المشرقة الناصعة التى تحملت الجلد والسياط والتعذيب والسجون بل والموت ، وتحدت جميع المغريات فى سبيل الفكرة التى آمنت بها ودافعت عنها ..

ويبدو ان النشاط الثقافى الرجعى ـ الاستعمارى ابتدأ يأخذ شكلا جديدا ويستعمل اساليب جديدة اكثر براعة وعمقا وفعالية منذ نجاح ثورة ٢٣ تموز (يوليو) فى مصر ولا سيما بعد فشل العدوان الثلاثى فى عام ١٩٥٦ وافلاس سياسة القوة .. فبعد ان كان يعتمد بالدرجة الاولى على الرجعية المحلية والبعثات التبشيرية وجد الاستعمار ان هذه القوى عاجزة تماما عن الوقوف فى وجه افكار التحرر والتقدم التى ابتدأت تجتاح العالم العربى .. لقد كانت الرجعية العربية ـ ولا تزال فى كثير من البلدان العربية ـ متأخرة فكريا وثقافيا ، وفى وضع اعجز من ان تستطيع فيه محاربة الفكرة بالفكرة والكلمة بالكلمة .. كما فشلت الاساليب الكارثية فى ضغط وارهاب ومطاردة للمثقفين وتضييق الخناق على الفكر الحر والثقافة التقدمية فالرجعية غير قادرة على ملء الفراغ الذى يخلقه الاضطهاد والتنكيل بالمثقفين الاحرار والصحافة التقدمية الحرة ، كما هو الحال الان فى البلدان التى تسيطر فيها الرجعية سيطرة كاملة على مقاليد الحكم ..

وجهان لعملة واحدة

وكان **الشكل الاول** الذى نفذت بواسطته الخطة الاستعمارية هو التعاون على الصعيد الرسمى مع الحكومات الرجعية والمؤسسات الرسمية التى ترتبط بها .. ففى الوقت الذى اخذ فيه المجلس الثقافى البريطانى والمعاهد الثقافية البريطانية توسع نشاطاتها تحت ستارات مختلفة ـ برغم الضربة التى اصيب بها النفوذ البريطانى بعد فشل العدوان الثلاثى ـ انشأ الامريكيون مؤسسات **«النقطة الرابعة»** ولجان التعاون الفنى

«فولبرايت» وتوسعوا في اقامة «مكاتب الاستعلامات الامريكية التي اخذت تمارس نشاطها في مختلف حقول الثقافة والفكر والتعليم ، ابتداء من ارسال الخبراء المرتبطين مباشرة بدوائر الاستخبارات الى تنظيم الدعوات وتقديم المنح والمساعدات واسناد المؤسسات والمنظمات التي تقف في وجه التقدم كالمؤسسات الماسونية والتبشيرية وغير ذلك ».

اما **الشكل الثاني** والاكثر خطورة التي تجلت فيه الخطة الاستعمارية ، فهو العمل خارج النطاق الرسمي ، بواسطة مؤسسات غير رسمية تسندها وتمولها شركات رأسمالية ضخمة وذات مصادر مالية كبيرة ، اهمها روكفلر وفرانكلين وفورد الخ

وخطورة هذه المؤسسات تكمن في جوانب عديدة أهمها :

اولا: انها مرتبطة ارتباطا عضويا بمؤسسات رأسمالية احتكارية كبرى ، لايشك في مواقفها المؤيدة للاستعمار وعدائها الشديد للاشتراكية وافكارها ».

ثانيا : انها حرة التصرف تماما لا ترتبط بأي قيد او شرط او قانون محلي او دولي او اخلاقي او اي اعتبار آخر سوى اغراضها واهدافها ».

ثالثا : انها مزودة بامكانيات مالية ضخمة تعتبر خيالية تماما بالنسبة لاوضاع المثقفين العرب الذين اعتادوا العدم والحاجة والذين الف كثير منهم الكتابة والتأليف لا لربح او فائدة مالية ، وانما خدمة للعلم ورغبة بالمعرفة ».

رابعا : ان هذه المؤسسات يديرها خبراء بارعون يعرفون مهنتهم حق المعرفة ، ويدركون ما يريدون ، ويفهمون جوانب الضعف في النفس الانسانية وفي المجتمع الذي جعلوا منه ميدانا لنشاطهم وتجاربهم ».

خامسا : ان نشاطها ليس محليا وانما على نطاق العالم كله ، فهي قادرة على اسناد عملائها في اكثر ارجاء الارض ». وليس ادل على ذلك من الحملة التي قامت بها بعض هذه المؤسسات ضد منع مجلة تافهة مثل مجلة «**حوار**» من الدخول الى الجمهورية العربية المتحدة ».

وهكذا وجد الكتاب والمترجمون انفسهم مدعوين لترجمة اي كتاب امريكي او تأليف اي كتاب عن امريكا لقاء المئات والالوف من الدولارات التي لم يكونوا يحلمون بها قط من قبل .. ووجد الاساتذة الكبار والكتاب المعروفون انفسهم مدعوين لان يكتبوا اسماءهم على اغلفة هذه الكتب كمراجعين او ان يضعوا لها بضع صفحات كمقدمات ليحصلوا لقاء ذلك على ما لم يستطيعوا الحصول عليه من عملهم العلمي في سنوات ».

وهكذا ابتدأ سيل عارم من الكتب بعضها بريء المظهر والاخر اقل براءة ، وثالث واضح الفرض ، ورابع دعاية سافرة لطريقة الحياة الامريكية الراسمالية وعداء صريح للاشتراكية .. وفي هذا الخضم الزاخر من الكتب المختلفة المظاهر والمقاصد كان كل كاتب عربي ساهم في هذا النشاط يحاول ان يقتنع نفسه ، بشكل او بآخر ، بانه لم يتجاوز حدود واجباته وافكاره ».

والاساس الذي تقوم عليه مؤسسات روكفلر وفرنكلين وفورد ومثيلاتها هو ربط مصالح الكتاب والمؤلفين المادية بمصالحها ووجودها ، معتقدة ان هذا خير سبيل لاستنزاف طاقاتهم الفكرية والافادة منها في المستقبل ومنعهم على الاقل من الوقوف في الجانب الاخر من ساحة الصراع الفكري ».

فعندما ابتدات **مؤسسة روكفلر** مثلا نشاطها في **العراق عام ١٩٥٧** ، وضعت تحت تصرف احد عمداء الكليات آنذاك مبلغ عشرة الاف دينار لصرفها «لمساعدة» البحث العلمي .. وكان الاسلوب الذي اتبع هو ان يقدم الاصدقاء والمقربون الذين فوتحوا بهذا الموضوع مشروعا لبحث علمي او ادبي او تاريخي يفترض فيه ان ينجز خلال سنتين على ان يدفع له مقدما مائتا دينار ».

وكانت النتيجة ان وجد المبلغ طريقه الى جيوب عدد من الاساتذة اعربوا عن رغبتهم للقيام ببحوث علمية ، بل ان بعضهم زود بسيارة لانجاز بحثه العلمي بسرعة .. ولكن هذه البحوث لم ترالنور حتى الان ، هذا اذا لم تكن سيئي الظن فنقول انها لم توجد اصلا الا في مخيلة اصحابها . ومثل ذلك فعلت مؤسسة فرنكلين التي كان ممثلها يعرض على الاساتذة ترجمة كتب امريكية وتسلم اسخى المكافات سواء نشر الكتاب ام لم ينشر . **فماذا نسمي هذه المكافات السخية ، وماهو هدفها ؟ !! ».**

ان المشكلة هي ليس في اننا لانريد ان يستفيد اساتذتنا من هذه الموارد الجديدة ، او اننا ضد جميع الكتب التي تنشرها هذه المؤسسات ، فالقضية اكثر مبدئية من ذلك » اذ ان الثقافة سلاح خطير من اسلحة المجتمع ، ومن حق المجتمع اي مجتمع ، ان يحرص على استخدام هذا السلاح الخطير لمصلحة ابنائه وبناء مستقبلهم واذا كان المجتمع الراسمالي مطمئنا الى ان اكثر وسائل الدعاية والنشر في ايد امينة لصالح الطبقة الراسمالية المستغلة فهل من المعقول ان يتخلى المجتمع الذي اختار هدفا له بناء الاشتراكية في وطنه ، عن هذا السلاح الخطير ويسلمه الى ايد ليست امينة على مصالحه ومصالح طبقاته العاملة ؟ !! ».

نحو تخطيط ثقافى ثورى

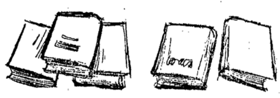
اننا لسنا ضد ترجمة روائع الانتاج الفكرى الامريكى او غير الامريكى او التاليف فى تجارب الشعوب الاخرى وتاريخها .. ولكن الخطر فى ان تترك هذه المهمة الخطيرة الى مؤسسات اجنبية تقوم بها وتوجهها الى حيث تريد ، لاسيما وانها خاضعة لنفوذ الرأسمال الاحتكارى العالمى الذى اقل مايمكن ان يقال فيه ان طريقه واهدافه لايمكن ان تتفق مطلقا مع طريق واهداف الشعوب العربية المتحررة . ان مكافحة نفوذ الراسمال الاجنبى فى الحركة الثقافية ووضع حد له ، وتخطيط مستقبل الحركة الثقافية على اساس انها جزء لا يتجزأ من معركة الشعب العربى من اجل الحرية والاشتراكية والازدهار الاقتصادي والاجتماعى والعلمى والادبى اصبح ضرورة ملحة بعد ان بلغت المعركة مع الرجعية والاستعمار الى هذه الدرجة الخطيرة ، وبعد ان غدت معركة حياة او موت بالنسبة لهما .. ولاشك ان القضاء على هذا النفوذ سيؤدى حتما الى انهيار قوى الثقافة الرجعية فى الداخل وتداعيها امام مسيرة الجماهير العربية ومثقفيها التقدميين نحو اهداف الشعب العربى وغاياته ..

ان وضع تخطيط ثقافى متقن بعيد النظر يتلاءم مع حاجات الشعب العربى الفكرية والروحية ويسنده فى صراعه السياسى والاجتماعى لقدير ، ليس فقط على وضع حد للنفوذ الاستعمارى الرجعى فى الحياة الثقافية وتاثيره السلبى على ابناء الشعب فى داخل البلاد العربية المتحررة نفسها ، وانما على خنقه فى خارجها ايضا . وانى لاتساءل : **ماذا سيكون مصير الاذاعة البريطانية باللغة العربية مثلا فيما او امتنع العرب الاحرار ولا سيما المصريون عن التعامل معها !! .. وكذلك الشأن مع الاذاعات والصحف والمجلات الاستعمارية الاخرى .**

لا شك ان مثل هذا التخطيط الثقافى الهادف من قبل المجتمع لايعنى مطلقا تقليص حرية المثقف او الكاتب، بل تعميقها واعطائها معناها الحقيقى. فالحرية الحقيقية ليست عمياء وانما هى الاختيار الواعى القائم على ادراك عميق لدوافع النشاط الانسانى ونتائجه، وليس اقدر من التخطيط الواعى المدرك على انقاذ الانسان من تخبطه واهوائه الذاتية واعطاء نشاطه قيمة انسانية سامية وتمتعه بالحرية الحقيقية اى الحرية الواعية. فليس **حرا** فى الاختيار من يقف فى مفترق طرق لايعرف الى اين مؤداها وان سار فى اى منها على هواه ، وانما **الحر** من عرف اين تنتهى به هذه الطرق ثم اختار منها خير طريق يوصله الى هدفه ..

ان الاوان لم يفت دون شك لترك الموقف المائع او غير الملتزم الذى يقفه فريق من المثقفين العرب تجاه المؤسسات الاستعمارية وتعاونهم معها بشكل او باخر . وماتصريح **الدكتور ثروت عكاشه** حول عدم امكانية التعايش السلمى بين الثقافة الرجعية والثقافة التقدمية الا دعوة ملحة للمثقفين العرب التقدميين لتحديد موقفهم ورص صفوفهم وتوحيد قواهم وزجها فى المعركة الثقافية بعزم وتصميم ووعى فى جميع مجالات الصراع الفكرى وتمزيق جميع الاقنعة التى تتستر خلفها القوى الرجعية لبث سمومها الفكرية .

ان مركز الجمهورية العربية المتحدة الان فى حركة التحرر العربى ، وطاقاتها الفكرية والفنية الكبيرة ونفوذها المعنوى الواسع لكفيل بأن يضمن لها توجيه ضربات ساحقة ماحقة لمختلف اوكار التامر الثقافى الرجعى فى البلاد العربية وخارجها . ولاشك انها ستجد الى جانبها فى معركتها هذه الجماهير العربية كلها والمثقفين التقدميين فى جميع انحاء العالم العربى . ونحن حين نتحدث عن الجمهورية العربية المتحدة لانعنى مؤسساتها الرسمية فقط ، وانما نعنى ايضا هذا الحشد الزاخر من المثقفين والكتاب والادباء والفنانين التقدميين الذين ربطوا مصيرهم بمصير الشعب العربى وكافحوا بصبر وجلد من اجله وحققوا فى السنوات الاخيرة انتصارات رائعة فى ميدان الفكر ضد قوى الرجعية والاستعمار . اننا لعلى ثقة بان هؤلاء الذين حملوا راية الثقافة التقدمية فى معركتها القاسية ضد قوى ذات امكانيات مادية هائلة وفى ظروف اقل مؤاتاة من الظروف التى تمر بها الجمهورية العربية المتحدة اليوم، لقادرون على السير بهذه الراية الى الامام حتى النصر الاخير ، لان التاريخ كله يسير معهم ويمد سواعدهم واخلاصهم بالحيوية والقوة والعزم ...



وجه « شي جيفارا » رسالة الى منظمة تضامن شعوب آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ، احدثت دويا هائلا واثارت مناقشات صاخبة ورد فعل عنيف بين قوى اليسار والمناضلين الثوريين في جميع انحاء العالم. وتنشر «الطليعة» النص الكامل للرسالة التي تعد بحق من اخطر الوثائق في تاريخنا المعاصر ، تمشيا مع سياستنا في اطلاع المناضلين العرب على كل جديد في مجال الفكر الثوري في العالم .

وقد سبق « للطليعة » ان نشرت حوارا مع « شي جيفارا » في عددها الرابع من عام ١٩٦٥ .

فلتكن هناك أكثر من فيتنام واحدة
هذا هو الشعار

« عندما توقد الافران .. فلا شيء يجب أن يرى سوى النور .. »
جوزي مارتي

شي جيفارا

مضى واحد وعشرون عاما على نهاية آخر نزاع عالمي وتحتفل النشرات المختلفة في العديد من اللغات بهذا الحدث التاريخي الذي يتمثل في هزيمة اليابان ، ويجوب جو من التفاؤل الظاهري على عديد من الاقسام في المعسكرين المتباينين اللذان يقسم بهما العالم . انها فترة لتبدو طويلة حقا : واحد وعشرون سنة تمضي دون حرب عالمية في هذا الوقت الذي وصلت المواجهات فيه حتى الذروة واشتد عنف المصادمات واتسمت التغييرات بعنصر المفاجأة . لن نخوض في تحليل النتائج العملية التي تمخضت عن هذا السلم ونحن جميعا على اهبة الاستعداد للدفاع عنه (البؤس — الاذلال — الاستغلال الذي يأخذ في الاتساع يوما بعد الآخر شاملا اقساما من العالم باكملها) ، غير انه يجدر بنا ان نتساءل اذا كان هذا السلم حقيقي او غير حقيقي .

ليس من هدف تلك المذكرات سرد تاريخ مختلف النزاعات ذات الطابع المحلي التي توالت على العالم منذ استسلام اليابان وليس من مهامنا ايضا ان نستعرض المعارك الاهلية الكثيرة والمتزايدة التي زخر العالم بها خلال تلك السنوات من السلم المزعوم ، فليكن ردنا على هذا التفاؤل

المفرط مأحدث وبحدث من حروب في كوريا والفيتنام .

كان من شأن حرب كوريا أن عم الجزء الشمالي من تلك البلاد بعد معركة ضارية امتدت سنوات طوال خرابا لم تسجل الحرب الحديثة مثيلا له . لقد دكت كل المواقع بالقنابل وتجردت البلاد من المصانع والمدارس والمستشفيات وبات دون مأوى عشرة مليون من السكان .

تدخلت في الحرب الكورية تحت ظل علم الامم المتحدة المخادع عشرات البلاد تقودها الولايات المتحدة الامريكية واشتركت فيها جحافل من الجنود الامريكيين وجند الاهالي في جنوب كوريا ليكونوا الوقود لمدافعهم .

اما المعسكر الآخر فلقد اعتمدت فيه كوريا جيشا وشعبا كما اعتمد فيه المتطوعون من جمهورية الصين الشعبية على ما صار يقدمه الجهاز العسكري السوفيتي من عتاد وعون ، بينما تعمد الجانب الامريكي على الدخول في مختلف التجارب باستعماله اسلحة الدمار التي وان استبعدت الاسلحة الهيدروجينية والنووية الا انها اشتملت على سلاح الجراثيم والاسلحة الكيماوية وان كان على قدر قليل منها .

اما الفيتنام فلقد شنت القوى الوطنية فيه دون انقطاع يذكر سلسلة من الاعمال الحربية ضد ثلاث دول امبريالية : اليابان وقد اصيب سلطانه بهزيمة نكراء اثر القاء القنابل على هيروشيما وناجازاكي ، ثم فرنسا التي استعادت من هذا البلد المهزوم مستعمراتها في الهند الصينية متنكرة للوعود التي جادت بها في الاوقات العصيبة ، واخيرا الولايات المتحدة الامريكية في تلك المرحلة النهائية من المعركة .

لقد عمت المواجهات المحددة النطاق كافة القارات وان لم يقع في القارة الامريكية طيلة فترة طويلة من الزمن سوى محاولات للكفاح من اجل التحرير وسوى الانقلابات ، ... الى ان دقت الثورة الكوبية ناقوس الخطر معلنة اهمية تلك المنطقة ومثيرة غضب الامبرياليين وهياجهم . لقد اضطرت الثورة الكوبية آنذاك ان تدافع في بادىء الامر عن سواحلها في (بلاياجيرون) ثم تدافع عنها خلال **ازمة اكتوبر** . كان يمكن ان يثير هذا الحدث الاخير حربا لا اول ولا آخر لها مما كانت ستتسم به من مواجهة بين الامريكان والسوفييت من اجل كوبا .

ولكن مما لاشك فيه ان بؤرة التناقضات **مركزة الآن** في اراضي الهند الصينية وفي البلاد المجاورة لها ، فكل من لاوس وفيتنام تنتابه الحروب الاهلية التي تتعرى من تلك الصفة مع وجود الامبريالية الامريكية بكل ما تمتلكه من صولجان وقوة وتأخذ المنطقة بأسرها في التحول الى قنبلة على اهبة الانفجار .

اخذت المواجهة في الفيتنام صفات خاصة **اتسمت باقصى درجة من الحدة** . واذا كنا لانرى في ان نسرد **في هذا العرض** تاريخ تلك الحرب الا اننا سنتقدم للقارىء ببعض معالم الطريق عليها .

تم في ١٩٥٤ بعد الهزيمة الساحقة في (دين بن فو) التوقيع على اتفاقات جنيف التي قسمت البلاد الى منطقتين ونصت على اجراء انتخابات عامة في ميعاد ١٨ شهرا لتقرير من الذي سيتولى زمام الحكم في البلاد وكيف يتم توحيدها . لم يوقع الامريكيون على تلك الوثيقة واخذوا يناورون ليستبدلوا الامبراطور (باو داى) العوبة فرنسا وعميلها بشخص تطمئن اليه نفوسهم ، لقد وقع اختيارهم على (نجو دين ديم) الذي كان مصيره تلك النهائية المفجعة .... الليمونة التي اعتصرتها الامبريالية ثم القت بها في بلوعة القاذورات . عم التفاؤل معسكر القوى الشعبية خلال الشهور التالية على توقيع اتفاقات جنيف فأجرى جنوب البلاد تفكيك اجهزة الكفاح المعادية لفرنسا وصار امل الجميع يتعلق بتنفيذ الاتفاقات ، ولكن سرعان ما ايقن الوطنيون ان الانتخابات لن تجرى مالم تتأكد الولايات المتحدة الامريكية بالقدر على فرض ارادتها على صناديق الانتخابات — الامر الذي كان متعذرا حتى ان لجأ الامريكيون الى مختلف **وسائل** التزييف التي يحتفظون بها في جعبتهم .

عادت المعارك مرة اخرى تتسع يوما بعد الآخر في جنوب البلاد حتى اصبح الجيش الامريكي يفوق **عدده** على نصف مليون من الغزاة بينما اخذ عدد جنود القوات العميلة يقل شيئا فشيئا حتى فقدت تلك القوات نضاليتها تماما .

●

لقد مضى ما يقرب من سنتين حين صار الامريكيون يلقون قنابلهم بانتظام على جمهورية فيتنام الديمقراطية في محاولة جديدة لقمع نضالية الجنوب واجباره على الاشتراك في مفاوضات يحتلون فيها مراكز القوة . كان الضرب بالقنابل قليل في بادىء الامر متظاهرا بأنه الرد الانتقامي على الاستفزازات المزعومة المنسوبة الى الشمال ، الا ان تلك العمليات اخذت **بعد ذلك** تزداد ضراوة وانتظاما حتى تحولت على مر الايام الى حملة جبارة اخذت في شنها القوى الجوية الامريكية رامية من ورائها الى القضاء على كافة اشكال الحضارة في المنطقة الشمالية من البلاد . **تلك** هي مرحلة التصعيد السيئة السمعة .

لقد حقق الامريكيون اغلب اهدافهم **المادية** بالرغم من المقاومة العنيدة التي ابدتها قوات فيتنام الجوية وتدميرها ١٧٠٠ طائرة وبالرغم من العتاد الحربي الذي قدمه المعسكر الاشتراكي .

هناك حقيقة مؤلمة. لقد اضحى الفيتنام معزولا وحيدا ، وهو البلد الذى تتجسد فيه ما يجيش فى عالم مهجور بأكمله من تطلعات وأمل فى النصر .

ان التضامن الذى يعبر عنه العالم التقدمى للفيتنام يثير فى ذهننا السخرية المريرة التى كان يحس بها المتصارعون الرومان من تشجيع العامة من الشعب لهم . ليس الامر ان تتمنى فوز ضحية العدوان بل ينبغينا مشاركته المصير والسير معه حتى الموت او النصر .

ونحن حين نحلل اسباب العزلة التى يعانيها الفيتنام نشعر بالضيق والقلق يجثم على صدورنا من تلك اللحظة المجنونة التى تمر بها الانسانية .

نعم تتحمل الامبريالية الامريكية أثم العدوان فلقد أقترفت بلا شك من الجرائم التى لاتعد ولا تحصى ما قد امتد اثره على العالم كله . نعم نعلم هذا أيها السادة . ولكن هناك ايضا من يقع عليهم أثم هذا العدوان وهم الذين ترددوا حين اذنت ساعة الفصل من جعل الفيتنام ارضا اشتراكية مصونة لا تمس ، حتى وان ادى الامر بهم الى المخاطرة باندلاع الحرب العالمية الا انهم كانوا سيجبرون الامريكيين على تحديد موقفهم . ويعد ايضا من الآثمين من لا يزالوا يستمرون فى حرب من الشتائم و (المقالب) التى اخذ فى شنها منذ مدة طويلة ممثلو اكبر دولتين فى المعسكر الاشتراكى .

فلنطرح السؤال لنفوز بالرد الصريح الواضح : اليس الفيتنام معزولا يتأرجح مصيره فى خطر التوازن بين الدولتين المتشاجرتين .

يا له من شعب عظيم ! يا لها من رباطة جأش وشجاعة ! اى درس فى الكفاح يتلقنه العالم من هذا الشعب !

لن نعرف قبل سنوات عديدة اذا كان الرئيس جونسون قد فكر جديا آنذاك فى اجراء بعض الاصلاحات اللازمة للشعب لتفقد التناقضات الطبقية حدتها التى زاد شأنها وصارت قابلة للانفجار . ان الشىء الذى تأكدنا منه هو انه قد القى فى بلوعة القاذورات الفيتنامية بكل تلك التحسينات التى وصفت فى عبارة فضفاضة بـ « المجتمع الجديد » .

تحس اكبر الدول الامبريالية بالدم ينزف من احشائها بما يثيره الفيتنام هذا البلد الفقير والمتخلف ، كما أن المجهود الحربى يؤثر على اقتصادها الاسطورى . ان التقتيل يكف على ان يكون للاحتكارات اكثر انواع التجارة ربحا . ان كل ما يمتلكه جنود فيتنام البواسل لاشىء سوى كميات غير وفيرة من الاسلحة الدفاعية ، لاشىء سوى حب الوطن والشجاعة الخارقة . ولكن الامبريالية تغوص حتى اذنيها فى رمال الفيتنام لاتجد مخرجا للمأزق الذى وقعت فيه وتبحث دون أمل عن السبيل لتجنب الاخطار . لقد اخذت « النقاط الاربعة » للشمال و « النقاط الخمسة » للجنوب تقلق مضجعها وتؤرقها واصبح لا مفر من المواجهة .

كل الامور تشير على ان هذا السلم الهزيل المهلهل الذى سمى سلما لمجرد ان حربا عالمية لم تقع قد اصبح يتهدده خطر الزوال مرة اخرى اذا بادرت الولايات المتحدة الامريكية بموقف مرفوض لاتستطيع الرجوع عنه .

● ●

ماهو الدور الذى ينبغى علينا ان نؤديه نحن **المستغلين فى هذا العالم** ؟ تترقب شعوب القارات الثلاث الوضع فى الفيتنام وتتلقى الدروس منه ، فليس من رد سليم وصحيح على ابتزاز الامريكيين بنشوب الحرب سوى عدم الخوف منها . على الشعوب ان تقيم تاكتيكها العام على اساس الهجوم فى شدة ودون هوادة فى كل موقع من مواقع المواجهة ، وينبغى علينا ان نحرر انفسنا ايا كان الثمن فى كل موقع اهدر فيه هذا السلم التعس .

يشهدنا العالم على صورة منه شديدة التعقيد فلا تزال مهام التحرر تترقب بلادا فى اوروبا القديمة التى وان كانت على قدر من النمو يجعلها تئن تحت وطأة سائر التناقضات الرأسمالية ، الا انها على حالة من الضعف والهوان بحيث لا تقدر على السير فى طريق الامبريالية او خوض هذا الطريق . سوف تتخذ التناقضات فى هذه البلاد قريبا طابع الانفجار ، على ان القضايا التى تطرحها ومن ثمة الحلول التى تقتضيها تختلف عن تلك القضايا والحلول المطروحة على بلادنا التابعة والمتخلفة اقتصاديا .

تضم الامبريالية بين ذراعيها فى مجال استغلالها الاساسى القارات الثلاث المتخلفة : امريكا، آسيا، افريقيا . اذا كان لكل بلد من بلاد القارات سماته الخاصة الا ان لتلك القارات فى مجموعها مايربط فيما بينها من سمات .

تشكل امريكا مجموعة من البلاد على قدر من التجانس فيما بينها، فالاموال الاحتكارية الامريكية تحتفظ على اراضى تلك القارة بالاولوية المطلقة ويتعذر على الحكومات العميلة — وعلى احسن حال الحكومات الضعيفة والخائفة — الاعتراض على الاوامر التى يصدرها السيد الامريكى . لقد اصبح تسلط الامريكيين السياسى والاقتصادى على تلك البلاد فى اعلى قمته ، فليس بوسعهم بالتالى التقدم خطوة اخرى . من هنا فأن اى تغيير فى الوضع قد يؤدى الى الانتكاس بأسبقيتهم وهذا مايجعل اساس سياستهم الاحتفاظ بما

حصلوا عليه كما تقتصر خطة عملهم فى الوقت الراهن على استخدام القوة الباطشة لاخماد حركات التحرير ايا كانت طبيعتها .

تحت شعار « لن نسمح بكوبا اخرى » تتستر الامكانيات على اقتراف الاعتداءات دون ثمة مخاطرة على غرار العدوان الذى وقع على جمهورية الدومنيكان وعلى غرار العدوان السابق عليه الذى تمثل فى مذبحة باناما ، ثم هناك هذا الانذار الواضح الفاضح باستعداد الجيوش الامريكية للتدخل فى اى مكان فى امريكا يضطرب النظام فيه مهددا المصالح الامريكية . تفوز تلك السياسة بانعدام العقاب على قدر يكاد يكون مطلقا اذ تمدها منظمة الدول الامريكية وانفقدت كل اعتبار بما يلائمها من قناع كما ان منظمة الامم المتحدة قد تجردت من الفاعلية فتبدو على هذا الوجه من السخرية والمأساوية واخيرا فالجيوش من كافة البلاد الامريكية على اهبة التدخل لسحق شعوبها . لقد تكونت بالفعل دولية الاجرام والخيانة .

ونرى من ناحية اخرى ان البورجوازية المحلية الاهلية فقدت كل قدرة على مقاومة الامبريالية — على فرض انه كانت لديها تلك القدرة يوما من الايام — وتكون تلك البورجوازية الآن المنفذ الخلفى للامبريالية . ليس هناك اية تغييرات يمكن اجراؤها وليس امامنا سوى الثورة الاشتراكية او مسخ من الثورة .

●

اما آسيا فلها خصائصها المختلفة، فقد تمخض عن حركات التحرر التى شنتها شعوب تلك القارة على مجموعات من الحكم الاستعمارى قيام حكومات على درجة او اخرى من التقدمية ، وتطورت تلك الحكومات فى بعض الحالات معمقة الاهداف الاولى للتحرر الوطنى بينما كان مصير بعض الحكومات فى الحالات الاخرى العودة الى المواقع الموالية للامبريالية .

ليس للولايات المتحدة شيئا يذكر تفقده اقتصاديا فى هذا المجال ، بل ان الباب مفتوح امامها لتنال الكثير ، ان كل تغيير يتم فى القارة يصبح فى صالحها وتقاتل الامبريالية الامريكية لاستبعاد الدول التى دخلت حديثا مضمار الاستعمار وتعمل تلك الامبريالية على الدخول مباشرة او عن طريق اليابان فى مناطق جديدة للعمل فى المجال الاقتصادى .

الا ان هناك من الظروف السياسية وخاصة فى الهند الصينية ما يحيط آسيا بخصائص استثنائية بالغة الاهمية التى تلعب دورا هاما فى الاستراتيجية العسكرية العامة للامبريالية الامريكية فتعمل تلك الامبريالية على مد حزام من حول الصين عبر كوريا الجنوبية وتايوان وجنوب الفيتنام وتايلاند .

ان هذا الوضع المزدوج الذى يتمثل فى تلك المصلحة الستراتيجية الهامة باحاطة جمهورية الصين الشعبية عسكريا والذى يتمثل فى الطموح الذى تبديه الاموال الامريكية لاقتحام تلك الاسواق الواسعة وهى ماتزال بعيدة عن سيطرتها ، .. هذا الوضع المزدوج يجعل من آسيا اشد مواقع العالم الحالى انفجارا على الرغم من هذا الاستقرار المظهرى خارج المنطقة الفيتنامية .

ان الشرق الاوسط الذى ينتمى جغرافيا الى تلك القارة له تناقضاته الخاصة به فالوضع فيه شديد الغليان بغير ان يكون فى وسعنا التنبؤ بالابعاد التى سوف تتخذها تلك الحرب الباردة بين اسرائيل ويساندها الاستعمار وبين البلاد التقدمية فى المنطقة . ان الشرق الاوسط بركان آخر من البراكين التى تهدد العالم .

●

اما افريقيا فلها من السمات ما يجعل منها ارضا بكرا لغزو الاستعمار الجديد . لقد طرأت على تلك القارة من التغييرات ما حمل دول الاستعمار الجديد على التنازل بقدر ما عن امتيازاتها ذات الطابع المطلق . ولكن عندما تجرى عمليات التحول دون انقطاع فالاستعمار الجديد يحل دون عنف محل الاستعمار حاملا معه نفس الآثار فى التسلط الاقتصادى .

لا تملك الولايات المتحدة مستعمرات فى تلك القارة وهى تقاتل الآن لاقتحام الاراضى التى كانت حتى الآن حكرا على اقرانها من البلاد الاستعمارية الاخرى . بوسعنا التأكيد على أن افريقيا تشكل الاحتياطى الطويل المدى على مستوى المخططات الستراتيجية للامبريالية الامريكية . ليس للولايات المتحدة استثمارات هامة فى تلك القارة فيما عدا اتحاد جنوب افريقيا وقد اخذت تلك الاستثمارات تقتحم الكونغو ونيجيريا وبلاد اخرى غيرها حيث بدأت تترسم معالم المنافسة العنيفة (وهى لاتزال ذات سمات سلمية حتى اليوم) بين الامبريالية الامريكية ودول امبريالية اخرى .

ليس للامبريالية فى تلك القارة حتى الآن من المصالح الكبيرة ما يستدعى الدفاع عنها اذا استثنينا ما تدعيه من حق التدخل فى اى موقع من مواقع العالم تشتم احتكاراتها فيه رائحة الارباح الطائلة او تتوقع وجود احتياطيات كبيرة من المواد الاولية .

هذه المقدمات جميعها تجعل من السؤال المطروح امرا مشروعا بشأن امكانيات تحرير الشعوب آجلا او عاجلا .

اذا استعرضنا الوضع فى افريقيا نرى ان

المعركة تدور على قدر من الشدة في المستعمرات البرتغالية (غينيا – موزامبيق – انجولا) ولقد سجلت نصرا كبيرا في اولى تلك المستعمرات وسجلت انتصارات متفاوتة في الاخيرتين . تشهد تلك القارة ايضا معركة في الكونغو بين خلفاء لومومبا وبين شركاء تشومبى وتبدو اليوم تلك المعركة في صالح هؤلاء الآخرين الذين « اعادوا السلم » لصلحتهم في جزء كبير من البلاد على الرغم من استمرار الحرب بشكل مستتر .

●

تبدو القضية على شكل آخر في روديسيا فقد استعان الاستعمار البريطاني بكل مافي جعبته من وسائل وطرق لتسليم زمام الحكم الى الاقلية البيضاء القابضة عليه الآن . ان وجهة نظر انجلترا هو أن هذا النزاع على اطلاقه معاد للرسمية ، غير ان تلك الدولة بما لها من المهارة الدبلوماسية المعروفة – وهى أيضا نفاق واضح – تتظاهر بالقلق ازاء الاجراءات التى تسير عليها حكومة ايان سميث ، ويستفيد موقف انجلترا الماكر بما تجده من مساندة من بعض بلاد الكومنولث التى تسير في ركابها بينما يهاجم هذا الموقف جزء كبير من بلاد افريقيا السوداء التابعة سواء الطيعة منها للامبريالية الانجليزية او غير الطيعة .

قد يصبح الوضع في روديسيا شديد الانفجار اذا تبلورت جهود الوطنيين السود على حمل السلاح واذا ساندت الامم الافريقية المجاورة تلك الحركة بصورة فعالة ، الا ان كافة تلك القضايا لاتزال تناقش حتى الآن في منظمة الامم المتحدة والكومنولث ومنظمة الوحدة الافريقية وهى منظمات مجردة من الفاعلية .

ومع ذلك يجدر بنا ان نلاحظ أن تطور افريقيا سياسيا واجتماعيا لاينبىء عن تمخض حالة ثورية على صعيد القارة . لا شك ان حركات التحرر ضد البرتغاليين سوف تسجل النصر لها ، الا ان البرتغال لايعنى شيئا في قائمة موظفى الامبريالية ، ان المواجهات الثورية المدى هى التى تجعل الجهاز الامبريالى باسره يهتز وان كان لايجب علينا ان نتوقف عن القتال لتحرير المستعمرات البرتغالية الثلاث ومن أجل تعميق ثوراتها .

●

سوف تبزغ في افريقيا مرحلة جديدة عندما تبادر الجموع السوداء في افريقيا الجنوبية وفى روديسيا بشن معركتها التحريرية الحقيقية او عندما تبدأ الجماهير الغفيرة بالعمل على اقتلاع حقها في الحياة الكريمة من الاقليات الحاكمة .

● ●

لاتزال الانقلابات تتوالى حتى اليوم ، فتاخذ مجموعة من الضباط محل مجموعة اخرى منهم او محل حكومة اقلعت عن خدمة مصالحها الطبقية او خدمة مصالح الدول التى ابقت عليها في دهاء ، ومع ذلك فلا تعرف القارة ثمة انتفاضات شعبية . ان ذكرى لومومبا قد حفز تلك الخصائص الا انها فقدت مالها من قوة خلال تلك الشهور الاخيرة .

لقد رأينا كيف ان الوضع في آسيا يتفجر ولا تقتصر نقط الاحتكاك على الفيتنام او لاوس حيث تدور المعارك فيها ، بل تمثل الكومبورج نقطة احتكاك اخرى حيث قد يبدأ فيها العدوان الامريكى المباشر في اى وقت .

كذلك الحال بالنسبة لماليزيا واندونيسيا ايضا حيث لانعتقد ان الكلمة الاخيرة قد قيلت فيها باستيلاء الرجعيين على الحكم وعلى الرغم من انعدام الحزب الشيوعى . ثم هناك ايضا بلا شك الشرق الاوسط .

● ●

اما في امريكا اللاتينية فالمعركة المسلحة تدور في كل من جواتيمالا وكولومبيا وفنزويلا وبوليفيا وتلوح بشائرها في البرازيل . هناك ايضا من مراكز المقاومة مايظهر وينطفىء ، الا ان الغالبية الكبرى من تلك البلاد قد نضج للكفاح المسلح الذى يقتضى ان تقوم على الاقل حكومة ذات اتجاه اشتراكى حتى يتم له الانتصار .

تستعمل تلك القارة عمليا لغة واحدة فيما عدا حالة البرازيل الاستثنائية التى يسهل على الشعوب الناطقة بالاسبانية فهم شعبها لما بين اللغتين من تقارب وتشابه . تتميز تلك القارة بأن الطبقات الاجتماعية في كافة بلادها تطابق بعضها الآخر بحيث يمكن تصوير تلك الطبقات بطابع « امريكى دولى » له من التكامل ماليس لغيره في القارات الاخرى . ان من شأن كافة تلك العناصر : اللغة ، العادات ، الدين ، السيد الواحد ... العمل على توحيد تلك البلاد . ونرى من ناحية اخرى ان ما للاستغلال من آثار ونتائج يتخذ على مستوى الدرجة او الشكل في اغلب بلاد قارتنا الامريكية نفس السمات سواء بالنسبة للمستغلين او بالنسبة للمستغلين . ان التمرد اخذ ينضج في القارة بسرعة مطردة .

علينا ان نتساءل : كيف ينمو هذا التمرد ؟ وما هو الشكل الذى سوف يأخذه ؟ لقد أكدنا منذ فترة بعيدة على ان المعركة في امريكا سوف تأخذ بالنظر الى تلك الخصائص المتشابهة ابعادا على صعيد القارة كلها وسوف تشهد امريكا المعارك العديدة الكبرى التى تشنها الانسانية من اجل تحريرها .

ان المعارك التي تدور ايجابيا الآن لاتشكل سوى احداث من تلك المعركة ذات الابعاد القارية، الا ان تلك المعارك لم تضن بالشهداء الذين سوف يكتب التاريخ الامريكى اسماءهم فى سجله لما جادوا به من دم فى تلك المرحلة النهائية من معركة التحرير الشامل للانسان ، سوف تسجل قائمة الشهداء اسماء كل من القمندان (فورشيوسرليما) والاب (كاميلو تورس) والقمندانات (فابرتشيو اوخيدا) و (لوباتون ولويزدي لابوينتا اوشيدا) . انها الوجوه البارزة الاولى فى الحركات الثورية فى كل من جواتيمالا وكولومبيا وفنزويلا وبيرو .

ومما لاشك فيه ان تعبئة الشعب بشكل فعال تخلق قادته الجدد فنرى أن (شيزار ونفتش وبون سوزا) يرفعان علم التمرد فى جواتيمالا كما يرفعه فى كولومبيا كل من (فابيو فاسكز) و (ماروالاندا) وكما يقود كل من (دوجلاس برافو) فى الغرب و (امريكو مارتن) فى جبال (الباشيللر) جبهاتهما فى الفنزويلا .

سوف تندلع مواقد اخرى للحرية فى تلك البلاد وفى البلاد الامريكية الاخرى كما يجرى الآن فى بوليفيا . سوف يزداد عدد تلك المواقد مع ماتحمله من اخطار على مهنة الثورى الحديث. سوف يقتل كثير من الضحايا نتيجة اخطائهم وسيولى آخرون التراب فى تلك المعركة التى تقترب ساعتها . سوف يبرز فى حمية المعركة الثورية المجاهدون والقادة الجدد وسيكون الشعب خطوة بعد اخرى مناضليه ومرشديه ممن تفرزهم الحرب ذاتها .. وسوف يزيد عملاء القهر الامريكى غددا . فى جميع البلاد التى تدور المعارك المسلحة فيها يوجد بها الآن مستشارون ، ويبدو ان جيش برو استطاع بمساعدة المستشارين الامريكيين وتدريبهم ان يشن حملة ناجحة على الثوريين فى تلك البلاد. ولكن اذا احسن قيادة مواقد الحرب بما يلزم من الذكاء السياسى والعسكرى فلن يكتب القهر لها ، مما يقتضى ايفاد مجموعات اخرى من الامريكيين، لقد ظهرت فى برو وجوه جديدة غير معروفة تعيد فى عناد وعزم تنظيم حرب العصابات . ان الاسلحة العتيقة التى تستخدم الآن فى قمع العصابات المسلحة الصغيرة سوف تختفى لتحل محلها الاسلحة الحديثة وسوف تستبدل مجموعات المستشارين بالجنود الامريكيين حتى تدق الساعة التى تجعلهم يضطرون ايفاد مجموعات متزايدة من الجيوش النظامية لتوفر للحكم قدرا من الاستقرار النسبى ، وقد اخذ الجيش القومى لهذا الحكم يتحلل تحت وطأة ضربات العصابات المسلحة . هذا هو الطريق الذى سلكه الفيتنام وهو الطريق الذى ينبغى على الشعوب سلوكه . انه الطريق الذى سوف تسير امريكا فيه مع ملاحظة الوضع الخاص بتلك القارة حيث تستطيع المجموعات المسلحة تكوين مجالس التنسيق لجعل اعمال القمع التى تقوم بها الامبريالية الامريكية متعذرة والتسيير على تضيتهم الخاصة (*)

● ●

ان **امريكا تلك القارة المنسية** من حركات التحرر السياسية الاخيرة والتى بدأت تشعر الناس بوجودها عبر منظمة القارات الثلاث عن طريق الثورة الكوبية طليعة شعوبها ... يقع عليها دور بالغ الاهمية : عليها ان توجد على البسيطة فيتنام ثان او فيتنام ثالث ... او فيتناما ثانيا وثالثا .

علينا ان ندرك ان الامبريالية تشكل فى آخر الامر نظاما عالميا يمثل آخر مرحلة للرأسمالية ويستدعى القضاء عليه ان تدخل فى مواجهة عالمية . يجب ان يكون هدف تلك المعركة الستراتيجى القضاء على الامبريالية . اما بالنسبة لنا نحن الشعوب المستغلة والمتخلفة فعلينا ازالة القواعد التى تعيش الامبريالية منها : بلادنا المقهورة التى يستمدون منها بابخث الاثمان الاموال والمواد الاولية والفنيين والعمال ، ويصدرون اليها اموالا أخرى — وسائل التسلط — والاسلحة والسلع على اختلاف أنواعها ... لنكون التابعين لهم فى خضوع مطلق .

اما العنصر الاساسى فى هذا الهدف الستراتيجى فهو تحرير الشعوب تحريرا حقيقيا يتم فى اغلب الحالات بالكفاح المسلح الذى سيتخذ حتما فى امريكا سمات **الثورة الاشتراكية** .

●

يجدر بنا ونحن نفكر فى القضاء على الامبريالية ان نحدد رأسها : الولايات المتحدة الامريكية .

علينا ان نقوم بتنفيذ مهمة ذات طابع عام يتحدد هدفها التاكتيكى فى استدراج العدو من المحيط الذى يعيش فيه لاجباره على القتال فى الاماكن والمواقع التى يتعارض اسلوب حياته مع أسلوب الحياة فيها. يجب الا نقلل من قوة العدو فالجندى الامريكى له من القدرات الفنية وتسانده الوسائل الضخمة التى تجعل امره مخيفا . اما مايفتقده اساسا هذا الجندى الامريكى فهى تلك الارضية الفكرية التى يتميز بها الى أعلى مستوى أعدائه الحاليين : الجنود الفيتناميين .. لن نستطيع التغلب على الجيش الامريكى الا بقدر ماندك روحه المعنوية دكا بما ننزل به من هزائم وما نسقيه من الآلام المتكررة .

ان تلك الصورة الصغيرة من الانتصارات تقتضى التضحيات الطائلة من الشعوب ويجب تقبلها من الآن فى وضح النهار وقد تكون تلك التضحيات اقل ايلاما من تلك التى كنا نعانيها لو تجنبنا المعركة على الدوام .

لا شك ان البلد الذي سوف تختتم به قائمة التحرير سيحصل على حريته دون معركة مسلحة وبغير الآلام التي تسببها الحرب الطويلة القاسية التي تشنها الامبريالية ، الا انه قد يتعذر على هذا البلد تجنب تلك المعركة المسلحة او تجنب نتائجها اذا اخذ النزاع طابعا عالميا حيث تتساوى الآلام ان لم تصبح اكثر شدة . ليس في مقدورنا التنبؤ بالمستقبل ولكن يجب الانستسلم لموقف من الاغراء الجبان النزل في ان نكون طليعة شعب يتطلع الى الحرية ولكنه يتهرب من المعركة التي تقتضيها تلك الحرية وينتظر النصر كالمتسول على قارعة الطريق .«.

من السليم حقا ان نتفادى اية تضحية عابثة ولذا فمن المهم أن نستوضح الامور بشأن الامكانيات الحقيقية التي في متناول امريكا التابعة لتحرر نفسها بالوسائل السلمية . ان الجواب على هذا السؤال واضح لنا : قد يكون الوقت الحالي مناسب او غير مناسب لشن القتال، الا انه لايمكن ان نفقد الاتجاه بل وينبغي علينا ان ندرك اننا لن نحصل على الحرية دون نضال . لن تكون معارك من تلك التي تقع في الشوارع حيث ترد الاحجار على الغازات المسيلة للدموع ولن تكون تلك المعارك على مستوى الاضرابات السلمية العامة، الا انها لن تكون ايضا معركة شعب هائج يقضي على جهاز قهر الاقليات الحاكمة في يومين او ثلاثة ايام ، ان المعركة طويلة ودموية ، تمتد جبهتها الى المخابيء التي تأوى العصابات المسلحة وتمتد الى المدن ومنازل المناضلين حيث يسهل على قوى القمع البحث في سهولة عن الضحايا بين اقارب المناضلين، كما تمتد تلك الجبهة بين صفوف الفلاحين وفي المدن والقرى التي تدمرها قنابل العدو .«.

● ●

أجبرونا على خوض تلك المعركة فليس امامنا سوى ان نعد العدة لها وان نربط العزم على القيام بها ، لن تكون مقدمات تلك المعركة يسيرة وسهلة بل ستكون وعرة وشديدة . سوف تستخدم الاقليات الحاكمة كل ماتملك من قدرة على القمع والقسوة والديماجوجية . علينا في المرحلة الاولى من المعركة ان نستمر في الوجود وعندئذ سيكون لحرب العصابات تأثيرها المستمر مثلا يحتذى به ، وذلك بتحقيق الدعاية المسلحة على حد المفهوم الفيتنامي لتلك العبارة ، اى دعاية الطلقات النارية ودعاية المعارك الناجحة او الخاسرة التي تشن على العدو . فلنشحذ الروح الوطنية ولنستعد لنؤدى اعمالا اكثر شدة نقاوم بها قمعا اشد منا» وهناك ايضا الحقد والضغينة كعنصر من عناصر القتال . فلنرد على الحقد الذي يبديه العدو في غير هوادة او تراخ ، هذا الحقد الذي يدفع الانسان الى تخطى كل حدود الانسانية فيحوله الى آلة للتقتيل فعالة عنيفة وصماء .«. على جنودنا ان يتسلحوا بالحقد على نفس المستوى . ان الشعب الذي لا يشعر بالحقد في جنباته ليس قادر على التغلب على العدو الوحشي .«.

علينا ان نخوض الحرب في كل مكان يخوضها العدو : في مواقعه وفي اماكن اللهو التي يؤمها .«. يجب ان تكون الحرب شاملة ، علينا الا نتركه يستريح دقيقة واحدة في ثكناته وخارجها . فلنهاجم العدو حيث يوجد . يجب ان يشعر العدو بالملاحقة في كل مكان يطرقه ، عندئذ يفقد هذا العدو روحه المعنوية شيئا فشيئا ويصبح اشد وحشية الا ان بوادر الخور تبدأ تترسم على ملامحه .

فلنعمل على انماء الاممية البروليتارية الحقيقية بجيوشها البروليتارية العالمية حتى يصبح اللواء الذي نقاتل في ظله هو القضية المقدسة لانقاذ البشرية وبحيث يكون الموت تحت اعلام الفيتنام او الفنزويلا او الجواتيمالا او لاوس او غينيا او كولومبيا او بوليفيا او البرازيل — اكتفاء منا بتلك الساحات الحالية من المعركة المسلحة — مجدا متساويا ورغبة واحدة للامريكي والاسيوى والافريقي بل وللاوروبي ايضا .«.

●

ان كل قطرة من الدم تسيل على ارض يحميها علم لم تولد في ظله هي تجربة يجنى ثمارها كل من يستمر على قيد الحياة ليطبقها بدوره على معركة التحرير في موطنه . ان كل شعب يتحرر يمثل خطوة الى الامام على طريق تحرير الشعوب ، لقد آن الوقت لنهدأ من خلافاتنا وان نضع انفسنا في خدمة المعركة .«.

●

نعم نعلم ولا احد يستطيع ان ينكر ان المناقشات الحامية تنتاب العالم الذي يكافح من اجل تحرير نفسه، ونعلم ايضا ما وصلت اليه تلك المناقشات من حدة بحيث يبدو عسيرا ان لم يكن متعذرا اجراء المناقشة والتصالح . ومن العبث البحث عن الطرق لاجراء نقاش يتجنبه المتخاصمان ، ولكن العدو امامنا يضرب كل يوم ويهددنا بضربات

---

* ترجم النص الفرنسي الى العربية يوسف درويش .

الاخرى ، سوف تؤدى تلك الضربات الى توحيدنا اليوم ، غدا او بعد غد . ان الشعوب لن تنسى الجميل لهؤلاء الذين يشعرون من الآن بضرورة تلك الوحدة ويعدون العدة لها . لا نستطيع نحن المسلوبي الحقوق ان نتحيز لشكل او آخر من اشكال التعبير عن الخلافات لما يصطحب الدفاع عن كل رأى منها من شدة وعنت ، حتى وان اتفقنا مع بعض المواقف الذى يتخذها فريق او آخر بل وحتى ان كان اتفاقنا مع فريق على قدر اكبر من الفريق الآخر . حين تأذن ساعة القتال تشكل الخلافات الحالية بالصورة التى عليها موطنا للضعف ، الا انه من العبث ان نحاول عن طريق الكلام تسوية تلك الخلافات بوضعها الراهن ».

سوف يقضى التاريخ عليها شيئا فشيئا او سوف يضفى عليها المضمون الحقيقى ».

● ●

ينبغى علينا فى عالمنـــا الذى يخوض المعركة ان نعالج الخلافات حول التاكتيك ووسائل العمل من اجل انجاز المهام المحددة آخذين فى الاعتبار تقديرات الاخرين ، على أنه ينبغى علينا ان نكون صارمين بشأن الهدف الستراتيجى : القضاء على الامبريالية قضاء مبرما .

●

تتلخص تطلعاتنا الى النصر بالآتى : القضاء على الامبريالية بازالة اقوى قلاعه اى القضاء على التسلط الامبريالى الذى تمارسه الولايات المتحدة الامريكية . ولتكن خطتنا التاكتيكية تحرير الشعوب تدريجيا ، شعبا بعد شعب او مجموعة من الشعوب بأكملها ، فنحمل على هـــذا النحو العدو على خوض معركة وعرة بعيدا عن ارضه، فلنصفى قواعد وجوده وهى الاراضى التابعة .

●

انها حرب طويلة المدى ، حـــرب نكرر التأكيد على قسوتها . فلنفهم هذا جيدا عندما نشنها ». ولنقطع اى تردد لشنها خوفا من النتائج التى ستجرها على شعبنا . ان تلك الحرب تكاد تكون الامل الوحيد فى النصر .

●

ليس بوسعنا ان نصم الآذان لنداء اليوم . فالفيتنام ينذرنا بهذا النداء بما يلقنه لنا من دروس فى البطولة التى لا حد لها . ان الفيتنام يلقن لنا كل يوم تجربته الاليمة فى الكفاح والموت من اجل النصر النهائى ».

يعانى جنود الامبريالية من المتاعب فى الفيتنام بشأن مستوى الحياة كما تصوره الدعاية الامريكية ما يلاقيه هؤلاء الجنود الذين يقاتلون على ارض معادية وما يواجهونه من خطر السير على ارض العدو والموت الذى يترقب من يتخطون قلاعهم المحصنة ومن يتعرضون لعداء مستمر من الشعب بأسره . تنعكس تلك الامور جميعها على الحياة الداخلية فى الولايات المتحدة مما يجعل الكفاح الطبقى يبرز فوق ارض الامبريالية ذاتها ، هذا العامل الذى تهدىء الامبريالية من شأنه حين تكون فى عنفوان قوتها ».

●

لاشك اننا سوف نستطيع رؤية ما هو قريب منا ومضىء اذا تفتحت وازدهـــرت على ظهـــر البسيطة اكثر من فيتنام ، اثنان او ثلاثة او عديد منها، مع ماتجر وراءها من الموت والمآسى المفجعة وما تحمل معها كل يوم من بطولات وما تلقنه من الضربات للامبريالية فتضطرها الى تشتيت قواتها تحت وطأة الحقد المتزايد الذى تضمره لها شعوب العالم فى قلوبها ».

●

كم يكون المستقبل قريبا وعظيما لو استطعنا ان نتوحد لتكون ضرباتنا اشد عنفا ولتصـــبح مساعدة الشعوب اكثر فاعلية ».

واذا كنا نحن الذين نقوم بهذا الواجب على تلك البقعة الصغيرة من العالم واضعين فى خدمة المعركة هذا الشىء القليل الذى نستطيع تقديمه : حياتنا وتضحياتنا، فليس ما يخيفنا أن نلفظ آخر نفس فينا على اى ارض وقد اصبحت ارضنا التى روتها دماؤنا . اعلموا أننـــا قدرنا مدى أعمالنا واننا لانعتبر انفسنا سوى عنـــاصر من جيش البروليتاريا العظيم ولكننا نشعر بالفخر من الدرس الذى تلقيناه من الثورة الكوبية ومن قائدها العظيم الاعلى ، هذا الدرس الذى ينم عن موقفها فى هذا الجزء من العالم حين اعلنت أنه « ليس للاخطار ولا للتضحيات التى يقدمها انسان أو شعب من الاهمية اذا كان الامر يتعلق بمصير البشرية » ».

●

ان عملنا كله يتركز فى صرخة الحرب ضــد الامبريالية وفى نداء مدوى نوجهه لوحدة الشعوب ضد الولايات المتحـــدة الامريكية عدو الجنس البشرى الاكبر . فليفاجئنا الموت على اى بقعة من الارض . مرحبا به طالما ان آذانا صـــاغية تسمع صرخة الحرب وطالما تمتد يد اخرى لتقبض على اسلحتنا وطالما يقف رجال آخرون ينشدون الاناشيد الجنائزية مصـــحوبة بفرقعة المـــدافع وباصوات اخرى من الحرب والنصر ».



● قذائف البازوكا .. معونة النقطة الرابعة الامريكية

● نذر الحرب الصينية ـ الامريكية .. فى الافق

■ الوطن العربى

المواجهة الشاملة للثورة المضادة فى الوطن العربى

أعصاب العالم كله مشدودة هذه الايام وانظاره كلها مركزة عند شريط يمتد مسافة ١١٧ ميلا على خط الهدنة الذى يفصل بيننا وبين اسرائيل وبالذات عند منطقة شرم الشيخ وجزيرتى صنافير وتيران اللتان تقعان عند مدخل خليج العقبة .

فلقد أفاق الرأى العام العالمى كله ليفاجأ بموقف خطير ملتهب فجره تحالف الاستعمار والصهيونية والرجعية بمؤامرته العدوانية ضد سوريا .

وقد كشف الرئيس **عبد الناصر** فى خطابه بمركز القيادة المتقدمة للقوات الجوية للجمهورية العربية المتحدة عن المدى الذى وصلت اليه اسرائيل فى تصعيدها العسكرى للموقف على خط الحدود الاسرائيلى السورى . واوضح كيف حشدت اسرائيل قوات مسلحة كبيرة يبلغ قوامها حوالى ١١ لواء الى ١٣ لواء وزعت على جبهتى جنوب طبرية وشمال طبرية بهدف شن هجوم عنيف على الجمهورية العربية السورية بدعوى تشجيعها لنشاط الفدائيين الفلسطينيين .

والحقيقة ان ذلك الحشد العسكرى الضخم لم يكن مفاجئا ، وانما كان نتاجا لاسلوب التصعيد الذى اتبعه القادة الاسرائيليون فى تهديدهم لسوريا فى الفترة الاخيرة . وقد بدأ **ابا ايبان** حملة التهديد الاسرائيلى والوعيد هذه ، بتصريحه فى ١١ مايو بأن « اسرائيل لن تسكت » وتلويحه بالتهديد لسوريا . وفى ١٤ مايو اعلن « **ليفى اشكول** » رئيس الوزراء « انه من المحتم ان تحدث مواجهة خطيرة بين سوريا واسرائيل » . كما اعلن الجنرال **اسحق رابين** رئيس اركان الجيش الاسرائيلى بعدها « ان رد فعل اسرائيل سيكون مختلفا عن الاعمال الانتقامية التى قامت بها اسرائيل فى الماضى ضد الاردن ولبنان » .

ووضع جمال عبد الناصر النقط فوق الحروف بالنسبة للمؤامرة الاسرائيلية ، ولفت النظر فى خطابه المذكور الى البيانات الصريحة لرئيس وزراء اسرائيل وكبار قادتها بأنهم سيحتلون دمشق ، وسيسقطون الحكم السورى ، وكشف تفاصيل المؤامرة التى كان مقررا ان تبدأ بهجومهم العسكرى على سوريا ابتداء من ١٧ مايو .

وبذا وصلت اسرائيل فى الواقع الى القمة الخطرة الحمقاء ، قمة سياسة ابتزاز العرب وتهديدهم عن طريق القوة المسلحة . واتضحت اهداف المؤامرة الاسرائيلية بجلاء ، الا وهى اسقاط حكومة سوريا التقدمية ، والسير بالمخطط الامريكى المعادى للجمهورية العربية المتحدة وللثورة العربية عامة خطوات اكثر خطورة

الجمهورية العربية المتحدة تأخذ زمام المبادرة

وفى الساعة السادسة من صباح ١٦ مايو ، اعلنت حالة الطوارىء بين القوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة ، واصبحت فى « حالة الاستعداد القصوى »

وفى ١٧ مايو صدر امر من **المشير عبد الحكيم** عامر نائب القائد الاعلى للقوات المسلحة ، بأن يكون الفريق اول **عبد المحسن مرتجى** قائدا عاما لقوات الجبهة المصرية مع اسرائيل فى حالة بدء اية عمليات عسكرية ، والفريق اول **محمد صدقى محمود** يتولى بنفسه قيادة القوات الجوية ، كما يتولى الفريق اول **سليمان عزت** قيادة القوات البحرية فى اية عمليات محتملة . وكان المشير عبد الحكيم عامر قد اصدر قراراته قبل ذلك بأن تتحرك التشكيلات والوحدات المقررة فى خطط العمليات من اماكن ايوائها الحالية الى مناطق تمركزها المحددة ، وان تكون القوات المسلحة مستعدة استعدادا كاملا لتنفيذ جميع مهام القتال على الجبهة مع اسرائيل فى ضوء تطورات الموقف

وفى ١٩ مايو ادلى المشير **عامر** بتصريح رسمى للمحرر السياسى للاهرام ، اوضح فيه ان « القوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة قد اتخذت خلال الايام الاخيرة مواقع تملك منها القدرة على الرد وعلى الردع » ، وانه « لا ينبغى لاحد سواء داخل منطقة الشرق العربى او خارجها ، ان يساوره اى شك فى ان الجمهورية العربية المتحدة سوف تضرب بكل قوة اية محاولة للعدوان ، وانه قد آن الاوان لكى يوضع حد حاسم لسياسة التبجح والغرور التى يتصرف بها العدو الاسرائيلى » . « وان القوات المسلحة الرابضة الان فى مواجهة العدو الاسرائيلى ، ستضرب اية حركة عدوانية فى اى ميدان وفى اى اتجاه ، وستضرب بقوة » .

وفى ٢١ مايو اصدر المشير عبد الحكيم عامر امرا بدعوة الاحتياطى الى الخدمة العسكرية العاملة فورا . ثم اخذت قوة مسلحة من الجيش المصرى مواقعها فى « شرم الشيخ » الواقعة على خليج العقبة والمتحكمة فى مضيقها الملاحى

وفى ٢٨ مايو أصدر الرئيس عبد الناصر قرارا بتعيين زكريا محيى الدين قائدا للمقاومة الشعبية .

اغلاق خليج العقبة فى وجه العدوان ..

فى ١٦ مايو طلبت الجمهورية العربية المتحدة سحب قوات الطوارىء التابعة للامم المتحدة والتى كانت تقف على الارض العربية ، وكان الطلب فى صورة خطاب وجهه الفريق اول محمد فوزى رئيس هيئة اركان حرب القوات المسلحة الى الجنرال ريكى قائد قوات الطوارىء الدولية .

وبعد ان بدأت قوات الطوارىء الدولية تنسحب من سيناء احتلت القوات المصرية مواقعها على طول خط الهدنة من غزة الى شرم الشيخ وهو الموقع الاستراتيجى الهام الذى يهيمن على مدخل خليج العقبة ، اتخذت الجمهورية العربية المتحدة قرارها باغلاق خليج العقبة فى وجه اسرائيل لتحول دون مرور السفن الحربية الاسرائيلية وغيرها من السفن المتجهة الى ايلات والتى يمكن ان تحمل موادا استراتيجية تفيد أداة الحرب الاسرائيلية .

وكان هذا القرار بمثابة تأكيد لما هو ليس بحاجة الى تأكيد الا وهو حق الدولة — اية دولة — فى السيادة على اراضيها ومياهها الاقليمية . وقد اوضح المناضل **جمال عبد الناصر** اثناء زيارته لقواتنا الجوية فى الخطوط الامامية .

● ان القاهرة لم يكن من الممكن ان تسكت على تهديد اسرائيل لسوريا والذى بلغ حدا كبيرا من التبجح والغرور .

● أن مصر وهى ترد على تصرفات اسرائيل وتطلب سحب قوات الطوارىء التى قامت بدورها السلمى خير قيام ان تعود الى مواقعها كما كانت عام ١٩٥٦ ، وفى مقدمتها اغلاق خليج العقبة امام العلم الاسرائيلى .

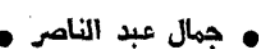
وقد اتخذت الجمهورية العربية المتحدة هذا القرار لا لتسعر نيران التوتر فى المنطقة ، بل على العكس لتعيد الامور الى نصابها . وهذا يتضح من الوقائع التالية :

اولا : أن وجود ميناء ايلات الاسرائيلى فى خليج العقبة هو فى الاصل **وجود عسكرى** فرضه العدوان الصهيونى على فلسطين — هذا من ناحية — كما سمح به تهاون السلطات الاردنية عقب توقيع الهدنة مع اسرائيل وتفريطها فى الارض العربية . لقد كان ميناء ايلات فى الاصل قرية عربية تدعى « ام رشرش » ولكن القوات الاردنية اخلتها فى مارس ١٩٤٩ لتحتلها اسرائيل . ومنذ ذلك الوقت مضت اسرائيل تبنى هذه القرية محولة اياها الى ميناء هام . وقد رتبت اسرائيل



• عبد الحكيم عامر •





• جمال عبد الناصر •



• يوثانت •

على هذا العدوان حقوقا اخرى ــ باطلة بالضرورة ــ فى مقدمتها حقها المزعوم فى مرور سفنها بحرية فى مياه خليج العقبة .

ثانيا : وحتى قبل ثورة ١٩٥٢ كانت الحكومة المصرية قد اصدرت عام ١٩٤٩ القانون الخاص باجراءات اغلاق خليج العقبة . واتفقت مع الحكومة السعودية على ان تحتل القوات المصرية جزيرتى **تيران وصنافير** اللتان تتحكمان فى مدخل الخليج الذى يعتبر وفقا للقوانين الدولية من المياه الاقليمية لمصر والاردن والسعودية ، وتطبيقا لهذا القانون مارست الحكومة المصرية حق تفتيش السفن التى تمر به كما حدث عندما فتشت عام ١٩٥١ السفينة البريطانية « **امباير روش** » وغيرها من السفن الاجنبية التى اشتبهت السلطات فى امرها .

ثالثا : كان من نتائج العدوان البريطانى الفرنسى الاسرائيلى ان احتلت اسرائيل شبه جزيرة سيناء واحتلت بالتالى منطقة « شرم الشيخ » التى تتحكم فى مدخل خليج العقبة . وعندما اضطر المعتدون الى الانسحاب حاولت اسرائيل ان تفرض شروطا معينة تكفل بمقتضاها حرية الملاحة الاسرائيلية فى خليج العقبة . لكن انسحاب المعتدين تم « بدون قيد او شرط » وفقا لقرارات الجمعية العامة للامم المتحدة . ورفضت مصر عن طريق ممثليها فى الهيئات الدولية كل ادعاء لاسرائيل بأن لها حقا فى المرور فى خليج العقبة . غير ان السفن الاسرائيلية ظلت تستخدم الخليج معتمدة على ثلاثة امور ، **الاول :** وجود قوات الطوارىء الدولية فى سيناء ــ وفى شرم الشيخ بالتحديد ، **والثانى :** هو اعتماد اسرائيل على اعلان من الحكومة الامريكية اصدره جون فوستر دالاس فى ٥ مارس ١٩٥٧ وجاء فيه : ان الحكومة الامريكية تعتبر **مضيق تيران مياها دولية** . اما الامر الثالث فهو اعتماد اسرائيل على الفقرة ٤ من المادة ١٦ من « اتفاقية جنيف للبحر الاقليمى » . هذه الفقرة التى اقحمتها بعض الدول اقحاما ــ وبتصويت غالبية لجنة اعضاء القانون الدولى ــ خدمة لاسرائيل **تحت ستار ضمان المرور البرىء** . وعلى الرغم من ذلك فان اقحام هذه الفقرة لا يمكن بأى حال ان يخدم ادعاءات اسرائيل لا لان مياه خليج العقبة هى من المياه المغلقة فحسب ، بل لان مرور السفن الاسرائيلية عبر مضيق تيران لا يمكن ان يوصف بالمرور البرىء وذلك نظرا لحالة الحرب القائمة بين الجمهورية العربية المتحدة وبين اسرائيل . وهو المرور الذى يعد ــ اذا ما تم ــ ضارا كل الضرر بأمن بلادنا .

رابعا : وفى عام ١٩٥٨ صدر قرار رئيس الجمهورية رقم (١٨٠ لعام ١٩٥٨) ، لتعديل المرسوم الصادر فى ١٥ يناير ١٩٥١ بشأن المياه الاقليمية للجمهورية المصرية . ويقضى التعديل الجديد عبر البحر الساحلى لجمهورية مصر فيما يلى المياه الداخلية للجمهورية بحيث يمتد فى اتجاه البحر الى مسافة ١٢ ميلا . وبالطبع فان هذا القرار الجمهورى انما يتمشى مع العرف الدولى وليس اجراء منفردا او متعسفا من جانب الجمهورية العربية المتحدة بدليل ان سكرتارية الامم المتحدة كلفت احد الخبراء الانجليز باعداد قائمة للمضايق التى تعتبر ممرات دولية ، فأعد قائمة اشتملت على ٣٣ مضيقا لم يكن من بينها مضيق تيران الذى يدخل بالضرورة ووفقا للعرف الدولى فى منطقة المياه الاقليمية للجمهورية العربية المتحدة .

واستنادا الى حق الجمهورية العربية المتحدة

فى السيادة على اراضيها ومياهها الاقليمية ودفاعا عن حقوقها التاريخية ومصالحها الاستراتيجية الراهنة بادرت الجمهورية العربية بعد ان تسلمت شرم الشيخ من قوات الطوارىء الدولية الى اتخاذ الاجراءات الخاصة بغلق خليج العقبة فى وجه سفن العدوان الاسرائيلى .

ليس سرا ان الاجراءات الناجحة والمبادرة التى اتخذتها الجمهورية العربية المتحدة لاحباط خطة الغزو الاسرائيلى لسوريا وما ترتب على ذلك من ارسال الجيش الى الحدود واخلاء سيناء من قوات الطوارىء الدولية ، وما واكب هذا كله من تعبئة معنوية جبارة للشعوب العربية ، ليس سرا ان هذا كله قد اصاب الجبهة الامريكية الاسرائيلية بذهول شديد ووضعها فى موضع الدفاع ، ولقد كانت حركة الجمهورية العربية من الاحكام والمفاجأة بحيث انها اوقعت الارتباك فى صفوف العدو الذى حاول ان يستعيد القبض على زمام الامور بين يديه .

ولقد خيل لامريكا واسرائيل ان هناك قشة يمكن ان يتشبثوا بها ليستعيدوا الارض المفقودة . وانهم واجدون فرصة لا تعوض فى الاجراء الذى اتخذ بغلق خليج العقبة .

فى اسرائيل وجدت الجماعات والاحزاب اليمينية المتطرفة فرصتها لتتحدث عن ضرورة القيام بهجوم فورى على مصر بشكل عام . وساد اسرائيل جو محموم يدعو الى القيام بعمل يفتح خليج العقبة . وفى الوقت ذاته راحت اسرائيل تستعدى الولايات المتحدة وبريطانيا والغرب الاستعمارى كله وتعبىء الرأى العام العالمى ضد ما اسمته بتهديد مصر بخنق اسرائيل ، على اساس ان ميناء ايلات هو الميناء الرئيسى الذى يمدها بالبترول .

وقد نقل الاعلان باغلاق خليج العقبة الازمة الى مرحلة جديدة تحددت فيها الصورة بشكل ادق واوضح ، ووضع دول العالم امام ضرورة تحديد مواقفها .

ويمكن تقسيم العالم امام هذا الوضع الى ثلاثة اقسام تبلورت فى اتجاهين رئيسيين واستقطبتها الاحداث الى تيارين متعارضين .

- الدول الغربية .. وعلى رأسها الولايات المتحدة الامريكية .
- الدول الاشتراكية .. وعلى رأسها الاتحاد السوفيتى .
- الدول العربية .

التحالف الاستعمارى الغربى

ومنذ اعلنت الجمهورية العربية المتحدة انهاء وجود قوات الطوارىء الدولية على الحدود بيننا وبين اسرائيل وهذه الاخيرة على اتصال مستمر بالدول الاستعمارية التى تعودت منها المساندة والتأييد

وقد ارسل اشكول رسالتين عاجلتين للرئيس **شارل ديجول** فى محاولة منه للضغط على فرنسا لتتخذ موقفا مشايعا لاسرائيل .

كما طار **ابا ايبان** وزير خارجية اسرائيل الى فرنسا واجتمع بديجول ومنها انتقل الى لندن ثم واشنطون .

وطالبت الحكومة الاسرائيلية كل من فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة — دول الاتفاق الثلاثى — باعلان تمسكها بهذا التصريح الصادر عام ١٩٥٠ والخاص بضمان هذه الدول الحدود الحالية لاسرائيل .

ثم عادت وطالبت الولايات المتحدة بالتدخل لضمان الملاحة الاسرائيلية فى خليج العقبة تنفيذا للاتفاقات السابق عقدها بينها . وفى نفس الوقت اجتمع المجلس اليهودى القومى فى الولايات المتحدة واخذ يمارس ضغطه على الحكومة الامريكية والكونجرس الامريكى لاتخاذ اجراء حاسم للمحافظة على الوجود الاسرائيلى فى المنطقة .

ومن اوتاوا فى كندا صرح رئيس اسرائيل شازار ان اسرائيل تنتظر الكثير من المساعدات الكندية فى محنتها الحالية .

وقد اختلف رد الفعل فى عواصم الدول الغربية بما يكشف عن حقيقة بالغة الدلالة ، فلم تعد الدول الاستعمارية جبهة واحدة متماسكة وكشف موقف الجمهورية العربية المتحدة وسوريا الثورى الصلب عن التناقضات الداخلية بين الدول الغربية . هذا بالاضافة الى الضغوط التى تواجهها الحكومات الاوروبية وخاصة فرنسا وبريطانيا من شعوبها ومن الرأى العام المعادى للمشاركة فى أى مغامرات جديدة بعد التجربة المريرة للعدوان الثلاثى فى عام ١٩٥٦ .

فرنسا : رغم ضغط اسرائيل من ناحية واتصالات واشنطون الملحة من ناحية اخرى فقد جاءت الانباء تؤكد أن فرنسا لا تعتبر نفسها ملتزمة بالتصريح الثلاثى وان الامم المتحدة هى المكان الطبيعى لمثل هذه الاجراءات .

وقد اجتمع مجلس الوزراء الفرنسى برياسة ديجول الذى كان يتابع الموقف شخصيا وصدرت تصريحات وزير الخارجية الفرنسية عقب الاجتماع متضمنة :

- أن مصر لم تتعهد سنة ٥٧ بضمان حرية الملاحة الاسرائيلية فى الخليج على عكس ما تدعيه الدعايات الامريكية .
- ان يوثانت تصرف فى موضوع قوات الطوارىء تصرفا قانونيا ولعل فى هذا رد على الحملة الامريكية الكندية البريطانية ضد يوثانت

● ان التصريح الثلاثي لعام ١٩٥٠ لم يعد قائما الان .

● ان الامم المتحدة هي مجال النظر في مثل هذه الخلافات ولا مانع من عرضها على مجلس الامن على ان يكون ذلك باتفاق بين الدول الاربع الكبرى .

وقد أصاب موقف فرنسا الدول الغربية بنوع من خيبة الامل ودل على ان فرنسا لم تعد تدور في فلك السياسة الامريكية وانها استطاعت ان تكون لها موقفا يتفق ومتطلبات الواقع الدولي .

ايطاليا : صرح فانفاني وزير خارجية ايطاليا ان بلاده تشعر بالقلق العميق لتوتر الموقف في الشرق الاوسط وطالب بضبط النفس والتصرف من خلال اللقاءات الدولية وهو موقف لا يرضي تماما انجلترا والولايات المتحدة .

المانيا الغربية : لم تسارع كعادتها في اصدار التصريحات المؤيدة لاسرائيل فقد وضعتها المبادرة العربية في موقف تخشى معه اتخاذ موقف صريح

بريطانيا : لم تترك تصريحات المسئولين في بريطانيا وعلى رأسهم **جورج براون** وزير الخارجية مجالا للشك في انها تساند اسرائيل مساندة تامة ومنذ اللحظة الاولى عبرت بريطانيا عن قلقها وانزعاجها ، ومع ذلك فان موقفها أتسم — في شكله العام — بالتردد والتناقض والحيرة .

● فهي لاتوافق على انسحاب قوات الطوارىء من الحدود دون الرجوع الى الامم المتحدة .

● وهي تنادي بدولية الخليج وتحاول تصوير الجمهورية العربية المتحدة بأنها الدولة المعتدية — وينادي ويلسون بالتمسك بتصريح سنة ٥٧ الذي التزم فيه مع امريكا بضمان حرية ملاحة اسرائيل في مضيق تيران .

● تعلن — ومن خلال تصريح رسمي لرئيس الوزراء — عن التعبئة العامة لقواتها في قبرص وفي الشرق الاوسط .

تعليق

الشعب العربي . . . ينتزع زمام المبادرة

في الحديث الخطير الذي وجهه قائد الشعب العربي الى وفد مؤتمر العمال العرب الذي قدم من دمشق لابلاغه قرارات العمال العرب قال : « العالم العربي النهارده بيختلف عن العالم العربي من عشر ايام اختلاف كبير جدا واسرائيل ايضا النهارده تختلف عن الصورة التي كانت فيها من عشر ايام » .

قبل هذه الايام العشرة كان الاستعمار ، وعلى قمته امريكا وفي ذيله اسرائيل وفي ركابه الرجعية العربية ، يتصور أنه في ذروة عنفوانه وان الجو قد خلا له في العالم العربي وحان الوقت الذي يستطيع فيه ان ينزل بقلعة الاشتراكية والتحرر ضربة واحدة تقوض اركانها الى الابد ، تلك القلعة التي بناها وعلا بنيانها الشعب العربي في مصر بقيادة عبدالناصر والتي كان لها اثر اكبر الاثر في ان يهب الشعب في شمال الوطن العربي وجنوبه ومشرقه ومغربه فيبني قلاعا اخرى للاشتراكية والتحرر تقيم مع الجمهورية العربية المتحدة في وسط الوطن العربي الدعائم الجديدة والحقيقية لوحدة الشعب العربي التي كانت دائما الهدف الذي يتطلع اليه تحقيقا لاقامة مجتمع عربي يقوم على الاشتراكية والديموقراطية والحرية ، تلك القلعة التي لم تقتصر

اثارها على المنطقة العربية ، ولا على شعوب الدول الافريقية بل امتدت ايضا وبقوة الى شعوب امريكا اللاتينية وشعوب آسيا ، والى كل شعب يريد ان يحرر ارضه ومصيره .

وكان الاستعمار يبني تصوره هذا على عدة عوامل ظن ، بسبب غفلته وغروره بقوته ، انها قد اصبحت حقائق ثابتة مطلقة يستطيع ان يستند اليها وهو مطمئن الى سلامتها في تنفيذ اغراضه في الشرق العربي والتي تدور كلها وان اختلفت مظاهرها من مرحلة الى اخرى حول القضاء قضاء تاما على قلاع الاشتراكية والتحرر في المنطقة .

على الصعيد العالمي كان قد حقق بعض الانتصارات التي ادت الى حد ما الى تراجع في حركة التحرر العالمي وافقدتها جانبا من الارض التي كانت تقف عليها وتنطلق منها ، كان قد نجح في ضرب النظام التقدمي المعادي للاستعمار في اندونيسيا واشعل فيها فتنة دامية بلغت حد الحرب الاهلية ، وكان قد نجح في انقضاضه من الداخل على غانا ليسقط الحكم الاشتراكي فيها ويسلم السلطة الى حفنة من عملائه ، ثم نجح ايضا واخيرا في الاطاحة بالنظام في اليونان الذي وان كان نظاما رأسماليا تماما الا

ان الاستعمار لم يكن ليقبل منه اتجاهاته الديموقراطية ومحاولته السير في سياسة مستقلة . ثلاث ضربات ناجحة اسكرته وزاد من اهميتها توزيعها الجغرافي ، فالاولى في آسيا ، والثانية في افريقيا ، والثالثة في أوربا .. وفي نفس الوقت يستمر في عدوانه البشع ضد الشعب الفيتنامي ، ويحشد الحشود في كوريا الجنوبية ... صحيح انه لا يحقق انتصارا في فيتنام ولكنه مستمر هناك متحديا شعوب العالم اجمع التي امتلأت سخطا عليه ولكن ليس الى الحد الذي يوقفه ... وهكذا على الصعيد العالمي ، عدوان مسلح همجي وضربات ناجحة حتى لقد تصور الاستعمار نفسه وقد اصبح « بلطجي العالم » الذي يفر منه الجميع ... يسنده في ذلك — في تصوره — ثلاثة عوامل : انقسام المعسكر الاشتراكي ، وانشغال الشعوب الحديثة التحرر بالمشاكل المعديدة لتنمية بلادها والتي يزيدها هو تعقيدا عن طريق ما يمارسه من ضغوط عليها وما له من نفوذ في السوق العالمية ، ثم نفور العالم اجمع من نشوب حرب عالمية ثالثة

وكان لابد وان تكون الضربة الرابعة في الشرق العربي ... وهو يمهد لها ويخطط منذ اليوم الاول لقيام ثورتنا التي كانت اول ثورة تربط تحرر الارض بتحرر

ولكنها : ● تعترف فى اكثر من بيان رسمى بأن التصريح الثلاثى لسنة ١٩٥٠ لم يعد صالحا للتطبيق ـ ولم تعد تتمسك به الا الولايات المتحدة

● ان بريطانيا على استعداد للقيام بأى عمل على ان يكون ذلك من خلال الامم المتحدة .

● طار وزير الخارجية الى موسكو لمحاولة استشفاف موقف الاتحاد السوفيتى وامكانية التوسط فى الموقف .

وقد شعر المسئولون البريطانيون انفسهم ان هذا الموقف يتسم بالتردد واخطر من ذلك انه يشكل انشقاقا بين السياسة البريطانية واتجاهات الولايات المتحدة ، ولذلك ارسلت بريطانيا وزير الدولة للشئون الخارجية الى واشنطون للتفاهم ..

والحكومة البريطانية وان كانت لم تحدد بعد كيف تتصرف اذا تعرضت مصر لسفنها فى خليج العقبة فانها تخشى التورط فى موقف عنيف وما زالت خبرات وزارة المحافظين السيئة وآثار العدوان الثلاثى على مصر عام ٥٦ ماثلة فى اذهان حكومة العمال ولا تريد لنفسها نفس المصير .

الولايات المتحدة الامريكية : وهى التى تتولى زعامة الرجعية فى العالم الغربى الان وتعتمد عليها اسرائيل اعتمادا مباشرا وقد أعلن الرئيس الامريكى **جونسون** أسفه الشديد لخروج قوات الطوارىء الدولية وانه ما زال يأمل فى تحقيق نوع من الوجود للامم المتحدة فى هذه المنطقة بل ومدها الى الحدود السورية الاسرائيلية .

● انه يعتبر مياه العقبة مياها دولية ويحذر من محاولة غلق المضيق فى وجه الملاحة الاسرائيلية .

● ان الولايات المتحدة تعتبر التصريح الثلاثى لعام ١٩٥٠ ما زال قائما .

وفى نفس الوقت شن اعضاء الكونجرس الامريكى هجوما مسعورا على الدول العربية وطالب **روبرت كيندى** بارسال قوة بحرية ـ عن

الانسان ... ولقد تصور أنه وقد نجح ماليا ، نجح ايضا فى ان يخلق الظروف المواتية له فى الشرق العربى ... تصور ان الدمى الثلاث « فيصل وحسين وبورقيبة » يمثلون شيئا فى العالم العربى وانهم يتحركون تعبيرا عن جانب من الشعب ونسى انه هو الذى يحركهم ... تصور ان الحلف الاسلامى رغم ولادته ميتا قد ترك بعض الاثر من حيث التشكيك فى الاشتراكية .. ثم تصور الانقسام بين الرجعيةالعربية والشعبانقساما فىصفوف القوى الشعبية نفسها .. والى جانب هذا معركة محتدمة فى الجنوب تشغل جانبا من الشعب العربى ، وتحرش بالجمهورية اليمنية يشغل جانبا من جيش الجمهورية العربية ، ونزاع مفتعل حول الحدود بين الجمهورية الجزائرية وجاراتها يشغل الشعب العربى فى المغرب ... ومشكلة فى السودان ومحاولات انفصالية. وتآمر ضد الحكم التقدمى فى سوريا ... وتازم فى الموقف فى كل من الكويت ولبنان ... وانشغال الجمهورية العربية بمعركة التنمية ..

وهكذا دارت رأس الاستعمار ودفعت امريكا اسرائيل فأعلنت فى تبجح عزمها على غزو سوريا وحشدت القوات فعلا .. وكان الظن الاحمق ان احدا لن يتحرك، فالدولة العربية الوحيدة التى يمكن ان تتحرك هى الجمهورية العربية ولكن كيف تتحرك .. هل تنقل جيشها من اليمن ؟.. هل تتحمل اقتصاديا ؟ .. واجاب الاستعمار بالنفى .. ولكن الشعب المصرى تحت القيادة العملاقة لعبد الناصر كان له رد آخر ـ رد حاسم وسريع اثبت ان اتفاقية الدفاع المشترك مع سوريا لم تكن حبرا على ورق كما تصور الاستعمار. وكان الرد خطوتين لا غير ، ولكنه قلب خطط الاستعمار رأسا على عقب واصاب امريكا واسرائيل وتوابعهما الاخرى بدوار شديد . .

لم تنقل الجمهورية العربية جنديا واحدا من اليمن ، بل طلبت ترحيلقواتالطوارىء فورا ثم اتخذت القوات المصرية مواقعها فى حسم وتأهب على الحدود واستردت القوات خليج العقبة ومحت الى الابد الاثر المتبقى من عدوان ٥٦ .. لم يقف العمل ولو لدقيقة بل على العكس تطوعت الالوف واستمر العمل وزادت ساعاته ..

وهب الشعب العربى فى كل مكان .. شمالا وجنوبا وشرقا وغربا .. فارسل قواته المسلحة لتقف مع القوات السورية والقوات المصرية صفا واحدا ضد اية محاولة للعدوان وتجمع العمال العرب من كل مكان قوة واحدة ضخمة ... الكويت الذى ظن الاستعمار ان الموقف متازم فيه تقف قواته المسلحة جنبا الى جنب مع القوات المصرية وتعلن حكومته انها لن تمد بالبترول اية دولة تتعاون مع اسرائيل .. لبنان ايضا يقف بكل حزم حكومة وشعبا الى جانب القوى العربية .. السودان يعلن التعبئة العامة .. الشعب العربى كله الذى ظنه الاستعمار منقسما على نفسه يشهد التحاما بين صفوفه لم يشهده من قبل ويلفظ الدمى الثلاثة التى توهم الاستعمار ان لهم وزنا .. الرجعية العربية تدخل الجحور ... وتحققت دعوة الرئيس الى وحدة القوى الثورية ... وانتزع الشعب العربى سلاح المبادرة وتسيد الموقف ..

وتهب ايضا شعوب العالم .. المعسكر الاشتراكى الذى استند الاستعمار الى انقسامه يقف معنا صفا واحدا .. الاتحاد السوفيتى يؤيد ويحذر ان القوى العربية الثورية لن تكون وحدها ضد أى عدوان عليها .. الصين الشعبية تعلن تاييدها غير المحدود وتعقد الاجتماعات الشعبية برياسة شواين لاى .. وهكذا باق الدول الاشتراكية .

وشعوب العالم الثالث لم تشغلها مشاكل التنمية فقد هبت جميعا تؤيد الموقف الصلب والعادل للشعب العربى .

أما اسرائيل التى كانت قبل العشرة ايام منتفخة الاوداج فلم تجد سوى الصراخ والعويل .. ولم تجد فى العالم سوى سيدتيها امريكا وانجلترا وقد استبدت بهما الحيرة خاصة وقد وقف ديجول موقفا مستقلا فطار وزير خارجية بريطانيا الى موسكو ليعود بخفى حنين .. وطار رئيس امريكا الى كندا .. امريكا اقوى الدول واغناها ! ومن يدرى .. لعله يطير الى الدانمرك عن قريب ! .

د. محمد الخفيف

طريق الامم المتحدة — لفتح المضايق امام اسرائيل .. وطالب اكثر من عضو بضرورة قيام الولايات المتحدة بالتزاماتها لحماية اسرائيل

وفي المقابلة التي تمت يوم ٢٣ مايو بين **محمود رياض** وزير خارجية ج.ع.م ، **وريتشارد فولتي** السفير الجديد للولايات المتحدة الامريكية ، قدم الاخير وجهة نظر واشنطون بأن تظل قوات الطوارىء في غزة وشرم الشيخ لحين صدور قرار من الجمعية العامة ، وان لا تتوجه اي قوات مسلحة الى شرم الشيخ الا بعد ان تصدر حكومة الجمهورية العربية المتحدة اعلانا رسميا بتأكيد حرية الملاحة في مضيق تيران باعتبار ان «أي قيد على حرية الملاحة في الخليج امرا له عواقبه البعيدة وهو يشكل عملا عدوانيا» . كما طالب السفير بألا تدخل الى قطاع غزة اية قوات مسلحة مصرية وان تعود القوات المصرية في سيناء والقوات الاسرائيلية المحتشدة أمامها في النقب الى مواقعها الاصلية ، بل وطالبت واشنطون ايضا بأن تتولى الامم المتحدة ووكالاتها ، مسئولية الادارة في قطاع غزة حتى تتم تسوية المشكلة .

ولكن التصريحات الاخرى الصادرة من كثيرين من المسئولين وعلى رأسهم وزراء الخارجية والدفاع والمتحدث الرسمي باسم البيت الابيض ورئيس اركان حرب البحرية الامريكية تضمنت :

- ان الولايات المتحدة لا تنوى استخدام القوة ضد الجمهورية العربية المتحدة .
- ان الضغط السياسي هو وسيلتها الاولى .
- ان الاسطول السادس لم تصدر اليه تعليمات بالتوجه الى شرق البحر الابيض
- وانهم يؤيدون سكرتير المنظمة الدولية في وساطته ويباركونها . ويرى المراقبون ان الولايات المتحدة لا تملك القدرة على التصرف الحاسم — من وجهة نظرها — وذلك لاعتبارات منها :
- تخلي الدولتين الشريكتين في التصريح الثلاثي عنه .
- عدم حماس الدول الاوروبية الغربية مثل المانيا الغربية وايطاليا لمشاركة الولايات المتحدة في اتجاهاتها .
- ثورة الشعب الامريكي على حرب فيتنام ورغبته في عدم التورط في اندفاعات عسكرية اخرى .
- الرأى العام العالمي وخاصة في الدول الافروآسيوية ووضوح عدم انسياقه تبعا للسياسة الامريكية .
- موقف الاتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية وتأييدها المطلق والكامل لموقف الدول العربية دفاعا عن حقوقها . لذلك لجأت الولايات المتحدة الى دولتين صغيرتين ما زالتا تدوران في فلكها وهما كندا والدانيمرك للدعوة لعقد جلسة طارئة لمجلس الامن .

كندا : برز دور كندا بشكل واضح في هذه المشكلة رغم أنها لا تعنيها بصورة مباشرة ، ولكنها كما قدمنا اداة تستخدمها الولايات المتحدة وجاءت تصريحات وزير خارجيتها مؤكدة لتبعيتها المطلقة لواشنطون في سياستها العدوانية تجاه الدول العربية فهو يصر على انه لا حق ليوثانت في الموافقة على انسحاب قوات الطوارى دون الرجوع الى المنظمة الدولية وينادي بضرورة العمل على بقاء هذه القوات في المنطقة .

مجلس الامن : ولجأت الدول الاستعمارية الى مجلس الامن لعله يجد لها مخرجا او سندا للتصرف العدواني تحت اسم المنظمة الدولية ، الا أن الخطة انهارت في جلسة واحدة وانتهت بفشل ذريع .

لم يجد مندوب كندا ، وهو الداعي لعقد مجلس الامن مع مندوب الدانيمرك ، ما يقوله سوى انه يهدف من دعواه مساندة السكرتير العام للمنظمة الدولية في رحلته السلامية الى القاهرة .

وردد مندوب الولايات المتحدة نفس الكلام تقريبا ، هذا بينما عبر مندوب **الاتحاد السوفيتي** عن شكوكه في نوايا الدول الاستعمارية في خلق جو درامي مصطنع يتيح لهم الفرصة لتحقيق أهدافهم العدوانية،وتلا على المجلس نص التصريح السوفيتي المؤيد لموقف الدول العربية .

وتساءل مندوب الجمهورية العربية المتحدة أين كانت كندا والدانيمرك عندما كانت اسرائيل تهدد سوريا وعندما دمرت اسرائيل البيوت العربية في الاردن وقال ان الاعتداءات التي ارتكبتها اسرائيل لم يكن من المكن ان تتم دون تشجيع وتأييد من بريطانيا وامريكا .

واتهم مندوب **بلغاريا** الدول الغربية بمحاولة خلق جو من الافتعال قد يخدم مصالحها ويمهد الطريق ويغطي تدخلها في شئون الشرق الاوسط.

وايد مندوب **مالي** موقف المندوب السوفيتي واعرب عن شكه في امكان تخفيف التوتر في المنطقة بعقد جلسة عاجلة لمجلس الامن .

وكان التصرف البالغ الدلالة على يقظة الشعوب النامية ومؤازرتها للقوى التحررية في الشرق الاوسط رفض مندوبي هذه الدول الاعضاء في مجلس الامن مجرد التشاور مع الدول الاستعمارية حول مشكلة التوتر في الشرق الأوسط ، مما جعل المجلس غير قادر على اتخاذ القرارات التي تريد الدول الغربية أن تحصل عليها وتأجلت اجتماعات المجلس الى موعد يحدد فيما بعد .

وقدم **يوثانت** تقريره الى مجلس الامن يوم ٢٧

مايو ، معلنا انه «يخشى أى صــدام بين اسرائيل والجمهورية العربية المتحدة على الملاحة فى مضيق تيران لابد أن يؤدى الى قتال عــام» وان الموقف العام فى الشرق الادنى «أكثر اثارة للقلق ، بل انه فى الواقع أكثر تهديدا مما كان عليه فى اى وقت سابق منــذ خريف عام ١٩٥٦»

وقد رفض التعرض للنواحى القانونية للجدل حول حق المرور عبر مضـيق تيران ، داعيا الى «فترة هدوء لالتقاط الانفاس تتيح تخفيف حـدة التوتر من مستواها المتفجر الحالى»

ودافع يوثانت عن القرار الذى اتخذه بسحب قوات الطوارىء بنــاء على مطلب الجمهــورية العربية المتحــدة ، ردا على «الخطأ الشــائع» فى الحملة المسعورة التى وجهت ضده من جانب «بعض الزعمــاء المسئولين» فأكــد ان قــوات الطوارىء دخلت اراضي الجمهـورية العــربية المتحدة على أساس اتفاق بين سكرتير عام الامم المتحدة ورئيس الجمهورية «وكانت موافقة الدولة المضيفة فى هذه العملية وغيرها من عمليات صون السلام ، الاساس لوجودها فى أراضى الجمهورية العربية المتحــدة» .

«وانها لحقيقةعملية انهمامن قوةطوارىءدولية تستطيع العمل او حتى الوجــود بدون الموافقة المستمرة من جانب الدولة المضيفة وتعاونها» ، «وقد يكون من المناســب ان نلاحظ هنــا أن قوة الطوارىء الدولية كانت تعمل فقط على جانب الجمهورية العربية المتحدة من خط الحــدود فى المنطقة التى ابتعــدت عنها القوات المســلحة للجمهورية العربية المتحدة اختيارا» .

وأشــار الى ان قوات الطوارىء «لم يسمح قط بوجودها على الجانب الاسرائيلى . وعدم مرابطة قوة الطوارىء الدولية على الجانب الاسرائيلى من خط الحــدود كان اعترافا بحق اسرائيــل فى الامتناع عن الموافقة على مرابطة القوة فى أراضيها، وبالمثل كان التسليم بطلب الجمهورية العــربية المتحدة سحب القوة» .

وطلبت الجمهورية العربية المتحدة من مجلس الامــن ان يدرج فى جدول أعمــاله الســياسة العــدوانية التى دأبت اسرائيــل على اتباعهــا ومخالفاتها لقرارات الامم المتحدة وعدوانها المتكرر الذى يهــدد السلام والامن ، وتضــمن الطلب عدة وقائع منها العــدوان الاسرائيلى على قرية الرشرش والمنطقة المنزوعة السلاح فى العوجة واحتلالها بالقــوة وضمها الى اسرائيل برغــم قرار مجلس الامن وتوقيع الاتفاقية العامة للهدنة

وبعد فشل المؤامرة الاستعمارية الصهيونية التى استهدفت القضاء على نظام الحكم الوطنى فى سوريا وذلك بفضــل المبادرة المصرية وثورة الرأى العام العربى والمساندة الصلبة من جانب الدول الاشتراكية وشعوب العالم اجمع ، كان على الغرب أن يغير خططه ، واتسمت سياسته بالتخبط والتفكك ، ويرى المراقبون السياسيون أن الخطــة الجديدة التى تبحثهــا الدول الغربية مؤخرا هى انشاء قوة طوارىء بحرية «دولية» تعمل تحت علم الامم المتحدة فى خليج العقبة ، واذا فشلت هذه الخطة فان أمريكا تحبذ ان تقوم الدول البحرية بخطــوة قوية لفتح خليج العقبــة أمام الملاحة الاسرائيلية . والمعتقد أنه قد تم الاتفاق على هذه الاجراءات فى المحادثات التى جرت فى اوتاوا بين **جونسون وبيرسون** ، وفى واشنطن بين **جورج طومسون** والمسئولين الامريكيين .

العــالم الاشــتراكى

أذاعت موســكو بيــانا موجها من الحــكومة السوفيتية واللجنة المركزية تحدد فيه موقفها من الازمة وتدين اسرائيل ادانة واضحة وتكشــف عن المخطط الاستعمارى جاء به :

ان الشرق الاوسط شهد فى الاسابيع الاخيرة تجمع خيوط موقف اثار مزيدا من القلق فيمــا يتعلق بالسلام والامن الدوليين ، فعقب العدوان المسلح الذى قامت به القوات الاسرائيلية على الاراضى السورية يوم ٧ ابريل الماضى واصلت الدوائر العسكرية الحاكمة فى اسرائيل تعريض الموقف العسكرى فى هذه المنطقة للخطر .

وقد صدرت الاوامر فعلا يوم ١٩ ابريل بتحرك قوات اسرائيلية الى ســوريا ، وتبين بجــلاء أن اسرائيل لم تكن لتستطيع ان تنهج هذا المنهج ما لم تكن تحظى بالتشجيع المباشر وغير المباشر لموقفها هذا من جانب دوائر استعمارية معينــة

وكانت اسرائيل تأمل ان تأخذ سوريا على غرة وتوجه اليها ضربة على انفراد ، ولــكنها اخطأت الحساب ، فقد اعلنت الجمهورية العربية تصميمها على مساعدة سوريا اذا تعرضــت للعدوان . وبادرت الجمهورية العربية ، احتراما منها لالتزامها بالدفاع المشترك مع سوريا الى اتخاذ الخطوات لمواجهة العدوان ، ورأت ان وجود قوات الطوارىء التابعة للامم المتحدة فى منطقة غزة وسيناء يكفل لاسرائيل فى هذا الموقف ميزات تمكنها من توجيه استفزازات عســكرية ضد الدول العربية ، فطلبت الجمهورية العربية من الامم المتحدة ان تسحب هذه القوات .

وكانت الحكومة السوفيتية قد حذرت حكومة اسرائيل وقت استفزازها المسلح من انها سوف تتحمل تبعات هذه السياسة العدوانية . والظاهر ان سياسة التعقل لم تنتصر الى الان فى تل ابيب، وبالتالى فقد اصبحت اسرائيل ملومة لانها خلقت توترا خطيرا فى الشرق الادنى .

ويجب الا يخامر اى انسان الشك فى الحقيقة التالية : ان كل من يغامر بشن عدوان فى الشرق الاوسط لن يواجه فقط القوى المتحدة للدول العربية بل سيواجه كذلك مقاومة صلبة من جانب الاتحاد السوفيتي والدول المحبة للسلام .

ان حكومة الاتحاد السوفيتي تؤمن بأن الشعوب ليست لها اية مصلحة من وراء اشعال نار الصدام العسكرى فى الشرق الاوسط ، ولكن حفنة من احتكارات البترول الاستعمارية وصنائعها هى التى يهمها مثل هذا النزاع ، ولا يمكن ان تهتم به غير قوى الامبريالية التى تسير اسرائيل فى ركابها .

وكان هذا البيان ردا حاسما على ما اذيع من ان جونسون بعث الى كوسيجين برسالة يطالبه فيها بالاشتراك مع الولايات المتحدة فى العمل على تهدئة الموقف فى الشرق الاوسط .

كما ايدت كل من الصين الشعبية وجمهورية فيتنام الديمقراطية وكوريا الشمالية والمانيا الديمقراطية وجميع الدول الاشتراكية موقف الجمهورية العربية المتحدة وسوريا من مؤامرة العدوان الاستعمارى الصهيونى .

وفى لقاء المناضل عبد الناصر مع أعضاء مجلس الامة فى ٢٩ الماضى أعلن أن رسالة كوسيجين التى حملها اليه شمس بدران وزير الحربية تتضمن أن الاتحاد السوفيتي سيقاوم اى محاولة لاعادة الاوضاع لما كانت عليه بعد عام ١٩٥٦ .

وتتابعت برقيات ورسائل التأكيد من الهند وأفغانستان وباكستان وغينيا وموريتانيا ومالى الخ .. والغالبية العظمى من دول العالم . وأعلنت الصحف القبرصية ان شعب قبرص لن يسمح لبريطانيا باستخدام قواعدها فى الجزيرة لضرب الدول العربية فى حالة نشوب حرب مع اسرائيل واكدت التأييد الكامل للأصدقاء العرب فى قضيتهم العادلة !

العالم العربى

من متابعة الانباء التى ترد من جميع أنحاء الوطن العربى يتضح الاجماع الشعبى لابناء الامة العربية جميعا على تأييد موقف الجمهورية العربية المتحدة وسوريا فى التصدى للمؤامرة الاستعمارية الصهيونية . وان كان هناك خروج على هذا الاجماع فقد جاء من جانب فئة قليلة من الرجعيات الحاكمة فى الاردن والسعودية وتونس، وجماعة اخرى اتخذت موقفا مترددا مائعا ، الا ان مالاحظه المراقبون هو أن القوى الرجعية قد اضطرت الى اتخاذ خطوات شكلية تحت ضغط المد الثورى المتصاعد .

وظهر اتجاه فى بعض دوائر الجامعة العربية يرى دعوة مجلس الدفاع العربى الى اجتماع طارىء لبحث الموقف ، الا ان الجمهورية العربية المتحدة اوضحت انها لا ترى جدوى من عقد هذا الاجتماع الآن ، وانها قدرت الموقف وهى مستعدة لتحمل كل تبعاته ، كما انها **لا تستطيع ان تشترك فى اجتماع لمجلس الدفاع يجلس فيه الكل وتناقش خططها معهم او تعرضها أمامهم ، وبينهم الدول الرجعية التى تنسق مع لندن وواشنطن وتخضع خضوعا كاملا للاستعمار الذى هو حامى اسرائيل.**

فالملك حسين الذى اضطر محافظة على المظاهر أن يرسل اللواء عامر خماش رئيس أركان حرب القوات الاردنية الى القاهرة يقوم فى نفس اليوم الذى أعلنت فيه الجمهورية العربية المتحدة اغلاق خليج العقبة باعادة زورقين اسرائيليين الى اسرائيل كانت العاصفة قد جرفتهما من ميناء ايلات الى شاطىء العقبة .

وبعد ايام أغلقت حكومة الاردن سفارة سوريا فى عمان وطلبت الى السفير السورى مغادرة الاردن وأغلقت القنصلية السورية فى القدس وأبعد القنصل متذرعة بحادث انفجار وقع فى الرمثة .

كما أعلن عن دخول القوات السعودية — ٢٠ الف جندى — الى الاردن ، وقد علق المراقبون على هذا الاجراء بأنه يهدف الى حماية عرش حسين المهتز ، فالاردن لم تسمح — حتى كتابة هذه السطور — بدخول القوات العراقية الى اراضيها طبقا لعرض مماثل من العراق رغم قبول الملك حسين له . وقد جاء على لسان أحد المسئولين الاسرائيليين «يبدو أن هذا الاجراء هو محاولة لتعزيز مركز الاردن فى مواجهته ضد سوريا» .

أما **الملك فيصل** فراح يتابع محادثاته التى يجريها فى لندن بهدف التنسيق (!) مع بريطانيا ، وتنقل وكالات الانباء الكثير عن جهوده لاقناع هارولد ويلسون بأن الجمهورية العربية المتحدة تسعى للسيطرة على الجنوب العربى ويطالب بضمانات تكفل حمايته كما يدخل طرادان أمريكيان ميناء جده ويقام حفل رسمى بهذه المناسبة يشترك فيه كبار المسئولين السعوديين .

وعلى الرغم من اعلان حالة الطوارىء فى **لبنان،** الا أن الموقف مازال يتسم بالميوعة والتردد ويفتقر الى الحسم . وقد قابل المراقبون موقف حكومة رشيد كرامى من طلب الاسطول السادس بزيارة ميناء بيروت بدهشة ، اذ اكتفت بطلب تأجيل الزيارة مؤقتا . الا ان جبهة الاحزاب والهيئات والشخصيات الوطنية والتقدمية عبرت عن استنكارها لهذا الموقف ، وطالبت برفض المطلب كلية ، كما أعلنت عن تأييدها الكامل لموقف

الجمهورية العربية المتحدة وسوريا وتضامنها مع القوى العربية الثورية . ثم أعلن جورج حكيم وزير خارجية لبنان أن بلاده تؤيد قرار القاهرة باغلاق خليج العقبة واعادة الاوضاع التى كانت قائمة قبل ١٩٥٦ .

وكان الشيخ **صباح الاحمد الجابر** وزيرخارجية **الكويت** قد وصل الى القاهرة ، يحمل رسالة تضمنت عرضا من الكويت بارسال قواتها الى مصر وقال ان الكويت لن تتردد فى استخدام كل الاسلحة بما فى ذلك البترول ضد أى عدوان .

وأن على أمريكا ان تفكر قبل اتخاذ أى خطوة والا تعرضت مصالحها فى الشرق الاوسط للضياع . اننا لا نبخل بالدم ، فكيف نبخل بالبترول .

وقد تتابع وصول وفود من البلاد العربية الشقيقة فجاء **طاهر الزبيرى** رئيس اركان القوات الجزائرية يحمل رسالة بعث بها الرئيس بومدين يعرض اشتراك القوات الجزائرية فى الدفاع عن ارض العروبة ، كما وصل وفد عراقى برئاسة طاهر يحيى يعرض اشراك قوات عراقية فى المعركة المتوقعة على حدود مصر ، وقد قبل

تعليق

خطاب اول مايو واستراتيجية العمل الثورى

فى عيد اول مايو ، وفى شبرا الخيمة القى قائد الثورة جمال عبد الناصر خطابا تضمن ثلاث نقاط رئيسية هى :

- شبرا الخيمة بين عهدين
- الثورة المضادة فى الداخل : خطرها وضرورة اليقظة ضدها
- مخطط العدوان الذى ينفذه الاستعمار الامريكى واعوانه على نطاق الوطن العربى

وفيما يتعلق بلقاء جمال عبد الناصر بعمال شبرا الخيمة فاسوف يظل هذا اللقاء احد المعالم الرئيسية فى تاريخ هذه المنطقة الصناعية التى عرفتها بلادنا كقاعدة امامية من قواعد النضال الاجتماعى لانه اذا كانت الاجيال الجديدة من شباب العمال فى شبرا الخيمة لم يروا المنطقة فى ظل سيطرة الاستعمار والحكم الملكى فان جيل الاربعينات من العمال لابد وان يكون قد عاش الاحتفال بالعيد بكل ذكرياته وانفعالاته . لقد كان حلما من احلام هذا الجيل ان يحتفل العمال بعيد اول مايو فى شبرا الخيمة بدون ملاحقات او اضطهاد . كان عيد اول مايو - فى الماضى - يحمل اليهم شيئا كثيرا من التوجس والقلق . ولكنهم عندما يرون ان اول مايو قد اصبح عيدا قوميا ورسميا ، فلا شك انهم واجدون فى هذا كله انصافا لكفاح عمال شبرا الخيمة وترضية لتاريخها

وكان عيد اول مايو مناسبة اكد فيها قائد الثورة على ملامح العمل الوطنى وقيم المنجزات التى تحققت وبدأت تؤتى ثمارها كما اكد على ما حققته الطبقة العاملة وعلى مسئوليتها فى كسب معركة الانتاج باعتبارها الطبقة التى تقف بطبيعتها ووعيها وصلابتها ضد كل اشكال الاستغلال

ولقد حرص الرئيس فى الوقت ذاته على ان يسترجع مع العمال درسين اساسيين من دروس العمل الثورى :

الاول - هو ان معارك التحرر الوطنى الفاصلة ضد الاستعمار تفتح آفاق التغييرات الاجتماعية وتجعلها فى متناول القوى الشعبية ، وهذا هو معنى قول الرئيس «ان التحول الاجتماعى فى مصر كان نتيجة العدوان الثلاثى » . وهذا هو معنى اشارته الى الارتباط والتوافق بين تحقيق النصر فى معركة السويس وبين بدء العمل فى شبرا الخيمة من اجل رفع مستوى العاملين فيها

ان هذا الدرس تتضاعف قيمته اليوم والامة تواجه المخطط الاستعمارى الامريكى الذى ينفذ عن طريق اسرائيل والرجعية العربية . وان وعى الطبقة العاملة بخطورة هذا المخطط انما هو شرط اساسى من شروط الحفاظ على مكاسبها الاقتصادية والاجتماعية وهو ايضا شرط اساسى لتوسيع هذه المكاسب فى المستقبل

والدرس الثانى : المستخلص من معركة السويس عبر عنه الرئيس بقوله : « ان نتجه الى الجماهير وهى صاحبة المصلحة الحقيقية باسرع ما يمكن ان نتجه » . ان هذه العبارة تؤكد على ولاء القيادة السياسية للطبقات الشعبية وعلى التزامها بالعمل لصالحها . والقيادة السياسية فى حرصها على تحقيق هذا الالتحام تجاهد لتخطى كل عقبة قد تباعد بينها وبين الاتجاه الى الجماهير . من هنا اليقظة التى تبديها القيادة السياسية ضد حركة الثورة المضادة فى الداخل .

ولقد تحدث الرئيس طويلا عن الثورة المضادة وابدى اهتماما خاصا بتحديد هذه القوى المعادية فقال : انهم بقايا الاقطاع وبقايا الرأسمالية المستغلة وكل المستغلين الجدد الذين يستغلون الثورة لمصالح خاصة وشخصية ، وكل الذين لا يؤمنون بالثورة ولا يعترفون بالقيم التى قامت من اجلها . وواضح من هذا التحديد ان قوى الثورة المضادة تنقسم الى قسمين: الاول يشمل - اجتماعيا - كل هؤلاء الذين يدخلون فى عداد الطبقات المستغلة القديمة والمحدثة والثانى يشمل - فكريا - كل هؤلاء الذين تتعارض مثلهم مع المثل والقيم التى تتبناها الثورة

ويسترعى النظر فى الكلام عن الثورة المضادة انه بينما يوضح الرئيس ان قوى الثورة المضادة تمثل اقلية تافهة فى المجتمع وانها عجزت حتى الان عن ان تضرب الثورة ، يعود ليؤكد فى اكثر من موضع على اهمية رفع اليقظة الى اقصى حد ضد حركة الثورة المضادة فى داخل البلاد . وواضح ان القائد بينما يعمل على تدعيم ثقة الشعب بنفسه وعلى قدرته على مواجهة اعدائه ينقد بشدة ويحذر من مهادنة قوى الثورة المضادة لاسيما بعد ان ثبت انها تستخدم اساليب التخفى والتسلل ولا تتأخر ايضا عن ان تتظاهر بالعمل تحت شعارات اشتراكية

وبعد فان خطاب اول مايو قد حدد استراتيجية العمل الثورى على الاساس التالى :

- ان الثورة تخوض معركة شاملة بجانب الشعوب العربية ضد الاستعمار الجديد والقديم . اما قوتها الاساسية فتتمثل فى الاتجاه نحو الجماهير والالتحام بها . اما سلاحها فهو رفع اليقظة السياسية للشعب من اجل كسب معركة الانتاج .

أبو سيف يوسف

الرئيس عبد الناصر «باعتزاز مجيء هذه القوات الى مصر لمعنى يفوق كل المعانى وهو تأكيد وحدة النضال العربى»

وكان من الطبيعى ان تعمل الجمهورية العربية المتحدة على تنسيق جهودها ووضع خطة موحدة مع سوريا ، فسافر **الفريق اول محمد فوزى** يوم ١٤ الماضى الى دمشق ليجتمع **باللواء حافظ أسد** وزير الدفاع **واللواء أحمد سويدانى** رئيس الاركان العامة وكبار الضباط للاتفاق على المسائل المتعلقة بالدفاع المشترك ضد اسرائيل ، ثم جاء **ابراهيم ماخوس** الى القاهرة ليعلن اتخاذ كل الاجراءات التى من شأنها الرد بأقصى قوة على أى عدوان اسرائيلى .

واعلن **الدكتور يوسف زعين** رئيس وزراء سوريا على أثر زيارته للقاهرة مع اللواء احمد سويدانى «اننا فى معركة نخوضها بكافة أبعادها وسيخوض الشعب العربى كله المعركة وسيكون النصر حليفه» كما واصلت سوريا حشد المزيد من قواتها على امتداد خطوط الهدنة ووزعت الاسلحة على الآلاف من قوات الجيش الشعبى وتتابع مراكز التدريب العسكرى عملها فى جميع أنحاء البلاد ، استعدادا لاحتمالات الموقف .

وقد أعلنت جميع الهيئات العربية القومية تأييدها للموقف النضالى للجمهورية العربية المتحدة وسوريا ، وفى مقدمتها جاء انذار الاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب بنسف منابع البترول وأنابيبه ومنشئاته وتعطيل الموانى اذا جرؤ الاستعمار على تحريك عميلته اسرائيل ضد اى بلد عربى واشترك فى اجتماع الاتحاد ممثلو الجمهورية العربية المتحدة وسوريا والعراق والجنوب المحتل ولبنان والكويت واليمن والمغرب وتغيب عمال السعودية والاردن وتونس وليبيا الذين منعتهم حكوماتهم من الحضور . وقد قابل المناضل عبد الناصر وفد مؤتمر العمال العرب يوم ٢٦ الماضى ليؤكد من جديد انه «اذا هاجمتنا اسرائيل فى أى مكان فسوف نهاجمها فى كل مكان وسوف نقوم بتدميرها تدميرا كاملا ولن تكون المعركة محدودة» .

واصدرت **ندوة الاشتراكيين العرب** المنعقدة فى الجزائر بيانا تؤكد فيه تضامن جميع القوى الثورية العربية فى التصدى للتحالف الاستعمارى الصهيونى الرجعى ، تساند الشعب السورى المناضل وتؤيد موقف القيادة الثورية فى مصر وحقها الشرعى فى اغلاق خليج العقبة أمام العلم الاسرائيلى والسلع الاستراتيجية .

تلقت ندوة الاشتراكيين العرب بالجزائر برقية من الرئيس جمال عبد الناصر بدأها بقوله : تنعقد ندوتكم التى تمثل حدثا فكريا ونضاليا بالغ الاهمية فى تاريخنا العربى المعاصر فى ظروف يبلغ فيها الصراع بين قوى التحرر والتقدم على طريق الاشتراكية فى وطننا العربى وبين الامبريالية والاستعمار القديم والجديد والصهيونية العالمية والرجعية العربية مرحلة خطيرة تتسم بالمواجهة الصريحة المباشرة والشاملة على جميع المستويات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية . وتأتى هذه المواجهة بعد ان استطاعت قوى التحرر والاشتراكية فى وطننا العربى ان تكتسب مزيدا من القدرات المادية والمعنوية ومزيدا من الخبرات النضالية .

ثم قال السيد الرئيس فى برقيته الى الندوة الجزائرية : ان ندوتكم تعنى أول ما تعنى بادارة الحوار الديمقراطى الاخوى بين القوى التقدمية العربية على اختلاف اتجاهاتها ووجهات نظرها وتجاربها فى الاطار القومى .. وهو حوار لا يدور حول التجريدات وانما حول واقع حى ومتحرك يموج ككل ظاهرة انسانية بالايجابيات والسلبيات ومن هذا كان ان تعقدوا الزواج الصحى والمنتج بين الفكر والعمل .

الى ان قال السيد الرئيس : ولهذا كان التسلح بالشجاعة الفكرية والمنهج العلمى والرؤية الواضحة لابعاد الصراعات السياسية والاجتماعية لواقعنا الذى نريد تغييره وصياغته صياغة اشتراكية متفاعلة مع ظروفنا واوضاعنا وتراثنا الروحى والنفسى ضرورة حياة وسلوك نضالى .

●

■ **لبنان**

التاريخ لا يعيد نفسه

أشارت الصحف المحلية الى ان الحكومة اللبنانية طلبت من الحكومة الامريكية ارجاء زيارة الاسطول السادس لميناء بيروت .

والواقع ان مشروع هذه « الزيارة » كان موضع شد وجذب وصراع حاد بين كافة القوى السياسية فى لبنان . فاذا كانت قوى اليمين الممثلة اساسا فى احزاب الكتائب والكتلة الوطنية والوطنيين الاحرار ومن معهم ومن حولهم من بقايا الاخوان والقوميين السوريين يشعرون بالاطمئنان والاستقرار كلما اقترب الاسطول السادس من شواطىء البلاد العربية، فان قوى اليسار اللبنانى الممثلة أساسا فى **جبهة الاحزاب والهيئات والشخصيات الوطنية والتقدمية** وبجانبها أنصار **اللواء فؤاد شهاب** وكل العناصر الوطنية الحقة قد عبرت عن استنكارها ورفضها القاطع لزيارات الاسطول السادس المريبة .

وبين هاتين الجبهتين : جبهة اليمين وجبهة اليسار اتخذت حكومة **رشيد كرامى** موقفا وسطا . فهى

لم ترفض زيارات الأسطول السادس من حيث المبدأ ولكنها أرجأتها الى حين ، وقد أثار هذا الموقف المتردد ثائرة القوى الوطنية والتقدمية الى الحد الذى رأى فيه **كمال جنبلاط** نفسه مضطرا الى سحب الثقة من حكومة رشيد كرامى .

ويرى المراقبون ان موقف الحكومة من استفزازات الاسطول السادس وما انطوى عليه من تردد ليس مجرد ظاهرة مؤقتة . وانما يميلون **الى ربطها بالازمة العامة والمتزايدة الحدة التى يتعرض لها نظام الحكم نفسه فى لبنان خصوصا منذ ان انفجرت فضيحة بنك انترا .**

ويدلل المراقبون على صحة رأيهم هذا بمواقف عديدة نكتفى بذكر اقربها الى الاذهان :

■ موقف الحكومة والمجلس النيابى من مشكلة الايجارات . فمن المعلوم ان الطبقات الفقيرة والمتوسطة فى لبنان تعانى الامرين من ازمة المساكن ومن تحكم كبار اصحاب المبانى . وقد قامت الجماهير بتحركات بهدف الضغط على الحكومة لاصدار قانون يحد من استغلال اصحاب المبانى . وتألفت رابطة للمستأجرين لهذا الغرض . واستجابت الحكومة للضغط ولكن القانون الذى عرض على المجلس النيابى لم يكن محققا لامال المستأجرين ، فضلا عن أن القانون اقر دون ان يحصل على النصاب القانونى من الاصوات .

■ موقف الحكومة من الحلف الذى يضم الرأسمالية الاجنبية وخصوصا الامريكية وكبار رجال المال والاعمال فى لبنان . فبعد فضيحة **بنك انترا** تصاعدت اصوات القوى الوطنية والتقدمية تطالب بضرورة حماية الاقتصاد القومى وتجنيب الاقتصاد اللبنانى مخاطر الاعتماد الكلى على الاحتكارات الاجنبية ، وطالبت القوى الوطنية والتقدمية — ايضا — بدعم اشراف الحكومة ممثلا فى البنك المركزى على البنوك الاجنبية . كما طالبت بانشاء مصرف يتولى تمويل اعمال التنمية فى مجالات الصناعة والزراعة بكيفية تضمن احداث تغييرات فى هيكل الاقتصاد اللبنانى تنقله من اقتصاد يعتمد على الخدمات الى اقتصاد سليم يعتمد على الزراعة والصناعة .

على ان الرأسمالية اللبنانية الكبيرة قد استشعرت خطة الحركة الشعبية . وهكذا بدأ الرأسماليون الكبار يمارسون ضغوطا رهيبة على حكومة رشيد كرامى حتى تجىء التشريعات الاقتصادية والمالية خادمة لمصالحهم الطبقية . وقد قاد عمليات الضغط **بيير اده** رئيس « جمعية اصحاب المصارف » **والشيخ بطرس الخورى** رئيس جمعية الصناعيين ورئيس بنك التسليف الزراعى والصناعى وانضم اليهما العناصر ذات النفوذ فى غرفة التجارة وكبار المصدرين والمستوردين .

وقد نجح كبار الرأسماليين فى تحقيق اهدافهم . فأقر قانون « ضمان الودائع فى المصارف » بطريقة تخالف الدستور مخالفة صريحة . ومن حيث المضمون ، فقد حطم القانون سلطة البنك المركزى فى الرقابة على المصارف الاجنبية العاملة فى لبنان . وجاء القانون — بهذا الشكل — محققا لمصالح المصارف الاجنبية على حساب المصارف الوطنية .

■ موقف الحكومة من انتخابات البلدية . فقد اقر المجلس النيابى قانونا بتأجيل الانتخابات البلدية مدة عامين . وقيل فى المجلس ان التأجيل يستهدف « مصالح البلاد العليا » . كما قيل ان الداعين له ارادوا ان يوفروا على البلاد — فى هذه الظروف — هزة شديدة ! .

ويرى المراقبون ان هذه الوقائع التى حدثت كلها فى شهر مايو تبين ان حكومة رشيد كرامى فى محاولتها ان توازن بين اليمين واليسار كانت هى نفسها ضحية مستمرة لفقدان التوازن . ففى القضايا الكبرى والاساسية التى تمس مستقبل الاقتصاد القومى ومطالب الجماهير الشعبية كسب اليمين الجولة .

ومع ذلك فان هذا كله لم يكسب لحكومة رشيد كرامى رضاء اليمين . وعلى العكس فقد توجه اخيرا وفد من رؤساء الاحزاب اليمينية — يتودهم **كميل شمعون** لمقابلة الرئيس شارل حلو وقدموا شكواهم مما اسموه « انحياز لبنان فى سياسته العربية » وبما اسماه بيار الجميل رئيس حزب الكتائب « بتدخل ج . ع . م فى سياسة لبنان الخارجية » .

وعلى الرغم من ان اليسار اللبنانى فى عمومه ظل ينظر الى رشيد كرامى على انه قوة من قوى الصف الوطنى ، وكان يعلق الامال على حكومته ، الا ان هذا اليسار يجد نفسه اليوم بعيدا عن الحكومة لأنها لم تتخذ موقفا حاسما بالنسبة للمطالب الشعبية وبالنسبة للقضايا القومية الكبرى .

ففى الفترة الاخيرة سمعنا عن نضالات وتحركات شعبية من اجل مطالب الزراع ومطالب اساتذة الجامعة والطلاب ، ومن اجل حماية مصالح المستأجرين . كما سمعنا عن نضالات وتحركات وطنية منذ زيارة الاسطول السادس . ولعل ابرز ما فى هذا كله البيان الذى صدر فى ابريل عن جبهة الاحزاب والهيئات التقدمية . هذا البيان الذى حدد بموضوعية ومرونة مجموعة من الاهداف التى يمكن ان تجمع وتوحد صفوف كافة القوى الشريفة والسليمة فى لبنان . وكان فى مقدمة هذه الاهداف :

● انتهاج سياسة تحريرية واضحة توفر للبنان كل مقومات السيادة الوطنية .

● معالجة التدهور الاقتصادي بوضع خطة للتنمية الزراعية والصناعية تحرر الاقتصاد اللبناني من شبكة الرساميل الاجنبية .
● تحقيق المطالب الاجتماعية الملحة بمكافحة الغلاء وحل ازمة الاسكان .
● تعزيز الحريات السياسية والحزبية والنقابية العامة .

●

■ **السعودية**

فيصل يزور بريطانيا ... بينما الوطن العربي يفور بالثورة

بينما كان الرأى العام العربى يتابع الازمة الناشئة على الحدود بين **سوريا واسرائيل** .. والتى وصلت الى منعطف خطير بعد ان امتدت الى الحدود بين **مصر** واسرائيل ، وبينما كان المناضل **جمال عبد الناصر** يزور الجبهة العسكرية ، كان **فيصل** ملك السعودية يقوم بزيارة رسمية الى **لندن** للتباحث مع الحكومة البريطانية . وقد بدأت هذه الزيارة فى ١٥ مايو الماضى .

وقد حاولت الصحافة البريطانية عبثا ان تركز الاضواء على زيارة فيصل ، تحكمها فى ذلك فكرة اساسية تتوهم امكانية تقديم فيصل كزعيم للعالم العربى . ويرى المراقبون ان تطور الاحداث على حدود مصر — سوريا — اسرائيل ، قد وضعت فيصل فى مأزق لا يحسد عليه . ومن ثم اصبح فى وضع يستلزم معه الدفاع عن مبررات زيارته فى هذا الوقت بالذات .

ويرى المراقبون ان اهداف بريطانيا من زيارة فيصل ، كانت تسعى الى تقديم فيصل الى الرأى العام على انه «رجل بريطانيا فى الجزيرة العربية» — على حدتعبير **الايكونوميست** الانجليزية — خاصة فى وقت اصبح فيه الملك **سعود** يمارس نشاطا ملحوظا من اجل تقويض حكومة فيصل .. وحيث تتوقع بعض الدوائر احتمال ان يطلب سعود من المسئولين فى **اليمن** السماح له بالاقامة ليكون على مقربة من مسرح الصراع الذى بدأ يحتدم بينه وبين فيصل . كما تهدف بريطانيا الى الاعتماد على فيصل فى حماية المصالح البريطانية فى منطقة الجنوب والمحافظة على الاوضاع القائمة فيه على ما هى عليه ، بعد انسحاب بريطانيا من عدن فى عام ١٩٦٨ . ولهذا سعت الى القيام بتخطيط مشترك ، والى تنسيق العمل بينها وبين السعودية لمواجهة الثورة فى الجنوب واحتمالات تطورها ، وحيث نجحت الثورة اليمنية فى ان تفرض استقرارا ملحوظا لانتصاراتها . ويجمع المراقبون على ان الاحداث الاخيرة فى منطقة الشرق الاوسط قد تخطت فيصل وامكانيات نظامه لمواجهة الموقف ، مثلما القت بزيارته الى لندن فى عالم الظل .

وتفيد انباء المصادر المطلعة ان محور محادثات **فيصل — ويلسون** ، قد دار حول ثورة الجنوب المتفجرة وما يمكن ان تسفر عنه استمرارها من آثار على اوضاع امارات الخليج .. ومن ثم محاصرة النظام السعودى نفسه . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى ، تناولت تطورات ثورة اليمن التى بات استقرارها يمثل خطرا واضحا على نظام الحكم القائم فى السعودية والذى تتزايد ضده اعمال المقاومة الوطنية على ايدى « **اتحاد شعب الجزيرة العربية** » .

وتعتقد الدوائر العربية ، ان بعض الصحف قد بالغت فى الحديث عن ان هناك خلاف بين فيصل وويلسون . وتؤكد هذه الدوائر انه لا خلاف بينهما على الاطلاق فيما يمس اهدافهما الاساسية فى ضرورة ضرب الثورة الوطنية فى الجنوب ، وفى اليمن . وان كان هناك ثمة خلاف ما ، فانه ينحصر فى نطاق اختلاف وجهات نظريهما حول الاساليب المقترحة لمواجهة هذه الثورة .

وتقول بعض المصادر البريطانية ان فيصل يعمل لكسب الوقت حيث يأمل فى النهاية ان تحتفظ بريطانيا بوجود عسكرى فى عدن ، الى ان يتاح للسعودية بناء قوة عسكرية تستطيع بها ان تواجه التحدى الناشىء عن اندلاع الثورة الوطنية فى المنطقة .

هذا ، ويثير انتباه المراقبين حديث صحيفة **نيوستيتسمان** البريطانية الذى قالت فيه « ان المشكلة تتمثل فى ان الاسلحة البريطانية الى فيصل ، يجرى وضعها بحيث تكون مظلة التأييد السعودى لاستئناف الملكيين لعملياتهم ضد الحكم الجمهورى فى اليمن . ولسوف تبدأ هذه المظلة فى العمل فى اواخر هذا العام . ومن هنا يصبح من المرجح ان يبدأ حينذاك اى هجوم ملكى جديد . وهو ايضا فى نفس الوقت — تقريبا — الذى ينتظر ان يستقل فيه الجنوب العربى »

وتقول آخر انباء زيارة فيصل فى لندن — انه قد اجتمع لمدة ساعتين بويلسون على اثر اعلان الرئيس جمال عبد الناصر قرار اغلاق خليج العقبة امام الملاحة الاسرائيلية .

ويفسر المراقبون بقاء فيصل فى لندن برغم حدة الموقف فى المنطقة العربية ، بأنه فرار من مواجهة احتمالات تطور الاحداث التى تهدد بقاء النظم الملكية فى كل من السعودية والاردن . ومن الجدير بالذكر ان الطلبة العرب فى لندن كانوا قد استقبلوا فيصل بمظاهرات عدائية هتفوا فيها بسقوطه .

■ اليمن

قذائف البازوكا ... معونة من النقطة الرابعة !

استقبلت الصحافة والرأى العام فى البلدان العربية المتحررة بارتياح بالغ قرار الرئيس اليمنى **عبد الله السلال** بالغاء هيئة النقطة الرابعة والاستغناء عن المعونة الامريكية ، وطرد جميع الخبراء الامريكيين من اليمن ، وذلك على اثر حادث اطلاق قذائف البازوكا على مخازن الذخيرة فى تعز فى اواخر شهر ابريل الماضى .

وبعد أن ثبت بالدليل القاطع ان هيئة النقطة الرابعة للمعونة الامريكية ، ليست فى الواقع سوى واحدة من المؤسسات العلنية للمخابرات الامريكية وهذا الحادث الخطير الذى ذهب ضحيته اربعة من اليمنيين الابرياء وادى الى القاء القبض على اثنين اخرين من اليمنيين وتقديمهم للمحاكمة لايعتبر مفاجأة للمراقبين ، فهو ليس الحادث الاول من نوعه فى سلسلة المؤامرات التى تقوم بها النقطة الرابعة ، ضد أمن وسلامة الجمهورية اليمنية ، وان كان فى الواقع يمثل قمة الاحداث والاعمال الاستفزازية والتخريبية .

ويرجع تاريخ بداية هذه السلسلة من الاعمال المضادة الى شهر يونيو عام ١٩٦٥ ، عندما أعلنت القوات العربية فى اليمن أنها استولت على أسلحة ومعدات حربية أمريكية الصنع ـ وكان المعتقد حتى ذلك الوقت أن الولايات المتحدة بعيدة عن التدخل المباشر ضد النظام الجمهورى فى اليمن ، وانها تركت هذا العمل يتولاه حكام السعودية وبريطانيا وعملائها فى المنطقة .. وكانت نتيجة هذا الحادث ان تنبهت السلطات اليمنية الى حقيقة ما يدبر فى الخفاء ـ ثم تأكد بعد ذلك أن هناك كميات أخرى من الاسلحة والادوية والطعام الامريكية تصل الى مخابىء الامير البدر على حدود المملكة السعودية بصفة منتظمة ، وانه يتم تهريبها عن طريق موانىء الخليج العربى .. وفى ذلك الوقت كان أحد المسئولين اليمنيين فى تعز قد أعلن ان هناك بعض الموظفين الامريكيين يستغلون الحرية الممنوحة لهم فى التنقل فى انحاء البلاد بحكم عملهم ، وذلك فى جمع المعلومات واجراء اتصالات مريبة مع عدد من شيوخ وزعماء القبائل ، وكان المقصود بهذا التحذير أعضاء النقطة الرابعة حتى يكفوا عن تصرفاتهم وتحركاتهم .

وفى شهر يناير الماضى وضعت السلطات اليمنية يدها على شبكة خطيرة للتجسس والتخريب متخفية تحت ستار الاغراض الثقافية ، وذلك عن طريق المراكز التى انشأتها النقطة الرابعة الامريكية فى تعز لتعليم اللغة الانجليزية للشباب اليمنى .

وكشف التحقيق أن مديرة المركز **المسز ستيوارت** ومعها مجموعة من الفتيات اللاتى يعملن بالتدريس فى هذه المراكز يقمن باختيار الشباب اليمنى وأغرائهم بالمال والانحراف بهم ، ثم يطلبون منهم بعد ذلك القيام ببعض أعمال التجسس والتخريب ، كما أرشد المتهمون الى شخص رابع يدعى حسن النهام وهو مواطن يمنى يحمل الجنسية الامريكية منذ عهد الامام احمد ، دون علم الحكومة اليمنية ، ويعمل كضابط اتصال للنقطة الرابعة فى تعز ، ويقوم بمهمة تجنيد العملاء ضمن شبكة التجسس والتخريب .

وفى تصريح لمصدر رسمى يمنى لمندوبة جريدة الاخبار المصرية فى العاصمة اليمنية يوم ٣٠ ابريل الماضى ، كشف فيه الستار لاول مرة عن جملة وقائع أخرى تتعلق بنشاط النقطة الرابعة فى اليمن « وبأن الحكومة اليمنية لديها وثائق رسمية عديدة تؤكد أن موظفى المعونة الامريكية فى اليمن هم أعضاء عاملون فى المخابرات الامريكية ، وانهم يقومون بأعمال تخريبية بقصد النيل من ثورة اليمن وبقصد الوقيعة بين حكومة الجمهورية اليمنية وحكومة الاتحاد السوفيتى .. ، وانهم حاولوا تخريب مدرسة انشأها الروس فى تعز باستخدام المفرقعات » .

كما ذكر المصدر اليمنى المسئول حادثا غريبا وقع فى شهر مارس الماضى « عندما ضبطت السلطات اليمنية دبلوماسيا أمريكيا يحاول فى المطار تهريب ثلاث بنادق مزودة بأجهزة التلسكوب بعيد المدى ، وهى من نفس نوع البنادق الذى أستخدم فى أغتيال الرئيس الامريكى السابق كيندى » .

وكانت آخر حلقة فى سلسلة هذه المؤامرات والاعمال التخريبية ، هى حادثة اطلاق قذائف البازوكا على مخزن الذخيرة فى مدينة تعز من معسكر النقطة الرابعة والعثور داخل المعسكر على قذيفة أخرى من نفس النوع ، وايضا على جهاز لاسلكى قوى للارسال والاستقبال بدون تصريح من السلطات اليمنية ، كما تم القبض على موظف أمريكى آخر بالنقطة الرابعة وهو يحاول تهريب صندوق ملىء بالبنادق السريعة الطلقات من جمرك الراهدة ، وذلك على النحو الذى اشارت اليه صحيفة الاهرام فى حينه .

والمعروف ان قيمة المعونة الامريكية لليمن يبلغ ٢ مليون دولار سنويا ، وأن الجزء الاكبر من هذا المبلغ ينفق فى صورة مرتبات لخبراء وموظفى النقطة الرابعة الذين يقومون بالاشراف على تنفيذ المشروعات التى تتولاها الهيئة الامريكية والبالغ عددهم حوالى ١٣٢ خبيرا وموظفا .

من هنا جاء قرار الرئيس عبد السلال بالغاء النقطة الرابعة للمعونة الامريكية وطرد جميع الخبراء الامريكيين حرصا على مصالح الثورة .

جنوب اليمن المحتل

أحتدام المعركة

دخلت ثورة جنوب اليمن المحتل في الاسابيع القليلة الماضية ، مرحلة جديدة حاسمة من مراحل تقدمها نحو تحقيق أهدافها ، وهو أمر لا يمكن فصله عن حركة المد الثوري العام لحركة التحرر الوطني التي تعيش الامة العربية احداثها التاريخية الفاصلة هذه الايام، في مواجهة التحالف الاستعماري الرجعي الصهيوني .

وكان ابرز ما في الموقف :

● تعهد الجمهورية العربية المتحدة بتقديم الدعم المادي لجبهة تحرير جنوب اليمن المحتل ، في نضالها ضد القوى الاستعمارية والرجعية ، وقد تم الاتفاق على الخطوات الايجابية لتنفيذ خطط الجبهة العسكرية والسياسية في المنطقة ، كماتجري الآن الدراسات اللازمة لتوسيع العمليات العسكرية وخوض المعركة الفاصلة ضد قوى الاستعمار والرجعية .

● تصفية الخلاف القائم بين «جبهة التحرير الوطني للجنوب المحتل» و «الجبهة القومية لتحرير جنوب اليمن المحتل» ، وذلك بعد تدخل الرئيس جمال عبد الناصر شخصيا لحل هذا الخلاف ، ونجاح مساعي المشير عبد الحكيم عامر فيتصفية هذا النزاع وتوحيد القوى الوطنية في عدن .

وقد جاءت هذه الخطوات الجديدة لدعم الثورة في الجنوب ، ردا حاسما على أهداف ومخططات الاستعمار والرجعية السعودية في المنطقة ، وفي وقت اصبحت فيه جبهة التحرير الوطني قوة حقيقية تثير فزع الاستعمار والرجعية والاذناب السلاطين في الجنوب ، وتتمتع فيه بالتأييد التام سواء في الداخل او الخارج ، الامر الذي يتمثل في انتصارات الجبهة المتزايدة واتساع نطاق عملياتها الموفقة الناجحة ، والتأييد الشامل لشعب عدن لها — وايضا في رفض الامم المتحدة لحكومة الاتحاد العميلة وادانتها للاستعمار البريطاني واذنابه .

وكانت بعثة هيئة الامم المتحدة لعدن قد طلبت من بريطانيا في اوائل مايو الماضي ، العمل على تحقيق الشروط الاربعة لحل مشكلة الجنوب ، وتسهيل مهمة انتقال الجنوب الى الاستقلال وهي :

حل حكومة الاتحاد الفيدرالي ، والغاء حالة الطوارىء والاحكام العرفية والافراج عن المعتقلين السياسيين واطلاق الحريات العامة ، والتفاوض مع الحركات السياسية الوطنية «جبهة تحرير جنوب اليمن المحتل» ، بهدف انشاء حكومة انتقالية بمقتضى اجراءات دستورية مؤقتة .

ولكن بريطانيا بدلا من ان تنصاع الى شروط المنظمة الدولية ، لجأت كعادتها الى القيام بمناورة جديدة تستهدف من ورائها التسويف والمماطلة لتمييع الموقف والتنصل من موعد انسحابها وايجاد مبرر جديد لبقائها فقامت بتعيين السير **هنري تريفليان** المندوب السامي الجديد في عدن خلفا لريتشارد تيرنبول المندوب السابق ، كما صرح **جورج براون** وزير خارجية بريطانيا «انه اذا أرادت بريطانيا الخروج من عدن بصورة منظمة وفي وقت مبكر ، فان اقامة حكومة ذات قاعدة أوسع سيكون أمرا ضروريا» .

وقد توالت الاحداث بعد الكشف عن هذه المؤامرة الجديدة التي يدبرها الاستعمار البريطاني والملك فيصل والسلاطين ، وقامت جبهة التحرير بازاحة النقاب عن تفاصيل هذه المؤامرة والمشتركين فيها ، والتي تهدف الى تثبيت حكومة السلاطين المزيفة في الجنوب المحتل على أساس تنفيذ المقترحات الدستورية التي تقدمت بها لجنة «بلوهون» من قبل ، وتقضي بانشاء مجلس وطني يتكون من ١٦٠ عضوا توزع فيه المقاعد بنسبة معينة لكل منطقة ، يخص ولاية عدن منها ١٨ مقعدا ، كما تقضي مقترحات اللجنة البريطانية ، بان تعتبر حضرموت منفصلة عن المجلس والحكومة تمهيدا لضمها الى السعودية .

وفي نفس الوقت الذي كانت تجري فيه هذه الاعمال الاجرامية ، كانت تصريحات المتآمرين تتوالى لتضيف تفاصيل وأبعادا أخرى للمؤامرة ، عندما أعلن **شاكلتون** وزير الدولة البريطاني المكلف ببحث مشكلة الجنوب اثر عودته من عدن الى لندن في اواخر ابريل الماضي «بأن الوضع في عدن ليس على مايرام وان المنظمات السياسية تضرب بعضها البعض» ، كما راح الملك سعود اثناء زيارته لبريطانيا في الشهر الماضي يضرب على نفس هذه النغمة ، «وان اعمال القتل والتخريب ليست هي الطريق الى الاستقلال» ، كما طالب ايضا بتدخل الامم المتحدة في الجنوب لصون السلام واقرار النظام .

وامتدادا لهذه المؤامرة قامت بريطانيا بعملية استعراض للقوة في منتصف مايو الماضي، واجراء مناورات جوية اشتركت فيها الطائرات المقاتلة على ظهر حاملتي الطائرات البريطانيتين فكتورياس وهرمس ، فوق أراضي الجنوب والمحميات ، بهدف تأكيد حمايتها لحكومة السلاطين واستمرار تأييدها ودعمها لها .

وقد لاحظ عديد من المراقبين السياسيين الارتباط بين الاحداث الاخيرة على حدود خط الهدنة مع اسرائيل وتصدي القوى الثورية العربية للمؤامرة الاستعمارية الصهيونية ، وبين انتعاش العمل الثوري في الجنوب العربي المحتل واتساع نطاقه ليكتسب قوة وشمولا يرتفع به الى مستوى أعظم من الفاعلية .

■ السودان

الطريق الاقتصادى للخروج من الأزمة

انتخبت الجمعية التأسيسية السودانية ، السيد **محمد احمد محجوب** رئيسا للوزارة الجديدة فى السودان خلفا للوزارة الائتلافية السابقة التى كان يرأسها السيد **الصادق المهدى** رئيس حزب الامة . وكان قد تم سحب الثقة منها بأغلبية ١١٢ صوتا ضد ٨٦ ، وبذا فشلت المحاولات التى قامت من قبل للاحتفاظ بالتماسك الظاهرى للائتلاف الوزارى الذى جمع حزبى الامة والوطنى الاتحادى معا . ويجرى التفكير حتى كتابة هذا التقرير — فى ضم حزب الشعب الديمقراطى الى الائتلاف الوزارى الجديد . وقد وافق الحزب مبدئيا على الاشتراك فى الحكم . وبسقوط وزارة الصادق المهدى ، انتهت مرحلة من مراحل الصراع بينه وبين عمه الهادى المهدى زعيم طائفة الانصار وهى مرحلة اثيرت فيها بشكل كبير المنازعات القبلية القديمة ، والعوامل الطائفية كوسائل فى الصراع من اجل السلطة .

وقد اشار المراقبون لتطور الاوضاع الاقتصادية والسياسية بجمهورية السودان ، الى انه على الرغم من الحملة الدعائية الواسعة التى قامت بها الحكومة السابقة (حكومة السيد الصادق المهدى) لكسب سند لها فى سياستها المالية التى اتخذتها بفرض ضرائب جديدة ، الا انها قد ووجهت بمعارضة شديدة من فئات جماهيرية عديدة ، وامتدت المعارضة الى اجهزة اعلام الحزبين الحاكمين ونوابهم كذلك .

وبينما مالت العناصر الحاكمة الى توضيح ان الهدف من اتخاذ الاجراءات المالية هو سد العجز فى الميزانية العامة وميزانية الانشاء والتعمير ، مما يضفى على الاجراءات طابعا مؤقتا ، اوضح الكثير من العناصر التقدمية ، ان حل الازمة الاقتصادية لا ينحصر فى مجرد سد العجز فى الميزانيتين فقط ، وانما فى مواجهة الاسباب العامة التى ادت الى التدهور المالى والاقتصادى الذى يعانى منه السودان .

كما ترى انه لا يمكن ان يحدث انفراج اقتصادى طويل المدى فى ظل التجارة العالمية الحالية ، لان اسعار المواد الخام التى تنتجها الدول النامية تتجه الى الانخفاض بينما تتجه اسعار السلع المصنوعة فى البلاد المتقدمة الى الارتفاع ، بالاضافة الى المنافسة الحادة والخطيرة التى تواجهها سلعة التصدير الاساسية (كالقطن) من الالياف الصناعية ، ولضخامة انتاج الولايات المتحدة التى تؤدى بالتالى الى انخفاض الاسعار ، كذلك يرون انه لا يمكن تحقيق انفراج طويل المدى بالاعتماد على القروض الاجنبية من مؤسسات مثل البنك الدولى وصندوق النقد الدولى والتى تملى شروطا اقتصادية وسياسية عديدة ، بالاضافة الى ارتفاع سعر الفائدة التى تطلبها (بلغت جملة القروض حتى ديسمبر ١٩٦٦ ما يزيد على ٩٤ مليون جنيه ، وبلغت ارباحها ما يزيد على ٥١ مليون جنيه) ، اى ان الارباح التى وضعت عليها بلغت حوالى ٥٥ ٪ من جملتها .

ولذا فالحقيقة التى يشير اليها عديد من المراقبين السياسيين التقدميين هى ان مشاكل الاستقرار السياسى فى السودان ، لن تنحل بشكل فعال وجذرى عن طريق الحلول الجزئية الجانبية المؤقتة ، وانه ما لم تجر تغييرات جذرية هيكلية فى البناء الاقتصادى السودانى ، مع التخلص من قيود التبعية للقوى الاجنبية ومن سيطرة المؤسسات المالية الاجنبية ، فلن يمكن الوصول بشكل حقيقى الى مسار وطنى تقدمى يفتح الطريق امام الاشتراكية فى الجمهورية السودانية .

هذا ومما يكشف النقاب عن بعض نشاطات الحكومة السودانية المستقيلة ما نشرته جريدة « التلغراف » السودانية فى الاسبوع الاول من مايو الماضى بشأن اكتشاف خيوط مؤامرة استعمارية جديدة تستهدف توتر العلاقات السودانية بالجمهورية العربية المتحدة ، بواسطة البدء فى عمليات « تحرش » ونزاعات مفتعلة على الحدود ، يمكن جرها الى نزاع حقيقى بين الجمهورية العربية المتحدة والسودان . ومما هو جدير بالذكر انه فى حين تصدت الصحافة الوطنية السودانية لفضح هذه المؤامرة وكشف اهدافها الخاصة بصرف الانظار عن حوادث الحدود الشرقية مع اثيوبيا، ومع تشاد ، ومعارك الجنوب . تجد أن جريدة «الميثاق الاسلامى» ، جريدة الاخوان المسلمين بالسودان تغذى الاتجاه لاثارة مشكلة حلايب وافتعال النزاع مع الجمهورية العربية المتحدة فى الوقت الذى كانت جمهوريتنا تعد نفسها لمواجهة المؤامرات الاستعمارية على سوريا وسائر بقاع الوطن العربى .

●

■ الجمهورية العربية المتحدة

الشباب يطالب بتصفية ٢٢٣٠ قاعدة عدوانية

انعقدت فى القاهرة فى الفترة من ١٢ الى ١٥ مايو ، الندوة العالمية ضد الاحلاف العسكرية والقواعد الاجنبية فى الشرقين الاوسط والادنى ، التى نظمها **اتحاد الشباب الديمقراطى**

العالمي بالاشتراك **مع منظمة الشباب الاشتراكي العربي** في الجمهورية العربية المتحدة، واشتركت فيها وفود لمنظمات الشباب من ٣٠ دولة من مختلف البلدان في افريقيا وآسيا واوربا ، وايضا مجلس السلام العالمي وسكرتارية التضامن الافريقي الاسيوي وسكرتارية مؤتمر القارات الثلاث ...

واشتركت فيها وفود لمنظمات الشباب من ٣٠ دولة من مختلف البلدان في افريقيا وآسيا وأوربا وايضا مجلس السلام العالمي وسكرتارية التضامن الافريقي الاسيوي وسكرتارية مؤتمر القارات الثلاث .

وقد نجحت الندوة في اثارة اهتمام الرأي العام والصحافة والاذاعات في البلدان العربية المتحررة في الدول الاشتراكية .

ولقد أفاضت التقارير والابحاث التي قدمتها اعضاء الوفود المختلفة ، في شرح طبيعة الاحلاف والقواعد العسكرية الاجنبية في البلدان الاخرى ودورها في ارهاب وكبت شعوب هذه البلدان وقسرها على الرضوخ لعمليات الاستغلال والنهب الامبريالي ،وذلك فيمجال الرد علىمزاعم وأكاذيب المستعمرين والرجعيات الحاكمة في هذه البلدان حول وجود هذه الاحلاف والقواعد العسكرية بغرض « الدفاع المشترك » و « مقاومة الخطر الشيوعي » ، كما كشف عن ذلك مندوب شباب الجزيرة العربية، وذلك منواقعالحياة والاوضاع الاجتماعية المتدهورة داخل السعودية ذاتها ، في ظل وجود هذه القواعد العسكرية وسيطرة المخابرات الامريكية على اجهزة الدولة لحماية نظام الحكم السعودي الرجعي ضد ارادة شعب الجزيرة العربية « الذي بلغ عدد العميان فيه الذين سجلتهم وزارة الشئون الاجتماعية ١٣٠ الفا ، وعدد المصابين بالسل ٦٠ الفا ، وعدد الذين قطعت ايديهم وارجلهم ٧٠ الفا ، وعدد الارقاء فيه ٦٠ الف انسان سرقوا من كل بلد عربي ومن آسيا وافريقيا واوربا » .

كما تناولت هذه الابحاث والتقارير ايضا شرح طبيعة الاستعمار الجديد والامبريالية الامريكية ، وحقيقة اهدافها التوسعية والدور الذي اخذته على عاتقها كوريثة للاستعمار العالمي ، عن طريق انشاء الاحلاف العدوانية مثل حلف الاطلنطي وحلف جنوب شرقي آسيا واقامة القواعد العسكرية في البلدان التابعة ضد ارادة شعوبها ، واستخدامها كمعاقل تنقض منها على حركات التحرير الوطنية في البلدان الاخرى وتهديد السلام العالمي بشكل دائم ، فضلا عما تسببه هذه القواعد من تهديد مباشر لامن وسلامة البلدانالمجاورة ، ويشكلعبئا ثقيلا على ميزانيتها لتعزيز قدرتها الدفاعية بدلا من توجيهها لاغراض التنمية الاقتصادية ومصالح شعوبها ، وقد جاء في تقرير السيد **خالد محيي الدين** «ان الولايات المتحدة تملك وحدها قواعد ونقط ارتكاز في العالم عددها ٢٢٣٠ قاعدةمهمتها الرئيسية خنق حركات التحرر الوطني» .

وجاء البيان الذي اختتمت به الندوة اعمالها ادانة اجماعيةلنظمالاحلاف العسكريةالاستعمارية ولاسيما حلف الاطلنطي وحلف جنوب شرقي آسيا التي تشكل خطرا كبيرا يهدد السلام وحركات التحرر الوطني وبالاخص سلام وسيادةالشعوب العربية ، وادانتهلمشروع الحلفالاسلامي باعتباره تكتلا استعماريا ورجعيا موجها ضد ثورة الشعب العربي في نضاله من أجل الحرية والاشتراكية .

وأشاد البيان بمبادرة دول حلف وارسو التي نادت بوضع نهاية لنظام الكتل . وطالب بتصفية جميعالقواعد العسكريةفيالشرقينالادنى والاوسط ولا سيما في عدن وقبرص والبحرين والسعودية وليبيا والمغرب . وأعلن مساندته للكفاح البطولي المسلح لشعب عدن وشعوب عمان والبحرين ضد الاستعمار البريطاني ، واستنكاره لعمليات القمع الدامية التي يشنها المستعمرون ، وتأييد السياسة المناهضةللاستعمار التيتتبعها حكوماتالجمهورية العربيةالمتحدة وسوريا واليمنوالجزائر واسهامها الايجابي في نضال شعوب المنطقة .

كما أعلن البيان تأييد كفاح شعب فلسطين العربيمن أجل العودةالى اراضيه ،وندد بسياسة اسرائيلكقاعدةاستعمارية واداةللاستعمار الجديد في الشرق الادنى والاوسط وافريقيا ، واستنكار الاعمال العدوانيةلاسرائيل بالتواطؤ معالاستعمار الامريكي والبريطاني والنظم الرجعية في الاردن والسعودية ضد الجمهورية السورية ، وادانة النظم الرجعية في الاردن والسعودية التي تخدم مصالح الاستعماريين .

●

الاتجاه نحو الحد من الاسراف في الميزانية الجديدة

لم تغفل الميزانية الجديدة التحديات والمشاكل التي تواجه مجهودات التنمية ، وفي الوقت نفسه أكدت أنحتمية التنمية وضرورةاستمرار المجهودات التي تبذل من اجلها تفرض تحطيم ما يعترض طريقها من عقبات .

ان أبرز عناصر هذه التحديات :

أولا : الزيادة الضخمة السنوية في عددالسكان حيث تبلغ سنويا ٨٠٠ الف نسمة ، والتي يتوقع معها ان يصل تعداد السكان في الجمهورية الى ٣٤ مليونا في عام ١٩٧٠ ثم الى ٤٥ مليونا في عام ١٩٨٠ .

ثانيا : السعى نحو تحقيق العمالة الكاملة فى مجتمعنا ، وما يترتب على ذلك من اعباء مالية .

ثالثا : ما يترتب على تزايد السكان وتزايد دخول العاملين من زيادة فى الاستهلاك يتم على حساب الفوائض والمدخرات ، وهى التى يجب الاستزادة منها وتحويلها الى طاقات انتاجية .

رابعا : اعتبارات الامن القومى ومايرتبطبهامن زيادة فى الانفاق دفاعا عن ثورتنا وقيمنا فى عالم استباح فيه أعداؤنا كل الاسلحة .

خامسا : ضرورة الاستمرار فى استيراد جانب من الاحتياجات الغذائية المتزايدة ومستلزمات الانتاج ومعداته فى ظل ظاهرة تزايد أسعارها بمعدلات تفوق ارتفاع أسعار المنتجات الزراعية والصناعية التى تصدرها الجمهورية العربية .

سادسا : الضغوط الاقتصادية التى لابد أن توضع محل الاعتبار .

لهذا توصلت الحكومة خلال الشهور الماضية الى وضع تخطيط متكامل لاستراتيجية العملخلال السنوات الثلاث المقبلة تم تحديده فى ٣ معالم واضحة :

- انه لا يمكن للشعب تحت أي ظرف من الظروف أن يضحى بمستقبل التنمية ، ولكن لابد من الوثوق فى كل خطوة أن ما يبذل من عرق وتضحية انما يقع فى موقعه الصحيح .

- لا مفر فى الفترة المقبلة مباشرة من الاعتماد أساسا فى زيادة الانتاج على رفع معدلات تشغيل الطاقات الانتاجية القائمة .

- ان النظرة الفاحصة الى موقف النقدالاجنبى مع كل ما بدا أخيرا من بوادر التحسن مازالت تؤكد ان القدرة على مواجهة الاحتياجات من المواد التموينية الضرورية ومستلزمات انتاج تشغيل الطاقات المحلية ، تتوقف على القدر الذى يمكن التوسع به فى التصدير . ويؤكد ذلك أن الاحتياجات من المواد التموينية الضرورية التى تتزايد بمعدل يبلغ ٧٪ سنويا من ناحية ، كما تبرزه الضغوط الاقتصادية والاستعمارية التى تتعرض له جمهوريتنا .

وعن رسم سياسة الاستثمار اهتمت الميزانية الجديدة بتحقيق أكبر قدر من الضمانات التىتكفل تنفيذ أهداف الانتاج والاستثمار معا بأحسن صورة ممكنة . وهذه الضمانات تتلخص فيمايلى:

- انجاز المشروعاتالتى بدىء فيها معالتركيز على المشروعات التى تعود بفائدة عاجلة ، وحجم استثمار صغير لتحقيقها .

- التركيز على مشروعات السد العالى ومشروعات استصلاح الاراضى ومساندة مشروعات قناة السويس والبترول مساندة كاملة لما ينتظر أن تحققه من زيادات كبيرة فى المواردمن النقد الاجنبى خلال الاعوام القليلة القادمة .

- مرونة الحركة فى مواجهة التغيرات التى تطرأ على قدرة الاقتصاد القومى على تدبير ما يحتاجه تنفيذ استثماراته من نقد أجنبى .

ولعل من أهم ما يميز مشروع ميزانية العام القادم فى مجال الاستثمار هو ارتباطه الوثيق بما تقرر تنفيذه خلال خطة الانجاز من مشروعات، بل وبما تقرر تنفيذه على مستوى المشروع الواحد فى سنة ١٩٦٨/٦٧ .

ان هذا الارتباط ليس قاصرا على جانب الانفاق او تخصيص الاعتمادات ، بل يتعداه الى جانب التمويل الذى روعى فيه ان تتحدد موارد تمويل الاستثمار سواء ماكان منها من المدخرات المحلية اوبتسهيلات وقروض أجنبيةعلىمستوى المشروع الواحد . وبذلك ارتبطت الخطة بميزانية الدولة من ناحية ، والميزانية النقدية من ناحية أخرى . وتعتبر هذه خطوة قوية فعالة نحو تحاشى الاسراف الذى ظهر فى الخطة الاولى .

لذلك فانه من المقرر عدم البدء فى تنفيذ أى مشروع لم يثبت تدبير احتياجاته من النقد الاجنبى خلال سنوات الخطة . وبذلك يزول خطر تنفيذ مشروعات على حساب مشروعاتأخرى ، هذا فى الوقت الذى راعت فيه اعتمادات الميزانية الجديدة ادخال المرونة على امكانيات التنفيذ فى حالة المشروعات التى يثبت بصفة قاطعة انه قد تمتدبير موارد لمواجهةاحتياجاتها من النقدالاجنبى

وعن تقديرات أرقام مشروع الميزانية الجديدة .. فانه من المقدر ان يبلغ صافى الانفاق فى العام القادم حوالى ١٣٤٠ مليون جنيه مقابل ١١٩٧ مليون جنيه فى السنة الحالية بزيادة قدرها حوالى ١٤٣ مليون جنيه . منها ٦٧٣٫٥ صافى الانفاق فى ميزانية الخدمات و٦٢٧٫٣ مليون جنيه صافى الانفاق فى ميزانية الاعمال بالاضافة الى ٣٩٫٢ مليون جنيه صافى عمليات صندوق الاستثمار .

وإذا ما قورنت اعتمادات الانفاق الجـــارى لميزانية الخدمات الذى يبلغ ٦٥١٫٢ مليون جنيه باجمالى الايرادات الجـــارية التى بلغت ٥٩٢٫٦ مليون جنيه لاتضح وجود عجز مقـــداره ٥٨٫٦ مليون جنيه سوف تتم مواجهته عن طريق موارد صندوق الاستثمار.

وتبلغ الايرادات الجـــارية بميزانية الاعمـــال ٧٦٣٫٤ مليون جنيه مقابل ٦٥٦ مليون جنيه للسنة المالية الحالية ، بزيادة تبلـــغ حوالى ١٠٧ ملايين جنيـــه .

وإذا ما قـــورنت الاعتمـــــادات الخاصـــة بالاستخدامات الجارية بميزانية الاعمال وقـــدرها ٨٠٣٫٨ مليون جنيه باجمالى الايرادات الجارية لاتضح وجود عجز مقداره ٤٠٫٤ مليون جنيـــه ينبغى مواجهته من موارد صندوق الاستثمار .

وبالنسبة لقواعد تحديد اعتمـــــادات الابواب المختلفة للميـــزانية الجديدة ، كان لـــزاما على الميزانية ان تراعى سد الثغرة بين تزايد الاجور وتزايد الاستهلاك فارتفاع معدلات زيادة الاجور فى القطاع العام ساهمت مساهمة مباشرة فى زيادة الانفاق الاستهلاكى . فقد وصل مادفعته الدولة فى شكل مرتبات نقدية ومزايا عينية فى الميزانية العامة للدولة وفى شركات القطاع العام الى نحو ٤٠٪ من الدخل المتاح للافراد استهلاكه ، ومايقدر بنحو ٦٠٪ من جملة الاجـــور التى يحصل عليها العاملون فى الجمهورية .

وإذا كانت ميزانية السنة الحالية ٦٦/٦٧ قد نجحت فى الحد من سرعة تزايد اعتمادات الاجور والمرتبات فهبطت بنســـبة تزايدها من حـــوالى ١٣٫٥٪ خلال السنوات الثلاث من ٦٢/٦٣ حتى ٦٥/٦٦ الى حوالى ٧٪ فى عام ٦٦/٦٧ . فان مشروع الميزانية الجديدة قد بلغت صافى الزيادة فى الاجور والمرتبات فيه بحـــوالى ٢٢٫٧ مليون جنيه بواقع ٦٫٧٪ من اعتمادات السنة المالية الحالية وهى نسبة تفوق كثيرا نسبة الزيادة التى سيمكن تحقيقها فى الاستهلاك ، والتى تحـــددت فى السنة الاولى من خطة الانجاز بنحو ٣٫٨٪ .

وفى المصروفات الجارية للميزانية فان المشروع ان لم يكن قد وضع حدا نهائيـــا للاسراف ، فانه اتخذ عددا من الاجراءات التى كان من نتيجتها ان خفضت اعتمـــــادات الباب الثانى فى ميـــزانية الخدمات الى حد ما فى الوقت الذى أمكن فيـــه مواجهة أعباء الجهات التى يعتبر نشاطها أساسيا وحيويا لتنمية الاقتصاد القومى . أما فى ميزانية الاعمال فقد خفضـــت المصروفات العـــامة غير المباشرة بنسبة ١٧٪ . أما المصروفات المباشرة التى تتعلـــق بالنشاط الانتاجى فقـــد ادرجت لهـــا الاعتمادات التى تتفق مع أهداف الانتاج المحددة لها فى الخطة وقد ادخل بعض التطوير على الميزانية الجديدة ، تم بمقتضاه نقل بعض الاعتمادات الى الباب الثانى من أهمها :

- ١٧٨٫٨ مليون جنيه للقوات المسلحة .
- ٤٦٫٤ مليون جنيه لمصروفات خفض تكاليف المعيشة وتنظيم عمليات التموين .
- ٢١٫٣ مليون جنيه للمعاشـــات التى تدفعها وزارة الخـــزانة .
- ٢٤٫٣ مليون جنيه للدين العـــام .
- ٣ ملايين جنيه لتنظيم الاسرة .

وقد بلغ الانفاق الاستثمارى فى الميزانية الجديدة حوالى ٣٩٣٫٣ مليون جنيه مقابل ٣٧٠٫١ مليون جنيه فى عام ٦٦/٦٧ بزيادة قدرها ٢٣٫٢ مليون جنيه . وقد نتجت هذه الزيادة بسبب مقتضيات واعباء مجهودات التنمية التى تتطلبها تنفيذ خطة الانجـــاز .

●

■ فيتنام

نذر «الحرب الصينية ــ الامريكية» فى الافق

تشير دلائل تطورات الحرب الفيتنـــامية الى ان الولايات المتحدة لن تكتفى بما وصلت اليه سياسة « تصعيد » حـــرب فيتنـــام حتى الان ، وانها ستتقدم فى الفترة المقبلة على اتخاذ خطوات اخطر لتوسيع نطاق الحرب ، قد تؤدى الى عبور خط عرض ١٧° وغزو اراضى فيتنام الشمالية نفسها .

وقد بدأت القوات الامريـــكية بالفعـــل فى غزو المنطقة المنزوعة السلاح التى تفصل بين شـــطرى فيتنام . واشارت وكالة انباء الصين الجديدة الى ان ذلك تمهيدا لمد الحرب الفيتنامية الى منطقة الهند الصينية كلها . ومن ناحية اخرى ، اعلن السناتور الامريكى **البرت جور** ، والسناتور **جوزيف كلارك** فى حديث تليفزيونى لهما ، ان زعماء الصين ابلغوا الولايات المتحدة منذ عدة اشـــهر ، ان الصـــين ستتدخل فى الحرب الفيتنامية ، اذا غزت القوات الامريكية فيتنام الشمالية او الصين ، او اذا ضربت الطائرات الامريكية ، الصين بالقنابل .

والحقيقـــة انه اذا كانت تطـــورات الخطـــة السياسية الامريكية تقوم على دفع التصـــــاعد العسكرى للامام فان الاحتياجات التكتيكية للعمليات العســـكرية فى الميدان يمـــكن ان تقود الامريكيين بالفعل الى ضرب مطارات جنوب الصين نفسها .

صحيفة ((نيويورك تايمز)) الامريكية تقول انه « اذا دمرت الطائرات الامريكية جميع قواعد الطائرات فى فيتنام الشمالية ، فقد تضطر طائرات فيتنام الشمالية الى اتخاذ قواعدها داخل اراضى الصين ، واذا صرحت السلطات الامريكية للطيارين الامريكيين ، بمطاردة طائرات فيتنام الشمالية ، فلا مفر من ان تمتد الغارات لتشمل مناطق الحدود الصينية » مما يشكل عاملا بالغ الخطورة لتفاقم الحرب فى جنوب شرق آسيا .

ومما له دلالة فى هذا الصدد ان اوثانت السكرتير العام للامم المتحدة قد حذر اخيرا من « انه اذا استمرت الاتجاهات الحالية فى حرب فيتنام فقد يقع صدام بين الولايات المتحدة ، وبين هؤلاء الذين يساعدون فيتنام الشمالية وعلى رأسهم الصين ثم اشار اوثانت الى ان الحلف الدفاعى المعقود بين الصين والاتحاد السوفيتى ، لا يزال سارى المفعول . وعبر عن خشيته فى « ان نكون الان امام المرحلة التمهيدية للحرب العالمية الثالثة » .

والحقيقة ان عددا من وكالات الانباء العالمية قد اشار الى ان الفيتناميين الشماليين لم يفاجأوا ولم يندهشوا من الغزو الامريكى للمنطقة المنزوعة السلاح ، كذلك كان المتخصص الامريكى الكبير فى الشئون الصينية ادجار سنو قد أشار من قبل الى أن «الصينيين يعتبرون الامريكيين أناس منطقيين» ولذا فهم يعرفون ان ما تريده امريكا فى جنوب شرق آسيا ، ليس هو غزو اراضى بلد ، او عدة بلاد ، وانما هو اثبات ان الثورات وحروب التحرر ، لم تعد ممكنة فى العالم الحالى ، لانها (اى امريكا) قوية بشكل كاف لسحقها جميعا ، وان المنطق الامريكى الذى يعتزم ما سماه « بوقف الشيوعية بالقوة » سيقود الامريكيين الى مهاجمة الصين .

وقد اثارت التطورات الخطيرة للموقف فى فيتنام ، الكثير عن موقف الصين المقبل . ويشير الكاتب الفرنسى ك . س . كارول المتخصص فى الشئون السوفيتية والصينية الى اننا « لا نعرف ما ستكون عليه المواجهة الصينية ــ الامريكية ، ولكن المؤكد ، هو ان الصينيين توقعوها ، وانهم يقبلون مواجهة التحدى الامريكى » ويرى كارول انه لا توجد اية ضرورة داخلية ، تدفع الصين الى المخاطرة ، ولكن الصينيين مقتنعون بأن الامريكيين لن يعدلوا عن حربهم الصليبية فى آسيا ، ما لم يجدوا انفسهم مغروسين فى بلد لا يمكن عمليا الاستيلاء عليه ، وسواء كانوا يعرفون امريكا جيدا ام لا ، فان تحليلهم السياسى يؤدى حقيقة الى هذه النتيجة ، وهى ان حربا طويلة المدى من هذا النوع ، ستثير ازمة فى الولايات المتحدة وتزعزع نظام المحالفات الامريكى .

واذا كان عديد من المراقبين السياسيين الاوروبيين يتساءلون : « لماذا لا يحاول الصينيون ، المقتنعون بحتمية هذه الحرب ، لماذا لا يحاولون الوصول الى تسوية حول فيتنام ترجىء امتحان القوة الى وقت اكثر تأخرا ، وتسمح لهم بتحسين اسلحتهم التقليدية والذرية » ؟

يجيب الكاتب الفرنسى كارول بعد عودته من الصين موضحا « ان ما يقدره الصينيون ، هو ان اية تسوية مهما كان شكلها ، سيكون من شأنها ، اذلال الفيتناميين ، واشاعة اليأس فى كل المحاولات الثورية فى العالم الثالث لعشرات من السنين » .

« وان الخضوع لابتزاز الامريكيين فى فيتنام ، او فى اى مكان آخر ، معناه عندهم الاضرار بفرص الاشتراكية لعشرات من السنين . ومواجهة التحدى الامريكى ، بالرغم من الخطورة الشديدة التى تنطوى عليها ، هى الامكانية الوحيدة لاثارة ازمة عميقة فى المعسكر الامريكى ستكون الحركة العمالية هى الكاسبة منها على كل حال » .

وعلى اى الاحوال فان اختراق الامريكيين للمنطقة المنزوعة السلاح بين شطرى فيتنام ، والاحتمال المتوقع باجتيازهم خط عرض ١٧ الذى تبدأ بعده حدود فيتنام الشمالية ، يمكن ان يضع الحرب الصينية ــ الامريكية التى توقعها ادجار سنو ــ اكبر خبير امريكى فى الشئون الصينية ــ على الابواب فى جنوب شرقى آسيا .

●

■ اليونان

المخابرات الأمريكية تحكم عن طريق ((تنظيم اينه))

كشفت المخابرات الامريكية عن وجهها الحقيقى عندما قررت أن تكلف مجموعة منضباط مخابرات الجيش اليونانى المشتركين فى تنظيم يمينى داخل الجيش يسمى « تنظيم اينه » بعمل انقلاب رجعى فى اليونان لانهاء المؤسسات الدستورية وتصفية العناصر الوطنية ، ولتحول دون وصول الشعب اليونانى لصناديق الانتخاب ليعبر عن غضبه على الرجعية اليونانية المتعاونة مع التحالف الغربى والتى تسندها المخابرات الامريكية حماية لمصالح حلف الاطلنطى .

وقد رأت المخابرات الامريكية ان التحام الجماهير بدأ يتحقق فى السنوات الاخيرة ، استعدادا لفضح دور حلف الاطلنطى ، وكانت انتخابات ٢٨ مايو هى الفرصة التى ستتيح للشعب التعبير عن مطالبه الحقيقية . لذلك قررت المخابرات أن يتم هذا الانقلاب قبل موعد الانتخابات بخمس أسابيع أى يوم ٢١ ابريل وبنفس الصورة التى تتم بها الانقلابات فى أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية .

وقد بدأت المخابرات الامريكية عمليات التصفية للعناصر الوطنية منذ عام ١٩٦٥ بعد اقالة وزارة **جورج باباندريو** رئيس حزب اتحاد الوسط ، والذى ظل حتى وقوع الانقلاب يرأس حزبا ليبراليا يضم أغلبية الشعب فى جبهة وطنية معارضة للقصر ، وكان ينقصها التنظيم الحزبى السليم الذى ظهر خلال السنوات التى اعقبت الخلاف الذى نشب بين القصر وحزب اتحاد الوسط ، والذى كشف عن عناصر وطنية مخلصة داخل حزب اتحاد الوسط تستطيع أن تتولى عنصر المبادرة والقيادة ، وتشكل التحاما حقيقيا لجماهير الشعب اليونانى التى بدأت بلا خوف من المخابرات اليونانية (كيب) تسعى الى تحقيق تحالف مع الحزب اليسارى « ايدا » ، وهو تجمع يسارى ديمقراطى يضم كل قوى اليسار بما فيها الشيوعيين يقف موقف العداء من القصر ، ومن انضمام اليونان الى حلف الاطلنطى ، وسيطرة أجهزة المخابرات الامريكية على كل المؤسسات .

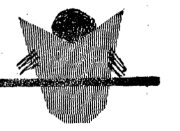
وباسم الانقلاب الرجعى ، وتحت شعارات وطنية زائفة ، اعتقلت الحكومة الرجعية آلافا من السياسيين والنقابيين وزعماء الحركات العمالية والتنظيمات الطلابية ، وقدر عدد المعتقلين بما يتراوح بين عشرة الى عشرين الفا نظرا لان جميع المعتقلين عدا قلة ضئيلة قد تم اعتقالهم وترحيلهم الى جزر اليونان المترامية ، ومن بين المعتقلين **جورج باباندريو** رئيس حزب اتحاد الوسط الذى يتم اعتقاله الان فى منزله ، وابنه **اندرياس** ، **ومتسوتاكيس** وزير التنسيق السابق ، **ومانولى جلازوس** بطل اليونان العظيم الذى صعد الى قمة الاكروبول لينزع علم النازى ويرفع مكانه علم اليونان ، والموسيقار العالمى **ثيودوراكيس** بطل تحرير اليونان الذى اعتقله النازى ثم اعتقلته حكومة الانقلاب الجديد ، والذى وضع أعظم الحان اليونان،ومن بينها **موسيقى زوربا اليونانى وأوبرات اليدرا والكترا** ومئات من الاغانى التى يرددها الشعب كل ليلة فى حى الملاهى «البلاكا» فى اثينا .

وتشكل اليونان أهمية خاصة داخل حلف الاطلنطى ، حتى أن الاعتمادات « الرسمية » التى تحصل عليها ، تبلغ ٨٠ مليون دولار سنويا ، وذلك من جملة اعتمادات المعونة العسكرية التى تقدمها الولايات المتحدة ، للدول المتحالفة معها والتى تبلغ ٢٣٤ مليون دولار سنويا . أى أن اليونان تحصل بمفردها على ١/٣ هذه المعونة ، بينما يبلغ عدد الدول المستفيدة من هذه المعونة ٧٠ دولة ، وذلك علاوة على الاعتمادات غير المنظورة والاعانات الاخرى التى تحصل عليها أجهزة الدولة الاخرى والتى لا تدخل ضمن الميزانية الرسمية للمعونة العسكرية التى يعتمدها البنتاجون ويقرها الكونجرس الامريكى .

وتنفق المخابرات الامريكية بموافقة البنتاجون بضعة ملايين من الدولارات لحماية مصالح حلف الاطلنطى ، ومن بين هذه الملايين اعتمادات خاصة لمنح امتيازات وعطايا لبعض كبار ضباط المخابرات اليونانية بحجة قيامهم بعمليات الكشف عن العناصر اليسارية والمعتدلة المعارضة لحلف الاطلنطى ، وتتعاون المخابرات الامريكية مع هذه المجموعة مباشرة دون علم قيادة الجيش اليونانى ، أومع تغافل رئاسة أركان حرب هذا الجيش ، ويشرف حوالى ٤٠٠ مدرس وخبير أمريكى على تدريب وتثقيف الجيش اليونانى .

ويرأس قيادة القوات اليونانية فى قبرص الجنرال **جريفاس** ، الذى تولى بنفسه الكشف عن صف العناصر الوطنية داخل الجيش اليونانى فى قبرص واكتشف امتداد جذور هذا التنظيم داخل الجيش اليونانى فى اليونان نفسها . وكانت اسبيدا تمهيدا لانقلاب ملكى يمينى داخل الجيش ، وقد ظهرت بذور حركة الضباط الاحرار فى جزيرة قبرص ، وامتدت جذوره الى الجيش اليونانى فى اليونان وحقق هذا التعاون ، عملية الالتحام المستمرة الحقيقية بين العناصر الوطنية داخل الجيش اليونانى وبعض القيادات الشعبية السياسية فى حزبى اتحاد الوسط ، والحزب اليسارى « ايدا » وكانت خطورة هذا التحالف هى السبب فى تحريك القوى الرجعية لدبابات الحلف فى محاولة لتصفية هذا التحالف الوطنى التقدمى بالقيام بانقلاب يمينى ينهى كل هذه الاوضاع .

وبوقوع انقلاب اليونان استطاعت المخابرات الامريكية ، ولفترة غير قصيرة ، أن تضمن بضربة واحدة ، تصفية العناصر الوطنية فى الجيش ، وفى التنظيمات الشعبية الطلابية والعمالية ، وتتضمن فى نفس الوقت بقاء الجيش اطلنطيا ، والاحتفاظ باليونان كمركز للمراقبة ، والحماية لمصالحها فى جنوب شرق البحر الابيض المتوسط ، من نقطة حيوية واستراتيجية تستطيع منها أن تضمن سلامة وصول بترولها من منطقة الشرق الاوسط ، وتستطيع فى نفس الوقت بقاء قبرص ضمن التحالف الغربى عن طريق ضمان ولاء الجيش اليونانى المعسكر فيها لهذا التحالف بحيث تتحول جزيرة قبرص عن طريق الوحدة التى تسعى الولايات المتحدة الى تحقيقها مع اليونان فى ظل هذه الديكتاتورية الفاشية القائمة الآن الى قاعدة جديدة للولايات المتحدة ، قبل تصفية القاعدة البريطانية فيها ، ولتصبح هذه القاعدة الاطلنطية الجديدة مركزا للوثوب على معاقل التحرر فى الشرق الاوسط بعد تصفية العناصر الوطنية التقدمية فى جزيرة قبرص ، وقد بدأت الانباء تتردد عن احتمال وقوع انقلاب رجعى فى الجزيرة لتصفية هذه العناصر تحت زعامة الاسقف مكاريوس (•)




■ مستقبل تصـنيع القطن فى ج٠ع٠م
● تاليف : الدكتور عبد السـلام بدوى

■ من المجـلات الفكرية العـالمية
● مجلة « المجر الفصلية الجديدة »

مسـتقبل تصـنيع القـطن فى الجمهورية العربية المتحدة

● تاليف : الدكتور عبد السـلام بدوى

كتـاب الدكتور عبد السـلام بدوى عن « مســتقبل تصـنيع القطن فى الجمهورية العربية المتحدة» (١) كتاب مهم لاكثر من سبب :

● فلا يزال القطن يمثل ٨٠٪ من الحاصلات المصدرة و٧٥٪ من اجمالى الصادرات (ص ٨٤)

● وتحتل منتجات القطن مركزا هاما بالنسبة للجمهورية العربية المتحدة « اذ تعتبر صـناعته الصناعة الاولى من حيث العمل ورؤوس الاموال والمواد المستخدمة فيها » ص ٤

ومن ذلك انه فى سنة ١٩٦٠ :

● وصل عدد العاملين فى صناعة الغزل الى ٦٩ الف عامل وفى النسيج الى ١٤ الفا (ص٩٢)

● وبلغت جملة الاستثمارات ٨ر٧٥ مليـون جنيه فى الغزل و٥ر١١ مليون جنيه فى النسيـج (ص ٩٦) .

● واسـتخدمت صـناعة الغزل والنسـيج حوالى ٨ر٢ مليون قنطار تمثل ٣٨٪ من اجمالى محصول القطن (ص ١١٤)

● ووصلت قيمة منتجات الغزل ٦ر٧٣ مليون جنيه ومنتجات النسيج ٦ر١٥ مليون جنيه (ص ٩٥)

ولذا نستطيع ان نقول مع المؤلف ان «اقتصادنا القومى يرتكز الى حد بعيد على القطن وصناعته ويرتبط مستقبله بهما لفترة قد تطول الى ان تظهر ثمرات برامج التصنيع (ص ٤)

على ان اهمية الكتاب لاتقف عند حد الموضوع

---

(١) دار الكاتب العربى للطباعة والنشر القاهرة ١٩٦٧ ــ ٤١٥ صفحة

الذي يعالجه ، بل تتعداه الى خطورة القضايا التي يثيرها المؤلف . ولو أننا اوردنا وصفا شاملا لهذه القضايا فهو ماجاء في العنوان من أن الكتاب « دراسة تحليلية لاقتصاديات الصناعة القطنية وكفايتها في نواحي الانتاج ، والتسويق الداخلي ، والتجارة الخارجية » .

ويعرض الكاتب للقضايا المختلفة التي تثيرها اقتصاديات صناعة القطن في ترتيب منطقي متسلسل .

فيبدأ بنظرة عامة الى تطور انتاج القطن وتصنيعه في العالم ثم في الدول المختلفة (الفصل الاول) ثم ينتقل الى الجمهورية العربية المتحدة فيعرض لتطور انتاج القطن ثم للملامح الرئيسية للصناعة القطنية ثم لتطور هذه الصناعة في مشروعات الخطة الخمسية والسبعية (الفصل الثاني).

ويعالج بعد ذلك أسواق الغزل والمنسوجات القطنية المصرية (الفصل الثالث) ثم ينتقل الى بحث المشكلات التي تواجه صناعة القطن في الجمهورية العربية المتحدة (الفصل الرابع).

ومن التحليل السابق يحاول المؤلف ان يتنبأ باتجاهات صناعة القطن في العالم (الفصل الخامس) ثم لا يقف المؤلف عند حد العرض والتحليل بل ينتقل منطقيا من التنبؤ بالاتجاهات المستقبلة الى التخطيط للنهوض بالصناعة القطنية والتوصية بالسياسات (الفصل السادس) .

وفي مجال الحديث عن صعوبة البحث يقول المؤلف ان حقل الصناعة القطنية واحصاءاتها من الاتساع بحيث يضل فيه الباحثون (ص٤) وهي صعوبة تواجه المعلق ايضا . فالكتاب غني بالارقام والاحصائيات والقضايا والاراء بحيث يستحيل ان نعرض لها جميعا في هذا المجال الضيق دون اخلال . ولهذا نقتصر على ما نعتقد انها القضية الرئيسية التي أثارها الكتاب . وهي باختصار ان تكلفة الصناعة القطنية في الجمهورية العربية المتحدة أعلى من الصناعات المنافسة . تنشأ عن ذلك صعوبات في التسويق ، يترتب عليها ضرورة دعم هذه الصناعة واحتمال مستمر لتراكم المخزون ، وهو أمر يهدد اقتصادياتها ويمس الاقتصاد القومي من قريب .

ولنوجز فيما يلي الجوانب المختلفة لهذه القضية:

وقد أورد المؤلف احصائية هامة من الولايات المتحدة قال عنها انه «بعرض لانماط من الدراسات التي تمت في أمريكا لتوزيع الدولار من دخل المستهلك انفق على شراء سلع قطنية بين الخدمات والعمليات المختلفة وذلك بغرض الاهتمام بمثل تلك الدراسات (ص ٢٠٩) والجداول ص (٢٠٧ و ٢٠٨) .

ولعل أهم مايستلفت النظر في توزيع دولار المستهلك للمنتجات القطنية أن عائد المزارعين المنتجين للقطن لم يتجاوز ١٥٪ في المتوسط من هذا الدولار في المدة مابين سنوات ٣٥ الى ١٩٥٨ . بينما ذهب ٨٥٪ من هذا الدولار الى المشتغلين بالخدمات الصناعية والتجارية (ص ٢٠٩) وكان توزيع هذه الـ ٨٥ ٪ كالاتي : ١ر٢٪ للحلج والتعبئة، ٥ر١٢٪ للخيوط المصنعة، ٥ر٢٦٪ للسلع المصنعة و ٨ر٢٪ لتجارة الجملة، ٦ر٣٢٪ لتجارة التجزئة (عن الشكل ص ٢١٠) .

ومعنى ذلك أننا اذا اقتصرنا على تصدير القطن الخام فان ما يعود على البلاد هو ١٥ ٪ فقط من قيمة المنتجات القطنية المباعة في الخارج ، بينما تذهب ٢ر٤٤٪ منها الى الصناعة و٨ر٤٠٪ الى التجارة . فاذا استطعنا ان نصدر القطن في صورة منتجات تقفز العائد الى ٦٠٪ او اربعة أضعاف ما نحصل عليه من تصدير القطن الخام .

ويؤكد المؤلف هذا المعنى بأرقام منشورة عن مصر عام ١٩٥٩ تبين التفاوت الكبير بين القيم المضافة في مراحل تصنيع القطن وما تجلبه عند التصدير . وذلك وفق البيان التالي :

ثمن الكيلو جرام بالقرش من القطن الخام المصدر بعد حلجه فقط ٣٤ قرشا ، قطن مغزول وغير مجهز ٤٦ قرشا ، منسوجات غير مجهزة قماش خام ٥١ قرشا ، قطن مغزول ومجهز بالتبييض وصباغة الفتلة ٥٦ قرشا ، منسوجات مجهزة (بالتبييض والصبغ والطباعة) ٨٧ قرشا . وبينما تبلغ القيمة المضافة قرشين في القطن المغزول تبلغ ١١ قرشا أي خمسة اضعافها في المنسوجات المجهزة (ص ٣٢٨) .

والنتيجة أن هناك مصلحة مؤكدة للبلاد في تصدير القطن مصنعا في شكل منسوجات مجهزة « لان الوحدات الانتاجية المشتغلة بانتاج المنسوجات المجهزة ، تضيف الى الدولة المنتجة لخام القطن قوة شرائية من العملات الاجنبية تفوق نسبيا كل مايمكن أن تحققه وحدات صناعية مشتغلة بعمليات أخرى من تصنيع خام القطن » ص ٣٢٨ .

على أن تصدير القطن مصنعا تواجهه صعوبات جدية، تعبر عنها ارقام المخزون من الغزل ومنتجاته . كان المخزون سنة ١٩٥٤ ٥٦٧٥ طنا تمثل ٨ ٪ من المعروض فقفز سنة ١٩٦٣ الى

٢٢٩١٣ طنا تمثل ١٥٪ من المعروض (جدول ٧٠ ص ٢٢٨) .

وكما يقول المؤلف يمثل تراكم المخزون اختلالا بين معدل الانتاج ومعدل المبيعات الداخليــــة والخارجية (ص ٢٣١) . لقد زاد الانتاج فعلا . كان سنة ٥٥ ٧٣ الف طن من الغزل و٤٧ الــف طن من النسيج فبلغ سنة ٦٤ ١٣١ الفا و٧٥الفا على التوالى . وزاد الاســتهلاك ولكن اختلفت النسبة . فبعد ان كان سنة ٥٥ ، ٦٠ الف طن فى الغزل و٤٢ الف طن فى النسيج بلغ ٩٩ الفا فى الغزل و٧٥ الفا فى النسيج سنة ١٩٦٤ (ص ١١٠ جدول ٢٥)

وقد بلغ المخزون فى سنة ١٩٦٢ سبعة اضعاف حجمه فى نهايةسنة ١٩٥٤ اى بمعدل زيادةمستوى يصل الى ٧٠٪ ، فى حين ان الطاقة الانتــاجية لم تتوســـع الا بمعـــدل ٨ر٥٪ ، وهو معـــدل اقل مما يمكن تحقيقه نظرا لوجود طاقات معطلة بنسبة ٢٠٪ (ص ٢٣٢)

وكل ذلك بالرغم من أن الصادرات قد ارتفعت ارتفاعا كبيرا بفضل سياسة الدولة ومســاعدة الدعـــم . كان اجمالى الصــادر من غزل القطن ٥ر١٠ الف طن سنة ٥٥ فبلغ ٧ر٣٢ الف طن سنة ٦٤ (جدول ٥٨ ص ١٤٦) ، وكان اجمالى الصادر من الاقمشة القطنية ٥ر٢ الف طن سنة ٥٥ فبلغت ٦ر١٥الفطن سنة ٦٤ (جدول٦٤ص١٥٦)

ولكن هذه الزيادة فى الصادرات لم تكن بالقدر الذى يمنع تراكم المخزون او بقاء خمس الطاقة الانتاجية معطلا أو يسمح بتوسع سريعفىالانتاج.

« والمشكلة تمثل ظاهرة عامة تسود موقـــف الصناعة ، وليست مقصورة على شركة دون أخرى بل قد يتأثر بها المستهلك النهائى والاقتصـــاد القومى بصفة عامة » ص ٢٢٦ .

ذلك أن تكاليف المخزون تمثل « أعباء تضغط على رأس المال العامل، هذا الى جانب انخفاض رقم المبيعات وانكماش رقم الايرادات الكلية .. وتقدر التكاليف الاضافية لهذا المخزون غير العادى بالاضافة الى نفقات الانتاج المدفوعة ، بما لايقل عن ١٠٪ من نفقات الانتــاج . فاذا انخفضـــت الايرادات الكلية نحـــو ١٠٪ عن مســتواها ، فضلا عن انخفاض « دوران رأس المال تبعا لهذا التراكم ، فان هذا التراكم سيكون له أثره على ربحية المشروع » ص ٢٢٧ .

ويذكر المؤلف انه على أساس من توزيع معدل — لاالتوزيع الفعلى — فقدبلغت ربحيةالاستثمار فى صناعة غــزل القطن ١٢ر٢٪ من الامـــوال المســـتثمرة عـــام ٥٦ ارتفعت الى ٦ر٤٪ من الاموال المستثمرة عام ٥٨ ، ثم انخفضـــت الى ٩٢ر١٪ من الاموال المستثمرة فى عام ١٩٦٠ . وبلغت ربحية الاستثمار على أساس التوزيع المعدل فى صناعة النسيج ٧ر٤٪ من الامــوال المستثمرة عام ٥٦ ، أما فى عامى ١٩٥٨ و ١٩٦٠ فقد كانت نســبة الربحية على هذا الاســاس بالسالب (ص ١٠٥)

والمشكلة بهذه الابعاد تلح فى طلب البحث عن اسواق لتصريف المنتجات القطنية . ولا يخرج الامر عن السوق المحلى او الاسواق العالمية .

ومن الواضح ان استهلاك الســوق المحلى لايستطيعان يستوعبكل انتاجالمصنوعات القطنية بالطاقةالانتاجية الحالية، ومن باباولى لايستطيع أن يستوعبالتوسعاتالمطلوبة فى الطاقةالانتاجية اذا ماتفقنا انالمصلحةالاقتصادية تستدعىالعدول عن تصدير القطن فى شكل الخام الى تصـــديره مصنوعا قدر الامكان

على انه فى داخل هذا الاطار العام ، من ضرورة التصدير ، فقد تختلف التقديرات عن نصيب السوق المحلى من الانتاج .

ويذكر المؤلف انه فى الخطة الخمسية الاولى كان الهدف هو الوصول بانتاج الغزل الى ١٢٠ الف طن يوجه منها سبعون الفا الى الاســتهلاك المحلى وخمسون الفا الى التصـــدير (ص ١٣٥)

واختلفت هذه التقديرات عن النتائج الفعلية فزاد الانتاج عن المقدر ويصل سنة ٦٥ الى ١٣٥ الفا ولم تتجاوز الصـــادرات ٣٥ الفا فى سنة ١٩٦٥ (ص ٢٧٠) أى انها نقصت عن المقدر فىالخطة . وعلى العكس زاد الاستهلاك المحلى عن المقدر فوصل الى ٩٩ الفا فى سنة ١٩٦٤ (ص ١١٠)

أما عنالخطةالسبعية ٦٥ — ٦٦ الى ٧١ — ٧٢ فيذكر المؤلف رقمين عن الانتاج المستهدف مرة ١٧٢ الف طـــن (ص ١٣٥) ومرة ١٩٩ الف طن (ص ٢٧١) ويبدو ان الرقم الاول يخص الخطـــة الخمسية الثانية قبل تعديلها الى خطة ســـبعية (جدول رقم ٥٠ ص ١٣٦) . فاذا اخذنا بالـــرقم الاخير فان المؤلف يشير الى ان مؤسسة الغزل لم تبين الاساس الذى بنيت عليه تلك التقديرات (ص ٢٧١)

ولكن المؤلف يقدر على أساس من زيادة السكان فى نهاية الخطة الى ٣٦ مليون نسمة وعلى أساس متوسط استهلاكالفرد فى مصر فى السنواتالخمس الماضية أن نصيب الاستهلاك المحلى سوف يصل

الى حـوالى ١٢٢٫٨ الف طن (ص ٢٧١) وهو مايتركنا بحوالى ٧٦ الف طن للتصدير فى صورة غزل او بعد تحويلها الى منسوجات .

على أن مؤسسة الغزل تقدر حجم الصادرات بحوالى ٥٧ الف طن على ضوء الزيادة السنوية فى حجم الصـادرات (ص ٢٧٢) ويقدرها المؤلف بحوالى ٥٤٫٦ الف طن غزل مصدر و٦٩٫٧ الف طن غزل لانتاج منسوجات للتصدير اى حوالى ٧٤٫٣ الف طـن وهو ما يقرب من الفـرق بين الانتاج والاستهلاك المحلى .

فهل ينتظر ان تختلف تقديرات الخطة الثانية عن النتائج الفعلية لها بنفس الفارق الذى شاهدناه فى الخطة الاولى ؟ . من الصعب التنبؤ وان كان يمكن القول ان الاستهلاك الداخلى فى الخطة الاولى قد ازداد زيادة كبـيرة بينما لا ينتظر ان يـزيد الاستهلاك بنفس السرعة فى الخطة الثانية لانه اذا كان نجـاح خطة التنمية يتوقف عـلى زيادة مطردة فى الاستهلاك لتصريف السلع المنتجة الا ان نجاح الخطة وسرعة التنمية تتوقفـان ايضا على تحديد نسبة الزيادة فى الاستهلاك بحيث تقل عن نسبة الزيادة فى انتاجية العمل .

وترتيبا على ماسبق نستطيع القول بأنه من غير المنتظر أن تختلف تقديرات الاستهلاك المحلى فى الخطة السبعية كثيرا عن النتائج الفعلية، واننا مواجهون لذلك بتصدير مايقرب من ٧٦ ألف طن الى الاسواق الخارجية .

وهو مايطرح على البحث مشكلات تصـدير المنتجات القطنية بل ومستقبل صناعات القطن فى الجمهورية كاملا ..

ويتوقف نجاح التصدير على عاملين : وجـود سوق عالمية نامية للمنتجات القطنية من ناحية وامكان التصدير بأسعار منافسة من ناحيـة أخرى .

أما السوق العالمية للقطن فان أخطر مايهددها و الزيادة فى استهلاك الالياف الصناعية .

لقد ارتفع استهلاك الالياف النسجية فى العالم طبيعية وصناعية ، من ٨٫٨ مليون طن سنة ٤٨ الى ١٣٫٤ مليون طن سنة ٥٨ ثم الى ١٧ مليون طن سنة ٦٤ . وكان ذلك بسبب ارتفاع مستوى المعيشة وزيادة عدد السكان فى العالم (ص ٢٥١) .

ونتيجة لذلك زاد استهلاك القطن زيادة مطلقة من ٦٫٥ مليون طن سنة ٤٨ الى ١٠٫٣ مليون طن سنة ٦٣ بزيادة ٥٨ ٪ (ص ٢٥١) .

ولكن نسبة الزيادة فى استهلاك القطن تقل كثيرا عن نسبة الزيادة فى استهلاك الاليـاف الصناعية . ونتيجة لهذا أخذ نصيب القطن من مجموع الالياف النسجية يتناقص بالتدريج سنة بعد أخـرى . فبينما كان القطن يمثل ٨٥٪ من مجموع الالياف النسجية فى العالم فى سنة ١٩٢٠، اذ به يتنـاقص الى ٨٢٪ سـنة ٢٩ ، ٧٤٪ سنة ٣٩ وسنة ٤٩ ، و٦٨٪ سنة ٥٩ ليصـل الى ٦٤٪ سنة ٦٤ ، وعلى العكس من ذلك قفز نصيب الالياف الصـناعية من أقل من ١ ٪ سنة ١٩٢٠ الى ٣٧ ٪ سنة ٦٤ (ص ٢٤٩) .

ومن الارقام التى سردها المؤلف نسـتطيع ان نستخلص أن الزيادة فى انتاج واستهلاك الالياف الصناعية لم تمنع ولا ينتظر أن تمنع الزيادة فى استهلاك القطن بفضل نمو عدد السكان فى العالم والارتفاع المستمر فى مستوى المعيشة . ويرى المؤلف أن متوسط الزيادة فى استهلاك القـطن بلغت حوالى ١٠٠٫٠٠٠ طن سنويا وهومايتمشي مع زيادة سكان العالم بين ٣٥ الى ٤٠ مليون نسمة فى السنة (ص ٢٦٩) .

ولكن ظهـور الالياف الصناعية انضـم الى التصنيع فى البلاد النامية والحديثة ليجعل مـن سوق المنتجات القطنية سوقا شديد المنافسة .

وتدل الإحصاءات على أن عدد المنازل القائمة حوالى ١٢٧٫٥ مليون والعاملة منها حوالى ١١٦٫٦ مليون فى سنة ١٩٦٣ (ص ٢٠) . هذا فى الوقت الذى أخذ فيه عدد المنازل يزداد فى كل من أفريقيا واسيا وأمريكا اللاتينية وتتناقص فى كل من أوروبا وأمريكا الشمالية بسبب منافسة الالياف الصناعية وبسبب الانكماش فى الاسواق الخارجية أمـام منتجات اوروبا وأمريكا (ص ٢٠) . وهكذا أخذ الانتاج فى أوروبا وأمريكا يقتصر على اشـباع الحاجات المحلية (ص ٢٤٧) ، بينما ظهرت الصين الشعبية ونشطت الهنـد والباكسـتان وغـزت منتجاتهما الرخيصة اسواق امريكا وبريطانيا وغرب اوروبا (ص ٢٤٧) .

والخلاصة أن سـوق القطن العـالمية مازالت نامية رغم منافسة الالياف الصـناعية ، ولكنها سوق شديدة المنافسة تخسر فيها أوروبا وأمريكا وتكسب فيها الصين والهند بسبب رخص الاسعار .

وهو مايجرنا الى أخطر العقبات التى تواجه تصدير المنتجات القطنية فى الجمهورية وهو ارتفاع التكلفة . اذ تزيد اسعار المنتجات القطنية فى

الجمهورية بحوالى ١٥ في المائة الى ٢٥ في المائة عن الاسعار العالمية (ص ٢٦٧).

وقد لخص المؤلف أهم العوامل التى أدت الى ارتفاع التكلفة فى الاتى : ١ — استخدام القطن المصرى فى صناعة الغزل المتوسط والسميك وهو قطن مرتفع السعر ، ٢ — ارتفاع تكلفة الاجور بسبب انخفاض انتاجية العمالة ٣ — ارتفاع التكاليف الادارية واستهلاك الاصلال . ٤ — ارتفاع نسبة العوادم ٥ — الاعتماد على المعدات الراسمالية والالات من الخارج ٦ — الافتقار الى الدراسات العلمية والفنية (ص ٢٤٢) ونعرض لاهم هذه العوامل فى ايجاز شديد :

أما عن ارتفاع اثمان المواد الاولية اللازمة للصناعة القطنية :

يمثل القطن الخام حوالى ٧٠ فى المائة من اجمالى التكاليف الصناعية (ص ١٧٩) وتعتمد الصناعة المصرية أساسا على الاشمونى فى انتاج الغزول المتوسطة والسميكة . وبينما يصل سعر القطن الهندى ٢٠ بنسا للبرة يصل الاشمونى الى ٣٣ بنسا (ص ١٨٣).

وتتراوح نسبة العوادم فى مصر بين ٩٪ ، ١٢٪ وهى لا تتجاوز ٧٪ فى المصانع الاجنبية .

يضاف الى ذلك تقلبات الاسعار والتى كانت تصل فى الاشمونى الى ٤٧ فى المائة بين سنة واخرى (ص ١٨٠) الى ان تدخلت الحكومة وثبتت الاسعار .

وتستعمل الصناعة الكيماويات والاصباغ وتبلغ قيمة هذه المواد الى التكاليف الكلية من ٢٪ الى ٣٪ (ص ١٩٠) .

وينتج مصنع الاسكندرية الذى تديره شركة مصر للكيماويات الصودا الكاوية ولكنه يبيع منتجاته بسعر ٥٥ جنيها مصريا للطن بينما سعر الطن سيف هو ٢٠ جنيها مصريا (ص ١٩٠).

ولا تتجاوز قدرة المصانع الحالية ٢٥ الف طن سنويا ولذلك نستورد حوالى ٣٠ الف طن من الخارج . وتحمل بضرائب جمركية وعلاوة عملة ورسم استيراد ومصاريف أخرى تصل فى نهاية الامر الى مضاعفة السعر تقريبا . وفى الغالب يصل ثمن شراء الطن مضافا اليه مصاريف النقل والتأمين والرسم القيمى ورسم الاحصاء ومصاريف التخليص والبنوك حوالى خمسين جنيها فاذا اضيف الى ذلك ربح الشركة التجارية المستوردة ١٠٪ لاصبح سعر البيع ٥٥ جنيها (ص ١٩١)

ويناقش المؤلف ثلاثة حلول للتغلب على ارتفاع سعر القطن الخام :

الحل الاول هو استيراد اقطان اجنبية قصيرة التيلة بدلا من الاقطان المصرية التى تستخدم فى انتاج الغزول السميكة (ص ٣٠٩) . وبين ان مزايا هذا الاستيراد هو توفير حوالى ٦ مليون جنيه فرق سعر قطن (ص ٣١١) . وامكان زيادة الصادرات من القطن الخام بـ ١٫٩ مليون قنطار اشمونى رتبة ج — فج تجلب ٧٫٥ مليون جنيه (ص ٣١١) . الا انه بين أن هناك صعوبات فنية واقتصادية مختلفة منها ضرورة تعديل الالات بحوالى اربعة ملايين جنيه استرلينى (ص ٣١٤) ، ومنها خطورة انتشار الافات . وأخيرا ان فرق السعر بعد التشغيل لايتجاوز ١٢٫٥ فى المائة فى غزل نمرة ٢٠ وهو فارق لا يعوض فرق الجودة والمتانة للمستهلك المصرى (ص ٣٢٠).

الحل الثانى : استيراد غزول اجنبية وتصدير غزول مصرية (ص ٣٢١) . وبين المؤلف بالارقام أنه رغما عن أن فرق سعر الغزل الهندى عن المصرى يصل الى ٣٠ فى المائة فان فرق سعر القماش بعد التشغيل لايتجاوز ٥ فى المائة كما أن تصدير الغزل المصرى باسعار منافسة سوف يهبط بالفرق بين السعرين الى ٥٪ كذلك (ص ٣٢٣) وذلك بصرف النظر ايضا عن المتانة والجودة بالنسبة للمستهلك المصرى .

الحل الثالث : تصدير خيط نمرة ٢٤ وقطن خام واستيراد خيط نمرة ١٢ (ص ٣٢٥) ويقدر المؤلف نسبة الوفر فى النقد الحر بحوالى ٦٫٢ فى المائة ومرة اخرى يرى أنها لاتساوى خسارة المستهلك المصرى فى قوة الشد والمتانة (ص ٣٢٥) . وينتهى المؤلف الى التوصية بعدم استيراد اقطان أجنبية وان كان لايمانع فى النظر فى استيراد غزول من نمرة ١٢ ، ١٤ ، ١٦ لاجراء تجارب عليها للتأكد من النتائج التى وصل اليها نظريا (ص ٣٢٦).

أما عن الاجور والانتاجية :

وتمثل الاجور فى صناعة الغزل والنسيج مابين ١١ فى المائة و ١٦ فى المائة من جملة التكاليف (ص ٣٠٦) ولذلك تعتبر الاجور اهم عنصر فى حساب تكلفة الانتاج بعد ثمن الخامات مباشرة (ص ١٩٥) .

ومن الواضح ان نصيب الاجور فى تكلفة المنتج النهائى لاتتحدد بمستوى الاجور فحسب بل بانتاجية العمالة ايضا (ص ٢٠٦) .

وتلعب الاجور دورا هاما فى مجال المنافسة الدولية نظرا لان الفروق الدولية فى الاجور أكبر من الفروق الاخرى لمختلف عناصر التكلفة (ص ١٩٨)

ويخيل للمعلق انه يمكن تضييق آراء الصعوبات التي أوردها المؤلف في شأن استيراد الاقطان والغزول الاجنبية ، أن عامل الانتاجية يصبح أهم عامل يخضع لتحكمنا في سبيل خفض التكلفة .

ويذكر المؤلف أن متوسط أجر الساعة بالفرنك السويسري للغزل هي ٥ر٢ فرنك في سويسرا و ٢ر٢ في المانيا الغربية ، ٢ في انجلترا ، ٧٠ ر في الجمهورية العربية ، و٦ر في اليابان (ص ٢٠٢)

ولكن هذا الفارق في الاجور يضيعه انخفاض انتاجية العامل في الجمهورية . فعدد المغازل التي يشتغل عليها أربعة عمال في أوروبا يشتغل عليها في مصر ٥ر٦ عامل (ص ٢٠٢) .

بالاضافة الى أن متوسط انتاج الغزل ساعة من نمرة ٢٠ هوعشرين جراما في اوروبا و١٦ جراما فقط في مصر (ص ٢٠٢) .

ويصل المؤلف الي نفس النتيجة بالنسبة لعمال النسيج . فانتاجية العامل في مصر تقل ٢٥ في المائة عند العمل على الانوال نصف الاوتوماتيكية وتقل ٦٠٪ عند العمل على الانوال الاوتوماتيكية (ص ٢٠٤) .

ومن الأرقام التي يوردها المؤلف نستطيع أن نلاحظ أنه بينما بلغت الزيادة الفعلية في الأجور ٤٠٪ (ص ٢٠٦) فان انتاجية ساعة العمل بالقيمة المضافة لم ترتفع في الغزل الا من ١١٣ مليما الى ١٢٤ مليما أى أقل من ١٠٪ ، وهى قد انخفضت في النسيج من ٩١ مليما الى ٧٧ مليما (ص ١٠٧) .

ويورد المؤلف من تقرير مؤسسة جرسي ارقاما أخرى عن الانتاجية في الغزل فبينما ينتج العامل في مصر من نمرة ٢٠ حوالى ١٦ جراما في الساعة فانه ينتج في أوروبا المتوسطة ٢٢ جراما وفي أوروبا المتقدمة ٢٧ جراما .

ولكن التقرير يبين حقيقة أخرى هامة وهى أن انتاجية العامل في الجمهورية تقارب انتاجية العامل في أوروبا في الغزل الرفيع وأنه بعد نمرة ٧٠ فان الانتاج يكاد يكون متقاربا (ص ٢١٨) .

ويبين التقرير كذلك أن «مصانع الغزل تستنفذ جهودها في انتاج غزل متوسط حتى نمرة ٤٦ في حين أن نفس هذا الجهد يمكن الاستفادة به في انتاج غزل رفيع حتى نمرة ٧٨ في نفس وحدة الزمن . وبذلك يمكن انتاج غزل رفيع غالى الثمن بدلا من الغزل السميك والمتوسط الرخيص الثمن » (ص ٢١٨) .

ويبدو من الارقام التي يوردها المؤلف أن التحول الى الغزل الرفيع وان كان قد بدأ الا انه لايزال بطيئا . فقد انخفض متوسط المنتج من الغزل السميك من ٧٩٪ سنة ٥٢ الى ٦٢٪ سنة ٦٤ ، بينما ارتفع نصيب الغزل المتوسط (نمرة ٢٤ الى ٦٠) من ٢٠٪ الى ٣٦٪ ولم يزد الغزل الرفيع الا من ٥ر٪ الى ٦ر١٪ (ص ١١٧) ، ويبلغ الغزل المتوسط حاليا حوالى ٤٩٪ من الصادرات العامة و٤ر٢٪ من الصادرات العالمية ويبلغ الغزل الرقيق ٥ر٥ في المائة من الصادرات و ٤ر١ في المائة من الصادرات العالمية (ص ١٢٧) .

ومن أهم النتائج التي وصل اليها تقرير مؤسسة جرسي ان الوضع الفعلى للمغازل المسجلة يعتبر غير اقتصادي ولا يمكن أن يؤدى الى انتاج غزل باسعار مخفضة (ص ٢١٤) وان الشروط الفنية لانتاج غزل رفيع موجودة أساسا ولكن لابد من ادخال تجديدات في اقسام التحضير والغزل (ص ٢١٥) وتقترح مؤسسة جرسي عدم ادخال اضافات رأسمالية في الغزل الرفيع حتى تستوعب السوق المحلية والخارجية الانتاج الحالي . ذلك ان التصدير لا يتوقف على الامكانيات الالية فقط بل يجب توافر التشغيل والادارة والتنظيم المناسب والتدريب المستمر للجهاز العامل حتى تتوافر المعرفة الفنية لتحسين ظروف الانتاج (ص ٢١٥) .

ويناقش المؤلف عددا من الاقتراحات الضرورية لرفع الكفاية الانتاجية ، منها التدريب المهنى (ص ٣٣٢) وزيادة عدد الفنيين المؤهلين في الصناعة (ص ٣٣٣) واعادة تنظيم الصناعة لاستخدام الاساليب التكنولوجية السليمة (ص ٣٣٤) واستبعاد المصانع الصغيرة والمتوسطة من حقل التصدير (ص ٣٣٤) والاستعانة بالخبراء الاجانب (ص ٣٣٥) وأخيرا اعادة تنظيم المؤسسة (ص ٣٣٥) .

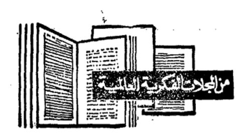
فاذا أضفنا الى ماتقدم أن قسط الاستهلاك يصل في الجمهورية الى عشرة أمثال ماهو عليه في الخارج (ص ٢٢٣) وان تكلفة الوقود والقوى المحركة تصل الى ضعف ما هى عليه في البلاد المتقدمة ، وان نصيب الفوائد أكثر ارتفاعا لاستطعنا ان نلخص الموقف مع المؤلف في ان الصناعة المصرية :

« وان كانت لها المقدرة بالوسائل المقررة حاليا على البيع لاسواق الدول التي ترتبط بها باتفاقيات دفع بالجنيه المصرى الا انها عاجزة — مع ماتحصل عليه من اعانة — على الصمود في مضمار المنافسة في أسواق العملات الحرة ومجاراة الاسعار التي تقل عن أسعار التصدير للانتاج المصرى بمقدار ٦٪ او ٧٪ بالنسبة للغزل ومن ١٠٪ الى ١٢٪ بالنسبة للاقمشة» (ص ١٨٧) .

وبعد فاننا لم نتمكن من التعرض لكثير من الجوانب والاقتراحات التى عالجها المؤلف فى كتابه .

غير اننا لا نستطيع ان نختتم كلامنا دون ان نتعرض لجانب هام فى الكتاب وهو التخطيط للدراسة العلمية لاقتصاديات الصناعة القطنية .

وقد اشار اليها المؤلف فى القسم الأول من الفصل السادس بعنوان استخدام الاسلوب العلمى لتخطيط الصناعة القطنية ثم ضرب عليه مثلا عمليا فى الفصل السابع وهو بحث ميدانى لقياس الكفاية الانتاجية بين عدد من الوحدات القائمة بالصناعة القطنية فى الجمهورية العربية المتحدة .



أيام الشعر في بودابست

● مجلة « المجر الفصلية الجديدة »

يضم العدد الجديد من المجلة المجرية الفصلية الجديدة ، عددا من الابحاث الهامة حول علاقة المجر بأوروبا لجانوس بيتر ، ونحو انسانية جديدة لروجر كياليوس والعلاقات الفرنسية المجرية الثقافية لتوماس سكريبر ، والخطة الخمسية الثالثة للمجر بقلم بيتر فالاى وستيفان هيتينى ، ثم اليقظة وعنق الزجاجة فى نمو المجر الاقتصادى لامرى فاجدى . وكذلك يضم العدد مجموعة الوثائق التى اسفر عنها مؤتمر الشعر فى بودابست وهو المؤتمر الذى دعى باسم « **أيام الشعر** » وعقد ابان الفترة التى تقع بين يومى ١٨ و ٢٢ اكتوبر ١٩٦٦ . والوثيقة الأولى هى نص الكلمة التى القتها **جيلا الياس** تحت عنوان « **عالمية الشعر** » وفيها تقول انه بالرغم من ان الشعر رؤيا انسانية شاملة ، الا انه يمكن النظر اليه بالعين الفنية لكل أمة او كل قارة . وهى العين التى تتلون بالخصائص القومية للشعوب . على ان هذه الخصائص لا تضعف من انسانية الشعر وعالميته ، بل هى تكسب هذا الشعر او ذاك «طعما خاصا» نميز به فى النقد الحديث بين درجات الاصالة وتفاوتها من جيل الى جيل ، ومن مجتمع الى آخر .

وتستطرد جيلا الياس قائلة ان الشعراء على اختلاف اتجاهاتهم الفنية ، يختلفون عن رجال الفكر والفلسفة فى انهم ينظرون الى العالم بعيون واسعة تشبه عيون الاطفال . وهذا هو السر الذى يجعل من التقارب بينهم امرا ممكنا . وبالرغم من ان هناك بعض الظواهر المادية كالظواهر الاقتصادية ، هى بالفعل ظواهر عالمية ، فهناك « **عالم** » رأسمالى ، وهناك « **عالم** » اشتراكى ، كما انه فى الماضى كان هناك « **عالم** » اقطاعى وآخر « عبودى » ، لا ان عالمية الشعر تختلف اختلافا جذريا عن عالمية الظواهر المادية . فالابنية الاقتصادية ظاهرة عالمية « **من خارج الانسانية** » اما الاداب والفنون ، والشعر بخاصة ، ظاهرة عالمية « **من داخله** » . ولا شك ان هناك تفاعلا حيا عميقا بين الداخل والخارج فى ذات الانسان ، وبالتالى ذات الفنان المبدعة . الا ان الوحدة الروحية الغائرة فى وجدان الانسان ، هذه الوحدة التى تخلقها الفنون ، هى اعمق بكثير من حيث الفعالية والقدرة على التأثير والتغيير ، من الوحدات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، الطارئة والدائمة على السواء . ذلك ان الاتصال الوجدانى بين البشر ، **اى وحدة الانسانية على الصعيد الروحى ، لا تتم بمعزل عن تطور الهياكل الاجتماعية التى نعيش فى ظلها لحما ودماء ، ولكن الاتصال الوجدانى غير الفنون — وتتخذ من الشعر مثالا هنا — لا يتم الا بتصفية عوامل الفرقة فى النفس الانسانية ، وتنمية عناصر التجمع والتوحيد . ومن ثم فان عالمية الشعر ، هى بالدقة ، انسانية الانسان ، التى يحاول الشاعر فى كل زمان ومكان ، اكتشافها . فهذا الاكتشاف هو الذى يمنح الشعر العظيم ما نطلقه عليه من صفات الرؤيا الانسانية الشاملة .**

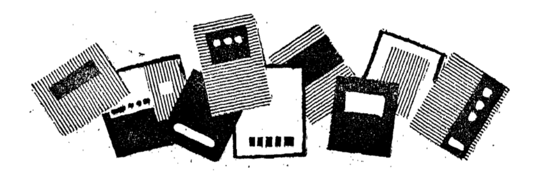
والوثيقة الثانية فى هذا المؤتمر ، كانت **لادوين** مورجان فى محاضرته عن « **الشعر والترجمة** » حيث قال « اننى ارى فى ترجمة الشعر فنا متطورا يومىء بان طريق نموه مازال فسيحا ، وعلينا ان نعترف من البداية ان حرفة الترجمة من اكثر

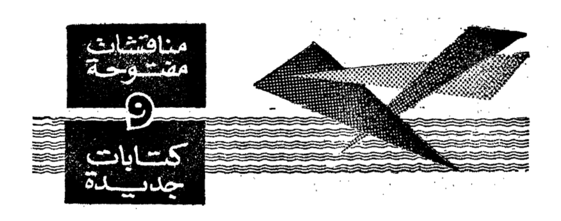
المهن حاجة الى الصبر الطويل . بعد هذا سوف نضع ايدينا على نتائج مبشرة .. فلا ريب ان قرننا العشرين يفخر بان حضارته الفنية قد استطاعت ان تحصل فى لغات متعددة على ترجمات رائعة لاشعار اليوت وباوند واودن وسلفاتور كوازيمودو وبوريس باسترناك . اننا نعيش فى العصر الذى نال فيه الشاعر الاجنبى عن احد البلدان ذيوعا لا يقل شعبية عن الشاعر المحلى لهذا البلد . اقول ذلك بالرغم من كل ما يوجه الى الشعر « الحديث » من اتهام بالغموض يباعد بينه وبين القارىء ، وبالرغم من كل ما يوجه الى الجمهور من انه لم يعد يلتفت الى الادب والشعر خاصة . فنحن نستطيع باحصائيات لا تقبل الجدل ان ارقام توزيع الشعر الانجليزى والفرنسى والامريكى والروسى تكاد تحتل مقدمات القوائم السنوية للكتب « **المتازة فى البيع** » اى المربحة للناشرين . فاستقبال الشعر من جانب الانسان المعاصر يتجاوز استقبال انسان العصور الماضية مجتمعين . وعلينا فى هذا الصدد ان نذكر بعض « **اجهزة القرن العشرين** » التى اسهمت فى « **حسن الاستقبال** » الذى ووجه به الشعر المعاصر ، فلا شك ان الاذاعة والتليفزيون والاسطوانة ، واحيانا السينما ، قامت جميعها بجهود عظيمة لتوصيل « **وهج الخلق الشعرى** » الى وجدان المتذوق .

من هنا لابد من القول — يستطرد اودين مورجان — بان « **ترجمة الشعر** » باتت رسالة خطيرة مهما تفاوتت السلبيات والايجابيات التى اثمرتها التجربة على مر الاجيال والعصور . ولا عبرة بما يقال من ان الترجمة خيانة للنص الاصلى بصورة من الصور . فالحق ان هناك بعض الترجمات المعاصرة التى تضيف مزيدا من الصدق على العمل الفنى المنقول . وذلك بواسطة الدراسات الموسوعية التى يقوم بها المترجم — الذى اعنيه — حول ظروف العمل الفنى المراد ترجمته ، الظروف الذاتية والموضوعية . فهو يتفقه فى اللغتين — الاصلية والجديدة — ويتذوق آدابهما ويدرس المناخ الاجتماعى والسيكلوجى العام لهذه الاداب ، فالعناصر التى شاركت فى تكوين الشاعر المترجم . حتى انه اصبحت هناك « **نظرية الترجمة** » تشترط فى المترجم الحقيقى الالمام بهذه الدراسات الموسوعية التى اشرت اليها . ومن هنا تكاد الترجمة ان تصبح « **علما** » لا فنا ، اى انها لا تتطلب مجرد التذوق الجيد ، بل المعرفة الواعية .

هذه النقطة تجرنى بالطبع الى فكرة « **التخصص** » فى الترجمة . فالترجمة الشعرية ، ولا اقصد بها ان اشترط ترجمة الشعر من احدى اللغات ، الى النظام الشعرى المعمول به فى اللغة المترجم اليها ، وانما اقصد بالترجمة الشعرية ان يكون صاحبها متخصصا فى ترجمة الشعر فقط . ذلك ان هذا التخصص يتيح له بحق ان يكون « عالما » فى اللغة والنحو والصرف والاوزان والعروض والاصوات ، وما الى ذلك من « علوم نوعية » توفر له الفهم الاسلم والاعمق للنص الذى يقوم بترجمته . هذا بخلاف ما ذكرناه عن الخلفية الثقافية التى لا غنى عنها .

وقبل ان يختتم مورجان محاضرته يقول : ان هذه الشروط الاكاديمية المرهقة هى التى خلقت المترجمين العظام فى اللغات اليونانية من ناحية ، والانجليزية والفرنسية من ناحية اخرى . فقد نقل هؤلاء التراث الكلاسيكى الخالد الى اللغات الحية الحديثة ، كاروع ما يكون النقل وابقاه . وسوف تظل البشرية مدينة لهم بدرجة لا تقل كثيرا عما تدين به لاصحاب هذا التراث انفسهم . الا ان هذه الشروط الاكاديمية نفسها ينبغى ان تقابل من جانب المجتمع — سواء كان الناشر هو الدولة او الفرد — بالمكافآت السخية التى تهيىء المناخ الصالح لازدهار المترجم العظيم . الى ان ينتهى من حديثه قائلا « .. **ولا بد من ان اقول فى النهاية ان ترجمة الشعر ليست الا ذلك المزيج الفريد المركب من المعرفة والشعور . انها عمل غاية فى الصعوبة ولكنه — قبل المجتمع — يكافىء صاحبه باعظم رحلة يمكن ان يقوم بها انسان فى هذا الوجود رحلة الى اعمق اغوار الوجدان البشرى** » .





كتابات جديدة

مستقبل الحرف والصناعات الصغيرة .. فى مصر

عطية الصيرفى

المواطن عطية الصيرفى ، العامل بشركة اتوبيس وسط الدلتا ، يطرق فى هذا المقال ، موضوعا من الموضوعات التى لم يكتب فيها كثيرا .. برغم اهميتها . وهو هنا ، اذ يعبر عن وجهة نظره الخاصة فى مستقبل الحرف والصناعات الصغيرة فى مصر ، انما يقدم نموذجا طيبا للعامل المثقف الذى يعى مشاكل وطنه ، ويعايشها ، ويجتهد فى ابداء راى فيها .. مخلص وجاد .

العصر الذهبى للصناعات الصغيرة

الحرف والصناعات الصغيرة فى بلادنا قديمة قدم الحضارة المصرية نفسها ـ شهدت عصرها الذهبى فى العهد الفاطمى . فقد امتلات الاسواق والدكاكين بالسلع التى انتجت بمعرفة الصناع المصريين . وبجانب هذا فقد كانت هناك بعض المنشطات التى ساعدت على ازدهار حركة الصناعة وتدعيم الحرف فى مصر اهمها :

أولا : ما استحدثه الفاطميون فى التقاليد الدينية فهم أصحاب فكرة مولد النبى ومولد الحسين ومولد السيدة زينب وكل الاولياء الصالحين ، حيث كان لهذه الموالد هدفا اقتصاديا وتجاريا .. فقد كانت بمثابة أسواق للنشاط التجارى فى مصر جماهيرها تقبل على شراء كل احتياجاتها السنوية فمثلا كان مولد السيد البدوى الذى يحضره مئات الالاف سببا فى جعل مدينة طنطا اكبر مركزا تجارى فى الوجه البحرى. كما استحدث الفاطميون فكرة المواسم والمواكب الدينية وكانت كل هذه المواسم مناسبات لزيادة البيع والشراء للسلع المصرية ولذلك زادت وتحسنت صناعة الحلوى والمنسوجات التيلية والحريرية .

ثانيا : كانت الحرف والصناعات من اهم اسلحة الدولة الفاطمية لتجعل من القاهرة عاصمة للخلافة الاسلامية تنافس بغداد (دولة العباسيين) في كل شيء .

ثالثا : نشط الفاطميون في عملية تطوير الفن الاسلامي ففي عهدهم ابتدع الصناع المصريون مئذنة المسجد والمنبر العالى ذا الدرجات، المزركش والمحاط بالاعلام والرايات،كما ابتدعوا دكة الجمعة وأدخلوا النقش والزخرفة الى بيوت الله حتى لقد أصبح المسجد الفاطمى تحفة رائعة بعكس المسجد القديم الذى لم يعرف المئذنة والمستحدثات الفاطمية مثل جامع عمرو بن العاص بالقاهرة ، ولذلك كان الجامع الازهر مثلا رائعا للمسجد الفاطمى حيثتشهد مآذنه وبناؤه علىعظمة وقدرة عمال البناء والمعمار المصريين . خاصة وأن بناء المئذنة في هذه الظروف كان يتطلب جهودا شاقة ودقة بالغة ــ كما اكتسب صناع النقش والزخرفة والنجارة مهارة فائقة ، ومثال ذلك منبر المسجد الاحمدى بطنطا « مسجد السيد البدوى » الذى صنعه الفنان **السيد شلقم** حيث جمعه من قطع صغيرة الحجم دون ان يستعين بمسمار واحد .

نكسة الحرف والصناعات الصغيرة

ان زوال الدولة الفاطمية كان بمثابة زوال العصر الذهبى لهذه الصناعات حيث وجدت بعض العوامل التىاضعفتها شيئا فشيئا حتى كادت تهدد وجودها وتتلخص هذه العوامل في :

● تعدد الضرائب التى فرضت على الصناع دون نظام أو لائحة أو قاعدة ثابتة ، مما زاد من تعددها ودوام ارتفاعها ، وتحصيلها عنوة وقبل موعدها في اغلب الاحيان ، وازاء هذه الفوضى والارهاق اضطر كثير من الصناع الى هجر مهنهم .

● اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح الذى أدى الى كساد الحياة الاقتصادية في مصر ، ومنها الصناعات الحرفية والدقيقة ، فقد انخفض عدد قوافل المسافرين عبر الصحراء المصرية بين البحر الابيض المتوسط والبحر الاحمر وهى القوافل التى كانت تحصل على كل احتياجاتها وجزء من السلع المصنعة بواسطة الحرفيين للاتجار بها من مصر .

● ساهم الفتح العثمانى سنة ١٥١٧ بدور فعال في اضعاف الصناعات والحرف المصرية حيث قام السلطان سليم بتجميع خبرة الصناع في الاسكندرية ثم رحلهم الى الاستانة قوة واقتدارا بقصد اضعاف الصناعة المصرية وتقوية الصناعة التركية .

● مجيء الحملة الفرنسية الى مصر بهدف السيطرة على السوق المصرية مما أدى بالتالى الى القضاء على الحرف والصناعات القومية كما أدخلت الحملة في مصر عددا من الصناعات الحديثة والافكار الراسمالية الجديدة ، وقامت بتشغيل عدد من العمال في الورش التى اقامتها . وخاصة بعد تحطيم الاسطول الفرنسى في مياه ابى قير بالاسكندرية ، ونتيجة لهذا فقد كان صناع الحرف احد القوى الوطنية الاساسيةالتى قاومت الحملة الفرنسية ورجالها لانها كانت تمثل خطرا يهدد كيانهم .

● وكان عصر محمد على ، الذى اقام بعض الصناعات الحديثة التى اعتمدت على العمل المأجور عاملا من عوامل ضعف الحرف المصرية ، بالاضافة الى اتجاه محمد على في احتكار الدولة للصناعة والتجارة بما في ذلك الحرف والصناعات الصغيرة بأن يشترى المواد الخام ويقوم بتوزيعها على الصناع لتصنيعها لحسابه الخاص ثم يتولى تسويقها بعد ختمها بخاتمه . وعند ما كان بعض الصناع يحاولون انتاج مثل هذه السلع لحسابهم الخاص كانوا يتعرضون للعقاب ولمصادرة سلعهم التى سميت « **بالانتاج البرانى** » .

الاستعمار البريطانى يقضى على الصناعات المصرية

عمل الاستعمار البريطانى على القضاء على الصناعة والصناع المصريين، ويقول **الدكتور لهيطة** ان الاستعمار البريطانى قد شرد مائتى ألف من صغار الحرفيين بما فرضه عليهم من ضرائب باهظة وقوانين جائرة . وكان ذلك من أجل افساح السوق المصرية امام السلع الانجليزية . ويقول **شهدى عطية** في كتابه تطور الحركة الوطنية المصرية ، لم يكن تحطيم الحرف والصناعات المنزلية أمرا ضارا في حد ذاته ، فهى تمثل نوعا من الاقتصاد متخلفا بالنسبة للصناعات الحديثة ، ولكن بشرط ان تحل محل هذه الحرف صناعة مصرية متقدمة . ولكن الانجليز لم يفعلوا ذلك من اجل اقامة صناعة مصرية حديثة بل بذلوا طاقة جهدهم لغزو السوق المصرى ببضائعهم وسلعهم ، ويؤكد ذلك ماقاله **اللورد كرومر** في تقرير له « فالشوارع التى كانت مكتظة بدكاكين الغزالين والخياطين والخيامين وصانعى الاحذية قد أصبحت مزدحمة بالقهاوى والدكاكين المملوءة بالبضائع الاوربية ، وقال **ملنر** السياسي البريطانى المشهور في أول هذا القرن « ان السوق المصرية هامة لتصريف البضائع الانجليزية بسبب المنافسة المتزايدة لبضائعنا في التجارة الدولية »

وكانت الدعوة التى تطالب بالغاء نظام الحرف

وتحقيق حرية العمل قد صدر بشأنها القانون المسمى بقانون **الباطنطا** فى عام ١٨٩١ ستارا لتغطية جريمة القضاء على الصناعات المصرية فى ظل التحكم الاستعمارى . كما يشهد بذلك السياسى البريطانى **روز ستين** الذى قال فى عام ١٩١٠ « لم يكتف الانجليز خلال الاثنين والعشرين سنة التى حكموا فيها مصر ، بعدم انشاء صناعة واحدة بل قتلوا بالفعل كل ما من شأنه ان يعود ببعض التقدم الصناعى » (٥)

عودة الروح

فى بداية القرن العشرين، حيث كان الحزب الوطنى بقيادة مصطفى كامل ومحمد فريد يعطف ويشجع الحرف وصناعها بتنظيمها تعاونيا ونقابيا ، بدأت تنمو الحرف والصناعات الصغيرة من جديد، وسمحت بتفريخ العديد من الشخصيات الراسمالية المعروفة فى الحياة المصرية الذين ترأسوا فئات من الحرفيين مثل الحاج **محمد سالم** صاحب ورشة الحدادة فى الفيوم ثم أصبح أحد ملوك السيارات السابقين فى مصر ، ومثل **الحاج فؤاد درويش والسيد يس** وغيرهم . وأدى ذلك الى احياء بعض تقاليدها القديمة حيث كان لقب شيخ المهنة أو شيخ الصناعة موجودا فى بعض الحرف وحيث ظل عمال بعض الصناعات الصغيرة يرددون شعارهم القديم «حسبى ما أمر شيخ النحاسين أو شيخ الحدادين» هذا الشعار الذى كان يردده حتى وقت قريب عمال النحاسة والحدادة فى ميت غمر فى المواكب الدينية (٥).

وبذلك أصبح للحرف والصناعات الصغيرة وزن غير قليل فى حياتنا الصناعية والاقتصادية من ناحية الانتاج والعمالة وعدد المؤسسات « الورش والدكاكين » ففى عام ١٩٥٧ كان عدد المنشآت التى يعمل بها من ٥ الى ٩ عمال ٢٢ر٩٧٢ منشأة يعمل بها ١٤١ر٦٠٣ مشتغل . وكان عدد المنشآت التى يعمل بها من ١٠ الى ٤٩ عامل ٨٤٥٦ منشأة يعمل بها ١٥١ر٧٤٩ مشتغل . وفى عام ١٩٦٠ كان عدد المنشآت من النوع الاول ٢٢ر٩١٧ منشأة يعمل بها ١٤٠ر٥٨٠ مشتغل . ومن النوع الثانى ٨٧٩٣ منشأة يعمل بها ١٦٠ر٧١ مشتغل . ولقد وصل عدد المنشآت الصناعية والحرفية الصغيرة المملوكة للقطاع الخاص فى عام ١٩٥٧ ٤٢ر٢٧٤ منشأة بها ١٧٧ر٥٤٨ مشتغلا . وفى عام ١٩٦٠ وصل عددها الى ٤٧ر٥٠٨ منشأة يعمل بها ١ر٣٠٨ر٩٦٤ مشتغلا عدا اصحابها العاملين بها .

وحتى نوضح مدى الزيادة فى عدد هذه المؤسسات فى هذه المرحلة فلا بد ان نؤكد ان مدينة القاهرة وحدها تضم ١٠٧ر٠٥٧ منشأة عدد أصحابها المشتغلين بها ١ر١١٠ر٥٩٣ وعدد عمالها ٢٨٢ر٠٨٧ وان محافظة الدقهلية يضم بندرها ١٤٣٣٨ منشأة عدد اصحابها المشتغلين بها ١٥ر٢١٥ وعدد عمالها ٣٥ر٣٢٧ عاملا ، كما يضم ريفها ١٩ر١٨٦ منشأة عدد أصحابها المشتغلين بها ١٨٣٩٨ وعدد عمالها ٧٦٩١ عاملا وذلك وفقا لاحصائيات سنة ١٩٦٢ (٥)

وخير دلالة تقدمها هذه الارقام هو زيادة بعثرة مؤسسات الحرف والصناعات الصغيرة بشكل غير معقول حتى أصبح عدد محلات الغسيل والكي والتنظيف والرفى فى عام ١٩٦٠ ، ١٠١ر٧٧٦ منشأة يعمل بها ٢٢ر٥١٧ مشتغلا، واصبحت محلات التصوير الفوتوغرافى ١٠٢٦ منشأة بها ١٥١٥ مشتغلا ، ووصل عدد محلات تفصيل الملابس وتنجيد المفروشات ٣٣ر٦٠٩ منشأة يعمل بها ٥٧ر٨٧٣ مشتغلا (٥)

ومن المهم أن نتابع أيضا البعثرة الضارة والتفتيت الزائد لعدد الورش والدكاكين الحرفية فى حى من احياء القاهرة الشعبية . ففى حى باب الشعرية نشرت **مجلة الاشتراكى** فى عددها الصادر فى ٢٩ اكتوبر سنة ١٩٦٦ نتيجة المسح الاجتماعى لهذا الحى ، ويتبين من هذا المسح أن حى باب الشعرية يضم ٢١٣ ورشة نجارة و ٣٦ ورشة حدادة و٢٥ ورشة خراطة و٣٥ ورشة سمكرية و٢٢ ورشة ميكانيكية و١٣ ورشة سباكة ويتراوح أعداد العاملين فى هذه الورش من ٥ — ٣٥ عاملا كما اوضح المسح ايضا ان بالحى ١٦٢ صالونا للحلاقة و ١٠٣ مقهى و ١٢١ مكوجيا و ١٣٤ محلا ترزيا و ٢٧٢ مصنع احذية و ٥٨ مصنع حلويات و ٣٨ مصنع نسيج و ٣٨ مطبعة (٥).

وازاء وضع هذه الحرف والصناعات الصغيرة التى أوضحته الارقام فلا بد من مناقشة المضار والاخطار التى تولدت من خلال تزايد عددها فى مرحلة التحول الاشتراكى .

- فالكثرة الهائلة لعدد المنشآت الصغيرة وكذلك تزايد عدد المنشآت التى يتراوح عدد العاملين بها من ٩ — ٤٩ عاملا ، تؤكد ان الصناعات الصغيرة تعتبر ارضا صالحة وخصبة لنمو الراسمالية باستمرار (٥)

- كما ان التزايد المتواصل لعدد هذه المنشآت تعنى أن الرأسمالية الصغيرة والمتوسطة تزداد عددا كل يوم حيث تشد الى عضويتها العديد من عمال الحرف عن طريق فتح الورش والدكاكين الجديدة

- ومع نمو الصناعات الصغيرة يروج الفكر الرأسمالى لدى عمال وأصحاب هذه الصناعات (٥) هذا الفكر الذى لم يقراوه فى الكتب ولكنهم يتشربون

باعتباره أحد الامراض الاجتماعية والمهنية للحرف والصناعات الصغيرة . وتبدو مظاهره فى تطلعاتهم الذاتية وفيما يتناقلونه فى معلقات جميلة فى الورش والدكاكين (*).

● يمتص هذا القطاع جزءا ضخما من جهود الجهاز الحكومى ، حيث تخصص الالاف من موظفى الدولة للاعمال المتعلقة به مثل أعمال الرخص وخلافه (*).

● تبين الارقام السابقة زيادة عدد اصحاب المنشئات من عدد المنشئات نفسها وهذا يدلنا على أن أصحاب هذه المنشئات يتلاعبون فى تنفيذ قوانين العمل والتأمينات الاجتماعية عن طريق تحرير عقود مشاركة لبعض العمال حتى تنتفى ضرورة وجود عقود عمل وهذا يعنى الاضرار بالعمال والمدخرات القومية التى تعتبر التأمينات الاجتماعية أهم مواردها (*).

● وعند تعامل اصحاب المنشئات الحرفية مع مؤسسة التأمينات فانهم يتعاملون معها بخصوص دفع أنصبتهم وانصبة عمالهم على اساس الحد الادنى للاجور لا على الاجور الفعلية التى يتقاضاها العمال . وهذا ضار بالمدخرات القومية وبمستقبل العمال (*).

● ان بلادنا تضم حاليا قرابة نصف مليون منشأة حرفية تستهلك كثيرا من الاموال بلا فائدة ثمنا للايجارات والاضاءة والمياه وخدمات التليفونات وهذه المبالغ باعتبارها جزءا من الثروة القومية لايمكن تخفيضها بسبب البعثرة الشديدة لهذه المنشئات (*)

المستقبل .. التجميع التعاونى

لقد أصبح موضوع الحرف والصناعات الصغيرة يمثل مشكلة لابد من حلها بشكل ايجابى . وذلك فى اتجاه تطويرها وتنظيمها وايجاد مستقبل افضل لاصحابها وعمالها على السواء . والحل الايجابى المناسب لهذه المشكلة هو **التجميع التعاونى** أى التعاون الانتاجى الذى يعنى فى جوهره تطور فى التكوين الفكرى للعاملين فى هذا القطاع حيث ينمو بينهم روح الجماعة والزمالة على حساب الفردية المتخلفة ، كما يعنى ايضا تطورا هاما فى الملكية الصغيرة الممزقة بتجميعها وتطويرها وهى فى الوقت نفسه تقدم خدمات لهم تربطهم بالمجتمع ونحن العمال منهم . ولكن لايستطيع التعاون الانتاجى تحقيق هذه الخطوط الا فى اطار المجتمعات الاشتراكية بدليل أن بعض المذاهب الاشتراكية الخيالية فى أوربا حاولت الوصول الى الاشتراكية عبر طريق الورش التعاونية ، ولكن الايام اكدت ان هذه المحاولات من قبل الاشتراكية **البردونية واللاسالية والبلانكية** لم يكتب لها النجاح لان مصدرها كان الاوهام والخيالات . وعلى اى حال فان التطور العظيم للتكنيك الحديث منذ عصر سيادة هذه المدارس الفكرية جعلها غير ذات موضوع حاليا وبدليل أن بلادنا عرفت التعاون الانتاجى فى مطلع هذا القرن بفضل جهد الحزب الوطنى ولكن رغم تطوره وديمقراطيته من الناحية النظرية والقانونية فقد ظل متخلفا ولم يتكون غير عدد قليل من هذه الجمعيات التى سيطر على قيادتها بعض الشخصيات الرأسمالية التى حولتها الى مجرد لافتات تعاونية لشركات رأسمالية مثل الجمعية التعاونية الانتاجية لصناعة النسيج بمدينة المحلة الكبرى التى احتكرت بيع وتوزيع الغزل لمصلحة الرأسمالية فى صناعة النسيج (*).

ورغم أن التعاون الانتاجى هو الحل المناسب لهذه المشكلة فان تطبيقه يواجه بالصعوبات نتيجة مقاومة العناصر الرأسمالية فى هذا المجال لفكرة التجميع التعاونى ثم عمليات التخريب الداخلية فى الجمعيات الانتاجية ويؤكد ذلك النقابيان **زكى العزب** ومنير **أبو شوشه** رئيس وامين صندوق اللجنة النقابية لعمال النقل بزفتى بقولهما «لم تلعب الحركة العمالية والنقابية فى عمومها الدور اللازم لتأكيد فكرة التجميع التعاونى وذلك بتعبئة جماهير العمال فى الصناعات الصغيرة وتبصيرهم بالمستقبل الافضل فى رحاب التعاون الانتاجى — كما أن الجهات المسئولة عن هذا القطاع كانت بعيدة عن الفهم السياسى بحيث لم تر الابعاد السياسية والاقتصادية والاجتماعية لانتشار التعاون الانتاجى ولذلك فقد تباطأت عمليات تجميع الحرف فى جمعيات تعاونية لدرجة أن عددها سنة ١٩٦٢ فى كل الجمهورية لم يزد عن ٩٢ جمعية منها ١٥ بالقاهرة و٦ بالدقهلية و٨ بالشرقية و١٠ فى اسيوط وواحدة فى المنيا (*).

تجارب تعاونية

كثيرا مايقدم الواقع بعض الجوانب الايجابية أو السلبية التى لم تكن فى الحسبان . ولهذا لابد من الحديث هنا عن تجربتين فى هذا المجال تمت كل منهما فى مدينة ميت غمر مدينة الحرف والصناعات الصغيرة بمساعدة بعض العناصر الاشتراكية الجادة من اعضاء الاتحاد الاشتراكى فى هذه المدينة : أولهما تجربة **جمعية التجارة** التى تكونت من العمال وأصحاب الاعمال وبدأت عملا فى نوفمبر ١٩٦٤ برأسمال قدره ٤١٥ جنيها وبثلاثة عمال زادوا الى ٣١ عاملا بعد ستة شهور والى ٩٤ عاملا بعد سنة — وقد ارتفعت أجورهم قرابة

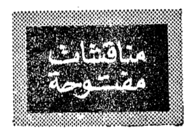
أربع مرات ويعملون ثمانية ساعات يوميا وتدفع لهم اقساط التأمينات الاجتماعية على اســاس أجورهم الفعلية .. وارتفعت المبالغ التى كانت تتعامل بها الجمعية بعد سنة واحدة الى ٢٦ الف جنيه ، وحققت ربحا قدره ٣٦٥ جنيها فى ستــة شهور .

وللاسف فان هذا النجاح لم يستمر نتيجـة للمشاكل التى تفجرت فى داخل الجمعية بسبب عقدة « الاسطوات » وضيق الافق الحرفى وبعض الاخطاء المتولدة من داء التطلعات الطبقية لدى الرأسمالية الصغيرة . ولذلك كان لابد من حـل لهذه المشاكل على اساس سياسى وجماهيرى ، الا أن الحل كان اداريا تمثل فى ارسال موظف مـن مؤسسة التعاون الانتاجى لادارة الجمعية ، وطبعا كانت النتيجة تدهور الوضع فى الجمعيـة لدرجة انها أصبحت مدينة لمؤسسة التأمينات الاجتماعية بمبلغ ٥٤٠ جنيها .

والتجربة الثانية هى جمعية الصناعات المعدنية بميت غمر التى تكونت بعد عام ١٩٦٢ تقريبا من العمال وأصحاب الاعمال . ولكنها أصبحت مجرد لافتة بسبب سيطرة الراسماليين فى هذه الصناعة على قيادتها ، وارادت محافظة الدقهلية تشجيع هذه الجمعية ودفعها الى الامام فاعطتها قرضا ماليا قدره ٤٠ الف جنيه . ولكن قيادة هذه الجمعية استثمرت هذا القرض لصالحها الخاص ، وتمكن العمل السياسى بقيادة الاتحاد الاشتراكى من كشف هذا العمل الضار وذلك بواسطة مجمـوعة من الاشتراكيين المخلصين الذين نزلوا الى جماهير العمال فى هذه الصناعة وشدوهم الى العمـل الايجابى لتطهير هذه الجمعية من قيادتها المنحرفة

وفعلا استطاع العمل السياسى والجماهيرى من دفع العمال الى قيادة الجمعية وتطهيرها من العناصر الرأسمالية الضارة . ولهذا يقول احمد السودانى ومحمد عبد الوهاب وابراهيم مرغنى العمـال بالجمعية واعضاء مجلس ادارتها الجديد « بدأنا العمل فى نهاية عام ١٩٦٦ بعد ان طردنا الرأسمالية المستغلة من الجمعية ورغم ان رأس مال الجمعية كان لايزيد على مبلغ ٦٥٠ جنيها فقد استطعنا أن ننشىء ورشة تعاونية بها عشرة ماكينات وذلك بفضل الشخصيات الاشتراكية التى ساعدتنا بالمال والتوجيه حتى اصبحنا ننتج ٤٠ طنا من الالمنيوم وأصبح عدد عمال الجمعية ٤٠ عاملا يصل أجر الواحد منهم الى مبلغ جنيه يوميا حسب انتاجه لاننا ربطنا الاجر بالانتاج علما بان زميله بالقطاع الخاص لايزيد أجره اليومى عن ٥٠ قرشا بينما عقد عمله محررا على اساس ٢٥ قرشا ، وبعـد ستة شهور من بدء العمل اصبح راس مال الجمعية قرابة ١٥ الف جنيه ولهذا فقد خفضنا اسعار انتاجنا من الادوات المنزلية حتى اصبح سعر الكيلو من الالمنيوم ٥٥ قرشا بدلا من ٦٥ قرشا ولقد فرضنا هذا السعر على القطاع الخاص الذى أصبح من حقنا الاشراف عليه » .

ان وقائع هاتين التجربتين تطالبنا بدعوة العمل السياسى والنقابى لتدعيم التعاون الانتاجى . وذلك بابعاد السيطرة الرأسمالية فكرا وعملا عن مجال التعاون الانتاجى وتربية عمال الحرف تربيـــة اشتراكية والتخفيف من التدخلات الادارية حتى يستطيع هذا المجال من تحويل الملكية الحرفية المبعثرة الى ملكية تعاونية تقدمية يمكنها أن تتحمل مسئولياتها فى عملية البناء الاشتراكى فى بلادنا ■



حول .. ندوة الاشتراكيين العرب

كتب المواطن عمرو عبد المنعم حمودة ، الطالب بكلية الحقوق ـ جامعة القاهرة ، يقول عن ندوة الاشتراكيين العرب بالجزائر :

أود أن أبدى بعـض الملاحـظات عن ندوة الاشتراكيين العرب ، حيث اعتقد انه :

أولا : من حيث المدعوين الى هذه الندوة أرى أن تجمـع بين الشخصيات الثـورية التقدميـة الاشتراكية على الارض العربية باعتبارها قيادات فكر والمنظمات والاحـزاب التقدميـة فى الوطن العربى لكونهـا قادرة ـ ولو لفترة حاليــة ـ للاضطلاع بالمسئوليات النضاليــة فى مـراكزها وتجمعاتها الجماهيرية فى دولها العربية ■

ثانيا : ان أمر الخلاف الفكرى الذى ينشب حاليا حول تحديد من هو الثورى التقدمى الاشتراكى موضوع متفق على أساسيات فيه والخلاف يأتى فى جزئيات تختص بهذا الموضوع واعتقد ان الفكر الثورى بوضوح رؤياه قادر على حسم هذا الخلاف . حيث ان الخلاف فى هذه المرحلة قد يؤدى الى بلبلة فكرية لاتؤتى من ورائها بناتج ثورى خصب .

ثالثا : وايا ما كان الامر ، فانه من الضرورات القومية ان يضع الاتحاد الاشتراكى العربى أمر تجاربه الخلاقة فى الفكر والتطبيق أمام هذه الندوة حتى تكون موضوع مناقشة مثمرة كتجربة حية اثبتت وجودها وارتباطها بالثورة الاجتماعية العربية والعالمية .

رابعا : ومن حيث الندوة ذاتها ، فاننى أرى أن يكون هناك جدول اعمال لهذه الندوة مشتملا على موضوعات — هى من الخطورة بمكان لتدارسها على المستوى القومى — هى :

— الخريطة الاجتماعية للوطن العربى والتعرف على مراكز الثقل الاجتماعى وابعاد الصراع بين قوى التخلف والتقدم على الارض العربية .

— دور المنظمات السياسية والقومية فى دعم الثورة الاجتماعية وتنشيط عمليات التغيير الاجتماعى وصولا الى المجتمع العربى فى الكفاية والعدل .

— دراسة التجارب الاشتراكية العربية فى مواقعها والتعرف على سماتها العامة مع محاولة رسم نظرية اشتراكية عربية .

— واخيرا ، يجب الا نغفل امر العلاقات الدولية واتجاهاتها المتغيرة . ذلك ان الصراع العالمى اليوم يأخذ اتجاها من ثلاث : صراع بين الشرق والغرب وصراع بين التقدم والتخلف ، وصراع بين القوى الداعية الى السلام واخرى داعية الى حرب .

وينبغى ان نصل من خلال هذه الندوة الى تطوير حركة القوى الثورية وتنشيط حوافزها الايجابية وهذا ما يترجم بمزيد من العمل والحركة .

★ ★ ★

تعقيب على مقال الاصلاح الزراعى الثورى

وتعقيبا على مقال الاصلاح الزراعى الثورى، لسعيد خيال ، الذى نشر فى الطليعة فى أبريل ١٩٦٧، كتب المواطن السيد احمد السباعى ، طالب بكلية زراعة عين شمس وعضو منظمة الشباب الاشتراكى يقول :

● احب ان اوضح بعض الامور التى يقوم بها « الرأسمالى المجهول » للفلاح فى النظام المتبع فى شركة المواشى . ولنضرب مثلا للتوضيح: نفرض ان ثمن البقرة التى يأخذها الفلاح الفقير من هذا الراسمالى فى المتوسط ثمنها ٨٠ جنيها ، وتلد البقرة سنويا ويباع المولود بعد حوالى شهرين بمبلغ ٢٠ جنيها فى المتوسط فيكون نصيب كل منهما ١٠ جنيهات، فتكون الفائدة التى عادت على صاحب رأس المال هى ١٢٫٥ ٪ وليست ٣٠ ٪ ، مع ملاحظة ان راس المال (ثمن البقرة) يقل بزيادة السن . والفلاح يستفيد من البقرة فى فلاحة الارض واللبن ومنتجاته نظير تغذيتها . وأقترح لمقاومة هذا الاستغلال أن تقوم كل جمعية تعاونية زراعية فى حدود رأسمالها بصرف سلف للفلاحين غير القادرين على شراء هذه المواشى اللازمة لهم مع تسديد ثمن هذه المواشى على اقساط من انتاجها بفائدة بسيطة حتى يتخلص الفلاح من استغلال الرأسمالى المجهول وتستفيد الجمعية بزيادة رأسمالها .

● كما تعرض الكاتب ايضا للقطاع العام فى الزراعة ، والغرض من فكرة القطاع العام فى الزراعة هو تحقيق اقصى قدرة انتاجية ونوعية للمحاصيل التى تحتاجها الدولة حسب السياسة الموضوعة للتصدير والاستهلاك . وقد اقتصر التطبيق الكامل له فى المناطق التى استصلحتها الدولة مثل مديرية التحرير وملكية الارض هنا للدولة «الشعب» . ونجد أن تطبيق نظام التجميع الزراعى فى الدورات الزراعية يؤدى الى نفس الغرض الذى نريده من القطاع العام فى الزراعة طالما يطبق التطبيق العلمى الصحيح، فالتخطيط له يقوم اساسا على مدى أحتياجات الدولة من كل نوع من المحاصيل كما فى محصول القطن مثلا. وتأخذ الدولة المحصول لتسويقه تعاونيا دون تدخل القطاع الخاص . وفى حالة المحاصيل الشتوية يدخل هنا أحتياجات الفلاح لمحاصيل العلف مثل البرسيم فيقوم الفلاح بتوزيع مساحة الارض المراد زراعتها مابين البرسيم والقمح أو الفول . وتقوم الهيئات المختصة بعمل حصر للمساحات المزروعة قمحا او فولا ، وتحصل الدولة ضريبة عن المحصول بالتسعيرة الجبرية ويبيع الفلاح المحصول الزائد عن حاجته لتجار القطاع الخاص بثمن اعلى، وهؤلاء يتحكمون فى كمية المحصول المعروضة فى السوق ، وبذلك يستطيعون خلق السوق السوداء . ولايكون أمام المستهلك الا شراء هذه المحاصيل بثمن مرتفع. واذا اتبعت الدولة طرق الضغط الادارى لتنفيذ ما تريده ، تنتشر حالات تهريب الحيازات والمحاصيل لانها ستباع بثمن أعلى .

لذا فاعتقد أن الدولة تستطيع أن ترفع سعر المحاصيل التى تحقق زيادة عن الضريبة المقررة ، وبهذا تشجع الفلاحين على ترك تجار القطاع الخاص ، وبالتالى تحدمن السوق السوداء. وحيث أن هذه الزيادة لن تتعدى مايشترى به القطاع الخاص ، فلن يؤدى هذا الى رفع أسعار هذه المحاصيل . وهنا يكون السعر مطابقا لاصولـه الاقتصادية ».



حول المعارك الفكرية

وكتب المواطن **عبد الشكور حسين العجمى** ، المدرس بالثانوية الصناعية ببنى مزار ، يقول :

« ثارت مناقشات فكرية فى الفترة الاخيرة من عام ١٩٦٦ . ومازالت للآن آثارها ، ومما يؤلم نفسى كل من يتابع مناقشات المثقفين فى كتاباتهم ، أن يتبادلوا الاتهام حول قضايا مصيرية . بينما هم مطالبون — بحكم ثقافتهم — بأن يكونوا أكثر عمقا وأرحب صدرا .

وقد كنت أتمنى أن يقوم كتاب الطليعة ، بتحليل كل كتاب مهم فى الفكر الاشتراكى ،صدر منذ عام ١٩٦١ وحتى الآن ، حتى يدور نقاش موضوعى بين المثقفين ، فيعمق من فكرنا الثورى ويفيد القارىء .

ولتوضيح أهمية ذلك ، سأضرب مثلا واحدا . ففى عام ١٩٦٣ ، أصدرت الالف كتاب ، كتاب « عصر القومية » **لها تركوهن** ترجمة **عبد الرحمن صدقى** . وهذا الكتاب ، يتضمن أتهامات وطعن للقومية والدول الثائرة ، فقد جاء فيه فى ص ١٥ مثلا ، «يالها من خاصية غريبة فى كل الشعوب ، فالرغبة فى أعطائهم حرية مبالغة فيها ، تثير فيهم رغبة قوية للتحرر من محرريهم انفسهم»! ثم يقول فى ص١٥٣ «وهكذا وضعت تركيا أكثر من الهند ومصر واليابان مثلا للقومية العربية بقطعها كل روابطها بماضيها غير الاوربى » . ويوجد بالكتاب عبارات كثيرة ، فى ص ٩٢ ، ١١٢ ، وغيرها ، دون أن يعقب المترجم بكلمة واحدة . فكيف نترك مثل هذا الكتاب ليقرأه النشء وتصدره وزارة التعليم ،فيبين ما يهاجم القومية ؟.

الطليعة : لا شك ان اقتراحك جدير بالتحقيق . ونرجو ان يتحقق فى القريب . وان كنا نود ان نلفت النظر ، الى ان اكثر من مقال نشر فى الطليعة ، ناقش كثيرا من الكتب التى صدرت فى السنوات الاخيرة حول قضية الاشتراكية . ونذكر هنا — كمثال — مقال الدكتور فؤاد مرسى عن «انعكاسات الصراع الاجتماعى فى الفكر الاشتراكى » بالعدد ١٠ (اكتوبر) لعام ١٩٦٦ .

صوت اليمن

بحماس وترحاب ، تلقت الطليعة الاعداد ٨٥ ، ٨٧ ، ٨٩ ، ٩٠ من « **صوت اليمن** » التى تصدر كل ١٥ يوما فى **صنعاء** ، ويشرف عليها **ابراهيم السعيد ابراهيم** ويقوم بسكرتارية تحريرها **طلعت زغلول واحمد عبد القادر** . و«**صوت اليمن**» « مجلة ثقافية اخبارية سياسية » ، تعالج قضايا الثورة والبناء فى الجمهورية العربية اليمنية .

وفى العدد ٨٥ الذى صدر فى ديسمبر ١٩٦٦ أدارت « **صوت اليمن** » حوارا مع **يحيى بهران** الامين العام المؤقت للاتحاد الشعبى الثورى . وقد أوضح فيه الامين العام المؤقت ، أهداف الاتحاد فى « تحقيق الوحدة الوطنية الثورية لتحالف قوى الشعب العاملة» كما شرح شعار الاتحاد «حرية . عدالة أجتماعية . وحدة» وبين أن الاتحاد الشعبى الثورى « سيبدأ من حيث أنتهت تجارب الاتحاد الاشتراكى العربى ، باعتبارها تجربة ثورية غنية» وعن كيفية تلاحم القوى العربية المتحررة ، قال الامين المؤقت « سيكون ذلك عن طريق الاتحاد الاشتراكى فى الجمهورية العربية المتحدة وجبهة التحرير الجزائرية والاتحاد الاشتراكى بالعراق والقوى التحررية فى سوريا » ويضم العدد ،كذلك ، عدة تحقيقات صحفية عن الاذاعة اليمنية ومحاكم أمن الدولة ، وعيد النصر فى بورسعيد والمقاومة الوطنية فى السعودية .

وفى العدد ٨٧ الذى صدر فى ٣١ يناير ١٩٦٧ ، تحقيقا صحفيا كبيرا عن المؤتمر الوطنى الذى عقده الاتحاد الشعبى الثورى فى ١٨ — ٢٠ يناير ١٩٦٧ ، وترأسه الرئيس المشير **عبد الله السلال** كما نشر، قرارات وتوصيات اليمن، بتأييد الحكومة الوطنية « فى كل خطواتها واجراءاتها الثورية » والتنديد «بالعنصرية والطائفية والحزبية والاقليمية» ودعا الى محاربتها . ثم افرد العدد ثلاث صفحات ، نقل فيها آراء المواطنين اليمنيين فى المؤتمر وقراراته . ثم تناول العدد بالتعليق الاحداث على الحدود السورية — الاسرائيلية موضحا تواطؤ حكومة الملك حسين مع الاعتداءات الاسرائيلية . كما أفرد العدد ٨٧ صفحتين لثورة الجنوب المحتل . وفى الصفحات الاخيرة ، تنشر «**صوت اليمن**» جلسات محاكمة «شبكة جاسوسية تعمل لحساب اسرائيل » .

وفى العدد ٨٩ الذى صدر فى ١٥ مارس ١٩٦٧ تستهل « **صوت اليمن** » صفحاتها بتلخيص واف لخطاب الرئيس جمال عبد الناصر فى عيد الوحدة الاخير . وتحت عنوان « القوات العربية تساهم فى معركة البناء والتعمير» ،تقول «**صوت اليمن**» .. « لقد وضعت القوات العربية كل أمكانياتها للقضاء على التخلف والجهل والضياع الثقافى الذى كان

يعيش فيه الشعب اليمنى ، فنشأت مراكز ثقافية في كثير من المدن اليمنية ويبلغ عددها الان ٦ مراكز للاشعاع الثقافي والاجتماعي والرياضي ». وتحت عنوان «**حقائق ومعلومات عن اتحاد شعب الجزيرة**» كتبت « **صوت اليمن** » ان تاريخه يعود الى عام ١٩٦٤ ، واهدافه محددة في العمل «للثورة وبالثورة لتحقيق الجمهورية والحرية والاشتراكية والوحدة» . ويؤمن الاتحاد « بأن الاشتراكية العلمية العربية هي النظام العادل الوحيد الذي يحقق توزيع الثروات بين المواطنين توزيعا عادلا» . كما «يرفض ويقاوم تجزئة الجزيرة العربية الى اكثر من ٤٠ دويلة هزيلة» . ويؤمن ايضا «ان انتهاج سياسة الحياد الايجابي والتعايش السلمي في السياسة الخارجية امر ضروري » ، ويكافح الاتحاد « بلا هوادة لتطبيق الاشتراكية » . ثم تتحدث « **صوت اليمن** » عن شروط عضوية اتحاد شعب الجزيرة وتشكيلاته . وبعد ذلك ، يتناول العدد بالتفصيل تشكيلات لجان الاتحاد الشعبي الثورى في محافظات اليمن . وفي صفحاته الاخيرة ، حديث **لحسن صبرى الخولى** ، عن وحدة العمل العربي الثورى . وقد أعلن في حديثه عن اتفاق على **انشاء مؤسسة صحفية برأس مال عربي يمنى ، ستقوم مؤسسة الاهرام بتنفيذه لاصدار مجلة مصورة** .

ويخصص العدد ٩٠ الذى صدر في ٣١ مارس ١٩٦٧ ، صفحاته الاولى لحديث الرئيس المشير عبد الله السلال عن سياسة حكومة اليمن ، وعن دور وتضحيات الجيش العربي في مساندة الثورة اليمنية . ثم يفرد عدة صفحات ينقل فيها استنكار وادانة الرأى العام العالمي للمجزرة التى اقامها فيصل في السعودية باعدام ١٧ من اليمنيين الوطنيين . ثم ينشر كلمة الملك سعود الى شعب الجزيرة العربية التى استنكر فيها مجزرة فيصل .

وبرغم الحجم الصغير (القطع المتوسط) لصوت اليمن ، واخراجها البسيط ، الا انها — بلا شك — دليل حى على تطور الحياة الثقافية والسياسية في اليمن ، وخطوة هامة ، على طريق صحافة يمنية كبيرة . تحية من الطليعة الى شقيقة عربية نابضة بالحماس والايمان بالعمل الثورى .. وبالشعب العربي ومستقبله .

★ ★ ★

من الطلبة العرب فى المانيا الديمقراطية

عقد الطلبة العرب في جمهورية المانيا الديموقراطية ندوة في مدينة لايبزج يوم ١٤ مايو الماضى لمناقشة قضية «وحدة القوى الثورية في العالم العربي» وحضر الندوة نحو ٢٠٠ طالب بدعوة من رابطة مبعوثي الجمهورية العربية المتحدة فى جمهورية المانيا الديمقراطية. وقد ارسلت لنا الرابطة مجموعة البحوث المقدمة للندوة وسوف ننشر ملخصا لاهم ما جاء بها في العدد القادم، كما جاءنا البيان الختامى للندوة ونصه كالاتي :

ان طلبة البلدان العربية المجتمعين في لايبزج بتاريخ ٥/١٤ في ندوة لمعالجة « وحدة القوى الثورية في العالم العربي » بدعوة من رابطة مبعوثي الجمهورية العربية المتحدة في جمهورية المانيا الديمقراطية بعد ان استمعوا الى تقارير وكلمات عديدة حول الاوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية التى تسود مختلف البلدان العربية ، وناقشوا قضايا حركة التحرر العربي ، يرون ان الاستعمار العالمي بشكليه القديم والحديث وعلى رأسه الاستعمار الامريكي يشن اليوم حملة واسعة النطاق ضد حركات التحرر الوطني في كل مكان ، والتى تشكل حربه القذرة في الفيتنام قمتها العدوانية الصارخة ....

ان حركة التحرر العربي تتعرض ايضا اليوم لهجوم استعمارى قوى بالتعاون مع الرجعية العربية — المتمثلة بشكل رئيسي في محاولة تشكيل احلاف عسكرية كالحلف الاسلامي — وقاعدة التآمر والعدوان اسرائيل . ان جماهير شعبنا العربي تواجه في هذه المرحلة التاريخية الهامة مهمات عديدة . ففي الجمهورية العربية المتحدة وفي الجمهورية العربية السورية حيث تجرى تحولات اجتماعية تقدمية عميقة تبرز قبل كل شيء مهمة حماية هذه المكتسبات وتطويرها... وفي جنوب اليمن المحتل تناضل الجماهير ضد الاستعمار الانجليزى المباشر ومن اجل الاستقلال الوطنى — كما وتناضل شعوب بلدان عربية اخرى ضد انظمة الحكم العميلة ومظاهر الحكم الديكتاتورى والنفوذ الاستعمارى ومن اجل اقامة انظمة حكم ديمقراطية تقدمية ..

اننا نرى ان حل هذه المهمات ، والوقوف في وجه الهجوم الاستعمارى الرجعى الذى يهدف الى ضرب انظمة الحكم التقدمية وارجاع عجلة التاريخ الى الوراء ، يتطلب وحدة جميع القوى المخلصة بحق لقضية النضال ضد الاستعمار والرجعية وكل انواع التخلف الاجتماعي والاقتصادى ، ومن اجل بناء مجتمع تقدمى يحقق الرفاهية لفئات الشعب الكادحة .

ونحن نرى ان تحقيق هذا التحالف يتطلب ايجاد الجو الملائم لذلك عن طريق لقاءات متعددة وحوار ونقاشات فكرية بشكل ديمقراطي بين جميع هذه القوى على اختلاف اتجاهاتها الايديولوجية التى هى تعبير للواقع الموضوعي لمجتمعنا العربي .

اننا نناشد جميع القوى الثورية بالاسراع في تحقيق وحدة صفوفهم في كل قطر على حدة حسب الظروف الموضوعية لهذا القطر ، ومن ثم الانطلاق الى وحدة القوى الثورية في الوطن العربي في جبهة تقدمية عريضة تقود نضالات الشعوب العربية من اجل الوصول الى مجتمع عربي اشتراكي موحد يساهم مع الشعوب في معاركها التقدمية من اجل التحرر والسلام العالمي.



بيان من المعارضة الوطنية التونسية

تحت عنوان « بيان حول الصراع القائم حاليا داخل الكتل البورقيبية المتصارعة على وراثة الرجل المريض» كتب ابراهيم طوبال عن «المعارضة الوطنية التونسية» ، يكشف للرأي العام العربي عن اتجاهات الصراع داخل كتل بورقيبية وبروز الاطماع الشخصية وغير الوطنية، وانتهى من ذلك كله الى تحديد موقف المعارضة الوطنية .. فيقول :

... « والمعارضة التونسية طليعة جماهير الشعب، تعلن اقتناع الشعب التونسي بأن كل الاطراف الرجعية المتنازعة انما تعبر عن ازمة النظام البورقيبي بكل مايمثله من رجعية في الداخل ، وعمالة للاستعمار ».

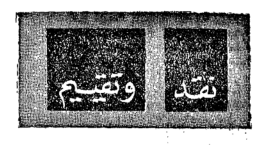
ويؤيد المعارضة كل القوات الشعبية والوطنية ، فالعمال بكل ماعانوه في النظام البورقيبي من تخفيض واستقطاعات في الاجور ، وبطالة وتضييق في الحريات وتزييف ارادتهم والقضاء على فعالية اتحادهم بفضل رجال من امثال بن صالح ، والفلاحون الذين عانوا من محالفة النظام لكبار الملاك المقاربين، وما تعرضوا له من دمار وخراب بسبب السياسة التي حبذها ونادى بها امثال الباهي الادغم ، والجيش الذي يعاني ضباطه الصغار وجنوده من تعسف وسيطرة قيادته من طبقة العسكريين المحترفين الذين ينقلون ولاءهم لمن يدفع اكثر ، الذين وضعوا مقدرات البلاد الدفاعية في بنزرت وغيرها في خدمة الاستراتيجية الاستعمارية الامريكية التي تركز اعمالها في المغرب وتونس بعد طرد فرنسا لقوات حلف الاطلنطي . هذا الجيش التونسي الذي يعاني من سياسة احمد المستيري في مطاردة وعزل ومحاكمة الضباط والجنود الوطنيين والذي ينقل ولاءه بين الباهي الادغم وبين صالح وبالعكس لايريد ان يدخل طرفا في الصراع رغم انغماس قيادته الكاملة والتام في هذا النزاع الشخصي ، الذي لن تستفيد منه سوى البرجوازية التونسية والاستعمار الامريكي الذي يراهن بدوره على الفريقين ولايقطع حباله بأي منهما . فهو وان كان يرى الباهي اسلس قياديا لان استعداده للتعاون غير مشروط الا انه يدرك انه قد يضطر الى الالتجاء الى رجال من امثال احمد بن صالح ، لمحاصرة المد الشعبي والاتجاه الاشتراكي بصيغ فارغة ومجوفة تؤدي في التحليل الاخير الى خدمة المصالح الطبقية والاستعمارية وتحاول تقديم نفسها كبديل للحركة الثورية في البلاد العربية المتحررة وكقطب مناوىء لها ، ومن هنا فالسياسة الامريكية تؤيد كلا الفريقين .

والمعارضة التونسية تدرك ان هذه الانقسامات تنتهز المرحلة الانتقالية العصيبة من تاريخ تونس حتى تناور مع الاستعمار لتمد حياتها وسيطرة الرجعية على مقدرات الشعب وان الولايات المتحدة لابد ان ترمي بثقلها مع من يضمن مصالحها الاستعمارية وينفذ مآربها في ارض تونس والمغرب العربي . ولكن الشعب التونسي لن يسمح للاستعمار الامريكي بأن يمد حياة الرجعية التونسية على حساب مصالحه .

كما تؤمن المعارضة التونسية ان خلاص الشعب التونسي لن يتحقق الا بالقضاء على النظام البورقيبي بجذوره وعملائه ، خاصة وان الدعائم الثلاث التي يعتمد عليها هذا النظام ، وهي دكتاتورية بورقيبة وفاشية تنظيم الحزب ، وتأييد الطبقات المستغلة لها ، هذه الدعائم بدأت تنهار وتتهاوى وينفضح زيفها وتتفجر تناقضاتها .

والشعب اذ يلتف حول قياداته الثورية المتمثلة في المعارضة الشعبية وتنظيمات الشباب والطلاب وصغار الضباط وقاعدة الجيش ، مصمم على انهاء الحكم البورقيبي الفاشي وارجاع تونس الى حظيرة العمل التحرري البناء الذي يؤمن لوطنه الحرية والكرامة وللشعب حقوقه المشروعة .

عن المعارضة الوطنية التونسية
(ابراهيم طوبال)



عدد مايو ١٩٦٧ من الطليعة

عن الدراسة الرئيسية كتب فيليب جلاب :

مقال الدكتور عباس كسيبه عن « أرضية العمل السياسى بين الفلاحين » يقدم دراسة ممتازة وسريعة عن التركيب الطبقى فى الريف المصرى حاليا ، معتمدا على الاحصاءات الرسمية لشكل الملكية الزراعية حتى عام ١٩٦٥ ، ويمتاز المقال بالبعد عن التعقيدات المألوفة فى مثل هذه الدراسات ويعد اساسا طيبا لدراسة اكثر شمولا لخريطة القوى الطبقية فى المجتمع كله (الريف والمدينة) ، فبدون مثل هذه الدراسات يصعب تحديد اصدقاء الثورة واعدائها ، وهو الامر الذى يترتب على معرفته كل ما يمكن تصوره من اجراءات سياسية واجتماعية واقتصادية تتعلق بمستقبل الثورة .

ومن أهم ما أثاره المقال تطبيقا على الدراسة الاحصائية هو دور الطبقات المعادية للثورة حتى الان فى الريف وضرورة كشفها وعزل نفوذها عن جماهير العمال الزراعيين والفلاحين من صغار الملاك .

● ولكن الحل الذى قدمه الدكتور كسيبه لهذه المشكلة يصعب الاخذ به ومن شأنه تجميد النشاط السياسى فى الريف والدوران فى حلقة مفرغة .

يقول : « وبدراسة الواقع الحالى للريف نجد أن عملية بناء اطار تنظيمى يضم الطبقات صاحبة المصلحة فى التحول لن تكون له الفاعلية والمقدرة على التغيير ، نظرا لان القوى المضادة ستستولى عليه ... ومن هنا تصبح المواجهة الثورية للقوى المضادة تحت ظروف الريف الان .. من خلال العمل السياسى داخل التنظيمات التعاونية والانتاجية على أن تنقل بعدها الى داخل التنظيم السياسى وبقيادته ... »

وشرح الدكتور كسيبه العوائق الحقيقية التى تعطل العمل السياسى فى لجان الاتحاد الاشتراكى فى الريف ، كموقف متوسطى وكبار الملاك ، والتعريف السياسى للفلاح .. الخ .

ولكن من العبث طبعا ان نترك لجان التنظيم السياسى فى يد كبار الملاك ومتوسطيهم حتى نربى من خلال النضال فى الجمعيات التعاونية قيادة سياسية صلبة للفلاحين تنتقل بعدئذ لاكمال مهمتها فى التنظيم السياسى ! . فاذا سلمنا بأن نفس النفوذ المعادى للثورة يوجد فى الجمعيات التعاونية يصبح الحل الوحيد هو العمل فى وقت واحد على كل المستويات . واذا كانت القيادة السياسية العليا ستسهل عمل الفلاحين ونضالهم بتعديل قوانين عضوية الجمعيات التعاونية ، فبنفس الدرجة يمكنها اتخاذ الاجراءات الكفيلة بازالة العوائق امام نشاط الفلاحين فى التنظيم السياسى ، والا فان ماينجزه الفلاحون فى الجمعيات التعاونية يبتلعه كبار الملاك فى التنظيم السياسى ، خاصة اذا كان التنظيم السياسى كما هو دائما الهيئة الموجهة والاساسية فى الريف والمدينة على السواء .

والمشكلة في النهاية ان الخطة التي اقترحها الدكتور كسيبة في هذا الصدد تعطي انطباعا له بعض الاساس في الواقع ، وهو ان بعض قيادات المؤسسات السياسية والاجتماعية والجماهيرية في الريف لا تمثل بشكل كامل الاهداف السياسية والفكرية للقيادة الثورية العليا .

● ونفس المشكلة يناقشها مقال عبد المنعم الغزالي ولكن في مجال آخر هو التنظيمات الجماهيرية كالنقابات والاتحادات وغيرها . والوضع يختلف جذريا عن مشكلة الريف والعمل السياسي فيه طبعا . والمقال يتسم بالوضوح في عرض مهمة ومضمون العمل في هذه التنظيمات وان كانت الرغبة في الوضوح تؤدي احيانا لبعض التكرار .

ولكن اهم ما اثاره المقال هو الدور الذي يجب ان يكون لهذه التنظيمات في مرحلة التحول الاشتراكي « كأجهزة للصراع الطبقي والاجتماعي والسياسي » بعكس ما يتواتر احيانا بأن هذه المهمة قد انتهت بالقضاء على سلطة رأس المال وتحالف الرجعية والاستعمار في الحكم . ومن هذا التحديد يستخلص المقال الاسلوب الملائم او دستور العمل لهذه التنظيمات حتى تؤدي دورها الحقيقي على أوسع نطاق ممكن وفي خدمة الاهداف النهائية لمجتمعنا .

والملاحظ ان عبد المنعم الغزالي يرى — عن حق — ان قضية فضح وكشف (القيادات غير الواعية) وغير الملتزمة بالحركة الثورية في هذه التنظيمات) يجب ان توضع في ايدي الجماهير عن طريق التنظيم السياسي . وانه يجب أن يكون لاعضاء الجمعية العمومية لهذه التنظيمات حق سحب الثقة من قياداتها في حالات الانحراف او عدم الالتزام .

● مقال لطفي الخولي عن « **المثقفين والعمل السياسي** » اقتصر على تعريف جديد « للمثقف » ومحاولة الوصول الى احصاء عن عدد المثقفين في مصر وفقا لهذا التعريف . أما « تحليل اتجاهات ومواقف وصراعات المثقفين في الحركة السياسية لواقعنا » فهو الجزء الثاني من البحث ولم ينشر بعد .

وأهم ما يبرزه البحث المنشور في العدد الماضي هو هذا التعريف الجديد الذي يخالف التعريف المألوف والمتواتر لدى التقدميين في مصر وفي العالم ، ولطفي الخولي يحاول ان يثبت بكثير من الادلة والاسانيد ان ظروف عالم اليوم تؤكد ان « المتعلم » هو المثقف ، سواء كان هذا المثقف تقدميا او رجعيا . ورغم الجدة التي يتميز بها البحث والاجتهاد الواضح الذكي في تقديم الاسانيد الا أنه لا يبدو مقنعا تماما . « فالاسباب الاربعة — التي ادت تفاعلها مع الواقع الى نتائج خمس » سليمة مائة في المائة ولكنها لم تحول المتعلمين الى مثقفين .. ومن الممكن ان نعترف بأن هذه العوامل رفعت من درجة الوعي العام لدى الناس جميعا بما فيهم المتعلمين ، فحولت بالتالي جزءا من المتعلمين الى دائرة المثقفين ولكنها لم تحول « فئة » المتعلمين كلها الى فئة المثقفين . ولا يزال على أي الاحوال تعريف المثقف الذي ذكره لطفي الخولي عن سارتر اكثر تعبيرا عن الواقع المعاصر هنا وفي العالم . فليس « مثقفا » ذلك « المتعلم » الذي تفرض عليه التطورات الجديدة مجرد الصراع من اجل مصالحه الخاصة ، وليس مثقفا رجعيا كل « متعلم » يتخذ موقفا سلبيا من حركة التقدم والثورة ... فكثيرا ما يكون مجرد « متعلم » لا يعي حتى مصلحته الخاصة !.

● ثم تكتمل حلقة الابحاث عن العمل السياسي بتجارب « عملية » **للعمل السياسي في مجالس الادارة** ، وفي وحدات الانتاج للسيد أنور بهاء الدين والدكتور محمد عجلان .

والحقيقة ان الطابع الغالب على المقالين هو الامثلة العملية التي عاصرها الكاتبان باشكال مختلفة . وللوهلة الاولى يبدو تعداد هذه التجارب الايجابية والامثلة الطيبة شيئا عاديا لايستحق اشارة خاصة . ولكن حداثة عهد مجتمعنا بهذا النوع من العمل وبالقيادات السياسية الاشتراكية في مجال الانتاج يمكن ان يكون مبررا كافيا للحديث عنها في معرض المنجزات والقدرة على تقديم الحلول الذاتية للمشاكل الكثيرة التي تعترض خطط الانتاج .. أو كما ذكر السيد بهاء الدين « لاسبيل امامنا ازاء ضيق الامكانيات وضخامة المشروعات سوى العمل الانساني » بشرط ان يكون منظما ومخططا ... وهنا يبرز دور الادارة .. التي لا يمكنها اداءه الا اذا كانت على قدر من الوعي السياسي . » .

وفي هذا الصدد قدم الدكتور عجلان خمسة شروط هامة يجب توافرها « لكي ينجح القادة السياسيون في اعمالهم داخل الوحدات » واهمها كما قال — عن حق — هو القدوة الحسنة والمثل الصالح الذي يتمثل في المناضلين ويتحقق في مظهرهم وتصرفهم وعلاقاتهم » ..

● تعبير واحد تكرر اكثر من مرة في مقال الدكتور عجلان يمكن وصفه بعدم الدقة وهو ان « **الدولة** طرحت الميثاق للمناقشة » .. وان العمل السياسي يجب ان يرتبط « باهداف الدولة » ورغم انه ليس هناك تعارض طبعا بين اهداف الدولة وبين القيادة السياسية الثورية العليا الا ان الاخيرة هي التي طرحت الميثاق وهي التي تحدد هدف العمل السياسي وهدف الدولة في نفس الوقت .



رفاعة الطهطاوى
رائد الفكر العربى الحديث

فى السابع والعشرين من مايو الماضى حلت الذكرى الرابعة والتسعين لوفاة رائد كبير من رواد الفكر العربى فى مصر الحديثة ، هو المفكر والمناضل الوطنى رفاعة رافع الطهطاوى . وجريا على عادة «الطليعة» فى اعادة تقييم تاريخنا الفكرى والنضالى من وجهة النظر العلمية الموضوعية ، تقدم هذا « الملف » عن أبرز قادة الثورة الفكرية المصرية والعربية فى القرن التاسع عشر خلال الفترة التى يمكن تسميتها بحق فجر النهضة الحديثة فى تاريخنا المعاصر وهى المرحلة التى أثمرت عديدا من التيارات الفكرية التى ما تزال أصداؤها باقية الى الآن .

ويمثل رفاعة الطهطاوى من بين هذه التيارات، الاتجاه الاكثر تقدما ووعيا .. فهو الشيخ الذى نبت من أرض مصر ورضع تراثها الاسلامى والعربى فى وقت مبكر ، وهو الرجل الذى اتجه فى شبابه الى اوروبا ينتقى من احداثها

والرياح الفكرية التى تجتاحها زادا ايجابيا غذى به الارض العربية ،وهو الزاد الذى نما فيما بعد وترعرع وجنت ثماره الاجيال التالية لرفاعة الطهطاوى فقد كان الفكر الفرنسى حينذاك مشبعا بروح الثورة البورجوازية وتقاليدها الليبرالية ، وهى الصفات الرئيسية التى حمل لواءها الفكر الوطنى فى مصر والوطن العربى ابان قرن كامل يبدأ من منتصف القرن التاسع عشر . ويكاد يجمع المؤرخون على ان رفاعة هو مؤسس هذا التيار الذى تغور جذوره فى أعماق التراث ، وتمتد فروعه الى مستوى العصر ، وحضارة القرن العشرين .

القسم الأول

رحلة الشيخ الرائدة

— ١ —

كان الزمن فى مصر يتفجر ، دون انقطاع بأحداث تاريخية .. وعقاربه تطوى سنوات النصف الاول من القرن التاسع عشر . هذا القرن الذى شهد الصراع الدامى بين القوى الفرنسية والقوى البريطانية حول السيطرة على مصر باعتبارها الباب المفتوح الى كل من القارة البكر السوداء فى الجنوب والقارة الفسيحة فى الشرق حيث الهند والصين .

وكانت الحملة الفرنسية « جيش الشرق » التى سيرتها حكومة الديركتوار الى مصر فى يوليو ١٧٩٨ بقيادة جنرالها الشاب نابليون قد راحت تجمع ماتبقى من فلولها وتنسحب فى أكتوبر ١٨٠١ تجرجر أذيال الهزيمة أثر مقاومة شعبية عنيدة وضغط عسكرى بريطانى ، مخلفة هنا وهناك من الوادى بصمات علمائها من امثال مونج ولوبير وجومار وغيرهم . وكان الشعب المصرى ، ينصهر مع ظهور طبقة التجار بمجتمعه ، فى بوتقة القومية ويتماسك تحت قيادة زعمائه الوطنيين من علماء الازهر وكبار التجار وفى مقدمتهم عمر مكرم ، ضد السيطرة الاجنبية . وانتفضت الحركة الوطنية الوليدة تحارب عودة الحكام المماليك الطغاة الذين فروا كالجرذان امام جنود الإحتلال الفرنسى . وراحت تسعى لتؤكد ، على قدر طاقاتها ، استقلال بلادها الذاتى عن الامبراطورية العثمانية المريضة

وخلال بحث الشعب عن قوة عسكرية منظمة تسانده ،عثر على قائد عسكرى تركى ، عمد الى الظهور بمظهر العادل العاطف على آمال المصريين ، وفد عام ١٨٠١ من قوله ، احد ثغور مقدونيا ، موطن الاسكندر الاكبر ، ضمن الكتيبة التى بعثت بها الامبراطورية العثمانية لمحاربة الفرنسيين قبيل انسحابهم . ووجد الشعب فى هذا القائد الذى عرف باسم « محمد على » رجلا قويا فارتاح اليه ونصبه واليا على البلاد فى ١٣ مايو سنة ١٨٠٥ . ووقف زعماء الشعب فى احتفال شعبى كبير بدار المحكمة الشرعية بالقاهرة يتوجون محمد على «لانرضى الا بك وتكون واليا بشروطنا لما نتوسمه فيك من العدالة والخير » . ولكن محمد على الطموح ، الدكتاتورى النزعة ، والذى اتخذ من الاسكندر ، ابن موطنه ، قدوة ومثلا اعلى ، راح يحتال بميكافيلية رهيبة حتى قبض على ازمة الحكم بيد من حديد . فاجهز من ناحية على قوى المماليك فى مذبحة القلعة الشهيرة فى مارس عام ١٨١١ . وشتت من ناحية اخرى القوى الشعبية المصرية التى كانت تسائله الحساب عن تنفيذ شروطها فى العدل والخير ، حتى نجح فى تحطيمها ونفى زعيمها عمر مكرم . وبهذا تخلص محمد على من معارضة اليمين واليسار . وكان من قبل ذلك قد صد غزوا بريطانيا فى ميناء رشيد عام ١٨٠٧ .

وهكذا تربع فى النهاية حاكما مطلقا آمنا وراء اسوار القلعة يرنو بعين زائغة الى السودان جنوبا والى الشام فالحجاز شرقا ويمن الفكر

والتأمل لتحقيق حلمه «المقدونى» بانشاء امبراطورية عظمى يورثها لابنائه ..

بيد ان كل ماكان لدى محمد على ــ وقتذاك ــ من قوى ووسائل، لم تكن تعدو امكانيات بلد صغير يلهث تعداد شعبه نحو ثلاثة ملايين نسمة يطحنه الفقر والمرض وتقيده سلاسل التخلف المعجز وانعدام الخبرة .. ولم يكن هناك مفر الا ان يبدأ محمد على ، اولا وقبل كل شيء ، فى بناء مصر وتقويتها ، جيشا وصناعة وزراعة وخبرة علمية لتصبح من بعد قاعدة الانطلاق لامبراطوريته ومن هنا وبذكاء وقاد ، عمد محمد على الى الاستعانة بالخبرة الاجنبية لاعداد « كادر » البناء البشرى . وكان من الطبيعى ان يلجأ اساسا الى الخبرة الفرنسية دون غيرها من الخبرات وذلك لثلاثة اسباب رئيسية ..

أولها ــ ان فرنسا بعد انسحابها من مصر لم تناصبه العداء كبريطانيا . بل انها شجعته على الوقوف ضد الانجليز وضد الامبراطورية العثمانية على السواء وبالتالى فلم تكن فرنسا مصدر خوف له ..

ثانيها ــ انه كانت للثقافة الفرنسية بعض الرواسب فى مصر منذ الحملة الفرنسية . بل ان « المسيو جومار » احد العلماء الفرنسيين الذين صحبوا الحملة الفرنسية واشترك فى رسم اول خريطة شاملة لمصر قد استمر رغم انسحاب الحملة مرتبطا بمصر عاكفا على دراسة شئونها حتى اتصل بمحمد على بعد تنصيبه واليا وصار من ابرز مستشاريه والمشرف على بعثاته الدراسية الى فرنسا ..

ثالثها ــ ان فرنسا ــ وقتذاك ــ كانت اقرب البلاد الاوربية المتقدمة الى مصر بوسائل مواصلات العصر .

وهكذا بدأ محمد على يعمل على ان يصل مصر بفرنسا بخيوط الخبرة والعلم والثقافة على وجه العموم .. فى هذه المرحلة التاريخية من الزمن تنفس رفاعه رافع الطهطاوى نسيم الحياة لاول مرة تحت ظلال نخيل قرية طهطا الصغيرة المتعلقة بذيل صعيد مصر عام ١٨٠١ منحدرا من ابوين فقيرين يفلحان الارض ، النهار بطوله من اجل شقفة خبز . وشب رفاعه يرتع تحت شمس مصر وخلال اطلال الاجداد من الفراعنة ، وامتزجت عواطفه واحساساته بعرق الفلاحين واتراحهم وآمالهم الصغيرة فى الاستحواذ على قيراط او اثنين من الارض التى يمتلكها الوالى ملكية اقطاعية، وحفظ آيات القرآن وتعلم مبادىء القراءة والكتابة مثله مثل الكثيرين من صبيان القرية . بيدانه راح يتفتح عن عقل منظم نهم للمعرفة وقلب مثقل بأحزان قومه وعزيمة آملة فى ان يستطيع يوما ان يفعل شيئا من اجل اسعاد اهله . وما ان بلغ عتبات السادسة عشرة من عمره عام ١٨١٧ حتى فوجىء بوفاة والده فاضطر الى الهجرة من طهطا الى القاهرة . « ام الدنيا » كما كانت تبدو له وقتذاك . وبهذه الهجرة بدأ رفاعه رحلته التاريخية الكبرى، لامن اجل قريته الصغيرة فحسب بل من اجل بلاده كلها .. ومن يومها شرع يبذل الجهد والعمر ليطعمها (بابريز) العلم والفن والثقافة عامة واهداها اول ماأهدى كتابه الشهير « تخليص الابريز الى تلخيص باريز » ففتح امامها بذلك اول نافذة على طريق التطور والتقدم فى تاريخها الحديث واستمر يوالى ، فتح نوافذ جديدة ومتعاقبة حتى آخر يوم من حياته التى نيفت على السبعين عاما . ومن هنا لم تكن مبالغة قط ماأجمع عليه المؤرخون من ان رفاعة رافع الطهطاوى هو « زعيم نهضة العلم والادب » بمصر المعاصرة . والحق ان اشعاع رفاعه لم يقف عند حدود مصر بل انطلق يضيء ويتوهج فى انحاء العالم العربى كله ..

ــ ٢ ــ

وفى القاهرة سارع رفاعه الطهطاوى الى طرق باب الازهر . فالازهر وقتذاك هو الجامعة الثقافية الوحيدة يؤمها طلاب العلم من جميع انحاء مصر والعالم العربى . وكانت الثقافة التى يقدمها الازهر لطلابه تنحصر فى علوم الشريعة الاسلامية وفقهها وفلسفتها وصناعة الكلام نثرا ونظما وفقا للقواعد التى سار عليها السلف منذ عصر الجاهلية فالاسلام . وفى احد أروقة الازهر قبع رفاعه يلتهم فى شره وذكاء عشرات الكتب الصفراء ويتشرب باهتمام كل ماكان يلقيه عليه شيوخ الازهر من دروس ومحاضرات وهكذا صاغ الفتى رفاعه من نفسه بعد سنوات قليلة ، شيخا ازهريا . وكان من الممكن ان يقنع رفاعه بهذه النتيجة وبلقب « العالم الازهرى » الذى كان اقصى ما يطمع اليه المثقفون فى عصره ، لكن رفاعة لم يقنع به . كان دائم الاحساس بأنه لم يكشف من المعرفة الحقيقية الا جانبا يسيرا .. مجرد وجه من وجوهها . وكان دائم التفكير والبحث الدؤوب عن الوجوه الاخرى كى يستطيع ان يحمل مشعلا قويا ، يمضى به ليبدد ظلمات مجتمعه . وعلى طريق البحث والفكر التقى رفاعه بأستاذ جليل من اساتذته هو الشيخ حسن العطار شيخ الجامع الازهر، فتح ذهنه امام الادب والثقافة العامة بجرأة وشجاعة . وكثيرا ماكان رفاعه ينوه فى كتبه عن استاذه هذا باجلال عميق . قال عنه فى كتابه المعروف بعنوان مناهج الالباب المصرية .

كان له حظ فى العلوم العصرية حتى العلوم الجغرافية . وقد وجدت بخطه هوامش جليلة

على كتاب تقويم البلدان ، وهوامش أخرى على اكثر كتب التاريخ وطبقات الاطباء وغيرها .. وكان يطلع على الكتب العصرية وله ولع شديد بسائر المعارف البشرية وله بعض تآليف فى الطب وغيرها .. » وفى كنف هذا الاستاذ الجليل وبدافع من توجيهاته لم يتقوقع الشيخ رفاعه كغيره من شيوخ عصره فى عمامة الثقافة الدينية بل انطلق يعيش حياة زاخرة بالقراءات والدراسات لمختلف فروع الثقافة من آداب وجغرافيا وتاريخ وعلوم، الامر الذى بذر فى عقله اتجاها علميا متحررا وسلح عينه بنظرة استقرائية نقدية . ومن اجل انضاج هذا الاتجاه العلمى المتحرر وتعميق هذه النظرة النقدية رشح الشيخ حسن العطار تلميذه الشيخ رفاعه ليصاحب « كامام دينى » ، اول بعثة دراسية مكونة من ٤٤ « افنديا » اوفدها محمد على فى يوليو ١٨٢٦ الى فرنسا تحت اشراف مستشاره الفرنسى « جومار » . وكان العمل الرسمى لرفاعه الطهطاوى فى هذه البعثة لايتعدى مشاركة ثلاثة من زملائه العلماء الازهريين فى مسئولية القيام بوعظ وارشاد « الطلبة الافندية » دينيا حتى يظلوا على استمساكهم باهداب الاسلام ولا ينحرفون عن مبادئه خلال الغربة ببلاد الافرنج حيث الملاهى والمجون تذهب بالعقول وتفتن الالباب وتزيغ الابصار .. ولقد عبر الائمة الاربعة البحر الابيض المتوسط معا الى باريس ثم عادوا بعد سنوات .. ثلاثة منهم لم يبلل البحر طرفا من عباءاتهم عادوا كما راحوا بعمائمهم الكبيرة تثقل رؤوسا لم تتفتح لشىء وقلوبا لم تخفق قط بجديد وظلوا امناء لعملهم الرسمى فحسب .

اما رابعهم صاحب العقل المتطور والنظرة النقدية فقد تحرر من سجن العمل الرسمى والقى بجماع نفسه فى مياه « المالح » ودروب باريس حتى تبلل وتعفر من قمة رأسه الى أخمص قدميه وصار يعرف باسم جديد هو « المسيو الشيخ رفاعه » والحق ان الاسم الجديد يعد اصدق تعبير عن التزاوج الصحى الخلاق الذى انعقد خلال الرحلة بين الثقافة العربية والثقافة الاوربية فى نفس رفاعه . ولم يضيع رفاعه ساعة من زمان رحلته فقد اكب منذ يومه الاول على « سفينة الحرب الفرنساوية » التى اقلته من الاسكندرية الى مرسيليا ، يتعلم مبادىء اللغة الفرنسية استعدادا لخوض التجربة الجديدة حتى أعمق اعماقها . وفى عزمه ان يخرج من التجربة الى وطنه وثمة كتاب بيمينه يكون بمثابة « الديوان النفيس بايوان باريس» أو على حد قوله فى الافتتاحية «..وليبقى دليلا يهتدى به السفر اليها طلاب الاسفار خصوصا وانه من أول الزمن الى الان لم يظهر باللغة العربية على حسب ظنى شىء فى تاريخ مدينة باريس ، كرسى مملكة الفرنسيس ولا فى تعريف احوالها واحوال اهلها .. فما قصرت فى ان قيدت فى سفرى رحلة صغيرة نزهتها عن خلل التساهل والتحامل ، وبرأتها من زلل التكاسل والتفاضل ووشحتها ببعض استطرادات نافعة واستظهارات ساطعة . وانطقتها بحث ديار الاسلام على البحث فى العلوم البرانية والفنون والصنايع فان كمال ذلك ببلاد الافرنج امر ثابت شائع . والحق أحق ان يتبع .. (ص ٤) . ولذلك راح رفاعه يرصد خلال السنوات الست التى قضاها فى رحلته بباريس كل ما اتصل به من احداث وتجارب وملاحظات ومعارف جديدة ، استجابة الى ما أشار عليه به « بعض الاقارب والمحبين ولا سيما شيخنا العطار فانه مولع بسماع عجائب الاخبار والاطلاع على غرائب الاثار ان أنبه على مايقع فى هذه السفرة وعلى ماأراه وما أصادفه من الامور الغريبة والاشياء العجيبة وان اقيده ليكون نافعا فى كشف القناع عن محيا هذه البقاع التى يقال انها عرائس الاقطار (ص ٤) ..

وهكذا لم تكد تدنو ايام عودته الى وطنه عام ١٨٣١ حتى كان قد اتم تأليف كتاب رحلته الفذة، معنونا اياه — على طريقة التاليف فى عصره — بعنوانين « تخليص الابريز الى تلخيص باريز » او « الديوان النفيس بايوان باريس » ، اشرقت الطبعة الاولى منه عام ١٨٣٢ فى عهد محمد على بمطبعة بولاق الرسمية . واعاد رفاعه طبعه مرة اخرى فى عهد عباس عام ١٨٤٩ الامر الذى اثار حنقه بسبب مايفيض به الكتاب من آراء وأفكار « تشجع الرعية على الفساد وعدم اطاعة الحاكم طاعة مطلقة » فظل يتربص الدوائر بصاحبه حتى نفاه عام ١٨٥١ الى السودان تحت ستار ادارة مدرسة الخرطوم . وبعد وفاة رفاعه قام احد الناشرين ويدعى مصطفى فهمى «الكتبى بجوار الازهر » باصدار طبعة ثالثة عام ١٩٠٥ وحرص على ان يعرف الكتاب بأنه « رحلة العالم العلامة المشارك النحرير الفهامة المرحوم رفاعه بك بدوى رافع الطهطاوى ، رحمه الله آمين » . وهذه الطبعة الإخيرة هى مانستند اليها فى دراستنا هذه ..

— ٣ —

ولقد دخل «تخليص الابريز الى تلخيص باريز» رحاب الادب العربى بوصفه كتابا فى ادب الرحلات وهو بهذا التقييم يعد أول كتاب من هذا النوع فى تاريخ الادب العربى الحديث . وكان آخر ماعرفته العربية فى تاريخها القديم من كتب ذات قيمة فى ادب الرحلات هو رحلة ابن بطوطة المغربى المسماه تحفة الانظار فى غرائب الامصار وعجائب الاسفار عام ٧٢٥ هجرية ..

والواقع ان ادب الرحلات قليل الكم فى الادب العربى المصرى ، ذلك ان المصريين كانوا فى مقدمة من اكتشفوا الزراعة من بنى الانسانية فجبلوا

على الاستقرار على ضفاف النيل والارتباط الوثيق المقدس بالارض الطيبة وعزفوا بطبيعتهم هذه عن التغرب والارتحال من موطنهم الميلادى الا للضرورة القصوى .

ورفاعه الطهطاوى نفسه لم يكن قد رأى من بلاده غير القاهرة بالاضافة الى قريته طهطا وبعض القرى المجاورة بصعيد مصر . ولذلك عندما بدأ رحلته الى باريس ومر بالاسكندرية ليستقل السفينة من مينائها ، كانت المدينة غريبة عليه تماما وكأنها ليست من مصر . ولم يستطع ان يعتمد فى حديثه عنها بالكتاب على ما رآه بعينيه بل عمد الى المراجع الفرنسية فى تاريخ المدينة وفى ذلك يقول فى الفصل الثانى من المقالة الاولى للكتاب ان النبذة التى تتعلق بهذه المدينة « لخصناها من عدة كتب عربية وفرنساوية وذكرنا ما ظهر لنا صحته . فنقول ان اسكندرية منسوبة الى اسكندر ابن الفيلسوف .. وهو الذى قتل دارا وملك البلاد (ص ٢٦) » وبعد عرضه للآراء المختلفة عن تاريخ الاسكندرية يتحدث عنها منذ الفتح العربى حتى تاريخها المعاصر لعهد محمد على فيقول : « ولما فتحها عمرو بن العاص كتب الى عمر رضى الله عنهما انه وجد بها أربعة آلاف قصر وأربعة آلاف حمام وأربعين الف يهودى تدفع الجزية واربعمائة ميدان واثنى عشر الف بقال وخضرى وفكهانى ، ولعل هذا من مبالغات المؤرخين كما بالغوا فى غيرها من البلاد كمدينة بغداد . ومن عجائب مافيها خزانة الكتب التى حرقها عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه فكانت عدة مافيها من الكتب سبعماية الف مجلد وقد كان اهل هذه المدينة فى سالف الزمان ثلثمائة الف نفس تقريبا وأهلها الان اقل من ذلك بكثير ، وقد تغلب عليها الفرنسيس ثم أخرجهم الانكليز منها ورجعت الى يد الاسلام وهى الان يلوح عليها انوار العمارات بأنفاس صاحب السعادة وبها بهجة التجارة كما انها كانت فى الزمن السابق مركزا للتجارات وصارت فى هذا دار اقامة صاحب السعادة بها اغلب الاوقات ، وهى أشبه وضعا وعمارة بفرضات الافرنج وهى على الشمال الغربى من القاهرة بنحو خمسين فرسخا موضوعة فى احدى وثلاثين درجه وثلاثة عشر دقيقة من العرض يعنى درجة البعد عن خط الاستواء (٢٨ — ٢٩) .

واذا كانت الاسكندرية مفاجأة جديدة للشيخ رفاعه فكيف كانت باريس اذن ؟ الحق انها كانت اكثر من مفاجأة لرجل مهما كان اتساع افقه الا انه على اية حال شرقى المنبع وابن مجتمع متخلف ، النساء فيه « كأمتعة البيوت » اما فى باريس فهن «كالصغار المدلعين» .. «بارعات الجمال واللطافة حسان المسايرة والملاطفة يتبرجن دائما بالزينة ويختلطن مع الرجال فى المتنزهات (ص ٦٦) والملك هناك ليس « كولى النعم » فى مصر حاكما مطلق التصرف ، كلمته قانون لاراد لارادته وانما هو حاكم «بشرط ان يعمل بما هو مذكور فى القوانين التى يرضى بها أهل الدواوين » .

ثم هناك مجامع العلماء وخزائن الكتب ، « والانسطيطوت » والاكومات الاكاديمية ، والتيارات ومحال الرقص المسماة البال وحديقة الشمزليزة والثورة الشعبية ضد الملك والحكام وشيئا فشيئا يغوص رفاعه فى اعماق باريس ويعيش حياتها فى النهار والليل والشارع والحارة والبيت والناس والمدرسة ويستوعب ويهضم ويختزن مشاهداته بروح متفتحة نقدية ثم يعبر عنها فى شمول وحرارة تشى بالاعجاب رغم كل ما فيها من تناقضات حتى ليصفها فى بيتين من شعره :

« أيوجد مثل باريس ديار
شموس العلم فيها لا تغيب
وليل الكفر ليس له صباح
أما هذا وحقكم عجيب (١٥٣)

والواقع اننا نظلم « تخليص الابريز الى ذهب باريز » اذا اقتصرنا على وصفه بالشمول وحرارة التعبير فحسب . فالكتاب غنى بميزات خاصة عديدة نلخص اهمها فيما يلى :

اولا — عمد رفاعه عمدا ان لايتوجه بكتابه الى الخاصة من اهل مصر بل الى كل الشعب حتى يثريه بتجربة جديدة ويثيره للعمل على تطوير مجتمعه وفى سبيل هذا الهدف ثار بوعى فى صياغته اللغوية للكتاب على قواعد البلاغة العربية الكلاسيكية التى كانت سائدة فى عصره وتقوم على المحسنات وافتعال السجع واستخدام اعصى الكلمات وأصعبها على التداول . وحاول كما يقول هو نفسه فى الافتتاحية « سلوك طريق الايجاز وارتكاب السهولة فى التعبير حتى يمكن لكل الناس الورود على حياضه والوفود على رياضه ولو صغر حجمه وقل جرمه ... وأسأل الله سبحانه وتعالى ان يجعل هذا الكتاب مقبولا لدى صاحب السعادة ولى النعم ، معدن الفضل والكرم وان يوقظ به من نوم الغفلة سائر امم الاسلام من عرب وعجم . انه سميع مجيب وقاصده لا يخيب (ص ٥) .

ثانيا — نهج رفاعه منهجا علميا لم يعرفه الكتاب العرب من قبل ، فهو يعرض للواقع الباريسى عرضا دقيقا مركزا على اهم عناصره ثم يسلط عليه بعد ذلك اضواء النقد ، أيجابا او سلبا مباشرا وغير مباشر — على حسب الاحوال — وأحيانا يضع

واقع باريس موضع المقارنة مع واقع بلاده ليجسد الرأى أو الفكرة تجسيدا واضحا امام قرائه وفى كثير من الاوقات يدعم العرض باحصاءات .

فهو مثلا « فى الكلام على اهل باريس » يصفهم بانهم « اقرب للبخل من الكرم » .. وفى الحقيقة أصل السبب هو أن الكرم فى العرب . ومن اوصافهم توفيتهم غالبا بالحقوق الواجبة عليهم وعدم اهمالهم اشغالهم ابدا فانهم لايكلون من الاشغال سواء الغنى والفقير ، فكان لسان حالهم يقول ان الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما (ص ٦٢) .
وفى حديثه عن « كسب مدينة باريس ومهارتها » يقول : « ولما كانت رعيتهم رائعة كانت الدولة عندهم لها ايراد سنوى عظيم فان ايراد الدولة الفرنساوية كل سنة نحو تسعمائة وتسعة وثمانين مليون فرنك ومن جملة اسباب غناء الفرنساوية انهم يعرفون التوفير وتدبير المصاريف حتى انهم دونوه وجعلوه علما متفرعا من تدبير امور المملكة ولهم فيه حيل عظيمة على تحصيل الغنى ، فمن ذلك عدم تعلقهم بالاشياء المقتضية للمصاريف ، فان الوزير مثلا ليس له ازيد من نحو خمسة عشر خادما واذا مشى فى الطريق لاتعرفه من غيره فانه يقلل اتباعه ما امكنه داخل داره وخارجه وقد سمعت ان قريب ملك الفرنسيس المسمى الدوك درليان وهو الآن السلطان الذى هو من اعظم الفرنسيس مقاما وأكثرهم غناء له من الاتباع وسائر من فى طرفه من العساكر ونحوها كالبستانجية والخدم وغير ذلك نحو اربعمائة نفس لاغير والفرنساوية يستكثرون ذلك عليه فانظر الفرق بين باريس ومصر حيث ان العسكرى بمصر له عدة خدم (ص ١٤٨) .

ثالثا — اختط رفاعه خطة انتهاز الفرصة فى اكثر من موضع من الكتاب ليغذى قارئه بزاد جديد من مختلف العلوم الحديثة التى وقف عليها بباريس حتى ولو كان فى ذلك خروج عن نطاق البحث الذى يعرض له . فهو عند عرضه « لتخطيط باريز من جهة وضعها الجغرافى وطبيعة ارضها ومزاج اقليمها وقطرها » ينتهز الفرصة ليقول «ولنذكر لك هنا كيفية معرفة درجتى الطول والعرض من مكان من الامكنة وثمرة ذلك وان كان يخرجنا عما نحن بصدده فنقول — اعلم ان علماء الهيئة قد اوضحوا بالادلة كروية الارض وانها غير صادقة التكوير ثم صنعوا على هيئتها صورة وسموها صورة الارض .. (ص ٤٦) . ويسهب رفاعة بعد ذلك فى شرح علم الجغرافية الطبيعية .

وفى موضع آخر يتناول بالبحث « سياسة صحة الابدان بمدينة باريس » ، «وفى اعتناء باريس بالعلوم الطبيعية » ، فلا يترك الفرصة تفلت منه دون ان يتحف قرائه بالعديد من النصائح الطبية المستندة الى القواعد العلمية فينصح قارئه « اجعل منافس الهواء الى الجنوب الشرقى اى اجعله بين الشرق والجنوب فان ذلك للصحة أسلم من جميع الاوضاع (ص ١٢١) وفى موضع آخر ينادى بسخرية لاذعة وعطوفة فى آن واحد، أمهات بلاده « اللاتى يردن حفظ صحة ابنائهن او تربيتهن ان يتركن عوائد البرير من لف الاطفال بكيفية يمتنع معها تحركهم وتنقل ارجلهم او ايديهم فكيف يقلن لو اخبرهن انسان ان اللازم لصحتهن ان يحتبسن فى اثوابهن وان يلصقن اذرعتهن ببدنهن وان لا يتحركن كالمسلسل فلأى شيء يصنعن ذلك باطفالهن وهم ضعاف فليطلقنهم يتحركوا وليعرضن اطرافهم للهواء (ص ١٣٠) .

رابعا — حرص رفاعه على ان يكون كتابه مرآة صادقة وامينة للمجتمع الباريسى بكل وجوهه السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية .
ومن اجل هذا عرض مخطوط الكتاب على عدد كبير من رجالات العلم والادب الباريسيين ليتعرف رأيهم فيه. منهم المستشرقان الفرنسيان سلوسترى دساسى وكوسين دى برسول والمسيو جومار المشرف على البعثة الدراسية . وقد عبروا جميعا عن اعجابهم بالكتاب فالعبارة فيه — عند برسول — « واضحة غير متكلف فيها التنسيق » وهو — على حد قول دساسى فى خطابه الى جومار — « مصنوع على وجه يكون به نفع عظيم لاهالى بلد المؤلف فانه اهدى لهم نبذات صحيحة من فنون فرنسا وعوائد واخلاق اهلها وسياسة دولتها ولما رأى ان وطنه ادنى من بلاد اوربا فى العلوم البشرية والفنون النافعة اظهر التأسف على ذلك وأراد ان يوقظ بكتابه اهل الاسلام ويدخل عندهم الرغبة فى المعارف المفيدة ويولد عندهم محبة تعلم التمدن الافرنجى والترقى فى صنايع المعاش (ص ١٨٢) .

ولم يكن اهتمام رفاعة بالحصول على هذه التوصيات ونشرها بنصوصها الكاملة فى كتابه صادرا عن مجرد الرغبة فى تقييم مؤلفه بل كان له من وراء ذلك هدف اعمق وهو تغطية الجراة التى اتسم بها الكتاب فى معالجة مشاكل الحكم وثورة الشعب الفرنسى على الملكية ومناداته بالجمهورية وغير ذلك من الموضوعات « المحرمة » وتقديمها لمحمد على مغلفة بمعسول حديث العلماء الفرنسيين من ذوى الحظوة والرأى لديه . ولعل هذا يفسر ماجاء باحدى رسائل دساسى الى « حبيبه المسيو الشيخ رفاعه الطهطاوى » قوله « وانشاء الله يحصل لك بمصنفك هذا حظوة عند حضرة سعادة الباشا وينعم عليك بما انت اهله (ص ١٧٩) .

ولقد تحقق هدف رفاعه كاملا اذ احتفى محمد

على بالكتاب احتفاء كبيرا ، وأمر بقراءته فى قصوره وتوزيعه على جميع دواوين الدولة والمدارس التى انشأها وكبار « الوجوه والاعيان من الرعية »

— ٤ —

وكتاب « تخليص الابريز الى تلخيص باريز » يقع فى ٢٦٢ صفحة من القطع المتوسط فحسب . ومع ذلك فهو موسوعة ثقافية جامعية تعرض لكل شىء يخطر على اذهان المثقفين عموما بجميع اوجه تخصصهم ، فمن عرض «لوضع البلاد الافرنجية ونسبتها الى غيرها من البلاد » الى «ركوب البحر المالح » الى « علوم الحيل كعلم جر الاثقال » الى « مستظرفات الفنون من رسم ونحت وعمارة وموسيقى » الى «تدبير الدولة الفرنسية» ودستورها الذى عبر عنه باسم « الشرطة » ثم ثورة فرنسا عام ١٨٣٠ ضد الملك شارل العاشر واصفا اياها بالفتنة لان فيها « خروج الفرنساوية عن طاعة ملكهم » الى فلسفات ارسطو ونظريات منتسكيو فى روح الشرائع . ومذهب كبرنيق النمساوى الفلكى الى « فن معرفة المشى فى مصالح الدول » الى فن ترجمة الكتب » الخ ...

ولعل احسن تقييم موجز للكتاب فى هذا الشأن هو بيت الشعر الذى سجله رفاعه نفسه فى ختام افتتاحيته :

« لماذا بدا لا تستقلوا حجمه ...
وحياتكم فيه الكثير الطيب »

ولقد قسم رفاعه كتابه الى مقدمة عامة تتألف من اربعة ابواب شرح فيها هدف رحلته — وهو طلب العلم — الى فرنسا رغم ان هذه البلاد « هى ديار كسفر وعناد وبعيدة عنا غاية الابتعاد وكثيرة المصاريف لشدة غلو الاسعار فيها غاية الاشتداد (ص ٦) ثم عرض « للعلوم والفنون المطلوبة » لانها « اما واهية فى مصر او مفقودة بالكلية» (ص ١٢) . وبعد ذلك تطرق الى التعريف بوضع « البلاد الافرنجية ونسبتها الى غيرها من البلاد ومزية الامة الفرنساوية على ماعداها من الافرنج وتبيين تخصيص صاحب السعادة لها بارسالنا فيها دون ماعداها من ممالك الافرنج (ص ١٤) . وفى رأيه ان هذا التخصيص راجع الى انه « فى بلاد الفرنسيس يباح التعبد بسائر الاديان فلا يعارض مسلم فى بنائه مسجدا ولا يهودى فى بنائه بيعة الى آخره (ص ٢٢ ، ٢٣ » ورصد فى نهاية المقدمة اسماء رؤساء البعثة كالمسيو جومار المشرف العام و « حائز فضيلتى السيف والقلم والعارفة برسوم العرب والعجم حضرة جنتنابك عبده افندى المهردار .. وصاحب الرأى السديد والطالع السعيد من خلع فى حب المعالى العذار حضرة مصطفى مختار افندى الدويدار .. والحاوى بين العلم والعمل واليراع والأمل حضرة الحاج حسن افندى الاسكندرانى بلغه الله فى الدارين الامانى (ص ٢٣) .

وتلى المقدمة أربعة اقسام رئيسية يتفرع كل قسم منها الى عدة فصول . ويسمى كل قسم رئيسى « المقالة » فالمقالة الاولى تروى ما كان من الخروج من مصر الى دخول مدينة مرسيليا التى هى فرضة من فرضات الفرنسيين ، والمقالة الثانية تحكى ما كان من دخول مرسيليا الى دخول مدينة باريس ، والمقالة الثالثة ، فى دخول باريس وذكر جميع ماشاهدناه وما بلغنا من خبرة من احوال باريس وهذه المقالة هى الغرض الاصلى من وضعنا هذه الرحلة فلذلك اطنبنا فيها غاية الاطناب وان كان جميع هذا لايفى بحق هذه المدينة بل هو تقريبى بالنظر لما اشتملت عليه وان استغرب هذا من لم يشاهد غرائب السياحة ، واما المقالة الرابعة والاخيرة فهى تعرض لذكر « نبذ من العلوم والفنون » .

وهكذا فان جوهر الكتاب ، كما يشير المؤلف نفسه ، يتبلور فى مقالته الثالثة التى استهلكت وحدها ١٢٥ صفحة (من ص ٤٥ الى ص ١٧٠) . واحتوت على ثلاثة عشر فصلا ، وهى ما نركز عليها الاضواء هنا .

يستهل رفاعه مقالته بالحديث عن تخطيط باريس الجغرافى وطبيعة ارضها واهلها يشحنه بالجديد من المعلومات على عقلية قارئه العربى ويعمد من حين الى حين الى عقد المقارنات بين الاوضاع الباريسية والاوضاع القاهرية كسبيل من سبل النقد غير المباشر ،واحيانا يعلو صوته بالنقد المباشر وهو من خلال ذلك كله يتغلغل بقارئه الى اعمق اعماق الحياة فى مدينة السين حتى ليسجل ادق الظواهر والتفاصيل ولا ينسى مثلا ان يذكر ان « من اعظم اكرام الضيف عندهم فى الشتاء تقريبه جهة النار ولا عجب فى ذلك نسأل الله انقاذنا من حر نار جهنم ولله در القائل :

النار فاكهة الشتاء فمن يرد
اكل الفواكه شاتيا فليستطل (ص٥٢)

اما رأيه فى الباريزيين فانهم « يختصون من بين كثير من النصارى بذكاء العقل ودقة الفهم وغوص ذهنهم فى العويصات وليسوا مثل النصارى القبطة فى انهم يميلون بالطبيعة الى الجهل والغفلة وليسوا اسراء التقليد أصلا بل يحبون دائما معرفة اصل الشىء والاستدلال عليه حتى ان عامتهم ايضا يعرفون القراءة والكتابة ويدخلون مع غيرهم فى الامور العميقة ، كل انسان على قدر حاله فليست العوام بهذه البلاد من قبيل الانعام كعوام اكثر البلاد المتبربرة (ص ٦٠) ويناقش اللغة الفرنسية واصولها ويقارنها باللغة العربية فيقول

« اللسان الفرنساوى من الافرنجية المستحدثة وهو لسان الغلوية يعنى قدماء الفرنسيس ثم كمل من اللغة اللاطينية واضيف اليه شيء من اللغة اليونانية النيمساوية ويسير من لغة الصقالية وغيرها ثم حين برع الفرنساوية فى العلوم نقلوا كلمات العلوم من لغات اهلها واكثر الكلمات الاصطلاحية يونانية حتى كان لسانهم من اشبع الالسن واوسعها بالنسبة لكثرة الكلمات غير المترادفة لا بتلاعب العبارات والتصرف فيها ولا بالمحسنات البديعية اللفظية فانه خال عنها ، وكذا غالب المحسنات البديعية المعنوية وربما مايكون من المحسنات فى العربية ركاكة عند الفرنسيس مثلا لاتكون التورية من المحسنات الجيدة الاستعمال الا نادرا فان كانت فهى من هزليات أدبائهم وكذلك مثل الجناس التام والناقص فانه لا معنى له عندهم (ص ٦٧ — ٦٨) . ويترجم الى العربية نماذج من الشعر الفرنسى مؤكدا ان كثيرا من الاشعار الفرنسية لا بأس بها مثل :

ودع القلب فيك يا قاتلى
يا خيال المسعد الزائر
ان روحى بالجراح اصطلت
وعلى البرء لست بقادر
وسرورى فى الهوى لمحة
مثل زهر الورق الزاهر (ص٧٦)

ويدلف رفاعه بعدهذا كله الى الموضوع الاساسى الذى هز وجدانه الوطنى هزا عنيفا وحفزه الى دراسته بعمق وعرضه باسهاب جرىء على قرائه فيقول « ولنكشف الغطاء عن تدبير الفرنساوية ونستوفى غالب احكامهم ليكون تدبيرهم العجيب عبرة لمن اعتبر » . ويمضى بشجاعة رائد مفكر وثورى يعى بمسئولياته نحو اسعاد شعبه وتحرره وتطوير بلاده ذات المجتمع الاقطاعى الاستبدادى المتخلف بحيث تندفع على الطريق الذى سارت عليه فرنسا منذ ثورتها الكبرى عام ١٧٨٩ متحررة من الاقطاع وسطوة الملك المطلقة على اساس من مبادىء الحرية والاخاء والمساواة . ومقيمة مجتمعها الرأسمالى حيث تينع فيه لاول مرة ازهارا جديدة للصناعة والعلوم والفنون . ومن هنا جاء حرص رفاعه على ان يؤكد ان الملك هناك لم يعد مطلق التصرف فى حياة الشعب، بل هو مقيد بقانون دستورى اساسى للدولة اطلق عليه رفاعه اسم «الشرطة» ومعناها فى اللغة اللاطينية ورقة ثم تسومح فيها فاطلقت على السجل المكتوب فيه الاحكام المقيدة ، فلنذكره لك وان كان غالب مافيه ليس فى كتاب الله تعالى ولا فى سنه رسوله صلى الله عليه وسلم لتعرف كيف قد حكمت عقولهم بان العدل والانصاف من اسباب تعمير الممالك وراحة العباد وكيف انقادت الحكام والرعايا لذلك حتى عمرت بلادهم وكثرت معارفهم وتراكم غناهم وارتاحت قلوبهم فلا تسمع فيهم من يشكو ظلما ابدا والعدل اساس العمران (ص ٨٢) » ويغلف رفاعه هذا التحريض الثورى لقرائه باستشهاد شعرى من التراث العربى فيقول : « وقال بعضهم شعرا يفيد ان النصر يتوقف على العدل :

تروم ولاة الجور نصرا على العدا
وهيهات يلقى النصر غير مصيب
وكيف يروم النصر من كان خلفه
سهام دعاء من فى قلوب (ص٨٢)

ولا ينتهى المطاف بثورية رفاعة عندهذا الحد بل يعمد الى ترجمة مواد «الشرطة » ترجمة كاملة وأمينة تكشف عن تمتع «الفرنساوية» بحقوق المساواة والتأهل لاخذ اى منصب كان واى رتبة، وبأن لا يمنع انسان فى فرنسا ان يظهر رأيه وان يكتبه ويطبعه ،وانسائر الاملاك والاراضىحرم فلا يتعدى أحد على ملك آخر الخ ..

كما تكشف عن السلطة الشعبية التى تشارك الملك فى الحكم وسماها « اهل الدواوين » وهو يعنى البرلمان . واوضح ان هذه السلطة تنقسم الى ديوانين اولهما ديوان البير (مجلس الشيوخ) وحرص على ان يصفه بانه « يمانع عن الملك » فكأنه اراد ان يدمغه بالرجعية وثانيهما ديوان رسل العمالات (مجلس النواب) المكون من « نواب الرعية » او « امناء الرعية » المنتخبين من جميع انحاء اقاليم فرنسا ووصفه رفاعة بانه يحامى عن الرعية .»

وواجه رفاعة فيما واجه كلمات وشعارات جديدة عليه تماما ، فتن بها افتنانا عظيما فحاول باسلوبه الخاص ان يفسر مضمونها ويقرب معناها الى اهل وطنه . من ذلك مثلا « الحرية » قال « ان مايسمونه بالحرية ويرغبون فيه هو عين مايطلق عليه عندنا العدل والانصاف وذلك لان معنى الحكم بالحرية هو اقامة التساوى فى الاحكام والقوانين بحيث لا يجور الحاكم على انسان بل القوانين هى المحكمة والمعتبرة فهذه البلاد حرية يقول الشاعر :

وقد ملا العدل اقطارها
وفيها توالى الصفا والوفا (ص٩٠)

ومن ذلك ايضا « الورقات اليومية المسماة بالجرنالات والكازيتات » . قال عنها « ان الانسان يعرف منها سائر الأخبار المتجددة سواء كانت داخلية او خارجية .. وان كان قد يوجد فيها من الكذب مالا يحصى الا انها قد تتضمن اخبارا تتشوق نفس الانسان الى العلم بها .. ومن فوائدها ان الانسان اذا فعل فعلا عظيما او رديئا

وكان من الامور المهمة كتبه اهل الجرنال ليكون معلوما للخاص والعام لترغيب صاحب العمل الطيب ويرتدع صاحب الفعلة الخبيثة وكذلك اذا كان الانسان مظلوما من انسان كتب مظلمته فى هذه الورقات فيطلع عليها الخاص والعام فيعرف قصة المظلوم والظالم من غير عدول عما وقع فيها ولا تبديل وتصل الى محل الحكم ويحكم فيها بحسب القوانين المقررة فيكون مثل هذا الامر عبرة لمن يعتبر (ص ٩٢ — ٩٣) .

وفى اكثر من موضع من الكتاب صاغ رفاعة بعض الحوادث الشخصية فى صور قصصية فنية ليرسب فى قارئه حقيقة موضوعية او نقدا لاذعا خفيا . من ذلك ماروا من انه « اتفق لى ذات يوم وانا مار فى طريق باريس ان سكرانا صاح قائلا ياترکی یاترکی وقبض بثيابى وكنت قريبا من دكان يباع فيه السكر ونحوه فدخلت معه واجلسته على كرسى وقلت لرب الحانوت على سبيل المزح هل تريد ان تعطينى بثمن هذا الرجل سكرا او نقلا فقال صاحب الحانوت ليس هنا مثل بلادكم يجوز التصرف فى النوع الانسانى ، فما كان جوابى له الا انى قلت ان هذا الشخص السكران ليس فى هذا الحال من قبيل الادميين .. (ص ١٠٥ — ١٠٦) .

ويمضى رفاعة على صفحات الكتاب يرسم فى براعة اخاذة صورا غنية بالوانها وظلالها عن حياة الناس فى باريس ، ففى بيوتهم « يحاولون اضعاف نور الارض بوضع الستائر الملونة خصوصا الخضراء وارض اوضهم مبلطة بخشب او بنوع من القرميد الاحمر .. ص ٩٧ » و « كل انسان له خزنة كتب سواء الغنى والفقير حيث ان سائر العامة يكتبون ويقرءون ، والغالب ان الرجل ينام فى اوضة غير التى تنام فيها زوجته اذا تقادم الزواج (ص ١٠٠) و «باريز نظيفة فهى خالية ايضا من السميات بل ومن الحشرات فلا يسمع بأن انسانا فيها لدغته عقرب ابدا (ص ١٠٢) .. والنساء « يحتزمن بحزام رفيع فوق اثوابهن حتى يظهر الخصر نحيفا ويبرز الردف ثقيلا .. ويشبكن بالحزام قضيبا من صفيح من البطن الى اخر الصدر حتى يكون قوامهن دائما معتدلا لا اعوجاج به .. (ص ١٠٧) والباريسيون يذهبون للترويح عن النفس فى « محال تسمى التياتر بكسر التاء المشددة وسكون التاء الثانية .. والتياتر عندهم كالمدرسة العامة يتعلم فيها العالم والجاهل .. (ص ١١٠) . ومن آدابهم الاجتماعية انه « اذا دخلت امراة على اهل المجلس ولم يكن كرسى خاليا قام لها رجل واجلسها ولا تقوم لها امراة لتجلسها فالانثى دائما فى المجلس معظمة اكثر من الرجل ، ثم ان الانسان اذا دخل بيت صاحبه فانه يجب عليه ان يحيى صاحبة البيت قبل صاحبه ولو كبر مقامه ما امكن فدرجته بعد زوجته او نساء البيت (ص ١١٢) . اما « اعظم التجارات واشهرها فى باريس فهى معاملات الصيارفة (ص ١٤٣) . « ولولا ان كسبهم مشوب فى الغالب بالربا لكانوا اطيب الامم كسبا (ص ١٤٧) . « والفرنساوية يحترمون امور المراسلات غاية الامكان فلا يمكن لانسان ان يفتح مكتوبا معنونا باسم اخر ولو كان متهما بشىء . ولما كان احترام المراسلات بباريس على هذه الحالة كثرت الرسائل بين الاحباب والاصحاب خصوصا بين العشاق لامن الانسان على مكتوبه من ان يفتحه غير المرسل اليه المعنون باسمه . واعلام العشق بين العاشق ومعشوقته يكون بالمراسلة وبها ايضا يحصل الوعد بالمواصلة (ص ١٤٦) . و « لكل انسان من الفرنساوية عيد وهو يوم مولد القديس الموافق له فى اسمه ... وفى عيد الانسان يهادونه بانواع الازهار (ص ١٥١) و «مما يبهر العقول فى باريس دكاكين الكتبية وخاناتهم وتجارات الكتب فانها من التجارات الرايجة مع كثرتها .. (ص ١٦٩) .

وفى النهاية يختم رفاعة حديث رحلته «بمقالة» ذات مغزى كبير . ونعنى بها المقالة التى عرض فيها لاحداث « الايام الثلاثة المجيدة » من ثورة الشعب الفرنسى على شارل العاشر لانتهاكه الدستور « الشرطة » عام ١٨٣٠ . ورغم انه حاول ان يكون موضوعيا فى عرضه للثورة او على حد تعبيره « للفتنة » الا انه لم يستطع مع ذلك ان يكبت جماح قلمه الحر عن الاحتفاء بالثورة واهدافها « لانها عند الفرنساوية من اطيب ازمانهم واشهرها ، بل ربما كانت عندهم تاريخا يؤرخ منه . (ص ١٩٦) . وفى هذه المقالة يتناول بالتفصيل القوى السياسية المتصارعة بفرنسا فيقرر انها تنقسم الى طائفتين اساسيتين « الملكية والحرية والملكية اتباع الملك القائلون بانه ينبغى تسليم الامر لولى الامر من غير ان يعارض فيه من طرف الرعية بشىء والاخرى يميلون الى الحرية ، بمعنى انهم يقولون لاينبغى النظر الا الى القوانين فقط والملك انما هو منفذ للاحكام على طبق مافى القانون فكانه عبارة عن آله .. والملكية اكثرهم من القساوس واتباعهم واكثر الحريين من الفلاسفة والعلماء والحكماء واغلب الرعية . فالفرقة الاولى تحاول اعانة الملك والاخرى ضعفه واعانة الرعية . ومن الفرقة الثانية طائفة عظيمة تريد ان يكون الحكم بالكلية للرعية ولا حاجة الى ملك اصلا ولكن لما كانت الرعية لاتصلح ان تكون حاكمة ومحكومة وجب ان توكل عنها ماتختاره منها للحكم وهذا هو حكم الجمهورية .. (ص ١٩٦ — ١٩٧) .

وفى نهاية « المقالة » يقرر رفاعة انتصار الثورة وهزيمة شارل العاشر بعبارات تفيض بالحماسة ويربط بين هزيمة الملك وماتشدق به هو مطرانه رئيس القساوسة فى نفس عام الثورة من احتلاله للجزائر بالمغرب العربى . فيقول بسخرية واعية

برات من التعصب الديني ونفذت الى قلب الحقيقة العلمية . وكان هذا هو عاقبته على غارته على بلاد الجزائرباسباب واهية .. ومما وقع ان المطران الكبير لما سمع باخذ الجزائر ودخل الملك القديم (يقصد شارل العاشر) الكنيسة يشكر الله سبحانه وتعالى على ذلك جاء اليه هذا المطران ليهنيه على هذه النصرة،فمن جملةكلامه مامعناه انهيحمد الله سبحانه وتعالى على كون الملة المسيحية انتصرت نصرة عظيمة على الملة الاسلامية ولازالت كذلكانتهى، مع انالحرب بين الفرنساوية واهالى الجزائر انما هو مجرد امور سياسية ومشاحنات وتجاراتومعاملاتومشاجرات ومجادلاتمنشؤها التكبير والتعاظم . ومن الامثال الحكيمة لو كانت المشاجرة شجرا لم تثمر الا ضجرا فلما وقعت الفتنة كسر الفرنساوية بيت المطران بعد هروبه وخربوه وافسدوا جميع مافيه حتى انه تخفى ولم يعلم له اثر ثم ظهر واختفى ثانيا وهجم على بيته ثانيا ولا زال مذموما مخذولا (ص ٢١٧) .

بمثل هـذه المفاهيم التقـدمية التى لاترى فى احتلال فرنسا للجزائر عدوانا صليبيا من المسيحية على الاسلام بل « استعمارا » تحركه المصالح الاقتصـادية والسياسية انطلق رفاعة بـكتابه « تخليص الابريز الى تلخيص باريز » ، والقرن التاسع عشر مايزال وليدا يحبو سنواته الاولى ، يعلم ويثقف بنى وطنه .

— ٥ —

فى عام ١٨٣١ عاد « المسيو الشيخ رفاعة الطهطاوى » من باريس ليبدأ مسيرته التبشيرية الواعية فى عقول ووجدانات قومه . وكانت العمامة الانيقة مابرحت على وضعها من الراس الكبير المتأرجح فوق قامة قصيرة ربعة . بيد ان الرأس كان قد امتلأ بثمرات سنوات ست من التحصيل الدائب للعلم ، اما القلب فمازال نبضه يتدفق بحب الوطن ، تدفع به ارادة قوية تبينت الطريق امامها واضحا للعمل (*)

وشرع من خلال تدريسه للغة الفرنسية بمدرسة الطب بابى زعبل ثم مدرسة المدفعية بطره ، بنقل عشرات من الكتب والدراسات العلمية والادبية الى العربية ، كجغرافية ملطبرون ورسالة فى الهندسة ، كانت تدرس بالمدرسة الحربية بسان سيربفرنسا والقانونالمدنى الفرنسىوروح الشرائع لمونتسكيو اوكما كانيسميه «ابنخلدون الافرنجى» ومواقع الافلاك لتلماك فضلا عن نشيد المارسيليز وبعضالاشعار الفرنسية. وانشأ بعضالمنظومات فى العلوم الحديثة على نهج الفية ابن مالك فى النحو والصرف .. قال فى تعريف علم الهندسة :

موضـوعة قياس الامتـداد
فسره بالثـلاثة ابعـاد
والطول والعرض وكذا العمق
وشرح هـذى غـير مستحق

كما اصدر مؤلفات غزيرة لعل اهمها كتابه الجامع عن مصروحضارتها اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا ، عنونه « مناهج الالباب المصرية فى مباهج الاداب العصرية »

ولكن رفاعة اكتشف ان كلهذا الجهدضائع بلا جدوى اذا لم يبلور من حوله طليعة جديدة من المثقفين المتسلحين بلغات اجنبية تمكنهم من الاطلاع علىمختلف الثقافاتوهضمها ومناقشتها ثممشاركته فى عكس هذا كله الى الجمهور العربى . ومن هنا بدأ يسعى لتحقيق مشروعه الكبير ونعنى به انشاء مدرسة عليا للغات الاجنبية تخرج صفوفا من المثقفينالملمين بالاداب العربية والاداب الاوربية معا ويضطلعون بعبء النهضة الثقافية فى مصر تعريبا وتأليفا . ونجح فى اقناع محمد على بانشاء هذه المدرسة التى فتحت ابوابها عام ١٨٣٦ وتولى رفاعة ادارتها فى السنة التالية وافتتحت بها فصول لتدريس اللغة والادب الفرنسى ، والانجليزى والايطالى ، والتركى ، والفارسى ، فضلا عناللغة والادب العربى ، وبلغ عددالتلاميذ بها ٥٠ تلميذا هم فىالواقع «نواة الانتلجنسيا المصرية المعاصرة» كان من بينهم الدكتور محمد البقلى باشا رائد الطب فى مصر « وعبد الله ابو السعود افندى » الذى اصدر اول صحيفة سياسية فى تاريخ مصر الحديث باسم « جريدة وادى النيل » و « ابراهيم بك مرزوق الشاعر » و « السيد صالح مجدى بك » الاديب «ومحمد قدرى باشا» الفقيه القانونى « ومحمد عثمان جلال بك » الذى نقل الى العربية كثيرا من اثار لافونتين وموليير ولاتزال ترجمته لسرحية طرطوف تمثل حتى اليوم بالمسرح القومى بالقاهرة تحت اسم « الشيخ متلوف » ..

وفى هذه المدرسة كان رفاعة على حد ماذكره عنه تلميذه على باشا مبارك الذى تولى وزارة المعارف فى عهد الخديو اسماعيل « يمكث نحو ثلاث ساعات او اربع ساعات يلقى الدرس واقفا على قدميه فى دروس اللغة او فنون الادارة او الشرائع الاسلامية والاجنبية وكذلك كان دابه معهم فى تدريس الفنون والاداب العالمية » .

وخلال ادارته لمدرسة الالسن اسندت اليه ادارة كل من المدرسة التجهيزية ومعهد الفقه والشريعة الاسلامية ومدرسة المحاسبة ومدرسة الادارة الافرنجية فكان رفاعة فى الواقع الموجه والمنظم لاول جامعة عصرية فى مصر منفصلة عنالازهر، تفتح ابوابها للثقافات الاجنبية المتطورة .

بجانب هذا كله قام رفاعة بدور ايجابي في تطوير صحيفة البلاد الرسمية التي انشاها محمد علي باسم « الوقائع المصرية » وذلك عندما عين في عام ١٨٤٢ رئيسا لتحريرها فجعل العربية لغتها الاصلية بعد ان كانت تركية وقام بتغذيتها بالاخبار المصرية والحوادث الخارجية اولا باول « حتى لاتسقط قيمتها اذا تقادم عهدها » وكانت اول مقالة له في الوقائع ذات طابع تثقيفي جريء وجديد في وقت واحد ، فقد تناول فيها احوال الدولة الداخلية والخارجية « وهذا مايسمى بالبولتيقة والتكلم في شانها يقال له بولوتيقي فما كان بين الدول والملل يقال له بولوتيقة خارجية وما كان في دولة واحدة مايتعلق بنظامها وتدبيرها يقال له بولوتيقة داخلية» .. وقسم اشكال الحكم في العالم الى « اربعة اقسام ديمقراطية وارستقراطية وموناركية ومختلطة اي مركبة .. »

وخلال العمل بالوقائع ربى رفاعة طائفة اخرى من التلاميذ الرواد من امثال شهاب الدين الشاعر الشعبي واحمد فارس الشدياق المفكر اللبناني الكبير صاحب «الساق على الساق فيما هو الفرياق» و « الواسطة في معرفة احوال مالطة » و « كشف المخبأ عن فنون اوربا » واحمد عبد الرحيم الذي تتلمذ عليه فيما بعد الامام الشيخ محمد عبده ..

واهتم رفاعة اهتماما كبيرا بالمراة فكان صاحب اول صوت جهوري انطلق لتحريرها من قبور الحريم وبعث طاقتها البناءة للمجتمع . وفي سبيل هذا وضع كتابا مشتركا لتثقيف البنات والبنين معا عام ١٨٧٢ سماه «المرشد الامين للبنات والبنين» وصفه بانه « يصلح لتعليم البنين والبنات على السوية » لانه « ينبغي صرف الهمه في تعليم البنات والصبيان معا لحسن معاشرة الازواج .. وليمكن المراة عند اقتضاء الحال ان تتعاطى من الاشغال مايتعاطاه الرجال على قدرتها وطاقتها .. واذا كانت البطالة مذمومة في حق الرجال فهي مذمة عظيمة في حق النساء .. » وقد اسفر هذا الاهتمام عن انشاء مدرسة الولادة في عهد محمد علي ثم مدرسة السنية عام ١٨٧٣ في عهد الخديو اسماعيل فضلا عن شيوع حركة عامة في اسر الطبقات الغنية لتثقيف فتياتها داخل قصورها مما اتاح لعائشة التيمورية ان تطرق باشعارها وكتاباتها الاجتماعية ابواب المجتمع وتشق الطريق امام المراة المصرية خاصة والعربية بصفة عامة ..

ولم تقف جهود رفاعة لخلق الانتلجنسيا المصرية الحديثة عند هذا الحد بل اتاح له توليه لرئاسة مجلة « روضة المدارس » التي انشاها عام ١٨٧٠ تلميذه علي مبارك باشا وزير المعارف في عهد الخديو اسماعيل ميدانا جديدا للعمل وتربية عناصر جديدة فقد ساعدت هذه المجلة على حد قول المسيو دور مفتش التعليم العام في عهد الخديو اسماعيل في كتابه « التعليم في مصر » « على نشر العلوم والمعارف لانها عودت الطلبة ملكة المطالعة والبحث وفتحت صحائفها للنابهين منهم لنشر ابحاثهم القيمة فكان ذلك ممايشجعهم ويستحث هممهم على المباحث والجهود المستقلة عن دروسهم» ..

وقد احدثت هذه المجلة للشعر العربي رائدا من رواد الشعر العربي الحديث وهو المرحوم اسماعيل باشا صبري فضلا عن كثيرين من الادباء المعروفين امثال فتح الله حمزة والشيخ عثمان مدوخ والشيخ حسونة النواوي ..

والحق ان رفاعة لم يخمد له نشاط منذ تفجر وعيه في طهطا والقاهرة وتفتحت عبقريته على ركوب المالح ورحلة باريس ففتح لبلاده التي هي مركز الاشعاع لبلاد الشرق العربي كافة ، نوافذ رحبة ومشرقة على الثقافة والحضارة العالمية وساعدته في ذلك طاقته المشحونة بالحيوية والتي امتزج فيها التراث العربي بالعلوم الطبيعية والانسانية والاداب العالمية ..

وتداولت كتبه ودراساته المعربة والمؤلفة في جميع انحاء العالم العربي تثقف وتضيء ويرتوي منها عدد كبير من رواد الفكر العربي المعاصر من امثال عبد الرحمن الكواكبي وشبلي الشميل وأديب اسحاق وولي الدين يكن وفرح انطون وامين الريحاني واحمد شوقي وخليل مطران ومعروف الرصافي والمنفلوطي وطه حسين .

لهذا لم يغال رفاعة قط عندما كتب يدافع عن نفسه في مقدمة ترجمة تليماك وسهام الجهل والجحود والنفي تنهال عليه في عهد عباس . أما بعد فيقول المرتجي ان يكون لوطنه خير نافع ، رفاعة بدوي رافع ... قد تقلدت بعناية الحكومة المصرية الفائقة على سائر الامصار ، في عصر المدة المحمدية العلوية ... بوظيفة تربية التلاميذ مدة مديدة وسنين عديدة نظارة وتعليما وتعديلا وتقويما وترتيبا وتنظيما وتخرج من نظارات تعليمي من المتفننين ، رجال لهم في مضمار السبق وميدان المعارف وسيع المجال وفي صناعة النثر والنظم ابهر بديهة وابهى روية وازهى ارتجال وحماة صفوف لايبارون في نضال ولا سجال وعربت لتعليمهم من الفرنساوية المؤلفات الجمة ، وصححت لهم مترجمات الكتب المهمة من كل كتاب عظيم المنافع .. وسارت بها الركبان في سائر

البلدان وحدا بها الحادى فى كل واد وقصدها القصاد كانها قصائد حسان وكان زمنى الى ذلك مصروفا وديدنى بذلك معروفا مجاراة لامير الزمن على تحسين حال الوطن الذى حبه من شعب الايمان وفى مدة ثلاثين سنة لم يحصل لهمتى فتور ولا قصور » ..

وبعـد ..
ماالخلد صاحب « تخليص الابريز الى تلخيص باريز » فى تاريخنا ، هذا الشيخ المعمم القصير القامة الواسع الجبين الذى اثمرته شمس طهطا وانضجته ثورة باريس .

القسم الثانى

رفاعة الطهطاوى .. صحفيا ومناضلا سياسيا

لاتحتاج

الى كثير بيان ، حقيقة ان المساهمة السياسية العظيمة التى قدمها رفاعة الطهطاوى الى الشعب المصرى وبقية الشعوب العربية ، وهى تعاود صلاتها بأوربا،منذ بداية القرن التاسع عشر ، لم تكن بأى حال من الاحوال ، نابعة من جهود سياسية مباشرة قام بها رفاعة فى معترك صراع القوى السياسية ، وقد كان عن مثل تلك الصراعات بعيدا،وانما تمثلت مساهمته السياسية اساسا فى تقديمه اصول الحكم الديمقراطى البورجوازى الاوربى — تقديما مشبعا بالعطف — فى مصر التى كانت لاتزال تسودها افكار وعلاقات العصور الوسطى الاقطاعية المتخلفة .

وقد قدم رفاعة فى مساهمته تلك ، ولاول مرة فى تاريخ مصر الحديث ، مفهوم « الحرية » بمعناها السياسى الحديث ، لا بمعناها العربى التقليدى ، الذى يعرف الحر ، بأنه نقيض « العبد » الرقيق الذى يشترى ويباع — كما قدم ايضا مفهوم الدولة العصرية غير الثيوقراطية ، التى ينفصل فيها الدين عن الدولة ، وقدم كذلك ، لاول مرة ، مفهومه الجديد عن « الوطنية» الوطنية «المصرية» الخاصة ، فى قلب « الامة » الاسلامية عامة .

مع الدولة العلمانية الحديثة

واتجاهه العاطف على الدولة بالمفهوم الحديث ، يمكن ان نحسه فى العديد من النصوص ، التى حواها كتابه « تخليص الابريز فى تلخيص باريز » و « مناهج الالباب المصرية فى مباهج الاداب العصرية» ففى تعليقه على دستور ١٨١٨ الفرنسى ، فى « تخليص الابريز » يقول : انه وان كان غالب ما فيه ، ليس من كتاب الله تعالى ولا من سنة رسوله صلى الله عليه وسلم » الا انه يوضح «كيف قد حكمت **عقولهم** بأن العدل والانصاف ، من اسباب تعمير الممالك وراحة العباد ، وكيف انقادت الحكام والرعايا لذلك حتى عمرت بلادهم ..فلا تسمع فيهم من يشكو ظلما ابدا والعدل اساس العمران » ، وفى ذلك اقرار من جانب رفاعة بأن نظام الحكم الصالح ، والقوانين العادلة ، يمكن ان تنبع من « العقل » والفلسفة السياسية والاجتماعية العلمانية ، وهو اقرار ثورى ضخم للغاية فى مصر التى كانت لا تزال تتبع الخليفة العثمانى ، وتخضع رسميا للحكم الثيوقراطى وللحكومة الدينية .

والحقيقة ان رفاعة ومدرسته العلمانية الثورية العاطفة على الامكانيات الضخمة للدولة العلمانية فى ارساء مبادىء العدل والانصاف ، تلك المدرسة التى اشترك استاذه الشيخ **حسن العطار** فى وضع اسسها ، انما تتفوق من هذه الناحية على مدرسة السلفيين الثوريين التى تبلور اتجاهها فى فلسفة **جمال الدين الافغانى** ، والشيخ **محمد عبده** .فالمدرسة السلفية الثورية ، قد ثارت هى ايضا على اسس الحياة السائدة فى المجتمع الاسلامى ، ولكنها دعت الى تغييرها واقامة الحياة

الجديدة — اساسا — على الاشتمتن الروحية الدينية التى تركها لنا السلف الصالح ايام مجد العروبة والاسلام . على انه ينبغى الا تغيب عن البال فى نفس الوقت ، حقيقة ان رفاعة الطهطاوى ومدرسته لم يكونوا ، وما كان بوسعهم بحكم نشأتهم وثقافتهم ان يكونوا ، غير محبذين للمثل السلفية المجيدة ، والعودة الى النهل من منابع التقاليد الديمقراطية والانسانية الاصيلة فى الاسلام ، لانهم ورفاعة على وجه الخصوص ، كثيرا ماكانوا يعودون ليؤكدوا ما معناه ان المنجزات التقدمية للديمقراطية الليبرالية الاوربية ، ليست بأى حال جديدة علينا ، وانما هى اصيلة فى تراثنا عميقة الجذور، وان ركام التخلف الحضارى والاستبداد التركى والمملوكى ، هما اللذان باعدا بينها وبين حاضرنا المظلم ، بستار من الظلم والطغيان كثيف . ولذا فان اعتماد رفاعة على التراث الاسلامى القديم فى صياغة فكره الجديد، لم يكن رجوعا محافظا ، وانما يمكن ان نقول ، ان رفاعة — فى عطفه وحماسه لاكتشافه الديمقراطى الاوربى — قد استخدم اسانيد سلفية ليقنع اهل عصره بحكمة وعدل دساتير اوربا الحديثة».

وحسبما يرى رفاعة ، فليس هناك اختلاف كبير بين مبادىء الشرع الاسلامى ، وتلك المبادىء الخاصة « بالقانون الطبيعى »التى اقيمت على مقتضاها دساتير اوربا الحديثة (١) الامر الذى يتطلب اعادة تفسير الشرع الاسلامى ، فى اتجاه التطابق مع الاحتياجات الحديثة ، وهو عمل ممكن ومشروع فى نظر رفاعة . ويعتبر رفاعة الطهطاوى من هذه الناحية اول من فتح باب الاجتهاد بعد ان ظل مغلقا مدة طويلة ، كما انه احدث انعطافة جديدة فى فكرة ومفهوم « العلماء »على اساس انهم ليسوا ببساطة مجرد حراس لتراث ثابت محدد الاطار ، وانما عليهم ان يفسروا الشريعة فى ضوء الاحتياجات الحديثة . ولذا اصبح من واجبهم وفق هذا المفهوم الجديد ، ان يعرفوا ما هو العالم الحديث نفسه ويدرسوا العلوم التى اتى بها العقل الانسانى ».

ولكن عددا من المؤرخين والمؤلفين يمكن « خطأ» ان يتساءلوا : كيف يمكن اعتبار رفاعة الطهطاوى، نصيرا لفكرة الدولة العلمانية الحديثة ، وهو القائل بأن « الملك » «خليفة الله فى ارضه ».. الا اننا نرى ان هذا الاعتراف لا يمثل الابعاد النهائية الحقيقية لفلسفة رفاعة السياسية ، وجوهر محتواها التقدمى ،كما تبدت فى مجمل كتاباته عامة ، وليس فى نص واحد او نصين ». لأن رفاعة حين يتكلم بعد ذلك عن « ولى الامر » يوضح انه «رئيس امته وحاكم متصرف **بالاصول المرعية فى مملكته** » ، كذلك يوضح ان « الملك يتقلد الحكومة لسياسة رعاياه **على موجب القوانين** » ، (٢) ومعنى ذلك فى نظره ، ان هناك سلطة اخرى تعلو على سلطة الملك ، هى سلطة القانون . ولذا فالاصح ان يقال هنا ان رفاعة لم ينتقل بالفعل الى المعسكر الثيوقراطى ولا الى معسكر **هوبز** والدولة المطلقة ، ونظريته عن حق الملوك الالهى ، وانما تراجع فحسب من حدود موقف روسو الليبرالى المطلق الى حدود موقف مونتسكيو القانونى المقيد ، الى حدود ما يمكن ان يسمى بالموقف « الديمقراطى المعتدل » الذى ورثه القرن التاسع عشر عن فلسفة مونتسكيو خاصة . كذلك ليس من المستبعد تماما ان تعد تلك العبارة لدى رفاعة ، وسيلة من الوسائل العملية الضرورية لخلق ذلك الموازن الفكرى «المحافظ شكلا» والذى كان يحتاج رفاعة اليه ، لتمرير ارائه الديمقراطية التقدمية عبر سلطة وشخصية محمد على الاوتوقراطية .

كذلك فمن المعروف ان المقدرات السياسية العامة فى الحكومة الدينية لاتحددها قط الجماهير الشعبية ، ولا دخل لها بها ،وانما يحددها «الملك» او الحاكم « ظل الله فى ارضه »، لكن رفاعة يدعو بالحاح فى « مناهج الالباب » (٣) الى تعليم كافة المواطنين « مبادىء السياسة » بالاضافة الى تعليمهم مبادىء الدين ، لان هذا يخدم «المصلحة العمومية» ، ويعود على «الجمعية» اى المجتمع ، و « على سائر الرعية » ، بحسن « الادارة والسياسة» . وهو لايطلب هذا كمنحة من الحاكم، بل يطلبه كحق « فى مقابلة ما تعطيه الرعية من الاموال والرجال للحكومة » . وبذا دلل رفاعة على ان طبيعة المجتمع ووظيفة الحكومة التى يقصدها قد اصبحتا مختلفتين عما كانتا عليه فى الماضى ». وهو دليل قاطع على ان رفاعة لم يكن يدعو الى نظرية الدولة الدينية او الثيوقراطية ، وانما كان بشيرا بالمبدأ الديمقراطى القائل بأن الشعوب لا ينبغى ان تعزل عن السياسة ، بل ينبغى ان تعلمها ، وتشارك فيها بالرأى والفعل ، وهو احد المبادىء الهامة التى نسفت بها الثورة الفرنسية الكبرى ، حكم الارستقراطية الاقطاعية الاوربية ».

عن الدولة والرأى العام

والحقيقة ان رأيه الخاص بحق الشعب فى

---

(١) المرشد الامين للبنات والبنين تاليف رفاعة رافع الطهطاوى ص ١٢٤ .
(٢) مناهج الالباب ص ٣٥٣
(٣) من ص ٣٥٠ الى ص ٣٥٢

تعلم السياسة وفى مناقشتها ، وفى المشاركة فى تعريف سياسة الدولة ، انما يعد جزءا متمما لرأيه فى ضرورة تكوين الرأى العام كوسيلة فعالة من وسائل فرض الرقابة الشعبية على الدولة (٤) ، بما يضمن احترامها لحقوق الانسان. وبصدد ذلك يقول على الملوك ان « مما يحملهم على العدل ايضا ويحاسبهم محاسبة معنوية، الرأى العمومى، اى رأى عموم اهل ممالكهم ، اوممالك غيرهم ممن جاورهم من الممالك ، فان الملوك يستحون من اللوم العمومى ، فالرأى العمومى ، سلطان قاهر على قلوب الملوك والاكابر » (٥) .

كذلك رأى رفاعة ان جميع الذين تلقوا ودرسوا العلوم النافعة للدولة من اطباء ومهندسين وغيرهم ينبغى ان يكرموا ويستشاروا من قبل الحاكم ، وان يكون لارائهم قدسيتها ، ونكاد نرى صدى هنا للفكرة التى صاغها **سان سيمون** بعبارته « الاكليروس العلمى » . وما يمكن ان نقوله عامة هو ان المفهوم الذى تكون لدى رفاعة عن نظام الحكم الواجب ، يرتكز فى جوهره على نفس المبادىء التى كانت ترتكز عليها الديمقراطية البرجوازية ذات الاسس الليبرالية .

ويرى **لويس عوض** (٦) ان رفاعة الطهطاوى قد بث فى مصر اقوى لغم من الغام الديمقراطية الليبرالية ونجح فى ذلك ، عندما قدم نظريتها فى شرط قيام المجتمع المدنى او الدولة كما نسميها . فالممالك قد تأسست عند رفاعة « لحفظ حقوق الرعايا ، بالتسوية فى الاحكام ، والحرية ، وصيانة النفس والمال والعرض ، على موجب احكام شرعية، واصول مضبوطة مرعية » ، ومعنى ذلك ، ان قيام الدولة ، مشروط عند رفاعة ، كما هو عند مفكرى الثورة الفرنسية ، بتحقيق حقوق الانسان او الحقوق المدنية (المساواة والحرية) وكفالة الحقوق الشخصية (حماية الملكية والشرف الخ) ، كذلك فان الدولة عنده وحدة لا تتجزأ من الحاكم والمحكوم ، بحيث ينتفى وجودها اذا انتفى طرف من طرفيها ، وان الشرط لتولى الحكم هو تقيد الحاكم بالقانون ، وان السلطات تنبع اساسا من الحاكم ولكن تحت سيادة القانون ، وان الحاكم يفوض للسلطات الثلاث التشريعية والتنفيذية والقضائية ، سلطة البت فى الاحكام والاعمال الجزئية الخارجة عن اطار السياسة العليا .

رائد الوطنية المصرية الحديثة

والحقيقة اننا يمكن ان نعتبر رفاعة الطهطاوى الامام الرائد للوطنية المصرية بمعناها الحديث المحدد . اذ كان اول من نوه بشكل بارز ، بجلال تاريخ مصر الفرعونى ، ولفت الانظار اليه بعد ان كان مغفلا اغفالا يكاد يكون تاما من المؤرخين العرب(٧) ولقد استثار هذا الرجل الشغوف بالمعرفة ، بما اضافه علماء الغرب الى تاريخ مصر من صفحات كانت مطوية ومجهولة ، فجاء كتابه « انوار توفيق الجليل فى اخبار مصر ، وتوثيق بنى اسرائيل » أوفى ماكتب بالعربية واقربه الى الصدق حينذاك . وينبغى ان نلاحظ هنا ، ان تلك العناية بتاريخ مصر الخاص ، وحضارة مصر الخاصة ، ومجدها الخاص ، كانت ذات دلالة تاريخية بالنسبة للتطور السياسى لمصر الحديثة ، لانها كانت العلامة على بداية نشوء الاحساس الخاص بالوطنية المصرية لدى ساكنى ذلك الجزء الشمالى من وادى النيل .

ولنتتبع ذلك التطور الهام لدى الطهطاوى ، ففى كتابه «مناهج الالباب» ، وفى كتابه عن التعليم، تتكرر عبارة « الوطن » و «حب الوطن » المرة تلو الاخرى . الا ان رفاعة يستخدم تعبير « حب الوطن » احيانا ، وكأنه يعلم الحقوق والواجبات المفروضة على اعضاء اى مجتمع كان ، ولكن فى اوقات اخرى ، يستعمل التعبير فى معنى جديد واكثر تحديدا . لا يركز فيه على السمة السلبية او الواجب السلبى للرعية فى الخضوع للسلطة الحاكمة ، وانما على الدور النشط للمواطن فى بناء مجتمع متحضر حقيقة ، لا يقتصر فحسب على الواجبات والحقوق المتبادلة لاعضاء « الامة » الاسلامية عامة ، ولكنه يحتوى ايضا على تلك الخاصة باولئك الذين يعيشون فى نفس البلد الواحد . لذا يكتسب « حب الوطن » بهذا النحو ، المعنى الخاص للوطنية المحلية بالمفهوم الحديث . ويصبح الوطن الام ، LAPATRIE هو محور وبؤرة تلك الحقوق والواجبات التى تربط عند الفقهاء الاسلاميين ، اعضاء الامة بعضهم ببعض .

والانتقال الى هذا الطريق الفكرى الجديد ، يمكن ان نلمسه فى تلك الفقرة من «مناهج الالباب» التى يتكلم فيها الطهطاوى عن الاخوة فى الدين ثم يضيف اليها « الاخوة فى الوطن » . « فجميع ما يجب على المؤمن لاخيه المؤمن منها ، يجب على اعضاء الوطن فى حقوق بعضهم على بعض ، لما بينهم من الاخوة الوطنية ، فضلا عن الاخوة الدينية ، فيجب ادبا لمن يجمعهم وطن واحد ، التعاون على تحسين الوطن وتكميل نظامه فيما يخص شرف الوطن واعظامه وغناه وثروته » . وهكذا ادخل رفاعة نظرية « الاخوة فى الوطن » الجديدة على

---

(٤) د. لويس عوض : المؤثرات الاجنبية فى الادب العربى الحديث . المبحث الثانى ص ١٦٧ .
(٥) مناهج الالباب ص ٣٥٥
(٦) فى كتابه المؤثرات الاجنبية فى الادب العربى الحديث المبحث الثانى ص ١٧٢
(٧) مناهج الالباب ص. ١٧٧

الفكر السياسى والاجتماعى المصرى فى القرن التاسع عشر ، والتى كانت جزءا لا يتجزأ من فكرة الوطنية المصرية ، ثم القومية العربية فيما بعد ، والتى حلت محل فكرة « القومية الاسلامية » التى كانت الامبراطورية التركية تستغلها لاجهاض كل انتفاضة استقلالية فى العالم العربى .(•)

ولكن ما هو المجتمع الطبيعى ، والوطن الذى يشير اليه رفاعة ؟ انه وطن مصرى وليس عربى وفى الحقيقة ففى ذهنه توجد فكرة مبهمة عن «العربية» Arabism لكنها تعود الى الماضى ، اكثر مما تتصل بذلك العنصر الجديد فى تفكيره .(•) ان رفاعة يمدح ويدافع عن الدور الذى لعبه العرب فى تاريخ الاسلام (٨) ، وهو يتعاطف مع العرب المعاصرين (فى الجزائر) فى كفاحهم ضد الاحتلال الغربى (الفرنسى) ، ويشيد بجهاد الامير **عبد القادر** ، **واحمد بيه** حاكم طظرى ضد الفرنسيين ، ويتعاطف مع العثمانيين انفسهم ضد الروس ، لكنه تعاطف مع جند الاسلام ضد اعدائهم ، تعاطف المسلم مع المسلم . الا انه عندما يتكلم عن الوطنية ، لا يعنى على نحو محدد ، ذلك الشعور الذى يتقاسمه ويشترك فيه ، كل الذين يتكلمون العربية ، ولكن ذلك الذى يتقاسمه ويشترك فيه جميع الذين يعيشون فى مصر (٩) فمصر بالنسبة له شىء مميز ، وشىء متصل تاريخيا ، ومستمر ايضا .(•)

وان تأكيد ذلك ، وتأكيد رفاعة لخصائص المصريين والعرب عامة افرادا ومجتمعات فى مواجهة خصائص الاتراك ، اى تأكيد الوطنية المصرية ، والسمات التى استطاع ان يحسها من سمات القومية العربية ، كل ذلك كان فى الحقيقة سلاحا قويا له اهميته فى حرب العقائد التى شنها المفكرون المصريون ، والمفكرون العرب عامة ، على فكرة الجامعة الاسلامية التى كان الاتراك يحكمون الشعوب العربية تحت لوائها .(•) والحقيقة ان المحاولات المتكررة لسلخ مصر من الامبراطورية التركية ، مع القضاء على حكم المماليك ، تلك المحاولات التى بدأت بانشاء جمهورية **همام** ، وقويت فى عهد على بك **الكبير** وبلغت قمتها فى عهد الحملة الفرنسية ، ثم فى عهد **محمد على** (١٠) ، كل تلك كانت عوامل تمهيدية لظهور فكرة الوطنية المصرية الحديثة على النحو الذى تبدت عليه فى احساس وفكر رفاعة رافع الطهطاوى ، الا ان ماينبغى ان نذكره احقاقا للدقة التاريخية ، هو ان احساس رفاعة الطهطاوى بالوطنية المصرية ، كان برغم كل ذلك ، مشوبا بولاء معين تجاه الخلافة والرابطة الاسلامية العامة

ولم يرق بالطبع الى المستوى الذى وصل اليه ذلك المفهوم على يد **احمد لطفى السيد** الذى نحا بشكل محدد نحو الاستقلال عن الدولة العثمانية .(•)

ويعتقد **البرت حورانى** فى كتابه عن « الفكر العربى فى العصر الليبرالى» ان وطنية الطهطاوى كانت فى الحقيقة شعورا شخصيا دافئا وليست مجرد استنتاج من مبادىء الفلسفة السياسية ، ويعتقد ايضا أنه ربما كانت « وطنية » رفاعة مقترنة بالاحساس برسالة عامة لمصر الاخذة باسباب الحضارة والعلوم الحديثة ، رسالة تقوم على نشر تلك العلوم الحديثة فى المجتمعات الشرقية ، فتغير بذلك حياتها ، وتدخلها عصرا جديدا ، مثلها فى ذلك مثل الرسالة العامة التى اضطلع بها اول «وطن» حديث عرفه رفاعة عن كثب ، الا وهو « وطن » الثورة الفرنسية الذى حمل « رسالة » نشر اهداف ومبادىء الثورة فى اوربا ، والذى ترجم له رفاعة نشيده الخاص ، نشيد المارسيلييز الشهير .(•)

فكر أوربا الديمقراطى الليبرالى فى مصر الاوتوقراطية

واذا كانت المساهمة السياسية العظيمة التى قدمها رفاعة الطهطاوى ، تشكل حجر الاساس فى الفكر السياسى والاجتماعى الحديث فى مصر ، ان لم يكن فى العالم العربى كله ، فهى لا تكتسب هذه الصفة مما نقله رفاعة الى العربية من رسائل فلسفية ونصوص دستورية فحسب ، وانما ايضا من تصديه لتحليل مقومات الحضارة الاوربية وخاصة فى وجهها السياسى الاجتماعى ، وتبنيه « لفلسفة» سياسية واجتماعية ثورية ، وتبشيره بهذه الفلسفة السياسية والاجتماعية سواء من خلال الكلمة المكتوبة او من خلال تعاليمه لتلاميذه العديدين فى مدرسة الالسن او فى غيرها من الاجهزة الثقافية التى أشرف عليها (١١) ، مما كان له اكبر الاثر فى توجيه حركة الترجمة الاولى توجيها بذر بذور الثورة فى فكرنا السياسى والاجتماعى ، وافضى فى النهاية الى انتصار التيار الفكرى الذى شق رفاعة الطهطاوى مجراه فى النصف الاول من القرن التاسع عشر .(•)

(٨) مناهج الالباب ص ١٥٠
(٩) البرت حورانى والفكر العربى فى العصر الليبرالى (١٧٩٨ — ١٩٣٩) الفصل الرابع .
(١٠) د. لويس عوض : المؤثرات الاجنبية فى الادب العربى الحديث . المبحث الثانى ص ١٥٢
(١١) نفس المرجع السابق ص ١٢٣

والحقيقة ان الفترة التى قضاها رفاعة فى فرنسا ، كانت هى الفترة الحاسمة فى تشكيل تلك المساهمة الوضاءة التى قدمها ، اذ تمكن هناك من الاطلاع على عدد من اهم المنجزات التى حققها العقل الاوربى فى ميدان الفكر السياسى والاجتماعى الحديث، فاطلع هناك على التاريخ القديم،والفلسفة الاغريقية ، والميثولوجيا ، والحساب والمنطق ، وتاريخ نابليون ، وبعض من الفكر الفرنسى فى القرن ١٨ ، **وفولتير وكونداك : وروسو** : ومعظم اعمال **مونتسكيو** ، وقد ترك فكر التنوير الفرنسى اثرا دائما عليه .»

وقد قدم رفاعة فى « تخليص الابريز » تحليله لمبادىء دستور سنة ١٨١٨ الفرنسى ، والتعديلات التى جرت عليه بعد طرد الملك **شارل العاشر** ، كما قدم للمصريين نظام الحكم الفرنسى واسباب ثورة سنة ١٨٣٠ونتائجها وهى الثورة التى عاصرها اثناء وجوده فى باريس .»

وهو يبدى حماسا شديدا لاكثر مواد الدستور الفرنسى ، عند تقديمه له فى « تخليص الابريز » كما يدافع بحماس ايضا عن مبادئه الاساسية ، وهو يقدمها الى المصريين «لكى نكشف الغطاء عن تدبير الفرنساوية ، ونستوفى غالب احكامهم، وليكون تدبيرهم العجيب عبرة لمن اعتبر .» »

والحقيقة ان تحليله لمبادىء الدستور ولنظام الحكم الفرنسى ، ينطوى على دعوة صريحة موجهة للمصريين لان يأخذوا بهذه المبادىء وبهذا النظام فهو يقول عن الدستور الفرنسى المعدل (١٢) :» « اذا تأملت رأيت أغلب ما فى هذه الشرطة (الدستور) نفيسا » ، « فانظر الى هذه المادة (سائر الفرنساوية مستوون قدام الشريعة) ، فان لها تسلط عظيم على اقامة العدل واسعاف المظلوم ، وارضاء خاطر الفقير بانه كالعظيم نظرا الى اجراء الاحكام» « وهى من الادلة الواضحة على وصول العدل عندهم الى درجة عالية وتقدمهم فى الاداب الحضرية» « ان ملك فرنسا ليس مطلق التصرف ، وان سياسة الفرنساوية هى قانون مقيد ، بحيث ان الحاكم هو الملك بشرط ان يعمل بما هو مذكور فى القوانين التى يرضى بها اهل الدواوين » . وعن الضرائب يقول : «ان الفرد (اى الضرائب) ونحوها لو كانت مرتبة فى بلاد الاسلام ، كما هى فى تلك البلاد لطابت النفس » ، « ومدة اقامتى بباريس ، لم اسمع احدا يشكو من المكوس والفرد والجبايات ابدا ، بحيث انها تؤخذ بكيفية لا تضر المعطى وتنفع بيت مالهم »

ويرى لويس عوض (١٣) ، انه ليس من شك فى ان المصريين فى عصر رفاعة الطهطاوى ، لم يكونوا بحاجة الى من يعلمهم ان جميع الناس متساوون امام الله ، فهذا المبدأ من اوليات تراثهم الدينى ، ولكن الجديد كان بلورة فكرة العدالة عندهم فى المبدأ القائل بأن جميع المواطنين متساوون امام القانون ، لا فرق فى ذلك بين الملك والصعلوك والراعى والرعية ، بما يجيز لابسط بسيط ، ان يقاضى اكبر راس فى الدولة . وتذكير رفاعة الطهطاوى ابناء وطنه بهذه المساواة امام القانون او امام الشرع ،واعلانه ان هذه المساواة نافذة فعلا فى بعض البلاد الاخرى المعروفة بتقدمها ، كان بمثابة دعوة لتأكيد معانى المساواة فى نفوس المصريين، ورفع للواء ثورى ظل مطويا زمنا طويلا، تحت ضغط الاستبداد الاقطاعى للحكم المملوكى والتركى .

كما انه فى الوقت الذى كانت ذاكرة المجتمع المصرى لاتزال تعى فيه جيدا ، حكم المماليك والاتراك بما انطوى عليه من امتيازات واحتكارات خاصة لهم، وبما حواه من ظلم وتعنت واجحاف مادى ومعنوى على حد سواء . فى هذا الوقت ، قدم رفاعة الطهطاوى بعطف شديد مواد الدستور الفرنسى التى تنص على تحديد الضرائب وفقا لثروة المواطنين بلا امتياز خاص لفرد او طبقة ، والتى تنص كذلك على فتح باب المناصب كافة ، لكل المواطنين بحسب اهليتهم لها دون امتياز خاص لفرد او طبقة ، وضمان حرية الفرد وتقييد الاعتداء عليها بالحدود القانونية ، والنص على حرية العقيدة وحرية العبادة ، بل على مسئولية الدولة فى حمايتهما ، والنص على حرية الراى والتعبير بالقول والكتابة فى حدود القانون ، والنص على ان الملكية الخاصة مصونة لا تمس الا فى حدود الصالح العام ، ومن خلال الدولة وحدها . كل تلك المواد ، بلورت مبادىء فى الفكر السياسى والاجتماعى ،كانت جديدة تماما على المجتمع المصرى حينذاك .»

ورفاعة عندما يحلل اسباب ثورة سنة ١٨٣٠ ضد **شارل العاشر** فى فرنسا ، يوضح ان تحدى الملك لقرار الاغلبية البرلمانية المطالبة بعزل وزارة بولنياك ، وابقاءه للوزارة رغم انف البرلمان،كان هو الذى فجر الثورة وادى الى عزله وطرده من البلاد ، وتولية « **لويس فيليب** » مكانه . وهو يريد بذلك ، بالاضافة الى مجرد تسجيل الاحداث

(١٢) تخليص الابريز ص ١٤٨ .
(١٣) فى كتاب المؤثرات الاجنبية فى الادب العربى الحديث . البحث الثانى .

التاريخية كما وقعت فعلا ، يريد بذلك ان يلفت نظر المصريين الى ان من سلطة المجالس النيابية عزل الوزراء المستبدين وتسيير امور الدولة بقرارات تكتسب صحتها من صدورها بالتصويت عن اغلبية الاعضاء ، وان تخطى الملك لقرارات البرلمان ، يعد انتهاكا لدستور البلاد ، يفضى الى اخطار بالغة الشدة على العرش والسلطة التنفيذية . وكل هذه كانت مبادىء جديدة فى التنظيم السياسى فى عصر رفاعة .

وفيما يتعلق بنظم الحكم المعروفة ، فان رفاعة يقسمها الى ٣ اقسام : الملكية المطلقة ، والملكية المقيدة ، والجمهورية ، ويرى لويس عوض — صادقا — ان رفاعة يحبذ النظام الجمهورى ضمنا ،عندما يقول ان اتباعه هم الفلاسفة والحكماء واغلب الرعية ، كما انه يزكيه ضمنا حين يقول ان الشريعة الاسلامية التى ارتضاها الناس فى زمنه اساسا لنظم الحكم ، تتسع للنظم الثلاثة : « وشريعة الاسلام التى عليها مدار الحكومة الاسلامية ، مشوبة بالانواع الثلاثة المذكورة ، لمن تأملها وعرف مصادرها ومواردها » . ومعنى ذلك ان الدعوة الى الملكية المقيدة او النظام الجمهورى لا تعد فى نظر رفاعة ، كفرا ولا خروجا على احكام الشريعة . رغم انه كان يكتب ذلك فى قمة الحكم الاوتوقراطى الذى كان يمارسه محمد على ، وفى ظل الخلافة العثمانية التى كانت تبسط حماية الدين على الحكم السلطانى المطلق . والحقيقة ان ايجاد رفاعة الطهطاوى سندا فى الشريعة الاسلامية ، لنظام الملكية المقيدة ، وسندا فيها للنظام الجمهورى ، كان قفزة ضخمة فى الفكر السياسى والاجتماعى المصرى ، فتحت باب الاجتهاد لكل من تلاه من المفكرين والمصلحين . هذا وقد دافع رفاعة ايضا عن مبدأ الفصل بين السلطات وعن استقلال القضاء ، وشرح اركان النظام النيابى بمجالسه المختلفة ، وتوزيع السلطة بين اجهزته الثلاثة التنفيذية والتشريعية والقضائية . كذلك ادخل عند بيانه انقسام البرلمان الفرنسى بعد ثورة ١٨٣٠ ، ادخل مفهومات اليمين واليسار والوسط لاول مرة فى القاموس السياسى لمصر الحديثة .

ولقد كان رفاعة الطهطاوى فى الحقيقة ، دائم المقارنة بين الاوضاع السياسية والاجتماعية فى فرنسا ، والاوضاع السياسية والاجتماعية فى مصر ، وكان شديد الرغبة فى ان تتخطى بلاده الهوة الحضارية التى تفصلها عن اوربا ، وكان يحث «ديار الاسلام على البحث عن العلوم البرانية والفنون والصنائع ، فان كمال ذلك ببلاد الافرنج امر ثابت شائع . والحق احق ان يتبع ، ولعمر الله اننى مدة اقامتى بهذه البلاد ، فى حسرة على تمتعها بذلك وخلو ممالك الاسلام منه» . «ولولا ان الاسلام منصور بقدرة الله سبحانه وتعالى ، لكان كلا شىء بالنسبة لقوتهم وسوادهم وثروتهم وبراعتهم » .

والحقيقة ان اوربا لم تظهر لرفاعة كخطر سياسى (١٤) وانما اساسا كمصدر للاشعاع الحضارى التقدمى ، ذلك ان رفاعة قد عاش او على الاقل كتب كتابه « تلخيص الابريز » خلال فترة « توقف » تاريخية سعيدة ، هدأت فيها حدة التوتر الدينى القديم بين الاسلام والمسيحية ، ولم يكن التوتر السياسى الجديد بين الشرق والغرب ، قد حل محله .

محمد على : الدور الحضارى يغفر الاتوقراطية

لكن احدا يمكن ان يتساءل : كيف استطاع رفاعة ان يضمن « تخليص الابريز » كل هذه الاراء الديموقراطية المعادية لكافة صنوف الاستبداد والحكم المطلق ، ويحوز رضاء محمد على واعجابه بكتابه فى نفس الوقت ؟ ليس ذلك فحسب بل ان يامر محمد على كذلك بتلاوة تخليص الابريز فى قصوره ، وطبعه وتوزيعه على الدواوين والمدارس والوجهاء والاعيان ؟

والحقيقة ان محمد على لم يكن يخشى من اثر هذا الكتاب على خاصته السياسية المقربة ، فهى مرتبطة شخصيا به ، تدين له بالولاء ، وتدين بوجودها نفسه لوجوده السياسى عامة ، كما انها كانت من الاقليات الاجنبية الغريبة عن البلاد والتى ليست لديها اية مصلحة فى اى تصدى « دون كيشوتى » لمحمد على يمكن ان يستهدف اهدافا لم تخطر لهم قط على بال ، مثل الحد من سلطاته بقيود دستورية ، هذا من ناحية . ومن ناحية اخرى ، فلم تكن جماهير الشعب الواسعة على درجة من الوعى والتنظيم والثقافة تؤهلها للاستفادة الفورية المباشرة من المعلومات والنظم الديموقراطية الخطيرة التى اتى بها رفاعة ، ومن ناحية ثالثة ، فلم تكن ظروف هذا الحكم عامة لتسمح بتكون مثل ذلك الخطر ، لان المؤسسات الديموقراطية والدستورية مثل التى تكلم عنها رفاعة ، والتى تعتبر ميادين الصراع والنضوج للاتجاهات السياسية المتباينة ، هذه المؤسسات

(١٤) البرت حورانى : الفكر العربى فى العصر الليبرالى ، الفصل الرابع

لم توجد بمصر حينذاك ، وكان على الشعب المصرى وطلائعه أن يكافحوا لسنوات عديدة قادمة بعد وفاة محمد على لتحقيق مثل تلك الاشكال والمؤسسات بداءة ذى بدء .

وانه ليتسق مع المنطق بوجه عام ، الا يسبب « تخليص الابريز » غضب محمد على ، لانه كان فى الاساس كتابا عن الحضارة الفرنسية بقلم مفكر كان يعتقد أن بعث مصر لا طريق اليه ، الا الاخذ باهم مقومات الحضارة الاوربية فى زمنه . وان رفاعة صاغ كتابه بدرجة عالية من الحصافة والكياسة والحساسية . واذا كان هذا الرجل لم يدخل مباشرة معترك الصراع السياسى ، فقد اسفر فى صياغته لتخليص الإبريز عن عقلية سياسية ذكية ، تكبح جماح الرغبات العاطفية ، والصياغات العاطفية ، وكذلك التعبير الحماسى المتطرف ، فيما يتعلق بنصرة قضية معينة وذلك من اجل تحقيق هدف اعم واسمى ، الا وهو النجاح فى ضمان رضاء الوالى من ناحية والنجاح فى مخاطبة واقناع الجمهور المصرى الذى كانت تلك الاراء جديدة عليه كل الجدة من ناحية اخرى .

والحقيقة اننا فى تقييمنا لموقف رفاعة من محمد على ينبغى الا ننسى ، ان رفاعة قد اشاد فى تخليص الابريز بالدور الحضارى الذى كان محمد على يقوم به فى تطوير مصر فى اتجاه حديث . بل انه كان يشبهه فى مناسبات عديدة بالاسكندر الاكبر ، بل هو فى موضع مايسميه «ثانى فحول امراء مقدونيا ، محمد الاسم على الشان » . ونعتقد انه اذا كان رفاعة قد استنار فى اوربا على حقائق الحكم الديمقراطى البورجوازى والحقوق الديمقراطية للافراد والشعوب ، فربما غفر رفاعة مساوىء محمد على الاوتوقراطية ، والتى نعتقد انه ربما فطن اليها ، فى مقابل الدور الحضارى الذى قام به الرجل . والراى الذى نعتقده هو ان محمد على ، لم يتبدى لرفاعة فى الغالب باعتباره اوتوقراطيا شريرا واستبداديا ، بقدر ماتبدى له كرجل مستنير حازم ، انقذ مصر من المماليك وفوضاهم وتناحرهم ويدفعها على طريق التقدم الحديث ، اى انه لم ينظر اليه فحسب فى ضوء اوربا الساطع القادم وانما نظر اليه ايضا من ناحية الظلام البهيم الماضى الذى كان يغلف مصر الاقطاعية تحت الحكم المملوكى من قبل . كذلك لاتحتاج الى كثير بيان ، حقيقة أن رفاعة لم يترك اية فرصة فى « مناهج الالباب » الا ومزق فيها حكم المماليك . اما الاتراك فقد كان موقفه منهم «رسميا» لان مصر بعد انهيار محمد على عادت الى ولاية الباب العالى . والحقيقة ان انهيار مطامح محمد علىّ عقب مؤتمر لندن سنة ١٨٤٠ ، كان ضربة قوية لامال رفاعة فى مصر جديدة تقوم على اسس حضارية حديثة ، وهو أمر يمكن ان يفسر الى حد كبير فتوره الديموقراطى فيما تلا ذلك من سنوات .

أيام عباس وسعيد واسماعيل

والحقيقة ان الخطوة التى تمتع بها رفاعة فى عهد محمد على انتهت بوفاته ، فخليفته المختار **ابراهيم** ، مات قبل والده . فخلفه عباس الاول الذى الغى قلم الترجمة الذى كان يشرف عليه رفاعة ومدرسة الالسن ايضا ، وابعد رفاعة عن مصر تحت دعوى فتح مدرسة ابتدائية فى السودان واعتبر رفاعة ، السنوات التى قضاها فى السودان سنوات نفى بالنسبة له . ويرى **الرافعى** ان ابعاد رفاعة تم ، لما فى « تخليص الابريز » من اراء لاتعجب عباس الحاكم المستبد ، اما **عزت عبد الكريم** فى كلامه عن رفاعة ، فيرى انه بسبب حسد على مبارك المقرب لعباس على ما اصاب رفاعة من توفيق ، او لما كان من معارضة بعض المتعصبين من المشايخ الذين عدوه متطفلا على ميدانهم فى دراسة الشريعة والفقه . ويرى **حسين فوزى النجار** فى كتابه عن رفاعة ، انه بسبب سوء ظن عباس بالنابهين . اما رفاعة نفسه فيقول ان بعض الامراء سعوا بينه وبين عباس بالوشاية . على ان السبب لايتعلق فحسب فى نظرنا باثر احد هذه العوامل او بعضها او كلها ، وانما يرجع ايضا الى ان عباس اتجه وجهة مضادة لما سار عليه جده عامة ، اتجه وجهة انجليزية على نحو محدد ، لذا لم يكن موقفه مستغربا من رفاعة الذى كان يعتبر ابرز مصرى تربى على ايدى الثقافة الفرنسية حينذاك .

وفى السودان ، ترجم رفاعة « مواقع الافلاك فى وقائع تليماك» **لفنيلون** ، ولاتحتاج الى مزيد بيان حقيقة انه لم يكن جمال اسلوب فنيلون ولا اهتمام رفاعة بالقصة ، هو الذى جعله ينفق سنوات ابعاده فى المنفى مترجما تليماك . فاذ كتب اصلا كتعليم اخلاقى **لدوق دى بورجونى** تلميذ فنيلون ، فقد كان يحتوى على نقد ضمنى لطغيان لويس الرابع عشر وهو درس اخلاقى للاوتوقراطيين يمكن ان ينطبق جيدا على حالة عباس .

على انه اذا كان رفاعة قد عانى كثيرا فى السودان ، وبذل الجهود لارساء التنظيم المدرسى الذى لم يكن السودانيون يعرفونه من قبل ، الا انه توصل من خلال اقامته هناك الى عدة نتائج

سجلها في مناهج الالباب، وهي ان اغلبية السودانيين يرجعون في الاصل الى قبائل عربية، وانهم يتمتعون بروح متطلعة ومتشوقة الى التقدم الخ (١٥).

وبعد وفاة عباس وتولية سعيد، عاد رفاعة الى مصر، وقد مدح سعيد واسماعيل من بعده بمديح حصيف وتقليدي، وخاصة لان اسماعيل دفع المصريين في اتجاه الاخذ باسباب النظام النيابي بالاضافة الى رغبته الدخول بمصر سريعا في مضمار الحضارة الحديثة. وقد كلفه اسماعيل سنة ١٨٦٦ باعداد مشروع مفصل بخصوص خلق مجلس للنواب، لما تبينه من اطلاع رفاعة الواسع في الموضوع الدستوري.

والحقيقة ان كتاب رفاعة « مناهج الالباب المصرية في مباهج الاداب العصرية» يحوى اكثر آرائه اكتمالا حول الطريق الذي يجب لمصر ان تاخذه. وهو في اساسه محاولة مصرية لبناء المجتمع المصري على اسس الديموقراطية البرجوازية التي كان رفاعة يؤمن بها، وان كان قد عبر ايضا هو اكثر تقدما من حدود افكار الديموقراطية البرجوازية، عبر فيه عن كثير من الاراء الديمقراطية الثورية في حقل عدالة التوزيع بالذات، مما عده **لويس عوض** : «جنوحا شديدا الى اليسار الليبرالي او اليمين البروليتاري، اي الى الراديكالية »

ومن هذه الناحية يعد « مناهج الالباب » اكثر تقدما على تخليص الابريز. كذلك ففي حين حوى تخليص الابريز تصديا سياسيا للاقطاع كنظام سياسي، فان مناهج الالباب، حوى تصديا له كنظام اقتصادى ايضا.

على انه اذا كان « مناهج الالباب » يبدأ من افتراض ان للمجتمع غرضين : تنفيذ ارادة الله وتحقيق الخير العام في العالم، فذلك ليس الجديد الذي أتى به رفاعة الطهطاوي، وانما الجديد هو المعنى الذي اضفاه على الخير العام في العالم بحيث اصبح مرادفا للتقدم كما تفهمه اوربا القرن التاسع عشر.

الا اننا نرى ان الاساس الذي اعتمد عليه رفاعة في تقسيم المجتمع الى طبقات في مناهج الالباب، لم يقم على اعتبار المصلحة الاقتصادية الواحدة التي تربط افرادا معينين برباط واحد هي التي تكتلهم في النهاية في طبقة اجتماعية واحدة، وانما قام تقسيمه لها على اساس مهنى وظيفي. فهو يرى في هذا الكتاب، ان الامة تتكون من ٤ طبقات، طبقة ولاة الامور، وطبقة العلماء والقضاة وامناء الدين وطبقة الغزاة، وطبقة اهل الزراعة والتجارة والصناعة، وهو تقسيم لا نعتقد انه يخلو تماما من اي اساس اقتصادى وخاصة بين طبقة ولاة الامور من ناحية، واهل الزراعة والصناعة من ناحية اخرى، الا انه ينبغي الا تغيب عن البال، حقيقة انه اذا كان رفاعة قد اولى الطبقة الثانية، طبقة العلماء والقضاة وامناء الدين اهتماما خاصا، وطالب الحاكم بوجوب احترامه وتكريمه لهم، والتعامل معهم كمساعدين في مهام الحكم، فقد كان لذلك المطلب سماته الوطنية والتقدمية في ذلك الوقت، لان السلطة تحت حكم محمد على، وكذلك تحت حكم المماليك والعثمانيين من قبل، كانت بين الاتراك او القوقازيين، وهيئة « العلماء » هي التي شكلت التجمع « الوطني » الوحيد الذي يمكن لسكان مصر « الوطنيين » ان يساهموا من خلاله بدور ما في توجيه الشئون العامة.

رفاعة والصحافة

تبرز مساهمة رفاعة الطهطاوي في تاسيس وتطوير الصحافة المصرية الحديثة، من خلال الدور الذي اضطلع به في «الوقائع المصرية» و «روضة المدارس» من بعدها. فقبل انشاء الوقائع، لم تعرف مصر من انواع النشاط الصحفي سوى « جرنال » الخديوي الذي كان عبارة عن تقرير عن احوال البلاد يرفع للخديوي ويوزع على كبار رجال الدولة فحسب، وتطبع منه يوميا ... انسخة باللغتين التركية والعربية.

غير انه لما احس محمد على بان التطويرات التي قام بها، احدثت اثرها في المصريين، راى انه من الاسلم طبع جريدة تعرض فيها شئون الحكومة والمحكومين معا، على ان تنشر الجريدة عموما.

وبذا ولدت فكرة الوقائع المصرية وعين رفاعة محررا لها وفرض وجوده وشخصيته على العاملين معه فيها. فبدأ جهده اولا في تنظيمها، وغير اسمها الى « الوقائع المصرية ». وبدات تتمصر على يده في كل شيء، في لغتها اولا، اذ اخذت اللغة العربية مكان الصدارة بدلا من التركية. وفي موضوعاتها ايضا اذ استطاع رفاعة ان يجعل الشئون المصرية اهم ما فيها، وكانت من قبل شيئا مهملا بالقياس الى العناية بشئون الخارج، واقره الوالي على ما ذهب اليه، وقال في وثيقة التنظيم : «اما الحوادث الخارجية، وان كانت ستنشر في الجريدة، الا ان الاخبار المصرية ستكون المادة الاساسية. »

(15) Queleques Preliminaires Sur La Vie et L'activité Culturelle de R-B-R- El Tahtawi .P 48.

ولما كانت السلطات قد امرت الدواوين المهمة بموافاة الجريدة بالاخبار،لذا كان رفاعة – لضمان انتظامسير العمل – يرسلاحد المترجمينللدواوين لاحضار الاخبار . والحقيقة ان الوقائع تسبق الصحف في الشرق جميعا في هذا التنظيم الاخباري الحديث ويعتبر من اهم الحوادث فيتاريخها،تعيين مخبرين فيها ، يزودونها بالاخبار كلما دعتالحاجة الىذلك (١٦) . وقد كانرفاعةبنفسه يحررالاصل العربي ، ويرتب الجريدة بصفة عامة ، يعاونه في ذلك تلاميذه المترجمون من رجال مدرسة الالسن ومن اهم الذين ساعدوه في عمله حينذاك ، **احمد فارس الشدياق** الذي يعتبر اعظم اديب في العربية خلال الفترة بين عهد محمد علي وعهد اسماعيل والسيد **شهاب الدين** تلميذ استاذه الشيخ **حسن العطار** . ومن الامور الجديرة بالملاحظة أن رفاعة عندما كان يكتب في السياسة ، كان يكتفي بالعرض دون التعليق ، تاركا للناس ادراك مالم يقله صراحة وهو اسلوب حصيف في التوجيه له مايبرره حينذاك على كل حال .

والحقيقة ان التطور الذي احدثه رفاعة في الوقائع ، لم يكن قاصرا على الشكل وانما تطرق الى الموضوعات نفسها ، فانتقلت الجريدة من توافه الاخبار والحوادث والافتتاحيات الثقيلة المحشوة بالمديح للوالي بدون مبرز احيانا ، الى العناية بالشئون السياسية الهامة سواء داخليا ام خارجيا . وتحدث محررها في « البوليتيقة » الخارجية وفي النظم الديمقراطية والاوتوقراطية . كذلكنجد انه فيحينانجرنال الخديوي عنيفحسب بالتقارير الواردة من الاقاليم ، ولم يكن ينشر اخبار مجالس الدولة العليا التي تقرر اهم الشئون العامة فان الوقائع على خلاف ذلك ، تنشر قرارات هذه المجالس ، كديوان الخديوي ، ومجلس المذاكرة السامي .

وتبيان كل ذلك في الحقيقة، انمابغرضايضاح الاهمية التي اصبحت عليها الوقائع في يد رفاعه وباعتبارها اداه من ادوات اسهامه في الحياة العامة المصرية بشكل عام .

وقد وزعتالوقائع على العلماءوتلاميذ المدارس والاعيان مدنيين كانوا او عسكريين، وارسلت الى كريت والشام والحجاز والسودان ، وقرأها المبعوثون في اوربا والجاليات المصرية في الخارج هذا وقد كانت الوقائع تقوم بالاضافة الى دورها الداخلي ، بنشر اخبار الجيش المصري وتقدمه وانتصاراته في الخارج حينذاك .

واذا كانت قد تحققت اثناء حكم محمد علي ، انجازات كثيرة بجهود ضخمةوتضحياتمنالشعب فقد كانت الوقائع تحت توجيه رفاعة ، ميدانا لنصرة التطور الجديد . ويرى الدكتور ابراهيم عبده في كتابه عن تطور الصحافة المصرية ، انه « لم يعرف في تاريخ الصحافة الرسمية في مصر ، جريدة شغلت الحياة الفكرية كالوقائع المصرية ، فقد كانتمعلما لادباء الشرقولمفكريمصر الكثيرين تحنو على طلاب العلم ومبعوثي الدولة فتفتح لهم صدرها ، وتسمح للعامة بنشر مقالاتهم وارائهم فيها ، واذا كانت الصحافة عموما ، مدرسة للتعليم والتثقيف ، فان الوقائع بقيت زهاء ٤٠ عاما ، وهي وحدها هذه المدرسة » . ولاشك ان الدور الذي اضطلع به رفاعة في الوقائع في تلك الفترة قد عاون اعظم معاونة على تحقيق كل تلك الاثار المثمرة .

ومما هو جدير بالذكر ان تلاميذ رفاعة في الميدان الصحفي ، قد ضربوا بسهم وافر في مجال الصحافة الشعبية بالذات ، فبرز منهم **عثمان جلال** في مجلة نزهة الافكار ، **وابي السعود افندي** في وادي النيل وولده **انسي** في روضة الاخبار ، بالاضافة الى **صالحمجدي ،وعبدالكريمسلمان ،واحمدعبدالرحيم** فيالوقائع ،والشيخ **محمدعبده** في العروة الوثقى . وثمة ميزة اخرى حفظتللوقائع وتاريخها في تلك الفترة ، وهي انها افسحت الطريق على صفحاتها امامالانتاج الفكريللافندية «المستجدين علىالحياة المصرية حينذاك وفكت الاحتكار الازهري للعلم ، فلم تعد القراءة او الكتابة وقفا على الازهريين او احتكارا لهم .

ولقد قامت الوقائع بدور في ذلك الوقت ، في الدفاع عن الحكومة وشرح سياستها ، وايضاح مآثرها، ودحضمايراه الاجانب منسوءفيتصرفاتها، كما حدث عندما اشتدت المشاكل على مصرقبيل معاهدة لندن وبعدها . واعادت الوقائع سيرتها هذه في اوائل عهد اسماعيل بل جعلت سياستها ليست مجرد الدفاع عن الحكومة ، بل مهاجمة خصومها في صحافتهم المنشورة في مصر أو المنتشرة في اوربا .

والحقيقةانهكنتيجة للازمةالمصرية سنة ١٨٤٠، التي انتهت بحصار التجربة التي كان يرتادها محمد علي في مصر ، اصبح من المتعذر على الحكومة المصريةانتجيز لصحيفتهانشراخبار اوربا السياسية والتعليق عليها ، مخافة الاساءة لاحدى الدول الاوربية ذات النفوذ ، وهي الدول التي اصبحت تتحكم في مقدرات السياسة العالمية حينذاك .

---

(١٦) مقدمة كتاب لمحة تاريخية عن حياة ومؤلفات الشيخ رفاعه الطهطاوي بقلم فتحي رفاعة الطهطاوي

لذا امر محمد على منذ تلك الفترة الايكتب في الوقائع « شيء يختص بالسياسة ، بل يجب انحصارها في اخبار مايحفر من الترع وماينشأ من الجسور والقناطر ، ومن انباء العزل والنصب وكذلك انباء السفن التى تأتى من الخارج » .

كذلك لقيت الوقائع من الضيق فى عهد **عباس الاول** ، ماحجبها عن القراء معظم ايام حكمه ، فامر بقصر توزيعها على « الحائزين على رتبة فريق ورتبة ميرميران ، ورتبة ميرلوا ، ورتبة ميرالاى فقط » وذلك لانه علم ان الجريدة ترسل « لجماعة امية وسفلة مثل **حسن اغا** وكيل الخراج ، **وفيض الله أغا** الطاهى ، **وموسى** اليهودى الالاتى » .

الا انه مهما كان الامر فقد كان للوقائع تحت اشراف رفاعة تاثيرها الايجابي المثمر لاعلى مصر وحدها ، وانما على البلاد العربية الاخرى التى تعلم بعض رجالها اصول الانشاء والتحرير فى مدرسة رفاعة فى الوقائع ، ثم عادوا بعد قليل ، يقودون النهضة الصحفية فى بلادهم ، وفى مقدمتهم **احمد فارس الشدياق** صاحب « الجوائب » التى عظم شانها فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر .

روضة المدارس

على ان المجال الثانى الذى قدم فيه رفاعة الجانب الاخر من مساهماته الصحفية ، كان مجلة « روضة المدارس » نصف الشهرية ، التى انشاها الخديوى اسماعيل سنة ١٨٧٠ ، لنشر الثقافة العامة بين ابناء الوطن ، وهذه المجلة لم تختص بالامور السياسية او تتعرض لاعمال الحكومة ، وانما كان الغرض من انشائها النهوض باللغة العربية واحياء ادابها ونشر المعارف الحديثة . وقد حشدت لها الدولة ابرز المشتغلين بالعلوم وابرز المثقفين والادباء حينذاك ، مثل **عبد الله فكرى واسماعيل الفلكى** ، **ومحمد قدرى** ، **وصالح مجدى** وغيرهم كثير . وقد تولى رفاعة امورها عامة ، وتولى ابنه « **على بك فهمى** » رياسة تحريرها .

وقد أحدثت «روضة المدارس» تأثيرا واسعا خاصة وان الخديوى اسماعيل كان قد امر بتوزيعها مجانا على التلاميذ، فعودتهم ملكة المطالعة والبحث وفتحت صفحاتها للموهوبين منهم، وكانت اول صحيفة برز الشاعر الشاب **اسماعيل صبرى** على صفحاتها . هذا ودرجت الروضة كذلك على نشر ابحاث مطولة وكتب كاملة على اجزاء عديدة فى اعدادها . كذلك جعل الطهطاوى منها لسانا للمدرسين ومجالا لمتابعة اخبارهم ، كذلك لم يقصر صفحاتها على الشئون الجدية بل ادخل فيها بعض الاحاجى ، بالاضافة لنشره القصة المترجمة على صفحاتها وهى لون من الادب لم تعرفه صحافة ذلك العهد مما ساعد على نهضة الترجمة .

كذلك فمن الامور التى لاينبغى ان تنسى لرفاعة انه كان اول من ادخل نظام الريبورتاج (التقرير الصحفى) فى مصر ، وكان مقررا دقيقا قوى الملاحظة شديد الاحساس ، كذلك ابدى رفاعة ومدرسته الصحفية من بعده عناية واضحة بشئون المرأة ، وكانت الروضة فى الحقيقة فى مقدمة الصحف الشرقية التى عنيت بالموضوعات والاخبار النسائية ولم يكن عدد منها يخلو من حديث عنها او عن نشاطها او دون نشر خطبة او مقال لناظرة او معلمة .

والحقيقة انه اذا كانت الروضة استمرت ٨ سنوات ، فان رفاعة لم يقض فيها غير مايزيد بقليل على ٣ سنوات . وبالرغم من انه كان قد تجاوز السبعين حين ولى امورها ، الا ان الشيخوخة لم تضعف من عزيمته الثقافية ، فكتب تاريخ بركة الازبكية فى اول عام للمجلة ، ولم ينشر شيئا فى العام الثانى ، اما فى الثالث فبدأ ينشر كتابه « نهاية الايجاز فى سيرة ساكن الحجاز » مجزءا على اعداد المجلة المتعاقبة ، وقد كان ذلك الكتاب اخر ما الفه رفاعة ، واستمرت المجلة فى نشره بعد وفاته ، كما استمرت فى الصدور تحت ادارة ابنه على فهمى رفاعة .

من الديموقراطية البورجوازية
الى ديموقراطيـــــة ثورية

لقد فطن رفاعة الطهطاوى ببصيرته الثاقبة ، الى كثير من الحقائق الجوهرية ، فيما يتعلق بالاقتصاد والمجتمع . وهو يوضح فى مناهج الالباب ان العمل والانتاج هما الاساس فى تحقيق تقدم ورفاهية الامم . « ان الأمة المتقدمة فى ممارسة الأعمال والحركات الكدية ، قد ارتقت الى اعلى درجات السعادة والغنى بحركات اعمالها .. الخ » . كذلك فطن الى قسوة قانون العرض والطلب واثره السيء فى تخفيض اجور الفلاحين « اذا وجد بالجهة كثير من الشغالين ، فانهم يتناقصون فى الاجرة ، ويتنافسون فى ذلك لمصلحة صاحب الارض » ، كما فطن ايضا الى اثره فى تدهور الانتاج بدلا من تقدمه ، وهو امر غير مالوف فى الفكر الاقتصادى البورجوازى التقليدى القائم على مبدأ حرية التجارة ، كذلك حين يتعرض لنظريات « القيمة » ويشرح اراء ريكاردو وروبرت اوين وآدم سميث وسان سيمون وفورييه وبرودون ، وحتى ماركس وانجلز فى مراحلهما الاولى دون ان يذكرهم بالاسم ، عندما يتعرض لتلك

النظريات تجده يناصر اكثرها صحة وتقدما ، والقائلة بان العمل وليس راس المال فى حد ذاته ، هو اساس القيمة : «ثم اختلف هل منبع الغنى والثروة هو الارض ، او ان الشغل هو اساس الغنى والسعادة وانه هو الاصل الاولى للملة او الامة ، يعنى ان الناس يكتسبون سعادتهم باستخراج مايحتاجون اليه لمنفعتهم من الارض ، او لراحة المعيشة ، فالفضل للعمل ، واما فضل الارض فهو ثانوى» (١٧)

كذلك دعا رفاعة الى مكننة الزراعة وزيادة الخبرة الفنية بهدف زيادة الانتاج ، وذلك فى مواضع عديدة من مناهج الالباب . والحقيقة ان رفاعة كان اماما من ائمة الفكر البورجوازى المستنير فى القرن التاسع عشر فى مصر ، ولاسيما حيث يهاجم نظريات « الكفاف » التى تحول دون تراكم راس المال اللازم لعمليات الاستثمار (١٨) . ولكن المتأمل لبقية اركان فلسفته الاقتصادية والاجتماعية لايسعه الا ان يشتبه فى ان رفاعة الطهطاوى كان على صلة بالتيارات الفكرية الثائرة على الليبرالية والبورجوازية المطلقة ، وانه كان مطلعا على مختلف المذاهب الاشتراكية المثالية التى كان يعج بها القرن التاسع عشر . فهو حين يتعرض لوضع الكادحين فى علاقات الانتاج ، نجده يهاجم استغلال راس المال للعمال سواء فى ذلك المشتغلين بالانتاج الزراعى او الانتاج الصناعى ويلقى ظلالا قاتمة على مذهب «دعه يعمل» «دعه يمر» وهو محور مذهب حرية التجارة .

والحقيقة ان رفاعة كان اول من نبه فى مصر بشكل قوى مباشر الى حقيقة الاستغلال البشع الواقع من كبار الملاك على الفلاحين ، ومن الراسمالية عامة التى يسميها «ارباب الاملاك» على العمال عامة او مايسميهم ارباب الاعمال . وينضح رفاعة فى هذا المقال من مناهج الالباب ، المعنون «تقسيم محصول الارض بين مالكها وزارعها» بمشاعر طبقية عاطفة على الفلاحين والعاملين وضد استغلال كبار الملاك . وفيه يقول رفاعة :

« ان المقتطف لثمار هذه التحسينات الزراعية ، المجتنى لفوائد هذه الاصلاحات الفلاحية الناتجة فى الغالب عن العمل واستعمال القوى الالية ، والمحتكر لمحصولاتها الايرادية ، انما هم طائفة الملاك ، فهم من دون اهل الحرفة الزراعية ، متمتعون باعظم مزية ، فارباب الاراضى والمزارع هم المغتنمون لنتائجها العمومية ، والمتحصلون على فوائدها ، حتى لايكاد يكون لغيرهم شىء من محصولاتها له وقع ، فلا يعطون للاهالى الا بقدر الخدمة والعمل ، وعلى مقدار ماتسمح به نفوسهم فى مقابلة المشقة ، يعنى ان الملاك فى العادة ، تتمتع بالمتحصل من العمل ، ولاتدفع نظير العمل الجسيم الا المقدار اليسير الذى لايكافىء العمل ، فما يصل الى العمال فى نظير عملهم فى المزارع ، او الى اصحاب الالات فى نظير اصطناعهم لها ، هو شىء قليل بالنسبة للمقدار الجسيم العائد الى الملاك ، فان المالك يستوفى لنفسه اكثر محصول الارض »

كذلك ينذر رفاعة بالاخطار الناجمة عن الظلم الطبقى «فمواكسة المالك له فى تقليل اجرته ، محض اجحاف به» ، و «هذا لا يثمر محبة الاجير للمالك » «من يزرع الشوك لايحصد به عنبا» الخ .

وبذا يتضح ان رفاعة لم يقف عند حدود مصالح وافكار ونظريات الديمقراطية البورجوازية التقليدية ، وانما تخطاها الى نوع من الافكار والاراء والنظريات «الديمقراطية الثورية» التى كانت متقدمة تماما بالنسبة لعصره ، وحتى بالنسبة لما بعد عصره فى مصر كما سيجىء تاريخيا بعد . ويسمى لويس عوض هذا التطور عند رفاعة ، بأنه تحول من «الليبرالية الى الراديكالية» ، ومن مفكر يمثل البورجوازية الثائرة الى مفكر يمثل البروليتاريا المعتدلة التى تطلب لنفسها مكانا كريما داخل الاطار البورجوازى» .

كذلك ، فاذا كان **احمد لطفى السيد** يطرق فى مطلع القرن العشرين مجال الكفاح الدستورى ويدعو لمشاركة الامة للخديوى فى الحكم ، ويبين للناس معنى الدستور والحكم النيابى ونظرية فصل السلطات ، فان لرفاعة الطهطاوى حقا ، فضل الريادة الاولى ، فضل التعريف بكل تلك النظريات والتطبيقات التى لمسها بنفسه فى اوربا ، والتى افادت ايما افادة فى كفاح المصريين الدستورى وتطورهم الديموقراطى التالى .

بيد اننا اذا كنا لانستطيع فى الختام وانصافا للحقيقة التاريخية ان نقصر سمة الريادة الديمقراطية الليبرالية فى بلاد الامبراطورية التركية فى القرن التاسع عشر ، على رفاعة الطهطاوى وحده ، واذا كان لابد من الاعتراف بان عددا من الشبان الاتراك (**سى نازى ، وزيا باشا ونامق كمال ، ومن قبلهم صادق رفعت باشا**) قد بشروا فى استانبول فى الستينات من ذلك القرن وقبلها بافكار الديموقراطية الليبرالية ، وعلى اسس مشابهة للاتجاه الذى سار عليه رفاعة . الا ان رفاعة قد بزهم تقدما فى الحقيقة ، لانه فى حين ارتبطت آراؤهم الديمقراطية الليبرالية بفكرة

---

(١٧) مناهج الالباب ص ٨٤

(١٨) لويس عوض = المؤثرات الاجنبية فى الادب العربى الحديث ـ البحث الثانى ص ١٨٦ .

« الامبراطورية » التركية التقليدية ، وهي فكرة استعبادية محافظة ، نجد ان اتجاه رفاعة ارتبط بفكرة تحررية مناقضة ، فكرة الوطنية المصرية الخاصة. كذلك في حين نجد المجموعة الديموقراطية الليبرالية التركية تنحل بعد ١٨٧١ بعد عودتها من المنفى ، نجد ان التيار السياسي والاجتماعي الذي خلفه رفاعة ، على العكس من ذلك ، لايتلاشى بانطواء صاحبه ، وانما يتجدد ويعمق ويتسع مداه جيلا بعد جيل حتى يتبلور بعد قرن كامل في ثورة ١٩١٩ الوطنية الديموقراطية ».

وبعــد ..

لقد احب رفاعة الطهطاوي المعلم والشاعر والناشر والمترجم والمفكر السياسي التقدمي ، احب مصر كل ذلك الحب الشديد الذي انعكس في كتاباته والذي لونته كلماته ، وكتب عاطفا كذلك على كادحيها والعاملين فيها ، ومن هنا تنبع افضل صفاته الوطنية والديموقراطية الثورية . وان كلماته عنها لتنبض وحدها بتلك العاطفة التي اضاءت بنور بصيرته طريقا جديدا لمصر عبر ظلمات ماضية كئيبة ، سجنت الاغلبية الكادحة من شعبنا في اطار افكار ومظالم العصور الوسطى المتخلفة. فلنستمع اليه « الناشئة الجديدة » اذن وهو يتكلم عن مصر التي « لم تسبقها امة في ميدان التمدنية ، ولا في حومة تقنين القوانين ، وتشريع احكام الاحكام المدنية ، ولم تجحد نعمة اقتباس علومها امة ولاملة ، ولا انكرت الاستضاءة بنور نبراسها ، مملكة عظيمة ولادولة » (١٩) و« خدمة مصر ، فريدة العصر ، دار حجرة الفهم ، المبرزة لكل شهم ، من خير ما افتى به اللبيب وافتتن ، واعتنى به واقتناه ذخيرة للزمن ، بل هو فرض على من كان من بنيها او مستوطنا فيها ، جعلنا الله بارين ، ومن أهل العقــوق بريئين » افــلا تسجل لرفاعة الطهطاوي اذن تلك المأثرة العظيمة في بدء اعادة الثقة الينا ، تلك التي كانت ضرورية للشعب المصري ليواصل كفاحه التالي على اسس من الايمان الحق بماضيه وبقدرته النضالية الكامنة؟ افلم يكن لكلمـــات رفاعة الطهطاوي تلك ، من تاثير على الوجدان المصري المتعب الذي اضير كثيرا من قيود الخضوع للاستبداد الاجنبي وآخره التركي ذلك الوجدان المتحرك المتطلع ، والمنتفض عما قريب؟

انها لتسجل اليه دون شك كل تلك المــآثر ، وليسجل اليه ايضا كل ذلك التاثير ، الذي تتدعم به ايجابيات الذخيرة النيرة التي قدمها رفاعة الطهطاوي لمصر ، مخلصا بعقله وقلبه ».

القســم الثـالث

رفــــاعــــة الطهطاوي ـ المعلم

لا يتصور انســان مدى ما اوقعــه الاستعمار ببلادنا من تخــريب وتدمير مخطط ، في حياتنا الفكرية والعلمية والتعليمية حتى يعود الى اوائل القرن الماضي ، الى مطلع القرن التاسع عشر .. ليرى اى فكر متقدم .. واى ثورة وثروة فكرية وعلمية وثقافية قدمتها حركتنا الشعبية .. واى تعويق وتعطيل لمسيرتنا تم منذ الاحتلال .. وكيف استطاعت قوى الاستعمار ما بعد سنة ١٨٨٢ ان تطمس معالم كل شيء او تكاد ».

واذا كان شخصية رفاعة من الغنى وتعــدد الجوانب ، فقد حملت كل سمات الموســوعيين وفلاسفة التنوير ، في القرن الثامن عشر في اوربا الذين قدموا خلاصة الفكر الثوري للبورجـــوازية الصاعدة حينذاك .. فقد كان هو المفكر والجغراف

(١٩) أنوار توفيق الجليل • تاليف رفاعة الطهطاوي ص •

والمؤرخ والفقيه والعالم .. الا انه عبر عن هذا كله من خلال صفة واحدة غالبة لونت كل حياته .. صفته كمعلم .. لقد قضى حياته كلها معلما ، منذ تصدر حلقات الدرس فى الازهر قبـل سفره الى اوربا ، الى يوم مماته . ومن اجل تلاميذه .. وهم كل مواطنيه .. ترجم والف وفكر وناضـل .. ولكنه كان المعلم العالم الذى وسعت مهنته كل الافاق الرحبة لثقافة العصر ، والتى جعلت منـه رمز الالتقاء الكبير بين ثقافة الشرق والغرب ، فى مطلع القرن التاسع عشر ، وكل ثمرته الناضجة .. رمز الانفتاح على الفكر والثقافة الثورية التى حملتها البورجوازية الاوربية حينذاك ، ولكن على قدمين راسختين فى التراث العربى والاسلامى ، وعلى ارضية الايمان العميق بوطنه ومواطنيه .

ولنطالع صفحة حياته كلها فى لمحة سريعة .. حياة هذا المعلم الكبير .. لنرى اى فكر واى ثقافة حملها لقومه من خلال مهنته المتواضعة ، التى يصفها باعتزاز ، فيردد الحديث خير الناس وخير من يمشى على جديد الارض ، المعلمون (١) .

عين بعد عودته من البعثة سـنة ١٨٣١ فى مدرسة الطب بابى زعبل للترجمة ، وعهد اليـه فى نفس الوقت بالتدريس لتلاميذ المدرسة الملحقة بمدرسة الطب ، ووكل اليه ايضا ادارة المدرسة التجهيزية للطب والتى عرفت باسم مدرسـة الماريستان .. وفى سنة ١٨٣٣ انتقل من العمـل بمدرسة الطب الى مدرسة المدفعية « الطوبجية » بطره ، وعهد اليه ترجمة العلوم الهندسية والفنون الحربية ، وكان بالمدرسة مطبعة تطبع ما يعربه رفاعه ، وترجم رسالة فى الهندسة مما يدرس فى كلية سان سير بفرنسا ، ثم عهد اليه نظارة المدرسة التجهيزية بالقصر العينى ، وكانت تحوى خمسة عشر الف مجلد ، وكذلك رياسة فرقـة تلامذة الجغرافية بهذه المدرسة . ثم نقل الى العمل الذى خلد اسمه من بعد وهو مدرسة الالسن ، فقـد عهد الى رفاعة انشاء هذه المدرسة سنة ١٨٣٥ وكانت تسمى مدرسة المترجمـين ثم غير اسمها فصار مدرسة الالسن ، لتخـريج المترجمـين والمدرسين ، وترجمة العلوم والفنـون ، واختير تلاميذها مما يعرفون القراءة والكتابة . وفى سنة ١٨٤٤ انشأ بمدرسة الالسن قسم لدراسة الادارة الملكية العمومية ، ليعمل خريجـوه فى المديريات والمصالح ، وبعد ذلك بعامين انشأ قسم آخـر لدراسة الادارة الزراعية . وفى اواخر سـنة ١٨٤٧ انشأ بها قسم لدراسة العلوم الفقهية ، ليعين خريجوه قضاة بالاقاليم وضمت اليهـا مدرسة محاسبة ، والحق بها ايضا دار صغيرة للاثار ، واخرى للكتب الاجنبية . وهكذا اصبحت هذه المدرسة نواة لجامعة حقيقية ، وكان رفاعة يديرها ويتولى التدريس بها ، ويشرف على مراجعة الكتب التى يترجمها تلاميذه . ويقول عنه على مبارك فى الخطط ، كان دأبه فى التدريس والترجمة لا يفتر ، فقد يعقد دروسه احيانا بعد العشـاء ، ويقف على قدميه طوال ثلاث او اربع سـاعات ليدرس اللغة او فنون الادارة والشرائع الاسلامية والقوانين الاجنبية ، وتلاميذ المدرسة يتمـرنون على ترجمة الكتب وهم لا يزالون بالمدرسة ويقوم رفاعة والاساتذة باصلاح ما يترجمون ، ثم تطبع ويقرأها المدرسـون والتلاميـذ ، وكان يشترط لاجازتهم بالمدرسة ان يقدم الطالب ترجمة لكتاب ، ويقدر البعض ان ما ترجمه رفاعة وتلاميذه يربو على الفى كتاب . وكانت مدرسة الالسن ملتقى لثقافة الشرق والغرب تجمع بين دراسة كتب الفقه والادب الازهرية ، الى جانب دراسة اللغة الاجنبية والنحو والادب والقصص والتاريخ القومى والغيت هذه المدرسة سنة ١٨٤٩ فى عهد عباس .

وفضلا عن هذا احيـل عليـه تفتيش مكاتب الاقاليم ، وكان يرأس كل عام لجنـة امتحـان (مكاتب المبتـديان) بالاقـاليم ويأتى بالتلاميـذ المتفوقين ليلتحقوا بالمدرسة التجهيزية . واسند اليه رياسة تحرير الوقائع المصرية سنة ١٢٥٧ هـ فوق ذلك .

وما ان تولى عباس حتى نفاه الى السودان ، بحجة انشاء مدرسة لتنوير الاهالى هناك ، واختير رفاعة ناظرا لها ، فامتدح اهلها واشتغل بتعليم اولادهم ، ومات عدد من زملائه المدرسين بالاوبئة فعكف على ترجمة «تليماك» .

وفى عهد سعيد التقى بصديقه ادهم باشـا وعكف على الدعوة الى مشروع للتعليم الشعبى ، سنعود اليه ، ووأده سعيد فى المهد .

ثم عين ناظرا ثانيا (وكيلا) للمدرسة الحربية .. ثم انشئت المدرسة الحربية بالقلعة سنة ١٨٥٦ وعين رفاعة ناظرا لها ، فما لبث ان حولها الى مدرسة جامعة من جديد ليعيد سيرة مدرسـة الالسن ، وطعمها بالدراسات المدنية ، فانشأ بها فرقة للمحاسبة ، والحق بها قلما للترجمة ، واكثر من دراسة اللغات والادبيات والرياضة الى جانب التعليم العسكرى العام ، ولكن المدرسة ذهبت ضحية اهواء سعيد والغيت سنة ١٨٦١ .

كما اتجه رفاعة فى عهد سعيد الى نشر الكتب

(١) المرشد الامين للبنات والبنيـن ــ رفاعة الطهطاوى .

العربية القديمة مثل تفسير الفخر الرازى ومعاهد التنصيص وخزانة الادب والمقامات الحريرية ومقدمة بن خلدون .

وفى عهد اسماعيل عين رفاعة عضوا (بقومسيون الديوان) الذى يجتمع كل يوم للنظر فيما يجب عمله لافتتاح المدارس الجديدة .وكذلك كان عضوا فى (القومسيون المؤلف من بعض كبار الموظفين والاعيان والعلماء للنظر فى تنظيم المكاتب الاهلية ، اى التعليم الابتدائى العام . ودعى هذا القومسيون الى الاجتماع فى ١٠ رجب سنة ١٢٨٤ هـ للنظر فى مشروع لائحة التعليم الشعبى التى قدمها على مبارك ، وسنعود اليها بعد قليل . ثم شكل قومسيون دائم للنظر فى شئون المكاتب الاهلية وعهد برئاسته لرفاعة . وكان يشترك ايضا فى وضع جداول وخطط ما ينشأ من مدارس . وبذلك قام بدور اساسى فى توجيه سياسة التعليم فى عصر اسماعيل .

ولما أنشىء قلم الترجمة بديوان المدارس سنة ١٨٦٣ ، على غرار القلم الذى كان فى ايام محمد على ، اختير رفاعة ناظرا لها .

والى جانب عمل رفاعة فى قلم الترجمة وقومسيون ديوان المعارف ، قام بدور كبير فى تنظيم تدريس اللغة العربية بالمدارس وامتحان الفقهاء والشيوخ لاختيار الاكفأ منهم للتدريس ، ويقوم بوضع بيان بكتب اللغة العربية الصالحة للتدريس فى كل مدرسة ، وطرق تدريسها ، والقواعد التى يتبعها المدرسون ، ومدة الدروس . فقد كان من رأى رفاعة ان مدرسى اللغة العربية من الازهر ، لابد ان ينهجوا فى التعليم نهجا جديدا ، ويتلقوا علوما جديدة ، وكان على مبارك يشاركه هذا الرأى ، ولذلك انشئت دار العلوم سنة ١٨٧٢ لتحقيق هذه الاغراض ، وهى وان اقترنت باسم على مبارك منشئها ، الا ان فكر رفاعة وجهوده ودوره الرائد فى تدريس اللغة العربية يكمن وراءها .

وكان يحضر ايضا حفلات المدارس وامتحاناتها ، ويخطب فيها على عادة العصر . ولما انشئت صحيفة روضة المدارس سنة ١٨٧٠ وضعت تحت نظارة رفاعة بك ، وظل يحمل عبء كل هذه المناصب حتى وفاته سنة ١٨٧٣ .

ولكنه فوق هذا وقبله صاحب نظرية كاملة فى التربية ، وفى الثقافة والتعليم ، بسطها فى العديد من كتبه ، وبالاخص « المرشد الامين للبنات والبنين » و « مناهج الالباب المصرية فى مباهج الاداب العصرية » وفى « تخليص الابريز » ، وفى مقدمات العديد من كتبه المترجمة والمؤلفة للمدارس فى الجغرافيا والتاريخ مثل جغرافية ملطبرون ،و« التعريبات الشافية لمريد الجغرافية » وغيرها ، وله منظومه ايضا فى تاديب الاطفال .. ولم ينس وهو فى جولاته التفتيشية ان يطلب من ديوان المدارس انصاف المعلم وزيادة راتبه الذى لم يكن يتعدى القروش ، ولكن الديوان لم يجبه الى طلبه (٢) .

هذه صفحة الرجل ، ولقد صب رفاعة فى حياته كمعلم ، كل عصارة فكره وفلسفته وعلمه وعمله ، وليس فى الامر غرابة ، فقد كان هذا دأب العديد من مفكرى البورجوازية الثورية حتى فى اوربا خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، وهم ينظرون بتفاؤل للمستقبل ،ويتصورون ان بمقدورهم تخليص العالم من كل شروره ، واعادة تشكيل المجتمع والفرد من خلال التربية والتعليم .. هكذا قدم روسو « اميل » وعبر فيه عن افكاره الثورية ، ولم يكن رفاعة بعيدا عن التأثر بهذا الفكر ، وهو يذكر روسو فى ضمن قراءاته فى باريس .. لقد كانت نقطة البدء دائما عند هؤلاء هى الفرد والطفل ، ومن خلال اعادة تربيته وتثقيفه تستأصل جذور المجتمع الاقطاعى القديم .. ويتحقق الحلم بالمجتمع الجديد .

والحقيقة انه من الصعب الفصل فى شخصية رفاعة ، او فى كتبه ، ما بين المفكر والفيلسوف والاديب والفقيه والمعلم .. لقد كانت افكاره التربوية والتعليمية ترجمة مباشرة وصادقة لكل فكره وفلسفته .. كانت هى الفكر والفلسفة والعلم فى التطبيق .. وكان رفاعة فى مطلع القرن الماضى المعبر الحقيقى عن فكر طلائع الطبقة الجديدة الناشئة التجارية ومثقفى الازهر من ابناء الفلاحين ، الذين تصدوا لقيادة نضال الشعب المصرى منذ اواخر القرن الثامن عشر ، والتى تحققت صحوتها الكبرى على طلقات مدافع نابليون ، وهو وان اختلفت مواقفه السياسية وعواطفه السياسية عن عمر مكرم والجبرتى وبالاخص من حكم محمد على ، فقد كان هو فى الحقيقة التتمة الفكرية والفلسفية لهؤلاء .. غلب دوره الفكرى والادبى والتربوى على مواقفه كرجل سياسة ودولة .. تعلق بحكم محمد على وكال المديح للوالى وخلفائه . فعبر عن ضعف طبقته وقوتها فى نفس الوقت .. عجزها وطموحها فى نفس الان .. فقد كانت تحتاج الى دولة قوية

---

(٢) تاريخ التعليم فى عصر محمد على ـ عباس وسعيد ـ اسماعيل ـ احمد عزت عبد الكريم ـ عصر محمد على ـ عبد الرحمن الرافعى ـ رفاعة الطهطاوى بك ـ احمد بدوى .

وموحدة ، ونظام عصري يخرجها من ظلام القرون الوسطى المملوكية والعثمانية ، ودرعا تحتمي من ورائه ضد هذه الطبقات ، وضد الاجانب من فرنسيين وانجليز .. وكانت دولة محمد على بالنسبة اليه هي هذه الدولة .. التي انشأت حكومة وجيشا ومصانع ومدارس . ولكن طموحه الفكري والادبي والتربوي التعليمي لم تحتويه دولة محمد على ولا خلفائه أبدا .. كان فكره وفلسفته ونظريته في التربية والتعليم رحبة وطنية ديموقراطية ، لا تحدها حدود الدولة الاوتوقراطية الجديدة .. يقف على ارض صلبة ، وقدمين راسختين في التراث ، ورأس تلتقي فيه كل تيارات العصر من الشرق والغرب .. وتتجسم فيه كل حركة البعث والاحياء الوطني .

فلنتتبع اذن كيف انعكست في نظريته التربوية ونظامه التعليمي الذي ناضل من اجل ارساء أسسه ، كل فكره وفلسفته .. والسمة البارزة في هذا الفكر هي النزعة العقلية الغالبة ، والايمان الشديد بالعقل والعلم .. نفس السمة التي تميز مفكري البورجوازية الثورية منذ عصر النهضة .. الطابع الديكارتي الواضح .. واذا كان ديكارت يرى أن العقل اعدل الاشياء قسمة ما بين الناس ، ويبحث عن الوضوح والبداهة والفهم .. ويسعى دائما الى التوفيق بين عقيدته وفكره المتفتح وايمانه الراسخ بالعقل .. فقد كان الفكر المصري ، وهو فيلسوف التنوير والبعث ، يمر بنفس التجربة ، ويسعى الى نفس الهدف ، وينهج النهج ذاته .. أما عقيدة رفاعة فراسخة لا يزلزلها شيء .. الازهري المؤمن الصادق ، الذي تمتزج فيه العقيدة بالوطنية .. ولكنه يرى عقيدته تحت أضواء جديدة تماما .. ويفسرها بمنطق العقل وهديه .. ويحتفي بمنطق العقل وبالعلم احتفاء لا تحده حدود .. يجدد كل تراث العقليين : المعتزلة وابن سينا وابن رشد ، ويتأثر كل التأثر بالنزعة العقلية الديكارتية ، وبالماديين الموسوعيين الفرنسيين ، حتى ليقول عنه كارادي فو المستشرق الفرنسي : « برغم تدين هذا الكاتب العبقري وعقيدته ، فهم فلسفة فرنسا في القرن الثامن عشر ، وتأثر بآراء العقليين تأثرا ربما كان اكثر مما ينبغي (٣) .

اما احتفاؤه بالعقل وبالفكر ، فنظريته التربوية كلها تقوم على اساس ان الانسان بطبعه يميزه النطق ، وانه قادر بالعقل على تمييز الحق من الباطل ، الخير من الشر ، وأن العقل حتى قبل ان تهبط الشرائع ، كان قادرا على هذا التمييز ، وهدف تربية الطفل هو اذكاء فكره وشحذ قريحته وقدرته على الابتكار والاختراع .. وفي العدد الثالث من روضة المدارس يكتب مقالا بعنوان بقاء حسن الذكر باستخدام الفكر ، يدعو فيه الى اعمال الفكر لاستنباط الصالح من الامور .. وفي « المرشد الامين للبنات والبنين » « مطلب كون العقل مرآة العارف يميز به الحق من الباطل ..

الله سبحانه وتعالى جعل العقل النوراني في القلب الانساني مرآة للعارف الفاضل يميز به الحق من الباطل .. فالعقل النير رسول قبل واسطة النبي المرسل والملك المقرب ... وان كانت العقول افادت قبل الشرائع نوعا من التدبير فالعقل الراجح الصحيح النظر الخالي عن الموانع قد يميز الحق من الباطل » .

... ولاشك ان الانسان بما اودع فيه من القوى العقلية اهتدى الى المعارف والعلوم والفنون والصنائع فبأفكاره الجليلة عرف ان ينتفع بما حوله من المخلوقات ويجعلها طوع يمينه (٤) .

فالعقل هو الوسيلة الوحيدة في التصور والتصديق وتمييز الحقائق على وجه دقيق نميق (٥) .

وقد اقتضت الحكمة الالهية ايداع القريحة العقلية في دماغ الانسان لتكون كايداع المعادن النفيسة في باطن الارض فان المعادن في باطن الارض غير مصقولة ولا متشكلة باشكال منتظمة بل مشوبة باخلاط واجزاء اجنبية فلا تنظف وتظرف الا بالفن والصناعة وكذلك القريحة فان العلوم والفنون تعمل فيها ما يعمله تصفية المعادن النفيسة بازالة خالطها من المواد الاجنبية ... واذا قويت القريحة في العلوم والفنون والصنائع وبلغت فيها درجة كمال كانت آلة للاختراع والابتداع حتى لا تكون لتصرفها نهاية ولا تحسين تدبير غاية (٦) .

لاسيما وان ابناء مصر ارباب قرائح ذكية مستعدين لجميع المعارف والمنافع البشرية وحافظتهم قوية متى قصدوا شيئا تعلموه في اقرب وقت وزمان فيستدعي التمدن الكثير من المدارس العمومية والكتبخانة الاهلية المشتملة على جميع العلوم والفنون لتنوير عقول ذوي المعارف ويكثر العلماء والمتفننون وتنتشر على آفاق مصر أنوار المعارف الخارجية واسرار اللطائف الانسانية ... وتتجدد البركة ويكثر العمل وتنشط الحركة .

---

(٣) رفاعة الطهطاوي بك ــ احمد بدوي
(٤) المرشد الامين للبنات والبنين .
(٥) المرشد الامين للبنات والبنين .
(٦) المرشد الامين للبنات والبنين .

ثم ان تغير حالة مصر الى حالة مستحسنة لا يستدعى من الزمن عشرين سنة لان تربتها طيبة ومزارعها مخصبة ... تنبت فيها الاطفال نبتا حسنا ويترعرعون فى اقرب وقت (٧) .

وتكمل هذه العقلانية الواضحة بايمانه العميق بالعلم وبالفنون والصنايع ، وهو يأخذ من العلم منهجه الذى يقوم على الفحص والدرس وتقصى العلل والاسباب ، ووظيفته الاجتماعية فى تحقيق التمدن والعمران عن طريق الفنون والصناعات وانتشار الاعمال الكدية والسعى والاشغال العمومية ، وفى نفس الوقت يؤكد دائما الربط الوثيق بين العلم والتراث .. بين العقل والنقل .. بين العلوم الحكمية العملية التى يدعو الى الاخذ بها مع العلوم الشرعية والدينية التى يتمسك بها .. ولكن فهمه للتراث فهم متقدم ، فهو يهاجم الذين يتوهمون ان السلف افضل دائما من الخلف ، وان الماضى خير من الحاضر ، وان كل مبتدع مذموم ، ويؤكد على العكس ، ان المبتدع النافع يقع موضع الاستحسان ... فالمعارف الان سائرة بسيرة مستجدة فى نظريات العلوم والفنون الصناعية التى هى جديرة بان تسمى بالحكمة العملية والطرائق المعاشية ومع ذلك فلم يزل التشبث بالعلوم الشرعية والادبية ومعرفة اللغات الاجنبية والوقوف على معارف كل مملكة ومدينة مما يكسب الديار المصرية المنافع الضرورية ومحاسن الزينة فهذا طراز جديد فى التعلم والتعليم وبحث مفيد يضم حديث المعارف الحالية الى القديم .. ولا ينبغى لابناء الزمان ان يعتقدوا ان زمن الخلف تجرد من فضائل السلف وانه لا ينصلح الزمان اذ صار عرضة للتلف ، فهذا من قبيل البهتان ، فالفساد لاعتقاد ذلك لافساد الزمان ... وانما حصول هذه الاوهام السوفسطائية ناشىء من فهم كلام العلماء الراسخين على خلاف المعنى المقصود منه ... فليس كل مبتدع مذموم بل اكثره مستحسن على الخصوص والعموم ... فمخترعات هذه الاعصر المتلقاة عند الرعايا والملوك بالقبول ، كلها من اشرف ثمرات العقول .. ومن ذا الذى يخطىء صواب هذه الاستمدادات المعينة على المهمات المعيشية لطرقها النافعة وانوارها الساطعة التى لظلام الارجاء دافعة (٨) .

وهو لا يكف يذكر فى كل صفحات كتابه « تخليص الابريز » ان علة تقدم الفرنسيس والافرنج هو الاخذ بالعلوم والفنون والصنائع ... ويصنف رفاعة القارات حسب مهبط الاديان فيها وخاصة الاسلام ، ولكنه لا يلبث حتى يستدرك ويقرر ان جدارة الامم وفضلها وامتيازها لا تقاس باديانها وانما تقاس بمستواها من العلم « ولا ينكر منصف ان بلاد الافرنج الان فى غاية البراعة فى العلوم الحكمية » (٩) .

وينعى على البلاد الاسلامية انها اهملت العلوم الحكمية بجملتها رغم براعتها فى العلوم الشرعية « فلذلك احتاجت الى البلاد الغربية فى كسب ما لا تعرفه وجلب ما تجهل صنعه (١٠) » .
ويؤكد انه ينبغى للعلماء الشرعيين ان يتشبثوا ايضا بمعرفة المعارف البشرية كالعلوم الحكمية العملية ... ومدار سلوك جادة الرشاد والاصابة منوط بعد ولى الامر بهذه العصابة التى ينبغى ان تضيف الى ما يجب عليها من نشر السنة الشريفة ورفع اعلام الشريعة المنيفة معرفة سائر المعارف البشرية المدنية التى لها مدخل فى تقديم الوطنية ... لاسيما وان هذه العلوم الحكمية العملية التى تظهر الان انها اجنبية هى علوم اسلامية نقلها الاجانب الى لغاتهم من الكتب العربية (١١) .

ويصب كل ايمانه بالعقل وبالعلم وبدور العلم فى التقدم والتمدن فى تصنيفه للعلوم « والصنائع المطلوبة » اللازمة فى اى دولة من الدول . وهذه الفنون اما واهية فى مصر او مفقودة بالكلية . والواقع ان العلوم والفنون التى يذكرها هى بعينها مادة التعليم والترجمة التى اشتغل بها طوال عمره وخطط الدراسة ومناهجها التى عمل بمختلف الوسائل على ادخالها فى المدارس التى اشتغل بالتدريس فيها او نظارتها .. فالعلوم والفنون عنده قسمان : قسم عام للتلامذة وهو الحساب والهندسة والجغرافيا والتاريخ والرسم . وهى العلوم التى رأى انها لابد ان تكون مشتركة بين جميع ابناء الملة ، واقام عليها مناهج المدارس الابتدائية او المبتديان ومشروعاته لنشر التعليم الشعبى . وقسم خاص هو فى الحقيقة موضوع الدراسة فى المدارس التجهيزية او المخصوصة (العالية) وهى عدة علوم :

العلم الاول : علم تدبير الامور الملكية ويتشعب عنه عدة فروع : الحقوق الثلاثة التى يعتبرها الافرنج ، وتسمى بالنواميس ، وهى الحقوق الطبيعية ، والحقوق البشرية ، والحقوق الوصفية ، وعلم احوال البلدان ومصالحها وما يليق بها وعلم الاقتصاد فى المصاريف وعلم تدبير المعاملات والمحاسبات والخازنداره وحفظ بيت المال » .

---

(٧) مناهج الالباب المصرية
(٨) مناهج الالباب المصرية
(٩) تخليص الابريز .
(١٠) تخليص الابريز
(١١) مناهج الالباب المصرية .

العلم الثانى : علم تدبير العسكرية .

العلم الثالث : علم القبطانية والامور البحرية.

العلم الرابع : فن معرفة المشى فى مصالح الدول (الدبلوماسية) .

العلم الخامس : فن المياه ، وهو صناعة القناطر ، والجسور والارصفة .

العلم السادس : الميكانيكا وهى آلات الهندسة وجر الأثقال .

العلم السابع : الهندسة الحربية .

العلم الثامن : فن الرمى بالمدافع وترتيبها ، وهى فن (الطوبجية) .

العلم التاسع : فن سبك المعادن .

العلم العاشر : علم الكيميا ، وصناعة الورق، والمراد بالكيميا معرفة تحليل الاجزاء وتركيبها ، وليس المراد بالكيميا حجر الفلاسفة"، كما يظنه بعض الناس فان هذا لا تعرفه الافرنج ولاتعتقده اصلا .

العلم الحادى عشر : فن الطب وفروعه ، فن التشريح والجراحة ، وتدبير الصحة ، وفن معرفة مزاج المريض ، وفن البيطرة اى معالجة الخيل وغيرها .

العلم الثانى عشر : علم الفلاحة ، وفروعها، ومعرفة انواع الزروع .

العلم الثالث عشر : علم تاريخ الطبيعيات ، وفروعه ، الحيوانات ومرتبة النباتات ومرتبة المعادن .

العلم الرابع عشر : صناعة النقاشة وفروعها، فن الطباعة ، وفن حفر الاحجار ونقشها .

العلم الخامس عشر : فن الترجمة ، يعنى ترجمة الكتب ، وهو من الفنون الصعبة ،خصوصا ترجمة الكتب العلمية فانه يحتاج الى معرفة اصطلاحات اصول العلوم المراد ترجمتها .

فاذا نظرت بعين الحقيقة رأيت سائر هذه العلوم المعروفة معرفة تامة لهؤلاء الافرنج ناقصة ومجهولة بالكلية عندنا (١٢) .

ويبرز اتجاهه العقلى وتأثره بالمنهج العلمى ، وبالنزعة المادية الغالبة على الموسوعيين فى فرنسا على وجه الخصوص فيما كان يوجهه من اهتمام خاص الى علمى الجغرافيا والتاريخ بالذات ، والواقع اننا اذا راجعنا ثبت ترجماته ومؤلفاته نجد به ولع خاص بالترجمة والتأليف والتدريس فى هذه المواد ، وليس الامر بلا دلالة فمادة الجغرافية على وجه الخصوص من ثمرات النهضة وهى تعبير عن الخروج على العزلة والانغلاق الاقطاعى ، وتفتح للكشف والبحث فى الارجاء الواسعة للعالم ، وهى بلاشك عند رفاعة وعصره تعبير عن التطلع البعيد لافاق الحضارة والتمدن ، كما ان هذه المادة وثيقة الصلة بالمنهج العلمى اذ تكشف عن تأثر العمران البشرى بعوامل الطبيعة والمناخ والثروات المادية والانتاج ، ورفاعة فى جغرافية ملطبرون وفى التعريفات الشافية يعطى حيزا اكبر واهتماما خاصا بجغرافية مصر والبلدان العربية وتقصى ثرواتها ومواردها ، واهتم فى كتبه التاريخية بتفنيد الخرافات ومحاولة اخضاع التاريخ لمنهج الفحص والتحقيق وابراز الامجاد القومية ، ولا شك ايضا أن هذه المواد ذات علاقة وثيقة بالسياسة وتدبير الحكم مما ينسجم مع مفهومات رفاعة الديمقراطية والثورية وحقوق المواطنين فى المشاركة فى شئون الدولة .

وتكمل نزعته العقلية والديكارتية فى مطلبه الوضوح دائما والبساطة فى التعبير .. وعلى الرغم من السجع والمحسنات البديعية التى كانت تغلب على بعض كتاباته على عادة العصر الا ان اسلوبه يتميز بالوضوح والبساطة ، ويذكر تلميذه صالح مجدى انه كان معلما قديرا يتميز بالقدرة الفائقة على التعبير عن فكرته باكثر من طريقة وهو نفسه يرى ان المثل الاعلى لبلاغة الكاتب أن تكون مفردات الفاظه مفهومة وان تكون مركباته مما تفهمه الخاصة والعامة (١٣) .

ولم تخل كتبه من الفاظ عامية ، بل ولم يكن يرى مانعا من التأليف بالعامية فى بعض الفنون مثل كتب المنافع العمومية والمصالح البلدية .

تلك هى الارضية الفسيحة التى يتحرك عليها فكره العلمى والتعليمى ، فاذا انتقلنا الى نظريته التربوية بالمعنى الضيق والنظام التعليمى الذى كان يدعو له ، وجدنا عليها البصمات القوية للمربين البورجوازيين الثوريين فى اوربا خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر فقد عبر عن نفس الاهداف ودار فى نفس الاطار . ولكنه لم يكن ناقلا فحسب بل عبر اصدق تعبير عن امانى القومية المصرية الناشئة واهدافها الوطنية

---

(١٢) تخليص الابريز .
(١٣) المرشد الامين للبنات والبنين .

وبمصالح البورجوازية المصرية الفتية والمتطلعة بشوق الى التقدم والغنى والثروة ، ويكاد يكون فى كل كتبه معلما يبث فيها آراءه التربوية والتعليمية ، والهدف التربوى يحرك كتاباته دائما ، ولكن احداها وهو كتاب «المرشد الامين للبنات والبنين» ظل المرجع الاساسى للمعلمين والطلاب زمنا طويلا .

ونظرية رفاعة التربوية تحمل كما ذكرنا السمة الأساسية للفكر البورجوازى الاصلاحى فى عصره الذي عبر عنه روسو .. تبدأ من الفرد وتعتبر ان تربيته وتعليمه هو الطريق الى التغيير الاجتماعي والقضاء على كل شرور المجتمع القديم ، ولعل هذا هو الدافع الكبير الذى جعله يوقف حياته كلها على تعليم ابناء وطنه ، اعتقادا منه ان هذا هو السبيل الاوحد الى التمدن والترقى .. واذا كانت هذه الفكرة الاصلاحية تنتمي الى تفكير البورجوازية المتفائل فى عصر ثورتها ، فقد كانت بالنسبة الينا فى مطلع القرن التاسع عشر هى الفكرة العملية الوحيدة فى ظل ظروف حكم محمد على ، وضعف البورجوازية المصرية فى دور النشأة والتكوين ، ولعل هذا كان سبيلها الطبيعى الى تنوير الشعب وتوسيع قاعدتها ، والاعداد للثورة المقبلة .

ونستطيع ان نجمل الخطوط الرئيسية لنظريته فيما يلى :

- الهدف الوطنى .. حب الاوطان من الايمان
- مضمون التعليم ومادته .. الاحياء العظيم .. والبعث .
- اللغة القومية هى حجر الاساس .. دار العلوم .
- تعميم الالزام .. مكاتب الملة .. لائحة رجب .. العلم كالخبز والماء .
- هيكل البناء التعليمى ومراحله .
- العمل والسعى اساس الثروة .. التعليم من اجل العمل والصناعات .
- للمرأة حق مثل الرجل فى التعليم والعمل .
- اساليب التربية الحديثة .. الاعتراف بالطفولة وخصائصها واحتياجاتها .

اما ان هدف التربية كلها والتعليم هدف وطنى فذلك ما لا يحتاج الى مزيد .. ورفاعة لا يكف ينظم المنظومات الوطنية ، ويذكر التلاميذ فى كل كلمة ودرس بالوطن ، وبأن حب الاوطان من الايمان ، ويتغزل فى وطنه ، فى ارضه ومائه وسمائه ، مقيما عليها او بعيدا ، ويعتبره خير الاوطان .. ويترجم المارسلييز لما ينطوى عليه من روح وطنية عالية .. لقد كان لب التربية ولبابها عنده الوطن ورفاهيته واسعاده وغناه وثروته .

هذا الهدف الوطنى فى المضمون يعني البعث والاحياء ، ومع كل اعجاب رفاعة بحضارة الافرنج ورقيهم وعلومهم وفنونهم وصنائعهم ، الا انه لم يتفرنج ، ولم ينعزل عن قومه وتراثه .. بل على العكس سار على نهج كل القادة الوطنيين فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر .. كان احياء التراث العربى والاسلامى والاعتزاز به هو نقطة البدء .. واذا دعا الى علوم الغرب الحكمية فلانها تكمل علوم الشرق الشرعية والعقلية .. ولانها امتداد لتراث المسلمين فى اوج حضارتهم .

ولم تكن مدرسة الالسن التي خلدت اسمه سوى التعبير المجسم والترجمة الصادقة لهذا الفهم الثورى ، كانت كما هو معروف ملتقى الشرق والغرب .. بعثت وعلمت كتب التراث الى جنب الترجمات من الغرب . وفى كل ما ترجم كان على الدوام يتصرف ويعطى فسحة أكبر لدراسة ارض العرب والمسلمين وجغرافيتهم وتاريخهم ، وتاريخ أمته منذ الفراعنة ، باحثا عن علل التمدين والتخلف .. وهو لا يتنكر ابدا لمعهده القديم .. الازهر ولكنه يدعوه الى ان يقرن النقل بالعقل والشرع بالعلوم الحكمية .. لقد كان رفاعة بحق هو المعلم الرائد لكل جيل المجددين وباعثي التراث .

ويلتحم بهذا الفهم ويكمله تماما موقفه من تدريس اللغة العربية بالمدارس فى كل مستوياتها .. فقد كان يولى هذا الموضوع اهتماما خاصا ، ويقوم بنفسه باختيار مدرسيها فى المدارس من خير طلبة الازهر ، ويدعو الى تطعيم ثقافتهم بثقافة الغرب ، وكان انشاء دار العلوم على يد على مبارك تحقيقا لامنية من امانيه فى تطوير تعليم اللغة القومية واعداد المعلم العصرى . وكانت علوم الغرب الرفيعة مثل الطب والهندسة والفنون والصناعات تنقل منذ البداية على يد رفاعة وتلاميذه باللغة العربية ، ويقف المترجم العربى الى جوار المعلم الاجنبى يترجم كلامه كلمة بكلمة ، ويترجم الكتاب فى شتى الفنون ليستعمله تلاميذ المدرسة مباشرة .. فهؤلاء الرواد الاول لم يتصوروا امكان البعث والتطوير بمعزل عن تطوير اللغة ، او امكانية النهضة دون لغة نامية ناهضة .. وكان هذا الفهم الناضج هو الفهم السليم ، والكفيل باحداث الثورة الفكرية .. فاذا كانت اللغة هى وعاء الفكر وشقه المنطوق ، فالامر الطبيعى ان يكون تطوير اللغة هو الوجه الاخر لتطوير الفكر وبلغته

وتقدمه .. وقد دأب رفاعة وتلاميذه على اغناء اللغة بآلاف المصطلحات التي اشتقوها او عربوها في كل العلوم والفنون وخلفوا ثروة حقيقية في هذا الميدان .. وكان الامر الطبيعي ان يركز المستعمرون منذ الايام الاولى للاحتلال على وأد اللغة العربية من المدارس واحلال الانجليزية بدعوى انشاء المدارس العصرية .. ونستطيع ان نتخيل مدى التعويق والضرر البليغ الذي الحقه المستعمرون بحياتنا الفكرية الى يومنا هذا من جراء هذا المخطط .. وكان من الطبيعي ان تبدأ حركة التمرد والثورة والبعث الجديد في مطلع القرن العشرين بمعركة حول اللغة القومية ومكانها في المدارس .

فاذا وصلنا الى هيكل البناء التعليمي فقد تصوره رفاعة على النسق الاوروبي الابتدائي العام فالثانوي او التجهيزي فالعالي او المخصوص .

ولكن الابتدائي بالذات او التعليم الشعبي له معه قصة .. فقد كان رفاعة يرى مع كل مفكري البورجوازية التقدمية في اوروبا ضرورة نشر التعليم الابتدائي وتعميمه وتعليم مبادىء القراءة والكتابة والحساب لجميع الاطفال .. وكان هذا ما يتفق مع مصالح البورجوازية الثورية التي تريد تحرير العمل من قبضة الاقطاعيين وتقود الفلاحين . اما رفاعة فيقول :

التعليم الاولى ما يكون فيه اهل المملكة على حد سواء فهو عام لجميع الناس يشترك في الاشتغال فيه والانتفاع به ابناء الاغنياء والفقراء ذكورهم واناثهم وهو عبارة عن تعليم القراءة والكتابة في ضمن تعليم القرآن الشريف واصول الحساب والنحو .. هذا التعليم الاولى متى تعلمه الاحاد حسن حال الهيئة الاجتماعية وحمل كامل الرعية وارباب الكارات والحرف الصناعية فان الصانع مثلا اذا تعلم سهل عليه بقراءة كتب صنعته ان يشتغل اشغالا جيدة .. فالتعليم الاولى الذي هو عبارة عن المبادىء التي تقدم ذكرها ضروري لسائر الناس يحتاج اليه كل انسان كاحتياجه الى الخبز والماء (١٤) .

وهانحن نسمع صيحة طه حسين في الخمسينيات التعليم كالماء والهواء .. نسمعها تتردد على لسان هذا الرائد منذ مطلع القرن التاسع عشر : التعليم كالخبز والماء .

ولم يكن رفاعة مجرد داعية بل لم يترك فرصة ليضع آراءه في التطبيق .. فما ان عاد من منفاه في السودان عقب تولي سعيد حتى انبرى هو وزميله وصديقه ادهم باشا الذي عينه سعيد مفتشا عاما للمهمات والمدارس ، لتحقيق حلمه في نشر التعليم الشعبي العام او مكاتب الملة على حد تعبيرهم . وكان يتوهم ان الفرصة لم توات محمد على لينشر هذا التعليم ، ولم يكن يتصور ان محمد على كان يقصد الى منع هذا التعليم قصدا . وديباجة المشروع الذي تقدم به هو وزميله لمكاتب الملة تقول : « واما تربية الاهلين ، وادخال المعارف في افراد مراتب الرعية ، على اختلاف درجاتهم ، والتسوية بين الاعيان والرعاع في مادة التعليم الاهلى ، فلم تساعده (يقصد محمد على) المقادير على كمال الالتفات اليه ، وقضى قبل تكميله نحبه رحمة الله عليه » (١٥) .

اما محمد على فقد كتب الى ابراهيم باشا في اواخر سنة ١٨٣٦ يلفت نظره : « الى ما تعانيه اوروبا حينئذ من نتائج تعميم التعليم بين ابناء العامة والى انهم كانوا قد تورطوا في تعليم الناس حتى اصبحوا وليس في طاقتهم تلافي ما فات ، فاذا كان هذا المثال امام الانظار فمن الواجب ان تتفضلوا فتكتفوا بتعليم القراءة والكتابة لعدد منهم واف بأعمال الرياسة ، غير مولعين بتعميم هذا التعليم » (١٦) .

قام ادهم ورفاعة بوضع مشروع مكاتب الملة ، وقضى عاما بعد عودته من الخرطوم يدعو للمشروع وينظم عقود الثناء للوالى الجديد سعيد ، ويعقد عليه الرجاء ، ولكن دون جدوى ودفن المشروع قبل ان يولد ..

واليك بعض بنود المشروع :

البند الاول : يترتب في كل ثمن من اثمان المحروسة مكتب اهلى بقدر ما يجتمع فيه من ابناء الاهالى بدون حصر عدد .

البند الرابع : بيان التلاميذ المقبولين في هذه المكاتب : يصير في هذه المكاتب قبول جميع اولاد الاهالى المتوطنين بهذه البلاد من ابناء الترك والعرب على اختلاف درجاتهم واعمالهم .

البند الثامن : الغرض من هذه التعميمات العمومية والتربية الاهلية انما هو التوصل لكسب

(١٤) المرشد الامين للبنات والبنين
(١٥) تاريخ التعليم في عصر عباس وسعيد ـ احمد عزت عبد الكريم
(١٦) تاريخ التعليم في عصر محمد علي ـ احمد عزت عبد الكريم

التعيش بأحسن حال مثل ان يخرج من التلاميذ من يصلح لان يكون كاتب حسابات او تحريرات او يكون كاتب انشاء ومحاضرات وادبيات .. او ان يكون تاجرا يحسن انشاء دفاتر التجسارة .. او ان يكون يحسن ادارة زراعة .. او صاحب حرفة وصنعة .

ولكن الخطير فى المشروع هو تقريره لمبدأ اساسى هو مسئولية الدولة عن تعليم الشعب ، وانه وظيفةاساسية لها وهو المبدأ الذى تبنته البورجوازية الثورية فى كل مكان ..

لم يصب رفاعة اليأس وكانت المحاولة الثانية والاخطر فى هذا الباب هو ما عرف بلائحة رجب والتى اقترنت بأسم على مبارك مقدمها فى عصر اسماعيل ، ولكن رفاعة كان روحها ومن اكثر المحركين لها وكان عضوا فى القومسيون المؤلف من بعض كبار الموظفين والاعيان والحكماء للنظر فى تنظيم المكاتب الاهلية وقد دعى هذا القومسيون للاجتماع سنة ١٨٦٨ م .

وجاءت اللائحة المقترحة جزءا من حركة شعبية عامة تطالب بالتعليم للشعب وتنفيذا لمقررات شورى النواب الذى شكل فى عهد اسماعيل وقد جاء فى قرارات هذا المجلس فى شأن ترتيب المكاتب الاهلية : « الدخول فى تلك المدارس يكون من عموم الناس بالرغبة من دون استثنى اسلام واقباط غنى او فقير » .

وكان التعليم كما خلفه محمد على يتكون من نظامين منفصلين تماما : التعليم الميرى التابع للحكومة ليسد احتياجاتها المباشرة ، والتعليم الاهلى المثل فى الكتاتيب المنبثة فى القرى والمدن ولا علاقة للحكومة بها . اما لائحة رجب فقد قررت مبدأ هيمنةالدولة على جميعانواع التعليم، واقامت اول نظام قومى حقيقى للتعليم يستند فى قاعدته الى الكتاتيب ويطور نظامها لتصبح قاعدة للهرم التعليمى كله وبذلك خلق نظاما موحدا للتعليم . وكانت هذه البداية الخطيرة كفيلة بوضع حجر الاساس فى نظام قومى للتعليم ، ولكن احداث عصر اسماعيل ثم الاحتلال تقضى نهائيا على المحاولة الجديدة ، واسرع الانجليز الى وأد هذا النظام وخلق نظامهم الثنائى فى التعليم الذى يعزل ما بين التعليم الشعبى وانواع التعليم الراقية. هذه الثنائية ظلت تتشكل وتتلون بمختلف الصور لنعانى من آثارها حتى اليوم .

ويمضى رفاعة فى تصوره للنظام التعليمى على النسق الاوروبى .. فبعد التعليم العام التجهيزى ثم العالى او الخصوص ..

اما التعليم العالى فيتصوره فى الحدود التى رسمتها البورجوازية الاوروبية باعتباره تعليما للقلة القادرة : ... اما درجة العلوم العالية فهى اشتغال الانسان بعلم مخصوص يتجر فيه بقدر تحصيله علوم المبادىء والتجهيزات كعلم الفقيه والطبيب والفلكى والجغرافى والمؤرخ من كل علم يجب تعلمه وجوب كفاية ويريد صاحبه ان يجول فى اصوله وفروعه غاية الجولان .. فهو عبارة عن بعض افراد فى المملكة من الممالك تكون لهم استعداد وقابلية لبلوغ اقصى نهاية المعارف ..

وكما ان التعليمات الاولية والمعارف العمومية يجب ان تعم جميع اولاد الاهالى فقيرهم وغنيهم يجب ايضا ان يكون التعليم الثانوى كثيرا منتشرا فى ابناء الاهالى القابلين له الراغبين فيه فيباح لهم التعليم والتعلم ليكونوا فى الدرجة الوسطى بخلافدرجة العلومالعاليةالمعدة لاربابالسياسات والرئاسات واهل الحل والعقد فى الممالك والحكومات فانه ينبغى ان يقتصر فى تعليمها والتضييق فى نطاقها بحيث يكون عدد تلاميذها محصورا فى اناس قلائل مقصورا بمعنى ان كل من طلب الاشتغال بالعلوم العالية لابد ان يكون صاحب ثروة ويسار (١٧) .

وموقفه المتقدم من تعليم المرأة وعملها واضح وصريح ، وكان بلا شك رائد تعليم المرأة قبل قاسم امين .. ينبغى صرف الهمة فى تعليم البنات والصبيان معا لحسن معاشرة الازواج .. وليكن للمرأة عند اقتضاء الحال ان تتعاطى الاشغال والاعمال ما يتعاطاه الرجال على قدر طاقتها وقوتها .. وهذا من شأنه ان يشغل النساء عن البطالة (١٨) .

ومما يذكر ان كتاب رفاعة « المرشد الامين » طبع لاول مرة سنة ١٨٧٢ وتأسست اول مدرسة للبنات بالسيوفية سنة ١٨٧٣ ، وأن كانت دعوة رفاعة تعود الى ما قبل طبع الكتاب بسنين ..

واذا كانت البورجوازية الثورية ومثقفيها قد دعت الى تحرير الفرد والمرأة ، فقد دعت ايضا الى تحرير الطفل والاعتراف بشخصيته وميوله واستعداداته .. تلك صيحة روسو فى « اميل » .. ورفاعة يحمل نفس النظرة .. يجب على الولى ان يتأمل فى حال الصبى وما هو مستعد له من الاعمال ومتهيىء له فيها فيعلم انه مخلوق له لحديث اعملوا فكل ميسر لما خلق له فلا يحمله على غيره فانه ان حمله على غير ما هو مستعد له لم تفلح فيهعادة فيفوته ماهو متهيىء له (١٩).

فينبغى ان توزع المعلومات على المتعلمين بحسب اذواقهم وميل نفوسهم ، فمتى انتهى تعلم الشبان العلوم الابتدائية والتجهيزية وظهر ميلهم الى خصوصيات تناسب احوالهم من الصنائع والفنون وجب على اهلهم ان يضعوهم فيها (٢٠) .

---

(١٧) المرشد الامين للبنات والبنين
(١٨) المرشد الامين للبنات والبنين
(١٩) مناهج الالباب المصرية .
(٢٠) المرشد الامين .

وكان ينهى عن القسوة بالاطفال ، وينعى على الفقهاء ضربهم للاطفال فى تعليم القرآن الكريم ، وفى تقاريره السنوية عن المكاتب والمدارس التى يزورها اثناء الامتحانات كان يطالب دائما برعاية الاطفال والعناية بهم ، وقد طالب بجلوس التلاميذ على تخت من الخشب بدلا من الحصر والارض ، كما طالب فى احدى دوراته التفتيشية بصدارى للتلاميذ لتقيهم من البرد واطعامهم من اللحم والخضر يومين كل اسبوع . ونادى ايضا بان يسمح المعلمون لتلاميذهم باللعب فى بعض الاوقات ليستريحوا من عناء الدروس .

وامتدادا لرأيه فى الحريات المدنية التى ينبغى ان تكفل للمواطن والحقوق السياسية للرغية ، وتنشئة المواطن الصالح كهدف للتربية ، دعا الى ضرورة تعلم السياسة او « البوليتيقا » ..

« فمبادىء العلوم الملكية التى هى قوة حاكمة عمومية وفروعها مهملة فى الممالك والقرى بالنسبة لابناء الاهالى مع ان تعلمها ايضا مما يناسب المصلحة العمومية فما المانع من ان يكون فى كل دائرة بلدية معلم يقرأ للصبيان .. مبادىء الامور السياسية والادارية ويوقفهم على نتائجها وفهم اسرار المنافع العمومية .. وهل هذا التعليم الا ايقاف اهل الوطن على معرفة حقوقهم وواجباتهم بالنسبة لاملاكهم واموالهم ومنافعهم ومالهم وما عليهم محافظة على حقوقهم (٢١) .

وكمعبر عن طبقة صاعدة ومثقفيها ، تبحث عن الثروة وتوسيع نطاق الاعمال والاشغال ،وتصفى الاقطاع ونظامه الجامد الراكد ، كان يمجد العمل والسعى ، ويراه اولى الفضائل ويقبح الكسل والركود ، ويعتبر العمل مصدر الثروة فلا الزراعة ولا الصناعة او التجارة بمنتجة للثروة الا بالعمل ، ومن هنا كان من اهداف التربية تشجيع تعلم اصول الفنون والصناعات مع مكافحة روح التواكل والكسل .. وهو يمتدح فى الفرنسيس النشاط والعمل .. فمن اوصافهم توفيتهم غالبا بالحقوق الواجبة عليهم، وعدم اهمالهم اشغالهم ابدا .. ومن المركوز فى اذهانهم محبة الكسب والشغف به ، وصرف الهمة اليه بالكلية ، ومدح الهمة والحركة..وسواء فى محبة الاشغال العظيم والحقير (٢٢) .

فلو زرعنا ارضا خصبة ، وميزنا ما يمكن ان ينسب من ايرادها للعمل وما ينسب للخصوبة منه ، وقدرنا كلا على حدته ، وجدنا محصول العمل اقوى من محصول الخصوبة ،ودليل ذلك ان الامة المتقدمة فى ممارسة الاعمال والحركات الكدية ذات الكمالات العملية المستكملة للادوات الكاملة والالات الفاضلة والحركة الدائمة قد ارتفعت الى اعلى درجات السعادة والغنى بحركات اعمالها (٢٣) .

هذا المعلم المفكر الثورى العظيم ، خلف لنا تراثا تربويا وفكريا يستحق ان تبعث فيه الحياة ، واكاد اقطع أن احدا من طلاب كليات المعلمين او التربية لم يسمع عنه شيئا ، ولا تذكره بالطبع كتب تاريخ التربية التى لا تعرف سوى روسو وفرويل وديوى وملبساترك ، وتاريخ كل المربين فى الغرب .. ولا تلقى بالا الى هذا التراث العظيم .. لقد احب رفاعة مهنته وتلاميذه ، ووقف عليها عصارة حياته ترجمة وتاليفا وتدريسا .. عاش لقومه معلما ورائدا عظيما ...

القسم الرابع

أ - حياته فى سطور

● ولد رفاعة بطهطا فى السابع من جماد الثانى ١٢١٦ هـ (١٥ اكتوبر ١٨٠١) ، ويعد هذا التاريخ اجتهاديا لا سبيل الى تحديده بالضبط ، وانما يصل اليه المؤرخون عن طريق الاستدلال بواقعة خروج الحملة الفرنسية من مصر ، وكان ذلك اليوم — وهو ١٨٠١/١٠/١٥ — ماجاء بكتب التاريخ ميلادا لرفاعة بدوى رافع الطهطاوى .

● تلقى علومه الاولى فى طهطا وهو بعد صغير ، ثم رحل الى « منشاة البندة » القريبة من مدينة جرجا ، ثم رحل الى مدينة قنا ثم الى مدينة فرشوط . وفى اثناء هذه الاسفار لم يعطله والده عن حفظ القرآن ودراسة العلوم

---

(٢١) مناهج الالباب المصرية .
(٢٢) تلخيص الابريز .
(٢٣) مناهج الالباب المصرية

الاولية .. واخيرا عاد الى طهطا وكان قد اتم حفظ القرآن واخذ يتلقى مبادىء العلوم فى جميع المتن المتداولة فى المعقول والمنقول بمساعدة اخواله فقرا عليهم بعض الكتب فى الفقه والنحو . واهله ذلك للقدوم الى القاهرة لتلقى العلم فى رحاب الازهر . وكان رفاعة قد بلغ السادسة عشرة حين قدم الى القاهرة فى ١٢٣٢ هـ (١٨١٧ م) .

● لم يستطع فى بداية الامر ان يتمثل كل ما يلقى عليه من علوم الازهر، او ان يقرأ الكتب التى تنقل له هذه العلوم .. لهذا لم يحصل فى اول مقدمه الا على القليل من العلم ، ولكنه رأى فى هذا القليل زادا عليه ان يشبع به اهل قريته الجوعى الى المعرفة فرحل اليهم فى الاجازة الصيفية يلقى عليهم ما تعلم . ثم دأب فى صبر ومثابرة على دراسة الكتب المعدة اصولا للعلوم الازهرية يومئذ ، اخذها عن اعلام شيوخ عصره كالشيخ الفضالى فقد لازمه وقرأ عليه صحيح البخارى ، والشيخ حسن القويسنى الذى قرأ عليه كتاب جمع الجوامع فى اصول الفقه وكتاب مشارق الانوار فى الحديث .

● وكان اعظم من اثروا فيه فكرا وتوجيها هو الشيخ حسن العطار وقد اتصل به رفاعة منذ دخل الجامع الازهر واحبه الشيخ لما آنس فيه من الذكاء ومحبة العلم فأحاطه برعايته وكان يشترك معه فى الاطلاع على الكتب العربية التى لم تتداولها ايدى علماء الازهر . وكثيرا ما كان رفاعة يتردد على بيت الشيخ ليتلقى عنه العلوم الحديثة وطالما كان التلميذ يسمع استاذه بعض شعره ونثره فيزداد الشيخ حبا لتلميذه . ومضى التلميذ فى اقتفاء آثار استاذه فأحب منذ نشأته العلوم العصرية ومال الى الادب واغترف من مناهله . وكتابه « تخليص الابريز » وهو اول كتاب الفه بعد تخرجه فى الازهر ، يدل على سعة اطلاعه فى الادب .

● قضى رفاعة فى الازهر ثمانى سنوات ، عمل خلال العامين الاخيرين منها مدرسا بالجامع الازهر حيث قام بتدريس المنطق والحديث والبيان والبديع والعروض . ولم يكن حتى ذلك الوقت قد تجاوز الحادية والعشرين من عمره . وقد اتضحت خلال هذه الفترة قدرته الفذة على التعليم بما يتمتع به من سعة اطلاع وتواضع واساليب متنوعة فى ايصال المعرفة الى الاخرين .

● وفى عام ١٨٢٦ أوفده الشيخ حسن العطار الى باريس ضمن بعثة مصرية الى فرنسا ، فدرس آداب اللغة الفرنسية والتاريخ والجغرافيا والفلسفة والاجتماع والرياضة والمنطق والجيولوجيا والطبيعة وعلم السياسة ، اى ان دراسته شملت مختلف نواحى المعرفة الانسانية ، وترجم اثناء وجوده فى باريس اثنى عشر كتابا تناولت معظم الموضوعات السابقة . وبعد ان عاد الى مصر لم يتخصص فى ترجمة نوع معين من الكتب بل ترجم منها ما رأى أنه يخدم غرضا قوميا ويسد نقصا عمليا .

● تأثر رفاعة الطهطاوى بما شاهده فى فرنسا من مظاهر الديمقراطية والحرية السياسية والدستور والقوانين الفرنسية مما لم يكن له وجود فى مصر . وزاده تشبعا وايمانا بالحرية والروح الديمقراطية دراسته لمؤلفات منتسيكو لاسيما كتاب «روح القوانين » L'E pbritdes Lois ومؤلفات جان جاك روسو ، وبخاصة كتاب « العقد الاجتماعى Le Contrat Sociale مما عاونه على تفهم اساس الحياة السياسية تفهما علميا سليما . وقد علق على الدستور الفرنسى بقوله « من ذلك يتضح لك ان ملك فرنسا ليس مطلق التصرف وأن سياسته الفرنساوية هى قانون مقيد بحيث ان الحاكم هو الملك بشرط ان يعمل بما هو مذكور فى القوانين التى يرضى بها اهل الدواوين » . كما علق على المادة الاولى من الدستور الفرنسى التى تنص على ان جميع الافراد متساوون امام القانون قائلا « معناه ان سائر من يوجد فى بلاد فرنسا من رفيع ووضيع لا يختلفون فى اجراء الاحكام المذكورة فى القانون ، حتى ان الدعاوى الشرعية تقام على الملك . وينفذ عليه الحكم كغيره ، فانظر الى هذه المادة فانها لها تسلط عظيم على اقامة العدل واسعاف المظلوم ، وارضاء خاطر الفقير بأنه كالعظيم » . ولنا ان نتصور فعالية هذه الكلمات فى مصر خلال الثلث الاول من القرن الماضى .

● وقد صادف ان ثورة باريس عام ١٨٣٠ قامت اثناء وجود رفاعة فى فرنسا ، وقد وصفها بقوله « من القوانين السابقة فى الكلام على حقوق الفرنساوية فى المادة الثامنة انه لا يمنع انسان فى فرنسا من ان يظهر رأيه ويكتبه ويطبعه ، بشرط الا يضر ما فى القوانين . فلما كانت سنة ١٨٣٠ واذا بالملك شارل العاشر قد اظهر عدة اوامر منها النهى عن ان يظهر الانسان رأيه وان يكتبه او يطبعه الا بشروط معينة .. مع ان ذلك ليس حق الملك وحده . فعاد عليه ما فعله بنقيض مراده ، فلو انعم فى اعطاء الحرية لامة بهذه الصفة حرية ، لما وقع فى هذه الحيرة » . فكأن رفاعة ايد ثورة باريس وناصر ابطالها وشجع الحرية والاحرار ونقم على الاستبداد والمستبدين . وكان من الطبيعى ان تعد تعليقات رفاعة على الثورة فى باريس تمردا على الاوضاع السائدة فى مصر . ومن ثم عرضته هذه الاراء الثورية الى سخط الحكام الاتراك فنفاه عباس الاول الى السودان وعينه ناظرا لمدرسة ابتدائية عام ١٨٤٩ ، ولم يعد الى بلاده الا عند وفاة عباس عام ١٨٥٤ .

● تقلد بعد عودته من المنفى عدة مناصب كان لها اكبر الاثر فى اشاعة الوعى القومى فى مصر ، فكان مؤسس مدرسة الالسن التى كانت بمثابة جامعة بها كليات

الاداب والحقوق والتجارة . ثم عمل مديرا للمدرسة التجهيزية للطب ووكيلا للمدرسة الحربية ومشرفا على تحرير المجلة العسكرية بالفرنسية والعربية . كذلك كان رئيسا لتحرير «الوقائع المصرية» ومشرفا عاما على مجلة ادبية انشأها اسماعيل تسمى « روضة المدارس » . وكان الهدف من انشاء هذه المجلة هو نشر المعارف الحديثة جنبا الى جنب احياء الادب العربي .

وعن طريق هذه المنابر الثقافية والفكرية ، والمناصب التعليمية ، تمكن رفاعة الطهطاوى من ان يغرس بكلتا يديه اعمق تيارات الفكر القومي في تاريخ مصر الحديث . وهذا ما جعل كاتبا مثل موريس شيمول Maurice Chemoul يقول في دائرة المعارف الاسلامية

« كان رفاعة احد كبار كتاب العربية في القرن التاسع عشر ، وقد ارتبط اسمه بالنهضة القيمة في الحركة الادبية والعلمية للشرق الحديث وبنفسيته البحاثة وذكائه النادر خلف لنا عملا جديرا بالتقدير يعالج مختلف النواحي من تاريخ وجغرافيا وقواعد نحو وحقوق وادب وطب وغير ذلك ولكى نقدر الدور العظيم الذى قام به يجب ان نذكر انه في فجر هذا القرن الاخير كان العالم العربي يغط في شبه نوم منفصلا من اوروبا المثقفة بحجاب سميك .. ولم يكن في هذه الظلمة التى تلف هذا العصرسوى ضوء خافت يشعه الازهر ، فبفضل اعماله ونشاطه تمت هذه المعجزة باذاعة العلوم الاوروبية وفتح ابواب الشرق للافكار الحديثة وتهذيب عقول معاصريه وايقاظ حماستهم الراقدة وتهيئة المستقبل . ومن المستطاع تقدير ما تم من جهد اذا تذكرنا أنه قام هو وتلاميذه بترجمة ما يقرب من الفى كتاب الى العربية والتركية ومن ناحية اخرى بتوسيع المحيط الضيق للغة القديمة الموروثة بالاحياء وبامدادها بفيض من الالفاظ الجديدة فسمح للعقلية العربية بالتجديد وان يعم نور الاسلام في الوقت الحاضر » .

● وقد توفى رفاعة بدوى رافع الطهطاوى في اول ربيع الثانى ١٢٩٠ هـ (٢٧ مايو ١٨٧٣) .

ب - التراث المطبوع

١ - كتاب « **جغرافية بلاد الشام** » ويحتوى على ثلاثة ابواب : الاول في ايالة دمشق - والثانى في ايالة عكا وطرابلس - والثالث في ايالة حلب . واشار رفاعة في المقدمة : « بانه وضع في مخطوطة صغيرة من جغرافية بلاد الشام اى تخطيط ارضها اخترتها من كتب فرنساوية وعربية وعولت فيها على كتاب جغرافية ملطبرون وقاموس مسلين في ذكر البلدان وخاتمة تتعلق باستيلاء اسكندر الرومى بن فيلبس على هذه البلاد وفى كل باب فصلان : استخرجتها من كتاب تاريخ القدماء للمعلم رولين . وربما اقتضى الامر وضع بعض الاماكن بالاسم الافرنجي حتى يتيسر الوقوف الى وضع بعض الاماكن بالاسم العربي » وعدد صفحات هذه الرسالة ٧٩ صفحة .

٢ - **مناهج الالباب المصرية في مباهج الاداب العصرية** .

٣ - **الكواكب المنيرة في ليالى افراح العزيز المقمرة ١٢٨٩ هـ** .

٤ - **خطبة بداية القدماء في التربية ١٢٥٤ هـ**

٥ - **مواقع الافلاك في وقائع تليماك** .
Les Aventures De Télémaque

وقد ترجمه عن الفرنسية عندما كان يعمل ناظرا لقلم الترجمة بديوان المدارس المصرية . ومؤلف هذا الكتاب هو العلامة الفرنسية Fénélon وقال في المقدمة ان مؤلفه ملك آداب وذو ملكة سيالة تفيض بالعجب العجاب . فبذلت غاية المجهود ، في انقاذ هذا المقصود ، واديت التعريب . بأسهل تقريب . واجزل تعبير ، وتحاشيت ما يورث المعانى ادنى تغيير . ويؤثر في فهم المقصود اقل تأثير . اللهم الا ان يكون ثم محل مخل بابعاده ، فأتمهل بذكر مآل المعنى ومضمونه . بعبارات تفيد لازم المعنى اكمل افادة . وهذه الاساليب فيقالب الترجمة معتادة . عساه ان ينفع في سائر البلاد الشرقية التلامذة . وان يكون كتابا جيدا من الكتب العربية تعتمد عليه في تعليم الاساتذة . لا سيما في الديار المصرية التى تقدمت كل التقدم في التعلم والتعليم .

(وهذه المقدمة ذات اهمية بالغة لانها توضح منهج رفاعة الطهطاوى في الترجمة) ، وقد طبع الكتاب في المطبعة السورية في بيروت عام ١٨٦٧ م .

٦ - كتاب « **ملطبرون في الجغرافيا العمومية من مبدأ الدنيا الى يومنا هذا** » . وجاء في مقدمته

« تلخيص الأماكن الشيخ محمد هدهد الطنقباشي الذى قيدته بصحبتي بوظيفة مبيض لهذا الكتاب ، وكاتب لما أمليه عليه فقام بواجبات هذه الوظيفة وزيادة من غير ارتياب » . ولا يوجد منه الا الجزء الاول والجزء الثالث .

٧ — تعريب كتاب المعلم Ferard فى ((المعادن النافعة لتدبير معايش الخلائق)) ، وجاء فى مقدمته : « استخرجه من اللغة الفرنساوية الى العربية الفقير رفاعة بدوى رافع الطهطاوى » وهو عبارة عن ٤٧ صفحة مطبوع فى بولاق عام ١٨٤٠ .

٨ — ((**التعريبات الشافية لمريد الجغرافيا**)) عام ١٢٥٤ هـ .

٩ — ((**الكنز المختار فى كشف الارض والبحار**)) عام ١٢٨٥ هـ .

١٠ — ((**التحفة المكتبية لتقريب اللغة العربية**)) عام ١٢٨٥ هـ .

١١ — ((**متن الاجرومية**)) عام ١٢٨٥ هـ .

١٢ — ((**القول السديد فى الاجتهاد والتجديد**)) عام ١٢٨٧ هـ .

١٣ — ((**المرشد الامين للبنات والبنين**)) عام ١٢٨٩ هـ . (وهو أول كتاب يدعو الى تعليم المرأة قبل كتب قاسم امين . وقد طبعه فى حياته واكمله ابنه عام ١٢٩٢ هـ) .

١٤ — ((**تخليص الابريز فى تلخيص باريز او الايوان النفيس فى وصف باريس**)) عام ١٢٦٥ هـ .. وهو المؤلف الذى اشار عليه بتدوين الشيخ العطار استاذه بالازهر (ان ينبه على ما يقع فى هذه السفرة وعلى ما رآه ويصادفه من الامور الغريبة والاشياء العجيبة) .

وقد ذكر رفاعة فى الباب الاول من المقدمة اسباب رحلته الى فرنسا . وانها احتياج مصر الى الغرب لكسب مالا تعرفه من العلوم ، التى بلغت منها البلاد الافرنجية اكثر مراتب البراعة. وهى العلوم الرياضية والطبيعية . وما وراء الطبيعة . اصولها وفروعها .

١٥ — **القانون الفرنساوى المدنى** .

١٦ — **نظم العقود فى كسر العود** .

١٧ — **من كتاب مبادىء الهندسة** .

جـ - التراث المخطوط

١ — **قلائد المفاخر فى غريب عوائد الاوائل والاواخر** : من اهم مؤلفات رفاعة ، ويرجح بعض الباحثين انه قد تم طبعه فى غير بلادنا . ويميل هؤلاء الباحثون الى انه من اهم الكتب التى الفت فى علم الاجتماع ، بل هو اول كتاب باللغة العربية بعد مقدمة ابن خلدون فى هذا العلم ، وهو ليس مترجما ، وهو ليس مؤلفا ، ولكنه مقتبس بتصرف من كتاب Moeurs - Depping Et Usages Des Nations وقد اشار فى مقدمته الى ان الخواجة جومار (وهو رئيس البعثة المصرية فى باريس) طلب منه ان يترجم الى العربية مثل هذا الكتاب وقال ما نصه (لا شك ان من اعلم الافرنج واحكمهم طائفة الفرنسيس فانهم الان بلاد الفنون والصنائع من غير شك وتلبيس . ولما كان للفقير معرفة هذه اللغة وفيه ملكة مطالعة معظم كتبها وتمييز الغث من السمين .)

٢ — مخطوط ((**ماصح اتصاله بنسب رسول الله**))

٣ — **فهرست جميع المدن والمالك والمشيخات** ١٢٣٩ هـ ، وهو معجم ايطالى عربى ، ولم يقطع التحقيق العلمى بعد برأى يقين فى نسبة هذا القاموس الى «وضع وترجمة» رفاعة الطهطاوى كما يذهب معظم الباحثين .

٤ — مخطوط ((**شرح فصيح ثعلب لابن منصور على الجبان**)) .

٥ — ((**ارجوزة فى علم الكلام**)) .

٦ — **بحث فى ((المذاهب الدينية))** لطلبة مدرسة الالسن .

٧ — ((**معاهد التنصيص على شواهد التخصيص**)) لمؤلفه بدرالدين القزوينى ، واختصره رفاعة الطهطاوى .

٨ — ((**انوار توفيق الجليل**)) .

٩ — **نبذة فى تاريخ الاسكندر الاكبر**

١٠ — **نبذة فى الميتولوجيا** .

١١ — **مقدمة كتاب فى تاريخ مصر** .

١٢ — **دستور فرنسا** .

١٣ — **كتاب وصول القوى الطبية** .

١٤ — **نبذة فى العلم ـ السياسة ـ الصحة**

١٥ — **قطعة من عمليات ضباط عظام** .

١٦ — **تعريب الامثال فى تاديب الاطفال** .

١٧ — **ترجمة رثاء فولتير للويس الرابع عشر**



وثائق



الثورة العرابية

٧

محاضر التحقيقات مع محمد بهجت ، وعمران قبودان ، وعلى حسن ، وأحمد عبد الرحمن ، وسعد محمد قبودان ، وسليمان قبودان ، وأحمد عبد السلام *

كان **محمد بهجت** قائمقام (٣ جى سواحل دمياط) وقد حضر ضرب الاسكندرية فى ١١ يوليو سنة ١٨٨٢ ، أوضح ان القائمقام **سليمان سامى** اعترف أمامه بعزمه على حرق الاسكندرية . اما **عمران قبودان** فكان مأمور ورشة بالترسانة ، تركز معظم الاستجواب المقدم له على مسألة خروج المسجونين من السجن بالاسكندرية عند ضرب الاسطول البريطانى لها . أما **على حسن** فكان سمسارا وكاتب عرضحالات ، سئل عن مشاهداته يوم ١١ يونيو ١٨٨٢ بالاسكندرية . **وأحمد «أفندى» عبد الرحمن** فكان (بكباشى ٤ جى بيادة) ، **وسعد محمد قبودان** فكان ملازم ثان بوابور محمد على ، سئل عن معلوماته يوم ضرب الاسكندرية فى ١١ يوليو سنة ١٨٨٢ ، أما **سليمان قبودان الطوخى** فكان ضابط بلوك سجن ليمان الاسكندرية ، **وأحمد عبد السلام** كان صاغقول اغاسى فى ٢ جى بيادة ، سئل عن مدى مساهمته فى واقعة ٩ سبتمبر سنة ١٨٨١ . وحصار عابدين وغيرها من الاحداث .



محضر استجواب محمد بهجت (فى يوم الاحد ٢٣ الحجة سنة ٩٩)

(بناء على ما تقرر بجلسة هذا اليوم ،طلب محمد بهجت من السجن ، وسئل ، فأجاب كما يأتى) :

س : ما اسمك ؟

ج : محمد بهجت .

س : ما وظيفتك ؟

ج : قائمقام ٣ جى سواحل دمياط .

س : هل كنت فى الاسكندرية فى واقعة ١١ يونيو ؟

ج : لم اكن هنالك فى ذلك الوقت

س : هل كنت فى الاسكندرية فى يوم الضرب على طوابيها ، أعنى فى يوم ١١ يوليو ؟

ج : كنت هنالك ، وسبب توجهى هوتكليفى بمأمورية تنقيح قانون المدافع (الارمسترون) الذى صار سنه فى البوليجون .

س : ما هى معلوماتك فى شأن ما حصل فى ذلك اليوم ؟

ج : كنت فى طابية القضا مع **اسماعيل بك صبرى** ومكثت بها حتى تدمرت الطوابى وبتنا تلك الليلة فى ديوان الآلاى بالقرب من الطابية .

س : ماذا جرى فى يوم الاربعاء ؟

ج : فى ليلة الاربعاء ، حضرت بوصلة الى اسماعيل صبرى من أحمد عرابى برفع العلم الابيض على الطوابى ، ان كانت المراكب تعيد اطلاق المدافع فى ثانى يوم ، وفى الساعة ٢ صباحا من يوم الاربعاء ، حضر للبك المذكور قبطان بحرى لم أعرف اسمه من طرف احمدعرابى ، وبالاستفهام منه عما اذا كانت صدرت التنبيهات اللازمة، لرفع العلم الابيض لفتح باب المكالمة أم لا ، فأجاب اسماعيل بك ، بأنه نبه بذلك ، ثم توجه البك المذكور برفقتى ، بصحبه **نسيم بك** لديوان البحرية كى ننظر ما يحصل من المكالمة وماينتج منها ، فتوجهنا ، وقبل وصولنا الى هناك ، اطلقت ثمانية وعشرون كلة من المراكب، وبعد انتهاء الضرب دخلنا للديوان المحكى عنه ، ووجدنا **طلبة باشا وكامل باشا** وغيرهم ، لم اكن متذكرا من هم ، ثم أخذ طلبة باشا ، **انيس بك المهندس** وتوجه للمكالمة ، وبعد ساعة تقريبا ، عاد انيس بك بمفرده ، وأما طلبة باشا ، فطلع لديوان البحرية وذهب لجهة لم اعرفها .

س : الم تسمع شيئا من طلبة باشا قبل أو بعد توجهه للمكالمة ؟

ج : لم اسمع شيئا .

س : ماذا جرى بعد ذلك ؟

ج : استصوب اسماعيل بك توجهنا لنعلم بما تمت عليه المكالمة ، فتوجهنا انا واسماعيل بك وصاغقول اغاسى بالسواحل ، **ابراهيم افندى كامل** فى الساعة ٦٫٣٠ او ٧ ، وبوصولنا لقرهقول المنشية ، وجدنا هناك **حسن بك** وكيل الضبطية، **وسعد ابو جبل** ورأينا **سليمان سامى** واقفا بالقرب من القرهقول أمام دكاكين البقالين الكائنة هناك ، وعساكر الآلاى واقفين على تروتوار المنشية ، فأوقفنا سليمان سامى المذكور ، وسألنا عن جهة قصدنا ، فأجبناه، اننا متوجهون لباب شرقى ولما استفهمنا منه عن اسباب وقوفه بعساكره ، قال انه سيقف هناك حتى يحرق البلد ، وكان بعض عساكره الذين كانوا بالقرب من القره قول معهم قزم، فقلنا له اننا لم نيأس من البلد ، بل لم تزل تخصنا، واذا فرضنا انه لا امل فى بقائها لنا ، فالبضائع التى فيها لم تكن للانكليز فقط بل لجميع الدول ، ولو فعلت ما أنت مصر عليه فينشأ عن ذلك أمر جسيم ، فلم يصغ لقولنا ، واخيراركب معنا حسن بك وكيل الضبطية ، وتوجهنا لجهة باب شرقى ، ووجدنا **محمود سامى ، وعمر رحمى** فى اوضة سليمان سامى ، واخبرهما **نسيم بك** بما حصل بيننا وبين سليمان سامى ، وبعد ذلك خرجت .

س : لما اخبرتم محمود سامى وعمر رحمى بذلك ، ماذا قالا ؟

ج : قال عمر رحمى ، ماذا نفعل معه ونبهه هو ومحمود سامى على وكيل الضبطية باخراج الاهالى من البلد،

وتبها على اسماعيل بك باخراج العساكر من الطوابى كى تبرح من البلد فتحير وكيل الضبطية فى هذا الامر ، وقلت لهما انا واسماعيل بك ونسيم بك، انه لا لزوم لاخراج الاهالى والعساكر من البلد، مادام العلم الابيض مرفوعا ، فلم يصغيا لاقوالنا ، وكان فى ذلك الوقت آلاى **عيد بك** مجتمعا فى باب شرقى ، وبعد ذلك انصرف وكيل الضبطية ، وتوجهنا انا واسماعيل بك ، لطابية الديماس ، وفى اثناء وجودنا هناك، حضر **احمد عرابى** .

س : فى اى ساعة حضر احمد عرابى ؟

ج : لم اكن متذكرا .

س : هل اخبرتموه بما رأيتموه من سليمان سامى ؟

ج : نعم أخبره نسيم بك بما يريد فعله سليمان سامى ، فقال له توجه وامنعه ، فامتنع نسيم وقال له، انى نصحته ونهيته ولم يمتنع، فأرفق احمد عرابى به ، **ابراهيم بك فوزى** وتوجها معا ، وتوجهت انا **واسماعيل بك** لطابية الديماس ، ومن هناك اصدر التنبيهات بخروج العساكر .

س : لما حضر احمد عرابى ، هل اخبره اسماعيل صبرى ان محمود سامى وعمر رحمى نبهها عليه باخراج العساكر ام لا ، وفى حالة الايجاب ، بماذا اجابه ؟

ج : سمعت احمد عرابى نبه على اسماعيل بك باخراج العساكر ، وبعد توجهنا لطابية الديماس واصدار التنبيهات فى شأن ما ذكر من طرف اسماعيل بك ، عدنا لباب شرقى ، ثم خرجت للبحث عن احد اخوانى فى الساعة ١١ .

س : ماذا رأيت عند رجوعك؟

ج : رأيت **راغب باشا** حضر، وقال لاحمد عرابى ، هل يصح ان تخربوا البلد هكذا وتنهبوها ، فأجابه ان الكل خربتها ، ثم اخذه ووقفا تحت قنطرة الباب وتكلما معا ، وبعد ذلك ركب راغب باشا عربته ، وذهب والعساكر خرجت وكانوا خارجين ايضا من قبل .

س : هل عند خروج العساكر والاهالى ، كان معهم منهوبات ؟

ج : كان مع العساكر منهوبات وحجزها **احمد عرابى** فى باب شرقى ، انما الذى تمكن من الخروج بها ، خرج .

س : من الذى حرق البلد ؟

ج : من المعلوم ان سليمان سامى هو الذى حرق البلد ، لانى رأيته كما قلت آنفا واقفا مع عساكره فى المنشية وكان مع جزء منهم بالقرب من القره قول ، قزم ، وفتحوا دكاكين البقالين ، واخذوا منها صفايح غاز ، واخبرنا انه مصر على حرق البلد، فيعلم من جميع ذلك انه هو الذى فعل هذا الامر.

س : هل تعلم ان كان سليمان سامى اجرى ذلك من تلقاء نفسه ، او بأمر احمد عرابى ؟

ج : لا اعلم .

س : هل تتصور انه يفعل ذلك من تلقاء نفسه ، مع انه لم يكن الاحكمدار آلاى، وموجود هناك ناظر جهادية وآلايات اخرى كثيرة ؟.

ج : لا يتصور هذا ابدا .

س : اين توجهت بعد خروجك من الاسكندرية ؟

ج : توجهنا لحجر النواتية، ثم الى عزبة خورشيد ، ثم الى كفر الدوار .

س : لما كنت فى كفر الدوار ، الم تر بيع وشراء المنهوبات بين العساكر ؟

ج : لم ار شيئا ، فانى بمجرد وصولى اعطيت لى بوصلة بالتوجه لمحلى فى دمياط .

س : الم تر ما حصل من قتل الاورباويين فى محطة كفر الدوار ؟

ج : لم ار ، انما سمعت ان العساكر قتلوا حكيمباشى مديرية الغربية وقيل انه طليانى .

(بعد ذلك اعيد للسجن)

اعضاء	اعضاء
محمد مختار	مصطفى خلوصى
سليمان يسرى	مصطفى راغب
محمد حمدى	سعد الدين
د.ن زكى	يوسف شهدى
على غالب	

رئيس القومسيون
اسماعيل ايوب

محضر استجواب عمران قبودان (فى يوم السبت ٨ الحجة سنة ٩٩)

(طلب عمران قبودان فحضر اليوم ببوصلة من الداخلية بدون تاريخ وتوجهت اليه الاسئلة الاتية فأجاب عنها بماياتى) :

س : ما اسمك وما وظيفتك؟

ج : اسمى عمران قبودان موسى ووظيفتى مأمور ورشة الارمة بالترسانة .

س : ما هى معلوماتك فى كيفية خروج المذنبين من السجن ؟

ج : انه فى يوم الثلاثاء كان طلبنى ناظر الترسانة ، وبوصولى اليه اخذنى معه وتوجهنا سويا الى ان وصلنا لطاقم فلوكه الحضرة الخديوية ، واخذناه وتوجهنا ايضا للمعمل ، وصار ترتيب الخفر اللازم لحفظ المسجونين ، وقد مضى اليوم المذكور ولم يحصل فيه شىء غير هدم بعض السور وقتل بعض من المذنبين وجرح آخرين بواسطة الكور وعلى ذلك صار تقوية الخفر اللازم عليهم فى اليوم المذكور لغاية صباح يوم الاربعاء ، وفى يوم الاربعاء عندما اطلق من المراكب خمسة اوستة كور حصل وقتها من المذنبين هيجان ، وتوجه بعض من الضباط المختصة بخفرهم واخبروا ناظر الترسانة بالهيجان وكسر بعض الابواب فبوقتها اخذ عساكر بيادة لزيادة تقوية الخفر اللازم لحفظ المذنبين ثم بعد برهة قليلة شعرنا بنزول الاهالى والعساكر الموجودين براس التين الى خارج البلد وبالاستفهام من بعض ضابطان العسكرية عن نزولهم الى خارج البلد افادونا بأنهم امرونا بالخروج من البلد فى وقتها فمرت اكثر العساكر الموجودة للتحفظ على المسجونين ولم يبق منهم الا بعض عساكر من بلوك الخفر الاصلى ، فطلبت من ناظر الترسانة رجوعى لمحلى بما انى عهده ومسئول عما يكون فى عهدتى فأمرنى بالتوجه لاجل قفل الابواب وحفظ المخازن وبوقتها قفلت الابواب والمخازن الموجودين بالورشة وبعدها تقابلت مع ضابطان السجن المحضرين من ديوان البحرية الى الجبسخانة وبالسؤال منهم عن الكيفية قالوا ان وكيل البحرية امرهم باخلاء سبيل المذنبين وخروجهم مع المهاجرين هذا ما حصل .

س : من الذى اخبرك ان وكيل البحرية امر باخلاء سبيل المذنبين وخروج الخفر مع المهاجرين

ج : سليمان قبطان وعاطف قبطان .

س : الى اين توجهت فى ذلك اليوم بعد قفلك ابواب الورشة ؟

ج : توجهت لديوان البحرية ولما لم اجد به احدا توجهت ايضا لمنزلى واخذت عيالى وخرجت من البلد .

س : خروجك من البلد كان فى أى وقت ؟

ج : تقريبا الساعة ١١ عربى

س : حيث خرجت من البلد الساعة ١١ تقريبا فطبعا شاهدت النهب الذى كان واقعا مع الحريق ايضا ؟

ج : لم ار شيئا من ذلك بما ان منزلى كان بالمحمودية وخروجى بعائلتى كان على شاطىء المحمودية .

س : الم تر شيئا من المنهوبات فى اثناء مرورك مع العساكر أو غيرهم ؟

ج : نعم رأيت مع بعض العساكر وبعض الاهالى منهوبات من البلد .

(اذن له بالانصراف فى ٨ ذى سنة ٩٩)

اعضاء	اعضاء
مصطفى خلوصى	محمد مختار
مصطفى راغب	سليمان يسرى
سعد الدين	محمد حمدى
يوسف شهدى	محمد زكى
	على غالب

رئيس القومسيون
اسماعيل ايوب

محضر استجواب على حسن

(المحضر من ضبطية الاسكندرية فى ٦ ذى سنة ٩٩ الذى قيل من مانولى المخبر بأن اسمه ابراهيم السمسار)
(بناء على سابقه طلب المذكور وقد حضر بافادة من ضبطية الاسكندرية وسئل فأجاب كما يأتى) :

س : ما اسمك ؟
ج : اسمى على حسن
س : ما هى صنعتك ؟
ج : صنعتى سمسار واكتب عرضحالات .

س : هل كنت موجودا باسكندرية فى يوم ١١ جونيو سنة ٨٢ ؟

ج : نعم كنت موجودا بديوان الضبطية .

س : ما الذى صار هناك ؟

ج : فى الساعة عشرة ونصف عربى لما حصلت الواقعة المذكورة كنت موجودا فى ديوان الضبطية فى الدور الاعلى عند الكتبة وكان هناك بعض اشخاص اوروباويين مختبئين وكان موجودا هناك الخواجا **مانولى** المخبر بالضبطية ، **ومصطفى افندى الكريدلى** المعاون ، وفى ذلك الوقت ارسل **ابراهيم عطيه** (ملازم قرهقول الضبطية) اونباشيا من الطبقة السفلى واخبرنى بأن اقول الى مانولى ان يرسل اليه الاشخاص المختبئين هناك من الاوروباويين ، نقلت لمانولى ذلك ، فمصطفى افندى الكريدلى اشار الى وقال رح ليس هذا شغلك فتوجهت لأوضة الكتبة وقعدت معهم .

س : ما الذى علمته من طلب المذكورين لطرف الملازم ، هل لاجل قتلهم ام كيف ، وما هو اسم من حضر اليك من طرف **ابراهيم عطيه** الملازم ؟

ج : ان اسم الذى حضر لى هو عثمان (اونباشى) كان من جملة الخفر الذى كان موجودا يومها ، والذى علمته من الحالة ان الملازم كان طالبا الاشخاش المذكورين لاجل قتلهم لانه كان شاهرا سيفه ويضرب به الاوروباويين المارين من أمام الضبطية ؟

س : ما الذى تعلمه من خروج اهالى اسكندرية منها وما صار من النهب والحرق فيها فى ١٢ يوليوسنة ٨٢ ؟

ج : انه قبل الظهر من يوم الاربعاء حضر الى منزلى عسكرى وقال اخرجوا لانه سيحصل ضرب المدافع على البلد من المراكب ويصير هدمها ، فخرجت انا وحريمى مرتعبين من وقتها وهاجرنا

س : أما نظرت من اجرى النهب والحرق باسكندرية ؟

ج : لم انظره لانى خرجت مرتعبا انا وحريمى من البلد قبل الظهر بساعة .

س : اما سمعت بمن أجرى تلك الامور ؟

ج : سمعت ان العساكر هى التى اجرت نهب الاسكندرية وحرقها .

(اذن له بالانصراف)

اعضاء	اعضاء
مصطفى خلوصى	محمد مختار
مصطفى راغب	سليمان يسرى
سعد الدين	محمد حمدى
يوسف شهدى	محمد زكى
	على غالب

رئيس القومسيون
اسماعيل ايوب

محضر استجواب احمد افندى عبد الرحمن (ا جى بكباشى ٤ جى بيادة)

(بناء على سابقه طلب المذكور من الداخلية وقد حضر يوم تاريخه ٦ الحجة ، سنة ٩٩ بافادة من الضبطية بدون نمرة وساله سعادة الرئيس فأجاب كما يأتى) :

س : ما اسمك ؟
ج : احمد عبد الرحمن .
س : مارتبتك ؟
ج : ا جى بكباشى .
س : كنت فى اى آلاى ؟
ج : ٤ جى الآلاى حكمدارية **عبيد بك** .
س : اين كان الآلاى فى يوم الثلاثاء ١١ يوليو سنة ٨٢ اى يوم الضرب على طوابى الاسكندرية من المراكب الانجليزية ؟

ج : كان في باب شرقي ولم ينتقل منه .

س : اين كان في يوم الاربعاء ١٢ يوليو سنة ٨٢ ؟

ج : في باب شرقي أيضا .

س : الم تعملوا شيئا في ذلك اليوم ؟

ج : لم يحصل شيء .

س : الم يأمركم الميرالاى بارسال بلوكات لجهة ما ؟

ج : لم يأمر بارسال احد بل بقينا في باب شرقي لغاية الساعة ١١ .

س : الم يأمرك بارسال بلوك من اورطتك للمنشية لمنع سليمان سامي من النهب ؟

ج : لم يأمرني بذلك .

س : الم يصدر لك امر من احمد عرابي بما ذكر ؟

ج : لا عرابي ولا غيره أمرني بارسال بلوك .

س : الم تعلم بتوجه أحد لهذا الغرض من آلايك ؟

ج : لم أعلم بتوجه أحد .

(بناء على هذا الجواب استصوب طلب عيدبك لمواجهته بأحمد عبد الرحمن فحضروسئل فأجاب كما يأتي) :

س : لما سئل احمد افندى عبد الرحمن عما قيل منك انك نبهت عليه بارسال يوزباشي من اورطتهببلوكه لمنع الناس من النهب ، اجاب بانك لم تأمره بذلك فماذا تقول ؟

ج : اجاوب عن هذا السؤال متى حضر البكباشية الاخرون .

(بعد ذلك اذن لاحمد عبد الرحمن بالانصراف فانصرف في ٦ ذى سنة ٩٩ وأعيد عيد بك الى السجن)

اعضاء	اعضاء
سعد الدين	محمد حمدى
مصطفى راغب	يوسف شهدى
محمد مختار	مصطفى خلوصى
سليمان يسرى	

محمد زكى
وكيل رئاسة القومسيون

محضر استجواب سعد محمد قبودان طوبجي باشي (في يوم السبت غرة ذي سنة ٩٩)

(بناء على ما تقرر بجلسة يوم الثلاثاء ٢٧ القعدة سنة ٩٩ كان تحرر للداخلية بطلب سعد محمد قبودان طوبجي باشي بوابور محمد على فحضر يوم تاريخه ووجه اليه سعادة الرئيس الاسئلة اللازمة فأجاب عنها كما يأتي) :

س : ما وظيفتك ؟

ج : ملازم ثان طوبجي باشي بوابور محمد على .

س : اين كنت يوم الثلاثاء ١١ يوليو سنة ٨٢ الذى كان يوم ضرب الطوابى ؟

ج : ليلة اليوم المذكور كنت بائتا في المركب ، وصباحا وقت ضرب الكور أمرني مفردات المركب بأخذ العساكر والخروج منها ، ولما حصل ذلك ووصلت بهم لديوان البحرية امرني وكيلها باخذهم وتوجهي بهم لخفر المذنبين بالمعمل بجهة الترسانة ، ولما كثر ضرب الكور الساعة ٧ نهارا ونزلت العساكر البيادة والطوبجية من رأس التين مكروشين ، فالعساكر التى تحت ادارتي لما نظروهم بتلك الحالة ، تركوني وتوجهوا معهم ، فعند ذلك توجهت الى **كامل باشا** وكيل البحرية وأعلمته بما ذكر فأمر **عبد الرحمن نشات** بأخذ العساكر وتوجهه بهم الى طابية (قايد باى) وأنا أمرني بنزولي في المركب وقد كان وفضلت بها لغاية يوم الاربعاء الساعة ٧ نهارا ولما أن وكيل البحرية امر الضابطان والعساكر بالخروج والتوجه الى باب شرقي خرجت وأجريت البحث عن عيالي حتى وجدتهم على شاطىء المحمودية ، فحضرت بهم الى مصر ، وبعودتي الى الاسكندرية صار حجزى بكفر الدوار مع جملة ضابطان ، ولما عرضت بعدم معرفتي في الحرب عينت بشون ترل كفر الزيات .

س : ما معلوماتك في النهب والسلب والحريق الواقع في الاسكندرية يوم الاربعاء سواء كان نظرا أو سماعا ؟

ج : ما عاينت ذلك بل سمعت من الناس انه حصل حريق ونهب بالبلد .

(اذن له بالانصراف في غرة الحجة سنة ١٢٩٩)

اعضاء	اعضاء
محمد مختار	مصطفى خلوصى
سليمان يسرى	مصطفى راغب
محمد حمدى	سعد الدين
محمد زكى	يوسف شهدى
على غالب	

رئيس القومسيون
اسماعيل ايوب

محضر استجواب سليمان قبودان الطوخى

(بناء على ما تقرر بجلسة يوم الثلاثاء ٢٧ ذا سنة ٩٩ من طلب سليمان قبودان الطوخى ، حضر يوم تاريخه وسئل فاجاب كما ياتى) :

س : هل كنت ضابط بلوك سجن ليمان اسكندرية يوم الضرب بالمدافع ؟

ج : نعم .

س : ماذا حصل فى المسجونين ؟

ج : لما حصل الضرب بالمدافع على الطوابى ، سقطت كلة فى الجبسخانة فهدمت منها جزءا ، واماتت اناسا ، وجرحت آخرين من المسجونين والعساكر الخفراء ، وعند ذلك تحفظت على الجبسخانة من محل الهدم ، وارسلت خبرا مع احد العساكر لناظر الترسانة بان العساكر الموجودة بطرفنا غير كافية للمحافظة على المسجونين ، فارسل لى سعيد قبودان ، وعمران قبودان جملة عساكر ، وبمعرفة ناظر الترسانة المدعو احمد قبودان وضع النقط خارج سور الجبسخانة ، وبعدمكوثهم نحو اربع ساعات ،صار اخذهم ثانية ، واناتحفظت على المسجونين لحد الغروب بعساكر البلوك . ثم عاد عمران قبودان ومعه جزء من العساكر واقام خفيرا للصباح . وفى ثانى يوم الذى هو يوم الاربعاء الساعة ٧ خرج المهاجرون والمسجونون ، لما رأوا ذلك وكسروا الابواب فضربت عليهم فشك هوا ، فسكتوا وتوجهت مع مأمور المذنبين لناظر الترسانة ووكيل البحرية ، واخبرتهم بذلك فأمرنى كامل باشا وكيل البحرية بان آخذ اولئك الخفراء واخرج من البلد واترك سبيل المسجونين وذلك شفاها ، وأجريت ذلك وتوجهت لانظر عيالى فما وجدتهم ، وباجراء البحث عنهم ، استدليت على وجودهم بكفر الدوار ، فأخذتهم وحضرت لمصر ، وبعودتى الى اسكندرية لمقابلة الخديوى ، فما امكنى الرجوع ثانيا بسبب ضرب النار ، فأقمت بكفر الدوار وعرضت معضباط البحرية الى عرابى بعدم معرفتنا المحاربة ، فتحول البعض منا على النزل ، واناالحقت معاونا بأسبتالية دمنهور .

س : من الذى أخذ العساكر المحضرين مع الاثنين قبودانات .

ج : اخذهم ناظر الترسانة المدعو **احمد قبودانشفطر**

س : حيث كان عمرانقبودان بائتا معك فى خفارة المسجونين الى الصباح فأين توجه ؟

ج : طلبه وكيل البحرية **محمد كامل باشا** مع العساكر ، ولم يعد لاهوولا العساكر

س : ما معلوماتك فى مادة النهب والحريق الواقعة فى يوم الاربعاء ثانى يوم الضرب .

ج : لا اعلم ذلك بما انى خرجت وتوجهت من جهة المحمودية للبحث عن عائلتى

س : افد بمعلوماتك ولو بالاشاعة .

ج : لاسمعت ولا رأيت .

س : ذكر بجواب **محمدعاطف** ناظر ليمان اسكندرية انك اخبرته انه ورد لك امر من وكيل البحرية بواسطة واحد بلطجى لاطلاق المذنبين ، والامر المذكور محفوظ بطرف البلوك أمين ، فأفد عن ذلك .

ج : الافراج عن المسجونين كان بأمر شفاهى لنا من وكيل البحرية وناظر الترسانة ، ولربما **محمد عاطف** يكون فهم غلطا .

(اذن له بالانصراف فى غرة الحجة سنة ٩٩)

اعضاء	اعضاء
محمد مختار	مصطفى خلوصى
سليمان يسرى	مصطفى راغب
محمد حمدى	ستقد الدين
محمد زكى	يوسف شهدى
على غالب	

رئيس القومسيون
اسماعيل ايوب

محضر استجواب احمد عبد السلام (فى ٢٠ ذا سنة ٩٩)

(حسبما تقــرر بجلسة القومســيون يوم الثلاثاء ٢٠ ذا بســنة ٩٩ ، شهر اكتــوبر ١٨٨٢ ، حضر احمد عبد السلام اليوزباشي من الاى شوقى بك ووجــه اليه سعادة الرئيس الاسئلة اللازمة ، فاجــاب عنها بما يأتى) :

س : ما أسمك ومارتبتك الآن ومدة وجودك بالاى شوقى بك ، كنت بأى رتبة ؟

ج : اسمى **احمد عبدالسلام** ورتبتى صــاعقول أغاسى الآن . وقبــل الان كنت يوزباشى ٢ جى بيـــادة حكمدارية **محمد شوقى** .

س : فى واقعة يوم ٩سبتمبر ســنة ١٨٨١ ، توجهــت الالايات لعابدين، وبالجملة الايكم ، وقيل انك توجهت أيضا بأورطتك فكيف كان ذلك ؟

ج : انا كنت فى طنطا بالبلوك وحضرت منهابعد الغروب ولم أتوجه لعابدين ، بل استأذنت **محمــد افنــدى عارف** البكباشى وتوجهت الى منزلى.

س : المــيرالاى قــال انك توجهت بالاورطة لعابدين، بخلاف اوامر البكباشى .

ج : حاشا ، فأنى توجهت الى منزلى حسب أمرالبكباشى بعــد ان اســتأذنت من المحطة ، ومن يقل بأنى توجهــت ، فليثبت ذلك ، وحلفوه يمين الشرف .

س : لما عمل العنانى عزومة فى جنينة الازبكية، ووزعوا تذاكر على ضباط الالايات فاختصوا بها من كان قد توجه لواقعة عــابدين ، وانت بالجملة اخذت تذكرة

ج : ما أخذت تذكرة .

س : المتوجه فى تلك العزومة

ج : لم أتوجه قط .

(أعيد للسجن بعد ان أجاب بما توضح اعلاه فى ٣ القعدة سنة ١٢٩٩)

اعضاء	اعضاء
محمد مختار	مصطفى خلوصى
سعد الدين	محمد حمدى
مصطفى راغب	يوسف شهدى
سليمان يسرى	على غالب
محمد زكى	

رئيس القومسيون
اسماعيل ايوب

تواصــل ((الطليعــة)) نشر محــاضر جلســات محــاكمة رجــال الثــورة العــــرابية فى العـــدد القـــادم


سياستنا.. الاعتماد على أنفسنا
في تدعيم نهضتنا
وسماد بلدنا.. يحقق الخير والرخاء
ويوفر آلاف العملات الصعبة
التي كنا نستورد بها احتياجاتنا
من الخارج
نتروكيما
٢٦٪ آزوت
السماد الأصيل.. لجميع المحاصيل
كيما
بأسوان
شركة الصناعات الكيماوية المصرية
احدى شركات المؤسسة المصرية العامة للصناعات الكيماوية

الطليعة

نحـو.. نقد ذاتي للشعب

دعت « الطليعة » في افتتاحية عدد مايو ١٩٦٧ الى « حملة شعبية يمارس خلالها كل مناضل ثوري — مع نفسه وفي ارتباط مع الآخرين ، ومن مواقع العمل والمسئولية — النقد الذاتي ، بحيث يمكن أن تغدو العملية في الواقع عملية نقد ذاتي للشعب في جميع المجالات وعلى مختلف المستويات » .

وطالبت .. « كل العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين في المصانع والمزارع والمدارس والجامعات ومراكز البحث العلمي والمهني .. الرجال والنساء .. الشباب والشيوخ .. التنظيمات السياسية والنقابية والتعاونيات واتحادات النساء والكتاب والأدباء والفنانين الى المشاركة — فرديا وجماعيا — في عملية النقد الذاتي بكشف الأخطاء والنواقص في نفوسنا الفردية وفي حياتنا الجماعية وتقديم الحلول والمعالجات الممكنة ثوريا وواقعيا .. وذلك في المجالات السياسية او الاقتصادية او الاجتماعية او الثقافية على السواء » .

والواقع أن هذه الدعوة هي محاولة لأن نواجه — على صعيد الوطن العربي عامة وصعيد كل مجتمع اقليمي خاصة — « كل العيوب والنواقص والأخطاء بأقصى ما في طاقاتنا من شجاعة وقدرة ابتداء من عدم احترام المواعيد مثلا الى العلاقات بين الرجل والمرأة .. الى السلوك الاجتماعي ككل .. الى العوائد الغذائية .. الى قضايا الاستهلاك والادخار والادارة .. الى مظاهر الفروق الطبقية .. الى النعرات الاقليمية .. الى تفكك القوى الثورية على الصعيد المحلي والقومي .. الى الأبنية الفكرية والسياسية » .

ومن الحصيلة المجمعة من الكتابات النقدية الشجاعة ، سوف تصدر الطليعة عددا خاصا يعكس رؤية الشعب الذاتية النواقص والسلبيات وكيفية التصدي لها وعلاجها .. ومن هنا تنبع الأهمية التاريخية للعملية ..

وينفتح المجال — بلا حدود — امام كل مواطنة ومواطن للمشاركة في الحملة بأن يقدم عن نفسه نقدا ذاتيا لسلوكه وعمله وعلاقاته الانسانية كفرد ، وذلك بالاضافة الى نقد ذاتي آخر باعتباره واحدا من « جماعة عمل » في مؤسسة ، او جامعة ، او جمعية تعاونية ، او تنظيم سياسي ، او نقابة او نادي .. الخ .

وقد انشيء مكتب خاص بالطليعة لتلقي كتابات النقد الذاتي حتى ١٥ سبتمبر ١٩٦٧ ، لاعداده للنشر مصحوبا بدراسات وتقارير واقعية ونظرية .

- الطليعة في انتظار « نقدك الذاتي » حتى ١٥ سبتمبر ١٩٦٧ ، مع بيان الاسم والسن والعمل والعنوان .
- اكتب على الجانب العلوي الأيسر من المظروف عبارة « حملة النقد الذاتي » .

الثمن ١٠ قروش

مطابع مؤسسة الاهرام